تأویلات القرآن لابی منصور الماتریدی جلد واحد
قطعه کامله باحسن خط نسخ مسطر اوتوز
بش جدول التون
م

قال الشيخ الإمام أبو منصور رضي الله عنه الفرق بين التأويل والتفسير هو ما قيل التفسير للصحابة والتأويل للفقهاء ومعنى ذلك أن الصحابة شهدوا المشاهد وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن فتفسير الآية منهم لما عاينوا وشهدوا إذ هو حقيقة المراد وهو كالمشاهدة لا يسع الامتناع عن علم ومنه قيل من فسر القرآن برأيه فليتبوأ … لأنه فيما يفسر يشهد على الله تعالى به وأما التأويل فهو بيان منتهى الأمر مأخوذ من آل يؤول أي يرجع ومعناه كأ قال أبو زيد لو كان هذا الكلام غيره توجه إلى كذا وكذا من الوجوه فهو توجيه الكلام إلى ما يتوجه إليه ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير إذ ليس فيه الشهادة على الله لأنه لا يخبر عن المراد ولا يقول أراد الله به كذا أو عنى ولكن يقول يتوجه هذا إلى كذا وكذا من الوجوه وهذا مما تكلم به البشر والله أعلم ما معناه عن الحكمة ومثاله أن أهل التفسير اختلفوا في قوله الحمد لله قال بعضهم إن الله حمد نفسه وقال بعضهم أمر أن يحمد فمن قال عنى هذا دون هذا فهو المفسر له وأما التأويل فهو أن يقول يتوجه الحمد إلى الثناء والمدح له وإلى الأمر بالشكر له والله أعلم بما أراد فالتفسير ذو وجه واحد والتأويل ذو وجوه

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله احتمل أن يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه فإن قيل كيف يجوز أن يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود قيل له لوجهين أحدهما أنه استحق الحمد بذاته لا بأحد فيكون في ذلك تعريف الخلق لما لزمهم لديه بما أثنى على نفسه ليثنوا عليه وغيره إنما يكون ذلك له بجل وعز فعليه توجه الحمد إليه لا إلى نفسه إذ نفسه لا تستوجبه بها بالله تعالى حقيق لذلك إذ لا عيب يمسه ولا آفة تحل به فيدخل في ذلك نقصانا ولا هو مأمور بشيء والعبد لا يخلو عن عيوب تمسه وآفات تحل به ويمدح بالائتمار ويذم بتركه وفي ذلك يكون النقصان وحق لمثله الفزع إلى الله تعالى والتضرع إليه ليتغمده برحمته ويتجاوز عن ضعفه وعلى ذلك معنى النهي … ولا يحمد غيره إذ ليس للعبد معنى يستعظم بكبره إذ هم جميعا أكفاء من طريق الجبلة والخلقة وما أدرك أحد منهم من فضيلة أو رفعة فبالله أدركه لا بنفسه فعليه تنزيه الرب والفزع إليه بالشكر لا بالتكبر على أمثاله والله تعالى عن هذا الوصف متعال ويحتمل أن يكون قوله الحمد لله على إضمار الأمر أي قولوا الحمد لله لأن الحمد يضاف إلى الله فلا بد من أن يكون له علينا فأمر بالحمد لذلك ثم يخرج ذلك على وجهين أحدهما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال الحمد لله أي الشكر لله بما صنع إلى خلقه فيخرج تأويل الآية على هذا الترغيب على الأمر بتوجيه الشكر إليه وذلك يتضمن الأمر أيضا بكل الممكن من الطاعة على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا فصير أنواع الطاعات شكرا له فمن أطاع الله تعالى فقد شكره فيخرج تأويل الآية على هذا والوجه الثاني أن يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه والتنزيه عما لا يليق به من التوحيد النعم إليه وقطع الشركة … في الإنعام والإفضال على عباده وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقول قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله سبحانه وتعالى حمدني عبدي فجعل الحمد هذا الحرف وصيغة منه ثناء لوجهين أحدهما أنه نسب الربوبية إليه في جميع العالم وقطعها عن غيره والثاني أنه يجيء ذلك صلوة والصلوة اسم للثناء والدعاء وذلك خلاف الذم ونقيضه وفي الوصف بالبراءة من الذم مدح وثناء بغاية المدح والثناء ولذلك يفرق القول بين الشكر والحمد إذا أمرنا بالشكر … بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لم يشكر الله … بمعنى المجازات والحمد بمعنى الوصف بما هو أهله فلم يستوجب الحمد إلا الله وبالله التوفيق وقوله رب العالمين روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال سيد العالمين والعالم كل من دب على وجه الأرض وقد يتوجه الرب إلى الربوبية لا إلى السودد إذ يستقيم القول برب كل شيء من بني آدم وغيره نحو رب السموات والأرض من التربية ورب العرش ونحوه ولا يستقيم القول لسيد السموات ونحوه وقد يتوجه اسم الرب إلى المالك إذ كل من ينسب إليه الملك يسمى به مالكه ولا يسمى أنه سيد إلا في بني آدم خاصة واسم الرب يجمع ذلك كله لذلك كان التوجيه إلى الملك أقرب وإن احتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه إذ هو في الحقيقة سيد من ذكر وربهم والله الموفق ثم اختلف أهل التفسير في العالمين فمنهم من رده إلى كل ذي روح دب على وجه الأرض ومنهم من رده إلى كل ذي روح في الأرض وغيرها ومنهم من قال لله كذا وكذا عالم والتأويل عندنا أنه يجمع

الكلام أن العالمين اسم لجميع الأنام والخلق جميعا وقول أهل التفسير يرجع إلى مثله إلا أنهم ذكروا أسماء الأعلام وأهل الكلام ما يجمع ذلك وغيرهم ثم العالم اسم للجميع وكذلك الخلق ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلائق يتوجه إلى جمع الجمع من غير أن يكون في التحقيق تفاوت وقد يتوجه إلى عالم كل زمان وكذا خلق زمان على حكم تجدد العالم وبالله التوفيق وفي ذلك أن الله عز وجل ادعى لنفسه العالمين كلهم من تقدم وتأخر ومن كان ويكون لم يقدر أحد أن ينطق بالتكذيب بدعوى شيئا من ذلك لنفسه دل ذلك أن لا رب غيره ولا خالق شيء من ذلك سواه إذ لا يجوز أن يكون حكيما أو إلها ينشيء ويبدع ولا يدعيه ولا ينفصل ما كان منه مما كان لغيره وبنفسه قام ذلك لا بغيره وعلى ذلك معنى قوله تعالى وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق فهذا معا في اتساق التدبير واجتماع التضاد وتعلق حوائج بعض ببعض وقيام منافع بعض ببعض على تباعد بعض من بعض وتضادها دليل واضح على أن مدبر ذلك كله واحد وأنه لا يجوز كون مثل ذلك من غير عليم والله المستعان وقوله الرحمن الرحيم اسمان مأخوذان من الرحمة لكنه روي فيهما رقيقان أحدهما أرق من الآخر وكان الزرق روي عنه هذا أراد به لطيفان أحدهما ألطف من الآخر دليل ذلك وجهان أحدهما مجيء الأثر في ذلك اللطيف في أسماء الله تعالى مما نطق به الكتاب ولم يذكر في شيء من ذلك رقيق بمعنى اللطيف في استخراج الأمور الخفية وظهور ما له كقوله إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة إلى قوله لطيف خبير وبالله التوفيق والثاني أن اللطيف حرف يدل على البر والعطف والرقة على دقة الشيء الذي نقيض الغلاظ والكثافة كما يقال فلان رقيق القلب وإذا قيل فلان لطيف فإنما يراد به بار عاطف فلذلك يجوز لطيف ولا يجوز رقيق وكذلك فسر بعض الرحمن العاطف على خلقه بالرزق وذهب رحمه الأول إلى اللطافة وذلك بعيد وإنما هو من اللطف وقوله أحدهما أرق من الآخر بمعنى اللطف يحتمل وجهين أحدهما التحقيق بأن اللطف بأحد الحرفين أخص والبر وأوفر وأكمل وذلك رحمته بالمؤمنين أنه يقال رحيم بالمؤمنين على تخصيصهم بالهداية لدينه ولذا ذكر امتنه وإن أشركهم في الرزق فيما بينهم وغيرهم ألا ترى أنه لا يقال رحمان بالمؤمنين وجائز القول رحيم بهم وكذلك لا يقال رحيم بالكافر مطلقا وبالله التوفيق ووجه آخر أن أحدهما ألطف من الآخر كأنه وصف الغاية في اللطف حتى يتعذر وجه إدراك ما في كل واحد منهما من اللطف أو يوصف بقطع الغاية عما يتضمنه كل حرف وبالله التوفيق ثم في هذا أن اسم الرحمن هو المخصوص بالله لا يسمى به غيره والرحيم يجوز تسمية غيره به فلذلك يوصف الرحمن اسم ذاتي والرحيم فعلي وإن احتمل أن يكونا مشتقين من الرحمة ودليل ذلك إنكار العرب الرحمن ولا أحد منهم أنكر الرحيم حيث قالوا وما ندري ما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وذلك قوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا يدل على أنه ذاتي لا فعلي وإن كان الفعل صفة الذات إذ محال لصفته بغيره لما يوجب ذلك الحاجة إلى غيره ليحدث له الثناء والمدح وفي ذلك خلق الخلق لنفع الامتداح وهو عن ذلك متعال بل بنفسه مستحق لكل حمد ومدح ولا قوة إلا بالله وروي في خبر القسمة أن العبد إذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي ذكر أنه في الأول بالتمجيد وفي الثاني بالثناء وذلك واحد لأن معنى الثناء الوصف بالمجد والكرم والجود والتمجيد هو الوصف بذلك وبالله التوفيق ثم أجمع أن قوله مالك يوم الدين أنه يوم الحساب والجزاء وعلى ذلك القول أئنا لمدينون وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق وهو الجزاء ومن ذلك قول الناس كما تدين تدان وجائز أن يكون مالك يوم الدين على جعل ذلك اليوم لما يراد ذلك اليوم به بعظيم حقيقته وعظم مرتبته وجليل موقعه عند ربه وفي الآية دلالة وصف الرب بملك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم القيمة ثبت أن الله تعالى يجمع ما يستحق الوصف به يستحقه بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا هو خالق لم يزل ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وسميع لم يزل وإن كان ما عليه وقع ذلك لم يكن وكذلك نقول هو رب كل شيء وإله كل شيء في الأزل وإن كانت الأشياء حادثة كما قال مالك يوم الدين اليوم وإن كان اليوم بعد غير حادث وبالله التوفيق وقوله إياك نعبد فهو والله أعلم على إضمار الأمر أي قل ثم لم يجعل له أن يستثني في القول به بل ألزمه القول بالقطع فيه ثم هو يتوجه وجهين أحدهما بحال القول به على الخبر عن حاله فيجب أن لا يستثني في التوحيد وأن من يستثني فيه عن شك يستثني والله تعالى وصف المؤمنين بقوله إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال الإيمان لا شك فيه والثاني عن أحوال التي تردد في ذلك لكنه إذا كان ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز فيه إذ المذهب لا يعتقد لأوقات إنما يعتقد للأبد لذلك لم يجز الثنيا فيه في الأبد وبالله التوفيق ثم قوله إياك نعبد يتوجه وجهين أحدهما إلى التوحيد وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال كل عبادة في القرآن فهو توحيد والوجه الآخر أن يكون على كل طاعة أن يعبد الله بها وأصلها يرجع إلى واحد لما على العبد أن يوحد الله تعالى في كل عبادة لا يشرك فيها أحدا بل يخلصها فيكون موحدا لله تعالى بالعبادة والدين جميعا وعلى ذلك قطع الطمع والخوف والحوائج كلها عن الخلق وتوجيه ذلك إلى الله تعالى بقوله أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد وعلى ذلك المؤمن لا يطمع في الحقيقة بأحد غير الله ولا يرفع إلا إليه الحوائج ولا يخاف إلا من الوجه الذي يخشى أن الله جعله سبب الوصول بلاء من بلاياه إليه على يديه فعلى ذلك يخاف أو يرجو أن يكون الله تعالى جعل سبب ما دفعه إليه على يديه فبذلك يرجو ويطمع فيكون ذلك من الضالين فيكون في ذلك التعوذ من جميع أنواع الذنوب والاستهداء لكل أنواع البر ثم التسمية هي آية من القرآن وليست من فاتحة القرآن دليل جعلها آية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب لأعلمنك آية لم تنزل على أحد قبلي إلا على سليمان بن داود فأخرج إحدى قدميه ثم قال له بأي آية يفتتح بها القرآن قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال هي هي فصح أنها آية من القرآن وأنه لو كانت من السور لكان يعده بضعا ومائة آية واحدة ولو كانت منها أيضا لكان لا يجعلها مفتاح القرآن بل يجعلها من السور ثم الظاهر أن من لم يتكلف تفسيرها عند ابتداء السور ثبت منها وأن ذلك ترك الأمة الجهر بها على العلم بأنه لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله

بجهر بها ثم يخفى ذلك على من معه وان يكونوا فعلوا ثم يضيعون سنة بلا نفع يحصل لهم حتى توارثت الامة تركها فيما يحتمل ان
يكون للجهر منه ثم يخفى فيكون فى فعل الناس دليل واضح انها ليست من السور ودليل اخر على ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد الحمد لله الى قوله مالك يوم الدين فقال هذا لى وهى ثلث ايات وكل العبد
قوله اهدنا الى اخرها هذا العبدى ثبت انها ثلاث ايات لتستوى القسمة ثم قال فى قوله اياك نعبد واياك نستعين هذا بينى وبين عبدى
نصفين فثبت انها اية واحدة فصارت بغير التسمية سبعا وذلك قول الجميع انها سبع ايات معا لم يذكر فى حيز القسمة فثبت انها دونها
سبع ايات وقد روى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله
عنهم فلم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ذلك عن على رضى الله عنه وعبد الله بن عمر وجماعة وهو الامر المعروف فى
الامة معا جاء فى قصة السحر ان العقد كانت احدى عشرة وقراء عليها المعوذتين دون التسمية فكذا غيرها من السور ومعها اذ جعلت
مفتاحا كانت كالتعوذ والله الموفق والاصل عنه ان المعنى الذى تضمنه فاتحة القران فرض على جميع البشر اذ فيه الحمد والوصف له بالمجد
والتوحيد له والاستعانة به وطلب الهداية وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر اذ فيه معرفة الصانع على ما هو معروف والحمد له على ما يحق
اذ هو المبتدى بنعمه على جميع خلقه واليه فقر كل عبد وحاجة كل محتاج فصارت لنفسها بما جمعت الخصال التى بينا فريضة على عباد الله ثم
ليست هى فى حق الصلوة فريضة وذلك نحو التسبيحات بما فيها من تنزيه الله والتكبيرات بما فيها من تعظيمه فريضة لنفسها اذ ليس لاحد ان
لا ينزه ربه ولا يعظمه من غير ان يوجب ذلك فرضيتها فى حق الصلوة وفى حق كل جعلت هى فيه لا من طريق توضيح الفرضية من غير طريق ان
ذكرت ثم هى ليست بفريضة فى حق القراءة فى الصلوة لوجوه احدها ان فرضية القراءة عرفنا بقوله فاقرؤا ما تيسر من القران وفيها الدلالة
لوجهين احدهما انه قد يكون غيرها ايسر والثانى ان فرضية القراءة فى هذه الاية من حيث الامتنان بالتخفيف علينا والتيسير ولو لم تكن
فريضة لم يكن علينا فى التخفيف منه اذ لنا الترك ثم لا نجيز فى فاتحة القران والاية التى عرفنا الفرضية فيما تخيرنا ما يختار من الايسر ثبت انها
الى غيرها وبالله التوفيق والثانى ان نبى الله اخبر عن الله انه جعل بها فى حق الثناء وهو ما ذكر فى خبر القسمة فصارت تقرا بذلك الحق لا فى
حق القراءة بل الحق بها حق الدعاء والثناء وليس ذلك من فرايض الصلوة وبالله التوفيق والثالث ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
النبى صلى الله عليه وسلم احيى ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك الاية به كان يقوم وبه كان يركع وبه يسجد وبه يقعد فثبت انه لا يتعين قراتها
فى الصلوة معا ابين الخبر الذى فيه ان ارجع فصل فانك لم تصل ان قال له وقت التعليم اقرا ما تيسر عليك فثبت ان المفروض ذلك
وايضا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ثم روى عنه بيان محلها ان كل صلوة لم تقرا فيه
بفاتحة الكتاب فهى خداج نقصان غير تمام والفاسد لا يوصف بالنقصان وانما الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان وبالله التوفيق ثم خصت
القراءة بالتامين بما سمى بالذى ذكر من خبر القسمة وغير الفاتحة وان كان فيه الدعاء فانه لم يخص بهذا الاسم لذلك لم يجهر به فالسبيل فيه ما ذكرنا
فى التسمية معا كان هو خلص بمعنى الدعاء منها ثم السنة فى جميع الدعوات المخافتة والاصل ان كل ذكر يشترك فيه الامام والقوم فسنته لا
لحاجة الاعلام وهذا يعم قوله ولا الضالين فيزول معناه وسيل مثله المخافتة معا جاء به مرفوعا ومتوارثا وخبر الجهر يحتمل السبق كما كان
يسمعهم فى صلوة فى النهار احيانا ويحتمل الاعلام انه كان يقرا به وبالله التوفيق ثم جمعت هذه خصالا من الخير ثم كل خصلة منها تجمع جميع
خصال الخير منها ان فى الحرف الاول من قوله الحمد لله رب العالمين شكر الجميع النعم وتوجيها الى الله لا شريك له ومدحا له باعلى ما يحتمل
المدح وهو ما ذكرنا من عموم نعمه والاية جميع بريته ثم فيه الاقرار بوحدانيته فى انشاء البرية كلها وتحقيق الربوبية له عليها بقوله رب
العالمين وكل واحد منها مما يجمع خصال خير الدارين ويوجب القائل به عن صدق القلب درك الدارين ثم الوصف لله عز وجل بالاسمين يتعالى
عن ان يكون لاحد من معناهما حقيقة او يجوز ان يكون منه لاستحقاق بخواصه والرحمن ثم الوصف له بالرحمة التى بها نجاة كل ناج وسعادة
كل سعيد وبها يتقى المهالك كلها معا من رحمته خلق الرحمة التى بها تعاطف بينهم وتراحمهم ثم الايمان بالقيمة بقوله مالك يوم الدين
مع الوصف بالمجد وحسن الثناء عليه ثم التوحيد وما يلزم العباد من اخلاص العبادة له والصدق فيها مع جعل كل رفعة وشرف منا لا به عز
وجل ثم رفع جميع الحوائج اليه والاستعانة به على قضائها والظفر بها على طمانينة القلب وسكونه ان لا خيبة عند معونة ولا زيغ عند عصمة
ثم الاستهداء الى ما يرضيه والعصمة عما يغويه فى حادث الوقت على العلم بانه لا ضلال لاحد مع هدايته فى التحقيق الرجاء والخوف من الله لا من غيره
وعلى ذلك جميع معاملات العباد ومكاسبهم على الرجاء من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا به يصل الى مقصوده ويظفر بمراده ولا قوة الا بالله
وقوله واياك نستعين فذلك طلب المعونة من الله تعالى على جميع قضاء حوايجه دينا ودنيا ويحتمل ان يكون هو على اثر الفزع الى الله بقوله اياك
نعبد على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر البين فى الخلق من طلب التوفيق والمعونة عن الله والعصمة عن المنهى عنه جرت
به سنة الاخيار والله الموفق ثم لا يصلح هذا على قول المعتزلة لان تلك المعونة على اداء ما كلف قد اعطى اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقى
شئ مما به اداء ما كلف عند الله وطلب ما اعطى كتمان العطية كفران فيصير كان الله امره ان يكفر نعمه ويكتمها ويطلبها منه تعنتا وظن مثله بالله
كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعطه التمام اذ او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ
به فى العرف معا كان الذى يطلب ما ان يكون فلا ان لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم اذ لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح فى الدين ولا يحل

الیه

ولیس له ان لا يعطى لكانه قال اللهم لا تجز ومن هذا علمه بربه فلا سلام اولى به وهذا معا كان لا يدعو الله احد بالمعونة الا ويظن قلبه انه
لا يبذل عند المعونة ولا يرفع عند المعصية وليس مثله يملك الله عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى خبر القسمة انه
يقول هذا بينى وبين عبدى نصفين وذلك يحتمل ان يكون كل حرف من ذلك بما فيها جميعا الفزع الى الله بالعبادة والاستعانة ودفع الحاجة اليه
ويحتمل ان يكون الحرف الاول لله بما فيه عبادته وتوحيده والثانى للعبد بما فيه طلب معونته وقضاء حاجته ويؤيد ذلك بقية السورة انه
خرج على الدعاء وقال الله عز وجل هذا العبدى ولعبدى ما سال **وقوله** اهدنا قال ابن عباس رضى الله عنه ارشدنا والارشاد والهداية واحد
الا ان الهداية فى حق التوفيق اقرب الى فهم الخلق من الارشاد بما هى اعم فى تعارفهم ثم القول بالهداية يخرج على وجوه ثلثة احدها البيان ولكن
ان البيان قد تقدم من الله لا احد يريد به ذلك المعنى ما به البيان من كتاب وسنة والى هذا تذهب المعتزلة والثانى التوفيق له والعصمة عن
زيغه وذلك معنى قولهم اللهم اهدنا فيمن هديت وقوله الصراط صراط الذين وصفهم الى اخر السورة ولو كان على البيان ما قالت المعتزلة
فهو والمغضوب عليهم فى ذلك سواء ثبت انه على ما قلنا دون ما ذهبوا اليه والثالث ان يكون على طلب خلق الهداية لنا اذ نسب اليه من جهة
الفعل وكلما يفعله خلق كانه قال اخلق لنا هدايتنا وهو الاهتداء امنا وبالله التوفيق ثم تاويل طلب الهداية ممن قد هداه الله يتوجه وجهين
احدهما طلب الثبات على ما هداه الله وعلى هذا معنى زيادات الايمان انها بمعنى الثبات عليه وذلك كرجلين ينظران الى شئ فيرفع احدهما
بصره عنه جاز القول بازدياد نظر الاخر ووجه اخر على ان فى كل حال يخاف على المرء ضد الهدى فيهديه مكانه ابدا فيكون له حكم الابتداء اذ
فى كل وقت ايمان منه دفع به ضده وعلى ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله الاية ونحو ذلك من الايات وقد يحتمل ايضا معنى الزيادة
هذا النوع وبالله التوفيق واما الصراط فهو الطريق والسبيل فى جميع الناس وقيل هو قوله وان هذا صراطى الاية وقوله قل هذه سبيلى ثم اختلفوا
فيما يراد به فقال بعضهم هو القران وقال بعضهم هو الايمان وايهما كان فهو القائم الذى لا عوج له والقيم الذى لا اختلاف فيه من
لزمه وصل الى ما ذكر وبالله التوفيق **وقوله** المستقيم قيل هو القائم بمعنى الثابت بالبراهين والادلة لا يزيله شئ ولا ينقض حججه كيد
الكايدين ولا حيل المريبين وقيل المستقيم الذى يستقيم بمن تمسك به حتى ينجيه ويدخله الجنة وقيل المستقيم بمعنى يستقام به كقوله
والنهار مبصرا اى يبصر به يدل عليه قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية فالمستقيم هو المتبع له وبالله التوفيق ثم ذكر من ذكر من
النعم عليهم ولله على كل مؤمن نعم بالهداية وما ذكر دليل على ان الصراط هو الدين لانه انعم به على جميع المؤمنين لكن تاويل من يرد الى الخصوص
يتوجه وجهين احدهما انه انعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين فيكون على التاويل الثانى من القران والادلة والثانى ان يكون لهم خصوص
فى الدين قدموا على جميع المؤمنين كقوله داود وسليمان الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وعلى هذا الوجه يكون اهدنا و
وجه اخر وهو المخصوص الذى خص به كثيرا من المؤمنين من بين غيرهم لكن الثنا يدل على صرف الارادة الى جملة المؤمنين اذ انصرف الخبر المغضوب
عليهم ولا الضالين وقوله انعمت عليهم على قول المعتزلة ليس لله على احد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين اذ لا نعمة من الله
على احد الا الاصلح فى الدين والبيان للسبيل المرضى وتلك قد كانت على جميع الكفرة فيبطل على قولهم الثنا والله الموفق ثم اختلف فى المغضوب
عليهم ولا الضالين منهم من قال هو واحد اذ كل ضال قد استحق الغضب عليه وكل مغضوب عليه استحق الوصف بالضلال ومنهم من قال المغضوب
عليهم هو اليهود وانما خصوا بهذا بما كان منهم من فضل تمرد وعتو لم يكن ذلك من النصارى نحو انكارهم بعيسى وقصدهم قتله مما لم يكن ذلك
من النصارى ثم قولهم فى الله يد الله مغلولة الاية وقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية ونحو لتجدن اشد الناس الاية وكفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استيقانهم وشدة تعنتهم وظهور النفاق فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم وان كانوا شركاء غيرهم فى اسم الضلال
وبالله التوفيق وفى هذا وجه اخر وهو ان يحمل الذنوب على وجهين منها ما يوجب الغضب وهو الكفر ومنها ما يوجب اسم الضلال وهو ما دونه كقول
موسى فعلتها اذا وانا من الضالين وفيه رؤية الهداية لا صلها والتعوذ به من كل ضلال ومن جميع ما يوجب مقته وغضبه وبالله النجاة والخلاص معا فى خبر القسمة
وعد جليل من رب العالمين فى اجابة العبد مما يرفع اليه من الحوايج اذ قال قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين ثم صير اخر السورة لعبده وليس
فى صلوتها سوى اظهار الفقر ودفع الحاجة وطلب المعونة والاستهداء الى ما ذكر من التعوذ عما وصف وليس ذلك مما يوصف به العبد انه له فثبت
ان له فى ذلك اجابة ربه فيما امره به ووعده فلا يحتمل بعد امر العبد بالذى تضمنه اول السورة فقام به العبد مع لومه وجفائه والله كريم جواد
لا يخزله ما وعده فلا يكون هذا البتة وقد قال ادعونى استجب لكم وغير ذلك مما فيه الانجاز وانه لا يخلف الميعاد ثم قد جعل بما جاء من الحديث
فى تلاوته ان قدمه على التورية والانجيل وعدله ثلثى القران وجعله شفاء من انواع الادواء للدين والنفس والدنيا وجعله معاذا من كل ضلال
وملجاء الى كل نعمة وبالله نستعين معا اوضح فى الاسماء التى نعت فيها فاتحة القران عظيم موقعه وجليل قدره وهو انه سماه فاتحة القران بما به
يفتتح القران وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يفتتح القراءة به وسمى فاتحة الكتاب بما به يفتتح كتابة المصاحف والقران وسمى
ام القران لما يؤم غيره فى القراءة وقيل الام بمعنى الاصل وهو انه لا يحتمل شئ مما فيه النسخ ولا الرفع فصار اصلا وسمى الثانى فى الركعات ولا قوة
الا بالله وفى قوله اهدنا الى اخره وجهان سوى ما ذكرنا اذ قوله اهدنا الصراط المستقيم دعاء كاف عما تضمن الى اخر السورة اذ ليس فيها
غير تفسير هذه الجملة احدهما تذكير نعم الله على الذين يقبلون دينه فى قلوبهم والتوفيق لهم بذلك وافضاله عليهم بما ليس لهم عليه
والثانى تعوذهم عن كل زيغ ومقت وضلال وذنب والتجاؤهم اليه فى ذلك بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله الم فيه وجوه روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قوله الم انا الله اعلم وقيل انه قسم اقسم وقيل ان هذه الحروف المقطعة مفتاح السورة وقيل
ان كل حرف من هذه الحروف كناية اسم من اسماء الله الالف الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل ان اللام الاؤه والميم مجده وقيل ان الالف هو الله واللام
جبريل والميم محمد وقيل انها من التشبيب ليفصل بين المنظوم من الكلام والمنثور من نحو الشعر ونحوه وقيل ان تفسير هذه الحروف المقطعة ما نحو ذكره
بها على اثرها نحو قوله الم ذلك الكتاب هو تفسير الم والمر الله لا اله الا هو والمص كتاب انزل اليك والر كتاب والر تلك ايات كل ملحق بها
فهو تفسيرها وقيل ان فيها بيان غاية ملك هذه الامة من حساب الجمل لكنهم عرفوا بعضها وتركوا البعض وقيل انه من المتشابه الذي لم يطلع الله خلقه
على ذلك وله ان يمتحن عباده بما شاء من المحن وقيل انهم كانوا لا يستمعون بهذا القران كقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وكقوله وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية فانزل الله عز وجل هذه الحروف المقطعة يستمعوا اليها فيلزمهم الحجة والاصل في الحروف المقطعة انه يجوز ان يكون على القسم
بها على ما ذكرنا واريد بالقدر الذي ذكرنا كلية الحروف بما كان من شان العرب القسم بالذي جل قدره وعظم خطره وهي مما به قوام الدين
وبها يتصل الى المنافع اجمع معها دلت على نعتين عظيمين اللسان والسمع وهما مجرى كل انواع الحكمة فاقسم بها على معنى اضماد ربنا وعلى ما اجل انزدها
فاغنى الخلق نفعهم بها وفى ذلك ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون بمعنى الرمز والتضمين في كل حرف منها امر جليلا بعظم خطره على ما عند الناس في امر
حساب الجمل ثم يخرج على الرمز بها عن اسماء الله وصفاته ونعمه على خلقه او على بيان منتهى هذه الامة او عدد ايتها والبقاع الذي ينتهي امرها وذلك
هو في نهاية الايجاز بل بالاكتفاء بالرمز عن الكلام وبما هو بمعنى من الاشارة في الاكتفاء بها عن البسط ولا قوة الا بالله ليعلم الخلق قدرة الله وانه
ان يضمن ما شاء فيما شاء على ما علمنا من الخلايق من الاشياء التي كادت العقول واسباب الادراك تقصر عنها وكفيها التي يدركها كل احد وبين الامرين
فعلى ذلك امر تركيب الكلام ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون بمعنى اسم السور وله تسميتها بما شاء كما سمى كتبه وعلى ذلك منتهى اسماء الاجناس خمسة
احرف وكذلك امر السور ودليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها اليها كانه نحوها ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون على التشبيب على ما ذكرنا للتفصيل بين
المنظوم من الكلام والمنثور في المتعارف ان المنظوم في المشاهد يشبب فيخرج عن المقصود بذلك الكلام فعلى ذلك امر الكلام المنزل الا ترى انه خرج على
ما عليه فنون الكلام في الشاهد الا انه على وجه ينقطع له المثال من كلامهم فلذلك امر التشبيب ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون الله انزلها على ما اراد
ليمتحن عباده بالوقف فيها وتسليم المراد في حقيقة معناه والذي له نزول ذلك ويعترف انه من المتشابه وفيها جاء تعلق الملحدة ولا قوة الا بالله ويحتمل ان
يكون اذ علم الله من تعنت قوم واعراضهم عنه وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل على وجه يبعثهم على التامل في ذلك بما جاء بالعجب الذي لم
يكونوا يعرفون ذلك ما العند هم انه كاحدهم وليس الطعن اذ خرج عن المعهود عندهم فتلا عليهم ما يضطرهم الى العلم بالنزول من عند من يملك
تدبير الاشياء ولذلك اعترضوا لهذا الاحرف بالتامل فيها من بين الجميع ولا قوة الا بالله وقيل انه دعا خلقه الى ذلك والله اعلم بما اراد وقوله
ذلك الكتاب اى هذا الكتاب اشارة الى ما عندهم وذلك شايع في اللغة جائز بمعنى هذا وقيل ذلك بمعنى ذلك اشارة الى ما في ايدي السفرة والبررة
وقوله لا ريب فيه قيل فيه وجوه لكن الحاصل يرجع الى وجهين اى لا ريب فيه انه من عند الله وقيل لا ريب فيه انه منزل على ايدي الامناء والثقات
وقوله هدى قيل فيه بوجهين هدى اى بيانا ووضوحا فلو كان المراد هذا فالتقي وغير التقي سواء والثاني هدى اى رشدا وحجة ودليلا ثم
اختلفوا في الدليل فقال الاودي الدليل انما يكون دليلا بالاستدلال لانه فعل المستدل مشتق من الاستدلال كالضرب من الضارب ونحوه
وقال غير هؤلاء الدليل بنفسه دليل وان لم يستدل به لانه حجة والحجة حجة وان لم يحتج بها غير ان الدليل يكون دليلا بالاستدلال ومن لم يستدل به
فلا يكون له دليلا وان كان بنفسه دليلا بل يكون عليه عمى وحيرة كقوله واذا ما انزلت سورة فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا واما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا وقوله للمتقين قيل فيه بوجهين يؤمنون بالله غيبا ولم يطلبوا منه ما طلب الامم السالفة من انبيائهم كقول بني اسرائيل لموسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة والثاني يؤمنون بغيب القران وبما يخبرهم القران من الوعد والوعيد والامر والنهي والبعث والجنة والنار والايمان
انما يكون بالغيب لانه تصديق والتكذيب انما يكونان عن الخبر والخبر يكون عن غيب لا عن مشاهدة والاية تنقض قول من يقول بان جميع الطاعات
ايمان لانه اثبت لهم اسم الايمان دون اقامة الصلوة والزكوة بقوله الذين يؤمنون بالغيب وقوله ويقيمون الصلوة يحتمل وجهين يحتمل ان
الصلوة المعروفة يقيمونها باتمام ركوعها وسجودها والخشوع والخضوع له فيها واخلاص القلب في النية على ما جاء في الخبر انظر من تناجي ويحتمل
الحمد له والثناء عليه فان كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والاخرة وقوله ومما رزقناهم ينفقون من الاموال يحتمل
فرضا ونفلا ويحتمل ومما رزقناهم من القوى في الانفس وسلامة الجوارح ينفقون يعينون والله اعلم وقوله والذين يؤمنون بما انزل اليك يحتمل
وجهين اى ما انزل اليك من القران ويحتمل ما انزل اليك من الاحكام والشرائع التي ليس ذكرها في القران وقوله وما انزل من قبلك يحتمل وجهين ايضا
يعني الكتب التي انزلت على سائر الانبياء عليهم السلام ويحتمل الشرائع والاخبار سوى الكتب والله اعلم وقوله وبالاخرة هم يوقنون بمعنى يؤمنون
والايقان بالشيء هو العلم به والايمان هو التصديق لكنه اذا ايقن امن به وصدق به لعلمه به لان طائفة من الكفار كانوا على ظن من البعث كقوله ان
نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فاخبر عز وجل عن حال هؤلاء انهم على يقين ليس على الظن والشك كاولئك وقوله اولئك على هدى من ربهم قيل على
صواب ورشد من ربهم وقيل انهم على بيان من ربهم لكن البيان ليس للمؤمن احق به من الكافر لانه بين فكان جميع ما يحتاج اليه اما من جهة العقل او

من جهة

من جهة السمع فظهر بهذا ان الاول اقرب الى الاحتمال من الثاني وقوله واولئك هم المفلحون قيل فيه بوجوه قيل الباقون في نعيم الجنة
والخير وقيل الظافرون بحاجتهم يقال افلح اى ظفر بحاجته وقيل المفلحون هم السعداء يقال افلح اى سعد وقيل المفلحون الناجون فقال
افلح اى نجا وكله يرجع الى واحد كقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وكله واحد من زحزح عن النار فقد فاز ومن ادخل الجنة
فقد فاز فكذلك الاول وقوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا والله اعلم في قوم خاص علم الله انهم لا
يؤمنون فاخبر عز وجل رسوله بذلك فكان كما قال وفيه اية النبوة ويحتمل ايضا انهم لا يؤمنون ما داموا في كفرهم كقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين والكافرين ما داموا كافرين ظالمين وقوله ختم الله على قلوبهم روي عن الحسن ان الكافر حدا اذا بلغ ذلك الحد وعلم الله منه انه
لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين احدهما ان مذهبهم ان الكافر مكلف وان كان قلبه مطبوعا عليه
والثاني ان الله عز وجل عالم بكل من يؤمن في اخر عمره وبكل من لا يؤمن ابدا بلغ ذلك الحد او لم يبلغ فعلى ما يقوله الحسن ابهام انه لا يعلم ما لم يبلغ
ذلك والمعتزلة يقولون ان قوله وطبع وختم يعلم علامة في قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسائل ولكن عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه
والثاني خلق الختم والطبع على قلبه انا نعل فعل الكفر لان فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا فخالق ذلك الختم عليه وهو كقوله وجعلنا على
قلوبهم اكنة اى خلق الاكنة وغيره من الايات والاصل في ذلك انه ختم على قلوبهم لما تركوا التامل والتفكر في قلوبهم فلم يقع وعلى سمعهم لما لم
يسمعوا قول الحق والعدل خلق الثقل عليه وخلق على ابصارهم الغطاء لما لم ينظروا في انفسهم ولا في خلق الله ليعرفوا زوالها وفناءها وتغير
الاحوال ليعلموا ان الذي خلق هذا دائم لا يزول ابدا وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اخبار منهم انهم قالوا ذلك بالسنتهم
قولا واظهروا خلاف ما في قلوبهم فاخبر عز وجل نبيه عليه السلام انهم ليسوا بمؤمنين اى بمصدقين بقلوبهم وكذلك قوله من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وكذلك قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية هذه الايات كلها تنقض على الكرامية لانهم
يقولون الايمان قول باللسان دون التصديق فاخبر عز وجل عن جماعة المنافقين انهم ليسوا بمؤمنين لما لم يقروا بالتصديق وهذا يدل على ان
الايمان تصديق بالقلب والكرامية يقولون بل هم مؤمنون وقوله يخادعون الله لا يقصد احد قصد مخادعة الله لكنهم كانوا يقصدون
مخادعة المؤمنين واولياء الله فاضاف الله عز وجل ذلك الى نفسه لعظيم قدرهم وارتفاع منزلتهم عند الله وهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم
والله لا يحتاج ان ينصر ولكن كانه قال ان تنصروا اولياء الله ينصركم وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله والله لا يبايع ولكن
اضاف ذلك الى نفسه لعظيم قدر نبيه وعلو منزلته عند الله تعالى فكذلك الاول اضاف مخادعتهم اولياءه الى نفسه لعلو منزلتهم عند الله وقدرهم
لديه والمخادعة هو فعل اثنين لخداع هؤلاء وبحضور المؤمنين لذلك معنى ذكر المفاعلة والله اعلم وقوله وما يخدعون الا انفسهم اى حاصل
خداعهم ووباله يرجع اليهم والثاني انهم يحضرون لهم الموافقة ليأمنوا فلحقهم خوف دائم بذلك الخداع في الدنيا وما يشعرون اى ما يشعرون
ان حاصل الخداع يرجع اليهم في الاخرة والثاني ما يشعرون ان الله يظهر ويطلع نبيه ما اضمروه في قلوبهم والله اعلم وقوله
في قلوبهم مرض يقال شك ونفاق سمى عز وجل المنافقين مرضى لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون
الخلاف لهم بالقلب فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الموت والحيوة اذ المريض يشرف ربما على الموت ويرجو الاقبال منه ثانيا
فهو مضطرب بين ذلك فكذلك هم لما كانوا مضطربين في دينهم سماهم مرضى واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا ما اعتقدوا
ما اضمروا بالقلب فسماهم موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم ولم يكتسبوا الحيوة الدائمة وسمى المؤمنين احياء لما انتفعوا بحيوتهم واكتسبوا الحيوة الدائمة
لموافقتهم باللسان والقلب جميعا الدين الله عز وجل والله اعلم وقوله فزادهم الله مرضا اختلف في تأويله قالت المعتزلة هو التخلية بينهم
وبين ما اختاروا واما عندنا على خلق افعال زيادة الكفر والنفاق في قلوبهم لما زادوهم في كل وقت من اظهار الموافقة للمؤمنين بالقول
واضمار الخلاف لهم بالقلب خلق عز وجل تلك الزيادة من المرض في قلوبهم باختيارهم وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم في قوله
امرنا وقوله ولهم عذاب اليم لان عذاب الدنيا قد يكون ولا الم فيه فاخبر الله عز وجل ان عذاب الاخرة عذاب شديد عظيم ليس كعذاب
الدنيا وقوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض بالمخادعة المؤمنين واظهار الموافقة لهم بالقول واضمار الخلاف لهم بالقلب والاستهزاء
بهم عند الخلوة والقول فيهم بما يليق بهم وعبادة غير الله واي فساد اكبر انهم هم المفسدون لما اضمروا من الخلاف لهم والمخادعة والاستهزاء
بهم وقوله ولكن لا يشعرون اى لا يشعرون او حاصل ذلك يرجع اليهم والثاني لا يشعرون ان ما كانوا يفعلون الفساد فان كان
هذا فهو ينقض قول من يقول بان الحجة لا يلزم الا بالمعرفة وهو قول الناشي لانه عز وجل اخبر بفساد صنيعهم وانهم لا يشعرون به وهو كقوله
ايضا ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر بحبط الاعمال وان كانوا لا يعلمون قوله واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس يحتمل الاية ان يكون
في المنافقين ويحتمل في اهل الكتاب فان كانت في المنافقين فكان قوله امنوا اى اهل النفاق امنوا في السر والعلانية كما امن اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم في السر والعلانية جميعا وهو كقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان كان في اهل الكتاب ففيه الامر بالايمان الذي هو
بمعنى التصديق والايمان عندنا هو التصديق بالقلب دليله قول جميع اهل التأويل والادب انهم فسروا امنوا صدقوا في جميع القران
قوله انؤمن كما امن السفهاء الاية السفه هو ضد الحكمة وهو العمل بالجهل على العلم لانه يبطل والجهل هو ضد العلم والسفه هو الشتم يقال
الرجل لاخر يا سفيه وقوله الا انهم هم السفهاء يقول بعض المتكلمين ان هذا شتم من الله لهم جوابا عن المؤمنين ويستجيزون ذلك على الجواب

وان لم يجز على الابتداء كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع ونحوه فعلى ذلك هذا واما عندنا فهو غير جائز لان من شتم اخر
يذم عليه وهو عمل السفهاء فاخبر عز وجل انهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم ان دينهم الذي يدينون به باطل وان الدين الذي يدين
به المؤمنون حق وقوله ولكن لا يعلمون قيل فيه بوجهين احدهما لا يعلمون انهم هم السفهاء والثاني لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب لذ
والله اعلم وقوله واذا لقوا الذين امنوا يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا امنا اظهروا انهم الموافقة في العلانية ويضمرون لهم
الخلاف في السر واذا خلوا الى شياطينهم قيل فيه باوجه قيل ان شياطينهم يعني الكهنة سموا بذلك لبعدهم عن الحق يقال شطن اي بعد
وقيل ان كل عات ومتمرد يسمى شيطانا لعتوه وتمرده كقوله شياطين الانس والجن سموا بذلك لعتوهم وتمردهم ومن قال ان الشياطين
اصلهم من الجن وقيل سموا شياطين لان كان مع كل كاهن شيطان يعمل بامره فسموا باسمائهم وذلك جائز في اللغة والله اعلم وقوله انا
معكم قيل فيه وجهان اي معكم في النصرة والمعونة والثاني انا معكم اي على دينكم لا على دين اولئك والله اعلم وقوله انما نحن مستهزؤن
باظهار الموافقة لهم في العلانية واظهار الخلاف لهم في السر وقوله الله يستهزئ بهم قيل فيه بوجوه قيل اي يجزيهم جزاء الاستهزاء وكذلك
قوله يخادعون الله وهو خادعهم اي يجزيهم جزاء المخادعة وكذلك قوله ومكروا ومكر الله اي يجزيهم جزاء المكر يحمل على الجزاء لما لا يجوز اضافة
المكر والخداع والاستهزاء بالابتداء الى الله تعالى لانه مذموم من الخلق الا على المجازاة فكيف من الله تعالى عز وجل وقال بعضهم يجوز اضافة الاستهزاء
الى الله وان كان لا يجوز من الخلق بعضهم بعضا كالتكبر يجوز له ولا يجوز للخلق لان الخلق اشكال بعضهم لبعض وامثال والله عز وجل لا شكل
ولا مثل وكذلك الاستهزاء يجوز له ولا يجوز لغيره لان الاستهزاء هو الاستخفاف فلا يجوز ان يستخف عمن هو مثله في الخلقة وما خلق له من الآ
والغير والله تعالى يتعالى عن ذلك والاول اقرب والله اعلم او اضاف استهزاء المؤمنين بهم الى نفسه كما ذكرنا في الخداع ثم اختلف في كيفية الاستهزاء
فقال الكلبي هو ان يفتح لهم باب من الجنة فيدنوا منه ثم يغلق دونهم فان ثبت نا فهو كما قال وقيل انه يرفع لاهل الجنة نور يمضون به فيقصد
المضي معهم بذلك النور ثم يطفئ ذلك النور فيتحيرون وهو قولهم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل ان يعطيهم
في الدنيا ما ينتفعون به من انواع النعم ظاهرا على ما اظهروا لهم الموافقة في العلانية ويجزيهم ذلك لهم في الاخرة باضمارهم الخلاف في السر وقوله ويمدهم
في طغيانهم يعمهون الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون كقوله اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون غير ان هذه في المنافقين والاولى في الكفرة وهي
تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان الله لا يقدر ان يستنقذهم في حال الاختيار وانما يقدر الاستنقاذ منهم في حال الا
ضطرار فاخبر عز وجل انه يستنقذهم على فعل الطغيان وقوله ويمدهم اي يخلق فعل الطغيان فيهم ويحتمل ان يخذلهم ويتركهم لما اختاروا من
الطغيان الى اخر عمرهم ويحتمل انه لم يهديهم ولم يوفقهم في هذا اضافة المد الى الله واضافة المد الى الطغيان لا يضاف اليه الا المدح والمدح يكون بالآ
الثلثة التي بينا وفي هذا انا كان هو الذي يمدهم في الطغيان قدر على ضرب على ضرب من فعل الايمان فدل ان الله تعالى خالق فعل العباد اذ من قوله
القدرة التامة هي التي اذا قدر على شيء قدر على ضده والعمه الحيرة في اللغة وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا
الضلالة على الهدى وهو الهدى من غير ان كان عندهم الهدى فتركوه بالضلالة وهو كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات
من غير ان كانوا فيه فكذلك الاول تركوا الهدى بالضلالة ابتداء وقيل الضلالة الهلاك اي اختاروا ما به يهلكون على ما به نجاتهم وان كانوا لا يقصدون
شراء الهلاك بما به النجاة كقوله فما اصبرهم على النار ولكن فما اصبرهم على عمل يستوجبون به النار وكذلك قوله بئسما اشتروا به انفسهم اي بئس ما اختاروا
ما به هلاك انفسهم على ما به نجاتهم وفي هذه الاية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع لانهم كانوا لا يتلفظون باسم البيع ولكن كانوا يتركون الهدى با
وكل من ترك لاخر شيئا له بدل باخذه منه فهو بيع وان لم يتكلم بكلام البيع وكذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وهو على بدل الاموال
والانفس له بالموعود الذي وعدهم وهو الجنة وقوله فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا في تجارتهم لان التجارة لا تربح وتسمية الشيء باسم سببه وهو
كقوله وجعل النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن بالنهار يبصر وذلك شائع في اللغة جائز تسمية الشيء باسم سببه ثم في قوله فما ربحت تجارتهم نفي الربح
دون الاصل في الظاهر غير ان النفي على وجهين نفي شيء يوجب اثبات ضده وهي نفي الصفة كقولك فلان عالم نفيت الجهل عنه وفلان جاهل نفيت العلم
عنه ونفي شيء لا يوجب اثبات ضده وهي نفي الاعراض لانك اذا نفيت لو لم يوجب ضد ذلك القول وقوله فما ربحت تجارتهم نفي الاصل كانه قال بل
خسرت تجارتهم اوجب اثبات ضده دليل قوله بئسما اشتروا به انفسهم وبئسما كانوا يعملون وقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اختلف فيه
قيل انها نزلت في المنافقين لانها على اثر ذكر المنافقين وهو قوله واذا لقوا الذين امنوا الاية قيل انها نزلت في اليهود لانه سبق ذكر اليهود وهو قوله
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون الاية ويحتمل نزولها في الفريقين جميعا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان هذا من المكتوم فلا يحتمل
ما قال لانه مثل ضربه الله والامثال انما تضرب لتفهم وتقرب الى الفهم ما بعد منه فلو حمل على ما قال لم يفهم مراده وما قرب الى الفهم شيئا الا ان يريد من المكتوم
انه لم يعلم فيمن نزل فهو محتمل والله اعلم وقوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية يحتمل ان يكون الاضافة الى من ذكر من المنافقين بقوله ومن
الناس من يقول امنا بالله الاية وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا الاية وذلك يخرج على وجوه احدها انهم قصدوا قصد المخادعة باولياء الله والاستهزاء
بهم ففضحهم الله تعالى بذلك في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا هتك سترهم واطلع على ذلك اولياءه فعادت اليهم المخادعة وعوقبوا بما اطلع على ضمائرهم
وبما ارادوا بذلك الامن فاعقبهم الله خوفا دائما كما وصفهم الله يخشون الناس الاية وقال يحسبون كل صيحة عليهم وقال رايت الذين في قلوبهم مرض
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك الاية وقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم الاية وان يكونوا طلبوا با

الموافقة

الموافقة في الدين الشرف فيهم والعز وكذلك عند الكفر بما اظهروا انهم يخادعون بذلك المؤمنين ويستهزؤن بهم فعلموا انهم كذلك يظهرون
للمؤمنين حالهم معهم فطردوا من بينهم فقال الله ما هم منكم ولا منهم وقال مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء الاية فزال عنهم ما التمسوا من الشرف
والعز وابدل لهم به الهوان والذل فمثلهم في ذلك مثل مستوقد نار ليستضيء بضوءها وينتفع بحرها فاذهب الله بضوءه حتى ذهب ما كان يامل
من الاستنارة والانتفاع واعقبه الله تعالى خوف الاحتراق لو دنا منها وذهب عنه ما طلب بذلك من شرف الوقود في الايام الشاتية وما يطلع
بها من الاغذية بذهاب البصر فيكون ذلك معنى قوله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم اذا عوقبوا بالخوف بما قصدوا به الامن والذل بما طلبوا به
العز وكذلك مستوقد النار الذاهب نوره والله اعلم وعلى ذلك قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا الضلالة لما رجعوا
الى شياطينهم بالهدى الذي قد اظهروه عند المؤمنين فيكون تحقيق استهزاء الله بهم ومخادعته اياهم فعلا وليا ثبهم بما اخبروا من
سرائرهم وبما احبطوا اقدارهم وذلوا في اعينهم فاضيف ذلك الى الله اذ به فعلوا كما اضيف مخادعتهم المؤمنين اليه اذ عن دينه خادعوهم
والله اعلم وعلى هذا التاويل امكن ان يخرج قول من زعم ان الاية نزلت في الكافرين انهم كانوا يعرفون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما يجدون
نعته في التورية والانجيل انه يامرهم بالمعروف الاية وقوله محمد رسول الله الى اخر السورة وقال عز وجل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقوله وكانوا
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كانوا كمستوقد النار الذي طالب الوقود ليستضيء به فلما ظفر به اذهب الله نوره بعد
معرفتهم بمنفعة نور النار فلم ينتفع به فكذلك لما كفروا عند بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا من انفسهم وبغيا ان كان من غيرهم وخشية
منهم على ملكهم وماكلتهم بعد العلم منهم بعظم المنفعة فيه ولا قوة الا بالله واما في الاخرة فقصدوا المخادعة المؤمنين وموالاتهم في الظاهر و
مشاركتهم اياهم في المنافع ونحو الغنائم والتوارث والتناكح وخالفوهم في الباطن فكذلك الله اشركهم في المنافع الظاهرة الحاضرة في الدنيا و
خالفهم بمنافع دينه في الباطن الغائب وهي الاخرة اراهم المشاركة مع المؤمنين في الدنيا وصرفها عنها في الاخرة نكالا وهم الموافقة في الظاهر
مع المخالفة في الباطن فكذلك مستوقد النار اظهر من نفسه الرغبة في ضوءها بالايقاد وقد اذهب الله تعالى بضوء بصره فذهب عنه منفعة
ظنه انه يصل اليها كالمنافقين في الاخرة اذ ظنوا في الدنيا انهم شركاؤهم في الاخرة لو كانت ولذلك قالوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وقوله الم نكن معكم الاية فذلك وجه الاستهزاء بهم والمخادعة انه اشركهم في احكام الدنيا وخالفهم في احكام الاخرة وذلك اشتراء الضلالة
بالهدى على معنى اختيارهم ما فيه الهلاك على ما فيه نجاتهم وعلى ذلك يخرج تاويل من صرف الى اهل الكتاب لانهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ امنوا
بكتبهم وقد كان فيها نعته الشريف فلما وصلوا الى منافع الايمان بالبعث اليهم وشاهدوا كفروا به فعرفوا حرمان منافع كتبهم وايمانهم عند
معاينة الجزاء كما ذهب ايمانهم به عند المشاهدة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه ضم تاويل هذه الاية والتي تتلوها من قوله او كصيب
من السماء الى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وذلك والله اعلم انهم قوم لا يعرفون الله حق المعرفة فيعبدونه حق الربوبية له قبلهم ولا يؤمنون
بالاخرة فيكون عليهم العواقب ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها فاذا رادوا في دين الاسلام الغنائم والسلو
او تجارتهم مربحة فاطمانوا بها واجتهدوا بالسعي فيها واذا اصابتهم الشدة والبلايا او تجارتهم خسرة فصرفوا الى غير ذلك الدين فمثلهم
المستوقد نارا انه يجتهد في الايقاد ما دام يطمع في نور النار ومنافع حرها المصالح الاطعمة فاذا ذهب نور بصره بعض النار بما يخشى من
الاحتراق بالدنو منها وبما يذهب من منافع خشية ان لم يكن استوقد كالمنافق فيما استقبله المكروه في الاسلام وتمنى ان لم يكن اسلم فظ وذلك
قوله وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب وقوله لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقولهم قد لغزنا اربنا من قبل و
قوله انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وكذا البرق الذي يضيء يمشي المرء في ضوءه وكذلك المنافق اذا راى خيرا في الاسلام مشى اليه واذا
اظلم عليه قام متحيرا حزينا ان لا يكون اختيار السلول والله الموفق قال ابو بكر الاصم مثل من يظهر الايمان فيما يتزين بنوره في الناس مثل مستوقد
النار فيما يستضيء حول النار بنورها ثم يذهب الله نوره في الاخرة كما اذهب ضوء الشمس وكذلك اذهب الله نور المستوقد فيذهب به التزين
بالنور قال وقيل فما لعن كما يقال اذهب الله نوره اي الذي كان يظهره فيبقى المنافق في ظلمات الاخرة والمستوقد في ظلمات العمى والبلايم
قد جعل الدعاء الى الاسلام كالصيب وما فيه من الجهاد كظلمة الليل وما فيه من الغنيمة كالبرق وجعل اصابعهم في الاذان من سماع ما في
الاسلام من الشدايد ونحو جعل ذلك من الصواعق يكاد البرق يخطف ابصارهم اي ما في الاسلام من الغنيمة يدعوهم اليه واذا اظلم عليهم الشدايد
قاموا وصدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لذهب بما ذكر اي اسماعهم واعلامهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ضوء البرق واللمعان
ليسا دائمين فشبه به ايمان المنافق انه عن سريع يزول وقال القتبي كان المنافق في ظلمة الكفر فاهتدى بما اعطى من النور كمستوقد النار بنوره في ظلمة
الليل وكذلك السالك في ظلمة الليل فلما ذهب نوره او سكن لمعان البرق رجع الى ما فيه من الظلمة والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق هذه الدار
محنة لاهلها وجعل لهم دارا يجزيهم فيها ما لولا هي لكان يكون خلق هذه الدار بما فيها عبثا ان يكون خلق الخلق لفناء بلا عواقب لهم وذلك عبث
في العقول لان كل ساع فيما لا عاقبة له عابث وفيما لا يريد يكون معنى في العقل هازل ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
فاذا كان كذلك صارت هذه الدار دليلا لاخرى فعلى ذلك ضرب للاخرى مثلا بالمعروف من هذه اذ بهذه عرفت تلك ولهذا خلق الله الممتحنين
بحيث يالمون ويتلذذون ليعرفوا قدر الالام الحقا وعدد اللذات التي رغبوا فعلى ذلك ضرب الله مثل من عمي عن الاخرة وصم عن سماع
ما يرغب فيها او عمي عن امر الله ونهيه او الحق بالاعمى والاصم والميت ونحو ذلك للذهاب منافع البصر والسمع والحياة اذ هو بخلو لم يعرف بها ما

عنها بالتأمل والتدبر فاذا اغفل عن ذلك شيئا بالذي ذكرنا وبينا انه لولا الاخرة ودار الجزاء لم يكن يخلق شيئا من ذلك لحكمة تعقلها عن فعل
ذلك ضرب لذهاب نور القلب الذي به يبصر العواقب وينتفع فيها بذهاب نور البصر في المنافع الدنيا مما يتصل بنوره وكذلك امر السمع وغيره
فكان على ذلك امكن اخراج المثلين جميعا على الكفرة والمنافقين اما المنافق فاذا ذهب نور حقيقته عنه وهو نور البصر لم ينتفع بنور النار على قيام
النار بنورها لكل ذي بصر وكذلك سائر منافع النار فمثله اذا ذهب عنه نور بصر القلب وجوهره لم ينتفع بنور الاخرة وجلالها وكذلك الذي ذهب
عنه ضوء البرق يبقى متحيرا اذ به يبصر الطريق لكن يذهب عنه بصر القلب اذ به يبصر عواقب الاشياء بل الذي قصد قصد السلوك بالبرق والا
بنور النار واذا ذهب كان اعظم حسرة واشد خوفا من النار وشدة المطر وخبث الطريق من الذي لم يعرف في الابتداء نفع النار والبرق ولكن
المطر على شدة رغبة فيه والنار بما ذهب منه وكذلك المنافق في الاخرة انه لم يكن منه ما ظهر اذ به يدرك الا سبيل ولا قوة الا بالله وكذلك
الكافر لم يبصر بما اعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر ولا يسمع بما انعم عليه من السمع عواقب السمع اذ حق ذلك ان يؤدي ذلك ادركه الى العقل
ليعتبر بانه لم يخلق شيء من ذلك بالاستحقاق لا يحتمل عقله الاحاطة بكنه ما فيه من الحكمة فيعلم عظم نعم الله تعالى وخروج مثله عن العبث
فيقوم باداء شكره وبذلك يصير به الى الجزاء في العواقب ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل صم بكم عمي فهم لا يرجعون يحتمل وجهين احدهما
صم لانه ختم على اذانهم وعلى سمعهم وعلى قلوبهم فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ويحتمل انهم بكم عمي لما لم ينتفعوا باسماعهم
وابصارهم وقلوبهم ثم اختلف في جواز اضافة لفظ الاستهزاء الى الله تعالى فاجاز قوم وان كان ذلك قبيحا من الخلق لما قبح منهم بما لا احد
يستهزئ باحد اما بجهله او لقبح في الخلقة الاول والمستهزئ نحوهم يحتمل ذلك لولا انعام الله تعالى عليه الذي قد اغفل عنه بالاشتغال بما ذكر معاه
لعل الاغفال عن هذا او حتى وان قبح به من حال المستهزئ به ولذلك قال عز وجل لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم الاية وذلك نحو التكبير
انه قبيح من الخلق بما لهم اشكال في الحدث واثار الصنعة واحتمال كل منهم بما احتمل غيره وجاز اضافته الى الله تعالى بتعاليه عن الاشباه والا[شكال]
واحاطة احتمال ما احتمل غيره وبه يقول حسين النجار وابى قوم ذلك الا على ان احوال تعرف فهم السامع الى معنى الاستهزاء بجواز يذكر على اثر
فعل له جزاء فيفهم منه جزاء الاستهزاء كذكر السيئة في الجزاء والمكر ونحو ذلك ثم يخرج فيما نحن فيه على اوجه احدها ما بينا والثاني ما نسب
اليه فعل المأمور نحو قول المؤمنين للمنافقين في الاخرة ارجعوا وراءكم وقول اهل الجنة ودعائهم اهل النار بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبي
وقول الملائكة فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال وغير ذلك ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلثة احدها ظلمات كفرهم تقلبهم
اذا ظهروا الايمان والثاني المتشابه في القران وهو الذي تعلق به كثير من المشركين حتى نزل قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية
والثالث ما في الاسلام من الشدائد والانواع من الجهاد والحدود وغير ذلك وامكن صرف الاول والاخر الى الفريقين الكافر والمنافق
وصرف تاويل المتشابه الى الكافر على ما بينا ان لكل من ذلك خطا ويدل الاخر الاية وهو قوله والله محيط بالكافرين على ان المثل لهم الا ان المنافق
شريكهم في الكفر والله الموفق ويحتمل ان يكون المثل المضروب بالاية انما هو القوم الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا قبل
بعثه متفقين صنف ينتحل الكتاب الذي هو عندهم مما جاء به الرسل لكنهم قد غيروا ما في كتبهم من دين الله واحكامه حتى غلطوا ذلك
وابدعوا غير الذي جاءت به الرسل من الدين والاحكام قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا الاية وقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم وقوله
ان الذين فرقوا دينهم الاية ومنهم من ابدع الكتاب ونسب اليهم كقوله وان فريقا منهم يلوون السنتهم بالكتاب الاية تبين ما ظهر من
التفرق فيهم ومن التولي في انبيائهم وخلافه سبحانه ومعلوم ان دين الرسل واحد غير مختلف وبما كان من الفتن اندرست الكتب وذهبت
الرسوم فصاروا في ظلمة الضلالة وحيرة الزيغ وتاهوا في سبيل الشيطان وانقطع من بينهم الائمة الذين يوثق بهم في الدين
بما ليس لاحد برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الانبياء والاعتصام بكتبهم اذ كلهم يدعي ذلك وقد ظهر فيهم القول المختلف والمتناقض
الذي لا يحتمله الحكمة ولا يصبر عليه العقل وصنف لا ينتحل الكتاب ولا يؤمن بنبي من الانبياء بل يعبدون الاوثان والنيران والاحجار وما
يهوون ما لا يملك الضر ولا النفع لهم شرع بل هم حيارى لا يعرفون معبودا ولا يبصرون طريقا وليس فيهم من اذا فزعوا اليه دلهم على
المحجة ولا اطلعهم على الحق بل هم في الضلالة تائهين وفي الظلمات متحيرين فاخرج الفريقين جميعا ما حل بهم من الحيرة والشبه الى من يشفيهم
من داء الضلالة بنور الهدى ومن ظلمة الاختلاف بضياء الايتلاف ويخرجهم من سبيل الشيطان الى سبيل الله ويدلهم على معرفة المعبود الحق
لئلا يتخذوا من دونه اربابا فبعث اليهم عند شدة حاجتهم رسولا واكرمهم بما اراهم من الايات التي يعلمون انه بعث عليهم ليستنقذهم من الضلالة
انهم طاعوه وشكروا نعم الله فكانوا كقوم ابتلوا بظلمات الليل والسحاب فتحيروا فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين حاجاتهم وتعذر عليهم
الوجه في وضع اقدامهم فتاهوا فدفعهم البرد الى استيقاد النار ليبلغوا حوائجهم ويأمنوا العطب في وضع الاقدام وكقوم ابتلوا في سنة
الجوع والعطش لضيق الزمان وجدبه فاستغاثوا بمن يملك كشف ذلك عنهم فاغاثهم بالمطر ثم منهم من عرف نعمة من انعم عليهم بالوقود
واغاثهم بالمطر فتلقوا نعمه بالشكر فما خلصوا من الهلاك ووصلوا الى حوائجهم بالنار والمطر وذلك مثل من اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وعرف
نعم الله تعالى وشكره ومنهم من تلقى نور النار بالكفران والجهل بالمنعم به عليه ونسي ما كان عليه وهو قوله تعالى واذا مس الانسان ضر الاية
فيها ذكر ما ثبت وقوله واذا مسكم الضر في البحر الاية فاذهب الله نوره فلم ينتفع بنور النار ولا وصل الى حاجته التي بها يقضي وذلك مثل
الذي كفر وابى محمدا صلى الله عليه وسلم انهم لم ينتفعوا به ولا قضوا حاجاتهم بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة تكسوهم النار واذا ذهب بصرهم وكذلك قوم

بلوا

بلوا في الشكوك في الطريق عند شدة الظلمة ولم يتلقوا النعمة بالشكر من الوجه الذي جعل لهم لوضع بنور البرق فاذا ذهب نوره
وسكن لمعان البرق فعاد الغياث له هلاكا والمطر الذي رحمة عليه بلاء فمثله من كان برسول الله صلى الله عليه وسلم واعترض على الاستماع
اليه ولا قوة الا بالله **وقوله** يا ايها الناس اعبدوا ربكم فالخطاب يحتمل الخصوص والعموم وقوله اعبدوا وحدوا ربكم جعل العبادة
عبارة عن التوحيد لان العبادة التي هي لله لا يكون ولا يخلص له الا بالتوحيد ويقال اعبدوا اي اجعلوا عبادتكم لله لا تعبدوا غيره في كلا
التاويلين يرجع الى الكفرة ويقال اعبدوا اي اطيعوا الله والعبادة جعل العبد كليته لله قولا وعملا وعقدا وكذلك التوحيد والاسلام والطاعة
يرجع الى الايمان لانه يجوز ان يطاع غير الله ولا يجوز ان يعبد غير الله لان كل من عمل بامر آخر فقد اطاعه كقوله واطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا كل من عمل بامر اخر فهو عابد له وبالله نستعين ثم بين الذي امر بالتوحيد اياه والعبادة له خالصا فقال الذي خلقكم والذي خلق
من قبلكم والذين تعبدونه لم يخلقكم ولا خلق الذين من قبلكم فكيف تعبدونهم دون الذي خلقكم وبالله التوفيق **وقوله** لعلكم تتقون
يحتمل وجهين يحتمل تتقون المعاصي والمناهي والمحارم التي حرم الله عليكم فاذا كان هذا هو المراد فذلك راجع الى المؤمنين ويحتمل قوله
تتقون الشرك وعبادة غير الله تعالى فذلك راجع الى الكفرة قال الشيخ الاحسن في الامر بالتقوى والتوحيد ان يجعل عاما وفي الخبر عن
التقوى خاصا لعلكم اي كي تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا بين انقياد الذي امر بالتوحيد له وتوجيه العبادة اليه والاخلاص
له فقال الذي فرش لكم الارض فتنتفعوا بها وتقضوا حوائجكم فيها من انواع المنافع من المنام عليها واتخاذ المستقر والمسكن فيها والسماء
بناء والسماء كل ما علا وارتفع كما يقال السقف البيت سماء لارتفاعه وسماء السماء بناء وان كان لا يشبه بناء الخلق حتى يعلم ان البناء
ليس انهم ما بنخالنا من خاصة ثم بين بقوله وانزل من السماء ماء اي وجهوا العبادة الى الذي ينزل لكم من السماء ماء عند حوائجكم ولا تعبدوا
من تعلمون انه لم يخلقكم ولا انزل لكم من السماء ماء ولا اخرج لكم من ذلك الماء ثمرات تكون رزقا لكم بل هو الله الواحد الذي لا شريك له و
لانه يخلقكم ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقا تاكلونه وماء عذبا تشربونه وفي الاية دلالة ان المقصود في
خلق السماء والارض وانزال الماء منها واخراج هذه الثمرات وانواع المنافع بنو ادم وهم الممتحنون فيها بدلالة قوله جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء وما ذكر من المخرج والمنزل منها وما ذكر في اية اخرى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ومنه سخر لكم
الليل والنهار وسخر لكم الفلك مما يكثر ذلك من الايات اضاف ذلك كله الينا ثم جعل عز وجل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الارض
على بعد ما بينهما من المسافة حتى لا يخرج الارض شيئا الا بما ينزل من السماء من الماء ليعلم ان منشئ السماء هو منشئ الارض لانه لو كان
منشئ هذا غير منشئ الاخر لكان لا معنى لاتصال المنافع الاخر على بعد ما بينهما ولتوهم كون الاختلاف من احدهما للاخر فاذا
كان كذلك دل على ان منشئهما واحد لا شريك له ولا ند ثم زعم قوم ان الاشياء كلها على الناطق غير محظور علينا حتى يجيء ما يحظر فاستدلوا
بظاهر هذه الاية بقوله رزقا لكم وبقوله كلوا مما في الارض حلالا طيبا وقال اخرون لا يدل ذلك على الاباحة وذلك ان الاشياء لم تعرف لنا من كل
الوجوه فهو على الحظر حتى يجيء الاباحة ولان الاشياء لا تخلو الا باسباب تتقدم فظهر الحظر قبل وجود الاسباب فهو على ذلك حتى يجيء ما
يحل ويبيح او ان يقال خلق هذه الاشياء لنا محنة امتحنا بها او فتنة فتنا بها كقوله انما اموالكم واولادكم فتنة وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف
الاية ولان في العقل ما يدفع حل الاشياء كلها على الاباحة لما في ذلك فساد الخلق وتفانيهم فتبين بحل منهم ملكا على حدة بسبب يكتسب به لئلا يحملهم
على التفاني والفساد وبالله نستعين **وقوله** فلا تجعلوا لله اندادا اي عدلا واشكالا في العبادة وكله واحد ند الشيء هو مثل له وشكله
وهو شبهه **وقوله** وانتم تعلمون ان لا ند ولا عدل ولا شكل لما ذكر من انشاء هذه الاشياء ولم تروا ذلك ممن تعبدونه شيئا والثاني وانتم
تعلمون لما انشأ فيكم من الاشياء ما لو تدبرتم وتفكرتم وتأملتم علمتم انه لا ند له ولا شكل له كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون **وقوله** عز
وجل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا من القران انه مختلق مفترى وانه ليس منه كقولهم ان هذا الا اختلاق وقولهم ما هذا الا افك مفترى
وما هذا الا سحر مفترى **وقوله** فاتوا بسورة من مثله اي ايتوا انتم بمثل ما اتى هو اذ انتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان ليس هو اولى به
بذلك منكم اعني في الاختلاق **وقوله** وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم الذين تعبدون من دون الله حتى تعينكم على اتيان
مثله ان كنتم صادقين في مقالتكم انه مختلق مفترى ويقال ادعوا شهداءكم يعني شعراءكم وخطباءكم ليعينوكم على اتيان مثله ويقال ادعوا
شهداءكم من التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على الرسل السالفة انه مختلق مفترى **وقوله** فان لم تفعلوا ولن تفعلوا يحتمل
وجوها يحتمل انهم اقروا على اثر ذلك العجز عن اتيان مثله من غير تكلف ولا اشتغال كان منهم لما دفع عز وجل عن اطماعهم اتيان مثله نظر
لاجتهدوا وكل جهدهم وتكلفوا كل اطاقتهم على اطفاء النور ليخرج قولهم على الصدق بانه مختلق مفترى ويظهر كذب الرسول صلى الله عليه وسلم
انه كلام رب العالمين فدل اقرارهم بالعجز عن اتيان مثله وترك اشتغالهم بذلك انه كلام رب العالمين منزل على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة الوقود بالنصب الحطب وبالرفع هو النار اخبر عز وجل ان حطبها الناس كلما احترقوا
اعيدوا وبدلوا كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا والحجارة فيه وجهان قيل هي الكبريت وقيل الحجارة بعينها لصلابتها وشدتها اشد
احتراقا واكثر لهبا **وقوله** اعدت للكافرين في الاية دلالة انها لم تعد لغير الكافرين وهي تنقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا صاحب الكبيرة
في النار ولم يطلقوا له اسم الكفر انها اعدت للكافرين ايضا وان كان تعذيب المؤمن بمعاص يرتكبها وازدحامها وفواحش تعاطاها وذلك

ان الله تعالى يعذب من يشاء بما شاء وليس الى الخلق الحكم فى ذلك كقوله ولا يشرك فى حكمه احدا فان قالوا ان اطفال المشركين فى الجنة
والجنة لم تدلهم وانما اعدت للمؤمنين ثم جاوز دخول غيرهم غيرهم فيها وتخليدهم وكذلك النار وان كانت معدة للكافرين جاز لغير الكافر
التعذيب والتخليد فيها كقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم الاية شرط الكفر بعد الايمان ثم من يشاء على الكفر والذى
كفر بعد الايمان سوى فى التخليد فيقال لهم ان كل كافر يشهد خلقته على وحدانية ربه فاذا ترك النظر فى نفسه واختار الاعتقاد فصار
ككفر بعد الايمان لانه لم يكن مؤمنا ثم كفر واما قولهم فى الاطفال فانهم انما اخلدوا الجنة جزاء لهم من ربهم ولله ان يعطى الجزاء من شاء
بلا فعل ولا صنع كان منه فضلا وكرامة وذلك فى العقل جائز اعطاء الثواب بلا فعل على الافضال والاكرام فاما التعذيب فانه جائز
فى العقل بلا ذنب يرتكبه والله اعلم **وقوله** وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية قول من جمع جميع الطاعات ايمانا لما اثبت لهم اسم الايمان
دون الاعمال الصالحات فيكون البشارة لهم وذهاب الخوف عنهم انما اثبت بالاعمال الصالحات ويحتمل الاعمال الصالحات عمل القلب وهو
ان ياتى بايمان خالص لله لا كايمان المنافق بالقول دون القلب **وقوله** ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار يعنى بساتين وقوله من تحتها
الانهار وقيل فيه بوجوه قيل ان البساتين ليست هى اسم الارض والبقعة خاصته ولكن ما يجمع من الاشجار وما نبت فيها من الوان الغروس
المثمرة ضد ذلك يسمى بستانا وقوله تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها واغراسها الانهار وقيل من تحتها مما يقع البصر اليها وذلك
ارق عند الناس واحلى وانبت وقيل ايضا من تحتها اى من تحت ما علا لا تحت الجلد فكذلك من تحت ما علا من القصور والغرف والله اعلم
وقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل قيل هو بوجوه رزقنا من قبل فى الدنيا او هذا الذى وعدنا فى الدنيا اى فى
الجنة هذا وقيل رزقنا من قبل هو فى الجنة قبل هذا **وقوله** واتوا به متشابها قيل فيه وجوه قيل متشابها فى المنظر مختلفا فى الطعم وقيل متشابها
فى الطعم مختلفا فى اللون والعين والالوان لان من الفواكه ما يستلذ بالنظر اليها دون التناول منها وقيل متشابها فى الحسن والبهاء **وقوله** ولهم فيها ازواج
مطهرة من سوء الخلق والدناءة ليس كنساء الدنيا لا يسلمن عن ذلك وقيل مطهرة من الامراض والاسقام وانواع ما يبلى به فى الدنيا من الدنس
والوسخ والحيض وقيل مطهرة لصفاء جوهرها كما يقال ريح ساقيها من كذا وكذا وقيل مطهرة مختارة مهذبة **وقوله** وهم فيها خالدون اى
مقيمون ابدا فالاية ترد على الجهمية قولهم لانهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها يذهبون الى ان الله تعالى هو الاول والاخر والباقى ولو كانت
الجنة باقية غير فانية لكان ذلك تشبيها لكن ذلك وهو عندنا لان الله تعالى هو الاول بذاته والاخر بذاته والباقى بذاته والجنة وما فيها باقية
بغيرها ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان فى العالم والسميع والبصير تشبيه ولكان فى الخلق ايضا فى حال البقاء تشبيه فان لم يكن فيما ذكرنا تشبيه
لم يكن فيما تقدم تشبيه وايضا فان الله تعالى جعل الجنة دارا مطهرة من المعايب كلها لما سماها دار قدس ودار سلام ولو كان اخرها الفناء كانت
فيها اعظم المعايب زالتنزلايها بعيش اذا نغص عليه بزواله فلو كان اخره الزوال كان نعمة منغصة على اهلها فلما تنزهت عن العيوب كلها وهذا العيب
كذلك كان التخليد لاهلها اولى بها **وقوله** ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها كان هذا والله اعلم يخرج جوابا على اثر قول قاله
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره بعض اهل التاويل فقالوا اما يستحيى ربك ان يذكر البعوض والذباب ونحوها ما يصغر فى نفسه
وملوك الارض لا يذكرون ذلك ويستحيون فقال عز وجل جوابا لقولهم ان الله لا يستحيى الاية لان ملوك الارض انما ينظرون الى عظم الاشياء
لا استحقارها والاستدلال فيستحيون ذكرها على الاستنكاف والانفة والله عز وجل لا يستحيى من ذلك لان الاعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله
تعالى وربوبيته فى خلق الصغير من الجثة والجسم اكبر من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب
وتركيب ما يحتاج اليه الفم والانف والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا وقد لعلهم يقدرون ذلك فى العظام من الاجسام والكبار
منها فاولئك لم ينظروا اليها لما فيه من الاعجوبة واللطافة ولكن نظروا الحقارة والخساسة انفامنهم وانكافا ثم اختلف اهل الكلام فى
اضافة الحياء الى الله تعالى فقال قوم يجوز ذلك بما روى فى الخبر ان الله تعالى لا يستحيى ان يعذب من شاب فى الاسلام ولانه يجوز كالتكبر
والاستهزاء والمخادعة وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقال الاخرون لا يجوز اضافته الى الله تعالى لان تحته الاستنكاف والانف وذلك عن الله
تعالى منفى ولكن الحياء هو الرضاء ههنا والحياء الترك اى لا يترك ولا يدع **وقوله** فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اى علموا ان
ضرب المثل بما ذكر من صغار الاجسام والجثة حق لما نظروا فيها من الاعجوبة والحكمة واللطافة واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا لم ينظروا فيها لما فيها من الاعجوبة والحكمة ولكن نظروا الخساسة والحقارة **وقوله** يضل به كثيرا الاية تنقض على المعتزلة
قولهم لانه جواب قولهم ماذا اراد الله مثلا فقال اراد ان يضل بهذا المثل كثيرا واراد ان يهدى به كثيرا اضل به من علم بانه يختار الضلالة
ويهدى به من علم انه يختار الهدى اراد من كل ما علم منه انه يختار ويؤثر والله اعلم وهم يقولون بل اراد ان يهدى به الكل ولكنهم لم يهتدوا والثانى
يضل به كثيرا اى خلق فعل الضلالة من الضال وخلق فعل الاهتداء من المهتدى وقد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** وما يضل به الا الفاسقين اى ما
يضل بهذا المثل الا الفاسق الذى لا ينظر الى ما فيها من الاعجوبة واللطافة فى الدلالة **وقوله** الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه عهد الله
يكون على وجهين عهد خلقة لما شاهد خلقه كل احد على وحدانية الرب كقوله وفى انفسكم افلا تبصرون وكقوله اولم يتفكروا فى انفسهم
الاية انه ان نظر فى نفسه وتامل عرف ان له صانعا وانه واحد لا شريك له وعهد رسالة الانبياء والرسل عليهم السلام كقوله وقال الله انى معكم
لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى الاية وكقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية فنقض العهدين جميعا عهد الخلقة

وعهد

وعهد الرسالة **وقوله** ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل وجهين يقطعون الايمان ببعض الرسل وقد امروا بالوصل كقوله نؤمن
ببعض ونكفر ببعض وقيل يقطعون ما امر الله ان يوصل من صلة الارحام وقوله ويفسدون فى الارض قيل فيه بوجهين يفسدون بما
يومرون فى الارض كقوله يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقيل يفسدون اى يتعاطون بانفسهم فى الارض بالفساد
كقوله ويسعون فى الارض فسادا **وقوله** اولئك هم الخاسرون يحتمل ايضا وجهين خسروا ما فات عنهم وذهب من المنى والامانى فى الدنيا
وروى عن الحسن انه قال فى قوله تعالى هم الخاسرون اى تذفوا انفسهم باختيارهم الكفر بين اطباق النار فذلك هو الخسران المبين **وقوله** كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم يحتمل وجوها كيف من بعد ما ظهرت لكم الحجة ان تعبدوا من دون الله من الاصنام وغيرها انه حق ولم يظهر لكم
منها انشاء بعد الموت ولا الاماتة بعد الاحياء وقيل كيف تكفرون بالبعث بعد الموت وكنتم امواتا يعنى نطفا فاحياكم وانتم لا تنكرون
انشاء الاول فكيف تنكرون البعث والاحياء بعد الموت وقيل كيف تكفرون بالاحياء والبعث بعد الموت وفى العقل ان خلق الخلق
للافناء والاماتة من غير قصد العاقبة عبث ولعب لان كل بان بنى للنقض فهو عابث وكذلك كل ساع فيما لا عاقبة له فهو عابث هازل
فكيف يجعلون فعله عز وجل اذ لم يجعل الخلق دار الجزاء والعقاب كان فى خلقه اياهم عابثا هازلا خارجا عن الحكمة تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا **وقوله** ثم اليه ترجعون اى تعلمون انكم ترجعون اليه وكذلك المصير والماب والثانى ترجعون الى ما اعد لكم من العذاب
احتج عليهم بما اخبرهم الله انه انشاهم بعد الموتة الاولى ان يبعثهم بعد الموتة الاخرى ثم اليه ترجعون كانه يقول ثم اعلموا انكم اليه ترجعون
وقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا قيل انه صلة قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا اى كيف تكفرون بالذى خلق لكم ما فى الارض
ما يدلكم على وحدانيته ليس شئ من الارض الا وفيه دلالة وحدانيته ويحتمل كيف تكفرون بالذى خلق لكم ما فى الارض نعما من غير ان كان حق لكم
عليه حق من ذلك لتشكروا الله عليها فكيف وجهتم الشكر فيها الى غيره ويحتمل خلق لكم ما فى الارض محنة يمتحنكم بها فى الدنيا كقوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا ثم تجزون فى دار اخرى فكيف انكرتم البعث وفى بيان حكمة خلق الخلق فى الدنيا للفناء والاحياء للاخرة حكمة وفى انكارهما ذهاب
الحكمة **وقوله** ثم استوى الى السماء قيل فيه وجوه قيل استوى الدخان كقوله استوى الى السماء وهى دخان وقيل استوى ثم كقوله بلغ اشده
واستوى اى تم وقيل استوى اى استولى والاصل عندنا فى قوله ثم استوى الى السماء واستوى على العرش وغيرهما من الايات من قوله وجاء ربك
الاية وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الاية من الايات التى ظنت المشبهة ان فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الوصف به التشابه
فى الحقيقة انها تحتمل وجوها احدها ان نصفه بالذى جاء به التنزيل على ما جاء ونعلم انه لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه بغيره لانك بالجملة تعتقد
ان الله ليس كمثله شئ وانه لا يجوز ان يكون له مثال فى شئ اذ لا يوجد حدث فيه او قدم ذلك الشئ من الوجه الذى اشبه الله تعالى وذلك مدفوع بالعقل
والسمع جميعا معالم يجزان يقدر الصانع عند الوصف بالفعل كغيره وانه حى قدير سميع بصير نفى ما عليه امر الخلق لما يصير بذلك احد الخلائق
وانا بطل هذا بطل التشابه وانتفى ولزم ان السمع والتنزيل على ما اراد الله وبالله التوفيق انه يمكن فيه معان تخرج الكلام مخرج الاختصار
والاكتفاء بمواضع افهام فى تلك المواضع على تمام البيان وذلك نحو قوله وجاء والملك اى بالملك وذلك كقوله اذهب انت وربك اى
بربك فقاتلا اذ معلوم انه يقاتل بربه فيفهم منه ذلك وكذلك معلوم ان الملائكة يأتون فكأنه بين ذلك بدل عليه قوله لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وكذلك هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الاية ومما يوضح انه لم يكن لاحد اعتقاد وتصور فى وجه النظر الا اتيان الرب ومجيئه
ولا كان ينزوله وهو ينتظر وكان ينزل الملائكة كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى الاية وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين
فيما ذكرنا عظيم امرهم وجليل شانهم ومثله فى قوله الرحمن على العرش استوى معناه وجهان احدهما ان يكون معنى العرش الملك الاستواء التام الذى
لا يوصف بنقصان او الاستيلاء عليه وان لا سلطان لغيره ولا تدبير لاحد فيه والثانى ان يكون العرش اعلى الخلق وارفعه وكذلك تعتقده
الاوهام فيكون موصوفا بعلوه على التعالى عن الامكنة وانه على ما كان قبل كون الامكنة وهو فوق كل شئ اى بالغلبة والقدرة والجلال عن
الامكنة ولا فوق الا بالله واصله ما ذكرنا ان لا نقدر فعله بفعل الخلق ولا وصفه بوصف الخلق لانه اخبر انه ليس كمثله شئ **وقوله** فسويهن
سبع سموات مرة قال فسويهن ومرة قال خلق سبع سموات ومرة قال فقضاهن سبع سموات الاية ومرة قال بديع السموات وكله يرجع الى واحد
قال الشيخ رضى الله عنه القول فيما يتوجه اليه مما تضمن قصة ادم عليه السلام من سورة البقرة والكشف عما قال فيها اهل التفسير من غير
شهادة لاحد منا الاصابة جميع ما فيه من الحكمة او القطع على تحقيق شئ ووجهوا اليه بالاحاطة ولكن الغالب مما يحتمله تزيين البشر ويبلغهم
مبلغ علمنا مما يجوز ان يوصف به اهل المحنة وان كان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه وحشة اولى بما وصفهم الله من الطاعة له بقوله لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله وقالوا اتخذ الله ولدا الى قوله لا يسبقونه بالقول الاية وقوله يخافون ربهم من فوقهم الاية وقوله
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويفعلون ما يؤمرون وما جاءت به الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصف طاعتهم له
ومواظبتهم على العبادة وما لا يذكر من احد من الرسل وصف ملك بالمعصية بل انما ذلك يذكر عن بعض السلف مما لا نوم فى مخالفته فى فروع
الدين فضلا من ان يبسط اللسان فى ملائكة الله سبحانه وبالله المعونة والعصمة قال الله تعالى للملائكة انى جاعل فى الملائكة خليفة قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء دعم توهم ان هذا زلة منهم لم يكن ينبغى لهم ان يقابلوا قوله انى جاعل فى الارض خليفة بهذا لما يخرج الاستعتاب
بتوهم انتقل ونحن نفعل كذا كالمنكر لفعله وابعد ذلك بقوله عز وجل انى اعلم ما لا تعلمون انه لو لا كان فى ذلك طرف من الجهل بجحد غير شئ

عن مثله فانه لم يتبع قولهم هذا ومعلوم عندهم ان يكون هو يعلم ما لا يعلمون وانه ذلك بما امتحنهم بالانباء من اسماء الاشياء ا
معروفا بقوله ان كنتم صادقين ولولا انه سبق منهم ما استحقوا عليه التوعد لم يكن لذلك الشرط عند القول بانبئوني باسماء هؤلاء فائدة
معا بوضع موضع التوبيخ والتهدد ومنهم من قال ان قوله اتجعل فيها من يفسد فيها قول ابليس هو الذي تعرض بهذا القول وان كان
الكلام مذكورا باسم الجماعة لانه جائز خطاب الواحد على ارادة الجماعة وذكر الجماعة على ارادة الواحد وان كان خطاب الله تعالى بجملة [illegible]
الملائكة حيث قال ربك واذ قال ربك للملائكة الاية فقوله انبئوني بكذا وهو يعلم انهم لا يعلمون ذلك ولا يحتمل ان يأمرهم بذلك وهم لا يعلمون
لو تكلفوا الاخبار لحقتهم الكذب فذلك بيان ذلك على التوبيخ والتهدد لما فرط منهم ويكشف عن ذلك ايضا عند اعترافهم بان
لا علم لهم الا ما علمهم الله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الاية ولو لم يكن ما استحقوا به التاديب والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم
يكن لذلك كثير معنى اذ لا يخفى على الله عز وجل بعلم ما ذكر من الكثرة الاشياء فضلا من الكرام البررة ولكن قد يعاتب الاخيار عند الهفوة والزلة
بما يجل من خوف التنبيه والتوبيخ نحو قوله اتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لاذقناك ضعف الحيوة
الاية وعلامة كونه ومن يقل منهم اني اله من دونه واستجازوا امكان العصيان عند المحنة ودليل المحنة ما بينا من الفعل بالامن والخوف المذكور وما
مدحوا بعبادتهم لله تعالى وما اوعدوا ان ادعوا الالوهية ولما لم يحتمل ان يحمدوا على العبادة والطاعة فيما كان طبعهم على الخير والشر ولا يعلم
المحنة فيما لا يمكن المعصية ولا يحتملها البنية اذ الطاعة هي انتفاء المعصية وقال ايضا لا يعصون الله ولا يقال مثله لمن لا يحتمل فعل المعصية
فثبت ان المعاصي منهم ممكنة ولذلك خطر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم والممتحن مخوف منه الزلة والهفوة بل المعصية وكل بلاء الا ان
يعصمه الله تعالى ويحفظه وذلك من الله افضال وانه لا يستحق قبله ولا يلزمه احد من خلقه فجاز الابتلاء به معا في زلة امثالهم من [illegible]
الرجاء بالخلق وقطع الاياس والحث على الفراغ الى الله تعالى بالعصمة والمعونة اذ لا يتم لطاعته احد وان جل قدره عنده ما وكل الى نفسه
بما يعلم الله انه يختار في شي الخلاف لا الا الله يفزع اليه ويتضرع وعلى ذلك معنى زلات الرسل عليهم السلام وزعم قوم ان ذلك ليس منهم
بالزلة بل الله تعالى عصمهم عنها ولكن قوله اتجعل فيها من يفسد فيها يخرج على وجهين احدهما على السؤال بعد ان علمهم الله انهم يفعلون
فقالوا كيف تفعلون ذلك وقد خلقتهم ورزقتهم واكرمتهم بانواع النعم ونحن اذ خلقتنا نسبحك بذلك ونقدس لك وكيف يحتمل
عقولهم عصيانا مع عظم نعمتك عليهم ونحن معاشر الملائكة بان علمنا العقول ذلك فقال الله عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون اي ممتحنهم
مع ما ركب فيهم الشهوات التي لغلبتها على انفسهم تغتر بهم على انواع الغفلة ويصعب عليهم التيقظ لكثرة الاعداء لهم وغلبت
الشهوات فلما عظمت المحنة عليهم يكون منهم ذلك وهذا الوجه يخرج على سؤال الحكمة في خلق من يعصيه فاخبر انه يعلم ما لا تعلمون
اذ بذلك بيان الاولياء والاعداء وبيان ان الله لا يخلق من يخلق لحاجة له او لمنفعة له اذ لو كان كذلك لم يخلق من يخالف في القول
الذي امر به وانما خلق الخلق بعضهم لبعض عبرا وعظة فيكون في عقوبة العصاة ووعيدهم مزجر لغيرهم وموعظة ولغير ذلك
من الوجوه والوجه الاخر ان يكون المعنى من قوله اتجعل فيها على الايجاب اي انت تفعل ذلك اذ ليس عليك في خلق من يعصيك ضرر ولا لك
في خلق من يطيعك نفع جل ثناؤك من ان يكون فعلك لاحد هذين وذلك كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله
الاية على ذلك لا على استفهام معا ويحتمل ان الالف نائبة كقوله ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين بمعنى انكم وتديد وذلك يرجع الى الاول قال ومعنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون من الاختبار فيهم ولذلك ذكرهم عند سؤال الانباء
بما اعلمهم من عظيم امتنانه على ادم ان جعله بمعنى نبي الى الملائكة الاسماء ولم يكن يبلغ توهمهم ان في البشر ما يحتاج المخلوقون من النور الذي
هو سبب رفع الاستار عن الاشياء وجلاء الاشياء به ثم يحتاجون في اقتباس العلم الى من هو جوهر التراب والماء الذي هو اصل الستر و
الظلمة فاراهم الله بذلك ليعلموا ان ليس طريق المعرفة والعلم بالاشياء الخلقة ولكن لطف الله وامتنانه ولا قوة الا بالله وقال قوم كان
منهم من استحق العتاب من طريق الخطر بالقلوب لا من طريق الزلة التي هي العصيان ولكنهم نبهوا على امثال ذلك وان لم تبلغ بهم المعصية
لعلو شانهم وعظم قدرهم كما قد عاتب الله تعالى نبيه عليه السلام في اشياء وان لم يكن ذلك منه معصية وكقوله تعالى عفا الله عنك الاية وقوله
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم وقوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية ولم يكن اثم في ذلك وقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
الاية لانه من غير ان كان منه عصيان فمثل ذلك امر الملائكة ثم تكلموا في معنى ذلك فمنهم من يقول ظنوا انهم اكرم الخلق على الله وانه لا يفضل احد
عليهم ومنهم من يقول ظنوا انهم اعلم من جميع من يخلق من جوهر النار او التراب من حيث ذكرت من جوهرها او لعظم عباداتهم لله وعلمهم بان في الخلق
والانس عصاة فلهذا امتحنهم بالعلم ثم بالسجود لاظهار علو البشر وشرفه وعظم ما اكرموا من العلم ومنهم من قالوا بقوله ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قيل بامرك وقيل بعزتك وقيل بالثناء عليك انه كانوا اضافوا ذلك الى انفسهم دون ان يذكروا عظم منة الله عليهم بذلك و
اختصاصه اياهم بالتوفيق له اذ كيف ذكروا من نعوت البشر شر ما فيهم دون ان يحمدوا الله بما وفقهم الله ويدعو للبشر بالعصمة او المغفرة ثم
ابتلوا ولذلك والله اعلم صرفوا شغلهم من بعد الى الاستغفار لمن في الارض ونصرا وتبادءا لله ولا قوة الا بالله ومن الناس من اخبر في ذلك ان
ابليس سألهم لو فضل ادم عليهم وامروا بالطاعة له ما يصنعون فاظهر الله عز وجل انه علم ما كتم ابليس من العصيان واظهر وهم من الطاعة وقيل
انه لا يعلم حقيقته لان المعاتبة كانت في جملة الملائكة والمخاطبة بالانباء وما الحق به وامر بالسجود كان في غيره ولم يحتمل ان يكونوا [illegible]

بسؤال

بسؤال ابليس اللعين ولكنه يحتمل وجوه العتاب لاخبار فيما لم يبلغوا العصيان والله الموفق وقوله انبئوني باسماء هؤلاء ظاهره امر
ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بينا وذلك في القران كثير وان كان في الحقيقة امر ففيه دلالة جواز الامر فيما لا يعلمه المامور اذا
كان بحيث يحتمل العلم به تبين له اذا طلب واستوجب رتبة التعلم والبحث ويحتمل ان يكونوا انبهوا حق لا ليسبق اليهم عند اعلام آدم ان
ذلك من حيث يدركونه لو تكلفوا واراد ان يريهم آية عجيبة تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لادم ثم في
افادة ذلك العلم له كما قال عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى ذكره اولا حاله وحال عصاه ليعلم ما اراه مما في يده من اية نبوته
على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقوله اني جاعل في الارض خليفة وقال قوم يريد به آدم عليه السلام يخلف الملائكة في الارض
ومن تقدمه من الجان وذلك بعيد لانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ولم يكن آدم عليه السلام بالذي كان يفسد في الارض و
يسفك الدماء بل كان يسبح بحمده ويقدس له ولكن يحتمل ان يريد آدم وولده الى يوم القيمة ان يجعل بعضهم خلفاء لبعض كقوله
ويجعلكم خلفاء الارض ويجعلهم خلفاء من ذكر وان صح الذي قالوا وجائز ان يكونوا على وجه الارض اذ هي مخلوقة لهم قرارا و
مهادا ومعادا وهم جعلوا سكانها وعمارها ان يكونوا خلفاء في اظهار احكام الله تعالى ودينه كقوله لداود عليه السلام انا جعلناك
خليفة في الارض لجعله كذلك ليحكم بين اهلها بحكم الله ولا تتبع الهوى وبذلك امر بنو آدم وقوله وعلم آدم الاسماء كلها يحتمل
ان يكون علم الهام ويحتمل ان يكون علم بارسال ملك من غير الذين امتحنوا به وفي ذلك تثبيت احد وجهين اما ان يكون العلم بالاشياء
حقيقة ضرورة يقع عند النظر في الاسباب التي هي ادلة ووقوعه عند التامل فيها نحو وقوع الدرك بالبصر عند النظر وفتح
العين واما ان كان الله تعالى فعل التعلم الذي يعلم المرء فيما يضاف فيه الى الله تعالى انه علم وكذا قوله علمه البيان وكذا قوله وما علمناه الشعر
وما ينبغي له ولا يحتمل هذه الاسباب لما كانت له كلها ولم يكن تعلم حقيقة ليؤذنه وكذلك قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا والله
الموفق وقوله ان كنتم صادقين في المعاني التي ذكروا واذ كنتم من خلقتم موصوفين بالصدق وعلى تحذير القول بلا علم وكانه قال و
اصدقوا واحذروا القول بالجهل وفي ذلك انهم لم يتكلفوا بالقول في شيء ولم يعلمهم الله تعالى قال ابو بكر عبد الرحمن ابن كيسان هذا يبطل
قول المنجمة والقافة بدعواهم على الغيب بلا تعليم ادعوهم من الله تعالى وفي قصة آدم عليه السلام دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بما علم بما
في غير القران من الكتب السماوية من غير ان عرف بالاختلاف اليهم ومعرفة الالسن التي بها ذكرت فكتبهم ذكرها على ما لم يدع احد العلم
بها النكير عليه ليعلم انه بالله علم ذلك وفيها دلالة فضل آدم ثم ابي البشر اذ احوج ملائكته اليه لاقتباس اصل الاشياء وهو العلم الذي
كل خير له كالتابع به يصلح وينفع ولا قوة الا بالله وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين احدهما افهامهم العلم الذي هو احق شيء يحتمل الخير
اذ قد يلهم المرء بيان غير تكلف وهم قدام ربهم قدم ما يخرج مخرج التهدد في القول من قوله انبئوني وذلك فيما لا محنة فاسد مما
سبق من دليل المحنة والثاني فيما امرهم بالسجود لادم عليه السلام مع حق صبر ابي كان ابيا وفي ذلك ايضا دليل فضل آدم عليه السلام
الجعل موضع عبادة خيار خلق الله وبه التوفيق وفي ذلك ان السجود ليس بنفسه عبادة اذ قد يجوز السجود لاحد من الخلق كما امرهم
لادم ثم كقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم ولم يجبرا الامر بالعبادة لادم عليه السلام والله انهم المعهود ولو جاز لاحد ذلك لكان
غير الله الجنة دليل ذلك تسمية العرب كل شيء يعبدونه الها ولا قوة الا بالله ثم السجود يحتمل الخضوع كما قال تعالى يسجد له من في السموات والارض
الاية والنجم والشجر يسجدان فان كان المراد منه الخضوع له والتعظيم فذلك يحتمل وجهين احدهما ان الله تعالى اذا فضله عليهم بما اطلعه
على علوم خصه بها امرهم بالخضوع والتعظيم وذلك الحق على كل محتاج الى اخر ما به رجاء النجاة او درك العلو والكرامة ان يعظمه ويجله
ويخضع له والثاني انه امتحنهم بوجه يظهر قدر الطاعة لان الخضوع لمن يعلو امره ويجل قدره امر سهل عليه طبع الخلق فاذا كان في تقدم
المامور بالخضوع انه دونه في الرتبة او شكله او لم يكن بينهم كثير تفاوت اشتدت المحنة في مثله بالطاعة له والخضوع فامتحنهم الله به حتى
ظهر الخاضع لله والمتبع لحقه والمتكبر لنفسه وهو ابليس على ذلك الغالب من اتباع الانبياء عليهم السلام والذين يابون ذلك ان الذي
يحملهم على الاباء عظمهم في انفسهم وظنهم انهم احق بان يكونوا متبوعين والله اعلم والوجه الثاني ان يكون المراد من ذكر السجود وتوجيه
على وجهين احدهما ان يجعل السجود تحية الزم الملائكة تحية آدم به وهو ابتداء ما اكرم به اصل الانس واليه مرجع جملة المؤمنين في الجنة
ان ياتيهم الملائكة بالتحيات والتحف وان اختلفا نفس التحيات وفي ذلك دليل بان السجود ليس بعبادة في نفسه اذ قد يؤمر به للبشر
ولا يجوز الامر بعبادة غير الله فيكون السجود لغيره من جنس الفعل والعبادة به لله كغيره من المعروف يصنع الى الخالق ومثله امر بسجود
يعقوب واولاده ليوسف عليه السلام والله اعلم والثاني ان يكون السجود له بمعنى التوجه اليه وهو في الحقيقة لله تعالى نحو السجود الى
الكعبة لله تعالى تعظيما له وتبجيلا للكعبة وتخصيصا من بين البقاع كذلك امر السجود لادم عليه السلام تعظيما له وتبجيلا من بين سائر البشر
كلاهما سيان ثم قد ثبت نسخ السجود للخلق بما روي عن النبي عليه السلام انه قال لو كان يحل لاحد ان يسجد لامرت المراة ان تسجد لزوجها
ولما جعل السجود في العبادة عبادة للمسجود له واعترافا بعرف الاشراد بعبادة عظماءهم ومن يعبدونه من دون الله فيصير ذلك للعقو
هو السابق في القلوب وذلك مما لا يحتمل الاحد دون الله فهي كذلك وان لم يكن بنفسه عبادة للمسجود له في الحقيقة كما نهى عن اشياء بما [illegible]
بها من الوحشة وان لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا له فكذلك الامر الاول كما نهى عن سب من يعبد من دون الله خوفا سب الله [illegible]

بنفسها بقربة ليتوسل بها الى القربة كالسعي الى الحج والجمعة ونحو ذلك وفيه ان السنة تنسخ الكتاب لان السجود لادم عليه السلام في الجملة ومثله السجود ليوسف ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فحرم فدل ان السنة تنسخ الكتاب وقول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم يشبه ان يكون السابق الى وهمهم معنى وخطر فعل ما كان بالله خرج منه ان يعقلوا حكمته اما بماله يبلغهم انه علم بها او يخطر ببالهم انه تعالى كيف يأمرهم وهو يعلم انهم لا يعلمون بها او خطر ببالهم من غير تحقيق ذلك ولكن على ما يلي به الاخبار كقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية او كما يخلو به الممتحن من الخواطر التي تبلغ المحنة بهم المجاهدة بها في دفعها وان لم يكن لهم بما يخطر ببالهم صنع فقالوا سبحانك نزهوا عما خطر ببالهم وسبق الى وهمهم ووصفوا بانه عليم لا يخفى عليه شيء حكيم لا يخطئ في شيء ولا يخرج فعله عن الحكمة وبالله التوفيق والعصمة وفي الاية منع التكلم في الشيء الا بعد العلم به والفزع به الى الله عن القول به الا بعلم وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله وبه امر تعالى نبيه عليه السلام فقال ولا تقف ما ليس لك به علم الاية وسئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن الارجاء ما بدؤه فقال فعل الملائكة اذ سئلوا عن امر لم يعلموا فوضوا ذلك الى الله تعالى ومعنى الارجاء نوعان احدهما محمود وهو ارجاء صاحب الكبائر ليحكم الله تعالى فيهم بما يشاء ولا ينزلهم نارا ولا جنة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والارجاء المذموم هو الجبر ان يرجا الافعال الى الله لا يجعل للعبد فيه فعلا ولا تدبير شيء ذلك وعلى المروى حيث قال صنفان من امتي لا ينالهم شفاعتي القدرية والمرجئة والقدرية هي التي لم تر لله في فعل الخلق تدبيرا ولا له عليه قدرة التقدير والمرجئة هي التي لم تر للعبد فيما ينسب اليه من الطاعات والمعصية فعلا البتة فابطلت الشفاعة عنهما وجعلت المذهب الاوسط بينهما وهو الذي يحقق للعبد فعلا ولله تقديرا ومن العبد تحرك بخير وشر ومن الله خلقه وذلك على المعقول مما عليه طريق العدل والحق انه بين التفريط والتقصير وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وكذلك قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية ولا قوة الا بالله قال ابن جريج قال سجود الملائكة لادم ايماء ولم يكن بخر ووضع الوجه بالارض لاحد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان سجود الملائكة سجود تحية ولم يكن سجود عبادة وعن قتادة قال كانت الطاعة لله والسجدة لادم عليه السلام اكراما له به والله اعلم ثم اختلف في ابليس قال بعضهم هو من الملائكة وقال الاخرون لم يكن من الملائكة وهو قول الحسن والاصم ذهبوا ذلك الى وجوه احدها ما ذكر عز وجل عن طاعة الملائكة له بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقال لا يسبقونه بالقول الاية وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الاية وصفهم الله عز وجل طاعتهم لم يتاد اباه فلو كان اللعين الرجيم منهم لاطاعه كما اطاعوه له والثاني قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والملائكة انما خلقوا من النور والثالث قوله تعالى كان من الجن ولم يقل من الملائكة فدل هذه الايات انه لم يكن من الملائكة ثم قال في قوله فسجدوا الا ابليس انه قد يجوز الاستثناء من غير نوع المستثنى منه نحو ما يقال دخل اهل الكوفة هذه الدار الا رجلا من اهل المدينة وذلك جائز في اللغة ويستدل بالاستثناء ان الامر كان عليهم جميعا في الاصل وكان الامر بالسجود له وللملائكة جميعا كقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس ولم يكن هناك الامر للناس بالافاضة فكذا الاول والله اعلم وذهب من قال انه من الملائكة انه لما لم يذكر في قصة من القصص مع كثرة التكرار لها في القران وغيره من الكتب السالفة انه ليس منهم وليس فيما ذكر من الايات ما يدل انه لم يكن منهم لان قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله يقوم منهم العصيان والخلاف له تعالى لم يكن المدح بالطاعة والخضوع له معنى الاترى الى قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية مع ما ذكرنا انهم يمتحنون والممتحنون بانواع المحن وكل ممتحن في شيء يجوز كون المعصية منه والخلاف لديه واما قوله وكان من الجن يحتمل اي صار من الجن وقيل الجن اراد به الملائكة سموا جنا لاستتارهم على الابصار كقوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما قوله خلق الملائكة من النور وابليس من النار فهو واحد لانه اخبر عز وجل انه خلقه من نار من نار وقيل المارج هو لهبها معا ليس ليس في القران ولا في الخبر انهم انما خلقوا من النور ولم يخلقوا من غيره ثم اختلف في ابليس انه لم كفر بالله قيل انه كفر لما لم بالامر بسجود من هو دونه في حكمه وقيل كفر لما راى فان الله تعالى وضع الامر في غير موضع الامر وراه ما جورا فكفر به وقيل كفر لما ابى بتمار بالسجود واستكبر فكفر وقيل كفر لما اضمر اضلال الخلق وقيل ابى الطاعة فيما امر به واستكبر على ادم لما راى لنفسه فضلا عليه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله وكان من الكافرين اي صار كقوله انه كان فاحشة وكقوله وكان من الغاوين اي صار وقيل كان في علم الله تعالى انه سيكفر وقوله قلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة قد ذكرنا فيما تقدم ان الجنة هي اسم البقعة التي حفت بالاشجار والفروع وانواع النبات دليله قوله وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وكذلك ايضا ظاهر معروف عند الناس انه لا يسمى كل بقعة من الارض بستانا ولا جنة حتى يجتمع فيها ما ذكرنا ثم لا يدري ما تلك الجنة التي امر ادم وحوا بالكون والمقام فيها اهي التي وعد المتقون او جنة من جنات الدنيا اذ ليس في الاية بيان ذلك وفي الاية دلالة ان الشرط في الذكر قد يضمر ويكون شرطا بلا ذكر لانه قال لا تجوع فيها ولا تعرى ثم قد جاع وعرى حين عصى فدل ان العصمة كان شرطا فيه ثم معنى الامر من الله تعالى لادم وزوجه بالسكنى في الجنة والمقام فيها وامرهما بالتناول من جميع ما فيها الا الشجرة نهيا عن التناول منها وامرا بالاجتناب عنها فقوله ولا تقربا هذه الشجرة وذي صورة الممتحن ان يؤمر بشيء وينهى عن شيء وقوله رغدا اي سعة يقال ارغد فلان اذا وسع عليه وكثر ماله وقوله ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تاكلا دليله قوله فكلا منها ولانه بالقربان ما يتوصل الى التناول واللغة لا تابى في تسمية الشيء باسم سببه ثم اختلف في تلك الشجرة فقال بعضهم هي شجرة العنب ولذلك جعل الشيطان فيه حظا لما عصيا ربهما بها وقيل انها كانت شجرة الحنطة ولذلك جعل غذاء ادم عليه السلام وحوا وغذاء اولادهما منه الى يوم القيامة ليقاسوا جزاء العصيان والخلاف له وقيل انها شجرة العلم لما علموا من ظهور عورتهما ولم يكونا يعلمان قبل ذلك وهو قوله بدت لهما سوءاتهما والله اعلم والقول فيما

بينا لا يجوز الا من طريق الوحي ولا وحي في تلاوتها ولا يجوز القطع على شيء منه ذلك ثم احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوها احدها ايثار الضر عليه وقد يكون هذا ان ينهى الرجل عن التناول لعين شيء ايثارا لاخر عليه ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لداء يكون فيه لما يخاف الضرورة لا على جهة الايثار ولكن اشفاقا عليه ورحمة ويحتمل ايضا عن التناول من الشيء على جهة الحرمة فاذا كان ممكنا هذا احتمالا حمل ادم وحوا على التناول منها لما اشتبه عليهما ولم يعرفا معنى النهي بانه نهي حرمة او نهي ايثار غيره عليهما او نهي داء لانهما لو كانا يعلمان ان ذلك النهي نهي حرمة لكانا لا يأتيان ولا يأتيا ولان وبالله التوفيق ثم في الاية دلالة على ان الحال التي تكون فيه للانسان في سعة ورغد يشتد على الشيطان اللعين لانه انما تعرض لادم وحوا بالوسوسة التي وسوس اليهما ليزيل تلك الحال عنهما والمبتلى بالسعة والرخاء ثم لما لحقته من الشدايد والبلايا مما كسبت ايدينا لقوله ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم الاية ترد على بعض المتقشفة فيما نهى بتحريم الطيبات والزينة وقوله فتكونا من الظالمين اي ضارين لان كل ظالم ضار نفسه في الدارين جميعا وقوله فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها الحال حتى اخرجهما وازلهما وقد ذكرنا ان الاشياء باسم اسبابهم او الاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه ثم تكلموا فيما اصاب ادم من الشجرة وفيما بينهما وفي جهة النهي عنها فقال قوم اكل منها وهو ناس لعهد الله نسيان ترك الذكر وابى ذلك قوم واحتج الحسن بان نسيانه نسيان تضييع واتباع الهوى لا نسيان الذكر بوجه احدها ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي هو ترك الذكر وان لا يلحق صاحبه اسم العصيان وقد عوتب هو به ونسب الى العصيان بقوله وعصى ادم ربه فغوى مما تقدم القول فيه ان يكونا من الظالمين والثاني ان عدوه قد ذكره لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية وقوله وقاسمهما وقوله فدلاهما بغرور ولو كان نسيان الذكر لم يكونا ليغترا بالقسم والاغراء عن ذلك ولا وصفا بان استزلهما الشيطان ونحو ذلك فثبت انه كان نسيان تضييع وذلك كقوله وكذلك اليوم تنسى وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وغير ذلك مما ذكر فيه النسيان ومعناه التضييع سمي به لما كان كل منسي متروك وترك اللازم تضييع او بما ينسى به ويغفل عما يحل به من نقمة الله فسمي به كما وصف ذنب المومن بجهالة الجهالة بما يحل به لا يجهله بحقيقة فعله او سمي به من حيث لا يقصد بذلك عصيان الرب وطاعة الشيطان والى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان لا حقيقته ومن يقول بانه كان على النسيان فهو يخرج النسيان على وجوه احدها انه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه من التراجيع اشتغل قلبه بوجوه الدفاع له والفكر في الاسباب التي بها نجاته ويتخلص من مكايده حتى انساه ذلك عن ذكر العهد والسبب الذي يدفع الاشياء عن الاوهام في الشاهد كثرة الاشتغال وانما كان النسيان عذرا في الامور وسببا للعفو لانه لا يخرج الاخذ به عن الحكمة وذلك معلوم في الشاهد ان من اقبل على امر واخذ في تحفظه وتذكره سهل عليه ذلك واذا اجتمع ذلك مع الاشتغال بغيره من الامور صعب عليه بل الغالب في مثله الخفاء وجاز معاتبة ادم مع ذلك وتسمية عصيانا باوجه احدها انه لم يكن امتحن بانواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك وانما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة بالاشارة اليها فجائز ان لا يعذر في مثله وكذلك النسيان فيما نعذر في الشاهد انما نعذر في النوع الذي يبلى به ويكثر به النوازل الا ترى انه يعذر بالسلام في الصلاة وترك التسمية في الذبيحة ونحو ذلك ولا يعذر في الاكل في الصلاة وفي الجماع في الحج ونحو ذلك فمثله الامر الذي نحن فيه والثاني جائز اخذ الاخيار ومعاتبة الرسل بالامر الخفيف اليسير الذي لا يؤخذ بمثل ذلك غيرهم لكثرة نعم الله تعالى عليهم وعظم منزلتهم عنده كما اوعد التضاعف في العذاب على ما كان من غيره وعلى ما ذكر في امر يونس عليه السلام بالعقوبة بما لعل ذلك من عظيم خيرات غيره اذا فارق قومه بما عاين من المناكير فيهم وفعل مثله من احد ما يوصف به غيره وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه وسلم فيما خطر بباله تقريبا لاجل الكفرة اشفاقا عليهم وحرصا على اسلامهم ومن يتبعهم على ذلك مما لعل من دونه لا يعد لشيء من خيراته بالذي عوتب به وبالله التوفيق والثالث انه لما عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به ولمثله خلق حيث قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة لكنه بكرمه وبالذي عوده خلقه من تقدير احسانه وانعامه في الابتداء على الشدايد والتزهيد وان كان له التقديم بالثاني وذلك في جملة قوله ونبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليه ترجعون وعلى ما في ذلك من مبالغة غيره الزجر عن المعاصي وتعظيم خطره في القلوب اذا جوزي ابو البشر والرسل منهم على ما فضله بما امتحن ملائكته بالتعلم منه والسجود بذلك القدر من الزلة ليعلم الخلق انه ليس في امره هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر من عقوبته والفزع اليه بالعصمة عما يوجب مقته وان لا يكلهم الى انفسهم اذ علم بابتلاء من الذي ذكرت محلة في قلوبهم بذلك القدر من الزلة ولا قوة الا بالله والثاني ان يكون حفظ النهي عنه لكنه خطر بباله لا يلحقه فيه وصف العصيان ونسي قوله فتكونا من الظالمين وقد ذكرنا النهي في وقت الفعل ولكن نسي الوصف بالفعل من النهي لعله سبق الى وهمه غير جهة التحريم اذ يكون النهي على اوجه احدها الحرمة والثاني نهي لما فيه من الداء وعليه في اكله ضرر وهذا معروف في الشاهد بما عليه الطباع نهي قوم عن اشياء محللة هي لهم ما يؤذي ويضر فيحتمل ان يسبق الى وهمه ذلك لما وعد له في ذلك من عظيم النفع تحمل ما خوف به ليصل الى وعد على سبق وجه النهي الى ما وجه من جنس الضرر والمشقة ونسي قوله فتكونا من الظالمين او ذكر وعرف ان الظلم قد يقع على الضرر كقوله كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا لم ينقص منه والنقصان في النفس ضرر وعلى ذلك فسر عامة اهل التفسير الظلم في القران انه الضرر واسم الضرر ياخذ ضرر الداء وضرر المأثم وان كانت حقيقة وضع الشيء في غير موضعه ولا قوة الا بالله وقد يحتمل النهي ان يخرج مخرج المنع ليكون غيره هو الذي يبدأ به ويختص ذلك لغيره لا على التحريم نحو الامر بالمعروف فيما يمنع

الرجل ولو عن الثنا ولعما يريد به على التحريم وان احتمل ذلك ثم بين له عظيم ما في ذلك من البوكة من غير ان عاين عدوه ليعلم ان ذلك سبعه
وجائز ان يسبق اليه ان ذلك اشارة ملك او الهام في النفس على ما يكون لكثير من الاخيار الا انه من وحي عدوه فدعته نفسه الى الاكل فيكون ذلك كالنا
والجاهل بحقيقة وجه النهي وان كان تعمد اكله ولا قوة الا بالله والاشبه في هذا ان فعله عليه السلام ان كان على نسيان العهد او على الذكر له ثم
فان الذي اصابه عقوبة وان كان بالذي يكون به المحنة فلولا ان الله تعالى يعاتبه على ما فعله لم يكن لتغيير عليه نعمة بعذاب انعم عليه وقد قال انه
لا يغير نعمه التي انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وما لا يحتمل العقوبة بالتغيير لم يكن ليفعل بعد وعن ذلك معا قد اعترفا بالظلم
اذ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الاية وقد قال الله تعالى فعصى آدم ربه فغوى وقد كان قال لهما فتكونا من الظالمين
فكان فيما يلي به وجهان احدهما ان ذلك لم يزل عنهما اسم الايمان ولا رجعا اليه بعد فعلهما ذلك ثبت ان الاكل ذنب لا يزيل اسم الايمان
وان الذنوب لا يتحقق فيه الكذب فيما اعتقدا ان لا يعصيا الله في شيء وفي ذلك فساد قول الخوارج والمعتزلة وبيان ان قوله ومن يعص الله ورسوله له
يدخله نارا ليس على كل عصيان ولا الوعيد بالظلم المطلق بوجه كل ظلم وكل عصيان وغواية بل يلزم به تقسيم هذه الحروف على ما يليق به
ومن يريد بها الجميع في كل الايام خارج على المعروف من احكام الله تعالى في اهل المآثم والثاني انه قد عوقب بوجه لا يجب جزء منها بما يسميه
المعتزلة كبيرة بل يزيل اسم الايمان من نحو شرب قطرة من الخمر او قذف محصنة او اخذ عشرة دراهم من مال آخر وكذلك فعل ولا يعقل
عليه السلام ثم لم يجترما احدا على دعوى خروج من ذكرت من دين الله لزم بطلان توهم معا كان من توهم ان الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب
عليها ولا الكبيرة العفو عنها وقد كان عذب آدم عليه السلام بانواع العذاب لما لم يكن سوى ما اظهر فعلهما على رؤوس الخلائق لكان عظيما
ثم اختلف في الوجه الذي بلي منهم من يقول لما كان من صلبه من الكفرة وهم ليسوا باهل الجنة وقيل رحمة للخلق ليلا ييأسوا ولا يزيل الولاية بكل
ذنب وقيل بليا لتنبيه الخلق بها ان لا يغفل واحد بتعاهد نفسه عما يندم اليه اذ وكل اليه نفسه فيكون ذلك سبب الزجر للخلق عن النظر الى
انفسهم في شيء من الخير والفزع اليه بالعصمة عن كل شيء وقيل بلي ليحق المحنة اذ هي تردد صاحبها بين اللذات والآلام وبين احوال مختلفة لا
يحتمل ان يصير بحيث يأمن الزلل وانما ذلك بحفظ الله ومنه لا بتدبير احد وجهده وان كان الله تعالى يوفق على قدر الجهد ويعصم على قدر الرغبة
اليه والاعتصام به ولا قوة الا بالله وليس بنا حاجة الى ذكر حكمة الزلة اذ كانت نفسه مجبولة على جنبه باعثة الى مثله لولا نعمة الرب كما
قال يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الاية وقال لا تكسب كل نفس الا عليها ثم اختلف في ماهية الشجرة
قيل بانه شجرة العنب وجعل الشيطان فيها نصيبا بما بلي به ابو البشر وامهم وقيل الحنطة فيما جعل غذاء ولم يبدل بالراحة الكد وبالنعم البؤس
وقيل شجرة العلم اذ بدت لهما سوآتهما فعلما بذلك ما لم يسبق لهما في ذلك وفزعا الى ما يستتران به من الورق فالاصل ان هذا نوع ما يعلم بالخبر عن عند
عالم الغيب وليس بنا الى تعرف حقيقته حاجة وانما علينا معرفة قدر المعصية فنعتصم بالله عنها والطاعة فنرغب فيها وبالله العصمة والاصل
فيه ان الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء اذ الجمع بينهما يزيل البلوى ويكشف الغطاء فجعل اللذة الذي لا راحة فيه والمؤلم الذي لا نقيض
فيه جزاء والتردد منهما محنة ولا قوة الا بالله وقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي تصيران منهم وكذلك القول في ابليس وكان من الكافرين
اي صار منهم ويحتمل ممن يكونون كذلك اذ في علم الله انهم يصيرون ممن في علم الله كذلك مع جواز القول بلا تحقيق آخر كقوله تبارك الله احسن
الخالقين لا ان ثم خالق غيره ثم اختلف في الوجه الذي وصل اليه ابليس الوسوسة فقال الحسن كان آدم عليه السلام في السماء وابليس في الارض
فكلمه او وصل اليه بالسبب الذي جعل الله لذلك وقال قوم كان يخاطبه في رأس الجنة وقيل كان تصور بغير صورته كان عند قوله ان هذا عدو لك
الاية فاغتر به ولم يعرفه لما اغتر به بعد ان حذره الله عنه والله اعلم كيف كان ذلك اختلف في الوجوه التي يوسوس الى آدم منهم من يقول يجري
بين الجلد واللحم كما يجري الدم فيقابل وجه بصره بقلبه فيقذف فيه ومنهم من يقول هو بحيث جعلت له قوة ايصال الخطر بباله والقذف
في قلبه من الوجه الذي جعل له وذلك لا يعلمه البشر ومنهم من يقول ان النفس كانها سالك في الجسد ذاهبة في جميع الآفاق لولا الجسد الذي
يحبسه لكان لها الانتشار على ما يظهر في حال النوم عند سكون جسده ومن ذلك سلطان فكر الرجل من اقصى بقاع الارض حتى يصير له
كالمعاين ففي ذلك يكون قدحه وقذفه ونحن نقول وبالله التوفيق انا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك لكن الله تعالى جعل للحق اعلاما وكذلك للباطل
وكل معنى يدعو الى الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان يجب التعوذ منه والفزع اليه وان لم يعلم كيفية ذلك قال الله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الحسن في قوله ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقد علم آدم ان الملائكة افضل وقد علم ان لا خلود يكون معه وقد اخبرا انهما
وقد علم انه لا يكون ملكا وقد خلق من طين والملائكة من نور ولكن يكون على فضل الملائكة وقاسمهما حلف لهما في وسوسته انه يقول ذلك
عن نصحه فتابعاه في الاكل لا على القبول عنه ما ذكر اذ لو كان عن قبول لكان ذلك اعظم من الاكل ولكن اكلا على الشهوة واتباع الهوى
ولو صدقاه في ذلك لكفرا وكان هذا اعظم من الاكل ولم يقل لهما ان لكما فيها الاجل ذلك شيء وذلك كما يقول الرجل لآخر في شيء يقتل
عليه او يقطع لو فعلت لافعل بك ولك فيتقدم عليه ان يتقدم لشهوته لا على التصديق له في ذلك وكذا من يذكر احدا مثل امراة
يحبها وينادها اياه فياتيها بشهوة لا بتصديق لآخر فكذلك امر آدم فيما وسوس اليه الشيطان وهذا الذي يذكر الحسن يوجب انه يكون آدم
كان يعلم ان ذلك كان من الشيطان عدوه وذلك لا قدام اقدام على اثر ما ذكر على ما يصف انه كان يعلم امر قطع يوجب فعله على العلم

بالتي

بالنهي انه لا يناله به خيرا ولا يصل بذلك الى فضل بل اتبع الشيطان بما هوى واشتهى وهذا لو كان شهوة كان قطعيا ان يدعيه على ابي
البشر ومن قد فضله الله بالذي سبق ذكره بل لو قيل له انه لم يكن علم انه من عدوه او الهام على ما يكون للاخيار وكان امنع عن الصورة
التي اداها من قبل كان اقرب واحق ان يظن به من ان يذكر الذي ذكر ومتى يكون الاقدام لجهة يغير لا على طمع في ذلك بالانكار
يكون له ولكن على ما بينا وليس من ذلك الوجه الوحشة في الدين ثم قد ذكر ملكين والكلام في الفضل وغير الفضل على قوله لا معنى له لانه
يجعل فعلهم خيرا ومن فعله خير لا ترتفع درجته ولا تعلو قدره ثم يجعل الفضل لهم بالخلقة فكيف كان يطمع في ذلك ولم يكن هو
بخلقتهم وهذا انكار يكون منهم عصيان اذ خلقوا من نور ومن لا يعصي بالخلقة فانه لا يحمد ولو كان يجب الحمد يجب في كل موات وكل
حيوان لا يعصي بالخلقة وذلك بعيد وجائز ان يكون آدم ثم طمع ان يكونا ملكين بان يجعل على ما عليه ضيعهم من العصمة او الاكتفاء
بذكر الله وطاعته عن جميع الشهوات والله قادر على ان يجعل البشر على ذلك وذلك على ما يوجد فيهم من معصوم ومحفوظ ولا يعلم ان الخلقة
لا توجب شيئا مما ذكر ولا قوة الا بالله ثم الاصل ان معرفة موت البشر وما عنه خلق كل شيء انما هو سمعي ليس هو حسي ولا في الجوهر دليل
الفنا وفقه ان يميت من شاء ويبقي من شاء فقول الحسن انه علم ذلك ثبت بثبات الخبر عن الله ينتهي اليه انه كان بلغه في ذلك الوقت وكذلك
امر الملائكة رجاء لا اضداد محبة الذكر وظهور العصمة تعرف بالحجة والمشاهدة بمنها ولا قوة الا بالله ثم ذكر الحسن في خلال ذلك انه
آدم عليه السلام قد علم ان الملائكة لا يموتون لا ادري ما هذا اهو عقد اعتقد او جرى على لسانه لان مثل هذا لا يعلم الا بما لا ارتياب في
ذلك انه جاء عن الله ولا قوة الا بالله **وقوله** فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما وزين لهما الحسب الزلة والاخرج منها الا ان في
اخراجهما وازلالهما وقد ذكرنا ان قد يسمى الاشياء باسم اسبابها والاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية
الشيء باسم سببه والله اعلم **وقوله** مما كانا فيه من الخصب والسعة والنعيم التي انزلهما الله تعالى منها واباح لهما التناول فيما فيه ثم
اختلف في وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام فيم كان ومن اين كان فلما ذكر ان قيل انه كان في السماء فوسوس اليهما من رأس الجنة
حسدا منه لما داما يتقلبان في نعم الله تعالى ويتنعمان فيه فاشتد ذلك عليه وقيل انه كان في الدنيا فوسوس لهما من بعد والله اعلم
ثم اختلف فاله سلطان على القلوب ويوسوس في صدورهم من بعد فقال بعضهم له سلطان على القلب على ما جاء انه يجري في الانسان مجرى
بين الجلد واللحم مجرى الدم وقيل انه لا سلطان له على القلوب ولكنه تقذف فيهم من البعد ويدعوهم الى الشر بما يرى في الانسان من الا
من حال الخير والشر وكان تلك الاحوال ظاهرة من اثر الخير والشر فاذا راى ذلك فعند ذلك يوسوس ويدعوه الى الشر وعلى ذلك قوله عز وجل
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اخبر انه لا سلطان له علينا سوى الدعاء لنا وهو لا شبه والله اعلم ثم قيل فيمن عصى ربه ليس قد
اطاع الشيطان قيل بلى فان قال فاذا اطاع ان لا كفر قيل لانه ليس بقصد قصد طاعة الشيطان وان كان في عصيان الرب طاعته وكذلك
روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فاجاب بمثل هذا الجواب والاصل ان الفعل الذي يلي له ليس هو لنفسه فعل الطاعة هم
للشيطان ليصير به مطيعا انما يجعله طاعة القصد بان يجعل طاعة له وقد زال ذلك وان سر هو به وفرح كلما اس بزوال السرور عنهما
والفزع وان كان ذلك بفعل من لا يجوز وصف من فعل ذلك بطاعة الشيطان ولا قوة الا بالله **وقوله** وقلنا اهبطوا قيل الهبوط هو النزول
في موضع كقوله اهبطوا مصرا اي انزلوا فيه ويحتمل الهبوط منها هو النزول من المكان المرتفع الى المنخفض والدون من المكان **وقوله** بعضكم لبعض
عدو قيل يعني ابليس واولاده وآدم واولاده بعضهم لبعض عدو العداوة فيما بيننا وبينهم ظاهرة وقيل بيننا وبين الحيات عداوة طبع
والعداوة التي بيننا وبين ابليس عداوة اختيار والمراد الطبع ينفر عن كل موذ ومضر وبالله التوفيق **وقوله** ولكم في الارض مستقر تقرون فيها
كقوله وجعل لكم الارض قرارا **وقوله** ومتاع الى حين اي متاعكم الى انقضاء آجالكم ويحتمل متاعكم لا انقضاء الدنيا وانقطاعها **و**
قوله فتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذ وقيل من ربه كلمات فتاب عليه تقبل فيه وجوها قيل فتاب عليه اي وفق له التوبة وهداه اليها فتاب
كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم التوبة فتابوا وقيل خلق فعل التوبة منه فتاب كما قلنا في قوله هداه اليها فتاب اي خلق فعل
الاهتداء فاهتدى وقيل تاب عليه اي تجاوز وقيل ان التوبة هي الرجوع رجع آدم عن عصيانه فرجع هو الى الغفران والتجاوز وبعضه قريب
من بعد وفي الاية انه انما تاب عليه لكلمات تلقاها من ربه والاية تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب صغيرة فهي مغفورة لا
يحتاج الى الدعاء ولا الى التوبة فادم عليه السلام دعا بكلمات تلقاها عنه فتاب عليه ولو كان مغفورا له ما ارتكب لكان الدعاء فضل
وتكلف وبالله التوفيق والكلمات هي ما ذكرت في سورة اخرى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الاية **وقوله** انه هو التواب
الرحيم اي قابل التوبة وقيل اي موفق التوبة وهادي بها كقوله غافر الذنب وقابل التوب وقد ذكرنا في قوله فتاب عليه الاحتمال الرحيم
بالمؤمنين ورحيم بالتائبين **وقوله** قلنا اهبطوا منها جميعا ذكر هبوطهم جميعا فاذا اهبطوا فرادى لم يخرجوا من الامر اذ كانوا في الامر والذكر
لا يصير الجميع في الفعل شرطا **وقوله** فاما ياتينكم مني هدى اي ليأتينكم وهذا جائز في اللغة **وقوله** فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اي من تبع هداي ودام عليه حتى مات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكذلك قوله فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في
الآخرة اذا مات عليه وهذه الاية والتي تليها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون تنقض على الجهمية يقولون
بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيها فلو كانت الجنة تفنى وتنقطع ما فيها لكان فيها خوف وحزن لان من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه دخل

يحزن عليه وبنغصه ذلك وهذا وصف الدنيا بالخوف والحزن لما يزول ولا تبقى فاخبر عز وجل ان لا خوف عليهم فيها خوف التبعة ولا
حزن فوات النعم ولا هم يحزنون لانها باقية وان نعيمها دائمة لا يزول وكذلك اخبر عز وجل ان الكفار فى النار خالدون وان عذابها اليم
شديد فلو كان لهم رجاء النجاة منها هان ذلك عليه وبالله التوفيق **وقوله** يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل قوله اذكروا
نعمتى التى خصصتكم دون غيركم من نحو ما جعل منكم الانبياء والملوك كقوله وجعلكم ملوكا واتيكم ما لم يوت احدا من العالمين ويحتمل اذكروا
نعمتى يعنى النجاة من فرعون حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم ويستحيى نساءكم كقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم الاية ويحتمل اذكروا
نعمتى من نحو ما اعطاهم عز وجل المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك من دون غيرهم وقيل نعمته نعمة محمد صلى الله عليه وسلم بعث وقت اختلاف
فى الدين وتفرقهم فيما كان عليه من مضى من النبيين ليدلهم على الحق من ذلك ويؤلف بينهم بالبيان كما اخرجهم الاختلاف الى من يقوم بذلك
من وجه يعلم صدقه فى ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة منه عليهم اذ بطاعته نجاتهم ولا قوة الا بالله ويحتمل اذكروا نعمتى اى
وجهوا شكر نعمتى الى ولا توجهوها الى غيرى فان كان هذا هو المراد فهم وغيرهم فيه اذ على كل منعم ان يوجه شكر نعمة الى ربه وكان الامر بذكر
النعمة والله اعلم امرا بعرفانها فى القلب انها منه لا الذكر باللسان اذ لا سبيل الى ذكر كل ما انعم عليه سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكر واحدة
منها طول عمره **وقوله** واوفوا بعهدى قد ذكرنا فيما تقدم ان عهد الله على بوجهين عهد خلقة لما جعل فى خلقة كل احد دلائل تدل على معرفته
وتوحيده وانه لم يخلقه للعبث ولا يتركه سدى وعهد رسالة على السن الرسل كقوله تعالى انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى
وكقوله واذ اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية **وقوله** اوف بعهدكم الذى وعدتكم وهو الجنة كقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم
ولادخلنكم جنات الاية ويقال اوفوا بعهدى الذى اخذ على النبيين بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس فيكون عهده تبليغ ما بين فى كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم والاقرار به والنصر له اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله واياى فارهبون اى اخشوا سلطانى وقدرتى وقيل اخشوا عذابى ونقمتى وقيل اخشوا نقض عهدى وكتمان نعت نبيى محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله وامنوا بما انزلت على نبيى محمد صلى الله عليه وسلم من القران مصدقا لما معكم اى موافقا لما معكم من الكتب من التورية والانجيل وغيرهما وهم
قد عرفوا موافقته كتبهم اذ لم يتكلفوا جمع هذا الى كتبهم ومقابلة بعض ببعض ويحتمل قوله مصدقا اى موافقا لما معكم من الكتب والبشرى كما قال
صنف من الكفرة وهم الصابئون ان الانجيل نزل بالرخص والتورية نزلت بالشدايد فقالوا باثنين لما لم يروا نزول الكتب بعضها على الرخص
وبعضها على الشدايد من واحد حكيم فقال عز وجل مصدقا اى موافقا الكتب وانها انما نزلت من واحد لا شريك له وان كان فيه شدايد ورخص
اذ لله ان ينهى هذا عن شىء ويامر اخر وينهى فى وقت ويامر به فى وقت وليس فيه خروج عن الحكمة ان يامر احدا وينهاه فى وقت واحد وفى
حال واحد وفى شىء واحد ثم فى الاية دلالة ان المنسوخ موافق للناسخ غير مخالف له لان من الاحكام والشرايع ما كانت فى كتبهم ثم
نسخت لنا فلو كان فيها خلاف فالظاهر القول منهم انه مخالف وانه غير موافق وكذلك فى القران ناسخ ومنسوخ فلو لم يكن بعضه مخالفا لبعض
كقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا **وقوله** ولا تكونوا اول كافر به قيل فيه بوجهين قيل لا تكونوا اول قدوة يقتدى بكم
فى الكفر وقيل اى لا تكونوا اول كافر فيما امنتم به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به فيلحقهم من سن السنة وعملها يكون ثم يعنى الحجة لغيرهم اذ كانوا
اعرف به وابصر بما معه من الادلة والبراهين فيقتدى بهم من لم يشهد الاعلام فيكون عليهم لو كفر واما على اول من كفر ولا قوة الا بالله معا يجتمعهم
فيه وصف التعنت والتمرد والله الموفق **وقوله** ولا تشتروا باياتى قيل يحتمل قال الحسن لايات فى جميع القران هى الذين كفر له اشتروا الضلالة
بالهدى وانما عند ثابت فى البيع وقد ذكرنا ان اسم الشراء قد يقع من اختيار شىء بشىء ان لم يتلفظ بلفظ الشراء **وقوله** واياى فاتقون اى اتقوا
عذابى ونقمتى ويحتمل سلطانى وقدرتى وقد ذكرناه **وقوله** ولا تلبسوا يحتمل وجوها يحتمل لا تشتروا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اى
لا تلبسوا هو تلبيس الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اى لا تشبهوا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اى لا تكتموا ويحتمل لا تلبسوا اى لا تجحدوا نعت
محمد صلى الله عليه وسلم ولا تثبتوا غيره وكله يرجع الى واحد ثم الحق يحتمل وجوها يحتمل محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته ويحتمل الحق القران ويحتمل
الحق الايمان والباطل هو الظلم والكفر والله اعلم **وقوله** وانتم تعلمون لما ذكرهم ونعته فى كتابهم انه حق ان كان محمدا عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات والقران او الايمان لكن تعاندون وتكابرون **وقوله** واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يحتمل وجوها يحتمل الامر باقامة
الصلوة وايتاء الزكوة امرا بقبول الصلوات المعروفة والزكوة المعروفة المدعوة اليها كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم ليس هو اخبار عن اقام فعلها ولكن القبول لهما والايمان بهما ويحتمل ان يكون الامر باقام الصلوة والزكوة وامرا بكونهم
على حال تكون صلوتهم صلوة وزكوتهم زكوة فالكونها فى حال تكون صلوتكم صلاة وزكوتكم زكوة فى الحقيقة لان الاية نزلت فى بنى
اسرائيل وهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يصلون ويتصدقون ولكن صلاتهم وزكوتهم لم تكن فلما لم ياتوا بايمانهم فامروا ان ياتوا بالايمان
ليكون صلوتهم تلك صلاة فى الحقيقة ويحتمل الامر باقامة الصلوة والزكوة امرا باقامتها باسبابها وشرايطها من نحو الطهارة والقيام
اخلاص النية له وذلك راجع الى المؤمنين ويحتمل الامر بالصلوة والزكوة لمعنى فيهما وهو الخضوع والطاعة والثناء عليه وذلك على كل احد
ان يخضع لربه ويطيعه ولا يعصيه وكذلك الزكوة على كل ان يزكى نفسه عن جميع القاذورات ويحفظها ويصونها عن جميع ما يزرى به وذلك
فرض على كل احد **وقوله** واركعوا مع الراكعين قيل هو يرجع قيل ان اليهود كانوا يصلون وحدانا فخبر الله فامروا بالصلوة مع النبى صلى الله عليه وسلم

والصلوة

والصلوة بالجماعة وفيه امر بحضور الجماعة وقيل اركعوا مع الراكعين اى كونوا مع المصلين يعنى المسلمين ولا تخالفوهم فى الدين والمذهب
اى اعتقادا **وقوله** اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم قيل فيه بوجوه قيل تأمرون الناس يعنى لاتباعه والسفلة باتباعكم وتعظيمكم
لعلمكم وتلاوتكم الكتاب وتنسون انفسكم ولا تامرونها باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لعلمه ونبوته وكفضل منزلته عند الله وانتم تتلون
الكتاب اى تجحدون فى كتابكم انه كذلك افلا تعقلون ان ذا قبيح وقيل تامرون الناس يعنى الفقراء والضعفة بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا
تامرون الاغنياء واهل الثروة بالايمان به لما تخافون فوت الماكلة والبر وانقطاعه عنكم ويحتمل ذا الخطاب لهم ولجميع المسلمين ان لا يامر احدا
احدا بمعروف الا ويأمر نفسه بمثله بل الواجب ان يبدأ بنفسه ثم بغيره اذ ذلك انفع واسرع الى القبول افلا تعقلون ان ذلك فى العقل لازم ان
يجعل اول السعى فى اصلاح نفسه ثم الامر لغيره والله اعلم **وقوله** واستعينوا بالصبر والصلوة يحتمل وجوها يحتمل ان اى استعينوا بالصبر على
ترك الرياسة والماكلة فى الدنيا لان الخطاب كان لهم رؤساء منهم بقوله اتامرون الناس بالبر الى قوله وانتم تتلون الكتاب والله اعلم ويحتمل
ان اصبروا على ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد والخضوع له لما بين لكم من الثواب فى الاخرة لمن امن به واطاعه وترك الرياسة
له ويحتمل ان اصبروا على المكاره وترك الشهوات بان الجنة لا تدرك الا بذلك لما جاء حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ويحتمل ان استعينوا
بالصوم والصلوة على اداءها لكن هذا يرجع الى المؤمنين والاية نزلت فى رؤساء بنى اسرائيل دليله قوله وهم يتلون الكتاب وانما يصلح هذا التاويل
فى قوله يا ايها الذين امنوا استعينوا الاية **وقوله** عز وجل وانها لكبيرة يخرج والله اعلم على ما ذكرنا من ترك الرياسة والماكلة فى الدنيا انها لكبيرة
عليهم الا على الخاشعين فانها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم ويحتمل ان ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد له والخضوع لثقيل
الا على الخاشعين فانه لا يثقل عليهم ولا يكبر وقيل ان تحويل القبلة الى الكعبة لثقيل ويحتمل ان الصبر على الطاعة واداء هذه الفرائض لكبيرة
على المنافقين خاصة فانه لا يتعاظم ذلك عليهم وقيل ان تحويل القبلة الى الكعبة لثقيل على اليهود والله اعلم **وقوله** الا على الخاشعين قيل فيه
بوجوه قيل الخاشع هو الخائف بالقلب وقيل الخاشع المتواضع وقيل الخاشع ههنا المؤمن وقال الحسن الخشوع هو الخوف اللازم بالقلب **وقوله**
عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم يعنى يعلمون ويستيقنون انهم ملاقوا ربهم بكسبهم وصنيعهم وانهم اليه راجعون اى يعلمون
يومئذ انهم راجعون اليه قال صاحب المنطق الظن هو الوقف على احد طرفى اليقين والشك هو الوقوف على احد طرفى الظن والجهل بين هذين
وقوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل انعمت عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الناس كانوا على فترة من الرسل
وانقطاع من الوحى واختلاف من الاديان والمذاهب فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليجمعهم ويدعوهم الى دين الله ويؤلف بينهم
ويخرجهم من الحيرة والتيه وذلك من اعظم نعمة انعمها عليهم وبالله التوفيق وذلك ايضا يحتمل فيما تقدم من الايات وقوله يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى الاية وقوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وعهده فى الارض رسوله
كقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى وعلى ذلك قوله ولا تكونوا اول
كافر به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا
مع الراكعين امكن تخريج هذه الايات كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ايضا قوله نعمتى التى انعمت عليكم الوجوه التى ذكرناها احدها ان
جعل منكم الانبياء والملوك كقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا كما قيل ان كل نبى من لدن يعقوب
الى زمن عيسى عليه السلام كان من بنى اسرائيل ويحتمل ما اتاهم عز وجل من انواع النعم ما لم يؤت احدا من العالمين كقوله واتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين من المن والسلوى وتظليل الغمام وامتداد اللباس على قدر القامة والطول كما قيل ان ثيابهم كانت تزداد وتمتد عليهم على قدر
ما تزداد قامتهم وكانت لا تبلى عليهم ولا تتسخ فذلك مما لم يؤت احدا سواهم ويحتمل ايضا قوله نعمتى اى النجاة من فرعون وآله كقوله
واذ نجيناكم من آل فرعون الاية **وقوله** وانى فضلتكم على العالمين قيل فضلوا على جميع من على وجه الارض على الدواب بالجوهر وعلى الجن
بالرسل وعلى البشر بالايمان ويحتمل تفضيلهم على العالمين وجوها ايضا ما ذكرنا من بعث الانبياء منهم والنجاة من ايدى العدو واهلاك
العدو وهم يرونه وفرق البحر بهم والنجاة منه واهلاك العدو فيه وذلك من اعظم النعم ان ترى عدوك فى الهلاك وانت بمعزل منه آمن
وقوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم الى قوله فضلتكم على العالمين يحتمل افضال وابليهم وفى الاية وجهان على المعتزلة م
احدهما قوله اذكروا نعمتى عليكم وعندهم ان جميع ما فعل مما عليه الفعل ولو فعل غيره لكان يكون به جائرا فاذا كان تركه بفعله جائرا و
فعله حق عليه ولا احد يكون بفعل ما لا يجوز له الترك منعما على احد فثبت انه كان ثم منة معنى ذا بان خصهم بهم وان ليس التخصيص محاباة
كما زعمت المعتزلة ولا ترك لا نعام بخل كما قالوا والثانى قوله فضلتكم على العالمين فلو لم يكن منهم اليهم فضل معنى لم يكن لهم تفضيل على
غيرهم فثبت ان كان فيهم ذلك ومن قول المعتزلة ان ليس لله ان يخص احدا بشىء الا باستحقاق يفعله وبذلك هم فضلوا انفسهم
على العالمين لا هو فكيف يمن عليهم بذلك ولا قوة الا بالله معا لا يخلق تفضيله اياهم على غيرهم ومن ان يكون لهم الفضل فى الدين او لا
فان لم يكن فليس ذلك بتفضيل فان كانت ثبت ان ليس من الحق عليه التسوية بين الجميع فى اسباب الدين **وقوله** عز وجل واتقوا يوما
لا تجزى نفس عن نفس شيئا الاية والله اعلم كانها متاخرة فى المعنى وان كانت فى الذكر مقدمة لانه قال وانى فضلتكم على العالمين ثم ذكر الاصناف
والمن فقال واذ نجيناكم من آل فرعون الاية وقوله واذ فرقنا بكم البحر وقوله واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وذكرهم عز وجل عظيم نعمه

الا على الخاشعين

ومننه عليهم ليشكروا له وليعرفوا انها منه وانه فضل منه ثم حذرهم عز وجل فقال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية
ليكونوا على حذر ولئلا يصيبهم ما اصاب الامم السالفة من الهلاك وانواع العذاب بعد الامن والتوسع عليهم كقوله فلولا اذ جاءهم
بأسنا الى قوله فلما نسوا ما ذكروا به الآية ثم في الآية دليل القول ابي حنيفة واصحابه ان الولد يصير مشتوما بعز وبشتم والديه لما عيرهم
عز وجل بصنيع آبائهم بقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وهم لم يتخذوا العجل وانما اتخذوا ذلك آباؤهم وكذلك ذكر عز وجل صنعه ومننه
عليهم من نحو النجاة من الغرق واخراجهم من ايدي العدو وفرق البحر بهم واهلاك العدو وانما كان ذلك لآبائهم دونهم لكن ذكرهم
عز وجل عظيم منته على آبائهم ليشكروا له على ذلك وكذلك عيرهم بصنيع آبائهم من اتخاذ العجل واظهار الظلم ليكونوا على حذر من ذلك
والله اعلم وفي قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بما كان انعامي عليهم باتباعهم الرسول موسى عليه السلام وعليهم
فاتبعوا انتم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم واطيعوا له ولا تتركوا اتباعه وقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا قيل اي لا
يؤدي نفس عن نفس شيئا كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الآية وقوله ولا تقبل منها شفاعة قيل فيه بوجهين قيل لا
يكون لهم شفعاء يشفعون كقوله فما لهم من شافعين وكقوله فما له من ولي ولا شفيع وقيل لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم
كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا يؤذن لهم بالشفاعة كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله ولا يؤخذ منها عدل
والعدل هو الفداء اما من المال واما من النفس وذلك ايضا يحتمل وجهين يحتمل ان لا يكون لهم الفداء على ما ذكرنا في الشفيع ويحتمل ان
لو كان لا يقبل منهم كقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ثم
الوجوه التي تخلص المرء في الدنيا اذا اصابته نكبة بثلاث اما بفداء يفدي عنه مالا او نفسا واما بشفعاء يشفعون له واما بانصار
ينصرون له فيتخلص من ذلك فقطع عنهم عز وجل جميع وجوه التخلص في الآخرة والآية نزلت والله اعلم في اليهود والنصارى
وهم كانوا يؤمنون بالبعث والجنة والنار كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقوله لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ولذلك ذكر اسم الفداء والشفيع وما ذكر واما من لم يؤمن بالآخرة فلا معنى لذكر ذلك وقوله واذ نجيناكم من آل
فرعون قيل آل الرجل شيعته ولذلك قيل آل رسول الله قرابته وقيل كل مؤمن فهو من آله وعلى ذلك الامر بالصلوة عليه وعلى جميع من تبعه
وقوله يسومونكم سوء العذاب قيل فيه بوجهين قيل يقصدونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى الاستعباد والاستخدام بانفسهم وقيل
يسومونكم يذيقونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى ما يسومهم من تذبيح الابناء وتقتيلهم كقوله يذبحون ابناءكم اي ويقتلون ابناءكم
وقوله ويستحيون نساءكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ايضا يستحيون من الحياء اي يستحيون قتل النساء لما لا يخافون ويحتمل من الحياة
اي يتركون احياء فلم يقتلوهن وقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء محنة وهو النعمة كانه فيما نجيكم من فرعون وآله نعمة
عظيمة وقيل البلاء مقصورها الابتلاء والامتحان كانه قال في استعباده اياكم واستخدامه امتحان عظيم وقوله واذ فرقنا بكم البحر
قيل فرقنا اي جعلنا لكم البحر فرقا اي طرقا تمرون فيه وقيل فرقنا اي جاوزنا بكم البحر وقوله عز وجل واذ واعدنا موسى اربعين كان الوعد
لهم والله اعلم وعدان احدهما من الله عز وجل بصرف موسى اليهم مع التورية كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا والآخر كان من
موسى بانصرافه اليهم بالتورية على رأس اربعين ليلة كقوله فاخلفتم موعدي وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده يحتمل اتخذتم اي عبدتم
فاستوجبوا ذلك التعيير واللائمة بعبادة العجل لا باتخاذه نفسه ويحتمل اتخذتم العجل الها فاستوجبوا ذلك باتخاذهم الها كقوله واتخذ
قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى وهذا كانه اقرب وقيل اتخذتم اي صنعتم والله اعلم
وقوله وانتم ظالمون قيل في الظلم بوجوه قيل ان كل فعل يستوجب له الفاعل عقوبة فهو ظلم وقيل ان كل عمل لم يؤذن له فهو ظلم
وههنا حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم نسبهم الى الظلم لانهم ظلموا انفسهم وقيل ان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فسموا بذلك
لانهم وضعوا الالوهية في غير موضعها وهذا كانه والله اعلم اقرب وقوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لانه ينقض على المعتزلة
قولهم لانهم يزعمون ان الله اذا علم من احد انه يؤمن به في آخر عمره وان طال او يكون من نسله من يؤمن الى آخرها لا بد لم يكن له ان يميته و
لا له ان يقطع نسله فاذا كان على الله ان يبقيهم ولا يقطع نسلهم لم يكن للامتنان عليهم ولا للافضال وطلب الشكر منهم معنى
لفعل عز وجل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما عليه ان يفعل لم يكن فعله فعل امتنان ولا فعل افضال لانه عز وجل من عليهم بالعفو لا بانهم
لانه لو اهلك اباءهم وقطع تناسلهم انقرضوا وتفانوا ولم يتوالدوا فالمنة عليهم حصلت لذلك طلب منهم بالشكر له والله اعلم والا
كان هذا ما وصفنا دل ان ليس على الله ان يفعل الاصلح لهم في الدين وبالله التوفيق وقوله لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا وكذلك قوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لكي يوحدون وذلك يحتمل ان يشهد خلقته كل احد على وحدانيته وكذلك يشكر خلقته كل احد له
ويحتمل عبادة الاخيار بوحدانيته والشكر له بما انعم عليه وافضل عليه وذلك يرجع الى من يعبد ويوحد ويحتمل خلقهم ليأمرهم با
لعبادة والشكر له من احتمل منهم لامر بذلك وقوله واذ آتينا موسى الكتاب يعني التورية والكتاب اسم لكل مكتوب وقوله والفرقان
قيل سميت فرقانا لما فرق ويبين فيها الحلال والحرام وكل كتاب فرق فيه الحلال والحرام فهو فرقان وقيل يسمى فرقانا لما فرق فيه بين الحق
والباطل وهما واحد وقيل سميت التورية فرقانا لما فيها المخرج من الشبهات وقيل لانه على الاضمار كانه قال واذ آتينا موسى الكتاب يعني

التورية

التورية ومحمدا صلى الله عليه وسلم الفرقان كقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وقوله لعلكم تهتدون فالكلام فيه كالكلام في
قوله لعلكم تشكرون وقد ذكرناه ما امكن والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
الى عبادة ربكم وقيل ارجعوا عن اتخاذ العجل الها الى اتخاذ خالقكم الها وقوله عز وجل فاقتلوا انفسكم قال الفقيه ابو منصور رحمه الله
لولا اجماع اهل التأويل والتفسير على صرف ما امر الله تعالى اياهم بقتل انفسهم على حقيقته والا لم نكن نصرف الامر بقتل انفسهم
على حقيقة القتل وذلك لان الامر بالقتل كان بعد التوبة ورجوعهم الى عبادة الله والطاعة له والخضوع دليله قوله عز وجل
ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ظهر بهذا انهم تابوا قبل ان
يؤمروا بالقتل وقد شرع على السن الرسل قتال الكفرة حتى يسلموا فلا يجوز ذلك ان اسلموا فيحصل الارسال للقتل خاصة لا للدين والله
اعلم ولان القتل هو عقوبة الكفر لا عقوبة الاسلام وخاصة قتل استيصال على في الخبر ان قتل سبعون الفا في يوم واحد وذلك استيصال
واهلاك ولم يهلك الله قوما الا في حال الكفر والعناد اذ الاسلام سبب درء القتل واسقاطه لان من يقتل لكفره اذا اسلم سقط القتل
عنه وزال وكذلك اذا اسلم وتاب ومات عليه يعاقب في الآخرة لكفره في الدنيا فعلى ذلك يجب ان لا يعاقب هؤلاء في الدنيا بالقتل بعد
التوبة والرجوع الى عبادة الله تعالى وطاعته ونصرف الامر بالقتل الى اجتهاد انفسهم بالعبادة لله والطاعة له واحتمال الشدائد و
المشقة لتفريطهم في عصيان ربهم باتخاذهم العجل الها وبعبادتهم اياه دون الله وذلك جائز في الناس يقال فلان يقتل نفسه في كذا
لا يعنون حقيقة الامر ولكن اجتهاده نفسه في ذلك واتعابه اياها واحتمال الشدائد والمشقة فيه فعلى ذلك يصرف الامر بقتل انفسهم
الى ما ذكرنا بالمعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم اصرف ذلك الى حقيقة القتل ان احتمل وجهان احدهما ان يجعل ذلك ابتداء محنة من الله تعالى
لهم بالقتل لا عقوبة لما سبق من العصيان ولله ان يمتحنهم ابتداء بقتل انفسهم كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او
اخرجوا من دياركم الآية على تأويل كثير من المتأولين في ذلك اذ له ان يميتهم في جميع انواع الاماتة فعل ذلك له ان يأمرهم بقتل انفسهم
وفيه اماتة معا فيه الاستسلام لعظيم ما دعوا اليه من بذل النفس لله تعالى في مثله جعل وقد ابتليهم الامر بالذبح وبذل ولده النفس له
فيكون في ذلك القدر وكان توبة لا حقيقة القتل والله اعلم والثاني يجوز ذلك لانه عقوبة الدنيا وعقوبات الدنيا وثوابها محنة
لجاز الامتحان بعد التوبة والرجوع الى طاعة الله لانها دار محنة واما عقوبات الآخرة وثوابها ليست بمحنة لانها ليست بدار امتحان
ولذلك جاز التعذيب في الدنيا بعد التوبة ولم يجز في الآخرة اذا مات على التوبة والله اعلم ثم قيل في قوله اقتلوا انفسكم بوجوه قيل
امروا ببذل الانفس بالقتل والتسليم له فصاروا كان قد قتلوا انفسهم ويجوز ان يكون الامر بقتل انفسهم امرا بمجاهدة الاعداء
وان كان فيما تلفهم على ما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الآية مذكور ذلك في التورية وكذا قوله لا يسفكون دماءكم
نهي عن القتل الذي فيه قتل انفسهم وقد قيل في قوله لا تقتلوا انفسكم بمعنى اي لا تقتلوا من تقتلون فكانما قتلتم انفسكم وعلى
هذا التأويل خرج ابو بكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم والله الموفق وقيل امر بعضا بقتل بعض كقوله فسلموا على انفسكم
تحية اي يسلم بعضهم على بعض وقيل امر كل من عبد العجل بقتل والله اعلم وقوله ذلكم خير لكم قيل ان التوبة خير لكم عند خالقكم وقيل
قتل انفسكم خير لكم من لزوم عبادة العجل ويحتمل عبادة الرب عز وجل خير لكم من عبادة العجل والله اعلم وقوله فتاب عليكم انه
هو التواب الرحيم وقد ذكرنا المعنى في ذلك فيما تقدم وفي بذل انفسهم للقتل والصبر عليه وكف ايديهم عن الدفع والممارسة فيه و
جهان احدهما انهم كانوا طبعوا على اخلاق البهائم والدواب وذلك ان موسى عليه السلام استنقذهم من خدمة فرعون وآله وتحملهم
من الشدائد التي كانت عليهم وخوف الوعيد واراهم من الآيات العجيبة من آية العصا واليد البيضاء وخرق البحر واهلاك العدو فيه
وتفجير الانهار من حجر واحد وغير ذلك من الآيات ما يكثر ذكرها ان لو كانت واحدة منها لكفتهم ودلتهم على صدقه ونبوته
ثم مع ما اراهم من الآيات اذا فارقهم دعاهم السامري الى عبادة العجل واتخاذه الها كقوله هذا الهكم واله موسى فنسي فاجابوه
الى ذلك واطاعوه وكان هرون صلوات الله على نبينا وعليه فيهم يقول يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري
فلم يجيبوه ولا صدقوه ولا اكثروا اليه مع ما كان هرون من احب الناس اليهم فلولا انهم كانوا مطبوعين على اخلاق البهائم والدواب
والا ما تركوا اجابته ولا عبدوا معاد واعن الآيات التي ذكرنا فاذا كان الى هنا يرجع اخلاقهم ما لوا الى بذل انفسهم للقتل والله
اعلم ونحو ذلك قوله قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وعلى ذلك جعلنا آيات موسى كلها حسية لا عقلية اذ عقولهم كانت
تقصر عن فهم المحسوس ورد كثيرا من المستدل عليه والله اعلم والثاني يحتمل ان راوا ثواب صبرهم في الآخرة وجزيل جزائهم وكريم
مآبهم فهان ذلك عليهم وخف كما روي ان امرأة فرعون لما علم فرعون بعبادتها وطاعتها لله امر ان يعاقب باشد العقوبات
فعل بها فضحكت في تلك الحال لما رأت مقامها في الجنة وكريم مآبها فهان ذلك عليها وسهل فعلى ذلك يحتمل بذل هؤلاء انفسهم و
الصبر عليه لذلك والله اعلم وقوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال بعضهم قال الذين اختارهم موسى سبعين
رجلا لن نصدقك بالرسالة والتورية حتى نرى الله جهرة يخبرنا انه انزل عليك ويحتمل لن نؤمن لك انه اله ولا نعبده حتى نراه
جهرة عيانا فاحتج بعض من ينفي الرؤية في الآخرة بهذه الآية حيث اخذتهم الصاعقة لما سألوا الرؤية قالوا فلو كان يجوز ان يرى لكان لا تأخذهم

الصاعقة ولا استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة واما عندنا فليس في الايات دليل ينفي الروية بل فيها اثباتها وذلك ان موسى عليه
السلام لما سالوا الروية لم ينههم عن ذلك ولا قال لهم لا تسالوا هذا وكذلك سال هو ربه الروية فلم ينهه عنها بل قال ان استقر مكانه فسوف
تراني ونحو هذا الوعد لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لانه كفر وحال ترك النهي عنه وكذلك ما روي في الاخبار من سوال الروية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قالوا انرى ربنا لم يات عنه النهي عن ذلك ولا الرد عليهم فلو كان لا يكون لنهوا عن ذلك ومنعوا واما اخذ
هولاء الصاعقة ليس لهم الروية لانهم لم يسالوا سوال الاسترشاد وانما سالوا سوال تعنت دليل التعنت فيما جاء من الايات من وجه
الكفاية لمن ينصف لذلك اخذتهم الصاعقة والله اعلم او ان يقال اخذتهم الصاعقة بقولهم لن نومن لك لا بقولهم حتى نرى الله جهرة و
سنذكر هذه المسالة في موضعها ان شاء الله تعالى **وقوله** الصاعقة قيل الصاعقة كل عذاب فيه هلاك لكن الهلاك على ضربين هلاك
الابدان والانفس وهلاك العقل والذهن كقوله وخر موسى صعقا قيل مغشيا وفيه هلاك الذهن والعقل وكذلك قوله فصعق من في السموات
ومن في الارض اي غشي والله اعلم وقيل الصعقة صياح شديد **وقوله** وانتم تنظرون قيل بوجهين قيل يعلمون ان الصاعقة قد اخذتهم
واهلكتهم بقولهم الذي قالوا فكونوا انتم على حذر من ذلك القول وقيل وانتم تنظرون الخطاب لاولئك الذين اخذتهم الصاعقة اي
تنظرون الى الصاعقة وقت اخذتها لكم اي انا ناخذكم جهارا ولا بغتة ولكن عيانا جهارا والله اعلم **وقوله** ثم بعثناكم من بعد موتكم
لعلكم تشكرون يذكرهم عز وجل عظيم منته عليهم وجزيل عطاياه لهم ببعثهم بعد الموت وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى من السماء
لهم وذلك مما خصوا به دون غيرهم ثم ما كان لنا من الموعود في الجنة فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة من نحو البعث بعد الموت ومن الظل
الممدود والطير المشوي والثياب التي كانت لا تبلى عليهم ولا تتوسخ فذلك كله مما وعد لنا في الجنة وكان لهم في الدنيا معاينة يعاينون
معا كان لهم هذا لم يجيبوا الى ما دعوا ولا ثبتوا على ما عهدوا وذلك لغلبة عتوهم وغلظ افهامهم وتشوهم على اخلاق البهايم والدواب
والله اعلم **وقوله** كلوا من طيبات ما رزقناكم يحتمل وجهين يحتمل ما لم يجعل لهم الفضل على حاجتهم فاباح لهم القدر الذي لهم اليه حاجة و
سماه طيبات ويحتمل ان سماه طيبات لما لا يشوبهم داء يوذيهم ولا اذى يصيرون بهم ليس كطعام الدنيا مما لا يسلم عن ذلك والله اعلم وقد
قيل الطيب هو المباح الذي يستطيبه الطبع ويتلذذ به النفس **وقوله** وما ظلمناهم الاية وقد ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم وقد يحتمل وجها
اخر وهو النقصان كقوله كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص عنه وحاصله ما ذكرنا ان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه
فكل ما ذكرنا الى واحد **وقوله** واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اختلف في تلك القرية قيل انها بيت المقدس كقوله ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم امروا بالدخول فيها والمقام هنالك لسعة عيشهم فيها ورزقهم اذ هو الموصوف بالسعة والخصب و
قيل ان تلك القرية التي امروا بالدخول والمقام هنالك قرية على انقضاء التيه والخروج منها غير ان ليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة وانما
الحاجة الى تعرف الخلاف الذي كان منهم وما لحقهم بترك الطاعة له والايتمار والله اعلم **وقوله** وكلوا منها حيث شئتم رغدا والرغد
قد ذكرنا فيما تقدم انه سعة العيش وكثرة المال **وقوله** وادخلوا الباب سجدا يحتمل المراد من الباب حقيقة الباب وهو باب القرية
التي امروا بالدخول فيها ويحتمل من الباب القرية نفسها لا حقيقة الباب كقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ذكر القرية ولم يذكر الباب وذلك
في اللغة سايغ جايز يقال فلان دخل في باب كذا لا يعنون حقيقة الباب ولكن كونه فيما هو فيه **وقوله** سجدا يحتمل المراد من السجود حقيقة
السجود فيخرج على وجه يخرج على التحية لذلك المكان ويحتمل على الشكر له لما اهلك اعداءهم الذين كانوا فيها كقوله ان فيها قوما جبارين
ويحتمل حقيقته لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل امروا بالدخول سجدا فدخلوا متحرفين
فاصابهم ما اصابهم بخلاف فهمهم امر الله ويحتمل الكناية عن الصلوة ان العرب قد تسمي السجود صلوة كانهم امروا بالصلوة فيها ويحتمل لا
بالسجود لا حقيقة السجود والصلوة ولكن امروا بالخضوع له والطاعة والشكر على ايادية التي اسداها اليهم واذن من سعة العيش والتصرف
فيها في كل حال والله اعلم **وقوله** وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم قيل بوجهين قيل الحطة هو قول لا اله الا الله سميت حطة لانها تحط
كل خطيئة كانت من الشرك وغيره فكانهم امروا بالاسلام والايمان وقيل قولوا حطة اي اطلبوا المغفرة والتجاوز عما ارتكبوه من المآثم
والخطايا والدامة على ما كان منهم فكانهم امروا ان ياتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك والله
اعلم وذلك يحتمل الشرك والكبائر وما دونها ذكر عز وجل مرة خطايا ومرة خطيئات ومرة قال ادخلوا ومرة قال اسكنوا ومرة قال فانزلنا ومرة
قال فارسلنا والقصة واحدة حتى يعلم ان ليس في اختلاف الالفاظ والالسن تغيير المعنى والمراد ان الاحكام والشرايع التي وضعت لم
توضع للاسامي والالفاظ ولكن للمعاني المدرجة والمودعة فيها والله اعلم **وقوله** وسنزيد المحسنين يحتمل المراد من المحسنين المعلم
الذي كان اسلم قبل ذلك ويحتمل الذي اسلم بعد قوله قولوا حطة وكان ذلك الى ذلك الوقت والزيادة يحتمل التوفيق بالاحسان من
بعد كقوله فاما من اعطى واتقى الاية ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين الاية **وقوله** فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم قوله بدل يحتمل احداث ظلم بعد ان لم يكن والخلاف لما امرهم به عز وجل ويحتمل نشوهم على غير الذي قيل لهم ولم
يبين ما ذلك القول الذي بدلوا وليس لنا الى معرفة ذلك القول حاجة انما الحاجة الى معرفة ما يكون منهم بالتبديل وترك العمل بامره والخلاف
له فقد تولى الله بيان ذلك بفضله وبالله التوفيق **وقوله** فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء قيل الرجز هو العذاب المنزل من

السماء على ايدي الملائكة كعذاب قوم لوط وغيره وعذاب ينزل من السماء لا على ايدي احد من نحو الصاعقة والصيحة ونحوها **وقوله**
بما كانوا يفسقون مرة ذكر يظلمون وهو واحد وفي هذه الاية التي ذكرنا والانباء التي وصفنا دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
واثبات نبوته وذلك ان اهل الكتاب كانوا عرفوا هذه الانباء بكتبهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهدهم كما في كتابهم
ولم يكن ظهر منه اختلاف اليهم ولا درس كتابهم فدل انه بالله عرف وكان فيها تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصبر عليهم
الظهور الخلاف له من قومه وترك طاعتهم اياه وان ذلك ليس باول خلاف له من قومه ولا اول تكذيب بل كان من الامم السالفة
لانبيائهم ذلك فصبروا عليه فاصبر انت كما صبروا كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم الاية **وقوله** واذ استسقى
موسى لقومه يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم اليه فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قد ذكرنا فيما تقدم ان الله عز وجل
قد اراهم من عصاه ايات عجيبة من نحو الثعبان الذي كان يتلقف ما يافكون كقوله فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون وقوله
فاذا هي ثعبان مبين ومن ضرب البحر بها حتى انفلق كقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ومن ضرب الحجر بها وانفجار العيون منه
وغير ذلك من الايات مما يكثر ذكرها عز وجل من ايات رسالته وايات نبوته وفيما اري من عجيب اياته دلالة حدوث العالم وابداعه لا من شيء
لانه عز وجل قد اخرج بلطفه من حجر يصغر في نفسه مما يحمل من مكان الى مكان من الماء ما يكفي الخلق لا يحصى عددهم وفجر منه انهارا لكل
فريق نهر على حدة ثم لا يحتمل كون ذلك الماء بكليته فيه لصغره وخفته ولا كان ينبغي ذلك من اصله فاذا كان هذا كما ذكرنا ظهر ان الله عز وجل
كان ينشي ذلك الماء فيه ويحدث من لا شيء لان ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من اصله فاذا كان قادرا على هذا القادر على انشاء العالم لا
من شيء سبق ولا اصل تقدم وكذلك ما اراهم عز وجل من العصا الثعبان والحية لم يكن من جوهرها ولا من اصلها ولا تولدها منها بل انشاء
ذلك وابدع بلطفه والله الموفق **وقوله** فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قيل كانوا اثني عشر سبطا بقوله اثني عشر نقيبا وهم بنو يعقوب فجعل
لكل سبط نهرا على حدة فانقسم كل فريق الى نهره الذي كانوا منه ولم ينضموا الى اعمامهم وبني اعمامهم ففيه المواريث لا تنصرف الى غير
الاباء الا بعد انقطاع اهل الاتصال بالاباء وفيه دلالة ان القوم في الصحاري والبراري يتولون بحوعا على غير متفرقين ولا متباعدين
وان كان ذلك انفع لهم واهون عليهم من جهة الرعي والربع وسعة المنازل وفي الاول اسبق المعنى الذي وصفنا والله اعلم **وقوله**
قد علم كل اناس مشربهم اي موردهم وفيه دلالة قطع التنازع ودفع الاختلاف من بينهم لما بين لكل فريق منهم موردا على حدة ولو
كان مشتركا لخيف وقوع التنازع والاختلاف بينهم وفي وقوع ذلك بينهم قطع الارحام والانساب وبالله التوفيق **وقوله** كلوا
يعني المن والسلوى **وقوله** واشربوا من الماء الذي اخرج لهم من الحجر وكلاهما رزق الله الذي ساقه اليهم من غير تكلف ولا مشقة **وقوله**
ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل لا تسعوا في الارض بالفساد ويحتمل لا تعثوا اي لا تفسدوا الا ان العثو هو الفساد نفسه كانه قال لا تفسدوا
في الارض وتكونوا مفسدين **وقوله** واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قيل فيه بوجوه قيل اول ما انزل المن فمن ذلك
قالوا لن نصبر على طعام واحد ثم انزل السلوى وقيل كانوا يتخذون من المن القرص فياكلون مع السلوى فهو طعام واحد فقالوا لن نصبر عليه
ويحتمل ان يكون طعامهم في اليوم مرة فطلبوا الاطعمة المختلفة والله اعلم **وقوله** فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها و
قثائها وفومها وعدسها وبصلها قال يبين لنا معنى اضافة الاشياء الى الله عز وجل يخرج لنا مخرج التعظيم لذلك الشيء المخصوص من ذلك
قوله بيت الله ورسول الله وناقة الله هذا كله يخرج مخرج التعظيم بهذه الاشياء باضافة كلية الاشياء الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب
واجلاله عموما قال رب كل شيء وخالق كل شيء ورب السموات والارض ونحو هذا كله وصف تعظيم الرب واجلاله وقد اختلف في الفوم
هو الثوم وكذلك روي في قراءة عبد الله انه قراه وثومها وقيل الفوم هو البر **وقوله** اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قيل في ادنى
بوجوه قيل ادنى في القيمة وقيل ادنى في الخطر والرغبة وقيل ادنى في المنافع وقيل ادنى لما لا يصل هذا اليهم الا بالمونة والمشقة وذلك لهم
بلا مونة ولا مشقة فهو خير وكل يرجع الى واحد والله اعلم ويحتمل ادنى اي ادون واقل ولا شك ان ما طلبوا وسالوا دون الذي كان لهم
ويحتمل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قد اعطوا ولو كان ذلك اصلح لهم في الدين لم يكن موسى ليلومهم عليه ثبت انه لم يكن
ثم اعطوا ذلك ثبت ان الله تعالى قد يجوز له في الحكمة فعل ما كان غيره اصلح لهم في الدين ولا قوة الا بالله وقيل اهبطوا مصرا قيل المصر المعروف
وقيل مصر من الامصار لان ما طلبوا لا يوجد الا في الامصار وبالله التوفيق **وقوله** فان لكم ما سالتم من الاطعمة المختلفة ان كان المراد
منه المراد وان كان الاطعمة المختلفة فهو كما قال **وقوله** فضربت عليهم الذلة قيل فيه بوجوه قيل الذلة ذلة احتمال المونة و
الشدايد لما سالوا من الاطعمة المختلفة وقيل الذلة ذلة الجزية والصغار بعصيانهم نهم وقيل ذلة الكسب والعمل لان الاول كان
ياتيهم من غير كسب ولا مونة والمسكنة قيل ذي الفقر والحاجة وقيل قطع رجائهم عن الاخرة لما عصوا ربهم **وقوله** وباءوا بغضب
من الله قيل فيه بوجوه قيل باءوا رجعوا وقيل استوجبوا وقيل اقروا وكله يرجع الى واحد **وقوله** ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
قد ذكرنا فيما تقدم ان الايات هي الحجج التي اعطى الرسل واجراها على ايديهم وقال الحسن هو دين الله **وقوله** ويقتلون النبيين بغير الحق
يحتمل ان يكون هذا في غيرهم لانه لم يكن في زمن موسى نبي سوى هرون وهم لم يقتلوه الا ان يقال ان ذلك كان من اولادهم بعد موسى او كان
ذلك من غيرهم سوى هولاء واولادهم على ان قتل الانبياء في بني اسرائيل كان ظاهرا حتى قيل قتل في يوم كذا نبيا ولم يذكر قتل رسل من الرسل

وذلك والله اعلم لقوله انا لننصر رسلنا ولقوله انهم لهم المنصورون اخبر انه لم ينصرهم وانهم منصورون ومن كان
الله ناصره فهو المنصور ابدا ولان الرسل هم الذين اوتوا الايات من المعجزة فلم يكن لهم استقبال الرسل بذلك الايات التي كانت
معهم واما الانبياء فلم يكن معهم تلك الايات المعجزة وانما كانوا يدعون الخلق الى دين الله بالايات التي كانت معهم بذلك
كان ما ذكر والله اعلم قال قوم لم يقتل احد من الرسل وانما قتل الانبياء او رسل الرسل فان كان كذلك فعلى ذلك يخرج ما ذكرنا
من الايات وان لم يكن فالنصر كان بالحجج والايات فكانت تلك الكل وعلى ذلك لا دلالة في كون الايات مع الانبياء وبغير كونها
فان لم يكن لهم ابتداء شرع ولا نسخ بل على الدعاء الى ما سبق من الشرائع وكانت اياتهم كايات الرسل او دلالات العصمة معا كان
بهم حفظ الكتب السماوية بلا تبديل والله اعلم بالحق في ذلك ونعتصم بالله عن بسط اللسان في ذلك بالذي يبعد ولن شيء ظهر
على السن الرسل والعقول فيهم بشيء ان كانت ايته لكل او لا لكن الله تعالى قد اقام حجته لكل على قدر الكفاية والتمام وقوله ان الذين
امنوا والذين هادوا والنصارى الاية قيل ان لليهود والنصارى وهؤلاء جاز ان يكون لهم تعلق بظاهر هذه الاية لانهم يقولون
انا امنا بالله وامنا باليوم الاخر فليس علينا خوف ولا حزن لكن الجواب لهذا وجوه احدها انه ذكر المؤمنين بقوله ان الذين امنوا
وايمانهم ما ذكر في اية اخرى وهو قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد منهم وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وفرقوا بين الكتب ايضا امنوا ببعض وكفروا ببعض فهؤلاء الذين
ذكرهم عز وجل في هذه الاية هم الذين امنوا بجميع الرسل وامنوا بجميع الكتب ايضا فاذا كان هذا ايمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن والثاني
ذكر الايمان بالله هو الايمان بجميع الرسل وجميع الكتب وانهم لا يؤمنون بالله ولا يعرفون في الحقيقة والثالث ذكر عمل الصالحات والكفر
ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات لذلك بطل تعلقهم بهذا والله اعلم وقيل في ذلك على التقديم والتاخير كانه قال ان الذين هادوا
والنصارى من امن منهم بالله واليوم الاخر والذين امنوا الاية وللمعتزلة تعلق ايضا بظاهر قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصاحب
الكبيرة عليه خوف وحزن فلو كان مؤمنا لكان لا خوف عليه ولا حزن انه اخبر ان المؤمن لا خوف عليه ولا حزن فدل انه يخرج من
ايمانه اذا ارتكب كبيرة فيقال لهم لم ينف عنهم الخوف والحزن في كل الوقت فيحتمل ان يكون عليه خوف في وقت ولا حزن عليه
في وقت اخر لان لكل مؤمن خوف البعث وفزع حتى الرسل بقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا الاية ثم
من هول ذلك اليوم فاذا دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب ذلك الخوف والفزع عنهم فعلى ذلك المؤمن يكون له خوف في وقت ولا
خوف عليه في وقت اخر والله اعلم واختلف في الصابئين قيل الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور وقيل انهم قوم يعبدون
الكواكب وقيل هم قوم بين المجوس والنصارى وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس وقيل هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة يقولون بالتناسخ
لا كتاب لهم ولا علم لنا بهم وقوله واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا فيما تقدم ان ميثاق الله وعهده على وجهين عهد خلقة و
فطرة وعهد رسالة ونبوة قوله واذ اخذنا ميثاقكم في التورية ان يعملوا بما فيها فنقضوا ذلك العهد لما راوا فيها الحدود والاحكام
والشرائع كرهوا فرفع الله الجبل فوقهم فقبلوا ذلك ويحتمل ما ذكرنا من عهد خلقة وفطرة فنقضوا ذلك وقوله خذوا ما اتيناكم
بقوة قيل خذوا التورية بالجد والمواظبة وقيل بقوة يعني بالطاعة له والخضوع ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الاية على تقدم القدرة
الفعل لانه امرهم عز وجل بالقبول له والاخذ والعمل بما فيها فلو لم يعطهم قوة الاخذ والقبول له قبل الاخذ له والفعل لكان
لا يامرهم بذلك لانهم يقولون لا قوة لنا على ذلك فدل انه قد اعطاهم قبل ذلك لكنه غلط عندنا لانه لو اعطاهم القوة قبل الفعل
ووقت الامر به ثم تذهب عنهم تلك القوة وقت الفعل لكان الفعل بلا قوة اذ من قولهم ان القوة لا تبقى وقتين فدل انها تحدث
بحدوث الفعل لا يتقدم ولا يتاخر ولكن يكونان معا ولانها سميت قدرة الفعل فلو كانت تتقدم الفعل لم يكن لاضافة الفعل
اليها معنى والله اعلم والاصل في ذلك ان الله تعالى قال خذوا ما اتيناكم بقوة ومن المعلوم ان المراد من ذلك الاخذ بقوة الاخذ ثم فيه
وجهان احدهما ان الاخذ قوة غير التي للترك والثاني انه ذكر الاخذ بقوة فاذا لم تكن معه لم يكن بها اذ يرى ان الوقت اذا تباعد
لم يحتمل بما تقدم من القوة اوقاتا فنقله وقت واحد وقوله واذكروا ما فيه قيل فيه بوجوه قيل اذكروا احفظوا ما فيه من امره و
نهيه ولا تضيعوه لعلكم تتقون المعاصي والماثم ويحتمل اذكروا ما فيه من التوحيد والايمان لعلكم تتقون الشرك والكفر ويحتمل
اذكروا ما فيه من الاحكام والشرائع ويحتمل الثواب والعقاب والوعد والوعيد وكله واحد وقوله ثم توليتم من بعد ذلك يعني
من بعد القبول دل هذا على انهم كانوا قبلوا ذلك مرة قبل ان ياتيهم موسى بها فلما اتاهم راوا التشديد والمشقة ابوا قبولها و
تركوا العمل بما فيها من الاحكام والشرائع فخوفوا برفع الجبل فوقهم فقبلوا ذلك والله اعلم وقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته
يحتمل وجوها فضل الله عليكم الاسلام ورحمته القران قيل فضل الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعث اليكم رسولا يجمعكم ويؤلف
بينكم ويدعوكم الى دين الله الحق بعد ما كنتم في فترة من الرسل وانقطاع من الدين والعلم ويحتمل فضل الله عليكم لما انجاكم من
العذاب ولم يرسل عليهم الجبل والا لما تولدتم وقيل فضل الله عليكم لما اعطاهم التورية ووفقهم على قبولها والا لكنتم من
من الخاسرين وبعضه قريب من بعض وقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا فيه دلالة اثبات محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ولقد علمتم

ان محمدا

ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الذين اعتدوا منكم في السبت ولا كان علم ما فعل بهم ثم علم ذلك فانما علم بالله عز وجل لانه لم
يكن قرا كتابكم ولا كان يختلف الى احد ممن يعرف ذلك فبالله عز وجل عرف ذلك وبه علم فدل انه رسول الله اليكم ويحتمل قوله و
لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي علمتم ما اصاب اولئك باعتدائهم يوم
السبت بالاصطياد وكنتم تقولون نحن ابناء الله واحباؤه يعني ابناء رسل الله واحباؤه فلو كان كما تقولون لم يكن يجعلهم
قردة وهي اقبح خلق الله واوحشه اذ مثل ذلك لا يفعل الاحباء والابناء وان يحمل على التحذير لهؤلاء لئلا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولا يعصوه في امره فيصيبكم ما اصاب اولئك بتكذيبهم موسى وعصيانهم امره والله اعلم ثم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان
والله اعلم لما قيل ان موسى اراد ان يجعل يوما خالصا للطاعة له والعبادة فيه وهو يوم الجمعة فخالفوه امره ونهيه وقالوا يجعل ذلك
اليوم السبت لانه لم يخلق فعل تحريم الاصطياد في ذلك اليوم لذلك وحولوا امره عقوبة لهم نهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا وعلى
ذلك تاويل قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة وقيل اختلفوا فيه يعني في الله ثم اختلف في قوله كونوا قردة ثم
قال قوم قوله كونوا قردة من الاصل على ذهاب الانسانية منهم وقيل حول جوهرهم الى جوهر القردة على ابقاء الانسانية فيهم من الفهم
والعقل لانه قيل ان الذين كانوا ينهونهم عن الاصطياد في ذلك اليوم دخلوا عليهم فيقولون لهم الم ننهكم عن ذلك ونزجركم فادلوا
اي نعم ودموعهم تنقض على خدودهم فلو كان التحويل على ذهاب جميع الانسانية منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا حزنوا على ما
لان كل ذي جوهر راض بجوهره الذي خلقه الله سبحانه فيه ولان تحويله اياهم قردة عقوبة لمزدهم في التكذيب وجزاء لهم على الله
ليعلموا ذلك ويروا انفسهم اقبح خلق الله واوحشه وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس في خلق الله قبيح فلو لم يكن في خلق الله
قبيحا لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الانسان الى اقبح صورة معنى ليروا قبح انفسهم عقوبة لهم بما عصوا امر الله ودخلوا في نهيه
وقوله فجعلناها نكالا قيل اهلكاه راجعة الى القرية التي كانوا فيها وقوله لما بين يديها من اهل القرية وما خلفها حواليها وقيل اراد
بالهلاك القرية لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى وقيل اراد بالهلاك العقوبة والنكال لما بين يديها يعني لما مضى من الذنوب
وما خلفها يعني ما بقي والله اعلم وقوله خاسئين يعني قيل الخاسي الصاغر وقيل الخاسي الذليل وقيل البعيد وكله يرجع الى واحد
والله اعلم وقوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قيل قتيل قتل في بني اسرائيل والقي على باب غيرهم فثار
غوغاؤهم واختلفوا فامرهم الله بلسان موسى ان يذبحوا بقرة فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاضربوا ببعضها ذلك الميت فيحيى فيقول
من قتلني قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قال بعضهم كفروا بهذا القول لانهم سموه هازيا ومن سمى رسولا
من الرسل هازيا لكفر الا ترى انهم قالوا في الاخر الان جئت بالحق دل ان ما قال لهم اول مرة ليس بحق عندهم وليس هذا بشيء ولا يحتمل
ما قالوا ولكن يحمل على المجازاة كانهم قالوا اتجازينا بهذا لما مضى منا وسبق من العصيان بك والخلاف لك لما لم نعلم انه من عند الله
بامره بذلك وهذا وامثاله على المجازاة جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر كله على المجازاة جائز وكقول نوح لقومه
انا نسخر منكم كما تسخرون على المجازاة فكذلك الاول واما الاستهزاء فيما بين الخلق فهو جهل يسخر بعضهم ببعض لجهل باحوال انفسهم
اذ كلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة وتركيب الجوارح وتصوير الصور وتمثيلها الا ترى ان موسى اجاب لهم عن الهزء بالجهل فقال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين دل ان الهزء في الخلق جهل فيهم وبالله التوفيق ثم استدل قوم بهذه الاية على عموم الخطاب وقت
قرع السمع لانه امرهم بذبح بقرة لم يبين لهم كيفيتها ولا ماهيتها وقت الخطاب الا بعد البحث والسؤال عنها فثبت دل على العموم الا ترى
ما روي في الخبر لو عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا لا يصح لانه دعوى على الله حدوث
شيء في امره وبدو في حكمه وذلك كفر لا يقول مسلم فضلا عن ان يقوله رسول من الرسل تاويل هذا انه قال انه يقول كذا فلو كان الاول
غير ذلك لكان قد اله فيما عمر وفسر ما لم يكن اراد وذلك معنى البداء بل معنى الرجوع عن الاول مما اراد والتفسير له بغيره ولا يقع
الا بالله ثم في الاية دليل خصوص الخطاب من وجهين احدهما اخذ كل اية خرجت في الظاهر على العموم وهو مرادها ثم ظهر الخصوص فهو
بدو وحدوث في الاحكام والشرائع فذلك حال من جهل العواقب والنهايات تعالى الله عن ذلك ومعنى سؤالهم بحثا عن التبيان
عما اريد جعل ذلك اية فوقع عندهم ان لا كل بقرة تصلح للايات ولذلك لو لم يسالوا موسى عن تفسيرها انه تعالى هو الذي يعلم
الايات والحرف الثاني هو الاول الذي قلنا اليه انصرف المراد في الابتداء لما يوجبه وان الامر بالذبح في الابتداء كان على ما الامر
اليه وظهر لكنهم امروا بالسؤال عنها والبحث عن احوالها ليصلوا الى المراد فيه الا انه احدث لهم ذلك بالسؤال وعلى ذلك ما روي في الخبر
ان صلة الرحم تزيد في العمر لما علم من عبده انه يصل رحمه جعل مدة عمره اكثر مما لو علم انه لا يصل لانه يجعل اجله الى وقت فاذا وصل رحمه
زاد على ذلك لا على ما يقوله المعتزلة ان الله تعالى يجعل لكل احد اجلين فاذا وصل اماته في ابعد الاجلين واذا لم يصل جعل اجله الاول فهذا
امر من يجهل العواقب فاما من كان عالما بالعواقب فلا لانه بدو ورجوع عما تقدم من الامر ثم استدل بهذه الاية بقبول دعوى المقتول وجه
لاوجه احدها ما لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح منه ان فلانا قتلني في قطع حق الميراث واغرام الدية والثاني كان اية عظيمة
لهم لم يكن ذلك الا خبرهم والثالث ان اولياء المقتول قد كانوا قبل ان يحيى يدعون عليهم القتل فلو كان لهم حق القبول لم يحتج الى تلك

لاية والرابع ان قبول قول الميت احق من قبول قول الولى لان الولى ينتفع بقوله والميت لا ينتفع بقوله شيئا ثم القتيل لا يقبل قوله
فى شريعتنا فكذلك الولى والله الموفق ثم وجه وحكمة جعل البقرة اية دون غيرها من البهايم وجهان لما روى ان رجلا كان بارا
بوالديه محسنا اليهما عاطفا اليهما وكانت له بقرة على تلك الصفة والشبه فاراد الله عز وجل ان يوصل اليه فى الدنيا جزاء ما كان منه بكا
والديه والثانى انهم يعبدون البقور والعجاجيل وحب ذلك اليهم كقوله واشربوا فى قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الرب وطا
فاراد الله ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان فى قلوبهم من حب البقور والعجاجيل والله اعلم و
قوله لا فارض يقول ليست بكبيرة ولا بكر ولا شابة عوان بين ذلك بين الشابة والكبيرة وقيل لا فارض لا يكبع على ما ذكرنا ولا
بكر اى ولا تلد عوان بين ذلك اى قد ولدت بطنا او بطنين وقوله صفراء قيل الصفراء الذى تضرب الى السواد وذلك لشدة
وقيل الصفراء من الصفر المعروف وقوله فاقع لونها قيل صادق تسر الناظرين تعجب الناظرين وقيل فاقع لونها صفراء الظليف و
القرن والله اعلم وقوله لا ذلول تثير الارض قيل لم يذلها العمل اى لم يذبح عليها ولا هى مما يبتنى عليها اى بقرة وحشية صعبة تثير
الارض ولا تسقى الحرث وقيل لا ذلول للارض اى بقرة وحشية صعبة تثير الارض ولكن اثارة الارض لم تذللها لصعوبتها وشدتها
وقوله وما كادوا يفعلون قيل فيه بوجوه ما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا لظهور القاتل وقيل وما كادوا
يفعلون لغلاء ثمنها والاول اقرب والله اعلم وقيل انهم استقصوا فى تلك البقرة والسؤال عن احوالها والاستقصاء فى الشىء ربما
يكون للمدافعة والله الموفق وقوله وانا ان شاء الله لمهتدون قوم موضع غلط افهامهم ودقة عقولهم اعرف الله وللجهل
توحيدا من المعتزلة لانهم قالوا ان شاء الله لكنا من المهتدين والمعتزلة يقولون قد شاء الله ان يهتدوا وشاقوا ان لا يهتدوا
فغلبت مشيتهم على مشية الله تعالى على قلوبهم فنعوذ بالله من السرف فى القول والجهل والذى فى قوله ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة دليل لابى حنيفة رضى الله عنه واصحابه ان من حلف لا ياكل لحما بقرة فاكل لحم ثور حنث لان الله تعالى ذكر البقرة ثم بين فى الخبر
ما يدل انه اراد به الثور بقوله لا ذلول تثير الارض والثور هو الذى يثير الارض ويسقى الحرث دون الانثى منها الا ان ذلك كان الجواب
على ما ذكرنا الا ان يكونوا هم كانوا يحرثون بالانثى منها كما يحرث اهل زماننا بالذكر فحينئذ لا يكون فيه دليل لما ذكرنا والله اعلم و
اذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فى الاية دليل مراد الخصوص وان خرجت فى الظاهر مخرج العموم لانه قال عز وجل
قتلتم وانما قتله واحد وقال والله مخرج ما كنتم تكتمون وانما كان كتمه الذى قتله لذلك قلنا ان لا نصرف مراد الاية الى العموم بلفظ
العموم ولا الى الخصوص بلفظ الخصوص الا بعد قيام الدليل والبرهان على ذلك والله الموفق وقوله فقلنا اضربوه ببعضها قال بعضهم
بعض بفخذها الايمن لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن الله تعالى ولكن يقال ببعضها بقدر ما فى الكتاب وقوله كذلك يحيى الله الموتى اى هكذا
يحيى الله الموتى لا يتوهمون احياء بضرب بعض البقرة عليه كذلك قوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت ف
احيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فكما احيا الارض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء بقدر على احياء الموتى ويبعثهم على
الوجه الذى لا يظنون ولا يتوهمونه والله اعلم ويحتمل احياء ذلك القتيل لهم لما لم يكونوا اطمانوا على احياء الموتى فاراهم الله عز وجل
ذلك ليطمانوا وليستقروا على ذلك ولا يضطربوا فيه والله اعلم ويريكم اياته يحتمل يريكم ايات وحدانيته ويحتمل يريكم ايات احياء
الموتى وايات البعث ويحتمل اياته فيما يحتاجون اليه كما اراهم من تقدمكم عند حاجاتهم ويحتمل يريكم اياته ايات نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم اذ هو خبر عن الغيب واوضح ايات الرسالة الخبر عن الغيب وذكر القصة على الوجه الذى يعلم ان الاختراع لا يبلغ ذلك
ليعلموا انه بالله علم انه اذا لم يذكر له خط كتاب ولا اختلاف الى من عنده علم انه لو كان مسموعا منهم لجرى على مثلها القول بالزيادة
والنقصان ولكن منعهم الله تعالى عن ذلك اذ علموا صدقه اشفاقا على انفسهم ان ينزل عليهم نقمة الله وقوله لعلكم تعقلون لكى
تعقلوا وحدانيته وتعقلون انه قادر على احياء الموتى بعد الموت وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة
ضرب الله لقلوبهم مثلا بالحجارة وشبهها بها لشدتها وشدة صلابتها وانها اشد قسوة من الحجارة وذلك ان من الحجارة مع
صلابتها وشدتها مع فقد اسباب الفهم والعقل وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وقوله فلما تجلى ربه للجبل الاية وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة القبول له لا يخضع
ولا يلين وكذلك اخبر الله عز وجل ان من الجبال منافع للخلق مع صلابتها وشدتها حتى يتفجر منه الانهار والمياه وقلب الكافر مع لحمه
ذلك واسكانه لا منفعة منه لاحد وبالله التوفيق ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها دون غيرها من الاشياء الصلبة
من الصفرة والحديد وغيرها وذلك والله اعلم ان الحديد يلينه النار وكذلك الصفر حتى يضرب منهما الاوانى والحجر لا يلينه النار ولا شى اخر
شبه قلب الكافر بها وهذا والله اعلم فى قوم انهم لا يؤمنون ابدا وقوله وما الله بغافل عما تعملون خرجت على الوعيد ابلغ الوعيد والو
حين ذكرهم علمه بما يعلمون وقوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم قيل الاية وان خرجت على عموم الخطاب فالمراد منها الخصوص وهو رسول
صلى الله عليه وسلم والى هذا يذهب اكثر اهل التفسير وقيل ان المراد منها بعموم الخطاب العموم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانه نهى
على النبى عن طمع الايمان منهم كانه قال لا تطمعوا فى ايمانهم كقوله افانت تنقذ من فى النار وقوله لا يهتدى وكقوله افانت تسمع الموتى

او لا تسمع الموتى وقوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه الاية لقايل ان يقول ليس فيما كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ما يجب ان يدفع الطمع عن ايمان هؤلاء فهو والله اعلم الوجهين احدهما انهم كانوا اصحاب تقليد كقوله
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فاخبر عز وجل ان هؤلاء وان راوا الايات العجيبة فانهم لا يؤمنون ابدا لانهم
اصحاب تقليد لا ينظرون الى الحجج والايات والثانى انهم مع كثرة ما عاينوا من الايات وشاهدوا من العجايب فى عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يطمع فى ايمانهم فكيف طمعتم انتم فى ايمان هؤلاء وهم اتباعهم والله اعلم وفيه وجهان اخران احدهما كانه قال لا
تطمعوا فى ايمانهم لانهم فى علم الله علمها عليهم من ذكر والثانى لان اولئك كانوا اخبارا من هؤلاء وارغب فى الحق منهم ثم لم يؤمنوا
مع سماع الحجج ويجب به الايمان فكيف تطمع فى ايمان هؤلاء وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه انه من عند الله ويعلمون انه رسول
وانه حق وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قد ذكرنا فيما تقدم انها فى المنافقين نزلت وقوله واذا خلا بعضهم
الى بعض يحتمل وجهين يحتمل خلاء بعض المنافقين الى بعض قالوا اتحدثونهم بكذا ويحتمل خلاء المنافقين الى اليهود وقوله اتحدثونهم
بما فتح الله قيل فتح الله قضاه الله وقيل فتح الله قضى الله وقيل من الله عليكم فى التورية وكله يرجع الى واحد وقوله ليحاجوكم به اى باعتراتكم
عند هؤلاء ويحتمل على اضمار رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال ليحاجوكم باقراركم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل على معنى ليحاجوكم
به عند ربكم اى فى ربكم اذ العرب تستعمل حروف الخفض بعضها فى موضع بعض ويحتمل عند ربكم اى يوم القيمة ويكون ليحاجوك بما عند الله
اى بالذى جاءكم من عند الله لكن القايل ان يقول ما معنى ذكر المحاجة عند ربكم والمحاجة يومئذ لا يكون الا عند ولا يكون ليحاجوكم بها
عند الله اى بالذى جاءكم من عند الله قيل لان ذلك اشد اظهارا واقل كتمانا لما سبق منهم الاقرار بذلك ولذلك نهوا عن ذلك لانهم كانوا
ينهون اولئك عن الاقرار بالايمان عند المؤمنين واظهار ما فى التورية من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وقوله افلا تعقلون
انه حجة لهم عليكم حيث تعترفون به وتظهرون نعته وصفته ثم لا تتابعوه ويحتمل افلا تعقلون انه حق وقوله اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فى الخلوة من الكفر به والتكذيب له وما يعلنون لاصحابه من التصديق له والايمان وقيل ما تسرون
من كتمان نعته وصفته وما تظهرون من اظهار نعته وصفته الذى فى التورية ويحتمل ما يسر هؤلاء لهم من النهى عن اظهار ما فى التورية
وما يعلن هؤلاء للمؤمنين من اظهار نعته وصفته والله اعلم وقوله ومنهم اميون لا يعلمون يقول من اليهود من لا يقرا التورية ولا
يعرف ما فيها الا ان يحدثهم العلماء والرؤساء عنها والامى الذى لا يكتب ولا يقرا عن كتابة لكنه يقرا لا عن كتابة كالنبى صلى الله عليه وسلم كان
لا يكتب ولا يقرا عن كتابة كقوله ولا تخطه بيمينك ويقال ايضا الذى لا يقرا ولا يكتب لا عن كتابة ولا عن غير كتابة وقوله الا امانى
قيل احاديث باطلة تحدث لهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل الا امانى يعنى الا كذبا وقال الكسائى الامانى الاماوة كقوله الا
اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته يعنى فى تلاوته وقوله وان هم الا يظنون يقول ما هم الا ظن يظنون فى غير يقين واصله اى لا يعلمون علم
الكتاب انما عندهم امانى النفس والشهوات كقوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم قيل
الويل الشر وقيل الويل واد فى جهنم وقيل الويل هو قول كل مكروب وملهوف يقول له ويل له بكذا وقوله يكتبون الكتاب بايديهم يحتمل
وجهين يحتمل يكتبون يمحون نعته وصفته عن التورية ويحتمل يكتبون يحرفون كتابه على خلاف نعته وصفته ثم يقولون هذا من عند الله
فيكون الكتابة فى هذا اثبات كقوله كتب فى قلوبهم الايمان والمثبت هو ذلك الملحق ليظن انه كذلك فى الاصل وقوله ليشتروا به ثمنا
قليلا قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ذكر لهم ثلاث وثلاث ويل ما جرات كتابة
نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحوه وتغييره والثانى بقولهم هذا من عند الله والثالث وويل لهم مما يكسبون من الماكلة والهدايا
وقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اجمع اهل التفسير والكلام على صرف الايام المعدودة المذكورة فى هذه الاية الى ايام
عبادة العجل وذلك لا معنى له لوجهين احدهما ان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبد اباؤهم فلا معنى لصرف ذلك الى هؤلاء والثانى
لو صرف ذلك الى اباءهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك فلا معنى التعذيب على عبادة العجل بعد التوبة
والرجوع الى عبادة الله تعالى كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ويصرف الايام المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه لما لم
يروا التعذيب الا على قدر وقت العصيان والذنب ولما لم يكونوا يرون التخليد فى النار ابدا ولما هم عند انفسهم كما اخبر الله عنهم بقوله
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقولون انا لا نعذب ابدا انما نعذب تعذيب الاب ابنه
والحبيب حبيبه يعذب فى وقت قليل ثم يرضى ويدخل الجنة ولكن عقوبة الكفر ابدا والتخليد فيها لا لوقت وكذلك ثواب الايمان الابد
لا لوقت لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد لا لوقت فعلى ذلك جزاءه للابد لا لوقت واما من ارتكب ذنبا من المسلمين لشهوة
تغلبه فى وقت فيرتكبه ثم يتركه فانما يعاقب ان عوقب على قدر ما ارتكبه وقت لانه لم يرتكبه للابد لذلك افترقا والله اعلم وقوله
قل اتخذتم عند الله عهدا والعهد يحتمل هل عندكم خبر عن الله تعالى انكم لا تعذبون ابدا ولكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لا يخلف
عهده والثانى اى اتخذتم عند الله عهدا اى لكم اعمال صالحة عند الله فوعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده اى ليس لكم واحد من هذين لا
خبر عن الله بانه لا يعذبكم ولا اعمال صالحة وعدكم بها الجنة وقوله ام تقولون على الله ما لا تعلمون هذا الكذاب من الله عز وجل اياهم

بذلك القول كانه قال بل تقولون على الله ما لا تعلمون الا ترى انه قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته يقول من كسب شركا واحاطت به اى مات عليها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها وقيل احاطت به بقلبه وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لانه قد ذكرناه هذا فيما تقدم وقوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل قد ذكرنا عهد الله و ميثاقه انه يكون على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد رسالة ونبوة وقوله لا تعبدون الا الله يحتمل وجهين يحتمل لا تجعلون الالوهية الا لله ويحتمل نفس العبادة اى لا تعبدون الا الله ولا تعبدوا الاصنام والاوثان وغيرها وقوله وبالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما والطافا لهما كقوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الاية وكقوله وصاحبهما فى الدنيا معروفا قال قيل ان الامر بالاحسان فيما بين الخلق يخرج مخرج الافضال والتبرع لا على الوجوب والمندوب غير ان الاحسان يجوز ان يكون الفعل الحسن نفسه كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالاحسان الى الله تعالى وفعل الحسن فرض واجب على كل احد والثانى ان الاحسان اليهم يجوز ان يكون من حق الله عليهم وحق الله عليهم لازم وعلى ذلك صلة القرابة والمحارم والانفاق عليهم من حق الله عليهم وهو لازم فهذا ينقض على الشافعى قوله انه لا يوجب النفقة الا على الوالدين ولا يتكلم فى الاباء والامهات بالقرابة ولا يسمى بهذا الاسم فدل انه اراد به غير الوالدين والله اعلم وقوله واليتامى والمساكين يحتمل على النفل من الصدقة والفرض جميعا وقوله وقولوا للناس حسنا يحتمل وجوها يحتمل لا تكتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله ونعته وصفته ولكن اظهروها ويحتمل الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله ويحتمل اقامتها فى مواقيتها بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها ويحتمل ان يكونوا فى حال يكون لكم الصلوة والتزكية وقوله واتوا الزكوة يحتمل الوجوه التى ذكرناها فى الصلوة وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم الاية ظاهرة وقوله واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا الميثاق والعهد فى غير موضع وقوله لا تسفكون دماءكم يحتمل وجهين اى لا تسفكون دماء غيركم فيسفك دماءكم فتصيرون كانكم سفكتم دماءكم ويحتمل لا يسفك بعضكم دماء بعض كقوله فسلموا على انفسكم اى يسلم بعضكم على بعض وذكر نقض فى هؤلاء وان كان فى اوائلهم بوجهين احدهما لما رضى هؤلاء بفعل ابائهم والثانى بقولهم انا وجدنا اباءنا على امة الاية وقوله ولا تخرجون انفسكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ولا يخرج بعضكم بعضا ويحتمل لا تخرجوا غيركم من ديارهم فيخرجون من دياركم على ما ذكرنا فى قوله لا تسفكون دماءكم والله اعلم وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون يحتمل ثم اقررتم بالعهد والميثاق وتشهدون فى التورية وقوله ثم انتم هؤلاء يعنى يا هؤلاء تقتلون انفسكم يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما فى قوله لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وقوله تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اى تعاونوا عليهم فيما بعضكم بعضا بالاخراج وهو الظلم والعدوان وهو محرم عليكم اى ذلك الاخراج محرم عليكم وقوله وان يأتوكم اسارى تفادوهم الاية وان كانت موخرة فى الذكر فهى مقدمة كانه قال تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وان يأتوكم اسارى تفادوهم وقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض امنوا بالمفاداة من الاسارى وكفروا بالاخراج وسفك الدماء ويحتمل الايمان ببعض ما فى التورية وكفروا ببعضها وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته اذ لم يكن على موافقة مرادهم ويحتمل ان فادوا اسراءهم من غيرهم وسبى وذرارى غيرهم وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا اجلاء بنى النضير من ديارهم واخراجهم الى الشام وقيل مقاتلة بنى قريظة وسبى ذراريهم وذلك الحرب وقع بينهم والله اعلم ويحتمل قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ولكن لا يعاقبون فى الدنيا بل يردون الى اشد العذاب فى الاخرة وان استوجبوا ذلك فى الدنيا كقوله انما نؤخرهم ليوم الاية وقوله وما الله بغافل عما يعملون وعيد قد ذكرنا ذلك فيما تقدم وقوله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة يحتمل انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وبعثه فلما بعث على خلاف مرادهم كفروا به فذلك اشتراء الحيوة الدنيا بالاخرة ويحتمل ابتداء اختيار الضلال على الهدى والحيوة الدنيا على الاخرة من غير ان امنوا به والله اعلم وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التورية وهو ظاهر وقوله وقفينا من بعده بالرسل وقيل وقفينا اردفنا وهو من القفا قفا يقفو وقيل اتبعنا رسلا على اثر رسول كقوله واتبعنا بعضهم بعضا واحدا على اثر واحد وقوله واتينا عيسى بن مريم البينات قيل البينات الحجج وقيل العجائب التى كانت تجرى على يديه من خلق الطين واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانبائهم بما ياكلون وما يدخرون وقيل البينات الحلال والحرام ثم الرسل فى انفسهم حقيقة حجج فلم يحتج الى كل قول يقولون بدليل وبيان على صدقهم لانهم فى انفسهم حجة واما سائر الناس فليسوا بحجج فى انفسهم فلا بد لكل قول يقولون ان ياتوا بدليل يدل على صدقهم وبيان يظهر الحق من الباطل والصواب من الخطاء والصدق من الكذب وبالله التوفيق وقوله وايدناه اى قويناه بروح القدس اختلف فيه قيل روح القدس جبريل وفى الاصل القدوس لكن طرحت الواو للتخفيف وتاييده هو ان عصمه على حفظه حتى لم يدن منه شيطان فضلا ان يدنو بشئ والله اعلم وقيل ايدناه بروح القدس يعنى بالروح روح الله ووجه اضافة روح عيسى الى الله عز وجل تعظيما له وتخصيصا و ذلك ان كل خاص يضيف الى الله عز وجل اضيف تعظيما لذلك الشئ وتفضيلا له كما يقال لموسى كليم الله ولعيسى روح الله ولابراهيم خليل الله على التعظيم والتفضيل واذا اضيف الكل الى الله عز وجل انما يضاف تعظيما لله عز وجل وتنزيها كقوله رب السموات والارض وصنيع عمل الاشياء الى الله فهو يخرج على تعظيم الرب تعالى والتبجيل له وقوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا

تقتلون

تقتلون فى ظاهر هذه الاية انهم كذبوا فريقا من الرسل وقتلوا فريقا منهم ويقول بعض الناس انهم قتلوا الانبياء ولم يقتلوا الرسل بقوله انا لننصر رسلنا وبقوله انهم لهم المنصورون اخبر انه ينصرهم ومن كان الله ناصره فهو لا يقتل من يقول انهم قتلوا الرسل والانبياء فنقول يحتمل قوله انا لننصر رسلنا فى رسول دون رسول فمن نصره الله فهو لم يقتل وكان ما ذكر من النصرة لهم كان بالحجج والايات ثم فى الاية دليل رسالة محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات ونبوته لانه اخبرهم بتكذيب بعض الرسل وقتل بعضهم فسكتوا عن ذلك فلولا انهم عرفوا انه رسول عرف ذلك بالله والا لم يسكتوا عن ذلك وقوله وقالوا قلوبنا غلف يعنى فى اكنة عليها الغطاء لا نفقه ما يقول ولا نفقه ما يحدث يدعون زوال الخطاب عن انفسهم كراهية لما سمعوا فاكذبهم الله تعالى بقوله بل لعنهم الله اى طردهم الله بكفرهم وعتوهم ونفر بطبعهم فى تكذيب الرسول وعنادهم اياه لان قلوبهم بمحل لا يفهمون على ما يخاطبون كما يزعمون ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها وقيل قلوبنا غلف يعنى اوعية تفهم وتعى ما يقال ويخاطب ولكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث فلو كان حقا وصدقا فهمته عليه يدعون ابطال ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وذلك نحو ما قالوا لشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وقوله فقليلا ما يؤمنون قيل فيه بوجهين قيل فقليلا اى قليلا منهم يؤمنون بالرسل عليهم السلام وقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم فلولا انهم عرفوا ان هذا الكتاب هو موافق لما معهم من الكتاب غير مخالف له والا لاظهروا الخلاف لو عرفوا ذلك ولتكلفوا على اطفاء هذا النور ودفعه فدل سكوتهم عن ذلك وترك اشتغالهم بذلك انهم عرفوا موافقته لما معهم من التورية ففيه اية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنجحون يستنصرون على الذين كفروا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انصرنا بحق نبيك الذى تبعثه فلما بعثه على غير هواهم ومرادهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقوله بئسما اشتروا به انفسهم يقول اشتروا به فقول ما اشتروا به ما هلاكهم به نجاتهم وذلك انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فكان ايمانهم به نجاتهم فى الاخرة فكفروا به وذلك هلاكهم وبالله التوفيق وقيل بئسما باعوا به انفسهم بعرض يسير من الدنيا بعذاب فى الاخرة ابدا وقوله بغيا قيل حسدا منهم وذلك انهم ودوا ان يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من اولاد اسرائيل لانهم كانوا منه فلما بعث من اولاد اسمعيل عليه السلام والعرب كانت من اولاده كفروا به وكتموا نعته حسدا منهم ان نزل الله من فضله يعنى النبوة والكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل بغيا او ظلما ظلموا انفسهم بكفرهم بمحمد عليه السلام وتكذيبهم اياه وقوله فباءوا قد ذكرنا فيما تقدم قوله بغضب على غضب يحتمل وجهين قيل استوجبوا الغضب من الله بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على اثر غضب بكفرهم بعيسى عم وبما جاء به وقيل استحقوا اللعنة على اثر اللعنة بعصيان بعد عصيان وبذنب على اثر الذنب والله اعلم وقوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من القران قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنى التورية وهم لم يكونوا امنوا بالتورية لانهم لو كانوا امنوا بها لكان فى الايمان بها ايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه وايمان بجميع الانبياء عليهم السلام و الرسل وبجميع ما انزل عليهم عليهم السلام لان فيها الامر بالايمان بجميع الرسل وكتبهم لانه قال مصدقا لما معهم وموافقا له فالايمان بواحد منهم ايمان بجميع الكتب اذ بعضها موافق لبعض وقوله ويكفرون بما وراءه قيل وراء التورية كفروا بالانجيل والفرقان كانه قال كفروا بالذى وراءه يعنى وراء موسى بعيسى وبمحمد صلوات الله عليه وسلامه كانه قال من وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان قالوا انا لم نقتل الانبياء ونحن مؤمنون قيل لهم انكم وان لم تتولوا القتل فقد رضيتم بصنيع اوائلكم واتبعتم لهم مع ما قد هموا بقتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارا فلذلك اضيف اليهم وقيل اخبر عز وجل نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم غاية سفههم وعتوهم ومكابرتهم فى تكذيب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الايمان به وبما نزل اليه فقالوا ايتنا بالايات والقربان كما كانت الانبياء من قبل ياتون بها قومهم يقول الله تعالى عز وجل قد كانت الانبياء من قبل يجيئ بما تقولون الى اباءكم من الايات و القربان فكانوا يقتلونهم فيقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لهم لم تقتلون يعنى لم قتل اباؤكم انبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاؤا بالايات والقربان ان كنتم صادقين بان الله تعالى عهد الينا فى التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار وقد جاؤا به فلم قتلوهم فهو والله اعلم انهم اخذوا هذه المحاجة منا وانكم وان علمتم بما ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث وانتم تقلدونهم فتقلدونهم لو اوتيتم كما قلدتموهم وان علمتم بما عاينتم اذ لا حجة لكم والله اعلم وقوله ولقد جاءكم موسى بالبينات والبينات ما ذكرنا فيما تقدم من الايات والمعجزة والحجج العجيبة والبراهين القاهرة على رسالته ونبوته وصدق ما يدعوهم اليه بما يدل كله انه من عند الله ثم مع ما جاءهم موسى بها عبدوا العجل واتخذوه الها وكفروا بالله يعزى نبيه عليه الصلوة والسلام لئلا يظن انه اول مكذب من الرسل ولا اول من كفر به حتى لا يضيق صدره بما يقولون ويستقبلونه بما يكره وبالله التوفيق كقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا هذا فيما تقدم ما فيه مقنع ان شاء الله تعالى وقوله واسمعوا يحتمل وجهين يحتمل اسمعوا اى اجيبوا ويحتمل اسمعوا اطيعوا لكن هذا فيما بين الخلق جائز السمع والطاعة وما اضافة الطاعة الى الله عز وجل لا يجوز ان يقال اطاع الله واما السمع فانه يجوز لقوله سمع الله لمن حمده قالوا سمعنا قولك وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا ولكن بعد ذلك باوقات لانه قيل لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد والاحكام رفع الله الجبل عليهم فقبلوا خوفا عن ان

يرسل عليهم الجبل وقالوا اطعنا فلما ازيل الجبل وعاد الى مكانه فعند ذلك قالوا وعصينا وهو كقوله ثم توليتم من بعد ذلك فالتو
منهم كان بعد ذلك بأوقات **وقوله** واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قيل اشربوا اى جعل فى قلوبهم حب عبادة العجل بكفرهم بالله عز وجل
وقيل سقوا حب العجل وقيل ان موسى لما احرق العجل ونسفه فى اليم جعلوا يشربون منه لحبهم العجل وقيل لما احرق ونسف فى اليم جعلوا يحسون
الماء حتى اصفرت وجوههم وقيل انهم لما رأوا فى التورية ما فيها من الشدايد قالوا عند ذلك عبادة العجل اهون مما فيها من الشرايع وكله
يرجع الى واحد وذلك كله المراد الحب **وقوله** قل بئسما يأمركم به ايمانكم قيل قل يا محمد بئسما يأمركم به ايمانكم بالعجل الكفر بالله عز وجل وقيل
ان اليهود وادعوا انهم مؤمنون بالتورية فقال قل بئسما يأمركم اى بالتورية اذ كفرتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد وجدتموه فيها نعته وصفته
وقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت وذلك ان اعداء الله تعالى كانوا يقولون الجنة لنا
فى الاخرة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكقولهم كونوا هودا او نصارى وكقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا
وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة كما تزعمون وانكم ابناء الله و
احباؤه كما تقولون فتمنوا الموت وذلك ان المرء لا يكره الانتقال الى داره والى بستانه بل يتمنى ذلك وكذلك المرء لا يكره القدوم على ابيه
ولا على حبيبه ولا يخاف نقمته ولا عذابه بل يصيد عنده الكرامات والهدايا فان كان كما تقولون فتمنوا الموت حتى تنجوا من غم الدنيا ومن
تحمل الشدايد التى فيها ان كنتم صادقين فى زعمكم بان الاخرة لكم وانكم ابناء الله واحباؤه فان قيل انكم تقولون الاخرة للمؤمنين ثم لا احد
منهم يتمنى الموت اذا قيل له تمنى الموت فما معنى الاحتجاج عليهم بذلك وذلك على المؤمنين كهو عليهم قيل الوجهين احدهما ان المؤمنين
لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والمنزلة عند الله على ما جعلوا هم لانفسهم فكان فى تمنيهم صدق ما ادعوا لانفسهم وفى الامتناع عن ذلك
ظهور صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى ما ذكرنا انهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وفى تمنيهم الموت وصرفهم الى الحبيب والا
الذى ادعوه ولا احد يرغب وينفر عن حبيبه وابيه فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم فى دعاويهم وبالله نستعين فان سألونا عن
قوله فتمنوا الموت انهم اذا تمنوا ليس كان انقضاء عمرهم بدون الاجل الذى جعل لهم وفى ذلك تقديم الاجال الذى كان لاجل وقال الله
تعالى لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون قيل ان علم الله منهم فى سابق علمه وان ليته انهم لا يتمنون جعل اجلهم ذلك ولو علم
منهم انهم يتمنون الموت لكان يجعل اجلهم ذلك فى الابتداء وكذلك هذا الجواب لما روى ان صلة الرحم تزيد فى العمر كذلك يحتمل فى الا
بتركه لان يجعل اجله الى ثم انا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل وينقص بتمنى الموت عن الاجل المجعول المضروب له وبالله التوفيق **وقوله**
ولن يتمنوه ابدا فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه اخبر عز وجل انهم لا يتمنون ابدا فكان قال فلولا انه من
عند الله علم ذلك **وقوله** بما قدمت ايديهم من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحسد وهم والله اعلم
عرفوا عن صنيعهم وما لهم عند الله من العذاب والجزاء لكنهم قالوا ذلك على التعنت والمكابرة والسفه لذلك لم يتمنوا والله الموفق
وقوله والله عليم بالظالمين هو على الوعيد كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم ويحتمل عليم بالظالمين
بما يفضحهم بالحجج ويظهر كذبهم فى الدنيا دليلا يظن احد انه عن غفلة بما يعملون خلقهم على علم منه بما يعملون خلقهم ليعلم
انه لا ينفع له بخلقهم خلقهم وان ذلك لا يضره **وقوله** ولتجدنهم يعنى اليهود احرص الناس على حيوة وعلى كراهية الموت
فدل حرصهم على حيوة الدنيا انهم كذبة فيما يدعون ويزعمون **وقوله** ومن الذين اشركوا يعنى المجوس اى هم احرص الناس على حيوة الدنيا
من المجوس لان المجوس لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة وهم يؤمنون بهما فهم مع ايمانهم بالبعث وتصديقهم بالقيمة احرص على
حيوة الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيمة وقيل انه على الابتداء ولا استناف بقوله ومن الذين اشركوا يعنى المجوس
يود احدهم لو يعمر الف سنة لانهم يقولون فيما بينهم الف سنة تأكل النيروز والمهرجان ويقولون بالفارسية هزار سال
بزه فاخبر الله تعالى ان طول العمر فى الدنيا لا ينجيه من العذاب فى الاخرة ولا يباعده عنه وهو قوله وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر وهو كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون **وقوله** والله بصير بما
يعملون هو على الوعيد ايضا **وقوله** قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا وذلك ان اليهود قالوا لو كان
الذى نزل على محمد بالوحى ميكائيل اتبعناه ونؤمن به لان ميكائيل هو الذى ينزل بالغيث والرحمة وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب
والشدايد فهو عدو لنا لذلك لا نتبعه وفى جهة العداوة بينهم وبين جبريل وجه اخر وهو انهم قالوا ان جبريل ارسل بالوحى والرسالة
فى اولاد اسرائيل لكنه انزلها فى اولاد اسمعيل عداوة لنا وبغضا لذلك نضبوا العداوة بينه وبينهم والله اعلم بذلك فاكذبهم الله تعالى
فقال نزله على قلبك باذن الله لا كما يقول اليهود وما ينزل من العذاب والشدايد انما ينزل بامر الله لا من تلقاء نفسه وذاته ثم كان فيها
عداوة جبريل لاعتقادهم عداوة الله عز وجل لكنهم لم يجترؤا على عداوة الله على التصريح فنزلت على الكناية عن عداوة الله تبارك و
تعالى ويدل هذا على ان الروافض طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث طعنوا **وقوله** نزله على قلبك باذن الله يعنى انا
ان القران لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحرف التى تقرأها ولكنه الهام نزل على قلبه ثم هو بصوره ويرسمه ذا الحروف
ويعبره ويبينه بالعربية التى تقرأها فلو كان على ما تقولون لزال موضع الاحتجاج عليهم بما اتى به معجزا كقوله انما يعلمه بشر لسان الذى

يجدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين اذ كان لهم ان يقولوا انزل على لسان اعجمى لكنه غير ذلك بلسانه وكذلك قوله لا تحرك به
لسانك لتعجل به مخافة النسيان والذهاب وكذلك قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فدلت هذه الاية كلها على
نقضهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله المستقيم **وقوله** وهدى وبشرى للمؤمنين هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين بالجنة
وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله الاية يحتمل وجهين يحتمل من كان عدوا لله او ملائكته ورسله ويحتمل افتتاح العداوة به
دون هؤلاء على التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن المآب لديه كقوله واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول معنى
اضافة ذلك اليه على التعظيم له والافضال لله لا على جعل ذلك لله مفردا فعلى ذلك افتتاح العداوة به على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله**
ولقد انزلنا اليك آيات بينات ما بين فيها من الحلال والحرام وما يؤتى وما يتقى وما ينهى وما يؤمر ويحتمل الايات التى اتى بها
عليه لينصر بها على المعاندين له والمكابرين والله اعلم **وقوله** او كلما عاهدوا عهدا يقول كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم يحتمل
العهود التى اخذت عليهم فى التورية ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا به بعد الايمان او اخذ عليهم ان لا يكتموا نعته وصفته
الذى فى التورية لاحد فنبذوا ذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود التى اخذت عليهم ثم فى الاية دلالة جعل القران حجة لانه
قال نبذه فريق منهم ولو كان فى كتبهم ما ادعوا من الحجة والاتباع لاتوا به معارضا لدفع ما احتج به عليهم فثبت انهم كانوا كذبة فى دعاويهم
حيث امتنعوا عن معارضته **وقوله** وما يكفر بها اى ما يكفر بتلك الايات الا الفاسقون **وقوله** ولما جاءهم رسول من عند الله يعنى
محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من الكتاب اى نعته الذى فى التورية موافق لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لما جاءهم محمد صلى الله
عليه وسلم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقران فنبذوا التورية والقران واخذوا بكتاب السحر الذى كتبه
الشياطين ويحتمل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم كان موافقا لما معهم من الرسل غير مخالف لهم لان الرسل كلهم امنوا به وصدق
بعضهم بعضا **وقوله** نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يحتمل كتاب الله التورية على ما ذكرنا ويحتمل كتاب الله القران العظيم
والله اعلم **وقوله** كانهم لا يعلمون اى يعلمون ولكن تركوا العمل به والايمان بما معهم كانهم لا يعلمون لما لم ينتفعوا بعلمهم خرج
فعلهم فعل من لا يعلم اخبر انهم نبذوا نبذ من لا يعلم الا انهم لم يعلموا ولكن نبذوه سفها وتعنتا والله اعلم **وقوله** واتبعوا ما تتلو
الشياطين قيل تتلو ما كتبت الشياطين من السحر وقيل تتلو من التلاوة وقيل ما يتلوا ما يروى الشياطين من السحرة وهو قول ابن عباس
رضى الله عنه وهو يرجع الى واحد ولانه فى موضع الاحتجاج على اليهود لانهم ادعوا ان الذى هم عليه اخذ من سليمان عليه السلام
فان كان كفرا فقد كفر سليمان فاخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان سليمان ما كفر ولكن الشياطين كفروا بما علموا الناس
من السحر ويحتمل لكن اتباع الشياطين كفروا باعتقادهم السحر وعملهم به بتعليم الشياطين فنسب ذلك الى الشياطين بما بهم كفروا كما
نسبت عبادة الاصنام الى الشياطين بما بهم عبدوا والله اعلم وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان آصف كاتب سليمان وكان
يعلم الاسم الاعظم فكان يكتب كل شىء بامر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا
وكفروا وكذبا فقالوا هذا الذى كان يعمل به سليمان فاكفر جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه حتى انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلو الشياطين الاية وقال بعضهم ان الشياطين ابتدعت كتابا من السحر والامر العظيم ثم افشته فى الناس
وعلمته اياهم فلما سمع ذلك سليمان تتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهية ان يتعلمها الناس فلما قبض نبى الله سليمان عمد
الشياطين الى تلك الكتب فاستخرجتها من مكانها وعلمها الناس واخبروهم انه علم كان سليمان يكتمه ويستأثر به فعذر الله تعالى نبيه
سليمان وبراه من ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين يعلمون الناس السحر الاية
وقيل ايضا لما مات سليمان عليه السلام وقع فى الناس وصايا واوجاع فقال الناس لو كان سليمان عليه السلام حيا عنده فرج وظهرت
الشياطين فقالوا نحن ندلكم على ما كان يعمل به سليمان عليه السلام فكتبوا كتبا فجعلوها فى البيوت فاستخرجوا الكتب التى كتبت لهم
الشياطين من السحر والتنجيم فقالوا هذا ما كان يعمل به سليمان فانزل الله عز وجل وما كفر سليمان الاية فلا ندرى كيف كانت القصة غير
اليهود تركت كتب الانبياء والرسل واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم اليه من السحر والكفر وبالله التوفيق وفيه دلالة رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم بما اخبرهم عن قصتهم على ما كان عليه فدل انه كان عرف ذلك بالله عز وجل وفى ذلك ان قد نسب الى سليمان عليه السلام
ما براه الله من غير ان يبين ما نسبه ذكره الله عز وجل لوجهين دلالة لرسوله وتكذيبا للذين ينحلونه بما هو كفر **وقوله** على ملك سليمان
اى فى ملكه اذ كان ذلك الوقت هو وقت ظهورهم ثم سخرهم الله عز وجل لسليمان فامكن ذلك منهم القاه على الالسن المعاندين
لسليمان فى السر فردوه عنه بعد الوفات فكذبهم الله عز وجل وبراء نبيه عليه السلام وبين كيف كان بدؤه فانما بينها المخالق
لئلا يتبعوا فى الرواية كل من لقى السوء اذ قد يكون من امثالهم اختراع الرواية والزام الناس معانى الامور المعتادة من الرسل
ورد ما لا يوافق ذلك من الرواية ولذلك ابطل اصحابنا خبر الخاص فيما يبلى به العام **وقوله** وما انزل على الملكين قيل وما انزل
على النفى والجحد معطوفا على قوله وما كفر سليمان وقيل وما انزل على الملكين والذى انزل على الملكين ببابل وقيل سمى بابل لما تبلبلت
به الالسن يعنى اختلفت فلا يعلم ذلك الا بالسمع ثم اختلف فى هاروت وماروت فقال الحسن لم يكونا ملكين ولكنهما كانا رجلين

فاسقين متمردين وذلك ان الله عز وجل وصف ملائكته بالطاعة له والايتمار بامره بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية و
كقوله لا يسبقونه بالقول الاية وكذلك الحسن يقول انهما لم يكونا من الملائكة وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم ثم عارض نفسه بقوله
فلا تكفر فقال انا المخبر بمثله انا صرف ولوع السامع له وبما يعرض مثله على العلم منه انه يفعل ولا يرتدع عن ذلك فيقال ذلك توبيخا
منه والله اعلم ومنهم من يقول كانا ملكين لكنهما على الاسم الاعظم فيقضيان به الحوائج الان حل بهما ما حل وبهذا يحتج في تبع بقوله
واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الاية ثم اختلف بعد هذا على اوجه قال بعضهم لم يكن ذلك منهما
سحر بل هو تعويذ العزة يقدر عليه وقال قائلون ما انزل على الملكين انزل كلاما حسنا صوابا لكنه خلط بالذي تعلم الشيطان
فصار سحرا وقال الاخرون بل كان هو في نفسه سحر يعلمان الناس ذلك لكنه لا ينهى عن تعليمه ولا يكفر الذي يعلم انما ينهى عن الاعتقاد له
فكان كالكفر الذي يعلم لا ينهى عن ذلك لانه ما لم يعلم لم يعلم قبحه وفساده ولكن انما ينهى عن الاعتقاد في تعلمه والله اعلم ثم نقول ان قوما
لا يكفر على الاختيار وكلمة السحر جار عليهما في اللسان من غير صنع لهما فيه والله اعلم **وقوله** وما هم بضارين به من احد الا باذن قيل الا
بعلم الله بقضائه وقيل بجد لانه وتخيله وقيل بمشيئته وارادته واما الظاهر الاذن فهو يخرج على الاباحة فالعقل يدفعه وقيل انه لا يصل
الى هاروت وماروت ساحر من بني آدم وانما يتخلف بينهم شيطان في كل مسئلة والله اعلم ثم السحر يكون على وجهين سحر يكفر به صاحبه فان
كان ذلك منه بعد الاسلام فيقتل به صاحبه لانه ارتداد منه وسحر لا يكفر به صاحبه فلا يقتل به الا ان يسعى في الارض بالفساد من
قتل الناس واخذ الاموال فهو كقاطع الطريق يحكم بحكمهم من القتل وسائر العقوبات واذا تاب قبلت توبته الا ترى ان سحرة فرعون
لما راوا الايات امنوا بالله تعالى اوتابوا توبة لا يطمع مثل هذا التوبة من المسلم الذى نشأ على الاسلام حيث اوعدهم فرعون بقطع الايدي
والارجل والصلب وانواع العذاب فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وذكر عن ابي حنيفة رضي الله عنه في الساحرة انها لا تقتل وذكر
عنه مرة انها تقتل وقال في الساحر بالقولين فاما ما روي عنه فيه بالقتل بعمل السحر فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر فهو كالساعي
في الارض بالفساد لا بعين السحر او كفر بسحره بعد الاسلام فيقتل كالمرتد عن الاسلام وما ذكر عنه انه لا يقتل فهو اذا لم يكن سحره سحر
كفر ولا يسعى بالقتل في الارض لم يقتل به ثم قوله في الساعي في الارض بالفساد انه اذا تاب قبل ان يقدر عليه سقط عنه القتل
فكذا الساحر فاما الذى هو لاجل الكفر يلزم القتل قبل التوبة بعد القدرة عليه وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة ايضا فيما قال انها لا لما
كان سحرها سحر كفر والنساء لا يقتلن للكفر وفيما قال يقتلن فلانهن يقتلن للسعي في الارض بالفساد كالرجل والله اعلم وقال بعض
الناس لا يقبل توبة الساحر وهو غلط واحق من يقبل توبته الساحر اذ هو ابلغ في تمييز ما هو حجة مما لا حجة وهذا هو الاصل ان المدعي
لشيء على عهد الانبياء اذا استقبلهم بمثله الانبياء عليهم السلام فهو احق من يلزمهم الايمان به لعلمهم بالحق منه والعوام منهم
لا يعرفون الا ظاهر ما يلزمهم من تصديق الحجج والله اعلم **وقوله** ويتعلمون ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في آخرتهم **وقوله**
ولقد علموا يعني اليهود في التورية لمن اشتريه يعني اختاره في السحر وقيل يتعلمون ما يضرهم في اخرتهم ولا ينفعهم ان علموا ولقد
علموا لمن اشتريه يقول لقد علمت اليهود ان في التورية انه لمن اختار السحر **وقوله** في الاخرة من خلاق يقول نصيب في الثواب وقيل
وقيل ما له في الاخرة اي ماله عند الله وجه **وقوله** ولبئس ما شروا به انفسهم اي بئس ما باعوا به انفسهم يعني اليهود والذين يعلمون
الرقية والسحر وقيل باشروا به يقول ما باعوا به انفسهم ولكنهم لا يعلمون اي لو علموا انهم برءا على انفسهم من العذاب الدائم لعلموا
انهم بئس ما باعوا به ولو انهم امنوا بتوحيد الله واتقوا الشرك لمثوبة يقول لو كان ثوابهم يقول لكان ثوابهم عند الله خيرا من السحر
والكفر لو كانوا يعلمون ولكنهم لا يعلمون على الانتفاع به وهو كقوله صم بكم عمي ليسوا بصم ولا بكم ولا عمي في الحقيقة ولكنهم
صم من حيث لا ينتفعون به اذ الحاجة من العلم والبصر والسمع الانتفاع به فاذا ذهب المنافع بهما فكان لكن لا علم معه ولا بصر له
ولا سمع حيث لا ينتفع ولا عمل به والله اعلم **وقوله** يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا قيل كانت الانصار
في الجاهلية يقولون هذا للرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم الله تعالى ان يقولوها وقيل كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا
من الرعونة من قولك للرجل يا ارعن وللمراة يا رعنا وكان الحسن يقرأها راعنا بالتنوين وقال الكلبي كان في كلام اليهود راعنا
سبا قبيحا يسب بعضهم بعضا وكانوا يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون راعنا ويضحكون فنهى المؤمنين عن ذلك الكلام
وقوله وقولوا انظرنا قيل فهمنا يقول بين لنا وقال مقاتل اي قصدنا وقيل ان الامر بالانظار يقع موقع التشفع في النظرة لوجهين
بالصحبة مرة وبالخطاب ثانيا فقولهم انظرنا لما يبلغ افهامنا القدر الذي يعي ما يخاطبنا به والثاني على قصور عقولهم عن ما يحتمل
من الصحبة وبالايجاب له صلى الله عليه وسلم فاما الامر براعنا فهو استعمال في الظاهر بالمراعاة وذلك يخرج على التكبر عليه وترك
التواضع والخضوع **وقوله** واسمعوا اي اجيبوا وقيل اطيعوا له وقيل واسمعوا اي سمعوا وعوا **وقوله** ما يود اي ما يريد وما يتمنى
الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى ولا المشركين ما يود هؤلاء ان ينزل عليكم من خير من ربكم يحتمل وجهين احدهما
كانوا يهوون ويحبون ان يبعث الرسول منا ولاد اسرائيل وهم كانوا من نسله فلما بعث من اولاد اسمعيل عليه الصلوة والسلام
على خلاف ما احبوا وهووا لم يطب انفسهم بذلك بل كرهت ذات اشد الاباء والكراهة والثاني لم يحبوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم

التي

التي كانت لهم والرياسة بخروجه صلى الله عليه وسلم والله اعلم **وقوله** من خير قيل الخير النبوة وقيل الخير الاسلام وقيل الخير
الرسول ليعلم الشئ والله اعلم **وقوله** والله يختص برحمته من يشاء الاية ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان على الله فعل
الاصلح لكل احد في الدين في كل وقت ولكل احد فان كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولا وجه والثاني قوله والله ذو الفضل
العظيم والفضل عند الخلق هو الذي يعطي وبذل ما ليس عليه لا ما عليه لان من عليه حق فاعطاه او قضى عليه من الدين لا يوصف بالفضل
فدل انه استوجب ذلك الاختصاص وذلك الفضل لم يكن عليه ذلك ولو كان عليه كان لا يقول والله ذو الفضل والله الموفق
وقوله ما ننسخ من اية او ننسها قال بعض اهل الكلام ما ننسخ من اللوح المحفوظ او ننسها نتركها في اللوح وقيل ما ننسخ من اية اي نرفع
الاخرى او نتركها وقيل ما ننسخ من اية فنرفع حكمها والعمل بها او ننسها نتركها فلا ننسخها وتلاوتها فيجوز رفع عينها ويجوز رفع
حكمها وابقاء عينها لاوجه احدها ظهور المنسوخ بطل قول من انكر النسخ اذ جعلوا من انكر ذلك فانما انكر المنسوخ لان النسخ
بيان الحكم الى وقت ليس على البداء على ما قالت اليهود والثاني ان التلاوة بما افضل كالعمل فيجوز رفع فضل العمل وبقاء فضل التلاوة
والثالث يحتمل الاولى به لحالة الاضطرار والثاني في وقت السعة كقوله حرمت عليكم الميتة ثم يجوز ان يرفع عينها فينسخ
كما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال كنا نقرأ سورة الاحزاب بسورة البقرة حتى يرفع ايات منها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة واما قوله او ننسها [illegible] كقوله وعلى الذين يطيقونه
بالصوم [illegible] النوم والجماع و
كذا تحريم الميتة [illegible] الاباحة [illegible] الضرورة [illegible] والله اعلم وقيل نأت بخير منها في
في العاقبة وقيل نأت بخير منها في المنفعة او مثلها في المنفعة وقيل نأت بخير منها وهو ان يظهر لكم الخير وهو كالصلاة الى بيت
المقدس كان لهم مثل ما لليهود في حق الاتباع وما كان ظهر لهم الاخير في وقت ظهور الامر وابهم الخير وظهر عنهم فيمن ابى ان اتباعهم
لم يكن لاجل حق المتابعة بل لما كان عندهم الحجة فاما من جعله خيرا على البدن فاستدل بها الاخر رخصة واباحة والاباحة وود ما
التخفيف ومن استدل على ان النسخ ابدا يرد على ما هو اغلظ فعورض بقوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت فابدل
بعقوبة اشد من الاول وهو الرجم بقوله خذوا عني خذوا عني ويحتمل قوله نأت بخير منها يعني اقوى منها في الزام الحجة او مثلها ولانه
ان ما يعوض هو اقوى حالة الاعتراض في لزوم الحجة على ما غاب عن الابصار فيكون قوله نأت بخير منها على هذا الوجه اي نأت
بحجة هي اقوى واكثر من الاولى ومثلها في القوة فان قيل ما الحكمة في النسخ وما وجهه قيل محنة يمتحن بها الخلق ولله ان يمتحن خلقه
بما يشاء في اي وقت شاء يامرهم في وقت ثم ينهى عن ذلك ويامر باخر وليس في ذلك خروج عن الحكمة ولا كان ذلك منه لبدا يبدو له
بل لم يزل عالما بما كان ويكون حكيما يحكم بالحق والعدل فنعوذ بالله من السرف في القول **وقوله** الم تعلم ان الله على كل شئ قدير يحتمل ان
يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد بالخطاب الذين سبق ذكرهم في قوله ما يود الذين كفروا الاية انه قادر على انزال الخير على من
يشاء واختصاص بعض على بعض وتفضيل بعضهم على بعض ويحتمل ان يكون المراد في الخطاب له عليه السلام على حقيقة العلم
على التذكير والتنبيه اي نعلم انت ان الله على كل شئ قدير وهو كقوله فاعلم انه لا اله الا الله على حقيقة العلم ويحتمل على الاعلام و
والايجاد لقوله وقد ذكرنا وعلى ذلك يخرج قوله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض اي من كان يملك ملك السموات وملك
الارض يملك تخصيص بعض على بعض وتفضيلهم فيها ويحكم فيها ما يشاء ويحدث الامر ما اراد والله اعلم ويحتمل نزوله على ان لو
لم تذكر فيه وذلك في القرآن كثير وانما يقال هذا الحرف عند ضيق القلب تسكينا له ومعنى تخصيص السموات والارض بالملك له
لينتهي علم الخلق بهما وان كان له ملك الدنيا والاخرة وبالله التوفيق **وقوله** وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يدل هذا على انه
خرج على اثر نوازل وان لم تذكر **وقوله** ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل سؤال تعنت لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة وقيل انهم سألوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سأل قوم موسى وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الصفا
لهم ذهبا ان كان ما يقوله حقا وقيل سؤالهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكانوا يسألون سؤال تعنت لا سؤال استرشاد و
اهتداء **وقوله** ومن يتبدل الكفر بالايمان قيل ومن يختار شدة الاخرة على رخائها وسعتها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ومن يشتري
الكفر بالايمان وذلك كله واحد **وقوله** فقد ضل سواء السبيل قيل عدل عن الطريق وقيل عدل عن قصد الطريق وقيل اخطأ قصد
طريق الهدى وكله واحد **وقوله** ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا انهم كانوا يجهدون كل جهدهم حتى
يصرفوا ويردوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الله الاسلام الى ما هم عليه كقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم وكقوله ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وقوله يردوكم على اعقابكم
الاية وذلك والله اعلم لخوف فوت رياستهم التي كانت لهم وذهاب منافع التي ينالون من الاتباع والسفلة فودوا ردهم من دينهم
الى دينهم ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر قوله تعالى حسدا من عند انفسهم قالوا دلت الاية على ان الحسد ليس من عند الله بما نفاه
عز وجل عنه واضافه الى انفسهم بقوله حسدا من عند انفسهم قيل صدقتم في زعمكم بان الحسد ليس من عند الله وكذلك نقول ولا يجيء

اضافة الحسد اليه بحال ولكن نقول خلق فعل الحسد من الخلق وكذلك يقال في الانجاس والاقذار والحيات والعقارب ونحوها انه لا يجوز ان يضاف الى الله تعالى فيقال يا خالق الانجاس والحيات والعقارب وان كان ذلك كله خلقه وهو خالق كل شيء فعلى ذلك نقول يخلق فعل الحسد وفعل الكفر من العبد ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى ثم يقولون في الطاعات والخيرات كلها انها من عند الله وهي غير مخلوقة فلئن كانت العلة في الذي لا يكون مخلوقا انه ليس هو من عند الله ليجب القول من عنده بخلقه ما هو من عنده ثم لم يقولوا به فبان ان ما يقولون فاسد باطل ليس بشيء ثم جهة الحسد ما ذكرنا انهم احبوا ان تكون الرسالة فيهم وان يكون من عنده سعة كقوله لولا انزل عليه كنز وكقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فلهذين الوجهين يخرج حسدهم قوله من عند انفسهم اي من قبلها لان الله تعالى امرهم وليس يضاف الى الله تعالى بانه من عنده بما يخلق ولكن بما يأمر او يلزم ويلزم الا ترى ان الانجاس كلها والجنايات والشياطين كلهم مخلوقة وان يجز نسبتها الى الله تعالى بمعنى انه من عنده كذلك ما ذكر من الحسد على انه معلوم انهم لم يكونوا يدعون من عند الله خلقا فبذلك الوجه ينكر عليهم بل كانوا يدعون الامر في كل ما نسبوا الى الله تعالى فعلى ذلك ورد العتاب والله اعلم

وقوله من بعد ما تبين لهم الحق اي بين لهم في التورية ان محمدا صلى الله عليه وسلم حق وان دينه الاسلام كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاعفوا واصفحوا يحتمل النهي عن مكافاة ما يؤذون في الدنيا ثم لم ينسخ وقيل فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي امر الله في ذلك ثم جاء بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقيل حتى يأتي الله بامره اي بعذابه والله اعلم **وقوله** ان الله على كل شيء قدير من التعذيب والانتقام وبكل شيء ولم ينسخ هذا **وقوله** واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ذكر الله عز وجل الامر باقامة الصلوة وايتاء الزكوة في القرآن بتكرار كثيرا حتى كانت لا تخلو سورة الا ذكرهما فيها في غير موضع وذلك لعظم شانهما وامرهما وعلو منزلتهما عند الله وفضل قدرهما وعلى ذلك جعلهما شريعة في الرسل صلوات الله عليهم وسلامه الا ترى الى قول ابرهيم على نبينا وعليه السلام رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقوله لموسى وهرون ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا الى قوله واقيموا الصلوة وقول عيسى واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وذلك والله اعلم ان الصلوة قربة فيما بين العبد وبين ربه يجمع جميع افعال الخير وفيها غاية منتهى الخضوع له والطاعة من القيام بين يديه والمناجات فيه والركوع له والسجود على الارض وتعفير الوجه فيها حتى لو ان احدا من خلقه دينه لله لو اعطى ما في الدنيا ان يعفر وجهه بالارض لاحد من الخلق ما فعل وبالله التوفيق والزكوة فيما بين العبد وبين الخلق لتألف القلوب واجتماعها وفيها اظهار الشفقة لهم والرحمة لذلك عظم الله شانهما وشرف امرهما واعلى منزلتهما وعلى ذلك قرنهما بالايمان في الكل كلها واثبت بين الخلق الاخوة بهما بقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ثم هما نكرمان بالعقل لان الصلوة يجمع جميع انواع خيرات الافعال وفيها غاية الخضوع له والخشوع على ما ذكرنا وذلك مما يوجبه العقل وان لم يرد فيه السمع وكذلك الزكوة فيها تزكية الانفس وتطهيرها وذلك مما في العقل واجب فان قيل ما الحكمة في وجوبهما قيل اظهارا لما انعم الله على العبد من الاموال والسعة فيها وما اعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الافات يخرج مخرج الاعتداد وشكر ما انعم عليهم عز وجل فان قيل في وجوبهما فيما اعطى منهما يعني من النفس والمال دون غيره قيل لان الوجوب من غيره يخرج مخرج المعارضة والمبادلة لا يخرج اداء الشكر والله اعلم ثم الحكمة في ايجاب الصلوة وغيرها من العبادات ان الله تعالى اذ عمهم بنعمه فضلهم بالجوهر وسخر لهم جميع ما في الارض وبسط لهم عليهم النعم حتى صار كل منهم لا يتيسر غيره من غير استحقاق منهم شيئا من ذلك لزمهم الشكر عليها ثم كانت الصلوة يجمع استعمال جميع الجوارح فيها لله فيها القيام شكر الله معانيها نوافر احوال نفسه بالاختيار بما هي عليه بالاضطرار والخلقة والقلب بالنية والخوف والرجاء واحضار الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل ليكون كل شيء منه في شكر لما له فيه من سبوغ النعمة والله اعلم وكذلك بالاموال فضلوا في هذه الدنيا واستمتعوا بلذيذ العيش فامروا بالاخراج لله منها اذ سخرت هذه الارض بما فيها بجميع البشر الزم من ذلك ممن من لم يملك ليستووا في الاستمتاع بالتسخير لهم من الوجه الذي علم الله لهم في ذلك صلاح الدارين ولا قوة الا بالله **وقوله** وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله الاية تخرج على خلاف قول المعتزلة لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة ثم اقام الصلوة واتى الزكوة وجاهد في سبيل الله وحج بيت الحرام وقدم خيرات كثيرة فانه لا يجد ما قدم شيئا ولكن يحبط ما قدم من شره وذلك ليس من فعل الكريم والجواد ولا كذلك وصف الله نفسه بل وصف نفسه على خلاف ما وصفوهم فقال اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وهم يقولون لا يتقبل عنهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز عن سيئاتهم وذلك سرف في القول فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله وبالله التوفيق **وقوله** ان الله بما تعملون بصير بما قدمتم من الخير والشر بتنبيه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر وترغيب منه لهم بالخيرات والله اعلم **وقوله** وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل هذا وجهين يحتمل ان قالوا ذلك جميعا لما ارادوا الناس الموافقة فيما بينهم ليرغبوا في دينهم وينفروا عن دين الاسلام وان كانوا هم في الباطن على الخلاف والعداوة ويحتمل ان يكون ذلك القول من كل فريق في نفسه لا عن كل الفريقين جميعا على الموافقة دليله قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء دلت الاية ان ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعا على الموافقة ولكن كان من كل في نفسه على غير موافقة عنهم ولا مساعدة والله اعلم ثم في الاية دليل لزوم الدليل على النافي

لانهم

لانهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فطولبوا بالبرهان بقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انه لا يدخل فيها سواكم فان قيل انهم اذ نفوا غيرهم فيها ادعوا لانفسهم الدخول فانما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا ليس على ما نفوا لا يحتمل قيل ذلك لانهم لم يذكروا دخول انفسهم تصريحا انما نفوا دخول غيرهم وهو كمن يقول لا يدخل هذه الدار الا فلان وفلان ليس فيه ان فلانا وفلانا يدخلون ولكن فيه نفي دخول غيرهما او نقول نفوا دخول غيرهم تصريحا وادعوا لانفسهم الدخول مستدلا وانما يطالب الحجة على مصرح قولهم لا على مستدلهم الا ترى ان الجواب من الله عز وجل بالاكذاب والرد عليهم خرج على ما نفوا دخول غيرهم وهو قوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نكاح الا بشهود ليس فيه اثبات النكاح اذا كان ثم شهود ولكن فيه نفي النكاح بغير شهود تصريحا الا ترى ان من قال لا نكاح الا بشهود لا يسال ان لم قلت ان النكاح يجوز بالشهود ولكن يسال ان لم قلت انه لا يجوز بغير شهود فعلى ذلك قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ليس فيه اثبات الدخول لهم تصريحا وفيه نفي دخول غيرهم تصريحا والله اعلم **وقوله** بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قد قلنا انه خرج مخرج الرد عليهم والانكار بحكمهم على الله فقال بلى يدخلها من اسلم وجهه لله وهو محسن ثم اختلف في قوله اسلم وجهه لله قيل اخلص دينه لله وعمله وقيل اسلم نفسه لله وقد يجوز ان يذكر الوجه على ارادة الذات كقوله كل شيء هالك الا وجهه يعني الا هو وقيل اسلم اي وجه امر الدين به لله خلص وبعضه قريب من بعض اسلم نفسه لله اي بالعبودية كقوله ورجلا سلما لرجل وذلك معنى الاسلام ان تخلص نفسك لله لا تجعل لاحد شركا من عبوديته ولا من عبادة **وقوله** فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا متضمنتها فيما تقدم **وقوله** وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فان قيل كيف عابهم بهذا القول وقد امر نبيه عليه السلام في اية اخرى ان يقول لهم ذلك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية قيل امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انهم ليسوا على شيء اذا لم يقيموا التورية فاما اذا اقاموا التورية وفيها امرهم بالاسلام واتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهم على شيء ومعنى هذا الكلام والله اعلم ان قال لهم كيف قلتم ذلك وعندكم الكتاب مبين لكم ويميز الحق من الباطل ويرفع من بينكم الاختلاف لو تاملتم وتدبرتم فيه ويحتمل ان كل فريق منهم لفريق اخر ذلك انهم ليسوا على شيء اكذبهم الله تعالى ورد عليهم بلى من اسلم منهم فهو على شيء لانه كان اسلم منهم فهم على شيء لانه كان اسلم من اوائلهم ويحتمل انهم ليسوا على شيء على نفس دعاويهم وقولهم في الله بما لا يليق وهم على شيء في تكذيب بعضهم بعضا بما قالوا وقيل لما قالت اليهود ليست النصارى على شيء من الدين قال لك يا محمد اتبع ديننا فانهم ليسوا على شيء وكذلك قول الفريق الاخر لاولئك ثم اختلف في الاسلام قيل الاسلام هو الخضوع وقيل الاسلام هو الاخلاص بالافعال وهو ان يسلم نفسه لله او يسلم دينه لا يشرك فيه **وقوله** كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قيل لا يعلمون الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب وقيل الذين لا يعلمون هم الذين لا يقدرون على تلاوة القرآن والكتاب وتمييزها فيه وهو حجة لهم سوى عز وجل بينهم في القول من علم منهم ومن لم يعلم لان من علم منهم لم ينتفع بعلمه فكان كالذي لم يعلم شيئا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله صم بكم عمي انه سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالايات والاسباب التي اعطاهم الله عز وجل والله اعلم **وقوله** فالله يحكم بينهم يوم القيمة بالعذاب لاختلافهم فيما بينهم وبقولهم في الله بما لا يليق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا **وقوله** ومن اظلم يقول لا احد اظلم لنفسه ولا وضع لها ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اختلف فيه قيل مساجد الله الارض كلها لان الارض مساجد الله كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا منع اهل الكفر اهل الاسلام ان يذكروا فيها اسم الله وان يظهروا فيها دينه **وقوله** وسعى في خرابها وهو كقوله ويسعون في الارض فسادا ويخرج قوله ما كان لهم ان يدخلوها اي لا يدخلون البلدان والامصار الا بالخوف وبالعهد كقوله الا بحبل من الله وهو العهد ويحتمل قوله ما كان لهم ان يدخلوها ما كان ينبغي لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه ان يدخلوا المساجد الا خائفين وجلين لما كانت هي بقاع اتخذت للعبادة لله ونسبت اليه تعظيما لها فدخلوا مخربين لها مانعين اهلها من عبادة الله فيها مساجد الله مسجد الحرام وذلك حالوا بينها وبين دخول محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فيها حتى رجعوا من عامهم ذلك ثم فتح الله عز وجل مكة لهم فصار لا يدخل مشرك فيها الا خائفا كقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل اراد بمساجد الله بيت المقدس قيل ان النصارى استعانوا ببخت نصر وهو رئيس المجوس حتى خربوا المساجد وقتلوا من فيها من الاسلام ثم اهل الاسلام بعد ذلك بزمان مساجدهم فكان لا يدخل نصراني فيها الا خائفا مستخفيا **وقوله** لهم في الدنيا خزي قيل الخزي الجزية ويحتمل القتال ولهم في الاخرة عذاب عظيم **وقوله** ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قيل ان رهطا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرا وذلك قبل ان يصرف القبلة الى الكعبة فحضر وقت الصلوة فاشتبه عليهم فتحروا فمنهم من صلى الى المشرق ومنهم من صلى الى المغرب صلوا الى جهات مختلفة فلما بان لهم ذلك قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوا عن ذلك فنزلت الاية فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا يرد على الشافعي قوله لانه يقول ان صلى الى جهة القبلة يجوز والا فلا وليس في الاية ذكر جهة دون جهة بل فيها ذكر المشرق والمغرب فخرج قوله على ظاهر الاية وهذا عندنا في الاشتباه والتحري واما عند القصد فهو قوله فولوا وجوهكم شطره وروي عن ابن عمر رضي الله عنه ان قوله ولله المشرق والمغرب

الاية نزلت في النوافل في الاسفار ولكن عندنا على ما ذكرنا في الكل والله اعلم **وقوله** فثم وجه الله اختلف فيه قيل ثم
ما قصدتم وجه الله وقيل ثم قبلة الله وقيل ثم وجه الله ثم الله على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه على ارادة الذات على انه من ثم
بغايب وقيل ثم رضاء الله وقيل ما ابتغيتم به وجه الله وقيل ثم وجه الذى وجهكم اليه انا لم يجئ منكم التقصير كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اكل الناسى انما اطعمك الله وسقاك وقيل فيه ثم بلوغكم ما قصدتم بفعل الصلوة من وجه الله ورضاه اى ظفرتم
به ثم الغرض في القبلة ليس اصابة عينها ولكن اغلب الظن واكبر الرأى لانه ليس لنا الى اصابة عينها سبيل اذ سبيل معرفتها بالاجتهاد
ولا باليقين والاحاطة ليس كالمياه والاثواب وغيرها من الاشياء لان هذه الاشياء في الاصل طاهرة والنجاسة عارضة فيظفر بعينها
على ما هي في الاصل واما امر القبلة فانما بنى على الاجتهاد والقصد دون اصابة عينها والله اعلم **وقوله** ان الله واسع عليم قيل الواسع الغنى
وقيل الواسع الجواد حيث جاد عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله وحيث وجث وسع عليهم امر القبلة عليم بما قصدوا ونووا وقوله اتخذ
الله ولدا سبحانه فيه تنزيه نزه به نفسه عما قالوا فيه بما لا يليق ورد عليهم ومعناه والله اعلم ان اتخاذ الولد والتبنى في الشاهد انما
يكون لاحد وجوه ثلثة يحوجه الى ذلك اما الشهوات تغلبه فيقضيها به واما الوحشة تأخذه فيحتاج الى من يستأنس به او لدفع عدو يقهره
فيحتاج الى من يستنصر به ويستغيث فاذا كان عز وجل يتعالى عن ان يمسه حاجة او يأخذه وحشة او يقهره عدو فلاى شئ يتخذ الولد
وقوله بل له ما في السموات والارض رد على ما قالوا بان من ملك السموات وما فيها وملك الارض وما فيها لا يمسه حاجة ولا يقهره عدو
اذ كل ذلك ملك له يجرى فيهم تقديره ويمضى عليهم امره وتدبيره وانما يرغب الى مثله اذا اعترض له شئ مما ذكرنا تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا فان عورض بالخلة قيل ان الخلة تقع على غير جوهر من منه الخلة والولد لا يكون الا من جوهره والى هذا ذهب
الحسين والثانى ان الخلة تقع لافعال تكتسب وتستومنه فيفعلوا مرة وترتفع مرتبته فيستوجب بذلك الخلة بمعنى الجزاء واما
الولد فانه لا يقع عن افعال تكتسب بل بوجد ما به استحقاقه يكون من مولده وقد نفى عن نفسه ما به يكون ان يكون له ولد
ولم يكن له صاحبة والثالث ما قاله الرونديان لا بد من ان يدعى الى التسمى والى التحقيق اذ في الخلة تحقيق ما به يسمى ثم لم يحتمل
قوله بل له ما في السموات والارض وجها اخر وهو ان يقال ان ما في السموات ما في الارض كلهم عبيده واماؤه فانتم مع شرف حالكم لا
الاولاد ولا تستحسنون ان تتخذوا عبيدكم واماؤكم اولادا فكيف تستحسنون ذلك لله عز وجل وتنسبون اليه مع غناه عنه وبالله
التوفيق **وقوله** كل له قانتون قيل فيه بوجوه وقيل ان كل من في السموات والارض من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الذين تقلتم
انه اتخذهم ولدا قانتون له معترفون له بالربوبية له والعبودية لانفسهم له وقيل قانتون مطيعون متواضعون وقيل القانت هو
القائم لكن القائم يكون على وجهين يكون القائم المنتصب على الاقدام ويكون القائم على الامر والحفظ ثم لا يحتمل ان يراد بالقانت ههنا
المنتصب بالقدم فرجع الى الطاعة له وحفظ ما عليه وهو كقوله وهو القائم على كل نفس بما كسبت من الحفظ والرزق ويحتمل تنزيه الخلق
كل احد تنزه ربه عن جميع ما يقولون فيه او ان يقال كل لم قانتون في الجملة كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله **وقوله** بديع
السموات والارض ابتدعهما ولم يكونا شيا والبديع والمبدع واحد وهو الذى لم يسبقه احد في انشاء مثله وكذلك سمى صاحب الهوى مبتدعا
مثل لما لم يسبقه في فعله احد ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولدا يقولون من قدر على خلق السموات والارض من غير شئ
ولا سبب كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب والثانى ان يقال لمن له القدرة على خلق ما يصعب ويعظم في اعينكم بلا اصل في
عندكم كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب **وقوله** واذا قضى امرا قيل واذا حكم حكما فانما يقول كن فيكون وقيل اذا قضى امرا
يعنى باهلاك قوم واستيصالهم فانما يقول له كن فيكون ثم قوله كن فيكون ليس هو قول من الله ان كن بالكاف والنون ولكنه عبارة
باوجز كلام يؤدى المعنى التام المفهوم اذ ليس في لغة العرب كلام التحقيق بحرفين يؤدى الى المعنى المفهوم اوجز من هذا وما سوى
فهو من الصلاة والادوات ولا يفهم معناها والله اعلم ثم الاية ترد على من يقول بان خلق الشئ هو ذلك الشئ نفسه لانه قال اذا قضى
امرا وذكر كن فيكون ولو كان التكوين والمكون واحدا لم يحتج الى ذكر كن في موضع العبارة عن التكوين فالكن تكوينه فيكون المكون
فيدلنا انه غيره ثم لا يخلو التكوين اما ان لم يكن يحدث ام كان في الازل فان لم يكن يحدث فاما ان حدث بنفسه ولو جاز ذلك في شئ لجاز
في كل شئ او باحداث اخر فيكون احداث باحداث الى ما لا نهاية له وذلك فاسد ثبت ان الاحداث والتكوين ليس بحادث وان الله تعالى
موصوف في الازل انه محدث مكون ليكون كل شئ في الوقت الذى اراد كونه فيه وبالله التوفيق **وقوله** وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا
الله او تاتينا اية قيل فيه بوجوه قيل الذين لا يعلمون يعلمون في الحقيقة ولكن سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم وقيل لا يعلمون توحيد ربهم
ومشركوا العرب قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم هلا يكلمنا الله او تاتينا اية تخبرنا بانك رسوله وقيل الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اى لا يعلمون
انهم لم يبلغوا المبلغ الذى يتمنون تكليم الله اياهم وقيل لا يعلمون انهم قد كلمهم واخبرهم بالوحى وانباء رسوله صلى الله عليه وسلم ايات على
رسالته لكنهم يعاندون **وقوله** كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل الذين من قبلهم بنو اسرائيل قالوا لموسى مثل ما قال المشركون
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقيل اليهود سألوا مثل سؤال النصارى وقيل النصارى سألوا مثل
سؤال اليهود والله اعلم **وقوله** تشابهت قلوبهم قيل تشابهت قلوبهم بالكفر والسفه وقيل تشابهت قلوبهم في المقالة يشبه بعضهم

بعضا في السؤال لانهم سألوا سؤال تعنت لا سؤال مسترشد **وقوله** كذلك قال الذين من قبلهم يحتمل وجهين احدهما هذا القول والثانى
ان سألوا سؤال تعنت لا سؤال مسترشد الا ان الله تعالى قد اثبت ايات الارشاد لمن يبتغى الرشد ولا وقع الا بالله **وقوله** قد بينا الايات لقوم
يوقنون قيل بينا امر محمد صلى الله عليه وسلم بالايات والحجج التى اقامها انه رسول لمن امن به وصدق ولم يعانده **وقوله** انا ارسلناك بالحق
قيل انا ارسلناك يا محمد لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد وقيل بالحق بالحجج والايات بشيرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا لمن عصاه وخالف
امره بالنار وقيل بالحق الذى لله على الخلق وللخلق الذى لبعض على بعض لتدعوهم اليه وتحملهم عليه **وقوله** ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
وجاز ان يكون بمعنى لا تسأل بعدهذا عنهم ولم تذكر انه سأل عنهم بغيره فيكون ذلك اية له بما هو خبر عن علم الغيب قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليت شعرى ما فعل ابواى فانزل الله تعالى هذه الاية وفيها لغتان لا تسأل بنصب اللام وهو ما ذكرنا ويحتمل وجها
اخر اى لا تشتغل باصحاب الجحيم فان ذلك تكلف منك وشغل وفيها لغة اخرى برفع اللام لا تسأل عن اصحاب الجحيم اى لا تسأل انت
يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو كقوله ولا تسألون عما كانوا يعملون وكقوله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى ونحوه **وقوله** ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اختلف في الملة قيل الملة السنة كقوله بسم الله وعلى
سنة رسول الله وكقوله تعالى واتبع ملة ابرهيم حنيفا وقيل الملة الدين كقوله عليه السلام لا يتوارث اهل الملتين وقيل الملة ههنا القبلة
وهو كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم آيس عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع
اولئك دينه وقبلته لانهم يختارون الدين والقبلة بهوى انفسهم لا لطلب الحق وظهوره ولزوم الحجة وذلك ان النصارى انما اختاروا
قبلتهم المشرق لان مكان الحبل الذى كان فيه عيسى في ناحية المشرق بقوله اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا واليهود اختاروا
قبلتهم ناحية المغرب لان موسى عليه السلام كان بناحية الغرب لما اعطى الرسالة وكلمه ربه كقوله وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى
موسى الامر واما اهل الاسلام فانما اختاروا الكعبة شرفها الله تعالى قبلة بالامر لا اتباعا للهواهم والعقل يوجب ان تكون الكعبة قبلة اذ
هى مقصد الخلق من افاق الدنيا فلما احتيج في الصلوة الى التوجه كان احق ذلك الموضع الذى جعل للخلق مقصدا اخرى ثم قوله تعالى
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اخبر عز وجل رسوله ان ليس في وسعك ارضاء هؤلاء لاختلافهم في الرغبة
في الملل فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه ان لا يتبع قيل لان العصمة لا تزيل المحنة ولا تدفعها بل المحنة انما تقع
في العصمة لوجهين احدهما ان عصمة لا معنى لا توجب عصمته في الحادث والثانى ان احق من ينهى عن الاشياء من اكرم بالعصمة اذ على
زوال النهى يرتفع عنه جهة لانه يصير برفع النهى مباحا فلهذا دل القول على نهى ما فيه ارضاؤهم وان كان في الاصل معصوما عنه
وبالله التوفيق وفائدة الامر والنهى انه لا فائدة العصمة لان العصمة ان يعصم في الامر حتى يؤديه وفي النهى حتى ينتهى عنه و
بالله التوفيق **وقوله** قل ان هدى الله هو الهدى قيل ان دين الله الذى اختاره اهل الاسلام بالامر واتباع الايات والحجج هو الدين لا
كما اختارا ولئك بهوى انفسهم واستقبال الايات والحجج بالرد والانكار والمعاندة يحتمل ان يكون الخطاب في قوله ولئن اتبعت اهواءهم
بعد الذى جاءك من العلم والبيان اصحابه ومن دخل في دينه وصدقه لا هو وذلك كثير في القران يخاطب هو والمراد غيره **وقوله** ما لك
من الله من ولى ولا نصير ظاهر من ولى يتولى الدفاع عنك ولا نصير يمنعك من العذاب ويحتمل ينصرك فتغلب به سلطان الله فيما يريد
تعذيبك **وقوله** الذين اتيناهم الكتاب قيل الكتاب اراد به القران ومن حمله على التورية والانجيل قال فيه اضمارا وكانه قال الذين
اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون اى ان تلوا حق تلاوته فحينئذ يؤمنون به وقيل يتلونه حق تلاوته يعنى يعملون
به حق عمله ولا يكتمون نعته صلى الله عليه وسلم ولا يحرفونه اولئك يؤمنون به وهم الذين اسلموا منهم وقيل يتبعونه حق اتباعه وهو واحد ومن
حمله على القران قال الذين يتلونه حق تلاوته اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات قيل الابتلاء والامتحان
في الشاهد استفادة علم خفى عليه من الممتحن والمبتلى به ليقع عنه علم ما كان ملتبسا عليه وفي الغايب لا يحتمل ذلك اذ الله عز وجل في الازل
بما كان وما يكون في اوقاته ابدا ثم يرجع الابتلاء منه الى وجوه احدها ان يخرج مخرج الامر بالشئ والنهى عنه لكن الذى ذكر بلفظ الامر
والنهى فسمى ابتلاء من الله والثانى ليوجد ما قد علم الغيب علم الله انه يوجد موجودا وليكون ما قد علم انه سيكون كائنا وعلى هذا يخرج قوله
حتى نعلم المجاهدين منكم حتى نعلمه موجودا كما علم انه يوجد كما قال عالم الغيب والشهادة علم الغيب علم انه موجد وعلم الشهادة علم به موجودا
حتى يوجد الذى علم انه يجاهد منهم مجاهدا ويصبر صابرا ثم اختلف في الكلمات التى ابتلاه بها فقال بعضهم الكلمات التى ذكرت في سورة
الانعام وهو قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا وراى القمر بازغا وراى الشمس بازغة هى الحجج التى اقامها على قومه بقوله وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه وقيل ابتلاه بعشر فعلهن خمسة في الرأس وخمسة في الجسد لكن في هذا ليس كبير حكمة اذ يفعل هذا كل واحد
ولكن الحكمة فيه هى ما قيل انه ابتلاه بالنار حيث القى فيها فصبر حتى قال له جبريل استعن بى فقال له اما منك فلا وابتلى باسكان ذريته
الوادى الذى لا ماء فيه ولا زرع ولا غرس وابتلى بالهجرة من عندهم وتركهم هناك وهم صغار ولا ماء معهم ولا زرع ولا غرس وابتلى
بالهجرة الى الشام وابتلى بذبح ولده ابتلى باشياء لم يبتل احد من الانبياء بمثله فصبر على ذلك ففى مثل هذا يكون وجه الحكمة وفيه لغة اخرى
وانا ابتلى ابرهيم بالرفع ربه بنصب الباء ومعناه والله اعلم انه سأل ربه بكلمات فاعطاهن وهو ما قيل مقاتل وهو ما قال اجعلنى للناس اماما قال

ثم واجعل هذا المكان امنا قال نعم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال نعم قال وارنا مناسكنا وتب علينا انك
انت التواب الرحيم قال نعم واجعل هذا البلد آمنا قال نعم قال وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال نعم مثل هذا سال ربه
فما اعطاه من اياه وقوله انى جاعلك للناس اماما يحتمل جعله رسولا يقتدى به لان اهل الاديان مع اختلافهم يتبرون به و
يقرون بنبوته ويحتمل اماما من الامامة والخلافة وقوله ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين فان قيل كيف كان قوله لا ينال
عهدى الظالمين جوابا لقوله ومن ذريتى وكانت الرسالة فى ذريته ابراهيم كقوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه قيل يحتمل قوله
ومن ذريتى احب ان يكون الرسالة تدوم فى ذريته ابدا حتى لا يكون بين الرسل فترات فاخبران فى ذريته من هو ظالم فلا ينال الظالم
عهده ويحتمل ان يكون سؤاله جعل الرسالة فى اولاد اسمعيل لان العرب من اولاد اسمعيل فاخبران فى اولاده ظالم فلا ينال والعهد ما ذكر
هو الرسالة والوحى وقال الحسن لا ينال الظالم فى الآخرة العهد ويحتمل ان يكون المراد من ذلك ومن ذريتى فاخبران فيهم من لا يصلح لذلك ويحتمل
ان يريد به الامامة لا النبوة وقد كانت هى فى نسل كل الفرق النبوة كانت فيهم ويحتمل ان يكون تعهد خصوصا من ذريته ممن علم الله آنه
فيهم من لا يصلح لذلك ولا يحتمل ان يريد به الامامة لا النبوة وقد ذكرنا وقال الاصم قيل له انه من ذريتك لكن لا ينال من ذكر ولهذا
خص بالدعاء من آمن منهم دون من كفر وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا قيل المثابة المجمع وقيل المثابة المرجع يثوبون يرجعون
وقيل يحجون وقوله مثابة للناس وامنا هو فعل العباد لانهم يامنون ويثوبون اخبر انه جعل ذلك ففيه دلالة خلق افعال العباد ثم
يبين فيه عز وجل شرف استباق الناس اليه وتمنيهم الحضور بها مع احتمال الشدايد والمشقة ويحتمل المؤن مع بعد المسافة والخطرات فدل
ان الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك الى قلوب الخلق وانه جعل من ايات الربوبية والوحدانية وتربيته سماوى لا من تدبير البشرية و
فيه دلالة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اخبر عما قد كان فثبت انه اخبر عن الله عز وجل وقوله وامنا من دخله عن عذاب الآخرة و
قيل امنا لكل محتوم اوى اليه من القتل وغيره كقوله ومن دخله كان امنا عن كل ما ارتكب واما عندنا فانه ان قتل قتيلا ثم التجا اليه
فانه لا يقتل ما دام فيه لانه لا يقتل لكن هنالك فعلى ذلك القصاص لقوله ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام وما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة حرام بحرمة الله اياها يوم خلق الله السموات والارض لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت
لى ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها وما روى عن ابن عمر رضى الله انه قال لو ظفرت بقاتل عمر فى الحرام ما قتلته
واذا قتل فى الحرم ويقتل به هنالك والوجه فيه ان اقامة مثله عليه فيما ارتكبه فى الحرم احق اذ هى كفارة لتنزجر عما ارتكب ولحق ما يتبع فيه
الزجر بمثله ما هو فيه من المكان واذا قتل فى غير الحرم ثم التجأ الى الحرم قال ابو حنيفة رضى الله عنه لا يخرج من الحرم وابو يوسف رضى الله عنه
جعل ذلك للسلطان ذهب الى انه قال واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل كما قال وان قاتلوكم فيه فاوجب الاخراج من
حيث قتل قتيلا لم يخرج من الحرم اذا لم يخرج منه كما لم يقتل فى الحرم اذا لم يقتل فيه او نقول بالاخراج للقتل قصد ما لم يسع فعله فيه كان كا
لعيث يخرج يلزم فيه ما يجب بالقتل فعله فى موضع الحظر وبعد فانه لو لم يخرج لم يامن بالحرم بل زيد فى عقوبته اذ الاخراج عقوبة فقد زيد عليه
معا لو يجرى فى الكفار الذين نهوا عن قتلهم اخراجهم للقتل كذلك القاتل وذهب اللاحق الى انه يخرج لاقامة الحد عند ابى حنيفة رضى الله عنه
وان لم يرتكب فيه واخراج المرتكب له قليل فى الحكم من اقامته عليه لانه لان اخراجه للقتل لم يرفع من الحد لانه يصل الى قتله والمنافى للقتل
عقوبة واحدة وفى الاخراج عقوبتان ثم لم يلزمه العقوبة الواحدة وهى القتل اذا لم يقتل فيه كان من ان لا يلزمه العقوبتان احق وقوله
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى تختلف فى مقام ابراهيم عليه السلام منهم من جعل الحرم كله مقامه يصلى اليه لمقامه هنالك باولاده ومنهم
من جعل المسجد مقامه لانه كان مكان عبادته فهو المصلى ومنهم من جعل ما ظهر من مقامه وهو موضع ركوبه ونزوله لما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قدم مكة قام الى الركن اليمانى فقال عمر يا رسول الله الا نتخذ مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وعندنا القبلة البيت كقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره وقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس اى مقاما للقيام بالعبادات
وقوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل فيه الامر بيناته ان طهرا بيتى يحتمل التطهير لوجهين احدهما عن الاصنام والاوثان التى
كانت هنالك وعبادة غير الله والانجاس ويحتمل التطهير عن كل انواع الاقذار وعن كل انواع المكاسب على ما روى فى جملة المساجد و
قوله للطائفين قيل الطائف هو القادم سمى طائفا لدخوله بطواف وقيل لاستحباب الطواف لذلك قال اصحابنا الطواف للقادم افضل
من الصلوة والصلوة للمقيم افضل والعاكف المقيم والركع السجود منهما جميعا وقيل العاكف المجاور وقوله واذ قال ابرهيم رب اجعل
هذا البلد آمنا قد ذكرنا الوجه فى قوله امنا وقوله وارزق اهله من الثمرات لما علم ان المكان ليس بمكان ثمر ولا عشب دعا وسأل الله ان
يرزق اهله عطفا على اهله وعلى كل من خاب اليه من الآفاق ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه احدها انه لما امرهما بتطهير البيت عن الاصنام
والاوثان ظن انه لا يجعل لسوى اهل الايمان هنالك مقاما فخصهم بالدعاء وسؤال الرزق والثانى انه اراد ان يجعل ايه من ايات الله
لبرغب الكفار الى دين الله فيصيروا امة واحدة كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية ووجه آخر
قيل ان كان قيل له لا ينال عهدى الظالمين فلعله خشى ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهم على ما فيه العصيان وفى ذلك دليل ان لا بأس ببيع
الطعام من الكفرة ولا يصير ذلك كالمعونة على ما هم عليه ويحتمل الرغاء الليهم الكفرة القبيح اذ ذلك اشنع من يعبد غير الله وقوله

ومن كفر فامتعه قليلا النعم لان الدنيا دار محنة لا توجب النظر الى المستحق النعم من غير المستحق ولا الى الولى من العدو وفى الدنيا وانما
الآخرة فهى دار جزاء ليست بدار محنة فيوجب النظر الى المستحق النعم من غير المستحق ومعنى قوله قليلا لان الدنيا كلها قليل ثم الامتحان
على وجهين امتحان بالنعم وامتحان بالشدايد وقد قرئ فامتعه على معنى دعاء ابرهيم عليه السلام ومن كفر فامتعه بالجزم فان قيل
لم لا كان تفاصل الامتحان بتفاصل النعم وانما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل ويعلم ان المؤمن هو المفضل بالعقل كيف لا وقع فضل
ما به يمتحن وهو النعم لان العقل الذى به يدرك الحق واحد لا تفاضل فيه لاحد ثم العقل الذى به يمتحن واحد فيهما متساو وبان فيما به درك
الحق لان احدهما يدرك فيتبعه والآخر يدركه فيعاند فهو من حيث معرفته ذو عقل اعرض عنه فسمى معاندا اذ من لا عقل له يسمى مختلا
وقوله ثم اضطره الى عذاب النار ذكر الاضطرار وهو كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وهو السوق وكقوله ونسوق المجرمين
انهم يساقون اليها ويدعون لانهم يأتونها طوعا واختيارا وقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد واسمعيل ربنا تقبل منا امر برفع البيت
وبنائه ففعلا ثم سألا ربهما ان يتقبل منها فهكذا الواجب على كل مامور بعبادة او قربة اذا فرغ منها ودعاه ان يتضرع الى الله ويبتهل
ليقبل منه وان لا يرد عليه ليضيع سعيه وقوله وبئس المصير اى بئس ما صار واليه وقوله انك انت السميع العليم لدعائهم العليم
بما نووا واضمروا وقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك والاسلام قد ذكرنا فيما تقدم انه يتوجه الى وجوه احدها هو الخضوع والتذلل
والثانى هو الاخلاص ثم اختلف اهل الكلام فى الاسلام فقال بعضهم انه يتجدد فى كل وقت لذلك سالوا ذلك وهو كقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا امنوا بالله ورسوله معناه امنوا بالله فى حادث الوقت لانه تارك فعل الكفر فى كل وقت فيترك الكفر بتجدد الايمان وعلى
وعلى ذلك يخرج ما قلنا فى الزيادة بقولهم زادتهم ايمانا ما يتجدد له ويزداد فى حادث الوقت وقال الآخرون كان سؤالهم الاسلام سؤال
الثبات عليه والدوام وقد ذكر ان العصمة لا تزيغ خوف الزوال ومثل هذا الدعاء والسؤال على قول المعتزلة يكون عبثا لانه لا يملك
اعطاء ما سالوا عندهم بل هو الذى يملكون ذلك فيخرج السؤال فى هذا عندهم مخرج اللعب والعبث نعوذ بالله من السرف بالقول
والزيغ عن الهدى ثم الايمان هو التصديق بالقلب يتجدد فى كل وقت فلا وقت يخلو القلب عنه فى حال سكونه وحال الحركة والله اعلم
وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك يحتمل ان الامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لم يكن من اولاد اسمعيل رسول سوى محمد
صلى الله عليه وسلم فسألا ان يجعلا من ذريتهما رسولا وامة مسلمة خالصة له وانما الرسل كانوا من اولاد اسحاق ومن نسله والله اعلم وقوله
وارنا مناسكنا وقيل فى قوله وارنا مناسكنا اى بالارادة الى يوم القيمة يدل عليه قراءة عبد الله وارهم مناسكهم وفى قراءة غيره على ضم
الرؤية الى نفسه والنسك هو القربة وانما الحج سمى مناسكا ثم لا يحتمل ان يسالا ذلك من غير امر سبق منه عز وجل بذلك لانه ليس من
الحكمة سؤال ايجاب فضل عبادة او قربة بغير امر فدل انه قد سبق منه بذلك امر لكنه لم يبين لهما فسالا تعليم ماهيتها وكيفيتها فعلمهما
جبريل ذلك ففيه دلالة تاخير البيان عن وقت قرع السمع الخطاب لانه امر بالنداء للحج ولم يعلم والثانى ان آدم والملائكة قد كانوا
حجوا هذا البيت قبل ابرهيم عليه السلام فدل ان الامر به قد سبق والثالث قوله فى نفس الحج ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ثم لا يحتمل لزوم الكلفة بالخروج قبل وجوب الحج لما لم يأمر بفعل ما له ايجاب الحقوق والفرائض لكنها وجبت بشكر ما انعم عليه فدل ان الحج
كان واجبا قبل الخروج وقد تأخر الامكان فثبت البيان والله اعلم ويحتج بقوله اقيموا الصلوة ان ظاهره يوجب خضوعا لزم ما اداه
السمع على تأخر ماهيته وكذلك الزكوة وكذا ظاهر قوله ولله على الناس حج البيت ويحتج ايضا بقول القائل وسؤاله رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اوقات الصلوة ففعله فى يومين وقد كان يمكنه تعليمه وقت السؤال لكنه أخر فدل ان البيان يجوز تأخيره عن وقت قرع الخطاب
السمع ثم فى تأخير البيان محنة المخاطب به امر فى تعليم العلم مراد ما تضمن الخطاب والله اعلم وذكر فى امر الحج عند كل نسك من المناسك شيئا
لكنها ذكرت الاحوال كانت فى شأن آدم وامر ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقد كان الحج قبلهم وقد ذكر فى امر الرمل انه كان
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ليعلم به قوتهم حتى قال عمر رضى الله عنه على ما اهتز كتفى وليس احد اراه لكنى اتبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم او كما قال رضى الله عنه وقد ذكر ذلك فى قصة ابرهيم عليه السلام انه رمل ولم يكن فى وقته من كان الفعل لاجله وكذلك غيره من الانبياء
عليهم الا انا نقول جعل الله كذلك لعلمه بالحاجة الى ذلك فى وقت فجعل ذلك نسكا فحفظ ذلك على حق النسك وان لم يكن المعنى معاودنا له
فى كل وقت على ما قيل ان صلة الرحم تزيد فى العمر بمعنى جعله الله اجله ذلك بما علم انه يصل الرحم فيكون صرف العمر الى تلك المدة لذلك
وكما يكتب شقيا وسعيدا فى الازل للوقت الذى فيه يكون ذلك ونحو ذلك والله الموفق ثم الاصل ان الله جل ثناؤه جعل على عباده
فى كل الانواع التى تتقلب فيها البشر المعاش والانواع اللذات لتكون العبادة منهم فى كل نوع مقابل ما يختار ذلك شكرا لما امكن من
لما يتلذذ به ويتعيش ذكل لذة وكل ما يتعيش نعمة خصه الله بها اصلها بلا تقدم سبب يستوجبها العبد فلزم فى الحكمة الشكر لمن اسدى
اليه تلك النعمة وعلى ذلك يجد التقلب من حال القيام الى حال القعود والاضطجاع امرهم فى البشر من انواع اللذات فتلك يكون العبادة بذلك
النوع عامة نحو الصلوات وعلى ذلك معنى الرق والعبودة لازم لا يفارق فتلك الاعتراف به والاعتقاد دائم لا محالة لا يخلو منه وعلى ذلك
امر بعطاء النفس شهواتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعم الاوقات عموم التقلب من حال الى حال اذ لا يخلو عنها المرء وان كانت مختلفة فجعلت عبادات
القيام فى خواص الاوقات ثم لم يعد ما بين الاوقات امتدادا متراخيا فعلى ذلك جعل الفرع عن الصيام لم يجعل كذلك بل فى كل سنة مقادير

الصيام في كثير من الامور ثم للناس في الاموال معاش وبها تلذذ منها قوت لابد منه فلا ارتفاق بمثله لازم لا يحتمل جعل القربة به سوى
ان جعل بعينه قربة اذ فرض على المرء الاستمتاع به ومنها فضل فيه جعلت قرب التصدق لانه لم يحق التلذذ لا يبقى مالا بد منه وكذلك نوع تقلب
الاموال في النفس التي هي بحق الضرورة لم يجعل المثل ذلك فضل قربة يؤدى بها سوى ما به حرج وذلك يجعل بحكم الفرض عليهم ولا نذر به وكذلك امر
الصيام لم يجعل عاما بدمن القوة ولكن فضل قوة في الاحتمال لكن الزكوة هي من حقوق ما يجوز ان يكون هي اغنيا من عليهم فرض عليها البذل غيرة
من حقوق الافعال لا احتمال ان يصير السبب الذي له به يجب ان يكون لغيره فيجب عليه فجعل فرض ذلك الفعل في نفسه وهي تجب لاحوال لاحد بين
احدهما ان فيها حقوق شائع على نحو النفقات فاخرت هي الى الحول تخفيفا او لما هي يجب فيه الاحكم الفضل والفضل ما يفضل عن الحاجة والحاجة
يتجدد في اوقات لانها تتابع لا تنظر في مثله الفضل لا يدرى بينة اكثرها حول ثم فرض الحج جعل في العمر مرة لانه في حق الاسفار المربية الحالة
يختار مثلها اللذات الا في النوادر فلم يوجب مثله الاخصاصا فاوجب في جميع العمر مرة وقتا وجب في الاموال في كل سنة لا زاد باب الاموال قد
يتقلبون في البلاد النائية رغبة في فضول اللذات فلذلك يجوز فرض مثل ذلك امر الجهاد على ان الجبال كالذي لا بد من الاقوات اذ في ترك
ذلك خوف غلبة الاعداء وفيها تلف الابدان والاديان فعرض على قدر ما فرض من الاقوات لما بينت من الحال ثم كانت احوال اهل السفر يكون على
غير المعروف من احوال المقيمين في حق الرزانة والوقار وحق الانبساط والنشاط فعلى ذلك فرائض الامر من نحو الجهاد فيه انواع ما وجد في ضيق
من اللعب وكذلك امر الحج وعلى مثل هذا يخرج رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك فجعل ذلك في حق الاسفار سنة وان كان مثل ذلك عرف غير
ذلك عبثا اذ قد بينا تخرج العبادات على ما عليها احوال العباد بانفسهم لولا العبادات والله اعلم ثم جعل ذلك في امكنة متباعدة عن الاطراف اذ هو
بحق امر الاسفار يجب في المعهود فجعل النسك بنفسه بالذي به يقطع الاسفار ولا قوة ولا قوة الا بالله ووجه اخر من المعتبرات ان العبادات
جعلت انواعا منها ما يبلغ القيام بحقها العام فصاعدا لم يجز ان يجعل وقته ينتقض عن احتمال فعله ولا وقت من طريق الاشارة اجمع لمختلف
الاحوال بعد سقوط اعتبار العمر من السنة ثم فعل الحج قد يمتد ذلك ويجاوز ثم فجعل ذلك وقتا له وانما جعل العمر له لا وقت يشار اليه الاجمع
ما فيه مما يحتمله العام الاخر وما يتقدمه وما يؤخره ثم في العمر احوال لا يحتمل اضافتها الى الاعوام لان ما يضاف الى الحمام فذلك لكل عام وليس ما
يضاف الى العمر موجود بحق الاعوام فجعل ذلك وقته والله اعلم ثم الزكوة هي تجب في الاموال وسقطها الكسب ونحو وفضل غنى ولكن على ذلك
بكسب لاحوال الحيوة لا لما يخلف فلم يمتد امرها الى العمر على انها جعلت حقا للفقراء ومتى اريد بجعل الوقت له العمر يصير لغيره ويجب فيه
ما يجب في الاول فتبطل الزكوة وتبقى الفقراء بلا عيش اذا الله بفضله قدر اقوات الخلق ثم فضل الخلق في الاملاك حتى كان بعضهم بحيث
لا يملك شيئا وبعضهم يجاوز ما ينال الاضعاف عن سبب ان ذلك له بها ينتفي به كفاية الفقراء فلابد ان يجعل لذلك مرة يتوسع في ذلك
الفريقان جميعا ثم كانت الاقوات التي هي مجعولة للخلق يتجدد في كل عام على ذلك اذ جعلت اقوات الفقراء في اموال الاغنياء جعلت في كل
عام على ذلك اذ جعلت اقوات الفقراء في اموال الاغنياء على انه اذ جعلت اقوات الخلق في بركات السماء والارض جعلها الله متجددة يتجدد كل عام
ولا قوة الا بالله والصلوة والصيام عبادتان يلزم قوى الابدان فعلى ما يختلف قواها اختلفا في الامرها والترك وفي انواع الرخص لكن الصلوة
ليس فيها مكايدة ولا مدافعة اللذات اذ لا سبيل الى مثلها منتابعا لما يصير اللذة الما والشهوة وجعا فيبطل حق التتابع وفدد المفروض من
الصلوات لا يشتغل عما يقوم بها النفس والصيام يضاد ذلك ويجوز في البدن فجعل عبادة الصلوات في كل عبادة الصيام في اوقات
متراخية اذ هي تضاد معنى المجعول له الاغذية بان اقامة الابدان وفي الصيام خوف فنائها ذلك تستعين بطول الاغتذاء على اوقات الصيام
ولا قوة الا بالله وان شئت قلت ان الله انعم على البشر بما هو غذاء وقوام وبما هو لذة وشهوة ثم انعم عليهم بما هو لهم به رفعة وجاه عند الخالق
هي الاموال فالزمهم في كل نوع من هذه الانواع عبادات وعلى ذلك دفع كل نوع منها النعمة التي هي المرغوبة المختارة في الطبيعة والى
ما يدوم تلك يدعو العقل ببذل ما يستطيع منه ثم جعلت قوى النفس بشهواتها ونعم الاموال بانواع الكد والجهد فعلى ذلك حقوق حقوق
الاموال فلم يجعل الا في الفضل الذي لا اختيار لهم ان لا يبلغوا بالجهد ذلك ففي ذلك جعلت الحقوق على ما يحتمل الوسع لهم من الترتيب مع
اليسر الذي لعبده الله تعالى انه يريد بهم ذلك لا العسر والله اعلم **وقوله** وتب علينا انك انت التواب الرحيم دل سؤاله التوبة ان الانبياء
عليهم السلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم ثم فيه الدليل على ان العبد قد يسال عن ذلة لم يتعمدها ولم يقصدها لانهم
سالوا التوبة بجملة ولو كان تسبق منهم شيء علموا به وعرفوه لذكروه فدل سؤالهم التوبة بجملة على ان العبد مسؤول عن زلة لم يتعمدها **وقوله**
ربنا وابعث فيهم رسولا من جنسهم من البشر لان الاقرب الى المعرفة والصدق ممن كان من غير جنسهم كقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا الاية ويحتمل رسولا منهم اي من قومهم ومن جنسهم وبلسانهم لا من غيرهم ولا بغير لسانهم والله اعلم كقوله لقد جاءكم رسول من
انفسكم عزيز عليه **وقوله** يتلوا عليهم اياتك قيل الايات هي الحجج وقيل الايات هي الدين ويحتمل تدعوهم الى توحيدك والله اعلم **وقوله**
ويعلمهم الكتاب يعني القرآن ما امرهم به ونهاهم عنها ونحو ذلك والحكمة قيل الفقه يقول يعلمهم الكتاب وما فيه من الفقه وقيل الحكمة
ما فيه من الاحكام من الحلال والحرام وقيل الحكمة هي السنة ههنا وقيل الحكمة هي الاصابة وبعض هذا قريب من بعض وبالله التوفيق وقال
الحسن الحكمة هي القرآن اعاد القول به يعني تكرارا وقال ابن عباس رضي الله عنه الحكمة الفقه **وقوله** ويزكيهم قال ابن عباس رضي الله عنه
باخذ زكوة اموالهم فذلك يزكيهم كقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقيل يزكيهم الى ما به زكوة انفسهم وقيل يزكيهم بعمل

الصالح فان قال لنا قائل ممن ينتحل مذهب الاعتزال ليس الله عز وجل اضاف التزكية والهداية الى رسوله ولم يكن منه حقيقة فعل
التزكية والهداية ولا خلق ذلك منه كيف لا قلتم ايضا فيما اضاف ذلك الى نفسه انه ليس منه خلق ولا حقيقته سوى الدعاء والبيان
على ما لم يكن في اضافة ذلك الى رسوله سوى الدعاء والبيان قيل كذلك على ما قلتم انه اضاف ذلك الى رسوله بقوله ويزكيهم وبقوله وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وكقوله ولكل قوم هاد غير انه جعل الى نفسه فضل هداية لم يجعل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم واثبت زيادة
تزكية لم يثبت ذلك لرسوله عليه السلام كقوله انك لا تهدي من احببت ولكن يزكي من يشاء فدل اضافة تلك الزيادة الى نفسه على ان له
فضل فعل ليس ذلك لرسوله وهو خلق فعل الاهتداء وفعل التزكية وبالله التوفيق وبعد فان الرسول لا يحتمل ان يملك قدرة فعل احد
بقدرة عليه لو اراده بما اقدرهم الله على الفعل حتى قدروا فجاز ان يكون له عليه قدرة وتحقيقها جواز خلق ذلك له ومثله في رسوله
صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ولا قوة الا بالله **وقوله** انك انت العزيز الحكيم اي لا شيء يعجزه والعزيز بذاته وكل شيء دونه فهو عنه ذليل
وقيل العزيز المنيع وقيل العزيز المنتقم من اعدائه والحكيم هو المصيب في فعله والحكيم في امره ونهيه والحكيم هو الذي احكم كل شيء جعله دليلا
على وحدانيته ثم ذكر بعض المفسرين علل المناسك فقال سميت العرفات لما قيل له عرفت ومنا لما قيل له تمنه ورمي الجمار لما استقبل ابرهيم
الشيطان فرمى فهذه العلل لا تطمئن بها القلوب وتنفر عنها الطباع الا ترى انه ذكر في قصة فعل ذلك جملة فان المعنى الذي ذكر في ابرهيم
عليه السلام ثم ذكر في الخبر ان الملائكة قالت لادم حجبنا قبلك بالفي عام فثبت انهم قد فعلوا هذا كله ثم يمكن نصب الحكمة فيه من طريق
العقل وهو ان الحج قصد لزيادة ذلك المكان امر يختلف الافعال الواقع به الزيادة كالصلوة انها الخضوع لعينه لم فيها باحضار الافعال
المختلفة من حال الخضوع ثم المرء قد يخضع مرة بالقيام ومرة بالركوع ومرة بالسجود امر باحضار مختلف الافعال التي فيها المزورة غير ان
الصلاة تخالف الحج افعالها فعل العاشر امر باحضار حالة تذكره الوقوف والخضوع له مفرقا بين تلك الحالة وحالة المعاش ولهذا ينبغي
في كل مكان ثم افعال الحج في ظاهرها الى افعال المعاش وما اليه وقع القصد لا عينها غير ان فيه تكلف المعاش ولهذا ما لا يقتضي في كل مكان
وقوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ثم اختلف في الملة قيل الملة والدين السنة وقيل الاسلام وكله واحد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله**
الا من سفه نفسه بما يعمل من عمل السفه ويحتمل الا من سفه بنفسه اي بنفسه فكان انتصابه لا نتزاع حرف الخافض وقيل جهل نفسه فضيعها
في غير موضعها ولقد اصطفيناه في الدنيا بالنبوة والرسالة والعصمة ويحتمل ما جزاهم في الدنيا بثناء حسن لم ينقص من جزائهم في الاخرة
وانه في الاخرة لمن الصالحين في المنزلة والثواب ويحتمل لمن الصالحين لمن المرسلين ويحتمل ان يكون بشره في الدنيا انه كان من الصالحين
في الاخرة فيكون في ذلك وعد له بصلاح الخاتمة كما وعد محمدا صلى الله عليه وسلم بمغفرة ما تقدم من الذنب وما تاخر وفي ذلك ايضا وعد
بصلاح الخاتمة والله اعلم فاخبر بما كان بشره ويجوز تفاضلهم في الاخرة على ما كانوا عليه **وقوله** اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين قيل اخلص ويحتمل امره ابتداء اسلام على ما ذكرنا من يجدد في كل وقت بهمه ثم يحتمل ان يكون وحيا او حالية ان قيل كذا فقال
به فان كان وحيا فهو على ان يسلم نفسه لله ويحتمل ان يكون اسلام القلب بتقاضي الخلقة بالاسلام فان كان على هذا فهو على الاسلام ودون
توحيد ويحتمل اسلام خلقة كقوله الست بربكم قالوا بلى بخلقة وعلى ذلك يخرج قوله لابرهيم واذن في الناس بالحج من عام فاجابوه في
اصلاب اباءهم اجابة الخلقة وقت كونهم وقيل يحتمل امره ابتداء الاسلام كقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخره ثم قال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا يكون جواب قوله اسلم والله اعلم **وقوله** ووصى بها يعني بالملة والملة يحتمل ما ذكرنا ووصى بها
ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين وهو الاسلام ردا على قول اولئك الكفرة ان ابرهيم كان على دينهم لان اليهود زعمت
انه كان على دينهم يهوديا وقالت النصارى بل كان على النصرانية وعلى ذلك كانوا يدعون غيرهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا فلما ادعى كل
واحد من الفريقين انه كان على دينهم اكذبهم الله عز وجل في قولهم وردا عليهم ذلك فقال قل يا محمد ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما فعلى ذلك قوله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون اخبر عز وجل ان دينه كان دين الاسلام وهو الذي
اصطفاه له والدين الذي اختاره هو من اليهودية والنصرانية لقوله تعالى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى اي ليس له **وقوله** ام
كنتم شهداء يقول اكنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت قيل ويحتمل ان يكون ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله ام كنتم شهداء اي كنتم شهداء وصية يعقوب بنيه
اي لم تشهدوا وصيته فكيف قلتم ذلك ثم اخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك
الاية ونحن له مسلمون يعني مخلصين بالتوحيد وبجميع الكتب والرسل ليس كاليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ثم
يدعون ان دليل دين ابرهيم ودين بنيه ثم في الاية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الاخبار التي قالوا من غير نظر منهم في
كتبهم ولا سماع منهم ولا يعلم دل انه بالله علم وعنه اخبر **وقوله** قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الاية ينقض على من يستثني في ايمانه
لانه امرهم ان يقولوا قولا لا ثنيا فيه ولا شك وكذلك قوله فان امنوا بمثل ما امنتم به الاية ثم يحتمل ان يكون هذا ردا على اولئك الكفرة
حيث فرقوا بين الرسل امنوا ببعضهم وكفروا ببعض وكذلك امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعضها فامر الله عز وجل المؤمنين ودعاهم الى ان
يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعا لا يفرقون بين احد منهم كما فرق اولئك الكفرة ويحتمل ان يكون ابتداء تعليم الايمان من الله عز وجل

بهم بما ذكر من الجملة ثم اختلف في الحنيف قيل الحنيف المسلم وقيل الحنيف الحجاج وقيل كل حنيف ذكر بعده مسلم فهو الحجاج وكل حنيف
لم يذكر بعده مسلم فهو المسلم وقيل الحنيف المائل الى الحق والاسلام وقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به روى عن ابن عباس رضي الله عنه
قال لا تقرؤا فان امنوا بمثل ما امنتم به فان الله تعالى ليس له مثل ولكن اقرؤا فان امنوا بالذي آمنتم به او بما امنتم به وكذلك في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه فان امنوا بمثل ما امنتم به تصديقا لذلك وعلى ذلك قوله ليس كمثله شيء ان الكاف زائدة اي ليس مثله شيء وهو في حرف
ابن مسعود رضي الله عنه كذلك ويحتمل امنوا بلسانهم بمثل ما امنتم بلسانكم من الرسل والكتب جميعا فقد اهتدوا ويحتمل بمثل ما امنتم به اي
بلسان قبر لسانهم فقد اهتدوا وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون كانه والله اعلم لما ادعوا
ان ابرهيم ومن ذكر من الانبياء كانوا على دينهم فقال عند ذلك لا تسئلون انتم عن دينهم واعمالهم ولا هم يسألون عن دينكم واعمالكم
بل كل يسأل عن دينه وما يعمل به وقوله فسيكفيكهم الله هذا وعيد من الله عز وجل لهم ووعد وعد نبيه الصبر لهلاك اولئك كانوا
يتناصرون بعضهم ببعض فوعده عز وجل النصر فقتل بعضهم واجلاء اخرين الى الشام ومنع وقوله صبغة الله قيل دين الله وقيل
فطرة الله كقوله كل مولود يولد على الفطرة وقيل فطرة الله وقيل صبغة الله حجة الله التي اقامها على اولئك وقيل صبغة الله سنة الله ثم
يجيء قوله ومن احسن من الله صبغة اي دينا وسنة وحجة تدرك بالدلائل التي يصيبها واقامها فيه ليس كدين اولئك الذين اسسوا على
الحيرة والغفلة بلا حجة ولا دليل وقيل ان النصارى كانوا يصبغون اولادهم في ماء ليطهرهم بذلك فقال الله عز وجل صبغة الله يعني الاسلام
هو الذي يطهرهم لا الماء وقوله ونحن له عابدون قيل موحدون وقيل مسلمون مخلصون ويحتمل ونحن عبيده وقوله قل اتحاجوننا في الله
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى بالله منكم فانزل الله في ذلك قل
اتحاجوننا في الله وقيل في الله يعني في دين الله اي اتحاجون وتخاصمون في دين الله وقوله وهو ربنا وربكم اي اتحاجون في الله مع اقراركم
وعلمكم انه ربنا وربكم بقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم قيل لنا ديننا ولكم دينكم كقوله
تعالى لكم دينكم ولي دين ويحتمل لنا اعمالنا لا تسئلون انتم عنها ولكم اعمالكم لا نسأل نحن عن اعمالكم كقوله ولا تسئلون عما كانوا يعملون
ونحن له مخلصون دينا وعملا لا نشرك فيه غيره وقوله ام يقولون قيل بل تقولون وقيل على الاستفهام في الظاهر ايقولون ولكنه على الرد
والانكار عليهم وذلك ان اليهود قالوا ان ابرهيم ونبيه يعقوب وبنيه كانوا هودا او نصارى فقال الله تعالى قل ءانتم اعلم بدينهم
ام الله مع اقراركم انه ربكم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ومعنى الاستفهام هو تقريرهما قالوه كالرد عليهم والانكار ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله قيل الشهادة التي عنده انهم كانوا مسلمين ولم يكونوا على دينهم وقيل الشهادة التي عندهم بالاسلام انه دين الله
وانه حق وقيل الشهادة التي كانت عندهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بينه الله في كتابهم واخذ عليهم المواثيق والعهود بقوله لتبيننه
للناس ولا تكتمونه فكتموه وكذبوه وقيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول اليهود لابرهيم عليه السلام وما ذكر من الانبياء كانوا
هودا ونصارى فيقول الله عز وجل لا تكتموا الشهادة ان كان عندكم علم بذلك وقد علم الله انهم كاذبون وقيل الاسباط بنو يعقوب سموا
اسباطا لانه ولد لكل رجل منهم امة وقوله وما الله بغافل عما تعملون خرج على الوعيد اي لا تحسبوا انه غافل عما تعملون ويجوز ان يكون لم
ينبئهم على غفلة مما يعملون بل على علم بما يعملون خلقهم ليعلم ان ليس له في شيء من عمل الخلق له حاجة يخلقهم على رجاء النفع له ولا قوة الا
بالله خلقهم ليعلم ان ليس له في شيء من عمل الخلق له حاجة يخلقهم على رجاء النفع له ولا قوة الا بالله خلقهم وهو يعلم بعصيانهم وقوله
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الاية قد ذكرناها فيما تقدم وقوله سيقول السفهاء من الناس هذا والله اعلم هذا وعد كان من الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم انه يحوله الى الكعبة من بيت المقدس ولجنا دعا يقول له اليهود قيل ان يحول وقيل ان يقولوا له شيئا الا ترى الى قوله
قد نرى تقلب وجهك في السماء انه لو لم يكن فيها وعدا بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة لكان تقلب وجهه الى السماء بذلك تحكما منه
وتحكم عليه وليس لاحد على الله التخيير والتحكم عليه في الاحكام والشرائع ولا في غيرها فدل انه على الوعد لم ما نقل والله اعلم ثم فيه اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان اخبره على ما اخبر من التحويل الى الكعبة وذلك انهم لا يرون نسخ الشرائع والاحكام لانه كالبداء وكان
عندهم ذلك فعل من يجهل عواقب الامور كبان بنى بناء ثم نقضه لجهل منه به لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره ولو عرفوا ما النسخ
ما نفوا نسخ الشرائع والاحكام واما النسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم الى وقت ليس فيه بداء ولا نقض لما مضى بل تجديد الحكم في وقت بعد
انقضاء حكم على بقاء الاول لوقت كونه ليس على ما فهمت اليهود من البداء والنقض لما مضى كالبناء الذي وصفنا وبالله التوفيق وان كانت الاية
في غير اليهود من اهل مكة على ما يقول بعض اهل التفسير فقالوا انما يرجع محمد الى قبلتنا من القبلة الاولى يرجع الى ديننا قال الله عز وجل قل يا محمد لله
المشرق والمغرب والامكنة كلها والنواحي يامر بالتوجه الى اي ناحية شاء شرقا وغربا فالعظم له في الاتمام لامر والقبول لو عانه لا التوجه
نحو المشرق او نحو المغرب لجواهر وايتهن تمسوا لان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لظواهرها لا اتباعا لامر امر وبه وكذلك النصارى اتخذوا
المشرق قبلة لهوى انفسهم فاخبر الله تعالى عن المؤمنين انهم يأتمرون بامر الله حيث ما امروا توجهوا نحوه وقوله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم هذا رد على المعتزلة لانه اخبر عز وجل انه يهدي من يشاء ولا جائز ان يهدي وهو لا يهتدي وهم يقولون شاء ان يهدي ولكن لم يهتدوا
قوله من يشاء على ان مشيئة الهداية ليست للكل على ما قالت المعتزلة ان هدايته بيان ذلك للجميع وفيه دليل نسخ السنة بالكتاب لان القبلة

الحبيب المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب بل عملوا على سنة الاولين الماضين وحجة على الشافعي لانه لا يرى نسخ السنة بالكتاب
الا بعد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاذا عمل به صار سنة فهو نسخ السنة بالسنة لا نسخ السنة بالكتاب فهذا منه قبيح فاحش وفيه
نبذ الكتاب وهجره وقد نهينا عنه والتحكم على الله تعالى لانه لم يجعل للكتاب من القدر ما يقع فيه الزجر على ما كان عليه اتفاقا لا عمله صلى
الله عليه وسلم فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى ولكن لم نعرف ما النسخ وما قدره ولو علم لما قال بمثله وهو عندنا ما ذكر
من بيان منتهى الحكم الى وقت دون الله جل جلاله نصب الاحكام والشرائع في كل وقت بين ذلك مرة بالكتاب وتارة على لسان المصطفى صلى الله
عليه وسلم وبالله التوفيق ولما جعل له صلى الله عليه ان يعمل به فنسخ الكتاب فيه تلك الشريعة فكذلك في غيره من الناس والله اعلم وقوله
وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذلك لا يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على العطف على ما سبق من الخطاب وهو والله اعلم معطوف على
قوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الاية كانه قال كما وفقكم على الايمان بما ذكر وهداكم للاسلام كذلك جعلكم امة وسطا
يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس ثم اختلف في قوله على الناس قيل على معنى اللام اي للناس وهذا جائز في اللغة سائغ كقوله وما ذبح على
النصب اي للنصب وقيل على معنى على ان تشهدوا على الامم للانبياء على تبليغ الرسالة ويشهد الرسول لهم بالعدالة وفيه دليل قبول
شهادة اهل الاسلام على اهل الكفر ورد شهادتهم علينا لانه لو قبلت شهادتنا عليهم على التبليغ ثم شهدوا ولنا بانهم لم يبلغوا لكان
فيه تناقض فدل ان شهادتنا تقبل عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا والله اعلم وقوله لتكونوا شهداء على الناس الذين ابوا اجابة الرسل ويكون
الرسول عليكم شهيدا انه جاءتهم الرسالة وذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية اضاف الله اليه جعلهم امة وسطا ثبت ان الله في
فعل ذلك فعل به ذكرته والله اعلم قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا قال الوسط العدل اخبر عز وجل انه جعل هذه الامة عدلا فالعدل هو المستحق
الشهادة والمقبول لها ففيه الدلالة على جعل هذه الاجماع حجة لانه وصفها بالعدالة وصيرها من اهل الشهادة فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا
لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا والشهادة فيه انه من عند الله ويقع لهم ذلك والثاني قال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اخبر ان فيهم صدقة
يلزم اتباعهم والثالث ما قال عز وجل ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ولا يجوز الوعيد في مثله الا لم يكن ذلك هو الحق عند الله
والرابع قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول امر عز وجل عند التنازع الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ندل انه
اذا لم يتنازعوا لم يجب الرد الى ما ذكر والله اعلم وقوله شهداء على الناس روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يسأل الله تعالى يوم القيمة الامم
عن تبليغ الانبياء رسالته اليهم فينكرون ثم يأتي بهذه الامة فيشهدون عليهم بالتبليغ فذلك قوله لتكونوا شهداء على الناس ويشهد
الرسول عليهم يعني بالعدالة والتزكية والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وفي قوله لتكونوا شهداء على الناس وجهان احدهما على الكفرة وفي
ذلك دليل قبول الشهادة المسلمين عليهم ورد شهادتهم عليهم لما بينا نقض نيزول منفعة الشهادة عليهم والثاني ليكون من شهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد على من يكون بعدهم وفي ذلك دليل نهي من تاخر الصحابة رضوان الله عليهم عن الخلاف فيهم ويكون الرسول
شهيدا عليكم اذا اطعتموه وعصيتموه وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول فهذا والله اعلم لما كانوا
في المتابعة على قسمين منهم من تبعه لما وافق هواه ومنهم من تبعه لما علم انه الحق من عند الله فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع
علم ذلك عندهم من المتبع له بهواه ومن المتبع له بالامر والطاعة وقيل ايضا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول قيل ليعلم ما قد علم انه يكون
كائنا وليعلم ما قد علم انه يوجد وقيل انه يجوز ان يراد بالعلم المعلوم معناه والله اعلم الا ليكون المتبع له والمنقلب على عقبيه ثم
الاصل في هذا ونحوه من قوله حتى نعلم المجاهدين منكم اذ لا نصف الله تعالى بالعلم في الخلق على غير الحال التي الخلق عليها لانه وصفنا اياه
بالعلم على غير الحال الذي عليها الخلق يؤدي الى وصف بالجهل لانه لا يجوز ان يقال نعلم من الساكن في حال السكون حركة او السكون في حال
الحركة او نعلم من الجالس قياما او القائم جلوسا وكذلك لا يجوز ان يقال نعلم من العدم موجودا ومن الموجود معدوما في حال وجوده لانه
وصف بعلم ما ليس وهو محال وبالله العصمة وقيل ان كل علم يذكر على حدوث المعلوم بذكر الوقت للحدث لانه لا يفهم بذكره قدم المعلوم في
الازل واذا وصفنا الله بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصف بالذي نصفه به في الازل المتعالي عن التغير والزوال وعن الانتقال
من حال الى حال ولا قوة الا بالله وقوله وان كانت لكبيرة يعني تحويل القبلة لكبيرة ثقيلة على من كان اتباعه لهواه دون امره لا على
الذي يتبع امر الله فيها ويعتقد طاعته فانها ليست بثقيلة عليه ولا كبيرة وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال بعض اهل التفسير ان
قوما صلوا الى بيت المقدس ثم ماتوا على ذلك فلما حولت القبلة الى الكعبة قالوا ضاعت صلوتهم التي صلوا اليها اشفاقا عليهم لكن هذا بعيد
لا يحتمل لان الذي اعتقد الاسلام من الصحابة رضي الله عنهم وعرف موقع امر الله وامر رسوله لا يجوز ان يخطر ببالهم حتى يسألوا عن ذلك
بل كانوا اعلم بالله من ان يجد عندالله فيهم ذلك ولانهم قوم يأتمرون بامر الله وطاعته ويموتون على التصديق وعلموا انهم مؤمنون ثم يشكون
في حالهم لكن ان كان ثمة سؤال فهو من اليهود الذين اعتقدوا ابطال التناسخ في الاحكام والشرائع فكانوا يحتجون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بانه ينهى عن التفريق والاختلاف ثم يدعوهم الى ذلك او قوم من الكفرة اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وافرطوا في التكذيب له والخلاف
والمعاداة فارادوا الاسلام فظنوا ان ما كان منهم من العصيان والتكذيب يمنع قبول الاسلام فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم
لما كان منكم في حال الكفر الا ترى ان اخر الاية يدل عليه وقوله ان الله بالناس لرءوف رحيم اخبر انه رحيم بتجاوز عمن تاب وقوم علموا ان لا

تناسخ في الدين ولا اختلاف فيه فظنوا ان نسخ الاحكام وتبديلها يوجب اختلافا في الدين وتفرقا فيه فنقول ان الايمان في الاصل
بالذي لا يقع على اعتقاد الصلوة الى جهة دون جهة بل يقع على الايمان فالايمان من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الذين ماتوا على
اعتقاد الايمان فهم يؤمنون باعتقاد الايمان الى بيت المقدس مؤمنون باعتقاد الايمان الى الكعبة فلا تفرق ولا اختلاف في الايمان
اذ في الاصل به وقع الاعتقاد للايمان وبالله التوفيق ثم قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم تأويله اي لا يضيع ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس
ولو كان على الصلوة فهو لوجهين احدهما انها قامت بالايمان فهو سبب لها وقد يذكر الشيء باسم سببه والثاني ان اليهود عرفوه ايمانا فورد
الخطاب على ما عندهم معروف كقوله فراغ الى الهتهم لا ان كان ثم الهة لكن لما عندهم وكذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين لا ان
كان ثم خالق سواه ولكن لما عرفوا كل صانع خالقا فخرج الخطاب على ما عرفوا هم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله قد نرى تقلب وجهك
في السماء قد ذكرنا انه يخرج على الوعد له وقوله قبلة ترضيها قال بعض المفسرين انه كان يقلب بصره الى السماء لما كان يكره ان يكون قبلته
قبلة اليهود ولكن هذا بعيد لان مثل هذا لا يظن باحد من المسلمين فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال كره كراهة الطبع والنفس
واما كراهة الاختيار فلا يحتمل ويقال انه كان حبب اليه الصلوة حتى لا يصبر عنها وقد نهي عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يؤمر بعد
بالتوجه الى غيرها فكان تقلب وجهه الى السماء رجاء ان يؤمر بالتوجه الى غيرها او ان يقال قبلة ترضاها لانها كانت قبلة الانبياء
من قبل فلا شك انه كان يرضاها وهذا جائز في الكلام يقول الرجل لاخر اعطيك شيئا ترضاه وان لم تظهر منه الكراهة في ذلك
لا الرد وقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وقد ذكرنا القول في القبلة والاختلاف فيه ما تقدم وقوله وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يحتمل قوله انه الحق وجهين اي علموا ان تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة حق لكنهم
يعاندون ويتبعون هواهم ويحتمل ان علموا بما بين لهم في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول وانه حق وما الله بغافل عما يعملون
وهو على ما ذكرنا انه على الوعيد والتهديد والله اعلم وقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك الاية في
قوم علم الله انهم لا يؤمنون ولا يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم في قبلته حيث لا يئسه عن متابعتهم اياه لانها لو كانت في اهل
الكتاب كلهم لكان لهم الاحتجاج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب عليه لان من اهل الكتاب من قد آمن فدل انهم
لم يفهموا من عموم اللفظ عموم المراد ولكن فهموا من عموم اللفظ خصوصا وكان ظاهرا في اهل الاسلام واهل الكفر جميعا المعنى
الذي وصفنا لك فظهر انه لا يجدون بغيهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
في موضع الاخبار وبالاياس عن الاتباع له ولا يوصل الى مثل الا بالوحي عن الله عز وجل وفيه ان كثرة الايات وعظمها في نفسها لا
يعجز المعاند عن اتباع هواه والاعتقاد لما يخالف هواه وقوله وما انت بتابع قبلتهم فيه الوعد له بالعصمة في حادث الوقت
وما يتلوه ويحتمل قوله وما انت بتابع قبلتهم اي وما لك ان تتابعهم في القبلة وهذا التأويل كانه اقرب لمخرج تلك الاية على الوعيد
له بقوله ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الاية وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي ويحتمل ان يكون الخطاب غيره وقوله
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم لان الاولاد انما تعرف بالاعلام والاسباب تتقدم فعلى ذلك معرفة الرسل عليهم السلام
انما تكون بالدلائل والاعلام وقد كانت تلك الدلائل والاسباب في رسول الله ظاهرة لكنهم تعاندوا وتناكروا وكتموا بعد معرفتهم به
انه الحق دليله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون والكتمان ابدا انما يكون بعد العلم بالشيء لان الجاهل بالشيء لا يوصف بالكتمان
وروي عن عبد الله بن سلام انه قال لانا اعرف به اكثر مما اعرف ولدي لاني لا ادري ما احدثت النساء بعدي وفيه الدلالة ان نعته وصفته
كانت غير متغيرة بوقته وانما غيرت بعد حينا خبر انهم كتموا ذلك قيل لا يعلمون لا يؤمنون وهو على ما بينا من نفي به ما نفى منفعته وجاز
ان يكون نزل عارفوه بما وجدوه من نعته في كتبهم كما قال الله عز وجل الرسول النبي الامي الذي يجدونه الاية وقوله فلا تكونن من الممترين
يحتمل ان يكون الخطاب له والمراد غيره ويحتمل هو وان كان يعلم انه لا يمتري لما ذكرنا في غير موضع ان العصمة لا تمنع النهي عن الشيء
وقوله ولكل وجهة هو موليها قيل فيه بوجوه قيل هو موليها يعني الله موليها ومحولها وقيل هو يعني المصلي هو موليها وقيل ولى اقبل و
ادبر هو موليها هو مستقبلها ويقال في قوله ولكل وجهة هو موليها لكل ملة من المسلمين قبلكم جعلت قبلتها الكعبة وقوله فاستبقوا
الخيرات قيل فيه بوجوه قيل بادروا الامم السالفة بالخيرات والطاعات وقيل استبقوا هو اسم الازدحام يقول تبادر بعضكم بعضا
بالخيرات ويحتمل اي استبقوا امر القبلة والتوجه اليها غيركم من الكفرة والله اعلم ورسوله وقوله اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا قيل
اينما كنتم يقبض الله ارواحكم من البقاع البعيدة والامكنة الحصينة وقيل اينما تكونوا اي في اي حال كنتم عظاما ناخرة او بالية او
رفاتا يجمعكم الله ويحييكم ولا يتعذر عليه ذلك وهو كقوله ائذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او
خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة اخبر ان شدة الحال عندكم لا يتعذر عليه ولا يشتد من الاحياء
والاماتة وقوله ان الله على كل شيء قدير من جمع ما ذكرنا من الاشياء المتفرقة واحياء العظام البالية وقوله ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام نقول والله اعلم حيث ما كنت من المداين والبلدان فول وجهك شطر المسجد الحرام وشطره تلقاءه ونحوه
وجهته وهذا يبطل قول من يقول ان الحرم قبلة لمن نأى عن البيت وبعد من اهل الافاق حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى

المسجد

المسجد الحرام حيث ما كانت من البلدان وبالله العصمة والتوفيق قال الشيخ رحمه الله ذكر المسجد ومعناه موضعا منه عرف
ذلك بالخصوص عنه من البقاع البعيدة والامكنة الخفية لا بالظاهر ولا ذكر وصل البيان به وقوله وانه للحق من ربك قيل وانه تحويل
القبلة هو الحق من ربك وقيل وانه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربك ويحتمل وانه يعني القران هو الحق من ربك وقوله ومن
حيث خرجت على ما ذكرنا وقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خاطب الكل وامرهم بالتوجه اليه حيثما كانوا حتى لا يكون هو
المخصوص به دونهم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة تأويل هذا الكلام والله اعلم انه لما اختار اليهود ناحية المغرب قبلة والنصارى
ناحية المشرق بهواهم فانزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب الاية يهدي من يشاء وقال فاينما تولوا فثم وجه الله
فيقطع عذرهم ويحاجهم بما بين في كتبهم انه يحوطهم وذلك معنى قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ثم اختلف في قوله للناس عليكم
حجة الا الذين ظلموا قيل اراد بالناس اهل الكتاب واراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وتأويله لئلا يكون لاهل الكتاب عليكم حجة ولا
الذين ظلموا وقيل لئلا يكون للناس يعني اهل الكتاب عليكم حجة فتقولوا ليس هذا الوصف في كتبهم انه يصلي الى بيت المقدس ثم انه
يتحول الى الكعبة الا الذين ظلموا منهم يقولوا لا من ظلم منهم عليكم في الكلام بلا حجة ولا دليل ومثل هذا جائز في الكلام يقول الاخر
ليس لك علي حجة الا ان تظلمني بلا حجة وقال الفراء هذا كما يقول الرجل لاخر الناس لك حامدون الا الظالم المتعدي عليك وقال بعض
المعنى خطأ في العربية وذكر بيتا يدل على الجواز ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان فلا دار مروان وقيل ايضا
الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم على القطع من الاول والابتداء بهذا اي لا تخشوا الذين قالوا في الصد لكم ولكن اخشوني في تركهم اباها
وان يقال لا تخشوهم بالقتال والغلبة فذلك لهم منه امن عن الاعداء وعلى هذا يخرج قوله ولاتم نعمتي عليكم يعني لا امن من الاعداء او اراد
بالنعمة كل نعمة من الاسلام والنصر وغيره ولعلكم تهتدون القبلة وتهتدون الارشاد والصواب وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم كما حرف لا يصح ذكره الا على تقدم كلام اذ هو حرف عطف ونسق وهو والله اعلم كما ارسلنا اليكم رسولا واتم عليكم بمعرفة
وحدانيته وبمعرفة محاجة الكفرة واتم عليكم باكرام اياكم لمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يجب عليكم ان تذكروه وتشكروا والله ويحتمل على
التقديم والتأخير على ما قاله اهل التفسير كانه قال فاذكروني كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وذلك في القران كثير وقال الفراء يحتمل كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم اذكروكم فيكون فيه جوابه لذلك جزم وهو كقول الرجل كما احسنت فاحسن وقوله ويعلمكم الكتاب وهو
القران والحكمة قيل فيه بوجوه قيل الحكمة الفقه وقيل الحكمة الحلال والحرام وقيل الحكمة السنة وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة هي الاصابة
ومنه سمي الحكيم حكيما لانه مصيب وقال الحسن الكتاب والحكمة واحد وهو على التكرار كقوله تلك ايات القران وكتاب مبين وهما واحد
وقوله ويزكيكم قال ابن عباس رضي الله عنه باخذ زكوة اموالكم فيه زكوتهم وقيل يزكيهم يدعوهم الى ما به زكوة انفسهم وصلاحها
وهو التوحيد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من التوحيد والشرائع والمحاجة مع الكفرة وما اكرمهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وما انعم عليهم من انواع النعم وقوله رسولا منكم خاطب العرب وذكرهم بما انعم عليهم من بعث الرسول فيهم ومنهم
وانزل الكتاب بلسانهم وهم كانوا يتمنون ذلك كقوله او يقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فمن عليهم بذلك وبه
استوجبوا الفضيلة على غيرهم وكفى بهم فضلا وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الاية وقوله فاذكروني قيل اذكروني بالطاعة
في الدنيا اذكركم في الاخرة بالنجاة وعن سيئاتكم وقيل اذكروني في الرخاء والسعة اذكركم في الضيق والشدة وقيل اذكروني في الخلوات
اذكركم في ملاء من الملائكة ويحتمل اذكروني بالشكر بما انعمت عليكم اذكركم بالزيادة عليها والله اعلم وقوله واشكروا لي ولا تكفرون
اي وجهوا شكر نعمي الي ولا تشكروا غيري ويحتمل اشكروا لي اي وجهوا العبادة الي ولا تعبدوا غيري والله اعلم وقوله يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلوة الاية قد ذكرنا تأويل هذه الاية فيما تقدم وقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
قيل فيه بوجوه قيل ان العرب كانت تعرف الموتى من انقطع ذكره اذا لم يبق له احد يذكر به من نحو الولد وغيره فيقولون عند موت هؤلاء
ان ذكرهم قد انقطع فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم مذكورون في ملاء الملائكة وقال الحسن ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنان وتعرض
ارواح الكفرة على النيران فيكون لارواح الشهداء فضل انه ما لا يكون لغيرهم من الارواح ويكون لارواح آل فرعون فضل الم بعرضها
على النار ما لا يكون لغيرهم من الكفرة ذلك فاستوجبوا اسم الحياة بفضل اللذة ما يجدون من اللذة على غيرهم اخبر عز وجل ان ارواحهم في
الغيب تتلذذ مثل تلذذهم على ما كانوا عليه في الاجساد في دنياهم وقيل ان الشهيد حي عند ربهم كما عرف في اللغة ان الشهيد هو الحاضر
اخبر عز وجل انهم حضور عند ربهم وان غابوا عنكم وقيل ان الحيوة والموت على ضروب منها الحيوة الطبيعي والحيوة العرضي والموت العرضي
فالحيوة العرضي هو اليقظة وهو الحيوة بالدين كقوله اومن كان ميتا فاحييناه وكقوله في الحيوة بالعلم انه ميت بالجهل والحيوة الطبيعي هو الذي
به قوام النفس والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس والشهادة هو الذي به اكتساب الحيوة في الاخرة سمي به حيا والله اعلم ويحتمل قوله
ولا تقولوا اموات لما ينفر طبعكم عن الموت ولكن قولوا احياء لترغب انفسكم في الجهاد اذ هو به حيوة الدنيا والدين مما يحتمل ان يكون
بفضله يجعل لهم ما كانوا احياء يعلمون فكانهم احياء فيما جعلت لهم حيوة الدنيا والله اعلم وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع و
ما ذكر فيه تذكير من الله تعالى الخلق لئلا يضجروا على ما يصيبهم من انواع ما ذكر من المصائب وفي كل نوع

من ذلك اضمار شيء من نحو بشيء من الخوف وبشيء من الجوع والله اعلم لان الله عز وجل اخبر في غير آي من القرآن انه خلقهم للموت والفناء وان ما اعطاهم من الدنيا والزينة فيها كله للفناء والفوات بقوله خلق الموت والحيوة ليبلوكم الاية وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اخبر ان الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف ان ذلك كله دون ما ذكر وليعلم ان اعطائهم من الحيوة والصحة والسلامة لم يكن اعطاء تمليك بل الافضال والاحسان وقد جعل المدة لا للابد فكانها في غير تلك المدة لغيرهم لا لهم فعرفوا به منته لوقت ومحنه وقت الاخذ ثم يحتمل ما ذكر من الخوف وجهين على جهة العبادة من نحو الامر بمجاهدة العدو والقتال معه ويحتمل لا على جهة العبادة وكذلك الجوع يحتمل الجوع الذي فيه عبادة وهو الصوم ويحتمل ما يصيبهم من المجاعة في القحط ما اصاب اهل مكة سنين وكذلك ونقص من الاموال يمتحنهم باداء الزكوة والصدقة ويحتمل الهلاك بنفسها وكذلك الانفس يحتمل الصرف على الوجهين اللذين ذكرتهما و كذلك الثمرات ثم لا يحتمل خصوص الامتحان بما ذكر دون غيره لانهم كلهم عبيده له ان يمتحنهم باجمعهم بجميع انواع المحن لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه لما عرفهم ان كل ذلك انما خلق للفناء فالبعض منه كذلك ليخف ذلك عليهم والله اعلم ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر الذين صبروا على المصائب التي امتحنهم بها عز وجل ولم يجزعوا لها وقالوا انا لله وانا اليه راجعون فيه الاقرار بوحدانيته عز وجل وبالبعث بعد الموت وقيل ان هذا الحرف خص به هذه الامة دون غيرها من الامم لانه لم يذكر هذا الحرف عن الامم السالفة الا ترى ان يعقوب عليه السلام على كثرة ما اصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال يا اسفى على يوسف ولو كان لهم هذا لظهر منهم على ما ظهر عن غيره فدل انه مخصوص لهذه الامة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله انه قال من استرجع جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضى به ثم الصبر هو حبس النفس عن الجزع على ما يفوت اذ هو كله لله عز وجل يستعاد عند الخالق والجزع على فوت ما لغيره مجال الا ترى الى قوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم لانا لا نحزن على ما يذهب عنا اذ هو في الحقيقة ليس لنا ولا نفرح بما اتانا اذ هو في الحقيقة لغيرنا والله الموفق **وقوله** اولئك عليهم صلوات من ربهم فيه الصلاة من الله عز وجل تحتمل وجوها يحتمل الرحمة والمغفرة ويحتمل الصلوة منه مباهاة الملائكة بحمدهم بالحمد لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كيف قلتم هذا وفيهم من يكون كذا وقيل الصلوة منه الثناء عليهم والكرامة تبلغ كرامة ثناء الله عليهم **وقوله** ورحمة قال بعضهم الرحمة والصلوة واحد وهو على التكرار وقيل الرحمة النعم وهي الجنة **وقوله** واولئك هم المهتدون شهد الله عز وجل بالاهتداء لمن فوض امره الى الله وفي تسليم القضاء وتفويض الشدائد وهو كما قال لكيلا كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها قال الشيخ رحمه الله وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف يحتمل ان يكون [illegible] فالشاهد لاستخراج الخفيات يكون بالامر والنهي [illegible] بل هو كما قال عالم الغيب والشهادة ثم له جعل الغيب شاهدا لجزيه بالمحنة ليعلم ما قد علمه غائبا شاهدا الذي هو موصوف بذلك في الازل وبالله التوفيق ثم كان العبد بجميع ما هو له من السعة والسلامة فهو لله في الحقيقة لكنه بفضله وكرمه يعامل عبيده معاملة ما ليس له ما كان يطلب منه ويامره به فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وقال وقرضوا الله قرضا حسنا الاية ليكون ذلك اطيب لانفسهم وارغب لهم في البذل لما طلب منهم وان كان له اخذ ذلك منهم بلا شيء يقدم عليه فعلى ذلك قال عز وجل ليبلوكم بالذي ذكر ليعلم على ان ذلك منه ليحملوا انه فيما كان وعد الاشتراء منهم وطلب منهم البذل بجزيل العوض لهم فيخف ذلك عليهم ويطلب به انفسهم او ان يكون يذكرهم اولا انه يبتليهم بالذي ذكر ليطيبوا انفسهم به ولا يتكلفوا ذلك من قلوبهم فيضجرون عند الابتلاء بذلك وكما كان خلاف الطبيع اذ كان عن رياضة اياه واشتغاله قبل النزول كان ذلك ايسر عليهم من ان ياتيه ذلك من حيث لم يعلم به معاكاة في ذلك خطرا بالقلوب نسبة مثله الى الخالق والتشام بهم فقدم الله في ذلك البيان ليعلموا ان ذلك بالذي جرى به الوعد وذلك كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية فبين ان ذلك مكتوب عليهم لتطيب الانفس وتطمئن القلوب عليه والاصل في هذا ان جميع ما ذكر البلوى به في التحقيق ليس بحق العبد بل هو امتنان من الله وافضال منه وانه لم يلتمس ولا احياء نشر الابدية ولا حجة التزهدية فعلى ذلك جميع ما انعم عليه واذا سكن العبد على هذا الذي جبل عليه امر نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطابت به نفسه مع ما يعلم انه انعم عليه لوقت ثم هو نعم لغيره فيكون المأخوذ منه في الحقيقة لغيره وان كان الله عز وجل ذكر في الابتلاء والمصائب فهو على ما اخبرت من كرمه فيما يعامل عبيده عز وجل ولا قوة الا بالله و قوله بشيء من الخوف والجوع فهو على اضمار الشيء في كل حرف اذ هو بحق العطف على ما تقدم فكانه قال بشيء من الخوف وبشيء من الجوع ولا قوة الا بالله ثم يتوجه ما اخبر من البلوى الى وجهين احدهما ان يبلوه بالذي ذكر لا على عباده يدفع اليه وذلك نحو ان يبلوه بانواع اوصاب يخاف عند ذلك على نفسه والجوع ان يبلوه بالصيام الذي فيه ذلك وبغلاء الاتراب وغلاء الاسعار ونقص من الا يكون في الجهاد والحج فالزكوة والمؤن المجعولة في الاموال ويكون في الخسران في التجارات وما يلحق انواع المكاسب من الجوائح والانفس يكون بالجهاد ومحاربة الاعداء ويكون بانواع الامراض والثمرات ترجع الى قلة الانزال وقصور الايدي عما به ينال ومؤن الاوطان الجهاد والحج وغير ذلك مما فيه ثم الله اخبر انه يبلوهم بشيء مما ذكرنا لا بالكل دلالة انه عز وجل لم يقطع عليهم كل المخارج بل جعل لهم في كل نوع من ذلك مسلكا وان كان في ذلك نقصا وضررا وجاز بلوغ ذلك تمام ما في كل نوع لكنه بلطفه قرب اليهم فيما خوفهم وجه الرجاء و

ذلك جميع افعال الذي امتحن انها مقرونة بالخوف والرجاء وكذلك هم في انفسهم ولا قوة الا بالله ثم ان الله دلهم على ما عليهم من الحق فيما اخبر انه يبلوهم به بحرف البشارة والوعد الجزيل الذي يسهل بمثله البذل بل لاحق بكيف ومن له كلية ذلك فقال الله تعالى وبشر الصابرين ثم وصف الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون هدى الله عبده على الاعتماد بحرف التوحيد عند المصيبة اذ جعل التوحيد داخلا في ذلك الحرف وفيه التبري من ان يكون له في حكم الله او راى وبذل النفس له يحكم فيها بما شاء **وقوله** انا لله كانه قال ما لنا فيما ليس لنا حكم ولا تدبير وابدا يكون الحكم في كل ملك لمن يملكه وبمثل هذا يقدر على كف الانفس عن الجزع و حملها على ما يكره **وقوله** وانا اليه راجعون فكانه اذا اليه مرجعنا لا فرق ان نرجع اليه جملة او بالتفاريق علينا الابقاء وفضل القبول منا البعض دون الكل وفي ذلك تذكير النفس عاقبتها ليكون لكن نعدم شيئا مما به قوام الى مكان قراره وقد انتهى الخبر بالبلوغ فمعلوم ان ذلك اطيب لنفسه واسكن لقلبه من ان يكون جميع ذلك معه وبالله التوفيق وجملة ذلك ان هذه الدنيا انشئت لانها ولكن ليكتسب بها الاخرة وجعل كل شيء منها زادا لا وفاينا للبال به الدائم الباقي فهذا لان حق كل فيما يصيبه ان يرى الذي انشاء وماله يسوق فيعلم انه يبلغ في تجارته غايتها من الربح وانه باع الشيء الفاني بالباقي معاكان كل شيء من الدنيا مادف بآفات الفناء والهلاك فابدل المادف بالذي لا آفة فيه فيجب في التدبير ان لا يعد ذا مصيبة بل هو على السرور ودفع الربح لكن البشر جبل على طباع نافرة عن كل الم جاهل بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل احد لا ان يتعرضها والله المستعان فان قال قائل هذا الاسترجاع خص به هذه الامة اذ قال يعقوب يا اسفى على يوسف الاية والله اعلم ان كان فهو موضع التلقين والتعليم ان ترى لو اذ ذلك لان هذا المعنى مما يحتمل ان يكون يعقوب لا يحققه بل حققه بقوله فصبر جميل الاية وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وهو مع ذلك قد كان بما اخبر يوسف دبما اوحى اليه انه قد علم انه لم يهلك بعد ولم يوجد منه الحيث يرجع هو اليه من البعث بعد الموت ولا قوة الا بالله ثم بين عز وجل ما يكرمهم ان حضر الحكمة ورضوا القضاء ثم معاد لعليهم ايضا بقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله الاية فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال في موضع اخر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فكان من فضله ان سمى ما وعدهم على الصبر اجرا ومعلوم ان كان ذلك حقا لله عليهم بالسابق من نعمه مع عظم منته لكنه سمى ما افضل به اجره له معا كان العبد يعمل لنفسه ولا يجعل ان يستحق به الاجر لولا الانعام منه جل ثناؤه ثم وعد له في حال فعله بخصال ثلث احدها ان عليه صلاته وصلاته تحتمل مباهاة الملائكة تعظيما لما بذل عبده له وخضوعه لحكمه عليه وهوان قالوا ونحن نسبح بحمدك الاية فيخبرهم ان هذا قد سبح حضرة المصيبة وخضع لحكمه بالاسترجاع ويحتمل مغفرة وايجاب الثواب الجزيل بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة الاية وقوله يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ما ذكر من الافضال والله الموفق ويحتمل ثناؤه وذكرهم في اخيار عباده كقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله الاية وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية معا يرجا لهم زيادة الهدى في الدنيا بقوله والذين جاهدوا فينا الاية وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والرحمة قد يرجع رحمته هي التي اكرمه بذلك الاسترجاع ويحتمل النعمة او رحمة يلقيها في قلوب العباد حتى يحبونه بها او خلف يغبطه في الدنيا ثم شهد الله لهم بالهداية وذلك يحتمل ان يكونوا اهتدوا الدينه ولما من عليهم في المصيبة من التسليم لله ويحتمل الاهتداء لطريق الجنة على ما بينه انه وعد الشهداء ولا قوة الا بالله **وقوله** ومن يؤمن بالله يهد قلبه للاسترجاع وقد روي عن نبي الله انه قال لم يعط الاسترجاع من كان قبلكم فهو على ما بينا من القول به واما حق التسليم فقد كان في توقيت وقت الصبر ثم روي رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر عند الصدمة الاولى وقد روي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مصيبة وان طال عهدها فيجدد لها العبد بالاسترجاع الا جدد الله ثوابها كلما استرجع فلعل هذا من احسن القبول وقت المصيبة او رجع عما كان فرط منه وتاب والاولى في غير ذلك والله الموفق ثم في الاية وجوه من المعتبر احدها ما يلزم العبد من المصائب وما يستوجبه اذا وفى بما عليه والثاني في ذلك بيان ان الصحة والامن وحفظ المعد لا حديس بلازم في الحكمة لكنها انعام من الله وله الابتلاء بالخير اذ لو كان عليه الاول لم يكن يلزم الشكر في ذلك والله الموفق والثالث ان الله تعالى ذكر انه بلا العباد بالذي ذكر ومعلوم ان ذلك يجري على ايدي العباد بهم فاضاف ذلك الى نفسه ثبت ان له في ذلك تدبيرا حق يبلوهم به والله اعلم وفيه ان الله تعالى قال ونبلوكم بكذا ولم يكن كان يومئذ ثم كان ذلك وكذلك قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم الاية ثم بلوا بذلك ليعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بالله وتبين ايضا انه بوضع البشارة بما يعظم على الخلق ويقتضي الفرار في الطبع لم يحتمل ان يخبرهم به لولا الامر به وطاعة الله في ذلك وايضا انه ذكر الخوف فيعلم ان للخوف من الخلق لا يرهن الاعتقاد وكذلك قوله ان يفتنكم الذين كفروا فعلى ذلك الرجاء والطمع وجملته ان امر الدنيا محمول كله على اسباب لا انها توجب ولكن الله تعالى اجرى احكامه عليها ليكون الخوف والرجاء في التحقيق من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا والله الموفق وايضا ان يعلم ان المصائب في الدنيا ليست كلها عقيب الاثام بل قد تعالى الابتلاء بالحسنات والسيئات ايضا لا يدل على وهن عند المصائب ولا زلة تلي بها وعلى ذلك امر الانبياء والرسل عليهم السلام ولكن على وجهين احدهما ان يكون الله تعالى يريد ان يحيي وليه لذات الدنيا لينالها موفرة في الاخرة والثاني ان يكون لهم بعض زلات لا يسلم عنها البشر فيبتلوا فيبعثوا يوم القيمة ولا زلة تبعة عليهم تلك ولا قوة الا بالله وانما كذلك جعلت المحنة قال الدال **وقوله** ان الصفا والمروة من شعائر الله ان صعودها من الاذم في نسكه وكذلك صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا

وقال ابدء بما بدء الله وقد قال الله تبارك وتعالى لا جناح عليه ان يطوف بهما الاية ولم يقل بينهما فمن لم يصعد الصفا والمروة
فلم يطف بهما معا قال الله تعالى لا تحلوا شعائر الله وفي ترك صعودهما احلال شعائر الله اذ قد بين الله انه من شعائره ومما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على ناقته ومعلوم ان ناقته لا يصعدها فهو عندنا العذر فعل ذلك والا فانه قد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه صعدهما واستقبل البيت وقال ابدء بما بدء الله دليل ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه طاف بينهما
على ناقته وما لبيت لعذر به ولا يحتمل ايضا ان يكون بغير عذر وهو المعاتب بالسعي لما فيه من فعل السعي والراكب لا يسعى وقال الشافعي
روي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وبين الصفا والمروة على ناقته ليرى الناس وقال الخبر جابر اولى من غير
ابن جبير فكانه وقع عنده انه عن ابن جبير وذلك عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه وهو اولى لان العذر كامن لا يعرف بالنظر من
بعد وانما يعرف بالتامل او بالخبر من عند ذي العذر وعلى هذا خرج ابن عباس رضي الله عنه على ان خبر جابر لو صح على ما روي فهو لما ذكر
انه يرى الناس فكانه اراد ان يعلمهم وذلك عذر له صلى الله عليه وسلم اذ خرج مخرج التبليغ وذلك كالتعليم منه والتعليم عليه لازم
فهو يترك بلازم عليه فذلك عذر والله اعلم والثاني انه يجوز ان يكون فعله ذلك ليس هو فعل ما كان عليه اذ قد ذكرنا الذي كان عليه كيف كان
يفعله فكان ذلك لمكان الدلالة الحق بذلك هو الامر المتوارث من صنيع الحج والعمرة اذا لا يفعلون ما يفعل الحاج لا على فعل الحج ولكن على
التعليم فعل ذلك امر المروي عنه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم اي اشباها في التسمية
او اعدالا في العبادة في العبادة او شركا في الحقوق بقوله هذا الله بزعمهم الاية يسفههم بما عبدوا ما قد صنعوه بالصناعة او النحت وزينوا
بانواع الزينة واعرضوا بذلك من عبادة من عرفوه بشهادة جميع العالم بهم وعلموا انه لا يملك شيئا مما عبدوه ضرا ولا نفعا واعرضوا بذلك
من عبادة من عرفوه بشهادة جميع العالم بهم بل لو كان يجوز العبادة لغير الله لكان اولئك الذين اتخذوا اولى من المتخذين ثم بين عظم
سفههم عليهم بجهلهم بعبادتهم وعجزها عن الدفع عنها ثم قاموا بنصرها والدفع عنها سفها بغير علم يحبونهم كحب الله يتوجه وجهين اي
كحبهم الله بما ادعوا انهم بذلك يتقربون الى الله ويكون كحب المؤمنين الله معناه يحبونهم عبادتهم كما يحب المؤمن عبادة الله والذين امنوا اشد
حبا لله اي لعبادتهم منهم لعبادة الاوثان من حيث لا يؤثر المؤمن على عبادة الله اعني في الاختيار الا فيما يوجد من ظاهر الاحوال في الدارين
جميعا وهم يتركون عبادة الاوثان بوجود ما هو اعجب منها او باد في شيء من متاع الدنيا وبعد فان الحب يخرج على الثناء وعلى العبادة
والطاعة والتبجيل والتعظيم وقد يخرج على ميل القلوب فحب الكفرة هنا هو حب الجسداني به الذي يولده الشهوة او يحقق البعض وحب
الله من المؤمنين من حيث الوجهين فاسد بل هو من الوجوه التي ذكرنا وقد كان حب الهيبة والرغبة اذ علموا النعم كلها من الله تعالى وعلموا ان
السلطان والعز لله ولا احد ينال شيئا من ذلك الا بالله فاوجب ما صنع من النعم الرغبة وما له من السلطان الهيبة فذلك طريق حب
المؤمنين معا قد ظهر من اياديه التي لا تحصى وافضاله التي لا تخاط والعلم بهما موجبا تعظيم الامور والمبادرة بالقيام بها مع الادلة
المظهرة تعاليه عن تقدير العقول وتصوير الاوهام فيكون حبه في الحقيقة في تعظيم اموره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه لا في
نوم نائم واشعاد القلب ما يعقله ليرتع الحبة الى ذلك بل هو فيما ذكرت ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني وهو ان من احب الى محبة الجلال والرفعة عظم رسوله صلى الله عليه وسلم وانقاد لما يدعوه اليه وان كان في
ذلك هلاكه وتعظيما لامره وتبجيلا فكيف فيما نجاته وفوزه في الدارين والله الموفق وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يتوجه وجهين
احدهما الاذن في الاكل ما يستطيبه النفس ويتلذذ به فيكون ارضى واشكر لله فيما انعم عليه ويكون على ارادة الحلال بقوله الطيبات
فيكون في الاية دليل كون الرزق حلالا ولا حراما اذ قيل من ذا لم يقل كلوا ذا ولو كان كل الرزق حلالا لكان يقول كلوا مما رزقناكم
والله اعلم ثم حق المحنة التمكين مما يحرم ويحل وما ترغب اليه النفس ويزهد فجاز جميع ذلك كله في الملك وفي الرزق ليمكن من الامر
بالمحنة اذ ذلك حق المحنة والله اعلم وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد ويحتمل غير باغ في اكله ولا عاد على حد الله الذي حرمه عليه في غير
حال الاضطرار فيصير باغيا في الاكل عاديا على حد الله ويحتمل ان يكون غير باغ ولا عاد تفسير العزلة لمن اضطر كقوله محصنات غير
مسافحات الاية ويحتمل غير باغ ولا عاد في مجاوزته في اكل الحد المجعول للبقاء فانه المبيحة ودفع الضرورة فاكل بشهوة والحاجة غير
حاجة الجوع خاصة ويحتمل غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم لكن تصريح النهي عن الانتفاع بالشيء حرمة هتكا صاحبها نهي عما
لا عما كان مباحا له كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم لا صلوة للمرأة الناشزة ولا العبد الابق وذلك نهي عن الاباق والنشوز لا عن الصلوة
فمثله لو كان نهيا فكيف ولا نهي ولكن ذكر اباحة على صفة لم يذكر الحل والتحريم في الابتداء مع تلك الصفة وجملته ان نفيه لا يحرم ما قد
احل بالجوع بلا نفاق فكذلك ما احل بالسبب دليل ذلك الامر الكرم وسائر الفسقة انه لم يحرم عليهم شيء من ذلك والثاني النهي عن قتله
وقوله ان الصفا والمروة من شعائر الله فيه دلالة ان الصعود على الصفا والمروة من شعائر الله لا الطواف بينهما خاصة على ما قاله
قوم دليله قوله لا جناح عليه ان يطوف بهما ولم يقل ان يطوف بينهما ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابدء بما بدء الله ثم
صعد الصفا فان عورض بما روي انه طاف بينهما على ناقته ولم يصعد قيل له يحتمل انه لم يصعد لما كانت الناقة لا تنقاد للارتقاء بها
ولا الصعود او كان به عذر فنزل للعذر وقد يباح الاشياء في حال العذر ما لا يباح في غير تلك الحال ثم اختلف في الطواف بينهما بعد ما

قيل ان الجناح فيه لوجهين احدهما ما قيل كان بالصفا صنم وبالمروة صنم فتحرجوا لمكانهما وقيل كان بينهما اصنام لذلك كانت
يتحرجهم ثم قال الشافعي ان السعي بينهما مفروض حتى لو ترك الحاج خطوة منه واتى اقصى بلاد المسلمين امر بالعود ليضع قدمه موضعها
ويحتج تلك الخطوة واحتج بما روي عن صفية بنت فلان انها سمعت امرأة سالت رسول الله عليه السلام عن ذلك فقال ان الله تعالى
كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة فاسعوا وهو باقي من قبول المراسيل النوم الغلط ومن يحتج بامرأة لا يعرف ولا يذكر اسمها والكلام
فيه ان ثبت وصح ان الكتاب يحتمل غير ما قاله وهو ان يقال الكتاب الحكم كقوله في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين في كتاب الله عليكم
قيل به حكم الله عليكم وقال الاخرون ليس بفرض ولا لازم واحتجوا بما ذكر في حرف ابي لا جناح عليه ان لا يطوف بهما ولا يذكر ذلك في شيء واجب
والثاني ان هذه اللفظة لفظة رخصة ولا يرخص بتركها فرضا ولازما ثم الجواب عن الحرف الاول ان الذات ربما تزاد وتنقص ولا يوجب
زيادتها ولا نقصانها تغيير حكمها كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا ومثل هذا كثير في القرآن والثاني ما ذكرنا ان المسلمين كانوا
يتحرجون عن الطواف بينهما لمكان الاصنام فبين عز وجل ان لا حرج عليهم في ذلك لانه ليس الجناح برفع الحرج في تركه واما عندنا فهو لازم
لانه نوع ما لا يتبرع به والاصل عندنا ان ما لا يتبرع به يخرج به الامر مخرج الوجوب واللزوم كالطواف وسجدة التلاوة وكالوتر و
الاضحية وغيرها وقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما تم حج امرئ قط الا بالسعي فهو وصف بالنقصان لا وصف بالفساد و
فرق بين التمام من النقص وبين الجواز من الفساد وقوله فان الله شاكر عليم ما من الله عز وجل بكرمه ولطفه عبادة معاملة من لا
حق له في اموالهم وانفسهم حيث وعد قبول اليسير من العمل واعطاء الجزيل من الثواب وحيث طلب منهم الاقراض ووعد لهم العظيم من الجزاء
لمن لا حق له فيها بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا ولهمت مخرج القول منه
مخرج الابتلاء والامتحان مخرج الاعتذار لهم كان لا حق له فيه بقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية ثم بشرهم بالجنة بما صبروا على اخذ
ماله اخذه وذلك من غاية اللطف والكرم قيل شاكر اي يجزيهم جزاء الخطير بعمل اليسير وقيل يقبل القليل ويعطي الجزيل وهو واحد
وقوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات قيل البينات هي الحجج اي كتموا ما انزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم وقيل كتموا ما بين في
كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وجاز ان يكون البينات ما بين للخلق مما عليهم ان يأتوا ويتقوا من الاحكام من الحلال والحرام
وقوله والهدى قيل الصواب والرشد وقيل الهدى ما جاءت به انبياؤهم من شأن محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل وقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اختلف في الناس قيل هم اليهود كتموا بعد ما تبين لهم وقيل بينا للمؤمنين
ما كتمهم اليهود من نعته ودينه ويحتمل البيان بالحجج والبراهين ويحتمل البيان بالخبر اخبر المؤمنين بذلك وقوله اولئك يلعنهم الله
قال بعض اهل الكلام اللعن هو الشتم من الله تعالى لكنه لا يستحسن اضافة لفظ الشتم اليه لان المضاف اليه الشتم يكون مذموما به في التعارف
مما جبل عليه الخلق ونقول اللعن هو الطرد في اللغة طردهم عز وجل عن ابواب الخير وقوله ويلعنهم اللاعنون يعني الداعين عليهم باللعن
سموا بذلك اللاعنين ويحتمل تستبعدهم عن الخيرات وانواع البر وقيل هم البهائم اذا قحطت السماء واسنت الارض قالت البهائم منعنا
القطر بذنوب بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا قيل تابوا عن الشرك واصلحوا ما عملوا
بينهم وبين ربهم وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين تابوا عن الكتمان واصلحوا ما افسدوا بالكتمان وبينوا ما كتموا
فاولئك اتوب عليهم قيل يتوب عليهم يقبل توبة من يتوب منهم وقيل يتوب عليهم اي يوفقهم على التوبة وقيل الرحيم هو المتجاوز عن ذنبهم
في هذا الموضع وقيل الكاشف عن كربهم وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله قيل لعنة الله هو ادخاله
اياهم النار واخلادهم فيها ولعنة الملائكة قوله اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات جوابا لما سالوهم من تخفيف العذاب
كقوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وكقوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا الاية فتقول لهم الملائكة اخسئوا فيها ولا تكلمون
هذا ما قيل من لعنة الملائكة وقيل لعنة الناس اجمعين انهم لما طلبوا من اهل الجنة الماء بقوله ان افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هذا لعنة الناس والله اعلم وقوله ولا هم ينظرون قيل لا يمهلون ولا يردون الى ما تمنوا كقوله
او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقيل لا ينظرون لا يوجدون وقيل لا ينظر خزان النار بالعذاب وقوله والهكم اله واحد ذكر
هذا الاسم لان كل معبود يعبد عند العرب يسمى الها كقوله فراغ الى الهتهم وكقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه لهذا ذكر ان الحكم
الذي يستحق الالوهية والعبادة واحد بذاته لا واحد من جهة العدد كالخلق من اعداد وازواج واشكال بل واحد بذاته وبجلاله
وعظمته وارتفاعه وتوحده عن شبه الخلق وجميع معانيهم يقال فلان واحد زمانه يراد به ارتفاع امره وعلو مرتبته لا يجيئ
العدد اذ يجيئ العدد مثله كثير وقوله والهكم اله واحد فيه اثبات اله واحد وفي قوله لا اله الا هو نفي غيره من الالهة فان
قيل لم كان هذا دليلا وهو في الظاهر دعوى قيل له دليل وحجته في قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار خلق
السموات وجعل فيها منافع وخلق الارض وجعل فيها منافع للخلق ثم جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض لبعد ما بينهما الدلا
منفعته للخلق في منافع احدهما الا باتصال منافع الاخرى بها من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الارض بالكواكب وانضاج الاثمار
والثمار وينعها بالشمس والقمر وجعل لحياة الارض واخراج ما فيها من النبات من الماكول والمشروب والملبوس بالامطار فلولا اتصال

منافع احدهما بالاخر وتعلقها به على ان منشيهما واحد لانه لو كان من اثنين لكان اذا قطع هذا وصل ذلك الاخر واذا وصل هذا قطع الاخر فاذا لم يكن ولكنه اتصل دل انه فعل واحد فهو ينقض على الثنوية والزنادقة قولهم وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار على ان خالقهما واحد لانه لو كان اثنان لكان اذا اتى هذا بالليل منع الاخر بالنهار واذا اتى احدهما بالنهار منع الاخر الليل وفيه ذهاب عيش الخلق وفى ذلك تغالبهم وتضادهم فدل انه واحد والثانى انه جعل الخلق فى الليل والنهار منافعا وجعل بعضها متصلة ببعض متعلقة مع تضادها كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فدل اتصال منافع احدهما بالاخر مع اختلافهما وتضادهما ان منشيهما واحد وفيه دلالة حدث العالم لما ذكرنا من تغييرها وزوالها من حال الى حال فدل تغييرها وزوالها على انها حدث ودل انه يجمل هذه الاشياء بابتدائها وعجزها على قدرة مثلها على ان بها حدث والثانى ان كل واحد منهما اعنى الليل والنهار يصير بمجىء الاخر مغلوبا فلو كان ثم لغير فيه تدبير والا ما احتمل ان يصير مغلوبا بعيد ما كان غالبا فدل ان لهما محدثا وانه واحد وفيه دلالة البعث والحيوة بعد الموت لان الليل يأتى على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من اثر النهار شئ وكذلك النهار يأتى على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل شئ ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجدنا فى البدو من غير نقصان ولا تفاوت فدل انه قادر على انشاء ما اماته واتلفه وان لم يبق له اثر على ما قدر من ايجاد ما اتلف وانشاء ما اذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وان لم يبق له اثر وقوله واختلاف الليل والنهار وقيل اختلافهما لما جعل احدهما مظلما والاخر مضيئا وقيل اختلافهما انتقاصهما وزيادتهما اذ ما ينتقص من احدهما يزداد فى الاخر فدل انتقاصهما وزيادتهما على ان منشيهما واحد لانه لو كان من اثنين يمنع كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان وبالله التوفيق ولتغير التدبير ولا يجرى كل عام الامر فيه على ما جرى عليه فى العام الاول وقوله والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس فالاية تنقض على المعتزلة قولهم لانه عز وجل جعل الفلك التى تجرى فى البحر من اياته والمعتزلة جعلوها من ايات الجمادين لان الفلك قبل ان يعمل فيها ويخت لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا فلو لم يكن عمل العباد وفعلهم فيها من مصنوعة ومخلوقة لزال به موضع الحجاج والتسمية باسم الايات فدل ان له فيها صنعا وتقديرا حيث صار من عجيب اياته ثم فيه الحجة وهو ان الطباع تنفر من معالجة البحر بالاطلاع على امواجه واهواله وادام من عظم اياته مما يجرى به فى البحر على الحفظ والامر الواقع لهم فدل انه من عند قادر لطيف خبير وفيه ايضا دلالة وحدانية وذلك ان اهل البر لم الانتفاع باهل البحر ولاهل البحر الانتفاع باهل البر على بعد ما بينهما وتضادهما فدل ان محدثهما واحد لم فيه دلالة اباحة التجارات مع الخطرات على احتمال المشقات وتحمل المؤنات وفى ذلك دلالة النبوة لان يعلم ان اتخاذ السفن وما فيه من المنافع لا يقوم له تدبير البشر ثبت انه علم ذلك بمن علم جواهر الاشياء وما يصلح الاشياء وما لا يصلح وفى الحاجة الى ذلك ايجاب القول بالرسالة للبشر وقوله وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض فيه دلالة فضل العلوى على السفلى لان ما ينزل من السماء من الماء ينزل عذبا وما يخرج من الارض يخرج مختلفا منه ما هو عذب ومنه ما هو اجاج وما هو مر فدل ذا فضل العلوى على السفلى وقوله فاحيا به الارض بعد موتها قد ذكرنا هذا ان فيه دلالة البعث وقوله وبث فيها قيل خلق وقيل بسط وقيل فرق من كل دابة قيل جعل فيها من كل جوهر الدابة منها ما جعل ماكولا منتفعا من كل انواع المنافع ليدلهم وليرغبهم عليها وعليهم فى الجنة ومنها ما جعل غير ماكولة ولا منتفع بها بل جعلها اعلاما لهم ليدلهم على تحذير ما اوعدوا وحذروا فى النار وقوله وتصريف الرياح يحتمل وجهين يحتمل تصرفها مرة للعذاب ومرة للمنافع لانه جعل فيها منافع كثيرة للخلق بها تجرى السفن فى البحار وبها تنتشر السحاب فى الهواء وبها يتنقى الاشياء وبها يتميز ما للخلق مما للدواب مما يكثر ذلك ثم يعلم من عظم لطفه انه جعل الهواء بحال لا يقر فيها شئ وان لطف والسحاب مع غلظه وكثافته جعل الهواء مع لطافتها ودقتها مقر السحاب حتى يعلم ان ليس لغير الله فيه تدبير ويحتمل تصريف الرياح صرفه اياها مرة صبا ومرة دبورا ومرة جنوبا ومرة شمالا ومرة يمينا ومرة شمالا للمنافع ثم فيه دلالة انها من الاجسام لا من الاعراض لانه جل وعز جعلها ماسة مانعة لا صارعة من قام فى جهتها وذلك صفة الاجسام لا صفة الاعراض لكن لا ترى لطافتها فدل انها من الاجسام ثم من الاجسام ما لا يرى ولا يمس كالهواء لا يرى ولا يمس وهو من الاجسام وكالذرة التى فى الشمس ترى ولا تمس ثم دلهم عز وجل ان الذى سخر السحاب بالرياح التى جعلها فى الهواء وما فيها من المنافع التى تقدم ذكرها على ان مدبرها واحد فلو كان التدبير من عند اثنين لاوجب التناقض فى التدبير اذ يجعل كل منهما على خلاف ما جعله الاخر ويتدبر كل منهما لينتقص تدبير الاخر وفى اتساق التدبير واتقان الصنعة واحكامها دليل ان الحكيم هو الواحد الذى دبر حكيم هذه الاشياء لم الاقرار بوحدانيته والزمكم العبودية له بما اودع له فى كل هذه المصنوعات من دلالة وحدانيته واياته دبوبيته ولهذا قال لايات لقوم يعقلون ليعتبروا انها من الادلة والحجج اذ من لا يعقل جهة الحكمة فى خلق هذه الاشياء ثم خلقت ولماذا خلقت وما الحكمة فيها لا يستوى عليه خلقها وغير خلقها ثم فيه دلالة ان ما خلق من السموات والارض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقهم ليدلهم على وحدانيته وربوبيته وجعلها مسخرة مذللة لهم وبالله التوفيق وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا قيل فيه بوجوه قيل يتخذ يعبد من دون الله اندادا وقيل يتخذ من دون الله اندادا فى التسمية ومعنى يتخذ الجواهر التى تصلح او تنحت ونحو ذلك مما يتعلق كونهم بصنيعهم بسيفهم بهذا انهم تركوا عبادة من به قامت لهم كل نعمة وسلم لهم كل خير وعبدوا ما قد اتخذوه بالفعال ولا قوة لا بالله وقوله يحبونهم كحب الله قيل يحبون عبادة الانداد وطاعتهم كحبهم عبادة الله وطاعته لانهم يقولون ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يحبون عبادة الانداد كحب المؤمنين عبادة ربهم وقيل يحبون الهتهم كما يحب الذين امنوا ربهم ثم قال والذين امنوا اشد حبا لله منهم اى اشد حبا لاجلاله وقيل والذين امنوا اشد حبا لله اى اشد لخيار الطاعة واكثر ثباتا واعظاما واجلالا لانه مما اعظامهم واجلالهم الهتهم والله اعلم ثم المحبة محبة الشهوة والميل اليه وهو فى الخالق لا يحتمل فى الله ومحبة الطاعة وايثار الامر والاعظام فهو فى الله يحتمل وقوله ولو يرى الذين ظلموا اقرئ بالياء والتاء جميعا ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولو ترى الذين ظلموا يا محمد يشهدون ان القوة لله جميعا ومن قرأ بالياء يقول ولو يرى الذين ظلموا فى الدنيا اذ رأوا العذاب يعلمون ان القوة لله جميعا ويحتمل لو علم الذين ظلموا اذا علموا عذاب الاخرة يعلمون ان القوة لله جميعا ويحتمل المراد من قوله يرى اى يدخل كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اى لمن يدخلها ويصليها وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا يعنى الرؤساء من الذين اتبعوا يعنى الاتباع والسفلة تبرء بعضهم من بعض القادة من الاتباع والاتباع من القادة وهو كقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا الاية وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل الاية وكقوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا والذين استضعفوا للذين استكبروا امثال هذا وكقوله يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض الاية وقيل اذ تبرأ الذين اتبعوا يعنى الشياطين من الذين اتبعوا الانس وقيل يبرئ الله كلا عن ان اوثانهم لن تغنى عنهم شيئا ولا شركاؤهم الذين اضلوهم ولا اشرافهم شغلوا عنهم حين عاينوا النار وقوله وتقطعت بهم الاسباب قيل الارحام والانساب كقوله فلا انساب بينهم وكقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية وقيل تقطعت بهم الاسباب يعنى العهود والايمان التى كانت بينهم فى الدنيا وقيل تواصلهم فى الدنيا وتوادهم لم ينفعهم شيئا لانهم كانوا يتواصلون ويتوادون فى الدنيا رجاء ان ينفع بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكذلك قوله يريهم الله اعمالهم قيل يريهم الله اعمالهم التى لم يريدوا بها الله حسرات عليهم اى حسرة عليهم وندامة وقيل كل عمل عملوه اراد وابه غير وجه الله كان ذلك عليهم حسرة يوم القيمة وقيل اعمالهم التى عملوها فى الدنيا تصير حسرات عليهم حيث يرفع لهم الجنة فينظرون الى مساكنهم التى كانت لهم ولو امنوا لهم ونعيمهم وبأسماء غيرهم هؤلاء وهذا عندى لا يصح ان يجعل الله لاحد نصيبا فى الجنة ثم يحرمه ولكن هذا على اصل الوعد وعد من اطاع الله الجنة ومن عصاه النار فهو على ان هؤلاء لو اطاعوا كان لهم نصيبا فى النار ويكون ذكر النصيب لهؤلاء فى الجنة هو الذى ادعوه لانفسهم كما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيحرمون ويورث عنهم ما ذكروا انه لهم فى الجنة كما قال الله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وقوله يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا قيل فيه بوجوه قيل انهم كانوا يحرمون التناول من اشياء والانتفاع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فيقولون حرم الانتفاع بها فانزل الله تعالى فقال كلوا مما فى الارض حلالا طيبا وانتفعوا بها فان الله لم يحرمها عليكم كقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الاية وقيل خلق فى الارض ما هو حلال وما هو حرام فاباح التناول من الحلال ونهى عن الحرام وقيل انهم كانوا يحرمون التناول من الرفيع من الطعام والرفيع من الملبوس ويتناولون من الدون والرثة فنهوا عن ذلك ولا يحتمل ان يراد بالطيبات الحلال منها ولكن ما تطيب النفس من التناول لان النفس لا تتلذذ بالتناول من كل حلال ولكن انما تطيب مما هو لها الذى ذا وفق والله اعلم وعلى ذلك قوله قل من حرم زينة الله الاية فيكون كان الذى فى الارض حلالا لا وحل ما ثم مما حل طيب دون ما هو بكل ما طاب من ذلك انما قد دعليم لا ذم على تورد طيبه بعظم محله فى القلب يرغب نفسه بالشكر لمن انعم به عليه والتعظيم لمن اكرمه بالذى طابت له به النفس والله اعلم وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل وساوس الشيطان وقيل سبل الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فهو يرجع الى واحد وقوله انه لكم عدو مبين وذكر فى موضع اخر وسماه وليا بقوله اولياؤهم الطاغوت فالوجه انه يريهم فى الظاهر الموالات ولكنه يريد فى الباطن اهلاككم فاذا كان كذلك فهو فى الحقيقة عدو وجاز ان يكون اولياؤهم اى هوا ولى بهم اذ عملوا اعمالا بامره فاولياؤهم بما او توهم فى الفعل وشاركهم فى الشئ وكانوا فى الحقيقة لهم اعداء اذ ذلك هلاكهم ولا قوة الا بالله وقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه يوسوس ويدعو فان اطاعه والا ليس له عليهم سلطان سوى ذلك فهو ضعيف لان من لا ينفذ على رعيته سوى قوله فهو ضعيف يوصف بالضعف والله اعلم ويكون ضعيفا على من تأمل مكايده وتحفظ احواله وقوله انما يامركم بالسوء والفحشاء قيل يحتمل ان يكون السوء هو الفحشاء والفحشاء هو السوء لان كل واحد منهما يشتمل على كل نوع من الاثام و يحتمل ان يكون السوء ما خفى من المعاصى والفحشاء ما ظهر منها وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد من نحو الزنا وشرب الخمر وغيره وقيل الفحشاء ما يفحش فى العقل والسوء ما ينتهى بالنهى عنه وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يخرج على الاول وهو السوء والفحشاء يامرهم بذلك فيقولوا الله امرنا بها ويحتمل قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ما قالوا ان الله حرم هذه الاشياء او القول على الله ما لا يعلمون بما لا يليق به من الولد واشراك غيره فى عبادته والله اعلم وقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان اباءهم كانوا اوصوهم ان لا يفارقوا دينهم الذى هم عليه فقالوا عند ذلك لا ندع وصية ابائنا كقوله اتواصوا به بل هم قوم طاغون او كانوا قوما سفهاء اصحاب التقليد فقالوا انا قلدنا اباءنا فلا نقلد غيرهم وقوله اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون يخرج هذا الكلام على وجهين اى تقلدون انتم اباءكم وان كانوا لا يعقلون

شيئا ويحتمل او لو كان اي وقد كان اباءكم لا يعقلون شيئا فكيف تقلدونهم وهو كقوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي وقد جئتكم او ان يقال من جعل اباءكم قدوة يقتدى بهم وقوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع قيل فيه بوجهين قيل مثلنا ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصوت بما لا يسمع الا دعاء ونداء يسمعون الصوت ولا يفقهون ما فيه وقيل ينعق بمعنى ذكر الفاعل على ارادة المفعول كقوله فهو في عيشة راضية اي مرضية فعلى ذلك الاول وهو في اللغة جائز جار وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون سماهم بذلك وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك لما لم ينتفعوا بها انما الحاجة من هذه الاشياء الانتفاع بها ولذلك سماهم سفهاء لما لم ينتفعوا بعلمهم وعقلهم وقوله يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم دل ان الذي كان يطعم الاكل وامرهم بالثنا ولا منه هو الحلال ثم فيه الدليل على ان من الرزق ما طيب حلال وما هو خبيث حرام اذ لو لم يكن منه طيبا خبيثا لكان لا يشترط فيه ذكر الطيب بل يقول كلوا مما رزقناكم فان قيل ما وجه الحكمة في الامتحان بجعل الخبيث رزقا لهم قيل هذا اصل المحنة في كل شيء يجعل لهم الغذاء فيامرهم بالامتناع عنه ويجعل لهم قضاء الشهوة في المحرم ويامرهم بالكف وهو الظاهر من الحق وقوله واشكروا لله على ما اباح لكم من الطيبات ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم منه تريدون ذلك ويحتمل ان كنتم اياه تعبدون او اياه توحدون ويحتمل ان كنتم بمن تعبدونه اياه تقصدون فاجعلوا عبادتكم له خالصة لا تعبدوا غيره ليكون له ولا فوق الاباحة وقيل ان بمعنى اذ اتمتم عبادته فاشكروا ويحتمل وقوله فاشكروا الله على جميع ما انعم عليكم من الدين والنبي والقران وغير ذلك من النعماء كونوا لله شاكرين وقوله انما حرم عليكم الميتة ذكر الميتة فمعناه حرم عليكم الاكل من الميتة والتناول منها فاذا كان كذلك فليس فيه حرمة ما لا يؤكل والانتفاع به من نحو الصوف والشعر والعظم ونحوه الا ترى ان هذا اذا اريد من الشاة وهي حية وابين منها لم تصر ميتة لا يجوز الانتفاع به وغيره من اللحم اذا ابين منها صار ميتة لما روي في الخبر ما ابين من الحي فهو ميت ولان الصوف والتي وغيرهما ليسا بذي الروح فيموت باستخراج الروح منها كالحيوان على ما ذكرنا من الخبر وروي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الانفحة استخرجت من الميتة فقال افيها دم فقيل لا فقال لا باس كلوا فان اللبن على ذكاة فيه او كلام نحو هذا وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لا باس فان قيل الا فسد بنجاسة الفرع كالوعاء النجس يكون فيه اللبن يفسد بفساده قيل ان الشيء اذا كان موضعا للشيء ومعدنه في الاصل فان فساد ذلك الموضع لا يوجب فساد ما فيه الا ترى ان الدم الذي يجري بين الجلد واللحم اذا ذبح لا يفسد اللحم لما كان ذلك موضعه ومظانه فعلى ذلك اللبن في الفرع واما الاهاب فانه اذا دبغ فقد طهر لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهاب دبغ فقد طهر والدم المذكور في هذه الاية هو الدم المسفوح دليله قوله تعالى او دما مسفوحا فالمحرم من الدماء هو السائل الا ترى ان الشاة اذا ماتت صارت ميتة بهلاك ذلك المحرم من الدم فيه وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد اختلف فيه على اوجه قيل قوله غير باغ ولا عاد هو تفسير قوله فمن اضطر وهو كقوله محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فصار قوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان تفسير قوله محصنات لانها ان كانت محصنة كانت غير مسافحة ولا متخذة الاخدان فعلى ذلك ان كان مضطرا كان غير باغ ولا عاد والله اعلم وقيل فمن اضطر غير باغ اي غير مستحل لتناوله ولا عاد يعدو على اكله للجوع وقيل قوله فمن اضطر غير باغ غير متجانف لاثم ولا عاد ولا متعمد لها ثم اختلف في حرمة عين الميتة في حال الاضطرار وحلها قال بعضهم عينها حلال ليس بمحرم وقال اخرون عينها محرمة لكن التناول منها مباح وهو قول اصحابنا رحمهم الله فمن قال يحل عينها بالضرورة ذهب الى ان الحظر والاباحة لا يقع في الاصل لعين الشيء ولا يتكلم فيها بحل ولا حرمة بحيث العين بل الحل والحرمة هي الواردة عليها موجبة حق الحرمة ثم الحرمة ترتفع بالضرورة فيبقى عينه على ما كان عليه في الاصل ومن قال بحرمة عينها وبحل التناول منها ذهب الى ان الحرمة حدثت لما كانت ميتة ومهلا لغير وجه الله لحدوث الحل الضرورة بل على ان العلة كانت هي الضرورة في حق دفع حرمة التناول ولم ترتفع حرمة عينها الا انه ابيح التناول منها للضرورة على بقاء الحرمة ولكن يجب ان لا يتكلم في مثل هذا ومثله بحرمة العين وحلها بعد ان يكون الاباحة للضرورة اذ لله ان يحل عينها محرمة في حال الاضطرار وله ان يحرم عينها ويحل التناول منها للاضطرار فالتكلم فيه فضل وتكلف وبالله التوفيق ثم المسئلة في الباغي والعادي يحرم عليه التناول في حال الاضطرار ام لا قال بعض اهل العلم يحرم ذلك عليه لاوجه احدها لانه ظالم وفي المنع عن التناول منها زجر عن الظلم وفي الاباحة عن التناول منها اعانة على الظلم لذلك حرم عليه والثاني ان القاتل عوقب عند ما اوى الى الحرم بترك المواكلة والمشاربة والمجالسة الى ان يضطر فيخرج عقوبة له فكذا هذا يحرم عليه التناول منه عقوبة له الى ان ينزجر وقال انه قد استحق بالبغي على اهل الاسلام العقوبة العظيمة ويعاقب بهذا ايضا ثم من قول هذا الرجل في الباغي انه اذا اتلف اموال اهل العدل لا يتعرض له بها ولا يغرم وكذلك العادل اذا اتلف اموال اهل البغي لا غرامة عليه والغرامة نوع من العقوبات فاذا استويا في سقوط الغرامة وان كان لحرمتها كيف لا استويا ايضا في هذا وما الذي يوجب التفرقة بينهما ثم نقول لهذا المخالف لنا ان الباغي المقيم يمسح يوما وليلة واذا سافر لم يرخص له المسح وهو في الحضر رخصة كما في السفر فما باله حرم احدى الرخصتين على اباحة الاخرى مع وجود الظلم والبغي فقال لان الضرورة طريقتنا فيه رخصة لا ترخص الظالم انه تخفيف والاصل في المسئلة ان الباغي على اهل الاسلام لا يأتمر باحكام الاسلام اذ لو ائتمر امر بالكف عن بغيه والظلم يأتمر في ذا الا يشك انه لا يأتمر في الثاني ولا يؤمر بما فيه العبث ولا يزجره التحريم عن التناول اذ على العلم بحرمة البغي ما انتهت

نفسه

نفسه فكيف ينتهي لحرمة فيما اضطرت اليه نفسه ولم يملك الغلبة عليها في شهوتها ايثارا لها كذلك انظار لها الكف لا يمنع لحدوث الحرمة عليه ببغيه واصله قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة حرم عليهم القاء انفسهم الى الهلاك وقتلهم الانفس وفي دفع هذه الرخصة عنه اباحة محرم وهو اعظم منه عليه فلم يفعل واما قال بان من قتل عادى اي الحرم فان اهله نهوا عن مواكلته ومشاربته ولم ينه هو في نفسه الاكل والشرب اذ لا يقدر احد منعه عن ذلك فالقول في مثله تكلف فكذا الاول والله اعلم ثم المسئلة في القدر الذي يجوز ان يتناول منها فعندنا ان الاباحة كانت للاضطرار فهو على القدر الذي له الدفع والازالة وذلك بدون ما فيه سد المجاعة وذلك الاصل في انتفاء الضرورة وقوله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في الكتاب يحتمل وجهين يحتمل ان كتموا ما في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل ما كتموا من الاحكام والشرايع من نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الاحكام وقد ذكرناها هنا فيما تقدم وقوله ويشترون به ثمنا قليلا قد ذكرنا تاويلها فيما تقدم وقوله اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار يحتمل وجهين احدهما ياكلون في دنياهم ما اوجب لهم في الاخرة اكل النار ويحتمل ما ياكلون في دنياهم الا اكلوا في الاخرة عين النار وقوله ولا يكلمهم الله قيل لا يكلمهم بكلام خير ولكن يكلمهم بغيره كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل لا يكلمهم غضبا عليهم يقال فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قيل استحبوا الضلالة على الهدى وقيل الخسار والعذاب على المغفرة وما قاله الكلبي فهو احسن انهم اشتروا اليهودية التي هي تحصل عذابا بالايمان الذي يحصل مغفرة وقد ذكرنا فيما تقدم ايضا وقوله فما اصبرهم على النار قيل لما ادومهم في النار وقيل فما اصبرهم على عمل الذي يوجب لهم النار وقيل فما اجراهم على عمل اهل النار وقيل ما اعلمهم باعمال اهل النار وقال الحسن والله ما لهم عليها صبر ولكن ما اجراهم على النار وقد يقال لمن يطول حبسه فما اصبرك على الحبس لا على حقيقة الصبر لكن على وجوده فيه وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب اي خالفوا ولا قد اختلف اهل الايمان والكفر ايضا والله اعلم بالاختلاف الخلاف اي خالفوا الكتاب ولم يعملوا به لفي شقاق بعيد قيل في خلاف بعيد وقيل في ضلال طويل وقيل في عداوة بعيدة قيل حرف البعيد في الاياس كانه قال لا انقطاع له وقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قيل ليس البر في نفس التوجه الى ما ذكر دون الله ويحتمل ليس البر في ذلك ولكن البر ما يقصد اليه اذ قد يقع ذلك لحوائج تعرض تخرج عن القربة ويحتمل ليس البر في الوجه الى كذا ولكن في الايتمار لامره والطاعة له والبر هو الطاعة في الحقيقة وقيل ليس البر تحويل الوجه الى المشرق والمغرب ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة الله وصدقته الجوارح وقيل ليس البر ان تصلوا ولا ان تعملوا غير الصلوة كل ذلك يرجع الى واحد وجملته ان لا يقال ليس البر كله ذلك لكن ما ذكر اذ ذلك الوجه استعظموه حتى قال الله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك والثاني ان يكون ذلك بنفسه ليس ببر وانما صار برا بالامر به او بما ذكر من الايمان والخيرات فلا زال عنه الوجهان سقط ان يكون برا وقوله ولكن البر من امن بالله بانه واحد لا شريك له يعني صدق بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الاخر وصدق بالبعث الذي جزاء العمل وصدق بالكتب والملائكة والنبيين والبر وبالله احدهما ما قيل والثاني على الاضمار كانه قال ليس البر بر من ولى وجهه ولكن البر بر من امن بالله كما قال اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن بالله وقيل اجعلتم صاحب السقاية كمن امن بالله وقيل ان البر بمعنى البار من يحول وجهه قبل كذا ولكن البار من امن بالله الاية وقوله واتى المال على حبه قيل اعطى حاجته وقيل على قلته او غيره على نفسه كقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله ذوي القربى اي ذوي قرابته وفيه دلالة ان الافضل ان يبدأ بالصدقة قرابته ثم باليتامى لان على جميع المسلمين حفظهم ولانهم اضعف فيبدا بهم قبل المساكين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي يرده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسال الناس ولا يفطن به فيتصدق عليه وابن السبيل قيل هو الضيف ينزل وقيل هو المنقطع حاج او غاز وقيل هو المجتاز وهو واحد وفي الرقاب قيل هم المكاتبون واقام الصلوة واتى الزكوة ظاهر والموفون بعهدهم اذا عاهدوا يحتمل العهود التي بينهم وبين الناس ويحتمل العهود التي فيما بينهم وبين ربهم وقد ذكرنا العهد من الله تعالى ما هو فيما مضى وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه والموفين على النسق على الاول قيل اذا عاهدت عهدا بلسانك نفي به بعملك وفعلك ثم ليس في القران اية اجمع لشرائط الايمان من هذه وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الايمان فقرا هذه الاية وهكذا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الايمان فتلا هذه الاية وقوله والصابرين في الباساء والضراء قيل في الاية تقديم وتاخير السائلين وفي الرقاب والصابرين وعلى هذا يخرج حرف ابن مسعود رضي الله عنه والموفون بعهدهم وقوله الباساء من الباس وهو الفقر والضراء قيل المرض وحين الباس قيل عند القتال وقوله اولئك الذين صدقوا في ايمانهم انهم مؤمنون وصبروا على طاعة ربهم واولئك هم المتقون وقيل الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون وروي عن عمرو بن شرحبيل انه قال من عمل بهذه الاية فهو مستكمل الايمان قال الفقيه تمام كل شيء باجتماع ما يؤتيه الا ترى ان المصلي اذا اقتصر على فرايضها لم يتم له وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية قيل نزلت الاية في حيين من العرب كان وقع بينهما حرب وقتال وكان لاحدهما فضل وشرف على الاخرى فارادوا بالعبد منهم الحر من وليك وبالانثى منهم الذكر فانزل الله

تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى وهى منسوخة لان فيها قتل غير القاتل نسخها قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه
سلطانا فلا يسرف فى القتل قيل لا تسرف اى لا تقتل غير قاتل او لتك وقيل لا تسرف اى لا تمثل وقيل لا تسرف فى القتل اى لا تقتل اثنين انه
هو منصور فثبت بهذا نسخها اذ لم يوذن بقتل غير القاتل وقوله ايضا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ولا يحتمل نفسا غير القاتل تقتل
بنفس دليله قوله فمن تصدق به فهو كفارة له ولا يتصدق على غير القاتل شيئا فثبت انها منسوخة بما ذكرنا والثانى قال ولكم فى
القصاص حيوة لما اذا علم بقتل اخر يكن قتل نفسه به فيرتدع عن قتله فيحيى به النفسان جميعا فلو لزم قتل غير القاتل لم يكن فيه حيوة
اذ لا يخشى تلف نفسه ثم هذا يدل على وجوب القصاص بين الحر والعبد والكافر والمسلم اذا لو لم يجعل بينهما قصاص لم يرتدع احد من
قتلهم اذ لا يخشى تلف نفسه بهم فدل انهم يقتلون بهم والله اعلم هذا فيما يجعل الاية ابتداء لا فى الحيين اللذين ذكرنا ثم يقال ليس
فى ذكر شكل بشكل تخصيص الحكم فيه وجعله شرطا ونفيه فى غير شكله دليله ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا
عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم اذا زنى البكر بالثيب
ذلك الحكم فدل ان ليس فى ذكر شكل بشكل تخصيص فى الحكم ولكن فيه ايجاب الحكم فى كل شكل اذا ارتكب ذلك وهو ان يقتل الحر اذا
قتل الحر والحرية لا تمنع الاقتصاص لفضله وكذلك العبد اذا قتل العبد يقتل به والرق لا يمنع ذلك للذل الذى فيه وكذلك الانثى
تقتل اذا قتلت انثى ولا يمنع ما فيها من الضعف فى وجوب القصاص وبالله التوفيق وله وجه اخر وهو انه قال الانثى بالانثى ومن
الاناث اماء وحرائر فلا قصاص بينهن فلذلك وجب تخصيص ما ذكر خاصا وجب ان يذكر عاما ما ذكر فيه من العموم فان قيل على
عموم الاسم فى احدهما وخصوص القول فى الاخر قيل ليس هكذا لو كان فى ذكر الوفاق فى الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور اذ
ذكر فى الخلاف لم يدخل فيما ذكر فى الوفاق ما ليس منه فاذا دخل علم ان ذكر الوفاق فى الخلاف فى حق ادخال ما ليس من شكله يجعل واحد
ثم يقال ان نفس العبد للعبد فى حق الجناية لا للمولى انما المولى فى نفسه الملك والمالية الا ترى ان العبد لو اقر على نفسه بالقصاص اخذ
ولو اقر عليه مولاه لم يوخذ به فدل ان نفسه له لا للمولى فكان كنفس الحر للحر فيجب ان يقتل الحر به اذ هو ساوى الحر فى حق النفس فيجب
ان يستوى بينهما فى حق القصاص وقال بعض الناس لا يقتل الحر بالعبد لانه افضل منه ثم هو يقول انه يقتل الذكر بالانثى وهو افضل
وقال ان القصاص انما ذكر فى المؤمنين ثم قال بالعموم والزم قتل الكافر بالمؤمن ولم يذكر فى القصاص الكافر وترك الاقتصاص بالكافر
من المؤمن على عموم ايجاب القصاص على المؤمنين فاذا جاز ترك القصاص على ما ذكر فيه القصاص وادخال من لم يذكر فى حق الاقتصاص
ما يجب انكار مثله فى الذى ذكر عقيب ذكر الحق وهم باجمعهم تحت الايجاب مذكورين ثم الاناث بالاناث مع اختلاف الاحوال
يلزم القصاص كيف لا يلزم مثله فى الاحرار والاصل فى هذا ان لا يعتبر فى الانفس المساواة الا ترى ان الانفس تقتل بنفس
واحدة وهكذا روى عن عمر رضى الله عنه انه قتل رجالا بامرأة وروى انه قتل سبعة نفر بامرأة وقال لو تمالا به اهل صنعاء لقتلتهم
وقال روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يقتل مسلم بكافر ثم قال صاحب هذا القول لو ان كافرا قتل كافرا ثم اسلم
القاتل يقتل به فهو قتل مسلما بقتله كافرا فدل ان الاسلام يطهره ولم يقتل مسلما فاسقا ارتكب الكبيرة بالكافر اذ القتل بفسقه له
المسلم احق ان يقتل بالكافر من الكافر بالمسلم ونحو ذلك ان المسلم هتك حرمة الاسلام بقتل الكافر لانه اعتقد باعتقاد دينه
الاسلام حرمة دم الذمى وهو يقتله كمستخف بمذهبه واما الذمى فانه لا يعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء اهل الاسلام
فهو ليس بقتل المسلم كمستخف بمذهبه والمسلم كمستخف بدينه على ما ذكرنا لذلك كان احق بالقصاص من الكافر الا ترى ان من
قتل فى الحرم قتل به لانه هتك حرمة الحرم كالمستخف به واذا قتل خارجا منه ثم التجا اليه لم يقتل اليه حتى يخرج منه لانه ليس
كمستخف له والاول مستخف لذلك افترقا فكذلك الاول والله اعلم والخبر عندنا يحتمل وجهين احدهما قيل ان قوما قتل بعضهم
بعضا فى الجاهلية فاسلم بعضهم فارادوا لذلك ان ياخذوا من اسلم منهم بالقصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم
بكافر كان قال كل دم كان فى الجاهلية فهو موضوع تحت قدمى هذا والثانى انه اراد بالكافر المستأمن لانه قال لا يقتل مسلم
بكافر ولا ذو عهده فنسق قوله ذو عهد على المسلم فكان معناه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد به فكل كافر لا يقتل به ذو عهد
فى عهده لم يقتل به المسلم فالذمى يقتل به ذو العهد لذلك يقتل به المسلم والمسلم اذا قتل مستأمنا لم يقتل به وكذلك الذمى فدل بما
ذكرنا انه اراد بالكافر المستأمن لا الذمى والله اعلم **وقوله** فمن عفى له من اخيه شئ اختلف فى تأويله قال بعضهم هو القاتل اذا عفى
معناه عنه فليتبع الولى باخذ الدية بالمعروف شاء القاتل او ابى احتج بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجل اختصم
اليه فى قاتل اخيه فقال اتعفو عنه قال لا قال اتاخذ الدية قال لا قال اتقتله قال نعم عرض عليه الدية ولو كان غير حقه لم يعرض
عليه وقال فى بعض الاخبار ولى القتيل بين خيرتين بين قتل واخذ دية واما عندنا تاويل قوله فمن عفى له من اخيه شئ ليس هو
القاتل لانه يكون معفوا عنه ولانه لا يتبع احدا وهو المتبع بل هو الولى لانه هو المعفو له لا القاتل حيث امر بالاتباع بالمعروف كانه
قال من بذل له واعطى من اخيه شئ فاتباع بالمعروف وذلك جائز فى اللغة العفو بمعنى البذل والاعطاء على ما قيل خذ ما اتاك
عفوا اصفوا اى فضلا وكذلك روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه انه قال فمن عفى له اى اعطى له والحق عندنا هو القود لا
على ما جاء

على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العمد قود الا ان يعفى وقد روى فى بعض الاخبار الا ان تعادى والمعادات
هو فعل اثنين فلا ياخذ الا عن تراض واصطلاح منهما جميعا وفى الاية دلالة ان الحق هو القصاص لا غير بقوله كتب عليكم القصاص
اخبر ان المكتوب عليه والمحكوم القصاص فلو كان له الخيار من القصاص والعفو واخذ الدية شاء او ابى لكان لا يكون مكتوبا
عليه القصاص ويذهب فائدة قوله كتب عليكم القصاص انما كان يكون عليه احدها كما لا يقال فى الكفارة بان المكتوب عليه العتق
بل احد الثلاثة فلما قال كتب القصاص دل ان اخذ الدية كان كالخلف عنه وما روى عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال لولى القتيل
اتعفو عنه قال لا فقال تاخذ الدية قال لا انما عرض عليه الدية لما علم ان القاتل يرضى بذلك على ما روى ان امرأة جاءت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بعض زوجها فقال لها اتردين عليه حديقته قالت نعم وزيادة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اما الزيادة فلا وانما قال لها ذلك لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يرضى بطلاقها اذا ردت عليه حديقته نعلى ذلك الاول و
لو كانت لفظة العفو تعبر عن الزام الدية ما اخرجه الى ذكر الاشارة الى العفو مرة والى اخذ الدية ثانيا فثبت ان ليس للذى يعفو
باخذ الدية بالعفو وقيل فى قوله فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف اصلها انها نزلت فى دم بين نفر يعفوا احدهم عن القاتل
ويتبع الاخرون بالمعروف فى نصيبهم لانه ذكر الشئ والشئ هو العفو عن بعض الحق فالزم الاتباع للاخرين عند عفو بعض حقه
ثبت ان العفو لا يلزم الدية وروى عن عمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم انهم اوجبوا فى بعض عفو الاولياء
للذين لم يعفوا الدية على ترك السوال عمن عفى انك عفوت بدية ولو كان ثمة حق ذكروه له فدل ان العفو لا يوجب الدية والله اعلم ثم
لا يخلوا اما ان يكون حقه القصاص ثم له تركه بالدية فهو الزام بدل حق قتل اخر من غير رضاه وذلك مما لم يعقل فى شئ او كلاهما
فهو ايضا كذلك لا يكون لاحدهما الا باجتماعهما او احدهما وهو مجهول فالعفو عنه يبطل حقه اذ العفو ترك وقال ان فى اخذ
الدية احياء النفس التى امر الله باحيائها وفى الامتناع على اداء الدية اليه والبدل له اذن بالقتل ومن قول الجميع ان احدا لو قال لاخر
اقتلنى انه لا يحل اذنه فاذا كان معنى الامتناع عن اداء الدية هو اذن بالقتل لم يأذن له يقال له ابعدت القياس والتشبيه لانه
فيما نحن فيه اذن بالقتل وظهر الامر وفيما ذكرت لم يظهر حيث قال كتب عليكم القصاص فانى يشبه هذا بذلك ويقاس عليه او
ان يقال لو كان الامر كما ذكرت لكان يجئ ان يكون الصلح على كل شئ ماله وفيه تلف نفسه ان ليس له منعه ومن قول الجميع ان له
المنع وجاز وقوع الصلح على ما فيه تلف ماله ثبت ان ما يقوم له وهم وبعد فان الذى ذكرت تدبير الحق عليه ان يفعل لا تدبير
الالزام ولو كان ذلك لازما لكان يقتله ببذله نفسه فيغرم فاعل ذلك وهذا كما يفعل الرجل بشراء قوام نفسه عند الضرورة
الا ان يلزم لو ابى ذلك فقتله ديته بعض ان فى ذلك تلف نفس لان قيمته فمثله الاول وما روى فى التخيير بين اخذ الدية وما
ذكر فهو والله اعلم على بيان الحل والرخصة على ما قيل ان من حكم التورية القتل ولا يجوز لهم العفو ولا اخذ الدية ومن حكم اهل
الانجيل العفو لا يقتل بالقصاص ولا تؤخذ الدية فحكم الله عز وجل على اهل القران ان جعل لهم القتل مرة والعفو ثانيا واخذ الدية
تارة فدل انه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة اذا طابت به نفس من عليه ذلك ببذله اذا طلب ولا يوجب قطع الخيار من الاخر
ولهذا ما نقول فى قوله ففدية من صيام او صدقة وقوله فى التخيير فى الكفارة ان ذلك الى من عليه لا الى من ياخذ الحق ههنا
من جانب واحد فيجعل الخيار الى من عليه اذا كان من كل الجانبين يعتبر رضاهما جميعا والله اعلم **وقوله** ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة لما ذكر من اباحة العفو فى حكم القران ولم يكن فى حكم غيره من الكتب واخذ الدية او القتل ولم يكن فى حكم التورية
والانجيل الا واحد ويحتمل ان كان فى التورية هذا او هذا كما قال فمن تصدق به فهو كفارة له واحتمل انه ذكر القود شرعا لنا **و
قوله** فمن تصدق بنا خاصة وقوله ورحمة فيه دلالة ان لا يقطع صاحب الكبيرة عن رحمة الله لانه اخبر اذا التخفيف رحمة
فى الدنيا فاذا لم يوئيسهم فى الدنيا عن رحمته فلا يوئيسهم فى الاخرة عنها **وقوله** فمن عفى له من اخيه شئ دلالة ان لا يزول اسم
الايمان بارتكابه الكبيرة من اخوة نسبت دل انه اخوه فى الدين لانه سماه اخا وكذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما ابقى لهم اسم الايمان بعد البغى والقتل دل ان ارتكاب الكبيرة لا يخرجه من الايمان وهذا يرد على المعتزلة قولهم
لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة اخرجه من الايمان وما ذكر من التخليد فى قتل العمد يخرج على وجهين احدهما لاستحلاله قتله
او يتعمد دينه والا فيخرج الايمان على التناقض فى الظاهر لو لم يجعل على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** فمن اعتدى بعد ذلك قيل
اعتدى على القاتل بعد ما عفى عنه او بعد ما اخذ الدية وقيل بعد ذلك اى من بعد النهى عن قتله وقيل ذا ارى من نفسه العفو
ثم اخذ الدية ثم اراد قتله فهو الاعتداء ثم اختلف بعد هذا بوجهين قال قوم اذا فعل ذلك بترك القصاص فيه للعذاب المذكور
فى الاخرة اذا اقتص اندفع عنه العذاب الاليم وان لم يقتص فلا وجائز عندنا ان يكون العذاب الاليم فى الدنيا اذا لم يخلوا شئ
من العذاب اذ القتل هو الغاية من الالم والوجع والله اعلم **وقوله** ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب قيل فيه بوجهين والاقتصاص
القصاص لا يكون حياة لكن قيل من تفكر فى نفسه قتلها اذا قتل ارتدع عن قتله فيحيى النفسان جميعا والثانى من نظر فرأى
يقتل بغيره امتنع عن قتل كل احد ففيه الحيوة للانفس جميعا ولهذا نقول بوجوب القصاص فى الانفس كلها وان اختلفت احوالها

ذلو لم يجعل بين الانفس على اختلاف الاحوال قصاص لم يكن في القصاص حيوة فاحق من يجعل فيه القصاص عند تخلف الاحوال
لما يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه على قتله فيجعل القصاص لما يستخف به واما الوارث لما يطمع وصوله الى مال مورثه فيحمله
على قتله فسبب القتل ليس ما يذكر لكنه شرة الغضب وفي المواريث زيادة وهو ما يصل الى ماله وفي الكافر من استحقاق بذنبه من القتل
فطلب المعنى الذى فيه الاحياء وهو حرمان الميراث فعلى هذا تقتير بقتل المسلم بالكافر ولان المسلم قد يستخف بالكافر في دار سلمه فيحمله
استخفافه اياه على قتله ففيه معنى يدعو الى الفناء فيجب ان تقتص من المسلم بالكافر لتحقيق معنى الحيوة وعلى هذا التقدير يقتل الحر بالعبد
لان الحر يستخف بالعبد فيدعوه استخفافه به على قتله فهو يقتل ونقول يقتل الولد بالوالد لما يستعجل الوصول الى ملكه فيحمله على قتله
فلزم حفظ ما لاجله الحيوة ثم في الوالد شفقة وحجة تمنع الوالد عن قتل ولده لذلك النهى عنه القصاص وهذا معنى قوله عليه الصلوة
والسلام لا يقاد والد عن ولده وبالله التوفيق قال الشيخ رضوان الله عنه الوالد يحب ولده لولده لانه يرغب ان يكون له ولد فاما الولد
فانما يحب والده لنفسه ومنافعه فاذا كان لم يتنقص منه وقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين تكلموا فيه باوجه قيل انه منسوخ بما بين عز وجل في اية اخرى من حق الميراث ومنهم من قال لم ينسخ ثم قيل فيه بوجهين
قيل انه قد كان ذلك لان الناس كانوا حديث عهد في الاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابواه فقوله كتب انما وقع على من كان لا يرث
ومنهم من يقول بانها كانت للوارث ولم ينسخ الى وانما يقع الاحرف في غير من يرث ممن ذكر لكن في ذلك ذكر كتب وذلك ايجاب ولا
يحتمل ان يفرض عليهم صلتهم مع التحذير عن اتخاذهم اولياء بقوله لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء وقوله لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر يوادون الاية وفي الزام الفرضية من حيث المعروف ابقاء الموالاة والزام المحبة وقد حذر وجود ذلك فثبت ان
الاية فيمن يتوارثون اليوم لكنها نسخت والله اعلم ومنهم من يقول لا ولكنه وقع على من كان يرث وعلى من كان لا يرث بقوله كتب
عليكم فهو كان مكتوبا عليهم مفروضا في حق الوصاية ثم من راى نسخه استدل بقوله يوصيكم الله في اولادكم ذكر فيه الوصاية على
بيان كل ذي حق حقه فليس الذى اوصى الله بمنع وصايته التي كتب عليهم لكن في الاية دليل لم ينسخ بهذين الوجهين احدهما قوله يوصيكم
الله فهو وصية ذكره كذكر الوصاية في الاول ففيه جعل حق كالحق المجعول لهم الا انه لم يذكر ذلك الوصية مع الميراث ثم نفاه والوجه الاخر
انه قال من بعد وصية توصون بها او دين فجعل حكم الارث على ذكر الوصية والارث بعد الوصية فبان ان لها حكم البقاء ثم قيل فيه
بوجهين قال قائلون قوله يوصيكم الله في اولادكم لم يكن ميراثا ولا هو من اهل الميراث فحيث الارث لا يمنع حق القطع عنه بالمكتوب
الاول ومنهم من جعل ذلك فيمن كان وارثا نودوا بالبيان من بعد يقطع عنه المكتوب له ثم من الناس من ادعى نسخ هذا بقوله للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ولم يجعل الوصية له مع ما جعل الله لهم فيه من النصيب حتى ير
الكثير دون القليل فثبت ان ذلك الكتاب رفع عنهم مما جعل لهم للحرف الذى قل وكثر ثم الوجه فيه عند ذلك فهو انه ان لم يكن نسخ
بهذه الايات على ما قاله بعض الناس فهو منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين انه قد كان
اعطى ذا حق حقه على رفع ما كانت لهم من الوصاية فيه ثم اختلفوا في الخبر الذى روى ان الله تبارك وتعالى اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية
لوارث قال قائلون لا يجوز ورود النسخ على الاية اذ السنة لا ترد على نسخ الكتاب وقال الاخرون لا ولكنه من اخبار الاحاد واخبار الاحاد
على قولكم لا ترد على نسخ خبر مثله فكيف على كتاب رب العالمين فاما الاول في ان السنة لا تعمل في نسخ الكتاب فقد سبق القول فيه
ان الذى حملهم على هذا هو جهلهم بموقع النسخ والا لو علموا ما انكروه وهو ما قلنا ان النسخ بيان منتهى الحكم الى الوقت المجعول له
واما من قال بانه من اخبار الاحاد فان الاصل في هذا ان يقال انه من حيث الرواية من الاحاد ومن حيث عمل العمل به متواتر ومن اصلنا ان
المتواتر بالعمل هو ارفع خبر يعمل اذ المتواتر المتعارف قرنا بعد قرن مما عمل الناس به لم يعملوا به الا لظهوره وظهوره يغني الناس عن رد ما
ما عملوا خلوه عن الخفاء وهذا يقول في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذى ناب من السباع فلو رد الخبر المروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من اخبار الاحاد هو من حيث الرواية من الاحاد ولكنه من حيث تواتر الناس العمل به صار بحيث يوجب علم
العمل فلم يجز ان يجتمع الامة على شيء عملوا كله من كتاب او سنة فيوما دون فيكونوا قد اجتمعوا على تضييع كتاب او سنة لكن اقله
لا يجوز ان يجتمع الناس على ترك الوصية للوارث ثم كتاب نسخه او سنة اخرى بلزوم العمل فلهذا قضينا بنسخه والله اعلم وقوله
فمن بدله بعد ما سمعه قيل فيه بوجهين فمن بدل هذه الوصاية المكتوبة للوالدين ان كان هذا اراد بقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
الاية فانما اثمه عليه ويحتمل من بدل الوصية بعد ما سمعه من الموصى فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم يحتمل هذا وجهين يحتمل انه اراد تبديل الوصي
بعد موت الموصي ويحتمل تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره وقوله فمن خاف من موص جنفا او اثما قيل فيه بوجهين فمن
خاف اي علم من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث فلا اثم عليه في تبديله ومنعه ورده الى الثلث ووقت وصاية الموصي
ويحتمل فمن خاف اي علم من الموصي خطأ وجورا بغير وفاته بالوصية فلا اثم عليه في تبديله ورده الى ما يجوز من ذلك ويصح وهو الواجب
على الاوصياء ان يعملوا بما يجوز في الحكم وان كان الموصي وصى بخلاف ما يجيز الحكم ويوجبه قال الشيخ رحمه الله وكان يصرف الخوف
الى العلم اولى اذ هو تبديل الوصية وقد نهى عنه واذن به للجور فاذا لم يعلم فهو تبديل بلا عذر وقد يخاف الخوف في حق العلم اذ اغلب الوجه فيه

كان

كان الاذن للاكراه اظهار الكفر وذلك في حقيقته خوف عما في التحقيق على العلم بغلبة وجه الوفاء في ذلك وقوله ان الله سميع
عليم اي سميع لمقالة ووصايته وعليم بجوره وظلمه او عليم بتبديله والله اعلم وقوله فاصلح بينهم يعني بين الورثة بعد موت الموصي
ورد ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر انصبائهم وقوله ان الله غفور رحيم لمن رد على الموصي جنفه وميله في حال وصايته و
والله اعلم والاصل في امر الوصاية للوارث ان ايات المواريث لم تكن نزلت فاذ لم بهم حاجة الى معرفة ذلك فيجوز ان يكون في الابتداء
كانت الوصايا بالحق الذى اليوم هو ميراث يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنتي سعد قتل باحد وقد كان استولى
عنهما على ميراثه فسالت ايهما عن ذلك فقال لم ينزل في شيء ثم دعاهم واعطاهما ما بين الله في كتابه في قوله يوصيكم الله الاية وكذلك كان
للنساء الحول في ترك الازواج وصية لهن فعلى ذلك كان الامر بالوصية فقال الله عز وجل يوصيكم الله كالمبين بما كان قد وجب التبيين على
الميت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ومما يبين ذلك انه معلوم ان تكون
الوصية للوارث ليست تثبت فيما هو له لانه اليوم فيكون حصول الوصية بنصيب بعض الورثة وعلى ذلك لا يجوز وصية الميت لاحد
فكذلك للورثة وهذا يبين انها كانت في وقت لم يبين الميراث فلا يكون الوصية لمن تثبت له وصية بنصيب غيره في التحقيق
فكان يجوز ثم بطل ببيان السنة اذ ليس في متلو القران حقيقة ذلك وانما يكون بحق الانتزاع منه والنسخ ومعناه بلا انتزاع
بعد عن الاحتمال منه بالسنة ولا قوة الا بالله ثم حق التواتر عندنا يقع بظهور العمل بالشيء على غير ظهور المنع منهم والتكبير عليهم
في الفعل وفي هذا وجود ذلك من طريق الفعل ثم القول ايضا من الائمة بالفتوى به بلا تنازع ظهر فيهم معا قد ذكر الله في الوارث
غير مضار وصية من الله وتخصيص الورثة قصد مضاره بغيره واستعمال الراي فيما قد تولى قسمه على غير الذى قسم والله اعلم
وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام هؤلاء الايات فيهن فرضيته بقوله كتب وايد ذلك الابدال بالاطعام بالعذر والامر
بالقضاء وذلك ليس بشرط الاداب مع الاستثناء علينا بقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر بعد الاذن لكم في الفطر بالعذر ولو كان
غير فرض بتركه لم يكن الفطر للعذر بموضع الرخصة مع شرط اكمال العدة في القضاء معنى وفي ذلك لزوم حفظ المتروك لئلا يدخل النقص
في القضاء وعلى ذلك اجماع الامة ثم بين عز وجل انه لم يكن هذه الامة بمخصوصة في الصيام بل هي احق من فيهم استعمل العفو والصفح بما
خصهم بان جعلهم خير امة اخرجت للناس واخبر انه لم يجعل عليهم في الدين حرج ولا الزمهم العبادات الشاقة فضلا منه عليهم
وتخصيصا لهم اذ جعلهم شهداء على الناس فقال عز وجل كتب عليكم كما كتب على الذين من قبلكم لكن كما يحتمل وجهين يحتمل العدد الذى
كتب عليهم ويحتمل الفرضية في الجملة لا عين ما فرض عليهم من حيث الاشارة الى ذلك ولذلك اختلف في الكاف في قوله كما انها
زائدة وحقيقة ثم اختلف في مائية الصيام نحو الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من جعل صوم عاشوراء وايام البيض ثم استعملوا
نسخ ذلك بصيام الشهر وقد روي مرفوعا ان صوم شهر رمضان نسخ كل صيام كان وروي عن جماعة في امر صوم عاشوراء انا
كنا نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا به ولا ينهانا واصل هذا انه كان يصلح لو كان ابتداء الاية عليه يحتمل
الفرض فابدل ذلك بصوم الشهر فارتفع عنه الفرضية على ما اذا كان يخرج منه بالفداء لم يكن معه فرضية القضاء وبقي الفضل فيه اذا
النسخ لم يكن من حيث نفس الصوم اذ مثله من النسخ يكون بغير الصوم ولا بصوم فثبت انه في نسخ الفرضية فبقي فيه حق الادب و
الفضل وتبين النسخ وان ذلك في صوم الشهر الذكر في صوم الشهر بقوله فمن كان منكم مريضا الاية ولو كان الكل واحدا لكان الذكر
في موضع منه كافيا عن الاعادة فثبت انه على تناسخ الصيام وقد روي معاذ رضي الله عنه انه قال احيل الصيام ثلثة احوال ويبين الخبر
على وجهه في ذلك ويحتمل ان يكون المراد منه صوم الشهر ويكون تكرار الذكر في الرخصة لمكان دفع الفداء او لمكان ذكر حق الاستثناء
بالتيسير والتحريض على حفظ العدد والله الموفق واي ذلك كان فليس بنا حاجة الى معرفة حقيقة ذلك لان كيفية الابتداء لم تختلف وانما
كلفنا ما بقي فرضه وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك ثم خاطب جل ثناؤه بالصيام من قد امن بقوله يا ايها الذين امنوا فكان
فيما خاطب وجهان احدهما انه خاطب من المؤمنين فعرف المخاطبون ان الاسم يأخذهم اذ لم يذكر عن احد انه ظن خروجه من حكم من حيث
لم يكن وفاء بما به يستحق الاسم وكذلك سائر عبادات الافعال وهذا من اوضح ما يجب به العلم ان الايمان ليس لجميع القرب بل
بتحقيقه يصير افعال القرب قربا وفيه انه لم يقل يا ايها الذين قلتم نحن مؤمنون به صلى الله عليه وسلم دلالة ظاهرة على وجه القول انه
من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقدهم كما يبطل كل عقد يستعمل فيه صاحبه مما اراد لزومه العقد والله اعلم والثاني ان الله خص
بالعبادة المؤمنين وانهن لا يلزمن غيرهم فيها الاعتقاد لا الافعال التي هي تقوم بالاعتقاد وليس الاعتقاد يوجب لمكان تلك
الافعال التي حتى يكون كالاسباب التي توجب بايجاب افعال بها تقوم بل له اوجب غيره الا ترى انه لا يجوز ان يرتفع ذلك عن الخلائق
بحال من الاحوال في الدنيا والاخرة مع ارتفاع غير ذلك من العبادات ثبات الامر بذلك بحيث نفسه لا لغيره ثم لا قيام لغيره مع
عدمه ثبات المعنى الذى به يصير اهلا واهلا لاحتمال فعل العبادات لذلك لا يجوز الامر بشيء منها دون ذلك وله وجهان يحيله
الامر ايضا اصحها العقل انه من البعيد ان يكون من لم يقبل العبودة ولا قربا الرسالة توهم بالعبادة وباتباع الرسول بحق الرسالة
بل يقول الوهوبا الاول حتى يكون الثاني وهو كما قال الناس المناظرة في الرسل مع منكري الصانع والرسل فتلاه الاول ثم يجب كل

فرتبه اذ لا يكون الا به والله اعلم والثاني القول بان من اسلم بعد اوقات العبادات لا يلزمه القضاء ثم لذلك وجهان من م
المعتبر احدهما انهم اذا لم يدخلوا في خطاب القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه القضاء لكن ان خطاب الابتداء اذ هو الذي
لزم القضاء في الاسلام والله اعلم والثاني انه لا يلزم القضاء بعد الاسلام ولا يجوز الابتداء في حاله فكان ذا تكليف لم يجعل الله
للمكلف وجه القيام وقد تبرا الله عن هذا الوجه من التكليف بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لما بين الله تعالى بقوله ام
فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار ان مالكافر يتمتع في الدنيا لا للعبادات في ذلك والله الموفق فثبت بالاية التي ذكرنا دخول
جميع المؤمنين في الخطاب اذ بين الرخصة الذي العذر في الافطار على وجوب القضية فاذا لم يحتمل خروج من له العذر في الفطر عن ان
يتضمنه الخطاب وجه الزم القضاء ثبت ان من لا عذر له داخل فيه ولا يسعه الفطر وعلى هذا جاء من ابتلى بالجماع نهارا انه صلى الله
عليه وسلم اكد عليه الامر والزمه الكفارة على غير سؤال عن احوال سوى ما علم من حاله انه ليس بمريض ولا مسافر فكان في ذلك دليل تأكيد
الفرض وفي ذلك ايجاب الكفارة لتعديه على الصيام على حال لا يحتمل الارخاص اذ قد كان تلك البلية في الليالي فلم يأمروا بها من حيث
كانوا يملكون ابقاء الرخصة لانفسهم لولا النوم وفي ذلك ان فرض الصيام يعم المؤمنين ثم قال الله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
والشهر اسم للكل ولو كان المراد دليلا اليه لكان الصيام في غيره لانه عند هجوم غيره تم شهوده ثم يتناقض لانه قال فليصمه
ومحال ان يصوم في غيره ابتداء فرجع التأويل الى ان من شهد منكم شيئا من شهر فليصم عن امر من الجنون فيه فهو ممن قد تضمنه
الخطاب ويجوز في حالة الفرض ايضا اذ لو شهد ليلة الصيام فعزم على الصيام يجوز له فرضه فدخل في حق الخطاب ثم امر منه في
سائر الليالي عند منع النية لا عذر منع الصيام فيقتضيه اذ هو اصل الحكم الاية التي ذكرنا والقيام بذلك الفرض على ما وصفنا انفا
بفوت النية كمن كان فوت لعذر المرض والسفر والحيض ونحو ذلك بعد ان علم انه ممن تضمنه الاية فعليه قضاؤه وعلى ذلك في الصبي
والكافر لم يدخلا في معنى الاية ولا كانا يحتملان في حال قضاء فرض الصيام فالقضاء لغيره عن ذلك لا يجعل في حق الفرض انه لم يلزم
وقد روي عن محمد رحمه الله على هذا ان من ادرك مجنونا ثم افاق في بعض الشهر انه لا يقضي ما ذكرت وعن ابي حنيفة رضي الله عنه
في هذا انه يقضي اذ كان في اول الشهر بالغا لما اخبرت ان صيامه لم يجز لعدم النية والكافر بنفسه ومن فوت لعدم النية فهو داخل
في حكم فرضه فعليه القضاء والله الموفق ومن جن الشهر كله لا يقضي لشرط الشهود وهو لم يشهد شيئا منه مع امكان الاسقاط
بدليل آخر وان كان حق الخطاب في الظاهر فلا قضاء على مثل المريض الذي لا يصح والمسافر الذي لا يقيم والله الموفق وفي قوله و
ايام معدودات دلالة ان ابتداء الاية في غير صوم الشهر اذ صوم الشهر يحفظ بالاهلة لا بالايام لكن الله تعالى اذ علم الامر الظاهر
في الخلق انهم يعدونه بالايام وان كان لهم عن ذلك غنى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا
باصابع يديه كلتاهما وعقد اصبعا منها في اخر المرات وجاء عن غير واحد انهم قالوا ما كنا نصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسعة وعشرين اكثر مما نصوم ثلاثين فلما ذكر قوله اياما معدودات يعني بعدها الخلق والله الموفق وقوله لعلكم تتقون
ما حرم عليكم من انواع اللذات بكف الانفس عن الذي به يعولها من الاغذية وتتقون نقم الله في الاخرة ومخالفته في الفعل في
الدنيا وقد جعل الله جل عبادات اعوانا للمتعاودين بها على الكف عن المعاصي والخلاف لله في الشهوات فقال استعينوا بالصبر
والصلوة وقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وغير ذلك والله الموفق والاصل ان العبادات تذكر اصحابها عظم احوالهم
في اوقات فيها من المقام بين يدي الجبار وتطلعهم على الموعود لهم في المعاد وهما امران عظيمان احدهما في الزجر بما يعلم من عظم المقام
واطلاع الواحد القهار عليه والثاني في الترغيب بما يشعر قلبه من لذيذ الموعود ما يضمحل لديه كل لذة دونه وتنقطع شهواته
التي دينه ويبين ما وعد الله اعلم ثم قال فمن كان منكم مريضا الاية من غير ان ذكر فطرا فلذا اشار الى ما ذكر من السفر والمرض الذين جعلا
تاخير الصيام الى ايام اخر ولا اشار الى عين تلك الايام وكذلك قال مثله فيما كان عرف الوقت لابتداء الصيام بقوله عز وجل فمن شهد
منكم الشهر على ان المعرف له بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه لكن الفطر يعرف انه معتبر فيه بالعقل والسمع فاما السمع
فما جاء من الاثار في الاذن بالافطار للسفر والمرض دلالة في ذكر العدة من ايام اخر اضمار فطر والله اعلم والعقل ان الله تعالى جعل
المرض والسفر سببي الرخص فلا يجوز ان يصيرا سببي زيادة فرض على ما كان قبل اعتراضهما على ان قوله يريد الله بكم اليسر
دليل انه لو كان يلزم القضاء مع فرض فعل الصوم لكان ذلك عسرا وحرجا في الدين وقد اخبر الله تعالى انه لم يجعل علينا الحرج في
الدين وعلى ذلك قال بعض الناس يلزمهما القضاء ان فطرا ولا يحتجا بما لم تذكر في القران الافطار وذكر عدة من ايام اخر كانه جعل
الوقت لهما غير الذي هو لغيرهما يؤيد ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر
ومعلوم ان على المفطر في الحضر القضاء فكذلك الصائم في السفر ولكن الاية عندنا على الاضمار وعلى ذلك يجري ذكر الرخص على
اثر ذكر الحظر كقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة الى قوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية من غير ذكر الاكل اثم على اثر ما
وقال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله ثم قال الله عز وجل فان احصرتم ولم يذكر منه الاحلال لكنه معلوم انه على الشك ما
يحتاج لا يكون العدد بسبب الزيادة في الفرض وكذلك قوله عز وجل ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله ثم قال عز وجل

فمن كان

فمن كان منكم مريضا الاية وذلك على اطلاق الحلق ثم يلزمه الفداء لان الاذى والمرض يلزمانه فثلة الاول ثم الاصل
انه لا احد يلزمه فرض صيام الشهر في غيره اذا لم يدرك الشهر وقد امر من نحن في ذكره فبان انه يلزمه بادراك الشهر لادراك وقت
الامكان بلا عذر وقال فعدة من ايام اخر وقال فعدة من ايام اخر وبتلك الفرق ان الذي يلزمه يلزمه بالشهر في اوقات ال…
وذلك على ما يلزم الاحداث الطهارة لاوقات عباده لا تقوم دونها وفعل الجنايات لاوقات الحلول وان تاخرت فتلك امر الشهر
دليله ما بينا وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته فعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا ثبت ان الصوم يجوز في
ان المرض والسفر اذ هما لانفسهما لا ينافيان الصيام وما جاز معهما وقد امر بهم القضاء عن الشهر بظاهر التلاوة فبان انه يجوز فيهما
واذا جاز ثبت ان التاخير رخصة والفضل في الفعل والله اعلم والخبر على من يجهده الصيام حتى حنف عليه وكذلك ما جاء من الا ان
ليس من البر الصيام في السفر والله اعلم وعلى هذا يخرج قول اصحابنا في المكره على الفطر انه ان كان مريضا او مسافرا لا يسعه ان لا يفطر
لما جاء في ذلك من الوعيد في الفعل في السفر في حال الضرورة ويسعه لو كان صحيحا مقيما لم يذكر له الرخصة ويلزمه فيه القضاء معا فيه
اذ لم يكن ظهر الاذن في تلك الحال كان كفه عنه تعظيما الامر بينه من غير ان ذكر له في الدين النهي عنه فهو في سعة وليس كالمكره على اكل
الميتة ما ليس ذلك بذي بدل وقد فرق بين ذي بدل وما لا بدل له نحو اتلاف مال الآخر واكل الميتة ولان علة الاضطرار وليست
النطق في السفر ثالثا اذ قد يجوز لا له فهو عذر بالنفس لا ضرورة النفس فكان غير معقول العلة وفيه تعظيم الدين وليس في اكل الميتة
وما ذكر ولا قوة الا بالله ثم السفر الذي له الرخص اجمع انه لم يوجد به المكان لما جاء الفطر في الامصار ثبت انه لنفس السفر ثم كان السفر
حقيقته الظهور والخروج عن الاوطان وقد تكون مثله في الخروج عن الاوطان وقد تكون مثله في الخروج الى الضياع ونحوه ولم
يؤذن في الفطر ثبت انه راجع الى الحد وعلى ذلك متفق القول ثم كان الحد المرخص عندنا الخروج على قصد سفر ثلاثة ايام لخصال
ثلث احدها الاجماع على ان هذا الحد مرخص ودونه تنازع والتنازع يوجب النظر لان الفتوى بالرخص وفي ذلك الزام بفعل الصيام و
الثاني مجيء الخبر من وجهين احدهما في تقدير مسح السفر بثلاثة ايام ومعلوم انه جعل السفر حدا ووقتا لفعل رخصة المسح واوقات
الافعال على الخلاف فيها يتفق على انها لا تنقص عن احتمال الافعال على الوفاء وليس بما لم يدخل الليالي في حق السفر عبرة لان الاسفار
وان كانت موسسة على قطع الطرق والسير فيها فان دوام السير يجحف صاحبه ويهلكه وفي ذلك منع السفر ثبت ان اوقات النهي
والسير مشترطة داخلة في حق السفر لذلك صارت الليالي كالمعفوة فتكون محيطة بما فيها من فعل المسح والثاني ما جاء من الاثر في
النهي عن سفر ثلاثة ايام الا بمحرم وهو المنتهى لما جاء به النهي وفيما دونه تنازع لم يوجب الرخصة للاشكال في حق التمام لما له الرخصة
على ما كان لما له النهي والله اعلم والوجه الثالث ان السفر عدد والنهايات في الاعداد الثلاث فكذلك بالايام اذ بها يسافر
وقال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا واما المرض فلم يجز ان يكون اسمه سببا للرخصة
اذ ربما كان المرض يخفف الصيام ويسهل عليه سبيل ثقله ومن البعيد الترخيص بما يسهل فيه الفعل والتضييق لما يشتد فثبت انه
ليس لاسم المرض وعلى ذلك الاجماع فهو والله اعلم لما يخاف ان يزداد له بترك الاكل الداء ويجيء على المرء اكتساب الداء ويقاطي العافية
فرخص له الفطر بذلك وذلك معنى البشرية اذ به تخفيف ما به او ضيع او ما يقربه من الضرر وطلب ما رخص اصحابنا لمن به رمد يخاف
الزيادة فيه وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يفطر المريض والحبلى اذا خافا قال تضع ولدها
والمرضع اذا خافت الفساد على ولدها ثبت ان الرخصة لما يخاف من فساد يزيل ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات من طعام او شراب وهو يقدر دخله النار وبالله المعونة وقوله وعلى الذين يطيقونه
قال تاولوا يطيقون الفداء وذلك في الامر الاول في المسافر والمريض ان له ان يقضي في ايام اخر وان يفدي او فيه وان
تصوموا خير لكم اي تقضوا الصيام والله اعلم اذ قد يحتمل ايضا ان كانت الرخصة من قبل فيمن عليه بالخيار بين ان يصوم وبين ان
يفدي والصوم خير على ما ذكر في الاية ثم نسخ ذلك ان كان على التأويل الاول بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الاية انه الزم القضاء
على كل حال وان كان الثاني فقوله فليصمه انه الزم الفعل على حال وبمثل ذلك خبر معاذ في احالة الصيام انه كان المرء مخيرا بين الفطر
والفداء وبين الصيام ثم نسخ في قوله وان تصوموا خير لكم على اثر ذكر السفر والمرض دلالة جعل الصيام في السفر خيرا من الفطر والقضاء
والقضاء في غيره وان احتمل الذي ذكرت والله اعلم ثم الدلالة على النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول على ان المطلق لم يكن له
الخروج من ذلك بالفداء فبذلك عرف النسخ مع ما ثبت من قطع الاية على القضاء في احد الوجهين وفعل الصيام في الاخر وعلى ذلك
معتبر القوم في الشيخ الفاني الذي لا يقوم القضاء ان له الفطر والفداء لان الصوم قد ثبت انه يحتمل الوفاء بالفداء لكن نسخ بالصيام
فاذا ارتفع الصيام بالعجز عن يحتمل الخطاب بعبادات الاموال وهم المشايخ جاز ان يخاطبوا بالصيام ليخرجوا عنه بالفداء وعلى ذلك
ما جاء عن الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصيام عن الميت انه الصيام الذي هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الفداء والله
اعلم وقد قرئ يطوقونه يعني يكلفونه ولا يطيقونه لكن في الاية وان تصوموا خير لكم ولو كان لا يطيقونه لا يرغبون فيه الا ان يشترط
فيه طاقة الجهد والله اعلم وقوله عز وجل فمن تطوع خيرا من زيادة فداء وما يستزيد من الخيرات الفهم يعترض لبعده بالخير وتطوع فيما

وقرئ

اذن له فى الفداء بالصوم والله اعلم وروى عن عايشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسموا شهر رمضان
فانما هو اسم من اسماء الله تعالى انسبوه الى ما نسبه لكم القرآن **وقوله** عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف عز وجل الفعل الى
الشهر بقوله فليصمه فلذلك اذا قصد به صوم الشهر جاز عن الصوم وان لم ينوى الفرض سوى ما ذكرنا وكذلك ساير الفرايض نحو الظهر و
العصر ينوى ذلك فيكون ذلك على ما جعله الله من فرض وان لم ينو الفرض ولا قوة الا بالله وعلى ذلك من نوى بالصيام غير صيام
الشهر جاز عن صيام الشهر لما امرنا بصيام الشهر ولم نؤمر بان نجعل ذلك لشى سواه والشهر موجود لنفسه لا يحتاج صاحبه
الى ان يخرج كان من ذلك على كل حال وكذلك كل حق معين فى شى لم يزل عنه نيته الى غيره لكن يأمر انسانا بشرى بعينه لم يخرج
عنه بالنية على ان ذلك كالظهر والعصر ونحو ذلك فمحال على تحقيق ذلك قصد غيره وبعد فان كان يجمع ان لا يجوز غير نيته ثابت
استحقاق الشهر بصومه لا يستحق عليه غيره من الصيام فجاز عنه وعلى ذلك اجاز ابو حنيفة فى السفر غيره من حيث اذن له فى تأخيره هذا
او غيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له فى تأخير هذا وغيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له فى تأخيره
فجاز فيه اذ هو وقت صيام حول الى وقت غيره فصار هذا الوقت بالحكم لغيره وليس كنية المتطوع لانه فى موضع الرخصة وفى
العمل به وقد يكون له مقدار التطوع من الفضل غيره فهو اولى به ولما قد يجوز النفل بلا نية نفل فكانه لم ينو النفل ذو رجاء لم يعمل
الله بل عمل بوجه العزم ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل لعلكم تتقون قيل تتقون الاكل والشرب والجماع ويحتمل تتقون المعاصى لان
النفس اذا جاعت شبعت عن جميع ما تهوى وتشتهى واذا شبعت تمنت الشهوات وتمنى ما تهوى ويحتمل تتقون عذاب الله وعذابه
والله اعلم **وقوله** فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر الزم بعض الناس على المريض والمسافر قضاء عدة الايام وان صاما
فاستدلوا بظاهر الاية فقالوا وجب عليهم القضاء على غير ذكر الافطار فيها واحتجوا ايضا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الصايم فى السفر كالمفطر فى الحضر فقد حقق له حكم الافطار فان لا صوم له فدل انه لم يجز فكان كالتقديم الصوم عن وقته
واما عندنا فهو على اضمار الافطار كانه قال فمن كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وهو كما ذكر عز وجل فى المتأذى
من كان به اذى من رأسه ففدية اى من كان به اذى فرفع من رأسه ففدية وكما قال فى المضطر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه
ومثله كثير فى القرآن فلا يجوز لاحد ان يأبى ذلك ولان المريض والسفر اعذار رخص الافطار فيها تخفيفا وتوسيعا على اربابها فلو
كان على ما قالوا هو لكان فيه تضييق عليهم ولانه اذا قضى فى عدة من الايام انما يقضى عن ذلك الوقت فلو لم يجز الفعل فى ذلك
الوقت وفى تلك الحال لكان لا يأمر بالقضاء عن ذلك الوقت ولا من تلك الحال فدل انه على ما ذكرنا والله اعلم واصله ما روى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صام فى السفر وروى انه افطر وروى عن الصحابة انهم صاموا فى السفر ولو كان لا يجوز لكان معنى
لصومهم واما قوله الصايم فى السفر كالمفطر فى الحضر فهو عندنا انه اذا كان الصوم لجهده وضعفه لزمه ان يفطر صار كالذى افطر فى
الحضر والله اعلم وروى عن انس رضى الله عنه انه قال الصوم افضل والفطر رخصة وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه قرا بعضهم وعلى الذين
فمعناه يكلفونه وقال بعضهم لا يطيقونه لكن هذا لا يحتمل وذلك انه قال وان تصوموا خير لكم دل ان قوله لا يطيقونه لا يحتمل وقيل
كان اول ما نزل الصوم كان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم مسكينا كل يوم فلما نزل صوم شهر رمضان نسخ ما كان قبله عمن
يطيق الصوم وثبتت الرخصة لمن لا يطيق من نحو الشيخ الفانى والحبلى والمرضع اذا خافت على ولدها وقيل على الذين يطيقونه اى
الفدية وقيل وعلى الذين يطيقونه ثم عجزوا فدية طعام مسكين كل يوم وقيل ان المريض والمسافر ان شاء افطر وقضى وان شاء افطر
او فدى لكن ذلك كله منسوخ بما ذكرنا بنزول شهر رمضان وروى عن انس رضى الله عنه انه قال احيل الصوم ثلاثة احوال فرخص له
يقضى ومرة يطعم ومرة يصام ثم نسخ هذا كله ثم الاصل فى هذا ان من عجز عن قضائه جعل له الخروج بالفداء يعجز عن ابتدائه
من نحو الشيخ الفانى وغيره ومن لم يعجز عن قضائه لم يجعل له الخروج بالفداء من نحو المرضع والحبلى والمريض والمسافر لانهم لم يعجزوا عن
غير المفروض والبدل انما يجب اذا عجز عن اتيان الاصل والله اعلم وقوله فمن تطوع خيرا يحتمل زيادة الطواف ويحتمل اصل التطوع
ان كل ما يتطوع به فهو خير له اذا تطوع فى الاصل خير **وقوله** عز وجل شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله
عز وجل والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج فى الدين من الشبهة والضلالة قال ابن عباس رضى الله عنه نزل الى
السماء الدنيا من اللوح جملة فى شهر رمضان فى ليلة القدر فى ليلة مباركة جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا فى الشهور
والايام على قدر الحاجات **وقوله** عز وجل هدى للناس يهتدون به الطريق المستقيم وقيل بيان للناس من الضلالة وبينات قيل
حجج للناس اذا تأملوه وقيل البينات اى فيه الحلال والحرام والاحكام والشرايع وقوله تعالى والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان
المخرج فى الدين من الشبهة والضلالة **وقوله** عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه يحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر وهو مقيم صحيح
فليصمه ثم رخص للمريض والمسافر الافطار بقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ويحتمل قوله فمن شهد منكم
الشهر اى من شهد منكم بعقله الشهر فليصمه فلا يدخل فى الخطاب المجانين ولا الصبيان الا ترى ان اول الخطاب خرج للمؤمنين بقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام فهؤلاء لم يدخلون فيه فدل ان قوله فمن شهد منكم الشهر اى شهد منكم بعقله فليصمه

ثم يحتمل

ثم يحتمل ان يكون فريضة الصوم بقوله عز وجل بقوله فليصمه ويحتمل الا بهذا ولكن بقوله ولتكملوا العدة اذ لا يجب كمال
العدة لما مضى الا على حق الفرضية والثانى قال يريد الله بكم اليسر بما رخص للمريض والمسافر الافطار ولو كان غير فرض لم يكن لما ذكر
من الامتنان علينا بالتيسير معنى لان المنة لا تذكر فيما له تركه فدل انه فرض ويحتمل ان يكون فرضيته بقوله عز وجل كتب عليكم الصيام
لان قوله كتب قيل فرض فدلت هذه الايات على انه فرض ثم اختلف فى قضاء ما فات منه برخصة افطار فى السفر وفى المرض قال بعضهم
لا يجوز الا متتابعا وكذلك روى فى حرف ابى بن كعب فى قوله فعدة من ايام اخر متتابعات واما عندنا فانه يجوز متتابعا ومتفرقا اتباعا
بما روى عن خمسة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا ان شاء تابع وان شاء فرق سوى ان عليا رضى الله عنه قال يتابع
لكنه ان فرق جاز ثم من على وعبد الله بن عباس وابى سعيد الخدرى وابى هريرة رضى الله تعالى عنهم وآخر لست اذكره انهم قالوا يجوز ذلك
ولا يحتمل ان التتابع شرط فيه خفى ذلك على هؤلاء او ذكروه ان عرفوه فدل انه لا يصح ذكر التتابع شرطا فيه وليس كالذكر التتابع
فى صوم كفارة اليمين فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه لانه لم يخالفه احد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فى ذلك فصار
كالمتلو وههنا قد خالفوا ابيا فى حرفه فلم يصر كالمتلو لذلك افترقا والله اعلم وافترقا وقراءة ابى ان ثبت عنه فهو على الارب
لما ذكر من اجماع الصحابة رضى الله عنهم وبما انه وجب موقت وكل ذى وقت فليس التتابع بشرط فيه فى غير ذلك الوقت ولو كان التتابع
شرطا لكان حق الافطار يلزم الكل حتى يكون القضاء موصولا او الابتداء فاما اذا جاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء وبعض
له حكم القضاء لجاز فى غيره من الابعاض اذ كل ذلك له فى الابتداء جاز الفعل والترك فصار حق كل يوم فى القضاء لنفسه لا لغيره اذ
كذلك حقه فى الترك القضاء وفى الفعل والترك فصار حق كل يوم فى القضاء لنفسه لا لغيره اذ كذلك حقه فى الترك القضاء وفى الفعل
فى الابتداء ولا قوة الا بالله وما ذكر من المسائل فهو مبنى على هذا الذى ذكرت ان التتابع للفعل لا يحتمل اعتراض رخصة التفريق على
امكان الجمع ثبت ان الجمع شرط فيه وما نحن فيه يحتمل صوم كل يوم على الانفراد ان يؤخر فعله فى الشهر بالرخصة عن غيره كذلك له
القضاء والله اعلم وبعد لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله فعدة من ايام اخر وقوله عز وجل ولتكملوا العدة كبير فايدة لان فى التتابع
شرطا لجملة لا ان يتكلف له العدة على الرجال ان يتم المرة التى القضاء لا ان يحفظ الحساب لاكمال العدة والله اعلم والاصل ان كل صوم
يؤمر بالتتابع بحيث الفعل يكون التتابع شرطا فيه حيث ما كان الفعل وكل صوم يكون التتابع فيه بحيث الوقت فغوت ذلك الوقت
يسقط حق التتابع ولهم على هذا مسائل اذا قال لله على ان اصوم شعبان فلزمه ان يصوم متتابعا لكنه اذا فات شى منه يقضى ان شاء
متتابعا وان شاء متفرقا لان التتابع بحيث الوقت يسقط لسقوطه ولو قال لله على ان اصوم شهرا متتابعا يلزمه ان يصوم متتابعا
لا يخرج من نذره الا به لان التتابع ذكر الصوم فهو لا يسقط عنه ابدا والثانى ما قال عز وجل يريد الله بكم اليسر واليسر رخصة لم
يجز ان يجعل فيه ما هو عسر وضيق وهو التتابع والله اعلم ثم فى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه دلالة انه اذا صام عن غيره لم يجز
لانه اضاف عز وجل الصوم الى الشهر واشار اليه بقوله عز وجل فليصمه فلو جاز لان يصوم من غيره لكان فيه صرف الحق عما جعل
الله وفى ذلك خوف اعتراض لامره وانتزاع لحكمه ونسأل الله العصمة من الزيغ عن الحق واما قوله عز وجل يريد الله بكم العسر لما المعتزلة
من صام فى السفر او فى المرض فعل ما لم يرد الله لان الله عز وجل اخبر انه لم يرد بالعسر وانما اراد اليسر فاذا صام فى المرض وفى السفر اراد
العسر والله تعالى اخبر انه لم يرد فدل انه فعل لم يرد الله لكن الوجه عندنا ان قوله يريد الله معناه اراد الله بكم اليسر لما رخص لكم الافطار
فى السفر لانهم اجمعوا على ان الصوم فى السفر افضل والافطار رخصة ولا يجوز ان يقال لم يرد الله ما هو افضل واراد ما هو دون
على قولهم ولكن يقال اراد لمن افطر اليسر واراد لمن ترك الافطار العسر واراد بنا فيه فلا يجوز ان ينفذ فى وجه ولا ينفذ فى وجه
اخر **وقوله** عز وجل يريد الله بكم اليسر اى يريد ان ييسر عليكم بالاذن فى الفطر لان ييسر عليكم بالنهى عنه وقد يحتمل الفعل لكنه
لم يذكر عن احد ان الله تعالى اراد به اليسر فصام فثبت ان الارادة موجبة معا لا يحتمل على قولهم ان يكون الصايم فى السفر غير مراد
وقد قضى به فرض الله واطاع الله فيه والمعتزلة يقولون بالارادة فى كل فعل الطاعة فضلا عن الفرضية **وقوله** ولتكبروا الله
على ما هداكم قيل يعنى تعظمون الله على ما هداكم لامر دينه ويجوز ان يريد بالتعظيم الامر بالشكر لما انعم عليهم من انواع النعم من التوحيد
والاسلام وغيره ولعلكم تشكرون ربكم بهذه النعم التى انعمها عليكم ويحتمل انه امر بالتعظيم له والشكر لما رخص لهم الافطار فى
السفر والمرض والله اعلم **وقوله** واذا سألك عبادى عنى فانى قريب هو على الاضمار والله اعلم كانه قال واذا سألك عبادى اين انا
عن اجابتهم فقل لهم انى قريب بالاحسان والبر والكرامة لمن اطاعنى ويحتمل انى قريب قرب العلم والاجابة لا قرب المكان والذات
كقرب بعضهم من بعض فى المكان لانه كان ولا مكان ويكون على ما كان وكذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية
وكقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كل ذلك يرجع الى قرب العلم والاحاطة وارتفاع
الجهات لا قرب الذات على ما ذكرنا وان كانت القصة على ما قاله بعض اهل التفسير ان اليهود قالوا كيف يسمع ربك دعانا
وانت تزعم ان بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام فنزل قوله واذا سألك عبادى عنى
فانى قريب هذا العالم يعرفوا الصانع الا انهم جعلوا له الولد وجعلوا له شركاء فخرج سؤالهم ان كان يخرج سؤال التعنت لا سؤال

المستوشد وقوله اجيب اى اقبل دعوة الداع يعنى توحيد الموحد وكذلك قال ابن العباس رضى الله عنه فى قوله ادعونى استجب لكم
اى وحدونى اغفر لكم وقيل اجيب دعوة الداع على حقيقة الاجابة وقوله فليستجيبوا لى اى لما دعوتهم يحتمل على ذكرنا فى قوله اجيب لكم
اذا استجبتم لى بالطاعة والايتمار ويحتمل اجيب لكم اذا اخلصتم الدعاء لى ويحتمل على ابتداء الامر بالتوحيد كانه قال وحدونى لا
نزى انه قال وليومنوا بى لعلهم يرشدون اذا فعلوا ذلك وقوله احل لكم ليلة الصيام سماه ليلة الصيام الليل مضاف الى يومه كما
قال ليلة يوم الصوم وان لم يكن بها صوم فى الحقيقة لانتظار الصيام فيها بالنهار على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال
منتظر الصلاة ما دام ينتظرها وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف الصوم الى الشهر يدخل فيه الليل والنهار لان
اسم الشهر يجمع الليل والنهار لان اسم الشهر يجمع الليل والنهار جميعا وقوله الرفث الى نسائكم قيل الرفث الجماع وهو قول ابن
عباس رضى الله عنه وقيل الرفث هو حاجات الرجال الى النساء من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره وقوله هن لباس لكم وانتم
لباس لهن قيل هن ستر لكم عما لا يحل وانتم ستر لهن ايضا يعف الرجل بالمراة والمراة بالرجل وقيل سكن لكم وانتم سكن لهن يسكن
الزوج بالزوجة والزوجة بالزوج وهو كقوله وجعلنا الليل لباسا اى سكنا وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه ويحتمل ان يكون احدهما
لباسا للاخر فى الليالى والله اعلم وقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تختانون وتخونون واحد قيل نزلت الاية فى شان عمر رضى الله
عنه وذلك ان الناس اذا صاموا ثم نام احدهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يفطر من الغد فواقع عمر رضى الله عنه امراته يوما
بعدما نام او نامت فنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فنزل قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اى تظلمونها لان كل
خائن ظالم نفسه فتاب الله عليه وعفى عنه ثم رخص لهم المباشرة بقوله فالان باشروهن على الرخصة هو على الاباحة لا على الامر به وقوله
وابتغوا اى ابتغوا ما كتب الله لكم قيل فيه بوجوه قيل ما كتب الله لكم من الولد وقيل ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول
الرحمة وقيل ابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة والاباحة فى الجماع فى ليلة الصيام والاكل بعد النوم وهو كما جاء من لم يقبل رخصنا
كما يقبل عزائمنا فليس منا وقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ذكر عن عدى بن حاتم انه قال
كنت اضع حبلين تحت وسادتى بعد نزول هذه الاية احدهما ابيض والاخر اسود فكنت انظر فيه متى ما تبين لى الى ان اتيت به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ان وسادتك لعريض يعنى ان الفجر هو المعترض فى الافق وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يغرنكم الفجر المستطيل انما الفجر المستطير فى الافق وروى انه قال الفجر فجران فجر مستطيل فى السماء وفجر مستطير فى الافق فهو الذى
يحرم الطعام على الصائم ويحل الصلوة وروى انه قال لا يغرنكم اذان بلال فانه انما يؤذن بالليل ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم وفى بعض
الاخبار لا يغرنكم اذان بلال عن سحوركم فانه انما يؤذن بليل او كلام نحو هذا والاصل فى هذا ان الله عز وجل جعل حد الصيام من وقت
تبين وقت النهار الى وقت غيبوبة الشمس الى وقت تبين النهار الطعام والشراب والجماع تحقيقا منه وقوله ولا تباشروهن وانتم
عاكفون فى المساجد تختلف فى المباشرة قيل المباشرة عنى به الجماع وما دون الجماع فانما نهوا عنها وقيل المباشرة كناية عن الجماع ثم
قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد فيه دلالة من وجه الاية كانها نزلت فى الصحابة لانه كانوا يباشرون نساءهم فى المساجد
لان المساجد كان اجل عندهم من ان يجعلوها مكانا لوطء النساء ولكنه والله اعلم ان الاعتكاف هو اللبث فى مكان يأخذ الحق فى نفسه
عند عكوفه المسجد وخروجه منه فذكر ان العكوف نفسه يحرم الجماع فى الاحوال كلها ليس كالصوم الذى يحرم حالا دون حال فى الوقت
الذى لم يكونوا فيها ليعلموا ان حكم المقام فى المساجد اخذهم ولبسوا لم فيها ولو لم يكن شرطا فى ذلك لكان قوله وانتم عاكفون كافيا
اذ لم يكونوا فى المساجد وقت لحوق النهى المباشرة والله اعلم وفيه دليل ان الاعتكاف لا يكون الا فى المسجد حيث خص المساجد دون
غيرها من الامكنة وفيه دليل ان المعتكف قد يخرج من معتكفه لكنه لا يخرج الا لما لا بد منه على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه كان لا يخرج الا لحاجة انسان وحاجة الانسان يحتمل وجهين يحتمل لما يرفع اليه من الحوايج ويحتمل حاجة الانسان الحاجة المعروفة
التى لا يحتمل قضاؤها فى المسجد ثم الضرورة تقع بالخروج فى العكوف بوجهين مرة فى نفسه ومرة فيما يكتسبها وبهذا يقول اصحابنا
رحمهم الله فى فريضة الخروج الى الجمعة لان من اعتكف على ان لا يشهد الجمعة لا يؤذن له فى ذلك لما لا يجوز ان يؤذن بايجاب قربة هى ليست
عليه بتضييع اخرى هى عليه لذلك كان ما ذكرنا فان قيل روى انه كان لا يتبع الجنازة وعيادة المريض قيل ان ثبت هذا فانه اذ خرج
لوجه اذن بالخروج لذلك الوجه فخرج ثم عاد مريضا او شهد جنازة وذلك جائز ولو كان يؤذن لذلك لكان يؤذن لكل قربة اذ الجنازة
اذا شيعها الكافى سقط فرض التشييع فلم يؤذن فى غير هذا وهذا مثل ذلك ما روى من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى ذلك دليل
ان الخبر على ما بينت والله اعلم وروى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت من السنة ان لا يخرج المعتكف من معتكفه ولعله من عايشة
رضى الله عنها ان خبر على بن ابى طالب رضى الله عنه على ما ذكرنا ان ثبت وفى قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد فيه
دليل ان الاعتكاف يكون فى جميع المساجد لانه عم المساجد وما روى ان لا اعتكاف الا فى المسجد الحرام ان ثبت فهو على النسخ
لان النبى صلى الله عليه وسلم اعتكف فى مسجد المدينة فدل لعله انه منسوخ والله اعلم وقوله تلك حدود الله فلا تقربوها قيل تلك
المباشرة معصية فلا تقربوها فى الاعتكاف فهذا لامر ان لا تقربوها وقيل انه جعل لكل طاعة وامر ونهى حدا وغاية فلا يجاوز ولا

يقصر

يقصر عنه وقيل تلك فرايض الله وقيل تلك سنن الله وكان الاول اقرب وقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها
الى الحكام وقراة ابى فلا تدلوا بها الى الحكام وجهان على اضمار لا كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق اى ولا تكتموا وقيل لا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما تلبسوا على الحكام وتحيلوا على ذلك بحجج باطلة على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم
تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق اخيه المسلم فكانما قضيت له بقطعة من النار وقوله
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل جعل مال الاخ كماله ونفس اخيه كنفسه لقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فاذا اكل مال اخيه
بالباطل لزمه مثله جعل كاكل ماله بباطل وجعل قتل نفس اخيه بالباطل كقتل نفسه بالباطل لانه اذا قتله بباطل قتل به ثم من
الناس ثم استدل بهذا على ابى حنيفة رضى الله عنه فيما يقول يمضى اذا شهد الشهود على ذلك عند الحاكم وقضى به ثم ظهر ان الشهود
شهدوا بزور حيث قال ولا تاكلوا وما روى من الوعيد للاخذ مكان ما اخذ قطعة من نار فانه لم يحل ذلك لم يمض العقد غير ان الاصل
عندنا فى كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك بسبب جعل ذلك لهما فاذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ وقوله لتاكلوا فريقا من اموال
الناس يعنى طايفة من اموال الناس وقوله يسالونك عن الاهلة يحتمل قوله يسالونك اى سالوك عن الاهلة ويحتمل يسالونك
من بعد فان كان على هذا ففيه دليل رسالته لانه كان كما اخبر من السوال له ثم معنى السوال عن الاهلة والله اعلم هو انهم لماذا والشمس
تطلع دايما على حالة واحدة دورا والقمر يختلف الاحوال من الزيادة والنقصان فجوابهم ذلك على السوال عن حال القمر فاخبر عز وجل انه
جعل الهلال معرفا للخلق الاوقات والاجال والمدد ومعرفة وقت الحج لانه لو جعل معرفة ذلك بالايام لاشتد حساب ذلك عليهم
ولتعذر معرفة السنين والاوقات بالايام فجعل عز وجل بلطفه ورحمته الاهلة ليعرفوا بذلك الاوقات والاجال ويعرفوا وقت
الحج ووقت الزكوة طلبا للتخفيف والتيسير عليهم ثم قال هى مواقيت للحج جعل الاهلة كلها وقتا للحج ولهذا ما قال اصحابنا انه يجوز
الاحرام فى الاوقات كلها على ما يجوز بقاء الاحرام فى الاوقات كلها واما افعال الحج فانما لا يجوز الا فى وقت لعل وهو قوله الحج اشهر
معلومات فانما هى على افعال فيه ولياليه قوله فمن فرض فيهن الحج ولا نفرض من الحج فى غير الاحرام دل انه عنى به افعال الحج وقد جاء انه
سمى الاحرام على الانفراد حجا وسمى الطواف بالبيت حجا والوقوف حجا وقال الحج عرفة وسمى التروية حجا حيث قال افضل الحج العج والثج
وانما سمى كل منها حجا لما جعل لها اوقاتا معلومة يؤدى فيها واما الاحرام فانه جعل الاشهر كلها وقتا له بقوله يسالونك عن الاهلة
قل هى مواقيت للناس والحج وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها لا معنى لعطف هذا على الاول الا على الاضمار السوال كانهم
سالوه عن الاهلة وعن اتيان البيوت من ظهورها لا معنى لعطف هذا الاول الا على اضمار السوال كانهم سالوه عن الاهلة وعن اتيان
البيوت من ظهورها فاخبر ان ليس البر فى اتيان البيوت من ظهورها ولكن البر فى التقى ثم اختلف فى قصد هذا الكلام قال بعضهم ان
بعض العرب اذا احرم احدهم لم يدخل بيته من بابه ولكن يدخل من ظهر البيت مخافة تغطية الراس اذا دخل من بابه وقيل ان بعض العرب
اذا خرج احدهم لحاجة فلم يقض حاجته فرجع لم يدخل البيت من بابه ولكن كان يدخل من وراء ظهره يكره دخوله بيت نبو منجح بتطير
به ويتفالون قضاها ثانيا فقال الله عز وجل ليس البر فيما تصنعونه ولكن البر من اتقى واتبع امر الله وانتهى عما نهى عنه وياتى البيوت
من ابوابها ويحتمل ان يكون على التمثيل والرمز ليس على التحقيق كقوله فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم فهو ليس على حقيقة الطرح وراء الظهر ولكن كانوا لا يسمعون كلام الله ولا يعبؤن به وكذلك كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يسمعونه ولا يكترثون اليه فاخبر انه كالمنبوذ والمطروح وراء الظهر لما لم يعملوا به فعلى ذلك الاول اخبر ان ليس البر فى ترك
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاعتماد بامره اى ليس فعل البر مخالفة محمد عليه الصلوة والسلام ولكن البر فى الاتباع له والايتمار بامره وقالت
القرامطة ان المراد من الابواب هو على بن ابى طالب رضى الله عنه والبيوت هو رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عند على رضى الله عنه على ما جاء انه قال انا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد الدخول فى البيت لا بد من ان ياتى الباب فيدخل من الباب
لكن الجواب لهم على قدر ما تاولوا ذكر البيوت وذكر الابواب ايضا والبيوت كثيرة والابواب كذلك ايضا فعلى وغيره من الصحابة من
نحو ابى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين فيه شرع سواء الا ترى انه قال انا مدينة الحكمة والمدينة لا يعرف لها باب واحد بل
يكون لها ابواب فدل ان تاويلهم فى على رضى الله عنهم خاصة لا يصح وبالله العصمة وقوله واتقوا الله اى اتقوه ولا تعصوه ولا تتركوا
امره وانتهوا عن مناهيه وقوله وقاتلوا فى سبيل الله دينه وطاعته اى لاظهار دينه قيل هى اول اية نزلت فى الامر بالقتال وقيل
اول اية نزلت فى الامر نزلت فى الامر بالقتال قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ويحتمل انه اخبر كانهم نهوا ولانهم اذن لهم فقاتلوا
فانكر عليهم فانزل الله انه اذن لهم اخبارا فلا بد رعايتها اول ولكن فيه الامر بالقتال والنهى عن الاعتداء هاهنا قيل هو نهى عن قتل الذراري
اى النساء والشيخ الفانى على ما جاء انه بعث سرية وصى لهم ان لا يقتلوا وليدا ولا شيخا وقيل نهاهم ان يقاتلوهم فى الشهر الحرام الا ان يبدأهم
المشركون بالقتال والله اعلم وقوله ان الله لا يحب المعتدين ام لا يحب الاعتداء ثم يحب من اعتدى وقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم
قيل لفظ الحيث يعبر عن المكان ففيه اذن بقتلهم فى جميع الامكنة وفى تعميم الامكنة تعميم الاوقات فهو على عموم المكان الا ما استثنى

من المسجد الحرام مطلقا واما قوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه فالاستثناء فيه معتبر فلا تخرج عن ذلك العام والله اعلم ثم منهم من
جعل لهم القتال في الحرم وفي اشهر الحج بظاهر هذه الاية ومنهم من قال لا يقتل فيهما جميعا وقال اصحابنا رحمهم الله يقتل في الاشهر الحرم ولا
يقتل في الحرم الا ان يبداهم بالقتال فحينئذ يقتلهم وكذلك يقولون فيمن قتل اخر ثم التجا الى الحرم لم يقتل فيه ولكن لا يبايع ولا يشارب
ولا يجالس حتى يضطر فيخرج فيقتل وان قتل في الحرم يقتل فعلى ذلك لا يقاتلهم في الحرم الا ان يبدؤهم بالقتال فعند ذلك يحل القتل وانما
لم يحل القتال في الحرم الا ان يبدؤهم بالقتال فعند ذلك يحل القتل وانما لم يحل القتال في الحرم الا ان يبدؤهم به وان كان ظاهر قوله
واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه استثنى الحرم دون
غيره من الاماكن واما قوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ظاهر هذه الاية يحرم القتال في اشهر الحج لكن فيه دليل
حل القتال بقوله والفتنة اكبر من القتل يعني بالفتنة الشرك جعل القتل فيه كبيرا ثم اخبر ان الشرك فيه اكبر واعظم من القتل فالاول
عندنا ان الابتلاء اذا كان من وجهين يختار الايسر منهما والاخف فلذلك قلنا انه يختار القتل في الحرم على بقاء الفتنة وهو الشرك
لانه اكبر واعظم والله اعلم **وقوله** واخرجوهم من حيث اخرجوكم يحتمل قوله واخرجوهم من مكة كما اخرجوكم عام الحديبية ويحتمل ان امر
بان يضيقوا عليهم ويضطروهم الى الخروج كما فعل اهل مكة بهم ويحتمل الاخراج بان يضيقوا عليهم ويضطروهم الى الخروج كما فعل اهل مكة بهم
ويحتمل الاخراج على ما جاء الا لا يحجن مشرك بعد عامي هذا ويحتمل ان يمنعوهم عن الدخول فيه كقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور للنهي عن الشرك اخراجا **وقوله** والفتنة اشد من القتل اي الشرك اعظم جرما عند الله من القتل
فيه **وقوله** ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم كما ذكرنا ان هذا وقوله واقتلوهم كله يخرج على الجواز
لهم وفيه لغة اخرى ولا يقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فاذا قتلونا لا سبيل لنا ان نقتلهم فما معنى هذا قيل يحتمل قوله ولا
يقتلوهم حتى يقتلوكم اي اذا قتلوا احدا منكم فحينئذ تقتلونهم او لا تقتلوهم حتى يبدؤهم بقتلكم او ان يقول لا تقتلوهم حتى يقتلوا
بعضكم فاذا فعلوا ذلك فحينئذ تقتلونهم والله اعلم **وقوله** كذلك جزاء الكافرين اي هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله ولم يستقبلها
بالشكر ويحتمل كذلك جزاء من بدا بالقتال في الحرم ان يقتل **وقوله** فان انتهوا فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين فان انتهوا عن الشرك
واسلموا يتغمدهم الله برحمته ويحتمل فان انتهوا عن بدا القتال واسلموا فان الله يرحمهم ويغفر ذنوبهم **وقوله** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
انما امرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا فان قيل اين الحكمة في قتل الكفرة وهو في الظاهر غير مستحسن في العقل قيل انا نقاتلهم ليسلموا ولا
نقتلهم الا ان يابوا الاسلام فاذا ابوا ذلك ثم لم نقتلهم لا يسلمون ابدا لذلك تذرهم اذ في القتل ذهاب الفتنة ويحتمل انا
حتى لا تكون فتنة على وجه الارض اي تطهر من الشرك وقال الفتنة ههنا العذاب اي قاتلوهم حتى لا يعذب واحد منكم لكفار **وقوله**
ويكون الدين لله اي يكون الدين دين الله في الارض لا الشر والدين الحكم **وقوله** فلا عدوان الا على الظالمين فان قيل فاذا صار الدين
كله لله فلا ظالم هنالك فما معنى هذا الكلام قيل يحتمل لا عدوان الا على الظالم الذي احدث الظلم من بعد ويحتمل ان لا عدوان الا على
من بقي منهم مع الظلم فان قيل فلم سمي عدوانا والعدوان هو ما لا يحل قيل لانه جزاء العدوان وان لم يكن هو في الحقيقة عدوانا فسمي باسمه
كما سمي جزاء السيئة سيئة وان لم يكن هو سيئة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما سمي جزاء الاعتداء وان لم يكن في الحقيقة اعتداء
فكذلك الاول **وقوله** الشهر الحرام بالشهر الحرام قيل خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام يريد مكة فصده المشركون عن دخولها
فجاء من عام قابل في الشهر الحرام فدخلها واقام ثلاثا وقضى عمرته التي فاتته في العام الاول فسميت عمرة القضاء فذلك تاويل قوله و
الحرمات قصاص هذه الثانية صارت قصاصا بالاول وقيل ان الجاهلية كانوا يعظمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه فلما ان ظهر
الاسلام عظم اهل الاسلام ايضا ولم يقاتلوا فيه حتى جعل الكفار يغيرون على اهل الاسلام ويستنصرون عليهم حتى نسخ ذلك و
امروا بالقتال فيه بقوله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم كانه قال ما هتكتم من حرمة الشهر فقصاص
لما هتكوا **وقوله** فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** واتقوا الله يحتمل
اتقوا مخالفة الله واتقوا عذاب الله **وقوله** واعلموا ان الله مع المتقين بعض مع المؤمنين جملة ويحتمل اتقوا القتال في الحرم قبل ان يبدؤهم
فان الله مع المتقين في النصر والمعونة لهم **وقوله** وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل فيه بوجوه قيل بالانفاق
ترغيبا بالخروج الى الجهاد وان لا يكل ينفق على نفسه بما يعلم حاجته اليه ولا يلقي بنفسه في الهلاك من حيث منع الانفاق وقيل في
قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو ان يذنب ذنبا ثم يايس عن العفو عنه وقيل انفقوا اي لا تنطلقوا بالانفاق مخافة الفوت في
الوقت الثاني فانه يخلف لكم ما انفقتم وقيل انفقوا اي اعينوا اصحابكم ولا تلقوهم الى التهلكة بترك المعونة لهم بالانفاق والتجهيز وقيل
تضيعوا قوة ان فيه حيوة ابدانكم وانفسكم **وقوله** واحسنوا قيل احسنوا الى اصحابكم بالاعانة والتصدق وقيل احسنوا الظن بالله في
الانفاق وقيل احسنوا الظن بربكم في الخروج الى الغزو ويحتمل واحسنوا اي اسلموا وعلى ذلك يخرج قوله ان الله يحب المحسنين يعني المؤمنين
وقوله واتموا الحج والعمرة لله اختلف فيه في قراءته قال بعض الناس العمرة فريضة بهذه الاية لانه امر باتمامها كما امر باتمام الحج وقيل هي الحجة

بهذه الاية

بهذه الاية ولكن انما عرفناه بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ثم في الامر بالاتمام وجوه احدها انهم كانوا
يفسخون الحج بالعمرة فامروا باتمامها على ما روي عن عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى
عنهما واعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء والثاني انهم كانوا لا يجعلون العمرة لله فامروا بجعلها لله وعلى ذلك روي في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه انه قرا واتموا الحج والعمرة لله قال من تمامها ان تحرم من دويرة اهلك واحتج اصحابنا رحمهم الله ايضا بما روي عن جابر رضي الله
عنه ان رجلا قال يا رسول الله العمرة واجبة هي قال لا وان تعتمر خير لك وروي ايضا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الحج مكتوب
والعمرة تطوع وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الحج فريضة والعمرة تطوع وعن عايشة
رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله اكل اهلك يرجع بحجة وعمرة غيري قال انفري فانه يكفيك الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا والاصل حجج
اصحابنا ايضا بشيء من النظر وذلك ان الله فرض الصلوة والزكوة والصيام في اوقات خصها بها واجمع اهل العلم ان المتطوع بالصدقة و
الصلوة والصيام يفعل ذلك متى شاء ثم اجمعوا ان العمرة لا وقت لها فدل ذلك على انها تطوع اذ لو كانت فريضة كان لها وقت مخصوص
يفعل فيه كغيرها من الفرايض فان قيل ان الحج التطوع مخصوص بوقت كمخصوص المفروض منه فكما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على
وجوبه فكذلك العموم الذي في العمرة لا يدل انها تطوع قيل وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت ووجدنا التطوع على ضربين منه ما هو مخصوص
كالحج ومنه ما هو غير مخصوص كالصلوة والصيام والصدقة فلما لم نجد في الفرض ما ليس بمخصوص بوقت نظرنا غير فرض واحتجوا ايضا بانا و
جدنا العمرة تفعل في اشهر الحج ولم نجد صلوتين يفعلان في وقت واحد فريضتين ولكن يفعل الصلوة التطوع في وقت الفريضة
فثبت لما جاز ان جميع بين فعل الحج والعمرة في وقت واحد انها تطوع كالصلوة التي يفعل في وقت الظهر وغيرها ولحجج من جعلها فرضا
بان قال لم نجد شيئا يتطوع به الا وله اصل في الفرض فلو كانت العمرة تطوعا كان لها اصلا في الفرض قيل العمرة انما هي الطواف والسعي
ولذلك اصل في الفرض فرض الحج معا انا وجدنا الاعتكاف تطوعا وليس له اصل في الفرض فعلى ذلك العمرة والاصل ان كل ما يبتدي الله
ايجاب على عباده فانه يوجب فعلها باوقات ويجعل لادائها اوقات والعمرة ليس لوجوبها وقت ولا لادائها ثبت انها ليست بواجبة
لله **وقوله** فان احصرتم فما استيسر من الهدي الاية على الاضمار كانه قال والله اعلم فان احصرتم عن الحج فاردتم ان تحلوا فاذبحوا ما استيسر
من الهدي اذ الاحصار نفسه لا يوجب الهدي لكنه اذا اراد الخروج منه يخرج بهدي وعلى ذلك يخرج قوله فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر كانه قال والله اعلم من كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وكقوله او به اذى من راسه ففدية من
صيام معناه والله اعلم او به اذى من راسه ففدية والاذى الذي في راسه لا يوجب عليه الفداء حتى تزيل كقوله فمن اضطر غير باغ ولا
عاد فلا اثم عليه الفداء اي من اضطر فاكل منها غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه والاضطرار نفسه لا يوجب الاثم ثم اختلف اهل العلم في الاحصار
ما هو وبم يكون وهل يحل روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال انما الاحصار الرجل من مرض او حبس او كسر او شبه ذلك بعث بهدي ووقت
يوم النحر مكث على احرامه على ان يبلغ الهدي محله وعليه الحج والعمرة جميعا من قابل وعن ابن الزبير وعروة بن الزبير قال المحصر من كل شيء
يحبسه عدو او مرض وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ومعنى قوله فقد حل اي
جاز له ان يحل بغير دم لان الله تعالى اذن له في الاحلال بدم وهذا عندنا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل وادبر النهار
وغابت الشمس فقد افطر معناه فقد حل له الافطار فعلى ذلك الاول حل له ان يحل ثم قال بعض اهل اللغة من نحو الكسائي وابي عبيد
قالوا ان الاحصار من المرض والحصر من العدو فان قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنه وابن عمرو رضي الله عنهما
انهما قالا لا احصر الا حصار العدو ولكن في هذا نسخ الكتاب بقولهما ان ثبت وهو لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا ان يراه بقول
واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم معا تركت قولهما لانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذهب الحصر ثم يقال للشافعي رحمه الله
الا جاز ان يجعل المراة بمنزلة المحصر من غير ان يخاف عدوا لكنها انما منعها من له ان يمنعها جعلتها محصرة فهلا جعلت المريض
مثلها وان كان النص في القران انما جاء في المحصر من العدو على زعمك فقال لان المراة حبسها من له ان يحبسها فهي اشد حالا ممن حبسه
عدو وليس له ان يحبسه فيقال له المريض قد حبسه من له ان يمرضه فاجعله اشد حالا ممن الذي حبسه عدو وليس له ان يحبسها او
فرق من المراة والمريض فقال بل بينهما فرق وذلك ان الخائف بعد ويخاف القتل على نفسه وقد اباح الله للخائف في القتال
ان يتحيز الى فئة فينتقل بذلك من الخوف الى الامن قيل له كما رخص للخائف في ذلك فقد رخص للمريض ان لا يحضر القتال فالرخصة
له اكثر من الرخصة للخائف فان قال ان المريض لا يبرا بالقعود والخائف يامن قيل له ان الرخص التي جعلت للاعذار لا تجعل ل
لتر نفعها ولكن الرخصة لترفيه المشقة فيقال له ايضا قد جعلت المراة محصرة اذا منعها زوجها وهي لا تخاف القتل على نفسها ف
فبطلت علته وانتقضت فان قال انكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا وهو ممنوع من المضي على جهة فما الفرق بينه وبين المريض
فيقال لو جعلنا الضال لم يخرج من احرامه الا بدم يوجهه الى الحرم فيذبح عنه واذا وجد من يذهب الى الحرم فيذبح هديه فليس بضال لانه
قد وجد دليلا يدله على طريقه لذلك افترقا وبعد فان المرض احق ان يكون عذرا في ذلك من العدو وغيره لانه يقاتل العدو و
السباع فيدفع عن نفسه الاحصار والمرض لا سبيل له الى دفعه دل انه احق ان يجعل عذرا وقال بعضهم يكون محصرا من الحج ولا يكون

من العمرة لان الحج مما يحتمل الفوت والعمرة لا واما عندنا فانه يكون محصرا منهما جميعا لان الله عز وجل ذكر الاحصار على اثر ذكر العمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى وروى فى الخبر يرويه ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت الشريف فنحر هديه وحلق راسه بالحديبية وقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فيه دلالة ان المحصر يبقى حراما على حاله لا يحل حتى ينحر عنه الهدى واختلف اهل العلم اين يذبح الهدى فقلنا انه لا يجوز ان يذبح الا فى الحرم روى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان المحصر يبعث بالهدى فاذا نحر عنه حلق وظاهر القرآن يدل على ما روى عن هؤلاء لان الله تعالى قال ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فجعل الهدى محلا يبلغه وبين موضع محله فقال هديا بالغ الكعبة وكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد والدم المحصر قال الشيخ رضى الله عنه المحل اسم الموضع الذى يحل فيه ولو كان كل موضع له محلا لم يكن لذكر المحل واحتج من خالف اصحابنا رحمهم الله بما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى يوم الحديبية فى الحرم يرويه مروان بن الحكم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية فحال المشركون بينه وبين دخول مكة وجاء سهيل بن عمرو ويعرض عليهم الصلح فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يسوقوا البدن حتى ينحر حيث شاء ولا يتوهم ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم يهدى الهدى فى الحل وقد اطلق له المشركون ان ينحرها حيث شاء وهو يقرب الحرم بل هو فيه وروى عن مروان والمسور بن مخرمة قالا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى الحل وكان يصلى فى الحرم هذا يبين انه كان قادرا ان ينحر هديه فى الحرم حيث يصلى كان يصلى ولا يحتمل ان يترك نحر الهدى فى الحرم وهو على ذلك قادر ولان الحديبية مكان يجمع الحل والحرم جميعا فانما ذبح فى الحرم لا فى الحل لما ذكرنا انه لا يحتمل ان يذبح فى الحل وليس سبيل الذبح فى الحرم فان قيل حل النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من احصاره بغير دم قلنا ليس الامر عندنا هكذا لانه يتوهم على النبى عليه الصلوة والسلام ان يكون حل بغير دم وقد امر الله المحصر بالدم فان قال كذلك قال وليس فى حديث صلح الحديبية انه نحر هديا واحدا فما وجه ذلك عندكم قيل وجه ذلك عندنا والله اعلم ان الهدى الذى ساقه كان هديا متعة او قران فلما منع عن البيت سقط عنه دم القران فجاز ان يجعله من دم الاحصار فان قيل فكيف قلتم ان النبى صلى الله عليه وسلم ازال الهدى عن سبيله وانت تزعم ان من اوجب هديا فهو مستحق قيل له ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يصرف الهدى عن نحره لله والتقرب به اليه وانما صرف النية الى ما هو افضل منها واوجب فكان ذلك فى فعله متبعا والذى باعه صرفه عن سبيله وترك ان ينحره بعد ان كان نوى به القربة فكان مسيئا ومما يدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل الهدى لاحصاره لما روى انه لم يحلق حتى نحر هديه وقال يا ايها الناس انحروا واحلقوا ثم المسئلة ما يجب على المحصر بالحج والعمرة من القضاء اذا حل فعلى قول اصحابنا انه ان كان محرما بالحج يلزمه الحج مكان الاول وعمرة بفوت الحج قال الله تعالى فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلف اهل العلم فى تاويل ذلك فروى عن ابن عباس رضى الله عنه فيما يكون الرجل به محصرا انه قال فاذا امنتم من الخوف والمرض فمن تمتع بالعمرة اى اعتمر فى اشهر الحج كانه يقول ان عليهم لاحلاله بغير الطواف عمرة فان اخرها حتى يقضيها مع الحج فى اشهره فعليه لجمعه بينهما دم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال فى رجل اهل بعمرة واحصر يبعث بهديه فاذا بلغ الهدى محله حل فان اعتمر من وجهه ذلك اذا برا فليس عليه هدى وان اعتمر من قابل بعد حج فليس عليه هدى فان وصلها بحج من قابل فعليه هدى والحاج اذا احصر فانه يبعث بهدى فاذا بلغ محله حل وان اعتمر من وجهه ذلك اذا برا فانه يحج من قابل وليس عليه هدى وان لم يزر البيت حتى يحج وجعلها سفرا واحدا كان عليه هدى اخر سفرا وهدى اى هديان وسقر وقال قوم عليه حج ولا عمرة روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال امر الله بالقصاص فيأخذ منكم العدو اى حجة بحجة وعمرة بعمرة وروى فى خبر عمر رضى الله عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فقد حل وعليه الحج من قابل هذا يدل على قول ابن عباس رضى الله عنه لانه قال وعليه الحج من قابل ولم يذكر عمرة الا انه قد يجوز ان يكون عليه العمرة ولم يذكر فى الحديث كان الدم عليه واجب ذلك العمرة يجوز وجوبها ولم يذكر انما يايها العمرة لتتمتع الحج بغير طواف وبحجة مكانه فاذا كان التاويل قوله فمن تمتع بالعمرة اى بالعمرة التى لزمته باحلال كما قال ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير رضى الله عنهم فكل وجه منها كان تاويلا للاية فهو جائز فاذا احرموا من بعد ان تمتع بالحج ان يطوف بالبيت ثم يجب بعد ذلك قضاء الحج فاذا رجعوا على المحصر بمكة مكان الطواف الذى يجب عليه من بعد الحج انه فان قيل يجب ان يسقط عنه العمرة التى تجب على من يفوته الحج لانه لا يحل منه الا بدم وانما يحل بالطواف والمحصر تحلل بالدم فقام الدم مقام لا تحمل له مقام الطواف فى الذى يفوته الحج قيل له ان المحصر لو لم يذبح عنه الهدى احتاج الى ان يقوم على احرامه حتى يصل الى البيت فيطوف به والواجب لم يحج بعد ذلك مكان الحجة التى فاتته ولما فيحل له ان يتحلل الخروج من احرامه وبقى الطواف الذى لزمه بفوته فيما الدم جاز له ان يحل ولم يسقط الطواف عنه واذا وجب الدم عند الطواف لم يجعل بدلا لانه لعلته باقى به باحرامه حتى فيكون ذلك عمرة فان قيل ما الدليل على ان الدم الذى يحل به المحصر جعل عليه ليتحلل به الاحلال ولا يجعل بدلا عن الطواف قيل له لان اهل العلم اجمعوا على ان الذى يفوته الحج ليس له ان يفتح الطواف الذى لزمه بدم يهريقه فجعله بدلا عن الطواف فدل ان ما يهريق الدم ان يتحلل به الى الاحلال لا بدلا عن الطواف والله اعلم وقوله فما استيسر من الهدى روى عن على وابن عباس رضى الله عنهما انهما قالا شاة

لا اصحابنا رحمهم الله يرون الشاة مجزيا فى المتعة والاحصار والفدية والحجة لهم فى ذلك ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب بن عجرة النسك شاة واجماع الناس على انها مجزية فى الاضحية ثم المسئلة فى المحرم اذا حلق راسه من اذى رخص الله تعالى للناس الذى حلق راسه بعذر بقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك روى فى الخبر عن كعب بن عجرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كعب ايؤذيك هوام راسك قلت نعم يا رسول الله قال فاحلقه واذبح شاة او اطعم ستة مساكين وقال كعب فى نزلت هذه الاية ثم اختلف اهل العلم فى الذبح اين يذبح قال اصحابنا رضى الله عنهم لا يجوز ان يذبح الفدية الا بمكة واما الصدقة والصوم فانه ياتى به حيث شاء وذلك عندهم بمنزلة هدى المتعة لان هدى المتعة انما وجب بجمعه بين الحج والعمرة فى سفر واحد ولانه لو شاء ان يفرد لكل واحد منهما سفرا فعل فباخذه بالرخصة لزمه دم وكذلك دم الفدية انما وجب لاخذه بالرخصة فى حلق راسه فصار سبيل الدمين سواء يجبان بمكة وكذلك دم الاحصار انما وجب لانه اخذ بالرخصة فى حلق راسه فحل من احرامه ولا يجوز ان يذبح الا بمكة فدم الفدية ايضا كان انما وجب لانه رخص له فى حلق مثل ذلك والصدقة ثلثة اصوع على ستة مساكين على ما ذكر فى خبر كعب رضى الله عنه فاما الصوم فان التمتع اذا لم يجد هديا صام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجع فاجمعوا على انه ان يصوم السبعة بمكة وفى غيرها فصوم الفدية كذلك وكذلك الثلاثة الايام اذا صامها بعد احرامه بالعمرة عندنا وبعد احرامه بالحج عند مخالفينا بمكة او بغيرها فهى مجزية وكذلك صيام الفدية تجزيه حيث صامه قياسا على صوم المتمتع فاما الصدقة فان الشافعى ذكر انها لا تجزى الا بمكة وقال لان اهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون بالهدى فيقال له ارايت ان ذبح الهدى بغير مكة ثم تصدق به على اهل الحرم هل يجزيه ذلك فان قال لا قيل له قد بطلت علتك حيث لم يجز التصدق على اهل الحرم وبان ان الدم خص بان يهراق فى الحرم لان الله تعالى قال حتى يبلغ الهدى محله فاما الصدقة فهى مجزية حيث كانت ثم اختلف فى الذى يحلق قبل ان يذبح بغير اذى فقال ابو حنيفة رضى الله عنه يجب عليه دم والحجة له بان الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق حتى يبلغ الهدى محله فان حلق راسه لاذى فعليه دم آخر لان الاية الكريمة فى الحلق فى المحصر فاذا كان الذى يصيبه الاذى فى راسه قبل الوقت الذى اذن له فيه فدية بل الذى يحلق راسه بغير اذى احرى ان يكون عليه الفدية وابو حنيفة رضى الله عنه يزيد فى التغليظ عليه يقول لا يجزيه غير الدم ويخير صاحب الاذى بين الدم والصدقة والاطعام كما اخبر الله تعالى فدليل القرآن شهد لمذهبه وخالفه جماعة من اهل العلم فيمن حلق قبل ان يذبح وليس بمحصر وافتوه فى المحصر واحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما سئل عن رجل حلق قبل ان يذبح فقال اذبح ولا حرج لكن قوله افعل ولا حرج يرجع الى الاثم دون الكفارة افعل اى لو فعلت لم يكن عليك حرج لان الكفارة قد يجب فى اشياء يفعلها الرجل خطا وعلى جهة الجهل انما يجب فى ذلك فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث فى زوال الكفارة واصله فى ذلك ان احوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره لم يجز ايجاب ذلك الحكم فى غير الاحوال الضرورة والعذر وعلى هذا يخرج توهم فى جميع الاصول ان الحكم فى حال الاضطرار والعذر خلاف ما هو فى حال الاختيار ولهم على هذا مسائل مما يكثر عددها وفى الاية دليل لزوم الفداء على المتدهن لان الله تعالى قال فمن كان منكم مريضا وقد ذكرنا ان فى اضمارا ثم معروف حاجة المريض فى حال مرضه الى الدهن فصار كانه مذكور فى الاية والله اعلم وقوله فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى وقد ذكرناها هنا وافاديهم وقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم من حين يحرم اخرها يوم عرفة وعن ابن عمر رضى الله عنه قال ولا تصومهن حتى يحرم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ما بين الهلال ويوم عرفة وعن على رضى الله عنه قال فصيام ثلاثة ايام فى الحج قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فان فات ذلك صيام ثلاثة ايام بعد التشريق انما تاخيره الصوم رجاء ان يجد الماء فيغنيه عن التيمم فعلى ذلك يؤخر الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة رجاء ان يجد الهدى وانما اختلفوا فيه من صيامهن حلالا لا بعد العمرة فان من لم يجز ذلك ذهب الى ان الله تعالى قال ثلاثة ايام فى الحج فتاول ذلك على الاحرام وقد يجوز ان يكون الامر كما قال ويجوز ان يكون معناه فى اشهر الحج الا ترى ان الله يقول الحج اشهر معلومات ومعناه والله اعلم ان الحج يفعل فى هذه الاشهر ولفعله اشهر معلومات فلما احتملت الاية ما ذكرنا وجدنا السنة فى المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية كذلك روى عن جابر بن عبد الله قال قدمنا مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج لاربع ليال مضين من ذى الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل لانه كان ساق الهدى وامر من لم يسق الهدى ان يطوف ويسعى ويقصر ثم يحل فلما كان يوم التروية امرهم ان يلبوا بالحج فاذا كان امر المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية فكيف يصوم الثلاثة الايام بعد ذلك وانما بقى له يوم واحد فدل ما وصفنا انه يجوز له ان يصومهن حلالا بعد العمرة والله اعلم وقوله وسبعة اذا رجعتم اختلف فيه قيل اذا رجع من منى وقيل اذا اتى وقت الرجوع وقيل اذا رجعتم الى اهليكم وقوله تلك عشرة كاملة قيل تلك العشرة وان كانت متفرقة فهى كالموصولة فى خروج الحج وقيل تلك عشرة كاملة عن الهدى واجزى بكمالها حق الدم وقيل تلك عشرة كاملة فى حق الثواب اى ثوابها كثواب الهدى والله اعلم وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد

الحرام جعل الحكم الذي ذكره في المتمتع والمحصر لمن لا يحضر اهله المسجد الحرام وعن ابن عباس قال ليس على اهل مكة هدي في المتعة
ولان اهل مكة لو كانوا كغيرهم لم يكن المخصوص معنى واذا كان المعتمر في اشهر الحج اذا رجع الى اهله ثم حج من عامه ذلك فلا هدي
عليه فالمكي مقيم في منزلة بعد عمرته فهو احرى ان لا يجب عليه دم المتعة ان حج من عامه ذلك ولكن ان تمتع فعليه دم الحلال لانه
منهي عن التمتع ثم اختلف في حاضري منهم من هم قال اصحابنا رحمهم الله كل من كان من اهل المواقيت فما دونها الى مكة فلهم ان
يدخلوها بغير احرام فلهم جميعا حكم حاضري المسجد الحرام وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه خرج من مكة يريد المدينة فلما بلغ
بلغه ان بالمدينة جيشين من جيوش الفتنة فرجع ودخلها بغير احرام وعندنا اذا جاوز جميع المواقيت ثم رجع فعليه الاحرام و
قال آخرون ليس حاضري المسجد الحرام واما لاصحابنا رحمهم الله ما ذكرنا واما قولنا ليس عليهم احصار لان الاحصار هو الجيش الحيلولة
بينهم وبين دخولهم مكة فاذا كانوا هم فيها قادرون على الطواف بالبيت في كل وقت كذلك بطل الاحصار **وقوله** الحج اشهر معلومات
عن ابن عمر رضي الله عنه قال الحج اشهر معلومات شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنه وعن الحسن
مثله والشعبي ومجاهد وجوير وابراهيم مثله وعن عبد الله قال شوال وذي القعدة وذي الحجة وروي ان عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه اراد ما اراده الاولون لانه لا يبقى بعد ايام منى من مناسك الحج فكيف يكون الايام التي بعد النفر من ايام الحج لا عمل فيها للحاج فم
المسئلة فيمن يحرم بالحج قبل اشهر الحج ما عليه وهل يجوز احرامه عن ابن عباس رضي الله عنه قال من سنة الحج ان لا يحرم بالحج الا في اشهر
الحج وعن جابر رضي الله عنه قال لا يحرم بالحج قبل اشهر الحج فاصحابنا رحمهم الله يكرهون الاحرام قبل اشهر الحج واتبعوا في كراهيتهم ما
روي عن السلف النهي عن ذلك لكنهم يقولون ان احرم يجوز واحتج بعض اصحابنا في ذلك بان قال الحج ميقات وقت واجمعوا
ان من احرم بالحج قبل الميقات فاحرامه صحيح وقال بعضهم اشهر معلومات الاشهر كلها كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى
عشر شهرا وهي الاشهر كلها وهي معلومة وهي كقوله يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فان كان هذا على تاويل الاية
ففيه دليل جواز الاحرام بالحج في الاشهر كلها وقال آخرون الحج اشهر معلومات اي اشهر معلومات وهو ما ذكرنا من قول جماعة من
السلف قالوا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة فيه انه يتوجه وجهين احدهما ان الفعل الحج اشهر معلومات دليله قوله فمن فرض
فيهن الحج سماه حجا بعد سبب الالزام فثبت ان ما بعد الاحرام حج والوجه الثاني بان للحج اشهر معلومات لا يدخل فيها غيره ثم دخل
فيها العمرة رخصة دليله قوله دخلت العمرة في الحج هكذا فيكون معناه ان الحج اشهر اي لفعله اشهر معلومات والله اعلم **وقوله**
فمن فرض فيهن الحج اختلف فيما به كفر من الحج قال بعضهم اذا نوى ان يعمل بجميع ما امر وان ينتهي عن جميع ما نهي صار بذلك محرما
واما عندنا فان تاويل قوله فمن فرض فيهن الحج دليله ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر رضوان الله عليهم
اجمعين انهم قالوا فمن فرض فيهن الحج اي لبى واما بالنية مجردا فانه لا يكون محرما وما روي ايضا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال لعايشة رضي الله عنها وقد رآها حزينة ما لك فقالت انا قضيت عمرتي والقى الحج عاركا فقال ذلك شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم
فحجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم فبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها باتباعهم فيها وعن عايشة رضي الله عنها
قالت لا يحرم الا من اهل اولبى فدلت هذه الاحاديث النبوية على ان التلبية فرض الحج وعن هؤلاء الائمة وامثالهم الذين تأخذ منهم
الدين فلا نجوز مخالفتهم ولا العدول عن سبيلهم وقال اصحابنا رحمهم الله اذا خرج رجل مع بدنته وقلدها ونوى الاحرام فهو محرم ويقوم
ذلك الفعل منه مقام التلبية والحجة لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضوان الله عليهم اجمعين في حجته لما امرهم بان
يجعلوا العمرة فقالوا له انك لم تحل قال اني قلدت الهدي فلا احل من احرامي الى يوم النحر وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت ما
سقت الهدي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي منعه من الحل تقليده الهدي وان ذلك قام مقام الاحرام لوجدده بعد الطواف وروي
عن علي وعبد الله وجابر رضي الله عنهم قالوا اذا قلد فقد احرم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اذا قلد ويريد الحج والعمرة فقد احرم
وما روي عن عايشة رضي الله عنها لا يحرم الا من اهل اولبى فذلك عندنا في الذي يقلد بدنته ولا يخرج معها لا يصير محرما الا
نرى ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ويقيم فلا يحرم عليه شيء **وقوله**
فلا رفث قيل الرفث جميع حاجات الرجال الى النساء وقال ابن عباس رضي الله عنه الرفث الجماع وابن عمر رضي الله عنه مثله واجمع
اهل العلم ان المحرم لا يجوز له ان يقبل امرأته ولا يمسها بشهوة ويوجبون على من فعل ذلك دما وروي عن ابن عمر رضي الله عنه اذا كان
المحرم امرأته اهراق دما وعن علي رضي الله تعالى عنه اذا قبل المحرم امرأته فعليه دم وسئلت عايشة رضي الله عنها عما يحل للمحرم من امرأته
فقالت يحرم عليه كل شيء سوى الكلام **وقوله** ولا فسوق قيل الفسوق السب وقيل هو كل فسق والفسق حقيقة الخروج من امر
الله تعالى قال الله ففسق عن امر ربه اي خرج **وقوله** ولا جدال في الحج المراء وذلك ان العرب كانت تؤخر الاشهر الحرم وتعجل وفي ذلك
نزل انما النسيء زيادة في الكفر فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق السموات والارض
فعلى ذلك استداد وقت الحج الى حيث جعل لا يتقدم ابدا ولا يتأخر فلا تماروا فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تجادل صاحبك
حتى تغضبه واشبه الامور والله اعلم بتاويل الاية ان الله سبحانه وتعالى بحفظ اللسان والفرج في الاحرام عن كل ما يذكر من فسوق

ومعصية ومجادلة ومخاصمة وعن الرفث بالفعل والقول لانه يروى ان الفضل ابن عباس كان ردف النبي صلى الله عليه
وسلم وكان الفتى يلاحظ النساء وينظر اليهن وجعل النبي يصرف وجهه بيده من خلفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم
من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له او كما قال وروي عنه انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه **وقوله** وما
تفعلوا من خير يعلمه الله وبجزيه ترغيب منه في كل خير **وقوله** وتزودوا قيل تزودوا للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسئلة
ولا تخرجوا بلا زاد لتكونوا عيالا على الناس ويحتمل ان يكون الامر بالتزود للمعاد يدل عليه قوله فان خير الزاد التقوى بقوله
ان تقوى الله خير زاد من زاد الدنيا **وقوله** واتقون يا اولي الالباب يحتمل واتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل على
التقديم والتاخير كانه قال تزودوا يا اولي الالباب يحتمل واتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل على التقديم والتأخير
كانه قال تزودوا يا اولي الالباب واتقون في المسئلة من الناس **وقوله** ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل التجارة
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من التجارة في عشر من ذي الحجة فلما ان كان الاسلام امتنع اهل الاسلام على التجارة
واحبوا ان يكون خروجهم للحج خاصة دون ان يختلط غيره من الاعمال فرخص الله عز وجل للحاج وطلب الفضل وروي عن ابن عمر
رضي الله عنه ان رجلا ساله فقال انا قوم نكري ويزعمون انه ليس لنا حج فقال الستم تحرمون وتقضون فقال بلى فانتم حجاج قال
فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني عنه مثله واصحابنا رحمهم الله يرون حج الاجير والتاجر تاما وظاهر القرآن يدل
على ذلك وكان عند القوم ان الاستيجار على الطاعة لا يجوز امر ظاهر حتى سالوا في هذا واصله ان الحج لا يمنع افعال غيره كاشبه
الصوم ويجوز فيه الاجارة كذا في هذا واما الصلوة فهي ما نعة لما سواها من الافعال فاختلفا **وقوله** فاذا افضتم من عرفات
قيل ان اهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس ومن مزدلفة بعد طلوع الشمس فامر اهل الاسلام بالخلاف في
الحالين جميعا ان يجعلون الافاضة من عرفة بعد الغروب ومن المزدلفة قبل طلوع الشمس والله اعلم وفي الخبر خالفوا القوم في الرجعتين
جميعا والافاضة هو الاسراع في المشي في اللغة وقيل الافاضة الانحدار **وقوله** فاذكروا الله عند المشعر الحرام يعني المزدلفة و
يحتمل الدعاء فيهما جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه المشعر الحرام الجبيل وما حوله وهو الجبل الذي يوقف عليه يقال له قزح وسمي
جمعا ايضا لانه اجتمع فيه آدم وحوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سمي العرفات عرفات لان جبريل صلوات الله عليه
لما علم ابراهيم المناسك كان يقول له عرفت عرفت والله اعلم بذلك **وقوله** واذكروه كما هداكم يحتمل وجوها يحتمل الامر بالذكر
امرا بالشكر على ما انعم عليهم من انواع النعم ويحتمل اذكروه كما هداكم وارشدكم لامر المناسك ويحتمل الامر بالتوحيد كانه قال وحدوه
كما وفقكم لدينه وعلى هذا يخرج قوله وان كنتم من قبله لمن الضالين عن الهدى وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر والله اعلم قال
الشيخ رضي الله عنه الهدى على وجهين هدى عرف ليوحدوه وهدى وفق لطاعته **وقوله** ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل ان
اهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون نحن اهل حرم الله لا نفيض كغيرنا ممن قصدنا فانزل الله فيهم يأمرهم بالوقوف بعرفات
والافاضة منها من حيث افاض غيرهم من الناس وذكر عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كانت قريش ومن كان على دينها يقفون
بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة فانزل الله ثم افيضوا من حيث افاض الناس وفيه دليل ان الوقوف بعرفة فرض وعلى ذلك جاءت
الآثار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه ويحتمل في قوله ثم
افيضوا من حيث افاض الناس معنى آخر وهو انهم رأوا غيرهم من اهل الآفاق اذا قصدوا على الاحرام من دون الحرم وهم امروا بالاحرام
فلما خصوهم بذلك ظنوا ان قضاء غيره من المناسك في الحرم والله اعلم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله عليه امر بالافاضة بحرف
ثم بعد ذكر المزدلفة والافاضة من عرفات تتقدم المزدلفة فبان ان حرف ثم مما قد يبتدأ به ايضا **وقوله** فاذكروا الله
كذكركم اباءكم قيل فيه بوجهين قيل انهم في الجاهلية كانوا اذا قضوا المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون اباءهم ومناقبهم
يفتخرون بذلك فلما ان اسلموا امرهم ان يذكروا ربهم في الاسلام كذكرهم اباءهم في الجاهلية او اشد ذكرا فانه اولى بذلك من الاباء
وقيل ان يكونوا يذكرون اباءهم بما انعم واحسنوا اليهم فقال اذكروا لي فيما تذكرون اباءهم مكان آبائكم الذي انعمت عليكم وعلى ابائكم
فاجعلوا ذلك لي دون ابائكم **وقوله** فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق الاية في قوم لا يؤمنون
بالبعث والاحياء بعد الموت خيرات الدنيا ولم يطلبوا الخيرات في الآخرة فاعطوا ما سألوا من حسنات الدنيا وهو كقوله من
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة فاعطوا ما سالوا من نصيب ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه لمن
يؤتي حرث الدنيا والآخرة لمن كان ركونهم الى الدنيا وميلهم اليها لم يركنوا الى دعاء غيرها وامامن آمن بالبعث والاحياء
بعد الموت فانهم سالوا خيرات الدنيا والآخرة جميعا بقوله ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار طلبوا حسنات الدنيا لان الدنيا جعلها محل الزاد للآخرة لانه جعلها لهم انما خلقهم للآخرة كقوله وتزودوا فان
خير الزاد التقوى ثم اختلف في الحسنة في الدنيا وفي حسنة الآخرة قيل حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الآخرة الجنة و
المغفرة وقيل حسنة الدنيا النصر والرزق وحسنة الآخرة الرحمة والرضوان وكله واحد وروي عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال ان لله عبادا يحيون في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في عافية قيل يا رسول الله بم قال بكثرة قولهم
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار **وقوله** والله سريع الحساب قيل فيه بوجوه فقد تقدم وتاخر كانه
قال حساب سريع قيل سريع لما ان الابطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاستذكار وحفظ عقد الاصابع ولشغل شغله فالله تعالى
عن ذلك ان يوصف به او يشغله شيء وقيل سريع اي قريب كان قد جاء كقوله اقتربت الساعة وكقوله واقترب الوعد الحق وكقوله
اتى امر الله اي قرب وقيل كناية عن عذاب شديد اي شديد العقاب والعذاب وهو كقوله من نوقش الحساب عذب **وقوله** واذكروا
الله في ايام معدودات قيل انه يحتمل وجهين قيل انه اراد بالايام المعدودات ايام النحر والذبح اي اذكروا الله بالنحر والذبح في ايامكم
فهو عند ابي حنيفة رحمه الله يوم النحر ويومان بعده وقيل اراد بالايام المعدودات ايام رمي الجمار دليله قوله فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه وهي ايام التشريق وهي ثلثة ايام بعد النحر وروي عن علي رضي الله عنه انه قال الايام المعدودات يوم النحر ويومان
بعده اذبح في ايها شئت وافضلها اولها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه والله اعلم **وقوله** فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
قيل من تعجل في يومين بعد يوم النحر يومين يقول من مضى قبل غروب الشمس فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس واقام الى الغد
يوم الثالث فرمى الجمار ثم ينفر فلا اثم عليه وقيل فمن تعجل في يومين في ايام التشريق فلا اثم عليه ثم لا يحتمل قوله فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه ان يكونا جميعا على الرخصة التعجل والتاخر جميعا فلا يحتمل الاثم بكليهما لانه اذا كان التعجل هو
الرخصة فالتاخر لا يكون رخصة واذا كان التاخر هو الرخصة فالتعجل ليس برخصة لكن الوجه فيه والله اعلم ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال فمن تعجل في يومين غفر له ومن تاخر غفر له ما كان له من الاثم والذنب في اليوم الذي تاخر والله اعلم
ويحتمل انه خيرهم اي ان فعلتم ذا وذا فلا اثم عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله فلا اثم عليه رجع مغفورا له
وقوله لمن اتقى قيل فيه بوجوه قيل لمن اتقى قتل الصيد في الاحرام وعلى ذلك قوله واتقوا الله فلا تستحلوا قتل الصيد في الاحرام وعن
ابن عباس رضي الله عنه من اتقى معاصي الله جملة وقيل لمن اتقى جميع ما يحرم عليه الاحرام من الرفث والفسوق والجدال وغيره وعلى ذلك
قوله واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون خوفهم عز وجل ليتقوا في كل وقت كل معصية خرج الخطاب في الظاهر للمومنين ويحتمل ان يكون
للكفار ايضا امرهم ان يتقوا الشرك والشرك غيره في افعالهم لما اوعدهم بالحشر والجزاء لاعمالهم **وقوله** ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة
الدنيا قيل ان رجلا من الكفار كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره انه يحبه وكان يعده الايمان والمتابعة في دينه ويحلف على ذلك
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه في المجلس وفي قلبه خلاف ذلك فانزل الله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله الاية وقيل
انها نزلت في المنافقين لانهم كانوا يرون من انفسهم الموافقة له في الدين ويظهرون انهم على دينه ومذهبه ويضمرون الخلاف له في
السر والعداوة ويحلفون على ذلك فانزل الله ومن الناس من يعجبك قوله الاية والله اعلم **وقوله** وهو الد الخصام قيل اشد الخصام
وقيل اجدل بالباطل وقيل اظلم في الخصومة لا يستقيم ابدا **وقوله** واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد قيل فيه بوجوه قيل ويهلك الحرث اي يقتل النساء وهن حرث كقوله نساؤكم حرث لكم وفي اهلاك النساء اهلاك وقيل اراد
بالحرث الحرث نفسه وهو الزرع والنسل الدواب يحرق الحرث ويعقر وكل جواد وقيل انهم كانوا يسعون بالفساد ويعملون
بالمعاصي فيمسك الله عنهم المطر فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم ويحتمل قوله ويهلك الحرث قتل ولد آدم وفي اهلاكهم اهلاك كل
حرث لانهم هم الذين يحرثون وبينا سلوك والله اعلم **وقوله** والله لا يحب الفساد ظاهر **وقوله** واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم قيل له اتق الله عن صنيعك وهو السعي في الارض بالفساد حملته الحمية على الاثم تكبرا منه قال الله تعالى لرسول صلى الله عليه وسلم
فحسبه جهنم يقول والله اعلم اعرض عنه واتركه وصنيعه فان جهنم مصيره وماواه وما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال
ان ابغض الناس من يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك **وقوله** ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يحتمل يشري نفسه
ابتغاء اي يهلك نفسه اي يبيع نفسه في عبادة الله وطاعته فذلك شراؤه اياها ويحتمل يشري نفسه ابتغاء اي يبذل نفسه
للجهاد في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى
فهولاء بذلوا انفسهم لذلك بتفضيل الله عز وجل ببذل الجنة لهم فهو الشرى والله اعلم وهو ما روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
القى نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما هم المشركون قتله وفيه دلالة ان ابا بكر رضي الله عنه كان اشجع الصحابة واصلبهم
وان كان ضعيفا في نفسه لما لم يتجاسر احد من الصحابة على مثله وما روي ايضا انه خرج لمقاتلة اهل الردة وحده فدل هذا كله انه
كان اشجعهم واصلبهم في الدين وقيل ان الاية نزلت في صهيب ابتاع دينه باهله وماله على ذلك **وقوله** والله رؤف بالعباد يحتمل
ان اراد كل العباد وهو ان الكافر اذا اسلم واخلص دينه لله يتعطف في رحمته ويقبل منه ذلك ويتجاوز عنه عما كان منه في الشرك و
الكفر والله اعلم ويحتمل ان اراد بالعباد المومنين خاصة رحيم بهم **وقوله** يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة فيه لغتان السلم
بالكسر والنصب فمن قراه بالكسر فهو الاسلام ومن قرا بالنصب فهو الصلح كقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
الى اخر الاية فان قيل كيف امر بالدخول وهم فيه لانه خاطب المومنين بقوله يا ايها الذين امنوا قيل يرجع احدها انه يحتمل قوله يا ايها

الذين

الذين امنوا ما بالسنتهم امنوا بقلوبكم ويحتمل يا ايها الذين امنوا ببعض الرسل من نحو عيسى وموسى وغيرهم من الانبياء امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل امرهم ايام بالدخول امر بالثبات عليه وقيل انه تعالى انما امرهم فيه لان للايمان حكم التجدد والحدوث في
كل وقت لانه فعل والافعال تنقضي ولا تبقى كانه قال يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الاوقات امنوا في حادث الاوقات وعلى هذا
يخرج تاويل قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله **وقوله** ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين قد ذكرنا
تاويله فيما تقدم **وقوله** فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي ملتم وتركتم من بعد ما ظهر لكم الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم
قيل عزيز اي منتقم بميلكم وتركم الحق بعد الظهور ويحتمل عزيز اي غني عن طاعتكم له وعبادتكم اياه وقيل عزيز ان يقهر او
يذل او يغلب ان العزة نقيض الذليل وقيل عزيز لا يقدر احد ان يصل اليه او يقهره الاذلال بنفسه كما يقال عزيز لا يرام **و**
قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل فيه بوجوه قيل ان ياتيهم الله بامره وهو قول الحسن و
قيل ياتيهم الله اي امر الله وهو كقوله او ياتي امر ربك او ياتي بعض ايات ربك على اضمار الامر فيه وقيل قوله في ظلل الفي بمعنى الباء كانه
قال ياتيهم الله بظلل من الغمام وذلك جائز استعمال الفي مكان الباء لانهما جميعا من حروف الخفض والعرب تفعل ذلك ولا تابى والاصل
في هذا ونحوه ان اضافة هذه الاشياء الى الله عز وجل لا توجب حقيقة وجود تلك الاشياء منه على ما يوجد من الاجسام لما يجوز اضافة
الى ما لا يوجد منه تحقيق ذلك نحوها ما يقال جاء الامر نظيع وجاء الحق وزهق الباطل وجاء فلان بامر كذا وجاءكم رسول فذكر المجي
والاتيان لا على تحقيق وجود ذلك منه فعلى ذلك يخرج ما اضاف عز وجل الى نفسه من المجي والاتيان والاستواء ليس على تحقيق الاتيان
والمجي والاستواء منه على تحقيق ما يكون من الاجسام وفي الشاهد ان ملوك الارض يضيفون الى انفسهم ما عمل بامرهم من غيران يتولوها
بانفسهم كذلك اضاف جل ذكره امر القيامة الى نفسه لفضله ذلك الامر لا اصالة الاتيان والانتقال والزوال في الشاهد انما يكون
لحتين اما الحاجة بدت فيحتاج الى الانتقال من حال الى حال والزوال من مكان الى مكان ليقضيها او لسامة ووحشة تاخذه فينتقل من
مكان الى مكان لينفي عن نفسه ذلك وهذان الوجهان في ذي المكان والله تعالى يتعالى من المكان كان ولا مكان فهو على ما كان فالله
يتعالى عن ان تمسه حاجة او ياخذه سامة فبطل الوصف بالاتيان والمجي والانتقال من حال ومكان الى مكان وبالله التوفيق وقيل
النص قد ورد الخبر بالنزول والرؤية ثم قد ورد السمع بان ليس كمثله شيء لزم نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته ولزم الاقرار بما جاء من
عنده من غير طلب الكيفية له والتفسير فالسبيل فيه الايمان بالتنزيل والكف عن التفسير والله اعلم وفي الشاهد الاتيان في العرض
ظهوره وفي الجسم بنقله من مكان الى مكان وهو جل ذكره جل ان يوصف بجسم او عرض كذلك اتيانه لا يشبه اتيان الاجسام والاعراض
ويكون اتيان لا يعرف كيفية وكما جاز ان يكون هو مثبتا بدليل لا يشبهه عرض ولا جسم والله اعلم **وقوله** سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية
بينة يحتمل وجوها يحتمل ان يكون امر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بسواله اياهم عما اتاهم من الايات على اثر سوال كان منهم بطلب الايات
فقال سلهم يا محمد كم اتينا اباءهم واجدادهم من الايات على يدي موسى فكفروا به ولم يومنوا فانتم وان اتيناكم ايات لا تومنون ايضا
يخبر نبيه عليه السلام ان سوالهم ان كان سوال تعنت لا سوال قبول وتصديق والله اعلم ويحتمل ان يكون لا على اثر سوال كان منهم ولكن
على الابتداء ان سل علماء بني اسرائيل الاية ويحتمل سل لا على الامر به في التحقيق لكن على التحقيق والتبيين انك لو سالتهم لاخبروك ويكون
المراد من ذلك في الذين تضيق صدورهم عند الاخبار انهم لو جاءتهم الايات التي سالوا عنها لا يومنون ليخبر وابذلك فيطيب لذلك
قلوبهم فيزول عنها الخطرات وانواع الوساوس والله اعلم **وقوله** ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته قيل نعمة الله دين من بدله بعد
ظهوره وبيانه وقيل نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي من كفر به بعد ما علم انه رسول الله ويحتمل نعمة الله النعم المعروفة التي كان اتاهم
من المن والسلوى والغمام وغيره مما لم يوت احدا من العالمين مثله فان الله شديد العقاب خوفهم عز وجل وحذرهم على تبديل ذلك
وتركه والكفر بنبيه صلى الله عليه وسلم بعد معرفتهم انه حق والله اعلم ويكون تبديل نعمة الله بتوجيه الشكر الى غيره وهو ان يعبد غيره
والله اعلم **وقوله** زين للذين كفروا الحيوة الدنيا قال الحسن زين لهم الشيطان ذلك وكذلك قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم ولكن معناه
والله اعلم ان زين لهم التزيين يكون بوجهين بزينة الطبع لقرب الشهوات والعقل لقيام الادلة فيكون التزيين بالثواب واما ما زين
للذين كفروا الحيوة لما ركب فيهم من الشهوات وميل الطبع اليه واما الوجهان الاخران منهما للمومنين **وقوله** والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة يحتمل وجهين يحتمل فوقهم في الحجة بقول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا ويحتمل فوقهم في الجزاء وفي
وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل وجوها يحتمل بغير حساب بغير تبعة ويحتمل بغير حساب لا على قدر الشهوة وزيادة الاعمال ولكن على ذلك
عليها لان رزق الجنة على ما ينتهي اليه الشهوات ورزق الدنيا مقدر على قدر الحاجة والقوت اذ لا احد يبلغ مناه في الدنيا و
حاجته في الاخرة كل ينال فوق مناه ولان اكل الشهوة في الدنيا هو المورث ويحتمل بغير حساب اي من غير ان ينقص ذلك عن ملكه
وخزاينه وان عظم عطاياه وكثر مناله ليس كخزائن المخلوقين تنقص بالدفع وتنفذ والله اعلم **وقوله** كان الناس امة واحدة قال
ابو موسى الاشعري رضي الله عنه واخر معه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالا كان الناس امة واحدة كلهم كفارا الى ان
بعث الله عز وجل فيهم النبيين وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان الناس امة واحدة مومنين كلهم زمن نوح عليه السلام

الذين كانوا في السفينة الى ان اختلفوا من بعد فبعث فيهم النبيون وقال بعضهم كان الناس امة واحدة زمن آدم مؤمنين الى
ان انزل الكتاب عليهم وبعث فيهم الرسل ولو قيل بغير هذا كان اقرب قوله كان الناس امة واحدة يعني صنفا واحدا ومعنى الامة معنى
الصنف كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم يعني اصنافا ثم خص الله صنفنا ببعث الرسل اليهم و
انزال الكتب عليهم من بين غيرها من الاصناف تفضلا لهم واكراما بعث كل رسول الى قومه فيهم كفار وفيهم مؤمنون لان الارض لا تخلوا
من ولي او نبي كقوله ولقد كرمنا بني آدم ليعلم ان سائر اصناف الخلق خلقوا لهم ولحاجاتهم وهو قول الحسن وكذلك قول ابي حنيفة رضي الله
عنه ان الارض لا تخلو عن نبي او ولي والله اعلم وقوله فبعث الله النبيين مبشرين لمن اطاعه ومنذرين لمن عصاه وجائز ان تكون
البشارة والنذارة جملة له عن الوقوع بما به يقع او تختلف كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقوله نذيرا للعالمين وقوله ليحكم بين
الناس بالحق يحتمل قوله بما به بعقل ان يختلف كقوله انما تنذر ليحكم وجهين يحتمل ليحكم الكتاب المنزل عليهم بالحق فيما بينهم وهو كقوله
لتنذر الذين ظلموا قرا بعضهم بالياء وقرا آخرون بالتاء فمن قراه بالياء جعل الكتاب هو المنذر ومن قرا بالتاء فمن قرا بالياء جعل
الكتاب ومن قرا بالتاء صير الرسول هو المنذر فكذلك فهذا الحكم الكتاب بينهم بالحق ويحكم الرسول بالكتاب فيما بينهم بالحق و
قوله فيما اختلفوا فيه يحتمل قوله فيه وجوها يحتمل فيه في محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل في دينه ويحتمل ما اختلفوا
فيه في كتابه وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات اي ما اختلفوا فيه الا من بعد ما جاءتهم
البينات والعلم اما من جهة العقل واما من جهة السمع والكتب والخبر واما من جهة المعاينة والمشاهدة لكنهم تعاندوا وكابروا
وكفروا به بغيا قيل حسدا بينهم وقيل ظلما منهم ظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه تاويله والله
اعلم اي هدى الله الذين آمنوا ولم يختلفوا من بين الذين اختلفوا ويحتمل هدى الله من انصف ولم يعاند ولم يهد الذين عاندوا ولم ينصفوا
وقوله باذنه قيل بامره وقيل بفضله لكن قوله بامره لا يحتمل ولكن باذنه اي بمشيته وارادته وقوله والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم فيه دلالة انه من شاء ان يهتدي فاهتدى ومن يشاء ان يهتدي لم يهتد لانه لو كان شاء ان يهتدوا جميعا على ما يقوله
المعتزلة لكان يقول والله يهدي الى صراط مستقيم ولم يقل من يشاء على انه شاء ايمان من آمن ولم يشأ ايمان من لم يؤمن فالاية تنقض
على المعتزلة قولهم انه شاء ان يؤمنوا الكل آمن بعضهم ولم يؤمن البعض وفي قوله فبعث الله النبيين دلالة على ان لا يفهم من البعث و
الاتيان والمجي الانتقال من مكان الى مكان ولا الزوال من موضع الى موضع لانه ذكر البعث وهم كانوا بين ظهرانيهم فدل انه يراد الوجود
لا غير وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل معنى قوله ام حسبتم على اسقاط الميم وقيل ام بمعنى بل حسبتم وقوله ولما ياتكم مثل
الذين قيل شبه الذين من قبل وقيل مثل الذين خبر الذين خلوا من قبلكم وقيل سنن الذين خلوا من قبلكم من البلاء والمحن التي اصابت
الماضين من المؤمنين وقوله ام حسبتم الاية ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا كما ابتلي من قبلكم اي لا تظنوا ذلك جملة وان
كان فيهم من قد يدخل والله اعلم كقوله الم احسب الناس الى آخر الاية وقيل ان القصة فيه ان المنافقين قالوا للمؤمنين لم تقتلون
انفسكم وتهلكون اموالكم فانه لو كان محمد نبيا لم يسلط عليه فقال المؤمنون لهم ان من قتل منا دخل الجنة فقالوا لم تمنون اباطيل
والبلايا فانزل الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير ان تبتلوا ويصيبكم الشدايد ولما ياتكم خبر الذين خلوا من قبلكم مستهم
الباساء والضراء وقوله وزلزلوا قيل حركوا وقيل جهدوا وقوله حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه يعني قال الرسول متى
نصر الله قيل فيه بوجهين قيل الرسول والمؤمنون جميعا متى نصر الله ثم يقول الله لهم الا ان نصر الله قريب وقيل يقول المؤمنون متى
نصر الله ثم يقول الرسول الا ان نصر الله قريب ويحتمل هذا في كل رسول بعثه الله الى امته يقول هذا وامته يقولون ايضا ويحتمل
كان هذا في رسول دون رسول على ما قاله بعض اهل التاويل انه فلان وليس لنا الى معرفة ذلك سبيل الا من جهة السمع ولا
حاجة لنا الى معرفته وقوله يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فظاهر هذا القول لم يخرج له الجواب لان السوال
عما ينفق فخرج الجواب على من ينفق غير انه يحتمل ان يكون ماذا بمعنى من وذلك مستعمل في اللغة غير ممتنع ويحتمل ان يكونوا سالوا
سوالين احدهما عما ينفق والثاني على من ينفق فخرج لاحدهما الجواب على ما كان من السوال على من ينفق ولم يخرج جواب ما كان من
السوال عما ينفق وهذا ايضا جائز كثير في القرآن ان يكثر الاسولة ويخرج الجواب لبعض ولم يخرج لبعض ويكون جواب سوال ما
ينفق في قوله قل العفو فيكون على ما ذكر والله اعلم ويدل لما قلنا انه كان ثم سوال لان احدهما عما ينفق والاخر على من ينفق ما روي عن
عمرو بن الجموح الانصاري رضي الله عنه انه قال يا رسول الله كم ينفق على من ينفق فانزل الله يسالونك ماذا ينفقون الاية ثم اختلف
في هذه النفقة قال بعضهم هذه النفقة كانت تطوع فنسخت بالزكوة وقيل هذه النفقة صدقة يتصدقون بها على الوالدين والاقربين
الذين يرثون فنسختها اية المواريث وقيل فيه الامر بالانفاق بين عند الحاجة وكان هذا اقرب والله اعلم وفيه دلالة لزوم نفقة
الوالدين والخادم وفي قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم وجه آخر وهو انهم والله اعلم ظنوا انما نالوا بالايمان ان يدخلوا الجنة ولا يبتلون بشيء من المحن والفتن وانواع الشدة
فاخبر عز وجل ان في الايمان المحن والشدائد لا بد منها كقوله حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات والله اعلم وكقوله الم احسب الناس

ان تتركوا

ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولان الايمان من حيث نفسه ليس بشديد لانه معرفة حق وقول وصدق ولا فرق
بين قول الصدق والكذب ومعرفة الحق والباطل في احتمال المؤن والايمان بخالفة الهوى والطبع وذلك في انواع المحن وقوله
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية فالكراهة المذكورة ههنا والمحبة كراهة الطباع والنفس
لا كراهة الاختيار ولا يكون في كراهة الطباع خطاب لان طبع كل احد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو لانهم كرهوا ذلك
كراهة اختيار لانه لا يحتمل ان يكون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومرون بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم هم يكرهون
عما امروا اختيارا منهم لان ذلك داب اهل النار فثبت انه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدايد والمشقة وكراهيته
وقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم يحتمل هذا في القتال خاصة وهو ان تكرهوا القتال
لما فيه من المشقة والشدة وهو خير لكم لما فيه من الفتوح والظفر وسعة العيش ونيل الثواب والدرجات في الآخرة وعسى ان
تحبوا شيئا يعني القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من الفتوح والظفر من اجتراء العدو والاسر والقتل والذل والصغار وقطع
الثواب في الآخرة هذا ويحتمل هذا في كل امر يحب في الابتداء ويكون عاقبته شرا له ويكره امر فيكون عاقبته خيرا له هذا لجهلنا
بعواقب الامور وخواتيمها ليعلم ان ليس الينا من التدبير في شيء والله اعلم وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون اي والله يعلم ما هو
خير لكم في العواقب مما هو شر لكم وانتم لا تعلمون وقوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه كبير معناه والله اعلم يسالونك
عن القتال في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام قل قتال فيه كبير لو لم يكن من الكفرة ما ذكر من الصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والكفر به واخراج اهله لكن اذا فعلوا ذلك لم يكن القتال بجنبه كبيرا بل الكفر فيه اكبر من القتل فكانه والله اعلم ذكر هذه
الاحرف معنى به الكناية عن الكفر ثم جعل الكفر اكبر من هذا كله مع المعرفة ان الذي يوازيه اقل منه ثم الزمهم لحيا الايسر
عند البلوى بما بين والقتال بنفسه كبير لان فيه تفانيا في الخلق ولم يخلقوا للفناء ثم نقض على المعتزلة بوجهين احدهما
انه ذكر القتل وجعل الكفر اكبر منه ولو اوجب القتل التخليد ما اوجب الكفر لكان فيه التساوي ولا يكون الكفر اكبر من القتل
فبان ان الكبيرة لا توجب التخليد ما اوجب الكفر والله اعلم والثاني قالوا والكفر اكبر منه فصيره اكبر ثم لا كبر من ان يكون بنفسه
او بالكفار او بالله ولا يحتمل ان يكون بالكفار لان فعل الكفر اصغر عنده من فعل الزنا والقتل لانه يدين بالكفر يستحسنه
ويستقبح ذلك فبان انه يكبر بنفسه او بالله فان قالوا بنفسه قيل لهم لما جاز ان يكون كبيرا بغير من ينشئه لم لا جاز خلقه بغير
من يفعله او يكون بالله وهو قولنا وقوله ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم فيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم يفعلون كذا فكان كما قال فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله ان استطاعوا ولكن لا
يستطيعون ان يردوكم عن دينكم ففيه اياس الكفرة عن رد هولاء الى دينهم وامن هولاء عن الرجوع الى دينهم وقيل ان بمعنى لو فودوا
ان يردوكم عن دينكم الى دينهم لفعلوا اخبر عز وجل انهم ودوا ان استطاعوا لكن الله بما اكرمهم وبشرهم من النصر واظهار الدين
لا يستطيعون على ذلك اظهر بقوله اليوم يئس الذين كفروا عن دينكم الاية وقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم ذكر احباط الاعمال بالموت على الكفر والعمل يحبط بالكفر دون الموت والوجه فيه انه لا يحتمل ان يكون الموت
هو سبب احباط الاعمال الكفر بنفسه اذا وجد ان الموت لا صنع فيه للعبادة والكفر فيه لهم اختيار لم يجز جعل العمل حبطا بما
لا صنع له فيه دل ان الكفر هو المحبط لا الموت ولكن ذكر الموت في هذا لما فيه تمام الحبط والابطال وما لم يمت يرجى له المنفعة
بحسناته لانه اذا كفر يجد تلك الحسنات فابطلها فاذا اسلم بعد ذلك ندم على جعل ذلك باطلا فصار معا بلا سيئاته بحسناته
فهو حالة الانتفاع به كما قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا
فذهاب التعظيم والاجلال والثناء الحسن الذي يستوجب بالخير والدين عند الناس فاذا ارتد عن الاسلام حبط ذلك كله
وصار على اعين الناس اخف من الكلب والخنزير واما حبطه في الآخرة فذهاب ثواب اعماله وكان ما يستوجب المومن من الثواب انما
يستوجب بما ياتي من الاعمال ويحضرها عند الله لا بالعمل نفسه الا ترى الى قوله من جاء بالحسنة فله كذا وقوله ومن ياته مومنا
فله كذا دل هذا ان الثواب انما يستوجب باحضاره واتيانه به عند الله لا بالعمل نفسه والله اعلم وقوله ان الذين آمنوا
تضمن قوله آمنوا الايمان بالله والايمان بجميع ما جاءت به الرسل من الرسالات وغيرها وقوله والذين هاجروا والهجرة يكون
على وجهين الهجرة المعروفة التي كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو كقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا هجرة بعد فتح
مكة والهجرة الثانية الاثام والاجرام فهي لا ترتفع ابدا وقال الحسن في قوله ومن يهاجر هي بالعداوة منه لمن كفر بالله وقال
ابو بكر رضي الله عنه ان يهجر قومه وداره ويخرج لله وقوله وجاهدوا في سبيل الله المجاهدة تكون على وجوه مجاهدة العدو ومجاهدة
الشيطان ومجاهدة النفس اولئك يرجون رحمة الله فيه دلالة على ان الذي يحق رجاؤه يعمل ما ذكر الله وقوله رحمت الله يحتمل
وجهين الرحمة الجنة والرحمة المغفرة وقوله والله غفور رحيم بما كان منهم من التقصير فيما ذكر من المجاهدة والمهاجرة وقوله

ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قل فيهما اثم كبير بعد الحرمة ومنافع للناس قبل الحرمة واثمهما
بعد الحرمة اكبر من نفعهما قبل التحريم والمنفعة في الميسر بعضهم ينتفع به وبعضهم يحبس وهم القمار وذلك انهم كانوا يشترون
الجزور فيجعلون لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون فمن خرج سهمه برئ من الثمن حتى يبقى اخر رجلا فيكون ثمن الجزور عليه وحده ولا حق
في الجزور لبقيتهم وقيل يقسم بين الفقراء فذلك الميسر ثم قال فيهما اثم كبير في ركوبهما لان فيهما ترك الصلوة وترك ذكر الله وركوب
المحارم والفواحش ثم قال ومنافع للناس يعني التجارة واللذاة والربح ثم اختلف فيه قال قوم ان الخمر محرمة بهذه الاية حيث قال
اثم كبير والاثم محرم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي وقال قوم لم تحرم بهذه الاية حيث قال اثم
كبير والاثم محرم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي وقال قوم لم تحرم بهذه الاية اذ فيها ذكر
النفع ولكن حرمت بقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس والرجس محرم وقال من عمل الشيطان وعمل الشيطان
محرم ثم اخبر انه يوقع بينكم العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وذلك كله محرم والاصل عندنا في هذا انهم
اجمعوا على حرمة الميسر مع ما كان فيه من المنافع للفقراء واهل الحاجة والمعونة لهم لانهم يقسمونه على الفقراء فاذا حرم الله هذا
ثبت ان المقرون به احق في الحرمة مع ما فيه من الضرر الذي ذكرنا والله اعلم وقال الشيخ رحمه الله في قوله يسألونك عن الخمر والميسر
ولم يبين في السؤال انه عن اي امرهما كان السؤال وامكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب بقوله قل فيهما اثم كبير كان السؤال كان
عما فيهما فقال فيهما كذلك وعلى ذلك قوله يسألونك عن اليتامى كان السؤال وامكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب بقوله قل فيهما
اثم كبير كان السؤال كان عما فيهما فقال فيهما كذلك وعلى ذلك قوله يسألونك عن اليتامى كان السؤال عما يعمل في اموالهم من المخالطة
وانواع المصالح وكذلك عن المحيض كانه قال عن غشيان في المحيض اذ في ذلك جرى الجواب لم يبين في السؤال لما في الجواب
دليله ولما كان الذين سألوا معروفين يوصل بهم الى حقيقة ذلك والله اعلم وقيل هذه الاية تدل على حرمتهما بما قال فيهما اثم كبير
وقد قال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الى قوله والاثم ثبت ان الاثم محرم واكثر السلف على ان الحرمة فيهما ليست بهذه الاية و
لكن بقوله انما الخمر والميسر **وقوله** فيهما اثم كبير يبلغ امر الشرب والميسر الى ما يكون فيهما اثم كبير من نحو ما بين عند السكر و
الميسر في سورة المائدة من وقوع العداوة والبغضاء والصد عما ذكر وفيهما منافع في ذلك الوقت بوجوه اما في الخمر الى ان
يسكر وفي التجارة فيها وفي الميسر لما كان يفرق ما فيه ذلك على الفقراء وما فيه على التجارة ونحو ذلك وعلى التأويل الاول
يخرج قوله قل فيهما اثم كبير اي في الشرب والعمل اذ حرما ومنافع كثيرة قبل ان يحرما والله اعلم ثم الذي علينا ان نعرف حرمتهما
اليوم ان كانت في هذه الاية اذ لم تكن فيها لانتفاع بهما ويجوز ذلك وقد بين الله الكافي من ذلك في سورة المائدة وجاءت
الاثار في تحريمها على ما في الميسر من الخطر والجهالة التي جاءت الاثار على كون امثالها في حكم الربوا وفي الخمر ما لا يتخذ للمنافع و
انما يتخذ للهو والطرب وكل ذلك مما نهينا عنه معا في ذلك من ذهاب العقل الذي هو اعز ما في البشر وغلبة السفه فاهله خفيف
لمن عقل انقاه لو كان حلالا لما في ذلك من التبذير فكيف وقد ظهرت الحرمة ثم كان معلوما علة حرمة الخمر اذا اسكر منها الشارب
ثم جاء به القران وليست تلك العلة في شرب القليل منه فلم يلحق بحق القليل ضررها والحق بالكثير كل شراب يعمل لا فيه المعنى الذي
ذكر اذ كانت الخمر لا يتخذ في المتعارف للمصالح وانواع المنافع بل يتخذ لما ذكرت من اللهو والطرب ولا يستعمل شربها الا المعروفون
بالفسق فيكون حرمة الخمر لعينها لا لما ذكرت من قصد العواقب بها وكل جوهر لا يتخذ لا يقصد باتخاذ ذلك فهو غير محرم بعينه و
والله اعلم **وقوله** ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل عن القوت وذلك ان اهل الزروع كانوا يتصدقون ما
يفضل عن قوت سنة واهل الغلات يتصدقون ما يفضل عن قوت الشهور واهل الحرف والاعمال يتصدقون بما يفضل عن قوت
يوم ثم نسخ ذلك بما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الزكوة نسخت كل صدقة كانت
وصوم شهر رمضان نسخ كل صوم كان والاضحية نسخت كل دم كانت فان ثبت هذا فهو ما ذكرنا وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه قال كان هذا قبل ان يفرض الصدقة دليل ذلك ظهور اموال كثيرة لاهلها في الصحابة رضي الله عنهم الى يومنا لم يخرجوا من
ملاكهم ولا تصدقوا بها ولا انكر عليهم فثبت ان الامر في ذلك منسوخ او هو على الادب **وقوله** كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة قيل اما في الدنيا فيعلمون انها دار بلاء وفناء واما الاخرة دار بقاء وجزاء فيعرفوا بالباقية
منهما وقال الحسن اي والله من تفكر فيهما ليعلمن ان الدنيا دار بلاء وان الاخرة دار بقاء عن ابن عباس رضي الله عنه لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة يعني في زوالها وفنائها واقبال الاخرة وبقائها بل يعلم بالتفكر ان الدنيا للزوال علم انها هي للتزود لدار
القرار فيصرف سعيه الى التقديم وجهده في فكاك رقبته واعتاقها ولا قوة الا بالله وفي قوله كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون دلالة جواز تأخير البيان لانه امر بالتفكر والتدبر وجعل لهم عند الفكر الوصول الى المراد في الخطاب فدل
انه يتأخر عن وقت قرع الخطاب السمع **وقوله** ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم كان في السؤال اضمار لانه قال يسألونك
عن اليتامى ولم يبين في اي حكم واضماره والله اعلم ان يقال يسألونك عن مخالطة اليتامى بين ذلك قوله وان تخالطوهم

قوله وان تخالطوهم ان السؤال كان عن المخالطة وكذلك قوله يسألونك عن الخمر والميسر ولم يبين في اي حكم فكانه قال
يسألونك عن شرب الخمر والعمل بالقمار والميسر ثم قال قل فيهما اثم كبير دل قوله قل فيهما اثم كبير ان السؤال كان عن شرب الخمر والعمل با
لميسر وهذا جائز في اللغة وفي القران كثير ان يكون في الجواب بيان السؤال انه ثم كان وان لم يذكر في السؤال كقوله يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة دل ما ذكر من الانباء ان الاستفتاء كان عن الميراث وكذلك قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما
يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا تؤتونهن ما كتب الله لهن الى قوله وان تقوموا لليتامى دل قوله وان تقوموا لليتامى ان السؤال كان عن
نساء اليتامى وهذا جائز وربما يخرج الجواب على اثر نوازل فيعرف مراده بالنوازل دون ذكر السؤال ثم السؤال يحتمل وجهين يحتمل ان يكون عن مخالطة
الاموال والانفس جميعا بقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فانما حملهم والله اعلم على سؤال المخالطة ما قبل لما نزل قوله
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الى قوله سعيرا وقوله فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا اشفق المسلمون من خلطة اليتامى
فعزلوا لهم بيتا وعزلوا طعامهم وخدمهم وثيابهم فشق ذلك عليهم جميعا فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
يسألونك عن اليتامى الاية وفي الاية دليل جواز المناهدات والمواكلات في الاسفار وغيرها حيث اباح لهم المخالطة باموال اليتامى
فان احتمل ذلك مال الصغار من اليتامى فاحتماله في مال الكبار اشد اوفي الكبير يحتمل الاباحة والاذن ومال الصغير لا وفي الاية دليل جواز
القليل من المعروف والميسر منه في ملك الصغير واحتماله ذلك لانه جل وعز اباح لهم المخالطة مع اليتامى على العلم في الاستيفاء ببلوغ الكبير لا
بقصر عنه وفيه دليل ان علة الربوا ليس هو الاكل على ما قاله بعض الناس ولكن هو الكيل والوزن لانه اباح لهم المخالطة في المأكول من الطعام
والمشروب من الشراب على غير كيل ولا وزن على العلم فصور الصغر عن الاستيفاء قدر الكبير وبلوغه مبلغه فلو كان علته الاكل لكان لا يبيح لهم
اكل الربوا فدل ان علته ليس الاكل ولكن هي الفضل عن الكيل والوزن في الجنس وفيه دليل جواز بيع التمرة بالتمرتين لخروجه عن الكيل وهكذا
كل شئ خرج عن الكيل والوزن لترك الناس مكايلته وموازنته وان كان كثيرا يجوز بيع واحد باثنين والله اعلم وفيه دليل ان لا بأس
بان يؤدب الرجل اليتيم بما هو صلاح له وذلك كما يؤدب ولده وان يعلمه بما فيه الاعتبار ومحاسن الاخلاق والتوسيع كما امر بالصلوة اذا
بلغ سبعا والضرب عليها اذا بلغ عشرا اعتيادا الا ترى انه روي في الخبر شر الناس الذي يأكل وحده ويشرب وفي المخالطة التخلق بالاخلاق
الحسنة وفي تركها التخلق بالاخلاق السيئة والاعتياد بعادة السوء **وقوله** قل اصلاح لهم خير فيه دليل اضمار وهو طلب الصلاح
لهم اما بالتوكل لهم في اموالهم والنظر لهم بما يعقب نفعا لهم او طلب التخلق بالاخلاق الحسنة والاعتياد بعادة المحمودة فذلك اصلاح خير يطلبكم
الصلاح لهم او خيرا لهم بما يعود نفع ذلك اليهم والا فظاهر الصلاح حسن لكل احد فلا وجه لتخصيصهم به فدل انه على طلب النفع والنظر لهم
والله اعلم ثم اوعدهم عز وجل بقوله والله يعلم المفسد من المصلح اي والله اعلم بعلم طالب النفع والنظر لهم من طالب الفساد والاسراف في اموالهم
ولو شاء الله لاعنتكم قيل يضيق عليكم ولما اذن لكم بالمخالطة معهم وقيل لاثمكم فلم يرخص لكم في الخلطة وقيل لاحرجكم وهو واحد واصل العنت
الاثم كقوله عزيز عليه ما عنتم يعني اثمتم **وقوله** ان الله عزيز حكيم فيه وعيد لهم على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** فاخوانكم في الدين رغبهم عز وجل بما
اخبر انهم اخوانكم في الدين بطلب الصلاح والنظر والنفع لهم اذ يستوجب بعضهم قبل بعض المعونة لهم والحفظ والصلاح كقوله انما المؤمنون اخوة
فاصلحوا بين اخويكم دل قوله اخوانكم في الدين على ان الصغير قد يتبع والديه في امر الدين ويجوز منهم التدين اذا عقلوه وان لم يكونوا بلغوا والله
اعلم **وقوله** ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف في تأويل الاية فقال قائلون الحظر على كل مشرك ومشركة كتابيا او غير كتابي ثم نسخ
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فالاماء على الحظر لانه استثنى الحرائر دون الاماء بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
وقال اخرون هو على المشركات خاصة دون الكتابيات مستثناة تدخل كل كتابية حرة كانت او امة لان الاستثناء اذا كان عن جملة
الاديان سوى دين الكتاب بنات لم يحتمل دخول بعض اهل ذلك الدين دون بعض والذي يدل عليه **وقوله** ولامة مؤمنة خير من مشركة
فجعل الامة المؤمنة خيرا بالنكاح من المشركة ومن قوله انه بالقدرة على طول الحرة الكافرة لا يباح له نكاح الامة المؤمنة فبان ان موقع الاية
ليس على التناسخ على ما يقوله على ان الاماء يدخلن تحت قوله عز وجل والمحصنات دليله قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب فثبت انهن قد يتعففن فيستوجبن اسم الاحصان وقد جعل شرط الحل هو ذكر الاحصان وقوله
ايضا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم استثنى الاماء من جملة المحصنات
دل انهن دخلن في الخطاب قد اجمع على انهن تحل لنا بالسبي وكل مذكور في الكتاب يستوي الحل فيه الا من جهة العدد فاذا ابيح لنا تزويج المسبيات
منهن كالحرائر ثبت انه محكوم بحكمهن في النكاح فبطل قول من ابطل نكاح الاماء اذ ثبت ان الاية بخلاف ما قال وبالله التوفيق ثم الاية قد
تضمنت احكاما منها ان من قول اصحابنا رحمهم الله ان المناهي بحيث النهي لا توجب الحرمة والثاني ان الاية كيف كان حملها على الخصوص في
بعض الحق والعموم في بعض وتخريج الخطاب بين واحد والثالث ان في الاية ذكر المنع لعلة وهو الدعوة الى النار فكيف لم يلزم وحفظ ما لاجله
وجب الحرمة على وجوده وهذا هو الاصل ان يحفظ الاحكام المعلقة بالعلل ما دامت توجد العلل والرابع البيان في قول النكاح اذ لا
خرج الخطاب بقوله ولا تنكحوا المشركين واما قولنا في النهي فان النهي يوجب الانتهاء ولكن لا يوجب الحرمة الا بدليل يقوم على مراد الحرمة
في النهي لما رأينا من المناهي كثيرة لم توجب الحرمة فلو كان نفس النهي موجبا ذلك لوجب ان يوجب في كل ذلك فلما لم يوجب ذلك دل ان نفسه

لا توجب الحرمة ولكن الدليل هو الموجب للحرمة واما قولهم وسبو الهم عن الخصوص والعموم فذلك جائز عندنا خروج الاية على العموم بعطل بها
الخصوص وهو كثير في القران مما لا يحتاج الى ذكره وشرحه من ذلك قوله لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي على الجاب لتعظيم الرسل
والانبياء الكل وبعضها الخاص وكذا قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا فالتخلف
غير موجود في بعض الاعراب وان حق النهي عن الرغبة من نفسه اخذ الجميع تعالى الله عنها بجوز خروجه عاما يختص بالمعقول واما قولهم وجوب الحكم
لعلة وهو الدعاء الى النار فله وجهان احدهما ان الكتابي قد يكتاب بقدر على الزام الدين بالدعاء اليه ففيه رجاء الاسلام وغيرهم من اهل الشرك
لا يصح بمثله والثاني ان علة الحظر قوله اولئك يدعون الى النار والزوجات لا يدعون ازواجهن الى ذلك بل الازواج هم الاصل في الدعاء وهم الا
على الزوجات والزوجات بين الاتباع للازواج والمذلات في ايديهم لذلك ابيح ثم الاصل بان النكاح جعل الامرين اما الابقاء الشك واما
التحصن والتعفف عن السفاح ثم قد ينكح من لا تشك فيه فما بقي الاوجه المنع عن السفاح ثم الدعاء الى النار اعظم من السفاح بهذا لا يجوز النكاح
ثم الدلالة على تخصيصها وجهان احدهما قول الخصوم بالنسخ وعلى بعض وماذا انا لا الخصوص والثاني ان ذكر ذلك في الكتابيات لم يجز
بحيث اظهار ما يحل وما يحرم اذ شرط نكاحهن انما هو عند العجز عن الحراير بخرج الذكر فيهن اذ هن الاصل في عقود النكاح وان الاماء بخلاف
في حق النكاح وانما جرى الذكر في حلهن بملك اليمين لذلك ترك ذكرهن معا بجواز دخول الاماء في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب لما
اوجب لهن العفة والتحصن بقوله فاذا احصن فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبقوله محصنات غير مسافحات واما قولهم خاطب
الاولياء في النهي بقوله ولا تنكحوا المشركين وخاطب الاولياء ايضا في الامر بانكاح الايامى بقوله وانكحوا الايامى منكم فدل ان الولاية شرط في جواز
النكاح فجوابنا انه انما خاطب الاولياء في النهي عن النكاح وفي الامر بالنكاح لما العرف في الاعتاد ان يتولى النساء بانفسهن بل الاولياء هم الذين يتولون
عليهن النكاح برضاهن وامرهن وتدبيرهن لذلك خرج الخطاب للاولياء مع ما ليس في تخصيص الخطاب دليل اخراج النساء عن ولاية النكاح الا
نرى انه ذكر في الاية الصلاح بقوله والصالحين من عبادكم وامائكم ليس ذلك بشرط في الجواز فعلى ذلك الاول وهذا يدلنا على ان ليس في تخصيص
المحصنات من الكتابيات حظر نكاح الاماء منهن والثاني ان قوله ولا تنكحوا المشركات يحتمل ان يكون من الصغار خاصة نهى الاولياء عن تزويج
الصغار من المسلمين والمشركات من غير الكتابيات فاذا كان محتملا ما ذكرنا لم يكن لمخالفنا الاحتجاج به علينا في ابطال نكاح المرأة نفسها دون
وليها والله اعلم وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف فيه قال قوم هي في غير الكتابيات بين ذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات
الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فنسق الكتابيات بالاحلال على ما لم يختلف فيه احوال الحل من اول الاسلام الى الابد ولا من قبل
قبل ذلك نحو الطيبات من الطعام من طعام المؤمنين واهل الكتاب ونحو المحصنات من المؤمنات فمثله الكتابيات اذ نسق نكاحهن على من ذكر ولو
كان التأويل هنا كان الاية نطقت بان لا تنكحوا المشركات غير الكتابيات فلا يكون في الاية تحريم الاماء من اهل الكتاب ولا النهي عن ذلك وانما
يعرف ان كان يجوز او لا بدليل آخر سوى هذه الاية فان قيل على ذلك لم لا كانت الاية الاحلال في التخصيص بذكر المحصنات دليلا على حرمة نكاح
الاماء قيل لاوجه احدها ان ذكر الحل في حال لا يدل على الحرمة في غيرها ولو كان ذلك لكان يجب ان يكون حكم ما لا يرد فيه السمع مخالفا لما يرد فيه
وذلك فاسد اذ السمع هو دليل الحكم فيما لا يسمع فيه بالمعنى الذي ضمن فيه والله اعلم وايد ذلك قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن ثم هن يحللن وان لم تؤتين اجورهن فمثله الاول والثاني انه منسوق على مثله في المؤمنات ثم لم يكن ذلك في المؤمنات
على تحريم الاماء فمثله في الكتابيات فان قيل ما بين في اماء المؤمنات قيل لم نرع ان ذلك على نسخ هذه الاية لتثبت ان ليس في الذكر في المحصنات
تحريم الغير فكذلك في المنسوق على ذلك مع ما لو كان في مثل هذا الاستدلال على الحرمة لكان في قوله ولا تنكحوا المشركات اذ وقع على غير الكتابيات
دليل على الاحلال فيكون ذكر الحرمة في نوع دليل الحرمة في غيره على مثل ذكر الحل في نوع وفي ذلك تناقض الادلة والله اعلم ووجه آخر ان المحصنات
يحتمل ان يريد به العفايف واهل الصلاح والاماء قد يستحققن هذا الاسم كقوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن وقوله محصنات
غير مسافحات وقوله والمحصنات من النساء الاية واذا استحققن الاسم فهن في الاية حتى يظهر الاخراج والله اعلم وبعد فانا نقول اكثر ما في
ذلك ان يكون في ذلك النهي عن تزوج الاماء من اهل الكتاب فان النهي في ذلك لا يدل على الحرمة لانه معلوم للمعنى الذي له يقع النهي عن نكاح
الاماء انه لمكان رق الاولاد ولمكان مخالطة الاماء الرجال وخلوتهن بالموالي وذلك مما ينفر عنه الطباع ثم كان النساء الزانيات
جميع ذلك فيهن موجود والنهي قائم وقد يحق اولادهن اعظم الشيء الذي يضعف على الرق ثم لم يمنع النهي جواز نكاحهن بما هو نهي نفعا
الطباع لا معنى في ذلك لم يكن الحرمة فمثله امر الاماء والله الموفق ثم دليل حلهن ان كل امرأة حرمت لنفسها انسوا وجه الحل بهن في ملك
اليمين والنكاح وكل امرأة كان حرمتها بالحق فيختلف فيها المكان فاذا كانت هي محللة بملك اليمين ثبت انها لم تحرم لنفسها فهي تحل بالنكاح
كما تحل بملك اليمين على هذا الاصل امر المجوسيات والمحارم ونحوها والله اعلم وقال قوم الاية في جميع المشركات والكتابيات ثم نسخت
الكتابيات بالاية التي في سورة المائدة وكان النسخ بشرط الاحصان فبقيت الاماء على الحرمة دليل ذلك وجهان احدهما قوله ولا تنكحوا
المشركين انه يدخل في ذلك الكتابي وغيره فكذا في الاول والثاني قوله اولئك يدعون الى النار الاية والثالث ان الكتابي مشرك في الحقيقة
اذ هو بما لا يغفر والكتابي في الدعاء اليها وغيره سواء فلذلك كان على ما ذكرت فنحن نقول في ذلك وبالله التوفيق ليس فيما ذكر دليل على ما ادعى
لانه جائز خروج اية واحدة في امرين يختلف موقعهما من الخصوص والعموم بالدليل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم الاية اذ يجوز التخلف عنه

لعذر

لعذر ولا يجوز الرغبة عنه بحال وقال في قوله لئن اقمتم الصلوة الاية ان ليس كل ذلك مما يقتضي عموم الخلق وان كان الظاهر في الكل
بالمخرج واحد ثم ذكرت من الاية دليل الفصل والثاني انه يجوز ان يكون الاية في غير اهل الكتاب دليل ذلك الامر بالمعروف ثم التفريق في التسمية
وان كانوا في الشرك مجتمعين قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في
نار جهنم الاية وغير ذلك مما قد فصل الله بينهم في التسمية وان كانوا في حقيقة الشرك مجتمعين فجائز ان يكون الاية على ذلك ثم حرم تزويج
المسلمات من اهل الكتاب لا بهذه الاية لكن بغيرها من الادلة الا ترى انه لا نترك مماليك اهل الاسلام تحت ايديهم لا بهذه الاية فمثله امر الانكاح
والله اعلم ثم في الاية دليل ذلك وهو قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة الاية وكل يجمع انه لا يحل نكاح الامة المؤمنة على الحرة الكتابية فلو كانت هي
مرادة في هذه الاية لكان نكاح من هو خير منها في النكاح لا يحرم عليه حتى ان الذي يقول بهذا التأويل يحرم الطول الكتابية فضلا عن نكاحها
ولا قوة الا بالله وقوله اولئك يدعون الى النار دليل ان الاماء غير داخلات في الخطاب لانهن لا يدعون بل الغالب عليهن ان يتبعن ويجبن
لمن هن تحتهم فيما دعين اليه لا ان يدعون هذا الامر المتعارف والله اعلم ثم نقول اجمع ان الاية نزلت في الكتابيات فان الكتاب في جميع ما جرى
به الذكر في حقوق النكاح والطلاق والاحكام تضمن خطاب الاحرار خاصة فيما بينهم وعرف امر الحرمة في الاماء والعبيد بالادلة العقلية مما
دلت عليه احكام السمع فكذا هذا والله الموفق وقوله ولا تنكحوا محمول على التحريم باتفاق الامة وان احتمل ما هو بهذا المخرج على غير التحريم على انه
قد بين بقوله ازواجكم المؤمنات الى قوله لا جناح عليكم ان تنكحوهن الاية ان النكاح قد ينسخ حيث ابيح لغير الازواج التزوج وفي قوله و
المحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم ان الاستمتاع بذوات الازواج اذا سبين وقال ولا تمسكوا بعصم الكوافر ذكر جملة النساء ونهى
الرجال عن التمسك بعصمتهن واسم الشرك اسم تفرق بالاطلاق واسم الكفر للجملة على ما قال ود الذين كفروا الاية وقال ان الذين كفروا من اهل
الكتاب الاية وغير ذلك مما جمع في اسم الكفر وفرق باسماء المذاهب وجعل اسم الشرك في التفريق فدلت هذه الايات على الحرمة في قوله ولا تنكحوا
الاية ويدل قوله في آخر الاية اولئك يدعون الى النار على ذلك ومعلوم ان اول دعائهم الى النكاح فصير ذلك سبب النار وما يوجبها حرام ثم
فيها دلالة عموم الاية في الذكور لانه في تعارف الخلق ان الرجال هم الذين يدعون لا النساء والنساء تتبعهم وذلك المعنى في رجال اهل الكتاب
وغيرهم سواء فيكون الحرمة فيهم سواء وعلى ذلك المروي من الخبر ان رجلا اسلم وتحته ثماني نسوة والختان ونحو ذلك فاسلمن دل انهن يتبعن
الرجال لانهن يدعون الى ما يختارون من الدين والله اعلم ثم الدليل على ان النهي ابتداء نهي تحريم في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن انه لو لا خبث
فيهن في الحقيقة يوجب حرمة الاستمتاع لكان لا ينهى عن التناكح وذلك من ابلغ اسباب دعوتهم الى الاسلام بما ذكرت من الفرق في طاعتهن
الازواج فيما يختارون من الدين في المتعارف بل رويت فيهن الخبر وخاصة ذلك في المشركات احق في الحل منه في الكتابيات اذ هن انما اخذن دينهن
عن آبائهن بالاعتياد والتقليد ومعلوم الاعتياد هن ما فيه رضاء الازواج ايثار ذلك على ما فيه رضاء الآباء حتى نؤثرهم عليهم بما جعل الله
بينهم مودة ورحمة والكتابيات اخذن دينهن بما علمن ان دين الرسل وانهم امروا بالتمسك به فاذا نهوا عن نكاح المشركات وابيح نكاح الكتابيات
والاسلام فيهن بالنكاح ارجى ثبت ان ذلك كان لخبث فيهن وقد حرم الله الخبائث والله اعلم ثم الله سبحانه وتعالى اخبر انه حرم الخبائث واحل
الطيبات فلولا ان فيما حرم خبث يحتمل الوقوف عليه وفيما احل طيب لسوا الحرمة والحل له كان كذلك لم يحتمل التسمية في وصف التحريم والتحليل هو لا
غير وهذا كما وصف المؤمن بالحيوة والسمع والبصر والكافر بضد ذلك بما في كل معنى ذلك لا انه اسم لقب دون ان يكون له حقيقة له يسمى فلذلك
الذي ذكرت ثم كان الخبث يكون من وجهين من خبث الاحوال ومن خبث الافعال وله سمى الكفر رجسا وكذا الخمر والميسر وذلك كله بخبث الافعال
وعلى ذلك يجوز ان يكون تحريم تزويج المسلمات المشركين لخبث الفعل وهو خوف وقوع الكفر اذ هن يتبعن الرجال فيما يؤثرون من الافعال وما
يتقلدونه من الدين فيكون النص بوطن الخوف اذ هو الوجه الذي عليه جرى حرمات النكاح من ذلك نحو نكاح ما كثر عددهن بقوله وان خفتم
ان لا تقسطوا فمنع عن الخمس واكثر الخوف وقوع الجور الذي هو في العقل خبيث ونكاح الامة بعد الحرة اذ الطبع ينفر عن مناكحة من يخالط
الرجال ويخلو بهن لا يؤمن عليه السفاح فما يؤثر مثلها عند النساء بالحرة عنده عنها الا مر حدث بينهما مما يبعث ذلك على الجور فنهوا عن ذلك و
كذلك نكاح المحارم بما قد يجري من الامور في النكاح مما يحمل على تضييع الحدود وانواع النشوز الذي يمنع ذلك القيام بحق النسب وصلته
فيكون في ذلك تضييع الفرض وكذلك محارم المرأة وعلى هذا يجب تحريم المسلمة على الكتابي وغيره لخوف وقوع فعل الخبث بينهما وهو
الكفر ولم يقع النهي عن نكاح الزانية والزاني على ذلك لانه ليس في الطباع احتمال اتباع احدهما الآخر في ذلك الوجه بل ينفر عن ذلك اشد النفار
فلا يخاف فيه هذا فهو على الادب بما يلحق الولد الطعن وصاحبه يشتم به لا ان يلحقه وصف موافقة ما ثم الامكان اخر يكون النهي نهي تحريم لكان
على الارشاد بما يلحق من الطعن دون ما ان يحدث من تعدي حدا وجور في الفعل وعلى ذلك امر نكاح الامة والله اعلم ثم وجه التفصيل بين الكتابية
والمشركة والله اعلم في اباحة التناكح ان المشركة آثرت فعل البهيمي في الدين على فعل البشري والكتابية آثرت فعل البشري وهو ما يدعو اليه العقل
لا الطباع لانهن يرجعن في الاختيار الى الايمان بالرسل لكن انتهى اليهن انهم نهوا عن الايمان بمن يدعوهن اليه فاعتقدن على ذلك بلا فساد عندهن من
الحجج كما اعتقدنا نحن بان لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لكن خبرنا صحيح وخبرهم فاسد والاوجه الاعتقاد على ما في العقل ذلك واما
المشركة لم تختر ذلك بحجة انما كان بوجود الآباء على ذلك من عبادة الاصنام الى من في العقل اتباعه كما قالوا انا وجدنا آباءنا على امة الاية فحرم علينا نكاح
لخبث اختيار واتباع فعل البهيمي وايثاره على فعل البشري والله اعلم وعلى ذلك لو اسلمت لم يعظم درجة اسلامها الا رجل من رحمه الله انا الله

ذا ثبت هو الاسلام بلا اعتبار دليل لم يكن قلبها ينشرح صدورها للحق لكان لا يكون الاسلام ما فضل احد والله الموفق ووجه اقتران الكتابية
امانت بكتب الانبياء عليهم السلام في الجملة فقد امنت بذلك بالرسل جميعا لكنها كذبت بما ... عندها بخلاف الحقيقة [illegible]
ان نشبه عن حقيقة ذلك بالكتاب اذ امنت به يكون ايمانها في الحقيقة [illegible] في ذلك الكتاب تصديق والشرك [illegible]
[illegible] والله اعلم [illegible]
لانه في الحقيقة [illegible] فلم يجز ان نظرها به التصديق [illegible]
والله اعلم و دليل النهي عن النكاح [illegible] حتى يكون الايمان لان الايمان معروف عندهم [illegible] والله اعلم ومخاطبات
الاولياء في قوله ولا تنكحوا يخرج على الامر المعروف [illegible]
عن ذلك لبعلمهم [illegible] في ذلك والله اعلم وقوله يدعون الى النار يحتمل وجهين احدهما الخبر عما يدعو بعضهم بعضا الى عبادة
غير الله [illegible]
ذلك [illegible]
في معادات الله تعالى ومعاداة اوليائه بالتكذيب [illegible] والاستخفاف [illegible] بمغفرته ورحمته والله
الموفق وقوله واولئك يدعون الى النار يعني يدعون الى العمل الذي يستوجب به النار والله يدعو الى الجنة يعني يدعو الى العمل الذي يوجب
لهم الجنة والمغفرة وقوله باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون وقوله ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى [illegible]
السؤال كان عن قربان النساء في المحيض وكان عن موضع المحيض فاخبر انه اذى والعرب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم بعضا جعبتين [illegible]
ويجوز ان ينهى عن قربان من الاحتلاط من نحو الفخذ وغيرها لاتصالها بالموضع الذي فيه الاذى ويحتمل ان يكون ذكر الاذى كناية عن
الموضع الذي وعلى ذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عما يحل للرجل من امراته وهي حائض فقالت يحل له كل شيء الا النكاح
وسئلت عما يحل للمحرم من امراته فقالت لا يحل له شيء الا الكلام وقوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فيه لغتان
في حرف بعضهم بالتشديد وفي حرف اخرين بالتخفيف فمن قرا بالتخفيف فهو عبارة عن انقطاع الدم ثم من قول اصحابنا رحمهم الله تعالى ان
المراة اذا كانت ايامها عشرا تحل لزوجها ان يقربها قبل ان تغتسل واذا كان ايامها دون العشر لم يحل له ان يقربها الا بعد الاغتسال ويحتمل
ان يكون الاية فيما كانت ايامها دون العشر في اللغتين اذ الغالب كان على ان الحيض لا يحيط بكل وقت على ما دون ان يحيض في علم الله من الشهر
او سبعا فعلى ذلك انه انما يحل قربانها بالاغتسال قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن انه على ما دون العشر من المدة الغالب كان
على ان لا يمتد الى اكثر الوقت ولا يقصر عن الاقل على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في النساء هن ناقصات العقل والدين ووصف
نقصان دينهن ان يحيض احداهن في الشهر ستا او سبعا ووصفهن جملة بنقصان الدين ثم ذكر ما بين في التفسير عن الجملة ثبت ان ذلك كان
الغالب في الجملة حتى خرج عليه الجواب انه لا يمتد الى الاكثر ولا يقتصر على الاقل والله اعلم وابدهما اخبر عن ابتداء الاية انه اذى وامر
لاعتزال ثم جعل لها بعد الانقطاع قبل الاغتسال حكم الاذى فلم يجز ان يجعل الحكم لما ليس بحقيقته حكم الاذى فيجعل الطهر الذي هو ضد
ذلك الحكم والله اعلم وبما يلبس لذلك حكم الاذى في العشر لان الوقت يضيق عنه في دفع الصلوة نكذا في امر القربان والله اعلم وعلى ما ذكر
من العرف بتصرف امر الوقتين الواحرت لا اغتسال عن وقت الصلوة كان الزوج ان يقربها بما لزمها من قضاء الصلوة وهذا النوع عن الاذى
لا يمنع لزوم القضاء وحصل الخطاب على الوقت بالعرف انها لا باخرت وبما ذكرت عن لزوم القضاء الذي يمنعه حكم الاذى وبذلك صار
غسل الحيض كغسل غيره من الاحداث وهو لا يمنع القربان والله اعلم حرم اتيان الادبار بما عليه اتفاق الاثار وبما خص المكان بالامر
وبما امر بالاعتزال في الحيض ولو كان يحل غشيانهن في الادبار لم يكن للامر بالاعتزال معنى اذ قد بقي احد الموضعين من المقصود بالغشيان
لو احتمل والله اعلم والاصل في ذلك ان الحل في الابتداء لم يتعلق بقضاء الشهوات ولا كانت حرمتها وانما القضاء الشهوات خاصة فانما
الدنيا فانما جعلت لقضاء الحاجات اذ بها يكون بقاء النسل والابدان وبها يكون قوام الابدان ودوام الحيوة الى انقضاء الاجال
فيهم الشهوات لتبعثهم على قضاء تلك الحاجات اذ لولا الشهوات لكان كل امر من ذلك على الطباع يكون كالادوية الكريهة والمحنة الشديدة
لخلق الله فيهم الشهوات ليدوم ما به جرى تدبيره في امر العالم ولا يتعلق الحاجات باتيان الادبار ولو احتمل لكان يحل لحق الشهوة
والدنيا لم تخلق لها فلذلك لا يجعل بها حل معا لو كان يحتمل ذلك لاحتمل التناكح في نوع فاذا لم يحتمل بان ان ذلك انما جعل للنسل و

الموفق

الموفق وقال بشر ان حرم الغشيان في المحيض لما هو اذى وهو يكون على ما ينفقد فالذي الدبر مجراه والذي منه يخرج من الاذى او
حش واجب دذلك قائم في كل الاوقات كقيام الحيض في اوقاته فالحرمة لذلك اشد ذكر بوجه امكن ان يبسط ما قال على الذي وصفنا
والله اعلم وقوله فاتوهن من حيث امركم الله قيل فيه بوجوه قيل معنى قوله من حيث امركم الله لا تاتوهن صايمات ولا معتكفات ولا
مصليات ويحتمل لا تاتوهن حيضا ولكن فاتوهن في الموضع الذي اباح لكم اتيانها وهو القبل ولا تاتوهن في ادبارهن ويشبه ان حيث
يعبر به عن المكان ان يكون من حيث امركم الله ان تبتغوا الولد بقوله وابتغوا ما كتب الله لكم وقوله ان الله يحب التوابين من الذنوب
متطهرين من الاحداث والاذى والثاني ممن فعل هذا قبل النزول المطهرين انفسهم بالتكفير والتواب هو الراجع عما ارتكب
والتارك عن العود الى ذلك غير مصر على الذنب ويحتمل التواب الذي لا يرتكب الذنب وقوله نساؤكم حرث لكم وهو المزرع وفيه
دليل النهي عن الاعتزال عنها لان المزرع اذا ترك سدى فيضيع ويخرب وفيه دليل ان الاباحة في اتيان النساء طلب التناسل
والتوالد لا لقضاء الشهوة لانه سمى ذلك حرثا والحرث ما يحرث فيتولد من ذلك الولد وفيه دليل ان الاتيان في غير موضع الحرث
محرم منتهى وعلى ذلك جاءت الاثار انها سميت اللوطية الصغرى وما جاء انه نهى عن اتيان النساء في محاشهن يعني في ادبارهن
وفي بعض الاخبار اتيان النساء كفر وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم يعني على اي جهة شئتم بعد ان يكون ذلك في المزرع ولا باس بالعزل
عنها اذا اذنت لما ذكرنا ان الامر بذلك امر بطلب النسل لا قضاء الشهوة فاذا كان كذلك فلها ان لا يحتمل مشقة تربيته واما الزوج
فانما عليه المؤنة وذلك مما ضمن الله لكل ذي روح بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لذلك نهي عن الاعتزال دون
اذنها ولم تنه عن الاذن عن ذلك والله اعلم واما الاعتزال عن الاماء وملك اليمين فانه لا باس لانه لا يطلب النسل من الاماء في التعارف
لذلك لم يكره ولان في احبالهن اتلاف والرجال لا يتلف ملكه لذلك افترقا والله اعلم والاصل ان الشهوات مجعولة لما بها امكان
قضاء الحاجات التي يقضى بها ما جرى تدبير العالم وبه يكون دوام النسل وبقاء الابدان والحاجة يحتمل الوقوع في الادبار لذلك
لم يجعل فيها وقوله وقدموا لانفسكم قيل فيه بوجهين قيل قدموا العمل الصالح قيل قدموا لانفسكم من الولد يحفظونه عند النزع
عما لا يجب وقوله واعلموا انكم ملاقوه ما قدمتم من العمل الصالح فيجزون على ذلك كقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله ويحتمل قوله انكم ملاقوه اي ملاقوا ربكم بوعده ووعيده وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية قيل كان الرجل
يحلف ان لا يصنع المعروف ولا يبر ولا يصلح بين الناس واذا امر بذلك قال اني حلفت على ذلك فنهوا عن ذلك يقول لا تحلفوا
على امر هو لي معصية ان لا تصلوا القرابة وان لا تبروا وان لا تصلحوا بين الناس وصلة القرابة خير لكم من الوفاء باليمين في معصية
الله تعالى والعرضة العلة يقول لا تعتلوا اي لا يمنعكم ان تبروا وما ذكر وقوله والله سميع عليم حرفان يخرجان على الوعيد
سميع بمقالتكم وايمانكم عليم بارادتكم في حلفكم وقال الشيخ رحمه الله في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما
كسبت قلوبكم وكسب القلوب لا يكون عقد ولا حنث انما هو تعمد الكذب كقوله ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم فعلى ذلك امر يمين اللغو والتعمد وهذا يبين ان اليمين يكون في موجود لا فيما يوجد اذ فيه وصف المأثم وفيما يكون لم يكسب
قلبه ما ياثم فيه فعلى ذلك امر اللغو هو في الماضي ولا ياثم بالخطاء وياثم في غير اللغو بالتعمد ثم قال لا يؤاخذكم بما عقدتم الايمان و
بين ان المؤاخذة يكون في هذا بالكفارة وفي الاول بالاثم وفي اللغو لا يؤاخذ بهما فلزم تسليم البيان لما جاء في كل ذلك ثم جميع المؤاخذ
في كسب القلب بالمأثم ولزوم التوبة فكذا في هذا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر اللعان انه قال ان احدكما كاذب فهل منكما
من تائب ومعلوم كذب احدهما ولزوم التوبة معا في ترك الوعيد الشديد من الغضب واللعن ولو كانت فيه كفارة لكان لا سبيل الى العلم
بها الا بالبيان فهي احق ان يبين لو كانت واجبة دل ما لم يبين انها غير واجبة على انها تجب للحنث والحنث عقيب العقد بعد ذكان
هاهنا ملاقيا له فهو يمنعه على نحو جميع المحرمات التي تمنع الاشياء فهي عند الابتداء تمنع وليس ذلك كالطلاق ونحوه لما قد يكون بلا
شرط واليمين لا يصح الا به ولم يكن فانعقد قوله والله وقد يخرج مخرج الاستخفاف الحلف بالله كاذبا والجراة على الله فيجب ان يكون كفر
لولا ان المؤمن يخطر بباله ما يحمله على ذلك دون قصد الاستخفاف به وعلى ذلك امر اللعان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل احد كاكفر
فهل منكما من يؤمن لانهما لم يقصدا ذا القصد فكذا كل حالف على تعمد الكذب والله الموفق وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن
جبير هذا محمول على قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي لا يؤاخذكم بنقض ايمانكم التي حلفتم بها لانها معصية الله ولكن يؤاخذكم
بحفظها والمضي عليها ثم اختلفوا في اللغو ما هو قال بعضهم هو الاثم وقيل هو الغلط ثم اللغو المذكور والذي اخبر ان مؤاخذة على صاحبه
يحتمل ان لا يؤاخذ بالاثم ويحتمل ان لا تؤاخذ بالكفارة بل انما يؤاخذ بالكفارة بما يعقد ثم ذكر في الاية الثانية لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولو حمل على انه لا يؤاخذ في هذا ايضا بالاثم دفع الكلام بحيث لا يفيد فحق التكرار والامثل
عندهم بان حمله على ما يفيد احق من حمله على ما لا يفيد فتثبت الاول في نفي الاثم والثاني في نفي الكفارة وعلى هذا القول في الغموس
لعظم الوزر والاثم لم يلزم ان يكفر فليس فيه الكفارة وله وجه اخر وهو ان سبب الحنث في اللغو والغموس لا في العقد فلم يصح به اليمين
لا باليمين لان الحنث نفسه يسقط اليمين فاذا الاولى الحنث اليمين منع صحتها ووجوبها فاذا كانت هذه اليمين غير صحيحة في العقد فلم

لم تلزم الكفارة لخروجها عن الشرط ثم لم يزل عنه في الغموس الاثم لتعمده الكذب قال الفقيه رحمه الله والقياس عندي في التعمد
بالحلف على الكذب ان يكفر ولهذا ما الحقه الوزر لما ان الايمان جعلت للتعظيم لله تعالى بالحلف فيها والحالف بالغموس مخبر على الله تعالى
مستخف به ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء والطواغيت لان في ذلك تعظيم لهم وتبجيل فالحالف بالغموس في الذي
هو مخبر ومستخف فالوزر له بالجراءة لازم ثم المعتمد مخبر مستخف بالله تعالى على المعرفة لانه لا يسع لتسبيله سبيل اهل الثناء فاظهار
الايمان بما فيه استخفاف وان كان سببا التعظيم للاستخفاف فلزمهم العقوبة بذلك كذا الاول ولكنه بالحلف خرج فعله على الجراءة
للوصول الى معناه وشهوته لا للقصد اليه وعلى ذلك يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه في سؤال السائل ان العاصي مطيع للشيطان
ومن اطاع الشيطان كفر كيف لا كفر العاصي فقال لانه خرج فعله في الظاهر مخرج الطاعة له لا ان القصد يكون طاعته وانما يكفر با
لا بما يخرج فعله فعل معصية فكذا الاول والله اعلم وعلى ذلك جاء في امر اللعان من القول بان احدكما كاذب فهل منكما تائب ففيه وجهان
لم يامر بالايمان ولا قال احدكما كافر فثبت انه لا يكفر به والثاني انه امر بالتوبة وقد يعلم من كذب ان عليه ذلك مما في القرآن من اللعن والغضب ولم
يامر بالكفارة وهي لا تعلم الا بالبيان فهي احق ان تبين لو كانت واجبة والله اعلم والاصل عندنا في اليمين الغموس انه اثم وعليه التوبة كفارة
وهكذا في كل يمين في عقدها معصية ان يلزمه الكفارة وهي التوبة واما الكفارة التي تلزم في المال فهو لا يلزم الا بالحنث لانه بالحنث يأ
للحنث نفسه اثم لذلك لم يجز الا بالحنث وما روي من الاخبار من قوله من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر يمينه ثم ليأت الذي
هو خير انه اذا كان يمينه بمعصية يصير باليمين اثما فليتكلف بالتوبة فان قيل الحلف بالطلاق والعتاق والحج بالماضي يلزم كيف لا تلزمه
الكفارة قيل لان الطلاق والعتاق والحج يلزم دون ذكر ما ذكرنا قال علي حجة او انت طالق او هو حر ولو قال والله افعل كذا دون ذكر ذلك
الفعل لا يكون يمينا ولا يلزمه شيء لذلك افترقا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الايلاء معلوم في اللغة انه اليمين وكذلك كان ابن عباس رضي الله
عنه يقرأ للذين يقسمون وما هو اليمين من الحكم لا يجب لغيرها نحو الكفارة التي تجب للحنث فيها ثم يجب له على كل حال على اي وصف كانت
اليمين فكذلك حكم الايلاء وهو قول عبد الله وابن عباس رضي الله عنه وروي عن علي رضي الله عنه التفريق بين الغضب والرضا ثم ان
التربص للمولى لمن كانت يمينه بدون اربعة اشهر فهو بعد المدة ليس بمولى فلم يلزمه الحكم الذي جعل الله للايلاء الا ترى انه في المدة ذكر الفيء
وهو لو وجد منه لم يجب عليه ما في الفيء من الكفارة فكذا بمضي المدة لا يلزمه الطلاق وبه يقول علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
يقول يلزمه حكم يمين يوم وابن عباس رضي الله عنه يقول الايلاء يمين الابد وذلك عندنا على ارادة الاتمام ولو جعله شرطا لكان
الحكم يلزم بمضي الاربعة الاشهر فلا وجه للزيادة عليه وهو قول عبد الله يلزمه بدونه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم في الوقف بعد
الاربعة الاشهر على اتفاقهم على لزوم طلاق واحد بمضي المدة ثم لا يجوز ان يحلف بحق الطلاق فيلزم ويجوز ان يحلف بالطلاق فيلزم
لذلك كان الطلاق لحق مما ذلك زيادة في المدة للتربص وجميع المدد التي جعلت بين الزوجين لم يحتمل الزيادة عليها لما جعلت المدة
فكانه مدة الطلاق وهنا على ان الله تعالى حذر نقض اليمين بقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها واطلق في هذه اربعة اشهر بما روي
في قراءة ابي فان فاءوا فيهن ففي غير ذلك حكم النهي له اخذ والله اعلم **وقوله** وان عزموا الطلاق كقوله فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف وليس ذلك على احد انه بعد مضي المدة كذلك الاول والله اعلم **وقوله** سميع لايلائه عليم بتحقيق حكمه انه لم يف اليها مما كان
كذلك بذاته كانه قال عن علم بما يكون من خلقه وبما به صلاحهم وما اليه مرجعهم خلقهم وهو التشبيع بجميع ما به تناجوا واسروا وجهروا والله
الموفق ثم الدليل على ان المراد من قوله ثلاثة قروء وان احتمل الطهر يرجع الى الحيض وجوه احدها ان ثلاثة اسم لتمام العدد فيصير كانه قال ثلاثة
اطهار لو اراد به الاطهار وثلاث حيض لو اراد به الحيض ثم هم على اختلافهم اتفقوا انه بالحيض ثلاثة وبالطهر طهران وبعض الاول بثبات الحيض
اولى مما كان فيه الاحتياط اذا احتمل الوجهين ان يخرج جميعا في الحق لا يزال بعد ان ثبت الا بالبيان ويبين ذلك في الخبر تلك العدة التي
امر الله ان تطلق لها النساء انه الحيض حتى يكون قبله الطهر مما يحتمل عدة فعل الطلاق لا الانقضاء ويبين ذلك ما روي ان عدة الامة
حيضتان وهي بعض عدة الحرة ووقت طلاقها وقت طلاق الحرة فبان ان العدة اثنان والثاني ذكر الحيض عند ذكر البدل وذلك حكم
الابدال ان يذكر اصولها عند ذكرها والثالث قوله فاذا بلغن اجلهن والبلوغ اسم للتمام وفاسد المراجعة بعد الاشراف عليه وهو
بالطهر لا يعلم حتى يرى الدم لان الطهر لا غاية له وذلك يمنع على توهم الرجعة فثبت انه الحيض لان له الغاية وان لم ينقطع الدم وقت
ومما كان الطلاق وقت ابتداء الحرمة وذلك طهر ووقت تنقضي العدة وقت تمام ذلك فهو الطهر معا ينقضي صلب الملك بالطلاق وفي
الطهر وبقية الملك ينقضي العدة فيجب ان يكون وقت الطهر على حق جميع الفروع مع الاصول ولحاق التوابع بالمتبوعين ولا توم الا باتفاق
وقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر والايلاء عن اليمين في اللغة يدل على ذلك حرف ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهما حيث قرأ للذين يقسمون من نسائهم ثم اختلف فيه على وجوه قال ابن مسعود رضي الله عنه الايلاء على يوم فقط واما التربص
باربعة اشهر لانه لم يذكر في الكتاب للايلاء مدة وانما ذكر المدة للتربص الى هذا ذهب ابن مسعود وقال ابن عباس رضي الله عنهما الايلاء
على الابد ذهب في ذلك الى ان الايلاء كان طلاق القوم والطلاق يقع على الابد وقال الاخرون من ترك القربان في حال الغضب فهو مولى
وان لم يحلف لكن هذا ليس بشيء لان الله تعالى ذكر الايلاء والايلاء هو اليمين دليله ما ذكرنا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لا

سالة

مسالة انه حلف ان لا يقرب امرأته سنتين فقال هو ايلاء وانها تبين اذا مضت اربعة اشهر فقال انما حلفت ذلك لمكان ولدي فقال
لا يكون ايلاء فراى في ذلك ايلاء اذا كان عاصيا واذا كان ايلاؤه وترك قربانه اياها لمكان الولد لم ير ذلك ايلاء ثم لا يجوز ان يحمل ما
حمل هو لذلك انما حمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه واعتباره بالعصيان وغير العصيان فالايلاء هو اليمين والايمان لا تختلف وجوه
وجوب احكامها في حال العصيان وفي حال الطاعة فعلى ذلك حكم الايلاء ولو حمل على ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الايلاء
بعد مضي اليوم فاذا لم يكن يمينا بعد اليوم لم يبق حكمها ولو حمل على ما قال ابن عباس رضي الله عنه لكان لا فائدة لذكر التربص فاذا بطل ما
ذكرنا ثبت قولنا ان مدة الايلاء اذا قصرت عن اربعة اشهر لم يلزمه حكم الايلاء ولو كان على الابد لكان لا فائدة في ذكر المدة وان
لا يعتبر العصيان ولا الطاعة ولا الغضب ولا الرضا على ما ذكرنا وروي في بعض الاخبار انه قال الايلاء ليس بشيء معناه ما قيل
انه الايلاء كان طلاق القوم فقوله ليس بشيء يقع للحال دون مضي المدة قبل ان يفيء اليها في المدة قال اصحابنا رحمهم الله اذا مضت اربعة
اشهر وقع الطلاق وقال قوم يوقف فان فاء اليها والا طلق عليه واحتجوا في ذلك الى ان الله تعالى ذكر الفيء بعد اربعة اشهر بقوله تربص
اربعة اشهر فان فاءوا لذلك كان له الفيء بعد مضي الاشهر وروي في بعض الاخبار الوقف فيه وروي عن عمر وعلي وعثمان وعائشة
وابن عمر رضي الله تعالى عنهم في المولى اذا مضت اربعة اشهر فاما ان يفيء واما ان يطلق الى هذا يذهبون لكن هذا يحتمل ان يكون من الزوج
دون ان يكون ما قالت الصحابة واما عندنا ان لو لم ذكر الفيء بعد تربص اربعة اشهر فذلك لا يوجب الفيء بعد مضيها الا ترى الى قوله
فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ليس انه يمسكها بعد مضي الاجل ولكن معناه اذا قرب انقضاء اجلهن فامسكوهن فعلى
ذلك جعل لهم الفيء اذا قرب انقضاء اربعة اشهر واما ما روي من الوقف فليس فيه الوقف بعد مضي اربعة اشهر يحتمل الوقف في الاربعة
الاشهر واما عندنا فانها تبين اذا مضت اربعة اشهر لما روي عن سبعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية انهم قالوا اذا
مضت اربعة اشهر بانت منه منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان وابن عباس وجابر وزيد بن ثابت رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فا
تبعناهم ثم اختلف في الطلاق اذا وقع قال قوم هو رجعي وهو قول اهل المدينة فهو على قولهم لغو لان الزوج يقدم الى الحاكم فيطلق
عليه الحاكم ثم كان له حق المراجعة فيكلفون الحاكم العبث واما عندنا فانه بائن وعلى ذلك جاءت الاخبار روي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة بائنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وروي عن ابي في قوله فان فاءوا فيهن يعني في الاربعة
الاشهر فان الله غفور رحيم فثبت انه جعل الرحمة والمغفرة فيها والثاني قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولو لم يجعل له القربان و
النقض في المدة لكان لا سبيل الى نقضها بعد مضي المدة اذ هي تتاكد فثبت انه لا يعتبر ويلزم ثم قوله فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين
يحتمل بما جعل له المخرج مما ضيق على نفسه لان لا تطول عليها المدة ويحتمل ان المغفرة كانت بما ارتكب ما اذا مضى عليه وجد وانه مستحقا
العقوبة فغفر له صنيعه ورحمه بان يجاوز عنه ما فعل **وقوله** وان عزموا الطلاق وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال عزيمة الطلاق
مضي اربعة اشهر وقد ذكرنا قول الصحابة رضي الله عنهم ان عزيمة الطلاق في اربعة اشهر **وقوله** فان الله سميع بالايلاء عليم بترك الفيء
وعليم بما اراد بالايلاء والله اعلم والفيء الجماع وهو الرجوع في الحاصل لانه حلف ان لا يقربها فاذا قربها رجع عن ذلك وهكذا روي عن
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا الفيء الجماع **وقوله** والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اختلف الناس في الاقراء
قال بعضهم هي الاطهار وقال الاخرون هي الحيض وهو قولنا وعلى ذلك اختلف الصحابة قال عمر وعلي وعبد الله رضي الله عنهم هي الحيض وقالت
عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم هي الاطهار وبه اخذ اهل المدينة وخالفوا فقلنا ذلك بالسنة والاخبار عن الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين واللسان والمناقضة اما السنة فقوله لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليطلقها وهي طاهر او حامل من غير جماع فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النساء فدل ان العدة التي تطلق لها النساء هي الاطهار ولكن الجواب لهذا من وجهين احدهما انه جعل ذلك عدة
للطلاق لا عدة عن الطلاق والعدة للطلاق غير العدة عن الطلاق وكذا نقول في الطهر الذي تطلق فيها النساء انها عدة للطلاق
لا عنها والثاني ان من قول الرجل ان له الايقاع في اخر اجزاء الطهر وقد ذكر في الخبر الطلاق لقبل عدتهن ولو كان المعنى به الطهر لكان
الطلاق في اخر اجزاء الطهر قبل الحيض في اخر اجزاء الطهر لا في القبل فثبت ان القول بجعل الطهر عدة عن الطلاق بعيد وقال باللسان
وهو قول الناس قرا الماء في حوضه وقرا الطعام في شدقه اي حبس والطهر سبب حبس الدم لكن عندنا الطهر جبلة واصل وعليها
خلقت والتشبث والحيض عارض فاذا كان في الرحم دم خرج والا كانت على اصلها خلقتها طاهرا لان الطهر يحبس الدم فاذا كان
هذا ما ذكرنا بطل احتجاجه باللغة واللسان واما المناقضة هو ان يقول جعلتم هي معتدة مع زوال الاذى عنها ما لم تغتسل في
ابقاء حق الرجعة فاما دعوة المناقضة فهو بعيد لان الكتاب جعلها باقية ثم نقل على حكم الاذى فان كان فيه طعن فعلى الكتاب
وقال ذكر الله تعالى ثلاثة قروء باسم التذكير لا باسم التانيث فدل انه اراد الاطهار يقال ثلاثة رجال وثلاث نسوة فاذا دخل فيه
الهاء عقل انه اراد الطهر قيل ان اللغة لا تمتنع عن تسمية شيء واحد باسم التذكير والتانيث كالبر والحنطة ونحو ذلك اذا لم يكن
ذي روح فاذا كان كذلك فلا دلالة فيه من حال الى حال لكان يقال للنجم ذا طلع قرا فيكون الاسم للظهور لا للغيبوبة ولهما جميعا
فلا دلالة في ذلك واما الاصل عندنا فقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف فامر بالامساك عند بلوغ اجلهن

ثم لا يخلو بلوغ الاجل من ان يكون بالاشراف على اول اجزاء الطهر وعند انتهائه فان كان على انتهاء الطهر فلا غاية لم ينتهي
اليه يقطع عليه الحكم وان كان على الاشراف على اوله عليه ايضا كذلك ثم لو حمل على الانتهاء ايضا يبعد بما يعرف ذلك بالحيض الذي يقطع
جهة الامساك فحمل على ما يعرف لا على ما لا يعرف والله اعلم والثاني قوله واللائي يئسن من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن كذا فنقول فيه انه
مذكور على البدل ولم يعرف ذكر الابدال في الاشياء الا على اثر الاصول حيث ذكر فبان ان البدل من ذلك تماما هو الحيض المجعول اصلا
في نقضي العدة هو الحيض واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم عدة الامة حيضتان ثبت انه اصل ما به تنقضي العدة هو الحيض وقال الشافعي
قوله عدة الامة حيضتان اي قرءان والقرءان هما الطهران فيقال له ابلغت في الغفلة وافرطت في الجاج حيث فهمت من الحيض
القرء وهو اوضح عند اهل اللسان بالسماع من المفهوم له بر مع ما في ذلك تجهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان وهو افصح العرب
واعلم البشر حيث عبر عن الطهر بالحيض ووجه اخر ما اتفقوا انه لو طلق في بعض الطهر فالبقية منه عدة ومثله من الاعتداد قرءان
ونصف والكتاب اوجب الاعتداد بالثلاث فثبت ان الامر بالاعتداد من الحيض لا بالاطهار للمعنى الذي وصفنا وان كان القرء اسم
للطهر والحيض في اللغة ثم الاصل في المسئلة ان اول الابتداء الحل لزوجها ولغيره بالطهر وكذلك نهاية الحل انما جعلت بالاطهار ثم
الاصل ان ابتداء حرمتها على الزوج الاول بالطهر فيجعل انتهاء الحرمة في مثله بالطهر وحاصل هذا انه جعل نهاية الحل فيه وفي غيره
بما به ابتداء الحل فكذا يجعل نهاية الحرمة فيه وفي غيره بما به ابتداؤه واذا ثبت ان المنظور في الحل والحرمة في الابتداء بالابتداء وجب ان
يكون المنظور في الحل والحرمة بالانتهاء ثم في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وفي قوله فاعتزلوا النساء في المحيض
وفي قوله يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم في هذه الايات دلالة تأخير البيان حيث لم يبين ما الاقراء ولم يبين
الاعتزال من اي موضع ومن اي مكان ولم يبين المخالطة فيما ذا وفي اي شيء فالاختلاف فيه باق الى يوم التناد فبطل قول من ينكر
تأخير البيان وثبت قول من اقر به وبالله التوفيق **وقوله** ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم
الاخر ففي الاية دلائل احدها ان ذكر حرمة الكتمان فيمن ليس يشترط فيه دون غيره اذ قد يلزم ذلك من هو غير مؤمن اذ هو غير مستحسن
في العقل ففيه الدليل على ان الحكم الموجب لعلة يجوز لزومه فيما ارتفع عنه تلك العلة وحرمت وهو كقوله واصلحوا ذات بينكم الى
قوله ان كنتم مؤمنين وقد يلزم صلاح ذات البين في غير الايمان وكذا قوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وقد يلزم ترك
الربوا المعاهد وقد يجوز ذلك للمسلم في غير داره فدل ان الحكم اذا ذكر لعلة في احد لا يمنع لزوم ذلك في غير المذكور وقال الشيخ رحمه الله
فيه دليل على ان اضافة الحكم الى سبب لا يمنع حقه ارتفاعه وفيه دليل ان لا يحل ذلك لهن قد امن في الخلق لان حق التصديق والاظهار
الحق وفي الكتمان والتكذيب ترك ما فيه من الشرط والله اعلم ثم اختلف في قوله ما خلق الله في ارحامهن قال بعضهم الحبل والحيض وكذلك
روي عن علي وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا ما خلق الله في ارحامهن الحبل والحيض فثبت ان موضع الحيض الرحم ثم
الرحم يشغله الحبل عن خروج الدم فبان ان الحامل لا تحيض ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما ذلك دم عرق انقطع وهو الامر
الظاهر المتعارف في النساء ان الحبل يحبس الدم وقال بعض اهل التأويل ما خلق الله في ارحامهن الحبل خاصة دون الحيض لوجهين
احدهما انهن في الجاهلية يكتمن في ذلك فيلحقن بغير الاباء فاوعدن على ذلك بعد الاسلام فثبت ان الحيض لا يحتمل والثاني ان الحيض
لا ينسب كونه في الرحم فاذا كان غير منسوب اليه لم يحتمل كونه فيه والله اعلم لكن الوجه فيه ما ذكرنا من قول الصحابة وما فيه من الدلالة
انهن مؤتمنات فيما يخبرن لوجهين احدهما ما جاء من ان الامانة ان تؤتمن المرأة على فرجها والثاني لولا انها ممن يقبل خبرها فيما لا اوعد
على الكتمان ثم يحتمل الكتمان من وجهين احدهما ان يكتمن ذلك ليستوجبن به الانفاق من عند ازواجهن بتطويل العدة بان يدخل
الحيض الحبل جميعا ويحتمل ما قاله بعض اهل التأويل من ابقاء حق الرجعة ويحتمل قول ابي حنيفة رحمه الله في كتمانها اذا قال في المرأة اذا
جاءت بولد في العدة فشهدت امرأة على الولادة والحبل لم يكن ظاهرا ان يقبل قولها اذ هي امرت بالاظهار والكتمان اوعدت تهمة في
القبول ويحتمل ان لا يحل لهن ان يكتمن الحبل فيلحقن بغيرهم من الازواج والله اعلم **وقوله** وبعولتهن احق بردهن في ذلك
يحتمل وجهين يحتمل انهن لا يملكن الرجعة ولا منع ازواجهن عن المراجعة بل ذلك الى بعولتهن ويحتمل احق بردهن في نكاح في
العدة لا في حق الرجعة اذ الزوج يملك نكاحها في العدة وغيره من الناس لا يملك كقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
اجله **وقوله** وبعولتهن فيه دليل ان قوله والمطلقات يتربصن انما عنى به المطلق طلاقا لم يقطع على نفسه جهة العود **و**
قوله في ذلك ان ارادوا اصلاحا يحتمل اصلاح ما بينهن ويحتمل ان ارادوا امساكهن بالمعروف كقوله ولا تمسكوهن ضرارا فهو
ممسك لها وان كان مضيقا ثم الاصل في هذا انه وان قال فامساك بمعروف ليس على ان يصير ممسكا لها بغير المعروف كقوله ولا
تمسكوهن ضرارا فهو ممسك لها وان كان مضرا ثم الاصل في هذا انه وان قال فامساك بمعروف ليس على ان لا يصير ممسكا لها بغير المعروف
واصل هذا ان ليس في القول بان لا تفعلوا دليل الجواز والفساد اذا فعل ذلك ثم اختلف في قوله اي في الوقت الذي يعتد به او في ذلك
القرء والله اعلم **وقوله** ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اني احب ان اتزين لامرأتي كما احب
ان تتزين لي لان الله تعالى يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال الاخرون لهن من الكفاية ما عليهن من الخدمة وكمال غيرهم

من الحق

من الحق في المهور وبتسليم الازواج اليهن ما عليهن من تسليم الابضاع الى الازواج فبذلهن اياه الى الخلوة والتسليم منها يحل محل
قبض الحق منها لزوجها وقيل ولهن مثل الذي عليهن من الحقوق ما يلزمهن من حقوق الازواج يلزم مثلها على الازواج لهن وان كان مختلفا
وقوله وللرجال عليهن درجة قيل هو الطلاق بيد الرجل وليس بيدها وقيل هي الامارة والامر وقيل ما فضل الله به عليها من الجهاد والميراث
وغيره وقيل لهم من الفضيلة من الولايات والشهادات والعقل وذلك ليس لهن وقيل ليس لهن وقيل فضيلة في الحق وبما ساق اليها من المهر قال الشيخ
ابو منصور رحمه الله في قوله ولهن مثل الذي عليهن اي من الحقوق على الازواج ثم يحتمل حقوقهن المهر والنفقة ويحتمل ما اتبع من قوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان ويحتمل قضاء ما لها من الحوائج خارج البيت مما به قوام دينها وقيامها عن الفساد عليها من الحقوق مقابل الاول البذل
له وان لا يوطئن فرشهن احدا ومقابل الثاني ان يحسن اليهم في البر باللسان والفعل المعروف الذي فيه يطيب نفسه به كما وصف الخيرة منهن
من اذا نظرت اليها سرتك واذا دعوتها اجابتك ويحفظك في النفس والمال ومقابل الثالث ان لا تستقبله بمكروه ولا تقابله بما يضجره ويغضبه
مع الخدمة وكفاية الداخل مما به قوام دينه والله اعلم والدرجة التي ماله من الملك فيها والفضل في الحقوق عليها وما جعل قواما عليها وغير ذلك
والله اعلم ويحتمل ما لهن من قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وعليهن بذل حقهم المعروف والاحسان اليهم فيما يحبون من الخدمة والقيام
بكفاية داخل البيت مع حفظ ماله عندها والله اعلم **وقوله** الطلاق مرتان ففيه دلالة انه يطلق بثنتين بمرتين **وقوله** فامساك بمعروف او تسريح
باحسان ان له الرجعة بعد طلاق قبل بذكر مرتين وفيه ان المطلق في الطهر الثالث من غير رجعة مطلق لسنة لما خير بين الامساك والتسريح من
غير مراجعة وهو على ما لك لا يقول ليس له ان يزيد على تطليقة واحدة الا ان يراجع والتسريح باحسان هو التطليقة الثالثة كذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن التسريح باحسان فقال هو التطليقة الثالثة فان قيل ما الحكمة في ذكر المعروف في الامساك والاحسان في التسريح
قيل وذلك ان في التسريح قطع الحقوق التي اوجبها النكاح فامر عند قطعها عنها بالاحسان اليها مبتدئا والاحسان ابدا انما يكون عند ابتداء
الفعل لا عند المكافاة واما المعروف في الامساك فالنكاح اوجب ذلك كقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الغليظ الحقوق التي اوجب
النكاح وهذا والله اعلم وجه الحكمة والمعروف ما عرفا في النكاح والاحسان هو ما يبتدئ مما لم يعرفا **وقوله** ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فظاهر هذه الاية الكريمة يوجب ابتداء الخطاب
للازواج ثم اخرها يوجب الخطاب لهما جميعا ثم اخرها يوجب الخطاب لهما جميعا ثم اخرها يوجب الخطاب لغير الازواج يحفظ عليهما حدود الله
فيشبه ان يكون في الاية الاضمار فيما الحكمين فيكون كقوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فيكونان هما اللذان يحفظان
عليهما الحد المحدود ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله للحكام لانهم هم الذين يتولون النظر في امور الناس ليقوموا على
حفظ حدود الله ثم القول عندنا في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اذا كان النشوز والتعدي من قبل الزوج فانه لا يحل اخذ شيء من
الخلع استدلالا بقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا واما اذا كان النشوز من قبلها فانه لا
بأس ان ياخذ قدر المهر ويكره الزيادة ويجوز اما قدر المهر فانه لا بأس اذا كان النشوز من قبلها استدلالا بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
ذكر رفع الحرج عن الزوج فيما اعطته نهي في غير هذا وهو الموثق لذلك قلنا انه يجوز اذا كان النشوز من قبلها قدر المهر واما الزيادة فانه يكره
استدلالا بما روي في الخبر ان امرأة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت بغض زوجها فقال اتردين عليه حديقته فقالت نعم وزيادة
فقال اما الزيادة فلا ففيه الدلالة ان النشوز اذا كان من قبلها فانه يجوز قدر المهر وقال ابن داود وخالف الناس في ظاهر الكتاب انما
جعل له اخذ ما فدى والزيادة والكتاب رفع الحرج عن اخذ ما فدى لم يجعل له غيره بقوله لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا
ان يخافا الا يقيما حدود الله قال ابن شريح ما ذلنا الاخذ في الطلاق انما ذلك في الطلاق فكرها لانه ليس في الاية ذكر الطلاق واستدل بقوله
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فجعل له اكل ما اخذ بالوصف الذي ذكر ثم كان له اخذ ما بذلت في غير الطلاق فعلى ذلك
في الطلاق وفي الطلاق احق والله اعلم والاصل عندنا جواز ما بذلت اخذه مما احتج به الرجل ان كان له ذلك في غير الطلاق وهو الطلاق اجوز
لانها تنتفع غيره انه يكره له الفضل لما ذكر من الاية والخبر ثم يجوز هو لانه بدل نكاح كالعتق والتي يكره لزوج ما لم يضمن على الجواز فكذا هذا
والاصل بان الطلاق بالبدل بينهما وهو لو لم يملك البينونة مطلقا لم يملكه بما شرط فثبت انه يملك واصله انه بالطلاق ويصرف اليها ما ملك عليها
بالعقد فانتفعت فازاء ما بذلت لذلك سلم للزوج ما اخذ والله اعلم قال ويكره اخذ الزيادة بما فيه رفع النكاح فيصير اخذ ما اخذ بالذي عطي
فما يفضل عليه ليس بازائه بدل وذلك وصف الربوا والله اعلم ثم اختلف في قوله الا ان يخافا قيل علما بعض الرجل والمرأة وقيل علم الحكام ان لا
يقيما حدود الله وعلى ذلك فان خفتم ان لا يقيما حدود الله قيل علمتم وقيل الخوف هو الخوف فكانه اقرب لان العلم يكون فيما مضى من الحال انهما
اقاما حدودا ام يقيما وانما الخوف في حادث الوقت امكن لانه لا يعلم باليقين لذلك كان ما ذكرنا وهو كقوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم **وقوله** فلا جناح عليهما فيما افتدت به اختلف فيه قال بعضهم اراد بقوله عليهما عليه خاصة وهذا جائز في اللغة اضافة الشيء الى
الاثنين والمراد واحد منهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما ومثله كثير وقال الاخرون اراد جميعا المرأة بالفداء والزوج
بعمى عن اخذ شيء مما اتاها بقوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا ثم اباح ورفع الحرج منه بالاخذ على الشرط وقيل اراد به الزوج
خاصة وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** تلك حدود الله فلا تعتدوها قيل اذا لم يفهم بحد من حدود الله تعالى ما يفهم من حد الخلق كيف فهم من

استواء الرب ومجيئه من قوله استوى على العرش وجاء ربك ما فهم من استواء الخلق ومجيئهم والاستواء والمجيء الى احتمال المعاني ان
ينفي عنه التشبيه اكثر من احتمال الحدود في الشاهد فاذا لم يفهم من هذا ذا لم يجز ان يفهم من الاول ما فهموا وقد قال ليس كمثله شيء وقوله
حدود الله قيل احكام الله وسننه وقيل اوامره ونواهيه وقيل اديانه وهو واحد وقوله ومن يتعد حدود الله يحتمل وجهين يحتمل يتعدى
حدود الله مستحلا لها فيكفر بتعديه ذلك فهو ظالم ظلم كفر ويحتمل يتعدى نواهيه وما نهاه عنه غير مستحل لها فهو ظالم لنفسه غير كافر
وقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره هذه الاية رجعت الى الاول قوله الطلاق مرتان فان طلقها بعد التطليقتين
تطليقة اخرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وقوله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قبل التطليقة الثالثة وفي
ذلك جاز الخبر وهو واحد عندنا يدل عليه ايضا قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع من الثاني اذ ليس في
الاية ذكر الدخول بها واما عندنا فهو على فعل الجماع في النكاح الثاني يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لا حتى تذوق من عسيلته ويذوق
من عسيلتها فيكون النكاح مضمرا وهو اولى لان الاية في عقوبة الاول ولا يشتد عليه النكاح حتى يتصل به الوطء وفيه دلالة على كراهة
التطليقة الثالثة انه هي لا تحل له بعدها الا بعد دخول زوج اخر بها وذلك مما ينفر عنه الطبع ويكرهه وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا
فيه دليل على ان في التراجع ايجاب عقد بينهما جميعا فدل على قطع رجعة الثاني لحل الزوج الاول الاول وذلك انه لا رجعة فيه لغيره وقوله
ويقولون حتى يردهن اضاف الرد الى الازواج فدل انهم يقدرون ان يردوهن ثم ذكر الكتاب لا يحل له حتى ينكح زوجا غيره جعل سبب الحل على الزوج
الاول نكاح الثاني فلم يجز ان ينهى عنه وقد جعل هو سبب رفع الحرمة اذ ليس هذا في احكام الله تعالى لا يوجد ولا يستقيم وهو كالوضوء لما جعل
سببا لاقامة الصلوة لم يجز ان يجعل سببا لها ثم يكره الاقدام عليه وينهى عنه وكالتحريمة جعل سببا للدخول بها في الصلوة لم يجز النهي عنها وبها فاذا
كذا هذا ما جعل سببا لرفع الحرمة بلا جاز ان ينهى عنه ثم فيه دلالة جواز نكاح المحلل فان سئلنا عن قوله لعن الله المحلل والمحلل له قيل اللحوق اللعن لكل
الا نكاح على قصد الفراق والطلاق ليس لاجل التحليل على الاول ورفع الحرمة عنه دليله قوله عليه الصلوة والسلام لا يحب كل ذواق مطلاق في
ذلك تفصيل الفراق بالنكاح اذ النكاح بني للاصل على البقاء والمقام عليه وفيه التعفف وفي الطلاق والرد لما به بقصد فلهذا لحقه ما لحقه
من اللعن ثم المحلل له ما طلب بنكاح الزوج الثاني ما ينفر عنه الطباع ويكرهه من عودها اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها منع
المعنى عن ايقاع الثالثة لكن اذا تفكر حرمتها عليه لا بنكاح اخر انزجر عن ذلك ثم العقد نفسه لا ينفر عنه الطباع ولا يكرهه ثبت ان الدخول
شرط فيه فيكون زجرا ومنعا عن ارتكابه وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا بحرج على التراجع وذلك والله اعلم ان الطلاق يحرمها
عليه ويبينها منه كما تحرم عليه هي بانواع تحريم فاخبر عز وجل واباح له النكاح بعد وقوع الحرمة ان هذه الحرمة ليست كغيرها من الحرم التي لا تقع
ابدا والله اعلم وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف وقال وبعولتهن احق بردهن
ذكر في الاية الاولى الامساك والامساك المعروف هو امساكها على ما كان من الملك وذكر في الاية الاخيرة الرد والرد لا يكون الا بعد خروج
من الملك هذا هو الظاهر في الاية لكن بعض اهل العلم يقولون انه يمسكها على الملك الاول ويردها من الحرمة الى الحل لان من مذهبهم ان الطلاق
يوجب الحرمة ولا يخرجها من ملكه وهذا جائز ان تحرم المرأة على زوجها وهي بعد في ملكه فاذا كان كذلك فامر بالامساك على الملك الاول
وبالرد من حرمة الى الحل وهو قول اهل المدينة اي يردها من العزة الى ما لا عزة ويمسكها بلا عزة واما عندنا فهو واحد يحتمل الامساك والرد
قوله ولا تمسكوهن ضرارا ولو لم يكن الامساك سوى القصد اليه كان لم يكن بالقصد اليها معتدا وهو فيما امر بالامساك بالمعروف فيه و
جهان احدهما هو ان يمسكها على ما كان يمسكها من قبل من مراعاة الحقوق ومحافظة الحدود ويحتمل ما قيل ان لا يطول عليها العدة على
ما ذكر في القصة من تطويل العدة عليها وفيه نزلت الاية وفيه دلالة ان الزوج يملك جعل الطلاق بائنا بعد ما وقع رجعيا لانه يصير
بائنا بترك المراجعة فعلى ذلك يملك الحاق الصفة من بعد وقوعه فيصير بائنا والله اعلم وقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا قال الشيخ
رحمه الله الاصل عندنا في المناهي انها لا تدل على فساد الفعل ولا استدل بالنهي على الفساد كقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله
وعلى ذلك قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا انه يصير ممسكا لها وان كان فيه ضرار لها وهكذا هذا في كل ما يشبه هذا من قوله
ومن لم يستطع منكم طولا انه اذن بالفعل في حال فهو وان وجب نهيا في الفعل فذلك لا يدل على الفساد في حال الاخرى وقوله ولا
تتخذوا ايات الله هزوا معناه والله اعلم اي لا تقلوا بايات الله على من يخرج فعله بها مخرج فعل الهازئ لانه معقول ان اهل الايمان
والتوحيد لا يتخذون ايات الله هزوا ولا يقصدون الى ذلك وقيل انهم في الجاهلية كانوا يلعبون بالطلاق والعتاق ويمسكونهم
بعد الطلاق والعتاق على ما كانوا يمسكون قبل الطلاق وقبل العتاق فنهوا عن ذلك بعد الاسلام والتوحيد ثم اختلف في ايات الله قيل
حجج الله وقيل احكام الله وقيل دين الله ويحتمل ايات الله الايات المعروفة وقوله واذكروا نعمة الله عليكم يحتمل وجوها يحتمل النعمة محمدا
صلى الله عليه وسلم وهو من اعظم النعم ويحتمل النعمة الاسلام وشرايعه ويحتمل النعمة التي انعمها على خلقه جملة النعمة على الدنيا وجه النعمة
بالاسلام يقتضي منه المحافظة ونعمة الخاص يقتضي الشكر والنعم جملة يقتضي منه التوحيد وقوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب
وهو القران ففيه دلالة ان الكتاب هو منزل ليس كما يقول القرامطة لانهم يقولون بان محمدا صلى الله عليه وسلم الف القران وانما كان يوحى
اليه كما يتوهم الرجل شيئا فيفصله كلاما وقوله والحكمة اختلف فيه قيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل الحكمة هي الاصابة اصابة موضع

كل شئ

كل شيء منه وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة القران وهو من الاحكام والاتقان كانه قال عز وجل اذكروا ما اعطاكم من الفقه و
الاصابة والكتاب المحكم والمتقن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله يعظكم به قيل بالقران واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم فيه تخويف وتحذير ليعلموا ان كل شيء في علمه وانه لا يعزب عنه شيء وبالله العصمة وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف اختلف في تاويله قال قائلون فيه فساد النكاح دون
الاولياء واحتجوا بان قالوا قال الله تعالى ولا تعضلوهن ولا ينهى عن القول من غيره ان يحمل اذا القول فيما لا يعمل غيره ضاد لعضلهن
فثبت انه عامل وان له فيه حقا الى ان نهوا ثبت ان قوله لا تعضل منع اذ لو يجعل منعا لم يكن ضارا به وقال الاخرون فيه دليل جواز نكاح
دون الاولياء لانه تعالى قال ينكحن واستدلوا بان النكاح على وجه العضل يجوز ولو كان العضل سبب المنع في الجواز لم يحتمل جوازه
اذا فات وفيه ان العضل اذا لم يكن جاز للنساء تولي النكاح واحتجوا ايضا بما اضاف النكاح اليهن بقوله ان ينكحن ازواجهن وقوله
جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف واضاف الانكاح الى الاولياء على ارادة ادخال الصغار والثاني على وجوب الحق لهن
عليهم لا ان يجب لهم عليهن ثم الاصل بان كل نكاح اريد بالذكر الصغار واضيف الانكاح الى الاولياء كقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين
وقوله ولا تنكحوا المشركات ولا تنكحوا المشركين معا احتمل دخول البالغين في هذا دليله قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به والفدية
لا تصح من الصغار وقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والصغار لا يخاطبن باقامة حدود الله وقوله فلا جناح عليكم فيما
فعلن في انفسهن بالمعروف وان كان متاخرا في الذكر بهذا قيل ان وقوع الانكاح بالاضافة في الصغار الى الاولياء وفي الكبار اليهن ثم
ذكر الكفاءة والمهر وجريا اضافة الى الاولياء لذلك كان لهم التعرض في فسخه ثم قوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف راجع ذلك الى المهر لان
التراضي فعل اثنين والمهر يتعرف بهما لان القصة في امرأة بعينها وكانت ظهرت كفاءة زوجها لها وذلك في الكفاءة لا جناح عليكم فيما فعلن
ووجود الكفاءة انما تكون من احدى الجانبين فذكر ذلك مضافا الى الاولياء لم يجز دونهم والاصل في مسئلة النكاح ان الحق في النكاح
لها على الولي لا للولي عليها دليله ما يزوج على الولي اذا عدم ويجبر عليها اذا وجد زوج عليه اذا ابى وهي لا تجبر بارادة الولي اذا ابت فباه
ان الحق لها قبله ومن ترك حق نفسه في عقد له قبل الحكم يوجب ذلك فساده والله اعلم وقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
فيه دليل على ان النهي عن العضل انما كان للازواج كان لهن دليله قوله ازواجهن ولا يسمى الازواج الا بعد النكاح ويدل ايضا قوله
واذا طلقتم النساء ذكر الطلاق فدل انه كان في ازواج كان لهن ويحتمل ان يكون في الابتداء من غير ان كان ثم نكاح وجاز تسميته
الشيء باسم ما يؤول الامر اليه لعرب حاطن بهم واما اهل التفسير فاجمعهم قالوا ان الاية نزلت في اخت معقل بن يسار ان زوجها قد طلقها
وانقضت عدتها ثم اراد الزوج ان يتزوجها ثانية وتهوى المرأة ذلك فيقول ولي لا ازوجها اياه فنزل قوله ولا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن وهو يحتمل المعنى الذي ذكرنا والله اعلم وقوله ذلك يوعظ به قيل ينهاه به كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهاكم
وقيل يوعظ به اي يؤمر به وقوله ذلكم ازكى لكم واطهر قيل وضعهن انفسهن حيث هو ازكى واطهر لكم من العضل من ذلك ولعل العضل
يحملن على الفساد والريبة وقيل المراجعة خير لكم من الفرقة واطهر لقلوبكم من الريبة وقوله والله يعلم من حب كل واحد منهما صاحبه وانتم
لا تعلمون ذلك ويحتمل قوله والله يعلم فيه صلاحكم وانتم لا تعلمون ذلك وقوله والوالدات يرضعن اولادهن قال بعضهم هن المطلقات
يرضعن اولادهن وهو كقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ذكر هنا الاجر وذكر هنا الرزق والكسوة وهما واحد وقال الاخرون
لا ولكن قوله والوالدات يرضعن اولادهن من المنكوحات وقوله فان ارضعن لكم فاتوهن هن المطلقات دليل ذلك ذكر الاجر في
احدهما والرزق والكسوة في الاخرى على ان المنكوحة اذا استوجرت على رضاع ولدها منه لم يستوجب الاجر ويستوجب قبل الزوج
والرزق والكسوة فدلهما على ان ذكر الاجر في المطلقات وذكر الرزق والكسوة في المنكوحات فان قيل ما فائدة ذكر الرزق والكسوة
في المنكوحة في الرضاع وقد يستوجب ذلك في غير الرضاع قيل فائدة ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم لانها تحتاج الى فضل طعام وفضل
كسوة لمكان الرضاع الا ترى انها ان تفطر لذلك فثبت ان لها فضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع لها تلك الحاجة في غير حال الرضاع
فخرج ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم ذكر تلك الزيادة والفضل والله اعلم وفي القران دليل ان مؤنة الرضاع على الاب من وجه احدها
قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى والثاني قوله وعلى المولود له رزقهن والثالث قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فثبت انه حق على الوالد
الا ان ذكر فيه ايتاء الاجر وفيه دلالة على ان شرط الطعام والكسوة للظئر يجوز بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن غير ان الكسوة
لا تجوز الا باعلام الجنس والطعام يجوز لان الظئر لا تكسى كسوة الاهل وتطعم طعامهم فلا بد في الكسوة من اعلام جنسه اذ لا يجوز ان
يكون كسوة واحدة لها وللاهل ويجوز في الطعام ذلك لان الكسوة ليست بذي غاية تعرف فاحتيج الى ذكر الجنس ليقع في حد قرب المعرفة
والعلم واما الطعام فهو ذو غاية عند الناس غير متفاوت ولا متفاضل عندهم لذلك جاز هنا ولم يجز الاخر الا ان يعلم الجنس فاذا علم
الجنس فحينئذ يصير عندهم كالطعام والله اعلم قال الشيخ رحمه الله يدل على جوازه قوله وعلى الوارث مثل ذلك اي والله اعلم مثل ما على
المولود له ويكون ذلك بعد موته لذلك يجوز شرط الكسوة والطعام في الرضاع وقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة فيه
جعل الحولين شرطا في الرضاع لرجوع احدها قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فلو لم يحتمل الزيادة والنقصان لم يكن لقوله لمن اراد

معنى والثاني الارادة والقدرة وربما يذكر على غير ارادة وقدرة في الحقيقة وكنى على ارادة حقيقة الفعل دليله قوله صلى الله عليه وسلم من اراد الحج فليفعل كذا ومن استطاع ان يفعل كذا فليفعل ليس ذلك على ارادة القدرة والارادة ولكن هذا والله اعلم على معنى من فعل كذا فليفعل كذا فكذلك الاول ليس على حقيقة الارادة ولكن تذكر ذلك لما لم يكن الفعل الا بقدرة وارادة والله اعلم والثالث لا يحتمل الحولين من ان يقدر بالاهلة فقد ينتقص عن سنتين وان يقدر بالايام فقد يزاد على المعروف من الوقت فثبت انه بحيث لا ما ذكرنا اذ يحتمل لمن اراد ان يزيد حتى يتم ولمن اراد ان يقتصر على التمام على ان الاية ليست في حق الحرمة لكنها في حق الفعل اذ قد يجب لكن منه لا بحولين وروي عن ابن عباس رضي الله في تاويل قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وفصاله في عامين قال ان كان الحمل ستة اشهر ففصاله في عامين وان كان تسعة اشهر فبعد الباقي فدل هذا على ان الحولين ليس بشرط في الفطام ولا وقت له لا يجوز الزيادة عليه ولا النقصان والله اعلم وقوله وعلى المولود له رزقهن قد ذكرنا انه قيل بوجهين قيل انه في المطلقة وقيل انه في المنكوحة وقد دللنا على انه في المنكوحة والله اعلم وقوله لا تكلف نفس الا وسعها قال قوم قوله الا وسعها الا ما يسع ويحل لكن هذا لو كان على ما ذكر لكانت بالامر يحل ويسع لكانه قال لا تكلف الا ما تكلف ذلك لا يكون وقال قوم قوله الا وسعها يعني طاقتها وقدرتها وهذا اشبه و معناه لا يكلف الزوج بالانفاق عليها والكسوة الا ما يحتمل ملكه وان كانت حاجتهم تفضل عما يحتمله ملكه لم يفرض عليه الا ما احتمله ملكه والله اعلم كقوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ثم اختلف في تحريم الرضاع في حال الكبر قال قوم يحرم وروي في ذلك احاديث وقال اصحابنا رحمهم الله لا يحرم ذهبوا في ذلك الى اثار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عليه السلام سئل عن الرضاع فقال ما انبت اللحم وانشز العظم وفي بعضها الرضاع وفي بعض عنه لا رضاع بعد الفصال وروي عن علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهم انهما قالا لا رضاع بعد الحولين وعن علي وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا رضاع بعد الفطام او الفصال الشك منا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار انه دخل على عائشة رضي الله فراى معها رجلا فرات عائشة رضي الله عنها الكراهة في وجهه فقالت انه اخي من الرضاعة او عمي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انظرن ما الرضاعة فانما الرضاعة من المجاعة وروي عن ابي موسى الاشعري ان رجلا قال له ان امراتي رضعتني فقال لا اعلم فبلغ ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فاتاه فقال انت تفتي بكذا وكلام انما الرضاعة عن المجاعة ولا رضاع بعد الفطام وذهب ايضا الى انه في تحريم رضاع الكبير بعد الفطام واصله ان ينظر فان كان غذاؤه باللبن واغلب غذاؤه فهو يحرم واذا كان بالطعام واغلب غذاؤه فهو لا يحرم واصله ما ذكر في الخبر ما انبت اللحم وانشز العظم فهو يحرم فاذا كان غذاؤه بالطعام سوى اللبن فالطعام هو الذي ينبت اللحم وينشز العظم فلم يحرم ثم الاصل ان كل مذكور على الكمال والتمام لا يمتنع عن احتمال الزيادة والنقصان دليله قوله صلى الله عليه وسلم من ادرك عرفة بليل فقد تم حجه وقوله اذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك وصفها بالتمام والكمال باقيتم فقد راى ابو حنيفة رضي الله عنه الزيادة لستة اشهر ذهب في ذلك الى ان الفطام يحتاج الى الرضاع بعد ذلك ويعترض وهو على الطعام الرضاع منه لان ودت هلاك الصبي وتلف ما لم يعود بغيره من الطعام ففيه خوف هلاكه فاذا كان فيه خوف هلاكه لما ذكرنا استحسن ابو حنيفة رضي الله عنه ابقاءها بعد الحولين لستة اشهر اذ على هذين الحالين بعود السنة والله اعلم وقد ذهب زفر بزيادة سنة ذهب في ذلك الى انه لما جاز ان يزاد بالاجتهاد على حولين اشهر جاز ان يزاد بالاجتهاد على الحولين لسنة قال الشيخ رحمه الله وعلى ما زيد على المذكور من الحمل مثل اقل وقت الرضاع يزاد على المذكور من الرضاع مثل اقل الحمل ولما احتمل الا قل الانتقال الى الوسط يحتمل الوسط الانتقال الى الاكثر وذلك في قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقوله لا تضار والدة بولدها يحتمل وجهين لا تضار الوالدة في ترك الانفاق عليها ويحتمل لا تضار والدة بولدها في انتزاع الولد منها وهي تريد امساكه وقوله ولا مولود له بولده كذلك يحتمل وجهين لا تضار الوالد بولده في ردها الولد عليه ورميه اليه بعد ما الف الولد الام ويحتمل لا تضار الوالد في تحميل فضل النفقة عليه وملكه لا يحتمل ذلك بل انما يحمل عليه ما احتمله ملكه وقوله ولا مولود له بولده فيه دليل انه انما يسمى والدا على المجاز ليس على التحقيق لانه لم يلد هو وانما ولد له فثبت ان الرجل يستحق اسم الفعل بفعل غيره وكل مفعول له يستحق اسم الفاعل وان لم يفعل هو بنحو ما سمي والدا وان لم يلد هو وانما ولد له ودلالة ان من حلف لا يعتق ولا يطلق فامر غيره ففعل حنث وجعل كانه هو الفاعل والله اعلم وقوله وعلى الوارث مثل ذلك اختلف في تاويله قال بعضهم هو معطوف على قوله لا تضار والدة بولدها معناه ان لا تضار الوارث ايضا باليتيم وقال الآخرون هو معطوف على الكل على النفقة والكسوة والمضارة وقال غيرهم هو راجع الى النفقة والكسوة دون المضارة وهو قولنا لوجهين احدهما ان نسق الكلام انما هو على قوله وعلى المولود له رزقهن فنسق على حرف على اولى من نسقه على حرف لا فيصح ادخال على قوله لا تضار لكان ما يوازيه من الكلام انما هو الوارث مثل ذلك والثاني انه لو حمل على الاضرار من الوارث بالولد في الميراث لقال وعلى المورث لان المورث يحجب الميراث فلا ضرر يقع به بل يقع الانفاق فثبت ان حمله عليه احق ثم في قوله وعلى الوارث قال بعضهم اراد بالوارث الوالد والام والجد ولا يدخل ذو الرحم المحرم فيه ذهبوا في ذلك الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذلك واما اصحابنا رحمهم الله ذهبوا الى ما روي عن عمر رضي الله عنه انه اوجب النفقة على العم وقال لو لم يبق من العشيرة الا واحد لاوجبت عليه النفقة وروي ايضا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال في

وفي

وعلى الوارث مثل ذلك النفقة على كل ذي الرحم المحرم على قدر مواريثهم فاتبعنا الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك وفي الكتاب دليل وجوب النفقة على المحارم قوله لا جناح عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوالكم الى قوله او صديقكم فانما ياكل بحق لا بالرضا الا ترى انه ياكل من بيت الاجنبي انما يدل ورضى فلو لم يكن اكله من بيت هؤلاء بحق لم يكن للتخصيص فائدة فان عورض بالصديق انه لا يفرض عليه لانقطعت الصداقة بينهما ثم لقائل ان يقول كيف لا وجبت النفقة على كل وارث على ظاهر الاية قيل الاية مخصوصة بالانفاق لان المراة وارثة ولا تفرض عليها نفقة الزوج بل ثم اراد وارثا دون وارث وهو الوارث من الرحم المحرم والله اعلم وقوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما قيل فان ارادا الابوان فصال الصبي وفطامه بدون الحولين ليس لهما الا بتراضيهما جميعا واتفاقهما على ذلك واما بعد تمام الحولين فانه اذا اراد احدهما اما الفصال قبل الحولين فصال على غير تمام ذكره الكتاب فلا يفصل الا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك وما بعد الحولين هو على تمام النص فجاز ذلك لراي واحد منهما وما قبله لا يجوز الا لرايهما جميعا واصله انه بالحولين قد ظهر التمام والكمال ثم بالنص وما دونه يعلم بالاجتهاد وعند التنازع يرد الى موضع بيان الصواب فيرد الى الحد المذكور معا في القران للتمام ذكر ارادة الفرد والفصل التشاور والله اعلم ثم ان الزوجين يحكمان على انفسهما برضاع ولدهما لذلك يحتج الى نظر غيرهما والا الى راي غيرهما لا يجوز انه يعدم شفقتهما جميعا عن ولدهما وانما اذا كان الحكم لغيرهما او على غيرهما فلا بد من ان يحكم غيره دليله قوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فهذا الحكم على غيرهما ولذلك احتيج الى غيرهما وذلك الزوجان يحكمان على انفسهما وينظران لولدهما لذلك افترقا والله اعلم والجناح والحرج والحد هو الضيق ومعناه اي لا ضيق ولا تبعة عليهما ولا اثم اذا ارادا فطامه بدون الحولين وقوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم فيه دلالة جواز الرضاع بعد الحولين وحرمته لانه ذكر في قوله فان ارادا فصالا بتراضيهما بدون الحولين اذ ذكر الرضاع في الحولين بقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة وذكر الفصال بدون الحولين بقوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما فحصل قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم بعد الحولين وهذا يدل لابي حنيفة رضي الله عنه ويقوي مذهبه ويحتمل ان يكون الاية في جواز استرضاع غير الامهات اذا ابت الام رضاعه وهو كقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقوله اذا سلمتم يعني اذا سلمتم الامر لله تعالى ما اتيتم اي قبلتم ليس هو على الاعطاء ولكن على القبول دليل ذلك قوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فعلى ذلك الاول واتيتم اي قبلتم ايتاءا عهدا وهو الاجر وقد يكون ما اتيتم عقدتم الايتاء اذ الايتاء هو الاعطاء والعطية عقد ثم التسليم عليه وذلك دليل القول من يفرق بين قوله اعطيتني كذا فلم اقبضه والله اعلم واتقوا الله فيما امركم من الانفاق والكسوة ونهاكم من الاضرار احدهما صاحبه ثم وقوله واعلموا ان الله بما تعملون بصير هو وعيد على ما سبق من الامر والنهي وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا قيل هي ناسخة لقوله متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم انها وان كانت مقدمة في الذكر وتلك مؤخرة فاربعة اشهر وعشرا ناسخة لتلك الى هذا يذهب عامة اهل التاويل الا ترى الى ما جاء ان امراة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احديكن كانت تجلس حولا في منزلها ثم تخرج عند راس الحول فترمي ببعرة فثبت ان ما كان ذلك مما تقدم الامر به نسخ بالثاني وقال الاخرون انه قد ثبت في الاية متاعا او وصية ثم ورد النسخ على كل وصية كانت للوارث بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والاكان الاعتداد الواجب اللازم هو اربعة اشهر وعشرا وامكن ان يستدل بقوله فان خرجن اذ كان على اثر قوله غير اخراج فان خرجن كان النهي على الاخراج دون الخروج وهذا اصل في الوصايا بالمتاع ان لا يمنع الرد وان اجبر على التسليم وفي الاية دلالة جواز الوصية بالسكنى انما بطل بحق الميراث لا بحق الوصية والله الموفق وهو جائز فيما لم ينسخ له الوصية وامكن الاستدلال بالاية على عدة الوفاة بالحبل ان ثبت ما روي انه يكون اربعين يوما نطفة واربعين يوما علقة واربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشر فاذا كان ما ذكرنا امرت بتربص اربعة اشهر وعشرا لتبين الحبل ان كان بها واذا كان بهذا معنى المدة فاذا ولدت بدونه انقضت العدة والله اعلم فان قيل الامة اليس لا تختلف الحرة في تبيين الحبل ثم لم يجعل عدتها اربعة اشهر وعشرا فاذا لم يجعل ذلك كيف لا بان ان الامر بتربص اربعة اشهر وعشرا لهذا المعنى قيل لوجهين احدهما ان الحراير هن الاصول في النكاح وفيهن يجري الانكحة فتخرج الخطاب لهن والثاني انها لو اخذت بالحرة والحقوق التي تاخذ الحراير هن الاصول في النكاح الا صرف ذلك الى الاماء اخذ نصف ما تاخذ الحراير والثالث انه لا يقصد اجالهن لما فيه دق الولد واكتساب الذل والدناءة وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان تعتد بابعد الاجلين احتياطا ذهب في ذلك الى ان الاعتداد بوضع في الطلاق ولم يذكر في الوفاة فيحتمل ان يكون ذلك في الوفاة كهو في الطلاق ويحتمل ان لا يكون فامرها بذلك احتياطا واما عندنا ما روي عن عمر وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا اذا وضعت ما في بطنها وزوجها على السرير انقضت عدتها وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة مات عنها زوجها وكانت حاملا فوضعت بعد ذلك بايام فاذن لها بالنكاح ثم الامر بالاحداد اربعة اشهر وعشرا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامراة تؤمن بالله

واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ايام الا المراة على زوجها فانها تحد اربعة اشهر وعشرا فان قيل اليس وجب ذلك
على المطلقة والخبر انما جاء في الموت وهو فوت النعمة في الدين وذلك الفوت في الطلاق كهو في الموت الا ترى انه لم يجب ذلك فيمن
بيها ولا في موت والدها دل انه لم يجب بالموت نفسه ولكن لفوت النعمة في الدين الا ترى انه روى في الخبر ان المراة الصالحة هي
مفتاح الجنة فامرت باظهار الحزن على ما فات منها من النعمة بترك الزينة والتشوف اذ النكاح نعمة ثم الدخول بها سواء في وجوب
المهر والعدة وترك الزينة واظهار الحزن على فوت النعمة واما المطلقة قبل الدخول بها لم يلزم ذلك لان العدة لم تلزمها
فيجدد لها النعمة لما لها ان تنكح للحال فتكتسب نعمة والله اعلم الا ترى ان الصبي الصغير اذا مات عن امراته يلزمها اربعة اشهر و
عشرا دل على ان وجوب الحداد لفوت النعمة والله اعلم **وقوله** فيما فعلن في انفسهن في الاكفاء بمهر مثلهن قد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء قيل التعريض هو ان يروى من نفسه الرغبة فيما يكنى به من الكلام على ما ذكر
في الخبر ان فاطمة بنت قيس لما استشارت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا انقضت عدتك فاذنيني فلما استاذنته
في رجلين كانا خطباها فقال لها اما فلان فانه لا يرفع العصا عن عاتقه واما فلان صعلوك لا شيء له فعليك باسامة
بن زيد فكان قوله فاذنيني كناية خطاب الى ان اشار على اسامة دون ما ذكره اهل التاويل انك لجميلة وانك لنعجبني وما اجاوز الى
غيرك وانك لنافعة مثل هذا لا يحل ان يشافه لامراة اجنبية لا يحل له نكاحها وفي الاية دلالة ان لا باس للمتوفى عنها زوجها الخروج
بالنهار هذا لا يحل ان يشافه الامراة اجنبية لا يحل له نكاحها لما ذكر من التعريض لان الرجل لا ياتيها منزلها فيعرض لها ولكن المراة تخرج
من منزلها فتصير في مكان احتمال التعريض فعند ذلك يقول لها ما ذكرنا وعلى ذلك جاءت الاثار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان امراة مات زوجها فاتته فاستاذنته للاكتحال لم ياذن لها عن الخروج واما روي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما
بالاذن لهن بالخروج بالنهار والنهي عن البيتوتة في غير منزلهن ولان المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها فلا بد لها من الخروج
واما المطلقة فان مؤنتها على زوجها والزوج هو الذي يكفي مؤنتها ويزيح علتها لذلك افترقا والله اعلم ثم التعريض لا يجوز في المطلقة
لوجهين احدهما ما ذكرنا ان لا يباح لها الخروج من منزلها ليلا ونهارا والمتوفى عنها زوجها يباح لها الخروج وانما ذكر الله سبحانه التعريض
في المتوفى عنها زوجها لم يذكره في المطلقة والثاني ان في تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما بينه وبين زوجها اذ العدة من حقه
دليله انه اذا لم يدخل بها لم تلزمها العدة واما المتوفى عنها زوجها لزمتها العدة وان لم يدخل بها لذلك يجوز التعريض في المتوفى عنها
زوجها في المطلقة قال الشيخ رحمه الله ولان زوجها في الطلاق حي يعلم ما يحدث بينهما الضغن والمكروه في الحال وليس ذلك في الوفاة
وقوله او كننتم في انفسكم يعني خفيتم تزويجها في السر علم الله انكم ستذكرونهن سرا وعلانية وقيل يعني الخطبة في العدة **وقوله**
ولكن لا تواعدوهن سرا قيل فيه باوجه قيل لا تبغاء خذوا منهن عهدا ان لا يتزوجن غيركم وقيل لا تواعدوهن سرا يعني الزنا في العدة
وقيل السر الجماع تقول انيك لاربعة ولخمسة ونحوه ثم قال الا ان تقولوا قولا معروفا يقول لها قولا لينا حسنا ولا يقول لها قولا
يحملها على الزنا او على ما يظهر من نفسها الرغبة فيه على ما ذكر في الاية فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وان يدعها عدة
حسنة او ان يرى ويحسن اليها الترغيب فيه ولا يقول لها ما لا يحل ولا يجوز والله اعلم **وقوله** ولا تعزموا عقدة النكاح قيل هو على الاضمار كانه
قال لا تعزموا على عقدة النكاح وقيل لا تعزموا لا تعقدوا النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله يعني بالكتاب ما كتب عليها من العدة حتى تنقضي
ذلك وفيه دليل حرمتها على الازواج لبقية الملك فالخطاب للاجنبيين لا للازواج اذ للازواج الاقدام على النكاح وان كن في عدة
منهم قال الشيخ رضي الله عنه في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح حمل على التحريم وان احتمل الذي هو بهذا الخروج غير التحريم لاتفاق الامة على
صرف المراد اليه ولقوله حتى يبلغ الكتاب اجله اي ما كتب عليها من التربص ولما كان النهي عن ذلك بما لزمها العدة للزوج الاول فهي باقية
بها على ما سبق من النكاح المحرم لها على غيره فلذلك بقيت الحرمة ولهذا جاز لمن له العدة للزوج الاول فهي باقية بها النكاح فيها اذ لا يجوز ان
يمنع حقه والله اعلم **وقوله** واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهو حرف وعيد اي يعلم ما تضمرون في القلوب وتظهرون بالسنة
من التعريض فاحذروه ولا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان الله غفور حليم فيه اطماع المغفرة وامهال العقوبة من ارتكب النهي وخالف
امره والله اعلم واعلموا لانه حذره علمه بما في انفسهم ليكونوا ابدا قبين له فيما اسروا وليعلموا انهم مواخذون بما اضمروا من المعاصي والخلاف
له وان الذي لا يواخذ به العبد هو الخطر بالبال لا بالعزم عليه والاعتقاد ثم اخبر انه غفور رحيم ليعلموا ان استتار ذلك مما عفوا و
انهم قد استوجبوا بفعلهم الخزي لكن الله بفضله ستره عليهم ليشكروا واعظم نعمه او لئلا ييئسوا من رحمته فيستغفروه وذكر حليم لئلا
يغتروا بامهاله فيأخذهم بجزاء ما اضمروا في ذلك الوقت فيظنون الغفلة عنهم كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
وقوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن فيه دليل رخصة طلاق غير المدخولات بهن في الاوقات كلها اذ لا يتكلم بنفي
الجناح الا في موضع الرخصة ولم يخص وقتا دون وقت واما المدخولات بهن فانه عز وجل ذكر لطلاقهن وقتا بقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان لا باس للرجل ان يطلق امراته في حال الحيض اذا كان لم يدخل بها ووجهه انه اذا كان دخل بها
تعرف وقت طهرها مما سبق من الدخول بها فامر بالطلاق في ذلك الوقت ليكون ادعى الى المراجعة اذ الندم على طلاقها واما اذا لم يدخل بها

لا يعرف وقت طهرها لما لم يسبق منه ما به يعرف ذلك الوقت فلم يؤمر بحفظ ذلك الوقت ولانه اذا لم يدخل بها فان الطلاق بينهما منه
يجعل كل الاوقات له وقتا للطلاق لما لم يجعل له حق المراجعة قبلها ليكون بعض الاوقات له ادعى الى ذلك والله اعلم والثاني ان المدخول
بها يتوهم علوقها منه فيجعل لطلاقها وقتا ليستبين حالها الحامل املا لئلا يندم على طلاقها لذلك كان الجواب ما ذكر والله اعلم وفيه دليل
رخصة طلاق للبين منه اذ لم يملك امساكها عند الندامة لان الطلاق قبل الدخول تبين المراة من زوجها والاصل في الامر ان جعل الطلاق في
وقت حلها للازواج كل الاوقات في غير المدخول بها وقت الحل **وقوله** تعالى او تفرضوا لهن فريضة معناه ولم يفرضوا لهن فريضة
كانه عطف على قوله تعالى لا جناح عليكم الى قوله عز وجل ما لم تمسوهن دليله قوله تعالى ومتعوهن دل الامر بالمتعة ان قوله تعالى
او تفرضوا لهن معناه ولم تفرضوا لهن ودل قوله عز وجل فنصف ما فرضتم ان ذلك في غير المفروض بها حيث وجب في المفروض
نصف المفروض واوجب ثم المتعة ثم يجيء في القياس ان يوجب في غير المفروض نصف مهر المثل الا المتعة لان اذا دخل بها اوجب كل
المفروض عند الدخول بها ونصف المفروض عند عدم الدخول بها لكن اوجب المتعة لوجهين احدهما ان مهر المثل انما يقدر بها اذا دخل
بها فاذا لم يدخل بها لم يعرف الزوج ما قدر مهر مثلها فاذا لم يعرف ما قدر مهر مثلها لم يعرف النصف من ذلك والثاني انهم اوجبوا
المتعة تخفيفا وتيسيرا لان الحاكم يلحقه فضل كلفة وعناء في تعرف حالها وحال نسائها اذ مهر المثل انما يعتبر بنسائها وليس ذلك في المتعة
والله اعلم ثم قدر المتعة يعتبر شانه اعتبارا بقدرها لانه لو اعتبر شانه قدرها اوجب لها اغناها وغناء اهلها ومهر المثل لا
يبلغ ذلك فكان في ذلك تفضيل المتعة على مهر المثل وقد ذكرنا ان المتعة اوجب تخفيفا ولو نظر الى قدرها دون قدره لكلف الزوج
ما لا طاقة له به ولا وسع لذلك وجب النظر الى قدره اعتبارا بقدرها والله اعلم **وقوله** او تفرضوا لهن فريضة او نسق على قوله
ما لم تمسوهن فهو على ما تفرضوا لهن فريضة وعلى ذلك قوله اذا نكحتم المؤمنات الاية وعلى هذا اجماع القول في جواز النكاح بغير
تسمية وفي ذلك دليل ان قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين الاية هو ما ينبغي من النكاح بالمال لا بتسمية المال فيكون النكاح
موجبا له به يوصل الى حق الاستمتاع لا بالتسمية ولهذا كان لها حق حبس نفسها عنه حتى يسلم اليها ما منع عن الملك لامهر به مسمى او
غير مسمى كقوله تعالى والمحصنات من المؤمنات الى قوله عز وجل اذا اتيتموهن وقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية واذا جاز
النكاح بلا تسمية لم يفسده فساد التسمية بل الذي افسد في على احواله كانه لم يكن وعلى ذلك اتفاق فيما يتزوج المراة على ما لا يحل من خمر
او ميتة او نحو ذلك ان يجوز فيكون في ذلك امران احدهما ان ما لا يتعلق جوازه بالشرط ففساد الشرط لا يفسد والثاني ان تبين
موضع النهي عن الشغار انه غير مفيد العقد لانه في جعل ذلك بدلا للبضع والله لم يجعل التسمية شرطا لجوازه ليفسد لفسادها
والله اعلم ثم جعل الطلاق قبل المماسة سببا لاسقاط بعض ما اوجب العقد فهو والله اعلم لما يوصل اليه كمال ماله قصد النكاح اذ هو
مجعول للتعفف وحقيقته في اسكان الاستمتاع لا بالعقد ولولا ذلك لما جعل النكاح ولم يبطل كل المهر لما تقلب في الملك الذي له
البدل اذ هو في الحقيقة للملك لا للاستمتاع دليل ذلك ما لا يزداد لكثرة الاستمتاع فثبت انه بدل الملك فالتقلب فيه اذ ليس هو
بسبب لفسخ السبب الموجب الملك الذي له وجب البدل بل هو تقلب فيه لم يرتفع عنه البدل كله والله اعلم فاوجب عز وجل نصف
المهر واسقط نصفه بما فقد احد القصدين ووجد الاخر والله اعلم ثم اذا لم تكن التسمية جعل الله تبارك وتعالى المتعة مقابلة نصف
المسمى عند التسمية وان كان لو تركنا والتدبير بعد بيان الواجب فيما لم يسم لهن مهر المثل نحو وجوب المسمى فيما سمي لكان الذي
تغليب على الوهم انا لا ندرك لا نتدبر نا غير نصف مهر المثل فتولى الله سبحانه بيان ذلك ليعلم الناس والله اعلم ان الله بين كل ما بالخلق
اليه حاجة على قدر ما يحتمل وسعهم ويبلغه عقولهم وان الذي لا يحيط به تدبرهم بين لهم بالاشارة اليه تفضلا منه على عباده
ليؤلف به بينهم ويمنعهم عن التنازع والله اعلم ثم لم يبين لنا ماية المتعة بالاشارة اليه ومعلوم ان قدر الذي يتبين فيما علم
قصور التدبير عن الاحاطة يدرك ذلك النوع من الحكمة فيما لم يبين فهو والله اعلم بما علم ان العقول تبلغه وانه بالتدبير فيما يتبين
وجه الوصول اليه ولا قوة الا بالله ثم قد بين ان الحق اوكد عند التسمية منه فيما لم تكن بوجهين احدهما بقوله تعالى على الموسع قدره
فيما كان الطلاق قبل المماسة وعند التسمية اوجب نصف المسمى لحمله وسعه اولا ومعلوم ان الاحتمال على قدر الوسع اخف
مما كان يجب احتماله عند الخروج من الوسع والله اعلم والثاني بما علم من وقوع الاختلاف يكون بين الامة فيما لا تسمية اذا مات احد الزوجين
في حق كمال المهر وارتفاع ذلك بما كان ثم تسمية فهو الدليل على ان الحق في احد الوجهين اوكد منه في الاخر على ان العقود والفسوخ
كلها تثبت لها عند التسمية البدل ولا يجب شيء من ذلك بنفس العقد البدل حتى يستوفي في بعض ذلك ولا يجب شيء في البعض على كل حال
فثبت به ما ذكرت فاوجب ما ذكرت ان لا يراد بالمتعة نصف مهر المثل اذ قد ثبت بالبيان الاول ان التدبير لا يوجب الزيادة عليه
وبالبيان الثاني ان الامر فيه محمول على التيسير والتخفيف ومن البعيد المجاوزة بالامر المؤسس بالتغليظ في التغليظ ولم يبين لنا
ما نية المتعة ومعروف ان المتعة هي التي يتمتع بها وان مهر المثل مما قد يتمتع به فجعلنا نصف مهر المثل نهاية المتعة بما هو النهاية فيما كان
مبنيا فلا يجاوز بها ذلك معنا فيه وجهان احدهما حالة وجوبها اكثر من مهر مثلها فيكون الدخول بها سببا لاسقاط الحق
وقد جعله الله سببا لمنع السقوط فثبت ان مهر المثل معتبر في المتعة والثاني انها بحكم البدل عن ذلك دليله وجهان احدهما ان

المطابقة كانت بمهر المثل والطلاق سبب اسقاط حقوق النكاح لا ايجابها فثبت ان المتعة كانت مكان ما فيه المطابقة لان
حدث الوجوب بالطلاق والثانى انه متى وجب مهر المثل لم يوجد بها نحو ان يدخل بها ثبت انها كانت بدلا فلا يزاد البدل مقام كان
التحويل الى غير نوع مهر المثل انما هو والله اعلم لما قد يتعذر تعرفه او ان لم يعرف ذلك بالاجتهاد والفحص عن احوالها ومحلها ومحل
قومها وفى ذلك مؤن وتكلف ثم بعد العلم بذلك لا بد من الاجتهاد فى الوسط من ذلك ثم فى امرها منهم فجعل الله بفضله من الوجه الذى
لم سبيل العلم به عن ذلك التكلف ولو رفع هو الى الحاكم امكنه الوصول الى العلم به بدون ما ذكرت من النظر فكان ذلك والله اعلم نحو ما
فرض الله تعالى من زكوة الابل لا فيها اذا صار بحيث لو كانت فيها لكانت جزءا يتعذر اخذ مثله ثم التسليم الى الشركاء فجعل فى ذلك بدلا
على ان الذى عليه لو خرج بتسليم العين جاز فمثله ما نحن فيه وهذا هو وجه جعل الله متعة مع انها كانت واجبة نحو الامساك لو
دام ذلك اذ عليه النفقة والكسوة فاذا طلقها فجعلت هى مكان مهر المثل اذا فات السبب الذى كانت تجب بحقها فجعلت واجبة
بحق غيرها حتى لا يقع فى الطلاق وجوب امر لم يكن فيما تقدم لو اريد به الامساك ومن البعيد ان يزاد وكسوة المراة على مهرها او
نصف مهرها فى الحق ولا قوة الا بالله ثم ليس فى ظاهر الاية ابطال المهر فيما لم يسم ولا النصف فيما سمى وانما فى الاول الامر بالمتعة وفى
الثانى بيان ان لها نصف الفرض والقول بان نصف هذا العبد لفلان او لفلان كذا من الحق لا يبطل عنه الحقوق جملة او عن النصف
الاخر بذلك القول بل فيه بيان ذلك انه له وغيره متروك لدليله ولا قوة الا بالله وكذلك قوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
ليس فى ذلك ان لا عدة عليهن ولكن فيه ان لا عدة لهم ويجوز ان يكون عليها لله وكذلك عندنا العدة هى التى تعقب الخلوة لا يملك هو
فيها امساكها ويلزمه المؤن فكانها عليه لا له فى المعتبر فلما ذكرت يبطل قول من ادعى ان القول بالمهر والعدة فيما لا مماسة فيه خلاف
الظاهر والله اعلم معا لو كان فى الظاهر ذلك لا يمكن ان يكون من المسيس لامكان لا حقيقته دليل ذلك انه لو وجدت القبلة او المعا
فى ملا من الخلق لوجد المسيس فى الحقيقة ولم يجب به ذلك فثبت ان المراد من ذلك معنى فى المسيس لا ما يحققه اسمه ثم الذى يؤيد انه
الامكان والاجتماع وجهان احدهما قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية فاعظم عليها اخذ شئ مما اتاها بانه كان
من افضاء بعضهم الى بعض والافضاء فى اللغة معروف انه الاختلاء لا الجماع معا كانت الجامعة الى الازواج بعضا فعلها وفعلوا
اضافة الافضاء الى الكل واحد منهما بثبت انه فى معنى ذلك من كل واحد منهما نحو الذى من الاخر وذلك يكون فى الاجتماع خلى
والله اعلم والثانى وجود القول من خمسة من نجباء الصحابة الخلفاء رضوان الله عليهم اجمعين فمن دونهم ممن لا يحتمل خفاء الا
عليهم ومن شهد الخطاب ما حق بفهم الحقيقة من المراد وان يسألوا عن ذلك منه ان يطلعوهم على حقيقته اذ كان بحيث احتمال الخفاء
والخاصة النجباء الذين يعلمون انهم ائمة الخلق وعلى الاقتداء بهم حتى لا ائمة معا فى ذلك عدول عن الظاهر وقول بالذى الحظر
فهم عنه ثبت ان كان ذلك منهم عن بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن دليل منهود ظهر المراد ولا قوة الا بالله على انه
فى الاية لو كان فى تصريح جماع لكان يلزم ذلك بالخلوة لوجهين سوى ما ذكرت احدهما جرى احكام الكتاب والسنة فى البدل
لاشياء مقصودة اسما وتحقيقا يستوجب حق العرفاء بها بحق شرط الله القبض فى الرهان والقتال فى المغانم والايتاء فى لا
والمهور والخروج لامر الهجرة والاخرويات او هم عليه الصلاة والسلام لما اسلما لا امر الله فعلى ذلك الامر الخروج من الامانات بقوله
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ولو كان لا يخرج الا بادخاله فى الايدى فى الحقيقة لكان لا سبيل الى القيام بما كلف
وعلى ذلك اجماع القول فى الاجارات اذا امكن الانتفاع بها والله اعلم والثانى ان النساء لا يملكن من تسليم ما عليهن من الحق ومحال
ان يلزمهن من الحق اكثر مما ذكر يمكن الله تعالى وسعهن فثبت ان ليس عليهن غير الذى فعلن فاستوجبن ما لهن وعلى ذلك قوله تعالى
ولهن مثل الذى عليهن ثم قد اجمع على وجوب المهر فى موت احدهما وان الموت لا يسقط وان لم يكن ثم دخول فهو والله اعلم ان المقصود
بالنكاح الملك وقيام الزوجية الى موت احدهما وان ذلك للاستمتاع وقد وجد تمامه وقد بينا ان المهر للملك لا لنفس الاستمتاع
كاله وان مات احدهما لما بلغ الملك نهايته وعلى هذا يخرج قولنا فيما لم يسم لها المهر اذ مهر المثل انما هو بدل الملك دليله انه يوجب لها المثل
به عند قيامه وان لم يسم به واصله ما بينا من تعلق حق الملك بالبدل حكما وان لم يكن تعلق به شرطا وقد وجد ثم وعلى هذا روى عن
ابن مسعود رضى الله عنه فى ذلك وقام معقل بن سنان وقال نشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى بروع بنت واشق بمثل الذى
قضيت انت فسر به عبد الله الموافقة رايه ما روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك فعلى ذلك القول بالنكاح ان بذل
المراة نفسها له ليستمتع بها فاذ لخلوت الخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح على ما وجد فى موت احدهما فيجب كمال المهر كما وجب بالا
لاول ويستوى فى ذلك مهر المثل والمسمى والله اعلم وعلى ذلك فيما لم يوجب جعله بذل المنفعة اذ هو قيمة البضع ويجب قيمة الاشياء
باتلافها ولم يوجد ههنا وعندنا انه وان كانت قيمة ذلك فهى بدل ملك ذلك لا بدل الانتفاع نفسه انه لا يجب فى الزنا بثبت انه
للملك يجب او لشبهته وقد وجد فى الاول على تمام ما رجع اليه المقصود وجب على تمام بيانه والله اعلم واوجب قوم فى المسماة بعد
النكاح نصف المسمى اذا طلق قبل الدخول استدلالا بظاهر الاية ولكن التسمية عند الناس انما تكون فى العقد حتى لا يعرف لها وجود غيرها
وهى التسمية فى العقد فهى المرادة بالخطاب اذ هى المعروفة من الفرض ثم غيرها يحق الاستدلال فان الزم الدليل الحاق التسمية فى العقد

لزوما لانه لم يجد جميع الاسباب التى تحتمل الاعتياض جعل ذكر الفرض بعد النسب كلا ذكر فمثله من النكاح فاوجب ذلك فساد
التسمية فلم يجب المسمى من بعد لاجل يوجبه الدليل وقد قام دليل الوجوب عند وجود ما له حكم الدخول بها يجب عند ذلك والا لا ثم
وجه لزوم القول بما يخرج على احوال احدها ان هذه التسمية لو اجازت جازت بحق مهر المثل اذ فى كل سبب ليس له عوض بالحكم لم يجز ثم كان
مهر المثل يسقط قبل الدخول بها كذلك الواجب به والله اعلم وايضا ان الحكم يوجب بيس مهر المثل ليدفع اليها اذ لها حق الاستمتاع الا به فاصطلحا
على ما سميا من بعد لحق ما فى الحكم ذلك وهو التبيين ولو بينه الحاكم لكان يسقط فمثله هنا والله اعلم والثالث انه معلوم انه لو كان الذى
فى علم الله تعالى من حلال فيها لو كان ظاهرا وقت التسمية لكان حقها عليه المتعة ولم يكن يجب النظر الى مهر مثلها الا من وجه تحديد المتعة لكن
انا ظهر والله اعلم وامكن ابطال الاصل فى ذلك لان المتعة ليس يوجبها الطلاق ولكن النكاح يوجب ثم كان الواجب بالنكاح مجهولا لا يدرى
اهو مهر المثل والمتعة اذ لا يجوز ان يجبان ولان يوجب الطلاق احدهما انما هو بيان ذلك ان الواجب فى الحقيقة احدهما لكن لها
مطالبة مهر المثل فى الظاهر ولها التسمية عنه بما العرف فى النكاح انه للدوام ثم هو للاستمتاع محل الامر على ذلك الظاهر وبه اجيزت
التسمية فلما ورد الطلاق قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب فبطل الذى كان بحق المهر لما ظهر ان الواجب فى علم الله المتعة والله اعلم على
اصل هذا المعتبر امر المفروض الظاهر انه نوع الايمان وذلك مما لا يزاد ولا ينقص فيجب بالطلاق نصف مهر هو من ثم اذ كان
من نوع ما يزاد وينقص فيحدث احد الوجهين فليس فى الكتاب تسمية ذلك النوع على المعروف ولا الفضا فيه بشئ ومعلوم ان ذلك
لو كان فى يدى الزوج لم يجب نصف ذلك فيما كان الطلاق قبل الدخول بها فيصير بحكم المفروض وان لم يكن بما كان حدث من الحق وبما
كان فى حكم الله ان الحق فى ذلك النصف اذ ذلك حكم الطلاق قبل الدخول بها على حق المنصوص فيكون الذى حدث من النصف حقه وربما
كان ذلك مهرا والحادث محتمل جعله مهرا فهو فيه على ما عليه معنى الحقوق من لحوق الفروع الاصول فاذا كان ذلك بعد القبض فقد
انقضى امر الحق وحدث ما حدث على ملكها اذ على ذلك يحدث فقلنا لو نقص المهر فى العين لكان يصيب النصف لم يحق بعض القبض فيه
ثم نقض العقد واذ كان كذلك لا يخلو امر الزيادة من ان يرد عليه فيرجع بشئ لم يسلم اليها وذلك فضل على ما اخذ من الحق باخذه بالحكم
فيكون ربا لا انه لم يسمه ولا يسلم اليه فان المعنى الذى هو لها فيه فيكون اخذه بلا عوض فى عقد التبادل فيصير ربوا ولو بقى على فسخ
القبض فى المهر والعقد فيصير ذلك لما فضل من اصل قد فسخ العقد فيه فلم يكن لها الا بدل بلا بدل وذلك وصف الربوا وقد حرم
الربوا فيجب بالضرورة جعل المفروض كالهالك فيجب نصف القيمة لزوال معنى الربوا والله اعلم وعلى ما ذكرت يخرج قول ابى يوسف
رحمه الله فى العلة والجناية انه يظهر الواجب فى الحكم وعند ابى حنيفة رضى الله عنه ذلك فى حق النقص يصير كذلك دليله ما لم يكن يجوز
فيه تغلب الزوج لو كان منه ثم النقص لا يرد على ما ليس له حكم المهر فيبقى ذلك للمراة على ما كان لها قبل الطلاق اذ الطلاق نقض ما
الملك فى المهر وليس ذلك بمهر والله اعلم قال الشيخ رحمه الله والمذكور من المتعة فيما فيه الدخول يحتمل ما عليه فى حال النكاح من الكسوة و
النفقة الى تمام العدة فيكون لا ينافى ذكر النفقة بعد الفراق اذ لا يجوز ان يكون الطلاق سببا لايجاب حق غير واجب قبله ويحتمل ان
يكون فى حق المبتوع شرط عليه فيكون تصريحا بالاحسان على ما رغب فى غير المدخول من الا تماما اذ لا يجوز ان يكون ذلك بدلا فيكون
لملك واحد بدلين معا جعل الله الطلاق سببا لتخفيف الحقوق على الزوج ورفع المؤنة ورد الامر الى الغنى بالاخر بقوله تعالى وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته لم يحتمل به الوجوب فيصير سببا لالزام المؤنة ولا قوة الا بالله وقوله حقا على المحسنين فيه دليل لابى حنيفة
رضى الله عنه حيث قال ان الذمى اذا تزوج امراة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يدخل بها لا متعة لها لان الله تعالى انما اوجب المتعة
على المحسنين والذمى ليس بمحسن والدليل على ان المتعة وجبت تخفيفا ان مهر المثل وجب على من احتمله ملكه ولم يحتمل والمتعة
لم تلزم الا ما احتمله ملكه فبان انها وجبت تخفيفا فاذا كان تخفيفا لم يرد على مهر المثل والثانى ان المتعة وجبت بدلا عن نصف مهر
المثل ثم لا يجوز ان يزاد البدل على المبدل كما قيل فى سائر الابدال والله اعلم وهى ثلاثة ابواب لانه يخرجها من المنزل واقلا تخرج المراة من المنزل
انما تخرج بثلاثة ابواب فان قال لنا قائل ان الكتاب ذكر المتعة للمطلقة قبل المماسة اذ لم يفرض لها فرض وذكر ان فى نصف المفروض اذا
طلقها قبل المماسة وانتم وجبتم كل المسمى وكل مهر المثل اذا خلا بها ولم يمسها قيل فى الاية بيان وجوب نصف المهر فى حال وبيان وجوب المتعة
فى حال وليس فى بيان وجوب النصف نفى وجوب الكل لانه اذا قيل لفلان نصف هذا الشئ ليس فيه ان النصف الاخر ليس له فاذا كان ما ذكر
ليس لمخالفنا الاحتجاج علينا بظاهر الكتاب ولا الشبهة المخالفة الاية فصار معرفة ذلك بتدبير اخر من جهة الكتاب مع انه لا يوجب
المهر كله لعين المسيس فكما نحن وهو اتفقنا جميعا على ايجابه لا بالكتاب والله اعلم وان شئت قلت ان الخلوة لا توجب كمال الصداق
وانما يوجبه صحة العقد دليله مطالبة المراة الزوج بكماله بعد صحة النكاح فدل ان وجوبه لا بالخلوة ولكن بصحة العقد فالكلام انما
وقع فى اسقاط البعض فيسقط اذا قام دليل الاسقاط والله اعلم وان شئت قلت ان المراة لا تملك سوى تسليم نفسها اليه فالعقد انما وقع
على ما يقدر على تسليمه اليه ليس على ما لا يقدر ولانها لا تقدر على تسليم الاستمتاع اليه اذ لو كان العقد واقعا على ذلك لكان يبطل لانه من باع
ما لا يقدر على تسليمه الى المشترى يبطل العقد باصله فعلى عقد النكاح اذ جعل واقعا على تسليم الاستمتاع اليه كان باطلا كالبيع الذى
وصفنا والله اعلم ثم اختلف فى المراة التى مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولا فرض لها مهرا روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله

ابنه قال لها مهر مثلها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى لبروع بنت واشق بمهر مثلها وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لها المتعة بكتاب الله تعالى وقال لا ندع كتاب الله تعالى بقول اعرابي ذهب والله اعلم الى ان الكتاب ذكر المتعة في الطلاق ثم كان ذلك الحكم في غير الطلاق كهو في الطلاق فعلى ذلك الفرقة التي وقعت بالموت توجب المتعة فيه كوجوبه في الفرقة الواقعة في غير الطلاق كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ذكر المطلقات ثم كانت التي وقعت الفرقة عليها بغير طلاق يلزمها ما يلزم المطلقة ومثل ذلك كثير مما يكثر ذكره والله اعلم واما عندنا فانه لا يلزم المتعة ولكن يلزم مهر المثل لوجوه احدها قوله وان طلقتموهن من قبل ان تماسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذكر في الطلاق قبل الدخول نصف المفروض وفي الدخول كل المفروض فعلى ذلك ما وجب من الحكم في التي لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا دون ما اوجب في حكم الدخول والله اعلم والثاني ان المقصود بالنكاح انما يكون الى الموت احد الزوجين فاذا كان كذلك لزم كل المسمى او كل مهر المثل والله اعلم والثاني ان المقصود بالنكاح انما يكون الى موت احد الزوجين فاذا كان كذلك لزم كل المسمى كل مهر المثل والله اعلم والثالث الخبر الذي ذكرنا انه قضى لها بمهر المثل وخبر امثال هؤلاء مقبول اذا كان البلية في مثل بلية خاصة اذ بمثل هذا لا يبلى الا الخواص من الناس لذلك كان ما ذكر وقوله وان طلقتموهن من قبل ان تماسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذهب قوم الى ظاهر الاية انه ذكر فيها نصف ما فرضتم لهن فريضة ولم يخص المفروض في العقد دون المفروض بعد العقد فكله مفروض فلها نصف المفروض سواء كان المفروض في العقد او بعد العقد وعلى ذلك قال قوم ان الرجل اذا تزوج امرأة على جارية ودفعها اليها فولدت عندها ولدا ثم طلقها قبل الدخول بها ان له نصف الجارية لان الله تعالى قال فنصف ما فرضتم وانتم لا تجعلون له نصف ما فرض فخالفتم ظاهر الكتاب اما الجواب لمن جعل المفروض بعد العقد كهو في العقد فجعل لها نصف ما فرض فان الخطاب من الله تعالى انما خرج في المفروض بعد العقد انما يتعارف في العقد خرج الخطاب على هذا المتعارف فيهم وهو المفروض فيجعل لها نصف ذلك وما يفرض بعد العقد وانما يفرض بحق مهر المثل فاذا وجد الدخول وجب ذلك والا لم يجب واما جواب من قال بانه اذا تزوجها على جارية ودفعها اليها فولدت ولدا ان له نصف ما فرض فانا نقول ان الاية ليست في الفرض الذي معه اخر ولدا او غيره الا ترى ان الجارية اذا كانت عند الزوج فولدت ولدا فان لها نصف الجارية ونصف الولد والولد لم يكن في الفرض وقت العقد فعلى ذلك الاية ليست في الجارية التي ولدت عندها ولكن في الفرض لا زيادة معه ثم لا يخلوا اما ان يجعل له نصف الجارية ها دون الولد فقد نسخ العقد في الاصل فيبقى الولد بلا اصل فذلك ربوا او يجعل له نصف الجارية مع نصف الولد وهو غير مفروض والله تبارك وتعالى انما جعل له نصف ما فرض فبطل قول من قال ذلك والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وقوله حقا على المحسنين قيل يريد به المؤمنين فيكون في هذا الثناء وبه دلالة على ما قاله ابو حنيفة رضي الله عنه ان لا يلزم الذمي المتعة وقيل على من قصدهم الاحسان الى الازواج ويتقون الخلاف لما كان عليه النكاح من امساك بمعروف وتسريح باحسان والله الموفق واعتل قوم في حق العتق وكان المهر انه ذكر فيه الطلاق لا على تخصيص الحكم له بل يحتمل ما يكون به تسريحها فتله بكون ذكر المماسة لا على تخصيص ولكن كل ما يكون به تحقيقها ولا قوة الا بالله قال وقدرت المتعة في الاختيار بالقدر الذي كان يمتعها بالامساك اذا لا بد من كسوتها ليعلم ان ليس الفراق عن ذلك الحق بطلق او عنا به يخرجها من منزله فامر ان يمتعها بما التي تخرج من المنازل واقل ذلك ثلاثة اثواب والله اعلم وفي هذه الايات دلالة واضحة على ان الشيء التافه لا يحتمل ان يكون مهرا لما اوجب عند العدم فيما لا تسمية فيه الشيء الخطير وهو الذي يمتعها واقل ما تمنع هي له فيه ثلاثة اثواب وفيما سمى امر عند ذلك بالعفو وجب لا يحث على العفو عنها ولا يرغب بين الزوجين الى الفضل مماثلة دل ان ذلك حق قد يجري بمثله التنازع فيرغبون في ابقاء ذلك واخبار ما بالتالف على ان ذلك الله جل ثناؤه وقد جعل بقاء النكاح بالاموال وبها احل وقال في نفي العذر ومن لم يستطع منكم طولا الاية ولو كانت بحبة طولا عن لما كان لاحد يعجز عنها فيشترط ذلك في تزويج المملوكة وبخاصة على قول من لا يبيح الا بالعذر في فمن رأى يضطر الى حبة بوق الى الاستمتاع فضلا من ان يجيبهم على ذلك قال في الاماء واتوهن اجورهن بالمعروف والحبة معلوم انها انكر من المنكر فثبت ان الحراير يرجع بين ويظهرن في اهل الحاجة وان القول بجعل الحبة مهرا تاما ووصف ملكها بملك الطول قول لا يجوز لا معنى له وبعد فان الناس اجمعوا على انها لا تملك المعروف ببضعها والبدل للزوج بلا بدل يلزمه فصار كتولي العقد على ما ليس لها وحظ القليل في مثله والكثير في المنع واحد فقياس ذلك ان لا يكون الحط من مهر مثلها والحبة لا تكون مهر مثل اخبث امرأة في العالم فلا يجب ان يجوز الحط ولكن اجيز العشرة بالاتفاق ولم يجوز الاكثر للتنازع وقد بينا الفساد من طريق التدبير والله اعلم وقوله الا ان يعفون قيل المرأة او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اختلف فيه قال علي وابن عباس رضي الله عنهما وقال قوم هو الولي وامكن ان يكون قول بانه الولي لما ان المهور في الابتداء كانت للاولياء دليل ذلك قول شعيب لموسى اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج شرط المهر لنفسه وكذا روي من الشغار ثم نسخ من بعد وصار ذلك للنساء بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فلا تأخذوا منه شيئا وقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة ولانهم اجمعوا ان لا يجوز لاحد المعروف في ملك الا الا باذنه فعلى ذلك لما ثبت ان المهر لها لا يجوز للولي المعروف فيه وقوله الا ان يعفون يعني المرأة تترك النصف ولا تأخذ منه شيئا

او يعفوا الذي

او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج يجعل لها كل الصداق يقول كانت في حبالتي ومنعتها من الازواج وتترك المرأة لها النصف فتقول لم ينظر الى عورتي ولا تمتع بي وهو على الافضال وعلى ذلك يخرج قوله ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا الفضل الذي في ابتداء الامر لان امر النكاح في الابتداء مبني على التشفيع والافضال فرغبهما عز وجل على ختم ذلك على الافضال على ما ابتدأ به والله اعلم وفيه دلالة على ان العفو هو الفضل في اللغة وهو البذل تقول العرب عفوت لفلان بذلته فان كان العفو هو البذل لكان قوله عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف يكون فيه دليلا لقول اصحابنا في ذلك وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى معناه والله اعلم حق على المتقي ان يرغب فيه وكذلك قوله حقا على المحسنين ان يرغب فيه ثم لاضافة ذلك الى الرجال وجهان احدهما انهم هم الذين تركوا حقهم ومن عندهم جاء هذا التقصير والثاني ان في تسليم ذلك من الرجال الكمال وهم في الاصل موصوفون بالكمال ومن عندهم يستوفي ما فيه الكمال قال الشيخ رحمه الله وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى يحتمل اشتراك الزوجين في ذلك لا معنى الاخذ بالعفو الفضل اولى لمن يريد اتقاء دناءة الاخلاق او اولى الفضل ممن اكرم باتقاء الخلاف فيه ويحتمل الازواج بما تضمنوا الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فهو اقرب الى دناءة ذلك واتقاء الخلاف له على ان سبب الفراق جاء منه فذلك اقرب لاتقاء الجفاء منهم واظهر للعذر لهم فيما اختاروا والله اعلم وقوله ان الله بما تعملون بصير حرف وعيد على ما فيه التعدي ومجاوزة الحدود والخلاف لامره وقوله حافظوا على الصلوات والمحافظة هو المفاعلة والمفاعلة هو فعل اثنين فهو والله اعلم اذا احفظها على وقتها ولم يسهو عنها حفظته وهو كما ذكر في اية اخرى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان الصلوة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فعل ذلك اذا حفظها على وفاتها بجميع احكامها وسننها ولم يدخل ما ليس فيها من الكلام والالتفات وغير ذلك مما نهي عنه حفظته وكذلك قوله وسارعوا وسابقوا من المفاعلة فاذا بادر اليها بادرت اليه والله الموفق وقوله والصلوة الوسطى اختلف فيه قال بعضهم قوله والصلوة الوسطى اراد كل الصلوة لا الصلوة دون صلاة وهو والله اعلم ان الصلوة هي الوسطى هي من الدين وهو على ما جاء الايمان كذا كذا بضعة اعلاها كذا كذا وادناها كذا فعلى ذلك قوله والصلوة هي الوسطى من الدين ليست باعلاها ولا بادناها ولكنها الوسطى من الدين وقال اخرون والصلوة الوسطى هي صلوة العصر وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال هي العصر وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها ايضا انها هي صلوة العصر وقال قائلون هي الفجر ذهبوا في ذلك الى انها تجمع الصلوتين والليل بطرفيه كذلك بالفجر اوسطها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هي الفجر وقال اخرون هي الظهر ذهبوا في ذلك الى انها انما تقام وسط النهار فسميت بذلك وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال هي صلوة الظهر ومن قال هي العصر ذهب في ذلك الى ما روي من الخبر والى ان العصر هي الواسطة من صلاتي النهار وصلوتي الليل لان صلوتين بالنهار قبلها وصلوتين بعدها بالليل فهي الواسطة والقياس ان يكون هي المغرب لان الظهر سميت اولى والعصر يكون الثانية فالمغرب هي الواسطة لكن لم يقولوا به وفيه دلالة ان الصلوة وترا لان الشفع لا وسطى له ثم جهة الخصوصية انها كانت فان كانت عصرا فهو ما ذكر ان الكفرة حملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوة الظهر فلم يتهيأ لهم اقامتها فقالوا احفظوا عليهم صلوة هي اكرم عليهم من انفسهم واموالهم فظهر بهذا ان لها فضل وخصوصية من عند الله ورسوله وما روي في الخبر ايضا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من فاتته العصر وتر اهله وماله فان كانت فجرا فلان الكتاب ذكرها بقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا وما قيل ان ملائكة الليل والنهار يشهدونها فذكرت لها الخصوصية والفضل ومن قال انها الظهر ذهب الى ان خصوصيتها وفضيلتها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي قبل الظهر اربعا اذا زالت الشمس وقال ان ابواب السماء تفتح في ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله والصلوة الوسطى تكلم فيه بوجهين احدهما ان الصلوة هي الوسطى من امر الدين فهي على ان الارفع من امر الدين هو التوحيد والايمان وذلك هو الذي لا يرتفع بعذر ولا يسقط بسقوط المحنة اذ ذلك في الدارين جميعا وهو الاخلاص ونفي جميع معاني الخلق به عمن يوحد ويؤمن به وسائر العبادات قد يتقدم مع وجود اسود الدنيا وللعائش بها وفي حال بالذي به قوامها والتوحيد لا تتم الصلوة مما بها ترك جميع ما ذكرت في حال فعلها بما به فعلها فهي تشبه الايمان من هذا الوجه ثم تسقط للاعذار ولا تجب في غير دار المحنة على ما عليه امر غيرها من العبادات فصارت بذلك الوسطى من امر الدين وهو الموفق والثاني ان يكون هي صلوة من جملتها فتذكر بحرف التخصيص لها من الجملة لوجهين احدهما البيان ان جملة الفرائض انها وترا لا الشفع اذ لا وسطى للشفع فيكون في ذلك بطلان قول قوم انكروا الوتر ولها وقوم زعموا انها صلوتان في الجملة والله اعلم ان يراد بذلك التفضيل للصلوة من الصلوة في الحث على فعلها والترغيب في محافظتها ويحتمل ان يكون ذلك معروفا عند الذين خوطبوا اما بالاسم او بالحال من النوازل لانه لا يحتمل ان يرغب في فعل لا يعلم حقيقة ذلك والله اعلم ثم يكون الاختلاف ممن لم يشهد النوازل التي عرف المراد فقال الكل مبلغ جهده فيما ادى اليه رأيه من الترغيب في الفعل انه على ذلك لكنهم اختلفوا فمنهم من اعتبر بالركعات فقال اكثرها اربع واقلها ركعتان والوسطى منها ثلاث فصرف التأويل الى المغرب واستدل في الترغيب في تعجيلها والمبادرة في فعلها حتى لم يؤذن بالاشتغال عنها عند هجوم وقتها لما قلة والحاجة وذلك بعض ما يعرف من معنى المحافظة وهو ان الصلوات جعلن متصلات الاوقات وهي الوسطى منهن والله اعلم وقوم ردوا الى الصلوة الفجر بما في ذلك من الترغيب والتخصيص بالامر كقوله وقرآن الفجر الاية وما الخبر من شهود ملائكة الليل والنهار ولان وقتها الوسطى

احوال الخلق اذ احوالهم يكون مرة وانتشار ثانيا وبذلك ختم اوقات السكون وافتتاح احوال الانتشار ووسط الشي هو
الذي فيه حظ الحواشي وقد وجد في وقت هذه الصلوة والله اعلم ومنهم من صرفها الى العصر بما جاء في ذلك من الترغيب ومن الوعيد
في ترك ذلك وبها ختم احوال الزلات التي تدخل في المكاسب فيكون بها التوبة عنها والاستغفار منها ولا قوة الا بالله **وقوله**
حافظوا على مخاطبة الجملة على الاشتراك اذ المفاعلة اسم ذلك على تضمن الترغيب في الجماعات وعلى لزوم كثرة عدد الصلوة او على ما
يخرج الامر بالمنازعة الى الخيرات والمسابقة لها وكل في ذلك والله اعلم على ان سميت الظهر اولى فعلى ذلك يكون المغرب الوسطى **وقوله**
وقوموا لله قانتين قيل خاشعين خاضعين فيها لا يدخل فيها ما ليس منها وعلى ذلك روي عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم في الصلوة
فلما نزل قوله وقوموا لله قانتين مطيعين امرنا بالسكوت في صلوتهم خاضعين ساهين ونهينا عن الكلام وعلى ذلك سمي الدعاء
قنوتا وقال آخرون قانتين مطيعين وذلك ما قيل ان اهل الاديان يقومون في صلوتهم خاضعين ساهين فامر اهل الاسلام ان يقوموا
مطيعين والقنوت هو القيام على ما روي انه سئل عن افضل الصلوات فقال طول القنوت واصل القنوت ما ذكرنا هو القيام غير
الذي يقوم لا جرم يقوم على الخضوع والخشوع والسكوت وليس في الاية الامر بذلك في الصلوة غير ان اهل التاويل صرفوا الى ذلك
لانها ذكرت على اثر ذكر الصلوة وكذلك قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا ليس فيه ان ذلك في الصلوة لكنهم اليها ذلك في الصلوة
لكنهم صرفوا اليها ذلك في الصلوة اثر الصلوة ثم اختلف فيه قال او ركبانا على الدواب حيث ما توجهت بهم الدواب يصلون عليها
في حال السير والوقوف وعلى ذلك جاءت الاثار من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في الخوف
فتكون الفرائض عند العذر به مرادة بالاية بل على ما ظهر فعل النوافل في غيره بالسنة واما قوله فرجالا ثم اختلف فيه قال قايلون
فرجالا مشاة وهو من الرجل وترجل مشى راجلا واما عندنا فهو على المعروف من الصلوة على الارجل والاقدام قياما وقعودا لا نزال
عن الظاهر والمعروف الذي عرف الفعل به على ما عرف من الصلوة على الارجل وقوله ركبانا على ما عرف من الركوب وهو في حال السير
ولم تر الصلوة تقوم مع المشي فيها فان قيل صلوة الخوف فيها مشي فقامت قيل ان المشي في فعل الصلوة لانهم في الوقت الذي يمشون
لا يفعلون فعل الصلوة وهو كما يقول ان الصلوة لا تقوم مع الحدث فاذا احدث فيها فذهب ليتوضأ ليس هو في وقت الحدث مصليا و
ان ابقي في حكم الصلوة فعلى ذلك المشي في صلوة ليس هو في فعل الصلوة وان كان باقيا على حكم الصلوة والله اعلم **وقوله** فاذا
امنتم فاذكروا الله كما علمكم يحتمل قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون وقوله فاذكروا يحتمل ان يصرف الى الصلوة اي صلوا كما علمكم ان تصلوا
في حال الامن ويحتمل ان يصرف الى غيره من الاذكار كقوله ولذكر الله اكبر ويحتمل ان يصرف الى الشكر اي اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واشكروها كقوله فاذكروني اذكركم والله اعلم وفي قوله علم الانسان وعلمه البيان دليل ان الله صنع في فعل العباد حيث
اضاف التعليم الى نفسه وهو ان خلق فعل التعليم منه اذ لو لم يكن منه صنع لكان اضيف ذلك المعلم دون البيان فلما اضافه اليه على
ان له فيه فعل نعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى قال الشيخ رحمه الله في قوله فاذكروا الله كما علمكم من الصلوة في حال الامن لما
معلوم تقدم الامر بالصلوة وتعليم حدودها ثم امر في الرخصة في التخفيف بحال العذر ويحتمل اذكروا الله بشكر ما امنكم كما علمكم
من الشكر في النعم واي ذلك كان فهو الذي علمهم بعد ان كانوا غير عالمين به والله اعلم ودل اضافة التعليم في هذا وكذلك في قوله
علمه البيان وقوله وما علمناه الشعر على وجود الاسباب من الله له في الامرين على ان كان من الله في احد الامرين ما ليس منه في الاخر ومعنى
الاسباب فيهما واحد ثبت انه على خلق فعل التعليم ونفيه والله اعلم **وقوله** والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن الاية قد ذكرنا فيما تقدم انها تخرج على وجهين على النسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ويحتمل على نسخ الوصية خاصة دون نسخ العدة وان الامر بالاعتداد في الايتين امر واحد
شهر اربعة وعشرا ونسخ الوصية باية الميراث وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وفيه دلالة ان الموصى له خيار بين قبول
الوصية وبين ردها وفيه ان له ان يردها اذا قبل بقوله غير اخراج فان خرجن اذن في الخروج ردها وذلك بعد القبول **وقوله** فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم قد ذكرنا انها تحتمل وجهين تحتمل ما فعلن في انفسهن من التشوف والتزين لكل
روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لا جناح عليهن ان يتشوفن ويتزين ويلتمسن الازواج ويحتمل وضعهن انفسهن في كفي بهن المثل
والله اعلم **وقوله** وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين يحتمل الاية ان يكون في المطلقات المدخولات بهن وقد فرض لهن
ان يأمر الازواج بالمتعة او بالا وجوبا على ما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه متع بعشرة الاف على ما روي عن ابن عباس وابن عمر
رضي الله عنهما انه متع بعشرة الاف على ما روي عن ابن عباس انهما قالا ان كنت من المتقين او من المحسنين فمتعها فهو امر ندب لا امر ايجاب
يجبر على ذلك وان كانت في المطلقة التي لم يدخل بها ولا فرض لها صداقا فهو على ما يقوله وهي واجبة يجبر على ذلك فتخرج هذه الاية
والتي قبلها قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره على مخرج واحد غير ان في احدهما بيان قدر المتعة وليس في الاخرى سوى
ما ذكر ويحتمل وجها آخر وهو ان الامر بالمتعة امر بالانفاق عليها والكسوة لها اذا دخل بها ما دامت في العدة او على الاختيار على ما ذكرنا لا
على الايجاب اذ لو كان على الوجوب لكان في ذلك ايجاب بدل البضع الصداق والمتعة ولم يعرف عقد من العقود اوجب بدلين فكذلك هذا

والله اعلم

والله اعلم والثاني ان الطلاق سبب اسقاط لا سبب ايجاب فاذا كان كذلك لم يجز ان يوجب ما بسببه الذي هو سبب الاسقاط
لذلك لم يجب والله اعلم **وقوله** كذلك يبين لكم اياته ما سبق ذكره من الاحكام من الامر بالاعتداد والانفاق عليهن والتمتيع ونحو
ذلك لعلكم تعقلون امره ونهيه قال الشيخ رحمه الله في قوله كذلك يبين الله لكم اياته اي كما بين فهذا يبين في جميع ما يعلم لكم الحاجة
ذلك حاجة على قدر ما اراد من البيان من بيان كفاية ومبالغة ليعلم الجميع ما اليه بالخلق حاجة داخل تحت البيان يوصل الى ذلك
بقدر ما يحتمله العقول على ما يكرم الله المجاهدين فيه في طلب مرضاته ولا قوة الا بالله **وقوله** الم تر حرف تعجيب وتنبيه ليتامل
فيما يلقى اليه ما اريد الانباء عنه او فيما قد كان سبق الانباء عنه ليتجدد بالنظر فيه عهدا وعلى ذلك المعروف من استعمال هذه
الكلمة وكذلك وجه تاويله الى الخبر مرة والى العلم به ثانيا والى النظر فيه ثالثا على اختلاف ما قيل وفيه كل ذلك والله **وقوله**
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت قوله الم تر ولم يخبر ولم تنظر مثل هذا انما يقال عن اعجوبة فالقصة فيه
والله اعلم جواب قوله لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اخبرهم الله عز وجل عن قصة هؤلاء ان جهلهم باجالهم وتلك
حملهم على هذا القول مثل جهل بني اسرائيل باجالهم حملهم على الخروج حذر الموت ثم لم ينفعهم ذلك بل استووا كذا هذا ثم
اختلف في قصة هذا قال بعضهم خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله فاماتهم الله ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا الى الجهاد في
سبيل الله وقال آخرون وقع الطاعون في قريتهم فخرج اناس وبقي اناس ممن خرج اكثر ممن بقي فنجى الخارجون وهلك الباقون
فلما كانت الثانية خرجوا باجمعهم الا قليلا فاماتهم الله ثم احياهم فلا ندري كيف كانت القصة فان كانت القصة في الفرار
من الجهاد وفي سبيل وله نظير في الايات قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وقوله
لن ينفعكم الفرار الاية وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومثله كثير في القران وان كانت في الطاعون فقد
جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كنتم في ارض وفيها وباء فلا تخرجوا وان الفرار انجاهم ان لم يكونوا فيها ثم خلا
فاصابهم فاماتهم الله يظنون انهم اذا لم يكونوا فيها لم يصيبهم ذلك ففي الوجهين نسيان القضاء وتدجان لا عدوى ولا هامة
فان قيل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا مر على حائط مائل اسرع المشي كيف نهى عن الخروج عن ارض فيها وباء و
طاعون قيل ان كل ما كان مخرجه مخرج اية وفيها اهلاكهم فذلك لا يكون الا بامر سبق منهم فحق مثله الفرار الى الله لا الى غيره و
اما انكسار الحائط فليس لامر سبق منه فجايز ان ياخذ منه حذره هذا الفرق بينهما والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويجوز ان يكون
فعله صلى الله عليه وسلم ليعلم ان مثله من الخوف لا يعد نقصانا في الدين وذلك كالعدة تتخذ للحرب والاغذية للبدن لا على ظن بالله انه
لا يملك الحياة دونها او قهر العدو ولكن على التاهب والايتمار اذ قد جعل الذي خيف فيه والذي رجي والله اعلم **وقوله** ان الله لذو
فضل على الناس حين احياهم بعد ما اماتهم وذلك فضل منه وذو فضل على الناس بكل نعمة انعمها عليهم يستحق الشكر من الخلق بذلك
هذه الاية على المعتزلة اذ قالوا ليس لله ان يفعل بخلقه الا الاصلح لهم في الدين ولو فعل غير ذلك كان جايرا فاذا كان هذا عليه فانى يكون
الافضال وانما يقال ذو فضل ودو اذا اعطى ما ليس عليه واما من اعطى ما كان عليه لا يقال انه تفضل او من لم يقض دينا
عليه لاخر لا يستوجب الشكر بذلك لانه قضى ما كان عليه قضاؤه فكذلك الله تعالى اذا اخبر انه ذو فضل وذو من لم يكن ذلك
عليه فاستوجب الشكر على الخلق بذلك وبالله التوفيق ثم الكلام في ان اولئك ماتوا باجالهم او لا باجالهم قالت المعتزلة لم يكن
اجالهم ومن قولهم ان لكل احد اجلين ان قتل فاجله كذا وان مات فكذا قيل ذلك تاجيل من لا يعلم انه يقتل او يموت فاذا علم الله
انه يموت لم يكتب له اجل القتل وكذلك ما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر اذا كان في علم الله في الازل انه يصل الرحم فكتب عمره
ازيد ممن يعلم في الازل انه يقطع ولا يصل اذ لو حمل ذلك على ما يقولون هم خرج فعله فعل من يجهل العواقب فان قيل فلم يلام
القاتل اذا قتل غيره بغير حق قيل له لانه كتب اجل المقتول بقتل هو معصية بما علم الله انه يقضي به وكتاب الاجال هو بيان انتهاء
والاعمار **وقوله** من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا عامل الله تعالى بلطفه وكرمه معاملة من لا حق في اموالهم الا كمعاملة
العباد بعضهم بعضا وان كان العبيد واموالهم كلهم له حيث طلب منهم الاقراض كبعضهم من بعض ثم وعدهم الثواب على ذلك
فقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة ثم لما سمع اليهود ذلك قالوا ان اله محمد فقير وهو قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء ومرة قالوا لما رأوا السعة على بعض الناس فقالوا انما يفعل ذلك بخله حيث قالوا يد الله مغلولة فراد المنع انما
للبخل وانما للفقر فاكذبهم الله في قولهم ذلك فقال والله يقبض ويبسط قيل يقتر ويبسط ويوسع وقيل يقبض ما اعطى اي ياخذ
ويبسط ويترك ما اعطى ولا ياخذ منه شيئا وقيل انها نزلت في ابي الدحداح وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تصدق
بصدقة فله مثلها في الجنة فقال ابو الدحداح ان تصدقت بحديقتي فلي مثلها في الجنة فقال نعم قال وام الدحداح معي قال نعم قال
والصبية معي قال نعم فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فيها فقام على باب الحديقة فنادى يا ام الدحداح اني
جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وام الدحداح والصبية فيها معي قالت بارك الله لك فيما شريت
وفيما اشتريت ثم خرجوا منها فتركوا ما كانوا اجتنوا منها وسلم الحديقة للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل من ذا الذي يقرض الله

حسنا الاية قال الشيخ رحمه الله فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية فى توجيه الاية اليه فمنهم من يوجهها
الى جميع المحاسن يؤثرها ويختار رضا الله فله اضعاف ذلك فى الموعود اجلا وعاجلا فالاجل ما وعد والعاجل ثناء الناس
وجلالة القدر له فى القلوب متعارف ذلك للاخيار وسماه قرضا بما هو اسم المعروف ليذكره عظم نعمه عليه ان قبله دون
المعروف بالشكر له فى ذلك وان كان ذلك حقا له عليه والله اعلم والثانى ليعرف الخلق كيفية الصحبة والمعاشرة بينهم ان الله
تعالى عامل عبده فيما هو له معاملة من يستحق الشكر منه بما يسدى اليه من النعم ولله حقيقة ذلك ليعقل الحكماء ان مثل
ذلك فى معاملة الاخوان وفيما كان نعم فى الحقيقة اوجب واحق ليعظموا المعروفين بالمعروف بما اكرمهم الله تعالى بالاسماء
الجليلة ولا قوة الا بالله ومنهم من يوجهها الى الصدقات خاصة سماها قرضا لوجوه احدها ان جعل معاملة الفقراء والتصدق
عليهم معاملة الله تفضيلا لهم على ما نسب مخادعة المؤمنين الى الله تعظيما لهم فشأنه الصدقة ثم وعد فيه العوض ليصير
الصدقة بمعنى الاقراض اذ يرجع فى عوضه فيزول وجه الامتنان عن الفقير بما ياخذ منه البدل وبالله التوفيق والثانى
سمى ذلك قرضا بما هو له على ما لم يزل الله تعالى عود به عباده بالذى عرفوا به كرمه وجوده حتى سمى تسليم الذى له فى الحقيقة
قرضا كالتسليم الى من لا حق له فى الحقيقة وعلى ذلك امر الشراء بقوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية والله اعلم والثالث انه ذكرهم
وجه القصد فى الصدقات والموقع لها ليكون ذلك تبيينا لعظم منه الفقير عليه اذ وصل به الى الله ذكره الله واجل محله عنده
فيصير عنده احد الاعوان له والانصار على عظيم الموعود وجليل القدر عند الله فيحمد على ذلك ويشكره دون ان يمن عليه
او يؤذيه والله الموفق **وقوله** الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فى هذه الاية التى قبلها
قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم دلالة اثبات رسالة محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات لان القصة فيهم كانت ظاهرة فى اهل الكتاب
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلف الى احد منهم ولا نظر الى كتبهم ثم اخبر على ما كان انما عرف ذلك عز وجل ثم فيه دلالة ان كل نبى منهم
كان انما بشا والاشراف من قومه والرؤساء منهم واليهم يصرف تدبير الامور ولا الى السفلة منهم والرذالة وفيه دلالة ان كل نبى كان
انما بشا والاشراف من قوم ايضا ان الانبيا صلوات الله عليهم وسلامهم لم يكونوا يتولون الجهاد والقتال بانفسهم ولكن الملوك هم
الذين يتولون ذلك ثم الملوك هم الراجعون الى تدبير الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام فى امر الدين والاخرة حيث سئلوا ملكا
يقاتلون معه عدوهم ذكر ان كفار بنى اسرائيل قهروا مؤمنيهم فقتلوهم وسبوهم واخرجوهم من ديارهم وابنائهم فمضوا زمانا ليس لهم يقاتل
عدوهم فقالوا النبى لهم وهو من نسل هرون بن عمران اخى موسى ابعث لنا ملكا نقاتل عدونا فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم استجابة
عن سؤالهم الذى سالوا حق هو ام شىء اجروه على السنتهم من غير تحقيق لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك اذا اجيبوا واعطوا ما سالوا
وتمنوا لما عرف من شرة القتال مع العدو والجهاد فى سبيل الله وكراهية ذلك فى كل قوم الى ان بينوا انهم عن حق سالوه لما بينوا العلة
التى حملتهم على ذلك وغاية رغبتهم فيها وما لاجله كان السؤال ان قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
من القتل واخذ الاموال وسبى الذرارى فلما كتب عليهم القتال اى فرض تولوا الا قليلا منهم فيه دلالة على انه قد كان فى هذه من قوله لم تقولون
ما لا تفعلون من كراهية القتال والجهاد فى سبيل الله وقيل تولوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر نفرا ثم تولوا عما سالوا ثم قال
لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قيل سمى طالوت لطوله وقوته **وقوله** انى يكون له الملك علينا يتوجه مثل هذا الكلام وجهين
احدهما على الانكار فلا يحمل على الانكار لانه كفر والثانى على الاسترشاد وطلب العلم لهم منه فى ذلك عن جهة جعله له ملكا لما قد عرفوا لا
يستوجب الملك ولا يولى الا احد رجلين اما بالوراثة من الاباء او بالسعة فى المال لذلك قالوا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال لانهم كانوا ابناء الملوك وارباب الاموال ثم بين لهم عز وجل ان جهة الاختيار ليس اليهم وان سبب الملك ليس ما ذكروا دون غيره
بل الله عز وجل يختار من يشاء لذلك باسباب سوى ما ذكروا بفضل علم وبفضل قوة حيث قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى
العلم والجسم فوزعهم ان الملك يحتاج الى فضل علم وفضل قوة ثم يحتمل قوله بسطة فى العلم علم الحرب والقتال ويحتمل علم الاشياء الاخر وقيل
حفظ الرعية وغيره قال الشيخ رحمه الله فى قوله انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه فهو والله اعلم لاى معنى جعله الملك
وكيف يكون له الملك علينا ونحن نظام الاسباب التى تحقق الملك الملك فنكون بها احق بالملك منه فبين ان المعنى الذى له صار احق
بالملك منهم فى ذلك الامر والله اعلم والحرف وان كان بما يتعارف فى الانكار فليس هو كذلك فى الحقيقة اذ قد اخبرهم من هو نبى عندهم
تقرر عنده نبوة احد لا يحتمل تكذيبه اياه فى هذا والله اعلم ويحتمل كون اهل النفاق فيهم فيكون منهم الانكار ايضا كما كان امثال ذلك فى
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد سؤالهم الاية حتى قال ان اية ملكه كذا والله اعلم ويؤيد ذلك كثرة مخالفتهم اياه لما امتحنوا بالنهر
والله الموفق وفى هذا ونحو ذلك دلالة جواز الايات لغير الرسل اذا كان فيها تصديق الرسل فيكون فى التحقيق كايات لهم ظهرت على السن
غيرهم او ايديهم ومن رد بها ادعاء الرسالة لنفسه فيعجز عن ذلك بل لا يكرم الله بها من يعلم انه يدعو الى تصديق الكذب ومضاهاة الرسل
وبهذا يجاب لمن يعارض بمن يتعلم القران ثم ياتى موضعا لا يعرف فيحتج به فى نبوته معا فى ذلك وجه يمنع الاحتجاج به من ذلك ما فيه
من الاخبار من الاسولة والانباء عن امور لا توجد هنالك والله اعلم وبما لا يعلم او لانه عن تعلم تعلم منه الى انه هو حجة او منه دلالة ان

بكنا نحن من قبل والحجة ما يخرج من المعتاد وحمل الطبيعة يكرم بها وقت الدعوة بلا سبب سبق منه فى مثله ولا عناية ولا قوة الا
بالله وبعد فانه قد ظهر فى جميع من اتى ذلك افتنان ممن لا يطاق الدفع لمثله ولا الانكار وانتشار الاتى به فيظهر بذلك كذبه ويفتضح
عند الدعوى قبل المحنة والتامل فيما جاء به الا ان ياتى به من ايس ذلك اللسان ولا معنى الاحتجاج به فى امثالهم والله الموفق **وقوله** والله واسع
عليم اى غنى يغنى من يشاء ويعطيه عليم بمن يصلح للملك **وقوله** وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت كانهم سالوا نبيهم ما اية ملكه
ان ياتيكم التابوت تحمله الملائكة ذكر فى القصة ان التابوت يكون مع الانبياء الاحضر وانهم اذا حضروا التابوت من بين ايديهم الى العدو
ويستنصرون به على عدوهم وفيه سكينة كانها راس هرة فاذا ان ذلك الراس مع التابوت ابنى ذلك الراس دفت نحو العدو وهم يمضون
معه ما مضى فاذا استقر ثبتت خلفه فلما حرب بنو اسرائيل وعصوا الانبياء سلط الله تعالى عليهم عدوهم واخذوا منه التابوت لما سمو ولم
منه ثم رد عليهم بعد زمان طويل وجعل ذلك اية من ايات ملك طالوت فلا ندرى كيف كانت القصة ثم اختلف فى قوله سكينة من ربكم
قيل سكينة ريح هفافة فيها صورة كوجه الانسان وقيل السكينة لها وجه كوجه الهرة لها جناحان فاذا نصوت عرفوا النصر وقيل
السكينة طشت من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل فيه اى فى التابوت سكينة وكيفيتها حاجة **وقوله** وبقية مما ترك آل موسى
وآل هرون قيل البقية فيه رضاض الالواح وهو كسرها وثياب موسى وهرون قيل عصى موسى وعصا هرون وقيل البقية قفيز من وهو المن
الذى كان يا كله بنو اسرائيل فى ارض التيه ويقال فيه سنة موسى وهرون وعلمها والله اعلم بذلك وفى الاية دليل جرى الاية على ايدى الاولياء
لما اعطى الطالوت اية الملك يشبه ايات الانبياء حيث اخبر انه كان تحمله الملائكة اياه لكن تلك الايات فى الحاصل تكون للانبياء يجريها
الله تعالى على ايدى الاولياء الا ان يكون للاولياء ذلك ثم من ادعى من الاولياء بتلك الايات النبوة لنفسه يعجزه الله تعالى عن ذلك ويخرج
الاية من ان تصير اية له نحو من فى مدينة من المداين النجم يبلغ اهلها هذا القران ولا عرفوه ولا سمعوا ذلك من احد قط فجعل يقرا ذلك عليهم عن
ظهر قلبه وادعى بذلك رسالة لنفسه ايسع اهل ذلك البلدان بصدقوه فيما ادعى ام لا فان لاصحابنا رحمهم الله جوابان احدهما ان فى القران
ما يظهر به كذب هذا المدعى فى دعوته من نحو قوله يسألونك عن كذا ومن نحو الاخبار والحكايات والقصص التى فيها مما لا يحتمل كونها الا
بتقديم اسباب فيكذبه ذلك فلم يلزمهم تصديقه وبالله العصمة والثانى قالوا اذا ادعى ذلك به يعجزه الله عز وجل عن تلاوته واجرائه عن
لسانه وادعاء ما ادعى بذلك وكان هذا اقرب والله اعلم **وقوله** فلما فصل طالوت بالجنود اى من المدينة قيل هم سبعون الفا وقيل كانوا
مائة الف سار بهم فى حر شديد فنزلوا فى فقرة من الارض فاصابهم عطش شديد فسالوا طالوت الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم
بنهر وقيل من شرب منه فليس منى اى ليس معى على عدوى اى لا يخرج معى ويجوز ليس منى ومن اتباعى وشيعتى وجائز ان يكون به ظهور
النفاق والصدق منهم فى الدين ومن لم يطعمه فانه منى يقول معى على عدوى فيه دليل ان يسمى الشراب باسم الطعام والطعام باسمه
وقوله الا من اغترف غرفة بيده استثنى الغرفة كانه قال ممن شرب منه فليس منى الا غرفة ففيه جواز انشاء الكلام المتقدم وان
كان دخل من حرف الثناء وصرفه لاول شىء اخر وهو يدل لاصحابنا رحمهم الله حيث قالوا فيمن قال لفلان على كر حنطة وكر شعير
الا نصف كر حنطة انه يصدق ويلزمه من الحنطة نصف كر ويجعل ان يكون الثنيا على ما يليه قوله ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف
غرفة وقيل شرب شراب الدواب والغرفة هى شرب **وقوله** فشربوا منه الا قليلا وقيل القليل هم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا اقترفوا
غرفة واحدة بايديهم وكانت الغرفة يشرب منها هو وخدمه ودوابه وقيل انما استثنى الغرفة باليد لئلا يكرعوا كراع الدواب ففعل بعضهم
ذلك فرد طالوت العصاة منهم فلم يقطعوا معه وقطع معه الثلثمائة والثلاثة عشر رجلا وهو قوله فلما جاوزه هو والذين امنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قيل هو قول بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لانهم اكثر منا وكانوا
مائة الف وهم ثلثمائة وثلاثة عشر والله اعلم بذلك العدد **وقوله** قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل الذين يعلمون ويقرون
بالبعث كم من فئة قليلة عددهم وقيل الذين يعنى يخشون انهم يقتلون لانهم وطنوا انفسهم على الموت فطابت انفسهم بالموت كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة **وقوله** باذن الله قال بعضهم باذن الله اى بامر الله لكنه لا يحتمل الغلبة بالامر ولكن باذن الله عندنا بنصر الله
والله مع الصابرين بالنصر والمعونة لهم **وقوله** ولما برزوا لجالوت وجنوده يعنى لقتالهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا يقول
اصبب ويقال انزل علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وهكذا الواجب على كل من لقى العدوان يدعو بمثل هذا وفى
قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء لانه قد كان فعل الاصلح فاستجاب الله دعاءهم وهزم عدوهم وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل
داود جالوت قال بعضهم باذن الله بامر الله لكنه لا يحتمل لانهم كانوا يقاتلون بالامر ولا يهزمون بالامر وقال الاخرون بعلم الله كان
فى علمه فى الازل انهم يهزمونهم وقيل بامر الله بنصر الله وهو اقرب والله اعلم وقيل فى القصة ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة
اخوة مع طالوت خرجوا معه للقتال ولما ابطا خبر اخوته على ابيهم ارسل داود اليهم ينظر ما امرهم ويأتيه بخبرهم قال فاتاهم وهم فى الصفوف
فبرز جالوت فلم يخرج اليه احد فقال يا بنى اسرائيل لو كنتم على حق لخرج الى بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم احد يخرج الى هذا الاقلف
قال فقالوا اسكت قال فذهب داود فما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتى واجعل له نصف ملكى فقال داود لطالوت
فانا اخرج اليه قال فاعطاه طالوت درعه وسيفه قال فلما خرج فى الدرع جرها فى الارض لان طالوت كان اطول منه قال فما قال

داود انا اخرج اليه وسيفه قال فلما قال له طالوت من انت قال انا داود بن فلان فعرفه طالوت ورأى انه اجلد اخوته قال
فاخذ داود العصا ثم خرج الى جالوت ثم بثلاثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا منيّته جالوت فاخذهن ثم مضى نحوه وعلى
جالوت بيضة فيها ثلثمائة رطل فقال له جالوت اما ان ترميني وانا ان ارميك فقال له داود بل انا ارميك فرماه بها فاصاب بها فاخرجها من قفاه
لصدره فنفذته فقتلته وقتل بحجر بعد ما نفذنا كثيرة وهزم الله جنوده وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت والقصة
طويلة فلا ندرى كيف كانت وليس بنا الى معرفتها حاجة وقوله وآتاه الله الملك والحكمة فالملك يحتمل علم الحرب وسياسة القتال
انه لم يكونوا يقاتلون الا تحت ايدى الملوك وهو كقوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة ويحتمل الملك بما عقد له من الخلافة كقوله انا جعلناك
خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق وذكر انا الله الامرين لما كان من قرب زمانه على ما عليه ابتداء الاية ان الملك يكون غير نبى
فجمعنا جميعا له فيكون على ذلك تاويل الحكمة انها النبوة والحكمة قيل هو الفقه وقيل هى النبوة وقد تقدم ذكره وقوله وعلمه مما يشاء
قيل صنعة الدروع كقوله والنا له الحديد وقيل كلام الطير وتسبيح الجبال وذلك مما خص به داود دون غيره من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام ويحتمل وعلمه مما يشاء اشياء اخر وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض اختلف فيه قال بعضهم دفع
بالكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين لما سلط بعضهم ببعض وجعل بعضهم لبعض اعداء الا ان لم يتفرغوا عن
انفسهم للمسلمين والا كان فى ذلك فساد الارض وقال اخرون دفع بالرسل والانبياء شرهم عن المسلمين وكفاهم بهم وقال غيرهم دفع
بالمؤمنين بعضهم عن بعض دفع بالمجاهدين فى سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد والا لغلب المشركون على الارض وقيل يدفع بالمصلى عن
لا يصلى وبالمزكى عمن لا يزكى وبالحاج عمن لا يحج وبالصائم عمن لا يصوم ثم اختلف فى قوله لفسدت الارض قيل لو لم يدفع بعضهم ببعض
لقتل بعضهم بعضا واهلك فريق فريقا وفى ذلك تفانيهم وفسادهم وفى ذلك فساد الارض وقال اخرون لو لم يدفع لفسدت الارض و
اراد بفساد الارض فساد اهلها لانه لو لم يدفع لغلب المشركون على اراضى الاسلام واهلها فاذا غلبوا افسدوا اهلها وقال لفسدت الارض
اذا غلب المشركون عليها هدمت المساجد والصوامع ففيه فساد الارض والله اعلم وقوله ولكن الله ذو فضل على العالمين بدفع ذلك
كله عن المسلمين وعلى قول المعتزلة ليس هو بذى فضل على احد لان عليه ان يفعل ذلك وان يدفع ذلك كله عن المسلمين عن قولهم فاذا كان عليه
ذلك لا يصير هو بما يدفع متفضلا ولا ممتنا نعوذ بالله عن السرف فى القول وقوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق يحتمل قوله
آيات الله ما ذكره من قتل داود جالوت باحجار ذكر فى القصة مع ضعف داود وقوة جالوت على ما قيل ان قامته كان قدر ميل وان بيضته
كانت ثلثمائة رطل ويحتمل ما ذكر من قيام القليل للكثير لانه قيل ان جنود جالوت مائة الف وجنود طالوت ثلثمائة وثلاثة عشر وذلك
من الآيات ويحتمل جميع ما قص الله عليه فى القرآن من خبر الامم السالفة والله اعلم وفى قتل داود جالوت وقتل القليل الكثير دليل انهم يقتلون
القوى انفسهم ولكنهم بالله ويقدره اياهم قال الشيخ رحمه الله من آيات وحدانيته قتل داود جالوت مع ضعف داود وقوة عدوه وقوله
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية يحتمل تفضيل بعضهم على بعض ما ذكر منهم من كلم الله ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من سخرت له الريح و
الطير ما كان فى الانبياء مثله ويحتمل بعضهم على بعض فى الحجاج والحجج على القوم لانه فيهم من كان اكثر محاجة لقومه واعظم حججا وهو ابرهيم
صلوات الله عليه وسلامه وموسى ويحتمل التفضيل التمكين فى الارض مكن لبعضهم ما لم يمكن لمن باقين ويحتمل ذلك فى الشفاعة ورفع
الدرجات ويحتمل بعضهم على بعض فى الرسالة لان منهم من ارسل الى الانس والجن جميعا ومنهم من ارسل الى الانس خاصة ومنهم من ارسل
الى نفر والله اعلم وقد ذكرنا ان لا يكون من الله تفضيل لبعض الرسل على بعض على قول المعتزلة لانه فعل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما
عليه ان يفعل فانه لا يوصف بالفضل والافضال دل انه ليس على ما يقولون ويذهبون اليه وقوله وايدناه بروح القدس قد ذكرنا
فيما تقدم وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات هذه الاية والايات من بعدها قوله ولو شاء الله و
ما اقتتلوا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد على المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا ما اقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا ولكن
اقتتلوا والاقتتال هو فعل اثنين وفيهم من اقتتل ظلما دليله قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم قال ولو شاء الله ما اقتتلوا
اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا واخبر انه يفعل ما يريد ثبت الفعل فى الارادة ومنهم يقولون لا يفعل ما يريد وكذلك قوله ولو شاء الله
ما اختلفوا اخبر انه لو شاء ما اختلفوا وهم يقولون شاء ان لا يختلفوا ولكن اختلفوا انه لا يجوز صرف الاية الى مشيئة القسر والجبر
لان المشيئة التى ذكرها الله تعالى معروفة فى الناس فلا يجوز صرفها الى غير المشيئة المعروفة الا بعد تقدم ذكر او بيان انها هى المراد و
قوله ما اقتتلوا ولا اختلفوا فجعلهم على امر واحد ودين واحد كقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة والمعتزلة يقولون
شاء ان يصيروا امة واحدة ولكن لم يصيروا فنعوذ بالله من السرف فى القول فى الله بما لا يليق به وقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم يحتمل الامر بالانفاق امر بتقديم الطاعات والمسارعة الى الخيرات قبل ان ياتى يوم يمنعه ويعجزه عن ذلك وهو الموت
ويحتمل امره بالانفاق من الاموال فى طاعة الله من قبل ان ياتى يوم وهو يوم القيامة لا بيع فيه قيل لا فداء ولا شفاعة يحتمل قوله
لا خلة اى لا ينفع خليل خليله كما ينفع فى الدنيا وكذلك لا شفيع ينفع بشفاعته كما ينفع فى الدنيا ويحتمل لا خلة ولا شفاعة اى
لا ينفع احد احدا ولا يخال احد احدا ولا يشفع احد احدا ويحتمل يوم لا بيع فيه انهم يملكون بيع انفسهم من الله تعالى ما داموا احياء

فاذا

فاذا ما تولم يملكوا كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية فان الاية وان خرج الخطاب للمؤمنين
فالموصوف فيها وصف الكافرين لكن فيها زجر للمؤمنين عن صنيع مثل صنيع الكفار وقوله الله لا اله الا هو قيل الله هو اسم المعبود
وكذلك تسمى العرب كل معبود الها ومعناه والله اعلم ان الذى يستحق العبادة ويحق ان يعبد هو الله الذى لا اله الا هو لا الذى
تعبدونه انتم من الاوثان والاصنام التى لا تنفعكم عبادتكم اياها ولا يضركم ترككم العبادة لها ويحتمل ان يكون على الاضمار ان قل
الله الذى لا اله الا هو لانهم كانوا يقرون بالخالق ويعرفون بالاله كقوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله كقوله قل رب السموات السبع الاية وقل من بيده ملكوت كل شئ فسيقولون لله فاذا كانوا يعرفون به فاخبرهم ان الذى
يقرون به ويسمونه هو الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم ويحتمل ان يكون لقوم من اهل الاسلام عرفوا الله تعالى وآمنوا به ولم يعرفوا
نعته وصفته انه الحى القيوم الدائم وقوله الحى القيوم قيل هو الحى بذاته لا بحيوة هى غيره كالخلق هم احياء بحيوة هى غيرهم حتى
فيهم لا بد من الموت والله عز وجل يتعالى عن ان يحل فيه الموت لانه حى بذاته وجميع الخلائق احياء لا بذاتهم تعالى الله عز وجل عما
يقول فيه الملحدون علوا كبيرا والاصل ان كل من وصف فى الشاهد بالحيوة وصف ذلك للعظمة له والجلال والرفعة يقال
فلان حى وكذلك الارض سماها الله تعالى حية اذا اهتزت وانبتت لرفعها على عين الخلق فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى حى لعظمة
وكذلك الارض سماها الله تعالى حى لعظمة والرفعة ولكثرة ما يكون بذكره فى المواطن كلها كما سمى الشهداء احياء لانهم مذكورون
فى الملاء من الخلق ويحتمل انه يسمى حيا لما لا يغفل عن شئ ولا يسهو ولا يذهب عنه شئ ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض و
لا فى السماء وبالله العصمة وقوله القيوم القائم على مصالح اعمال الخلق وارزاقهم وقيل القيوم هو القيام على كل شئ بحفظه
وتعاهده كما يقال فلان قائم على امر فلان يعنون انه يتحفظ اموره حتى لا يذهب عنه شئ وقيل هو الحى القيوم اى لا يغفل عن احوال
الخلق وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم قيل السنة النعاس وقيل السنة بين النوم واليقظة وسمى وسنان وقيل هو ريح يجئ قبل
الراس فتغشى العينين فهو وسنان بين النائم واليقظان ويحتمل قوله لا تاخذه سنة ولا نوم على نفى الغفلة والسهو عنه اذ لو
اخذه صار مغلوبا مقهورا فيزول عنه وصف حى قيوم كقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة على نفى الغفلة ويحتمل انه نفى عن نفسه
ذلك لان الخلق انما ينامون ويتعشون طلبا للراحة والمنفعة اما لدفع حزن او وحشة فاخبر انه ليس بالذى يحتاج الى راحة والى
دفع حزن او وحشة وقيل لا يفتر ولا ينام قال الشيخ رحمه الله والنوم والسنة حالان تدلان على غفلة من حلا به وعلى حاجته الى ما فيه
راحته وعلى عجزه اذ هما يغلبانه ويقهرانه فوصف الرب نفسه بالعلو عن الذى ولا عليه من الوجوه وقوله تعالى له ما فى السموات
وما فى الارض وهو العالى على ذلك القاهر له لا تاخذه سنة ولا وحشة ولا معنى يدل على العجز والحاجة ولا قوة الا بالله وقوله
له ما فى السموات وما فى الارض اخبر ان له ما فى السموات وما فى الارض عبيده واماؤه ليس كما قالوا فلان ابن الله والملائكة بنات الله
بل كلهم عبيده واماؤه والناس لا يتخذون ولدا من عبيدهم وامائهم فالله احق ان لا يتخذ وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله
من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه اى لا احد يجترئ على الشفاعة الا باذنه ثم اختلف فى الشفاعة قالت المعتزلة لا تكون
الشفاعة الا لاهل الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم او كان لهم ذنب فتابوا عنه ذهبوا فى ذلك الى ما ذكر الله تعالى فى قوله الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك اخبر انهم يستغفرون للذين آمنوا وتابوا واتبعوا فاذا كان الاستغفار فى الدنيا انما يكون للذين آمنوا وتابوا فعلى ذلك الشفاعة
انما تكون فى الآخرة لهؤلاء واما عندنا فان الشفاعة تكون لاهل الذنوب لان من لا ذنب له الى الشفاعة وقوله للذين آمنوا وتابوا
واتبعوا سبيلك يكون لهم ذنوب فى احوال التوبة فانما يغفر لهم ذنوب التى كانت لهم تقدم الاستغفار لاهل الذنوب فعلى ذلك
الشفاعة فان قيل ارايت رجلا قال لعبده ان عملت عملا تستوجب به الشفاعة فانت حر فاى عمل يعمله ليستوجب به الشفاعة
حتى يعتق عبده الطاعة والمعصية قيل الطاعة فعلى ذلك الشفاعة لا تكون الا لاهل الطاعة والخير لا لاهل المعصية قيل ان الشفاعة
التى يستوجبها اهل الذنوب انما يستوجبون بالطاعات التى كانت لهم حالة الشفاعة لان اهل الايمان وان ارتكبوا آثاما ومعاصى
فان لهم طاعات فبتلك الطاعات ما يستوجبون الشفاعة كقوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فالشفاعة تجيء وقالوا الاشفاعة فى
الشاهد لا تجد فى الآخرة لان الشفاعة هو ان يذكر عن مناقب احد عند احد وخيراته ليس سواه كذا فى الآخرة والجواب لهم من وجهين
احدهما انه انما يذكر فى الدنيا خيرات المشفوع له لجهالة هذا باحواله فيذكر خيراته ليعرفه بها فيشفع فيه والله تعالى عارف لا بتعريف
والثانى ان ذكر خيراته لحاجة تقع له فى خلتها لا تكون فى الآخرة خاصة والله يتعالى عن الحاجة عما بالعباد لذلك اختلفا والله اعلم
فان قال لنا قائل ان جميع ما ذكر فى هذه الاية من اولها الى آخرها كلها دعوى فما الدليل على ذلك الدعوى قيل يحتمل ان يكون دليله
ما تقدم ذكره من قوله ان فى خلق السموات واختلاف الليل والنهار الاية والثانى من انكر الصانع فيتكلم اولا معه فى حدث العالم وحاجته
الى محدث فاذا ثبت حدث العالم فحينئذ يتكلم فى اثبات الصانع ووحدانيته وبالله التوفيق وفى قوله واحد ليس من حيث العدد لان
كل ذى عدد يحتمل الزيادة والنقصان ويحتمل الطول والعرض والقصر والكسر ولكن يقال ذلك واحد من حيث العظمة والجلال والرفعة

كما يقال فلان واحد زمانه وواحد قومه يعنون رفعته وجلالته في قومه وسلطانه عليهم جاز القول انهم لا يعنون من جهة العدد لان مثله فيهم كثير من حيث العدد والله اعلم **وقوله** ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء هذا على المعتزلة لانهم لا يصفون بالعلم وقد اخبر ان له العلم ثم احتمل علمه علم الغيب وقال الآخرون علم الاشياء كلها لا يعلمون الا ما يعلمهم الله من ذلك كقول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ومن قال علم الغيب فهو الذي قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **وقوله** وسع كرسيه السموات والارض قال بعضهم وسع علمه وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال الآخرون كرسيه قدرته وهو وصف بالقدرة والعظمة وقيل وسع كرسيه والكرسي هو لاصل الشيء يقال كرسي كذا والمراد منه انه المعتمد والمفزع للخلق وذلك بالعظمة والقوة ويقال وسع كرسيه وهو خلق من خلقه وقيل ان الكرسي هو الكرسي لكنه خلقه ليكرم به من شاء من خلقه نعلى و ذلك لا يفهم من قوله وسع كرسيه وغيره من الايات ما يفهم من الخلق بقوله ليس كمثله شيء **وقوله** ولا يؤده حفظهما قيل لا يثقل عليه وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وروى عنه ايضا انه قال لا يثقل عليه وقيل لا يجهده وقيل لا يعجزه بحفظ شيء مثال الخلق **وقوله** وهو العلي العظيم العلي عن كل موهوم يحتاج الى عرشا وكرسيا العظيم عن ان يحاط به وقال ابن عباس رضي الله عنه وسع كرسيه قال علمه الى قوله ولا يؤده حفظهما كل شيء في علمه لا يؤده حفظ شيء والله اعلم قال الشيخ رحمه الله العلي عن جميع الخلا الخلق وشبههم والعلي القاهر والغالب لا اكراه في الدين اي لا يكره على الدين فان كان الثنا وبل هذا فهو على بعض دون بعض **وقوله** لا اكراه في الدين قال بعضهم نزل في المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه يقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركي العرب انه لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ولا يقبل منهم الجزية فان اسلموا والا قتلوا وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كتب الى المنذر بن فلان اما العرب فلا نقبل منهم الا الاسلام او السيف واما اهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وعلى ذلك نطق به الكتاب تقاتلونهم او يسلمون وقال قوم قوله لا اكراه في الدين اي لا دين يقبل باكراه بل ليس ذلك بايمان والثاني ان الرشد قد تبين من الغي وبين ذلك لكل احد حتى اذا قبل الدين قبل عن بيان وظهور لا عن اكراه وقال آخرون قوله لا اكراه في الدين اي لا اكراه على هذه الطاعات بعد الاسلام لان الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين فلا يكرهون على ذلك ومعناه ان في الامم المتقدمة الشدايد والمشقة وقد رفع الله عز وجل تلك الشدايد عن هذه الامة وخففها عليهم دليله قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ومثل ذلك كثير كانت على الامم السالفة ثقيلة وعلى هذه الامة مخففة فاذا كانت مخففة عليهم لا يكرهون على ذلك وقال آخرون هو منسوخ بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال آخرون ان قوما من الانصار كانت ترضع لهم اليهود فلما جاء الاسلام اسلم الانصار وبقي من عند اليهود من ولد الانصار على دينهم فارادوا ان يكرهوهم فنزلت الاية لا اكراه في الدين قال الشيخ رحمه الله ويحتمل الاكراه في الدين ما قال في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج **وقوله** قد تبين الرشد من الغي يعني قد تبين الاسلام من الكفر بالله فلا تكرهون على ذلك **وقوله** فمن يكفر بالطاغوت اختلف فيه قيل الطاغوت الشياطين وقيل كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت من الاصنام والاوثان التي دون الله وقيل الطاغوت الكهنة التي يدعون الناس الى عبادة غير الله بكفر هؤلاء وتكذيبهم قال الشيخ رحمه الله ومن جملته ومن يكفر بالذي يدعو الى عبادة غير الله ويكذبه في ذلك ويؤمن بالذي يدعو الى عبادة الله ويصدقه انه داع الى الحق **وقوله** ومن يؤمن بالله فيه دلالة ان الايمان بالله هو ايمان بالانبياء والرسل والكتب جميعا لانه [illegible] حقيقة الايمان بالله لان من امن به وبامره ونهيه وشرايعه [illegible] لا نفرق بين احد من رسله [illegible] نؤمن ببعض ونكفر ببعض والا كان الايمان بالله ايمانا بجميع ذلك **وقوله** فقد استمسك بالعروة الوثقى يحتمل هذا وجهين يحتمل فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع لا تقوم الحجة ببعضه ويحتمل فقد استمسك بالعروة الوثقى [illegible] بالحجج والبراهين النيرة التي من اعتصم بها لا انفصال عنه ولا الزوال ثم فيه نقض على المعتزلة لانه اخبر عز وجل انه من امن بالله فقد استمسك بكذا والمعتزلة يقولون صاحب الكبيرة يخلد في النار وهو مؤمن بالله فاي عروة وهي امن من هذا الى زوال وان الزوال والانقطاع [illegible] والذي وعد الله عز وجل بايمانه بالله وتصديقه به [illegible] العصمة **وقوله** سميع لقولهم عليم [illegible] عليم بجزاء ايمانهم والله اعلم **وقوله** الله ولي الذين امنوا قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وهو ناصر المؤمنين وحافظهم وقيل ولينا لانه [illegible] امور الخلق من النصر والحفظ والرزق وغيره وعلى ذلك يسمى الولي والي لانه يلي امور الناس وقيل في قوله ولي الذين امنوا اي اولى بهم اليه رجاؤهم وطمعهم وهو الذي يكرمهم وان الطاغوت ولي بالكافرين كما قال فالنار مثوى لهم اي اولى بهم والله اعلم **وقوله** يخرجهم من الظلمات الى النور قوله يخرجهم يعني [illegible] وجاز هذا في اللغة بفعل بمعنى يفعل وفعل بمعنى يفعل جائز فيها غير ممتنع عنه **وقوله** يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات هو ابتداء [illegible] انه كانوا فيه ثم اخرجهم [illegible] كانت موضوعة ثم [illegible] الاول والاية تنقض

على المعتزلة قولهم اذ من قولهم ان جميع ما اعطى المؤمن من لا اخراج من الكفر اعطى مثله الكافر فكانهم يقولون اخرجهم جميعا من الظلمة وعليه اخراج الكافر ايضا من الظلمات اذ ذلك هو الاصلح له وعليه ان يعطي الخلق ما هو الاصلح لهم في الدين فاذا كان هذا قولهم فهو ولي الكفرة والمؤمنين جميعا على قولهم اذ هو بالسبب الذي ذكر الولاية للمؤمنين فيعطي ايضا الكفرة فان قالوا انه اضاف الكفر الى الطاغوت وانتم تضيفونه الى الله عز وجل قيل هو ظاهر الكذب انا لا نضيف ذلك اليه الكفر انما نقول انه خالق فعل الكفر وخالق فعل النور من المؤمن نورا على انه ان كان هنا في الكفرة فالقول في الفصل الاول من قولكم انه منعم على المؤمن ثم لا نعمة فيه على المؤمن الا بالامر والاقدار والاقدار منه موجود للكافر في كفره على قولكم ثم لا نعمة تقع في الامر والدعاء للمؤمن الا ويقع مثله للكافر اذ هو في الامر والدعاء كالمؤمن سواء ولا قوة الا بالله وليس في القول بانه خالق فعل كل احد على ما عليه اضافة الكفر اليه بل انما يضيف الخير اليه بما منه فيه من الافضال على الشكر فدل انه عز وجل في المؤمن فضل صنع ليس ذلك له في الكافر والكفر في اللغة الستر وكذلك الظلمة هي الستر يقال كفرت الشيء اي سترته وكذلك يقال ليل مظلم لانه يستر ضوء النهار ونوره فيستر الاشياء عن ابصار الخلق قال الشيخ رحمه الله في قوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم الاية دلت هذه الاية على ان كان من الله الى الذين امنوا معنى لم يكن منه الى الذين كفروا به كان ايمانهم ولو لم يكن الا الامر والاقدار والبيان على ما قالت المعتزلة لكان كل ذلك عندهم الى الكفرة فلا وجه لتخصيص المؤمنين مما ذكر وجعل الطاغوت اولى بالكافرين وصنع الله الى كل واحد ولم يكن من الله تلك الزيادة فاذا كان الذي ذكرهم في انفسهم فلا وجه للامتنان بذلك ومن البعيد ذكر الامتنان فيما به الالزام والامر وما ذكرت المعتزلة انما هي اسباب الالزام ولولا ذلك كان ايسر عليهم واقل لايمة فكيف يمن بما ثبت ان كان منه فضل ليس ذلك في اعدائه فيه استوجب الحمد منهم ولهذا يضاف اليه الخيرات على الشكر وتوجيه الحمد اليه ولا يضاف اليه الشر وعما ليس في ذلك شكر اغنا منه الخذلان لانه بما علم من ايثار الكافر عداوته واختياره الكفر به فلذلك لم يجز الاضافة اليه والاضافة اليه جل ثناؤه لا باسم الخالق يخرج مخرج التعظيم له والخضوع من العبد بالحمد له والشكر ولا يجوز مثله فيما ليس فيه ذلك على ما لا يضاف اليه الانجاس والخبائث والجواهر القبيحة وان كانت من طريق الخلقة جرى عليها تدبيره وخرجت على تقديره فعلى ذلك افعال الخلق وعلى ذلك القول بانه رب كل شيء ثم على الاشارة لا يوصف بذلك في الاشياء الخاملة المستخف بها فتله الاول والله اعلم **وقوله** والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ونحو ذلك يخرج على وجوه احدها انه لا يهديهم وقت اختيارهم ذلك ويكون على ان لا يخلق منهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل من في علمه انه لا يهتدي فيرجع المراد به الى الخاص ويحتمل لا يهدي طريق الجنة في الاخرة من كفر بالله في الدنيا ويحتمل لا يجعلهم في حكمهم كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم الاية **وقوله** اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذكر ان الكفرة هم اصحاب النار وذكر في اية اخرى ان الملائكة اصحاب النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة لكنه ذكر الملائكة اصحاب النار لما يتولون تعذيب الكفرة فيها فسماهم بذلك وذكر الكفرة اصحاب النار لانهم هم المعذبون فيها والملائكة معذبوهم فيها والله اعلم **وقوله** الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه قد ذكرنا ان قوله الم تر انما يفتتح به الاعجوبة كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وفيه اباحة التكلم في الكلام والمناظرة فيه والحجاج بقوله حاج ابرهيم في ربه ورد على من يمنع التكلم فيه وكذلك لانا امرنا بدعاء الكفرة جميعا الى وحدانية الله تعالى والافراد بذلك والمعرفة لانه كذلك الانبياء باجمعهم امروا وندبوا الى دعاء الكفرة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فان دعوناهم الى ذلك لا بد من ان يطلبوا منا الدليل على ذلك والبيان عليه والوصف له كما هو والتقرير عندهم انه كذا فلا يكون ذلك الا بعد المناظرة والحجاج فيه ثم لذلك قلنا ان لا باس بالتكلم والمناظرة فيه وفيه دلالة على اباحة المحاجة في التوحيد وفيه الاذن بالنظر في النظر لانه حاجة لينظر والله اعلم **وقوله** ان اتاه الله الملك قال الاعتزال قوله ان اتاه الله الملك هو ابرهيم عليه السلام لان ذلك الكافر لقوله لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان عهده لا يناله الظالم والملك عهد لكنه غلط عندنا لوجوه احدها ان ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه ما عرف بالملك والثاني ان الاية ذكرت في محاجة ذلك الكافر ابرهيم ولو كان غير ملك وكان ابرهيم عليه السلام وهو الملك لم يقدر الحجاج مع ابرهيم عليه السلام وتركه اذ لا محاجة الا عن ملك دل انه هو الذي كان الملك والثالث قال انا احيي واميت ثم قيل انه جاء برجلين فقتل احدهما وترك الاخر فلو لم يكن ملكا لم يتات له ذلك بين يدي ابرهيم اذ كان ابرهيم صلوات الله عليه هو الذي اتاه الله الملك فدل ان المراد به ذلك الكافر ثم الملك يكون في الخلق باحد امرين اما الفضل والشرف والعز والسلطان والدين واما من جهة الاموال والطول عليها والقهر والغلبة فان لم يكن له الملك من جهة الاول لكان له ذلك بفضول الاموال لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اعطي الملك ليمتحن به كما يعطي الغناء والصحة فيمتحن بهما **وقوله** اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت وكان هذا من ابرهيم عليه السلام والله اعلم عن سؤال سبق منه ان قال له ذلك الكافر من ربك الذي تدعوني اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت والا لا يحتمل ابتداء الكلام بهذا على غير سبق سؤال كان منه وهو ما ذكر في قصة فرعون حيث دعاه موسى الى الايمان بربه قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فعلى ذلك الاول **وقوله** انا احيي واميت فقتل احدهما وترك الاخر

على ما قيل في القصة قال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قال بعض اهل الحديث هذا من ابرهيم
عليه السلام صرف المحاجة الى غير ما كان ابتدا فيها وشابه في الظاهر انقطاع وحيد عن الجواب لان جوابه ان يقول انا افعل كما
فعلت او ان يقول له ان هذا الحي كان حيا ولكن احيي هذا الميت لكنه صلوات الله عليه فعل هذا ليظهر عجزه على الناس لان ذلك كان
منه تمويها وتلبيسا على قومه اخذ قلوبهم فاراد ابرهيم صلوات الله عليه ان يظهر عليه من الحجة ما هو اظهر واعجز له واخذ للقلوب والناس
اراد ان يريان هذا مما قدر عليه بغيره اذا الزعم يجعل له القدرة عليه لم يقدر عليه ثم لما ثبت عجزه فما حدها يظهر عجزه في الاخرة والله اعلم
وقيل بان هذا من ابراهيم انتقال من حجة الى حجة ليس بانقطاع وهو جائز وقوله تعالى فبهت الذي كفر قيل انقطع وتحير وقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين ذكر الظالم لان الظلم هو وضع الشيء في غير محله حيث هذا اللعين الحاج في غير موضعه وقوله او كالذي مر على قرية قيل
هو نسق على قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم وقيل نسق على قوله انا احيي واميت لانه بذلك انكر البعث ثم اختلف في المار على القرية قال بعضهم
كان قال ذلك وقال اخرون لا ولكن قال ذلك مسلم وقال اكثر اهل التاويل هو عزير فان كان قائل ذلك كافرا فهو على انكار البعث وان
وان كان مسلما فهو على معرفة كيفية الاحياء ليس على الانكار وهو كقول ابرهيم عليه الصلاة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وليس لنا الى معرفة قائله حاجة انما الحاجة الى معرفة ما ذكر في الاية والله اعلم وقوله وهي خاوية
على عروشها قيل خالية عن سكانها وقيل خاوية ساقطة سقوفها على حيطانها وحيطانها على سقوفها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها
هو على ما ذكرنا وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه اراد والله اعلم ان يرى الاية في نفسه دلالة حجة البعث ويحتمل ان يكون اية في
المتاخرين وقوله كم لبثت سال منه جل وعلا الاجتهاد بظاهر الحال الذي ظهر عنده ليظهر انه اجتهد بدليل وبغيره على ما يدركه
وسعه فبان ان المجتهد يحل له الاجتهاد بما يدرك فظاهر الحال وان كان حكم فيه الاجتهاد بالغيب قال الشيخ رحمه الله واراد بقوله كم لبثت
التنبيه كقوله لموسى وما تلك بيمينك يا موسى لينبه الاية من الوجه الذي هو اقرب الى الفهم متوجهة الاعجوبة فيه بوجهين من ذلك باماتته
الحمار ومن طبعه الدوام ومن ذلك بابقاء طعامه ومن طبعه التغير والفساد ومن سريع جعل في بقاء طعامه وحفظه من الفساد اية ومن طبعه البقاء
وفي احياء حماره بعد ما ماته وطبعه البقاء ليعلم ما نازعته نفسه في كيفية الاحياء درك ذلك وهو قوله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
ثم قيل في وجهه ما اراه بما وجد قيل انه احيي عينيه وقلبه فاد ركه بها كيفية الاحياء في بقية نفسه وقيل احيي نفسه فاراه ذلك
في حماره وقيل انه اراه ذلك في ولده لانه اتى شابا وولده شيوخ وذلك اية قال الشيخ رحمه الله في قوله ثم بعثه قال كم لبثت الاية فان
قال قائل كيف سال عن لبثه وقد علم انه لم يكن علم به وايد ذلك اخباره بقوله لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام قيل القول
بكم لبثت يحتمل وجهين وكذلك القول بقوله بل لبثت مائة عام احدهما على قول التي اليه ونطق اسمع هو والثاني ان يكون على حرمة نفسه
بمرة لبثه في حال نومه فتامل في ذلك احوال نومه ولخفها عليه من احوال الوقت الذي كان فيه مما كان ابتداؤه وقت نومه فقال بالذي
ذكر ثم لما تامل شان الحمار واستخبر عن الاحوال قالت له نفسه بل لبثت مائة عام ثم انه نظر في حماره وما راى من تغير احواله وانشاؤه الله
تعالى على ما ذكر وكذلك خبر عما حدثته نفسه هي بعثه على التفكر في احواله والنظر فيما عاين من امر الحمار وكان علم ان ذلك موت فيه لكنه
استحق ذلك بما شهد نفسه بما عاينها على ما كانت عليها فلما تامل شان حماره علم انه وقع ايات عجيبة فزع الى الله فانباه الله تعالى
بالذي يصف في القران والله الموفق ولو كان على القول فان في السؤال عما يعلم السائل جهل المسئول وجهين احدهما الامتحان على ما به ظهور
احوال الممتحن من الاجتهاد في تعريف الحقائق بالاستدلال والخضوع له بالاعتراف بقصوره عن الاحاطة به كفعل الملائكة عند قوله انبئوني
باسماء هؤلاء بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والاول كما فعل صاحب هذا انه قال يوما او بعض يوم ومثله من اصحاب الكهف والله اعلم والثاني
ان يراد بالسؤال التعريف عنده متيقظا لما يراد به من الاطلاع على الاية كما قال لموسى وما تلك بيمينك يا موسى الاية وهنا فيما كان السؤال في
الظاهر خارج في الحقيقة مخرج المحنة نحو ما ذكرنا في امر الملائكة وامر موسى عليه السلام فاما السؤال الذي هو في حق السؤال انما هو في حق
الاستخبار ليعلم ما عليه حقيقة الحال بالسؤال لكن الذي ذكرت فيما كان سبيله ان يكون من له الامتحان ولا قوة الا بالله وقوله فانظر الى طعامك
وشرابك لم يتسنه قيل لم يات عليه السنون اي كانه لم يات عليه السنون وقيل لم يتسنه لم يتغير ولم ينتن والاول اشبه لانه يقال من التغير
والنتن لم يتسن وقوله وانظر الى العظام كيف ننشزها وهو من الاحياء بالزاي وهو من الارتفاع والنصب وفيه لغة اخرى ننشرها
وهو من الاحياء وننشرها من النشر وقوله فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير بالنصب صرف قوله الى يحيي هذه الى المسلم ومن قراء
بالخفض صرف الى الكافر بقول الله له اعلم ان الله على كل شيء قدير ويحتمل ايضا صرفه الى المسلم واعلم على الاخبار كانه قال اعلم ما كنت علمته غيبا مشاهدا
وفي هذه الايات اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذه القصص كانت ظاهرة بينهم ولم يكن له اختلاف اليهم ولا النظر في كتبهم ثم اخبر
على ما كان ليعلم انه انما علم ذلك بالله عز وجل ثناؤه وقوله واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
قال بعضهم كان ابراهيم عليه السلام موقنا بان الله يحيي الموتى ولكن احب ان يعاين ذلك لان الخبر لا يكون عنه ابن ادم كالعيان على ما قيل
ليس الخبر كالمعاينة وقيل يحتمل سؤاله عما يسئل لما نازعته نفسه وحدثته في كيفية الاحياء وقد تنازع النفس وتحدث بلا حاجة لها اليه من
جهة نفسه ليقع له فضل علم ومعرفة وقيل ليطمئن قلبي واعلم انك قد استجبت لي دعوتك واعطيتني الذي سالتك وقيل اولم تؤمن اي اولم

توفي بالخلة التي خاللتك قال بلى سال ربه على الخلة وقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك ربي الذي اوردت ويحتمل ان يكون
ابرهيم عليه الصلوة والسلام اراد بسؤاله ذلك ان يكون له اية حسية لان ايات ابراهيم كانت عقلية وايات سائر الانبياء كانت عقلية
وحسية فاحب صلوات الله عليه ان يكون له حسية على ما لهم كسؤال زكريا ربه حيث قال رب اجعل لي اية قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة
ايام الا رمزا جعل الله اية حسية فعلى ذلك سؤال ابراهيم عليه السلام وقوله فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك معناه وجههن اليك كقول
الرجل صر وجهك الي اي حول وجهك وروي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فصرهن اليك قيل هو التقطيع فقيل فصرهن قطعهن
وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الاية يحتمل ضرب مثل النفقة في
سبيل بالجنة التي ذكر وجهان احدهما ان يبارك في تلك النفقة فيزداد ويربو على ما ادرك في حبة واحدة فصارت سبعمائة واكثر والثاني
قال يربي الصدقة تتلف وتتلاشى في ايدي الفقراء فقالوا كيف تربي وهي تالفة فقال تربي كما تربي الحبة في الارض بعد ما تلفت فيها و
فسدت فصارت مائة وزيادة فعلى ذلك الصدقة في طاعة الله والنفقة فيما يربي وان كانت تالفة وقيل انها منسوخة بالفرايض لكن
هذا لا يحتمل لانه وعد في الاخرة والوعد لا يحتمل النسخ الا يعنون نسخ عين الصدقة بغيرها فاما الوعد فهو حاله والله اعلم وقوله والله
واسع عليم قيل غني وقيل جواد يوسع على من يشاء وقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قال المفسرون الجهاد خص الجهاد بهذا
والله اعلم لان العدو اذا اخرجوا القتال المسلمين خرجوا الشيطان ويسلكون سبيله وطريقه والمؤمنون انما يخرجون ليسلكوا طريق الله تعالى
وينصروا دينه واولياءه لذلك كان التخصيص لهم ولا كان يجيء ان يسمى الطاعات كلها والخيرات سبيل الله لانه سبيل الله وطاعته
كقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الاية وقوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل منا على الله واذى للفقراء واذى له ثم قيل
منه على الفقير عند ما انفق عليه وتصدق واذاه ويوبخه عليه بذلك واما منته على الله كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي
اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرناه اوليه فيما تقدم وقوله قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى قيل قول معروف كلام حسن يدعو الرجل لاخيه بظهر الغيب وقيل قول معروف يستغفر الله ذنوبه
في السر ومغفرة له يغفر له ويتجاوز عن مظلمته وقيل قول معروف الامر بالمعروف خير ثوابا عند الله من صدقة فيها اذى ومن قال قيل كيف
جمع بين قول المعروف والمغفرة وبين الاذى والمن فقال الخير من كذا واحدهما خير والاخر شر وانما يفعل هذا اذا كان جميعا خيرين فيقال
ايهما اخير قيل معناه والله اعلم هذا خير لكم من ذلك وهو كقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة في دنياكم وان لم يكن اللهو والتجارة
من جنس ما عند الله فعلى ذلك الاول ويحتمل الاية على الابتداء لا على الجمع هذا خير وهذا شر قال الشيخ رحمه الله ووجه ذلك ان الصدقة
قربة وهي خير فاذا اتبعها الاذى ابطلها فيكون قول معروف اي رد جميل السائل خير من اجابته في البذل ثم الرد بالاذى لان هذا يبقى
وان كان لا ينتفع به الاخر والصدقة لا وان كان ينتفع بها الفقير والله اعلم وقوله والله غني عن صدقاتكم حليم لا يعجل بالعقوبة
عليكم بالمن والاذى وقال بعضهم المن والاذى ان يقول للسائل خذ لا بارك الله فيه لك وقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ما ذكرنا ثم جهة البطلان والله اعلم ان الله عز وجل وعد لمن تصدق الثواب عليها بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة وقال واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه وقال في اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وان كانت تلك الاموال في الحقيقة له اعطاهم الثواب على ذلك فاخبر ان من اعطى اخر شيئا يبذل
عليه كالمبادلات التي تجري بين الناس ان لا يكون لبعضهم على بعض جهة المن انما اخذ بدل ما اعطاه اوان يقال ان الاموال كلها لله تعالى
فانما اعطى ماله وكل من اعطى اخر ماله لا يستوجب ذلك حمدا ولا ثناء ثم اختلف في قوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس قال بعضهم
هو منافق كانوا ينفقون اموالهم رياء دليله قوله ولا يؤمن بالله واليوم الاخر شبه الصدقة التي فيها من واذى بالصدقة التي
فيها رياء وذلك والله اعلم ان الصدقة التي فيها من واذى لم يبتغ بها وجه الله فكان كالصدقة التي ينفقها للزيادة لا يبتغي بها وجه الله
فكان كالصدقة التي ينفقها للزيادة لا يبتغي بها وجه الله تعالى عز وجل والدار الاخرة ثم ضرب المثل للصدقة المبتغى بها الرياء والصدقة
التي فيها المن والاذى بالصفوان الذي عليه تراب وهو الحجر الاملس فقال كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا قيل الوابل
المطر الشديد عظيم القدر وفي ضرب الامثال تعريف ما غاب عن الابصار بما هو محسوس وذلك ان الصفوان الذي به ضرب المثل والتراب
محسوس ومن التراب جعل الاغذية للخلق والدواب ثم الثواب الذي وعد للصدقة ليس بمحسوس بل هو غائب فعرف الغائب بالمحسوس
فقال لما كان التراب الذي به يكون الاغذية يذهب بالمطر الشديد حتى لا يبقى له اثر فكذلك الثواب الذي يكون للصدقة يذهب ويبطل
حتى لا يبطل بها بالمن والاذى والرياء كما اذهب المطر التراب الذي على الصفوان فصار صلدا لا شيء عليه من التراب وقوله والله لا يهدي
القوم الكافرين قالت المعتزلة لا يهدي القوم الكافرين بكرمهم الذي اختاروا وقلنا نحن لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر ويهديهم الايمان
وفي قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى وله وجه اخر هو ان يحتمل قوله معروف هذه التسبيحات والثناء والحمد والتهليل
ستر ما ارتكب من الماثم وقوله خير اي احب على البدن من صدقة يتبعها اذى والله اعلم وقوله ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم الاية في الامثال التي ضربها الله تعالى وذكرها في القران وجوه احدها جواز قياس ما غاب من الحكم عن المنصوص به

اذا جمعهما معنى واحد والثاني ان علوم المحسوسات والمشاهدات هي علوم الحقايق وهي الاصول التي بها يستدل ويوصل
الى معرفة الغايب والثالث فيها اثبات رسالة محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وذلك ان العرب لا تضرب الامثال
ولا كانت تعرفها في امر التوحيد وتعريف ما غاب عن حواسهم من امر القيامة ونحو ذلك ثم بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل
عليه الفرقان وذكر فيه الامثال ليذكرهم تلك الامثال ليعلموا انه انما عرفها بالله عز وجل لانه انشاء هذا القرآن من تلقاء نفسه ذلك
عن ايه نبوته ورسالته وعلى ذلك جعل عدم الكتابة وانشاء الشعر من ايات نبوته ورسالته ولان من عادة العرب انشاء الشعر
الشعر والكتابة ويفضلون اربابها على غيرهم لئلا يعرف هو بها ويقولون انه اخذ من الكتب واختلق من نفسه كقوله تعالى ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون والرابع فيها دلالة ان الله جل وعلا خالق الدنيا وما فيها من المحاسن والخبايث والاعالي والخسايس حيث
ضرب مثل الرفيع بالرفيع والخسيس بالخسيس فدل ان خالق هذه الاشياء كلها هو الله تعالى لا شريك له ولا شبيه ثم شبه الصدقة التي
هي لله عز وجل مرة بالربوة من الارض وهي المرتفعة منها ومرة بالحبة التي تنبت كذا كذا سنبلة وفي كل سنبلة كذا كذا حبة ومرة بالاضعاف
المضاعفة لتعود فيضاعفه له اضعافا كثيرة فهو والله اعلم لما علم عز وجل رغبة الناس مرة في العدد في الدنيا ومرة في البساتين التي تنفع
ارضها وتربتها ليشرفوا على غيرهم من الخلايق والضياع ومرة في الكثير من الاشياء والعظيم منها رغبهم عز وجل في الصدقة بما ذكرنا
من الاشياء لعلمه برغبتهم فيها ليرغبوا في ذلك والله اعلم وعلى ذلك حرم الله تعالى الصدقات على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه
كان يرغب الناس في الصدقة لئلا يظنوا فيه ظن السوء ويقولون انه انما يرغبهم فيها لينتفع هو بها وقوله تثبيتا من انفسهم قيل
تصديقا كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى وقيل وتثبيتا اي تيقينا بالاسلام وقيل يتثبتون في مواضع الصدقة وقيل
تثبيتا في الصدقة اذا كانت لله امضى وتصدق بها وان خالطه شيء امسك والله اعلم وقوله كمثل جنة بربوة قيل الربوة هو
المرتفع من الارض وقيل الظاهر المستوي من المكان وقوله فآتت اكلها يعني الجنة اضعفت في ثمرها في كل ضعفين حين اصابها
وابل كذلك الذي ينفق ماله لله في غير منة يمن بها يضاعف نفقتها كثرت النفقة او قلت وقيل يضاعف الله للمنفق الاجر مرتين
وقوله فاصابها وابل والوابل قد ذكرنا انه المطر الشديد العظيم القطر وقوله فطل والطل هو المطر الضعيف وقيل هو الطش من
المطر وهو الرذاذ مثل الندى لا تزال الجنة خضرا دايما ثمرها اقل او اكثر وقوله ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الاية
ليس لهذا الخطاب جواب لان جوابه ان يقول يود او لا يود ولكن الخطاب من الله تعالى يخرج على وجوه ثلاثة خطاب يفهم مراده وقت
قرعه السمع وخطاب لا يفهم مراده الا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر وهو كقوله افلا يتدبرون القرآن الاية وكقوله عز وجل
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون وخطاب لا يفهم مراده الا بالسؤال عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
او من له علم في ذلك كقوله تعالى فاسئل به خبيرا وكقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فاذا كان ما ذكرنا فيحتمل ان ما ترك
من الجواب للخطاب انما ترك للطلب والبحث عنه والتفحص ثم ان هذا الخطاب يحتمل ان يكون في اهل النفاق وذلك ان المنافق يرى
من نفسه الموافقة لاهل الاسلام في الظاهر وهو مخالف لهم في السر وعنده انه يستحق الثواب بذلك وقت الثواب كان كصاحب
الضيعة التي ذكرت في الاية ان صاحبها يغرس فيها الغرس وينبت فيها النبات في حال شبابه وقوته ورجاء ان يصل الى الانتفاع
بها في وقت الحاجة والضعف فاذا بلغ ذلك واحتاج حيل بينه وبين الانتفاع بها فكذلك المنافق الذي كان دينه لمنافع في الدنيا
وسعة لها اذا بلغ الى وقت الحاجة حرم ذلك وكذلك هذا في الكافر لانه راى لنفسه النفع بعمله لوقت تامله كصاحب الضيعة
ثم عند بلوغه الحاجة حرم عند ذلك لاعتراض ما اعترض من الافة وهو كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء الاية لان الكافر عابد من دون الله عابدين لتنفع بتأمله في الدنيا والمؤمن انما يدين بما يدين لتنفع بتأمله ويطمع في الاخرة
فرجاء الكافر في غير موضعه لذلك كان ما ذكر والله اعلم ثم الامثال التي ضربت ينتفع بها المؤمنون لان نظرهم في الامثال من المعنى
المدرج والمودع فيها لم ينظروا الى اعينها واما الكفار انما ينظرون الى اعين الامثال لا الى ما فيها فاستحقروها واستبعدت عقولهم
ذلك لذلك قال لايات لقوم يتفكرون يعقلون ووجه ضرب هذا المثل وهو ان الكافر يحرم ويلجئ عند افقر واحوج ما كان اليه كما
حرم هذا نفع بستانه عند افقر واحوج ما كان اليه حين كبرت سنه وضعفت قوته ولا حيلة له يومئذ وقوله اعصار قال ابن
عباس الاعصار ريح فيها سموم وقيل الاعصار ريح فيها نار تحرق الاشجار وقيل هي الريح تسطع الى السماء وهي اسد قال الشيخ
رحمه الله في قوله ايود احدكم ان تكون له جنة الاية نعناه والله اعلم ان يكون اذ لا يود احد ان يكون له جنة ينال منافعها في وقت قوته
وغناه بقوته عنها وبغيرها من وجوه المعاش ثم يحرم نفعها لوقت الحاجة اليها بضعف بدنه وارتكاب مؤن الذرية فكذلك لا ترضوا
من انفسكم في وقت قوتها وغناها الغفلة عنها لوقت حاجتها الى الاعمال والاضطرار الى ثوابها والله اعلم وان يكون المعنى من ذلك
اي لا تغتروا بنظام احوالكم في الدنيا وما تنالون من المنافع بالذي اظهرتم من موافقة المؤمنين كاغترار من ذكرت بجنته في خاص
ما عليه حاله الى ان الى ما اراه الله من عاقبته انه يود عند نهاية ذلك ان لم يكن منه الاغترار في ذلك ولكن كان قيامه عليها لا يضيع
عنه ذلك لتلك الحال فيخرج ذا على ضرب المثل للمنافق ويحتمل ان يكون ذلك مثل لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يؤمن بالبعث انه

ينال

ينال بالكفر به من الرياسة والعز كالذي ذكر من صاحب الجنة انه لا يود ذلك الابتداء بما يعلم تلك العاقبة فكذا ما ينبغي لهم
اذ بين لهم عواقب الكفر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يؤثروا الذي نالوا بعد علمهم بشرة تلك العاقبة والله اعلم والمثل خرج على غير
ذكر الجواب فيه لما قد جرى له البيان لعلمه بالمبعوث فيه نبيا او بما في الحال التي نزول الاية دليل التعريف وبما اراد الله امتحان السامعين
بالتامل في الاية ليناله كل ذي عقل فضله وليكرم به اهل التدبر في اياته في صرف وجوه من دونهم اليهم في الصدور عن رايهم والاعتماد
على اشارتهم والله اعلم وجملة ذلك ان افعال ذوي الاختيار يكون العواقب وما اليه مرجع الفاعل مقصودا في الابتداء فبين لمن
اغفل عنه بالذي عرف من حسرة المسرور بجنته لما انكشفت له عاقبتها حتى لعله يود ان لم يكن له تلك فيكون سروره بما يحمد عاقبته
فعلى هذا الامر لافعال التي تغفل عن عواقبها اذا صار اليها صاحبها والله الموفق وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض فيه دليل وجوب الزكوة في اموال التجارة بقوله ما كسبتم لان اموال التجارة هي التي تكتسب
وليس في كتاب الله بيان وجوب الزكوة في اموال التجارة في غير هذا الموضع وليس فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
ذكر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم القول به فيحتمل ان يكون ما قالوا به هذه الاية واما زكوة الفضة والذهب والمواشي فيها لها ذكر
في الكتاب والسنة فالزكوة تجب فيها لعينها اكتسب فيها او لم يكتسب واما اموال التجارة فان الزكوة تجب فيها بالاكتساب وفيه
دليل ان النفقة المذكورة فيه لازمة واجبة لانه قال الا ان تغمضوا فيه ذكر الاغماض لا يذكر في المعروف انما يذكر في اللازم
والواجب الذي لا مخرج له عنه الا بالاداء الا عن عفو وصفح والرضا بدون الحق بثباته على اللزوم وفيه دليل وجوب الحق في
الرطاب والخضروات لانه ذكر في الاية المخرج والرطاب هي تخرج من الارض واما الحبوب انما تخرج من الاصل الذي يخرج من
لذلك كان الرطاب والخضر اولى بوجوب الحق من غيره بظاهر الاية قال الشيخ رحمه الله والوجوب في الحبوب بما كانت تخرج عن
الحقوق والحقوق بظاهر هذه الوجوب في التي تخرج من الارض واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله فانهما قالا يحتمل قوله اخرجنا لكم
من الارض يعني من الاصل الذي يخرج لكم من الارض كقوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري ولا ينزل من السماء اللباس كما هو ولكن انزل
الاصل الذي به يكون اللباس وكذلك قوله خلقكم من تراب وهو لم يخلقنا من التراب وانما الاصل من التراب وهو ادم عليه السلام
فعلى ذلك الاول والله اعلم والوجه منه انه من الله علينا بما اخرج لنا من الارض من انواع ما اخرج بحبة تلقى في الارض فيفسد فيها
فيخرج منه النبات بلطفه لا صنع لاحد فيها وتلك المنة لا تكون على اربابها خاصة دون الفقراء كي يطلب اربابها لانه اخرجه رزقا
للكل ففيه حق الفقراء والاغنياء جميعا ومن ثم جاز وجوب العشر على الصغار الا ترى الى قوله افرايتم ما تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن
الزارعون قيل انتم تنبتونه ام نحن المنبتون واما بعد النبات فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ ونحوه لذلك كان ما ذكرنا والله
اعلم وفي قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه دلالة على ان لا يتصدق بالرديء عن الجيد فاذا تصدق به
يلزمه فضل ما بين الرديء الى الجيد على قول محمد رحمه الله بظاهر قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يجوز
ولا يحتاج له ذلك وذلك ان الله تعالى طبع الناس قبول ذلك اذا تغامضوا فيه واحتج ان يطبع فيه القبول لكرمه ولطفه ولانه ليس لصنعة ما
يكال ويوزن من نوعه قيمة فاذا لم يكن له قيمة لا يلزمه فضل الصفة وقوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء قوله يعدكم الفقر
في الدنيا بالتصدق والانفاق ويامركم بالفحشاء بترك الصدقة ويحتمل يعدكم الفقر في الدنيا بطول الامل وفناء المال ويامركم بالفحشاء بسوء
الظن بربه والله يعدكم مغفرة بالصدقة وفضلا وذكا في الدنيا ويحتمل قوله والله يعدكم مغفرة في الاخرة وفضلا في الدنيا يعني خلفا وقيل
مغفرة لكم لفحشائكم وفضلا لفقركم وقوله والله واسع عليم اي غني بقدر اخلاف ما انفقتم عليم بجزاء صدقاتكم ويحتمل ما تنفقون من
الصدقة والجنة وفي قوله والله واسع عليم وغني حميد ونحوه ليعلموا انه اعاد غبا الناس على الصدقات والنفقات ابتلاء ومحنة منه لا
حاجة وتعزز وقوله يؤتي الحكمة من يشاء قيل الحكمة فهذا الموضع معرفة الامران وتفسيره وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وكذا روي
مرفوعا وقيل الحكمة الفهم في القرآن وقيل الحكمة الفقه وقيل النبوة وقيل الحكمة هي الاصابة وفيه دليل جواز الاجتهاد وانه مصيب في اجتهاده
قال الشيخ رحمه الله في قوله يؤتي الحكمة من يشاء اختلف في تاويل الحكمة فهذا قال قوم هي القرآن وهو على ما وصف بانه نور وهدى ورحمة وشفاء
والنور وهو الذي يبصر به حقايق الاشياء وبالهدى يدرك كل وينفى كل تلف وبالروح يحيى كل ذي روح وبالشفاء يبرئ كل سقيم و
يزال كل افة والذي هذا وصفه فهو الخير وبالله المعونة وقال قوم الحكمة هي الاصابة الحقيقة كل شيء وبها يتقى كل بؤس وينال كل خير وذلك هو
الخير الكثير وبالله العصمة وقال بعضهم الحكمة هي السنة كانه اكرم رسوله صلى الله عليه وسلم بالذي من سلكه نجا ومن حاد عنه غوى وفي
الاصل قيل الحكمة في التحقيق وضع كل شيء موضعه ودفع كل حق الى حقه وقيل هي من احكام الامور واتقانها وذلك مقابل لما يضاد الحكمة
السفه وهو في العقل والاضطراب في الامور والله اعلم وقال قوم الحكمة في القرآن هي فهم الحدود والسراير وهو الذي به يدرك الموافقة و
المخالفة من طريق الحقايق لا من طريق الظواهر وذلك على الحكماء ودعاة الدين ولا قوة الا بالله وقال قوم هي الفقه والفقه معرفة الشيء بمعناه
الدال على نظيره وهو الذي به يوصل الى معرفة الغايب بالشاهد والغامض بالظاهر وفرع بالاصل ولا قوة الا بالله واي هذه الوجوه كان
الحكمة فذلك يجمع خير الدارين لو حفظ حقه والذي هذا وصفه فهو الخير الكثير وبالله المعونة وفي الاية دلالة ان الله لا يؤتي كلا الحكمة

وان الحكمة وان كانت فعلا للحكيم فباعطاء الله تعالى نالها وانه لا يجوز ان يعطيها احدا ثم لا ينالها المعطى وهذه الوجوه كلها
تخالف راى المعتزلة **وقوله** فقد اوتى خيرا كثيرا من حفظ النفس في الدنيا عن جميع الافات وفي الاخرة عن دفع العقوبات وما يذكر
الا اولوا الالباب يعنى وما يتعظ بما ذكر الا ذوو الفهم والعقل وفي الاية نقض على المعتزلة لانه قال يؤتى الحكمة من يشاء ثم قال ومن
يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ولا كل احد يؤتى بعضا دون بعض فلو كان على الله تعالى ان يعطى الاصلح في الدين لكان يؤتى
الكل وبطل الفضل ومن قال يؤتى غيرها فكان خلاف ما في الكتاب **وقوله** وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر يحتمل نفقة
المحارم ويحتمل النفقات التي تجرى بين الخلق ويحتمل المعروض من الصدقات ويحتمل غيرها ثم روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله او نذرتم من نذر قال نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة
يمين ومن نذر نذرا لم يطقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فكيف بر فيه تنبيه وتذكير ان الله يعلم صدقهم ونذرهم
ليحتسبوا في النفقة ويخلصوا وفي النذر ويرفوا به **وقوله** فان الله يعلمه قيل يقبله وقيل يأمر بوفائه ويحتمل قوله يعلمه اى يعلم ما انفقتم
منه فيجزيكم على ذلك ويحتمل يعلمه ما اردتم بصدقاتكم ونذوركم **وقوله** وما للظالمين من انصار في الاخرة يعنى مجير يجيرهم من
العذاب وقيل ما للظالمين من شفيع يشفع لهم ولا ناصر ينصرهم لانه ما من ظالم الا وله في الدنيا ظهير **وقوله** ان تبدوا الصدقات
فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال بعضهم هي الفريضة وقال اخرون هو تطوع وهو اوجه وقال غيرهم قوله
ان تبدوا الصدقات هي الفريضة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء هي التطوع قال الشيخ رحمه الله لا يحتمل الاخفاء في التطوع و
الابداء في الفرض لما اخبر في الاخفاء انه خير ولا يكون التطوع خيرا من الفريضة ومن حمل على الفريضة يستحب ان يظهر والزكوة
المعروضة ليقتدى به ويرغب الناس عليها ومنهم من يستحب الاخفاء ايضا ويقولون في الابداء شينا ان الصدقة نفسها والاخفاء
وفي الاخفاء وجوه احدها الصدقة والاخر ترك المراة وسلامتها والثالث الكف عن المن والاذى ومنهم من حمل قوله ان تبدوا الصدقات
على الفريضة وان تخفوها على التطوع وذهب الى ان الفريضة ليس فيها الرياء لانه لا يتخلف احد فسوا فيها الابداء والاظهار واما التطوع
ففيه الرياء لانه معروف ليس عليه والاحتمال واسلم والله اعلم **وقوله** والله بما تعملون خبير فيه وعيد وتحذير انه يعلم ما تسرون
وما تعلنون في الصدقة ويحتمل تعملون خبير من جزائكم الصدقة قال ابن عباس رضى الله عنه في قوله ان تبدوا الصدقات الاية جعل الله
تعالى صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصدقة السر تطفئ غضب الرب وصنائع المعروف
تدفع مصارع السوء وصلة الرحم تزيد في العمر عن الحسن قال الابقاء على العمل اشد من العمل وذلك ان العبد ليعمل العمل سرا فكتب له عمل
السر فلا يزال به الشيطان حتى ينسخ من عمل السر الى عمل العلانية ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب ان يحمد حتى يكتب من عمل العلانية في
الرياء **وقوله** ويكفر عنكم من سيئاتكم فيه دليل ان من السيئات ما يكفرها الصدقة ومنها ما لا يكفر وقيل ان من ها هنا صلة ففيه
اطماع تكفير السيئات كلها بالصدقة كقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهو نقض على المعتزلة لانهم لا يرون تكفير الكبائر بغير
التوبة عنها ولا التعذيب على الصغائر فاما ان كانت الاية في الكبائر فيبطل قولهم لا يكفر بغير التوبة او في الصغائر فيبطل قولهم انها مغفورة
اذا عرفت بالصدقة لانهم يخلدون صاحب الكبائر في النار والله تعالى اطمع تكفير السيئات كلها بالصدقة والله الموفق **وقوله**
ليس عليك هديهم ولكن الله يهدى من يشاء اخبر انه ليس هداهم وعليه البيان والتبليغ فدل ان هناك فضل هدى لا يملك هو ذلك
وهو التوفيق على الهدى والتحقيق له وهذا رد على المعتزلة ويكذبهم ان كل الهدى البيان ولو كان كل الهدى بيانا لكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يملك ذلك اذ عليه البيان فدل انه لا يملك الهدى المراد في الاية فهو على ما ذكرنا من التوفيق ويحتمل قوله ليس عليك
هديهم اى حسابهم ان اهتدوا بهم كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وانما عليك البلاغ **وقوله** وما
تنفقوا من خير فلانفسكم من خير اى مال فلانفسكم يعنى فلانفسكم الثواب قيل قوله فلانفسكم يعنى منفعته لكم وفي قوله وما تنفقوا
من خير فلانفسكم دلالة على انهم كانوا يتحرجون بالتصدق على اقربائهم من الكفار خشية ما يقع من التعاون على ما اعتقدوا من الذنب
اذا المكاسب لكل اهل دين انما يقع من العقلاء مكان ما ينفقون به لاجل الدين فبين جل وعلا ان ذلك نفع لكم ولانفسكم وتكفيرها
الكفر ثم في الاية دلالة جواز الصدقة على الكفار ودليل جواز دفع الكفارات اليهم بقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم فهو دليل
لاصحابنا لانه جعل هذه الصدقة مكفرة **وقوله** يوف اليكم يعنى يوفر عليكم ثواب صدقاتكم وان كان التصدق على الكفرة **وقوله**
وانتم لا تظلمون في حرمان الثواب والجزاء **وقوله** للفقراء الذين احصروا في سبيل الله قيل من سبيل الله يعنى حبسوا الفقر عن الجهاد
وكقوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون من حرج والعرب تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض ويحتمل قوله احصروا
في سبيل الله اى حبسوا انفسهم في طاعة الله لا يجدون ما يتجرون ولا يحترفون ولا ما يكتسبون **وقوله** لا يستطيعون ضربا في
الارض للتجارة **وقوله** لا يسألون الناس الحافا يحتمل وجهين اى لا يظهرون السؤال اى لا يسألون كقوله لا تنفعها شفاعة اى
لا يشفع لهم فان كان على السؤال فانهم اذا سألوا لم يلحفوا دليله قوله صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه بابا

من الفقر ثم ذكر في الخبر من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله ان كان على التعريض نفيه اباحة التعريض بين يدى
اهل الجود والسخاء **وقوله** تعرفهم بسيماهم يعنى سيما التخشع وقيل سيماء الفقر لا يسألون الناس الحافا وقيل تعرفهم بسيماهم
اى بتجملهم لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا ولا غير الحاح **وقوله** الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قيل هم
كذا قيل هي النفقة على الخيل المحتبسة للجهاد ينفقون ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا اضرار وعن على وابى امامة رضى الله
عنهما هي النفقة على الخيل في سبيل الله وعن ابن عباس رضى الله عنه قال في علف الخيل والنفقة عليها وقيل نزلت في نفقة عبد الرحمن
بن عوف في جيش العسرة وقيل نزلت في على بن ابى طالب رضى الله عنه انه لم يكن يملك من المال غير اربعة دراهم ويتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي حملك على هذا فقال حملني ان استوجب على الله الذي وعدنى فنزلت فيه
هذه الاية وقيل نزل في ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فلا ندرى فيمن نزلت وليس لنا الى معرفة المنزل شانه حاجة سوى انه
وصفهم بالجود والسخاء نفقتهم على الناس ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا من ولا اذى وفيه نفى الرياء من نفقتهم لان من عود
نفسه الفعل في جميع الاوقات لم يراء **وقوله** ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان نعيم الدنيا مشوبة بالحزن والخوف فاخبر ان نعيم
الاخرة لا يشوبه حزن ولا خوف لذلك كان ما ذكروا الله اعلم **وقوله** الذين ياكلون الربوا قال بعضهم ليس على حقيقة الاكل ولكنه كنى
على الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فاذا كان هذا على الاخذ فقوله تعالى لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس هو على التمثيل ليس على التحقيق وقال الاخر هو على نفس الاكل وما ذكر من العقوبة لما اكلوا من الربوا لا يقوم يوم القيامة الا
كما يقوم المجنون المختنق وقال غيرهم ذلك لاستحلالهم الربا وتخبيطهم الله جل وعلا في الحكم في تحريمهم الربا بقولهم قالوا انما البيع
مثل الربوا ثم قوله ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا فيه دليل جواز القياس في العقل لانه لو لم يكن في العقل جوازه لم يكن لقولهم
انما البيع مثل الربوا معنى لكنهم لم يعرفوا معنى المماثلة ثم المماثلة على الوجهين مماثلة اسباب ومماثلة احوال فالمماثلة التي هي
مماثلة احوال هي ابتداء محنته فالفعل لا يقاس على غيره نحو ان يقال اقعدوا ان يقال قم لا يقاس القيام على القعود ولا القعود
على القيام انما هو محنته لا يلزم غير المخاطب به واما مماثلة الاسباب فهي مماثلة الاحوال نحو ان يقال حرم السكر في الخمر فحيث
ما وجد السكر يحرم لانه يجنى على العقل فكل شيء يجنى عليه فهو محرم التناول منه **وقوله** انما البيع مثل الربوا يقولون لما
جاز ان يباع ثوبا يساوى عشرة باحد عشر كيف لا جاز ان يباع عشرة باحد عشر وقيل كان الرجل منهم اذا حل ماله على
صاحبه طلبه فيقول المطلوب للطالب زدنى في الاجل وازيدك على مالك فيفعلان على ذلك ويعملان به فاذا قيل لهم هذا
ربوا قالوا هما سواء الزيادة في البيع والزيادة عند محل البيع فاكذبهم الله تعالى في ذلك وقال ليس هكذا ويحتمل فيه ابتداء
حرمة ان حل ما هو بيع لا ما هو ربوا ثم قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربوا فلقائل ان يقول ان ما يحرم منه قدر الربوا واما
العقد فانه يجوز لما ليس فيه ربوا لكن الاصل عندنا فيه ان الدرهم الزائد ياخذ كل درهم من العشرة قسطا منه وجزءا من اجزاء
كل درهم منه فلا سبيل الى امضاء العقد لاخذ اجزائه كل درهم من الذي فيه العقد وهو ربوا وفيه وجه اخر وهو انه ختم الكلام
على قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ولا بد رأس المال في العقد تدفعنه ثم معرفة الربوا من غير الربوا ما ليس بارادة يدل انه في
دلالة ان حرمة الربوا كان ظاهرا عندهم حتى حكوا وكان حرمته فيما بينهم كهو فيما بين اهل الاسلام لذلك قال ابو حنيفة رضى الله
عنه ان لا يجوز بيع الربوا فيما بين اهل الاسلام وبين اهل الذمة وعلى ذلك خرج الخطاب منه عز وجل بقوله لا تاكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة **وقوله** فمن جاءه موعظة من ربه قيل بيان تحريم الربوا وقيل فمن جاءه نهى في القران من ربه في تحريم الربوا
فانتهى عن الربوا ويحتمل الموعظة هي التذكير لما سبق منه فيتذكر فيرجع عن صنيعه **وقوله** فله ما سلف قيل فيه بوجهين
قيل ما سلف له في الجاهلية صار مغفورا له وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل قوله ما سلف وذلك ان
الكافر اذا تاب ورجع عن صنيعه يرجع لان لا يعود الى فعله ابدا ويندم على كل سيئة ارتكبها فيجعل الله كل سيئة ارتكبها
فيجعل الله كل سيئة كانت منه حسنة وهو كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات **وقوله** وامره الى الله في حادث الوقت
ان يعصمه **وقوله** ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان المعتزلة استدلوا على الوعيد لاهل الاسلام بما ذكر في
من العود ولكن بيدا الاية على الاستحلال فعلى ذلك العود اليه على جهة الاستحلال يدل عليه قوله والله لا يحب كل كفار اثيم فاثبت
له الكفر بالذى كان منه في الابتداء وهو الاستحلال فكذلك العود **وقوله** يمحق الله الربوا ويربى الصدقات قيل يمحق الله
يهلك وقيل يبطل ولكن اصل المحق هو رفع البركة وذلك ان الناس يقصدون بجمع الاموال والشح عليها لينتفع اولادهم
من بعدهم اشفاقا عليهم وكذلك يمتنعون عن التصدق على الناس فاخبر الله تعالى ان الاموال التي جمعت من جهة الربوا ان لا ينتفع
اولادهم بها وهو الامر الظاهر في الناس واخبر ان الصدقات التي لا يمتنعون عن الانفاق عنها يربى ويخلف اولادهم اذا انفق
ويمحق الربوا ويرفع البركة عنها حتى لا ينتفع اولادها بها وهو ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل متبايعين بالخيار ما لم
يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فيه وان كذبا وكتما محقت عنهما البركة **وقوله** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ظاهر

وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين قيل فيه بوجهين قيل قوله وذروا ما بقي من عمركم
الربوا اذ اصر لم مؤمنين وقيل وذروا ما بقي من الربوا الذي يقتبضوا ان كنتم مؤمنين وفي الاية دلالة على ان الربوا الذي لم
يقبض اذا ورد عليه حرمة القبض افسدته لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان فوت القبض عن المبيع يوجب فساد العقد كما كان
فوت قبض الربوا في ذلك العقد اوجب منع قبض الربوا والذي يدل عليه قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم فاوجب الفسخ فيه حتى اوجب
رد رأس المال وفي الاية دليل وجه آخر وهو انه جعل حدوث الحرمة المانعة للقبض بمنزلة ما يقع به العقد في فساد العقد فعلى ذلك يجعل
حدوث شيء في عقد معقود قبل القبض كالمعقود عليه في استيجار حصته من الثمن وقوله وذروا ما بقي من الربوا وقوله وان تبتم
فلكم رؤس اموالكم فيه دلالة ان ما جرت بين اهل الاسلام واهل الحرب من المداينات والمقارضات ثم اسلموا يرد وما اخذ وانهم
لا يردون وذلك ان الربوا الذي قبضوا البلاير دفلم يؤمر برده فعلى ذلك ما اخذوا قهرا اخذوا البلاير دثم يجب رده واما رأس المال
فانما اخذ والرد فعلى ذلك ما اخذ بعضهم من بعض دينا او قرضا وجب رده ففيه دليل بقول اصحابنا رحمهم الله على ما ذكرنا والله
اعلم وقوله فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله عن ابن عباس رضي الله عنه قال لمن كان مقيما على الربوا مستحلا له لا ينزع عنه
فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع عنه والا ضرب عنقه وقوله فاذنوا فيه لغتان بالقطع والوصل فمن قرأ بالقطع فهو على الامر
بالاعلام لمستحليه انه يصير حربا له بالاستحلال ومن قرأ بالوصل فهو على العلم كانه قال المؤمنين انه حرب لنا وقوله لا تظلمون ولا تظلمون
عن ابن عباس رضي الله عنه قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون اي لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وقتادة
رضي الله عنه يقول بطل الربوا وبقيت رؤس الاموال وقوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة عن ابن عباس رضي الله عنه الى ميسرة
قال هو المطلوب وهو في الربوا وفيه دلالة جواز التقلب في البيع الفاسد لانه جعل لارباب الاموال النظرة الى ميسرة من عليه المال ولو
كان له حق اخذ حيث ما وجد بعد ما تناسخت الايدي او كان له حق تضمين من هو اغنى لم يكن لانظار المعسر الى وقت الميسرة معنى
ولكن يجتنا وتضمين ايسرهم واغنيهم اذا كان يقدر ذلك خصومته واذا كان شرط سقطت الخصومة كما نقول في الذي يكفل عن معسر
وعمن اجل ثم النظرة بالاختيار ممن له الحق لانه يكون هكذا شاء هو وابى دليله قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق اليد واللسان اما
اللسان فتقاضاه واما اليد فيلازمه بها ويحبسه لكنه اذا اجل قطع على نفسه حق اللسان واليد الى ان يمضي ذلك الوقت ثبت له حق
اللسان واليد وقوله وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون يعني برؤس الاموال اذا اظهر اعساره وعن الضحاك قال في قوله وان تصدقوا
خير لكم قال اخذ رأس المال حسن وتركه احسن وانما الصدقة على المعسر فاما على الموسر فلا وفيه دليل جواز صدقة الدين وهبته ممن عليه دين
وهو الاخير له اذا ظهر اعساره ونحوه والله اعلم وقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية قال عامة اهل التاويل ان هذه الاية اخر ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه فان كان ما ذكروا فهو والله اعلم انه رغبهم في ذكر ذلك اليوم لما في
ترك ذكره بطول الامل وطول يورث الحرص والحرص يورث البخل ويشغل عن اقامة العبادات والطاعات فاذا كان كذلك فاحق ان ما يختم
القران هذا البلاء بتركوا ذكر ذلك اليوم فيسقطوا عن منزلة والجزاء والله اعلم قال الشيخ رحمه الله وبصيرك انه قال اتقوا وعيده تعالى في جميع
ما يعدكم وما الزمكم من الحق وقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فيه دليل جواز السلم في قوله اذا تداينتم بدين لان المداينة هو فعل اثنين وهو لم
نفسه لانه دين من الجانبين جميعا وعلى ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اشهد ان السلم المضمون مما اجازه الله تعالى في كتابه الكريم
ثم تلا هذه الاية فاما الخبر الذي جاء انه نهى عن الدين فان ذلك على فوت القبض فيه دليله جواز ما كان دينا بدين اذا قبض احد الجانبين وقال
اخرون قوله اذا تداينتم بدين هو بيع كل دين الى اجل مسمى فهو يسمى التداين كما يسمى البائع والمشتري المتبايعان لان كل واحد منهما بايع في وجه
ومشتري في وجه فعلى ذلك المداينة والتداين والله اعلم وقوله الى اجل مسمى فالعرف في الاسلام عند الناس ان لا يخلو عن الاجل فصار الاجل كانه
شرطا في جواز السلم وان لم يوجل لان الرجل لا يسلف لبود به حالا الاسلاف لان الحاجة هي التي تحمله على الاسلاف فهو انما يسلف ليرده
في وقت ثان لانه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج الى غيره ولكنه يبيعه فيصل الى حاجته ولا يحتمل المؤنة العظيمة فصار بالعرف كانه اجل ينسد
لترك بيان الاجل والله اعلم وعلى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم ثم امر عز وجل
بالكتابة في التداين بقوله فاكتبوه وذلك والله اعلم لانه وصل الى حاجته بقبض رأس المال والاخر لم يصل فلعل ذلك يحمله على انكار الحق والجحود
فامر عز وجل بالكتابة احترازا عن الانكار وجحود الحق له لانه اذا تذكر انه كتب واشهد عليه يرتدع عن الانكار والجحود فهو كما ذكرنا في قوله ولكم
في القصاص حيوة لانه اذا ذكر انه يقتل ارتدع عن قتل غيره فكذلك اذا ذكر انه مكتوب عليه يمتنع عن الانكار والجحود لما يخاف ظهور كذبه
وفضيحته على الناس والله اعلم ولا كذلك بيع العين بالعين لان كل واحد منهما لا يصل الى حاجته الا بما يصل به الاخر فليس هنالك للانكار معنى
لذلك لم يؤمر بالكتابة في بيع الاعيان وامر في المداينات والله اعلم ويحتمل الامر بالكتابة في التداين وجه اخر هو انه يجوز ان ينسى فينكر ذلك او ينسى
بعضه ويذكر بعض فامر بالكتابة لئلا يبطل حق الاخر بترك الكتابة ولا كذلك بيع العين لذلك افترقا قال الشيخ رحمه الله والنسيان يعقب التنازع
والمنازعة توجب التخالف وفيه الفساد فامر بالكتابة لدفع ذلك والله فاء بالحق ودفع الخصومات والله اعلم ولا يحتمل ان يعرض الكتابة واكثر
ما فيه ان يحفظ الحق ولمن لم يذكر كذلك انه لا يقبضه معاليست في عقد وفسخ فيتكلم فيها بوجوب واختيار انما هي للحق فله فعل ذلك والله اعلم

ثم اختلف

ثم اختلف في الكتابة قال بعضهم هي واجبة لازمة واستدلوا على وجوبها بقوله الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح الا تكتبوها اخبر برفع الجناح في التجارة الحاضرة فلو كانت في المداينة غير واجبة لم يكن لدفع الجناح فيها معنى فدل انها
لازمة في المداينة حيث دفع الجناح منها واما عندنا فهي ليست بواجبة لانه قال عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة
ثم امر قال فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته ذكر الرهن بدلا عن الكتابة ثم ذكر ترك الرهن بالايتمار فاذا كان له ترك الادى الرهن
بالايمان وهو بدل الكتابة فعلى ذلك له ترك الكتابة بالايمان اذا اصله مفروضا لم يحتمل ترك بدله بالايمان فاذا ذلك له دل انه ليس بمفروض
ولا لازم والله اعلم وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل فهذا لان الكاتب مأمون عليه فيؤدي حق ما ائتمن فيه لا يزيد على ما املى
عليه بالنصيحة واداء الامانة وهكذا الواجب على كل محكم بين اثنين ان يحكم بالعدل والنصيحة واداء الامانة كقوله واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل وكقوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله ولا يأب كاتب ان يكتب
كما علمه الله فليكتب قال بعضهم هذا وذلك ان الكتبة كانوا في صدر الاسلام قليلا فنهوا عن ترك الكتابة اذ في ذلك بطلان حقوق
الناس وذهابها واما اليوم فلا بأس بالاباء عليها لم يجد من يكتب له بالاجر فلا يبطل حقه وفيه وجه آخر وهو ان قوله ولا
يأب الكاتب اذا كتب ان يكتب بالعدل اي لم ترك الكتابة لكنه اذا كتب لا يكتب الا بالعدل والله اعلم وقوله كما علمه الله هو نقض
على المعتزلة لانهم يقولون يكتب وان لم يعلمه الله والله عز وجل اخبر انه يكتب بتعليم الله اياه ولو كان التعليم من الله ابناء الاسباب
لم يكن لقوله وما علمناه الشعر معنى لانه قد اعطى اسبابه والعدل ما ذكرنا ان لا يزيد على الحق ولا ينقص منه واصل العدل هو وضع
الشيء موضعه وقوله وليملل الذي عليه الحق ما عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فيه دلالة على ان القول قوله في قدر الحق حيث وعظ
فيما يملي الكاتب ان لا ينقص من حق الطالب شيئا وقوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع قال فما يكون هذا كله واحد
السفيه والضعيف والذي لا يستطيع ان يملي وقال الاخرون بل يختلف السفيه هو الصغير يملك وليه والضعيف هو المريض الذي لا
يقدر ان يملي والذي لا يستطيع هو الجاهل الذي لا يعرف ان يملي ثم اختلف في الولي قال بعضهم الولي هو صاحب الحق يملي بالعدل بين
يدي من عليه الحق لئلا يزيد على ذلك شيئا فان زاده او نقص انكر عليه صاحبه وقال الاخرون الولي هو وصي الصغير او ذو النسب منه
ثم المسئلة في الحجر قال ابو حنيفة رضي الله عنه الحجر لا يمنع عقوده وقال محمد بن الحسن لا يجوز عقوده ولكن الولي هو الذي يتولى ذلك
استدلالا بظاهر قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل فانما جعل الاملاء الى
الولي لا اليه ولو كان يجوز املاؤه لكان لا معنى لجعل ذلك الى غيره دل انه لا يجوز واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه ذهب الى انه
يجوز بقوله اذا تداينتم بدين اجاز تداينه فدل ان الحجر لا يمنع العقد عليه ولا تداينه ولان السفيه لم يستفد الاذن من السلطان
انما استفاده عن الله تعالى ولا يجوز حجر من لم يستفد الاذن منه وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم لم يجعل الاشهاد شرطا في
جواز البيع ولكنه معطوف على قوله فاكتبوه امر عز وجل بالاشهاد في البيع والتداين للمعنى الذي ذكرنا ان ترك الاشهاد والكتابة يحمله
على الانكار وجحود الحق فاذا كان هنالك شهود وكتاب يمتنع عن الانكار لخوف ظهور الكذب ولم يصر شرطا في جواز التداين لان
الاشهاد انما ذكر بعد المداينة والمبالغة وكذلك الكتابة فهو لما ذكرنا ان الانسان في طبعه النسيان والسهو فامر بالاشهاد والكتابة
لئلا ينسوا ويحمله ترك الاشهاد والكتابة على الانكار واما الامر بالاشهاد في النكاح في عقد النكاح نفسه دليله قوله لا نكاح الا
بشهود لذلك صار شرطا في عقد النكاح ولم يصر شرطا في المبايعة ووجه اخر وهو ان الشهادة في النكاح يدفع تهمة الزنا عنهما وقد
يحتاج اليه في كل الاحوال والحاجة الى الشهادة في البيع الى ما يتعقب فيه من توهم وقوع التنازع اذ له بذل ملكه للاخر من غير عقد بيع و
ليس لها بذل فرجها له من غير عقد النكاح لذلك صار الاشهاد شرطا في جواز النكاح ولم يكن شرطا في البيع والله اعلم وقوله واستشهدوا
شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان في الاية دلالة ان من قضى بالشاهد واليمين قضى بخلاف ظاهر الكتاب و
هو ايضا خلاف السنة لان قوله واستشهدوا ليس هو الاشهاد انما هو الاحضار للشهادة اذ اليمين لا يقع في الاشهاد انما يقع عند
الاستحضار ولو كان يمينه غنية لم يأمر المرأتين هتك سترها ولان الاية ذكرت حق القضاء في المبايعات الواقعة والاحكام
الى سبيلها لزوم الفصل بالقضاء بين اربابها فمن فصل القضاء بالشاهد واليمين جعل على خلاف ما جعله من له نصب الشرائع
والحجج وقال الله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا واما مخالفة السنة فقوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه فاذا
اتى بشاهد واحد لم يخرج الاخر من ان يكون مدعى عليه فاذا كان كذلك وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حجة المدعي عليه اليمين ولم
يجعل اليمين حجة المدعي فلذلك قلنا انه المخالف لظاهر الكتاب والسنة ولان الله تعالى جعل المرأتين في حال الضرورة وهو حال
عدم الرجل فلو كان يجوز القضاء بالشاهد واليمين لم يحتج الى ان يكلف النساء من الخروج الى ابواب القضاة والسلاطين لاداء
الشهادة وفي ذلك هتك الستر عليهن وكشف عوراتهن وتكليف القضاة فضل التفحص في حالهن ومعرفتهن لذلك بطل القضاء
بالشاهد واليمين والله اعلم فان قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى به قيل انه لم يرد انه فيم قضى في الاموال فان ثبت انه
فيم قضى لكنا نقضي به ثم قال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انه قضى بالشاهد واليمين في الاموال ونحن نقضي بعض احكام الاموال

بالشاهد الواحد اذا كان عدلا واليمين باب ما يحتاط فيه اذا شهد شاهدا ثم امنه لم يقبل ولكن يسترق واما الاموال فان الاجل في ذلك ترك القضاء الى ان يقوم الحجة التي تزيل الشبهة من جميع الوجوه وبالله التوفيق واما شهادة النساء فانها جائزة في الاموال وفي غير الاموال الا في الحدود خاصة فانها غير مقبولة اما جوازها في غير الحدود لان الله تعالى ذكر التداين وذكر في التداين الاجل والاجل ليس بمال ثم اجاز شهادتهن في التداين وفي الاجل الذي ليس هو بمال دل ان علة جواز شهادتهن ليس هو المالية نفسها واجيزت شهادتهن في الامالية وفيه وهو الاجل فظهرت ان علتها ليست مالية واما بطلان شهادتهن في الحدود فلان شهادتهن انما اجيزت بحكم البدل عن شهادة الرجل والابدال والحدود غير مقبولة نحو الوكالات والوكالات والكفالات فعلى ذلك شهادتهن لما كانت جوزها بحكم البدل لم تقبل ولانهن جبلن على السهو والغفلة والنقصان العقل والدين لقوله انهن ناقصات العقل فاذا كان كذلك اورث ذلك شبهة في الحدود والحدود دفع فيها الدرء لذلك لم يقبل والله اعلم ولان شهادتهن انما ذكرت فيما يبتغي به الاعلام والاعلان لا الاسرار فعلى ذلك تقبل شهادتهن فيما يبتغي ذلك المعنى واما الحدود وما يلزم بها فانما يبتغي في ذلك الاسرار والستر لذلك لم تقبل فيها شهادتهن تجوز في النكاح والطلاق والعتاق لان النكاح يبتغي فيه الاعلان على ما جاء اعلنوا النكاح لذلك قبلت والله اعلم ومعنى قوله الخصم اجاز شهادة النساء بالانفراد في كل شيء ما خلا الحدود والقصاص لذلك قبل بالرجال ولان الشهادة النساء اجيزت في الاصل توسعا فلا يجوز ان يرد فيما يتوسع وتقبل فيما يضيق وامر النكاح والطلاق في الشهادة اوسع فهو احق ان يقبل وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان قال كيف جاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين والله اعلم امر باستحضار الرجلين عند الحاكم للشهادة لا امر بالاشهاد عليها لذلك قال عز وجل فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اي لا تتكلف النساء حضور ابواب القضاة ومجلسهم لاداء الشهادة الا عند العجز عن وجود الرجال لما في ذلك هتك استارهن وكشف عوراتهن والله اعلم والثاني ان الله تعالى ذكر امرأتين واقامهما مقام رجل غائب والرجل الذي قامت امرأتان مقامه هو غائب ابدا فهو موجود اذا ان يشهد عدا على ذلك الحق لذلك جازت شهادتهن وان كانت هناك رجلان والله اعلم فان قيل ما الحكمة في ذكر رجلين دون ذكر العدد او ذكر واحد قيل لوجوه احدها ذكر على تدرج الاشياء ومراتبها عند الناس اذ كان امرا عظيما قطيعا لا تقبل فيه الا شهادة عدد نحو الزنا كقوله فان لم يأتوا باربعة شهداء الاية اذا كان خسيسا سهلا عند الناس قبل قول الفرد حرا كان او عبدا من نحو الاستيذان الدخول على اخ ونحوه ثم الاموال وغيرها هي المتوسطة المترددة من حدين فقبل الوسط من الشهادة ولم يقبل دونها والله اعلم ووجه اخر قيل انه ذكر ذلك عبادة لا لمعنى المودع فيه ولكن سمعا فهو على ما ذكر لا يطلب معناه والثالث ان الواحد لم يقبل شهادته في الحقوق بالانفراد لانه ينتفع بها لانه متصدق في قوله يتلذذ بتصديقهم اياه فعلى ذلك لم يقبل قول المدعي في دعواه وان كان عدلا لما ينتفع بالتصديق ويقبل قوله فيه فاذا كانا اثنين صار تلذذ كل واحد منهما وانتفاعه لصاحبه فحصلت الشهادة خالصة صافية فقبلت والله اعلم والرابع ان الانسان مطبوع على السهو والغفلة فاذا كان فردا يخاف عليه النسيان او بعض امر ليذكر كل واحد منهما صاحبه اذا نسي وعلى ذلك يخرج قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى لما ذكر انهن جبلن وطبعن على فضل السهو والغفلة او بعض غيرها اليها اذا سهت وغفلت عنها ثم اختلف في قوله شهيدين من رجالكم قال اصحابنا رحمهم الله يرجع الخطاب الى الاحرار خاصة دون العبيد والكفرة فلان الخطاب في الابتداء للمؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الاية فخرج الكفار من خطاب الاية لذلك لم تقبل شهادتهم على اهل الاسلام واما العبيد فلم يدخلوا تحت هذا الخطاب لوجوه احدها ما ذكر ان ظاهر الخطاب للاحرار دون العبيد لما لا يملكون هم التداين والتبايع فعلى ذلك خطاب الشهادة فان قيل اليس العبيد يملكون التبايع والتداين قيل يملكون بالاذن والتولية لا يملكون انفسهم فذلك القدر من التداين وغيره يملك الكفار ثم لم يجب قبول شهادتهم ولا دخلوا تحت ذلك الخطاب فكذلك العبد والثاني ما قال عز وجل ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ثم لا يملك العبيد الاجابة لكل ما دعوا لحق الساداة فعلى ذلك ليس عليهم الاجابة في الشهادة لحق الساداة والله اعلم والثالث ان الله تعالى قسم الشهادة قسمة الميراث بقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقال في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ثم لا حظ للعبيد في الميراث فعلى ذلك لاحظ له في الشهادة والرابع ان الولايات تجري مجرى الشهادات والتمليكات ثم لا دلالة تكون للعبد على غيره ولا فعلك فعلى ذلك الشهادة اذ فيها ولاية تمليك الحاكم الحكم والله اعلم وعلى هذا بطلت شهادة الكفار على اهل الاسلام لما لا ولاية لهم عليهم والخامس ان الشهود بين حالين بين ان يصدقوا فتمضي شهادتهم وبين ان يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد اذا كذبوا في شهادتهم وبين ان يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد اذا كذبوا في شهادتهم لم يضمنوا لان ضمان الشهادة معروف لانه لا بدل له بازائه فمن لم يكن من اهل الشهادة دل انهم ليسوا من اهل الشهادة وعلى ذلك قلنا ان النكاح يجوز بشهادة الفاسق والمحدود في القذف وانهما من اهل الشهادة فيه لانهما من اهل الضمان وان كانت شهادتهما ردت لتهمة الكذب في سائر الحقوق واما العبد فليس هو من اهل الشهادة بحال المعنى الذي وصفنا والله اعلم والا القياس ان تجوز شهادة العبيد لانها من حق الله دليله قوله واقيموا الشهادة لله وقوله كونوا قوامين لله شهداء بالقسط فاذا كانت من حق الله وحقوق الله لا يختلف العبيد والاحرار فيها فيجب ان تقبل شهادتهم

لكنها

لكنها لم تقبل للوجوه التي ذكرناها والله اعلم وقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اي ان قال فتذكر احديهما الاخرى قد ذكرنا فيما تقدم انهن لما جبلن وطبعن على فضل سهو وغفلة جمعت اليها اخرى لتذكر الشهادة اذا نسيت وفي الاية دلالة ان الرجل اذا نسي الشهادة ثم ذكر فتذكر يجوز ان يشهد واما اذا اخبر بالشهادة ولم يتذكر لم يجز له ان يشهد لقوله فتذكر احديهما الاخرى اذ لم يقل فتخبر احديهما الاخرى وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه دلالة ان من المسلمين من لا يكون مرضيا وكذلك فيهم من يكون عدلا ومن لا يكون عدلا دليله قوله واشهدوا ذوي عدل منكم لو لم يكن فيهم مرضيا وغير مرضي لكان يقول واشهدوا رجلين منكم ولم يشترط فيه العدالة والرضا وهو على المعتزلة لانهم يقولون المسلم لا يكون غير عدل ولا غير مرضي وفي الاية التي ذكرنا دلالة ما قلنا والله اعلم وفي قوله ممن ترضون من الشهداء دلالة ان الشهود اذا شهدوا على المدعى عليه بالحق وهم مرضيون عنده يجب ان يؤدي اليه حقه لانا قلنا ان قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم امر باستحضارهم عند الحاكم فاذا كان كذلك فهو دليل ما قلنا والله اعلم وقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا اختلف فيه قيل لا يأب الشهداء اذا ما دعوا للاشهاد وقيل ولا يأبوا اذا ما دعوا للاداء وهذا اشبه لان الشهود ان يقولوا احضر الخصم ههنا لنشهد عليه فان الاحضر الحاكم الذي هو فيه وليس هذا القول في الاداء اذ الاداء لا يكون الا عند الحاكم لذلك كان ما ولي كقوله ولا تكتموا الشهادة ولا يجد من يشهد ولا يجد من يشهد غيرهم والله اعلم وقوله ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله فيه دلالة جواز السلم في الثياب لانه ما يكال ويوزن لا يقال فيه الصغير والكبير ولا يكتب صغيرة وكبيرة انما يقال ذلك في العددي وقوله ذلكم اقسط عند الله يقول اعدل عند الله واقوم للشهادة في الحجة وقوله وادنى ان لا ترتابوا اقرب الى دفع الظنون والشكوك الذي يحملكم على التناكر والتنازع الذي عاقبة الفسخ ولهذا ما امر عز وجل بالكتابة فيه والاشهاد وذكر كل صغير وكبير لئلا يقع بينهم في العاقبة تنازع وتناكر فيحمل ذلك الحاكم على فسخ العقد بينهما وعلى ذلك نصبوا الاجل فيه شرطا القطع وقوع التنازع والتناكر الذي حكمه الفسخ في الاخر والله اعلم وقوله الا ان تكون تجارة حاضرة الاية استثنى عز وجل التجارة الحاضرة بترك الكتابة والاشهاد والرهن وغيره وذلك لما ذكرنا انفا ان الديون والعروض شتى وتشتبه على الناس فلذلك امر بالكتابة فيها والاشهاد ولا كذلك التجارات الحاضرات وعلى ذلك امر ظاهر بين الناس انهم يكتبون ويشهدون في الديون والعروض ولم يفعلوا ذلك في التجارات الحاضرات الجاريات فيما بينهم لارتفاع ما يخاف ويتوهم في الديون والعروض وخلائها عن ذلك والله اعلم وقوله تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها يقول يدا بيد وليس فيها ايجاب القبض على المجلس وقوله واشهدوا اذا تبايعتم امر عز وجل بالاشهاد جميعا فالامر بالكتابة لحفظ الحقوق ومعاهدة كل قليل وكثير فيه والامر بالاشهاد للادب والامر بالرهن امر بالوثاق والرهن والكتابة والاشهاد كل ذلك يمنع صاحبه عن الانكار والجحود ويذكر عند النسيان والسهو عند ذلك كله لقطع التنازع الواقع فيما بينهما في المتعقب والله اعلم وقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد اختلف فيه قال بعضهم لا يضار الكاتب والشهيد لا يشغل الكاتب ولا الشهيد يقول له اكتب كذا واشهد لي على كذا وهو يجد غيره وقال اخرون لا يضار كاتب وصاحب الحق فيكتب ما لا ينبغي ان يكتب بالزيادة والنقصان وكذلك الشاهد لا يزيد على الحق ولا ينقص من الحق شيئا ولا يكتم الشهادة ايضا فهذا اقرب والله اعلم فان قيل اذا كان المعنى راجع الى ما ذكرت ان لا يزيد الكاتب ولا ينقص الا قال لا يضار بالرفع قيل انه لا يضار ده فطرحت احديهما فاذا طرحت انتصبت علامة الطرح اذ هكذا على الاضمار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الاضرار ان يقول الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله امرك ان لا تأبى اذا ما دعيت فتضاره بذلك وقوله وان تفعلوا اي تضاروا فانه فسوق بكم هذا يدل على ان التأويل هو ما ذكرنا من النهي عن الزيادة والنقصان والتحريف والكتمان اذ في ذلك خروج عن الامر والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه وهو على المعتزلة وقوله واتقوا الله في المضادة من الزيادة والنقصان والكتمان ويعلمكم الله الحكم والادب وما يحل وما لا يحل والله بكل شيء عليم حرف وعيد وقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة قد ذكرنا فيما تقدم في الامر بالكتابة والاشهاد انهما والله اعلم لحفظ الحقوق ما حل منها وما دق وان لا يحملهم على الانكار والجحود وان يذكرهم ذلك حتى لا ينسون فعلى ذلك الامر بالرهان لئلا يؤخر اقتضاء الدين ويذكروه ولا ينسون والله اعلم ثم فيه دلالة ان لا يجوز الرهن الا مقبوضا لان الرهن يقبض لامرين لانه اذا كان مقبوضا محبوسا عن صاحبه عن جميع انواع منافعه ذكره وتقاضاه لقضاء دينه واذا كان في يديه لم يتقاضاه على ذلك لذلك قلنا انه لا يجوز الا مقبوضا والثاني انما يقبض ليستوفي منه الدين ولا يستوفي الا بعد القبض او يأخذ ليأخذ الدين منه من غير جنسه فيه ولا منع عنه ووجه اخر فيما لا يجوز الرهن الا مقبوضا لانه جعل وثيقة فلا جائز ان يكون وثيقة وهو في يدي الراهن غير محبوس ولا ممنوع عن منافعه فدل ما ذكرنا من طلب الناس بعضهم من بعض الرهون انهم طلبوا وثيقة فاذا كان وثيقة فهو انما يكون وثيقة اذا كان في يدي المرتهن محبوسا عن صاحبه الا ترى ان الكاتب امر باداء الامانة اذا امن بعضهم بعضا بغير رهن فلو كان الرهن يكون رهنا في يدي الراهن لذكر فيه اداء الامانة في الرهن ولم يكن لذكر القبض وجه لذلك قلنا ان الرهن لا يجوز الا ان يكون مقبوضا محبوسا عن منافع صاحبه وقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن

امانته فيه دلالة ضمان الرهن دلالة استيفاء الدين من الرهن لانه انما ذكر الاداء فيما امن بعضهم بعضا بلا رهن ولم يذكر
الاداء فيما فيه الرهن فلولا ان جعل في الرهن استيفاء الحق والدين والا لذكر الاداء فيه كما ذكر في لا رهن فدل انه مضمون به اذا
هلك هلك به والله اعلم وايضا قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه فيه دليل لقولهم في الشئ كا
انه يكتب اشتركا على بتقوى الله واداء الامانة كما ذكر عز وجل بتقوى الله واداء الامانة فيما اؤتمن وقوله ولا تكتموا الشهادة ومن
يكتمها فانه اثم قلبه ذكر اثم القلب والاثم موضعه القلب لكنه يشيع في الجوارح ويظهر على ما روي ان في النفس مضغة اذا
صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن قال الشيخ رحمه الله وفيه دلالة ان المأثم تعمد القلوب باي شئ كان فلذلك وصف
القلب بانه اثم وهو كقوله يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكذا قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم الاية وقوله لله ما في السموات وما في الارض
هو ظاهر اذ ما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه ردا على قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وقد ذكر
الوجه فيما تقدم في غير موضع وقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله من استدل على نسخها بقوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء لكنه لا يحتمل الاية وعد وخبر بالمحاسبة والوعد لا يحتمل النسخ لانه خلف وبدا وذلك من يجهل بالعواقب
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم اختلف فيه قال الحسن هو على ما عزم لا على ما خطر بالنفس وكذا قوله منهم ويحتمل على التقديم
والتاخير ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه يحاسبكم به الله ويحتمل ايضا ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وعزمتم عليه واعتقدتم
لا على الخطر فيه او حديث النفس على ما روي من هم بحسنة فله كذا ومن هم بسيئة فكذا ليس على ما يخطر فيه ويحدث النفس به و
لكن على العزم عليه والاعتقاد وكذلك قوله ولقد همت به وهم بها همت هي به هم عزم وهو هم بها هم خطر والمرء غير مؤاخذ بما يخطر
في القلب ويحدث النفس به انما يؤاخذ على ما عزم واعتقد عليه والله اعلم وقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيه دليل ما قلنا
انه على العزم والاعتقاد عليه لما ذكرنا من العقود المعقود عليه وقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله و
ملائكته قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون يحتمل وجهين يحتمل امن بنفس المنزل بما انزل اليه انه من عند الله وكذلك
المؤمنون ايضا امنوا بما انزل اليه انه من عند الله ويحتمل قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه انه من عند الله بما في المنزل اليه وكذا
فيه ما ذكرنا امن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله واليك المصير وكذلك المؤمنون امنوا بجميع ما في المنزل وهو ما ذكرنا وفيه
دليل ان الايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايمان بجميع الرسل والكتب كلها والملائكة والبعث والجنة والنار وفيه
دلالة نقض قول من يشك في ايمانه ويستثني لانه عز وجل شهدهم بالايمان فلا يحملوا الاستثناء اما ان يكون لشكهم في اتيان
ما امروا وفي الذي اخبر الله عنه بما كان فقيه الوبال لهم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه شهدهم بالايمان وهم نفوا عنهم
الاسم الذي شهد الله لهم به بالايمان به وبالذي ذكر وكل صاحب كبيرة مؤمن بجميع ما ذكر وقد سماهم الله به مؤمنين وشهد لهم به
والله الموفق فان قيل فقد ذكر الطاعة في اخرها قيل ذكر الطاعة في الاجابة وبتلك الاجابة شهدهم فيلزمهم ما شهد الله لهم جل و
علا بما اجابوا وقوله لا نفرق بين احد من رسله ويحتمل ان يكون هذا خبرا اخبر الله عز وجل عن المؤمنين انهم قالوا لا نفرق بين احد
من رسله كما فرق اليهود والنصارى وقوله وقالوا سمعنا واطعنا يحتمل سمعنا واطعنا قولك ودعاءك واطعناك في الاجا
ويحتمل سمعنا القران واطعناك ما فيه والله اعلم وقوله غفرانك ربنا اي اغفر لنا ربنا واليك المصير اي المرجع وهذا جمع
جميع شرائط الايمان لذلك قلنا ان الايمان بالقران ايمان بجميع الكتب والانبياء والبعث وغيره وبالله العصمة والنجاة
وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اختلف فيه قال الحسن قوله الا وسعها الا ما يحل ويسع وكذا بعض الناس يقولون هذا
بعيد لا يحتمل الاية اذا كلف حل ووسع فاذا كان كذلك لم يكن لقوله معنى قيل له هو كقوله احل لكم الطيبات فاحل طيب احل
الاول وقد ذكر الامرين جميعا وقيل ثان في الا وسعها الا طاقتها وكذلك قول المعتزلة يتقدم الفعل واما عندنا فانها على وجهين
استطاعة الاحوال والاسباب والاستطاعة الافعال اما استطاعة الاحوال والاسباب فانها يتقدمها وعلى ذلك يقع الخطاب
دليله قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قيل يا رسول الله وما الاستطاعة قال الزاد والراحلة ثم
كل يجمع ان من كان باقصى بلاد المسلمين قد تلزمه فرض الحج على علم كل منهم ان تلك الاستطاعة لو صرفت الى استطاعة الافعال لم
يبق الى وقت وجود الافعال ثم قد لزمه ذلك فبان ان الكلفة انما تقع على استطاعة الاحوال والاسباب وكذلك الكلفة
في جميع الطاعات فان قيل قد يقع هنا على الخروج فيوجد الفعل عقيب قوة الخروج قيل لو كان كذا لكان لا يلزم فرض الحج الا
بالخروج ولم تر الخروج اذ باكتساب الخروج يلزمه فرض الحج فلا يلزم عليه فرض الحج ثبت انه لا يحتمله بل هو على ما قال اصحابنا
رحمهم الله انها استطاعة الاحوال وذلك تتقدم لما ذكرنا والله اعلم واما استطاعة الافعال كما تحدث بحدوث الافعال
وتبلى كما لو فات التي لا تبقى في وقت ثان في كالوقت الذي تاخذه والله اعلم فان سئلنا عن التكليف
بكون فيما لا يطاق قيل يجوز ذلك فيما منعنا عنه فلا ومثله وضيعنا بغيره قبل على الكل قلنا على من القوة والاستطاعة
شغل نفسه بغيره وضيع ما اعطى من القوة فاذا ضيع لم يكن تكليف ما لا يطيق ثم تنظر اليها الحق بالقول بتكليف ما لا يطاق فيه

قول المعتزلة ان القوة على الفعل لم يوجد في الوقت الثاني ثم في الوقت جعلوه غير قادر عليه بقدرة ثم جعلوه
ايضا غير قادر على الترك الفعل والتعارف عن الامر في الظاهر يشبه بفعله في وقته لا يقع الامر به وقت ماسعه ويقع خطاب
الشيخ بان في ثان من الوقت تحصل عندهم الامر على الوقت الذي هو غير قادر فيه فهذا تكليف على ... وقوله الطريق الاوسع اي ما قال الاوايا
التوفيق ثم المختص من هذا ما قال ان القدرة تتقدم الفعل والفعل هو الذي يدل على وجود الآلة وهو وقت ايجاد الفعل ان كان كذا
معادي وان كان ايضا اسوا لحصل القول على ان الموالات والمعادات بانفع في غيره وقت الانتهاء ولا تمام ثم قوله في ذلك ودلت ذلك
لامن من في الارض كلهم جميعا على الجبر ولا يحتاج لانه قد اوجب لكن ذلك قول بالجبر والايمان وهو قوله امن في السموات والارض
طوعا وكرها فقد ... الاسلام بالخلق بان الثاني على الاختيار ثم قوله في استطاعة واحدة لفعلين خطاء لان من قال الاستطاعة
لا تبقى ثم وجود الفعلين معا في وقت باستطاعة واحدة محال وجود ذلك الاستطاعة لاحد الفعلين بعدم الاخر مستحيل القدم
ووجوده عندهم على البدل محال لانه جعلوا ايضا ما هو الاصل لاحدهما الاخر ثبت انه خطأ وفي قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت دليل
ان الله تعالى اقام اعمالهم عليه ... لانهم لا يكون له بالامر فيأمر ويضر ... فيبين ذلك انه يكون لامر ...
وفي النهى يقع مضرة كما يكون في الشاهد ان ... ما ينتفع ...
وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قيل فيه بوجهين قيل ان نسينا يعني تركنا كقوله نسوا الله فنسيهم وقوله ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي اي ترك وقوله او اخطأنا يعني ارتكبنا ما نهينا عنه وقيل انه على حقيقة النسيان والخطأ كانه على الاضمار قوله لا تؤاخذنا الا
ثم اختلف بعد هذا قالت المعتزلة ... وكذلك قوله ربنا واتنا ما وعدتنا الاية وكذلك قوله ...
رب احكم بالحق ويخرج مخرج الدعاء ... تخريج التعبد والتقرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ان لا تؤاخذنا بالنسيان والخطأ
انه لا يخلف الميعاد وكذلك معلوم انه لا يحكم الا بالحق وكذلك قوله واستغفر لذنبك وقد اخبره تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وكذا على ما ذكرنا ... عندنا فهنا انه يجوز في الحكمة ان يعاقب على النسيان والخطأ لانهم ... في حفظ
حقوقه ... حرماته ... الخطأ الكفارة ... وجوب الكفارة
عليه والتوبة ...
... الشيان والخطاء ... هذا في الكفر خاصة لانه عين ... وذلك ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام يجري على
السنتهم الكفر على النسيان والخطأ وكذلك يكرهون على الكفر فيجرون على السنتهم مخافة القتل فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
ذلك مرفوعا عنهم قال الشيخ رحمه الله وبعد فان في الخبر العفو فيكون في ذلك دليل جواز الاخذ ولعل الوعد بالعفو مقرونا بشرط
الدعاء فلذلك يدعون وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا فاوجب ان لا يوم احدا ان يدعوا ابتداء والله اعلم واما قوله
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ففيه وجهان احدهما انه وعد المؤمنين جملة الجنة فسؤال كل منهم ان يجعله من تلك الجملة التي و
عدم الجنة والثاني يسال الختم على ما به يستوجب الموعود واما الامر بالاستغفار فهو يخرج على وجهين احدهما ما روي المؤذن يغفر له
مد صوته فهو على استيجاب ذلك المغفرة به فعلى ذلك الاستغفار ليغفر به بعض اثمه والثاني ان المغفرة في اللغة هي التغطية والستر
فكانه سال الستر عليه بعد النجاة وزعمه قال الشيخ رحمه الله ثم الاصل ان الاستغفار هو طلب المغفرة فلو كان لا يجوز له التعذيب فيكون
التعذيب فيصير السؤال في التحقيق سؤال ان لا يجور وذلك مما لا يسع المحنة وكذلك لو كان مغفورا لم كان الحق فيه الشكر لما
انعم عليه وفي ذلك كتمان النعمة والمحنة بكتمان نعم الله وكفرانها محال لذلك لا بد ان يكون في الايات ما يتمكن معه المحنة من المعنى
والله اعلم واما قوله عز وجل قل رب احكم بالحق قيل الحق هاهنا هو العذاب كانه امر ان يسال بانزال العذاب عليهم وقيل احكم بحكمك
الذي هو الحق فاذا كان ما ذكر يحتمل دل انه ليس على ما ذهب اليه اولئك والله اعلم وقوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا قيل الاصر هو العهد ويقول لا تحمل علينا عهدا نعذبنا بتركه ونقضه كما حملته على الذين من قبلنا وكان من قبلهم اذا اخطئوا
خطيئة حرم الله عليهم طيبا مما احل لهم الطيبات كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكاصحاب
الاخدود وغيرهم فخاف المسلمون ذلك فقالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا في جرم اجرمنا فتحرم علينا الطيبات واصل الاصر الثقل
والشدائد التي كانت عليهم نحو ما كان توبتهم الامر بقتل بعضهم بعضا كقوله اقتلوا انفسكم وقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به يحتمل وجهين يحتمل ان لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من القتل والهلاك اذ في ذلك افناؤهم وفي الفنا ذهاب طاقتهم قال الشيخ
رحمه الله اي ما نشتغل عما امرتنا فيكون كالدعاء بالعصمة والله اعلم ويحتمل ان يراد به طاقة الفعل وهي لا يتقدم عندنا الفعل
والله اعلم وقوله واعف عنا قيل اتركنا على ما نحن عليه ولا تعذبنا وقوله واغفر لنا وارحمنا اي استرنا والغفر الستر ولذلك

سمى المغفر مغفرا لانه يستر وستر الذنب هو اعظم النعم وقوله انت مولانا قيل انت اولى بنا وقيل انت حافظنا وقيل انت
وليّنا وناصرنا وقد ذكرناه فيما تقدم وقوله فانصرنا على القوم الكافرين يحتمل المعروفين ويحتمل الشياطين اى انصرنا عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله الم الله قال بعضهم تفسيره ما وصل به من قوله الم ذلك الكتاب هو تفسير الم والم الله لا اله الا هو تفسير الم والمص كتاب
انزل اليك وجميع ما وصل به الحروف المقطعة فهو تفسيرها ولله ان يسمى نفسه بما شاء سمى مجيدا كقوله ذو العرش المجيد ويسمى
القران مجيدا كقوله بل هو قران مجيد وقال بعضهم حروف المقطعة هى مفتاح السورة وقال اخرون ان كل حرف منها اسم من اسماء الله
تعالى ومنهم من يقول بانها من المتشابه التى لا يوقف عليها ومنهم من يقول التشبيب اذ من عادة العرب ذلك وقد مضى الكلام فيه
فى قوله الم ذلك الكتاب بما يكفى وقوله الحى القيوم هو الحى بذاته وكل حى سواه حى بحيوة هى غيره فاذا كان هو حيا بذاته لم يوصف بالتغاير
والزوال ولما كان حى سواه حى بغيره احتمل التغاير والزوال وكان الحيوة عبادة يوصف بها من عظم شانه وشرف امره عند الخلق الا ترى
ان الله تعالى وصف الارض بالحيوة عند نباتها لما يعظم قدرها ويشرف منزلتها عند النبات وكذلك المؤمن حيا لعلو قدره عند الناس
فكذلك سبحانه سمى حيا لعظمته وجلاله وكبريائه وعلى هذا يخرج قوله فى الشهداء حيث قال ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات
بل احياء اى مكرمون معظمون مشرفون عند ربهم وقوله القيوم قال بعضهم هو القائم على كل نفس بما كسبت وقال اخرون القيوم
الحافظ وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه هو القيام كله يرجع الى واحد القائم والقيوم والقيام يقال فلان قائم على امر فلان اى
يحفظه حتى لا يغيب عنه من امره وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ان اسم الله الاعظم الحى القيوم وقوله نزل عليك
الكتاب ظاهرا بالحق قيل فيه بوجوه يحتمل بالحق اى هو الحق نفسه حجة مجعولة واية معجزة ايس العرب عن ان يعارضوه او يأتوا
بمثله ويحقق عند كل اية من عند الله الا من اعرض عنه وكابر وعاند وقيل بالحق اى بالصدق والعدل وقيل بالحق الذى له عليهم وما
يكون لبعضهم على بعض ثم قال مصدقا لما بين يديه اى موافقا لما قبله من الكتب السماوية وهى غير مختلفة ولا متفاوتة وفيه دلالة
نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه موافقا لتلك الكتب غير مخالف لها ولو كان على خلاف ذلك لتكلفوا اظهار موضع
الخلاف فاذا لم يفعلوا ذلك دل انهم عرفوا انه من الله وان محمدا رسوله لكنهم كابروا وعاندوا وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل
هدى للناس وانزل الفرقان من بعد وقال بعضهم هدى للناس اى بيانا لهم وحجة لمن اهتدى وحجة على من عمى اذ لا يحتمل ان يكون
له هدى وعليه حجة فيه الهلاك انما يكون حجة له وهدى اذا اهتدى وعليه اذا نزل الاهتداء فباه انه بخلاف ما يقول المعتزلة و
وقوله وانزل الفرقان قد ذكرنا فيما تقدم انه انما سمى فرقانا لوجهين احدهما لما فرق اياته وفرق انزاله والثانى لما يفرق بين الحق
والباطل وبين الحرام والباطل وبين ما يتقى ويوتى فعلى هذا كل كتاب مبينا فيه الحلال والحرام وبين ما يتقى ويؤتى والانجيل فيسمى
الجيل لما يجلى وهو من الاظهار فى اللغة وقيل سمى التورية تورية من ورت الزند وهو كذلك والله اعلم وقوله ان الذين كفروا بايات
الله قيل بحجج الله وقيل كفروا بايات الله اى بالله لانهم اذا كفروا باياته كفروا به وكذلك الكفر بدينه كفر به والبراءة من دينه براءة منه و
البراءة من رسوله براءة منه وقوله والله عزيز ذو انتقام قيل فيه بوجهين قيل ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقيل ذو انتقام
ذو انتصار على الاعداء وقيل ذو بطش شديد وقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو وعيد كانه والله اعلم
قال لا يخفى عليه ما فى السموات وما فى الارض من الامور المستورة الخفية فكيف يخفى عليه اعمالكم وافعالكم التى هى ظاهرة عندكم
ويحتمل انه لم يخف عليه ما بطن وخفى فى الاصلاب والضمائر والارحام فكيف يخفى عليه اقوالكم وافعالكم وهى ظاهرة الا ترى انه
قال هو الذى يصوركم فى الارحام اذ علم فى الارحام وصورها على ما شاء وكيف شاء وهم فى ظلمات ثلاث وقوله هو الذى
يصوركم فى الارحام كيف يشاء فيه دليل نقض قول من يقول بالقايف لانه جعل علم التصوير فى الارحام لنفسه لم يجعل لغيره
كيف عرف القايف تصوير الاول حتى قال الله انه على صورته وعلى تصويره وانه من مائه ثم اختلف فى خلق الاشياء قال بعضهم
يخلق الفروع من الاصول وهن اسباب للفروع وقال الاخرون يكون باسباب فان كان بعض الاشياء يكون باسباب من نحو الانشاء
من النطفة الا النطفة تتلف فتكون علقة ثم مضغة فدل انه يخلق الخلق كيف شاء من شئ ولا من شئ بسبب وهو القادر على ذلك
وبالله التوفيق وقوله هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اختلف فيه قيل المحكمات
هن الناسخات المعمولات بهن والمتشابهات من المنسوخات غير معمول بهن وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال اخرون المحكمات
هن ثلاث ايات فى سورة الانعام قوله قل تعالوا اتل ما حرم الى قوله يتقون وما ذكر فى سورة بنى اسرائيل من قوله وقضى ربك الا
تعبدوا الا اياه الى اخر هذه الايات سميت محكمة لان فيها توحيدا وايمانا بالله وغيره من المتشابه ثم قيل بعد هذا بوجوه قيل المحكمات
هى التى يعرفها احد اذا نظر فيها وتامل فيها والمتشابه هو المبهم الذى يعرف عند البحث فيه والطلب وقيل المحكمات ما يوقف
ويفهم مراده والمتشابه هو الذى لا يوقف البتة بعد ما فنى حوائج الخلق من البيان فى المحكم منه ولكن يلزم الايمان به وهو من الله

محنة على عباده ولله ان يمتحن خلقه بما شاء من انواع المحن لانها دار محنة وغيرها ما لا يفهم مرادها ويحتمل ان يكون المحكمات
هن ما ظهر لكل احد من اهل الاسلام حتى لم يختلفوا فيها والمتشابه هو الذى اشتبه على الناس لاختلاف الا ترى اختلفوا
فيها ولما يؤدى ظاهره الى غير ما يؤدى باطنه فتعلق بعضهم بالظاهر فقالوا به وتعلق اخرون بالباطن لما راوا ظاهره جورا
وظلما او تشبيها على انا فهمه على نفى الجور والظلم عنه ويجوزان يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم وقال الاخرون المحكم هو الواضح
المبين فلو كان على ما قالوا لم يكن لاختلاف الناس فيه وادعاء كان الذى هو عليه هو المحكم لانه لو كان ظاهرا مبينا لتمسكوا به
ولم يقع بينهم اختلاف وفيه دليل ونقض على المعتزلة لانهم يقولون بالاصلح فى الدين انه لا يفعل الا ذلك ثم لو يتبين لهم المحكم
من غير المحكم ولو بين كان اصلح لهم فى الدين فدل ان الله عز وجل قد يجوز ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم فى الدين امتحانا وابتلاء
منه والله اعلم لكن لا يخرج من الحكمة ثم ما قالوه فى الامر حق لك لايأمر الا ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم فى الدين امتحانا وابتلاء
منه لكن لا يخرج من الحكمة ثم ما قالوه فى الامر حق ان لا يأمر الا بالطاعة له فيه الاصلح وقد يفعل ما هو حكمة فى حق المحنة وان
كان غير ذلك اصلح لهم فى الدين بمعنى اقرب وادعى اليه والله الموفق وقال قوم المحكم ما فى العقل بيانه والمتشابه ما لا يدرك
فى العقل وانما يعرف بمعونة السمع وقال قوم لا متشابه فيما فيه احكام من امر ونهى وحلال وحرام وانما ذلك فيما ليس بالناس
حاجة الى العلم به نحو الانباء عن منتهى الملك وعن عدد الملوك وعن الاحاطة بحقيقة الموعود ونحو ذلك ولا قوة الا بالله و
لكن امكن ان يكون شئ متشابه بما تشابه على اولئك القوم حقيقة ما راموا من الوجه الذى طلبوا وقد بينا الحق فى امر المتشابه
وما يجب فى ذلك من القول وبالله العصمة والنجاة وقوله هن ام الكتاب يحتمل وجهين يحتمل ام الكتاب اى اصل الكتاب ويحتمل
ام الكتاب اى المتقدم على غيرها وعلى هذا يخرج ام القرى اعنى مكة لانها هى المتقدمة على غيرها من القرى ويحتمل هى اصل القرى
كما سمى فاتحة الكتاب ام القران لانها اصل ولانها هى المتقدمة على غيرها من السور والله اعلم ويحتمل قوله هن ام الكتاب اى
مقصود الكتاب يعنى المحكمات والمتشابه ما فيه شبه من غيره فهو متشابه كقولهم ان البقر تشابه علينا وكذلك المشكل سمى
مشكلا لما يدخل فيه شكل من غيره فسمى شكلا فكذلك المتشابه يدخل فيه شبه غيره فصار متشابها والله اعلم وقوله عز وجل
فاما الذين فى قلوبهم زيغ قيل ميل عن الحق وقيل الزيغ هو الريب والشك فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ولو كان ثم
اتباع لعذروا لان الاتباع للشئ اتباع ما فيه من المراد وعلى هذا يتأولون فى قوله يتلونه حق تلاوته اى يتبعونه حق اتباعه وكذلك
قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم والمتشابه فيما انزل الينا من ربنا نجد متبعه فى الحقيقة فثبت انه لم يكن ثم اتباع فى الحقيقة وانه
لو كان لعذروا ولكنه كان والله اعلم اتباع الاراء فى التأويل بالاراء الفاسدة الا ترى انهم طلبوا بالتأويل منتهى ملك هذه الامة وفى
الوقوف عليه وقوف على علم الساعة وسبب القيامة وذلك علم لم يطلع الله الرسل على ذلك فضلا ان يطلع عليه غيرهم قال الشيخ
رحمه الله ويحتمل ان يكون اتباعهم نظرهم فيما يتصل فهامهم عن الادراك فى الوقوف عليه ولو كان نظرهم فى المحكم من ذلك لكان لهم فى ذلك
بلاغ وكفاية فيما اليهم به حاجة ولا قوة الا بالله قال الشيخ رحمه الله فى قوله فاما الذين فى قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق وذلك همتهم اذ
كان ذلك اعتقادهم فان كان المراد من ذلك فى الكفرة فهو الاول وان كان فى اصحاب الهواء من الذين ينتحلون دين الاسلام فهى الثانى
وكذلك يجد كل ذى مذهب فى الدين ممن اعتقد حقيقة الامر فى قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقوله ان هذا القران يهدى للتى
هى اقوم الاية وقوله ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل الاية يتعلق بظاهر الاية يدعى انها محكمة بما عنده انه الحق بعد ان اجهد نفسه
فى طلب الحق ويسوى غير ذلك عليه فان كان على ذلك فحقه التسليم لما عليه تواتر الاخبار على ما روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم
انه اخبر عن تفرق الامة ثم اشار التمسك الى ما عليه هو واصحابه رضى الله عنهم فعلى ذلك امر المتواتر فيجب جعله محكما وبيانا اختلف
عليه ولا قوة الا بالله ويكون المبتدع فى ابتغاء تأويله يريد التلبيس على من لزم تلك الجملة وكذلك لاهل جدل فى الدين من نوع عليه كذا
التنازع وترك الاشتغال بتأويل ما اعترضه لكان متبع المحكم عند الامة معطيا المتشابه حقه ولا قوة الا بالله وان كان هو الاول
فقد ذكر ان ذلك فى استخراج منتهى ملك هذه الامة وان نهاية الساعة والعلم به لم يطلع عليه الرسل فضلا عن دونهم او كان ذلك فى اشياء
بتقصر عقول الضعفاء عن الاحاطة بذلك يريدون بذلك التلبيس على العوام واهل البلادة فاخبر عز وجل بما ذكر انه لا يعلمه الا الله كان ذلك
فيما يعلمه غيره او لا فان كان اطلعه فبالله علم لا ان فى العقول بلوغ ذلك ومعنى الاتباع ما قد بين وقوله فيتبعون ما تشابه منه اى
القران يقول ما اشتبه حسابهم ابتغاء الفتنة وقيل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة المحنة اى يمتحنون اهل الاسلام وقوله وابتغاء تأويله
يقول وابتغاء تأويل منتهى ما كتب الله عز وجل بهذه الامة من المرة لهم والوقت واصل التأويل هو المنتهى قال الله تعالى وما يعلم تأويله الا
الله اى ما يعلم منتهى ملك الامة الا الله ثم المتشابه ان كان مما يوقف فيه فهو وان كان مما يعرفه اهل المعرفة ويعلمه بالواضح فهو هو واصل
هذا ان كل ذى مذهب فى الاسلام يدعى على خصمه بما ذهب اليه من الحجاج بالايات الوقوع فى المتشابه ولنفسه الوقوع فى الواضح ومنهم
ان ما ذهب اليه هو الحق فلا فرق بين ان يدعى عليه ذهابه الى غير الحق ونعوذ به الى المتشابه وترك الواضح فسبيل مثله الفحص والبحث عما ذهب
اليه ان جاء بشئ يضطر العقل الى قوله سلم له ما جاء به والا فخصمه منه فى دعوى مثله بالوقوع له فى المتشابه يحل دعواه وقوله وما يعلم

تاويله الا الله قال قوم موضع الوقف على قوله والراسخون ثم ابتدا فقال يقولون امنا به كل من عند ربنا يقولون بمعنى قالوا امنا به
بما عرفنا وذلك جائز في اللغة يقول بمعنى قال وقال اخرون موضع الوقف على قوله الا الله ثم استانف الكلام فقال والراسخون في العلم يقولون
امنا به كل من عند ربنا المحكم والمتشابه ونحوه قيل الراسخون هم المتدارسون وقيل المتثبتون ورسخ بمعنى ثبت وقيل الراسخون الناجحون
يقال رسخ في العلم ونجح فيه فان قيل ما الحكمة في انزال المتشابه قيل انه ان كان مما يعلم فهو يحتمل وجهين يحتمل ليعلم فضل العالم على غير العالم و
يحتمل ان جعل عليهم طلب المراد فيه والفحص عما اودع فيه وان كان مما لا يعلم يحتمل المحنة امتحنهم في ذلك بالوقف فيه انالذا ردار
محنة ولله ان يمتحن عباده بجميع انواع المحن وقوله وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ الا اولوا الحجى والعقل وقوله ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا فيه وجهان على المعتزلة احدهما انه اضاف الزيغ الى نفسه وهو حرف مذموم عند الخلق اذا قيل فلان ازاغ فلانا
عن الحق فاذا اضاف الله عز وجل الى نفسه حرف الزيغ دل ان فيه معنى سوى ظاهره حتى جاز اضافته اليه وهو ان خلق منهم فعل الزيغ
وكذلك هذا في الضلال واضاف ايضا الهداية الى نفسه بقوله بعد اذ هديتنا فلو كان الهدى البيان على ما يقول المعتزلة لجاز ان يضاف
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو يملك البيان لانه بعث مبينا معلما فاذا لم يجز ذلك دل ان فيه معنى سوى البيان وهو التوفيق
والعصمة حتى جاز اضافته اليه ولا يجوز الى غيره والله الموفق والثاني انهم سالوا العصمة عن الزيغ والضلال فلو كان عليه ان يفعل وان
يبذل لهم العصمة لم يكن لسؤال عن ذلك معنى دل انه متفضل فيه يبذل ذلك لهم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ربنا لا تزغ قلوبنا الاية
فيه وجهان احدهما انه لو لم يكن الا الاصلح في الدين فتركه جور فالقول بربنا لا تزغ قلوبنا لا يخلو من ان يكون الازاغة اصلح له وهو بعرفه بان
يجوز او لا يكون اصلح فهو يدعو بانه لا يجوز ومحال الدعاء به لخوف الجور ومن خاف جور الخالق فهو غير عارف به والثاني ان الداعي فيما
جبل عليه الخالق يدعو على انه لو اجابه لكان لا يزيغ قلبه وكذلك سؤال العصمة والهداية وهذا يؤمن به ايضا ولو كان يكون معه زيغ لكان
لا فضل في الامر بين الدعاء بالازاغة وان لا تزغ ان الخوف مع الامن قائم والله الموفق وفي ذلك ايضا وجهان اخران احدهما ان الازاغة
اذا اضيف الى الاحد خرجت مخرج الشتم له والتعيير ثبت ان فيما اضيفت الى الله تبارك وتعالى معنى ليس فيما اضيفت الى غيره وهو والله
اعلم ان الازاغة من كل احد فعل هو زيغ بنفسه فيه ذم ومن الله ليست يكون فيه ان خلق فعل الزيغ ليس بزيغ وان كان فعله زيغ والله اعلم
وفيه ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء وانه يكون من الله ما لا يوصف بالازاغة ويصير لديه الاخر زايغا ولا شيء يوجد يكون كذلك سوى خلق
فعل الازاغة من العبد والله الموفق والثاني قوله بعد اذ هديتنا ولو لم يكن من الله في الهداية سوى البيان لكان يصح ذلك لكل كافر ويجوز
الاضافة الى الرسل فاذا لم يصح ذلك ولم يجز ثبت انه فضل وهو خلق فعل الهداية والتوفيق الذي معه الاهتداء لا محالة وبالله التوفيق و
المعونة وقوله وهب لنا من لدنك رحمة والرحمة يحتمل وجوها يحتمل الهدى والاسلام اذ به يستفاد ويحتمل الجنة ويحتمل انهم سالوه كل
رحمة قال ابو بكر الاصم الرحمة السعة في الدنيا والثواب في الاخرة وقوله انك انت الوهاب فهو على قول المعتزلة ليس بوهاب لان
الوهاب هو المتفضل الذي يهب ويبذل ما ليس عليه وهو على قولهم عليه ان يعطي الخلق كل ما هو اصلح لهم في الدين فلا يمكنهم وترد عليهم
الوحشة الله يتعالى عن ذلك علوا كبيرا ويحتمل هب لنا ما نستوجب به الرحمة وهو على الخبر كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وقوله
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه فيه اقرار بالايمان والبعث بعد الموت وقوله ان الله لا يخلف الميعاد في هذا خاصة ان يراد به
القيامة والبعث ويحتمل لا يخلف الميعاد في كل شيء مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح والحزن والاسف يقولون انه كان بوعد و
وانه كان مكتوبا عليهم وعلم وانه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبا عليهم ليصبروا على الشدايد والمصايب فلا يجزعوا عليها ولا يحزنوا
وليشكروا على الالاء والنعماء ولا يفرحوا عليها وهو كقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وذلك انهم كانوا يستنصرون باولادهم واموالهم في الدنيا ويستعينون بهما على غيرهم فظنوا انهم يستنصرون
بهم في الاخرة ويدفعون بهم عن انفسهم العذاب وهو كقولهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبرهم الله عز وجل ان اموالكم
واولادكم لا تغني عنكم من عذاب الله شيئا وقوله واولئك هم وقود النار اي حطب النار وهو والله اعلم ان الانسان اذا وقع في النار في
الدنيا لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب ويسيل منه الصديد فقال الله عز وجل انهم يحترقون في النار في الاخرة احتراق الحطب لا
احتراق الانسان في الدنيا لانها اشد بطشا واسرع اخذا واطول احتراقا وعلى هذا يخرج قوله والله شديد العقاب ليس كعذاب الدنيا انه على
الانقضاء والنفاد ولكن على الدوام فيها والخلود ابدا الابدين نعوذ بالله منها وقوله كداب ال فرعون قيل كاشباه ال فرعون وقيل كعمل
ال فرعون وكصنيعهم وكله واحد ثم يحتمل بعد هذا وجهين يحتمل صنيع هؤلاء عليهم بل كصنيع ال فرعون ومن كان قبلهم بموسى في التكذيب
والتعنت ويحتمل بصنيع هؤلاء بما يلحقهم من العذاب بالتكذيب والتعنت فالحق اولئك من العذاب بتكذيب الرسل وتعنتهم عليهم والله
شديد العقاب قد ذكرناه وقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وهذا والله اعلم في قوم قد علم عز وجل انهم لا
يؤمنون ابدا لذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم الاية والا فلا يلحقه ذلك الوعيد والله
اعلم لان من الكفار من يسلم ومن لا يسلم وقوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا فيه فان قال قائل ما في فئة قليلة وهي فئة كثيرة وكل
فئة المشركين حيث غلبت فئة المسلمين وهم قليل فئة المشركين وهم كثير يوم بدر وقد يكون لاهل الكفر اذا كانوا قليلا فيغلبوا على اهل الاسلام

اية قيل ليست الاية في الغلبة خاصة لكن الاية فيها والله اعلم من وجوه احدها ان غلبة المسلمين مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وخروجهم
لا على وجه الحرب والقتال المشركين مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم واستعدادهم للحرب وخروجهم على والقتال اية وعلم العدو ان
ليس لهم فئة ولا لهم رجاء المدد وان لا غياث لهم من البشر وذلك اية الجراة وعلامة الشجاعة ومعرفتي والله اعلم والثاني ان ما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم [اخذ] من تراب فرماه على وجوههم وقال شاهت الوجوه فامتلات اعينهم من ذلك وعموا حتى انهزموا فصار
اية والثالث ما قيل ان ابا جهل قام فدعا فقال ربنا احق دينا واوصل رحما فانصره ولجعل الغلبة والهزيمة على الاخر فاستجيب فكانت
الغلبة والهزيمة عليهم فكان اية والرابع ما كان الملائكة للمسلمين وبعثهم الله عز وجل مدد النصرة للمؤمنين على الكافرين يوم بدر فذلك
اية ووجه اخر ما ذكرنا وهو ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا خرجوا شبه العير بغير سلاح غير مستعدين للقتال على علم
منهم بذلك واولئك خرجوا مستعدين لذلك وكان ما ذكر والله اعلم قال الشيخ في ذكر القليل في الاعين من الجانبين اية عظيمة اذ هي حسية
والحواس تؤدي عن المحسوسات حقايقها فجعلها الله بحيث لا تؤدي لما قال ليقضي الله امرا كان مفعولا فيحتمل ان يكون المراد مما ذكر من
الاية في امر الفئتين هذا والله اعلم وقوله يرونهم مثليهم راي العين وفي بعض القراات يرونهم بالتاء يرى المؤمنون اولئك مثلي انفسهم
لا اكثرهم كانوا ثلاثة امثال على ما روي في القصة وهذا ما جعل الحق عليهم قيام الواحد من المسلمين بالاثنين منهم مع ضعفهم لجهدهم
في العبادات وبلوغهم الغاية من احتمال الشدايد والمشقات اخبر عز وجل بمرهنهم امر اهل الحرب وشدة رغبتهم في تعلمهم ما يحتاجون
في الحرب والقتال ولهذا قالوا ان الله عز وجل علم المؤمنين جميع ما يحتاجون في الحرب من الادب وذكرها في الكتاب كقوله اذا لقيتم فئة
فاثبتوا امرهم بالثبت ثم قال فلا تولوهم الادبار وقال ولا تنازعوا فتفشلوا فجعل التنازع الواقع بينهم على خلاف بعضهم بعضا سبب
الهزيمة ففيه امر بالاجتماع وجعل التدبير واحدا والطاعة لامامهم وقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وانما كان عبرة لما ذكرنا من
خروج المؤمنين بقلة مددهم وضعف ابدانهم بلا استعداد للحرب والقتال انما هو خروج شبه العير وخروج اولئك بالعدة مع قوة
ابدانهم وكثرة مددهم وطمع المدد ولم يكن للمسلمين ذلك ففي مثل غلبة المؤمنين الكافرين والظفر بهم والنصر لهم عليهم على الوصف
الذي وصفناهم عبرة وانه لاولي الابصار والعبر وقوله زين للناس حب الشهوات اي الشهوات من النساء والبنين وما ذكر الى
اخره قال الحسن والله ما زينها الا الشيطان اذ لا احد اذم بها ولا اشد لها من الله تعالى واليه يذهب المعتزلة لكن الاصل في هذا في
امثاله ان الله عز وجل زين هذه الاشياء والتزيين من الله سبحانه وتعالى يقع لوجهين وكذلك الكراهة ايضا تقع لوجهين تزين
في الطباع والطبع يرغب فيما يتلذذ ويشتهي وان لم يكن في نفسه حسن وتزين في العقل فلا يتزين في العقل الا فيما ثبت حسنه
بنفسه او الامر وحمد العاقبة ونحو ذلك ثم جعل العقل مانعا له ورادعا عما يرغب اليه الطبع ويميل لان الطبع ابدا يميل ويرغب الى
ما هو الذ واشهى واخف عليه وينفر عما يضره ويؤلمه والعقل لا ينفر الا عما هو القبيح في نفسه ويرغب فيما هو الحسن في نفسه وعلى
ذلك يخرج قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ليس على كراهة العقل ولا على شهوة العقل لكن على كره
الطبع وشهوته وكذلك قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم ليس على كراهة الاختيار ولكن كراهة الطبع لانه كراهة الاختيار وكل
رغبة الاختيار وفيها تجري الكلفة اعني على اختيار العقل لا اختيار الطبع بما يميل ويرغب في الالذ وينفر عن المضار دليله فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اخبر انهم لا يؤمنون ما وجدوا
في قضائه حرجا فدلت الاية ان الخطاب والكلفة انما يكون على اختيار العقل وكراهته لا على اختيار الطبع لذلك قلنا انه يجوز
التزيين في الطبع من الله تعالى وكذلك الكراهة في الطبع يكره من الله تعالى فاما قولهم ان الشيطان هو الذي زينها فان عنوا انه يزينها
لهم اي يرغبهم ويدعوهم اليها ويريهم زينتها فنعم وان عنوا انه يزينها بحيث نفسها لهم فلا لان الله تعالى وصف الشيطان بالضعف
ونفى عنه هذه القدرة بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلو جعلنا له التزيين لهم على ما قالوا لم يكن كيده على ما وصفه عز وجل بالضعف
ولكن كان قويا ولكنه يدعوهم اليها ويرغبهم فيها ويريهم المزين لهم ثم دعاؤه اياهم وحيلته في ذلك وقوته من حيث ما لا يطلع
عليه بقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فالعدو الذي يرى هو من يعاديه ولا يرى هو كان يجب ان يكون الحذر منه و
الخوف ممن يرى روحه اخوان الشهوات التي اضاف التزيين اليها الا خلاف بينهم فانها مخلوقة لله تعالى فما بقي للشيطان الا الدعاء
اليها والترغيب فيها وفيه وجه اخر انه لو لم يجعل هذا مزينا من الله تعالى زال موضع استدلال الشاهد على الغايب وبالدنيا على
الاخرة نوعين مستحسنا ومستقبحا وجعل ذلك عيادا لما اوعد ووعد فلما لم يكونا منه لم يصح موضع التغيير لا ترحل ولا
بلطفه سخر كل مرغوب في الدنيا ومدعو اليه من جوهر في الاخرة حسنة ليرغب الناس في هذا الى ما في الجنة بحسنه ولطفه وزينته
ويدعوهم الى ترك ما في الدنيا من الفاني الى نعيم دائم ابدا فلو جعل هذا من تزيين الشيطان لعنه الله ومصنوعهم يذهب عظيم موضع
الاستدلال الذي ذكرنا فدل انه مزين منه عز وجل تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم امتحنهم الله عز وجل ما زين لهم في
الطباع بما ركب لهم من العقول الوافرة ليجتنبوا ما احسن في العقول وتزين على ذلك جعلت الكلفة والخطاب لا بما مال اليه الطباع
وتنفرت عنه العقول والله التوفيق ثم في الاية دلالة وجوب الحق في كل ما ذكر في الاية من المال وكذلك الخيل واما في النساء والبنين

فلما منعوا بهم اوجب عليهم النفقة كذلك والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة اوجب في النساء عليهم النفقة وكذلك البنين واوجب في الذهب والفضة حقا ثم ذكر الخيل المسومة ان كان المراد منه جعلها سايمة لذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان في الخيل صدقة ثم اختلف في المسومة قال بعضهم هي المسيبة الراعية وقال اخرون هي المعلمة وعن ابن عباس رضي الله عنه المسومة الراعية وقال غيرهم المطهمة وهي الحسنة ثم اخبران ما ذكر في الاية هو متاع الدنيا امرهم بترك ذلك واخبر ان لهم عنده حسن المآب ادهم تركوا ما امتعوا ثم قال ان من التقي في الدنيا خير له من ذلك بقوله قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الى اخره ثم اختلف في القناطير المقنطرة منهم من قال الف ومائتي اوقية ومنهم من قال اثني عشر الفا ومنهم من يقول سبعون الف دينار ومنهم من يقول بلسان الروم ملء مسك ثور ذهبا وفضة ومنهم من يقول كل مائة قنطار من كل شيء وهو اسم المال العظيم الكثير لا ندري ما مقداره ليس لنا الى معرفة قدره حاجة ولا فائدة انما الحاجة الى معرفة الرغبة فيما اكثر من المال الذي ليس ذو راحة بان يحمل عليه الرغبة من الامر والله اعلم **وقوله** خالدين فيها وازواج مطهرة من الافات كلها من الاخلاق المسيئة والاقذار والعيوب كلها وقد ذكرنا فيما تقدم وفي صدر السورة قال وكل اهل الجنة مطهرة من جميع المعايب لان العيوب في الاشياء علم الفناء وهم خلقوا للبقاء الا ان اهل الذكر جرى للنساء لما ظهر في الدنيا من الفضل المعايب والاذى **وقوله** الذين يقولون ربنا اننا امنا الاية قد رضي منهم بهذا القول وفيه تذكية لهم ولو كان الايمان جميع الطاعات منهم لتزكية بها وقد اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان للذين اتقوا عند ربهم في الجنة خير من هذا الذي زين للناس في الدنيا من النساء وما ذكر الى اخره وقوله للذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك ويحتمل للذين اتقوا الفواحش والمعاصي كلها **وقوله** الصابرين قيل الصابرين على طاعة الله وقيل الصابرين على اداء الفرائض وقيل الصابرين على المرازي والمصايب والشدايد والصبر هو حبس النفس عن جميع ما تهوى وتشتهي **وقوله** والصادقين قيل في ايمانهم وقيل الصادقين بما وعدوا وقيل الصادقين في جميع ما يقولون ويخبرون والمنفقين يحتمل الانفاق ما لزم في اموالهم من الزكوة والصدقات ويحتمل المنفقين المؤدين حقوق بعضهم بعضا من حق القرابة والصلة والقانتين قيل القانت الخاشع وقيل القانت المطيع وقيل الخاشع وكله يرجع الى واحد واصله القيام وكل من قام لاخر كان مطيعا وخاشعا وخاضعا ومقرا وقيل القانت المقر كقوله كل له قانتون اي مقرون وقال قتادة والصابرين الذين صبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه والصادقين الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم وصدقوا في السر والعلانية والقانتين المطيعين والمستغفرين بالاسحار والمنفقين يعني نفقة اموالهم في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قيل المصلين بالاسحار وقيل المصلين في اول الليل والمستغفرين في اخره واصل الاستغفار طلب المغفرة مما ارتكب من المأثم على ندامة القلب والعزيمة على ترك العود الى مثله ابدا ليس كقول الناس نستغفر الله على غير ندامة القلب واصل الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة باسبابها ليس ان يقول بلسانه اغفر لي كقول نوح عليه السلام استغفروا ربكم امرهم بالتوحيد ثم اخبر عز وجل ان الجنة هي للصابرين والصادقين الى اخر ما ذكر والله اعلم **وقوله** شهد الله انه لا اله الا هو قيل فيه بوجوه قيل شهد الله شهادة ذاتيه اي هو بذاته لا اله الا هو اذ في ذاته ما تليق الشهادة بمثله له من الاولوهية والربوبية وليس ذلك في ذات غيره وبالله العصمة وقيل شهد الله بما خلق من الخلايق انه لا اله الا هو اي خلق من الخلايق ما يشهد خلقه كل احد وحدانية الهيته لو نظروا في خلقتهم وتدبروا فيها وكذلك الملائكة واولوا العلم شهدوا انه لا اله الا هو على تاويل الثاني ان خلقة الملائكة واولوا العلم يشهد على وحدانيته شهدوا على ذلك الا الجهال فانهم لم يتأملوا في انفسهم ولا يتفكروا في انفسهم فلم يشهد وابو لا تزام الرسل والانبياء عليهم السلام بان يقولوا لا اله الا الله فقوله وامرهم به شهادة منه ويحتمل شهد في القول كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي وذلك من الله الربوبية ومن الخلق العبودية له فيجب ان يعرف الربوبية من العبودية فعيه دلالة خلق الايمان فمن قال انه غير مخلوق لم يعرف ذلك ذلك وبالله التوفيق وقيل شهد الله اي علم الله انه لا اله الا هو وكذلك علم الملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو فان قال لنا ملحد كيف صح وهو دعوى قيل لان دعوى من ظهر صدقه في شهادته اذا شهد هو مقبول وهو بما ادعى من الالوهية والربوبية انا لم يستقبله احد ظهر صدقه وقهر كل مكذب له في دعواه وبالله النجاة **وقوله** قائما بالقسط اي حافظ ومتولي كقوله قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظ لها ومتول كما يقال فلان قائم على امر فلان اي حافظ لامره ومتعاهد لاسبابه وقال الشيخ رحمه الله وقيل عادل اي لا يجوز لان ثم معنى القيام كقوله قوامين بالقسط مقسطين لان ثم للقيام فيه معنى يسبق الوهم اليه والله اعلم **وقوله** ان الدين عند الله الاسلام قال قائلون ان الدين الذي هو حق من بين الاديان هو الاسلام لان كل احد منهم مما دان دينا يدعي انه هو دين الله الذي امر به وقال قوم ان الدين الذي امرهم الامر به عند الله لانهم كانوا مع اختلافهم مقرين بالايمان لكن بعضهم لا يقرون بالاسلام فاخبر عز وجل ان الدين الذي امر به وفيه التوحيد هو الاسلام وغيره الا ترى انه قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما اخبر عز وجل ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ليس على دين سوى دين الاسلام والاسلام هو الاخلاص على ما ذكرنا فيما تقدم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة شهدوا واولوا العلم ان الدين عند الله الاسلام وانه قائم بالقسط والقسط هو العدل في جميع القران

وقوله

وقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يحتمل وجهين يحتمل الاختلاف التفرق اي تفرقوا في الكفر كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية ويحتمل الاختلاف في نفس الاختلاف في الدين كقوله ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر اخبر انهم لم يختلفوا من جهل ولكن علم وبيان كقوله الا من بعد ما جاءهم العلم بوجهين ثم يحتمل قوله الا من بعد ما جاءهم العلم اي لم يختلفوا الا من بعد ما علموا وعرفوا ويحتمل لم يختلفوا الا من بعد ما اتوا اسباب ما لو تفكروا وتدبروا لوقع العلم لهم بذلك والبيان لكنهم تعنتوا وكابروا فاختلفوا ثم في الاية دليل ان لا يجوز ان تفسير قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله ونحوه والانتقال من حال الى حال ومن مكان الى مكان لانه ذكر مجيء العلم والعلم لا يوصف بالمجيء ولا ذهاب وكذلك قوله قل جاء الحق وزهق الباطل ذكر مجيء الحق وزهق الباطل فهما لا يوصفان بمجيء الاجسام وذهابهم بالانتقال والتحول من مكان الى مكان ولا يعرف ذلك ولا يصرف اليه فعلى ذلك لا يجاوز ان يصرف قوله وجاء ربك واستوى على العرش ونحوه الى المعروف من استواء الخلق ومجيئهم لتعاليه عن ذلك قال والمجيء لا يكون عن الانتقال خاصة بل يكون مرة ذلك واخرى غيره وكذلك الاتيان والله اعلم **وقوله** بغيا بينهم قيل حسدا بينهم لانهم طمعوا ان يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل على ما بعث سائر الرسل بعد اسرائيل منهم فلما بعث من غير بني اسرائيل حسدوه وخالفوا دينه الاسلام ويحتمل بغيا من البغي وهو الجور **وقوله** ومن يكفر بايات الله اي من المخالفين فان الله سريع الحساب كانه على الاضمار ان قل يا محمد ومن يكفر بايات الله من بعد ما جاءهم العلم والبيان فان الله سريع الحساب وله ثلاثة اوجه لان نظام الجواب على غير اضمار ان يكون ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وله لازم اي العذاب والله اعلم سمي به لان بعد الحساب عذاب لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب فجعل الحساب عذابا ثم اخبر عز وجل انه سريع الحساب الذي يكون بين الخلق لان الخلق يشغلهم اسباب ويمنعهم اشياء يحتاجون الى التفكر والتدبر والله يتعالى ان يشغله شيء ويمنعه معنى جل الله عن ذلك وقيل على التقريب حسابه سريع كان فجاءه لقربه والله اعلم قوله تعالى عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو شهادة ربوبيته لا يتوهم له كيفيته ولا يخطر بالبال له مائية ولا يحتمل الوصول الى حقيقة ذلك بالتفكر ولان يحتمل بلوغ العقل والوقوف على ذلك اذ هو خلق قصر عن الاحاطة بمائية نفسه وعن ادراك وجه قيامه بالذي ركبا وتجديد من حيث نفسه وهو تحت جميع ما ذكرت اذ هو خلق وحدث جرى عليه التدبير ودخل تحت التقدير فالربوبية احق ان يتحسر عنها الاوهام ويجل عن توهم ادراكها الافهام وعلى ذلك الامر تكوين الله الاشياء على ما شهرت الاشياء التي هي تحت التكوين في العبادة لا على توهم في التكوين معنى يحتمله الافهام او تبلغه العقول وانما هو عبارة بها جعل لا يقف على العبارات عن المتعالي عن صفات الخلق المحقق له الجلال عن جهاتهم الا من حيث المفهوم في الخلق للتقريب الى الافهام دون تحقيق المفهوم مما عن العبارة عنه قدرت العبارات في الاخبار عن الله سبحانه وتعالى وعلى هذا القول الله والرحمن وجميع ما يتعارف الخلق من الاسماء على ما يقرب من الافهام المراد بها لا تحقيق الحروف او ادخال تحت تركيب الكلام وتاليف العبارة وهذا معنى معرفة وحدانيته من جهة ضرورات توجب المعرفة على الوصف بالسبحانية له عن معاني جميع المعروفين بالله العصمة والمعونة ثم قد يحتمل ان يوذن في العبارة عن ذلك بما هو الطف وادفع للتوهم توهم ما لعل عند ذكر الشهادة فضل خبرة ليس عند تلك العبارة وذلك يخرج على وجوه في الاحتمال ما يسعه عقولنا دون القطع على شيء معا وقع عندنا يمكن الرجوع اليه والله سبحانه اعلم من ذلك بشهادة الخلايق كلهم ما فيها من اثار الصنعة ودلالة الربوبية وشهادة الالوهية يكون شهادة بالذي ذكر بان لا اله الا هو اذ في كل شيء سواء هذه الشهادة بالصنعة التي جعلها هو فيه له والله اعلم والثاني ان يكون بذاته متعالي عن جميع معاني من سواه من المعاني التي ادخلتها اسم مربوب وظهور كل شيء في الحقيقة له عند توهم المعبود لا يستحق غيره ضياء الحدثية وجهان المدخلة تحت القدرة والتدبير وهو بذاته متعال عن كلية الجهات والمعاني التي بها كانت بعد ان لم تكن وبها صارت مربوبة عبدا وهو متعال ايضا عن الوصف بالجهات والمعاني بل هو خلق والخلق ولا قوة الا بالله ويحتمل شهد علم وكذا كل من شهد الشيء فقد علم بخبر خلقته بانه العالم وانه واحد لا شريك له اله الكل وخالقهم ليعلموا انما اعلمهم انه كما اخبر وذلك في نقض قول كثير ممن ينفون عن الله تعالى انه عالم وشاهد كل شيء والله الموفق ويحتمل شهد على الخلايق ان يكون عليهم القول والاعتقاد انه لا اله غيره بمعنى قضى وامر والله الموفق وليس فيما جمعه الله الشهادة من ذكر توهم معنى الشهادة من ذكر معا قد يحتمل لما جمع لشهادة شهادة من ذكر وجهان احدهما فضل من ذكر شهادته عند ذكر شهادتهم على نحو قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية انه ذكر وان كان الخلق كله بوجهين احدهما بما جعل ذلك لوجوه العبادة كما اضاف اليه المساجد على انها وغيرها له وذكر في الملائكة الذين عند وخاص العبادة واليه المصير ونحو ذلك انما مخصوص لما ذكرنا مخصوص لما ذكر من الاوقات في فضل او غير جعل له اولما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنسب اليه او كان لكلية المعاني للعباد فيه فشاء امر شهادات من ذكر فيها بشهادة الله تفضيلا لاولئك وتخصيصا من بين الخلايق والله اعلم والثاني على كون الشهادة من الاخبار بمجيء الامر منسبه اليه كما نسب اليه كتابة الالواح ونفخ جبريل الروح بما كان منه في امره فكذا فعل في الاضافة اليه والله اعلم ثم حق ذلك فيما على التحقيق ان يفهم ما اضاف الله ربوبية وعن العبد عبودية على جميع ما يضاف الى الله انه يفهم من غير الوجه الذي يضاف الى الخلق فشاء امر الشهادة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام على معنى جعل انه صلة في الكلام وحقيقة شهد الله الذي لا اله الا هو والملائكة ومن ذكر ان الدين عند الله

والاسلام والاسلام في الحقيقة جعل كلية الاشياء لله تعالى بانه ربها وخالقها على ما هي عليها جل عن الشركاء وقد قيل الاسلام
خضوع وقيل الاخلاص وهو يرجع الى ما بينا وذلك قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والايمان هو
التصديق لله تعالى بما اخبر انه رب كل شيء وانه الخالق والامر وقيل هو التصديق بما جاءت به الرسل وذلك يرجع الى ما بينا ايضا والله اعلم
وقوله قايما بالقسط قيل هو عادل لا يجور [illegible] كونوا قوامين بالقسط [illegible] والله
اعلم وقيل قيام تولي وحفظ وكفاية وتربية كما يقال فلان قايم بامر كذا لا على توهم انتصاب وعلى ذلك قوله افمن هو قايم على كل نفس
بما كسبت وقوله فان حاجوك [illegible] والله اعلم ان يكون هذا بعد ما علم انهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة [illegible]
[illegible] وقوله فقل اسلمت وجهي [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله ومن اتبعني [illegible]
[illegible] وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين [illegible]
[illegible]
فقل اسلمت وجهي لله على الاعراض عن محاجتهم والله اعلم وعلى ذلك يخرج معنى الامر بالتولي عنهم في غير موضع ويحتمل ان يكون المحاجة
في عبادة الواحد القهار والاوثان الذي كانوا يعبدونها من دون الله فبين جل ثناؤه في ذلك بالذي يقول لهم هو ومن اتبعه على ذلك
نحو قوله لكم دينكم ولي دين وقوله لا حجة بيننا وبينكم الاية ونحو ذلك والله اعلم وقوله ان الذين يكفرون بايات الله قيل بايات الله
التي في كتابهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقيل بايات الله بالقران ومحمد صلى الله عليه وسلم ويقتلون يحتمل قوله ويقتلون اي يهمون
ويريدون قتلهم كقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم فلو كان على حقيقة القتل فاذا قتلوا لم نقدر على قتلهم وكقوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله اي اذا اردت ان تقرا القران وكقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا كذا اي اذا اردتم ان تقوموا الى الصلوة لانه اذا قام
الى الصلوة لا يقدر على الغسل فكذلك الاول ويحتمل ان يريد الرضاء بقتل ابائهم الانبياء فاضاف ذلك اليهم وقيل انه اراد اباهم الذين
قتلوا الانبياء وقيل انهم كانوا يقتلون الف نبي كل يوم قال لا اعرف هذا فان صح فهو على انهم تمنوا ذلك وقتلوا نبيا وانصاره فسمي
انبياء لما كان يبني بعضهم بعضا والله اعلم وقوله فبشرهم بعذاب اليم لو كان اراد اباءهم كيف يامر رسوله صلى الله عليه وسلم بالبشارة
وهم موتى دل هذا على ان التاويل هو الاول ان هموا بقتلهم ورضوا بصنيع ابائهم والله اعلم والبشارة المطلقة انما تستعمل في السرور
الخيرات خاصة الا ان يكون مقيدا فحينئذ يجوز في غيرها كقوله فبشرهم بعذاب اليم قيد هنا لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان ليست
الحقايق اولى من المجاز ولا الظاهر اولى من الباطن الا بدليل على ما صرفت اشياء كثيرة عن حقايقها بالعرف من نحو الايمان وغيرها
وقوله اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة يحتمل وجوها يحتمل ايمانهم التي فعلوا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما
بعث كفروا به فبطلت تلك الاعمال ويحتمل ما كان لهم من الاعمال من صلة المحارم والقربات والصدقات فبطلت لما لا قوام لها الا بالايمان
فلما لم يامنوا به بطلت وقوله في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فثوابها واما في الدنيا فحمدها وثناؤها ويحتمل في الدنيا ثواب الدنيا
كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين يكفرون بايات الله
فالايات اعلام وحجج وهي انواع منها حسيات نحو الخلايق في الدلالة على وحدانية الله تعالى والخارجة منها من احتمال وسع البشر
بظهور عند اداء الرسل الرسالة يشهد على ان الذي تولاها يعلم بها حجة يوضح بها رسالتهم ومنها السمعيات وهي التي جاءت
بها الرسل من الانباء عما لا سبيل الى الوقوف عليها الا بالسمع بلا تقدم تعليم او ما يعلم حقيقة ذلك الا الله ليعلم ان الله هو الذي
اطلعهم عليها ليكون اية لهم والله اعلم ومنها العقليات وهي التي تعرف بالمحن والبحث عنها مما بها يوصل الى معرفة التوحيد والرسالة ونحوها
ثم قد جعلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يكفر بها يخرج على وجهين احدهما على الكفران ان يكون حقيقة الايات ان يكون هذه ايات الله فتسمى

ومن

ومن من الوجوه التي ذكرت فتقضي الله تعالى لمن يكفر بها بما ذكرت لتعنتهم ومعاندتهم والله اعلم والثاني ان يريد بالكفر بالايات ه
الكفر بمن له الايات فنسب الى الايات لما بها يعلم الحقيقة كما ينسب الاشياء الى اسبابها التي بها يوصل اليها فذلك معنى الكفر بالايات
ثم كانت الكتب السماوية وما فيها من النعوت وما عجزهم عن اتيان مثل القران وغير ذلك من الحسيات والله اعلم فعلى ما ذكرنا يخرج
معنى الكفر بالايات لانها بحيث ياخذها الحواس ويحيط بها الاوهام والعقول ولكن على انهن ايات للذي ذكرت عليه او على الكفر بالذي
له ايات توجب تحقيقه والله اعلم وقوله فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقال في ذلك الكتاب لا ريب فيه وقد ارتاب فيها اكثر اهل
الارض قيل قوله لا ريب فيه يتكلم به على تثبيت القول به عند قائله لا على نفي الشك عن كل من سمعه ارادة التاكيد فعلى ذلك امكن ان يخرج
معناه اذ هو مخاطبة على ما عليه كلامهم وكذلك قولهم ابدا على دوامه واستدامه لا على حقيقة الابدية وكذلك يقولون هذا الك قديم و
امر قديم على حقيقة القدم التي تخرج على الكون بعد ان لم يكن والله الموفق والثاني على انه لا يرتاب فيه المتامل المنصف بما جعل الله له
من الايات وعليه من الادلة التي من تدبرها فيها اظهرته له حتى يصير كالمعاين ولا قوة الا بالله والثالث ان يخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوم مخصوصين مما كانوا يتنازعون فيه بعد علمهم بصدقه ليعرف به تعنتهم وبرئته عن الطمع فيهم ولا قوة الا بالله وقوله الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله الم تر انما يتكلم به لاحد معنيين اما التعجيب من الامر العظيم يقول الرجل الاخر الم تر فلانا يقول كذا
او يعمل كذا يقول ذلك له تعظيم ما وقع عنده واما التنبيه فاينما كان ففيه تحذير المؤمنين ليحذر المؤمنين عن مثل صنيعهم كقوله ولا
تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية حذر المؤمنين ان يكونوا مثل اولئك الذين اوتوا الكتاب ولا يخالفوا كما خالفوا وقوله
يدعون الى كتاب الله يحتمل ان يكون اراد بالكتاب التوراة على ما قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اسلموا تهتدوا ولا تتكبروا فقالوا
نحن اهدى واحق بالهدى منك وما ارسل الله رسولا بعد موسى عليه السلام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التورية والانجيل
فانه مكتوب فيهما بعثي واني رسول الله فابوا ذلك خوفا واشفاقا على ظهور كذبهم وقيل اراد بالكتاب القران دعوا اليه لانه مصدق
لما معهم من الكتاب فابوا ذلك وقوله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات الايام التي عبد اباؤهم العجل فظنوا انهم
انما يعذبون بقدر ما عبد اباؤهم العجل وانهم لا يخلدون في النار لانهم زعموا انهم ابناء الله واحباؤه ويحتمل ان يكون اباؤهم قالوا لهم
انكم لا تعذبون في النار الا قدر عبادتنا العجل فاخبر عز وجل ان قد غرهم في دينهم ما كانوا يفترون ثم خوفهم فقال فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه وقوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية يحتمل قوله مالك الملك وجهين احدهما
مالك الملك كل مالك في الدنيا حقيقة الملك والثاني ان الملك له يؤتي من يشاء من ملكه وينزع ممن يشاء الملك وهو المالك لذلك والقادر
عليه والاية ترد على القدرية قولهم لانهم يقولون ان الله لا يعطي الكافر الملك وهو قد اخبر عز وجل انه يؤتي من يشاء الملك وقد يعطى الكافر
الملك فان قالوا اراد بالملك الدين قيل انه اراد الدين فقد اخبر عز وجل ايضا انه ينزع فكيف يستقيم على قولكم فلا اصلح منه لهم فالاية
تقوية لمن قرا مالك يوم الدين بالالف لانه اعم واجمع لانه قال مالك الملك وهو اعم والثاني ان الملك انما يعبر عن الولاية والسلطان
والمالك انما يعبر عن حقيقة الملك ومن له في الشيء حقيقة الملك فله ولاية التغلب والتصرف فيه وولاية السلطان وليس كل من له ولاية
السلطان يكون له ولاية التغلب فيه لذلك كان بالالف اقرب ومن قرا ملك يوم الدين بغير الف ذهب الى هذا كقوله الملك يومئذ لله يحكم
بينهم ومن الملك يقال ملك لا يقال مالك لذلك كان ما ذكر والله اعلم والمالك على الاطلاق لا يقال الا لله وكذلك الرب على الاطلاق لا يقال
الا لله واما العبد فانه يضاف الى الشيء فيقال رب الدار ومالكها ورب الدابة ومالكها والله اعلم وقوله قل اللهم مالك الملك قال القائلون الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقال اخرون الخطاب بذلك لكل عاقل وهو كقوله قل الله احد الى اخر الاية ذلك الخطاب لكل احد لا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة وقال الشيخ رضي الله عنه هو خطاب ولكنه امر بالبلاغ ليقوله كل احد لانه لو خوطب به ولم يذكر قل عند قراءته وقوله
اللهم قال قايلون اللهم يعني يا الله ثم وقال اخرون الله على القطع امنا اقصدنا بالخير والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله قل اللهم مالك الملك الاية
فكان الله عز وجل امتحن من رغب في الملك ونال الحظ منه ان يصرفوا وجه الرغبة اليه ويرى حقيقة ما نالوه منه فيوجهوا اليه الشكر و
يخضعوا له بالعبادة والطاعة فيما امرهم به لينالوا الشرف او يدوم لهم عزه وذلك كقوله من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة ليريهم ان الذي يملك
هذا النوع الذي رغبت فيه انفسكم ومنعتكم عن القيام بحقه هو الذي يملك ذلك فاليه فاصرفوا سعيكم وبشكره استديموا الذي لكم ثم
جل كرمه فانه يملك ذلك دون غيره وجملة ذلك في قوله وما بكم من نعمة فمن الله ومعقول فيما عليه طبع البشر واليه دعاهم عقولهم ان كل
شيء يوثروا انفسهم كان الذي يحق عليهم طلبه عند من به يوصل اليه ولختياره ما به يبلغون ما يوملون من انواع الحيل التي تقربهم الى ذلك
فمثله يلزم امر الملك ولذات الدنيا وتعزز في قلوبهم وجود ذلك لقوم لو كان ينال بالتدبير وحسن السياسة وطلب ذلك من الوجوه
التي يطلب بها البشر لم يكن الذين لهم ذلك باحق من غيرهم بل كان فيمن حرموا منهم اولى بذلك واحق ان يكون في ذلك متبوعا لا تابعا من
الذين نالوه ليعلم ان الذي يملك دفع ذلك الى احد وتمليكه احدا غيره الذي صرف اكثرهم وجعلوا له سعيهم فيكون لله في كل امر مما عليه
البشر اية عظيمة وعلامة لطيفة على تعززه بملك ذلك وتوحده بالتدبير فيه لمن له بصيرة ولمن به يمتحن عباده وعلى ذلك اذ ثبت في
ذلك ادلة التوحيد ولزوم الاعتبار به ليعرف من له الحق ثبت القول ببطلان ما ينكره كثير من المعتزلة ان الملك الذي للجبابرة والمتغ

التي تصل الى الكثرة لم يكن نالوه بتقدير الله ولا وصلوا اليه بتدبيره اذ حقه ما ذكرت من عظم ما فيه من النعم ليلزمهم ادفع
المحن واعلى الشكر و لان يبلو بالحسنات والسيئات كما وعد عز وجل وجملة ان الدنيا اذ هي دار محنة ومكان ابتلاء تلبس الذي يعطى
على الا ستحقاق ولا ما يمنع على العقوبة وان احتمل الدفع والمنع لذلك ولكن له والمحن والمحنة اكثرها على مخالفة الاهواء وتحمل المكاره و
يكون ذلك على اعطاء ما يعظم في انفسهم والتمكين ليمتحنوا فيتبين الايثار والترك لوجه الله والرغبة فيما اليه حقيقة ملك كل شيء والميل
المصير اليه انواع التعزير والخداعات من غير تحقيق ولا قوة الا بالله وعلى ذلك قوله ان اتاه الله الملك يبين ذلك احتجاجه على ابراهيم عليه السلام
بالذي ذكر واعضاء ابرهيم عنه ولو كان الذي اتاه الملك ابراهيم عليه السلام لم يكن ليجرى على تلك المقالة بقوله انا احيي واميت ولا قوة الا
بالله ثم على قول المعتزلة ان الله تعالى انما يشاء ان يؤتي الملك اولياءه وينزع عن اعدائه في الجملة فكيف ادعى لنفسه هذا السلطان والملك
وكان الوجود على ضد ذلك ابطل المعتزلة ان الملاحدة تطعن ما هو يوجب الشبهة في حجج التوحيد بادفع مما اعطاهم المعتزلة بهذا القول
او يمكنهم من الطعن في نقض ما ادعت الموحدة من علو الرب وقدرته وجلاله بالغ مما لقنهم المعتزلة بما ليست توجب التوحيد واستوت
يستوي في الظاهر ثم اعطت الملحدة هذا ليظنوا انهم بلغوا ما به نقض التوحيد ودفع حجج اهله جل الله عما وصفته الملحدة وتعالى وبه العصمة والنجاة
ولما اعطتهم المعتزلة في الجملة سبقتهم به ابليس حتى كانوا به بمثله يحتجون فيظنون انهم احق بالنبوة منهم بما اعطوا من الملك والثروة في الذي
فظنوا انهم احق عند الله تعالى وارفع في المنزلة منهم لم يكن ليؤثرهم بالرسالة عليهم لكن اولئك حققوا حقا بان النعم لله وبذل ما نال الامن الملك
والشرف به والمعتزلة دامت ازالة ذلك عن الله ليبتلوا عنهم ما الزمهم من الشكر له والطاعة لمن بعثه الله ونسال الله تعالى تمام نعمه في الدين و
الدنيا **وقوله** يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقوله يخرج الحي من الميت ونحو ذلك وجوه من الادلة احدها ان يعلم ان الله عز وجل
فيما يخلق لا يخلق على معونة الاسباب وتوليد الطبايع لان الاسباب يكون بموضع الاشكال وكذلك الطباع يولد الذي في جوهره نحو الحار يولد
الحرارة والبارد يولد البرودة فبين الله تعالى الانشاء على احوال التضاد ليعلم ان القادر على اجتماع ما شاء ثم شاء بلا معونة من ذلك ولا توليد
ولا قوة الا بالله والوجه الثاني انه جرى تقدير ذلك على ما لا تفاوت له ولا اختلاف في اختلاف الاعوام ليعلم انها سواء على التدبير حكمة على ذلك
العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر وليعلم ان الذي قدر على ذلك واحد انه لا يختلف ولم يتنافض ولا قوة الا بالله وايضا انه قد صير
كل جوهر احداث الاخر كانه لم يكن قط ولا كان يبقى له اثر ثم رده بالوصف الذي كان حتى لا يفوت منه شيء حتى لا سبيل الا العلم بالتفصيل
بينهما ليعلم ان قدرته على البعث بعد ان يفنى كل الاجزاء والاثار ولا قوة الا بالله وايضا انه اذا يجري الامر على ما فيه من عظم الحكمة وعجيب التدبير يجب
ان يكون فعله خارجا على العبث ثم في دفع المحنة وابطال الرسالة في تعليم ما في ذلك من الحكمة وما يلزم بمكان ذلك التدبير من الشكر والمعرفة
ثم من الترغيب فيما يملك من النعمة والترهيب عما عنده من النقمة ابطال الحكمة وتفريق العالم معا ذكرت على العبث وذلك فاسد في العقول وموجود
في الجواهر عظم حكمة منشئها ثبت بذلك العبادة والرسالة والجزاء ولا قوة الا بالله وقوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الى اخره يحتمل
وجهين يحتمل ان تؤتي ابتداء من غير ان كان اتاه مرة وكذلك تنزع اي تمنع ابتداء من غير ان كان اتاه ثم تنزع كقوله رفع السموات رفع بناء
من غير ان كانت موضوعة فرفعها وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور اخراج الابتداء لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم فعلى هذا ذلك وعلى ذلك
قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ايلاج الابتداء لا ان كان احدهما في الاخر كقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى
يوم القيمة والنهار سرمدا اخبر انه لم يجعل واحدا منها وكذلك قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اخراج الابتداء ان يخلق الحي من الميت
ابتداء ويخلق الميت من الحي من غير ان كان فيه ويحتمل هذا كله ان كان يؤتي الملك بعد ما لم يكن ويعز بعد الذل وينزع الملك بعد ان كان
ويذل بعد ان كان العز وكذا قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ان يدخل بعد هذا وهذا في هذا **وقوله** يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي قيل ان يخرج حيا لا قوال من ميت الافعال وميتا الافعال من حي الاقوال يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن على ما سمى الله
تعالى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القران وقيل يخرج حي الجوهر من ميت الجوهر وميت الجوهر من حي الجوهر وقيل يخرج الحي من المني
ويخرج المني من الحي وقيل البيضة من الحي والحي من البيضة وقيل النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة **وقوله**
وترزق من تشاء بغير حساب يعرف الخلق عدده ومقداره وقيل بغير تبعة ولا طلبة اي لا يحاسبهم فيما اعطاهم من بعد ما اعطاهم و
يحتمل بغير حساب اي لا يعطيهم بحساب اعمالهم ولكن يتفضل خلاف العدل ويحتمل بغير حساب في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه
هذا في خاصية مغفرته وعن مقاتل لا يقدر ذلك غيره يقول ليس فوقي ملك يحاسبني والله اعلم **وقوله** لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين يحتمل وجهين يحتمل الاستخذاء لا يكونوا اولياء وان اتخذوا اولياء بل هم اعدا كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الاخر الاية ويحتمل على النهي اي لا تتخذوا اولياء كقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وكقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
وقوله الا ان تتقوا منهم تقية اختلف فيه قيل الا ان يكون بينكم وبينهم قرابة ورحم فيصلون ارحامهم من غير ان يتولوهم في دينهم على
ما جاء عن علي رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه ابو طالب ان عمك الضال توفي فقال له رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذهب فواره ويحتمل قوله الا ان تتقوا على انفسكم منهم تقاة الا ان تخافوا منهم فتظهرون لهم ذلك مخافة الهلاك وقلوبكم على
غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه التقية التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان **وقوله** ويحذركم الله نفسه قيل عقوبته وقيل

نقمته بقول الرجل لاخر احذر فلانا انما يريد نقمته وبوايقه فعلى ذلك قوله ويحذركم الله نفسه عقوبته وبوايقه التي يكون من
نفسه لما يكون ذلك به لا بغيره والله اعلم **وقوله** قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يحتمل ما تخفوا من ولاية الكفار وتبدوه
يعلمه الله فيه اخبار ان في قلوبهم شيئا ويحتمل ان يكون اراد جميع ما يخفون ويبدون ويعلم ما في السموات وما في الارض الاية **وقوله**
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قيل تجد ثواب ما عملت من خير حاضرا لان عمله انما كان للثواب لا للنفس العمل وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يحتمل ما عملت من سوء تجده مكتوبا يتجاوز عنه لان الله عز وجل وعد المؤمنين واطمعهم قبول الحسنات
والتجاوز عن سيئاتهم كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا و
يتجاوز عن مساويه واما الكافر فيجد عقاب ما عمل من سوء في الدنيا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا فلا يتجاوز عنهم ويبطل خيراتهم
وقوله امدا بعيدا قيل بعيدا من حيث لا يرى ولا قيل بعيدا تود لو انه لم يكن ما من نفس مؤمنة ولا كافرة الا تود البعد عن ذنبه وان
لم يكن ويحذركم الله نفسه قد ذكرناه **وقوله** والله رؤف بالعباد ان اراد في الاخرة يعني بالمؤمنين خاصة وان اراد في الدنيا
فهو بالكل قال الشيخ رحمه الله في قوله والله رؤف بالعباد فالرحمة من الله جل ثناؤه والرافة نوعان احدهما في حق الابتداء ان خلق
خلقا وركب فيهم ما يميزون به بين مختلف الامور ويجمعون بين المؤتلف ثم لم ياخذ كلا منهم بما استحق من العقوبة بل رحم وامهل التوبة
والرجوع اليه وهذه الرحمة رحمة عامة لا يخلو عنها عبد ورحمة في حق الجزاء من التجاوز والمغفرة وايجاب الثواب للفعل فهذه لا ينالها الا
اعداؤه لما يوجب التجهيل في التفريق بين الذي جعل في العقول التفريق ولما يكون وضع الاحسان في غير اهله والاكرام لمن لا يعرف
المكرم به ومنافي الحكمة تعذيبهم تخويفا وزجرا عما يختار دون دينا لها من تعرف واعتقد الموالاة وكان هو اعظم في قلوبهم وطاعته من
جميع لذات الدارين وان كانوا يبلون بالمعاصي على الجهالة او على رجاء الرحمة والعفو اذ هو كذلك في شرطهم الذي به والوه وبالغلبة
فهي رحمة خاصة اي هي بالمؤمنين وبالعباد الذين ابذلوا انفسهم له بالعبودة بحق الاختيار وان كانوا يغلبون على ذلك في احوال والله
الموفق وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قيل ان ناسا كانوا يقولون في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا نحب الله
حبا شديدا فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين فيها المحبة علما وقيل ان اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فانزل الله تبارك وتعالى
قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وذلك ان من ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في امره ويؤثر طاعته لحبه فاذا ظهر ثم انتم
بغضكم لرسولي وترككم اتباعه في امره وايثاره طاعته ظهر انكم تكذبون في قولكم نحن ابناء الله واحباؤه لان من احب اخر يحب المتصلين
ورسله وحشمه والمحبة هاهنا الايثار بالفعل طاعة من يحبه فيما احبه وكرهه والطاعة له في جميع امره والله اعلم **وقوله** اطيعوا الله و
الرسول الاية قد تقدم ذكرها **وقوله** ان الله اصطفى ادم اختلف فيه قيل اصطفى ادم ونوحا من ذكر الرسالة والنبوة وقيل اختارهم
في النية والعمل الصالح والاخلاص قال الشيخ رحمه الله الاصطفاء ان يجعلهم صافيا من غير تكدر بالدنيا وقيل اختارهم لامر يكلام
الاخرة والامر المعاش الا ترى الى قوله انا معاشر الانبياء لا نورث نموت موت العبد نسبه وقال الشيخ رحمه الله ايضا في قوله ان الله
اصطفى من ذكر فهو والله اعلم ذكر الله اولياءه واهل صفوته ثم اعداءه واهل الشقاء ترغيبا فيما استوجبوا الصفوة وتحذيرا عما به صاروا
اهل الشقاء اذ هما امران يتولدان عن اختيار البشر ويقومان باسبابها اهل المحن لا بنفس الخلقة والجوهر فصار الذكر للمعنى الذي ذكرت وفي
ذلك وجه ذكر عواقب الفريقين في الدنيا وما اليه يصير امرهم في المعاد وعلى هذا ما ضرب الله من الامثال بانواع الجواهر الطيبة والخبيثة في
العقول والطبايع ترغيبا وترهيبا وعلى هذا جميع امر الدنيا انها كلها عبر ومواعظ وان كان فيها شهوات ولذات والام وارجاع ليعلم
انها خلقت لا لها لكن لامر عظيم كان ذلك هو المقصود من مدبر العالم اذ بالعواقب يذم اهل الاختيار ويحمدون فجعل الله عواقب الحكماء
واهل الاحسان حميدة لذيذة ترغيبا فيها وعواقب السفهاء واهل الاساءة ذميمة وخيمة ترهيبا فيها فخرج جميع فعل الله على الحكمة والا
وان كانت مختلفة في اللذة والكراهة لانه كذلك طريق الحكمة في الجزاء وفي ابتداء المحنة الا ان المحنة تكون مختلفة والجزاء نوع لما هو كذلك
في الحكمة والاحسان اذ كذلك سبق من اهل الاختيار والجزاء على ما اختاره من له وعليه حكمة واحسان اعني بالاحسان فيما يجوز الامتحان
بلا جزاء يجب الشكر لما اولى وابلى والحكمة تبيان لا زما ذلك في التدبير ولا قوة الا بالله **وقوله** ذرية بعضها من بعض قيل بعضها من بعد
في النسب من ذرية ادم ثم من ذرية ابراهيم عليهم السلام وقيل بعضهم من ذرية بعض وقيل بعضهم من جوهر بعض فلا تنكبن وكقوله والله
اعلم بايمانكم بعضكم من بعض منع الحر عن التعظيم على العبد واختلف في الذرية قال بعضهم الذرية الاولاد والاباء كقوله ذرية من حملنا
مع نوح وكانوا الاولاد والاباء والذرية ماخوذة من ذرء يذرء وهو الخلقة وقيل الذرية الاولاد خاصة يقال ذرية فلان انما يراد
بذلك الاولاد خاصة دليله قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان واختلف في الال قيل ال
الرجل المتصلون به وقيل ال الرجل اتباعه وقيل اقرباؤه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل تقي فهو من الي وقيل ان عمران من ولد سليمان
بن داود عليهم السلام **وقوله** اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الا اخبر عز وجل انه اصطفى ال عمران واختارهم
على سائر العالمين وكان اول ما في صفوته واختياره ان جعلت امرأة عمران ما في بطنها محررا والمحرر هو العتيق عن المعاش بالعبادة وقيل
المحرر هو الذي يعبد الله خالصا مطيعا لا يشغله شيء عن عبادته فارغا لذلك وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل المحرر هو الذي يكون لله

صافيا وقيل المحرر هو من خدم المسجد وقوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا جعلت ما فى بطنها لله خالصا ثم تطلب منه الاستيناس به ثم
ولا ما يطمع الناس من اولادهم وذلك من الصفوة التى ذكر عز وجل وهكذا الواجب على كل احد ان ما طلب ولدا ان يطلب للوجه الذى طلبت
امرأة عمران وزكريا حيث قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة وما سأل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هب لى من الصالحين وكقول الذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا الاية هكذا الواجب ان يطلب الولد لا ما يطلبون من الاستيناس والاستنصار والاستعانة بأمر المعاش ثم
وقوله فتقبل منى انك انت السميع العليم اى تقبل منى قربانى وما جعلت لك خالصا انك انت السميع لنذرى العليم بقصدى فى التحرير
وقيل السميع المجيب لدعائى العليم بنيتى وقوله فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى ومعنى قولها انى وضعتها انثى مع علمها ان الله
هو علم بما فى بطنها وبما وضعتها وجهان احدهما اعتذارا لما لم يكن تحرير فى ذلك الزمان الا الذكور من الاولاد فاعتذرت انى ما وضعت لا يصلح
للوجه الذى ذكرت والثانى ان الانسان اذا رأى شيئا عجيبا قد ينطق بذلك وان كان قد يعلم ان غيره ما علم هو وانه رأى مثل ما رأى هو
او يحتمل ان طلبت ردها الى منافعها اذ وضعت الانثى لما رأت لا تصلح لذلك ويحتمل قولها انى وضعتها انثى التعريض لاجابة الله تعالى فيما
قصدت من طاعته بالنذر وان لم تكن صلحت لما قصدت وقد اجيبت فى قولك بقوله فتقبلها ربها بقبول حسن نحو ما يتقبل لو كان ذكرا فى
الاخيار والاكرام وجعلها خير نساء العالمين وقوله وليس الذكر كالانثى اختلف فيه قيل ان ذلك قولها قالت وليس الذكر كالانثى على اثر
قولها انى وضعتها انثى لما تحتاج الانثى الى فضل حفظ وتعاهد والقيام باسبابها ما لا يحتاج الذكر وقيل ان ذلك قول قاله عز وجل لما قالت
انى وضعتها انثى جوابا وليس الذكر كالانثى فيما قصدت والله اعلم وقوله وانى سميتها مريم فيه دلالة ان تسميته الى الامهات فى الاناث
دون الاباء ثم التجأت الى الله تعالى حيث اعاذتها من الشيطان الرجيم وفيه دلالة ان الذكور يكونون من ذرية الاناث لانه لم يكن لها الا عيسى
عليه السلام وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن يحتمل قوله فتقبلها ربها بقبول حسن ان اعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم على
ما سألت ويحتمل ان جعلها تصلح للتحرير ولما جعلت وان كانت انثى وقوله وانبتها نباتا حسنا يحتمل ايضا نباتا حسنا ان لم يجعل
للشيطان اليها سبيلا ويحتمل ان رباها تربية حسنة ان لم يجعل رزقها وكفايتها بيد احد من الخلق بل هو الذى يتولى ذلك لما يبعث لها
من الوان الرزق كقوله وجد عندها رزقا وكقوله وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقوله وكفلها زكريا فيه
لغتان احدهما بالتخفيف والاخرى بالتشديد فمن قرأ بالتخفيف فمعناه ضمها زكريا الى نفسه ومن قرأ بالتشديد فمعناه اى الله جل
وعز ضمها الى زكريا وقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قيل وجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء
فى الصيف قال يا مريم انى لك هذا قيل فيه بوجهين قيل استخبار عن موضعه او كيف لك هذا على الاستيصاف انكارا عليها وانها لما لا
يدخل عليها غيره ولا يقوم بكفايتها سواه فوقع فى قلبه ان احدا من البشر يأتيها بذلك وقيل انه قال ذلك تعجبا منه لما رأى من الفاكهة
والطعام فى غير حينه غير متغير فقال انى لك هذا تعجبا منه لذلك ثم قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اى يرزق
من حيث لا يحتسب وقوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة قيل فعند ذلك دعا زكريا ربه لما كانت نفسه
الخاشية تحدث بالولد ان يهب له لكنه لم يدعو لما رأى نفسه متغيرة عن الحال التى يطمع منها الولد فرأى ان السؤال فى مثل ذلك السؤال لا يصلح
فلما رأى عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف غير متغيرة عن حالها علم عند ذلك ان السؤال يصلح وانه يجاب للدعاء
فى غير حينه فذلك معنى قوله هنالك دعا زكريا ربه والله اعلم ويحتمل انه لما رأى ما اكرمت امرأة عمران فى قبول دعوتها وتبليغ ابنتها الى
المبلغ الذى رأى فيها مما لعل اطماع الانفس لا تبلغ ذلك دعا الله جل جلاله ان يكرمه ممن يبقى له الاثر والذكر وان كانت تلك الحال لا
تطمع الانفس فيما رغب عليه السلام مع ما كان قدرة الله مع ما كان قدرة الله عز وجل على ما شاء من غير ان كان يحمله على طلب الاكرام بكل
ما يبلغه قدره حتى رأى ما هو فى الاعجوبة قرب مما كانت نفسه بتمنى والله اعلم بالمعنى الذى سأل وقوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعاء اى مجيب الدعاء وقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب دل هذا ان المحراب هو موضع الصلوة ان الله يبشرك
بيحيى فيه دلالة لقول اصحابنا رحمهم الله ان الرجل اذا حلف ان لا يبشر فلانا فارسل اليه غيره يبشره حنث فى يمينه لانه هو البشير وان
كان المودى غيره الا ترى ان البشارة هاهنا اضيفت الى الله تعالى فكان هو كذلك هذا وقوله مصدقا بكلمة من الله قيل عيسى م كان بكلمة
من الله فيحيى صدقه برسالته وقيل اول من صدق عيسى يحيى بن زكريا ولهذا وقع على النصارى شبهة حيث قالوا عيسى ابن الله بقوله بكلمة
من الله وروح منه ظنوا انه فى معنى فيه لكن ذلك انما يذكر اكراما لهم واجلالا ولا يوجب ذلك ما قالوا الا ترى ان الله عز وجل قال وما بكم من نعمة
فمن الله ونحو ذلك لم يكن فيه ان النعمة منه فى شئ فعلى ذلك الاول وقوله وسيدا قيل سيدا فى العلم والعبادة وقيل السيد الحليم هاهنا وقيل
السيد الذى يطيع ربه ولا يعصيه فكذلك كان صلوات الله عليه وقيل السيد الحسن الخلق وقيل السيد التقى وقيل اشتق يحيى من اسماء الله تعالى
من حى والله عز وجل هو الذى سماه يحيى وكذلك عيسى الله هو الذى سماه مسيحا بقوله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام
وذلك اكراما لهما واجلالا لهما على ما سمى ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله وموسى كليم الله اكراما لهم واجلالا لكن ان الاول يحتمل ان يكون يحيى سما
حيى به الدين قال الشيخ رحمه الله فى قوله يحيى قيل سماه به لما حيى به الدين والمروة او حيى به العلم والحكمة او حيى به الاخلاق الفاضلة والافعال
المرضية ولهذا والله اعلم سمى سيدا لان السؤدد فى الخلق يكسب بهذا النوع من الاحوال وسمى مسيحا بما مسح بالبركة او بارك فى كل شئ يمسحه بيمن نحو

ان برأ به ونحو والله اعلم وحقيقة السود وانه يكتسب بالاخلاق الحسنة والافعال المرضية وجائز ان يكون عليه السلام جمعهما فيه فسمى به
والله اعلم والاصل فى هذا ونحو ان الاسماء اذ جعلت للمعارف وليعلم بها المقصود فالكف عن التكلف فى المعنى الذى له سمى له اسم وان كان
فى الجملة يختار ما يحسن منه فى الاسماع دون ما ينبئ على الفال او على الرغبة فى ذكره على ما يختار من كل شئ والله اعلم وقوله وحصورا قيل الحصور الذى
لا ماء له ولا شهوة وقيل هو المأخوذ من النساء والممنوع منهن وقيل هو الذى لا يشتهى النساء وكله واحد والله اعلم ونبيا من الصالحين ذكر انه من
الصالحين وان كان كل نبى لا يكون الا صالحا على ما سمى كل نبى صديقا وان كان لا يكون الا صديقا ووجه ذكره صالحا انه كان يتحقق فيه ذلك
لان غيره من الخلق وان كان يستحق ذلك الاسم انما يستحق بجهة والانبياء صلوات الله عليهم يتحقق ذلك فيهم من الوجوه كلها والثانى دعاء
ان يلحق بالصالحين فى الاخرة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ما ذكر فى كل نبى انه كان من الصالحين يخرج على وجه على جميع الصلاح وعلى البشارة
لهم فى الاخرة انهم يلحقون باهل الصلاح وعلى انهم منهم لولا النبوة ليعلم ان النبوة انما يختار فى الدين لمن تم لهم وصف الصلاح وعلى الوصف به انهم
كذلك على السن الناس وان الذين ردوا عليهم بعد علمهم بصلاحهم او على الوصف به كالوصف بالصديق وان كان كل نبى كذلك معا لعل الذى يحقق عنده
ذلك اذا لم يكن اطلع غيره عليه والله اعلم وجائز ان يكون يحيى بما حيى به الاخلاق المحمودة والافعال المرضية ولذلك سمى سيدا وجعلته انه من انبيا
من شاء بما شاء وليس لنا ان نتكلف طلب المعنى فيما سمى الله لجواز به اذا الاسماء للتعريف لكن يختار الاسماء الحسنة فى السمع على التفاؤل والله اعلم ونحو
وروح الله وكلمته كقوله خليل الله وحبيبه ونجى الله وكليم الله ليس على توهم معنى نزل معنى الخلقة ويوجب معنى الربوبية او النبوة وذلك على
ما قيل من بيت الله وعلى ما قيل لدينه نور الله وقيل الزابصة حدود الله لا على معنى يخرج عن جملة خلقه بل على تخصيص له ذلك فى الفضل على اشكاله
وذلك كما قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم واما نعمة ربك فحدث وقال فى الجملة وما بكم من نعمة فمن الله لا على ما توهمت النصارى فى المسيح فتأمل الاول
ولا قوة الا بالله وقوله ويكلم الناس فى المهد وكهلا بشارة ببقائه الى ان يصير كهلا وفيه وجه اخر وهو ان فى ذلك بيان ان كلامه فى المهد كلام
مختار اذ ذاك وصف كلام الكهل ليعلم ان قوله انى عبد الله الى اخره انما هو حقيقة الخضوع لله والانبياء عنه لا على خلقة كنطق الجوارح فى الاخرة
والله اعلم او ليكون اية له دائمة انه لم يكن على ما عليه امر البشر من التغير على ان الجوهرية تزول عند الفناء نحو العصا فانها تعود الى حالها واليد ونحو ذلك
ليعرف هو بنوع من الايات الحسية بالدوام ولا قوة الا بالله قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر الاية يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على الا
ان لا يكون لكن هاهنا لا يحتمل لانه كان اعلم بالله وقدرته ان تتعلق به او يخطر بباله والثانى انى يكون لى غلام اى كيف وجهه وسببه وكذلك قوله
انى لك هذا وقوله انى يحيى هذه الله بعد موتها وانى يكون له الملك علينا اى كيف وجهه وما سببه والثالث انى يكون لى غلام فى الحال التى انا عليها
او ارد الى الشباب فيكون لى الولد فهذان الوجهان يحتملان واما الاول فانه لا يحتمل وقوله قد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وذكر فى سورة مريم قال رب
انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ذكر على التقديم والتأخير وكذلك قوله ثلاثة ايام الا رمزا وثلاث ليال والقصة
واحدة ذكر على التقديم والتأخير وعلى اختلاف الالفاظ واللسان ولان ليس على الخلق حفظ اللفظ واللسان انما عليهم حفظ المعانى المدرجة
المودعة فيها وبالله التوفيق ويعلم انه لم يكن على كلا الفريقين ولم يكن بهذا اللسان وقوله قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقوله كان كذلك ربك
هو على هين وان اختلف فى اللسان وقوله قال رب اجعل لى اية طلب من ربه اية لما لعله لم يعرف ان تلك البشارة الملائكة او وساوس فطلب
اية ليعرف ان تلك البشارة بشارة الملائكة من الله عز وجل لا بشارة ابليس لانه لا يقدر ان يفتعل فى الاية لان فيها تغيير الخلقة والجوهر ثم لا
يعقدون على ذلك دعاء العلم يقدرون على الافتعال فى البشارة الا ترى ان ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه لما نزل به الملائكة لم يعرفهم
بالكلام رحا بهم حتى قال انكم قوم منكرون حتى قالوا انا ارسلنا الى قوم لوط فذهب ذلك الروع منه بعد ما اخبروه انهم ملائكة رسل الله
ارسلهم اليه وقوله قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال بعض اهل التفسير حبس لسانه عقوبة له بقوله انى يكون لى غلام وقد
بلغنى الكبر لكن ذلك خطاء والوجه فيه منعه من تكليم الناس ولم يمنعه عن الكلام فى نفسه الا ترى انه امره ان يذكر ربه ويسبح بالعشى والابكار
كقوله واذكر ربك وسبح بالعشى والابكار ويحتمل ان يكون اداء اية فى نفسه من نوع ما كان سؤاله اذ كان عن العلم بالولد فى غير حينه فاراه
بمنع اللسان عن النطق وعلى احوال الاحتمال ليكون اية للاول وقيل فى قوله اجعل لى اية انه طلب ان يجعله بعلوق الولد وجعلها ليعرف متى يأتيها
وقوله الا رمزا قيل الرمز تحريك الشفتين وقيل هو الايماء بشفتيه وقيل هو الاشارة بالراس وقيل هو الاشارة باليد والله اعلم بذلك وقوله
واذ قالت الملائكة يا مريم قال اهل التفسير هو جبريل عليه السلام لكن ذلك لا يعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والا نمسك بقول من كان من الملائكة
قبل ذلك وقوله ان الله اصطفيك ان صفاها للعبادة نفسه وخصها له ما لم يكن ذلك لاحد من النساء فيكون ذلك صفوتها وقيل اصطفاها
بولادة عيسى م اذ اخرج منها بنتها مباركا تقيا على خلاف ولادة البشر وقوله وطهرك قيل من الاثام والفواحش وقيل وطهرك من مس الذكور وما
نذرت به واصطفاك على نساء العالمين هو ما ذكرنا من صفوتها ان جعلها للعبادة نفسه خالصا او ما قد ولدت من غير اب على خلاف سائر (?)
وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة خطوط ثم قال هل تدرون ما هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال خير نساء
العالمين اربع مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقوله يا مريم اقنتى لربك يحتمل وجهين
الامر بالقنوت القيام ثم الامر بالسجود اى الصلاة ثم امرها بالركوع مع الراكعين وهو الصلوة بجماعة فيه الامر بالصلوة بالجماعة على ما هو عليه
لانه قال واركعى مع الراكعين وعلى ذلك روى فى الخبر انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت ويحتمل انه الامر بالركوع ثم بالسجود فبذلك

ان السجود وان كان مقدماً ذكره على الركوع فانه ليس في تقديم ذكر شيء ولا تأخير شيء في الذكر دلالة وجوب الحكم كذلك وقيل القنوت هو الخضوع والطاعة كقوله وقوموا لله قانتين اي خاشعين مطيعين فان قيل كيف امرت بالركوع مع الراكعين قيل لا نرا والله اعلم ذوى قرابة منها وهم لا ترى انهم كيف اختصموا في ضمها واشكالها حتى اراد واحد منهم ضمها الى نفسه وانه الاحق بها ان لا دلالة بينهم [illegible] وقرابة وقيل في قوله اركعي اي صلي الركوع في الصلاة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل مع الراكعين اي من يركع ويخضع له بالعبادة في الاجتماع والله اعلم كيف كان الامر وقوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك من اخبار الغيب [illegible] وذكر ذلك عندك ثم في ذلك وجوه الدلالة احدها ان اراد ان يخبر عن صفوة هؤلاء وصنيعهم ليكون على علم من ذلك والثاني دلالة اثبات رسالته لانه اخبر على ما كان من غير ان اختلف الى احد او علمه احد من البشر علم منهم ذلك دل انه انما علم ذلك بالله عز وجل والثالث [illegible] وجه الضعفة لهم [illegible] والله اعلم وفي ذلك تأخير البيان عن وقت الحاجة لانه ظهر بيان ذلك بالقاء الاقلام وقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم قيل انهم القوا اقلامهم على جرية الماء فذهبت الاقلام كلها مع الجرية الا قلم زكريا فانه وقف على وجه الماء وقيل طرحوا اقلامهم في الماء فكان من شرطهم ان من صعد قلمه مقابلا مع جرية الماء فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع فصعد قلم زكريا وتسفلت اقلامهم فعند ذلك ضمها زكريا الى نفسه ثم من الناس من احتج بجواز القرعة والعمل بها في الاية حيث ضم زكريا مريم الى نفسه لما خرجت القرعة [illegible] انه كان باعث ذلك [illegible] القاء القلم على الماء [illegible] ابدا ويحتمل استعمال القرعة فيها لتطييب الانفس [illegible] والله اعلم [illegible] وقوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح يحتمل بكلمة منه [illegible] والاسباب من النطفة ثم من العلقة ثم من مضغة [illegible] وكان عيسى عليه السلام على خلاف ذلك ويحتمل بكلمة منه [illegible] وقوله ويكلم الناس في المهد وكهلا [illegible] لمريم بشارة [illegible] سمي مسيحا لانه كان يسيح [illegible] وقيل المسيح العظيم [illegible] المسيح بلسانهم وقوله وجيها في الدنيا بالمنزلة ومكينا في الاخرة ومن المقربين في الدرجة والرفعة ومن كان وجيها في الدنيا والاخرة فهو مقرب فيهما وقوله قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر عرفت مريم ان الولد يكون بمس البشر وعلمت انها لا تتزوج ولا يمسها بشر ابدا لانها قالت انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فلم يكن منها احد قيل ذلك فلم تعلم انها في حادث الوقت فيكون لها منه الولد فلما لم يقل لها بمسك ولكن قال كذلك الله يخلق ما يشاء دل ذلك انها علمت انها لا تتزوج ابدا لانها كانت محررة لله مخلصة له في العبادة والله اعلم ويحتمل قوله انى يكون لي ولد اي من اي وجه يكون لي ولد بالهبة لانها بشرت ان يهب لها ولدا فقالت من اي وجه يكون لي ولد بالهبة ولم يمسسني بشر ثم قال كذلك الله يخلق ما يشاء تأويله ما ذكر في سورة مريم حيث قالت انى يكون لي ولد الاية ثم قال كذلك قال ربك هو علي هين اي يخلق الخلق على حين بأب وبغير اب وبمس بشر وبغير مس بشر وبسبب وبغير سبب ما خلق آدم بغير اب ولا ام فعلى ذلك يخلق بتوالد بعض من بعض وبغير توالد بعض من بعض كخلق الليل والنهار يخلق بلا توالد احدهما من الاخر فكذلك يخلق لك ولدا من غير اب ولا مس بشر وبالله الحول والقوة وقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي اذا قضى امرا يكون لشيء ويكون شيء فانما يقول له كن لا يشغل عليه ولا يصعب خلق الخلق وتكوينهم كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي خلق الخلق كلهم ابتداء وبعثهم بعد الموت كخلق نفس واحدة ان يقول كن فيكون وانما يشغل ذلك على الخلق ويصعب لموانع تمنعهم واشغال تشغلهم فاما الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يشغله شغل ويمنعه مانع او يحجب عليه حجاب وقوله فانما يقول له كن فيكون ذكر والله اعلم هذا الحرف لانه ليس في كلام العرب حرف اوجز منه بغير فيفهم معناه الا ان كان منه عز وجل كاف ونون او حرف وهجاء وصفة يفهم ويعرف حقيقة او يوصف هو بمعنى من معاني كلام الخلق وصفاتهم ويكون تكوينه وقتا ومدة او حالا ويكون تكون على ما يكون من الخلق تعالى وجل وجزء حرف يفهم معناه بالعبارة اخبار منه عز وجل الخلق عن سرعة نفاذ امره ومشيئته وقوله ويعلمه الكتاب بشارة منه لها ايضا انه يعلمه الكتاب ثم اختلف في الكتاب قيل الكتاب هو الخط ههنا يخط بيده ويحتمل الكتاب نفسه التورية والانجيل ويحتمل الكتاب كتب النبيين والحكمة قيل الحكم بين الخلق وقيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل السنة والحكمة هي الاصابة وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله ورسولا الى بني اسرائيل اي جعله رسولا الى بني اسرائيل وهذا ايضا بشارة لها منه وكان عيسى صلوات الله على نبينا وعليه من اول امره الى اخره آية لانه ولد من غير اب على خلاف ما كان سائر البشر وتكليم الناس في المهد واقراره بالعبودة له ولم يكن لاحد من البشر ذلك وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وانباء ما كانوا يأكلون ويدخرون وما كان له مأوى يأوي اليه ولا عيش يتعيش هو به والبشر لا يخلو عن ذلك ثم التي شبهه على غيره فقتل به ورفع هو الى

السماء وذلك كله آية وكانت آياته كلها حسية يعلمها كل احد وآيات رسول الله عليه افضل الصلوات واكمل التحيات كانت حسية وعقلية اما الحسية فهو انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وكلام الشاة المسمومة وقطع مسيرة شهر في ليلة وغير ذلك مما لا يكثر عددها فهذه كلها كانت حسية واما العقلية فهذا القرآن الذي نزل عليه وهو بين اظهرهم وهم فصحاء وبلغاء وحكماء يتلى عليهم فأتوا بسورة من مثله الاية وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلو كان بهم طاقة او قدرة ان يأتوا بمثله لجهدوا كل جهد وتكلفوا كل تكلف حتى يطفئوا هذا النور وليتخلصوا عن قتلهم وسبي ذراريهم واستحياء نسائهم فلما لم يفعلوا ذلك دل انه كان آية معجزة عجزوا جميعا عن اتيان مثله فاية آية تكون اعظم من هذا وبالله المعونة والنجاة وقوله اني قد جئتكم بآية من ربكم اي بعلامة اني رسول منه اليكم ثم فسر الاية فقال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله قوله اني اخلق لكم هو على التخليق والتكوين لان الخلق ليس هو من فعل المخلوق وانما هو من فعل الله عز وجل لان التخليق هو الاخراج من العدم الى الوجود وذلك فعل الله سبحانه وتعالى لا يقدر المخلوق على ذلك فهو على المجاز الا ترى انه قال في اخره ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وليس الى الخلق تحليل شيء او تحريمه انما ذلك الى الله عز وجل فمعناه اي اظهر لكم حل بعض ما حرم عليكم فعلى ذلك قوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير اي اظهر لكم بين ما خلق الله من الطين طيرا فيكون آية لرسالتي اليكم وكذلك الايات ليس مما تنشئ الانبياء ولكن تظهر على ايديهم وانما لم يجز اضافة التخليق الى الخلق لما ذكرنا ان اخراج الشيء من العدم الى الوجود وذلك ليس الى الخلق والثاني ان التخليق هو اخراج الفعل على التقدير وفعل العبد انما يخرج على تقدير الله لا يخرج على تقديره لذلك لم يجز اضافة ذلك الى الخلق الا على المجاز والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة وآيات الانبياء عليهم السلام هي التي تخرج على خلاف الامر المعتاد فيما بينهم يجريها الله سبحانه وتعالى على ايديهم ان ذلك لم يكن بهم انما كان ذلك بالمرسل الذي ارسلهم ليدل على صدقهم ولا قوة الا بالله وابرا الاكمه والابرص هو من آيات النبوة لخروجها عن الامر المعتاد فيما بينهم فان قيل ان احياء الموتى وابرا الاكمه والابرص من آيات النبوة لعجزهم عن اتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم ولكن انباء ما يأكلون وما يدخرون لم كان من آيات النبوة ويجوز ان يكون ذلك من منجم قيل الجواب ان كان يكون مثل ذلك بالنجوم احدهما انه مضموم الى الايات فصار آية بما ضم اليها والثاني ان هذا وان كان يعلم بالنجوم فعيسى صلوات الله عليه لما علم قومه انه لم يختلف الى احد في تعلم علم النجوم ثم عرف ذلك وانبأهم بذلك دل انه انما علم ذلك بالله فكان آية وبالله التوفيق مع ما كان في قومه اطباء وحكماء ونصب لم يدع احد شيئا من هذه الايات التي جاء بها عيسى عليه السلام دل ترك اشتغالهم في ذلك على اقرارهم بانها آية سماوية لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به قال الشيخ رحمه الله الخلق اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة وقوله باذن الله قيل بامر الله وقيل بمشيئة الله واختلف في الاكمه عن مجاهد قال الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل وعن ابن عباس رضي الله عنه الاكمه الاعمى الممسوح العين وقيل هو الذي ولد من امه اعمى لا يتكلف احد من الاطباء ابراء مثله ولا اشتغل بدوائه دل انه عرف ذلك بالله تعالى والاطباء يتكلفون في دفع العلل العارضة الحادثة واما ما كان خلقة من جبلة فلا وقوله ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قيل قال ان هذا آية لكم ان كنتم صدقتم اني رسول الله اليكم وقيل قال ان في ذلك لآية لكم في رسالتي ان كنتم مؤمنين بالرسل ويحتمل ان كنتم تؤمنون اي بالايات انها تعرف ما جعلن له والله اعلم وقوله وجئتكم بآية من ربكم الاية ما ذكر وقوله فاتقوا الله يحتمل فاتقوا الله في تكذيبي في الآيات واطيعون في تصديقي وقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ظاهر قد ذكرنا فيما تقدم وقوله فلما احس عيسى منهم الكفر قيل احس علم وقيل احس رأى وهو كقوله هل تحس منهم من احد وقيل احس اي وجد وهو قول الكسائي وقيل عرف وهو كله واحد ثم قوله احس منهم الكفر قال من انصاري الى الله يحتمل والله اعلم ان قومه لما سألوا ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية وصدقه ففعل الله عز وجل ذلك وانزل عليهم المائدة ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزال المائدة يعذبه عذابا لا يعذبه احدا فكفروا به فعلم ان العذاب نزل عليهم فلجاه يخرج من بين ظهرانيهم لئلا يأخذهم العذاب فقال من انصاري الى الله يؤيد ذلك قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم الاية ويحتمل ان يكونوا اظهروا الاسلام له وكانوا في الحقيقة على خلاف ذلك فلما علم ذلك منهم وقد هموا على قتله قال عند ذلك من انصاري الى الله احتيالا ان يكون معه انصار مع الله ينصرونه فيظهر المؤمنون من غيرهم فنصر الله على اعدائهم ليظهر المؤمنون من غيرهم وهو قوله فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومن الناس من يقول انه لم يكن في سنة عيسى عليه السلام الامر بالقتال وفي الاية اشارة الى ذلك بقوله فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اخبر انهم اصبحوا ظاهرين على عدوهم فلا يخلو اما ان يكون قتالا او غلبة بحجة او شيء مما يقهرهم والله اعلم وقوله قال الحواريون نحن انصار الله اختلف في الحواريين قال بعضهم هم القصارون الغسالون للثياب ومبيضوها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال انما سموا الحواريين لبياض ثيابهم وكانوا يصيدون السمك وقيل الحواري الوزير والناصر والخاص على ما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريين وحواري فلان وفلان وذكر نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وانما اراد والله اعلم الناصر والوزير ويحتمل ان يكونوا سموا بذلك لصفاء قلوبهم وهم اصفياء عيسى عليه السلام كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بهم وقوله نحن انصار الله ان الله يتعالى من ان ينصر ولكن يحتمل نحن انصار الله اي انصار دين الله وانصار نبيه او انصار اوليائه تعظيما وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم ان الله لا ينصر ولكن ينصر دينه او رسله او اولياءه وهو كقوله يخادعون الله

ان لايخادع ولايمكن ولكن لما خادعوا اولياءه او دينه اضاف ذلك الى نفسه فعلى ذلك لما نصروا دين الله ونبيه ولما اضاف
الى نفسه **وقوله** امنا بالله واشهد بانا مسلمون الاية ينقض قول من يجعل الايمان غير الاسلام لانهم اخبروا انهم مسلمون لم يفرقوا بينهما
وكذلك قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لم يفصل بينهما وجعلهما واحدا وكذلك قول موسى
لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين لم يجعل بين الايمان والاسلام فرقا وهو قولنا ان العمل فيهما واحد لان
الايمان بان تصدق بانك عبد الله والاسلام وان تجعل نفسك لله سالما وقيل الايمان اسم ما بطن والاسلام اسم ما ظهر لا ترى انه
جاز في الاسلام الشهادة وفي الايمان التصديق **وقوله** ربنا امنا بما انزلت يعني والله اعلم بما انزلت من الكتب التي انزلتها على الرسل جميعا
فان اراد وبما انزلت على عيسى عليه السلام فالايمان بواحد من الكتب وبواحد من الرسل ايمان بالكتب كلها وبالرسل جميعا وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم **وقوله** ومكروا ومكر الله مكروا بنبي الله عيسى عليه السلام حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله اي يجزيهم جزاء مكرهم والاصل
المكر مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء على ما ذكره عز وجل في موضع الجزاء كقوله فمن اعتدى عليكم والاعتداء
منتهى غير جائز كقوله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين لكان قوله فاعتدوا عليه هو جزاء الاعتداء فيجوز فعلى ذلك المكر والخداع و
الاستهزاء لا يجوز ان يسمى به فيقال يا ماكر ويا خادع ويا مستهزئ لانها حرف مذمومة عند الناس فيشتم بعضهم بعضا بذلك لذلك
لا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء وبالله العصمة **وقوله** والله خير الماكرين اي خير الجازين اهل الجور بالعدل واهل الخير بالفضل
وقيل ومكر واحيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله حيث رفع الله عيسى عليه السلام والقى شبهه على رجل منهم حتى قتلوه فذلك خير
لعيسى من مكرهم وقيل ومكروا اي قالوا ومكر الله قال الله وقولهم الشرك وقال لهم قولوا التوحيد والله خير الماكرين اي خير القائلين قال
الشيخ رحمه الله والله الماكرين بما بالحق يمكر ويأخذ من استحق الاخذ ولا والله اعلم والمكر هو الاخذ بالغفلة والله يأخذهم بالحق من حيث
لا يعلمون فسمى مكرا لذلك كما يقال استحسنه الله وهو الاستحسان ولكن لا يراد به هذا في الله **وقوله** اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اختلف فيه
قيل هو على التقديم والتأخير ورافعك الي ثم متوفيك بعد نزولك من السماء ولكن هو التقديم والتأخير ولم يكن في الذكر فهو سواء لانا قد
ذكرنا انه ليس في تقديم الذكر ولا في تأخيره ما يوجب الحكم كذلك لانه كم من مقدم في الذكر هو مؤخر في الحكم وكم من مؤخر في
الذكر هو مقدم في الحكم فاذا كان كذلك لم يكن في تقديم ذكر الشيء ولا في تأخيره ما يدل على ايجاب الحكم كذلك كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها
فانما هو قبض الارواح فيحتمل الاول كذلك ويحتمل توفي الجسم اي متوفيك من الدنيا اي قابضك وليس بوفاة موت وعن ابن عباس رضي الله عنه
اني متوفيك اي مميتك وهو ما ذكرنا ليعلم انه ليس بمعبود **وقوله** ورافعك الي هو على تعظيم عيسى عليه الصلوة والسلام ليس على ما قالت
المشبهة باثبات المكان له لانه لو كان في قوله رافعك الي يوجب ذلك يجب ان يكون اهل الشام اقرب اليه لان ابرهيم صلوات الله عليه قال
اني ذاهب الى ربي والكعبة اليه قريب منه كقوله ثم الي مرجعكم دل هذا ان ما قالوا خيال فاسد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولكن
على التبجيل والتعظيم غير المضاف اليه والاصل في هذا ان الخاص اذا اضيف الى الله فانما يراد به تعظيم ذلك الخاص نحو ما قال بيت الله على التعظيم
البيت وناقة الله فهو على تعظيم الناقة ونحوه مما يكثر وقوعه واذا اضيف الجماعة اليه فهو على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه نحو رب العالمين
وله ملك السموات والارض ونحوه كله على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه **وقوله** ومطهرك من الذين كفروا قيل فيه بوجوه قيل مطهرك من
اذى الكفرة من بين اظهر المخالفين لك وقيل ومطهرك من الكفر والفواحش ويحتمل ومطهرك مما قالوا فيك **وقوله** وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا ويحتمل بجعله فوق الذين كفروا بالقهر والغلبة والقتل ويحتمل بالحجة ويحتمل في المنزلة والدرجة في الاخرة ويحتمل ومطهرك
بقتل الكفرة من وجه الارض على ما ذكر في بعض القصة انه ينزل من السماء فلا يبقى على وجه الارض كافر الا وهو يقتله مع الذين اتبعوه فذلك
تطهيره وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا **وقوله** ثم الي مرجعكم ذكر هنا والله اعلم وان كان المرجع الكل اليه في كل حال لانهم يعرفون
ويعترفون في ذلك اليوم ان المرجع اليه وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا وهو كقوله الملك يومئذ لله الملك كان له في ذلك اليوم وفي غير ذلك
اليوم ولكن معناه لا ينازعه احد يومئذ في ملكه ويقرون له بالملك وفي الدنيا انكروا ملكه وهو كقوله وبرزوا لله جميعا كلهم بارزون
لله في كل وقت لكنهم انكروا بروزهم في الدنيا له فيعترفون يومئذ بالبروز له فكذلك الاول والله اعلم **وقوله** فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون يحتمل احكم بينكم من المحق منكم ومن المبطل ويحتمل احكم بينكم اي اجزيكم على قدر اعمالكم **وقوله** فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا واما الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ويحتمل احكم بينكم اي اجزي كلا بعمله على ما يستوجبون **وقوله** في الدنيا قيل القتل و
الجزية وفي الاخرة العذاب قال الشيخ رحمه الله في قوله اني متوفيك ورافعك الي فقوله متوفيك يحتمل توفي الموت بما يقبض روحه
كفعله بجميع البشر تكذيبا لمن ظن انه الله او ابنه لا يحتمل ان يموت وقد الزمهم هذا ايضا بوجهين ظاهرين وان كان فيما عليهم خلقته
وجوهره ثم يقلبه من حال الى حال في نفسه ومكانه الى مكان في القرار والحاجة كفاية لمن يعقل الحقائق وبلغه لمن تأمل الاشياء عبرا
احدهما بقوله ما المسيح ابن مريم وقوله عيسى ابن مريم حتى انطلق به لسان كل منهم ومعلوم احالة ابن بشر الها او ولدا لا له اذ هو يكون صفة
منهما وذلك اية حدثه وكذلك قوله في المهد اني عبد الله الى اخر ما ذكر معا لو احتمل ذلك لكان ادم عليه السلام هو الاصل وهو المقدم وهو
الذي لا يعرف له والدان احق وهو اذ هو بجوهره فهو ولده لا غير اذ ذلك وصف الاولاد والله اعلم والثاني قوله كانا ياكلان الطعام

فالخبر

فالخبر عن حاجته وغلبة الجوع عليه وفقره بنفسه الى ما يقيمها من الاغذية ثم في ذلك حاجته الى الخلاء واختياره الامكنة القذرة
لقضاء حاجته وبالله التوفيق والثاني على قبضه بنفسه من بين اظهر اعدائه ورفعه الى ما به شرفه وتطهيره مما كان يحس منهم من الكفر
وانواع الفساد وختمه من بين البشر على وجه انه يكون له عليهم من اول احوال الظهور الى اخر احواله مقامه فيهم ليكون انفع لمتبعيه في الاديان
وعلى مخالفيه في قطع العذر دفع قطع العذر ولا قوة الا بالله وفي الدعاء الى المباهلة دلالة ظهور التعنت والعناد وفي تخلفهم عن ذلك دليل
عليهم بتعنتهم وخوفهم مما قد وعدوا بالنزول عليهم ثم لزمهم مع ذلك ما كانوا عليه من السفه والعناد ليعلم ان الحيل عمن اعتاد المعاندة هم
منقطعة ومعلوم ان الدعاء الى المباهلة لا يكون في اول احوال الدعوة وانما يكون بعد تواتر الحجة وقطع الشبهة ففي ذلك بيان انه كانت
ثم محاجاة حتى بلغ الامر هذا وعلى ذلك امر القتال انه لم يوضع في اول احوال الارسال وفي الحال التي العقول والحق وجه القبول من طريق النصف
والعقل وانما كان عند ظهور معاندتهم وكثر سفههم حتى هموا بالقتل واكثروا الاذى واكرهوا قوما على الكفر واخرجوا رسول رب العزة
من بين اظهرهم بما راموا قتله وطرد واصحابه من بلادهم حتى تحصنوا بالغيران فاذن الله تعالى عند ذلك بالقتال وفتح الفتوح ليكون اية
في كل وجوه الايات ظاهرة وحجته بينة وفي ذلك جواز محاجة الكفرة في التوحيد والرسالة لكن على ما قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
ولا تمار فيهم الا مراء ظاهرا نهى التعمق والخوض فيما يقصر عنه الافهام وان كان معلوما ان لله حججا ظاهرة وغامضة ولا قوة الا بالله وفي
ذلك تعليم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه يكون ذلك باللطف والرفق ليدعى المقصود به ليقربه عند الحجة ويزيل عنه الشبهة من الوجه الذي
يحتمله عقله ويبلغه فهمه فان رآه يتعاطى في ذلك يوعده ويخوفه بالذي في ذلك من الوعيد فان رآيته يكابر فعرف شوم طبعه وسوء عنصره
فعداوه بما جاء به التعليم من الضرب والحبس فان نفع ذلك والا كف شره عن غيره وتطهير الارض فانه النهاية في القبح والغاية فيما يحق من مكر
السفهاء والله اعلم لكنه على منازل لا يحتمل انتهاء كل انواع المأثم الى حد الغاية بل فيها ما كان اعظمها دون هذا بكثير والله اعلم لذلك لم
تعرف مقادير الاثام ولا يعرف بها ما يحتمل كل اثم من العقوبة فيه والزجر به ولا قوة الا بالله **وقوله** والله لا يحب الظالمين لانه لا يحب
الظلم **وقوله** ذلك نتلوه عليك قيل ذلك الذي ذكر في هذه الاية نتلوه عليك يا محمد من الايات والذكر الحكيم هو المحكم وقيل الحكيم اي من
نظر فيه وتفكر يصير حكيما كما قال والنهار مبصرا اي يبصر فيه والله اعلم **وقوله** ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب قيل في القصة
ان نصارى من اهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك تشتم صاحبنا عيسى ابن مريم تزعم انه عبد وهو يحيي الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فارنا فيما خلق الله عبدا مثله يعمل هذا والنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية فانما علمهم
على ذلك ظنهم في قول ابرهيم صلوات الله عليه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت ظنوا ان عيسى لما قال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
انه رب واله لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اخبر ان ربه الذي يحيي ويميت فسموا عيسى الها بهذا وهم كانوا يرون عيسى ياكل ويشرب
وينام فلولا انهم عرفوا الله عز وجل والا ما شبهوه به تعالى الله عن ذلك واما القدر فلما لم يروا الله في افعال العباد اثارا واثار لغيره خاصة
فلما راوا ذلك من عيسى عليه السلام ظنوا انه رب لما لم يروا ذلك من غيره ولو كانوا عرفوا الله حق المعرفة لعلموا ان لم يكن من عيسى الا تصوير ذلك
الطير وتمثيله ويكون مثله من كل احد وانما الاحياء كان من الله عز وجل اجراه على يدي عيسى عليه السلام وتصويره فقط وكذلك ما كان من
ابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من الله عز وجل اجراه على يديه ايات لنبوته لانهم ادعوا له الربوبية من وجهين لكونه من غير اب ولايته ثم
قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم يحتمل وجهين والله اعلم احدهما ان الله عز وجل صور صورة ادم من طين ثم جعل فيه الروح
لم يجز ان يقال صار ادم حيا من نفسه لوجود صورته كيف جاز لكم ان تقولوا ان عيسى لما صور ذلك الطير من الطين صار
حيا باله بتصويره اياه دون احياء الله تعالى اياه والله اعلم والثاني ان ادم عليه السلام خلق لا من اب وام ثم لم تقولوا انه
ربا واله كيف قلتم في عيسى انه اله وان خلق لا من اب اذ عدم الابوة في ادم لم توجب ان يكون ربا كيف اوجب عدم الابوة
في عيسى كونه ربا والها والله الموفق وانما كان عيسى بقوله كن كما كان ادم ايضا بكن من غير اب **وقوله** كن قد ذكرنا انه من
اوجز كلام في لسان العرب يعتبر فيؤدي المعنى فيفهم المراد الا ان كان من الله عز وجل كافا ونونا او وقفا وحرفا ويوصف
كلامه بشيء مما يوصف به كلام الخالق تعالى الله عن ذلك **وقوله** فيكون يحتمل وجهين يحتمل يكون بمعنى كان والعرب تستعمل
ذلك ولا تأبى والثاني ان يكون الكائنات باسبابها في اوقاتها التي اراد كونها على ما اراد واصل ذلك اذا ذكر الله ووصف
بذكر بلا ذكر وقت في الازل واذا ذكر الخالق معه يذكر الوقت والوقت يكون للخلق يقول لخالق لم يزل وخالق في وقت خلقه **وقوله**
الحق من ربك فلا تكن من الممترين يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون الخطاب لكل احد قال في عيسى ما قالوا اي لا تكن من الممترين في عيسى
انه عبد الله خالصا وانه نبيه ورسوله اليكم ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وهكذا عادة ملوك الارض
انهم اذا ارادوا ان يعرفوا رعيتهم شيئا يخاطبون اعقلهم وافضلهم وارفعهم منزلة وقدرا عندهم استكبارا انهم مخاطبة كل وضيع
وسفيه فكذلك الله عز وجل خاطب نبيه اعظاما له واجلالا والله اعلم ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم ان العصمة لا تمنع الامر والنهي
بل تزيد امرا ونهيا وان كان يعلم انه لا يكون من الممترين **وقوله** فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الاية
دعاهم صلى الله عليه وسلم الى المباهلة فالمباهلة في لغة العرب الملاعنة دعاهم الى الدعاء باللعنة على الكاذبين فامتنعوا عن ذلك خوفا منهم

يحق اللعنة فدل امتناعهم عن ذلك انهم عرفوا كذبهم لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يقروا بالحق **وقوله** ان هذا لهو القصص الحق يعني الخبر الحق **وقوله** وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ظاهر قد ذكرناه فيما تقدم والله اعلم وقوله الحق من ربك يحتمل الخبر الحق في امر عيسى عليه السلام انه كان عبدا بشرا نبيا فلا تكن من الممترين اي لا يحملنك شدة لجاجتهم وكثرتهم في القول فيه بهذا الوصف على الشك في الخبر الذي جاء لك عن الله كقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى اخره على الموعظة لا على انه يكون كذلك وعلى ما سبق ذكره والله اعلم و يحتمل الحق من ربك اي كل حق فهو عن الله جائز اضافته اليه على الوجوه التي تضاف اليه والباطل من الوجه الذي هو باطل فلا تكونن في ذلك من الممترين والله اعلم وجائز ان يقول جعل الله ذلك الفعل ممن فعله باطلا ولا يقال الباطل من الله والله اعلم **وقوله** قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم يعني كلمة الاخلاص والتوحيد سواء بيننا وبينكم اي عدل اي تلك الكلمة عدل بيننا وبينكم لانهم كانوا يعرفون ان خالق السموات والارض الله بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكذلك يعرفون ان خالقهم الله بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لكن منهم من يعبد دون الله اوثانا ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من يجعل له شركاء واندادا يشركهم في عبادته فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجعلوا عبادتهم لغير الذي انعم عليهم اذ العبادة الا له الذي اقروا جميعا انه خالق السموات والارض وانه ربهم وان لا يصرفوا عبادتهم الى غير الذي انعم عليهم اذ العبادة هي تشكر وجزاء ما انعم عليهم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ان العبادة لواحد اولى واحق من العبادة لعدد وان صرف العبادة الى من انعم عليكم اولى من صرفها الى الذي لم ينعم عليكم اذ ذلك جور وظلم في العقل ان ينعم احد على اخر فيشكر غيره قال الشيخ رحمه الله العدل في اللغة وضع الشيء في موضعه وفي اخلاص العبادة لله والتوحيد ذلك وهذا معنى سواء وجائز ان يكون كلمة يستوي فيها انها عدل لما شهد لنا بهذا كل انواع الحجج **وقوله** فان تولوا يحتمل تولوا عن طاعة الله وتوحيده وصرف العبادة اليه فقل كذا ويحتمل فان تولوا عن المباهلة والملاعنة فقل اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون العبادة له صارفون الشكر الى ما انعم علينا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله فان تولوا عن قبول ما دعوتهم اليه من الاجتماع على الكلمة **وقوله** يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قيل وذلك ان اليهود قالوا ان ابراهيم كان على ديننا اليهودية والنصارى ادعت انه كان على دينهم ومنعهم ليس على دين الاسلام فنزل قوله لم تحاجون في ابراهيم يعني في دين ابراهيم صلوات الله عليه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده يعني من بعد ابراهيم وهو يحتمل وجهين يحتمل ان التوراة والانجيل نزلا من بعده وانتم لم تشهدوه يعني ابراهيم حتى تعلموا انه كان على دينكم لم تقولون بالجهل انه كان على دينكم ويحتمل وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده اي ان التوراة والانجيل انما نزلا من بعد موته وكان فيهما انه كان حنيفا مسلما افلا تعقلون انه كان حنيفا مسلما ثم اكذبهم الله عز وجل فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين قال الشيخ رحمه الله وفي هذه الاية دلالة انهم علموا انه كان مسلما لكن ادعوا ما ادعوا متعنتين حيث لم يقابلوا الكتاب بهم بالذي ادعوا من نعته وبخلاف ما ادعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نعته وفيه دلالة الرسالة اذ في دعواهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف نعته بهم لما ادعواهم غير الذي ادعى فثبت انه عرف بالله وذلك علم الغيب والله الموفق **وقوله** ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو ما ذكرنا وفيه ذلك جواز المحاجة في الدين على العلم به وانما نهى هؤلاء عن المحاجة فيما لا علم لهم الا ترى ان الرسل عليهم السلام حاجوا قومهم حاج ابراهيم عليه السلام قومه في الله وذلك قوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وموسى عليه السلام حاج قومه وما من نبي الا وقد حاج قومه في الدين فذلك قول من ابى المحاجة في الدين قال الشيخ رحمه الله وايد الحق انه كذلك عجز البشر عن ايراد مثله وعجزهم عن المقابلة بما ادعوا ما ادعوا انهم عرفوه بالله **وقوله** ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا وهكذا يكون في العقل ان من اتبع اخر واطاعه فهو اولى به وانما الحاجة الى الشيء بمعرفة المتبع له والمطيع اذا اوذا فاخبر عز وجل ان الذين امنوا والنبي صلى الله عليه وسلم هم المتبعون له فهم اولى به **وقوله** والله ولي المؤمنين اختلف فيه قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وقيل هو اولى بالمؤمنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ويذكرون ولهم بما دفع عنهم سفه اعدائهم في ابراهيم واظهر الحق في قولهم قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية وفي قولهم لم تحاجون وفي قولهم لم تلبسون الحق بالباطل الاية ونوع ذلك من الايات التي خص بالخطاب بها اهل الكتاب وجوه من المعتبر منها ان الذين خوطبوا بهذا الاسم معروفون وانه قصد غير اهل التوراة والانجيل ولا ذكرت تلاوتهما حق المحاجة على غيرهم ثبت ان المجوس ليسوا اهل الكتاب وان المراد من ذكر اهل الكتاب غيرهم وان اخذ الجزية من المجوس ليس مما تضمنهم قوله من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون لكن بدليل اخر وهو ما روي عن نبي الله انه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وعلى ذلك يدل قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ليعلم ان الكتاب المعروف واهله هؤلاء وان كانت ثم كتب وصحف والله اعلم والثاني ان الله خص اهل الكتاب بانواع الحجج وجعل المحاجة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح انه وان كان مرسلا الى جميع البشر كان له التخصيص في المحاجة وعلى ذلك عامة سورة الانعام في محاجة اهل الشرك على ان اهل المدينة كانوا اهل كتاب واهل مكة كانوا اهل الشرك فحاج كلا بالذي هو احق ان يكلم فيه وان كانت الحجة تلزم الفريقين لان محاجة اهل الشرك اكثرها في التوحيد وامر البعث وعلى وجوده فيه في اهل الكتاب بعض المشاركة لهم ومحاجة اهل الكتاب بما في كتبهم وفيه وجهان احدهما العلم بما قد غاب عنه السبب الذي يوصل اليه بالكسب ليعلم انه وصل اليه بالوحي فيكون من ذلك الوجه حجة على الفريقين والثاني ظهور سفه

اهل الكتاب بوجه يسقط عند التأمل الريبة والحال الذي كان يمنعهم ذلك عن اتباعه وذلك فيما فيها مدح كتبهم وشهدتها بالصدق والحق واظهار الايمان برسلهم ليعلم انه ليس بين الرسل والكتب اختلاف في الدعاء الى عبادة الله وتوحيده وان اولئك انما كذبوا اتباعا لهم الرياسة ثم مع ذلك ظاهروا اهل الشرك المكذبين لكتبهم ورسلهم ليعلم كل ذي عقل شبههم وتمردهم في الباطل اذ ظاهروا اعداءهم في الدين على من الذي اظهروا موالاته في الدين وحاله فيكون في ذلك ابلغ الزجر لتعنتهم واعظم الحجة عليهم فيما اتوا من السفه وتركوا الحق والله اعلم وفي ذلك وجه اخر ان اهل الشرك قد عرفوا حاجتهم الى اهل الكتاب في امور الدين وما عليه امر السياسة فيسير ما يلزم اولئك من الحجة لا ادنى لهم في محاجة بالذي في كتبهم لزوم الحجة منها عليهم في ذلك بما قد اقسموا بالله جهد ايمانهم لانه ابلغ الحجة في محاجة اهل الكتاب اذ تمنوا ان يكون منهم نذير فكان وقد بلغ المبلغ الذي له ظهر بما خصوا من الحجج وشاركوا اولئك في جميع ما كان افتخارهم عليهم ودعوا الفضل والله اعلم مع ما لم يكن له اللسان الذي به ظهر كتبهم لغير لسانهم ليعلموا انه ادرك ذلك بمن له حقيقة كتبهم والله اعلم وفي ذلك وجه اخر انه حاجهم بوجهين احدهما بالموجود في كتابهم والمعروف عندهم انهم من العلم بالكلمة التي دعاهم اليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والامر واخبار ما في كتبهم من انواع البشارات به ومن موافقة الكتب وعلى ذلك امر ابراهيم عليه السلام وغيرهم ليكون اعظم في الحجة واقطع للشغب والله اعلم والثاني بما قد حرفوا من كتبهم وبدلوا من احكامهم وحرفوا من صفته ونعته وبعثة منه ليعلم كل متأمل انه لا وجه لتعلم ذلك بهم اذ لا يحتمل ان يكون منهم هتك استارهم والاطلاع على اسرارهم بما لا يتهيأ لهم دفع ذلك ولا المقابلة في ذلك ليعلم كل الخلائق من انقيادهم او لان ذلك لا يدركه الا من له العلم بكل سر ونجوى ولا قوة الا بالله معاني ذلك وجهان من المعتبر احدهما ان ذلك الزمان لم يكن زمان حجاج ونظر في امر الدين وتناهي في امر الدنيا وتفاخر بكثرة الاموال والمواشي فبعث الله تعالى رسولا صلى الله عليه وسلم نشأ من بين اظهرهم دعاهم الى ترك التقليد في الدين واتباع الحجج التي لا يبلغها اهل الحجاج بعقولهم دون ان يكون لهم المعونة من علم الوحي وما فيه من حكمة الربوبية فكيف والقوم اصحاب التقليد ما ثقة بابنيتهم الذين دعوا علم الكتب المنزلة واما ثقة امنا بابائهم فيما نشأوا عليه ان الحق لا يشذ عنهم على ما في ذلك من الاختلاف الذي يمنعهم الامرين جميعا لكنهم اذ لم يكونوا اهل نظر في الدين ومحاجة فيه لم يعرفوا ان ذلك يمنعهم التقليد فاظهر لهم الحجج وانبأهم بالمودع من حجاج انبيائهم في كتبهم والزمهم ان في ابائهم من يلزم التقليد كانوا احق بذلك بما كان عندهم ان اباءهم كانوا على دينهم بما بين من تغييرهم وتبديلهم وترك الواجب عليهم من حق الاتباع والله اعلم والثاني اذ اظهر فيهم الاختلاف في ابنيتهم على ادعاء كل منهم ان ذلك هو الذي كان عليه الانبياء والرسل في اهل الكتاب وحاجات غيرهم بما ليس عندهم الا ادراك اباء ابليس عندهم فضل على العقول ثم كان معلوما عند الاختلاف والتفرق فصارت الحاجة قد عمتهم والعلم بهم في لزوم الاحكام المرسومة على الحجة وبعرفهم الحق قد تفرد عندهم فبعث الله بفضله من اظهرهم بما انطق به لسانه من الحجاج وادام من علمه مما غير وحفظ مما كان عليهم واتلمهم فكان ذلك اظهر البيانات واولى ما يعرف من افضال الله عليهم بالاغاثة والامتنان عليهم بالفرج مما قد مستهم اليه الحاجة ودفعتهم الى العلم به الفاقة والله الموفق وفي الفصل الاول شيء اخر فلم نذكره وهو ان دعاهم الى الزهد في الدنيا بعد الركون اليها والى الاخرة في الدين بعد ظهور التفاخر بينهم بتكثير العشائر وتعاظم القبائل والشعب بجميع ما طبعوا عليه بما قد عندهم ما اليه ترجع عواقب امرهم وقام بذلك على قهر العادة ومخالفة الطبيعة التي يعلم ان ذلك في مثل ذلك العصر انه سماوية خارجة عن وسع البشر ليكون اقطع لعذرهم واسكن لقلوبهم اليه فلله الحمد على ذلك وقوله يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء الاية قيل فيها باوجه احدها انها العدل وهي كلمة التوحيد وكانت عدلا باتفاق الالسن اذ سئلوا عن خالق السموات والارض الفزع اليها بالاجابة وشهادة الخلقة على وحدانية من له الخلق والامر والله اعلم ومن هذا الوجه امكن ان يحاج جميع الخلق وان يخص به اهل الكتاب والله اعلم والاخر ان يستوي فيها التناهي وعدل وهي عبادة الواحد الذي لم يختلف في انه معبود وان كل من عبد غيره فعلى ان يكون له العبادة بعبده فيرجع الحقيقة دون ان يكون بيننا وبينه من يعلم انه لا يستحق العبادة وهذا المعنى يلزم الجميع ايضا والثالث ان يكون الى الكلمة ظهر انها عدل في كتابهم بما جاءت رسلهم ونزلت بها كتبهم ولا قوة الا بالله **وقوله** ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم ذكر في القصة ان المشركين لحقوا عمارا وحذيفة فقالوا لهم ديننا افضل من دينكم وافضل من الاديان كلها فنزلت هذه الاية والاشبه ان يكون مثل هذا من رؤساء اهل الكتاب وعلمائهم هم الذين يتولون مثل هذا العمل واما الجهال منهم والسفلة فانهم لا يفعلون هذا والله اعلم **وقوله** لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم الاضلال قيل فيه بوجوه قيل الاضلال هو الاخمال اي يريدون ان يخمل ذكركم ولا يذكرون بعدهم ابدا كما يخمل ذكر اولئك وقيل الاضلال هو الاهلاك وقيل الاضلال هو التحير وكل ضال طريقا فهو متحير تائه وما يضلون الا انفسهم اي ما يخملون الا ذكر انفسهم وما يشعرون اي وما يشعرون انهم يهلكون انفسهم او يحيرون وما يشعرون ماذا عليهم فيما دعوا من اليم العقاب والله اعلم ويقال نزلت في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **وقوله** يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون قوله وانتم تشهدون يحتمل وجوها يحتمل وانتم تشهدون تلك الايات وتعاينونها وتعلمون انها ايات لكن تكابرون وتعاندون ولا تؤمنون بها ويحتمل وانتم تشهدون اي وانتم تعلمون ما في التوراة والانجيل من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوات واكمل التحيات ويحتمل غيرها من الايات التي جاء بها وقال بعضهم لم تكفرون بدين الله وانتم تعلمون بدلالة الخلقة وشهادة كتبكم ان دين الله وتوحيده حق **وقوله** يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون في الاية دلالة جواز هتك الستر وافشاء المكنون والمكتوم من الامر اذا كان في ذلك تحذير لغيرهم عن مثله وترغيبهم في المحمود من الفعل

ثم فيه دلالة اثبات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يخبرهم عما كانوا يكتمون ويسرون فيما بينهم وذلك من اطلاع الله
اياه على ذلك وانتم تعلمون ذلك الا ترى انهم لم يتوضئوا له بشيء من ذلك فيقولون متى كتمنا الحق ومتى لبسنا الحق فدل انهم علموا
انه حق وانه رسول الله عليه الصلوة والسلام وذلك قوله وانتم تعلمون ثم علم ذلك يكون بان كان ذلك في كتابهم او علموا بالايات فهم
للمعجزة ويحتمل قوله وانتم تعلمون ما جزاء من لبس الحق بالباطل وكتمه والله اعلم ويحتمل وانتم تعلمون انكم تلبسون الحق بالباطل وقوله
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره قيل فيه بوجوه قيل قوله امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره يعني بادلائهم محمد صلى الله عليه وسلم لا انها رسالته وذلك بادرى في القصة ان
بعضهم كان يقول لبعض ان محمدا كان على قبلتنا وقبلته بيت المقدس ويصلي اليها فامنوا انتم به واكفروا اخره يعني اخر امره يعنون
قبلة البيت الحرام الكعبة اي اكفروا بقبلة التي يصلي اليها الان وهو الكعبة وقيل ان بعضهم يقول لبعض امنوا بمحمد غداة امره
حتى يؤمن جميع العرب ثم اكفروا به في اخر امره فيقولون لنا لم كفرتم به ورجعتم عن دينه فنقول لهم انا وجدنا في التورية نعت نبي
وصفته فحسبنا انه هذا فامنا به ثم نظرنا فاذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا به حتى يرجعوا جميعا عن
دينه فذلك قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقيل ايضا ان روي اليهود قالوا المسفلة صدقوا
بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وجه النهار يعني اول النهار يعني صلوة الغداة فاذا كان صلوة العصر اكفروا به فيقولوا لهم ان قبلة
بيت المقدس كانت حقا فماذا بعد الحق الا الضلال ليرجعوا عن دينهم فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه دلالة رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا انه كان يخبرهم بما يضمرون في انفسهم ويسرون فذلك من اطلاع الله تعالى اياه ويحتمل قوله امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا لهم الاسلام والموافقة ولا يؤمنوا به في الحقيقة يدل على ذلك قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم في الحقيقة اي امنوا به ظاهرا واما في الحقيقة فلا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقال الشيخ رحمه الله في قوله وقالت طائفة من اهل
الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين الاية يحتمل وجهين احدهما حقيقة النهار ثم يتوجه وجهين احدهما امر القبلة خاصة فيريدون
بذلك المحاجة بالموافقة في احد الوقتين عليهم فيما خالفوا ذلك وان علموا ان ذلك حق ليشبهوا على الضعفة انه لا ترال تنتقل
من دين الى دين ومذهب الى مذهب وان من لزم الدين الاول والمذهب الاول احق بالموافقة فيه مرة ولما لا يؤمن البقاء على الثاني
وهو كقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وعلى ذلك انكروا جواز نسخ الشرايع سفها منهم اذ ليس معنى
التناسخ الا اختلاف العادات لاختلاف الاوقات وذلك المعنى قائم وما التناسخ الاحوال في كل صلاة العبادات فيها المصلحة
ومن يقتدم علم بالذي به الاصلح في كل وقت فله ذلك والثاني ان يكون الذي اول النهار لعله انزل بما فيه وصف رسلهم وكتبهم
من الهدى والبيان او وصف وايلهم في رعاية الحق وتعاهد الذين امروا بالايمان بذلك ليبرءوا قومهم ان قد ثبت وصف من تقدم بما
ذكروا انهم على ذلك ومنه جاء فيما اخبر من تبديل من بدل من اوايلهم وتحريفهم الا ان كانوا كذلك ليبلوا موهم التقليد في الامرين والله
اعلم وحقيقة انه اذا عرف حال الاوايل لابيهم فعلى ذلك امر الاخر ومن به كانت المعرفة الزمهم التصديق في الامرين جميعا معا ان في القران
وصف بتصديق كتبهم فخيبهم فيما هو امقابلة كتب انبيائهم لتكون هي القاضية والمثبتة للحق على ما ادعوا وادعي عليهم وقد
ظهرت نعتتهم بظاهر نهيهم المنكرين لكتبهم المكذبين برسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تصديقه اياهم وشهادة كتابه بذلك
ليعلم المتامل عنادهم بغيا وحسدا كما اخبر الله تعالى عنهم والوجه الاخر من تاويل الاية ان يراد بما اخبر عنهم اول مرة واخره لا حقيقة
بياض النهار ثم ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون دعاءه فاول الامر الى التوحيد والايمان بالكتب المتقدمة وهم يدعون الى الذين
وعلى ذلك كانوا قبل ظهور رسول الله تعالى عليه وسلم واخر ذلك بما تبين من تحريفهم وتعنتهم لما اخذهم البغي وغلبهم الحسد وحملهم
على رياستهم واشفقوا على ملكهم وجزاء الشيخ واظهار كثير مما قد كتم وابدلهم فكذبوا من ما اعلم ويحتمل ان يكون ذلك من انهم
اضطراب من الايمان بذلك من حق يعلم لحاجهم وحرصهم على قول الحق ثم يكفروا به بكون الاول ذريعتهم في الثاني انهم لم انظروا انه
على الحق الذي اعتقدوه فلما تبين لهم باطله رجعوا عن ذلك فاطلع الله نبيه عليه السلام على ما اسروا والبصير ما ظنوا ان يحتج به
عليهم وجملة ذلك انا لا ندري ما السبب الذي كان منهم من العقول وفيما كان والكفر واذ كان ذلك كله منهم اسرار فاطلع الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ليكون حجة له وزجرا لهم عن كل انواع التبديل في شأن رسوله علينا افضل الصلوات بما يتهك عليهم فيفتضحون عند
من دونهم استراحهم ويسقط رياستهم والله الموفق وقوله قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اختلف فيه قيل
على التقديم والتأخير وقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم كان على قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد
كتابا مثل كتابكم ولا بعث نبيا مثل نبيكم قالوا ذلك حسدا منهم وقيل ان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين قوله قل
ان الهدى هدى الله قل اللهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يقول دينكم ان الاسلام هو الدين ان يؤتى بقول الله لن يؤتى احد من دين
الاسلام والكتاب الذي فيه الحلال والحرام والله اعلم ويحتمل ان يكون قال لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الايات والبينات فانه
الايات كانت كلها حسية يفهمها كل احد وايات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت حسية وعقلية لا يفهمها كل احد الا الخواص من الناس

وغيرهم

وغيرهم وقوله او يحاجوكم عند ربكم راجع الى قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فيحاجوكم به عند ربكم انهم قد امنوا به مرة واقروا
له وهو كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم انهم كانوا
يظهرون لهم الاسلام والايمان ثم اذا خلوا قالوا انما نحن مستهزءون فقال بعضهم لبعض لا تظهروا لهم الاسلام فيحاجوكم عند ربكم في
الاخرة وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء هذه الاية على المعتزلة لانهم يقولون ان
الفضل ليس بيد الله وكذلك الاختصاص ثم ذلك بيد الخالق لان من قولهم ان ليس على الله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين
ليس له ان يؤتي احدا فضلا ولا له ان يخص احدا برسالة الا من هو مستحق لذلك مستوجب له فذلك الفضل والاختصاص انما استوجبوا
بانفسهم لا بالله على قولهم ففي الحقيقة الفضل عندهم كان بيدهم لا بيد الله فاكذبهم الله بذلك اذ الفضل عند الخلق هو فعل ما ليس عليه
لا ما عليه فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الرشد قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم يحتمل ان يكون
في الشيء وان اعطيتم لهم الظاهر ويحتمل ان يكون بعد ما اظهرتم اكفروا اخره ويحتمل لا تؤمنوا بما جاء به الا لاجل من تبع دينكم فيكون
عندهم قدوة يتفرد عندهم بالذي تعلمتم انكم اهل الحق فيتبعكم كيف ما تصيرون اليه ويحتمل لا تؤمنوا لا تصدقوا فيما يخبركم عن اوليكم
الا لمن تبع دينكم على المنع عن تصديق الرسول فيما يخبرهم من التحريف والتبديل وقوله ان الهدى هدى الله يحتمل وجهين احدهما البيان
هو ما بين الله اذ هو الحق وكل ما فيه الصرف عنه هو تلبيس وتمويه ويحتمل ان يكون الدين هو الذي دعا اليه بما اوضحه وانار برهانه الا
الدين الذي دعا اليه المتحرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي لن يؤتى والله اعلم من الكتاب والحجج ويحتمل ان يكون صلة قوله ان الهدى هدى
وهو دينه او القران او ما دعا اليه ثم يقولان يؤتى بمعنى لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم اهل الاسلام من الحجج والبينات التي توضح ان الحق في ايديكم وقوله
او يحاجوكم عند ربكم فان كان هو صلة الاول فاو بمعنى ليحاجوكم او حتى يحاجوكم اذا امنتم بما دعوا اليه فيحاجكم بذلك عند ربكم اي انما
امنتم بالذي جاء بكم من عند ربكم فيصير ذلك الكلام حجة عليكم وان كان صلة الثاني فهو على انهم لا يؤتون مثل ما اوتيتم من الحجج ليحاجكم بها عند ربكم
فان الذي هو عليه حق لما قد ظهر تعنتهم وتحريفهم والله اعلم ثم بين السبب الذي هو نيل كل خير وفضل والله اعلم وقوله قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء وقوله والله يختص برحمته من يشاء ينقض على المعتزلة قولهم بوجهين احدهما انهم لا يرون لله ان يخص احدا بشيء فيه صلاح
غيره صرفه عن ذلك الغير بل ان فعل ذلك كان محابيا عندهم وبخيلا بل في الابتداء لم يكن له ذلك وانما يعطي بالاستحقاق وذلك حق يلزمه وبذ
ذكر بحرف الامتنان وعندهم ايضا ليس له ان الاشياء او لا يعطي فلا معنى لذكره الذي ذكر مع اضداد ذلك والله اعلم والثاني ان الذي يحق عليه ان
يبذل كذا الاصلح في الدين وانه ان قصر احدا عن ذلك كان جائرا ثم لا فضل للعبد بشيء مما اعطى حتى نعطيه فيما لزم فيكون الفضل في الحقيقة
في يد العبد يؤتي نفسه ان شاء والله الموفق وقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك والقنطار ما تقدم ذكره ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك وصف جل وعز عن اهل الكتاب بعضهم باداء الامانة وبعضهم بالخيانة وليس المراد من الاية والله اعلم
القنطار نفسه او الدينار ولكن وصفهم بان فيهم امانة وخيانة قلت الخيانة او عظمت وكذلك الامانة الا ترى انه يستحق الذم بدون
القنطار والدينار اذا خان وكذلك يستحق الحمد اذا ادى بدون ذلك دل انه لم يرد به التقدير ولكن على التمثيل وهو كقوله عز وجل فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ليس على ارادة الذرة ولكن على التمثيل لعمل الخير والشر جزاء وان قل فكذلك الاول وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد
لما ذكرنا انه لم يرد القدر الذي ذكره ولكن لمعنى فيه بالاجتهاد يعرف لا بالنصوص وعلى الشافعي رضي الله عنه ان الدينار عند سكوته
يحلفه ليمين عنه عند المنبر والله تعالى جعله مستقلا وفيه دلالة ايضا جواز شهادة بعضهم لبعض وعلى بعض ان كانت فيهم نزلت
على ما قاله بعض اهل التاويل لانه وصف عز وجل بعضهم بالامانة بالمال وان كانت الامانة لهم في الدين والشهادة امانة والله اعلم ويحتمل
يكون الاية فيمن اسلم منهم وصف بالامانة ومن لم يسلم وصفهم بالخيانة على ما ذكر عز وجل في اية اخرى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون وصف عز وجل من امن منهم بالعدالة والهدى ووصف الكفار بالخيانة في غير اي من القران ويحتمل ان يكون الاية فيما ايتمنوا وفيما جرى
بينهم وبين المسلمين من المداينة من غير رهن ولا كفالة وهو كقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته امرهم باداء الامانة فيما ايتمنوا
وقوله الا ما دمت عليه قائما قيل ملازما مواظبا ملحا دائما متقاضيا ومن عامل من المسلمين الناس هذه المعاملة يخاف دخوله في هذا النهي
والوعيد وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل قالوا ذلك لانهم كانوا يستحلون اموال المسلمين ظلما يقولون لم يجعل علينا
في كتابنا لاموالهم حرمة اموالنا علينا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وارادوا بالاميين العرب الذين ليس لهم كتاب وقيل ذلك الاستحلال بان
قالوا ليس علينا الله فيهم سبيل وارادوا بالاميين المسلمين على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب وقيل
قالوا لا حرج علينا في حبس اموالهم في التورية فاكذبهم الله عز وجل بقوله ويقولون على الله الكذب بان ليس في كتابهم حرمة اموالهم عليهم سبيل
وهم يعلمون انهم يكذبون على الله عز وجل وقوله بلى من اوفى بعهده يحتمل قوله بلى ردا على قولهم ليس علينا في الاميين سبيل بل عليكم سبيل فيهم ثم
ابتداء الكلام فقال من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اي هؤلاء الذين يحبهم الله لا انتم ويحتمل قوله بلى من اوفى بعهده الذي عليه في
التورية امر باداء الامانة واظهار نعته صلى الله عليه وسلم وصفته التي فيها والتي محارمه وظلم الناس وترك الوفاء وفي نقض العهد وصدق
الله ورسوله ولم يكتم نعته وصفته فان الله يحبهم والله اعلم وقوله ان الذين يشترون بعهد الله قيل عهد الله امره ونهيه يحتمل من العهد

فما عهد وافى التورية ان لا يكتموا نعته وصفته ولكن يظهرون ذلك للناس ويقرون به وايمانهم ثمنا قليلا ايمانهم التى حلفوا كذبا ان ليس
نعته وصفته فيه مخافة ذهاب منافعهم ويحتمل ان حلفوا كذبا فاخذوا اموال الناس بالباطل والظلم وعلى ذلك روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان ونزل هذه الاية ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم الاية والعهد والايمان يكون سواء الاترى الى قوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان الاية ويحتمل عهد الله
ما قالوا عن الله وما الزمهم الله والايمان ما حلفوا والله اعلم وقوله اولئك الذين لا خلاق لهم فى الاخرة لا نصيب لهم فى الاخرة مما ذكروا
ان لهم عند الله من الخيرات والحسنات كقوله حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وقوله ولا يكلمهم الله يحتمل وجهين يحتمل انه اراد به تلك كلام
الملائكة الذين ياتون المؤمنين بالتحية والسلام من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون الاية وقوله لا يكلمهم الملائكة على ما تكلم المؤمنين اضاف ذلك الى نفسه على ما ذكرنا فيما تقدم من اضافة النص اليه على ارادة
اوليائه فكذلك هذا او ان يكون الله عز وجل كان قد كلمهم بتكليم الملائكة اياهم لانهم رسله فكان كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيصير ببعث الرسل كان قد كلمهم هو فكذلك الاول ويحتمل ان يكون الله عز وجل يكرم المؤمنين فى الجنة
بكلامه على ما كلم موسى فى الدنيا فلا يكلمهم كما كلم المؤمنين ويحتمل لا يكلمهم بالرحمة سوء كان يقول اخسئوا فيها ولا تكلمون وكقوله ولا
ينظر اليهم يوم القيمة وقوله عز وجل ولا ينظر اليهم نظر رحمة كما ينظر الى المؤمنين بالرحمة وقوله ولا يزكيهم اى لا يجعل الخبيث منهم ترابا ويحتمل ان
يكون قال فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا فقال لا يزكيهم اى لا يزكوا اعمالهم وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب اى كانوا
يحرفون السنتهم بالكتاب على التعظيم والتبجيل لتحسبوه من الكتاب اى كانوا يحرفون نعته عليه افضل الصلوات وصفته ثم يتلونه على التعظيم
والتبجيل لتحسبوه من الكتاب المنزل من السماء وما هو من الكتاب الذى انزل من السماء ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله بل هم كتبوا
بايديهم وهو كقوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كذبوه
على الله وان ذلك ليس هو من عند الله وقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الكتاب والحكم والنبوة اى ما كان لبشر اختاره الله للذى قال وتبين انهم
انما اضافوا دينهم الذى فيه عبادة غير الله الى انبياء انهم كذبوا وان الله يجعل رسالته عند من يعصمه عن مثله بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته
لا يجعلها حيث يخان ويكتم والله الموفق وهذه الاية تنقض على الباطنية قولهم لانهم يقولون ان الله لا يؤتى البشر الكتاب ولا النبوة انما
يؤتى النفس البسيطة وهى الروحانية ليأتى تخيله فى قلوب الانبياء ويوحيهم حتى يؤلفوا كقوله نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربى مبين فاذا ثبت ذلك فى قلوب الرسل القوام الكتب والصحف لا يقدر غير الرسل على ذلك ثم الناس ياخذون ذلك منهم فالاية
تكذبهم وترد عليهم قولهم حيث اخبر يؤتى البشر الكتاب والحكم والنبوة بقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة وكذلك قال عيسى
عليه السلام فى المهد انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وفى الاية دليل عصمة الرسل والانبياء عليهم السلام عن الكفر بقوله ما كان ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله وخاصة فى عصمة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وقال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اشترط فى المؤمنين اكتساب ما يستوجبون
الاذى ولم يشترط فى النبى صلى الله عليه وسلم دل انه لا يكون منه اكتساب ما يستوجب به الاذى ويكون من المؤمنين بشرطه فيهم ذلك والله
اعلم وقوله ولكن كونوا معناه اى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين وكان على الابتداء والاستيناف ويقول لهم كونوا ربانيين ثم اختلف
فى ربانيين قيل سعيد بن ... بالذى يعلمون الكتاب وبالذى يدرسون وقيل الربانيين العلماء الحكماء وقيل حكماء علماء وقيل علماء فقهاء
وهو واحد ثم فيه دلالة ان الرجل قد يدرس ويعلم اخبارا لا يفقه ولا يعلم معناه الا كل من يدرس شيئا او يعلم اخر يكون فقيها فيه و
يعرف ما اودع فيه من المعنى وفيه دلالة جواز الاجتهاد لانه انما يوصل الى ما فيه من المعنى والفقه بالاجتهاد والله اعلم وقوله ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اختلف فيه قيل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة اربابا لانهم يقولون ان الله امرهم بذلك كقوله تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقيل ان عيسى وعزير او من ذكر لا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا من دون الله وقد عصمهم بالنبوة وقوله ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يحتمل وجوها يحتمل ايامركم الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
له بالخلقة لما يشهد خلقة كل احد على وحدانيته كقوله وله اسلم من فى السموات والارض ويحتمل بعد اذ انتم مسلمون اى اسلمتم لله واقررتم به ثم
كفرتم به بعدما كنتم مخلصين له ويحتمل قوله بعد اذ انتم مسلمون بعد اذ دعاكم الى الاسلام فاجاب بعضكم وقوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية قال مجاهد هذا خطاء من الكتاب وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
على ذكر قراءة اخرى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لان الميثاق لا يؤخذ على النبيين ان يصدقوا لكنه يجوز هذا ثم اختلف فيه
قيل ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن بما جاء به الاخر منهم لو ادركه وقيل اخذ الله ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا وان يبلغوا
كتاب الله ورسالاته الى قومهم ففعلوا ثم اخذوا مواثيق قومهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه قيل اخذ الله على النبيين
ميثاقا على ان يبلغوا الرسالة الى قومهم ويدعوا الناس الى دين الله قال الكسائى فيه وجهين احدهما يقول لميثاق الذين منهم النبيين ثم
بنو اسرائيل وكل ميثاق ذكره الله تعالى فى القران فى اهل الكتاب فانما يراد به بنو اسرائيل والثانى ذكر كما ذكرنا من تصديق بعضهم بعضا

وتبليغ كتب الله الى قومهم وقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اخذ عليهم الميثاق ليأخذوا على قومهم المواثيق ان يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا خرج وينصروه وقوله قال ااقررتم قال الله تعالى للانبياء ااقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قيل هو عهدى
والاصر قيل هو العهد قالوا اقررنا بالعهد لتؤمنن ولتنصرنه واذا اخذنا على قومنا ليؤمنن به ولينصرنه وقال الله تعالى فاشهدوا وانا
معكم من الشاهدين يقول الله تعالى وانا على اقراركم بمحمد عليه الصلوة والسلام من الشاهدين وقيل قال الله فاشهدوا انى قد اخذت
عليكم بالعهد وانا معكم من الشاهدين انكم قد اقررتم بالعهد يقول الله تعالى فمن تولى بعد ذلك العهد والاقرار ينقض العهد والرجوع
من الاقرار فاولئك هم الفاسقون وقوله افغير دين الله يبغون الدين كانه يتوجه الى وجوه يرجع الى اعتقاد المذهب فى الاصل و
يرجع الى الحكم والخضوع كقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ويرجع الى الجزاء ثم قوله افغير دين الله يبغون كان كل منهم يبغى دينا هو
دين الله ويدعى ان الدين الذى هو عليه دين الله لكن هذا والله اعلم كل منهم فى الابتداء ابتغى دين الله فى نفسه لكن بان له من بعد و
ظهر بالايات والحجج انه ليس على دين الله هو الاسلام فلم يرجع اليه ولا اعتقده ولزم غيره بالاعتناد والمكابرة فهو باغ غير دين
الله من الاحكام والتوحيد ويحتمل افغير دين الله يبغون اى افغير ما فى دين الله من الاحكام والتوحيد ويحتمل افغير دين الله يبغون
وليس على الاستفهام ولكن على الايجاب انهم فى صنيعهم يبغون غير الذى هو دين الله كقوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
الاية وكقوله افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم الاية وقوله تعالى وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل وجوها يحتمل اسلم اى استسلم وخضع له بالخلقة اذ فى خلقه كل دلالات وحدانيته ويحتمل وله اسلم من فى السموات يعنى الملائكة
ومن فى الارض المؤمنين الذين اسلموا طوعا وكرها يعنى اهل الاديان يقرون ان الله ربهم وهو خلقهم كقوله ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله فذلك اسلامهم وهم فى ذلك مشركون عن ابن عباس رضى الله عنه قال من فى السموات اسلموا طوعا واما اهل الارض
فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها لمخافة السيف وعن ابن عباس رضى الله عنه ايضا قال طوعا من ولد فى الاسلام وكل من اسلم
ولم يولد فى الاسلام فهو كره وقيل منهم من اسلم طوعا ومنهم من جبر واعلم ان الاسلام هو تسليم النفس لله خالصا لا يشرك فيها غيره كقوله
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل الاية دلت الاية انه ما ذكرنا والله اعلم والاسلام هو اسم للخضوع وكل
منهم قد خضعوا ولم يجترءوا ان يخرج عليه وقوله قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم الاية هذا والله اعلم وذلك ان اليهود
والنصارى لما امنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض امر الله تعالى المؤمنين ان يؤمنوا بالرسل جميعا فامنوا
جميعا وقالوا لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والاسلام ما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
اختلف فيه فلن يقبل منه حسنات من بغى غير دين الاسلام فى الدنيا وهو كقوله ومن يكفر بالايمان اى بالمؤمن به فقد حبط عمله و
يحتمل من اتى بدين سوى دين الاسلام فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين قال الشيخ رحمه الله فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه يحتمل يبتغى يطلب فلن يقبل منه كانه نهى عن ذلك ان يقصد بالدين التقرب الى الله تعالى فاخبر ان ذلك لا يتقبله لتصرف
الطلب الى غير ذلك وذلك كانوا يريدون بعبادة الاوثان وغيرها التقرب الى الله زلفى فاخبر انه لا يقرب لتصرف الطلب الى حقيقة ذلك
الدين على الاديان كانت معروفة تأبى انفس الكفرة عن قبول اسم الاسلام لدينهم وادعوا ان دينهم هو دين الله فاخبر الله تعالى ان دينه هو
الاسلام وان من يبتغى الدين لدين الله بغيره فالله لا يقبل منه والله اعلم ويحتمل الابتغاء الارادة فيكون فيه تحقيق الدين انه
يجامع الفعل فكانه قال من دان غير دين الاسلام فلن يقبل منه وان قصد به الله بالدين والله الموفق ابد ذلك قوله وهو فى الاخرة من
الخاسرين انه فيمن اتى بغيره والله اعلم وقوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الاية فالاية يحتمل وجوها
يحتمل ان لا يهديهم الله قوما معاندون مكابرون فيه غير خاضعين ولا متواضعين انما يهدى من خضع له وتواضع فاما من عاند و
كابر فلا يهديه ويحتمل ان هذا فى قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر الله تعالى انه لا يهديهم واما من علم انه يؤمن و
تاب فانه يهديهم بقوله الا الذين تابوا واصلحوا الاية اطمع من تاب واصلح ان يهديه ويغفر له ويحتمل ان لا يهديهم طريق الجنة اذا
ماتوا على كفرهم كقوله لا يهديهم طريقا الا طريق جهنم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل لا يهديهم فى وقت اختيارهم الضلالة وقيل بما اختاروا
من الضلالة لا يهديهم اى لا يسميهم والله لا يهدى القوم الظالمين قال الشيخ رحمه الله ودل قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد
ايمانهم ان دين الاسلام هو الايمان والكفر مقابلة من الاضداد وكيف يهدى قيل كفرهم وقيل فى وقت اختيارهم وقيل ذلك فى قوم علم الله
انهم لا يؤمنون وكانت همتهم التعنت والمخالفة والله اعلم وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم ان
الهدى البيان والبيان للكل قالوا يتقدم الفعل فلو كان يتقدم لما كان اعطاء الهدى للظالم فاخبر عز وجل انه لا يهدى الظالم وهم يقولون
لا بل يهدى الظالم فذلك خروج عليه واما على قولنا فان التوفيق والقدرة انما يكون معه فكان قولنا موافقا للاية قال الشيخ فى قوله
والله لا يهدى فلو لم يكن الهدى غير البيان فلقد هداهم اذا على قول المعتزلة وقوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله قيل لعنة الله
عذاب الله وقيل لعنة الله هى الاياس من رحمته وعفوه واللعن هو الطرد فى اللغة ولعنة الملائكة ما قيل فى اية اخرى قوله ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا الاية وقيل لعنة الملائكة قولهم ونادوا يا مالك

بعض علينا ذلك قال انكم ما كنتم الى اخره وقيل يدعوا عليهم باللعن وقيل لعنة المؤمنين قوله ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فذلك لعنهم عليهم **وقوله** الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم يلحق على قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم ذكر الكفر بعد الايمان ثم ذكر التوبة فقال الا
الذين تابوا الاية اطمع لهم المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر بقوله فان الله غفور رحيم وما قيل في القصة ايضا ان نفرا ارتدوا عن
دين الاسلام ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض فنزل قوله الا الذين تابوا الاية وفي دلالة قبول توبة المرتدين لان قوله الا الذين
تابوا من بعد ذلك الاية قيل في القصة وقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم الاية اختلف فيه قيل قوله
كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا اى ماتوا على ذلك فذلك زيادتهم الكفر وقيل ان الذين كفروا بعيسى بعد الايمان بالرسل جميعا ثم
ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلوة والسلام لن تقبل توبتهم قيل لن تقبل توبتهم التى تابوا مرة ثم تركوها وقيل لن تقبل توبتهم التى اظهروا
باللسان ولما كان ذلك فى قلوبهم اى ليست لهم توبة الا ان يكون توبة منهم فهو كقوله لا تقبل شفاعتهم وقيل انهم قوم علم الله
انهم لا يتوبون ابدا فاخبر انه لا تقبل توبتهم كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل لا تقبل توبتهم عند الموت كقوله فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
انه لا ينفع الايمان فى ذلك الوقت فعلى ذلك قوله لن تقبل توبتهم فى ذلك الوقت اذا داموا على الكفر الى ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله
فى قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم لن تقبل توبتهم ذلك فى قوم مخصوصين اى لا يكون منهم كقوله ولا تقبل لهم شفاعة اى لا شافع
لهم ويحتمل عند رؤية فعل الله وجزاء فعله عند القيامة ومعاينة الموت يدل على ذلك الاية التى تقدمت **وقوله** ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا الاية قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول لو كان
معهم لافتدوا به انفسهم ما قبل منهم ولكن لا يكون كقوله لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى لا يكون لهم شفيع لا
ان كان لهم شفعاء فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم ولكن لا يكون لهم فهذا يدل على ان قوله لن تقبل توبتهم اى لا يتوبون والله اعلم
وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان
لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول نعم يا رب فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك **وقوله** لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون يحتمل ان يكون الاية والله اعلم فى كفار منعهم عن الاسلام الزكوة والصدقات التى تجب فى الاموال كقوله ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا الاية الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون اخبر عز وجل لن تنالوا الاسلام حتى تنفقوا مما تحبون من الاموال وكقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون
ويحتمل الاية فى المؤمنين رغبهم عز وجل فى انفاق ما يحبون كقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله و
اليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه الاية اخبر ان البر ما ذكر من الايمان به وايتاء المال فى حبه وروى عن انس رضى الله
عنه قال لما نزل قوله تعالى لن تنالوا البر الاية قال ابو طلحة يا رسول الله حائطى الذى فى مكان كذا وكذا وكذا هو لله ولو استطعت ان اسر
ما اعلنته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعله فى قرابتك وقراباتك وروى عن عمر رضى الله عنه انه لما تلا هذا اعتق جارية ثم تعتق
فى البر قيل البر هو الجنة ههنا وقيل البر الاسلام ان كان فى الكافرين وقيل لن تنالوا درجات الجنة وما عند الله من الثواب الا بانفاق
ما تحبون **وقوله** وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم فيه دليل قبول القليل من الصدقة لانهم يستحيون عن قليل التصدق واستحقاره
فاخبرانه بذلك عليم وان قل بعد ان يكون ذلك لله عز وجل والله اعلم **وقوله** كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
الاية قال ابن عباس رضى الله عنه وكان الطعام كله حلالا الا الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعنى يعقوب حرم
على نفسه لحم الابل والبانها وكان من احب الطعام اليه ان ثبت ما ذكر فى القصة ان يعقوب عليه السلام اقبل يريد بيت المقدس فلقيه
ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه يصارعه حتى ضربه الملك فى الفخذ فلما اضاء لهما الفجر غمز الملك فخذ يعقوب فهيج عليه عرق النساء فكان يبيت
الليل ساهرا من وجعه فاقسم لئن شفاه ذلك من الله فى التوراة ويحتمل فامر الله تعالى نبيه ان قل لهم فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين ان ذلك التحريم من الله فى التوراة ويحتمل ان يكون التحريم كان بظلم منهم كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
الاية ثم انكر واخبر بذلك بظلمهم فدعوا باحضار التورية ليظهر كذبهم فابوا ذلك فلا تدرى كيف كانت القصة ولكن فيه اثبات دلالة
رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عما اسروا واظهر ما كتموا قال ابو زيد انما قدر اهل الكتاب على تغيير كتابهم والزيادة فيه
والنقصان ولم يكن لاحد تغيير القران عن وجهه او زيادة فيه او نقصان منه لان كتبهم تشبه كلام غيره من الحكماء فغيروا بغيره
من كلام الحكماء واما القران فهو اية معجزة لم يقدروا على تحريفه ولا تبديله وان علم انه كان كذا او لا فهو والله اعلم ليهتك عليهم استارهم
وليظهر منهم ما كتموا وفيه اثبات الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا الاية قد ذكرناه فيما تقدم
وقوله ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا قيل فيه بوجوه قيل ان اول بيت مبارك وضع للناس هو بكة وقيل اول مسجد وضع
للناس مكة وقيل يريد ببكة البقعة اى اول بقعة خلق الله هو مكة ومنها دحيت الارض وقيل ان ادم عليه الصلوة والسلام لما امر بالحج فيه

قال له جبريل عليه السلام قد حج فيه الملائكة قبلك بالفى عام وقيل خلق الله البيت قبل الارض بالفى عام ثم خلق الارض وقيل بكة الزحام و
قيل البكة موضع البيت وسائر القرية وعن ابن عباس رضى الله عنه قال مكة من فج الى التنعيم الى النحر وبكة من البيت الى البطحاء وقيل بكة الكعبة حيث
يبك الناس اى يزدحم بعضهم بعضا امامها ووراءها **قوله** مباركا قيل يغفر فيه الذنوب والخطايا وهدى للعالمين فيه ايات بينات يحتمل قوله فيه ايات
بينات ما اوتاه ملوك الجبابرة وذلك ان الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال فى ارض ملساء قليلة الاثمار والريع لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة ولا
يرغب الخلق الى مثله ثم جعل قلوب الناس يميل وتهوى اليه افئدتهم من غير ان كان فيه ايات بينات ما ذكر مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وذلك اية
والله اعلم وقوله ومن دخله كان امنا ظاهره فيمن يجنى ثم دخل الحرم امن لان من لم يجن فهو امن ان دخل الحرم وغيره وانما الاية على ما يختص بالامن
اذا دخل الحرم دون غيره وقد روى عن جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق هذا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اذا
اصاب الرجل الحد فى الحرم اقيم عليه وان اصابه فى غير الحرم ثم لجا اليه لا يحدث ولا يجالس ولا يواكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيؤخذ فيقام
عليه الحد وروى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال لو وجدنا قاتل ابينا فى الحرم لم نقتله وروى عن الحسن رحمه الله انه قال فى قوله ومن دخله كان امنا
كان هذا فى الجاهلية فاما الاسلام فلم يزده الا شدة من اصاب الحد فى غيره ثم لجا اليه اقيم عليه الحد فقال الحسن ان الصيد كان يامن فى الجاهلية ثم
الاسلام لم يرفع ذلك الامن بل كان امن الصيد فى حال الاسلام كهو فى حال الجاهلية فعلى ذلك الامن الذى كان فى الجاهلية هو باق غير زائل فى الاسلام
واصحابنا رحمهم الله يذهبون الى ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ولما روى ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر
صيدها ولا يحتش حشيشها اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مكة بعد الاسلام حرام كما كانت قبله وانها لم تحل له الا ساعة من نهار فاذا كان الملتجى
اليها قبل الاسلام قال الواجب ان يكون امنا بعد الاسلام حتى يخرج منها وحجة اخرى وهو ان الله تعالى اباح لرسول الله عليه الصلوة والسلام قتل
المشركين جميعا بل فرض ذلك عليه الا اهل مكة فانه لم يحل له قتالهم الا ساعة من نهار فتفضل مكة على غيرها بما خصها به من التحريم فلا يبعد ان لا يقام
على من التجا اليها فى الاسلام اذا كانت جنايته اقل من كفر اهلها ولم يحل قتالهم الا ساعة من نهار وفى الغرق من قتل فيها او فى غيرها ثم لجا اليه وجه اخر
قول الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قتلوا فعلى ذلك يقام
الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب وهو فى غيره ثم لجا اليه لم يقم كما لم يقاتلوا اذا لم يقاتلوا وهذا فرق حسن واضح بحمد الله وعونه قال الشيخ
رحمه الله فى قوله عز وجل ومن دخله كان امنا يحتمل ان يكون خبرا من الحرم فى قديم الدهر انه كان على ما بين الخلق من القتال والحرب يامنون بالحرم اذا
التجوا اليه وذلك كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم فيكون ذلك من عظم ايات الله تعالى ان الجاهلية على عظيم ما
بدلوا من الامور وغيروا من الدين منعهم الله تعالى عن هذا التغيير حتى بقيت لكل من يشهد انه ان الله له هذا السلطان وبه قام هذا التدبير
العظيم له العلم بحقائق الاشياء ووضع كل شىء موضعه وعلى ذلك قال بعض اهل التاويل فى قوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم قد جعل جل ثناؤه ذلك
كالمامن فى الشرع والطبع فاما جاءت الرسل واما الطبع فما تنافر الناس حتى سار ذلك الى الصيد الذى يؤذيه الاخذ والى انواع الاشياء التى قامت
بالجوهر تلك البقعة من النبات لا باسباب تكتسب والمذاكرة بمنع رباع مكة ورخص فى بيع ما يحدث فيه من البنيان والله اعلم ودل قوله وجعلنا
كذا على لزوم ذلك الحق لانه مذكور بحرف الامتنان والاحتجاج له ولا يجوز تغير الذى هذا وصفه والله اعلم ويحتمل كان صار امنا اى اوجب له
الامان ومعلوم ان الذى لم يلزمه القتل كان امنا دون دخوله فثبت ان ذلك فيمن لزمه واين ذلك قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام فهم
قوم قد سبق منهم الكفر وقت شرع القتل بالكفر لم يؤخذوا حتى الشرع على ما سبق من الكفر فى وقتهم يكن ذلك جناه فى الدنيا الا ان يحدث القتال
فعلى ذلك من لزمه الا فيه فهو يامن به الا ان يكون احدث فيه والله اعلم واصله انه اضاف الامان الى نفسه بقوله كان امنا وكل حق يتلون نفسه
فله امان بالدخول فيه وكل حق فى اقامة احياء ما جعلت الحرمة ليمنع مثله فهو يقام ليكون زجرا له وتكفيرا على بقاء الامن ليبقى نفسه ورده الى ما لا
يبدو الالتجاء اليه للهرب عن حكم الله تعالى وللامان بالله ليصل الى اقامة احكام الله تعالى امنا وفى اقامته هذا ايضا والله اعلم **وقوله** عز وجل ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فرض الله تعالى الحج بهذه الاية على من استطاع اليه سبيلا ولم يبين ما السبيل وبين ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وهكذا يقول علماؤنا ان الاستطاعة والسبيل هو الزاد والراحلة كما روى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الناس اذا كان بينه وبين الحج بحر لم يلزمه الحج فكانه ذهب الى ظاهر الاية من استطاع اليه سبيلا فجعل البحر
واشباهه مزيلا للاستطاعة فخالف ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة
لان النبى صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله تعالى علينا اتباعه فى قوله وفعله وتفسير الاية ولكنا نجعل من يحول بينه وبين البيت معذورا فى التاخير
ولا ياثم ان شاء الله اذا لم يقدر على الوصول الى البيت بعذر على ما جعل التاخير فى غيرها من العبادات عند الاعذار والعلل ولا ياثم فى الاية دلالة
ان لا يلزم المراة الحج الا بالمحرم لان المراة وان وجدت الزاد والراحلة فانها تحتاج الى من يركبها وينزلها ولا تقدر على ذلك الا بغيرها وهكذا الحج
فيهن فاذا كان كذلك جعل كانها غير واجدة للراحلة والله اعلم وفيه دلالة ان العبد اذا حج ثم اعتق لزمه حجة الاسلام لانه لا يملك الزاد و
الراحلة فاذا لم يملك الزاد والراحلة لم يجز ذلك من حجة الاسلام وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد حج ولو عشر حجج فعليه اذا
اعتق حجة الاسلام وليس كالحر الفقير يحج ثم ايسر جاز ذلك من حجة الاسلام فرق بينهما وان كانا فى زوال الحج فى الابتداء سواء وذلك ان الفقير

ذا بلغ ذلك المكان صار غنيا ولزمه الفرض لانه يحتاج حينئذ الى زاد وراحلة واما العبد اذا حضر ذلك المكان لم يعتق لذلك فترقا وفي
ذلك جهة اخرى ما اجمع اهل العلم ان فقيرا لو حضر القتال ضرب له بسهم كامل كما يضرب لمن كان فرض الجهاد لازما له ولو ان عبدا شهد الوقعة رضخ
له ولم يكمل له سهم الحر فافترق حال الفقير والعبد في الجهاد والقرب في السهمان فعلى ذلك نعرف حالهما في الحج والله اعلم وقال بعض اهل العلم ان
الشيخ الذي لا يستمسك على الراحلة اذا وجد غيره يحج عنه يلزمه فرض الحج فانكر من قال في المراة بمثله فاحتج بما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي شيخ ادركته فريضة الحج وهو لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة فيجزي
ان احج عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته عنه اكان يقبل منك قال نعم قال فالله اولى فحج عن ابيك وكلام
نحوه ولكن ليس في الخبر ان فريضة الحج انما ادركته فريضة الحج قبل ذلك فكذلك نقول علماؤنا ان الحج اذا وجب فاخر اداه حتى صار لا يستطيع يسقط
عنه الحج وكذلك اذا وجب عليه الحج فلم يحج حتى كبر فصار لا يستمسك الراحلة عليه ان يوصي بالحج عنه ويحتمل ايضا عنه ويحتمل ايضا انه رغبة في
صلى الله عليه وسلم في الحج عنه متبرعا الا انه الزمه الحج في ذلك الوقت الذي لا يثبت على الراحلة وعندنا انه لا يلزمه لانه اذا لم يستمسك على الراحلة فلا
زاد ولا راحلة له ثم من قول هذا القائل ان من لزمه فرض الحج فله التاخير وفي التاخير فوت ادراك المنية ومن قوله انه لو اخر حتى مات يصير فاسقا
يجعل له رخصة التاخير ثم يفسقه فكان يجعل له الرخصة في الفسق فذلك قبيح وحشو من القول سمج واما عندنا فانه لا يسع له التاخير في الحج
اخر الامكان على تمام شرط الاختيار وكذا من العبادات التي لزمت من نحو الصلوة والصيام وغيرها لا يسع التاخير فعلى ذلك الحج ثم من قول
الشافعي رحمه الله ان على الكافر الحج والصلوة والصيام في حال كفره فاذا اسلم سقط ذلك عنه فذلك عندنا لعب وعبث في دين الله تبارك و
تعالى غير جائز ان يلزمه فرض في حال لا يجوز له فعله فاذا جاء سبب الجواز يسقط عنه ذلك وفي الاية دلالة ان الحج انما كان فرضا على
المؤمنين خاصة بقوله ومن كفر بالحج فان الله غني عن العالمين فلو كان هو على الكافر كما هو على المسلم لم يكن لقوله معنى دل انه غير لازم والله
امر بالعبادات باسم المؤمنين ثم المسئلة بيننا وبين المعتزلة في الاستطاعة قالت المعتزلة يكون قبل الفعل لان الله تعالى فرض الحج وامر بالخروج
اليه اذا قدر على الزاد والراحلة على ما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يتقدم يلزمه فدل انها تتقدم واما عندنا فهي على وجهين
احدهما استطاعة الاسباب والاحوال والثاني استطاعة الافعال فاما استطاعة الاحوال والاسباب فيجوز تقدمها من نحو الزاد والآلات
والجوارح السليمة واما استطاعة الافعال فانها لا تكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا يكون الا معه
والوقت في الحج لفعل الحج لا للايجاب لانه لو كان للايجاب لكان له ان لا يخرج ولا ياتي ذلك المكان فيجب عليه الحج ولانه لو لم يلزمه الا باتيان
ثم لا يمكن فعله بدون المكان فيجب ان لا يلزمه الا بحضور ذلك فلا يلزمه الخروج ابدا اذ الحج غير لازم ولانه ليس على العبد ان يتكلف له
باكتساب ايجاب العبادات وعليه ان يجهد في اداء الواجب عليه ثم الاوقات على اقسام ثلاثة وقت الايجاب والاداء جميعا نحو الصلوة والصيام
ونحوها ووقت الاداء وهو الحج انما وجوبه بالزاد والراحلة واما الوقت فهو لم يبطل قدره فعل الحج لانه لا يقدر على فعله اذا كان فيما ذكرنا دل
ان قدرة الفعل لا يتقدم الفعل وقدرة الاحوال تتقدم لما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين في الاية دلالة ان الله
عز وجل اذا امر عباده بامر ليس يامر لحاجة العبد لانه غني بذاته الا لحاجة نفسه وانما الامر فيما بين الخلق فانما هو لحاجة بعضهم لبعض اما جر منفعة
او دفع مكروه فذلك معنى قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم اختلف في قوله ومن كفر عن ابن عباس رضي الله عنه ومن كفر قال من زعم انه لم يفرض
[illegible]

التكليف دونها بالفعل لانه ممنوع ومحال الامر الممنوع عن الفعل به كالاعمى والمقعد ونحو ذلك والذي يدل هذا انصرف شرط الاستطاعة
هو اللازم في الفعل لما القرب يجيء الشكر لما انعم على المامور فاذا منع عنه السبب الذي هو النعمة لم يحتمل ان يؤمر بالشكر ولا نعمة والله اعلم وعلى ذلك
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال الزاد والراحلة والله الموفق وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه
وجوب الحج وان لم يدرك الوقت الذي فيه يقوم الحج على ما لزمه وان لم يكن اصاب المكان الذي فيه يقام والله اعلم بنظام الاية مع ما ذكرنا
من بيان الاثر واصله ان الوقت في الحج جعل لجواز الفعل اذ هو لو فات لا يحتمل في غيره وكل فعل يجوز في غير وقته فما يقرب من
الوقت به كان احق بالجواز فاذا لم يجز هذا وجاز في مثله من القابل ثبت انه للجواز لا للوجوب وايد ذلك ما لا يوصف بالقضاء متى
ادى وان كان في الاول واجبا الوقت الاول لكان يكون في الثاني قاضيا فاذا لم يكن ثبت انه ليس لوجوبه وقت والله اعلم وقوله
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وايات الله ما ذكرنا فيما نعتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران والحج والله شهيد على ما تعملون
هو حرف وعيد وتنبيه بتنبيهم عن صنيعهم ليكونوا على حذر من ذلك وقوله لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا يحتمل
قوله لم تصدون عن سبيل الله من امن من الاتباع الذين كان ايمانهم ايمان تقليد الايمان بالعقل لان من كان ايمانه ايمان بالفعل
فهو لا يصد ولا يصرف عنه ابدا لما عرف حسن الايمان وحقيقته بالعقل فهو لا يترك ابدا واما من كان ايمانه ايمان تقليد فلم
يكن ايمانه ايمان حقيقة فمثله يصد عنه الا ان من يمن الله عليه بشرح صدره حتى يكون على نور منه وذلك احد وجوه اللطف
والمقلد غير معذور لما معه ما لو استعمله لاوضح له الطريق واراه قبح ما اثر من التقليد والله الموفق ويحتمل قوله لم تصدون
عن سبيل الله من امن انهم تقصدون قصد صدهم عن سبيل الله وهم لا يرجعون الى دينكم اياس منه اياهم عن ان يرجعوا عن دينهم
الذي عليه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فيه اياس الكفرة عن رجوع المسلمين الى دينهم وقيل كانوا ايسوا عن
المؤمنين عن الحج وقوله تبغونها عوجا والعوج غير طريق الحق وهو الزيغ والتعوج عن الحق وقوله وانتم شهداء وانتم تشهدون
واحد وفي حرف حفصة رضي الله عنه وانتم شهداء على الناس وقوله وما الله بغافل عما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه لان
من علم ان عليه رقيب وحافظ يكون احذر واخوف ممن لم يكن عليه ذلك قال الشيخ رحمه الله وفيه انه لا لغفلة بالذي يكون منكم
خلقكم ولكن على تعلموا انه لا للحاجة خلقكم بل لاظهار الغنى والسلطان جل جلاله وعم نواله وقوله يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية الاية يحتمل وجوها احدها معلوم ان المؤمنين لا يطيعون الكفار رجال في الكفر ولكن
معناه والله اعلم ان يدعوهم الى شيء لا يعلمون ان في ذلك كفر نهاهم ان يطيعوهم في كل ما يدعوكم اليه كفروا وانتم لا تعلمون ويحتمل
النهي عن طاعتهم نهاهم عن ان تطيعوهم وان كان يعلم انهم لا يطيعونهم كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم في غير اي من القران كقوله
ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين فكذلك هذا قال الشيخ رحمه الله ويشبه ان تكون الاية في عرض امور عظام ترغب
فيها ليكفروا بها لتحذر عن ذلك بما بين من الاعتناد والخسارة في الاخرى لتعلموا ان ذلك تجارة مخسرة وقد كانت لهم ولاهل كل
دين ومذهب هذا الاعتناد والله اعلم وعلى ذلك قوله وكيف تكفرون على ان الذي اذاكم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي العقول
وارواح الابدان مما وعدوه مع سوء الماب والله اعلم وقوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وهو على وجه التعجب
ظاهره ولكنه على طلب الحجة في كفرهم وفيكم رسوله يدفع عنكم الشبهة التي عرضت لكم بالقاء الكفار اليكم ومن يعتصم بالله او
من حبل الله عز وجل ملجا له ومفزعا اليه عند الشبه والاشكال فقد هدي الى صراط مستقيم اي يحفظه عن الشبه ويرشده الى صراط
مستقيم والله اعلم ويحتمل ومن يعتصم بالله يتمسك بالذي جاء من القران فقد هدي الى صراط مستقيم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر ولا ينسى وقد
حق تقاته مما يحتمل وسع الخلق وروي عن انس رضي الله عنه يقول لا يتقي الله احد حق تقاته حتى يخزن من لسانه ويعد من كلامه
من عمله واتقوا الله اطيعوا الله حق طاعته وقيل ان هذا نسخها قوله اتقوا الله ما استطعتم الاية لكن لا يحتمل ان يامر الخالق بشيء
ليس في وسعهم القيام به ثم تنسخ ذلك بما يستطاع ولكن اصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله على عباده حقا
ولعباده عليه حقا وحق الله على عبده ان يعبد الله ولا يشرك معه فيه وحق العبد على الله ان يدخله الجنة اذا عبده ولم يشرك معه
فيه احدا فيكون هذا تاويلا للاية ان قوله اتقوا الله ولا تكفرون فيكون فيه الامر بالايمان والنهي عن الكفر لانه ليس في وسع احد ان
يتقي الله حق تقاته في كل العبادة الا ترى الى ما روي عن الملائكة انها وصفوا من عبادتهم انهم لا يفترون ولا يسامون ثم
يقولون ما عبدناك حق عبادتك واذا كان احد لا يبلغ ذلك فلا يحتمل تكليف مثله وجملته ان ذلك ليس بزي حرج عناية فلذلك
والله اعلم الامر فيه راجع الى الاسلام او في نفي حق الاشراك خاصة لان في جميع الاحوال والافعال دليله ما ختم به الاية وفي وسع الخلق
ان لا يشركوا احدا في عبادته الا ترى انه قال ولا تموتن الا وانتم مسلمون وفي ظاهر الاية النهي عن الموت الا مسلما وليس في الموت
صنع للخلق والمعنى والله اعلم اي كونوا في حال اذا ادرككم الموت كنتم مسلمين فالنهي فيه نهي عن الكفر والامر بالاسلام حتى اذا ادرككم
وهو مسلم والله اعلم وقد يكون على بيان ان لا عذر عند الموت وان اشتد امرهم بالذي ليس باسلام وروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه

اذ قال اكثر ما يسلب الايمان عند الموت كان الشيطان يطمعه في امر لو اعطاه ما طلب ويحتمل قوله اتقوا الله حق تقاته اي احذروا عذاب الله حق حذره واحذروا نقمته كقوله يحذركم الله نفسه يعني نقمته وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا اختلف فيه قيل حبل الله يعني القران وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال حبل الله الجماعة وانما هلكت الامم الخالية بتفرقها امر بان يكون مع الجماعة ونهى عن التفرق لان اهل الاسلام هم الجماعة الا ترى انه قال في اية اخرى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وصف اهل دين الاسلام بالجماعة واهل اديان غيرها بالتفرق وعن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا قال حبل الله الجماعة وروي في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه يعني حبل الاسلام وروي عنه ايضا ان الشيطان ذئب كذئب الغنم يأخذ الشاذة والقاصية والناصية واياكم والشعاب وعليكم بالجماعة وهذا المسجد وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ثلاث مرات ثم قال يكون في امتي اختلاف فكيف نصنع يا رسول الله اذا كان كذلك قال عليكم بكتاب فان فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وهو حكم فيما بينكم من تركه من جبار يقصمه الله ومن تزل الهدى في غيره يضله الله وهو حبل الله المتين وامر الحكيم فهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تختلف فيه الالسنة ولا يخلقه كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وقيل حبل الله دين الله والحبل هو العهد كانه امر بالتمسك بالعهود التي في القران والقيام بوفائها والحفظ لها ونهى عن التفرق كما تفرق الامم الخالية واختلفت في الاديان وقوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الف بين قلوبكم بالاسلام وقيل بالقران ولم يكن ذلك الدين نفسه ولكن بلطف من الله من به على اهل دينه واخبر ان التاليف بين قلوبهم نعمة لان التفرق يوجب التباغض والتباغض يوجب التقاتل وفي ذلك النقض على قول المعتزلة ليس من الله على المسلم من النعمة الا ومثلها يكون على الكافر لان الهدى والتوفيق عندهم البيان فذلك البيان للكافر كهو للمسلم وعلى قولهم لا يكون من الله على احد نعمة لانهم لا يجعلون لله في الهداية فعلا انما ذلك من الخلق واما عندنا فانما يكون الاسلام بهدايته اياه فذلك من اعظم النعم عليه وقوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي صرتم بنعمته اخوانا وقوله وكنتم على شفا حفرة من النار اي كنتم استقبلتم حفرة من النار وهو القريب منها لولا انه من بالاسلام ويحتمل ان يكون على الكون فيها والوقوع لا القرب كقوله لترون الجحيم ليس على الرؤية خاصة ولكن على الوقوع فيها وكقوله ذوقوا العذاب ليس على البعد منها ولكن على الكون فيها ومثله كثير ترجم على الوقوع فيها وقوله حفرة كانه قال كنتم على شفا درك من دركات النار فانقذكم منها وهذا ايضا على المعتزلة لان على قولهم هم الذين ينقذون انفسهم لا الله على ما ذكرنا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله تعالى يقول اذ كان الله تعالى عندهم قد جمع بين الكفرة والبررة في بذل الاصلح لهم في الدين وليس منه غير ذلك فلا يجيء ان يمن عليهم به بتالف بنعمته والتي منه موجود مع التفرق بل اولئك تألفوا بنعمتهم وبعد فان النعمة لو كانت دينا فالذي كان منه حتى يمن ذلك فعلهم بلا فضل منه فيه والله اعلم وفي قوله وكنتم على شفا حفرة الاية ان قد يلزم خطاب الايمان حين الفترة لانهم في ذلك الوقت كانوا حق انقذوا والله الموفق وقوله كذلك يبين الله لكم اياته اذ كنتم اعداء في الجاهلية والكفر متفرقين وصرتم اخوانا في الاسلام كلهم واحد لعلكم تهتدون لكي تهتدوا نعمته ومنته قال الشيخ رحمه الله وقد يكون كذلك يبين الله لكم اياته في حادثات الاوقات لتكونوا فيها مهتدين كما اهتديتم فيكون في ذلك وعد التوفيق والبشارة بالثبات والله اعلم وقوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وقوله ولتكن منكم امة يحتمل ان يكون هذا خبرا في الحقيقة وان كان في الظاهر امرا فان كان خبرا ففيه دلالة ان جماعة منهم اذا قاموا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط ذلك عن الاخرين لانه ذكر فيه حرف التبعيض وهو قوله منكم امة الاية ويحتمل ان يكون على الامر في الظاهر والحقيقة جميعا ويكون قوله منكم صلة فان كان على هذا ففيه ان على كل احد ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وذلك واجب كانه قال كونوا امة يأمرون بالمعروف الاية لانه ذكر عز وجل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اي كثيرة من كتابه منها هذا ولتكن منكم امة الاية ومنها قوله كنتم خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وذم من تركها بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وروي عن عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنهما قال لقد اعياني ان اعلم ما فعل بمن امسك عن الوعظ فقلت انا اعلمك ذلك اقرأ الاية الثانية وانجينا الذين ينهون عن السوء فقال لي اصبت فاستدل ابن عباس رضي الله عنه بهذه الاية على ان الله اهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه ممن يعمله بجهل والله اعلم الممسكين عن نهي الظالمين مع الظالمين في العذاب وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليكون في القوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم اكثر منه واعز ولو شاؤوا ان يأخذوا على يديه لاخذوا على يديه فيعمهم الله فيعذبهم الله به وعن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمكم الله بعقاب من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم وعن ابي سعيد الخدري يذكر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسأل العبد يوم القيمة حتى يقول ما منعك

اذا رايت

اذا رايت منكرا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته فقال اي رب وثقت بك وفرقت من الناس وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ارأيت ان قلنا بالمعروف حتى لا يبقى بالمعروف الا ما عملنا وانتهينا من المنكر حتى لا يبقى ايسعنا ان لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر فقال مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه ولا ينبغي للرجل ان يقول لست ممن يعمل بالمعروف كله وينتهي عن المنكر كله فامر غيري وانهاه فان فعله المعروف واجب عليه فلا يجب اذا قصر في واجب ان تقصر في غيره وقوله كنتم خير امة اخرجت للناس يحتمل وجوها يحتمل كنتم اي صرتم خير امة اظهرت للناس بما تدعو الخلق الى النجاة والخير ويحتمل كنتم خير امة في الكتب السالفة بانكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويحتمل تكونون خير امة ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ويحتمل كنتم صرتم خير امة وكانوا كذلك هم خير ممن تقدمهم من الامم بما بذلوا مهجهم لله في نصر دينه واظهار كلمته والاشفاق على رسوله حتى كان احب اليهم من انفسهم ويروى ونا اولى والله الموفق ثم اختلف في المعروف والمنكر قيل المعروف كل مستحسن في العقل فهو معروف وكل مستقبح فيه فهو منكر ويحتمل الامر بالمعروف هو الامر بالايمان والنهي عن المنكر هو النهي عن الكفر دليله قوله وتؤمنون بالله الاية يؤمنون هم ويأمرون غيرهم بالايمان وينهون عن الكفر وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا لان التفرق هو سبل الشيطان بقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله من بعد ما جاءهم البينات والبينات هي الحجج التي اتى بها ويحتمل بيان ما في كتابهم من صفة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم و نعته الشريف ويحتمل تفرقوا عما نصح لهم الله ووضح لهم الرسل فابتدعوا لانفسهم الاديان بالاهواء فحذرنا ذلك وعرفنا ان الخير كله في الاتباع اتباع من جعله الله حجة له ودليلا عليه وداعيا اليه ولا قوة الا بالله واولئك لهم عذاب عظيم دل هذا ان السبل هو الذي يدعو الشيطان اليها وقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية وصف الله عز وجل وجوه اهل الجنة بالبياض هو غاية ما يكون به الصفا لان كل الالوان يظهر في البياض ووصف عز وجل وجوه اهل النار بالسواد فهو شبيه بالظلمة وقد يحتمل ان يكون المراد من وصف البياض والسواد ليس نفس البياض والسواد ولكن البياض هو كناية عن شرق السرور والفرح والسواد كناية عن شرق الحزن والا كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وصف وجوه اهل الجنة بالضحك وليس على حقيقة الضحك ولكن وصف بغاية السرور والفرح وكذلك وجوه اهل النار وصفها بالغبرة والقترة وهو وصف لشدة الحزن والله اعلم وقوله اكفرتم بعد ايمانكم يحتمل وجوها يحتمل اكفرتم بعدما امنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بوجودكم نعته وصفته في كتابكم وعلى هذا قال بعض اهل التاويل والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له اي على استجابة كثير منهم من الاجلة والكبراء الذين لا يعرفون بالتعنت في الدين ولا بالتقليد والله اعلم ويحتمل قوله اكفرتم انتم بعد امن منكم فرق لان منهم من قد امن ومنهم من كفر فقال لمن كفر اكفرتم انتم وقد امن منكم نفر لانه قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق والله اعلم وكقوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وقيل اراد بالايمان الذي قالوا حين اخرجوا من ظهر ادم وفي الاية رد قول المعتزلة بتخليد اهل الكبائر في النار واخراجهم اياهم من الايمان من غير ان ادخلوهم في الكفر لانه عز وجل لم يجعل الا فريقين بياض الوجوه وسواد الوجوه فبياض الوجوه هم المؤمنون وسواد الوجوه هم الكافرون لانه قال اكفرتم فاصحاب الكبائر لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة وكذلك قال عز وجل فريق في الجنة وفريق في السعير لم يجعل الخلق الا فريقين وهم جعلوا فرقا وكقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن فان قيل ذكر في الاية الكفر بعد الايمان ثم لم يكن فيه منع دخول لمن لم يكفر بعد الايمان فامتنع ان لا يكون فيه منع دخول صاحب الكبيرة قيل جوابنا ما سبق ان خلقة كل كافر تشهد على وحدانية الله تعالى لكنهم كفروا بالسنتهم وذلك كفر بعد الايمان فلم يجز ان يدخل في الاية من لم يكن كافرا في حكم الكافر وبالله التوفيق وقوله فذوقوا العذاب في الظاهر امر لكنه في الحقيقة ليس بامر لان العذاب لا يذاق وانما يذوق هو فكانه قال اعلموا ان عليكم العذاب وقوله تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق الاية يحتمل ايات الله وبراهينه ويحتمل ايات الله القران بالحق ببيان الحق ويحتمل بالحق بالدين والدين هو الحق قال الشيخ رحمه الله اي بالامر بالدعاء الى الحق ويحتمل بالحق الذي لله على عباده ولبعضهم على بعض وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان ما في السموات وما في الارض كله له ومن وصف الخالق بالظلم انما وصف لانه يضع حق بعض في بعض ويمنع حق بعض فيجعل لغير المحق فالله يتعالى عن ذلك وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يريد ان يظلمهم وان شئت قلت الارادة صفة لكل فاعل في الحقيقة فكانه قال لا يظلمهم فكيف يظلمهم وانما يظلم من ينفع نفسه اليه النفس او ضرر يدفع به فالغني بذاته متعال عن ذلك وقوله والى الله ترجع الامور اي اليه يرجع امر كل احد فلا يحتمل الظلم وجود الظلم منه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس انفعهم للناس وتأمرون بالمعروف اي تأمرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله والاقرار بما انزل الله وتقاتلون عليه ولا اله الا الله هو اعظم المعروف والمنكر هو التكذيب فهو انكر المنكر وعن علي رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قلنا يا رسول الله وما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم قال الشيخ رحمه الله كنتم خير امة اخرجت له وجهان اي كنتم على لسان الرسل في الكتب المتقدمة خير امة ويحتمل اي كنتم صرتم بايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعكم ما معه خير امة على وجه الارض

لانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض وقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر يتوجه الى وجوه تاويله المعروف هو المعروف
فى العقول اى الذى يستحسنه العقول والمنكر هو الذى قبحته العقول وانكرته ويحتمل ان يكون المعروف هو الذى عرف بالايات والبراهين
انه حسن والمنكر ما عرف بالحجج اى انه قبيح ويحتمل ان المعروف هو الذى جرى على السن الرسل انه حسن والمنكر هو الذى انكروه ونهوا عنه
فعلى هذه الوجوه يخرج تأويل الاية والله اعلم وقوله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لاشك ان الايمان خير لهم من الكفر ولكن معناه والله
اعلم انهم انما ابوا الايمان وتمسكوا بالكفر لوجهين احدهما انهم كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم واهل دراية الكتب بينا بالهم الناس و
يختلفون اليهم بحوايجهم فخافوا ذهاب ذلك عنهم اذا امنوا فاخبر الله عز وجل انهم ان امنوا لكان خيرا لهم من الذكر والشرف والعز فى اهل
الايمان اكثر مما لهم فى اهل الكفر الا ترى ان من امن منهم من درية الكتاب وعلمائهم كان لهم من الذكر والشرف فى الايمان ما لم يكن لاحد ما دام
منهم على الكفر نحو عبد الله بن سلام ومن اسلم منهم نحو كعب وغيره من الاحبار وانما كانوا من علمائهم لم يكونوا من علماء اهل الايمان من الذكر
والعز والشرف ما لم ينل احد منهم مات على الكفر بل جل ذكرهم وانتشر فى اهله فضلا فى اهل الايمان والاسلام والله اعلم والثانى انهم كانوا
ابوا الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم للخبار والمقام على الكفر خوفا واشفاقا على ما لهم من المنافع والمنال ان يذهب ذلك عنهم بالاسلام
فاخبر عز وجل انهم لو امنوا لكان خيرا لهم فى الاخرة اذ ذاك ينقطع ويذهب عن قريب والذى لاهل الايمان فى الاخرة باق دائم لا يزول
ابدا لما كان الذى تنال بالايمان غيب وكذلك ما يحل بالكفار من جزاء الكفر غيب اشتد عليهم الكفر والتدبر فلا يمنعهم عن الشهوات و
ينقص عليهم اللذات فاثروا ما هوته انفسهم وتلذذوا به على التدبر بما كان ادراك الغائب بالشاهد امر عسير لا يوصل اليه الا بنصر
الله ولم يكن عليه ذلك لا يسقط معنى الافضال والانعام ويصير حقا مما كان منهم بتقديم الجفاء وايثار زهرة الدنيا وبهجة الغنى
على الموعود والله اعلم وقوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون كذلك كانوا كان المؤمنون اقل والكفار اكثر والله اعلم وقوله ان
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والامن لهم عن اذى المشركين وهو دفع
الاذى باللسان وهو كقوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب وقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الاية ونحو
من الايات التى فيها بشارة لاهل الايمان بالنصر لهم على عدوهم وفى قوله لن يضروكم الا اذى الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه و
وسلم لانه اخبر بذلك قبل ان يكون فكان على ما اخبر فدل انه انما علم ذلك بالله عز وجل وقوله ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل
من الله وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ضربت عليهم المسكنة وليس فيه الذلة وفى حرف حفصة ضربت عليهم المسكنة والذلة ثم
اختلف فى الذلة قيل هى الجزية التى ضربت عليهم وهى ذلة كقوله عن يد وهم صاغرون لانهم كانوا يانفون عنها وقوله اينما ثقفوا
اى وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يعنى بعهد من الله وعهد من الناس يكون تحت قوم يؤدون الجزية وكذلك قال ابن عباس
رضى الله عنه بحبل من الله وحبل من الناس اى بعهد من الله وعهد من الناس وقال مقاتل رضى الله والناس فى هذا الموضع النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم خاصة ويحتمل قوله وضربت عليهم الذلة بكفرهم فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل ذكر وشرف وعز فيما بينهم اينما ثقفوا اى
لا يوجدون الا بحبل من الله وحبل من الناس بالاسلام اى لا يظفرون بهم ولا يوجدون الا ان يسلموا فيهم على انفسهم وقوله وباؤا
بغضب من الله قيل استوجبوا غضبا من الله بكفرهم وقيل رجعوا وقيل وجب عليهم الغضب وقد ذكرنا هذا فى غير موضع والله اعلم وقوله
وضربت عليهم المسكنة وهى الحاجة والفقر وهو ما ذكرنا انهم ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قربهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وبعدهم بالمشركين فاذلهم الله تعالى بذلك وجعلهم اهل حاجة وصنعة فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل عز
وشرف فيما بينهم وهو كقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب الاية قال الشيخ رحمه الله
وقد يحتمل رجوع الاية الى خاص منهم وهم الذين ذكر الله فى قوله وانزل الذين ظاهروهم الاية وغير ذلك مما يصير فيه المسلمون تعرف
حقيقة المراد من شهد النوازل وعرف الاسباب التى جاءت بها البشارات ويحتمل ان الله تعالى جعل كل حاجتهم الى ما يغنى وهو الدنيا التى
لا بقاء لها ولا منفعة فى الحقيقة فهى حاجة ثم بلاهم بالجهل ان ذلك فيهم حاجة ويحتمل ان الله تعالى مع سعة عليهم الدنيا جعل فى قلوبهم خوف
الفقر واعظم الحاجات فهى المسكنة وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات وايات الله ما ذكرنا فى غير موضع وقوله ذلك بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق يحتمل وجوها يحتمل انه اوائلهم قد قتلوا الانبياء بغير حق وهؤلاء رضوا بذلك وان
كانوا لم يتولوه بانفسهم فاضاف الله تعالى ذلك اليهم لانهم شركوا فى صنيعهم برضاهم وهو كقوله من قتل نفسا بغير نفس وكانما قتل الناس
جميعا ويحتمل ان يكونوا قصدوا قصد قتل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا قصدوا ذلك فكانهم قصدوا الانبياء كلهم كما ذكرنا فى قوله من قتل
نفسا الاية ويحتمل ان يكونوا هموا قتل محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون غيرهم بابائهم اذ هم قد روى فى الذين فيقتن سوء صنيعهم بالانبياء
عليهم السلام ليعرفوا بسفههم وسفه كل من قصد تقليدهم والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قتل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاضاف اليه وهو كما
اضاف مخادعتهم المؤمنين الى نفسه وكما اضاف نصر اوليائه اليه وان كان الله لا يخادع ولا ينصر وعلى ذلك اضاف قتل اليه لقتلهم
الاتباع والله اعلم وقوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة قائمة يتلون ايات الله الاية اى لا يستوى بين من امن منهم يعنى من اهل الكتاب
ولم يؤمن منهم لان منهم من قد امن فصاروا امة قائمة قيل عدلة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقيل امة قائمة على

حدود الله وفرايضه وطاعته وكتابه لم يحرفوه وقيل امة قائمة مهتدية وهم الذين امنوا منهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه
قال امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل واطراف النهار امة محمد صلى الله عليه وسلم يصلون ولم يكن هذا للامم السالفة وفى حرف
حفصة ليس اهل الكتاب بسواء منهم امة قائمة كقوله تعالى فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات واما الذين فسقوا فماواهم النار الاية وقوله وهم يسجدون يحتمل قوله وهم يسجدون اى يصلون ويحتمل
يسجدون يخضعون والسجود هو الخضوع يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف اى يؤمنون بانفسهم ويأمرون غيرهم
بالايمان ويدعون اليه وينهون عن المنكر يعنى الكفر ويحتمل يأمرون بالمعروف كل معروف وينهون عن المنكر كل منكر وقد ذكرنا
هذا ويسارعون فى الخيرات كلها واولئك من الصالحين وقيل مع الصالحين فى الجنة قال الشيخ رحمه الله عليه اى ومن ذلك فعله
فهو صالح وقوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن يرد ذلك عليكم بل يقبل بل يجزون به فى الاخرة قال الشيخ رحمه الله اى كيف
تكفره وهو الشكور الذى يقبل اليسير ويعطى الجزيل وهو فى حرف حفصة فلن تكفروه اى لن تتركوه دون ان يجزوا عليه وان
قل ذلك كقوله وان تك حسنة يضاعفها معناه والله اعلم ما ذكر وان يتركم اعمالكم وقيل لن يظلمكم وقيل لن ينقصكم وقيل فلن
يضل عنكم بل تشكر ذلك لم يغنى فلن يضيع عند الله والله اعلم والله عليم بالمتقين ظاهر وقوله ان الذين كفروا لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال الشيخ رحمه الله عليه فهو والله اعلم ان بمثله يكون التناصر فى الدنيا لكن الذى
كان فيها لا ينفع فى الاخرة بل يكون كما قال الله عز وجل يوم يفر المرء الاية ثم لا مال لهم ولا لو كان فينفع وذلك انهم ظنوا ان
كثرة الاموال والاولاد تمنعهم من عذاب الله كقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر عز وجل ان كثرة الاموال والاولاد
لا تغنى عنهم من عذاب الله شيئا وقوله عز وجل مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
ضرب مثل نفقة الكفار التى انفقوها بريح فيها صر اصابت حرث قوم وذلك والله اعلم انهم كانوا ينفقون ويعملون جميع الاعمال من عبادة
الاصنام والاوثان ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ظنوا ان تلك الاعمال والنفقات التى انفقوها فى صلة الناس تنفعهم
فى الاخرة وتقربهم الى الله فاخبر انها لا تنفع فكان كالريح التى فيها صر وبرد ظنوا ان فيها رحمة وشيئا ينفع زروعهم وينميها فاذا فيها
نار احرقت حرثهم كما طمعوا من اعمالهم ونفقاتهم التى فى الدنيا بالاخرة قربة وزلفة اليه فاذا هى مهلكة لا بد انهم كالريح التى فيها صر كانت
مهلكة محرقة لزروعهم وحرثهم والله اعلم والصر هو البرد الشديد وقيل الصر الصوت كقوله فاقبلت امراته فى صرة فصكت وجهها وقيل
هى الصوت وقيل مثل ما ينفقون فى الصد عن سبيل الله وفى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله الذين ينفقون اموالهم ليصدوا الاية
اى يتاسفون على ما انفقوا تاسف صاحب الزرع على ما كان انفق فيه والله اعلم وقوله وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون والظلم
ما ذكرنا هو وضع الشىء فى غير موضعه فهو والله اعلم قال هم الذين وضعوا انفسهم فى غير موضعها لان وضع الله انفسهم ذلك الموضع
لانهم عبدوا غير الله ولم يجعلوا انفسهم خالصين سالمين لله فهم الذين ظلموا انفسهم حيث اسلموها لغير الله وعبدوا ونحو ذلك وضعوها
فى غير موضعها لان وضعها موضعها هو ان يجعلوها خالصة لله سالمة له وقيل ما ضروا الله بعبادتهم شيئا وبكفرهم بل انما ضروا انفسهم
اذ لا حاجة له الى عبادتهم والله الموفق قال الشيخ رحمه الله تعالى عليه تقديم وتاخير واصل ذلك ان الله قد وضع كل نفس الخلق بموضع
العبودة فجعلوها عبدة غيره وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اختلف فيه قيل نهى الله المؤمنين ان
يستدخلوا المنافقين او يواخوهم او يتولوهم دون المؤمنين وقيل فى حرف حفصة لا تتخذوا بطانة من دون انفسكم يعنى من دون
المؤمنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال نهى الله المؤمنين ان يتخذوا اليهود والنصارى والمنافقين بطانة دون اخوانهم
من المؤمنين فيحدثونهم ويفشون اليهم سرهم دون المؤمنين والبطانة قيل هم الاخوان ويجعلونهم موضع افشاء سرهم قال الشيخ
رحمه الله والنهى عن اتخاذ الكافر بطانة لوجهين احدهما العرف به اذ كل يعرف بمن يصحبه والثانى الميل اليه بما يريه عدوه انه حسن العشرة
وحسن الصحبة معافيه الاسقاط عما به يستعان على امر الدين والاغفال عن حقه وقوله لا يالونكم خبالا اى يقولون لا يتركون جهدهم
فى فساد امركم وقوله ودوا ما عنتم اى يودون ويتمنون ما اثمتم قال الشيخ رحمه الله اى ودوا ان تشاركوهم فاشياء يوبخكم ويعيبكم
عليه وقيل العنت الضيق اى ذلك قصدهم كالاية التى تتلوهم وقوله قد بدت البغضاء من افواههم من قال ان اول الاية فى المنافقين يقول
قوله قد بدت البغضاء من افواههم ما ذكر فى اية اخرى ولتعرفنهم فى لحن القول انهم كانوا يعرفون المنافق فى لحن كلامه قال الشيخ رحمه الله
فى قوله قد بدت البغضاء من افواههم ما كان من التعريض بقوله ان الناس قد جمعوا لكم واظهار السرور بنكبتهم وان منكم لمن ليبطئن
الاية وقوله وما تخفى صدورهم اكبر وذلك كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون العداوة والخلاف لهم والسعى فى هلاكهم فما كانوا
يضمرون اكثر مما يظهرون ومن قال بان الاية فى الكفار فهو ظاهر وقوله قد بدت البغضاء من افواههم من الشتيمة والعداوة ويضمرون
اكثر من ذلك من الفساد والشر والله اعلم وقوله قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون يحتمل قوله ان كنتم تعقلون الايات ويحتمل ان
كنتم تنتفعون بعقولكم لانه عز وجل ذكر فى غير اى من القران انهم لا يعقلون وقد كان لهم عقول لكنهم لم ينتفعوا فنفى عنهم العقل راسا
وقوله ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم من قال ان اول الاية فى المنافقين فهذا يدل له ويشهد لانه قال واذا لقوكم قالوا امنا الاية

يقول ها انتم يا هؤلاء المسلمين تحبونهم يعني المنافقين ولا يحبونكم على دينكم قال الشيخ رحمه الله وفي الاية بيان ان اولئك
قوم يحبهم المؤمنون اما بظاهر الايمان او بظاهر الحال منهم من طلب مودتهم فاطلع الله المؤمنين على سرهم لئلا يغتروا بظاهرهم ويكون
حجة لهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم بما اطلعه الله على ما اسروا والله اعلم ومن قال ان اول الاية في الكفار يجعل قوله ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم على الابتداء والقطع من الاول لانه وصفهم بصفة المنافقين ووسمهم بسمتهم وليس في الاول ذلك **وقوله** عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم هو على التمثيل يقال عند شدة الغضب فلان يعض انامله على فلان وذلك اذا بلغ الغضب غايته هم
قال الشيخ رحمه الله في قوله قل موتوا بغيظكم ان ما كان تغيظهم ما كان للمسلمين من السعة والنصر والكثرة والعز فيكون في ذلك
دعاء لهم بتمام ذلك حتى لا يروا فيهم الغير والله اعلم وفي حرف حفصة قل موتوا بغيظكم لن تضروا شيئا ان الله عليم بذات الصدور
على الوعيد **وقوله** ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال ليس هذا وصف المنافقين في الظاهر لانهم كانوا يطمئنون عند الخيرات لكنه يحتمل
انهم كانوا يطمئنون بخيرات تكون لهم لا للمؤمنين وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ذكر في القصة انهم اذا رأوا للمسلمين الظفر على عدوهم
والغنيمة يسوءهم ذلك واذا رأوا القتل والهزيمة عليهم يفرحون به ويسرون وقيل اذا رأوا للمؤمنين الخصب والسعة ساءهم واذا رأوا
لهم القحط والجدب وغلاء السعر فرحوا به لكن هذا يحتمل في كل خير رأوا لهم اهتموا لذلك وفي كل مصيبة ونكبة رأوا لهم فرحوا بها **وقوله**
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وعد النصر بشرط لا يضركم كيدهم شيئا اخبر ان المؤمنين اذا اتقوا وصبروا ان لا يضرهم كيدهم
شيئا حتى يعلم ان ما يصيب المؤمنين انما يصيب بما كسبت ايديهم **وقوله** ان الله بما تعملون محيط على الوعيد **وقوله** واذ غدوت من
اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قوله تبوئ قيل تهيئ للمؤمنين امكنة القتال وقيل تبوئ تنزل المؤمنين وقيل تبوئ للمؤمنين
تتخذ للمؤمنين مقاعد القتال للمشركين وقيل تبوئ توطن وقيل تستعد للقتال كله يرجع الى واحد ثم اختلف في اي حرب كان واي
يوم قال اكثر اهل التفسير كان ذلك يوم احد وقيل انه كان يوم الخندق وقيل كان يوم الاحزاب فلا يعلم ذلك الا بخبر بصح انه
كان يوم كذا لكن في ذلك ان الايمة هم الذين يتولون امر العساكر ويختارون لهم المقاعد وعليهم وتعاهد احوالهم ودفع الخلل والضياع
عنهم ما احتمل وسعهم وعليهم طاعة الايمة وقبول الاشارة من الامام وذلك في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم ذكر مقاعد القتال في هذه الاية لكن الذي لزم من ذلك في اية اخرى ذكر الصف بقوله عز وجل بقوله ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وذكر في اية اخرى الثبات بقوله عز وجل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والاصل انهم
امروا بالثبات فالاحسن ان يختار لهم امكنة لهم بها معونة على الثبات والله اعلم بقوله عز وجل اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا فيه رخصة الحيلة على العدو واباحتها وان كان فيها تولي الادبار ويحتمل ان يكون اراد
بالمقاعد الاماكن والمواطن للقتال والله اعلم **وقوله** عز وجل والله سميع عليم يحتمل سميع لمقالتكم عليم بسرائركم ويحتمل سميع بذكركم الله
والدعاء له لانهم امروا بالذكر لله والثبات للعدو وبقوله عز وجل فاثبتوا واذكروا الله كثيرا او عليم بثوابكم ويحتمل قوله سميع عليم
البشارة من الله تعالى عز وجل بالنصر لهم والامن عن ضرر يلحقهم كقوله تعالى عز وجل لموسى وهارون فقولا له قولا لينا الاية فقالا
انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى ثم قال عز وجل لا تخافا انني معكما اسمع وارى امنهما من صنيعها بقوله عز وجل اسمع وارى فعلى
ذلك يحتمل ذا في قوله عز وجل سميع عليم ويكون سميع اي اسمع دعاءكم بمعنى اجيب واعلم ما به نصركم وظفركم والله اعلم **وقوله** عز وجل
اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قوله همت يحتمل ان همّوا هم خطر ويحتمل ان همّوا هم عزم وكذلك هذا التاويل في قوله ولقد همت به وهم
بها همت هي به هم عزم وهم بها هم خطر وهم الخطر يقع من غير صنع من صاحبه وهم العزم يكون بالعزيمة والقصد وقوله همتان تفشلا و
الفشل ليس مما ينهى عنه لانه يقع من غير فعله لكنه والله اعلم هموا ان يفعلوا فعل الفشل وذكر في القصة ان الطائفتين احدهما كانت من بني
كذا والاخرى من بني كذا فلا يجب ان يذكر والان يقرؤا بذلك وقيل انهم كانوا فرحوا بذلك وكانوا يقولون نحن كنا فعلنا وما يجب
ان لا يكون في قوله والله وليهما ظهر لنا ولا بد انه ولعل يكن لم يظهر **وقوله** والله وليهما قد ذكرنا هذا في غير موضع ان الولي قيل
هو الناصر وقيل هو الحافظ وقيل انه اولى بهم قال الشيخ رحمه الله المؤمن يعلم علم اليقين ان من ينصره الله لا يغلبه شيء ومن يخذله
الله لا ينصره شيء **وقوله** وعلى الله فليتوكل المؤمنون حق على المؤمنين ان لا يتوكلوا الا على الله عز وجل قال الشيخ رحمه الله عليه
فتوكل اي اعتمد على ما وعد واجتهد في الوفاء بما عهد وفوض كل امر الى الله اذ علم انه بكلية لله واليه مرجعه وبهذه الجملة
عهدان ينصر دينه ولا يولي عدوه دبره والله اعلم **وقوله** ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة يذكرهم عز وجل ان لا يتوكلوا الى
انفسهم لكثرتهم ولقوتهم ولعدتهم ولا تثقوا باحد سواه بل على الله يتوكلون واليه يكلون وبه يثقون لانه اخبر انهم كانوا
ضعفاء فنصرهم وامدهم بالملائكة حتى قهروا عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم يوم بدر ويوم احد كانوا اقوياء كثيرة العدد
فوكلوا الى انفسهم فكانت الهزيمة عليهم **وقوله** فاتقوا الله يعني اتقوا معاصيه لعلكم تشكرون فيه دليل ان الشكر انما يكون
في طاعته معا واتقاء معاصيه وان المحنة انما تكون في الشكر لما انعم عليه والتكفير لما سبق منه من الجفا والغفلة والله
اعلم **وقوله** اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين وذكر في سورة الانفال بالف

من الملا

من الملائكة مردفين فاختلف فيه قيل كانوا عشرة الاف لانه ذكر مرة ثلاثة الاف ومرة خمسة الاف ومرة الف مردفين
فيكون الفان فذلك عشرة الاف وقيل كانوا تسعة الاف ثلاثة الاف وخمسة الاف والف وقيل كانوا كلهم خمسة الاف
ثلاثة الاف والفان مددا لهم ثم اختلف فيه قال بعضهم كان يوم احد وقال الاخرون يوم بدر **وقوله** فاستجاب لكم ربكم
اني ممدكم بالف من الملائكة يوم بدر ولا ندري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة سوى ان فيه بشارة
للمؤمنين بالنصر لهم والمعونة بقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به جعل في ذلك تسكين قلوب المسلمين ثم اختلف
في قتال الملائكة قال بعضهم قاتل الملائكة الكفار وقال الاخرون لم يقاتلوا ولكن جاؤا بتسكين قلوبهم ما ذكر في الاية ولا يحتمل
القتال لانه ذكر في الاية ويقللكم في اعينهم ولو كانوا يقاتلون لم يكن لما تقلل معنى ولان الواحد منهم كاف بجميع المشركين الا ترى
ان جبريل عليه السلام كيف دفع قريات لوط الى السماء فقلبها فدل انه لما ذكرنا والله اعلم وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم احد فلا
ندري كيف كان الامر **وقوله** مسومين قيل منزلين ومسومين سواء وهو من الارسال من التسويم وقيل معلمين بعلامة ودل ذلك
والله اعلم ليعلم المؤمنون حاجتهم الى العلامة لان الملائكة يحتاجون الى العلامة وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت **وقوله** وما النصر الا من عند الله ليعلم ان في النصر لطفا من الله
لا يوصل اليه بشيء من خلقه لانه نفاه عنهم مع مدد الملائكة ليعلم ان كل منصور على اخر انما كان ذلك من الله عز وجل **وقوله**
ليقطع طرفا من الذين كفروا الاية قال قتادة كان يوم بدر قتل صناديدهم وقادتهم في الشر وقيل طرفا من الذين كفروا يعني
اهل مكة **وقوله** او يكبتهم قيل يخزيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الكبت الهزيمة وقيل الكبت هو الصرع على وجهه
وقوله فينقلبوا خائبين والخائب هو الذي لم يظفر بحاجته اي رجعوا ولم يصيبوا ما املوا قال الشيخ رحمه الله ما ذكر من
حضور الملائكة الحرب فهو والله اعلم في حق محنة الملائكة ونعم ان يمتحنهم بما شاء من الحضور والمعونة والكف عن ذلك
او الدعاء لاولياته بالنصر وبما شاء الله من الوجوه التي يمتحن بها عباده وفيهم من هذا محنته على الارزاق والارواح والامطار
والاعمال وانواع الاذكار والافعال الا ذلهم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته وطاعته في جميع ما يامرهم ليجلوه قدرهم ويعلي
رتبتهم ثم لو اذن لهم بالمعونة اعانوا المؤمنين على قدر الاذن لهم اذ هم على ما وصفهم الله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وقوله يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ونحو ذلك ما وصفهم بالطاعة له والاتباع لامره وما اكرمهم من هيبة
جلاله وخوف عقابه صلوات الله عليهم اجمعين ثم كان للمؤمنين في حضورهم انواع البشارات فيما لم يكن اذن لهم بالقتال
وانواع الايات فيما قد اذن لهم على ما ذكر من امر بدر وغيره مما اخبر الله عز وجل من ارسال جنوده وهزيمة اعدائه بمنه وفضله
من ذلك ما قال الله عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا الاية ان يكون الله يؤيدهم بما به تشجيع قلوب
المؤمنين على ما قد امكن اعداء من انواع الوسواس التي لديها يضطرب قلوبهم وتزل اقدامهم فمثله يمكن اولياءه في تشجيع
المؤمنين وليسكن في قلوبهم ويثبت اقدامهم والله اعلم والثاني ان يكون الذي جبل عليه الخلق ان يكون كل احد عند معاينة الحاجة
الى دعاية وما يحتمل وسعه من معونة عليه اقبل وبه ارغب فيكون للمؤمنين بحضورهم رجاء رجاء النصر بعانهم ويخرج قوله
انا لننصر رسلنا الاية وقوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم والله اعلم او كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصره بيشرهم
بحضورهم فيكون لهم بذلك فضل ثبات وقرار حيا منهم بما علموا اطلاعهم على ذلك او يكون لهم فضل قوة بذلك واقبال على
الامور المهمة والا اكثر واعلى ذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم ولعلم ايضا بما يعلمون انهم لو اطاعوا الله وثبتوا لاعدائه ادام النصر
والدفع فكان ذلك بعض ما يستبشرون وعلى ذلك اكثر ما بلي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهزيمة انما كان يصير في قلوبهم
الى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والاعجاب بالكثرة ونحو ذلك ثم من اعظم الاعلام في ذلك ما قال الله عز وجل
وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فتكون البشارة والطمانينة بالذي جبل عليه البشر
على ما يثبت ويكون النصر من عند الله الذي متى اراد نصر احد لن يغلب قلت اعوانه او كثرت وذلك لطف من الله العزيز العليم
يريهم النصر من الوجه الذي لا يعلمه الا هو وفي حال لا نفس من انفسهم ان يقوم لعدوهم ليعلموا اعظم لطفه الذي بمثله
ارتفعت درجات الاخيار وشرفت منازلهم ولو كان لهم بالاذن على ما ذكر من فوق جبريل عليه السلام في قلب قريات لوط يجنا
واحد لم يكن يقوم لمثله اهل الارض فضلا من عدد يسير منهم ولكنهم لا يتقدمون بين يدي الله والله لم يكن اذن لهم في القتال عند
كل مشهد والله اعلم **وقوله** عز وجل ليس لك من الامر شيء انما ذلك الى الواحد القهار الذي لا شريك له ولا ند كقوله يقولون هل لنا
من الامر من شيء قل ان الامر كله لله **وقوله** او يتوب عليهم او يعذبهم الاية فيه انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم معنى قولا وفعلا
حتى نزل قوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم ولكنا لا نعلم ذلك المعنى غير انه قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله
عليه وسلم شج يوم احد في وجهه وكسرت رباعيته فدعا عليهم فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وقيل ان سرية من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرجوا الى قتال المشركين يقاتلونهم حتى قتلوا جميعا فشق على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بقتلهم فدعا عليهم

باللعنة يعني على المشركين اربعين يوما في صلوة الغداة فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم العن ابا سفيان اللهم العن فلانا حتى امن نفر منهم فنزل قوله ليس لك من الامر شيء الاية وقيل ان نفرا من المسلمين
انهزموا فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ليس لك من الامر شيء فامره بكف الدعاء عنهم والله اعلم بالقصة في ذلك وقوله او
يتوب عليهم او يعذبهم فان كانت القصة في الكفار فكانه طلب التوبة والهدى وافرط في الشفقة فقال ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم
فيهديهم لدينه او يعذبهم على كفرهم فانهم ظالمون كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فان كان في المؤمنين فقوله
او يتوب عن ذنبهم الذي ارتكبوا او يعذبهم بذنبهم ولا يعفو عنهم والله اعلم بذلك وقوله ولله ما في السموات وما في الارض الاية فيه دلالة
ما ذكرنا في قوله ليس لك من الامر شيء انما الامر الى الله الذي له ما في السموات وما في الارض هو الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي قوله
ليس لك من الامر شيء لجواز العمل بالاجتهاد لانه صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد لا بالامر حتى منع عنه قال الشيخ رحمه الله قوله ليس لك من الامر
شيء يحتمل ان يكون على لزوم ما جبل عليه البشر ما راى في ذلك صلاح الخلق وما عليه التدبير بحيث الاطلاق فقيل هذا وان يكون على
ما رايت فليس لك من امر هذا شيء واما الذي لك الصفح عن ذلك والاعراض والله اعلم ما كان ويحتمل ان يكون يبتدئ القول به من غير ان
سبق منه ما يعاتب عليه او يمنع منه ليكون ابدا مقبلا نحو الاذن له في كل شيء والامر ولا يطمع نفسه في شيء لم يسبق له البشارة به
على ان النهي والوعيد امران جائزان وان كان قد عصم عن ركوب المنهي ووجوب الوعيد اذ هنالك يظهر رتبة العصمة ولا قوة الا بالله
والظاهر ان يكون على لزوم استعجل ذلك من دعاء الهلاك او الهداية لقبول الحق والخضوع فنقول ليس لك شيء من ذلك في احد على الاشارة
انما ذلك الى الله يصنع فيهم ما عنده من الثواب والتعذيب على قدر ما يعلم من اقبالهم على الطاعة له او نفارهم عنها والله اعلم وقوله يا ايها
امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة قوله لا تاكلون الربوا كقوله وذروا ما بقي من الربوا فيه نهي عن الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد
نهوا عنه فعلى ذلك قوله لا تاكلوا الربوا اي لا تاخذوا وقوله اضعافا مضاعفة فان قيل ما معنى النهي عن المضاعفة وغير المضاعفة
حرام لكنه يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون هذا قبل تحريم الربوا فنهوا عن اخذ المضاعفة ويحتمل قوله لا تاكلوا الربوا اي لا تكثروا اموالكم
باخذ المضاعفة ويحتمل اضعافا مضاعفة اي لا تصروا على استحلال الربوا فتبقون عليه اخر الابد ويحتمل اضعافا مضاعفة تضعيف
العذاب ويحتمل ما قيل كان احدهم يبايع الرجل الى اجل فان احل الاجل زاد في الربح وزاد الاخر في الاجل كان ربوا الجاهلية قال الشيخ رحمه الله
في قوله لا تاكلوا الربوا يحتمل الاكل لانه نهاية كل كسب ويحتمل الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه وقوله وذروا ما بقي من الربوا وقوله
اضعافا مضاعفة في الاخذ اي لا تاخذوا ليكثر اموالكم ويتضاعف وابذلك تضاعف اموالكم الى غير حد وليس فيه ان القليل ليس بمحرم لكن
ذلك هو مقصود اهله فنهوا عن ذلك وحرمة القليل بغير ذلك من الايات ويحتمل ان يكون في نازلة عليها خرج النهي لا على انه بدونه ذلك
ولو كان على حقيقة الاكل فهو على النهي عن التوسيع بالربوا والامر بالعود الى ما لا ربوا فيه وان كان في ذلك ضيق والله اعلم ويحتمل ان يكون
في الاية اضمار فيقول لا تاكلوا الربوا فانكم ان اكلتموه بعد العلم بالتحريم تضاعفت عليكم المأثم والعقوبات وقد جعل الله للربوا اعلاما
دلت على ما غلظ شانها نحو ما وصف من لا يتقيه بالخروج بحرب الله وحرب رسوله عليه السلام وبالتخبط يوم القيامة وانتفاخ
البطن وما جرى في معاقبة اليهود بتحريم اشياء بمكان ذلك وقوم شعيب ما حل بهم بانذرهم بتعاطي الربوا واتقوا الله ولا تاخذوا الربوا
ولا تستحلوه لعلكم تفلحون وقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين فيه دلالة انها انما اعدت للكافرين لم تعد لغيرهم فذلك يرد على
المعتزلة خلدوا اصحاب الكبيرة في النار والله تعالى يقال انها اعدت للكافرين وهم يقولون ولغير الكافرين قال الشيخ في قوله اعدت
للمتقين يحتمل الذين اتقوا الشرك كقوله هدى للمتقين ويحتمل للذين اتقوا جميع انواع المعاصي فان كان التاويل هو الاول وكل من لم يستحق
بفعله اسم الكفر فهو في الاية اذ قال في النار اعدت للكافرين لم يجز ان يكون مما بها لغيرهم لوجهين احدهما اذ لا يجوز ان يكون الجنة و
المعدة للمؤمنين تكون لغيرهم فكذلك النار المعدة للكافرين وهذا ولم يجز القول في ايجاب الجنة لمن لا يكون منه الايمان نحو
الذرية وفساد القول فيهم بالنار والله اعلم والثاني انها اذ جعلت لغيرهم او اعدت لغيرهم لكان لا يكون للكفر فضل هيبة ولفعله فزع
في القلوب بوجود ذلك ومعلوم ان ذلك بالعواقب لا بنفس الفعل ثبت انه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها حتى يكون لمن اعدت له ولغيره
اثر وتحذير لا يتحقق ذلك كله والله اعلم وان كان التاويل هو الثاني من اتقاء جميع المعاصي فيكون لذلك بعد عبارتان احدهما ان قد
ظهر اهل الجنة واهل النار وبينهم قوم لم تبلغ بهم الذنوب الشرك فليدخلون في الوعيد بالنار المعدة لهم ولا اتقوا جميع المعاصي فيكونوا
في الوعد المطلق فيمن اعدت له الجنة فحق الوقف فيه حتى يظهر ذلك في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي قوله اولئك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم وغير ذلك من الايات العفو والمغفرة وما كان ذلك واجبا في
الحكمة فيكون القائم يستحق وصف العدل لا العفو والمغفرة ثبت ان ذلك فيما قد وجبا ويكون فيمن يجزيهم خوام ويدخلهم الجنة اذا
خبر انه لا يجزي السيئة الا بمثلها وبالتخليد مضاعفة ذلك من وجهين احدهما انه عذاب الكفر وهذا دونه والثاني منع لذة الحسنة هم
بكليتها بل حق ذلك ان يكون كقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية ان يجزي بالامرين جميعا ولا قوة الا بالله والثاني انه قد جاء بمقابلة
السيئة من الحسنات ومقابل كل انواع من المعاصي من الطاعات وقد وعد على الحسنة عشر امثالها فمحال ان يقابل مثل الذي دون الشرك

من السيئات الشرك في احباط العمل ولا يقابل مثل الذي دون الايمان في احباط الذنوب ويجب له الجنة ثم مع ذلك الايمان الذي
لا ارفع منه وهو الذي يبعثه على الخوف والرجاء وقت الاساءة وعلى انه لو خشي على نفسه كل بلاء ورجاء كل يقع في الكفر ربه لم يؤثر
ذلك معا وعد على الحسنة عشر امثالها ثم يبطل الزيادة ذلك كله ويلزم المخالف القول فيه بالكرم والعفو والرحمة ولا قوة الا بالله وقوله
واطيعوا الله والرسول ذكر والله اعلم طاعة الرسول لان من الناس من لا يرى طاعة الرسول فامر عز وجل طاعة رسول الله ليبلغ جميع
امر الله ولا امر رسوله وان من اطاع الله ولم يرى طاعة رسوله فهو لم يطع الله في الحقيقة ويحتمل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما بين في
او دعا او بلغ والقصد في الاية الى فرض طاعة الرسول واطيعوا الرسول في امره ونهيه كما اطعتم الله في امره ونهيه وقوله عز وجل وسارعوا
الى مغفرة من ربكم يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله عز وجل لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة فيكثروا اموالكم وحقيقته وسارعوا
الى ما فيه وعد المغفرة من ربكم بالاجابة له الى ما دعا والقيام بحق ما اتاه وقوله عز وجل واتقوا الله في استحلال الربوا لان من يستحل
محرما فقد كفر وحقيقته اتقوا ما اوعدكم ربكم عليه النار واصل الطاعة الايتمار بامر المطاع في كل امر فمن اطاع الله فيما امر واطاع رسوله
رحمه ربه وفي الطاعة رحمة الخالق على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن تدخلوا الجنة تراحموا قالوا كلنا نرحم يا رسول الله
قال انه ليس رحمة الرجل ولده ولكنه رحمة عامة وقوله واطيعوا الله في تحريم الربوا واطيعوا الرسول في تبليغه اليكم تحريم الربوا والنهي
عن اخذه لعلكم ترحمون اي ترحموا الناس وترحموهم في ترك اخذ الربوا ترحمون انتم وتنجون من النار ومن عذاب الله ثم قال وسارعوا
الى مغفرة من ربكم اي بادروا بالتوبة والرجوع عن استحلال الربوا والترك عن اخذه والمغفرة هي فعل الله لكنه والله اعلم كانه قال
بادروا الى الاسباب التي بها تستوجبون المغفرة من ربكم والمغفرة هي الستر في اللغة ثم يحتمل وجهين يحتمل ان لا يهتك استاركم في الاخرة
اذا تبتم ويحتمل ان يستر عليكم سيئاتكم في الجنة لان ذكر المساوي في الجنة ينغص عليه نعم فاخبر عز وجل انه يستر مساويهم في الجنة لئلا
ينغص ذلك عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض وبادروا ايضا بالتوبة عن استحلال الربوا الى جنة عرضها السموات
والارض فهو ضرب مثل الجنة بضرب السموات وذلك والله اعلم ذكر هو ان السموات والارض احوالا ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلائق
بقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وذلك انهما عندهم من اشد الخلائق واقواها فقال ان الذي قدر على اتخاذه
ما هو اشد واقوى واصلب لقادر على انشاء ما هو دونه وهو هذا العالم الصغير ووصف ايضا السموات والارض بالغلاظ والكثافة
والشدة لقوله عز وجل سبع سموات شدادا وغلاظا ثم اخبر عز وجل انها مع غلظها وكثافتها تكاد ان تنشق لعظيم ما قالوا بان لله
ولدا وشريكا بقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ليعلموا عظم القول وقبحه لئلا
يقولوا في الله ما لا يليق به ووصف ايضا السموات والارض وبالدوام الى وقت يبعد فناؤهما في اوهام الخلق وان كانا فانيان بقوله
عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض فان كان للسموات والارض ما ذكرنا من الاحوال عند الخلق ليست تلك الاحوال لغيرها
من الخلائق من شدتها وقوتها وصلابتها وكثافتها وسعتها شبه وعرض جنة وسعتها بسعة السموات والارض وعرضهما لما هما
عند الخلق ليسا بذوي نهاية وان كانا ذوي نهاية وغاية كما وصف اهل الجنة واهل النار بالدوام السموات والارض وان كانا فانيان
غير دائمين ابدا لبعد فنائهما عن اوهام الخلق فعلى ذلك الاول والله اعلم وفيه دلالة ان الجنة ذو نهاية المكان والعرض وان لم يكن ذا
نهاية الوقت وغايته لانه ذكر العرض لها وكل ذي عرض يحتمل نهاية عرضه والله اعلم ولو لم يكن ذو نهاية من حيث العرض وكان الله عز وجل
موصوف بالقدرة على الزيادة ومن زوال العلة ووصف ذلك انقطع عنه الطمع واضمحل الرجاء وبعد فان ثم دارا اخرى سوى الجنة
فاوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض اذ كان غير الجنة دار اخرى مثلها في ارتفاع نهاية الوقت وجاز وجود دارين مختلفين
على اتفاق في الوقت ومحال وجودها في مكان واحد واتفاق بمكان لذلك لزم نهايتهما وان زالت عنهما نهاية الوقت وقوله عز
وجل اعدت للمتقين والاتقاء هو من الطاعة في كل امره ونهيه وترك مخالفته في ذلك كله ثم سبب التقوى يكون بوجوه ثلثة بذكر عظمته
وجلاله ورفعته عن مخالفة امره ونهيه فيدله ذلك ويحيه فيمنعه عن مخالفته او يذكر نعمته واحسانه فيمنعه ذلك عن ارتكاب ما
نهى عنه حياء منهم والثالث يذكر نقمته وعذابه في مخالفة امره ونهيه وينفي ذلك عذاب الله ونقمته قال الشيخ رحمه الله وقوله عز وجل
اعدت للمتقين ثم فسر الذين يتقون الى اخر ذلك فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من اعدت له من جميع الذي ذكر والثاني ان
يريد باعدت للمتقين الذين اتقوا الشرك بالذي اخبر عز وجل بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ثم وصفهم بالذي ذكرهم من الافعال
المحمودة لان ذلك بكليته شرط لان يعد له الجنة حتى يحرم من لم يبلغ ذلك فان كان على الاول فكانه وصفا نهاية ممن اعدت الجنة ويحتمل وجود
ان يكون لهم اتباع في الشركة فان لم يبلغوا تلك الرتبة بفضل الله وبما اعطى من ذلك فيهم من الشفاعة او بما شاركوا اولئك في اصل
اعتقاد بقبول ذلك وان كان منهم تقصير على انه قد يذكر في كل امر من الامور العظيمة والنهاية في ذلك على مشاركة من دونهم لهم في ذلك
وعلى ذلك ما ذكر من بعث الرسول الى الفراعنة على دخول من دونه في ذلك وعلى مخاطبة اهل الجدال في ذلك ودخول من دونهم في الحق
وكذلك ذكر الخطاب في اهل الرفقة والعلوى على تضمن من دون ذلك فكذلك الاول وكذلك الله سبحانه ذكر في القران من الكفرة الذين
جمعوا مع الكفر والعناد والتمرد وذكر اهل الايمان لهم مع ذلك الخيرات منا منه ان ذكر سولهم يا على ما استحقوا من الثناء والاول

يا على ما به يصير لعنة من غير تخصيص في اصل الوعد والوعيد الا من حيث التشديد والتفصيل فتلاه الاول ابد ذلك فيمنه
اهل الجنة فمنهم التابعين واصحاب اليمين ثم قال في الذين من ذكر الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد بين في اخر ذلك ما يدل على
ذلك وهو من ذكر من الذين يأتون الفواحش والظلم ثم لم يصروا على ما فعلوا ويكون في ذلك وجهان احدهما ان الله تعالى يمنه بوفقه
عبا يرضيه في اخر امره ليختمه به اذ كان في وقت ارتكابه ما ارتكب وتقصيره فيما قصر معتقد لجلال ربه خايفا عظمته راجيا رحمته متوصلا
لما عرفه من الكرم والعفو فيكون هو من يك من ذكر في الخاتمة وان كان منه تخلف عنه في الابتداء والله اعلم اوان يكون يجزيه لما قصده
فيه حتى يطهر مما كان من الخلط فيرجع الى ما وافقا الاول في جملة الاعتقاد فيكون معه لمن جمع ذلك والجمع يكون للذي ذكر او
بالعفو والجود اذ جعل الجزاء طريقه الجود والكرم لا للاستحقاق والله اعلم وان كان على معنى الثاني فالاية يخرج مخرج الترغيب في جمع
تلك الاوصاف وتكون الجنة في الاطلاق معدة للمتقين الذين اتقوا الشرك والدرجات وما فيها من الفضائل والمراتب على قدر ما يتقى
من انواع الخلاف في الافعال ويتوسل الى الله تعالى بالمبادرة والمسارعة الى ما فيه الرغائب وعلى ذلك امر الوعد تفضيل الدرجات في الجنة
وتفريق الدركات في النار على ما اعدت النار في الجملة للكفرة ويتفاوت اهلها بتفاوت الافعال من الخلاف والتمرد والله الموفق ثم
السبب الذي به يستعان على التقوى ثلاثة احدها ان يذكر المرء عظمته وجلاله وقدرته عليه في كل احواله فيتقي مخالفته بالهيبة والاجلال
والثاني ان يذكر عظم منته عليه ونعمه عنده واياديه التي فيها يتقلب وبها يتمتع فيتقيه حياء منه والثالث ان يذكر نفسه عظم نقمته
الموعودة وعذابه للعدو لاهل الخلاف له فيتقيه واشفاقا على نفسه والله الموفق وجملة ذلك ان من تامل ما اليه مرجعه والذي
منه بدوه وما فيه متقلبه من اول احواله الى منتهى اجاله حتى صير ذلك كله كالعيان لقلبه سهل عليه وجه التقوى لما عند ذلك تذهب
شهواته ويضمحل ما بينه والله الموفق وقوله عز وجل الذين ينفقون في السراء والضراء قيل السراء الرخاء والضراء الشدة وقيل السراء السعة
الضراء الضيق وهو واحد وقيل السراء ما يسرهم الانفاق من نحو الولد وغيره يسره الانفاق عليه والاجنبي يضرهم وعلى التاويل
الاول ان الانفاق في حال الرخاء والسعة ايسر واهون على المرء من الانفاق في حال الضيق والفقر فاذا انفق في الاحوال استوجب
ذلك المدح والله اعلم والسبب الذي تيسر عليه الامر وجهان احدهما علمه بان الذي في يديه في الحقيقة في يد الله فهو يصرف ذلك
حيث يجيء فلم يخرجه من يده في يده كانه بعد في يده والثاني يعلم بجود ربه وقدرته حيث يكون ذلك فيما به قضاء حاجته والوصول
الى منفعته مما يعلم بالوجود كثرة الانتفاع بما لا املك المنتفع به حرمان ذي الملك ذلك فيه قال الشيخ رحمه الله في قوله الذين
ينفقون في السراء والضراء يحتمل فيما يسرهم ويضرهم او في حال يسر وعسر وحال بلاء ونعمة ثم السبب الذي به يسهل سبيل الانفاق
في تلك الاحوال وان كان بالذي ذكر في تسهيل التقوى هنا وجوه ثلاثة احدها ان ترى ما في يديك لغيرك ان لم ينفقه يحتاج الى ذلك
وحفظه وانك انما بذلته ارتفعت عنك مؤنة الحفظ ومراعاة الحق على ما لم يكن زال عنك نفعه الذي كان له وقت كونه في يدك
اذ هو بعد البذل في يد من بيدك قبله في يده فكانه لم يخرج من يدك بحيث النفع وانما سقطت عنك ما ذكرته من المؤنة اذ معلوم
وجود حالك في الظاهر لا منتفع به ومن لا ملك له فالشيء منتفع به على العلم باستواء الامر على من له بذلك والله اعلم والثاني ان
تشعر قلبك جوده بما ثوم على ما عنده وقدرته على العطاء واياه من خزاينه التي لا تنفد ولا يتعذر عليه فيتقي بذلك ونعلم انه
للشيء على الايصال اليه فيما لم يكن اوصله وعلى ذلك فيما اعطاه في القدرة ولحد فهو ان عليه ذلك والله اعلم والثالث ان نعلم ان الذي
غلبه جبل واليه دفع ليس الوقت الذي فيه ولكن ليتزود للعادة ويكتسب به الحياة الدائمة والمنفعة التي لا تنفد فيصير كبايع الشيء
باضعاف ثمنه او باذل ما فيه نكال رتبته او كمقدم ما يمتهن الى مكان مهنته او كمن يجد الشيء في مسكنه لوقت حاجته فان مثله لو
الشيء في الطبيعة والذي شيء في العقل ولا فوق الا بالله ثم الاصل في قوله اعدت للمتقين ان من لم يبلغ بما ارتكب من المعاصي الكفر يمتنع
من احتمال التسمية المتقين على ارادة خصوص التقوى وهو ممتنع عن احتمال التسمية بالكفر على ما صرف الاية في اعداد النار الى الخصوص
او عموم فثبت به خروج صاحب الكباير عن اهل الاسم الذي له اعدت النار ولم يثبت خروجه عن اهل الاسم الذي له اعدت الجنة فالقول
فيه بالقطع في النار ودوامه ذلك في الجنة فاسد باوجه احدها مع الاشكال فيما يحرم الجنة والاحاطة بان النار لم تذكر انها اعدت له
ادخل فيها فيكون في ذلك اسقاط شهادة ثبت بيقين بالشك وايجاب شهادة لم تجب بالخيال والثاني ان يكون في ذلك اسقاط
اسم العقود الرحمة اذ لو لم يجعل لمثله لبطل ان يكون موضع لما في غيره استحقاق والله اعلم والثالث ما فيه اسقاط الموازنة وافساد
المقابلة مع مجيء الايات بالكتب التي تعرف الموازين التي توزن مخازين له مخالفة النوع بالكريم الذي امرنا ان نسميه بهما معا قد تجاوز
عن السيئات والتقبل الحسنات من واحد وفي ذلك قلب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل والكاظمين الغيظ روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاه الله امنا وايمانا والغيظ كانه متردد بين الحزن والغضب والحزن على من فوقه والغضب
على من دونه والغيظ بين ذلك مدحهم عز وجل بشديد حزنهم وحبطهم في اجوافهم وقوله عز وجل والعافين عن الناس اي عمن ظلمهم
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما عفا رجل عن ظلمه الا زاده الله بها عزا ومن عفا عن الناس عن مظلمة فقد احسن بذلك
بذلك كما يقال فلان يحسن كذا ولا يحسن وقوله عز وجل والله يحب المحسنين والاحسان يحتمل وجهين يحتمل العلم والمعرفة ويحتمل ان يفعل

فعلا ليس عليه من نحو الحروف والايادي الذي ليس عليه انما فعله الافضال ذكر هاهنا المحسنين وجملة واخبر في الاية
الاولى ان الجنة واخبر في الاية الاولى ان الجنة اعدت للمتقين بقوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض ثم قال اعدت للمتقين واخبر ان النار اعدت للكافرين ثم اختلفوا فيه قال بعضهم من لم يكن من المتقين
لم تعد الجنة له فهو ممن اعدت له النار وهو قول الخوارج والبغاة وقال اخرون انه اخبر ان النار اعدت للكافرين فهو اذا لم يكن
كافرا ممن اعدت له الجنة وقال غيرهم اخبر ان النار اعدت للكافرين واخبر ان الجنة اعدت للمتقين فوصف المتقين فهم الذين
اتقوا معاصيه فوصف المتقين فهم الذين اتقوا معاصيه وتركوا مخالفة امره ونهيه فاذا كان قوم لهم مساوي لم يدخلوا في اطلاق
قوله عز وجل اعدت للمتقين ولا دخلوا في قوله اعدت للكافرين فيكون لهم موضعا بالنار واما عندنا فانه يرجى دخول من ارتكب
المساوي من المؤمنين في قوله عز وجل وجنة عرضها كذا اعدت للمتقين بقوله عز وجل اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم ذكر خلط عمل الصالح بعمل السيء ثم وصلهم التوبة بقوله عز وجل عسى الله ان يتوب عليهم والعسى من الله
واجب والثاني قوله عز وجل اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فاذا تجاوز ولم يبق لهم مساو فصاروا
من اهل هذه الاية اعدت للمتقين وقوله للمتقين وقوله ايضا والذين اذا فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم قالوا ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اخبر انهم اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم وقد
ذكرنا فيما تقدم انهم لاي معنى ظلموا انفسهم حيث لم ينيلوا انفسهم خالصين والظلم هو وضع الشيء غير موضعه فاذا لم ينيل
له وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك صاروا ظلمة انفسهم وذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم اي طلبوا لذنوبهم مغفرة و
قروا انه لا يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ذنوبهم والاصرار هو الدوام عليه ثم اخبر ان جزاء هؤلاء المغفرة من ربهم و
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الى اخر ما ذكر دلت هذه الايات على تاييد قولنا ان اهل المساوي والفواحش اذا تابوا
صاروا ممن اعدت لهم الجنة وان لم يكونوا من المتقين من قبل فتله اذ تجاوز الله عن سيئاتهم وعفا عنهم بما هو عفو غفور
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية يحتمل ان يكون الظلم غير الفاحشة
ويحتمل ان يكونا واحدا في المراد اذ قد يكون في العقل ان كل عاص ظالم لنفسه بعضهما ويحسن لحظها اذا فعل ما هو ليس له
الفعل ووضع اختياره في غير موضعه وهو معنى الظلم وكذلك من تعدى حدا لله او ارتكاب ما يجوه العقل والشرع فقد فحش
فعله وذلك معنى الظلم الذي وصفت اذ فعل ما ليس له واختياره غير الذي له هو الذي يزجره العقل والشرع والله اعلم و
يحتمل التفريق وهو ان الظلم يجمع كل وجوه الخلاف عظم او صغر ولذلك قد نسب ذلك الى زلات الاخيار نحو ما قيل لادم
عليه السلام وحوا في اكل الشجرة فتكونا من الظالمين وقيل في الشرك ان الله العقوم الظالمين والفواحش ما يغلظ ويستبين
قبحه لا ما قل او كثر في الذنوب وعلى ذلك سمي النقصان ظلما بقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا وقد يوصف العيب والنقصان
بالفحش لكنه اذا كثر وظهر فتله في الزلات ويكون كالطيب في المحللات من المباح ونحوه في الدرجة والله انه ليس بنا حاجة
الى معرفة المقصود بالذكر في الايات لما فيها الرجوع عن ذلك وطلب المغفرة كل انواع الماثم بالتوبة يغفرها وعد الله في الشرك
والزنا والقتل فما دونه بقوله يضاعف له العذاب يوم القيمة الى تمام الاية والله اعلم وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل الفاحشة
ما فحش في العقل وقبح وقال اخرون كل محرم منهي فهو فاحشة والاول كانه اقرب لان الشيء ما لم يبلغ في الفحش والقبح غاية
فانه لا يقال فاحشة واذا بلغ الغاية تحقيقه كالطيب انه ذلك اذا بلغ غايته في الحل واللذة فاما ان يقال لكل حل في الاطلاق طيبا
فلا فعلى ذلك الفواحش لا يقال لكل محظور ومحرم انما يقال لما بلغ في القبح والفحش غايته فاما ان يقال ذلك لكل محرم منهي وبالله
التوفيق والطيب ما استطابه الطبع فاذا بلغ طيبه غايته في الطبع فهو طيب والله اعلم وقوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن
يحتمل احكاما والاحكام تكون على وجهين حكم يجب لهم وهو الثواب عند الطاعة واتباع الحق وعذاب يحل بهم عند الخلاف
والمعصية ويحتمل السنن الاحكام المشروعة فسيروا في الارض حتى تروا اثار من كذب الرسل وما حل بهم من العذاب بالتكذيب
او سيروا في الارض اي سلوا من يعلم ما الذي حل بهم حتى يخبركم وما مضى من الهلاك في الامم الخالية فهذا تنبيه من الله عز وجل
اياهم انكم ان كذبتم الرسول يحل بكم ما قد حل بمن كان قبلكم وان اطعتم الرسول صلى الله عليه وسلم فلكم من الثواب ما لهم فاعتبروا به
كيف كان جزاؤهم بالتكذيب وما في القران مثل هذا فمعناه لو سالت لاخبروك وقيل سيروا في الارض اي تفكروا في القران
يخبركم عن الامم الماضية فكانكم سرتم في الارض وما في القران مثل هذا فمعناه لو سالت لاخبروك فان فيه خبر من كان
قبلكم من الامم وما لهم من الثواب بالتصديق والطاعة وما عليهم من العقاب بالتكذيب والله اعلم وفي قوله عز وجل قد خلت
من قبلكم سنن يحتمل في المكذبين بالرسل والمتصدقين فسيروا في الارض يحتمل لو سرتم فيها لرايتم اثارهم ولعرفتم بذلك
ما اليه يرجع عواقب الفريقين ويحتمل الامر بالتامل في اثارهم والنظر في انباء عنهم ليكون له به العبر وعليهم مزجر
ويحتمل السنن الوضوع من الاحكام وبما به امتحن من قبلهم ليعلم ان الذي بلوا به ليس ببديع بل على ذلك امر من قبلهم كقوله

ماكنت بدعا من الرسل وكقوله عزوجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والله اعلم وقوله عزوجل هذا بيان
للناس يحتمل قوله هذا بيان يعني القران هو بيان للناس وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين اى يتعظ به المتقون ويحتمل
بيان للناس ماذكر من السنن التى فى الامم الخالية دل قوله عزوجل وتلك الايام نداولها بين الناس ان لله فى صرف الدولة الى اهل
الشرك فعل وتدبير اضاف ذلك اليه ما به الدولة ثم ذلك معصية وقهر وتذليل فثبت جواز كون ما هو فعل معصية الى الله من
طريق التخليق والتقدير والله اعلم اذ ذلك لهم بما هم عصاة والله اعلم وقوله ولا تهنوا ولا تضعفوا فى محاربة العدو ولا
تحزنوا بما يصيبكم من الجراحات والقروح كقوله تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ويحتمل قوله عزوجل ولا
تهنوا فى الحرب وانتم تعلون لله اذهم لا يضعفون فيها وهم يعاونون الشيطان وقوله عزوجل ولا تحزنوا على ما فاتكم من اخوانكم
الذين قتلوا ويحتمل ما اصابكم من القروح اى تلك القروح والجراحات لا تمنعكم عن قتال العدو ولكم الاجر والشهادة وقوله عزوجل وانتم الاعلون قيل فيه بوجوه قيل وانتم الاعلون المحقون بالحجج وقيل وانتم الاعلون فى النصر اى ترجع عاقبة الامر اليكم
ويحتمل ان النصر لكم ان لم تضعفوا فى الحرب ولم تعصوا الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحتمل وانتم الاعلون لكم الشهادة
اذا قتلتم واحياء عند الله وهم اموات وقوله عزوجل ان كنتم مؤمنين اذ كنتم مؤمنين ليس على الشرط ولكن على الخبر كقوله عزوجل
لا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله اذ كن يؤمن بالله وان كنتم مؤمنين بالوعد والخبر وقوله ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله اختلف فيه قيل ان يمسسكم قرح فى اخر الامر يعني فى احد فقد مس المشركين قرح مثله يوم بدر
وقوله عزوجل وتلك الايام نداولها بين الناس يحتمل الاية وجوها
يذكر هذا والله اعلم على التسكين ليعلموا انهم لم يخصوا بذلك وقوله عزوجل وتلك الايام نداولها بين الناس يحتمل الاية وجوها
يوما للمؤمنين يوما عليهم وذلك ان الامر بمجاهدة العدو والقتال معهم محنة من الله عزوجل يمتحنهم ويبتليهم مرة بالظفر لهم
والنصر على عدوهم ومرة بالظفر للعدو عليهم كقوله عزوجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات
يمتحن عباده بجميع انواع المحن بالخير مرة وبالشر ثانيا ويحتمل المداولة ايضا وكقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وجعل
اخى وهو ان الظفر والنصر لو كان ابدا للمؤمنين لكان الكفار اذا اسلموا اسلاما اختيارا ولكن انما امنوا ايمان قهر وكره وجبر لما
يخافون على انفسهم من الهلاك اذا راوا الدولة والظفر للمؤمنين ولو كان الظفر والنصر ابدا للكفار فلعلهم يظنون انهم المحقون
فيمنعهم ذلك عن الاسلام ويحتمل ان المؤمنين انما يصيب بمعصية سبقت منهم او خلاف كان منهم من ترك امر وارتكاب نهي والله
واعلم فان طعن طاعن من الملحدة فى قوله عزوجل ان تنصروا الله ينصركم وقوله عزوجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم اليس وعد انكم
ان نصرتم دينه ينصركم واخبر ايضا انه ان ينصركم فلا غالب لكم فاذا نصر فرد دينه فلم ينصركم اليس يكون خلفا فى الوعد وان نصركم
فغلبتم يكون كذبا فى الخبر قيل لهذا جواب من وجه قيل يحتمل قوله عزوجل ان تنصروا دين الله فى الدنيا ينصركم فى الاخرة بالحجج كقوله
انا لننصر رسلنا والذين امنوا الاية وكقوله عزوجل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين وقيل ان تنصروا دين الله ولم تعصوا الله فيه
ينصركم فلا غالب لكم وقيل يحتمل ان تنصروا دين الله جملة ينصركم كقوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب اثنى عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة
وكقوله عزوجل واياكم من كل ما سالتموه وقيل ان تنصروا دين الله ينصركم اى يجعل الظفر والنصر فى العاقبة لكم وكذلك
كان وان كان فى ابتداء الامر الغلبة على المؤمنين فان العاقبة لهم فى الحروب كلها ومقدار ما كان عليهم انما كان لامر سبق منهم اما
اعجابا بالكثرة كقوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا واما خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى قوله عزوجل وتلك
الايام نداولها بين الناس دلالة ان كان من الله معنى لديه تكون الغلبة لهم بقوله عزوجل ان ينصركم فلا غالب لكم ولكان هو يجعل
الدولة لاحد الفريقين وقد اخبر انه يجعلها ومعلوم ان كانت الدولة بالغلبة فثبت ان من الله فى صنيع العباد صنيع لما ينسب
اليه صنيعهم والله اعلم ثم معلوم ان الغلبة لو كانت للمسلمين كان ذلك الزم للحجة واظهر للدعوة وادعى الى الاجابة وفيها كل
صلاح فثبت ان ليس فى المحنة شرط اعطاء الاصلح والله اعلم وفى قوله عزوجل وتلك الايام نداولها بين الناس رد قول الاصلح
حيث قالوا ان الله لا يفعل الا الاصلح فى الدين بعالمهم اى صلاح للمؤمنين فى مداولة الكافرين على المؤمنين وقوله عزوجل وليعلم
الله الذين امنوا اى ليعلم ما قد علم بالغيب انه يؤمن بالامتحان مؤمنا شاهدا وليعلم ما قد علم انه يكون كاينا وجائز ان يراد وبالعلم المعلوم
كقوله الصلوة امر الله اى بامر الله وفى قوله عزوجل وليعلم الله الذين امنوا الاية تخرج على وجه احدها ان ما وصفت الله به اذا ذكرت
معه الخلق تذكر وقت كون الخلق لئلا يتوهم قومه واذا وصفت الله تعالى بلا ذكر الخلق وصفته به فى الازل نحو ان تقول عالم لم يزل
سميع فى الازل فاذا ذكرت المسموع والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه لئلا يتوهم القدم على الاخر وعلى هذا عندنا القول
القول بخالق رازق ونحو ذلك والله اعلم والثانى على تسمية معلومه علما فى مجاز اللغة وذلك كما سمى عذاب الله فى القران امرا
وسمى الناس الصلوة وغيرها من العبادات امرا على معنى انها تفعل بامره وكذلك ما سميت الجنة رحمة على ان كان بها فيكون ليعلم
الله الذين امنوا اى ليكون الذين امنوا على ما علمه يكون والله اعلم والثالث ليعلم الله الذين امنوا على ما علمه يكون والله اعلم والثانى
ليعلم الله الذين امنوا فى الغيب شهودا اذ هو عالم الغيب والشهادة وتحقيق ذلك لا يكون بحادث العلم وذلك نحو من يعلم القدر

بعلمه

بعلمه بعدما لعدوان لم يكن لم حدوث العلم قد كان على هذا قبل ابطاله كما انا لوقت كونه ما قد علمه يكون قبل كونه والله
اعلم وقال بعض اهل النار ويل ليكون الذى علمه يكون بالمحنة ظاهرا موجودا وهو يرجع الى ما بينا وقال بعضهم ليراه هذا
من صاحبه ظن ان الكلام فى الروية لعلة البشر وعن الشبهة ابعد وعنه من يعرف الله حق المعرفة هاواحد الاصل فى
هذا ونحوه فى الاضافة الى الله انها كانت بالاحرف المجهولة المتعارفة فى الخلق ثم هى تودى عن كل ما يضاف اليه ويشار اليه
ما كان عرف من حال ذلك قبل الاضافة لان يقدره عنه الاضافة معنى لا يعرفه به لولا ذلك على ما عرف من الاشتراك فى اللفظ
والاختلاف فى المعنى فعلى ذلك امر الاضافة الى الله تعالى وبوضح ذلك ما لم يفهم احد من قوله عزوجل ثلاث جدود الله ما
فهم من اضافة الحدود الى غيره وكذلك بيوت الله وعباد الله وروح الله وكلمته ونحو ذلك لذلك الذى نحن فيه وجائز فى
الجملة ان يوصف الله بانه لم يزل عالما بكون كل ما يكون كيف يكون وفى وقت كونه كاينا بعد كونه فيعنى كونه على تحقيق له
التغير فى احوال الذى يكون لا فى الله سبحانه وتعالى فتغير الاحوال واشباههما من ايات التى علم بها دات الصنعة قال الشيخ رحمه الله
فى قوله عزوجل ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين احدهما ولم يعلم وهو يخرج على وجهين احدهما على اثبات انه
علم انه يجاهد وكقوله الناس ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اى ما شاء ان لا يكون والثانى انه علم بكل شىء فلو كان يتكلم ابدا
بمعنى لا كقوله لما عليها حافظ بالتشديد بمعنى الا عليها حافظ فيكون معنى الاية ام حسبتم ان تدخلوا الجنة لا تدخلوها الا ان
يعلم الله يجاهدكم اى حتى تجاهدوا وفيعلم الله ذلك منكم موجودا والله اعلم وكذلك قوله عزوجل ويعلم الصابرين اى يعلم ما قد علم
انه يصير صابرا وكذلك قوله وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اى ليعلمن الذين قد علم انهم صدقون صادقين وليعلم
الذين قد علم انهم يكذبون كاذبين كذلك قوله عزوجل حتى يعلم المجاهدين اى حتى يعلم ما قد علم انهم يجاهدون مجاهدين واصله
قوله عزوجل عالم الغيب والشهادة ليعلم شاهدا ما قد علم غائبا والله اعلم وقوله عزوجل ويتخذ منكم شهداء اى يستشهدون
فى سبيل الله بايدى عدوهم ويحتمل ويتخذ منكم شهدا على الناس كقوله عزوجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس وفيه دلالة انهم لا يستوجبون بنفس الايمان الشهادة على الناس حتى يظهر الصيانة والعدالة فى انفسهم وقوله عزوجل
وليمحص الله الذين امنوا اى يمحص ذنوبهم وسيئاتهم وقوله عزوجل ويمحق الكافرين اى يهلكهم ويستاصلهم وقوله عزوجل وليمحص
الله الذين امنوا ما ذكر فانه يمحص الذنوب على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف محاء للذنوب ويمحق الكافرين اى يهلكهم
ولا يكون السيف تمحيصا لهم من الكفر بل يهلكهم فى النار وقوله عزوجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل بل حسبتم انى تدخلوا الجنة و
يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين قيل ولما يعلم الله اى ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى لم يجاهدوا وقيل ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولما بمعنى لا يعلم بمعنى لا يدخلون الجنة الا ان الله الذين جاهدوا منكم وهو كقوله عزوجل ان كل نفس لما عليها حافظ من
قرا بالتشديد فكان معناه الا عليها حافظ ومن قرا بالتخفيف فمعناه لعليها حافظ وما صلة وفى قوله عزوجل ايضا ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة اى ظننتم ذلك ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقال فى موضع اخر ولما اصابتكم مصيبة الاية بمعنى ولم تجاهدوا ولم يصبكم
مثل الذى نكر ففى ذلك وعدان يصيب ولنك الذين خاطبهم به ما اصاب من تقدمهم وان الله قد يعلم انهم يجاهدون قبل الموت ونحو
هذا قال قوم فى تاويل قوله عزوجل صدقوا ما عاهدوا الله ان يدخلوا الجنة اذا اصاب مثل الذى قوله عزوجل ان كل نفس لما عليها حافظ
بالتشديد الا عليها حافظ فيكون بمعنى الاستثناء اى لا تدخلوا الا ان يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد بينا ما فى العلم فى الحرف الاول على ان
وجها ايضا احدها ان الله لم يزل عالما بذلك وهو العالم بكل شىء فلو كان لكان يعلمه والثانى ان يعلم ان يكونوا لم يجاهدوا بعد سيجاهدون
على ما بينا والله اعلم وقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قيل فيه بوجهين قيل قوله عزوجل تمنون ما فيه الموت وهو
القتال وقيل تمنون الموت نفس الموت ثم يحتمل وجوها يحتمل تمنون اشفاقا على دينهم الاسلام لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم الذى
هو عليه ويحتمل ان يكونوا تمنوا الموت لينجوا ويتخلصوا من تعذيب الكفار اياهم وتعييرهم على ما قيل ان اهل مكة كانوا يعذبونهم فطلبوا
النجاة منهم والخلاص والله اعلم وقيل تمنون الموت اى يتمنون الشهادة لما سمعوا لها من عظيم الثواب وجزيل الاجر تمنوا ان يكونوا
شهداء لله عزوجل احياء عند ربهم والله اعلم وقيل فى قوله عزوجل تمنون الموت وذلك حين اخبر الله عزوجل عن قتلى بدر وما هم فيه
من الخير فتمنوا يوما مثل يوم البدر فاراهم الله يوم احد فانهزموا فعوتبوا بذلك تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه يعنى يوم
احد وقوله عزوجل فقد رأيتموه يحتمل ايضا وجوها يحتمل فقد رايتم اسباب الموت واهواله ويحتمل فقد رايتم اصحابكم الذين قتلوا
بين ايديكم على تاويل من صرف قوله عزوجل تمنون الموت الى القتال والله اعلم وقوله عزوجل وانتم تنظرون يحتمل وانتم تنظرون الى الموت
يعنى الى موت اصحابكم او الى القتال ويحتمل وانتم تنظرون اى تعلمون انكم كنتم تمنون الموت والله اعلم وقوله عزوجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يحتمل هذا وجهين يحتمل والله اعلم ان يقول لهم انكم لما امنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث لم تؤمنوا به لانه محمد صلى الله عليه وسلم ولكن امنتم بالذى ارسله اليكم والمرسل حى وان كان محمد صلى الله عليه وسلم قتل او مات

على زعمكم فكيف انقلبتم على اعقابكم قال الشيخ رحمه الله وفي الاية خبر بانقلاب من علم الله انه يرتد بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله عز وجل ومن يرتدد منكم عن دينه والشاكرون الذين جاهدوهم قد اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وقال الحسن ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه كان والله امام الشاكرين ويحتمل وجها اخر وهو ان من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى عليهما السلام كانوا يكذبونهم ويسلمونهم ما
داموا احياء حتى قال لهم موسى عليه السلام يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وكذلك قال عيسى عليه الصلوة والسلام يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا الاية فاذا ماتوا ادعوا انهم على دينهم وانهم صدقوهم فيما دعوهم اليه وان لم يكونوا على ذلك فلم ينقلبوا على اعقابهم
فكيف تنقلبون انتم على اعقابكم ان مات محمد صلى الله عليه وسلم او قتل والانقلاب على الاعقاب على الكناية والتمثيل ليس على التصريح وهو الرجوع
الى ما كانوا عليه من قبل من الدين **وقوله** عز وجل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا اي من ارتد بعد الاسلام فلن يضر الله شيئا لانه لم
يستعملهم لنفسه ولكن انما استعملهم ليستوجبوا بذلك الثواب الجزيل في الاخرة فانما يضرون بذلك انفسهم لان الله تعالى والثاني انه انما
يأمرهم ويكلفهم لحاجة انفسهم لانه يأمر لحاجة نفسه ومن امر اخر في الشاهد انما يأمر لحاجة نفس الامر فاذا لم يأتمر لحق ضرر نفس ذلك الامر
فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن ان يأمر لحاجته وانما يأمر لحاجة المأمور فاذا ترك امره ضر نفسه وبالله التوفيق وسيجزي الله الشاكرين
قيل الموحدين لله وقيل الذين امنوا وجاهدوا ويجزيهم في الاخرة وكل متمسك بامر الله ومؤتمر بامره فهو شاكر **وقوله** عز وجل وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله يحتمل قوله الا باذن الله اي لا يموت الا بقبض المسلط على قبض الارواح روحه كقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم ان مات او قتل ويحتمل الا باذن الله الا بعلم الله كتابا مؤجلا قيل وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتأخر مات او قتل ما لم تستوف رزقها واجلها
وقيل كتابا مؤجلا اي مبينا في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه **وقوله** عز وجل ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من اراد بمحاسن اعماله الدنيا
نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من يرد باعماله الصالحات ومحاسنه الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وهو كقوله من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها على قدر وما له في الاخرة من نصيب فكذلك هذا ايضا والله اعلم **و**
قوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير قيل فيه لغات احدها قاتل معه بالالف وتأويله وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير فقتل على الا
والثاني وكم من نبي قتل معه ربيون كثير برفع القاف والثالث وكم من نبي قتل معه ربيون كثير بالنصب ومعنى الاية والله اعلم كم من نبي قتل معه
فلم ينقلب اتباعه على اعقابهم بل كانوا ابعد وانهم اشد ثباتا عالم من حال جوتهم حق قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا فما لكم تختلفون بالكم الا
نقلاب على اعقابكم اذا اخبرتم انه قتل نبيكم او مات وفي انباء هذه الاية قصص الامم الخالية واخبارهم وجهان احدهما دلالة اثبات رسالة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه لم يختلف الى احد منهم ممن يعلم هذا ثم اخبر بذلك فكان ما اخبر فدل انه علم ذلك بالله والثاني العمل
بشرائعهم وسننهم الا ما ظهر نسخه بشريعتنا الا ترى انه ذكر محاسنهم وخيراتهم وانما ذكر ليتبعهم في ذلك ويقتدي بهم وذكر مساويهم وما
لحقهم بها ليتقى عنها ويكون على حذر مما اصابهم بذلك والله اعلم **وقوله** ربيون كثير اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال علماء كثير
وعنه الجموع الكثير وعن الحسن رحمه الله مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الالوف وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله وكاين من
نبي قاتل معه ربيون كثير يقول قاتل الا ترى انه يقول فما وهنوا لما اصابهم ثم اختلف في قوله فما وهنوا وما ضعفوا قيل فما وهنوا في الدين
وما ضعفوا في انفسهم في قتال عدوهم بذهاب النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم فما بالكم تضعفون انتم ويحتمل قوله فما وهنوا يعني فما عجزوا
لما نزل بهم من قتل انبيائهم وما ضعفوا في انفسهم لما اصابهم في سبيل الله من البلايا وقيل قوله عز وجل فما وهنوا يرجع الى قاتل الى المقاتلين في
قتال الباقين **وقوله** وما استكانوا قيل لم يذلوا لعدوهم ولم يخضعوا لقتل نبيهم بل قاتلوا بعده على ما قاتلوا معه فهلا قاتلتم انتم على ما
قاتل عليه نبيكم كما قاتلت القرون من قبلكم اذا اصيب انبياؤهم والله اعلم والله يحب الصابرين على قتال عدوهم وعلى كل مصيبة تصيبهم **وقوله**
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا قيل وما كان قول الامم السالفة عند قتل نبيهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا الاية تقول يعلم الله هذه الامة ويعاتبهم هلا قلتم انتم حين نعي اليكم نبيكم كما قالت القوم في الامم السالفة وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا
قيل الذنوب هي المعاصي **وقوله** واسرافنا في امرنا والاسراف هي المجاوزة في الحد والتعدي عن امره وقيل هما واحد **وقوله** وثبت اقدامنا
يحتمل وجهين ثبتنا على الايمان ودين الاسلام والقدم كناية كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها اي تكفر بعد الايمان كقوله يردوكم على اعقابكم وذكر
القدم لما بالقدم يثبت ويحتمل قوله وثبت اقدامنا في قتال العدو وفزعوا الى الله عز وجل بعد ذهاب نبيهم من بينهم يحفظهم على ما كان يحفظهم
في حياة نبيهم **وقوله** وانصرنا على القوم الكافرين يحتمل النصر عليهم بالحجج والبراهين ويحتمل النصر بالغلبة والهزيمة عليهم **وقوله** فاتاهم
الله ثواب الدنيا الذكر والثناء وهم كذلك اليوم يتبعهم ويقتدى بهم وهم موتى ويحتمل على ما قيل النصر والغنيمة **وقوله** وحسن ثواب الاخرة
الدائم وذكر في ثواب الاخرة الحسن ولم يذكر في ثواب الدنيا الحسن لان ثواب الاخرة دائم لا يزول ابدا وثواب الدنيا قد يزول وان يشوب في
الدنيا افات واحزان فينتقص ذلك وليس ثواب الاخرة كذلك والله اعلم **وقوله** والله يحب المحسنين الاحسان يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل
الحسن العارف كما يقال فلان يحسن ولا يحسن ويحتمل المعروف من الفعل ما ليس عليه بصنيع الى اخر تفضلا منه وامتنانا ويحتمل اختيار الحسن
من الفعل على القبيح من الفعل والسنن وكان كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين هو اختيار المحاسن من الافعال على المساوي والله اعلم ويحتمل
المحسنين الى انفسهم باستعمالها لما ينجاتها **وقوله** يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم يحتمل الطاعة لهم طاعة الذين اي تطيعونهم

في كفرهم

في كفرهم ويحتمل الطاعة لهم في ترك الجهاد مع عدوهم كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة الاية **وقوله** يردوكم على اعقابكم قد ذكرنا اي يردوكم على دينكم الاول وهو على التمثيل والكناية
والله اعلم **وقوله** بل الله مولاكم اي وليكم او ناصركم او حافظكم او وليكم وهو خير الناصرين اي خير من ينصر من نصره فلا يغلب كقوله
ان ينصركم الله فلا غالب لكم **وقوله** سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الاية هذه بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر
حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وكان ما ذكر لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بعد ذلك ويقصدهم لانهم اتوه وكانوا قبل ذلك يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصدونه
بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي بالشرك ما قذف في قلوبهم من الرعب من غير ان كان لهم بما اشركوا حجة او كتاب او برهان او عذر
قال ابن عباس رضي الله عنه السلطان في القران حجة **وقوله** ومأواهم النار اي مقامهم في النار وبئس مثوى الظالمين اي النار بئس
مقام الظالمين **وقوله** لقد صدقكم الله وعده اي انجز الله وعده حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وقد فعل اذ تحسونهم باذنه قال
اهل التفسير اذ تقتلونهم **وقوله** حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر هو على التقديم والتأخير حتى اذا تنازعتم فشلتم لان التنازع هو
سبب الفشل والجبن كقوله ولا تنازعوا فتفشلوا **وقوله** عز وجل وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل في القصة ان نفرا من الرماة
امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في مكان وان لا يبرحوا موقفهم فتركوه ووقعوا في غنائمه فعوقبوا على ذلك وقوله عز وجل
من بعد ما اراكم ما تحبون يحتمل ما اراكم ما تحبون من الهزيمة والغنيمة ويحتمل ما اراكم من النصر لكم على عدوكم وانجاز الوعد لكم **وقوله**
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ما كنا نعرف ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل قوله منكم من يريد الدنيا **وقوله** ثم صرفكم عنهم روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ثم صرفكم
عنهم يعني هزم المسلمون يقول اصرفوا عن المشركين منهزمين بعد ما كانوا هزموهم لكن لما عصوا وتركوا المركز صرفهم الله عن عدوهم
ليبتليكم اي ذلك الصرف كان لكم من الله ابتلاء ومحنة وقيل كان العصيان الذي منكم كان من الله ابتلاء ليعلم من قد علم انه يعصي عاصيا
والله اعلم ودل قوله عز وجل ثم صرفكم عنهم وان كان الانصراف فعلهم ان الله لفعلهم على ما عليه فعلهم خالقهم وان خالق الشيء
ليس هو ذلك الشيء اذ ذلك لما كان انصرافا عن العدو معصية وقد برأ الله تعالى عن ان يضاف اليه المعاصي وقد اضاف انصرافهم
الى فعله وهو الصرف ثبت انه غير فعلهم والله اعلم ولقد عفا عنكم يحتمل عفا عنكم حيث لم يستأصلكم بالقتل ويحتمل عفا عنكم حيث
قبل رجوعكم وتوبتكم عن العصيان وهذه الاية قوله عز وجل ثم صرفكم وقوله وتلك الايام نداولها بين الناس يرد على المعتزلة وكذلك
قوله تعالى لبرز الذين كتب عليهم القتل الاية لانهم يقولون هم الذين صرفوا انفسهم لا الله وهم الذين كتبوا عليهم القتل لا الله وهم الذين
يداولون لا الله وقد اضاف عز وجل ذلك الى نفسه فعلى ذلك لا يضاف اليه الا عن فعل وضع له فيه ولانهم يقولون لا يفعل الا الاصلح
لهم في الدين فاي صلاح كان لهم في صرفه اياهم عن عدوهم واي صلاح لهم فيما كتب عليهم القتل فدل ان الله قد يفعل بعباده ما ليس ذلك
باصلح لهم في الدين والله اعلم **وقوله** والله ذو فضل على المؤمنين بالعفو عنهم وقبول التوبة حيث عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا
امره على قول المعتزلة عليه ان يفعل ذلك فعلى قولهم ليس هو بذي فضل على احد نعوذ بالله من السرف في القول قال الشيخ رحمه الله الفائدة في
تخصيص المؤمنين بالامتنان عليهم دون جملة من بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم بما ذكر منه من انفسهم وقد بينا وجه المنة في
البعث من جوهر البشر وجهان احدهما ان من لم يؤمن به لم يكن عرفه نعمة من الله وان كان في الحقيقة نعمة منه لهم ورحمة لهم وللعالمين لخفي من
عرفه لبشكي وان بما ذكرهم وهو كقوله عز وجل انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب اي هم يقبلون ويعرفون حق الانذار والثاني انه
صار لهم حجة على جميع الجحدة الاعداء انهم لا يطيعونه لمعنى كان منهم الا وللمؤمنين عليهم وجه دفع ذلك بما كان عليه ما عرفوه قبل الرسالة
كما فيه لزوم القول بصدقه فيكون ذلك منه لهم سرورا ونعمة عظيمة فاستاداهم الله شكرها ولا قوة الا بالله **وقوله** اذ تصعدون ولا
تلوون فيه لغتان تصعدون بفتح التاء وهو من الصعود ان صعد والجبل وتصعدون بالرفع هو ان اصعد واصحابهم نحو الوادي
لان المنهزم الاول انما التفت فرأى منهم ما اخاف شدة وقيل الاصعاد هو الابعاد في الارض وقيل تصعدون من صعود الجبل وتصعدون
في الوادي من الجبل **وقوله** عز وجل ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون على احد ولا ترجعون والرسول يدعوكم في اخراكم اي الرسول
يدعوكم في اخراكم اي الرسول يدعوكم فاخراكم اي الرسول يدعوكم وينادي وراءكم الي انا الرسول وقيل ينادونكم من بعدكم الي انا
رسول الله يا معشر المؤمنين وكان يقصد نداءه في اخراهم باوطئ بعضهم ببعض فلم يرجعوا اليه **وقوله** عز وجل فاثابكم غما بغم لتختلف
فيه قيل الغم الاول الهزيمة والنكبة التي اصابتهم والغم الاخر الصوت الذي سمعوا قتل محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات فذلك
غم على غم ويحتمل غما بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتموا والغم الاخر كيف يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركهم
المركز وعصيانهم اياه والخلاف له وقيل في قوله عز وجل فاثابكم غما بغم اي غم بعد المرة الاولى وقيل غما بغم اي هزيمة بعد هزيمة اصابتهم
هزيمة بعد هزيمة من قتل اخوانهم واصابتهم الجراحات وقيل فاثابكم غما بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ دخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز والطاعة وفي قوله عز وجل فاثابكم غما بغم وهو غم الهزيمة والنكبة بالغم الذي ادخلوا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم في عصيانهم اياه واهمالهم المقعد الذي امرهم بالمقام فيه وقيل غما بالغم الذي تركوا المركز وهو ان غنمهم اغتنام
اصحابهم وقيل غم الاعتذار الى رسول الله بالغم الذي جعلوه به حيث مالوا الى الدنيا وعصوه فيما امرهم وقيل غما على الغم نحو القتل والهزيمة
والارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقته ان يكون احد الغمين جزاء والاخر ابتداء وفي ذلك تحقيق الزلة والجزاء وذلك كقوله
عزوجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقوله عزوجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم يعني من الفتح
والغنيمة ولا ما اصابكم من القتل والهزيمة ويحتمل قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا ما اصابكم فيها من انواع الشدايد بما ادخلتم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغم بعصيانكم اياه والله خبير بما تعملون على الوعيد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم
وطائفة قد اهمتهم انفسهم قيل فيه بوجهين قيل الطائفة التي انام النعاس هم المؤمنون سمعوا بانصراف العدو عنهم فصدقوا الخبر
فناموا لان الخوف اذا غلب يمنع النوم واما الطائفة التي قد اهمتهم انفسهم هم المنافقون لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف فلم ينعسوا
وذلك كقوله عزوجل يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الاية وقيل كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين لكن احدهما تداناها النعاس لما امنوا
من العدو والاخرى لا لعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم امره منع ذلك النوم عنهم انه كيف تلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تعتذرون اليه والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال امنة من الله وقوله عز
وجل يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل يظنون بالله ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وذاك غير المؤمنين وقيل يظنون بالله
غير الحق ظنونا كاذبة انما هم اهل شرك وريبة فامر الله يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقوله يقولون هل لنا من الامر
من شيء قيل يقولون بعضهم لبعض من الامر من شيء يعني بالامر النصر والغنيمة وقيل قالوا ذلك للمؤمنين قل ان الامر كله لله يعني النصر
والفتح كله بيد الله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك والذين يخفون قولهم لو قتنا في منازلنا ما قتلنا هاهنا وقيل يقولون لو كان
لنا من الامر شيء قالوا ليس لنا من الامر من شيء انما الامر الى محمد ولو كان الامر لنا ما خرجنا الى هؤلاء حتى قتلنا هاهنا قال الله عزوجل قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قيل لو كنتم في بيوتكم كما تقولون لبرز يعني لخرج من البيوت الذين كتب عليهم
القتل لنظير الذين كتب عليه حيث كان وقيل اذا كتب على احد القتل لاتاه ولو كان في البيت وكقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة وقيل متى كتب الله على قوم القتل لم يموتوا ابدا وفي هذا بيان ان الاجال المكتوبة هي التي تنقضي بها الاعمال ان كان قتلا
فقتل وان كان موتا فموت لا على ما قالت المعتزلة ان القتل تعجيل عن اجله المكتوب له وعليه والله اعلم وقوله عزوجل وليبتلي الله
ما في صدوركم والابتلاء هو الاستظهار كقوله عزوجل يوم تبلى السرائر تبدى وتظهر وذلك يكون بوجهين يظهر بالجزاء مرة ومرة
بالكتاب يعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء وكذلك اذا كانت سيئة او يعلم ذلك بالكتاب وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم
اي ليظهر الله للخلق ما في صدورهم مما مضى ويجعله ظاهرا لهم وليمحص ما في قلوبكم من الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
الابتلاء والتمحيص هما واحد وقوله عزوجل والله عليم بذات الصدور ويقول هو عالم بما في صدورهم من سرايرهم ولكن يجعلها ظاهرا
عندكم ويحتمل الابتلاء هاهنا الامر بالجهاد ليعلم المنافق منهم من المؤمن والله اعلم وقوله الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعني
ان الذين انصرفوا عن عدوهم مدبرين منهم منهزمين يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا اي انما انهزموا ولم يثبتوا خوفا ان يقتلوا بالثبات فيلقوا الله وعليهم عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا ان يقتلوا
وعليهم معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا من الله تعالى عزوجل ولقد عفى الله عنهم بما خافوا الله بعصيانهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحتمل قوله عزوجل انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ان الذين لما رام اجابوه الى ما دعاهم من اشتغالهم بالغنيمة وترك
المركز وعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الهزيمة فانهزموا وتولوا عدوهم ويحتمل قوله ببعض ما كسبوا اي بحسبهم قال الله
عزوجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فكذلك هذا والله اعلم ان الله غفور حليم قيل يعني تركه عقوبتكم حليم لا ياخذ
عصيانكم ولا عاجلكم وحليم بتاخير العذاب عنكم وقوله عزوجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا
ضربوا في الارض او كانوا غزى الاية اختلف في قوله تعالى كالذين كفروا قال بعضهم نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين كفروا في السر
والعلانية وقالوا لاخوانهم يعني المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم يعني
لبعضهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل قالوا لاخوانهم يعني المؤمنين نزلوا وان كانوا اخوانهم في النسب وان لم يكونوا
اخوانهم في الدين والمذهب لا حاجة لنا الى معرفة قائله من كان ولكن الذي لا يعلوا علينا قولهم اذا ضربوا في الارض قيل
وغزوا اي غزاة وقيل قوله اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى قال باسقاط الالف وقوله عزوجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي
ليجعل الله ذلك التقول الذي قالوا حسرة تتردد في اجوافهم ويحتمل قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم يوم
القيامة كقوله انما تكون عليهم حسرات عليهم وقوله عزوجل والله يحيي ويميت والله يحيي من يعرض في الارض او بيت من اقام ولم
يخرج غازيا اي لا يتقدم الموت في الخروج الى الغزو ولا يتاخر في المقام وترك الخروج دعاهم الى التسليم لما هي انفس متعددة
وارزاق مقسومة واجال مضروبة ما لم يبلغها لاستوفاها وانقضى اجلها لا يانيها امر الله بما تعملون بصير وعيد وقوله عزوجل ولئن

قتلتم

قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير اي الموت ان كان لا بد نازل بكم فقتلكم او موتكم في طاعة وجهاده خير
من ان ينزل بكم في غير طاعة الله وسبيله ومغفرة من الله خير مما يجمعون من الاموال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اي ان متم
على فراشكم او قتلتم في سبيل الله فاليه تحشرون فمعناه والله اعلم اي لم تقدروا على ان لم تحشروا اليه كيف تقدرون ان لا
ينزل بكم الموت وان اقمتم في بيوتكم والله اعلم وقوله عزوجل فبما رحمة من الله لنت لهم يحتمل وجهين يحتمل فرحمة من الله عليك
لنت لهم فيجب ان يكون الانسان رحيما على خلقه على ما جاء في الخبر قال لاصحابه لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا فقيل كلنا نرحم يا
يا رسول الله فقال ليس تراحم الرجل ولده او اخاه ولكن يتراحم بعضهم بعضا او كلام نحو هذا وما جاء من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر
كبيرنا فليس منا وما جاء من لم يرحم اهل الارض لم يرحمه اهل السماء كما قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
الاية وقد امر الله عباده وان يعامل بعضهم بعضا بالرحمة واللين الا عند المعاندة والمكابرة فحينئذ امر بالقتال كقوله لموسى وهارون
حيث ارسلهما الى فرعون فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكان اللين من القول انفذ من القلوب واسرع الى الاجابة وادعى
الى الطاعة من الخشن من القول وذلك ظاهر في الناس لذلك امر الله عزوجل رسله باللين من المعاملة والرحمة على خلقه وجعله سبب
الفرقة بقوله ولو كنت فظا في القول غليظ القلب لانفضوا من حولك لو كنت في الابتداء فظا غليظا لتفرقوا ولم يجتمعوا عندك وقوله
عزوجل فاعف عنهم بالذاهم اياك ولا تكافهم واستغفر لهم فيما بينهم وبين ربهم ويحتمل قوله فاعف عنهم واستغفر لهم بما عصوك ولا ينتقم
منهم وكذلك امر الله المؤمنين جملة ان يعفوا عنهم وان لا ينتصروا منهم بقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره وكان ارجى الاية
للمؤمنين قوله واستغفر لهم كما قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون الاية وقوله ايضا واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات لا يجاوزان يامره بالاستغفار لهم ثم لا يفعل واذا فعل الايجاب فدل انه ما ذكرنا والله اعلم وكذلك دعاء ابراهيم صلوات الله
عليه ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ودعاء نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
لا يجوز ان يدعوا هؤلاء الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم لا يجاب لهم وقوله عزوجل وشاورهم في الامر امر الله عزوجل نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامر ففيه وجوه ثلاثة احدها انه لا يجوز ان يامره بالمشاورة فيما فيه النص وانما يامره بها
فيما لا نص فيه ففيه دليل جواز العمل بالاجتهاد والثاني لا يخلوا امره بالمشاورة اما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند الله او لفضل
العقل ورجحان اللب فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم ان يسوّوا انفسهم بهم ولا يجاوز ايضا ان يامر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة
اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ثم لا يعمل برايهم دل انهم اذا اجتمعوا كان الحق لا يشذ عنهم وقال بعضهم انما امر نبيه صلى الله عليه
وسلم بمشاورتهم في امر الحرب والقتال وعن الحسن رضي الله عنه لما انزل الله تعالى وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ورسوله غنيان عن مشاورتكم ولكن اراد ان يكون سنة لامته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقرأ وشاورهم
في بعض الامر وقيل امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامور وهو ياتيه وحي السماء لانه اطيب لانفس القوم وان
القوم اذا شاور بعضهم بعضا فارادوا بذلك وجه الله عزم الله لهم على ارشده وقيل ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا ان
سيدها ان يقطع امرا دونهم لا يشاورهم في الامر شق عليهم فامر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم في الامر اذا اراد فان
ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم وفي بعض الاخبار قيل يا رسول الله ما الحزم قال ان تستشير ذا الراي ثم تطيعه وكان
يقال ما هلك امرؤ عن مشورة ولا سعد بتوحد وقيل المتوحد الذي لا يستشير ويعمل برايه وقوله عزوجل فاذا عزمت فتوكل على الله
اي لا تتكل الى نفسك ولا تعتمد على احد ولكن اعتمد على الله وكل الامر اليه وقيل فاذا فرغ ذلك الامر بعد المشاورة فامضه
لامرك فان كان في امر الحرب على ما قيل فهو والله اعلم لا تعجبن بالكثرة ولا ترين النصر ولكن اعتمد بالنصر على الله كقوله تعالى اذ
اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا والله اعلم بما اراد بذلك كقوله وما النصر الا من عند الله وقوله عزوجل ان ينصركم الله فلا غالب
لكم صدق الله من كان ناصره فلا يغلبه العدو من بعد وان يخذلكم اي يترككم فمن ذا الذي ينصركم والنصر يحتمل وجهين يحتمل
المعونة ويحتمل المعونة المنع كقوله تعالى وما لهم من ناصرين وقوله عزوجل ان ينصركم الله اي اعانكم الله فلا يغلبكم العدو وان
يخذلكم فلم يعنكم فمن الذي اعانكم سواه ومن المنع اي ان منع الله عنكم العدو فلا غالب لكم وان يخذلكم ولم يعنكم فمن الذي اعانكم ان
يمنعكم من بعده والخذلان في الحقيقة هو ترك المانور منه ما امل منه واستعمل هاهنا كما استعمل الابتلاء على غير حقيقته وقوله
عزوجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون هو على الامر في الحقيقة كانه قال وعلى الله فتوكلوا ايها المؤمنون والمتوكل هو الاعتماد عليه
وتفويض الامر اليه لا بالكثرة والاسباب التي يقوم بها من نحو القوة والعدة والنصرة والغلبة وفي الشاهد انما يكون عند الخلق
بثلاث اما بالكثرة واما بفضل قوة بطش واما بفضل تدبير ورأي في امر الحرب وجميع نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبته على
عدوه انما كان لا بذلك ولكن بالتوكل عليه وتفويض الامر اليه دل ان ذلك كان بالله عزوجل وذلك من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم
وقوله عزوجل وما كان لنبي ان يغل فيه قراءتان بنصب الياء وبرفع الياء ونصب الغين ومن قرأ بنصب الياء فذلك يحتمل وجهين
يحتمل وما كان لنبي ان يغل اي لم يكن نبي من الانبياء غل قط وهو حق من لا يتهموه لعلكم به فكيف تتهموه هذا بالغلول وقيل

ان ناسا من المنافقين خشوا ان لا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بينهم فطلبوا القسمة فنزلت هذه الاية وقيل
قالوا اعدل يا محمد في القسمة فنزل هذا ويحتمل قوله وما كان لنبي ان يغل اي قد كنتم عرفتموه من قبل ان يرسل انه ما عرفتموه خان قط
وغل فكيف يحتمل الخيانة بعد ما ارسل هذا لا يحتمل ومن قراء بالرفع فهو ايضا يحتمل وجهين اي يتهم بالغلول في الغنيمة فهو يرجع الى
تاويل الاول ويحتمل قوله ان يغل ان يخاف في الغنيمة لا يخون ولا يحل ان يخاف النبي في الغنيمة فانه يطلع على ذلك يطلع الله رسوله
على ما جاء في بعض الاخبار انه مر بقبر فقال انه في عذاب قبل ما انا يا رسول الله فقال انه كان اخذ من الغنيمة قدر درهمين او نحو
ويحتمل خصوص الغنيمة بما يتناول الحله بما لا يعرف له صاحب كالمال الذي لا مالك له وربما يباح التناول منه للحاجة و
الاخذ بغير البذل بوجه لا يحتمل بتلك كل الحل من ذلك وقوله عز وجل يات بما غل يوم القيمة اي يؤخذ به يوم القيامة وهكذا
كل من اخذ من مال غيره بغير اذنه يؤخذ به وقال بعض الناس وانما خص الغنيمة بفضل وعيد لان الغلول فيها يجحف بحق النفر
واهل الحاجة او يضر ذلك اصناف الخلق وسائر الاموال ليس كذا وقيل انما جاء الوعيد لهذا انهم كانوا اهل نفاق يستحلون
الغلول في الغنيمة والاخذ منها وهذا كان اشبه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فغل
راس ذهب فنزلت الاية وما كان لنبي ان يغل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ايضا قال فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما
اصيب من المشركين فقال الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها لنفسه فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل وقوله
عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله قيل افمن لم يغل ولم ياخذ من الغنيمة شيئا كمن غل واخذ منها ليسا سواء
احدهما برضوان الله والاخر بسخطه ويحتمل افمن اتبع رضوان الله افمن اطاع الله واتبع امره كمن عصى الله واتبع هواه ليسا بسواء
وقوله عز وجل هم درجات عند الله والدرجات والله اعلم ما يقصدها اهلها والدركات ما يدركهم من غير ان يقصد وهكذا
الدرك في العقود يدرك من غير قصد وقيل الدرجات ما يعلوا والدركات ما يسفل والله اعلم فهذا في التسمية المعروفات
سميت النار دركات والجنة درجات وحقيقة ذلك واحد والاية تدل على الامرين وقوله عز وجل لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولا من انفسهم وجه المنة فيما بعث الرسل عليهم من البشر ولم يرسلهم من الملائكة ولا من الجن وجوه ان كل جوهر
يالف بجوهره وينضم اليه ما لا يالف بجوهر غيره ولا ينضم الى جنس اخر فاذا كان كذلك والرسل انما بعثوا لتاليف قلوب الخلق
وجمعهم والدعاء الى دين يوجب الجمع بينهم ويرفع الاختلاف من بينهم فاذا كان ما وصفنا بعثوا من جوهرهم وجنسهم ليالفوا
بهم وينضموا اليهم والله اعلم والثاني ان الرسل لا بد لهم من ان يقيموا ايات وبراهين لرسالتهم فاذا كانوا من غير جوهرهم وجنسهم
لا يظهر لهم الايات والبراهين لما يقع عندهم انهم انما ياتون ذلك بطباعهم دون ان ياتوها بغير اعطائهم اياها ذلك والثالث
ان ليس في ذلك وسع البشر معرفة غير جوهرهم وغير جنسهم من نحو الملائكة والجن الا ترى ان البشر لا يرونهم فاذا كان كل
بعثوا منهم ليعرفوهم وليظهر لهم الحجة والله اعلم ثم المنة الثانية حيث بعثهم من نسبهم وجنسهم لم يبعثهم من غيرهم وذلك انهم
اذا بعثوا من غير قبيلتهم وجنسهم لم يظهر لهم صدقهم ولا امانتهم فيما ادعوا من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر صدقهم وامانتهم لما ظهر
صدقهم وامانتهم في غير ذلك فيدل ذلك لهم انهم لما لم يكذبوا بشيء قط ولا خانوا في امانة لا يكذبون على الله تعالى والثاني انهم
اذا كانوا من غير نسبهم فلعلهم اذا اتوا باية او براهين يقولون انما كان ذلك بتعليم من احد واختلاف الى احد ممن يفتعل مثل
هذا بعثهم الله منهم ليعلموا انهم اذا لم يتعلموا من احد ولا اختلفوا فيه انهم انما علموا ذلك بالله تعالى لا باحد من البشر والله اعلم الا
ترى ان ما اتى به موسى صلوات الله عليه من الايات من نحو العصا واليد البيضاء وغير ذلك لو كان سحرا في الحقيقة لكان من اعظم
ايات رسالته لانه لم يختلف الى احد في تعلم السحر قط وقد نشا بين اظهرهم فكيف ولم يكن سحرا فدل ان لله على خلقه منة عظيمة
فيما بعث الرسل من نسبهم وقرابتهم وممن نشا بين اظهرهم للمعنى الذي وصفنا والله اعلم وقيل قوله رسولا من انفسهم اي من العرب
معروف النسب فينا ليعلموا انه انما اتى به ما اتى سماويا وحجة وان لا يرتابوا في رسالته وفيما يقوله كقوله ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الاية وقوله عز وجل يتلو عليهم اياته يحتمل اعلام رسالته ونبوته ويحتمل الايات الحجج والبراهين ها هنا
واحد ويحتمل ايات القران وقوله عز وجل ويزكيهم يحتمل التزكية من الزكاء والنماء وهو ان اظهر ذكرهم واعلى شرفهم ومناقبهم
حتى صاروا ائمة يذكرون ويقتدون بهم بعد موتهم كقوله تعالى قد افلح من زكاها اظهره ولم يخمل ذكرهم الا ترى انه قال وقد
خاب من دساها اي اخفاها واخملها ويحتمل يزكيهم اي يطهرهم بالتوحيد وقيل يزكيهم اي ياخذ منهم الزكوة ليطهرهم وقوله
عز وجل ويعلمهم الكتاب والحكمة انه ينصرف الى وجوه وقد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وان كانوا وقد كانوا من قبل
لفي ضلال مبين وقد ذكرنا الضلال انه يتوجه الى وجوه الى الهلاك والى الحيرة والى الخمول الذكر وغيره وقوله عز وجل اولما
اصابتكم مصيبة يوم احد حيث قتل منكم سبعون قد اصبتم مثليها يوم بدر قتلتم سبعين واسرتم سبعين وقيل ان ذلك كله
يوم احد كانت الدبرة والهزيمة على المشركين في ابتدائه ثم هزموا المؤمنين يقول ان اصابكم في اخره ما اصاب فقد اصابهم ايضا
مثليها يذكرهم الم والله اعلم على التسلي بما اصيبوا ليتسلى ذلك عنهم او يذكرهم نعمه عليهم بما اصيب المشركون مثلي ذلك ليشكروا له

عليها وليعلموا انهم لم يخصوهم بذلك وقوله عز وجل قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كانه يعاتبهم بتركهم الاشتغال بالتوبة
عن ما ارتكبوا من عصيان ربهم والخلاف لنبيهم صلى الله عليه وسلم اذ مثل ذلك الكلام لا يكون الا من كان متبريا عن ارتكاب المنهي
والخلاف لامره فاما من كان منه ارتكاب المناهي والخلاف له فلا يسع ذلك وكان ما اصابهم انما اصاب محنة منه ولله ان يمتحن
عباده بانواع المحن على يدي من شاء اذ كلهم عبيده تعاتبهم لما لم يعرفوا محنته وقلتم انى هذا ونحن مسلمون نقاتل في سبيل الله وهم مشركون
فقال هو من عند انفسكم يقول بعصيانكم الرسول صلى الله عليه وسلم وترككم ما امركم به من حفظ المركز وغيره كقوله وما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى قلتم انى هذا يخرج ان كان من اهل النفاق مخرج الاستهزاء
اي لو كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم من النصرة او الرسالة حقا فمن اين بلي بهذا وذلك كقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا و
قولهم يوم الخندق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وغير ذلك مما عليه معتقدهم في اظهار الاسلام والله اعلم وان كان ذلك من اهل
الايمان فهو سؤال تعريف الوجه الذي بلوا به وهم انصار دين الله وقد وعد انصار دينه النصر وان الذي ينصره الله لا يغلبه شيء و
كان قد وعد القاء الرعب في اعدائهم او بما كانوا والدبرة عليهم والهزيمة من الاعداء فيقولون بم انقلب علينا الامر فبين انه بما
قد عصوا ومالوا عن الله وان كان ذلك عن بعضهم لا عن كلهم فجائز ذلك بحق المحنة اذ قد يجوز الابتلاء به معاذات عن المعاصي وزجر
والاجتماع على الطاعة اذ المحنة بمثله تدعوا كلا الى اتقاء الخلاف ومنع اخوانه ايضا عن ذلك فيكون به التالف وصلاح ذات البين
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير من النصر والهزيمة ولكن ما اصابكم انما اصاب بمعصيتكم ربكم وخلافكم رسوله صلى الله
عليه وسلم او اصابكم محنة منه اياكم وقوله عز وجل وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين فباذن الله قيل بمشيئة الله
وارادته وقيل فباذن الله فبتخلية الله اياكم لما لعلهم راوا النصر والغلبة بالكثرة او بالقوة والعدة فخلى الله بينهم وبين عدوهم
ليعلموا ان امثالهم مع قلتهم وضعفهم لا ينتصرون من امثال هؤلاء مع كثرة عددهم وقوة ابدانهم وعدتهم في سلاحهم ولكن بالله ينتصرون
منهم ويغلبون عليهم وقيل فباذن الله فبعلم الله اي بعلم الله ما يصيبكم من خير او شر ليس عن سهو وغفلة منه يصيبكم وقوله عز وجل وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا لما ذكرنا فيما تقدم ليعلم ما قد علم انهم يؤمنون ويصبرون على البلايا والقتال مؤمنين صابرين محتسبين
وكذلك ليعلم ما قد علم انهم ينافقون ولا يصبرون منافقين غير صابرين ولا محتسبين وقوله عز وجل وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قوله او ادفعوا يحتمل وجوها يحتمل ادفعوا اي كثروا السواد لان المشركين اذا راوا سواد المؤمنين كثيرا يرهبهم ذلك ويخوفهم
كقوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ويحتمل او ادفعوا العدو عن انفسكم لما انهم
يقصدون انفس المؤمنين المقاتلين او ادفعوا عن اموالكم وذراريكم ويقصدون ذلك او ادفعوا عن دينكم وقد يقصدون ذلك
او ان يكون قوله عز وجل قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا واحدا قاتلوا في سبيل الله وادفعوا والله اعلم وقوله عز وجل هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان يعني المنافقين اخبر انهم الى الكفر اقرب من الايمان للكفر والى الكفر ومن الكفر كل ذلك لغة وفي حرف حفصة الى الكفر اقرب
هم الى الكفر اقرب وتاويله والله اعلم ان المنافقين كانوا لا يعرفون الله عز وجل ولا كانوا يعبدونه فاما عباد النعمة يميلون الى حيث مالت
النعمة ان كانت مع المؤمنين فيظهرون من انفسهم الوفاق لهم وان كانت مع المشركين فمعهم كقوله عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم
فتح من الله قالوا الم نكن معكم الاية وكقوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية واما الكفار فانهم كانوا يعرفون الله لكنهم كانوا
يعبدون الاصنام والاوثان لوجهين احدهما اتخذوها اربابا والثاني يطلبون بذلك تقربهم الى الله زلفى كقولهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى لكنهم اذا اصابتهم الشدة ولم يروا فيما عبدوا الفرج عن ذلك فزعوا الى الله عز وجل كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فاذا ذهب ذلك عنهم عادوا الى دينهم الاول وقوله عز وجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه الاية
واما المؤمنون فهم في جميع احوالهم في حال الرخاء والشدة والضراء والسراء مخلصين لله صابرين على مصائبهم وشدائدهم قالوا انا لله
وانا اليه راجعون وقوله عز وجل هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يحتمل هذا وجوها قيل انما كان كذا لانهم كانوا يقولون للمؤمنين
الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وذكر وان الكافرين استحوذهم عليهم ومنعهم
على المؤمنين فدل النابة الا قرب منهم ويحتمل اقرب منهم للايمان لان ما اظهروا من الايمان كذب والكفر نفسه كذب فما اظهروا من الايمان
فهو كذب الى الكذب الذي هم عليه اقرب وهو الكفر وعن ابن عباس رضي الله عنه هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان قال هم يومئذ يسرون
الكفر ويظهرون الايمان وسر العبد اولى من علانيته وفعله اولى به من قوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وهو قولهم وقيل وهم
منهم اقرب لانهم كانوا في الحقيقة كفارا على دينهم وفي قوله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يحتمل الذم واقبل كقوله عز وجل ولو
دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها فيكون الوصف بالقرب على الوقوع والوجوب كقوله عز وجل ان رحمت الله قريب من
المحسنين اي محلهم وبالله التوفيق وذلك لانهم كانوا اهل نفاق والكفر لم يكن يفارق قلوبهم وما كان من ايمانهم كان بظاهر اللسان
ثم قد يفارقها فاكثر اوقاتهم والله اعلم وقد يكون على القرب من حيث كانوا شاكين في الامر والشاك في امر الكفر والايمان تارك للايمان
اذ حقيقة تصديق عن معرفة والكفر قد يكون بالتكذيب كان له بما يكذب او لا فلذلك كان الكفر اقرب اليهم اولى بهم وهم به

احق ان يعرفوا بما جعل الله لهم من اعلامه ذلك في لحن القول ثم في افعال الخير ثم في احوال الجهاد مما يظهر منهم من اثار الكفر في الاقوال
والافعال ما جاء به القران والله اعلم فان قيل في قوله او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كيف
عم هولاء بالعقوبة وانما كان العصيان والخلاف في الامر من بعضهم لا من الكل قيل لما خرج لهم ذلك مخرج الامتحان والابتلاء لا مخرج
الجزاء لفعلهم ولله ان يمتحن عباده ابتداء بانواع المحن من غير ان يسبق منهم خلاف في الامر وعصيان وكل عقوبة خرجت مخرج جزاء
عصيان او خلاف في امر لم يواخذ غير مرتكبها لقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى وما خرج مخرج الامتحان جاز ان يعمهم لما ذكرنا
انه ابتداء او ان كان ما كان منهم بمعونة غيرهم فعمهم لذلك كقطاع الطريق وكسراق ان يعمهم العقوبة جميعا من اخذ ومن لم يأخذ و
من تولى ومن لم يتول فكذلك هذا وكانوا جميعا كنفس واحدة فعمهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل الذين قالوا لاخوانهم قيل لاخوانهم
في الدين ومعارفهم من المنافقين لو اطاعونا ولم يخرجوا الى الجهاد وما قتلوا وقيل لاخوانهم في النسب والقرابة وليسوا باخوانهم في الدين
والولاية كقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا ليس باخيهم في الدين والولاية كقوله عز وجل ولكن كان اخوهم في النسب والقرابة لو اطاعونا
وقعدوا عن الخروج في الجهاد ما قتلوا في الغزو ثم قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان قل لهم فادرءوا عن انفسكم الموت اي ادفعوا عن انفسكم
الموت اي ادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين بانهم لو قعدوا في بيوتهم ما قتلوا اقتضاء والله اعلم ان من قتل في سبيل الله فمكتوب
ذلك عليه ومن مات في بيته فمكتوب عليه فانا لم يقدر وادفع ما كتب عليكم من الموت كيف زعمتم انهم لو قعدوا ما قتلوا وهو مكتوب
عليهم كالموت وفي هذه الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من قتل مات قبل اجله وقيل ان يستوفي اجله فهم واليهود فيما انكروا
عليهم قولهم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا سواء بقوله فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين وقوله عز وجل ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا قيل فيه بوجوه قيل ان المنافقين قالوا للذين قتلوا باحد وبدر اماتوا كسائر الموتى بل احياء عند ربهم
وقيل قالوا ان من قتل لا يحيا ابدا ولا يبعث فقال عز وجل بل يحيون ويبعثون كما يحيى ويبعث غيرهم من الموتى وقيل ان العرب كانت
تتمنى ابقت منهم قطع ذكره اذا مات ولم يذكر اي لم يبق له احد يذكره فقالوا اذا قتل هؤلاء ما تراهم لا يذكرون فاخبر الله عز وجل انهم
مذكورون في ملأ الملائكة وملأ البشر وهو الثناء المعروف في الخلق ان الشهداء مذكورون عندهم وقيل قوله عز وجل بل احياء
عند ربهم اي يجري اعمالهم بعد قتلهم كما كان يجري في حال حيوتهم فهم كالاحياء فيما يجري لهم ثواب اعمالهم وجزائهم ليسوا باموات
وقيل ان حيوتهم حياة كلفة وذلك انهم امروا باحياء انفسهم في الاخرة ففعل المومنون ذلك احيوا انفسهم في الاخرة فسموا احياء و
لذلك والكفار لم يحيوا انفسهم بل اماتوها فسمي اولئك احياء والكفار موتى وقيل سمي هؤلاء احياء لانهم انتفعوا بحيوتهم وسمي
الكفار امواتا لما لم ينتفعوا بحياتهم الا ترى انه عز وجل سماهم صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بسمعهم ولا ببصرهم ولا بلسانهم ولم ينتفعوا بذلك
المومنين لما انتفعوا بذلك كله فعلى ذلك سمي هؤلاء احياء لما انتفعوا بحيوتهم واولئك الكفرة موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم والله اعلم
وقال الحسن ان ارواح المومنين يعرضون على الجنان وارواح الكفار على النار فيكون لارواح الشهداء افضل لذة مما لا يكون لارواح
غيرهم من الكفرة ذلك فاستوجبوا بفضل اللذة على غيرهم اسم الحيوة الا ترى انه قال تعالى يرزقون فرحين بما اتاهم الله عز وجل من فضله
وقيل ان الناس كانوا يقولون فيما بينهم من قتل ببدر واحد مات فلان ومات فلان فقال عز وجل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
وقوله عز وجل يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله روي عن مسروق قال سالت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الاية
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية قال سالت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم عند الله في حواصل طير خضر
لها قناديل معلقة بالعرش يسرح في الجنة واينما شاءت ثم تاوي الى قناديلها والحديث طويل وقوله عز وجل ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية عن ابن عباس رضي الله عنه قال ينزل عليهم صحف مكتوب فيها من يلحق بهم من الشهداء فبذلك يستبشرون
وقيل يستبشرون لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وامرهم بما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعم التي اعطاهم الله وقيل يستبشرون
يعني يرجون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من بعدهم من اخوانهم في الدنيا ارادوا الا استشهدوا فلحقوا وقيل لم يلحقوا بهم من خلفهم
الذين يدخلون في الاسلام من بعدهم والاستبشار هو الفرح او طلب البشارة كانهم طلبوا البشارة لقومهم ليعلموا اكرامهم عند الله
وتمنيهم كقوله من قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقيل ان الحيوة على ضربين حيوة الطبيعي وحيوة
العرضي وكذلك الموت على وجهين موت الطبيعي وموت العرضي على وجوه احدها حيوة الدين والطاعة كقوله عز وجل او من كان ميتا
فاحييناه وحيوة العلم والبصيرة واليقظة سمي العالم حيا والجاهل ميتا وحيوة الزينة والشرف على ما سمى الله تعالى الارض ميتة
في حال يبوستها وحية في حال خروج النبات منها بقوله عز وجل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها وحيوة الذكر والثناء
فجائز ان يكون الله تعالى لما اخبر انهم احياء عند ربهم ان يكون لهم حيوة من احد الوجوه التي ذكر حيوة ذكر وثناء او حيوة زينة وشرف او
حياة العلم باهل الدنيا على ما كان لهم قبل ذلك او حيوة دين وعبادة ان يجري عليهم اعمالهم قبل الشهادة وان كانت اجسادهم في الحقيقة
ميتة في احكام الدنيا وهذا يقوي قولنا في المرتد انه اذا لحق بدار الحرب يحكم في نفسه وماله بحكم الموتى في قسمة المواريث وقضاء الديون
وغيرها وان كان هو في الحقيقة حيا على الحكم في اموال الشهداء وانفسهم بحكم الموتى في حكم الدنيا لا يعودون الى الدنيا وان كانوا عند ربهم

احياء فعلى ذلك يحكم في نفس المرتد وامواله بحكم الموتى لما لا يعود الى دارنا وان كان هو في الحقيقة حي عند الله لما جاز
ان يكون حيا عند الله ميتا عندنا جاز ان يكون ميتا عندنا حيا عند الله والله اعلم وحيوة الطبيعي هو حيوة جوهر وما به
يقوم النفس وموت الطبيعي هو هلاكه وفوته والله اعلم وموت العرضي هو جهله والله اعلم وقوله عز وجل يستبشرون
بنعمة من الله وفضل يحتمل بنعمة من الله وفضل اي بدين من الله كقوله تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا قيل بدينه ويحتمل بنعمته من الله
الجنة وفضل زيادات لهم وكرامات من الله عز وجل وقوله عز وجل وان الله لا يضيع اجر المومنين اي لا يضيع من حسناتهم
وخيراتهم وان قل وصغر كقوله عز وجل يتقبل منهم احسن ما عملوا ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال
ذرة الاية وقوله عز وجل استجابوا لله والرسول قيل اجابوا الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه واطاعوا فيما
امرهم به من بعد ما اصابهم القرح اي الجراحة قيل دعاهم الى بدر الصغرى بعد ما اصابهم باحد القروح والجراحات فاجابوه
فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول الاية وقوله عز وجل للذين احسنوا منهم في الاجابة له بعد ما اصابتهم الجراحة
وشهدوا القتال معه واتقوا الخلاف له وترك الاجابة ويحتمل اتقوا النار وعقوبته اجر عظيم في الجنة وثواب جزيل والله
اعلم وقوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الاية قيل ان المنافقين قالوا لاصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد ما انهزم كفار مكة ولوا دبرهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يخوفونهم حتى لا يتبعونهم
على اثرهم فذلك عادتهم لم تزل كقوله تعالى ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وقيل انما قال ذلك لهم رجل يقال له نعيم بن مسعود
ولا ندري كيف كانت القصة وقوله عز وجل فزادهم ايمانا لما وجدوا الامر على ما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و
وعدهم لا على ما قال اولئك فزادهم ذلك ايمانا اي تصديقا زادهم قيل جراءة وصلابة وقوة على ما كانوا من قبل في الحرب و
القتال ويحتمل زادهم ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وتصديقا وقيل قوله عز وجل زادهم ايمانا اي تصديقا ويقينا بجراءتهم على
عدوهم ويقينهم بربهم واستجابتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم فان قال قائل ما معنى قوله سبحانه وتعالى زادهم ايمانا على
اثر قوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وذلك قول لا يحتمل ان يزيد الايمان
وليس كقوله عز وجل اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لانها حجج والحجج تزيد التصديق او تحدث او تدعو الى الثبات على
على ذلك فيزيد الايمان فقولهم اخشوهم كيف يزيد قيل يخرج ذلك والله اعلم على وجوه احدها انهم اذ علموا انهم اهل النفاق
وانهم يخذلون بذلك وقد كان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصنيعهم فكذبوهم بذلك واقبلوا نحو امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجابة لامره وتصديقا بوعده ومجانبة لاعتزازهم باخبار اعدائه والنزول على قولهم فكان ذلك منهم عند
ذلك زائدا في ايمانهم معنى في تكذيبهم ذلك نحو قوله عز وجل واما الذين في قلوبهم مرض الاية انه انما زاد بتكذيبها بان الله
فتلك تكذيب المكذب بالايات لذلك يزيد ايمانا والله اعلم والثاني ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم بتعرف
اعداء الله وتثبط امرهم واخبرهم المنافقون بالاجتماع فصاروا الى ما نعتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا الامر على
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من انباء الغيب والانباء عن الغيب من اعظم ايات النبوة فزادهم ذلك ايمانا والله
اعلم وذلك قوله عز وجل فمن اتبع رضوان الله الاية والثالث لما لم يغزوا بقول المنافقين ولا قصدوا لذلك ولا ضعفوا فانزل الله
تعالى سكينته على قلوبهم ليزيدهم بذلك ايمانا كقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين الاية وبالله التوفيق ثم
معنى زيادة الايمان يخرج على وجوه احدها بحق الابتداء في حادث الوقت اذ له حكم التجدد في حق الافعال بما هو الكون
تاركه على ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا الاية فيكون ذلك بحق الزيادة على ما مضى وان كان بحق التجدد في حق الحادث
والوجه والثاني ان يكون له الثبات عليه اذ حج الشيء يوجب لزومه والدوام عليه فسمى ذلك زيادة ويحتمل ان يكون يزداد
في امره بصيرة وعلى ما رغب فيه اقبالا لو حقه مراعاة فيكون في ذلك زيادة في قوته او في نوره او في زينته وتمام وذلك
مرعوف ويحتمل ان يكون ذلك داع الى محافظة حقوق والتمسك بادلته والوفاء بشرائطه فيزيد ذلك فضله كما على
صلوة واحدة في التحقيق الغاية في ذلك من حفظ الحقوق ومراعاتها والله اعلم وقوله عز وجل قالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل فوضوا الى الله تعالى بما راوا من صدق وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وظهور كذب قول المنافقين ان الناس
قد جمعوا لكم الاية او قالوا ذلك عند قول المنافقين اياهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فوضوا امرهم الى الله تعالى وسلموا
لما راوا النصر منه رضاء منهم بكل ما يصيبهم كقوله عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
مدحهم الله عز وجل بما رادا انفسهم لله فكذلك هذا وقوله عز وجل والله ذو فضل عظيم اي ذو من عظيم بدفع المشركين
عن المومنين وقوله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يحتمل النعمة نعمة الدين على ما ذكرنا وقيل انقلبوا بنصر من الله
والغنيمة ويحتمل النعمة من الله الامن العدو ولان المنافقين كانوا يخوفونهم بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل
النعمة الجنة وفضل الزيادة على ذلك وقيل انصرفوا باجر من الله وفضل وهو ما تشوقوا به من الشوق لم يمسسهم سوء ولا

قتل ولا هزيمة وقوله عز وجل واتبعوا رضوان الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم وقيل اتبعوا طاعته ورضاه ويحتمل
بنعمة من الله وفضل الزيادة في الايمان وهو الصلابة والقوة فيه وقوله لم يمسسهم سوء مما كانوا يخوفونهم بقوله ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله اي رجعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل انما ذلكم
الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافوني يخوف اولياءه واعداءه لكن اعداؤه لا يخافونه واولياؤه يخافونه
كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن من اتبع كان يقبل انذاره ومن لم يتبع الذكر لا وان كان ينذر الفريقين
جميعا فعلى ذلك الشيطان كان يخوف اولياءه واعداءه جميعا لكن اعداؤه لا يخافونه واولياؤه يخافونه ويحتمل قوله يخوف
اولياءه اي باوليائه وجائز هذا في الكلام كقوله لتنذر يوم الجمع اي بيوم الجمع الا ترى انه قال وان الشياطين الى اوليائهم
ليجادلوكم فعلى ذلك قوله يخوف اولياءه اي باوليائه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه يخوفكم اولياؤه وهذا يؤيد
تاويل من تاول يخوف باوليائه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اي لا تخافوه لمخالفتكم
اياه وخافوني اي خافوا مخالفتكم امري كقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه اخبر انه ليس له سلطان على الذين امنوا انما سلطانه على اوليائه لذلك قال لا تخافوه لما ليس له عليكم سلطان وخافوني
لما لي عليكم سلطان وبالله العصمة وقوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يحتمل الاية وجهين يحتمل ولا يحزنك
الذين ظاهروا غيرهم من المشركين عليكم وقد ظاهر اهل مكة غيرهم من المشركين عليك فان الله ينصرك فيخرج هذا مخرج البشارة له
بالنصر على اعدائه والغلبة عليهم ويحتمل ايضا وجها اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشتد عليه كفرهم بالله ويحزن لذلك
كقوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فيخرج قوله لا يحزنك مخرج تسكين الحزن ودفعه عنه والتسلي على ذلك
لا مخرج النهي اذ الحزن ياخذ الانسان وياتيه من غير تكلف ولا صنع وكقوله تعالى لا تحزن ان الله معنا هو على مخرج التسكين و
الدفع عنه لا على النهي فكذلك الاول والله اعلم وكقوله تعالى لام موسى عليه السلام لا تحزني وقوله عز وجل انهم لن يضروا الله شيئا
يحتمل قوله لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله عز وجل انما ضرر ذلك عليهم كقوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم ويحتمل لن يضروا الله شيئا لانه ليس لله في فعلهم وعملهم نفع ولا في تركه ذلك عليه ضرر وانما النفعة في عملهم لهم والضرر
في تركه عليهم والله اعلم وقوله عز وجل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة هذه الاية تنقض على المعتزلة قولهم لان الله
تعالى يقول اراد ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا والمعتزلة يقولون بل اراد ان يجعل لهم حظا في الاخرة اذ يقولون اراد لهم الايمان
وبالايمان يكون لهم الحظ في الاخرة فثبت بالاية انه لم يكن اراد لهم الايمان والاية في قوم خاص علم الله تعالى انهم لا يؤمنون
ابدا فاراد ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ولو كان على ما تقوله المعتزلة بانه اراد ان يجعل لهم حظا في الاخرة لما اراد لهم ان يؤمنوا
ولكن لم يؤمنوا لكان حاصل قولهم اراد الله ان لا يجعل لمن اراد يؤمن في الاخرة وذلك جور عندهم وبالله التوفيق وقوله
عز وجل ولهم عذاب عظيم وذكر مرة اليم ومرة شديد لان التعذيب بالنار اشد العذاب في الشاهد واعظمه لذلك اوعد بها
في الغائب وجعل شرابهم وطعامهم ولباسهم منها نعوذ بالله من ذلك وقوله عز وجل ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم لن يضروا الله شيئا ما ذكرنا انه على الوجهين اللذين وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا
يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الاية اختلف في قراءتها قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء فمن قرأ بالتاء
صرف الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تحسبن يا محمد انما نملي لهم خير لهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما لهم فالاية
على المعتزلة لكنهم تاولوا بوجهين احدهما على التقديم والتاخير كانه قال ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا
اثما انما نملي لهم خيرا لانفسهم فيقال لهم لو جاز جعل الاية وصرفها على ما حملتم عليه وصرفتم اليه جاز حمل جميع الايات
التي فيها وعد المؤمنين وصرفها الى الكافرين وما كان فيها وعيد الكافرين الى المؤمنين اذ لا فرق بين هذا وبين جعلكم الخير
مكان الاثم والاثم مكان الخير وبين جعل الوعد في موضع الوعيد والوعيد في موضع الوعد والوجه الثاني قالوا اخبر
تعالى عما يؤول امرهم في العاقبة لا ان كان في الابتداء كذلك كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا و
معلوم انهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن اخبار عن مال الامر في العاقبة ان صار لهم عدوا وحزنا وكذلك يقال
للرجل سرقت لتقطع وقتلت لتقتل وهو لم يسرق ليقطع ولا قتل ليقتل ولكن اخبار عن مال الامر وحاله في العاقبة فكذلك
هذا لكن الاخبار عن مآل الامر يخرج مخرج التنبيه عن السهو والغفلة في الابتداء فالله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك
فخرج ذلك مخرج التحقيق في الابتداء لا مخرج الاخبار عما يؤول الامر في العاقبة وبالله التوفيق والثاني ان من اراد امرا يعلم
انه لا يكون فهو جهل يريد ذلك او لعب فالله سبحانه يتعالى عن الجهل بالعواقب والعبث في الفعل دل انه كان على ما اراد
لا ما لم يرد ولو كان الله سبحانه وتعالى لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين واخير لم يكن لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاعجاب ما اعطى الكفرة من الاموال والاولاد بقوله سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية دل انه قد يعطى

ما ليس

ما ليس هو باصلح في الدين ولا اخير والله اعلم وقال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها الاية و
وقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك من الايات فيها
وجهان على المعتزلة احدهما قولهم في الاصلح ان الله تعالى لو فعل بالخلق شيئا غيره اصلح لهم في الدين في حال المحنة كان
ذلك جورا ومعلوم ان الفعل بهم ليزدادوا اثما لا يبلغ في الصلاح في الدين الفعل بهم ليزدادوا برا ومعلوم انه
لو كان كذلك لم يكن ليجوز ان يحذر رسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيقول لا يعجبك كذا فكان ثم قال لا يعجبك الذي
هو صلاح في الدين ثم يؤكد ذلك بانه لهم ذلك ليعذبهم بها ثم شهد على من حسب ما حسبته المعتزلة بانهم لا يشعرون
فكان ذلك شهادة منه تعالى عز وجل على كل من وافق رايه راي اولئك الكفرة انهم لا يشعرون ومعلوم ان الجبابرة و
والفراعنة لو لم يجعل الله تعالى لهم تلك الحواشي والملك والقوة لم يكن ليجترئوا على دعوى الربوبية ويبلغوا في المآثم ما بلغوا
فيكون فوت ذلك اصلح لهم في الدين وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية
ثم كان معلوما انه اذا كان بما يجعل ذلك للكفرة يكفرون فلو جعل للمؤمنين يؤمنون ثم لم يجعل كذلك والله اعلم وايد
ذلك قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها الاية والثاني ان الارادة اذ هي صفة لكل فاعل مختار في الحقيقة وقد اخبر
وجه اعلى ثبت انه اراد ذلك معنا كان المتعالم من فعل كل احد لا يخرج على ما اراده ولا يبلغ به ما لو فعل انه يكون من جهل
او سفه فالاول يكون فعله على ظن ان يكون ذلك فلا يكون والثاني ذا علم ان لا يكون فيكون له به عابثا سفيها
جل الله تعالى عن الوجهين ثبت ان فعله لما علم انه يكون لا لغيره ليلحقه به وصف جهل او سفه وبهما سقوط الربوبية
ثم وجهت المعتزلة الاية الى وجهين احدهما على التقديم والتاخير بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا
اثما انما نملي لهم ليزدادوا خيرا وذلك فاسد لوجهين احدهما لو كان جعل الخير شرا والشر خيرا بالتاويل وصرف الاية
عن سياقها ونظمها لجاز ذلك في كل وعد ووعيد وامر ونهي وتحليل وتحريم فيصير كل امور الدنيا مقلوبا والثاني
انه لو كان كذلك لكان يجب ان يتعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ على ذلك معجبا ولكانوا فيما حسبوا ان ذلك
خير لهم يشعرون معا قيل ولا يحسبن بالياء في بعض القراءة ومتى كان بحسب الكفرة ذلك شرا حق بما انبؤا على الحسبان
والله الموفق والثاني قالوا ذلك خبر عما يؤول الامر اليه كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم
لا لذلك التقطوا وكمن يقول للسارق سرقت لتقطع يدك وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب والذي قالوه انما هو
تنبيه وايقاظ للقوم لا يذكرون عواقب الامور فيحرصون عليها عن غفلة بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى
فمحال ان يكون امره على ذلك يكون فيما يذكره ذلك الا ترى ان احدا لا يقول ولدت للموت اذ بنيت للخراب لانه لا
لذلك يفعل وان كان اليه يؤول وانما هو قول الواعظ لهم بما ذكرت كذلك بطل هذا وامر قوم فرعون لم يقل ليكون لهم
عند الله تعالى وبما اراد الله وكان كذلك ولا قوة الا بالله وقد بينا ما في الحكمة بحقيقة من طريق الاعتبار ولا
قوة الا بالله واصل في ذلك ان الله تعالى عالم بمن يؤثر عداوته ويعاديه فارادته ان لا تكون منه ذلك لحاجة
اليه في موالاته او ايجاب غلبة عليه في بعض ما يريد جل الله عن هذا الوصف وقوله عز وجل وما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قيل فيه بوجوه قيل لا يترك الله المؤمنين على ما انتم عليه ايها المنافقون
ولكن يمتحنكم بالجهاد وبانواع المحن ليظهر المنافق لهم من المؤمن وقيل ليظهر الكافر لهم من المؤمن الصدق وقيل فيه
بوجه اخر وذلك ان المنافقين كانوا يطعنون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزئون بهم سرا فقال الله
عز وجل لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء بهم ولكن يمتحنكم بانواع المحن لتفتضحوا وليظهر
نفاقكم عندهم ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اي
لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من النفاق والكفر في دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى يميز فيها الخبيث من الطيب
يجعل الخبيث في النار والطيب في الجنة كقوله تعالى عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا فيجعله في جهنم الاية وقوله عز وجل وما كان الله ليطلعكم على الغيب قيل فيه بوجهين قيل انهم كانوا
يقولون لا نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي الانبياء كقولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ومثل قوله بل يريد كل
امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا فعلى ذلك قوله ما كان الله ليطلعكم على الغيب لانه اجتباه لوجه وجعله
موضعا لرسالته اي لا يجعلكم رسلا اذ علم الغيب انه من ايات رسالته والله اعلم وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون
الى السماء فيسترقون فياتون باخبارها الى الكهنة قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الكهنة يخبرون بها
غيرهم من الكفرة فانزل الله سبحانه وتعالى وما كان ليطلعكم على الغيب بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا كما

كنتم تطلعون على اخبار السماء قبل بعثه ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء اى يصطفى من يشاء فيجعله رسولا فيوحى
اليه ذلك اى ليس الوحى من السماء الى الانبياء عليهم الصلوة والسلام يحتمل قوله يجتبى من رسله من يشاء اى لا يطلع احد
منكم على الغيب الا من اجتباه منكم لرسالته ويحتمل قوله يجتبى من يشاء اى لا ينسخ شرايعه واحكامه برسول اخر نحو ما بين
موسى الى عيسى عليهما الصلوة والسلام ان كان فيما بينهما نبى لم يجعل له احكام سوى احكام موسى عليه السلام ابقى تلك
الاحكام والشرايع وكذلك ما بين عيسى الى محمد عليهما الصلوة والسلام فاجتبى هؤلاء لابقاء شرايعهم واحكامهم
والله اعلم **وقوله** عز وجل فامنوا بالله ورسله ظاهر وان تؤمنوا برسله كلهم وتتقوا المعاصى فلكم اجر عظيم ويحتمل وان
تؤمنوا وتتقوا الشرك فلكم كذا **وقوله** عز وجل ولا يحسبن الذين اوتوا العلم بالكتاب انما يؤتون من المال وينالون
من النيل بكتمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وتحريفهما ان ذلك خير لهم بل هو شر لهم فى الدنيا والاخرة ولو لم يكتموا
كان خيرا لهم فى الدنيا ذكرا وشرفا وفى الاخرة ثوابا وجزاء وقيل نزلت فيما منع الزكوة بخلا منهم وشحا فذلك وعيدهم
والاول اشبه والله اعلم وان كان فى الزكاة قيل الجحود بها كقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون
وقوله عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة فان كان على التاويل الاول من كتمان نعته وصفته فهو والله اعلم
يطوق ذلك فى صفة يوم القيامة ليعرفه كل احد كقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه وان كان على
التاويل الثانى قيل ان الزكوة التى منعها تصير حية ذكرا شجاعا اقرع ذو زبيبتين يعنى نابين فيطوق بها فى عنقه
فتنهشه بنابيه فيتقيها بذراعيه حتى يقضى بين الناس فلا يزال معه حتى يساق الى النار والله اعلم **وقوله** عز وجل
ولله ميراث السموات والارض فى الاية دلالة ان اهل السموات يموتون ليس على ما يقوله القرامطة انهم لا يموتون لانه
اخبر ان له ميراث السموات والارض والوارث هو الذى يخلف المورث دل انه ما ذكرنا وان كانوا هم وجميع ما فى
ايديهم لله تعالى عز وجل ملك له وعبيدا لا ترى انه روى فى الخبر لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده حتى
ما يكون للمولى من عبده ميراثا وان كان العبد وما فى يده ملك للمولى فعلى ذلك الاول سمى الله عز وجل ذلك ميراثا له وان
كان هم عبيده وما فى ايديهم ملك له والله اعلم قال الشيخ رحمه الله وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض وكان
له لا بحق الميراث لوجهين احدهما على الاخبار عن ذهاب اهلها وبقاية عز وجل دائما اذ ذلك وصف المواريث ان يكون
لمن له البقاء بعد فناء من تقدم والله عز وجل هو الباقى بعد فناء الكل معا يجوز القول بما هو له فى الحقيقة من قبله بانه
من حيث ملك غيره الانتفاع بذلك وعلى ذلك المروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يرث الكافر المسلم ولا
المسلم الكافر الا المولى من عبده وليس ذلك فى الحقيقة ميراثا اذ كان له فى حال حيوته ولكن كان ولاية الانتفاع به فوقها
وعلى مثل هذا وراثة المسلمين الجنة لا على انتقال من غيرهم اليهم ولكن على بقائهم فيها وحصول امرها لهم او على وراثة
ما لو كان من لم يؤمن امن وما ادعوا انها لهم بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فصارت ميراثا
لغيرهم ما ادعوا انها لهم والله اعلم والثانى ان يعلم كل بالموت حقيقتها انها له فاضيفت اليه بالميراث عنهم كما قال
تعالى عز وجل وبرزوا لله جميعا واليه المصير والمرجع ونحو ذلك من غير غيبة عنه ولكن لما يعلم كل اذ ذاك ذلك
وكذلك قوله عز وجل والامر يومئذ لله وهو فى الحقيقة فى كل يوم له ولا فوق الارباب له وفى الذكر والاخبار انها له
ميراث تحريض على الانفاق والتزود اذ هى فى الحقيقة لغير اهلها وانما لهم ما ينفقون ويتزودون دونه ما يمسكون
وفيه منع الامساك وذلك كقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض الاية والله بما
تعملون خبير وعيد منه عز وجل اياهم **وقوله** عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قيل
لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية قالت اليهود ربكم يستقرض منكم ونحن اغنياء وليس فى الاية بيان
ان ذلك القول انما قاله اليهود او غيرهم من الكفرة ولكن فيه انهم قالوا ذلك فلا ندرى من قال ذلك ولا يجوز ان
يشار الى احد بعينه الا ببيان ثم يحتمل ذلك القول منهم وجوها يحتمل ان يكون قال ذلك اوايلهم على ما قال فى قتل
الانبياء عليهم السلام وهؤلاء لم يقتلوا ولكن انما قتلهم اوايلهم اضيف ذلك اليهم رضاء منهم صنيعهم فعلى
ذلك القول الذى قالوا يحتمل ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هؤلاء قالوا ذلك بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبمشهدهم او قالوا ذلك فى سر فان قال ذلك اوايلهم فانه يحتمل وجهين يحتمل ان يكون الله تعالى اعلم ذلك رسوله
تصبيرا اياه وتسكينا ليصبر على اذى الكفار حيث قالوا فى الله ما قالوا فكيف فيه والله اعلم ذلك ليكون ذلك
اية من ايات رسالته وان كانوا قالوا ذلك بحضرة اصحابه صلى الله عليه وسلم ففيه ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا من
التسكين والتصبير على اذاهم والثانى ليعلموا ان جميع ما يقولون محفوظ عليهم ليس بفايت ولا غافل عنه كقوله
عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم الاية لكنه يؤخر ذلك الى وقت وان كانوا قالوا ذلك

سرا ففيه ايضا وجهان احدهما ذكرنا ان يكون اية من ايات النبوة ليعلموا انه انما علم ذلك بالله على علم منهم انه لم يكن
فيما بينهم من يخبر اليه والثانى خرج على التعزية له والتصبير على اذاهم ثم معنى قوله تعالى قرض والله قرضا حسنا
ومن ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يحتمل وجهين احدهما ليلا يمنوا على الفقراء انما يتصدقون عليهم اذ يعلمون انه ليس بفقير
ولا محتاج الى غيرهم فيستقرض لفقره ولحاجته وكل من اقرض اخر لا لحاجة له فى ذلك القرض ولا فقر ولكن ليكون ماله
عنده محفوظا فى الشاهد فانه لا يمن المقرض عليه بل تكون المنة للذى عنده القرض على المقرض حيث يحفظ ماله فى التلف
فعلى ذلك المال الذى يقرضون ويتصدقون على الفقراء يكون محفوظا عند الله ليوم حاجتهم اليه فالمنة يكون على الفقير
والله اعلم والثانى انباء عن جوده وكرمه لان العبد وما فى يده له فلو اراد ان يأخذ جميع ما فى يده لكان له ذلك ثم يطلب
منه ببدل يضاعف على ذلك والثالث ان المولى فى الشاهد اذا طلب من عبده القرض يكون فى ذلك شرف العبد وعظم فعلى
ذلك الله سبحانه وتعالى اذا طلب من عبده القرض على علم منه فانه غنى بذاته لا يجب ان يبخل عليه وفى ذلك شرفه وعظمه
والله اعلم **وقوله** عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير قال اهل التفسير قالت اليهود وذلك تنبيه لصنيعهم و
شرح سفههم حتى زعموا ان يد الله مغلولة لكن ليس فى الاية بيان القايلين ولا فى النسبة الى احد نفع سوى خوف الكذب ولم
يكن ذلك منه لكنهم قالوه والاغلب على مثله ان يكونوا قالوه سرا يكون فى اظهاره اية الرسالة او كانت الاوايل يقولون فيكون
فى ذلك اذ لا يحتمل ان يصبر لمثله يقال بحضرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الا ان يكون فى وقت امروا بالكف
فيكون فى ذلك بيان قدر طاعتهم لله مع عظم ما سمعوا من القول وجلالة ان فى ذكر ذلك دعاء الى الصبر على اذاهم وسوء قولهم
اذهم مع تقلبهم فى نعم الله تعالى وعلمهم بانهم لما بنا لو اخذنا الا بالله تعالى اجترءوا عليه بمثل هذا القول وبلغ عتوهم هذا فالله
جل ثناؤه مع قدرته وسلطانه يحكم عنهم ليوم وعدهم فيه الجزاء فمن ليس منه اليهم نعمة ولا تقدم عليهم منه كيف منه احق
بالصبر لاذاهم والاعراض عن مكافاتهم وعلى ذلك قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله الاية وقال الله تعالى
لرسوله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين **وقوله** عز وجل سنكتب ما قالوا قيل سنجزيهم جزاء
ما قالوا وقيل سنحفظ ما قالوا وسنثبت وسالزم كقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه والله اعلم **وقوله**
عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق قد ذكرنا هذا فيما تقدم انه يحتمل ان قتل اوايلهم فاضيف اليهم لرضاهم بفعلهم كقوله عز
وجل من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا الرضاء بقتله فان قيل ما الحكمة فى قوله وقتلهم الانبياء بغير حق و
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يرتكبون ما يجب به قتلهم كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية
اطلق القول فيه من غير ذكر اكتساب شئ يستوجب به ذلك وشرط فى المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به كقوله والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الاية فكيف ذكرها هنا بغير حق وهم لا يكتسبون ما يستوجبون به القتل قيل يحتمل قوله
بغير حق اى بغير حاجة لانهم كانوا يقتلون بلا منفعة تكون لهم فى قتلهم على ما قيل انهم كانوا كذا كذا نبيا ثم يهيج لهم سوق
فاذا كان كذلك يحتمل قوله بغير حق اى بغير حاجة كقول لوط عليه السلام ان هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فقالوا ما لنا فى بناتك
من حق اى من حاجة والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل وقتلهم الانبياء اى قصدوا قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قد
قتلوه او قتلوا اصحابه رضى الله عنهم فاضيف اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل نقول ذوقوا عذاب الحريق وقد ذكرنا هذا **وقوله**
عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم ذكر الايدى لما بالايدى يقدم وان لم يكن هذا معنى ما باليد فى الحقيقة وكذلك قوله بما كسبت
ايديكم لما باليد يكتسب والله اعلم **وقوله** عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان قيل انهم
لما دعوا الى الاسلام يعنى اليهود قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول صلى الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار وكان ذلك
اية فى بنى اسرائيل فسال اليهود من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك وقيل كان من قبلنا فى الامم الخالية ذلك فسالوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك ولكن لم يكن القربان من ايات النبوة والرسالة ان كان فهو من ايات التقوى كقوله عز وجل واتل عليهم
نبا ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين كان القربان
من ايات التقوى الا ترى انه قال يا محمد قل جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم يعنى القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول الا بكذا اى ان كان ذلك من ايات النبوة لم قتلتم الانبياء الذين اتوا به او لم قتل اوايلكم الانبياء
اذا اتوا بالقربان ان كنتم صادقين انه من النبوة او ان كنتم صادقين انه عهد اليكم ان لا تؤمنوا به حتى ياتى بقربان والله اعلم
وفى قوله عز وجل ايضا قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فهو والله اعلم ادعوا
ان اوايلهم ادعوا الذى ذكر وامن العهد وهم تبعوا ولذلك فعرفهم صنيع من يدعوا بهم احتجوا اليكون لهم فيه اية ما كذبهم
بما احتجوا بوصية المتقدمين فى ذلك فبطل عذرهم اذهم قتلوهم فلا يجوز تصديقهم على العهد الذى ادعوا وذلك صنيعهم
او يعترفوا انهم اخبروا بالعهد من غير ان كذبا او باطلا فبطل حجاجهم على ان فى الاية انما يتقبل الله من المتقين فجعل ذلك اية التقى

لا ايته النبوة والاصل فيه انا لما عرفنا ايات الرسل عليهم الصلوة والسلام لا يذكر فيها القرابين ثبت ان هذا الذى
ادعوا اليس هو بعهد جاء به الرسل عليهم الصلوت والسلام ولكنه حيل السفهاء بتلقين الشياطين ووحيهم لذلك لم يجيب
الذى ذكروا والله اعلم **وقوله** عزوجل فان كذبوك يا محمد فى القول وما جئت من ايات تدل وتوضح انك رسول الله وانك
صادق فى قولك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات يعزى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويصبره ليصبر على اذاهم وتكذيبهم
اياه كما صبر اولئك على اذاهم وتكذيبهم كقوله عزوجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وفى قوله تعالى ايضا فان كذبوك فقد
كذب رسل من قبلك وجوه احدها ان يصبره على ذلك بما له فيه اخوان صبروا على عظم ذلك عليهم وذلك فى قوله عزوجل فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل والثانى على دفع العذر عنه فى ترك الابلاغ ان ذلك لم يمنع من تقدم والثالث على الانبياء انهم اصحاب
تقليد فى التكذيب لان يكذبوا عن محنة وظهور فذلك اقل للتاذى به ولنوع الارتياب فى الانباء ليستيقن من حضر وصدقه ان
ذلك منهم على الاعتياد والتقليد دون المحنة والظهور والله اعلم **وقوله** عزوجل بالبينات قد ذكرناها فيما تقدم فى غير موضع
وقوله عزوجل والزبر قيل احاديث الانبياء عليهم بالنبوة على ما يكون وقيل الزبر هى الكتب اى جاؤا بالبينات والزبر يعنى الكتب
والكتاب المنير قيل والزبر والكتاب واحد وقيل الكتاب المنير هو الذى فيه الحلال والحرام والاحكام المكتوبة عليهم والمنير هو
الذى انار قلب كل من تمسك بالهدى كما قيل فى الفرقان انه يفصل ويفرق بين الحق والباطل والله اعلم ويسمى كتب الله كلها فرقانا و
منيرا بما يفرق بين الحق والباطل ويبين السبيلين جميعا والله اعلم **وقوله** عزوجل قال كل نفس ذائقة الموت فيه دلائل احدها
دليل اثبات الرسالة لانه ليس فى العقل ان لا تبقى هذه الانفس ابدا ولا تدوم ولا فيها اثار فنائها ثم وجد العلم من كل منهم بالموت
والتسليم له والاقرار منهم ان كل نفس تموت يدل انهم انما عرفوا ذلك وايقنوا به من خبر السماء بالوحى والله اعلم ثم ان كل حى يتلذذ
بحيوته وجب ذلك اليه ويكره ويبغضه دل ان هذا العالم لم يكن بالطباع ولكن كان بغيره لما يتلذذ به طبع كل منهم بالحيوة
ويكره بالموت ويبغض اذ لو كان به لكان يختار ما يتلذذ به ويدفع ما يكره به ودل ان غيرا فعل ذلك وخلق لما ذكر خلق الموت
والحيوة الاية وفى ذلك بطلان قول اصحاب الطبايع وايضا ان كل نفس يجتمع فيها الطبايع المختلفة المتضادة التى من طبعها
التنافر ولم يجز ان يكون بنفسه يجتمع دل ان له جامع وايضا ان العالم لو كان بنفسه وطبعه لاختار كل لنفسه احوال الاحسن
الاحوال والذهاب فبطل به الشرور والقبايح فدل وجود ذلك على كونه بغيره ثم فيه ان ذلك الغير الذى كان به العالم واحد لا
عدد اذ لو كان بعدد لم يحتمل وجود العالم على الطبايع المختلفة والهمم المتفرقة لما جمع هذا فرق الاخر وما اثبت هذا نفى الاخر وفى
ذلك هنا فساد الربوبية فدل وجوده على ما ذكرنا انه واحد لا عدد فلتسق تدبيره ونفاذه معا كان الامر المعتاد بين الملوك
فى الشاهد ان من فعل هذا نقض الاخر وما دام هذا ايجاده يريد الاخر اعدامه وما ابقى هذا اراد الاخر افناءه وفى ذلك تناقض و
تناف فدل الوجود على ان الذى به كان واحد لا عدد ثم يحتمل على الاصطلاح منهم لانه يدل على العجز والجهل ان العجز والجهل هو
الذى حملهم على الاصطلاح والعاجز والجاهل لا يصلح ان يكون الها ربا وبالله التوفيق ثم الدلالة على حكمته وعلمه ما لم يعاين شىء
ولا يشاهد الا وفيه حكمة عجيبة ودلالة بديعة مما يعجز الحكماء عن ادراك ما ثبت وكيفية خروجه على ما خرج وعلم كل احد منهم
بقصور علمه على ما عنده من الحكمة والعجز عن ادراك كنه ذلك فيما ذكرنا وخروج الفعل متقنا محكما دلالة حكمة مبدعه وخالقه
وبالله التوفيق ثم الدلالة انه لم يخلق الخلق للفناء خاصة ولكن خالق للعواقب يتامل ويرجى ويخاف ويحذر ويرجو فعل كل
احد فى الشاهد من الحكمة اذا بنى للفناء والنقض فاذا كان الحكمة التى هى جزء يخرج فعله عن الحكمة اذا كان ذلك للفناء والهلاك
خاصة وخروج كل عن ذلك اجرى واولى ان يكون سفها لا حكمة والله الموفق ثم دلت طمانينة القلوب بموت كل نفس وتولى
حكماء البشر الاحتيال فى دفعه على ما ليس فى الجوهر دليله ولا فى العقل امتناعه انه عرف ذلك بمنزلة التدبير فيها بالرسالة وفيه
ايجاب القول بالرسول ثم دل فيهم جميع الحكماء به على حب الحيوة اليهم وبغض الموت عندهم على خروج جميع الاحياء عن تدبيرهم
وفى خروج الاموات اذهم تحت تدبير الاحياء ثم فى طمانينة كل قلب على الموت دلالة التدبير للواحد اذ لو كان لاكثر لجوز التمانع
وابطال المراد من الحى وفى ذلك ارتياب معا كانت كل نفس بحال لا تقهرها ويحوجها الى امور يعلم ان مدبرها هيئتها على
ذلك وطبعها وانه العليم بما به صلاحها وقوامها واليه حاجتها وعلى ذلك جبلها ليظهر عظم حكمته وتعاليه عن الشرك فى التدبير
او المعونة فى التقدير ثم لا يحتمل نشو مثله على جرى عليه من حكمة فى موت كل انه كان للموت انشاء لا للغير اذ تدبير فعل واحد
خاصة من حكماء البشر يخرج عن معنى الحكمة ويدل على قصور صاحب ذلك وسفهه بجملة العالم الذى كانت حكمة الحكماء جزء
منها وعقل العقلاء بعض منها احق واولى فثبت انها انشئت ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ويوم يجزى كل نفس بما عمل
وذلك قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الاية **وقوله** انما توفون اجوركم يوم القيمة لما ذكرنا انهم لما خلقوا اعنى الاخرة للجزاء
والثواب **وقوله** عزوجل فمن زحزح عن النار قيل بعد ونجى عنها وادخل الجنة فقد فاز قيل فاز نجا وقيل سعد وقيل الفائز
السابق وقيل فاز غنم واصل الفوز النجاة اى انجا مما يخاف ويحذر وظفر بما يتامل ويرجو **وقوله** عزوجل وما الحيوة الدنيا

الا متاع الغرور وحياة الدنيا غرور كقوله عزوجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال
والاولاد وحيوة الدنيا للدنيا لعب ولهو وغرور والاخرة ليست بلعب ولا لهو ولا غرور واصل الغرور هو ان يترأى الشىء
فى ظاهره حسنا مموها يغتر بها كل ناظر اليها ظاهرا فاذا انظر فى باطنها وجدها قاتلة مهلكة نعوذ بالله من الاغترار بها وقيل
الحيوة الدنيا على ما عند اولئك الكفرة لعب ولهو وعند المؤمنين حكمة **وقوله** عزوجل لتبلون فى اموالكم وانفسكم يحتمل الابتلاء
فى الاموال والانفس ان يبلو بالنقصان فيها كقوله عزوجل ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
الاية ويحتمل ان يبلو بما جعل فيهما من العبادات من نحو الزكوة فى الاموال والصدقات والحقوق التى جعل فيها وفى الانفس من انواع
من الصلوة والجهاد والحج وغيرها من العبادات والله اعلم **وقوله** عزوجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعنى الذين لهم علم
بالكتاب ومن غيرهم اذى كثيرا اى تسمعون انتم من هؤلاء اذى كثيرا على ما سمع اخوانك الذين كانوا من قبلك من اقوامهم اذى
كثيرا كقوله عزوجل فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وقوله عزوجل وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مكافاتهم على ما صبر اولئك
واتقوا مكافاتهم فان ذلك من عزم الامور وقيل من خير الامور وهذا يحتمل وقيل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قولهم عزير ابن
الله والمسيح ابن الله ومن الذين اشركوا يعنى العرب اذى كثيرا نصب الحروب فيما بينهم والقتال والسب وغير ذلك وان تصبروا
على ذلك والطاعة وتتقوا معاصى الرب فان ذلك من عزم الامور يعنى من حزم الامور **وقوله** عزوجل واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب اى الذى اوتوا العلم بالكتاب واذ اخذ الميثاق لتبيننه اى يبينوا الناس ما فى الكتاب من الامر والنهى وما
يحل وما يحرم وغير ذلك من الاحكام ولا يكتموا ذلك ويحتمل ان اخذ عليهم الميثاق ان يبينوا الناس بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته ولا يكتموه بالتحريف وترك البيان **وقوله** عزوجل فنبذوه وراء ظهورهم اى لم يعملوا بما فيه ولا يبينوا الناس فهو
كالمنبوذ وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا الاية قد ذكرنا معناه فى غير موضع وعن على رضى الله عنه قال ما اخذ الله ميثاقا
على اهل الجهل بطلب العلم حتى اخذ ميثاق من اهل العلم لان العلم كان قبل الجهل **وقوله** عزوجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
قيل بما غيروا من نعت محمد عليه افضل الصلوات وصفته فى كتابهم وكتموه وتبديلهم الكتاب واعجاب الناس ذلك وحمدهم
على ذلك وقيل ان اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وليس ذلك فى قلوبهم فلما
خرجوا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم المسلمون ما صنعتم فيقولون عرفناه وصدقناه فيقول المسلمون
احسنتم بارك الله فيكم يحمدهم المسلمون على ما اظهروا من الايمان وهم يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقيل انهم قالوا نحن
اهل الكتاب الاول والعلم واهل الصلوة والزكوة ولم يكونوا كذلك واحبوا ان يحمدوا على ذلك والله اعلم بالقصة وفى
قوله ايضا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الاية دل ما ذم الله عباده واوعدهم عليه اليم
عقابه فيما احبوا الحمد على ما لم يفعلوا تعالى الرب عن قول المعتزلة فى قولهم ليس لله فى الايمان تدبير سوى الامر ولا صنع وقد
احب ان يحمد عليه بقوله عزوجل انعمت عليهم وبقوله عزوجل ولكن الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته فى غير موضع من القران ولا قوة الا بالله قال الله تعالى والله على كل شىء قدير امتدح جل ثناؤه
بادخال كلية الاشياء تحت قدرته وبه خوف من عاند نقمته واطمع من خضع له عظيم ثوابه فلئن جاز اخراج شىء تحت
القدرة عن قدرته لاضمحل الخوف عما خوفهم والرجاء فيما اطمعهم اذ لم يظهر على ذلك قدرته الا بقوله وهو على كل شىء قدير وما
لا صنع لاحد فى شىء الا باقداره ومحال ان يقدر على ما لا يقدر هو عليه او يزول به قدرته لما فيه ما ذكرت فلذلك قلنا
فى بطلان قول المعتزلة باخراج افعال صنع الخلق عن قدرة الله وامتناعه عن تدبيره ولا قوة الا بالله قال الله عزوجل
ان فى خلق السموات والارض الى قوله عزوجل لايات لاولى الالباب نقول وبالله نستعين اخبر الله عزوجل ان فيما ذكر
ايات لمن ذكر ومعلوم ان الايات مما احتيج اليها لمعرفة امور غابت عن الحواس يوصل اليها بالتامل والبحث عن الوجوه التى
لها جعلت تلك الاشياء المحسوسة التى تغنى من له اللب دخولها تحت الحواس عن تكلف العلم بها التدبير بل علم الحواس هو علم
الضرورات واوايل علوم البشر الذى منه ترتقى الى درجات العلوم فيلزم طلب ذلك فبطل به قول من قال العلوم كلها
ضرورات لا تنتفع بالاسباب ولا يلزم الخطاب دون تولى الرب انشاء العلم فى القلوب بحقيقة ما فيه الخطاب اذ ذلك
يرفع حق الطلب ويستوى فيه الموصوف باللب وغير الموصوف والمتفكر فى الامر وغير المتفكر وقد قال الله تعالى ويتفكرون
فى خلق السموات والارض الاية وفى ذلك دليل ان المقصود بما اظهر ويعلم ما جعل فى الذى دليله وعلمه وهذا الكل انواع
العلوم ان منها ظاهر مستغن بظهوره عن الطلب وخفى يطلب بما له فى التحفظ من اثر يبنى عنه التامل والله اعلم وفى ذلك
دليل لزوم التوحيد باللب اذ صيرها ايات لمن له ذلك واول درجات الايات ان يعرف منشاها وجاعلها ايات والله
اعلم ثم دل اتصال منافع السماء والارض على تباعد ما بينهما حتى قام بها وحى جميع من دب على وجه الارض وانتفع بشىء
ثم فى اتصال الليل بالنهار فى منافع كل حى على تضاد ما بينهما حتى صارا كالمشكلين والسماء والارض كالقرينين على ان منشا

ذلك كله واحد وانه لو اختلف الانشا لتناقض التدبير وبطل وجوه النفع وان الذي انشاه ذلك عالم علم كيف يدبر لايصال المنافع واجتماعها بغيرها على اختلاف ما بينهما وانه حكيم وضع كل شيء على ما لو تدبر الحكماء فيه لم يكن يعرف انها الاقرب في المنافع على اختلاف في الجواهر وتضاد في الاحوال ابلغ من ذلك بل يقصر حكمتهم عن الاحاطة بوجه الحكمة والظفر بطرف منها الا بمعونة من دبر ذلك سبحانه وذلك هو الدليل على قدرته وهو سلطانه اذ سخر ذلك كلها البذل ما فيها من المنافع لمن جعلها له وجعل البعض على بعض سلطانا وقهرا ليعلم ان التدبير يرجع الى غير ذلك ويعلم ان من قدر على ذلك وعلم قبل خلق المنتفعين بما خلق على اي تدبير يخلق ذلك وباي وجه تتصل كل خلق في ذلك الى منافعه بها وبالذي سوى معاشهم وعلى اي تدبير وطم عليه لقادر على اعادة مثله والزيادة منه على انواع ذلك اذ كل امر لحق لابتداء كان ذلك ابعد عن التدبير عماله حق الاحتذاء بغيره او الاعادة مما كان في اعادة الليل والنهار وجعل كل من ذلك كالذي مضى وان كان الذي مضى فرقة دلالة كافية للبعث والقدرة عليه والله الموفق ومنها انها جعلت على تدبير يعرف صاحبها ان منشئهما وانه دبرها على ما فيهما من وجود الحكمة التي صارت الحكمة جزءا منها وفنون العلم التي تنال بالتامل فيها مما يوضح ان الذي ابدعهما حكيم عليم مما فيهما من اثار الاحكام والاتقان الكافية في الانباء عن الانشاء للحكمة وان الذي ابدع ذلك ليس بعابث ولا سفيه ثم معلوم ان القصد للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة ثبت ان ذلك غير مقصود فصار المقصود من ذلك وجها يبقى فثبت ان مع هذه دارا اخرى تبقى فهي المقصود جعلت لحق الجزاء وفي ذلك لزوم المحنة والقول بالرسالة ليعلم بالوحي كيفية وجه المحنة معالم يحل شيء من ان يكون فيه اثار النعمة من غير ان كان منه ما يستحق ذلك فثبتانه في حق الابتداء ولازم شكر المنعم في العقول فيجب به وجهان احدهما القول بالرسل لبيان وجوه الشكر اذ النعم مختلفة واصل الشكر بتفاضل على قدر المنعمين وكذلك النعم يتفاضل على قدر تفاضل متوليها لا بد من بيان ذلك ممن يعرف حقيقة مقادير النعم وجلالة حق المنعم وبالله التوفيق فكان فيها ايات الرسالة والتوحيد وحكمته وعلمه وجلاله عن الاشباه والشركاء وبها حل عن احتمال الشركة في صنعه او الشبه على ان كلية كل من سواه تحت القدرة وهو المتعالي عن ذلك وفيه دلالة البعث لما ذكرت عقوبة الكفران وقد يخرج المعروف به سليما عريقا في النعم وفي الحكمة والعقل عقوبته لزم ان يكون ثم دار اخرى مما كان خلق الخلق لا لمن يعرف الحكمة من السفه والولاية من العداوة والخير من الشر والرغبة من الرهبة لا معنى له بما فيه تضييع الحكمة وجمع بين الذي حقه التفريق في الحكمة والعقل وذلك اية السفه ومحال كونه من الحكمة صفته والعدل نعته فلزم به خلق الممتحن بالذي ذكرت فضاد جميع الخلائق للمحن ثم لا بد من ترغيب وترهيب اذ على مثله جبل محتملوا المحن فلزم به القول بالدار الاخرى وهو البعث ليكون للخلق بحق ابتداء النعم والاخرى بحق استحقاق الجزاء اذ كان الله التكليف بالاجزاء السابق النعم ولا قوة الا بالله والعاقبة والجنة في الحكمة للجفاء والكفران وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قيل ببعيد من العذاب وقيل بمفازة اي بنجاة من العذاب وهو ما ذكرنا من الفوز انه نجاة على ما يخاف ويحذر اي ليسوا بنجاة من العذاب بل لهم عذاب اليم **وقوله** عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير يشبه والله اعلم ان يكون هذا جوابا لقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير اي كيف جاز نسبة الفقر اليه والحاجة وله ملك ما في السموات والارض ونسبة الغنى الى انفسكم وانتم عبيده واماؤه وما في يد العبد يكون لمولاه او ان يكون جوابا لقولهم وقالوا اتخذ الله ولدا اي كيف يجوز ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات وما كلهم عبيده واماؤه والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد وجوه ثلاثة اما لوحشة اصابته يستانس به او لحاجة تبدو له فيدفع او لقهر وغلبة يخاف من عدو فيستنصر به على اعدائه ويرث ملكه اذا مات فاذا كان الله له ملك السموات والارض يتعالى من ان يصيبه شيء من ذلك كيف جاز لكم ان تقولوا اتخذ ولدا وان كان الخلق كلهم عبيده واماؤه وانتم لا تتخذون الاولاد من عبيدكم واماءكم كيف زعمتم انه اتخذ ولدا من عبيده **وقوله** عز وجل والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون لا يقدر على خلق فعل العبد وعلى قولهم غير قادر على اكثر الاشياء وهو قد اخبر انه على كل شيء قدير **وقوله** عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لاولي الالباب في الاية وجوه احدها انه خلق السموات والارض للبشر ولمنافعهم لا انه خلقهما لانفسهما لا منفعة لهما بخلقه اياها حتى يكون خلقه لانفسهما اذ خلق الشيء لا لمنفعة احد ولا لمنفعة خاصة عبث فاذا كان ما ذكرنا انه لا منفعة لهما في خلقهما دل انه انما خلقهما لمنافع البشر وسخرهما لهم ثم جعل منافع السماء بعدها من الارض متصلة بمنافع الارض حتى لا يقوم منافع الارض هذا الا بمنافع الاخرى فيصيرهما كالمتصلين لاتصال المنافع مع بعد ما بينهما فدل هذا ان الذي انشاهما واحد وكذلك اختلاف الليل والنهار هما مختلفان احدهما ظلام والاخر نور تغشيان الاعمار وتقربان الاجال في راي العين تشابه ولا تشاكل اذ احدهما نور والاخر ظلام وهما متضادان لكن خلقهما لمنافع البشر والمقصود بخلقهم بنو ادم لا لانفسهم على ما ذكرنا ان لا منفعة لهم في خلقهم ثم صيرهما مع اختلافهما وتضادهما كالمتشاكلين لاتصال المنافع بعضها ببعض دل ان منشئهما واحد وانه عليم حكيم حيث جمع من المتضادين المختلفين

وميزها

وميزهما كالمتشاكلين وهما العلم والحكمة والتدبير صار كذلك وفيهما دلالة البعث لانهما يفنيان حتى لا يبقى من الليل اثر حتى يجيء النهار فيذهب النهار ايضا حتى لا يبقى من النهار اثر فيجيء اخر لا بد الان كذلك فاذا كان كذلك قادرا على خلق الليل وانشائه من غير اثر بقي من النهار فكذلك قادر على انشاء النهار من غير ان بقي من الليل اثر ظلام لقادر على ان ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وان فنوا وهلكوا ولم يبق منهم اثر فاذا كان من خلق السموات والارض وما فيهما لمنافع البشر وهو المقصود في خلقهما لا غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم من العقول والبصر الذي بهما يميزون بين المنافع والمضار وبين الخبيث والطيب وبين الحسن والقبيح ولم يركب ذلك في غيرهم من الخلائق لا بد من امر ونهي يامر باشياء وينهى عن اشياء يمتحنهم على ذلك اذ هم اهل التمييز والفهم والبصر فاذا كان ما ذكرنا لا بد ايضا من دار اخرى للجزاء يكرم المطيع له فيها والولي ويعاقب العدو فيها والعاصي ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يحتمل هذا ان جعل الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الاحوال لان جعل القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل القعود راحة له عند الاعياء وكذلك الاضطجاع فاستادام بالشكر في كل نعمة على حال من تلك الاحوال ومدحهم على ذلك اذا فعلوا ويحتمل ان يكون تعالى امرهم ان يذكروه في حال الرخاء والشدة وفي الضراء والسراء لا في دون حال على ما يفعله بعض خلقه يذكرونه في حال الشدة والضراء ولا يذكرونه في حال الرخاء واليسر ولا يذكرونه في حال الرخاء واليسر ويذكرونه في حال الشدة والبلاء فمدح المومنين انهم يذكرونه في كل حال الا على ما يفعله اهل الشرك على ارادة نفس القيام ونفس القعود والاضطجاع ولكن على كل حال وفي كل وقت والله اعلم وقيل انه بماء في رخصة صلاة المريض يصلي قائما ان استطاع والا فقاعدا ان لم يستطع والا فمضطجعا وكذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ذلك **وقوله** عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض اذ في خلقهما دليل وحدانيته وشهادة ربوبيته ربنا ما خلقت هذا باطلا اي عبثا ولكن خلقتهم دليلا على وحدانيتك وشاهدا على ربوبيتك **وقوله** عز وجل سبحانك هو التنزيه والتنزيه هو ابعاده عن العيب وتبرئة منه وتطهيره عما يقول الكفار وهو حرف تقدم عند حاجات ترفع اليه ودعوات يدعى بها **وقوله** عز وجل ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل اذللته وفضحته واهنته وما للظالمين من انصار اي مانع يمنع عنهم العذاب ويدفع ويحتمل الانصار الاعوان اي ليس لهم اعوان يعينونهم في الاخرة **وقوله** عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان يحتمل هذا وجهين احدهما على حقيقة السمع ان سمعوا مناديا يدعوهم الى الايمان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران كلاهما يدعوان الخلق الى الايمان بالله ويحتمل قوله سمعنا اي عقلنا وعقل كل احد يدعو الى التوحيد والايمان به وقيل سمعوا دعوة الله فاجابوها وصبروا عليها وعن ابن عباس رضي الله عنه المنادي محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرا لانذركم به ومن بلغ الاية وعن غيره المنادي هو القران يدعوهم ان امنوا بربكم فامنا ربنا فيه دلالة ان الايمان ليس هو جميع الطاعات على ما يقول بعض الناس ولكنه فرد تصديق لانه لما قال لهم امنوا بربكم لم يطلبوا التفسير ولا قالوا بكم اشياء ولكن اجابوه اجابة موجزة فقالوا فامنا ربنا ثم فيه دلالة ان لا استثناء في الايمان لانهم اطلقوا القول في الاخبار عن ايمانهم من غير ذكر حرف الثنيا دل ان الايمان مما لا يحتمل الثنيا **وقوله** عز وجل ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا قيل قوله اغفر لنا ذنوبنا التي كانت فيما مضى من عمرنا وكفر عنا سيئاتنا اي اعصمنا فيما بقي من عمرنا او وفقنا للحسنات التي تكفر سيئاتنا لما قد يلزم العبد التكفير لما اساء وقيل المغفرة والتكفير كلاهما سواء لان المغفرة هو الستر وكذلك التكفير ولذلك سمي الحراثون كفارا لسترهم البذر في الارض وكذلك الكافر سمي كافرا لستره الحق بالباطل ولستره جميع ما انعم الله عليه بتوجيه الشكر الى غيره والله اعلم **وقوله** عز وجل وتوفنا مع الابرار يحتمل قوله توفنا مع الابرار توفنا واجعلنا مع الابرار ويحتمل وتوفنا من الابرار والابرار ثم اختلف في البر قيل هو الذي لا يؤذي احدا وقيل الابرار الاخيار ويحتمل توفنا على ما عليه توفيت الابرار وتوفنا وانا ابرار والبر الطاعة والتقوى ترك المعصية **وقوله** عز وجل ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك قيل فيه بوجهين قيل واتنا ما وعدتنا على السن رسلك على اضمار السن كقوله عز وجل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقيل ما وعدتنا على رسلك اي بما جعلت عليهم من الاستغفار للمومنين كقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وكقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام ربنا اغفر لي ولوالدي الاية وكقول نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات ثم بيننا وبين المعتزلة كلام في الاية قالت المعتزلة يجوز الدعاء والسوال عنه بما قد اعطي وما عليه ان يعطي نحو ما ذكر من السوال بما وعد وما وعد لا شك انه يعطي وانه لا يخلف الميعاد ونحو قوله عز وجل قل رب احكم بالحق وهو لا يحكم بالجور واما عندنا ان السوال عما عليه ان يعطي يخرج مخرج الدعاء له ربنا لا تجر ولا تظلم ان هذا لا يقال الا لمن يخاف الجور منه والظلم اذا يعلم ان ذلك عليه والسوال عما اعطي محال لانه يخرج مخرج كتمان ما اعطي وليس عنده ما يعطيهم فيخرج مخرج السخرية به لذلك بطل السوال والله اعلم ثم تاويل الاية عندنا على وجه واحد حاصل قوله ما وعدتنا على رسلك يحتمل ان يكون الوعد منه لرسله باستغفار الرسل اذا كان من المومنين استغفار وسوال كقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية وعد لهم المغفرة لهم باستغفار الرسول اذا كان منهم استغفار وسوال ليقول اجعل دعائي دعاء من جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم مستغفرا فاستغفر

وكقوله ايضا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا والثانى يحتمل ان يكون الوعد لهم اذا ماتوا على ذلك
فالدعاء كان منهم والسؤال انه اذا ماتهم يميتهم على الايمان على ما كانوا احياء والمغفرة والرحمة حينئذ تكون لهم الا ترى
انه قال من جاء بالحسنة فله كذا ولم يقل من عمل بها فله كذا ولكن ذكر مجيئه فعلى ذلك الاول ثم يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وفيما
ذكر من تاويل الاية فى الابتداء كفاية من ذلك والله اعلم والثالث يدعوا يجعلهم من الجملة الذين كان لهم الوعد اذا الوعد غير
مبين لمن هو فسالوا ان يجعلهم فى تلك الجملة والله اعلم وقوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم هذا يدل على ان الوعد لهم كان معروفا
بشرط السؤال لانه قال فاستجاب لهم والاستجابة تكون على اثر السؤال كقوله عز وجل واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان الاية وقوله عز وجل انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض قيل من الخلق كلهم لكن جعل
جزاء اعمال الكفرة فى الدنيا كقوله تعالى عز وجل نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون واما المؤمنون ففى الدنيا و
الاخرة واما الكفار فانما يعطيهم ابتداء ليس بجزاء وقوله عز وجل نوف اليهم اعمالهم اى نردها عليهم وهم لا يبخسون اى لا ينقصون
وقيل قوله منكم اشارة الى المؤمنين خاصة كقوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض الاية وقوله عز وجل
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى الاية الذين هاجروا الى الله تعالى ورسوله طوعا واخرجوا من ديارهم
اى اضطروهم حتى خرجوا من ديارهم فيها جروا واوذوا فى سبيلى اى فى طاعتى وقاتلوا حتى قتلوا ويحتمل هذا كله ان خلص بعضهم
طوعا وبعض اخرجوا من ديارهم حتى هاجروا وقاتل بعض حتى قتلوا وقاتل بعض ولم يقتلوا وقتل بعض وقوله ولادخلنهم
جنات تجرى من تحتها الانهار الاية تاويلها ظاهر وقوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل
يحتمل تقلبهم وجوها وذلك نعمة من الله عليهم لتركهم يتجرون فى البلدان مع كفرهم بربهم والثانى اعطاهم اموالا
يتنعمون فيها ويتلذذون والثالث ما اخر عنهم العذاب والهلاك الى وقت يقول لا يغرنك بانهم ذلك انما هو متاع
يسير مصيرهم الى النار كقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وكقوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم
انما نملى لهم ليزدادوا اثما الاية قال وليس الاغترار فى نفس التقلب لانه جهد ومشقة ولكن لما فيه من الامن والسعة والقوة
دليله قوله تعالى عز وجل متاع قليل ثم قال لكن الذين اتقوا منهم وسعيهم للاخرة متاع لا ينقطع وقوله عز وجل لكن الذين
اتقوا ربهم يعنى الشرك لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الى اخر ما ذكر نزلا من عند الله يحتمل ان يكون الامر ما ذكر فى بعض القصة
ان بعض المؤمنين قالوا ان الكفار فى خصب ورخاء ونحن فى جهد وشدة فنزل لا يغرنك تقلبهم فى ذلك انما هو متاع قليل
وذلك ثوابهم فى الدنيا واما ثواب الذين اتقوا ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار الى اخر ما ذكر وقوله عز وجل وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم يعنى القران وما انزل اليهم يعنى التورية ثم اختلف فى نزوله قال بعضهم نزل فى شان
عبد الله بن سلام واصحابه اقروا بانه واحد لا شريك له وصدقوا رسوله صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه الاية وقيل نزل
فى شان النجاشى وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشى قال ناس من المنافقين
يصلى على حبشى مات فى ارض الحبشة فانزل الله تعالى عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية وعن الحسن قال لما مات
النجاشى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم قالوا يا رسول الله لذلك العلج فانزل الله سبحانه وتعالى وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله الاية وقيل لما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المنافقون يصلى على من ليس من اهل دينه
فانزل الله الاية وعن الزهرى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبى الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشى فكبر له
اربع تكبيرات وصففنا فى المصلى خلفه وكان مات بالحبشة قال والنوازل على وجهين من نزل بسببه خيرا وسعة فله فيه
فضل لانه مفتاح الخير ومن نزل بسببه ضيق فعليه فضل لوم كانه مفتاح الضيق واما الاحكام فانه ينظر الى ما فيه نزل
فيشترك فيه الخلق ولا يجوز ان يقال نزل فى شان فلان انما نزل لما فى شان فلان لا فى شانه وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اصبروا قيل على اداء الفرايض والعبادات وقيل اصبروا على البلايا والمصايب والشدايد وصابروا فى الجهاد وعدوكم وقيل
اصبروا على امر الله وفرايضه وصابروا مع النبى صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه فى المواطن وعن الحسن قال امروا ان يصبروا
على دينهم الذى ارتضى الله لهم وهو الاسلام ولا يدعوا دينهم لشدة ولا لرخاء ولا لضراء ولا لسراء حتى يموتوا ويكونوا يصابروا
الكفار حتى يكونوا يميلوا عن دينهم وامروا ان يرابطوا المشركين وقيل اصبروا على الجهاد وصابروا العدو كم ورابطوا اى
داوموا على دينكم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال والصبر فى نفسه خاصة فى طاعة يصبر عليها ومعصية يصبر عنها وفى
والمصابرة مع غيره وقد يكون كل واحد على المعنيين لانه لا يخلوا عن مصابرة عدو فيما يطيع ربه وقيل رابطوا مع عدوكم
ما اقاموا واتقوا الله فيما امركم به فلا تدعوا ذلك مع نبيكم وذروا ما نهاكم عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم فى كل ما كان الخطاب للكفرة ذكر الله سبحانه وتعالى على اثره حجج وحدانيته
ودلايل ربوبيته لانهم لم يقروا بربهم من نحو ما ذكر يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الاية وكقوله
عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الاية وكقوله عز وجل يا ايها الناس ان وعد الله
حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ونحوه كثير ذكر الحجج والدلايل التى بها يوصل الى معرفة الصانع وتوحيده لينظروا فيها و
ليتفكروا فيعرفوا انه خالقهم والههم وفى كل ما كان الخطاب للمؤمنين لم يذكر حجج الوحدانية ولا دلايل الربوبية
لانهم قد عرفوا بربهم قبل الخطاب ولكن ذكر على اثره نعمه التى انعمها عليهم وثوابه الذى وعدهم نحو قوله يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا الى اخر ما ذكر نعمه التى انعمها عليهم و
كقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كذا الى ما ذكر على هذا يخرج الخطاب فى الاغلب وقوله
عز وجل اتقوا ربكم قيل اتقوا عذابه ونقمته وقيل اتقوا عصيانه فى امره ونهيه وقيل اتقوا الله بحقه فى امره ونهيه وقوله
عز وجل الذى خلقكم من نفس واحدة اضاف خلقنا الى ادم اذ الانسان من النطفة قال دل ما اضاف خلقنا من ادم واذ لم
نكن انفسنا مستخرجة منه على امرين احدهما جواز اضافة الشىء الى الاصل الذى اليه المرجع وان بعد ذلك عن الراجع اليه
على التوالد والتتابع والثانى انا لم نكن بابداننا فيه وان اضيف خلقنا اليه اذ لو كنا فيه لكنا منه بحق الاخراج لا بحق
الخلق منه وذلك يبطل قول من يجعل صورة الانسان فى النطفة مع الاحالة اذ يكون معنا فى التراب والنطفة اذ هما
من الموات الخارج من احتمال الدرك ونحن احياء دراكون والله اعلم وقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اى فرق
ونشر واظهر منهما اولادا كثيرا ذكورا واناثا وقوله عز وجل واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قوله تساءلون به
اى اتقوا الله الذى تساءلون بعضكم بعضا اى يسال بعضكم بعض الحوايج والحقوق به يقول اسالك بوجه الله وبحق
وبادم ويسال بعضكم من بعض بالرحم يقول الرجل لاخر اسالك بالرحم وبالقرابة ان تعطينى وقوله والارحام روى
عن ابن عباس رضى الله عنه يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا فى الارحام وصلوها وقرئ بالنصب والخفض
والارحام فمن قرا بالنصب يقول اتقوا الله فلا تعصوه واتقوا الارحام فلا تقطعوها ومن قراء بالخفض يقول اتقوا الله
الذى تساءلون به والارحام وروى فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام فانه اتقى لكم
فى الدنيا وخير لكم فى الاخرة والاية فى الظاهر على العظة والتنبيه وكذلك وقوله ان الله كان عليكم رقيبا هو على التنبيه
والايقاظ وقوله عز وجل واتوا اليتامى اموالهم يحتمل هذا وجهين احدهما احفظوا اموالهم الى ان يخرجوا من اليتم فاذا
خرجوا من اليتم اعطوهم اموالهم ويحتمل قوله عز وجل واتوا اليتامى اى انفقوا عليهم من اموالهم ووسعوا عليهم النفقة ولا
تضيقوها لينظر والى اموالهم غيرهم واتوا بمعنى تؤتوا الوقت الخروج من اليتم اى احفظوا لتؤتوا وقوله عز وجل ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب اى لا تاخذوا الخبيث فتتركوا لهم ما وعد لكم فى الاخرة بحفظ اموالهم وقيل لا تاخذوا الجياد
من ماله وتعطى الردى من ماله فذلك تبديل الخبيث بالطيب وقيل لا تاكلوا الخبيث وهو اموال اليتامى وتذروا
الطيب وهو اموالكم اشفاقا على اموالكم ان تبقى وقيل لا تاكلوا الحرام مكان الحلال لان اكل مال اليتيم حرام واكل
ماله حلال فنهى ان يبدلوا الخبيث بالطيب ويحتمل لا تاخذ ماله وهو خبيث ليؤخذ منك الذى لك وهو طيب ويحتمل
لا تاكلوا ذلك ابقاء لاموالكم التى طيبها الله تعالى لكم بما جعل الله لكم خبيثا ويحتمل لا تاكلوا اموالهم فى الدنيا فتكونوا انا دا
تاكلونها فتتركون الموعود لكم فى ابقاء الخبيث كقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقوله ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم يحتمل هذا والله وجهين يحتمل قوله اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم اى لا تخلطوا اموالهم مع اموالكم فتاكلوها
ففيه نهى عن الخلط والجمع ويحتمل اموالهم الى اموالكم اى باموالكم ففيه النهى عن اكل اموالهم باموال انفسهم تبعا كقوله
عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن وقوله عز وجل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعنى لا تجمعوها اليها
فتاكلونها معا ويحتمل مع اموالكم والله اعلم وقوله تعالى انه كان حوبا كبيرا قيل جورا قيل الحوب الاثم وهو ما حل
وقيل خطا وقيل ذنبا كبيرا وقيل اثما وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وقوله عز وجل وان خفتم
ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع اختلف فى تاويله قيل انهم كانوا
يخافون من اموال اليتامى ويتحرجون منها لكثرة ما جاء من الوعيد فيها فنزل هذا فان خفتم وتحرجتم من اموال اليتامى
فكذا فتحرجوا من الزنا وانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية وعن عايشة رضى الله عنها انها قالت نزلت فى يتامى
من يتامى النساء كن عند الرجال فيكون اليتيمة الشوهاء عند الرجل وهى ذات مال فلا ينكحها لشوهها ضنا بمالها
لتموت فيرثها وان نكحها امسكها على غير عدل منه فى اداء حقها اليها والا ولى لها سواه يطالبه بحقها فانزل الله
تعالى فان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى تذروهن ولا تنكحوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء وروى عنها ايضا

انها سئلت عن هذه الاية فقالت نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها وينقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن من النساء قالت عايشة رضي الله تعالى عنها واستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فانزل الله تعالى لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فيها في نكاحها ونسبها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها في شوهتها وقلة مالها تركوها واخذوا غيرها من النساء قالت فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقيل لما انزل الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية ترك المومنون مخالطة اليتامى وتنزهوا عنها فشق ذلك عليهم فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخالطتهم وكان يكون عند الرجل عدد من النساء ثم لا يعدل بينهن فانزل الله تعالى فان خفتم الجور في مخالطة اليتامى فكذلك خافوا جمع النساء وترك التسوية بينهن في النفقة والجماع ثم من الناس من يبيح نكاح التسع بقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع فذلك تسعة واما عندنا فانه لا يحتمل ذلك لان معنى قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع مثنى او ثلاث او رباع لانه قال وان خفتم الا تعدلوا فواحدة استثنى الواحدة اذا خاف ان لا يعدل بينهن فلو كان ما ذكر لكان لا معنى لاستثناء واحدة منهن ولكن يقول وان خفتم الا تعدلوا بين التسع فثمان او سبع او ست فلما لم يستثن الا واحدة دل ان التاويل ما ذكرنا مثنى او ثلاث او رباع على الانفراد والثاني ما ذكر في القصة انه كان عند الرجل عدد من النساء عشرا واكثر فلم يخرج ذلك على بيان ما يحل من العدد وذلك اربعة وروي ان رجلا اسلم وتحته ثماني نسوة فاسلمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق البواقي والخبر في بيان منتهى ما يحل من العدد دون وجه الحل فاحتمل ان يختار اربعا على استقبال النكاح وقوله عز وجل فان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية قيل فيه بوجوه احدها انه قال اذا خفتم الجور في كفالة اليتامى فاتقيتموها فخافوا في كفالة النساء فلا تكثروا منهن والثاني انهم اذا خفتم في اموال اليتامى فتحرجتم ضم اموالهم اليكم اشفاقا على انفسكم ان تاكلوا منها فخافوا النساء مواقعتهن من وجه يحرم عليكم فانكحوهن والثالث انه اذا خفتم الجور في يتامى النساء لو تزوجتموهن من حيث ليس معهن من يمنعكم من ظلمهن فانكحوهن من غيرهن فيمن اذا جرتم فيهن منعتم من ذلك لكنه معلوم ان الحد في عدد النساء لخوف الجور وبما علم الله من عجز البشر على ما جبل عليه اخبر انه لا يقوم بوفاء الحق في اكثر مما ذكر وقوله عز وجل وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس على الحكم والحتم ولكنه ادب لانه وان خاف ان لا يعدل فتزوج اربعا جاز وهو مثل الذي نهى عن المراجعة وامر بالقصد فيها والعدل فان فعل ذلك اثم ورجعته صحيحة وكذلك الامر بالطلاق في العدة والنهي في غير العدة ثم اذا طلق في غير العدة وقع فكذلك الاول وقوله فان خفتم الا تعدلوا في القسم والجماع والنفقة فواحدة او ما ملكت ايمانكم ان خفتم ان لا تعدلوا في واحدة لانه ليس للاماء قبل ساداتهن حق الجماع والقسم ينكح ما شاء كانه قال هذا وهذا ما ليس لاكثر منه غاية فله ان يجمع ما شاء من الاماء في ملكه وليس له ان يجمع بالنكاح اكثر من اربع ولو كان التاويل ما ذهب اليه لم يكن لقوله او ما ملكت ايمانكم وجه وفيه اذن بتكثير العيال مع ان كثرة العيال معدودة من الكرم اذا احسن اليهم لم يحتمل ان يزهد فيه وقوله عز وجل ذلك ادنى ان لا تعولوا قال بعض اهل العلم ان قوله تعالى ان لا تعولوا من كثرة العيال وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى لكن هذا لا يستقيم في اللغة لانه يقال في كثرة العيال اعال يعيل اعالة فهو معيل ولا يقال عال يعول وانما يقال ذلك في الجواز فان قيل روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابدا بمن يعول لكن تاويله والله اعلم ابدا بمن يلزمك نفقته اي ابدا بمن تصيره جائرا بترك النفقة عليه وكذلك يقال عال يعول عولا اذا انفق على عياله و ليس عن كثرة العيال في شيء الا ترى ان على الرجال ان يبدا بمن يعول فلو كان قوله ذلك ادنى ان لا تعولوا من العيال لكان النهي واحدة ذا عيال وان قول الله تعالى ان لا تعولوا والمتزوج واحدة يعولها فدل بما ذكرنا ان قوله ان لا تعولوا اي لا تجوروا او لا تميلوا على ما قيل وعن عايشة رضي الله عنها ان لا تعولوا ان لا تميلوا وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله والعول هو المجاوزة عن الحد ولذلك سمي الحساب الذي ازداد على اصله عولا لمجاوزته الحد فعلى ذلك العول ها هنا هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وهو الجور وقوله وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس بشرط المتعلق القول ولانه لا حاجة لمعرفة هذا الخوف الذي يجعل شرطا للجواز وكل عدل يخاف ذو خوف بل جميع امور الدين هو على الخوف والرجاء ولانه يوجب جمع النساء من يحل النكاح ويحرم اذ لا يعرف ذلك ومتى حرم عليه حرم عليها ولا يحتمل ان يجعل الحل شرطا لا يوصل الى حقيقته ولظهور فساد على الابقاء على النكاح فضلا من خوفه معا في قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية دلالة ظاهرة وكذلك في قوله وان امراة خافت من بعلها الاية وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وقوله عز وجل واتوا النساء صدقاتهن نحلة عن ابن رضي الله عنه نحلة قال المهر وقيل النحلة الفريضة اي اتوهن فريضتهن وقيل نحلة اي عطية اي هي لا وليها وهو من النحل وقيل نحلة الدين اي من الدين ان تؤتوا النساء صدقاتهن ليس على ما كانوا يفعلون في

بالجاهلية

الجاهلية يتزوجون النساء بغير مهورهن ففيه ان لا اهل الكفر النكاح بغير مهر وقوله عز وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفي الاية دلالة جواز هبة المراة من زوجها وفساد قول من لا يجيز هبة المراة بما لها تلا وتبقى في بيته سنة فيجوز امرها وفي الاية ايضا دليل ان المهر لها حيث اضاف الاحلال والهبة اليهن بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفيه دليل ايضا ان هبة الديون والبراءة منها جائزة كما جازت هبة المراة مهرها وهو دين وقيل فيه وجه اخر وهو ان الاباء في الجاهلية والاولياء كانوا ياخذون مهور نسائهم فامرهم عز وجل ان لا ياخذوا ذلك وحكم بان المهر للمراة دون وليها الا ان تهبه لوليها فيحل حينئذ وقوله عز وجل فكلوه هنيئا لا داء فيه ومريئا لا اثم فيه وقيل الهنيء هو اللذيذ الشهي الذي عند تناوله ويسره والمريء الذي يحمد عاقبته ثم الحكمة في ذكر الهنيء والمريء هنا وجهان احدهما ما ذكر في الايات من الوعيد في الاخذ منها بقوله جل وعز لا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا الى قوله بعضكم الى بعض ليلا يمتنع عن قبول ذلك للوعيد الذي ذكر في الايات والثاني اذا لامتناع عن قبول ما بذلت الزوجة يحمل على حدوث المكروه ويورث الضغاين وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما وقيل قوله عز وجل واتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بطيبة انفسكم يقول لا تعطوهن مهورهن وانتم كارهون ولكن اتوهن وانفسكم به طيبة اذ كان المهر لهن دونكم وقوله عز وجل فان طبن لكم اي ما طابت به انفسهن من غير كره فهو حلال وعن علقمة انه قال لامراته اطعميني من الهنيء المريء وعن علي رضي الله عنه قال اذا اشتكى احدكم فليسال امراته ثلاثة دراهم من صداقها ثم يشتري بها عسلا ثم يشربه بماء السماء فيجمع الله تعالى الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك وفي قوله ايضا جل وعز فكلوه هنيئا مريئا ان النفقة من مالها اذا تطيب وصف بالهنيء المريء بما ربما يستثقل الطبع عن مالها كراهة الامتنان او غلبة عليه كفايتها او بما جرى من الوعيد الشديد في منع مهرها او بما تحتشمه فتبذل له او بما يوم الطمع في مالها والرغبة في النكاح لذلك فطيبه الله تعالى حتى وصفه بغاية ما يحمل المال وفيه بيان جواز معروفها وترغيب في حسن المعاشرة بينهما حتى يبقى ذلك بعد الفراق بقوله عز وجل الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الاية وذلك اخذ ما يورث المحبة والمودة او بينهما ان جعل الله بينهما ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها مسئلة في العبد لا يتزوج اكثر من اثنتين روي عن عبد الله بن عتبة رضي الله عنه انه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق اثنتين وتعتد الامة حيضتين فان لم تحض فشهرين ونصف وعن علي رضي الله عنه انه قال لا يحل للعبد ان ينكح فوق اثنتين وعن عبد الرحمن بن عوف انه قال يتزوج العبد اثنتين وعن عمر رضي الله عنه انه قال ابن مسعود رضي الله عنه ما يحل للعبد من النساء قال اثنتين قال عمر رضي الله عنه ذلك ادري وعن الحكم قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان العبد لا يجمع من النساء فوق اثنتين فهولاء ستة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعلي وابن مسعود والفضل بن عباس والانصاري رضوان الله عليهم اجمعين اتفقوا على ان العبد يتزوج اثنتين ولا يتزوج اكثر من ذلك وايضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة تطلق تطليقتين وتعتد حيضتين فان احتج محتج بعموم الاية ان الله تعالى قال مثنى وثلاث ورباع ولم يذكر عبدا ولا حرا فهو على عمومه قيل في الاية دليل ان الخطاب للاحرار وهو قوله سبحانه وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فهو على من له النكاح بنفسه والعبد يكون له النكاح بغيره بقوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم فكان المخاطب بنكاح العبد مواليهم ليس له ان ينكح المراة الا باذن مولاه ومولاه يزوجه اذا شاء بغير امره فانما الخطاب لمن له ان يتزوج اذا شاء والعبد من ذلك خارج الا ترى انه قال عز وجل او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك ملك اليمين فدل ان الخطاب راجع الى الاحرار دون العبيد فان قيل فقد جعلتم للعبد ان يطلق الحرة ثلاثا فجعلتم له من الطلاق مثل الذي جعلتموه للحر فيجب ان تجعلوا له من تزوج النساء مثل الذي يجوز للحر قيل الفرق بينهما ان الطلاق عندنا بالنساء لان الحر يطلق امراته الامة تطليقتين فتحرم عليه والتزويج بالرجال لا ينظر فيه الى النساء فللعبد ان يتزوج النصف من تزويج الحر كما ان عدة الامة وطلاقها على النصف من عدة الحرة على ما روينا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون للعبد في امراتين شيئا نصف ما للحر من الاربع وروي عن الحسن انه قال في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم يعني الكفار وقيل لا تؤتوا السفهاء اموالكم فيكونوا قياما عليكم ولكن كونوا انتم قياما عليهم وقيل لا تؤتوهم اموالكم فيكونوا اربابا عليكم وكونوا اربابا اموالكم عليهم ومن صرف التاويل الى اليتامى جعل معنى قوله عز وجل اموالكم كقوله لا تقتلوا انفسكم وكقوله فسلموا على انفسكم يريد بعضكم في البيوت فعلى ذلك اضافة اموال اليتامى الى الاولياء وقوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية فالسفيه في الحقيقة من يعمل عمل الجهال وان كان جاهلا في الحقيقة او لانه قد يلقب العالم به

انا ضيع الحدود وتعاطى لافعال الذميمة وعلى ذلك ماجاء الكتاب بتسفيه علماء اهل الكتاب ثم قد يسمى الجهال به
لما الجهل هو السبب الباعث على فعل السفه فقوله تعالى لا تؤتوا السفهاء اموالكم يحتمل ذلك الوجهين واى الامرين كان
ففيه التحذير للمعنى الذى بين من قوله التى جعل الله لكم قياما فاما ان كانت قياما للمعاش وللمعاد ولهما وطريق الانفاق فى الوجهين
والامساك لهما التدبر ومراعاة الشرع وتعاهد الاسباب والوجهان جميعا يمنعان الوفاء بما جعلت له الاموال فحذر من انعم بهما عن
تضييع ذلك بالتسليم الى من ذكر مما يكون فى ذلك اتباع من ينبغى ان يكون متبوعا من حقه ان يجعل تابعا وذلك خارج عن
حد الحكمة وما يحمده العقل ثم قد صرفت الاية الى النساء بما جعل من اليه التدبير وهو الذى انشاهن تحت ايدى الرجال فى الامور
مع وصف الرجال انهم قوامون على النساء صرفت ايضا الى الصغار بما ضمن حفظ اموال مثلهم الكبار وجعلوا مكفولين عند البالغين
فاموال البالغين احق بذلك وحقيقة السفه ما ذكرت وجايز ان يكون المقصود بالذكر من ذكر الصغار والنساء بما خاطب
من حذر بالدفع الى من ذكر رزق اولئك وكسوتهم ولا يجب رزق الجهال والسفهاء على غيرهم فيكون ما ذكر اولى بمراد الاية
وان كان للمعنى الذى قصد بالاية التى ذكرتهم فلما استحقوا ولما غلبت تلك الاحوال على هؤلاء جعل من ذكرت قواما عليهم وقد
ذكرت عن الحسن انه صرف الاية الى الكفار فكانه تاول فى القيام القيام بامر الدين والكفار لا يجوز الاستعانة بهم فيه ولم يجعل
المال عندهم معاكون العلماء تسليط الكفر العقود لجهلهم بحق شرع الاسلام فيها فنهاه دفع الاموال اليهم وقوله عز وجل التى جعل
الله لكم قياما عن ابن عباس رضى الله عنه التى جعل الله لكم قياما يعنى قوام امركم ومعيشتكم وهو هكذا جعل الله هذه الاموال اغذية
الخلق بها تقوم دينهم وابدانهم وقوله عز وجل وارزقوهم فيها واكسوهم يقول لا تؤتوهم ولكن ارزقوهم انتم واكسوهم وقيل
يقول انفقوا عليهم منها واطعموهم وقيل لما اضاف الاموال الى الدافعين لا الى المدفوعة اليهم دل على وجوب نفقته الولد و
كسوته على الرجل وقوله عز وجل وقولوا لهم قولا معروفا قيل عدة حسنة جميلة سافعل وساكسوه قيل مروهم بالمعروف وانهوهم
عن المنكر وقيل علموهم الادب والدين وقولوا لهم كلام البر واللين واللطف وقوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح
اختلف فيه قال بعضهم قوله عز وجل حتى اذا صرف حتى صلة وتاويله وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح وهو قول الشافعى
رحمه الله يجعل الابتلاء بعد البلوغ ويحتمل ان يكون المراد بالابتلاء قبل البلوغ لوجهين احدهما ان يبتلى الايتام قبل بلوغ
بانواع العبادات ليعتادوا بها ويتأدبوا ليعرفوا حقوق الاموال وقدرها ويحفظوها اذا بلغوا لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ
لم يعرفوا ما عليهم من العبادات والفرائض وقت البلوغ وكان فى ذلك تضييع حقوق الله وفرائضه اذ لا سبيل لهم الى القيام
بها حتى البلوغ فامر الاولياء والاوصياء ان يبتلوهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا بلغوا عارفين لما عليهم من العبادات والحقوق
حافظين لها الا ترى الى ما روى فى الخبر انه امر الاباء ان يامروا ولده بالصلاة اذا كان ابن سبع وامر بالضرب والتاديب اذا كان
ابن تسع وبالتفريق فى المضاجع وهو من حقوق الخلق فهذا ليعتادوا ويأخذوا باخذوا الاداب قبل البلوغ حتى اذا بلغوا
عرفوا ما عليهم وهان القيام بها واذا لم يعودوا قبل ذلك يشتد عليهم القيام باقامة العبادات واداء الحقوق فعلى
ذلك الاول ووجه اخر ان يبتلى عقولهم بشىء من اموالهم يتجرون بها ويتقلبون فيها لينظروا اهل يقدرون على حفظ اموالهم
عند حدوث الحوادث والنوايب ففيه دليل جواز الاذن فى التجارة فى حال الصغر لانه لا يظهر ذلك الا بالتجارة وان كان
المراد بالابتلاء بعد البلوغ والكبير فهو ايضا يحتمل وجهين يحتمل العلم بها نفسه ويحتمل بها العلم والعمل ولا تضعوها فى
غير موضعها وقوله ان حرف حتى صلة انه لو جاز له ان يجعل هذا صلة لجاز لغيره ان يجعل الرشد صلة فيه اذ لا فرق بين
هذا وبين الاول ان يجعل صلة ثم اختلف فى قوله تعالى فان انستم منه رشدا فادفعوا اليهم اموالهم قال بعضهم هو ان يصير
هو من اهل الشهادة فحينئذ يدفع اليه المال فعلى قوله يجب ان ينتزع الاموال من ايدى الفساق لانه لا شهادة لهم ومن
قوله ان اليتيم من اهل الكفر لا يدفع اليه المال الا بعد استيناس الرشد منه فلو كان شرط الرشد هو شهادة لكان الكافر
لا يدفع اليه لما لا يقبل الشهادة ما لزم الكفر على احد دل ان الرشد ليس ما ذكر ولكن ما قيل من العقل والحفظ لماله والاصلاح
فيها وروى عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى فان انستم منه رشدا قال اذا ادرك بحلم وعقل ووقار وهو يقول ايضا
فى قوله تعالى منهم رشدا ان الله سبحانه وتعالى يقول اختبروا اليتامى من عند الحلم فان عرفتم منهم رشدا فى حالهم
والاصلاح فى اموالهم فادفعوا اليهم اموالهم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه فان حسبتم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم وفى حرف حفصة وابتلوا اليتامى فى اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح بعد كبرهم ثم لا يخلو منع الاموال منهم
من اوجه ثلاثة اما ان يمنع لفرط البذل والانفاق جودا وسخاوة وحسن الظن بالله انه عز وجل يرزقهم ويعطيهم
خلف نفقتهم وهذا لا يحتمل لان هذا من اخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وسيرتهم فلا يحتمل النهى عن ذلك او يمنع
لغلبة شهوتهم ولقضاء وطرهم وحاجتهم ينفقون الاموال ليصلوا الى ذلك فانهم منعوا عن اموالهم ايضا ولولا من اموال
غيرهم ويتعاطون ما لا يحل ويحسن فلا يحتمل ان يمنعوا الدلالة وان يمنع عنهم الاموال لافة فى عقلهم ونقص فى لبهم فان كان

لهذا ما يمنع اموالهم عنهم فيجب ان يمنع ابدا لا وقت فى ذلك ولا مدة الا بعد ارتفاع ذلك وزواله عنهم وهو الوجه
يمنع منه حتى يونس منه الرشد ثم جعل ادراكه وبلوغه بالاحتلام لان كل جارحة من جوارح الانسان يجوز استعمالها
الا الجارحتين منها فانه لا يقدر على استعمالهما الا صاحبهما فجعل الاحتلام علما للبلوغ وادراكه لذلك ولهذا ما لم يعمل الاكراه
عليهما نحو من اكره بالزنا فان عليه الحد لان الاكراه لا يعمل عليه فانما كان يفعل منه الا الوالى فانه اذا اكره اخر بالزنا ففعل
لم يقم عليه الحد لما جعلنا ذلك كالعلم بالسبب الذى يحل وكذلك لو اكره حتى وطئ امراة لزمه العقر ولا يرجع على المكره
ولو اكره على اتلاف مال من امواله ففعل ليرجع على المكره للمعنى الذى وصفنا ولهذا ما وقع طلاق المكره ونكاحه وعتاقه
لان هذه الاشياء انما تقع باللسان واللسان مما لا يعمل عليه الاكراه لذلك جاز والله اعلم واما البيوع والاشربة والعقود
كلها سوى هؤلاء يكون التسليم والقبض دون النطق باللسان والتكلم بها فالاكراه مما يعمل عليها لما امكن استعمالها غيره
لذلك افترقا ولهذا ما قلنا ان الايمان يكون بالقلب دون اللسان لانه اذا اكره حتى يكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه وكان قلبه
مطمئنا بالايمان لم يكفر فاذا اطمان قلبه بالكفر كفر لان الاكراه لا يعمل على القلب ولا يصير المكره مستعملا له انما المستعمل هو لذلك
لذلك كالجواب ما ذكرنا ومعنى الاحتلام بلوغا هو امكان استعمال سائر الجوارح دونه يعنى الفرج الا بعد الكبر وما كان المعروف
من الاباء والاولاد وما كان مما يجرى الامر بابتغاء المكتوب من الولد يكون بعد البلوغ وبعيد ذلك الا فى الوقت الذى لو ابتغى
لوجد ولعذر عليه وليس ذلك الا فى خروج الماء لشهوة ثم يكون فى المتعارف الاحتلام عن ذلك فجعل علما له ولذلك قيل
حتى اذا بلغوا النكاح ثم فرق فى حق الكتاب بين اللسان وغيره من حيث لا يملك احد فيه لسان اخر حتى ينطق دون صاحبه فيم
يظهر سبب جرى القلم من الاقرار بالبلوغ وهذا معنى ما جعل سببه بما لا يعلمه غيره ليكون اول احوال البلوغ ووقوع قوله بحيث
البلوغ معا كان النطق فعل من يجرى فى جنسه الخطاب وكانه اتصل امره بالسبب الذى خص به الممتحن من العقل اذ كان العقل قد
يعرف بالمحنة والاحتلام لا فامرنا بالابتلاء من حيث العقول ولم نؤمر من حيث لا يقبل قوله فى ذلك ودل قبول قول من بلغ بلا اخبار
عن احتلامه وبه يجرى القلم عليه ويلزم الحقوق ان يقبله يجوز فى ذلك الوقت ومخاصمته على قول من يرى الابتلاء بعد الادراك
انه لو لم يقبل فيم يبتليه ثم اذ جاز قوله لزم كل امر علق به وعلى ما ذكرت من اول ما علق به القول فى حق البلوغ دليل اتصال حكم
القول بالعقل تمام العقل بالبلوغ اذ به يجرى القلم ودل ما ذكرت من امتناع اللسان عن سلطان غير صاحبه عليه على لزوم
كل حق معلق به على الاكراه اذ لا يلزم بغيره وهو لا يجرى عليه ثم كل امر يكون لانه يصير اللسان سببا فيه به كالمعلم عنه وهو مما
يجرى عليه القهر ويعلم قوته به فيبطل والله اعلم وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا الاسراف هو كل ما نهى عنه وقيل
الاسراف هو اكل فى غير حق وكان الاسراف هو المجاوزة عن الحد وهو كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا وكان القتور منه ما
فعلى ذلك الاسراف فى النفقة فى مال اليتيم وقوله تعالى اسرافا وبدارا قيل البدار هو المبادرة وكلاهما لغتان كالجدال
والمجادلة وهو ان يبادر باكل مال اليتيم خشية ان يكبر فيحول بينه وبين ماله وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وفى حرف
ابن مسعود رضى الله عنه ولا تاكلوها اسرافا وبدارا خشية ان يكبروا وقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان
فقيرا فلياكل بالمعروف فاطلق الله تعالى لولى اليتيم بظاهر الاية اذا كان فقيرا ان ياكل بالمعروف من غير اسراف وذلك هو
الوسط منها وكذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا ساله فقال ليس لى مال ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف
ولا متاثل المال بماله وفيه دليل ان الغنى لا يجوز له ان ياكل مال اليتيم وان الفقير اذا اكل منه انفق نفسه لا اسراف فيها وعن
عمر رضى الله عنه قال انى انزلت فى نفسى من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان احتجت اكلت بالمعروف فاذا
ايسرت قضيت وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال الوصى اذا احتاج وضع يده مع ايديهم ولا يكتسى عمامة وعن عايشة رضى الله
عنها قالت فى قوله تعالى ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقالت ياكل ولى اليتيم من مال اليتيم اذا كان يقوم له على ماله
ويصلح اذا كان محتاجا وقيل ياكل قرضا ثم يرد عليه اذا ايسر وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل ياكل بالمعروف اى من
مال نفسه حتى لا يفضى الى مال اليتيم وقيل ياكل اذا كان يعمل له ويقوم عليه وقيل ياكل قرضا الا ترى الى قوله تعالى فاشهدوا
عليهم امر بالاشهاد عليهم عند الدفع ولو كان امانة فيه لم يحتج الى الاشهاد فى الدفع ولكن يجوز ان يامر بالاشهاد
لا لمكان الوصى بنفسه ولكن لما يجوز ان يحدث بينه وبين ورثة الوصى خصومة فيشهد ليدفع تلك الخصومة عنهم و
قيل الاكل بالمعروف هو ما يسد به جوعه ويوارى عورته وقوله تعالى وكفى بالله حسيبا قيل شهيدا بما اخذ من ماله
وانفق ويحتمل قوله حسيبا يحاسبه فى الاخرة اذا لم يحاسبه اليتيم فى الدنيا وقوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب الاية يحتمل ان يكون الاية والله اعلم نزلت بسبب ما لم يكن يورث اهل الجاهلية الاناث والنساء
والصغار ويجعلون المواريث لذى الاسنان من الرجال الذين يصلحون الحرب ويحرزون الغنيمة فنزلت الاية بتوريث
الرجال والنساء جميعا ويقال ان الاية نزلت فى شان رجل يقال اوس بن ثابت الانصارى توفى وترك بناتا وامراة فقام

رجلان من بني عمه وهما وصيان فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا فجاءت امراة اوس بن ثابت الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فشكت واخبرت بالقصة فقال لها ارجعي في بيتك حتى انظر ما يحدث الله في ذلك فانصرفت فنزل قوله
تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية وقيل نزلت الاية في
شان امراة ابن سعدان سعدا استشهد باحد وترك ابنتين وامراة فاحتوى اخ سعد على ما لسعد ولم يعط المراة ولا الابنتين
شيئا فاختصمتا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبرته بالقصة فقال لها لم ينزل الله علي فيكم شيئا ثم نزلت الاية فاخذ
من عمهما ثلثي المال ورده اليهما ودفع الثمن الى المراة وترك البقية للعم والله اعلم ان فيم كان نزولها وفي هذا الخبر دليل ان
للابنتين الثلثان كما للثلاث فصاعدا ليس كما قال بعض الناس ان لهما النصف لان الله تعالى انما جعل الثلثين للثلاثة ثم
يحتمل الاية وجهين بعد هذا يحتمل ان يكون المراد الاولاد خاصة لا غير فيدخل كل ولد وولد البنات وولد البنين لانهم
كلهم اولاده ويحتمل ان يكون المراد منها الرجال والنساء فيدخل ذوي الارحام في ذلك فلما لم يدخل بنات البنات في ذلك
وهم اولاد دل انه اراد النساء والرجال جميعا لا الاولاد خاصة وفيه دلالة نسخ الوصية للوارث لانه قال عز وجل للرجال
نصيب وللنساء نصيب الى قوله مفروضا اي معلوما بما اوجب في كل قليل ثم قال في قوله نصيبا مفروضا قيل انا يرجع الى ما بين
فرضه وهو اصحاب الفرايض دون العصبات فيكون على ما اشار الى حقه من جنس الاسم في القران ويحتمل ما بين وقد جرى فيه
ذكر حقين احدهما حق العصبة كما ذكر في الاب وفي الاخوة والاولاد وحق اصحاب الفرايض ولو كان على ذلك فقد يتضمن الفرض ما
يعلم بالاشارة اليه والدلالة لان اكثر من يوصي بحق العصبة هو ما لا نص فيه والذي فيه النص هو في الاولاد والاخوة خاصة
والوالد وقيل يتضمن كل الاقربا على اختلاف الدرجات فيكون منصوصا ايضا ومدلولا عليه ويؤيد هذا التاويل قوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض من المومنين والذين هاجروا واولئك هم البعداء الذين لهم اخوة الدين والهجرة فاذا بقي في الرحم احدهم
يصرف ذلك الى المومنين وقد قدم حقهم على المومنين والمهاجرين بالرحم لذلك هم اولى مما للامام صرف ذلك بحق الايمان اليهم
فيصير الدفع اليهم بحق الجواز والى غيرهم مثله عند قيامهم فالدفع اليهم اولى لوجهين احدهما عموم الكتاب على تحقيق حق لكل ايمن
منهم دون ادخال الحكم انه في حكم اخرين بلا ضرورة والثاني الاجماع من الوجه الذي ذكرت مع اتفاق اكثر الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين والعنوي الى يومنا هذا وقوله عز وجل واذا حضر القسمة اولوا القربى قيل فيه بوجهين قيل اراد بالقسمة قسمة
المواريث بين الورثة بعد موت الميت وقيل اراد به قسمة الموصي وهو لا بيضاء يوصي ويبين لمن ذكر من الاقربا واليتامى و
المساكين بشيء فالخطاب للموصي ومن قال بقسمة المواريث فالخطاب للورثة ان كانوا كبارا يعطون لهولاء شيئا ويعتذرون الى
وان كانوا صغارا يقول لهم الوصي قولا معروفا اي بعدلهم حسنة الى وقت خروج الانزال او الى وقت البيع ان باعوها ثم اختلف
المتاولون فيها قال بعضهم هي منسوخة وقال اخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومن قال هي منسوخة قال
نسخها اية المواريث قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم الاية لانهم كانوا يوصون الاولاد والاباء والامهات كقوله جل وعز
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين فنسخت اية المواريث وصية الموصي ومن قال هي
محكمة متقنة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم لانه المعروف والبر والاحسان وذلك مما لا يحتمل النسخ وقيل ان
عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث ابيه وعايشة حية فلم يدع في الدار مسكينا ولا ذا الا قسم له من ميراث ابيه وتلا هذه
الاية واذا حضر القسمة الاية فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنه فقال ما اصاب ليس ذلك له انما ذلك في الوصية يريد الميت
ان يوصي لهم وقوله عز وجل وارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قيل اذا كان المال كثيرا رضخ واعطى شيئا واذا كان قليلا
اعتذر اليهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل او من يرث ان يرضخ ويعطي لمن لا يرث شيئا وهو قول الحسن وقال
لهم قولا معروفا والقول المعروف يحتمل ما ذكرنا ان يعطي لهم ان كانوا كبارا اعني الورثة ويعد والمعروف ان كان المال ضياعا
الى وقت خروج الانزال والغلات والى وقت خروج الثمن او يعطي الورثة ان كانوا كبارا او يعتذر اليهم الوصي ان كانوا صغارا
وقوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم قيل هو الرجل يحضره الموت وله ولد صغار
فيقول له اخوا وصي بكذا واعتق كذا او افعل كذا ولو كان هو الميت لاحب ان يترك لولده الخوف هذا القايل بقوله فليتقوا الله
وامران يقول له مثل ما يجب ان يقال له في ولده بالعدل بقوله عز وجل وليقولوا قولا سديدا وهو قول ابن عباس رضي الله
عنه وقيل هو الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وامسك عليك لولدك الصغار والضعفاء ليس احد احق بمالك
منهم ولا توص من مالك شيئا فنهى ان يقال له ذلك لما لو كان هو الموصي وله ورثة صغار ضعفاء احب بان لا يقال له ذلك
فكذلك لا يقول هو له والاول اشبه وقوله عز وجل وليقولوا قولا سديدا قيل عدلا اي امره ان يوصي بما عليه من الدين والزكاة
ولا يجوز في الوصية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نهى من حضر منهم مريضا عند الموت ان يامره ان ينفق ماله في
العتق والصدقة او في سبيل الله ولكن يامره ان يبين ماله وما عليه من دين احق وقوله عز وجل ان الذين ياكلون

اموال اليتامى ظلما اي استحلالا لانه اذا استحل كفر فذلك الوعيد له وقيل ظلما اي غصبا والاكل هو عبارة عن الاخذ
كقوله لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة انما هو نهي عن اخذه وكذلك قوله الذين ياكلون الربوا وقوله وذروا ما بقي من
الربوا انما هو نهي عن قبض الربوا فعلى ذلك الاكل في هذه الاية عبارة عن الاخذ والاستحلال ومن حمل الاية على الغصب
جعل الوعيد عليه الا ان يتوب اذ لله ان يعذب من يشاء من ارتكب من عباده جرما كما جعل الوعيد على المستحل الا ان
يتوب وقيل انه على التمثيل ان الذي ياكل من مال اليتيم كانه ياكل نار الجحيم ولشدته وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في الضعيفين وقيل من هما يا رسول الله قال اليتيم والمراة فان الله ايتمه واوصى به
وابتلاه وابتلى به وقيل في قوله فليتقوا الله وليقولوا للميت اذا جلس اليه قولا سديدا اي عدلا في وصية ولا يجوز من
عدل في وصية عند موته فكانما وجه ماله في سبيل الله فقام سعد بن ابي وقاص فسال النبي صلى الله عليه وسلم كم يوصي
الرجل من مال ماله فقال الثلث والثلث كثير لان يدع عياله اغنياء خير من ان يتركهم عالة يتكففون الناس ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم زيادة في اعمالكم عند وفاتكم وقوله عز
وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قيل قوله يوصيكم الله وقد سمى الله تعالى الميراث فريضة
في غير اي من القران بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ثم قال نصيبا مفروضا وقال
ايضا في اخر هذه الاية فريضة من الله ولانه شيء تولى الله ايجابه من غير اكتساب اهله فهو كالفرايض التي اوجبها الله
على عباده من غير اكتساب اهلها فعلى ذلك سمى هذه فريضة لان الله تعالى اوجبه والله اعلم وقيل قوله يوصيكم الله
في اولادكم اي يبين الله في اولادكم الى اخر ما ذكر وفيه نسخ الوصية للوالدين والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين ودليل نسخه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطى
كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث ثم قيل ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد والاناث وانما
كانوا يورثون الرجال ومن يحوز الغنيمة فنزل قوله للرجال نصيب مما ترك الاية فالاية في بيان الحق للاناث في الميراث وكذلك
قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فيه بيان حق الميراث للذكور والاناث جميعا وقيل تاويل هذه الاية
ما بين في ذوي الارحام وان كانوا مختلفين في سبب ذلك وان الايات التي بعدها من قوله يوصيكم الله في اولادكم الى اخر
الايات التي فيها ذكر المواريث فسر بها مبلغ النصيب الذي اوجبه الله للنساء والرجال في الاية الاولى مجملا واجمعوا
ان الرجل اذا مات وترك ولدا ذكورا واناثا فالمال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ويحتمل قوله في اولادكم اولاد موتاكم و
هذا جائز في اللغة لانه لا يجوز ان يفرض على الرجل قسمة الميراث في اولاده وهو حي دل انه اراد اولاد الموتى ويحتمل ما ذكرنا
انهم كانوا لا يورثون الاناث من الاولاد والصغار منهم فخاطب الجملة بذلك لئلا يحرموا الاناث من الاولاد والصغار وفي
قوله ايضا يوصيكم الله في اولادكم اي في اولاد من مات منكم اذ لا يحتمل خطاب الحي بما ذكر في ولده فهذا ان كان تاويل يوجب
بعضهم وبا مروان كان تاويل ذلك يبين فذلك جايز بعد ان يجري الحي ما بين الله في اولاده بعد موته في ماله وذلك يمنع
الوصية لانه يزيل حق البيان ولما يمكن رفع القسمة وتخصيل الوصية على بعض لبعض وذلك بعيد اذ لا يملك في غيرهم
ثم من الناس من راى نسخ الوصية للوارث بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الاية كان الاية اوجب الميراث فيما
قل او كثر فلو كانت الوصية تجب للوالدين بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الاية
لكان الميراث لا يجب فيما يفضل منه لكن الاية اذ لم تمنع الوصية للاجنبي وهو يقرر في السهم المفروض الى ما يفضل من
الوصية فمثله للوارث لكن في الاية دلالة على رفع الكتاب اذ في الاولى انها كتبت فلما اوجب الحق في كل قليل وكثير
لم يبق معه الفرض والوجوب ولكن يجب الفضل ثم كان حق الوالدين ومن ذكر بحق اللزوم وقد سقط ذلك وبكان
يجوز فلما سقط الحق جاء في الخبر ان لا وصية للوارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية للوارث فسقط الحق بالاية من الوجه الذي يثبت والنقل يقول لا وصية فمن هذا الوجه الذي ذكرت
يسقط حق الوصية بالقران لكن فقد ذكر للمراة لا بحرف الوجوب بقوله متاعا الى الحول ثم سقط ايضا الخبر الذي اذ ليس
في الاية ذكر المراة بما ذكر فيها ميراث الاولاد والاقربين وقد بقي حق المتاع اذ له ان يوصي لغير الورثة لكن ذكر في ميراث
المراة وصية كقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية من الله والوصية منه مكتوبة على ما للوالدين و
الاقربين ثم اشرك الزوجين في ميراث الوالدين والاقربين مما قل او كثر كقوله النصف والربع والثمن مما ترك وقد
بينا ان الاية نسخت ما ذكرت فصارت ناسخة للامرين جميعا فهذا من جهة الاستخراج في حق النسخ على انه على
مذهبنا السنة كافية في بيان النسخ الحكم بينه الكتاب اذ هو بيان منتهى الحكم من الوقت وقد جعل الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بحيث البيان مما في القران وقوله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين فيه دلالة ان المال كله للذكر من الولد اذا لم يكن

ثم انثى لانه جعل للذكر مثل ما جعل للانثى النصف اذا لم يكن معها ذكر بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف ودل
ان للذكر من الولد اذا لم جعل للانثى عند الجمع له ذلك بحق الكل في حال الانفراد له الكل وقوله عز وجل فان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قال بعضهم بين الحق لما فوق اثنتين ولم يبين للاثنتين ولهما النصف الذي ذكر للواحدة
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه واما عندنا فان للاثنتين ما للثلاث فصاعدا فيكون بيان الحق للثلاث بيانا
للاثنتين لان الله تعالى جعل حق ميراث الواحدة من الاخوات النصف بقوله تعالى وله اخت فلها نصف ما ترك كما جعل
حق الابنة النصف اذا لم يكن معها ذكر بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس ثم جعل
للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاذا نزلت الاخوات منزلة البنات في استحقاق
النصف اذا كانت واحدة واستحقاق الثلثين اذا كانتا اثنتين فصاعدا فعلى ذلك نزل بيان الحكم في الاختين منزلة
بيان الحكم في الابنتين قيل بقوله اثنتين اثنتان فما فوقهما وقيل بيننا لكتاب الاستواء بين الابنة الواحدة و
الاخت الواحدة ليعلم استواء حق الولد و ولد الاب ثم بين في الاخوات للثنتين الثلثان و في البنات لما فوقهما ليكون
الذكر في الاختين دليلا على الابنتين وفيما اكثر من البنات على ما ذكر من الاخوات وايد ذلك امر الاجماع بين البنتين
والبنات وان كثروا وبين الاخوات وان كثروا مما كان معلوما ان بنات الرجل احق من بنات ابيه ايد ذلك ان بنات
ابنه قد يرثن وبنات ابن ابيه لا فلا يجوز ان يكون الاختين اكثر حقا من الابنتين و في الاغلب يجعل لهن ميراث
هؤلاء وايد ذلك انه ما دام يوجد في الاولاد من له فرض وفضل لم يصرف الى اولاد الاب شيئا انهم بمعنى الخلف
من هؤلاء على ما ذكرت جاءت الاثار واجتمع عليه اهل الفتوى وقوله عز وجل ولابويه لكل واحد منهما السدس
ان كان له ولد اختلف فيه قال بعضهم اراد بالولد الذكور خاصة لانه جعل للابوين لكل واحد منهما السدس اذا
كان الولد ذكرا اما اذا كان الولد انثى فللاب يكون الثلث واما عندنا فان اسم الولد يجمع الذكور والاناث
جميعا وبعد فانه ان كان الولد هاهنا ذكرا وانثى فينظر ان كان ذكرا يكون لكل واحد من الابوين السدس والباقي
للولد وان كان انثى فلها النصف وللابوين السدسان والباقي للاب على ما جاء في الخبر ما ابقت الفرايض فلاولى
رجل ذكر وقالت الروافض الباقي للابنة ذهبوا في ذلك الى ان الذي يقابل الابنة هو الابن والذي يقابل الاب هي
الام فالذي يقابل الابنة هو اولى باحراز الميراث من الذي يقابل الام وهو الاب فعلى ذلك الذي يقابل الابن وهي
الابنة اولى بذلك من الذي يقابل الام وهو الاب واما عندنا فان الاب اولى بذلك من الابنة لان للاب حقين
حق فريضة وحق عصبة اما حق الفريضة بقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس واما حق العصبة بقوله عز وجل
وورثه ابواه فلامه الثلث جعل الباقي له فذو حقين اولى بذلك من ذي حق واحد والابنة ليس لها الا حق الفرض
لذلك كان الاب اولى وفي الخبر دلالة ان حكم الابنتين وما فوقهما سواء وهو الثلثان ما روي عن جابر بن عبد الله
قال جاءت امرأة ثابت بن قيس بابنتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا ثابت بن قيس
اصيب معك يوم احد وقد اخذ عمهما مالهما وميراثهما ولم يدع لهما شيئا الا اخذه فما ترى يا رسول الله فوالله لا تنكحان
الا ولهما مال فنزل قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمهما
اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن ذلك ما بقي ثم في الاية دلائل احدها يخرج الخطاب على العموم والمراد منه خاص لانه
ذكر الاولاد والولد قد يكون على غير دينه فلا يرث وقد يكون على غير دينه فلا يرث وقد يكون مملوكا فلا يرث على
ما روي في الخبر لا يتوارث اهل ملتين وما روي لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم الا العبد مولاه وذلك في الحقيقة
ليس بميراث ولكن ما للعبد يكون لمولاه وفي هذا دليل جواز الاستثناء من غير نوعه حيث استثنى العبد وذلك في الحقيقة
ليس بميراث وفي الاية دليل جواز القياس والفكر فيها والاعتبار لان ميراث الابنتين مستدل عليهما غير منصوص وكذلك
ميراث الذكور من الاولاد بالانفراد مستدل عليه غير منصوص وما يحرز الاب من الميراث لحق العصبة مستدل عليه
لا منصوص وما يستحق بالفريضة فهو منصوص عليه وهكذا كل من يستحق شيئا بحق الفريضة فهو منصوص عليه فذلك
ان ما ترك ذكره انما ترك للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار وفيه دليل انه يجوز ان لا يطلع الله عباده على الاشياء بقوله
تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اذ لم يبين انهم اقرب نفعا دل قوله وورثه ابواه فلامه الثلث
اذ ذكر وراثتهما ولم يبين حق الاب انه جعله عصبة يرد اليه الفضل فيظهر للاب بهذه الاية من قوله سبحانه و
تعالى يوصيكم الله الى اخرها امران احدهما حق العصبة والثاني حق الفرض بقوله تعالى لكل واحد منهما السدس
ان كان له ولد ثم بعد هذا فيه امران احدهما انه اذا ثبت له حق العصبة وقد بين الله تعالى نصيب الابنة انه
النصف ونصيب الاب مع الولد ان له السدس فزعمت الشيعة ان الفضل يرد الى الابنة لانها ولد ولم يذكر له مع

الولد

الولد الا السدس وعندنا يرد الى الاب لانه لم يذكر للابنة الا النصف ثم قد جعل الاب عصبة فيما له حق الفضل
عن المفروض ولم يجعل الابنة لذلك كان الرد الى الاب احق مما يحتمل ان كان له ولد وولد ذكر ثم حجبت الام بالابنة اذ
هي تحجب الاخوات فالبنات احق اذ هن اقرب والثاني انه اذ جعل للاب السهم من وجهين ثم الذي له في احد الوجهين صار
للجد دون اولاده وبين لاولاد الاب الحق وابقاء حق الجد لما بين لولده فعلى ذلك ماله من الوجه الثاني وهو اولى
لان حق العصاب يخرج على الحاق الابعدين فيه بالاقربين وحق الفرايض لا حتى تبين ثم صار الجد بافي حقه من الفرض
اذا لم يكن هو قبله في حق العصبة ثم فيه وجه اخر انه اتبع ذلك لذكر ذكر الزوجين وذكرهما مع الولد ولم يذكر معهما
الولدان فثبت ان امرهما يدخل في حالهما فيما كان لا في حالهما اي الزوجين وايد ذلك قوله انه بقي حالهما مع الزوجين مع
الولد على ما كان عليه دون الزوجين معه فعلى ذلك حالهما بلا ولد وفي ذلك وجوب صرف حقهما الى ما فضل كما
ذكر في قوله وورثه ابواه فيكون الفضل بينهما على ما كان عليه بالكل لولا الزوجان وقوله فان كان له اخوة فلامه
السدس اختلف في حكم الاية من وجه ثلاثة قال بعضهم لا تحجب الام عن الثلث اخوان ولا اختان حتى تكون ثلاثة
لان الله تعالى قال اخوة واقل الاخوة ثلاثة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال الاخرون تحجب الام عن الثلث
الذكور ولا تحجب الاناث لان الله تعالى ذكر الاخوة والاخوة اسم للذكور منهم دون الاناث اذ الاناث اسم على حدة
وهو الاخوات لذلك حجب الذكور ولم يحجب الاناث واما عندنا فان الاخوة اسم للذكور والاناث جميعا في الحكم وان
لم يكن اسم لهما جميعا في الحقيقة الا ترى ان الله تعالى ذكر الاخوة ثم جعل بالتفسير اسما لهما جميعا بقوله وان كانوا اخوة
رجالا ونساء دل ان اسم الاخوة يجمع الذكور والاناث جميعا في الحكم لذلك حجب الام عن الثلث ذكورا كانوا او اناثا
واما قولنا بان الاثنين يحجبانها عن الثلث ما روي عن علي وعبد الله وزيد بن ثابت انهم قالوا تحجب الاخوان الام عن
الثلث كما يحجبها الثلاثة وجعلوا الاخوين اخوة والفرايض على اختلافها اتفقت فان حكم الاثنين حكم الاكثر وكذلك
في حق الحجاب والله وحجة اخرى وهي ان الله تعالى حكم في الكلالة اذا كان واحدا ان له السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث فجعل حكم الاثنين والثلاثة واحدا يشتركون في الثلث فوجب ان يكون حكم الاثنين والثلاثة
من الاخوة في حجب الام عن الثلث سواء وحجة اخرى وهي ان الله تبارك وتعالى جعل للاختين من الاب والام الثلثين
وسوى بين حكم الاختين والثلث في الميراث فعلى ذلك يجبان يستوي حكم الاخوين والثلاث في حجاب الام عن الثلث
ثم المسئلة بيننا وبين الروافض ان الاخوة من الام لا تحجب الام عن الثلث لانهم منها فمن البعيد ان يحجبوها ويمنعوها
ذلك عنها ويجعلون ذلك لغيرها يفضون بالام ويمنعون غيرها وقد قال اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا فريضة من الله والثاني فان الحجاب قد يجوز ان يقع بمن يحصل له ما حجب عنها نحو الاخوة من الاب والام اذا حجبوا الام
عن الثلث وقع لهم ذلك واما الاخوة من الام فان وقع لهم الحجاب لم يجعل لهم ذلك المحجوب منها فلا يحتمل الحجاب بهم واما
عندنا فانه ليس لهم بحق القرب والبعد ما يحجبون ولكن بحق الميت فاذا كان ما ذكرنا فسواء كانوا من قبل الام او من قبل
الاب فحق الحجاب والثاني ان الوارث جعلت بحق الابتداء لا بحق المورثين لا يحتمل ان يختار المورث من هو ابعد
على من هو اقرب نحو من يموت عن ابنة وابن عم لا يحتمل ان يختار ابن العم على الابنة في النصف الباقي دل انه على الابتداء
ونقول في الاخوة في الام انهم في الحجاب كالاخوة من الاب والام وان كان الحق لغيرهم لما ان الاخوة لما تفرقت حقوقهم
ذكرت وكذلك الاولاد فلو كان الحجاب بتفرق لكانت الحاجة الى الذكر لازم اذ بعيد نيل الام للنظر فيما الا اصل له في الاثر
ولا اصل له في هذا بالتفرقة بل قد جمع ذلك بين الاخوة والاخوات على ما في ذلك من الاختلاف الحقوق ثبت ان غير الحجاب
من الحقوق ليس باصل له والاصل ان ذلك لو كان على اعتبار الحق فهو بحق الميت لا بحق الابوين لانه لم يعرف الحجاب حق
ممن لا حق لهم مع الاب فبان انه بمعنى حق الميت يقع الحجاب والمعنى منه واحد ولو كان حجاب الاخوة من الاب بالاب
لكان الاب انا حجب الام فاذا كان هؤلا يحجب باذان ولدها لا يحجب ونها به اذ هو بحق الميت وقوله من بعد
وصية يوصي بها او دين ذكر الله تعالى الوصية قبل الدين واجمع اهل العلم ان الدين يبدأ به قبل الوصية والميراث وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه قال يقرؤن الوصية قبل الدين وقضى محمد عليه الصلاة والسلام بالدين قبل الوصية وروي
عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل الوصية والوصية قبل الميراث ولا وصية لوارث
واجمعوا انه اذا قضي الدين الى اهل الوصايا وصاياهم ان يجاوز الثلث فيرد الى الثلث ان لم يجز الورثة ويقسم الثلثان
بين الورثة على فرايض الله تعالى وليس معنى قول الله سبحانه وتعالى من بعد وصية توصى بها او دين ان يخرج الثلث
فيبدأ بدفعه الى الموصى لهم ثم يدفع الثلثان الى الورثة لان الموصى له شريك الورثة ان هلك من المال شيء قبل القسمة
ذهب من الورثة والموصى له جميعا ويبقى سائر المال بالشركة بينهم ولكن معناه من بعد وصية اعلام ان الميراث يجري في

بعد دفع الوصية من جملته اذا كان الثلث او دونه وان لم يكن دفع ذلك الى اصحاب الوصايا ثم لم يذكر في الاية
قدر الدين والوصية ومن قولهم ان الدين اذا احاط بالتركة منع الميراث والوصية واذا لم يحط لم يمنع والوصية ثم
يجوز قدر الثلث ولا يجوز اكثر من الثلث الا ان يجيزه الورثة والاية لم تخص قدرا من الدين دون قدر وكذلك الوصية
لكن تفسيره ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثلث والثلث كثير وما روي في خبر اخر ان الله تعالى
تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم زيادة في اعمالكم لم يجعل له اكثر من ذلك وما روي في خبر اخر عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما الخمس اقتصاد والربع جهد والثلث جنف ثم الوصية
جواز الاستحسان والافضال من الله تعالى والقياس يبطلها وذلك ان الله تعالى لم يملك الخلق اعيان الاموال
وانما جعل الانتفاع لهم بها الا ترى انهم نهوا عن اضاعتها ولو كان اعيان المال لهم لكان لا معنى للنهي عن اضاعتها لانه
انما جعل لهم الانتفاع فيها الى وقت موتهم وبالموت ينقطع الانتفاع بها فينتظر من الاحق بها بعد الموت الغريم صاحب
الدين او الوارث والاجواز الوصية الا افضال من الله تعالى على عباده بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تصدق عليكم
بثلث اموالكم عند وفاتكم دل هذا الخبر ان جوازها الافضال والاستحسان منه الى عباده والله اعلم وقوله تعالى
من بعد وصية يوصي بها او دين يدل على ان ما ليس بدين ولم يوص به الميت فانه لا يخرج من ماله ويدخل عندنا في هذا
الحج يكون على الرجل والنذر والزكوة واشباه ذلك ليس يبقى منها دين فاذا لم يوص الميت بها فلا يجب ان يؤدى من التركة
الا ان ينفذها الورثة فان قال قائل هي دين كسائر الديون قيل له ارايت ان كان عليه دين وزكوة يبدا بالدين وتقسم
التركة بالحصص اذ المريض بذلك كله فان قال يبدا بالدين قيل له لو كانت الزكوة دينا كديون الناس كانت اسوتها في
القضاء فان قال اجعل الزكوة اسوة في القضاء مع الديون قيل له ما تقول في رجل افلس وعليه ديون هل يقسم ماله
بين غرمائه فان قال نعم قيل فان كانت عليه زكوة هل تضرب لها بسهم فان قال لا قيل كيف ضربت لها بسهم بعد الموت
لما قسمت ماله ولم تضرب لها بسهم في الحياة ان كانت كسائر الديون بعد الموت فيجب ان يكون كسائر الديون في الحيوة الا
ان الزكوة حالة واجبة على من كان عنده مال فحال عليه الحول فاستهلكه وليس يجوز له تاخير قضاء الدين وفي اقرارك
انك تبدا بالدين قبل الزكوة في الحيوة دليل على انه يجب ان يبدا بالدين قبل الزكوة بعد الموت فان قيل قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمراة التي سالت هل تحج عن ابيها ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته الم يجز عنه يدل على ان الحج دين
قيل له ليس فيه دلالة الوجوب عليها انما فيه دليل جواز الحج عن الميت وقوله اذا كان قضاء ما هو اوكد منه من ديون
العباد قضاء صحيحا فالحج الذي هو دون ذلك في التاكيد احرى ان يقبل كانه اراد هذا والله اعلم ودليل اخر ان الزكوة لا
يجوز ان يؤدى عن الميت اذا لم يوص بها لان الزكوة لا تؤدى الا بنية المزكي والنية عمل القلب ولا خلاف في انه لا يصلي
عن الميت ولا يصام عنه فلما لم يجز ان يقضى عن الميت عمل الابدان لم يجز ان يقوم نية الورثة في اداء الزكوة مقام نية الميت
قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين ظاهره ان يقدم الوصية على الميراث لكن اجمع
ان الابتداء به عن حق الميراث ولكن يوزع فيخرج التاويل على وجوه احدها ان قوله سبحانه يوصيكم الله الى قوله من
بعد كانه سوى اي سواء ما لكم ان توصوا اوصاكم الله فيه بكذا والثاني ان يكون من بعد وصية اي من بعد ما اوصيتم و
يكون الميراث بعد الايصاء ويحتمل من بعد ان كان عليكم الايصاء والدين امركم بالمواريث فيكون فيه نسخ قوله من بعد
وصية يوصي بها او دين غير مضار وصية من الله فدلت هذه الاية على حجر بعض الوصايا بقوله عز وجل غير مضار ولكن
يحتمل ان تكون المضادة يبطل الفضل ويحتمل ان لا تبطل كقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا في الرجعة على امضاء الرجعة
على امضاء الرجعة على ذلك لكن الاضرار في الرجعة مقصود وفي هذا مفصول فيمكن التفريق بين الامرين فقال عز وجل
تلك حدود الله الايتين واوعدهم على تعدي هذه الحدود وذلك لا يحتمل مع جواز الفعل وابد ذلك قوله فمن خاف
من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم الاية ولو كان يجوز لكان لا يملك معه الاصلاح فثبت ان من الوصايا ما يبطل مما
كان الله ذكر في المواريث فريضة من الله فلا يملك ابطال فريضة الله وبالاذن منه يجوز فعله لذلك يبطل بعض و
صاياه والاصل في ذلك ان الاموال نشئت للاحياء وخلقت لمنافع الاحياء فكانهم ملكوا منافعها الى انقضاء اجلهم
ثم صارت الى من به ملكوها يجعلها لمن يشاء ويضعها عند من يشاء وقد بين عز وجل انها لمن ومن احق بها فصار الموصي
كانه وصي يجيء من بين ان يحقق فيه غيره فان تفضل الله عليه في ذلك من شيء والا فذلك كسائر الاملاك التي بينا ارباب
لم يكن لغيرهم فيها حق لا يجعل الله او جعل من له فعلى ذلك هذا وقد جاء عن الله بيان حده بعد ان بينت هذه الايات جعل الحق
الى الثلث فذلك له صدقة من الله تعالى وفي الفصل ان اجاز المجعول له جاز والا لا والله اعلم فجعلت للوصية حدا ودم
للدين لان الدين مما يتصل بحوائجه في حال حيوته اذ هو يلزم بالاسباب التي بها معاشه وغذاؤه فصار مقدما على المدين

في الحكم وانما جعلت المواريث في المتروك معما كان الغرماء احق بملكه في حيوته يعجز عن كثير من المعروف في عرضه
بهم ولو لم يكن لهم الحق لامتنعوا من المداينات لانهم لا يكونون هم احق بها بعد الوفاة من الورثة او يمتنعون
من المداينات وفي ذلك تقصير القوت والاعذار عن مضي الاجل وهو به مامور فجعلت الديون كانها استحقت
الاملاك في حال الحيوة فلم يحق منهم التركة وليست كالعبادات لانها تجب في الفضول عن الحاجات والديون في
الاصول فليست العبادات بالتي تمنع الوفاء بالاجال ولا كان باربابها اليها تلك الضرورات فانما هي بحق القرب وهي
عمل الاحياء فاذا ماتوا زال الامكان وجرت في الاموال المواريث وكذا المعروف من الدين المذكور في القران من
قوله من بعد وصية يوصي بها او دين ان العبادات لا توصف بالديون ولا يفهم من اطلاق القول بالديون
فصارت بمعنى الفضل عن الوصايا والديون الحال ان يوجل وهو الحقيقة ان لا يكون للمولى على عبده دين فيكون المذكور
دينا في الافعال كما ذكرت العدات دينا في الاخلاق لا في حقيقة الذمم معما كانت هي لله وقد جعل الله له فريضة
لا قوام باعيانهم لا يمنع عنهم الا بالوصية كما جعل للموصي وعلى ان العبادات لا تقوم الا بالنيات ولا يؤدى عن
احد في حيوته الا بامره وان احتمل قيام بعض منها عن بعض وسائر الديون يجوز دونه فعلى ذلك بعد الوفاة وان كان
كل ما يؤدى به فهو الذي حدث به الوصية وقد جاء الحد لها معما كانت العبادات لا تحتمل لحوق الاموات ولا الايجاب عليهم
في اموالهم ثبت انها حقوق الحياة خاصة والديون محتمل فهي حقوقهم في الحالين ثم قد ذكر في الدين غير مضار بل
الديون اقرب الى حرف الثناء معلوماته لا يقع منه في الديون الظاهرة المعلومة مضادة بالورثة ان كان يقع
يقع في الغرماء اذ يؤخذ منه بلا ايضاء ولا يحتمل النهي من جهة الغرماء لما فيه الزام المكاسب في اوقات العجز القضاء
الديون فثبت ان ذلك لا يعرف من الديون وانما يرجع فيها الى قوله فبطل بالذي ذكر جواز اقراره الحكل حال الكل
احد اذ لا ضرر يقع من جهة فعله فيرد وقد بينا ان المضادة في هذا تمنع الجواز فثبت ان من الاقرار ما لا يجوز
فقال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز اقراره لبعض الورثة وقت الاياس من نفسه لانه وقت الايثار والسخاء مما
عنده من المال وما ابطل وصية للوارث بما يخرج مخرج الايثار فنحن اذا اجزنا اقراره فيهن لنظر لم يمنع الوصية
لا ينتفع بل يذهب الكل وفي الاول لم يكن يذهب والله اعلم ثم الاصل انه اجيز في الكل بحق الامانة ووصية بحق
الملك ثم جعل في وراثته كمن لا ملك له اذ قد يقصد به التفضيل والتخصيص الى القريب فعلى ذلك فيما كان في الامانة
يجعل كمن لا امانة له لما يخرج على ما بينا واسقاط الاخبار لتوهم من الامناء اوجد في الاحكام ومن اسقاط المعروف
عن الاملاك والله اعلم وعلى ذلك فيما كانت عليه ديون ظاهرة قد يبغي الضرر باهلها البعض من لم يشأنه عنايته
وفيما بينهما حقوق توجب البعث على المعروف والصلة له وقت السخاء بماله وللعلم بانه عن الانتفاع به عاجز
فيعرف جملة ذلك بينهم في الحقوق التي ظهرت ثم كانت عبادات الاحوال قد يقام عن الاموات بالامر ولا يقام
عبادات الافعال بوجهين احدهما جواز بعض عن بعض في احد النوعين فيما للعباد بلا امر في الحيوة ولا يجوز
في الاخر فمثله العبادات بالامر والثاني ان السبب الذي به يجب عبادات الاموال لا يجوز فعل ذلك حق القيام
بالافعال وعلى ذلك النيات اذ ليست من الحقوق التي تتصل بالاموال في شيء من الامور لم يقم بها احد عن احد
لذلك لم يجوز الا بامر فيكون الامر بالامر لها امرنا به نا والله اعلم وقوله عز وجل اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا اختلف فيه قال بعضهم هذا في الدنيا وهو ان يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة والقيام
بامره والاب يلزم ان ينفق على ولده في حال صغره وعند الحاجة اليه والقيام بحفظه وتعاهده فاذا كان ما ذكره
لم يدر ايهما اقرب نفعا نفع هذا لهذا ويحتمل ان يكون قال لا تدرون انتم اي نفع اقرب اليكم نفع الاباء او نفع
الابناء فان كان التاويل ما ذكرنا ففيه دلالة بطلان شهادة الولد لوالده اذا اخبر ان هذا نفعا في مال هذا وهذا
في مال هذا فاذا ثبت النفع لم تقبل شهادة من ينتفع بشهادة وهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان لا يجوز للوكيل
بالبيع والشراء ان يبيع من ابيه او ابنه ووالده لما ينتفع ببيعه منه وبالشري منه وكذلك قالوا اذا اشترى من
هؤلاء ليس له ان يبيع مرابحة الا ان يبين لانه ينتفع به وقيل هذا في الاخرة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه اباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا بقول اطوعكم لله من الاباء والابناء وارفعكم درجة عند الله يوم القيامة
لان الله سبحانه وتعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض وقيل قوله لا تدرون انتم في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا في
الاخرة في الدرجات الوالد لولده او الولد لوالده اذهم في الدنيا لا تدرون ايهم اقرب لصاحبه نفعا في الاخرة حتى
يرجعوا في الاخرة قال فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى اليه ولده في درجته لتقر بذلك
عينه وان كان الولد ارفع درجة من والده رفع الله تعالى الوالدين الى الولد في درجتهم لتقر بذلك اعينهم

برفع الاسفل الى الاعلى والادون الى الافضل وهو كقوله سبحانه وتعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم
بايمان يعنى بايمان الاباء الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم يعنى الاباء من عملهم من شئ ويحتمل ان يكون هذا
فى الشفاعة اولا يدرى ماذلك النفع وما مقداره ويحتمل قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ليس على حقيقة
القرب ولكن على الكبر والعظم وقد يتكلم بهذا قوله وما نريهم من اية الا هى من اختها ليس على ان اية اكبر من اخرى
ولكن على وصف الكل منها بالكبر والعظم فعلى ذلك قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا على وصف كل منهم بالنفع
على الاعظام والاكبار والله اعلم ويحتمل قوله اقرب لكم نفعا اى اوجب كقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين
اى واجب للمحسنين وغيره من الايات **وقوله** عز وجل فريضة من الله سمى الله تعالى المواريث فرايض لما ذكرنا
لانه كان بايجاب الله تعالى لا باكتساب اذ لم يملك الخلق اغنى هذه الاموال ولكنه انما ملكهم المنافع منها الى وقت
وفاتهم فاذا ماتوا صار ذلك المال للذى جعل الله له لذلك سمى فرايض **وقوله** ان الله كان عليما حكيما بتدبير حالهم
فاذا ماتوا وبمعاشهم ومصالحهم وما يصلح لهم وما لا يصلح حكيما فيما فرض من قسمتها وبينها والحكيم هو المصيب
واضع كل شئ موضعه والظالم هو واضع الشئ فى غير موضعه **وقوله** عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فان كان لهن ولد الى اخر ما ذكر فيه مراد الخصوص وان كان مخرج الخطاب عاما لان الزوج او الزوجة
اذا لم يكن على دين صاحبه وعلى وصفه لم يجز بينهما التوارث دل ان ليس لاحد الاحتجاج بعموم المخرج على ما ذكرنا
فى الولد والوالد والام وغيرهم انه اذا لم يكن بعضهم على وصف بعض لم يجز بينهما التوارث دل ان عموم مخرج الخطاب
لا يدل على عموم المراد ثم الاية معطوفة على ما سبق من الايات لانها ذكرت بحرف العطف والنسق بقوله ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد والربع ان كان لهن ولد ولهن مما تركتم ان لم يكن لكم ولد والثمن ان كان لكم ولد
بين فى الاية الاولى ميراث الاب والام وميراث الاولاد ولم يبين ميراث الازواج ثم بين فى هذه الاية فنسق على الاولى
دل ان الازواج والزوجات اذا كانوا معهم فان الحكم لا يختلف فيهم يكون للام الثلث اذا لم يكن هنالك ولا اثنان
من الاخوة والاخوات فصاعدا والسدس ان كان له ولد او اثنان من الاخوة والاخوات يكون لها مع هؤلاء ثلث
ما يبقى حيث نسق هذه على الاولى **وقوله** عز وجل وان كان رجل يورث كلالة اختلف فى الكلالة قال بعضهم
الكلالة الميت الذى لا ولد له ولا والد وعن الحسن رحمه الله عليه انه قال الكلالة الاخوة والاخوات من الام
او الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من الاب ذهب فى ذلك الى ما ذكر فى الاية الاخرى قوله و
يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك الى اخر ما ذكر والنصف انما يكون للاخت من الاب والام والاخت من الاب وذلك تفسير
الكلالة دل انها الاخوة والاخوات من الاب والام او من الاب وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال الكلالة
ما خلا الولد والوالد وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال لقد اتى على زمان وما ادرى ما الكلالة الا ان الكلالة
ما لم يكن له ولد ولا والد وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الكلالة ما خلا الولد والوالد وروى عن ابى بكر الصديق
رضى الله عنه قال فى خطبته الا ان الاية التى انزلها الله تعالى فى اول سورة النساء فى شان الفرايض انزلها فى الولد
والوالد والاية الثانية انزلها فى الزوج والمرأة والاخوة من الام والاية التى ختم بها سورة النساء انزلها فى الاخوة
من الاب والام والاية التى فى سورة الانفال فى اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله مما جرت من الرحم من العصبة
وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال اذا كانت الكلالة اسم يقع على الاخوة من الاب ويقع على الاخوة من الاب والام
وهو ما ذكرنا فى قول ابى بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما ان الكلالة ما عدا الوالد والولد فكانوا يذهبون والله اعلم
ان الاعمام وبنى الاعمام يرجعون فى النسب مع الميت الى الجد وقد تكللهم الاب والام فسبيلهم فى ذلك سبيل الاخوة و
الاخوات الذين تكللهم الاب والام الا انهم لما كانوا ابعد من النسب من الاخوة والاخوات لم يرثوا معهم فاجعلوا
معنى قول الله سبحانه وتعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فى الاخت من الاب والام او من الاب اذا مات الرجل
ولا ولد له ذكر ولا انثى يعطى الاخت النصف تسمية فقال قوم الشيعة الاية تدل على انه ان ترك ابنة واختا ان المال
كله للابنة ولا شئ للاخت لان الله تعالى جعل لها الميراث اذا لم يكن له ولد فسوى الذكر والانثى من الاولاد وليس
الامر كما قالوا لانا اذا جعلنا للابنة النصف وجعلنا ما بقى للاخت فلم نعطها ما اعطيناها بالتسمية الا ترى انه
لو كانتا اختين كان لهما عندنا ما بقى ولو جعلنا ذلك لهما تسمية اعطيناهما الثلثين لان الله تعالى جعل لهما الثلثين
لان الله تعالى جعل لهما الثلثين بالتسمية وليس سبيل ما تأخذه الاخت بالتسمية لا ينقص منها شيئا ما تأخذ من الباقى
بغير تسمية الا ترى ان الله تعالى جعل للابوين السدسين مع الولد فان كانتا ابنة وابا فلهما النصف وما بقى للاب

فقد

فقد اعطينا الاب اكثر مما سمى الله تعالى ولكنا لم نعطه الزيادة بالتسمية فلم يلزمنا الخلاف فى زيادته فان خالفونا
فى ذلك قيل قد سبق لذلك جواب ما يدل على ان الاب بالباقى اولى من الابنة لذلك لم نذكره فى هذا الموضع فان قال الابنة
اولى بما زاد على النصف لان الله تعالى قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فكانت الابنة احق بذلك من غيرها قيل له ان
قول الله تعالى واولى الارحام بعضهم اولى ببعض انما اوجب انهم اولى ببعض من الاجنبيين بين ذلك قوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين
لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة فنسخ الله ذلك وجعل الميراث لذوى القرابة وليس فى الاية دليل على ان القريب اولى بالميراث ممن
هو ابعد منه فى القرابة وقال الله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يقول والله اعلم الاخ من الاب يرث الاخت المال كله ان لم يكن لها ولد
وترث من الاخ النصف اذا كان هو الميت وقال الله سبحانه وتعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاجمعوا ان
الرجل والمرأة اذا مات احدهما وترك اخا واختا فما زاد على ذلك من الذكور والاناث كان الميراث بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
فهذا ما نص الله تعالى عليه فى فرايض المواريث وقد تكلم اهل العلم فى الرد والعول وميراث ذوى الارحام فاما ميراث ذوى
الارحام فان الله تعالى قال واولى الارحام بعضهم اولى ببعض فمن زعم ان المال لبيت المال فلم يجعل بعض الارحام اولى ببعض
بل جعل الغرباء بالميت من اولى الارحام فكان قول المورثين عندنا اولى وهو قول عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وجماعة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الا زيد بن ثابت رضى الله عنه فانه جعل ذلك لبيت المال فان قيل ان قول الله سبحانه
وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما هو فيمن سماه الله لهم سهاما قيل فى الخبر دليل انه فى غير الذين سمى الله لهم سهاما
ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كتب الى ابى عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ورسوله ولى
من لا ولى له والخال وارث من لا وارث له وروى ايضا ان عمر رضى الله عنه قضى للخالة بالثلث وللعمة بالثلثين وعن زر بن
حبيش عن عمر رضى الله عنه انه قسم الميراث بين العمة والخالة وعن عبد الله رضى الله عنه قال الخالة والدة وعن على رضى الله عنه
انه قال فى العمة والخالة للعمة الثلثان وللخالة الثلث فاخذ علماؤنا فى ذلك بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الاجلة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكان ذلك موافقا لظاهر الاية وعمومها وكان اتباع ذلك عندهم اولى من غيره فاما
الكلام فى العول فان ابن عباس رضى الله عنه كان ينكره ويقول لا تعول الفريضة وكان على وعبد الله وزيد بن ثابت يقولون
بعول الفرايض وروى عن الحارث قال ما رأيت احدا قط احسب من على بن ابى طالب رضى الله عنه اتاه ات فقال يا امير المؤمنين
رجل مات وترك ابنتيه وابويه وامرأته ما للامرأة قال صار ثمنها تسعا وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره ان ينقص الاب من السدس
وقد سمى الله تعالى له السدس ثم لم يمض على هذا الاصل لانه قال فى الابنتين والابوين وامرأة للمرأة الثمن وللابوين السدسان
وما بقى فللابنتين فنقص الابنتين مما سمى الله لهما فلم كانتا اولى بالنقصان كله من غيرهما وسائر الصحابة ادخلوا النقصان
على كل وارث بقدر نصيبه لئلا يلحق النقصان على بعض ويأخذ البقية كمال نصيبهم وجعلوا ذلك كقوم اوصى لهم رجل بوصايا
يتجاوز الثلث اذا جمعت فالحكم ان يقسم الثلث بينهم بالحصص وكقوم صح لهم دين على ميت وتركته لا تفى بذلك فهم جميعا فيه
اسوة يلحق كل واحد منهم النقصان بقدر حصته واما الرد فان عليا رضى الله تعالى وعبد الله رضى الله عنه فى الاية على اختلافهما
فيمن يرد عليه وسبيل ذوى الارحام لان ذا الرحم بباقى المال اولى من الاجنبيين بقول الله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فمن لا رحم له فلا حق له غير سهمه وليس فى الزوج والزوجة خلاف بين اهل العلم انه لا يرد عليهما ولان فى الاية
الرد على غيرهما من اهل السهام ومنع الرد عليهما لانه عز وجل ذكر للابوين السدسين اذا كان له ولد وسمى للام الثلث اذا لم
يكن له ولد ولم يسم للاب شيئا فيرد الباقى عليه وكذلك سمى للذكور من الاولاد مع الاناث نصيبا بقوله يوصيكم الله فى
اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ولم يسم لهم شيئا فى حال الانفراد الكل عليهم ولم ينزل للزوجين ذكر تسمية سهامهما فى
حال بل ذكر سهامهما فى حال بل ذكر سهامهما فى الاحوال كلها فى حال الانفراد فيرد الكل عليهم ولم ينزل للزوجين ذكر تسمية
سهامهما بل ذكر سهامهما فى الاحوال كلها فى حال الولد وفى حال الذى لا ولد له فلذلك منع دليل الرد عليهما **وقوله** عز وجل
غير مضار وصية من الله وفى قوله فريضة من الله حتى يعلم انهما واحد ثم ذكر المضارة فى ميراث الاخوة والاخوات ولم يذكر فى
الولد والوالد والزوج والزوجة فهو والله اعلم يحتمل وجهين يحتمل انه ذكر فى هذا لانه بهم ختم المواريث فيكون تلك
المضارة كانت كالمذكورة فى الاولاد والوالدين والازواج اذ بذلك ختم ويحتمل انه ذكر ههنا المضارة ولم يذكر فيما
ذكرنا لما فى الطبع يقصد الرجل الى مضارة الاخ والاخت ومن بعد منه ولا يقصد فى المعتاد الى مضارة الاباء والاولاد
ومن ذكرنا فاذا جاء النهى فى مضارة من يقصد فى الطبع يقصد الرجل مضارته فلان ينهى عنها فيما لا يقصد بالطبع احق
ثم بيان المضارة فى الوصية ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقوله انك ان تدع ورثتك
اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون وما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليعمل عمل الخير ستين سنة فاذا اوصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل الشر ستين

فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله الى قوله عذاب مهين وما روي الثلث حيف وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الاضرار في الوصية من الكبائر ثم قرأ تلك حدود الله الى اخره قال في الوصية وقوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ثم الاضرار قد يكون ايضا اذا اوصى لوارث ولم يعرض للباقين لانه اضر به بالوصية لبعض ورثته الباقين فلا فرق بين ان يضر بعض الورثة وبين ان يضر الورثة كلهم ففيه دليل بطلان الوصية لبعض الورثة دون بعض ثم الاضرار قد يكون بالدين على ما يكون بالوصية لانه اذا اقر المريض لبعض الورثة بدين فان اقراره لا يجوز كما لا يجوز وصيته والاقرار بالدين احق ان لا يجوز من الوصية لان الاقرار في المرض جوازه بحق الامانة اذ يجوز جواز الشهادة والشهادة امانة والوصية جوازها بحق الملك فاذا ابطل الوصية لوارثه فاقراره له في المرض احق ان يبطل وعلى ذلك اذا كان عليه دين في الصحة فاقر بدين فغرماء الصحة اولى بدينهم من غرماء المرض لان في ذلك اضرارا بغرماء الصحة لان دينهم قد تعين في ماله وتحول من الذمة الى التركة الا ترى انه ليس له ان يقضي غريما فاذا كان ما ذكرنا لم يكن له قسمة المال بين غرماء الصحة وبين من اقر لهم بالدين في المرض اذ فيه الاضرار بهم اذ قد تعين حقهم فلا فرق ان يكسب الضرر على الوارث وبين ان يكسب الضرر على الغرماء واذا باع شيئا بقيمته في المرض او استقرض فانه يجوز ويبدأ به لانه يعامل الغرماء اذ يقضي دينهم مما اخذ واذا تزوج او استأجر فيكون اسوة الغرماء لانه لم يعاملهم انما يعامل لنفسه وليس فيه اكتساب الضرر على الغرماء فيكون اسوة ثم اذا اضر ثم يجيء برد ذلك الضرر ويفسخ فان قيل ان الرجل قد نهي عن الاضرار في نفسه وماله ولو فعل فيجوز قيل ان الاضرار اذا حصل في ملكه او في نفسه نهي ويجوز لانه لم يضر غيره واذا حصل في ملك غيره لم يجز ورد وها هنا انما حصل في ملك الورثة والغرماء لذلك بطل ولا يوصي باكثر من الثلث ولا يوصي لوارث ولا يقر بحق ليس عليه مضارة للورثة **وقوله** عز وجل وصية من الله يحتمل قوله تعالى وصية من الله اي الذي نهي عن المضارة وصية ويحتمل الذي فرض عليكم من المواريث وصية من الله وفريضة منه والله اعلم **وقوله** عز وجل والله عليم بمن ضار الوارث وزاد على الثلث وبمن لم يضار حليم لا يعجل بالعقوبة على من ضار ويحتمل العليم والحليم ان يكونا سواء لان ضد الحكيم سفيه وكذلك الحليم **وقوله** عز وجل تلك حدود الله قيل فرائض الله التي امركم بها من قسمة الميراث ويحتمل حدود الله ما حد لنا حتى لا يجوز مجاوزتها ما فهم من حد الخلق كيف فهم من قوله استوى على العرش واستوى الى السماء ما فهم من استواء الخلق فاذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق لم يجز ان يفهم من استواء الله ما يفهم من استواء الخلق وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق ولا يفهم من مجيئه مجيء الخلق ولا من نزوله نزول الخلق على ما لم يفهم من قوله تعالى حدود الله حدود الخلق فلا فرق بين هذا وبين الاول **وقوله** عز وجل حدود الله يحتمل وجهين احدهما اوامره ونواهيه وما حرم واحل ويحتمل حدود شيء من ذلك فيرجع تأويل الاول الى انفس العبادات والثاني الى نهايات العبادات والمعروف من الحدود التي تنسب الى الخلق وجهان احدهما نهاية المنسوب اليه وذلك في حد الاعيان والباقي الاثر الذي يضاف اليه وذلك حد الصفات ان يقال حد الفعل كذا وحد البعض والجميع يراد به الاثر الذي به يعرف فاذا هنا ما ذكرنا لم تكن الحدود التي اضيفت الى الله سبحانه وتعالى على واحد من الوجهين اللذين يضاف الى الخلق اذ قد ثبت بعز(و) العقل وحجج السمع تعاليه عن المعاني التي هن معاني خلقه فعلى ذلك ما اضيف اليه من طريق العقل من الاستواء والمجيء والرؤية لم يجز في ذلك تصوير المعنى الذي في اضافة ذلك الى الخلق يكون بما في ضرورة العقل والسمع جلاله وكبريائه عن ذلك المعنى وبالله العصمة **وقوله** عز وجل ومن يطع الله ورسوله قيل من يطع الله في اداء فرائضه وسنته رسوله يدخله جنات الى اخر ما ذكر وقيل ومن يطع الله فيما امر ونهى واطاع رسوله في امره ونهيه فله ما ذكر وقيل اذا اطاع رسوله واذا اطاع رسوله فقد اطاع الله تعالى وهو واحد كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله ومن يطع الله تعالى فيما امر ونهى وحرم واحل ورسوله فيما بلغ وبين وقيل ذي ليس يتغير لكن من الذي يطع الله هو الذي يطيع رسوله لانه الى طاعة الله تعالى دعا وعلى عباده ترغب فيكون طاعته طاعته كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وكقوله سبحانه ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية **وقوله** تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده وهذا كذلك ايضا اذا عصى الله فقد تعدى حدوده ومن تعدى حدوده فقد عصى الله ومن يعص الله ورسوله فيما لم يرا مره امرا ونهيه نهيا ويتعد حدوده يعني احكامه وشرائعه اي لم يرها حقا يدخله نارا خالدا فيها وله ما ذكر **وقوله** عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قيل كان هذان الحكمان في اول الاسلام الاول منهما للمرأة والثاني للرجل وقيل ان آية الاذى كانت في الرجل والمرأة وآية الحبس كانت في حبس المرأة ويحتمل ان يكون آية الاذى كانت في الرجل والمرأة الحبس كانت في حبس المرأة ويحتمل ان يكون آية الاذى في البكر في الرجل والمرأة جميعا وآية الحبس في الثيب في الرجل والمرأة جميعا ويحتمل ان يكون آية الاذى في الرجال خاصة

فيما يأتي الذكور الذكور على ما كان من فعل قوم لوط وآية الحبس في الرجال والنساء جميعا فان كان آية الاذى في الرجال خاصة ففيها حجة لابي حنيفة رضي الله عنه حيث لم يوجب على من عمل عمل قوم لوط الحد ولكن اوجب التعزير والاذى وهو منسوخ ان كان في هذا وان كانت في الاول فهي منسوخة ثم اختلف بما به نسخ فقال قوم نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لكن عندنا هذا يجوز ان يجمع بين حكميهما فكيف يكون به النسخ ولكن نسخ عندنا بالخبر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر والثيب بالثيب البكر يجلد وينفى والثيب يجلد ويرجم ففيه دليل جواز نسخ القرآن بالسنة فان قيل في الاية دليل وعد النسخ بقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانما صار منسوخا بما وعد في الاية من النسخ لا بالسنة قيل ما من آية او سنة كان من حكم الله النسخ الا والوعد فيه النسخ وان لم يكن مذكورا لان الله عز وجل لا يجعل الحكم في الشيء للابد ثم ينسخ لانه بدو وذلك فعل البشر لا فعل الربوبية فاذا كان ما ذكرنا فلا فرق بين ان ينسخه بوحي يكون قرآنا يتلى وفيه اخبار كثيرة روي انه رجم ماعزا لما اقر بالزنا مرارا ورجم ايضا غيره وما روي ان عسيف الرجل زنا بامرأته وقال سأقضي بينكما بكتاب الله تعالى وقال واغد يا انيس على امرأة هذا فان هي اعترفت فارجمها وعن عمر رضي الله عنه قال خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الا وان الرجم حق اذا احصن الرجل وقامت البينة او اعترف وقد قرأناها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وقال قدم الرجم بين اليهود والنصارى كهو بين المسلمين كالجلد بالاية ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديا قيل انما رجم بحكم التوراة الا ترى انه روي انه دعا بالتوراة ودعا علماءهم فامرهم ان يقرؤا عليه فوضعوا ايديهم على الموضع الذي فيه ذكر الرجم فقرؤا غيره فقال ابن سلام انهم كتموه يا رسول الله ثم قرأه فامر برجمهم ولا شك ان القرآن نسخ حكم التوراة لذلك لم يقم عليهم الرجم فان قال قائل ان الحد يقام على من عمل عمل قوم لوط بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قيل لا يحتمل وجوب الحد عليه بذلك لانه يختلف حكم هذا من هذا في الحرمة ووجوب المهر وغير ذلك فلا يحتمل ان يعرف حكم شيء بما يخالفه في جميع احكامه وجميع الوجوه **وقوله** عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم في الاية دليل جواز القياس لانه ذكر الحكم في النساء ولم يذكر في الرجال وذلك الحكم وهما لا يختلفان في هذا الحكم ما يلزم المرأة في ذلك الفعل يلزم الرجل مثله دل ان ما ترك ذكره في النصوص والانتزاع منه وقال قوم ان على الثيب الجلد والرجم جميعا ذهبوا في ذلك الى ما روي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب يجلد ويرجم اوجب الجلد والرجم على الثيب واما عندنا فانه لا يوجب مع الرجم الجلد لما روينا من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ماعزا ولم يذكر انه جلده وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغد يا انيس على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها لم يذكر هنالك الجلد والاخبار كثيرة في هذا وروي انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله الذي ستره عليه فان من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حد الله ثم يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب يجلد ويرجم في اختلاف الاحوال يجلد في حال ويرجم في حال او يجلد ثيب ويرجم آخر لانه لا كل ثيب يرجم لانه اذا كان ثيبا غير محصن لا يرجم دل انه على ما ذكرنا او يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب اي البكر مع البكر والثيب فيكون شيئا يجلد وشيئا آخر يرجم ثم اختلف اهل العلم في نفي البكر قال قوم النفي ثابت واجب وعندنا ان كان فهو منسوخ ودليل نسخه ما روي في خبر زيد بن خالد وكان الرجل بكرا لم يذكر انه نفي وما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد ولحق بالروم فقال لا انفي بعد هذا ابدا وما روي انه قال كفى بالنفي فتنة وان كان فهو عقوبة وليس بحد كحبس الدعارة وغيره والدليل على ان النفي ليس بحد ان الله سبحانه وتعالى قال في الاماء فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والامة لا تنفى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنت امة احدكم فليجلدها ثم اذا زنت فليجلدها ثم اذا زنت فليبعها ولو بضفير من شعر ولم يأمر بالنفي ولو كان حدا لامر به كما امر بالجلد دل انه ليس بحد في الحر ولانه اوجب على الاماء نصف ما اوجب على الحرائر ولا نصف للنفي دل انه ليس بحد ولا يجب ذلك وان كان فهو حبس وفي الحبس نفي فيحبس او ينفيان ليتيبا مما اصابا لان كل من رآهما يذكر فعلهما فينفيان لذلك لا انه حد ولكن ليتيبا ذلك ولا يذكر وقوله ايضا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله تعالى فان تابا واصلحا يخرج على وجهين لو كانت الايتان في الزنا احدهما ان يكون في جميع الاناث الحبس وفي الذكور الايذاء ولذلك جميع من الجميع في الخبر الذي به النسخ فارتفع الحبس والاذى جميعا وذلك معقول انه يعيب الرجل به انه يؤذيه وحبس المرأة اقطع لوجوه الزنا اذ

ان تكون الاية الاولى في المحصنات على تضمن المحصنين بالمعنى والاية الثانية في الذكور وعلى تضمن الاناث بالمعنى
لكن جرى الذكر على ما ظهر من فضل صيانة الابكار وفي الاناث اما تدينا او حياء الافتضاح او بما الغالب عليهن الخوف
من المحارم والحفظ عن قرب الذكور وليس بشيء من ذلك في الذكور ولا في الثيبات من النساء على انه بعيد بلوغ النساء
في قلة الحياء الى ان يعلن حتى يشهد اربع والغالب عليهن ان لا يخالطن هذا القدر من العدد ثم الدلالة على دخول الكل
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ذكر لهن على ما جرى به الذكر في القران
ثم جمع في التفسير بين الكل ثبت ان الذكر قد يتضمن الكل وذلك يبطل تاويل من يصرف الاية الى الابكار من الاناث
والذكور ومتى يحتمل وجود مثل ذلك بعد النكاح على اثر خلوة الازواج بهن والاطلاع على ما فيه المسبة الدائمة
والعار اللازم له ثم كشف ذلك لجميع محارمها ثم خوف الانتشار به ظاهرا وكيف يحتمل في مثل تلك الحال الى
تمكن من ذكر بحضرة من ذكر دون ان ينضم الى زوجها فتاويل من وجه الاية الى الابكار خارج عن المعروف ثم
المروي من السنة ثم اجمع عليه اهل التاويل عل صاحبه على هذا جهله بان لا يجوز بيان نسخ حكم بينه الكتاب
بالسنة ويحكم على الله تعالى وعلى رسوله بحجر هذا النوع وقوله عز وجل واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
عليهن اربعة فان شهدوا الاية ومعلوم ان عقوبة الزناة يتولاها الائمة فكان الخطاب عليهم خرج ثم لا يثبت الفاحشة
منهن ولم ياذن في اقامة عقوبتها حتى يستحضر اربعة فيستشهدون بها فعلى هذا ان ليس للائمة تولي حد الزناة بعلمهم حتى
يكون ثم شهود وفي ذلك لزوم حق الستر الى اقصى ما ينتهي اليه من اعلان الفعلان من الزناة اذ ذلك امر معلوم فيما يجل
ان لا يفعل الا في احوال الخلوات التي تعلم حقيقته ذلك بالولد يكون فاما من حيث الكون دونه فانما هو غالب الظن
فالذي لا يحل من ذلك ان يكون بحيث لا يعلم حقيقته ابدا يدل على ذلك جميع الامور التي منها المباح والمحظور ان المحظور
منه ابعد من الظهور والعلم من المباح فعلى ذلك امر هذا مع ما ابدا ما جعل فيه من هذا الراي وجهين احدهما الزجر عن هتك
هذا النوع من الستر حتى خرجت شهادة من رمى بذلك بما هتك ستر الله والثاني فحش الشين بفاعل ذلك ولزوم المسبة
في صاحب ذلك وذلك علة معنى لزوم الشين وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصاب من هذه
القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حد الله فاذا بلغ الفعل الذي حرم ما ذكرت من العقوبة
من نهاية الستر النهاية من الاعلان حتى ظهر ذلك الجماعة يفعل من يشينه فعله ما ذكرت استحق ما ذكرت من العقوبة بجزائه
على ذلك محله وبقلة حيائه حيث اظهر الذي ذلك حقه الستر عقوبة ذلك الفعل فالزم من اليه ذلك القيام به لله ثم جعل
الله في ذلك عقوبات مختلفة على اختلاف اوقات الفعل واهله على ما علم من مصلحة الخلق بها وزجرهم وتكفيرهم بها
ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل اول عقوبة الزنا في نوع من الخلق ظاهرا يكتسبونه به عرض الدنيا وفي ذلك في الاماء
حتى قال الله سبحانه وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الاية وحتى كانوا يدعون الانساب في اولاد الزنا من الاماء
حتى بلغ من ظهور ذلك الى ان يمازح به الحرائر في الطرق تغابيا عن حالهن فنزل قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وان كان هذا حالهم في ذلك الوقت
عليهم خوف مواقعة الزنا وكذلك على الحرائر لكثرة ما يدنين او يسمعن وذلك معنى يبعث من شرهت نفسه وقلة تفكره
في امر عاقبته مما ينزل به او يشينه وقد ركبت هذه الشهوة في كل البشر فخفف الله عقوبته في الابتداء ان جعل في الحبس و
الامساك في البيوت ثم صار ذلك الى الضرب لما ان تحرج الناس وعظم ذلك في اعينهم وجعل في السنة به الحد ليعرفوا عظم
موقعه عند الله وانتهوا عن فعله وقد جعل في ذلك في بعض الاحوال الرجم وهي الحال التي يزول فيها كل وجوه العذر و
يرتفع جميع معاني الشبه لعظم امره والثاني ان السبب الباعث على ذلك قرب بعض ببعض ومخالطة بعض ببعض على
الشهوة تغلب عليهم الامر واستعدتهم الشهوة حتى واقعوا ذلك ثم في الحبس وجهان احدهما الكف عن المعنى الذي يدعو اليه
من الاختلاط وتلافي الابعاد والثاني ما فيه من فضل ضجر وتضييق الحال اذ جعل ذلك الى الموت فيكون في ذلك عقوبة
من حيث الضجر ومعونة على الكف عنه بالحبس حتى لا يقع بصر ذكر على انثى وانثى على ذكر والثالث ان يكون في الحبس عن
الارحام في الحفظ والزام القرابة بعد ما يرجى عن تضييع حقوق الرحم ويدعوا الى القيام بالكفاية اذ ضيق على الفاعل
ذلك وذلك يوجب قبل المواقعة الاستعلام عن الاحوال والجهد في الحفظ اذ في ذلك بعض عقوبة اهل الاتصال من تكليف
الامساك والقيام بالكفاية فيكون ابلغ في العفاف واقرب الى الصلاح وعلى مثل ذلك جعل امر العاقل البغوي اهل السكك
في كل قبيلة في كف اهل الفساد والله اعلم ثم لما انقطعت العادة وقام الناس بالتعاهد وتفرق الريبتان حتى لا يؤذن بالاجتماع
الان يكون من جعل الاياس من ذلك وانحنى على قطع الشهوة منهن فجعل فيه ذلك حد وفي ذلك لهن سبيلا وذلك
والله اعلم يخرج على اوجه يجب التامل في الوجه الذي سمي ما نسخ به اللازم في ذلك وذكر فيما ذكر جلدا ورجما ثانيا

ان المحفول به له السبيل والرجم والحد اشد عليهم من الحبس وقد روي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم خذوا عني
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد ورجم فهو والله اعلم
بهذه الشريعة خلى سبيلهن لان اوجب على المحبوسات اقامة ذلك بما قد حبس بالزنا ولكن في هذا تخلية السبيل على انهن
اذا رتبن فعل بهن ذلك على دفع الحبس عنهن اذا حبس بما لم يبين حد ذلك فاذا بين زال ذلك ولاحد حتى يكون منها ذلك
فالسبيل المجعول لهن تخلية السبيل ثم بين الحكم في الحادث ووجه اخراج السبيل في الحقيقة مجعول لمن كلفنا امساكهن وان اضيف
اليهن بما فيهن ضيق عليهم الامر وذلك كقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن والاماء لا ياتين الاجر
لكن بما يعنى فيهن ذكر الاجر فاضيف اليهن وعلى نحو ما اضيف اهل القرى الى القرى بالتسمية فاخرجت على تسمية القرى و
انما كان المراد اهل ذلك في تسميته الاهل التذكير والقرية التانيث فكانه جعل للمامورين بالامساك سبيلا في ان
يقيموا الحد ويزول عنهم مؤنة الامساك والقيام بالكفاية والثاني ان يكون في طول الحبس ضجر وضيق وحيلولة بين
المحبوس والشهوات كلها وقطع بينه وبين الاحباب ويحتمل مثله برؤية ايسر على النفس واهون من دوام الذل والقهر
ثم لا تخلص عن ذلك الا بما في الاول يكون مرة فلذلك سمى والله اعلم ذلك سبيلا لهن ثم دل الخبر الذي ذكرت على امرين احدهما
ان الحبس وان كان مذكورا في النساء خاصة فهو في جميع الزناة لانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا عني قد
جعل الله لهن سبيلا ثم ذكر ما به جعل لهن السبيل في الذكور والاناث في المحصنين وغيرهم جميعا ليعلم ان الحكم يجمع الكل وان
كان الذكر فيهن وذلك كما ذكر حد المماليك في الاماء وحد الزناة في قذف المحصنات والحكم يجمع الذكر والانثى من حيث
اتفاق المعنى الذي له جعل فكذلك فيما نحن فيه والثاني بيان نسخ المذكور من الحكم في الكتاب بالسنة وذلك لوجهين احدهما
انه لم يوجد على الترتيب الذي ذكر في القران مع ما ذكر تخلية السبيل وليس بمذكور في شيء من القران ثبت ان ذلك كان بوحي غير
القران والثاني انه عليه الصلوة والسلام قال خذوا عني خذوا عني ثم اخبر عن جعل الله لهن السبيل فدل قوله صلى الله عليه وسلم
خذوا عني خذوا عني انه عنه بيان جعل الله وهكذا معنى النسخ انه بيان جعل الله مدة حكم الاول بما يحدث فيه الحكم وليس
قول من يقول فهذا في القران وعد بقوله عز وجل حتى يجعل الله لهن سبيلا معنى لان كل شيء في حكم الله انه ينسخه فا
لوعد في حكمه قايم الا ان يقول قائل لا يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان وعد الحكم وانما يصدق ببيان وعد النسخ
فيحتاج ان يحدث منه ايمانا والله الموفق مع انا اذا جاز ان بعد النسخ المذكور في القران حقيقة لا فيه يجوز ان ينسخ
المذكور حقيقته لا فيه وبعد فان من يقول هذا بعثه عليه جهله بمعنى النسخ انه البيان عن منتهى حكم المذكور
من الوقت ولا ذنب للرسول صلى الله عليه وسلم بيان منتهى الحكم من النوع فبله الوقت ثم اذا كان هذا اول عقوبة
في الاسلام فثبت به نسخ الحكم بالتورية والعمل اذا كان فيها الرجم وقد ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجم
بحكم التورية وقال انا اول من احيا سنة اماتوها واذا ثبت ان ذلك حكم التورية ثم ثبت نسخ حكمه فلا يقام عليهم
الرجم الا بعد البيان مع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرك بالله فليس بمحصن وانه اخبر بالرجم في القران
المحصن وقال قوم عقوبة الحبس في الاناث خاصة واما في الذكور فعليهم الاذى باللسان والتعيير بقوله تعالى واللذان
ياتيانها منكم فاذوهما الاية وهذا قريب من حيث كانت النساء مكانهن البيوت وامكن حفظهن عن الزنا وتسليمهن
الى الازواج مرة والمحارم ثانيا والرجال اذا حبسوا تحولت مؤنتهم الى غيرهم فيكون عقوبة فعلهم تلزم غيرهم والراحة
تكون لهم واما النساء فمؤنتهن في الاصل على غيرهن فليس في حبسهن زيادة على غيرهن فذلك عقوبة لهن مع ما كان الرجال
بحيث يمكن تعييرهم وذلك ابلغ ما يزجر العقلاء وقد يحتمل ان يكون ذلك في الرجال خاصة اذ لا يذكر في عمل قوم
لوط العقوبة وقد علم الله سبحانه وتعالى حاجة الناس الى معرفة عقوبة ذلك اذ قد جعل الله تعالى في اتيان النساء
حقوقا وحرمات واحكاما ليست في اتيان الذكور وعرف الخلائق تلك فلم يحتمل ان ينزل ذكر عقوبة للذكور في الزنا
بغير ان فرق احكام الامرين فيشبه ان يكون الاية على ذلك وايد ذلك عز وجل انه سبحانه وتعالى قال فان تابا واصلحا
فاعرضوا عنهما ولم يذكر في ذلك جعل السبيل وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في كل اقسام الزنا ثبت ان ذلك
فيما ذكر فيكون عقوبة الاولى في ذلك اخف من الحد فكذلك عقوبة الثانية مع ما يكون فيما يوذيان بتفريق وهو تعزير و
ذلك هو الباقي ابدا اذ لم يظهر معنى النسخ وايد الذي ذكرت استواء الذكور والاناث في جميع عقوبات الزنا في قديم
الدهر وحديثه من حدود المماليك والاحرار والثيبات والابكار فعلى ذلك امر تاويل الاية والنفي المذكور في الخبر يحتمل
وجوها احدها ما ذهب اليه الخصوم من جعله عقوبة وان النفي من البلد لكن لحد واذا جعلت كفارات قد جعل عمر
زواجر وفي الزنا بخاصته اذا مر فيه بالحبس اريد قطع السبيل اليه وفي الاشخاص والاخراج من البلدان يمكن وذلك بعيد
والله اعلم فعلى ذلك لو كان عقوبة فهو على الحبس فينفي عن وجوه الاجتماع على ما كان من قبل فينفي ذلك العذر منه لظهوره

خشوع التوبة وقد يحتمل ان يراد بالنفي قطع الذكر ورفع المشبه فينفي لينسى ذلك فلا يعير بذلك وكذلك في الاما
ولا في الكثرة اذ ما فيهم من الذل اعظم منها لا يجب نسب من ذكرت حد ليعلم عظيم موقع ذلك في الاحرار ولو كان على العقوبة
فهو منسوخ بما جرت السنة في الاماء بجلدهن من غير ذكر الحبس وقال الله سبحانه وتعالى فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب والمذكور في الشيب يحتمل يجلد في حال ويرجم في حال اذا لا كل ثيب يجلد وان كان ثم نسخ بما ذكر من خبر ماعز
وغيره وقوله عز وجل فآذوهما قيل فآذوهما بالحد وقيل فآذوهما بالتعيير فان تابا واصلحا كفوا عن ذلك وقيل سبهما
لكن ذا قبيح والتعيير اقرب وقوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة يحتمل قوله انما التوبة على الله
للذين كذا اي توفيق التوبة وهدايته على الله سبحانه وتعالى اذا كانت نفسه ترغب فيها وتميل اليها على الله يوفقه على
ذلك اذا علم الله منه انه يتوب ويحتمل قوله انما التوبة على الله سبحانه اي قبول التوبة على الله سبحانه اذا تاب ورجع
عما كان فيه وارتكبه وفي قوله ايضا انما التوبة على الله لمن ذكر يحتمل قبولها بمعنى ان الذي لا يسوف التوبة ولا ينتظر
بها وقت المنع عن ركوب ما عنه يتوب والاياس من امكان العود الى ما عنه يتوب فالله يقبلها اذ كان ذلك دأبه
وعادته وان بلغ ذلك الضيق بامر دفع اليه او كان يتوب من ذنب من الذنب بان لا يستخف به فيترك الرجوع لقلة
مبالاته به فلا يقبلها ممن هذا وصف توبته وحاله استخفافه بالذنب والثاني ان يكون توفيق التوبة والهداية اليه ممن
يقترف ذنب ويبعثه على الرجوع الى الله والتعرض لرحمته واحسانه ولا يوفق من لا يبالي بالذي يذكر ولا يتضرع اليه
وقيل الاول في الصغاير والثاني في الكباير والثالث في الكفر بان صاحب الصغيرة ارق قلبا واخص ذكر الله ورجوعا
الى ربه وصاحب الكبيرة اقسى قلبا من الاول واظلم فهو لا يندم الا بعد شدة وبعد طول المحنة وضيق القلب مثل ابليس
على الله قبول توبة من توبة في تلك الحال ولا توبة من بان منه ما يأمله بالذي عليه قبول ذلك ويكون بفضله وبرحمته بتبديل
وتوفيق له بما كان منه من الخيرات والحسنات التي هي من اسباب التقرب الى الله سبحانه وتعالى والكافر لا يقبلها اذ هؤلاء
يتوب حتى يموت فيستيقن بالعذاب والله اعلم ويحتمل ان يكون هذه الاحوال في الكفار فيكون فيهم من يظهر التوبة عند
الضرورة والدفع الى الحال التي يزول عنه وسع الامكان وياس من الامهال ليصل الى ما له كان يذنب فالله لا يقبل توبته
اذ ليس في الحقيقة توبة ممكن بل توبة مضطر وتوبة دفع ما حل به اذ هو وقت يشغل عن الاستدلال وعن الوقوف على
الاسباب من جهة التامل والنظر ولا يرى غير الذي قيل عليه يظن ان له الخلاص بالذي يبذل والله اعلم وقوله عز وجل
يعملون السوء بجهالة هذا ايضا يحتمل وجهين يحتمل الجهل بالفعل فيقع فيه من غير قصد ويحتمل قصد الفعل والجهل بموقع الفعل
والعمل بجهالة يخرج على وجوه يكون عن غلبة تغلب عليه شهوته فيفعل ذلك العمل على طمع منه انه سيتوب من بعد ويصير
صالحا على ما فعل اخوة يوسف حيث قالوا واطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ثم سماهم جهلة
بذلك في اية اخرى حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ويحتمل العمل بالجهالة له جهالة عقوبة على
على ذلك وكذلك الخطا والنسيان على وجهين خطاء الفعل وهو الذي ليس بصواب ولا رشد وخطاء القصد عمد الفعل وهو الذي
قصد احدا فاصاب غيره والنسيان على وجهين ايضا نسيان ترك وهو الذي يجوز ان يضاف الى الله سبحانه وتعالى من هذا
الوجه قيل نزل قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية في المؤمنين وقوله وليست التوبة للذين يعملون
السيئات الى اخر الاية في الكافرين وقيل انهما جميعا في المؤمنين والثالثة في الكفار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل ان يغرغر بنفسه ويعاين الملك
قبل الله توبته والاصل في هذا ان توبة الكافر تقبل اذا كان توبة اختيار واما اذا كانت توبته توبة اضطرار ودفع فانها
لا تقبل ابدا لقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اذا كان ايمانه ايمان دفع واضطرار عند معاينة العذاب فانه لا
يقبل ابدا وهو ايضا كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل
الاية لم يقبل ايمانه لانه ايمان دفع واضطرار فعلى ذلك كل ايمان كان ايمان دفع واضطرار فانه لا يقبل ابدا وكقوله فلما
راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقيل عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الان هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت اخبر انه لا يقبل توبتهم لانهم يتوبون في الاخرة دفع العذاب عن انفسهم كقوله
تعالى ما اشركنا وما كنا مشركين وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قال بعضهم كان يجوز لهم
ان يرثوا النساء طوعا لانه انما نهى ان يرثوهن كرها فكان فيه دليل جواز ان يرثوا النساء طوعا لانه انما نهى ان يرثوهن
كرها فكان فيه دليل جواز وراثتهن طوعا واما عندنا فانه ليس فيه دليل جواز وراثتهن طوعا وان كان النهي انما كان
في حال الكره لان الاصل عندنا ان ليس في خطر الحكم في حال دليل اباحته في حال اخرى ولا في اباحته في حال دليل خطره في
حالة اخرى ولا في حله في حال دليل حرمته في حال اخرى ولا في حرمته في حال دليل حله في حال اخرى دليل ذلك تعالى ولا

نقتلوا

تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس على ان لهم ان يقتلوا اذا لم يخشوا الاملاق وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن ولقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة والقصة في الاية ما قيل ان الرجل اذا مات وترك امراة كان
اولياؤه احق بامراته من ولي نفسها ان شاؤا تزوجها وان شاؤا زوجها وان شاؤا لم يزوجها فنزلت الاية في ذلك
وقيل ايضا كان في اول الاسلام اذا مات الرجل اقرب الناس منه يلقي على امراته ثوبا فحرمت نكاحها طوعا وكرها فنزلت
الاية في ذلك والاية عندنا خرجت مخرج بيان التحريم على ما كانوا يفعلون دليل ذلك قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من
النساء الا ما قد سلف نهى الابناء ان تنكحوا ما نكح اباؤهم من النساء فدل ان النهي كان في الحال جميعا في حال الكره والرضاء
والله اعلم وفي قوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها الاية يحتمل حرمة وراثتهن ابدا وان ذكره كرها لا وجه احدها ان ليس في ذكر
الجهة في وجه او ذكر الحكم دلالة تخصيص الحال كقوله سبحانه وتعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقوله فان خفتم
الا تعدلوا فواحدة وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن انهن يحللن وان لم يؤتين اجورهن واذا لم يصر
ذلك شرطا صار كانه قال الله عز وجل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها والله اعلم والثاني ان يكون الوراثة ابدا يكون كرها و
يجب الميراث سامن فيه ولم او لا اذا كان هذا وجه الوراثة فذكر ذلك وغيره ذكره سواء والثالث انهم كانوا يتوارثون
النكاح وهو امر لا يحتمل الانقسام ولا عند الاشتراك الاستمتاع فكان ذلك على تراض منهم لواحد وان يكون فيما كانت
الوراثة ترجع الى واحد فيكون ذلك بحق النكاح لا الميراث فاذا حرم النكاح في حق من ترك من الذكور وهم الاباء والابناء
فبطل الميراث لو كان يجوز ان يورث ثم دلت هذه الاية في قطع وراثة منافع الابضاع وملك الابضاع ادوم من ملك الاجارات
فيجب ان يكون قطع الاجارات اولى ودليل اخر على بطلان الوراثة ان الوراثة ان المراة قد ترث الميراث فيكون وراثة بعض
نفسها فبطل من حيث يراد اثباته وقوله عز وجل لا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة
اختلف فيه قال بعضهم هو معطوف على ما ذكر من الوراثة نهاهم ان يعضلوهن ليذهبوا بما اتوهن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة قيل لم يكن يومئذ عقوبة اذا اتت المراة بفاحشة سوى اخذ المهور منها وكانوا يمسكونها على الوراثة فاذا اتت بفاحشة
اخذ ما اتاها ثم يسرحها فان قيل انما نهاها عن الوراثة لان الولي اذا ورثها ورثت هي نفسها فيبطل بذلك فالنهي لذلك قيل
لو كان لذلك فالمراة اذا كانت ممن لا ترث عن الزوج مملوكة يجب ان يحل ذلك اذ لا وراثة ثمة فاذا لم يجز دل انها خرجت
على بيان التحريم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن على الابتداء ليست على الاول نهى
الزوج ان ياخذ منها ما اتاها من المهر الا ان ياتين بفاحشة مبينة ثم اختلف في قوله تعالى الفاحشة قال بعضهم هو الزنا
وهو ما ذكرنا وقال اخرون الفاحشة ههنا هو النشوز اي اذا نشزت فلا باس ان ياخذ منها ما اتاها وقيل هو ما ذكره عز وجل
في اية اخرى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به نهى الازواج ان ياخذوا منهن شيئا الا عند ما يخافا الا يقيما حدود الله فحينئذ اباح اخذ ما افتدت
به فعلى ذلك قوله فلا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وما ذكرنا من النشوز وخوف
ترك اقامة حدود الله فعند ذلك اباح لهم اخذ ما اتاها والله اعلم وقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف اختلف فيه قيل هو
كقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف وكقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح وقيل وعاشروهن بالمعروف
في كلامها وبرها والانفاق عليها والاحسان اليها والاجتناب عما لا يليق بها من الشتم والايذاء وغير ذلك وعاشروهن
بالمعروف يحتمل بالفضل ويحتمل كما لو فعل بك مثل ذلك لم يكره بل تعرفه وتقبله وقوله عز وجل فان كرهتموهن قيل فيه بوجهين
قيل كرهتم صحبتهن من قبحهن ودمامتهن او سوء خلقهن فصبرتم على ذلك يجعل الله فيه خيرا كثيرا قيل يهب لكم منهن اولادا
تقر بهم اعينكم او يعطي لكم في الاخرة ثوابا جزيلا بصحبتكم اياهن وقيل في قوله عز وجل فان كرهتموهن اي كرهتم فراقهن
ويجعل الله تعالى في الفراق خيرا كثيرا كقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقوله عز وجل وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا من الذهب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ان كرهت امراتك واعجبتك
غيرها فطلقت هذه وتزوجت تلك فاعط هذه مهرها وان كان قنطارا والقنطار اثني عشر الف درهم والف دينار
وقيل القنطار الف ومائتا دينار فهذا على التمثيل ليس على التقدير ووجه النهي والوعيد في ذلك والله اعلم وما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان النساء عندكم عوان اتخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله
تعالى فوعد عز وجل الازواج في غير اي من القران عن اخذ مهور النساء وغيرها من الاموال لضعفهن في انفسهن
والرجال هم القوامون عليهن لئلا يبسط الازواج في اموالهن اشفاقا عليهن ولما اذا اخذ منها مهرها بقيت له المنفعة
بلا بدل لكنه اجيز له ذلك لانه تغلب في الملك وكل من تغلب في ملكه ببدل باخذه جاز له ذلك وقوله عز وجل اتاخذونه
بهتانا قيل ظلما بغير حق وقيل اذا اراد طلاقها الا ينشزها بكذب ليفتدي منه مهرها واثما مبينا ويحتمل ان يكون البهتان

والاثم واحداً **وقوله** عز وجل وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وقيل الافضاء هو الجماع والاشبه ان يكون الافضاء الاجتماع لانه اضاف اليهما جميعا فهو بالاجتماع اشبه واليه اقرب فيجب المهر بالاجتماع والخلوة بها والجماع فعل الزوج يضاف اليه خاصة **وقوله** عز وجل واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل عقدة النكاح وقيل هو ما ذكرنا في قوله تعالى امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الميثاق الغليظ ما ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في النساء فانكم انما اتخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فانهن عندكم عوان لا يملكن من امرهن شيئا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا وان لهن عليكم حقا وان من حقكم عليهن ان لا يوطين فرشكم ولا ياذن في بيوتكم لاحد تكرهونه ولا ياتين بفاحشة مبينة فان هن فعلن ذلك فقد احل الله لكم ان تضربوهن ضربا غير مبرح يعني غير شاين ان من حقهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف وقيل ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يحل لنا من نسائنا وماذا يحرم علينا منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرثك فات انى شيت ولا تضرب الوجه ولا تقبحه ولا تهجرها الا في بيتها واطعمها اذا اكلت واكسها اذا اكتسيت وقيل الميثاق الغليظ ما اقروا به من قول الله فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف **وقوله** عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء حرم الله تعالى على الابناء نكاح نساء الاباء وذلك انهم كانوا يفعلون في الجاهلية ما قيل في القصة ان ابا قيس توفي فعمد ابنه يقال له محصن فتزوج امراة ابيه فنهى الله تعالى عن ذلك فقال عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقيل ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج سالا عن سنه فقيل له ما شانك فقال ان رجلا تزوج بامراة ابيه فهذا اذا تزوجها مستحلا لها فهو يكفر لذلك كان قصد قتله ولذلك حرم الله سبحانه وتعالى على الاول نكاح نساء الابناء بقوله تعالى وحلايل ابنائكم **وقوله** عز وجل الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا اي انكم اذا انتهيتم عن ذلك في الابتناف يغفر لكم ما قد سلف وان كان فاحشة اي صار فاحشة في الاسلام ومقتا قيل بغضا وساء سبيلا اي بئس المسالك تزوج نساء الاباء ويحتمل ان يكون الاية في الطلاق اذا كان الرجل يطلق امراته ثم يندم على طلاقها فيتزوجها ابنه فيمقت ذلك الاب ويبغض **وقوله** عز وجل وساء سبيلا اي بئس السبيل نكاح المراة ابيه حيث مقت ابيه الملاك **وقوله** عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم الى اخره يحتمل وجهين يحتمل احرم عليكم الاستمتاع بامهاتكم وبناتكم واخواتكم وما ذكر والجماع بهن ويحتمل حرمة النكاح اي حرم عليكم نكاح امهاتكم وبناتكم واخواتكم فان كان هذا اراد فلا يحرم النكاح لنفس النكاح ولكن يحرم النكاح لما به يوصل الى الاستمتاع بالنساء واليه يقصد فدل انه يحرم الجمع بين الاختين في الاستمتاع في ملك اليمين ولا يحرم الجمع بينهما في العقد ثم ذكر الحرمة في الامهات والبنات والاخوات ولم يذكر في الجدات فهن محرمات وان علون ولم يذكر في بنات البنات فهن محرمات وان سفلن فعندنا ان ذكر الحرمة في الامهات والبنات ذكر في الجدات وان علون في بنات البنات وان سفلن لانه ذكر الحرمة في العمات والخالات والعمات من ولد الجد والخالات من ولد الجدات فانما ذكرت في الاولاد والحرمة في الاخوات والاخ فعلى ذلك ذكر الحرمة في الامهات ذكر الحرمة في البنات وبنات البنات لما ذكرنا او ان يقال ان بنات البنات وان سفلن في ذكر الحرمة نصا وكذلك ام الام وان علت فدخلت في الخطاب **وقوله** عز وجل وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة ذكر الامهات من الرضاعة والاخوات ولم يذكر البنات قال انما يذكر البنات من الرضاعة لانه لا يكن من الرضاعة البنات لذلك لم يذكر وذلك اختلاف بيننا وبينه في لبن الفحل فعندنا لبن الفحل محرم وعند بشر لا يحرم ولبن الفحل ذكر الله سبحانه وتعالى الحرمة في النسب بينا وبين بيان احاطة وحقيقة وذكر الحرمة في الرضاع وبين بيان كفاية لا بيان احاطة فاما ان ترك للاجتهاد والاستنباط من المذكور وقد اجمعوا جميعا ان بنات الاخوة والاخوات والاخوات من الرضاع كالذكر في الاولاد فعلى ذلك يجب ان يكون ذكر الحرمة في الامهات من الرضاعة ذكرا في بناتها وترك بيان ذلك للسنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت جاء عمي من الرضاعة فاستاذن علي فابيت ان اذن له حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال انه عمك فاذني له فقلت يا رسول الله انما ارضعتني الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عمك فليلج عليك فقالت عايشة رضي الله عنها وذلك بعد ان ضرب علينا الحجاب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سيل عن رجل له امراتان او جارية وامراة فارضعت هذه جارية وهذه غلاما هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وعن عمرة عن عايشة رضي الله عنها انها اخبرتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان عندها وانها سمعت رجلا يستاذن في بيت حفصة رضي الله عنها قالت عايشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله هذا رجل يستاذن في بيتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان الرضاعة

تحرم ما تحرم الولادة وعن علي رضي الله عنه لا تنكح من ارضعته امراة ابيك ولا امراة اخيك ولا امراة ابنك وعن عايشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس فاستاذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته بالذي صنعت فامرني بان اذن له علي وحجة اخرى من النظر بان الله تعالى حرم الابنة على ابيها وعلى جدها والابنة حدثت عن ماء الاب بعينه ولم تحدث عن ماء الجد ولكن الجد سبب ماء الاب الذي حدثت عنه الابنة قال فاللبن وان كان حدوثه من الام فان سبب كونه هو الاب فيجب ان تحرم المراة التي ارضعتها امراته عليه اذا كان سببا لذلك اللبن كما يحرم المرضع اذا كان سببا على التي ارضعته ثم بقيت مسيلتان احديهما في التقدير والاخرى في الجدا اما في التقدير فعموم قوله سبحانه وتعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة لم يخص قدرا دون قدر وروي عن علي وعبد الله قال الرضعة الواحدة تحرم فان قيل روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان فيما نزل عشر رضعات ثم صرن الى خمس فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرا قيل لسنا نجد في القران اية الناسخ ولا اية المنسوخ ولا يجوز ان يقال من القران شيء فلا نترك ما نجده ثابتا في القران محفوظة برواية لعلها قد غلطت فيها وروي عنها انها قالت يحرم من الرضاع ما انبت اللحم والدم وروي عنها ايضا انها قالت لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجتان فذكر ذلك لابن عمر رضي الله عنه فقال حكم الله اولى وخير وكلام نحو هذا من حكمها وعن عمرو بن دينار قال سالت ابن عمر رضي الله عنهما فذكرنا من الرضاع فقال لا نعلم الا ان الله تعالى حرم الاختين من الرضاعة قال فقلت ان امير المومنين ابن الزبير يقول لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان لما لم يتحقق بالمصة والمصتين ان اللبن قد صار في جوف الصبي ووصل اليه فلذلك لم يحرم به واما المسيلة في الجدا ان الرضاع في الكبير لا يحرم عندنا وما روي في خبر عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها فراى عندها رجلا فتغير وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من هذا قالت انه عمي من الرضاعة فقال انظري ما الرضاعة انما الرضاعة من المجاعة وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما فتق الامعاء انما يكون في الصغر لان امعاء الصبي تكون ضيقا لا يحتمل الطعام لضيقه واما فتقه باللبن على ما وصفه عز وجل لبنا خالصا سائغا للشاربين فاذا كان غلاما انما يكون باللبن للمعنى الذي وصفنا كانت كفايته مجاعته به وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم انما الرضاعة عن المجاعة وكذلك ما روي الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وفي الكبير لا ينبت اللحم ولا ينشز العظم وروي زاذان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجرعة تحرم كما يحرم حولان كاملان فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك والمعتمد عليه فان عورض بما في خبر سالم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعي سالما خمس رضعات تحرمي عليه قيل هذا يحتمل وجهين يحتمل ان يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من الناس فاذا كان كذلك لا يقاس عليه غيره ويحتمل ان يكون منسوخا بما روينا من الاخبار المرفوعة والموقوفة بايجاب الحرمة بالقليل منه والكثير **وقوله** عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الاية اجمع اهل العلم في الربيبة على انها لا تحرم على الرجل الذي كان تزوج امها وطلقها قبل الدخول بها او ماتت وانما تحرم عليه اذا دخل بها واختلف في ام المراة اذا لم يدخل بالابنة حتى بانت منه قال اصحابنا رحمهم الله هي حرام عليه كان دخل بالام او لم يدخل وقال اخرون شرط الدخول في اخر القصة راجع الى الربيبة والام جميعا فما لم يدخل بواحدة منهما حل ان يتزوج بالاخرى اذا فارقها وهو القياس الظاهر في الكتاب فامر الشرط والثنيا ان يكون الشرط فيهما جميعا لانه قال الله تعالى وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر امهات النساء وربائب النساء ثم شرط الدخول بهن فيجب ان يكون الشرط لاحقا بهما جميعا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة وعن جابر قال ينكح امها ان شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه افتى في امراة تزوجها رجل فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت قال لا باس ان يتزوج امها فلما اتى المدينة رجع فاتاهم فنهاهم عن ذلك فقيل انها ولدت ولدا فقال ولو ولدت الى هذا يزعمون اولئك وهو الظاهر من الاية واحتج بعض اصحابنا في ذلك ان الثنيا الملحق في اخر الكلام ربما يلحق الكل على ما تقدم من الكلام وربما يرجع على ما يليه فلما كان غير ملحق على الكل من المذكور وقع على ما يليه فان قيل يلحق على ما تقدم من المذكور ما لا يحتمل اللبس الا ترى ان الله تعالى قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم ثم يلحق الكل ولا وقع على ما يليه خاصة ولكنه لحق على ما احتمل عليه فعلى ذلك في هذا لم يلحق الكل لانه لا يحتمل ووقع على الام والربيبة لانه يحتمل واحتج لاصحابنا رحمهم الله ايضا ان الحرمة قد ثبتت بقوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الى قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم فلا تستحل بالشك وفي الربيبة لم يثبت الا بالشرط فلا تحرم بالشك وقيل ايضا ان الدخول لو كان شرطا في الام والربيبة جميعا لاكتفى بذكر نساء الامهات والربائب فنقول امهات نسائكم من

وربائبكم اللاتى دخلتم بهن ولم يحتج الى ان يذكر وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن على ما اكتفى
بذكر الحرمة فى الانساب والرضاع فى الاصول عن الشعوب فلما لم يكتف بذلك دل ان الربائب مخصوصات بالشرط
دون الامهات ومما يبين ذلك ان الربيبة لو لم تذكر لم يجز ان يبقى من الكلام وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن ولو لم
يذكر الامهات فبقى من الكلام وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن كان كلاما تاما فدل ذلك
على ان قوله تعالى من نسائكم انما هو فى الربائب دون الامهات واصله ما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا بأس بان
يتزوج ابنتها وايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا يحل له ان يتزوج امها وعن ابن
عباس وعمران بن حصين فى امهات نسائكم فالامر مبهمة وقال اكثر اهل العلم اذا تزوج الرجل امرأة ودخل بها لم يجز له
ان يتزوج ابنتها وان لم تكن ربيبة وفى بيته وحجره وهى فى ذلك بمنزلتها لو كانت فى حجره يربيها واجمعوا جميعا
ان الجمع بين المرأة وامها وابنتها فى الجماع فى ملك اليمين حرام وكذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن ذلك
فقال ما احب ذلك فان قال قائل ان الخطاب كما ذكرت يدل على ان الشرط فى الدخول بالامهات انما هو سبب الربائب
فما تنكر ان يكون حكم الامهات حكم الربائب كما كان حكم حلائل الابناء حكم نساء الاباء قيل لا يجوز ان يقاس المنصوصات
بعضها على بعض وانما يقاس ما لا نص فيه على المنصوص فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم يجب ان ينظر الى حكمة اوجبت تحريم
الجمع بين المحارم بين محارم الرجال ومحارم النساء وروى عن انس قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره
الجمع بين القرائب فى النكاح وقالوا لانه يورث الضغائن او كلام نحو هذا فقيل له يا ابا حمزة من منهم فقال ابو بكر وعمر
وعثمان رضى الله تعالى عنهم وروى مرفوعا انه لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وروى فى بعضها انه يوجب القطيعة
وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كره الجمع بين ابنى عم وقال لا احرم ولكن اكره لانه يوجب القطيعة فلم يحرم لان
صلة القرابة فيما بينهما ليست بمفترضة والصلة بين المحارم مفترضة فاذا كانت مفترضة فالجمع بينهما يخل على
القطيعة تحرم وعلى ذلك فى نساء الاباء وحلائل الابناء اذا فارق من هؤلاء ولحد امرأته فلعله يندم على ذلك فيريد
العود اليها فاذا تزوجها ابوه او ابنه اورث ذلك فيما بينهما الضغائن والقطيعة لذلك حرم والله اعلم وكذلك هذا
المعنى فى الابنة اذا طلقها ثم تزوج بامها حملها على الضغينة فيما بينهما واما اذا تزوج الام ثم فارقها قبل ان يدخل
بها حل له ان يتزوج بابنتها لان الام تؤثر ابنتها على نفسها فى المعارف فلا يحمل ذلك على القطيعة والابنة لا تؤثر امها
على نفسها بل تؤثر نفسها على امها كذلك كان ما ذكروا واما اذا دخل بالام لم يحل له ان ينكح بالابنة لانه يذكر استمتاع هذه
فيكون جامعا بينهما فى الاستمتاع لذلك حرم ثم اختلف فى الجماع والدخول بها اذا كان من غير رشد قال اصحابنا رحمهم الله
يحرم الحلال ويمنع نكاح الربيبة كما يمنع الحلال وقال قوم لا يحرم ولا يمنع نكاح الربيبة واستدلوا فى ذلك بقول الله تعالى
وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم لان الله تعالى حرم ربائب النساء اذا دخل بالامهات والمزنى بها ليس بزوجة للزانى
فلا يحرم ابنتها لكنه لا حجة لهم فى ذلك وذلك ان الله تعالى عز وجل ذكر الدخول بهن ولم يذكر النكاح ولا خص الدخول فى النكاح
بل ذكر الدخول وهو على كل دخول رشدا كان او سفاحا والسفاح احق فى الحرمة من الحلال اذ حكمه اغلظ واشد يدل ذلك فى
ايجاب الحرمة من الحلال يجب ان يكون اشهد واغلظ وهو ولو كان ذكر الدخول هاهنا فى النكاح لم يكن فيه ما يمنع وجوب الحرمة
انا كان فى غير النكاح الا ترى الى قول الله تعالى وربائبكم اللاتى فى حجوركم والربيبة التى لا تكون فى حجر الرجل مثلها فى الحرمة
ولم يجعل قوله تعالى فى حجوركم خصوصا فيها دون ما اشبهها وكذلك يجوز ان لا يجعل قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن خصوص
الدخول بالزوجات دون ما اشبههن وهى الموطوءات معا ذكرنا ان ليس فى الاية ذكر نسائنا ان ذلك لم يكن فيه دليل الحظر فى غير
وبعد فانا قد ذكرنا فيما تقدم ان ليس فى خطر شىء فى حال الخطر فى غير تلك الحال والحرمة من ذلك الاستمتاع انه اذا استمتع
بالاخرى ولا يحل له ان يتزوج بالاخرى الا ترى الى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ملعون من نظر الى فرج امرأة
وابنتها ومعلوم انه لا ينظر الى فرجهما فى وقت واحد وانما ينظر فى وقتين فهو والله اعلم اذا نظر الى فرج احدهما ثم نظر الى
فرج اخرى يذكر نظره فى فرجها فى وقت نظره فى فرج هذه فهو كالقاضى وطره فيهما كذلك فى الزنا كهو فى النكاح والله اعلم
على انهم اجمعوا ان من وطئ امة له لم يكن له ان يتزوج ابنتها فدل ان الدخول بهما فى النكاح وفى غير النكاح سواء وانه محرم
ومما اجمعوا عليه ايضا انه اذا وطئ امرأة فى النكاح والفاسد الشبهة حرمت ابنتها عليه وهو وطء حرام فدل هذا على ان التحريم
انما يكون بالاستمتاع بها لا غير وروى ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى فرج امرأة لم تحل له امها ولا
ابنتها وعن عمران بن حصين فى رجل زنى بام امرأته قال حرمت عليه امرأته وعن عبد الله قال لا ينظر الله الى رجل نظر الى فرج
امرأة وابنتها الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى وقوله عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم الاية الاصل

ان الله سبحانه وتعالى بين المحرمات فى الانساب بيان الابلاغ وفى غير الانساب بيان الكفاية اذ بين فى الانساب الحرمة
فى الطرفين فى اللواتى علونه وسفلن نحو الامهات والبنات ثم فى اللواتى يتصلن بالاباء والامهات نحو العمات والخالات
ثم فى اللواتى يشركن الطرفين بالاسم كالاخوات وذكر فى الرضاع من الانفس احد الطرفين وفى الشعوب ما يشركن الطرفين
على الاكتفاء بذكر طرف من الانفس عن الطرف الاخر وبذكر المشتركات من الشعوب على الاكتفاء عن ذكر المنفردات فعلى ذلك
امر الانفس فى الخطاب المحرمات فلما ذكر فى ذلك الامهات والبنات جميعا على ما ذكر فى الواحد فيما كان المذكور فى نوعه يحق
الكفاية من البيان لا يحق الابلاغ دل ان ذلك لما اريد به التفريق فى الامرين وابين ذلك خبر عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاويل جماعة الصحابة معما كان فى ذلك مكان شبهة لخفته اذ لو اقتصر على الابتداء الاية لحرمة
بالعقد لا ينال ذلك بالشك على ان وجه الاعتبار الاستواء فى الحرمة قبل الدخول ليكون حرمة الابنة على الام فى زوجها حرمة
الام عليها على ما عليها امرأة الابن من الاب فى زوجته لكن فرق من حيث اساءة الرجل فى الاختيار اذا اختار الام على الابنة ان
علم او الغفلة ان لم يكن علم وحق مثله الرجوع عنه والتوبة عن مثله فجعل له مفارقتها لابنتها وقد يعلم بذلك قبل الدخول على ان
المدخول مذكور لما كان بها فى حال الاستمتاع بها وقد حرم ذلك الجمع حرمة ابدية ما ينبغى ان يجعل بما ذكر وسبيل الخطر
بالقلب والله اعلم وليس امر الابن والاب هذا انا لبهما فى الابتداء الاختيار والايثار وكل يؤثر الذى له على الذى هو لغيره
وفى النساء انما يجب بعد الخطاب وليس منهن عرض لذلك لو بعث برحالهن على ان الامهات فى العرف يؤثرن لذات بناتهن
على لذاتهن فلا يلحقن فى الفراق لاجل البنات غضاضة ويلحق البنات فلذلك فرق واما بعد الدخول فهو موجب الحرمة لا
من جنس الايثار اذ من جهة حراما وحلالا يوجب ذلك فلذلك اختلف الامران قال بشر دل تخصيص ذكر الاصلاب
فى حلائل الابناء على رفع حرمة الرضاع او على ان لا يكون الابن الا من الصلب ونحن نقول لا دلالة فيه على ما ذكرنا واستدل به على
الكون كان اقرب اذ خص ذكر الاصلاب ولو لم يكن الابن الا من الصلب لكان القول بحلائل ابنائكم كافيا عن ذكر الاصلاب
معنا فيه وجوب الالحاق بقوله يحرم من الرضاعة ومعلوم ان الحرمة من الولادة بما كان سببا له فكذلك يصير موضعا لما
كانت هى مرضعة وان لم يكن منه حقيقة الارضاع لما كان هو سبب لما فيه درور اللبن وابين ذلك امر حلائل ابناء الابناء
بل حلائل ابناء البنات وان لم يكونوا للصلب للاتصال به بالنسب على البعد عما ذكرنا الحق والله اعلم معا يجوز ان يقال صار
الرضاع ولادا فى الحكم بالخبر فيصير للصلب بالحكم نحو قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم قد يعتبر فيهم الولاء
فى الحجاب لما جاء ان الولاء لحمة كلحمة النسب ويصير ذو نسب ورحم بالحكم بما ذكر من الخبر لمثله الاول معا قد قيل ان فائدة ذكر
الصلب ان لا يحق حرمة حلائل ابناء التبنى بالاصلاب ولذلك قال والله اعلم فلما قضى زيد وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين
حرج فى ازواج ادعيائهم وقوله سبحانه وتعالى حرمت عليكم امهاتكم الى قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين اذ يحتمل الجمع فى العقد
والجمع فى الملك والجمع فى الاستمتاع ويحتمل الجمع فى جنس الاستمتاع ويحتمل ان لا يرجع المراد الى معنى من ذلك ولكن يرجع الى الكل
ثم كان الاستمتاع بهما مرة ولحرة غير ممكن فان كانت فيه حرمة فهو لمعنى هنالك يوجد فى حال الجمع لان الخطاب باخره اذ هو
غير ممكن وجوده ولا يتهيأ احتماله ليقصد بالخطاب نحوه ولكن من خاطب يجوز ان يخاطب بجعل فيه تحريمه وان لم ينص عليه
فى الخطاب ثم الملك المطلق والعقد المطلق قد يوجدان غير محرمين نحو معقود به بملك ملك يمين فثبت ان المقصود لو كان ملكا
او عقدا فهو مقيد نحو ملك النكاح او عقد ملك النكاح وقد اجمع على دخول هذا فى حق الخطاب اذ قد اجمع على من جمع بين الاختين
فى النكاح انه لا يصح واجمعوا انه لو تزوج بعقدين ان نكاح الثانية فاسد من غير ان كان جمع فى العقد بل فى الملك
لو ثبت العقد فى الثانية واذا ثبت الحرمة بهذا العقد والملك لم يكن لعقد ملك اليمين ولا الملكه ولا للعقد اذ كل ذلك على
الانفراد لا يعمل هذا العمل فيجب ان يكون المعنى من ذلك الاستمتاع والجمع فى الفعل به غير ممكن فثبت انه لمعنى قد وصف الجمع
بالاستمتاع وذلك على وجوه احدها عقد الاستمتاع وهو عقد النكاح اذ عقد ملك اليمين قد يوجد والا يوجب حق
الاستمتاع وملك النكاح اذ هو لا يخلو من ان يوجب ذلك الحق ثم كان نفس الاستمتاع بحقه احق من الاسباب الموجبة له
والعدة مما يوجب الاستمتاع نفسه فهى احق ان يكون شرطا للمنع بل هو اولى اذ قد يمنع الاستمتاع بملك اليمين ولا يمنع الحل ولا
لملك ولا لسبب فاذا وجب المنع فى النكاح لما هو سبب له فهو لان يجب بحقيقة الحق وان شئت قلت انه يتفرد الخلق لنوع
من السبب دون ان يشاركه غيره من الاسباب لزم ان يكون حقيقة السبب مجهولا لا ينطلق ما قد يثبت الحرمة الا بيقين والله
اعلم وايضا ان عقد النكاح قد حرم عليه وعليها لكن الذى حرم عليه فى محارمها وعليها فى الكل ثم معلوم ان يملك الزوج
فيها ما به يحل لغيره من الفراق لحضرة فعله فلما دخل وعجز عن ذلك بما احدث له فيها الاستمتاع بها حقا بعد الفراق ابقاها
على ما سبق من الوصل بلا فرق فعلى ذلك ما فيه من الحق اذ ذلك ولحب بما فيه الشرك على انها فى بقية ملك له بنكاح عملت
فيها ببقية ملكه عمل اصله ملكه لمثله فيه وقد الحق بعض من انكر حرمة الجمع فى العدة بالواطئ حرمة ما ترك منها من

اللبن على احتمال ددود ونزول الولد بما هو كان سبب فى ذلك كانت حرمة العدة احق بذلك والاصل ان الحرمة قد ثبت
بالنكاح فلما وقعت الفرقة اشكل زوالها فلا يزال بالشك معا فى الازالة تعليق الحرمة بالحل او بالملك خاصة وقد بينا
وجوبها لا لتلك الوجوه ثم الاصل فى النكاح ان المقصود منه الاستمتاع وبحله يحل هو وبحرمته يحرم فيجب ان يكون
هو الاصل للتحريم والتحليل وعلى هذا يحرم كثيرا من الاماء فى حق الاستمتاع بهن وان لم يحرم فيهن الملك ويحرم بالاستمتاع
فى ذلك وان كان الملك لا يوجب الحرمة فاذا ثبت ان الاستمتاع لحق فى التحريم والعدة حق الاستمتاع اوجبها فيجب ان
يكون هى محرمة لذلك لم يجز نكاح الاخت فيها معا كانت موجبة فيها اكثر مما يوجب فى ملك اليمين ثم كان الاستمتاع
بملك اليمين يحرم الاستمتاع بالاخت فالعدة التى هى مجعولة لتاكيد الحرمات وقطع المجعول للحل خاصة احق ان يمنع و
اعلم وعلى ما بينا اذ ثبت ان الاستمتاع هو الاصل فى التحريم سواء وقع من وجه يحل او لا فيهن الحرمة حرمة الانفس لا حرمة
الجمع اذ لا انه يبيع له جمع ثم الاصل فى ذلك ان يعلق الحرمات بالمحرم من الاعيان اظهر منه بالمحللة منها ثم كان الاستمتاع
بالاعيان المحللة توجب حرمة الامهات والبنات فهو فى المحرم احق معا لا يخلو ان يكون الحرمة لا تجب الا بما يحل فيجب ان لا
يجب فى النكاح الفاسد ولا فى وطى جارية بعد وطى الابن او الملك فيها ايضا اذ قال والنسب فيجب ان لا تجب الحرمة فيما لا
يكون منه نسب او فى وقت لا يمكن او بايجاب الحقوق فيجب ان لا تجب فى مماسة الامة دون الفرج او للاستمتاع خاصة فيجب
استواء حال السفاح والنكاح وقوله تعالى عز وجل اللاتى دخلتم بهن قال بعضهم هو كناية عن الجماع لكنه عندنا الدخول
بها مواخذه يدها فى ادخالها فى جمع موضع الخلوة والجماع الا نفس الجماع كما يقال فلان دخل بفلان موضع كذا لا ابدا دبه
عين الدخول به المعروف وهو اخذ اليد والدخول فيه لذلك قلنا بانه اذا دخلها فى موضع دخل بها وجب كما ان المهر
بظاهر الاية ووجب الحرمة والله اعلم وقوله عز وجل اللاتى دخلتم بهن كنى به عن الجماع من حيث لا يكون الجماع الا بالدخول
بها مكانا يستحريها والا فحقيقة الدخول بها خلا ليس بجماع ولا يفصح القول به مطلقا دون ذكر المكان الا فى المراة بما يعلم
انها المانا يدخل وفيم يدخل فجاز ان يكون فى الحرمة على حق الكناية والمراد منه الجماع وجاز على حقيقة الدخول بها مكانا
لذلك اذ هو الظاهر وهذا الثانى يكون ياخذ يدها او شىء منها يكون هو الداخل بها لا هى ووجوده لا يكون الا للشهوة
فيكون هو المذكور الحرمة فاذا لم يظهر حقيقة المراد يجب الاحتياط فى ايجاب الحرمة من كل وجه او تحقيق هذا اذ هو اظهر له
وله ادلة ثلاثة احدها ما روى ملعون من نظر الى فرج امراة وابنتها انه اوجب اللعن بالنظر فلولا ان نظر الاول قد حرم الثانى
لم يلحقه به اللعن ثم النظر دون المس فى العبادات والاحكام فالمس احق فى ايجاب الحرمة والثانى ما بينا ان علة الحرمة الاستمتاع
ومعلوم ان معناه فى القبلة والمباشرة اعلا منه فى السبب الذى به يقضى به الاستمتاع وهو النكاح وقد وجب له فالقبلة
احق ان يوجب لها وذلك كما اوجب بسبب الحدث وهو النوم حكمه ثم لا يجب الا فى حال دون حال وقد يجب لنفس الحدث
على كل حال فنقله سبب الاستمتاع من حقيقة والله اعلم والثالث ان كل انواع الاستمتاع فى الحرمة والحل متصل بالجماع
خاصة فى حقوق الاملاك فعلى ذلك فى فسخ الاملاك وحرمتها على انه يبعد ان يكون المرء يستمتع بها ولدها وكذلك ب
دون الفرج او ان يكون من لا يقدر على الايلاج لعنة اوجب به تقع عنه الحرمة ابدا فيشترى اما وابنة ويستمتع بهما
ابدا وذلك بعيد فيجب الحرمة من الوجه الذى ذكرت وقوله عز وجل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يحتمل ان ذكر
الصلب وجوها يحتمل ان يكون ذكر الصلب ليعلم ان الحرمة فى حليلة الولد كهو فى ولد الصلب وكذلك الحرمة فى حليلة
ابن الرضاع كهى فى حليلة ابن الصلب على ما كانت فى محارم الرضاع وانه لم يذكر نحو ان ذكر امهات الرضاع واخواته ولم
يذكر غيرها ثم دخل ما دون ذلك فى الحرمة فعلى ذلك هذا وقال بشر دل تخصيص الاصلاب على نسخ حرمة حليلة الابن
من الرضاعة اذ لا يكون من الرضاع ابن قلنا الولم تكن من الرضاع ابن لم يكن لذكر الصلب الابن معنى ولا فائدة دل انه يكون
من الرضاع ابن على ما يكون من النسب وان الحرمة من الرضاع كهى فى النسب وان كانوا فى الحقوق مختلف نحو العتاق
يعتق بعض على بعض يوجب لبعض فى اموال بعض النفقة وحقوق بمثله لا يوجب فى محارم الرضاع وذلك والله اعلم
ان الرضاع انتقام والنسب حدوث نفس بعضهم من بعض فاذا كان كذلك لم يوجب الرضاع الا حرمة الاستمتاع
خاصة وهو الاستمتاع واما النسب فهو كون الولد منه وحدوث نفسه منه فاوجب مع ذلك حقوقا ولان فى
اقرار بعضهم فى يد بعض مماليكا دعيدا قهرا وغلبة لم يوجب ذلك فما لم يحصل بعضهم فهو بعض لذلك كان الجواب
ما ذكر وقيل انه ذكر ابناء الاصلاب وذلك ان النبى عليه الصلوة والسلام تزوج امراة زيد بن حارثة بعد ما طلقها
وقد كان تبناه فعابه المنافقون على ذلك وقالوا انه تزوج رسول الله امراة ابنه فانزل الله تعالى وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم وقوله عز وجل وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يحتمل قوله سبحانه وتعالى وان تجمعوا بين
الاختين وجوها يحتمل الجمع بينهما فى العقد وقد اجمعوا انه اذا لم يجمع بينهما بالعقد ولكنه تزوج احديهما ثم تزوج الاخرى

لم يحل

لم يحل له نكاح الاخرى دل انه لم يرد به الجمع فى العقد ويحتمل الجمع فى الملك وقد اجمعوا ايضا ان له الجمع بينهما فى ملك
اليمين فدل انه اراد الجمع بينهما فى الاستمتاع واذا استمتع احديهما بنكاح ثم فارقها لم يحل له ان يتزوج اختها والاولى فى
عدة منه فى طلاق باين لان الاستمتاع هو الذى حبسها عن الازواج فكانه كالجمع بينهما فى الاستمتاع ولان المعنى الذى
به حرم الجمع فى ملك النكاح ذلك اذا كانت فى عدة منه لموجود وهو خوف القطيعة فيما بينهما والله اعلم ولان اكثر احكام
الزوجات قايم بينهما نحو الاسكان والانفاق عليها والحاق الولد وغير ذلك من الحقوق وعن على رضى الله عنه انه سئل
عن رجل طلق امراته فلم تنقض عدتها حتى تزوج اختها ففرق على ما بينهما وجعل الصداق بما استحل من فرجها وقال تكمل الاخرى
عدتها وهو خاطب وعن زيد بن ثابت انه سئل عن رجل تحته اربع نسوة فطلق احديهن ثلاثا ايتزوج رابعة فقال لا
حتى ينقضى عدة التى طلق وعن عايشة رضى الله عنها مثله واختلف فى الجمع بين الاختين من ملك اليمين عن عمر رضى الله
عنه انه سئل عن المراة واختها من ملك اليمين هل يوطا بعد الاخرى قال ما احب ان اجيزهما جميعا ونهى عنه وعن ابن مسعود
رضى الله عنه انه حنث فى الاختين من ملك اليمين فقال حل احدكم ملك اليمين وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يحرم من
جميع الاماء ما يحرم من جميع الحراير الا العدد وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه سئل عن رجل له امتان اختان وقع على احديهما
ايقع على الاخرى قال لا ما دامت فى ملكه واجمعوا ايضا على انه ان تزوج بامراة فاشترى اختها لم يحل له ان يطاها والى هذا
ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى ثم اطلق امراته وانقضت عدتها او ماتت حل له ان يتزوج اختها ولم يحل له ان يتزوج
بامها وذلك والله اعلم بان الحرمة فى الاخت فى نفسها وليس فى ولدها والحرمة فى الام والابنة فى انفسهما وهى ولدها فاذا
كانت الحرمة فى الاخت من وجه وفى الام من وجهين ففيما كانت الحرمة من وجه كانت الحرمة الجمع الا حرمة تابيد وفيما كانت
من وجهين حرمة جمع وحرمة تابيد وفيما لانها نادت الى ولدها وفى الاخت لم يتاد لذلك اختلفا وقوله عز وجل الا
ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما يحتمل الا ما قد سلف قبل التحريم فى الجاهلية فانهم اذا انتهوا عن ذلك فى الاسلام
يغفر الله لهم ويحتمل قوله الا ما قد سلف انه كان فاحشة يحتمل كان فى ذلك الوقت فاحشة ويحتمل كان فاحشة اى صار فاحشة
فى الاسلام وقوله عز وجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم اختلف فى تاويله قال ابن مسعود رضى الله عنه المحصنات
الا ما ملكت ايمانكم قال ذوات الازواج من المسلمين والمشركين وقال على رضى الله ذات الازواج من المشركين ذهب عبد الله
فى تاويل الاية الى ان بيع الامة طلاقها فيحل للمشترى وطيها وانه الكتابية والمشركة يحلها لمولاها وان كان لها زوج فى
دار الحرب وذهب على رضى الله عنه الى ان الاية نزلت فى المشركات وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كل ذات زوج اتيانها
زنا الا ما سبيت وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال وقعت فى سهمى يوما وطاس جارية فبينا انا اسوقها اذ
رفعت راسها الى الكل فقالت ذاك زوجى فانزل الله سبحانه وتعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم الاية قال ابو
سعيد رضى الله عنه فاستحللنا فروجهن بها بين ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه فى حديثه ان الاية نزلت فى المشركات ذوات
الازواج وكان حديثه يقوى قول على بن ابى طالب رضى الله عنه ومن وافقه وقيل ايضا فى تاويل الاية والمحصنات من النساء
الا ما ملكت ايمانكم قال والمحصنات من النساء حرام على الرجال الا ما ملكت يمينك قال ملك يمينه امراته وعن ابى قلابة قال
ما سبيتم من النساء اذا سبيت المراة ولها زوج من قومها فلا باس ان يطاها وعن ابن عباس رضى الله عنه والمحصنات من
النساء قال لا يحل لان يتزوج فوق اربع نسوة وما زاد عليهن وهو عليه حرام كامه وابنته واخته الا ما ملكت ايمانكم الا
فانه على اربع واكثر من اربع وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه الا ما ملكت ايمانكم هن نساء كم يصيبهن بها جرن ولا يهاجر
ازواجهن فمعناهن فى هذه الاية ثم انزل الله تعالى عز وجل فى الممتحنة ولا جناح ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن فاحلهن
لنا بعد ان نتزوجهن وفيه نهى عن الزنا واباح التزويج فجعلوا ملك اليمين التزويج واصح التاويلين واولاهما بالقبول
ما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنه ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وظاهر
القران يدل على ان ذلك هو الحق لان الله تعالى قد فصل فى غير الموضع الذى بين التزويج وملك اليمين فجعل ملك اليمين
الاماء الا ترى الى قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم قال لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فهذان
الايتان يدلان على ان قول الله سبحانه وتعالى فى اية المحصنات الا ما ملكت ايمانكم على غير الازواج كما روى عن الجماعة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الذين ذكرناهم ثم الكلام بين على وابن مسعود رضى الله عنهما ونحن نعلم ان ابن
مسعود رضى الله عنه اوجب على الامة اذا باعها مولاها ولها زوج العدة اذا كان قد دخل بها وانها عنده لا تحل
لمولاها حتى تنقضى عدتها فلم يجعلها حلالا للمولى الثانى بملكه اياها فكان قول على رضى الله عنه اشبه بظاهر الاية
لانه ذكر فى الاية على من وجبة تحل بالملك لمولاها فى حال الملك من قول عبد الله اذ جعلها محرمة وان كانت مملوكة حتى
تنقضى عدتها وفى ذلك وجه اخر وهو ان الله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم وعند الله يحرمها على البائع

يحللها المشتري ولم يخص الله تعالى احدا من المالكين روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حمل الاية على امراة كافرة
متزوجة سبيت فاحلها الله تعالى لمن ملكها فلم تعزل من حال المملوكة هذا مع موافقة الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه وظاهر الاية يدل على ان المسبية ذات الزوج لا عدة عليها وهو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن فامر ان لا يردوهن اليهم وينكحن فلما جاز ان يتزوج
المراة اذا خرجت مسلمة ولا عدة عليها حلت اذا سبيت فملكت قبل ان تعتد والثاني انما كانت حرة فابطل السبي حكم الحرية
والزوجية فكذلك يبطل حكم العدة هذا كله اذا سبيت ولم يكن معها زوجها فاما سبيت وزوجها معها فان الفرقة لا تقع
بينهما الا انها لو بانت من زوجها بانت للرق والرق لا يمنع ابتداء النكاح كيف يعمل في فسخ نكاح ثابت و
لكن اختلاف الدارين هو الموقع فيما بينهما الفرقة لفوت الاجتماع بينهما وانا فات الاجتماع بين الزوجين والاياس عن الاج
ونفت الفرقة فيما بينهما وهذا يبطل قول من يقول انه تقع الفرقة فيما بينهما للرق والثالث ان العدة حق من حقوق الزوج ثم
ذلك قول الله سبحانه وتعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فلا يجوز ان يبقى للحربي على المسلمة الخارجة الى دار الاسلام
حق فاذا لم يكن عليها العدة لها ان تتزوج وسبيل الامة المسبية سبيل الحرة لان حكم الاسلام قد جرى عليها فخلت
للمولى وان كان لها في دار الحرب زوج ومن الدليل ايضا على ان المسبية ذات الزوج تحل لمن تزوجها ووطئها لمولاها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية ابنة حيي بن اخطب في رجوعه من خيبر قبل ان يصل الى المدينة ومعلوم انها كان
لها زوج كبير وان عدتها منه لو كانت واجبة لم تنقض في تلك المدة فهذا يبين الا عدة على مسبية من زوجها المقيم
في دار الحرب ولا على مسلمة اذا خرجت من دار الحرب واقام زوجها هنالك **وقوله** تعالى وعز وجل والمحصنات من النساء
الاية قيل فيه باوجه ثلاثة احدها في المسبية ذات الازواج وكذلك روي عن علي وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما
فيكون فيه امران احدهما الحرمة على الازواج والثاني ارتفاع العدة اذ هما حقان للحربي وحقه في نفسه لا يمنع الاسترقاق
ولو كانت حرمة الاستمتاع تثله في زوجته لكن يدخل على هذا سبي الزوج معها ان الرق قد ثبت فيهما ولم يبطل النكاح
فيجاب لهذا بوجهين احدهما الاستحسان من حيث يلزم المولى حق الانكاح بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين الاية فلم
يبطل عليه التجديد وليس هذا في سبي الزوجة اذ لا تعقب لها به وهو دار الحرب والثاني ان يكون الزوج وحق الرق انما يجب
اذا اخرج المؤمن بنفسه والمملوك قد يكون له يد في النكاح نكاحها لم تخرج من يده اذا سبي معها واذا لم يسبيا لا يكون لمن في دار
الحرب يد في دار الاسلام وفحوى الاية عبارة اخرى انها اذا سبيت دونه انقطعت عنها عصمة الزوج وقد جعل الله تعالى
انقطاع عصمة بسبب حل جزء لقوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن وقد جعل ذلك في الزوج
سببا لقطع عصمة بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وعصمة الزوجين عصمة مشتركة ايهما خرج لئلا يعود وكذلك
المختلف يختلف لئلا يخرج فبطلت العصمة بينهما واحل الناكح والو خرجا معا لا فيشله امر السبي وتاويل اخوان قوله تعالى
والمحصنات من النساء الاية الى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية على ان لا يحل وراء الاربع الاملاك يمين وعلى هذا
في غير ذات الازواج وقد روي مثله عن ابن عباس رضي الله عنه ويكون في ذلك بيان ما كانت حرمته من حيث العدد مختص
في النكاح فان كان النكاح وملك اليمين فيما كانت الحرمة من حيث المنكوحة يستوي من حيث كانت حرمة العدد بحيث العقد
بما فيه من الحقوق التي لا يقوم لها الا بشر قد عجم وقد ملك اليمين لا يجب فيه ذلك وما كانت الحرمة بحيث لنفس المراة يستوي
لاستواء الملكين في حق الحل والحرمة ووجه اخر قيل المحصنات هن الحرائر وما ملكت ايمانكم بالنكاح فذهب من يقول بهذا
الى ما الوم بذكر ايمان ولكن قال المحصنات من النساء الا ما ملكت فيكون التحريم في غير النكاح لكنه بعيد على المعهود من الكلام
انه لا ينكح بها الا في ملك اليمين خاصة ويجوز جعل الامر من الاماء على حظر وطي الزانيات على الوالي والخيار للمتعففات
منهن لمكان الاولاد **وقوله تعالى** كتاب الله عليكم قيل كتب الله عليكم ما ذكر فامره في هؤلاء في هؤلاء الاناث وقال
الكسائي نصب كتاب الله على قوله حرم كذا واحل كذا كتابا الله عليكم على الامر يقول عليكم كتاب الله دونكم كتاب الله اتبعوا
كتاب الله في نحو هذا المعنى وقيل كتاب الله عليكم يقول هذا حرام الله عليكم في الكتاب وقيل هذا التحريم من النكاح قضاء
عليكم في الكتاب **وقوله تعالى** عز وجل واحل لكم ما وراء ذلكم اختلف فيه قيل ما وراء ذلكم اي ما سوى ذلكم وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه دليله قوله ويكفرون بما وراءه اي سواه وقيل ما وراء ذلكم اي ما قبله وامامه وهو كقوله وكان
وراءهم ملك وهو كان امامهم وقيل وراء ذلك اي بعد ذلك وخلفه هو ظاهر ومن قال سوى ذلك يقول احل لكم
ما سوى ذلكم الذي حرم عليكم ما لم يسم لكم ومن قال ما وراء ذلكم امام ذلك وقبله وهو ما ذكر قبل هذه المحرمات قوله
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن قال ما وراء بعد اي ما بعد الاربعة الاصناف المحرمة المحرمات
بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهر والمحرمات بالجمع يقول احل لكم ما بعد هؤلاء الاربعة الاصناف وقيل في

والمحصنات

والمحصنات من النساء هن المتعففات من الاماء الا ما ملكت ايمانكم من الاماء المسافحات الزانيات كانه قال فاستمتعوا
بالمتعففات منهن ولا تستمتعوا بالزانيات لانه يلبس عليكم النسب وهو كقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا وقوله واحل لكم ذلكم ان تبتغوا باموالكم بين الله تعالى ان النكاح لا يكون الا ببدل يكون مالا لانه قال باموالكم
وفي الاية دلالة ايضا على ان ما يملك ولا يقع عليه اسم المال لا يكفي مهرا لانه قال ان تبتغوا باموالكم ولا يسمى الدانق و
الحبة مالا ولو كانت الحبة مالا وكان التمرة مالا فثبت بما وصفنا من دلالة الاية ان المهور لا يكون الا من الاملاك فان قيل
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل قد زوجتكها بما معك من القران قيل لنا وبه عندنا والله اعلم بما معك من القران
ولا يجوز ان يكون السورة مهرا بدليل الكتاب لانها ليست بمال وكذلك كل شي ليس بمال وكذلك كل شي ليس بمال ولا يكون
له قيمة فلا يجوز ان يكون مهرا وكذلك قوله سبحانه وتعالى فنصف ما فرضتم يدل على ان السورة وما لا يتمول لا يكون
مهرا وروي عن انس ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج على وزن نواة من الذهب يكون دينارا فان قيل قد
بين في الخبر قيمتها ثلاثة دراهم وثلث لكن لا ندري من كان المقوم وتقسيم حجة على علمائنا حتى نعلم ذلك معنا قال قوم ان
النواة عشرة دراهم وهو ما قال ابراهيم فان قيل روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى في نكاح
ملء كفه طعاما او دقيقا او سويقا فقد استحل وكذلك يقول اصحابنا رحمهم الله ولكن يتم لها عشرة دراهم ولم يقل النبي
صلى الله عليه وسلم ولا شي عليه سوى ذلك معنا يقول المخالف لنا اذا كان المهر مما لا يتمول لم يكن مهرا وملء الكف من الطعام
لا يتمول وان جعل ذلك مهرا فقد بينا اصله ان ما لا يتمول فليس بمهر فكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال زوجتكها بما
معك من القران ولم يذكر ان ليس عليه سوى ذلك واهل العلم مجمعون على ان السورة لا تكون مهرا ومن الحجة لعلمائنا ما روي
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهر دون عشرة وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يكون
المهر اقل من عشرة دراهم وعن ابن عمر رضي الله عنه مثله على ان اهل العلم اجمعوا ان النكاح لا يكون الا ببدل وانه خالف في
سائر الاملاك التي توهب وتتصدق بها بغير بدل وكل يجعل لذلك حدا وان اختلفوا في ذلك المقدار والحد وكل يقول
ايضا ان النافة لا يكون مهرا فذهب اصحابنا ان الفروج لا تملك الا ببدل لم يجعل البدل الا ما اجمعوا عليه وهو عشرة
دراهم اذ كان النكاح مخصوصا ان لا يملك الا ببدل دون غيره من الاملاك **وقوله** عز وجل محصنين غير مسافحين قيل
متناكحين غير زانين بكل زانية وقيل محصنين اي عفائف للفروج وغير مسافحين في العلانية بالزنا وكانه امر عز وجل
ابتغاء النكاح بالاموال ونهى عن الاستمتاع بغير مال وقيل السافح الذي يزني بكل امراة يجدها والمسافحة كذلك تزني
بكل احد والمتخذات اخدان هن اللاتي لا يزنين الا باخدانهن والسفاح من الفعل ما ظهر وعلى مسلمة في المتعة **وقوله تعالى**
فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ذهب قوم الى جواز المتعة بهذه الاية يقولون ذكر الاستمتاع بهن ولم يذكر النكاح
وذكر الاجر بعد الاستمتاع والمهر انما يجب في النكاح بالعقد يوخذ الزوج اولا بالمهر ثم يستمتع بها فهو بالمتعة والاجارة
اشبه كقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن امر بايتاء الاجر اذا ارضعن ذلك لما ذكرنا الاستمتاع بهن وامر بايتاء
الاجر لا المهر دل انها نزلت في المتعة واما عندنا فانها نزلت في النكاح دليله ما تقدم من الذكر وهو قوله واحل لكم ما وراء
ذلكم نكاحا وقوله محصنين متناكحين غير مسافحين غير زانين وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم كل ذلك يدل انه في النكاح
فكذلك قوله فما استمتعتم به منهن في النكاح فاتوهن اجورهن وقد سمى الله المهر اجرا فقوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي
اتيت اجورهن وقال فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن واما قولهم ذكر ايتاء الاجر بعد الاستمتاع والمهر يجب بالنكاح
فهو على التقديم والتاخير كانه قال فاتوهن اجورهن اذا استمتعتم بهن كقوله تعالى اذا طلقتم النساء فطلقوهن اي
طلقوهن اذا طلقتم لعدتهن ونحو ذلك كثير وقال ابو بكر الاصم دلت قوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن مهورهن كاملا
وان لم يدخلوا بهن فالنصف بالاية الاخرى فهذا فائدة ذكر الاجور والاستمتاع وهو بالنكاح اشبه واولى من
المتعة لما ذكرنا من تحريم الاجناس من المحرمات في اولها واباحتها في اخرها وراء ذلك وبين ايضا ان الاستمتاع هنا
النكاح وان الاجر هو المهر لما ذكرنا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال رحم الله عمر ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله
بها امة محمد فلولا نهاه عنها اباها ما زنى الا شقي وكان يراها حراما حلالا لا قال وكان يقول في حرف ابي الى اجل مسمى
وروي عنه انه قال ان الناس هنا قد اكثروا في المتعة فقال انها لا تحل الا لمن اضطر اليها كالميتة والدم ولحم الخنزير
فدل قوله انها بمنزلة الميتة على انه رجع عن قوله الاول فان كانت المتعة في حال غير الضرورة حراما فهي في حال
الضرورة حرام وانما احل الله المحرم في الضرورة اذا خاف الرجل على تلف نفسه وليس في ترك الوطي خوف تلف
نفسه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن قال نسخها يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
الاية هذا يدل على انه رجع عن قوله الاول ومن الدليل على تحريمها قول الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم

حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فحرم الله تعالى من الجماع ما عدا وملك اليمين والمتعة ليست بملك نكاح
ولا ملك يمين فهي داخلة في التحريم ومن الدليل على تحريمها ما روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الانسية وعن سبرة الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة
النساء يوم فتح مكة وعن ابن عمر رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن اكل
لحوم الحمر الاهلية وفي خبر اخر انه كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول اني كنت اذنت لكم في المتعة فمن كان عنده
شيء فليفارقه ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا فان الله عز وجل قد حرمها الى يوم القيامة وعن ابن عمر رضي الله عنه
يقول في المتعة لو تقدمت فيها لرجمت وعن عبد الله قال المتعة متعة النساء منسوخة نسخها الطلاق والصداق
والعدة والمواريث والحقوق التي تجب في النكاح وعن عايشة رضي الله عنها انها اذا ذكرتها المتعة قالت والله
ما نجد في كتاب الله الا النكاح والاستسرار ثم يتلو هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الاية وعن عمر رضي الله عنه
قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فانكر قوم على عمر رضي الله
عنه اقراره انهما فعلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونهاه عنهما لكن الجواب في ذلك يحكم انه علم بنهي النبي
صلى الله عليه وسلم من متعة النساء وما نزل فيها من نص القران فكان وعيده لاحقا بمن فعلها لعلمه بانها منسوخة
وقوله عز وجل فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن يحتمل الاجارة ويحتمل التسريح بالنكاح انه اذا كان بعد
الاستفتاح يوتيهن كل المهر لانه ذكر المهر في النكاح والبعض بعد الطلاق فبين الكل فهذا وابين هذا التاويل
ما كان عليه ذكر المحرمات والاحلال انه كله بالنكاح وكذلك على ذلك قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
في النكاح لا في الاجارة وصفا لم تبغي وينهوا عن ذلك وبقوله والذين هم لفروجهم حافظون ذكر ان مبتغي وراء
ذلك باغيا بهذا الوعرف بحكم الكتاب فما ذكرته له ناسخ ولو عرف بالاخبار الاباحة دون معرفتنا بها النهي
فمن رام الاخذ بطرف منها على الاعضاء عن الطرف الثاني والمنع عما قال به ثم امتناع الامة عن العمل على ظهور الحاجة و
نفور الطباع عن قبول مثله من احد في المتقدمين فاضر على الحق ثم دل ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال
نسخها الطلاق والعدة ان الاول كان نكاحها بمعنى المدة ابطله ارتفاع احكام النكاح عنه وقوله عز وجل ولا
جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة في الاية دلالة ان الزيادة في المهر جائزة لان الفريضة هي التسمية فان
قيل قوله فيما تراضيتم معناه قوله الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح هو ان تبذل المراة من مهرها
شيئا الزوج والزوج لها قيل لو كان ذلك كذلك برضاها يعني رضاء زوجها وقال تراضيتم به فجعل للزوج في الرضا
نصيبا ومعناه والله اعلم ان الزوج اذا زاد على المهر فذلك جائز فهذا التراضي انما يكون منهما جميعا في الحالين وذلك
اصل الزيادة في المهر والثمن في البيع واشباه ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب ام سلمة و
يقول ان كان ايمانك ان ازيدك في الصداق زدتك وان ازيدك ازيد النسوة وروي عن علي رضي الله عنه قال زدها
فهو اعظم للبركة وروي عن عثمان وعمار كذلك وقد دل الكتاب والسنة وقول الصحابة على جواز ذلك فهو الحق
على ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم ومن الدليل ايضا على جواز الزيادة في الثمن والمهر وانهما تصير
كانها كانت مسماة في عقد البيع ان رجلا لو اشترى من رجل عبدا بيعا باتا ثم ان احدهما جعل لصاحبه الخيار يوما
ينقض البيع ان نقضه جائز ويصير ذلك كالخيار المشروط في اصل البيع وكذلك رجل اشترى عبدا بالف درهم
حالة ثم ان البايع اجل المشتري في الثمن شهرا كان الاجل جائزا ويصير كانهما سميا الاجل في عقد البيع فوجب ان يكون
الزيادة بعد البيع في الثمن كانها كانت في عقد البيع وقوله عز وجل ان الله كان عليما حكيما فيما حرم واحل حكيما حيث
وضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمما ملكت ايمانكم وقوله
عز وجل ذلك لمن خشي العنت منكم فقال بعض اهل العلم لا يجوز تزوج الامة حتى يعجز عن نكاح الحرة ويخشى مع
ذلك العنت فاذا اجتمع الامران فحينئذ يجوز ان يتزوج الامة ولا يجوز ان يكون تاويل الاية في هذا وذلك انه لا
اعز وجودا اليوم من الحراير ويجد الرجل حرة يتزوجها باوفى شيء ما لم يجد بمثله الامة لان نفقة الاماء في ذلك
الزمان اوجد وان الحراير اعز وان مونة الاماء ومهورهن اقل فخرج الخطاب على ذلك او انه لما نزل قوله سبحانه
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم رغب السادات في تزويج الاماء بشيء يسير فعند ذلك نزل قوله تعالى
ومن لم يستطع منكم طولا الاية والا الامر الظاهر ما ذكرنا انهن اعز وجودا من الحراير واكثر مونة وان الحراير اهون
ومونتهن اقل وان تكون الاية في الانفاق عليهن ليس في ابتداء النكاح وهو ان الرجل اذا تزوج حرة لزمه ان ينفق
عليها شيئا اوفى فاذا عجز عن الانفاق عليها يطلقها ويتزوج بامة اذ نفقة الامة على سيدها ونفقة الحرة عليه

فامر ان يطلق الحرة التي نفقتها عليه ويتزوج امة تكون نفقتها على سيدها هذا اشبه والله اعلم بما قاله او يكون
او ان يقال انه اراد بالنكاح الوطي لا العقد والتزويج على ما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والنكاح اسم للوطي
والتزويج جميعا قال الله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وتاويله الوطي فكذلك الاول ومعنى قول علي رضي الله
عنه حيث حمل الاية على الوطي لانه لا يتزوج الامة على الحرة كانه منعه من ذلك لانه قادر على وطي الحرة ويتزوج الحرة
على الامة يقول يتزوج الامة ولم يكن قادرا على وطي الحرة فجاز نكاحه او ان كانت الاية في ابتداء النكاح والتزويج
على ما قالوا فليس فيها حظر نكاح الاماء وبطلانه في حال الطول والقدرة لانه اباح نكاحهن في حال عدم الطول و
القدرة ومن اصلنا ان ليس في اباحة الشيء وحله في حال دلالة حظره ومنعه في حال اخرى دليله قوله ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن ليس فيه انه لا يحل له اذا لم يوت اجورهن وقوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما
ملكت ايمانكم ليس فيه حظر الاربع وان خاف ان لا تعدل فهذا يدل على ان حظر الشيء ومنعه لا يوجب الحظر في
حال اخرى واباحة الشيء في حال وحله لا يوجب منعه وحرمته في حال اخرى على ان المخالفة لما لم يجعل الايمان
المذكور في الاية شرطا لقوله تعالى ان ينكح المحصنات المومنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في حال نكاح الاماء
كيف صار الطول والقدرة شرطا فيه اذ من قوله انه ليس له ان ينكح الامة اذا كان له طول نكاح المحصنة الكتابية
لانه يقول لان الله تعالى شرط فيهن الايمان بقوله من فتياتكم المومنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في المحصنات
كيف شرطا في الاماء وذلك كل عندنا ليس بشرط فان قال قايل ان قول الله تعالى فمن لم يستطع فاطعام كذا ليس
صار ذلك شرطا حتى لا يجوز عنه اذا كان له طول العتاق وقدرة الصوم فما ينكر ان يكون الاول مثله قيل صار
ذلك شرطا فيه لانه فرض لزمه بشريطة لم يكن له الخروج والتعري عنه واما النكاح فليس هو بفرض لزمه بوجود
الطول والقدرة والعتاق وما ذكر فرض لزمه بوجود الطول والقدرة عليه ويجوز الطعام لكن لم يسقط الفرض
الذي لزمه عند ذلك صار شرطا فيه والاول لم يصر فان قال ما معنى الاية اذا قيل معنى الاية على الاختيار والادب
او على الاتفاق الذي ذكرنا او ان لا يختار نكاح الامة على نكاح الحرة اذا كان له طول الحرة على ما جاء عن عمر
رضي الله عنه قال ايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه وايما عبد تزوج حرة فقد اعتق نصفه لا يختار نكاح الامة وله الى
طول الحرة سبيل ويحتمل ان يكون قوله ذلك لمن خشي العنت منكم ان لا يحمل على الزنا ولكن يحمل على مخالطتهن الناس
واسترقاق الاولاد فاذا امنه السيد عن استرقاق الولد وعن ترك الاختلاط بالناس فعند ذلك يتزوجها اذ قلوب
الناس لا يحتمل اختلاط ازواجهن بالناس واسترقاق الاولاد فحمل العنت على هذا اشبه من الزنا ومن الدليل ايضا
على ان لا يعتبر الطول على التزوج على ما قالوا انه اذا تزوج امة ثم قدر على تزوج الحرة لم يفسد نكاح الامة وهو قول ابن
عباس رضي الله عنه فعلى ذلك طوله في الابتداء على نكاح الحرة لا يمنع جواز نكاح الامة والله اعلم على ان عدم الطول
في الاصل لا يمنع نكاح الحرة اذ شيء يلزمه الزمه وعدم النفقة يمنع الامساك عنده فدل ان الاية لعدم نفقة الحرة اشبه
واقرب من طولكم مهر الحرة في الابتداء على ما ذكرنا والاصل ان كان امر يجوز بشرط الاضطرار فان ارتفاع الضرورة
يمنع البقاء فاذا لم يمنع بان انه لا على الحل بالضرورة وعلى ذلك يختار لمن تحته حرة مفارقته الامة اذ بامساكها
رق الولد الذي يقبح في العقل اختياره ومخالطة الزوجة في الطبع نفاد منه فمثله في الابتداء والله اعلم معا
قال الله تعالى وان تصبروا خير لكم وليس عن الذي فيه الضرورة شرط الصبر ثم العقول واحد فيهن يملك المال وهو
غايب عنه يخشى العنت الى ان يبلغ ذلك انه لا يمنع النكاح وجميع ماله الحرمة يستوي غيبة ذلك وحضرته كنكاح
الامة على الحرة والاخت على الاخت ونحو ذلك معا لو كانت خشية العنت يصير سببا الحل في شيء لكان ملك الحرة التي
هي عنه غايبة اذا لم نص الضرورة مبيحة فاذا بان ان الحرمة لنفس النكاح في الوجود والحل لعدم لا للسبيل الى ذلك
وغير السبيل ثم قوله عز وجل ذلك لمن خشي العنت انما هو الضيق كقوله ولو شاء الله لاعنتكم اي بضيق عليكم في مخالطة
الايتام او الاثم كقوله سبحانه وتعالى عزيز عليه ما عنتم وكل يحل فيه وسع الاستمتاع فهو يخشى الاثم فيحتاج ان
يباح له على كل حال او يرجع الى الضيق فيكون المقصود منه الامساك دون العقد والله اعلم ثم خشية الزنا ان
يحتمل ان يصير شرطا للحل وقد حصل له عقوبة فيها ابلغ الزجر لمن غفل عن رجم او حد بل يفرض عليه اتقاء ذلك بكل
وجوه الامكان ومعلوم ان الله قد جعل عنه بغير النكاح سبيلا في الامتناع ايضا وقد جاء ايضا الامر بالصيام بانه
له وجاء فانما خشية ذلك خشية خطر لا حقيقة فلم يجز ان يجعل عذرا لرفع الحرمات ويعذر عليه بالمباح من الصيام
القول في قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الاية نقول وبالله التوفيق يحتمل الاية وجهين احدهما
طول عقد النكاح مذكور ايضا في نكاح الامة بقوله واتوهن اجورهن بالمعروف ومعلوم وجود الحرة بالمهر الذي

يوصف في المعروف من المهور بل لعل ذلك في الحرائر اوجد اذ قد جاز نكاح الحرائر بالاشياء الضعيفة ومعروف
وجودهن في كل عصر بدون ما يوجد من مثله الاماء فمحال ان يشترط في نكاح الاماء عدم ما لا يوجد السبيل اليه الا
بوجود ذلك او ما هو اعظم في الوجود واما النفقة والمسكن فقد يكون بمال السيد دون ان يؤخذ به وفي الحرة لا
سبيل اليها الا بمال الزوج فغنيها بذكر الوجود لا فيما يستوى الذكر فيه في المثاوىٔ في الحاجة على ما عليه العرف فيه فمثل
ولا قوة الا بالله والوجه الثاني ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح الامة على الحرة ولو كان يجوز
نكاحها عند وجود طول الحرة لم يكن للنهى عن ذلك بعد النكاح وجه اذ ليس لذلك وجود لما الطول يمنع وجوده و
الثالث ان الذى به يجب النكاح ليس للوجود شرط فيه والذى به الامساك شرط اذ قد يجوز بزمنه من لا يملك ولا
يمسك بمثله ثبت ان ذلك في حق الامساك وبعد لو كان يمنع بالذى ذكر لكان جوازه بحق الضرورة وعندما لا
يقع الضرورة ثبت ان ذلك في حق الامساك ثم لو كان التاويل على النكاح لم يكن في ذلك تحريم النكاح على وجود
طول الحرة لخصال احدها ان ذلك يوجب ان يكون نكاح الاماء يجوز بحق الابدال والاضطرار وذلك لا يحتمل
حق النكاح لوجوه احدها ان طريق ذلك اباحة ورخص والفروج لا يحتمل الاباحات بل الاباحات توجب حد
المبيح ويعفو به ويجعل كبيع ما لا يملكه والثاني ان الجهات التى كانت في جميع النكاح كانت ظاهرة لم يرتفع شئ
منها لحاجات وكذلك نكاح الاماء لو كان من المحرمات بل الحكم ان كل امراة لا يحتمل النكاح فهى لا تحل بملك اليمين
فلو قلنا انه لا يحل نكاحها لكانها لم تحل في ملك اليمين فادخلت بان ما ذكرت وليس كالزيادة على الاربع لان في
ملك الحرم حق المنكوحة لا لمكان المراة وكذلك الاخت ونحو ذلك دليل ذلك جواز ذلك لا بحق الابدال والا
اذا عدم نكاح غيره بعد فانه لم يجعل في شئ من الحل والحرمة المال بل قال الله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا الاية صير العدم شرط الترك وله قد يمنع لانه شرط الاباحة فلذلك امر نكاح الاماء والثالث ان الاصل
الذى في الاضافة الحل والحرمة الحائر لا يوجب عند ذلك في غير ملك الحال بل هو في غيرها موقوفا على قيام الدليل
من ذلك المضاف اليه او غيره لانه يوجب ذلك دليل ذلك امور النكاح قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انا
احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن لانه يعلم لولم يؤتهن الاجور لم يحللن وكذلك قوله سبحانه وتعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقال عز وجل فاذا احصن فان اتين بفاحشة
الاية لان الحد لا يجب لولم يحصن وقال الله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات لا على
جعل الايمان شرطا وقال الله عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم لان الامة لا تحل اذا لم يخف
العدل في الحرائر وغير ذلك مما يكثر اذ ليس في اضافة الحل الى حال قطعه عن غيره فمثله امر النكاح فيما نحن فيه ثم احتج
بعضهم بالايات التى فيها فمن لم يستطع ومن لم يجد لوجيه ذلك الحق ههنا وقد دخل جواب هذا فيما قلنا ان الحكم
في غيره موقوفا على الدليل فيه مثلنا الا بهذا مع ما بينا دليل ما نحن فيه ليس بشرط الا ترى انه ذكر شرط الايمان في المحصنات
ومن لم يصر شرطا وقد صار في الكفارات ونحو ذلك فمثله ما نحن فيه ثم الفصل بين الامرين يمنع من وجوه احدها ان
تلك بحق الابدال والاضطرار دليله زوال الحكم عند الارتفاع وفي هذا الا ان لا يرتفع لنكاح الحرة فلذلك اختلف
الامران ولو جعلنا الامر في حال اولا الاشارة بالحل اليها دليلا على النهى عن ذلك كان نهيا عن نكاح الاماء في حال الطول
الحرائر فلا يحتمل ان يكون النهى ببطلان الفعل لاوجه احدها ان المعنى الذى له يمنع النهى كان مفقودا وبمثله لا يحتمل
الفساد وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يرق ولده والثاني ان يخالط اماء الرجال وذلك بعض ما يشين الرجل ثم
كان نكاح الزانية مع النهى عن ذلك ويجوز ومع الامر بطلاقها ومعلوم ان ذلك اعظم في الشين اذ قد يظهر به ما يخاف
في المملوكة ويصير ولده مشئوما بامة ما هو وحش في العقول من كل رق وعبودة ويقال له يا ابن الزانية وذلك ايضا
تلبيس النسب وشبهه ثم لم يجب به الفساد فامر المملوكة الاخرى وايضا لم يختلف على نهى الحرة عن نكاح العبيد وله
يعرف الاولياء ويصير في حق نسب الاباء الى الموالى اذ معلوم ان الطعن عليهن في الخلاف اقبح منه عليهم ثم لم يمنع ذلك
جواز النكاح فمثله ما نحن فيه وايضا ان الحرمة على وجهين حرمة لنفس المنكوحة او الاستمتاع وحرمة لحق النكاح
وكل محرمة لذاتها فهى لا تحل بملك اليمين ولا بملك النكاح وما كانت الحرمة بحق النكاح يحل فاذا كانت الامة تحل بملك
اليمين ثبت ان حرمتها ليست لنفسها ولا الاستمتاع فهى تحل بملك اليمين بل حلها في الاصل بملك النكاح احق اذ ليس الا
للاستمتاع فاذا احلت به فبالاخرى ان يحل بالنكاح ثم قد يحرم للنكاح الخاص لا بجزء من الاموال يحل فكذا ما نحن فيه وقوله
عز وجل والله اعلم بايمانكم يحتمل وجهين يحتمل والله اعلم حقيقة ايمانكم وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل والله اعلم بايمانكم وانتم
لا يعلم حقيقة ذلك وفيه لزوم العمل بالظاهر وقوله عز وجل بعضكم من بعض يحتمل بعضكم من بعض في الدين ويحتمل بعضكم

من بعض

من نسب بعض فهذا يدل على ان نسب بعضهم من دين بعض ومن نسب بعض فليس لبعض على بعض فضل من الدين والنسب
اذ نسبهم ورد بينهم واحد وليس للحرة على الامة فضل من هذا الوجه في قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب لانها اذا كانت على غير هذا الوصف لزمها ذلك الحكم دل ان وجوب الحكم في حال على وصف لا
يمنع وجوب ذلك الحكم في حال اخرى على غير الوصف الذى وصف في تلك الحال وهذا بالمخالف لنا الزم لانه قال عز وجل في
قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ان النهى وقع على جميع المشركات كتابيات ثم صارت
الكتابيات منسوخة بقوله والمحصنات من النساء الذين اوتوا الكتاب ثم قال اذا كان له طول لمحصنة كتابية لم يحل له نكاح
الامة المؤمنة وقد اخبر عز وجل ان الامة المؤمنة خير من مشركة وهو يقول بل المشركة خير من الامة فهذا يدل على اضطرابه
في قوله على مذهبنا ما قلنا وقوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية على المشركات خاصة من غير الكتابيات
عندنا دليله قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل ذكر المشركات وذكر الكتابيات دل ان اذ ان
المشركات في هذه الاية غير الكتابيات وقد ذكرنا الوجه في ذلك في صدر السورة ما يغني ذكره في هذا الموضع فاذا كان
ما ذكرنا حل له ان يتزوج كتابية محصنة كانت او امة وقد اقمنا الدليل على ان ليس في ذكر الايمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز
نكاحهن على ما لم يكن في ذكر الايمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن على ما لم يكن في ذكر الايمان في المحصنات من المؤمنات
دليل جعل الايمان فيهن شرطا وقوله والله اعلم بايمانكم اي هو اعلم بحقيقة ايمانهن وانتم لا تعلمون حقيقة وان كان ابت لنا
علم الظاهر بقوله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات امرنا بالعمل بعلم الظاهر لا بعلم الحقيقة بقوله
والله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فهذا يدل على ان الايمان هو عمل القلب لا عمل اللسان
لانه لو كان عمل اللسان لكان يعلم حقيقة كل احد فظهر انه ما وصفنا وقوله عز وجل بعضكم من بعض قيل فيه بوجوه بعضكم
من بعض في الولايات في الدين كقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقيل بعضهم من بعض في النسب
اذ كل منهم من اولاد آدم ويحتمل بعضكم من بعض قبل الاسلام وقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن اى باذن ساداتهن سمى
الساادات اهلا لهن دل انهن من اهلهم وفيه ان للمراة ان تتزوج نفسها اذا اذن لها وليها لانه تعالى قال باذن اهلهن و
المراة اذا كانت لها جارية لها تزوج من غيره وهذا في النساء اولى لان الرجل اذا كانت له جارية يستمتع بها ولا يتزوجها من
غيره والمراة اذا كانت لها جارية هي التى احتاجت الى تزويج جاريتها لذلك كان فهذا اولى وفيه ان ليس للعبد ولا للامة ان
يتزوج الا باذن السيد وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وقال
بعض اهل العلم قوله فانكحوهن باذن اهلهن اذا كن مؤمنات على ما سبق من ذكر الايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم
لكن هذا وان كان نهيا عن نكاح الاماء اذا كن غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن اذا كن غير مؤمنات الا ترى ان النساء
نهين عن تزويج انفسهن من العبيد وذلك مما يشينهن ثم لم يمنع ذلك النهى عن التزويج منهم فعلى ذلك لا يمنع شرط الايمان فيهن و
النهى عن نكاحها اذا فعل ذلك جاز النكاح فعلى ذلك الاول وكذلك قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ثم ذكر
الصلاح فيهم ثم انا كان لو على غير ذلك الوصف جاز فكذلك الاول وكذلك قوله عز وجل محصنات غير مسافحات ذكر الاحصان
فيهن ثم لم يصر الاحصان فيهن شرطا في جواز النكاح لانهن اذا كن غير محصنات يجوز نكاحهن فعلى ذلك الاول ولو كان الطول
القدرة مما يمنع جواز نكاح الاماء بمعنى البدل لكان اذا تزوج امة ولم يكن له طول على نكاح الحرة في ذلك الوقت ثم كان الطول
على نكاح الحرة يجب ان يفسد النكاح لانه اذا منع الابتداء يمنع القرار في ملكه فاذا لم يمنع دل انه ليس على حكم البدل اذ الابدال القرار
لها ولا ثبات عند وجود الوصول دل انه ليس عنه ولكن على الاختيار والتاديب ان لا يتخذ الاماء على الحرائر والمسافحات على المحصنات
ولا يتخذ المشركات على المؤمنات فان قيل انكم يمنعون عن نكاح الامة على الحرة ثم لا يمنعون نكاح الامة على الحرة لحق حرمة الجمع بين
الاختين وبين المراة وعمتها فاما اذا لم يكن ثم جمع لا يمنع وهذا ليس بشئ وقوله عز وجل فاتوهن اجورهن باذن اهلهن على ما
ذكر الاذن في النكاح بقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن ويحتمل ايضا ان يؤتى اجرها وان لم ياذن له مولاها اذا كانت الجارية
ممن يحفظ مال سيدها وتتعاهده اذ الناس يشترون المماليك لحفظ اموالهم وصون املاكهم نحو ما جاء من الوعيد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته حتى العبد عن مال سيده فاذا كان ما وصفنا لا باس بان يدفع الاجر والمهر
اليها اذا كانت هي ممن يحفظ ماله ويصونه ثم من النساء من استدل بقوله فاتوهن اجورهن على حقيقة الملك للمماليك ويجيز لهم التمتع
بالجوارى وبقوله تعالى ايضا وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله لو لم يملكوا
حقيقة الملك واما عندنا فانهم لا يملكون حقيقة الملك استدلالا بقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من
شركاء فيما رزقناكم اخبر ان ليس لهم فيما رزقهم شركاء مما ملكت ايمانهم دل انهم لا يملكون حقيقة الملك فان قالوا اليس يملكون
التمتع في النكاح اذا ملكوا ما يمنع ايضا ان يملكوا رقاب الاشياء اذا ملكوا قيل ان السادات لا يملكون من المماليك رقبة ما يمتنع

به بالاسر الا ترى ان السيدة لا تملك من غيرها التمتع به ان ملك ذلك للعبد خاصة لذلك ملك التمتع في النكاح وقوله عز وجل فآتوهن اجورهن ما ذكرنا من الاذن من اهلهن ولما جعل النهي حفظ الاموال وقوله عز وجل بالمعروف قيل مهر غير مهر البغي وقيل هو المعلوم وقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان قد ذكرنا فيما تقدم واما قوله عز وجل بغيتهم انه من فضله بغناء ساداتهم اذ مقدار ما يطعمونه ويشربونه مما جعل لهم الانتفاع به وقوله عز وجل فاذا احصن قيل فاذا اسلمن وقيل فاذا احصن فاذا تزوجهن ويحتمل فاذا احصن فاذا بلغن مبلغ النساء وقيل فاذا احصن اي عففن وتابت والله اعلم ما ذكره في اول الاية وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا انهن اذا تركن للتعفف ولم يكرههن على البغي فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فهن الحرائر لان عذاب المتزوجة اذا دخل بها زوجها الرجم ولا نصف للرجم وانما حد الامة الجلد فلا يجوز ان يكون المحصنات في هذا الموضع ذات الازواج لان عذاب ذات الازواج الرجم ولا نصف له دل انه اراد بالاحصان الاسلام وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير وجماعة من اهل العلم ان لا حد على الامة حتى تتزوج واما عندنا كان عليها الجلد لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بجلد الامة اذا زنت وان لم تتزوج فذلك حجة لقول من قال احصانها اسلامها وهو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد وشبل رضوان الله عليهم قالوا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رجل عن الامة تزني قبل ان تحصن قال اجلدها فان زنت فاجلدها ثم قال في الثالثة او الرابعة فبيعوها ولو بضفير هذا الخبر يدل على ان الامة اذا زنت تجلد وان لم تتزوج وقوله عز وجل وان تصبروا خير لكم اي وان تصبروا ولا تتزوجوا الاماء فهو خير لكم لان اولادكم يصيرون عبيدا فهذا يدل على ان قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات كله على الاختيار ليس على الحكم انه لا يختار لا على انه اذا فعل لا يجوز وقوله عز وجل والله غفور رحيم يحتمل وجهين يحتمل غفور رحيم حيث كفر عنكم ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي يقام عليكم ولم يجعل عذابكم في الاخرة ان عذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا وذلك من رحمته ويحتمل غفور رحيم من رحمته ان يجعل الحدود في الدنيا زواجر من العود الى ارتكاب مثله من الافعال وقوله عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل قوله يريد الله ان يبين لكم ما تأتون وما تتقون وما لكم وما عليكم ويبين ما به صلاحكم ومعاشكم في امر دينكم ودنياكم لكن حقيقة المراد بالاية اما ان يكون اراد جميع ما ذكر او معنى خاصا مما احتمله الكلام وليس لنا القطع على ما اراد به وقوله عز وجل ويهديكم سنن الذين من قبلكم يحتمل وجوها اي يبين لكم سبيل الذين من قبلكم اي سبيل الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام واهل الهدى والطاعة منهم ليعملوا ما عملوا وينتهوا عما انتهوا وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه سنن الذين من قبلكم اي امر الرسالة والنبوة ليهديكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو رسول لان امر الرسالة والنبوة ليس ببديع قد كان في الامم السالفة رسل وانبياء عليهم السلام فامر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ليس ببديع ولا حادث كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل ويحتمل قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم ان يبين لكم ان كيف كان سنة في الذين خلوا من قبل في اهلاك من عاند الله ورسوله واستيصال من استأصلهم بتكذيب الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام والخلاف اليهم كقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل وقوله تعالى وقد مضت سنة الاولين وقيل سنن الذين من قبلكم شرايع الذين من قبلكم من المحرمات والمحللات من اهل التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب وقوله عز وجل ويتوب عليكم ان يريد ان يتوب عليكم وفي قوله تعالى ايضا سنن الذين من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن الذين من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن اي يبينها لكم انها كانت ماذا ويحتمل يهديكم سنن الذين من قبلكم بمعنى جعل تلك السنن هداية لكم ثم قوله عز وجل من قبلكم يحتمل سنة وسيرة في الذين من قبلكم ليعتبروا بها ويحتمل سننهم التي الزموها وسيرهم التي سلكوها بالطاعة لتعظموا بها والله اعلم بحقيقة ما انصرف اليه مراد الاية لكن فيما احتمله فهاهنا موعظة تبنا فيه وعلى ذلك معنى قوله عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل كل ما به لنا نفع او كل ما بنا اليه حاجة او كل ما علينا القيام به او يرجع ذلك الى الخاص مما يريد بالاية الاخبار وان الذي علينا النظر فيما قد يفصل البيان عنه وفيما انبأنا عن سنة من تقدمنا مما نرجو به الهداية والشفاء للقيام بما علينا في ذلك من الحق دون الشهادة عليه جل ثناؤه بالمراد فيها في مخرج الكناية دون التصريح من الوعود وقوله تعالى ليبين وان يبين في مفهوم الخطاب فيما جرى به الذكر في هذه الاية واحد اذ لو كان ذكر ان يسبق الى الفهم غير الذي سبق في هذا على حق العباد من التفاهم والله اعلم ثم كان معلوما فيما اراد بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم انه لو لم يبين ما اراد بهذا الوعد ولم يهد انه كان يلحقه الخلف في الوعد فعلى ذلك فيمن قال يريد الله ان يتوب عليكم ويريد الله ان يخفف ويتوب على من اريد بقوله يتوب ويخفف عنكم يلحقه الخلف في الوعد ثم يخالف وصف كافر في حال انه ممن تاب الله عليه ثبت انه لم يدخل في قوله سبحانه وتعالى يريد الله ان يتوب عليكم فاذا ثبت انه لم يدخل فيه وجب فيه امران احدهما ان الارادة ليست بأمر اذ قد امر الكافر بالتوبة والثاني ان كل من لم يتب فهو ممن لم يرد الله ان يتوب عليه وهو في قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم على ان الله تعالى قال في المؤمنين يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقال في الكفار لم يرد الله ان يجعل لهم حظا في الاخرة على التفريق من الذي في علمه انه

يختم

يختم كافرا على ارادة الهداية مع ارادة ان لا يجعل له الحظ في الاخرة على الوعد خلف وارادة من لا بد يبتلى في فعله ولا يتصل به فعله يمنى في متعارف الامر وتشهى ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الارادة وهي التي يوصف بها من فعله و الاختيار ثبت ان الله تعالى في فعل العباد فعلا بحيث فعله يوصف بالارادة وفي ذلك وجوب القول بخلق افعال العباد وان يكون المراد من تلك الارادة اذ لم يحتمل التمني ولا الامر ان يكون الارادة التي بنفي القهر والغلبة فيلزم اذ ثبت نفي القهر الوصف بالارادة ويثبت انه مريد لكل فعل نفي عنه القهر في وجوده وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله عليم بما يؤتي ويتقي عليم بما به معاشكم وصلاحكم وما به فسادكم وفساد معاشكم ونحوه حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم قالت المعتزلة قد اراد الله تعالى توبة من لا يتوب فيقال لهم ما التوبة عندكم اليس التوبة عندكم التجاوز والدعاء فاذا وعد ان يتوب فلم يفعل فهل ترك الا لعجز او بدا او ذلك الوصف له بالعجز والجهل ونعوذ بالله من الزيغ عن الحق والسرف في القول واما تأويله عندنا والله يريد ان يتوب عليكم في الذي علمه انهم يتوبون او كان ذلك اخبارا عن قوم اراد الله ان يتوب عليهم فتابوا وقال قوم قوله والله يريد ان يتوب عليكم اي بأمره ان يتوبوا والله اعلم وقوله عز وجل ويريد الذين يتبعون الشهوات الاية من اختار الدنيا على الدين والاولى على الاخرة لهؤلاء يتبعه وشهوة تغلبه لا لتقصير من الله عز وجل عن البيان بل لتركهم النظر والتأمل بالعواقب غلبت عليهم شهواتهم واتبعوا اهواء انفسهم اما رياسة طلبوها واما سعة في الدنيا بغوها فذلك الذي يمنعهم عن النظر في العاقبة والتأمل في الاخرة لذلك مالوا ميلا عظيما وخسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا وقوله عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم هذا انه خفف علينا ولم يجعل ما حمل على الامم السالفة من الاصر والشدايد والاثقال والمشقات مما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا وجعل توبتنا الندامة بالقلب والرجوع مما ارتكبوا وان يقال خفف عنا حيث لم يستأصلنا ولم يهلكنا بالخلاف وترك الطاعة على ما استأصل اولئك واهلكهم ويحتمل التخفيف عنا ايضا وهو ما خفف علينا من اقامة العبادات والطاعات من نحو الحج والجهاد وغيره حتى جعل القيام بذلك اخف على الانسان وايسر من قيامه باخف العبادات وايسرها وذلك من تخفيف الله علينا وتيسيره وفضل منه ورحمة والله اعلم وقوله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا يحتمل ان يكون اراد به الكافر كقوله تعالى وخلق الانسان هلوعا وكقوله تعالى واذا مسه الشر كان جزوعا وقد قيل كل موضع ذكر الانسان فهو في كافر من ضعفه بضيق صدره وملل نفسه بطول الترك في النعم حتى يضجر فيها ويحتمل انه اراد به الكافر والمسلم ووضعه في ابتداء خلقه انه كان ضعيفا كقوله خلقكم من ضعف ويحتمل وصفه بالضعف له لانه ضعيف في نفسه عمل من الطاعات والعبادات التي جعل الله عليه ليس كالملائكة حيث وصفهم انهم لا يفترون ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا كذلك بنو ادم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الظاهر في الثنيا انه من غير جنس المستثنى لانه استثنى التجارة عن تراض من اكل المال بالباطل بينهم واكل المال بالباطل ليس من التجارة ولا التجارة من نوع اكل المال بالباطل الثنيا في الاصل جعل تحصيل المراد في المحمل من اللفظ فاذا لم يكن من نوعه كيف جاز لكنه يحتمل والله اعلم ان يكون على الابتداء والاستيناف كانه قال لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولكن كلوا بتجارة عن تراض منكم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما استثنى السلام والسلام ليس من جنس اللغو لكن معناه ما ذكرنا لا يسمعون فيها لغوا ولكن يسمعون فيها سلاما ويحتمل ان يكون في الثنيا بيان تخصيص المراد في المطلق من الكلام كقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط دل استثناؤه ال لوط على انه اراد بقوم مجرمين قوم لوط خاصة لانه قد كان في قوم ابرهيم عليه الصلوة والسلام وفي غيرهم من اقوام مجرمين دل الثنيا على مراد الخصوص فعلى ذلك يدل استثناؤه التجارة عن تراض منهم على انه اراد باكل المال بالباطل بتجارة من غير تراض وان كان في الحقيقة يصير مال هذا وهو ان يأخذ مال غيره فيتلف فيلزمه بدله فيصير ما عوض من بدله بما اتلفه قصاصا فهو في الحقيقة تجارة او يحتمل ان يكون اكل المال بالباطل بينهم ما لا يجوز ولا يطيب لان حرف البين لا يستعمل الا فيما كان البدل من الجانبين فاذا كان ما وصفنا احتمل كان الثنيا من ذلك من وجه يطيب ومن وجه لا يجوز ولا يطيب وفيه دليل ان التجارة هي جعل الشيء له ببدل وترك الشيء بالشيء الا ترى الى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ذكر الشرى ولم يكن منهم الا ترك الهدى بالكفر ثم سمى ذلك تجارة بقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وفيه دلالة ان البيع يتم بوقوع التراضي بين المتبايعين وليس كما قال قوم لا يتم البيع وان تراضيا على ذلك حتى يتفرقا عن المكان فكانوا تاركين عندنا الظاهر هذه الاية فان احتجوا بالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا لكن معناه عندنا ان يقول الرجل للرجل بعتك عبدي بكذا فلصاحبه ان يقول قبلت البيع ما دام في مجلسه او يحتمل ان يكون اذا قال بعتك كان له الرجوع قبل ان يقول الاخر قبلت على ان قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا لا يوجب ان يكون تفرقا عن المكان تفرق الابدان الا ترى ان الله سبحانه وتعالى وان يتفرقا يغن الله

كلا من سعته ولا يفهم المعنى من ذلك تفرق المكان والابدان ولكن وقع ذلك على القول والطلاق على ان في الاية بيان
عام البيع بوجود التراضي بقولها الا ان يكون تجارة عن تراض منكم ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم
فلو كان البيع لا يتم بالتراضي حتى يشهد قبل التفرق وبعد التفرق ان اشهد قبل التفرق فهل المرصاد ق فان لصاحبه
عليه الثمن او كاذب اذا كان البيع لم يتم وما ينفعه الاشهاد ان كان للقران يبطل اقراره برد السلعة وان كان انما
يشهد بعد التفرق فقد يجوز ان يتلف المال بالتفرق قبل الاشهاد فاين التحصين الذي امر الله تعالى ومما يدل على تاويلنا
فالخبر ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولا يحل لاحد
ان يفارقه خشية ان يستقيله وقوله يستقيله يدل على ان ليس له ان يرده الا بان يقيله صاحبه ويدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا من بيعهما على ان التفرق هو الفراغ من عقد البيع لا غيره ومما يدل على ان الخيار ليس بواجب
قول عمر رضي الله عنه ان البيع عن صفقة او خيار فكان موافقا لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يقول دل قوله تعالى لا تاكلوا
الى قوله تجارة عن تراض على الاذن في الاكل اذا وجدت التجارة عن تراض من الناس والتجارة معروفة عند جميع من له
عقل ومعروف ان يتفرق المتعاقدان بعد الفراغ من العقد لم يعرف فيها هو عند الخلق تجارة ولكن التفرق بانقضاء ما لم
الاجتماع والفراغ منه بما ليس من مفارقة العقلاء الوقوف في مكان بلا حاجة فليس التفرق مما يحتمل ان يظنه حكيم او
سفه من التجارة وقد اذن في الاكل والاكل عبارة عن الاخذ وكل انواع المنافع بالباطل فثبت ان قد ملك بالفراغ عن
التجارة بغير الرضاء وايد ذلك قوله واشهدوا اذا تبايعتم والتبايع الذي عليه الاشهاد وهو التعاقد لا التفرق ومن
البيعان يكلفوا الاشهاد على التبايع قبل وجوب الواجب من الحق الذي عليه الاشهاد فثبت بذلك وجوب ما جعل
البائع بوجوبه دون التفرق وانا ثبت الذي ذكرنا من احكام القران مع الكفاية بالامر الذي لا يجوز شذوذ حتى لا يسلم
عنه ويشذ عن علم جميع البشر وكل اهل التبايع به يتفادون الحق بينهم بالفراغ من العقود ولا يجوز شذوذ العلم بحق ذلك
محله فيكون اتفاق الخلق على الجهل بالاعتقاد في امر يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ائمة الهدى لا ينتهون عن ذلك والله
اعلم فاذا الزم ذا الولاء المروي من الخيار وكل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا حمل الخبر على ما فيه بعض العلم بحق القران وما عليه
امر الخالق على اتساع لغير ذلك الوجه بل لعله بغيره اولى ثم يخرج على وجوه على اضمار حق على المتبايعين ان يكونا كذلك في حق الجعل
لا في حق العبادة عن واجب دليله رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم
يتفرقا او لا يحل لاحد منهما ان يفارق صاحبه خشية ان يستقيله ثبت ان المعنى بالخيار في حق الجعل لو طلب الفسخ في الاستقالة
والله اعلم والثاني ان يريد بهما واما في التبايع دليل ذلك احتمال اللفظ قوله سبحانه واشهدوا اذا تبايعتم والاشهاد على التبايع
هو فعل اثنين وقد ثبت منهما مع الفراغ الاشهاد على التبايع وهذا الحق بوجوه احدها حق اللغة ان اسم التفاعل وهو اسم لفعلها
يستحقان ذلك في وقت كونهما فيه كالتضارب والتقاتل ونحو ذلك وبعد الفراغ التسمية ويكون بحق الحكاية دون تحقيق الفعل
والثاني ما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا من بيعهما معروف والله اعلم
والثالث سبق القول من اهل العقل على رويته وجوب البيع دون التفرق عن المكان والله اعلم والرابع ان يجعل ذلك الحد لاصلاح
البياعات لانهما ما لم يتفرقا يمكان الاصلاح واذا تفرقا لا وهو اولى ان حد جعل التفرق التمام شرطا للفساد ومنع الاصلاح
وقد كان في بعض العقود مما يصلح العقود بالقبض فهو على الوجود وقبل التفرق ثم لا يصلح اذا وجد التفرق فمثله ما كان الصلاح
بالقول في الاصلاح وعلى ذلك اذ قال احد للاخر اختر انقطع خياره لو كان تفرقا من القول وليس فيه زيادة على ما في قوله بعث
منك في حق الاصلاح فثبت ان التفرق لقطع الاصطلاح لا للاصلاح والله اعلم ان الناس عرف في التبايع من وجهين احدهما
على العاقد والثاني في التقابض فيكون المعنى من الخبر فيما البيع عن تقابض وهو بيع المساومة اذا ترك كل واحد منهما الاخر بيادر
على ما سلم وقبض كان ذلك بينهما وجاز ذلك ايضا بحق الاية في الاباحة عن تراض واسم التجارة قد يقع على تبادل التبس فيه قول
البيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وذلك مع قوله سبحانه وتعالى
فما ربحت تجارتهم ان البيع الموقوف اذا اخبر باح الاكل لما كان وقت الاكل قد وجدت التجارة عن تراض وفي ذلك دليل وجوب
خيار الرؤية اذ قد جعل الرضاء سببا وهو بما يجهل غير محق وانما يعلم بالرؤية وفيه اثر بالقبض بمضي حق العقد اذ التجارة للاكل
ولا يوصل اليه الا بالقبض فاذا فات فات ما لها التجارة فيبطل والله اعلم وفي قوله ايضا تبايعا وان كان اسم لفعل اثنين فلما
يحصل صحة كلام كل واحد منهما اذا كان الاخر حاضرا فكانهما اشتركا في صحته فصارا به متبايعين نحو قوله سبحانه وتعالى حتى
يتفرقا والتفرق اسم لفعل اثنين لكن احدهما اذا فارق مكان البيع والاخر لم يبادر ثم فقد وجد حق التفرق من ان ليس احدهما
بجنب الاخر فكانهما اشتركا في التفرق وان لم يوجد الفعل من احدهما والله اعلم وقوله ولا تقتلوا انفسكم يحتمل وجهين اي
لا يقتل بعضكم بعضا فانه اذا قتل اخر يقتل به فكانه هو الذي قتل نفسه اذ لولا قتله اياه والا لم يقتل به والثاني انه اضاف القتل

الى نفسهم

الى نفسهم لانهم كلهم كنفس واحد اذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد وقوله عز وجل ان الله كان بكم رحيما الى من
رحمته اذ جعل فيما بينكم القصاص واحد النفس بالنفس والمال بالمال وفي ذلك حيوة انفسكم وابقاء اموالكم ومن رحمته
ايضا ان جعلكم من جوهر واحد اذ كل ذي جوهر يالف بجوهره ويسكن اليه والله اعلم ومن رحمته ارسل اليكم الرسل وانزل
عليكم الكتب واوضح لكم السبل ومن رحمته ان امهل لكم وستر عليكم ودعاكم الى المتاب ومن رحمته دفع عنكم الافات و
اوسع لكم الرزق وبالمؤمنين خاصة برحمته اهتدوا وسلموا عن كل داء وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما عدوانا
لمجاوزته حدود الله وظلما على صاحبه والعدوان هو اسم التعدي والمجاوزة عن حدود الله كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله
ويحتمل قوله وظلما على نفسه وكقوله عز وجل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم وهذا الوعيد والله اعلم لما يفعل ذلك مستحقا بجحود الله واستحلالا
منه لذلك والا لو كان ذلك على غير وجه الاستخفاف بها والاستحلال لها لم يستوجب هذا الوعيد الا ترى انه قال
تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه شيء اخاه هنا في قتل العمد ثم قال عز وجل فمن عفي له
من اخيه شيء انما جاء هنا في قتل العمد ثم ابقى الاخوة فيما بينهما واخبر ان ذلك تخفيف منه ورحمة ويخلد في النار وعلى
ذلك يخرج قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها اذا قتله مستحلا له مستخفا بتحريم الله اياه هو
فاستوجب هذا الوعيد واما من فعل على غير الاستحلال والاستخفاف بجحوده فالحكم فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
تعالى ايضا عدوانا وظلما يحتمل الاستحلال دليله قوله عز وجل كتب عليكم القصاص ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه
شيء وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فابقى الاخوة التي كانت بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا فثبت ان الايمان بعد
باق فابقى له الرحمة والاخوة وههنا ذا كذلك فرق الاثنان والثاني انه وعد اصلاحهم ولم يذكر الخلود وجائز
تعذيبه في الحكمة والتنازع في الخلود لا غير والاصل في هذا ونحوه انه لم يتنازع ان يكون فعله الذي فيه الوعيد ان
كان ثم خلود فهو الذي يزيل عنه اسم الايمان ويبطل عنه حق فعله وانما التنازع في ابقاء اسم الايمان في لزوم ه
الوعيد فهي فيمن لم يبق له الاسم والله اعلم وقوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اختلف فيه قال
بعضهم كبائر الشرك لان كبائر الشرك انواع منها الاشراك بالله ومنها الجحود ببعض الرسل عليهم الصلوة والسلام
ومنها جحود العبادات واستحلال المحرمات وتحريم المحللات وغير ذلك وكل ذلك شرك بالله فقيل اراد بالكبائر الشرك
فاذا اجتنب كبائر الشرك صارت ما دونها موعودا لها المغفرة بالمشية بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنه بمشية فهو في مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفي عنه
وبالله التوفيق وقيل اراد بالكبائر كبائر الاسلام ثم يحتمل وجهين بعد هذا يحتمل ان يكون الصغائر مغفورة باجتناب
الكبائر ويحتمل ان يكون الصغائر مغفورة بالحسنات الا ترى انه قال في اخره يكفر عنكم سيئاتكم والتكفير انما يكون
بالحسنات الا ترى انه قال ان الحسنات يذهبن السيئات اخبر ان من السيئات ما يذهبها الحسنات ويحتمل ان يكون التكفير
لها جميعا وان لم يجتنب الا ترى انه قال في اية اخرى ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله عز وجل ونكفر عنكم من سيئاتكم
وقال عز وجل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الا ترى انه روي عن انس رضي الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم شفاعتي نائلة لاهل الكبائر من امتي وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سمع امرأة تدعو اللهم
اجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال مه تقولي اللهم اجعلني من الفائزين فان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
لاهل الكبائر ثم قرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية ثم اختلف في كيفية الكبائر وماهيتها فقال بعضهم ما اوجب
الحد فهو كبيرة من نحو الزنا والسرقة والقذف وغير ذلك وقال الاخرون الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
بغير حقها واكل مال اليتيم واكل الربوا وقول البهتان والفرار من الزحف وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما
يقول الكبائر تسع فقال ابن عباس رضي الله عنه هي الى السبعين اقرب ولكن لا كبيرة مع توبة ولا صغيرة مع اصرار وروي
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن ه
فواحش وفيهن عقوبة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين قال وكان متكئا فجلس ثم قال الا وقول الزور الا وقول الزور قاله ثلاثا وقوله تعالى ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه يكفر عنكم سيئاتكم ذكر تكفير السيئات ان اجتنب الكبائر ولم يذكر الحكم اذا لم يجتنبها
فليس فيه انه اذا لم يجتنب لا يكفر فهو في مشية الله ان شاء كفر وان شاء عذبه على ما ذكرنا ان وجوب الحكم لا يوجب
ايجاب ذلك الحكم في حال الخوف خطرا كان او حلالا والله اعلم وبقرا في بعض القراءة ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه
فان ثبت هذا فهو يدل على التاويل الذي ذكرنا انفا انه اراد بالكبائر كبائر الشرك وقوله عز وجل وندخلكم مدخلا

كوبما قيل الجنة وقوله عزوجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الاية قيل لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا
امراته ولا داره ولا شيا من الذى له ولكن ليقل اللهم ارزقنى تذكر نوع الذى رغبت والله واجد ذلك وهو الواسع
العليم وقيل هو كذلك فى التورية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزوا الرجال ولا نغزو ويذكر الرجال ولا نذكر فنزلت
الاية ولا تتمنوا ما فضل الله به الى قوله عزوجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ويحتمل ان يكون هذا
التمنى فى الديانة وفى الدنيا اما فى الديانة فهو ان يتمنى مال اخيه وزوجته وخدمه ويحتمل ان يكون معنى التمنى ما ذكر فى
خبر ام سلمة لان فى ذلك الكفران بنعم الله لان النساء وان لم يجعل عليهن القتال وغيرها من الخيرات رفع عنهن بعض
المؤنات ففى التمنى الكفران بتلك النعم التى انعم الله تعالى عليهن وفى قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله اى الذى فضل الله
بعضكم على بعض فهو والله اعلم لما فيه التسخط بحكم ربنا والصرف اليك او لما فيه انه قصر فضله على ما راى وان لا يسع له
فضله له وللذى فضله ولما النظر الى ما اكرم به غيره يحمل التمنى تلهى عن نعم الله تعالى عليه او عما يخرج ذلك مخرج العداوة
وحق نعم الله على كل احد ان تعرف التعظيم له وكذلك فضلت على غيرك لنوجهه وبتفضل عليه التعظيم والتمنى وحش من
الحسد لان الحسد هو ارادة الصرف عنه وفى التمنى ذلك وارادة الفضل له به عليه وسالوا الله سبحانه وتعالى من فضله
وكان فضله هو ماله ان لا يبدل وذلك يخرج على فضل فى الدين او فضل فى الخلق والمروة فاما فيما يرجع الى نعم الدنيا
مما لا يستعمله فى احد ذانك الوجهين فهو فى الظاهر نعم وفى الحقيقة بلية ومحنة قال الله سبحانه وتعالى فلا تعجبك
اموالهم الاية وقال الله عزوجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ويجاب ان يكون الاية فى النهى عما مكنوا من النعم لو فعلوا
فان كان قليلا وفعلوا الخيرات فحق ذلك ان يشكر الله بما اكرم به من حسنات ويرغب فى التوفيق لمثل وان كان فى امر
النعم فحقه ان يعينه بالدعاء لتكون النعمة له نعمة لا بلية ونقمة وترغب فيما يقربك الى الله فى عاقبة وقد ذكرنا ان ام
سلمة تمنت بعض ما يقوم به الرجال من العبادات نحو الجهاد واشكاله فنزل النهى عن ذلك والترغيب فى فضله فى نوع ما يختص
هى من الخيرات دون الذى يفضل عليهن بالرفع عنهن والله اعلم وفى قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله الاية يحتمل ان يكون على ما
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الاية فاخبر ان الذى اعطى لم يعط للكرامة ولكن ليفتنهم به والعقل
يابى الرغبة فيما يفتن به دون ما يكرم به ثم بين الذى هو اولى بالمشتهى من التمنى فقال للرجال نصيب مما اكتسبوا فرغب فيما له
اما بالسؤال من فضله ان لا يكون كسبه له الا بفضله كقوله سبحانه وتعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ثم قال الله عزوجل ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فبين ان كسبه عليه الا بفضل الله وبين ان الاولى به الاقبال على ما له عاقبة التضرع
الى الله تعالى بالاكرام دون الذى عليه فى ذلك خوف المقت والله اعلم وقوله عزوجل وسئلوا الله من فضله مثله فان فضله
واسع ولا يتمنى مال اخيه وداره واسئلوا الله تعالى العبادة ولا تتمنوا ان لا يكون لاخيك ويكون لك ثم اخبر ان ما يكون للرجال
انما يكون بالاكتساب وما يكون للنساء يكون بالاكتساب يكون لكل ما اكتسب من الاجر وغيره وقوله عزوجل ولكل جعلنا
موالى مما ترك الوالدان والاقربون اختلف هذا والله اعلم ان يكون معطوفا فامره ردا الى قوله سبحانه وتعالى للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الاية ذكر هاهنا ما يرث الرجال والنساء من الوالدين والاقربين ولم يذكر ما يرث
الوالدان من الاولاد والاقربون بعضهم من بعض من نحو العم وابن العم وغيرهم من القرابات فذكر هاهنا لتعلم ان الولى من ه
الميراث مما ترك الوالدان والاقربون مالا ولتلك من الوالدين والاقربين اذا لم يكونا فكانا ان جعل لهولاء ما جعل لاولئك
ولم يذكر ايضا بالوالدين من الاولاد فى قوله للرجال نصيب مما ترك الاية ولكن ذكر فى اية الوصية فى قوله تعالى ان ترك
خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف ذكر الوصية للوالدين والاقربين ولم يذكر للاولاد والله اعلم ان الرجل قد
يوثر ولده على نفسه وعلى غيرهم من الاقرباء ولا كذلك الولد الوالد فذكر الوصية للوالدين والاقربين لهذا المعنى يصل اليهم
المعروف واما الاولاد فانهم لا يوثرون على غيرهم لذلك لم يذكرهم والله اعلم وقيل فى قوله ولكل جعلنا اى بينا فيكون فيها
بيان ما فى الاولى من المواريث ثم قيل فى الموالى انهم هم العصبة وقيل هم اولياء الاب والاخ او ابن الاخ وغيرهم من العصبة
وقيل هى الورثة وهو قول ابن عباس وكله واحد وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله لموالى العصبة ومن ترك مالا او ضياعا فانا وليه فلادعى له وعن ابن عباس
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا المال بالفرايض فما ابقت السهام فلاولى رجل ذكر وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احرز الوالد او الولد فهو لعصبته من كان وعن عمر رضى الله عنه
انه كتب اذا كانت العصبة بعضهم اقرب بام فهم احق بالمال واجمع اهل العلم على ان اهل السهام اذا استوفوا سهامهم وبقى من المال
شئ انه لعصبة الميت وهم الرجال من قرابته من قبل ابيه ومواليه وانه لا يكون لاحد من النساء عصبة الا الاخوات من الاب والام او من
الاب مع البنات والمراة المعتقة فان ما تبقى عصبته واجمعوا ان كل من اتصلت قرابته من قبل النساء بالميت فليس بعصبة وان المراة اذا

اعتقت

اعتقت عبدا او امة فانها عصبة المعتق بعد موت الا ابن مسعود رضى الله عنه فانه يجعل لذوى الارحام دون
الموالى واجمعوا انه اذا اجتمع عصبتان فاقربهما اولى واقرب العصبة الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان
علا والاخ من الاب والام ثم الاخ من الاب ثم ابن الاخ من الاب والام ثم ابن الاخ من الاب ثم العم من الاب والام ثم
العم من الاب ثم ابن العم من الاب والام ثم ابن العم من الاب ثم موالى النعمة وان سفل فهولاء كلهم عصبة الميت واقربهم
اولاهم بما فضل من المال عن اصحاب السهام المذكورة سهامهم هو والله اعلم موافق لما ذكرنا من دليل الاية والسنة وما
تواترت عن الروايات عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وفى قوله تعالى ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان
والاقربون يحتمل ولكل من الموالى جعلنا على اضمار نصيب وحق فيما ترك الوالدان والاقربون فيكون تاويله قوله للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فيكونون هم مواليه بحق الميراث علينا وبل انهم اولى مما تركوا على مثله ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اى وليه من يلحقه فى ملكه بنصرته قوله تعالى يوصيكم الله وجميع الايات المواريث
الا انه لم يذكر للوالدين فى هذه الجملة ولا للزوجين ولا يدخلون فى اسم القرابة ولا فى اسم الاولاد وقد جاء بالايجاب
لهم بخطاب واجتمعت عليها الامة على غير دعوى النسخ فيه من احد ليعلم ان التخصيص بالذكر فى الحق لا يقطع حق
غيره لكنه يكون الامر موقوفا على وجود دليله والله اعلم على ان فى الايجاب الاقربين والموالى كفاية عن ذكر من ذكر
اذ بهم يكون كل القرابة وبالتناكح يكون النسل وهو المجعول لذلك وكذلك لا يسقط حق هولاء ولا يحجبون عن
الكل ما جد وقد جرى ذكر حقهم فيما سنحت هذه الاية من الوصية والله اعلم ويحتمل قوله تعالى ولكل جعلنا موالى
مما ترك الوالدان والاقربون ان يرجع الموالى الى الذين ورثوه من ترك الابوين والاقربين بجزاء قد يجرى المواريث
فيما قد ورثت نحو ما يجرى فيما لم يكن ورث مرة فرجع ذا الى غير اولاد الاول واقرباء الاول وان يكون المقصود
فيما ترك الوالدان والاقربون بما ذكر فى ابيهم نصيبا مفروضا ان يكون هذا فيما ترك الوالدان والاقربون مع اصحاب الفرايض
فيكون هذه الاية فى بيان حق العصبات انه لم يذكر لهم دون ان يكون معهم اصحاب الفرايض يرثون بحق السهام ولا بحق
الفصول فيكون جملة الايات فى المواريث ثلاث احدها فى اصحاب الفرايض وهو قوله عزوجل فيما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
والثانى فى حق العصبات وهو قوله تعالى ولكل جعلنا موالى الاية والثالث فى حق ذوى الارحام وهو قوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض الاية ثم الحق هولاء فى حجاب الا بعدين اهل العقد بقوله عزوجل والذين عقدت ايمانكم
فاتوهم نصيبهم وانما ذكر ذلك فيما يترك الميت ولا وجه للعول والرد او النقص مما ذكر نصيبهم فى التركة كما ذكر لاصحاب
الفرايض وعلى ذلك المرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن اسلم على يدى اخوانه احق الناس بمحياه ومماته وكذلك
روى عن عمر وعلى وعبد الله رضى الله تعالى عنهم مما كانت المواريث بهذا من قبل نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض فاذا ارتفع ذلك ذهب التناسخ فوجب له ان بيت المال يرث بولاية الايمان جمله ولهذا الثلث اعتاق
الولاية والولاية اخرى فهو احق والله اعلم ويخلف هولاء من له رحم كما خلف ولاء العتاقة بما تقدم من النعمة بالاعتاق
حق العصبة من ذى النسب بقوله عليه الصلوة والسلام الولاء لحمة كلحمة النسب وقوله عزوجل والذين عقدت له
ايمانكم فاتوهم نصيبهم قيل هو من الايمان كان يحلف فى الجاهلية يقول الرجل لاخر ترثنى وارثك وتعقل عنى واعقل
عنك وتنصرنى وانصرك وتخالفا على ذلك وقد قرئ بالالف على عاقدت فهو من المخالفة ثم روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وما كان من حلف فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وقيل هو من ضرب اليمين وهو
المبايعة كان الرجل يعاقد الرجل ويبايعه فى الجاهلية فيموت فيورثه وقيل ان ابا بكر رضى الله عنه عاقد رجلا فمات فورثه
ولذلك خص المماليك بالذكر بهذا من قوله تعالى وما ملكت ايمانهم لانهم يشترون للخدمة والمراد اذ لخدم نفسه انما يحد
بيمينه فاذا كان تاويل الاية ما ذكروا فهو منسوخ بقوله عزوجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وبما روينا
من الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وما كان من حلف فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ويحتمل ان
يكون الاية فيمن اسلم على يدى اخر ووالاه على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسلم من اهل الكفر على يدى رجل
من المسلمين فهو اولى الناس به محياه ومماته وروى عن عمر رضى الله عنه ان رجلا سال عن رجل اسلم على يدى رجل ووالاه
قال هو مولاه فان ابى فليشبت المال وروى عن مسروق قال اتيت عبد الله فقلت ان رجلا كان عاملا علينا فخرج الى
الجبل فمات وترك ثمانية درهم فقال عبد الله هل ترك وارثا او لاحد منكم عليه عقد ولاء قلت لا فجعل ماله لبيت المال
وكذلك يقول اصحابنا رحمهم الله من مات وترك وارثا فماله لوارثه وان لم يكن له وارث فللذى اسلم على يديه ووالاه لما
روينا من الخبر هو اولى الناس به محياه ومماته وقوله محياه فى العقل ومماته فى الميراث وما روينا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
وقوله عزوجل والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قيل هى الوصية الى تمام الثلث لا ان الميراث قد نسخ بالاية التى فى الانفال

بقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى في كتاب الله من المومنين والمهاجرين ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا
فهي الوصية الى تمام الثلث فاذا كانت الاية في الذي اسلم على يديه ووالاه وعاقده فهو ليس بمنسوخ وقيل فاتوهم نصيبهم من
النصر والمعونة والمشورة ولا ميراث وقوله عز وجل ان الله كان على كل شئ شهيدا بما ذكر من الشرط والوفاء به وبالله التوفيق
وقوله عز وجل الرجال قوامون على النساء قال اهل التاويل الاية نزلت في الازواج دليله قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم
والازواج هم الماخوذون بنفقة ازواجهم وفيه دليل وجوب نفقة المراة على زوجها وعلى ذلك اجماع اهل العلم وقال بعض
اهل العلم في قوله تعالى الرجال قوامون على النساء دليل ان لا يجوز النكاح الا بالولي حيث اخبر انهم القوامون عليهن دونهن
قيل له ان كانت الاية في الازواج وفي الاولياء على ما ذكرت ففيه دليل جواز النكاح بغير ولي لا لابطاله وذلك قوله تعالى
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اخبر انه فضل بعضهم على بعض وذلك التفضيل تفضيل خلقته
وهو ان جعل الرجال من اهل المكاسب والتجارات والقيام بانواع الحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون كذلك
بل جعلهن ضعفاء عاجزات عن القيام بالمكاسب والحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون عليهن والبقية
امورهن وقاضين حوائجهن قايمين على ذلك ففرض على الرجال القيام بمصالحهن كما ذكر واسما فرض ذلك على الرجال لعجز
اناث ولين بانفسهن وقضى حوائجهن من البياعات والاشربة وغير ذلك النكاح وان كان الرجال هم القوام عليهن فانهن اذا
ولين ذلك بانفسهن وقضى جاز ذلك كما جاز غيره ولهذا ما امر الاولياء بالتزويج في قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الاية
ونهاهم عن العضل عن النكاح بقوله عز وجل ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية لان ذلك حق عليهم ان يفعلوه حتى
يلين ذلك بانفسهن اذ لا بد من حضور مشهد الرجال ومجلسهم ليشهدوا على ذلك فذلك على الاولياء القيام به ولهذا
ما جعل نفقتهن اذا لم يكن لهن مال على محارمهن لانهن لا يقمن بالمكاسب وانواع الحرف والتجارات والرجال يقومون
فجعل مؤنتهن عليهم لضعفهن وعجزهن عن القيام بالمكاسب خلقة ولهذا ما لم يجعل الذكور من المحارم بعضهم على بعض
النفقة لما يقومون بالمكاسب فاذا صار زمنا وعجز عن المكاسب جعل نفقته على محارمه لانه صار في الخلقة كالمراة
والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض قال امراء عليهن
ان تطيعه فيما امرها الله به من طاعته وطاعته ان تكون محسنة الى اهلها حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعته
وقيل نزلت الاية في رجل لطم امراته لطمة في وجهها فنشزت عن فراش زوجها واستعدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله لطمني زوجي فلان لطمة وهذا اثره في وجهي فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتصي
منه وكان القصاص بينهم يومئذ بين الرجال والنساء في اللطمة والشجة والضربة ثم ابصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
جبريل عليه الصلوة والسلام ينزل فقال لها كفي حتى انظر ما جاء به جبريل في امرك فاتاه بهذه الاية الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اي مسلطون على ادب النساء في الحق وقيل تفضيلهم عليهم بالعقل والميراث والغنى
والله اعلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير مما اردنا وقيل في قوله تعالى
وبما انفقوا من اموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة استدل الشافعي رحمه الله بقوله تعالى الرجال قوامون على النساء الاية على
ان النكاح لا يجوز الا بالولي فصرف تاويل الاية اليهم وفيها وبما انفقوا فيلزم الاولياء النفقة وهو لا يقول به وبعد فان
الاية لو كانت في الاولياء فهو في كل امرهن اليهم حاجة فخرج ذلك مخرج الحق لهن في ان يتولوا هن العقود كلها ويقوموا
في كفاياتهن وكفالتهن لا نهى لو فعلن بانفسهن بطلان فعلهن في شأن امر النكاح واهل التاويل يحملون الاية على الازواج
ومن يرى الاية عليهم انها فيما قال اهل التاويل دون الذي ذهب اليه الشافعي والله اعلم وقوله عز وجل فالصالحات
قانتات عن ابن عباس رضي الله عنه قال قانتات يعني مطيعات والقانت هو المطيع ويحتمل مطيعات لله تعالى ويحتمل
مطيعات للازواج ويحتمل قانتات اي قايمات باداء ما فرض الله عليهن من حقوقه وحقوق ازواجهن وقوله
عز وجل حافظات للغيب قيل حافظات لما استودعهن الله من حقه وحافظات للغيب لغيبة ازواجهن وقيل حافظات
لانفسهن لغيبة ازواجهن في فروجهن ويحتمل حافظات للغيب اي لله في اموره ونواهيه والقايم بحقوقه وقانتات
وحافظات هو تفسير صالحات وقوله عز وجل بما حفظ الله اختلف في تلاوته وتاويله في حرف بعضهم بالنصب
بما حفظ الله وتاويله بحفظ الله لكنه نصب لسقوط حرف الخافض ومن رفعه جعل تاويله مما استحفظهن الله تعالى
والله اعلم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن قال بعض اهل الادب سمى العلم خوفا لانه اضطر في العلم وقال
اخر وهو الفراء الخايف الظان لانه يرجو ويخاف وانما الاصل فيه انه سمى العلم خوفا لغلبة شدة الخوف فيعمل عمل اليقين
على غير حقيقته لانه يعرف بالاجتهاد وباكثر الراي والظن وهكذا كل ما كان سبيل معرفته الاجتهاد فان غالب
الظن او اكبر الراي يعمل عمل اليقين في الحكم وان لم يكن هنالك حقيقة الا ترى الى قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات

فلا ترجعوهن الى الكفار الزمنا العمل بظاهر علمنا وان لم نصل الى حقيقة الا ترى قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا
ترجعوهن الى الكفار الزمنا العمل بظاهر علمنا وان لم نصل الى حقيقة ايمانهن فعلى ذلك اذا علم منها النشوز علم اكثر الظن و
يعمل عمل الذي ذكر في الاية من العظة وغيرها لان قوله تعالى تخافون نشوزهن ليس على وجود النشوز منها الحال حقيقة
ولكن على غالب الظن لانها اذا كانت ناشزة كيف يعظها وكيف يهجرها ويضربها فدل انه على غالب العلم ولا ترى انه من اكره
على ان ينطق بكلمة الكفر بقتل او ضرب يخاف منه التلف كان في حل وسعة ان ينطق به بعد ان يكون قلبه مطمئن بالايمان
وذلك انما يعمل علم غالب الظن واكبر الراي لا يعلم علم حقيقة ثم ابيح له ان يعمل عمل حقيقة العلم فكذلك الاول والله اعلم نهى الله
عز وجل المراة عن عصيان زوجها وامرها بطاعته في نفسها كما امره ان يحسن عشرتها وهذا هو والله اعلم هو الحق الذي ذكره الله
تعالى في سورة البقرة مجملا بقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وفسر الحق عليهن في هذه السورة وهذا ان تطيعه
في نفسها وتحفظ غيبة الا ترى انه قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال حق الزوج على امراته ان دعا وهي على ان قتب ان تطيعه وقوله عز وجل فعظوهن عن ابن عباس رضي الله عنه
قال فعظوهن بكتاب الله فان اطعنكم اي رجعن الى الفراش والطاعة والا فاهجروهن والهجران لا يجامعها ولا يضاجعها
على فراشه ويوليها الظهر فان قبلت والا فقد اذن الله لك ان تضربها ضربا غير مبرح ولا يكسر لها عظما فان قبلت والا
فقد حل لك منها الفداء ويحتمل قوله تعالى فعظوهن اي يقول لها كوني من الصالحات ومن القانتات ومن الحافظات ولا تكوني
من كذا على الرفق واللين فان هي تركت ذلك والا فاهجرها والهجران يحتمل وجهين التخويف على الاعتزال منها وترك المضاجعة
والجماع ويحتمل ان يهجرها ولا يجامعها الا على التخويف من ترك ذلك فان هي تركت ذلك والا ضربها عند ذلك
والا ضربها عند ذلك الضرب الذي ذكرنا غير ولا شاين والله اعلم على الترتيب يعظها اولا بما ذكرنا من الرفق بها واللين لعلها
اطاعته وتركت ذلك ثم اذا لم تطعه خوفها بالهجران فلعل قلبها لا يحتمل الهجران وترك المضاجعة فتطيعه فان هي ابت ذلك حينئذ
هجرها ولم يجامعها ولا ضاجعها فان هي اطاعته والا عند ذلك ضربها فان هي اطاعته والا فعند ذلك يرفعان الى الحكم و
هذا يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرفق واللين اولا ولا يغلظ في القول فان هو قبل ذلك والا عند ذلك غلظ
القول به فان قبل ذلك والا بسط يده فيه على ما امر الله سبحانه وتعالى الازواج ان تعامل النساء من العظة ثم الهجران ثم الرفع
الى الحكمين وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فترك الناس ضربهن فجاء عمر رضي الله عنه و
قال والله لقد ذير النساء يا رسول الله فامر بضربهن قال فطاف بال محمد نساء كثير يشتكين ازواجهن فلما اصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ولقد طاف الليلة بال محمد سبعون امراة يشتكين الضرب والله ما يجدون اولئك خياركم وقال خيركم
خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وقال اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله والموعظة كلام يلين القلوب القاسية
ويرغب الطبايع النافرة فيكون ذلك تذكير عواقب الامور وربما والاحوال والله اعلم وعلى ذلك يعظها ووجهها بان يذكر
نعم الرب جل جلاله وما جعل من الحق عليها وما وعد في ذلك واوعد ففي هذه الايات دلالة لزوم الاجتهاد وتكليف ما لا يصل
الى معرفة المكلف به الا بالتدبر والعرض على الامور المعتادة او الاسباب المعقولة فجعلها اسبابا للصلحة وسبلا للوقوف
على ما في اصول تلك النوازل من الحكمة ولا قوة الا بالله ثم جعل تاديبهن الى الازواج لا الى الايمة اذ عقوبته يكون بالضرب والحبس
وما يلحقها من المكروه فيما امر بالتاديب معنا في ذلك من السر ويكون الغالب منه ما لا يجد لسبيل الاظهار عند الحاكم ويكون
في اوقات تضييق عن احتمال ذلك ويكون ذلك اصلا لتاديب كل كافل من الايتام والصغار وغير ذلك والله اعلم و
الاصل ان الله تعالى قال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فجعل التاديب
من الوجه الذي فيه حفظ المجعول لتاليته ورعاية ما جعل بينهم من المودة والرحمة والمنازعات والخصومات الى الحكام يقطع
تلك فجعل لهم من ذلك قدر ما لا يقطع مثله من التاديب المعنى المجعول بينهم ولذلك لم ياذن بالضرب المبرح ولا اذن الا عند
انقطاع الحيل التي جعلت للالفة والمحبة على ان في تخفيف ذلك اظهارا لاستحقاق على ما اعترض من خوف انقطاع المودة و
الرحمة وابداء العتاب الذي هو اية النصح والرحمة اذ ذلك بما يخاف فترك ذلك تمام ما قد افتتح من السر والشفقة والله اعلم
وقيل في قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة وقوله تعالى واهجروهن في المضاجع يحتمل وجهين احدهما
ان يهجرها في حال المضاجعة اياها فان لا يكلمها لا ان في ان يترك مضاجعها انما المضاجعة حق بينهما عليه في تركها ما عليها
لا بر ديها بها يضر حقه ونفسه والله اعلم ويحتمل اي اهجروهن عن المضاجع ومضاجعة اخرى في حقها فيكون حقا له
عليها في حال المواقعة وحفظ حد دالله بينهما الا في حال التضييع والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يهجرها بان
لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر لكنه على هذا يشتركان في التاديب لانه به يؤدب نفسه في ذلك الى حاجته
لكن المعنى في ذلك ان لا يجامعها لوقت علمه بشوقها وحاجتها وانما ينظر وشهوته دونها والله اعلم وقوله عز وجل فلا تبغوا

عليهن سبيلا ان اطعنكم اى لا تطلبوا عليهن علاوة وقيل لا تكلفوهن الحب وانما جعل الله المواعظة والهجران والضرب
في المضاجع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فان طاعته فلا سبيل له عليها ثم الضرب هو ما ذكرنا انه تضرب بها
ضربا غير مبرح وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علق سوطك او ضع حيث تراه اهلك ولا تضربها به قبل دبر
تضرب قال يبلغك ضربا غير مبرح يعني غير مؤثر ولا شاين وروي في خبر اخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله
في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن ان لا يوطين فراشكم احدا تكرهونه
فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عز وجل ان الله كان عليا كبيرا
هذا والله اعلم تذكير من الله عباده وامر منه اياهم انه مع علوه وسلطانه وعظمته وجلاله وقدرته لا يؤاخذنا باول
عصيان نعصيه ولا باول عثرة نعثرها مع قدرته على الاخذ على ذلك واهلاكه اياهم فانتم لا تؤاخذوهن ايضا باول
معصية يعصينكم والله اعلم ويحتمل ذكر هذه الاية وهو كذلك ليذكر علوه وكبره فيحفظ حده فيما جعل من التاديب
ويذكر قدرته عليه وقوله عز وجل وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها الاية كان هذه المخاطبة
والله اعلم بغير الازواج لانه قال فان خفتم شقاق بينهما ولو كانت المخاطبة في ذلك للازواج لقال فان خافا شقاق
بينهما او ان خفتم شقاق بينكم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن الاية خاطب بذلك الازواج
لانه قال واهجروهن في المضاجع وذلك الى الزوج اذ الزوج اذا خاف نشوز امراته ان يعظها اولا فان قبلت والا
فبعد ذلك هجرها ثم يضربها ان لم تقبل ذلك فان لم ينفع ذلك كله فبعد ذلك رفع الامر الى الحاكم والامام فوجه الحكمين
وروي نحو ذلك عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يبعث الحكمان حكما من اهله وحكما من اهلها يا فلان ما تنقم من
زوجتك انقم منها كذا وكذا تقول ارايت ان نزعت عما تكره الى ما يجب هل انت تتقي الله وتعاشرها بالحق عليك من نفقتها
وكسوتها فاذا قال نعم قال الحكم من اهله يا فلانة ما تنقمين من زوجك فتقول مثل ذلك فان قالت نعم جمع الله بينهما
بالحكمين بهما يجمع الله وبهما يفرق ثم اختلف في الحكمين هل يفرقان بينهما قال بعضهم يفرقان بينهما ان شاء الله وان شاء
اجمعاهما وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال بعثت انا ومعاوية حكمين فقيل لنا ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما
ان تفرقا فرقتما واما عندنا فانهما لا يفرقان الا برضى الزوجين لما روي ان رجلا وامراته اتيا عليا رضي الله عنه مع كل
واحد منهما فيام من الناس فقال علي رضي الله عنه مع كل واحد منهما فيام من الناس فقال علي رضي الله عنه ما شان هذين
قالوا بينهما شقاق قال علي رضي الله عنه ابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فقال علي
رضي الله تعالى عنه هل تدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما قالت المراة رضيت بكتاب الله وقال
الرجل اما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى تقر كما اقرت فاخبر علي ان فرقة الحكمين انما تجب برضا
الزوجين فلو كانت فرقتهما تجوز بغير رضاء الزوجين لم ينظر الى سخط الزوج في الفرقة ولقال علي رضي الله عنه للحكمين
فرقا ان رايتما ذلك كره الزوج او رضي وفي قوله ايضا وان خفتم شقاق بينهما اي علمتم ادخل ذلك ان يجتهد في الحال بينهما له
فيعلم على الغالب وللغالب حق العلم في الاعمال وحق الريب في الشهادة فذكر باسم الخوف على ما فيه من علم العمل على ان في ظاهر الاية
التفرق في المنزل حتى يبعث عن اهل كل واحد منهما ولو كانا في منزل واحد لحقه ان يجمع بين الحكمين لان بعثهما يدل على ظهور
الخلاف والشقاق والله اعلم قال وامر الحكمين بالاصلاح بين الزوجين وهو الامر الذي امر به جميع المؤمنين من قوله فاصلحوا
ذات بينكم وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية وقوله لا خير في كثير الاية وذلك في حق التاليف وما به تمام الاخوة
بقوله فاصلحوا بين اخويكم لا بما يضر باهله ويوجب التفرق بينهم والتباغض وعلى ذلك امر الحكمين في النكاح والله اعلم
وقوله عز وجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الحكمان وعن مجاهد مثله وقال اخرون قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الزوجان وفي الاية دليل على انه ليس
للحكمين ان يفرقا لان الله تعالى قال ان يريدا اصلاحا وليس فيها دليل ان فرقتهما جائزة بشيء وقوله عز وجل
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به يدل على ان الخلع اليهما دون الحكمين وكان الحكمين يوجها
ليعرف من الظالم من الزوجين ليستظهر بهما على الظالم لان كل واحد منهما اذا اشكا بين الناس من صاحبه لا يعرف
الظالم منهما من غير الظالم فان كان الزوج هو الظالم اخذ على يده وقيل لا يحل لك ان تفعل هذا لتختلع منك وامر
بالانفاق عليها وان كانت هي الظالمة وكانت في غير منزله ناشزة لم يؤمر بالانفاق عليها وقيل له قد حلت الفدية وكان
في اخذها معذورا بما ظهر للحكمين من نشوز المراة والله الموفق وفي قوله ايضا ان يريدا اصلاحا لا يخلو من امرين
اما ان يريد به الزوجين والحكمين ثم الاصلاح يكون مرة بالجمع ومرة بالتفريق فعلى الجمع تاويل التوفيق لجمع بينهما وعلى
ارادة التفريق تاويله التوفيق للاصلاح وعلى التوفيق للاصلاح ويدخل فيه الامران وفي ذلك الفرقة والاجتماع

اليهما

اليهما ان عليهما ارادة الاصلاح وانصرف معنى الاية الى الزوجين وايد ذلك قوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا الى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية ثم قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الاية فعلى
ظهور منه النشوز صرف امر التفرق الى الزوجين وكذلك قوله تعالى لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن الى قوله تعالى فلا
جناح عليهما فيما افتدت به فاشركهما في الابتداء الذي به الفراق ويريد به الحكمين فيكون ذلك على الترغيب في طلب الاصلح
بينهما وعلى ايثار العدل والصواب كقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس فاحكموا وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط الاية
فاذا اراد الاصلاح يوفق الله بينهما له وجهان اي بين الزوجين ببركة قيام الحكمين لله وابتغائهما الصلاح بينهما فيوفق
الزوجين لما له النكاح من السكن والرحمة والمودة والعفة ويحتمل يوفق الله بينهما بين الحكمين في اصابتهما ما اراد من الاصلاح
ثم العلم بارادتهما الاصلح لا يعلمه الا الله فلا يحتمل ان يوجب لهما في الحكم التفريق والذي جعل به وعد التوفيق لم يتبين فلذلك
لم يكن لهما حق التفريق انما اليهما اعلام ما اتفقا عليه ثم هما علانهما فيكون لهما الرضا بما رايا وغير الرضا واصله وجهان
احدهما انه استوجبا القيام بالتولية والرضى من الزوجين او بمن يخاف الشقاق بينهما فان قاما يبعث الناس فقاما
يبعث من لا يملك الفراق ثم يستوجبا بهم ذلك وان قاما ببعث الزوجين فرضا وهما بعثهما في ذلك لم يكن لهما غير الذي
كان فيه الرضا عليهما والله اعلم والثاني انهما بعثا للعلم بالسبب الذي حملهما على الشقاق ولعل السبب منهما فلا يحتمل ان
يلزمانه الطلاق بلا ذنب منه فيمكن به كل امراة تريد مفارقة الزوج ولغرامه المهر واذا لم يحتمل ذلك لم يحتمل ان يكون لهما
حق التفريق بهذا البعث معا بعثا لدفع الشقاق الهايج بينهما والرد الى الصلاح الذي له كان النكاح على انه يمكن الاخذ
على يدي الظالم منهما والقهر على العود الى ما فيه الصلاح بالتاديب لم يجز ان يلزما الفراق وان كرهاه والله اعلم ثم الاصل
انهما بالغان لا يلزمان النكاح اذا كرها وراء القوم الصلاح الى النكاح على احتمال وجود الولايات في الانكاح كانا ان لا
يلزمان الطلاق ذا كرها على امتناعه عن وجوب الولايات به لغير الزوجين احرى والله وقوله عز وجل ان الله كان عليما خبيرا
من الظالم منهما ومن المظلوم وقيل عليما خبيرا بنصيحتهما لها عليما بما اسرت المراة الى حكمها والزوج الى حكمه خبيرا بما اطلع
كل واحد من الحكمين من صاحبه على ما افتى به اليه اصدقه ام لم يصدقه والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها وقوله عز وجل واعبدوا الله قيل وحدوا الله وقيل اطيعوا الله وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
ولا تشركوا به شيئا يحتمل النهي عن الاشراك في العبادة والطاعة ويحتمل النهي عن الاشراك في الربوبية والالوهية ويحتمل
النهي عن الاشراك في سلطانه وغير ذلك كل ذلك اشراك بالله وبالله العصمة قال بعض اهل اللغة العبادة هي الطاعة التي
معها الخضوع وقال بعضهم التوحيد واصلها ان يجعل العبد نفسه لله عبدا لا يشرك فيها غيره من هؤلاء اما كان من وجوه
الاشراك ثم له وجهان احدهما في الاعتقاد والثاني في الاستعمال والله اعلم وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا امر
تعالى بالاحسان الى الوالدين وامر بالاحسان الى ذي القربى واليتامى والمساكين الى اخر ما ذكر لكن المعنى الذي به امر
بالاحسان الى هؤلاء الاصناف والفرق مختلف اما احسان الوالدين يشكر لهما بما احسنا اليه وربياه صغيرا كقوله ان
اشكر لي ولوالديك وقوله تعالى ولا تقل لهما اف الاية وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ذكر حال صغره وضعفه انه
كيف ربياه ويشكر لهما على ذلك ويحسن اليهما جزاء لما احسنا اليه وربياه صغيرا وقال الله عز وجل ايضا ووصينا
الانسان بوالديه احسانا فاحسان الوالدين جزاء وشكر لما انعما اليه وذلك يكون من جانب الولد لان مثله لا يلزم
الوالدين لولده وذلك فرض على الولد حتى عد عقوق الوالدين من الكباير روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكبر
الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين والواجب على الرجل ان يطيع والديه وكل واحد منهما الا ان يامراه بمعصية
او ينهاه عن اداء فريضة او تاخيرها عن وقتها فان طاعتهما حينئذ معصية لله الا ترى الى قوله عز وجل وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا امر بمصاحبتهم بالمعروف الا ان يامراه بمعصية
ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا ينبغي للرجل ان تقتل اباه الكافر اذا كان محاربا الا ان يضطر الابن الى ذلك لانه قال
وصاحبهما في الدنيا معروفا فمن المعروف في الدنيا ان لا يقتله ولا يشهر عليه السلاح وقالوا ايضا ان مات احدهما
تولى دفنه وذلك من حسن الصحبة والمعروف روي ان ابا طالب لما مات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي رضي الله اذهب فواره ثم في هذه الاية تسوية بين الوالدين فيما امر له من الاحسان اليهما ولم يجعل للاب فضل
في ذلك على الام فذلك يدل على ان اسلام كل واحد من الابوين اسلام للصغير اذ كان الاجماع فانما في ان اسلام الاب
اسلام لولده الصغار وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فابواه يهودانه وينصرانه وقوله عز وجل
وبذي القربى امر بالاحسان الى ذي القربى ومعنى الامر به والله اعلم صلة يصل بعضهم بعضا وذلك من حاجتين ما يلزم من
ان يحسن المحسن الى من لزم الاخوان للحسن الى من لزم الاخوان يحسن اليه وذلك ابقاء المودة فيما بينهم والمحبة وذلك فرض ايضا

ان يصل بعضهم بعضا لان صلة القرابة فريضة والامر بالاحسان الى اليتامى يحتمل وجهين لما بينهم والذي يقوم
بكفايتهم على ما يقوم له والدهم وامر بذلك لما بين الرجل والاخ لكان والديه فاذا مات والده يمتنع عن ذلك فامر ان يحسنوا
اليه بعد موت والده على ما كانوا يحسنون في حيوته لانه في ذلك الوقت احوج اليه اذ لا شفقة لاحد عليه كشفقة والده
معدومة والله اعلم ومعنى الامر بالاحسان الى المساكين يحتمل ايضا وجهين يحتمل شكر الله على من عليهم وانعم بالافضال
عليه وكان ذلك لم يسبق منهم اليه معنى يستوجبون ذلك دونهم امر بالاحسان اليهم شكرا لما انعم عليهم ولحسن اليهم
والثاني انهم من جوهرهم وجنسهم في الخلقة يحتاجون الى ما يحتاج هؤلاء من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك بامرهم
بالاحسان اليهم شفقة منهم عليهم ليتقووا على اداء ما فرض الله عليهم اذ هم في الخلقة والجوهر وهذا الاحسان في اليتامى والمسا
من جانب ليس من جانبين وقوله عز وجل وابن السبيل امر الله بالاحسان الى ابن السبيل الوجهين اللذين وصفتهما في
المساكين والله اعلم وقيل في اليتامى انه امر الاوصياء بالقيام على مالهم وحفظهم ورحمتهم والبر لهم وقوله والجار ذي
القربى وهو ذو قرابة وله حقان حق الجوار وحق الرحم كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة
جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له حقوق ثلاثة حق القرابة وحق الاسلام وحق
الجوار والذي له حقان حق الاسلام وحق الجوار والذي له حق واحد هو حق الجوار وقوله عز وجل والجار الجنب خص
الله سبحانه وتعالى الجار الجنب دون غيره من الجيران غير الملازقين وكان ذلك دليلا على ان الحقوق التي تلزم بالجوار
انما تلزم في الجيران الملازقين لانهم الجيران بالملك يمس ملك بعضهم بعضا ويلصق به كما في الرحم يمس النسب بعضهم ببعض
ولهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه انه اذا اوصى لجيرانه فالوصية للملازقين دون غيرهم لانهم هم الذين يلزم
لبعضهم على بعض حقوق يقومون باداءها في حال حيوتهم فاذا ماتوا فاوصوا انما اوصى باداء ما كان بينهم
وكذلك قال في الوصية لذوي قرابته انها القرابة الذين يفرض عليهم صلتهم اذا كانوا احياء فاذا مات فاوصى فانما
يوصي باداء ما كان يؤدي في حال حيوته وذلك مما عليه الاداء وفيه دليل على ان الشفعة الواجبة للجار انما تكون
للجار الجنب الملازق دون غيره من الجيران وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار وامر بها مختصة وعن
ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي بعض الاخبار
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وفي بعضها ما آمن من امسى شبعانا وجاره جائعا واذا بيع بجنبه
دار او ارض كان احق بالشفعة لما روي عن عمرو بن الشريد عن ابي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجار احق
بسقبه وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجوار قال الجار احق بسقبه
ما كان وعن رافع بن خديج قال عرض علي سعد بيتا فقال خذه فاني قد اعطيت به اكثر مما تعطيني ولكنك احق لاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجار احق بسقبه وعن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى بالشفعة بالجوار وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار احق بشفعة جاره اذا كان طريقهما واحدا
ينتظر بها وان كان غائبا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر بها وان كان غائبا يدل على انه لا ينتظر بها اكثر من ذلك
وفي ذلك دليل على ان الشفيع ان امسك عن طلب الشفعة وقد علم بالبيع بطلت شفعته ومما يدل على ذلك ايضا ان الشفعة
انما جعلت للجار والله اعلم لما يخاف عليه من سوء جوار المشتري والضرر الذي عسى ان يلحقه منه فلو جعلنا الشفيع
على شفعته ابدا لم يؤمن ان يبني المشتري في الدار وينفق فيها نفقة عظيمة ثم يجيء الشفيع فيطلب الشفعة فيقال
للمشتري سلم الدار وارفع بناءك وفي ذلك ضرر عليه بين وعن علي بن عبد الله رضي الله عنهما قال قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالشفعة بالجوار وعن شريح قال كتب الي عمر رضي الله عنه ان اقض للجار بالشفعة والى هذه الآثار ذهب اصحابنا
رحمهم الله في ايجاب الشفعة بالجار وانكر قوم ان تكون الشفعة الا فيما لم يقسم من الدور والارضين واحتجوا في ذلك
بما روي عن سعيد بن المسيب وابي سلمة قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم فاذا وقعت الحدود
وصرفت الطرق فلا شفعة وكذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله لكن تأويل الحديث عندنا
والله اعلم قوله قضى بالشفعة فيما لم يقسم قول الراوي لانه لم يحك عنه انه قال لا شفعة فيما قسم فيحتمل ان يكون على
الحكاية ولم يعلم براويه الآخرون بايجاب الشفعة فيما قد قسم واما قوله فاذا وقعت الحدود فلا شفعة فليس فيه بيان
حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد يجوز ان يكون ذلك من الراوي وان قال ذلك انما قال في القسمة لا شفعة في
القسمة عندنا انه قد جعل الله تعالى لبعضهم على بعض حقوقا باتصال املاكهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اراد ان يبيع داره فليستأذن جاره فاذا اراد البائع اختيار الجار الذي لا حق له على الجار الذي له حق جعل له ابطال ذلك
اذ ليس يوجد في البيع الا الثمن وقد يوجد في الجار واما البيع فالمقصود فيه الثمن وقوله عز وجل ايضا والجار ذي القربى

والجار الجنب

في الجار الجنب والجنب البعيد بين والله اعلم ليعلم ان الحق الذي ذكر للجار من الاحسان اليه ليس هو بحق القرابة بل هو
بحق الجوار فامر بالاحسان الى من له جوار بالنسب ثم كان الحق قد يفترض بجوار النسب بحال معما كانت الصلة مفروضة
فيمن مس ملكه ملكه في الملك وجوبه فيما وقع التماس بالبدن في البدن على ان الاية فيها امر بالاحسان الى جميع من ذكر قد
يصير ذلك حقا يلزم بحال فثبت له حق الجوار وذلك لا يعرف غير حق الشفعة وقد جاءت به الآثار وتوارث المسلمين في حق
الطلب والاحتيال في الصرف والمنع فبان ان الحق به ظاهر لا يحتمل الخفاء معما لا يشك من العوام عن ذلك الا وعنده حظ
في العلم فيه لا يوجد مثله الشيء من الحقوق في علم املاك المحققين هذا البيان والظهور ثبت ان امره كان معروفا في
الامة حتى جرى به التوارث ثم هذا النوع من العلم لا يحتمل انتشاره ونيله بالرأي فصار كسنته ظاهرة لها حق التوا
مما يستغنى عن روايته والله اعلم ثم اعلم ان الناس على اختلافهم متفقين على وجوب حق الشفعة بحق الشركة فيما
يحتمل القسمة فاما ان يجب بحق القسمة فيجب ذلك في كل محتمل القسمة وذلك مما اباه الجميع او يجب بما جعل من الحق
الجوار الذي جاء به الكتاب وجرت به السنة او بما جعل من تأذي بعض الجيران ببعض والامر المعروف في الخلق
من الاستخبار عن احوال الجيران قبل تأمل الدور وتفاوت القيم باختلاف الجيران بما في ذلك من المؤن والمضار
واي هذين كان فالشفعة واجبة بالجوار لانهما امران لا يسلم عنهما على ثبات الجوار فيجب به الشفعة معما امكن
الجمع بينهما لانا ربما لا يحتمل تسمية الشريك جارا من حيث الشرك لوجهين احدهما قوله تعالى وفي الارض قطع متجاو[رات]
لم يجعل الارض من حيث الارض متجاورة حتى اثبت لها القطع فاوجب بالقطع التجاور معما كان الجوار في اللغة اسم
للتقارب والالتصاق لا للتداخل معروف ذلك عندهم نفسه مكابرة المعارف والوجه الآخر ما لا يسمى الشركاء
في عين العرصات جيرانا ثبت ان ذلك ليس اسماء الشرك فلا وجه لصرف الخبر باسم الجوار الى الشرك معما قد جاء ما
يقطع من ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجوار انه قال الجار احق بسقبه ومما جاء الجار احق بشفعة جاره ينتظر [بها]
وان كان غائبا اذا كان طريقهما واحدا فيجب بما ذكرت صرف خبر الشريك الى وجه يوافق خبر الجار وله اوجه ثلاثة
احدها ان قوله قضى بالشفعة للشريك لم يقسم غير مناف لخبر الجار اذ هو احق في القولين وما روي عن القول اذا
وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة فقد يحتمل ان يكون خبرا عن هذا الفعل لا شفعة في صرف الطرق واظهار
الحدود اذ القسمة في معنى البيع في الامور حتى منع الاقسام في كل ما لا يحتمل التفاضل الا بما يجوز به فقيل لا شفعة
في هذا والله اعلم والثاني ان يكون انا كان هذا فلا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم
الطرق والله اعلم والثالث اذا وقعت الحدود فبانت وصرفت الطرق فبانت اذ فيما لم يتباين ثم حد ليس واحد
من الامرين وان احتمل خبر الشرك ما ذكرنا ثبت امر الشفعة بالجوار والشرك جميعا على الترتيب ولا قوة الا بالله
ولو كان الجنب اسمه لبعيد الجيران بالنسب استحق بما كان الذي به الجوار بالتصقان ويكون كل واحد منهما بجنب الآخر
اذ لا يسمى كل بعيد به فيه وجهان احدهما الحق بالاتصال والثاني بيان ما به يكون الجوار والله اعلم وقوله عز وجل
والصاحب بالجنب اختلف فيه قال علي رضي الله عنه هي المرأة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كذلك ايضا
هي المرأة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الرفيق في السفر وكذلك قول مجاهد فان كان الصاحب بالجنب هو المرأة
فالامر بالاحسان من جانب وان كان هو الرفيق في السفر فمن جانبين ما يلزم هذا يلزم الآخر مثله بحق الصاحبة
وقوله عز وجل وما ملكت ايمانكم يحتمل الامر وجهين بالاحسان الى المماليك شكرا لما انعم عليهم مما جعل لهم من الحق لمن
جوهرهم وامثالهم في الخلقة اذ لا تحت ايديهم يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم او لما هم امثالهم في الحاجة من المطعم
والمشرب والملبس وهم مقهورون في ايديهم وقد يترك الرجل النظر لمن هو مقهور في يده امر بالنظر اليهم والله اعلم وقد جاء
الآثار في ذلك عن انس رضي الله عنه قال كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم وعن جابر
بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالمملوك خيرا ويقول اطعموهم مما تأكلون والبسوهم
مما تلبسون وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالصلوة والزكوة وما ملكت وعن ام
سلمة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرضه الصلوة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما
يقبض بها لسانه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من
العمل ما لا يطيق وعن انس رضي الله عنه قال كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة الصلوة وما
ملكت ايمانكم ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره ولا يفيض بها لسانه وعن ابي ذر رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المماليك هم اخوانكم ولكن الله خولهم اياكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما
تلبسون وقوله عز وجل ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الآية قيل المختال هو المتكبر وقيل هو من الخيلاء وقيل هو الذي يتبختر

مرها وهو واحد يتكبر على عبادة الله تعالى او يتكبر على عباد الله تعالى ويجحدهم وقوله عزوجل لا يحب كل مختال فخور
لانه لا يحب الاختيال وكذا كل ما ذكر لا يحب ذا ويحب ذا كقوله يحب المتطهرين والتائبين ولا يحب الظالمين لانه يحب
الطهارة والتوبة ولا يحب الظلم ولا الكفر فاذا لم يحب هذا لم يحب فاعله لفعله واذا احب فاعله لفعله وقوله عزوجل
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الاية يحتمل ان يكون الاية تفسيرا لما تقدم من قوله ان الله لا يحب كل مختال فخور وصف
لهم اذ لا يتكلم بمثله الا عن تقدمه ويحتمل على الابتداء كقوله الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين الاية ثم يحتمل وجوها يحتمل
يبخلون بما عندهم من الاموال ويامرون الناس به وهكذا دأب كل بخيل ان يبخل ويامر به غيره ويحتمل يبخلون بما عندهم من العلوم
والاحكام لم يعلموا غيرهم ويامرون الناس بذلك ويحتمل قوله يبخلون باظهار نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويامرون الناس
الا ترى انه قال ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل قوله يكتمون ما اتاهم الله
من فضله اي يكتمون من العلوم والحكمة ويحتمل ما ذكرنا انهم يكتمون ويبخلون بما اتاهم الله من فضله من الاموال ولا ينفقون
في ترك الانفاق والتصدق كتمان ما انعم الله عليهم وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله نعمة
فليرى عليه لعله اراد بقوله يرى عليه ان ينفقها على نفسه ويتصدق بها ويلبسها وجائز ان يكون اراد والله اعلم الانفاق
والتصدق على غيرهم فعلى ذلك كتمان ما اتاهم من الاموال اذا تركوا الانفاق على غيرهم لان من كانت له الاموال لا يترك الانفاق
على نفسه وقيل في الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل في كعب بن الاشرف نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتب الى رؤساء من
اليهود في الافاق يامرهم بكتمانه وايضا في قوله يبخلون ويامرون الناس بالبخل اي بما انعم الله عليهم من الاموال وبما بين لهم
من صفات عليه افضل الصلوات وبما امروا به من العبادات حملهم على الكفر احد هذه الاوجه الثلاثة او كانوا استحلوا الحد
فكفروا بذلك لزمهم الذي ذكر في القرآن والله اعلم وكتمانهم يرجع الى كتمان النعت والحقوق والعبادات في انفسهم لئلا
يعرفوا بالعمل عليهم عما في كتبهم وذلك تحريفهم والله اعلم وقوله عزوجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر قد ذكر
في غير موضع وقوله عزوجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية وقيل انها نزلت
في الذين المنافقين كانوا ينفقون مراءاة كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك وكانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
سرا وقيل انها نزلت في الذين يسعون في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون معه ينفقون اموالهم مراءاة للناس
يطلبون به من الناس الرياسة وقوله عزوجل ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا يحتمل ان يكون هذا في الدنيا وقيضنا لهم
قرناء فزينوا لهم الاية ويحتمل في الاخرة كقوله تعالى فبئس القرين اليوم انكم في العذاب مشتركون فهذا والله اعلم لان كان
منهم كان يقبح الشيطان ويأنف عنه ويحسن الملائكة ويحمدهم حتى ضرب مثل القبيح من الاشياء بالشيطان كقوله
طلعها كأنه رؤوس الشياطين وضرب مثل الحسن بالملائكة وذلك لمعرفتهم بقبح الشياطين وحسن الملائكة وذلك
انما عرفوا بالخبر لانهم لم يعاينوا ملكا عرفوا حسنه بالمعاينة ولا شاهدوا شيطانا عرفوا قبحه بالمشاهدة ولكنهم عرفوا
ذلك بالخبر ففيه دليل اثبات النبوة لانهم ما عرفوا ذلك الا بهم دل به استقباح الجميع الشياطين واستنكادهم واستحسانهم
الملائكة واستعظامهم من غير ان شهدوا منهم احد من الفريقين على قبول الاخبار اذ عن الالسن تلقوا به وعلى اثبات الرسالة
اذ هم جازوا بالاثار عمن شهدهم واشباههم والله اعلم وقوله عزوجل وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم هذا والله اعلم صلة قوله
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله والله اعلم وذلك انهم كانوا ينفقون
مراءاة طلب الرياسة وابقاها فقال لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله يبقى لهم الرياسة ويكون لهم الذكر
كان ذلك في الايمان اكثر ذكرا واعظم قدرا ومنزلة الا ترى انه من اسلم منهم من الاجلة من نحو ابن سلام وغيره كان لهم ذكر في الاسلام
وبعد موتهم من غير حاجة وقعت بهم اليهم في حق شرائع الاسلام ومن مات منهم على الكفر لم يذكر ابدا فاخبر الله سبحانه وتعالى
ان ليس في الايمان بالله واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ذهاب شيء مما تخافون ذهابه عن الرياسة والمنافع التي يطمعون
البكم وغير ذلك حيث قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال وماذا لو امنوا بالله واليوم الاخر ولم يكن مما خافوا
باتباع الهدى قليلا ولا كثيرا وقوله عزوجل وكان الله بهم عليما يحتمل وجهين ويحتمل انه كان على علم منه يفعلون ما يفعلون
من فعل الكفر والشر ونحوه من خلق ابليس لا عن جهل ولا غفلة ليس كصنيع ملوك الارض انهم اذا فعلوا فعلا ثم استقبل
الخلاف فانما يكون ذلك لغفلة منهم وجهل بالعواقب فالله سبحانه وتعالى كان لم يزل عالما بهم لكنه تركهم على ذلك لما لا يلحق
الضر بالعصيان ولا النفع بالطاعة بل حاصل الضر والنفع يرجع اليهم والثاني يخرج مخرج التحذير لهم والتنبيه لان من علم
ان الخبير عليم بصنيعه كان احذر واخوف ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب وعلى هذا يخرج قوله كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
ليكونوا على حذر من ذلك وقيل وكان الله بهم عليما انهم لن يؤمنوا وفي هذا قوله ايضا وكان الله بهم عليما اي اشباههم ليعلم الخلاف
ان خالفتهم اياه لا تضره اذ كل من يضره الخلاف لا يتولى ابتداءه الا على الغفلة ببعضه من الضرر يلحق بالخلاف والثاني على

التحذير و

التحذير وقت الفعل بتذكر المراقب عليه على ما عليه الامر المعتاد من الانتهاء عن امور تهواه النفس بالمراقب عليه ويحتمل
كان على ارادة توحيد بهذا العلم او اخبر بعلمه بفعلهم وماله من الجزاء والله اعلم وقوله عزوجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا ونقيرا وما ربك بظلام للعبيد ذكر هذا والله اعلم لئلا يظن جاهل اذا راى الم الاطفال
والصغار وما يحل بهم ان ذلك ظلم منه لهم لكن ذلك والله اعلم ليعلم ان الصحة والسلامة افضال من الله تعالى لهم لا حق عليهم
ذللناه لانه يخلق كيف شاء صحيحا وسقيما ثم من ظلم اخبر في الشاهد انما يظلم لاحد خلتين اما الجهل بالعدل والحق واما
الحاجة تمسه يدفع بحاجه الى الظلم فالله سبحانه وتعالى غني بذاته عالم بذاته يتعالى عن ان تمسه حاجة او يخفى عليه شيء مما كان
يجري الظلم في الشاهد هو التناول عما ليس له بغير اذن من له وكل الخلائق من كل الوجوه له فلا معنى ثم للظلم ثم قيل في الذرة
انها نملة ولذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه مثقال نملة وقيل مثقال حبة وهو على التمثيل ليس على التحقيق ذكر لصغر
جثته انه لا يظلم ذلك المقدار فكيف ما فوق ذلك لان مثله يحتمل ان يكون لكن لو كان فهو يكون به وبالله التوفيق وقوله
عزوجل وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما هذا على المعتزلة لانهم يقولون من ارتكب كبيرة يخلد في النار
ومعه حسنات كثيرة فاخبر عزوجل وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهي الجنة وهذا سوء ظنهم
بالله وايأسهم من رحمته عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يثاب
عليها اما يرزق في الدنيا واما يجزى في الاخرة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان قال ابو سعيد رضي الله عنه فمن شك فليقرأ ان الله لا يظلم
مثقال ذرة الاية وقوله عزوجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يقول بالنبي يعني نبيها وجئنا بك يا محمد على هؤلاء
شهيدا عليهم يعني على امة شهيدا بالتصديق لهم لانهم يشهدون على الامم للرسل انهم بلغوا ما ارسلوا به لما هو دليل صدقهم
وقامت براهينهم بالرسالة صارت شهادتهم على هؤلاء اي هؤلاء على هذا الشأن وبل كقوله تعالى وما ذبح على النصب
اي لها ويحتمل عليهم لو كذبوا وزلوا وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيها وجئنا بك يا محمد على امتك
شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله عزوجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض قيل فيه بوجوه
اذا ميز الله اصحاب اليمين واصحاب الشمال قال للوحش والطير والسباع كوني ترابا فتكون ترابا فعند ذلك يتمنون ان يكونوا
ترابا مثل الوحش فسويت بنا الارض وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يجحد اهل الشرك يوم القيامة انهم ما كانوا مشركين
فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم فيودون انهم كانوا ترابا كقوله يا ليتني كنت ترابا وقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية
فذلك قوله سبحانه وتعالى لو تسوى بهم الارض ليتنا لم نبعث ولم نحي وقرئ تسوى وتسوى وتستوى وتسوى
وفي حرف حفصة لو تستوي بهم الارض وقوله عزوجل ولا يكتمون الله حديثا وقيل لما انطق الله تعالى جوارحهم وشهدت
عليهم حين انكروا ان يكونوا مشركين بقوله تعالى الان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لم يستطيعوا ان يكتموا الله حديثا و
يحتمل على الاستئناف لا يكتمون الله حديثا ويحتمل ان يكونوا يودون في الاخرة ويتمنوا ان لم يكونوا كتموا في الدنيا حديثا وقوله
عزوجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اختلف في قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قيل لا تدنوا مكان
الصلوة وانتم سكارى وكذلك الجنب لا يدنوا مكان الصلوة وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقيل لا تقربوا الصلوة و
انتم سكارى نهي عن الصلوة في حال السكر روي ان رجلا صنع طعاما فدعا ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وسعد بن ابي وقاص
فاكلوا وسقاهم خمرا وذلك قبل ان يحرم فحضرت صلوة المغرب فامهم رجل منهم فقرأ منهم قل يا ايها الكافرون بطرح اللاءات
فنزل قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصلين احدكم وهو لا يعقل
صلوته وفي الاية دلالة ان في الصلوة قولا فرضا نهي عن قربانها في حال السكر مخافة تركه او نهي عن قربانها في حال السكر
خوفا ان يدخل فيها قولا ليس منها وفي دليل فساد الصلوة بالكلام عمدا كان او خطأ لان السكران لا يفعل ذلك على العمد
ولكن على الخطأ والاصل في هذا انه لم ينهه عن فعل الصلوة في حال السكر لنفس الصلوة ولكن نهي عن السكر لنفس الصلوة ولكن
نهي عن السكر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة للعبد الابق ولا المرأة الناشزة ليس النهي فيه عن الصلوة ولكن النهي
عن الاباق والنشوز نفسه وهكذا كل عبادة نهي عنها باسباب تتقدم فالنهي انما يكون عن تلك الاسباب لا عن العبادة
التي امر بها لان الاباق والنشوز والسكر ليسوا بالذي يعملون في اسقاط ذلك الفرض وتلك العبادة وفي الاية دلالة ان
السكران مخاطب بقوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى نهي قربان الصلوة في حال السكران فالنهي انما وقع في حال السكر
فاذا كان مخاطبا عمل طلاقه ونفذت عقوده الا ترى انه قال في اية اخرى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله معنى ولا ذكر عليهم دل انه مخاطب ولهذا ما قال ابو يوسف رحمه الله انه اذا ارتد
عن الاسلام يكون ارتداده ارتدادا لما نفذ طلاقه وسائر عقوده وفسوخه فعلى ذلك الارتداد وعلى قول

ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصير مرتدا استحسانا ليس كساير العقود والفسوخ لان ساير العقود يتعلق جوازها باللسان
وان كان رضاء القلب مشروطا فيها واما الايمان والكفر فانما يكون بالقلب وان كان العبادة باللسان يكون شرطا فيما
بين الخلق فاذا كان كذلك فاذا سكر يذهب السكر القلب فجعل كانه لم ينطق واما كان ساير العقود يعلقها باللسان فاذا
نطق به جاز والله اعلم اختلف في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة فمنهم من حمل على مكان الصلوة اذ الصلوة افعل والفعل لا يقرب
ومنهم من حمل على الفعل اي لا تعملوا واي الوجهين اريد به فالاخر داخل فيه لانه اذا نهى عن حضور مكانها لحرمته فهي اعلا في الحرمة
واحق في المنع وايد ذلك قوله سبحانه وتعالى حتى تعلموا ما تقولون والعلم ما يقول يحتاج في حق الفعل لئلا ينزل المفروض
عن الذكر فيفسد او يدخل المحرم فيه فيفسد وفي ذلك دلالة احد الوجهين وفي حق العموم الوجهان جميعا وهو على
الخطا يقول فثبت ان الخطا من القول في الصلوة مفسد اذ لو كان لا يفسد لم يكن سوى النهي وفي التاخير نهي ايضا والله اعلم
ولو اريد به الصلوة فانما المكان لاجلها فلا وجه المحضور دون امكان الفعل والله اعلم وعلى ذلك امر الجنب واستثنا
عابري السبيل ليكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون في الاية دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول فيه على العبور فيه
بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه بالتيمم والله اعلم واذا ابيح للجنب على المنع عن دخول المسجد الا
بالتيمم فثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به لغد والله اعلم ثم في الكروزي دلالة عن امام في المغرب يقل ايا بها
الكافرون على طرح اللات في حال السكر حتى نزل قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ان كلام الكفر في حال
السكر لا يكفر صاحبه اذا خاطبهم باسم الايمان فلذلك لم يكن عند ابي حنيفة رحمه الله كافرا على اذا الخطا لما يجري على لسانه
كلمة الكفر لا يصير كافرا في الحكم والسكران يجري على لسانه على الخطا دليله ما لا يذكره وما كان من عقد القلب فهو لا ينسى و
لخاصة المذاهب كلها يختار عن فكر الاسباب وعن اختيار الاحق من الامور عنده انا لحجة او شبهة او شهوة من نحو
الالف بالتقليد وحسن الظن والذي يكون على ما ذكرت لا يحتمل السهو عنه حتى لا يخطر بباله لو ازاد بعوة عن قريب
نبت انه كان عن خطاء وقد جاء برفع الخطا وامثاله الانسان معبر عن الاعتقاد في امر الدين ولخاصة في الكفر الذي يكون
بالقلب خاصة بلا استعمال اللسان فاذا كان مخطيا فهو امر اللسان دون القلب الذي اللسان عنه معبر وعن عجز وه
الكفر باللسان ووصفه لا يكفر الايمان يكون بغير عن نفسه انه اعتقده فلذلك كان على ما بينا على انه قد يجري تلاوة
القران على اللسان بالغلط بالكفر عليه بالتعمد فلا يجوز ان يجعل تلاوة للتعظيم والايمان به كفرا ثبت بذلك
ورفع حكم الكفر عن الخطا في اجرائه على اللسان فمثله السكران اذ هو مخطي والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في تاويل
قوله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هو ان يكون مسافرا ولا يجد الماء فيتيمم
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال هو المسافر وقيل ولا جنبا الا عابري سبيل نهي الجنبان يدخل المسجد ومكان الصلوة
الا عابري سبيل الا مجتازا ومن تاويل الاية على المرور في المسجد فهو غير بعيد بقول انما كره للجنبان يستوطن المسجد فاما
المار لا مر يعرض له فقد رخص لما الا ترى ان الجنب رخص له ان يقرا بعض الاية ولا يجوز ان يتمها فمرور في المساجد ان لم
يجلس فيه كقراته بعض الاية اذا لم يتمها وعلى ذلك امر الجنب واستثناء عابري السبيل يكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون
في الاية دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول فيه على العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال
فيه اذا كان منه بالتيمم والله اعلم واذا ابيح الجنب دخول المسجد بالتيمم فثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به
لغد والله اعلم وقوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط الاية اباح الله تعالى للمريض التيمم في
ان يتيمم والاية ذكرت المرض عاما واجمعوا ان المريض الذي لا يخاف ان يضر به الماء لا يتيمم وانما الجاز وان يتيمم اذا خاف
ضرر الماء ان هو توضا به فدل ان الله تعالى لما اباح للمريض التيمم لم يبح باسم المرض ولكنه لمعنى في المرض ودليله و
ما ذكرنا انه لم يبح لكل مريض وانما ابيح المريض دون مريض وفيه دليل القول ابي حنيفة رضي الله عنه حيث اباح للمقيم
الجنب التيمم اذا خاف على نفسه الهلاك الا ترى انه لا يباح له التيمم في الامصار وان كان اسم السفر موجود العدم معنى السفر
فعلى ذلك اباحة التيمم للمريض اباحة لمعنى في المرض الا ترى انه ذكر لجنسه من الغائط هو المكان المطمئن الذي يقضى فيه
الحاجة ولا كل من جاء من ذلك المكان يلزمه الوضوء والتيمم دل انه لمعنى فيه فعلى ذلك الاول وروي ان جريحا غسل فمات
فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله انما يكفيهم كف من تراب وكذلك غسل مجدر فمات فقال قتلوه انما
يكفيه كذا ونحو هذا فاذا ثبت ان المراد من المرض والسفر والغائط المعنى الذي فيه لا لعين المرض والسفر والغائط لما
ذكرنا اذ لا كل مريض يباح له التيمم وانما يباح لمريض دون مريض وكذلك لم يبح لكل السفر دون سفر ومكان دون
مكان وهو المكان الذي يعدم الماء فيه ويفقد فعلى ذلك المراد من قوله او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا عين اللمس وهو الجماع وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والجماع

نكاح

نكاح ولكن الله تعالى كنى وعن الحسن وعبيد بن عمير وعطا قالوا الملامسة الجماع فان قيل ما الحكمة في ذكر المرض والسفر
والغائط والملامسة انما كان المراد من ذكرها غيرها قيل الحكمة في ذكرها هو ان المرض في الاغلب احواله يعجز المرء عن
اصابة الماء وكذلك السفر في اغلب احواله يعجز صاحبه عن الماء فخرج الذكر على اغلب الاحوال وكذلك من الغائط
الاغلب انه انما يجي عن قضاء الحاجة لانهم كانوا لا يحرجون الا لقضاء الحاجة وكذلك الملامسة من الزوجين الاغلب
فيها قضاء الوطر والحاجة فعلى الاغلب خرج الذكر وان احتمل غيره وهذا يدل على ان الاحتجاج بالظواهر والعموم في الحجج
باطل لما لا يجوز لاحد ان يحتج بظاهر هذه الاية ان يقول على كل مريض او على كل مسافر الا كذلك المس ان اريد به الجماع فهو
ممكن لوجهين احدهما بما البلية بالقبلة واللمس باليد بين الزوجين ظاهر لا يحتمل ان يعرف به الرسول والائمة من فعل العوام
فلو كان الوضع فيه لان ما لا يحتمل ترك اظهاره البيان حتى يلزم اكثر الامة المنكر في فعل الصلوة والله اعلم والثاني ان يكون
الامر بالمعروف في كل لمس ومس جرى الذكر به بين الذكور والاناث فهو بحق الكفاية عن الجماع وكذلك ساير الحروف المحتملة
الكناية عنه من نحو المباشرة والغشيان ونحو ذلك وبه قال من اجاز التيمم للجنب في حق الصلوة من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم والله اعلم وان اريد به غير الجماع مما قدم يحتمل وجوها فهو لا يجمع الكل ولكن يرجع الخاص وهو الذي في
الغالب ان يكون ثم خروج وان لم يكن وهي المباشرة الفاحشة دليله ذكر المرض والسفر على غير قران الحكم بنفسه و
اذ ما هو اسمان لوجوه فانصرفا الى غاية ما له وقعت الرخصة في العجز والعدم فشابه امر الوضوء في الاول والله اعلم وقوله
عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا قيل التيمم القصد يقال تيممت الصعيد وامته لغتان وقوله فتيمموا تعمدوا صعيدا طيباء
فاذا كان التيمم القصد والتعمد الى الصعيد لم يجز الا بالنية لانه امر عز وجل بالقصد اليه والتعمد وذلك امر بالنية ثم
لان القصد نية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما فاموا صعيدا طيبا اي قصدوا فصرح الصعيد قيل هو وجه الارض
وسمي صعيدا لما يصعد عليها وقيل الصعيد هو الارض التي تنبت الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا الا السبخة والمقبرة وقيل انها طهورية ولهذا ما قال ابو يوسف رحمه الله ان التيمم لا
يجوز من الارض السبخة لانها ليست بطيب والطيب ما ينبت واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه قال الطيب هو الطاهر
الحلال له ان يتيمم به اذا عدم الماء الطيب اسم ما جاز من المقصود فيه والمقصود في التيمم التطهير فهو الطهور والطاهر
وايد الخبر الذي ذكر من جعل الارض طهورا والله اعلم وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم الامر يقع بمسح الا
على الذراعين دون الكفين دليله امر الوضوء انه بغسل الذراعان وقت غسلهما بلا غسل الكفين اذ يتقدم غسلهما ع
فالذراعان دخلتا في المسح بذكر اليد وكذلك في الوضوء لان الكفين يغسلان قبل غسل الوجه فالامر بغسل اليد
يقع على الذراعين والماء [illegible] ذلك ما روي عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن ابي جهيم انه قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غايط او بول فسلمت عليه فلم يرد عليه [illegible] فضرب بيده الحائط ضربة فمسح بها وجهه ثم [illegible] الى المرفقين ثم رد السلام
وهكذا يقول اصحابنا رحمهم الله بالضربتين ضربة [illegible]
للوجه وضربة [illegible] والاصل انه [illegible] في الوضوء وايديكم الى المرافق [illegible] الامر بغسل الى
الى المرافق [illegible] بغسل الكفين [illegible] الذراع [illegible]
الذراع بالامر بغسل اليد [illegible] امر التيمم [illegible] الاية كانها في حق الذراع [illegible]
في ذلك بالخبر [illegible] امر الطهارة [illegible] العضو [illegible] في الاشراك [illegible]
[illegible] الجنابة الوجه والراس فكذلك ما [illegible] في التيمم لكن [illegible] التمام [illegible] السنة وعموم [illegible] في
[illegible] حكم الوضوء وليس هو في بعض اليد [illegible] الاصل الا الزيادة
عليه والله اعلم وقوله عز وجل ان الله كان عفوا غفورا العفو [illegible] والعفو الصفح والمحو والغفر
الستر [illegible] وقوله عز وجل الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب [illegible] يشترون الضلالة بعلم الكتاب [illegible]
الضلالة وكذلك [illegible] في هذه الاية اشتروا الضلالة بالهدى [illegible]
[illegible] محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث [illegible] كفروا به [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل [illegible]
لتدوم لهم الرياسة [illegible] على دينهم [illegible]

الرياسة عليهم وقيل يريدون ان تضلوا السبيل اي يامروهم ويدعوهم الى دينهم لما ذكرنا من طلب المنافع وابقاء الرياسة
والله اعلم وقوله عز وجل والله اعلم باعدائكم كانهم والله اعلم يطلبون موالاة المومنين ويظهرون لهم الموافقة فنهى الله
تعالى المومنين عن موالاتهم كقوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا الى قوله سبحانه ها انتم اولاء
تحبونهم ولا يحبونكم الاية فاخبر الله سبحانه وتعالى المومنين انه اعلم باعدائكم منكم ويحتمل ان يكون المومنون استنصحوهم
واستعانوا بهم في امر فاخبر عز وجل انهم اعداؤكم وهو اعلم بهم منكم ثم قال وكفى بالله نصيرا اي كفى به وليا ومعينا وكفى به
ناصرا ويحتمل قوله وكفى بالله وليا وكفى بالله مما اعطاكم لمن اعطاكم اي لا ولي افضل من الله تعالى ولا ناصرا افضل منه
البراهين والحجج والله اعلم وقوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكفى بالله
نصيرا ومن الذين هادوا على الاستيناف والابتداء خبر وفي حرف غيره من الذين هادوا معناه والله اعلم الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا والا ذكر للنصارى في ذلك وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ذكر النصارى
في الدين اوتوا نصيبا وفي حرف حفصة رضي الله عنه من الذين هادوا ومن يحرف الكلم عن مواضعه ثم تحريف الكلم يحتمل
وجهين يحتمل تغيير المعاني وتبديل التاويل على جهالهم كقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم الاية ويحتمل تغيير
اللفظ والكتابة نفسها كقوله سبحانه وتعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله
عز وجل ويقولون سمعنا وعصينا قيل سمعنا قولك وعصينا امرك وقوله عز وجل واسمع غير مسمع قيل اسمع قولنا
غير مسمع اي غير مجيب وقيل اسمع قولنا غير مسمع لا سمعت على المسب وقوله وعصينا الاسرار به منهم اظهر
الله تعالى عليهم ليكون اية الرسالة قوله عز وجل راعنا قيل يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم ارعنا سمعك وقيل ودا
ارعنا حقوقنا وهو من الرعاية وقوله عز وجل ليا بالسنتهم اي تحريفا والتحريف ما ذكرنا كقوله تعالى يلوون
السنتهم بالكتاب الاية وقيل في قوله تعالى واسمع غير مسمع اي اسمع يا محمد منا قولنا غير مسمع منك قولك ولا
مقبول ما تقول وقوله عز وجل ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم اي لو قالوا سمعنا
واطعنا امرك وانظرنا فلا تعجل علينا ننظر وقيل في قوله وانظرنا افهمنا وقوله عز وجل لكان خيرا لهم مما قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك لكان خيرا لهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فدوام الرياسة التي خافوا فوتها لو اطاعوا
واتبعوه اذ قدامى منهم واطاعوه تنبيه فلم تذهب عنهم الرياسة والذكر في الدنيا بل ازدادهم شرفا وذكرا في الحيوة
وبعد الممات واما في الاخرة فثواب دائم غير زائل ابدا وقوله عز وجل واقوم يعني اعدل واصوب لما ذكرنا ولكن
لعنهم الله بكفرهم واللعن هو الطرد طردهم الله عز وجل من رحمته ودينه لما علم منهم انهم لا يومنون باختيارهم الكفر
وقوله عز وجل فلا يومنون الا قليلا قيل والقليل من امن نحو ابن سلام واصحابه وغيرهم وقيل قوله تعالى فلا يومنون
الا قليلا منهم او لا يومنون الا قليلا بالقليل من الكتب والانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله تعالى نومن ببعض
ونكفر ببعض وقوله عز وجل يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما انزلنا مصدقا لما معكم دل هذه الاية ان المجوس
ليسوا من اهل الكتاب ولا ممن اوتوا الكتاب لانه قال عز وجل امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم وليس عند المجوس كتاب حتى
يكون المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم ثم قوله مصدقا لما معكم اي موافقا لما معكم وانما كان
موافقا لما معهم بالمعاني المدرجة فيه والاحكام ولا بالنظم واللسان لانه معلوم ان ما معهم من الكتاب مخالف
للقران نظما ولسانا وكذلك سائر كتب الله تعالى موافق بعضها بعضا معانيا واحكاما وان كانت مختلفة في النظم
واللسان دل انها من عند الله تعالى نزلت اذ لو كانت من عند غير الله كانت مختلفة الا ترى انه قال ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ففيه دليل القول لابي حنيفة رضي الله عنه حيث اجاز الصلوة بالقراءة بالفارسية
لان تغيير النظم واختلاف اللسان لم يوجب تغيير المعاني واختلاف الاحكام حيث اخبر عز وجل انه موافق لما معهم
وهو في اللسان والنظم مختلف والمعنى موافق ثم يحتمل قوله مصدقا لما معكم بصفته ونعته ونبوته ومبعثه وذما
فيه فيما معكم لا يخالف في شيء من ذلك ويحتمل انه هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي امنتم به قبل ان يبعث فكيف كفرتم
بالله والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان نطمس وجوها الاية قيل لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله بن سلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وقيل طمسها ان تعمى
ابصارها وردها على ادبارها وقيل طمس الوجوه ان تعمى وتردع بصيرتها وذلك انهم كانوا مومنين بمحمد صلى الله
عليه وسلم مستيقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي الله يجدونه في كتبهم يقول لحققوا ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه
من قبل ان يضلكم عن هداكم فتضلوا واضلالا فلا تعلمون ما كنتم تعلمون ويحتمل ان تكون الاية خرجت على الوعيد وهي
على التمثيل لا على التحقيق ويحتمل على التحقيق كقوله تعالى ونلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ويحتمل ان يكون هذا في الاخرة

وقوله

وقوله عز وجل ايضا من قبل ان نطمس وجوها يحتمل الحقيقة فيرجع الى يوم القيامة فيذهب عنه جميع محاسن الوجه
او نطمس وجوه الحق عنه بمعاندتهم فيصير الحق بغير صورته والباطل بغير صورته بعد ان كانوا اقروا بكل شيء بصورته
في كتبهم المنزلة والله اعلم ان نطمس وجوههم عند اتباعهم الذين لاجلهم غيروا وحرفوا بما يطلعهم على خيانتهم
ويظهر لهم تبديلهم وقد فعل بمحمد الله تعالى وقد يحتمل الوعيد ان يفعل بهم ان لم يومنوا حقيقة ذلك كفعله باصحاب
السبت تغيير الجوهر ثم لعل اولئك قد اسلموا او نزل بهم ولم يذكر والله اعلم وقوله عز وجل وكان امر الله مفعولا اي
كان بامر الله عز وجل مفعولا كما يقال الجنة رحمة الله والمطر رحمة الله اي برحمة الله فعلى ذلك معنى قوله سبحانه امر الله مفعولا
اي بامر الله كان مفعولا ويحتمل قوله وقد كان امر الله اي عذاب الله نازلا بهم وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء اجمع الناس ان يغفر الذنوب كلها الشرك وما دونه اذا انتهى وتاب بقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف دل ان اطماع المغفرة لما دون الشرك لمن لم يتب عنه وقال الخوارج الكبائر كلها الشرك بالله تعالى فمن ارتكبها
دخل تحت قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والمسألة بيننا وبينهم في ذلك فيقال لهم المعنى الذي صار مشركا عندهم
بارتكابه الكبيرة ذلك المعنى موجود في ارتكاب الصغائر فيجب ان يكون كافرا فاذا لم يصر بذلك كافرا لم يصر بارتكابه
الكبائر كافرا وقالت المعتزلة صاحب الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر وقال ابو بكر الاصم ظهر الوعيد في
الكبائر وشرط المغفرة لما دون الشرك بقوله تعالى لمن يشاء فهو للصغائر كقوله يكفر عنهم من سيئاتكم اخبر ان من السيئات
ما يكفر ومنها ما لا يكفر فهو للصغائر واما عندنا فان الله تعالى عز وجل اطمع المومنين المغفرة ما دون الشرك ولو كان لا
يجوز في العقل المغفرة لكان لا يطمع لانه لا يجوز ان يطمع ما لا يجوز في العقل فاذا اطمع دل انه يجوز في العقل المغفرة لما
دون الشرك ثم له المشيئة ان شاء عذبهم فيها وان شاء عفا عنهم واما اطماع المغفرة في الشرك فانه لا يجوز في العقل
لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد وليس كل من ارتكب ذنبا يرتكبه للابد بل انما يرتكبه لقضاء شهوة تغلبه فهو
يندم على اثره لذلك قلنا يجوز في العقل اطماع المغفرة لما دون الشرك ولا يجوز للشرك وبالله التوفيق ووجه اخر ان
الوعيد الذي ذكر يحتمل الاستحلال والاستخفاف بالامر والنهي فلا ينزل بما اطمع هذه الاية من المغفرة فيزال الطمع
والرجاء بالوعيد التوجه وجهين ايوقف فيهم فاما القطع في احد الوجهين بالمحتمل ومنع القطع بالاخر للاحتمال فهو
تحكم ولا قوة الا بالله ووجه اخر ان الاية في التفضيل بين المحتمل الغفران والذي لا يحتمل فاذا صرفت الى الصغائر فيبطل
تخصيص اسم الشرك ويلبس على السامع محله وليس امر الوعيد فيما جاء بموضع التفضيل بل الذي جاء بحق التفضيل ذكر
الغفران بالتكفير والتكفير يكون مقابله الجزاء من حسنات وعقوبات كقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
الاية والله الموفق ووجه اخر قال الله عز وجل ان يشاء وهذا كناية عن الانفس المغفورات لا عن الاثام التي تغفر لم
يجز صرف التخصيص الى الاثام بالاية المكنى بها عن الانفس وفي ايات الوعيد تحقيق في الذين جاء بهم وفيما جاء عاما فباده
لا صرف في ذلك فهو اولى والله الموفق وبعد فانه عز وجل قال لمن يشاء والصغائر عندكم مغفورة بالحكمة لا بالوعد
في التعريف ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ايضا ان الله لا يغفر ان يشرك به فمعلوم انه فيما يلزمه حتى يختم به لا فيما يتوب عنه
ايد ذلك قوله ان ينتهوا يغفر لهم الاية وغير واحد من الايات التي جاءت في الكفرة لما امنوا والله اعلم فصار كانه قال لا يغفر
ان يشرك به اذا لم يتب عنه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان لم يتب منه فلو كان شيئا مما دونه لا يحتمل في الحكمة المغفرة
لضمه الى الممتنع عن الاحتمال لا لان الحقه بالمحتمل له فيما كان معلوما ان القصد فيه الى بيان ما فيه الرجاء والاياس وايد
ذلك قوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلو كان يلزم الاياس لما دونه لم يجب الوصف له بالكفر ان الاياس
لهم بالكفر وفي تحقيقه في الوجهين لزم تبعة الاخر في حق الاياس لا في وجود فعله اذ قد يوجد فعل الرجاء في الكفرة
ثبت ان ذلك في الحكم والتحقيق لا في وجود الفعل وبالله التوفيق وقوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم
قيل هم اليهود جاؤوا بابنائهم اطفالا فقالوا يا محمد هل على اولادنا هؤلاء من ذنب قال لا قالوا فوالذي يحلف به
ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمل بالنهار الا كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل الا كفر عنا بالنهار فذلك التزكية منهم و
قيل تزكيتهم انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه لا ذنوب لنا ويحتمل ان يكون تزكيتهم انفسهم ما قال الله عز وجل يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين وكان اكثر الانبياء عليهم السلام انما بعثوا من
بني اسرائيل وكانوا يزكون انفسهم بذلك قوله عز وجل بل الله يزكي من يشاء او يبرئ من يشاء من الذنوب ثم التزكية
تذم ان تزكى احد نفسه لان التزكية هي التنزيه من العيوب كلها والذنوب وذلك مما لا يسلم احد عنها ولا يبرئ
ولا يستحق مخلوق وذلك معنى النهي لا تزكوا انفسكم اذ يخرج التزكية مخرج التكبر وذلك الجهل بنفسه لما لا يبرئ
غيره شكل نفسه ولا مثله فيتكبر عليه ولو عرف انه مثله وشكله ما تكبر على احد قط ولا زكى نفسه وقوله

لرجل انا مؤمن ليس ذلك تزكية انما هو اخبار عن شيء اكرم به والتزكية هي التي تزكي ذلك من نفسه وقوله ايضا
الم تر الى الذين يزكون انفسهم ليس في اظهار الايمان تزكية لما لا يخافوا من ان تظهر لمن ابى مشاركتك فيه تعليا لا
بحق الدعوة اليه لتدعوه الى ما تدين به او هو يشاركك فيه والتزكية في الحقيقة فيما يوجب تقديمك وايضا في هذا
وايضا ان القول بالايمان ليس بمنفرد عن معنى العبادة او سبب فيه علو من حيث ذلك انما هو خبر عن امر موصوف
اللغة تصديق والتصديق بامر هو كذلك ليس بالذي يعد في الرتب بل على كل ذلك ولا لاحد الا وقد يؤمن باشياء
يصدق فليس في القول به منقبة وكذلك ما من احد الا وعليه التكذيب بامور فلا بالتكذيب في الاطلاق لوم ولا
بالتصديق بالاطلاق مدح اذ في كل ذلك لكن الذم في تكذيب يكذب به فيكون من حيث كذب به ذممت ثم يتفاوت
على تفاوت على تفاوت درجات الكذب ثم التصديق لو كان ثم مدح فهو بصدقه ايضا ولا احد يخرج الصدق
كله فيصير المرء بوصفه نفسه صادقا في شيء تزكية ومدحا ولا قوة الا بالله على ان للايمان حدا وكل عبادة ذات
حد فاذا متداح ممن قد اداها بالاخبار عن الاداء وبخاصة الفرائض منها نحو من يقول قد صليت الظهر واديت
زكوة مالي وحججت ونحو ذلك وفيما يتولاه هو برا وتقى او حبيب الله تعالى او نحو ذلك مما يرجع ذلك الى ما لا يعرف حد
من الخيرات فهو بذلك يرتفع على الاشكال ويفتخر عليهم فيما لو كان صادقا كان في ذلك منه اغفال عن حق ذلك و
لو كان كاذبا ذلك جائزا فيه ممقوتا بالكذب والله الموفق وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا عن ابن عباس رضي الله
عنه قال الفتيل ما فتلت بين اصبعك والنقير الذي يكون في ظهر النواة وهو على التمثيل وقيل في حرف حفصة الم
تر الى الذين قالوا انا نزكي انفسنا بل الله يزكي من يشاء وقوله عز وجل انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى
به اثما مبينا الاية ظاهرة وقوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قيل اعطوا حظا من الكتاب وهم علماء
يؤمنون بالجبت والطاغوت اختلف فيه قيل الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن وقيل الجبت السحر والطاغوت
الشيطان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الجبت الشيطان بكلام الحبشة والطاغوت كهان العرب وقيل
الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان وقيل الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف يخبر عز وجل عن
سفههم بايمانهم بهؤلاء وحسدهم محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ويحذر المؤمنين عن صنيعهم لان
هؤلاء كانوا علماء وهم مؤمنين بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا قيل في
القصة ان هؤلاء اتوا مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اجله ففعلوا فدخل ابو سفيان البيت في مثل عدتهم فكانوا بين استار الكعبة فتحالفوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ليكون كلمتنا واحدة ولا يخذل بعضنا بعضا
ففعلوا ثم قال ابو سفيان ويحكم يا معشر اليهود انبا اقرب الى الهدى والى الحق نحن ام محمد واصحابه فانا نعمر هذا البيت ونحجب
هذه الكعبة ونسقي الحاج ونفادي الاسرى فنحن افضل ام محمد واصحابه قالت اليهود بل انتم فذلك قوله تعالى ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وفي حرف حفصة ويقولون للذين اشركوا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا
ثم قال الله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا واللعن يكون على وجوه اللعن هو العذاب وقيل
لعنهم الله عذبهم الله والمغبون الممنوع عن الاحسان والافضال وقيل هو الطرد يقال طردوا عن رحمة الله وافضاله واحسانه
وان الطاغوت هو اسم مشتق من الطغيان كالرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة ونحو ذلك سمي به كل من انتهى في الطغيان
غايته حتى استحل ان يعبد من دون الله فهو طاغوت وعلى ذلك تاويل قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله اي
بعبادة كل من عبد دون الله وقيل هم مردة اهل الكتاب وقيل هو الشيطان وقيل الصنم وذلك كله يرجع الى ما ذكرت وقيل
في ذلك كاهن وقد سمي جبتا وقيل في الجبت السحر فهو على ما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن الايات وفي
شيء مما ذكرت فقد كانوا امنوا بذلك بعدهم الله تعالى وسفه احلامهم بالايمان بمن ذكرت ومظاهرتهم على ما لم من الاتباع
على رسول رب العزة عليه افضل الصلوات واكمل التحيات بعد علمهم بموافقته صلى الله عليه وسلم رسلهم وتصديقه
بكتبهم وعلمهم بعد والاولئك عن هذه الرتبة بغيا وحسدا وكان في اظهار ذلك عليهم بيان الرسالة واعلام اتباعهم
تحريفهم كتب الرسل ابدا ما في قلوبهم في الحسد لتزول الشبهة عن الاتباع ويظهر المعاندة في المتبوعين ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اختلف فيه قيل لو كان لهم نصيب من الملك فاذا
لا يؤتون الناس نقيرا لمن بخلهم وقلة خيرهم وقيل لهم نصيب من الملك من الشرف والاموال والرياسة فيما بينهم لكن
لا يؤتون الناس نقيرا فكيف يتبعونهم وقيل قوله سبحانه ام لهم نصيب من الملك فكيف يؤتون الناس شيئا انما
الملك لله تعالى عز وجل هو الذي يؤتي الملك من يشاء كقوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع

الملك ممن

الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير الاية انما يستفاد ذلك بالله عز وجل لا باحد دونه والله تعالى اعلم
قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله يقول بل يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله من الكتاب والنبوة
يقول الله عز وجل ردا عليهم فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة والنبوة فلم يحسدوه فكيف يحسدون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بما اتاه الله تعالى من
الكتاب والنبوة وهو من اولاد ابرهيم صلى الله عليه وسلم فهذا والله اعلم معناه وقوله واتيناهم ملكا عظيما قيل واراد الملائكة والجنود وقيل هو ملك
سليمان بن داود وداود وكان من ال ابرهيم عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل ام يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاهم الله
من فضله قيل من كثرة النساء لكن ذلك ليس بحسد انما هو طعن طعنوه وعيب عابوه لان الحسد هو ان لا خير شيئا ليس له فيتمنى ان يكون
ذلك له دونه وقد كان لهم نساء لكن ان كان ذلك فهو طعن طعنوه وعيب عابوه على كثرة النساء ويقولون لو كان نبيا لشغلته النبوة
عن النساء ويقولون يحرم على الناس اكثر من اربع ويتزوج تسعا وعشرا فانزل الله تعالى عز وجل ردا عليهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
الاية وكان لداود تسع وتسعون امراة وما قيل ايضا ان لسليمان عليه الصلوة والسلام ثلثمائة سرية وسبعمائة حرائر ان ثبت ذلك فكثرة
النساء له لا تمنع ثبوت الرسالة والنبوة وانما يمنع كثرة النساء لاحد شيئين اما الخوف الجور واما العجز عن القيام بايفاء حقوقهن فالانبياء
عليهم الصلوة والسلام يؤمن ناحيتهم الجور وكانوا يقومون بايفاء حقوقهن ثم كان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لتسع او
لعشر من النساء من ايات النبوة لانه كان معروفا بالعبادة لله ليلا وبالصيام له نهارا ويحتمل الجوع وانواع المشقة تباعا ومعلوم في
الخلق ان من كان هذا سبيله لم يقدر على وفاء حق امراة ولحرة فضلا ان يقوم لايفاء حق العشر واكثر فدل انه وبالله قدر على ذلك
وعلى ذلك قيام داود وصلوات الله عليه لمائة من النساء وقيام سليمان صلوات الله عليه لالف منهن فذلك من ايات النبوة لما ذكرنا
انه ليس في وسع احد سواهم القيام بذلك وكذلك في قيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاظهار هذا الدين من غير اتباع كان له او
مال او فضل سعة دليل انه كان ينصره الله ويعززه به جميع من الخلق على دينه وفي قوله ايضا ام يحسدون الناس على ما ذكر فقد اتينا
ال ابرهيم الاية يحتمل وجهين احدهما المحاجة ان كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم واتباعه من ال ابرهيم واولاده بما خصهم به من
فضله ولم يزل ذلك في ال ابرهيم ولم يكونوا احسدوهم على هذا قوله تعالى فمنهم من امن به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بكتابه الذي انزل
عليه والثاني ان يكون على النصر على اذاهم الذي كان منهم بالحسد مما كان هذا فيمن تقدمه من ال ابرهيم ومن فضله ومن الحساد لهم
في ذلك والمؤذين لهم فصبروا ولم يكافوهم نحو قوله تعالى فمنهم من امن به بابرهيم عليه السلام او بما انزل اليه واله والله اعلم الاصل في اختلاف
التاويل الاية واحوة فيما يجب في ذلك من الحق انه على اقسام احدها انه يتسع الكل ويحتمل دخول الكل في المراد ويحتمل ارادة البعض
فان كان ذلك مما يجب العمل به يلزم طلب الدليل على الموقع للمراد فان وجد من طريق الاحاطة شهد عليه بالمراد وان لم يوجد عمل به
على حسب الاذن في العمل به بالاجتهاد من غير الشهادة علينا انه المقصود لا غير والله اعلم وان كان ذلك مما لا يجب العمل به وانما
حق الشهادة فنشهد به على ما هو في الحكمة واجوب تلك الشهادة من غير ان يقضي على الاية بقصد ذلك اذا كانت بحيث يتسع له
ولغيره نحو القول بانه سميع عليم على اثر امور هي من ادلة الخصوص لو كانت تحتمل الخصوص وفي الحكمة انه سامع كل صوت وعليم
بكل شيء فيه يشهد ولا يبالي في ذلك انه اراد من الخاص نحو قوله تعالى وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم فالاوجه لا يقع
الطلاق حتى يوقع لانه ذكر انه سميع ولو وقع الطلاق بغير قول لم يكن لذكر السميع في هذا الموضع فائدة وقال قوم سميع لايلائه
اذ هو قسم ينطق به عليم لعزمه وقد ذكر سميع عليم فيجب توجيه كل حرف الى وجه ليفيد حقيقته ذلك في هذا الموضع ولو كان
لا يقع دون القول لكان كل امر مسموع ليكتفي القول بانه سميع عن القول بانه عليم وفي جملة العقد من طريق الحكمة انه سميع بكل
صوت عليم بكل شيء لكن في النوازل يتوجه وجهين لا يوجب القطع عليه في الارادة الا ان يجيء ما يوجب الاحاطة وقد عل به
الخلق على الاختلاف والله اعلم ووجه اخر من التاويل انه يحتمل وجوها لا يسع الكل فحق العمل وفي حق الشهادة لكنها لاحد
الحقين فان كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليله ويكون الدليل على وجهين احدهما ان يوجب على حق العمل والشهادة جميعا
والاخر يوجب حق العمل خاصة وقد بينا ذلك وان كان في حق الشهادة فيجب الوقف في تحقيق المراد والتسليم لله حتى يظهر
وذلك في حق اضافة الاستواء الى الله تعالى على العرش والقول بالرؤية من حيث يثبت ما به يرى على الاشارة اليه لا بالا
ويجوز ذلك من الامور والله اعلم ووجه اخر ان يكون احتمال وجوهها انما يكون بمقدمات فتختلف على اختلاف تلك
المقدمات فلا يجوز تاويل تلك الا بمعرفة المقدمة اذا لم يكن فيها ضير معرفة الموقع من المقدمة نحو قوله تعالى فاذا فرغت
فانصب لم يكن لاحد تاويل واحد من الوجهين حتى يعلم بالسمع انه فيم كان مشغولا وقوله تعالى فلينظر ايها ازكى طعاما
لم يكن لاحد طلب مراد قائله او تاويل مراده ولا يظفر به الا بالوحي ولا قوة الا بالله والقول في حقه الحال يتبين ما كان في
حق الشهادة فلازم الوقف فيه حتى يظهر وما كان في حق العمل فان كان في نوع ما يحتمل الاحتياط نحقه القيام به
حتى يظهر دليل التوسيع ودليل التوسيع على الوجهين اللذين ذكرت وان كان فيما لا يحتمل الاحتياط نحقه التوقف
حتى يظهر والله اعلم ولا يخلو شيء الا احد الوجهين به حاجة من دليل يكون له وقوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها اي

غير جلود النضيجة كقوله تعالى انا لفي خلق جديد اى تجدد ما قد فنى وكذلك اعيد ما قد كان من الجلود قبل النضج جديدا في راى
العين من حيث صار الاول نضيجا الا ان كان هذا غير الاول بل هو الاول غير نضيج ان ذلك فنى الاول وتعذيب ما كان ارتكب المعصية
لان التعذيب في الحقيقة على غير الذى اثم فيه وقال قائلون الجلود والعظام ونحو ذلك لم يكن عصت ولا اطاعت بل استعملت فيهما
وجبر الا انها عملت طوعا لكن الذى به عملت والذى استعملها في الجسد به تالم ويتالم فهو المعذب والمثاب بما صور من الجسد الا ترى
ان اجساد اهل الجنة تزداد الحسن والجمال وجعل لاهله حد لا يزداد ولا ينتقص واجساد اهل النار مشوهة قبيحة ليكون لهم في
التقبيح عقوبة وللاول بالتحسين ثواب فكانت فيها احوال الجزاء لم يكن للاعمال فثبت ان المثاب والمعاقب ما ذكرت لكنه يتالم و
يتلذذ فجعلت على ما بها تمام اللذة والالم من الاجساد لا على اعادة انفس تلك الاجساد بل على التجديد بما ذكره القران وكذلك
المقطوع بعض الاعضاء في حال الكفر اذا اسلم يبعث سليما الا كذلك ومثله في حال الاسلام لو ارتد لم يرتفع عنه الم ذلك فدل الذى
ذكرت على حق تجدد الثاني على ما شاء الله والذى به كان المأثم والبر على ما قد كان والله اعلم وللمذهب الاول ان الجزاء هو لما يختم
عليه اذ لو كان اسلام لتمنى لنفسه احسن الاحوال واتم البنية ليستعملها بالخيرفا وجب ذلك ابطال جميع السيات كانت
بجوارح ذهبت وبقيت وكذلك من اختار الكفر فقد اثره واختار ان يكون على ذلك وان سلمت جوارحه وتمت فلزم حكم
احتياط جميع ما تقدم بكل فائت منه وباق وفي الاول استوجب جعل ما تقدم منه بالفائت والباقي حسنات لما ندم عن الكل بكل
الجوارح فلحق حكم تبديل السيات بالحسنات في الكل فيكون على حكم اعادة الاولى بحق التجديد في المعنى والله اعلم نحو قوله تعالى
او لئك الذين حبطت اعمالهم وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية وفي الاعادة كقوله تعالى من يعيدنا الاية وقوله عز وجل
انا لفي خلق جديد الاية وغير ذلك من ايات البعث والله اعلم وقال قائلون الواجب من العقوبة لكفر وغيره بحكم التبع له وكذلك
الثواب الواجب عنه للايمان ولغيره بحكم التبع بل به قام والاول به سقطت عنه مشية الغفو فصار الذى به الجزاء مخاصا و
غيره بحكم التبع يزداد وينتقص فعلى ذلك امر الجزاء والتجديد والاعادة وكل ذلك للذى هو بحق التبع والاتباع في الشاهد
يتجدد اعين الافعال ولا يدوم والاعتقاد في الامرين يدوم فعلى ذلك امر الجزاء لذلك والله الموفق ولهذا الوجه ما يبطل
الجلود لما سوى الكفر اذ في ذلك ابطال الجزاء الدايم من حيث الافعال وادامة الجزاء المنقطع من حيث الافعال فيكون فيه
زيادة في العقوبة على المثل والله يقول لا يجزى الا مثلها والله الموفق ثم اختلف في المبعوث انه يبعث بجسده او يبعث الروحاني
منه سمته بعض الفلاسفة نفيا وبعضهم جوهرا روحانيا وبعضهم بسيطا فان كان جسد فيه روحاني في حياته و
منافعه وجسده له كالمنافع عن جميع ما يحتمل من الاموال لان الجواهر الروحاني لطيف ينفذ في الاشياء ويتحلل الا بالحابس
يبين ذلك امر النايم ان النفس تخرج لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وهى ما يسكن الجوارح وينقطع عنها هم
الجسد به يرجع المحصنة جوهره فيراها يطوف في البلاد النايية وفي الامكنة العلوية حتى لا يصفها ارض ولا سماء ياتى
بالاخبار عنها كانها شاهدها اما ما كان ذلك عملها بالجوهر حيث يكون من النفاد اذا لم يحبس وهى بالجوهر يخرج فيعمل
ذلك وهى تسمع وتبصر وتعقل في المنام كانها بالجسد كذلك فدل ان العمل في حال اليقظة وماله الجزاء لها فعلى ذلك امر
الجزاء وعلى ذلك جميع الجواهر التى بها الاغذية والحيوة ليست باعين تلك الاشياء ولكن بما جعل في سيرتها في الروحاني وهى
القوى التى تظهر في البدن الى كل اجزاء البدن فتقوى وتصح فيه بحيوة روحه ويزول عنه الافات وكذلك عن السمع
والبصر والعقل حل شيء ثم تلقا نقله فعلى ذلك امر المعاد من الجزاء فهو على ذلك وكذلك الثواب يكون من كل موعود مما يعرف
في الشاهد بجنسه يرجع الى الروحانية التى هى روح في الجسد الا ترى انه لا يبقى في الاخرة بالاكل الاجساد التى تلقى وهى الاثقال
التى تفضل في الجسد ويخرج عنها جميع ما فيها من الاقوية والروح فثبت ان الامر يرجع الى ما ذكرت وهذا معنى قوله عليه
السلام ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان ذلك الجوهر لا تراه العين ولا تسمعه الاذن في الشاهد
ولا يخطر على القلب ويكون لذة ذلك روحانى لا هو لذة الحياة بحيوتها السمع والبصر وكل باطن في الجوهر ولذة الاجساد
انما يكون بالمهاة في الطعم وبالعين في اللون وهذا النوع فيذهب هذا ويكون الاول وعلى ذلك يذهب العباد انه الجسد انبى
وتبقى الروحانية من الحمد والثناء والتعظيم والهيبة والمعرفة ونحو ذلك ينجى بلا بل يزداد لما يذهب عنها الحواجب من الجسد
وعلى ذلك يبطل تقدير الرؤية وابطاله مما عليه امر الشاهد لذهاب ما به كونها في الشاهد ورجوع الامر الى ما يحاط به على
سقوط الحواجب والله اعلم اختلف من ذكرت في امر البعث فمنهم من لا يرى على ما جاء في الجسد من الروحاني فناء والبعث هو
اسقاط الاجساد وخروج ما فيها من الروحاني بصورها ومنهم من يقول يعنى ويعاد على حالها ومعلوم ان ذكر الجديد لا
يحتمل بلا ذهاب الاصل وذكر الاعادة بلا قرينة وقال من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وجعل انشاء الاولى دلالة الاخرى
وليس ثم اجرى بل هى الاولى والاولى هى على ما تزعمون غير معروفة عند المنكرين فتحتج عليهم بها بل يجب ان يعرفوا الاولى
او لا ثم يساعدون على نفى البعث ويلزمون الالحاد والدهرية ومنكرى البعث يقولون في جميع العالم بالظهور بعد الكون

وبالكون في الاصول بالقوة ثم الظهور بالفعل فكيف ينكرون البعث ليحتج عليهم بالخلق الاول والله اعلم وقال قوم
بالبعث بالاجساد على ما كانت لكنها كانت في الدنيا منشاة للفناء مشتمل عليها اثار الفناء ويحيط اعلاه الهلاك ومن افاتها
كلها وسواتر تحجبن عن اعمال لطايف الجواهر وعن ادراك الروحانيين والا فهى كما وصفهم الله تعالى انه خلقهم في احسن
تقويم وكونهم بافق وجوهر واكمل اسى وانقى خلقة فاذا وقعت عليهم الافات واعيدوا للبقاء فنزول عنهم جميع
الظلمات التى هى حواجب وسواتر لهم على الاحاطة بحقايق الاشياء وبواطنها وعلى شكلهم ينشأ الاجساد المجعولة
جزاء لهم فيلحقون بجميع اللطايف حسدا بما فيها من الجواهر الروحانى فتصير هى في اللطف كذات الجواهر وهى لما تنتقل الى
اللطف من ذلك وانور لهم كالادوا فيفضلون على الروحانيين باجساد فيها معاينها من اللطافة والنفاذ في الامور التى
هى كالروحانيين في التمثيل وما فيهم حق الروحانيين الظفر عن ذلك باندفاع اثار الفناء عنها وخروجها من ان يعمل
فيها الفساد وعلى ذلك اجساد الجزاء فانها تخرج عن الافات وتمتنع عن الفساد ويصير لجسادها في الطيب والضيا كالروحانى
يبقى فيها على كل حال لا يفنى والاصل فيه الجزاء الحق الشهوات واللذات لا بحق الاغذية وحياة اجساد المستضعفين بها
فتكون هى بجسدها وسيرتها واحدة وبقاء الاجساد لها احق من بقاء الروحانى في هذا العالم من طريق الاعتبار لان الذى
له حق الروحانى في الشاهد به البقاء والغذاء والحيوة لما يدفع بها الافات العارضة في الارواح من جهة القوالب التى
تضعف وتقوى وفي الاخرة لا تعترض الافات يحتاج فيها الى الاغذية وانما بينا الا وفق من حجج السمع وما عليه الاعتبار
فاما حجج السمع فان الله عز وجل ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم الاية وقال ائذا كنا عظاما ورفاتا الاية وقال عز
وجل من يحيى وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة الاية وغير ذلك مما حاج به منكرى البعث والاشكال كان لهم في الاجساد
وفيما جعلت المحاجات لذلك كانت هى اولى في الاعتبار مما كانت الاشياء اللطيفة التى لا تمس ولا تحس في التجديد بل لم يكن
بحيث احتمال الانكار لوجودهم في كل حال نحو العقول تذهب باسباب ثم تعود وكذلك العلوم والسمع والبصر ونحو
ذلك ثم الحسيات اللطايف نحو الليل والنهار والنور والظلمة والظل ونحو ذلك يرون الفناء والعود في كل حين لا
يكون هذا النوع ليحاجوا بالذى ذكر وبهذا فلذلك كان القول بالاجساد احق والله اعلم والاعتبار ان الله سبحانه
وتعالى انشاء هذا الخلق على ما يتلذذون ويتالمون ليكون ذلك علما للترغيب والترهيب بالموعود وما يحل من الالام
والاضداد دها في الروحاني في الجسد يكون له سرور وحزن لا يتالم ويتلذذ وقد جرى الوعد بالمولم والملذ وكذلك
حكمة خلق الجسد على ذلك بما يحقق العلم بالمرغب والمرهب من الموعود على ان السرور والغموم ليسا بحيث يرغب فيهما
ويزهد الا من حيث يالم الجسد ويتلذذ بل يكون فيه الامران ليستوى ويحزن فلذلك كان القول بالاجساد احق من طريق
التقدير على ما جرى بحق السمع والعقل والله اعلم بحقيقة ذلك وبديع الملك يكرم من شاء بما شاء فضلا منه ويهين
من شاء بما شاء عدلا منه والله الموفق وقوله عز وجل فمنهم من امن به بما انزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الهدى
ومنهم من صد عنه من الكتاب قال فمنهم من امن به يعنى بالكتاب الذى اعطى ابراهيم ومنهم من صد عنه عن الكتاب
وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل فمنهم من امن به يعنى ابراهيم ومنهم من صد عنه يعنى عن ابراهيم عليه السلام
وقوله عز وجل وكفى بجهنم سعيرا كان جهنم والله اعلم معظم النار وجميع دركاتها والسعير هو التهابها ووقودها كقوله
تعالى عز وجل وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ويحتمل قوله وكفى بجهنم سعيرا
اى عذابا والله اعلم وكفى بجهنم اى بالتهاب جهنم التهاب السعير الاشتهاب والله اعلم وقوله تعالى عز وجل ان الذين
كفروا باياتنا يحتمل الايات اعلام الدين واثاره ويحتمل الايات ايات الربوبية له ويحتمل الايات والاعلام رسالة الرسول
صلى الله عليه وسلم فيكون الكفر بها كفرا بالله وقوله تعالى سوف نصليهم نارا قيل نصليهم نشويهم يقال شاة مصلية
اى مشوية وقوله عز وجل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اى جددناهم جلودا غيرها ليزداد والتهابا واتقادا من غير ان يسكن الم العذاب
فهو من حيث التجديد غير لان الاولى قد احترقت ونضجت ومن حيث غير نفسها الا ترى ما يقال تبدل فلان فانما يقال من
حيث تغيره من لون الى لون لا ان كانت تحولت نفسه وتبدل من حال الى حال فعلى ذلك قوله بدلناهم جلودا غيرها هى من
حيث العين انها تلك بعينها واحد وعلى ذلك البعث بعد الموت والانشاء هو من حيث التجديد غير حيث تغايرا وذهبت
اثارهم ومن حيث الاعادة الى الحالة الاولى هم بانفسهم ليسوا بغير وعلى ذلك قد سمى البعث خلق جديد وان كان بعث
الاولى في المعنى ثم تكلموا في قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها قالوا كيف كان ان يعذب جلودا لا ماثم فيها وانما الماثم
ثم في الجلود التى احترقت ونضجت وقالوا ايدنا يمن قطع يده وهو كافر ثم اسلم فمات على الاسلام حال اليد المقطوعة

تعذب في النار او تكون مع النفس في الجنة وفيمن قطعت يده وهو مسلم ثم كفر ومات على كفره تلحق النفس او تكون في الجنة
فالجواب لهذا كله ان الجوارح والاعضاء ليست تعمل ما تعمل بالاختيار والطوع ولكنها كالمكرهات والمقهورات في العمل
الا ترى ان الاكراه عليها يوجب تحويل الفعل منها الى المكره فيجعل كان المكره هو الذي قد فعل ذلك في حق الضمان فهذا يدل
ان هذه الجوارح كالمكرهات والمقهورات لحقنا ان النفس حيث كانت ثم معلوم ان من اسلم في اخر عمره يبتغي سلامة جوارحه
التي كانت ذهب عنه ليعمل بها في طلب مرضاة ربه تعالى وكذلك من كفر بعد اسلام يبتغي سلامة جوارحه يستعملها فيما اختار
من الدين فاذا كان كذلك لحقت النفس حيث كان في طاعتها ومعصيتها وقالت فرقة من الملحدة ان الثواب في الاخرة لا يكون
لهذا النفس التي تاكل وتشرب وتعمل كل ما تعمل ولكن انما يكون للروحاني الذي جوهرها جوهر النور لكن هذه النفس ممتحنة
في الدنيا بالاكل والشرب مشوبة بالافات والعيوب فاذا صفت عن الافات وتنزهت عن العيوب التي بها امتحنت صارت
اهلا للثواب العظيم ومحلا للجزاء الجزيل وبالله العصمة والنجاة **وقوله** عز وجل ليذوقوا العذاب ما ذوق الطعام والشراب
يكون بالفم ليعرف طعمه ولذته واما ذوق العذاب فانما يكون بكل جارحة منه ليجد الم ذلك في جميع الجوارح والله اعلم وقيل
الذوق في العرف ليعرف الطعم يقلب به كل شيء يعرف يقال فلان ذوق في امر كذا اي بصير ومعرفة **وقوله** عز وجل ان الله
عزيزا حكيما قيل العزيز ما يتعزز وجوده في الشاهد وقيل هو عزيز لا يعجز فهو عزيز لما لا يوجد في الافهام ولا يدرك
بالاوهام وقيل العزيز المنتقم وقد ذكر في غير موضع **وقوله** عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة من الافات والعيوب ليس كازواج الدنيا ونسائها **وقوله**
عز وجل وندخلهم ظلا ظليلا لا تنسخه الشمس ولا اذى فيه لان الشمس فيها منافع للناس واذى وكذلك القمر فيه اذى
ان كان فيه منافع والظلمة كذلك فيها منافع واذى واما الظل بنفسه فليس فيه اذى على كل حال فان كان فهو للزمان لا للظل
بنفسه فاخبر عز وجل انه يدخلهم الظل الذي فيه اذى الشمس ولا اذى الظلمة ولا اذى الزمان ليس كظل الدنيا مشوب بالاذى
غيره والله اعلم وذلك تاويل الظليل ان يظله عن جميع المؤذيات والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها قيل لما فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس رضي الله عنه يا رسول الله لو جعلت السقاية والحجابة
فينا فاخذ مفاتيح الكعبة من ولد شيبة فدفعها الى العباس فانزل الله تعالى هذه الاية فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح
الكعبة فردها الى ولد شيبة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم ان الله تعالى احيا دينا ولا يرزا شيئا وقيل انها نزلت في
الامراء في الفيء الذي استامنهم على جمعها وقسمتها والصدقات التي استامنهم على جمعها وقسمتها والاية يجب ان يكون نازلة
في كل امانة اوتمن المرء فيها من نحو ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان فيما بين الخلق اما ما كان فيما بينه وبين ربه من نحو
العبادات التي امر المرء باداتها ومن نحو تعليم العلم الذي رزقه الله تعالى له كقوله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض الاية وكقوله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية وكقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
كل ذلك امانة يدخل في قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وكذلك كل امانة يؤتمن المرء عليها تدخل في ذلك
ذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ادي الامانة الى من ائتمنك عليها ولا تخن من خانك ومن قال نزلت في الامراء استدل
بقوله تعالى ان تحكموا بالعدل لان الحكم الى الامراء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
قال هي مبهمة المؤمن والكافر فيه سواء **وقوله** عز وجل ان الله نعما يعظكم به من الحكومة بالعدل واداء الامانة الى اهلها
ان الله كان سميعا بصيرا يحتمل مجيبا لمن دعاه وسال كقوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان يجيب لمن استجاب وادى الامانة ويحتمل سميعا بصيرا اي لا يخفى عليه شيء واختلف العلماء في العارية اذا ضاعت
قال اصحابنا رحمهم الله لا شيء عليه وقال غيرهم عليه الضمان ولاصحابنا رحمهم الله في ذلك طرق الحجج احدها ان المستعير
ان لبس القميص او ركب الدابة او حمل عليها ما اذن له في حمله عليها واصابها في ذلك نقصان في قيمتها فلا شيء عليه
فاذا لم يكن عليه ضمان فيما وقع بها من الضرر والنقص بفعله ولبسه وركوبه فلا يجب عليه ضمان ما هلك منها بغير فعله
والثاني ما روي عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال العارية ليس بتبعة ولا مضمونة انما معروف الا ان يخالف وروي
عن الحسن قال اذا خالف صاحب العارية ضمن واحتج من خالف اصحابنا في ذلك لحديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
على اليد ان ترد ما اخذت اذا كان قائما عليها ردها الا ترى ان الوديعة لا تضمن اذا تلفت وعليه ان يردها اذا كانت
قائمة فالعارية مثلها والثاني انه يحتمل معنى ذلك في الغصب واشباهه فعلى الغاصب ان يرده قائما او تالفا ولا يدخل في
عموم الخبر العارية الا ترى ان الوديعة لم تدخل فيه وان كان فيه اخذ واحتجوا ايضا بحديث صفوان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم استعار من صفوان يوم حنين درعا فقال اغصب يا محمد فقال بل عارية مضمونة وروي في خبر اخر ان صفوان
هرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد حنينا فقال يا صفوان هل عندك من سلاح قال عارية او غصبا قال بل عارية فاعا

ولم يذكر

ولم يذكر فيه الضمان فهو عندنا ان ثبت خبر صفوان مضمونة الرد على المستعير رد العارية ليس كالوديعة لان الوديعة ما لم
يطلب صاحبها لم يرد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد قولنا وهو قوله العارية مؤداة **وقوله** عز وجل واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال الله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان فمن ولي امرا وحكما فيما بين الناس فقد ولي الامانة يجب ان
يؤديها الى اهلها وعلى ذلك جاءت الاثار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من احد يكون على شيء من هذه الامور قلت او كثرت
فلا يعدل فيهم الا كبه الله تعالى في النار وفي خبر اخر ايما امرئ ولي من امر الناس شيئا ثم لم يحطهم بمثل ما يحوط به نفسه واهله لم يرح رائحة
الجنة يوم القيامة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من احب الناس الي واقربهم مجلسا مني
يوم القيامة امام عادل وان ابغض الناس الي يوم القيامة واشدهم عذابا امام جائر **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فان قيل كيف خص الله تعالى المؤمنين بالخطاب بالطاعة له وطاعة الرسول والامر بها يعم المؤمن والكافر جميعا
قيل بوجوه ثلاثة احدها ان من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا بشيء انما يخاطبون اهل الشرف والمجد ومن كان اسمع لخطابهم واعظم لقولهم
كقوله تعالى عز وجل يا ايها الملا افتوني في امري وقال تعالى يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها يخاطبون ابدا اهل الشرف ومن هو قابل
لقولهم والطوع لامرهم فعلى ذلك خاطب الله تعالى المؤمنين وامرهم ان يطيعوه ويطيعوا رسوله وان كان الخطاب بذلك يعمهم والثاني
يحتمل ان يكون الخطاب بذلك للمؤمنين خاصة لان الكافر انما يخاطب باعتقاد الطاعة له اولا فان اجاب الى ذلك فعند ذلك يخاطب
بغيره والمؤمن قد اعتقد طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لذلك خرج الخطاب منه للمؤمنين خاصة والله اعلم ويحتمل ان يكون تخصيص
الخطاب للمؤمنين لما امر بطاعة اولي الامر ليعلم انه انما امر بطاعة اولي الامر اذا كانوا مؤمنين والله اعلم فيه دلالة جواز الطاعة لغير الله
لان كل من عمل بامر اخر فقد اطاعه هو الايتمار للامر واما العبادة فهو اخلاص الشيء بكليته لله عز وجل حقيقة اذ الاشياء كلها لله بكليتها
حقيقة ليس لاحد سواه لذلك لم يجز ان يعبد غير الله تعالى وقد يجوز ان يطاع غيره لما ذكرنا ان الطاعة هي الايتمار بالامر وليس العبادة
كذلك لذلك افترقا ثم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون طاعة لله لانه بامره يطاع وفي طاعتهم له طاعته ثم قيل قوله تعالى
اطيعوا الله في فرائضه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته وقيل اطيعوا الله فيما امركم ونهاكم في كتابه واطيعوا الرسول صلى الله
عليه وسلم فيما امركم ونهاكم في سنته ثم اختلف في اولي الامر قيل هم امراء السرايا وقيل هم العلماء والفقهاء وقيل هم اهل الخير ويحتمل
اولي الامر الذين يولون السرايا فكيف ما كان ومن كان ففيه الدلالة انه لا يولي الا من له العلم والبصر في ذلك امراء السرايا كانوا
او غيرهم لانه عز وجل امر بطاعتهم ولا يؤمر بطاعة احد الا بعلم وبصر يكون له في ذلك والاية التي تقدمت وهو قوله سبحانه
وتعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يدل على ان اولي الامر الامراء لانه تعالى امر الحكام في الاية الاولى بالعدل وامر الرعية بالسمع
لهم والطاعة فيما يحكمون ويامرون والله اعلم الا ترى انه روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اسمعوا و
اطيعوا وان امر عليكم حبشي مجدع فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فمن امر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة وبعد هذه الاية التي
تليها تدل على ان اولي الامر الفقهاء وهو قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول والتنازع يكون بين العلماء فكانه
والله اعلم امر في اية اولي الامر بطاعتهم وامر اولي الفقه برد ما يختلفون فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاية
تحتمل المعنيين والله اعلم ان على العامة طاعة امرائهم في احكامهم وعليهم اتباع علمائهم في فتواهم يبين ذلك قول الله تعالى فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية فلو لم يجب على قومهم قبول قول علمائهم ما وجب عليهم انذار قومهم وفي هذه
الاية دليل على ابطال قول الرافضة في الامامة لان الله تعالى قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فليس يخلو اولو الامر من
احد ثلاثة اوجه اما ان يكون الامراء والفقهاء والامام الذي تدعيه الرافضة فان كان المعنى في اولي الامر الفقهاء او الامراء
ففيه ابطال قول الرافضة ان امام الذي يصفونه ومحال ان يكون ذلك هو الامام الذي يذكرونه لانه قال الله عز وجل فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول وذلك الامام عندهم طاعته مفترضة وهم بين اظهر المتنازعين عندهم ومخالفته كفر في مذهبهم
فلو كان ذلك كذلك لقال والله اعلم فردوه الى الامام فان من خالفه فقد كفر ولكنه تعالى عز وجل امر برد التنازع الى كتاب الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدل على ان قول احد لا يقوم في الحجة مقام قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم **وقوله**
عز وجل فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قيل الى الله اي الى كتاب الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم اذا كان
حيا فلما مات فالى سنته واستدل قوم بهذه الاية على ابطال الاجتهاد وترك القول الا بما يوجد في كتاب الله تعالى وفي سنة
رسوله صلى الله عليه وسلم نصا ويقولون فنكل امره الى الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وليس
ذلك عندنا والاية تحتمل وجهين احدهما ان يحتمل تاويلها على ان التنازع اذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ان
يرد اليه عليه الصلوة والسلام ونسال عن ذلك ولا نستعمل في الحادثة الاجتهاد ولا النظر فاما ما كان من التنازع بعد وفات
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حكم الحادثة يطلب في كتاب الله او في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او في اجماع المسلمين

فان وجد الحكم في احدهما بينا والا قيل بالاجتهاد والوجه الثاني ان يكون المجتهد اذا ما اجتهد فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول وجدت في الكتاب وفي السنة كذا وكذا وهذه الحادثة تشبه هذا الحكم فحكمها حكمه ونحوه اراد الحكم الحادثة الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم او شبهها بما وجد من الحكم فيهما واذا كان ما وصفنا من تاويل محتملا فلا حجة لهم علينا في ذلك والله المستعان وفي الاية دلالة جعل الاجماع حجة وهو قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية انه انما امر بالرد والرسول صلى الله عليه وسلم عند التنازع لم يامر عند الجماع دل انه كان ثم اجماع لا تنازع فيه لم يجب الرد الى ما اودع في الكتاب وفي السنة وفي الاية دلالة انه يدرك بالطلب المودع فيه لانه لو لم يدرك او ليس ذلك فيه لم يكن للرد الى ذلك معنى الا ترى انه قال الله سبحانه وتعالى لعلمه الذين يستنبطونه فانما يستنبط ما فيه فدل ان كل حكم الحوادث مذكور في هذين في الكتاب والسنة اذ لو لم يكن الفرج عند النظر والطلب الحمان لا يفيد الامر بالرد اليهما معنى ثم لا يوجد نصوص في كل ما يبلى يثبت انه مطلوب وهو يدل على لزوم البحث في استخراج المودع من المنصوص والله اعلم وفي قوله ايضا يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول الاية تخصيص المؤمنين على اشتراك الجميع في اللزوم يخرج على اوجه احدها على مخاطبة الاشراف والنجباء وعلى ذلك امر الملوك في الامور ويريدون اشتراك الرعية واهل المملكة في ذلك كقوله سبحانه قالت يا ايها الملاء وقال سليمان عليه الصلوة والسلام يا ايها الملاء وقال فرعون للملاء وقال اذهب الى فرعون وملائه ذلك فمثله الذي نحن فيه والله اعلم والثاني انهم مما قد عرفوا الامور والمناهي فقيل لهم اطيعوا الله وما ذكر واعلموا انهم فيمن امروا به ونهوا عنه ولم يكن من الكفرة علم بالذي يوجهون الامر اليهم فلذلك خص من ذكر والله اعلم والثالث ان الكفرة قد انكرت المعبود والرسول مجرى الخطاب فيمن ثبت لهم المعرفة بذلك معا يحتمل ان يكون فهذا الخطاب في الشرايع وهي غير لازمة للكفرة فلذلك كان على ما ذكرت والرابع ما ادخل في الخطاب اولي الامر منادا لا يلزمهم طاعتهم لذلك خص المؤمنين وكان المقصود بالاية بيان طاعة اولي الامر منادا الا كانت طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم علما كان ايمانهم قد ثبت ولكن جمعت طاعة من ذكر ليعلم ان قد يكون بطاعة اولي الامر طاعة الله والله الموفق ومما يبين الذي ذكرت ان الكل من عرف الا له عرف ان عليه طاعته بما عرف اسمه الذي سمت العرب كل معبود الها فمن عرف منهم الا له عرف انه معبود ثم عرف ما له عنده من الايادي وعليه من النعم على ان عليه شكره وطاعته به ثم من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم عرف ان طاعته هو طاعة الله لانه اليه يدعو وعن امره ونهيه يامر وينهى اذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم منه الى الخلق وليس من عرف الله وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف ان عليه طاعة اولي الامر بما امر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى ذلك في هذه الاية ليعلموا ان طاعتهم هي طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الدليل على جعل الاجماع حجة وان متبعيهم هو مطيع الله تعالى اذا امر الله طاعتهم طاعة وهم في ذلك الاجماع وعلى ما ذكرت من شان الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الاية صير الواجد حرجا مما قضى والواجد حرجا من قضاء الله تعالى في نفي حكم الايمان وعلى ذلك قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اي ليكون عليهم طاعته بامر الله تعالى اذ هي طاعة الله ولا ليكون طاعته طاعة الله باذنه وبامره والله الموفق ثم اختلف في اولي الامر ومعلوم انهم هم الذين اليهم يرجع تدبير امور الدين وعن رايهم يصدرون هم الذين تضمنتهم الاية ارجوان يكون فيها الكفاية في تعريف المقصود بها وهو قوله عز وجل ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فجعل اولي الامر من عندهم علم الاستنباط وشهد لهم بالعلم فيما رد اليهم فثبت انهم الفقهاء المعروفون بالاستنباط ورعاية امور الدين وفي هذا ايضا دلالة على اصابتهم فيما اجمعوا عليه اذ شهد لهم في الجملة بالعلم وعلى ذلك قوله تعالى كنتم خير امة الاية وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية ثم كانت الشهادات والامر والنهي للعلماء بهما ثبت ان الامر في ذلك ينصرف الى العلماء وانهم اذا اجتمعوا على شيء بالامر او بالنهي يكون اجماعا الا ان ذلك عند الله تعالى ويجوز شهادتهم على جميع العوام ومن تاخرهم ومن ذلك كان عندنا ولذلك الخاص على ذلك انه لم يغيروا ولا شهدوا في ذلك بغيره وامراء السرايا لو كانوا اهل البصر في الامر مع العلم بالشرع والفتيا يلزم فيهم ذلك لانهم صيروا في الباب اهل الامر وايد الاول انهم العلماء قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم ان على العوام الذي الاشكال والحاجة الرد الى اولي الامر بما ذكرت من الاية فثبت ان هذا في تنازع العلماء وهو يوضح ابطال قول الروافض في جعل اولي الامر امامهم وابطال قول من يجعل اولي الامر امراء ونحوه ونحوه والتمام العلماء في كل نوع حتى يمكن فيهم التنازع وامامهم لا لا معنى للتنازع فيهم والتنازع انما يكون عن تدبر وبحث ونظر ولا معنى في ذلك للعوام الذي لا يعرفون الاصول والفروع والله الموفق ثم اختلف في تاويل قوله تعالى فردوه الى الله والرسول فقال قوم كان قيل كلوا الامر فيه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجتهدوا فيه كقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله تعالى ولان الاختلاف كان على تاويل الكتاب والسنة فكيف يطلب من بعد فيهما وبعد الطلب حدث التنازع وقال قوم الاختلاف يقع في التاويل بقوله عز وجل فردوه الى الله والرسول الى

ظاهر ذلك

ظاهر ذلك ولا تنا ولوا فتختلفوا اذا الاول كان على التاويل وقال قوم هذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ايظهر في ذلك بعض الحكم والحق في ذلك فيكون الامر الذي يتنازع فيه اولوا الامر لم يجز لاحد العمل الا بالبيان ولهم وجه الوصول الى البيان في الحقيقة فامروا بذلك معا كان يجوز ان يكون التنازع في وقت لم يفرغ عن بيان جميع ما بالخلق اليه حاجة بالكفاية اذ كان ذلك الوقت وقت حدوث الشرايع ووقت احتمال التناسخ وتبديل الاحكام فاذا وقع التنازع المجتهدين فلهم مع اشكال التنازع شبهة احتمال ان اصله لم ينزل وان الذي يتضمن حكمه من المنصوص لم يبلغهم في ذلك فيجب في ذلك الرد الى الله سبحانه وتعالى بالرد الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واما بعده فقد فرغ من جميع اصول الحوادث التي يعلم الله سبحانه وتعالى انها تقع بيان كفاية اذ لو لم يبين ذلك القدر ليبقى تنازع لا ارتفاع له ولا يجوز الحكم ولكان لا يعلم الحادث الذي له اصل يطلب ذلك وفي ذلك تمكين المعنى الذي يخرج الى الرسالة معا قد بحكم جميع الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن بعدهم الى اليوم في الحوادث من غير ان يظهر عن احد قول بان هذا هو ما لم ينزل له الاصل بل ذلك اجماعا في بيان اصول كل حادث فيجب طلبه في الاصول والله اعلم والاصل انه فيما يوكل الى احد يوكل الى من يعلم الحكم بما له اظهاره فلو كان المتنازع يجب الرد الى الله تعالى وترك الحكم في ذلك بالاجتهاد فاذا يبطل ان يكون في الرد اليه علم بحكمه الا الوقت الذي لا يحتاج الى الحكم وهو يوم القيامة على انه معلوم لو كان يرده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان لا بد عنهم على ما هو عليه من التنازع الذي هو اصل كل شيء وفساد فعلى ذلك فيما يرد الى الله سبحانه وتعالى واذ علم عز وجل لجميع النوازل كلها مردودات اليه فيجب ان يكون حكم فيها اذ قال الله عز وجل فحكمه الى الله تعالى واذا لم يحكم فيها لم يصر الحكم اليه بل لا حكم فيه الى الله تعالى فلما وجب الذي ذكرت ان يكون مما تضمنه البيان لزم الاجتهاد ثم لو كان الحق عند التنازع الظاهر دون ان يطلب على اصح التاويلات دليل لكان لا يجوز التنازع ان يقع لان الظاهر قد كان في ايديهم وهو حجة لا يحتمل ان يترك احد الا بالدليل لو كان حجة وكان قد قام الدليل على لزوم العدول عن الظاهر بتاويل جميع اولي الامر في ذلك فثبت ان دليل ذلك مطلوب يوجد ويتفقون عليه اذا انصفوا وانعموا النظر واعرضوا عن حسن الظن تقربا من الايمة على ان الذي يقوله هؤلاء يقتضي احكام الحوادث كلها بيقين نثبت ان احكامهم مودعات في المنصوص فصرن متعلقات بالمعاني لا بالظواهر ثم الاصل ان العمل بالظواهر في محتمل المعاني ومختلف التاويلات مما فيه التنازع في الامة والتنازع امر بالرد بعيدان يرد الى ما لم يثبت صحته بل في الظاهر وجه في ظاهر الاسم باللسان او الظاهر من التفاهم في المعتاد نحو القول بان اغسلوا وجوهكم انه باي شيء غسل يستحق اسم الغسل في اللغة لكن لما يغسل به عادة وفي الاستعمال الى ذلك ينصرف الخطاب ويصير الظاهر في المعتاد به اولى من الظاهر في اللسان ويكون في ذلك منع الذي ذكر حتى يوضحه دليل او يعلم انه المعتاد فيكون ذلك دليلا والله اعلم ثم لا يحتمل التنازع فيما فيه المعتاد من التفاهم والعدول عنه الا بدليل فيجب القول لمن عدل ان كان عنده دليل فيكون بما يوجب العمل منع والله اعلم ثم قيل في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول باوجه ثلاثة اطيعوا الله تعالى فيما بلغ واطيعوا الله فيما فرض والرسول فيما سن واطيعوا الله تعالى عز وجل فيما انزل ونص والرسول فيما بين والاصل في معبود الناس ان الطاعة تكون في الايتاد فرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مطاع في جميع ما امر لازم طاعته في ذلك امره اذا ثبت ان امره هو امر الله تعالى عز وجل وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله عز وجل وله يجب به ظهور الخصوص والعموم والناسخ جميعا وبه تبين الفرض والادب وكل نوع وما يظهر فبالله تعالى ظهر على لسانه صلى الله عليه وسلم كتابا كان او تنزيلا فالتقسيم بين الذي لله عز وجل والذي لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوجب الشبهة ونوع الاختلاف جل الله عز وجل ان يبعث رسولا يخالفه وبالله المعونة والتوفيق **وقوله** عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله عز وجل ذلك خير اي ذلك الرد خير الى ما ذكر ويحتمل ذلك خير اي الايتلاف فيما امكن فيه خير من الاختلاف واحد **وقوله** عز وجل واحسن تاويلا اي عاقبة وقيل احسن تاويلا اي خيرا وفي حرف حفصة ذلك خير واحسن ثوابا وعن ابن عباس ذلك خير واحسن تاويلا قال القران احسن تاويلا **وقوله** عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية ذكر في القصة ان رجلين تنازعا احدهما منافق والاخر يهودي فقال المنافق اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال اليهودي اذهب بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي على المنافق فانطلق بنا الى عمر بن الخطاب نختصم اليه فاقبل معه اليهودي الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي يا عمر انا اختصمنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فزعم انه لا يرضى بقضائه وهو يزعم انه بقضائك فاقض بيننا فقال عمر رضي الله تعالى عنه للمنافق كذلك قال نعم فقال رويدا كما اخرج اليكما فدخل عمر رضي الله عنه البيت فاشتمل على السيف ثم خرج فضرب به المنافق فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت والطاغوت قيل هو كعب بن الاشرف وقيل الطاغوت اسم الكاهن وقيل الطاغوت الكافر والطاغوت هو كل معبود دون الله تعالى وعلى هذا التاويل خرج قوله سبحانه وتعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله اي جاء اهل النفاق يحلفون بالله انا لم نرد بالتحاكم الى ذلك الا

وتوفيقا وفى الاية دلالة اثبات رسولة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله سبحانه وتعالى يريدون ان يتحاكموا قصدوا ان يتحاكموا بعد اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فعلموا انه انما علم ذلك بالله لكنهم لشدة تعنتهم وتمردهم لم يتبعوه وقوله عز وجل وقد امروا ان يكفروا به اى امروا ان يكفروا بالطاغوت كقوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وقوله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اى يزين لهم الشيطان ليضلوا ضلالا بعيدا اى لا يعودون الى الهدى ابدا فيه اخبار انهم يموتون على ذلك فكذلك كان وهو فى موضع الاياس عن الهدى وقيل بعيدا عن الحق وقيل طويلا وهو واحد وقوله عز وجل اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اى اذا قيل لهم تعالوا الى حكم ما انزل الله فى كتابه والى الرسول اولى امر الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته رايت المنافقين يصدون عنك صدودا والصدود هو الاعراض فى اللغة والصد الصرف وقال الكسائى يقرا يصدون بكسر الصاد ويصدون بضم الصاد وفى حرف حفصة واذا دعوت الكافرين والمنافقين الى ما انزل الله رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا يحتمل هذا ما ذكر فى القصة الاولى ان عمر رضى الله تعالى عنه لما قتل ذلك الرجل المنافق جاء المنافقون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحلفون بالله ما اراد ذلك الرجل الا احسانا اى تخفيفا وتيسيرا عليك ليرفع عنك المؤنة وتوفيقا الى الخير والصواب وقيل نزلت فى المنافقين فى بناء مسجد ضرار كقوله سبحانه وتعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ويحتمل قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا الاية فى كل مصيبة تصيبهم وكل نكبة تلحقهم انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتذرون كما يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله تعالى من اخباركم الاية لانهم كانوا يميلون الى حيث ما كانوا يطمعون من المنافع من الغنيمة وغيرها ان راوا النكبة والدبرة على المؤمنين مالوا الى هؤلاء ويظهرون الموافقة لهم طمعا منهم ويقولون انا معكم وان كانت النكبة والدبرة على الكافرين يظهرون الموافقة لهم كقوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين هذا كان دابهم دعاويهم ابدا وقوله تعالى عز وجل ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل فيه بوجوه قيل الا تخفيفا وتيسيرا عليك وقيل قالوا تحاكمنا اليه على انه ان وفق والا رجعنا اليك وفيه دلالة بطلان تحكم الكاهن والتحاكم اليه وذلك حجة لاصحابنا رحمهم الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق والخلاف فى غير ما حلفوا فاعرض عنهم ولا تعاقبهم فى هذه المرة وقل لهم ان فعلتم مثل هذا ثانية عاقبتكم ويحتمل ان يكون على الوعيد اى لا تعاقبهم فان الله تعالى عز وجل هو معاقبهم وقوله تعالى ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل اى تخفيفا وتيسيرا عليك على انه ان وفق للصواب والا رجعنا اليك احسانا توفيقا لما نقل التحاكم اليهم يحملهم على الرجوع الى دين الاسلام وقيل احسانا يحسنون الينا ويبروننا بفضول اموالهم وقيل توفيقا بفضول اموالهم وقيل توفيقا اى صوابا وقوله عز وجل وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا قيل اوعدهم وعيدا حتى اذا الى مثله يعاقبون وقيل الزمهم الحجة فى ذلك وابلغها اليهم حتى اذا عادوا عاقبتهم وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاية يحتمل قوله تعالى باذن الله وجوها قيل ليطاع باذن الله اى بمشية الله وقيل ليطاع باذن الله اى بامر الله وقيل ليطاع باذن الله اى بعلم الله ومن قال باذن الله بمشية الله اى من اطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انما يطيعه بمشية وكذلك من عصاه انما يعصيه بمشية من اطاعه او عصاه فانما ذلك كله بمشية الله وما تاول الا باذن الله العلم يقول انه يعلم من يطيعه ومن يعصيه اى كل ذلك انما يكون بعلمه لا عن غفلة منه وسهو كصنيع ملوك الارض انما يستقبلهم من العصيان والخلاف انما يستقبلهم منهم وسهو بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى اذ بعث رسلا بعث على علم منه بالطاعة لهم وبالمعصية لكنه بعثهم لما لا ينفعه طاعة احد ولا يضره معصية احد فانما ضر ذلك عليهم ونفعهم لهم ثم قالت المعتزلة فى قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اخبر انه ما ارسل الرسل الا ليطاع ومن الرسل من لم يطع كيف لا يجوز ان من الفعل ما قد اراد عز وجل ان يفعل وان يكون ولكن لم يكن على ما اخبر انه ما ارسل الرسول من رسول الا ليطاع ثم من قد كان من الرسول ولم يطع قيل هو ما ذكر فى اخره الا ليطاع باذن الله ان بمشية الله فمن شاء من الرسول ان يطاع فقد اطيع ومن شاء ان لا يطاع فلم يطع وكذلك من علم انه يطاع فارسله ليطاع فاطيع ومن علم انه لا يطاع فلم يطع ومن ارسل ان يطاع بامر الله ليكون عليه الامر فذلك مستقيم ومن ارسل ليطاع بالكل فلا يجوز ان لا يطاع وقوله ايضا ليطاع باذن الله قيل فيه بامر الله وقد مر بيانه وقيل ليطاع بمشية الله فيطيعه كل من شاء الله يعلم الله فهو فيمن يعلم انه يطيعه اذ لا يجوز ان يعلم الطاعة ممن لا يكون والمعتزلة فى هذا انه اخبر ارسل ليطاع ولم يعطه الكل ما يجد ان يكون اراد ليطاع وان كان لا يطيعه الكل فقلنا اذا قال ليطاع باذن الله والاذن يتوجه الى ما ذكرت فعلى ما ذكرت كان ليطاع ممن يطيعه لا غير فحصل الامر على الدعوى وهو كقوله سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ومعلوم ان الصغار منهم لا يعبدون فخرج الجزاء الى الخصوص بالوجود لان كان فى كل امر فعلى ذلك امر الارادة فيمن وجد

لان فى كل على انه فيه يعلم وهو يرجع الى بعض دون الكل فتاويله الاذن على ارادة المشية والله اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اى علموا ان حاصل ظلمهم راجع اليهم لان الظلم هو وضع الشيء فى غير موضعه وهم وضعوا انفسهم فى غير موضعها فانهم لم يعرفوا انفسهم لم يعرفوا خالقها وقوله عز وجل جاؤك فاستغفروا الله اى جاؤك مسلمين تائبين عن التحاكم الى غيرك راضين بقضائك نادمين على ما كان منهم واستغفر لهم الله الرسول ان تشفع لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اى قابلا لتوبتهم وقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون قيل قوله فلا صلة وكذلك فى كل قسم اقسم به كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد ولا اقسم بيوم القيامة ونحوه كله صلة كانه قال اقسم وربك لا يؤمنون وقيل قوله فلا وربك ليس هو على الصلة ولكن يقال ذلك على نفى ما تقدم من الكلام وانكاره كقول الرجل لا والله هو ابتداء الكلام ولكن على نفى ما تقدم من الكلام ولكن نعلى ذلك هذا وفيه دلالة تفضيل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر لان الاضافة اذا خرجت الى واحد تخرج التعظيم لذلك الواحد والتخصيص له واذا كانت الى جماعة افضيها الذكقوله وان المساجد لله وقوله له ما فى السموات والارض ونحوه وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكما وان لم يحكموه ليس معناه والله اعلم حتى يحكموك فيما شجر بينهم او حتى يرضوا بحكمك وقضائك وقوله عز وجل فيما شجر بينهم اى اختلفوا بينهم وتنازعوا وقوله عز وجل ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت قيل ضيقا وقيل شكا مما قضيت بينهم انه حق وقيل اثما ثم فى الاية ان الايمان يكون بالقلب لانه قال تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم اى فى قلوبهم الا ترى انه قال الله تعالى فى اية اخرى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ذكر ضيق الانفس وهو واحد الا ترى انه قال الله عز وجل فى اية اخرى ولم تؤمن قلوبهم فهذه الايات ترد على الكرامية قولهم لانه قال تعالى لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم وهم يقولون بل يؤمنون فيقال لهم انتم اعلم ام الله ثم قيل ان الاية نزلت فى اليهودى والمنافق الذى تنازعا فتحاكما الى الطاغوت وقيل نزلت فى شان رجل من الانصار والزبير بن العوام كان بينهما تشاجر فى الماء فارتفعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الزبير اسق ثم ارسل الماء الى جارك فغضب ذلك الرجل فنزلت الاية فلا وربك لا يؤمنون الاية ولا ندرى كيف كانت القصة وفيم كانت ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاخبار انه قال لا يؤمن احد حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده وماله والناس اجمعين وقيل فى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم اى فى قلوبهم حرجا اى شكا مما قضيت انه هو الحق ويسلموا القضائك لهم وعليهم تسليما وفى قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع قيل تاويله انه ما ارسل رسولا فى الامم السالفة الا ليطيعوه فكيف تركتم انتم طاعة الرسول الذى ارسل اليكم وقوله تعالى الا ليطاع باذن الله ما ارسل الله رسولا الا وقد امرهم ان يطيعوه لكن منهم من قد اطاعه ومنهم من لم يطع وقوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم الاية قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لو كتب علينا نزلت يا رسول الله لبدات بنفسى واهل بيتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الفضل بيقينك على يقين الناس وايمانك على ايمان الناس وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رجل من الانصار والله لو كتب علينا لقتلنا انفسنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده للايمان اثبت فى صدور الرجال من الانصار من الجبال الرواسى قيل ولو انا كتبنا عليهم الاية هم يهود نعتابه العرب كما امر اصحاب موسى عليه السلام وقيل قال عمر رضى الله عنه وتفرعنه والله لو فعل ربنا لفعلنا فالحمد لله الذى لم يجعل بنا ذلك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان اثبت فى قلوب المؤمنين من الجبال الرواسى ثم اختلف فى قتل الانفس قيل بعضهم هو ان يقتل كل نفسه وقال اخرون هو ان يقتل بعض بعضا واما قتل كل نفسه فانه لا يحتمل لوجهين احدهما وذلك انه عبادة ستريرة مما لا يحتمل كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اخبر انه لا يكلف ما لا طاقة له والثانى ان فيه قطع النسل وحصول الخلق للافناء خاصة وذلك مما لا حكمة فى خلق الخلق للافناء خاصة وقوله عز وجل ما فعلوه الا قليل منهم قيل هو عبد الله بن مسعود وعمار وفلان وفلان رضى الله عنهم ولا نزل ايجاما لا ولو كان قوله تعالى ان اقتلوا انفسكم قيل بعض بعضا فذلك مما امروا به بمجاهدة العدو والاخراج من المنزل والهجرة ثم اخبر انهم لا يفعلون ذلك الا قليل منهم وقوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم يحتمل هذا وجهين لو فعلوا ما يؤمرون به من الاسلام والطاعة لكان خيرا لهم ذلك ويحتمل لو انهم فعلوا ما يؤمرون به من القتل لو كتب عليهم لكان خيرا لهم فى الاخرة واشد تثبيتا قيل حقيقة وقيل تحقيقا فى الدنيا وقيل ما يوعظون به من القران لكان خيرا فى دينهم واشد تثبيتا يعنى تصديقا بامر الله وقوله عز وجل واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما يحتمل وجهين الاجر العظيم فى الاخرة ويحتمل فى الدنيا كقوله فسنيسره لليسرى وقوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية قيل فى بعض القصة ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبكى ثم قال والذى لا اله غيره لانت احب الى من نفسى وولدى واهلى وانى لاذكرك فلولا انى اجيء فانظر اليك لرايت انى سأموت وذكرت موتى وموتك ومنزلك فى الجنة ترفع مع النبيين فانى وان دخلت الجنة كنت دون ذلك وذكرت فراقى اياك عند الموت فبكيت لذلك فما اجاب النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على بعض اصحابه فراى وجوههم كابة وجزعا قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما لكم وما غير وجوهكم ولونكم فقالوا يا رسول الله

ما بنا من فرض ولا وجع غير انا اذا لم نرك ولم نلقك اشتقنا اليك واستوحشنا وحشة شديدة حتى نلقاك فهذا الذي نرى
من اجل ذلك ونذكر الاخرة فنخاف ان لا نراك هناك فانزل الله تعالى الاية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين الاية ويحتمل ان لم يكن في واحد من ذلك ولكن في وجوه اخر احدها ان اليهود وغيرهم من الكفرة والذين اذوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وفرطوا في تعنتهم وعردهم في ترك اجابتهم اياه وطاعتهم له ظنوا انهم وان اسلموا واطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبل
ذلك منهم توبتهم ولم ينزلوا منزلة من لم يؤذه ولم يترك طاعته فاخبر عزوجل انه اذا اطاع الله والرسول فيكون مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كان لم يترك طاعته ابدا والله اعلم كما قال الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان
يكون ذلك لما سمعوا ان لكل احد في الجنة مثل الدنيا فظنوا ان لا يكون لهم الاجتماع والالتقاء لبعد بعضهم من بعض فاخبر عزوجل ان يكون
لهم الاجتماع لان ذلك لهم في الدنيا من اعظم النعم واجلها ويحتمل ان يكون على الابتداء ان من اطاع الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم يكون
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار واحد لا يكونون في غيرها فهذه الوجوه كانها اشبه
والله اعلم اذ هم بالطاعة اجابوا والله اعلم ثم اختلف في الصديقين قال بعضهم اتباع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وخلفاؤهم في كل
امر من التعليم والدعاء لهم الى كل خير وطاعة وقيل الصديق هو الذي يصدق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في اول دعوة دعاه الى دين الله
تعالى وفي اول ما عاينه وقوله عزوجل والشهداء قيل الشهيد الذي قتل في سبيل الله وقيل الشهيد هو القائم ببينه وقيل الصديق والشهيد و
والصالحين كله واحد وقوله عزوجل ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما دلت الاية على ان الجزاء افضال من الله تعالى اذ قد سبق
من عنده الانعام والافضال عليهم فيخرج طاعتهم لهم مخرج الشكر لما ان عليهم ذلك الانعام الذي انعم عليهم فضل من الله ويحتمل قوله ذلك
الفضل من الله اي ما احسن من الرفعة بينهم فذلك فضل منه والاية ترد على اصحاب الاصلح لان تلك الافعال انما صارت قربة لله بانعام
من الله وافضاله وتوفيقه وبه استوجبوا الثواب وقوله تعالى ايضا ذلك الفضل من الله بعد العلم بان الفضل هو بذل ما لم يكن عليه و
بذل ما عليه وهو الوفاء لا الفضل في متعارف اللسان والمعتاد ثم لا يخلو من ان يرجع منه الى الخيرات التي اكتسبوها فيبطل به قول المعتزلة
بما لا يخلو من ان كان منه ذلك الفضل او مثله الى الكافر اولى فان كان منه لم يكن للامتنان منه بالذي كان منه وجه يستحقه وقد
كان منه الى غيره فلم ينل تلك الدرجة ولا يبلغ تلك الرتبة فبان انه لا بد لذلك بلغ من بلغ فيكون منه فيما لم يكن وايضا انه لو لم يكن معه
ذلك عنهم لم يكن البذل افضالا لما ذكرت ثبت انه ليس الحق عليه كل ما به الاصلح في الدين لما بين معنى الفضل وان لم يكن اعطاء الكافر
مثله فهو عندهم محاباة منه على المؤمن وقد منع بعض ما عليه في الاصلح وذلك عندهم بخل جل الله عما وصفوه وان كان ذلك في الثواب
دل ان له ان يثبت حتى يصير ما اثاب عليه فضلا ولا يحتمل ان لا يرضى بطاعة العبد واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فثبت ان الثواب
هو المراد والله الموفق وقوله عزوجل وكفى بالله عليما قيل عليما بالاخرة وثوابها وقيل وكفى بالله عليما بما وعد من الخير في الاخرة
لهؤلاء الاصناف وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الصديقون هم الذين ادركوا الرسل عليهم الصلوة والسلام وصدقوهم وعن
ابي ذر رضي الله عنه قال الصديقون هم الذين المؤمنون وقيل الصديقون هم السابقون الذين سبقوا الى تصديق النبيين انعم الله عليهم
بالتصديق والشهداء هم الذين انعم الله عليهم بالشهادة والصالحين هم المؤمنون اهل الجنة وقوله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل
خذوا عدتكم من السلاح وقيل قوله خذوا حذركم من جميع ما يحترس به العدو كقوله سبحانه وتعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية
وقوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة امر الله عزوجل بالاعداد للعدو والاعداد له واذا لا يوكل الامر في ذلك الى الله
دون الاعداد للعدو قبل لقائه وان كان يقدر نصر اوليائه وقهر عدوه من غير الامر بالقتال معهم اذ في ذلك محنة امتحنهم بها فعلى
ذلك امرهم بالاعداد للعدو واخذ الحذر لهم وذلك اسباب تعد قبل لقائهم اياه وفيه دلالة تعلم اداب الحرب قبل لقاء العدو ليحترز منه
وفيه دلالة اباحة الكسب لانه فرض عليهم الجهاد وامر بالاعداد له ليحترس من العدو ولا يوصل الى ذلك الا بالكسب والله اعلم وفي قوله
ايضا يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم اي ما تحذرون به عدوكم وما تحذرون ثم وجوه منها الاسلحة ومنها البنيان ومنها النكاد عند الالتقاء
والثبات وذكر الله عزوجل كما قال فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي هذا امر بالاعداد للعدو قبل اللقا وايد ذلك قوله عزوجل ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له عدة وكذلك قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فيكون الامر بالاعداد وقيل وقت الحاجة دليل جواز الكسب
لحاجات تحدث وان الاستعداد لحاجات ليس برغبة في الدنيا اذ لم يكن الاعداد فشلا ولا ترك التوكل على ان الجوع وحاجات النفس
تعين وتلقى العدو ولا حول ولا قوة الا بالله وقوله عزوجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا قيل الثبات هو السرايا او انفروا جميعا
يعني عسكرا وقيل ثبات يعني فرقا او انفروا جميعا مجموعا وقيل انفروا ثبات اي عصبا او انفروا جميعا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
نحوا وقيل الثبات الاثبات والبينة في كلام العرب الجمع الكثير ومعناه انفروا كثيرا وقليلا وفي ذلك دلالة الامر بالخروج الى العدو
فرادى وجماعة وفرقا وجماعة والله اعلم وقوله عزوجل فانفروا ثبات اي اذا استنفرتم فانفروا ذلك وقوله عزوجل فانفروا ثبات
او انفروا جميعا ومعلوم ان عليهم الدفع فيحتمل ان يكون قوله تعالى انفروا اذا او ذا اي على ما استنفرتم من جميع او بعض فيكون في
ذلك دلالة قيام البعض عن الكل على غير الاشارة الى ذلك وقد يجب فرض مجهول على كل القيام حتى يعلم الكفاية بمن خرج وهذا كفرض

يعرف

بحرف لا يعرف بعينها او بمرات تظهر لا نعرف الحرم بعينه فعلى من حرم عليه الابتداء والقيام بجميع الفرايض ان يخرج عما عليه من
انا غلب عليهم فاذا بدا الكفاية بمن خرج سقط عن الباقين ولو لم يكن يسقط لم يكن للامام استثناء البعض يدل على ذلك فلولا نفر
من كل فرقة الاية وقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار واصله انه فرض ولعله لا يجوز نفاده وعدد ذات العلة علان خروج الجميع
من جهة ابداء العورة من جهات فلذلك يحتمل تكليف لخروج الجميع من جهة استنفرتم والله اعلم وقوله عزوجل وان منكم
لمن ليبطئن قوله منكم يحتمل وجوها يحتمل في الظاهر منكم ويحتمل في الحكم منكم ويحتمل في الدعوى انهم كانوا يدعون انهم منا
يظهرون الموافقة للمؤمنين وان كانوا في الحقيقة ... وقوله تعالى ليبطئن قيل ان المنافقين كانوا يبطئون الناس عن الجهاد
ويخذلونهم كقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا كانوا يسرون ذلك و
يعينونه فاطلع الله عزوجل نبيه على ذلك بتعليمه اياه ان ذلك بالله تعالى وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله عزوجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم و
بينه مودة وهذا على التقديم والتأخير ويخرج اذا اصابتهم مصيبة كان لم يكن بينكم وبينه مودة لانه كان بينه وبين
الخروج اذا اصابته نكبة يحزن عليه ... هؤلاء المنافقون اذا اصابت المؤمنين نكبة يسرون بذلك ولا
يحزنون كان لم يكن بينهم مودة ولا صحبة وقوله عزوجل ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن ... الغنيمة والفتح يقولون يا ليتني كنت
معهم فافوز فوزا عظيما اي ياخذ من الغنيمة نصيبا وافرا وقوله عزوجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا هذا اهل التكذيب الثبات ولئن اصابكم فضل من الله الاية هو قول الحاسد وهو قول قتادة وقول قتادة ... وقوله
تعالى وان منكم لمن ليبطئن يعني ليتخلفن عن اليقين فان اصابتكم مصيبة يعني شدة وبلاء من العيش والعدو قال قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا فيصيبني ما اصابهم كان لم يكن بينكم وبينه مودة وقوله عزوجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا دل ان
فرض الجهاد فرض كفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين لانه قال انفروا ثبات او انفروا جميعا امر بنفير الثبات فلو كان لا يسقط
بقيامهم عن الباقين لم يكن للامر به معنى وتاويله والله اعلم اذا قيل لكم انفروا فانفروا ثبات او انفروا جميعا وقوله عزوجل
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة كانه والله اعلم نهي المنافقين بالخروج الى الغزو كقوله تعالى فان رجعك
الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وامر المؤمنين ان يخرجوا لذلك لانه قال الله تعالى فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة والمؤمنون هم الذين يشرون الحيوة الدنيا وقوله عزوجل في سبيل الله قيل في اظهار
دين الله وقيل في طاعة الله تعالى ونصر اوليائه وقوله عزوجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
في الاية دلالة ان بذل نفسه وماله لله تعالى غاية ما يجب ان يبذل استوجب العوض قبله وان لم يتلف نفسه فيه ولا احدث
لانه قال عزوجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب جعل لمن يتلف نفسه فيه الثواب والعوض الذي يتلف نفسه فيه و
كذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
يجعل لمن قتل ولم يقتل فيه العوض فهذا يدل على مسائل الناس من ذلك ان المراة اذا سلمت نفسها الى زوجها في الوقت الذي كان
عليها التسليم استوجبت كمال الصداق وان لم يقبض الزوج منها ومن ذلك البائع ايضا اذا سلم المبيع الى المشتري كان مسلما وان لم
يقبض المشتري وكذلك من صلى صلوة الظهر في منزله ثم خرج الى الجمعة يصير رافضا للظهر لان عليه الخروج اليها فيصير بالخروج
اليها كالمباشر لها وان لم يباشر على سبيل ما جعل الباذل لنفسه لله عزوجل والمسلم اليه كانها اخذت منه في استيجاب العوض الذي
وعد له فعلى ذلك يجب ان يجعل تسليم ما ذكرنا الى المحق كاخذ المحق منه وان لم ياخذ وليس كالقيام الى الخامسة ولا كالمتوجه الى
عرفات قبل فراغه من العمرة لان هؤلاء الفراغ مما كان فيه ثم التوجه الى عرفات والقيام الى الخامسة لم يصح ذلك واما المراة والبائع
ومؤدي الظهر في منزله عليهم التسليم والبذل لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وفي الاية ان الله تعالى عامل عباده معاملة اهل الفضل
والاحسان كان لا حق له لا معاملة ذي الحق وان كانت الانفس والاموال كلها له في الحقيقة حيث فرض عليهم الجهاد وجعل لهم بذلك
عوضا كقوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال الله عزوجل في اية اخرى ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم من المؤمنين كانها من لا حق له فيها وهي له في الحقيقة ووعد لهم على ذلك عوضا واجرا عظيما وقوله
تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الاية مثل هذا لا يقال الا
لتفريط سبق منهم ثم لم يزل اسم الايمان منهم بذلك وما كان الجهاد فرضا عليهم فهذا ينقض على من يخرج مرتكب الكبيرة من الايمان
وقوله تعالى ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما لكم
لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين وكذلك روي عن الكسائي وفيه دلالة ان على المسلمين ان يستنقذوا الاسارى من ايدي
الكفرة الا اسر وابا في وجه ما قدروا عليه بالاموال والقتال وغير ذلك وذلك فرض عليهم وحق ان لا يتركوهم في ايديهم
لانه قال الله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من

القرية الاية وفي الاية دلالة ان اسلام الصغار اسلام وكفرهم كفر اذا عقلوا لانه قال الله تعالى والولدان الذين والكبار من
الرجال والنساء لا يسمون ولدانا انما يسمون الصغار منهم لانه عاتبهم بتركهم في ايدي الكفرة فلو كانوا اولاد الكفرة لم يكن للتعيير
والعتاب وجه بتركهم في ايديهم اذ لم يعاتبوا بترك ولدان الكفرة في ايديهم فدل انه انما لحقهم العتاب لاسلامهم وكذلك قوله
تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم الاية ثم استثنى المستضعفين فقال عز وجل الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة فلو لم يكن اسلام الولدان اسلاما ولا كفرهم كفرا لم يكن لاستثنائهم من اولئك معنى
واخراجهم من الوعيد الذي ذكر معنى والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اخرجنا من هذه القرية سالوا الله عز وجل ان يخرجهم من
القرية وهم علموا انه لا يتولى نحو السماء ولكن على ايدي قوم بعينهم على ذلك وهم علموا ان الله تعالى في ذلك صنعا والمعتزلة لم
يعلموا وذلك ينقض قولهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل الظالم اهلها كل ظالم منعهم عن الخروج الى دار الاسلام والهجرة هم
وقوله عز وجل واجعل لنا من لدنك وليا في ديننا ونصيرا يمنعنا عن المشركين ويقال مانعا يمنع عنا المشركين وقد ذكرنا
الولي والنصير في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله ذكرنا الذي يامر خلقه بالسلوك
فيه وقوله عز وجل والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت قال ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت هو الشيطان
في هذا الموضع لانه هو الذي يامر بالسلوك في سبيله وفي الاية دلالة ان لا يامر الكفار بالجهاد ولا بالصلوة ولا بالزكوة
ولا بغيرها من العبادات لانه اخبر انهم لو قاتلوا انما يقاتلون في سبيل الشيطان وكذلك لو صلوا صلوا له وكذلك سائر
العبادات ولكن يامرون اولا بالايمان ما لو فعلوا من العبادات كانت في سبيل الله وهو الايمان وهذا ينقض قول من يقول ان
الكافر مامور مكلف بالصلوة والزكوة وغيرهما من العبادات والله اعلم وقوله عز وجل فقاتلوا اولياء الشيطان
هذا يدل على ان الطاغوت هو الشيطان ههنا وكل ما عبد دون الله فهو طاغوت وقوله عز وجل ان كيد الشيطان كان
ضعيفا يحتمل قوله ان كيد اولياء الشيطان كان ضعيفا اذ كان الله ناصركم كقوله سبحانه وتعالى ان ينصركم الله فلا
غالب لكم ويحتمل ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه لا يعمل سوى الدعاء والامر بدعوهم الى سبيله فذلك لضعفه لا يباشر
القتال ولا الضرر انما هو اشارة منه ودعاء كقوله سبحانه وتعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
وقوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال الاية اختلف فيه
قيل نزلت الاية في بني اسرائيل وهي الاية التي ذكرها الله تعالى في سورة البقرة الم تر الى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى الى
قوله فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقيل انها نزلت في المؤمنين من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال كفار مكة شر الكرة ما يلقون من الاذى منهم فنزل قوله تعالى كفوا ايديكم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي لم تومروا بالقتال فنهاهم عن ذلك فلما كتب عليهم القتال وامروا به كرهوا ذلك فدل قوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الاية وقيل انها نزلت في المنافقين الذين كانوا يقاتلون مع
النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل يخشون الناس كخشية الله اي يخشون الناس يعني المنافقين كخشية المؤمنين الله
او اشد خشية كقوله سبحانه وتعالى يحبونهم كحب المؤمنين الله او اشد حبا وان كانت في المؤمنين فتاويله يخشون الناس في
القتال كخشية الله في الموت او اشد خشية لانه اهيب واسرع نفاذا والله اعلم وقوله عز وجل ايضا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
الاية يحتمل في ذلك فهم منه جعله خبرا عن امر بني اسرائيل الذين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا الاية انهم امروا بالكف عن مقاتلة
تمنوا الاذن في ذلك وسالوا نبيهم عليه السلام عن ذلك ثم فيهم من اعرض عن الطاعة وقد كان اهل الايمان يتمنون الاذن
في ذلك كقوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت فوعظوا من ذكرت ليقبلوا العافية ولا يتمنوا المحنة فيها شرع فيهم في
بعثا اولئك وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا لقاء العدو وسالوا ربكم العافية واذا لقيتموهم فثبتوا
في وجوههم او كان في علم الله سبحانه وتعالى ان يامرهم فاخبر وابا الذين قتلوا وحل بهم ليلا يفعلوا مثل فعلهم والله اعلم ولو
خشيتهم كخشية الله كقوله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده الى تمام القصة وقد قيل الاية نزلت فيما سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجيبوا في ذلك ثم خاطبهم الذي ذكر لكن اختلف في ذلك فمنهم من يقول كان ذلك في المصدقين لكن اشتد
عليهم الامر وذلك نحو ما كان منهم يوم حنين واحد ونحو ذلك حتى اغاثهم الله تعالى وفرج عنهم بمنه وعلى ذلك قوله
تعالى ولقد كنتم تمنون الموت اي ما فيه الموت من الجهاد وعلى ذلك يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية فلما عاينوا
الذي فيه هلاكهم ويبلغ عند ذلك الخشية غايتها نحو قرب الموت وشدة المرض يكون المرء يخشى منه الموت ما لا يخشى لولا
تلك الحال لانه يرى الموت من المرض وان كان الذي يظهر عليه من خشية الموت في تلك الحال اشد فهو في الحقيقة خشية
من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سبب الموت وانه حضره وقرب منه فيكون في ظاهر الامر كمن يخشى حتى تلك الاحوال وقد جعل

لما جاء على

لما جاء على الخلق في مثله معروف في مثل ما يتخوف ان المريض بعد الموت لما يغلب عليه لا اياس من حيوته وان كان الذي يصيبه شيئا من
عليه احواله تعلق في ذلك تمام الاول وعلى ذلك فيما يطلع عليه الخلق من طمانينة القلب عند من اسباب الرزق والقدرة عليه ما لم يكن
في غيرها وان كان من يجب قدره الله تعالى واحد فكذلك ذلك الخشية جبلية طبيعية لا اختيارية ويحط بحكم الرتب وهو الذي
جاز قوله تعالى عليكم القتال وهو كره لكم الاية وقوله على ذلك ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب يحتمل وجهين احدهما
الخبر عن اما في طباعهم كما قال عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وانما ذلك على التبجح
كالسائل عن ذلك وربما يضيفون القول والسؤال على اعتياد الاحوال الى ما لا يطيق له تعلى ذلك هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قولا منهم عن
وجه الحكمة لهم بالامر فيما علم انهم يبلغون بالقتل والجبن الى حال لا ينتفعون بالعد ولا يملكون انفسهم في ذلك الوقت فاخبر الله عز وجل ان
الذين حملهم على ذلك رغبتهم في التمتع بالدنيا ولو سرور متاع الاخرة في قلوبهم ليذهب عنهم ذلك ويثبتون للعدو ولا ينالون العدو
بما يحل ولا يخشون لذلك وكانه وعدهم ان متاع الاخرة لكم على هذا الفعل لو صبرتم خير لكم وما وعدكم عليه خير من متاع الدنيا وايضا ان
يقال ان هذا وان اعظم هوله على الطبع فانه اذا كان لله بحق العبادة هو ايسر واهون من الموت على صاحبه اذا حضره اذ يريهم الله متاع الاخرة
او بعض ما فيه الكرامة فيصير ذلك متاع الاخرة لهم وقت الموت فهو خير من تمتعهم في الدنيا ثم الموت ولا ذلك منه كما قيل في تاويل قوله عليه
الصلوة والسلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ان المؤمن يرى ما له من الكرامة فيحب الموت ان يعجل به
ليصل الى ذلك والكافر يرى سخط ربه فيكرهه وعلى هذا تاويل القول في الدنيا انها سجن المؤمن وجنة الكافر ان يكون كذلك في ذلك الوقت والله
اعلم وتاويل اخر ان تكون الاية في المنافقين انه يظهر وقت النفاق المحنة بالجهاد دون غيره من العبادات قال الله تعالى ويقول الذين امنوا
لولا نزلت سورة الاية بين ما نزل بالمنافقين وكذلك قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم الايات والله اعلم فيمن نزلت الاية لكنها معلوم ان
فيها ترغيبا فيما عند الله وتزهيدا في الدنيا ودعاء الى الرضى بحكم الله تعالى فيما خف وثقل والله المستعان وعلى التاويل الاخر جميع ما ذكر
ظاهر في المنافقين مذكور ذلك في الايات التي ذكرناها وفيهم قال الله تعالى لن ينفعكم الفرار الاية وغير ذلك مما دل على انكارهم وفضل
خوفهم في ذلك والله اعلم فان قال قائل كيف قال الله تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقد هلك به اكثر البشر قيل قد يخرج على
وجوه والله اعلم احدها انه يضعف كيده على من يعوذ بالله تعالى كقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وانما يقوى على
من يجيح له ومال الى ما دعاه اليه كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان الاية الى قوله تعالى ثم لا يقصرون
والثاني انه يكون ضعيفا على المتبل على ربه والتاكل له في احواله والمفوض امره الى ربه فاما من تولاه واقبل على اشارته فهو الذي جعل له
السلطان على نفسه بما اثره في شهواته ومال به هواه وهو كقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا الاية وقد سماه الله تعالى الوسواس
الخناس بما يخنس بذكر الله تعالى ويوسوس عند الغفلة عن الله فكان سلطانه به والله الموفق والثالث انه لا يملك الجبر والقهر ولا
اكتساب الضرر في الابدان والاموال فهو ضعيف والله اعلم والرابع ان يكون كان ضعيفا الى ما صار ضعيفا عند نصر الله ومعونته
والله اعلم ويحتمل كان ضعيفا الوظ حتى يعلم انه شيطان لكم قوي بالايهام الغرور وانه كيره وتغريره والله اعلم وقوله عز وجل
ربنا لم كتبت علينا القتال قيل في حرف حفصة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فلما كتب عليهم القتال
اذا هم يخشون الناس كخشية الله كان في الاية اضمار يبين ذلك حرف حفصة والا لم يكن في ظاهر الاية خبر حتى يكون قوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الاية جوابا له وقوله عز وجل ربنا لم كتبت علينا القتال فان كانت الاية في المنافقين فهو على
الانكار له لذلك وان كانت في المؤمنين فهو يخرج على طلب الحكمة في فرض القتال علينا وقد يطلب الحكمة في الاشياء ولا عيب يدخل في
ذلك واصله ان كل امر في الظاهر من نوع فذلك سؤال له في الحقيقة لا امر فيخرج سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له ومن امر من دونه فهو
في الحقيقة ليس بسؤال فهو يخرج على الامر والنهي وهو الامر الظاهر في الناس وقوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه والله اعلم انا لم
نخلقكم للدنيا والمتاع فيها انما خلقناكم للاخرة والمقام فيها فلو خلقناكم للدنيا ثم كتب عليكم القتال لكان ذلك عبثا خارجا عن الحكمة
ولكن خلقناكم للاخرة والمقام فيها ويحتمل فيها قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال الى اخره ان لم يقولوا ذلك قولا ولكن كان ذلك خطر في قلوبهم فاخبرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم عما اضمروا ليعلموا انه انما عرف
ذلك بالله تعالى عز وجل ليدلهم على نبوته ورسالته وقوله عز وجل لولا اخرتنا الى اجل قريب فنموت حتف انفنا ولا نقتل قتلا نيسر بنا
الاعداء ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وفي القتل فتنة وقوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انهم
لم يخلقوا للمتاع الدنيا ولكن انما خلقوا للمتاع الاخرة والثاني قليل من متاع الاخرة كقوله سبحانه وتعالى وما متاع الحيوة الدنيا في
الاخرة الا قليل كقوله تعالى وما متاع الدنيا في الاخرة الا قليل وكقوله تعالى افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون وقوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى لان متاع الاخرة دائم غير منقطع ومتاع الدنيا زائل منقطع وقوله عز وجل
ولا يظلمون فتيلا قد ذكرناه وقوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة قيل لما استشهد يوم احد قال المنافقون لو كان
اخواننا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الله تبارك وتعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ويحتمل ان يكون جوابا لما سبق من النبي

قوله لو كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب يقول من كتب عليه الموت ينزل به لا محالة قاتل او لم يقاتل وقوله سبحانه وتعالى قل لو
كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الاية ويحتمل ان يكون قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت اذا كان الموت نازلا بكم
لا محالة في القتال انفع لكم اذ تستوجبون بالقتل الثواب الجزيل ولا يكون ذلك لكم اذا متم حتف انفكم والله اعلم وقوله عز وجل في بروج مشيدة
قال القراء المشيدة والمشيد واحد غير ان المشيد بالتشديد فيما يكثر الفعل والمشيد فيما لا يكثر الفعل وقيل المشيد هو المجصص والمشيد المطول
وقال بعضهم بروج مشيدة اي حصينة وقيل قصور محصنة طوال وقوله عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك معلوم انهم لم يريدوا بالحسنة والسيئة حسنة في الدين وسيئة في دينهم ولكن انما ارادوا بالحسنة والسيئة في
الدنيا من المنافع والبلايا والشدائد وذلك انهم ما كانوا يحزنون لما يصيبهم من السيئة في الدين ولا كانوا يفرحون بالحسنة والخير في الدين
ولكن فرحهم بما كانوا يصيبون في الدنيا من الخصب والسعة وحزنهم بما يصيبهم من الضيق والشدة وكانوا يتطيرون برسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وهكذا كان داب الكفرة من قبل كانوا يتطيرون بالانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله عز وجل اخبارا عن قوم موسى
على نبينا وعليه الصلوة والسلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وكقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم
عند الله بل انتم قوم تفتنون وقال الله عز وجل انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فعلى ذلك قولهم وان تصبهم يقولون هذه من
عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك تطيرا منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل قل كل من عند الله اي بتقديره
كان وقضائه فضلا كقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وجزاء كقوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اي بما اصابهم
بشؤم صنيعهم برسل الله عليهم الصلوة والسلام وتكذيبهم اياهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله
عز وجل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وروي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه قال وانا قدرتها عليك يحتمل ان يكون قوله تعالى
ما اصابك من حسنة فمن الله يرجع الى ما ذكرت من السعة والعافية ونحوها وما اصابك من سيئة من البلاء والشدة فمن نفسك
بجناية على الاية التي ذكرت من قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويحتمل ان تكون الاية الاولى في امر الدنيا و
الاخرى في امر الدين اذا اختلفا الاضافة فهذا وانفقت في الاولى اذ الاولى على ما عليه امر المحنة من قوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر
فتنة وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وجعل الله تعالى مختلف
احوال العباد لا منفع لهم في ذلك وكذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر الاية وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الاية والثاني
في حق الافعال فيضاف الى الله ما صلح منها شكرا وحمدا بما انعم الله عليه وذلك قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وقوله صراط
الذين انعمت عليهم وقوله ولكن الله يمن عليكم الاية وقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان الاية وغير ذلك فيضاف اليه بما منه في ذلك من الفضل والنعمة شكرا والثاني زلة وضلالة لا يجوز الاضافة اليه لما
شبه الاعتذار ولا عذر لاحد في ذلك ويقبح في الاضافة وذلك نحو القول بانه رب السموات والارض ولا يقال هو رب الخنازير
والاقذار ونحو ذلك لما يقبح في السمع وان كان من حيث الخلق والتقدير واحدا فتلك امر الافعال والله الموفق ولنفي الاضافة عنه
لا يدل على نفي ان يكون خلقه لما بينا من الاشياء الاضافة اليه كالتخصيص فيقال يا خالق القردة والخنازير ويا اله الاقذار والخبائث
ويا رب الشرور والمصائب وان كان كل ذلك داخلا في اسم الجملة ويحق منه تقديرها وخلقها وكذلك الفواحش والكبائر والله اعلم و
الثاني في الخيرات والاعمال الزاكية قد يضاف اليه لا من وجه التخليق عند الجميع بل عندنا من جهة الافضال بالتوفيق والانشاء وعند
المعتزلة من جهة الامر والترغيب فعلى ذلك نفي الاضافة فيما لم يضف اليه لهذا وايت هذا في قرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وانا
قدرتها عليك قال قائل ذلك لا يقع على الافعال لقوله ما اصابك ولو كان عليها كان يقول ما اصبت ثم كان له جوابان احدهما ان
الاجابة اسم مشترك ما يصيبه هو ويصيب ذلك فسواء لو اضيف اليه او اضيف هو اليه والله اعلم والثاني ان ذلك يخرج الجزاء ايضا اذا
كان على ما يقوله فيكون على ما يصيب من جزاء حسنة او سيئة واذا لم يجعل الله في حسنة فضلا لم يحتمل الاضافة اليه معا قد بينا من اضافة
افعال الخير اليه ودفع الشر لما ليس في فعله من الله افضال عليه به انعام وكان في فعل الخير ذلك لا بالامر والنهي اذ هما يستويان في كل والله اعلم
ثم اوضح ذلك خبر عبد الله فطعن قوم لمخالفة المصحف المعروف قلنا ليس بذي خلاف انما هو بيان المطلق وقد يقبل خبر الاحاد في مثله
والله اعلم وقيل خبر عبد الله من خبر الاحاد ولعله ليس قبل مصحف تروى عنه العامة لا يحتمل التبديل واما خبره عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ لا يجوز اختراع القراءة مرفوع وخبر الفرد فيه يقبل فيما لا اختلاف فيه وان كان فيه تاويل الظاهر والله اعلم وقوله
عز وجل وارسلناك للناس رسولا قيل في حرف حفصة وارسلناك الى الناس رسولا وكفى بالله شهيدا قيل كفى بالله شهيدا اي بانك رسوله
وقيل وكفى بالله شهيدا على ما يضمرون في قلوبهم وقيل فلا شاهد افضل من الله بانك رسوله وفي قوله ايضا وكفى بالله شهيدا وجوه
احدها ان يجحدوا تبليغك في الدنيا او يقولون لم نعلم رسالتك والثاني ان يكون بالايات التي جعلها الله تعالى لرسالتك يحقق و
شهادة الله لك بالرسالة شهيدا لك ومبينا او حجة والثالث ان يكون جعل علم الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وتبليغهم الخبر

اليهم شهادة

اليهم شهادة وكفى بالله شهيدا على ما اضاف بيعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اليه ونصروا وليايته اليه قال الله تعالى او لم يكن لهم
اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ويحتمل شهيدا مبينا او حكما مبينا فمعناه فتبين لهم بالمعاينة ما كان بينه بالدلالة والايات وحكما
فاصلا بين الحق والبطل فيخرج الوجهان جميعا مخرج الاعراض عن المحاجة مما يظهر من العناد والمكابرة وتفويض الامر الى الله والخبار
عن الفراغ مما كان عليه فيهم من حق البلاغ ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ومن يطع الرسول فقد اطاع الله لان الله عز وجل امر بطاعة
الرسول فاذا اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله تعالى لانه اتبع امره الا ترى انه قال عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحق
جعل طاعة الرسول عليه الصلوة والسلام من شرط الايمان بقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية والثاني
ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر بطاعة الله فان اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم وايتمر بامره فقد اطاع الله عز وجل لانه هو الامر بطاعة
الله وبالله التوفيق وقيل لان الرسول صلى الله عليه وسلم يامر بامر الله تعالى لذلك كان طاعته طاعة الله وذكر في بعض الاخبار ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة من احبني فقد احب الله تعالى ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون في ذلك فانزل الله تعالى تصديقا
لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر وان قلت صلاته وصيامه وتلاوة القران ومن عصاه فقد نسي الله تعالى وان
كثرت صيامه وصلوته وتلاوة القران فطاعة الله تعالى انما يكون في اتباع امره والانتهاء عن مناهيه وكذلك حبه انما يكون في اتباع اوامره
ونواهيه كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله ايضا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ظاهر مكشوف
حقيقة انه يطيعه لطاعة الله اذ الامر بطيعه على انه يدعو الى طاعته وطاعته اجابته له بما يطيع الله به وحكمته انه لم يجعل ملك
الطاعة عبادة وان كانت هي لله عبادة ولا يجوز عبادة الرسول فصير الله طاعته عبادة الله تعالى فاعلم ان الطاعة قد يكون
غير مستحقة لاسم العبادة اذ قد يسمى لا من ذلك الوجه وكذلك جاز القول يطاع في الخلق ولا يجوز يعبد والله اعلم وايضا فيه
شهادة له بالعصمة في كل ما دعا اليه وامر به والزام الخلق الشهادة له بالصدق في ذلك والقيام وبه اكد بقوله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره وبقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون الايتين جميعا وذلك الاباء على لزوم طاعته لخوف مخالفة العذاب الاليم
وازال عن الواجد في نفسه من قضائه الحرج الايمان ثم ليست طاعته في فعله خاصة او قول ما يقوله ولكنها بوجهين احدهما
اعتقاد كل فعل وقول على ما عليه عنده من خصوص او عموم او الزام او ادب او اباحة وترغيب والثاني في الوفاء بالذي منه المراد فيه
من ان يفعل كفعله او ينفي ذلك او يستعمله في حق الاباحة او ما اراد من تحله فيه يعرف موقع كل من ذلك بالادلة ولا قوة الا بالله وقيل
من يقول لا يلزم طاعته في ويلزم كلام بهذا الاطلاق لا معنى له وقوله عز وجل فما ارسلناك عليهم حفيظا في اعمالهم وافعالهم فانما
عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم لا تسال عن اعمالهم ولا يسالون عما فعلت والله اعلم ويحتمل قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا يطلع على سرائرهم
انما عليك ان تعاملهم على الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون طاعة قيل ان المنافقين قد اظهروا التصديق لله تعالى ولرسوله
صلى الله عليه وسلم فاذا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله امرك طاعة فمرنا بما شئت نفعله واذا امرهم بامر ونهاهم
عنه خالفوا امره وغيروا ما امرهم ونهاهم فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى الى قوله
تعالى بيت طائفة منهم غير الذي تقول وقوله عز وجل بيت طائفة منهم غير الذي تقول قوله بيت قيل غير ما امرهم به وقيل بيت اي
قدروا بالليل القول والتبييت كل كلام وقول مقدر بالليل مؤلف فيه يقال بيت ومعناه والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا
والله اعلم معنى قوله بيت طائفة منهم غير الذي تقول والاظاهر عن البس على ما قاله اهل التفسير وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله يكتب
ما يبيتون اي الله تعالى يامر باثبات ما يبيتون من القول الكذب والمغير من القول ليلزمهم الحجة لانهم كانوا يسرون ذلك ويضمرونه
لا يظهرونه اظهارا لا يجزيهم جزاء ذلك وقوله عز وجل فاعرض عنهم يحتمل اعراض عنهم ولا تكافهم على هذا ويحتمل اعرض عنهم
ولا تتكلف اظهار سرهم ولا يطلع عليه انما ذلك الى الاطلاعكم على ما يسرون ليعلموا انك انما عرفت ذلك بالله ففيه دلالة اثبات
الرسالة وتوكل على الله وثق بالله ولا تخافهم فان الله تعالى يدفع عنك شرهم وكيدهم ويحتمل وتوكل على الله في جزائهم فان الله هو يتولى
جزاء تكذيبهم اياك والله اعلم وكفى بالله وكيلا فيما ذكرنا اي كفى به مانعا فلا احد امنع منه وقيل وكفى بالله شهيدا بما يبيتون وحافظا و
بعضهم لا يكون التبييت الا بالليل يؤلفون الشيء ويقدرونه بالليل وقوله عز وجل افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لو كان الحكم لظاهر المخرج على ما يقوله قوم لكان القران خرج مختلفا متناقضا لانه قال الله عز وجل في
الاية لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ويقول في اية اخرى انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
كان على ظاهر المخرج فهو مختلف وكذلك قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقال الله عز وجل في اية
اخرى فلا جناح عليهما ان يتراجعا في احديهما حظر وفي الاخرى اباحة فلو كان على ظاهر المخرج والعموم لكان مختلفا ومتناقضا
ويجد اهل الالحاد وضح طعن فيه وليس سبيل الى القول بانه غير منزل من عند الرحمن اذ بر وصفه انه لو كان من عند غير الله تعالى
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية قال عز وجل وانا له لحافظون ثم وجد اكثر
ما فيه الحكم متفرقا الى غير المخرج ومحصلا على غير مجرى اللفظ من العموم والخصوص فدل به ان الحكم لكذلك ولكن لمعنى المودع

فيه والمدرج لا يوصل الى ذلك الا بالتدبر والتفكر فيه والى هذا ندب الله عباده ليتدبروا فيه ليفهموا مضمونه وليعلموا به
ثم يحتمل بعد هذا وجهان احدهما قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي لو كان هذا القران من عند
غير الله لكان لا يوافق بما يخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يخرجهم مخالفا لذلك لان الكهنة الذين كانوا يدعون الخبر عن غيب
لا يخرج خبرهم موافقا بل كان بعضه مخالف لبعض متناقضا فلما خرج هذا ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم من سرايرهم موافقا دل
انه خبر عن الله تعالى والثاني انهم كانوا يقولون ان هذا الا اختلاق وما هذا الا افك مفترى ونحوه فاخبر الله عزوجل انه لو كان من
عند غير الله لكان لا يوافق لما عندهم من الكتب بل كان مختلفا متناقضا فلما خرج هذا القران مستويا موافقا لساير الكتب كقوله
تعالى مصدقا لما معهم ومصدقا لما بين يديه من التوراة دل انه من عند الله نزل ويحتمل وجها اخر وهو ان هذا القران نزل على محمد
صلى الله عليه وسلم في اوقات متفرقة متباعدة على نوازل مختلفة فلو كان من عند غير الله نزل لخرج مختلفا متناقضا بعضه بعضا
لان حكيما من البشر لو تكلم بكلمات في اوقات متباعدة لخرج كلامه متناقضا مختلفا الا ان يستعين بكلام رب العالمين ويعرض
عليه فعند ذلك لا تناقض فلما خرج هذا مع تباعد الاوقات غير مختلف ولا متناقض دل انه من عند الله تعالى نزل وبالله التوفيق
وفيه الاحتجاج على الملحدة حيث قال عزوجل افلا يتدبرون القران الى قوله اختلافا كثيرا فلو وجدوا لاظهروا ذلك وبقوله
تعالى فاتوا بسورة من مثله ولو قدروا على ذلك لاتوا به دل تركهم اتيانهم ذلك انهم لم يقدروا على اتيان مثله ولو وجدوه
مختلفا لاظهروه ولو كان من كلام البشر على ما قالوا لاتوا به لانهم من البشر فظهر انه منزل من عند الله والله الموفق وقوله عزوجل
افلا يتدبرون القران وقوله ليدبروا اياته دلالة بينة على وجهين احدهما ان المقصود منه يدرك بالتأمل والتدبر اذ يجري
الامر والترغيب قبل وقت العمل بل الزم القيام بما يعقل بالتدبر ثم فيه وجهان احدهما ان الامر ليس على مخرج الكلام عند اهل اللسان تدرك
ولا على حق الاية في اللغة او حق مثله ان يرغب في معرفة الموقع عند اهل اللسان من المخرج وبوجه اليه لا يدبر فيه والله اعلم ويعلم
ايضا ان التدبر فيه حظ الحكماء واهل البصر لا حظ العوام وما يعرف من حيث اللسان فهو حظ الفريقين ثبتان على العوام اتباع
الخواص فيما فهموا والاقتداء بهم والله اعلم والثاني انه جعل وجه معرفة الاختلاف والاتفاق بالتدبر فيه لا بفرع الكلام
السمع واذا ثبت ذلك لم يلزم العمل بشيء من الظاهر حتى يعرف الموقع انه على ذلك بالتدبر ليلا يلحق المتمسك به التنقيض بالتدبر والله
اعلم والوجه الثالث بما تضمنت الاختلاف فان ارتفاع الاختلاف جعله حجة على انه عن الله اذ علم الله مما جبل عليه الخلق انه لا احد خارج عن
يخلو الاختراع لا عن علم السماع ينتهي اليه عن الله لخبر الصادق فيمن يملك تاليف الكلام ونظم مثله عن متناقض ولا اختلاف ينفي بنفي الا
ما قرن به من الكهنة اذ كذلك كلام الكهنة يخرج مختلفا وما قرن من تعليم البشر واساطير الاولين والسحر ونحو ذلك اذ كل يخرج ذلك
على الاختلاف وفي ذلك بيان خطر جعل المخرج بحق اللسان من الاسم حجة ودليلا لما يوجد من ذلك الوجه اختلافا كثيرا ولو كان
من ذلك الوجه الاحتجاج لوجد الاختلاف ومن رام ان يجعل القران لولا بيان الخبر موقعه على جهة قد يقع فيه الاختلاف
دونه فهو وصف القران مع اجتماع الخبر بنفي الاختلاف وانما هو في نفسه مختلف فمثله لكل كاهن وبشر اريد تثبت التناقض
امكن لمن الذنب عنه ان كان عنه مترجم معبر يجيب ضم تاويله اليه فيبطل ان يكون على احد وجود الخلاف فيما كان يكون وجه
احتجاج العدين عنها جل عن ذلك ثم ما ذكر يحتمل الاحكام والحدود والامور والنواهي وذلك بوجوب التناسخ والخصوص
والعموم ولا يكون مختلفا ويحتمل الاخبار والوعد والوعيد ونحو ذلك واعني بالاخبار عن الغيب وعما كان لخبر عزوجل
عن شرك المنافقين وعما اليه مرجع الامور وعما كان عنهم ونحو ذلك والله اعلم وقوله عزوجل واذا جاءهم امر من الامن او
الخوف اذاعوا به وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واذا جاءهم نباء من خوف او امن اذاعوه وكذلك في حرف حفصة
قال الكسائي هما لغتان اذعت به واذعته واذا افشيته وقيل سمعوا به وافشوه وقيل افشوه واشاعوه ثم اختلف فيمن
نزلت قال الحسن نزلت في المؤمنين وذلك انهم انما سمعوا خبرا من اخبار السرايا والعساكر مما يسرون ويفرحون افشوه
في الناس فرحا منهم واذا سمعوا ما يحزنهم ويغمهم اظهروه في الناس حزنا وغما ثم استثنى الا قليلا منهم لا يذيعون ولا
يفشون بالخبر فلو سكتوا وردوا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبر النبي ما كان من الامر اوردوه الى اولي الامر حتى يكونوا
هم الذين يخبرون به كان اولى وهو على التقديم والتاخير وقال ابو بكر الكسائي نزلت الاية في المنافقين وذلك ان المنافقين اذا سمعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عن نصر المسلمين الى الاعداء بذلك لاعدوا على ذلك واذا سمعوا ان الاعداء قد اجتمعوا واعدوا الحرب
اخبروا بذلك ضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتنعوا عن الخروج اليهم فقال الله عزوجل ولو ردوه الى الرسول حتى كان
هو يخبرهم عن ذلك او ردوا الى اولي الامر منهم ليخبروا بذلك والله اعلم ثم اختلف في اولي الامر منهم قيل هم امراء السرايا وقيل هم
علماء الفقهاء الذين يستنبطونه منهم الذين يطلبون علمه بقوله وقيل اولي الامر هاهنا مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجونه من كتاب الله تعالى وقيل اولو الامر ولاة الامر الذين يستنبطونه
والذين اذاعوا به قوم اما منافقون واما مؤمنون على ما ذكرنا انما هو اذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم الاية

على قوله بعض

على قوله بعض وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اختلف فيه قيل فضل الله رسوله محمد عليه افضل الصلوات
ورحمته القران تأويله لولا محمد صلى الله عليه وسلم والقران لاتبعتم الشيطان الا قليلا منهم لم يتبعوه وكانوا استعملوا العقل وقيل ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الامر والنهي عن الاذاعة والافشاء والا لاذاعوه واتبعوا الشيطان فاذاعتم [illegible] الا قليلا منهم فانهم لا يذيعون به وعن
الضحاك قال هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا حدثوا انفسهم بامور من امور الشيطان الا طائفة منهم لم يحدثوا بها انفسهم وقال اخرون
هم المنافقون [illegible] الله تعالى الظفر للمسلمين على المشركين وفتح عليهم صغيره وحقيره واذا [illegible] المسلمين نكبة و
[illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما الا قليلا منهم يقول لعلمه الامر الذين استثنى الله عزوجل حين قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
ذريته الا قليلا [illegible] قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال غيرهم ما ذكرنا على التقديم والتاخير واذاعوا به امر من
الخوف الا قليلا منهم والله اعلم بذلك وقوله عزوجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك قوله لا تكلف الا نفسك يحتمل
وجهين ليس عليك حسابهم من شيء [illegible] والثاني لا تكلف الا نفسك [illegible]
بالقتال والجهاد وان تخلف هؤلاء عن الخروج معك [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنه قال هذا حين استنفر النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه رضي الله تعالى عنهم [illegible] بدر الصغرى فخذل الناس فانزل الله تعالى هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاخرجن [illegible] الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفيه
دليل وعد النصر والفتح والنكبة على الاعداء [illegible] قال الله
عزوجل عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله تعالى واجب [illegible]
واجب وقوله عزوجل وحرض المؤمنين على القتال يحتمل وجوها يحتمل حرض المؤمنين بالثواب لهم وكريم المآب على ذلك ويحتمل المؤمنين
قوله تعالى حرض المؤمنين على القتال لما في القتال معهم اظهار دين الله الاسلام وفي ترك المجاهدة والقتال معهم بغير العدو
عليهم واظهار دينهم امر عزوجل رسوله عليه الصلوة والسلام ليرغبهم في مجاهدة اعدائهم والثالث وحرض المؤمنين
على المجاهدة والقتال معهم وعدا بالنصر لهم والفتح والغنيمة والله اعلم وقوله عزوجل عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والعسى
من الله واجب وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكف عنهم باس الذين كفروا وقوله عزوجل والله اشد باسا واشد تنكيلا قيل
وقوله اشد باسا لما يدفع باس المشركين عنهم ولا يقدرون هم دفع باس الله عن انفسهم فباس الله اشد وقوله سبحانه واشد
تنكيلا قيل التنكيل هو العذاب الذي يكون الاخر فيه زجر ومنع وقيل حين قال له لا تكلف الا نفسك ولو لم يتبعك احد من الناس
يكف الله عنك باس المشركين وقيل الباس هو عذاب الدنيا والتنكيل والنكال هو عذاب الاخرة لانه يخوفهم بباسه ليتخلفهم عن العدو
ومخافته باسهم وعذابهم فاخبر عزوجل ان باس الله وعذابه اشد من باس الاعداء والله اعلم وقوله عزوجل من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها لم يذكر ما تلك الشفاعة التي يشفع فيحتمل الشفاعة الحسنة
هي الدعاء له بالمغفرة والرحمة وهو لذلك مستوجب فيكون له بذلك نصيب والشفاعة السيئة هو الدعاء عليه باللعن والمقت
وهو لذلك غير مستوجب فيكون له منها نصيب وقيل هو كقوله العرب الدال على الخير كفاعله من دل اخر على الخير فله في ذلك نصيب
وكذلك من دل اخر على الشر ويحتمل الشفاعة الحسنة في مظلمة يسعى في دفع مظلمة عن اخيه المسلم وهو شفاعة حسنة فله في ذلك نصيب
ويحتمل الشفاعة السيئة هو ان يسعى في فساد امر يلحقه من ذلك نقمة ومظلمة فله في ذلك اثم وقيل الشفاعة الحسنة هي التي ينتفع بها
وعمل بها هي بينك وبينه هما فيها شريكان والشفاعة هي التي تصير بهما فيها شريكان ويحتمل ان يكون الشفاعة الحسنة كل معروف في كل
امر به والشفاعة السيئة كل صانع منكر وامر به فهما شريكان في ذلك الامر والفاعل جميعا ويحتمل ما روي عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا صدقة افضل من صدقة اللسان قيل ما صدقة اللسان يا رسول الله قال الشفاعة تجر بها الى اخيك وقد رفع عنه
ثقل الكريهة وينفي بها الذم والكفل والنصيب واحد وقيل الكفل الجزء وقيل الكفل الاثم ولكن ليس ثمه خاصة الا ترى انه قال يؤتكم
كفلين من رحمته والشفاعة من اعظم ما احتيج اليها اذ قد جاء القران بها والاثار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والشفاعة
في المعهود من الاولى يكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الاخيار واهل الرضا به ثم كانت
الصغاير منا لا يجوز التعذيب عليها عند القائلين بالخلود بالكباير مما يعفى عنها بالشفاعة فاذا بطل عظم ما جاء من القران و
الاثار في الاستثناء وسقط ما جبل عليه اهل العلم بالله وبرحمته ويبطل رجاء المسلمين بشفاعة الرسل صلوات الله عليهم ولا
قوة الا بالله وقال بعضهم الشفاعة تخرج على وجهين على ذكر محاسن احد عند اخر ليعرف له عنده المنزلة والرتبة والثاني ان
يدعو له فالاول هو الذي يحتمل توجيه الشفاعة اليه والثاني قد بين بقوله الذين يحملون العرش الى قوله العظيم وقوله تعالى
لا يشفعون الا لمن ارتضى وللخوف يرد على وجهين الشفاعة لان المرتضى هو ذو منزلة وقدر وهو ممن تضمنته اية
شفاعة الملائكة فيبقى الوجه الاول في الاخرة لا معنى له لوجهين احدهما انه في تعريف الامر عند من يجهله والله جل ثناؤه

هو العليم بحقيقة ذلك بل غيره مما يجوز عليهم خفاء الحقائق كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا
الاية وقال عيسى عليه الصلوة والسلام ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية وكان في ذلك ان الحقائق في ذلك عند الله وهم تبرؤا عن العلم
بذلك واقروا بان الله هو المتفرد بعلم ذلك وبالله التوفيق والثاني ان ثمه كتابا يقرأ فيها اعمال بني آدم وما سبق منهم من صغير وكبير فهو
الكافية في التقدير ان كان في حق الاحتجاج وان كان في حق الاعلام فعلم الله بهم مغن عن ذلك ولا قوة الا بالله واما الدعاء فكذلك
نقول بدعاء لمن له ذلك الوصف ويشفع له فيما كان في ذلك منه من المآثم والذنوب لا انه ان كان كلا فعاله ذلك فيشفع لهم
لانه لا يجوز في الحكمة تعذيبهم على ما ذكر من الافعال بل لهم عليها اعظم الثواب ورفع المادى وطلب الشفاعة والمغفرة لمثله يخرج
من وجوه احدها ان ذلك لا يجوز في الحكمة فكانهم طلبوا منه ان لا يجوز ولا يسعه وذلك لا يليق الخالق يخرج مخرج التسفيه
فضلا من ان يتضرع الى الله برجل الكريم الحليم عن هذا الوصف والثاني ان الخلق في مثله اذ هو مثاب غير معاقب يلقى ذلك منه
بالشكر والحمد وفي الدعاء كتمان ذلك وكفرانه ومحال الاذن في مثله وبالله التوفيق والثالث ان ذلك في الوعد وبالجنة والبشرى
بها فطلب مثله يوجب الجهالة بذلك لان يكون الوقت لم يتبين يكون ذلك في الاستعمال وهو قولنا في اصحاب الكبائر انهم لو
عذبوا بعدد الذنوب لكان ذلك في الحكمة عدلا فيشفع لسائلهم بالفضل والاحسان دون العدل والاستيفاء ولا قوة الا بالله
والاصل انها مقادير العقوبات انما تعرف من يعرف مقادير الاجرام وليس من الخلائق يحتمل تركيبه احتمال العلم بمقاديرها اذ لا
يبلغ في معرفة تعظيم الله كنه عظمته ليعرفوا قدر الخلاف لامره جل وعلا وما كان هذا سبيله فحق القول فيه الاتباع ان الله لم
لا يجزي بالسيئة الا مثلها ثم معلوم ان لا سيئة اعظم من الكفر وجعل مثلها من الجزاء الخلود في النار فمن الزم ذلك لما دونه ثم وصف الله
تعالى انه يجزي بالسيئة اكثر من مثلها والله عز وجل اخبرنا انه لا يجزي ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ايضا من يشفع شفاعة
وسيئة يكون فيما بين المرء يشفع اليه بالمغفرة لاحد والتجاوز عن المذنب فيكون نصيب منها ويحتمل ان يكون الله تعالى برحمته
يرحم على اخيه بالشفاعة اليه بالتجاوز عنه والمغفرة ويحتمل ان يكون الله تعالى اذا غفر له يجعل له في شفيعه شفاعة يهبه له كما
وهب الاول له وفي السيئة فيما يلعنه او يدعوا الله عليه بالهلاك عن غير استحقاق او عليه في بقائه ضرر يكون له نصيب بلعن
الاخر واحدا يلعنه ويدعو عليه به ان يعاقبه باساءته الى اخيه في طلب الهلاك بلا معنى له وقوله عز وجل ايضا من يشفع الا
يحتمل فيما بينه وبين ربه يشفع له يحتمل اليه من عفو وتجاوز او يسوا اليه من لعنه او هلاكه والنصيب منها بوجهين احدهما المغفرة في
الاول هي برحمته اخاه واشفاقه عليه او يعطى المشفوع له الشفاعة فيكون ذلك له نصيب منها وفي الثاني يجزيه باساءته من لعنه ودعا
عليه بالهلاك بلا استحقاق فيبتلى الاول لا احد بمثله فيه والله اعلم ويحتمل فيما بينه وبين الناس ثم يكون ذلك بوجوه احدها بما يشفع
الى من بين اخيه والخوض في دفع ذلك وحلت النجية او الالفة او الحقد ذلك يشفع في اقالة عثرة او تتميم بينهما الالتقاء عداوة او
يشفع اليه بالدلالة على ملهوف في اغاثته او مظلوم في نكبة او يصنع معروفا او منكرا يبعث ذلك على خير او شر ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل وكان الله على كل شيء مقيتا قيل هو الحافظ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل مقيتا حسيبا اي مقتدرا مجازيا
بالحسنة والسيئة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استاكل بمسلم اكلة اطعمه الله من نار جهنم ومن قام باخيه المسلم مقام سمعة
ورياء اقامه الله تعالى مقام سمعة ورياء ومن يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع عورته يفضحه في بيته وعن الفراء والكسائي
قالا المقيت المقتدر من اقات يقيت اقاتة وقيل المقيت مشتقة من القوت يقول رزق كل دابة على الله حتى تستوفي اكلها ورزقها وقيل
مقيتا واجبا بكلامهم ويرزقهم وقال ابو بكر الكيساني وهو ماخوذ من الكتب السابقة ليس هو بلساننا فنحن لا نتأوله فلعله على خلاف
ما نتأوله والله اعلم وقوله عز وجل اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ذكر التحية ولم يذكر ما تلك التحية واسم التحية
يقع على اشياء من نحو ما جعل الصلوة لتحية المسجد والطواف تحية البيت وغير ذلك مما يكثر عددها لكن اهل التأويل اجمعوا على صرف
هذه التحية الى السلام دون غيرها من التحية التي ذكرنا الا ترى انه قال عز وجل او ردوها ولو كان غيرها لما اراد لم يقل او ردوها
لان غيرها من التحية لا يرداد في الرد ترك القبول ولم يوهم بذلك دل انه اراد بالتحية السلام ويدل على ذلك آيات من كتاب الله تعالى
قال الله عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله فجعل تحية الملائكة صلوة للمؤمنين السلام كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم
جعل تحية اهل الجنة السلام كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وكقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وتحية الملائكة بعضهم
على بعض بالسلام الا ترى انه قال الله عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله الاية فعلى ذلك يمكن وان يكون المراد من قوله تعالى
اذا حييتم بتحية السلام وجعل الله عز وجل السلام علما وشعارا فيما بين المسلمين واماما يأمن بعضهم بعضا عن شره الا ترى ان
اهل الريبة لا يسلمون ولا يردون السلام وان كان لا يعرفون تفسيره ولا معناه ولكن على الطبع جعل ذلك لهم والسلام قيل هو اسم
من اسماء الله تعالى فهو يحتمل وجوها يحتمل سلام مسلم طاهر عن الاشباه والاشكال وسلام عدل منزه عن العيوب كلها والجور والظلم
وقوله ورحمة الله اي برحمته ينجو من نجا وسعد من سعد وبركاته به ينال كل خير وهو اسم كل خير الا ترى انه التحليل من الصلوة
بالسلام فقيل السلام عليكم ورحمة الله على ما جعل تحريمها باسم الله فعلى ذلك جعل الافتتاح بما به جعل الختم ثم اختلف في قوله

عزوجل فحيوا

عز وجل فحيوا باحسن منها او ردوها فقيل حيوا باحسن منها المسلمين او ردوها على اهل الكتاب وعن انس رضي الله عنه قال نهينا
ان نزيد على اهل الكتاب على عليك وعليكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال السلام اسم من اسماء الله وضعه في الارض فافشوه
بينكم فان الرجل اذا سلم كتبت له عشر حسنات فان هم ردوها عليه كتب لهم مثله وقيل قوله تعالى فحيوا باحسن منها بالزيادة او
ردوها بمثلها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم ورحمة الله ثم جاءه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي عليه الصلوة
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم جاءه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليكم فقيل له انك رددت في الاول
والثاني قد ابقيا لي زيادة وهذا لم يبق زيادة وقيل انه روي انه سلم عليه رجل فقال السلام عليكم فقال النبي عليه الصلوة و
السلام عشر يعني عشر حسنات وسلم عليه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون وقال الاخر السلام عليكم ورحمة الله و
بركاته فقال ثلاثون ومنتهى السلام قوله وبركاته لا يزاد عليه كقوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل يسلم في الصلوة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ولا يقول في التحليل من الصلوة وبركاته قيل لوجهين
تفضيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ابقاء لهم في الرد زيادة ويسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الماشي الراكب على والماشي على القاعد والقائم على الجالس والصغير على الكبير وروي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس وان قام والقوم جلوس
فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشبه بغيرنا فليس منا و
قال لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم النصارى بالاكف وتسليم اليهود بالاشارة ويكره ان يبتدئ باهل الكتاب
بالتسليم ولكن اذا ابتدأوا يردوا على ذلك جاءت الآثار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبتدئوا اليهود
والنصارى بالتسليم واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقها وعن ابي نضرة الغفاري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم يوما اني راكب الى يهود فان سلموا عليكم فقولوا وعليكم ثم قيل في تفسير السلام عليكم بوجوه قال بعضهم تأويله الله شهيد
عليكم وقيل الله قائم عليكم وهو كقول الله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بر او فاجر يرزقهم ويحفظهم ويستجيب لهم وقيل هو الدعاء
لهم بالمغفرة والسلامة وهو ما ذكرنا بديا وقوله عز وجل ان الله كان على كل شيء حسيبا قيل شهيدا وقيل كافيا مقتدرا يقال
احسبني هذا اي كفاني وقال الكسائي مشتقة من الحساب كقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي حاسبا كالامير والامين
والقدير والقادر والله تعالى اعلم وقوله عز وجل الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه هذا والله اعلم لما الزمهم الله
واجرى على السنتهم ان الله وانه خالق السموات والارض وانه خالقهم كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اخبر
ان الذي سميتموه الله وقلتم انه خالق السموات والارض هو واحد لا اله غيره ولا رب سواه هو واحد لا شريك معه ولا ندوان
الاصنام التي تعبدونها دون الله قد تعلمون انها لا تنفعكم ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتموها عبادتها وبالله التوفيق وقوله
ليجمعنكم الى يوم القيامة قيل فيه بوجهين قيل ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل ليجمعنكم في القبور
الى يوم القيامة ثم يبعثكم والله اعلم وقوله ومن اصدق من الله حديثا معناه والله اعلم انكم تقبلون الحديث بعضكم من بعض
وان حديثكم يكون صدقا ويكون كذبا فكيف لا تقبلون حديث الله وخبره في البعث وما اخبر في القرآن وحديثه لا يحتمل الكذب
هذا والله اعلم تأويله وقوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين اختلف في قصة الاية قيل ان ناسا من اهل مكة قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا واقاموا بها ما شاء الله ان يقيموا ثم ندموا على الهجرة والاقامة فيها وارادوا الرجعة الى
مكة فخرجوا يتحولون منقلة منقلة حتى تباعدوا من المدينة فلحقوا بمكة فكتبوا كتابا ثم بعثوا به مع رسول من قبلهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدم به الرسول عليه بالمدينة فاذا فيه انا على الذي فارقناك عليه من التصديق بالله وبرسوله اشتقنا الى ارضنا
واجتوينا المدينة ثم انهم خرجوا من مكة متوجهين الى الشام للتجارة فبلغ ذلك المسلمين وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم لبعض فما يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا من ديننا وتركوا هجرتنا فنقتلهم ونأخذ ما معهم فقال فريق منهم كيف
تقتلون قوما على دينكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين حتى نزل قوله تعالى فما لكم في المنافقين
فئتين بين الله عز وجل لرسوله امرهم وما صاروا اليه وقيل تخلف رجال عن احد فكان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فيهم فئتين فرقة تقول اقتلهم وفرقة تقول اعف عنهم فنزلت الاية فما لكم في المنافقين فئتين وقيل ان قوما كانوا
يحرثون فاختصموا في اهل مكة فقال بعضهم انهم كفار وقال الاخرون انهم قد اكلوا ذبائحكم وصلوا صلوتكم ولجأوا بدعوتكم فهم
معكم وقال غيرهم تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه فاكثروا في ذلك فنزل قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين الاية
فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه النهي عن الاختلاف والتنازع بينهم كانه قال والله اعلم كيف تختلفون في قوم
ظهر نفاقهم وكيف لا تسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالهم وهو بين اظهركم كقوله تعالى فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول الاية وظهور نفاقهم يحتمل الخبر منه نصا انهم منافقون ويحتمل الظهور بالاستدلال على افعالهم وقد يكون

على حال المرء بفعله انه كافر او مؤمن وقوله عز وجل والله اركسهم بما كسبوا قال الكسائي فيه لغتان يقال اركسته فانا
كذا وكذا وركسته وارتكس الرجل اذا وقع فيه ورجع اليه وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وحفصة رضي الله عنه والله اركسهم
بما كسبوا ثم قيل اركسهم اى ردهم وعن ابن عباس رضي الله عنه اركسهم بما كسبوا قال اوقعهم ثم يحتمل قوله تعالى اركسهم بما كسبوا وجهين
ما اظهروا وبما كانوا في قلوبهم من النفاق والخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ويحتمل ابتداء كسب
كسبوا بعد ما اسلموا اى كفروا وارتدوا عن الاسلام بعد ما صح اسلامهم ثم اضافة اركاسهم الى الله دلالة خلق فعلهم وحجة لامر
يملكه والله اعلم بما كسبوا من احداث شرك او نكسهم بالقلوب وقت اظهارهم الايمان فان ظهر عليهم بجوفهم اخوانهم من الكفرة او
لما جعل الله من اعلام النفاق التي ظهرت بفرض الجهاد والعبادات والله اعلم وقوله عز وجل اتريدون ان تهدوا من اضل الله هم
تاويله والله اعلم اتريدون ان تهدوا وقد اراد الله ان يضلوا لما علم الله منهم انهم لا يهتدون باختيارهم الكفر ويحتمل انكم لا
تقدرون على هداهم اذا لم يهدهم الله تعالى كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي قوله ايضا
اتريدون ان تهدوا قيل ان تسموا مهتدين وقد اظهر الله تعالى ضلالتهم ضلة كقوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين حذرهم
عن الاختلاف في التسمية بعد البيان وقيل ان يجعلوهم مهتدين وقد جعلهم ضالين على نحو قوله تعالى انك لا تهدي من احببت
الاية ابتداء تمام الاية واوضح الاول قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا بقول من اضله الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا
يهتدي وقيل مخرجا وهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء قيل ود الذين تركوا
الهجرة فرجعوا الى اهلهم ومنازلهم الذين قال الله فما لكم في المنافقين فئتين ان تكفروا بما كفروا اى تتركون الهجرة وترجعون
كما رجعوا منهم فتكونون انتم وهم سواء شرعا في الكفر فسماهم الله كفارا وامرهم بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء
بالهجرة الاولى كقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال الله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وكقوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهاهم ان يتخذوا اولياء حتى يهاجروا هجرة ثانية الى المدينة ويثبتون على ذلك هذا على
قول من قال انهم كانوا هاجروا ثم لحقوا بمكة واما في قول من قال انهم كانوا في اهلهم تكلموا بالاسلام فيها ولم يهاجروا فمعنى
هذا لا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا كما هاجر وغيرهم وقيل المهاجرون على طبقات منهم من هاجر واقام وسمع واطاع
وثبت على ذلك ومنهم من هاجر ثم خرج من غير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق باهله وابطل هجرته الذي هاجر وايمانه
الذي امن ومنهم من تكلم بالاسلام واقام باهله ولم يهاجر ومن قوة الهجرة كان كذلك ومنهم من تكلم بالاسلام ولم يكن له قوة
على الهجرة كانوا مستضعفين وهو والله اعلم ما قال الله الا المستضعفين من الرجال والنساء الاية وروى عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كنت انا وامي من المستضعفين والذين امنوا ولم يهاجروا ولهم قوة الهجرة ما قال الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وفي قوله تعالى فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا يحتمل من اظهر الموافقة من المنافقين
للكفرة ولحق بهم ويحتمل من قد امن ولم يهاجر فيكون الاول على ولاية الدين والثاني على ولاية الميراث كقوله تعالى والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ومن يتاول الاية على اظهار الكفر دون الخروج من المدينة فهاجرته تخرج على
وجهين احدهما ان يكون قد انضم فيها الى معاني الكفرة فيما يترك صحبتهم والثاني ان يهاجر الاعلام المجعولة لاهل النفاق
مما يظهر ذلك فيما امتحنوا به من الافعال فيظهر خلاف ذلك كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقوله فان
تولوا اى ابوا الهجرة فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم لانهم صاروا حربا لنا حيث تركوا الهجرة وابطلوا ايمانهم الذي تكلموا به
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لما ذكرنا والله اعلم وقوله ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق يخرج على وجهين احدهما في قوم من مظهري الايمان انهم لو لحقوا بمن لا ميثاق بينكم وبينهم ولا عهد فاقتلوهم
حتى يتوبوا ويهاجروا ولو لحقوا باهل الميثاق لا تدعوهم الولاية التي كانت بينكم وبينهم والثاني ان تكون الاية في قوم من الاعداء
واهل الحرب لو انضموا الى اهل الميثاق والعهد فلا تقاتلوهم فيكون الامر عقيب موادعة تجري من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وبين قوم في ردهم على ان لا تمانع بينهم لاهل الاتصال في الزيادة والاجتماع الى المدة المجعولة للعهد ممن اذا خيف منهم
ينبذ اليهم العهد ويوفى اليهم المدة ان وفوا والله اعلم كقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم وقوله عز وجل
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وقوله عز وجل الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق قال بعضهم استثنى الذين
خرجوا من دار الهجرة مرتدين الى قومهم وكان بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق وقال وفيهم نزل قوله تعالى الا الذين
عاهدتم من المشركين كان قال والله اعلم ان وصل هؤلاء الى اولئك الذين بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم
وقيل كان هذا في حي من العرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم امان وعهد فكان الموادعة على ان من اتاهم من المسلمين
فهو امن ومن جاء منهم الى المؤمنين فهو امن يقول والله اعلم ان وصل هؤلاء او غيرهم الى اهل عهدهم او قال عهدكم فان هذه
مثل الذي لاولئك من العهد وترك القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما صد مشركوا مكة نبي الله صلى الله عليه وسلم

عن البيت جاء بعجل يقال كذا من بعض القبائل لينتظر ما امر محمد وقريش فراهم قد حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين البيت
فقال يا معشر قريش هلكتم اتدرون قوما اعاديهم صغيرا وادوسهم عن البيت والله لانشر لكم في هذا صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وادعه ان لا يكون قوابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكونوا عليه ومن يخالبه فهو امن فلا ندري كيف كانت القصة في ذلك غير
ان فيه دليلا من اتصل باهل العهد وكان على رايهم فهو بمنزلتهم لا نقاتلهم ومن قولنا ان الامام اذا وادع اهل بلدة من بلاد اهل
الحرب فمن دخل فيها واتصل بهم فهو امنون مثلهم لا يحل قتالهم ولا اسرهم حتى ينبذ اليهم عهدهم واذا امن قوما منهم في دار الاسلام
ووادعهم ثم انضم اليهم اخرون قد دخلوا معهم دار الاسلام له قتالهم واسرهم والله اعلم وقوله عز وجل او جاؤكم حصرت
صدورهم قيل اى ضيقة صدورهم وهكذا قال الكسائي كان من ضاق صدره عن فعل وكلام فقد حصر فهذا والله اعلم ما ذكرنا
ان الموادعة لا يعين بعضهم بعضا في القتال ولا يعينوا عليهم عدوهم وينهاهم الله عن قتالهم لما اخبر ان قلوبهم تضيق
عن ان يقاتلوكم مع قومهم او ان يقاتلوا قومهم معكم وفي قوله ايضا او جاؤكم حصرت صدورهم يحتمل ان يكون حكم هذا الفريق
ما حكم الفريق الاول فيكون ذلك اثنين عن ذكرت اذا كان هذا صنفه لا يضيق صدره عن مقاتلة المؤمنين والكافرين جميعا
اما بالطبع او بوفاء العهد وبالنظر في الامر ليتبين له الحق وهو متردد في الامر بايهم يعمد وبين ان الكتاب اي اختبر بها رسول
صلى الله عليه وسلم فيه على ما عليه في ما لقيهم من تقيتهم وتخلف عن الاحاطة بحق الحق لا بعد طول النظر والله اعلم
فيكون معنى قوله او جاؤكم حصرت صدورهم في قوم سوى ما ذكرت من الذين يصلون لكن اولئك المعاهدين نفسه الذين
ابت انفسهم نقض العهد بينهم وبين المؤمنين وعن مواعلى الوفاء به وابت انفسهم ايضا معونة المؤمنين على قومهم بالموافقة
بالمذهب والدين وعلى ذلك وصف جميع المعاهدين الذين عرضوا على الوفاء بالعهد وذلك في حق الايات الذي ذكرنا ثم بين من
ينقضون العهد والمنافقين الذين متى سئلوا عن الكون على رسول الله والعون لاعدائه الامر فيهم وذلك كقوله تعالى يا
اهل يثرب لا مقام لكم ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وتكون هذه الاية فيهم كقوله تعالى لئن لم
ينته المنافقون الاية فيكون في هذه الاية الاذن والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الله لسلطهم عليكم اى نزع في قلوبهم
الرعب والخوف فقاتلوكم ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني طلبوا الصلح وهو
قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اى حجة وسلطانا القتال امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن هؤلاء ثم قال ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الاية قيل كان رجال يتكلمون بالاسلام
يتعوذون ليامنوا في المسلمين ان الغوهم ويامنوا في قومهم بكفرهم فامر الله بقتالهم الا ان يعتزلوا عن قتالهم وقيل قوله تعالى ستجدون
اخرين غيرهم ممن لا يفي لكم ما كان بينكم وبينهم من العهد يريدون ان يامنوكم يقول يريدون ليامنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم ويامنوا في
قومهم بكفرهم فلا تتعرضوا لهم ثم اخبر عز وجل عن صنيعهم وحالهم فقال كلما ردوا الى الفتنة يعني الشرك اركسوا فيها اى كلما دعوا
الى الشرك رجعوا فيها فهؤلاء امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم ان لم يعتزلوا ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا القتل وحجته وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويكفوا ايديهم عن ان
يقاتلوكم وفي حرفه ركسوا فيها وفي حرف حفصة ركسوا فيها وفي حرفها ان يقاتلوكم ويقاتلوا قومهم ثم يحتمل نسخ هذه الاية وقوله
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله تعالى فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
لان الفرض في القتال اول ما كان فرض عن تقاتل من قاتلنا او بدانا ثم ان الله تعالى قال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم وقوله عز وجل
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا اى ينبغي لمؤمن
ان يقتل مؤمنا بغير حق عمدا الا خطا فيما لا يملكه وقيل الا بموضع الواو كانه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا متعمدا ولا خطا وذلك جائز
في اللغة وقيل وما كان ينبغي لمؤمن ان يترك قتله اذا قتل اخر عمدا الا خطا فانه يترك قتله ولا يقتل به وهو قول ابي بكر الكيساني وقيل وما
كان ينبغي لمؤمن ان ينزل حكم قتله الا خطا قال ابو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا من القصاص والقود او كلام نحو هذا ويحتمل قوله وما كان
لمؤمن ان ينزل حكم قتله الا خطا قال ابو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا من القصاص والقود وكلام نحو هذا ويحتمل قوله وما كان لمؤمن ان
يقتل مؤمنا قط بعد ما سبق من الله بيانه في غير اى من القران نحو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص وهو قوله تعالى وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وغيرها من الايات الا خطا فانه لم يسبق منه الحكم فيه الا في هذه
الاية وقيل وليس لمؤمن ان يقتل مؤمنا على كل حال الا ان يقتله مخطئا فعليه ما في القران وهو قريب مما ذكرنا ثم الخطا عندنا على وجهين
خطاء دين وخطاء القصد هو ان يقصد احدا فيصيب غيره وخطاء الدين هو ان يعرفه مشركا كافرا من قتل حلال الدم فيقتله على ما عرفه من قبل
وهو الحال المسلم فان قيل كيف لزمه في قتل الخطا ما لزمه من الكفارة وقد اخبر الله عز وجل ان لا يؤاخذه وان لا حرج عليه في ذلك بقوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال في اية اخرى لا جناح عليكم فيما اخطاتم فيه ولكن ما تعمدت قلوبكم
وغيرها من الايات قيل ان الفعل فعل ماثم وان كان لم يوجد منه القصد فيه فما وجب انما وجب لما الفعل فعل ماثم والثاني يجوز ان يكون

الله يكلفنا بترك القتل والفعل في حال السهو والغفلة الا ترى انه قال لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فانقيض الصواب فلا يجوز ان يؤمر بطلب
الصواب ولا ينهى عن اتيان ضده كقوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا الاية ثم اختلف في المعنى الذى اوجب عليه رقبة مؤمنة قيل لانه قد
اتلف نفسا خلقها الله تعالى لعبادة فاوجب مكانها نفسا مؤمنة لتعبد الله على ما عبدت تلك لكن التاويل لو كان هذا لكان يجب في العمد ما
وجب في الخطا لانه وجد ذلك المعنى لكن اوجب لا لذلك المعنى والله اعلم ولكن تغليظا وتشديدا عليه لما اتلف نفسا محظورا لم يؤذن له
من ذلك لئلا يتقدم على مثله ولله ان يوجب على من شاء بما شاء لما شاء من ضرر ان يتالم وكيف واين والثاني اوجب عليه رقبة مؤمنة لانه
ابوله نفسا مؤمنة فعلى ما اتى له نفسا اوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة وفي قوله تعالى ايضا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا اختلف
في تاويله وما كان لمؤمن فمنهم من يقول باضمار وما كان يترك لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا يخرج معنى يترك على وجهين احدهما ما قاله
ابو بكر الملقب بالاصم اي يترك له في القصاص الا ان يقتل خطا لكن هذا يوجب منع العفو لما به التزل ومعلوم انه امر رغب فيه حتى دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولي القتيل الى العفو ثم الى اخذ الدية ثم لما ابت نفسه عند ذلك اذن له في الاقتصاص ويدل على ذلك قوله تعالى فمن عفي له
الاية وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها الى قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له الاية الا ان يرجع في قوله يترك له الى الوجوب اي لا يرفع
عنه ايجاب القصاص الا من قتل مؤمنا خطا فانه ليس عليه القصاص والثاني انه ما كان يترك له من التاس والتوبيخ والتعيير بسوء
صنيعه باخيه وتعديه حد الله ومعونة ولي القتيل اذ قال من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا فحق ذلك على الناس ان يظهروا له
التكبير عليه ويقوموا بالنصر لوليه والله اعلم الا ان يكون خطا فلا يتلقون بشيء مما ذكرت بل يقومون بالشفاعة له والمعونة في احتمال الارش
وذلك جعل والله اعلم امر العقل على ما به من ابقاء الالفة ودفع الضغينة واجتماع التالم في المصيبة ومنهم من يقول في تاويل الاية وما كان
لمؤمن اي حرام عليه ذلك الفعل بما حرم الله وبما بينهما من الاخوة في الدين وبما هو شفقة وجنسه يتالم مما يتالم الاخر ويتاذى الاخر والنفس عن
مثله ينبو والطبع ينفر فما كان له بعد هذا ان يقتل **وقوله** عز وجل الا خطا قيل فيه بوجوه احدها ان يقع ذلك منه على الخطا فيكون على ما لا
يلحقه اللائمة التي ذكرنا ولا وصف التعدي الذى وصفنا والثاني ان يكون الامر في موضع الابتداء لما بين له من الحكم بمعنى وما كان لمؤمن ان
يقتل مؤمنا البتة لكن من قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما بمعنى لا يسمعون فيها لغوا البتة لكن الذين
يسمعون يسمعون سلاما وقيل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا الا ان لا يعلم انه مؤمن وكان عرفه كافرا له قبله بما دون من الا ذلك
في البيان وقتل عيون الكفرة بما سبق من ظهور كفرهم وان احتمل ايمانهم فيما بين الوقتين فيكون بمعنى حرام عليهم الامن هذا وصفه ويجوز
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا اي لمؤمن ذلك قط الا ان يقتل خطا فانه ليس فيمن يقال كان له او لا لما يقع به الا ان يفعله هو في
التحقيق اذ حقيقة الفعل ان يقع بارادة ويخرج عليها وهذا لا يقع بها ولا يخرج عليها **وقوله** عز وجل ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة
مؤمنة فلم يذكر في القاتل انه مؤمن عند ذكر قتله لكنه رجع اليه بوجهين احدهما ان الاية في بيان قتل يكون من المؤمن وعليها جرى
تفسير الحكم عند الوقوع والثاني قوله توبة من الله والتوبة بالتحرير تكون للمؤمن لا لغيره والله اعلم على انه حق الشرع من العبادات فلا يجل
قصد الكافر به وايد ذلك المذكور من الصيام وهو لا يتولا الا الايمان ثم جعل الايمان شرطا من حيث الذكر وتاكيده باوجه ثلاثة ثم
احدها بالتاكيد بذكره كل قتيل على اختلاف اهل القتل وفي ذلك دليل ان ذلك جعل عليه لمكان امر يحل على دينه مما عليه من الحق ان يحفظ
حرمته ويحرمه يتقي قتل من ذكر اذ حرم دينه عليه فيصير في قتله مصيبا فالزم ما ذكرت في كل انواع القتيل لرجوع امر ذلك كله الى التضييع
من حق دينه ولذلك قيل توبة من الله وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحقق معنى التوبة في فعل الله وذلك يخرج على وجهين احدهما
على ما تجاوز منه اذ لم يواخذه بالخطاء فيكون بحق جعل ذلك شكرا من العبد بما لم يواخذه بالخطاء فيكون معنى التوبة منه انه لم يواخذه
بالخطا الا ان في الاعتاق ذلك والاعتاق المشكور فيما لم يكن اخذه وقد يجوز ان يواخذه لما بالجهد في التحفظ قد يؤمن ذلك
فلما لم يكلفه وتجاوز عنها كان على الخطايا امر بالشكر لذلك والثاني قبولا منه ذلك في حق التوبة عن غير القتل من الزلات فيكون في
قيام بما امر به في حكمة العفو عن مثله يجعل ذلك من العبد مقبولا بحق التوبة من الزلات ونسب الى التوبة منه اذا كان على التوفيق
لفعله وذلك تسمية الله توابا على التوفيق والتجاوز والله اعلم والثاني يرجع الى فعل العبد فتكون توبة من الله على عبده القاتل بان
يتوب باعتاق رقبة مؤمنة وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون الفعل مغفلا بماثم ولله تعالى مواخذته عليه لانه بالجهد يمكن
ابقاء ذلك ولذلك تعبد بقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا واذا كان كذلك فيكون ذلك منه توبة الى الله ليحفظ عن مثله
في امر الدين والثاني ان يكون عليه حفظ دينه عما يقع فيه من التضييع الذى يبلى بانساء الشيطان او تفريط غفلة او نحو ذلك فيلزم
جبر ذلك بما ذكر وان لم يعلم اذ قد يجوز وقوع النقصان في ذي الحرمات من وجه الاثم يلحق نحو المذكور في المتاذى وفي امر السهو في
ذلك فيؤمر به ليجبر ذلك وذلك نحو ما قد يفسد بامور من وجه لا يعلم به فكذلك امر النقصان فيؤمر بالتوبة الى الله عز وجل عن ذلك
بما يمتحن الله به من الامور والله اعلم مع ما قد يتصل بالقتل ما له حكم الخطايا ياثم المرء عليه ويخرج بجائز ان يرجع حرف التوبة من الله الى
ذلك وهو سمي خطا العمد والثاني مما يدل على جعل الايمان شرطا انه جعل لما دفع في حق الدين من التضييع اذا تعلقت الحرمة بالدين
من الوجه الذى بينا ولا فرق بين عبادة ينتاديها يقع فيها تضييع فحد منها يبرم تلك بكفارة وبين جملة من العبادات يتعذر

الاشنان وضمن

الاشنان وضمن الوفاء بما يقع في حد منها تضييع ان منها حدها من الفرض لا يعلمه الا من يعلم حد التضييع من الاصل ولا يعلم حدوه
غير الذى يجعل الحد وقد يكون في ذلك بيان البيوم وبدونه لعله لا يجب بالفرد وما الاحتياط ذلك وعلى ذلك امر الحد والاذكار
والثالث متفق القول على من وقع الشرط طلاق يجب الغرم وعلى ذلك شرط في التتابع في الصيام لهذا المعنى والاول اجمعها على
هذا الاتفاق جعل يوم امر هذا الاصل الخير من الكفارات ونحن لا نجعلها لوجهين احدهما انا لم نجعل ذكر التتابع في هذا الاصل
لكل ما لم يذكر فيه التتابع والثاني ان ما بينا من يحل كل من استوفى ذلك انما يلزم من علم ما حد له من الاصل ومعلوم الاختلاف في الكل
لذلك لم يجب هذا كان بعلا المطلق وتقييد المقيد بالذكر وايد ذلك ان الله تعالى قد ذكر في كل قتل ولو كان بالذى يحتمل ذلك الحد
بالتبديل يكان نزل الذكر في هذا الا فهام الحكم في نوع المذكور وانزعه في غير نوعه فبين والله اعلم لوجهين احدهما التنبيه
على لزوم في هذا الذكر والثاني التشبيه انه لم يجعل لمكان القتل لكن لما وقع في الدين من التضييع وجاز ان يكون شرط الايمان
بما سبق منه تضييع حد من الحدود والذي اقتضى ايجاب عليه الايمان قام باعتاق مؤمنة في الرقبة لحفظ ما لزمه حق الايمان من
الشعائر به يحيى ارقى فيه لغيره ويجوز ان يكون لما اتبعث به نفسه وهي مؤمنة قام اليه يشكره الله تعالى بابقاء نفس مؤمنة اذ با
لعتق واجبا وعلى ما ذكر من اختلاف الحدود وما له حدود فحق الشرع ثم يفسر العلماء على القيام عند العجز منه على ما قضى به في
حق الظهار والنظر بينهما في انظهارهما لما يكون له الترتيب الى القدرة عليها وما له الرقبة واليس بها هنا وامر الفطر هو في بعض صيام
قد جعل الاصل من الطعام وعوضا عرف حيث بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية الاية فعلى التمام عوض التعدي فيه وليس في امر
القتل ذلك وذلك انه بذكر الايمان على ان لم يعرف موقعه ثم الذى تبين فيها انه التشهد بين خاصة ما جمع بين المؤمن الذى
يحتمل ان يكون منه سائر الشرائع والذى لا يحتمل سوى نفس الايمان وهو المؤمن الذى من قوم عدو ولنا انه قد يؤمن في دار الحرب
بما في العقل دليله ولا يعلم به غيره من العبادات التي لها حق الشرائع وقد يجد ان يكون في الابلاغ في وصف ما يكفي به الابلاغ في
التحذير عن الغفلة التي لديها خوف ووقوع ما ذكر وعلى ما ذكرت من تضييع حق لزمه دينه لزم التعزز كل واحد منهم الكفارة
على التمام لما انفرد كل بما لزمه من الحق بدينه في التضييع وعلى هذا قولهم في المحرمين يتناولون الصيد ان كل واحد منهم جنى على احرام
الذى لم يتصل احرامه باحرام غيره على ان النفس ذهى لا يحتمل التجزية لم يتجز المجعول لها وعلى هذا امر القصاص والدية لم يجب في الحقيقة
للنفس ذهى قد يجب لما دونها فيما يحتمل التجزية اكثر مما يجب للنفس واذا بلغت النفس فسقط بعض ماله منها حكم الوجوب و
لما هي ترجع الى غير الجاني ومحال الاخذ الكل ممن يرجع اليه بالكل بما يكون في طلب التخفيف لا اجحاف واهلاك الخلق ولما كان حق
النفس من حيث القتل من المال يختلف ومن حيث القصاص والكفارة ولا يثبت ان الرجع في هذين الى الحوال في نفس القاتلين من دين
يمنع حصرا وامتناع عن احتمال التجزية او احياء اريد بالموضوع ولو لم يجعل في الجماعة ليذهب فائدة الاحياء اذا الوجود بالاحاد عن
فيبطل الاحياء في ابلغ احوال الحاجة اليه ثم اذا رجع امر الكفارة الى من تولى قتله وقد سبق عليه امر الدية كقوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطا
فتحرير رقبة بمعنى عليه تحرير ما ذكر او قد اوجب عليه وعلى ذلك جميع ما في القران من الامر على اثر الاسباب ثم نسق على ذلك بقوله ودية
مسلمة الى اهلها فحقها ان يكون عليه والخبر الوارد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر العقل الذى توارثته الامة الى يومنا هذا بل الامة حق
كان قد ظهر عن امر الرسول السالف بحق التواتر في المؤمنين ثم والمنكر بينهم فكان ذلك بحق التعاون ولذلك قال اصحابنا رحمهم الله تعالى
في الذين لا عاقلة لهم تجب الدية في اموالهم وعلى ذلك فيما بينهم بالتاويل ودون البينات وهو الحق اذ فيما يجب فيه القصاص من انفسهم بتلف فعلى
ذلك الدية والاصل في ذلك ان معنى القصاص معقول بالذى ذكره الله تعالى في القران من قوله ولكم في القصاص حيوة فلا معنى لصرف ذلك
الى غير المنزل لما يذهب الحيوة وجاز شرع ذلك بحق العقل ليتزجر الناس به ولتسلم لهم الحيوة الذى هي الذ الاشياء اذ بها يعرف اللذات كلها وذلك
المعنى ليس نفس القتيل احق من غيره من ان يجعل القصاص لحقه بل الاولى ان يجعل لاعالة الردع والزجر متى كان معلوما ان نفس القتيل لا ينتفع
بل انما نفعها في ان تبقى لخوف القصاص ممن يروم قتلها اشفاقا على نفسه وليس ذلك المعنى في امر الدية بشيء وانما توجب بعد الوفاة ولم يجب من كل
يتولد منه التضاغن والعداوة التي لديها اسفك الدماء على حق تخصيص الدماء لما هي تجب بالخطا من وجه يعلم عذر من منه ذلك لكن الله تعالى
بفضله بما جعل المتصلين معونة في جبرة وشرفا في كثرة الاقوام وتباهيه في الدنيا مما يقع بها التناصر والتدافع الذى به بقاء الدوام و
القوام فيعظم في مثله مصيبة العقل والخاصة من وجه لعله يسبق اليهم الا قبال في التلبيس على اهله بالخطا وان ذلك ليس بحق فيخاف
وقوع الشر بينهم والعداوة التي تولد الفساد فجعل الله تعالى بمنه وفضله لهم ما تطيب به انفسهم ويسكن للعقل الذى يخاف من حدث
الشر بينهم معالم جميع ما الحق لهم ابتداء المحنة بما ذكر بلا سبب يسبق فهو بالتسبب احق واذا جعل بهذا من الوجه الذى له حق الابتداء لله
وضع ذلك في احوالهم من بانفا نفس القاتل لهم ما ذكرت من المنافع على ما جعل في ذلك وان لم يرجع منفعة الواجب في ذلك الى القتيل لما لم
يعلم انه يقتل ليجعل ذلك لوجه يتز وديه لمعاده وان حرم ذلك في دنياه فيصير المجعول في ذلك فيهم لهم وعليهم بالذى ذكرت من دفع
الفساد والقيام بحق الاحسان ثم الاصل في اتلاف الاموال ان منافعها عند القيام ومضادها عند الاتلاف ترجع الى اربابها
والانفس يرجع ما لها في ذلك الى العشائر والمصلين فعلى ذلك المجعول فيها مما كانت الاموال مما فيصير من ضمنه كانه اشتراه وكل مشتري

بالتسليم اليه المزوج منه فلا يحتمل ان يضمن من لم يكن منه الجناية لما يسقط لو ضمن بعقد التسليم ولا على ذلك امر جنانا انا لا نشئ لجائز في حق الشرع الموضوع على غير من يتولى ذلك على غير التسليم الى احد يستوجب بدل لهم ووقوع الخطا يكون من وجهين احدهما من جهة دينه بحوان ظنه القاتل كافرا بما كان عرفه كذلك او بما عليه سيما الكفرة ومن جهة نفسه فان يرمي غيره فيصيبه والحكم في وجهي الخطا واحد والخطا الثالث وهو الذي لم يقتضيه حق هذه الاية وهو عند الضرب قد يقع ذلك فيما اخطا الدين وفيما اتحد و النفس جميعا **وقوله** عز وجل فدية مسلمة الى اهله لم يبين من اهله وقال في موضع اخر ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ولم يبين من وليه فكان الاهل والولي هم ورثته على ما جاء في الحيوان وورث امراة اشيم من دية زوجها وان كانت الدية لاهل العصبة منهم من قبل ولان هذه الدية انما وجبت لمكان ما لهم من المنافع من القتيل في حال حيوته فاذا قتل فقد ذهب منافعه عنهم اوجب ذلك لهم لانهم هم المنتفعون في حيوته دون غيرهم وقيل ان القتل يوجب الضغاين فيما بين اولياء القتيل واولياء القاتل فيحمل ذلك على النساء والاهل فاذا وجبت هذه الدية لتطيب انفسهم بذلك ولا يحمل ذلك على الضغاين والحقد وقيل وجبت هذه الدية لئلا يدعي الخطا فيسقط القصاص عن نفسه بدعوى الخطا فاوجب الدية لما اذا ادعى الخطا اخذ بالدية وقد ذكرنا ان للخطا على وجهين وهو ان يقصد شيئا فيصيب انسانا فهو خطا لانه اصاب غير الذي قصده بالضربة والثاني خطا الدين وهو ان عرفه كافرا فقتله على ذلك فاصابه فهو خطاء وللخطاء وجه اخر وهو ان يضرب الرجل قاصدا لذلك بغير حديدة فان كان الذي ضرب حجرا صغيرا وعصا صغيرة فحكمه حكم الخطا وان كان حجرا كبيرا مثله يقتل او عصا عظيمة فان اصحابنا رحمهم الله تعالى اختلفوا في ذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا قود في ذلك وعليه الدية مغلظة وقال محمد رحمه الله يقتل به اذا كان من مثله لا يحيى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين ان العمد ما كان بحديد ففيه حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في الحجر العظيم ودليل على ان العمد بالضرب قد يكون خطاء وروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء خطا الا الحديد والسيف وسنذكر هذه المسألة في باب شبه العمد ان شاء الله تعالى ثم اجمع اهل العلم على ان الرقبة على القاتل لا على العاقلة واما الدية فلم يذكر على من يجب فقال اكثر السلف الدية ايضا على العاقلة وعلى ذلك تواترت الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس الدية ايضا على القاتل كالرقبة فيقال له ان القيام بدل عن الدية او عن العتق قبل له فذلك يدل على ان الذي يجب على القاتل هو العتق الذي ان لم يجد صام مكانه ويدل على ان الدية ليست عليه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل الدية على العاقلة عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنه قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ان يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قضى في الجنين عبدا او امة على العاقلة والتي ضربت ضرتها بعمود فسطاط فقتلتها فقضى النبي صلى الله عليه وسلم بديتها على عصبة العاقلة وفيما في بطنها غرة فقال اعرابي يا نبي الله اتغرمني من لا طعم ولا شرب ولا صاح فمثل ذلك بطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب اغرم فان الدية على العاقلة والميراث لاهل الفرايض وعمود الفسطاط مما يقتل مثله ولم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على التي ضربت ضرتها به فقتلتها القصاص فذلك حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في قوله ان للخشبة العظيمة والصغيرة سواء ولا قصاص فيه والاخبار فيه كثيرة **وقوله** عز وجل ايضا ودية مسلمة الى اهله على الحث والترغيب في التسليم والنهي عن التعاشر الذي عنه توهم حدوث الشر والفساد الذي يدفع مثله جعل العوض في قتل الخطأ وعلى ذلك قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وقد بينا من يسلم ثم بين التسليم الى اهل القتيل ولم يبين من اهله وقد اجمع السلف على ان اهله ورثته والاصل في ذلك ان الدية جعلت بدلا لنفس القتيل فتصير متروكة عنه وعلى ذلك لو كانت منه الوصايا او عليه دين ينفذ منها فصارت فيما قال الله تعالى للرجال نصيب مما ترك الايات التي فيها بيان من يرث من بعد الوصية و الدين فذلك لهم فيصير اهله بعد وفاته من ينتفع بتركته اذ كذلك وصف الاهل في الحيوة انه يرجع الى المتصلين به ومما نفعه معا كان اسم الاهل في الزوجة غير ممتنع استعماله على كل حال فيجب دخولها في ذلك وغيرها من الورثة الحق وقد روي في مثل ذلك مرفوعا في توريث امراة اشيم الضبابي وعمل به عمر بحضرة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والذين لهم سائر الولايات سوى ولاية الميراث الحق والله اعلم **وقوله** عز وجل الا ان يصدقوا فانما استثنى من الدية لانه لا حق لاحد من العتق حتى يحتمل التصدق وهو كقوله تعالى في القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وذكر التصدق على ما عليه الترغيب في الديون من قوله وان تصدقوا خير لكم ثم الاصل ان التصدق من المعروف الى ذوي الحاجات والعقل انما وضع اصله على الاغنياء لكن يخرج على وجهين احدهما ان الاية جاءت بذكر القاتل وجود الدية المسلمة كلها الكل قاتل عشر فكان الترغيب على ذلك والثاني انه معروف في الديون وكذلك حكم الصدقات اذ لا يقع له الثواب في الدنيا الا بنفع لغنيها المعروف فيكون فعلهم من الحقيقة لله لا لابتغاء الجزاء فسمي صدقة اذ هو اسم لما يقع من المعروف لله مما يمكن في ذلك ان العقل ليس بشرطه الثناء الذي له يجب الزكوات وغير ذلك النوع من الثناء لا يخرج اهله عن احتمال الصدقة بل يحمل على اهل الذي وهم الذين اموالهم هي التي تخرج بحق العطايا يؤخذ لوقت الخروج لا بعد الوقوع بالملك وتمام شرط الثناء له وفي هذا صرف الثناء الى الذي يلي من الكلام دون الذي تقدم وحمله على بعض الكلام دون الكلام ليعلم ان موقع الفهم عن الحكم على ما يقتضيه حق الحكمة دون الذي ينتهي اليه حق اللسان والله اعلم **وقوله** عز وجل وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يكون الرجل مؤمنا وقومه كفار في دار الحرب فيقتله مسلم فلا دية عليه ولكن عليه عتق رقبة مؤمنة وعنه ايضا ان كان الرجل ليسلم ثم ياتي قومه فيقيم فيهم فتغزوهم الجيوش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب فانزل الله وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقال بعضهم كيف يكون للمؤمن المقيم في دار الحرب دية واولياؤه حرب لنا فهل يجوز ان يعطى لهم الدية ونحن نغنم اموالهم فان قيل تكون الدية لبيت المال قيل له انما يجوز ان يكون لبيت المال لو كان جائزا ان في بيت المال حق فاما المسلم المقيم في دار الحرب فلا حق له في بيت المال لانه انما يحق له بالهجرة الى داره فكيف يستحق بيت المال دية وبعد فان المسلم في دارهم لم يصر بالاسلام محرزا نفسه وماله لان دار الحرب ليس بدار يحرز بها الدماء والاموال فاذا كان كذلك فلم يكن لا نفس ولا اموال هناك بدل لذلك لم يجب الدية الا ترى ان من اتلف مالا في دار الحرب لم يلزمه بدل ولا نفسه لان حرمتهما سواء في دار الاسلام واختلف في تاويل قوله ايضا وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة الا على الاتفاق لا دية فيه لكن الاختلاف في ان من يخرج على ثلثة اوجه احدها ان ذلك فيما يقتل على الاغارة يجوز ان يكون على اهل الحرب وفيهم مسلم فلا دية فيه لما ابيحت الاغارة فيجب على هذا ان لا يكون دفع الكفارة في ذلك احق من دفع الدية التي هي حق العباد ولم يرد من هي لما لاباحة فلا وجب فيها لا دية لا كفارة قدر والثاني ان يكون كذلك فيجب ان يكون ذلك فيمن كان من قوم عدو لنا او لا سواء من حيث الاغارة بل انا صادفت مباحة وان كان فيهم مسلم فانه ذهب النفس من الامرين جميعا من الدية والكفارة وكذلك الجواب في قوم تترسوا بالمؤمنين انه اذا ابيح الرمي فيستوي الامران جميعا من الدية والكفارة وعلى ذلك اختلف فيمن له القصاص فعاد دون النفس فات عن الاقتصاص ان لا كفارة في ذلك وقد اختلف في الدية وعلى ذلك من يقتله من لا يحتمل القتل وما اوجب من العقل به الوجود بلا دية ويوجب ان يكون الدية في الايجاب من الكفارة فالام يجب بان له ليس دفع الدية المطلوبة والقول الثاني ذهبوا الى القتيل الذي هو من اهل الحرب انه لا يجب فيه الدية بقوله من قوم عدو لكم وهو مؤمن ويؤيد ذلك قوله فدية مسلمة الى اهله واهله عدو لا يحتمل التسليم اليهم بما انا احد اموالهم فيبطل بذلك ثمنا ذلك ان الكفارة هي ثبتت فعله بغير الدية والكفارة لما في ذلك من معنى الاثم فيدخل على ذلك ايضا امران احدهما ابطال الدية عن كل نفس لا وارث لها انما قتل من اهل دار الاسلام اذ لا اهل لها وعدم الاهل اكثر من كون الاهل وهم اعداء له بل يغرم الذي قتله وقومه لبيت المال فعلى ذلك الاول لو كان يجب ولكن لم يجب لا لهذا اذ قد راينا الوجوب معما هو اعظم في العدة من هؤلاء وايد ذلك الايجاب في المؤمن الذي قومه من اهل الميثاق او الكافر الذي هو من اهل الميثاق والعداوة لم يكن انقطعت بالميثاق والوجه الثاني انه لا يتوارث يجري بين المسلم واهل الكفر ليبطل حق الدية بوجوبها لهم بل يحول الميراث بالاسلام الى اهل الاسلام وان لم يكن له خصوص اهل وعلى ذلك جميع تركته فبان انه لا لهذا لم يوجب والقول الثالث ان الاية فيمن اسلم في دار الحرب ولم يخرج الينا حتى يقتله مؤمن خطاء ان عليه تحرير رقبة ولا دية فيه فيكون المعنى من قوم عدو لكم هو من قوم في الظاهر عند القاتل لم يخرج بعد عن اظهار المعاداة ثم يكون قتله للخطاء من وجهين احدهما بما كان عرف كفره ولم يظهر انتقاله عما كان عليه في الظاهر لا بخروجه الى دار الاسلام ولا سيما يظهر وذلك ظاهر الوجود وفي مثله نزل قوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا الاية وقد اخبر انهم كانوا كذلك يكتمون دينهم حتى من الله عليهم بالاظهار فيكون هذا بين اظهرهم على الامر الاول وعلى ذلك شان المسلمين الذين دخلوا تلك الدار بالامان ولا يحتمل ان يلحقه هذا النوع من قتل الخطاء فلزم في نفسه البدل على كل حال والثاني ان يرمي غيره فيصيبه على ما يكون خطأ اهل هذه الدار ولم يجب له الدية لما يقع فيه الخطاء من الوجه الذي على الامر يفعل على ما بينت فلا يحتمل ان يجعل لنفسه بدل والاصل في ذلك ان دار الحرب وفي الحرب سفك الدماء واتلاف الاموال فلا يقع بها الاحراز الدماء والاموال فلذلك لم يجب فيها البدل وليس كدار الاسلام لانها دار سلم وامن حتى جعلت تحرز بها الدماء والاموال على ما كان انفس الاعداء اذا دخلت بالميثاق الينا استوجبت حق الاعراض ولزوم البدل وان كانوا من قوم عدو لنا اذ هي الدار دار سلم واحراز ولا شبهه الذي اسلم ولم يخرج الذي خرج من هذه الدار مسلما لما كان يخرج بامان وفي الان لزوم حفظ الامر الاول وليس في الاول ذلك علمان احد الامرين في ابتداء الايجاب والاخر في البقاء على ما وجب ومعلوم تفاضل هذين في الاصول واختلاف الامر بينهما وقد كان في ابقاء بعض ما يستوجب بالدين لترك الهجرة كقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقد نسخت تلك الهجرة ولم ينسخ الهجرة الى دار الاسلام وان نسخت الى المدينة فلم يكن لنا من ولايتهم من شيء وانما حق بذلا لا انفس لمن بقي عنه من الاولياء والاهل وقد بقي ذلك فلذلك لم يجب وعلى هذا يخرج قولنا فيه لو قتل عمدا ان لا يجب القصاص ولا الدية لان الله تعالى قال فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد بقي فيما نحن فيه الولاية كذلك بطل السلطان وفي بطلانه بطلان البدل ويجوز معه بقاء الحق الذي بينه وبين الله لثبات تلك الحرمة ووجه اخر في تاويله قوله من قوم عدو لكم اي في قوم عدو لكم اي في قوم مظهرين العداوة دليل ذلك انه وان خرج الى هذه الدار فهم قومه لكنه ليس فيهم يرجع الى المؤمن وهو عدو

فيهم ان لاشئ فاذا خرج الى هذه الدار فهم قومه لكنه ليس فيهم يرجع الى مؤمن امن وهو بعد فيهم ان لاشئ فاذا خرج ان
عاد اولا فله حكم نازلة لم يقتضه حق الاية فيجب فيه الذي يجب على حسب الدليل الموجب والله اعلم وقوله عز وجل وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه فقال بعضهم ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا
وبينهم ميثاق فاحتج بعض اصحابنا رحمهم الله تعالى بهذه الاية الكريمة في ايجاب الدية في قتل المعاهد دية مسلمة وهي مثل دية المسلم
لان الله تعالى قال فيهما جميعا فدية مسلمة فيهما سواء وقد روى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والاية تحتمل غير هذا لان
الله تعالى قال في اول الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الى قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فاكتفى بذكر الايمان في القتيلين الاولين عن اعادة ذكر الايمان في القتيل الثالث ولم يكتف
بذكر الايمان في القتيل الاول عن اعادة في الثاني لانه لو قال تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة ولم يرد على هذا كنا نوجب الدية في قتل كل مؤمن فذكر الايمان في الثاني ليفرق بينهما واما ذكر الايمان في الثاني
غنى عن ذكره في الثالث كانه لانه لا تفرقة بينهما كذلك كان ما ذكرنا عن الحسن وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق قال مؤمن و
استدل من ذهب الى ان المقتول مسلم بان الله تعالى قال فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجب الكفارة على قاتل المعاهد اذا لم يكن ذمة الا ترى
ان النبي صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى فدى قتيلي عمرو بن امية وكان لهما عهد ولم يبلغنا انه امر بالكفار فيقال ان الكفارة واجبة
على قاتل المعاهد المسلم بظاهر الاية بقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وقال ايضا ومما يدل ان المقتول معاهد انه لو كان
مسلما لم يجب لاهله من المعاهدين الدية لانهم لا يرثونه وانما يرثونه اذا كان معاهدا وهذا يؤيد قول اصحابنا رحمهم الله تعالى
في وجوب كمال دية المسلم على قاتل المعاهد وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ودى
دما دية مسلم وحديث عمرو بن امية انه كان ببعض الطريق اقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان معهما عهد من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو وقد علم انهما من بني عامر فلما ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى انه اصاب منهما ثأرة من
بني عامر فلما قدم عمرو الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد قتلت قتيلين لاديتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعلوم ان الدية كانت تامة وان لم تسم لان العرب كانت لا ترضى ان تنتقص دياتها عن ديات المسلمين وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل دية العامريين دية الحرين المسلمين وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دية اهل
الكتاب مثل دية المسلم فان قيل روى عن عمر رضي الله عنه قال دية اليهودي والنصراني اربعة الاف درهم ودية المجوسي
ثمانمائة درهم وعن عثمان رضي الله عنه مثله قيل يحتمل هذا ما روى عن عمر انه قوم الابل فبلغت قيمتها اربعة الاف درهم ثم
قومها ثانيا فبلغت ستة الاف الحال بلغت عشرة الاف وما ذكر فيحتمل انه لما قومها فبلغت اربعة الاف كان ذلك في دية
يهودي ونصراني فظن الراوي انه انما وجب اربعة الاف لانه دية النصراني واليهودي فروى على ذلك معاد وروى عن عمر و
عثمان رضوان الله عليهم اجمعين بعشرة الاف وروى ان ابا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين قالوا دية المعاهد دية
الحر المسلم فهذا يوهن قولها الاول ويحتمل ان يكون على الاصطلاح فان قيل روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال دية الكافر نصف دية المسلم قيل ان كلا الفريقين تركوا العمل بهذا الخبر لان من يقول باربعة الاف لم يوخذ
لان اربعة الاف ثلث دية المسلم على قوله لان دية المسلم اثنا عشر الفا عنده ومن يقول بعشرة الاف لم يوخذ به فقد اجمع
على ترك العمل به وذلك لما لم يثبت عندهم والله اعلم معناه وصفنا في باب قتل المسلم بالكافر مما يدل على ان ذلك واجب فاذا
قتل المسلم بالذمي وجب ان يكون ديتهما سواء الا ترى ان الكفارة على قاتلهما سواء وقوله ايضا وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فاختلف في تاويل هذا الحرف من وجهين احدهما ان الاية في المؤمنين خاصة لكنهم على اقسام ثلاثة احدها على الايمان
والاخر على احداث الايمان في دار الحرب من اهل الحرب والثالث على احداث الايمان من اهل الميثاق في دار العهد والاخر
من وجهي الاية بيان جميع من ما يجب في نفسه حتى اذا قتل خطأ من مؤمن قد لحق ذمه بالايمان او بالايمان والدار او بالعهد
وفي ذلك انما قطع اللحق عن كثير ممن نهي عن قتلهم اذا لم يتضمنهم هذه الاية من نحو نساء اهل الحرب والذراري فلم تجب الدية
بالمجهز دما فهم بدار الحرب ولم تجب الكفارة بارتفاع الميثاق وان كنا لا نقتلهم فان كان تاويل الاية هذا فكان في الاية
ايضا على تخصيص القتيل المؤمن من اهل الحرب ان لا دية فيه وعنها كان فهم الاجماع ان الله لو اراد الجمع بين القتيل لكان يخرج
الامر على الابلاغ على ما في الكفارة وما فيها من صفة الايمان او على الايجاز والتدريج فيها بالمعنى فالذكر في قتيل واحد كما
فلما ذكر في قتيلين ولم يذكر في الواحد دل انه على التفريق وايد ذلك امر الصيام انه ذكر مرة والحكم ياتي على الكل وعلى ذلك حق
الدية معنى بين الذي هو وصفه وان كان تاويل الاية الاولى فاوجب في المعاهد بالمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قضى في عامريين دخلا بامان فقتلا بدية حرين مسلمين وفي ذلك بيان ان الدية لم تكن وجبت بالنهي عن القتل اذ هو في
الذراري والنساء قائم ولم يجب لكن بالعهد فاذا كان على الاتفاق في الدين والنهي فرق بينهما بالعهد فعلى ذلك امر المسلمين

على الاتفاق في الدين والنهي يفرق بينهما بمكان العهد والاحرار وايد التاويل الثاني شرط الايمان في قوله تعالى فان كان من قوم
عدو لكم وهو مؤمن فلولا ان الذكر يقتضي القتيل من العدد لم يكن يحتاج الى ذكر المؤمن وقد سبق بيان المقصود في ابتداء الاية في
النهي والثنيا جميعا فاذا لم يذكر في اهل الميثاق فصار متروكا على ما يقتضيه وايد ذلك الذي هو وصفه ان ذكر النوعين يدل على التفريق
اذ ليس على حق الاقتصار بالمعنى ولا على حق الابلاغ في البيان وجميع الكلام يخرج على ذلك اللفظين في حق الحكمة لذلك صار الى حق
التفريق ثم الظاهر قد يتضمن الخطاب بامرين احدهما في حق هتك الحرمة والاخر في حق العوض من غير تفريق في وزن الملفوظ وجاء البيان
الواجد وهي دية المؤمن فيصير كان البيان في الاية ومعلوم انه لو كان لكان ياخذ الكل الا ان يجيء التفريق على ما ذكر من امر الصيام وحق
التوبة وان ذكر الاحاد في حق بيان التضمين كذلك في الكل الدية على حد واحد مما استوى امر الكفارة فيما له حق البيان التام او بيان
الكفاية فعلى ذلك الاول وايد ذلك وجهان احدهما ان الدية ببلغها كانت في الجاهلية فاقرت على ذلك في الاسلام وكذلك حق
القسامة وكانت كذلك في اهل الكفر عند الاماه فعلى ذلك اليوم ويلزم الذي عرف حق يظهر ولذلك والله اعلم لم يجر في امر البيان
لانه كان على معروف وايد ذلك جميع الامور المنقسمة من نحو الحدود بين العبيد والاحرار في التفريق والديات بين الذكور والاناث
انه يجب ذلك الانقسام في اهل الكفر فعلى ذلك حد الجلد والنصف والثاني خبر ابن عباس رضي الله عنه في العامريين وعلى ذلك جاء عن
عمر وعلي رضي الله عنهما وما روى عن عمر رضي الله عنه فهو في الوقت الذي بلغت قيمة الابل اربعة الاف وسنذكر ذلك ان شاء الله
تعالى ثم الاصل ان البدل حق المتلف والاسلام والكفر امران يرجعان الى الدين والمذاهب والناس لا يملكون الزيادة والنقصان
من الابدال لانفسهم لانهم لا يهم جعلت الدية لكن بالشرع فيه يعرف التفريق والجمع فلم يثبت التفريق والمعنى في كل نفس من المنافع و
اليها مالا في غيرها الزم الجمع حتى يجيء علم التفريق والاصل ان البدل لامر يرجع الى منافع تقع للمجني عليه مكان ما ذهب منه اولغيره
فيما يدخل عليهم من النقصان يفوت نفسه ثم كل امر مجعول المنافع فالنظر فيها الى قدر المنافع عند اهلها واهل الذمة احق بالرفاهية
بتعجيل المنفعة لهم في الدنيا اذ لا حظ لهم في الاخرة وقد زعم الشافعي ان العبد لو بيع على انه كافر فوجده مسلما انه عيب يرد فيصير
الاسلام عيبا في قيمته فلا يجيء ان يكون الحر منهما اقل قيمة من الحر منا ومحل الدين ما ذكرت فهذا وان كان القول به منه شنيعا لا يجوز
ان يحتج به فهو في موضع التنبيه دون يلزمه كقوله سبحانه وتعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فحاجهم بالذي عندهم
فعلى ذلك يحاج بالذي عنده ولا قوة الا بالله وقد حاج بنفي الالهية بما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر وان كان وجود ما انتفى
لا يوجب القول به ثم القتل على اقسام ثلاثة عمد وهو ينقسم الى قسمين احدهما ان يتعمد نفس القتيل والثاني ان يتعمد دينه فيقتل لاجل
دينه وخطأ وهو ايضا على قسمين احدهما ان يقع باحد الجناية عن غير قصد والثاني ان يقع له على قصد لكن على ظن لزومه الدين
الذي استوجب القتل به وبين الخطأ والعمد قتل اخر سمي خطأ العمد وشبه العمد مما لم يبين حكمه في منصوص القران ولا هو مما يحتمل معرفة
حقيقته بالعيان لانه ليس في العين جناية تقع من حيث الوقوع الا عن عمد او خطأ فصار ذلك معروفا وحكمه بالشرع وقد ان
يشرع في حقيقة الخطأ والعمد شرعا واحدا على ما عليه امر شرعه في جميع الامور وقد جاء الخبر فيه واتفاق الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين على ايجاب الدية في ذلك وليس في ذلك ذكر الكفارة فلا ثبت الحاقه بالذي هو خطأ في الحكم قيس عليه امر الكفارة ثم
مما كان لذلك وجه تقدر احدهما ان في العمد ما هو لنفسه كفارة وهو القصاص وقد رفع ذلك في شبه العمد والدية تلزم العاقلة
فلا بد من وضع كفارة في ذلك كالذي ذكر في الخطأ فيه والثاني انه ذكر في الكفارة توبة من الله والتوبة من الله تخرج على وجه ثلاثة
على التوفيق لفعله او على ما كان من الزلة او على جعل ذلك الفعل منه توبة عن زلته واي هذه الوجوه الثلاثة كان ففي ذلك معنى وصف
التوبة فيكون مما قد يتوجه الى عمد يلحق وصف الزلة وامر يجوز الكلفة به فيقع العدول عنه اذ قال ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به
ولكن ما تعمدت قلوبكم فاذ جعل في ذا توبة فهو في وجه فيه جناح فيدخل في ذلك قتل فيه جناح ويكون له حكم الخطأ ببينة
الخبر والثالث اتفاق اهل التقوى على القول به وايضا ان الذي يقع للخطأ فيه لم ينه قصد تعمد قتله واوجبت عليه الكفارة
فقد وجبت كفارة مع تعمد فيما لا ينه لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب فيه البدل فهو لوجوب الكفارة احق فقد وجدت كفارة مع
تعمد فيما لا بد لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب فيه البدل فهو لوجوب الكفارة احق واما العمد الذي فيه القصاص ومنه اوجه
ثلاثة احدها ان الله تعالى بين ما فيه من الحق على نحو ما بين في الخطأ وانما يجب طلب القول الحكم فيما لم يبين نصوصا من النوازل
ان يعلم ان الله تعالى فيها حكما اذ لم ينص عليه فقد جعله مبينا بالتضمن لا بالتصريح فاذا بين سقطت الحاجة وبطل الاجتهاد والتعرف
به وعلى ذلك يجاب لقتل الصيد عمدا ان الحكم فيه لم يبين بالتصريح فهو متروك التضمن والثاني ان الكفارة في حق الرجوع عنه والكف
لفعله وقد السيف ذلك والزيادة فيه فلذلك لم يضمن اليه غيره ثم معلوم ان الكفارة انما جعلت بما معه الابقاء حتى يصوم
شهرين وفيما فيه القصاص لا مهلة له يستوجب به بقاء النفس لتقوم بالكفارة فلذلك لم يجب والثالث الاتفاق ان الذي يتيمم
لا يلزمه الكفارة فمن وجب له حكم العمد لم يجب عليه الكفارة ولو اوجبنا الكفارة على القاتل جعلناها حقا لله من حيث النفس لان
حيث معنى في الجناية لم تجب وذلك المعنى في نفس القاتل والقتل سواء فيكون ولي القتيل اخذ الذي له وقع القصاص لكن لما الكفارة

فتلومه فاذا لم يجب بان انهما يجب لحالة في النفس والجناية فلم يجب فيما عدمت تلك الحالة الاصل انهما لم يجعل الحظر ولا النفس الحرمة
قد يوجد قتل نفس محظور ولم يجعل فيها الكفارة نحو الزاني والنساء من اهل الشرك بل لو كان لذلك كان الخطا من ابعد ما يجعل فيه
الكفارة فثبت انها لم تجعل لذلك ومن يقيس بعض بذلك فبطل والله اعلم **وقوله** عز وجل فتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم
لا يجزي الا من صام وصلى وعن ابن عباس قال الرقبة المؤمنة كل مولود ولد في الاسلام صغيرا كان او كبيرا والاشبه ان يجزي الصغير
من المؤمنين على ما يجري عنه الكبير منهم اذ كان حكم الصغير من المؤمنين حكم الكبير منهما ومما يدل على ذلك ايضا ان الحكم الصغير
من المؤمنين في ميراثه وتزويجه وطلاق الرجل الزوجة الصغيرة حكم الكبير فهم مؤمنون في الحكم وان كانوا صغارا ولكن لسنا
نذكر من اصحابنا رواية منصوصة في جوازه والقياس ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين [توبة من الله] ثم
سبحانه وتعالى الشهرين بالتتابع ووصف الرقبة بالايمان فهو والله اعلم يحتمل ان يكون على التغليظ والتشديد لما يجوز ان يجاوز
جرم حكم الخطا جرم غيره من الاشياء نحو ان يقتله بعصا او سوط ونحوه قاصدا ولا شك ان جرمه اعظم من جرم غيره من الافعال
التي توجب من الايمان والظهار وغيره فغلظ فيه ما لم يغلظ في غيره بالايمان في الرقبة والتتابع في الصيام وهذا كما يقولون ان
ضرب التعزير اشد من ضرب حد الزنا وحد شرب الخمر وغيره لان جرم فعل التعزير ربما يبلغ جرم الزنا او يجاوز وهو ان يجامع امرأة
من غير [illegible] لا شك ان حرمته اعظم من حرمة من قذف اخر او شرب قطرة من خمر فغلظ فيه وشدد لما ذكرنا فعلى ذلك شرط الايمان في
العتاق في كفارة القتل والتتابع في الصوم تغليظا وتشديدا للمعنى الذي ذكرنا وهو ان يقتله قتل شبه العمد او عمد القصد خطا
الحكم الا ترى انه غلظ في الدية في شبه العمد ولم يغلظ في غيره وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قتيل
السوط والعصا فيه الدية مغلظة وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطاء الا السيف ولا
ولكل خطاء ارش ذكر الله تعالى قتل الخطاء والعمد فبين حكمهما ولم يذكر غيرهما في كتابه لكنا عرفنا قتل شبه العمد والحكم فيه بما روينا
من خبر ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديث النعمان عنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال الا ان قتيل خطا
العمد قتيل السوط والعصا فيه الدية مغلظة ثلاثون جذعة وثلاثون حقة واربعون ما بين ثنية الى بازل عامها كلها خلفة
واختلفت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين روى عن عمر رضي الله عنه ما ذكرنا من الخبر المرفوع اثلاثا وعن علي رضي الله
عنه روينا منه اثلاثا وعن ابي موسى الاشعري والمغيرة ما رويناه من الخبر المرفوع اثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه في شبه العمد
ارباعا خمسة وعشرون حقة وخمسة وعشرون جذعة وخمسة وعشرون بنات لبون وخمسة وعشرون بنات مخاض ثم لا يحتمل ان
يكون الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا ذلك رايا من انفسهم لان هذا باب ما لا يدرك الا بالسمع والخبر عن الله سبحانه وتعالى
فيحتمل كانهم جميعا سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت واحد فذلك في وقتين مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر الاول
منهما من الاخر فاوجب الاخف باليقين ولم يوجب الاغلظ بالشك وهذا قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال في شبه العمد بالارباع
واما محمد رحمه الله فانه ذهب الى ظاهر الخبر المرفوع بالاثلاث ثم اختلف اصحابنا رحمهم الله تعالى فيمن رضخ راس حجر فغرق فمات قال
ابو حنيفة رضي الله عنه لا يقتل به وقال فيمن احرق اخر بالنار قتل به وكان يفرق بينهما بوجهين احدهما ان يقول الرامي في الماء حسبت
انه يحسن ان يسبح وذلك موجود في كثير من الناس فصار ذلك شبهة يزول بها القصاص عن الرامي واما الذي رمى صاحبه في النار
ليس لمائه يدعي مثل تلك الشبهة لذلك لم يزل عنه القصاص والثاني ان النار جارحة الا ترى انها تستعمل في موضع السلاح ويجارح
بها وهي من اشد السلاح ولا كذلك الماء لذلك ثم القول في مبلغ الدية من الابل ودراهم الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن حزم في العقول في النفس ماية من الابل وما رويناه من خبر ابن عمر رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان
قتيل خطاء العمد فيه الدية مغلظة ماية من الابل [illegible]
دية الخطاء اخماس وكذلك روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الخطاء ارباعا [illegible]
وكان ابو حنيفة رحمه الله [illegible]
[illegible] بالخبر المرفوع [illegible]
[illegible] الدية اثني عشر الفا [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
قال وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديات فوضع على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق عشرة الاف درهم وعلى اهل الابل
ماية من الابل وعلى اهل البقر مايتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مايتي حلة [illegible]
الابل [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين [illegible]

الدية من الدنانير

الدية من الدنانير الف دينار فوجب ان يكون الدية من الدراهم عشرة الاف لانه روى عن عمر رضي الله عنه انه جعل قيمة كل دينار عشرة
دراهم وروى انه كتب الى امراء الاجناد ان ياخذ الجزية من اهل الورق اربعون درهما ومن اهل الذهب اربعة دنانير وعن علي رضي الله عنه
انه قال لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم ودل ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم ان قيمة كل دينار عشرة دراهم ظاهر الجمع
فان الدية من الذهب الف دينار وجب ان يكون من الورق عشرة الاف الا ترى انه يوخذ في الزكوة من مايتي درهم خمسة دراهم وفي
عشرين دينارا نصف دينار دل على ان الدية عشرة الاف ثم يحتمل الخبر ان ثبت ان الدية اثني عشر الفا وزن ستة لان الدية كان اصلها
الابل فقومت الابل دراهم فبلغت اثني عشر الفا من وزن ستة ثم ردت الاوزان الى وزن سبعة فكانت اثني عشر الفا كسر وزن
سبعة القول الكسر لان القيم لا تعرف منصوصا وانما تعرف بالاجتهاد وقد تزداد وتنقص ويكون بين القيمتين الشي اليسير فلم
ذلك الكسر لما وصفنا ولانه لم يكن في الدية في اصلها كسر وهذا وجه محتمل فاخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى باخر التقدير لان الاوزان
استقرت على وزن سبعة وبطل وزن ستة ولا شك ان وزن سبعة هي الاخرة لاستقرارها في الناس على ذلك وبالله التوفيق
وقوله عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قد ذكرنا معنى التتابع في ذلك وفي قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين [تعالى]
عند الجميع من ذكر من القايلين في هذه الاية ثم قوله تعالى توبة من الله قال بعض اهل العلم ندامة من الله تعالى وقد يندم الرجل على
يفعله خطاء لكن عندنا على حقيقة التوبة لان الفعل فعل ماثم وان كان خطاء ولانه يجوز ان يكلف الانسان وينهى في حال
الخطاء لما لا ينبغي في ذلك ولا ينفذ لئلا يترك التامل في ذلك والنظر فيكون التوبة على الحقيقة لما ذكرنا وفي قوله ايضا توبة
من الله قد بينا الوجه في ذلك وقال بعض اهل التاويل التوبة في الحقيقة هو الندامة على الاثم وكل من يتولد من فعله قتل احد
فهو يندم على ذلك الفعل الذي حدث منه الذي ذكر ويحزن عليه فيكون على هذا التقدير معنى التوبة من الله القاء ذلك
الحزن في قلبه او رجوعه بالتاسف الى الله باعتاق والصيام والله اعلم **وقوله** عز وجل وكان الله عليما حكيما لمن قتله خطاء
ولم يقصد ومن قصده او عليما بما حكم عليكم من الدية والكفارة او عليما باجل الحكم حكيما في قضائه وحكمه حيث وضع كل شي موضعه
والله اعلم به وقوله تعالى وكان الله حكيما عليما يخرج ذلك عند ذكره هذه الاية وهو كذلك بذاته على اوجه احدها انه عليم
بالذي عليه يخرج عليه حقيقة فعل ذلك القاتل من القصد وغير القصد وهو حكيم بما حكم علينا الذي ذكر بنظام احوال القتيل
وان لم يعرف حقيقة الامر في ذلك اذ الذي له حكم العمد والخطاء لا يظهر لغيره والثاني وكان الله عليما بالذي يكون من
عباده وبالذي المصالح بينهم فحكم بما فيه الصلاح فيما علم من وقوع الجنايات والثالث تبين انه لا عن جهل يقع الخلاف
لامره ولما لم يرض به من خلقه ولا عن خطاء في التدبير اي عليم بالذي يكون من الخلق لا عن جهل بهم خرج امرهم وحكيم في التدبير
اي لا يلحقه الخطاء في تدبير الخلايق على ما يكون منهم من الفساد والشر اذ يبتلى من غيره بغلط الخطاء والجهل لما في ذلك ضرر يقع به
والله تعالى عن هذا **وقوله** عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية قيل في بعض القصة ان رجلا قتل اخر
عمدا فلما علم انه يقتل به ارتد عن الاسلام ولحق بدار الحرب فنزل الوعيد وهذا والله اعلم كقوله تعالى والذين يؤتون الزكوة وهم
بالاخرة هم كافرون كانوا يمنعون الزكوة لما كان عندهم ان الزكوة تنقص المال فجحدوا بها راسا كقوله لم نك من المصلين ولم نك
نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين فتركوا الصلوة والزكوة لما لحقهم بذلك مؤنة واشتغال انشغلهم
ذلك كله عما تهوى انفسهم فانكروا راسا لانهم ان صلوا وادوا الزكوة ذلك صلوة وزكوة اذ كانوا يكذبون بيوم الدين فعلى
ذلك قاتل المسلم عمدا اذا علم انه مقتول به ترك دينه فصار من اهل النار خالدا مخلدا فيها ويحتمل قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الذي
يقتله عمدا غير غالط فيه ولا جاهل عالم بذلك والى قتله لدينه قاصدا وكان هذه صفته فقد كفر ووجب له هذا الوعيد الذي
ذكره في كتابه الكريم الا ان يجدد ايمانا فان الله تعالى يقبل ايمانه وتوبته والثالث ان يكون ذلك جزاءه ولله الافضال عليه
بالعفو والمجاوزة اذ ذلك جزاؤه ان لم يكن له حسنات كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ثم الدليل ان الاية
فيمن قتل مسلما لدينه قاصدا لنفسه دون دينه قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وانما كتب عليهم
اذا كان القتل قتل عمد وابقى لهم بعد القتل اسم الايمان ثم قال فمن عفي له من اخيه شي فابقى لهم اسم الاخوة ثم قال ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة اطمعه في رحمته عز وجل وبعيد ان يكون له مع هذا خلود في النار ودلت الاية على بقاء اسم الايمان وعلى رجاء
الرحمة وهما معنيان ينقضان قول المعتزلة حيث خلدوا الكبيرة في النار ولانه تعالى قال فجزاؤه جهنم خالدا فيها ولم يقل يجزي به
وله ان يتفضل بالعفو عنه على ما وصفنا وبالله التوفيق والنجاة وروى عن ابن عباس رضي الله عنه في تاويل الاية ما يؤيد ما
قلنا وروى عنه انه قال في قوله سبحانه وتعالى فجزاؤه جهنم الاية قال هي جزاؤه ان شاء عذبه وان شاء غفر له وروى عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض
فدل على راهب فاتاه فقال اني قتلت تسعة وتسعين نفسا بغير حق فهل لي من توبة فقال لا فقتله ثم سال عن اعلم اهل الارض
فدل على رجل فاتاه فقال اني قتلت ماية نفس بغير حق فهل لي من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا

وكذا فان ناسا يعبدون الله فاعبده معهم فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصم به ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم ملك فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما كان ادنى واقرب فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة الا ترى انه لما كان كافرا فقتل مائة نفس فقبلت توبته ولو كان مسلما كانت مظالم القتل في عنقه باقية فهذا الحديث يدل والله اعلم على ان التأويل ما ذكرنا وبالله التوفيق وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الاية قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى دار الحرب فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا واقام رجل لاسلامه فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من العدو من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجاء غنمه الى ... ثم قام دونها فسمع التكبير فهبط اليهم وهو يقول لا اله الا الله فاتاه رجل من هؤلاء فقتله واستاق غنمه وما معه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله فقالوا انه قال متعوذا فقال هلا شققتم عن قلبه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله بعث سرية فلقيهم رجل فسلم عليهم وحياهم بتحية الاسلام فحمل عليه رجل من السرية فقتله فلامه اصحابه وقالوا قتلت رجلا حيانا بتحية الاسلام فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه بالذي صنع فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتلته بعد ما قال انما قالها تعوذا قال فهلا شققت عن قلبه فنعم ذلك فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فلا ندري كيف ما كانت القصة ولكن فيها الامر بالتثبت عند الشبهة والنهي عن الاقدام عندها وهكذا الواجب على المؤمن الوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر لان الله تعالى امر بالتثبت في الافعال بقوله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا وقال في الخبر ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا امر بالتثبت في الاخبار عند الشبهة كما امر في الافعال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقف ما ليس لك به علم وفي الاية دليل فساد قول المعتزلة لانه نهاهم ان يقولوا لمن قال اني مسلم لست مؤمنا وهم يقولون صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وهو يقول الف مرة على التاكيد اني مسلم فاذا نهى ان يقولوا ليس بمؤمن امرهم ان يقولوا هو مؤمن فيقال لهم انتم اعلم ام الله على ما قيل لاولئك وقوله عز وجل تبتغون عرض الحيوة الدنيا قيل الغنيمة فعند الله مغانم كثيرة هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فعند الله مغانم كثيرة اي اجر عظيم وجزاء كثير ويحتمل فعند الله مغانم كثيرة يعطيها لكم في غير هذا كقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الاية وقوله عز وجل كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم الاية تختلف فيه قيل كذلك كنتم من قبل ضلالا كفارا فمن الله عليكم بالاسلام والهجرة وهداكم به وقيل كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم في المشركين وتكتمونه فمن الله عليكم باظهار الاسلام وابنائه وقيل كذلك من قبل تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا اله الا الله ولا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة وعن ابن عباس قال كذلك كنتم من قبل كفارا تقاتلون على الدنيا وعرضها وقوله تعالى فتبينوا عاد الى الاول وامر بالتثبت عند الشبهة الا ترى انه روي في الخبر انه قال المؤمن وقاف وزال وقاف يقف عند الشبهة وزال يزن الاعمال فيختار افضلها وقوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم قال الحسن كان هذا في الوقت الذي كان الجهاد تطوعا لانه لو كان فرضا لكان لا معنى لقوله تعالى لا يستوي كذا من كذا وهما غير مستويين احدهما فرض عليه والاخر لا قيل له هذا الذي ذكرت لا يدل على ان الجهاد ليس بفرض في ذلك الوقت الا ترى انه قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم جمع بين متضادين ثم قال لا يستوي فعلى ذلك وهو اولى وقوله عز وجل غير اولي الضرر استثنى اهل الضرر مما في هذه الاية وبقي امرهم وما ازال عنهم من فرض الجهاد في اية اخرى وهو قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على المريض حرج وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وهذا مما اجمع عليه اهل العلم وازالوا الحرج عمن كان في مثل هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى وعذرهم في تخلفهم عن الجهاد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين رغبهم في الجهاد بقوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين الاية اتاه عبد الله ابن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين وحالنا ما ترى ونحن نشتهي الجهاد فنزل غير اولي الضرر فجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين لزمانتهم وعلى ذلك اكثر اهل التفسير وقال الكسائي الضرر مصدر الضرير والضرر والضرير الاعمى يقال ضرير بصره فهو ضرير ومضرور اذا عمي وقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى القاعد والمجاهد وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما قيل هذا الفضل للمجاهد على القاعد الذي قعد لا لعذر جعل له الاجر العظيم وقوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة على القاعد الذي قعد لعذر لانه جعل تفضيله عليه بدرجة وفي الثاني جعل فضيلته عليه بدرجات لكن قوله درجة ودرجات عندنا واحد الا ترى انه تعالى قال وللرجال عليهن درجة ليس هو شيء واحد ولكنه اشياء والذي قعد لعذر يستوي في الاجر مع الذي خرج اذا كان يتمنى ان يخرج ان قدر لانه لو لم يكن كذلك لكان لا معنى للاستثناء وفي الاية دلالة ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط عن الباقين بقيام بعضهم وان كان الخطاب يعمهم في ذلك وهو قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا

اليهم وفرض الخروج لطلب العلم وفرض كفاية اذا خرج بعضهم للطلب يسقط عن الباقين ذلك فعلى ذلك فرض الجهاد وان ذلك خلاف ما عاتب الله عليه الثلاثة الذين خلفوا في سورة براءة لان اولئك تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فانما عاتبهم لذلك لتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية في قوم من المنافقين خرجوا من المشركين الى بدر فلما التقى المسلمون والمشركون ابصروا قلة المسلمين وهم مع المشركين على المؤمنين فقالوا غر هؤلاء دينهم واظهروا النفاق فقتلوا وماتتهم ضربت الملائكة وجوههم وادبارهم فقالت لهم الملائكة فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض وقيل انها نزلت في نفر اسلموا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقاموا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين الى القتال فلما راوا قلة المؤمنين شكوا في النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا فقالت الملائكة فيم كنتم قالوا كنا وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانت الهجرة يومئذ مفترضة فكفروا بترك الهجرة وهو كقوله الذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فلا ندري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة بعد ان نعرف ما اصابهم مما اصابهم وقوله قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين هذا يتوجه وجوها احدها مع من كنتم مع محمد صلى الله عليه وسلم كنتم واصحابه او مع اعدائهم والثاني فيم كنتم اي في دين من كنتم في دين محمد صلى الله عليه وسلم او في دين اعدائه والثالث قالوا بمعنى يقولون اي يقولون لهم في الاخرة فيم كنتم قالوا كنا كذا وقولهم كنا مستضعفين في الارض هذا ليس جوابا لقوله فيم كنتم جوابه يقال لكنا في كذا ولكنه كانه على الاضمار قالوا لهم ما الذي منعكم عن الخروج والهجرة الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا عند ذلك كنا مستضعفين في الارض اعتذروا وان كانوا مستضعفين في الارض وظاهر هذا ان منعنا عن الخروج الى الهجرة وحال المشركون بيننا وبين اظهار الاسلام فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني المدينة واسعة امنة لكم من العدو فتخرجوا اليها فتقلبوا بين اظهرهم والله اعلم كانهم اعتذروا في التخلف عن ذلك لما كانوا يتقلبون بين اظهر الكفرة ويتعيشون فيهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فتطعموا عليهم ويحتمل وجها اخر وهو انهم ان منعوكم عن الاسلام ظاهرا وحالوا بينكم وبين اظهاره الستم تقدرون على اديان الاسلام سرا لا يعلمون بذلك فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا فبين الله لا عذر لهم في ذلك وفي قوله تعالى فيم كنتم دلالة احياء الموتى في القبر والسؤال فيه عما عملوا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الاية بين الله تعالى اهل العذر في ذلك حيث قال لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من المستضعفين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى من الله واجب كانه يقول فاولئك يعفو الله عنهم وقوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قيل المراغم المذهب والملجأ وسعة في الرزق اي يجد في الارض التي هم فيها ما ذكر وقيل المراغم المتزحزح اي يجد متزحزحا عما يكره وتراخيا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال المراغم التحول من ارض الى ارض والسعة في الرزق وقيل من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى وقيل المراغم المهرب وقيل لما نزلت هذه الاية سمعها رجل وهو شيخ كبير وقيل [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل ان يكون قوله صلوة السفر ركعتان تمام
غير قصر على لسان نبيكم وروي ان رجلا سال عمر رضي الله عنه عن قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا وقد امن الناس اليوم فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله
تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل ان يكون قوله صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر يريد به ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال صدقة تصدق
الله تعالى بها عليكم صار الفرض ركعتين وارتفع القصر وصارت الركعتان تماما غير قصر اذ كانتا هما الفرض بعد الصدقة التي تصدقها
علينا فكل واحد من الخبرين موافق لصاحبه لغوي خبر عمر رضي الله عنه معاد وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يسافر من المدينة الى مكة لا يخاف الا الله يصلي ركعتين وهذا يؤيد حديث عمر رضي الله عنه صدقة تصدق بها الله عليكم لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا يصلي وهو امن ركعتين مع شرط الله الخوف الا وقد رفع الله شرط الخوف عن المسافر وقال قوم ان التقصير في السفر للخوف هو
الاتمام واحتجوا بقول الله سبحانه وتعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة قال فرفع الحرج عن القصر ولو كان التقصير حتما لكان
قال وعليكم جناح ان لا تقصروا من الصلوة لكن الامر ليس كما توهموا وذلك انا قد ذكرنا ان النص في القصر انما جاء في حال الخوف واما حال
الامن فلا نص فيما يوجب القصر وانما جاز القصر من الصلوة في حال الامن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق عليكم وتفسير
في سفره ومحال ان يتصدق الله الركعتين علينا ويقول قائل فرض تام فاين موضع الصدقة اذا لو كان الامر على ما ذكر وهذا عندنا معنى
قول عمر رضي الله عنه ان صلوة السفر ركعتان تماما اذ كانتا فرض المسافر معاد وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر اسفارا كثيرة فلم
يرو عنه احد انه اتم الصلوة في شيء من الاحوال في سفره وكل روى انه عليه الصلوة والسلام كان يصلي ركعتين فلو كانت الفريضة اربعا
والقصر رخصة لاتم في وقت وقصر في وقت الا ترى الافطار في السفر لما كان رخصة غير حتم افطر النبي صلى الله عليه وسلم في اوقات وصام
في اوقات فدل ذلك ان فرض المسافر ركعتان غير قصر وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى
ركعتين ومع ابي بكر الصديق رضي الله عنه ركعتين ومع عمر رضي الله عنه ركعتين ومع عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته ثم صلى بعد
وما صلى اربعا يحتمل ان يكون عزم على المقام وكذلك روي عن الزهري قال بلغني انه قال انما صلى اربعا لانه ازمع ان يقيم بعد الحج وعن عمران
بن حصين قال حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى يرجع الى المدينة واقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي
الا ركعتين وقال لاهل مكة صلوا اربعا فانا قوم سفر وخالف بعض اهل العلم هذا الحديث لانهم يقولون اذا قام ببلد في غير حج المسافر
اربعا يتم بعد ذلك وان لم يكن عزم على المقام بذلك البلد وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوة
ركعتان حتى يؤل الى اهله او يموت وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة في السفر قال ركعتان ركعتان من خالف السنة
كفر واستدل قوم بقوله تعالى اذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان القصر رخصة والفضل في تمام الصلوة
ان لا جناح يستعمل في موضع التخفيف لا في موضع الامر على نحو الصيام بقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا حرف لا يستعمل
في موضع الامر والايجاب والله اعلم وقد توهم هذا المعنى في الاية وورد القصر في قصر الخوف يلحق عند الضرب في الارض واذا كان
على وجهين احدهما في بيان المراد في قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا انه ليس على تمام المعروف من الصلوة لكن على القصر على الحد الذي يحتاج
اليه الخوف من امر القبلة او ترك القيام والركوع والسجود الى الايماء والقعود والله اعلم والثاني ما في قوله واذا كنت فيهم الاية و
انما يذكر ذلك في احوال لم الانفراد عنه وهو احوال السفر ومعلوم ان ذلك في حق قصر الاقتداء قال لا جناح عليكم بالاقتداء به
وان قصرتم في الاقتداء عن تمام حقه من الجماعة وكذلك اصابت الكل افضل فبين ان تقاع ذلك لا يمنعكم الاقتداء ولا يلزمكم نصب
امام اخر لتؤدوا جميع الصلوة في الجماعة واي الوجهين قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون
وصلوة السفر على ما عليه ليس للخوف وايد ذلك ما التبس على عمر رضي الله عنه حتى سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته بعين حكم حكم الله عليكم في ان لم يفرض عليكم في السفر غير ركعتين وكذا جميع المذكور عن الله
من العفو فهو في الاسقاط وايد ذلك ما كان يقول عمر رضي الله عنه بعد ذلك صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم فعلى ان
ذلك ليس في حق الاية لكن في ابتداء الشرع وعلى ذلك الروي بان الصلوة كانت في الاصل ركعتين فزيدت في الحضر واقرت في السفر والحق
هذين التاويلين يتوجه قول اصحابنا رحمهم الله تعالى وقد يحتمل الاية قصر السفر ثم قوله ليس عليكم جناح يرجع الى وجهين احدهما الى
ترك الركعتين وان لم يتم السفر بعد الخروج له وليس كسائر الاعذار نحو الحيض اذا لم يتم انه يلزمه اعادة المتروك والاغماء ونحو ذلك والثاني
في السفر بعد الخروج له وليس كسائر الاعذار اذا زالت انه يعاد والثاني ليس عليكم جناح في السفر وان كان ذلك باختيار منكم لترك صلوة
الحضر وليس عليكم ما على المقيم من الجناح لو لم يتم فاذا رجع الجناح الى ذلك بقي الامر بالقصر وان خرج بحد الخبر اذ قد يكون خبرا في المخرج
امرا في الحقيقة نحو قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون الايات وذلك كقوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما انه لما صار لا جناح
راجعا الى ما كان ثم من الاصنام او الفعل بقي حق الامر بالطواف وان كان في مخرج الخبر وصار من اللوازم دليل ذلك الامر المتوارث في الامة
والظاهر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسفار ولا يحتمل ان يكون فضيلة تضييعها في الجميع والله اعلم وقوله عز وجل واذا كنت فيهم

فاقمت

فاقمت لهم الصلوة الاية اختلف اهل العلم في صلوة الخوف قال بعض اهل العلم يجعل الامام القوم طائفتين يصلي بالطائفة ركعة و
تقوم الطائفة الاخرى مصاف العدو فاذا صلى بهم ركعة فيقومون ويصلون الركعة الثانية وحدانا ثم ينصرفون ويقومون بازاء
العدو وترجع الطائفة التي كانت مصاف العدو فيصلي بهم الامام الركعة الثانية ثم يسلم بهم الامام فيقومون ويقضون الركعة
الاولى وحدانا ويقولون لا تدل ليس في الاية ان الطائفة الاولى وعودها الى الامام كذلك لا يفعل وقالوا ايضا ان القيام بعد الفراغ
من الصلوة مصاف العدو اطمع وادعى من القيام في غير الصلوة واما اصحابنا رحمهم الله فانهم ذهبوا الى ما روي من الاخبار روي عن
ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فصلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهو العدو
ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسلم النبي عليه السلام ثم قضى هؤلاء
ركعة وهؤلاء ركعة وعن عبد الله قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فقاموا صفين فقام صف خلف النبي صلى الله
عليه وسلم وصف مستقبل العدو وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يلونه ركعة ثم قاموا فذهبوا وقاموا مقام اولئك واستقبلوا
هؤلاء العدو وجاء اولئك فقاموا مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم ركعة ثم سلموا
فذهبوا فقاموا مقام اولئك مستقبلين العدو وجاء اولئك الى مقامهم فصلوا لانفسهم ركعة ركعة ثم سلموا وروي ابن عباس وزيد
بن ثابت وحذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نحو ذلك فاتفق على هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء
الجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة رضي الله عنهم كلهم يقولون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهوا العدو ثم صلى بالطائفة الاخرى ركعة وان كلا
منهم لم يقض بقية صلوته حتى فرغ النبي عليه الصلوة والسلام من صلاته كلها فصلى المؤتمون ما بقي عليهم من صلوتهم وهذا نقول
لما عليه المسلمون جميعا فيما سبقهم الامام لا يقضونه حتى يفرغ الامام من صلوته ثم يقضون ما فاتهم والاخبار التي جاءت بخلاف
ذلك يحتمل ان يكون في الوقت الذي كانوا يقضون الفائتة قبل فراغ الامام من صلوته ثم نسخ ذلك بما توارثت الامة القضاء بعد
الفراغ والله اعلم وقوله عز وجل وليأخذوا اسلحتهم اختلف فيه قيل هم الطائفة التي بازاء العدو يأخذون السلاح ليكون اهيب
للحرب والقتال وقيل هم الطائفة الذين يصلون يأخذون السلاح حتى اذا استقبلهم العدو والحرب يقدرون على ذلك وقيل اذا
وقع بينهم الحرب فلهم تاخير الصلوة الى وقت انقطاع الحرب بينهم وقال الحسن يصلي الامام بكل طائفة تمام الصلوة لانه ذكر في
الخبر انه كان يصلي بكل طائفة سجدة والسجدة هي اسم التمام وهذا جائز في اللغة لكن عندنا ما ذكرنا من الاخبار عن الصحابة عن عمر وابن
عباس وغيره رضوان الله تعالى عليهم اجمعين حيث قالوا صلوة السفر ركعتان وصلوة الفطر والاضحى ركعتان وصلوة الخوف
ركعة تمام غير قصر وما روينا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سجد بالصف الاول ولم يسجد معه الصف الثاني فلما رفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم راسه من السجدتين سجدها اهل الصف الثاني فهذا يدل على ان الامر ما وصفنا وان كان العدو مواجهة القبلة فالامام بالخيار
ان شاء جعل القوم صفين صفا امامه بازاء العدو معه يصلي بهم هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل بالمسلمين وروي جابر
عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم والعدو في القبلة فصلى بطائفة ركعة وجاءت الاخرى فصلى بهم اخرى وان شاء جعل القوم
كلهم خلفه صفين فصلى بهم فاذا انتهوا الى السجود سجد الصف الاول والصف الثاني يحرسون العدو فلما فرغ هؤلاء سجد الاخرون ثم كذلك
يفعل بهم في الثانية وهذا ايضا روي انه مخير في اي ذلك شاء وقوله عز وجل فليكونوا من ورائكم اي ليكونوا مصاف العدو ويحرسونهم
من العدو وقوله عز وجل وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يحتمل قوله تعالى حذرهم اي يأخذون ما يستترون به ويحرسون العدو من نحو
الترس والدرع ونحوه وقوله عز وجل واسلحتهم ما يقاتل به من السلاح ويحارب ويحتمل ما يتحصن به من نحو الحصن من نحو الجبال
وغيره وفيه الامر بتعليم اداب الحرب والقتال واخذ الاهبة والاعداد دون ان يكلوا الامر الى ذلك ولكن يكلون الامر الى ما وعد الله
لهم من النصر بقوله تعالى وما النصر الا من عند الله وبقوله وخذوا حذركم وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل و
قوله فانفروا ثبات او انفروا جميعا وغيره من الايات فيها الدلالة على تعلم اداب الحرب واخذ الاهبة فيه حيث امرهم عز وجل بجهاد
العدو في غير اي من القرآن وقوله عز وجل ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم الاية هذا يعلم بالطبع ان كل احد يطلب
الفرصة على عدوه والغفلة منه هذا معروف في طباع الخلق وقوله عز وجل عن اسلحتكم ما يحارب به ويقاتل وقوله عز وجل و
امتعتكم يحتمل امتعتكم ما يحرس به العدو ويستتر به منهم يطلبون الغفلة عن الاسلحة والامتعة ويحتمل الامتعة ان يريد بها
غيرها من الثياب وغيرها وقوله عز وجل ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم
في الاية دلالة ان الله تعالى لم يرد بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم بذلها للقتل حيث رخص لهم وضع الاسلحة واخذ
الحذر عندما بلوا بالمطر والمرض لانه لو كان المراد بشراء الانفس منهم بذلها للقتل لكان لا يرفع ذلك عندما يخافون على انفسهم
من الهلاك اذ المرض وخوف الهلاك لا يرفع ذلك في الاحوال كلها اذا كان الامر بذلك امرا بالقتل والهلاك الا ترى ان من وجب
عليه الرجم لم يرفع عنه بالمرض الرجم لان في الرجم هلاكه فلما رفع عنهم القتال في حال المرض وفي الحال الذي يخاف الهلاك دل انه

لم يرد بشراء الانفس بذلها للقتل ولكن اراد والله اعلم اظهار دين الله ونفي اهل دينه الا ترى انه قال في اية اخرى فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما جعل الثواب والاجر عند الغلبة على عدوه مثل ما جعل عند القتل ولو كان الامر بذلك امرا بالقتل خاصة لا يستوجب الاجر والثواب لغيره دل انه ما ذكرنا الا ترى انه قال فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا جعل بالوعد للقاتل ما جعل للمقتول هذا كله يدل ان الامر بذلك ليس على القتل وقوله عز وجل وخذوا حذركم قد ذكرنا ان الامر باخذ الحذر يحتمل وجهين احدهما فيه الامر بتعلم اداب الحرب واسباب القتال وان لا يكلوا الامر الى ذلك خاصة لكن الى ما وعدهم من النصر والظفر على عدوهم بعد اخذ الاهبة الا ترى انه قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية وقال تعالى وليأخذوا اسلحتهم الاية والثاني يحتمل ان يأمرهم باخذ ما يدفعون به سلاح العدو عن انفسهم ويتقون به من الترس او الدرع او اللباس والله اعلم وقوله عز وجل ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا اي اعد لهم من العذاب ما يهانون فيه نصروا او غلبوا واعد لكم من الثواب ما تشرفون وتعززون به نصرتم او غلبتم فما لكم لا تقاتلون وقوله عز وجل فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قيل يحتمل وجهين يحتمل اذا قضيتم الصلوة اي اذا فرغتم منها فاذكروا الله على كل حال فتستعينون به بالنصر على عدوكم كقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا امر بالثبات عند لقاء العدو وذكر الله استعانة منه على عدوهم فعلى ذلك ويحتمل ان يكون معناه اذا اردتم ان تقضوا الصلوة فاذكروا الله كثيرا في اي حال كنتم في حال القيام والركوع والسجود كقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة معناه والله اعلم اذا كنت فيهم فاردت ان تقيم لهم الصلوة فافعل كذا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة هذا والله اعلم مقابل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة الى ختم الاية وقد ذكرنا ان القصر يحتمل وجوها يحتمل القصر للضرب في الارض وهو القصر في عدد الركعات ويحتمل القصر للمرض والخوف فهو قصر الايماء فنحن نأخذ بذلك كله على اختلاف الاحوال فعلى ذلك قوله فاذا اطمأننتم يحتمل الوجوه التي ذكرنا اي اذا اطمأننتم صرتم اصحاء فصلوا كما صلوة الاصحاء ويحتمل فاذا اطمأننتم امنتم من الخوف فصلوا كذا ويحتمل ايضا فاذا اطمأننتم اذا رجعتم واقمتم فصلوا صلوة المقيمين اربعا فهذا والله اعلم على ما ذكرنا مقابل قوله واذا ضربتم في الارض الاية وقوله عز وجل ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي لها وقت كوقت الحج وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقيل كتابا موقوتا مفروضا محدودا فنحن نقول بهذا كله انها مفروضة موقتة محدودة على ما قيل والله اعلم والاية ترد على من يقول بان على الكافر الصلوة لانه اخبر انها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهم يقولون على الكافرين والمؤمنين لكنها كتبت على المؤمنين فعلا وعلى الكافرين قبولا لا هذا والله اعلم بحق قوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي لم تزل هي كانت كتابا موقوتا على الامم السالفة لان هذه الامة خصت بها كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وكقول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة وكقول موسى عليه السلام واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وقيل قوله تعالى كانت اي صارت على المؤمنين كتابا موقوتا بعد ان لم تكن وكل ذلك محتمل ولكن لا نشهد على الله انه اراد كذا وكذلك في قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وقوله تعالى فاذا اطمأننتم تناول فيه ونعمل بالوجوه كلها على اختلاف الاحوال لاحتمالها التي ذكرنا فلا نقطع القول فيه ولا نشهد على الله انه اراد كذا وهكذا السبيل في جميع المجتهدات ان نعمل بها ولا نشهد على الله انه اراد ذا او لم يرد وبالله التوفيق ذكر الله تعالى ما بين فرض الصلوة ووجوبها في غير موضع من كتابه منها الاية التي ذكرناها ومنها قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة وقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ولم تدل هذه الاية على كيفية الصلوة وعددها انما دلت على وجوبها ولزوم فرضها ودلت ايات اخر على عددها ومحل اوقاتها قال الله سبحانه وتعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا فهذه ثلاثة اوقات ذكر الله تعالى فيهن ثلاث صلوات وروي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال سألته عن قول الله سبحانه وتعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس قال اذا زالت الشمس عن بطن السماء الصلوة الظهر الى غسق الليل قال بدء صلوة المغرب وعن ابن عمر رضي الله عنه قال لدلوك الشمس قال دلوكها زوالها بعد نصف النهار وهو وقت الظهر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال دلوكها زوالها وقد روي عن ابن مسعود وابن عباس قال دلوك الشمس غروبها فان ثبت التاويلين كان دلوك الشمس فقد اوجب فيه صلوة وصلوة عند غسق الليل وصلوة عند الفجر فهذه ثلاث صلوات قال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل فاحد طرفي النهار يجب فيه صلوة الفجر وقد ذكر في هذه الاية والطرف الاخر قبل غروب الشمس فهذه رابعة وهي العصر وروي عن الحسن رضي الله عنه ان الصلوات الخمس مجموعة في هذه الاية اقم الصلوة طرفي النهار قال صلوة الفجر والطرف الاخر الظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء فان ثبت التاويلين كان فان صلوة العصر مذكورة في هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال جمعت هذه الاية مواقيت الصلوة فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وعن ابن عباس رضي الله عنه ايضا فسبح بحمد ربك قبل طلوع وقبل الغروب قال الصلوة المكتوبة دلت هذه الاية والله اعلم ان الله سبحانه وتعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة خمس صلوات وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فرضت الصلوة ومتى فرضت وروي عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن اتى بهن لم يضيع من حقهن شيئا استخفافا بحقهن فان له عند الله عهدا ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله

عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وعن ابي سعيد الخدري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث بعث معاذا الى اليمن قال انك تاتي قوما اهل الكتاب فادعهم الى الشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله سبحانه وتعالى فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة وعلى ذلك اتفاق الامة لا خلاف بينهم الا ان قوما زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بعد ذلك الوتر بقوله ان الله زادكم صلوة الا وهي الوتر وليس في الكتاب ذكر ولا دليل وجوبه فتركنا الكلام فيها لكن ابا حنيفة رضي الله عنه سلك فيها مسلك المكتوبة وقوله عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون في الاية دلالة فرضية الجهاد لانه عز وجل اخبر انهم يألمون ويتوجعون بما يصيبهم من الجراحات كما تألمون انتم وتتوجعون في الاية دلالة فرضية بها فلو كان نفلا لكان يرفع عنهم الجهاد عند الالم والتوجع على ما يرفع سائر النوافل عند الالم والتوجع فدل انه فرض لكنه فرض كفاية وفرض الكفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه فيه وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم فمعناه والله اعلم اي لا عذر لكم في تألمكم ان تهنوا في ابتغائهم فانهم يألمون كما تألمون ولا يضعفون في ذلك وترجون انتم العاقبة من الثواب الجزيل ما لا يرجون ثم هم لا يضعفون فكيف تضعفون انتم في ذلك وكل امر لا عاقبة له فهو عبث وليس لامرهم عاقبة وهو عبث ولامركم عاقبة محمودة فانتم اولى في ذلك ودل قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم على تأكد فرضية الجهاد اذ لم يأذن لهم في التخلف عن ذلك على ما فيه من التألم وخوف هلاك النفس في ذلك ثم بين ما يخف لمثله تحمل المكروه على الطبع له وقد يختار لمباشرة الالام في النفس من عواقب تنقطع وتزول فكيف فيما لا انقطاع له من رجاء الثواب بذلك التألم والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله عليما بتألمكم اي عن علم بالتألم امركم بذلك لا عن جهل وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قوله بالحق يتوجه وجوها بحق الله عليكم انزل اليك الكتاب ويحتمل بحق بعض على بعض انزل اليك الكتاب لتحكم بين الناس ويحتمل قوله بالحق اي بالمحنة يمتحنهم بها اذ في عقل كل احد ذلك واعلم لكل ذي لب لا يرام ولا ينبغي خروج عن الحكمة وان يقال بالحق وبالعواقب ليكون لهم العاقبة وقوله تعالى بالحق الذي ضد ولبعض على بعض ولا مركات وهو البعث ليعدل ويتزودوا وبالذي يحمد عليه فاعله اذ الحق صفة لكل ما يحمد عليه فاعله والباطل لما يذم وقد يحتمل بالعدل والصدق على الامر من التغيير والتبديل والله الموفق وقوله عز وجل لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل ان في الاية دلالة جواز الاجتهاد لانه قال لتحكم بين الناس بما اراك الله دل قوله ولكن نقول لتحكم بين الناس بالكتاب دل انه يحكم بما يريد به الله بالمنصوص فيه والتأمل لكن اجتهاده كالنص لانه لا يخطئ لانه اخبر انه يريد ذلك فلا يحتمل ان يريه غير الصواب واما غيره من المجتهدين فيجوز ان يكون صوابا ويجوز ان يكون خطاء لانه لا ينكر ان يكون الشيطان هو الذي اراه ذلك فيكون خطاء فلا يجوز ان يشهد عليه بالصواب ما لم يظهر واما اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كله يكون صوابا لان الله سبحانه وتعالى هو الذي اراه ذلك فشهدنا انه صواب وقوله عز وجل ولا تكن للخائنين خصيما قال اكثر اهل التفسير انهم ان يقوي سارقا يقول له طعمه ويصدقه في قوله فنزل قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما فلو لم يقولوا ذلك كان ادق واحسن فان كان ما قالوا فذلك لما يظهر من الخيانة عنه اذ ذكر في القصة انه وجد السرقة في دار غيره فلئن كان ذلك فانما كان لما ذكرنا واما النهي عن ان يكون للخائنين خصيما نهي وان كان يعلم انه لا يكون لما عصمه الله كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وان كان عصمه من ان يكون منهم والعصمة انما تنفع اذا كان ثم امر ونهي فاما اذا لم يكن ثم امر ولا نهي فلا معنى للعصمة والتوفيق وقوله عز وجل واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما وقوله تعالى واستغفر الله ليس هو قول الناس نستغفر الله ولكن كانه قال كونوا على الحال التي تكون اعمالكم مكفرة للذنوب الا ترى الى قول هود لقومه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الاية وقال نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية فلم يرد وان يقولوا نستغفر الله لكان لا ينفعهم ذلك فعلى ذلك قوله واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما وحقيقة الاستغفار وجهان احدهما الانتهاء عما اوجب العقوبة لقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك معنى قول من ذكر والثاني طلب الستر بالعفو والتجاوز وقوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم الاية هو ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع اذا لم يكن امر ونهي وقوله عز وجل يختانون انفسهم لا احد يقصد قصد خيانة نفسه ولكن لما رجع في العاقبة حاصل الخداع اليهم صار وكانهم خدعوا انفسهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يحتمل وجهين يحتمل يستخفون من الناس اي يحتشمون من الناس ان يطلعوا بصنيعهم ولا يحتشمون من الله على علم منهم انه لا يخفى عليه شيء ويحتمل يستخفون من الناس اي يستترون سترهم من الناس وكذلك روي في حرف حفصة ولا يستترون من الله ولكن الله يطلع الناس على ما يسترون وهو معهم اي لا يخفى عليه شيء وقوله يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم على وجهين احدهما على نفي القدرة واثباتها ادلهم ذلك في الاخفاء من الناس وليس لهم في الاخفاء عن الله والثاني على قلة المبالاة بعلم باطلاع الله عليهم وتركهم مراقبة الله في الامور واجتهادهم في ذلك عن الخلق والله اعلم وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا يرضى من القول عن ابن عباس قال اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يقول من العمل والفرية من اليهودي بالسرقة وقيل يبيتون اي يؤلفون القول فيما بينهم فيقولون ناتي به النبي فيقول له كذا وكذا ليدفعوا عن صاحبهم الخيانة والتهمة وهو طعمة على ما قيل في القصة انه سرق درع

رجل في دار يهودي وقيل انه خباها في دار يهودي فلما طلب منه حلف بالله انه ما سرق وقيل التبييت هو التدبير بالليل
قد ذكرنا في قوله بيت طائفة منهم الاية وقوله عز وجل وكان الله بما يعملون محيطا هو على الوعيد اي عن علم منه يفعلون
هذا لا عن غفلة كقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون لكن يؤخره ليوم وعلى علم منه ذلك وعلى الاعلام ان الله لم
يزل عالما بما يكون وعلى ذلك امتحنهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا قيل يعني اصحاب طعمة اي لو خاصمتم عنهم يا هؤلاء في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة لا احد يخاصم عنه يوم القيامة
امن يكون عليهم وكيلا يخاصم عنه يوم القيمة وقيل كفيلا اي في الدفع عنهم كقوله تعالى الذين يجادلون في ايات الله اي في دفعها
وارادة ان يدحضوا بالباطل وقيل رقيبا وقيل كفيلا والوكيل هو القايم بحفظ الامور والقاضي للحوايج والمريح للعلل وقوله
ومن يعمل سوا او يظلم نفسه هما سواء اي من عمل سوا فقد ظلم نفسه ومن ظلم نفسه فقد عمل سوا ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله
عنه من يعمل سوا الى الناس او يظلم نفسه فيما بينه وبين الله ثم روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ارجى اية في القران
هذه قوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الاية وروي عنه ايضا اربع ايات من كتاب الله تعالى احب الي من حمر النعم وسودها
قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الى اخره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الاية وقوله تعالى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الاية
وعن علقمة والاسود قالا قال عبد الله ان في كتاب الله لايتين ما اصاب عبد ذنبا فقراهما ثم استغفر الله الا غفر له و
الذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى اخر الاية وقوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله وقوله تعالى ايضا
ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل واحد منهما انه الاخر ذكر على التاكيد فيما جرى له الذكر ويحتمل التفريق ان يكون سواء الى
الناس وخطيئة اليهم او يظلم نفسه بما ياثم بينه وبين الله وقوله عز وجل ومن يكسب خطيئة او اثما فانما يكسبه على نفسه لان
حاصل يرجع اليه كما ترى كسب على نفسه وقوله ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل ان يكون قوله ومن يكسب خطيئة او اثما واحد الخطيئة
هي الاثم والاثم هو الخطيئة وقيل ومن يكسب خطيئة سرقة الدرع او اثما يقول بيمينه الكاذبة انه لم يسرقها والقاه فيها فلان اليهودي
وقوله عز وجل ثم يرم به بريئا قيل لما طلب في داره رماها في دار اليهودي ثم حلف باطلا وزورا انه لم يسرقها وقوله عز وجل فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا يقول كذبا على اخر بما لم يفعل والبهتان هو ان يبهت الرجل الرجل كذبا بما لم يفعل واثما مبينا بيمينه الكاذبة
والله اعلم وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك قال اكثر اهل التاويل نزلت هذه الاية
في شان طعمة الذي سرق درعا جادل بالذي سبق ذكره وقالوا لولا فضل الله عليك ورحمته لقد هم قوم طعمة ان يضلوك اي يخطئوك
وليس هو الاضلال في الدين ولكن ان كان ما قالوا فهو يخطئه الحكم ويحتمل قوله ان يضلوك اي يجهلوك في حكم السرقة ويجوز ان
يكون جاهلا في سرقته لما لم يدر انه سرق وكان يصدق في الحكم انه لم يسرق لانه انما كان يعلم الاشياء بالوحي ثم اعلم انه قد سرق ويحتمل
ان يكون الاية في الكفار كلهم لان الكفرة والمنافقين لم يزالوا كانوا يريدون ان يضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدى ويصرفوه
عنه كقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وكقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
ثم يحتمل قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث عصمك بالنبوة والا لاضلوك عن سبيل الهدى وهو كقوله عز وجل ولولا
ان ثبتناك اي بالعصمة لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا والثاني ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث اعلمك بالحكم في ذلك و
بصرك به بالوحي وصرفك عن تصديق ذلك الخاين اذ ثبت ما قالوا والا لهموا ان يخطئوك ويجهلوك فيه ثم في الاية نقض قول المعتزلة
لا ذمن على رسوله صلى الله عليه وسلم انه عصمه وهم يقولون كان عليه ان يعصمه وهو كان يستحق ذلك قبله فلو كان عليه ذلك لم
يكن للامتنان عليه بذلك معنى اذ فعل ما كان عليه ان يفعل على زعمهم ومن فعل فعلا عليه ذلك لم يقل انه متفضل دل انه ليس
كما قالوا وبالله التوفيق والعصمة ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك يخرج على وجهين احدهما
يكفهم عما هموا والثاني يعصمه عما راموا فيه ان يظفروا منه بعد ان اظهروا ما طلبوا وقوله تعالى يضلوك يجهلوك الحكم
بالتلبيس وانواع التمويه يرجع ذلك الى نازلة والثاني ان يكون بالاضلال عن السبيل والحيلة في الصرف عن الحق وهذا
هو الذي لم يزل اعداء الله يقصدون به رسول الله بجميع اهل الخير فكفهم بوجهين يتوجه كله وجه الى وجهين احدهما
ظواهر الاسباب من الوحي والايات وكذا في كفهم مرة بالقتال والاسباب الظاهرة ومرة باللطف والعصمة ويسمى ذلك
فضله ورحمته ليعرف ان ذلك فضله لا حق قبله انه ليس بالحقوق بل في الفضائل وقوله عز وجل وما يضلون الا انفسهم
لا احدا بقصد قصدا اضلال نفسه لكن لما رجع حاصل ذلك الاضلال الى انفسهم كانوا اضلوا انفسهم وقوله عز وجل
وما يضرونك من شيء امن رسوله عن ضررها وذلك كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله عز وجل وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم من الحلال والحرام والاحكام وكلها وغير ذلك
كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فهو كذلك كان وقوله عز وجل وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك

من الاحكام وعصمك بالنبوة والرسالة وصرف عنك ضرر الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم اختلف
في النجوى قيل النجوى القوم كقوله واذ هم نجوى اي رجال وقيل النجوى هو الاسرار كقوله ما يكون من نجوى ثلثة الاية ثم استثنى الا من
امر بصدقة او معروف الاية فان كان التاويل من النجوى هو فعل النجوى خاصة فكانه قال لا خير في كثير من نجواهم الا الامر بالصدقة والامر
بالمعروف والاصلاح بين الناس وان كان هذا اقرب ومعنى الثناء الكثير فيما يرجع الى القوم فكانه قال لا خير في كثير منهم الا من يرجع
الى ما ذكر بتصير الحسنين وقد يحتمل ان يكون ما منهم يرجع بنجواهم الى الخير وهم اقلهم ومن الفعل على ان الفعل بما يكون فعل خير وان كانوا اهل
النفاق والكفر لكن يبين انه غير متقبل الا ان يبتغي به مرضاة الله وذلك لا يكون الا ان يؤمنوا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قيل لما تبين خيانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم استحيى ان يقيم بالمدينة فارتد ولحق بمكة
كافرا فنزل قوله تعالى ومن يشاقق الرسول يقول يخالف الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله
عنه من بعد ما تبين له الهدى يقول من بعد ما كان كافرا تبين الاسلام وقيل لما ابان امر طعمة وعلم انه سرق الدرع انزل الله تعالى والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما قيل له يا طعمة ان رسول الله قاطعك فخرج هاربا الى مكة وقوله عز وجل ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني غير دين
المؤمنين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويسلك غير سبيل المؤمنين وقوله عز وجل نوله ما تولى اي نتركه وما تولى من ولاية
الشيطان وقيل بدعة وما اختار من الدين غير دين المؤمنين ونصله جهنم اي ندخله جهنم في الاخرة وقيل قوله نوله ما تولى اي نوله في
الاخرة ما تولى في الدنيا وساءت مصيرا يقول بئس المصير صار اليه وقوله تعالى نوله ما تولى انه تولى الشيطان فجعله الله وليا كقوله تعالى
ومن يتخذ الشيطان وليا وغير ذلك ويكون يخذله فيما اختاره ويكون يجزيه جزاء توليه ويكون لخالق توليه منه جورا باطلا مهلكا
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الا في الاية دليل ان لا يصير بكل ذنب مشركا على ما
قاله الخوارج لما قسم الكتاب ولا يحتمل اضمار التوبة لان الشرك قد يغفر بالتوبة فيبطل قولهم وفيه بطلان قول من يبطل المغفرة في الكباير بلا
توبة لان الله جعل لنفسه مشية المغفرة وذلك فيما في الحكمة دفع سفه فلزم الذي ذكرنا الفريقين جميعا ثم الذي ينقض قول الخوارج
الذي يكفرون بارتكاب الصغاير ما يلي بها الانبياء والاولياء وما يكفر صاحبه يسقط النبوة والولاية ومن كان وصف بما انه بالانبيا
عليهم السلام هذا فهو على كافرهم وعلى المعتزلة في ذلك ان الله وصف الانبياء عليهم السلام بالدعاء له تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا
وبكاهم على ما كان منهم من الزلات وتضرعهم اليه حتى اجيبوا في دعائهم ولو لم تكن ذنوبهم بحيث يحتمل التعذيب عليها في الحكمة
لكان في ذلك بغي الحد والوصف بالجور والتعوذ به وذلك اعظم من الزلات فهذا ينقض قول المعتزلة في اثبات المغفرة في الصغا
واخرج فعل التعذيب عن الحكمة وقول الخوارج بازالة اسم الايمان بها ولا عصمة الا بالله ثم قوله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء يحتمل الشرك في الاعتقاد وهو ان يشرك غيره في ربوبيته والوهيته والثاني ان يشرك غيره في عبادته وذلك كله
شرك بالله تعالى ان لا فرق بين ان يشرك غيره في ربوبيته والوهيته وبين ان يشرك غيره في عبادته الا ترى انه قال عز وجل انما الحكم
اله واحد ثم قال الله تعالى في اخره ولا يشرك بعبادة ربه احدا جعل الاشراك في الوهية والربوبية والاشراك في العبادة واحدا كله شرك
بالله وبالله التوفيق ثم قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يحتمل ما قالت المعتزلة ان وعد المغفرة فيما يشاء ثم بين ذلك في الصغاير
بقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقد ثبت الوعيد في الكباير في الوعد فيجب ان يكون بالذي ذكر لاحتمال
وقيل قوله لمن يشاء كناية عن الانفس المغفورات لا عن الاثام والاجرام التي تغفر لم يجب صرف التخصيص الى الاثام بالاية المكني بها عن
الانفس لانه لم يقل ما شاء ولكن قال عز وجل لمن يشاء فذلك كناية عن الانفس وفي ايات الوعيد تحقيق في الذين جاء بهم وفيما جاء على
ما قيل لا صرف في ذلك فهو اولى وبعد فانه قال لمن يشاء والصغاير عندهم مغفورة بالحكمة لا بالوعد والاية في التعريف والله اعلم
وقوله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا عن الحسن قال الاناث الاموات التي لا روح وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه
وقيل قوله تعالى الا اناثا انهم الملائكة لانهم يقولون الملائكة بنات الله في السماء فيعبدونها فانهم انما عبدوا الاناث عندهم وفي
زعمهم وقيل اناثا من الوثن وكذلك روي في حرف عايشة رضي الله عنها انها كانت تقرا ان يدعون من دونه الا اوثانا وهو الصنم يحو
انا ثا الماصور وحابصور الاناث وحلوها وقلدوها وزينوها بزينهم ثم يعبدونها لم يعبدوها على ما كان في الاصل فسمي بذلك وقيل
سمي اناثا لانهم كانوا يسمون ما يعبدون من الاصنام والاوثان اللات والعزى ومناة فاسماها وهن اسماء اناث والله اعلم وقوله
عز وجل وان يدعون الا شيطانا مريدا اخبر الله عز وجل وان كان يعبدون من الشيطان ويانفون فانهم بعبادتهم الاصنام والاناث
يعبدون الشيطان لان الشيطان هو الذي يدعوهم الى عبادتهم الاصنام فكانهم عبدوه الا ترى ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلم و
سلامه قال يا ابت لا تعبد الشيطان جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان حيث قال له لا تعبد الشيطان فدل ان عبادتهم الاوثان
عبادة للشيطان وبالله العصمة وقوله عز وجل مريدا قال ابن عباس رضي الله عنه المريد هو العاتي وقوله عز وجل لعنه الله اللعنة
هو الابعاد من رحمة الله فسمي ملعونا لانه بعد من رحمة الله مطرودا منها وقوله عز وجل وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
انه لعنه الله وان قطع القول فيه لاتخذن منكم كذا قطعا فهو ظن في الحقيقة الا ترى انه قال في اية اخرى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه

ان ما قالوا ظنا لكن خرج مقطوعا محققا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل نصيبا مفروضا اى مبينا معلوما والنصيب المفروض هو
ما ذكر ولاضلنهم الى اخر ما ذكر مفروضا او مبينا من يطيعه ومن لا يطيعه وقوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم الاية قيل هذا اخبار
عن الله تعالى عباده عن صنيع اللعين ليكونوا على حذر منه ثم قوله لاضلنهم ليس على حقيقة الاضلال ويزين عليهم طريقه ويلبس عليهم طرق
الهدى فذلك معنى اضافة الاضلال اليه والا لم يملك اضلال احد فى الحقيقة كقوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
الاية ثم اذا ضلوا بدعائه الى ذلك وتزيينه عليهم سبيله يمنيهم عند ذلك حتى يتمنوا اشياء كقولهم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه الاية وكقوله تعالى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم ونحو ذلك من الامانى وذلك مما يمنيهم الشيطان
لعنة الله عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه ولاضلنهم يقول عن الدين ولامنينهم ان يصيبوا خيرا لا محالة ليامنوا وفى حرف ابن مسعود رضى الله
عنه ولاغوينهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليبدلن خلقك ولامرنهم فليبتكن وقوله فليبتكن اذان الانعام يجعلونها
بحر الاوثان والاصنام التى كانوا يعبدون دونها وقوله عز وجل ولامرنهم فليغيرن خلق الله يحتمل هذا وجهين سوى ما قال اهل التاويل
احدهما ان الله تعالى خلق هذا الخلق ليامرهم بالتوحيد وليجعلوا عبادتهم له لا يعبدون دون الله غيره كقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ما اريد منهم الاية فهو دعاهم ان يجعلوا عبادتهم لغير الله وهو ما قيل فى قوله عز وجل فطرة الله التى فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قيل الدين الله فعلى ذلك يحتمل قوله فليغيرن خلق الله اى عن الذى كان خلقهم لهم
لذلك والله اعلم والثانى انه عز وجل خلق الانعام والبهائم لنا نعمهم ومنافعهم فهم حرموها على انفسهم وجعلوها للاوثان والاصنام
كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام صنعوا منافعها التى خلقها لهم عن انفسهم وذلك تغيير ما خلق الله لهم والله اعلم واما اهل التاويل
فانهم قالوا غير الذى ذكرنا قال بعضهم قوله فليغيرن خلق الله الاخصاء وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال اخرون هو دين الله
وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ايضا دين وقيل هو ما جاء من النهى عن الواشرة والنامصة والمتفلجة والواصلة والواشمة ولا يحتمل
ان يكون يخطر بباله يومئذ انه اراد بتغيير خلق الله ما قالوا من الاخصاء او المثلة والواشرة والنامصة كانه انما قال ذلك يوم طلب
من ربه بالنظرة الى يوم البعث ولا يحتمل له علم ان لا يحل هذا او النهى عن مثله اذ قد يجوز ان ترد الشريعة فى مثله لذلك بعد هذا والله
اعلم وقوله عز وجل ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اى يطيعه ويجيبه الى ما دعاه ويعبده دون الله فقد خسر خسرانا مبينا
فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فذهاب المنافع عنهم التى جعلوها للاصنام والاوثان وفى الاخرة العقوبة وقوله عز وجل يعدهم
اما فقرا واما سعة ويمنيهم هو ما ذكرنا من الامانى وقضاء الشهوات فى الدنيا وما يعدهم الشيطان الا غرورا والغرور هو ان يرى شيئا
بظهر خلاف باطنه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا الاية ظاهرة قيل مفرا وقيل ملجأ وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد ذكرنا هنا فيما تقدم ان الايمان هو التصديق والاعمال الصالحات غير
التصديق وقوله عز وجل وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا تاويل هذا والله اعلم ان يقال انكم ممن يقبلون الاخبار والقول من
الناس ثم لا احد اصدق قولا من الله تعالى ولا انجز وعدا منه كيف لا يقبلون قوله وخبره انه بعث وجنة ونار ويكذبون قول ابليس ان لا
جنة ولا نار ولا بعث وقوله عز وجل ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به اخبر عز وجل ان الامر ليس بالامانى
ولكن الى الله عز وجل فهو والله اعلم يحتمل ان يكون فى المنزلة والقدر عند الله لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات ونحو ذلك من الامانى واهل التاويل يذهبون الى غير هذا وقالوا ان كل فريق منهم كانوا يقولون ان ديننا خير من
دينكم ونحن افضل من هؤلاء فنزل ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب وذلك بعيد وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به اختلف فيه
قال بعضهم قوله تعالى من يعمل سوءا يعنى شركا يجز به يدل على ذلك قوله عز وجل ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وذلك وصف الكافر
ان لا يكون له ولى يتولى حفظه ولا نصير ينصره الا ترى انه قال ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ذكر
الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون ان يدخلوا الجنة فهذا ايضا يدل ان قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اراد به الشرك وقال اخرون
قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اى كل سوء يدخل فيه المسلم والكافر الا ترى انه روى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما نزلت هذه الاية
قال يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذا وكل شىء عملناه جزيناه فقال غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن الست تنصب الست تمرض
الست يصيبك الاذى فهذا ما تجزون به فجزاها المؤمن فى الدنيا والكافر فى الاخرة فان كان التاويل هذا فقوله ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا هو فى الكافر اى لا يجد له وليا ولا نصيرا اذا لم يرجع عن كفره ومات عليه واما اذا رجع عن ذلك وتاب ومات على الايمان
فانه يجد له وليا ولا نصيرا ينصره الله تعالى وبالله التوفيق وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فى الاية دليل
ان الاعمال الصالحات غير الايمان لانه قال تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ولو كان ايمانا فيصير كانه قال ومن يعمل الايمان
وهو مؤمن فدل بما ذكرنا انها غير الايمان وفيه دلالة ايضا ان الاعمال الصالحة انما تنفع اذا كان ثمه ايمان لانه شرط فيه الايمان
بقوله تعالى وهو مؤمن دل ان الاعمال الصالحة لا تنفع اذا لم تكن ثمه ايمان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولا يظلمون نقيرا قد ذكرناه
وقوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن الاية يحتمل وجهين يحتمل من احسن دينا من المسلمين ممن يعمل بجميع عمله موافقا

لدينه ممن يعمل

لدينه ممن يعمل بل الذى عمل بجميع عمله موافقا لدينه احسن دينا من الذى لم يعمل شيئا وهو كما روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لو وزن ايمان ابى بكر الصديق رضى الله عنه بايمان جميع امتى لرجح ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوى فى دينه
ضعيف فى بدنه الا ترى انه خرج لمقاتلة اهل الردة وحده وذلك لقوته فى الدين وصلابته فيه لا لزيادة الايمان ولا لنقصان ايمان
فى غيره والله اعلم والثانى مقابلة سائر الاديان اى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله من لم يسلم وجهه لله الى اخر ما ذكر والله اعلم ثم قوله
تعالى اسلم وجهه لله عن الحسن جميع جهة امره الى الله جميع ما يعمل انما يعمل لله لا يعمل لغير الله وقيل اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه لله ولا يجعل لاحد
فيها شركا كقوله تعالى ورجلا سلما لرجل الاية اى يسلم نفسه له والله اعلم وقوله عز وجل وهو محسن يحتمل وجهين يحتمل قوله محسن يحسن بما يعمل
الى جميع ما يعمل لله فيه ويحتمل قوله وهو محسن من الاحسان وهو ان يزيد العمل على المفروض عليه يؤدى المفروض عليه ويزيد على ذلك ايضا
وقوله عز وجل واتبع ملة ابراهيم حنيفا الملة قيل هى الدين وقيل الملة السنة اقرب لان دين الانبياء عليهم الصلوة والسلام كلهم واحد
لا يختلف دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام ودين غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واما السنن والشرائع فيجوز ان يختلفا الا ترى
انه روى فى الخبر ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى بعضها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل السنة تفسير الملة فالملة بالسنة اشبه
ثم خص ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان سنته كانت توافق سنن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل حنيفا قيل مخلصا
وقيل سمى حنيفا اى مائلا الى الحق ولذلك سمى الاحنف احنفا لميل احد قدميه الى الاخرى والله اعلم وقوله عز وجل واتخذ الله ابراهيم خليلا
ذكر فى بعض الاخبار ان الله عز وجل اوحى الى ابراهيم انى متخذ خليلا فى الارض فقال يا رب من هو قال فاوحى الله تعالى اليه انى لم يسالنى
قال من اجبته واتخذته خليلا كما اتخذته خليلا او كلام نحو هذا فقال انت يا ابراهيم واصل الخلة المنزلة والرفعة والكرامة يقول
واتخذ الله ابراهيم خليلا اى جعل له عنده منزلة ذكر انه لم يجعل مثله لاحد من الخلائق لما ابتلاه الله ببلايا وامتحنه بمحن لم يبتل احد
بمثله فصبر عليها من ذلك ما القى فى النار فصبر ولم يستعن باحد سواه وما ابتلى بذبح ولده فاضجعه وما امر ان يترك اهله وولده الطفل
فى جبال مكة لا ماء هنالك ولا زرع ولا نبات ففعل ومن ذلك امر المهاجرة وما يكثر ذلك فجاز تخصيصه بالخلة لذلك والله اعلم وجائز
ان يكون ذلك كرامة اكرمه الله بها لان اهل الاديان كلهم ينتسبون اليه ويدعون انهم على دينه وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم قيل خص هو بهذين الوجهين اللذين ذكرتهما فى الخلة وقيل انه اتخذ خليلا لانه كان يعطى
ولا ياخذ وكان يحب الضيف وكان لا ياكل وحده وان بقى طويلا والله اعلم بذلك واصل الخلة ما ذكرنا من الكرامة والمنزلة لان من يحب
اخر يبره ويكرمه ومن لا يحبه يعاديه ويظهر له الجفاء ولا قوة الا بالله واختلف فى المعنى الذى وصف ابراهيم عليه الصلوة والسلام بالخلة
انه خليل الله فقد قيل بما سخت نفسه فى بذل كل لذة من لذات الدنيا لله ولم يبق فى مكان اتيان الاضياف وابناء السبيل وكان لا ياكل
وحده وكانت عادته التقديم بكل ما يتهيا له عند نزول الاضياف عليه والابتلاء بذلك قيل كل امر والقيام للاضياف مع عظم منزلته
ابد ذلك امر الملائكة الذى جاءه بالبشارة والله اعلم وقيل انما امتحنه الله بامور فصبر عليها نحو النار التى رمى بها لله وذبح الولد والهجرة وترك
وبذل الاهل والولد لله حيث لا ضرع ولا زرع ولا ماء وغير ذلك مما اكرمه الله تعالى بالثناء عليه بوفاء ما امتحن باتمام ما ابتلى من
قوله وابراهيم الذى وفى وقوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وحاج فرعونه وجميع قومه ويجادلهم فيمن يعبدون فغلبهم
والزمهم حجة الله وغير ذلك من وجوه الحق وقيل بما به كان بناء البيت الذى جعله الله قياما للناس ومؤمنا للخلائق ومثابا لهم ومنسكا
نعظم شانه فيما بالخلائق اليه حاجته فى امر الدين وعلى ذلك اكرمه الله تعالى بميل القلوب اليه واظهار التدين بدينه من جميع اصناف اهل
الاديان والله اعلم وقيل انما هو خصائص فى اهل الخير من الرسل واولوا العزم منهم اختصهم باسماء عرفوا فى الفضائل والكرامات نحو القول
بكليم الله وروح الله وذبيح الله وحبيب الله فعلى ذلك كان لابراهيم عليه الصلوة والسلام خصوصية فى الاسم فسماه الله خليلا ونحن
نقول وبالله التوفيق ونحن نعلم بان الله تعالى لا يسميه بالذى ذكر عبثا باطلا ولكن سماه به تعظيما لقدره واظهارا لكرامته وبيانا
لمنزلته عنده لما شاء من الوجوه التى لعلها لم يطلع عليها من الخلق ولا يحتمل ان يدرك ذلك الا بالوحى فحق ذلك علينا تعظيمه ومعرفته
بالذى اختصه الله واصطفاه دون تكلف المعنى الذى له كان ذلك مع ما لا وجه ولا معنى صار حقيق ذلك واكرم الا بمعنى اكرمه الله واكرم
بفضل الله ورحمته فلله ان يبتديه بالخلة ثم يكرمه بانواع الكرامات التى هى ثمار الخلة وان يكرمه بانواع الكرامات التى له بها يقع كرامة
الخلة ويصلح ولله المن فى ذلك والفضل وعلينا الحمد لله والشكر بما اكرمنا من معرفة كرام خلقه وجعل فى قلوبنا مودتهم حتى صاروا بفضل
ورحمته الينا من انس الخلق بنا بل من انفسنا ولا قوة الا بالله ثم ليس للنصارى ادعاء البنوة لله من حيث الكرامة على الاعتبار بالخلة لان
الله سبحانه وتعالى عظم امر الاولاد حتى جعله كالشرك ولم يكن ذلك امر الخلة ولان امر الاولاد حقيقة المجانسة والخلة حقيقة الموافقة ثم اصل
الاولاد الشهوة والحاجة والخلة الطاعة والتعظيم مما يرجع احد الوجهين الى شهوة الولد وحاجته والاخر الى تعظيم يكون من ذلك العبد
وتبجيله والطاعة له والخضوع ثم الاصل ان المعنى الذى تقتضيه الخلة قد يجوز ان يظفر كل بالطاعة وان كان الاسم له فى حق النهاية
نحو قوله تعالى ان الله يحب التوابين الاية وقوله تعالى فاتبعونى يحببكم الله والمحبة قريبة من الخلة وتعالى ان يحق معنى الاولاد والبنوة بشىء
من الطاعة لذلك اختلف الامران والله اعلم وقوله عز وجل ولله ما فى السموات وما فى الارض الاية تاويل هذه الاية والله اعلم انه وان اكرم

واعظمهم منزلتهم عنده واعلاها فانهم لم يستنكفوا عن عبادته ولم يخرجوا انفسهم من ان يكونوا عبيدا بل كلما ازدادوا عند الله منزلة
وقدرا كانوا اخضع له واطوع كقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وفي موضع لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون الاية **وقوله** عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا اي احاط بكل شيء علمه وهو يخرج على الوعيد اي عن جهل بصنيعهم كما لو كان
الارض وبالله التوفيق وقوله عز وجل ايضا وكان الله بكل شيء محيطا وبصيرا وعليما ونحو ذلك يخرج على التوعيد والتخويف ليكونوا ابدا
له حذرين لكن يعلمه في الامور انه عليهم رقيب والله اعلم ويخرج على البناء انه امر من يكتب الاعمال لا لخفاء عليه لكن بها لا لحاجة به
ولكن لمصلحة لعباده فيمتحن بما شاء فامتحن ولذلك الكتبة بما يكون ابدا منتبهين ناظرين لا يغفلون عن ذلك طاعة منهم لله والثاني ان
يكون العلم بمن يكتب عليه كل امر فيحاجج عليه البشر اذكر واشد في التنبيه فجرى حكم الله في ذلك دار المحنة موضوع على المصلحة وذلك
ابلغ في الوجود والله اعلم ويخرج على ان الله تعالى بذلك محيطا ليعلموا انهم لا يكونون سدى بل يجزى عليهم الجزاء والله اعلم وجملة ذلك
ان الله تعالى قال كان كذا ليعلم انه لا عن جهل خلق الخلق وبعث الرسل وانشاء الاية مما علمنا امر الخلق انهم كيف يعاملون من ذكرت ودل
خارج على حد الحكمة وان كان لا يبرحون في بعث الرسل عليهم الصلوة الى من يكذبهم ولا تقوية الاعداء على ما به قهر الاولياء ولا الامر
والنهي لمن يعلم انه لا ياتمر ولا ينتهي كبير حكمة ربما كان ذلك منه فهو خارج على حد الحكمة اذ ذلك كله من الخالق بنفع لحاجة اوالمنفعة
ترجع اليهم فاذا ما انتفى خروج الفعل من الحكمة كما ان الله سبحانه وتعالى يمتحن عباده ويبعث الرسل عليهم السلام لحاجة بالمبعوث اليهم وبا
لمصطفين ولمنافع ترجع اليهم فيكون ذلك منه كهدايا فمن لا يقبلها فنفسه نقص وحقها بحق لا ان يرجع اليه ذلك فزال ذلك العن
الذي له خرج الفعل من الخلق عن حد الحكمة فلزم القول بموافقة الحكمة والمصلحة ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل ويستفتونك في النساء
قل الله يفتيكم فيهن الاية ذكر الاستفتاء في النساء وليس فيه بيان عما وقع به السؤال اذ قد يجوز ان يكون في الجواب بيان المراد في السؤ
وان لم يكن في السؤال بيان نحو قوله تعالى ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض دل الامر باعتزال عن السؤال عن المحيض
على ان السؤال عن المحيض انما كان في الاعتزال وان لم يكن في السؤال بيان المراد وكذلك قوله تعالى عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان
تخالطوهم على ان السؤال انما كان عن مخالطة اليتامى وكقوله ويسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير على ان السؤال عن الخمر والميسر
ما ذكر في الجواب من الاثم وان لم يكن في السؤال بيان ذلك ثم قوله تعالى يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ليس في السؤال ولا
في الجواب بيان ما وقع به السؤال في امور جميعا في الميراث وغير ذلك من الحقوق ثم ذكر واحدا فواحدا كقوله تعالى للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك وكقوله وللنساء نصيب مما اكتسبن وللرجال نصيب الاية هذا في الميراث
واما في الحقوق فقال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ويحتمل غير هذا من الحقوق سوى حقوق النكاح فوقع البيان
في الجواب لما ذكر واحدا وغيرها من الابواب الجواب خرج مخرج العموم اذ يفعل تعالى عز وجل يفتيكم وقد فعل هذا والله اعلم ويحتمل غير هذا
وهو ان يكون البيان في السؤال والجواب لو لم يعرفها اهلها يحتج في بيان ما وقع به السؤال جهة اعلم لها ويحتمل ما قال اهل التاويل
وعن ابن عباس انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد وانما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال والذين يحرزون الغنائم فانزل الله
عز وجل للنساء والصغار نصيبا في الاموال وفرض حقهما والحدود التي حدها الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانزل الله يستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم فيهن وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وذكر القصة هكذا والله اعلم ويحتمل ان يكون السؤال وقع عن
يتامى النساء الاترى انه قال عز وجل وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن الاية
في كانت اليتيمة في حجر الرجل ذات مال يرغب عن ان يتزوجها لدمامتها ويمنعها عن الازواج رغبة في مالها وهكذا روي عن عائشة
رضي الله عنها وعلى ذلك يخرج قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية **وقوله** والمستضعفين من الولدان
هو والله اعلم كان معطوفا على قوله يستفتونك والمستضعفين من الولدان على ما ذكرنا من الميراث والحقوق وان تقوموا لليتامى
بالقسط في ايفاء حقوقهم واداء ما هو عليك بما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يجزيكم من يفعل الخير ومن لا يفعل الخير
والله اعلم ومن الحروف في قوله وترغبون ان تنكحوهن اي ترغبون عن نكاحهن وعن ابن سيرين ترغبون في نكاحها لدمامتها او لا تزوج
من غيره رغبة في مالها وعن ابن سيرين وترغب في نكاحها رغبة في مالها وعلى ذلك يخرج قوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط
الاية وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن دل انه لو في الاولياء يزوج اليتيمة الصغيرة
لانه لو لم يكن ذلك لم يكن للعتاب على ترك تزويجهن معنى وان قيل اسم اليتيم يقع على الصغير والكبير جميعا على المراد
من اليتيمة الكبيرة فيحمل اسم على ذلك قيل الخطاب في الغالب يقع على الصغار منهن والله اعلم ويقصد دلالة ان النكاح عند هو بالولي
قال ترغبون ان تنكحوهن فلو لم يكن له ان يتزوجها لم يكن لهذا الخطاب معنى دل انه له ان يتزوجها **وقوله** عز وجل وان امرأة
خافت من بعلها نشوزا قيل خافت اي علمت من بعلها نشوزا وقيل الخوف ها هنا خوف لا على يقين قال الخوف ان يرى منه ما يخاف
منه حقها بحقوقها لدمامتها او لكبرها او شيء من صحبتها لو جعل الفراق بحقه ليتزوج غيرها فهو الخوف حقيقة وهكذا روي عن ابن
عباس رضي الله عنه قال ان سودة بنت زمعة خشيت ان يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها
فانزل الله تعالى

فانزل الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الاية ثم قال فهذا الصلح الذي امر الله فجعل الخوف ها هنا خشية
ومن ما يشتد رضي الله عنها انها قالت هي المراة تكون عند الرجل دميمة ولا يعجبها زوجها فتقول لا تطلقني وانت في حل من شاني
وقيل خافت من بعلها نشوزا اي علمت والعلم هو ان يكون للرجل امرأتان احديهما كبيرة ودميمة والاخرى شابة يميل قلبه الى الشابة
منها ويكره صحبة الكبيرة منها ويستثقل مقامه معها واراد فراقها فتقول له لا تفارقني واجعل ايامي لضرتي او يصالحها على ان يكون عند
الشابة اكثر من عند الكبيرة وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هي المراة تكون عند الرجل دميمة ولا يعجبها زوجها فتقول
لا تطلقني وانت في حل من شاني فالخوف هو ما يظهر لها من نشوزه قبل تزوج اخرى باعلامه والعلم هو ما يظهر من تركه معها
اياها وسوء صحبته معها وعلى هذين الوجهين روي عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين عن بعضهم يكون عند الرجل امرأتان
احدهما كبيرة والاخرى شابة فيؤثر الشابة على الكبيرة فيجري بينهما صلح على ان يمسكها ولا يفارقها على الرضا منها بابطال الحق
او ببدله وهو ما روينا من خبر ابن عباس رضي الله عنه ان سودة رضي الله عنها جعلت ايامها لعايشة رضي الله عنها خشية ان
يفارقها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه وروي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل يستفتيه في امرأة خافت من بعلها
نشوزا قال هي المراة تكون عند الرجل فينبو عيناه من دمامتها او كبرها او فقرها او سوء خلقها فيكون فراقها فان وضعت
من مهرها شيئا حل له وان جعلت من ايامها شيئا لغيرها فلا حرج دلت هذه الاحاديث التي ذكرنا على ان الرجل اذا كان له نسوة
ان يسوي بينهن فيقيم عند كل واحدة يوما الا ان يصطلحا على غير ذلك والصلح خير كما قال الله عز وجل وبين قوله ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية ان على الرجل وان عدل بين نسائه في قسمة الايام ان لا يخلي احديهن من الوطي والله
اعلم ولا يكون وطئه كله لغيرها وتكون الاخرى كالمعلقة التي ليست بايم ولا ذات زوج لكنها اذا رضيت بابطال حقها
او ببدون حقها فانه لا حرج على الزوج في ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا يحتمل ان
يكون رفع الحرج عن الزوج خاصة وان كان الفعل مضافا اليهما اذ ليس للمراة في ترك حقها حرج وكذلك قوله تعالى فلا جناح
عليهما فيما افتدت به ليس على المراة جناح في الافتداء لانها تفتدي بمالها ولها ان تملك على مالها من شاءت فكانه قال عز وجل
فلا جناح عليه في اخذ ما افتدت في ابطال حقها اذا رضيت ويحتمل ان يكون على ما ذكر وهو ان لا حرج على المراة المقام
معه وان استثقل الزوج ذلك ويكره صحبتها والله اعلم **وقوله** عز وجل واحضرت الانفس الشح عن ابن عباس رضي الله
عنه قال شحت المراة بنصيبها من زوجها ان تدعه للاخرى وشح الرجل بنصيبه من الاخرى وقيل الشح الحرص وهو ان يحرص
كل على حقه وكان الشح والحرص واحد وان كان احدهما في المنع والاخر في الطلب لان البخل يحمله على الحرص والحرص يحمله على
المنع وكل واحد منهما يكون بسبب الاخر والله اعلم **وقوله** عز وجل وان تحسنوا وتتقوا في ان تعطوهن اكثر من حقهن وتتقوا
فان لا تبخسوا من حقهن شيئا ويحتمل وان تحسنوا في ايفاء حقهن والتسوية بينهن وتتقوا الجور والميل وتفضيل بعض على بعض
ويحتمل وان تحسنوا في اتباع ما امركم الله من طاعته وتتقوا عما نهاكم الله من معاصيه **وقوله** عز وجل فان الله كان بما تعملون
خبيرا على الترغيب والوعيد وقد ذكرناه معناه في غير موضع **وقوله** عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو
حرصتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في ابقاء الحب ان يستوي في قلوبكم الحب
ولو حرصتم على العدل لا يقدرون عليه في ذلك فلا تميلوا كل الميل الى التي يحب في النفقة والقسم فتذروا الشابة التي تحبها
وتدع الاخرى بغير قسم ولا نفقة وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول اللهم اما قلبي فلا املك واما ما سوى ذلك فارجوا ان اعدل فيما
سوى ذلك والعدل ها هنا التسوية الا ترى انه قال في اية اخرى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ليس هو ضد الجور ولكن التسوية اي
يسوون بين ربهم وبين الاصنام في العبادة وعن عبيدة قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم في الحب والجماع
عن ابي قلابة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا
تؤاخذني فيما تملك انت ولا املك واصل ذلك ان في كل ما كان المرء مدفوعا مضطرا فانه غير مكلف في ذلك وفي كل ما كان
باختيار منه وايثار غيره عليه فانه مكلف في ذلك والحب مما يدفع المرء فيه ويضطر ولا صنع له فيه لم يكلف التسوية فيما
يكون مدفوعا فيه مضطرا لانه لا يملك التسوية وعلى هذا يخرج قولنا ان الكافر مكلف بالايمان في حال الكفر لشغله به و
اختياره فعل الكفر ليس كالمضطر وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاستطاعة الاحوال تكون على ضربين استطاعة احوال واسباب
واستطاعة افعال والاستطاعة التي هي استطاعة الاحوال والاسباب من نحو الصحة والسلامة وغيرها يجوز قبل ومع وبعد
واما استطاعة الافعال فانها لا تكون الا مع الفعل وبالله التوفيق **وقوله** فلا تميلوا كل الميل في النفقة والقسمة معناه
ولا يحملنكم شدة الحب والميل القلب ان يتركوا الالفاظ عليها وابقاء الحق اعني حق القسم **وقوله** عز وجل فتذروها
كالمعلقة ليست بايم ولا ذات بعل ليست هي بايم يتكلف مؤنتها كما يتكلف الايم ولا ذات بعل يحمل البعل وفي حرف ابي
كب فتذروها كالمسجونة وهو ما ذكرنا لا ينفق عليها ولا يطلقها لتتزوج زوجا اخر فهي كالمحبوسة **وقوله** عز وجل

وان تصلحوا وتتقوا هو ما ذكرنا في قوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا وقوله عز وجل فان الله كان غفورا رحيما هذا ينقض قول من
يقول انه لم يكن رحيما ثم صار رحيما لانه اخبر انه رحيم وهو يقول صار رحيما وبالله العصمة ثم المسألة بان المراة اذا جعلت ايامها الغيرها
كان لها ان ترجع وتفسخ ذلك لانها جعلت لها ما لم يجب بعد ولم يلزم فكان كمن ابرا آخر عن حق لم يجب بعد فان ابراه باطل له ان يعود
اليه فياخذه به اذا وجب فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته اي الزوجان ان تفرقا لما لا يقدر الزوج
على التسوية بينهن يغن الله كلا من سعته المراة تزوج اخر والرجل بامراة اخرى ويحتمل كلا من سعته ان كل واحد منهما وان كان غنيا
بالاخر في حال النكاح فالله قادر على ان يغني كل واحد منهما بعد الافتراق كما كان يرزق قبل الفراق وفيه دليل قطع طمع الازواج في
من غير الله وان جاز ان يجعل غيره سببا في ذلك لانه قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله ليعلم كل ان غناه لم يكن بالاخر حيث وعدلهما
الغناء وكذلك في قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين الى قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين الى قوله تعالى ان يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله دليل قطع طمع الارتزاق بعضهم من بعض في النكاح لما وعد لهم الغناء اذا كانوا فقراء وفيه دليل وقوع الفرقة
بينهما بالمراة بما يكون من الكلام لشاركها فيه وان كان الزوج هو المتفرد بالفراق لما اضاف الفعل اليهما بقوله وان يتفرقا يغن الله وكذلك
قوله تعالى فارقوهن او سرحوهن والله اعلم وفيه دليل لزوم النفقة في العدة لانه ذكر الافتراق انما يكون بانقضاء العدة ثم اخبر عز وجل عن
غناء كل واحد منهما بالاخر قبل الفراق دل ان للمراة غناء بالزوج ما دامت بالعدة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله واسعا حكيما قيل
واسعا وجودا وقيل واسعا يوسع على كل منهم رزقه حكيما حكم على الزوج امساكا بمعروف او تسريحا باحسان وقيل حكيما حيث حكم فرقتهما
واصل الحكيم ان يضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله الاية وصى الخلق كلهم ان اتقوا الله ثم قوله عز وجل ولقد وصينا اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قيل وصينا امرنا
وقيل وصينا فرضنا على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقوله عز وجل ان اتقوا الله قيل اي امرناهم ان يوحدوا الله
ويتقوا الشرك وقال مقاتل ان اتقوا الله اي وحدوا الله وقيل قوله تعالى ان اتقوا الله اي اطيعوه فيما امركم ونهاكم عنه ويحتمل ان اتقوا الله
اي اتقوا عذاب الله ونقمته ولا تعبدوا غيره دونه وان تكفروا ولم تتقوا فيما امركم الله ونهاكم فان لله ما في السموات وما في الارض ذكر هذا
على اثر قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ليعلموا انه لم يامرهم بذلك لحاجة له في عبادتهم ويامر لتنتفع
نفسه اذ من له ملك ما في السموات وما في الارض لا يحتاج الى اخر ينتفع به ولكن ليعلموا انه تعالى انما امرهم بذلك لحاجتهم في ذلك ولمنفعة
انفسهم الا ترى انه قال عز وجل وكان الله غنيا حميدا غنيا عن عبادتكم له وطاعتكم اياه حميدا في سلطانه ويكون غنيا عن خلقه في الا
حميدا في فعله وذلك الحميد في الفعل يخرج على اتقان الفعل واحكامه او على احسانه الى الخلق وانعامه عليهم وقوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض هو ما ذكرنا من غنائه عن عبادة خلقه وطاعتهم لانه ان شاء يذهبكم ويات باخرين والله اعلم اي من له ما في السموات
وما في الارض يقدر ان يذهبكم اي يهلككم ويات باخرين اخير منكم واخوف واطوع لله منكم لكنه لا يفعل لانه غني عن عبادتكم وطاعتكم
لم يخلقكم في الابتداء لحاجته في عبادتكم او لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم ومنافعكم والله اعلم ثم يحتمل قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات
باخرين في قوم خاص كما كان في الامم الخالية من الاهلاك عند المعاندة والمكابرة ويحتمل في الكل ان يشا يذهبكم ان يهلككم الكل ويات
باخرين والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله على ذلك قديرا اي كان الله على الاهلاك والابدال قديرا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال بعض اهل التاويل من كان يريد بعمله الذي يعمله عرض الدنيا ولا يريد به
الله اتاه الله ما احب من عرض الدنيا او دفع عنه ما احب في الدنيا فليس له في الاخرة من ثواب لانه عمل للدنيا وهو كقوله عز وجل ومنهم
من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا ثواب الاخرة اتاه الله تعالى من عرض الدنيا ما
احب ودفع عنه وجزاه في الاخرة الجنة بعمله في الدنيا والله اعلم ويحتمل الاية غير هذا وجوها احدها انهم كانوا يتخذون من دون الله
الهة يعبدونها طلبا للرياسة والعز والشرف كقوله عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا فاخبر ان العز والشرف لا يبتغى في
ذلك ولكن عند الله عز الدنيا والاخرة والثاني انهم كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاخبر انه ليس في عبادتكم هذه الاصنام المنافع بتأملون بذلك في الدنيا والشفاعة في الاخرة
كقوله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية فعلى ذلك قوله عز وجل من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة لا عند من تطلبون والله اعلم وقوله وكان الله سميعا لمقالتكم بصيرا بما تريدون
وتقولون وهو وعيد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية عن ابن عباس رضي الله
عنه قال كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على ما كانت من قريب او بعيد ولو على نفسه فاقربها وكذلك قال عامة اهل التاويل قوله
قوامين قوالين لله ولكن يقوم في كل عمل وقول يلزم ان يقوم لله ويجعل الشهادة له فاذا فعل هكذا لا يمنعه عن القيام بها قرابة احد
ولا بغض ولا ما يحصل على نفسه او والديه وكذلك قال الله تعالى في اية اخرى واقيموا الشهادة لله فاذا جعلها الله عز وجل لم يجعلها للخلق
امكن له القيام بها وان كان على نفسه او من ذكرتم ما يمنع القيام بها مخلفا ما على نفسه لنفع يطمع او لدفع ضرر يدفع بذلك واما

الوالدين

او الدين ما لا يحتشم ويحتشم منهم فيمتنع عن اداء ما عليه واما القرابة فطلب النفع لهم ودفع الضرر عنهم فاخبر ان الله اولى بهما فلا يمنعك
غناء احدهم ولا فقره القيام بها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل هذه الاية وقوله عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان
تعدلوا [illegible]

[illegible]

دليل انها في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ولا يتوبون لانه قال لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اخبر انه لا يغفر لهم وهو كقوله تعالى
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم لما علم الله انهم لا يتوبون والا لو امنوا وتابوا قبلت توبتهم فعلى ذلك الاول لما علم
انهم لا يتوبون ويموتون على ذلك اخبر انه لا يغفر لهم وفيه دليل انه تقبل توبة المرتد اذا تاب ليس كما قال بعض الناس انه لا تقبل توبة المرتد
لانه اثبت لهم الايمان بعد الكفر والارتداد بقوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا فدل انه اذا تاب يقبل منه وقال اصحابنا يستتاب المرتد ثلاثا
فان اسلم والا قتل وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الاية وعن ابن عمر رضي الله عنه كذلك وعن عمر
رضي الله عنه انه قدم عليه رجل من الجيش فقال هل حدث لكم حدث فقال الا ان رجلا من المسلمين ارتد ولحق بالمشركين فاخذناه قال ما
صنعتم به قالوا قتلناه قال هلا ادخلتموه بيتا واغلقتم عليه بابا واطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه ثلاثا فان تاب والا
قتلتموه ثم قال اللهم اني لم اشهد ولم ارض حين بلغني وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا ارتد ثلاثا ثم تاب في كل مرة فانه يحبس في الثالثة اذا تاب
حتى يظهر منه خشوع التوبة وذلك لو الثبات على توبة لانه اظهر الفسق والفاسق يحبس حتى يظهر خشوع التوبة وقوله عز وجل لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لا يحتمل ان يكون اراد بقوله ولا ليهديهم سبيلا البيان على ما قال قوم لانه قد تولى لهم البيان لكنهم تعاندوا ولم

يهتدوا فقد أن لم يعني منه سوى البيان لم يعطيهم لما علم انهم لا يهتدون ابدا وهو التوفيق فهذا يرد على من لا يجعل الهدى الا بيانا اذ
قد بين لهم ذلك وقوله عز وجل بشر المنافقين بكذا البشارة المطلقة المرسلة لا يكون الا بالخير خاصة واما اذا كانت مقيدة مفسرة فانها
تجوز في الشر كقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم كذا وكذلك قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وفي القران كثير ما ذكرها في الشر الا مفسرة مقيدة وقوله
عز وجل بشر المنافقين يدل هذا على ان الاية الاولى في اهل النفاق والمراءاة على ما ذكرنا من النا وقيل لانهم يسبق فيما تقدم ذكرهم سوى قوله
تعالى امنوا بالله ورسوله ويحتمل على الابتداء والاستئناف على غير ذكر تقدم وذلك جائز في القران كثير ثم المنافقين فقال الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ثم يحتمل قوله تعالى يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قولا وفعلا اما القول كقولهم انا
معكم انما نحن مستهزءون وغيره من الايات واما الفعل وكانوا يمنعون المؤمنين ان يغزوهم كقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن كقوله
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين كانوا يمنعون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين عن ان يغزوهم ويقاتلوهم وان كانوا يرون من انفسهم الموافقة للمؤمنين في الظاهر فانهم كانوا في الحقيقة معهم فهذا والله
اعلم تاويل قوله تعالى يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة قيل قوله تعالى ايبتغون على طرح
الالف وانها زائدة اي يبتغون بذلك من عندهم العزة ثم يحتمل قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة وجهين يحتمل العزة المنعة والنصرة
وكانوا يطلبون بذلك النصرة والقدرة عند الكافرين ويحتمل ليتعززوا بذلك والاصل ان حرف الاستفهام كله من الله له حق الايجاب
على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام ان الله عالم لا يخفى عليه شيء يستفهم جل عن ذلك وقوله عز وجل فان العزة لله جميعا اي القدرة
والنصرة كله لله من عنده يكون وبه يتعزز في الدنيا والاخرة ليس من عند اولئك الذين يطلبون منهم وقوله عز وجل وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ قال بعضهم قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب هو ما ذكر في سورة الانعام وهو قوله تعالى واذا
رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ثم قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء الاية نهاهم عز
وجل عن القعود معهم اذا ما خاضوا في طعن القران وايات الله فاخبر ان ليس لهم من حسابهم من شيء اذا قعدوا وانهم قال في هذه الاية فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ثم انكم اذا مثلهم نهاهم عز وجل عن القعود معهم واخبر انهم اذا فعلوا ذلك يكونون مثلهم فهو والله
اعلم على النسخ نسخ هذا الاول ويحتمل ان يكون قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء في المشركين ثم لحقهم من العقوبة والماثم
لانهم لا يقدرون على منع المشركين عن الاستهزاء بايات الله والطعن فيها ويقدرون على منع المنافقين عن ذلك فشاركوهم في العقوبة
فيما تقدرون على منعهم فلم يمنعوا ودفع عنهم ذلك فيما لا يقدرون على دفعه وفيه دلالة ان من بلي بمنكر له قدرة التغيير على اهله
فلم يغيره ان يشاركهم في ذلك او اذا لم يكن له قدرة التغيير عليهم فعليه ان ينكر عليهم وغيره والافاد تهم والايجاف ان يشاركهم
في العقوبة والله اعلم وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الاية لانهم كانوا معهم في السر والحقيقة و
ان كانوا يظهرون للمؤمنين الموافقة باللسان فهذا يدل على ان الحقائق في العواقب هو ما يسر المرء ويضمر ليس ما يظهر لان المنافقين
كانوا مع المؤمنين في الظاهر في جميع الاحكام في الانكحة والعقود كلها واظهروا الايمان لهم باللسان لكنهم اذا اضمروا خلاف ما
اظهروا لم ينفعهم ذلك ان الحقائق في العواقب ما يسر ويضمر والله اعلم وقوله عز وجل الذين يتربصون بكم يحتمل وجهين يحتمل يتربصون
الغنيمة والنصر فان كان الفتح للمؤمنين قالوا الم نكن معكم في الايمان وفي الاحكام كلها يطلبون الغنيمة والاشراك فيها كقوله تعالى اشحة
على الخير الاية واذا كانت الدبرة والبوار على المؤمنين فللكافرين يقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين يقولون ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية كانوا بين المسلمين كعيون لهم يخبرون
عوراتهم ويطلعونهم على مقصود المؤمنين فذلك منعهم على المؤمنين واستحواذهم عليهم والله اعلم ويحتمل يتربصون بكم يعني
امر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه عندهم بان لا يدوم ذلك بل ينقطع عن قريب والله اعلم ويحتمل يتربصون ما ذكر من قوله تعالى
وتربصتم وارتبتم ثم خرج تاويله في قوله تعالى الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ثم خص ذلك بقوله تعالى
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر الاية فبين انهم يتربصون بهم انقلاب الامر ورجوعه الى اعداء الله فيحمد
ظهرت لهم العواقب ما ظهر والذي كان دينهم في الحقيقة انما كان لسعة الدنيا ونعيمها كقوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن الاية
وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وقوله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الاية يحتمل هذا
ايضا وجهين يحتمل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجج في الدنيا اي ليس للكافرين الحجة على المؤمنين في الدين من شيء
الا ان يموه عليه ويتقول به بعجز المؤمن في اقامة الحجة عليه ودفع تمويهاتها والا ليس للكافر حجة يقيمها على المؤمن في الدنيا ويحتمل
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الاخرة على دفع شهادتهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون عليهم كقوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ثم لا سبيل لهم على دفع شهادتهم لان امة محمد التي شهدوا عليهم وردها والله اعلم وايضا ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة وفي الشهادة او عند الله في الخصومة والمنازعة لكنهم اذا اجابوا فيما دعاهم الى الايمان
بالكتب والرسل عليهم السلام او في النصر فيرجع امره الى العواقب والله اعلم وقوله عز وجل الم نستحوذ الغلبة وقيل الاستيلاء

وقال بعضهم الم نخبركم بعورة محمد واصحابه ونطلعكم على سرهم ونكتب به اليكم وعن ابن عباس رضي الله عنه الم نحط من
ورائكم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه الم نستحوذ عليكم ومنعناكم من المؤمنين قال الكسائي هذا في كلام العرب كثير ظاهر ومعنى
الم نستحوذ اما استحوذنا ومنعناكم وهو ظريف واصل الاستحواذ الغلبة والقهر وهو ما ذكرنا انهم يجبنون اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يقولون ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله عز وجل فالله يحكم بينكم يوم القيمة وحكم بينهم والله اعلم هو ان ينزل
المؤمنين بالجنة والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة على ما ذكرنا وكذلك روي عن ابن عباس
رضي الله عنه يقال حجة وقيل ظهورا لكن الاول اشبه ويحتمل ما ذكرنا من الشهادة انه جعل يوم القيمة للمؤمنين الشهادة عليهم
ولم يجعل لهم الى دفعها وردها على انفسهم سبيل والله اعلم وقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قوله تعالى يخادعون
اولياء الله او دينه فاضيف اليه فهو جائز في القران كثير كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا دين الله او اولياءه ينصركم
وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب وقوله عز وجل وهو خادعهم اي يجزيهم جزاء خداعهم المؤمنين فسمى خداعا وان لم يكن في
الحقيقة خداعا لانه جزاء الخداع وهو كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم تكن الثانية في الحقيقة سيئة وكذلك سمى جزاء الاعتداء
اعتداء وانما يكن الثاني اعتداء فعلى ذلك سمى هذا خداعا لانه جزاء الخداع واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه على ما
ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في جهة الخداع عن ابن عباس رضي الله عنه قال يعطي المنافقين على الصراط نورا كما يعطي المؤمنين فاذا
مضوا به على الصراط طفئ نورهم ويبقى نور المؤمنين يمضون بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فيجذبهم
فيناديهم الملائكة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لا يستطيعون الرجوع فذلك وهو خادعهم وكذلك قال الحسن
ثم قال فتلك خديعة الله اياهم وقال اخرون يفتح لهم باب من ابواب الجنة فاذا دنوا ذلك قصدوا ذلك الباب فاذا دنوا منه اغلق
دونهم فذلك الخداع والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو انهم شاركوا المؤمنين في هذه الدنيا في منافعها والتمتع والتقلب فيها فظنوا
انهم يشاركونهم في منافع الاخرة والتمتع بها فيحرمون ذلك فذلك الخديعة والله اعلم وقوله عز وجل واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراءون الناس الاية جعل الله تعالى للمنافق اعلاما في قوله وفعله يعلم بها المنافق اما في القول ما قالوا ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله وان منكم لمن ليبطئن وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية
واما في الفعل وهو قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا ياتون
الباس الا قليلا اي القتال وقوله سبحانه وتعالى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
الاية ومثله كثير في القران فاجعل ذلك علامة لهم وهو كقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم
الاية وكقوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الاية يراءون في جميع افعالهم الناس وفي حرف حفصة رضي الله
عنها يراءون الناس والله يعلم ما في قلوبهم ولا يذكرون الله الا قليلا وعن الحسن في قوله تعالى لا يذكرون الله الا قليلا فقال
اما والله لو كان ذلك القليل منهم لله لقبله ولكن ذلك القليل رياء وقيل لو كان ذلك القليل مما يريدون به وجهه فتقبله
لكان كثيرا ولكن لا يقبله فهو لا شيء وقد يتكلم بالقليل واليسير على ارادة النفي من الاصل والله اعلم وروي عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الصلوة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلو فتلك استهانة يستهين بها
ربه وروي في علامة المنافق اخبارا روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان للمنافق علامات
يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول لا يقربون المساجد الا هجرا ولا ياتون الصلوة الا دبرا وعن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد
غدر واذا ائتمن خان وروي ثلاث وروي عن عبد الله قال اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
عاهد غدر ثم قرا الايات ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية وعن وهب قال من خصال المنافق ان يحب الحمد ويكره
الذم وقوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء قال اكثر اهل التاويل ليسوا بمسلمين مخلصين ولا مشركين
مصرحين وهو ايضا قول قتادة وقال مقاتل ليسوا مع اليهود فيظهرون ولايتهم ولا مع المؤمنين في التصديق مع الولاية ويحتمل
مع غير هذا وهو انهم لم يظهروا لكل واحد من الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم بل اظهروا لهم الخلاف عند كل فريق لانهم كانوا اصحاب
طمع عبادا لانفسهم يكونون حيث راوا السعة معهم فلا الى هؤلاء في حقيقة الدين عند انفسهم ولا الى هؤلاء فذلك والله اعلم
تاويله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قيل حجة على ما قيل في الاول وقيل فلن تجد له سبيلا يعني هدى وطريق
المستقيم والله اعلم وعن الحسن ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ما دام كافرا فاذا تاب ورجع عن ذلك فله السبيل وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في المنافقين الذين
اتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين سماهم الله تعالى مؤمنين باقرارهم بالايمان علانية وتوليهم الكافرين سرا وان
يقال سموا مؤمنين لما كانوا ينتسبون الى المؤمنين فسموا بذلك وقيل نزلت في المؤمنين نهاهم ان يتخذوا المنافقين اولياء

باظهارهم الايمان علانية وامرهم ان يتخذوا المؤمنين اولياء ثم وجه النهي في الولاية واتخاذهم اولياء يكون من وجوه يحتمل
النهي عن ولايتهم ولاية الدين اي لا تتقوا بهم ولا تنصروهم ولا تأمنوهم في الدين فانهم يريدون ان يصرفوكم عن دينكم كقوله تعالى يا
ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم الاية ويحتمل النهي اولياء في امر الدنيا كقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الاية نهى المؤمنين عز وجل ان يجعلوا المنافقين موضع سرهم في امر من امور الحرب وغيره والثالث
في كل امر اي لا تنصروهم ولا تجالسوهم ولا تأمنوهم **وقوله** عز وجل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي تجعلون لله
عليكم سلطانا مبينا قيل عذرا مبينا وقيل حجة بينة يحتج بها عليكم والله اعلم **وقوله** عز وجل تريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا نهي والله اعلم الارادة وهو صفة كل فاعل في الحقيقة وحرف الاستفهام من الله ايجاب فكانه قال قد جعلتم لله في تعذيبكم
حجة بينة بفعلها الكل اذ ذلك يكون وهو اتخاذ الكافرين اولياء دون المؤمنين حجة ظاهرة في لزوم المقت وجائز ان تكون الاضافة
الى الله ترجع الى اولياء الله بحق الامر بنصر الله والقول بجهاد عدو الله وكان ذلك منهم حجة بينة عليهم لاولياء الله انهم لا يتخذون الشيطان
اولياء عبادة غير الله اتخذوه ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الدرك بالجزم والفتح
لغتان وهما واحد يقال الجنة درجات وغرفات والنار دركات بعضها اسفل من بعض وقيل كلما كان اسفل كان العذاب فيها اشد
الا ترى انه اخبر عنهم بقوله وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فلو لم يكن
اسفل منهم في الدركات اشد عذابا لم يكن لقولهم نجعلهما تحت اقدامنا معنى فدل ان كل ما كان اسفل من الدركات كان في العذاب اشد والله
اعلم وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبد المطلب وهشام بن المغيرة فقال هما من اهون اهل النار عذابا وهما في ضحضاح من النار في الذي
فيها وادنى اهل النار عذابا في رجليه نعلان من نار يغلي بهما دماغه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الادراك توابيت من حديد تصمت
عليهم في اسفل النار وقيل ان العذاب في النار واحد في الظاهر وهو مختلف في الحقيقة واية ذلك قوله تعالى عز وجل [illegible] لكن
بعضهم لا يشعر بعذاب غيرهم كقوله قالت اخراهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف سالوا ربهم ان
يجعل لهم ضعفا من العذاب جزاء ما اضلوا فاخبر ان لكل ضعفا من الاية ثم تخصيص المنافقين في الدرك الاسفل من النار دون سائر
الكفرة وجوه ثلاثة احدها انهم كانوا يسعون في افساد ضعفة المسلمين ويشككونهم في دينهم ويتكلفون في اخراجهم من الايمان وكان
ذلك دابهم وعادتهم فاستوجبوا بذلك ذلك العذاب جزاء في افسادهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك لهم لانهم كانوا عيونا للكفرة و
طلايعا لهم يخبرونهم بذلك عن اخبارهم واسرارهم ويطلعونهم على عوراتهم فذلك سعي في ابادتهم ودنياهم بالغا وكقوله الم نستحوذ
عليكم الاية ويحتمل وجها اخر وهو انهم لم يكونوا في الاحوال كلها اهل دين يتبعون عليه في حال الرخاء والفتنة ولكن كانوا مع السعة و
الرخاء حيث كان ولا كذلك سائر الكفرة بل كانوا في حال الرخاء والشدة على دين واحد يعبدون الاصنام واولئك مع المؤمنين في حال
اذا كانت السعة معهم ومع الكافرين في حال اذا كانت السعة معهم لا يعزمون على شيء واحد مترددين بين ذلك كما قال الله عز وجل مذبذبين
ذلك لا الى هؤلاء الاية والكفرة اعبدوا من عبدوا على رجاء التقرب الى الله وامر الله عز وجل لهم بذلك فيكونوا لهم شفعاء عند الله واهل
النفاق لم يكونوا يعبدون غير بطونهم ومن معهم شهواتهم فلذلك ازداد عذابهم على عذاب غيرهم ولهم جمعوا الى الكفر بالله المخادعة
والتغرير واغراء الاعداء واستعلائهم ولما قد اشتركوا الفرق كلهم في اللذات وفي طلب الشهوات فعاد اليهم ما استحق كل منهم من العقوبة
وبما بذلك شاركوا في كل المعاصي اذ سبيلها اعطاء الانفس الشهوات معا منهم تغرير ضعفة المؤمنين والتلبيس عليهم ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا عن ابن عباس قال تابوا من النفاق واصلحوا العمل واعتصموا بالله يقول وثقوا بالله وقيل الا الذين
تابوا واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين يقول من المؤمنين اي صاروا كسائر المؤمنين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واي الا الذين
تابوا ثم امنوا بالله والرسول والكتاب الذي انزل اليهم من ربهم وما انزل الى النبيين من قبل ثم اخلصوا دينهم لله واعتصموا به اولئك على المؤمنين و
سوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما وعن ابن عباس رضي الله عنه واخلصوا دينهم عمدة لم يرادوا وكانت سريرتهم كعلانيتهم او افضل
وقوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم تأويله والله اعلم ان ليس لله عز وجل حاجة في تعذيبه اياكم ان صدقتم وامنتم ولكن الحكمة
توجب تعذيب من كفر به والا ليس له حاجة في تعذيبكم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا في قوم فرطوا في التكذيب ومعاندة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فظنوا انهم وان امنوا به وصدقوه لم يغفر لهم ما كان من التفريط في التكذيب والتمرد في المعاندة فاخبر عز وجل انه لا يعذب
ان امنوا به بما كان منهم من التكذيب والعناد كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون على الجزاء و
المكافاة كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون على الجزاء والمكافاة اذ ليس في وسعهم القيام
وبا داء شكر ما استغرقتهم نعمه عليهم عمرهم فدل انه ليس يخرج الامر على مايرام المكافاة ولكنه يخرج على وجوه على معرفة النعم انها منه والثاني
على معرفة التقصير والاعتراف بالعجز عن اداء شكرها والثالث ان لا يستعملها الا في طاعة ربه **وقوله** عز وجل وكان الله شاكرا عليما قيل
الايمان بعد الجحود والتكذيب اذا تاب وقيل شاكرا اي يقبل القليل من العمل اذا كان لوجهه خالصا [illegible]
وقيل شاكرا اي يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب وذلك هو الوصف في الغاية من الكرم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه

ما يفعل الله

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا لاعمالكم الحسنة عليما بها وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اختلف في تأويله وتلاوته قال بعضهم لا يحب الله الجهر بالسوء من الدعاء الا من ظلم فانه لا باس ان يدعو اذا
كان مظلوما وقال اخرون الجهر بالسوء من القول هو الشتم اخبر انه لا يحب ذلك لاحد من الناس ثم استثنى الا من ظلم واعتدي عليه و
كذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في الجهر بالسوء من القول ان يشتم الرجل المسلم في وجهه الا ان يشتمه فيرد كما قال وذلك قول الله عز وجل
الا من ظلم وان تعفوا فهو افضل وقرا بعضهم الا من ظلم بالنصب فهو يحتمل الا من ظلم فان له الجهر بالسوء من القول وان لم يكن له ذلك وهو
كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فانهم وان لم يكن حجة عليكم فانهم يحتجون عليكم فعلى ذلك الظالم وان لم يكن له
الجهر بالسوء من القول وان لم يكن له ذلك الجهر بالسوء من القول فانه يفعل ذلك والله اعلم ومن قرا الا من ظلم بالرفع فتأويله ما ذكرنا والله
اعلم انه لا يبيح لاحد الجهر بالسوء من القول الا المظلوم فانه لا يباح له ولا يؤذن ان يرد عليه مثله وينتصر منه وقيل نزلت الاية في ابي بكر الصديق رضي الله
عنه شتمه رجل بمكة فسكت عنه ما شاء الله ثم انتصر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وتركه وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المستبان ما قالا فهو على البادي حتى يعتدي المظلوم وقال الا لا تسبوا فان كنتم فاعلين لا محالة فعلم الرجل من صاحبه فليقل انك لجبان
وانك لبخيل واصل هذا الاستثناء ان الاول وان لم يكن من نوع ما استثنى فهو جزاؤه وجزاء الشيء يسمى باسمه كما سمى الله عز وجل جزاء
السيئة سيئة بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك استثنى الا
من ظلم وان لم يكن من نوعه لانه جزاء الظلم والاعتداء والله اعلم وقيل ان الاية نزلت في الضيف ينزل بالرجل فلا يضيفه ولا يحسن اليه فجعل
له ان ياخذ بلسانه والى هذا يذهب اكثر الناس ولكنه بعيد وفي قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم دليل على انه ليس في اباحة الشيء
في حال يوجب حظره في حال اخرى لانه نهى عن الجهر بالسوء من القول ثم لم يدل ذلك على انه لا ينهى عن ذلك في غير حال الجهر **وقوله** عز وجل
وكان الله سميعا لجهر السوء عليما به ثم قال ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء يحتمل والله اعلم ان العفو والنجاة خير عند الله من الا
يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون على الترغيب رغبهم عز وجل بالعفو عن السوء والمظلمة كما انه يعفو عن خلقه ويتجاوز عنهم مع قدرته
على الانتقام فاعفوا انتم عن ظالمكم ايضا وان قدرتم على الانتصار والانتقام منهم فيكون لكم بذلك عند الله الثواب ويحتمل ان يامرهم
بالعفو عن مظالمهم ليعفو عز وجل عن مظالمهم التي فيما بينهم وبين ربهم وعلى ذلك يخرج قوله فان الله كان عفوا قديرا والله
سبحانه وتعالى عز وجل اقدر على عفو ذنوبكم منكم على صاحبكم المسيء اليكم وقال بعضهم الله اجدر واحرى ان يعفو عنك اذا عفوت
عن اخيك في الدنيا وهو على ذلك قدير **وقوله** عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله يحتمل
وجهين يحتمل قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله فيكون قوله يكفرون بالله
في الهية لانهم يكفرون بالله ولا يؤمنون به ويقولون بقدم العالم نزلت فيهم وقوله ورسله يكون في الذين يؤمنون بالله ويكفرون
بالرسل كلهم **وقوله** عز وجل ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الذين كفروا ببعض الرسل وامنوا ببعض الرسل ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ثم اخبر عز وجل عنهم جميعا مع اختلاف مذاهبهم انهم كفار وحقق الكفر فيهم بقوله تعالى اولئك هم الكافرون
حقا ويحتمل ان يكون فيمن امن ببعض الرسل وكفر ببعض فيكون الكفر ببعض الرسل كفرا بالله وبجميع رسله وبجميع كتبه لان كل من الرسل يدعو
الخلق كلهم الى الايمان بالله والايمان بجميع الرسل والكتب واذا كفر بواحد منهم كفر بالله وبالرسل جميعا والله اعلم **وقوله** عز وجل اولئك
هم الكافرون الذين حق عليهم الكفر بالله والثاني يكفرون ببعض الرسل انهم وان كفروا ببعض الرسل فقد حق عليهم الكفر بالله تعالى لان الكفر
بواحد من الرسل جميعا **وقوله** عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وقوله مهينا يهانون فيه وقوله تعالى ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اي ويتخذون غير ذلك سبيلا وعلى طرح ارادة ان اي يتخذون بين ذلك بين ايمان ببعض الرسل وبكفر ببعض الرسل دينا فذلك
لا ينفعهم اذا كفروا ببعض الرسل ثم نعت المؤمنين فقال عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل وقالوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى اخر ما ذكر وفي الاية نقض قول المعتزلة لانهم لا يسمون صاحب الكبيرة مؤمنا وهو قد امن
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد من رسله فدخل في قوله تعالى اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وهم يقولون لا يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا
رحيما اخبر عز وجل انه لم يزل غفورا رحيما ولكن صار غفورا رحيما وبالله العصمة **وقوله** عز وجل يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء قيل في احكام الناس بل كان يريد كل احد منهم ان ياتي الى كل رجل منهم بكتاب ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله سبحانه
وتعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا وكقوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل سالوا ان يأتيهم بكتاب
جملة مثل التورية مثل قولهم لولا نزل عليه القران جملة واحدة كما انزلت التورية على موسى جملة واحدة لانهم غير متفرقة فاخبر انهم سالوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وقد سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل سؤال اولئك موسى وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا يعزي عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم بقول والله اعلم انهم سالوا ايات على رسالته فاتى بها فلم يؤمنوا به فجعل ان سؤالهم
سؤال تعنت لا سؤال استرشاد لان سؤالهم لو كانوا سؤال استرشاد لكان اذا اتوا بها قبلوها ولذلك اخذهم العذاب بقوله تعالى فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم لانهم كانوا يسالون سؤال تعنت لا سؤال رشد وفي الاية دلالة ان المسؤول لا يلزم الدليل على شهوة السائل وارادته

ولكن يلزم ان ياتي بما هو دليل في نفسه وفيه دلالة ايضا ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانه لما قال يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء لم يخطر ببال احد انه اراد المجوس بقوله اهل الكتاب والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم والصاعقة هي العذاب الذي فيه الهلاك وقد ذكرنا فيما تقدم وانما اخذهم العذاب بكفرهم بموسى بعد ما اتاهم موسى عليه السلام بايات الرسالة لا بسؤالهم الرؤية لانه لو كان ما اخذهم العذاب انما اخذ بسؤال الرؤية لكان موسى بذلك اولى حيث قال رب ارني انظر اليك دل ان العذاب انما اخذهم بتعنتهم وبكفرهم بعد ظهور الايات لهم انه رسول وذلك قوله تعالى ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة تعنتهم في تكذيب الرسل وكثرة تمردهم وسفههم ليصبر على اذى قومه ولا يظن انه اول مكذب من الرسل وقوله عز وجل واتينا موسى سلطانا مبينا قيل السلطان المبين يحتمل الايات التي اراهم ما يعقل كل من لم يعاند ولا كابر انها سماوية اذ هي كانت خارجة عن الامر المعتاد بين الخلق من نحو اليد البيضاء والعصا وفرق البحر وغير ذلك وقوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم حين لم يقبلوا التورية فعند ذلك قبلوا ثم اخذ عليهم الميثاق بذلك وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يقول لا تعملوا في السبت عملا من الدنيا تفرغوا فيه للعبادة وفي حرف حفصة رضي الله عنها وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وقال ابو معاذ ويقرا لا تعدوا على معنى لا تعتدوا وتلقى احدى التائين وان شئت تعتدوا ولم تدغم التاء في الدال وقوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا هو ما ذكر قال ابن عباس رضي الله عنهما من ارسل الله اليه رسولا فاقر به فقد وجب على نفسه ميثاقا غليظا وقال مقاتل الميثاق الغليظ اقرارهم بما عهد الله اليهم في التورية وقوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله قال الكسائي ما هاهنا صلة يقول فبنقضهم ميثاقهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكفرهم بايات الله من بعد ما تبينت وقال مقاتل فبنقضهم اقرارهم بما في التورية وبكفرهم بايات الله يعني بالانجيل والقران وهم اليهود وقوله عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق يحتمل على حقيقة القتل ويحتمل على القصد والهم وقد هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كانوا يقتلون الانبياء واما الرسل عليهم السلام فكانوا معصومين لم يقتل رسول قط الا ترى انه قال انا لننصر رسلنا وقال عز وجل انهم لهم المنصورون وقوله عز وجل وقولهم قلوبنا غلف قيل بوجهين احدهما انهم قالوا قلوبنا اوعية للعلم لا تستمع شيئا الا حفظته فالقراءة في هذا الوجه غلف والثاني قالوا قلوبنا في اكنة مما تقول لا نعقل ما تقول فالقراءة في هذا الوجه غلف فيه ثم قال عز وجل بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل ان يكون هذا جوابا ورد على قولهم ان قلوبنا اوعية للعلم لا تستمع شيئا الا وعته اخبر عز وجل انه طبع على قلوبهم بكفرهم فلا يفقهون شيئا والله اعلم وقوله عز وجل وقولهم على مريم بهتانا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنه قذفوها بالزنا وهو قولهم لقد جئت شيئا فريا وقيل قوله تعالى وكفرهم اي كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقولهم على مريم ما قالوا لقد جئت شيئا فريا وقولهم انا قتلنا المسيح قيل سمي مسيحا لان جبريل عليه الصلاة والسلام مسحه بالبركة فهو كالممسوح الفعيل بمعنى المفعول وذلك جائز في اللغة وقيل المسيح بمعنى ماسح لانه كان يمسح المريض والابرص والاكمه فيبرأ فسمي لذلك مسيحا وذلك جائز الفعيل بمعنى فاعل والله اعلم وقوله عز وجل انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الاية لبعض الناس تعلق بهذه الاية من وجهين احدهما في احتمال الغلط والخطأ في المشاهدات والمعاينات والثاني في احتمال المتواتر من الاخبار الغلط والكذب وذلك انه قيل في القصة ان اليهود طلبت عيسى عليه الصلوة والسلام ليقتلوه فحاصروه في بيت ومعه نفر من اصحابه من الحواريين فادركهم المساء فباتوا يحرسون فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اني متوفيك ورافعك الي فاخبر اصحابه وقال ايكم يحب ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويجعله الله يوم القيامة معي في درجتي فقال رجل منهم انا يا رسول الله فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتلوه وصلبوه وقيل انه القي شبهه على رجل من اليهود وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما هموا بقتله التجا الى بيت فدخل فاذا ازا في طلبه فدخل رجل منهم البيت ليقتله فابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فلما خرج وقد القي شبهه عليه فقتلوه وقالوا لما قتلوا ذلك وعندهم انه عيسى لما كان به شبهه ثم لم يكن ذلك عيسى فما يمنع ايضا ان ما يشاهد ويعاين انه في الحقيقة على غير ذلك كما شاهدوا اولئك القوم وعاينوا وعندهم انه عيسى ثم لم يكن والله اعلم ثم الخبر ايضا قد تواتر فيهم بقتل عيسى فكان كذبا فما يمنع ايضا ان الاخبار المتواترة يجوز ان تخرج كذبا وغلطا قيل اما الخبر بقتله انما انتشر عن ستة او سبعة على ما ذكر في القصة والخبر الذي كان انتشاره بذلك القدر من العدد وهو من الاخبار الاحاد عندنا واما قوله تعالى ولكن شبه لهم يجوز ان يكون ذلك التشبيه تشبيه خبر انه قتل من القى الشبه على غيره وقتله حقيقة وذلك انه ذكر في بعض القصة انهم لما طلبوه في ذلك البيت فلم يجدوه ولم يكن غاب احد منهم فقالوا قتلناه لانهم قالوا انه دخل البيت فدخلوا على اثره فلم يجدوه كان ذلك انباء من عظيم رسالته فلم يحبوا ان يقولوا ذلك فقالوا قتلناه كذبا فذلك تشبيه منهم لهم والله اعلم فان احتمل من لم يكن ما قالوا من تحقيق النصير لهم دون ذلك فلو كان ما قال اهل التاويل من القاء شبهه عليه فذلك من ايات رسالته اراد الله ان يكون اية قائمة بعد غيبته عنهم وفي حال اقامته بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل الشك من مشكل

عليه

عليه السلام قتلا ولم يقتل وقيل لفي شك منه في عيسى اي على الشك يقولون انه ابن الله ما لهم به من علم الا اتباع الظن اي ليس لهم بذلك الا اتباع الظن الاول منهم يظنهم في غير يقين وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا ظنهم يقينا بل رفعه الله وقيل وما قتلوه يقينا اي يقينا ما قتلوه بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حين حال بينهم وبين عيسى ان يقتلوه ويصلوا اليه حكيما حكم ان يرفعه حيا وعن ابن عباس رضي الله عنه وكان الله عزيزا حكيما ان رسله يكونون معصومين وهو قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز وقوله عز وجل ايضا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى قبل موته اي قبل موت عيسى اذا نزل من السماء امنوا به اجمعون وبه يقول الحسن وقال الكلبي ان الله تعالى اذا انزل عيسى عليه السلام عند خروج الدجال يؤمن به بقية اهل الكتاب فلا يبقى يهودي ولا نصراني الا اسلم وقال بعضهم الا ليؤمنن به قبل موته اي قبل موت الكتابي لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى صلوات الله عليه وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قيل وان ضرب بالسيف قال وان ضرب بالسيف وقال هي في حرف ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم لكن التاويل ان كان هو الثاني فهو في رؤسائهم الذين كانت لهم رياسة فلم يؤمنوا خوفا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع التي كانت لهم فلما حضرهم الموت ايقنوا بذهاب ذلك عنهم فعند ذلك يؤمنون وهو والله اعلم كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كقوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل لانها ايمان دافع العذاب والاضطرار كقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية فكان ايمانهم ايمان دفع العذاب عن انفسهم لا ايمان حقيقة لانه لو كان ايمان حقيقة لقبل ولكن ايمان دفع كقول فرعون حين اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فلم يقبل ذلك منه لانه ايمان دفع العذاب وايمان اضطرار لا ايمان حقيقة فعلى ذلك الاول وبالله التوفيق وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موتهم وفي حرف حفصة رضي الله عنها وان كل اهل الكتاب لما ليؤمنن به قبل موته وقيل ليؤمنن به قيل بالله وقيل بعيسى وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان عيسى عليه السلام [illegible] يدعوا الناس الى الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله عز وجل ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قيل انه يكون عليهم شهيدا بانه قد بلغ رسالة ربه اليهم واقر على نفسه بالعبودة وقيل الشهيد الحافظ وقيل يوم القيامة يكون عليهم شهيدا وقيل يكون محمد عليهم شهيدا وهذا كله محتمل والله اعلم بما اراد وقوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم لولا اية اخرى سوى هذه والا فرضنا قوله سبحانه وتعالى حرمنا عليهم طيبات على المنع دون تحقيق التحريم لانهم اهل كفر فلا يبالون ما يتناولون من المحرم والمحلل ولا يمتنعون عن التناول من ذلك فاذا كان ما ذكرنا فيجب ان يصرف تاويل الاية الى المنع كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فليس هو على التحريم ولكن على المنع اي منعناه فلم ياخذ من لبن المراضع دون لبن امه فعلى ذلك يجب ان يكون الاول ثم المنع لهم يكون من وجهين احدهما المنع من جهة منع الانزال القطر والامطار والقحط كسني يوسف عليه السلام وسني مكة على ما كان من القحط والثاني في جهة الخلق الا يعطوا شيئا الا بيعا ولا شراء ولا معروفا لكن في اية اخرى بيان ان قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم انه على التحريم ليس على المنع وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر عز وجل ان ذلك جزاء بغيهم فدل ما ذكرنا في الاية ان ذلك على تحقيق التحريم لما يحتمل ان يكونوا لا يستحلون ما ذكر في الاية ولكن كانوا ياتون على غير الاستحلال لحرمة ذلك عليهم وفي قوله تعالى حرمنا عليهم طيبات احلت لهم دلالة لاصحابنا رحمهم الله في قولهم ان من قد اقر فقال هذا الشيء لفلان اشتريته منه انه لا يؤخذ منه والا في ظاهر قوله هذا الشيء لفلان اشتريته منه اذا اشتراه منه لا يكون لفلان فيكون ذلك اقرارا لكنه على الاضمار كانه قال هذا الشيء كان لفلان اشتريته منه وكذلك قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي كانت لهم وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وحرف ابن عباس رضي الله عنهما حرمنا عليهم طيبات كانت احلت لهم وقوله عز وجل وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي بصدهم الناس عن سبيل الله كثيرا يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم صدوا من يستجهلون ويستفهون عن سبيل الله كانوا يدلون على الباطل وعلى غير سبيل الله فذلك الصد محتمل ويحتمل انهم كانوا يصدون عن سبيل الله بالقتال والحرب وقوله عز وجل واخذهم الربوا وقد نهوا عنه دل ان الربوا لم يزل محرما على الامم كلها كما حرم على هذه الامة وقوله عز وجل واكلهم اموال الناس بالباطل يحتمل هذا وجهين يحتمل اكل اموالهم بالباطل هو الرشوة كقوله تعالى واكلهم السحت قيل هو الرشوة وقيل ما كانوا ينالون من اموال الاتباع والسفلة بتحريفهم التوراة لهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما الاية ظاهرة وقوله عز وجل لكن الراسخون في العلم استثنى الراسخين في العلم منهم والرسوخ هو ثبات الشيء في القلب ورسخ الايمان في القلب وقوله لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة روي عن عائشة رضي الله عنها قالت هذا خطاء من الكاتب هو المقيمون الصلاة والمؤتون الزكوة وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه والمقيمون الصلوة والمؤتون الزكوة وقال الكسائي في وجه قرائتنا يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة لقوله يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون باقامة الصلوة كما قال عز وجل في سورة البقرة ولكن البر من امن بالله معناه ولكن البر الايمان بالله وقال بعضهم قوله تعالى يؤمنون بما انزل

اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة يعني الرسل وفي حرف حفصة رضي الله عنه لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما انزل اليك
من قبلك والمقيمين الصلوة المؤتين الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر سوف نؤتيهم اجرا عظيما وكذلك في حرف ابي المقيمين الصلوة
بالنصب **وقوله** عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قيل فيه بوجوه قيل قوله كما اوحينا الى نوح الكاف صلة زايد
ومعناه انا اوحينا اليك ما اوحينا الى نوح ومن ذكر من بعده اي لا يختلف ما انزل اليك ما انزل الى غيرك من الرسل وهو كقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وان هذا لفي الصحف الاولى الاية وقيل انا اوحينا اليك من الحجج والايات اي قد اعطاك من الحجج والايات ما يدل على رسالتك ونبوتك كما اعطى
اولئك من الحجج والايات على صدق ما ادعوا من الرسالة والنبوة ثم لم يؤمنوا وقيل ان اليهود قالوا ان محمدا لو كان رسولا لكان يؤتى كتابا
جملة كما اوتي موسى كتابا جملة من غير وحي فقال الله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وحيا من غير ان اوتي كلا
منهم كتابا جملة كما اوتي موسى ثم كان اولئك رسلا فعلى ذلك محمد صلى الله عليه وسلم رسولا وان لم يؤت كتابا كما اوتي موسى ولله ان يفعل
ذلك يؤتي من يشاء كتابا كما اوتي موسى وشاء ان يفعل ذلك يؤتي من يشاء كتابا جملة مرة ومن شاء يوحى اليه بالتفاريق والله اعلم بذلك
وقوله عز وجل واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن ذكر يحتمل ذكر ابراهيم ومن ذكر من اولاده بعد قوله انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين على التخصيص لابراهيم ومن ذكر لانه ذكر النبيين بعد نوح فدخلوا فيه ثم خصهم بالذكر تفضيلا وتخصيصا
لهم ويحتمل ان يكون قوله تعالى والنبيين من بعده الرسل الذين كانوا بعد نوح قبل ابراهيم ثم ابتداء الكلام فقال واوحينا الى ابراهيم
ومن ذكر وفي حرف حفصة رضي الله عنها انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وكما اوحينا الى الرسل من بعده وكما اوحينا الى ابراهيم فهذا
يدل على ما ذكرنا من ابتداء الذكر لهم والله اعلم والاية ترد على القرامطة مذهبهم لانهم يقولون الرسل سبعة سابعهم قائم الزمان لانه ذكر
في الاية من الرسل اكثر من عشرة فظهر كذبهم بذلك وتخايلهم التي سولها الشيطان وزين في قلوبهم **وقوله** عز وجل ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ذكر في بعض القصة ان اليهود قالوا ما بال موسى لم يذكر فيمن ذكر من الانبياء فانزل الله عز وجل
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل هؤلاء بمكة في الانعام وفي غيرها لانه قيل هذه السورة مدنية ثم في قوله ورسلا لم نقصصهم
عليك دلالة من وجوه احدها ان معرفة الرسل باجمعهم واحدا بعد واحد ليس من شرط الايمان بعد ان يؤمن بهم جميعا لانه لم يخبر عن
رجال من الرسل من لم نقصصهم عليك ولو كان معرفتهم من شرط الايمان لقصهم عليه جميعا لا يحتمل ترك ذلك دل انه ليس ذلك من شرط
الايمان والله اعلم والثاني ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه التصديق لانه لم يؤخذ عليه معرفة الرسل واخذ بتصديقهم والايمان بهم جملة
وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما اختلف فيه قال بعضهم خلق الله كلاما وصوتا والقى ذلك في مسامعه وقال اخرون كتب له كتابا
فكلم بذلك فذلك معنى قوله وكلم الله موسى تكليما الا ان كلمه بكلام ولا ندري كيف كان سوى انا نعلم انه لم يحدث صوتا لم يكن فاسمع موسى ذلك
كيف شاء وما يشاء ومتى شاء لان كلام الله الذي هو موصوف به في الازل لا يوصف بالحروف ولا بالهجاء ولا بالصوت ولا بشيء مما يوصف به
كلام الخلق بحال وما يقال هذا كلام الله انما يقال على الموافقة والمجاز كقوله حتى يسمع كلام الله ولا سبيل له الى ان يسمع كلام الله الذي هو
موصوف به بالازل ولكنه على الموافقة والمجاز يقال ذلك **وقوله** عز وجل وكلم الله موسى تكليما يخرج هذا والله اعلم مخرج التخصيص له اذ ما
من رسول الا وقد كان له خصوصية لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه من غير ان كان ثم سفير او رسول وكان لسائر الرسل وحيا يوحى
اليهم اي دليل برسول والله اعلم **وقوله** عز وجل وكلم الله موسى تكليما دل المصدر على تحقيق الكلام اذ المصادر مما يوكد حقايق ما له المصادر
في موضع اللغة وايد ذلك الامر المشهور من تسمية موسى كليم الله وما جرى على السن الخلق من القول بان الله كلم موسى فثبت انه كان له فيما كلمه
خصوصية لم يشركه فيه غيره من الرسل وعلى حق الوحي وانزال الكتب لم يشركا في ذلك من الرسل فثبت انه لما وصف به موسى خصوصية كثير من
الرسل باسماء او نعوت وجبت لهم الفضيلة بها وان كان جائزا ما يحتمل تلك الخصوصية قد يتوجه الى ما قد يشترك في ذلك جملة الرسل فعلى
ذلك امر تكليم موسى عليه السلام **وقوله** عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين اخبر انه بعث الرسل بالبشارة في العاقبة لمن اطاعه والانذار لمن
عصاه فهذا ليعلم ان كل لا عاقبة له فهو عبث ليس من الحكمة وان الذي دعا الرسل الخلق اليه انما دعوا لامر له عاقبة اذ في عقل كل احد ان كل
امر لا عاقبة له ليس بحكمة فهذا والله اعلم معنى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لمن اطاع الله بالجنة ومنذرين لمن عصاه بالنار **وقوله** عز وجل
لئلا يكون للناس على الله حجة يحتمل هذا وجهين يحتمل لئلا يكون للناس على الله تعالى الاحتجاج بانه لم يرسل الرسل الينا وان لم يكن لهم في الحقيقة
عند الله عز وجل ذلك فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ويحتمل قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل حقيقة الحجة لكن ذلك انما يكون في العبادات والشرايع التي سبيل معرفتها السمع لا العقل فلا يكون واما الذين فان سبيل لزومه
بالعقل فلا يكون لهم في ذلك على الله حجة اذ في خلقه كل احد من الدلائل ما لو تامل وتفكر فيها الدلالة على حكمته وعلى وحدانيته وربوبيته لكن بعث
الرسل يقطع الاحتجاج لهم عنه وان لم يكن لهم الحجة وان كان على حقيقة الحجة فهو في العبادات والشرايع فبعث الرسل على قطع الحجة لهم والله اعلم
وقوله عز وجل وكان الله عزيزا حكيما اي لا يعجزه شيء عن اعزاز من اراد ان يعزه ولا على اذلال من اراد اذلاله حكيما يعرف وضع كل شيء موضعه
وقد ذكرنا تاويله في غير موضع **وقوله** عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون قيل فيه بوجهين قيل يشهد انه
يوم القيمة والملائكة يشهدون وايضا انه هو القران الذي انزل الينا انما انزل من عند الله لا كما يقولون انما يعلمه بشر وما هذا الا افك

مفترى ان هذا

مفترى ان هذا الا اختلاق كانه قال وقيل قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك اي يبين بالايات والحجج التي يعجز الخلايق عن
اتيان مثلها ويلزمهم الاقرار بانه انما انزل من عند الله والله اعلم **وقوله** عز وجل انزله بعلمه يحتمل وجهين انزله بالايات والحجج ما
يعلم انها ايات الربوبية والحجج السماوية ويحتمل انزله بعلمه اي انزله على علم منه ممن يقبل وممن لا يقبل ليس كما يبعث ملوك الارض
بعضهم الى بعض رسائل وهدايا لا يعلمون قبولها ولا ردها ولا علم لهم بمن يقبلها وبمن يردها ولو كان لهم بذلك علم ما ارسلوا
الرسل ولا بعثوا الهدايا اذا علموا انهم لا يقبلونه فاخبر عز وجل انه على علم منه انزل بمن يقبل وبمن يرد والله اعلم **وقوله** عز وجل
وكفى بالله شهيدا اي شاهدا على ما ذكرنا من شهادته يوم القيامة على احد الناويلين انه انزل ويحتمل قوله شهيدا اي مبينا اي كفى بالله
مبينا بالايات والحجج وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما انزل لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل الاية قالت قريش من يشهد لك انما نقول حق فانزل الله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى
بالله شهيدا وانزل قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الاية **وقوله** عز وجل ان الذين كفروا بايات الله وصدوا الناس
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي قد تاهوا وتحيروا وتحيروا طويلا ويحتمل قد ضلوا ضلالا بعيدا اي هلكوا هلاكا لا نجاة
لهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع **وقوله** عز وجل ان الذين كفروا وظلموا اي كفروا بايات الله وحججه وظلموا امر الله و
تركوه ويحتمل قوله تعالى وظلموا حيث جعلوا انفسهم لغير الله وجعلوا العبادة لمن دونه وهو انما خلقهم ليجعلوا عبادتهم له
تعبد وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك وصفهم بالظلم لان الظلم وضع شيء في غير موضعه ويحتمل ظلموا انفسهم وان
كانوا لا يقصدون ظلم انفسهم فان حاصل ذلك يرجع الى انفسهم فكانهم ظلموا انفسهم والله اعلم **وقوله** عز وجل لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم كانه على الاضمار وبان لا يهديهم في الاخرة طريقا الا طريق جهنم ويحتمل ما قال اسل التاويل
انه لا يهديهم طريق الاسلام الا طريق جهنم طريق الكفر والشرك هما طريقا جهنم في الدنيا والاسلام هو طريق الجنة في الدنيا وهذه الاية
والاية الاولى في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ويموتون على ذلك حيث اخبر انه عز وجل لا يغفر لهم ولا يهديهم خالدين فيها ابدا وكان الله ذلك على الله
يسيرا ظاهر **وقوله** عز وجل يا ايها الذين قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم يحتمل قوله بالحق من ربكم بالحق الذي لله عليكم ويحتمل بالحق من ربكم
بالحق الذي لبعضكم على بعض قد جاءكم الرسول من الله ببيان ذلك كله ويحتمل قوله قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الحق الذي هو ضد الباطل
ويتضح ويفرق بينهما وازال الشبه اذ لم تعاشوا ولم تكابروا فامنوا خيرا لكم لان الذي كان يمنعهم عن الايمان بالله حب الرياسة وخوف زوال
المنافع التي كانت لهم فقال امنوا خيرا لكم لان ذلك لكم في الدنيا والاخرة دائم لا يزول فذلك خير لكم من الذي يكون في وقت ثم يزول
عنكم عن سريع **وقوله** عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض لا يته الخبر والله اعلم انه ما يامر خلقه وينهى ليس يامره وينهى لحاجة له
او لمنفعة ولكن يامر وينهى لحاجة الخلق ومنافعهم اذ من له ما في السموات وما في الارض وملكهما لا ينفع له الحاجة ولا منفعة وهو غني بذاته
وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما عليما عن علم باحوالكم خلقكم لا عن جهل وعليما بما به صلاحكم وفسادكم حكيما حيث وضع كل شيء موضعه
ويحتمل قوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وجها اخر وهو الذي يكفروا بقدر ان يخلق خلقا اخر سواكم يطيعونه اذ له
ما في السموات وما في الارض والله اعلم **وقوله** عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم والغلو في الدين هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم
كذلك الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم في الفعل وفي النطق مجاوزة له بعضهم تفسير الخلق ما ذكر ولا تقولوا على الله الا الحق كالقول
على الله بما لا يليق به غلو وقيل لا تغلوا اي لا تتعمقوا في دينكم ولا تشددوا فيحملكم ذلك على الافتراء على الله والقول بما لا يحل ولا يليق **وقوله**
عز وجل ولا تقولوا على الله الا الحق اي الصدق وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق يقول لا تقولوا لله
تعالى ولدا ولا صاحبة وفي حرف حفصة رضي الله عنها ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة انما هو اله واحد **وقوله** عز وجل انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله الخطاب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم في حقيقة المعنى للخلق كلهم لان على كل الخلايق ان لا يغلوا في دينهم وهو في
اهل الكتاب والمقصود منه النصارى دون غيرهم من اهل الكتاب حتى يعلم انه ليس في تخريج عموم اللفظ دليل عموم المراد ولا في تخريج خصوص
دليل خصوص ولكن قد يرا دبعموم اللفظ الخصوص وخصوص اللفظ العموم فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم المراد وبخصوص
اللفظ خصوصه ثم افترقت النصارى على ثلاث فرق في عيسى صلوات الله عليه بعد اتفاقهم على انه ابن مريم قال بعضهم هو الله ومنهم من
يقول هو ابن الاله ومنهم من يقول هو ثالث ثلاثة الرب والمسيح وامه فاكذبهم الله عز وجل في قولهم واخبر انه رسول الله ابن مريم ولو كان هو
اله لكانت امه احق ان يكون اله لانه امه كانت قبل عيسى عليه السلام ومن كان قبل احق بذلك ممن يكون من بعد ولان من اتخذ الولد انما يتخذ
من جوهره لا يتخذ من غير جوهره فلو كان ممن يجوز ان يتخذ ولدا لم يتخذ من جوهر البشر كقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا الاية **وقوله** عز وجل وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال بعضهم كلمته انه قال له كن فكان لكن الخلايق كلهم في هذا كعيسى
لان كل الخلايق انما كانوا بقوله عز وجل كن فكان فليس لعيسى عليه السلام خصوصية وانما انه سمي كلمة الله لما القاها الى مريم ولا ندري انه
كلمة كانت وانما خلقه بكلمة التي القاها اليها فسمي بذلك كما خلق ادم من تراب فنسب اليه وحوا خلقها من ضلع ادم فنسبها اليها وسائر
الخلايق خلقهم من النطفة فنسبهم اليها فعلى ذلك عيسى لما خلقه بكلمة القاها اليها نسب اليها لكن فادم وغيره من الخلايق ذكر فيهم التعبد

من حال الى حال ولم يكن ذلك في عيسى فيحتمل ان يكون له الخصوصية بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وروح منه كقوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا فسمي لذلك روحا لما به كان يحيي الموتى الا ترى انه سمى القرآن روحا وهو قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سماه روحا لما به يحيى القلوب كما يحيى الابدان بالارواح وقيل وروح منه اي احياه الله وجعله روحا وقيل وروح منه اي رسول منه وقيل وروح منه اي امر منه وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة لان الرسل كلهم لم يدعوكم الى الذي انتم عليه من ثالث ثلاثة انما دعاكم الرسل ان الله اله واحد لا شريك له ولا ولد انتهوا خيرا لكم بما ذكرنا بالاية الاولى وقوله ولا تقولوا ثلاثة بالرفع اي لا تقولوا هو ثالث ثلاثة وقوله عز وجل سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بان له ولدا ثم اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وانما يتخذ الولد لاحدى خصال ثلاث اما الحاجة تمسه فيدفعها به عن نفسه او لوحشة تصيبه فيستانس به او الخوف غلبة العدو فيستنصر به ويقهره او لما يخاف الهلاك فيتخذ الولد ليرث ملكه فاذا كان الله سبحانه وتعالى عن ان يمسه حاجة او تصيبه وحشة او ملكه زوال يتعالى عن ان يتخذ ولدا وهو غني وكفى بالله وكيلا قيل حافظا وقيل شهيدا وقيل الوكيل هو القائم في الامور كلها والله اعلم وقوله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون تكلم الناس في هذه الاية قال الحسن فيه دليل تفضيل الملائكة على البشر لانه قال الله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون لان الثاني يخرج مخرج التاكيد للاول وابدا انما يذكر ما به يؤكد اذا كان افضل منه وارفع لا يكون التاكيد بمثله ولا بما دونه كما يقال لا يقدر ان يحمل هذه الخشبة واحد ولا عشرة ولا يحمل هذا الحمل واحد ولا عدد فهو على التاكيد يقال فعلى ذلك الاول لخرج ذكر الملائكة على اثر ذكر المسيح على التاكيد وابدا انما يتبع التاكيد بما هو اكبر لا بما دونه والثاني قال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال فكيف يستوي حال من يعصي مع حال من لا يعصي وحال من لا يفتر عن عبادته طرفة عين مع حال من يرتكب المناهي والثالث ما قال الله تعالى حكاية عن ابليس حيث قال لادم وحوا عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لو لم يكن للملائكة فضل عندهم ومنزلة ليس ذلك للبشر لم يكن ابليس بالذي يغرهما بذلك الملك والوعد لهما انهما يصيران ملكين ولا كان ادم وحوا بالذي يغتران بذلك دل ان الملائكة افضل من البشر والرابع ان الانبياء صلوات الله عليهم ما استغفروا لاحد الا بدءوا بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم من المؤمنين كقول نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي الاية وكقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وما امر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال واستغفر لذنبك الاية وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما امر بذلك وما فعلوا ذلك الا لما يحتمل ذلك فيهم والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤمنين من البشر كقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم والى هذا ذهب بعض الناس بتفضيلهم الملائكة على البشر وقال اخرون بتفضيل البشر على الملائكة ولا يجب ان يتكلم في تفضيل البشر على الاطلاق على الملائكة لانهم يعملون بالفساد ويكل فسق الا ان يتكلم في تفضيل اهل الفضل من البشر والمعروف منهم بذلك على الملائكة فذلك يحتمل ان يتكلم فيه ويذهب من قال بتفضيل من ذكرنا من البشر على الملائكة الى انه ليس في قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون على ان الملائكة كلهم افضل منهم لانه انما ذكر المقربين لم يذكر الملائكة مطلقا فيجوز ان يكون لمن ذكر فضل على البشر وكلامنا في تفضيل الجوهر على الجوهر ولان البشر ركب فيهم من الشهوات والاماني التي تدعوهم الى ما فيه الخلاف لله والمعصية له وجعل لهم اعداء امروا بالمجاهدة معهم من انفسهم والشياطين الذين سلطوا عليهم ولا كذلك الملائكة عليهم السلام فمن حفظ نفسه وصانها واخلصها من بين الاعداء وقمع ما ركب فيهم من الشهوات والحاجات الداعية الى الخلاف لله والمعصية له كان افضل ممن لا يشغله شيء من ذلك والله اعلم وما ذكر من اغترار ادم وحوا بقول ابليس الا ان تكونا ملكين لا يحتمل ان يكون ادم لما خلق من جوهر البشر واخبر انه جعله خليفة في الارض انه يفنا ولما نهي عنه ليصير من جوهر الملائكة ولكنه والله اعلم راى ان الملائكة طبعوا على حب العبادة لله ولم يركب فيهم من الشهوات والحاجات التي تشغل المرء عن العبادة لله والطاعة له احب ان يطبع بطبعهم ليقوم بعبادة الله كافة مراعي واشباه والتكلم في مثل هذا نفضل ذلك الى الله تعالى واليه التخيير والافضال ثم تاويل قوله عز وجل والله اعلم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وذلك انهم كانوا يعبدون الملائكة دون الله ويعبدون المسيح دونه فاخبر ان اولئك الذين يعبدونهم انهم لم يستنكفوا عن عبادته فكيف تستنكفون انتم وقوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فهو والله اعلم على الاضمار كانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن لم يستنكف ولم يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ثم بين جزاء من لم يستنكف عن عبادته ولم يستكبر ومن استنكف واستكبر فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم الاية واما الذين استنكفوا واستكبروا الاية والا لم يكن في الذين استنكفوا مؤمن ممن كانوا كلهم كفارا بالاستنكاف والاستكبار عن عبادته والاستنكاف والاستكبار واحد في الحقيقة وقال الكسائي وانما جمع بينهما لاختلاف اللفظين وهذا من حسن كلام العرب كقول العرب كيف حالك وبالك والحال والبال واحد ومثله في القران والشعر كثير لكن الاستنكاف والانفة لا نضافا الى الله تعالى والاستكبار يضاف من هذا المعنى مختلف واما في الحقيقة فهما واحد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم والبرهان هو الحجة وتوضح وتظهر الحق من الباطل وقيل بيان من ربكم وهما واحد قال بعضهم هو النبي صلى الله عليه وسلم و

الاخرون

الاخرون هو القرآن فانهما كان فهو حجة وبيان يلوح الحق ويتبين من لم يبانه وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا مبينا يتبين به الحق من الباطل وبه يعرف وهو القرآن سماه نورا لما به يبصر الحق وان لم يكن هو بنفسه نورا كالنهار سماه مبصرا لما به يبصر وان لم يكن هو كذلك وقال قتادة نورا مبينا هو هذا القرآن وفيه بيانه ونوره وهداه وعصمة لمن اعتصم به وقوله عز وجل فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به جعل الاعتصام به ما به ينال رحمته وفضله والاعتصام هو ان يلتجأ اليه في كل الامور وبه يتوكل لا يلتجأ بمن دونه والله اعلم وقوله عز وجل ويهديهم اليه صراطا مستقيما كانه والله اعلم على التقديم والتاخير فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ويهديهم اليه صراطا مستقيما فسيدخلهم في رحمة منه يعني الجنة وفضل كقوله تعالى فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والكلالة ما ذكر ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال جابر رضي الله عنه نزلت الاية وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال ما سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء اكثر مما سالته عن الكلالة ثم طعن في صدري باصبعه فقال الا يكفيك اية الصيف التي في اخر سورة النساء وفيه دلالة ان قد يترك بيان ما يدرك بالاجتهاد والنظر والتفكر ولا يبين ليجتهد ويدرك بالنظر لان عمر رضي الله عنه سال غير مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه واشار الى الاية التي فيها ذكر ما سال عنه لينظر ويجتهد ليدرك وفيه دليل جواز تاخير البيان لان عمر سال غير مرة ولم يبينه حتى امره بالنظر في الاية وعمر رضي الله عنه لم يكن عرف قبل ذلك فدل لجواز تاخير البيان وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد وكذلك قال عمر رضي الله عنه وقال اني لاستحيي من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الكلالة فقال من لا ولد له ولا والد وروي عن جابر رضي الله عنه قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر الصديق معه فوجدني قد اغمي علي فصب وضوءه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وكان لي تسع اخوات فلم يجبني حتى نزل قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال جابر رضي الله عنه في نزلت الاية قال بعض الناس اذا مات الرجل وترك ابنة واختا فلا شيء للاخت لان الله تعالى قال ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك والابنة ولد فلا ميراث للاخت والاخ مع الابنة لانها ولد فيقال لان الله عز وجل جعل للابنة النصف اذا لم يكن معها ابن بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف فاذا مات وترك ابنة واختا فللابنة النصف وذلك النصف الباقي اذا لم يعط للاخت يرد الى الابنة فيكون لها كل الميراث وقد جعل الله تعالى ميراثها اذا لم يكن معها ولد ذكر النصف ولا يرد الى الابنة فيجب ان ينظر ايهما احق بذلك النصف الباقي فجاء في بعض الاخبار ان الاخوات مع البنات عصبة لذلك كانت الاخت اولى بذلك النصف الباقي والله اعلم وقوله عز وجل فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ذكر للاثنتين الثلثين ولم يذكر ما للثلاث فصاعدا منهن وذكر في الابنة الواحدة النصف في اول السورة بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولم يذكر ما للبنتين وذكر الثلاث فصاعدا بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فترك بيان الحق في الابنتين لبيانه في الاختين وترك البيان للاخوات لبيانه في البنات ففيه دليل القياس حيث اكتفى ببيان البعض عن الاخر وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين قوله تعالى اخوة رجالا ونساء ان اسم الاخوة لجميع الاناث والذكور جميعا لانه ذكر اخوة ثم فسر الرجال والنساء فهو دليل لنا في قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس انهم يحجبون الام عن الثلث ذكورا او اناثا والله اعلم وقوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا قيل ان لا تضلوا قال الكسائي العرب تقول للرجل اطعمتك ان تجوع واغثتك ان تفتقر اي على معنى ان لا تجوع ولا تفتقر وفي القرآن كثير مثل هذا ثم قوله يبين الله لكم ان لا تضلوا قيل ان لا تضلوا في قسمة المواريث وقيل ان لا تخطئوا وقيل ان لا تختلطوا وهو واحد والله بكل شيء عليم وعيد وبالله الحول والقوة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اجمع اهل التاويل على ان العقود ههنا هي العهود ثم العهود على قسمين عهود فيما بين الخلق امر الله عز وجل بوفائها وعهود فيما بينهم وبين ربهم وهي المواثيق التي اخذ عليهم من نحو الفرائض التي فرض الله عليهم والنذور التي يتولون هم ايجابها وغيرها الزم عز وجل بوفائها واما العهود التي فيما بينهم من نحو الايمان وغيرها امر بوفاء ذلك اذا لم يكن فيها معصية الرب كقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها امر ههنا بوفاء الايمان ونهى عن تركها ونقضها ثم جاء في الخبر انه قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر يمينه امر فيما فيه معصية بفسخها وامر بوفاء ما لم يكن فيه معصية ونهى عن نقضها بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوفوا بالعقود هي العهود وهو ما احل وما حرم وما فرض وما حد في القران كله وهو ما ذكرنا وقيل ان العقود التي امر الله تعالى بوفائها هي العهود التي اخذ الله تعالى على اهل الكتاب ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويأخذوا بشرايعه ويعملوا بما جاء به وهو كقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فالخطاب لهم على هذا التاويل لانهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به

وقوله عز وجل احلت لكم بهيمة الانعام قال بعضهم هي الوحوش وهو قول الفراء الا ترى انه قال غير محلي الصيد وانتم حرم وقال
الحسن هي الابل والبقر والغنم وقال اخرون البهيمة كل مركوب لكن عندنا كل ماكول من النعم والوحش والصيد وغيره وان لم يذكر دليله
ما استثنى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة الاية غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد فيه كالمذكور و
ان لم يذكر لانه استثنى الصيد منه وابدا انما استثنى الشيء من الشيء اذا كان فيه ذلك واما اذا لم يكن فلا معنى للاستثناء فاذا استثنى
الصيد دل الاستثناء على ان الصيد فيه وان لم يذكر ودل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا على ان النهي كان عن الاصطياد في حال
الاحرام لا عن اكله لان المحرم له ان ياكل صيدا اصاده حلال ودل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد قد دخل في قوله احلت لكم بهيمة الانعام
على ما ذكرنا فيما تقدم ان البيان في الجواب يدل على كونه في السؤال وان لم يكن مذكورا في السؤال فعلى ذلك يدل الثنيا من الصيد على
كونه فيه والله اعلم ويحتمل بهيمة الانعام الثمانية الازواج التي ذكرها في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى
اخر ما ذكر والاية تدل على ان الذي احل من البهايم الانعام منها ثمانية دل عليه قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تاكلون ثم قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ففصل بين الانعام وبين الخيل والبغال والحمير خلقها للركوب والانعام
للاكل وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم يحتمل
يتلى عليكم يحتمل يتلى على الوعد اي يتلى عليكم من بعد ما ذكر على اثره حرمت عليكم الميتة والدم الى اخره ويحتمل الا ما يتلى عليكم وهو
ما ذكر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه الا ما يتلى عليكم فيها في سورة الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخره وقوله
عز وجل ان الله يحكم ما يريد هذا والله اعلم اي الى الله الحكم يحكم بما شاء من التحريم والتحليل فيما شاء على ما شاء ليس اليكم الحكم عليه و
وهذا ينقض قول من يرد الامر لو اراد الحكم وبالله العصمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله عن ابن عباس رضي الله
عنه قال كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم
فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يعني لا تستحلوا قتالا فيه ولا الهدي ولا القلائد الاية وقال غيرهم قوله لا تحلوا
شعائر الله يعني المناسك لا تستحلوا ترك شعائر الله والشعائر هي المناسك الا ترى ان الله تعالى سمى كل نسك من الحج شعائر الله
كقوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله كل هذا من شعائر الله وهي من معالم الله في الحج
وقيل شعائر الله فرائض الله كانه قال لا تستحلوا ترك ما فرض الله عليكم وقال الحسن شعائر الله قال دين الله وهو واحد وقيل في
قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام حتى يبلغ الهدي والقلائد فقال حواجز ابقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر
جريرة وارتكب كبيرة ثم لجا الى حرم الله تعالى لم يتناول ولم يطلب ولو لقي قاتل ابيه في الاشهر الحرم ولم تعرض له وكان الرجل لو
لقي قاتل ابيه في الاشهر الحرم لم تعرض له وكان الرجل لو لقي الهدي مقلدا وهو ياكل العصب من الجوع لم تعرض له وكان اذا اراد البيت
يتقلد قلادة من شعر فحرمته ومنعته من الناس حتى ياتي اهله حواجز ابقاها الله بين الناس في الجاهلية امانا لهم والله اعلم ويحتمل
قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله اي لا تستحلوا ما اشعر الله حرمته وهو من الاعلام ويحتمل ان يكون اراد به مشاعر الحرام الذي
ذكرنا وقال لا تحلوا الحرم ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد وهذه امور كانت من قبل فنسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم الاية وعن الشعبي انه قال لم ينسخ من المايدة غير هذه الاية نسخها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا وقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وقالت عايشة رضي الله عنها انها اخر ما
انزل فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وقوله عز وجل
ولا الشهر الحرام وهو كقوله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وقد ذكرنا ان الله عز وجل اطلق الحرب في
الشهر الحرام بعد ما كان محظورا بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واما قوله ولا الهدي ولا القلايد وهو ما ذكرنا من
صنيعهم في الجاهلية فيما ذكرنا وفيه دليل لقول اصحابنا رحمهم الله حيث قالوا ان الغنم لا تقلد لان الابل والبقر تقلد لانه ذكر الهدي
والقلايد فدل ان من الهدي ما يقلد ولا امين البيت الحرام اي قاصدين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قيل
ان المشركين كانوا يقصدون البيت الحرام يلتمسون فضل الله ورضوانه بما يصلح لهم دنياهم كقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا
اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وقد يجوز ان يكونوا لما التمسوا عند انفسهم رضوان الله امر المومنين بالكف عنهم وان
كانوا قد غلطوا في توجيه العبادة فجعلوها لغير الله كقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله
عز وجل واذا حللتم فاصطادوا ودل هذا على ان النهي في قوله غير محلي الصيد في اخذ الصيد واصطياده في الاحرام لا اكله وهو
اباحة ما حظر عليهم بالاحرام وان كان ظاهره امرا ومعناه فاذا حللتم لكم ان تصطادوا واصله ان كل امر خرج على اثر محظور فهو
امر اباحة واطلاق ذلك المحظور المحرم لا امر الزام وايجاب من نحو قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله
وذروا البيع ثم قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله هو اطلاق المحظور المتقدم وقوله تعالى

لا تدخلوا

لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ثم قال عز وجل ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا امر اطلاق واباحة
لما حظر عليهم ومثله كثير في القران مما يكثر ذكره وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ولا امين البيت الحرام ولا تاموا وكذلك
في حرفه فاموا صعيدا طيبا وقيل في قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا انه حجهم فلا يقبل عنهم حتى يسلموا فنهى الله تعالى
رسوله عن قتالهم وقال بعضهم ان الاية نزلت في رجل من اهل اليمامة يقال له شريح وذلك انه اتى بالمدينة فدخل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انت محمد النبي فقال نعم فقال الى ما تدعو قال ادعو الى ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال شريح
يا محمد هذا شرط شديد وان لي امراء خلفي ارجع اليهم فاعرض عليهم ما اشترطت علي واستامرهم في ذلك فان اقبلوا اقبلت
وان ادبروا ادبرت فكنت معهم ثم انصرف خارجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
خرج من عندي بعقبي غادر ولقد دخل علي بوجه كافر وما الرجل بمسلم فمر شريح بسرح لاهل المدينة فساقها معهم فلما كان من
العام الثاني قدم شريح الى مكة ومعه تجارة عظيمة في حجاج وكانت العرب في الجاهلية يغير بعضهم على بعض فاذا كان اشهر الحرم
امن الناس كلهم بعضهم بعضا لمن اراد ان يسافر قلد بعيره من الشعر او الوبر وقيا من بنات الهدي حيث ما ذهب فلما سمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج شريح وقدومه الى مكة ارادوا ان يغيروا على شريح فياخذوا ما معهم ويقتلوهم كما اغار شريح على
سرح اهل المدينة قبل ذلك فاستامروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فنزلت الاية فيهم لا تحلوا شعائر الله الى اخره
فلا ندري كيف كانت القصة وليس بنا الى معرفة القصة حاجة الا القدر الذي ذكر الله في ذلك وقوله عز وجل ولا يجرمنكم
شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال تعالى في موضع اخر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا الاية وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا الاية ذكر في بعضها الاعتداء ونهى عنه وهو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وذكر
في بعضها العدل وامر به ونهى عن الظلم والجور ثم الاسباب تحملهم وتبعثهم على الاعتداء والظلم وتمنع القيام بالشهادة والعدل
ثلاثة احدها ما ذكر عز وجل البغض والعداوة بقوله ولا يجرمنكم شنان قوم ان تعتدوا وقال على ان لا تعدلوا وقال كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا امرهم بالقيام بالشهادة واخبر ان
لا يمنعكم الولاية والقرب القيام بالشهادة او طمع غني او خوف فقر هذه الوجوه التي ذكرنا تمنع الناس القيام بالشهادة و
تبعثهم على الجور والاعتداء فنهاهم الله عز وجل ان يحملهم بغض قوم او عداوة احد على الجور والاعتداء او يمنعهم الشفقة و
القرب او طمع غني احدا وخوف فقر القيام بالشهادة وما عليهم من الحق وامرهم ان يجعلوه كله لله بقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله فاذا كان كله لله قدر ان يعدل في الحكم وترك مجاوزة الحد الذي حد له وقدر على القيام بالشهادة وما ذكر وما يمنع شيء
من ذلك القيام به من نحو ما ذكر من البغض والعداوة والقرب والشفقة او طمع الغني وخوف الفقر انما جعل الحكم لله عدل فيه
ومنعه عن الجور فيه والاعتداء وكذلك الشهادة اذا جعلها لله قام بها ولو على نفسه اذا ذكر لم يمنعه شيء عن القيام به وقوله
عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى كان البر هو اسم كل خير والتقوى هو ترك كل شيء والانتهاء عن كل شر ولا تعاونوا على الاثم و
العدوان الا ترى انه ذكر بازاء البر الاثم وبازاء التقوى العدوان فهذا يبين ان البر اسم لكل خير والتقوى هو الانتهاء عن كل شر
ويجوز ان يكون ما ذكر في الاية الاولى وامر به وهو قوله لا تحلوا شعائر الله الى قوله البيت الحرام يقول عاونوهم على ما ياتون به
من ذلك فانهم اهل البر يقصدون عند انفسهم وان لم يكن فعلهم بر العبادة لهم غير الله تعالى وانما امروا بمعاونتهم وترك التعرض لهم
ان ثبت ما ذكر في القصة اذا اجرموا او قلدوا او قصدوا البيت الحرام في الوقت الذي جاز ان يعاهدوا فيه كما يجوز لنا معاهدة
اهل الكتاب على ان لا نتعرض لهم في كنايسهم وبيعهم وان كانوا يعصون الله فيها لانهم يدينون بذلك ويقصدون به البر عند انفسهم فلما
امر بنقض عهود مشركي العرب امر بمنعهم من دخول المسجد وان يقتلوا حيث وجدوا والى هذا المعنى ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى والله
اعلم في فرقهم بين شهادة اهل الذمة على امثالهم وشهادة فساق المسلمين لان اهل الذمة متدينون بكفرهم والفساق غير متدينين
بفسقهم وكذلك فرقهم بين ما يغلب عليه المشركون من اموال المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق من اموال المسلمين وكذلك سبيل الاموال
التي يصيبها المحاربون من اهل البغي من اهل العدل لا تشبه ما يصيبه الفساق منها لان اهل البغي متدينين بذلك مخطئين فخالف في الحكم اهل الفسق
بالذنب فيه الا ترى انه يجوز ان يطلق لمن يعاقبه من اهل الكتاب الصلوة في كنايسهم وان كان ذلك عندنا معصية حرام ولا يجوز ان
يطلق المعصية لفساق المسلمين بحال وقوله عز وجل واتقوا الله اي نقمة الله وعذابه في ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله
شديد العقاب قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام اي لا يحملنكم بغض قوم للذي
صدوكم عن البيت الحرام فتاثموا فيهم ان تعتدوا فتقتلوهم وتاخذوا اموالهم وقال وتعاونوا على البر والتقوى البر ما امرت به والتقوى
الكف عما نهيت عنه وقال والعدوان هو المجاوزة عن حد الله الذي حد لعباده وقوله ولا يجرمنكم قال بعض لا يوثمنكم بغض
قوم ان تعتدوا والاخرون لا يحملنكم وفيه لغتان يجرمنكم برفع الياء وبنصبها يجرمنكم وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل حرمت عليكم

الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به هو على الاضمار والله اعلم كانه قال حرم عليكم اكل الميتة والدم واكل لحم الخنزير الى اخر ما ذكر
الا ترى انه قال يجوز الانتفاع بصوف الميتة وبعظمها دل انه على الاضمار اكل واما الانتفاع بجلدها لا يجوز الا بعد الدباغ لان الجلد
ربما يشوى مع اللحم فيؤكل فهو حرام كاللحم الا ان يدبغ ثم في الاية دليل الامتحان من وجهين احدهما اباحة التناول من لحوم وحظر امتحن بحرمة الخنزير
والدم لم يحل بسبب ولا بغير سبب وامتحن بحل الاخر بسبب وحرم بسبب والثاني امتحن بسبب حل تنفر الطبع عنه لان كل ذي روح يتالم
بالذبح واستخراج الروح منه وجعل طبيعة كل احد مما ينفر عنه لما يتالم به لتطيب انفسهم بذلك ثم جعل ما يخرج من الارض كله حلالا بلا سبب
يكتسبون الا ما لا يتعدون على التناول منه لخوف الهلاك لانه موات لا تنفر الطباع عنه ثم جعل اشياء الحل اسبابا يكتسبون ما لا يحل في
استخراج ذلك الدم المحرم منه حل اكله واذا لم يحل في استخراج ذلك الدم فهلك فيه افسده لانه تلف فيه ما هو محرم فافسده فاستخراج ذلك
الدم مما يطيب ذلك ويمنع عن الفساد الا في طول الوقت والذي هلك فيه الدم يفسد في قليل الوقت وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به
قال الكسائي ما اهل لغير الله به اي ذكر وسمي عليه غير اسم الله مشتقه من استهلال الصبي ومنه اهل الهلال واهل الحاج اذا لبى قال قتادة
كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها والكافر في الحقيقة يهل لغير الله لانه لا يعرف الله حقيقة لكنه لخبر ذبايح الكتابي لانه
يسمي عليه اسم الله تعالى عليه والموقوذة كانوا يضربون بالعصي حتى اذا ماتت ثم اكلوها والمتردية كانت تتردى في بئر او من جبل فتموت والنطيحة
كان الكبشان يتناطحان فيموت احدهما فياكلونه وما اكل السبع الا ما ذكيتم كان اهل الجاهلية اذا قتل السبع شيئا من هذا واكل منه اكلوا
ما بقي فقال الله تعالى الا ما ذكيتم ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال والمنخنقة والموقوذة فما ادركت من هذا كله يتحرك له الذنب او
يطرف له العين فاذبح واذكر اسم الله عليه فهو حلال وروي عن علي رضي الله عنه قال اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها
فهي ذكية وكذلك روي عن ابن الزبير انه سمع عبيد بن عمير رضي الله عنه يقول كذلك وكانه روي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك
كذلك وهذا والله اعلم اذا خنقها او وقذها بغى عليها فاذا ذبح فحركت ذنبها او طرفت عينها او ركضت برجلها افاقت فاستدل بذلك
على حيوتها وليس هذا كشاة ينزع الذيب والسبع ما في بطنها وصار بحال لا يتحامل بذلك انها وان تحركت وطرفت بعينها فانها لا توكل
واصله ان كل ما لو قطع العروق تحركت فانت تكون ميتة فاذا ادركه في تلك الحال فذكاه كانت ذكية وكل ما لو صار بحال لو ماتت
كانت ذكية فاذا ادركه في تلك الحال فذكاه كانت ميتة والمتردية الممتنعة عن الذبح في المذبح اذا ذبح من غير المذبح يجوز اكله روي عن
نافع بن خديج قال اصبنا ابلا وغنما فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل اوابد كاوابد
الوحش فاذا كان غلبكم شيء منها فاصنعوا به هكذا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في البعير يتردى في البئر اذا لم يقدر على منحره
فهو بمنزلة الصيد ينحره من حيث ادرك وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن بعير تردى في بئر فصار اعلاه اسفله فقال اقطعوا اعضاءه
وكلوه وعن ابن عمر رضي الله عنه وروي انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل هل تكون الذكاة الا في الحلق واللبة فقال لو طعنت
في فخذها اجزى عنك واذا ذكى بغير السكين من نحو المروة والقصبة ما يقطع يجوز روي ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال يا رسول الله
ارسل كلبي فاخذ الصيد وليس معي ما اذكيه فاذبحه بالمروة او القصبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرر الدم بما شئت واذكر اسم الله
عليه وكذلك روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي ان رجلا اشاط دم جزور بجدل فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا انهرت
الدم فكل وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذبح بكل ما افرى الاوداج واهراق الدم ما خلا السن والظفر والى
هذا يذهب اصحابنا رحمهم الله في ذلك ويرون كل ما انهر الدم من حجر او مروة او نحو ذلك مزكي ويوكل ويحملون قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا السن والظفر على انهما اذا كانا غير منزوعين لان ذلك خنق وليس بذبح تفسير ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه قال الخنق في الحبش
بيان لانه قال كل ما انهر الدم وافرى الاوداج ما خلا السن والظفر فانهما مدى الحبشة وهم انما كانوا يذبحون بسن وظفر غير منزوعة والله اعلم
وقوله عز وجل وما ذبح على النصب اي النصب قيل كانوا يذبحون للاوثان والاصنام التي يعبدونها يتقربون بذلك اليها كما كان اهل الاسلام
يتقربون بالذبح يذبحونها الى الله فحرم الله عز وجل ما كانوا يذبحون للنصب وما اهل لغير الله به لما ذكرنا ان الامر به خرج مخرج قبول النعمة
والشكر له فيما انعم من عظيم النعم فاذا اهلوا به لغير وجه الله لم يقبلوا نعمه ووجهوا الشكر الى غيره فحرم لذلك والله اعلم وقوله عز وجل وان
تستقسموا بالازلام قيل سهام العرب وكعاب فارس التي يتقامرون بها وقيل الازلام هي القداح كانوا يقتسمون بها الامور وكان الرجل
اذا اراد سفرا اخذ قدحا فقال هذا يامره بالخروج فهو مصيب في سفره خيرا وياخذ قدحا اخر فيقول هذا يامره بالمكث فان هو خرج فليس
بمصيب خيرا في سفره والمنيح بينهما فنهى الله عن ذلك وانبا ان ذلك فسق بقوله ذلكم فسق وعن الحسن قال كانوا يعمدون الى قداح فيكتبون
على احدها امرني وعلى الاخر نهاني ثم يجيلونها اذا ارادوا فان خرج عليه امرني مضى في وجهه وان خرج الذي عليه نهاني لم يخرج قال
ابو بكر الكيساني في النهي عن العمل بالازلام دليل النهي عن العمل بالنجوم فانما نهى عن العمل بقول المنجمين وينهى ايضا عن العمل بقول
المنجمة لانهم يقولون مثل ما يقول اولئك ويعملون به لكن المنجمة ليسوا يقولون ان نجم كذا يامر كذا ونجم كذا ينهى عن كذا على ما كان
يفعل اولئك ويجوز ان يكون الله عز وجل في النجوم اعلاما ومعاني يدركون بها ويستخرجون اشياء يحتمل ذلك ويكون على ما يستخرج
اهل الاجتهاد بالاجتهاد اشياء من معنى النصوص واحكاما لم تذكر في النصوص فعلى ذلك المنجمة يجوز ان يستخرجوا اشياء من النجوم بدلائل

ومعان تكون

ومعان تكون في النجوم ولا عيب عليهم في ذلك ولا لائمة انما اللائمة عليهم فيما يحكمون على انفسهم ويشهدون عليه قال العتبي الازلام القداح
واحدها زلم وزلم والاستقسام بها ان يضرب فاخذ الاستقسام من القسم وهو النصيب كانه طلب النصيب قال ابو عبيدة استقسمت
اي ضربت بالقداح قال كانه من القسم وقال ابو عبيد انما سمي استقساما لانهم كانوا يطلبون قسم الرزق وطلب الحوائج بها فكانوا يسالونها
ان يقسم لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم فسق يحتمل قوله فسق اي العمل بالازلام والشهادة على اعتقاد امر بذلك فسق وعلى هذا من يستجيز
العمل بالقرعة لانه يقول يقرع فمن خرجت قرعته يحكم له فانما يحكم له باصل القرعة كان القرعة تامره بالحكم بهذا وتنهاه عن الحكم بهذا به
فهو بالازلام والقداح التي نهى الله عن العمل بذلك اشبه وبها اشكل من غيره ويحتمل قوله تعالى ذلكم فسق اي التناول مما ذكر من المحرمات من الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وما ذبح على النصب وما ذكر في اول السورة من الاصطياد في الاحرام والتناول منه ذلك كله فسق
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم كانوا يطمعون دخول اهل الاسلام في دينهم وعودهم
فايأسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال اليوم يئس الذين كفروا من تركهم دين الاسلام فلا تخشوهم واخشون امنهم عن ذلك وقوله
عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال ابو عبيد كان دينهم الى ذلك اليوم ناقصا فحينئذ كمل دينهم فعلى زعمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى دين ناقص ومن مات من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين
ماتوا على دين ناقص ويحشرون يوم القيامة على دين ناقص واي قول اوحش من هذا واسمج وقد الحزمن اصحابه كان الدين كاملا الى ذلك
الوقت فلما بعث الله بالفرائض وافترض عليهم صار الدين ناقصا الى ان يرد والفرائض وما افترض عليهم فعند ذلك يكمل فهذا القول
ايضا في الوحشة والسماجة والقبح مثل الاول ويقال لابي عبيد قل ايضا بانه لم يكن رضي لهم بالاسلام دينا قبل ذلك رضي والامثل في
تاويل الاية وجوه احدها اليوم اكملت لكم دينكم اي برسول بعثه اكملت لكم دينكم وبه اتممت عليكم نعمتي ويحتمل قوله اليوم اكملت
دينكم اي اليوم اظهرت لكم دينكم ولم يكن قبل ذلك ظاهرا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال لا
لا يحجن بعد العام مشرك وذلك لظهوره ولغلبة اهل الاسلام عليكم وان لم يكن هذا قبل ذلك ويحتمل قوله اليوم اكملت لكم دينكم لما
امنهم من العدو والعود الى دين اولئك واياس اولئك عن رجوعهم الى دين الكفرة واي نعمة اتم واكمل من الامن من العدو ويقول الرجل اليوم
تم ملكي وكمل اذا هلك عدوه لامنه من عدوه وان كان لم يوصف ملكه قبل ذلك من بالنقصان تعالى ذلك هذا والله اعلم وقيل اليوم
اكملت لكم دينكم اي امر دينكم بما امروا بامور وشرايع لم يكونوا امروا بها قبل ذلك وغيرها جايز وقوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا
اي اكرمتكم بالدين المرضي وهو الاسلام كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة قيل المخمصة المجاعة وقال ابو عوسجة رجل خميص اي جايع وقال غيره هو من ضيق
البطن وهو واحد لانه من الجوع ما يضيق البطن وقوله عز وجل غير متجانف لاثم قال بعضهم غير متجانف لاثم اي غير متعمد لاثم وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه وقال الكسائي غير متجانف غير متمايل والجنف الميل وكذلك قال القتبي قال ابو عوسجة ايضا الجنف الميل ثم قوله
غير متجانف لاثم يحتمل وجهين قيل غير مستحل اكل الميتة في حال الاضطرار وحرم عليه التناول من الصيد وغيره وقيل غير متلذذ ولا مشتهي
يتناول على التكره منه لا على التلذذ والشهوة وقيل ايضا انه لا يتناول الا في حال الاضطرار وكقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد وقوله
عز وجل غير باغ ولا عاد وتفسير قوله اضطر نعلي ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل فان الله غفور رحيم اي من رحمته اي جعل لكم التناول
من المحرم ورخص لكم اذ لا ان يترككم تموتون جوعا كقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاية وقوله عز وجل يسالونك ماذا
احل لهم ليس في السؤال بيان ثم كان سوالهم ولكن في الجواب بيان المراد من سوالهم فقال قل احل لكم الطيبات دل قوله تعالى احل لكم الطيبات
ان سوالهم كان عن الطيبات وما يصطاد بالجوارح ثم اختلف في قوله تعالى احل لكم الطيبات قال بعضهم الطيبات هي المحللات لكنه
بعيد لانه قال احل لكم المحللات على هذا التاويل لكنه بعيد لانه تعالى قال قل احل لكم المحللات على هذا التاويل لكنه يحتمل وجهين غير
هذا احدهما ان احل لكم باسباب تطيب به انفسكم من نحو الذبح والطبخ والخبز وغيره لم يحل لكم ما يكره به انفسكم التناول منه غير
مطبوخ ولا مذبوح ولا مشوي ولكن احل لكم باسباب طابت به انفسكم التناول منه والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان احل لكم
ما تطيب به طباعكم لا ما يكره طباعكم وتنفر عنه والله اعلم وقوله عز وجل وما علمتم من الجوارح كانهم سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما يحل من الجوارح فذكر ذلك لهم معاذ وذكر في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب فاتاه اناس فقالوا ماذا
يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فنزل قوله تعالى يسالونك ماذا احل لهم الاية وقيل سمي جوارحا لما يكتسب بها والجوارح من الكواسب
قال الله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل اكتسبوا وجرح كسب وقال ابو عبيد سميت جوارح لانها صوائد وهو ما ذكرنا من
الكسب يقال فلان جارح اهله اي كاسبهم وقال غيره سميت جوارح لانها تجرح وهو من الجراحة فاذا لم يجرح لم يحل صيده واحتج محمد
رحمه الله بهذا المعنى في صيد الكلب اذا قتل ولم يجرح في مسئلة من كتاب الزيادات ومما يدل على صحة ذلك ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض فقال ما اصبت بعرضه فلا تاكل
فهو وقيذ وما اصبت بحده فكل وقوله عز وجل مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله الاية قال بعضهم مكلبين هي الكلاب يعلمن الصيد

وقال القتبي المكلبين اصحاب الكلاب وكذلك قال الفراء والكسائي المكلبون هم اصحاب الكلاب والمكلب الكلب المعلم وقوله
عز وجل تعلمونهن قال الحسن وابو بكر تضرونهن يقال الكلب مضراة على طلب الصيد وهما يبيحان الصيد وان اكل منه الكلب فعلى قولهما يبيح
تأويل الاضرار اذ يبيحان التناول وان اكل منه وقال تؤدبونهن ليمسكوا الصيد لكم وهو عندنا على حقيقة التعليم ليعلم ليمسكوا الصيد لهم
وقوله عز وجل مما علمكم الله يتوجه وجهين احدهما مما علمكم الله اي مما جعل بنيتكم بحيث احتمال تعليم هؤلاء ولم يجعل غيركم من الخلايق
محتملا لذلك ولا اهلا ويحتمل قوله تعالى مما علمكم الله اي ما قال لكم علموهن بكذا وافعلوا كذا فكيف ما كان ففيه دليل جعل العلم شرطا فيه ثم
تخصيص الكلاب بالذكر دون غيرها من الاشياء وان كانت وغيرها سواء اذا علمت بحيث الكلاب ومخالطتها الناس حتى جاء النهي عن
اقتنائها وجاء الامر بقتلها في وقت ليجيء بتلك في ساير السباع ليعلم ان ما كسب هؤلاء مع خبثها اذا كن معلمين يحتمل التناول منه فغيرها مما
لم يجيء فيه ذلك احرى وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه انما اباح اكل ما امسكن علينا ولم يبح مما امسك على
نفسه لان الكلب وغيره من السباع من طباعهم اذا اخذوا الصيد يأخذونه لانفسهم ولا يصبرون على ان لا يتناولون منه فاذا اخذوا
الصيد ولم يتناول منه دل انه انما امسك لصاحبه واذا تناول منه لم يمسك لصاحبه لان الباقي لا يدري انه امسكه لصاحبه او فتا عن
ما شبع وعلى ذلك جاءت الاثار روي عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة فهل يحل لنا منها
فقال يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم مما علمت من كلب او باز فذكرت اسم الله عليه
قلت وان قتل قال اذا قتله ولم يأكله فانما امسك عليك وان اكل فلا تأكل فانما امسك على نفسه فقلت يا رسول الله ارأيت ان خالطت
كلابنا كلاب اخرى قال اذا خالط كلبك كلابا فلا تأكل فانك انما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكر على كلب غيرك عن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال اذا اكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه ايضا قال اذا اكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه ايضا قال اذا اكل الكلب من الصيد
فلا تأكل واذا اكل الصقر فكل لان الكلب تستطيع ان تضربه والصقر لا وعن علي رضي الله عنه قال اذا اكل الكلب فلا تأكل واضربه وقد
ذكرنا من الاخبار مما يدل على ان الكلب اذا كان غير معلم يؤكل صيده من خبر عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نصيد بهذه
الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما امسكن عليك وان قتلن الا ان يأكل الكلب فان اكل فلا تأكل
وعلى هذا يخرج قولنا انه اذا اكل من دمه يؤكل لانه لو امسكه علينا كما لا يأكله وذلك من غاية تعليمه لانه تناول الخبيث وامسك الطيب
على صاحبه ولو كان صيد الكلب اذا اكل منه حلالا لكان المعلم وغير المعلم سواء وكان ما امسك على نفسه وعلى صاحبه سواء لان
كل الكلاب تطلب الصيد اذا ارسلت عليه وتمسكه حتى يموت وتأكل منه الا المعلم فما معنى تخصيص الله تعالى المعلم منها والممسك
على صاحبه لو كان الامر على ما قال مخالفنا وقد روي عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه قال ان علم الكلب حتى صار لا يأكل من صيد
يصيد ثم يجيء انه يؤكل من صيده الاول اذا كان باقيا ومذهبه عندنا والله اعلم ان صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلما وان امسك
في اول ما يرسل فلم يؤكل فاذا امسك مرارا ثم اكل ولنا اكله على ان امساكه عن الاكل لم يكن لانه معلوم او قد يمسك غير المعلم الشبع و
لو كان معلما ما اكله فاستدل باكله في الرابعة على ان امساكه في الثالثة كان على غير حقيقة تعليم وهذا عندنا في صيد يقرب بعضه من
بعض فاما اذا كثر امساكه ثم ترك ارساله مدة يجوز ان ينسى فيها ما علم ثم ارسل فاكل فليس فيها ما دانه عنه ويجوز ان يقال يؤكل ما
من صيده الاول ويفرق بين المسألتين بان الثاني قد ينسى والاول يبعد من النسيان لتقارب ما بين الصيدين فلا وجه الا ان يجعل
غير مستحكم التعليم في صيده المتقدم وقد ذكرنا فيما تقدم ان الصقر والبازي من الجوارح واستدللنا على ذلك بما اوضحناه فدل
ذلك على ان صيد ما ليس بمعلم من الطير لا يؤكل الا ان يدرك ذكاته ثم يكون تعليم البازي والصقر باجابته صاحبه ورجوعه اليه وتعليم
الكلاب ترك الاكل منه لان البازي ونحوه مستوحش عن الناس ينفر طبعه عنهم فدل الفة الناس واجابته اصحابهم على التعلم وان اكل منه
ولا يحتمل ان يكون بالتناول منه يخرج عن حد التعليم لانه انما يعلم بالاكل من الصيد واما الكلب فانه يالف الناس ولا يستوحش
ومن طبعه الاكل اذا اخذ الصيد فدل امساكه عن التناول منه على انه معلم وقد روي عن علي رضي الله عنه ما يدل على تأييد ما ذكرنا
قال اذا اكل الصقر فكل وان اكل الكلب فلا تأكل وعن سلمان كذلك وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله سريع الحساب يحتمل قوله اتقوا
الله فلا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليها فانها ميتة ويحتمل اتقوا الله في ترك ما امر ونهى كله ان الله سريع الحساب يحتمل السرعة كناية
عن الشدة سريع الحساب شديد العقاب وقوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات يحتمل قوله اليوم حرف افتتاح يفتتح به الكلام ولا
اشارة الى وقت مخصوص على ما ذكرنا في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقد يتكلم باليوم لا على اشارة وقت يشار اليه وهو والله
اعلم ما حرم عليهم من الثمانية الازواج التي ذكر الله تعالى في سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين الى اخر ما ذكر ثم
قال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية وما حرموا هم على انفسهم من البحيرة والسايبة و
الوصيلة والحام وغيرها من المحرمات التي كانت فاحل الله ذلك لهم فقال اليوم احل لكم الطيبات وكانت محرمة عليهم قبل ذلك لكن اهل
التأويل صرفوا الاية الى الذبايح لم يصرفوا الى ما ذكرنا وقد ذكرنا المعنى الذي به صارت الذبايح طيبات فيما تقدم وقوله عز وجل
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبايحهم

حل لكم وذبايحهم حل لكم وذبايحكم حل لهم الى هذا ذهب اهل التأويل فان قيل اليس جعل ذبايحنا حلالا لهم وذبايحهم حلالا لنا
ثم يحل ذبايحنا لهم ولغيرهم كيف لا يحل ذبايحهم وذبايح غيرهم وهو ذبايح المجوس قيل حل الذبايح شرعي وليس للمجوس كتاب
امنوا به فيحل ذبايحهم واما اهل الكتاب فانهم امنوا بما في الكتاب حله وحرمته لذلك افترقا والله اعلم والاية على قول اصحاب
العموم يوجب حل جميع طعامنا لهم لانه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم فعلى قولهم لكل واحد من الفريقين ان يتناول
طعام الفريق الاخر دل ان مخرج عموم اللفظ لا يوجب الحكم عاما للفظ والله اعلم وقوله عز وجل والمحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب اختلف فيه قال بعضهم المحصنات اراد به الحرائر وقال اخرون اراد به العفايف منهن غير زانيات كقوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة نهى عن نكاح الزانيات ورغب في نكاح العفايف وهذا اشبه من الاول لانه قال في اخر الاية محصنين
غير مسافحين ولا متخذي اخدان دل هذا على انه اراد بالمحصنات العفايف منهم لا الحراير ودلت الاية على حل نكاح الحراير من الكتابيات
وعلى ذلك اتفق اهل العلم لكن يكره ذلك روي عن ابي عمر رضي الله عنه انه كره تزوجهن فهذا عندنا على غير تحريم منه تزويجهن ولكن
راى تزويج المسلمات افضل واحسن لمساكنها المسلم في دينها وروي عن عمر رضي الله عنه كراهة ذلك وذلك لان حذيفة رضي الله
عنه تزوج يهودية فكتب اليه عمر رضي الله عنه تزوج يهودية فكتب اليه عمر رضي الله عنه يأمره بطلاقها وبقي كي يؤمن فتنة و
المسلمات فهذا ايضا لا على سبيل التحريم ولكن لما ذكر من الفتنة فتنة المسلمات فاصحابنا رحمهم الله يكرهون ايضا تزويج الكتابيا
ولا تحرمونه واختلف اهل العلم في تزويج امائهن فتأول قوم قول الله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب على الحراير وتأول
اخرون على العفايف وقد ذكرنا ان صرفه الى العفايف اشبه بدلالة قوله محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان معا
لو كانت المحصنات ههنا هن الحراير لم يكن فيه حظر نكاح اماء الكتابيات لانه اباحة نكاح الحراير من الكتابيات وليس في اباحة
شيء حظر غيره فيه قد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم فالمجوسية ليست عندنا من اهل الكتاب والدليل على ذلك قول الله تعالى
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا فاخبر الله تعالى ان اهل الكتاب
طايفتين فلا يجوز ان يجعلوا ثلاث طوايف وذلك خلاف ما دل عليه القران الا ترى ان رجلا لو قال انما لي عليك يا فلان درهما
لم يكن له ان يدعي عليه اكثر من ذلك ولو قال انما لقيت اليوم رجلين وقد لقي ثلاثة كان كاذبا لان قوله انما لقيت رجلين كقوله
لقيت اليوم رجلين ولا يجوز مثل هذا في اخبار الله لانه الصادق في خبره عز وجل فان قيل هذا شيء حكاه الله عز وجل عن المشركين
وقد يجوز ان يكونوا غلطوا في الحكي اتقه تعالى عنهم ما قالوا قيل لم يحك الله تعالى هذا القول عن المشركين ولكن قطع بالقران عذرهم
فقال انزل الكتاب لئلا يقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين فهذا كلام الله واحتجاجه
على المشركين وليس بحكاية عنهم ومن الدليل على ان المجوس ليس من اهل الكتاب ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس بين
القبر والمنبر ما ادري كيف اصنع بالمجوس وليسوا باهل الكتاب فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب صرح عمر رضي الله عنه بانهم ليسوا اهل الكتاب ولم ينكر عبد الرحمن ذلك عليه ولا احد من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين فلو كانوا اهل الكتاب لم يقل سنوا بهم سنة اهل الكتاب وكذلك روي عن الحسن بن محمد انه قال كتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مجوس هجر فقال ادعوكم الى الشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان اسلمتم فلكم ما لنا وعليكم
ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير اكلي ذبايحهم ولا ناكحي نسائهم الى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله في قولهم ان المجوس ليسوا باهل كتاب
واما نصارى بني تغلب فان عليا رضي الله عنه قال لا يحل ذبايح نصارى العرب فانهم ليسوا باهل كتاب وقرأ ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني وقال ابن عباس رضي الله عنه تؤكل وقرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم والاية الاولى تدل على انهم اهل كتاب لان الله
عز وجل قد جعلهم منهم بقوله ومنهم اميون فحكمهم حكمهم اذا اخبر الله عز وجل انهم منهم ومما يدل على ذلك ايضا قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يتخلجن في صدرك طعام ضارعت فيه النصرانية لانه عم فيه النصارى فدخل فيه عربهم وعجمهم
لانهم دانوا بدينهم وكل من دان بدين قوم فهو منهم ومن الدليل على ان العرب اذا دانوا بدين اهل الكتاب فهم من اهل الكتاب ان العجم لما
اسلموا صار حكمهم حكم عرب اهل الاسلام فان ارتد احد منهم وسال ان يوخذ منهم الجزية كما يؤخذ في الابتداء في المجوس لم يجب الى
ذلك وقيل له اما ان تسلم واما ان تقتل فهو بمنزلة عربي مسلم لو ارتد عن الاسلام فلما كان حكم العجمي اذا دان بدين النبي صلى الله عليه
وسلم حكم العرب وجب ان يكون حكم العربي اذا دان بدين العجم من اهل الكتاب ان يجعل حكمه حكمهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقد يحل لنا ان لم يؤتين اجورهن دل ان ذكر الحكم في
حال لا يوجب خطره من حال اخرى فهو دليل لنا في جواز نكاح الاماء من اهل الكتاب وان ذكر في الاية المحصنات وقوله عز
وجل ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الاية اي ومن يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به اي الله لانه لا يكفر بالايمان ولكن
يؤمن به وهو كقوله حق اليقين اي المتيقن به فعلى ذلك الاول معناه من يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به فقد
حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وبالله العصمة والهداية وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا

وجوهكم وايديكم الى المرافق لو حملت الاية على ظاهرها لكان لا سبيل لاحد القيام باداء ما فرض الله عليه من الصلوة [illegible]
الصلوة يلزمه الوضوء [illegible] قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق [illegible] ومن الناس من يوجب الوضوء لكل صلوة بظاهر هذه الاية وقد روي عن
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الفعل بذلك روي عن ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم انهم يتوضؤون لكل صلوة وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه صلى الظهر ثم قعد في الرحبة فلما حضرت العصر دعا بكوز من ماء
فغسل يديه ووجهه وذراعيه ومسح براسه ورجليه وشرب فضله وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وهذا وضوء من لم
يحدث وروي عن ابن عمر انه كان يتوضأ لكل صلوة وتاول فيه هذه الاية وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضأ لكل
صلوة فلما كان يوم فتح مكة صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال
عمدا فعلته يا عمر وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم عند كل صلوة
بوضوء ومع كل وضوء بسواك [illegible]
[illegible]

فيه وكذلك اذا خاف العطش من الماء جاز له التيمم يكون مريضا لانه ليس اباح ذلك للمريض باسم المرض ولا باسم السفر ولكن لمعنى فيه **وقوله**
عز وجل او لامستم النساء قد ذكرنا فيما تقدم ان الملامسة هو الجماع كذلك روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والغشيان كله جماع ولكن الله كريم يكني **وقوله** عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا جعل الطهارة
بالماء والتراب لانهما معاش الخلق وبهما قوام الابدان حتى جعل جميع اغذية الخلق وجل مصالحهم منهما فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات
بهما والله اعلم ثم الحكمة في وجوب الطهارة وجهان احدهما ما ذكرنا ان يذكرهم طهارة الباطن والثاني يذكرهم ما ذكرنا بهذه الجوارح من
الاجرام او شكر ما انعم عليهم من المنافع التي جعل لهم فيها من القبض والبسط والتناول والاخذ والمشي وغير ذلك مما يكثر ثم الحكمة في جعل
الطهارة في اطراف البدن للتزين والتنظيف لانه يتقدم على الملك الجبار ويقوم بين يديه ويناجيه ومن في ملكه من ملوك الارض يتكلف
التنظيف والتزين ثم يدخل عليه فعلى ذلك هذا والله اعلم **وقوله** عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال عبد الله بن مسعود وعمر رضي الله عنهما الملامسة ما دون الجماع وقالا ان الجنب لا يتيمم وان لم
يجد الماء شهرا وانما قالا انه لا يتيمم لما قالا ان اللمس ما دون الجماع فلم يدخل الجنب في هذه الاية واوجبا عليه الغسل بقوله تعالى وان كنتم جنبا
فاطهروا وجعلا قول الله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا على مرور الجنب في المسجد ولم يجعلاه على انه يصلي اذا كان مسافرا
ولم يجد الماء بالتيمم فهذا الذي منع عبد الله ان يطلق للجنب ان يصلي بالتيمم على حال فاما علي وابن عباس رضي الله عنهما فانهما جعلا اللمس
الذي ذكره الله تعالى في هذه الاية جماعا وقالا كنى الله تعالى عن الجماع بالمسيس والغشيان والمباشرة وجعلا قول الله تعالى الا عابري سبيل حتى
تغتسلوا في المسافر الذي لا يجد الماء وهو جنب وقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذن للجنب من الجماع ان يتيمموا ان لم يجد الماء
فكان ذلك حجة على من منع الجنب من التيمم ثم قول الشافعي قول ثالث خارج عن قول الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا لانه يزعم ان
اللمس هو الجماع وما دونه فقد اشتبه نوع في الاية قولا وتفسيرا خالف فيه ما روي في تفسيرها عن الصحابة رضي الله عنه جملة والسلف لذلك
كان مخطئا واصله ان الله تعالى ذكر الوضوء وامر به في الاية وهو قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الاية ولم يذكر الحدث
وامر بالاغتسال من الجنابة وهو قوله وان كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر من اي جنابة ثم ذكر الحدث في قوله او جاء احد منكم من الغائط
فعلى ذلك قوله تعالى او لامستم النساء كان بيانا لما تقدم من الامر بالاغتسال من الجنابة والله اعلم **وقوله** عز وجل فتيمموا صعيدا
والصعيد هو وجه الارض **وقوله** عز وجل طيبا قال بعضهم الطيب ما ينبت من الزرع وغيره وقال الاخرون الطيب هاهنا
هو الطاهر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلوة تيممت وصليت
اخبر ان الارض جعل له مسجدا وطهورا فكان قوله طهورا تفسيرا لقوله طيبا والله اعلم **وقوله** عز وجل فامسحوا
بوجوهكم وايديكم قد ذكرنا فيما تقدم ان التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين **وقوله** عز وجل ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج يحتمل هذا وجهين يحتمل ما يريد ان يضيق عليكم لما امركم بحمل الماء حيث ما كنتم في الاسفار وغيره
ولكن جعل لكم التيمم ورخص لكم ان تؤدوا ما فرض عليكم به ولم يكلفكم حمل الماء في الاسفار وغيره والله اعلم ووجه
اخر ما اراد الله بما تعبدكم من انواع العبادات ان يجعل عليكم من حرج ولكن اراد ما ذكر **وقوله** عز وجل ولكن يريد ليطهركم
يحتمل يريد ليطهركم به بالتوحيد والايمان به وبالرسل جميعا ويحتمل قوله يريد ليطهركم من الذنوب والاثام التي ارتكبوها
كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل التطهير من الاحداث والجنابات كما قال اهل التاويل **وقوله** عز وجل
وليتم نعمته عليكم تمام ما ذكرنا من التوحيد والايمان والهداية لدينه والتكفير ما ارتكبوا ويجوز ان يكون هذا في قوم
علم الله انهم يموتون على الايمان حيث اخبر انه يتم نعمته عليهم **وقوله** عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم امر والله اعلم بشكر
ما انعم عليهم من انواع النعم وميثاقه الذي واثقكم به يحتمل الميثاق ميثاق الخلقة وشهادتها اذ خلقه كل احد ليشهد
على وحدانيته وربوبيته ويحتمل الميثاق الذي ذكر ميثاق قول قالوه وقبلوا ما دعوا اليه **وقوله** اذ قلتم سمعنا واطعنا قال
بعضهم اجبنا دعوتك واطعنا امرك وقال الاخرون سمعنا قولك واطعنا امرك **وقوله** عز وجل واتقوا الله في ترك ما
امركم ربكم وارتكاب ما نهاكم ان الله عليم بذات الصدور وهو على الوعيد **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط الاية يحتمل ان يكون الاية في الشهادة نفسها كانه قال ان تؤدوا الشهادة لله واجعلوا الشهادة
لله فاذا فعلوا هكذا لا يمنعهم بغض احد وعداوته ولا رضا احد وولايته القيام بها انبههم الله ان يقولوا في الشهادة لله
والحكم له بحكم العدو كما يحكم للولي ويقوم في الشهادة للعدو كما يقوم للولي والله اعلم ويحتمل ان يكون في بيان الحق والحجج
وتعليم الاحكام والشرايع كانه يقول والله اعلم قوموا في بيان الحجج والحق وتعليم الاحكام لله لا يمنعكم بغض قوم ولا رضا قوم
على ان لا تبينوا الحق لهم ولا تقيموا الحجج والاحكام لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن
قوم اي بغض قوم على ان لا تعدلوا فيهم فانما العدل لله في الرضا والسخط اعدلوا يقول قولوا العدل بالحق فانه اقرب للتقوى
وقوله عز وجل اعدلوا هو اقرب للتقوى اي اعدلوا هو التقوى كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين لان العدل

ليس الا التقوى واتقوا الله في ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله خبير بما تعملون وتمضون من العدل والجور ع
خرج على الوعيد وقوله عز وجل الذين امنوا وعملوا الصالحات قال بعضهم هذه الاية هي صلة ما تقدم في قوله سبحانه
وتعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الى اخر ما ذكر فاذا فعلوا وقاموا في الشهادة والعدل في الحكم كان
لهم ما ذكر من الوعد والله اعلم ولكن يحتمل هو على الابتداء والله اعلم كانه قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وعدا ثم بين ما في
ذلك الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم يستر على ذنوبهم ويتجاوز عنها واجر عظيم الجنة قال ابن عباس رضي الله عنه لهم مغفرة
في الدنيا لذنوبهم واجر عظيم في الاخرة الجنة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم قيل كفروا باياته وكذبوا باياته يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن اولئك اصحاب الجحيم وقيل كفروا بتوحيد الله
وكذبوا باياتنا بالقرآن بانه ليس من الله تعالى وهما واحد وهذا يدل ان الاية على الابتداء خرج ليس على الصلة على ما قالوا وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم عنكم يحتمل ان يكون هذه المنة التي ذكر الله
تعالى في هذه الاية من كف ايدي الاعداء عنهم بعد ما بسطوا اليهم ايديهم في جملة المؤمنين لان المؤمنين كانوا في ابتداء الامر
مختفين ما بين الكفرة لا يقدرون على اظهار الاسلام واعلانه وقد هموا قتل المؤمنين غير مرة وفيما كف ايديهم عنهم منة عظيمة
علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين ويحتمل ان يكون في قوم خاص قد احاطوا بهم ويبسطوا ايديهم اليهم وهموا بقتلهم فكف
الله عز وجل بفضله ايديهم عنهم والتقدم من ايديهم ثم اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال هم بنو قريظة ابسطوا
ايديهم بالقتل فكف الله تعالى ايديهم عنهم بالمنع وقيل نزلت في اليهود ودخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حايطا لهم في النخل
واصحابه وراء الجدار واستعانهم في شوم دية غرمها ثم قام من عندهم فائتمروا بينهم بقتله فخرج يمشي القهقرى معترضا ينظر
بينهم ثم دعا اصحابه رضي الله عنهم اليه رجلا رجلا حتى تناهوا اليه فلا ندري كيف ما كانت القصة وليس لنا الى معرفة
القصة حاجة بعد ان نعرف منة الله التي من علينا بكف الاعداء عنهم ونشكر له على ذلك وفي هذه الاية دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما كان منهم من غير ان شهد ذلك ليعلم انه بالله علم وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي على الله يتكل المؤمن في كل امره وبه يثق وقوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذا والله
اعلم تعليم من الله تعالى هذه الامة وانباء منه انه قد اخذ العهود والمواثيق على الامم السالفة كما اخذ منكم لانه ذكر انه قد اخذ
من هؤلاء الميثاق بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به الاية ثم اعلمهم بما وعد لهم الثواب ان وفوا بتلك
العهود والمواثيق التي اخذت عليهم وبما اوعد لهم من العقاب ان نقضوا العهود التي اخذ عليهم ليكونوا على حذر من نقضها وليتموا
على وفائها وان يقال انه انما ذكر ما اخذ على اولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك اية من ايات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اخبار عن الامم السالفة وهو لم يشهدها ولا حضرها ليعلموا انه انما علم ذلك بالله ثم يحتمل تلك العهود والمواثيق التي
اخذت عليهم ما ذكر على اثرها وسياقها وهو قوله تعالى وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة الى اخر ما ذكر ويحتمل ما قال ابن عباس احلوا
حلال الله وحرموا ما حرم الله وحسن مرادنهم وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يعني ملكا وهم الذين بعثهم موسى الى بيت المقدس
ليعلموا له علمها ويحتمل ان يكون اختار وامن بينهم اولئك فسالوا موسى ان يجعلهم عليهم قدوة يقتدون بهم ويعلمونهم الدين
والاحكام وياخذ عليهم المواثيق والعهود فيكون ما اخذ على اولئك من المواثيق والعهود عليهم والله اعلم ثم اختلف في النقيب قال
بعضهم النقيب هو الملك وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابو عوسجة النقيب هو المنظور اليه والمصدر عن رايه وهو من
وجوه القوم وجلة الفقهاء مثل العرفاء وقال ابو عبيد النقيب الامين والضامن على القوم وقال الكسائي والفراء يقال فيه نقيب
عليه النقب نقابة وهو فوق العريف يقال منه العريف عرفت عليهم عرافة وهم النقباء والعرفاء والمناكب واحدهم منكب وهم كانوا
يكون مع العريف وقال القتبي النقيب الكفيل على القوم والنقابة والنكابة شبيه بالعرافة وقوله عز وجل وقال الله اني معكم قال
بعضهم قال للنقباء اني معكم في النصر والدفع عنكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الى اخر ما ذكر وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
ويحتمل ان يكون هذا الوعد لكل من قام بوفاء ذلك النقباء وغير النقباء وما ذكر من الوعيد في الاية التي هي على اثر هذه على كل من نقض ذلك
العهد النقيب وغير النقيب ثم قوله ولئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة يحتمل وجهين يحتمل انه اراد بالصلوة الخضوع والثناء له
وبالزكوة تزكية النفس وطهارتها وذلك في العقل على كل احد القيام به في كل وقت ويحتمل ان يكون اراد بالصلوة والزكوة الصلوة
المعروفة المعهودة والزكوة المعروفة وفيه دليل وجوب الصلوة والزكوة على الامم السالفة وقوله عز وجل وامنتم برسلي يحتمل
ان تؤمنوا برسلي جميعا ولا تفرقوا بينهم ان تكفروا ببعض وتؤمنوا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وعزرتموهم قال القتبي
وابو عوسجة وعزرتموهم قال وعظمتموهم والتعزير التعظيم وقال بعضهم نصرتموهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وعزرتموهم
اعنتموهم يعني الانبياء عليهم الصلاة والسلام واقرضتم الله قرضا حسنا اي صادقا من كل انفسكم ابتغي بها وجه الله وقال بعضهم
واقرضتم الله قرضا حسنا اي محتسبا طيبة بها نفسه ويحتمل قوله واقرضتم الله قرضا حسنا اي اجعلوا عند الله لانفسكم ايادي

ومحاسنا يستوجبون بذلك الثواب الجزيل ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وعد لهم تكفير ما ارتكبوا
من المآثم اذا قاموا بوفاء ما اخذ الله عليهم من المواثيق وقوله عز وجل فمن كفر منكم بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل قال بعضهم فمن كفر بعد ذلك
اي بعد المواثيق والعهود التي اخذ عليهم ويحتمل قوله فمن كفر بعد ذلك اي من كفر فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ قصد السبيل وقوله عز
وجل فبما نقضهم اي فبنقضهم قيل ما زايدة فبنقضهم ميثاقهم لعناهم يحتمل لعناهم اي طردناهم والملعون هو المطرود عن كل خير
خير ويحتمل لعناهم او دعونا عليهم باللعن وجعلنا قلوبهم قاسية بما نزع منها الرحمة والرافة اذا نقضوا العهود وتركوا امر الله لان الله
تعالى اخبر انه جعل في قلوب الذين اتبعوا امر الله واطاعوه ورسوله والرحمة والرافة بقوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة
فاذا نزعت الرحمة من قلوبهم صارت قسية يابسة وقوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه يحتمل ان يكونوا يغيرون تاويله
ويقولون هذا من عند الله ويحتمل التحريف تحريف النظم والمتلو ومحوه ويكتبون غيره ونسوا حظا مما ذكروا به قيل ضيعوا كتاب الله ع
بين اظهرهم ونقضوا عهده الذي عهد اليهم وتركوا امره وقوله عز وجل مما ذكروا به اي وعظوا به وقيل تركوا نصيبا مما امروا به في
كتابهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم لخيانة عن تمردهم في المعاندة وكونهم في الخيانة
واياس عن ايمانهم ثم استثنى فقال الا قليلا منهم وهم الذين اسلموا منهم وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح ولا تكافيهم لما اذوك
ثم قال بعضهم هو منسوخ باية القتال في سورة براءة وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية ويحتمل فاعف عنهم واصفح
الى ان يؤمر بالقتال والله اعلم وقوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى كونوا انصار الله فقالوا بل نكون نصارى فذلك قوله
انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ما من احد يعقل الا وقد اخذ الله عز وجل عليه العهد والميثاق وقد اخذ الميثاق
على المؤمنين بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به الاية واخذ الميثاق على اليهود بقوله ولقد اخذنا ميثاق
بني اسرائيل الاية واخبر ايضا انه قد اخذ الميثاق على النصارى في هذه الاية بقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم وقد
تقدم ذكر الميثاق ومعناه في غير موضع وقوله عز وجل فنسوا حظا مما ذكروا به يحتمل هذا وجهين يحتمل اي تركوا حظهم مما امروا
من توحيد الله والايمان بالرسل كلهم والتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى والوفاء بالعهود التي عهد اليهم فتركوا ذلك كله ونسوا
ويحتمل نسوا حظا مما ذكروا به اي لم يحفظوا ما وعظوا به وقوله عز وجل فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة قيل اغرينا
القينا بينهم العداوة والبغضاء قال الحسن من حكم الله تعالى ان يلقي بينهم العداوة والبغضاء ويجعل قلوبهم قاسية ومن حكمه ان يكون بين
المسلمين رافة ورحمة وقال بعض المعتزلة قوله تعالى اغرينا بينهم العداوة والبغضاء اي خذلناهم وتركناهم لكن هذا كله منهم لاحتيال
وفرار عما يلزمهم من سوء القول وقبحه فيقال لهم ان شئتم جعلتم خذلانا وان شئتم تركا لجعلوا ما شئتم ولكن هل كان من الله في ذلك
صنع او اضاف ذلك الى نفسه ولا صنع له في ذلك وذلك الحرف على غير اثبات الفعل فيه او شيء حرف دم لا يجوزان يضيف ذلك الى نفسه
ولا فعل له في ذلك ولا صنع فدل ان له فيه صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك منهم وكذلك فيما اضاف الى نفسه ولا فعل له في ذلك ولا صنع
فدل ان له صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك منهم وكذلك فيما اضاف في نفسه من جعل الرافة والرحمة في قلوب المؤمنين فلو لم يكن في ذلك
صنع لكان لا يضيف ذلك الى نفسه وذلك الحرف حرف الحمد والمدح فدل ان له فيه صنعا وهو ان خلق الرافة والرحمة في قلوب المؤمنين
وخلق القساوة والعداوة في قلوب اولئك الكفرة وبالله التوفيق وفي الاية دلالة اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اخبر انه القى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة واخبر انه لا تزال تطلع على خائنة منهم وكان كما قال على علم منهم انه لا تطلع
على ما في قلوبهم في الخيانة والقساوة وغير ذلك من الامور فدل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل وسوف ينبئهم الله في الاخرة بما
كانوا يصنعون في الدنيا وهو قول ابن عباس وقوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الاية
قال عز وجل قد جاءكم رسولنا ولم يقل فلان بن فلان ليعلم ان الرسل عليهم الصلوة والسلام ليسوا يعرفون بالاسامي والانساب ولكنهم انما
يعرفون بالايات المعجزات والبراهين النيرة وفيه دليل ان من امن بالرسل كلهم ولم يعرف اساميهم انه يكون مؤمنا ولم يؤخذ علينا معرفة اسامي
الرسل انما اخذ علينا الايمان بهم جملة الا ترى ان الله عز وجل لم يذكر في الكتاب الانبياء والرسل جميعا واحدا فواحدا ولا ذكر اساميهم انما
ذكر بعضا منهم الا ترى ان من لم يعرف اساميهم لم يكن مؤمنا هذا بعيد وفيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه قال يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وهم اذا كتموا ذلك واخفوه عن الرؤساء ولم يخبروا احدا انهم كتموا ذلك واخفوه حتى بلغ الخبر الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف الى احد منهم او نظروا في كتابهم قط ليعلم ما كتموا
فلما بين لهم ما قد كتموا واخفوا من الناس دل ذلك لهم ما قد كتموا واخفوا من الناس ذلك لهم انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل يبين لكم
كثيرا مما كنتم من الكتاب ويعفو عن كثير اختلف فيه وتاويله قال بعضهم يبين بالنون ويعفو عن كثير اي الله يبين لهم كثيرا مما
يخفون ويعفو الله تعالى عن كثير اذا امنوا ورجعوا عما كانوا يخفون ويكتمون وقال اخرون يبين لهم كثيرا اي جميع ما كانوا يخفون ويعفو
عن جميع ذلك واما عندنا فقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير بالياء اي رسول الله يبين لهم كثيرا ويعفو
عن كثير على قدر ما اذن له البيان لهم لان الرسل انما ياتون بالبراهين والحجج على قدر ما اذن لهم لا بكل ما لهم من الايات الا ترى ان سحرة

زعون لما القوا حبالهم وعصيهم فصادت حيات اى لم يلق موسى عصاه حتى اذن الله له فى ذلك وهو قوله تعالى وجاؤ بسحر عظيم
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون اغاثى بالاية بعد ما اذن له بذلك فعلى ذلك قوله يبين لكم كثيرا انما يبين
ان قدر ما اذن له بالبيان والحجة والله اعلم وقوله ما كنتم تخفون من الكتاب يحتمل ما كنتم تخفون من الكتاب من الشرايع والاحكام
ويحتمل كتموا ما فى الكتاب من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته الكريمة وقوله عزوجل قد جاءكم من الله نور وكتاب هو القران
سماه نورا لما يوضح ويبين كل شئ على ما هو عليه حقيقة وعلى ذلك يخرج قوله عزوجل الله نور السموات والارض الاية اى به يتضح
كل شئ على ما هو عليه فى الحقيقة وبالله التوفيق وقوله عزوجل يهدى به الله من اتبع رضوانه يحتمل قوله يهدى به الله اى بمحمد
صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالقران اى به يهدى الله من اتبع رضوانه يحتمل رضاه وقوله عز وجل سبل السلام قيل هو الله كقوله
تعالى السلام المومن المهيمن اى به يهدى سبل السلام سمى سبيل الا سبيل الله وان كان كثيرا فى الظاهر فهو فى الحقيقة واحد
وسمى سبل الشيطان سبلا وقال لا تتبعوا السبل الاية لان سبله متفرقة مختلفة ليس يرجع الى واحد واما سبل الله وان كانت سبلا
فى الظاهر فهو يرجع الى واحد وهو الهدى والصراط المستقيم وقوله عزوجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قوله تعالى
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم كفروا كفر مكابرة ومعاندة لا كفر شبهة وجهل لانهم اقروا انه ابن مريم ثم يقولون انه
الله فاذا كان هو ابن مريم وامه اكبر منه فمن البعيد ان يكون من هو اصغر منه الها لمن هو دونه والا الكفر قد يكون بدون ذلك القول
لكن التاويل هو ما هو ما ذكرنا انهم كفروا معاندة ومكابرة مع اقرارهم انه ابن مريم حيث جعلوا الاصغر اله الاكبر وبالله وقوله
عزوجل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا اى لا احد يملك من دون الله شيئا ان
اراد اهلاك المسيح وامه الاية اى لو كان الها كما تقولون لكان يملك دفع الاهلاك عن نفسه وعن امه ومن عبدهما فى الارض وقل
فمن يملك ان يمنع من الله شيئا من عذابه ان اراد ان يهلك المسيح بعذاب وامه ومن فى الارض جميعا بعذابه او يموت وهما واحد ثم عظم
نفسه عن قولهم ونزهها حين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فقال ولله ملك السموات والارض اى كلهم عبيده واماؤه يخلق من
بشر وغير بشر والله على كل شئ قدير اى قادر على خلق الخلق من بشر ومن غير بشر والله اعلم وقوله عز وجل وقالت اليهود و
النصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية يحتمل ان يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعا ولكن كان من احد الفريقين هذا ومن
الفريقين الاخر غيره وكان كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى كان هذا القول كان كل فريق نفى دخول
الفريقين الاخر الجنة لا انهم قالوا جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل ان كان من النصارى نحن ابناء الله لما ذكر
فى بعض القصة ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام قال لقومه ادعوكم الى ابى وابيكم الذى فى السماء فقالوا عند ذلك
نحن ابناء الله وكان من اليهود نحن احباؤه ويحتمل ان يكون هذا القول كان منهما جميعا قال كل واحد من الفريقين نحن ابناء الله و
احباؤه وقيل انهم قالوا ذلك فى المنزلة والقدر عند الله تعالى اى لهم عند الله من المنزلة والقدر كقدر الولد عند والده ومنزلته
عنده ولا يعذبنا فقال قل يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم ان كان ما تقولون حقا فلم يعذبكم حيث جعل القردة والخنازير ولا احد من
الخلق يحتمل قلبه ان يكون ولده او صديقه قردا او خنزيرا وقال لا احد يحتمل قلبه تعذيب ولده وحبه بذنبه بالنار وقد اقررتم
انكم تعذبون فى الاخرة قدر ما عبدا بابا ذكر العجل ثم قال بل انتم بشر ممن خلق اى من اتخذ ولدا وحبا ان يتخذ من شكله ومن جنسه فانه
تعالى انما خلقكم من بشر كغيره من الخلق وانتم وهم فى ذلك سواء فكيف خصصتم انفسكم بذلك وقوله عزوجل لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم دليل ان من رفع احدا من الرسل فوق قدره فى الكفر كمن حط عن قدره ورتبته وقوله يغفر لمن يشاء اى من تاب
واسلم ويعذب من يشاء من دام على الكفر ومات عليه وقوله عزوجل ولله ملك السموات والارض وما بينهما ان كلهم عبيده و
اماؤه وخلقه يعظم نفسه عن قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا احد يتخذ عبده ولدا ولا حبا فانتم اذا اقررتم انكم عبيده كيف
ادعيتم النبوة والمحبة والله اعلم وفى الاية دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا قولا فيما بينهم ثم اخبرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليعلم انه انما عرف ذلك بالله وقوله عزوجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم يحتمل قوله
تعالى يبين لكم ما كنتم تكتمون من نعته وصفته وتحرفون كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ويحتمل
يبين لكم ما لكم وعليكم من الاحكام والشرايع ويحتمل يبين لكم ما كان عليه الانبياء والرسل وقوله عزوجل على فترة من الرسل
قيل على انقطاع من الرسل من لدن اسرائيل الى عيسى عليه السلام لانه قيل انه كان رسول على اثر رسول لم يكن بين رسولين انقطاع
فاخبر عزوجل انه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وقيل على فترة من الرسل ليس على انقطاع منهم ولكن على ضعف
امور الرسل واثارهم وهو من الفتور يقال فتر يفتر فتورا اى انكسر والله اعلم انما بعث الرسول بعد ما درس اثار الرسل وضعف ووقع
فيما بينهم الخلاف لضعف ليبين لهم ما ذكر ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فينقطع احتجاجهم بذلك وان لم يكن لهم فى الحقيقة
احتجاج وهو كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكقوله ان لا يقولوا على الله الا الحق بشير بالجنة لمن اطاع ونذير با
لنار لمن عصاه فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير يحتمل على كل شئ قدير من بعث الرسل على فترة منهم واحياء ما درس

من اثار الرسل

من اثار الرسل وما ضعف من رسومهم والله اعلم وقوله عزوجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية يحتمل قوله
اذكروا نعمة الله عليكم ما ذكر من بعث الرسل والانبياء عليهم السلام على فترة منهم ويحتمل ما ذكر على اثره وهو قوله اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين كانه يقول اشكروا نعمتى التى انعمت عليكم من جعل الانبياء
فيكم ولم يكن ذلك لامة من الخلق وجعلكم ملوكا تستنصرون من الاعداء لان الملوك فى بنى اسرائيل هم الذين كانوا يتولون
القتال وامر الحرب مع الاعداء كقوله ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فاخبر انه جعل فيهم الانبياء يعلمونهم امور الدنيا
والاخرة ويحتاج غيرهم الى معرفة ذلك بهم وجعل فيهم ملوكا يستنصرون من الاعداء ويقهرونهم فيغزون ويشرفون
فى الدنيا والاخرة وقوله عزوجل واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين يحتمل ما ذكر من جعل الانبياء والملوك فيهم ويحتمل ما
رزقهم فى التيه من المن والسلوى وغيره من النعم وقيل فى قوله وجعلكم ملوكا اى جعلكم بحيث تملكون انفسكم وكنتم
قبل ذلك يستعبدكم فرعون ويتخذكم خولا لنفسه والله اعلم وقوله عزوجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى
كتب الله لكم قيل قوله تعالى كتب الله لكم اى كتب الله عليكم قتال اهل تلك الارض ليسلموا وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
يعنى الكفر فعلى ذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم قتال اهلها ليسلموا والله اعلم وقوله عزوجل لكم اى
عليكم وهذا جائز فى اللغة كقوله وان اساتم فلها اى فعليها وقيل قوله ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فتحها ان
اطعتم امر الله فيما امركم به وانتهيتم عما نهاكم عنه واجبتم رسوله الى ما دعاكم اليه اى انا نعلم ذلك يفتح الله تلك الارض والله
اعلم وقوله عزوجل الارض المقدسة قيل هى الشام وقيل غيرها ثم سماها مرة مقدسة ومرة مباركة وهو كقوله تعالى باركنا
حوله بكثرة الثمار والفواكه وسعة عيشها وكثرة ريعها ويحتمل ان سماها مباركة لما كانت معدن العباد والزهاد منزه
عن الشرك وجميع الفواحش والمناكير والله اعلم وقوله عزوجل ولا ترتدوا على ادباركم هذا والله اعلم كناية عن الرجوع
عن الدين وهو كقوله تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما صار ذلك كناية عن الرجوع عن الدين والله
اعلم لما ذكرنا فى احد التاويلين انه كتب عليهم قتال اهل تلك الارض فتركوا امر الله وطاعته ويحتمل ان وعد الله لهم فتح تلك
الارض فلم يصدقوا رسوله فيما اخبر عن الفتح لهم فكفروا بذلك وقوله عزوجل فتنقلبوا خاسرين الاية يحتمل ان يكون ذلك
لهم فى الاخرة ويحتمل فى الدنيا منهزمين ويحتمل قوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم اى لا ترجعوا وراءكم ولكن ادخلوها وقوله
عزوجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فانا داخلون يحتمل ان يكون هذا والله اعلم
لما راوا فرعون مع قوته وكثرة جنوده مع ادعاءه ما ادعى من الربوبية لنفسه لم يقدر على فتح تلك الارض وعجز عن غلبة
اهلها وقهرهم وجعلهم تحت يديه راوا هؤلاء ان لا يقدرون على ذلك مع ضعفهم فى انفسهم وقلة عددهم وقصور
اسبابهم لذلك امتنعوا عن الدخول فيها الا بعد خروج من فيها من الجبابرة عنها خوفا منهم على انفسهم لكن موسى عليه السلام
كان وعدهم الفتح والنصر مع ضعفهم وقلة عددهم اذا دخلوا فيها وقوله عزوجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله
عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اختلف فى الرجلين الذين قالا ذلك لهم قايلون كان ذانك الرجلان
من اولئك الذين بعثهم موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام الى اهل تلك الارض وامرهم بالدخول فيها وهما ممن قد انعم
عليهما من تصديقهما ما وعدهم موسى من الفتح والنصر فقالا فاذا دخلتموه فانكم غالبون صدقوا موسى بما وعدهم من الفتح وقال
قايلون كان ذانك الرجلان اللذان قالا ذلك لهم هما من اهل تلك الارض لانهم اذا سمعوا ان موسى قصد نحوهم خافوا من ذلك
فذلك معنى قوله من الذين يخافون انعم الله عليهما من الاسلام فقالا ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لما
علموا من خوف اهلها من موسى ومن معه وفزعهم قوله عزوجل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين الاية اى مصدقين
بوعد موسى بالفتح لكم والنصر ويحتمل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مسلمين فان كل من توكل على الله ووثق نصره الله وجعله
غالبا على عدوه والله اعلم وقوله ادخلوا عليهم الباب كان المراد من الباب ليس نفس الباب ولكن جهة من الجهات التى
يكون الدخول عليهم من تلك الجهة اوفق واهون كانه قال ادخلوا عليهم جهة كذا والله اعلم وقوله عزوجل قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها من تعرض لرسول من الرسل بمثل هذا ما تعرض هؤلاء لموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها
يكفر لان موسى عليه الصلوة والسلام قد وعدهم النصر والفتح اذا دخلوها فقالوا لن ندخلها ابدا لم يصدقوا موسى عليه
السلام فيما وعدهم من الفتح ومن كذب رسولا من الرسل بشئ يخبر فهو كافر وقوله عزوجل فاذهب انت وربك فقاتلا ا
دل قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا على ان الامر بالدخول منها امر بالقتال مع الاعداء حين قال ادخلوا الارض
المقدسة التى كتب الله لكم وان المكتوب عليهم القتال معهم لانهم قالوا فاذهب انت وربك فقاتلا والله اعلم ثم قيل فى قوله
تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا من وجهين قيل اذهب انت وربك فقاتل وحدك وليعينك ربك وينصرك لانك تقول
ان الله قد وعدك فتحها والنصر عليهم فالواحد والجماعة فيه سواء اذا كان الله ناصرك ومعينك والثانى اذهب انت واخوك

ربك فقاتلا لانهما كانا جميعا مامورين بتبليغ الرسالة لانهما انما قاتلا بربهما وتجوز الاضافة اليه والنسبة
لما كان يفعل به كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هم المباشرون للقتل والرمي
في الحقيقة لكنه اضيف اليه بنصره ومعونته قتلوا ورموا فعلى ذلك الاول والله اعلم اضيف اليه لما بمعونته ونصره يقاتلون
وقوله عز وجل انا ها هنا قاعدون اي ليس يريد به القعود نفسه ولكن والله اعلم انا ها هنا منتظرون وقوله عز وجل قال
رب اني لا املك الا نفسي واخي الاية يحتمل اني لا املك في الاجابة والطاعة لك الا نفسي واخي واملك اخي ايضا لما عرفت بالعصمة
التي اعطيت له ان يجيبني ويطيعني في ذلك واما هؤلاء فاني لا املك اجابتهم ولا طاعتهم فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
ويحتمل اني لا املك الا نفسي واخي لا يملك ايضا الا نفسه وعلى الاضمار لانهما كانا جميعا رسولين مامورين بتبليغ الرسالة
بقوله تعالى فقولا له قولا لينا الاية وقوله عز وجل فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال قائلون انما طلب موسى عليه
السلام الفرقة وبين الذين ابوا الدخول فيها وقالوا لن ندخلها ابدا وقال قائلون انما طلب موسى الفرقة بينهم وبين الجبابرة
الذين كانوا في الارض التي امروا بالدخول فيها والقتال معهم والله اعلم وقوله عز وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين
سنة الاية قوله تعالى محرمة عليهم من الحرمان والمنع هو والله اعلم ليس على التحريم كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل
ليس هو من التحريم الذي هو تحريم حكم ولكن من المنع والكراهات فعلى ذلك الاول والله اعلم وقال قائلون محرمة عليهم
ابدا لم يدخلوها حتى ماتوا لكن ولدهم لولاد فلما ماتوا هم دخل اولادهم لانهم قالوا لن ندخلها ابدا وقال قائلون قوله
تعالى محرمة عليهم اي التوبة محرمة عليهم لن يتوبوا ابدا والله اعلم وقوله عز وجل اربعين سنة يتيهون في الارض فالتيه
ها هنا للتيه والله اعلم لا لقوله تعالى محرمة عليهم ثم اختلف في التيه قال قائلون لم يكن موسى وهرون عليهما السلام معهم
في التيه لان ذلك لهم من الله كان عقوبة ولا يحتمل ان يكون الله تعالى عز وجل يعذب رسوله بذنب قومه لانه لم يعذب قوم بتكذيب
الرسول قط الا بعد ما اخرج الرسول من بين اظهرهم فعلى ذلك لا يحتمل ان يكون موسى يعذب بعصيان قومه والله اعلم وقال اخرون
كان موسى معهم في تلك الارض مقيما فيها ولكن للتيه والتيه كانت لقومه قيل كانوا يرتحلون ثم ينزلون من حيث اصبحوا اربعين سنة وكانوا
ما داموا في الحجر الذي كان مع موسى عليه السلام فكان اذا نزل ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين ولم يكن
حل بموسى مما كان حل بقومه قليل ولا كثير انما امر بالمقام فيها فاقام من غير ان كان به حيرة وقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ
قربا قربانا قال الحسن وغيره لم يكونا ابني ادم من صلبه ولكن كانا رجلين من بني اسرائيل قربا قربانا فتقبل قربان احدهما ولم يتقبل قربان
الاخر وانه نسبهما الى ادم لان كل البشر ولد ادم تنسب اليه كقوله يا بني ادم افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ليس يريد به ولد ادم لصلبه ولكن
البشر كله فعلى ذلك الاول والله اعلم واما ابن عباس رضي الله عنه والكلبي وغيرهما من اهل التاويل فانهم قالوا انهما كانا ابني ادم لصلبه احدهما
يسمى قابيل والاخر هابيل وكان لكل واحد منهما اخت ولدت معه في بطن واحد وكانت احديهما جميلة والاخرى ذميمة فاراد كل واحد
منهما نكاح الجميلة منهما فتنازعا في ذلك فقال احدهما لصاحبه تعال حتى نقرب قربانا فان تقبل قربانك فانت احق بها وان تقبل
قرباني فانا احق بها فقربا قربانا فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده فهم ان يقتله فذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ولكن لا ندري كيف كانت وفيما كانت وكانا ابني ادم لصلبه او لم
يكونا وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة في هذا الى معرفة ما فيه من الحكمة والعلم ليعلم ذلك ويعمل به فهو والله اعلم ما ذكر عز وجل
فيما تقدم من قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب وقال في اية اخرى ويبين لكم على فترة
من الرسل فكان هذا يعني نبا ابني ادم كان في كتبهم فامر عز وجل رسوله ان يتلو عليهم ذلك على ما كان ويبين لهم ما في كتبهم لانه قال
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل ليعلموا انه انما علم ذلك بالله لا باحد من البشر
لانه انما بعث عند دروس اثار الرسل وانقطاع العلوم فيبين لهم واحد ففيه دليل اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وسورة المائدة كان اكثرها نزلت في مخاطبة اهل الكتاب لانه يقول في غير موضع يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل يدعوهم الى الايمان بالرسل ونزل سورة الانعام في مخاطبة اهل الشرك لان
فيها دعاء الى التوحيد وقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق يحتمل وجهين يحتمل بالحق على ما نزل ويحتمل بالحق المعلوم المعروف
على ما كانوا يعلمون انه بالله علم وانه علم سماوي وقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين هذا يحتمل وجهين يحتمل انما يتقبل الله قربان
من اتقى الشرك لا يتقبل من لم يتق والى هذا يذهب الحسن وقال كانا رجلين من بني اسرائيل احدهما مؤمن والاخر منافق فتنازعا في شيء فقربا
ليعلم المحق منهما فتقبل من المؤمن ولم يتقبل من الاخر وقال ابو بكر الاصم كانا رجلين مصدقين لان الكافر لا يقرب القربان لكن احدهما كان
التقي قلبا فتقبل قربانه والاخر لا فلم يتقبل قربانه والتقوى شرط في قبول القرابين وغيرها من القرب كقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين
وقوله والكافر لا يقرب القربان يقال قد تقرب لما يدعي من الدين الذي هو عليه حتى ليظهر المحق منهم الا ترى انهم يدعون ان فيهم من
هو احق بالرسالة من محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وغير ذلك من اباطيل قالوها وبالله

التوفيق وقوله

التوفيق وقوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قال بعض اهل التاويل الواجب علينا ان نقتل
مثل فعل قتله وذلك لا ينبغي لمن اراد احد قتله ان يقتله ولكن يمنع عن نفسه [illegible] لحد ابني ادم حيث قال له لاقتلنك فقال له الاخر ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك واحتجوا في ذلك باخبار رويت وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توجه
المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فهما في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه اراد ان يقتل صاحبه وعن سعد بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ولا يقتل احدا من اهل القبلة فافعل وعن الحسن رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني ادم ضربا مثلا لهذه الامة فخذوا بالخير منهما وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف يا ابا ذر اذا كانت بالمدينة قتلى [illegible]
اصنع يا ابا ذر [illegible] ان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك يبوء باثمك واثمه [illegible]
[illegible]
[illegible] قتال اهل البغي [illegible] فان اعانوا [illegible]
[illegible] قتال البغاة [illegible] قتال المشركين [illegible]
[illegible]
[illegible] قتال المسلمين [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه [illegible]
[illegible] فاصبح من الخاسرين [illegible] وقوله عز وجل فاصبح من النادمين [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا [illegible]
[illegible]

بعد ذلك بعضهم بعضا وكان ذلك منه سنة استن الناس به فهو كما روي في الخبر ان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزرهم شيئا فيشترك هذا القاتل في وزر كل قتيل قتل الى يوم القيامة بغير حق ويحتمل الاية وجها اخر وهو ما قيل ان يجب عليه من القتل مثل ما انه لو قتل الناس جميعا ومن احياها اعطاه من الاجر مثل ما لو انه احيا الناس جميعا اذا احياها فلم يقتلها وعفا عنها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال من اجل ابن ادم حين قتل اخاه كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس بلا نفس وجب عليها القصاص او فساد في الارض يقول الشرك في الارض فكانما قتل الناس جميعا يقول يعذب عليها كما انه لو قتل الناس جميعا لهم وهو مثل الاول وعن عبد الله بن عمر وقرا من اجل ذلك الاية قال لو لم يكن يوخذ في بني اسرائيل ارش انما كان قصاصا بقصاص يقول لمن قتل الناس جميعا ومن احياها فعلى نحو ذلك ويحتمل قوله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي من استنقذ الناس جميعا في الاخرة وقيل ومن احياها بالعفو اوجر في احيائها كما يوجر من احيى الناس جميعا اذ على الناس معونته ذلك فاذا عفا عنها فكانما عفى عن الناس جميعا قال الحسن ومن احياها في الاجر اما والله من يستطيع ان يحييها اذا جاء اجلها ولكنه اقيد فعفا ووجه اخر انه يلزم الناس جميعا دفع ذلك عن نفسه ومعونته له فاذا قتلها او سعى عليها بالفساد فكانما سعى بذلك على الناس كافة فعلى ذلك من احياها فكانما احيا الناس جميعا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون في الاية فلا يصير رسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب الكفرة الفجرة اياه وانه ليس باول مكذب في الحق بل كانت الرسل من قبل يكذبون فيما ياتون من الايات والحجج والبيان وقوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الاية قال بعضهم الاية نزلت في اهل الكفر وبيان الحكم فيهم وهو قول الحسن وابي بكر الاصم وقالا لان الله عز وجل ذكر محاربة الله ورسوله وذكر السعي في الارض بالفساد وكل كافر قد حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد فللامام ان يقتلهم باي انواع القتل شاء ما دام الحرب فيما بينهم قائما فاذا اثخنوا في الارض بترك ذلك ويمن الله عليهم ان شاء واما المسلم اذا قطع الطريق فانه لا يقال انه حارب الله ورسوله فدل انها نزلت في اهل الكفر للكفر لا لقطع الطريق وقال اخرون نزلت في المشركين اذا قطعوا الطريق على الناس واخافوهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال وادع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي فجاء اناس يريدون الاسلام فقطع عليهم الطريق فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد فيهم ان من قتل واخذ المال صلب ومن قتل ولم ياخذ المال قتل ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف ومن جاء مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك فدل حديث ابن عباس رضي الله عنه على ان الاية نزلت في الموادعين غير المحاربين وروي عن انس ان اناسا من عكل او عرينة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم نشكوا اليه الجهد فبعثهم بلقاح ورعاة لهم ان يشربوا البانها وتداووا بابوالها فلما ان صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فبعث في اثارهم فاتي بهم بعد ما ترجل بهم النهار فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وقطع السنتهم وتركوا بالمكان حتى ماتوا فنزلت الاية ورد وعن علي رضي الله عنه ما يخالف هذا وروي ان حارثة بن بدر حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وتاب من قبل ان يقدر عليه فكتب علي بن ابي طالب الى عامله بالبصرة ان حارثة قد تاب قبل ان يقدر عليه فلا تتعرض له الا بالخير الا ترى ان حارثة قد تاب اطلق فيه انه حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا فهذا يدل على ان الحكم الذي جرى على قطاع الطريق الكفرة يجري ذلك الحكم في المسلمين اذا كان منهم ما كان من المشركين من قطع الطريق على الناس واخافته عليهم وقد ثبت ان الاية نزلت في اهل الحرب وقد يبيح لنا قتل من ظفرنا به منهم كيف شئنا وان لم يفسدوا في الارض ولم يقطعوا الطريق وهذا يدل ان الاية نزلت بالحكم في اهل الكفر واهل الاسلام جميعا اذا سعوا في الارض بالفساد ومن الدليل على ذلك ان الله قال الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم واجمعوا ان الكافر اذا قتل مسلما واظهر في الارض الفساد فقدرنا عليه واسرناه ثم اسلم انه يزول عنه القتل والقطع والصلب فدل ذلك على ان الاية نزلت بالحكم في المسلمين لانه يختلف حكمه اذا تابوا من قبل ان يقدر عليهم او بعد قدرتنا عليهم ولم يزل فيمن يستوي حكمه في الحالين جميعا اذا تابوا بعد القدرة فالحكم ثابت عليهم فاما الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله بالعرنيين وقد روي عن بعض المتقدمين ان الاية نزلت بعد قتل العرنيين من نحو ابن سيرين وغيره فالواجب على من ادعى ان الاية نزلت في العرنيين ان يبين دعواه وكان اصحابنا رحمهم يذهبون الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ويرون ان يوخذ المحارب اذا تاب قبل ان يقدر عليه بما اصاب من دم ومال على سبيل القصاص ولا يصلب ولا تقطع يده ورجله فيما اصاب من مال فكانهم ذهبوا الى ان الحد الذي لله على المحارب بتوبته قبل ان يقدر عليه وهو ما كان الى الامام اقامته ولا امر للولي فيه واما الحقوق التي هي للعباد فان التوبة لا تعمل في ابطالها ولكل ذي حق ان ياخذ بحقه لا حق للامام لان الخصومة للولي دون الامام وفي قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم دلالة على ان السارق اذا رد السرقة قبل ان يقدر عليه انه لا قطع عليه وذكر روي عن بعض المتقدمين انهم قالوا ليس على تائب قطع وقد قوله ويسعون في الارض فسادا على ان السارق في المصر ليلا او نهارا لا يكون محاربا وانما هو سارق تقطع يده دون رجله لانه ذكر السعي في الارض بالفساد والسارق في المصر لا يقال سعى في الارض الا ترى الى قوله تعالى واذا ضربتم في الارض لم يرد الضرب في المصر ولكن اراد الاسفار فعلى ذلك الاول واما الكلام

فالقتل والصلب

في القتل الصلب والقطع فروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا حارب وقتل واخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف وصلب فان قتل ولم ياخذ المال قتل وان اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف وتاول الاية الذين يحاربون الله ورسوله الاية على ان الواجب على المحارب من العقوبة له على قدر جنايته ويزاد في عقوبته بقدر زيادته في جرمه وتاول غيره الاية على انها نزلت في المحارب الذي يصيب المال والنفس واذا اصاب الامرين كان للامام ان يقتله كيف شاء ان شاء قتله بالسيف قتلا وان شاء قطع يده ورجله ثم يتركه حتى يموت وان شاء صلبه حيا وان ابطا عليه الموت طعن بالرماح حتى يموت والى هذا كان يذهب ابو حنيفة رضي الله عنه واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله قالا اذا صلب لم يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وجعلا عقوبته مختلفة على قدر جنايته فان قيل فما معنى التخيير فيه قيل معناه والله اعلم ان يقتل بالسيف او يقتل بقطع اليد والرجل واصله ان حرف التخيير اذا كان في متفق الاسباب يخرج مخرج التخيير من نحو التخيير في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة المنادى لان سبب وجوبه واحد وان كان في مختلف الاسباب فيخرج مخرج بيان الحكم للكل في نفسه كقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا لا يحتمل التخيير ولكنه على بيان الحكم للكل في نفسه لان سبب وجوبه مختلف فتاويله اما ان تعذب من ظلم وتتخذ الحسن فيمن امن بالله الا ترى انه قال اما من ظلم فسوف نعذبه واما من امن فله جزاء الحسنى وقول من جعل الحكم فيمن جمع القتل وقطع الطريق اقرب الى التاويل والله اعلم ممن لم يجمع لانه قال عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فمن حارب وافسد في الارض فقد اتى بالامرين لان محاربته ان يقتل وافساده في الارض بقطع الطريق فاذا جمع هو بين الامرين يجمع بين عقو[بتين] واصله ان امر قطاع الطريق محمول على فضل تغليظ من نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل في اخذ المال وذلك لا يجمع في اخذ المال في المصر ومن نحو الصلب وذلك لم يجعل في غيره من القتل في المصر فدل انه محمول على فضل تغليظ فجاز ان يجمع بين ما ذكرنا وقوله عز وجل او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي قال بعضهم ينفوا من الارض على اسقاط الالف ويكون في القتل والصلب نفيه اذا قتل واخذ المال وقال بعضهم نفيه ان يطلب فلا يقدر عليه وعن الحسن قال يطلب حتى يخرج من ارض الاسلام وذلك الى الامام واصله ما ذكرنا انه اذا قدر عليه وقد قتل واخذ المال يقتل وفي القتل نفيه واذا لم يقتل ولم ياخذ حبس ان قدر عليه وفي الحبس نفيه وان لم يقدر عليه يطلب حتى يبرح عن الطريق والله اعلم وقول ابي عبيد حيث قال انه يصلب بعد القتل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة فيقال له المثلة يراد بها على ما قال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى ولان الصلب جعل عقوبته والميت لا يعاقب ولو جاز ان يصلب بعد القتل لجاز لغيره ان يقول تقطع يده ورجله بعد القتل فذلك بعيد وقوله عز وجل الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم قد ذكرنا فيما تقدم ان قطاع الطريق اذا ما تابوا قبل ان يقدر عليهم سقط عنهم الحدود التي هي لله تعالى لا يواخذون بها وليس كغيرها من الحدود التي تلزم في غير المحاربة ان التوبة لا تعمل في اسقاطها لوجهين احدهما ان التوبة من غير المحارب لا تظهر حقيقة فاذا لم تظهر لم تعمل في اسقاطها وفي المحارب تظهر لانه كان في يدي نفسه اذا ترك المحاربة والسعي في الارض بالفساد وظهرت منه التوبة فلم يواخذ وفي ساير الحدود لا يظهر منه ترك ما كان يرتكب لذلك افترقا والثاني انه لو لم يقبل منه ذلك لتمادى في السعي في الارض بالفساد في حق المسلمين من الضرر اكثر مما ياخذ وهم بذلك فاستحسنوا قبول ذلك منهم ورد ما وجب عليهم من الحدود التي هي لله تعالى واما الحقوق التي هي للعباد فذلك الى الاولياء ان شاؤا اخذوهم بذلك وان شاؤا تركوا والله اعلم وقوله من جاء مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك معناه اذا جاء تائبا لان الحدود جعلت زواجر والاسلام يزيد في الزجر والتغليظ فلا يجوز ما كان سببا للتغليظ سببا لاسقاطه ذلك ان الحق منه من جاء مسلما تائبا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يحتمل ان يكون الاية صلة ما مضى من الايات من ذلك قوله تعالى انما يتقبل الله فيتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين اخبر انما يتقرب بقربان المتقي و[illegible] انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية ثم قال اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ابتغوا بتقواكم عن معاصيه القربة والوسيلة والوسيلة القربة وكذلك الزلفة يقال توسل الى فلان بكذا اي تقرب وهو قول العتبي [illegible] وقوله عز وجل وجاهدوا في سبيله الاية يحتمل هذا وجهين احدهما جاهدوا انفسكم في صرفها عن معاصيه وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويحتمل الجهاد مع الاعداء جاهدوا بانفسكم واموالكم اعداء الله في نصرة دينه وبالله التوفيق وقوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم كان الذي ينعهم عن الاسلام والايمان بالله وبالرسول قضاء شهواتهم وطلب العز والشرف بالاموال فاخبرهم ان لو كان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به انفسهم ما تقبل منهم ولا ينفعهم ذلك يذكر هذا والله اعلم لينزعوا انفسهم عن معاصي الله والخلاف له بالدنيا ويطلبون من الاموال والشهوات واخبر انهم لو كان لهم ما في الارض ومثله معه لافتدوا به يوم القيامة فلا تنفعهم ذلك وما تقبل منهم والحكمة في ذكره هذا والله اعلم ليعلموا ان الاخرة ليست بدار ويقبل فيها

الرشى كما يقبل في الدنيا وقوله عز وجل ولهم عذاب اليم دل هذا على ان من العذاب ما لا الم فيه من نحو الحبس والقيد فاخبر ان عذاب الاخرة اليم كله ليس كعذاب الدنيا منه ما يكون اليما ومنه ما لا يكون وقوله عز وجل يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها الاية يحتمل قوله عز وجل يريدون ان يخرجوا منها اي يطلبون ويسالون الخروج منها من غير عمل الخروج بنفسه ويحتمل قوله تعالى يريدون ان يخرجوا منها ولكن يردون ويعادون الى مكانهم كقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي يجهدون في الخروج منها اعيدوا فيها فيه دليل انهم يحاولون عمل الخروج ولكن يردون ويعادون فيها وقوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية عامة في السارق خاص في السرقة لانه يدخل جميع اهل الخطاب في ذلك وان كان يجوز ان يدرا الحد عن بعض السراق اذا سرقوا عن محارمهم او ممن له تاويل الملك فيما له او شبه البنا ولا منه لانه اذا سرق ممن ليس له ذلك التاويل ولا تلك الشبهة قطع فدل انها عامة في السراق وعلى هذا يخرج قول ابن عباس رضي الله عنه حيث سئل عن قوله تعالى والسارق والسارقة رضي الله عنه حيث سئل عن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اخاص هو ام عام فقال لا بل عام اي عام في السراق الا ترى انه قال في خبر اخر حيث سئل عن ذلك فقال ما كان من الرجال والنساء قطع وانما قولنا انها خاص في السرقة لانه يحتمل قلب احد قطع اليد في الشيء التافه الخسيس الذي نأخذ منه دل ان الخطاب به ذلك من الله عز وجل رجع الى سرقة لا الى كل ما يقع عليه اسم وكذلك الخطاب بقطع اليد رجع الى بعض وهو الكف وان كان اسم اليد يقع من الاصابع الى الابط لان الناس مع اختلافهم اتفقوا على ان اليد لا تقطع من الابط ولا من المرفق لكنهم اختلفوا فيما دون ذلك فعلى قول بعضهم تقطع الاصابع دون الكف وعندنا انه تقطع الاصابع بالكف لانه بها يقبض الشيء ويؤخذ فخرج الخطاب بالقطع عام والمراد منه رجع الى بعض اليد دون بعض وكذلك قوله تعالى فاقطعوا ايديهما خرج الخطاب بالقطع عام ليس فيه بيان من يتولى القطع فالمراد منه رجع الى الولاة فهذا كله يدل على ان ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد ولا في مخرج خصوص اللفظ دليل خصوصه بل يعرف ذلك كله بدليل يقوم العموم والخصوم بدليل الخصوص فهذا ينقض قول من يقول انه على العموم حتى يقوم دليل الخصوص والله اعلم فان قيل لنا اي شيء الحكمة في اقامة الحد في السرقة على ما به يكتسب السرقة وهو اليد ولم يقم الحد في ساير الحدود فيما به كان اكتسابها من نحو القصاص والزنا وغيره انه اذا قتل اخر لم تقطع يده وبها كان اكتساب القتل وكذلك الزنا لم يقم الحد على ما به كان الزنا بل اقيم على غيره مما به كان ذلك خاصة قيل والله اعلم لخلتين اما القصور في الاستيفاء من الحق او الخوف الزيادة في الاستيفاء على الحق لانه اذا قتل او قطعت يده يبيت له النفس وقد تلفت نفس الاخر فكان في ذلك قصور في استيفاء الحق وفي الزنا لو اقيم به على الذي به كان اكتسابه الفعل لخيف تلف نفسه به فكان في ذلك استيفاء الزيادة على الحق واما السرقة فانه امكن استيفاء الحق مما كان به اكتسابها على غير قصور يقع في الاستيفاء ولا خوف الزيادة في الاستيفاء لذلك كان ما ذكر والله اعلم فان قيل ما الحكمة في قطع يد قيمتها الوف بسرقة عشرة وذلك مما لا يماثله في الظاهر وقد اخبر ان لا يجزى الا مثلها كيف جوز هذا باضعاف ذلك قيل لهذا جوابان احدهما ان جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله ان يمتحن عباده بانواع المحن ابتداء على غير جعل ذلك جزاء لكسب يكتسب فمن له الامتحان بانواع المحن على غير جعلها جزاء الشيء كان له الامتحان بان يجعل ما يساوي الوفا فليس وجهه وبالله العصمة والنجاة والثاني ان ليس القطع في السرقة جزاء ما اخذ من المال ولكنه جزاء ما هتك من الحرمة الا ترى انه قال جزاء بما كسبا ولم يقل جزاء بما اخذ من الاموال فيجوز ان يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان قصر علم البشر على ذلك لان مقادير العقوبات انما يعرف من يعرف مقادير الاجرام وليس احد من الخلايق يحتمل علمه مبلغ مقادير الاجرام فاذا لم يحتمل عليهم مبلغ مقادير عقوبتها فاذا كان فحق القول فيه الاتباع والتسليم بعد العلم في الاتباع ان الله لا يجزي بالسيئة الا مثلها وبالله التوفيق ثم الكلام في قطع اليمنى ما روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وعن علي رضي الله عنه اذا سرق الرجل قطعت يده اليمنى وعلى ذلك اتفاق الامة ثم المسئلة في مقدار السرقة وليس في الاية ذكر مقدارها واختلف اهل العلم في ذلك فقال بعضهم تقطع في ربع دينار فصاعدا وقال اصحابنا لا تقطع اليد الا في عشرة دراهم فصاعدا او دينار وقد روي من الاخبار ما احتج به كل فريق منهم روي عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا وعروة بن الزبير يقول كانت عائشة رضي الله عنها تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقطع اليد الا في المجن او في ثمنه وزعم ان قيمة المجن اربعة دراهم فدل قول عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد الا في ثمن قولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد الا في ربع دينار ان ثمن المجن كان عندها ربع دينار ولا يكون كذلك وعلى ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم في الخبر انه قطع في مجن و اما التقويم فانما هو من عند عبد الله وانس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن فقيل يا ابا حمزة كم كان قيمته قال وزن خمسة دراهم هذا يدل على ان التقويم كان من انس كان ذلك كتقويم ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم وليس التقويم

حجة في واحد المقومين المخالفة كل واحد منهم صاحبه وانما قوموه من قبل انفسهم فاما ان كان في مجنين مختلفين فهو على التناسخ واما ان كان في مجن واحد في وقتين مختلفين فان كان في وقتين مختلفين فان كان في وقتين مختلفين لم يكن لمخالفتنا فيه حجة لما يحتمل الزيادة والنقصان على اختلاف الاوقات وان كان في مجنين مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر فلا يقدم على القطع ثم الاخبار التي تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال دخلت على سعيد بن المسيب فقلت له ان اصحابك عروة ومحمد بن مسلم وفلان رجل يقولون ثمن المجن خمسة دراهم او ثلاثة فقال اما هذا فقد مضت السنة فيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة دراهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ثمن المجن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقطع اليد الا في ثمن المجن وهو يومئذ يساوي عشرة دراهم فلما اختلف المقومون في قيمة المجن رجعنا الى ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال مضت السنة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعشرة دراهم وان كان مرسلا اذ لا معارض له ويؤيد هذا ما روي عن نجباء الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من نحو عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وروي ان عمر اتي بسارق فامر بقطعه فقال عثمان رضي الله عنه سرقته لا تساوي عشرة دراهم فامر بها فقومت ثمانية دراهم لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم وروي عن عايشة قالت لم تكن اليد تقطع على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الشيء التافه فاخذ اصحابنا رحمهم الله بهذه الاخبار ولم يروا قطع اليد بدون العشرة لانهم مع اختلافهم اتفقوا على ان اليد تقطع في سرقة عشرة دراهم واختلفوا في وجوب القطع فيما دون العشرة وهو حد ندرى [يدرأ] بالاشكال والله اعلم وقوله عز وجل جزاء بما كسبا نكالا من الله الاية يحتمل قوله نكالا من الله اي عقوبة وزجرا من الله لغيره لان من عاين اخر قطعت يده في سرقة القطع به ردعه ذلك على الاقدام عليه والله اعلم وقوله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه واصلح الاية اي تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال شركه فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وعد له المغفرة والرحمة اذا تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال الشرك حتى لم يواخذ بشيء مما كان يرتكبه في حال الشرك ويتعاطاه اذا اسلم الا ترى انه قال تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم في حال الاسلام اذا ارتكب حدا وتعاطاه ثم تاب اخذ بها لوجهين احدهما ان الكافر لو اخذ بعد ما اسلم بما كان ارتكب في حال الكفر وتعاطاه فذلك يمنعه عن الاسلام ويزجره فاذا كان كذلك فكان في اقامة ذلك والاخذ بها من الفساد اكثر من الصلاح واما المسلم اذا لم يؤخذ بما ارتكب وتعاطى بعد التوبة يكن في ذلك من الفساد ما يخشى وذلك انه كلما اراد ان يقام عليه الحد تاب فيسقط ذلك عنه ثم عاد ثانيا ثم ثالثا مما لا يتناهى فعل في الارض بكل الفساد من غير ان يخشى ولذلك اخذ به بعد التوبة والكافر لا والله اعلم والثاني ان الكافر فيما ارتكب وتعاطى في حال الكفر انما يرتكبه تدينا بدين به فاذا رجع عن ذلك الدين وذلك دان بدين اخر ما يكون ذلك حراما في دينه الذي يتمسك به ترك ما كان يرتكب في دينه الاول تدينا فيظهر ذلك منه فلم يتم عليه لما يظهر منه ترك ما تعاطى قبل ذلك واما المسلم فليس يتعاطى ويرتكب بدين به ولكن يتعاطاه شهوة وذلك مما لا يظهر منه التوبة حقيقة لذلك اختلفا والله اعلم وفيه دليل جواز تاخير البيان [illegible] السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء ولا يحتمل ان يبين لجميع شرايط السرقة التي يجب فيها القطع [illegible] فدل انه بين له ذلك بعد السؤال والبحث عنها والله اعلم وكان جميع ما ذكر من العقوبات [illegible] الكفر لانهم هم الذين يتعاطون ذلك دون المسلمين [illegible] قوله الذين يحاربون الله ورسوله الاية [illegible] قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في طعمة بن ابيرق سرق درع جاره [illegible] نزلت الاية وعلى ذلك عامة اهل التفسير [illegible] وفيه دليل جواز القياس والله اعلم وقوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء [illegible] السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما [illegible] ان الله له ملك السموات والارض [illegible] يعذب من يشاء [illegible] وفيه نقض على المعتزلة لانهم يقولون الصغيرة مغفورة ليس له ان يعذب عليها والكبيرة [illegible] صاحبها في النار ليس له ان يعفو عنها [illegible] يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء [illegible] وقوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر [illegible] ذلك ولكن ان لا يحمل على نفسه بكفرهم [illegible] فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات [illegible] لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر [illegible] صنيع هؤلاء الكفرة [illegible]

١١

من ضل اذا اهتديتم وفى قوله تعالى يا ايها الرسول دلالة تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء والرسل لان الله
تعالى فى جميع ما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال يا ايها الرسول ويا ايها النبى ولم يخاطب باسمه وساير الانبيا
عليهم الصلوة والسلام انما خاطبهم باسمائهم يا موسى ويا ابراهيم ويا نوح وجميع من خاطب منهم او ذكر انما ذكر باسمائهم
وقوله عز وجل من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قال قالوا امنا بافواههم ولم يقل امنوا بافواههم ليعلم
ان القول به ليس هو من شرط الايمان انما الايمان هو تصديق القلب لكن يعبر به اللسان عن قلبه الا ترى انه قال ولم تؤمن
قلوبهم والايمان هو التصديق فى اللغة لان ضده التكذيب فيجب ان يكون ضد التكذيب التصديق يكون بالقلب حيث
قال عز وجل ولم تؤمن قلوبهم لكن اللسان يعبر عن ضميره فهو ترجمان القلب فيما بين الخلق فهذا يدل ايضا على ان الايمان
ليس هو المعرفة لان الايمان لو كان معرفة لكان يجب ان يكون ضده جهلا فلما كان ضد الايمان تكذيبا وجب ان يكون ضد
التكذيب التصديق والتصديق والايمان فى اللغة سواء ولان المعرفة قد تقع فى القلب على غير الاكتساب فعل ربنا والتصديق
لا يكون الا باكتساب ترك مضادته وهو التكذيب لذلك قلنا ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه تصديق ثم اختلف فى
هؤلاء قال بعضهم هم المنافقون الذين كانوا يظهرون الايمان باللسان وقلوبهم كافرة وقال الاخرون هم اليهود والمنافقون
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه ومن الذين هادوا سماعون للكذب هذا
يدل ان قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم فى المنافقين وقوله عز وجل سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك يحتمل سماعون الى النبى صلى الله عليه وسلم خبره سماعون لقوم اخرين لم ياتوك خبره للكذب ومعناه والله
اعلم انهم كانوا يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما يقول لهم ثم ياتون الذين لم يؤتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيخبرونهم خلاف خبره وغير ما سمعوا منه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان فى التوراة كذا من الاحكام
والشرايع فاذا سمع هؤلاء منه ذلك ولوا وقالوا لاولئك الذين لم ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون انه كاذب وليس فى
التوراة ما يقول هو ونحو ذا وقيل انهم كانوا طلايع الكفرة وعيونا لهم فاذا اتى لهم خبر يخبرون صنعة اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلاف ما اتاهم نحو قولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخشونهم لئلا يغزوهم والله اعلم
وقوله عز وجل ويحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل التحريف وجهين يحتمل تبديل الكتابة من الاصل كقوله تعالى فويل
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويحتمل تغيير المعنى فى العبادة على غير تبديل الكتاب يعيبون
على السفلة والذين لا يعرفون غير ما فهموا منه وقوله عز وجل يقولون ان اوتيتم هذا يعنون بهذا ما حرفوه وغيروه و
فخذوه وان لم تؤتوا فاحذروا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال نزلت الاية فى رجل وامراة من اليهود وذنبا وكان حكم الله
فى التوراة فى الزنا الرجم وكانوا يرجمون الوضيع منهم اذا زنى ولا يرجمون الشريف وكانا فى شرف وموضع وكانا قد احصنا
فكرهت اليهود رجمهما فى كتابهم الرجم وكانوا ارادوا ان يرفع الرجم من بينهم وان يكون حدهم الجلد فذلك قوله تعالى
ان اوتيتم هذا يعنون الجلد فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فكتبوا بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا عن ذلك
فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما وهل تجد فيهما الرجم فيما انزل الله تعالى عليك فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضائى فى ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم وقال له ان ابوا ان ياخذوا
فسالهم عن رجل منهم يقال له ابن صوريا وصف له فاجعله بينك وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اجد فيما
انزل الله على ان الزانية والزانى اذا احصنا وفجرا فان عليهما الرجم فتنغصوا عن ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتعرفون رجلا شابا صفته كذا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى على ظهر الارض
بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم ابن صوريا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا
قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اجعلوه بينى وبينكم قالوا نعم رضينا به اذا رضيت قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانى انشدك بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التورية على موسى هل تجدون فى كتابكم الذى اتاكم به
موسى فى التوراة الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى ولولا خشية ان تحرقنى التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت
لك ففى هذا وجوه من الدلايل احدها ان سالهم عما كتموا من الاحكام والحقوق التى بينهم وبين الله تعالى ليظهر خيانتهم وكذبهم فيما
كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله وفيه اثبات رسالته والثانى انهم طلبوا منه
الرخصة والتخفيف فى الحدا نهم على فوائد رسوله لكنهم كابروا فى الانكار بعد ما عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وفيه دليل
جواز شهادة بعضهم على بعض لانه قبل شهادة ابن صوريا عليهم حيث شهد بالرجم وقال بعضهم قوله ويحرفون الكلم من بعد مواضعه
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه الاية انها نزلت فى قتيل نزلت فى قتيل قتل عمدا بين قبيلتين بنى قريظة والنضير وكان القتيل من بنى
قريظة وكانوا يغضبون اذا قتلوا من بنى قريظة لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية قتل بنو قريظة ومن بنى النضير لم يرضوا الا

بالقود ويقرؤن

بالقود يتحرزون عليهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فارادوا ان يرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم
بينهم فقال رجل من المنافقين ان قتيلكم قتل عمدا وانا اخشى عليكم القود فان كان محمد يقول الدية فخذوه وقيل منكم فاعملوه والا تكونوا على
حذر فاخبر عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام بما قالوا فقال يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه يعنى الدية وان لم تؤتوه فاحذروا والله
ندرى فيم كانت القصة وفيه من الدلائل ما ذكرنا من اثبات الرسالة والنبوة والله اعلم وقوله عز وجل ومن يرد الله فتنته قيل من
يرد الله عذابه واهلاكه فلن يملك احد دفع ذلك العذاب عنه وقيل الفتنة المحنة اى من يرد الله ان يمتحنه بالرجم والقتل فلن يملك له
احد دفع ذلك عنه وقوله عز وجل اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال المعتزلة لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال
يحتمل وجهين يحتمل ان لم يرد الله ان يطهر قلوبهم والثانى لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بالشرك والكفر وذلك بعيد لا يكيف
يطهر بالكفر فيجب ان يكون الوجه عندنا ان فى قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
علم منهم انهم يختارون ما اختاروا ويريدون ما ارادوا فاذا اراد ما كان علم منهم انهم يريدون ما ارادوا وما اختاروا ما كان علم
منهم انهم يريدون ويختارون وكذلك قوله تعالى ومن يرد الله فتنته يخرج على ما يريدون ويختارون ما اختاروا وما ارادوا
هو ويختارون وظاهر الاية على المعتزلة لانه قال لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وذلك ظاهر الخلاف وبالله العصمة وقوله عز وجل لهم
فى الدنيا خزى الخزى فى الدنيا القتل والعذاب والخزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وقوله عز وجل سماعون للكذب يحتمل وجهين
يحتمل سماعون اى يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرفوا كيف يكذبون عليه ويحتمل سماعون للكذب قابلون لما الق
اليهم من الكذب كانوا يقبلون ما القى اليهم من الكذب والله اعلم وقوله عز وجل اكالون للسحت قال بعضهم كل حرام هو سحت فان
كان السحت اسم كل حرام فذلك يعم كل حرام وجميع الكفرة او اكثرهم وقال الاخرون السحت هو الرشوة فى الحكم فان كان السحت
هذا فذلك يرجع الى رؤسائهم الذين يحكمون فيما بينهم ويأخذون على ذلك رشوة وقوله عز وجل فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم اختلف فيه قال بعضهم هو على التخيير اذا رفعوا الى الامام ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض ولم يحكم تركه و
منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم اذا جاؤا ونهاه ان يتبع اهواءهم وفى ترك الحكم بينهم
اتباع هواهم وقال وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم اذا جاؤا ونهى ان يتبع اهواءهم واحذرهم قال لا
منسوخ بهذه الاية وامكن الجمع بينهم وهو ان قوله تعالى فاحكم بينهم او اعرض عنهم فى قوم من اهل الحرب دخلوا دار الاسلام بامان
فرفعوا الى الامام امرهم فالامام بالخيار ان شاء ردهم الى مامنهم ونقض عليهم امانهم ولم يحكم بينهم وان شاء تركهم وحكم بينهم
فذلك معنى التخيير والله اعلم واما قوله فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم فذلك فى اهل الذمة الراضين بحكمنا
اذا رفعوا الى الحاكم يجب ان يحكم بينهم ولا يرد عليهم ما طلبوا منه من اجراء الحكم عليهم لانهم بذلوا لنا شيئا ما اعطيناهم من العهود و
المواثيق وهم قد رضوا بحكمنا الذلك لزم الحكم بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا يحتمل هذا وجهين يحتمل
ان يقع الاعراض عنهم موقع الجفاء ويعدون ذلك جفاء فامنه عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام عن ان يلحقه ضرر منهم ويحتمل قوله
فلن يضروك شيئا اى ليس عليك ضرر ما هم فيه فانما ضرر ذلك عليهم وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى ما عليك
من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء الاية وقوله عز وجل وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل كقوله تعالى كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله وكقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل الاية ان الله يحب المقسطين اى العادلين فى الحكم وقوله عز وجل
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله يعجب نبيه صلى الله عليه وسلم شرة سفههم وتعنتهم بتركهم الحكم بالذى صدقوا وطلب
الحكم بما كذبوا لانهم صدقوا التوراة وما فيها من الحكم وكذبوا ما انزل على محمد عليه افضل الصلوات يقول والله اعلم انهم اذا لم يعملوا بالذى
صدقوا كيف يعملون بالذى كذبوا وذلك تعجيب منه اياه شرة السفه والتعنت وقوله عز وجل فيها حكم الله اى حكم الله الذى تشاجروا
فيه وتشاجروا رجما كان او قصاصا او ما كان والله اعلم وقوله عز وجل ثم يتولون من بعد ذلك يحتمل وجهين يحتمل يتولون بعد ما
تحكم بينهم بما حكمت ويحتمل يتولون من بعد ما عرفوا من الحكم عليهم بما فى التوراة وقوله عز وجل فلا تخشوا الناس فيما يحكم عليهم
واخشون امن رسوله صلى الله عليه وسلم شرهم ونكبتهم وامران يخشوه بكفيه شرهم واذاهم ثم اختلف فى الاحبار والربانيون قال بعضهم
الربانيون علماء اليهود والاحبار علماء النصارى وهما واحد سموا باسمين مختلفين وقيل قوله فلا تخشوا الناس واخشون انما خاطبهم
علماءهم اى لا تخشون ان تخبروهم بالحكم الذى فى التوراة واخشون ولا تشتروا بايات الله ثمنا قليلا لم خرج الخطاب بهذا على التاويل
الثانى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هكذا من جحد والحكم بما انزل الله ولم يرجعا فهو كافر كما ذكر فى القصة ان الاية نزلت فى
قتيل كان بين بنى قريظة وبنى النضير ان بنى النضير اذا قتلوا من بنى قريظة لم يرضوا الا بالقود والاخرى اذا قتلت احدا منهم كانوا لم يعطوهم
القود ولكن يعطوهم الدية فنزل وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس الاية وقوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين
بالعين الى اخره اخبر الله عز وجل انه كان كتب على اهل التوراة النفس بالنفس وقد كتب علينا ايضا قتل النفس بالنفس بقوله تعالى كتب
عليكم القصاص فى القتلى كانه قال كتب عليهم القصاص فى النفس بالنفس كما كتبت عليهم واما القصاص فيما دون النفس فانه لم

بين في الاية التي اخبر عز وجل انه كتب عليهم القصاص في النفس ثم يحتمل ان يكون قوله والعين بالعين والانف بالانف الى اخر ما ذكر وجهين يحتمل ان يكون اخبارا انما كان مكتوبا عليهم من القصاص فيما دون النفس كالنفس الا ترى انه قرئ في بعض القراءات بالنصب نسقا على الاول ويحتمل على الابتداء على غير اخبار منه ولكن على الايجاب ابتداء والذي يدل على ذلك قوله فمن تصدق به فهو كفارة له لا يحتمل ان يكون هذا في الخبر لان ذلك ترغيب في العفو في الحادث من الوقت ولانه ليس على الاخبار ولكن على الابتداء الا ترى اكثر القراء قرؤوا بالرفع غير قوله النفس بالنفس فانه بالنصب ثم ذكر العين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن ولم يذكر اليد والرجل وذلك يحتمل وجهين احدهما يحتمل ان يكون القصاص في اليد ظاهرا فيستدل بوجوبه فيما هو اخفى على وجوبه فيما هو اظهر منه لان المنافع بالبصر والانف والسمع ليس الا لصاحبه وقد يجوز ان ينتفع غيره بيد اخر وبرجله والثاني ان يكون وجوب القصاص في اليد في قوله والجروح قصاص ثم تخصيص الاسنان بوجوب القصاص دون غيرها من العظام لان الاسنان بادية ظاهرة يقع عليها البصر فيقدر على الاقتصاص واما غيرها من العظام مما لا يقع عليها البصر ولا يقدر على الاقتصاص الا بعد كسر اخر وقطع لحم لذلك خص الاسنان بالاقتصاص دون ساير العظام والله اعلم ثم وجوب القصاص في العفو الذي لا منفعة فيه سوى البهاء بذهاب البهاء لانه ذكر الانف والاذن وليس في الانف والاذن الا ذهاب البهاء فاوجب في ذهاب البهاء القصاص كما اوجب في ذهاب المنفعة وعلى هذا يخرج قولنا وجوب الدية في ذهاب البهاء على الكمال كوجوبها في ذهاب المنفعة على الكمال على اهل العلم بجموعه ان القصاص واجب بين الرجال الاحرار في العين والانف والاذن والسن والجروح التي ليس فيها كسر عظم اذا جنى على شيء من ذلك عمدا بحديد واما القصاص بين الرجال والنساء والعبيد والاحرار فيما دون النفس فاهل العلم اختلفوا فيه وكان اصحابنا رحمهم الله تعالى لا يرون القصاص بينهم في ذلك ويرون القصاص في الانفس فاهل العلم اختلفوا فيه ويفرقون بينها والفرق بينهما ان جماعة لو قتلوا رجلا قتلوا به ولو قطع جماعة يد رجل لم تقطع ايديهم والتفاضل في النفس غير معتبر به وبينه فيما دون النفس وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم ذكرا كافيا وقوله عز وجل فمن تصدق فهو كفارة له اختلف فيه قال بعضهم هو صاحب الدم كفارة لما كان ارتكب هو وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق بدم فما دونه كان له كفارة من يوم ولد الى يوم تصدق وقال بعضهم قوله فمن تصدق به فهو كفارة له يعني كفارة للقاتل اذا عفى الولي وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد هو كفارة للجارح واجر المتصدق على الله والاول كانه اقرب واشبه والله اعلم وقوله عز وجل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون هذا اذا ترك الحكم بما انزل الله جحودا منه فهو ما ذكر كافر وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم قوله تعالى وقفينا اي اتبعنا على آثارهم وهو من التقفية وقوله آثارهم يحتمل وجهين يحتمل على آثار الرسل ويحتمل على آثار الذين انزل فيهم التوراة وقوله عز وجل وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور من الضلالة لمن تمسك به ونور لمن عمل استنارة ومصدقا لما بين يديه من التوراة فهذا يدل ان الكتب كانت مصدقة بعضها بعضا على تباعد اوقات النزول جل الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل وموعظة للمتقين يحتمل موعظة للمتقين لان المؤمن هو الذي يتعظ به واما غير المؤمن فلا يتعظ به ويحتمل قوله وموعظة للمتقين الذين اتقوا المعاصي كلها وفي قوله فمن تصدق به فهو كفارة له وكذلك قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان القصاص للعباد خاصة حيث رغبه في العفو عنه والترك له ليس كالحدود التي هي لله تعالى لانه لم يذكر في الحدود العفو ولا التصدق به وذكر في القصاص والجراحات دل ان ذلك للعبد له تركه وساير الحدود لله ليس لاحد ابطاله والله اعلم وقوله عز وجل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ذكر في موضع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي موضع الظالمون وفي موضع الفاسقون فامكن ان يكون كله واحدا ان من لم يحكم بما انزل الله جحودا منه له واستخفافا فهو كافر ظالم فاسق ويحتمل ان يكون ما ذكر من الكفر بترك الحكم بما انزل الله اذا ترك الحكم به جحودا منه وانكارا وما ذكر من الظلم والفسق ذلك في المسلمين لانه قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف الى اخر ما ذكر ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون تركوا الحكم بما انزل الله اتباعا لهوائهم لا جحودا فقد ظلموا انفسهم لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والفسق هو الخروج عن الامر كقوله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج ثم يجيء ان يكون هذا في حال الجهل به والعلم سواء لانه اذا لم يحكم بما انزل الله فقد وضع الشيء في غير موضعه وخرج عن امره لكن هذا في القول يقبح ان يقال هو ظالم فاسق وهو ما يفعل انما يفعل عن جهل به يجوز ان يقال فعله فعل ظلم وفسق واما في القول فهو قبيح لما ذكرنا وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من الاحكام اي حكم كان فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق قوله بالحق قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه قد ذكرناه ايضا وقوله عز وجل ومهيمنا عليه عن ابن عباس رضي الله عنه قال مؤتمنا عليه والكتاب المهيمن الشهيد وقيل الرقيب على الشيء قال هيمن فلان على هذا الامر فهو مهيمن اذا كان كالحافظ له والرقيب عليه وعن الحسن قال امينا عليه مصدقا بهذه الكتب وامينا عليها والقتبي قال امينا عليه وابو عوسجة قال مسلطا عليه وقيل مفسرا بتفسير التفسير وقال ابو بكر الكيساني في قوله مهيمنا هي كلمة ماخوذة من كتبهم غير معربة ماخوذة من لسان العرب وفيه اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم وتاويله هو شاهد وحافظ على غيره من الكتب ومصدقا لها من عند الله نزلت سوى ما غيروا فيها وحرفوا فيميز المغير منها والحرف من غير المغير

والحرف

والحرف قال ابن عباس رضي الله عنه ومهيمنا عليه القران شاهد على الكتب كلها وقوله عز وجل فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق يحتمل قوله فاحكم بينهم بما انزل الله من الرجم في الزاني الشيب على ما ذكر في بعض القصة انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني والزانية منهم فطلبوا منه الجلد وكان في كتابهم الرجم ولا تتبع اهواءهم قولهم ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ويحتمل ان يقال فاحكم بينهم بما انزل الله من القتل لانه ذكر في بعض القصة ان بني قريظة كانوا يرون لانفسهم فضيلة على بني النضير وكانوا اذا قتلوا منهم احدا لم يعطوهم القود ويعطونهم الدية واذا قتلوا منهم احدا اخذوا منهم القود فانزل الله تعالى فاحكم بما انزل وهو القتل ولا تتبع اهواءهم في تركهم القود واعطاءهم الدية والله اعلم بالقصة انه كيف كانت وليس بنا الى معرفة القصة وما بينها حاجة بعد ان نعرف ما اودع فيها من الحكم وقوله عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الاية فان قيل كيف نهاه عن اتباع اهوائهم وقد اخبر عز وجل انه جعل لكل شرعة ومنهاجا وقد يجوز ان يكون ما هم عليه شريعة لهم قيل يحتمل النهي عن اتباع اهوائهم لما يجئ ان يعود الحكم بشريعة قد نسخ الحكم بها لما اعتاد والعمل بها فالعمل بالمعتاد من الحكم ايسر فهو ذا ذلك وكان ما نسخ الحكم فهو هو ده ذلك فنهاه عن اتباع هواهم لان العمل بالمنسوخ والعمل بالمنسوخ حرام وان كان هو وفي بعض على غيره ما شرع وفي بعض ما شرع فلما نهي عن اتباع هواهم بالمنسوخ والله اعلم وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وليس في شريعة بشريعة خروج عن الحكمة من عرف الشيخ بيان منتهى الحكم في الوقت ليس بل ماقت العود من البدو والرجوع عما كان وقد ذكر الوجه في ذلك فيما تقدم ما فيه مقنع بحمد الله تعالى ومنه وقوله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنه الشرعة هي السبيل وهي الشريعة وجمعها شرائع وبها سميت شرائع الاسلام وكل شيء شرعت فيه فهو شريعة وقال المنهاج السنة الشريعة هي السبيل وقيل الشريعة السنة والمنهاج السبيل يعني الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك فيه الا المعاند والمكابر فانه ينزل السلوك فيه مكابرة يخبر عز وجل والله اعلم انه لم يترك الناس حيارى لم يبين لهم الطريق الواضح يسلكونه فيه بل بين لهم ما يتضح لهم ان لم يعاندوا لينقطع لهم العذر والحجاج وان لم يكن حجاج وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اختلف فيه قيل لو شاء الله لجعلكم جميعا على شريعة واحدة لا تنسخ بشريعة اخرى لكن نسخ بشريعة اخرى لفضل امتحان ولله ان يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما شاء وقيل لو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على دين واحد وهو دين الاسلام لم يجعل كفارا ولا مشركا ولكن امتحنكم باديان مختلفة على ما تختارون وتؤثرون ثم اختلف في المشية قال المعتزلة هي مشية الجبر والقسر وقال اصحابنا المشية مشية الاختيار وقد ذكرناها في غير موضع وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات قيل سابقوا ايتها الامة الامم كلها بالخيرات ويحتمل قوله تعالى فاستبقوا الخيرات الى ما به تستوجبون المغفرة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم واصل قوله فاستبقوا الخيرات اي اعملوا الخيرات كقوله اعملوا صالحا الاية وقوله عز وجل وان احكم بما انزل ولا تتبع اهواءهم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع اهواءهم على العلم انه لا يتبع اهواءهم والوجه فيه ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي بل تزيد وقد ذكرنا فيما تقدم ويحتمل ان يرجع النهي الى غيره ويراد بالنهي والامر غير المخاطب به على ما ذكرنا من عادة الملوك انهم انما خاطبوا من هو اجل عندهم واعظم اخواهم فيما طلبوا منك من الجلد مكان الرجم والدية مكان القصاص لما راى بنو النضير لانفسهم من الفضل عن بني قريظة والله اعلم وقوله عز وجل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قوله ان يفتنوك اي يصدوك عن الحكم ببعض ما انزل الله اليك والفتنة هي المحنة وهي تتوجه الى وجوه وقد ذكرنا الوجوه فيه فيما تقدم وقوله عز وجل فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قوله فان تولوا فان اعرضوا عن الحكم الذي تحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اختلف فيه قال بعضهم انما يعذبهم الله ببعض ذنوبهم لا يعذبهم بجميع ذنوبهم وقال اخرون عذاب الدنيا عذاب ببعض الذنوب ليس هو عذاب بكل الذنوب لانه لا يدوم وانما في الاخرة فانهم يعذبون بجميع ذنوبهم لان عذاب الاخرة دايم فهو عذاب بجميع الذنوب وعذاب الدنيا زايل فهو عذاب ببعض الذنوب والله اعلم وقوله عز وجل افحكم الجاهلية يبغون قال بعضهم ان هذا صلة قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فقال الله عز وجل افحكم الجاهلية يبغون وقال اخرون روي عن ابن عباس رضي الله عنه يقول افحكم في الجاهلية يبغون عندك يا محمد في القران يعني بني النضير وقوله عز وجل ومن احسن من الله حكما اي لا احد احسن من الله حكما على اقرارهم ان الله انما حكم لا يحكم الا بالعدل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله تعالى لا تتخذوهم اولياء وجوها يحتمل لا تتخذوا اولياء في الدين اي لا تدينوا بدينهم فانكم اذا دنتم بدينهم صرتم اولياءهم ويحتمل لا تتخذوهم اولياء في النصر والمعونة لانهم اذا اتخذتموهم اولياء في النصر والمعونة صاروا امثالهم لانهم اذا نصروا الكفار على المسلمين واعانوهم فقد كفروا وهو كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية نهاهم ان يتخذوا اولئك موضع سرهم وخفياتهم فعلى ذلك الاول والله اعلم والثالث لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء في المكسب والدنيا فانهم اذا فعلوا ذلك لا يأمنون ميلا اليهم ويصدوا عن رايهم في شيء من ذلك مما ينفعهم ويخرج شهادتهم فهذا النهي يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وفي الاية دلالة ان الكفر كله ملة واحدة وان اختلفت مذاهبهم فالواجب ان يرث بعضهم بعضا كقوله تعالى بعضهم اولياء بعض كما ان اهل

الاسلام يرث بعضهم بعضا وان اختلفت مذاهبهم الا ترى انه قال المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الاية و
ليس بذلك بداخل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين لما عليه الاية انهم كلهم ملة واحدة ولكن احدا منهم
لا يرث المسلم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين فالاسلام ملة ملة حق والكفر ملة ملة باطل ولانهم
لا يورثونا وما روي لا نرث اهل الكتاب ولا يورثونا الا ان يرث الرجل عبده او امته ليس بميراث انما هو ماله كان يملكه قبل
موته فعلى ذلك بعد موته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم **وقوله** عز وجل ومن يتولهم
منكم فانه منهم الوجوه التي ذكرنا الولاية في الدين والولاية في النصر والمعونة فانهم اذا فعلوا ذلك صاروا منهم في حكم الدنيا
والاخرة او الولاية في المكسب والدنيا فيصيرون منهم في حكم الدنيا والله اعلم فان قيل اليس يرث المسلم المرتد وقد قال ومن
يتولهم منكم فانه منهم اخبر ان من تولاهم من المسلمين صار منهم ونحن لا نرث اليهود والنصارى كيف ورث من صار من المسلمين
قيل معنى قوله فانه منهم في الدين والكفر لا في الحكم والحقوق لان المرتد الى النصرانية ليس بمتروك على دينه فلم يكن من اهل تلك
الملة وانما الملة ما يقاد عليها اهلها الا ترى ان المرتد لا يرث النصراني وان كانوا اقرباءه فلو كانت النصرانية له ملة ورث
اهلها لانا نعلم ان النصارى يرث بعضهم بعضا فلما لم يرثوه دل ذلك على انه ليس من ملتهم وان حكمه في الميراث حكم الملة
التي يجبر على الرجوع اليها وعلى ذلك جاءت الاثار عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين روي عن علي رضي الله عنه انه اتى
برجل ارتد عن الاسلام فعرض عليه الاسلام فابى فضرب عنقه وجعل ميراثه لورثته المسلمين وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه كذلك وروي عن زيد بن ثابت مثله **وقوله** عز وجل ان الله لا يهدي القوم الظالمين قد ذكرناه فيما تقدم **وقوله** عز وجل
فترى الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون كقوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض الى قوله ولتعرفنهم في لحن القول
وهو وصف المنافقين يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين في ظاهر الامر وفي
السر يميلون الى الكفرة لانهم كانوا اهل ريب وشك ولا يدرون لمن يميلون الى من رأوا المنعة معهم والامن وكانوا على شك من امر محمد
صلى الله عليه وسلم وريب يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة اي لعل محمدا لا ينصر ولا يتم امره فاسروا في انفسهم الكفر والغش
للاسلام واهله ويظهرون الموافقة للمؤمنين لما كانوا يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدهم النصر والظفر ولم يكونوا يتيقنون به
ذلك لا يتحقق عندهم وكانوا كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الاية وكانوا ينتظرون
النصر والظفر فيميلون الى حيث كان النصر والظفر فيقولون للمؤمنين ان كان الظفر لهم الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
فيقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين **وقوله** عز وجل فعسى الله ان يأتي بالفتح في النصر بمحمد صلى الله
عليه وسلم والظفر له على اعدائه وفتح البلدان والامصار واظهار دينه دين الاسلام على الاديان كلها
شهرين وعلى ما فتح له البلدان كلها **وقوله** عز وجل او امر من عنده قيل عذابا لهم وهلاكهم في الدنيا فيصبحوا
على ما اسروا في انفسهم نادمين عند العذاب والهلاك او يندمون في الاخرة لما اصابهم من العذاب ما اسروا في انفسهم في
الدنيا من المودة لهم والعداوة للمؤمنين والله اعلم وفي قوله يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دلالة اثبات رسالة محمد لانه
يحتمل ان يقولوا نخشى ان تصيبنا دائرة من حيث سمع اهل الاسلام ذلك منهم دل ذلك انه انما عرف ذلك بالله وكذلك ما اخبر
من الوعد بالنصر والظفر ثم كان على ما اخبر ووعد دل انه خبر عن الله تعالى **وقوله** عز وجل ويقول الذين امنوا بعضهم لبعض
لما ظهر نفاق اهل النفاق قتلوا وافتضحوا كقوله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قال المؤمنون عند ذلك
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وقد كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويحلفون بالله على ذلك ويضمرون الخلاف
لهم والعداوة والمودة للكفرة كقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ويحلفون لكم لترضوا عنهم ونحو ذلك فذلك معنى قوله
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم والله اعلم **وقوله** عز وجل حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اي حبطت اعمالهم نفعهم
التي عملوها قبل اسرار ما اسروا في انفسهم اذا اسروا في ذلك فاصبحوا اي صاروا خاسرين بعد الافتضاح حيث ذهب منافع
التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم ويحتمل قوله تعالى حبطت اعمالهم التي عملوا لظاهر مراءاة للناس **وقوله** عز وجل يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه ان قوله تعالى من يرتد وان كان حرف توحيد وتفريد فان المراد منه الجماعة الا ترى انه قال فسوف
يأتي الله بقوم دل هذا على ان المراد منه الجماعة والعصابة ولان الواحد والاثنين اذا ارتد عن الاسلام يؤخذ ويحبس ويقتل
ان ابى الاسلام والجماعة اذا ارتدوا عن الاسلام احتيج الى نصب الحرب والقتال على ما نصب مع اهل الردة وفي الاية دلالة امامة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان العرب لما ارتدت عن الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم وكان هو ومن قام
بحربهم ممن احب الله واحبه الله وعن الحسن رضي الله عنه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هو قال والله ابو بكر واصحابه
رضي الله عنهم اجمعين وقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه لانه كان الداعي الى حرب اهل الردة فان قيل يجوز ان يكون

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعاهم قيل له قال الله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فحال ان يدعوهم فيطيعوا
وقد قال الله انهم لن يخرجوا معه ابدا فان قيل قد يجوز ان يكون عمر رضي الله عنه هو الذي دعاهم قيل لهم فان كان فامامة عمر
رضي الله عنه ثابتة بدليل الاية واذا صحت امامته صحت امامة ابي بكر رضي الله عنهما لانه المختار له والمستخلف فان قيل
قد يجوز ان يكون علي رضي الله عنه هو الذي دعاهم الى محاربة من حارب قيل له قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وهذه
صفة من يحارب من مشركي العرب الذين لا يقبل منهم الجزية وعلي رضي الله عنه انما حارب اهل البغي وهم مسلمون ولم يحارب احد
بعد النبي اهل الردة غير ابي بكر رضي الله عنه فكانت الاية دليلا على صحة امامته **وقوله** عز وجل فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه فسوف كقوله عسى ولعسى واجب اخبر عز وجل انه يأتي بقوم يحبهم لبذلهم انفسهم في مجاهدة اعداء الله وتركهم
في الله لومة لائم ذلك لحبهم الله لانه لا احد يبذل نفسه للهلاك وترك لومة لائم الا لمن يحب الله واحبهم الله لما اثنى عليهم
بقوله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وحبهم لله لما بذلوا انفسهم في مجاهدة اعدائه وتركهم لومة لائم وفيه دلالة
اثبات امامة ابي بكر رضي الله عنه لانه عز وجل اثنى عليهم بحبهم وجهدهم في سبيل الله وجهادهم اعداءه فلو كان غاصبا ذلك على علي
رضي الله عنه او كان غير محق لذلك لم يكن الله ليثني عليه بذلك لانه كان اخذ ما ليس له اخذه ومضيعا حقا لغيره ومن كان
هذا سبيله لم يكن يستوجب كل هذا الثناء من الله تعالى فهذا ينقض على الروافض قولهم وما روي من كنت مولاه فعلي مولاه
وغيره من الاخبار ذلك في الوقت الذي طلب علي رضي الله عنه الخلافة وحارب عليها لانه لا يحتمل ان يعلم ان له الخلافة في
زمن ابي بكر رضي الله عنه ويرى الحق لنفسه ثم يترك طلبها لانه كان مضيعا حق الله عليه في سكوته وترك طلبه على ان الحق ليس له
ولكن كان لابي بكر رضي الله عنه والله اعلم **وقوله** عز وجل اذلة على المؤمنين اي ذو رحمة ورأفة للمؤمنين اعزة
على الكافرين اي شداد شديدين على الكافرين وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية بذلك وصفهم عز وجل
وقوله عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اختلف فيه قال بعضهم ذلك الجهاد في سبيل الله اي في طاعة الله فضل الله
يؤتيه من يشاء وقيل ذلك الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم قد ذكرناه في غير موضع **وقوله** عز وجل انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية قال بعض اهل التأويل قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا هو صلة قوله يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وكذلك قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء هو صلة ما تقدم ذكره نهى المؤمنين ان يتخذوا الذين اوتوا الكتاب والذين لم يؤتوا
الكتاب اولياء في غير اي من القران واخبر ان الله ورسوله هو ولي الذين امنوا والمؤمنون ايضا بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فاذا كان الله عز وجل ورسوله والذين امنوا اولياء لهم انهم لا ينبغي ان يتخذوا الكفار اولياء وذكر في
بعض القصة ان عبد الله بن سلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اظهروا لنا العداوة من اجل اسلامنا وحلفوا ان لا يكلمونا ولا
يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم وانا لا نجد متحدثا دون هذا المسجد فنزلت الاية فقالوا قد رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم
اختلف في نزوله قال بعضهم نزلت في شأن علي رضي الله عنه تصدق بخاتمه وهو راكع ويقولون خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا
هو بمسكين قد دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل اعطاك احد شيئا قال نعم يا رسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال خاتم
فضة قال من اعطاك قال ذلك الرجل القائم يعني عليا قال النبي صلى الله عليه وسلم على اي حال اعطاك قال اعطانيه وهو راكع فكبر النبي
صلى الله عليه وسلم ودعا له واثنى عليه فاحتج الروافض بهذه الاية على تفضيل علي بن ابي طالب على ابي بكر رضي الله عنهما واثبات الخلافة
له دون غيره ويقولون نزلت في شأنه رضي الله عنه لما روي عن ابي جعفر رضي الله عنه قال تصدق علي بن ابي طالب رضي الله عنه بخاتم
وهو راكع فنزل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون فقال لهم ان الاية نزلت في شأنه وليس فيها دلالة اثبات
الخلافة في زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه لانا قد ذكرنا في الاية الاولى ما يدل على اثبات الامامة له في الوقت الذي كان هو اماما ويحتمل
ان يجعل لعلي كرم الله وجهه الخلافة له في الوقت الذي لم يرد نفسه الخلافة لانه روي عنه انه قال ان ابا بكر هو خير الناس بعد رسول
صلى الله عليه وسلم او كلام نحو هذا وفي الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو وليتم ابا بكر لوجدتموه قويا في دينه ضعيفا في بدنه
وان وليتم عمر لوجدتموه قويا في دينه وبدنه وان وليتم عليا لوجدتموه هاديا مهديا مرشدا فنقول نحن على ما كان من علي وسائر الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين من تسليم الامر الى ابي بكر وتفويضهم اليه من غير منازعة ظهرت من علي كرم الله وجهه في ذلك فلو كان الحق له
في ذلك الوقت لظهرت منه المنازعة على ما ظهرت في الوقت الذي كان له فقالوا الان عليا رضي الله عنه لم يكن له انصار وفي الوقت
الذي ظهرت المنازعة منه والطلب كان له انصار قيل لا يحتمل ان يكون الحق له فيهما ثم لا يطلب لما لم يكن له انصار الا ترى ان ابا بكر
رضي الله عنه مع ضعفه في بدنه خرج وحده لحرب اهل الردة حتى لما رأوه خرج وحده حينئذ تبعوه فابو بكر لم يترك طلب الحق لعدم
الانصار مع ضعفه في بدنه فعلي رضي الله عنه مع شدته وقوته وفضل علمه بامر الحرب حتى لم يبارزه احد من الاعداء الا غلبه واهلكه
فكيف توهمتم فيه ترك طلب الحق لفقد الانصار له والاعوان في ذلك هذا العري لا يتوهم فاضعف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضلا ان يتوهم فى على رضى الله عنه فدل ترك طلب ذلك منه على انه تركه لما راى الحق له والله اعلم واحتجوا بما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبى بعدى وهرون كان خليفة موسى ما الكو قرابيضا ان عليا رضى الله عنه
كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لهذا جوابان احدهما ان قوله انت منى بمنزلة هرون من موسى يحتمل ان يكون فى الاخوة
التى كان اخاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس فى اثبات الاخوة اثبات الخلافة له والثانى ان كانت له الخلافة فى الوقت الذى
كان هو وليس فى الخبر جعل الخلافة له فى الاوقات كلها وهكذا جواب ما روى عنه من كنت مولاه فعلى مولاه والله اعلم ثم ان كان الحديث
الذى روى عن ابى جعفر رضى الله عنه صحيحا ففى الاية معنيان احدهما فضيلة على كرم الله وجهه وقد كان كثير الفضائل مستكملا
خصال الخير والاخر ان العمل اليسير فى الصلاة لا يفسدها وقد روى فى بعض الاخبار عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه خلع نعله
فى الصلوة وانه مس لحيته وانه اشار بيده وغير ذلك من العمل اليسير فعله فى صلاته فيقاس كل عمل يسير على ما دل عليه الخبر على جواز
الصلاة وفيه وجه اخر وهو ان الصدقة التطوع تسمى زكوة لان صدقة على رضى الله عنه بالخاتم لم تكن صدقة مفروضة بل كانت
تطوعا فسماها الله زكوة وان كانت تطوعا الا ترى انه قال فى اية اخرى وما اوتيتم من زكوة تريدون وجه الله فسماها زكوة وان
كانت تطوعا الا ترى انه قال فى اية اخرى وما اوتيتم من زكوة تريدون وجه الله فسماها زكوة وان كانت تطوعا كما سمى صلوة التطوع
والتطوع صلوة وصوم التطوع والفرض صياما فعلى ذلك هذا وظاهر الاية فى جملة المؤمنين ليس على رضى الله عنه اولى بها من غيره
فان كان فيه نزل فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ظاهر هذا
لو صرف الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه كان اقرب لانه كان هو الغالب على اهل الردة من اول ما وقع بينهم القتال وعلى رضى الله عنه
انما صار الامر له فى اخره حين حارب الخوارج والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
الى اخره يحتمل النهى عن اتخاذ اولئك اولياء وجوها يحتمل النهى بعد ما اتخذ والاولياء لا فى الدين ولكن فى بعض المكاسب ويحتمل ان يكون
النهى لما فتين ان لا يكونوا اعوانا اولئك على المؤمنين وقد ذكرناها هنا فيما تقدم والحزب هو العون والنصر فى اللغة قال الكيسانى تقول القوم
فلان حزبى اى ناصرى وعونى وقوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم غاية سفههم
بصنيعهم اذا نودى الى الصلوة لانه ذكر فى القصة انهم اذا سمعوا المنادى يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا حرق
الكاذب وقالوا والله ما نعلم اهل دين من هذه الاديان اقل خطا فى الدنيا والاخرة منهم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله
عنهم فدخلت خادمهم ليلة من الليالى بنار وهو نائم واهله نيام فسقطت شرارة فحرقت البيت واحترق هو واهله وقوله عز وجل
ذلك بانهم قوم لا يعقلون نفى عنهم العقل لما لم ينتفعوا بما عقلوا والا كانوا يعقلون وعلى ذلك يخرج قوله انا نعلم انهم كانوا يبصرون
ويسمعون لكن نفى عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان كمن ليس له ذلك فى الاصل والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان شدة
بغضهم وحسدهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تمنعهم عن فهم ما خوطبوا به ويحول بينهم وبين معرفة ذلك كانوا كمن ليس لهم ذلك
وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية قيل هل تنقمون منا تطعنون علينا وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل هل
تعيبون علينا وقال ابو عوسجة هل تنقمون منا اى تنكرون منا وهو يرجع الى واحد والنقم هو العيب والطعن والانتقام هو الانتصار
ومعناه هل منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل اى كيف تطعنون علينا وتعيبون وانتم ممن قد دعوتم الى الايمان بما انزل
فى الكتب وانتم ممن قراوتم الكتاب وفى كتابكم الايمان بالله والايمان بالكتب كلها فكيف تنكرون الايمان بذلك كله وتعيبون علينا
ولا تعيبون على انفسكم بفسقكم وخروجكم عن امر الله تعالى وعما امركم كتابكم ودعاكم اليه ونهاكم عما انتم فيه وما انزل الينا وهو القرآن
وهو يصدق ما قبله من الكتب وما انزل من قبل من الكتب المتقدمة من التوراة والزبور والانجيل وهى تصدق القرآن بعضها يصدق
بعضا فكيف تنكرون الايمان به وقوله عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ذكر هذا
والله اعلم على اثر قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وعلى اثر قوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا الاية وذلك
انهم كانوا يستهزءون بالمؤمنين ويضحكون منهم ويطعنون فى دينهم ويعيبون عليهم فقال على اثر ذلك قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك
اى مما المؤمنون عليه مثوبة عند الله قالوا من قال الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير الاية فمن كان هذا وصفه
فهو شر مما عليه المؤمنون وقد كان فيهم جميع ذلك مما غضب الله عليهم ولعنهم اى حول جوهرهم الى اقبح جواهر واوحشها وهى القردة و
الخنازير بسوء صنيعهم او يكون ذلك على اثر قول ما قالوا ماذكر فى بعض القصة والله ما نعلم من اهل دين اقل حظا فى الدنيا والاخرة من
هؤلاء يعنون المؤمنين لانهم كانوا يدعون ان الدنيا والاخرة لهم وليس لهؤلاء دنيا والاخرة فقال الله سبحانه وتعالى قل يا محمد هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اى ثوابا عند الله الاية فقالوا من هم قال من لعنه الله وغضب عليه والملعون هو المطرود عن
الخيرات وجعل من حول جوهره الى جوهر القرد والخنزير وهو اقبح جوهر فى الطبع والعقل واوحشه ومن عبد الطاغوت يعنى
الشيطان اولئك شر مكانا فى الدنيا لما حول جوهرهم الى اقبح جوهر فى الارض من الذين لم يحول جوهرهم الى ذلك لانهم يروا احسن
جوهره الى جوهر من ذكر وقد راوا اكثرهم واباهم قد حولوا من جوهرهم الى هذه الجواهر المستقبحة فى الطبع للذنب او يكون على

الاصرار على

الاصرار على اثر ما كان ونحن لم نعلم به نزول عند ذلك وعن الحسن قال نزل قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك الذين لعنهم الله والذين
غضب عليهم والذين عبدوا الطاغوت والذين جعل منهم القردة والخنازير منهم من جعله قردة ومنهم من ابقى على جوهره الذى كان اولئك
شر مكانا فى الدنيا والاخرة واضل عن سواء السبيل اى اخطا طريقا ودينا والله اعلم بالقصة وقوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به قيل ان الاية فى اليهود وقيل انها فى المنافقين وهى فى المنافقين اشبه ذكر انهم كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم و
يظهرون الموافقة له ويخبر انهم يجحدون نعته وصفته فى كتبهم ويضمرون الخلاف له فى السر وهزؤا به فقال عند ذلك وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به اخبر تعالى عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام انهم دخلوا بالكفر لانهم يقولون ذلك استهزاء وعلى ذلك خرجوا
ففيه دلالة اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما اسروا والحال انه انما علم ذلك بالذى يعلم الغيب مع علمهم انه
لا يعلم الا الله والله اعلم بما كانوا يكتمون ويضمرون من الكفر والهزؤ وقوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان و
اكلهم السحت الاية يحتمل ان يكون قوله وترى كثيرا منهم من ملوكهم وعوامهم يسارعون فى الاثم اى فى قول الكفر والعدوان هو المجاوزة
عن الحد الذى حد لهم ويسارعون ايضا فى اكلهم السحت والسحت قيل هو كل محرم وقيل هو الرشوة فى الحكم وعن على رضى الله عنه انه قال
الرشوة هى الكفر واما السحت هو ان يرفع حاجة اخيه الى السلطان فيأكل عنده وقد ذكرناها هنا فيما تقدم ثم قال على اثر ذلك لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون عاتب الله عز وجل الربانيين والاحبار عن تركهم نهى
اولئك عن صنيعهم واشركهم فى الاثم شرعا سواء ليعلم ان العامل بالاثم والمعصية والراضى به والتارك النهى عن ذلك سواء
وفيه دلالة ان تارك النهى عن المنكر يلحقه من الاثم ما يلحق الفاعل به والربانيون والاحبار قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل
وقالت اليهود يد الله مغلولة الاية قال الحسن قوله تعالى يد الله مغلولة اى محبوسة ممنوعة عن تعذيبنا لقولهم نحن ابناء الله و
احباؤه وقوله عز وجل غلت ايديهم فى الاخرة بالسلاسل الى اعناقهم وقوله عز وجل بل يداه مبسوطتان بالمغفرة و
التعذيب يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن عباس رضى الله عنه قولهم يد الله مغلولة يعنون بذلك انها ليست موثقة
مغلولة حقيقة اليد والغل ولكن وصفوه بالبخل وقالوا امسك ما عنده بخلا منه تعالى الله عن ذلك وقال اخرون ان الله تبارك
وتعالى قد كان بسط على اليهود الرزق فكانت من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله فى محمد عليه افضل الصلوات
وكفروا به وبدلوا نعمة الله كفرا بالنعمة كف الله تعالى عنهم بعض الذى كان بسط عليهم من السعة فى الرزق فعند ذلك قالوا
يد الله مغلولة لم يقولوا يده مغلولة الى عنقه ولكن ممسكة عنهم الرزق فلا تبسط كما كان يبسط وهو كقوله ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط نهى عن البخل فى الانفاق لا انه اراد حقيقة غل اليد الى عنقه فعلى ذلك قولهم
يد الله مغلولة كناية عن البخل وصف به لا حقيقة الغل ويد الله العظمة وتاويل قوله غلت ايديهم على هذا التاويل اى ايديهم
هى الممسكة عن الانفاق وهم الموصوفون بالبخل والشح بل يداه مبسوطتان اى نعمه مبسوطة يوسع على من يشاء ويقتر على
من يشاء وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه بل يداه بسطان قال الفراء يقال وجه مبسوطة ووجه بسط ثم لا يحتمل ان يفهم من اضافة
اليد الى الله ما يفهم من الخلق لما وجدنا اضافة اليد الى من لا يحتمل ان يكون له اليد من ذلك قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لا يفهم من القرآن اليد كما يفهم من الخلق فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من اضافة اليد الى الله تعالى كما يفهم من الخلق الا ترى
انه قال ذلك بما كسبت يداك وبما كسبت ايديكم لم يفهم منه اليد نفسه وكذلك قوله ذلك بما قدمت ايديكم لكن اضيف ذلك
الى اليد لما باليد يقدم ويعطى ويكسب الا ترى انه قال تعالى لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ومعلوم انه لم يفهم من اليد اليد
نفسه ولكن اضيف ذلك اليه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولعنوا بما قالوا قيل عذبوا بما قالوا يد الله مغلولة واللعن
هو الطرد كانه قال طردوا عن رحمة الله وايسوا عنها حتى لا ينالوها ابدا بقولهم الذى قالوا وقيل فيه اخبار انهم يموتون على ذلك ولا
يؤمنوا فماتوا على ذلك فذلك دليل رسالته عليه الصلوة والسلام والله اعلم وقوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك قيل فيه بوجهين قيل يريد ما انزل الله اليك من القرآن كثيرا منهم يعنى اليهود طغيانا وكفرا وقيل وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك من البيان عما كتموا من نعته وصفته التى كانت فى كتابهم وما حرفوا فيه وغيروه من الاحكام فذلك
ما زادهم طغيانا وكفرا قيل طغيانا اى تماديا بالمعصية وكفرا بالقرآن وقيل الطغيان هو العدوان وهو المجاوزة عن الحد
الذى حد فان قيل ما معنى اضافة زيادة الطغيان الى القرآن والقرآن لا يزيد طغيانا ولا كفرا قيل اضافة الافعال الى الاشياء
تكون لوجوه ثلاثة منها ما يضاف للاحوال ومنها ما يضاف لمكان ما به يكون الفعل وههنا اضيف ذلك الى القرآن لما كان فيهم من الطغيان
والكفر لما كان ما انزل اليهم بالكفر الذى كان فيهم وهو كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس انهن لا يضللن احدا فى الحقيقة و
لكن لما ضلوا بهن اضيف اليهن وكقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا والحيوة الدنيا لا تغر احدا ولكن لما لو كانت لهم احوال
لكان ما بعث من الزينة لغرت وقوله عز وجل والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اختلفوا فيه قال بعضهم
القينا بينهم بين اليهود والنصارى اى لا يحب اليهودى نصرانيا ولا النصرانى يهوديا وقال اخرون بينهم اى بين اليهود لا

اليهود لان اليهود على مذاهب مختلفة واهواء متشتتة منهم من يقول عزير ابن الله ومنهم من يذهب مذهب التشبيه ثم على
اهواء مختلفة فبينهم عداوة وبغضاء على ماذكر الاختلاف الواقع بينهم ثم معنى ما اضاف من القاء العداوة بينهم الى نفسه
لا يخلوا اما ان يكون له فى نفس العداوة وفعله او ان يكون فى سبب العداوة ولا يجوز ان يكون له فى فعل العداوة صنع لانه
فعلهم ولا فى سبب العداوة ايضا لان سببه الاختلاف والاختلاف فعلهم ايضا فاذا بطل ان يكون له فى واحد من هذين
صنع دل ان له ذلك من الوجه الآخر وهو ان خلق فعل العداوة وسبب العداوة منهم وبالله التوفيق والعصمة فان قيل ذكر
ههنا انه تعالى القى بينهم العداوة وذكر فى آية اخرى ان بعضهم اولياء بعض بقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم
اولياء بعض كيف يجمع بينهما قيل بعضهم اولياء بعض فى اصل الدين وهو الكفر وبينهم عداوة لاختلاف الاهواء والمذاهب والله
اعلم وفى الآية دلالة الامتنان على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما اخبر انه القى بينهم العداوة ولو كانوا على مذهب واحد
ولم يكن بينهم اختلاف وعداوة لكان ذلك عليه اشد وفى المقام بينهم اصعب لكن من عليه بالاختلاف فيما بينهم لما
جعل الاختلاف والتنازع سبب الفشل كقوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا الآية وقوله عز وجل كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفأها الله يحتمل وجهين يحتمل كلما ارادوا مكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا امرهم على قتله اطلع الله نبيه عليه
الصلوة والسلام على ذلك حتى لم يقدروا على مكروه والثانى كلما انتصبوا الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا
عليه فرق الله شملهم وجعلهم بحيث لا يجتمعون على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويسعون فى الارض فسادا يحتمل وجهين
ايضا يحتمل السعى بالفساد على حقيقة المشى على الاقدام وهو ما كانوا يسعون فى نصب الحرب مع المؤمنين والاتصال بغيرهم من
الكفرة والاستعانة بهم فذلك هو السعى فى الارض بالفساد والثانى ما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته و
حرفوا ما فى كتبهم من اعلام نبوته وآيات رسالته ودعوا الناس الى غيرها نزل فيه وذلك سعى فى الارض بالفساد وبالله
التوفيق وقوله عز وجل والله لا يحب المفسدين لانه لا يحب الفساد ولا يرضى به وقوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب آمنوا
واتقوا الكفر لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم عامل الله عز وجل خلقه معاملة اكرم الاكرمين حيث وعد لهم المغفرة
وتكفير ما ارتكبوا فى حال الكفر قولهم فى الله من القبيح الوحش لو آمنوا واتقوا الذى قالوا فى الله وهو كما قال الله ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم انه لما تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن جميع ما كان منه ويندم على ذلك ويتمنى ان يكون ما
كان منه فى تلك الحال من الشر خيرا فهو كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لانهم يندمون على تلك السيئات التى
كانت منهم ويتمنون ان يكون الذى كان منهم فى تلك الحال الخير لا الشر والله اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية و
الانجيل وما انزل اليهم من ربهم يحتمل هذا وجهين يحتمل ولو انهم عملوا بما فى التوراة والانجيل وبما انزل اليهم من القرآن لاكلوا
من كذا ويحتمل ولو انهم اقاموا التورية والانجيل على ما انزل ورجعوا عما حرفوا فيها وغيروه وكتموه من نعت نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وصفته وما فيها من الاحكام لكان لهم ما ذكر وهو والله اعلم وذلك انهم كانوا يخافون الضيق اذا اسلموا وهو والله
اعلم وذلك قوله ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فاخبر الله عز وجل انهم لو آمنوا واتقوا الشرك لوسع عليهم العيش
وقوله عز وجل لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ليس على حقيقة الاكل ولكن يخرج على المبالغة فى الوصف والذكر كما يقال
فلان من قرنه الى قدمه فى نعمة على حقيقة ما وصف ولكن على المبالغة فى الوصف بالسعة ويحتمل ان يكون على حقيقة
الاكل اما ما يخرج من تحت الارجل فهو ما يخرج من الارض من المأكول والمشروب ومن فوقهم من الثمار والفواكه يخرج من الاشجار
ويحتمل ما ذكر من فوقهم وهو الجبال ومن تحت ارجلهم الارض اخبار ان يكون نزل الجبل والسهل جميعا وقيل لاكلوا من فوقهم
اى ارسل الله عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم تخرج الارض بركتها وتنبت لهم الثمر وقال قتادة لاعطتهم الارض نباتها
والسماء بركتها والله اعلم وقوله عز وجل منهم امة مقتصدة قيل فيه بوجهين قيل امة مقتصدة من اسلم منهم وقيل منهم امة
مقتصدة على كتاب لم يحرفوه ولا غيروه ولا كتموا شيئا ولا سعوا فى الارض بالفساد على ما عمل اكثرهم من التحريف والتغيير
والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته هذا والله اعلم وذلك ان
اهل الكفر كانوا على طبقات ثلاث منهم من يقول لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه ومنهم من كان يخوفه ويمكر به ليقتلوه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية ومنهم من كان
تعرض عليه النساء والاموال ليترك ذلك وان لا يدعوهم الى دينه الذى هو عليه كانوا على الوجوه التى ذكرنا فامر الله عز
وجل ان يقوم على تبليغ رسالته وان لا يمنعه ما يخشى من مكرهم وكيدهم على قتله لان المرء قد يمتنع عن القيام لما عليه اذا
كذب فى القول ولحقه اذى لذلك فامر الله عز وجل نبيه عليه الصلوة بتبليغ ما انزل الله اليه وان خشى على نفسه الهلاك
او التكذيب فى القول والاذى وترك طلب الموالاة اى لا يمنعك شىء من ذلك من تبليغ ما انزل اليك او ان يكون الامر بتبليغ
الرسالة فى حادث الوقت ان بلغ ما انزل اليك من البيان كما بلغت التنزيل وهو كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه

ليبين لهم اخبر عز وجل انه انما الرسل على لسان قومهم ليبينوا لهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وان لم تفعل
فما بلغت رسالته اى وان تبلغ ما انزل اليك لما تخشى من الهلاك والمكر بك كان لم يبلغ الرسالة رأسا لم يعذر نبيه صلى الله
عليه وسلم فى ترك تبليغ الرسالة اليهم وان خاف على نفسه الهلاك ليس كمن اكره على الكفر ابيح له ان يتكلم بكلام الكفر بعد ان
يكون قلبه مطمئنا بالايمان اذا خاف الهلاك على نفسه ولم يبح له ترك تبليغ الرسالة وان خشى على نفسه الهلاك ذلك والله
اعلم ان تبليغ الرسالة تعلق باللسان دون القلب والايمان تعلقه بالقلب دون اللسان فاذا اكره على الكفر ابيح له التكلم به بعد
ان يكون القلب على حاله مطمئنا بالايمان واما الرسالة فلا سبيل له ان يبلغها الا باللسان لذلك لم يبح له تركها وان خاف الهلاك
وهذا يدل لكقولنا فى المكره بالطلاق والعتاق انه اذا تكلم به عمل لان تعلقهما باللسان دون القلب فالاكراه لا يمنع نفاذ ما
تعلق باللسان دون القلب كالرسالة التى ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله تعالى وان لم تفعل اى لم تبلغ الرسالة فى حادث كان لم
تبلغ فيما مضى او ان لم تبلغ البيان كما بلغت التنزيل فما بلغت الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل والله يعصمك من الناس
فيه دليل اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم لانه عز وجل اخبر انه اعصمه من الناس فكان ما قال فدل انه علم ذلك بالله و
كذلك فى قوله تعالى فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون كان يقول بين ظهرانى الكفرة كيدونى جميعا ثم لم يلحقه من كيدهم شىء دل
انه كان بالله تعالى وعن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس
قال انصرفوا الى منازلكم فان الله عصمنى من الناس فانصرفوا ويحتمل قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك اى بلغ ما انزل اليك
من الآيات والحجج والبراهين التى جعلها الله اعلاما لرسالتك وآثارا لنبوتك ليلزمهم الحجة بذلك والله اعلم وقوله
عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل لا ابتداء الكلام ويمثل هذا الا عن قول او دعوى يسبق و
ليس فى الآية بيان ما كان منهم فيشبه ان يكون الذى كان منهم ادعوا انهم على دين الله وعلى ولايته او ما قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه او ما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونحو ذلك من امانيهم ودعاويهم التى ادعوا
لانفسهم فقال لرسوله قل لهم لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم قال الحسن قوله تعالى حتى
تقيموا التوراة والانجيل اى حتى تقيموا ما حرفتم وغيرتم من التوراة والانجيل وبدلتم وتستوا على ما انزل وتؤمنوا به و
قال غيره قوله تعالى حتى تقيموا التوراة والانجيل بالشهادة والتصديق لما فيهما وعن ابن عباس رضى الله عنه حتى تقيموا
التوراة والانجيل من صفة محمد ونعته ومبعثه ونبوته صلى الله عليه وسلم وتبينوه للناس ولا تكتمونه وما ذكرنا واحد وما
انزل اليكم من ربكم من كتب انبيائكم وحتى تقيموا ايضا ما انزل من الكتب كتب الرسل اجمع لان الايمان ببعض الرسل وببعض
الكتب والكفر ببعض لا ينفع حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة وقوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك طغيانا وكفرا قد ذكرنا هذا وقال بعضهم قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك القرآن فى امر الرجم والقصاص
طغيانا وكفرا وقال بعضهم لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل هو ما امر الله نبيه عليه الصلوة والسلام ان يبلغ
ما انزل اليك وقوله عز وجل فلا تأس على القوم الكافرين اى لا تحزن على كفرهم كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين ونحو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله عز وجل ان الذين آمنوا قال ابن عباس رضى الله هم الذين
آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم وقال بعضهم هم الذين آمنوا ببعض الرسل لم يتسموا باليهودية ولا بالنصرانية والذين هادوا
والصابئون والنصارى قد ذكرنا فيما تقدم من هم وقوله عز وجل من آمن بالله واليوم الآخر تأويل الآية والله اعلم وان اختلف
اديانهم وتفرقت مذاهبهم لو آمنوا بالله وما ذكر فلا خوف عليهم بما كان منهم فى حال كفرهم كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ولا هم يحزنون على فوت ما اعطاهم اى لا يفوتهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل
قد اخذ الله عز وجل الميثاق على جميع البشر وخصهم به دون غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم ما يعرف كل به شهادة الخلقة
على وحدانية ربه كقوله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان ثم خص بنى اسرائيل من البشر بفضل الميثاق لما ارسل اليهم الرسل منهم وهو قوله وارسلنا اليهم رسلا وكانوا
قد قبلوا تلك المواثيق كقوله تعالى وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلوة الى آخره وكقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم
كان من الله لهم عهد ومنهم لله عهد فاخبر انهم اذا اوفوا بعهده يوف بعهدهم وقوله عز وجل كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وفى الآية دلالة انهم كانوا يخالفون دين الرسل باجمعهم لما احدثوا من اتباع هواهم
وان الرسل وان اختلف اوقات مجيئهم فانهم انما يدعون باجمعهم الى دين واحد وقوله عز وجل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
منهم من كذبهم ومن قتل لكن القتل ان كان فهو فى الانبياء غير الرسل لانه تعالى قال انا لننصر رسلنا اخبر انه ينصر رسله وليس
فى القتل نصر ويحتمل قوله فريقا يقتلون اى فريقا قصدوا قصد قتلهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل و
حسبوا ان لا تكون فتنة ولم يبين ما الفتنة التى حسبوا ان لا تكون فاهل التأويل اختلفوا فيها قال قائلون الفتنة

المحنة التي فيها الشدة حسبوا ان لا يأتيهم الرسل بامتحانهم على خلاف هواهم بل جاءتهم الرسل ليمتحنوا على خلاف ما تحب لو امن
هواء انفسهم وقال بعضهم قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة اى هلاك وعذاب بتكذيبهم الرسل وقصدهم قتلهم وقال ابن
عباس رضي الله عنه ان لا يكون شئ وقيل حسبوا ان لا تكون فتنة اى حسبوا ان لا يبتلوا بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الانبياء بالبلاء
والقحط فعموا عن الهدى فلم يبصروه وصموا عن الهدى فلم يسمعوا المالم ينتفعوا به ثم تاب الله عليهم فدفع عنهم البلاء فلم يتوبوا بعد دفع البلاء
ويحتمل ان يكون قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا ما ذكر في اية اخرى وهو قوله وقضينا الى
بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم الاية تابوا مرة ثم رجعوا
ثم تابوا فذلك قوله فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا الاية وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن
مريم الاية يحتمل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا اى كفروا بعيسى لان عيسى كذبهم في قولهم انه ابن الله بقوله يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم فاعبدوه وبقوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية اخبر انه عبد الله ليس هو الها ولا ابنه تعالى الله عن ذلك والثاني
كفروا بعلمهم لانهم علموا انه ابن مريم وسموه ابن مريم ثم قالوا هو الله او ابن الله فان كان ابن مريم انى يكون له الوهية فاذا كانت
امه لم تستحق الالوهية وهي اقدم منه كيف يكون لمن بعدها ولكن لسفههم قالوا ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله
عز وجل انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار اذا حرم عليه الجنة صار مأواه النار وقيل سمي مسيحا لان
الحسن سمي ذلك لانه ممسوح بالبركات وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح بالعين وقيل المسيح بمعنى الماسح وذلك جائز الفعيل
بمعنى الفاعل وهو ما كان يمسح المريض والاكمه فيبرأ ويمسح الموتى فيحيون ومثل ذلك فسمي بذلك والله اعلم والفعيل بمعنى المفعول
جائز ايضا يقال الجريح والمجروح وقتيل ومقتول هذا كله جائز في اللغة وقوله عز وجل كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
قوله تعالى كفروا بعلمهم علموا ان الله فكيف يكون ثالث ثلاثة وهو الله فاذا قالوا هو الله فلا يكون هناك ثان ولا ثالث و
ذلك تناقض في العقل والثاني انهم لم يروا غير الله خلق السموات والارض ولا رأوا احدا خلقهم سوى الله كيف سموا دونه
الها ولم يخلق ما ذكرنا ذلك الله الذي لا اله غيره وذلك قوله وما من اله الا اله واحد اى يعلمون انه لا اله الا الله واحد لكنهم
يتعنتون ويكابرون في ذلك وقوله عز وجل وان لم ينتهوا عما يقولون عما تقدم ذكره ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم وقوله
عز وجل افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه عن مقالتهم الشرك فان فعلوا فان الله غفور رحيم كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف وبالله العصمة وقوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول في الاية دلالة المحاجة مع الفريقين كانهم كانوا فريقين
احد الفريقين كانوا يكفرون انه رسول والفريق الاخر يدعون له الربوبية والالوهية فقال انه ابن مريم وابن مريم لا يحتمل ان
يكون الها والثاني اخبر انه رسول قد خلت من قبله الرسل اى قد خلت من قبل عيسى رسل مع ايات وبراهين لم يقل احد من الامم انهم
انهم كانوا الهة فكيف قلتم انتم بان عيسى انه اله وان كان معه ايات وبراهين لرسالته وقوله عز وجل وامه صديقة قيل مطهرة من
الاقذار كانها صالحة وقيل صديقة شبه النبيين وذلك ان جبريل عليه السلام لما اتاها وقال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما
زكيا صدقته كتصديق الانبياء والرسل الملائكة وانما سائر الخلائق انما يصدقون الملائكة باخبار الرسل اياهم وهي انما صدقت
جبريل باخباره انه ملك وانه رسول لذلك سميت صديقة والله اعلم وقيل كل مؤمن صديق كقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون الاية وقوله عز وجل كانا ياكلان الطعام فيه الاحتجاج عليهم من وجهين احدهما ان الجوع قد كان
يغلبهما ويحوجهما الى ان يدفعا ذلك عن انفسهما ومن غلبه الجوع وقهره كيف يصلح ان يكون ربا الها والثاني انهما اذا احتاجا الى
الطعام لا بد من ان يدفعا ذلك الى ازالة الاذى عن انفسهما ورفعه والقيام في اخبث الاماكن وافحشها ومن دفع الى ذلك لا يكون
الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الايات والايات ما ذكر من وجود الحاجة عليهم احدها انه
ابن مريم ومن كان ابن اخر لا يكون الها والرابع من اكل الطعام احتاج ان يدفع عن نفسه الاذى ويقوم في اخبث مكان ومن كان هذا
امره لم يكن ربا وليس في القران والله اعلم اية اكثر ولا ابين احتجاجا عن النصارى اولئك ولا اقطع لقولهم من هذه الاية المعاني التي و
صفنا وقوله عز وجل ثم انظر انى يؤفكون اى من اين يكذبون قال ابو عبيدة يؤفكون يصرفون ويجادون عن الحق كل من صرفته عن شئ
فقد افكته ويقال افكت الارض اذا صرف عنها القطر وقوله يؤفك عنه من افك وقال ابن عباس رضي الله عنه وذلك افكهم وما
كانوا يفترون قال اضلهم فاذا اضلهم فقد صرفهم عن الهدى قال ابو عوسجة الافك عندي الصرف عن الحق وفي الاصل الافك الكذب
وقال القتيبي يؤفكون يصرفون عن الحق ويعدلون وقيل انى يؤفكون يخدعون بالكذب وقوله عز وجل قل اتعبدون من دون الله ما
لا يملك لكم ضرا ان خالفتموه ولا نفعا ان اطعتموه ويحتمل قوله ما لا يملك لكم ضرا ان كان الله اراد بكم نفعا ولا نفعا ان حل بكم الضرر
لا يملكون دفعه عنكم وقوله عز وجل والله هو السميع لتسبيحكم عيسى اليه تعالى العليم بعبادتكم غير الله ويحتمل السميع المجيب
لدعائكم العليم بنياتكم والله اعلم وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق خاطب الله عز وجل بالنهي عن الغلو في
الدين اهل الكتاب لم يخاطب اهل الشرك بذلك فيما خاطب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق وذلك

ان اهل الكتاب

ان اهل الكتاب ادعوا انهم على دين الانبياء والرسل كانوا من قبل فنهاهم الله عز وجل عن الغلو في الدين والغلو هو المجاوزة
عن الحد الذي حدوا والافراط فيه والتعمق فكانه والله اعلم قال لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه بنسبة الالوهية
والربوبية الى غير الله والعبادة له واما اهل الشرك فانهم يعبدون ما يستحسنون ويتركون ما يستقبحون ليس لهم دين
يدينون به واما هؤلاء فانهم يدعون انهم على دين الانبياء والرسل كذلك خرج الخطاب لهم بذلك والله اعلم وقوله عز
وجل ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني الرؤساء بذلك والله اعلم واضلوا اتباعهم وضلوا عن قصد طريق الهدى
وقوله عز وجل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اى بعضهم لعنوا بكل لسان لعنوا على العهد
عهد موسى عليه السلام في التوراة وعلى عهد داود والزبور وعلى عهد عيسى في الانجيل وعلى عهد رسولنا محمد عليه افضل
الصلوات واكمل التحيات في القران وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل مسخوا بدعائهم بما اعتدوا افسدوا قردة و
خنازير قال ابن عباس رضي الله عنه القردة والخنازير من نسل الذين مسخوا وقال الحسن انقطع ذلك النسل واصل اللعن
هو الطرد كانهم طردوا عن رحمة الله ويحتمل تخصيص اللعن على لسان داود لان داود عليه السلام كان به غلظة وخشونة
وهو الذي كان اتخذ الاسلحة والات الحرب وعيسى كان به لين ورفق ليعلم ان اللعن الذي كان منهما كان لاعتدائهم
الحدود حدود الله وعصيانهم ربهم وكانوا مستوجبين لذلك محقين ولذلك استجيب دعاؤهم عليهم باللعن اعني دعاء
الرسل عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ذكر في بعض القصة عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في
مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا لا والذي نفسي بيده حتى تاطروهم اطرا قال ابو عبيد
يعني تعطفوهم عطفا وقال غيره حتى تكسروهم كسرا وقوله عز وجل ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قيل قوله ترى كثيرا
منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا يعني اليهود يتولون الذين كفروا ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضوان الله عليهم اجمعين وقيل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود يتولون الذين من مشركي العرب وغيرهم كانوا يظاهرون على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويعادون عليهم وقد كان من الفريقين جميعا ذلك ويحتمل وجها اخر قوله ترى كثيرا
منهم من هؤلاء الذين شهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولون الذين كفروا يعني اسلافهم ورؤساءهم كقوله تعالى لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا الاية تولى هؤلاء اولئك واتبعوا اهواءهم وقوله
عز وجل لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم اى ما قدمت انفسهم سخط الله عليهم وقوله ولو كانوا يؤمنون بالله و
النبي يعني المنافقين في احد التاويلين وفي الثاني وفي الاخر اليهود اى لو صدق هؤلاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامنوا به
وصدقوا ما انزل اليه القران ما اتخذوا اولئك اولياء ثم يحتمل قوله تعالى ما اتخذوهم اولياء في الدين او في النصر والمعونة ولكن
ولكن كثيرا منهم فاسقون وقوله عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا يحتمل الاية وجوها
يحتمل ان يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين امنوا قوما مخصوصين منهم ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه هم اشد عداوة لهم ويحتمل اليهود جملة فهو والله اعلم على ما كان منهم من قتل الانبياء وتكذيبهم
اياهم ونصب القتال والحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما كان منهم من قول الوحش في الله سبحانه ما لم يستقم
احد بمثل ذلك ما وصفوا الله عز وجل بالبخل والفقر وهو قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء وغير ذلك من القول وذلك لشدة بغضهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم فعلى ذلك كل من دعاهم الى دين الله تعالى
فهم له اشد عداوة واقسى قلبا واما النصارى فلم يكن منهم واحد مما كان من اليهود من القتل الانبياء ونصب الحرب و
القتال معهم ولم ير في مذهبهم القتال ولا الحرب ولا كان منهم من القول الوحش مما كان من اليهود بل كان فيهم اللين والرفق
حتى حملهم ذلك على القول في عيسى ما قالوا وذلك منهم لما حق رفعوه من قدر العبودة الى قدر الربوبية لذلك كفروا والا كانوا
يؤمنون بالكتب والانبياء عليهم الصلوة والسلام من قبل الا ترى انه قال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اخبر عز وجل
ان منهم قسيسين ورهبانا والرهبان هم العباد وقيل القسيسين هم الصديقون ولم يكن من اليهود رهبان ولا قسيس لذلك
كان النصارى اقرب مودة والين قلبا من اليهود والله اعلم فان كان ذلك في قوم مخصوصين مشار اليهم وهو ما ذكر في القصة
ان بني قريظة والنضير كانوا يعاهدون ويظاهرون مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامرونهم بذلك
فظاهروا واعانوا من لم يؤمن بنبي ولا كتب قط على من قد امن بالانبياء والكتب جميعا وذلك اسفههم وشدة تعنتهم حتى قاتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاهم من بلادهم الى ارض الشام وان كان ذلك عن قوم بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم و
اجلاهم من بلادهم الى ارض الشام وان كان ذلك عن قوم بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهو ما كان من يهود الكـ

حيث بايعوا اهل مكة على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اعوانا لهم عليهم وطلايع ولم نذكر في قصة من القصص انه
كان من النصارى شيء من ذلك كان اقرب مودة للمؤمنين والله اعلم وما قال بعض اهل التاويل بان من اسلم منهم كان اقرب مودة
للمؤمنين من اليهود فحاصل هذا الكلام ان المؤمن اقرب مودة للمؤمنين من الكافرين وذلك لا يفيد معنى **وقوله** عز وجل واذا
سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع سرورا على انفسهم مما ظفروا مما كانوا يسمعون من نعته صلى الله عليه وسلم
ويطمعون من وجد وقد يحمل السرور وهذا العمل اذا اشتد به وفرح القلب فاضت عيناه سرورا ويحتمل قوله تعالى ترى اعينهم
تفيض من الدمع حزنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد ان بلغهم ما بلغ هؤلاء من اعلام النبوة واثار الرسالة اشفاقا عليهم ان
كيف لم يؤمنوا كقوله تعالى اعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون قد فاضت اعينهم حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون
والله اعلم **وقوله** عز وجل يقولون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الاية قيل مع اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وهو واحد ثم ذكر في القصة انها نزلت في النجاشي واصحابه وقيل نزلت في اربعين رجلا من مسلمي
اهل الانجيل بعضهم قدموا من ارض الحبشة وبعضهم قدموا من ارض الشام فسمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما
اشبه هذا بالذي يحدث من حديث عيسى فبكوا وصدقوا فنزلت الاية فيهم فلا ندري كيف كانت القصة وفيمن نزلت
اذ ليس في الاية بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من شدة رغبتهم في القران وسرورهم على ذلك **وقوله** عز وجل وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق الحق يحتمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل القران ويحتمل كلاهما **وقوله** عز وجل ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين قال الحسن قوله تعالى نطمع اي نعلم ان يدخلنا ربنا الجنة اذا امنا بالله وما جاءنا من الحق وقيل نطمع هو الطمع والرجاء
اي نطمع ونرجو ان يدخلنا ربنا في دين قوم صالحين والصالحين يحتمل ما ذكرنا من الانبياء والرسل ويحتمل اصحاب محمد صلوات الله عليه وسلم
وقوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا الثناء الحسنة في الدنيا حيث ذكرهم في القران فيذكرونه الى يوم القيمة ويثنى عليهم وفي الاخرة الجنة
ونعيمها وذلك جزاء المحسنين المحسن كانه هو الذي يتقي المعاصي ويأتي بالخيرات والحسنات جميعا بعلمه جميعا والمتقي هو الذي يتقي
المعاصي والمكاره خاصة **وقوله** عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال بعضهم الجحيم هو اسم معظم النار
وقال غيرهم هو اسم درك من دركات النار وكذلك السعير **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية
ورد على المتقشفة لانه نهانا ان ناكل طيبات ما احل الله لنا وهم يحرمون ذلك وقال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق ثم لا فرق بين تحريم ما احل الله لنا من الطيبات وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث ثم يلزمهم ان يحرموا على
انفسهم التناول من الخبز والماء وهما من اطيب الطيبات الا ترى ان المرء قد يمل ويسام من غيرهما من الطيبات اذا اكثر ذلك ولا يمل البتة
من الخبز والماء دل انهما من اطيب الطيبات الا ان شبعوا من التناول من غيرهما ايثارا منهم غيرهم على انفسهم لما يلحق القوم من المؤن
في غيرهما من الطيبات ولا يلحق في الخبز والماء لانهما موجودان يجدهما كل احد ولا يجد غيرهما من الطيبات الا من يحتمل مؤنة عظيمة
فان كان تركهم التناول منها لهذا الوجه فانه لا باس وبعد فان الله تعالى جعل الاطعمة والاشربة والفواكه للبشر في الوقت والحال
التي تطيب انفسهم بها وتلذذ لانه لم يجعل لهم في اول خروجها من الارض والنخيل انما احل لهم بعد نضجها وينعها واتخاذها خبزا و
بلوغها في الطيب نهايته وجعل للبهايم ذلك في اول ما يخرج فاذا كان البشر خصوا بذلك لم يجب ان يحرم ذلك ويبطل ذلك التقسيم
والتفضيل والله اعلم فان قيل انما لم يتناولوا منها لما يعجز عن شكر الله لذلك يقتصر على ما يقيم الرمق منه قيل له فيجب ان لا يتزوج من النساء
الا ادونهن جمالا واكبرهن سنا الا انهم نهوا عن التجرد فانه لم يكن في تزويج العجايز والقبايح وترك الشواب الحسان زهادة فليس
في اكل خبز الشعير وترك الحوارى والمبرد زهادة ولكن لما خاف ان يدخله الرغبة في طيب الطعام في شبهه مكسبه فواجب عليه ان
لا يدخله في ذلك المكسب وينزع نفسه عنه ويقتصر على القوت الذي لا بد له منه وقيل الاية نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد وسالم رضوان الله عليهم اجمعين وهؤلاء حرموا على انفسهم الطعام
والنساء وهموا ان يقطعوا مذاكيرهم وان يلبسوا المسوح ويدخلوا الصوامع فيترهبوا فيها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى
منزل عثمان فلم يجدهم النبي صلى الله عليه وسلم لامراة عثمان احق ما بلغني عن عثمان واصحابه قالت ما هو يا رسول الله فاخبرها النبي
صلى الله عليه وسلم بالذي بلغه فكرهت ان تكذب النبي صلى الله عليه وسلم وتهدي على زوجها فقالت ان كان عثمان اخبرك فقد صدقك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولي لزوجك اذا جاء انه ليس منا من لم يستن بسنتنا وياكل ذبيحتنا فلما رجع عثمان واصحابه اخبرته امراته
بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والله لقد بلغ النبي امرنا فما اعجبه فذروا الذي كره فانزل الله لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم الاية فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه بيان ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
يحتمل ان يكون الحلال هو الطيب والطيب هو الحلال سماها باسمين وهما واحد ويحتمل ان يكون قوله كلوا مما رزقكم الله حلالا
بالشريعة والدين وطيبا بالطبيعة لان الحل والحرمة معرفتهما بالشريعة والطيب ما يستطيب به الطبايع في الاية دليل انه قد يرزق
ما هو خبيث ليس بطيب لانه لو لم يرزق لم يكن لشرط الحلال والطيب معنى والله اعلم **وقوله** عز وجل واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون

وفي الاية

وفي الاية دلالة ان الخطاب للمؤمنين لانه قال واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مؤمنين ونحو هذا انه سماهم
مؤمنين مطلقا دل انه يجوز ان يسمى واتقوا الله ولا تحرموا ما احل الله لكم الذي انتم به مؤمنون انه لا يحتمل ولا يحرم الا هو وليس
الى من دونه تحليل وتحريم **مسئلة** اختلف الناس في تاويل الحرف ذكرت في قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان الى قوله لعلكم تشكرون مما للناس حاجة الى معرفة حقيقة ما في كل حرف منها انه لم يزل يتنازع اهل الفقه في احكامه مما يعلم ان حق
البيان في الخطاب لا يبلغ ما يقطع موضع التنازع فيه ولا يجب ان يبلغ حقيقة كل سامع وان في شرط المحن بالاسباب التي يمتحن بها لزوم
التكلف فيها والبحث عنها والسؤال عنها الذي خصوا بفهمها بسؤال الهامن ولى الابانة عنها ومقابلتهم بما يستوجبون العلم بها في معرفة ذلك بيان ما
خفي من معنى الذي قرع سمعه او يقيس ذلك مما فيه دليل ذلك اذ لا يجوز المحنة بالذي لا يحتمل الوسع الوصول اليه ولا في جملة ما به امتحن
ايضاح ذلك لما يوجب الامر بفعل ما هو عنه ممنوع وذلك بعيد بل يكون البيان السمعي على قدر البيان العقلي ان من المعارف ما يكون بالحس
ومنها ما بها يوصل اليها اما بالتعليم او بالاستدلال فشانه حق السمعي والله اعلم من ذلك قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم انه عز وجل
ذكر يمينا لا يؤاخذ بها في موضعين من غير ان ذكر انها اي يمين هي ولا باي شيء لا يؤاخذ فيها والحاجة لازمة اذ ذلك في موضع الامتنان
منه جل وعلا في العفو عن امر كان له المؤاخذة وحق على السامع معرفة منة الله تعالى ليشكر عليها ثم معلوم ان اليمين لو كانت بالطلاق
والعتاق كان صاحب ذلك يؤاخذ بها باد روي عن نبيه صلى الله عليه وسلم ان ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح و
اللاغي لا يعدو امره من ان كان انما يلزمه ان بلا شرط يصير به المرتفع حالفا واعظم ما في رفع المؤاخذة في اليمين ان يرفع عنه اليمين وهما يجبان
دونها فيقعان من غير ان كان في الاية ذكر التفصيل ولكن يجب معرفة حقيقة ذلك بالذي بينا من الخبر والنظر معا لا يعرف في ذلك
خلافا وهذا يوضح ان العفو فيما كانت الايمان بالله تعالى فعلى ذلك ما نسق على ما لا يؤاخذ من المؤاخذ وذلك يمنع من احتج بايجاب
الكفارة على الحالف بالقرب من حيث كان ذلك منه يمينا والله اوجب في اليمين كفارة واعاذ ذلك في اليمين لا في اليمين بالقرب ثم كان
اليمين بالقرب لو كانت على مخرج اليمين بالله لم يجب فيها شيء بخلاف نقول بالعتق لا افعل كذا او بالصلوة او بالصيام ولو قال
بالله يجب ثبت ان وجوب ذلك وصيرورته يمينا كان بحق النذور وقد امر الله ورسوله في النذر بالوفاء فكذلك اليمين بها وما
يبين ذلك انه لو قال ان فعل كذا فعليه قتل فلان او اتلاف ماله انه لا يلزمه شيء ثبت ان ما لزم لزم بحق لزوم ذلك في النذور و
حق ذلك الوفاء لا غيره معا وايضا الخبر بالامر بالحلف بالله والنهي عن الحلف بغيره والنذور ابدا يكون بغيره ثبت ان وجوب ذلك بحق النذر
فلذلك يجب الوفاء به والله اعلم ثم الاصل في ذلك ان الحلف بغير الله يكون على ضربين قسم ان لا يجب فيه شيء وقسم انه لو وجب
يجب المسمى نحو الطلاق والعتاق فيما يجب فلما كان في الحلف بالقرب في الذمة وهو حلف بغير الله تعالى يجب ان يكون الواجب في ذلك
ما وجب والله اعلم ثم اختلف في معنى اللغو فقال اللغو هو الاثم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما وقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما ثم اختلف من قال بهذا على قولين احدهما انه لا يؤاخذ بالاثم في ايمانكم التي لم تعتقد وهالكها جرت على اللسان وقيل
ذلك روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت هو قول الرجل لا والله ما كان كذا وبه قال ابو بكر الكيساني في تفسيره وابعد ذلك
قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دل ان الاول بما يجري على اللسان دون ما يقصده قلبه والله اعلم والثاني ان لا يؤاخذ بترك
المحافظة فيما كان في المحافظة ما ثم دليله صلة ذلك قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية فكانهم تحرجوا عن ترك المحافظة فيما
سبقت منهم الايمان قبل النهي بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فنزل قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في بعض ايمانكم اذا كان
حفظها ما ثما وذلك نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتي بالذي هو خير و
ليكفر يمينه وعلى ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولا يحتمل ان يؤخذ بالعقد وهو به معظم ربه ولكن لمحافظة ما عقدتم الايمان
اذا كانت المحافظة اثما وفيما لم يكن فهو في قوله واحفظوا ايمانكم والله اعلم والى هذا يذهب سعيد بن جبير في تاويل الاية وقال
قائلون هو الذي شيء الذي لا حقيقة نحو اللعب وعلى ذلك واللغو فيه انهم لم يقصدوا تحقيقا مريظهرونه ولكن قصدوا التلبيس
بما ينطق به ما كان كذا قيل لا يسمعون فيها لغوا ما طلا بل كل ما يسمع فيها فهو حق وحكمة ثم رجع تاويله الى وجهين احدهما يجري
على اللسان من غير عقد انقلب على ما مر به تفسيره والثاني ان يكون به الحلف بما لا حقيقة له على ظن ان حقيقة ما حلف عليه
الحالف كما حلف وكذلك روي عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في تاويل الاية ثم لو كانت الاية على التاويل الاول لكانت في
رفع الماثم خاصة وهو التاويل الذي ذكره سعيد بن جبير رضي الله عنه واما الكفارة فهي لازمة على ما ذكر في الخبر المرفوع في
ذلك وبما هي واجبة للحنث في اليمين ولترك وفاء بالعهد والمعنى في الامرين موجود لذلك لزمت الكفارة في الوجهين جميعا مما
لا بد من الالزام فيما اخطا او تعمد من حيث لم يكن استثناء حالا منهما صاحبه وذلك يبين ان ذلك للحلف في عقد اليمين
او لما يخرج الفعل مخرج الاستحقاق اذ قوبل فعله بعقد وان كان المسلم قد عصم عن ذلك الوجه فامر بتكفير ذلك وذلك
المعنى موجود في الوجهين لذلك لزمت الكفارة في الامرين والله اعلم ولو كانت على التاويل الثاني او على احد وجهي تاويل الاول يكن
ان لا يؤاخذ بالماثم ولا بالكفارة جميعا والذي يبين ان هذا التاويل انه ذكر المؤاخذة في الايتين احدهما بكسب القلوب

تعمدها والمؤاخذة به يكون بالماثم لا بالحقوق والكفارات اذ لا يؤخذ في شيء بكسب القلب خاصة كفارة او حقا يجب
وان كان قد يؤخذ لذلك عند افعال الجوارح فاما له خاصة فلا وقد يكون به الطاعة والمعصية وعلى ذلك قوله ليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم واذا ثبت ان ذلك في الماثم فلا يؤخذ ثم لا اثم ما فيما ذكر من عقد اليمين في العقد
اذ هو يخرج مخرج التعظيم لله وقد رويت عقود الايمان عن الرسل فثبت ان المؤاخذة فيها بالكفارة فلا يؤاخذ بها في اللغو
ايضا وايد ذلك ان الله تعالى ذكر ما لا يؤاخذ مرتين وذكر المؤاخذة كذلك فلو كانت المؤاخذة بواحد لكان الذكر الواحد كافيا
فثبت انه بامرين مختلفين فعلى ذلك امر العفو والله اعلم مع ما انه قد تبين في اية المعافرة كيفية المؤاخذة ولم يبين في كسب
القلب ان يكون العفو عاجزا به بيان المؤاخذة احق منه فيما لم يجئ به فثبت انه في رفع المؤاخذة بالكفارة ولو كان على ما
يقوله سعيد لكانت تجب الكفارة بما سلف بيانه لذلك قلنا ان هذا احق بالاية والله اعلم ثم اذا ثبت ان اللغو مما لا يجب
فيه الكفارة يحتمل ان يكون لم يجب من حيث لم يعص الله به ويحتمل ان يكون لم يجب لان يمينه كانت على ما كانت الحنث به
معا او قبله فيمنع صحة اليمين وان اطلق لها الاثم اذ كانت الاسماء مطلقة لما فسد من العقود وصحت وانما يختلف
لها الاحكام والمقاصد منها فان كان لما لم يعص الله فيجب ان يكون في كل حنث يؤمر به لا يجب به الكفارة فاذا جرت السنة
ايجابها على الامر بالحنث وقد يجب ايضا فيما كان فعل الحنث على حال الخطاء او نوم او جنون او فعل غير الحالف فيم الحنث
به على تعمدان يأثم بفعله اذا قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ثبت انها تجب لا لانه لم يعص الله ولكن للوجه الذي
ذكرت والله اعلم ثم كان ذلك المعنى قائما في اليمين الذي تعمد عليه الكذب وهو ما قيل اليمين الغموس يجب ان لا يلزمه ثم
كفارة اليمين انما يلزمه كفارة فعل الجراة والمخالفة لله والله اعلم وايد هذا الاصل وجهان احدهما استواء الامرين في اليمين
المعقودة على الحادث فيما عصى من الحنث فيها واطلع ان يستويا في اليمين على الماضي في الوجهين جميعا فاذا لم يجب الكفارة
في احد الوجهين لم يجب في الاخر والله اعلم والثاني ما روي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في شان اللعان بعد الفراغ منه
ان احدكما لكاذب هل منكما تائب ومعلوم ان حاجتهما لو كانت تجب فيه الكفارة الى البيان عنها اكثر من حاجتهما الى بيان
كذب احدهما ثم لزوم التوبة اذ ذلك يعرفه كل سفيه وحكيم بلا سمع والكفارة لا تعرف الا بالسمع ثبت انها غير واجبة و
كذلك الاخبار التي رويت في الخصمين انه يقضي لاحدهما بحق ذكر فيه الوعيد الشديد ثم امرهما بالتسامح بينهما وان يحلل
كل واحد منهما الاخر فلا يحتمل ان يكون فيه كفارة ولا يبين وكذلك علم في الموضع الذي امر بالحنث اذ قد يشتبه على بعض
من ليس له روية وقد قال اسحق اجمع المسلمون على ان لا يجب فيه الكفارة فقول من يوجبها ابتداء شرع ونصب حكم لله
تعالى على الخلق وهو لم يشرك فحكمه احداث الاصل في ذلك ان الاسباب التي ترفع العقود وتوجب الحرمات اذا تاخر العقود
واسباب الحل في على اختلافها متفقة على منع ابتدائها اذا قارنتها فعلى ذلك امر سبب الحنث فلذلك بطلت اليمين والكفارة
هي كفارة اليمين فلا يجب فيما لا يمين يجب فيها وليس ذلك كالقول بمس السماء ونحو ذلك لان اليمين في هذا على ما يكون
فسبب الحنث لم يقترن بها فصحت لذلك اختلف الامران وهذه المسئلة توضح حال رجاء الثنا في قوله ان الكفارة
تجب للحنث وها هنا لا حنث لما لم يصح العقد ليحنث فيه ويكون الحنث ايضا بعد العقد ولم يكن معا كان النص بالكفارة
في اليمين المعقودة التي امر فيها بالحنث وحال الامر بالحنث في هذه اليمين وانما يجب الحنث عنها ان يحلف به والله اعلم وحال
ابي حنيفة حيث يوجب الكفارة بعقد اليمين وعنده اليمين الغموس يمين لا يجب فيها الكفارة فهذا يوضح ان الكفارة تجب
للذي يرد في اليمين لا لنفسها والله اعلم ثم احتج قوم بوجوب الكفارة بعقد اليمين بقوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
ثم قال فكفارته اي عندهم كفارة ما عقدتم من الايمان بما فيها الاضافة ولم يسبق غير ذكر العقد ليضاف اليه وكقوله ذلك
كفارة ايمانكم اضيف الى اليمين وعلى ذلك تسليمة المؤمنين كفارة اليمين مع ما فيه وجهان من المعتبر احدهما ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة الطعنة اقسم ليمثلن بكذا من قريش فنزل النهي عن الوفاء بذلك فكفر عن يمينه ومعلوم انه لم يحنث
في يمينه الا في الوقت الذي لا يحتمل بر مثله في حيوته ثبت انها كانت اليمين وكذا ما جاء من حلف على يمين الى قوله وليكفر
يمينه انما امر بتكفير يمينه والله اعلم والثاني ذكر ابو عبيد ان الله اذ نهى عن الوعد الا بالثنيا بقوله ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فذلك النهي في اليمين اوكد واشد فمن حلف بلا ثنيا عصى الله فيلزمه الكفارة والاصل
عندنا ان الكفارة تجب للحنث في اليمين اذ هي كفارة والكفارات انما تكون للسيئات كقوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم ونحو
ذلك من الايات ومن البعيد في العقل طلب تكفير الحسنات بل الحسنات تكفير السيئات والحنث في التحقيق اسم الماثم
ثم معنى الذنب فيه لا تركان عاهد الله ان لا يفعل كذا ففعله يخرج مخرج نقض العهد فيه فياثم لا بالعهد ولذلك
قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وفي الجملة امر الله ان يوفوا بعهده لان يعلمو
وقد جعلت اليمين عهده وامر بالوفاء به فنقضه يوجب الحلف في وعده والنقض لعهده فيه ياثم الحالف لا بالحلف فلم يجب

الكفارة ولو كانت

الكفارة ولو كانت لليمين كفارة لكان الحنث احق ان يوجب الكفارة ثم لا يجوز ان يكون من حلف ان يطيع يكون به عاصيا ثبت
ان الكفارة ولو كانت تجب باليمين على المعصية فيجب ثم حق كفارة مثلها الحنث فيها وعلى ذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه ان
من حلف على شيء فراى غيره خيرا منها فانما كفارته ان ياتي الذي هو خير لكن ان يكون كفارة اليمين لم احتمل ان ترجع عن الوفاء
بها واما الكفارة فما لا وجد لدفعه تكون بالتوبة والحسنة تكفر لا بالرجوع وعلى ذلك جميع انواع الكفارات ان ما احتمل وقع
الحقيقة والرجوع عنه ونقض ما قد فعل وما لا يحتمل فيقتبس ذلك فلو كان اليمين كفارة لكانت توبة وقبيحا لا غير فاذا وجب
الله غير الرجوع ثبت ان ذلك للحنث والله اعلم ثم الدليل على انه لا يحتمل ايجاب الكفارة لعقد اليمين اوجه احدها ان العقد ثم
يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل جملة مفزعا اليه ومأمنا للخلق عنه ولذلك جعلت الايمان لدفع التهم وتحقيق الامر للخلق عن
الحالفين وايد ذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احلفتم فاحلفوا بالله وقال لا تحلفوا بابائكم
ولا بالطواغيت فحذر الحلف بغيره بما فيه تعظيم ذلك ورفعه عن قدره والزم ان لا يجعلوا لاحد ذلك القدر الا الله سبحانه و
تعالى والثاني قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولا يجوز ان ينهى عن الرجوع عن المعصية و
يؤمر بالوفاء بها والثالث الامر الظاهر عن نبي الرحمة حلفه وقسمه في غير موضع وما ذكر في قصة يعقوب وداود واولاده وامر ابراهيم عليه
الصلوة والسلام في شان الاصنام وامر ايوب عليه السلام لم يجز ان يكونوا عصاة بفعلهم وذلك نبي عن جراة من زعم ان الحالف
عاص بما ذكر الثنيا ومن ذكر من الانبياء عليهم السلام قد تركوا الثنيا وليس ذلك كالوعد لانه الى نفسه يضيف الفعل وهو بفعله
تحت مشية الله تعالى وفي اليمين بالله يستغيث واليه تفزع فلذلك اختلف الامران والله اعلم والدليل على انها لم تجب باليمين قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير وليكفر يمينه او قال فليكفر يمينه وليات الذي هو خير و
لو كانت الكفارة واجبة باليمين لكان لا وجه للامر بالذي ياتي وهي واجبة ويقول لمن حلف على يمين فليكفر يمينه فاذا لم يفعل ولكن قال فيما
كان ثم حنث ثبت انها لم تجب والله اعلم ووجه آخر اتفاق القول انه اذا كان مع اليمين بر فلا كفارة عليه اذا كان معها حنث تجب
فلو كانت تجب لليمين لكانت هي عند الوفاء اوجب فالكفارة فيه تكون اوجب فاذا لم يكن اذا بر ثبت انها بالحنث وجبت والله اعلم
وايضا ما اجمع الا من حلف ان لا يقرب امراته بشيء لا يلزمه لو جبت بر لم يلزم فيه حكم الايلاء فلو كانت الكفارة تجب باليمين لكان الحالف
به عند الفراغ عن يمينه صار بحيث لا يلزمه من بعد شيء فيجب ان يسقط حق الايلاء فاذا بقي عليه حكمه جاء بذلك كتاب وجرت به السنة
ثبت ان القول بوجوبها قول مهجور والله اعلم ثم ان اثبت هذا رجع تاويل الاية الى وجهين احدهما قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
من الايمان كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فان نكثتم ذلك فكفارته كذا والثاني ان يكون على اضمار حيث يؤاخذكم بحنثكم فيما
عقدتم وذلك غير مدفوع في حق الكفارات كقوله تعالى فان احصرتم الاية وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه الاية لا على
الوجوب للعذر ولكن باستعمال الرخصة فيه اذ لا يكون العذر سبب لايجاب مثله فالاول لا يكون تعظيم الرب سبب ايجاب الكفارة
فيصير الحنث فيه مضمرا والله اعلم والاضافة الى الايمان على ارادة الحنث فيها كاضافة كفارة الفطر الى الصيام والدم الى الحج والسجود
الى السهو وان كانت الكفارات ليست لما اضيفت اليه ايد ذلك ما ذكرت والله اعلم وتكفير رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه لانه قد
عصم عن المعصية وفي الوفاء بذلك معصية اذ نهي عنه ويمينه كانت قبل النهي فصار ايسا عن البر بذلك وبذلك يكون للحنث لا
بعدم امكان الوفاء لكن غيره اذ لا يؤمن منه العصيان فذلك وقت ياسه منه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد عصم عن ذلك فوقت
النهي ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل اطعام عشرة مساكين في متعارف اللغة على التقريب لتاكلوا لا على التمليك وكذلك الامر
المتعارف بين الخلق فيما ينسب بعضهم الى بعض الاطعام وايد ذلك قوله من اوسط ما تطعمون اهليكم ولا يعرف التمليك في اطعام
الاهل ولا خطر ببال احد ذلك وقد عرف فهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان علمه عند كل احد معلوما اذ قل انسان يخلو من ان يكون
اهلا لاحد وله اهل فلا يحتمل ان يغلط باحد الجهل به حتى يسأله فيكون ذلك الزام الفرض مع رفع وهم الجهل به عن العقول ثم لا تعرف ايضا
والله اعلم والذي يوضح هذا ان طريق العبرة انه ذكر في ذلك اطعام عشرة مساكين والمسكنة في الحاجة المسكين الى الطعام معلوم انها تكون
الى اكله دون ملكه وجهات حاجات الاملاك مما يعم المساكين وغيرهم معا فذكر ذلك بالكفاية والشبع وحق ذلك في التقريب للتطعم
لا في التمليك عليه ولكن يجوز التمليك بما به التمكين لذلك فيجب بذلك الجواز بكل ما فيه تمكين ذلك بهما او ما كان اذ جواز التمليك
بحق التمكين لا بحق النص معا كان في تمليك الثمن الوصول الى ما يختار هو على الوجه الذي يختار الاعتزاء فان ذلك اقرب الى قضاء حاجة
ولو كان الامر على تمليك الماكول خاصة لكان الدعاء والتقريب اليهم للمال احق ان يجوز لوجهين احدهما انه اقرب الى دفع الجوع و شدة
المسكنة من تمليك بر لا يصل اليه الا بعد تحمل المؤنة وطول المدة والثاني ان الكفارة جعلت بما ينفر عنه الطبع ليذيقه الم الاخراج
من الملك والبذل فيكفر ما اعطى نفسه من الشهوة التي لم يؤذن فيها وكذلك معنى الحسنات المكفرة للسيئات ثم كان دعاء المساكين و
جمعهم على الطعام وخدمتهم والقيام بما فيه الاختيار اليهم اشد على الطبع من التصدق عليهم فيجب ان يكون اقرب للتكفير به وعلى ذلك
يجوز بدل الثمن لما فيه تحمل المكروه على الطبع كهو في الطعام فيجوز معا اذ جعل ذلك حقا للمساكين يخرج من عليه بالتسليم اليهم من طوع

منهم ويجوز مثله من البيان في جميع الحقوق ثم مثله عن الكفارات والله اعلم على ان الله تعالى قال فما استيسر من الهدى و
يجوز فيه غير ذلك النوع وكذلك في كل الصدقات والله اعلم ثم جعل ذلك اكلتين لوجهين احدهما القول باطعام المساكين ثم اريد
به رفع المسكنة والمسكين هو الخاضع فاحق من يستحق اسمه السائل لانه يخضع للمسئول بالسؤال وقد روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال في يوم الفطر اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم ثم كان اقل ما اخبر فيه نصف صاع من حنطة فعلى ذلك صدقة المسكين ومثل
ذلك اذا اطعم يكفي مرتين وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفارة المناذي ثلاثة اصوع بين ستة مساكين فمثل مقدار طعام
المسكين فيما اريد لاطعام القدر وذلك مثله ما نحن فيه وذلك يعدل اكلتين وبه قال عمر وعلي رضي الله عنهما والثاني انه عز وجل قال من
اوسط ما تطعمون اهليكم والاوسط فيما له حدود ثلاثة يرجع ذلك الى اوجه ثلاثة احدها الى الاوسط من صفات المأكول والثاني
الى الاوسط من مقدار الاكل والثالث الى الوسط من احوال الاكل فالاول نحو الاجود والاردى وبين ذلك والثاني نحو السرف والقتر و
بين ذلك والثالث نحو مرة وثلاث مرات في يوم واحد وبين ذلك فاذا لم يثبت في خبر ما اليه يرجع المراد فحق الاحتياط ان يكون الوسط
من الكل ليخرج بما فرض عليه فلذلك وجبت اكلتان معا حقيقة الواسط من الانواع والمقادير لما لا منتهى لطرفيه وقد يعرف حقيقة
عدد الاكثر والاقل من الوقت فهو ان يعتبر والله اعلم ثم كان الامر في الظاهر بالاطعام وراجع على رجوع الامر الى الحد وان لم يذكر فهو
والله اعلم يحتمل ان يكون انه نوع حده من حكم الكتاب من وجهين احدهما ان الاية اذا كانت على ما يوكل ويطعم كان فيما عليه العرف ان لا
يقرب الى اخر ما يطعم فيقتصر على اقل ما يستحق اسمه وقد يتصدق بالقليل في العرف فلذلك في الامر به تحديد اذ كان بما يعرف فيه التحديد
ولذلك لم يذكر فيه التفسير مرفوعا وذكر في قصة المناذي لما ليس في لفظها دلالة الحدود وفي لفظ الاطعام دلالته اذ فيه عرف وعلى
هذا امر ما جاء من البيان في الصدقات ولم يذكر في الاطعام لامكان التواتر وعلى هذا يجب ان يجوز الاطعام ايضا وان لم يكن فيه
تمليك والله اعلم والثاني قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ومعلوم ان كل شيء له واسط فهو ذو حد وحدود واطراف على انه رد الى
طعام الاهل وفيه الاشباع لا محالة لذلك وجب القول بالحد والله اعلم واذا ثبت القدر فيه بحق الخطاب يجب وصل ذلك به ليعرف به
حقيقة المقصود والله اعلم وكانه قال اطعام عشرة مساكين اذ اطعام عشرة في العرف عبارة عن قدر طعام واطعام عشرة عبارة
عن فعل الاطعام وقد ثبت انهما ارادا جميعا فكانهما ذكرا موصولين ولو توهمنا ذلك لم يكن بحق حفظ العدد بل بحق حفظ مقدار ذلك
العدد من الصيام كان مدفوعا الى الواحد واكثر والله اعلم لذلك اجاز اصحابنا جمع الكل في مسكين واحد عشرة ايام ولم يجز في يوم
واحد اذ حق الامر على ان يغدي ويعشي وان كان يجوز الدفع لما فيه حق الاطعام فصير طعام كل ذلك وهو قدر طعام مسكين بنزول
عنه المسكنة لكن الاطعام فيه لا يجوز واذا كان حق ما ذكرت الجواز فنساده لمعنى اعترض منع لانه خارج عن ان يراد له على ذلك
وذلك كزوج بعض المساكين لعلل عن الدفع اليهم لا لانه لو اجيز كان كالخلاف للذكر فمثله الاول والله اعلم ودليل اخر ما جرى ذكر عشرة
لا لان يجعل العشرة شرطا انه معلوم بالمعنى الذي له جعل الدفع اليهم او الاطعام لهم سببا للجواز ان ذلك بحيث تحمل المكروه على الطبع
وكف الهوى عن مثلها واذاقة النفس مرارة الدفع قد جعل ثنائه يكفرها اتبعها هواها واوصلها الى مناها فيما خالف الله في فعله حيث
لم يف بالعهد الذي عهد الله او الزم نفسه عهدا من منع عن الوفاء فيخرج ضده مخرج فعل ناقض العهد ومخلف الوعد بالله وذلك المعنى
في البذل لا في مراعاة العدد ولا في ان كان حقا لهم قبل الدفع بل باختيار الدفع اليهم يجاهد يختبر فيه بماله ايثار غيره والخروج عن
ذلك بالعتق والصيام الذي لا يعود اليهم نفعه ولكن الكفارة انما جعلت ما يغدي ويعشي وبحق ان اذا اريد الخروج به منه بمسكين و
يحتاج الى تجديد الايام وترداد الاوقات وفي ذلك خوف بقاء الذنوب عليه ولعله يعجله المنية فيبقى ذنبه غير مكفر جعل الله له التكفير
في المساكين تيسيرا وتمكينا من الخروج الذي ذكرته لا لفوت معنى ما له التكفير فلذلك يجوز على ما ذكرت وهذا الوجه يوجب منع الجواز في
يوم واحد والله اعلم وبعد فانه متى اطعم مسكينا بقي عليه خطاب اطعام تسعة وذلك لو ابتداء الخطاب بتسعة فما يتضمنه الخطاب كذلك
اذا كان بعد اسقاط الواحد من الخطاب والله اعلم ثم لو كان العدد شرطا لكان يوجد معنى العدد في الواحد اسقاطه اذ ذلك في موضع
التكفير والتطهير وكل ذلك يتعلق بالمعاني مما ذكر فيها من الاعداد نحو الغسل من الاحداث والجنابة والانجاس فمثله الكفارة وبعد
فانه معلوم ان لكل مسكين قدرا من الطعام ثم كان القدر والواحد يتفرق الاملاك عليه يستوجب حق قدر العشر فعلى ذلك المسكين
الواحد بما يتفرق عليه المسكنة كل يوم ويجدد والحاجة يصير كعدد المساكين وذلك ايضا شبيه بما روي من الاستنجاء بثلاثة احجار
على استحقاق كل حرف من ذلك حتى حجر له حرف من حيث كان غير مستنجى به فكذا ما نحن فيه اذ له كل يوم حق مسكين اخر من حيث حل
له حاجة لم تندفع بالاطعام الاول والله اعلم وليس كالاعداد في الشهادة لما جعل العدد فيها بما يلحق الواحد تهمة او له به منفعة التفرد
او نوع عبادة في موضع الحكم والقضاء وتسليم الامر لغير من يحتج وفي هذا معنى التكفير قد بينا وذلك كمعنى التطهير في الذي وصفنا
على ان الشهادة في اليوم الثاني اعادة الاول والاطعام هو تجديد الدفع والواحد قد يقوم في الشهادات مقام ما به اذا كان لكل حق
التحديد والله اعلم ثم قوله تعالى عشرة مساكين من غير ذكر القريب والبعيد والمؤمن والكافر والصغير والكبير وقدر المسكنة او العلم
الذي به تعرف ومعلوم ان لكل جهة مما بينا احد بالناس الى معرفته حاجة ولكل جهة تنازع والاجتهاد في الوقوف على الحقيقة

على الانفاق

على الانفاق وعلى انه لم يجعل الامر على الاسم خاصة وان الذي هو في حد الفقر فيما ذكر فيه المسكين والفقير قايم مقام المسكين
ههنا في الجواز ليعلم ان المعنى فيهم مقصود يجب طلبه والبحث عنه والله اعلم ثم اجمع ان الصغير الذي قدر اللقمة لقمة الكبير لم
يتم في حق الاطعام الا من حيث التمليك اذ الجمع على اقل الغداء انه مد والذي يكفي عشرة مثله ثبت انه لا الى مثله رجع الخطاب وايد
ذلك قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ان مثله لا يبلغ اقل ما يطعم الاهل على انه لو اريد بالاهل الزوجة لكان مثلها لا يطعمها
الزوج فثبت ان المراد راجع الى الخصوص والله اعلم والاصل في ذلك ما بينا من تألم الطبع بدفع مثله وان يوم يميل الطبع الى دفع
مثله بل لا يحتمل اهماله وبعد فان مثله لا يطعم فثبت ان الامر راجع الى واحد والله اعلم وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين والولد انه لا يجوز
لان الطبع يألم بمسكنة هؤلاء لا بما به دفع المسكنة عنهم بل جعل الله تعالى الطبايع بين هؤلاء بحيث لا يحتمل نزول البلاء الشرع به
وبحيث يجتهد كل بدفع الضرر عنهم على مثل الدفع عن نفسه وبذل المال المصون عرضهم حتى لقد يشتم من لم يتعاهد منهم ذلك و
يلام اعظم اللوم واذا كان كذلك لم يتضمنه هذا الامر اذ لم يجد بهذا يقومون بذلك بحق الطبيعة لا بامر وقد بينا وجه الكفارة انه
في مخالفة الطبع والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن الذي امر يتزين بذكوته فاعطى ابنه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا فلان لك ما نويت وقال للاخر لك ما اخذت ولو كان يجوز اختيار مثله لكان ذلك احب ما صار اليه وانه قد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انت ومالك لابيك فلا يحتمل مع هذا الجواز بالاختيار ويصير ما يدفع الى ابنه كان له وما يدفع
الى ابيه كانه لنفسه دفع فلذلك لم يجز والاصل في هذا وفي الزكوات انها حقوق جعلها الله تعالى في الاموال لوجهين احدهما ما ابتدأ
الله عبيده بالنعم وخصهم باعطاء ما اشتهت انفسهم ومالت طباعهم فاسنا اذا لم يشكر ذلك بالذي جعل في طباعهم النفار عنه
وفي انفسهم الالم به من الاخراج عن الملك ومعونة من لم يكرمهم به ولا انعم عليهم به والثاني ان يكونوا قد قرنوا ما اثما بما اعطوا انفسهم
ها هنا واوصلوا طباعهم الى هواها بغير الوجه الذي اذن له في ذلك من هو له في الحقيقة وهو الذي اختصهم فعرض عليهم الخروج
بما فعلوا من الوجه الذي في الطبع النفار عنه وفي النفس الالم به ليذيقوا انفسهم بذل ما اعطوها من اللذة المرادة فمن هو من المتعبد في
بالمحل الذي يجد به هذا فهو مقابل ماله اكرم وبه اعرف ومن لا يجد به هذا فليس بمقابل ذلك فلم يف بحق ثم يخرج مما عليه من الفرض
وان كان الله بكرمه وجوده بحيث يرجى منه العفو ومنه القبول منه والله اعلم وعلى ذلك عندنا امر الزوجين اذ يوجد بينهما في
البذل شهوة وميل الطبيعة ويكون التناكح بمثله على ما ذكر من النكاح لاربعة اوجه احدها المال وما كذلك الموجود في الطبايع والله
اعلم وعلى هذا المعنى يخرج امر الشهادة اذ هي مؤسسة على دفع التهم عن المدعين فاذا رجعت منافعهم الى حججهم تمكنت فيه
ذلك فلم يقبل وجملة ذلك ان الشهادة ودفع الزكوات والكفارات بحق الامانات وهي بحيث للامناء الانتفاع بها فكل وجه
فيه انتفاع المؤتمن فانه له الانتفاع بلا تمانع في العرف وبما في الطبع ايثار نفعه فكان له فيه ما بان والا جعل امينا فلا يثبت له
الامانة فيه والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة له والله اعلم ثم الدفع الى الكفار القياس ان يجوز بجميع ذلك
من حيث كان المعنى الذي له يختار في الدفع اليهم او يجد من ثقل الطبع والم النفس وعلى ذلك اختير عندنا الكفارات وايد ذلك
قوله تعالى ان تبدوا الصدقات الى قوله ويكفر عنكم من سيئاتكم صير الصدقات مكفرة لما ذكرتم يدل على ذلك فيما قال اهل التفسير
في قوله ليس عليك هداهم الاية ان ذلك في التصدق على اهل الكفر اي لا يمنعك ذلك وكان على اثر الوعد بالتكفير بالصدقة
فامكن ان يكون نزل في ذلك معا كانت الكفارات جعلت بشرط المسكنة وقبيح في المسلم دفع السؤال وان كان اكثر فجائزا
لدفع اليهم وجملة ذلك ان ذلك بما اختار من اعطاء النفس شهواتها فيما لم يوذن له فيكون كفارتها بالكف عن الشهوة فيما كانت
يحل والبذل بالذي كان يسعه منع ذلك وذلك المعنى موجود في ذلك علم ان التصدق عليهم نقض ما يرغبهم في الاسلام لم يجز
المنع والله اعلم واما الزكوات فهي مخصوصة بما جاء من اضافة الدفع الى من يوخذ من غنيهم ولما بين اهلها وجعل عليها سعادة
ليحفظوا المواضع واما الكفارات جعل الى اربابها ايجابها وللخروج عنها في تخيير اهلها مقام كانت الزكوات وجب بالا كسب بحق
الشكر وحق الشكر الانفاق في الطاعة ثم كان الانفاق على من يطيع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة وعلى الكافر لا يقتضي
عن شرط التمام في معنى الشكر والكفارة في حق اعطاء النفس الشهوة فيمحضها باخراج ما في شهوتها المنع وذلك المعنى موجود
في الكافر على التمام لذلك ما اختلفا وبعد فان الزكوات تجب بلا ايجاب وقد قطع الله الحق الذي ذلك سبيله ثم بين مختلفي الملك
بحق المواريث والكفارات تجب بما اكتسبوا وبين القريبين في الحقوق في الملك شبه اشتراك ولا قوة الاباحة والاصل في ذلك ان
الزكوات وجبت في الاموال حقا للفقراء ثم هي تخرج الى من وجبت لهم فالم يعلم من وجبت له لم يخرج على مثل حقوق المواريث
للقرابة وغير ذلك والكفارات ليست بواجبة في الاموال يخرج بل ينظر الى وقت الدفع والقيام بالتكفير فان كانت له
اموال دفعها منها والا ليست عليه فصارت الحقوق كانها بالدفع اذ لو توهم وقت الوجوب له الغنى والفقر لكان الامر لا
يختلف واذا كان كذلك وله ابتداء التصدق عليهم بحق التطوع والنذور وغيرهما فيجوز فيهم والزكوات ذا الدفع
منها تسليم الى من كان له الحق احتيج في ذلك الى تبيين ذلك والله اعلم وصدقة الفطر بحق اظهار السرور ودفع السؤال كما روي

عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم لا يحق ما كان جعل في ماله يخرج منه بل يحق المعونة وذلك لازم في العقول لكل مايل ولخاصة في الدفع اليهم ليستغنوا بما فيه سرور اهل الاسلام والله اعلم وايضا ان الزكوات اوجبت في الابتداء حقا للفقراء اذ ان الله سبحانه وتعالى اخرج ارزاق الخلق املاكا لبعضهم والزمهم تحمل كفاية من لم يملكهم اعين تلك الاموال اذ لم يخلق ابتداء الخلق لهم الجملة واذا كان محل الزكوات في الابتداء وجعل لاهلها بها الغنى واهل الكفر ابوا قبول الدين الذي ذلك حق جعل للمحتاجين في اموال الاغنياء فلم يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق بل لو كان كان في اموال الاغنياء مذهبهم ولاهل الاسلام ان ذلك الحق في اموال اغنيائهم وكذلك من عليهم الحق قبلوه بالدين لاهله لم يدخل في ذلك غيرهم ثم كانت الكفارات والنذور ونحوها ليست بجعلها بالدين لحق الفقراء وانما هي واجبة يتعاطى اداب من لزمهم ليتقربوا الى ربهم ويخرجوا بها مما جنوا على مذهبهم وقد جعل ذلك في جملة الصدقات وفي انواع العبادات التي لا عبرة فيها للمنافع للخلق فثبت انها لم يجب لهم وانما الشرط عليهم فيها ما يكون عبادة قربة الى الله تعالى وقد جعل الله تعالى في الدفع الى مساكينهم قربة وعبادة لجازت وعلى هذا يخرج قولنا في العتق على ان قولنا لجميع المخالفين لنا في هذا اولى لان مذهبهم اعتماد العموم الا في قدر ما يمنعهم عن ذلك والعموم لجميع الفرق كلهم باسم المساكين وانهم تحرير الرقبة ولا دليل لهم على الخصوص الا ضرب من القياس ومن مذهبهم ان اخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب خصوص ذلك فكذا يلزمهم ان لا يخصوا لوجود التخصيص في غيره ان ذلك ابعد على انهم اجمعوا ان يقاس ما ليس فيه ذكر التتابع على المذكور فيشترط الايمان وجعلته انه قد يجوز في العتق مع قيام كثير من العيوب التي لا يحتمل التغير بغيبة الدين الذي يمكنه احق وكذلك من قول الجميع ان العجز بالمرض عن المكاسب لا يمنع اذ هو قد يزول فالذي لا عجز فيه ويمكنه اختياره احق ان يجوز والله اعلم ثم الاصل ان الله تعالى في الكفارة التي جعل الايمان فيها شرطا ذكر العتق في ذلك في قتل ثلاث فرق ذكر في كل مرة تحرير رقبة مؤمنة لم يدع ذكر ذلك في شيء منها الذكر في نوع من ذلك على ان ما بين اولئك الاسباب فلو كان يحتمل الاقتصار على بيان الكفاية دون المبالغة او يجب ذلك في النظر لكان يذكر مرة كناية على نحو الصوم مرة ثم لم يكتف على تقارب المعنى بان ان ذلك نوع مما لم يؤذن فيه تعليق الحكم بالمعنى بل لو كان ماذونا فيه لكان يوجد في القتل معان لا توجد في غير ذلك فلا يجوز قياس غيره عليه والله اعلم فان قال قائل اذ قال الله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ثم قد جعل سيئة الظهار والقتل عتق رقبة وبالصيام صوم شهرين متتابعين فكيف جعل مثل سيئة الحنث بالعتق عتق رقبة وبالصيام ثلاثة ايام فلو كان ثلاثة عدل العتق فاذا زاد في الظهار والقتل في الجزاء نقول وبالله التوفيق لذلك اجوبة ثلاثة ان الجزاء في الدنيا هو ما يجوز به المحنة ابتداء لا على الجزاء فعلى ذلك يجوز فيه الزيادة بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو كما قال الله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفي الاخرة لا يكون بحق ابتداء المحنة انما ذلك بحق الجزاء وهو عز وجل حكيم عدل لا يزيد على ما توجبه الحكمة ويجوز التجاوز بما هو عفو كريم فلذلك اختلف الامران والثاني ان يقال حق جزاء كل ما فيه العتق صيام شهرين متتابعين والله العفو فيه عامل الحانث فرضي منه بصوم ثلاثة ايام لما علم عز وجل في ذلك من المصالح والله اعلم والثالث ان يكون حق الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر وكذلك في القتل والظهار وفيهما حق العتق كذلك وفي اليمين دونه ولكنه تم بما لا يحتمل التجزية على حق كل شيء لا يتجزى ان جزء منه متى وجب يجب كله فعلى ذلك العتق والله اعلم ثم نقول وظاهر هذا يشهد لابي يوسف رحمه الله ومحمد رحمه الله انه متى اوجب جزءا منه عتق كله اذ لا يحتمل التجزية دليله امر الكفارات والله اعلم ومذهب ابي حنيفة رضي الله عنه انه يحتمل ان يكون هذا لما لا يحتمل العتق التجزية وان كان العتق في نفسه محتملا فيجب عرض ذلك على ما فيه بيانه فوجد الامر بالتحرير حيث كان يذكر الرقبة ولو كان لا يحتمل من حيث التحرير كافيا عن ذكر الرقبة فاذ ذكر في كل ما امر بان انه ذكر ليتم بالاعتاق لانه يتم بلا ذكر فعلى ذلك امر الطلاق لم يذكر فيها معنى رقبتها لما لا يحتمل والله اعلم ببعض ذلك ثم كانت الحقوق ترجع الى الانتفاع او نزول او مضرة او نحو ذلك لا يحتمل النقض هو المعتق منه دون غيره ثبت ان ذلك ان كان كذلك فهو لما لا يحتمل حقوقا كاملا اذ في ترك الاكمال في ترك الاكمال فوت نفع ما اوجب والله اعلم ثم يجوز اعتاق الجزء من حيث كان الملك والجزية باخذ العين والمنافع تصل الى المباشرة والمباشرة لا تحتمل التميز وفي القول فيه جملة يحتمل لذلك اختلفا وعلى ذلك امر الطلاق لا ملك ثم في النفس انما حقيقته المباشرة والانتفاع وذلك لا يحتمل الجزء والطلاق منها اوجب دون غيره فلذلك كل والله اعلم

وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الاية عن ابن عباس رضي الله عنه قال الميسر القمار وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر زجرا فانها من الميسر وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الميسر قمار وعن علي رضي الله عنه قال لان اخذ جمرتين من نار فاقلبهما في يدي احب الي من ان اقلب كعبتي نرد وعن علي رضي الله عنه ايضا قال الشطرنج هو ميسر الاعاجم وعن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وهؤلاء السلف قالوا الميسر القمار كله حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا جلب ولا جنب ولا اشغار ولا وراط في الاسلام

وقيل الوراط

وقيل الوراط القمار وقيل الجلب هو ان يجلب وراء الفرس حتى يدنو او يحرك وراءه الشيء يستحث به السبق والجنب هو الذي يجنب مع الفرس الذي يسابق فرسا اخر حتى اذا دناه تحول راكبه الى الفرس المجنوب فاخذ السبق واجمع اهل العلم على ان القمار حرام وان الرهان هو المخاطرة مثل القمار وما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه خاطر اهل مكة في غلبة الروم فارس فقال النبي صلى الله عليه وسلم زدهم في الخطر وابعدهم في الاجل فكان ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الوقت الذي لم ينفذ حكمه فاما في دار الاسلام فلا خلاف في ان ذلك لا يجوز الا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والابل اذا كان الاخذ واحدا ان سبق اخذ وان سبق اخذ وان سبق لم يدفع شيئا وكذلك ان كان السبق بين الرجلين ايهما سبق اخذ ودخل بينهما فرس ان سبق اخذ وان سبق لم يغرم صاحبه شيئا فهو جائز و يسمى الداخل بينهما المحلل فاما الرخصة فيه فما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا في خف او حافر او نصال هذا الذي وصفنا كله من الميسر والانصاب هي الاحجار والاوثان التي كانوا ينصبونها ويعبدونها ويذبحون بها واما الازلام فالقداح التي يستقسمون بها في امورهم ويستعملونها ففيه دليل بطلان الحكم بالقرعة لان الاستقسام بالقداح هو ان كانوا يجعلون الثمن على الذي خرج سهمه اخيرا ويتصدقون بما اشتروا على الفقراء ففيه ايجاب الثمن على الغير فيجعلون الامر الى من ليس له تمييز فعوتبوا على ذلك فعلى ذلك الحكم بالقرعة تسليم الى من ليس له تمييز بين الحق وغير الحق فيلحق هذا ما الحق اولئك ثم اخبر ان ذلك كله رجس من عمل الشيطان وليس هو في الحقيقة عمل الشيطان لان الشيطان لا يعمل هذا حقيقة لكن نسب ذلك اليه لما يدعوهم الى ذلك ويزين لهم وكذلك قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان انه كذا وكذلك قوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه وهو عليه لعنة الله لم يتول اخراجهما ولكن كان به سبب الاخراج والازلال وهو الدعاء الى ذلك والمراة لهم فنسب ذلك اليه والله اعلم

وقوله عز وجل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر هم في الظاهر لم يجتمعوا على العداوة والبغضاء بل يكون اجتماعهم على الالفة والمودة على ذلك يجمعهم في الابتداء لكن لما شربوا واخذهم الشراب وقع بينهم العداوة والبغضاء فكان قصده الى جمعهم في الابتداء على المحبة والمودة ما ظهر منه في العاقبة من ايقاع العداوة بينهم وتفريق جمعهم وهو كقوله تعالى يدعوهم الى عذاب السعير ولو دعاهم الى عذاب السعير الى ما لا يجيبونه لكن دعاهم الى العمل الذي يوجبهم عذاب السعير فعلى ذلك هو يدعوهم الى الاجتماع في الخمر والميسر الى ما يوجب ويقع بينهم العداوة والبغضاء ففيه ان الاعمال ينظر فيها العواقب كما روي الاعمال بالخواتيم وفي الاية دليل تحريم الخمر لانه قال رجس من عمل الشيطان والرجس حرام كقوله تعالى فانه رجس وفسقا وما يدعو اليه الشيطان ايضا حرام وكذلك قوله قل فيهما اثم كبير والحلال المباح لا اثم فيه ولا يسمى رجسا وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال فخطب الناس فقال يا ايها الناس ان الله يعرض على الخمر تعريضا لا ادري لعله سينزل فيها ثم قال يا اهل المدينة ان الله قد انزل تحريم الخمر فمن كتب هذه الاية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبيعها قال فسكبوها في طرق المدينة وعن عمر رضي الله عنه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في البقرة يسالونك عن الخمر والميسر فقرئت عليه فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في النساء لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة قال لا يقربن الصلوة سكران فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ فهل انتم منتهون قال انتهينا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم ونبيذنا تمر وزبيب وبسر خلطناه جميعا فبينا نحن كذلك والقوم يشربونه اذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال ما تصنعون والله لقد انزل تحريم الخمر فاهرقنا الباطية وكفانا ثم خرجنا فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يقرأ هذه الاية ويكررها انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى قوله فهل انتم منتهون فالخليطان حرام فاجمع اهل العلم على ان الخمر حرام قليلها وكثيرها وان عصير العنب اذا غلا واشتد فصار مسكرا خمرا واختلفوا فيما سوى ذلك من الاشربة فكان ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله يقولان ما كان من الاشربة بما متخذا من النخلة والعنب فهو حرام كنبيذ البسر والتمر والزبيب اذا اسكر كثيره فهو حرام عندهما وعلى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين من النخلة والعنب فلا يحرم وان كان سبالا السكر منه لان غيرهما من الاشربة قد تتخذ للسكر وان كان في مكان لا يتخذ الا للسكر فهو مكروه قليله وكثيره كالمتخذ من النخلة والعنب وكانا يقولان ما كان من الانبذة مطبوخا فهو حلال وان قل طبخه الا العصير فانه لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكانا يفرقان بين العصير وغيره بان العصير ليس فيه شيء من غيره وان ترك بحاله غلا فاسكر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثه او نصفه فهو يغلي ويسكر فلم يخرجه الطبخ من حد الاول انه كان يسكر قبل ان طبخ وهو الان يسكر بنفسه اذ لم يجعل فيه شيء غيره وسائر ما يتخذ منه الانبذة ان بقيت لم يشتد ولم يسكر حتى يلقى عليه الماء ويخلط بها غيره فحينئذ يسكر فهي مثل العصير اذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ان بقي وهو لم يسكر حتى يلقى عليه الماء فحينئذ يسكر فاذا صار العصير في حال ان بقي مدة لم يغل بنفسه حتى يلقى عليه غيره كان بمنزلة الزبيب والتمر اذا التي عليهما الماء فطبخا وعاد

ما روي عن عمر رضي الله عنه في الطلاء انه لا يحل حتى يذهب عنه سلطانه يقول انما كان يغلي بنفسه من عنبان يصب عليه الماء نفيه سلطانه
فاذا صار لا يغلي بنفسه وهو ان يطبخ حتى يذهب الثلثان فقد ذهب سلطانه وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ابا عبيدة و
معاذ بن جبل وابا طلحة رضوان الله عليهم كانوا يشربون من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وقد وصفنا قول ابي حنيفة وابي يوسف
رحمهما الله بين المطبوخ وبين المثلث والمنصف من العصير فاما فرقهم بين المطبوخ ما يتخذ من النخلة والعنب والتي منه فهو الخمر التي
لا خلاف في تحريمها في العصير التي يصير خمرا فكل ما كان نيا من الشجرتين اللتين سماها النبي صلى الله عليه وسلم فهو حرام اذا اسكر فاذا كان
مطبوخا فقد عمل فيه على خروجه من حد الخمر فان قيل يجب ان يقاس ذلك على التي لانه يسكر وفيه صفات الخمر قيل الخمر حرمت لعينها لما
لا يتخذ الا السكر ولا يقاس عليها غيرها وانما يقاس على ما حرم وحل لعلة دون ما حرم بعينه وانما عنى من الابنة فانما يحرم منه
السكر الا ترى انه في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابا يقال له البتع فما نشرب
منه وما ندع قال اشربوا ولا تسكروا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب وعن
علي رضي الله عنه قال فما اسكر من النبيذ ثمانين وفي الخمر قليلها وكثيرها ثمانين فدل قول علي رضي الله عنه فيما اسكر من النبيذ ثمانين معناه
في السكر ثمانون وذلك يدل ان قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان السكر منه حرام وعن عمر رضي الله عنه انه اتي بسكران
قال يا امير المؤمنين انما شربت من نبيذك الذي في الاداوة فقال عمر رضي الله عنه لست اضربك على النبيذ انما اضربك على السكر فهذه
الاخبار التي ذكرنا دلت على تحريم بعينها والسكر من كل شراب **وقوله** عز وجل ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة يدل على تحريمها لانه
اذا اسكر صد عن ذكر الله وعن الصلوة **وقوله** عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول في تحريم الخمر والميسر والازلام والانصاب و
غيرها واحذروا معصيتها وخلافها فان توليتم عن طاعتهما فاحرم عليكم وحذركم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين في تحريم
ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر قبل تحريمها اذا ما اتقوا شربها
بعد التحريم وامنوا اي وصدقوا بالتحريم ثم اتقوا شربها وامنوا في حادث الوقت ثم احسنوا وذكر في بعض القصة انه لما نزل تحريم الخمر قالوا
كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية لكن هذا لا يحتمل ان يكون
كما ذكر لانهم شربوا الخمر في وقت كان شربها مباحا ولم يشربوا بعد تحريمها لكن هذا ان كان فانما قالوا في انفسهم فنزل ان ليس عليكم
جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد ان اتقيتم شربها بعد نزول حرمتها والله اعلم وقال بعضهم ان في الاية تكرارا في قوله تعالى اذا ما اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين لكن الوجه فيه ما ذكرنا ليس على التكرار والله اعلم **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله
بشيء من الصيد انه ابتلاء بشيء من الصيد وليس فيه بيان انه ابتلي بالامر فيه او بالنهي لكن بيانه في اية اخرى ان الابتلاء انما كان بالنهي
عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا ودل هذا على ان المحرم كان منهيا عن الاصطياد بقوله واذا حللتم وان الابتلاء الذي ذكر في
الاية كان بالنهي عن الاصطياد والله اعلم ثم اختلف في الاية قال بعضهم النهي بشيء من الصيد لاهل الحرم الا ترى انه روي في الخبر قال لا ينفر
صيدها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها فكان الابتلاء بالنهي عن الصيد لاهل الحرم لما اخبر انه لا ينفر صيدها واما المحرم فانما نهي
عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا وبقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال اخرون الابتلاء بالنهي عن الاصطياد للمحرمين
وفي قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهي عن قتله وهنالك نهي عن اخذه بقوله تناله ايديكم وقوله تعالى بشيء من الصيد اي في بعض الصيد
دون بعض لان المحرم لم ينه عن اخذ صيد البحر بقوله احل لكم صيد البحر وقال تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فذلك معنى
قوله بشيء من الصيد والله اعلم ويحتمل على التقديم والتاخير كانه قال ليبلونكم الله بشيء تناله ايديكم ورماحكم من الصيد والله اعلم ثم
اختلف في قوله تناله ايديكم قال بعضهم ما تناله الايدي هو البيض وعلى هذا يخرج قولنا ان المحرم منهي عن اخذ البيض فان اخذ بيضا
فان اخذ بيضا فان عليه الجزاء والذي يدل على ذلك ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيض النعام
صيام يوم او اطعام مسكين وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نعام اصابه محرم بثمنه وعن ابن عباس
رضي الله عنه ثمنه او قيمته وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وقال بعضهم تناله ايديكم هو صيد الصغار وهي الفراخ التي لا
تطير فيؤخذ بالايدي اخذا **وقوله** عز وجل ورماحكم قال بعضهم ما رميت وطعنت وقيل في قوله تناله ايديكم ما يؤخذ بغير سلاح و
رماحكم ما يؤخذ بالسلاح من نحو النبل والرماح وغيرهما من السلاح ثم في الاية دلالة ان المحرم قد نهي عن اخذ الصيد وكذلك في قوله
تعالى فاصطادوا والاصطياد هو الاخذ لا القتل وانما النهي عن القتل في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم **وقوله** عز وجل ليعلم الله
من يخافه بالغيب ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا او ان يقال ليعلم ما قد علم غائبا عن الخلق شاهدا كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة
الاية **وقوله** عز وجل من يخافه بالغيب اختلف فيه قال بعضهم يخافه بالغيب بغيب الناس اي يخافه وان لم يكن بحضرته احد
وقال اخرون يخاف العذاب بالاخبار وان لم يشهد ويصدق والله اعلم **وقوله** عز وجل فمن اعتدى بعد ذلك اي من استحل قتل
الصيد بعد ما ورد النهي والتحريم فله عذاب اليم ان شاء عذب وان شاء عفى واذا عذب كان عذابا اليما **وقوله** عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي وانتم محرمون الاية في ظاهرها على قتل الصيد كله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

رخص في اشياء

رخص في اشياء اذن في قتلها فيقال خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم في الحرم الحداة والغراب والعقرب
والفارة والكلب العقور وعن عايشة رضي الله عنها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم الحداة والغراب
والفارة والعقرب والكلب العقور وفي بعض الاخبار الذيب فيحتمل ان يكون الكلب العقور الذيب وروي عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم فقال الحية والعقرب والفويسقة والغراب والفيلة والكلب العقور والسبع العادي
والكلب العقور الذي امر المحرم بقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الاسد والنمر والذيب وما كان من السباع لا يعدو مثل الضبع و
الثعلب والهرة وما اشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم فان هو قتل شيئا منهن فداه وان قتل شيئا من الطير سوى ما ذكر في الخبر
فعليه جزاؤه وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل المحرم الفارة فانها توهن السقاء وقال بعض الناس ما قتل المحرم
من السباع التي لا يوكل لحمه فلا فدية عليه فكان تاركا لظاهر الاية وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فان احتج بحديث ابن
عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمحرم في قتل خمس من الدواب وذلك مما لا يوكل لحمه قيل اباح النبي صلى الله عليه وسلم قتل
الخمس لعلة انه لا يوكل لحمها فان قال نعم قيل ما الدليل على ذلك فان قال لانها لا توكل فكل ما لا يوكل من الصيد فقتله مباح قيل له تركك
لا يوكل ليس بعلة لان ذلك لا يزول ولا يتغير والعلة هي التي تحدث في وقت وتزول في وقت ولو كان قول القائل لا يوكل كان قوله يوكل
علة فيما يوكل وكان الشيء علة لنفسها وهذا بين الخطا واذا لم يكن تحريم اكل الخمسة التي اذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتلها للمحرم علة
في اطلاق قتلها كان القياس عليها على ما لا يحل اكله مخطيا لان القياس انما يكون على العلل وما لا علة فيه لا يجوز القياس عليه وعندنا
ان هذه الخمسة المسماة يبتدي المحرم وغيره بالاذى وان لم يبتدها المحرم وما سوى ذلك فما لا يوكل لحمه لا يكاد يبتدي بالاذى
حتى يبتدها الانسان فحينئذ تعرض له وبيان ذلك ان الحداة ربما اغارت على اللحم يراه في يدي الرجل والغراب يسقط على دبر الدواب
فيفسده والعقرب تقصد من تلدغه وتتبع حسه والكلب العقور لا يكاد يهرب من الناس كما يهرب السباع سواه فاما الضبع
والخنزير والكلب والذيب واشباهها فهي تهرب من بني ادم ولا يكاد يؤذيهم حتى يبتدا وهذا يالاذى جعلنا العلة فيما رخص النبي
صلى الله عليه وسلم للمحرم في قتله ما يعرف من قصدها لاذى المحرم وان يؤذيها المحرم ان كان ذلك معروفا فيها معلوما انه اكثر شانها فلما
لم يكن في سائر الطير المحرمة والسباع هذه العلة وكان المعروف فيها انها لا تبتدي بالاذى لم يجز ان يشبه بالخمسة المسماة في الخبر فاذا
ابتدى منها يبتدي المحرم بالاذى كان حينئذ مثل الخمسة فجاز له قتلها بغير فدية وبعد فان الذي لا يوكل لحمه يسمى صيدا والصياد وان
يصيد وانه يكون داخلا تحت عموم الخطاب ومخالفنا تارك لاصله في العموم لانه خص الاية بغير دليل ومن اصله ان الاية على العموم ولا
تخص الا بدليل واصحابنا رحمهم الله يجعلون الصيد كله محظورا الاكل والا ما يوكل الا ما عدا منها فان قتله قبل ان يعدو عليه لزمه الفدا
ذهبوا في ذلك الى ما روي في الخبر خبر ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقتل المحرم كذا وكذا والسبع العادي
فالعادي ما يعدو على المحرم والى ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل على المحرم
قتل ضبعا جزاؤه وكذلك عن عمر وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وهي مما يوكل وعن جابر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال
هو صيد وفيه كبش وعن عمر رضي الله عنه كذلك وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما كذلك **وقوله** عز وجل ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم اختلف في الاية في تاويلها على وجهين فاحدهما من جعل الاية على ظاهرها فلم يوجب في الخطا كفارة
عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا اصاب المحرم الصيد خطا فليس عليه شيء وكذلك روي عن عطا وسالم والقاسم انهم قالوا لا شيء
عليه مثل قول ابن عباس رضي الله عنه والقول الثاني ما قاله اكثر اهل التاويل قالوا قوله ومن قتله منكم متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه
فذلك الذي يحكم عليه وهو الخطا المكفر وان قتله متعمدا لقتله ذاكرا لاحرامه لم يحكم عليه وكذلك روي عن الحسن انه قال متعمدا للصيد
ناسيا لاحرامه وقال ومن عاد فينتقم الله منه متعمدا للصيد وذاكرا لاحرامه فكانهم ذهبوا الى ان المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو
ذاكر الاحرامه لحسن الظن به وعندنا ان الاحرام مما لا يجوز ان يخفى على المحرم وينساه لان المحرم اعلاما تذكره تلك الاعلام الحال
التي هو فيها وعندنا ان ما لا يجوز ان ينسى ويخفى على المرء بعد صاحبه في نسيانه وعندنا ان على قاتل الصيد الكفارة عمدا قتله
او خطا وليس تخلو الاية من ان تكون اوجبت الكفارة على المتعمد للقتل الناسي لاحرامه لما قال الحسن ومجاهد او تكون اوجبت الكفارة
على المتعمد للقتل ذاكرا لاحرامه اولى بالكفارة لان ذنبه اعظم وجرمه اكبر فان قيل لكم لا توجبون الكفارة على قاتل النفس عمدا فما
منع ان يكون قتل الصيد مثل ذلك وان كان حرمته اعظم كما قيل ان قاتل النفس عمدا وان كان لم توجب عليه الكفارة فقد اوجبنا عليه
القصاص وهو اغلظ من الكفارة وقاتل الصيد عمدا القتل ذاكرا الاحرام لو ازلنا عنه الكفارة فلا شيء عليه سواها لذلك اختلفنا ثم
نقول انا عرفنا الحكم في قتل الصيد في الخطا انما يعرف بغيره وليس في ذكر الحكم وبيانه في حال دليل نفيه في حال اخرى ولنا على هذا اشياء
قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع كرهنا اعادتها في هذا الموضع ثم تخصيص ذكر الكفارة في قتل العمد يحتمل وجوها احدها ان الكفارة
في قتل النفس انما ذكرت في قتل الخطا لم تذكر في قتل العمد ليعلم انها اذا وجبت في العمد فهي في الخطا اوجب والثاني ان الكفارة انما تجب
بجناية على صيد امن به في الحرم وكل ذي امانة اذا اتلف الامانة لزمه الغرم عمدا كان اتلافه او خطاء فعلى ذلك هذا والله اعلم والثالث

ان ذكر التخيير في حال الضرورة يخرج مخرج التوسيع والتخفيف على اهلها ولا يكون ذلك في غير حال الضرورة فدل ذكره في غير حال الضرورة على ان ذلك كالمذكور في حال الضرورة وقوله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم اختلف اهل العلم فيما يجب من المثل فقال قوم في الظبي شاة وفي النعامة بدنة وفي حمار الوحش بقرة واشباه ذلك وقال اخرون المثل قيمة الصيد يقومه عدلان فيوجبان قيمته دراهم فيشتري بتلك الدراهم شاة او يجعله طعاما فيتصدق به على كل مسكين نصف صاع او يصوم عن كل نصف صاع يوما وقال غيرهم ان بلغ دما ذبح شاة وان لم يبلغ دما تصدق به واما قولنا ان المثل هو القيمة لا المثل في راي العين ذهبنا في ذلك الى وجوه احدها ان المحرم لو اصاب صيدا في هذا الوقت حكم بجزائه حكمان فلو كان مثل الظبي شاة في كل الدهور والاوقات كان ما تقدم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من الحكم في ذلك كافيا لا يحتاج الى حكم غيرهم فدل اجماعهم على ان حكم الحكمين باق على ان المثل غير موقت بل هو مختلف على قدر الازمنة والمواضع والاوقات واذا جعلنا المثل قيمة كانت الحاجة الى الحكمين قائمة واذا جعلناه هديا فالحاجة اليها زائلة ولا يجوز ان يعطل امر الحكمين وقد ذكره الله في كتابه والثاني ما اجمعوا عليه ان ما لا مثل له في الانعام من الصيد اذا اصابه المحرم فعليه قيمته فاذا كان المثل في بعض الصيد قيمته فهو في كل الصيد قيمته وكذلك روي عن ابن عباس وغيره من السلف رضي الله عنهم انهم قالوا ذلك فان قيل ما لا مثل له من النعم لا يمكن قيمته قيل له فيجعل ذلك مثلا فان قال بلى فقد صارت القيمة مثلا في بعض الصيد فمنع ان يكون مثلا في كل الصيد فان قال المثل هو الهدي فيما له مثل فاما ما لا مثل له من الهدي فليس الواجب فيه بمثل انما ذلك قيمة ولم يجب ذلك بنص الكتاب وانما وجب ذلك بنص الكتاب المثل من الهدي فاما ما لا مثل له فانما تجب قيمته بالاجماع قيل له حدثنا عن قول الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم هل دخل في عموم الاية الفرخ ونحوه فيكون منهيا عن قتله فان قال نعم قيل فاذا دخل الفرخ في عموم النهي عن قتل الصيد فهو ايضا داخل في عموم قوله ومن قتله منكم متعمدا الاية فان قال لا يدخل الفرخ في عموم قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم قيل له قد قال الله تعالى ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم فروي ان ذلك في البيض والفراخ فان لم يجعل الفراخ والاشياء منها داخلا في الاية فما معنى الاية ونحن لا ننال بايدينا من الصيد الا صغاره وما يعجز عن الطيران والعدو منه فالاية توجب الصيد كله قد دخل في عمومها ما قلت قيمته وما كثرت وذلك يوجب ان يكون الواجب من قيمة الفرخ والعصفور مثلا والله اعلم ولان النعامة لا مثل لها من النعم فمن اوجب فيها بدنة فقد اوجب فيها ما ليس بمثل لها ولا نظير ومن اوجب فيها قيمتها فقد اوجب مثلا لها فهو موافق للنص عندنا والله اعلم وكذلك الموجب في الحمامة شاة لا تشبه الصيد المقتول في عينه ولا في صفته ولا في جنسه فهو غير موجب المثل بل الموجب فيه القيمة اقرب الى ايجاب المثل فيه والله اعلم فان قيل كيف يسمى قيمة الشيء مثلا وليست من جنسه وانما المثل ما كان من جنس الشيء قيل قد ذكرنا ان قيمة ما لا مثل له من النعم تسمى مثلا ولان الله قال او عدل ذلك صياما واذا جاز ان يسمى الصيام عدلا للطعام جاز ان يسمى القيمة عدلا للصيد وانما صار الصيام عدلا للطعام بالتقويم والمثل والعدل في المعنى متقارب والله اعلم ولان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ولو كان المراد من المثل المنظور في راي العين لم يكن لشرط ذوي عدل فيه معنى لان المثل في راي العين يعرفه كل احد بصر فيه او لم يكن فدل ما شرط من نظر ذوي عدل ما بطن فيه وخفي لا ما ظهر والله اعلم وقوله عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم تاويله ما ذكرنا بنظر الى رجلين عدلين لهما بصر ومعرفة في ذلك فيقومانه ثم يشتري بها هديا ان شاء فيهدي وان لم يبلغ هديا قومت الدراهم طعاما فان لم يجد صام مكان كل نصف صاع يوما وروي عن ابن عباس رضي الله عنه كذلك والحسن وابراهيم والقاسم والسلف جملة وعندنا انه مخير بين هذه الاشياء الثلثة يفعل اي هذه الثلثة شاء لان الله تعالى قال في المحصر ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك ولا خلاف بينهم في ان لصاحب العذر في حلق الراس ان يفعل اي هذه الثلثة شاء فكذا جاز ان يكون في جزاء الصيد مثله لان الخطاب خرج على حرف التخيير وكل خطاب خرج على حرف التخيير وكان سبب وجوبه واحدا فهو على التخيير نحو كفارة اليمين وما ذكرنا في دفع الاذى عن راسه والله اعلم وقوله عز وجل هديا بالغ الكعبة شرط بلوغ الكعبة وهو لا يبلغ نفس الكعبة فدل ان المراد رجع الى بلوغه قرب الكعبة وعلى هذا يخرج قولهم فيمن حلف ان لا يمر على باب فلان فمر بقرب بابه حنث استدلالا بقوله هديا بالغ الكعبة لم يرد به بلوغه عين الكعبة ولكن قربها او مكانها فعلى ذلك هذا والله اعلم وكان محمد بن الحسن يقول يحكم عليه بمثله من النعم حيث كان وابو حنيفة رضي الله عنه يقول يحكم عليه بقيمة الصيد في الموضع الذي اصابه فيه واختلافهما في هذا يرجع الى ما اختلفا فيه من المثل عينا او قيمة وقد روي عن عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما وغيرهما انهم حكموا في الظبي شاة ولم يسالوا عن الموضع الذي اصيب فدل تركهم السؤال عن ذلك على ان المواضع كلها كانت عندهم سواء وانهم اجروه مجرى الكفارات دون القيم لانهم لو اجروه مجرى ضمان القيم لسالوا عن اماكن الصيد يختلف قيمته ولا يستوي في ذلك الاماكن كلها فهذا يؤيد قول محمد ومن وافقه واما عند ابي حنيفة رحمه الله ان الملك المحرم في الصيد وكل من اتلف مال اخر وجنى على مال احد وانما ينظر الى قيمته في المكان الذي اتلفه فعلى ذلك النظر في الصيد الى المكان الذي اصابه ثم المسئلة في جزاء الصيد ان يذبح عندهم جميعا لا يجوز ان يذبح الا بمكة لانه لو جاز ان يذبح في غير الحرم حيث شاء زالت فائدة

قوله هديا

قوله هديا بالغ الكعبة وليس في ذلك بينهم خلاف واما الاطعام والصيام فان الله عز وجل لم يذكر فيهما موضعا ولا جعل لهما مكانا فله ان يطعم وان يصوم حيث شاء فان قيل ان الهدي يذبح في الحرم لمنفعة اهل الحرم به ويتصدق به عليهم فعلى ذلك الاطعام يجب ان يطعم اهل الحرم لانه جعل لمنفعة لهم قيل لا خلاف بينهم انه لو ذبح الهدي في غير الحرم انه لا يجوز دل انه لما ذكر ولكن لما الهدايا لا تذبح الا بمكة الا ترى من قال لله تعالى عليه ان يهدي فليس له ان يذبح الا بمكة ولو قال عليه الاطعام والصدقة له ان يتصدق في حيث شاء دل ان الهدي مخصوص ذبحه بمكة لا يجوز في غيره واما الصدقة فانها تجوز في الاماكن كلها لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز وجل ليذوق وبال امره اي ثقل امره والمه كما قال لذنبه وقيل جزاء ذنبه وهو الكفارة وقوله عز وجل عفا الله عما سلف اذا تاب ورجع عما استحل من قتل الصيد وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى استحلال قتل الصيد في الحرم ينتقم الله منه في النار ويحتمل من عاد الى قتل الصيد ينتقم الله منه بالكفارة ثم وقوله عز وجل والله عزيز ذو انتقام اي لا يعجزه شيء ويقال عزيز اي كل عز عند عزه ذل وغني اي كل غنى عند غناه فقر ومحق والله اعلم وقوله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما اخبر الله تعالى ان صيد البحر وطعامه حلال للمحرم ثم اختلف اهل التاويل في تاويله قال بعضهم صيده ما صيد وطعامه ما قذف في البحر كذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قال صيده ما صيد وطعامه ما قذف وعن ابي بكر وابن عباس رضي الله عنهما قالا طعامه ما قذف وقال بعضهم صيده ما اخذ طريا وطعامه مليحه عز وجل متاعا لكم اي منفعة لكم اي للحاضر وللسيارة اي للمسافر وعن بعضهم صيده ما صيد طريا وطعامه ما تزودت في سفرك ثم يجيء على قول اصحاب الظواهر ان يكون كل صيد البحر وطعامه حلالا لانها بظاهر قوله احل لكم صيد البحر وطعامه الاية وكذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الطهور ماؤه والحل ميتته انه لم يخص ميتة دون ميتة ولا طعاما دون طعام غير ان المراد عندنا يرجع الى السمك خاصة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا ميتتان فالجراد والسمك دل الخبران المراد من الاية والخبر يرجع الى السمك والله اعلم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما عن ابن عباس رضي الله عنه قال هي مبهمة لا يحل لك ان تصيده ولا ان تاكله وروي عن علي رضي الله عنه وهو محرم انه دعي الى طعام فقرب اليه يعاقيب وحجل فلما راى ذلك علي قام وقام معه ناس فقيل لصاحب الطعام ما قام هذا ومن معه الا كراهية لطعامك فارسل اليه فجاء فقال ما كرهت منه ما اشرنا ولا امرنا ولا صدنا قال علي رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ثم انطلق وعن عثمان رضي الله عنه مثله او قريبا منه واما عندنا فانه يحل للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصد هو ولا صيد له لما روي عن ابي قتادة رضي الله عنه انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان ببعض الطريق بمكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى حمار وحش فاستوى على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه سوطا فابوا فسالهم رمحه فاخذ ثم استد على الحمار فقتله فاكل منه بعض اصحابه وابى بعضهم فلما ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن ذلك فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله سبحانه وقال هل معكم من لحمه شيء وفي خبر اخر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عقر ابو قتادة حمار وحش ونحن محرمون وهو حلال فاكلنا منه ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر عن قتادة رضي الله عنه قال اني اصبت حمار وحش وعندي منه فقال للقوم كلوا وهم محرمون وفي بعض الاخبار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم ورخص النبي صلى الله عليه وسلم في اكل لحم الصيد للمحرم اذا لم يصد ولم يصد له وبذلك اخذ اصحابنا وفي الاية دليل لقولنا وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فعنا والله اعلم اصطياده الا ترى ان صيد ما لا يوكل لحمه محظور فدل ذلك على الاية نزلت في الاصطياد لا في اكل لحمه لان لحم الصيد من ان يصاد فالتحريم غير واقع عليه ليس كالبيض لان البيض قد يصير صيدا واللحم ليس كذلك ولان المحرم لو اتلف البيض غرم قيمتها ولو اتلف لحم الصيد لم يضمن شيئا فما لزمه الضمان منع عن اكله وما لم يلزمه لا ولانه لو حرم على المحرم التناول من لحم صيد صاده حلال لوجب ان يحرم على اهل مكة التناول منه اذ هم اهل حرم الله وذلك بعيد فاخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى بما روينا من الاخبار وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حديث ابي قتادة وغيره وبما دل عليه ظاهر الكتاب وهو قول عمر وعثمان وغيره رضي الله تعالى عنهم فان قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد وفي خبر اخر عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عضو من لحم صيد فرده فقال انا حرم لا ناكله وفي خبر اخر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن محرم اتي بلحم صيد قال لا تاكله قيل له هذا الحديث يجوز ان يحمل على ان كان صيد بعد ان احرم او يكون صيد من اجله وانا صيد من اجله لم يحل له اكله دليله من خبر عثمان رضي الله عنه ما امرت بصيده ولا صيد من اجلي وخبر جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم ثم المسئلة في معرفة صيد البر من البحر قال بعضهم ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصيدوه وما كان حياته في الماء فذاك البحري وقال اخرون اكثر ما يكون حين يفرخ وقال غيرهم صيد البر هو الذي ان اخذه الصائد حيا

فمات في بره لم يحل اذا ادرك ذكوته الا بتذكية فكل ما كانت هذه صفته فهو البري وان كان قد يعيش في الماء وما كان الصايد اذا
اخذه حيا وهو يعيش في الماء فمات في يده اكله فذلك صيد البحر وذلك السمك وفي ذلك وجه اخر وهو ان كلما القاه البحر وقذفه
فمات يحل لنا اكله فذلك طعامه وان لم يحل فليس بطعامه فما كان طعامه والقاه فمات فهو لنا صيد البحر وما لا يحل اكله اذا
القاه فليس بصيد البحر اذا صيد لان الله اباح صيد البحر وطعامه فما ليس بطعامه اذا القاه فمات فليس بصيد اذا اخذ حيا والله
اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله في استحلال قتل الصيد وفي الحرم واتقوا الله في اخذ الصيد في حال الاحرام بعد النهي واتقوا الله ثم
في كل ما لا يحل الذي اليه تحشرون فتجزون باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر ويحتمل قوله اليه تحشرون اي الى الحكمة تصيرون كقوله
تعالى له الحكم واليه ترجعون والله اعلم جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الاية اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى قياما للناس
اي ثباتا للناس ودواما لان الله تعالى جعلها موضعا لاقامة العبادات من نحو الحج والطواف والصلوة واراقة الدماء والهدايا
ونحو ذلك من العبادات ثم ان تلك العبادات جعلها ثابتة دائمة لا تبدل ولا تنسخ ابدا فذلك معنى القيام للناس والله اعلم وقال
بعضهم قياما بمعنى قواما اي جعلها قواما لهم في معاشهم ومعادهم لانه جعلها ما منا لهم وملجا حتى ان من ارتكب كبيرة او جرم جريمة ثم
لجا اليه لم يتعرض له بشيء من ذلك ولا يتناول منه وكانوا اذا وجد واحد منهم قاتل ابيه لم يتعرضوا له وان كانت حاجتهم اليه شديدة و
نحو هذا كثير مما يطول ذكره وجعل فيها عبادات ومقصدا ما لم يجعل في غيرها من البقاع من القضاء المناسك وغيرها وكذلك الشهر
الحرام كان جعله ما منا لهم اذا دخلوا فيه يامنون من كل خوف كان بهم وجعل في الهدايا والقلايد منفعة لاهلها فكان في ذلك قواما
لهم في معاشهم ومعادهم وعن سعيد بن جبير قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس شرفا لدينهم وقوله عز وجل ذلك
لتعلموا اي ذلك الامن وما ذكرنا من جعل الكعبة قواما لهم في معاشهم ومعادهم لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض اي على
علم جعل هكذا قبل ان يكون وقال بعضهم قوله ذلك اي ما سبق ذكره من تحريف الكتب وتغييره وتبديل نعته صلى الله عليه وسلم وصفته ثم
اي على علم منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل لم يمتحنكم لما لا يضره كفر كافر ولا ينفعه ايمان مؤمن بل حاصل ضرره يرجع الى الكافر
وحاصل نفع الايمان يرجع الى المؤمن وقوله عز وجل واعلموا ان الله شديد العقاب اي اعلموا انه شديد العقاب لمن عصاه وخالف امره
على ما علمتم انه عن علم منه كان جميع ما كان وان الله غفور رحيم واعلموا ايضا ان الله غفور رحيم لمن تاب واناب اليه وشديد العقاب
لان من العقوبات ما ليس بشديد وخاصة عقوبة الاخرة انه يعاقب بالنار وما من عقوبة الا وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة الا
وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة احد فانه لا يحتمل احد ولان عقوبات الدنيا وعذابها على الانقضاء وعذاب الاخرة لا انقضاء له
ولا افناء لذلك وصف بالشدة والله اعلم وقوله عز وجل ما على الرسول الا البلاغ فيه وجهان احدهما ان على من يبلغ ان الوعظ
لا تنفع ولا تنجع فيه اذا لم يكن الواعظ مستعملا لما يعظ غيره اذ ليس احد من الخلق اشد استعمالا من الرسل عليهم الصلوة والسلام ثم
لا تنفع مواعظهم وذكرهم قومهم ولا تنجع فيهم لشومهم ولشوم تعنتهم والثاني انباء ان على الرسل الا البلاغ ولا ضرر عليهم
بترك القوم اجابتهم كقوله تعالى فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين
وقوله عز وجل والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما تبدون من العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وبنصب الحرب والقتال معهم
وما تكتمون من المكر له والقصد لقتله كقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
الاية كانوا يمكرون ويقصدون قصدا هلاكه لكن الله عز وجل اطلع رسوله على مكرهم واخبر انه يعصمه عن الناس وقال الله عز وجل كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا وقوله عز وجل قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث
الاية يحتمل وجهين احدهما خرج عن سوال قد سبق منهم عن كثرة الاموال لما راوا اولئك كانوا يستكثرون ويجمعون من حيث يحل و
لا يحل فمالت انفسهم الى ذلك ورغبت فقال لا يستوي الخبيث والطيب كانه قال ان القليل من الطيب خير من الكثير من الخبيث والله اعلم
والثاني انهم رغبوا في عبادة اولئك من الرهب والاعتزال عن الناس لدفع اذى انفسهم عنهم ولكثرة ما كانوا يتحملون من الشدايد والمشقة
فرغبوا في ذلك وهموا على ذلك على ما ذكر في القصة عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم هموا ان يترهبوا ويعتزلوا من
الناس فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب ان العمل القليل مع اصل طيب خير من الكثير مع خبث الاصل وقوله عز وجل فاتقوا الله فيما
امره ونهيه يا اولي الالباب فيه دلالة ان الله لا يخاطب احدا الا من كل عظة وتم وبالله العصمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم يحتمل ان يكون النهي عن السوال عن اشيا خرج عن اسولة كانت منهم لم يكن لهم حاجة اليها فنهوا
عن ذلك الى ان يقع لهم الحاجة فعند ذلك يسالون كانهم سالوه عن البيان والايضاح قبل ان يحتاجوا اليه الا ترى انه قال وان
تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الاية ويحتمل ان يكون خرج النهي عن السوال ابتداء على غير تقدم سوال كان منهم ولكن نهوا عن
السوال عنها ثم يحتمل بعد هذا ان كان على ابتداء سوال كان من اهل النفاق يسالون سوال تعنت لا سوال استرشاد يسالون منه ايات
بعد ما ظهرت لهم وثبت عندهم الحجج وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان النبي للمؤمنين فهو ما ذكرنا من السوال البيان قبل
وقوع الحاجة اليه وقيل نزلت في قوم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء قال احدهم من ابي وقال اخر اين انا قال انت في النار

وانت ابن فلان

وانت ابن فلان ونحو ذلك من الاسولة فنهوا عن ذلك وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقال رجل افي كل عام يا رسول الله
لو قلت نعم صار مفروضا فاذا صار مفروضا وتركتم هلكتم واذا تركتم تركه كفرتم ولان من جحد فرضا مما فرضه الله كفر وكلام نحو
هذا ولا يجيبان بتفسير هذا الا شيء ان كان ذا ليس في كتاب الله بيانه سوى ان ما سكت النبي من سوال ما لا يحتاج اليه وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال لا تسالوا عن اشياء قد عفى الله عنها انه تبد لكم تسؤكم اي انهوكم كم شاركم الامر القران بما والله اعلم بذلك وقوله عز وجل قد
سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين هذا يدل على ان النبي عن السوال فلا لا السوال اتاه ان تسالوا الايات عنه بعد ما ظهرت
وثبت لهم رسالته فلما اتى بها كفروا بها الا ترى انه قال قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وذلك ان الامم السالفة يسالون الرسل
عليهم الصلوة والسلام الايات بعد ظهور دعاءهم فيجعل ما ذكرنا من ظهر ان بحق ومن [illegible] ونحو ذلك ان اتبعوه بل
كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ان ما جعله الله قربانا لانهم كانوا
يجعلون ما ذكر من البحيرة والسائبة وما ذكر قربانا يتقربون بذلك الى الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها دون الله فقال ما جعلها
من ذلك شيئا ما جعلتم انتم من البحيرة والسائبة فقوله ما جعل الله من بحيرة وما ذكر على ما امر بذلك ولا اذن بها قيل ان اهل الجاهلية
هذه الاشياء منها ما يحرمونه دون ما جالهم ومنها ما يحرمونه على الرجال والنساء ومنها ما يجعلونه لالهتهم ثم قيل البحيرة ما
كانوا يجعلون اذا نتجوا ويعرفونها لالهتهم والسائبة ما كانوا يسيبونها والوصيلة ما كانت الناقة اذا ولدت ذكرا وانثى في بطن
قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوها ذكرها لالهتهم قال ابو عبيدة البحيرة انها نتجت خمسة ابطن شقت اذنها وتركت والسائبة
اذا ولدت خمسة ابطن سيبت فلا ترد عن حوض ولا علف والوصيلة من الغنم اذا ولدت عناقين توأما واذا ولدت عناقا وجديا
قالوا وصلت العناق الجدي وتركا والحامي الفحل اذا نتجت الى الهتهم العشرة من ولده قيل حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء ولا يمنع
ولا حام [illegible] بينها وبين ستة
اولاد كانت على [illegible] ذكرا ذبحوه فاكله رجالهم دون نسائهم وان اتت بذكر وانثى فهو وصيلة يترك
ذبح الذكر بالانثى وان كانت انثيين تركتا قال الشعبي البحيرة الناقة اذا نتجت خمسة ابطن والخامس ذكر نحروه فاكله الرجال دون النساء
وان كان الخامس انثى شقوا اذنها وكان حراما على النساء لحمها ولبنها وان ماتت حلت للنساء والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على
الرجل ان سلمه الله من مرضه او بلغه منزله ان يفعل ذلك والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا وان كان السابع
ذكرا ذبح فاكله الرجال والنساء وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبح لمكانها وكان لحومها
حراما على النساء وليس لبن الانثى حراما على النساء الا ان يموت منها شيء فياكله الرجال والنساء والحامي الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال
اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره ولا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء كانوا يحرمون الانتفاع بما ذكرنا ويقولون ان الله حرم
ذلك علينا وهو ما ذكر في اية اخرى قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الا يحرمون اشياء
على انفسهم ويضيفون تحريمها الى الله ثم سفه احلامهم بقوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين لم يكن تحريمهم هذه الاشياء بالسمع ولكن رايا منهم وتعنتا فاحتج الله عليهم على ذلك الوجه و
ليظهر فساد قولهم من الوجه الذي ادعوا فقال قل الذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا الذكرين فيلزم كل ذكر ما لم يحرم فان قالوا
الانثى فقد كان من الانثى ولم يكن فيها تحريم ففيه دليل ان الحكم اذا كان بعلة يجب وجوب ذلك الحكم ما كانت تلك العلة قائمة والله
اعلم وقوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا الاية كانها نزلت في مشركي العرب و
كانوا اهل تقليد لا يؤمنون بالرسل ولا يقرون بهم انما يقلدون اباءهم في عبادة الاوثان والاصنام فاذا دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ما انزل الله اليه او دعاهم الى ذلك قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
ونحو ذلك يقلدون اباءهم في ذلك فقال الله عز وجل ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي تتبعون اباءكم وتقتدون بهم وان
كنتم تعلمون ان اباءكم لا يعلمون شيئا في امر الدين ولا يهتدون وكذلك قوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم تتبعون اباءكم
وتقتدون بهم وان جئتكم باهدى مما كان عليه اباءكم فسفههم في احلامهم في تقليدهم اباءهم واظهر عندهم انهم على ضلال وباطل
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ظن بعض الناس ان الاية رخصة الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والسعة في ترك ذلك وليس فيه رفع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن فيه انباء ان ليس علينا فيما يرد ولا يقبل من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر شيء وهو كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله تعالى فان تولوا فانما
عليه ما حمل الاية ليس فيه رخصة ترك تبليغ الرسالة اليهم ودفعه عنهم ولكن اخبار ان ليس عليه فيما يرد وترك القبول شيء كقوله
ان عليك الا البلاغ فعلى ذلك الاول والله اعلم ويحتمل ان يكون في الاية ليس فيه رخصة دليل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه
قال لا يضركم من ضل بترك قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا اهتديتم انتم بالامر والنهي عن المنكر بل الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر واجب وبذلك وصف الله هذه الامة بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وعن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فليس منا وعن عايشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي وقد حفزه النفس فتوضا ثم خرج الى المسجد فقمت من وراء الحجاب فصعد المنبر ثم قال ايها الناس ان الله
يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسالوني فلا اعطيكم وتستغيثوني فلا اغيثكم وتستنصروني
فلا انصركم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب ويقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم الاية ثم الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب مع الكفرة بالقتال والحرب ومع المومنين باليد واللسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على
مراتب مع الكفرة بالقتال والحرب ومع المومنين باليد واللسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فرض ما لم يدخل في ذلك فساد و
يصير الامر به والنهي عنه منكرا فاذا خشوا ذلك يرخص لهم الترك والاروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قولوها ما لم يكن دونها
السيف والسوط فاذا كان دونها السيف والسوط فعليكم انفسكم **وقوله** عز وجل الى الله مرجعكم جميعا الذي يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر والذي يرد عليه المعروف والنهي عن المنكر فينبئكم بما كنتم تعملون خرج على الوعيد والتحذير **وقوله** عز وجل يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم الاية اختلف فيه عن قتادة قال
رجل مات بغربة الارض وترك تركة واوصى وصية واشهد على وصيته رجلين فان اتهما في شهادتهما استحلفا بعد صلوة العصر
وكان يقال عندها يصبر الايمان فان عثر اي اطلع منهما على خيانة على انهما كتما او كذبا وشهد رجلان اعدل منهما بخلاف ما قالا
اجيزت شهادتهما وابطلت شهادة الاولين اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين او اخران من غيركم من اهل الكتاب اذا كان ببلد لا يجد
الا هولاء وعن الحسن قال اثنان ذوا عدل منكم اي من عشيرتكم او اخران من غير عشيرتكم فيقولان الحق على المسلم اذا اراد ان يوصي ان
يسند الوصاية الى احد عشيرته وكذلك يشهد على ذلك من اهل عشيرته لان اهل عشيرته احفظ لذلك واحوط واكثر عناية واقوم بشهادة
ولا كذلك الاجنبيان فان قال قايل خاطب الله عز وجل المومنين جملة بقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الاية فكيف يحتمل ان يكون
قوله او اخران من غير دينكم فنقول سبحان الله ما اعظم هذا القول يرد شهادة موحد مخلص دينه لله لفسق يرتكبه
ويامر بقبول شهادة كافر كاذب قايل لله بالولد والشريك هذا مما لا يحتمل وقال ايضا تحبسونهما من بعد الصلوة وهم كانوا يستهزؤن
بالصلوة اذا نودي لها بقوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا دل انه لا يحتمل ما ذكروا وعن سعيد بن جبير في قوله
او اخران من غيركم قال اذا الرجل المسلم حضره الموت في السفر فلم يجد مسلمين فاوصى الى اهل الكتاب فان جاءا بتركته فاتهموا حلف هولاء ان متاعه
كذا وكذا واخذوه وبعض الناس يجيزون شهادة النصارى واليهود في السفر في الوصية بظاهر الاية وقال مجاهد او اخران من
غيركم من غير ملتكم وعن عامر الشعبي قال شهد نصرانيان على وصية مسلم مات عندهم فارتاب اهل الوصية فاتوا بهما الى ابي موسى
الاشعري فاستحلفهما بعد صلوة العصر بالله ما اشترينا به ثمنا قليلا ولا كتمنا شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم قال ابو موسى الاشعري
والله ان هذه القضية ما قضي بها منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم فقد بين الشعبي ان ابا موسى انما استحلفهما فيما
اتهمهما به من تركة الميت وهذه يمين واجبة عند المسلمين جميعا ولم يحلفهما على ان ما شهدا به كما زعم قوم ان شهادتهما
تصح بيمينهما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خرج رجل من المسلمين في قرية ومعه رجلان من المسلمين فدفع اليهما
ماله ثم قال ادعوا الي من اشهد على ما قبضتما فلم يجد واحدا من المسلمين في تلك القرية فدعوا اناسا من اليهود والنصارى واشهدهم
على ما دفع اليهما ثم ان المسلمين الى اهله فدفعا ماله الى اهله فقال الورثة لقد كان معه من المال اكثر مما اتيتما فاستحلفوهما بالله ما دفع
اليهما غير هذا ثم قدم ناس من اليهود والنصارى فسالهم اهل الميت فاخبروهم انه هلك بقريتهم وترك كذا وكذا من المال فعلم اهل المتوفى
ان قد عثروا على ان المسلمين قد استحقا اثما فانطلقا الى ابن مسعود فاخبروه بالذي كان منهم امرهم فقال ابن مسعود رضي الله عنه
ما من كتاب الله من شيء لا قد جاء على الدلالة الا هذه الاية فالان جيء بها واليهما فامر المسلمين ان يحلفا بالله لا يشتري به ثمنا قليلا
ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم امر اليهود والنصارى ان يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا
وكذا ولشهادتنا احق من شهادة هذين المسلمين وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ثم امر اهل الميت ان يحلفوا بالله ان كان ما شهدت به
اليهود والنصارى وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو خلاف ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم واموالهم لكن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو ايضا
غير موافق لظاهر الاية فلا نراه ثبت هذا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان رجل يقال له تميم الداري وعدي يختلفان
الى مكة في التجارة فخرج رجل من بني سهم فتوفي بارض ليس فيها مسلم فاوصى اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا جاما من فضة فاستحلفهما
رسول الله ما كتمتما ولا اطلعتما ثم عرف الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فقام رجلان من اولياء السهمي فقالا لشهادتنا احق
من شهادتهما فاخذ الجام وفيهم نزلت هذه الاية وفي هذا الحديث ان اليمين وجبت على المدعى عليهم كما ادعى عليهم الورثة انهم تركوا
بعض تركة الميت وفيه ان الاناء لما ظهر ادعى تميم وصاحبه انهما اشترياه من الميت فكانا مدعيين فحلف الورثة على دعوى تميم وصاحبه

وهذا

وهذا حكم موافق لساير الاحكام والسنن فان كان الامر كما ذكر فهذا فليس في الاية نسخ ولا فيها الاحكام الظاهرة وليس
يجوز عندنا ان يحلف الشاهدان اذا كانا قد ابيح شهادتهما لان ظاهر الاية نسخ ولا فيها الاحكام يوجب اليمين على العدلين منا ومن
غيرنا فلم لم يجز ان يحلف الشهود والمسلمين على الوصية التي يشهدون لها وانما يحلفون على شيء ان ادعوا انهم حبسوه شيئا كان سبيل
الكفار كذلك وان كانت الاية نزلت في قصة تميم وصاحبه وكان نصرانيين فان ذلك يدل على ان شهادة بعضهم على بعض جايزة
لان الله تعالى قال اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم فمعنى الاية على هذا التاويل والله اعلم ان يكون الميت خلف تركة عند ذميين
على ما ذكر في القصة وقال لا يترك في ايدينا كذا وكذا وادعى الورثة اكثر من ذلك فاستحلف المدعى قبلهم وقوله تحبسونهما على هذا التاويل
هو المدعى عليهما **وقوله** عز وجل فان عثر على انهما استحقا اثما يريد والله اعلم ان يشهد عليهما شاهدان منا او منهم بشيء جحداه انه من
تركة الميت فهذا استحقاق الورثة فاذا قال المدعى قبلهما اشتريناه من الميت فعلى الوارثان يحلفوا فهذا والله اعلم معنى قوله فاخران
يقومان مقامهما لان الورثة صاروا مدعى عليهم فقاموا في هذه الحالة وجوب اليمين عليهم مقام الاولين لما كانت الاولين
المدعوى عليهم فهذا والله اعلم اقرب الوجوه في تاويل الاية واشبهها وهو ان شاء الله معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وان لم يذكر
تفسير قوله من غيركم وهو والله اعلم على غير ديننا لانه ذكر المومنين جملة واصحابنا لا يجيزون شهادة اهل الكفر في الوصية لمسلم لا في
ضرورة ولا في غيرها لانهم مع اختلافهم اتفقوا فان شهادة الكفار لا يجوز على غير الوصية في حال الضرورة ولا في غيرها فكذلك
في الوصية على المسلمين مثل ذلك وامكن ان يكون تاويل الاية شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم
في بيان ما يجوز من شهادة ذوي العدل منا في الحضر والسفر في الوصية في غير الوصية كقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله تعالى
واستشهدوا شهيدين من رجالكم الاية هذا في السفر والحضر ومن الدين وغير الدين سواء فعلى ذلك الاول ثم ابتداء الحكم في غيره فقال
او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فان قيل فما معنى قوله ذلك ادنى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها قيل في ذلك بيان ان المؤتمن اذا ادعيت عليه الخيانة وقال هو قد رددت ما كان في يدي فانه لا يصدق لا بعد ان
يحلف فاذا علم انه لا يقبل قوله الا بيمين كان احرى ان يقول حقا لانه ان يحلف على كذب ويتحرج من الاثم في اليمين فتبين خيانته فان
قيل ما معنى قوله تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم قيل يحتمل ان يكون على زيادة التغليظ في اليمين وللحاكم ان يغلظ
في اليمين على الخصم اذا اتهمه باكثر من هذا وهو ان يحضر يمينه جماعة اذا سال الخصم ذلك وذكر بعد الصلوة لما كان ذلك الوقت هو وقت
جلوس الحاكم بعد صلوة الفجر او بعد صلوة العصر لا على التغليظ وان كانت الاية نزلت فيما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في نصرانيين فقد
يجوز ان يكون الله امر بذلك تغليظا عليهما وهما تميم وصاحبه اذ كانوا يعظمون وقت غروب الشمس وما قرب من ذلك ووقت طلوعها
لانه وقت عبادتهم اياها والله اعلم **وقوله** عز وجل فان عثر على انهما استحقا اثما قال بعضهم فان اطلع منهما على خيانة انهما كتما وكذبا
فجاء اخران يشهدان على غير ما شهدا عليه اجيزت شهادة الاخرين وابطلت شهادة الاولين قال القتيبي فان عثر اي ظهر وقال
ابو عبيدة قوله فان عثر اي علم واطلع عليه يقال عثرت على فلان وعلى ما يفعل فلان اي علمت به واطلعت عليه اعثر عثرا وكذلك
اعثرنا عليهم في سورة الكهف من هذا اي اطلعنا عليهم واعلمنا هم بمكانهم ويقال اعثرت فلانا على سر فلان اي اعلمته ثم وعظ الله
المومنين وحذرهم ان يفعلوا مثل ذلك فقال واتقوا الله واسمعوا مواعظه والله لا يهدي القوم الفاسقين ما داموا في فسقهم
او قال ذلك لقوم علم الله منهم انهم لا يرجعون عن ذلك ابدا **وقوله** عز وجل يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قال اهل
التاويل بل انما يقولون ذلك لفزعهم من هول ذلك اليوم وشدة تطاير قلوبهم وتذهل افئدتهم فيقولون لا علم لنا انك انت
علام الغيوب فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قاله اهل التاويل لكان لا يتهيا لهم الاجابة وقد قالوا لا علم لنا انك انت
علام الغيوب دل انه لما ذكروا ولكن لوجهين الاخرين والله اعلم احدهما ان سالهم عن حقيقة اجابة قومهم لهم بالضماير انهم لم نطلع على
علم الضماير والغيوب فانت اعلم بذلك والثاني ان احدثوا امورا ابتدعوها من ذات انفسهم فنسبوا ذلك الى الرسل كقوله تعالى
انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته
الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به كانهم قالوا ان عيسى صلوات الله على نبينا وعليه هو الذي دعاهم الى ذلك فيقول لهم ماذا اجبتم
فقالوا لا علم لنا فيما ادعوا علينا من الامور التي نوها انك انت علام الغيوب بانا لم نقل لهم ولم ندعهم الى ما ادعوا من الامور على
هذين الوجهين يخرج تاويل الاية والله اعلم ومثل هذا السوال لهم بما اخبر في اية اخرى انه يسالهم كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عن اجابتهم لهم ليقطع احتجاجهم وان لم يكن
ان يحتاج عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ما نعمه عليه ما ذكر على اثره اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا الى قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت الاية يشهد
في حال طفولته بوحدانية الله وربوبيته واخلاص عبوديته له وذلك من اعظم نعم الله عليه واجل منه وما ذكره ايضا و
اذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وان تخلق من الطين كهيئة الطير باذني الاية الى اخر ما ذكر من احياء الموتى وابراء

الاكمه والابرص وكف بني اسرائيل عنه عند مجيء الايات وهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس فنبه اعظم النعم عليه م
وما ذكر ايضا في بعض القصة ان عيسى لما رفع الى الكتاب جعل له المعلم يقول له باسم فيقول هو بسم الله واذا قال المعلم باسم الله
فيقول هو الرحمن واذا قال الرحمن فيقول هو الرحيم فيقول المعلم كيف اعلم من هو اعلم مني ونحو هذا كثير مما يكثر ويطول ذكرها واما ما
انعم الله على والدته هو ما ذكر في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا الاية وما ذكر في قوله يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين طهرها عن جميع ما يبلى به
بنات ادم فذلك من اعظم النعم واجل المنن ثم امر عيسى بشكر ما انعم عليه وعلى والدته حيث قال اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
وفي ذكر النعم شكرها وامر ايضا بشكر ما انعم على والدته ليعلم ان على الولد شكر ما انعم على والدته كما يلزم شكر ما انعم على نفسه م
وقوله عز وجل اذ ايدتك بروح القدس اختلف فيه قال بعضهم بروحه المبارك الذي اعطي في حال طفوليته به كان يدعو الناس
الى توحيد الله وعبادتهم له وقيل ان روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص بل عامة وقال
اهل التاويل الروح جبريل والقدس هو الله كقوله تعالى نزل به الروح الامين اي جبريل وقوله عز وجل واذ علمتك الكتاب والحكمة
قال الحسن الكتاب والحكمة واحد الكتاب هو الحكمة والحكمة هي الكتاب لان جميع كتب الله كان حكمة وقال بعضهم الكتاب ما يكتب
من العلم والحكمة هي ما يعطي الانسان من العلم على غير تعلم وقال بعضهم الكتاب هو ما يحفظ والحكمة هي الفقه وهو واحد وقوله عز وجل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وقوله واذ تخلق من الطين اي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير كان من عيسى
ليكون له اية لصدقه ونبوته وعلى ذلك الايات التي ياتي بها الرسل ليست الرسل ياتون بها في الحقيقة بل كان الله هو الاتي بها و
المنشي تلك الايات حقيقة لكنه يجريها على ايدي الرسل ليكون ايات صدقهم ودلالات رسالتهم فاما ان ياتي الرسل بالايات
والحجج من عند انفسهم فلا وقوله عز وجل تخلق ذكر التخليق لما تسمي العرب تصوير الشيء وتقديره تخليقا فعلى ذلك خرج الخطاب
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وتبرئ الاكمه قيل الاكمه الذي يولد اعمى واما الاعمى فهو الذي يذهب بصره بعد ما كان
بصيرا وقيل الاكمه هو الذي لا حدقة له وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين والحواريون قيل هم
خواصه وكذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حواريه وقد ذكرنا هذا في سورة ال عمران الاختلاف فيه ثم قوله اوحيت
الى الحواريين يحتمل الوحي اليهم وجهين احدهما انه اوحى الى رسوله عيسى عليه الصلوة والسلام فنسب ذلك اليهم واضيف اليهم
الوحي الى عيسى كالوحي اليهم كقوله تعالى قولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وما انزل علي كذا انما انزل الى رسول الله كما نزل
الينا فعلى ذلك الوحي الى عيسى هو كالوحي اليهم والثاني اوحي اليهم وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل الاية وقوله تعالى
واوحينا الى ام موسى ونحوه انه وحي الهام وقذف لا وحي ارسال والقذف في القلب من غير تكلف ولا كسب وهو الاخطار بالبال
على الشرعة ان امنوا بي وبرسولي والخطر يكون من الله تعالى ويكون من الشيطان لكن ما يكون من الله تعالى يكون خيرا يتبين ذلك
في اخره وقوله عز وجل قالوا امنا واشهد باننا مسلمون يحتمل وجهين يحتمل قالوا لعيسى واشهد انت عند ربك باننا مسلمون
ويحتمل ان سالوا ربهم ان يكتبهم من الشاهدين كقوله تعالى امنا فاكتبنا مع الشاهدين وقوله عز وجل اذ قال الحواريون يا عيسى ابن
مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف فيه قيل ان قوما من الحواريين ان يسالوا عيسى عليه الصلوة والسلام
حتى يسال ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء لان الحواريين قد قلنا انهم كانوا خواص عيسى عليه السلام فكان كمن يرفع لحاجة الى
بعض الملوك فانه انما يرفع اولا الى خواصه فهم الذين يتولون رفعها الى الملك فعلى ذلك رفعوا حاجتهم الى الحواريين ليسالوا هم نجاته
عيسى عليه السلام ليسال ربه وقال اخرون لم يسال قومهم ذلك ولكن الحواريين هم الذين سالوا عيسى عليه السلام ان يسال ربه
حتى ينزل عليهم مائدة من السماء لكن سالهم ذلك يحتمل سالوا ذلك لما ارادوا ان يشاهدوا الاية ولم يكونوا شاهدوا قبل ذلك فاحبوا
ان يشاهدوها وان كانوا قد امنوا به وصدقوه من قبل ليزدادوا بذلك طمانينة ويقينا وهو كقول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي لما يحتمل ان نفسه كانت تحدث وتنازع في ذلك واحب ان يعاين ذلك و
يشاهده ليزداد له طمانينة ويقينا فعلى ذلك اولئك كان انفسهم تحدث وتنازع في مشاهدة الايات فاحبوا ان يريهم بذلك
ليزدادوا طمانينة ويقينا وصلابة في التصديق والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون عيسى يخبرهم ان لهم كرامة منزلة عند الله فاحبوا
ان يعرفوا منزلتهم عند الله وكرامتهم والثالث سالوا ذلك ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند الله وكرامته هل يجيب ربه دعاءه
اذا سال ربه والله اعلم وان كان السؤال من قوم غير الحواريين فهو لما بدت لهم من الحاجة اليها لا يعلم ذلك الا بالخبر الصادق و
قوله عز وجل هل يستطيع ربك يقرا بالتاء والياء جميعا فمن قرا بالتاء ذهب في التاويل الى انه فيه اضمار كانهم قالوا هل تستطيع
ان تسال ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ومن قرا بالياء قال هل يستطيع ربك او يجيب ربك دعاءك اذا دعوته ان ينزل مائدة
من السماء قال الفراء قد يكون هذا السؤال على غير الجهل من السائل المسؤول لانه يجوز ان يقال في الكلام هل يستطيع فلان ان يقوم
حاجتنا وخاطرنا على علم منه يستطيع ذلك على علم منهم ان عيسى يستطيع السؤال لربه لكنهم قالوا ذلك لما ذكرنا وذلك جائز في

اللغة ويجوز ان يراد بالاستطاعة الارادة يقول الرجل لاخر لا استطيع ان انظر الى فلان وهو يقدر النظر لكنه يريد بذلك لا
اريد ان انظر اليه فعلى ذلك قوله هل يستطيع ربك هل ياذن لك ربك بالسؤال في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل اتقوا الله ان
كنتم مؤمنين اي اتقوا الله لا تسالوا شيئا لم ياذن لكم في ذلك ان كنتم مؤمنين وقوله عز وجل قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن
قلوبنا قوله وتطمئن قلوبنا يدل انهم ما سالوا ذلك لما كانت تحدث انفسهم وتنازع في مشاهدة الايات ومعاينتها وان كانوا صدقوا
عيسى عليه السلام فيما يقول لهم ويخبر عن الله للمعنى الذي ذكرنا في ابراهيم عليه السلام والله اعلم وقوله عز وجل ونعلم ان قد صدقتنا
اختلف في تلاوته وفي تاويله قال بعضهم بالنصب نعلم فهي القراءة الظاهرة المشهورة ومعناه وان نعلم ما قد صدقتنا والثاني
ان العلم بالشيء من جهة الخبر ربما يعترض من الوساوس والشبه فطلبوا الاية من جهة الحس والعيان ليكون ذلك ادفع لما يعترض من
الشبه والوساوس وقوله عز وجل ونكون عليها من الشاهدين اي نكون عليها لمن انكرها من الشاهدين انها نزلت وقوله عز وجل
قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا اي طعاما دائما قال بعضهم قوله تكون لنا عيدا
اي مجتمعا وسمي يوم العيد لاجتماع الخلائق ثم قيل نزلت يوم الاحد فجعلوا ذلك اليوم يوم عيدهم ثم اختلف في نزول المائدة قال الحسن
لم تنزل المائدة لانه سال ان يكون لنا عيدا لاولنا واخرنا ونحن من اخرهم فلم يكن لنا ما ذكر والثاني قال اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد
منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقد ذكر منهم نزلها انه عذبهم عذابا لم يعذب احدا من العالمين وقال بعضهم
ليس فيه دلالة انها لم تنزل لانه يجوز ان يكون قوله تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا ما لم يات النسخ فكان لهم ذلك الى ان بعث نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فنسخ ذلك يوم الجمعة وقالوا قوله فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ذكر في بعض القصة ان من كفر منهم
بعد ذلك مسخهم خنازير فذلك تعذيب لم يعذب احدا من العالمين وقيل يحتمل قوله تعالى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين في الاخرة
والله اعلم بذلك كله وقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاية يحتمل هذا
القول وجوها ثلاثة احدها ان كان هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى بين اظهرهم ليكون ذلك اية وحجة لمن تبعه على من زاغ
عن طريقه وضل عن سبيل الهدى لانه تبرا ان يكون قال لهم ذلك ويحتمل ان يكون قال ذلك له وقت رفعه الى السماء فرعند ان قومه
يقولون ذلك القول بعد مفارقته قومه وقيل انه يقول ذلك له يوم القيامة ويكون قال بعض يقول كقوله تعالى وقال الذين كفروا لخزنة
جهنم وكقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا ان يقولون وذلك جائز قال بعض يقول وذلك في القران كثير
واتخاذهم عيسى وامه الهين قول متناقض لانهم سموها ام عيسى فاذا ثبت لها الامومة بطل ان يكون الها لانه لا يكون ابن عنم لها
لكنهم قوم سفهاء يقولون ذلك عن سفه قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي لانه لا ينبغي ان اقول ما ليس ذلك بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يتكلم على وجهين احدهما يراد ما يضمر والثاني على ارادة الذات فان كان الله
تعالى عن ان يوصف بالذات كما يوصف الخلق دل انه انما يراد بذلك غير وهو ان يقال تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او يقول تعلم
ما كان مني ولا اطلع على غيبك انك انت علام الغيوب اي انت علام ما غاب عن الخلق وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به
اي ما دعوتهم الا الى ما امرتني ان ادعوهم اليه من التوحيد والعبادة لك وقوله عز وجل وكنت عليهم شهيدا شاهدا عليهم هذا
يدل على ان ذلك القول كان منه وقت رفعه الى السماء ويكون يوم القيامة ويقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي كنت عليهم
حفيظا ما كنت بين اظهرهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم اي الحفيظ عليهم وانت على كل شيء شهيد بما امرتهم من التوحيد والعبادة
لك وشاهدا عليهم بما قالوا من البهتان وذكر في بعض القصة لما قال الله تعالى لعيسى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
قيل ارعدت مفاصله وخشي ان يكون قالها فقال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الاية وذكر ايضا
متكلمان يتكلمان يوم القيمة نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وعدو الله ابليس لعنه الله فاما كلام عيسى عليه السلام
فيقول الله اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقال عيسى بن مريم سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق الى قوله
فانك انت العزيز الحكيم واما كلام اللعين فيقول ما كان لي عليكم من سلطان الاية وقوله عز وجل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم اختلف فيه عن الحسن قال يقول ذلك في الاخرة ان تعذبهم ان تعذب من مات على ما كان منه من القول الوحش
في الله وان تغفر لهم اي وان تغفر لمن اكرمت له بالاسلام والهدى فانك انت العزيز الحكيم لان منهم من تداس بعد هذا القول الوحش
وقال اخرون هذا القول كان من عيسى في الدنيا ان تعذبهم يقول ان تعذب من مات على الكفر الذي كان منهم فانهم عبادك وان تغفر
من اكرمت له الهدى فانك انت العزيز الحكيم انت العزيز رحم عبادك اذلاء وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فانك انت الغفور الرحيم
هو ظاهر لانه ذكر انه عفو دعا الى المغفرة وروي في الخبر ان نبي الله عليه السلام كان احيا ليلة يقول ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم به قام وبه سجد وبه قعد فهو والله اعلم على التشفع والتضرع اليه كانه قال ان خذلتهم فمن الذي ينصرهم
ويدفع ذلك عنهم دونك وهم عبادك اذلاء وان اكرمتهم فمن الذي يمنعك عن اكرامهم والثاني ان تعذبهم فلك سلطان عليهم ولست
انت في تعذيبهم اياهم جائرا لانهم عبادك لان الجور هو المجاوزة عن الحد الذي له الى الحد الذي ليس له وقوله عز وجل قال الله هذا

قيل قوله يعني يقول الله يوم القيمة يوم ينفع الصادقين صدقهم اى اليوم ينفع الصادقين صدقهم فى الدنيا وينفع صدق الصادق فى ايضا فى الدنيا لانه اذا عرف بالصدق قبل قوله وان لم يظهر صدقه فى قوله ثم اختلف فى الصادقين من هم قال بعضهم هم المؤمنون جملة اى يومئذ ينفع ايمان المؤمنين وتوحيد الموحدين فى الدنيا كقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال بعضهم الصادقون هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل لهم جنات تجرى من تحتها الانهار قد ذكرنا فيما تقدم خالدين فيها ابداً وخالدين وابداً واحد لكنه يذكر على التأكيد وقوله عز وجل رضى الله عنهم لسعيهم فى الدنيا ورضوا عنه بالثواب لسعيهم ويحتمل ورضوا عنه بما وفقهم على سعيهم المحمود فى الدنيا ذلك الفوز العظيم لانه ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفوت فهو الفوز العظيم ليس كفوز الدنيا لانه لا يذهب عنه خوف الهلاك ولا خوف الفوت وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض وما فيهن كان هذا خرج على اثر قوله ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله كيف يتخذ ربا او ولداً ولله ملك السموات والارض وملك ما فيهن من الخلق كلهم عبيده وامائه وهو على كل شئ قدير لا يعجزه شئ والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض الحمد هو الثناء عليه بما صنع الى خلقه من الخير الا ترى ان الذم نقيضه فى الشاهد ويحمد المرء بما يصنع من الخير ويذم على ضده فالتحميد هو تمجيد الرب والثناء عليه والشكر له بما انعم عليهم والتسبيح هو تمجيد الرب وتنزيهه عما قالت الملحدة فيه من الولد وغيره والتهليل هو تمجيد الرب وتنزيهه عما جعلوا له من الشركاء والاضداد والوصف له بالوحدانية والربوبية والتكبير هو تمجيد الرب والوصف له بالعظمة والجلال وتنزيهه عما وصفوه بالعجز والضعف عن ان يكون ينشاء من العظام البالية خلقا وقوله تعالى الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور سفههم عز وجل بما جعلوا له من الشركاء والاضداد على اقرار منهم انه خلق السموات والارض ولم يجعلوا له شركاء فى خلقهما وعلى علم منهم انه تعالى سنا فع الارض بمنافع السماء مع بعد ما بينهما كيف جعلوا شركاء يشركونهم فى العبادة والربوبية وقوله تعالى وجعل الظلمات والنور قال الحسن الظلمات والنور الكفر والايمان وقال غيره من اهل التاويل الليل والنهار والنور فى الحقيقة ما يكشف عما استتر من الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب والظلم ما يستر ويغطى على الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب فالظلمة يجعل كل شئ مستوراً عليه والنور يجعل لكل شئ كان مستوراً ظاهراً باديا عليه هذا هو تفسير الظلمة والنور حقيقة وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قيل يشركون معه بغيرهم ما يدل على وحدانية الرب وربوبيته اى جعلوا كل ما يعبد دونه من دون الله عديلا لله واثبتوا المماثلة بينه وبين الله تعالى وليس لله تعالى عديل ولا نديد ولا شريك ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقال الحسن بربهم يعدلون اى يكذبون وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين اى خلق آدم ابا البشر من طين فاما خلق بنى آدم من ماء كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين اخبر الله تعالى انه خلق ادم من الطين وخلق بنى ادم سوى عيسى عليه الصلاة والسلام من النطفة وخلق عيسى عليه الصلاة والسلام لا من الطين ولا من الماء ليعلموا انه قادر على انشاء الخلق لا من شئ وانه لا اختصاص لخلق بشئ ولا ينكرون ايضا انشاء الخلق واحياءهم من بعد موتهم وذلك لانه لا يخلوا ما ان صاروا ترابا او ماء او لا ذا ولا ذا فان صاروا ترابا فانه خلق ادم من الطين وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى عليه الصلاة والسلام لا من هذين كيف انكروا انشاء الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه التى ذكرنا فيكون دليلا على منكرى البعث بعد الموت وعلى الدهرية فى انشاء الخلق لا من شئ فانهم ينكرون ذلك ويحيلونه ولهذا ذهبوا فى القول بقدم العالم والله الهادى ويحتمل قوله هو الذى خلقكم من طين ان يراد به فى حق جميع بنى ادم وان خلقنا الى الطين وكان الخلق من الماء الماء يبقى فى خلقتنا من قوة ذلك الطين الذى فى ادم واثره وان لم يرى تلك القوة وذلك الاثر وهذا كان الانسان يحيا بانه ياكل ويشرب ويتغذى ويحصل به زيادة قوة فى سمعه وبصره وفى جميع جوارحه وقد يجرى بها جميع الجوارح وان لم ير تلك القوة فكذلك هذا ويحتمل ايضا على ما روى فى القصة انه يمازج مع النطفة شئ من التراب فيؤمر الملك بان ياخذ شيئا من التراب من المكان الذى حكم بان يدفن فيه فيخلط بالنطفة فيصير علقة ومضغة فانما نسبهم الى التراب لهذا ويحتمل النسبة الى التراب وان لم يكونوا من التراب لما ان اصلهم من التراب وهو ادم وقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى فالقضاء يتوجه الى وجوه كلها ترجع الى معنى انقطاع الشئ وتمامه وقد يكون لابتداء فعل وانشائه

كقوله فاقض ما انت قاض ويكون بيان الغاية ويكون الامر ويكون غير ما ذكرنا ثم قوله قضى اجلا يحتمل هذا كله سوى الامر ثم
قوله قضى اجلا قيل هو الموت واجل مسمى يوم القيمة اطلعنا على احد الاجلين وهو الموت لانا نرى من يموت ونعاين ولم يطلعنا على
الاخر وهو الساعة والقيمة وقيل قضى اجلا اجل الدنيا من خلقك الى ان يموت واجل مسمى عنده يوم القيمة وقوله عز وجل ثم انتم تمترون
اى تشكون وتكذبون بعد هذا كله وقوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض هذا والله اعلم صلة قوله الحمد لله الذى خلق
السموات والارض فاذا كان خالقهما لم يشركه احد فخلقهما كان اله من في السموات واله من في الارض لم يشركه احد في الوهيته
ولا في ربوبيته ويحتمل قوله وهو الله في السموات وفي الارض اى الى تدبير ما في السموات وما في الارض وحفظه اليه لانه هو المتولى
بخلق ذلك كله فاليه حفظ ذلك وتدبيره وقوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اختلف فيه قيل يعلم سركم ما تضمرون في القلوب
وجهركم ما تنطقون ويعلم ما تكسبون من الافعال التى عملت الجوارح اخبر انه يعلم ذلك كله ليعلموا ان ذلك كله يحصيها ليحاسبهم
على ذلك كقوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله لخبر انه يحاسبكم بما ابدوه وما اخفوه فعلى ذلك الاول فيه
اخبار ان ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم في ذلك ليكونوا على حذر من ذلك وخوف وقيل يعلم سركم ما خلق فيهم من الاسرار
من نحو السمع والبصر وغيرهما لان البشر لا يعرفون ماهية هذه الاشياء وكيفيتها ولا يرون ذلك كما يرون غيرها من الاشياء
ولا يعرفون حقايقها اخبر انه يعلم ذلك وانتم لا تعلمون وقوله عز وجل وجهركم اى الظواهر منكم ويعلم ما تكسبون من الافعال
والاقوال وقوله عز وجل وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين يحتمل ما تاتيهم من اية من ايات توحيده
او من ايات اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم في اثبات البعث والنشور بعد الموت لما اخبر انه خلقهم من طين فاذا ماتوا
صاروا ترابا فاذا كانوا بدؤا نشاهم من طين فانا عاد واليه يقدر على انشائهم ثانيا اذ ليس انشاء الثانى باعسر من الاول ثم يحتمل
الايات ما كان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات سوى ايات القران ثم اخبر عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاذا اعرضوا عنها لم ينتفعوا بها ليعلم انه انما ينتفع بالايات من تاملها ونظر فيها لا من اعرض
عنها ثم سورة الانعام انما نزلت في محاجة اهل الشرك ولو لم يكن القران معجزا كانت سورة الانعام معجزة لانها نزلت في محاجة اهل
الشرك في اثبات التوحيد والالوهية لله والبعث فكيف وقد جعل الله القران اية معجزة اعجز البشر عن اتيان مثله ولم يكن يومئذ يعرف
التوحيد والبعث كانوا كلهم كفارا عبدة الاوثان والاصنام لا يحتمل ان يكون رسول الله ذلك وانشاه من ذات نفسه ليعلم انه انما عرف
ذلك بالله وفيه دلالة اثبات المحاجة في التوحيد والمناظرة فيه لان اكثر ما نزلت في محاجة اهل الشرك وهم كانوا اهل شرك و
ينكرون البعث والرسالة فنزل اكثر ما في محاجتهم في التوحيد ما اثبات البعث والرسالة وفيه انه اذا ثبت فساد قول احد الخصمين ثبت
صحة قول الاخر لان ابراهيم لما قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين اثبت فساد عبادة من يعبد الافل بالافول وقوله عز وجل
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يحتمل الحق الايات من اول انشاء الى اخره لانه عصم حولها يات منه ما يستقبح ويستقبح قط وذلك ان ذلك
لما جعله اية في نفسه وموضع الرسالة وعلى ذلك اجابة ابى بكر رضى الله عنه في اول دعوة دعاه الى ذلك لما كان راى منه ايات فلما دعاه
اجابه في ذلك مما كان معه ايات عظيمة واعلام عجيبة وقوله عز وجل فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن معناه والله اعلم ان ياتيهم
وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين والا كان اتاهم انباء ما نزل بالمستهزئين ولكن معناه ما ذكرنا اى ينزل بهم ويحل ما نزل وحل بالمستهزئين ويحتمل
وجها اخر قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وهو العذاب لان الرسل كانوا يوعدونهم ان ينزل بهم العذاب بتكذيبهم الرسل فقد
ذلك يستهزؤن بهم كقوله عجل لنا قطنا وكقوله ويستعجلونك بالعذاب وغير ذلك اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاخبر انه ينزل بهم ذلك كما نزل باؤلئك وقوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن قال
الحسن القرن [illegible] وقال [illegible] من قبلهم من قرن وهو واحد
[illegible] الذين اهلكوا [illegible] الرسل وتعنتهم ومكابرتهم لم يعتبروا بذلك وقوله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم قال بعضهم اعطيناهم من الخير والسعة والاموال ما لم نعطكم [illegible] اذا كذبوا الرسل اهلكهم الله تعالى وعاقبهم
بانواع العقوبة ويحتمل مكناهم في الارض من القوة والشرف [illegible] لما كذبوا الرسل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم [illegible]

ذلك لهؤلاء

ذلك لهؤلاء ثم مع ما كان اعظام هم ذلك ما اهلكهم اذ كذبوا الرسل فان قيل ذكر اهلاك هؤلاء وخوفنا ذلك بتكذيبهم الرسل
وقد اهلك الرسل والاولياء من قبل قيل لان اهلاك اولئك اهلاك عقوبة وتعذيب لانه كان اهلكهم هلاك استيصال واستيعاب
خارجا من الطبيع واهلاك اولئك الرسل والاولياء لا اهلاك عقوبة خارجا من الطبيع لذلك كان ما ذكر وقوله عز وجل ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم يخبر لشدة تعنتهم انهم وان اتوا ما سالوا من الايات لم يؤمنوا به لانهم كانوا سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزل كتابا يعاينوه ويقرؤنه كقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكقوله لولا نزل عليه
القران جملة واحدة ونحوه من الايات يقول ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس اى في صحيفة مكتوب بجملة انه لم يكتب في الارض و
لمسوه بايديهم وعاينوه لم يؤمنوا به ولا صدقوه وقالوا ان هذا الا سحر مبين يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ويخبره
بشدة تعنتهم انهم لا يؤمنون وان جئت بكل اية اذ قد اتاهم من الايات ما ان تاملوا ولم يتعنتوا الدلتهم على ذلك لكنهم اعرضوا
عنها ولم يتاملوا فيها لتعنتهم وشدة مكابرتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ملك ان مشركى العرب كانوا لا يعرفون
الرسل ولا الكتب ولا كانوا امنوا برسول ولا كتاب فقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا ونحوه من السؤال يسالون انزال الملك
ثم يحتمل سؤالهم انزال الملك لما لم يكونوا راوا الرسل يكونون من البشر وانما راوا الرسول ان كان يكون ملكا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة
ويحتمل ان يكون سؤالهم انزال الملك سؤال عناد وتعنت لا سؤال طلب الرسول من الملائكة فقال ولو انزلنا ملكا على ما سالوا لقضى
الامر اى ان الملك اذا نزل على سؤال العناد والتعنت يترك بالعذاب والهلاك فهذا يبين ان سؤالهم سؤال تعنت وعناد وقوله
عز وجل لقضى الامر ثم لا ينظرون انهم كانوا يسالون انزال الملك اية لصدقه عليه السلام فقال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون
اى يهلكون لان الايات اذا نزلت على اثر سؤال القوم ثم خالفوا تلك الايات وكذبوها انزل بهم العذاب والهلاك وان جاءت الايات
على غير سؤال فكذبوها يهلكون ولا يعذبون عند تكذيبهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قيل
ادميا بشرا يحتمل هذا وجوها اى لو بعثنا الرسول ملكا لجعلناه على صورة البشر لانه لو كان على صورة الملائكة لصعقوا و[illegible]
لانه ليس في وسع البشر رؤية الملك على صورته الا ترى ان جبريل عليه الصلوة والسلام اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل
على صورته ولكن كان ينزل على صورة البشر حتى ذكر انه كان ينزل اليه على صورة دحية الكلبى وانه متى راه على صورته لصعق
وتغير حاله فاذا راى ذلك في وجهه فاذا كان يجوز فقال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ويكون فيه ما في رسول الله من البشرية
والثانى لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لانهم لا يعرفون صدقه فيحتاجون الى الدليل والايات تدلهم على انه ملك وعلى صدقه
فذلك لا يعرف الا بالبشر لانهم لا يعرفونه الا بصدقه وقوله عز وجل وللبسنا عليهم ما يلبسون الاية قيل لا يجوز اضافة
اللبس الى الله تعالى الا على المجازاة فلبس كالاستهزاء والمكر والخداع ويحتمل قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون اى ولو جعلناه ملكا
للبسنا عليهم ما لبسوا ولذلك على ضعفهم حيث قالوا ما هذا الا بشر مثلكم وما انتم الا بشر مثلنا ونحو ذلك من الكلام لكنا لا
نفعل حتى لا يكون ذلك لبسا اذ ليس في وسعهم النظر الى الملك ولو جعلنا ذلك ملكا لكان ذلك لبسا فان قال لنا ملحد في قوله
لولا انزل عليه ولو انزلنا ملكا لقضى الامر سالوا ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك وقال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر
وانتم تقولون انه قد انزل عليه الملك وهو اخبر لو انزل عليه الملك لقضى الامر ولم يقض الامر كيف لا بان لكم انه انما اخترع
ذلك من نفسه لا ان الله انزل عليك قيل انهم انما سالوا ان ينزل عليهم الملك وان لم يذكر في الاية السؤال ما ذكر في اية اخرى كقوله
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او سالوا ان ياتيهم الملائكة فعاينوه قالوا كيف يخص هو باتيان الملائكة دوننا وهو كواحد
منا كقوله لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وهذا جائز ان يكون اسولة لم يذكر ويكون في الجواب بيان ذلك على ما ذكرنا
من قبل في غير موضع وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن يصبر رسوله على
تكذيب قومه ليعلم انه ليس هو اول مكذب ولكن قد كذب الرسل الذين من قبلك ويخبر انه يلحق هؤلاء بتكذيبك كما لحق اولئك بتكذيب
الرسل وقوله عز وجل فحاق قال ابو عوسجة حاق اى رجع يقال حاق يحيق حيقا اى رجع عليهم وقال الكيسائى حاق بهم اى احاط
بهم ونزل وقوله عز وجل قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على الاعتبار
والتفكر فيما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل لانه عز وجل اراهم ايات عقلية وسمعية فلم ينفعهم ذلك فاراد ان يريهم ايات حسية
لينفعهم ذلك عن التكذيب والعناد وقوله عز وجل قل لمن ما في السموات والارض قل لله الاية يحتمل وجهين احدهما ان يخرج مخرج
البيان لما انه ليس على الامر لانه لو كان على الامر لكان يذكر سؤالهم ولم يذكر ان سؤالهم لا يحتمل ان لا يخبروه ذلك فلما لم يذكر سؤال
لهم عن ذلك ولا يحتمل ان يامره بالسؤال ثم لا يسال او يسال هو ولا يخبروه دل انه على البيان خرج لا على الامر والثانى على امر سبق كقوله
كقوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وكقوله قل من بيده ملكوت كل شيء الى قوله سيقولون لله وقوله
قل من رب السموات والارض ونحوه كان على امر سبق فيخبرهم عز وجل حقه قالوا الله كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله ذلك [illegible] ابا هو حق قالوا الله وفى حرف ابن مسعود وابى بن كعب رضى الله عنهما قل لمن ما في السموات والارض قالوا الله

هو يدل على انه كان على امر سبق وقال بعضهم قل لمن ما فى السموات والارض قل لله اى سلهم فان اجابوك فقالوا لله والا فقل لهم انت
ه وقال قايلون فان سالوك لمن ما فى السموات والارض قل لله وقوله عز وجل كتب على نفسه الرحمة قال الحسن كتب على نفسه الرحمة
على ان يدخلهم الجنة لا احد يدخل الجنة بعمله انما يدخلون الجنة برحمته وعلى ذلك جاء الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احد
الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وقيل كتب على نفسه الرحمة ان يجمعهم الى يوم القيمة اى من
رحمته ان يجمعهم الى يوم القيمة حيث جعل للعدو عذابا وللولى ثوابا اى من رحمته ان يجمعهم الى يوم القيمة حيث جعل للعدو عذابا وللولى ثوابا
اى من رحمته ان يجمعهم ليعاقب العدو ويثيب الولى وقيل اى من رحمته ان جعل لهم الجمع فاوعد العاصى العذاب ووعد المطيع الثواب
ليمنع العاصى ذلك عن عصيانه وليرغب المطيع فى طاعته وذلك من رحمته وقال قايلون كتب على نفسه الرحمة لانه يمهلهم لا يعذبهم
عند التكذيب ولا يستاصلهم كما عذب غيره من الامم واستاصلهم عند التكذيب فالتاخير الذى اخرهم الى يوم القيمة من الرحمة
التى كتب وقوله عز وجل ليجمعنكم الى يوم القيمة قيل الى صلة ومعناه ليجمعنكم يوم القيمة وقيل الى يوم القيمة اى ليوم القيمة كقوله
ليوم لا ريب فيه وقال قايلون قوله ليجمعنكم فى القبور الى يوم القيمة ثم يجمعكم يوم القيمة والقرون السالفة وقوله عز وجل لا ريب
فيه اى لا ريب فى الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف ان خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والاحياء بعد الموت للثواب والعقاب
ليس بحكمة وقوله عز وجل الذين خسروا انفسهم قد ذكرنا وقوله عز وجل وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم فى الاية والله
اعلم انباء ان الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما مقهورين مغلوبين اذ لم يكن لاحد من الجبابرة والفراعنة الامتناع منهما او
صرف احدهما الى الاخر بل يدركانهم شاءوا او ابوا وسلطانهما جار عليهم ليعلموا ان لغيرهما تدبيرا وان قهرهما الخالق وسلطانهما كان
بسلطان من له التدبير والعلم ثم جريانهما على سنن واحد يدل على ان منشيهما واحد ومدبرهما عليم حكيم وقال بعض اهل التاويل ما سكن
فى الليل والنهار ما استقر فى الليل والنهار من الدواب والطير فى البر والبحر فمنها ما يستقر نهارا وينتشر ليلا ومنها ما يستقر بالليل
وينتشر بالنهار وعن ابن عباس رضى الله عنه قال وله ما سكن فى الليل والنهار وذلك انه كفار اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
يا محمد انا قد علمنا انه ما يحملك على هذا الذى تدعونا اليه الا الحاجة نحن نجعل لك فى اموالنا حتى تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت
عليه فنزل وله ما سكن فى الليل وهو السميع لمقالتهم العليم بما يريدون فهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا انباء ان الخلق كلهم تحت قهرهما
وسلطانهما وفيها وجوه من الحكمة احدها بعض ما ذكرنا ليعلم ان مدبرهما واحد وفيه نقض قول الفلاسفة لانهم يقولون الظلمة
كثافة ستارة والنور رقيق دراك وفيهما ما ذكر من المنافع بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وغيره من المنافع
وقوله عز وجل وهو السميع العليم لمن دعاه العليم بمصالح الخلق وحاجتهم قوله اغير الله اتخذ وليا وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
ربا كان هذا صلة قوله قل لمن ما فى السموات والارض قالوا لله فاذا قررتم ان ذلك كله لله فكيف تتخذون له شركا تعبدون غيره
وهو فاطر السموات والارض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما كيف صرفتم العبادة الى غير الله وقوله عز وجل وهو يطعم ولا يطعم قال
اهل التاويل هو يرزق ولا يرزق وليس كمن له عبيد فى الشاهد يرزقهم بعضهم بعضا الموالى من العبيد من السادات ينتفع
بعضهم من بعض فاما الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لا لمنفعة نفسه لانه غنى بذاته والخلق فقراء اليه كقوله تعالى انتم الفقراء
الى الله والله هو الغنى الحميد وقوله عز وجل قل انى امرت ان اكون اول من اسلم قال الحسن اول من اسلم من قومه واصله ان اسلم واخضع
انا او لانه امركم بذلك واحتج بعض الناس بظاهر هذه الاية ان الاسلام لا يلزم الا بالامر والدعاء اليه وقالوا ان من مات قبل ان
يامر به وقيل ان يدعى اليه فانه لا شئ عليه وعلى ذلك من مات فى وقت الفترة وانقطاع الرسل والوحى لانه قال انى امرت ان اكون
اول من اسلم اخبر انه امر بذلك واذا لم يكن ثم امر لم يلزم لكن الوجه فى الاية ما ذكرنا اى امرت ان اسلم واخضع او لانه امر غيرى فاذا
كان التاويل هذا بطل ان يكون فى ذلك حجة لهم وقوله عز وجل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قال ابن عباس رضى الله عنه
قل يا محمد لكفار اهل مكة انى اخاف اى اعلم ان عصيت ربى فعبدت غيره عذاب يوم عظيم هذا التاويل صحيح ان كان ما ذكر من
سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضهم المال عليه ليعود ويرجع الى دينهم فيخرج هذا على الجواب لهم وقال بعضهم قوله تعالى
انى اخاف ان عصيت ربى على الخوف لكن لقايل ان يقول كيف خاف عذاب يوم عظيم وقد اخبر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وكيف قال ان عصيت وقد اخبر انه عصمه وغفر له قيل يحتمل ان يكون المغفرة له على شرط الخوف غفر له ليخاف منه وقوله عز وجل من
يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال بعض المعتزلة الرحمة ههنا الجنة لان الله تعالى جعل فى الاخرة دارين احدهما النار وسماها
سخطة والاخرى الجنة سماها رحمة وانما حملهم على هذا لانهم لا يصفون الله بالرحمة فى الازل فعلى قولهم يكون قول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان يتغمدنى الله برحمته فيصير تقديره لا يدخل احد الجنة الا بجنته اى بنبيى الجنة ولكن سمى الجنة
رحمة عندنا لما برحمته يدخلون الجنة لا باعمالهم لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته يدخل فيها وعلى هذا يخرج ما سمى المطر رحمة لما برحمته ينزل فيها وعلى
هذا يخرج ينزل ذكرنا ان كل ما سمى رحمة فى الشاهد يخرج على ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله من يصرف عنه يومئذ قيل من يصرف عنه العذاب

يومئذ فقد رحمه وذلك روى فى حرف حفصة من يصرف عنه شر ذلك اليوم فقد رحمه ويحتمل ان يكون قوله من يصرف عنه يومئذ
فقد رحمه صلة قوله قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال فى قوله تعالى قل
انى اخاف قل لكفار اهل مكة حين دعوه الى دينهم على ما ذكر فى بعض القصة انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه وقوله عز وجل وذلك الفوز المبين وذلك الصرف يعنى صرف العذاب الفوز المبين وانما ذكره والله اعلم فوزا مبينا
لانه فوز دايم لا زوال له وليس كفوز هذه الدنيا يكون فى وقت ثم يزول عن قريب ولكن ذلك فوز الاخرة وقوله عز وجل وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فيه اخبار ان ما يصيب العبد من الضر والخير انما يصيب به ثم الضر المذكور فى الاية لا يخلو
من ان يراد سقم النفس وضيق العيش او شدة وظلم يكون من العباد لا يخلو من هذه الاوجه الثلاثة فاذا كان كذلك ففى اضافة ذلك
الى الله تعالى على ارادته به فعلا وهو ان خلق فعل ذلك منهم فهو على كل شئ قدير من كشف الضر وله والصرف عنه واصابة الخير لا
ذلك عنه وقوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فى هذه الاية والاية الاولى ذكر اهل التوحيد لانه اخبر ان
ما يصيب العباد من الضر والشدة لا كاشف لذلك الا هو ولا يدفع ذلك عنهم ولا يصرف الا الله وان ما يصيبهم من الخير انما يصيب
ذلك بالله واخبر انه على كل شئ قدير وفى قوله وهو القاهر فوق عباده اخبار انه قاهر يقهر الخلق عزيز قادر وله سلطان عليهم
وانهم اذلاء تحت سلطانه وفى قوله فوق عباده اخبار بالعلو والعظمة وبالتعالى عن اشباه الخلق وهو الحكيم يضع كل شئ موضعه الخبير
بما يسرون يعلمون اخبار ان لا يخفى عليه شئ وانه يملك وضع كل شئ موضعه وان ما يصيبهم من الضر والشدة وانما يكون به لا يملك
براحد صرفه وان ما ضر احد احدا فى الشاهد ونفع احد احدا انما يكون ذلك بالله فى الحقيقة وفى هذه الاحرف اخبار عن اصل التوحيد
وما يحتاج اليه لما ذكرنا من الوصف له بالقدرة والقهر والوصف له بالعلو والعظمة والتعالى عن اشباه الخلق والوصف له بالحكمة
فى جميع افعاله والعلم بجميع ما كان ويكون وقوله عز وجل قل اى شئ اكبر شهادة كان فى الاية اضمارا والله اعلم ان قل يا محمد اى
شئ اكبر شهادة فيقولون الله لانهم كانوا يعرفون انه خالق السموات والارض وانه اعظم من كل شئ لكنهم يشركون غيره فى عبادته
ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والا كانوا يعرفون بالعظمة له والجلال فاذا سالوا اى شئ اكبر شهادة فيقولون الله
ويحتمل ايضا ان يقول لنبيه عليه الصلوة والسلام انهم اذا سالوا اى شئ اكبر شهادة قل الله فانك اذا قلت لهم ذلك يقولون هم ايضا
وقوله عز وجل قل الله شهيد بينى وبينكم فى كل اختلاف بيننا وبينكم فى التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه ويحتمل قل الله شهيد
بينى وبينكم فى كل حجة وبرهان اتاها الرسول بهم وفى قوله قل اى شئ دلالة انه يقال له شئ لانه لو لم يجز ان يقال له شئ لم يستثن
الشئ منه وكذلك فى قوله ليس كمثله شئ انه شئ لان لا شئ فى الشاهد انما يقال اما النفى او التصغير فلا يجوز فى الغايب النفى ولا التصغير
دل انه انما يراد بالشئ الاثبات لا غير وبالله العصمة ذكر فى بعض القصة فى قوله قل اى شئ اكبر شهادة ان رؤساء مكة اتوا رسول الله
فقالوا يا محمد اما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك
عندهم ذكر ولا صفة ولا مبعث فارنا من شهد لك انك رسول الله فقال الله سبحانه وتعالى يا محمد قل لهم اى شئ اكبر شهادة يقول اعظم
شهادة يعنى البرهان محمد حجة وبرهان وكل نبى حجة وبرهان فان اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم الله اكبر شهادة من خلقه انى رسوله
والله شهيد بينى وبينكم فى كل اختلاف بيننا وبينكم فى التوحيد واثبات الرسالة والبعث وكل ذكر فى هذه القصة انهم لما قالوا
من يشهد ان الله ارسلك رسولا قال لو فعلوا لا اخذ اليك ملك فقال النبى قل لهم اى شئ اكبر شهادة فقالوا الله اكبر شهادة من غيره فقال
قل لهم يا محمد الله شهيد بينى وبينكم انى رسول منه اوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ القران من الجن والانس فهو نذير له ثم قال
لهم اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قالوا نعم نشهد فقال الله لنبيه قل لهم لا اشهد بما شهدتم ولكن اشهد انما هو اله واحد واننى برئ
مما تشركون وقوله عز وجل واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ كانه قال اوحى الى هذا القران الذى يعرفون انه من عند الله جاء
لانه قال لهم فاتوا بسورة مثله فعجزوا عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله انهم عرفوا انه جاء من عند الله وقوله عز وجل ومن بلغ
كانه قال واوحى الى هذا القران لانذركم به وانذر من بلغ القران صار رسول الله نذيرا ببلوغ القران لمن بلغه فاذا صار نذيرا لمن
بلغه وان كان هو فى اقصى الدنيا يصير هو نذيرا فى اقصى الزمان فى كل زمان وهو والله كقوله تعالى ولكل قوم هاد ورسول الله هاد
لقومه الى يوم القيمة وفى الاية دلالة ان البشارة والنذارة يكونان ببعث اخر بشيرا ونذيرا وهو دليل القول اصحابنا ان من قال اى
عبد من عبيدى بشرنى بكذا فهو حر فبشره رسولا وكتاب يكون بشارة وقوله عز وجل اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
هذا فى الظاهر استفهام ولكنه فى الحقيقة ايجاب انكم تشهدون ان مع الله الهة اخرى بعدما ظهر عندكم ايات وحدانية وحجج
ربوبيته لما عرفتم انه خالقكم وخالق السموات والارض وبه تعيشون وبه تموتون معاطاتكم هذا اشركتم مع الله الهة اخرى وليس
ذلك لكم ما تشركون فى عبادته والوهيته وانا لا اشهد وانما اشهد انه اله واحد واننى برئ مما تشركون وقوله عز وجل الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قيل نزلت سورة الانعام فى محاجة اهل الشرك الا ايات نزلت فى محاجة اهل الكتاب
احدها هذه وما بان ان يكون اهل الشرك يعرفون انه رسول كما يعرفون ابناءهم ويكون الكتاب هو القران ههنا لما فرع اسماعهم

هذا القران وامروا ان ياتوا بمثله فعجزوا عنه او بما كانوا يختلفون الى اهل دينا لو نهم عن نعته وصفته ويخبرونهم لعرفهم اهل
الشرك انه رسول اهل الكتاب نعته وصفته ويخبرونهم في كتابهم وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لعبد الله بن سلام وان الله
قد انزل على نبيه عليه السلام بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله المعرفة فقال عبد الله
يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد مني لابني فقال كيف ذلك
فقال انا اشهد انه رسول الله صلى الله حق من الله ولا ادري ما صنع النساء او ما احدث النساء وقد نعته في كتابنا فقال عمر صدقت
واصبت وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال اهل التاويل لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لكن هذا
في الحقيقة كان سؤال واستفهام كانه قال من اظلم من الظالمين قال من افترى على الله كذبا يقال من فعل هذا قال فلان او من
قال هذا قال فلان فهو والله اعلم على السؤال والاستفهام ثم قيل الذين افتروا على الله كذبا ان معه شريكا لقولهم ان مع الله
الهة اخرى وقوله عز وجل وكذب باياته قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران انه لا يفلح الظالمون قال بعضهم انه
لا يفلح الظالمون بظلمهم لكن عندنا قوله انه لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم ويقول لا يفلح الظالمون اذا ختموا وماتوا على
الظلم والكفر وقوله عز وجل ويوم نحشرهم جميعا المطيع والعاصي والكافر والمؤمن ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين
كنتم تزعمون ذكر ههنا شركاؤكم اضاف ذلك اليهم لانهم كانوا من جنسهم وجوهرهم يعبدون كما يعبدون وذكر في اية اخرى شركائي
وقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال الحسن الاية نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يكذبون
في الدنيا فيما بينهم فظنوا ان يروج كذبهم في الاخرة كما كان يروج في الدنيا وسماهم مشركين لانهم كانوا اشركوا في السر فقالوا
والله ربنا ما كنا مشركين وقال غيره من اهل التاويل الاية نزلت في اهل الشرك من العرب وذلك انهم كانوا يشركون مع الله الهة
وكانوا ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة فلما ان عاينوا ذلك انكروا ان يكونوا اشركوا غيره في الوهيته وربوبيته
وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي لم يكن افتتانهم في الدنيا بافترائهم على الله الكذب واشراك غيره معه وتكذيبهم
ايات الله الا ان قالوا في الاخرة والله ربنا ما كنا مشركين وذكر في بعض القصة ان المشركين في الاخرة راوا كيف يتجاوز الله عن
اهل التوحيد فقال بعضهم لبعض اذا سئلنا فقولوا انا كنا موحدين فلما جمعهم الله وشركاءهم فقال اين شركاؤكم الذين كنتم
تزعمون في الدنيا بانهم معي شريك ثم لم تكن فتنتهم قال اهل التاويل معذرتهم وجوابهم الا ان الكذب حين سئلوا فقالوا والله ربنا
ما كنا مشركين تبرؤا من ذلك ثم قال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون من الشرك في الدنيا قيل
لما انكروا ان يكونوا مشركين في الدنيا ختم الله على السنتهم وشهدت الجوارح عليهم بالشرك وقيل انظر كيف كذبوا على انفسهم يقول
كيف صار وبال كذبهم عليهم وضل عنهم قيل واشتغل عنهم ما كانوا يفترون ويقولون يكذبون واصله انه يذكر نبيه شدة
تعنتهم وسفههم انهم كيف يكذبون عند معاينة العذاب فاذا كانوا ابناء في منه وبعد كانوا اشد تكذيبا واكثر تعنتا لانهم يطلبون
الرد الى الدنيا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله عز وجل ومنهم
من يستمع اليك كانوا يستمعون اليه ليجادلوه على ما ذكر حتى اذا جاءوك يجادلونك ذلك هذا انهم كانوا يستمعون اليه ليجادلوه
معه والخصومة وقيل في بعض الحكايات ان الناس كانوا ثلاث فرق في اخبار الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام منهم من
يستمع للجمع والاستكثار ومنهم من يستمع ليأخذ عليهم سقطاتهم وما يجري على لسانهم من الخطأ ومنهم من يستمع ليأخذ الحق
منه ويترك الباقي لكن هؤلاء كانوا يستمعون اليه ليخاصموه في ذلك وليجادلوه لنعرف قومهم انهم يستمعون اليه ويعرفون
ما يقول ليصدوا بذلك اتباعهم والثاني يستمعون ويحاجون في ذلك ليعرفوا انهم اهل حجاج وعلم ليصدوهم عنه ثم يحتمل ان
يكون اهل نفاق لانهم كانوا يناكرون ويظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له ويحتمل اهل الشرك
اي رؤساؤهم ليستمعون اليه ويجادلوه فيما يستمعون اليه وقوله عز وجل وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا اخبر ان على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقرا وقال صم بكم عمي نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وان لم يكونوا في الحقيقة
صما ولا بكما ولا ما ذكر لما لم ينتفعوا بما انشا فيهم من السمع والبصر والعقل نفى عنهم ذلك ثم قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم
اكنة لا يخلوا اضافة ذلك الى نفسه من ان يكون خلق منهم فعل الكفر او خلق الظلمة التي في قلوبهم يعني ظلمة الكفر لان ظلمة الكفر
تستر وتغطي كل شيء ونور الايمان يبين منه كل شيء فاضافة الفعل اليه لا تخلو من احد هذين الوجهين اما الخلق فعل الكفر منهم
ففيه دلالة خلق افعالهم واما الخلق ظلمة الكفر في قلوبهم وفيه رد قول المعتزلة لانكارهم خلق فعل العباد وقوله عز وجل
وفي اذانهم وقرا قيل الوقر هو الثقل في السمع يقال وقرت اذنه توقر فهي موقورة واما الوقر فهو الحمل وقال ابو عوسجة الوقر
الصدع في العظم ايضا وقوله عز وجل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يحتمل كل اية اية وحدانيته وربوبيته وقدرته على البعث و
اية رسالته ونبوته ويحتمل كل اية سألوا ان ياتي بها يقول وان اوتيت بكل اية سالوك لا يؤمنون بك بعد ذلك ابدا كقولهم لولا
انزل عليه الملائكة او نرى ربنا ونحو ذلك مما سألوا من الايات يقول انك وان جئت بما سالوك من الايات لا يؤمنون بك ولا

يصدقونك يقول ان هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا الا اساطير الاولين قيل احاديث الاولين والاسطورة الكتاب يقولون
ذلك تعنتا منهم لانهم كانوا يعرفون انه حق وانه ليس بكلام البشر لانهم عجزوا عن اتيان مثله ولو كان هو مفترى على ما قالوا لقدروا
على ان ياتوا بمثله حيث قيل لهم فاتوا بسورة مثله فعلوا العجز هم عن اتيان مثله انه ليس من كلام البشر وانه سماوي
وقوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه اي يتباعدون عنه ينهون غيرهم عن اتباعه ويتباعدون هم ويحتمل ما ذكر في القصة ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام اجتمعت قريش عنده ليريدوا بالنبي سوءا قال ابو طالب وانشد فيه
والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۝ حتى اوسد في التراب دفينا ۝ فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ۝ وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ۝ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ۝ وعرضت دينا قد علمت بانه ۝ من خير اديان البرية دينا ۝ لو
لا الملامة او حذار مسبة ۝ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ۝ كان ينهى الناس عن اذى محمد صلى الله عليه وسلم ذبا عنه وهو عنه
ناء يتبعه في دينه فنزل هذا وقوله عز وجل ان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون انهم بذلك يسعون في هلاك انفسهم وقوله
عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار عن الحسن قال سوى اذ وقفوا على النار وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولو ترى اذ عرضوا
على النار وكذلك في ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اذ عرضوا على ربهم ولولا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وقفوا عرضوا
على النار والا يجوز ان يحمل قوله اذ وقفوا على النار اي عند النار او في النار وعلى مكان عند او مكان في وذلك جائز في
اللغة ولكن ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه اغنانا عن ذلك ثم يحتمل والله اعلم ان يكون هذا صلة ان الا اساطير الاولين
وهكذا الواجب على كل احد ان يرحم عدوه انه كان عاقبته النار والخلود فيها وان لا يطلب الانتقام منه بما كان منه بمكانه
او ان يقال ولو تراهم اذ وقفوا على النار من الذل والخضوع لرحمتهم بما كان منهم من الكبر والاستكبار في الدنيا وهو كقوله
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الاية اخبر عن ذلهم وخضوعهم في الاخرة بما كان منهم في الدنيا من الا[ستكبار]
والاستنكاف فعلى ذلك يخبر نبيه عما يصيبهم من الذل بتكبرهم في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا عند معاينتهم العذاب العود والرد الى الدنيا ثم فيه دليلان احدهما انهم عرفوا ان
ما اصابهم بتكذيبهم الايات وتركهم الايمان حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا والثاني ان الايمان هو التصديق
الفرد لا غير لانهم انما فزعوا عند معاينتهم العذاب تمنوا الرد والعود الى الدنيا ان يكون من المؤمنين لم يفزعوا الى شيء اخر
من الخيرات دل ان الايمان هو التصديق الفرد لا غير وانه ضد التكذيب والتكذيب هو فرد فعلى ذلك التصديق وقوله عز وجل بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل قيل فيه بوجوه قال بعضهم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك انها نزلت في المنافقين يدل على ذلك قوله بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل وهو سمة اهل النفاق انهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة ثم يحتمل
قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل رؤساؤهم كانوا عرفوا في الدنيا انه رسول وان ما نزل عليه هو من الله وعرفوا ان البعث حق لكنهم
اخفوا ذلك على اتباعهم وستروه ثم ظهر ما كانوا يخفون على اتباعهم وقيل قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وذلك انهم حين قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار اي حبسوا اذ الوقوف حبس لو وقف حبس والنار لا يوقف عليها بل يكون
فيها لما قال عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ويحتمل الوقف عندها قبل
الدخول في حال الحساب للمسائلة كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية ولو ترى اي لو ترى ذلهم وخضوعهم كقوله ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم ولم يبين جواب لو وقد يترك جواب لو لما يعلم وربما يفهم بالتامل او بالذكر كقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا يعني ظننتم او على ما ذكر في موضع اخر نحو قوله تعلم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم انما يجب لو وغير ذلك فلعل معناه لو ترى ذلهم بعد استكبارهم لرحمتهم على ما هم عليه وهان عليك التغير
لذلهم ولاشفقت عليهم ويحتمل قوله ولو ترى ما ينزل بهم من نقمة الله ويحل بهم من عذابه لعلمت ان القوة لله جميعا وان بجلاله ورحمته على
ظلمهم ويسترجعهم كقوله ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ويحتمل ان يكون جوابه فيما ذكر من تمنيهم العود وندامتهم
على ما سلف منهم وشرح لهفهم على صنيعهم لرايت ذلك امرا كافيا وجزاء بالغا او ما يكون ان يكون ما ينزل بهم اعظم عندك مما تلقى منهم وفيه يتحج
الخطاب لرسول الله على تضمن تنبيه كل مميز وتذكير كل متامل والله اعلم وقوله عز وجل يا ليتنا نرد قيل الى الدنيا وقيل الى المحنة من حيث لا
يحتمل كون الدنيا بعد كون الاخرة لكن هذا تكلف تحقيق مراد قوم ظهر سفههم ولعله ليس عندهم هذا التمييز او يقولون سفها كما قالوا كذا
بقوله وانهم لكاذبون عز وجل بايات ربنا قال الحسن بدين ربنا وقال قوم بحجج ربنا فيكون في الاية اعترافا منهم على التعنت كذبوا في
الاول لا على الجهل وان كان ثم ايات عاند وعاودوا قوم قد سبق من الله الخبر عنهم بما فيه العناد منهم كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك يدل على تعنتهم في القول ليتخلصوا عما بلوا بجميع ما يحتمل وسعهم لا ان ذلك كذلك في
لذلك والله اعلم قال الله تعالى وانهم لكاذبون ثم دل قوله ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين انهم قد عرفوا ان الايمان هو
التصديق لوجهين احدهما انهم جعلوا الايمان مقابل التكذيب فعلم انه التصديق والثاني انهم ذكروا الايات والايات يكذب بها ويصدق

لان يعمل وبعد فان الذي في هذا مكان الايمان مما فات هو التصديق اذ الغير لو توهم الامر ليوجد ما سبق من الترك والتصديق لو اتى فهو لما سبق من التكذيب على انه اجمع ان لا يؤمن من امن بقضاء شيء مما فات فثبت انهم ارادوا به التصديق وفيه انه اسم لذلك حتى عرفه اهله وغير اهله معرفة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يخرج على وجوه احدها على ان الاية في اهل النفاق ظهر ما قد اضمروا من الكفر والثاني ان تكون الاية في رؤساء الكفرة العلماء بالبعث وبان الرسل تكون من البشر وان لا شريك لله فبدا للاتباع ما كان الرؤساء يخفون في الدنيا ويحتمل وبدا لهم من صنيعهم ما قد اسروه واضمروه في انفسهم ظنوا انه لا يطلع على ذلك احد وذلك في قوله يوم تبلى السرائر وقوله وحصل ما في الصدور وغير ذلك ويحتمل ما كانوا يخفون من الخلق او بدا لهم ذلك بالجزاء وقوله عز وجل ولو ردوا اي الى ما تمنوا ان يردوا اليه لعادوا لما نهوا عنه اخبر الله عن علمه بما قد اسروه في ذلك الوقت انما كان في علمه ان يكون وان كان من حكمه ان لا يردوا في ذلك ان الاية لا يضطر صاحبها ولا قوة الا بالله وقال قوم ان الخلود يلزم في النار بدوام في علم الله انهم يلزمون ما هم عليه لو مكثوا الابد وقال قوم انه لم يجز لزوم العذاب بما يعلم الله من العناد من احد لو امتحن بالمحنة ولا خلاف في ان ذلك الامر الخلاف لكن الاية في خاص منهم وهم الذين اعندوا واعندوا الحق بعد الوضوح على ما ذكر في كثير من الكفرة انهم لا يؤمنون ابدا ثم امهلهم على ذلك وهذا يبين ان ليس يمنع الاعادة لما يعودون له لو كان يحتمل في الحكمة الاعادة اذ قد امهل وابقى على العلم بذلك فعلى ذلك الاعادة لكنه اخبر عن تعنتهم ثم ظنت المعتزلة ان الله لو علم انهم لا يؤمنون لزمهم الى ذلك النار بان انهم لا يؤمنون فيستدلون بهذا ان ليس لله قبض روح يعلم انه لو لم يقبضه يؤمن يوما من الدهر وقد بينا بحق ان ذلك لا يوجبان كان اولئك في علم ان يعود والى ذلك بما قد يترك في الدنيا من يعلم انه يلزم الكفر وينجي عن المهالك من يعلم انه يعود ثم قد يترك من يعود الى الكفر على وجوه ما به النجاة عنه والله اعلم وبعد فان الله تعالى قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فبين انه لو بسط لئلا يبغوا وقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ثم قد جعل لكثير ممن ضل بهم نوع الفراعنة ولكثير منهم قد بغوا في الارض اذ لو لم يكن البسط لفرعون لم يكن ليدعي الالهية لكن الامر طريق الفضل يفضل به والثاني طريق العدل وما يجوز في الحكمة فعلى ذلك الامهال يبين ذلك ما كان الله يامر بقتل من اهله يؤمن لو امهل بما ندب الى القتال ولا يحتمل ان يامر في قتل من ليس له قبض روحه وقد يبقى من يهلك ويضل وان قبض كثيرا منهم بما يضل به لو ابقي كما قال الخضر فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا والله اعلم وظنت الخوارج بهذه الاية ان كل من يرتكب كبيرة يظهر منه كذب فيما وعد انه لا يفعل اذا الله عالم كذبهم فيما في علمه انهم يعودون الى ذلك فاذا تقرر عند ناس احد ركوب ما كان عهد وابان انه يرتكب يظهر به كذبه وذلك خطا لما لو كان كذلك لكان الصغائر والكبائر واحدا ومن كذب في امر الصغائر في العهد او ذكر ومن ارتكب لم يصر كذلك فعلى ذلك الكبائر لكن الاية تخرج على وجوه احدها انها في قوم ارادوا بذلك دفع العذاب لان عزموا على ما ذكر والدليله فتنتهم بقوله والله ربنا ما كنا مشركين والثاني انه ذكر كذبهم انطق الله جوارحهم فشهدت عليهم بما كتموا من الشرك فتمنوا عند ذلك العود والرد ويحتمل بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من نعت محمد وصفته صلى الله عليه وسلم في الدنيا وكتموه والله اعلم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون تعلق بظاهر هذه الاية الخوارج والمعتزلة اما المعتزلة فانهم قالوا انهم لما طلبوا الرد ولم يردهم لما علم انهم لو ردهم لعادوا الى التكذيب ثانيا ولو علم منهم انهم لا يعودون لكان يردهم فدل انه انما لم يردهم لما علم منهم انهم يعودون الى ما كانوا من قبل فيستدلون بظاهر هذه الاية على ان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح له في الدين وقالوا لو علم منهم الايمان لكان لا يجوز له ان لا يردهم ومن قولهم انه اذا علم من كافر انه يؤمن في اخر عمره لم يجز له ان يميته وغير ذلك من المخاييل والاباطيل وقالت الخوارج اخبر انه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه وسماهم بالقول كاذبين بما في علمه انهم لا يفعلون بما يقولون فعلى ذلك كل صاحب كبيرة اذا كان في اعتقاده الذي اظهر انه لا ياتي بها فاذا اتى بها يصير فيما اعتقد ان لا ياتي بها كاذبا ولذلك يجعلون اصحاب الكبائر كفرة في القول الاول انهم لا ياتون بها وعلى ذلك المبايعة بقوله يبايعنك على ان لا يشركن بالله الاية فاذا سرقن صرن كاذبات في البيعة كما جاء من ذكر كاذبا في الوعد اذا اخلف وعلى ذلك يجعلونه كاذبا وقوله عز وجل وانهم لكاذبون يحتمل لكاذبون اي يكذبون لو ردوا [illegible] وانهم لكاذبون في قولهم ويكونوا من المؤمنين اي يصيروا [illegible] انهم لا يؤمنون كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يقولون ذلك [illegible] لما اضمروا خلاف ذلك في قلوبهم سماهم كاذبين فعلى ذلك هؤلاء لما اضمروا في انفسهم التكذيب [illegible] انهم كاذبون في ذلك وقوله ولو ردوا الى الدنيا ولكن ردوا الى المحنة ثانيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون [illegible] بالعناد والعادة وظهر منهم [illegible] في القديم [illegible] كاذبين [illegible] وقوله عز وجل وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين [illegible] ان يكون من الدهر لانهم [illegible] البعث [illegible] نموت ونحيا [illegible]

ذلك من كبر انهم ودرسا نهم على علم منهم بذلك اي بالبعث يلبسون ذلك على السفلة والاتباع ليكونوا اشد اتباعا لهم وانقيادا لانهم لو اعلموا الاتباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتباعهم لما يشتغلون بالاستعداد لذلك والعمل له ففي ذلك ترك اتباعهم وطاعتهم وقوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وكقوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب واصله ما ذكر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولو ترى اذ وقفوا اذ عرضوا على ربهم وقوله عز وجل قال اليس هذا بالحق يحتمل قوله اليس هذا بالحق اي البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون انه باطل ويحتمل بما كانوا اوعدوا بالعذاب انه لو لم يؤمنوا وكذبوا ذلك فقال اليس ما اوعدتم في الدنيا الحق فاقروا فقالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يحتمل قوله تعالى كذبوا بلقاء الله اي كذبوا لقاء وعد الله ووعيده في الدنيا وعلى ذلك يخرج ما روي في الخبر من احب لقاء الله اي احب لقاء ما وعد الله له ومن كره لقاء الله اي كره لقاء ما وعد له واصله من احب الرجوع الى الله احب الله رجوعه ومن كره الرجوع الى الله كره الله رجوعه اليه والمحبة لله اختيار امره وطاعته وعلى ذلك ما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا جنة الكافر يلعب فيها ويتمكن في امانيها وسجن المؤمن وراحته بالموت واصله انها سجن المؤمن لان المؤمن يمنعه دينه من قضاء شهواته لما يخاف هلاكه ويحذره عما يفضيه الى الهلاك والكافر لا يمنعه شيء من ذلك عما يريد من قضاء شهواته في الدنيا فتكون له كالجنة وللمؤمن كالسجن على ما ذكرنا ويحتمل وجها اخر وهو ان الكافر عند الموت يعاين مكانه وما اوعد له في النار فيصير عند ذلك الدنيا كالجنة لما يكره الرجوع والمؤمن يعاين موضعه في الجنة فيصير كالسجن له وقوله عز وجل حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قيل سميت القيمة ساعة لسرعتها لبثت كالدنيا الان في الدنيا يتغير فيها على المرء الاحوال يكون نطفة ثم يصير علقة ثم مضغة ثم يصير خلقا اخر ثم انشاناه ثم يكون طفلا ثم رجلا يتغير عليه الاحوال واما القيمة فانها لا تقوم على تغير الاحوال فسميت الساعة لسرعتها بهم وقيل سميت القيمة الساعة لانها تقوم في ساعة وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقيل سميت الساعة وقوله عز وجل بغتة اي فجاة وقوله عز وجل يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قيل التفريط هو التضييع فيحتمل قوله ما فرطنا فيها اي ما ضيعنا في الدنيا من المحاسن والطاعات ويحتمل ما ضيعنا في الاخرة من الثواب والجزاء الجزيل بكفرهم في الدنيا وقوله عز وجل وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم والله اعلم على التمثيل ليس على التحقيق وهو يحتمل وجهين يحتمل انه اخبر انهم يحملون اوزارهم على ظهورهم بما لزمهم اوزارهم واثامهم لم يفارقوها قط وصيرهم بالحمل على الظهر وهو كقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وكني لما لزم ذلك صار كانه في عنقه والثاني انما ذكر الظهر لما بالظهر يحمل ما يحمل فكان كقوله فبما كسبت ايديكم وبما قدمت ايديكم لان الكفر لا يكتسب بالايدي ولا يقدم بها لكن الاكتساب بالشيء وتقديمه وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم انهم لما تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر لان الذي ينبذ وراء الظهر هو الذي لا يعبا به ولا يكترث اليه ويحتمل وجها اخر ما ذكر في بعض القصة انه ياتيه عمله الخبيث على صورة قبيحة فيقول له كنت احملك في الدنيا باللذات والشهوات وانت اليوم تحملني فيركب ظهره فذلك قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي الحيوة الدنيا خاصة لان العمل اذا لم يكن لعاقبة يتامل فهو عبث كمن يبني بناء لا لعاقبة يتامل ويقصد ببنائه فهو لعب وعبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا لا لدار اخرى يتامل ويرجى به الثواب والعقاب ليس بحكمة وانما هو لعب ولهو وعلى ذلك يخرج قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية اخبر ان خلقه اياهم اذا لم يكن للرجوع اليه فهو عبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا اذا لم يكن هناك بعث ولا حيوة بعد الموت للثواب والعقاب فهو لعب ولهو واللهو ما يقصد به قضاء الشهوة خاصة لا يقصد به العاقبة واللعب هو الذي لا حقيقة له ولا مقصد وقوله عز وجل وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون اي الدار الاخرة خير للذين يتقون الشرك والفواحش كلها من الحيوة الدنيا واصله ان الحيوة الدنيا على ما عندنا ولتلك الكفرة لعب ولهو لان عندهم ان لا بعث ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان عندهم هكذا فيصير لعبا ولهوا لانه يحصل انشاء لا عاقبة له فيكون كبناء البناء الذي ذكرنا اذا كان عاقبة غير مقصودة فهو لا انتفاع به وقوله عز وجل قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون هذا والله اعلم اخبار منه نبيه عليه الصلوة والسلام انه من علم منه بتكذيبهم اياك بعثك اليهم رسولا وامرك بتبليغ الرسالة اليهم وكان عالما بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم اياك ولكن بعثك اليهم رسولا مع علمه بهما كله لتبلغهم يذكر هذا والله اعلم ليعلم رسوله انه لا عذر له في ترك تبليغ الرسالة وان كذبوه في تبليغها ثم الذي يحمله على الحزن يحتمل وجوها يحتمل يحزنه افتراؤهم وكذبهم على الله او كان يحزنه التكذيب اقرباءه وعشيرته اياه فاذا كذبه عشيرته انتهى الخبر الى الابعدين فيكذبونه فيحزنه لذلك او يحزنه حزن طبيع كل احد ينفر عن التكذيب او كانوا يحزنه اشفاقا عليهم بما ينزل عليهم من العذاب بتكذيبهم اياه واذا هم له كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الاية وكقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله عز وجل فانهم لا يكذبونك اختلف في تلاوته قرا بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد والتثقيل فمن قرا بالتخفيف لا يكذبونك اي لا يجدونك كاذبا قط ومن قرا بالتثقيل لا يكذبونك اي لا ينسبونك الى الكذب لا يكذبونك في نفسك ويحتمل قوله ولا يكذبونك في السر ولكن يقولون ذلك في العلانية والتكذيب هو ان يقال انك كاذب ولكن الظالمين اي عادة الظالمين التكذيب بايات الله والظالمين

يحتمل وجهين احدهما الظالمين على نعم الله حادثهم التكذيب بايات الله او الظالمين على انفسهم لانهم وضعوها في غير موضعها
وقوله عزوجل ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا ويخبر نبيه عليه الصلاة والسلام ويصبره على تكذيبهم اياه
واذاهم بتبليغ الرسالة يقول لست انت باول مكذب من الرسل لكنه كانوا اخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة فصبروا على ما كذبوا
واوذوا ولم يتركوا بتبليغ الرسالة مع تكذيبهم اياهم فعلى ذلك لا تترك انت تبليغ الرسالة وان كذبوك فاصبر على التبليغ
وهو ما ذكرنا انه يخبر انه بعثك رسولا على علم منه بما يكون منهم من التكذيب والاذى وقوله عزوجل فصبروا على ما
كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا اخبر الله انه نصر رسله ثم يحتمل ذلك النصر وجوها نصرهم اى اظهر حججهم وبراهينهم حتى علموا
جميعا انها هي الحجج والبراهين وانهم رسل الله لكنهم تعاندوا وكابروا ويحتمل النصر لهم بما اخرجهم واهلكهم وان كان اصابهم
شدايد في بدو الامر ونصرهم لما استاصل قومهم واهلكهم بتكذيبهم الرسل وفي استيصال العقوبة واهلاكهم ايام وابقاء
الرسل بنصرهم وكذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا وقوله انهم لهم المنصورون يخرج على الوجوه التي ذكرنا وقوله عزوجل ولا
مبدل لكلمات الله هو ما ذكرنا من النصر لهم واستيصال قومهم وما وعدهم من العذاب ذلك كلمات الله ويحتمل قوله لكلمات الله هو
حججه وبراهينه كقوله ويحق الله الحق بكلماته اى بحججه واياته وكقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية وقوله
عزوجل ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحتمل ما ذكرنا من اهلاك القوم وابقاء الرسل ونجاتهم ويحتمل قوله تعالى ولقد
جاءك من نبأ المرسلين من تكذيب قومهم لهم واذاهم اياهم فكان هذا فيه تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتقوى بتكذيب
قومه واعراضهم عن الايمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك اشفاقا عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات و
قوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات يشتد عليهم تكذيبهم الايمان لما يعلم ... تعالى
ذلك قوله وان كان كبر عليك اعراضهم وكان يكبر عليه ويشتد اعراضهم لما كانوا يطلبون منه الايات حتى اذا جاءتهم بها
لا يؤمنون من نحو ما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك من الايات التي سالوا نبيهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ايمانهم اذا جاءهم بما سالوا من الايات وان جاءهم بايات لم يؤمنوا وانما سالوا سؤال
تعنت لا سؤال الطلب ايات لتدلهم على الهدى فقال عند ذلك فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء او ان يكون
قوله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض نهيا عن الحزن عليهم اى لا تحزن عليهم وكل امر الجزاء ... تعلم سيئهم
وسوء معاملتهم ايات الله وكذلك روي في القصة عن ابن عباس رضي الله عنه ان نفرا من قريش قالوا ... عند ذلك
كما كانت الانبياء تاتي قومها بالايات اذا سالوه فان اتيتنا اتيناك وصدقناك فابى ... اعرضوا عنه ثم
فكبر ذلك عليه وشق فانزل الله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض ... الارض كنفق
اليربوع نافقا او مخرجا فتوارى منه منهم او سلما في السماء يكون سببا الى صعود السماء ... قال القتبي
النفق في الارض المدخل وهو السرب والسلم في السماء المصعد وقال ابو عوسجة النفق الغار والانفاق الغيران والغار واحد وقوله
عزوجل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال الحسن اى لو شاء الله لقهرهم على الهدى واكرههم كما فعل بالملائكة اذ من قوله ان الملائكة
مجبورون مقهورون ثم هو يفضل الملائكة على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لاحد من البشر فلو كانت الملائكة مجبورين
مقهورين على ذلك لم يكن في ذلك لهم كبير منقبة ففي قوله اضطراب واما تاويله عندنا لو شاء الله لجمعهم على الهدى اى
جميعا بحيث اختاروا الهدى واثروه على غيره ولكن لما علم منهم ان يختاروا الكفر على الهدى لم يشأ ان يجمعهم على الهدى وقد ذكر
هذا فيما تقدم ان لا يكون الهدى في حال القهر والجبر وانما يكون في حال الاختيار وقوله عزوجل فلا تكونن من الجاهلين يحتمل
وجوها يحتمل فلا تكونن من الجاهلين من قضاء الله وحكمه ويحتمل لا تكونن من الجاهلين من احسانه وفضله اي من احسانه يجعل لهم
الهدى ويحتمل لا تكونن من الجاهلين انه يؤمن بك بعضهم وبعضهم لا يؤمن قال ابو بكر الكيساني في قوله ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى اي لو شاء الله ابتلاهم بدون ما ابتلاهم به ليخف عليهم فيجيبون باجمعهم او يقول لو شاء لوفقهم جميعا للهدى فيهتدون
وهو قولنا لكن لم يشأ لما ذكرنا انه لم يوفقهم لما علم منهم انهم يختارون الكفر وقوله فلا تكونن من الجاهلين بان الله قادر لو شاء
لجعلهم جميعا مهتدين ثم معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما لا يجوز ان يقال انه يكون من الجاهلين او من الشاكين
على ما ذكر ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا ترفع الامر والنهي والامتحان بل تزيد لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عزوجل
انما يستجيب الذين يسمعون معناه والله اعلم انما يستجيب الذين ينتفعون بما يسمعون والا كانوا يسمعون جميعا لكن الوجه فيه ما
ذكرنا انه انما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر كان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر
ومن لم يتبع لكن انتفع بالانذار من اتبع الذكر ولم ينتفع من لم يتبع وهو ما ذكر عزوجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر ان الذكرى
تنفع المؤمنين ولا تنفع غيرهم وقوله عزوجل والموتى يبعثهم الله اختلف فيه قال بعضهم والموتى يبعثهم الله على الابتداء يبعثهم الله
ثم اليه يرجعون وقال قائلون اراد بالموتى الكفار سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القرآن كقوله او من كان ميتا فاحييناه

وجعلنا له

وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات فهو والله اعلم ان جعل لكل بشر سمعين وبصرين وحيوتين سمع ابدي في
الاخرة وبصر ابدي في الاخرة وكذلك جعل لكل احد حيوتين حياة الاخرة وحيوة منقضية وهي حيوة الدنيا وكذلك سمع ابدي وهو
سمع الاخرة وسمع ذو مدة لها انقضاء وهو سمع الدنيا ثم نفى السمع والبصر والحيوة عمن لم يدرك بهذا السمع والبصر والحيوة التي
جعل له في الدنيا ولم يجعل سمع الابدية وبصر الابدية والحيوة الابدية لانه انما جعل لهم هذا في الدنيا ليدركوا بهذا ذلك وكذلك
العقول التي ركبت في البشر انما ركبت ليدركوا بها ويبصروا ذلك الابدي والا لو كانت تركيب هذه العقول في البشر لهذه الدنيا
خاصة لا لعواقب يتامل الجزاء والعقاب فالبهايم قد تدرك بالطبع ذلك القدر وتعرف ما يؤذي ويتقي وما يصلح لها فدل ان تركيب
العقول فيمن ركب انما ركب لما يدرك ذلك المقدار بالطبع من لم يركب فيه وهو البهايم التي ذكرنا والسمع والبصر والحياة ثم
جعل في الدنيا لمعاشهم ومعادهم وكذلك جعل لهم اللسان ليتعلق بحوايجهم في الدنيا ويعرف بعضهم من بعض حاجته
في الدنيا ويدرك بالازلي فاذا لم ينتفعوا بذلك ازال عنهم ذلك وسماهم العمي والصم والبكم الا ترى انه قال صم بكم عمي لما لم
ينتفعوا بذلك الا ترى انه اذا لم يدرك الازلي والابدي من ذلك سماه اعمى حيث قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا و
الحيوة حيوتان مكتسبة وهي الحيوة التي تكتسب بالهدى والطاعات وحيوة منشاة وهي حيوة الاجساد فالكافر له حيوة
الجسد وليس له حيوة مكتسبة واما المؤمن فله حيوتان جميعا المكتسبة والمنشاة فسمى كلا باسماء التي اكتسبها فالمؤمن
اكتسب افعالا طيبة فسماه بذلك والكافر اكتسب افعالا قبيحة فسماه بذلك وقوله عزوجل وقالوا لولا انزل عليه اية من
ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية هؤلاء قوم همتهم العناد والمكابرة قد كان انزل عليه ايات عقليات وسمعيات
وحسيات فاما الايات العقليات هي ما ذكر قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله الا
واما الايات السمعيات هي ما انباهم عن اشياء كانت غايبة عنه من غير ان كان له اختلاف الى من يعلمها وينبوها عنها
والايات الحسيات هي ما سقى اقواما كثيرة بلبن قليل من قصعة وما قطع مسيرة شهر في ليلة واحدة ونطق العناق الذي شوي
له وحنين المنبر وغير ذلك من الاشياء مما يكثر ذكرها لكنهم عاندوا وكانت همتهم العناد وقوله عزوجل قل ان الله قادر
على ان ينزل اية التي سالوا ولكن اكثرهم لا يعلمون يحتمل وجهين يحتمل ان يكون ان اكثرهم لا يعلمون انه انزل اية على اثر السؤال لا
نزل عليهم العذاب واستاصلهم انما عاندوا ويحتمل قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ينزل الاية الا عند الحاجة بهم اليها ويحتمل
ان لا يسالون الاية ليعلموا ولكن يسالون ليتعنتوا واذا انزل اية على اثر سؤال فلم يقبلوها ولم يؤمنوا بها اهلكهم على ما ذكرنا
من سنة في الاولين لكن تاخر وعدا بقاء هذه الامة الى يوم القيمة وقوله عزوجل وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا
امم امثالكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قل ان الله قادر على ان ينزل اية ذكر دابة والدابة كل ما يدب على وجه الارض من
ذي الروح وذكر الطاير وهو اسم كل ما يطير في الهواء لما كان قادرا على خلق هذه الجواهر المختلفة ورزق كل منهم اليوم
لقادر على ان ينزل اية تضطرهم جميعا الى القبول لها والاقرار بها ولكنه لا ينزل لما ليس لهم الحاجة اليها والايات لا تنزل الا عند
وقوع الحاجة بهم اليها وعلى هذا يخرج قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون من الناس من استدل بهذه الاية على ان البهايم والطير ممتحنان حيث
قال الا امم امثالكم ثم قال وان من امة الا خلا فيها نذير ثم اختلف في قوله تعالى الا امم امثالكم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال في
قوله تعالى الا امم امثالكم قال يحشرون يوم القيمة ثم تقتص البهايم بعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا كالبهايم وعن ابن عباس قال وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم اي يفقه بعضها عن
بعض كما يفقه بعضكم من بعض وامم امثالكم في معرفة ما يؤذي ويتقي ويحتمل الا امم امثالكم في الكثرة والعدد والخلق والصنوف
تعرف بالاسامي كما تعرفون انتم واصله انما ذكر من الدواب والطيور امثالكم مسخرها لكم لم يكن منهم ما يكون منكم من العناد
والتكذيب للرسل والخروج عليهم بل خاضعين لكم مذللين تنتفعون بها ويحتمل قوله الا امم امثالكم في حق معرفة وحدانيته و
الوهيته او حق الطاعة لله كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله عزوجل ما فرطنا في الكتاب من شيء اختلف فيه قال
بعضهم ما فرطنا اي ما تركنا شيئا الا وقد ذكرنا اصله في القران وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ما تركنا شيئا الا قد كتبناه في
ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل ما فرطنا ما ضيعنا في الكتاب ما تدفع لكم الحاجة اليه او منفعة الا قد بيناه لكم في
القران ثم الى ربهم يحشرون قيل الطير والبهايم يحشرون مع الخلق وقيل الى ربهم يحشرون يعني ... وقوله والذين كذبوا
باياتنا قال الحسن باياتنا ديننا وقال غيره كذبوا باياتنا بحججنا حجج وحدانيته والوهيته وحجج الرسالة والنبوة ويحتمل ايات
البعث كذبوا بذلك كله وقد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عزوجل صم وبكم هو ما ذكرنا انه نفى عنهم السمع واللسان و
البصر لما لم يعرفوا نعمة السمع ونعمة اللسان ولا يجوز ان يجعل لهم السمع والبصر واللسان ثم لا يعلمهم ما يسمعون بالسمع وما
ينطقون باللسان دل انه يحتاج الى رسول يسمعون منه ويسمعون اليه وينطقون ما علمهم فاذا لم يفعلوا صاروا كما ذكر صم
بكم عمي لما لم ينتفعوا به ولم يعرفوا نعمته التي جعل لهم فيما ذكرنا ونفى عنهم السمع والبصر واللسان لما ذكرنا ان السمع والبصر

والحياة على ضربين مكتسب ومنشأ فنفى عنهم المكتسب والبصر المكتسب والحياة المكتسبة وقوله عز وجل في الظلمات
يحتمل وجهين يحتمل ظلمات الجهل والكفر والثاني هم في ظلمات يعني ظلمات السمع والبصر والقلب وهم في ظلمتين جميعا في
ظلمة الجهل والكفر وظلمة السمع والبصر كقوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض والمؤمن في النور كقوله تعالى نور على نور
وقوله عز وجل من يشأ الله يضلله ومن يشأ يهديه وصف عز وجل نفسه بالقدرة وجعلهم جميعا متقلبين في مشيئته واخبر
ان شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى فمن قال لو شاء لكل الهدى لكن لم يهتدوا او شاء لكل الضلال فهو خلاف ما ذكره
عز وجل لانه اخبر انه شاء الضلال لمن ضل وشاء الهدى لمن اهتدى واضله لانه علم من الكافر انه يختار الكفر شاء ان يضل
وخلق فعل الكفر منه وكذلك اذا علم من المؤمن انه يختار الايمان والاهتداء شاء ان يهتدي وخلق فعل الاهتداء منه وقوله
عز وجل قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله الذي وعدكم في الدنيا انه يأتيكم او اتتكم الساعة لانه كان وعدهم ان يأتيهم العذاب
وكان يعدهم ان تقوم الساعة فقال ارأيتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون في دفع ذلك وكشفه عنكم
ان كنتم صادقين ان معه شركاء والهة او ان كنتم صادقين ان ما تعبدون شفعاؤكم عند الله او تقربكم عبادتكم اياها
الى الله تعالى وقوله تعالى اغير الله تدعون يحتمل حقيقة الدعاء عند نزول البلاء ويحتمل العبادة اي اغير الله تعبدون على
رجاء الشفاعة لكم وقد رأيتم انها لم تشفع لكم عند نزول البلايا ثم اخبر انهم لا يدعون غير الله في دفع ذلك وكشفه عنهم
واخبر انهم الى الله يتضرعون في دفع ذلك عنهم وهو ما ذكر عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وكقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ذكر هذا والله اعلم انكم
اذا مستكم الشدائد والبلايا لا تفزعون الى الذين تشركون في عبادته والوهيته كيف اشركتم اولئك في ربوبيته في غير
الشدائد والبلايا وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون بالله من الالهة فلا تدعونهم ان يكشفوا عنكم وقوله عز
وجل ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء اختلف فيه قال بعضهم الباساء الشدائد التي تصيبهم من
العدو والضراء ما يحل بهم من البلاء والسقم السماوي وقال بعضهم الباساء هو ما يحل بهم من الفقر والقحط والشدة وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال قوله فاخذناهم بالباساء الزمانة والخوف والضراء البلاء والجوع لعلهم يتضرعون اي ابتلاهم بهذا
وامتحنهم لعلهم يتضرعون ويرجعون عما هم عليه وقوله عز وجل فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا انه ذكر في ظاهر هذا الاثر ذلك
اصابهم البلاء والشدة ولم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم وذكر في غيره من الايات انه اذا اصابهم البلاء والشدائد تضرعوا
ورجعوا عما كانوا عليه وهو كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله فاذا ركبوا في الفلك وغيرهما
من الايات لكن يحتمل هذا وجوها ان هذا كان في قوم والاول كان في قوم اخرين وذلك ان الكفرة كانوا على احوال ومنازل
منهم من كان على حال فاذا اصابه خير اطمأن به واذا زال عنه وتحول تغير وهو كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
الاية ومنهم من يتضرع ويلين قلبه اذا اصابه الشدة والبلاء وعند السعة والنعمة قاسي القلب معاندا وهو كقوله دعوا
الله مخلصين له الدين الى اخر الاية وكقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ومنهم من كان فرحا عند النعمة
وعند الشدة والبلاء كفورا حزينا كقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ومنهم من كان
لا يخضع ولا يتضرع في الاحوال كلها لا عند الشدة والبلاء ولا عند الرخاء والنعمة ويقولون ان مثل هذا يصيب غيرنا وقد كان
اصاب اباءنا وكانوا اهل الخير والصلاح وهو كقوله قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كانوا على احوال مختلفة ومنازل
متفرقة فيشبه ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم في القوم الذين لم يتضرعوا عند اصابتهم
الشدائد والبلايا وجائز ان يكونوا تضرعوا عند حلول الشدائد فاذا انقطع ذلك وارتفع عادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما
نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويشبه ان يكون قوله لعلهم يتضرعون وقوله دعوا الله مخلصين له الدين فيما بينهم وبين ربهم
وهذا فيما بينهم وبين الرسل لان الرسل كانوا يدعون الى ان يغيروا سالتهم ويصدقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون فتكبروا
عليهم ولم يتكبروا على الله ويحتمل ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا في الامم السالفة اخبار منهم انهم لم يتضرعوا
ويحتمل قوله ايضا فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وجهين احدهما انهم لم يتضرعوا اذ جاءهم باس الله ولكن عاندوا وثبتوا
على ما كانوا عليه والثاني تضرعوا عند نزول باسه لكن اذا ذهب ذلك وزال عادوا الى ما كانوا فيصير كانه قال فلولا لزموا
التضرع اذ جاءهم باسنا وقوله عز وجل وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي زين لهم صنيعهم الذي صنعوا ويقولون
ان هذا كان يصيب اهل الخير ويصيب اباءنا وهم كانوا اهل خير وصلاح او زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الشرك و
التكذيب ويقول لهم ان الذي انتم عليه حق وقوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به يحتمل ابتداء ترك اي تركوا الاجابة الى ما دعوا
وتركوا ما امروا به ويحتمل نسوا ما ذكروا به من الشدائد والبلايا فتحنا عليهم ابواب كل شيء يحتمل وجهين يحتمل ابواب كل شيء مما
يحتاجون اليه حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ويحتمل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به يعني بالامم الخالية مما دهاهم

الرسل

الرسل بكذا يوهم فتحنا عليهم ابوابا اي ارسلنا عليهم ابواب كل شيء من انواع الخير بعد الضر والشدة التي كانوا فيها بهم حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون اختلف فيه قال بعضهم الايس من كل خير قال القتبي المبلس الايس الملقي بيديه وقال ابو عبيدة هو
المبلس هو الحزين المتندم الايس من الرحمة [illegible] وقال الفراء المبلس هو المنقطع الحجة وقيل لذلك سمي ابليس لعنه الله
ابليس لما ايس من رحمة الله وقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا قيل استؤصل القوم الذين ظلموا بالهلاك جميعا والظلم
ها هنا هو الشرك وقيل فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اصلهم وقيل دابر القوم اي اخرهم وكله واحد وذلك انه اذا اهلك اخرهم
وقطعوا فقد استؤصلوا ويشبه ان يكون قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا [illegible] الذي كانوا يتفرقون
به ويكيدون وقوله عز وجل والحمد لله رب العالمين الحمد في هذا الموضع على ذلك الهلاك يخرج على وجوه والله اعلم احدها انه ذكر
على اثر ذلك الكرامة والنعمة لكن ما هنا وان كان نقمة واهلاكا فكان للاولياء كرامة ونعمة لان في هلاك العدو من اعظم
الكرامة والنعمة [illegible]
[illegible] والثاني انه يحتمل ان يكون في الهلاك نفسه الحمد لما كان الهلاك
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله
ياتيكم به اختلف فيه قال بعضهم [illegible] منافع هذه الاشياء اي ان اخذ منافع سمعكم
ومنافع بصركم ومنافع عقولكم من اله غير الله ياتيكم به [illegible]
ياتيكم بمنافع سمعكم وبصركم وعقولكم فاذا كانت الاصنام والاوثان التي تعبدونها من دون الله [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل انظر كيف نصرف الايات [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل قل
ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون [illegible]
[illegible]
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ونحو ذلك من الاسولة التي
سالوه لا لتسهم فنزل عند ذلك ما ذكر فهذا يحتمل فيقول لهم ليس عندي خزائن الله فاجعل لكم هذا ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم
اني ملك انه اتبع او ما اتبع الا ما يوحى الي والثاني جائز ان يكون النبي عليه السلام اوعدهم بالعذاب ونحوه فسالوا العذاب تعجيلا
استهزاء وتكذيبا فنعت الوعد الذي يكون كقولهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال لهم عند ذلك قل لا اقول لكم عندي خزائن الله فانما
انزل عليكم العذاب متى شئت ولا اعلم الغيب متى دنت نزول العذاب عليكم ولا اقول لكم اني ملك نزلت من السماء بالعذاب انما انا رسول
بشر مثلكم ما اتبع الا ما يوحى الي هذا محتمل جائز ان يكون على اثر ذلك نزل ويحتمل وجها اخر وهو انه يخبر ابتداء اي لا اقول لكم عندي
خزائن الله لاني لو قلت عندي خزائن الله وانا اعلم الغيب واني ملك كان ذلك اشد اتباعا وارغب واكثر الطاعة لكن نقول انما انا بشر
مثلكم يوحى الي ما اتبع الا ما يوحى لتعلموا اني صادق ومحق فيما ادعوكم اليه وقوله عز وجل قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك يعلم بالاحاطة ان هذا ونحوه خرج على الجواب لاسولة كانت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكنا لسنا نعلم ما
كانت تلك الاسولة كانت منا ولذلك حتى كان هذا جوابا لهم فلا نفسر ولكن نقف مخافة الشهادة على الله ويحتمل ان يكون جوابا لما ذكر

فاية اخرى وهو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فقال عند ذلك لا اقول لكم عندي
خزاين الله ولا اعلم الغيب جوابا لسؤال وقت الساعة او وقت نزول العذاب وقوله عزوجل ولا اقول لكم اني ملك جواب لقولهم او ترقى في
السماء فقال عند ذلك لا اقول اني اعلم الغيب حتى اعلم الغيب وقت نزول العذاب وقيام الساعة ولا اقول اني ملك حتى اقدر فارقى في السماء
وقوله عزوجل قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون اي تعرفون انه لا يستوي الاعمى اي من عمي بصره والبصير اي من لم يعم بصره كيف
لا تعرفون انه لا يستوي من عمي عن الايات ومن لم يعم عنها ونقول لا يستوي الاعمى والبصير كيف يستوي من يتعامى عن الحق ومن لم
يتعام افلا تتفكرون وانما لا يستويان وقوله عزوجل افلا تتفكرون [illegible]
وقوله عزوجل وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله قل لا اقول
لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب الاية [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر بالانذار الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم [illegible]
[illegible] وليس فيه انه لا ينذر غيرهم وهو كقوله
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ليس فيه انه لا ينذر [illegible] وكقوله
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عزوجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي [illegible]
[illegible] اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشهدون المجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] اشراف القوم وسادتهم
وقد اخذوا اولئك المجلس [illegible] فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا
سادات قومك واشرافهم [illegible] فانزل الله هذه الاية [illegible] بقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى هنا يذهب عامة اهل التاويل [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] ويبعد مجلسهم منه
[illegible] رسول الله المصطفى على جميع [illegible] ويخطر بباله شيء من ذلك وكان فيه [illegible]
عليه مطعنا يقولون يدعوا الناس الى التوحيد والايمان به والاتباع له [illegible] ويبعد مجلسهم منه [illegible]
مدفوع في عقل كل عاقل ولكن ان كان فجايز ان يكون منهم طلب ذلك طلبوا منه ان يدني مجلسهم ويبعد اولئك هذا يحتمل واما ان يهم
ان يفعل ذلك او خطر بباله شيء من ذلك فلا يحتمل وجايز ان يكون هذا من الله ابتداء تاديب وتعليم يعلم رسوله صحبة اصحابه ومعاملته
معهم كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ونهيه ان يمد عينيه الى ما متع اولئك كقوله ولا تمدن عينيك
الاية ويخبر عن عظيم قدرهم عند الله وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع والحظر بل العصمة تزيد في النهي والزجر واخبر انه ليس عليه من
حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فانما عليك البلاغ وعليهم الاجابة وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم
وقوله عزوجل يدعون ربهم بالغداة والعشي يشبه ان يكونوا يجتمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غداة ومساء
فيسمعون منه ثم يتفرقون على ما عليه امر الناس من الاجتماع في كل غداة ومساء عند الفقهاء واهل العلم وجايز ان يكون ذكر الغداة والعشي
كناية عن الليل كله ومن النهار جملة كقوله والضحى والليل اذا سجى ليس يريد بالضحى الضحوة خاصة ولكن النهار كله الا ترى انه قال والليل
اذا سجى ذكر الليل دل انه كان الضحى كناية عن النهار جملة فعلى ذلك الغداة والعشي يجوز ان يكون كناية عن الليل والنهار جملة والله اعلم
وجايز ان يكونوا اصحاب الحرف والمكاسب لا يتفرغون للاجتماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع منه في عامة النهار ولكن
يجتمعون اليه ويستمعون منه بالغداة والعشي فكان ذكر الغداة والعشي لذلك ولما ذكرنا وجايز ان يكون المراد بذكر الغداة والعشي
صلوة الغداة وصلوة العشاء يقول لا تطرد من يشهد هاتين الصلاتين وانما يشهدها اهل الايمان واما اهل النفاق فانهم لا يشهدون
هاتين الصلوتين ويحتمل ما ذكرنا وقوله عزوجل فتطردهم فتكون من الظالمين الظلم على وجوه ظلم كفر وظلم شرك وظلم يكون بلا تندم وهو
ان يمنع احدا حقه او اخذ منه حقا بغير حق فهو كله ظلم والظلم هاهنا والله اعلم يشبه ان يكون هو وضع الحكمة في غير اهلها لانه لو
كان منه ما ذكر من طرد واذى اولئك وادنى اولئك لم يكونوا اهلا للحكمة ويجوز ان يوصف واضع الحكمة في غير موضعها بالظلم على ما
روي في الخبر ان من وضع الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها عن اهلها فقد ظلمهم وقوله عزوجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض
وقوله وكذلك لا يتكلم الا على امر سبق فهو والله اعلم يحتمل ان يقول لما قالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء الاعبد من قومك فنحن نكون تبعا
لهؤلاء ونحن سادة القوم واشرافهم فقال عند ذلك وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما فضلتكم على هؤلاء في امر الدنيا فلذلك فضلتهم
عليكم في امر الدين ويكون هم المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدنين مجلسهم اليه وانتم اتباعهم في امر الدين وان كانوا اتباعا لكم
في امر الدنيا وكذلك امتحان بعضهم ببعض ويحتمل وجها اخر وهو ان يقال كما كان لله امتحان كل في نفسه ابتداء محنة كقوله ونبلوكم بالشر

والخير فتنة

والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية فعلى ذلك له ان يمتحن بعضكم ببعض
واشد المحن ان يامر المتبوع ومن يرى لنفسه فضلا بالخضوع للتابع ومن هو دونه عنده فيشتد ذلك عليه ويتعذر لما كانوا يرون لانفسهم
الفضل والمنزلة في امر الدنيا فظنوا انهم كذلك يكونون في امر الدين وعلى ذلك يخرج ما امتحن ابليس بالسجود لادم راى لنفسه فضلا عليه
فقال انا خير منه ولم ير الخضوع لمن دونه عدلا وحكمة فصار ما صار فعلى ذلك هؤلاء لم يروا اولئك الضعفة ان يكونوا متبوعين عدلا وحكمة
وظنوا انهم لما كانوا مفضلين في امر الدنيا وكان هؤلاء اليهم حاجة يكونون في امر الدين كذلك ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ونحوه
من الكلام وقوله عزوجل ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال بعضهم هو موصول بالاول بقوله فتنا بعضهم ببعض
ليقولوا يقول الكافر في قول الكفر والمؤمن قول الايمان ثم ابتداء فقال اهؤلاء اي يقول الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقال
بعضهم قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ليس بمفصول من قوله ليقولوا ولكن موصول به ليقولوا يعني الكفرة اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا ثم يحتمل قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالحفظ بالتقريب والادناء في المجلس وجعلهم متبوعين من بيننا
بعد ما كانوا اتباعا لنا فقال عند ذلك اليس الله باعلم بالشاكرين اي عرف هؤلاء نعمة الله تعالى ووجهوا شكر نعمه اليه
وانتم وجهتم شكر نعمه الى غيره بعد ما عرفتم انه هو المنعم عليكم والمسدي اليكم وقوله عزوجل واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا فقل سلام عليكم هذا يدل على ان النهي عن الطرد ليس للابعاد خاصة في المجلس ولكن في كل شيء في بشاشة الوجه و
اللطف في الكلام وفي كل شيء لانه قال فقل سلام عليكم وقوله عزوجل كتب ربكم على نفسه الرحمة ان يبداهم بالسلام فذلك الذي
كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي لم ياخذ في اول ما وقعوا في المعصية ولكن امهلهم الى وقت
وجعل لهم المخرج من ذلك بالتوبة وعلى ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فتح الله للعبد التوبة الى ان ياتيه الموت وقوله
عزوجل انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اي كل من عمل سوءا بجهالة ثم تاب من بعد ذلك
واصلح انه يغفر له ما كان منه ومن قراها بالنصب عطفه على قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم
تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم لذلك وجايز ان يكون قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي كتب على خلقه الرحمة ان يرحم
ويغفر لمن تاب وقوله من عمل منكم سوءا بجهالة جايز ان يكون الاية في الكافر فاذا تاب يغفر الله له ما كان منه في حال الكفر والشرك
كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية وقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجايز ان يكون
في المؤمنين ثم ذكر عملا بجهالة وان لم يكن يعمل بالجهل لان الفعل فعل الجهل وان كان فعله لم يكن على الجهل وكذلك ما ذكر من
النسيان والخطا في الفعل لان فعله فعل ناس وفعل مخطئ وان لم يفعله الكافر على النسيان والخطاء والا لو كان على حقيقة
الخطاء والنسيان لكان لا يؤاخذ به كقوله وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به لكن الوجه ما ذكرنا ان الفعل فعل نسيان وخطا
وان لم يكن ناسيا ولا مخطئا فيه وعلى ذلك فعل جهل وان لم يكن جاهلا والفعل فعل جهل وان لم يكن بالجهل والمؤمن جميع
ما يتعاطى من المساوي يكون بجهالة لانه انما يعمل السوء اما لغلبة شهوة او للاعتماد على كرمه بالعفو عنه والصفح عن ذلك او
يعمل السوء على نية التوبة والعزم عليها في اخره على هذه الوجوه الثلاثة يقع المؤمن في المعصية واما على التعمد فلا يعمل وقوله
عزوجل وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قرئ بالياء والتاء جميعا فمن قرا بالتاء نصب السبيل يجعل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لتعرف سبيل المجرمين ومن قرا بالياء رفع السبيل كانه قال نفصل الايات وجوها اي تبين
الايات ما يعرف السامعون انها ايات من عند الله غير مخترعة من عند الخلق ولا مفتراة ما بين سبيل المهتدين والثاني
نفصل الايات ما بالخلق حاجة اليها والى معرفتها والثالث نبين من الايات ما ابين بين المختلفين اي بين سبيل المجرمين
وبين سبيل المهتدين ولتستبين سبيل المجرمين تاويله ما ذكرنا ان من قراه بالتاء حمله على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي نبين من الايات لتعرف سبيل المجرمين بالنصب ومن قراه بالياء نبين من الايات ليتبين سبيل المجرمين من سبيل غير المجرمين
والله اعلم وقوله عزوجل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله معناه والله اعلم اني نهيت بما اكرمت من العقل
والنبي ان اعبد الذين تعبدون من دون الله او يقول اني نهيت بما اكرمت من الوحي والرسالة ان اعبد الذين تدعون من
دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم اخبر ان ما يعبدون من دون الله انما يعبدون اتباعا للهوى
انفسهم وان ما يعبد هو ليس يتبع هوى نفسه ولكن انما يتبع الحجة والسمع وما يستحسنه العقل الا ترى انه قال قل اني على
بينة من ربي اي على حجة من ربي يخبر ان ما يعبدهم هواه يعبد اتباعا للحجة والعقل وما يعبدون اتباعا للهوى انفسهم وما يتبع
بالهوى يحتاج ان يترك اتباعه ويتبع غيره لما تهوى نفسه هذا ولا تهوى الاول واما ما يتبع بالحجة والسمع وما يستحسنه العقل
فانه العقل فانه لا يجوز ان يترك اتباعه ويتبع غيره وفيه تعريض لسفههم لانه قال قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا
من المهتدين ان اتبعت هواكم لضللت انا وانتم ان اتبعتم اهواءكم لعبادتكم غير الله ضلال ولستم من المهتدين فهو تعريض
التسفيه لهم والشتم منه وقوله عزوجل قل اني على بينة من ربي وكذبتم قيل على بيان من ربي وحجة وقيل على دين من ربي

وقوله عز وجل وكذبتم به قيل بالقرآن وقيل العذاب ما اوعدتكم ويحتمل كذبتم ما وعدتكم وقوله
عز وجل ما عندي ما تستعجلون به اي العذاب كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وغيره فقال ما عندي ما تستعجلون به من العذاب
ثم هذا يدل على ان قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ان المراد بالخزائن العذاب اي ليس عندي ذلك انما ذلك لله تعالى
وعنده ذلك وهو قوله ان الحكم الا لله اي ما الحكم والقضاء الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين اختلف في تلاوته وتاويله
قرأ بعضهم بالضاد وبعضهم بالصاد فمن قرأ بالصاد يقص يقول يبين الحق لان القصص هو البيان وقال وهو خير الفاصلين
اي خير المبينين ومن قرأه بالضاد يقول يقضي يحكم ثم اختلف فيه قال بعضهم اي يقضي بالحق وكذلك روي في حرف ابن
مسعود رضي الله عنه انه قرأ يقضي بالحق وقيل فيه اضمار اي يقضي ويحكم وحكمه الحق وهو خير الفاصلين اي القاضين و
الفصل والقضاء واحد لانه بالقضاء يفصل والله اعلم وقوله عز وجل قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني و
بينكم عن ابن عباس رضي الله عنه لو ان عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم وقيل لقضي
الامر بيني وبينكم اي لعجلته لكم بالقضاء ما بينا الخبر عن رحمته وحلمه اي لو كان بيدي لارسلت عليكم لكن الله بفضله
ورحمته يؤخر ذلك عنكم ثم فيه نقض على المعتزلة في قولهم بان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح في الدين لانه قال قل لو ان عندي
ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم ثم لا يحتمل ان تاخير العذاب والهلاك خير لهم واصلح ثم من يهلكهم ويكون عظة لغيرهم
وزجرا لهم ثم ان الله تعالى اخر ذلك العذاب عنهم وان كان فيه شر لهم فدل ان الله قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك باصلح له في الدين
وقوله عز وجل والله اعلم بالظالمين اي عليم بمن الظالم منا ومنكم كانه ناظرهم وقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
هذا والله اعلم يحتمل ان يكون صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب وصلة قوله ما عندي ما تستعجلون به كانوا
يطلبون منه صلى الله عليه وسلم ويسألونه اشياء من التوسيع في الرزق وغير ذلك مما كان يعدهم من الكرامة والمنزلة والسعة
وكان يوعدهم بالعذاب ويخوفهم بالهلاك فيستعجلون ذلك منه ما وعدهم فقال وعنده مفاتح الغيب ليس ذلك عندي لا يعلم
ذلك الا هو ومفاتح من المفتح ليس من المفتاح يكون جمعه مفاتيح والمفتح يقال في النصر والمعونة يقال فتح الله عليه بلد كذا اي
نصره وجعله غالبا عليهم ويقال فيما يحدثه ويستفيد منه يقال فتح فلان على فلان باب كذا اي علمه علم ذلك وقوله عز وجل
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اي من عنده يستفاد ذلك ومنه يكون ومن نصر اخر انما بنصره ومن علم اخر علما انما بعلمه ومن وسع على
اخر رزقا انما يوسعه بالله كل هذا يشبه ان يخرج تاويل الاية وقوله عز وجل ويعلم ما في البر والبحر هذا يحتمل وجوها يحتمل ما في البر و
البحر اي يعلم ما في البر والبحر من الدواب وما يسكن فيهما من ذي الروح كثرتها وعددها وصغيرها لا يخفى عليه شيء والثاني يعلم ما
في البر والبحر اي يعلم رزق كل ما في البر والبحر ويعلم حاجته ثم يسوق الى كل من ذلك رزقه يخبر هذا والله اعلم ليعلموا انه لما ضمن الخلق
لكل منهم رزقه يسوق اليه رزقه من غير تكلف ولا طلب كما يسوق ارزاق ما في البحر والبر من غير طلب ولا تكلف لا يضيق قلوبهم
لذلك فما بالكم تضيق قلوبكم على ذلك وقد ضمن ذلك لكم كما ضمن لاولئك والثالث يعلم ما في البر والبحر من اختلاط الاقطار م
بعضها ببعض ومن دخول بعض في بعض يخرج هذا على الوعيد انه لما كان عالما بهذا كله يعلم باعمالكم ومقاصدكم فان قيل هذا الذي
ذكر كله في الظاهر دعوى فما الدليل على انه كذلك قيل اتساق التدبير في كل شيء واثاره فيه يدل على انه كان بتدبير واحد لان اثار
التدبير في كل شيء واتساقه على سنن واحد ظاهرة بادية فذلك يدل على ما ذكر وقوله عز وجل ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
الاية ويحتمل الكتاب ها هنا التقدير والحكم اختلف فيه بعضهم قوله الا في كتاب مبين اي محفوظ كله عنده يقول الرجل لاخر هذا
كله عندي مكتوب يريد الحفظ اي محفوظ عندي وذلك جائز في الكلام وقيل الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ اي كله مبين فيه و
قال الحسن رحمه الله ان الله يخرج كتابا في كل ليلة القدر ويرفع الى الملائكة وفيه مكتوب كل ما يكون في تلك السنة ليحفظوه على ما يكون
والكلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال بعض اهل الكلام ان لكل حاسة
من هذه الحواس روحا يقبض عند النوم ثم يرد اليها سوى روح الحيوة فانه لا يقبض لانه يكون لا اصم بصيرا متكلما ناطقا ويكون اعمى
سميعا ويكون اخرس سميعا بصيرا فثبت ان لكل حاسة من حواس النفس روحا على حدة يقبض عند النوم ثم يرد اليها اذا ذهب النوم
فاما الروح الذي به يحيى النفس فانه لا يقبض ذلك منه الا عند انقضاء اجله وهو الموت وقالت الفلاسفة الحواس هي التي تدرك
صور الاشياء بطينتها وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فيه دلالة انه ليس ذكر الحكم في حال او تخصيص الشيء
في حال دلالة سقوط ذلك في حال الاخرى لانه قال ويعلم ما جرحتم بالنهار فيه انه لا يعلم ما جرحنا بالليل بل يعلم ما يكون منا بالليل والنهار
جميعا وليس فيه انه لا يتوفانا بالنهار وان لا يخرج بالليل لكنه ذكر الجرح بالنهار والوفاة بالليل لما ان الغالب ان يكون النوم بالليل
والجرح بالنهار فهو كقوله تعالى وجعل النهار مبصرا ليس ان لا يبصر بالليل لكن ذكر النهار لما ان الغالب مما يبصر مما يكون بالنهار نعلي ذلك
الاول ثم فيه دلالة ان النائم غير مخاطب في حال نومه حيث ذكر الوعيد فيما يجرحون بالنهار ولم يذكر بالليل وقوله عز وجل ويعلم
ما جرحتم بالنهار قال بعضهم جرحتم اي اثمتم بالنهار وقيل يعلم ما كسبتم بالنهار وقوله عز وجل ثم يبعثكم فيه يستدل بقوله يتوفاكم بالليل

ثم يبعثكم

ثم يبعثكم فيه على الاحياء بعد الموت لانه يذهب اذا ولج هذه الحواس ثم يردها اليها من غير ان يبقى لها اثر فكيف تنكرون البعث
[illegible]
بنا الى معرفة ذلك حاجة ولكن الى معرفة ما ذكرنا وقوله وهم لا يفرطون فيه اخبار عن شدة طاعة الملائكة ربهم وان الرافة لا تاخذهم
فيما فيه تاخير امر الله وتفريطه لان من دخل على من في النزع اخذته من الرافة ما لو ملك حياته لبذل له فاخبر عز وجل انهم لا يفرطون فيما
امروا ولا يؤخرونه لتعظيمهم امر الله وشدة طاعتهم له وعلى ذلك وصفهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقال عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله عز وجل ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق وان كانوا في الاحوال كلها مردودين الى الله وكان مولاهم الحق في الدنيا والاخرة وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا وكذلك قوله لمن
الملك اليوم لله كان الملك له في الدنيا والاخرة وكانوا بارزين له جميعا في الاوقات كلها لما كانوا اصحاب الشكوك فارتفع ذلك عنهم
وخلص بروزهم وردهم الى الله خالصا لا شك فيه وكذلك كان الملك في الدنيا والاخرة وفي الايام كلها لكن نازع غيره في الملك
في الدنيا ولا احد ينازعه في ذلك اليوم في الملك فقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وعلى ذلك قوله مولاهم الحق كان مولاهم الحق
في الاوقات كلها والاحوال ولكن عند ذلك يظهر لهم انه كان مولاهم الحق وقوله ثم ردوا الى الله عز وجل يحتمل ردوا الى ما وعدهم واوعد
وقوله عز وجل الا له الحكم يحتمل قوله الا له الحكم في تاخير الموت والحين وقبض الارواح وتوفي الانفس ويحتمل قوله له الحكم في التقد[illegible]

في النار والثواب والعقاب ليس بدفع ذلك عنهم دافع سواه ولا ينازعه احد في الحكم وهو اسرع الحاسبين عن الحسن قال هو سريع العقاب
لانه انما يحاسب ليعذب كما روي من نوقش الحساب عذب وهو اسرع الحاسبين لانه لا يحاسب عن حفظ ولا تفكر ولا يشغله شيء واما غيره فانما
يحاسب عن حفظ وتفكر وعن شغل فهو اسرع الحاسبين واذ لا يشغله شيء **وقوله** عز وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ليس هذا على الامر
له ولكن على المحاجة كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على
الاعتبار باولئك الذين كانوا من قبل والنظر في اثارهم واعلامهم كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وماذا اصابهم بذلك فعلى ذلك هذا فيه
الامر بالمحاجة معهم فيقول لهم انه من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الهتكم التي تعبدون من دون الله وتشركونها في الوهيته وربوبيته
او الله الذي خلقكم فنحن نعرف قالوا الله هو الذي خلقكم فنحن نعرف قالوا هو الذي ينجينا من ذلك فقال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب فاذا
كان هو الذي ينجيكم من هذا لا الهتكم التي تعبدونها فكذلك هو الذي ينجيكم من كل كرب ومن كل شدة ويحتمل قوله تعالى قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر اي لا احد ينجيكم من ظلمات البر والبحر كقوله ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن يخافون على الهتكم الهلاك كما تخافون
على انفسكم فلا احد سواه ينجيكم من ذلك ومن كل كرب قال ابو بكر الكيساني هم عرفوا في الدنيا انه هو الذي ينجيهم من ذلك كله وهو الذي
يعطيهم ما اعطوا بما قامت عليهم الحجج ولم يعرفوا اذ هو الذي ينجيهم في الاخرة ويهلكهم وهكذا عرفوا الله في الدنيا ولم يعرفوه في الاخرة
ثم اختلف في ظلمات البر والبحر قال بعضهم الظلمات هي الشدائد والكروب التي تصيبهم بالسلوك في البر والبحر وقال الحسن الظلمات لان
اسفارا في البحار والمفاوز انما تقطع باعلام السماء فاذا اظلم السماء بقوا متحيرين لا يعرفون الى اي ناحية يسلكون ومن اي طريق يأخذون
فعند ذلك يدعون الله تضرعا وخفية قال الحسن التضرع هو ما يرفع به الصوت والخفية هي ما يدعى سرا وهو من الاخفاء وفي حرف
ابن مسعود تدعونه تضرعا وخيفة وهي من الخوف قال الكلبي في خفض وسكون وتضرع الى الله **وقوله** عز وجل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين قال ابو بكر قوله لنكونن من الشاكرين اي لا نوجه الشكر الى غيره والشكر ههنا هو التوحيد اي لئن انجيتنا لنكونن من
الموحدين لك من بعد لانهم كانوا يوحدون الله في ذلك الوقت لكنهم اذا نجاهم من ذلك اشركوا غيره في الوهيته الا ترى انه قال قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون **وقوله** عز وجل ثم انتم تشركون بعد علمكم ان الاصنام التي تعبدونها لا تملك الشفاعة لكم ولا الزلفى
الى الله يذكر سفههم في عبادتهم الاوثان على علم منهم انها لا تشفع ولا تملك دفع شيء عنهم **وقوله** عز وجل قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض اختلف في نزول الاية فيمن نزلت قال بعضهم
نزلت في مشركي العرب وهو قول ابي بكر الاصم لانها نزلت على اثر ايات نزلت في اهل الشرك من ذلك قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
ولا اعلم الغيب وقوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الاية وقوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة الى قوله تعالى
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق هذه الايات كلها نزلت في اهل الشرك فهذه كذلك نزلت فيهم لانها ذكرت على اثرها ولان سورة الانعام
نزل اكثرها في محاجة اهل الشرك الا ايات منها نزلت في اهل الكتاب وسورة المائدة نزل اكثرها في محاجة اهل الكتاب لانه يذكر فيها قل
يا اهل الكتاب ومنهم من يقول نزلت في اهل الاسلام وهو قول ابي بن كعب وقال هن اربع فجاء منهن ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم السبهم شيعا واذيق بعضهم باس بعض ما لبس الشيع هي الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض هو السيف والقتل
فركانا في المسلمين وبقي ثنتان لا بد واقعتان ومنهم من يقول كان ثنتان في المشركين من اهل الكتاب وثنتان في اهل الاسلام وهو
الحسن قال قد ظهر في اهل الاسلام الاهواء المختلفة والقتل والفتن واما اللذان في اهل الشرك من اهل الكتاب هو الخسف في الارض
والحجارة من السماء ثم اختلف في قوله عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض عن ابن عباس رضي الله
عنه قال عذابا من فوقكم اي من امرائكم او من تحت ارجلكم اي من سفلتكم لان الفتن ونحوها انما يهيج من الامراء الجابرة ومن اتباعهم
وقوله عز وجل او يلبسكم شيعا قال الاهواء المختلفة وقوله تعالى ويذيق بعضكم باس بعض اي يسلط عليهم على بعض القتل و
العذاب ومن قال بان الاية نزلت في اهل الشرك يقول كان في اشباعهم ذلك كله اما العذاب من الفوق هو الحصب بالحجارة كما فعل
بقوم لوط ومن تحت ارجلهم وهو الخسف كما فعل بقارون ومن معه وقوله او يلبسكم شيعا يقول فرقا واحزابا وكانت اليهود
والنصارى فرقا مختلفة اليهود فرقا والنصارى كذلك كقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وقوله فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وقوله ويذيق بعضكم باس بعض هو الحرب والقتال وقول الحسن ما ذكرنا انه ظهر في اهل
الاسلام الاهواء المختلفة وظهر الحرب والقتل واما الخسف والحصب فلم يظهر فهو في اهل الشرك ويحتمل قوله عذابا من السماء ارسلها
عليهم لانهم قد اقروا انه رافع السماء فمن قدر على رفع شيء يقدر على ارساله وقوله او من تحت ارجلكم لانهم عرفوا انه بسط الارض
ومن ملك بسط شيء يملك طيه ويخسف بهم **وقوله** عز وجل انظر كيف نصرف الايات قيل اي نردد الايات كل مزدجر او نقول
كيف نصرف الايات ليعلم كل صدقها وحقيقتها انها من الله جاءت لعلهم يفقهون يحتمل وجوها صرفها ليفقهوا وذلك يرجع الى
المؤمنين خاصة والثاني لعلهم يفقهون اي ليلزمهم ان يفقهوا وقد الزم الكل ان يفقهوا لكن من لم يفقه انما لم يفقه لانه لم ينظر
اليه بعين الاستفهام والثالث نصرف الايات اي نصرف الرسول ونبلغها اليهم على رجاء ان يفقهوها لكي يفقهوا ان نظروا فيها وتاملوا

وذكر اهل

وذكر اهل لان منهم من فقه ومنهم من لم يفقه وكذب به قومك يحتمل به بالقران ويحتمل بما ذكر من الايات ويحتمل الايمان به والتوحيد
وهو الحق وكذب به قومك وهم احق ان يصدقوه بما جئت به وابناؤهم لانك نشأت بين اظهرهم فلم يأخذ عليك كذب قط ولا رأوك
ان تختلف الى احد يعلمك فهم احق ان يصدقوك بما جئت به وابناؤهم والله اعلم **وقوله** عز وجل قل لست عليكم بوكيل قال عامة اهل
التأويل الوكيل الحفيظ والوكيل هو القائم في الامر اي لست بقائم عليكم لاكرهكم على التوحيد والايمان شئتم او ابيتم ولست
بحافظ عليكم اعمالكم انما علي التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ **وقوله** عز وجل لكل نبأ مستقر قال بعضهم لكل امر حقيقة وقيل
لكل خبر غاية ينتهي اليه ويحتمل ان يكون صلة قوله لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر اي لست عليكم بوكيل لكن لكل نبأ مستقر
فان اعلم امر الكم واسبي ذراريكم كقوله لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر ويحتمل قوله وكذب به قومك اي بما كان وعد
وعد والله اعلم وفي قوله او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض دلالة نقض المعتزلة لانا نعلم ان لمخلوق حقيقة الفعل في القتل
والحرب والاهواء المختلفة ثم اضاف ذلك الى نفسه دل ان له صنعا في افعالهم وليس كما تقول المعتزلة لانه لا يملك ذلك وكذلك
ما ذكر من اضافة تلبيس الشيع اليه دل لقولهم لانهم يقولون هم يختلفون وقد اخبر انه هو يجعلهم شيعا وذلك ظاهر النقض
عليهم لانه اخبر انه يذيق بعضهم باس بعض وهم يقولون هو لا يذيق ولكن ذلك القاتل والضارب والمعذب هو يذيقهم
دون رب العالمين وكذلك قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وهم يقولون هو لا يعذبهم ولكن الخلق يعذبونهم وكذلك قوله
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وهم يقولون هو لا يملك تعذيبهم بايديهم وذلك رد الظاهر الاية وتركها
خائبا **وقوله** عز وجل واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره يشبه ان يكون
قوله يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم اي يكفرون بها ويستهزؤن بها كما قال في سورة النساء وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها فيكون الخوض في ايات الكفر بها والاستهزاء بها ويكون قوله تعالى فاعرض عنهم اي لا تقعد
معهم كما قال فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم **وقوله** عز وجل فاعرض عنهم يحتمل النهي عن القعود
معهم على ما ذكرنا من قوله فلا تقعدوا معهم ويحتمل الاعراض الصفح عنهم وترك المجازات لما وبهم كقوله تعالى فاصفح عنهم
وقل سلام كقوله تعالى فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه الامر بالتبليغ فنهى عن القعود معهم والامر بالتبليغ **و**
قوله عز وجل واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين معناه والله اعلم ان الشيطان اذا انساك القعود معهم
فلا تقعد بعد الذكرى ومعنى النهي بعد ما انساه الشيطان اي لا تكن بالمحل الذي يجد الشيطان اليك سبيلا في ذلك **وقوله** عز
وجل وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قيل فيه رخصة الجلوس معهم وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره وكان النهي عن مجالستهم ليس الجلوس نفسه ولكن ما ذكرنا من خوضهم في ايات الله بالاستهزاء بها ولكن
بما هو الذي كان يحملهم على ذلك ليس انه لا يجوز ان يجالسوهم وكذلك ما نهانا ان نسبهم ليس انه لا يجوز لنا ان نسبهم ولكن لما
كان سبنا اياهم هو الذي يحملهم على سب الله ولكن ذكرى لعلهم يتقون يحتمل النهي عن القعود معهم وجوها نهي هؤلاء عن القعود
معهم لما كان اهل النفاق يجالسونهم ويستهزئون بالايات ويكفرون بها فنهي هؤلاء عن ذلك ليرتدع اهل النفاق عن مجالستهم
والثاني انه نهى المؤمنين عن مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم حياء منهم لانهم لو امتنعوا عن مجالستهم لمنعهم ذلك عن الاستهزاء
بها والكفر بها لما كانوا يرغبون في مجالسة المؤمنين فيتذكرون عند قيامهم عنهم فيتقون الخوض والاستهزاء ولما يخافون ان
يعرفون في الناس بترك مجالستهم المؤمنين فيحملهم ذلك على الكف عن الاستهزاء بالايات وبرسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله**
عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي وذر الذين اتخذوا لعبا ولهوا دينا على التقديم والتاخير والثاني اتخذوا
اللعب واللهو دينهم حتى لا يفارقوا اللعب واللهو لان الذي انما يتخذ للابد فعلى ذلك اتخذوا تلك اللعب واللهو للابد كالدين
ثم هو يخرج على وجوه احدها اتخذوا دينهم عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم ومن عند من هذا وصفه
واتخذ ذلك دينا فهو عابث لاعب والثاني اتخذوا دينهم ما سولت انفسهم ودعتهم الشياطين اليه ومن اتخذ دينه بهوى
نفسه وما دعته نفسه اليه فهو عابث لاعب والثالث صار دينهم لعبا وعبثا لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ومن لم
يقصد بدينه الذي دان به عاقبة فهو عابث مبطل كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير عدم الرجوع اليه عبثا
وقوله وغرتهم الحيوة الدنيا اي شغلهم ما اختاروا من الحيوة الدنيا والميل اليها عن النظر في الايات والبراهين والحجج ... وان
يكون قوله وغرتهم اي غرتهم وابالحيوة الدنيا اضاف التغرير الى الحيوة الدنيا لما بها اغتروا والله اعلم **وقوله** عز وجل وذكر به
ان تبسل نفس بما كسبت والقايد كوهم بهذا البلا ... يقولوا غدا انا كنا عن هذا غافلين واصل الابسال الاحلال والاسلام للجناية و
الهلاك ثم اختلف في قوله ان تبسل نفس بما كسبت عن ابن عباس قال ان تفضح نفس بما كسبت وقيل تبسل تؤخذ وتحبس وهو قول
قتادة وكذلك قال في قوله ابسلوا بما كسبوا اي حبسوا بما كسبوا وعن ابن عباس رضي الله عنه ابسلوا اي فضحوا على ما قال في تبسل

وعن الحسن تبسل اى تسلم للهلكة وعن الكسائى تبسل تجزى نفس بما كسبت وقال القتبى تبسل ترتهن واصل الابسال هو الاسلام وقد نشبت ماذكر على اثره وهو قوله ليس لها من دون الله من ولى ولا شفيع كما يكون بعضهم شفيعا لبعض فى الدنيا واعوانا لهم وانصارا فى دفع المضار والمظالم عنهم وجر المنافع اليهم واما فى الاخرة فان كل نفس تسلم بما كسبت لا شفيع لها ولا ولى كقوله يوم يفر المرء من اخيه وكقوله وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة وغير ذلك من الايات تسلم كل نفس الى كسبها لا شفيع لها ولا ولى وقوله وذكر به يحتمل بالقران والايات ويحتمل به اى بالله اى عظ به ان تهلك نفس بما كسبت وقوله عز وجل وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اختلف فيه قال بعضهم العدل الفدا يقول وان تفد نفس كل الفدا ليتخلص مما حل بها لم يؤخذ ولم يقبل منها ذلك وقال الحسن العدل كل عمل البر والخير من الفدا والتوبة لم يقبل منها ذلك بخبر ان الدار الاخرة ليست بدار العمل ولا يقبل فيها البر والخير كما يقبل فى الدنيا والاخبار ان لا يكون شفعاء يشفعون لهم ولا اولياء ينصرونهم ليس كالدنيا لان من اصابه فى هذه الدنيا عذاب وغرامة فانما يدفع باحدى هذه الخلال الثلاث واما بشفعاء يشفعون او باولياء ينصرونه او بالرشى فاخبر ان الاخرة ليست بدار تقبل فيها الرشى فتدفع ما حل بهم واولياء ينصرونهم فى دفع ذلك عنهم او شفعاء يشفعون لهم فان قيل ما معنى ذكر العدل والفداء وليس عندهم ما يفدى ولا يجزى وما ذكر من العمل قيل معناه والله اعلم اى لو كان لهم من الفداء ما يفدون فى دفع ذلك عن انفسهم ومكن لهم من العمل ما لو عملوا لم يقبل ذلك منهم وقوله عز وجل اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا قد ذكرنا الاختلاف فى الابسال واصل الاسلام يسلمون لما اكتسبوا لا يكون لهم شفعاء ولا اولياء ولا يقبل منهم الرشى وقوله عز وجل لهم شراب من حميم قيل الحميم هو ماء حار ينتهى حره يغلى ما فى البطن اذا وصل اليه فيشبه ان يكون لهم من الشراب ما ذكر لما تناولوا فى الدنيا من الشراب المحرم فكان لهم فى الاخرة الحميم مكان ذلك والعذاب الاليم لما اعطوا انفسهم فى الدنيا من الشهوات واللذات جزاء ذلك وقوله عز وجل قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون اولئك الكفرة دعوا رسول الله والمؤمنين الى عبادة الاصنام التى كانوا يعبدونها فقال عند ذلك انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا بعد ما عبدنا الله الذى يملك نفعنا وضرنا او كان اهل الكفر يدعون اهل الاسلام الى عبادة الاوثان التى كانوا يعبدونها اما طمعا بشىء يبذلونهم ليرجعوا الى عبادة الاصنام والاوثان من عبادة الله او تخويفا منهم لهم فقال قل يا محمد اندعوا من دون الله ما لا يملك نفعنا ان عبدناه ولا يملك ضرنا ان تركنا عبادته بعد ما عبدنا الذى يملك نفعنا ان عبدناه ويملك ضرنا ان تركنا عبادته وعن ابن عباس رضى الله عنه قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذا مثل ضربه الله للاصنام التى عبد وها دون الله ومن يدعو اليها وللدعاة الذين يدعون الى الله الى عبادته كمثل رجل ضل به الطريق نابرضال اذ اناداه مناديا فلان بن فلان هلم الى الطريق وقوله عز وجل ونرد على اعقابنا فى الكفر والشرك بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران يقول مثلهم ان كفروا بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين فى الارض واصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق قال فلم يأتهم فذلك مثل من تبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذى يدعوهم الى الطريق وهو الذى يدعوهم الى الطريق وهو الهدى ويحتمل ان يكون المثل الذى ضرب من وجه اخر وهو ان مثل هولاء كمثل من كان فى بعض المفاوز والبوادى فضل الطريق فذهب الغلان حيرا وتعوه فى الهلكة وهو الذى تقدم ذكره ويشبه ان يكون قوله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ايتنا انه ما من احد من مشرك ومؤمن الا وله اصحاب يدعون اما المؤمن فله اصحاب من الملائكة يدعونه الى الهدى والكافر له شياطين يدعونه الى الشرك هذا اشبه ان يحمل عليه لكن اهل التاويل حملوا على ما ذكرنا قال قتادة هذه خصومة علمها الله محمدا يخاصم بها اهل الشرك لان سورة الانعام نزل اكثرها فى محاجة اهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنه استهوته اضلته وقال ابو عوسجة اى ذهبت به استهوته واهوته واحد اى دعته الى الهلكة وقيل اضلته وقوله نرد على اعقابنا اى نرجع عن الايمان الى الشرك بعد اذ هدانا الله وقوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى قيل بيان الله هو البيان وقيل ان دين الله هو الهدى وهو الدين وقوله عز وجل وامرنا لنسلم لرب العالمين قيل هذا صلة قوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا وامرنا لنسلم لرب العالمين وليقيموا الصلوة ليتقوه وقال بعضهم ليس على الصلة ولكن على الابتداء امرنا لنسلم لرب العالمين وقيل لهم اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون قد ذكرنا وقوله عز وجل وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قيل قوله بالحق اى خلق السموات والارض بالحق لم يخلقهما باطلا كقوله سبحانه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا قيل لم يخلقهما باطلا ولكن خلقهما بالحق وهو يحتمل وجوها قيل خلقهما للعاقبة لان كل امر لا عاقبة له فهو باطل ليس يحق فان انشأ السموات والارض وما بينهما للعاقبة وذلك لامر عظيم كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قوله بالحق اى خلقهما ليمتحن فيهما ولمحنة سكانهما لم يخلقهما لغير شىء وقيل بالحق اى خلقهما بالحكمة من نظر فيهما وتدبر لدلاه على ان لهما خالقا ومدبرا ودلاه على ان مدبرهما ومنشئهما واحد فاذا كان كذلك فكان خلقهما بالحق بالحكمة والعلم وقوله عز وجل كن فيكون قد ذكرنا ان قوله كن هو اوجز كلام فى لسان العرب يعبر به

فيتبهم منه لان كان من الله كاف ونون لكنه ذكر والله اعلم ليعلموا ان ليس على الله فى الاحياء والانشاء بعد الموت مؤنة كما لم يكن على الخلق فى التكلم بكن مؤنة ولا يتعب عليهم ذلك فعلى ذلك ليس على الله فى البعث بعد الموت مؤنة ولا صعوبة والثانى ذكر هذا لسرعة نفاذ البعث كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اخبر ان خلقهم وبعثهم ليس الا كخلق نفس واخرى وبعث نفس واحدة وكقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب يخبر لسرعة نفاذ الساعة وبعثهم وذلك ان الرجل قد يلمح البصر وهو لا يشعر به فعلى ذلك القيمة تقوم وهم لا يشعرون والثالث يذكر هذا والله اعلم ان البعث بعد الموت والاحياء ثانيا واعادة الشىء عندكم اهون من ابتداء انشاء وعلى ذلك يخرج قوله وهو اهون عليه اى هو اهون عليه عندكم وقوله عز وجل قوله الحق يحتمل قوله الحق اى البعث بعد الموت حق على ما اخبر ويحتمل قوله الحق اى ذلك القول منه حق يكون كما ذكر وقوله عز وجل وله الملك ملك ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ لله ذكر هذا والله اعلم لان لا ينازعه احد فى ملك ذلك اليوم وقد نازعه الجبابرة فى الملك فى الدنيا وان لم يكن لهم ملك ولا الوهية ويحتمل قوله وله الملك اى ملك جميع الملوك له فى الحقيقة كقوله مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وقوله عز وجل يوم ينفخ فى الصور قال بعضهم النفخ هو الروح والروح من الريح والروح انما يحمل بالنفخ فنفخنا فيه من روحنا وقال بعضهم لا يكون هناك فى الحقيقة نفخ ولكن يذكر لسرعة نفاذ الساعة لان الرجل قد يتنفس وهو لا يشعر به فذكر هذا لسرعة نفاذ الساعة لانه ليس شىء اسرع جريانا ونفاذا من الريح وقال هو على حقيقة النفخ هو ما ذكرنا وقوله عز وجل عالم الغيب اى يعلم ما يغيب الخلق بعضهم من بعض والشهادة ما يشهد بعضهم بعضا ويحتمل عالم الغيب اى يعلم ما يكون اذا كان كيف كان او يعلم وقت كونه والشهادة ما كان وشهد يخبر انه لا يغيب عنه شىء ولا يعزب منه وهو الحكيم فى خلق السموات والارض وخلق ما فيهما والحكيم فى بعثهم والحكيم هو واضع الشىء موضعه الخبير بكل شىء وقوله عز وجل واذ قال ابرهيم لابيه آزر قيل آزر هو اسم ابى ابرهيم عليه السلام والحسن يقرأ آزر بالرفع ويجعله اسم ابيه ومن قرأ بالخفض ان هو اسم صنم فهو على التقديم والتاخير كانه قال ابرهيم لابيه اتتخذ آزر اصناما آلهة وقوله اتتخذ استعظاما لما يعبد من الاصنام دون الله لان مثل هذا انما يقال على العظيم من الفعل وقال ابو بكر الكيسانى فى قوله آزر قيل هو اسم عبث عندهم كانه قال يا ضال اتتخذ اصناما آلهة كقول الرجل لاخر يا ضال وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان اسم ابيه او اسم صنم وفى الاية دلالة ان اباه كان من رؤساء قومه بقوله انى اراك وقومك فى ضلال مبين وفيه دلالة انه لا باس للرجل ان يشتم اباه لمكان دينه لان ابرهيم عليه السلام سماه ضالا وفيه دلالة ان الايمان والتوحيد يلزم اهل الفترة فى حال الفترة لان ابرهيم عليه الصلوة والسلام سماه ضالا لا شك فيه ولا شبهة وهو ما ذكر فى اية اخرى حيث عبد ما ذكر حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا هذا الضلال المبين وقوله عز وجل وكذلك نرى ابرهيم ذكر كذلك والله اعلم على معنى كما اريناك ملكوت السموات والارض والايات كذلك كنا ارينا ابرهيم ونرى بمعنى ارينا وذلك جائز فى اللغة وكذلك لا تذكر الا على تقدم شىء لكن الوجه فيه ما ذكرنا كما اريناك من السموات والارض من الايات والحجج والبراهين كذلك كنا ارينا ابرهيم وقوله عز وجل ملكوت السموات والارض اختلف فيه قال بعضهم سلطان السموات والارض وقيل الشمس والقمر والكواكب وقيل فرجت له السموات السبع حتى نظر الى ما تحت العرش وما فيهن وكذلك فرجت له الارضون حتى راى ما فيهن وقيل ملكوت السموات والارض حين ابرهيم صلوات الله عليه من الجبابرة فى سرب فجعل الله فاضا بعه رزقا فاذا مص اصبعا من اصابعه وجد فيها رزقا فلما خرج اراه الله الشمس والقمر فكان ذلك ملكوت السموات والارض وملكوت الارض الجبال والبحار والانهار وقيل نظر الى ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه ورأى الجنة وفتحت له الارضون حتى نظر الى اسفل الارضين فذلك قوله واتيناه اجره فى الدنيا فالارى مكانه فى الجنة وقيل اجره الثناء الحسن وقال ابو عوسجة ملكوت السموات والارض من الملك وكذلك قال ابو عبيد وهو كجبروت ورحموت ورهبوت فكذلك ملكوت واصله ما ذكر من الايات والعجائب والله اعلم وقوله عز وجل وليكون من الموقنين الايقان بالشىء هو العلم بالشىء حقيقة بعد الاستدلال والنظر فيه والتدبر وكذلك لا يوصف الله باليقين ولا يجوز ان يقال موقن لما ذكرنا هو العلم الذى يعقبه الاستدلال وذلك منفى عنه وقوله عز وجل وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وقيل فى قوله وكذلك نرى ابرهيم اى كما اتيناك ملكوت ما ذكر فقوله نرى بمعنى اريناه وقوله وكذلك له وجهان احدهما انه كما اريناك ما ايقنت به ان الربوبية لله وانه الواحد لا شريك له من الايات والادلة اريناه ايضا ما ذكر حتى ايقن فهو والله اعلم على التشبيه بين الاسباب الدالة على الوحدانية لله والربوبية فى المعنى وان كانت لاعيانها مختلفة وعلى ان طريق المعرفة الاستدلال بما انشأ الله من الدلالة لا السمع والحس وان كان فى حجة السمع تاكيد والثانى ان يكون نريه على ما اظهر من الحجج على قومه وهو كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه واعطاه ما ادبر واشعر قلبه من الحجج التى الزم قومه بما انطق بها الله عز وجل لسانه يلزم حجته خلقه والله الموفق وملكوت السموات والارض الملك فى الحقيقة من الوجه الذى يكون اية للايقان ودليلا للاحاطة بالحق ثم اختلف فى وجه ذلك فمنهم من قال هو ما ارى ببصره اعنى بصر الوجه نحو الذى ذكر من فتح السماء حتى رأى

ما فيهما من العجايب والايات الى العرش وحيث قدر والارض حتى راى ما فيهما من انواع الخلق الى الثرى وحيث بلغ ومنهم من قال
رفع الى السماء حتى كانت الارض بين فيها راى العين وكان له صلوات الله عليه مثل هذا من الامور بخلاف الناس والحجة الحجة لا ضرع
لا ذرع وما جعل رزق فى اصابعه وامر بلوغ صوته فى قوله تعالى واذن فى الناس بالحج ان كان على ما سمع منه والله اعلم ومنهم من
قال هو ما ارى بنص قلبه من وجوه البر وانواع الادلة عند التامل فى خلق الله بالفكر من غير ان كان فى الخلق تغير على الاحوال التى
كانت عليه وهو احق من يكون له فى الذى كان كفاية عن حدوث احوال تدل اذ هو يحتج الله مستدلا على قومه من الوجه الذى جعل لجميع
الخلق لا من جهة خصوص ايات فثبت ان ذلك كان له بهذا الوجه ثم هو يخرج على وجوه منها ما راى من تسخير القمر والشمس والنجوم
وقطعها فى كل يوم وليلة اطراف السماء والارض جميعا وسيرها تحت الارض الى ان يعود كل الى مطلعه يسير كل ذلك ما فوق
الارض الى السماء واستواء احوال ذلك على ما عليه حد فى كل عام وشهر لا يزداد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر مع عظيم ما بها
من المنافع لانواع دواب الارض والطين جميعا ما يوتى كل متامل ان مثل هذا لا يعمل بالطباع الا ان يكون له مدبر حكيم جعله ذلك الطبع
وسواه على ما شاء من الحد وان لا يتسق الامر على التدبير والحكمة الا ان يكون مدبر ذلك بحيث لا يحتاج الى معين ولا يحتاج ان يكون
فيه منافع ثم هو بذاته عليم قدير وما فى الارض من تدبير الليل والنهار يتعاقبان ابدا ويسيران يقهران ما فيها من الجبابرة والفراعنة
حتى ان اجتهد جميع اهل الارض على زيادة من واحد او نقصان او تقديم او تاخير لانهم من الحاجة اليه بهم من العزة والقدرة
مع معونة الجميع لهم فى ذلك لما بينهما لم ولا بلغ وهم احد فى احتمال ذلك حتى يصير عنده وجد كل كان الاخر لم يكن قط ثم عند العود
اليهم كانه لم يغب قط مع ما لجميع اهل الارض بهما من المنافع وعليهم فيهما انواع مضار ولهما سلطان على اعادهم على ما فيهما من
التسخير والتذليل الذى كل مقهور بالاخر اخراجا سلطانه ويبلغ وحده وليس فى واحد منهما امتناع من قهر الاخر وان كان هو الغالب
العزيز جريا جميعا على حد واحد وسنن واحد ولا على ما دل عليه الاول مع ما فيهما من آثار البعث امر ظاهر لا يحتمل ان يجهله الا عنيد
معاند والله اعلم ثم النور والظلمة والظل ونحو ذلك الذى ينبسط بساعة جميع اطراف السماء والارض يسير واحد كل شىء ويبدى
اخر عن كل شىء ويبدى اخر عن كل شىء ويحيط الثالث بكل شىء ثم تعلق منافع الاحل بهما على اختلاف فيها وبالسماء والارض على تباعد ما
بينهما وبالسهل والجبل والبحر والبر على تضاد معانيهما وعلى ذلك جميع الامور لكان صلوات الله عليه بما ادرى من المعنى وغيره من
الموقنين ان لا اله الا الله وجه اليه نفسه وان كل شىء نسب اليه الالوهية محال ان يكون فيه او له امكان ذلك ولا قوة الا بالله

وقوله عز وجل فلما جن عليه الليل الى قوله وما انا من المشركين تكلموا فى تاويل الاية على اوجه ثلاثة فمنهم من جعل الامر على ما
عليه الظاهر انه غير عارف بربه حق المعرفة الى ان عرف من الوجه الذى بان له عند الفراغ من اخر ما نسب اليه الربوبية انه لا يعرف
من جهة درك الحواس ووقوعها عليه ولكن من جهة الايات واثار العقل فقال وجهت للذى فطر السموات والارض الاية لكن
اهل هذا القول اختلفوا على وجوه ثلاثة احدها ما روى فى القصة انه ربى فى السرب ولم يكن نظر الى شىء من خلق السماء فنظر من
باب السرب فى اول فراى الزهرة بضوئها وتلألؤها وكان فى علمه ان له ربا وانه يرى ثم يرضى منها ولا انور فقال هذا ربى فلما
افل وله علم ان الرب دائم لا يزول فقال لا احب يعنى ليس هذا برب كقوله ما كان ينبغى ان يتخذ من دونك من اولياء اى ليس لنا
وقول عيسى حيث قال سبحانك ما يكون ان اقول ما ليس لى بحق بمعنى ما قلت ذلك لكن اهل هذا التفسير حملوا الافول على غيبوبته
بنفسه وهو عندنا على غيبوبته فى سلطان القمر وقهر سلطان القمر لما اطلع سلطان النجم وعنده ان الرب لا يقهر وان سلطانه
لا يزول وعلى ذلك امر القمر والشمس بظلمة الليل وفى ذلك انه لو كان عنده انه لا يرى لا نكر من ذلك الوجه ان يكون ربه بل اقرب وانكر
الافول والزوال وهذا ينقض قول من يصفه بالزوال والانتقال من حال الى حال ومنهم من يقول لكان هذا منه فى وقت لم يكن جرى
عليه القلم سمع الخلق يقولون فى خلق السماء والارض ونحو ذلك وينسبون ذلك الى الله وعلى ذلك امر جميع اهل الشرك كقوله ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله قل لمن الارض الى قوله ما اتخذ الله من ولد ثم رآهم عبدوا الاصنام وسموها
آلهة فتاملها فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر علم ان مثلها لا يحتمل ان يكون بخالق ما ذكرت وان الذى ذلك فعله
لعلى عظيم يجب طلب معرفته من العلو بما كان يسمع نسبة الملائكة الى السماء ونزول الغيث منها ومجى النور والظلمة وكل انواع
البركات وغيرها منها انصرف تدبيره الطلب الذى نسب اليه الخلق اليها ثم اول ما اخذ فى التامل والنظر ان يقع بصره على احسن ما يرى
من الذى ذكر فظن ذلك ثم لما قهر وقد كان علم بان خالق من ذكر لا يجوز ان يقهر فمن ذلك علم انه ليس هو وقال لمن قهر ذلك
الحال ان قهر الليل منه الشمس او ضادت بحيث لا يجرى له السلطان او راى فى الكل آثار التسخير والتذليل ولم ير فيها اعلام
من له الامر والخلق فعلم ان الرب لا يدرك من ذلك الوجه ولا يعرف من جهة الحواس فرجع الى ما سمع من انه خلق السموات
والارض فوجه نفسه اليه بالعبودية واعترف له بالربوبية بما فى الخلق من آثار ذلك وفى العقول من تسمية من له الخلق
ربا والها فامن به وذلك كان او ان الاحوال احتمالهم على الاستدلال وبلوغه المبلغ الذى من بلغه يجرى عليه الخطاب ولا قوة الا
بالله ومنهم من قال انه كان بالغا فجرى عليه القلم وقد كان راى ما ذكر فيه فرح لكن الله لما اراد ان يهديه الهمه ذلك والفكرة فيه

فانتبه

فانتبه انتباه الانسان بشىء كان عنه غافلا من قبل فراى كوكبا احمر يطلع عند غروب الشمس فدعاه الى ان افل فاذن انه
قوته وعلم ان ربه لا يزول ولا يتغير ففزع اليه وقال لا احب الافلين وكذا ذكر فى القمر والشمس الى ان عرف الله فتبرأ مما كانوا
يشركون ووجه بالتوحيد والعبادة اليه والى هذا التاويل ذهب الحسن والى الاول روى عن ابن عباس رضى الله عنه والثانى
قال به جماعة اهل الكلام ونحن نتبرأ الى الله ان نجعله رجلا بالغا جرى عليه القلم وهو كافر عن الله بهذه الغفلة حتى يتوهمه
فى معنى نجم او قمر او شمس مع ما يرى فيها الظهور بعد ان لم يكن والافول بعد الوجود ثم آثار التسخير والعجز عن التدبير بما هو فى
جهد وبلاء ومن له يعمل فى راحة وسرور ثم لا يرى فى شىء من العالم او له معنى يدل على رجوع التدبير اليه فيتحقق له القول
بذلك والله يصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم وقيل سليم عن الشرك لم يشبه بشىء وقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على
قومه وما يذكر وتم انما اتاه على نفسه اذ هو فى الغفلة عنها والجهل بمن له الايات شريك قومه وقد قال ايضا وكذلك نرى
ابرهيم ملكوت السموات والارض وسعلوم ان ذلك على معاينته او ذلك فراى كلا منها ولكن على ما بينت من الاحيث
رفيها حقيقة وليس فى قولى وليكون من الموقنين دلالة الشك فى الابتداء والجهل فى الحال التى يحتمل به عز وجل ولكن
على انه على ذلك الوجه يكون الايقان بما لا يقع عليه الحواس ولا يوجب علمه الضرورات انما هو الاستدلال بالاثار
او تلقى الاخبار ولا قوة الا بالله وذلك كقوله الله الذى رفع السموات بغير عمد لا عن ريب كان وقوله يخرجهم من
الظلمات الى النور لا ان قالوا من قبل فى الظلمات وقول يوسف انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله لا عن كون فيها وهكذا
الامر الايمان ان يكون العبد فى كل وقت موقنا بالله وان لا اله غيره لا عن شك فيما تقدم من الوقت والجهل فمثله امر ابرهيم
عليه السلام والوجه الثانى مما نتكلم فى التاويل ان يكون ابرهيم صلوات الله عليه كان موقنا فى ذلك الوقت عارفا بربه حق
المعرفة ولكنه كلم قومه كلام مستدرج باظهار المتابعة لهم على هواهم فيكونون به اوثق واليه اميل وذلك ابلغ فى الحجاج
والطف فى المكيدة فيبين لهم من اراد من غير جهة النقض والعناد فبدأ بتعظيم ما عظموه اذ هم قوم كانوا يعظمون النجوم
والعلم باثرها الخير والشر ويولد من يهلك على يديه هو ويزول ملكه وهذا كما ذكر انه نظر نظرة فى النجوم فى معاتبتهم وعلمهم
لانه نظر اليها ثم قال الذى ذكر لا من حيث علم النجوم ولكن من حيث علمه انه يموت ومن يموت يسقم لكن اراهم الموافقة
فى العلم الذى لهم فى ذلك الباب دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى ذلك امر الذى كان يعبده قوم عظمته الحوارى لهم فى ذلك الباب
دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى ذلك امر الذى كان يعبدهم قوم عظمته الحوارى الذى ارسل اليهم حتى اطمانوا اليه وصدروا عن
تدبيره وبلوا بعدوكم ويحيط بهم فدعاهم الى دعاء الذى يكشفهم اذ مثله يعبد حتى ايسوا فدعاهم الى الله فكشف عنهم فامنوا به
فمثله الاول والوجه الثانى قيل يذهب القتبى لكن ذكر انهم كانوا اصحاب نجوم وكهانة ومن ذلك قوله لا يعبد النجم ولا يراه ربا لكنه
اظهر الموافقة بتسمية النجم ربا ثم النقض عليه بالافول ولكن على ذلك لو كان فاما كان فى قوم يعبدون النجوم والشمس والقمر
فالزمهم بالافول اذ فيه التسخير وغلبة سلطان وهذا الوجه يجوز ان يظهر على اضمار معنى فى نفسه مستقيم كالمكره على عبادة صليب
يقصد قصد عبادة الله والمكره على شتم محمد صلى الله عليه وسلم يقصد قصد محمد آخر بعبوده فى وهمه ونحو ذلك وهو على ما
بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون على جعل شرطا فى نفسه فى قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
على جعل ان كانوا ينطقون شرطا فى نفسه فى قوله كبيرهم هذا والله اعلم وقيل فى الاستدراج من غير هذا الوجه على التسليم انهم
اهل كهانة ونجوم وهوانهم لما رآهم يعبدون الاصنام والاوثان دعاهم من طريق المقابلة اذ هم مالوا الى ذلك بما رأوا من حسن ذلك فى
المبصر بما تدرين بانواع الذى وحلى بانواع الحلى فاراهم انه يعبد النجم وما ذكر وان الذى ذكر احسن واعظم نورا وضياء اذ هو نجوم
ونفسه كذلك وما كانوا يعبدون بما عملوا به وجعلوا كذلك ليكون اليهم عباد تهم الاصنام ويستقذرهم عما اعتادوه بالمعنى الذى
ذكرت ثم الزمهم فساد ما مالوا اليه وقبلوا منه قبل ان يقر ذلك فى قلوبهم وتطمئن الى ذلك انفسهم بما اظهر من فساد ان يكون الذى بذلك
الوصف من التسخير او ملكه على شرف الزوال او يصير بحيث يقهر فى قلوبهم عبادة من لا يشهد وقت العبادة فيلزمهم على ذلك
عبادة المستحق لها او ان يقول اذا كانت النجوم وما ذكر مع ضيائها ونورها وكثرة منافع الخلق بها لم يصلح لها الالوهية عند جميع
بالافول والتسخير فالذى كانوا يعبدون على ما سخرهم كانوا نحت البشر اذ له لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع احق ان لا يكون له
الربوبية وان لا يوجد اليه العبودة والله اعلم فهذا النوع من الاستدراج فيما الوظهر انهم لم يكونوا يتخذون النجوم اربابا يعبدونها
وكذلك الذى ذكره القتبى والتاويل الثالث الاية يخرج مخرج الانكار والاستهزاء ويكون فى ذلك معنى الاستدراج اذ هو الا
من حيث لا يشعر به اونقض اسباب الشبه درجة فدرجة فى حلول المقت ولزوم المقصود بتعالى ذلك الابتداء بالكشف عن الاسباب
ثم قيل فى هذا اوجه احدها انهم كانوا يعبدون النجوم وما ذكر ويدعون الى ذلك الاولاد والصبيان وابرهيم منهم فيما كانوا يدعون
اليه فقال لما راى النجم هذا الذى تعبدون ربى اى الى عبادته تدعوننى اى هذا ربى الذى يدعوننى الى عبادته فلما راه طالعا
غائبا ثبت عنده انه مسخر فقال لا احب عبادته لكن نا اذ يكون فى خاص نفسه متمكنا فى الذى دعوا اليه ليعرف دفع قولهم من اول

الذي يقر ذلك في القلوب الا قابلهم به وقد يكون في ملاء منهم يظهر لهم قوله هذا ربي على اضماد تدعونني اليه ليلزمهم بابانه
فساد الربوبية فيكون استدراجا ايصالا له الزمهم بعد ظهور الوفاق منه لهم وقد يكون ذكر هذا الذي تدعونني فيه انه ربي سرا و
بهزء بهم باظهار الموافقة ليبين لهم ذلك بما الزمهم ان الابتداء لم يكن على المساعفة اذ ذلك المعنى الذي به الزم كان ظاهرا عندهم في
الابتداء وعندهم جميعا والثاني ان يكون قوله هذا ربي على ما يقال هذا فلان الذي تخبرونني عنه بمعنى هذا هو على الانكار وانه ليس بالمحل
الذي اخبرتموني عنه او على الاستفهام ليعرفوه عنه واي الوجهين كان فقد ظهر بهم وظهر في التعقيب ان الاول كان على الظن بهم و
الانكار والاستفهام وذلك كقوله خلقوا كخلقه على انهم لم يخلقوا كخلقه يوضح قوله قل الله خالق كل شيء في الاول لا احب الافلين
ويجوز ان يكون هنا ضمير في قوله هذا ربي اي رب هذا ربي الى اخر ما ذكر ثم رجع اليه عندهم انه لا يليق الربوبية بالذي ظننوا انه
ساعدهم عليه ثم قد بينا الدليل على انه لم يكن كافرا في ذلك الوقت مع ما قد ثبت عصمة الرسل عن الكبائر فكيف يباون بالكفر والله
يقول الله اعلم حيث يجعل رسالاته وكل متمكن فيه الكفر شريك امثاله فلا وجه لتخصيص الاهل ثم جملة ذلك ان الله سبحانه لو اراد
ان يبين حقيقة الحال وكانت بنا الى معرفة حقيقة ذلك من المراد والوقت والحاجة في امر الدين لكان يبين ذلك لنا ورد في ذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن العلم بحقيقة ذلك اذ هو علم الشهادة بما يلتبس لنا وعلينا بالوصول على تكلف ولا تكلف لنا
بوقت القول وما يمكن فيه خفته ان يتامل وجه الحكمة في ذكر القصة وما فيها من الحجة في امر الدين فهو والله اعلم يخرج على وجوه
احدها على جعل ذلك حجة لرسالة رسوله اذ هو من انباء الغيب ونبي الله نشا بمكة ولم يكن ثم من يعلم ذلك ولا فارق قومه ولا اختلف
الى من عنده علم الانباء بتوارثهم كتب الانبياء ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يخط بيمينه او يقف على المكتوب دل انه علمه
بالله سبحانه وتعالى مع ما كان في القصة حجج التوحيد ودفع عبادة الاصنام وتسفيه احلام لذلك يحتمل ان يكون تعليم مثل ذلك من
الدافعين لذلك المدعين على ابرهيم اليهودية والنصرانية وبعد فان كتبهم بغير لسانه وفي العبادة بلسان يوهم الاختلاف والتغيير فلا
يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الانكار والدفع استعطاف قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هم من ذرية ابرهيم عليه الصلاة والسلام
بما يدعوهم الى دين ابائهم مع ما كانوا قوم اصحاب تقليد وحفظ اثار الاباء فالزمهم القول في ابائهم بما لم يدفع بهم القول بغير الذي
قلدوا ان ابرهيم عليه السلام عند جميع المشركين امام يؤتم به احق من كل اب مع ما كان كل مولود على دينه مذكورا محفوظا في الخلق ومن
خالفهم فهو ممحوق الاسم والذكر جميعا لكان في ذلك اعظم الدليل ان هؤلاء من الانبياء احق في التقليد من الذين اتبعوه وعلى ذلك اتفاق
اهل الكتاب على موالاة ابرهيم من غير ان تهيا لهم دفع ما اثبت رسول الله من توحيده ولا ما في عندهم من دينه بشيء يجدونه خلاف ذلك في
كتبهم والثالث ان ابرهيم صلوات الله عليه عرف معرفة الرب من جهة خلقه ودان بدينه من جهة النظر في الايات والبحث عنها دون
ان قلد اباه او قومه ليعرف سبيل طلب الحق ووجه اتباعه فيكون ذلك تذكرة لجميع ذريته والرابع انه ذكر الخبر عن احواله يخرج ظاهره
بوهم المكروه وله وجه العرف الى ما فيه تنازعه الطبع ولا تابى العقل ليمتحن عباده القول فيه والوقف فامره والخامس ليعلم ان
المحاجة في الدين على قدر ما يحتمله العقول لان به اذ بها افحم ابرهيم قومه واظهر دينه فيبطل بذلك قول كثير من المسلمين الذين يكرهون
المناظرة في الدين ويرون في ذلك تقليدا لاستاذيهم وظواهر ما جاء به الاثار التي في اتباع امثالها تنافي عند العقلاء ولا فرق الا
بالله والسادس ان المناظرة تكون بوجهين لطلب الدلالة في تثبيت القول وباظهار الفساد بما يمكن فيه من العيب اذ هو وما ادعوا
من الربوبية فيمن ذكر بما في ذلك من اثار التدبير لغيره وكذلك قال في الاصنام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال
وما لي لا اعبد الذي فطرني وقال في موضع اخر الذي خلقني الى اخر ما اخبر ثم ابطل قولهم بالمعنى الذي به احتج في ثبات فيه و
جائز في كل ذلك ان يقول لهم ما الدليل على ما تدعون لما تذكرون من الربوبية والسابع جواز التسليم باظهار الموافقة وان كان المسلم
بحقيقة ذلك منكرا وله دافعا اذا كان في المسامحة بذلك في الظاهر نيل الفرصة والظفر بالبغية اذ على ذلك خرج مناظرته قومه
وعلى ذكر ما احتج به في قوله ربي الذي يحيي ويميت اذ قال الخصم انا احيي واميت واقباله على حجة هي اوضح من ذلك واقهر للعقل و
الزم في الطبع فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب والثامن ان يعلم ان الله لم يهمل القوم في شيء من الازمنة
دون ان جعل لهم ادلة الحق يظفرون بها لو تاملوا ولا الزم خلقه في زمان من الازمان بشيء لو بحث عنه لا يوقف عليه ولا يتهيا له و
لذلك اظهر الحجج واثار البينات ليعلم انه جعلها وامره كلها نائية الادلة والبراهين ليقطع بها عذر من يابى نفسه القيام به والتاسع
ان يعلم انه لا احد يقوم بالحجاج ولا ينطق بحسن البيان لا يعطيه الله وامتنانه عليه بما ينطق به لسانه ويوفقه للقيام به بقوله و
تلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ثم العاشر ان يكون بفضله ينال الدرجات في امر دينه ويرتقي الى منازل الفضل والشرف بقوله
كما قال نرفع درجات من نشاء وانه متى شاء الرفع كان والله اعلم وقد قال بعض اصحاب الامامة في ذا قبل الاية زعم انهم اخذوه من روح
على ان تاويل النجم الماذون والقمر اللاحق والشمس الامام بمعنى انه قال للماذون هذا ربي فهي به رب التربية ربان يعلم وقوله
عز وجل فلما افل اي نفى ما عنده رغب عنه وقال لا احب هذا ثم ظهر باللاحق ثم كذلك بالامام ثم توجه نحو التالي بالقبول من الرسول
اذ التالي عندهم هو الذي فطر ما ذكر فلما جاوز درجة المتم وهو الامام صار الى درجة الرسالة وهو القابل من التالي الخيال والعموم

الشرايع

الشرايع عندهم فالزموا بهذا عبادة ارباب وان الارتفاع من درجة الى درجة باولئك وذلك امر شنا فتعرض على الماثل لانه لما
نفى ما عند الماذون وصار الى اللاحق والماذون كان به ماذونا فلم يكن الثاني بما يصير اليه لحد من الاول اذ كان به صار ماذونا ولو
كان ثم درجة اخرى فاما ان يكون بيان تلك في الوقت الذي يلقي الماذون ذلك الى غيره او لا فان كان لا ينال فلا اسفه من الماذون
حيث امتنع عما يقلبه الى الدرجة الثانية ويبلغ غيره او ينال معه فاذا صار هو معه في درجة المتم فكيف قال لا احبه وهو اثر
الذي ذلك وصفه ثم كيف قال لا احب وذهاب ما به تخرجه عن الاخذ من الاخر او كيف صار ربه قبل ان يربيه فلما رباه تبرا
من ربوبيته واثر بالاخر فاذا عاقبه شكره سعى ربه في شانه كفرانه به وكذلك درجة فدرجه حتى يكفر بالتالي ثم بالعقل
ثم يصير الى رب العالمين وهو الرب في الابتداء والانتهاء لا رب لاحد سواه عز وجل عن الشركاء اذ اليه حاصل الامر ومصير الخلق
ولو كان كل من توحد برتبة اخرى لكانت تلك الحدود تكون ابدا الهوا فيكون الكل تواليا وتخلفا ويبطل الاولاء والماذونون
والائمة جميعا وقد كفر الله تعالى علينا كرم الله وجهه عن هذا الخيال وعصمه عن هذا الوسواس والحمد لله وحاجه قومه ذكر
محاجة قومه ولم يبين فيما حاجوه لكن في الجواب بيان المحاجة فيما كانت وهو قوله قال اتحاجوني في الله ثم يحتمل المحاجة في الله
في توحيد الله ودينه ويحتمل في اتباع امر الله وطاعته وذكر في بعض القصة عن ابن عباس رضي الله عنه قال وحاجه قومه في
الهتهم وخوفوه بها وقالوا اما تخاف الهتنا وانت تشتمها ولا تعبدها ان تخبلك وتفسدك وذلك يحتمل وهو كقول قوم هود لهود
عليه السلام ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ثم قال لهم ابرهيم صلوات الله عليه اما تخافون انتم منها قالوا كيف نخاف ونحن
نعبدها قال لانكم تسوون بين الصغير والكبير والانثى اما تخافون لكبير اذ سميتموه بالصغير وما تخافون الذكر اذا سويتموه
بالانثى ويحتمل انهم خوفوه بالله بترك عبادة الهتهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله فخوفوا ابرهيم بالله بترك عبادتهم لما كان عندهم ان عبادتهم اياها تقربهم الى الله زلفى وترك العبادة لها يبعدهم فقال
وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به ويحتمل قوله وقد هدان الدين والتوحيد وهداني طاعته ولاتباع لامره فقال كيف اخاف
وقد هداني **وقوله** عز وجل الا ان يشاء ربي شيئا هذا يحتمل وجهين يحتمل لا اخاف الا ان عصيت ربي في شيء فعند ذلك اخاف
وانا اذ هداني ربي فاني اخاف بترك عبادتهم والثاني الا ان يشاء ربي الا ان يبتليني ربي بشيء من العصية فعند ذلك اكون
في مشية ان شاء عذبني وان شاء لم يعذبني **وقوله** عز وجل وسع ربي كل شيء علما اي علم ذلك كله عنده عصيت او اطعت **وقوله**
عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم بالله من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم ما لم ينزل به عليكم سلطانا يقول عذرا في كتابه فاي
الفريقين احق بالامن اي اهل ديني انا وانتم احق بالامن ان كنتم تعلمون انا اعبد الها واحدا وانتم تعبدون الهة شتى وقيل انهم
كانوا يخوفونه بتركه عبادة الهتهم واشراكه اياها في عبادة الله فقال وكيف اخاف ما اشركتم انتم بالله من الالهة ولا تخافون
انتم بما اشركتم بالله غيره ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة بان معه شريكا ثم قال اي الفريقين احق بالامن انا وانتم من عبد
الها واحدا ان يامن عنده ومن عبد الهة شتى صغارا وكبارا ذكورا واناثا او ان يقال ان كيف اخاف الهتكم التي تعبدون من
دون الله بتركي عبادتها وهي لا تملك ضرا ان تركت ذلك ولا نفعا ان انا فعلت ذلك ولا تخافون انتم بترككم عبادة الحي وهو
يملك الضر ان تركتم عبادته والنفع ان عبدتموه فاي الفريقين احق بالامن من عبد الها يملك الضر والنفع او من عبد الها لا يملك
ذلك فقيل رد عليه قومه فقالوا الذين امنوا برب واحد يملك الضر والنفع ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قيل لم يخلطوا تصديقهم
وايمانهم بشرك ولم يعبدوا غيره دونه اولئك لهم الامن وهم مهتدون من الضلالة والشرك قيل الظلم ها هنا الشرك وروي
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله
فاينا لا يظلم نفسه قال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم فقالوا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم عملوا له واستقاموا على امره والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يذنبوا
فقال ولقد حملتموها على امر شديد الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا عليها فلم يعدلوا
عنها بشرك ولا غيره فان ثبت هذه الاخبار فهو ما ذكر فيها ان الظلم هو الشرك والا احتمل الظلم ما دون الشرك ان من لم يظلم ولم
يذنب فهو في امن من الله ومن ارتكب ذنبا او ظلما فله الخوف وهو في مشية الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وعفى عنه **و**
قوله عز وجل وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه الاية ينقض قول من يقول بان ابرهيم كان غير مؤمن في ذلك الوقت وعارف
بربه لانه اخبر انه اتاه حجته على قومه ولو كان هو على ما قالوا لكانت الحجة التي اتاه عليه فلما اخبر انه اتاه حجته على قومه دل
انه ليس على ما قالوا ولكن كان عارفا بربه مخلصا له على ما سبق ذكره فان قال قائل ان الحجة التي اخبر انه اتاها ابرهيم على قومه قوله
وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الى اخر ما ذكر فيقال ان هذه ليست بمحاجة انما هو تقرير
التوحيد والدين الاول انه قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء الله ربي شيئا والمحاجة ما ذكر في قوله لا احب الافلين وقوله

انی وجهت وجهی للذی فطر السموات والارض حنیفا وما انا من المشرکین وغیرها من الایات التی فیها وصف توحید الرب
عز وجل والوهیته وفساد المذهب من ذلک قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقکم وما تعملون وقوله لم تعبد ما لا یسمع ولا یبصر
ولا یغنی عنک شیا وقوله هل یسمعونکم اذ تدعون الی قوله واذا مرضت فهو یشفین وفیه دلیل نقض قول المعتزلة لانه قال وتلک
حجتنا اتیناها ابراهیم والایتاء هو الاعطاء والنجوم والشمس والقمر وما ذکر قد کانت دلالة الذی اتی ابراهیم هو محاجته قومه
بما ذکرنا واحتجاجه علیهم بذلک دل ان له فی محاجة ابراهیم قومه صنعا حیث اضاف الی نفسه وهو ان خلق محاجته قومه وبالله
العصمة وقوله تعالی وتلک حجتنا اتیناها ابراهیم علی قومه والذین کانوا یعبدون الاصنام والاوثان وهو ما بین سفههم فی عبادتهم
الاصنام حیث قال فی غیرای وعلی نمرود حین قال انا احیی وامیت الی اخر الایة وقوله عز وجل نرفع درجات من نشاء وفیه ایضا
دلالة نقض قول المعتزلة لانهم یقولون ان الله قد شاء لکل احد ان یبلغ المبلغ الذی اذا بلغ ذلک یصلح للنبوة والرسالة لکنهم
شاوا ان لا یبلغوا ذلک المبلغ یجعلون المشیة فی ذلک الی انفسهم دون الله والله اخبر انه یرفع درجات من یشاء وهم یقولون لا
یقدر ان یرفع بل هم یملکون ان یرفعوا درجات انفسهم فدلت الایة علی ان من نال درجة او فضیلة انما ینال بفضل الله ومنه ثم
قوله نرفع درجات یحتمل الدرجات وجوها یحتمل النبوة ویحتمل الدرجات فی الاخرة ان یرفع لهم ویحتمل الذکر والشرف فی الدنیا والملائکة
فی الملاء من الخلق وقوله عز وجل ان ربک حکیم علیم ای حکیم فی خلق الخلق بین خلق خلقا یدل علی وحدانیته ویدل علی انه مدبر لیس
بمبطل فی خلقهم ثم علیم باعمالهم وعلیم بمصالح الخلق وبما یصلح لهم وبما لا یصلح والحکیم هو الذی لا یلحقه الخطا فی التدبیر وقوله
عز وجل ووهبنا له اسحق ویعقوب یحتمل ما ذکرنا من رفع الدرجات ما ذکر من جهة هولاء وفیه دلیل انما یکون له من الفضل فی جهة
اولاده یکون ذلک فی اولاد اولاده وقوله عز وجل کلا هدینا ونوحا هدینا من قبل والهدایة هدایتان هدایة اصابة الحق والهدایة
العلم بالحق وهی هدایة البیان فهذه الهدایة مما یشترک فیها المسلم والکافر جمیعا واما هدایة اصابة الحق فهی خاصة للرسل والانبیاء
والمرسلین جمیعا والهدایة هاهنا هی اصابة الحق لا العلم بالحق لانهم اشترکوا جمیعا فی العلم بالحق الکافر والمسلم ومن ذریته داود
قیل ذریة ابراهیم وقیل ذریة نوح کانوا جمیعا من ذریة نوح ابراهیم ومن ذکر من الرسل وقوله عز وجل وکذلک نجزی المحسنین ای کما
نجزی المحسنین بالذکر والشرف والثناء الحسن الی یوم القیمة کما جری هولاء الرسل بالذکر والشرف والثناء الحسن فی ملاء الناس
ویحتمل ان یذکر وا فی ملاء الملائکة کما ذکر وا فی ملاء الخلق فی الارض ویحتمل وکذلک نجزی المحسنین فی الاخرة بالثواب ورفع الدرجات
والجزاء الجزیل ثم ذکر فی فریق انه کذلک نجزی المحسنین وذکر فی فریق اخر کل من الصالحین وذکر فی فریق وکلا فضلنا علی العالمین
وهذا والله اعلم لیس علی تخصیص کل فریق بما ذکر من الذکر ولکن علی الجمیع انهم محسنون صالحون مفضلون علی العالمین ثم یحتمل التفضیل
لهم بالنبوة ویحتمل انهم کانوا متفضلین علی العالمین بالاحسان والصلاح لو لم یکن لهم رسالة ولا نبوة ثم یحتمل انهم کانوا محسنین
باختیارهم الحال التی کانوا اهلا للرسالة والنبوة فان کان هذا فهو للرسل خاصة ویحتمل محسنین باختیارهم الهدایة واصابة
الحق فان کان هذا فهو مما یشترک الانبیاء واهل الاسلام فیه وقوله عز وجل ومن ابائهم وذریاتهم واخوانهم اما اباؤهم من
تقدمهم وذریاتهم من تاخرهم واخوانهم الذین یقادونهم وقیل ذریاتهم محمد صلی الله علیه وسلم وقیل المؤمنون من بعدهم وقوله
عز وجل واجتبیناهم یحتمل اجتباهم بالنبوة والرسالة وهدیناهم الی صراط مستقیم فذلک لهم خاصة ویحتمل اجتبیناهم بالاسلام
ودین الاسلام فذلک یعم الانبیاء والمؤمنین جمیعا لانه اجتباهم بذلک جمیعا ویحتمل اجتباهم بما ذکر من رفع الدرجات والفضائل
ویکون صلة قوله نرفع درجات من نشاء وذلک یعم الرسل والمؤمنین والله اعلم بذلک وفی قوله ومن ابائهم وذریاتهم الایة
دلالة ان من ابائهم وذریاتهم من لم یجتبهم بقوله من اذ من هو حرف التبعیض وقوله عز وجل ذلک هدی الله یهدی به من
یشاء من عباده ای ذلک الهدی الذی هدی هولاء فبهداهم اقتدوا وفی الایة دلالة نقض قول المعتزلة لانهم یقولون ان الله
قد شاء ان یهدی الخلایق کلهم لکن لم یهتدوا وعلی قولهم لم یکن من الله الی الرسل والانبیاء من الهدایة والفضل الا کان ذلک الی جمیع
الکفرة فالایة تکون مسلوبة الفائدة علی قولهم لانه ذکر انه یهدی من یشاء وهم یقولون شاء ان یهدی الکل لکن لم یهتدوا فان کان
کما ذکروا لم یکن لقوله من یشاء فائدة ودل انه من الخلایق من قد شاء ان لا یهدیهم اذا علم منهم انهم لا یهتدون ولا یختارون الهدی
وبالله التوفیق وقوله عز وجل ولو اشرکوا لحبط عنهم ما کانوا یعملون هذا بناء عن الحکم فیهم لو اشرکوا الا انهم یشرکون لان
الله قد عصمهم واختارهم لرسالته واختصهم لنبوته فلا یحتمل ان یشرکوا لکن ذکر هذا لیعلموا ان حکمه واحد فیمن اشرک فالله هو
منزه وصنعا کان او شریفا وقوله لحبط عنهم ما کانوا یعملون من الحسنات والخیرات التی کانت قبل الاشراک وقوله عز وجل
اولئک الذین اتیناهم الکتاب قیل الکتب التی اعطی الرسل والحکم قیل العلم والفقه والفهم وقیل الاحکام التی اعطاهم والنبوة هی انبا
الغیب وقد ذکرناه هنا وقوله عز وجل فان یکفر بها هولاء قیل بها کنایة عن انباء الغیب والنبوة التی ذکر وقیل بها کنایة عن
الکتب التی انزلها علی الرسل وقیل هی کنایة عن الایات والحجج التی اعطی رسوله وقوله فان یکفر بها هولاء فقد وکلنا بها قوما قیل
اختلف فیه قال بعضهم فان یکفر بها یعنی اهل مکة فقد وکلنا بها قوما لیسوا بها بکافرین اهل المدینة من الانصار والمهاجرین وهو

قول ابن عباس

قول ابن عباس وقیل ان یکفر بها هولاء فقد وکلنا بها قوما لیسوا بها بکافرین یعنی من قدم من الرسل والانبیاء وقیل فان
یکفر بها هولاء فقد وکلنا بها قوما لیسوا بها بکافرین یعنی اهل قرابتک واهل وصلتک فقد وکلنا بها قوما من غیر اهل قرابتک
لیسوا بها بکافرین وقیل فان یکفر بها هولاء یعنی اهل زمانک فقد وکلنا بها قوما من تقدمهم من ابائهم واجدادهم لیسوا بها
بکافرین وقیل فان یکفر بها هولاء یعنی اهل الارض فقد وکلنا بها قوما یعنی اهل السماء لیسوا بها بکافرین وقال الحسن رحمه الله فان
یکفر بها هولاء یعنی امتک فقد وکل الله بها النبیین والصالحین من الامم الخالیة لیسوا بها کافرین والله اعلم بذلک وهو کما ذکرنا
وقوله عز وجل اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده یحتمل بهداهم الذین هدوا واستمر اهتداؤهم من تلک ویحتمل بهداهم الذین هدوا واهم
اهتدوا بامره عز وجل بالاقتداء باخوانه الذین مضوا من الرسل والهدی هو اسم ما یدان به لیس هو اسم الافعال لا یقال لنا ولکن الصلوة
والزکوة والصیام هناک انما یقال ذلک الدین وان بعض الهدی امر رسوله ان یقتدی بهم بذلک وذلک یدل علی ان الانبیاء والرسل کانوا
علی دین واحد وان الدین لا یحتمل النسخ والتغییر الا تری انه قال فی ایة اخری شرع لکم من الدین ما وصی به نوحا الخبر وذلک یدل علی ان
الدین واحد لا یحتمل النسخ واما الشرایع فهی مختلفة لانها تحتمل النسخ ویحتمل الامر بالاقتداء بهم ما ذکر قل لا اسالکم علیه اجرا ای اخر
من تقدم من الرسل ولا تاخذ علی تبلیغ الرسالة اجرا کما لم یاخذوهم وفی قوله قل لا اسالکم علیه اجرا دلیل نقض قول من یجیز اخذ
الاجر علی تعلیم القران والعلم وروایة للحدیث وغیر ذلک من العبادات وکذلک قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون کانه والله
اعلم یجعل لهم العذر فی ترک الاجابة له بما یلحقهم من ثقل الاجر والغرم والله اعلم وفیه ایضا دلالة نقض مذهب الکرامیة لانهم
یعرضون مذهبهم علی الناس ویاخذون منهم المواثیق والجعل فی ذلک وانما اخذ المواثیق من الرسل علی تبلیغ الرسالة الی قومهم
وامروا بتالیف قلوب الخلق وفی اخذ الجعل منهم تنفر قلوبهم وطباعهم عن ذلک وقوله عز وجل ان هو الا ذکری للعالمین ای
ما هذا القران الا ذکری ای عظة وزجر للعالمین وقوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قیل نزلت سورة الانعام فی محاجة
اهل الشرک الا ایات نزلت فی محاجة اهل الکتاب احدها هذه وما قدروا الله حق قدره الایة وذکر فی موضع اخر ما قدروا الله حق
قدره والارض جمیعا الایة ثم قال بعض اهل التاویل ما عرفوا الله حق معرفته وقال غیرهم ما عظموا الله حق عظمته وذکر وا ان هولاء لم
یعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته ومن یقدر ان یعظم الله حق عظمته او ان یعرف حق معرفته او من یقدر ان یعبد الله حق
عبادته وکذلک روی فی الخبر ان الملائکة یقولون یوم القیمة یا ربنا ما عبدناک حق عبادتک مع ما اخبر عنهم انهم لا یعصون الله
ما امرهم ویفعلون ما یؤمرون وقال لا یستکبرون عن عبادته ولا یستحسرون فهم مع هذا کله یقولون ما عبدناک حق عبادتک
ومن یقدر ان یعرفه حق معرفته او یعظمه حق عظمته ولکن تاویله والله اعلم ای ما عرفوا الله حق المعرفة التی یعرف بالاستدلال
ولا عظموه حق عظمته التی یعظم بالاستدلال منا تاویله والا لا احد یقدر ان یعرف الله حق معرفته ولا عظم حق عظمته حقیقة
وهو یخرج علی وجهین احدهما ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوا حق تقواه مما کلفوا ای ما اطاقوه وما جری الامر بذلک والثانی
الکلفة منه علی قدر الطاقة والوسع والا لا یقدر احد ان یعظم ربه حق عظمته ولا اتقی حق تقواه لکن ما ذکرنا ما جرت الکلفة و
الثانی ما قدروا الله حق قدره ولا حق نعمائه علی القدر الذی یعلمون لا انفسهم ای لو اجتهدوا فی تقواه وعظمته القدر الذی لو کان
ذلک العالم فیجتهدون ویبلغ جهدهم فی ذلک فقد اتقوا وقوله عز وجل اذ قالوا ما انزل الله علی بشر من شیء لو کان هولاء فی الحقیقة
اهل الکتاب ما انکروا الرسل ولا الکتب لان اهل الکتاب یؤمنون ببعض الرسل وببعض الکتب وان کانوا یکفرون ببعض لکن هولاء
انکروا الرسل لما کانوا اهل نفاق ویکون من الیهود اهل نفاق کما یکون من اهل الاسلام کانوا یظهرون الموافقة لهم ویضمرون
الخلاف لهم والموالات لاهل الشرک ویظاهرون علیهم کما کان یفعل ذلک منافقو اهل الاسلام کانوا یظهرون الموافقة لرسول الله
صلی الله علیه وسلم ویضمرون الخلاف له ویظاهرون المشرکین علیه فاطلع الله رسوله علی نفاقهم لیعلم قومهم خلافهم وانما کان
من تحریف الاحکام وتغییرها وکتمان نعت محمد علیه افضل الصلوات وصفته انما کان من هولاء وذکر فی بعض القصة انها نزلت فی
شان مالک بن الصیف وکان من احبار الیهود وکان سمینا فدخل علی رسول الله صلی الله علیه وسلم یوما فقال له رسول الله صلی الله علیه وسلم
هل تجد فی التوریة ان الله یبغض کل حبر سمین فقال نعم فقال له النبی صلی الله علیه وسلم فانت حبر سمین یبغضک الله فغضب فقال
ما انزل الله علی بشر من شیء انکر الرسل والکتب جمیعا فاکذبه الله تعالی واظهر نفاقه عند قومه فقال قل من انزل الکتاب الذی جاء به
موسی نورا وهدی للناس یجعلونه قراطیس تبدونها وتخفون کثیرا قیل یجعلونه قراطیس یعنی صحفا ثم کتبتموه فی الصحف ثم تکرون
انه ما انزل الله علی بشر من شیء ای فالذی کتبتموه ان لم ینزل الله علی بشر من شیء تبدونها وتخفون کثیرا تقولون یظهرون ما فی الصحف
ما لیس فیه صفة رسول الله ونعته صلی الله علیه وسلم وتخفون ما فیه صفته ونعته وتغیرون وقیل تبدونها ای یظهرون قراءتها وتخفون
کثیرا ما فیه نعته صلی الله علیه وسلم او ما فیه من الاحکام التی لا تطیب بها انفسهم من امر الرجم والقصاص وغیر ذلک وقوله
عز وجل قل من انزل الکتاب الذی جاء به موسی نورا وهدی للناس سمی عز وجل جمیع کتبه نورا وهدی وهو نور من الظلمات ای یرفع
الشبهات ویجلیها وهدی من الضلالات ای بیانا ودلیلا من الحیرة والهلاک وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل وعلمتم ما لم

تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد الاية في المسلمين يقول علموا ما لم تعلموا ولا اباؤهم وقال الحسن الاية في الكفرة اي علمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من تحريفها وكتمان الكتاب وتغييرهم اياه وقيل وعلمتم ما في التورية ما لم تعلموا انتم ولم يعلمه اباؤكم ثم قال ثم ذرهم قال بعضهم قوله قل الله هو صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا اي محمد الله انزله على موسى وقيل صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا قل اي محمد الله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال قل اي محمد الله علمكم ويحتمل ان يكون عز وجل سخرهم حتى قالوا ذلك فكان ذلك حجة عليهم وقوله عز وجل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون هذا يحتمل وجهين يحتمل ذرهم ولا تكافيهم بسفههم كقوله فاعرض عنهم واصفح والثاني انه قد قام عليهم الحجج وظهرت عندهم البراهين لكنهم كابروا وعاندوا فامره ان يذرهم لا يديم عليهم الايات والحجج بعد ذلك ولكن تدعوهم الى التوحيد لا تذر دعاهم الى التوحيد ولكن تذرهم ولا تديم عليهم الحجج وقوله عز وجل في خوضهم اي في باطلهم وتكذيبهم يلعبون وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك قيل القران انزلناه مبارك سماه مرة مباركا ومرة نورا ومرة هدى ورحمة ومرة شفاء ومجيدا وكريما وحكيما وليس بوصف هو في الحقيقة بنور ولا مبارك ولا رحمة ولا هدى ولا شفاء ولا مجيد ولا كريم ولا حكيم لانه صفة ولا يكون للصفة صفة توصف بها ولو كان هو في الحقيقة نورا ورحمة وهدى او ما ذكر فيما ذكر انه عمي على بعض واخبر انه يزداد بذلك رجسا الى رجسهم دل انه ليس هو في الحقيقة كذلك لانه لو كان كذلك لكان لكل احد لكن سماه بهذه الاسماء سماه نورا لما يبصر نور المسترشد به ويصير شفاء ورحمة للمتبعين لما يشفي الداء الذي يحل في الدين وسماه هدى لما يهدي به الدين وسماه حكيما لما يبصر من عرف بواطنه واتبعه حكيما وكذلك سماه مجيدا كريما لما يدعو الخلق الى المجد والكرم فمن اتبعه تخلق باخلاق حميدة فيصير مجيدا كريما وسماه مباركا لما ينال به كل بركة والبركة اسم لكل ما ينمو ويزداد في الحادث فمن اتبعه نال به كل بر وخير وكل نمو ونماء في الحادث هذا وجه الوصف بما ذكرنا وقوله عز وجل مصدق الذي بين يديه من الكتب لانه كان يدعو الخلق الى ما كان يدعو سائر الكتب التي انزلها على الرسل من توحيد الله والنهي عن اشراك غيره في الالوهية والربوبية ويدعو الى كل عدل واحسان وينهى عن كل فاحشة ومنكر وكذلك سائر الكتب دعت الخلق الى ما دعا هذا لم يخالف بعضهم بعضا بل كان موافقة بعضها لبعض لذلك قال مصدق الذي بين يديه والله اعلم وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى ومن حولها قيل ام القرى مكة وسميت ام القرى لوجهين احدهما لانها متقدمة ومنها دحيت الارض على ما ذكر اهل التاويل والثاني سميت ام القرى لانها مقصد الخلق في الحج وبها تقضى المناسك واليها يقصدون ويامون واليها يتوجهون في الصلوات وهي مقصد اهل القرى وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى اي اهل ام القرى وقوله عز وجل والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به قيل اخبر ان من امن بالبعث يؤمن بهذا الكتاب وقيل اهل الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون به ثم معناه قيل يحتمل هذا وجوها احدها ان يكون هذا في قوم مخصوصين اذا امنوا بالبعث امنوا به كقوله وانذرهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا في قوم مخصوصين لانه قد امن كثير منهم بالانذار فعلى ذلك الاول والثاني قوله والذين يؤمنون بالاخرة بالعلم والحجج امنوا بالقران لان القران جاء في تاييد حجج البعث وتاكيده فلا يجوز ان يؤمنوا بما يؤيد القران ولا يؤمنوا بالقران والثالث يحتمل ان يكون اخبارا عن اوايلهم انهم كانوا مؤمنين بالبعث بالايات والحجج راغبين فيه فلما جاء امنوا به ويمكن ان يكون الاية في المؤمنين اخبر انهم امنوا بالاخرة وامنوا بالقران الا ترى انه قال وهم على صلاتهم يحافظون ويحتمل الذين يؤمنون بالاخرة يحق لهم ان يؤمنوا بالقران لانه به يثبت دلالة الاخرة ويحتمل ما ذكرنا من الوجوه وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هذا في الظاهر استفهام وسؤال لم يذكر له جواب لكن اهل التاويل قالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا جواب له هو تفسيره لكن ترك ذكر الجواب لمعرفة اهل الخطاب به وقد يقول الجواب لمعرفة اهله به وقوله عز وجل ومن اظلم اكثرهم قد ظلموا وكلهم قد ظلموا لكنه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله لانه يتقلب في نعم الله في ليله ونهاره ولحسانه فهو افحش ظلما وافحش كذبا وقوله عز وجل وقال اوحي الي ولم يوح اليه شيء في الاية دلالة ان نافي الرسالة عمن له الرسالة في الافتراء على الله والكذب كمدعي الرسالة لنفسه وليست له الرسالة سواء كلاهما مفتر على الله كذبا وكذلك من ادعى انه ينزل مثل ما انزل الله او من ادعى انه لم ينزل الله شيئا فهو في الافتراء على الله كالذي ادعى انه ينزل مثل ما انزل الله النافي والمدعي في ذلك سواء شرعا فعلى ذلك يكون في الشيء ومثبته في اقامة الحجة والدليل سواء والله اعلم وذكر اهل التاويل ان قوله اوحي الي ولم يوح اليه شيء نزل في مسيلمة الكذاب ونزل قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح لكن ليس لنا الى معرفة هذا حاجة هم وغيرهم ومن ادعى وافترى على الله كذبا سواء في الوعيد وقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ادعى بعضهم انهم يقولون مثل ما قال الله انكارا منهم له كقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا وقوله عز وجل ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم عن ابن عباس رضي الله عنه قال قوله في غمرات الموت ونزعات الموت وسكراته وغشياته والملائكة باسطوا ايديهم يقول ملك الموت واعوانه الذين معه من ملائكة العذاب باسطوا ايديهم يقول مادوا ايديهم انفسهم يقولون لها اخرجي ايتها الارواح وهو قوله اخرجوا انفسكم وهو عند الموت وكذلك يقول قتادة وقال الحسن ذلك في النار في الاخرة ضربا الوجوه والادبار وقوله عز وجل في غمرات الموت اي كثرة

العذاب وشدته يقال للشيء الكثير الغمر وهو كقوله ياتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت ولو كان هناك موت يموت لشدة العذاب وقوله عز وجل باسطوا ايديهم يضربون الوجوه والادبار اخرجوا انفسكم على حقيقة الخروج منها كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها والاول ليس على حقيقة الخروج ولكن كما يقال عند نزول الشدايد اخرج نفسك وقال مجاهد هذا في القتال يضرب الملائكة وجوههم وادبارهم يعني الاستاه ولكنه يكون وهو كقول ابن عباس رضي الله عنه وقتادة عند الموت قال ابو عوسجة غمرات الموت وسكراته وشدايده والغمر هو الماء الكثير والغمر العداوة والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الدسم والغمر القدح الصغير من الخشب وغمرة الحرب وسطها وقوله عز وجل اليوم تجزون عذاب الهون قيل عذاب الهون الذي لا رافة فيه ولا رحمة اي الشديد بما كنتم تقولون على الله غير الحق بان معه شريكا والهة وكنتم عن اياته تستكبرون انه لم ينزل شيئا ولم يوح اليه شيء وانما اوحي الي وغير ذلك من الافتراء الذي ذكروا وبالله العصمة وقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا والله اعلم وجوها اي اعدناكم وبعثناكم فرادى بلا معين ولا ناصر كما خلقناكم اول مرة بلا معين ولا ناصر والثاني اعيدكم وابعثكم فرادى بلا اعوان لكم ولا شفعاء يشفعون لكم يعين بعضكم بعضا كما خلقناكم في الابتداء فرادى لم يكن لكم شفعاء ولا اعوان وقيل نبعثكم ونعيدكم بلا مال ولا شيء من الدنياوية كما خلقتكم في الابتداء ولم يكن لكم مال ولا شيء من الدنيا دينه وجايز ان يكون قوله ولقد جئتمونا فرادى ليس معكم ما تفتخرون به من الخدم والاموال والقرابات التي افتخرتم في الدنيا كما خلقناكم اول مرة وجايز ان قوله كما خلقناكم اول مرة منفصلا قوله ولقد جئتمونا فرادى لكن جواب سؤال ان كيف يبعثون فقال اي تبعثون كما خلقناكم اول مرة وقوله عز وجل وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يحتمل تركتم وراء ظهوركم لا تلتفتون اليه ولا تنظرون كالمنبوذ وراء ظهوركم انما نظركم الى اعمالكم التي قد قدمتموها والثاني لم تقدموا ما خولناكم ولا تنتفعوا منه بل تركتم وراء ظهوركم لا تنتفعوا به انما منفعتكم ما قدمتموه وانتفعتم منه وقوله عز وجل خولناكم قيل اعطيناكم وقيل رزقناكم وقيل ملكناكم وهو واحد وقوله عز وجل وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء انهم كانوا يجعلون لله شركاء في عبادته والوهيته ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول الله وما نرى شفعاءكم الذين زعمتم انهم شركاء لله في عبادتكم وزعمتم انهم شفعاؤكم عند الله بل شغلوهم بانفسهم يخبر عن سفههم وقلة نظرهم فيهم وقوله عز وجل لقد تقطع بينكم قرئ بالرفع والنصب جميعا فمن قرا بالرفع يقول لقد تقطع تواصلكم ومن قرا بالنصب يقول لقد تقطع ما كان بينكم من الوصل يخبر عز وجل عن تقطع ما كان بينكم من التواصل والتعاون بعضهم بعضا في هذه الدنيا انهم كانوا يتعاونون ويتناصرون بعضهم بعضا يخبر ان ذلك كله ينقطع في الاخرة ويصير بعضهم اعداء لبعض ويتبرا بعضهم من بعض كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وكقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكقوله تعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكقوله سيكفرون بعبادتهم الاية يصير المعبودون اعداء للعابدين والعابدون اعداء للمعبودين ويصير الوصلة والمودة التي منها بينهم في هذه الدنيا عداوة والرحم والقرابة الذي كان بينهم منقطعا حتى يفر بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية وقوله عز وجل وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي اذهب عنكم وبطل ما كنتم تزعمون انهم شفعاؤكم عند الله وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى قيل فالق الحب والنوى كما قال الله تعالى فاطر السموات والارض وكقوله تعالى وهو الذي فطركم اي خلقكم يخبر انه فالق الحب والنوى خص الحب بالذكر لما منهما خلق جميع ما في الدنيا من الانزال والحبوب كقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة منه ما خلق ما في الدنيا من البشر فاضاف ذلك اليه فعلى ذلك لما خلق هذه الانزال كلها من الحب والنوى ومنهما اخرج اضاف اليهما ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ليس باخبار عن ابتداء انشاء ولكن اخبار عن لطفه والفالق هو الشق يخبر انه يشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلايق على انفاذه واخراج مثله من شيء ادنى نصيب ذلك النبت ما قدروا عليه يخبر عن لطفه وقدرته ان من قدر على هذا القادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد اماتتهم وابلائهم وان لم يبق لهم اثر كما قدر على هذا ليعرفهم قدرته انها غير مقدرة بقدرة الخلق وبقوتهم بل خارجة عن قوتهم لان قوته وقدرته ذاتية ازلية بلا سبب وقوتهم وقدرتهم باسباب وكذلك ما يشق من الورق الضعيف اللين الشجر والنخل مع شدته وصلابته ما لو اجتمع الخلايق كلهم على شق ذلك الشجر بذلك الورق مع لينه ما قدروا عليه يعرفهم لطفه وقدرته انه لا يعجزه شيء وفيه ان ذلك فعل واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا شقه منع الاخر عن ذلك وفيه انه على تدبير خرج لا جزافا حيث اتفق ذلك في كل عام على قدر واحد وقوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ان الحب والنواة التي ذكر ميت فيخرج منها النبات الاخضر حيا ثم يميت ذلك ويخرج منه حبا والنواة وفيه دلالة البعث بعد الموت يقول ان الذي قدر على اخراج النبات الاخضر الحي من حبة ميتة او نواة ميتة وليس فيهما من اثر ذلك الحي شيء لقادر ان يبعثهم ويحييهم بعد الموت وان لم يبق من اثر الحيوة شيء وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل فانى تؤفكون اي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله تعالى لا الاصنام التي تعبدونها واشركتم في عبادتكم لله والوهيته اي جهة تصرفكم عما ذكر اي لا جهة لكم

فی صرفها الالوهية عنه الی غيره ولا صرف العبادة الی الاصنام وقوله عزوجل فانی تؤفكون قيل فانی تصرفون عن ما ذكر من دلائل وحدانيته والوهيته وربوبيته والافك هو الصرف فی اللغة كقوله قالوا اجئتنا لتأفكنا ولتصرفنا وقيل تؤفكون تكذبون او ما الذی حملكم علی الكذب والكذب والصرف واحد فی الحقيقة لان الكذب هو صرف قول الحق الی الباطل وهما واحد وقوله عزوجل فالق الاصباح هو يحتمل الوجهين الذين ذكرتهما فی قوله فالق الحب والنوی خبر عن ابتداء خلقه ويحتمل الشق ای يشق النهار من الليل والليل من النهار بعد ما تلف كل واحد منهما لم يبق له اثر ففيه دليل البعث والاحياء بعد الموت اخبر ان الذی قدر علی انشاء النهار من الليل والليل من النهار بعد ما تلف وذهب اثره لقادر علی انشاء الخلق وبعثهم بعد الموت وذهاب آثارهم وقوله عزوجل وجعل الليل سكنا جعل الله الليل سكنا وراحة للخلق والنهار معاشا لهم يتعيشون فيه وجعلهما آيتين من آيات ربوبيته ووحدانيته مسخرين يقلبان الخلائق ويقصرانهم ويكونون تحت سلطانهما ويجريان علی سنن واحد دل انهما مدبران خالقا عليهما ولو كانا يجريان بطباعهما لكان يختلف جريانهما ولو لم يتسق فدل اتساقهما وجريانهما مجری واحدا ان لغيرهما فيهما تدبيرا وكذلك الشمس والقمر جعلهما مسخرين لمنافع الخلق لنضج الانزال وينعها ولمعرفة عدد الايام والشهور والسنين ويجريان مجری واحدا ومسلكا واحدا غير مختلف دل ذلك انهما كانا بمدبر عليم حكيم وفی قوله فالق الاصباح وجعل الليل سكنا دلالة نقض قول المعتزلة لان الاصباح هو فعل الخلق لانه مصدر اصبح وكذلك السكن هو فعل الخلق ثم اضاف ذلك كله الی نفسه دل انه خالق افعالهم وقوله عزوجل والشمس والقمر حسبانا اختلف فيه قال ابو عبيد هو من الحساب وهو جمع حساب وحسبان مثل شهاب وشهبان وهو كقوله هو الذی جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقيل حسبانا ای يجريان بحسبان ويدوران ابدا لا يستريحان دل انهما كانا بغير مسخرين للخلق لانهما لو كانا بطباعهما لكانا يستريحان وقيل حسبانا ای ضياء كقوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله اعلم بذلك وقوله عزوجل ذلك تقدير العزيز العليم ای ذلك الجريان الذی ذكر وتلك المنافع التی جعلت فيهما تقدير العزيز قال الحسن العزيز هو الذی لا يعجزه شیء والعزيز هو الذی يعز كل عزيز وقال بعض اهل التأويل العزيز المنيع فی سلطانه المنتقم من اعدائه العليم بمصالح الخلق وبما كان ويكون وبحوائجهم وبالله التوفيق وقوله عزوجل وهو الذی جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فی ظلمات البر والبحر والمراد منه الظلمات وذكر فی قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر واراد بالظلمات الشدائد والاهوال التی تصيبهم الا تری انه قال تدعونه تضرعا وخفية عند الشدائد والاهوال كانوا يدعون ربهم تضرعا وخفية علی ما ذكرهم ها هنا عظيم سلطانه وقدرته لما تدفع عنهم الشدائد والاهوال التی تنزل بهم بالدافع عنهم ذلك هؤلاء الاصنام التی يعبدونه دون الله ويشركونها فی عبادته ويذكر فی قوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فی ظلمات البر والبحر عظيم ما انعم عليهم بما جعل لهم من السماء نجوم ما يهتدوا بها الطرق والمسالك فی البحار والبراری عند اشتباهها عليهم وفيه دليل وحدانية الرب وتدبيره وحكمته لانه جعل فی السماء ادلة يهتدون بها ويستدلون علی معرفة الطرق مع بعد ما بينهما من المسافة وتسوية اسباب الارض باسباب السماء وتعلق منافع بعضها ببعض ليعلموا انه كان بواحد مدبر عليم حكيم اذ لو كان بعدد او بمن لا تدبير له ولا حكمة لم يحتمل ذلك ولم يتسق ما ذكر دل انه كان بالواحد العليم الحكيم مع علمهم ان الاصنام التی يعبدونها واشركوا فی عبادته لا يقدرون علی ذلك لكنهم يعبدونها ويشركونها فی الوهيته سفها منهم وعنادا وبالله العصمة والتوفيق وفی قوله فالق الحب والنوی وقوله فالق الاصباح وقوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وغير ذلك من الآيات التی ذكر تذكير نعمه واحسانه اليهم ليتأدی بذلك شكره وجعل السبيل له الی ان يستدل به علی تذكير قدرته وسلطانه ان من قدر علی ما ذكر لا يحتمل ان يعجزه شیء وفيه تذكير تدبيره وعلمه وحكمه علی ما ذكر من اتساق الامور والحال علی امر واحد وقوله عزوجل قد فصلنا الآيات قيل صرفنا الآيات ای صرفنا كل آية الی موضعها الذی يكون لهم دليلا عند الحاجة اليها وقيل قد فصلنا الآيات قد بينا الآيات لقوم يعلمون ای لقوم ينتفعون بعلمهم فاذا انتفعوا بها صارت الآيات لهم لان من انتفع بشیء يصير ذلك له لذلك ذكر لقوم يعلمون لانهم اذا لم ينتفعوا بها لم تصر الآيات لهم وقوله عزوجل وهو الذی انشأكم من نفس واحدة فيه دلالة انه يبدئ ويعيد من غير شیء لانه اخبر انه خلق البشر كله من نفس واحدة والخلائق كلهم لو اجتمعوا ما احتملت الارض ولم يكن الخلائق باجمعهم فی تلك النفس الواحدة دل انه قادر علی الابتداء والانشاء لا من شیء اذ لم يكن لتلك النفس التی خلق الخلائق منها تقدمه شیء وقوله عزوجل فمستقر ومستودع قال الحسن مستقر فی الآخرة بعمله الذی ختم به ان ختم بعمل الخير يبقی ابدا فی الخير وان ختم بشر يبقی ابدا فی الشر ومستودع فی اجله ينتقل من وقت الی وقت ومن حال الی حال وقيل مستقر فی الدنيا ويشبه ان يكون مستقر ومستودع فی كل حال وكل وقت مستقر فی حال القيام حتی ينتقل الی حال اخری ومستودع فی الآخرة بالجزاء لاعمالهم التی عملوا ومستودع فی الدنيا ويحتمل مستقر بالليالی ومستودع بالنهار والاول لبنی آدم خاصة ثم قوله عزوجل لقوم يعلمون ولقوم يفقهون الفقه هو معرفة الشیء بمعناه الدال علی نظيره والعلم ما يعرف بنفسه ولهذا لا يقال لله فقيه ويقال عالم لانه عالم بالاشياء بذاته لا باغيارها ونظايرها والفقيه هو الذی يعرف الاشياء باغيارها ونظايرها ودلايلها وقوله عزوجل وهو الذی انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شیء يذكرهم عزوجل عظيم

منته بما

منته بما ينزل من السماء من الماء ويخرج به نبات كل شیء كما ذكرهم من النعم بما جعل لهم من الشمس والنجوم لتهتدوا بها فی الظلمات واشتباه الطرق وما جعل الليل للسكون والراحة والنهار للمعاش والتقلب وما جعل لهم من الشمس والقمر وجعل لهم فيهما من المنافع من نضج الانزال والزروع وينعها ومعرفة عدد السنين والحساب والآجال التی يجعلون للعقود وغير ذلك من النعم التی انعمها عليهم ليتأدی به شكرهم لشكر هذه النعم الی غيره ولا يتخذوا له اندادا سواه وقد ذكرنا ان سورة الانعام نزل اكثرها فی محاجة اهل الشرك فی اثبات الوحدانية لله والالوهية لله واثبات الرسالة والنبوة واثبات البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقوله عزوجل فاخرجنا به نبات كل شیء يحتمل قوله نبات كل شیء ما بالخلق حاجة اليه ليعلم ان كل ما يخرج فی الارض اصله من الماء به ينبت مما يكون غذاء البشر وغذاء الحيوان كلهم والطيور كقوله وجعلنا من الماء كل شیء حی افلا يؤمنون يذكرهم عظيم ما جعل لهم فی الماء من المنافع علی ما اخبر انه به يخرج نبات كل شیء وبه حيوة كل شیء ثم من الاوقات ما لو نزل من السماء ما لم ينبت دل انه انما ينبت بتدبير غيره لا بالماء وقوله عزوجل فاخرجنا منه خضرا قيل به يخرج اول ما يخرج خضرا يكون ابتداء كل نبت اخضر ثم يتحول الی لون بتدبير عن لطفه وصنعه بما يخرج من الحب متراكبا بعضه علی بعض ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا علی تركيب مثله ليعلموا ان لغيره فی ذلك تدبيرا وصنعا وفيه دلالة انه قد ينشئ الاشياء من لا شیء ولا سبب وان كان قد انشأ بعضها باسباب نحو ان تخرج من ذلك النبات الاخضر حبوبا ولم يكن الحبوب فی النبات ليعلموا انه قادر علی انشاء الاشياء لا من شیء ولا سبب وفيه نقض قول الدهرية فی كون الاشياء فی شیء واحد كما هی لا يحتمل ان يكون عشرة آلاف نواة او حبة فی نواة واحدة او فی حبة واحدة او يكون الشجرة مع طولها وغلظها وعظمها فی نواة او حبة وقوله عزوجل ومن النخل ای يخرج من النخل طلعها بالماء وفيه من عظيم لطفه وتدبيره ان جعل النخيل والاشجار تشرب بعروقها الماء ثم ينتشر فی اسفلها الی اغصانها ثم يخرج منه ويظهر فيه من العلم عظيم تدبيره ولطفه وقوله عزوجل قنوان دانية قيل القنوان العذوق يكون فيها التمر والثمار واحدها قنو وقوله عزوجل دانية قال الحسن دانية بعضها الی بعض مجتمعة غير متفرقة علی ما يكون من الاعناب والتمر والحبوب فان كان هذا فهو فی الكل وقال بعضهم دانية قريبة ملتزقة بالارض ينالها القائم والقاعد جميعا وعن ابن عباس قنوان دانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالارض وقوله عزوجل وجنات من اعناب ای اخرج الماء جنات وكروما والزيتون والرمان قيل اخرج بالماء ايضا الزيتون والرمان وقال بعضهم الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ای يشبه ورق الزيتون ورق الرمان فی النظر وغير متشابه ای يشبه ورق الزيتون فی النظر ورق الرمان وغير متشابه ثمرتها فی اللون والطعم ولكن هو علی الكل علی كل الثمار ولا يشبه بعضه بعضا منها ما يشبه ساق هذا بساق آخر والثمار والحبوب مختلف ومنها ما يشبه فی اللون والطعم مختلف ومنها ما يشبه فی الطعم مختلف ليعلموا ان لغيره فی ذلك تدبيرا وصنعا لطيفا لم يكن ذلك بالماء لانه لو كان كذلك بالماء لكان لا يختلف كل هذا الاختلاف فی اللون والطعم والساق والورق دل انه كان كذلك لغير عليم مدبر حكيم انشأه علی ما اراد بلطفه وقوله عزوجل انظروا الی ثمره اذا اثمر وينعه يحتمل الامر بالنظر وجوها ای انظروا الی ثمره اذا اثمر وينعه ان كيف يقلبها ويحولها من حال الی حال ومن لون الی لون وانه يخرج فی ساعة لطيفة ما لو اجتمع الخلائق علی تقديره ومعرفته ان كم خرج وان مقدار خرج لم يقدروا عليه ليعلموا انه قادر علی انشاء الخلق بمرة واحدة وفی انزال المطر من السماء مع بعدها آية عجيبة وحكمة بالغة وهواء بين له واحدا حتی لا يختلط بعضه ببعض مع كثرة المطر وازدحامه وبعد السماء ما لو اجتمع الخلائق علی حفظ مثله ما قدروا عليه دل انه كان بمدبر عليم حكيم وقوله عزوجل ان فی ذلك لآيات لقوم يؤمنون قد ذكرنا انها تغنيه آيات لمن صدق بها وآمن واما من عاند وكابر ولم يتأمل فيها لم يتبين ما فيها من عجيب آياته وعظيم منته وفی قوله انظروا الی ثمره اذا اثمر وينعه وجهان آخران من الحكمة ان النظر الی ثمره اذا اثمر انه اول ما يخرج يخرج علی لون واحد وعلی قدر واحد وعلی طعم واحد ثم يختلف الوانها وطعمها ويتفاوت اقدارها ليعلموا انه كان بتدبير واحد عليم حكيم قادر علی خلق الاشياء بلا سبب لانه لو كان كذلك بسبب لا تدبير فيه كان سبب هذا كله واحدا فيجیء ان يخرج كله علی سنن واحد دل انه خالق بذاته لا بسبب والثالث ان النظر الی ثمره اذا اثمر وينعه انه جعل ما يطيب منه للبشر وعلمهم اسبابا يتخذون بها الطيبات من ذلك من نحو النضج والطبخ وغيره وجعل لغيرهم من الحيوان كما هو خارج من الارض ليعلموا ان غيرهم من الحيوان والدواب انما جعلهم لمنافع البشر مسخرين لهم وان البشر هم المقصودون فی خلق الاشياء كلها وبالله الحول والقوة وله المنة والفضل وقوله عزوجل وجعلوا لله شركاء الجن ای قالوا لله شركاء وكذلك قوله ويجعلون لله شركاء البنات ای يقولون لله البنات او وصفوا الله دليله ما ذكر فی آخره سبحانه وتعالی عما يصفون دل هذا ان قوله وجعلوا لله شركاء ای وصفوه بالشركاء والولد وقوله عزوجل شركاء الجن قال بعضهم هذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل انهم لم يعبدوا الجن ولا قصدوا قصد عبادة الشيطان حيث قال يا بنی آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين لان جميع اهل الكفر علی اختلاف مذاهبهم يبغضون الشيطان ويلعنونه عليه ولكن معناه ان الشيطان هو الذی دعاهم الی عبادة الاصنام والاوثان فاذا عبدوا الاصنام بدعايته فكأنهم عبدوه اذ يأمر ويدعو الی عبادته او ان يكون كما روی فی الخبر ان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرنی شيطان فاذا عبدوها فكأنهم عبدوا الشيطان مثل هذا يحتمل والله

فلم فان قيل فاذا صاروا كانهم عبدوا الشيطان ومن ذكر من الجن بدعائهم الى ذلك وبامرهم بذلك حتى نسب واضاف العبادة
اليهم كيف لا صار المؤمنون كانهم عبدوا الرسل كانهم انما عبدوا الله بدعاء الرسل وبامرهم قيل لان الرسل انما دعوهم الى عبادة الله
وامروهم بذلك لان الله تعالى امرهم بذلك واما اولئك انما دعوهم الى عبادة من ذكر بذلك انفسهم وفي قوله وجعلوا لله شركاء الجن
اخبار لاولياية وتذكيرلهم حسن صنيعه الى اصداية من الانعام عليهم والاحسان اليهم وقبح صنيع اولئك اليه من وصفهم اياه بالولد و
الشركاء ليعاملوهم معاملة الاضداد او معاملة امثالهم وخلقهم اى يعلمون انه هو خلقهم ثم يشركون غيره في الوهيته وعبادته
لا بوجوه شكر نعمه اليه والثاني قوله خلقهم اى خلق هذه الاصنام التي يعبدونها ويعلمون انها مخلوقة مسخرة مذللة فعما
يعلمون هذا يشركون في الوهيته وعبادته فكيف يكون المخلوق المسخر شريكا له وقوله عز وجل وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
هم كانوا فرقا واصنافا فمنهم من يقول بان عيسى ابنه وهم النصارى ومنهم من يقول بان عزيرا ابنه وهم اليهود وقال مشركوا العرب
الملائكة بنات الله فقال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقال ام له البنات ولكم البنون وقال واذا بشر احدهم بما
ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم فاذا انفتم انتم من البنات كيف نسبتم البنات اليه في هذه الاية تصبير
رسول الله على اذاهم بقوله مع كثرة ما كان لهم من الله من النعم والمنن يشركون في عبادته غيره فانت اذا لم يكن منك اليهم شيء من ذلك
اولى ان تصبر على اذاهم وقوله عز وجل بغير علم اى يعلمون هم ان ليس له ولد ولا شريك ولكن كانوا يكابرون ويحتمل بغير علم
على جهل يقولون ذلك وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون هو حرف تعظيم وتنزيه جعلهم فيما بين الخلق به يعظمون
ربه يشهون وبه ينفون كل عيب فيهم فعلى ذلك ذكر عند وصف الكفرة بالولد والشريك والعيوب تنزيها وتبرئة عن كل عيب
وصفوه وتعاليا عن جميع ما قالوا فيه وهو والله اعلم كما يقول معاذ الله تعظيما وتبريا عن ذلك وفي قوله سبحانه وتعالى عما يصفون
نقض قول المعتزلة لقولهم ان صفات الله ليس الا وصف الواصفين فلو لم يكن الا وصف الواصف لا غير لكان لا معنى لزم بعض الوا صفين
وحمد بعضهم ثبت انه في ذلك صفة سوى وصف الواصفين وقوله عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له ولد قوله بديع
السموات والارض اى انشاها بلا احتذاء ولا امثال بغيرهذا يرد على القرامطة قولهم لانهم فهو مبدع ويقولون المبدع الذي هو
اول مخلوق خلق منه جميع العالم فلو كان اول خلق خلق مبدعا فهو مبدع والابداع هو احداث شيء لم يسبق له اصل ولا مثال انما
لمن احدث في دينه شيئا مبتدع لانه احدث فيه شيئا لم يسبق له اصل ولا مثال وقوله عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له
ولد اى من قدر على ابداع السموات والارض لا عن اصل سبق ولا عن مثال تقدم فانى يقع له الحاجة الى الولد والولد في الشاهد انما يتخذ
لاحدى خصال ثلاث اما للانتصار على الاعداء والانتقام منهم واما الوحشة تاخذهم واما الحاجة يمسهم فالله سبحانه
يتعالى عن ذلك كله فانى يتخذ ولدا والثاني انى يكون له ولد ولم تكن صاحبة اى تعرفون ان الولد لا يكون في الشاهد الا عن صاحبة
وليست له صاحبة فانى يكون له ولد كان الخطاب كان في قوم ينفون عنه الصاحبة وانما الحاجة الى الصاحبة للشهوات التي
مكنت فيهم فالشهوة هي التي تنقص المرء وتحمله على الحاجة وقوله عز وجل وخلق كل شيء فيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه
خلق كل شيء وعلى قولهم لم يخلق جزءا من الاشياء لانهم يقولون ان الله لم يخلق افعال العباد ولا حركاتهم ولا سكناتهم
ولا قيامهم ولا قعودهم ولا شيئا من ذلك ثم لا يجوز ان يصرف الاية الى الخصوص وهو يخرج مخرج الامتداح ولو جاز ان يصرف
هذا على شيء دون شيء لجاز لغيرهم ان يصرفوا قوله وهو بكل شيء عليم الى شيء دون شيء وكذلك قوله خالق كل شيء على قول المعتزلة
هو خالق بعض الاشياء ليس هو بخالق الاشياء كلها على ما اخبر فلان جاز صرفه الى بعض الاشياء دون بعض لجاز ايضا صرف قوله
وهو على كل شيء وكيل الى بعض دون بعض حفظ بعض الاشياء ولم يحفظ الكل فان لم يجز هذا لانه خرج مخرج الامتداح فعلى ذلك
لا يجوز صرف الاول الى بعض دون بعض لانه امتداح ولئن جاز ان يقال بان العبد هو خالق ذلك جاز ان يقال هو خالق الكل والقادر
عليه فهذا سمج بين نسال الله العصمة عن السرف في القول والزيغ عن الحق فانه لا حول ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ذلكم الله
ربكم اى ابتدع خلق السموات والارض وما ذكر من انواع المنن والنعم التي انعمها عليهم من نحو ما جعل لهم من النجوم ليهتدوا بها
في الظلمات وما ذكر انه انشاهم من نفس واحدة وما ذكر من انزال الماء من السماء واخراج ما اخرج به من النبات والثمار والحبوب والا
وغير ذلك من عجيب حكمته ذلك كله بالله الذي لا اله الا هو منشيء ذلك كله فاعبدوه اى اليه وجهوا شكر نعمه ولا توجهوا الى غيره
قال الكسائي اى بديع السموات وبادع السموات واحد كما يقال عليم وعالم وبديع ابتدع بمعنى واحد وقال بعضهم هو مثل قوله
فاطر السموات والارض وقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قيل كنى بالابصار عن الخلق كانه قال لا يدركه
الخلق وهو يدرك الخلق وانما كنى بالابصار عن الخلق لما بالابصار يدرك الاشياء ويحاط بها لذلك كان معنى الكناية والله اعلم
وقيل هو على حقيقة الابصار لكنه بصر القلب لما به تقع المعارف فان كان بصر الوجه ففيه دليل اثبات الرؤية لانه نفى عنه الادراك
فلو لم يكن لنفي الادراك معنى لانه لا يدرك ما لا يرى فدل نفي الادراك على ان هنالك رؤية لكنه لا يدرك ولا يحاط به على ما ذكر فلا
يحيطون به علما اذ من الاشياء الظاهرة مما يقع عليها البصر يكون لها اس وفيها خفي من نحو البصر والسمع والانف واليد وغير

ذلك من الاشياء مما لا يدرك حقيقة ماهيتها وكيفيتها ولا تقدير ما يبصر بالبصر اشياء لا يعرف حقيقة كيفية البصر ولا ماهيته
وكذلك السمع لا يدرى انه كيف هو ولايم يسمع وكذلك هذا في كل جارحة وحاسة يجد اليبوسة وخشونة الشيء الذي يمسه ولينه لا
يعرف بم يجد ذلك ويعرفه وكذلك الكلام من اللسان والشم من الانف لا يدرى ما هو وكيف وبم يجد الرائحة والنتن فاذا
كان مغادر في الخلق في الاشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يدرك حقيقة ماهيتها ولا يعرف كيفيتها ولا يحاط بها علما فالله سبحانه
الذي بحكمته وضع ذلك وبلطفه دبر ابعد عن الادراك واحرى ان لا يحاط به ولا يدرك وهذا يرد على الجهمية مذهبهم لانهم لم يصوروا
ربهم في قلوبهم ويمثلونه فعلى ذلك يعبدونه فهم مشبهة واصله ان الله تبارك وتعالى يعرف بالايات والدلايل لا بالمحسوسات
والشاهدات وكل شيء سبيل معرفته الايات والدلايل فهو غير محاط به ولا مدرك فهو على ما وصفنا لنفسه لا يحيطون علما ولا
تدركه الابصار لان الادراك والاحاطة انما يقع بالمحسوسات لا بما يعرف بالايات والدلائل وعلى ذلك جاءت دلائل الرسل
نحو ما قال موسى حين ساله فرعون فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال ابرهيم ربي الذي يحيي
ويميت وقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق دلاه على الوهيته ووحدانيته من جهة الايات والدلايل لا من غيره وعلى ذلك
دل الله الخلق على معرفته ووحدانيته وربوبيته بقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل وقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى اخر ما ذكر ولهم على ما يعرفون الوهيته
ووحدانيته من جهة الايات والدلائل لا من جهة ما يقع به الاحاطة والادراك وبالله الهداية والرشاد وقوله عز وجل وهو اللطيف
الخبير قيل اللطيف في افعاله الخبير بخلقه وباعمالهم وقيل اللطيف البار الرحيم وقيل اللطيف هو العليم بخفيات الاشياء والخبير
بظواهر الاشياء ثم هو اللطيف العظيم والعظيم في الشاهد غير اللطيف واللطيف غير العظيم لان العظيم في الشاهد هو الذي به
كثافة واللطيف ما يلطف في نفسه ويرق وكل واحد منهما ما يناقض الاخر ليعلم انه لطيف عظيم لا من الوجوه التي تعرف في الخلق
وكذلك قوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن هو اول واخر وظاهر باطن وفي الخلق من كان اولا لم يكن اخرا ومن كان ظاهرا لم
يكن باطنا ليعلم انه اول واخر وظاهر وباطن لا من الوجه الذي يعرف ويفهم من الخلق ولكن ما وصف نفسه وقوله
عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم قيل بينات من ربكم وقيل البصائر الهدى بصائر في قلوبهم وليست ببصائر الرؤى وهو قول
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل بصائر اى بيان وهو واحد وقيل بصائر شواهد اى قد جاءكم من الله شواهد تدلكم على الوهيته
وهو كقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة اى بل الانسان من نفسه بصيرة او شاهدة تشهد كل جارحة منه على وحدانيته
والوهيته الا ترى انه قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا والله اعلم لانهم كانوا تقلدوا اباءهم
في عبادة الاوثان والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول قد جاءكم بصائر
من ربكم من الايات والرسل ما لو اتبعتموهم لكانوا لكم شفعاء عند الله والثاني قد جاءكم بصائر ما لو تفكروا وتدبروا ونظروا فيها
لعرفوا انها بصائر من الله لان البشر انشئوا الخبث ينظرون في العجيب من الاشياء فكانوا على امرين منهم من نظر وتفكر وعرف
انها بصائر لكنه عاند وكابر ولم يعمل بها ومنهم من ترك النظر فيها فعمي عنها ما لو تفكروا ونظروا لتبين لهم وقوله عز وجل
فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها اى ابصر الحق والهدى وعمل به فلنفسه عمل ومن ابصر وعمي عنها اى ترك كقوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها فان قيل ذكر في اية اخرى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اخبر ان من هلك هلك عن بينة
ومن حي حي عن بينة وهاهنا يقول فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها ذكر عمي عنها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل يحتمل قوله
عمي بعد ما تبين له فترك العمل به فعليها ذلك لانه ابصرها وعرفها انها من الله لكنه عاندها وكابرها وقوله عز وجل وما انا
عليكم بحفيظ اى قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا الا التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله عز وجل وكذلك
نصرف الايات اى نرددها في الوجوه التي تتبين لقوم يطلبون البيان او نقول نصرف الايات اى نضع كل اية ونصرفها الى الوجه
التي يكون بالخلق اليها حاجة وقوله عز وجل وليقولوا درست فيه لغات درست ودارست ودرست قرات ودارست
تعلمت وقيل دارست اهل الكتاب جادلتهم ودرست بالجزم قيل تقادمت فهذا الاختلاف فيما كان من الكفرة لرسول الله منهم
من يقول ان هذا الا افك مفترى وغيرنا قيل درست من الخلوق اقاويلهم خرجت القراءة ثم اختلف في تاويل قوله تعالى وليقولوا
درست فهو صلة قوله قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا درست وقال الحسن قوله وليقولوا درست اى قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا
درست لان من قوله انه بعث الرسل وانزل الكتب ليكون من الكافر قول الكفر ومن المؤمن قول الايمان وقوله عز وجل وليقولوا درست
يخرج والله اعلم على التعجيب يعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن قبح صنيع الكفرة وسوء معاملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد جاء بصائر من ربهم وبينات وحجج ثم هم بعد هذا كله يستقبلونه بالرد والتكذيب وهو على ما قلنا ان الله ذكر نعمه عليهم بما
انشا لهم من الانعام والجنات المعروشات والزرع والنخيل وما اخبر عنه وقد علموا ذلك كله ثم جعلوا له بعد معرفتهم هذا شركاء
الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ولا بينة فهو على التعجيب ثم كيف جعلوا لله شركاء وقد علموا ان الذي جعل هذا كله لهم هو الله

فعلى ذلك هذه الاية انهم كيف قذفوه بالدراسة وقد تبين لهم صدقه وانه من عند الله بالايات فى الدلايل وبما كان لا يخط كتابا ولا شهدوه يختلف الى من عنده علم ذلك وقوله عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون اى لنبينه يعنى القران وقيل البصاير التى ذكر لقوم ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل اتبع ما اوحى اليك من ربك فان قيل ما معنى قوله من ربك وانما اوحى اليه من ربه ويكفى قوله اتبع ما اوحى اليك ويكن معناه على الاضمار والله اعلم كانه قال للذى اوحى اليه على يديه قل اتبع ما اوحى اليك من ربك ثم امر نبيه باتباع ما اوحى اليه من ربه الفاعل بما اوحى اليك ثم الامر بالعمل يحتمل وجهين يحتمل الامر بالاعتقاد بذلك ويحتمل نفس العمل اى اعمل ويشبه ان يكون بالامر بالاتباع ما اوحى اليه صدقا فى الخبر وعدلا فى الحكم كقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا فى الاخبار وعدلا قيل صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام فعلى ذلك امكن ان يكون الامر بالاتباع اتباع ما اوحى اليه صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام ثم على ما امر نبيه باتباع ما اوحى اليه وانزل من ربه امر امته كذلك وهو قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء امرهم باتباع ما انزل اليهم من ربهم ونهاهم عن اتباع ما اتخذوا من اولياء فعلى ما نهاهم عن اتباع ما اتخذوا من اولياء فعلى ما نهاهم عن اتخاذ اولياء دونه قال فى الاية التى امر رسوله باتباع ما اوحى اليه من ربه فقال اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو وقوله عز وجل لا اله الا هو وقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء واحد لانه امر باتباع ما اوحى اليه من ربه ونهاه ان يتبع دونه اولياء لانه اخبر ان لا اله الا هو وقوله عز وجل واعرض عن المشركين يحتمل امره بالاعراض عن المشركين وجهين يحتمل ان لا يكافيهم على اذاهم ولكن اصبر ويحتمل الامر بالاعراض عنهم النهى عن قتالهم كانه نهى عن قتالهم فى وقت ويحتمل ان يكون الاية فى قوم خاص قال اعرض عنهم فانهم لا يؤمنون ولا تتم عليهم الايات والحجج لما علم منهم انهم لا يؤمنون ثم على ما امر نبيه بالاعراض عنهم امر المؤمنين ايضا بالاعراض عنهم وهو قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله عز وجل ولو شاء الله ما اشركوا قالت المعتزلة المشية ههنا مشية قهر وجبر اى لو شاء الله لاجبرهم ومنعهم عن الشرك على رفع الابتلاء والامتحان واما عندنا المشية مشية اختيار والطوع على قيام الابتلاء والامتحان وبعد فان مشية الجبر هى خلقه وقد كانوا جميعا غير مشركين بالخلقة فلا معنى لنا ويلهم الزوق نا ولوا فى المشية ثم لا يحتمل ان يكون قوله ولو شاء الله ما اشركوا مشية قهر وقسر لانه لا يكون فى حال الجبر والقهر ايمان ولا كفر انما يكون ذلك فى حال الاختيار والطوع لان الجبر والقهر يمنع من ان يكون له فعل حقيقة يزيل الفعل منه ويسقط ويثبت للذى جبر وقهر فذلك بعيد فدل انه ما ذكرنا وبالله الرشاد وفى قوله ولو شاء الله ما اشركوا دلالة ان طريق الاسلام الافضال والانعام وله ان يخص به من كان اهلا للافضال والانعام بالطايف التى عنده ويحرم ذلك وله ان يجعل بعضهم اهلا لذلك افضالا منه ولا يجعل البعض عدلا منه وقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل اى لم يوخذ عليك حفظ اعمالهم ولا انت تسال عن صنيعهم انما عليك البلاغ وهو كقوله عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء كقوله تعالى فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه وقيل الحفيظ والوكيل واحد وقيل الوكيل هو الكفيل وقد ذكرنا فى غير موضع فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم نهانا الله عز وجل عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق السب فان قيل كيف نهانا عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قاتلونا وقتل المؤمن بغير حق من المناكير وكذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وان كانوا يستقبلونه بالتكذيب قيل ان السب لا وتك مباح غير معروض والقتال معهم فرض وكذلك التبليغ فرض تبليغ اليهم وان كانوا يكذبون ما بلغهم وكذلك القتال نقاتلهم وان كان فى ذلك اهلاك انفسنا واصله ان ما خرج الامر به مخرج الاباحة فانه ينهى عما يتولد منه وصفت وما كان الامر به امر فرض لزوم لا ينهى عن المتولد منه والحادث ويجوز ان يستدل بهذا على ما يذهب مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه فى قوله ان قطع يد اخر بقصاص فمات من ذلك اخذ بالدية واذا قطع اليد بحد لزمه فمات لم ياخذ به لانه ابيح له قطع يده والقصاص لم يفرض عليه وفى الحد يلزم اقامة الحد لله فاذا كان قيامه بفعل ابيح له الفعل ينهى عما يتولد منه ويوخذ به واذا كان قيامه بفعل فرض عليه لم يواخذ بما تولد منه وعلى هذا يخرج قوله فى الامر بالختان اذا تولد من ذلك الموت لانه امر باقامة السنة وكذلك الامر بالحجامة لانه يفرض عليه الحجامة فى حال ما خاف عليه الهلاك اذا لم يحتجم واما الامر بالدق وغير مما يشاكله امر اباحة لا امر الزام لذلك ضمن ما تولد منه فعلى ذلك السب الذى بسب الهتهم انما حملهم ذلك على سب الله عز وجل وسب رسوله ولا يسبون وان كانوا مستحقين لذلك لانه قد ينهى الرجل ان يعود بنفسه السب فعلى ذلك يجوزان نهوا عن سب الهتهم مخافة الاعتياد لذلك نهوا عن سب الهتهم ثم ذكر فى القصة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسبون الهتهم فيسبون الله عدوا بغير علم وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم بسوء فقالوا لتنتهين عن ذلك ولنهجون ربك وعن ابن عباس رضى الله عنه وذلك حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فقالوا عند ذلك ما قالوا فنزل ولا تسبوا الذين يدعون وكن لا ندرى كيف كانت القصة وكن فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل عدوا بغير علم قال الكسائى وابو عوسجة عدوا من الاعتداء وهو مجاوزة الحد وقال ابو عمرو وعدوا وابو الربيع وقال انما العدو من عدو الرجلين وكذلك قال الضحى بوبش عدوا وقيل فلما نزل قوله ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله الاية فقال رسول الله لاصحابه لا تسبوا ربكم فامسكوا عن سب الهتهم وقوله عز وجل كذلك زينا لكل امة عملهم قال ابو بكر الكيسانى انه صلة قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان رجاء ان تقرب عبادتهم اياها الى الله لانهم كانوا يعبدونها ويتخذونها الهة دون الله فاذا سبوا معبودهم فكانهم سبوا الله عدوا بغير علم ان العبادة فى الحقيقة لله فيرجع سبهم اياها الى الله لذلك كان معنى السب فقال فعلى ذلك رجع قوله كذلك زينا لكل امة عملهم حتى امتنعوا عن سب الله فذلك الذى زين عليهم وقال الحسن قوله زينا لكل امة عملهم اى زينا عليهم اعمالهم فيما امروا به وفرض ويجب عليهم ان يفعلوا لا فيما لا يفرض ولا يحل لهم ان يفعلوا وكذلك يقول جعفر بن حرب وغيرهم من المعتزلة انه زين عليهم عملهم الذى فرض عليهم ان يعملوا ويأتوا بها واما ما لا ينبغى ان يقول فلا كقوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الاية ذكر فى الايمان التزيين وفى الكفر التكريه ويقولون انه اضاف التزيين الى الشيطان بقوله زين لهم الشيطان اعمالهم وقوله الشيطان سول لهم واملى لهم فالشيطان يزين لهم المعاصى والفسوق فلا يحتمل ان يكون الله يزين لهم ما يزين الشيطان فدل انه انما يزين لهم ما يؤمرون به ويفرض عليهم ولكن يضاف اليه التزيين ما اضيف اليه حرف الاضلال والاغواء واما عندنا فالتزيين على وجهين تزين فى العقول وهو تزين من طريق الايات والبراهين فذلك لا يحتمل فعل الكفر والضلال ان يكون مزينا من جهة الايات والحجج والثانى تزين فى الطباع بالشهوات والامانى وفعل كل احد مزين بالشهوة والحاجة التى مكنت فيه ولا شك ان كل كافر لو سئل عن فعله الكفر والضلال فيقول هذا الذى زين لى وليس اضافة فعل التزيين الى الله باكبر وابعد من اضافة الاضلال والاغواء وقد ذكرنا معنى اضافة الاضلال والاغواء اليه فى غير موضع فعلى ذلك التزيين ويقولون ايضا ان التزيين تزين وعد وثواب فالكافر متى يؤمن بالوعد فى الاخرة والثواب فيها وهو ليس يؤمن فهذا بعيد ولا يحتمل ما قال الكيسانى ايضا لانه لا كل الكفرة كانوا يعبدون الاصنام ليقربهم ذلك الى الله زلفى بل اكثرهم لا ان لهم خالقا وربا ويحتمل اضافة التزيين الى الشيطان على جهة التمنى والتشهى كقوله ولامنينهم واضافته الى الله على القدرة عليها والسلطان او ان يخلق اعمالهم مزينة عندهم مسولة واضافة فعل الضلال والغواية الى الشيطان على الدعاء اليه والترغيب فيه واضافته الى الله على ان يخلق فعل الضلال منهم وقوله عز وجل ثم الى ربهم مرجعهم قد ذكرنا فينبئهم بما كانوا يعملون فى جزاء الثواب وفى اليم عذاب فهو على الوعيد وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم قال جهد ايمانهم بالله فهذا يخرج على وجوه احدها ان الحنث فى اليمين يخرج مخرج الاستخفاف وانها وان كان فى اليمين التعظيم وفى الحنث استخفاف وفى اليمين بالله جهد اليمين ويحتمل وجهين سوى هذا وذلك ما قيل ان الكفرة كانوا لا يحلفون بالله الا عند العظيم من الامور والجليل منها كانوا يحلفون بدونه فسمى اليمين بالله جهد اليمين تعظيما لله وتجليلا والثانى يحتمل انهم كانوا يحلفون باشياء ويؤكدون اليمين بالله ويشددونه كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله عز وجل لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قيل انهم كانوا يقسمون جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ايات لئن جاءتهم يؤمنون بها من نحو ما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك من الايات فقال قل يا محمد انما الايات عند الله هو الذى يرسلها وينزلها وانا لا املك ارسالها ولا اتى لها كقوله قل لا اقول لكم عندى خزاين الله وغير ذلك من الايات انباء منه انه لا يملك انزال ما كانوا يسالونه من الايات ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون اختلف فيه قال الحسن وابو بكر الاصم انه خاطب بقوله وما يشعركم اهل القسم الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها فقال وما يشعركم اى ما يدريكم انكم تؤمنون اذا جاءتكم اية ثم استأنف فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون وهكذا كان يقرؤه الحسن بالخفض انها اذا جاءت لا يؤمنون على الاستيناف والابتداء وقال غيرهم من اهل التاويل الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم لما قالوا لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها ظنوا انهم لما اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون اذا جاءتهم اية يفعلون ذلك يؤمنون على ما يقولون فقال لهم وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون على طرح لا اى ما يدريكم انها اذا جاءت يؤمنون ويحتمل فيه وجها اخر على الاضمار كانه قال وما يشعركم فما علموا انها اذا جاءت لا يؤمنون على الوقف فى قوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال اعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا كانه اقرب ويحتمل وجها اخر وهو ان اهل الاسلام قالوا انهم وان جاءتهم اية لا يؤمنون فقال عند ذلك وما يشعركم ما به هولاء انها اذا جاءت لا يؤمنون والثانى انهم وان امنوا بها اذا جاءت فتقلب افئدتهم من بعد وعلى هذا التاويل ان نقلب افئدتهم وابصارهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اى خلق زيغ قلوبهم كذلك الاول وقوله عز وجل ونقلب افئدتهم وابصارهم اى نقلب افئدتهم وابصارهم عن الحجج والايات ونذرهم فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال اهل التاويل ونقلب افئدتهم وابصارهم اى يحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك الايات فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الايمان اول مرة ويحتمل وجها اخر وهو ان يقلب فى افئدتهم وابصارهم ايات وحدانية والوهيته فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة ثم تخصيص الافئدة والابصار دون غيرهم من الجوارح لان القلب والبصر لا يقع الا على ما يشهد كل على وحدانية الله والوهيته وقوله عز وجل كما لم يؤمنوا به اول مرة قال بعضهم ان هولاء وان جاءتهم اية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمنوا وابائهم من الامم الخالية لما سالوا الايات

قبلهم فكذلك هؤلاء لا يؤمنون بها وان جاءتهم الاية بعد السؤال وقال غيرهم قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة اي قد جاءتهم ايات
قبل هذا على غير سؤال فلم يؤمنوا بها فكذلك وان جاءتهم بالسؤال فلا يؤمنون بها ويحتمل وجها آخر وهو ان مشركي العرب كانوا يقسمون
بالله انه ان جاءهم نذير يؤمنون به وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم يعنون والله
اعلم اليهود والنصارى اي لو جاءهم نذير ليكونوا اهدى من اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فيخبر انهم كما لم
يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم النذير في الابتداء اذا جاءهم نذير فكذلك ايضا لا يؤمنون عند سؤالهم الايات وان جاءتهم ايات يخبر
نبيه انهم ليسوا يسألون الايات سؤال الاسترشاد ولكن يسألون سؤال العند ومكابرة وهذا اشبه والله اعلم ونحوه قريب وقوله عز وجل
ونذرهم في طغيانهم يعمهون اذ علم انهم لا يؤمنون تركهم في ظلمات ضلالتهم يعمهون ويتحيرون والعمه التحير في اللغة وقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى قيل هذه الاية صلة قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الى قوله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون ثم قال ولو اننا نزلنا الاية اخبر انهم وان نزل اليهم الايات بعد السؤال منهم الايات من انزال الملائكة وتكليم الموتى
انهم لا يؤمنون اذ سؤالهم الايات سؤال تعنت واستهزاء وعناد لا سؤال استرشاد لانهم قد جاءتهم ايات لو لم يعاندوا
لآمنوا انه اذ علم منهم انهم لا يؤمنون وان ما يسألون من الايات انما يسألون سؤال تعنت وعناد جعل فيهم حصالا على المنزل
من قساوة القلب حتى اخبر ان قلوبهم اقسى من الحجارة ومن نحو البغض والجهالة وغير ذلك من الخصال ما يدل على ما ذكرنا وهو قوله
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون عن تعنتهم ومكابرتهم وفيه دليل ان الايات لا يضطر اهلها على الايمان
لانه قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا لانه لو كانت اية تضطرهم الى الايمان
لكانت هذه وهذا يدل على ان معنى قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين انهم لا يؤمنون بالاية
ولكن اذا شاء ان يؤمنوا لآمنوا ولو كانت الايات تضطر اهلها الى الايمان به لكان لا اية اعظم من القيامة ولا ابين منها ثم اخبر
عنهم انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قد كذبوا عند معاينتهم القيامة
والعذاب فهذا يدل على ان الاية لا يضطر اهلها على الايمان بها ويدل ان تأويل قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم
لها خاضعين انهم يخضعون اذا شاء ان يخضعوا لا ان الاية تضطرهم على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا وقوله عز وجل الا ان
يشاء الله قال الحسن هذه المشية مشية القدرة اي لو شاء الله ان يجبرهم حتى يؤمنوا وهو كقوله تعالى ولو نشاء لمسخناهم ونحوه
فهذه المشية مشية القدرة لكنا نقول انه اخبر انه لو شاء ان يمسخهم لمسخهم نقول ايضا انه لو شاء ان يهديهم لهداهم ولو شاء ان
يهتدوا لاهتدوا وكذلك نقول المعتزلة ان المشية ههنا مشية القهر والجبر وقد ذكرنا ان لا يكون في حال القهر والجبر ايمان
فيصير على قولهم الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فآمنوا فلا يكون ايمانا وقوله عز وجل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اختلف في
تلاوته وتأويله عن الحسن قال قبلا عيانا وعن قتادة كذلك قبلا عيانا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله وهو على ما ذكرنا الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فيؤمنوا وعن مجاهد قبلا اي افواجا قبيلا وفي حرف ابي عمرو بن العلا
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يقول جيلا جيلا وفي حرف ابي قبلا اي قبيلة قبيلة وقال القتبي قبيلا اي جماعة وقبيلا اي
اصنافا ويقال القبيل الكفيل كقوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي ضمنا كفلا قال الكسائي من قرأها قبلا فقد يكون جمع القبيل
مثل الجبيل والجبل وقد يكون القبل ايضا من معنى الاقبال كقوله من قبل ومن دبر ومن قرأها قبلا اراد معاينة وقال ابو عوسجة كل شيء
قبلا يقال اتانا الناس قبلا اي كلهم وقبلا من المقابلة وتأويله ما ذكرنا ان لو فعلنا هذا كله من انزال الملائكة اليهم وتكليم
الموتى اياهم وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ناجزهم بالذي يقولون لمحمد انه حق ما كانوا ليؤمنوا به الا ان يشاء الله لهم الايمان فيؤمنوا
وفيه ما ذكرنا من الدليل ان الايات لا تضطر اهلها الى الايمان بها الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فحينئذ يؤمنون وقوله
عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون اي لكن اكثرهم لا ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قيل كما جعلنا
لكل نبي من قبل عدوا كذلك نجعل لك عدوا ثم قوله جعلنا لكل نبي عدوا قال الحسن ان من حكم الله ان يبعث رسولا وان لكل من اتبع
رسله يكون وليا له ومن عصى رسوله يكون عدو الله هذا حكم الله في الكل وقال جعفر بن حرب والكعبي وغيرهم من المعتزلة
ان قوله جعلنا اي خلينا بينهم وبين ما اختاروا من الكفر والعداوة يقال جعل فلان كذا واذا كان مسلطا على ذلك وهو يقدر ان يمنع
عن ذلك فيصير التأويل على قول المعتزلة اي لم يجعل لكل نبي عدوا ولكن هم جعلوا انفسهم اعداء لكل نبي وقلنا نحن ان قوله جعلنا
لكل نبي عدوا اي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو والجعل من الله هو الخلق كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله وجعلنا الليل
والنهار ايتين وقوله جعل لكم الارض مهادا كل جعل اضيف الى الله فهو خلق فعلى ذلك قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي خلقنا لكل
نبي عدوا اي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو ولو كان الحكم على ما قال الحسن وما قالوا وتلك من التخلية لكان يجوز ان يضاف فعل الكفر
وفعل الضلال الى الله وذلك بعيد والثاني لو يوفق لهم فعل الولاية لما علم منهم انهم يختارون فعل العداوة على فعل الولاية وقوله
عز وجل شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اختلف فيه قال بعضهم الشياطين كلهم تكون من الجن

ثم انهم

ثم انهم يوحون الى الانس فيكونون هم الذين يدعون الخلق الى معصية الله فيكون من الجن وحيا الى الانس ومن الانس الى الخلق
قولا ودعاء وقال بعضهم يكون من الجن شياطين يدعوا شياطين الجن الى معصية الله فهو شيطان وكذلك كبراء الكفرة و
رؤساؤهم الذين كانوا يدعون اتباعهم وسفلتهم الى الكفر والضلال بالله فهم شياطينهم الا ترى انه قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
من النار وغيره من الايات ان كل من دعا غيره الى معصية والكفر به فهو شيطان والشيطان هو البعيد من رحمة الله شطن اي بعد وقيل
ان ابليس وكل شياطينا بالانس يضلونهم ويدعونهم الى معصية الله ووكل شياطينا بالجن يضلونهم وهو تأويل الاول وقوله
عز وجل يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي يزين بعضهم لبعض القول غرورا يغرون به قال القتبي رحمه الله زخرف القول
غرورا ما زين منه وحسن وموه وقال واصل الزخرف الذهب يقال زخرف الشيء اي حسنه قال ابو عوسجة الوحي ان يحيي بعينيه او
بشفتيه او باشارة وقوله عز وجل ولو شاء ربك ما فعلوه قال بعضهم ربك لخلقهم خلقا لم يركب الشهوات والحاجات حتى
اطاعوه ولم يعصوا كما خلق الملائكة لم يركب فيهم الشهوات والحاجات والاماني فلم يعصوه وقالت المعتزلة لو شاء ربك لاجبرهم
وقهرهم حتى لا يقدروا على معصية الله والكفر به فآمنوا واهتدوا انه لو شاء ربك لهداهم فاهتدوا لكن لما علم منهم انهم يختارون
الضلال على الهدى شاء ان لا يهديهم وقد ذكرنا فيح تأويله الاية في غير موضع وقوله عز وجل فذرهم وما يفترون هذا يخرج على
الوعيد لهم كقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وكقوله اعملوا ما شئتم انه كذا اي ذرهم وما يختارون فانك تراهم في العذاب وقوله
عز وجل ولتصغى اليه افئدة الذين قيل ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة الى زخرف القول الذي كان يوحي ويلقي شياطين
الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض وليرضوه لما كان الذي اوحى والقى بعضهم الى بعض من زخرف القول الذي يوافق هواهم
وكل من ظفر بما يوافق هواه فانه يرضى به كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها لانهم كانوا لا يؤمنون
بالاخرة ولا يرجون لقاءه وكان همتهم هذه الدنيا ورضوا بها واطمأنوا فيها ويحتمل قوله ولتصغى اليه اي الى الكتاب افئدة الذين
لا يؤمنون بالاخرة اي ليس ميل قبول منهم له ولكن ميل طلب الطعن فيه وهكذا كانت اولئك الكفرة وعادتهم طلب الطعن فيه و
الاول اشبه ثم ان كان زخرف القول الذي اوحى بعضهم الى بعض من كبرائهم وعظمائهم فقد اشرك تعالى هؤلاء اولئك في الكذب
الذي كان منهم كان من الكبراء الدعاء الى ذلك ومن الاتباع الرضى والاجابة وكان منهم التزيين والزخرفة ومن الاتباع القبول والرضا
به فقد اشركوا جميعا في ذلك الكذب كالقول الغرور وقوله وليقترفوا ما هم مقترفون اختلف فيه قال قائلون قوله وليقترفوا
يعني هؤلاء الاتباع ما هم مقترفون اي ليكتسبوا هم الاتباع من الكذب ما كان اولئك يكتسبون من الكذب وقيل وليقترفوا اولئك
المتبوعون من الكذب ما هم يعني هؤلاء الاتباع مقترفون من القول الغرور والزخرف ثم اختلف في الاقتراف قال بعضهم الاكتساب
اكتساب كل شيء وقال قائلون الاقتراف هو موافقة الذنب والاثم والله اعلم وقوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما كان اولئك
الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحكم يحكم بينهم في منازعة وقعت بينهم اما في الرسالة واما في الكتاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افغير الله ابتغي حكما ثم بين فقال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا كيف ابتغي حكما غير الله وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا ما تعلمون انه نزل لما عجز الخلائق عن اتيان مثله ثم اختلف في قوله مفصلا بالحجج والبراهين ما يعرف كل عاقل لم يكابر عقله
انه من عند الله نزل وقيل مفصلا بالامر والنهي والتحليل والتحريم فيقول ابتغي حكما غير ما انزل الله وقد انزل كتابا مفصلا مبينا فيه وعد
ووعيد وقيل مفصلا مفرقا اي انزله بالتفاريق لم ينزل مجموعا جملة ما يقع بمسامع كل احد علم ذلك وبيانه فلا يقع الحاجة الى حكم
غيره وقوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق اختلف فيه قيل الذين اتيناهم الكتاب اي اهل التورية
والانجيل يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقيل الذين اتيناهم الكتاب يعني من اعطي هذا الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق لما عجزوا عن
اتيان مثله وتأليفه وقوله عز وجل فلا تكونن من الممترين يحتمل لا تكونن انهم قد غيروا ما في كتابهم من الاحكام ومن نعتك وصفتك
ويحتمل فلا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل مع علمه ان رسوله لا يكون من الممترين ليعلم الخلق انه اذا نهى رسوله عن مثل هذا فغيره
احق وان يخاطب من طلب حكم غيره يقول لا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل وقوله عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الانباء
والوعد وعدلا في الاحكام وتمت انباؤه بالصدق واحكامه بالعدل حتى يعرف كل احد صدق انبائه وعدل احكامه وقيل وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا بالحجج والبراهين لما يعرف كل من تأمل فيها ونظر صدقها وعدلها انها من الله وقوله عز وجل لا مبدل لكلماته هذا
تفسير التمام انها تمت تماما لا يرد عليها النقض ولا الجور ولا الخلف ليس ككلمات الخلق انها تبدل وتنقض وتمنع لما يكون فيها
من النقصان والفساد فانها تبدل وتنقض ويعجزون عن وفاء ما وعدوا ويمنعون عن ذلك فالله تعالى يتعالى عن ان يبدل كلماته
او يمنع من وفاء ما وعد وانباءه او يجور في حكمه ويحتج من يستدل بقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اصحابنا حيث قالوا
من قال لامرأته انت طالق اتم الطلاق واعدل الطلاق فانه يقع بما وافق السنة ليس يرجع ذلك الى العدد لانه اخبر ان تمت
كلمة صدقا وعدلا والموافق للسنة هو الحق وهو العدل ويحتمل لا مبدل لكلماته اي لا مبدل لوعده ووعيده بكون ما وعد واو

ويحتمل لا مبدل لحججه وبراهينه وقوله عزوجل وهو السميع اى السميع بما القى الشيطان واوحى بعضهم الى بعض العليم باحوال
هؤلاء واجابتهم اياهم واهل التأويل يصرفون الخاص من القول بعضهم يقولون ان قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال آخرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه اهل الكفر الى عبادة الاوثان
ولكن هو يرجع والله اعلم الى كل نبأ ووعد ووعيد وكل خبر يخبر وقوله عزوجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ع
والاية دلالة ان اكثر اهل الارض كانوا ضلالا وعباد الاوثان والاصنام لانه قال اكثر من في الارض وقوله عزوجل يضلوك
لانهم الى اهل الضلال كانوا يدعونه ثم الخطاب وان كان لرسول الله في الظاهر فهو كل مؤمن اذ معلوم ان رسوله لا يطيعهم
فيما يدعونهم الى عبادة الاوثان في الارض وفيه ان في الارض كان من يعبد الله وكان على دين الانبياء والرسل وقوله عز
وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ذكر في القصة ان اهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة ع
الاوثان ويقولون انهم يعبدون الله في الحقيقة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله كانهم يعبدون الاوثان ويتركون الفواحش ويقولون الله امرنا بها فاخبر رسوله انك لو اطعت هؤلاء الى ما
يدعونك من عبادة هذه الاصنام الا ظنا يظنون كقوله ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
ما هم الا يكذبون على الله في قولهم ان ذلك يقربهم الى الله زلفى وقولهم الله امرنا بها وقوله عزوجل ان ربك هو اعلم من
يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعلم من يزيغ ويضل عن سبيله ويعلم من يهتدي به وفي قوله ان ربك هو اعلم من يضل عن
سبيله دلالة على انه على علم منه بالضلال والتكذيب بعث الرسل اليهم وارسل الكتب لا عن جهل منه لكن صار بعث ما بعث
من الرسل والكتب اليهم حكمة على علم منه بما يكون منهم لانه انما يبعث لمكان المرسل اليهم ولحاجتهم وقوله عزوجل فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين صرف اهل التأويل الاية الى اهل الكفر وقالوا ما بالكم تأكلون ذبائحكم التي ذبحتم
ولا تأكلون ما ذبح الله وذكاه صرفوا الخطاب به الى اهل الشرك والاشبه ان يصرف الخطاب به الى اهل الاسلام لانه ذكر في اخره
ان كنتم باياته مؤمنين ومثل هذا لا يذكر في اهل الشرك انما ذكر الخطاب باهل الاسلام كقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وقوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ونحوه من الايات فعلى ذلك
الاشبه ان يصرف الخطاب بها الى اهل الاسلام كان قوما من اهل الاسلام منعوا انفسهم عن التناول من هذه الذبائح
واللحوم فنهوا عن ذلك نحو ما روي في بعض القصة ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا ان يخصوا انفسهم
وان لا يعطوا انفسهم شهواتهم وان لا يتناولوا من الطيبات فنهوا عن ذلك وقيل فيهم نزل قوله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم فيشبه ان يكون قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فيهم او لما علم ان قوما من المتقشفة والمترهبة يحرمون ذلك على انفسهم
فنهوا عن ذلك فان كان ما قال اهل التأويل فهو والله اعلم كانه قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين بما تعلمون الحق و
الامر به وقد انبأكم من الايات ما تعلمون ذلك فكيف تحرمون مما ذكر اسم الله عليه ثم امر باكل ما ذكر اسم الله عليه وعاتب عن
ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه بقوله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولم يبين به باي وجه بالذبح او بغيره وكذلك قوله
اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولم يبين من اي وجه لكن الناس اتفقوا على صرف ذلك الى الذبح فكان
الذبح مضمرا فيه كانه قال فكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه وما لكم الا تأكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه ثم لا يخلوا اتفاقهم بمعرفة
ذلك اما ان عرفوا ذلك بالسماع من رسول الله او عرفوا ذلك بنوازل اذ ليس في الاية بيان ذلك فكيف ما كان ففيه دلالة نقض
قول من يقول بان من عرف نوازل الاحكام او كان عنده رواية فترك روايته يفسق لانه لم يذكر ههنا النوازل ولا السماع
دل انه لا يفسق او كان قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ذكر لمكان قول الثنوية لانهم يحرمون الذبائح ويقولون ليس من الحكمة
ايلام من لا ذنب له او ذكر لمكان قول من يقول بانكم اكلتم ما تذبحون بايديكم ولا تأكلون ما قتله الله ثم قوله فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق اباح عزوجل من الانعام ما ذكر اسم الله عليه وحظر ما لم
يذكر اسم الله عليه ونهى عن اكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وبقوله وما اهل لغير الله به جعل المهل لغير الله ميتة
حراما وجعل المذكور اسم الله عليه ذكيا حلالا فدل ان التسمية شرط في حل الذبيحة لانه لو لم يكن شرطا في حل الذبيحة لم
يكن المهل به لغير اسم الله ميتة حراما ولا تسمى ما لم يذكر اسم الله عليه فسقا والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر
ربه اى خرج فدل ان التسمية شرطا فيهما شرط فيها ولهذا ما يحل لنا ذبائح اهل الكتاب اذا سمعناهم يذكرون اسم الله عليه
وان كانوا لا يذكرون في الحقيقة غير الله لانهم لا يعرفون الله حقيقة ولكن اذا ذكروا اسم الله عليه يحل لنا ولا يحل ذبائح اهل
الشرك لان اهل الشرك لا يرون الذبائح وانما ينتحلون مذهب الزنادقة والزنادقة لا يرون الذبائح يقولون لنا الكم تبغون
ان ربكم رحيم حكيم وليس من الحكمة والرحمة ان يأمر احدا بذبح اخر ويقتله فيأكلون الميتة ولا يرون اكل الذبيحة ويقولون
ليس هذا امر من كان موصوفا بالرحمة او بالحكمة لكنا نقول ان كراهة الذبح والنفور عنه نفور طبع وكراهة طبع لا كراهة

العقل فا

العقل فما يكرهه الطبع وينفر عنه يجوز ان يباح لما يعقب نفعا في المتعقب نحو ما يباح الافتصاد والحجامة والتداوي بادوية
كريهة لنفع يعقب ويتأمل وان كان الطبع يكرهه وينفر عنه وليس هو ما يقبحه العقل ان ما لا يجوز ان يباح فعل وبر به ما يقبحه
العقل ويكرهه العقل واما كراهة الطبع ونفوره فانه يجوز ان يباح لما ذكرنا وترتفع ذلك بالعادة فعلى ذلك الذبيحة كراهته العقل
ونفوره والثاني ان هذه الاشياء كلها انما خلقت لنا وسخرت لنا فهي لم يخلق لانفسها فاذا كان كذلك يحل لنا ذبحها والتناول منها بامر
الذي انشاها لنا فيما سخرها لنا وبعد فان مذهبهم ان العالم انما كان بامتزاج النور والظلمة والروح من النوراني والجسم من الظلماني
ففي الذبح استخراج الروح ورده الى اصله اذ من قولهم انه يرجع كل الى اصله في العاقبة على ما كان في الاول واما الجواب ما قال لهم
اهل الشرك اكلتم ما ذبحتم انتم وتركتم ذبيحة الله وجهان احدهما ما قال اهل التأويل ان الخالق له الحكم عليهم فاحل لهم هذا وحرم عليهم
فاحل لهم هذا وحرم عليهم هذا والثاني تعبدنا بذكر اسمه عليها فصار اسم الله اقامة عبادة تعبدنا بها وفيما لم يذكر لم يكن عبادة
كذلك حل لنا ما كان في ذلك اقامة عبادة ولم يحل لنا ما لم يكن فيها اقامة عبادة والله اعلم وقوله عزوجل فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه هو في الظاهر امر لكن الامر الذي يرجع الى شهوات النفس ولذاتها فانه يخرج على وجهين اما ان يخرج على بيان ما يحل
والنهي عما لا يحل فههنا خرج على بيان ما يحل وتحريم ما لا يحل كانه قال كلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وقوله عزوجل وقد فصل لكم ما حرم عليكم هو صلة قوله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم ع
ما لكم ان لا تأكلوا وقد بين لكم ما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما اضطررتم اليه قال الحسن له ان يتناول من
الميتة حتى يشبع لانه احل له التناول وعلى قولنا لا يحل له الشبع لانه انما احل عند الاضطرار الى الشبع ويقول الحسن لو ترك التناول
منها حتى هلك لا شيء عليه يقول لانه انما احلت له رخصة ورحمة وليس على من لم يعمل بالرخص اثم ولكن عندنا انها ابيحت في حال
الاضطرار فاذا ترك التناول منها حتى هلك صار ملقيا نفسه في التهلكة وقد حرم الله علينا ان نهلك انفسنا او نلقيها في التهلكة
بقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا فرق بين ترك التناول من الميتة وقد احل لنا التناول من غيره من الاطعمة المحللة او يأتي باسباب
تلاف النفس فهما سواء ويقول ايضا له ان يتناول عند الاضطرار من مال غيره بلا بدل واذا نهى صاحبه عن ذلك يضمن بدل
ذلك بالغا ما بلغ فهذا بعيد لا يجوز ان يتناول من مال غيره ولا يلزمه البدل واذا نهاه عن ذلك يلزمه البدل لان من كان له
حق التناول من مال اخر بغير بدل ثم اذا نهى ومنع يلزمه البدل دل انه ليس له التناول الا ببدل وقد ذكرنا هذا وقوله عزوجل
وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم دل هذا على ان الكل منهم لم يكونوا يضلون ولكن البعض منهم الائمة منهم والرؤساء لان الاتباع منهم
كانوا لا يضلون الناس انما كانوا يضلون الكبراء منهم والعظماء ان ربك هو اعلم بالمعتدين قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عزوجل
وذروا ظاهر الاثم وباطنه اختلف فيه قيل وذروا الاثم بظاهر الجوارح وباطنها ظاهر الجوارح منه نحو اليد والرجل واللسان
والعين وباطن الجوارح القلوب والضمائر وقيل وذروا الاثم في ملاء من الخلق وفي الخلاء منهم وقيل ظاهر الاثم وباطنه الزنا قال
ابو بكر الكيساني في الزنا لا يحتمل ههنا لان الاية في ذكر ما يحل من الاطعمة وما لا يحل ولكن يجوز ان يبتدأ النهي عن الزنا وان كان
اول الاية في ذكر الاطعمة ويصير قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه كانه قال وذروا المآثم كلها ما ظهر منها وما بطن وقوله
عزوجل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون لا يتركون وما عملوا ولكن يجزون جزاء ما عملوا من الاثم وهو وعيد
وقوله عزوجل يكسبون الاثم ويصبرون عليه ولا يتوبون ولا ينقلعون عنه حتى ماتوا على ذلك سيجزون بما ذكر وقوله ولا
تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال بعضهم هو الميتة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال بعضهم هو ما اهل به لغير الله وقلنا نحن هو
ما لم يذكر اسم الله عليه لان الله قد صرح بتحريم الميتة بقوله حرمت عليكم الميتة وما اهل لغير الله به بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي
محرما الاية فقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما كان لا يجد في ذلك الوقت ثم وجد ما لم يذكر اسم الله عليه محرما في حادث الوقت
وكذلك وجد كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير محرما في حادث الوقت كان لا يجد في ذلك الاوقات محرما الا ما ذكر
ثم وجد اشياء محرمة من بعد وقال بعضهم من اهل التأويل الاولى قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حين قالوا ما قتلتم وذكيتم
انتم فتأكلونه وما قتل ربكم فتحرمونه وانتم تفضلون ربكم وهو من زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض وما ذكر وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم لكنا نقول ان ما ذبح وقتل ذبح بالله وقتل به ايضا فقد اذن لنا باكل بعض الذبح وحرم اكل
بعض ولله ان يفعل ذلك له ان يأذن في اكل بعض وحرم اكل بعض على ما اذن لنا في اكل بعض ما خلق الله من الانعام ولم يأذن في اكل
بعض فعلى ذلك قد اذن في اكل بعض ما ذبح به وقتل ولم يأذن في بعض وهو كله ذبح بالله وقتل به وله ذلك والثاني ان الخلق
كله له ملكه ولا يقال لاحد في ملكه لم فعلت ذا ولم تفعل ذا انما يقال ذلك في غير ملكه كتشهيك يقول لم تشهيكه لم تعطي حتى ولم
تنو على ضيعي فاما ان يقول في ذي ملك في ملكه فلا والثالث ما ذكرنا انه تعبدنا بذكر اسم الله عليه اقامة عبادة اذ التسمية
هذا وقوله عزوجل وانه لفسق اخبر انه ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق كما اخبر التناول من الميتة وما اهل لغير الله به فسق و
الفسق هو الخروج عن امر الله والذي ترك ذكر اسم الله عليه خارج عن امر الله تعالى كالميتة التي ذكرنا فان قال قائل ان قول الله ع

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فكيف يجوز لكم أن تطلقوا أكل الذبيحة إذا ترك ذكر اسم الله عليه ناسياً لأن الذابح إنما هو من
على القصابين والصبيان فهم لم يعودوا أنفسهم ذكر اسم الله حتى يؤاخذون بها على حفظ ذلك وهذا أصلنا أن من لم يعود نفسه فعلاً
يعذر في تركه وارتكابه في حال السهو والنسيان كالأكل في شهر رمضان ناسياً لأنه عود نفسه الأكل والشرب فالصوم هو الكف عما
اعتاد فعذر في النسيان لمنه والعود إلى العادة على السهو لأنه يشتد على الناس حفظ النفس على خلاف العادة ولأن الله تعالى قال
وإنه لفسق ولا خلاف في أن من نسي أن يسمي الله على ذبيحة فليس بفاسق وإنما يفسق من تركها عامداً فدل أن الخطاب بالآية يرجع إلى الذبيحة
التي تركت التسمية عمداً فإن قيل أليس يجوز أن يكون قوله وإنه لفسق يريد به أن الذي يأكل منها إذا لم يسم الله عليها عامداً أو ساهياً فاسق
وإن كان هذا هو الثاني وبدل في الآية على الأكل قيل الدليل على أن قوله وإنه لفسق إشارة إلى الذبح الذي ترك ذكر اسم الله عليه عمداً دون أن
يكون ذلك إشارة إلى الأكل من تلك الذبيحة فسق قول الله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً
مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فكان الإهلال بالذبيحة لغير الله فسقاً لمن فعله فوجب أن يكون ترك اسم الله
على الذبيحة فسقاً ممن تعمد ذلك فوجب أن يكون قول الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه خاصاً في المتعمد لترك التسمية فإن
كيف لم يجعلوا تارك التسمية ناسياً كتاركها عامداً كما قلتم في التكبيرة الأولى في الصلاة أن عمده وسهوه سواء قيل من قبل أن الذبيحة
إنما تحل صاحبها ترك التسمية عليها إنما حرمت بنص القرآن لأنه فسق فقلنا متى زال الفسق عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة لأن التحريم
إذا وقع لعلة فزالت العلة زال التحريم ولم نقل إن صلاة التارك للتكبيرة الأولى فسدت صلاته لأنه فسق بتركها التكبيرة حتى
يلزمنا أن نفرق بين سهوها وعمدها بل فسدت صلاته لأنه صلى بغير تكبير فالتارك للتكبير عامداً أو ساهياً تارك فهما سواء
وروي في الخبر ما يؤيد ما قلنا روي عن راشد بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال سمى أو لم يسم ما لم يتعمد
وعن ابن عباس رضي الله عنه في رجل ذبح ونسي أن يذكر اسم الله قال اسم الله في قلب كل مسلم فليأكل عز وجل وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم
ليجادلوكم أهل التأويل صرفوا تأويلها إلى زخرف القول الذي يوحي بعضهم إلى بعض في الآية الأولى هو مجادلتهم في الذبيحة حيث
قالوا ما قتلتم ما تذبحون فتأكلونه وما قتل الله فلا تأكلونه تعمون فتلك مجادلتهم إياهم ولكن يجادلون في هذا في وحدانية الله تعالى
وفي إثبات الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء حيث قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون فأخبر أنهم لو أطاعوهم
إنهم لمشركون أي لو أطعتموهم فيما يجادلونكم ويوحون إليهم إنكم لمشركون **وقوله** عز وجل أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له
نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يشبه ثم أخرج من ذلك فأبصر وسمع وعقل كمن ترك في تلك الظلمات
ولم يخرج منها لا يبصر ولا يعقل يقول والله أعلم لا يستوي من أخرج من ظلمات البطن بعد ما كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم
ثم أبصر وسمع وعقل والذي ترك في تلك الظلمات على الحال التي كان كما هو لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل فعلى ذلك لا يستوي
المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل خير ويعلمه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس بنوره أصحاب يدعون الناس إلى الهدى
والخير والكافر الذي لا يبصر الخير ولا يسمع ولا يعقل ليس له أصحاب يدعونه إلى الهدى والخيرات أي ليس هذا كالذي يبصر
ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل وجائز أن يكون المثل الذي ضرب الله أن يكون المؤمن والكافر جميعاً جنين في الجوف
لكن المؤمن اكتسب ما به يحيا من العلم والقرآن والإيمان والكافر لم يكتسب من ذلك شيئاً فهو كالميت الذي لا يبصر ولا يسمع الحق
ولا يعقل ويحتمل هذا المثل وجهاً آخر وهو أن المؤمن يكتسب في الدنيا الخيرات والأعمال الصالحة ويكون له نور في الآخرة بالأعمال التي
اكتسب في الدنيا ويمشي بنور ذلك فيما بين الناس في الآخرة وأما الكافر فإنه لم يكتسب من ذلك شيئاً فيبقى في الظلمات كقوله قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نوراً **وقوله** عز وجل وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس والمعتزلة يقولون هم جعلوا لأنفسهم نوراً يمشون في الناس
وقد أخبر أنه هو الذي يجعل لهم ذلك النور فذلك تحريف منهم ظاهر القرآن وكذلك قوله وهو على كل شيء قدير وهم يقولون هو قدير على بعض
الأشياء وقال خالق كل شيء وهم يقولون هو خالق بعض الأشياء وقال ولو شاء الله ما فعلوه وهم يقولون شاء أن لا يفعلوا ما فعلوا
ولكن فعلوا غير ما شاء الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء غير الذي فعلوا وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً
وهم جعلوا أنفسهم لهم أعداء وكذلك قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وهم يقولون جعل الأكابر فيها لئلا
يمكروا فيها **وقوله** عز وجل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اختلف فيه قال بعضهم كما زين للمؤمنين عبادة الله كذلك زينا
للكافرين عبادة الله لكنهم عاندوا وصرفوا العبادة إلى غير الله وهو تأويل المعتزلة وقال قائلون زين لهم أعمالهم التي يعملونها ثم
اختلفوا في الذي زينها قال الحسن زينها الشيطان أعمالهم وقال غيره زينها الأكابر على الأصاغر قال قائلون زينها الله ولكن ما
إلى الشيطان من التزيين والإضلال إنما يضاف إلى ما يدعوهم ويحثهم على ذلك ويوحي إليهم وما يضاف إلى الأكابر بالقول والدعاء
إلى ذلك وما يضاف إلى الله من التزيين والإضلال والإزاغة وغير ذلك يضاف بحق أي خلق منهم فعل الضلال وفعل التزيين وفعل الزيغ
يضاف إلى الله خلقاً وإلى الشيطان والأكابر دعاء ووحياً وإلقاء على هذا يخرج جميع الإضافات والله أعلم **وقوله** عز وجل وكذلك
جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها أي جعل في كل قرية من أهل الكفر أكابر مجرميها وعظماءها كما جعل في قريتك أكابر مجرميها يعني برسول الله صلى الله

عليهم

عليه وسلم على ذلك ليعلم أنه ليس بمخصوص هو بهذا دون غيرهم من الأنبياء ثم اختلف في قوله جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها وقد ذكرنا
أقاويلهم في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ثم قوله جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها قالت المعتزلة لم يجعل الأكابر
فيها ليمكروا فيها ولكن لما وسع الدنيا وبسطها عليهم مكروا فيها وكذلك قالوا في قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لم يخلق
أن يخلقهم ولكن لما عملوا أعمال الكفر والضلال صاروا لجهنم وقالوا هو على الإضمار كأنه قال كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها
لئلا يمكروا ولكنهم مكروا فيها لما ذكرنا لكن قوله جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا وليكون أدعى وأظهر للحجج لأنه لو كان بعث الرسل
إلى الأكابر لكان الناس يتبعون الأكابر وإن لم يأتوا بالحجج وغيرهم لا يتبعون إلا بالحجج والآيات ومنهم من يقطع قوله ليمكروا فيها عن قوله
جعلنا في كل قرية أكابر يقول معناه وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ثم قال ليمكروا فيها أي ما جعل ذلك لهم ليمكروا ومنهم من يقول
هو إخبار عما إليه صار أمرهم كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً إنما التقطوه
ليكون لهم قرة عين لكنه لما صار في العاقبة عدواً لهم أخبر عما إليه أمره فعلى ذلك قوله ليمكروا فيها أخبر عما إليه صار أمر المكر وعندنا
لا يحتمل هذا إلا أن يقال إنه يخلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم أن لا يكونون لما يخلقهم فذلك ليس فعل حكيم أن يعمل عملاً يعلم
أنه لا يكون نحو من يبني بناء يعلم أنه لا يسكن أو يقصد قصد موضع يعلم أنه لا يصل إليه فهو بالقصد عابث ليس بحكيم فعلى ذلك الله سبحانه
لا يجوز أن يخلقهم للهدى والعبادة لما يعلم أنهم لا يكونون لما يخلقهم أو أن يخلقهم لذلك وهو لا يعلم أنهم يكونون كذلك فهو
جهل بالعواقب فالله يتعالى عن ذلك فدل أنه خلقهم ليكونوا على ما علم أنهم يكونون ويختارون ذلك وقوله ليكون لهم عدواً وحزناً كان
عند الله أنهم يلتقطون ليكون لهم عدواً **وقوله** عز وجل وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون أي ما يشعرون أن عاقبة مكرهم
ترجع إليهم وواقع بهم وأصله أن الله تعالى يجعلهم ويخلقهم على ما علم منهم أنهم يختارون ويكون منهم ذلك **وقوله** وإذا
جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يخبر عز وجل غاية سفههم وتعنتهم وأنهم عن علم بها يعاندون ويكابرون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم علموا أن ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية وأنه رسول حيث قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما
أوتي رسل الله وعلموا أن الرسالة لا تجعل إلا في المعظم عند الله والمفضل لديه حيث تمنوا أنهم لا يؤمنون حتى يؤتون من الآيات مثل ما
أوتي رسل الله ولو لم يكن كذلك لم يكونوا لكن لك يتمنون أبناء ما أوتي الرسل وعلموا أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية
وحجة وأنه من عند الله نزل حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وعلموا أيضاً أن الرسالة لا تجعل إلا في عظماء من البشر
وكبرائهم حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لكنهم ظنوا أنها إنما تجعل في العظماء الذين هم عند الخلق عظماء
فقال الله أعلم حيث يجعل رسالته فبنا فضحت أقاويلهم وحاججهم بما ذكرنا من إقرارهم بالرسل والآيات وتفضيلهم على غيرهم من البشر
ثم قال الله أعلم حيث يجعل رسالته جملة جواب ما قالوا لولا نزل هذا القرآن على كذا أن يقال إنكم عرفتم أن الله عالم قادر فهو أعلم حيث
يجعل رسالته ثم اختلف في قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته قال بعضهم جعل الرسالة في أوساط الناس أظهر للحجج وأبين ومن جعلها
في أكابر الناس وعظمائهم في الدنيا لأن الناس مجبولون على اتباع الأكابر والأعاظم فلو جعلت الرسالة فيهم لكانت الحجج لا تظهر
لأنهم جبلوا على اتباعهم وأما أوساط الناس في الدنيا إذا جعلت فيهم الرسالة لظهرت الحجج والبراهين لأنهم لم يجبلوا على اتباع
الأوساط من الناس فكان اتباعهم للحجج والبراهين وقال بعضهم قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته أي لا يجعل الرسالة فيمن يضيع ويدع
موماً حملها ولا موضعها لأنه لو جعل كان في ذلك تضييع الرسالة **وقوله** عز وجل سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله أخبر أنه
من تكبر على رسول الله وعاند ويكون له عند الله صغار وذلة وعذاب شديد بصنيعهم الذي صنعوا **وقوله** عز وجل فمن يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للإسلام قيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال نور يقذف فيه فقالوا وهل لذلك علامة قال
نعم إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فلو ثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا انشراح الصدر للإسلام فقليلاً
ما يوجد على هذا الوصف إلا أن يريد به الاعتقاد واليقين بما ذكر ثم اختلف في تأويله قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً قال بعض أهل التأويل الإرادة صفة كل فاعل يفعل على الاختيار كأنه قال فمن يهدي الله
يشرح صدره للإسلام ومن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً وقال فريق من المعتزلة من نحو جعفر بن حرب والكعبي وهؤلاء تأويله
فمن يرد الله أن يهديه أي من قبل هداية الله في الابتداء شرح الله صدره بعد ذلك بمحبوبات ثواباً لما قبل من الهداية ومن ترك قبول هداية
الله في الابتداء عاقبه الله بتضييق صدره عقوبة له في ترك قبول الهداية والاعتقاد أن الله أن يهدي الخلق كلهم وأن يشرح صدورهم للإسلام
لكنهم لم يهتدوا وقال فريق منهم فمن يرد الله أن يهديه طريق الجنة في الآخرة شرح صدره في الدنيا للإسلام ومن يرد الله أن يضله
طريق الجنة في الآخرة جعل صدره في الدنيا ضيقاً حرجاً فيقال لهم كذلك هو كما يقولون قد قلتم أنه أراد أن يضلهم ثم يقال لهم تقولون
إنه أراد أن يهدي الخلق كلهم ويشرح صدورهم للإسلام ثم تقولون إنه أن يضل طريق الجنة في الآخرة فهذا على زعمكم جور لأنه أراد
في الدنيا أن يهديهم ويريد في الآخرة إضلالهم أن يضلهم عن طريق الجنة لأولئك بعينهم فذا جور على قولكم وظاهر الآية يرد قولهم

وينقض مذهبهم لانه قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره فكما جعلهم على صنفين و
صنفا اراد منهم ان يهديهم وصنفا اراد ان يضلهم من علم منه انه يختار الهدى ويقبله اراد انه يهديه ويشرح صدره للاسلام ومن علم منه
انه يختار الضلال اراد ان يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا ولا يجوز ان يريد من يعلم منه انه يختار الضلال وعداوة الولاية منه لان
ذلك من الضعف من اراد عداوته وهو يريد ولايته او يريد منه ضد الذي علم منه واختاره والمعتزلة يقولون قد اراد ان يهدي
الكل لكنهم ارادوا ان لا يهتدوا فلم يهتدوا واطلبت ارادتهم ارادة الله تعالى فذلك وحش من القول سمج فنعوذ بالله من الشرك في
القول والزيغ عن الحق ولا قوة الا بالله وقوله عزوجل ضيقا حرجا قيل الحرج ضيق الضيق وهو شدة الضيق ووصف قلب المومن بالسعة
والفسح ووصف الكافر بالضيق والحرج وليس قلب هذا في راى العين اوسع من قلب الاخر لكنه والله اعلم وصف قلب المومن بالسعة
لما انتفع بقلبه في الدنيا والاخرة والكافر لم ينتفع بقلبه فوصفه بالضيق والحرج وهو كما وصف الكافر بالصم والبكم والخرس لما لم ينتفع بهذه
الحواس وكذلك سماه ميتا لما لم ينتفع بحيوته وسمى المومن حيا لما انتفع بحيوته فعلى ذلك هذا وصف الكافر بضيق الصدر لما لم ينتفع به و
قوله عزوجل كانما يصعد في السماء قيل كالمتكلف الصعود الى السماء لا يقدر عليه وقيل كانما يصعد في السماء كانما يشق عليه الصعود
وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال ما تصعد في شيء ما تصعد في الخطبة اى ما شق على شيء ما شق على الخطبة وقوله عزوجل كذلك يجعل الله
الرجس على الذين لا يومنون اختلف في الرجس قيل الرجس الاثم اي كما جعل قلوبهم ضيقة حرجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الاثم
وقيل الرجس اللعن والغضب اى يجعل في قلوبهم اللعن والغضب دليله قوله قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب وقوله عزوجل
وهذا صراط ربك مستقيما لم يشر بهذا الى شيء لكن يحتمل قوله هذا الاسلام الذي سبق ذكره انه يشرح به صدر المومن ويحتمل قوله هذا
صراط ربك الذي يدعى اليه الخلق وهو التوحيد وقوله عزوجل قد فصلنا اى بينا واظهرنا دلايل التوحيد وحججه وقد ذكرنا لقوم
يذكرون اي لقوم يتعظون بالمواعظ ويحتمل لقوم يقبلون الدلايل والحجج ولا يكابرونه وقوله عزوجل لهم دار السلام عند ربهم
يحتمل السلام اسم الجنة كقوله والله يدعو الى دار السلام ويحتمل السلام هو اسم الله اى لهم دار الله وهي الجنة وقوله عزوجل وهو وليهم
بما كانوا يعملون قيل وهو اولى بهم اي ولى بالمومنين كقوله فالله اولى بهما ويحتمل قوله وهو وليهم اي حافظهم وناصرهم وقد ذكرنا
فيما تقدم يصعد ويصاعد ويصعد كله لغات والمعنى واحد والضيق قال الكسائي الضيق من الضيق في المعاش فاما في الامر فانه الضيق
ومنه قوله ولا تك في ضيق مما يمكرون واما قوله حرجا فيه لغتان حرج وحرج قال القتبي الحرج الذي ضاق فلم يجد منفذا وقال ابو
عوسجة الحرج الضيق يقال منه حرج يحرج حرجا فهو حرج وقوله عزوجل ويوم يحشرهم جميعا يعني من تقدم ذكرهم من الجن والانس
او يحشر الاولين والاخرين يا معشر الجن هو على الاضمار كانه قال يوم يحشرهم جميعا الجن والانس ثم نقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم
من الانس كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكذلك هذا هو على الاضمار وقوله
عزوجل قد استكثرتم من الانس قال اهل التاويل في قوله قد استكثرتم من الانس وهم قد استكثروا من الاتباع من الانس في عبادة غير الله
ومخالفة امر الله وتوجيهه او قد استكثرتم عبادا من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اختلف فيه قال بعضهم
تعاون بعضنا ببعض في معصية الله ومخالفة امره هولاء بالدعاء واولئك بالاجابة وقال قايلون ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع
بعضنا ببعض بانواع المنافع ما ذكر في بعض القصة ان الرجل من الانس اذا سافر فادركه المساء بارض القفر خاف فيقول اعوذ بسيد هذا
الوادي من سفهاء قومه فيامن في ذلك بالتعوذ الى سيدهم فذلك استمتاع الانس بالجن فذلك وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن الاية واما استمتاع الجن بالانس ما يزداد لهم الذكر والشرف في قومهم يقولون لقد سودنا الانس ويحتمل استمتاع
الجن بالانس ما ذكر ان شيئا انه جعل طعامهم العظام التي يستعملها الانس ويكون ذلك غذاءهم وعلف دوابهم روث دواب الانس
وقال الحسن ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا ان الجن امرت الانس فعملت ذكر جواب الانس لهم ولم يذكر جواب الجن لهم وقوله عزوجل وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا قيل الموت وقيل البعث يوم القيمة لانهم كانوا ينكرون بالبعث فاقروا عند ذلك بانا قد بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
وكنا كذبناه اقروا بما كانوا ينكرون قال الله النار مثواكم اي مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلف فيه قال الحسن الا ما شاء الله وقد
شاء الله ان يخلدهم في النار وقال غيره الاستثناء من وقت البعث الى وقت الخلود وهو وقت الحساب ووقت الحساب هو وقت الثنيا و
خالدين فيها الا ما شاء الله ما داموا في الحساب وقيل الاستثناء للمومنين الذين اتبعوهم في فعل المعاصي والجرم ولم يتبعوهم في الاعتقاد
ففيه دليل ادخال المومنين النار بالمعاصي والعفو لهم بقدر معصيتهم ودليل اخراجهم منها ان ثبت وقوله عزوجل الا ما شاء الله يحتمل
وجوها ثلاثة احدها ان خلود الاخرة اكبر من خلود الدنيا لان خلود الدنيا على الانقضاء وخلود الاخرة على الانقضاء والثاني وقع الثنيا
قبل دخولهم في النار والثالث لمن لم يتبعهم في الكفر وقوله عزوجل ان ربك حكيم اي حكيم بما حكم ووضع كل شيء موضعه عليم بذلك وقوله
عزوجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الاية ينقض على المعتزلة قولهم لان الولاية منهم ثم ذكر ان المومنين بعضهم
اولياء بعض بقوله والمومنون والمومنات بعضهم ببعض وذكر ان الكافرين بعضهم اولياء بعض بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض وقوله عزوجل يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم اختلف فيه قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كان

الرسل من الانس لكنه اضاف الى الفريقين جميعا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وكقوله وجعل القمر فيهن نورا
وانما جعل في سماء منهن [illegible]
ذلك ما ذكر من اضافة الرسل الى الانس والجن وقال بعضهم كان من الفريقين جميعا الرسل من الجن ومن الانس [illegible]
[illegible] فبعث الى كل فريق الرسول من جوهرهم وقال بعضهم كان الرسل من الانس الى الفريقين [illegible]
[illegible]
جهد وهم ما قدروا على ان يودوا شكر واحد من ذلك فتكون طاعتهم شكرا لما انعم عليهم فاذا كان كذلك لا يكون لاعمالهم ثواب
الا بالبيان من الله كما لا ينال الملايكة ان لهم ثوابا وقوله عزوجل وما ربك بغافل عما يعملون يحتمل وجهين وما ربك بغافل
عن اعمالهم التي يعملونها في معصية الله تعالى ولكن تؤخر تعذيبهم رحمة منه وهو كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يؤخرهم الاية والثاني من علم باعمالهم وصنيعهم خلقهم لا عن جهل لكن خلقهم على علم بذلك لما ضروا اعمالهم ومنافعها
ترجع اليهم لا اليه وقوله عزوجل وربك الغني ذو الرحمة هذا يرد على الثنوية مذهبهم لانهم يقولون انه انما خلق الخلايق
لمنافع نفسه لانه ليس بحكيم من فعل فعلا لا يقصد منفعة نفسه فاخبر عزوجل انه غني بذاته وانما يقصد قصد المنفعة و
بقلعة حاجة تقع له وضرورة تصيبه يقصد بالفعل قصد قضاء للحاجة ودفع الضرورة عن نفسه فاما الله سبحانه هو الغني
بذاته انما خلق الخلايق لمنافع انفسهم وهو غني عن خلقه على ما اخبر وقوله عزوجل وربك الغني يحتمل غني عن تعذيب اولئك

الكفرة اى لا منفعة له فى تعذيبهم بعذبهم او حاجة له ولكن الحكمة توجب ذلك او ان يكون صلة قوله يا معشر الجن والانس الم
ياتكم رسل منكم يقول لم يرسل اليكم ولا امتحنكم بالذى امتحنكم لحاجة نفسه او لمنفعة له اذ هو غنى بذاته وقوله عز وجل ذو الرحمة
يحتمل وجهين يحتمل ذو الرحمة فلا يعجل عليهم بالعقوبة والثانى ذو الرحمة لما خلق الخلايق وجعل البعض بعضا للانتفاع بهم والاستمتاع
وانما خلقهم لمنافع انفسهم ويحتمل قوله ذو الرحمة من قبل رحمته وصار اهلا لها فاما من لم يقبل رحمته فانه ذو انتقام منه وقوله
عز وجل ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء لانه غنى بذاته لم يخلقكم لمنافع نفسه او لحاجته ان شاء اذهبكم واستخلف غيركم
ولو كان خلقه الخلق لمنافع نفسه لكان لا يذهب بهم ويستخلف من بعدهم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يخبر عن غناه عنهم
وعن سلطانه وقدرته انه يقدر على اهلاككم واستيصالكم وانشاء قوم اخرين كان خالق الخلايق من جواهر مختلفة لا توالد فيهم ثم جعل
فى الاخر التوالد والتناسل ويستخلف بعض من بعض بالتوالد والتناسل وقوله عز وجل ان ما توعدون لات من الوعد والوعيد او ان يكون
قوله ان ما توعدون من النصر لرسوله والمعونة له لات وكاين وما انتم بمعجزين قيل بفائتين ربكم وقيل وما انتم سابقين الله باعمالكم
حتى لا يجزيكم الله بها واصله وما انتم بمعجزين اى لا يعجزون ربكم من تعذيبكم وعقوبتكم وقوله عز وجل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قيل
على ما يليكم وقيل على منازلكم وجهتكم ولكن ما وبله والله اعلم اعملوا على مكانتكم اى بما انتم عليه ثم يحتمل هذا وجها يحتمل اعملوا على مكانكم
اى على ما انتم عليه من امر الدين انى عامل على ما انا عليه من امر الدين كقوله لكم دينكم ولى دين ويحتمل ان يكون هذا ان يمكروا برسول الله
فيقال امكروا وابلغوا فى ماكرتكم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ويحتمل ان يكونوا
يطلبون الدواير والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدون ثم كقوله فكيدون فى جميعا ثم لا تنظرون هذه الكلمة تستعمل فى
انتهاء المكابرة نهايتها وجود المعاندة غايتها بعد الفراغ من الحجج والايات كقوله لكم دينكم ولى دين وقوله عز وجل فسوف
تعلمون يحتمل فسوف تعلمون من يكون له العاقبة ويحتمل فسوف تعلمون بالهلاك من كان محقا بالوعيد او سوف تعلمون من المحق منا
او عد وخوف وقوله عز وجل انه لا يفلح الظالمون يحتمل لا يفلح الظالمون ما داموا فى ظلمهم ويحتمل ان يكون ذلك مخصوصا فى
فى يختم فى الاخرة لا يفلح الظالمون وقوله عز وجل وجعلوا لله الاية يخبر عز وجل عن سفههم من وجوه احدها انهم كانوا
لله نصيبا مما كان لله ذلك فى الحقيقة مع علمهم ان الله هو الذى انشا لهم تلك الاشياء وهو ذراها ثم يجعلون لله فى ذلك نصيبا
وللاصنام نصيبا بسفههم انهم اذا علموا ان الله هو الذى ذرا لهم تلك الاشياء وانشاها فاليه الاختيار فى جعل ذلك لا اليهم اذ علموا
انهم انما يملكون ما يجعل الله لهم وهو المالك عليها حقيقة والثانى ما يبين سفههم ايضا انهم يجعلون لله فى ذلك نصيبا
وللاصنام نصيبا من الثمار والحروث وغيرها ثم اذا وقع شىء مما جعلوا لله شيئا وخالط مما جعلوا لشركائهم تركوه واذا
خالط شىء مما جعلوا لشركائهم ووقع فيما جعلوه لله اخذوه وردوه على شركائهم وانتفعوا به وتركوا الاخر للاصنام ايثارا للاصنام
عليه واعظاما لها واذا زكى نصيب الاصنام ونما ولم يزك نصيب الله لم يتركوا ذلك للاصنام ويقولون لو شاء الله لازكى نصيبه
واذا زكى الذى كانوا يجعلون لله ولم يزكوا نصيب الاصنام اخذوا نصيب الله فقسموه بين المساكين وبين الاصنام نصفين سفههم
عز وجل فى صنيعهم الذى يصنعون ويبين عن جورهم بايثارهم الاصنام واعظامهم اياها والتفضيل فى القسمة والتجزية مع علمهم
ان الله هو الذى ذرا ذلك وانشاه لهم وان الاصنام التى اشركوها فى اموالهم وعبادتهم لله لا يملكون من ذلك شيئا منهم سفه وجور
حيث اشركوا فى اموالهم وعبادتهم مع الله احدا لا يستحق بذلك شيئا وهو كما جعلوا لله البنات وهم كانوا يانفون عن البنات كقوله
واذا بشر احدهم بالانثى الاية فقال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى تانفون انتم عن البنات وتضيفون اليه فهو انما
جور وظلم فعلى ذلك تفضيل الاصنام فى القسمة وايثارهم اياها على الله واشراكهم مع علمهم انه كان جميع ذلك بالله وهو انشاه لهم
جور وسفه ثم اخبر انهم ساء ما يحكمون اى بئس الحكم حكمهم وقوله عز وجل وكذلك زين لكثير من المشركين اى كما زين لهم جعل النصيب
للاصنام والتجزية لها وصرف ما خلق الله لهم عنه الى الاصنام وكذلك زين لهم قتل اولادهم او كما زين لهم تحريم ما احل الله لهم من السايبة
والوصيلة والحامى كذلك زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم واصله ان الشفقة التى جعل الله فى الخلق لاولادهم والرحمة التى جبلت فيهم
عليها تمنعهم عن قتلهم وخاصة اولادهم الضعفاء والصغار وكذلك الشهوة التى خلق فيهم تمنعهم عن تحريم ما احل الله لهم لكن ذلك
زين لهم شركاؤهم وحسنوا عليهم تحريم ما احل لهم وقتل اولادهم فاحسن عليهم الشركاء وزين لهم من تحريم ما احل لهم وقتل الاولاد غلب على
الشفقة التى جبلت فيهم والشهوة التى خلق وركب فيهم ثم اختلف فى الشركاء قال بعضهم شركاؤهم شياطينهم التى تدعوهم الى ذلك وقيل
شركاؤهم كبراؤهم ورؤساؤهم الذين يستتبعونهم ثم يحتمل قتل الكبراء اولادهم تكبرا منهم وتجبرا لانهم كانوا يانفون عن اولادهم الاناث
وقتل الاتباع مخافة العيلة والفقر وقوله عز وجل ليردوهم قيل ليهلكوهم انهم كانوا يقصدون فى التحسين والتزيين الارداء و
الاهلاك وان كانوا يرونهم فى ذلك الشفقة وكذلك كانوا يقصدون بالتزيين تلبيس الدين عليهم وقوله عز وجل ولو شاء الله ما
فعلوه يحتمل وجوها قال بعضهم لو شاء الله لاهلكهم فلم يفعلوا ذلك وقيل لاعجزهم ومنعهم عن ذلك كقوله ولو نشاء لطمسنا على
اعينهم وقيل ولو شاء الله ما فعلوه اى لا دام قبح فعلهم حتى لم يفعلوا واصله انه اذ علم منهم انهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما

ما اختاروا وامر التزيين وليس الدين عليهم شاء ما فعلوا واختاروا وقد ذكرنا ذلك فى غير موضع وقوله عز وجل فذرهم وما
يفترون اى ذرهم ولا تكافيهم بافترائهم على الله ويحتمل ذرهم وما يفترون فان الله يكافيهم ولا يعنون ويحتمل ذرهم وما يفترون
فان ضرر ذلك الافتراء عليهم ليس علينا ولا عليك والله اعلم بذلك وقوله عز وجل وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء
بزعمهم قيل هذه الاية صلة قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا هذا الذى
جعلوا للشركاء هو الحجر الذى ذكر فى هذه الاية لانهم كانوا ينتفعون بذلك ويحرمونه وهو حجر واصل الحجر المنع وعن ابن عباس رضى الله
عنه قال الحجر ما حرموا انفسهم من اشياء من الوصيلة والسايبة والحامى وتحريمهم ما حرموا من اشياء كانوا يحلون اشياء حرمها الله و
يحرمون اشياء احلها الله فى الجاهلية من الحرث والانعام وفى حرف ابى وابن عباس رضى الله عنهما حرج على تاخير الجيم وتقديم الراء و
عن الحسن حجر برفع الحاء واصل الحجر المنع ممنوع محجور ويقال حجرت عليه اى منعته والحجر ايضا موضع بمكة والاحتجار الاستيثار وهو ان
ياخذ الشىء ولا يعطى منه احدا شيئا وقوله عز وجل لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال بعضهم قوله الا من نشاء يعنى لا يطعمها الا
من يشاء الله لانهم كانوا يحرمون اشياء ويأتون بفواحش فيقولون ان الله امرهم بذلك كقوله فى الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقال بعضهم قوله الا من نشاء بزعمهم يعنى الذين سنوا لهم اى لا يطعمها الا من نشاء قد ذكرت لكم
اول من بدل دين اسماعيل وبحر البحيرة والسايبة اولئك الذين سنوا ذلك وحرموا ذلك على نسائهم على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ان شئت قد ذكرت لكم اول من بدل دين اسمعيل وبحر البحيرة والسايبة فعلى ذلك اضافوا المشية الى اولئك الذين سنوا لهم ذلك
وحرموا على اناثهم واحلوا الذكور وقال بعضهم قوله الا من نشاء هؤلاء الرجال كانت مضافة الى الرجال دون النساء وفى ذلك
تسفيه احلامهم لانهم ينكرون الرسالة ثم يتبعون الذى حرم عليهم الطيبات التى احلها الله لهم من
البحيرة والسايبة ونحوها وقوله عز وجل وانعام حرمت ظهورها هو ما ذكر من البحيرة والسايبة والوصيلة والحامى وهو الحجر الذى
ذكر فى هذه الاية يجعلون تلك الاشياء لشركائهم لا ينتفعون بها وقوله عز وجل وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل فيه بوجوه قيل
لا يذكرون اسم الله عليها اى لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ليشكروا الله عليها وقيل لا يذكرون اسم الله عليها اى لا يحجون عليها ولا
يذكرون اسم الله عليها ويحتمل لا يذكرون اسم الله عليها وقت الركوب كما يذكر اسم الله عليها وقت الركوب وهو قوله سبحان الذى
سخر لنا هذا لانهم كانوا لا يركبونها ولكن يسيبونها وقيل لا يحجون عليها والاول كانه اقرب كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله و
يشكروا عليها وقوله عز وجل افتراء على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون بان الله امرهم بذلك وهو حرم عليهم وهو الحلال
هو الافتراء على الله وبما اشركوا شركاءهم فى عبادة الله وفى نعمه وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
قيل هو صلة قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر يحرمونه على النساء ويحلونه للرجال يعنى اذا ولدوا احياء كان ينتفع بذلك رجالهم
دون نسائهم واذا ولدوا ميتا اشتركوا فيه الاناث والذكور يذكر فى هذا كله سفههم فى صنيعهم ويذكر فى قوله وهو الذى
انشا جنات الاخرة ونعمه التى انعم عليهم وقوله عز وجل سيجزيهم وصفهم اى افتراءهم على الله وتحريمهم ما احل الله لهم وتحليلهم
ما حرم عليهم وقوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء اخبر انهم قد خسروا
بقتلهم الاولاد وتحريمهم ما احل لهم ورزقهم قد ضلوا وما كانوا مهتدين بالله الهداية والرشاد وقوله عز وجل وهو الذى انشا
جنات معروشات وغير معروشات ذكر هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من تحريم ما احل الله لهم ورزقهم من الحرث والزرع والانعام
والانتفاع بها فقال انشا جنات وبساتين من تامل فيها وتفكر عرف ان منشيها مالك حكيم مدبر لانه ينبتها ويخرجها من الارض فى
لحظة ما لو اجتمع الخلايق على تقديرها ان كيف خرج وكم خرج واى قدر ثبت ما قدروا على ذلك كقوله وانبتنا فيها من كل شىء موزون
ويخرج من الورود والثمار على ميزان ولحد ما الوجد ما كل الجهد ان يعرفوا الفضل والتفاوت بين الاوراق والثمار ما قدروا وما
يجد وافيها تفاوتا ويخرج ايضا كل عام من الثمار والاوراق ما يشبه العام الاول فدل ذلك كله ان منشيها ومخرجها مالك حكيم وضع
كل شىء موضعه وان ما انشا انشا لحكمة وتدبير لم ينشيها عبثا فله الحكم والتدبير فى الحل والحرمة والقسمة ليس لاحد دونه حكم ولا تدبير فى
التحريم والتحليل هذا حلال وهذا حرام وهذا لهذا وهذا لهذا انما ذلك الى مالكها فخرج هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من قوله وقالوا هذه
انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله تعالى وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها افتراء عليه وغير ذلك من الايات التى كان فيها ذكر حكمهم على الله واشراك انفسهم فى حكمه ثم اختلف فى قوله معروشات و
غير معروشات قيل معروشات مبسوطات ما تنبت منبسطا على وجه الارض وغير معروشات ما يقوم بساقه لا ينبسط على الارض
وقيل معروشات ما يتخذ له العريش من نحو القرع والكرم ونحوه وغير معروشات ما لا يقع الحاجة الى العريش من نحو النخيل والاشجار
المثمرة وهما واحد وقيل على القلب معروشات ما تقوم بساقها وغير معروشات ما لا ساق له والله اعلم وتعريشه ما ذكر والشجر والنخل
والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه منها ما يكون متشابها فى اللون مختلفا فى الاكل والطعم ومنها ما يكون
مختلفا فى اللون والمنظر متشابها فى الطعم والاكل ليعلموا ان منشيها واحد وانه حكيم انشاها على حكمة وانه مدبر انشاها على تدبير لم ينشها

عينا ومن الناس من يقول ان قوله متشابها في الذي ذكر وهو الرمان والزيتون لان ورقهما متشابه والثمرة مختلفة ومنهم من يقول فيهما وفي غيرهما والله اعلم **وقوله** عز وجل كلوا من ثمره اذا اثمر كانه قال كلوا من ثمره اذا اثمر ولا تخرجوا منه خرج على مقابلة ما كان منهم في التحريم اي كلوا منها ولا تحرموا البحيرة والسائبة **وقوله** عز وجل وآتوا حقه يوم حصاده ذكر عز وجل الايتاء مما يحصد بعد ذكر النخيل والزرع والزيتون والرمان حبا وغير حب وما يقع في الكيل وما لا يقع في الكيل ذكرا عاما ولم يفصل بين قليله وكثيره ففيه دلالة وجوب الصدقة والعشر في قليل ما تخرج الارض وكثيره وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة ومما اخرجنا لكم من الارض وحديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في كل ما اخرجت الارض العشر او نصف العشر وحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كتب الى اهل اليمن بذلك وما روي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما اخرجت الارض قليل وكثيره العشر وخبر معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فامرني ان آخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وامرني ان آخذ من كل اربعين مسنة ومن كل ثلاثين تبيعا ومن كل ما سقت السماء العشر وما سقي بالدوالي نصف العشر الى هذا كله يذهب ابو حنيفة رحمه الله ويوجب الصدقة في قليل الخارج من الارض وكثيره ثم اختلف اهل التاويل في تاويل الحق الذي ذكره الله في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال قوم هي صدقة سوى الزكوة واحتجوا بان الآية مكية وان الزكوة فرضت بالمدينة وهي منسوخة باية الزكوة وقال قوم هي الزكوة فان نسخ انما ينسخ قدرها لم ينسخ الحق راسا لانهم كانوا يتصدقون بالكل فانتسخ انما انتسخ باية الزكوة قدرها الا ترى انه قال في آخره ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والاسراف في اللغة هو المجاوزة عن الحد الذي حد لكم كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقيل في قوله ولا تسرفوا اي لا تمنعوا الكل ولكن كلوا بعضه وآتوا حقه من بعضه وقيل الاسراف ههنا هو الشرك كانه قال ولا تشركوا الهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والانعام فتحرمون ولا تنتفعون به والاسراف هو الذي لا ينتفع به احد وما كانوا جعلوا للشركاء لهم لا ينتفعون بهم ولا ينتفع به احد يكون مقابل قوله هذه انعام وحرث حجر الآية واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله يذهبان الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة في الزرع ولا في الكرم ولا في النخل الا ما بلغ خمسة اوساق وذلك مائة فرق وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو وابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وما روي موسى بن طلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في الخضراوات صدقة نوخذ الا فيما بلغ كذا وليس في الخضراوات صدقة توخذ واما عليه في نفسه صدقة يوديها هو ثم ان كان ذلك الحق الذي ذكر في الآية الزكوة فان الآية تدل والله اعلم على ان زكوة الحب والثمار انما يجب فيما يبس الجنات المعروشات وغير المعروشات فدخل في ذلك والله اعلم العنب وغير العنب والثمار كلها وقال والزرع والنخل والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه فجميع ما تخرج الارض من كل الاصناف التي سبق ذكرها وقال كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده فجعل الحق الواجب فيه يوم يحصد فيجوز ان يكون عفى عما قبل ذلك فان كان هذا هو التاويل فهو والله اعلم معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر عفوا عن صدقة ما يوكل منه ما كان في ذلك فائدة لان الثمر يوكل ولا تصلح للتيبس فلذلك الاقتصار الذي ذكرنا وهو انهم كانوا يحرمون ولا ينتفعون بها فقال عز وجل كلوا وانتفعوا به ولا تضيعوه واذا كان قوله كلوا من ثمره عفوا عن صدقة ما يوكل منه ظهرت فائدة الكلام وهو على هذا التاويل والله اعلم ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث فالربع عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في العرايا صدقة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يبعث ابا خيثمة خارصا النخل ويقول له اذا وجدت اهل بيت في حائطهم فلا تخرص عليهم بقدر ما ياكلون وعن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خففوا على الناس في الخرص فان في المال العرية والوصية فدلت هذه الاحاديث على انه لا صدقة فيما يوكل من الثمر رطبا اذا لم يكن فيما ياكلون اسراف وقدر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الثلث والربع وذلك والله اعلم يشبه ما دلت عليه الآية على تاويل من جعل الحق زكوة لان الله تعالى قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين فاحتمل ان يكون ايضا معنى ذلك ولا تسرفوا في الاكل فتجحف ذلك باهل الصدقة ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن الاسراف في جميع الاشياء على ما ذكرنا من قبل وانا نبيح ان لا صدقة فيما يوكل من الرطب والعنب والثمار بهذه الاخبار وان الصدقة انما تجب فيما يلحقه الحصاد يابسا يمكن ادخاره فالواجب ان لا يكون في شيء من الخضر الذي يوكل رطبا صدقة وان لا تكون الصدقة واجبة الا فيما ييبس منها ويمكن ان يدخر فاما البقول والرطاب والبطيخ والقثاء والخيار والتفاح واشباهها فلا صدقة فيها هذا كله يدل لابي يوسف ومحمد رحمهما الله الا انا لا ننفي مخالفا ان فيما يباع من الرطب صدقة وان كان يوكل كهيئته فهذا يفسد ما احتجنا به لابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومن وافقهما وتاويل ما روي ان لا صدقة في الخضراوات وليس في اقل من خمسة اوسق صدقة توخذ واما عليه في نفسه ان يوديها والله اعلم ويجوز ان يكون قوله وآتوا حقه يوم حصاده على اولئك خاصة في ذلك الوقت ويقول وآتوا حقه ولا تسرفوا الى الاصنام التي تصرفون اليها والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله هو صلة قوله انشا جنات معروشات وغير معروشات الى آخر ما ذكر وانشا ايضا من الانعام حمولة وفرشا ثم اختلف فيه قال بعضهم الحمولة ما يحمل عليها انشاها للحمل والفرش الصغار منها التي لا يحتمل وقيل الحمولة من نحو الابل والبقر والبغال وغيرها من الحيوان والفرش هو الغنم والمعز التي توكل وانشاها للحم

ويحتمل الفرش ما يوخذ من الانعام ويتخذ منه الفرش والبسط وقال الحسن الحمولة ما يحمل عليها وهو خاص والفرش كل شيء من انواع المال من الحيوان وغيره يقال افرشه الله اي جعله له قال ابن عباس رضي الله عنه الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه واما الفرش فالغنم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الحمولة الابل والفرش البقر والغنم قال ابو عوسجة الحمولة مراكب النساء والفرش ما يكون للنتاج وقال القتبي الحمولة كبار الابل التي يحمل عليها والفرش صغارها التي لم تدرك ان يحمل عليها وهي ما دون الحقاق والحقاق هي التي يصلح ان تركب اي حق ذلك **وقوله** عز وجل كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قوله كلوا مما رزقكم الله وجهوا شكر ذلك اليه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احل الله لكم وجعل ذلك لكم رزقا كقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها وقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يقول كلوا مما رزقكم الله وكذلك قوله كلوا من ثمره اذا اثمر وانتفعوا به ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ذلك على انفسكم واعرفوا نعم الله التي انعمها عليكم ووجهوا شكر نعمه اليه ولا توجهوها الى غيره ثم قوله خطوات الشيطان قيل آثار الشيطان وقيل اعمال الشيطان وقيل دعاء الشيطان وتزيينه وكله واحد واصله ان كل من يجيب آخر الى ما يدعو اليه ويأتمر بامره يقال قد اتبع اثره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** عز وجل انه لكم عدو مبين اي انه فيما يدعوكم اي تحريم ما احل الله لكم ورزقكم يقصد قصد اهلاككم وتعذيبكم لا قصد منفعة لكم في ذلك وكل من قصد قصد اهلاك آخر فهو عدوه وهو يخرج على ما ذكرنا من تزكية المنن والنعم التي انعمها عليكم يقول هو الذي جعل لكم ذلك فلا تصرفوا شكره الى غيره **وقوله** عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى آخره ما ذكر اي انشا ايضا ثمانية ازواج على ما ذكر انشا جنات معروشات وغير معروشات وانشا من الانعام ايضا حمولة وفرشا وانشا ايضا ثمانية ازواج مما عد علينا ويحتمل ان يكون قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى آخر ما ذكر هو تفسير قوله ومن الانعام حمولة وفرشا ويكون ثمانية ازواج التي ذكر في الآية بيان الحمولة والفرش التي ذكر في الآية الاولى ثم في قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين في الآية توجيه المحاجة مع الكفرة وتعليمها من الله لانهم كانوا يحرمون اشياء على الاناث ويحللون على الذكور كقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فقال الله عز وجل قل آلذكرين حرم ام الانثيين يعرفنا المحاجة معهم وطلب العلة التي لها حرم فقال قل آلذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا حرم الذكر فيجب ان كل ذكر يحرم من الذكور ما يحل فتناقضوا في قولهم وان قالوا حرم الانثى فيجب ان كل انثى ايضا تكون محرمة فاذا لم يحرم كل انثى ظهرت مناقضتهم لانه يجوز ان يجب حرمة شيء او حله لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم والمعنى موجود وحرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فان كان لهذا فيجب ان كل مشتمل عليه ارحام الانثيين محرم فاذا لم يحرم ذلك وفيه دلالة ان الحكم انما وجب لعلة فذلك الحكم واجب ما دامت العلة قائمة موجودة وفيه الامر بالمقايسة **وقوله** عز وجل نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اي ليس عندهم علم يعملون ذلك وينبئوني ذكر ههنا نبئوني ان كنتم صادقين في مقالتكم انه حرم وقال في الآية التي تليها ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي بتحريمها اي ليست لكم شهداء على تحريم ما تحرمون لا من جهة كتاب ولا رسول ولا استدلال لان العلوم ثلاثة علم استدلال وهو علم العقل وعلم المشاهدة والعيان وهو علم الحس وعلم السمع والخبر فيخبر انه ليس لهم من هذه العلوم شيء اما علم الاستدلال فلا عقل يدل على تحريم ما حرمتم ولا علم مشاهدة لانكم لم تشاهدوا والله حرم ذلك ولا علم من جهة السمع والخبر لانهم لا يومنون بالكتب ولا يصدقون الرسل فيقولوا اخبرنا الرسل بتحريم ذلك او وجدنا في الكتب حرمتها فبهتوا في ذلك وتحيروا وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يجحدون هذه الاشياء ظاهرا فيما بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين اظهرهم منذ كان صغيرا الى كبيره وعرفوا انه لم يختلف الى احد عرف ذلك ثم اخبر الله عز وجل ما حرموا وفساد ما صنعوا ليدلهم انه انما عرف ذلك بالله وبه علم حل ما حرموا وحرمة ما احلوا الا باحد من الخلائق **وقوله** عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لانه هو الذي انشاهم وانشا لهم جميع ما يحتاجون اليه ويقضون حوائجهم وبه كان جميع نعمهم التي يتنعمون ويتقلبون فيها فلا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا انه حرم كذا ولم يكن حرم او امركم ولم يكن امر الا ترى انه قال عز وجل ومن اصدق من الله حديثا وقيلا فكما لم يكن احد اصدق منه حديثا فعلى ذلك لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بعد علمه انه هو الفاعل لذلك كله وهو المنشي ما ذكر وفي قوله فمن اظلم في الظاهر استفهام ولكن في الحقيقة ايجاب لانه لا يحتمل الاستفهام كانه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا على الايجاب **وقوله** عز وجل ليضل الناس بغير علم لانه يقصد بالافتراء على الله قصد اضلال الناس واغوائهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي وقت اختيارهم الكفر والظلم وقيل لا يهدي القوم الذين في علمه انهم يختمون بالكفر ويحتمل لا يهديهم اذا كانوا عند الله ظلمة كفرة وان كانوا عند انفسهم عدولا على الحق **وقوله** عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه قوله قل لا اجد يحتمل وجهين احدهما اي لا اجد مما تحرمون انتم فيما اوحي واما مما لا تحرمونه فانه يجد والثاني لا اجد فيما اوحي

محرما في وقت ثم وجب في وقت اخر وايهما كان فليس فيه دليل حل سوى ما ذكر في الاية على ما يقوله بشر وقوله عز وجل قل لا
اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه مثل هذا الخطاب لا يكون الا في معهود وسؤال والاشارة بهذا الخطاب لا يستقيم على الابتداء ثم
كان في معهود فهو يخرج جوابا لما كانوا يحرمون من اشياء من الانعام والحرث وما ذكر في الايات التي تقدم ذكرها وما كانوا يحرمون
في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامي فقال فلا اجد فيما اوحي الي محرما مما تحرمون انتم على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما
مسفوحا او كان جواب سوال في نازلة فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا فيما ذكر في الاية او لم يجد محرما في وقت الا ما ذكر ثم
وجد في وقت اخر ففي ايهما كان لم يكن لبشر علينا في ذلك حجة حيث قال الاشياء كلها محللة مطلقة بهذه الاية قوله لا
اجد فيما اوحي الي محرما الا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فقال لا تحرم من الحيوان الا ما ذكر وبقول ما انتهى
الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير انما هي من اخبار
الاحاد وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب وقد قال لا اجد فيما اوحي الي محرما وبعد فان ذلك الخبر من الاخبار المتواترة لا يعرفه
الخاص والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد يوجد ذلك يباع في اسواق المسلمين دل انه من المتواتر قال الشيخ رضي الله عنه
وعندنا لا لفظة التحريم في الحيوان الا فيما ذكر في الاية من الميتة والدم المسفوح والخنزير ولكن قال ما سوى ذلك مكروه وكان يقال
محرم مطلقا ويقال لا يوكل ولا يطعم وبعد فان الاية لو كانت على احد الوجهين الذين ذكرناهما لم يكن فيها دليل على اباحة ما عدا المذكور
في الاية لانه قال لا اجد ولم يقل لا يوجد في وقت اخر وفي قوله محرما على طاعم يطعمه دلالة ان الحل يجري مجرى الحجة لان الاكل
بصلة فيحرمته حرمة اللحم فاذا ذبح خرج من ان يكون ميتة فظهر ان قوله على طاعم يطعمه الاية
دلالة ان الحرمة التي ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية
انما هي حرمة الاكل والتناول لا منها لانه لم يبين في تلك الاية ما الذي حرم منها سوى ما ذكر حرمت بنفسها في هذه الاية وقوله
عز وجل على طاعم يطعمه الاكل لهذا الحرمة في تلك الاية الاكل والتناول وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ذكر الحل ولم يذكر الحل لماذا ثم جاء التفسير في هذه الاية ان الاكل هو الحرام الذي ذكرناها انها
ليست هي التي ماتت حتف انفها خاصة الا ترى انه ذكر وما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة وما اكل السبع كل هذا الذي ذكر لم يمت حتف انفه ولكن باسباب ثم سماها ميتة فسادت ميتة لما
معنى لسبب لم يوم به فهو ميتة لا يحل التناول منها الا في حال الاضطرار وفي قوله او دما مسفوحا دلالة ان المحرم من الدم
هو المسفوح والدم الذي يكون في اللحم ويخالط اللحم ليس بحرام والدم المسفوح حرام قال ابو عوسجة المسفوح المصبوب تقول
سفحت صببت وقال القتبي مسفوحا اي سائلا وقال ابن عباس رضي الله عنه المسفوح هو الذي يهراق وقوله عز وجل او لحم
خنزير ذكر اللحم وذكر حرمة الميتة ليعلم ان الخنزير بجوهره حرام والميتة حرمتها لا بجوهرها لكن لما اعترض لذلك قلنا ان لا باس
بالانتفاع بصوف الميتة ووبرها وعظمها ولا يجوز من الخنزير شيء والله اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد قيل
غير باغ ويستحله في دينه ولا عاد اي ولا معتديا لم يضطر اليه فاكله وقد ذكرنا تاويلهم والاختلاف في تاويله في صدر
الكتاب فان ربك غفور لاكلة الحرام في حال الاضطرار رحيم حيث رخص الحرام في موضع الاضطرار وهذا ايضا قد مضى
ذكره في غير موضع وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قيل مثل النعامة والبعير وقيل كل ذي ظفر مثل الديك
والبطة والبعير وكل ما لم يكن منفرج الاصابع والقوايم وقيل حرمنا كل ذي حافر من نحو حمار الوحش والوز وغيره وقيل حرمنا
كل ذي ظفر كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع ومن الدواب كل ذي ظفر منشق مثل الارنب والبعير واشباههما
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والاشبه ان يكون ما ذكر في اية اخرى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
الاية وقوله عز وجل ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما قيل شحوم بطونهما ومن الثرود وشحم
الكليتين والحوايا وهي المباعر مختلفة والمصارين اي الشحم الذي عليهما او ما اختلط بعظم قيل الالية وقيل قوله الا ما حملت
ظهورهما هو سمين اللحم قيل فيه اقاويل مختلفة في هذا وفي الاولة في قوله حرمنا كل ذي ظفر لكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة لان
تلك شريعة قد نسخت والعمل بالمنسوخ حرام فاذا لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان ذا او ذا وانما
علينا ان نعرف ثم كان ذلك التحريم عليهم وبم كان تحريم هذه الاشياء عليهم فهو والله اعلم ما ذكر في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الاية اخبر ان ما حرم عليهم من الطيبات بظلمهم الذي ظلموا ولان
قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر ان ذلك جزاء بغيهم الذي بغوا والثاني انهم كانوا يدعون ويقولون نحن ابناء الله
واحباؤه يقول لو كنتم صادقين في زعمكم انكم ابناء الله واحباؤه لكان لا الحبيب يعاقب ولا يعذب حبيبه بادنى ظلم ولا يحرم
عليه الطيبات فاذ كان الله حرم عليكم الطيبات وجزاكم بتحريم اشياء عقوبة لكم بظلمكم وبغيكم ظهر انكم كذبتم في دعاويكم
وافتريتم بذلك على الله وفيه دليل اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون هذه الاشياء فيما بينهم ولا يعلمون

انهم ظلمة

انهم ظلمة وان ما حرم عليهم بظلم كان منهم وبغي ثم اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ما حرم عليهم من الطيبات انما حرم بظلمهم وبغيهم
دل انه انما اخبر بذلك عن الله وبه عرف ذلك فدل انه اية من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك جزيناهم
ببغيهم اي ذلك التحريم عقوبة لبغيهم وظلمهم وانا لصادقون بالانباء ان ذلك كان بظلمهم وبغيهم وانا لصادقون في كل ما
اخبرنا وانبانا وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة قال الحسن فان كذبوك فيما تدعوهم اليه وتامرهم به من التشل
والتوحيد له والربوبية فقل ربكم ذو رحمة اذا رجعتم عن التكذيب وصدقتم وعرفتم وانه واحد لا شريك له يغفر لكم ما كان منكم
في حال الكفر ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين كانه على التقديم والتاخير يقول فان كذبوك فقل لا يرد باسه عن القوم المجرمين ثم قال ربكم ذو رحمة واسعة و
يسع في رحمته العفو اذا تبتم وقال غيره من اهل التاويل فان كذبوك يا محمد حين انباتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم وبغيهم
فقل ربكم ذو رحمة واسعة لا يهلك وقت ارتكاب المعصية ولا يعذب بحالة ذلك لكنه يوخر ولا يرد باسه اي عذابه اذا نزل
بقوم مجرمين بجرمهم والله اعلم وقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء قيل الاية
في مشركي العرب قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم في تحريمهم ما حرموا من الاشياء واضافوا ذلك الى الله وهو
صلة قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الى
اخر ما ذكر الى قوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فلما لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم فزعوا عند ذلك الى هذا القول
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فيقول الله لنبيه كذلك كذب الذين من قبلهم من الامم الخالية رسلهم كما كذبك
هؤلاء وكانوا يقولون لرسلهم ما قال لك هؤلاء لو شاء الله ما اشركنا الى اخر ما ذكر ثم اختلف فيه وقيل قوله لو شاء الله ما
اشركنا الى اخر ما ذكر ثم اختلف فيه قيل قوله لو شاء الله ما اشركنا قال الحسن والاصم ان المشية هنا الرضا قالوا رضي الله
بفعلنا وصنيعنا حيث فعل اباؤنا مثل ما فعلنا وصنعوا مثل ما صنعنا فلم يحل الله بينهم وبين ذلك ولا اخذ على ايديهم ولا منعهم
عن ذلك فلو لم يرض بذلك منهم لكان يحول ذلك عنهم ومنعهم عنه وانما استدلوا بالرضا من الله والاذن فيما كانوا فيه بتركه
اباءهم الهلاك والعذاب بصنيعهم الذي كانوا صنعوا ثم داوموا على ذلك ولم ياتهم العذاب فاستدلوا بتاخير نزول
العذاب عليهم على ان الله رضي بذلك والله اعلم وبظاهر هذه الاية تعتزلة ادنى تعلق لانهم يقولون ان الله تعالى قد رد ذلك
القول الذي قالوا وعاتبهم على ذلك القول بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا واوعدهم على ذلك وعيدا
شديدا فلو كان يجوز اضافة المشية الى الله تعالى في ذلك على ما تضيفون انتم لم يكن يرد ذلك عليهم ولا عاتبهم على ذلك ولا
اوعدهم وعيدا في ذلك دل انه لا يجوز ان يقال ذلك ولا اضافة المشية اليه في ذلك فنقول بالله التوفيق ان المشية ههنا
تحتمل وجوها احدها ما قال الحسن والاصم من الرضا قالوا ان الله رضي بذلك والثاني الامر والدعاء الى ذلك يقولون ان الله
امرهم بذلك ودعاهم الى ذلك والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة وهكذا امر المجوس انهم
انما قيل لهم هذا لم لا تؤمنون وتسلمون يقولون ما قال هؤلاء لو شاء الله لامنا ولا اشركنا فهذا العتاب الذي لحقهم والوعيد
الذي اوعدهم انما كان لما قالوا ذلك استهزاء منهم ولما ادعوا من الامر والدعاء على الله وافتروا عليه والرضا انه رضي بذلك
على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشية في هذا الموضع والله اعلم لا على ما قاله المعتزلة وهو ما ذكر في اية اخرى ويقول الانسان
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا هو كلمة حق لكن قالها استهزاء وهزؤا فلحقه العتاب وقوله عز وجل قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
اي هل عندكم من بيان وحجة من الله دون ان امهلكم ليعذبكم اوليس قد تركت منحالكم في ذلك ثم لم يدل تركه اياهم على انه
رضي بذلك فقال الله ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يخرصون ويكذبون
في ذلك ليست لهم حجة ولا بيان على ما يدعون من الامر والدعاء الى ذلك والترك على ما هم عليه على الرضا به وقوله عز وجل قل فلله
الحجة البالغة التي اذا بلغت كل شبهة ازالتها وكل غافل نايم نبهته وايقظته وقيل الحجة البالغة التامة القاهرة الظاهرة على كل شيء
الغالبة عليه لم يبلغ شيئا الا قهرته وغلبته وقال الحسن الحجة البالغة في الاخرة لا يعذب احدا ولا يعاقبه الا بحجة تلزمه لا يعاقب بهوى
او انتقام او شهوة على ما يعاقب في الشاهد ولا غيره ما من احد من الخلايق الا ولله عليه الحجة البالغة اما الملك المقرب فان الله جبله على
الطاعة فلا يعصيه منا من الله عليه طولا وفضلا فهو مقصر عن شكر نعمة الله عليه واما النبي المرسل والعبد الصالح فلله عليهما السبيل والحجة
من غير واحد ثم يحتمل الحجة البالغة وجوها احدها هذا القران الذي انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية معجزة وحجة بالغة ما عجز الخلايق
عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله على انه اية من ايات الله وحجة من حجج الله ارسلها على نبيه صلى الله عليه وسلم والثاني انه جعل في
كل شيء الخلايق والاشياء ما يشهد ان الخلايق والاشياء كلها له شهادة خلقة وبين كلية الاشياء على وحدانيته فهو حجة بالغة والثالث
الرسل الرسل وابادهم حيث لم يوالفوا وهم بكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا خش عصمهم عز وجل عن ذلك فدل
على انهم لما خصوا بذلك لما ان الله جعلهم حججا وايات على وجه الارض حجة بالغة وباية العصمة وقال بعضهم فلله الحجة البالغة

في تحريم الاشياء وتحليلها ليس لهؤلاء الذين يحرمون اشياء لهم في تحريمهم حجة انما يحرمون ذلك بهوى انفسهم والله اعلم و
قوله عز وجل فلو شاء لهداكم اجمعين قال الحسن المشية ههنا مشية القدرة وقال لو شاء قهرهم واجبرهم حتى لم يقدروا على
معصية قط على ما جعل الملائكة جبلهم على الطاعة حتى لا يقدروا على معصية قط ثم هو يفضل الملائكة على
الرسل والانبياء والبشر جميعا ويقول هم مجبورون على الطاعة فذلك تناقض في القول لا يجوز من كان مقهورا مجبورا
على الطاعة يفضل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات فيه والحاجات التي تغلب صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة
ويقول فضلهم بالجوهر والاصل فلا يجوز ان يكون لاحد بالجوهر بنفسه فضل على غيره ذلك الجوهر لان الله لم يذكر فضل شيء بالجوهر الا
مقرونا بالاعمال الصالحة الطيبة كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة خبيثة وغيره وقوله والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه وقوله والعمل الصالح يرفعه ونحوه لم يفضل احدا بالجوهر على احد ولكن انما فضله بالاعمال الصالحة لذلك قلنا ان قوله لم يخرج
على ... قصدنا تاويل قوله فلو شاء لهداكم اجمعين عندنا ظاهر لو شاء لهداكم جميعا ووفقهم للطاعة وارشدهم لذلك هو كقوله
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية فاذا كان الميل الى الكفر لمكان ما جعل لهم
من الفضة والزينة فاذا كان ذلك للمؤمنين استوائهم لم يجعل كذلك دل هذا على ان قولهم لو شاء الله ما اشركنا ... او
ذكروا على الاستهزاء حيث قال فلو شاء لهداكم اجمعين والمعتزلة يزيلون المشية ههنا مشية قسر وقهر وقد ذكرنا ان لا يكون
في حال القهر ايمان وانما يكون في حال الاختيار والمشية مشية الاختيار ولا يحتمل مشية الخلقة لان كل احد بشهادة الخلقة المؤمن
فدل ان التاويل ما ذكرنا وقوله عز وجل قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا الذي تحرمون انتم من الوصيلة والسائبة
والحامي وما حرموا من الحرث والانعام فان شهدوا ان الله حرمه فلا تشهد معهم كيف قال هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله
حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم دعاهم الى ان ياتوا بالحجة فاذا اتوها لا تشهد معهم لكن هذا والله اعلم انهم يعلمون ان
التحريم الى الله ليس الى احد من الخلائق فان شهدوا بانه حرم فلا تشهد معهم فانهم شهدوا بباطل ويحتمل ان يكون امره ان يسالهم
شهداء من اهل الكتاب يشهدون لهم بان الله حرم هذا لان هؤلاء كانوا اهل شرك وعبدة الاوثان يسئلون اهل الكتاب واهل
رسل يشهدون لهم بذلك فان شهدوا فلا تشهد معهم اي لا يشهدون لهم بذلك فلا تشهد انت ايضا معهم على الاخبار انهم
لا يشهدون وهو كقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم الاية اخبر عن المنافقين انهم
قالوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم والله يعلم انهم لكاذبون ثم اخبر عنهم انهم لئن اخرجوا لا يخرجون ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم الاية لكنه اخبر انهم لا يقاتلون ناسا والا لو نصروهم ليولن الادبار فعلى ذلك قوله هلم شهداءكم الذين
يشهدون فان شهدوا فلا تشهد معهم لانهم لا يشهدون والله اعلم ويشبه ان يسال الوحي بان ياتوا بانهم حتى يشهدوا لانهم كانوا يقولون
انا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وان الله رضي بصنيع ابائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك فيسالون ان ياتوا بالرسل حتى يكونوا
هم الذين يشهدون على ذلك فلن يجدوا الى ذلك سبيلا ابدا وهو كقوله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فلا يجدون
ابدا وقوله عز وجل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا دل ان ما كانوا يحرمون انما يحرمون بهواهم ولا بحجة وبرهان والذين
لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون اي يعدلون الاصنام في العبادة والالوهية بربهم وقوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم يقولون تعالوا اقرا عليكم ما حرم ربكم وابين لكم ما حرمتم بحجة وبرهان وان ما حرمتم انتم حرمتم تقليدا منكم لابائكم
او حرمتم بهوى انفسكم لا حرمتم بامر وحجة وبرهان ثم بين الذي حرم عليهم فقال ان لا تشركوا به شيئا الشرك حرام بالعقل ويلزم
كل من عقل التوحيد ومعرفة الرب لما كان منه من تركيب الصور وتقويمها باحسن صوره ويعرفون انه لم يصورها احد سواه ولا
قومها ولا يشركه احد في ذلك وما كان منه اليكم من انواع الاحسان والايادي فكيف تشركون غيره في الوهيته وربوبيته فذلك
حرام بالعقل والسمع وقوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا يخرج على وجهين احدهما على الوقف والقطع
على قوله ربكم والابتداء من قوله الا تشركوا به شيئا كانه لما قال اتل ما حرم ربكم فقالوا ايش الذي حرم علينا ربنا فقال الا تشركوا به شيئا
والوجه الاخر على الوصل بالاول ولكن على طرح لا فيكون كانه قال حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا وحرف لا قد تطرح وتزاد في الكلام
وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا اي برا بهما فان قيل قال تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم وههنا يامر بالاحسان اليهم ولم يذكر الحرم قيل
في الامر بالاحسان اليهما تحريم ترك الاحسان فكانه قال حرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وفرض عليكم برهما والاحسان اليهما ثم
فيه انكم تعرفون بالعقل ان الاحسان الى الوالدين واجب والاساءة اليهما حرام عليكم ولم يكن منهم اليكم من الاحسان اكثر مما كان من الله
اليكم فكيف تختارون الاساءة الى الله والاشراك في عبادته غيره ولا تختارون الاساءة الى الوالدين بل تختارون الاحسان اليهم
وقوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم من املاق انهم كانوا يقتلون اولادهم خشية الفقر والفاقة فهو ما حرم عليهم وهذا يدل
على ان الحظر في حال لا يوجب الاباحة في حال اخرى لانه قال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه اباحة القتل
اذا لم يكن هناك خشية الاملاق لكن ذكر هذا لانهم انما كانوا يقتلون في تلك الحال فخرج النهي وقوله عز وجل نحن

نرزقكم واياهم اي على ما يخرج لكم من الزرع والثمار فرزقكم من ذلك فعلى ذلك نرزق اولادكم ما يخرج من الارض من الزرع و
الثمار فلا تقتلوهم فانا لم تقتلوا انفسكم خشية الفقر والفاقة فكيف تقتلون اولادكم لذلك فالذي يرزقكم هو الذي يرزق
اولادكم وقوله عز وجل ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن يحتمل قوله ولا تقربوا اي لا تواقعوها ويحتمل لا تدنوا منها و
لكن اجعلوا بينكم وبين الفواحش والمحرمات حجابا من الحلال وهكذا الحق على المسلم ان لا يدنو من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك
حجابا وسترا من الحلال ثم اختلف في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل الفواحش الزنا ما ظهر منها المخالطة بالنساء
والمجالسة معهن وما بطن فعل الزنا نفسه كانوا يجتمعون ويجالسونهن ولكن لا يجامعوهن بين ايدي الناس ثم اذا خلوا بهن زنوا
بهن وقيل كانوا يزنون بالحرائر سرا وبالاماء ظاهرا فحرم ذلك عليهم وقيل ما ظهر منها نكاح الامهات وما بطن هو الزنا وكان
نكاح الامهات وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما وقيل الفواحش المحرمات جملتها فما ظهر منها فيما بينهم وبين
الخلق وما بطن فيما بينهم وبين الله تعالى وقيل ما ظهر منها ما يكون بالجوارح وما بطن ما يكون بالقلب وعن مجاهد قال ما ظهر منها
الجمع بين الاختين وتزوج الرجل امراة ابيه وما بطن منها الزنا وما حرم ايضا ويحتمل قوله ما ظهر منها ما يرى عينه ويحس وما بطن
ما يكون بالعين والقلب على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان واليدان تزنيان وما بطن يكون زنا العين
والقلب لانه لا يعلم غير الناظر والله اعلم بصير كانه ذكر التحريم في كل حرف من ذلك اي حرم عليكم الشرك وحرم عليكم ترك الاحسان
الى الوالدين وحرم قتل الانفس الا بالحق فيصير كانه ذكر التحريم في كل حرف من ذلك وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق قيل بالحق اذا ارتد يقتل به وفي القصاص وفي الزنا اذا كان محصنا وقوله عز وجل ذلكم وصاكم به ذلك يعني المحرمات التي
ذكر وصاكم به اختلف فيه قيل وصاكم به فرض عليكم وقيل وصاكم به امركم به وقيل وصاكم به بين لكم التحريم وكله يرجع الى واحد
وقوله عز وجل لعلكم تعقلون انه لم يحرم الا ما ذكرها ولم يحرم ما حرمتم انتم من الانعام وغيرها ولعلكم تعقلون اي لكي تنتفعوا
بعقولكم او تعقلوا ان ذلكم وصاكم به لتعقلوا ان حرمة الحل من الله على الوجوب او تعقلون عن الله بما خاطبهم به وامرهم وقوله عز
وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قال ابو بكر الكيساني لا تقربوا مال اليتيم اي لا تاكلوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقال ثم
اختلف في الوجه الذي يحسن قال بعضهم هو ان يعمل له فياكل من ماله اجر عمله وقال اخرون ياكله قرضا وذلك مما اختلفوا
فيه وقال غيرهم هو ان ينتفع بدوابه ويستخدم جواريه ونحو ذلك وقال وذلك مما لا يحتمل تاويل الاية وعندنا ان الاية تحتمل
هذا اولى لما يقع لهم الضرورة في استخدام مماليكه وركوب دوابه والانتفاع بذلك لما يقع لهم المخالطة باموال اليتامى كقوله وان
تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح فاذا كان لهم المخالطة لا يسلمون عن الانتفاع بما ذكرنا وقال الحسن ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن اي الا بالوجه الذي جعل الله والوجه الذي جعل له هو ان يكون فقيرا وهو ممن يفرض نفقة في ماله فله ان يقرب ماله
وعندهم ان نفقة الخادم تفرض في مال اليتيم اذا كانوا فقراء فبان ان جعل له التناول في ماله وان كان لا يفرض نفقة فيما له ثم الاية
يحتمل وجهين عندنا احدهما ان لا تقربوا مال اليتيم الا بالحفظ والتعاهد له امر كافل اليتيم ان يحفظ ماله ويتعاهده والثاني يقرب ماله
بطلب الزيادة له والنماء ولذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه بانه يجوز لكافل اليتيم اذا كان وصيا ان يقرب ماله بيعا اذا كان ذلك
خيرا لليتيم اذ وقع له الفضل وطلب له الزيادة والنماء وقوله عز وجل حتى يبلغ اشده قال ابو بكر قوله حتى يبلغ اشده اي حتى يبلغ
الوقت الذي يتولى اموره كقوله فان انستم منهم رشدا الاية وقال غيره من اهل التاويل الاشد ثمانية عشر سنة ويشبه ان يكون الا
هو الادراك حتى يدركوا وقوله عز وجل واوفوا الكيل والميزان بالقسط يشبه ان يكون قوله واوفوا الكيل والميزان في اليتامى ايضا
امران يوفوا لهم الكيل والميزان ونهاهم ان لا يوفوا لهم على ما نهاهم عن قربان مالهم الا بالتي هي احسن وكذلك قوله واذا قلتم فاعدلوا
ولو كان ذا قربى امكن ان يكون هذا في اليتامى ايضا اي اذا قلتم قولا لليتامى فاعدلوا في ذلك القول وان كان ذا قربى منكم وقوله عز
وجل وبعهد الله اوفوا اي بعهد الله الذي عهد اليكم في اليتامى اوفوا بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا وغير ذلك اوفوا بما عهد اليكم فيهم ويحتمل ان يكون قوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط في اليتامى وفي غيرهم في كل الناس
وهو الوجهين احدهما ان في ترك الايفاء اكتساب الضرر على الناس ومنع حقوقهم فاربا بغاء ذلك كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم
والثاني للربا لانه لزم مثله كيلا في الذمة فاذا لم يوف حقه واعطاه دونه صار ذلك الفضل له ربوا وقوله عز وجل لا نكلف نفسا
الا وسعها يحتمل هذا وجهين يحتمل لا نكلف احدا ما في تكليفنا اياه تلفه وان كان يجوز له تكليف ما في التكليف تلفه كقوله ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم الاية وعلى ما امر من تاب من عبادة العجل بقتل انفسهم والثاني لا نكلف احدا ما في تكليفنا اياه
سعة نحو من يؤمر بشيء لم يجعل له الوصول الى ذلك ابدا ويجوز ان يؤمر بامر وان لم يكن له سبب ذلك الامر بعد ان يجعل لهم الوصول الى ذلك
السبب نحو من يؤمر بالصلوة وان لم يكن معه سبب ذلك وهو الطهارة ونحو من يؤمر بالحج بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
هذا يدل على ان من جعل في وسعه الوصول الى شيء يجوز ان يكلف على ذلك ويصير باشتغاله بغيره مضيعا امره وقوله عز وجل واذا قلتم
فاعدلوا قال بعض اهل التاويل هذا في الشهادة كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين و

ولا قريبين الاية ويحتمل قوله واذا قلتم فاعدلوا كل قول والقول احق ان يحفظ فيه العدالة من الفعل لانه به يظهر الحكمة من السفه
والحق من الباطل فهو اولى وقوله عز وجل وبعهد الله اوفوا اى بعهد الله الذى عهد اليكم فى التحليل والتحريم والامر والنهى ونحو ذلك
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ذكر ههنا تذكرون وفى الاية الاولى تعقلون وفى الاية الاخيرة تتقون اى اذا عقلتم تذكروا واتعظوا
وعرفوا ما يصلح وما لا يصلح او تذكرون اى تتعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون مهالككم وتتقون محارمكم وقوله عز وجل
وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه يحتمل وجوها يحتمل وان هذا الذى ذكر فى هذه الايات من امره ونهيه وتحليله وتحريمه صراطى مستقيما
فاتبعوه على ما قاله اهل التأويل انها ايات محكمات لم ينسخهن شئ فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى ادم كلهم ويحتمل قوله وان هذا
صراطى مستقيما الذى دعا اليه الرسل من كل شئ هو صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يدعون الى ما يدعون بالحجج والبراهين ويحتمل
قوله هذا صراطى مستقيما اصل الدين وحدانية الله والخلاص الانفس له على غير اشراك فى عبادته والوهيته او ان يكون قوله وان الذى جاء
محمد صلى الله عليه وسلم او الذى ذكر فى القرآن والاذكر هذا ولم يشر الى شئ بعينه فيحتمل ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله امر عز وجل باتباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السبل لان غيره من الاديان المختلفة والاهواء المتشتتة لا حجة عليها
ولا برهان وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين بحجة وبرهان لا كغيره من الاديان وان كان يدعى كل من ذلك ان الذى هو عليه دين الله وسبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون المحرمات والمناهى والمعاصى التى ذكر فى هذه ولعلكم تتقون السبل والاديان المختلفة واصله ان السبيل المطلق
سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق كتاب الله وقوله عز وجل ثم اتينا موسى الكتاب تماما الذى اختلف فيه قال الحسن قوله تماما على
الذى احسن اى من احسن صحبته تمت نعمة الله وكرامته عليه فى الاخرة قيل تماما على الذى احسن يعنى على المحسنين والمؤمنين وعلى يعنى اللام الذى
احسن وللذى امن ويجوز على فى موضع اللام كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقتادة قال من احسن فيما اتاه الله تمت عليه كرامة الله فى
جنته ورضوانه ومن لم يحسن فيما اتاه الله نزع الله ما فى يده ثم اتى الله ولا عذر له وقال ابو بكر الكيسانى فى قوله ثم اتينا موسى الكتاب تماما على
الذى احسن اى ثم اتيناكم من الحجج والبيان تماما من موسى وكتابه اى موسى وكتابه مصدق وموافق لما اعطاكم كقوله افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة الاية ويحتمل تماما ما ذكرنا تماما بالنعمة والكرامة ويحتمل تماما بالحجة والبيان وتماما
بالحكمة والعلم وقوله عز وجل على الذى احسن اى للذى احسن وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه تماما على الذين احسنوا وتفصيلا لكل شئ
اى تبيانا لكل شئ وهدى من الضلالات والشبهات ونعمة ورحمة من العذاب والعقاب لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون اى ولكى يؤمنوا
بلقاء ربهم يؤمنون هو على التحقيق وعن ابن عباس رضى الله عنه قال تماما على الذى احسن يقول اتم له الكتاب على احسنه على الذى بلغ من
رسالته وتفصيل كل شئ بيان كل شئ وهدى اى تبيانا من الضلالة ورحمة اى نعمة لعلهم بلقاء ربهم اى بالبعث بعد الموت يؤمنون
اى ليكونوا بالبعث ومنهم من يقول فى قوله ثم اتينا موسى الكتاب بانه وان اتى بحرف الترتيب فانه على الاخبار كانه قال ثم قد كنا اتينا
موسى الكتاب تماما معناه وقد اتيناه وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه يعنى القرآن انزلناه مبارك قال ابو بكر الكيسانى البركة هى
التى من تمسك بها اوصلته الى كل خير وعصمته عن كل شر وهو المبارك وقال الحسن هو المبارك لمن اخذه واتبعه وعمل به فهو مبارك له وسمى هذا القرآن
مباركا لما يبارك فيه لمن اتبعه هو مبارك لمتبعيه والعامل به والامن لم يتبعه فليس هو مبارك له بل هو عليه شئوم ورجس كقوله تعالى
واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم فهو ما ذكرنا مبارك لمن اتبعه وتمسك به سمى مجيدا ايضا وكريما لمن اتبعه يصير مجيدا كريما وكذلك سمى روحا وحياة لانه يحيى
به من اتبعه واصل البركة هو ان ينتفع بشئ على غير تبعة فهو البركة وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم لبعض بارك الله لك فى كذا اى جعلك
فيه منافع لا تبعة عليك فعلى هذا يجب ان يكون القرآن مباركا بكسر الراء لكن قيل مبارك لانتفاع الناس به والبركة يحتمل وجهين احدهما
اسم لكل خير يكون ابدا على النماء والزيادة والثانى اسم لكل منفعة لا تبعة عليه ولا مؤنة والله اعلم وقوله عز وجل فاتبعوه واتقوا اى
اتبعوا اشاراته واتقوا نواهيه ومحارمه وقوله عز وجل ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اهل التأويل انزل
الكتاب على الطائفتين اليهود والنصارى ومتى انزل الكتاب على اليهود والنصارى انما انزل على المسلمين لكن المعنى والله اعلم انما انزل
الكتاب على طائفتين اى انما ظهر نزول الكتاب التورية والانجيل عند الخلق بطائفتين من قبلنا سموا يهود ونصارى التورية والانجيل
والا لم يكن وقت نزول التورية يهود ونزول الانجيل نصارى ثم قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب هو صلة قوله وهذا كتاب انزلناه لئلا
تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ولم ينزل علينا ويجوز ان يعنى لئلا اى لن تقولوا انما انزل الكتاب كقوله ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم اى لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم وقوله عز وجل وان كنا عن دراستهم لغافلين اى وقد كنا عن دراستهم لغافلين ويحتمل ان
يكون عن دراستهم لانها دراسة الكتب لكن اضيف اليهم الى وتلك القوم وقوله عز وجل او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
على ما ذكرنا لئلا تقولوا انزلنا علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم انزل الله عز وجل هذا القرآن قطعا لحججهم
ومنعا لعذرهم وان لم يكن لهم الحجاج والعذر وعلى ذلك يخرج قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لا يكون لهم حجة على الله و
ان لم ينزل الرسل الكتب ثم يحتمل عن هؤلاء ان يقولوا انما انزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا ونحن لا نعرف لسانهم وكنا عن دراستهم

لغافلين ولو كان لهم العذر والاحتجاج بهذا لكان للعجم الاحتجاج والعذر فى ترك اتباع القرآن لما لم ينزل بلسان العجم ولم يعرفوهم
بلسانهم اعنى لسان العرب ثم لم يكن للعجم الاحتجاج بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى معرفته فعلى ذلك لا عذر للعرب فى ترك اتباع ما فى
الكتب التى انزلت بغير لسانهم لما فى وسعهم الوصول الى معرفتها والتعلم منهم والاخذ عنهم وهذا يدل على ان يجوز التكليف باشياء ليست
معهم اسبابها بعد ان جعل لهم سبيل الوصول الى تلك الاسباب والثانى من احتجاجهم ان يقولوا ان اليهود والنصارى قد اختلفوا وتفرقوا
تفرقا لا اجتماع بينهما ابدا فكيف نتبعهم فى ذلك فيقال ان مذاهبهم وكتبهم انما تفرقت بهم وبقولهم فقد اتاكم من الحجج والبيان ما يعرف
ذلك الذى تفرق بهم فلا فلا حجة لهم فى ذلك وهو كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقد جاءتهم ايات فلم
يؤمنوا فعلى ذلك قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وقوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد
جاءكم بينة من ربكم وفى الاية دلالة على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانهم لو كانوا اهل الكتاب صار اهل الكتاب ثلاث
طوائف وقد اخبر انما انزل الكتاب على طائفتين وذلك محال فان قيل انما هذا حكاية من الله تعالى عن المشركين ومعناه والله اعلم انى
انزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فلم يقولوا ذلك ولكن الله قطع بانزاله الكتاب حججهم التى
علم انهم كانوا يحتجون بها لو لم ينزل وان لم يكن لهم فى ذلك حجة ولا عذر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فقد جاءكم بينة
من ربكم قيل القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهدى اى هدى من الضلالة وكل شبهة ورحمة اى ذلك منه رحمة ونعمة فمن اظلم ممن كذب
بايات الله اى لا احد اظلم ممن كذب بايات الله قيل بايات الله بحجج الله وقيل دين الله وقد ذكرناها فى غير موضع وقد ذكرنا ان قوله فمن
اظلم حرف استفهام فى الظاهر ولكن ذلك من الله على الايجاب كانه قال لا احد اوحش ظلما ممن كذب بايات الله وصدف عنها وقوله عز
وجل هل ينظرون الا كذا قال اهل التأويل ما ينظرون وهل حرف هل هو حرف استفهام وتعجب لكن اهل التأويل قالوا ما ينظرون حملوا على
الجواب لانه لم يخرج له جواب فجوابه ما قالوا ما ينظرون كما فى قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم ممن كذب هو جواب لانه
جوابه لم يخرج فجوابه ما قالوا لا احد اظلم لانه سؤال واستفهام فجوابه ذكرنا فعلى ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام ولم يخرج له الجواب
فجوابه لا ينظرون كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة ثم قوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض ايات ربك
هذا والله اعلم يشبه ان تكون الاية فى المعاندين منهم والمتمردين الذين همتهم العناد والتعنت خرج على ايأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشبه ان تكون الاية فى المعاندين من اولئك الكفرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم مشفقا على انفسهم حتى كادت
نفسه تذهب حسرات عليهم حرصا على ايمانهم واشفاقا على انفسهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع
نفسك الاية ونحوه فايسه الله تعالى عن ايمان اولئك الكفرة لئلا يطمع فى ايمانهم واسلامهم بعد ذلك ولا يذهب نفسه حسرات عليهم
ليتخذهم اعداء ويبغضهم ويخرج الشفقة التى فى قلبه لهم وليتبرأ منهم كما فعل ابراهيم فلما تبين له انه عدو لله تبرأ
منه وكما قال لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ايسه الله عن ايمان قومه الا من قد امن ونهاه ان
يحزن عليهم وعلى فوت ايمانهم فعلى ذلك هذا ايس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ونهاه ان يحزن عليهم كقوله ولا تحزن عليهم
الا الوقت الذى ذكر انهم يؤمنون فى ذلك الوقت وهو وقت نزول الملائكة واتيانهم باياتهم وهو قوله الا ان تأتيهم الملائكة ثم قال
بعضهم تأتيهم الملائكة بقبض الارواح مع اللعن والسخط فعند ذلك يؤمنون وقال بعضهم قوله الا ان تأتيهم الملائكة يوم القيمة
وهو كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقوله عز وجل او يأتى ربك على اضمار الامر كانه قال
او يأتى امر ربك على ما ذكر فى سورة النحل او يأتى امر ربك ثم الامر فيه عذاب الله كقوله تعالى فلما جاء امرنا يعنى عذابنا فعلى ذلك يحتمل
هذا امر الله عذاب الله والاصل فيما اضيف الى الله فى موضع الوعيد لا يراد به الذات ولكن يراد به نقمته وعذابه وعقوبته كقوله ويحذركم الله
نفسه لا يريد نقمته وعذابه وكقوله من كان يرجوا لقاء الله لا يريد به لقاء ذاته وكذلك قوله والى الله المصير والى الله ترجع الامور و
غيرها من الايات لا يراد به ذاته ولكن يراد به عذابه ونقمته او يقول ان كل شئ يراد به تعظيمه يضاف الى الله تعالى فيراد به تعظيم ذلك
اليوم او تعظيم عذابه ونقمته وقوله عز وجل او يأتى بعض ايات ربك يحتمل بعض اياته ما قال عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده
وكقوله فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم الاية وكقوله سأل سائل بعذاب واقع ونحوه من الايات يؤمنون عند معاينتهم العذاب
ولا ينفعهم الايمان ويحتمل ما قال اهل التأويل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال وخروج الدابة وعلى ذلك روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وقال ابو هريرة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم وامر العامة
وخويصة احدكم الموت وامر العامة الساعة اذا قامت وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال التوبة معروضة حتى تطلع الشمس من مغربها
ثم قال مهما يأت عليكم عام والاخر شر ونحوه من الاخبار فان ثبتت هذه الاخبار فهى المعتمدة وعن عايشة رضى الله عنها قالت اذا خرج اول
الايات طرحت الاقلام وحفظت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وقوله عز وجل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل اخبر ان الايمان لا ينفع فى ذلك الوقت لانه ليس بايمان اختيار فى الحقيقة انما ايمان دفع العذاب والبأس عن انفسهم كقوله

فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اخبر انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله فدل ان ايمانهم فى ذلك الوقت ايمان دفع العذاب والباس وايمان خوف وهو كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين لم ينفعه ايمانه فى ذلك لانه ايمان دفع الهلاك عن نفسه لا ايمان حقيقة باختيار والثانى ان فى ذلك الوقت وقت نزول العذاب لا يقدر ان يستدل بالشاهد على الغائب ليكون قوله قولا عن معرفة وعلم وانما هو قول يقوله بلسانه لا عن معرفة فى قلبه فى ذلك الوقت لما ذكرنا وهو كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان لانه ايمان دفع الباس والعذاب ويبالغ بالاجتهاد حتى يكون ايمانه ايمانا باجتهاد ولذلك كان ما ذكرنا وان يكون فى طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ودابة الارض وما ذكر من البلاء والشدة والعذاب ما يضطرهم الى الايمان به فيكون ايمانهم ايمان اضطرار لا اختيار ويشبه ان يكون الحق ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لا تقبل التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجال ودابة الارض اى لا يتابعون على طاعاتهم والافق البعيد ان يرجعوا الى الايمان والطاعات ثم اذا اتوا بها لم تقبل منهم لكنه يحتمل ما ذكرنا لان لا يثابون على ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفر وكفران النعم لان جهة وجوب الثواب افضال و احسان وفى الحكمة ترك الافضال بالثواب فى الطاعات اذا كان من الله عز وجل من النعم ما يكون ذلك شكرا له والعقاب على الكفر بما يوجبه الحكمة لذلك كان ما ذكرنا ولهذا يخرج قول ابى حنيفة رضى الله عنه حيث قال لا ثواب للجن على طاعاتهم لان طريق وجوبه الافضال ولم يذكر ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفران والاجرام لما ذكرنا من المعنى الذى وصفنا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ولا ينفع نفسا ايمانها عند معاينة العذاب والباس والايات لم تكن امنت من قبل وقوله عز وجل او كسبت فى ايمانها خيرا اى لا ينفع ذا الايمان اذا عاين خيرا ولم تكن امنت لا ينفعه ذلك ولم ينفعه ايمانه عند معاينة العذاب والايات اذا لم تكن كسبت قبل ذلك خيرا وقيل قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا اى لا ينفع نفسا ايمانها اذا لم تغيره اى لا يرتد ولا يرجع عنه ابدا وقيل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اى لا ينفع ايمانها او كسبت فى تصديقها التعظيم لله والاجلال فعند ذلك ينفع صاحبه لانه لا كل تصديق يكون فيه التعظيم له والاجلال يعنى التعظيم له والاجلال اذا لم يكن منه التعظيم له وقيل او كسبت فى ايمانها خيرا اى لم تكن عملت فى تصديقها خيرا قبل معاينة الايات وقوله عز وجل قل انتظروا انا منتظرون هو مخرج على الوعيد اى انتظروا العذاب هذه الثلاث التى ذكرنا فانتظرون وهو كقوله قل تربصوا فانى معكم من المتربصين وانتظروا العذاب فانا منتظرون بكم ذلك وقوله عز وجل ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا عن عائشة وابى هريرة رضى الله عنهما قالا احدهما فيكم فى الكفرة وقال الاخر فى اهل الصلوة وقيل هم الحرورية وقيل هم اليهود والنصارى ولكن لا ندرى منهم وليس بنا الى المعرفة من كان حاجة ثم يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل فارقوا دينهم حقيقة لان جميع اهل الاديان عند انفسهم انهم يدينون بدين الله لا احد يقول انه يدين بدين غير الله الا ترى انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فهم وان كانوا عند انفسهم انهم يدينون بدين الله فهم فى الحقيقة فارقوا دينهم وليسوا على دين الله ويحتمل قوله فارقوا دينهم الذى امروا به ودعا اليه الرسل والانبياء صلوات الله عليهم فارقوا ذلك الدين ويحتمل فارقوا دينهم الذى دانوا به فى عهد الانبياء والرسل بدين الله فعادوا فتركوا ذلك الدين والله اعلم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكقوله اكفرتم بعد ايمانكم الاية كانوا مؤمنين به وكانوا شيعا اى صاروا فرقا واحزابا وقوله عز وجل لست منهم فى شىء من الناس من صرف تاويله لست منهم اى لست تؤمر فى قتالهم فى شىء كانه نهاه عن قتالهم فى وقت ثم اذن له بعد ذلك ثم نسخته اية السيف وهذا بعيد ويحتمل لست منهم فى شىء اى لست من دينهم فى شىء لان دينهم كان تقليدا لابائهم ودينك دين بالحجج والبراهين فلست منهم اى من دينهم فى شىء ويحتمل لست منهم فى شىء اى لا تسال انت عن دينهم ولا تحاسب على ذلك كقوله ما عليك من حسابهم من شىء الاية او يخرج على اياس اولئك الكفرة عن عود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم كقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله عز وجل انما امرهم الى الله يحتمل اى الحكم فيهم الى الله ليس اليك هو الذى يحكم فيهم او ان يكون امرهم الى الله فى القتال حتى ياذن لك بالقتال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون هو وعيد وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ليس فى قوله فلا يجزى الا مثلها ايجاب الجزاء لانه قال فله كذا فيه ايجاب الجزاء وانما ايجاب الجزاء فى السيئة بقوله من يعمل سوءا يجز به وغيره من الايات وقد ذكرنا ان ايجاب الجزاء والثواب فى الحسنات والخيرات افضال واحسان لانه قد سبق من الله تعالى الى كل احد من النعم ما يكون منه تلك الخيرات جزاء لما انعم عليه وشكرا له والاجرام لا يجازى الا من جهة الافضال والاكرام واما جزاء السيئة فمما يوجبه الحكمة لما خرج الفعل منه مخرج الكفران لما انعم عليه فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على ذلك والثانى انه خرج الفعل منه فى الخيرات والحسنات على موافقة خلقته وصورته وتقديره وتسويته على ما خلقها الله وانشاها وبناها فلم يخرج الفعل به على خلاف ما هو بنى عليه فلم يستوجب به الجزاء واما السيئات فهى اخراجها على خلاف خلقتها وتقديرها وصرفها الى ضد الذى كانت خلقتها وتقويمها فاستوجب بذلك العقوبة والجزاء عليها لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ليس هو الوعيد على الحد

حتى لا يزاد

حتى لا يزاد عليه ولا ينقص منه انما يخرج والله اعلم على التعظيم لذلك والاجلال لانه اخبر فى النفقة التى تنفق فى سبيل الله انها تزاد وتنمو الى سبع مائة ويحتمل ان يكون له فى الحسنة التى جاء بها فى التوحيد يبلغ الى ما ذكر [illegible] التوحيد لا يبلغ ذلك ولا ينقص من ذلك [illegible] والله اعلم على التعظيم له على التمثيل [illegible] من جاء بالحسنة فله [illegible] ثم اختلف فى قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها [illegible] من جاء بالحسنة يعنى التوحيد فله عشر امثالها [illegible] ومن جاء بالسيئة يعنى الشرك فلا يجزى الا مثلها [illegible] الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبة [illegible] وقوله عز وجل قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم قال ابو بكر الكيسانى قوله هدانى اى دلنى ربى الى صراط مستقيم [illegible] بلطفه الدلالة والبيان وكذلك قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الاية ولو كان على الدلالة والبيان لكان منه ذلك ثم ان المنة عليهم لله تعالى لا لرسوله ذلك انه لما ذكرنا من الهداية نفسها الا الدلالة وقوله عز وجل دينا قيما قيل قائما مستقيما لا عوج فيه كقوله ولم يجعل له عوجا قيما والعوج هو الذى فيه الافة فاخبر ان لا افة فيه ولا عوج وقوله عز وجل ملة ابرهيم ان اهل الاديان جميعا يدعون ان الذى هم عليه هو دين ابرهيم فاخبر ان دين ابرهيم هو الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل حنيفا قيل مسلما والحنف هو الميل وهو الحنيف اى مايل الى دين الله اخبر انه يدعو الى دين الله تعالى والى الدين الذى كان عليه اباؤه واجداده امثن به الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وما كان من المشركين برأه عز وجل من الشرك وقيل كان حنيفا خالصا مخلصا لم يشرك احدا فى ربوبيته ولا فى عبادته على ما فعل اولئك الكفرة وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وحفصة دينا قيما فطرة الله التى فطر الناس عليها ملة ابرهيم حنيفا ويقرا قيما بالتشديد وقيما بالتخفيف ويخرج قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم على الشكر له والحمد على ما انعم عليه وافضل له من الاكرام له بالهداية بالطريق المستقيم يحتمل القايم بالحق والبرهان وكذلك قوله دينا قيما بالحجج والبراهين ودين اولئك دين بهوى انفسهم ولذلك قال حنيفا وقوله قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم وقوله عز وجل قل ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين وقوله عز وجل قل اغير الله ابغى ربا خاطبه بهذه الايات رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كله فمن بلى بشىء ما كان بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال والدعاء فله ان يقرا ويذكر ما فى هذه الايات ولو كان المراد بالخطاب بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لكان لا يقول له قل ولكن يقول له افعل كذا ولا تفعل كذا وعلى ذلك الخطاب فى الشاهد فى خطاب بعض بعضا ان لا يقول قل فدل انه على ما ذكرنا وكذلك قوله قل هو الله احد من استوصف صفات الله فعليه ان يصف له ما فى سورة الاخلاص ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلائق سواء فى ذلك الخطاب ثم فى قوله قل اننى هدانى ربى الاية ذكر منته بما هداه والاستدعاء الى شكر ما انعم عليه وفى قوله قل ان صلوتى ونسكى الامر باخلاص العبادة لله عز وجل واسلام النفس له فى جميع احواله محياه ومماته وفى قوله قل اغير الله ابغى ربا فيه الدعاء الى وحدانية الله وربوبيته ثم فى قوله اننى هدانى ربى دلالة رد قول من يستثنى فى ايمانه لانه امره ان يقول اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم من غير ان امره بالثنيا فمن استثنى فيه لا يخلو استثناؤه من احد معنيين اما ان يكون لشك فيه او لكتمان ما انعم الله عليه فعلى كل من انعم عليه ان يظهر ذلك وان يشكر له على ذلك على ما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك وقوله قل ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين يخرج على وجهين احدهما يخرج على الامر بالدعاء لنفسه لانه قال قل اجعل صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين والثانى على المنابذة مع اولئك الكفرة الفجرة يقول انا اجعل صلاتى وعبادتى ومحياى ومماتى لله لا اجعل لغيره شركا كما جعلتم انتم لغيره شركا فى عبادته وصلاته ونسكه والله اعلم ثم اختلف فى قوله صلاتى قال بعضهم الصلاة المفروضة وقال بعضهم الصلاة الخشوع والثناء يقول ان خشوعى وثنائى لله والصلوة هى الثناء فى اللغة وقوله ونسكى اختلف فيه قال الحسن نسكى دينى كقوله ولكل امة جعلنا منسكا اى دينا وقيل نسكى ذبيحتى لله فى الحج والعمرة وغيره وقيل نسكى عبادتى والنسك اسم كل عبادة وعلى ذلك يسمى كل عابد ناسكا وقوله

عز وجل ومحياي ومماتي لله رب العالمين اي انا حي وميت لله لا اشرك احدا في عبادتي ونفسي بالكلية لله لا شريك له في ذلك ويحتمل ان يكون هذا على التقديم والتاخير كانه قال قل اني امرت ان اجعل صلوتي ونسكي لله اواني امرت ان ادعوا واسال الله ان يجعل صلوتي ونسكي وعبادتي له لا اشرك غيره فيه وقوله عز وجل وانا اول المسلمين يحتمل قوله وانا اول المسلمين اي وانا اول من خضع واسلم بالذي امرت ان ابلغ لانه امر بتبليغ ما انزل اليه فيقول انا اول من اسلم بالذي امرت بالتبليغ ويحتمل ان يكون لا على توقيت الاسلام ولكن على سرعة الاجابة والطاعة له كقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها هو على الوصف بغاية العظم ليس على ان بعضها اكبر واعظم وبعضها اصغر ولكن كلها اعظم واكبر فعلى ذلك هذا ليس على وقت الاسلام ولكن لسرعة الاجابة والطاعة له وان اهل الاسلام هو جعل النفس وكليته الاشياء لله سالمة اي انا اول من جعل نفسه لله سالمة وقوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء يحتمل هذا وجهين يحتمل اغير الله ابغي ربا وقد تعلمون ان لا رب سواه ويحتمل اغير الله ابغي ربا سواه في كل احد اثر ربوبية والوهيته قايم ظاهر وفيما تدعون اليه اجعل انا اذا العبودية والربوبية لله فيه فكيف اتخذ ربا سواه وقوله عز وجل ولا تكسب كل نفس الا عليها يحتمل وجهين يحتمل لا تكسب كل نفس من سوء الا عليها اي لا تحمل ذلك غيره عنه فالاخر وكذلك قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وكقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ويحتمل ان يكون قوله ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس لو تركت وما تختار الا عليها لكن الله بفضله يمنع بعضها وما تختار على نفسها كقول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي تخبر انها كاسبة السوء الا ما عصمها ربي وجائز ان يكون على الاضمار كانه يقول ولا تكسب كل نفس الا عليها ولها ومثله جائز في القران كقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وهو نذير للقوم بشير لقوم اخرين نذير في حال وبشير في حال وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون هو على الوعيد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر للصلوة اتبع التكبير بهذه الاية ان صلوتي ونسكي الى اخره وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلوتي ونسكي الى قوله من المسلمين وذكر انه كان يدعو بعد ذلك دعاء طويلا وروي عن عايشة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة رفع يديه حذاء منكبيه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فكان ابو حنيفة رحمه الله يختار من ذلك هذا في الفرايض وكذا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال الى الصلوة فكبر ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وكان ابو يوسف يستحب ان يقول بهذه الكلمات والكلمات التي روا اما علي بن ابي طالب رضي الله عنه من غير ايجاب لذلك ولا حظر لما سواه وكان ابو حنيفة رحمه الله لا يستحب ان يزيد في الفرايض على ما روي من ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روت عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي عن عمر وعبد الله رضي الله عنهم واما في النوافل فله ان يزيد ما شاء فيها من الثناء والدعوات فيحتمل ان يكون ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك في النوافل وقوله عز وجل وهو الذي جعلكم خلايف الارض تختلف فيه قال بعضهم جعلكم خلايف الارض يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم خلايف من تقدمهم من المكذبين والمصدقين ليعلموا ما حل بالمكذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم ليحذروا تكذيبه والخلاف له ويرغبوا في تصديقه والموافقة له والطاعة ليكون لهم بمن تقدمهم عبر في التحذير والترغيب ويكون لهم بمن تقدمهم قدوة وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كيف يجب ان يصحبوه ويعاملوه من الاحسان اليه والتعظيم له والتصديق ويجتنبوا الاساءة اليه والتكذيب وقال بعضهم قوله جعلكم خلايف الارض يعني البشر كلهم جعل بعضهم خلايف بعض في الوجود وفي الاحوال في الحيوة والموت والغناء والفقر والصحة والسقم وفي العز والذل وفي كل شيء وفي الصغر والكبر ليكون لهم في ذلك عبرا ودليلا على معرفة منشيهم وخالقهم لانه لو انشاهم جميعا معا لم يعرفوا احوال انفسهم وتغيرهم من حال الى حال ولكن انشاهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا احوال انفسهم وانتقالهم من حال الى حال ليعرفوا ان منشيهم واحد لانهم لو كانوا جميعا معا لم يعرفوا ابدا احوالهم من حال النطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم من حال الصغر الى الكبر وكذلك هذا في جميع الاحوال من الغناء والفقر والصحة والسقم ولو كان كله على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك لكن جعل بعضهم خلايف بعض ليدلهم على ما ذكر ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه انهم سادوا واخلفوا الجان فالاول يكون في بيان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة معه والثاني في بيان وحدانية الرب وقوله عز وجل ورفع بعضكم فوق بعض درجات يحتمل هذا في الاحوال ويحتمل في الخلقة جعل لبعض فضلا ودرجات على بعض وجعل بعضا فوق بعض بدرجات في الدنيا ليكتسبوا لانفسهم في الاخرة الدرجات والفضايل على ما رغبوا في الدنيا في فضايل الخلقة ودرجات بعض ونفروا في الدون من ذلك ليرغبهم ذلك في اكتساب الدرجات في الاخرة وينزعهم عن اكتساب ما ينزعون عنه في الدنيا وقوله عز وجل ليبلوكم فيما اتاكم يحتمل ليبلوكم فيما اتاكم من الاحوال المختلفة من الفقر والغنا والسقم والصحة والصغر والكبر وغير ذلك من الاحوال ويحتمل فيما اتاكم من النعماء ليبلوكم بالشكر على ما اتاكم من النعم وقوله عز وجل ان ربك سريع العقاب قال بعضهم هو اخبار عن سرعة اتيان العذاب لان كل ات قريب كان قد جاء وكقوله اتى امر الله واقترب للناس حسابهم واقتربت الساعة ونحوه انه اذا كان اتى لا محالة جعل كانه قد جاء وقال بعضهم ذلك انباء عن شدة عذابه لمن عصاه وقوله عز وجل ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم قيل يبتلي الموسر في حال الغناء والصحيح في حال صحته ويبتلي الفقير في حال فقره والمريض

في حال مرضه

في حال مرضه والابتلاء من الله تعالى على وجهين اما امرا بالشكر على ما انعم وصبرا على ما ابتلاه بالشدايد والابتلاء منه هو ما بين السبيلين جميعا سبيل الحق وسبيل الباطل وبين ان كل سبيل الى ما ذا افضاه لو سلكه لو سلك سبيل الحق افضاه الى النعم الباقية والسرور الدايم وان سلك سبيل الباطل افضاه الى عذاب شديد وحزن دايم ثم خيره بين هذين فهو في معنى الابتلاء وقوله عز وجل وانه لغفور رحيم للمؤمنين

وقد ذكرنا والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم بخلقه اللطيف لرشد عباده ضرب لهم الايات والبيان لينقلهم بحكمته وتدبيره من الجهالة الى العلم ومن الشك الى الحق ووصى به رسوله ان يدعو عباده الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وانزل اليه الكتاب تلا فيه ما في الكتب الاولى مبينا لاهل الكتاب والمشركين ان النبي الامي العربي لم يعلم ما في الكتب الاعجمية الا من عند الله ليكون ذلك اوضح لهم في الحجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند الفريقين انه لم يتل كتابا ولا خط بيمينه ولا كان عندهم من شعرايهم ولا العارفين بانسابهم وعلم انبايهم وذلك ابلغ في البرهان فانبا فيه علم الغيوب وفرض الفرايض وحكم فيه الاحكام وانزل فيه الحجج بتاليف يعجز عنه من دون الله ليبين لهم انه من عند الله فانف قومه وابوا ان يستمعوه واستكبروا عليه وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فاتاهم العليم الخبير من قبل انفسهم وكبرهم فانزل في الكتاب كلاما افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا ظنوا انه بديع ابتدع محمد كما يبتدع اهل البلاغات والادب وانفوا ان يكون محمد يقدر من ذلك على ما لا يقدرون فتدبروا الكتاب ليعلموا اصدروه بما يعرفون من الكلام فسمعوا كلاما مجيدا حكيما ودينا عظيما وحججا نيرة ومواعظ شافية فدخل اكثرهم في الاسلام وقعد عنه رجلان معاند متعنت وجاهل متقلد لا ينظر وفيما انزل ما وصف قوله كهيعص وطسم والمص والر وما اشبهها نحو الم اسم لتطف بها على النظر فيما بعدها ثم ابتداء فقال كتاب انزل اليك يقول كتاب من ربك لتنذر به عباده فلا يكن في صدرك حرج منه يقول فلا يضيقن صدرك عن الذي فرض الله عليك فيه من البلاغ الى قومك وبما فرض عليك من البراءة منهم ومما يعبدون من دون الله فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف ما خاف الرسل من بين يديه فقال موسى فاخاف ان يقتلون وقد كان يعرف قومه بالتسرع الى القتل فيما ليس مثل ما يانيهم به فامنه الله منهم بقوله والله يعصمك من الناس وقال في اخر هذه السورة ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون يفهمونها عن الله تعالى فانها من اعظم ايات الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اعلمه انهم لا يصلون الى ما يخاف منهم وفي الاثر ان الله تعالى لما ارسله الى قومه قال اي رب اذا يثلغوا راسي فيذروه مثل خبزة فامنه الله تعالى من ذلك فقال فلا يكن في صدرك حرج من البلاغ ولا يضيقن صدرك عما فرض الله عليك من العبادة والحكم الذي تخالف فيه قومك ثم وصف الكتاب فقال وذكرى للمؤمنين يقول يتذكرون بما فيه ويتدبرونه فيحلون به الحق من الباطل ويذكرون به ما فرض عليهم ويحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابا خاطب الله بها رسله يفهمونها لا يفهمها غيرهم على ما يكون لملوك الارض بينهم وبين خواصهم اشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها غيرهم هذا متعارف فيما بين الخلق ان يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم ما ذكرنا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابات من الله خاطب بها رسله وهم خواصه يفهمونها ولا يفهمون غيرهم ثم وجه فهمهم يكون لوجهين يحتمل فيقول اني انا انزلت اليكم كذا فادى من ذلك كذا او كان البيان والمراد منها معرونا بها وقت انزالها فهموا المراد منها بما افهمه الله واراد ما لم يرد ذلك غيرهم كقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ادى رسله شيئا لم يرد ذلك غيرهم ولا اطلعهم على ذلك فهم من المتشابه على غيرهم واما على الرسل فليس من المتشابه وقال الفراء يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة المتفرقة التي اولها ا ب ت ث الى اخرها كانه قال اني جمعت هذه الحروف المتفرقة فجعلتها كتابا فانزلتها من نحو المص والر تلك والم ذلك الكتاب والر ونحوه والله اعلم بما اراد به ذلك وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب مقدار ما حفظنا وفهمنا من تاويل اهل العلم في ذلك وقوله عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق في الصدر ثم يحتمل ضيق الصدر وجوها يحتمل ضيق الصدر بما يحل عليه في ذلك من الشدايد والخطرات بتبليغه الى الكفرة الذين نشاوا على الكفر والشرك وخاصة الفراعنة والملوك الذين همتهم القتل والاهلاك لمن استقبلهم بالخلاف وان يوسوس في صدور الشيطان انه ليس من عند الله او ان يقول له انه من اساطير الاولين على ما قالوا ولئك الكفرة ما هذا الا اساطير الاولين ثم يحتمل قوله فلا يكن في صدرك حرج منه على النهي اي لا يكون في صدرك منه حرج اي لا يضيقن صدرك مما حمل عليك وقال بعضهم فلا يكن في صدرك حرج اي شك انه من عند الله نزل وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي لانه بالنهي ما يكون عصمة ويحتمل ليس على النهي ما يكون عصمة ويحتمل ليس على النهي ولكن على ان لا تحمل على نفسك ما فيه هلاكك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وكقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس على النهي ولكن على ان لا تحمل على نفسك ما فيه هلاكك فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم ان الله عز وجل امنه عما كان يخاف منه ولئك بقوله والله يعصمك من الناس وامنه من وساوس الشيطان على ما روي في الخبر انه قيل الك شيطان فقال كان ولكن اعانني عليه فاسلم امن عز وجل رسوله عن ذلك كله لما ذكرنا وقوله عز وجل لتنذر به يحتمل انه امره ان ينذر به الكفرة ويبشر به المؤمنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فعلى ذلك قوله لتنذر به الكفرة وذكرى

للمؤمنين اى بشرى على ما ذكرنا ويكون في الانذار بشرى لانه اذا انذر فقبل الانذار فهو له بشرى ويحتمل قوله لتنذر به اى الكل الموافق
والمخالف جميعا كقوله نذيرا للعالمين وذكرى للمؤمنين اى الذى ينتفع به المؤمنون وقوله عزوجل اتبعوا الاية لا تتبعوا اولياء في التحليل
والتحريم وفي الامر والنهى لانه ليس الى الخلق التحليل والتحريم وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر المؤمنين ان يتبعوا ما انزل اليهم من ربهم
على ما امر رسوله ان يتبع ما انزل اليه من ربه كقوله اتبع ما اوحى اليك من ربك ليعلم ان ما انزل الى رسول الله هو منزل الى المؤمنين جميعا و
قوله عزوجل اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكر وما يحل وما يحرم وما يؤمر وينهى ولا تتبعوا من دونه اولياء قيل اربابا اى لا تتبعوا من دونه
اولياء فيما يحلون ويحرمون ويأمرون وينهون اى انما عليهم اتباع ما حرم عليهم واستحلال ما احل لهم واما انشاء التحليل والتحريم فلا وقال
بعض اهل التأويل اولياء الاصنام والاوثان ولكن لا يحتمل ههنا ولكن ما ذكرنا انهم كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحريم كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكانوا لا يتخذون اولئك الاحبار اربابا في الحقيقة ولكن كانوا يتبعونهم فيما يحلون ويحرمون ويصيرون
اربابهم ضموا بذلك لشرع اتباعهم اولئك في التحليل والتحريم والله اعلم وقوله عزوجل قليلا ما تذكرون قال اهل التأويل يعنى بالقليل
المؤمنين ولكن يحتمل قوله قليلا ما تذكرون اى لا يتذكرون راسا لان الخطاب جرى فيه لاولئك الكفرة وفيهم نزلت الاية وقوله عزوجل
وكم من قرية اهلكناها قال اهل التأويل كان يخوف اهل مكة بتكذيبهم الرسل باهلاكه الامم الخالية بتكذيبهم الرسل بقوله وكم من قرية اهلكناها
بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة تهلكون بتكذيبكم الرسول وان كانوا لا يعرفون هم اهلاك الامم الماضية انه انما اهلكوا بتكذيبهم الرسل
غير انهم وان كانوا لا يعرفون هم ذلك بانفسهم لما ليس عندهم كتاب لكن يصلون الى علم ذلك بمن عندهم الكتب وهم اهل الكتاب فيلزمهم الحجة
كالعجم وان كانوا لا يعرفون الكتاب الذى انزل بلسان العرب فان الحجة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالعرب فعلى ذلك
هؤلاء وان لم يكن عندهم علم باهلاك اولئك فتلزمهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم ينظر في كتبهم ولا اختلف اليهم ليعلم عن ذلك ثم اخبرهم بذلك فدل انه انما عرف
ذلك بالله عزوجل وقوله عزوجل فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون قال ابو بكر الكيسانى البأس هو كل امر معضل شديد من المرض والجرح وغيره
ويقول ذو عمرانه لما طعن له قيل له لا باس عليك فقال ان كان في القتل باس فبى بذلك وانما عنى من اهل النار وقيل قالوا البأس العذاب وبأسنا
عذابنا وقوله عزوجل بياتا او هم قائلون البيات بالليل والقيلولة بالنهار عند الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن اخبر انه انما يأتيهم
عذابه في حال الغفلة او في حال الامن لئلا يكونوا غافلين عن امره ولا يكونوا آمنين عذابه وقوله عزوجل فما كان دعويهم اذ جاءهم بأسنا
اى ما كان دعويهم قبل نزول العذاب الا انهم قالوا نحن على الحق وان غيرهم على الباطل فاذا جاءهم بأسنا اعترفوا بظلمهم كقوله الا ان قالوا
انا كنا ظالمين وقال بعضهم فما كان دعويهم حين نزول العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقوله عزوجل فلنسئلن الذين ارسل
اليهم ولنسئلن المرسلين يذكر في هذه الاية انه يسألهم جميعا الرسل والمرسل اليهم وقال في اية اخرى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
وقال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولكن قوله لا يسأل عن ذنبه اى لا يسأل عما فعل وعن نفس ما ارتكب كقوله فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله
وحده الاية لم اذنبت وما فعلت ولكن يسأل لماذا فعلت يسأل عن الحجة لم اذنبت ولم فعلت ذا او ان يسأل في وقت ولا يسأل في وقت اخر
وقال بعضهم لا يسأل عن ذنبه غيره وانما يسأل صاحبه وفاعله يخبر والله اعلم ان امر الاخرة على خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يؤخذ غيره بذنب
اخر ربما ويسأل احد اقربيه واما في الاخرة فانه لا يؤخذ غيره بذنب اخر ويحتمل ان كان ما ذكرنا او ان يكون قوله لا يسأل عما اظهر وابدى ولكن
يسأل عما اسر واخفى لان الملائكة قد يكتبون ما ابدوه واظهروه كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال عما اسروا
اخفى ولا يسأل بعد ذلك وقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين قال بعض اهل التأويل يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة الى
الامم ويسأل قومهم هل بلغ الرسل اليهم الرسالة ويكون سؤالهم الرسل سؤال شهادة كقوله لتكونوا شهداء على الناس الاية انه قد بلغ الرسالة وقال
بعضهم يسأل الملائكة عن تبليغ الرسالة الى الانبياء ويسأل الانبياء عليهم الصلوة عن تبليغ الملائكة اليهم ويمكن ان يكون السؤال للرسل عما اجيبوا
وكان سؤال الامم عما اجابوا الرسل كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وكقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وان يكون
سؤال القوم سؤال تقرير عندهم واقرار لما كانوا يكونون التبليغ اليهم كقوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامى
الهين من دون الله هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لا خبر لانه كان يعلم انه لم يكن قال لهم ذلك لكنه يسألهم سؤال تقرير لهم وايذانه لئلا يقولوا هو
هو قال لهم ذلك لانهم عيسى هو الذى قال لهم ذلك فعلى ذلك الاول وقوله عزوجل فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عن عملهم وصنيعهم
ولكن يسألون لما ذكرنا والله اعلم يشبه ان يكون فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ذكر هذا لما يحتمل ان يظن به الخفاء عليه لما ذكر من السؤال
لهم والسؤال وهو الاستخبار عما يستتر ويخفى ليظهر ذلك هذا هو معنى السؤال في الشاهد والاستخبار فاخبر عزوجل بقوله فلنقصن عليهم
بعلم ان سؤاله ليس بسؤال استخبار واستظهار له ولكن سؤال توبيخ وتقرير او سؤال الشهادة وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان لتقرير الامر
والنهى لا لاظهار شيء خفي عليه وان كان في الشاهد يكون لذلك او ان يصير ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم فسمى ذلك الامر منه والنهى ابتلاء
وامتحانا لما عند الخلق ابتلاء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمى بالذي فيما بينهم والله اعلم وقوله عزوجل والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك كذا قال الحسن يكون ميزان له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات فمن ثقلت

موازينه دخل الجنة ومن خفت موازينه دخل النار وقال غيره من اهل التأويل يريد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها فمن رجحت
حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار الى هذا ذهب اكثر اهل التأويل ولا يحتمل ما قالوا اما قول الحسن ميزان
له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات لا يحتمل لانه قال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون اذا ثقل احدى الكفتان خفت الاخرى
واذا خفت احديهما ثقلت الاخرى فكل واحد منهما فمن يثقل موازينه ويخف وقد اخبر في الاية ان من ثقلت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم ولا يحتمل ايضا ما قال غيره من اهل التأويل انه اراد بالموازين الحسنات والسيئات لان الاية في المؤمنين والكافرين فلا سيئة
ترجح والكافر مع ايمانه ولا حسنة ترجح والكافر مع شركه الا ان يقال ان يوزن حسناته ويقابل بسيئاته دون ايمانه وكذلك الكافر يقابل
سيئاته بحسناته دون الشرك فذهب حسناتهم التى كانت لهم في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا فقد عجل لهم جزاء حسناتهم التى عملوا في الدنيا
بما انعم عليهم في الدنيا واما المؤمن فيتجاوز عن سيئاته ويتقبل منهم احسن ما عمل كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز
عن سيئاتهم او ان يكون ما ذكر من الميزان هو الكتاب الذى ذكر في اية اخرى لقوله فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
واما من اوتى كتابه وراء ظهره الاية وكما قال فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه واما من اوتى كتابه بشماله فيقول
يا ليتنى لم اوت كتابيه وقال بعضهم الوزن هو العدل كقوله ونضع الموازين القسط لم يقل نضع الموازين بالقسط ولكن قال ونضع
الموازين القسط والقسط هو العدل فهو اخبار عن العدل انه يعدل بينهم يومئذ وقال بعضهم الوزن يومئذ الحق يجزى للطاعة الجنة
والثواب وللمعصية عقاب وعذاب فهو حق وقال بعضهم قوله الوزن يومئذ الحق اى الطاعة حق كل مطيع يومئذ فهو حق ويحتمل ان
يكون الوزن المحدود والتقدير كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون اى محدود ومقدر فعلى ذلك قوله الوزن يومئذ الحق اى الحق
يومئذ الحق لا يزاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التى عملوا في الدنيا والله اعلم بما اراد بالوزن ثم قال اهل التأويل في قوله
فاولئك الذين خسروا انفسهم اى غبنوا وذلك انه ما من احد من مؤمن وكافر الا وله في الجنة والنار منزل واهل فيرث المؤمن المنزل
الذى كان للكافر في الجنة ويرث الكافر المنزل الذى للمؤمن في النار فذلك الخسران الذى خسروا ولكن هذا لا يحتمل ان يكون الله
تعالى يجعل الكافر في الجنة منزلا واهلا مع علمه انه لا يؤمن ويختم على كفره ويحتمل الخسران الذى ذكر هو انهم خسروا في الدنيا والآخرة
لما فات عنهم النعم التى كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا الى نعيم الاخرة فذلك هو الخسران المبين في الدنيا والاخرة وقوله عزوجل
بما كانوا بآياتنا يظلمون قال الحسن بآياتنا ديننا يكذبون ولكن بآياتنا حججنا يظلمون اى يضعونها في غير موضعها وهو ما ذكر
من ظلمهم الآيات لان الظلم وضع الشيء غير موضعه ثم المسئلة فيمن ارتكب كل ذنب وكبيرة في حال كفره ثم امن في اخره صار
ما كان ارتكب في حال كفره من الكبائر مغفورا معفوا عنه غير مواخذ بها ومن ارتكب ذلك في حال الايمان وختم على الايمان لم يجعل الايمان في
تكفيره وكان مواخذا به والله اعلم لوجهين احدهما ان ليس على الكافر في نفس افعال الطاعات وعينها انما عليه قبول تلك فاذا اسلم فقد قبلها
ولم يكن عليه في ذلك الوقت الا القبول لذلك لم يؤاخذ بما كان منه من الاعمال واما المؤمن فعليه نفس افعال تلك الطاعات وتلك
الاعمال وقد كان منه القبول منه التفريط في تلك الاعمال والثاني ان الكافر اذا اسلم بعد ما ارتكب من الكبائر لم يجرح ايمانه ولا ادخل
فيه نقصا فلما لم يؤاخذ بما كان منه لما قدم على ربه بايمان كامل واما المؤمن اذا ارتكب كبائر فقد جرح الايمان وادخل النقصان
بعمله الذى يخالف الايمان ولا يوافقه لذلك افترقا ويشبه ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه على التمثيل ليس
على تحقيق الميزان والخفة ولكن على الوصف بالعظم لاعمال المؤمنين وبالخفة والتلاشى لاعمال الكافرين لان الله عزوجل ضرب لاعمال
المؤمنين المثل بالشيء الثابت والطيب ووصف اعمالهم بالثبات والقرار فيه وضرب لاعمال الكافرين المثل وشبهها بالشيء التافه التالف
ووصفها بالبطلان والتلاشى كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ووصف
اعمالهم بالطيب والثبات والقرار ووصف اعمال الكافرين بالخبث والتلاشى والبطلان كقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال في اية اخرى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا
وقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله فاما الزبد فيذهب
جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ونحوه من الآيات وصف اعمال المؤمنين بالثبات والقرار واعمال الكفرة بالذهاب
والبطلان فعلى ذلك قوله فمن ثقلت موازينه وصف بالعظم والقرار والثبات ومن خفت موازينه وصف بالبطلان والتلاشى
ان لا يكون لهم من الخيرات شيء ينتفعون بها في الاخرة والله اعلم وقوله عزوجل ولقد مكناكم في الارض قال ابو بكر الكيسانى مكناكم
اى ملكناكم في الارض وجعلنا في الارض وجعلنا لكم فيها معايش يتعيشون بها يذكرهم نعمه ومننه بما مكنهم في الارض وجعل لهم
منافع ليستمتعوا والله علمها وقال الحسن مكناكم اى جعلناكم مستخلفين عمن تقدمهم يذكرهم عزوجل ايضا نعمه عليهم بان جعلهم
خلفاء الاولين وجعل لهم معايش ويخوفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بزوالها عن الاولين ويمكن ان يكون يذكرهم منة
بما جعل لهم مكان القرار وموضع الانتشار والتقلب والتعيش والبشر لا بد لهم من ذلك وكله يرجع الى واحد كقوله اولم يروا
انا جعلنا حرما امنا اى جعلنا الحرم امنا لكم بحيث تامنون فيه وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم

يذكر هو عظيم نعمه ومنته التي جعلها لهم هذا اذا كان الخطاب به اهل مكة فان كان الخطاب به الناس كافة فيخرج على تذكير النعم
ثم حيث جعل الارض بحيث يعتزون فيها ويتقلبون فيها وقوله عز وجل قليلا ما تشكرون يحتمل وجوها وكذلك قوله قليلا
ما تذكرون احدها انهم كانوا يعتزون انه خالقهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كانوا يعتزون بالوحدانية ويصرفون
العبادة الى غيره فلذلك قال قليلا ما تشكرون والثاني اي لا تشكرون ولا تذكرون البتة ويحتمل قليلا ما تشكرون اي المؤمنين يشكرون
ولا يشكر اولئك والمؤمنون قليل وهم اكثر والرابع اي ليس في وسعهم القيام بشكر الجميع فذلك الشكر قليل وقوله عز وجل
لقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن قوله خلقناكم ثم صورناكم اراد ادم خاصة لانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم اخبر انه امر الملائكة بالسجود لادم بعد الخلق ولو كان المراد منه نحن لكان بعد خلقناكم ثم صورناكم وقد كان السجود
قبل ذلك وقال غيره المراد منه البشر كله لانه قال ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم ولو كان المراد لادم بقوله خلقناكم ثم صورناكم
خاصة لكان لا يذكر ادم ثانيا فدل انه اراد ذريته وقال بعضهم خلقناكم ادم ثم صورناكم في ارحامكم ويحتمل ما قال الحسن ويحتمل
وجها اخر وهو ان قوله ولقد خلقناكم اي قدرناكم من ذلك الاصل وهو نفس ادم لان الخلق هو التقدير كما نقول انا خلقناه اي قدرناه
يقول والله اعلم خلقناكم اي قدرناكم جميعا من ذلك الاصل والكيان ومنه صورناكم ثم قلنا للملائكة اي وقد قلنا للملائكة
اسجدوا لادم وذلك جائز في اللغة وقد يقول بعض اهل الكلام ان النطفة هي انسان بقوة ثم يصير انسانا بفعل ويقول بعضهم هي
كيان الانسان فجائز ان يكون اضافنا الى ذلك الطين لما هو كيان واصل لنا وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال الحسن
ابليس لم يكن من الملائكة ذلك ان الله عز وجل وصف الملائكة جملة بالطاعة والخضوع بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وغيره من الايات ولم يكن من ابليس الا كلاشر وقال ايضا خلق الملائكة من نور
وابليس من نار على ما ذكر والنار ليست من جوهر النور ودل انه ليس من الملائكة وقال في قوله فسجدوا الا ابليس مثل هذا يجوز ان يقال
هذه الدار اهل البصرة الا رجل من اهل الكوفة دل الاستثناء الا ان دخل هنالك اهل الكوفة فعلى ذلك يدل استثناء ابليس على ان في
هنالك امر بالسجود لادم لغير الملائكة ايضا ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انه كان من الملائكة او من غيره انما علينا ان نعرف انه ملعون
وقد ذكرنا هذه فيما تقدم وقوله عز وجل ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قيل قوله ما منعك ان لا تسجد اي ما منعك ان تسجد على ما ذكر
في اية اخرى والا زائدة وقوله عز وجل انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ثم علم عدو الله ان المخلوق من النار خير من المخلوق
بالطين الا ان يقال بان النار جعلت لصلاح الاغذية فمن هذا وقع له ذلك انها خير من الطين فيقال ان النار وان جعلت لاصلاح
الاغذية فالطين جعل لوجود الاغذية فالذي جعل لوجود الشيء هو انفع واكبر من الذي جعل لصلاحه ولعل الاغذية تنضج للاكل
بغيرها بالشمس وغيرها وبعد فان الطين مما يقوم بالنار ويطفيها ويتلفها والنار لا تقوم بالطين ولا تتلفه فاذا كان كذلك
فلا يجوز ان يقع من هذا الوجه انها افضل واخير من الطين ثم اختلف في الجهة التي كفر عدو الله ابليس قال بعضهم ان ابليس عدو الله
لم ير لنفسه طاعة بامر السجود لادم لذلك كفر وقال اخرون انما كفر عدو الله لما لم ير الامر بالخضوع والطاعة من فوقه لمن دونه حكمة
فكفر لما لم يره ووضع الامر بالسجود موضعه بل رآه لعنه الله واضعا امره غير موضعه وقال غيره كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر
على ادم لا لمعنى اخر وقيل اول من اخطأ في القياس وزل فيه ابليس لعنه الله وقوله عز وجل فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر
فيها اختلف فيه قال بعضهم قوله اهبط منها يعني من السماء لانه لعنه الله كان في السماء فامر بالهبوط منها لما جعل السماء معدنا ومكانا
للخاضعين المتواضعين فامر بالهبوط منها الى مكان جعل ذلك المكان للخاضعين والمتكبرين جميعا وهي الارض فالارض معدن الفريقين
جميعا وقال بعضهم الامر بالهبوط منها امر بالخروج من الارض من الجنان والبحور لان الارض هي قرار اهلها وجزائر البحور ليست بمكان
قرار لاحد فيكون فيها على الخوف ابدا الا ترى انه قال جعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والبحار مما لا يمتد باهلها وامكن ان يكون
الامر بالهبوط منها امرا بالخروج من الصورة التي كان فيها الى صورة اخرى لا يعرف ابدا ولا يرى عقوبة له لتركه امر الله وارتكابه نهيه
فما يكون لك ان تتكبر فيها في تلك الصورة وفي تلك الارض حتى لا يقر ابدا ويكون على خوف ابدا ويحتمل في السماء لما ذكرنا وقوله
عز وجل فاخرج انك من الصاغرين وجه صغاره انه ما من احد ذكره الا وقد لعنه ودعا عليه باللعن فذلك صغاره ويمكن ان يكون
صغاره لما صير بحال يغيب عن الابصار ولا يقع عليه البصر ولما طرده عن رحمة الله وقوله عز وجل انظرني الى يوم يبعثون اختلف
فيه قال بعضهم انظرني الى النفخة الاولى لئلا يذوق فيحصل حيوة الدنيا بحيوة الاخرة وهو ما ذكر في اية اخرى فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم انظرني الى يوم البعث قال انظرني الى يوم يبعثون فقال انك من المنظرين خرج ذلك جوابا لسؤاله
وما ذكر من الوقت المعلوم في اية اخرى يحتمل ان يكون هو ذلك اليوم وقال غيره انظرني ولم يبين له ذلك الوقت الذي انظره الى ذلك الوقت
حتى يكون ابدا على خوف ووجل الا ترى انه قال فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم لو كان الوقت الذي معلوما
عنده لكان لا يخاف الهلاك بدون ذلك الوقت دل انه كان غير معلوم عنده وقوله عز وجل فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم
قال الحسن قوله فبما اغويتني اي بما لعنتني والاغواء هو اللعن كقوله فانك من المرجومين اي من الملعونين فعلى ذلك قوله اغويتني اي

لعنتني

لعنتني وقال ابو بكر الكيساني اضاف الاغواء الى نفسه لما كان سبب ذلك منه وهو الامر الذي امره بالسجود لادم والخضوع له و
ويجوز ان يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب نحو قوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني سأل منه الاذن بالقعود ولا تخلفني عيالا
اذنه لتفتني بذلك وقال انما اضاف ذلك اليه لما كان منه سبب ذلك الافتتان فعلى ذلك هذا وقال بعض المعتزلة هذا قول ابليس
فبما اغويتني وقد كذب عدو الله لم يغوه الله فيقال لهم فان كان ابليس عدو الله قد كذب في قوله فبما اغويتني فيقولون بان نوحا صلوات
الله عليه قد كذب حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اضاف الاغواء اليه دل هذا على ان ابليس
لم يكذب باضافة الاغواء الى الله ولكن عندنا انه اضاف الاغواء الى نفسه لما خلق فيه فعل الغواية والضلال على ما ذكرنا في غير موضع ليس
كما قال هؤلاء انه اضيف اليه لما كان منه سبب ذلك لانه لو جاز ان يضاف فعل الاغواء اليه لسبب الاغواء لجاز ان يضاف
الى الرسل والانبياء لانه كان منهم الامر لقومهم والدعاء الى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان سبب اغوائهم اولئك هم الرسل فذلك
بعيد وكذلك لو كان الاغواء هو اللعن لكان كل لاعن عليه فهو مغو به وقال بعضهم اغويتني اي خذلتني والوجه فيه ما ذكرنا انه
خلق فيه فعل الغواية والضلال وكذلك من كان كافرا خذله لما علم منه انه يختار الغواية والضلال وقوله عز وجل لاقعدن لهم ليس على
حقيقة القعود ولكن على المنع عن السلوك في الطريق او على التلبيس عليهم الطريق المستقيم والستر عليهم لان من قعد في الطريق منع
الناس عن السلوك فيه وقوله عز وجل ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية قال الحسن من بين ايديهم من قبل الاخرة تكذيبا
بالبعث والجنة والنار ومن خلفهم قال من قبل دنياهم يزينها لهم ويشهيها اليهم وعن ايمانهم قال من قبل الحسنات يبطئهم عنها وعن
شمائلهم قال من قبل السيئات يأمرهم بها ويحثهم عليها ويزينها في اعينهم وعن مجاهد ثم لاتينهم من بين ايديهم قال من حيث يبصرون
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون وقيل من بين ايديهم من قبل الحق نهم فاخبرهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث
على ما ذكر الحسن ومن خلفهم من قبل دنياهم يأمرهم بجمع الاموال فيها لمن بعدهم من ذراريهم واخوف عليهم الضيعة فلا يصلون في ارحامهم
رحما ولا يعطون منها حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فازين لكل قوم ما كانوا يعبدون فان كانوا على ضلالة زينتها لهم وان كانوا على هدى
شبهة عليهم حتى اخرجهم منه وعن شمائلهم من قبل اللذات والشهوات فازينها لهم هذا الذي ذكر اهل التأويل ويحتمل ثم ذكر الامام
والخلف وعن ايمان وعن شمائل ولم يذكر فوق ولا تحت فيحتمل ان يدخل ما فوق وما تحت بذكر امام واليمين والشمال والخلف كقوله
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل ما فوق
بذكر ما بين ايديهم ودخل تحت بذكر الخلف فعلى ذلك هذا يدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر فيصير كانه قال فيأتيهم من كل بعد ويحتمل
انه لم يذكر هذا لما انه لا سلطان له على منع الارزاق والبركات لان ارزاق الخلق والبركات مما ينزل من السماء من المطر ويخرج من الارض
النبات فليس له سلطان على منع انزال المطر واخراج النبات من الارض وله سلطان على غير ذلك ان يكون لما يستغلهم ويشبههم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من اللذات والشهوات لما اذا راى شيئا اعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد واحد
من امام ووراء ويمين وشمال ولا كذلك من تحت ولا فوق او ان يكون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه اذا تلا هذه الاية قال
منعه من ان يأتيهم من فوقهم ولو كان ذلك لما نجا احد فاعلم ان تصعد اليه الله ورحمته تنزل عليهم وقال قتادة اتاك الشيطان من كل
نحو يا ابن ادم غير انه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تأتيك الرحمة من فوقك والذي ذكرنا انه على التمثيل انه يأتيه
من كل جانب اشبه وقوله عز وجل ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم يخرج على وجهين احدهما ليس
على ارادة يمين وخلف وايمان وشمال ولكن على ارادة الجهات كلها كانه يقول لاتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن واهل
التأويل من بين ايديهم الاخرة نكذبها بها ومن خلفهم الدنيا نزينها لهم وعن ايمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات وقوله
عز وجل ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا من عدو الله ظن ظنه لا قاله حقيقة لكن الله عز وجل اخبر انه صدق ظنه بقوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه وقوله عز وجل اخرج منها يحتمل منها من السماء ويحتمل من الارض ويحتمل من الصورة التي كان فيها على ما قلنا في قوله
اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وقيل الجنة وقوله عز وجل مذءوما مدحورا قيل مذموما ملوما اي مذموم ملوم عند الخلق
جميعا مدحورا قيل نقصيا مبعدا من كل خير قال ابو عوسجة مذموم واحد ومدحور مباعد مطرودا وقوله اخرج منها مذءوما
لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين اخبر عز وجل انه يملأ جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم انما يتبعونه ويطيعونه
في الكفر والشرك بالله تعلق الخوارج بظاهر قوله لمن تبعك منهم وكل مرتكب معصية تابع له لذلك استوجب الخلود وقالت
المعتزلة كل مرتكب كبيرة بوعيد هذه الاية لانه تابع له وعندنا ليس لهم في الاية حجة في تخليد من ذكروا في النار لانه انما ذكر
على نقض الدين ورد التوحيد فكانه قال لمن تبعك في نقض الدين ورد التوحيد لاملأن جهنم منكم اجمعين وقوله عز وجل
ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما كان السكون في موضع من القرار فيه والامن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه ولتأمنوا فقوله لادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنهما عز وجل ليقروا فيها ويأمنوا من كل ما ينغصهما تلك النعم التي انعم عليهما
لان الخوف مما ينغص النعم ويذهب بلذتها فلما اسكنهما عز وجل الجنة امنهما عن ذلك كله ثم فيه ان اول المحنة والابتلاء من الله

لعباده انما يكون بالانعام والافضال عليهم ثم بالجزاء والعدل بسوء ما ارتكبوا لانه عز وجل امتحن ادم اولا بالافضال والانعام
عليه حيث اسجد ملائكته له واسكن جنته ووسع عليه فيه ثم امتحنه بالشدائد وانواع المشقة جزاء ما ارتكبوا من التناول من الشجرة
التى نهاه عن قربانها فهو ما ذكرنا ان شرط امتحانه عباده فى الابتداء يكون بالافضال والانعام ثم بالعدل والجزاء لسوء صنيعهم الا ترى
انه قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر ان ما يصيبنا هو من كسب ايدينا وهو جزاء ما كسبنا وفيه وفى غيرها من القصص
الذكر دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لانه اخبر عما كان من غير ان اختلف الى احد ممن يعرف ذلك ولا انظر فى الكتب
التى فيها دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف اهل التاويل فى الجنة التى سكن عز وجل ادم فيها وزوجته قال بعضهم هى الجنة التى
يكون عود اهل الاسلام اليها فى الاخرة ولم وعدها عز وجل ثلث وقال بعضهم هى جنة انشاها لادم ليسكن فيها فى السماء ولكن لا ندرى ما
تلك الجنة وليس لنا الى معرفة تلك الجنة حاجة انما الحاجة الى ما ذكر من المحن واختلفوا ايضا فى الشجرة التى نهى آدم عن قربانها قال بعضهم
هى شجرة الحنطة وقد ذكرنا اقاويل اهل التاويل واختلافهم فى صدد الكتاب قدر ما حفظناه فكذلك اختلفوا فى وسوسة الشيطان
لادم وحوا انه كيف وسوس اليه ومتى كان وهذا ايضا قد ذكرناه فى تلك القصة والحسن يقول انما وسوس اليهما من الدنيا لان كان
دخل الجنة وقال بعضهم وسوس اليهما من راس الجنة ومن فيها يكلمها **وقوله** عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة لم يرد به الدنو منها ولكن اراد
الذوق والاكل منها الا ترى انه قال فلما ذاقا الشجرة دل ان النهى لم يكن للدنو منها ولكن للذوق والاكل منها وفيه ان الامتحان من الله
يكون بالحل وقرع بالحرمة لانه اذن له التناول مما فيها من انواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها فذلك محنته منه ثم
النهى عن التناول عن الشئ يخرج على وجوه احدها ينهى لحق الحرمة لنفسه وينهى لحق ايثار الغير عليه وينهى عن التناول منه لدار فيه
وافة وينهى لما يخرج التناول منها بحق الجزاء فلم يكن بعد وقت الجزاء له **وقوله** عز وجل ما ورى عنهما من سواتهما وقوله ما ورى
اى ستر وغطى وسواتهما عورتهما والسوءة العورة فى اللغة وفيه انه يجب ان يكونوا على حذر من شر ابليس اللعين لئلا يجد فرصة
علينا فانه ابدا على سلب نعم انعمها الله على عباده وحيث احتال بكل حيلة حتى ابدى لهما ما ورى وستر عنهما من العورة وعلى اخراجهما
من النعم واللذات واوقعهما فى الشدائد والمشقة وفيه انه ليس حال عليه اشد من ان راى احدا فى النعم والسعة **وقوله** عز وجل وقال ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين قد ذكرنا معنى هذا ايضا فى صدد الكتاب **وقوله** عز وجل وقاسمهما
انى لكما لمن الناصحين قال الحسن قاسمهما فى وسوسة اياهما انى لكما لمن الناصحين وهذا الذى يقول الحسن يوحى الى ادم قد علم انه
الشيطان وقال ابو بكر الكيسانى انه قد وقع عند ادم ان الشجرة التى نهاه ربه ان يتناول منها هى المفضلة على جميع الشجر فلما
وسوس اليه الشيطان وقال له ما قال هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى فوافق ظنه قول اللعين وما دعاهما اليه ثم اشتغل
فنسى ذلك فيثنا ولها على النسيان على وجهين نسيان الترك على العمد ونسيان السهو ولا يحتمل ان يكون آدم ترك عمدا فهو على نسيان
السهو الى هذا يذهب ابو بكر الاصم وكلام نحوه وقرا بعضهم قوله الا ان تكونا ملكين بكسر اللام من الملك وعيب فى ذلك الى ما قال هل ادلكما
على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقراءة العامة الظاهرة الا ان تكونا ملكين بنصب اللام من الملائكة وقد ذكرنا جهة رغبة ادم فى ان يصير ملكا
حيث تناول منها فى صدد الكتاب على قدر ما حفظنا **وقوله** عز وجل فدلاهما بغرور قال ابو عوسجة فدلاهما بغرور اى دعاهما يقال د
لان يجيل غرور اى انه زين القبيح حتى ركبه واصل التدلية من الدلو وهو من الرشاء اى دعاها بغرور ودعاه اياها بغرور هو قوله
هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى **وقوله** عز وجل الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين **وقوله** عز وجل وبدت لهما سواتهما ف
قيل كيف خص السوءة بالذكر ومنه فى اللباس فى كل البدن لا فى السوءة خاصة وكذلك قوله يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم
ذكر منته فيما انعم علينا من ستر العورة وفى غيره من البدن فى دفع البرد والحر وغير ذلك قيل لان كشف العورة مستقبح فى الطبع والعقل
جميعا واما كشف غيره من البدن فليس هو بمستقبح فى الطبع ولا فى العقل وربما يبدى الحر وغيره من البدن سوى العورة عند الحاجة و
عند غير الحاجة واما العورة فانه لا يبدى الا فى حال الضرورة لذلك كان ما ذكر وان يقال ان الغرض من الستر هو قدر العورة و
الاخر يلبسه اما بحق التجمل واما بحق دفع البرد والحر والاذى لذلك تخصيصه بالذكر والا المنة والنعمة عظيمة فى لباس غيره من البدن
قال قيل الله كفى من الجاع مرة بالمس وقرع بالتشبيه ومعنى الكلام والمكان الذى يقتضى فيه الحوائج وكذلك جميع ما لا
يستحسن ذكره مصرحا فانما ذكره بالكناية وههنا ذكر السوءة والعورة ههنا كناية لما يكره التصريح به ولا ذكره و
الاخير فهو كناية والثانى فى ذكر تخصيص السوءة وذلك قصد الشيطان ابليس اللعين ابداء عورتهما لاغير الا ترى انه ذلك
لم يجعل لغير البشر عورة تستر وذلك لان حفظ الستر بالغير اذا ثبت يغير لاجل عورته ولا يغير غيره من الدواب الاهلى ولا يستر
فعل الحيوان تخرج ذكر تخصيص السوءة لما ذكرنا ان اللعين قصد بذلك قصدا ابداء عورتهما لا غير الا ترى انه قال ليبدى لهما
ما ورى عنهما من سواتهما كان قصده الى ذلك **وقوله** عز وجل وطفقا يخصفان قال ابو عوسجة طفقا اخذا يعملا يقول طفقت
افعل كذا اى اخذت والخصف الخياطة فى النعل والخف وهو سواده هنا وقال مجاهد يخصفان يرقعان كهيئة الثوب قيل
يخصفان يغطيان ثم قوله طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا يجعلان عليهما احدهما من الاخر حياء منه والله تعالى اعلم

وقوله

رجل فى الخلوة ان يكشف عورته ويبديها وعلى ذلك روى فى الخبر انه قال فالله احق ان يستحيى وحياء احدهما من الاخر لما بدت لكل واحد
منهما عورة صاحبه ولهذا كره ابو حنيفة رحمه الله ان ينظر الرجل الى فرج زوجته والمراة الى فرج زوجها او لما وقع بصر كل واحد منهما
على صورته فذلك يكره ايضا ان ينظر المرء الى فرجه الا ترى انه قال ليبدى لهما ولم يقل ليبديه لهما فهو يدل على انه لا ينبغى ان ينظر الى فرج
زوجته ولا الزوجة الى فرجه **وقوله** عز وجل وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة الاية يحتمل قوله وناداهما ربهما وحيا
اوحى اليهما على يدى ملك كقوله فنفخنا فيه من روحنا اضاف الى نفسه ما نفخ فيه بامره فعلى ذلك هذا او الهاما الهمهما كقوله
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه فى التابوت وكقوله واوحى ربك الى النحل ونحوه
وانما هو الهام **وقوله** عز وجل ربنا ظلمنا انفسنا حيث اوقعناها فى الشدائد وكدر العيش والظلم هو وضع الشئ غير موضعه
وقوله عز وجل ربنا ظلمنا انفسنا قال الحسن هى الكلمات التى تلقاها ادم من ربه كقوله تلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه قال
ادم ما ذكر فى الاية وكذلك قال نوح رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين وقال ابرهيم
ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين وقال نوح رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا بعضه خرج على الامر وبعضه على السؤال
وكله على الدعاء والسؤال ليس على الامر وان خرج ظاهره مخرج الامر هو هو ودونه فوقه امر وان سئلا من الملوك اذا امر بعض حزبه
او بعثه الا من شيئا فهو ليس بامر لكنه سؤال ودعاء فعلى ذلك دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام ربهم فان قيل ان الرسل
سالوا ربهم المغفرة لزلاتهم فلا يخلوا اما ان اجيبوا فى ذلك او لم يجابوا فيما سالوا فهو عظيم فان اجيبوا فى ذلك والمغفرة فى اللغة
الستر كيف ذكرت زلاتهم فى الملا الى يوم القيمة قيل لوجوه احدها ما ارتكبوا تلك الزلات عظم ذلك عليهم واشغلت قلوبهم
بذلك لعظيم ما ارتكبوا عندهم لم يخطر بالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عنهم بعد ان اجاب الله
بالتجاوز عنهم فى ذلك وان يقال اراد باشاء ذلك واظهارها ابقاظ وغيرهم شبها فى ذلك ليعلموا ان الرسل مع جليل قدرهم
وعظيم منزلتهم عند الله لم يحابهم فى العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا فمن دونهم احق فى ذلك او ان ذكر ذلك ليعلموا انه ليس بغافل
عن ذلك ولا يخفى عليه شئ والله اعلم بذلك وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا وقال وعصى ادم ربه فغوى وقال فنسى ولم نجد له
عزما فاعلمنا الله عز وجل ان آدم نسى امر ربه فقال قوم من اهل العلم اكل ادم من الشجرة وهو ناس لنهى الله اياه عن اكلها وكان كله
منها ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وان كان فعل ذلك ناسيا ثم ان الله تفضل على امة محمد فرفع عنهم فى الخطا والعصيان وما
استكرهوا عليه وقال قوم معنى قوله فنسى اى ترك امر ربه من غير نسيان وقال الاخر كقوله نسوا الله فنسيهم ولا ندرى كيف كان
ذلك وقال بعض اهل العلم ان الخطا والنسيان فى الاحكام موضوع بهذا الحديث فيقال فما تقولون فى قتل الخطا اما فيه الدية والكفارة
وما تقولون فى رجل افسد متاع رجل واخرقه ناسيا او مخطيا فان قالوا ذلك لازم عليه فكيف قلتم ان الحديث جاء فى الاحكام واسقط
بوجوب الضمان وقال بعضهم وجه الحديث عندنا ان الامم قبلنا كانت ماخوذة بالخطا والنسيان فيما بينهما وبين ربها فرفع
الله تعالى الحرج عن هذه الامة فى ذلك تفضلا منه علينا من بين الامم فاما الغرامات والضمانات فى الاحكام التى بين الناس فهى
لازمة لهم خطا فعلوا او عمدا والله اعلم وفى قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا دلالة النقض على المعتزلة لانهم يقولون الصغاير مغفورة
باجتناب الكبائر ثم قوله ان الرسل والانبياء معصومون عن الكبائر فزلة ادم لا شك انها صغيرة لما ذكرنا ثم قالا ان لم تغفر لنا
من الخاسرين فاذ لم يكن له ان يعذبه فيصير كانه قال ان جرت وظلمت علينا لنكونن من الخاسرين وبلا يفة تفر به ادم وحوا ان يكونا
من الملائكة لان الملك ما ذكر انه لا يفتر عن العبادة ولا يعصى ربه لا يحتاج الى شئ من المؤنة ومن قرا ملكين لان الملك يكون نافذ
الامر والقول فى مملكته وذلك مما يرغب فيه وان يكون بذلك ليشغلهما عن نهى ربهما حتى ينسيا ذلك نهيتنا ولا عن تلك الشجرة
عليهما فعلا وفيما ذكر الخلود لانه ليس بشئ الذ ولا اشهى من الحيوة والاشبه ان يقال انه لم ينسيا نهى الله اياهما عن التناول انهما وكيف
نسى قوله فتكونا من الظالمين لذلك تنا ولا ولو ذكرا قوله فتكونا من الظالمين ما تناولا والله اعلم **وقوله** عز وجل قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو عن ابن عباس رضى الله عنه قال ادم وحوى وابليس والحية وقال الحسن ادم وحوى ووسوسة الشيطان لان من قوله ان الشيطان
لم يكن فى وسوسة الشيطان لان من قوله ان الشيطان لم يكن فى السماء انما وسوس ادم وحوى من بعد فالامر بالهبوط لوسوسته وان
بقيت فى اولاده الى يوم القيمة وقال بعضهم دل قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين على ان الامر بالهبوط انما كان من السماء وكانوا
فى السماء ثم قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو كان الامر بالهبوط لم يكن معا لان ابليس امر بالهبوط حين ابى السجود وادم وحوى حين تناولا
من الشجرة ثم جمعهم فى الامر بالهبوط ليعلم ان ليس فى الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر مجموعا **وقوله** عز وجل اهبطوا لا يفهم منه
الهبوط من الاعلى الا ترى انه قال فى اية اخرى اهبطوا مصرا اى انزلوا فيه وقوله عدو وهو عدو لنا اما بالكفر واما بما يسعى فى هلاكنا وكل
من يسعى فى هلاكنا فهو عدو لنا ونحن اعداء له **وقوله** عز وجل ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قيل الى منتهى اجالكم وابليس الى النفخة
الاولى ويشبه ان يكون هذا ليس على التوقيت ولكن على الدوام والقرار فيها **وقوله** عز وجل قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
قيل فى الارض تعيشون وفيها تموتون عند انقضاء اجالكم ومنها تخرجون فى القيمة **وقوله** عز وجل يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا

بوادى سوآتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن انزل ما التراب من السماء ليتخذ منه اللباس ما يوارى عوراتهم ويتخذ منه الطعام
والاشياء التي بها قوام انفسهم ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم لباسا انزل الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس والاطعمة والاشربة و
العلم في ذلك الماء والاسباب والعلم بذلك والا ما عرف الخلق كيف يتخذ ذلك لباسا والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات
الرسالة لانهم لم يعرفوا ذلك الا بوحى من السماء او ان يكون قوله قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا وبناشا اى جعل لكم
وانشا لكم ما يتخذون منه اللباس والطعام والشراب ليس على الانزال ولكن على ان جعل لكم ذلك كقوله جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تاكلون وقوله جعل لكم اى انشا لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وهو ان خلق لنا ذلك وفيه دليل خلق افعال الخلق
لانه انما صار لباسا وطعاما وما لا يفعل من العبادة انه انزل من السماء هكذا ثم اخبر انه جعل ذلك لنا دل انه خلق فعل الخلق فيه
وقوله عز وجل وريشا قال بعضهم مالا وقال بعضهم معاشا وقال القتبي الريش والرياش ما ظهر من اللباس وريش الطائر ما ستره
وقوله عز وجل ولباس التقوى في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولباس التقوى بالرفع على الابتداء اى لباس التقوى خير ومن
نصب ايضا فانما ينصبه على الجواب لما تقدم والا الحق فيه الرفع ثم اختلف فيه اهل التاويل عن الحسن لباس التقوى الدين وقال ابن
الاصم القرآن وقيل العفاف وقيل الحياء وقيل الايمان فكله وكلها اى كل ما ذكر من لباس التقوى خير من اللباس الذي ذكر لان الدين
والايمان والقرآن والحياء يزجره ويمنعه عن المعاصي فهو خير لانه لباس في الدنيا والاخرة لان المؤمن التقي العفيف الحي لا يبدى له
عورة وان كان عاريا من الثياب وان الفاجر لا يزال يبدو منه عورته وان كان كاسيا من الثياب لا يتحفظ في لباسه فالتقوى
خير وهو كقوله فان خير الزاد التقوى هذا التاويل للقراءة التي تقرا بالرفع لباس التقوى على الابتداء واما من قراه بالنصب فهو
رده الى قوله قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ثم انزلنا عليكم ايضا لباسا تتقون به الحر والبرد والاذى فيكون فيه
ذكر لباس لستر البدن وفي الاول ذكر لباس العورة وقوله عز وجل ذلك من آيات الله يحتمل قوله ذلك الذي اتخذ منه اللباس و
الاطعمة والاشربة من آيات الرسالة لان كل ذلك انما عرف بالرسل بوحى من السماء وهو ما ذكرنا ان فيه دليل اثبات الرسالة ويحتمل
ذلك من آيات اى من آيات وحدانية الله وربوبيته لما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ذلك ان منشيهما
ومدبرهما واحد لانه لو كان تدبير اثنين ما اتسق تدبيرهما لاتصال منافع احدهما بالآخر وقوله عز وجل لعلكم يذكرون اى لعلهم
للتذكير ولعلهم يتقون اى لعلهم يتقون للتقوى ولعلهم يشكرون للشكر لانه حرف شك عز يحسن ان يقال والله اعلم او
نقول لكي يلزمهم التذكر والتشكر وقوله عز وجل يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قال بعضهم خاطب به
اهل مكة في تكذيبهم رسول الله ومخالفتهم امره فان لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال بعضهم
قوله لا يفتننكم الشيطان احذروا دعاءه الى ما يدعوكم اليه فانه يمنع عنكم في الآخرة الكرامة والثواب كما اخرج ابويكم من دار الكرامة
المنزلة وقد قال [illegible] لا يفتننكم الشيطان اى لا يضلنكم الشيطان [illegible] كما فعل بابويكم اخرجهما من الجنة وقد قيل فيه
لا يفتننكم الشيطان بما تهوى به انفسكم وما تلتذ شهواتها وما تمناه كما اخرج ابويكم من الجنة بما هويا انفسهما واشتهيا [illegible]
اتباع هوى النفس وشهواتها وما تمناه ان السبب الذى به كان اخراجهما هو هوى النفس وما تمناه وقوله عز وجل ينزع عنهما لباسهما
يحتمل قوله ينزع اى نزع عنهما لباسهما وهذا في القرآن كثير يجعل بمعنى فعل ويحتمل على الاستقبال كانه قال اذا اراد ان ينزع عنهما لباسهما
[illegible] في القرآن كثير يجعل بمعنى فعل ويحتمل على الاستقبال كانه قال اذا اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وقد كان المفزع من
الستر هو الستر العورة [illegible] من الستر فانما هو لدفع الاذى من الحر والبرد والمفتون بالحسن هو
المشغوف به والمولع به يقول لا يفتننكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة وكان [illegible] ما ذكر من نزع اللباس وابداء العورة
وهو ما ذكر وقوله عز وجل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قيل قبيله جنوده واعوانه [illegible]
ونحن لا نراهم فان قيل كيف كلفنا محاربته وهو يرانا ونحن لا نراه [illegible]
القيام بمحاربته وليس في وسعنا القيام بمحاربة من لا نراه قيل لم يكلفنا محاربة [illegible]
[illegible]
صدورنا [illegible] وقد جعل لنا السبيل الى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر فيها [illegible] من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية
وقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا [illegible]
[illegible] وجعل لنا الوصول الى دفع وساوسه [illegible]
تلك الاشياء بعد ان جعل في وسعنا الوصول الى تلك الاسباب وان لم يكن وقت التكليف تلك الاسباب [illegible] الامر بالشهادة و
[illegible] على الطهارة اذا جعل في وسعنا الوصول الى الطهارة ويخلوا الامر بايجاب الزكوة [illegible]
بالحج وغيره من العبادات وان كان لا يصل اليه الا [illegible]
يلزم الاوامر والنواهي من جهتها ولا يكلف [illegible]

اسباب العلم لئلا يلزم ذلك فهذا بعيد محال والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون
اختلف اهل الاعتزال فيه قال ابو بكر الاصم الجعل من الله تعالى على وجوه لسرها السبب الذى اعطيناهم السبب الذى به صاروا اولياءهم
كما يقول الرجل لاخر جعلت لك الدار والعبيد والمال وهو لم يجعل له ذلك ولكن اعطاه ما به صار ذلك وهو انما اعطاه سبب ذلك
فيضاف ذلك اليه فعلى ذلك ما اضاف الجعل اليه لما اعطاه السبب وقال جعفر بن حرب الجعل هو التخلية فيما بينهم وبين اولئك فاضاف
ذلك اليه بالجعل كما يقال للرجل جعلت عبدك فتانا لا ضربا انا خلى بينه وبين ما يفعله وهو قادر على منعه فعلى ذلك فيما اضاف الجعل
الى نفسه هو ان خلى بينهم وبين اولئك يعملون ما شاؤا وقال الحسن من حكم الله ان من عصى يكون عدو الله ومن اطاع يكون وليا له
ومن اطاع الشيطان فهو وليه ومن عصاه يكون عدوا له فكذا حكم الله تعالى ان كل من اطاعه يكون وليا له ومن عصاه يكون عدوا له
وقال غيرهم من المعتزلة قوله جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اى وجدناهم كذلك اولياء لهم ولكن لو جاز اضافة ذلك الى الله
تعالى لما ذكر هؤلاء لجاز اضافة ذلك الى الانبياء لانه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم بذلك والحكم على ما قال الحسن والوجود
فاذ لم يجز اضافة ذلك اليهم دل انه قد كان من الله في ذلك صنيع لم يكن ذلك من الانبياء وهو ان خلق منهم فعل الولاية لما علم منهم انهم يختارون
ولايتهم ويتولونهم كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس رضي الله
عنهما كل معصية فاحشة والفاحشة كل ما عظم فيه النهي فاذا ارتكبوا ذلك فهو فاحشة وقال مجاهد فاحشتهم انهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة وقال غيره من اهل التاويل الفاحشة هو ما حرموا من الحرث والانعام والنبات وغيره من نحو السائبة والحامي وغيره لكن الفاحشة
ما ذكرنا ان كل ما عظم النهي فيه والزجر فهو فاحشة والفاحشة هو ما عظم فيه الامر ويعرف ذلك بوجهين احدهما يعظم ذلك في العقل و
الثاني بالتشنيع يرد فيه وقوله عز وجل والله امرنا بها ادعوا في ذلك ارادته ورضاه فيه ويقولون لو لم يرض بذلك لم يأمر بكان يتحكم
وينتقم منهم بعقوبة اياهم فاستدلوا بتركهم وما فعلوا على ان الله قد كان رضي بذلك وامرهم ان فعلوا ذلك مثل تركه اياهم على ذلك على انه
قد امرهم بذلك ورضي عنهم كمن يخالف في الشاهد ملكا من الملوك في امره ونهيه فانه يتحكم على ذلك وينتقم منه اذا كان قادرا على ذلك فاذا لم
يفعل ذلك به دل ذلك منه على الرضا به فعلى ذلك ان الله لما لم ينتقم منهم ولم يتحكم دل ذلك على الرضا والامر به والثاني كانهم اخذوا ذلك
من المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا ما شاء الله كان فظنوا ان ما كان من ابائهم كان بامر من الله ورضاه لم يفصلوا بين المشية والامر
المشية والارادة هي صفة فعل كل فاعل يفعله على الاختيار وهو ان يقال شاء فعل كذا وامر وامر كذا ولا يجوز ان يقال امر نفسه بكذا
او نهى نفسه عن كذا واما قولهم انه لم يتحكم اياهم ولم ينتقم منهم بما فعلوا دل انه رضي بذلك فيقال لهم فيهم من فعل على خلاف فعلهم و
غير صنيعهم ضد ما فعلوا وذلك ثم لم يفعل بهم ذلك فهل دل ذلك على الرضا منه بذلك فان قلتم بلى فاذا رضي بفعلين متضادين وان
قلتم لا فكيف دل ذلك في اولئك على الرضا والامر ولم يدل في فعل الخلاف فعلهم فذا تناقض وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم قل ان
يا محمد ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ان الله امرهم بهذا وحرم هذا وقوله عز وجل قل ان الله لا يأمر بالفحشاء هو ما
ذكرنا ما عظم النهي فيه او كل ما يشتد فيه النهي ويغلظ او يكثر هو الفحشاء الا ترى انه يقال لكل شيء يكثر فحش من نحو الكلام وغيره
انه اذا خرج من حده وجاوز يقال الفحش فعلى ذلك الفحشاء هيهنا هو ما جاوز وخرج في التقبيح او جاوز الحد من الكثرة وهو ما كثر والافترا
على الله وقوله عز وجل اتقولون على الله ما لا تعلمون قال بعضهم بل تقولون على الله ما لا تعلمون انه امر بذلك وقيل قولوا اتقولون على الله
اى تعلمون انكم تقولون على الله ما لا تعلمون لانهم لم يكونوا يؤمنون بالرسل ولا كان لهم كتاب فكيف تعلمون ان الله امركم بذلك وهو كقوله
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض لا يجوز ان لا يعلم الله ولكن على النفي لذلك ليس كما تقولون وتثبتون ولكن يعلم خلاف ذلك
وضده ويكون في نفى ذلك اثبات غيره فعلى ذلك يعلمون انهم يقولون على الله ما لا يعلمون واسباب العلم هو اما الرسل يخبرون عن الله
ذلك والكتاب يجدون فيه مكتوبا فيعلمونه فيتسع الشهادة بذلك وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون بخبرهم وليس كتاب
ايضا يقرؤنه فما بقي الا وحي الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله عز وجل قل امر ربي بالقسط والقسط
هو العدل لدى كل شيء في القول والفعل وغيره كقوله واذا قلتم فاعدلوا وكقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط واصل العدل هو محاذاة
الشيء عن الحد الذي جعل له ووضعه موضعه وقوله عز وجل واقيموا وجوهكم عند كل مسجد اختلف فيه قيل اقيموا اى سووا وجه
نحو الكعبة عند كل مسجد اى في كل مكان تكونون فيه وهو كقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اى اجعلوا بيوتكم نحو
الكعبة كقوله تعالى حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقيل اقيموا وجوهكم اى اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا فيها غيره كقوله وادعوه
مخلصين له الدين ويشبه ان يكون الوجه كناية وعبارة عن الانفس كانه قال اقيموا انفسكم لله لا تشركوا فيها لاحد شركا كقوله ومن
يسلم وجهه الى الله اى يجعل نفسه لله سالما وقوله عز وجل وادعوه مخلصين له الدين يحتمل الدعاء نفسه اى ادعوه ربا والها
ورحمانا مخلصين له الدين بالوحدانية والالوهية والربوبية ويحتمل قوله ادعوه اى اعبدوه مخلصين له العبادة ولا تشركوا غيره
فيها ويحتمل اى دينوا بدينه الذي دعاكم الى ذلك وامركم به وقوله عز وجل كما بدأكم تعودون قال قائلون هو صلة قوله فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون كانهم سألوا ما يعودون اذا بعثوا فقال كما بدأكم تعودون مثله ويحتمل ان يكون هو صلة قوله فمنكم

كافر ومنكم مؤمن تعودون كما كانوا في البداء الكافر كافرا والمؤمن مؤمنا وقوله عز وجل كما بدأكم تعودون هو من الدائمة ليس من الابتداء
لانه لا يجوز ان يقال للصبي كافر او مؤمن وهو الدوام والمقام فيه الى وقت الموت وهو في البداءة وفي الاخرة الاعادة وهو كقوله وهو الذي
يبدؤ الخلق ثم يعيده وقوله يبدؤ ليس يريد ابتداء نشوة ولكن كونه في الدنيا فعلى ذلك كونه في الدنيا فعلى ذلك قوله كما بدأكم تعودون
الاية تخرج على وجهين احدهما اي كما كنتم في الدنيا تعودون في الاخرة كذلك المؤمن مؤمن والكافر على كفره والثاني كما انشأكم في الدنيا لا
من شيء فعلى ذلك يبعثكم لذلك لا يعجزه شيء وقوله عز وجل فريقا هدى باعمالهم الله بفضله وفريقا حق عليهم الضلالة بما اختاروا
من فعل الضلال فاضلهم الله كقوله يضل من يشاء وقوله ومن يضلل الله فلا هادي له وقوله عز وجل ويحسبون انهم مهتدون فيه لزوم
الحجة والدليل في حال الحسبان والظن اذا كان بحيث الادراك والوصول اليه لانه قال ويحسبون انهم مهتدون فيه انهم عند انفسهم
مهتدون ولم يكونوا ثم عوقبوا على ذلك دلالة الدليل والحجة قد يلزم وان لم يعرف بعد ان يكون سبيل الوصول الى ذلك وهذا يرد قول من يقول
بان فرايض الله لا تلزم الا بعد العلم بها والمعرفة وقوله عز وجل يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يحتمل ان يكون الخطاب وان خرج مخرج
الامر باخذ الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها لان الناس يكونون اخذين الزينة وساترين عوراتهم غير بادين بها فاذا كان كذلك
فهو على النهي عن نزع لباسهم وابداء عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصة ان اهل الشرك كانوا اذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون لا نطوف
في ثياب التي اذنبنا فيها فان كان التاويل ما قال ابن عباس وهؤلاء فيكون فيه اضمار كانه قال خذوا زينتكم عند هذا المسجد كما تاخذون
عند كل مسجد سواه والاخراج تاويل الاية على وجوه احدها يقول صلوا في كل مسجد ذكر هذا لمن لا يرى الصلوة الا في مسجده على ما روي
ان لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد والثاني صلوا بكل مسجد وبكل مكان كقوله عليه الصلوة والسلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا والثالث
يجعل الزينة العبادة نفسها يقول خذوا زينتكم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل كانوا يستعيرون من اهل مكة ثيابا يطوفون فيها فان لم يجدوا
طافوا فيها عراة بادي عوراتهم نهاهم الله تعالى عن ذلك وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد اي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النهي
عن نزع الثياب وابداء العورة وكذلك قوله كلوا واشربوا يخرج على النهي عما حرموا على انفسهم من انواع المنافع والنعم التي احل الله لهم
من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ومن نحو ما حرموا من الزرع والطعام وكقوله وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم
وانعام حرمت ظهورها الاية فخرج قوله وكلوا واشربوا على النهي عما حرموا مما احل لهم لا على الامر بالاكل والشرب لان كل احد ياكل ويشرب
ولا يدع ذلك فدل انه خرج على النهي لما حرموا كانه قال لا تحرموا ولكن كلوا واشربوا واستمتعوا بها فان كان على الابتداء الامر باخذ الزينة
فهو والله اعلم امر باخذ الزينة والتجمل عند كل مسجد والمسجد هو مكان كل عبادة ونسك على ما يكون في غير ذلك من الاوقات تتزينون
ويتجملون عند اجتماع الناس فعلى ذلك يكونون في مكان العبادة والنسك اذ ان يكون كما في المسجد اجتماع الناس للعبادة فامر بستر
عوراتهم في ذلك ويكون قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا اي كلوا واشربوا واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوا وهو نهي عن الكثرة وما ذكر
انه نهاهم عن التحريم وترك الانتفاع بها وفي تحريم ما احل الله وترك الانتفاع بها اسراف انه لا يحب المسرفين لانه لا يحب الاسراف وقد
ذكرنا ان المقصود من الستر هو ما يستر به العورة واما غيره فانما هو على دفع الاذى والتجمل الا ترى انه قال ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سواتهما وقال يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم من علينا بما انزل مما نستر به عوراتنا وان كانت المنة في الكل وذلك قبيح
في الطبع ان ينظر احد الى عورة اخر وعلى ذلك جاءت الاثار في الامر بستر العورة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احفظ عورتك
الا من زوجتك وما ملكت يمينك فقيل يا رسول الله فان كان بعضنا في بعض فقال ان استطعت ان لا تظهر عورتك فافعل فقيل فان
كان احدنا خاليا فقال فالله احق ان يستحيي منه وعنه صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المراة الى عورة المراة ومثله
كثير وفيما ذكرنا كفاية وعلى ذلك يخرج الامر لا قبال لستر العورة الا ترى انه قال تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه لا
ليري عورته لانه يكون جناه وقوله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ابو بكر الاصم الزينة
ههنا هو اللباس لانه ذكر على اثر ذلك اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والطيبات من الرزق ما حرموا مما احل الله لهم
من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك مما كانوا يحرمون الانتفاع به كقوله حرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم
وقال الحسن زينة الله هو المركب كقوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة جعل الله ما يركب زينة للخلق وهم كانوا يحرمون الركوب
والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده وقال والطيبات من الرزق البانها ولحومها وقال غيره من اهل التاويل
زينة ههنا النبات وما يخرج من الارض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
الاية وكقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت سمى لنا ما اخرج من الارض زينة وقوله عز وجل قل هي للذين امنوا في الحيوة
الدنيا خالصة يوم القيمة اختلف فيه قال الحسن هي يعني الطيبات خالصة للمؤمنين في الاخرة لا يشاركهم الكفرة فيها فاما في الدنيا فقد
شاركوهم فالنا قيل لا اول يخرج على التقديم والتاخير كانه قال قل هي للذين امنوا خالصة يوم القيمة وفي الحيوة الدنيا لهم جميعا بقوله قال ومن
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار ويحتمل قوله قل هي للذين في الحيوة الدنيا لانهم لم يحرموا الطيبات التي احل الله لهم بل انتفعوا بها
وحرم اولئك ولم ينتفعوا بها فكانت هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها الاخرة وكانت خالصة يوم

القيمة وانما

القيمة وانما كان خالصا لهم يوم القيمة لانه لا يكون لاهل الشرك ذلك لانهم لم يتزودوا للمعاد وقد كانت لهم في الدنيا لو لم يحرموها و
انتفعوا بها وفي قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق دليل اباحة الزينة والتناول من الطيبات
وقد يحتمل ان يكون خرج على النهي والانكار على ما كان يفعله اهل الشرك من نحو تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة فقال قل من حرم
ما حرمتم اذا لم يحرمه الله الا ترى انه قال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن يقول والله اعلم لم يحرم ما حرمتم من هذه
الاشياء ولكن حرم الفواحش وما ذكر ولم يذكر جوابهم ماذا يقولون فهو يخرج على وجهين ان قالوا حرم الله فيقال لهم من حرم
وانتم قوم لا تؤمنون بالرسل والكتب فان قالوا حرم فلان فيقال كيف صدقتم فلانا في تحريم ذلك ولا تصدقون الرسل فيما يخبرون
عن الله تعالى مع ظهور صدقهم يذكر سفههم في ذلك وقوله عز وجل قل من حرم زينة الله كانه يقول ليس لاحد تحريم ما ذكرنا انما التحريم
الى الله وانما حرم ما ذكر وقد يحتمل ما ذكرنا من نزعهم الثياب عند الطواف ويطوفون عراة على ما ذكر في القصة والى هذا يذهب
ابن عباس والحسن وقتادة وعامة اهل التاويل وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يطوفن بهذا البيت
عريان ولا محدث وقوله عز وجل كذلك نفصل الايات اي نبين الايات لقوم يعلمون اي لقوم ينتفعون بعلمهم ونقول كذلك نفصل
الايات اي كذلك نفصل لكم اية من حكم اية اخرى نفصل هذا من هذا وهذا من هذا وقوله قل من حرم زينة الله انه انما يفهم من زينة الله
ما يفهم من زينة الخلق لانه زينة الخلق ما يتزينون به ويتحلون لا يجب ان يفهم من استوائه استواء الخلق ولا من مجيئه مجيء الخلق لان استواء
الخلق هو انتقال من حال الى حال ولا يجوز ان يفهم منه ذلك على ما لم يفهم من زينة الله وقوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق فيشبه ان يكون هذه الاية مقابل قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان والنهي ههنا ويكون
الفحشاء الذي ذكر في هذه الاية الفواحش التي ذكر في ذلك والمنكر الذي ذكر ههنا هو الاثم الذي ذكر في ذلك وذكر البغي ههنا
وهنالك البغي ثم الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع والمنكر هو الذي ظهر الانكار فيه على مرتكبه والاثم هو الذي
يأثم المرء فيه والبغي هو من مظالم الناس فيظلم بعضهم على بعض وقال بعضهم الفواحش هي الكباير والاثم هو الصغاير والبغي
هو ما اخذ ما عصم من مال او نفس بعقد الاسلام على ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فكل ما صار معصوما بالاسلام من مال او نفس فاخذ ذلك بغي وظلم
الا ما ذكر بحقها واصل البغي هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وقال اهل التاويل الفواحش هو الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن
منها سرا لكن الفواحش ما ذكرنا ان ما ظهر قبحه في العقل وخبثه في السمع فهو فاحشة والفواحش هو ما ذكرنا ان ما قبح في العقل والسمع
وخبث فيهما فهي الفاحشة واصل المنكر كل ما لا يعرف كقول ابراهيم انكم قوم منكرون والمنكر ما انكره العقل والسمع ايضا وقوله عز وجل
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي وحرم ايضا ان تشركوا بالله وقوله عز وجل ما لم ينزل به سلطانا ليس على انه ينزل سلطانا
على الاشراك بحال ولكن على انهم يشركون بالله من غير حجة وسلطان لان اهل الاسلام هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والايات وهم
يدينون بدين لا يظهر بالحجج والايات ولكن بما هوت به انفسهم واشتهت ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا لانه يجوز ان
يعذر المرء بحال في اجراء كلمة الكفر على لسانه عند الاكراه ولا يصير به كافرا اذا كان قلبه مطمئنا بالاسلام منشرحا به كقوله الا من
اكره وقلبه مطمئن بالايمان اي تشركون بالله من غير ان ينزل بهم حال عذر وقوله عز وجل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون والثاني
اي تعلمون انهم يقولون على الله ما لا تعلمون انه حرم كذا وامر بكذا وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون هذا على الجهل والاول على العلم
كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم اي تنبئون الله بما يعلم انه ليس ما تقولون وقوله عز وجل ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون لتختلف فيه قال بعضهم لكل امة اجل هو بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسول فكذبوه وعاندوا فعند
ذلك يهلكون وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا ويحتمل
ان لكل امة اجلا لا تهلك قبل بلوغ اجلها لا استاخر ولا استقدم فهذا يرد على المعتزلة لانهم يقولون ان من قتل انما
هلك قبل بلوغ اجله ويجعلون القاتل منه مستقدما الاجل ذلك المقتول والله تعالى يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
وقوله عز وجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذا جاء لا يستاخرون واذا لم يجئ لا يستقدمون وقوله
عز وجل يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم قال اهل التاويل اما ياتينكم اي سياتينكم رسل منكم او سوف ياتينكم يقصون عليكم اياتي
اي هداي كقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فعلى ذلك يقصون عليكم اياتي اي هداي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويحتمل الايات
الحجج والبراهين التي يضطر اهلها الى قبولها الا من عاند وكابر فمن اتقى اتقى الشرك واصلح وامن بالله وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقوله فمن اتقى ما نهى الرسل او اتقى المهالك واصلح فيما امر به الرسل واصلح امره وعمله فلا خوف عليهم في ذهاب
ما اكرمهم به مولاهم ولا فوته لان خوف الفوت ما ينغص ولا يحزنون تبعاته وانما نعيم الاخرة على خلاف نعيم الدنيا
وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهرتا وبلها وقد ذكرنا في غير موضع

حتى لم يأخذوا على احد منهم وفي قوله يا بني ادم اما يأتينكم رسل منكم به على خلقه منن كثيرة ونعمة عظيمة حيث بعث الرسل من جنس المرسل
اليهم لما ان كل ذي جنس وجوهر مستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره فمن عليهم حيث بعث الرسل من جنسهم وجوهرهم
يستأنس بعضهم ببعض وتأليف بعضهم بعضا فذلك اخذ القلوب وادعى الى الاتباع والاجابة والثاني بعث الرسول من قومهم الذين
نشأوا بين اظهرهم وعرفوا صدقهم وامانتهم ليعلموا انهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة فقط
حتى لم يأخذوا على احد منهم الكذب والثالث ان الرسل لو كانوا من غير جنسهم ومن غير جوهرهم لم يعرفوا ما اوتوا من الايات والبراهين انها
ايات وحجج لما لا يعلمون ان وسعهم لا يبلغ هذا وطوقهم لا يصل الى ذلك واذا كانوا منهم يعرفون ذلك اذا اتوا بشيء خرج عن وسعهم انها
ايات وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا قال الحسن ديننا واستكبروا عنها ويحتمل اياتنا حججنا اي كذبوا بحججنا فاذا كذبوا بحججه كذبوا به لانه
عز وجل لا يعرف من طريق الحس والعيان ولكن انما يعرف من طريق الحجج والايات والدلائل فيكون الكفر باياته وحججه كفرا به ويشبه ان يكون
اياته ايات الرسالة وحججها ويحتمل اياته ههنا رسله اي كذبوا برسلنا سمى رسله اياته ويجعله كفرا به ويشبه ان يكون اياته ايات الرسالة
وحججها ويحتمل اياته ههنا رسله اي كذبوا برسلنا سمى رسله اياته لان انفس الرسل كانت ايات للخلق تدلهم على وحدانية الله ورسالتهم
من اعلام جعلت من انفسهم من صدقهم وامانتهم واستكبروا عنها اي استكبروا التدبر فيها والنظر اولئك اصحاب النار لانهم يصحبون النار والذنب
الذي يوجب لهم النار ابدا فسموا اصحاب بذلك كما يقال صاحب الزاد وصاحب الدابة لانه هو يصحبها دائما فعلى ذلك هؤلاء سموا اصحاب
لانهم يصحبونها دائما ابدا والله اعلم وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله فمن اظلم انما
هو حرف استفهام وسؤال لم يخرج له جواب لكن اهل التأويل عرفوا ذلك فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا اجابوا على ما عرفوا من السؤال
والايس بقوله لا احد اظلم تفسير قوله فمن اظلم اي لا احد افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا مع علمه انه خالقه وانه متقلب في نعمه
واحاطت به اياديه واحسانه وقوله عز وجل فمن اظلم اي لا افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا وقوله افترى على الله كذبا قيل الافتراء
هو اختراع الكذب من نفسه من غير ان سبق له احد في ذلك كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن وانما قد يكون فيما انشاه وما قد سبق له
احد فسمع منه افتراؤهم على الله انواع يكون بما قالوا ان له ولدا وقالوا ان له شريكا وصاحبة وما عبدوا غير الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ويكون ما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ويكون ما حرموا من
اشياء على انفسهم فاضافوا ذلك الى الله ونحو ذلك من الافتراء وقوله عز وجل اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف فيه قال
الحسن من اطاع الله في امره ونهيه واطاع رسله فقد كتبت له الجنة خالدا فيها ابدا فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب له ومن
عصى الله وخالف رسله كتب له النار فهو نصيبه من الكتاب وقال ابو بكر الكيساني في قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي حظهم من
الجزاء والعقاب في الاخرة وهو قول القتبي ويحتمل وجهين اخرين غير هذين احدهما ما حرفوا من الكتب وغيروها ثم اضافوا ذلك ونسبوه
الى الله كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فصار ما حرفوا وغيروه سنة منهم يعملون
بها الى يوم القيمة فينالون هم جزاء ذلك يوم القيمة والثاني قوله ينالهم نصيبهم ما كتب لهم من الرزق والنفقة يستوفون ذلك المكتوب
لهم ثم يموتون ثم قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم على هذا التأويل جاءتهم الرسل بقبض ارواحهم وهو ظاهر وعلى تأويل من حمل ذلك
على الجزاء في الاخرة فهو يحمل التوفي في النار لشدة العذاب وان كانوا لا يموتون وهو كقوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي يأتيه
اسباب الموت وعلى تأويل من يحمل قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب في الدنيا فاستيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله حتى على
الاثبات وعلى تأويل من يقول بان ذلك في الاخرة ينبغي ان يكون على الصلة والاسقاط وقوله عز وجل اين ما كنتم تدعون من دون الله
يقول لهم الملائكة في النار على تأويل هؤلاء وعلى تأويل اولئك عند قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم وقوله اين ما كنتم تدعون
من دون الله اي تعبدون من دون الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والاكابر التي ذكر
بقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اين اولئك الذين كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي ضلوا عنا و
هلكوا اي بطل عبادتنا التي عبدناهم الا ترى انه قال في اية اخرى ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
فان كان قوله اين ما كنتم تدعون من دون الله الكبراء منهم والرؤساء يكون قوله ضلوا عنا اي شغلوا بانفسهم عنا وان كان الاصنام يكون
قوله ضلوا عنا اي بطل ما كنا نطمع من عبادتنا اياهم وهو قولهم شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل قال ادخلوا في امم قوله في امم يحتمل مع امم
وذلك جائز في اللغة يقال جاء فلان في جند اي مع جند قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار المتبوعين والاتباع جميعا والعرب تقيم حروف
الخفض بعضها في موضع بعض كقوله فادخلي في عبادي اي ادخلي مع عبادي ويحتمل في موضع كان المتبوعين يدخلون النار قبل الاتباع
يقول لهؤلاء الاتباع ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار وفيه دليل ان الكفار من الجن يعذبون كما يعذب الكفار من الانس
وقوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها لعن الاتباع المتبوعين لما انهم دعوهم الى ذلك وهم صدوهم عن دين الله كقولهم اذ تأمروننا ان
نكفر بالله ونجعل له اندادا وكقوله وقال الذين استضعفوا وغير ذلك من الايات ولعن المتبوعين الاتباع لما يزداد لهم العذاب بكثرة الاتباع

ويقدم

ويقدم هم فيلعن بعضهم بعضا وفيه دلالة ان اهل الكفر وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة واخوات بعضهم لبعض كالمؤمنين
بعضهم اخوة واخوات لبعض وقوله عز وجل حتى اذا اداركوا فيها جميعا قال بعضهم هو من التدارك حتى اذا اداركوا وتتابعوا فيها
وقيل هو من الادراك لان النار [illegible] لا يزال اهل النار يدخلون فيها الى ان [illegible] التدارك [illegible] والاخرة فلا يزال الذين يدخلون
فيها [illegible] وقيل حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي اجتمعوا فيها [illegible]
[illegible]
[illegible]
هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار [illegible] اخراهم الذين دخلوا النار اخيرا وهم الاتباع لاولاهم الذين دخلوا النار اولا وهم
القادة والمتبوعون ربنا هؤلاء يعني القادة والسادة اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار [illegible]
[illegible]
والعن [illegible] فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
هؤلاء القادة للاتباع مثل قول الشيطان لحزبه وقيل قوله فما كان لكم علينا من فضل يعني تخفيف العذاب اي نحن وانتم في العذاب سواء
لا فضل لكم علينا من تخفيف العذاب في شيء لغفلتنا ويحتمل قوله فما كان لكم علينا من فضل يرجع الى الاخرة والاخرة في الدنيا
وقوله عز وجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب لايات الله وكذلك جزاء بما كانوا يكسبون ويعملون وقوله
عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم يعني ابواب
السماء ابواب الجنان لان الجنان تكون في السماء فسمي ابواب السماء لما الجنان فيها الا ترى انه قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يوعد
لنا هو الجنة ثم اخبر انها في السماء الا ترى انه قال ولا يدخلون الجنة ايضا وقال اخرون ابواب السماء هو ابواب السماء وذلك ان اعمال المؤمنين
ترفع الى السماء ويصعد اليها ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم ترد الى اسفل السافلين كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وقال في الكافر ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاذا كانت اعمال المؤمنين وارواحهم ترفع الى السماء وتصعد
اليها اخبر انه لا تفتح لهم ابواب السماء ولا لاعمالهم ولكن ترد الى السجين ويمكن ان يكون على التمثيل ليس على تحقيق السماء ولكن ذكر السماء لما
ان السماء هي مكان الطيبات من الاشياء وقرارها لا مكان الخبائث والاقذار والارض هي مكان ذلك واعمال الكفرة خبيثة
لكون الاعمال الخبيثة بالارض هي معدن الخبائث والانجاس لكون اعمال المؤمنين الطيبة بالسماء وهو كما ضرب مثل الايمان بالشجرة الطيبة
الثابتة بالارض لما ان الارض هي معدن الخبائث والانجاس لكون اعمال المؤمنين الطيبات بالسماء وهو كما ضرب مثل الايمان بالشجرة
الطيبة الثابتة وفرعها في السماء وضرب مثل الكفر بالشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الارض ليس على ان يكون قوله فرعها في السماء على تحقيق
السماء ولكن على الوصف بالطيب والقبول فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لا تفتح ابواب السماء لا يستقيم مثله على الابتداء الا على نزول شيء
خرج ذلك جوابا لها نحو قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الاية او ان ذكر واعمال انفسهم انهم يعملون كذا فقال لا تفتح
ابواب السماء ولا يدخلون الجنة فان قيل كيف خوفهم بما ذكر من سد الابواب عليهم وجعل النار لهم مهادا وغواشا وهم لا يؤمنون بذلك كله
فكيف خوفوا به قيل ان المراد خوف بشيء فانه يخاف ويهاب له ذلك وان لم يتيقن بذلك ولا يحقق عنده ما خوف به حتى يستيقن كذلك
ويهيب وان كان على شك من ذلك وظن فعلى ذلك هؤلاء خوفوا بالنار وانواع العذاب وان كانوا شاكين في ذلك غير مصدقين لما يجوز
ان يهابهم ذلك او ان يخوفهم بذلك المؤمنين كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وان يكون
التخويف لزاجر منهم بالبعث لان منهم من قد امن بالبعث والجزاء والثواب وقوله عز وجل ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
قال بعضهم حتى يدخل البعير في خرق الابرة وقال ابن عباس رضي الله عنه حتى يدخل الحبل الذي يشد به السفينة في خرق الابرة و
قال ابو عوسجة يعني خرق الابرة او المسلة والجمل الحبل والخياط الابرة والمسلة وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس بالجمل ذو القوائم ولكنه
الجمل يعني القلس وقال ابن مسعود هو الجمل ذو القوائم الاربع والله اعلم بما اراد وقوله عز وجل وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي كل
مجرم وقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد قيل الفرش ومن فوقهم غواش هي اللحف والغواشي ما يتغشاهم فيه النار تحيط بهم من تحت ومن فوق

واما وخلف كقوله فمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة اي لا يتقي لما يحيط بهم العذاب وهو كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل الاية لخبر ان النار تحيط بهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا
وسعها قال ابو بكر الكيساني في قوله لا نكلف نفسا الا وسعها ليس من جنس ما ذكر من قوله امنوا وعملوا الصالحات لكنه صلة قوله يا بني آدم
اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح يقول فيما تقدم ذكره لا نكلف نفسا الا وسعها واما عندنا فانه يستقيم
ان يجعل صلة ما تقدم اي لا نكلف نفسا من الاعمال الصالحات الا وسعها بل كلفت دون وسعها ودون طاقتها اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون وقال الحسن قوله لا نكلف نفسا الا ما يتسع ويحل وهو صلة قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله
لا يكلف نفسا الا ما تسع ويحل لا ما يسع ولا يحل وقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل قال القتبي الغل الحسد والعداوة وقيل الغل
والغش واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد وقيل الغل الحقد ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغل يعني من قلوب المؤمنين ويجعلهم اخوانا بالايمان كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا الاية اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبهم بالايمان الذي اكرمهم به حتى صاروا اخوانا بعد ما كانوا اعداء
وقال الحسن ليس في قلوب اهل الجنة الغل والحسد اذهبهما وطهرنا انما فيها الحب قال بعضهم هذا في الاخرة ينزع الله تعالى من قلوبهم
الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا ويصيرون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عن علي
رضي الله عنه قال لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في علي وابي بكر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار وسلمان وابي ذر رضوان الله عليهم اجمعين
فينزع في الاخرة ما كان في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والغش الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذي
اختلفوا فيه فيدخلون الجنة هذا والله اعلم لان الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال كان دنيوية لم يكن بحيث الدين فذلك يرتفع في
الاخرة ويزول واما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول ابدا في الدنيا والاخرة لانها عداوة الدين والمذهب فذلك لا يرتفع
ابدا ويشبه ان يكون قوله ونزعنا على ابتداء النزع لا على ان كان فيه كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات على ابتداء
المنع اي لولا اخراجه اياهم من ذلك والا كانوا فيه فعلى ذلك قوله ونزعنا اي لم يجعل في قلوبهم الغل راسا ولو تركهم على ما هم عليه لكان فيهم
ذلك وفيه دلالة ان الله في فعل العباد صنعا لان الغش من فعل العباد يذمون على ذلك ثم اخبر انه نزع ذلك من قلوبهم واستادى منهم الشكر
بذلك بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الاية وقد ذم من طلب الحمد على ما لم يفعل فدل طلب الحمد منهم على ان له فيه صنعا بذلك طلب
منهم الحمد والله الموفق وقوله عز وجل تجري من تحتهم الانهار ذكر هذا والله اعلم لما علم عز وجل من طباع الخلق الرغبة في جري الانهار الجارية
في الدنيا فيما يقع عليها الابصار فرغبهم في الاخرة بما كانت طباعهم وانفسهم تميل الى ذلك في الدنيا ليرغبوا فيما امروا وينتهوا عما نهي
وكذلك جميع ما ذكر في القران من القصور والخيام والجواري والغلمان والاكواب والاباريق وغير ذلك مما رغب طباع الخلق في ذلك
في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك وعدهم في الاخرة ترغيبا منه لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
قال الحسن وغيره هدانا ولنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما عندنا ليس هو هداية الدلالة والبيان ولكن الهداية التي
اكرمهم الله بها بفضله ولطفه وهو توفيقه اياهم على الهدى لانه خرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان دلالة وبيانا لكان لا يخص
لذلك المنة والفضل لان عليه الدلالة والبيان لكان ذلك على كل احد على الرسل وغيرهم لان عليهم البيان والدلالة فدل انه
ليس على الدلالة والبيان ولكن غيره والثالث انه لا احد عنده نفسه انه يزيغ ويضل وقت ما هداه الله ووفقه وقد يجوز ان يكون ذلك
في الدلالة والبيان دل انه لم يحتمل ما قال ولئك نزل لا لدلالة والبيان والله الموفق وقال بعض الناس ان المعتزلة خالفوا الله عما اخبر و
خالفوا الرسل عما اخبروا عن الله تعالى وخالفوا اهل الجنة والنار وخالفوا ابليس اما مخالفتهم الله قوله ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
ونحوه اما مخالفتهم الرسل قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم الاية وقول اهل النار قالوا لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس قال
رب بما اغويتني هو اعلم بالله من المعتزلة وقوله عز وجل لقد جاءت رسل ربنا بالحق يحتمل وجوها يحتمل جاؤا بالحق اي بالدين الذي هو
حق او جاؤا بالاعمال التي من عمل بها كان صوابا ورشدا وكل حق هو صواب ورشد ويحتمل جاءت رسل ربنا بالحق اي بالصدق ونحوه بالحق
له وجهان احدهما بالحق الذي استحقه على عباده والثاني انهم جاؤا بالذي هو حق في العقول وصواب وقوله عز وجل ونودوا ان تلكم
الجنة وقوله تلكم انما يتكلم عن غائب وهم فيها لكن تاويله والله اعلم ان تلكم الجنة التي كنتم وعدتم في الدنيا واخبرتم عنها هذه اورثتموها
بما كنتم تعملون اي اورثكم اعمالكم وفيه دلالة ان الايمان من جملة اعمالهم حيث قال اورثتموها بما كنتم تعملون وانما يورث ذلك
بالايمان وسائر الاعمال بل انما يصح بالايمان ذكر انهم ادخلوا الجنة بما عملوا وان كانوا ينالونها بفضل الله جزاء وشكر القوم الذي
قالوا ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله عز وجل ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وما وعد المؤمنين عز وجل وما فيها من النعيم واللذات والشهوات بقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وقوله لم تر لنا بين هذا الذي وعد للمؤمنين ووعد الكفار النار وما فيها من الشدائد وانواع العذاب فاقروا انهم قد وجدوا ما وعدهم

ربهم

ربهم وقوله عز وجل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ان المراد بالحق الذي ذكر الوعد الذي وعدهم وتفسير الحق المصدق وان كان
الموعود فنادوا به وجدتموه كائنا حاضرا وهو ما ذكر في قوله ليعلم الله كذا فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين اي وجبت
لعنة الله على الظالمين الذين وعدوا في الدنيا وقوله عز وجل فاذن مؤذن بينهم يحتمل الملك ويحتمل غيره وليس يعرف ذلك الا بالخبر و
ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فان قيل يذكر في الاية نداء اهل الجنة اهل النار واهل الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون الا بحيث يكون
بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في الاخبار في وصف الجنة وسعتها ما روي ان اقل ما يكون لواحد في الجنة مثل عمر الدنيا وما ذكر ان
الحور العين لو نظرت نظرة الى الدنيا لاضاءت الدنيا من حسنها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها وقد جاء في وصف النار ان شرارة
منها وقعت في الدنيا لاحرقتها او كلاما نحو هذا فاذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض لا يتاذى اهل الجنة بالنار
ولا ينتفع اهل النار بنعيم الجنة وكيف يعرف ذلك قيل والله اعلم وقد روي ان يوضع نداء هؤلاء بمسامع اولئك ونداء اولئك بمسامع
هؤلاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل فريق نداء الفريق الاخر وان يكون الله تعالى ينقض بنية هذا الخلق ويبنيهم في الاخرة على غير
هذه البنية مع ارتفاع الافات والحجب هي التي تمنع ذلك فاذا ارتفع ذلك كان ما ذكر والله اعلم او يقرب الجنة من النار والنار
من الجنة بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء او يجعل ذلك في مسامعهم بما شاء وكيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل
وجوابه وقوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله الصد يكون منع غيره ويكون منع نفسه وقوله عز وجل سبيل الله قيل دين الله
قال الحسن سبيل الله دين الله الذي ارتضى لعباده وامرهم بذلك والى ذلك دعاهم رسله وقوله عز وجل ويبغونها عوجا اي
يبغون الدين الذي فيه عوج وهو دين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالعوج هو التفرق الذي ذكر في
تلك الاية ويمكن ان يكون قوله تبغونها عوجا اي طعنا في دين الله وقد كانوا يبغون طعنا في دين الله وقوله عز وجل وبينهما
حجاب يشبه ان يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب فامكن ان يكون الحجاب المذكور بينهما هو السور الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
قال بعضهم هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم لم يجاوز الجنة حتى لا يخافون عقوبته ولا اساءوا حتى لا يطمعون ولا يرجون نحوهم
فيها وقال الاخرون هم اهل كرامة الله اكرمهم الله بذلك برفعهم على ذلك السور لينظروا الى حكم الله في الخلق وعدله فيهم وينظرون الى الحسنات
بمن يحسن اليه وعدله فيمن يعاقبهم وقيل هم الانبياء والاشبه ان يكونوا الانبياء يكونون على الاعراف يشهدون على الامم كقوله
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال قائلون هم الملائكة لكن ما ذكر الله ما يسمعون رجالا ولم يسمع
بذلك والله اعلم بذلك ثم اختلف فيه قيل سموا اصحاب الاعراف وهو سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاع وكل مرتفع عند العرب
اعراف وهو القتبي وقال غيره الاعراف هو عرف كعرف الديك والفرس وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن هم اصحاب التعريف يعرفون
اهل النار بعدل الله فيهم وحكمه وان ما حل بهم من الشدائد وانواع العذاب ان ما حل بهم ما كان منهم في الدنيا من صدهم الناس عن سبيل
واستكبارهم على الرسل يعرفونهم ان ما نزل بهم انما نزل بعدل منه ويعرفون اهل الجنة فضل الله واحسانه اليهم ان ما نالوهم انما نالوا بفضل منه
واحسانه او هو تضييعهم الله لحاجة اهل النار كقوله ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فهذه هي الحاجة التي يحاجون بها اهل النار
او ان يقال لهم لو غضبوا يزجرون بين اهل الجنة واهل النار يردون كلام بعضهم الى بعض ويبهون مخاطبات بعضهم الى بعض من ذلك قوله
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ونحوه والله اعلم من هم وقوله عز وجل يعرفون كلا بسيماهم قيل المؤمن يعرف ببياض وجهه والكافر
بسواد وجهه ويحتمل ما قال الحسن هو ان يعرفوا بالمنازل والاماكن وقوله عز وجل ونادوا اصحاب الجنة يعني نادى اصحاب الاعراف
اصحاب الجنة ان سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم بالفاظ خاصة ولكن في كل كلام سديد وقول حسن وصواب كقوله لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما اي سديدا صوابا وكذلك قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون لهم قولا
صوابا محكما فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لم يدخلوها وهم يطمعون وهم يطمعون اختلف فيه قال عامة اهل التاويل هم اصحاب
الاعراف لم يدخلوها ويطمعون دخولها وقيل هم كانوا اهل النار يطمعون ان ينالوا منها كقوله ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الى هذا الوقت كانوا يطمعون دخولها والنيل منها ثم ايسوا بهذا وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون دخولها
قبل ان يدخل اهل الجنة وقبل ان يدخل اهل النار وقوله عز وجل واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قيل واذا صرفت ابصار اصحاب
الاعراف الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم وقيل واذا صرفت ابصار اهل
الجنة تلقاء اصحاب النار قالوا ذلك وفي حرف ابي واذا قلبت ابصارهم نحو اصحاب النار قالوا عائذا بك ان تجعلنا ربنا مع القوم
الظالمين وقوله عز وجل ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين كان ذلك الدعاء من الانبياء او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف
فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة ومعنى التعوذ منهم من النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فيخافون لها التقصير وكان منهم في شكر النعم
او بالطبع يتعوذون لما يتعوذ كل احد اذا راى احدا في البلاء والله اعلم وقوله عز وجل ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم

قال عامة اهل التاويل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون ولكن امكن ان يعرفوا بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا سوى سواد
الوجوه لانهم يخاطبونهم بقوله قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فلو لم يعرفوهم بآثار كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يخاطبونهم
بجمع الاموال والاستكبار في الدنيا ولا يقال للفقراء ذلك انما يقال ذلك للاغنياء لانهم هم الذين يجمعون الاموال وهم المستكبرون على
الخلق كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ويشبه ان يخاطب الكل وفيهم من قد جمع واستكبر وذلك جائز هذا على
تاويل من يجعل اصحاب الاعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم وقوله عز وجل اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال عامة
اهل التاويل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ولكن يدخلون النار معهم فتقول الملائكة لاهل النار هؤلاء الذين
اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويحتمل ان يكون القسم الذي ذكر في الاية كان منهم في الدنيا
قالوا يقسمون ان لا يدخلون هؤلاء الجنة يعنون اصحاب رسول الله عليه الصلوة والسلام كقوله ولو كان خيرا ما سبقونا اليه
كانوا يقولون ان الذين هم عليه لو كان خيرا لنا لو لم ذلك اذنا لوام كل خير في الدنيا يعنون انفسهم فعلى ذلك ينالون في الاخرة مثله
ونحو ذلك من الكلام الذي يقولون في الدنيا فيقولون لهم في الاخرة هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة وامكن ان يكون قوله
ادخلوا الجنة لاهل الجنة قبل ان يدخلوها وقوله عز وجل لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قال الاصم يكون الحزن في فوت كل محبوب
والخوف في نيل كل مكروه كقول يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند فوت محبوبه والخوف عند
نيل المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب والخوف بما سيصيبه من المكروه وقوله عز وجل ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال الحسن الماء مما رزقهم الله ولكن مكر ومشي وقال ابو بكر طلبوا الماء
ليدفعوا عن انفسهم ما اشتد بهم من الظماء والعطش ثم تقع لهم الحاجة الى الطعام لان الرجل اذا اشتد به العطش والظماء لا يتهيأ له الاكل
ولكن يشبه ان يكون طلب بعضهم الماء وبعضهم الطعام الذي رزقهم الله وهذا جائز وان لم يذكر كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى لم يكن هذا القول من الفريقين ولكن كان من اليهود الا من كان هودا ومن النصارى الا نصارى فعلى ذلك هذا والله اعلم
وقوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين انطعم من لو يشاء الله اطعمه لهم المؤمنون في الاخرة مقابل
ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمهما على الكافرين وهذا والله اعلم ليس على التحريم ولكن على المنع لان الكفرة لا ينالون بعد ان نالوا ذلك حراما
كان او حلالا ولكن على المنع كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع ليس هو تحريم حرمة اكل ولكن منع ويشبه ان يكون ذلك محرما على المؤمنين
اطعام الكافرين من ذلك وقوله عز وجل الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا قال الحسن اتخذوا دينهم الذي كلفوا به وامروا ان يأتوا به لهوا ولعبا
وجائز ان يكون قوله اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء و
تصدية اي اتخذوا دينهم الذي دانوا به لهوا ولعبا لانهم كانوا يكذبون البعث وفي انكارهم البعث انكار الجزاء للحسنات والسيئات ففي
ايجاب ذلك فمن لم ير ذلك فهو لاه ولاعب واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة له وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب ولهو وكل من يعمل لعاقبة
فهو ليس بلعب ولا لهو وهم كانوا يعملون لا لعاقبة لذلك كان لهوا ولعبا وقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا قال بعضهم ان الحيوة الدنيا لا تغر
احدا ولكن اضيف اليه التغرير لما كان سببا من اسباب الاغترار بها فاضيف اليها كقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء وقد
يضاف الشيء الى سببه كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وقال بعضهم اضيف ذلك اليها لما كان منها من التشبه من الهيئة حال لو كان ذلك من ذي
العقل والتمييز كان ذلك غرورا من نحو التزيين وغيره وجائز اضافة التغرير اليها على ارادة اهلها اي غرهم اهلها وهم القادة والرؤساء
وقوله عز وجل فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا لا يجوز ان يضاف النسيان الى الله تعالى بحال ولكن يجوز ان ينال بجزيهم جزاء نسيانهم
فسمي الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا نحو قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة ولكن جزاء السيئة لكنه سماه
باسم السيئة لما هو جزاء لها فعلى ذلك هذا وكقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء فسماه باسم
الاعتداء لما هو جزاؤه فعلى ذلك سمي الثاني نسيانا لانه جزاء النسيان وان كان الله لا يجوز ان ينسى او يسهو عن شيء ويغفل ولان في النسيان
تركا وكل شيء متروك فيتركهم في العذاب والهوان كما تركوا امر الله ونهيه في الدنيا وقال الحسن ان الله لا ينسى شيئا ولا يسهو ولكن الكفرة
يكونون على الكرامة والرحمة والمنزلة كالشيء المنسي وعن العذاب والهوان لا ان كلام نحو هذا وقوله عز وجل وما كانوا باياتنا يجحدون
قال بعضهم ما ها هنا صلة كانه قال وكانوا باياتنا وقال بعضهم هو على ما ذكر اي اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا باياتنا
يجحدون وقوله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه يحتمل قوله فصلناه بيناه والتفصيل التبيين ويحتمل قوله فصلناه اي فرقنا
في انزاله لم ننزله جملة ولكن كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس اي فرقناه في الانزال على قدر النوازل بهم ليعلموا ان كل اية نزلت بالنوازل
التي وقعت بهم لانه تقع لهم الحاجة الى معرفة ما في كل اية نزلت عليهم على حدة بل يعرفون ذلك بالنوازل وانزاله مفرقا ان يكون معرفة
ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالتفاريق اهون وايسر على الطباع عن معرفة ما فيه اذا انزل جملة ثم قوله فصلناه على علم منه يحتمل
وجوها يحتمل فصلناه اي بيناه بالحجج والبراهين على علم منه ان الخلائق لا تقدرون باتيان مثله ليعلم انه من عند الله نزل وانزله مفصلا على
علم منه بمن يصدقه ويتبعه وبمن يكذب به ولا يتبعه او على علم منه بمصالح الخلق ان انزاله اصلح للخلق او على علم منه بمعاملة القوم اياه انزله

لان المنفعة

لان المنفعة في انزاله للمنزل عليهم لا للمرسل والمرسل فضربه المنفعة لهم وقوله عز وجل هدى ورحمة لقوم يؤمنون قال ابو بكر هو
هدى لكل المؤمن والكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة واما عندنا فهو هدى المؤمنين وعمى على الكافرين على ما ذكر وهو عليهم عمى خص المؤمنين بذلك
لهم لانهم هم المخصوصون بالانتفاع به دون الكافرين وعلى ذلك عمى ورجس على ما ذكر وصار للمؤمنين حجة على اولئك وقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم في الكافرين وقال في المؤمنين فزادتهم ايمانا وقوله عز وجل هل ينظرون الا تاويله اي ما ينتظرون الا وقوع ما وعدهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من نزول باس الله بهم اي لا يؤمنون الا بعد وقوع الباس بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يوم ياتي تاويله يقول
الذين نسوه من قبل والتاويل هو ما ينتهي اليه الامر ويؤول وما يقع بهم من الباس الموعود لهم وايمانهم ما ذكر من قولهم قد جاءت رسل ربنا بالحق
يعني بالحق بالواقع بهم من باس الله الذي كانت الرسل تعدهم ان ما وعدوا من وقوع الباس بنا كان حقا ويحتمل قوله قد جاءت رسل ربنا
بالحق اي بالتوحيد اي ان الذي جاءت به الرسل في الدنيا من التوحيد كان حقا وان الذي اخبر الرسل من هذا اليوم كان حقا وقوله عز وجل
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا كانهم اذا حل بهم ووقع ما اوعدهم الرسول من الباس تمنوا عند ذلك الشفعاء الذي كانوا يعبدونهم
في الدنيا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وطلبوا الشفعاء كما كانوا يطلبونه في الدنيا شفعاء اذا بالهم امر عظيم يشفع بعضهم بعضا
ويعين بعضهم بعضا في هذه الدنيا فعلى ما كان لهم في الدنيا تمنوا في الاخرة ذلك فلما ايسوا عن ذلك وايقنوا ان لا شفيع يشفع لهم تمنوا ذلك
فقالوا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل لانهم قالوا ذلك نحو ما كقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا الى قوله لعادوا لما نهوا عنه و
قال بعضهم لو ردوا في الدنيا لعادوا الى ما نهوا عنه وفي الاخرة يردون الى المحنة الى الامر والنهي لعادوا الى العمل الذي كانوا يعملون
ثم اخبر انهم قد خسروا انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا وبعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما كانوا
يفترون ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وغير ذلك من الافتراء ذلك كله قد بطل عنهم فبطل رجاؤهم
وانقطع رجاؤهم وامالهم الذي طمعوا قوله قد خسروا انفسهم عن رحمة الله وقيل ما رجوا والاطماع وقيل اهلكوها وقوله عز وجل ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وذكر ما بينهما في مواضع ولم يذكر في مواضع وذلك داخل في ذلك بقوله قل ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الذي منع ذلك وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها تم جميع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر انه فيه وقال في اربعة ايام سواء للسائلين ليعلم انه خلق في يومين ثم قال ثم استوى
الى السماء الى قوله فقضاهن سبع سموات في يومين فتصير ستة الايام التي ابهمها في غير ذلك والله اعلم ثم قد بين عز وجل فساد قول
كل من عبد غيره وعجز كل ذلك عما له يعبد وجهله بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق بما فيه من اثار التدبير وعليه من دلالة التقدير
واستحقاقه جميع معاني الخلقة ودخوله تحت الصنعة وحاجته الى من احتاج اليه كل ما هي التي تبعث على العبادة وتوجبها والذلة
والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر فالزمهم الفزع الى من يعلم انه الرب الحق ويدعوهم الى المعبود المتعالي عن الاشباه والاضداد بما
يوجب الشبه المشاكلة وفي وجوب ذلك دليل حاجة الى ... شكلا وذلك اية الصنعة ودلالة الحدث وفي تحقيق الضد خوف ذهاب و
فساد فيضمحل الالوهية فتستوجب حق الدخول تحت التدبير والقيام على ما شاء من له التدبير جل الله سبحانه عن توهم ذلك فاكرم من جبلتهم
الحاجة الى معرفته ودفعته الخلقة الى العلم بما انعم عليه واختصه من بين كثير من خلقه بما ركب فيه ما به يدرك مرغبه وبه يعرف قدر النعم
عليه ما ركبه به ليستكمل فيها اولاه ويجازي على اعطاه فرتب ظاهرها وذلك على لسان رسوله الذي عرف خلقه بما نصب من الدلالة صدقه وانا
من حجج عصمته عن الكذب فيما ينبئ واصابته فيما يخبر فقال ان ربكم الله الذي لا رب غيره سواه ولا الاصنام الخلائق هو الله الذي لا اله
غيره ليوجبوا اليه العبادة في الحقيقة وليودوا اليه شكر ما انعم عليهم وان كانت نعمة اعظم من ان يجزيها العباد وحتى اجل من ان يقوم به
العباد لولا الله سبحانه لم يرد من البيان على ربوبيته والدليل على الوهيته سوى ما نطق به على لسان رسوله بعد الايضاح انه لا ينطق
الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان ذلك بيانا شافيا لكنه بفضل رحمته بين الادلة التي تحقق ذلك وتعلم انه كما اخبر به رسوله الا انه يعاند الحق
ويكابر العقل فقال عز وجل الذي خلق السموات والارض الى اخر ما ذكر لانه خلق ما ذكر بما ذكر من اثار التدبير وعجيب التقدير الذي به قوام
كل من يحتمل المنافع والمضار وايصال ما بين السماء والارض على تباعد بعض من بعض في المنافع مع جمع الاضداد التي من طبعها التنافر في اصل ما
ذكر حتى صارت كالاشكال بعد ان كانت السموات والارض مشتبهة لا تشعر بما فيها من الحكمة ولا بالذي فيه من انه من اي وجه يقضي الحاجة ليعلم
ان مدبر الكل واحد وانه عليم حكيم وضع كل شيء موضعه ودل كل ذي عقل على الوجه الذي يبلغ بحاجته ويقيم به اوده ويصل الى بغيته وفي ما
ذكر تفسير كلام من ذلك جاريا دائبا بما لا يستنفع به ولا معرفة عليه فيه ليعلم انه لغير قدر وحاجة عن سير وكذلك الذي جبل على القرار واشار
عن الزوال من غير ان كان له في حقيقة احد الوجهين نفع او ضرر ليعلم ان تدبير ذلك لتجري لا له لكن لاهل الممتحنين الذين بهم يظهر العز والشرف
ويتبين الجود والكرم ويعظم الملك والسلطان اذ عندهم تدبير الاحوال وتفريق الامور وتوجيه كل الى حقه واعطاء كل ذي فضل فضله فيعلم
من هذا وصفه انه لم ينشأ عبثا ولا خلق باطلا اذ به يعظم قدر قدر كل خلق ويشرف حلاله كل جليل لم يجز اهمال مثله فيكون خلق الجميع
لغير شيء معافى ذلك من فنائه وتبدده الذي في الحكمة قصد مثله في العقل يوجب العبث ثبت انه خلق للمحنة ولدار البقاء لكن جعل البقاء
جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو المنتهى فيعظم القصد في الابتداء اذ فاسد ان يجعل المحنة للبقاء فيدل على حاجة الممتحن مع ما في ذلك

زوال الجزاء اذ محال تقديمه على ماله الجزاء والله الموفق ثم الاصل ان الله سبحانه جعل العقل جزء رسالته وجعله دليلا لاهله في معرفة المساوي
والمحاسن وعلم التمييز بين الحكمة والسفه وبين الاتقان والعبث وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه من المزجور عنه فلم يجز
ان يكون انشاء كل العالم على غير الحكمة لانه سفه وهو بالذي جزء من العالم يعلم به الذميم من الحميد ثبت انه انشئ للحكمة وعلى ذلك تقدير كل عاقل على
احتمال ما يضره وينفعه بحق الجزاء والمحنة فثبت ان ذلك للمحنة وان المحنة ثم للملوك بالاجزاء ولا ينفع الممتحن عبثا ايضا وسفه فلزم به القول
بالبعث واثبات دارين معاكان لكل شاهد دليل غايب يحمد عليه او يذم وكذا فعل كل ذي عقل انما هو لعاقبة يحمد عليه او ينفع عنه فلذم
عليه فعلى ذلك امر تربية هذه الدار من اخرى فلا يجوز ان يخلي الجملة عن الدلالة ولا يخلو كل جزء منها وجملة الافعال عن العواقب والولحتج
اذ خرج بصير عبثا وسفها فثبت بالذي ذكرنا القول بالتوحيد وبالدارين وبالرسالة اذ بها يعرف العواقب بما هي غايبة وحقايق كل غايب
تعرف بالاخبار عنها والدلالة عليها ثم لا دلالة على ماهية الجزاء ولا الشكر ولا العبادة انما الدلالة من حيث التدبير على العلم بها جملة
لزم القول بالرسل ولا قوة الا بالله ثم **وقوله** عزوجل في ستة ايام يحتمل وجهين احدهما خلق اصول الاشياء التي يكون منها بحق التولد عن
ذلك بالانقلاب ويحتمل ان يكون على خلق كلية كل شي ما عليه تركيب هذا العالم الا ان يبدل بعالم اخر لا يبيد ولا يفنى فان كان على الاول
فهو ستة من السبعة التي عليها مدار المدد والازمنة اذ جعل جل ثناؤه جميع ما ذكر من الخلايق تحت الازمنة والاوقات ويزول بزوال
مدارها وكذلك عندنا كل الحوادث اذ لكل منها بدا بمصير ذلك وقتا لبدايته وذلك ينقض على الباطنية قولهم المبدع الاول لا يقع عن الزمان
والمكان وانه لا يبيد ولا يفنى ولو كان كذلك لم يكن مبدعا ولكن كان قديما لا يقع عليه الابداع فلما وقت ثبت له البدو فيجب وصفه من حيث
بالوقت من حيث الابتداء وهو ايضا معلول بعدم وعلته فيه وهو الابداع فما لو زالت علته لباد واذا ثبت انه معلول ثبت ان علته اول
واحدثه بعد ان لم يكن فوجب له وقت به كان او كان فيه والله اعلم ثم على هذا كان انشاء من ذكر في الايام الستة ولم يذكر في ذلك ممتحنا
نسبته ان يكون وقت كون الممتحنين يوم السابع وبهم تم ظهور الملك واستوى على العرش وهو الملك انه لم يكن قبل ذلك من له التمييز
الملك والسلطان وفدا العلم بالمحامد والمعالي واضداد ذلك انما يكون باولئك الذين ركب فيهم العقول واكرموا بالتمييز وما لهم يحمل
العالم وهم المقصودون من الانشاء لذلك جعل كل من سواهم مسخرا لهم نفعهم ولحاجتهم بما انعامهم مما يحتمل اكثر ذلك تربيهم ليعلم انهم
قصدوا بالانشاء ولمعرفة ما عليهم من شكر النعم والعبادة فكان بهم ظهور تمام الملك وبلوغه النهاية فاخبر بالاستواء اذ هو وصف
العلو والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقدر كقوله ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وذلك في معنى الاستواء على العرش
من حيث ظهور الملك وبيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين وان كان التاويل هو الثاني يخرج على وجهين احدهما ما قال بعض
اهل التفسير ان كل يوم من ايام الاخرة وذلك الف سنة لم يبين لنا مقدار ذلك فجايز ان يكون منتهى تربية هذا العالم الى ذلك ستة ايام
بمعنى ستة الاف على القدر الذي قدره الله ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيمة لا يبيد ابدا ولا ينقضي فيه بدل العالم ويتم كل ممتحن له
بالملك والجلال وان كان كذلك في الاول نفي ذلك اتفاق العقول من طريق الاخبار والعلم بذلك من كل جبار وغيره على نحو ما قبل لمن الملك اليوم
وقيل وبرزوا لله جميعا وقيل والامر يومئذ لله ونحو ذلك على ان له الملك ابدا وكذلك لم يكن يخفى عليه شي لكن ذلك مما يعلم كل انه كذلك فبذ
يتم ظهور كل معنى من ذلك وان كانت حقيقته موجودة قبل ذلك وعلى ذلك القول حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونحو ذلك انه اذ ذلك
يظهر لكل معلومة فاضيف اليه بحرف الابتداء وهو عز ذلك متعال فعلى هذا جميع ما بينا وبذلك ظهور تمام شرايط الملك والاعتراف من الكل
بذلك والله اعلم والثاني ان يكون تلك الايام الستة على ما في علم الله تعالى تقديرها لا يعلم احد سواه الا من طريق الجملة ادى وقد بين يوما كخمسين
الف سنة ويوما كالف سنة حتى لا يعلم فيهم ثم كان اليوم السابع يوم تبلى السرائر وتقع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم
العالم الاول فيكون ما ذكرت من تمام الظهور والله الموفق وعلى هذا لو قيل بما قبل يحملون العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قيل
ليس ان المراد من هذا العرش الاول وجايز ان يكون هذا هو السرير المعروف منشا من النور وما شاء ليكرم به اولياءه يوم القيمة والاول هو
الملك الذي ظهر تمامه وعلوه على ما بينا ثم لو كان العرش الذي قال عزوجل الرحمن على العرش استوى هو ما فهمه اهل التشبيه من مكان لم
يكن يجب ان يفهم من الاستواء عليه الاستقرار وان يكون لله مكان يوصف بالكون فيه وعليه لانه ليس في كون احد في مكان وان جل
قدره وعظم خطره رفعة ولا نباهة فيما يتعارف من امر الملوك والاجلة بل كل منسوب الى مكان من جهة التمكين فيه والقرار منسوب
الى استعانته وحاجة منه اليه جل عن ذلك وعلى انه اما ان يكون مثله او اعظم منه لكان له عديلا بالعظمة او دونه ومن استحق الجلوس
على مكان لا يطمئن به او يقصر عنه اذ قد يجوز ان يزداد فيه فيكون اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالى بل كان ولا مكان فهو على ما كان
يتعالى عن الاستحالة والتغير اذ هما اثر الحدث وامارة الكون بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله ثم الاصل انه لو كان فهو باضافة الله الى الله
عليه تعظيم له وعلى ذلك في كل شي يضاف الى الله او الله اليه من جهة الخصوص فهو على تعظيم ذلك لا على الفهم منه ما يفهم مثله من الخلايق
نحو القول بان المساجد لله وناقة الله وزينة الله وحدود الله ونحو ذلك فاما المشبهة فهمت من اضافة الاستواء على العرش المعنى المكون
على احتمال الاستواء معاني سوى الذي ذكر وان بنا الاستوى قصد واستوى على واستوى استقر واستوى استولى فاذا كان معناه يتوجه
الى هذه الوجوه لم يحتمل ان يكون احد بعد من ذلك ان يدع ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل ثم الاصل ان الاضافات الى الاشياء يفترق

المقصود بها

المقصود بها وان كان في ظاهر المخرج واحد باختلاف من اليه القصد بالاضافة ولاضافة جميعا يقال جاء الحق وجاء فلان وبيت فلان
وبيت الله وقيل في الملائكة وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وقيل في الكفرة اولئك اصحاب النار ونحو ذلك لا على الجمع في المعنى فالاستوا
الذي يتوجه الى وجوه احق بذلك والله الموفق ثم قد قيل في قوله ثم استوى على العرش بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم هو التقديم والتاخير
كانه قال ان ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش كقوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل
منها زوجها بمعنى وقد جعل منها زوجها وعلى هذا ليس في قوله ان ربكم الله الذي استوى على العرش الشبهة التي في الاول كما لم يكن في قوله ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم انما صرف الى عند شبهة فيكون وقد استوى خلق العرش كقوله ثم استوى الى السماء بمعنى خلق السماء او قصد خلقه
ونحو ذلك وقال الحسن ثم استوى على العرش اي استوى عليه امره وصنعه اي لم يخلق عليه صنع العرش وامره وان جل امر غيره وصنعه
كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على الاستواء الامر في التدبير والصنع وقال الحسين معناه استولى على العرش كما يقال استوى فلان على
بغداد بمعنى استولى وقال قوم معناه استولى عليه وهو فوق كل شي في القدرة والعظمة تعظيما له على غير الخلاف عليه في التحقيق بينه وبين
غيره كالذي ذكر بان الامر كله يوم القيمة له والمساجد له على التفضيل والتخصيص له في ذاته من حيث ذلك وقال قوم اذ كان العرش فوق
كل شي في تعارف العارف فقال هو علاه بمعنى لا يوصف في الخلق ولكن على ما كان ولا خلق ونحن نقول وبالله التوفيق قد ثبت من طريق
التنزيل بانه استوى على العرش وقد لزم القول بانه ليس كمثله شي وعلى ذلك اتفاق القول ان لا يعقد كلامه بما عرف من كلام الخلق ولا
فعله به وما يوجبه ولا علمه ولا ما قيل هو رب كذا ومالك كذا الا يراد به المفهوم من الخلق لكن الوجه الذي يليق به وما يوجبه حق الربوبية
فمثله في الاول ثم يلزم تسليم المراد لما عنى ان لم يبينه لنا وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول فيه بالمكان يفسد بالذي يخرج
بوجوه احدها ان قوله ثم استوى على العرش اخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف اليه في خلق الخلق على الخلاف المخرج في القول نحو ان ذكر
من ابدع ومن فطر وجعل وانزل واثبت وكتب واعطى وانشا وغير ذلك من الالفاظ حقيقة ذلك انه خلق اذ ذلك معنى فعله في الحقيقة
وعلى ذلك كون وفعل وامر في بعض المواضع ثم يجب توجيه كل من ذلك الى الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا في هدى واضل وزين واتقى
واحكم ونحو ذلك فكذلك في قوله ثم استوى على العرش يجب ان يقال بذلك بخلق اذ هو اضافة الى فعله ثم يخرج على وجهين احدهما ثم خلق
العرش ورفعه واعلاه بعد ان كان العرش على الماء كقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ثم تنقل من حال الى حال اذ لو كان كذلك لكان
يصير حيث ثم ينتقل من خلق الخلق فيما يخلق فيكون في الوقت الذي يصير الى العرش صايرا الى الثرى وفي الوقت الذي يجد ويخلق ما في الارض
وما في السماء منتقلا من ذا الى ذا وذلك تناقض فاسد وفي ذلك بطلان معنى القول بالاستواء على العرش بل يكون ابدا غير مستوى عليه
حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدا وذلك متناقض فاسد جل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون قوله ثم استوى على العرش
اي الى العرش في خلقه ورفعه واتمامه دليل الاحتمال على ذلك انه من حرف الخفض وقد يوضع بعض موضع بعض كقوله اذا اكتالوا على الناس
بمعنى عن الناس وقوله اذ وقفوا على ربهم بمعنى عند ربهم مع ما قال الله ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل بمعنى اليه وعلى ذلك ثم استوى
على العرش الى العرش وهو على الماء كما ذكر فرفعه واتمه كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فخلق ما ذكر والله اعلم والوجه الثاني المذكور في
الاية من اسم الرب وخلق وتسخير الذين وصف ثم لم يتوهم في شي من ذلك المعنى الذي يضاف الى الخلق انه رب كذا او سخر كذا او صنع كذا فلا بد
ولا موحد فكيف احتمل قلب المشبهي في قوله الرحمن على العرش استوى لو جهله به وتقديره بالذي عليه امر نفسه والله الموفق والثالث ان الناس
في خلق الله الخلق مختلفين فمنهم من جعله الخالق نفسه دون ان يكون الله بذاته يلحقه وصف سوى اضافة الخلق اليه فان كان به فعلى ذلك
قوله ثم استوى على العرش انما هو ما ذكر من غير ان كان سبحانه يلحقه وصف لم يكن له ومنهم من يراه خالقا بذاته ليكون جميع الخلايق الى الابد يكون
الذي يعبر عنه بقوله كن من غير ان كان ثم كاف ونون على كون كل شي عليه به من غير تغير عليه ولا زوال عما كان عليه اذ لا شي غيره تكل
معنى لو حقق اوجب تغيرا او زوالا او قرارا ونحو ذلك فالله يجل عنه ويتعالى اذ ذلك علم الحدث وامارة الغيرية ولا قوة الا بالله والرابع
هو الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار اضافته من ذلك وصفه الى مكان دون مكان وحال دون
حال محال فاسد لذلك بطل القول بالمكان في جميع الانفاد وليل وايدا الذي ذكرت ما ختم به الاية من قوله تبارك الله رب العالمين وصف ذاته
بالربوبية بالتعالي عن جميع معاني المربوبين اذ من جنس التشاكل يوجب من وجه من ان يكون ربا والاخر مربوبا فاذا ثبت ان كل شي من كل
جهة مربوبا ثبت سبحانيته من ذلك الوجه والله الموفق ثم **قوله عزوجل** خلق السموات والارض في ستة ايام هو على وجهين احدهما
اضمار ما بينهما على ما جرى الذكر به في غيره والثاني ان ذكر من وقت ابتداء الكون الى الانتهاء لا على تحقيق ذلك في كل وقت كما يقال كان كذا
في شهر كذا لا على احاطة كلية اجزاء الشهر به فمثله معنى التوقيت ليس على حاجة الى ذلك اذ الوقت داخل فيما خلق تكرمان وجوه وان كان
الله سبحانه قادرا على انشاء جميع ما ذكر بدفعة وجهان ما ذكرت من معنى الايام لما دمد والخلق واطول ما عليه يخرج الاعاد والثاني على بيان
منتهى العالم والثالث على ادخال كل ذلك مع علو درجات كثيرة منها وجلالة اقدارها في الاعين حتى لا احد ينظر اليها الا بالتعظيم وحتى يكثر
منها امر تربية العالم وحق عبد دون الله تعظيما وان كان في ذلك دلالة خروجه عن الاستحقاق فغيرها الله داخلة تحت الازمنة والمدد
مقهورا بها حتى لا بد بكل جهد وحيل اخراج شي من ذلك وتخليص الجبابرة من ذلك لما تهيا لهم ليعلم ذلة الخلق وامارات الحدث وملا

الحاجة ثم كانت الاوقات مترادفة متتابعة لو اسقطت عنها الاولية لبطل الكل ولما جاز الحساب بالواحد ولما انتهى الى ما هو بعد لما مضى ليعلم بداوية كل شيء من العالم وحدثه مع ما جعلت الايام تدور على امر واحد بها بجميع المحتاجين ممن ذكرت فثبتت لذلك باسماء معروفة امكن قصد كل منها على الاشارة اليه باسمه المعروف ليحفظ فيه المواعيد ويعلم به ما يجب من الحقوق ويبطل والله اعلم ثم الاصل اذ جعلت هذه الدار دار المحنة والمحنة انما تكون بمختلف الاحوال جعلت الاحوال مختلفة نحو موت وحياة وصحة وسقم وغنى وفقر في جميع الخلق على ما منها الجهل باستمدادها وفي ذلك الجهل باللذات والالام فيجب بذلك اختلاف الاحوال وعلى ذلك جرى امر خلق الخلايق وعلى ذلك امر الارزاق وغير ذلك فعلى ذلك امر خلق ما ذكر في ايام مختلفة ثم يجمع في البعث برفع ذي حال من حال اللذة او التعب برفع ما كان باختلاف الاحوال التي الى الدلالة او منع للحجة فلذلك جعل في هذه الدار الزام الحجة واظهار المحنة والكلفة والله الموفق والاصل ان العقول انشات متناهية تقصر عن الاحاطة بجلية الاشياء والافهام متناقصة عن بلوغ غاية الامور اذ هن من اجزاء العالم الذي هو بجليته متناه واسباب الادراك التي يدرك بها باداء المشاعر التي تعجز عن كنه ما يقع عليها من الظواهر فضلا عما استتر منها واذا كان هذا وصف ما يدرك به مبالغ الحكمة فهي قاصرة عن الاحاطة بالحكمة الموضوعة من البشر فزوال الاحاطة بها وبلوغ حكمة الربوبية من غير اشارة منه فهو بظلم العقل ويجعل عليه بعلم عجزه عنه ومعلوم ان المذكور من الايام في خلق ما ذكر حكمة بالغة وان قصرت العقول عن الاحاطة اذ الذي قدرها هو الذي جعل الحكمة و اوجب لاهل العقل في ذم السفه واهله فاوجب ذلك تحقيق الحكمة لذلك وان لم يبلغها الاستدراك بكم به والله الموفق وقوله عز وجل وسخر ما ذكر فكذلك سخرهن بالسير فيما يرجع الى منافع الخلق وجعل فيهن اية لولا العيان لم يكن يصدق به احد ممن يجحد البعث والرسل ونحوهم انا نخبر عن سير جوهر واحد في اليوم الواحد مسيرة اكثر من الف سنة وتولد جواهر بمعونة من يبعد عنه مقدار خمسمائة عام ونضج كل شيء وصلاحه به ابعد عن احتمال القبول عن اعادة شيء عند الفنا او ارسال الرسل باعلام ما خفي من المصالح والامور اذ ذلك امر متعالم في صنع الخلق معاذ ذلك فيما به تقلب الزمان من الليل والنهار ولكن الله سبحانه اظهر لهم من قدرته وعظيم حكمته بما بسط لهم بغلظها وسعتها ورفع عليها السماء بغير عمد ترى فاقر كل من ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وسيرها بالتسخير ما ذكر لحاجة الاهل في تسييره ذلك ليعلم ان لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر ولا يدخل في تدبيره عوج ولا في خلقه تفاوت وان الذي اظهر انا فوق بل الذي وصف تعاطف عليه بوجوده مع ما كان الذي اظهر هو ابلغ على غير لحتنا وانشاء الاعادة لا والله الموفق ثم من عجيب قدرته سبحانه في قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ان الله تعالى يظهر النور في ابتداء النهار من طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك ويبسطه في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الاقطار والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة العين مما لو اريد تقدير ذلك بالهندسة وبجميع ما في الخلق من المقادير لما احيط بالذي انبسط ذلك النور والظلام ليعلم ان الله على ما يشاء قدير وانه لو اراد لخلق جميع ما ذكر في اوقر من والطف وقت وانه القادر على البعث وجميع ما جاءت بالخبر عنه الرسل على ادرى بالذي ذكرت يلبس وجوه كلية الاشياء الستر ويجليها بطرف عين بالتدبير والعلم الذي بما يوجب ذلك بما يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلا عن ادراكه ليعلم انه عليم لا يجهل امر لا يعجزه شيء حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله ونحو من ذلك ما جعل في جوهر الانسان من البصر الذي يبصر باول احوال النشو قدر خمسمائة سنة والفكر الذي يبلغ به من ضيائه يوم لم يخف مكانه منتهى مرجع الخلق من الجنة والنار ويبصر به المعاد والمعاش والعقل الذي يعرف حقائق من غاب عنه وحضر مما لا صورة وطينة اولاحدها وما ليس لواحد من الامرين على تصور الحواس غير ادراك صورة شيء لا طينة له ليعلم ان الذي قدر على تقدير مثاله في جوهر واحد وعلم كيف يصنع فيه لجعل ذلك العمل قادر على كل شيء حكيم عليم وهذا معنى ما قيل ان الانسان هو العالم الصغير بمعنى انه يوجد فيه لكل امر من الاصول العالم الكبير فيه مثال ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل بامره الا له يحتمل وجهين احدهما انه امره كاتيان الاتيان امر الله اي الموت والعذاب ونحو ذلك على ارادة ذلك ترك به والثاني ان يطلعن ويغربن بامر بتوحيد الله والايمان فيه بما هو فيهن من عجيب الحكمة ودفع التقدير وقال الحسن بامره الذي به كون الاشياء من قوله كن فالقول الاول هو قول من لا يرى خلق الخلق غير الخلق والثاني قول من يرى كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق ابدا لابد من غير ان كان ثم في الحقيقة كاف ونون لكنه ما يفهم به المراد من الكلام يراد في ذلك نفي الصعوبة عنه وتيسير الامر عليه ويكون في الحقيقة غير الخالق انا نخبر في الخالق انه كان به وكل شيء يكون بشيء في التعارف من القول يكون عنه وكذلك قوله الا له الخلق والامر فيه وجهان احدهما الا عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عنا لا امر في خلقه بما شاء ولا يرد شيء من امره عن الوجه الذي امره والله اعلم وقوله عز وجل يغشي الليل النهار يذهب بضوء النهار وظلمة الليل وضوء النهار بظلمة الليل اذا جاء هذا ذهب سلطان الاخر يطلبه حثيثا قيل سريعا وهو ان الله عز وجل يظهر النور في ابتداء النهار في طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الاقطار والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة عين مما لو اريد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعلم ان الله على ما يشاء قدير وانه لو اراد ان يخلق جميع ما ذكر انه خلق في ستة ايام لقادر ان يخلق في طرفة عين لكنه خلق في ستة ايام لحكمة في ذلك وقوله عز وجل يطلبه حثيثا لا يكون ما ذكر طلب حقيقة لكن ذكر الطلب لان ما كان من كل واحد منهما الاخر لو كان ممن يكون له الطلب كان طلبا وهربا من غلبة كل واحد منهما صاحبه وهو ما ذكرنا في قوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا انها انشات على هيئة وجهة لو كان ذلك ممن يكون

من الشهر كان غدوا وقوله عز وجل مسخرات بامره قال بعضهم بامره اي بتكوينه اي انشاها وكونها مسخرات ثم قال بعضهم بامره بنفعن البشر وقوله عز وجل الا له الخلق والامر قال بعضهم الامر هاهنا امر التكوين وقيل الا له الخلق والتدبير في الخلق وقيل له الامر في الخلق وقوله عز وجل تبارك الله رب العالمين تعالى الله عما نعتته المشبهة ثم قوله ثم استوى على العرش وقوله ادعوا ربكم قال بعضهم ادعوا اي اعبدوا ربكم كقوله ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتداء الدعاء وفي اخره العبادة فكان الامر بالدعاء امرا بالعبادة وقال بعضهم الدعاء هاهنا هو الدعاء وقد جاء ان الدعاء مخ العبادة لان العبادة قد تكون بالتقليد والدعاء لا يحتمل التقليد ولكن انما يكون عند الحاجة لما ذوى في نفسه من الحاجة والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك يفزع الى ربه فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعض اهل التاويل في قوله ادعوا ربكم اي وحدوا ربكم تضرعا وخفية قيل خضوعا وخفية اخلاصا وقيل تضرعا ظاهرا وخفية سرا واصله ان اعبدوا ربكم في كل وقت وكل ساعة او ادعوا خاضعين مخلصين وقوله عز وجل انه لا يحب المعتدين قيل المجاوزين الحد بالاشراك بالله وقيل لا يحب الاعتداء في الدعاء نحو ان يقول اللهم اجعلني نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل كذا وموضع كذا وروي عن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك الفردوس واسالك كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور ويحتمل الاعتداء هو ان يسال ربه ما ليس هو باهل له نحو ان يسال كرامة الانبياء والرسل واصل الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وعن الحسن قال في قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية علمكم كيف تدعون ربكم وقال للعبد الصالح رضي دعاءه اذ نادى ربه نداء خفيا وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل البر كله نصف العبادة والدعاء نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى الدعاء وقال يكره للرجل ان يرفع صوته في الدعاء ويروون على ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع قوما يرفعون اصواتهم في الدعاء فقال ايها الناس لا تدعون اصم ولا غائبا ولكن كذا وكذا ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال بعضهم قوله بعد اصلاحها بعد ما بعث الرسل باصلاحها من الدعاء الى عبادة الله والطاعة ويامرون بالحلال وينهون عن الحرام وقال بعضهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد ما خلقها طاهرة عن جميع انواع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك ويقال بعد اصلاحها بعد ما اعطاكم اسبابا تقدرون على الاصطلاح وما به تمكنون اصلاحها وجائز ان يكون المراد باصلاح الارض اهلها اي لا تفسدوا اهلها وهو كقوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها والقرية لا توصف بالعتو ولكن اهلها وقوله عز وجل وادعوه خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا لما كان في العبادة من التقصير وطمعا في التجاوز والقبول لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادته لا تقصير في ذلك وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك ما روي ان الملائكة يقولون يوم القيمة ما عبدناك حق عبادتك ويجب على كل مؤمن ان يكون في كل فعل الخير خائفا راجيا الخوف للتقصير والرجاء للقبول وقال بعضهم خوفا من عذابه ونقمته وطمعا في جنته ان رحمة الله قريب من المحسنين قال اهل التاويل ان الجنة قريب من المحسنين ويقولون اراد بالقريب الوقوع فيها والنزول و يحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تاويله ان منفعة رحمة الله قريب من المحسنين ويقولون اراد بالقريب الوقوع فيها والنزول و يحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تاويله ان منفعة رحمة الله قريب من المحسنين والحسنان رحمة الله وهي الجنة قريب من الخائفين وقال بعضهم في قوله ان رحمة الله قريب اي اجابة الله قريب الى من استجاب دعاءه ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمة الله قريب الى من ذكرهم المحسنين يحتمل المحسنين الى انفسهم والمحسنين الى الخلق والمحسنين الى نعم الله اي احسنوا صحبة نعم الله القيام بشكرها وبالاجتناب الكفران بها او يريد المؤمنين وقوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يذكرهم عز وجل في هذا حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها عليهم بالبعث لما انكروه فيما يرسل الرياح والامطار ويسوقها الى المكان الذي يريد ان يمطر فيه ما لو عاينوا ذلك وشاهدوه ما عرفوا ان كيف يرسل المطر من السماء وكيف يرسل الريح ويسوق السحاب ففي ذلك تذكير حكمته اياهم واما نعمه فهو ما يسوق السحاب بالريح الى المكان الذي فيه حاجة الى المطر فيرسل على ذلك المكان المطر وذلك من عظيم نعمه عليهم ليعلم ان ذلك كان برحمته لانهم كانوا مستوجبين لذلك واما ما ذكر من قدرته فهو ما ذكر من احياء الارض بعد ما كانت ميتة ليعلم ان الذي قدر على احياء الارض واخراج النبات والثمر بعد ما كان ميتا لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد موتهم على ما قدر على احياء الارض بالنبات واحياء النخل بالثمار بعد ما كان علم كل ان لا نبات فيها ولا غذاء فيه فاذا خرج النبات منها والثمار من النخيل على ما خرج في العام الاول دل ذلك على وحدانيته وقدرته على احياء الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على قدر على ما ذكرنا والله اعلم وفي قوله بين يدي رحمته دلالة ان لا نفهم من اليدين الجارحتين على ما نفهم من الخلق كالرجل نفهم لحد يذكر اليد في الخلق الجارحة لانه لا جارحة له فعلى ذلك لا يفهم من ذكر اليد له الجارحة من قوله بل يداه مبسوطتان وكذلك قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم من قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه الجارحة لانه لا جارحة للقران فعلى ذلك لا يفهم مما ذكر من يديه الجارحة ومن فهم ذلك فانما يفهم لفساد في اعتقاده وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء الى السماء لا يفهم من استواء الخلق لانه بريء عن جميع تشابه الخلق ومعانيهم وهو ما وصف حيث قال ليس كمثله شيء وقوله عز وجل يرسل الرياح نشرا نشرا وبشرى والنشر هو من جمع نشور وهو من الاحياء ونشرا من التفريق وبشرا بالباء من البشارة ثم قيل في قوله نشرا ان الله عز وجل هو الذي

يعرق ويسوق ذلك السحاب وقيل الريح هو الذى يرسل ويسوق ذلك السحاب وقوله عز وجل واذا اقلت سحابا ثقالا قيل اقلت حملت
وقيل وتحملت الماء وهو واحدتها الاحما فيه من الماء سقناه لبلد ميت اى الى البلد الميت فانزلنا به الماء اى بالبلد فاخرجنا به من كل الثمرات قال بعضهم
من كل الثمرات ما يشاهدون من الثمرات كذلك نخرج الموتى بعدما ماتوا وذهب اثرهم كما اخرج النبات والثمار من الارض والنخل من بعد ما ثوا
وذهب اثر ذلك النبات وذلك فعلى ذلك نخرج الموتى بعدما ذهب اثرهم حتى لم يبق شئ لعلكم تذكرون وتتفكرون وتعرفون قدرته وسلطانه
على الاحياء بعد الموت او تذكرون اى تتعظون وبعد فان اعادة الشئ فى عقول الخلق واهون وايسر من ابتداء الانشاء الا ترى ان الدهرية
والثنوية وهولاء قد انكروا الانشاء لا عن شئ واقروا وجود الاشياء وخروجها واعادتها عن اصل وكيان وهو ما ذكر وهو اهون عليه
اى فى عقولكم وقوله عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا ذكر المثل ولم يذكر المضروب واهل
التاويل قالوا ضرب المثل المؤمن والكافر ثم يحتمل ضرب المثل وجوها احدها انه وصف الارض التى يخرج منها النبات بالطيب ووصف
الارض التى لا يخرج منها النبات بالخبث فعلى ذلك المؤمن لما كان منه من الاعمال من الطاعة لربه والايتمار لامره موصوف هو بالطيب
وجعله من جوهر الطيب والكافر لما يكون منه الاعمال الخبيثة ولا يكون له من الاعمال الصالحة من الطاعة لربه خبيث كما ان الارض التى
يخرج منها النبات الذى ينتفع به موصوف بطيب الاصل والجوهر والتى لا يخرج منها النبات ولا ينتفع به موصوف بخبث الاصل وامكن
ان يكون من وجه اخر وهو ان الله عز وجل جعل هذا القران مباركا شفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى فى غير موضع من الكتاب ووصف الماء
الذى ينزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا نزل ذلك الماء المبارك فى الارض الطيبة فى الارض الطيبة الجوهر خرج منها النبات والا
ينتفع بها واذا نزل فى الارض السبخة الخبيثة لم يخرج لخبث اصلها فعلى ذلك هذا القران هو مبارك شفاء فيسمع المؤمن فيتبعه ويعمل
والكافر يسمعه ولا يتبعه ولا يعمل به فصار مثل المؤمن الذى يسمع هذا القران ويتبعه ويعمل بما فيه كمثل الماء الذى يحل فى الارض
فيخرج منه النبات لطيب جوهرها واصلها والكافر بالارض التى لا يخرج منها النبات لخبث اصلها وجوهرها واصله انه ضرب مثل
الذى هو مستحسن بالعقل بالذى هو مستحسن بالطبع لان ما حسن فى الطبع فانما معرفته حسى وما حسن فى العقل فانما يعرف حسنه بالدلائل
وهو غايب فضرب مثل معرفة حسنه بالحس والمشاهدة وهو ما ذكر من النبات الذى يخرج من الارض وذلك يدل على طيب اصلها وجوهرها
والذى لا يخرج شيئا لخبث جوهرها واصلها فعلى ذلك المؤمن والكافر ثم حسن على هذا وطيبه وقبح على الاخر وخبثه انما يظهر فى الاخرة و
ذلك يوجب البعض انهما جميعا استويا فى هذه الدنيا فدل ان هنالك دارا اخرى فيها يظهر الطيب من الخبيث طاب على المؤمن وجميع ما يكون
منه حسنا الطيب اصله وخبث على الكافر وقبح ما يكون منه لخبث اصله كالارض التى ذكر وقوله عز وجل باذن ربه يحتمل بعلمه وتكوينه
وقوله عز وجل الا نكدا قال الحسن خبيثا اى لا يخرج الا خبيثا وقيل لا يخرج الا نكدا اى لا منفعة فيه وقيل الا عسيرا وقيل الا قليلا وهو واحد
وقوله عز وجل وكذلك نصرف الايات لقوم يشكرون اى لقوم ينتفعون بالايات وقوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك
الى قومك ولست انت باول رسول كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل وفيه دلالة ان الايمان يصح بالانبياء والرسل وان لم يعرف انسابهم
لان الله عز وجل ذكر الانبياء والرسل باساميهم ولم يذكر انسابهم دل ذلك ان الايمان يكون بهم وان لم يعرف انسابهم وكذلك يصح الايمان
وان لم يعرف اساميهم لان من الانبياء من لا يعرف اسمه فيصح الايمان بجملة الانبياء وان لم يعرف اسماؤهم وفى ذلك دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن رسالة نوح فدل انه بالله عرف ذلك وقوله عز وجل اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قيل قوله اعبدوا
اى وحدوا الله سموا العبادة لا تكون ولا تصح الا بالتوحيد فيها لله خالصا سمى بذلك مجازا ويجوز ان يكون عبادة وقوله عز وجل
انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال بعضهم انى اخاف اى انى اعلم ان ينزل عليكم عذاب يوم عظيم ان متم على هذا وقال بعضهم الخوف
هو الخوف وهو خوف اشفاق وذلك يحتمل ان يكون فى الوقت الذى كان يطمع ايمان قومه ثم ايسه الله عن ايمان قومه بقوله لن يؤمن
من قومك الا من قد امن وقوله عز وجل عذاب يوم عظيم هو يوم عظيم للخلق كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو
عظيم للخلائق على ما وصف وقوله عز وجل قال الملأ من قومه هم اشراف قومه وسادتهم كقوله انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية و
كانوا هم اضداد الانبياء والرسل لانهم كانوا يدعون الناس الى ما يوحى اليهم الشياطين والرسل كانوا يدعون الى ما يوحى اليهم الله وينزل
عليهم لذلك قالوا انا لنراك فى ضلال مبين لانهم ظنوا ان ما اوحى اليهم الشيطان هو الحق وان ما يدعون اليه الرسل هو ضلال وباطل
وقوله عز وجل قال يا قوم ليس بى ضلالة اى لست انا بضال لانه اذا نفى الضلال عنه نفى ان يكون ضالا وهو حرف رفق ولين وكذلك
ذلك امر الانبياء والرسل ان يعاملوا قومهم لان ذلك انجع فى القلوب والى القبول اقرب ولكنى رسول من رب العالمين والعالم هو جوهر
الكل ويحتمل قوله انا لنراك فى ضلال مبين اى فى خطاء مبين ثم يخرج على وجهين احدهما نسبوه الى الخطاء لما انه خالف الفراعنة
والجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم والثانى نسبوه الى الخطا لانه دين اباه واجداده والله اعلم وقوله عز وجل ابلغكم رسالات
ربى رسالته التى امرنى بتبليغها اليكم قبلتم او رددتم لانى ابلغها على اى حال استقبلتمونى او يقول ابلغكم رسالات ربى رسالة التوحيد
الى وقوله عز وجل وانصح لكم يحتمل قوله انصح لكم اى ادعوكم وامركم الى ما فيه صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم والنصيحة على الرشاد الى ما
فيه الصلاح والنهى عما فيه الفساد ويكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان الدين النصيحة

لله ولرسوله [illegible] قال الشيخ ابو القاسم الحكيم رحمة الله عليه النصيحة [illegible]
رسالات ربى [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم [illegible]
[illegible] ولو شاء الله لانزل
ملائكة [illegible]
[illegible]
... من ذلك العذاب ... وقوله عز وجل كذبوا بآياتنا ...
باياتنا التى اعطيناه لوحدانية الله والوهيته انهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا اى ارسلنا هودا
الى عاد وهو على ما ذكر فى نوح وهو قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فعلى ذلك قوله والى عاد اخاهم هودا اى الى عاد ارسلنا هودا ثم
يحتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة النسب واخوة الجوهر وهو يقال هذا اخ هذا اذا كان من جوهره ولا يقال ذلك فى غير جوهره و
اخوة المودة والمحبة واخوة الدين ثم لم يكن بين هود وقومه اخوة الدين ولا اخوة المودة لكن يحتمل اخوة النسب لان البشر على
بعد من آدم كلهم اولاده فاذا كانوا كذلك فهم فيما بينهم بعضهم اخوة بعض كاولاد رجل واحد يكون بعضهم اخوة بعض واخوة و
الجوهر على ما ذكرنا يقال هذا اخ هذا اذا كان من جنسه وجوهره فهذين الوجهين يحتمل والوجهان الاخران لا وقوله عز وجل
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اى اعبدوا الله الذى يستحق العبادة وما لكم من اله غيره اى ليس لكم من معبود سواه
وهو المعبود فى الحقيقة وقوله عز وجل افلا تتقون عبادة غير الله وافلا تتقون الله فى عبادتكم غيره وفى ذلك بيان ان هودا اراد
بقوله افلا تتقون عذاب الله ونقمته عليكم بخلافكم اياه وقوله عز وجل قال الملأ الذين كفروا من قومه قد ذكرنا قول الملأ من قومه
اى اشراف قومه وسادتهم انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ذكر ههنا ظنهم فى تكذيبهم الرسل وفى موضع اخر قطعوا
فى التكذيب وهو قوله ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين فكان قوله وانا لنظنك من الكاذبين فى ابتداء ما دعاهم
الى عبادة الله ووحدانيته كانوا على ظن فيه لما كان عندهم صدوقا امينا قبل دعائهم الى ما دعاهم فلما ان اقام عليهم ايات الرسالة
والنبوة واظهر عندهم عيب ما عبدوا من غير الله وابطله وتحقق ذلك عندهم عند ذلك قالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما
نحن له بمؤمنين ليعلم انهم عن عناد وكبر كذبوا الرسل فقال يا قوم ليس بى سفاهة ان الرسل صلوات الله عليهم كانوا امروا ان يعاملوا الخلق
باحسن معاملة وهو على ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف وقوله عز وجل ادفع بالتى هى احسن السيئة
ونحوه فعلى ذلك الرسل الذين كانوا من قبل كانوا مامورين بذلك لذلك قال لهم هود لما قابلوه بالتكذيب والسفه قال ليس بى ما تقولون
وتنسبونى اليه ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين اى ادعوكم الى وحدانية الله وعبادته والخضوع
بالدين الذى به نجاتكم وكل من دعا اخر الى ما به نجاته فهو ناصح له او يحتمل قوله وانا لكم ناصح امين اى كنت ناصحا لكم قبل هذا امينا فيكم
فكيف تكذبوننى وتنسبوننى الى السفه وانا امين على الرسالة والوحى الذى وضع الله عندى وقوله عز وجل ابلغكم رسالات ربى
شئتم او ابيتم او يقول ابلغكم رسالات ربى خوفتمونى او لم تخوفونى قبلتم منى او لم تقبلوا او يقول ابلغكم رسالات ربى فكيف
تنسبوننى الى السفه والافتراء على الله وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يحتمل قوله اذكروا اذ جعلكم خلفاء
وجوها احدها انه جعلكم خلفاء قوم اهلكهم بتكذيبهم الرسول ولم يهلككم فاحذروا وانتم هلاككم بتكذيبكم الرسول كما اهلك اولئك
بتكذيبهم الرسل وان يقال جعلكم خلفاء قوم صدقوا رسولا من البشر وهو نوح فكيف كذبتمونى فى دعوى الرسالة لانى بشر ودعاكم
الى عبادة الله ووحدانيته هذا تناقض والثانى ان اذكروا ان نوحا وهو كان رسولا من البشر فكيف تنكرون ان يكون الرسول من البشر
وكان الرسل جميعا والثالث ان اذكروا نعم الله التى انعمها عليكم من السعة فى المال والقوة فى الانفس وحسن الخلقة والقامة وكان
لعاد ذلك كله كقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الاية هذا فى السعة فى المال واما القوة فى الانفس والقامة ما ذكر
فى قوله فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله كانهم اعجاز نخل منقعر فيه وصفهم بالقوة وطول القامة وعلى ذلك

فسر بعض اهل التاويل وقوله وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة وقدرة وقال غيره هو الطول والعظم في الجسم ذكر الله عزوجل في عاد اشياء ثلاثة خصهم بها من بين غيرهم احدها العظم في النفس كقوله وزادكم في الخلق بسطة والقوة كقوله من اشد منا قوة والسعة في الاموال بقوله بعاد ارم ذات العماد وفضل العلم بقوله وكانوا مستبصرين وقوله عزوجل فاذكروا الاء الله قال بعضهم الالاء هو في دفع البلايا والنعماء هو في سوق النعماء اليه ولكن هما واحد لانه ما من بلاء يدفع عنه الا وفي ذلك سوق نعمة اجرى اليه ولان الله تعالى ذكر في سورة الرحمن الالاء بجميع ما ذكر انما ذكر على سوق النعم اليه قوله فباي الاء ربكما تكذبان حيث قال الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان الى اخر ما ذكر من السورة وهو ذكر في سوق النعم لا في دفع البلايا وقوله عزوجل لعلكم تفلحون ان ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها ولم تصرفوا عبادتكم وشكركم الى غيره او يقول لكي يلزمكم الفلاح اذ حق تكونوا من اهل الفلاح وقوله عزوجل قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا ان هذا الرسالة التي يبلغها اليهم في دعائه اياهم الى عبادة الله وحده وتركهم عبادة من دونه حيث قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا ولا شك انه انما جاءهم ليعبدوا الله وحده ويجانبهم ليذروا ما كان يعبد اباؤهم ثم في فعلهم تناقض لانهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر ما يشربون لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بالهية الاحجار والخشب ثم يقلدون اباءهم في عبادتهم غير الله وفي اباءهم من يعبد الله لا يعبد غيره وهم الذين مع نوح فكيف لم يقلدوا من نجا منهم ولم يعبدوا غير الله دون ان قلدوا الذين عبدوا غير الله فذلك تناقض حيث اتبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسل وعبادتهم ولم يتبعوا من نجا منهم يذكر عزوجل سفههم وتناقضهم في القول في انكارهم الرسول من البشر لكن ذكر سفههم وتناقضهم بالتعريض لا بالتصريح وكذلك عامة ما ذكر في كتابه من سفههم انما ذكر بالتعريض وقوله عزوجل فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين انه كان يعدهم العذاب ان لم يصدقوه فيما يدعوهم اليه وترك تقليدهم اباءهم في عبادتهم غير الله وقوله عزوجل قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي وقد وجب عليكم العذاب بتكذيبكم هودا وتقليدكم اباءكم في عبادتكم غير الله وغضب وهو العذاب ايضا وجائز ان يكون الرجس ههنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة اي قد وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اخترتم وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله اللهم اني اعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وقوله عزوجل اتجادلونني في اسماء سميتموها وجادلتم ما قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ويحتمل في اسماء اي باسماء سميتموها وقوله عزوجل ما نزل الله بها من سلطان قيل حجة اي لم ينزل لهم حجة في عبادتهم غير الله وقيل السلطان ههنا عذر اي لم ينزل لهم عذرا في ذلك وقوله عزوجل فانتظروا اني انتم وعد الشيطان اني معكم من المنتظرين وعد الرحمن وقوله عزوجل ما نزل الله بها من سلطان اي من حجة في تسميتهم الاصنام التي عبدوها دون الله ما سموها الهة وشفعاء ونحوه كانهم انما جادلوه في تسميتهم الهة وشفعاء وانه ليس لهم حجة ولا عذر في عبادتهم غير الله ولا في اشراكهم غيره في العبادة والالوهية فانتظروا قال الحسن انتظروا انتم مواعد الشيطان اني معكم من المنتظرين لمواعد الله وقوله عزوجل فانجيناه يعني هودا والذين معه برحمة منا ان من حكم الله انه اذا اهلك قوما اهلاك تعذيب استاصلهم وانجى اولياءه ونصرهم وقوله عزوجل برحمة منا يحتمل قوله برحمة التي هداهم عزوجل ولولا رحمته ما اهتدوا لكنه رحمهم فهداهم فبرحمته اهتدوا ويحتمل انه انجاهم من العذاب برحمة منه والا كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب لكن انجاهم برحمته وفضله والله اعلم وفيه ان من نجا انما نجى برحمته وفضله وان كان رسولا لا باستيجاب من النجاة وهو ما روي حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله عزوجل وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا ولم يبق لنا اياتنا التي اعطاهم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما [illegible] بهم من العذاب لما حل بهم بتكذيب الرسول وحكمة في الامم السالفة وقوله عزوجل والى ثمود اخاهم صالحا قد ذكرنا انه صلة قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه كانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله عزوجل اخاهم قد ذكرنا انه يحتمل الاخ وجوه الاربعة اخوة النسب واخوة الجوهر والشكل على ما ذكرنا [illegible] واخوة الدين والخلة واخوة الدين لم يحتمل ان يكون ما ذكر من اخوة صالح لهم كان اخوهم في النسب او في الجوهر على ما ذكرنا [illegible] والدين واما اخوة النسب فانه يحتمل [illegible] من اولاد ادم [illegible] وقوله عزوجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ان الرسل باجمعهم صلوات الله عليهم انما بعثوا الى توحيد الخالق الى وحدانيته والعبادة له لان معبود سواه يستحق العبادة من الخالق وقوله عزوجل قد جاءتكم بينة من ربكم قيل بيان وحجة من ربكم ما ذكر من الناقة التي جعلها الله اية لرسالة صالح وهو قوله هذه ناقة الله لكم اية وقيل بينة من ربكم ايات ظهرت لهم على لسان صالح [illegible] على رسالة صالح ونبوته لكنهم كابروا تلك الايات فالتكذيب وعاندوا وقوله عزوجل هذه ناقة الله لكم اية وجه تخصيص اضافة الناقة الى الله يحتمل وجوها وان كانت النوق كلها لله في الحقيقة [illegible]

لما خصت

لما خصت تلك بتذكير عباده [illegible] وحدانيته تعظيما لها كما خصت المساجد بالاضافة اليه بقوله وان المساجد لله جعلت تلك لابتغاء لاقامة عبادة الله خصت بالاضافة اليه لما جعلها الله اية منها [illegible] خارجة من غيرها من النوق [illegible] غيرها ما خلقة اما في ابتداء احداثها [illegible] واي شيء كان فانها اية لذلك والله اعلم ثم لا يجب ان يتكلف المعنى الذي جعل الناقة اية لانه جل وعلا لم يبين [illegible] فلو تكلف ذكر ذلك فلعله يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية [illegible] القصص واخبار الامم الماضية انما ذكرت في القران لتكون اية لرسالة محمد صلوات الله عليه فلو ذكرت على خلاف ما كان لهم في ذلك مقال ويحتمل معنى الاضافة اليه وجها اخر وهو انه لم يجعل لهم في الناقة ملك [illegible] ولا جعل عليهم مؤنتها [illegible] تاكل في ارض الله فيما يخرج من الارض ليست كسائر النوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم بازاء ما جعل عليهم من المؤن فهي التخصيص بالاضافة اليه لما لم يشرك فيها احد ولا في منافعها والله تعالى اعلم وقوله عزوجل فذروها تاكل في ارض الله [illegible] سائر النوق وان كانت خارجة عن طباع سائر النوق [illegible] الاية [illegible] وقوله عزوجل ولا تمسوها بسوء يحتمل لا تتعرضوا لها قتلا ولا قطعا ولا عقرا [illegible] فياخذكم عذاب اليم وفي موضع اخر فياخذكم عذاب قريب فهنا يدل على انه انما اراد بالعذاب الاليم عذاب الدنيا لا عذاب الاخرة لانه قد ياخذهم عذاب الاخرة [illegible] الوعيد باخذ العذاب لهم عذاب الدنيا والله اعلم وقوله عزوجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد قد ذكرنا تاويله في قصة هود وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا يذكرهم عزوجل ما انعم عليهم من سعة المال وبسط الرزق لهم وما خصهم من اتخاذ البيوت من الجبال دون غيرهم من الناس خص هؤلاء بسعة الرزق وبسط الاموال وقوم هود بالقوة والبطش بقوله وزادكم في الخلق بسطة وفي اية اخرى وقال من اشد منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين كان خصهم بفضل القوة والبطش والطول من بين غيرهم وهؤلاء بسعة الارزاق وبسط الاموال فاذكروا الاء الله من السعة في الاموال والبسط وبما جعلكم خلفاء من بعد عاد وبما قد ذكر من اتخاذ البيوت من الجبال لم يقدر على مثله احد لان غيرهم من الخلائق انما ينتفعون بالجبال على ما هي عليها واما هم فقد مكن لهم نحتها واتخاذها بيوتا ولا تعثوا في الارض مفسدين اي اذكروا نعمه ولا تشركوا في عبادتكم غيره وقوله عزوجل قال الملا الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا ان الملا من قومه هم كبراؤهم وسادتهم استكبروا وعلوه لما راوه دون انفسهم في امر الدنيا لم يتبعوه وقوله عزوجل للذين استضعفوا لمن امن منهم فيه دلالة ان من المستضعفين من قومه من لم يكن امن حيث خص لمن امن منهم وفيه ان اول من اتبع الرسل هم الضعفاء وكذلك كان الاتباع للرسل جميعا الضعفاء وقولهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قول هؤلاء الذين امنوا بصالح عليه السلام وصدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جواب ما سالوا لانهم قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه انما سالوهم عن علمهم برسالته لم يسالوهم عن ايمانهم به فهم انما اجابوا عن غيرها ما سالوا في الظاهر لكن يجوز ان يكتفى بالعلم الايمان فكانهم قالوا انا لم نؤمن بصالح ونصدقه لان العلم بالشيء فيه يقع بلا صنع والايمان لا يكون الا بصنع والايمان لا يكون الا بصنع منهم فكانهم انما سالوهم عن الايمان به لذلك قالوا انا بما ارسل به مؤمنون والثاني كانهم قالوا بل علمنا انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مؤمنون وفيه دلالة ان من مكن له من العلم باسباب جعلت له يصل بها الى العلم به لم يعذر بجهله في ذلك بعد ما اعطي اسباب العلم حيث قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اي لا تعلمون وقوله عزوجل قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو التصديق في اللغة والتكذيب هو ضد ما يكون به التصديق حيث اجابوا بالتكذيب لايمانهم به لقولهم انا بما ارسل به مؤمنون فهؤلاء لم يعرفوا جميع الطاعات ايمانا على ما عرفوا بعض الناس انما عرفوه تصديقا وقوله عزوجل فعقروا الناقة اضاف ههنا العقر اليهم جميعا وفي موضع اخر اضاف الى الواحد بقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وفي سورة والشمس وضحاها كذلك اضاف الى الواحد اذ انبعث اشقاها لكن فيما كان مضافا اليهم جميعا يحتمل ان تولى واحد منهم عقرها بمشورتهم جميعا ومعونتهم وتدبيرهم وتراضيهم على ذلك فاضيف على ذلك اليهم لذلك لاجتماعهم على ذلك والى الواحد فيما تولى جرحها ومنعها عن السير ففيه دلالة لمذهب اصحابنا ان قطاع الطريق اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال ولم يتول بعضهم يشاركون جميعا من تولى منهم ومن لم يتول في حكم قطاع الطريق بعد ان يكون بعضهم عونا لبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل ولم يتول بعض بعد ان كان في عون اولئك فانهم يقتلون جميعا وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه حيث قال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم واهل صنعاء اذا اجتمعوا الا سبيل الكل ان يتولوا قتله فدل انه على العون والنصر لبعضهم بعضا فيشتركون جميعا في القصاص على ما اشاركوا ولذلك جميعا في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول بعد ان كان في ذلك العقر

بعوثتهم وبتراضيهم على ذلك والله اعلم وقوله عزوجل وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة انما اخذهم العذاب لما استعجلوا منه العذاب وكذبوه بنبأ بوعدهم العذاب وبعدهم وقوله عزوجل وعتوا عن امر ربهم العتو هو النهاية في التمرد والخلاف فلا مرة على العلم منهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل وقوله عزوجل فاخذتهم الرجفة قيل الزلزلة وقيل الصيحة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصاعقة والقصة في ذلك كله واحد فجائز ان يكون ذلك واحد وان اختلف الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجائز ان تكون الصيحة لما صيح بهم صعقوا جميعا فماتوا وهو بالا وقوله عزوجل فاصبحوا في دارهم جاثمين قيل ميتين وقيل لازقين بالارض قد ماتوا وذهبوا ويقال الجثم الطائر اذا لزق بالا[رض] يقال الجثمة اى الرقبة بالارض والجثمة يقال طائر يشد جناحاه رجلاه ثم يوضع بالارض ثم يرمى بالنبل حتى يموت يقال جثمت الطائر اى شددت رجليه وجناحيه يقال جثم يجثم وجثما اذا فعل ما ذكرنا وقوله عزوجل فتولى عنهم اى اعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم ان العذاب نازل بهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم والنصيحة ما ذكرنا ان كل من دل اخر على ما به نجاته وسعى على دفع البلاء والهلاك عنه فهو ناصح له فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك عنهم لكنهم لم يقبلوا النصيحة منهم وقوله عزوجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ذكر في غيره من الانبياء دعاهم قومهم الى عبادة الله ووحدانيته على ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك ههنا ولا يحتمل ان لم يكن منه الدعا الى ما كان من غيره من الانبياء الى توحيد الله وعبادته قبل النهي عن الفواحش والتعيير عليها وهو ما ذكر في اية اخرى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون الا انه كان من الانبياء صلوات الله عليهم دعاء قومهم الى عبادة الله ووحدانيته اولا ثم النهي عما ارتكبوا من الفواحش والمعاصي والتعيير عليها وقوله عزوجل اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين وقوله ما سبقكم بها من احد يحتمل ان يكون منهم ما كان من سائر الاقوام تقليد الاباء في العبادة لغير الله كقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وقولهم وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون وقولهم بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون ونحو ما قالوا فعلى ذلك من قوم لوط للوط لما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته فاجابوه بما اجاب الاقوام الانبياء بهم من التقليد لابائهم فقال اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اى تعملون انتم اعمالا لم يعملها اباؤكم ولا تقلدون اباءكم في تركها بل نحو ما ذكر من اتيان الفاحشة فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين يعيرهم ويسفه احلامهم في اتيان ما ياتون من الفاحشة التي لم يسبقهم احد من العالمين على علم منهم ان ذلك فاحشة الا ترى قالوا انهم اناس يتطهرون ذكر هذا القول على ان ما ياتون من الفواحش ياتون على علم منهم انها فواحش حيث قالوا انهم اناس يتطهرون ثم قوله فاحشة لما في العقل والشرع لان ما حرم من المحرمات على الخلق واحل المحللات منه لهم على ذلك ثم جعل فيما احل لهم من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوام هذا العالم لانهم لو تركوا النساء ولزموا ذلك لهلكوا فاذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على النساء ولما احل لهم ليدوم هذا العالم لا ان احل لهم شهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فاخبر ان ما ياتون هم هو فاحشة لما ليس اتيانهم اياهم الا لنفس قضاء الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه فهو في العقل فاحش محرم وان لم يرد فيه النهي والله اعلم وقوله عزوجل بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار من الشئ والمجاوزة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما القتر هو التضييق والاسراف هو الاكثار حيث قال وكان بين ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشئ فكان لوط سماهم مسرفين لما اكثروا من ذلك النوع من الفواحش وجاوزوا الحد والله اعلم ويحتمل قوله قوم مسرفون وجوها ثلاثة احدها ما ذكرنا من اكثار الفعل والثاني مسرفون لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث اعطى لهم الازواج فضلا منه ونعمة حيث اخبر ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وكقوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ونحوه ما جعل لهم من الازواج ثم هم لم يشكروه على ما انعم عليهم بل ضيعوها وجعلوها في غير ما جعل هو لهم فذلك اسراف منهم والثالث الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم فهم قد جاوزوه وقوله عزوجل وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا كان من قومه اجوبة ليس على انه لم يكن منهم من اول الامر الى اخره هذا ولكن لم يكن من جواب قومه وقت ما نهاهم عما ارتكبوا من الفواحش وعيرهم عليها الا ما ذكر اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون لما نهاهم ويعيرهم على ذلك ويحتمل ما قال اهل التاويل يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتحرجون عن ذلك ويعيبون عليهم في ذلك والثاني ما كان جواب قومه لبعضهم الا ان قالوا اخرجوهم واما للوط كان عنهم لا جوبة كقوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا وقال في اية اخرى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله هذا فيما بينهم وبين لوط الاول فيما بينهم قال بعضهم لبعض اخرجوهم او الاختلاف الشاهد المجالس وقوله عزوجل فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين الغابر الغايب يقال غبرت اى غبت اى كانت من الغابرين

عن لوط واهله

عن لوط واهله وقت العذاب وقيل من الغابرين اى من الباقين في العذاب وقوله عزوجل وامطرنا عليهم مطرا اختلف فيه قال بعضهم قلبت قريات لوط وجعل عاليها سافلها على ذكر في اية جعلنا عاليها سافلها ثم امطر على من كان غائبا منهم الحجارة وقال بعضهم قلبت القريات فامطرت على اهلها كالمطر وقال اخرون قلبت الارض وامطر عليها حجارة من سجيل منضود وكلا وكلاهما سواء وهذا من العذاب في الامم لم يذكر في الدنيا بغير الكفر ولكن لما كان منهم من استحلال الاشياء محرم عليهم ومن قتل الانبياء والظلم والمكابرة التى كان منهم بعد تعلمهم انهم على باطل وعناد وقوله عزوجل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين هذا الخطاب وان كان ليس لرسول الله خاصة ولكن لكل اعلامه بالنظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل وعنادهم ليكونوا على حذر من صنيعهم لئلا يحل بهم ما حل باولئك ويجوز ان يكون الخطاب لرسوله خاصة فان كان له ذلك خاصة ان ينظر في عاقبة المجرمين ليحمد وكان يحزن عليهم بالهلاك والعذاب وقوله عزوجل والى مدين اخاهم شعيبا هو ما ذكرنا فيما تقدم ارسلنا شعيبا الى مدين رسولا وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم والاخوة انما يكون لوجوه اخوة النسب والاخوة في الجوهر واخوة المودة والخلة واخوة الدين فلا يحتمل اخوة الانبياء اولئك اخوة الدين والمودة لكن يحتمل اخوة الجوهر والنسب وقوله عزوجل قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد ذكرنا انه انما اوائل الرسل انما اتوا وبعثوا بالدعا الى توحيد الله والعبادة له وان لا معبود ويستحق العبادة سواه وقوله عزوجل قد جاءتكم بينة من ربكم قال بعضهم كانت بينة شعيب بينة وحجة لقومه لكنا لا نعلم ذلك غير انا نعلم انه كانت معه ايات وبراهين لكن الله لم يبين لنا ذلك ونشر محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات كانت حجة وبينة هو باعلام من الله جل له في نفسه من كان المنح الذي كان يتكذبه دليله والذي كان في وجهه من كان في صلبه وشك كونه فيه والصفو الذي دوى ان كان في وقت ولادته والقيام الذي كان عليه وقت غيبته عن اهله وحفظه نفسه عن جميع ما كان يتعاطاه قومه من عبادتهم الاصنام وغيرها من الفواحش فهو كان عليه السلام كان يا من يوخذ عليه كذب قط وقد كان نشأ بين اظهرهم ويعني ذلك من الاعلام التي كانت في نفسه ظاهر عن قومه فلم يكن له اثبات غيرها لكانت واضح منها كافيا في ان يكون حجة وقد كانت له ايات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا مما يقر المتعنتين على قبولها ويحتمل قوله قد جاءتكم بينة من ربكم اى حجة فانه رسولا على توحيد الله وقوله عزوجل فاوفوا الكيل والميزان وذكر في هود ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط وليس في قوله فاوفوا الكيل والميزان انهم كانوا لا يوفون في سورة هود ولا تبخسوا الناس اشياءهم ودل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم فقال ما يدل بالبخس الى الاشياء ملك لهم وان كان في بخس ذلك وفي ايديهم ثم يحتمل الامر بايفاء الكيل والميزان وجوه احدها لما كان ان اساء لئلا يذهب عنهم ذلك الامانة التي كانت لهم في قومهم والثاني لئلا يظلموا الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث ترغيبا كان فيما منعوا منهم من الكيل والوزن في دبر الهم بذل ذلك قوله بالقسط ذكر العدل فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان اذا طابت انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى لذكر القسط فيه لان من زاد اخر على حقه لم يمنع عن ذلك ولم يذم دل النهي عن ذلك على انه لم يوثر ما منعوا والله اعلم وقوله عزوجل ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اى بعد ان جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومتاعكم فيها او بعد ما امر وبين لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم او بعد ما ارسل من الرسل ما بهم صلاح الارض واهلها ذلكم خير لكم قال بعض اهل التاويل قوله ذلكم خير لكم اى وفاء الكيل والميزان خير لكم من النقصان لما ينمو ذلك الباقي ويزداد فذلك خير لكم من النقصان الذي تمنعون فلا ينمو شيئا وهو كقوله بقية الله خير لكم ويحتمل ذلكم ان كنتم مؤمنين اى ما منكم في الاخرة خير لكم من نقصان الكيل والميزان في الدنيا والله اعلم وقوله عزوجل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يحتمل ما قال اهل التاويل ان كبراء اهل الشرك ورؤساهم كانوا يقعدون في الطرق اناس يصدون الذين ياتون شعيبا للايمان من الافاق والنواحي ويكون معنى قوله من امن به على هذا التاويل او من اراد ان يؤمن به ويحتمل قوله ولا تقعدوا ليس على القعود نفسه ولكن على المنع من اقامة الشرائع التي شرع الله لشعيب كقول ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ليس هو على القعود نفسه ولكن على المنع يمنعهم عن صراطه المستقيم فعلى قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يمنعون من امن به عن اقامة الشرائع والعبادات التي دعوا الى اقامتها ويوعدون على ذلك ويخوفونهم فعلى هذا التاويل يكون معنى قوله من امن به على وجود الايمان وعلى التاويل الاول يكون من اراد ان يؤمن به والله اعلم وقوله عزوجل وتبغونها عوجا قيل تلتمسون لها اهل الزيغ وقيل تبغون هلاكا للاسلام وابطالا وقيل تبغون السبيل عوجا عن الحق وكله واحد وقوله عزوجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يحتمل وجهين يحتمل اذ كنتم قليلا في العدد فكثر عددكم من لوط كانهم ابناء توالدوا من بقية ال لوط ويحتمل اذ كنتم قليلا في الاموال والسعة في الدنيا فكثر الاموال ووسع عليكم الدنيا وقوله عزوجل وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين امر بالنظر فيما حل بالامم الخالية بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل لا من نظر في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الافساد في الارض والتكذيب للرسل اذ علم ان ما حل بهم انما حل بهم لما ذكروا فاعلم كانه امر بالنظر في الاسباب التي صار من تقدمهم اهل فساد وتركهم الهلاك لينزجروا عن مثل صنيعهم والا كانوا عند انفسهم اهل صلاح لا اهل فساد وقوله عزوجل وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا قال ابن عباس

رضي الله عنه كان قوم شعيب قليلا حين ادرك ذلك وقوم اخرون معه يقول لهم ذلك شعيب عليه السلام وان كان طايفة
منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يؤمنوا فاصبروا يا معشر المؤمنين حتى يحكم الله بيننا يعني عليهم بالهلاك ولم يكن شعيب امر
بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طايفة منكم يعني المؤمنين امنوا بالذي ارسلت به من العذاب وطايفة يعني الكفار لم يؤمنوا
بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتى يحكم الله بيننا في امر العذاب في الدنيا وهو خير الحاكمين ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا
يعبدون الاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون الله امرهم بذلك في اشياء يفعلون ويقول هؤلاء ان
الذي نحن عليه هو الذي امرنا الله بذلك فيقول لهم اصبروا حتى يحكم الله بيننا بانه بما ذا امر بالذي عليه الكفار او الذي نحن عليه
وقوله عز وجل قال الملا الذين استكبروا قد ذكرنا في غير موضع ان الملا من قومه هم كبراؤهم ورؤساؤهم وقوله عز وجل
استكبروا اي استكبروا عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم لانهم كانوا يستضعفون شعيبا فيما بينهم ويزدرون كقولهم
له انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ثم لم يروا الامر بالخضوع لمن هو دونهم في امر الدنيا عدلا وهم
انما اخذوا ذلك من ابليس اللعين واياه قلدوا حيث قال انا خير منه حين امر بالسجود لادم ولم ير اللعين الامر بالخضوع لادم من الله
عدلا فعلى ذلك هؤلاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلا فاستكبروا عليه تكبرا وانفة وقوله عز وجل لنخرجنك يا شعيب
قال الحسن لنخرجنك اي لنقتلنك والذين امنوا معك من قريتنا وقال غيره لنخرجنك الاخراج نفسه اي نخرجنك ومن معك
من المؤمنين من قريتنا او لتتبعن ديننا وقد كان منهم للانبياء المتقدمين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا كما قالوا ولولا
رهطك لرجمناك وكقول قوم لوط لوط لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وكقول قوم نوح لتكونن من المرجومين وما
اخبر عن قول هؤلاء لرسولنا حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا فقد كان من القوم الى الانبياء والرسل عليهم السلام المتقدمين
جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا فعلى ذلك يحتمل ذلك من قوم شعيب ما ذكرنا والله اعلم وكذلك كانوا يقولون للرسل جميعا
حيث قالوا وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم الاية هذا كانت عادة جميع الكفرة كانوا يخوفون الرسل بالاخراج مرة وبالقتل
ثانيا وقوله عز وجل او لتعودن في ملتنا يحتمل قوله او لتعودن في ملتنا لما عندهم انه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يروا
منه عبادة غير الله فيما بعدهم سرا فقالوا لتعودن في ملتنا على ما كان عندهم انه على ذلك وهو كما قالوا لصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
كان عندهم انه على دينهم قبل ذلك فعلى ذلك يحتمل قوله هؤلاء لتعودن من العود الى ما كان عندهم انه على ذلك ويحتمل على الابتداء
الدخول فيها والاختيار كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور على منع الدخول فيها لا انهم كانوا فيها ثم اخرجهم فعلى ذلك الاول وقوله
عز وجل قال اولو كنا كارهين يقول لتعودن في ملتكم وان كنا كارهين اي تابى عقولنا وتكره طباعنا عن الدخول في ملتكم فكيف
نعود فيها قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يحتمل قوله ان عدنا في ملتكم وجوها ثلاثة احدها ذلك منه
اخبار عن قومه لا عن نفسه اي افتروا على الله كذبا ان عادوا في ملتكم بعد اذ نجاهم الله منها وما يجوز لهم ان يعودوا فيها وانما هو فانما
اجابهم عن نفسه ما ذكر في سورة هود ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اجاب هو قومه كما اجاب غيره من الرسل قومهم حين
اوعدهم بالقتل والعقوبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كيدون فلا تنظرون وكما قال هود اني بريء مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ونحو ذلك من الجوابات التي كانت من الانبياء صلوات الله عليهم لاقوامهم ويحتمل ان يكون على
الابتداء من غير ان كان فيها كقوله رفع السموات رفعها ابتداء من غير ان كانت موضوعة وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور
اخراج ابتداء لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم ويحتمل ما ذكرنا انه اجابهم على ما عندهم انه كان على دينهم فاجاب لهم على ما عندهم انه على
ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يكون لنا ان نعود فيها اي ما يجوز لنا ان نعود فيها وقول شعيب قد افترينا على الله كذبا ولكن
قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم تعريض بسفه منه اياهم انهم قد افتروا على الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم
على الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم على الله كذبا ولكن قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وذلك منه تلطف
بهم ورفق وقوله عز وجل الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما اختلف في تاويله قال الحسن من حكم الله عز وجل ان من قبل دينه
واطاع رسوله ان يكون وليا له ومن رد دينه وعصى رسوله يتخذه عدوا له ويكون كافرا وقال ابو بكر الكيساني قوله الا
ان يشاء الله ان يتعبدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا يتقربون به ويشرع لهم فيما يحل ويبيح لم يرد به الدين الذي هم عليه لكن هذا لا يحتمل
لان سؤالهم كان العود الى ملتهم فعلى ذلك خرج الثنيا وقال ابو جعفر بن حرب قوله الا ما شاء الله الا ان يامرنا الله بما يؤتيهم على ذلك
على الاياس وقطع الرجاء اي لا يشاء الله البتة ذلك كما يقال كان كذا ان صعدت السماء وكقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط ونفعل
كذا مما يعلم انه لا يكون فعلى ذلك هذا لكن هذا كله بعيد محال اما قول الحسن ان من حكم الله انه من رد دينه وعصى رسوله انه يكون
من الكافرين ومن قبل دينه واطاع رسوله يكون من المؤمنين فليس فيه سوى ان يقول انه يعلم من كفرهم ومن امن به فلا معنى للاستثناء
لو كان التاويل ما ذكر واما قول ابي بكر انه يتعبدهم ويمتحنهم بما يتقربون به في دينهم وملتهم فما يجوز ان ياذن في ذلك لكن
لا يحتمل الا انه ذكر الملة التي كانوا هم عليها فاليه يرجع الثنيا لا يجوز ان يصرف الثنيا الى غيره واما قول من يقول بالاياس وقطع

الطمع عن ذلك

الطمع عن ذلك فذلك ايضا بعيد لان الاياس انما يكون فيما يعلم انه لا يكون البتة من نحو ما ذكر من قوله لا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط ونحوه واما مثل هذا فانهم لا يفهمون منه الاياس وقطع الرجاء بل كانوا ياتون بالفواحش ويقولون الله
امرهم بذلك فانى يقع لهم الاياس بذلك واما عندنا فانه حقيقة المشية وذلك ان من علم الله منه انه يختار فعل الكفر يريد
ذلك على فعل الايمان والطاعة يشاء ذلك له على ما علم انه يختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك لا يشاء اذ لا يجوز ان يعلم منه
غير الذي يكون او ان يشاء غير الذي علم انه يكون منه لانه جهل وعجز واصله ان شعيبا خاف ان سبق منه زلة وتقصير منه
الاختيار لذلك فيشاء الله بذلك الزيغ والضلال وكذلك جميع الانبياء خافوا ذلك كقول ابرهيم عليه الصلاة والسلام
حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وقول يوسف حيث قال الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء
كان خوف الانبياء عليهم السلام كان اكثر من خوف غيرهم وقوله عز وجل ربنا وسع ربنا كل شيء علما معناه والله اعلم انه
لا نعلم الى ماذا يصير عاقبة امرنا في علم الله وقوله عز وجل على الله توكلنا قيل على الله اعتمدنا فيما يخوفوننا من الاخراج واليه لجانا
في سلطانهم ومملكتهم وبه نثق في دفع ما يعدوننا من النصر والظفر على الاعداء وقوله عز وجل ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
قيل قوله افتح اي احكم بيننا وبين قومنا بالحق روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما كنت اعلم ما معنى الفتح في الاية حتى تزوجت
امراة من بني كذا فوقعت بيننا مخاصمة فقالت لي تعال حتى احاكمك الى فلان فعند ذلك عرفت ان المفاتحة هي المحاكمة وقوله
بالحق قيل هو العذاب الذي كان وعد لهم ان ينزل عليهم بتكذيبهم شعيبا وايذائهم اياه ثم المعتزلة لزاد في تعلق ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق يقولون هو الدعاء والسؤال وان كان لا يحكم الا بالحق فعلى ذلك يعتزلون في قوله رب احكم بالحق ونحو ذلك
يتزلون في قوله الا ان يشاء الله لكن عندنا يخرج قوله احكم بالحق وافتح بيننا وبين قومنا بالحق على وجوه احدها يقول ربنا
افتح بيننا بحكمك وهو الحق والثاني يقول رب احكم بالحق في حادث الوقت كما حكمت في الوقت الماضي وهو كقوله اهدنا الصراط
المستقيم وهو التثبيت والهداية والثالث على استعجال العذاب وقوله عز وجل وقال الملا الذين كفروا من قومه قد ذكرنا ان الملا
كبراؤهم وسادتهم يقولون للاتباع والسفلة لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون قال ابو بكر لجاهلون ثم يحتمل قوله انكم اذا لخاسرون
وجوها احدها ان شعيبا كان يحذر قومه بالتطفيف في الكيل والوزن ويامرهم بوفاء حقوق الناس بقوله فاوفوا الكيل ولا
تكونوا كذا وقوله عز وجل ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيقول الكبراء والرؤساء للسفلة
لئن اتبعتم شعيبا في دينه وما يامركم به من وفاء الحق للناس فانكم اذا لخاسرون للارباح والثاني انه كان يحذرهم وينهاهم عن
عبادة الاصنام والاوثان ويدعوهم الى عبادة الله ويرغبهم في ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام ليقربهم عبادتهم اياها
الى الله زلفى ويكون لهم شفعاء في الاخرة فقالوا لئن اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم اليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين لا شفعاء لكم
في الاخرة والثالث انهم كانوا يوعدون شعيبا بالاخراج بقولهم لنخرجنك يا شعيب فقالوا لئن اتبعتم شعيبا وهو يخرج لا محالة
تخرجون انتم فتصيرون من الخاسرين والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم الرجفة قيل الصيحة وقيل الزلزلة قيل اصابهم حر شديد فوقعت
لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح تحتها فسال عليهم العذاب ورجفت بهم الارض فهلكوا وهو ما ذكر في اية اخرى عذاب يوم الظلة
والله اعلم وقوله عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين قد ذكرناه في قوله جاثمين فيما تقدم وقوله عز وجل الذين كذبوا شعيبا كان لم
يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين هو والله اعلم مقابل قولهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون وجواب لهم يقول الذين
كذبوا شعيبا هم الخاسرون لا الذين اتبعوه وقوله عز وجل كان لم يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها ولم ينعموا قط وقيل كان لم يبقوا
فيها قال القتبي يقال غنينا بمكان كذا وكذا اي اقمنا ويقال للمنازل مغان واحدها مغنى ويقال كان لم يغنوا فيها اي كان لم يكونوا
فيها قط وهو والله اعلم لما كانوا يستغلون نعم الله عليهم ويسخرون بها حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله كان لم يلبثوا الا
ساعة من النهار ونحوه وكذلك اخبار عن قطع اثارهم انه لم يبق منهم احد يحزن عليهم او يبكي عليهم حتى قال شعيب فكيف اسى على قوم
كافرين حين علم انهم يهلكون وينزل بهم العذاب اي لا احزن عليهم ما ذكر وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير قال ذلك في الوقت
الذي قال فلا تقعدوا بكل صراط يقول كيف احزن على قوم دعاهم ما ذكر وقوله فتولى عنهم حين راهم هلكى فقال فكيف اسى على
قوم اي كيف احزن على قوم قد كذبوني واختاروا عداوتي وصاروا واعانوا اعداء فكيف احزن عليهم بالهلاك وهم اعدائي وقوله يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قد ذكرناه وقوله عز وجل وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء في
الاية اضمار والله اعلم من وجهين احدهما قوله وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه الا اخذنا اهلها المكذبين له بالباساء وما ذكر
لا يحتمل ان يرسل اليهم رسولا ثم ياخذهم بما ذكر من غير ان كان منهم رد او تكذيب له والثاني وما ارسلنا في قرية اهلكنا من نبي
الا اخذنا اهلها قبل الهلاك بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم لم ياخذ الله قوما بالهلاك قبل ان يبعث اليهم الرسول وقبل ان
يغيروا ما انعم عليهم بانفسهم كقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا الاية وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وغير ذلك من الايات اخبر

انه لا ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد تبليغ العذر لهم من جميع الوجوه وان كان له الاهلاك قبل ان يبعث اليهم الرسول لما ركب فيهم
من العقول السليمة مما بها يوصل الى فهم كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته وآيات ربوبيته وما جعل لهم من السمع والنطق ما به يوصل الى
سمع كل ما غاب والنطق بكل ما يريدون ما لم يجعل ذلك لغيرهم من البهائم وما انعم عليهم من تصوير ما لم يتمن احد ما دونه منها الى غيرها من
الصور ولكنه لا يهلكهم الا بعد بعث الرسل اليهم لما ان الخلق على مراتب منهم من يفهم بالعقل لا يحتاج الى معونة السمع وهم الحكماء والعلماء
الذين يدركون الاشياء بالبديهة ومنهم من لا يدرك الا بمعونة السمع وهم كالصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع وفضل التنبيه ومنهم
من لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع حتى يصيبهم الشدائد والغير في انفسهم وفيما انعم عليهم وهم كالبهائم الذين لا عقل لهم ولا سمع و
لكن يعرفون الشدائد وما يصيبهم من البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا اولا فان رجعوا عن ذلك
وعن نوائبه والا اهلكهم بعد ذلك فعند ذلك ينتهون ويتذكرون وذلك قوله فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
وقوله بالبأساء والضراء قد ذكرنا في صدر الكتاب وقوله عز وجل لعلهم يتضرعون اي لكي يكون عليهم التضرع او لكي يلزمهم
التضرع والتذكر وقوله عز وجل ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة وهو ما ذكر اهل التاويل السعة والرخاء بعد الشدة والقحط وما
حل بهم من البلاء حتى عفوا قيل جمعوا وكثروا اي كشف عنهم ذلك حتى كثروا فعند ذلك اهلكهم بغتة لان الهلاك في حال الشدة و
البلاء لا يكون اخذا بغتة لان كل من حل به بلاء وشدة يخاف فيه الهلاك فاذا اهلك في تلك الحال لم يكن اخذا بالهلاك بغتة الا ترى
انه سمي الموت الذي يموت المرء من غير مرض حل به موت فجاءة والذي يمرض يتقدم الموت لا وان الموت في الوجهين جميعا لا يعلم و
بحلول لكنه انما لم يتقدم مرض فهو لا يخاف منه واذا كان به مرض خاف به فلم يكن فجاءة فعلى ذلك انما اخذوا في حال الشدة لم يكن
اخذا بالبغتة لما يخافون فيه الهلاك واذا كانوا في سعة ورخاء لا يخافون فيوخذون في تلك الحال فذلك الاخذ بغتة وقال حتى
عفوا قيل كان اهلك بعضهم وترك بعضا حتى عفوا اي كثروا من ذلك البعض ولكن الوجه فيه ما ذكرنا من البأساء والضراء والشدائد
والقحط ثم كشف ذلك عنهم فكثروا ثم اهلكهم والله اعلم وقوله عز وجل قد مس اباءنا الضراء والسراء قالوا ان اباءنا قد كان ينزل
ذلك بهم ويصيبهم مرة شدة ومرة نعمة فلم يكن ذلك بعقوبة لهم فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدائد والبلايا ليس ذلك بعقوبة لنا
ولكن دوران الدهر وتصرفه على الشدة والبلاء مرة ومرة على الخصب والسعة ثم اخبر انه اخذهم بغتة بعد قولهم قد مس اباءنا الضراء
والسراء وقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا قيل امنوا واتقوا قبل ان يهلكوا بعد ما اصابهم من الشدائد والبلايا لفتحنا
عليهم بركات الابتداء لاعطوا كل خير ينال من السماء والارض والبركة ما ينال من كل خير على غير مؤنة البركة كل شيء ينال بلا تبعة عليه
ولا شرع ذكرها هنا انه يفتح عليهم بركات من السماء والارض لو امنوا واتقوا وذكر انهم لم يؤمنوا ونسوا ما ذكروا به انه يفتح عليهم ابواب
كل شيء ولم يذكر البركة فيما لم يذكر البركة يتعقبهم ما فتح عليهم من كل شيء ويشومهم وفيما ذكر فيه البركة بعد الايمان لا يلحقهم من ذلك
تبعة ولا غرم والله اعلم وقوله عز وجل ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون ويحتمل قوله ولكن كذبوا النعم التي انعمها عليهم
اي الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من التكذيب والله اعلم وقوله عز وجل افامن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون
خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة على الايجاب كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون الاية هذا في الظاهر
وان خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة على الايجاب كانه قال في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا ان يحيف الله عليهم
فعلى ذلك قوله افامن اهل القرى على الايجاب كانه قال قد امن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا وامن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا ضحى الخ
ثم اختلف في قوله افامن اهل القرى وامن اهل القرى الى اخر ما ذكر قال الحسن هذه الايات في الامم السالفة اخبر عنهم منهم
بنزول باس الله وعذابه بهم لكي ذكر في هذه الامة ليكونوا على حذر عن مثل صنيعهم وقال الاخرون هذه الايات في قرى هذه الامة لا في
الامم السالفة يقول امن هؤلاء باسنا كما امن اولئك منه فانهم اذا صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الاخرة من العذاب مثل ما انزل باولئك
في الدنيا من العذاب وقوله عز وجل باسنا بياتا وهم نائمون وضحى وهم يلعبون اخبر ان العذاب انما نزل بهم في حال الامن وهو وقت
النوم واللعب لانه وقت الغفلة والسهو وامن ما يكون الانسان انما يكون في حال النوم وانما نزل بهم في وقت الغفلة والسهو يذكر
بهذا والله اعلم اهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسول الله لئلا يكونوا امنين عن باس الله في وقت من الاوقات والله اعلم وقوله
عز وجل افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المكر في الشاهد هو ان يراقب من عدوه حال غفلة لينتقم منه وينتصر فاذا
كان ما ذكرنا فسمى ما ينزل بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا وعلى ذلك الامتحان فيما بين الخلق هو استظهار ما خفي على بعضهم فيأتي
بذلك وينهون فسمى الله تعالى ذلك امتحانا لمعنى الامر والنهي وان كانت الخفيات عن الخلق ظاهرة له بادية عنده وقوله عز وجل فلا
يامن مكر الله الا القوم الخاسرون قالت الاية على المعتزلة لانهم يامنون مكر الله في الصغائر حيث قالوا الصغائر مغفورة ليس له ان يعذبهم
عليها فهو امن من مكره وييأسون من رحمته لقولهم في الكبائر ليس له ان يعفو عنهم وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وهم قد ايسوا من رحمة الله في الكبائر وامنوا مكره عن الصغائر ففيها نقض الايمان على المعتزلة وقوله افامنوا مكر الله اي جزاء مكرهم سمى جزاء
المكر مكرا كما سمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرا

وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرا وان لم يكن الثاني مكرا والله اعلم الا ترى انه لم يجز ان يسمى
مكرا ولو كان على حقيقة المكر يسمى بذلك دل انه جزاء وجائز ان يكون المراد من مكرهم جزاء مكرهم سمى الجزاء باسم المكر لانه جزاؤه كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة وقوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها على تاويل من يجعل
الاية في الامم السالفة يقول ولم يرفقوا ولم يهد والصواب بهلاك امة بعد امة وقوم بعد قوم وعلى تاويل من يقول بان الاية في
هذه الامة يقول او لم يبين لهؤلاء الذين ورثوا الارض من بعد هلاك اهلها ان لو نشاء اصبناهم بعذاب بذنوبهم كما اصاب اولئك
العذاب بذنوبهم وقوله ولم يهد الذين يرثون الارض من بعد اهلها اي من بعد هلاك اهلها وقوله ولم يهد على اسقاط الواو والالف
اي لم يهد الذين يرثون الارض ثم يحتمل قوله لم يهد لهم اذ لم يتفكروا بما اهل الاولين وما حل بهم بتكذيبهم الرسل انهم كانوا انما
تركوا التفكر والنظر فيهم وما نزل بهم لم يهدهم والثاني قد هداهم لكن نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به وهو ما نفى عنهم من السمع
والبصر والعقل لما لم ينتفعوا به ويحتمل على غير اسقاط الف كانه قال اولم يهد الذين يرثون الارض ولم يهدهم الرسل قدرة الله في
اهلاك الامم الخالية فعلى ذلك هو قادر على اهلاك الذين يرثون الارض من بعد اهلها يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا والله اعلم او
يقول ولم يهدهم وراثة الارض من بعد هلاك اهلها انهم لو اهلكوا حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله وقوله ولم يهد للذين يرثون
الارض يخرج على وجهين احدهما قد هداهم وبين لهم ان من تقدمهم انما اهلكوا بما اصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد لكن لم
يهتد والعناد هم والثاني لم يهدهم لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا على التلاوة قرئ باسقاط وقوله عز وجل ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم فان كانت في الامم السالفة فقوله ان لو نشاء اصبنا قوما بعد قوم بذنوبهم وان كانت في المتاخرين فيكون قوله ان
لو نشاء اصبناهم لا بذنوبهم على ما اصاب اولئك بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون والطبع يحتمل الختم اي ختم
على قلوبهم ويحتمل الطبع ظلمة الكفر اي ستر قلوبهم بظلمة الكفر كقوله وكل شيء ستر شيئا وتغشاه فهو طبع فهم لا يسمعون
يحتمل وجهين يحتمل لا يسمعون لما لا ينتفعون به ويحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده قيل اجاب الله لمن حمده اي
دعاه وقوله عز وجل تلك القرى نقص عليك من انبائها قوله نقص عليك اي قصصنا عليك ما قص عليه من الانبياء يخبر
رسوله ان القرى التي كانت من قبل قد سالوا رسلهم الايات فجاؤا بها ولم يصدقوها فعلى ذلك هؤلاء انك لو اتيت ما سألوا
من الايات لم يؤمنوا بها ولم يصدقوها يخبر عن تعنتهم ومكابرتهم وعنادهم والثاني يذكر ان الايات ليس يجيئان باقوالها
من الجهة التي يريدون انما يجيئان بالايات ما هو حجة وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل وجوها يحتمل الانباء
التي انبات الرسل اقوامهم من نزول العذاب بهم بالتكذيب والكفر بها ويحتمل بالبينات التي تدل على صدق الرسل بما يقولون و
يخبرون بعد ما سألوهم الايات لكن ردوها رد عناد ومكابرة بعد ما عرفوا انها حق وقوله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل اي ما كانوا ليؤمنوا لما راوا باسنا بما كذبوا من قبل اي لا ينفعهم ايمانهم عند رؤيتهم باس الله كقوله لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل ما كانوا ليؤمنوا بسؤالهم الايات اذا اتاهم الايات بما كذبوا من قبل لان تركهم
الايمان وتكذيبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم الايات ولكن لتعنت فاخبر انهم وان سألوا الايات فانهم لا يؤمنون والثالث ما كانوا
ليؤمنوا بما يخبر بهم الرسول من اتيان العذاب بهم بما كذبوا من قبل الانبياء عليهم السلام وقوله عز وجل وما وجدنا لاكثرهم
من عهد يحتمل العهد المذكور وجوها ثلاثة احدها عهد الخلقة لما في خلقة كل احد الشهادة بالوحدانية له والالوهية ثم
لم يوفوا بتلك العهود بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله عليهم على السن الرسل كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة و
اتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فلم يوفوا بذلك والثالث ما اعطوهم من انفسهم من العهد كقول فرعون لموسى يا ايها الساحر ادع لنا
ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلم يوفوا بما اعطوهم من العهود وقوله عز وجل وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وقد وجد اكثرهم
فاسقين بنقض العهد والله اعلم وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك قرون كثيرة موسى
بآياتنا الى فرعون وملائه يحتمل قوله بآياتنا حججنا ثم يحتمل حجج وحدانية الله والوهيته ويحتمل ايات رسالته ونبوته وعلى قول
الحسن بآياتنا ديننا وعلى ذلك بيّنا ولجميع الايات التي ذكرت في القرآن وقوله عز وجل الى فرعون وملائه ان موسى كان مبعوثا
اليهم جميعا الى فرعون والملاء والاتباع جميعا الا انه كان مبعوثا الى فرعون وملائه خاصة دون الاتباع وكذلك ذكر في مكان اخر
الى فرعون خاصة وهو بعث اليهم جميعا لكن يخرج تخصيص ما ذكر هؤلاء القادة والله اعلم لما ان الذي ينازع الانبياء والرسل
هم الكبراء والرؤساء دون الاتباع والسفلة والاتباع هم الذين يصدرون لاراء الكبراء ويتبعونهم فيما يدعونهم اليه وعلى
ذلك عموا الكبراء والرؤساء اضداد الرسل والا كان موسى مبعوثا اليهم جميعا الوضيع منهم والرفيع وقوله عز وجل فظلموا بها
قال بعضهم قوله فظلموا بها اي ظلموا الايات والحجج التي بها موسى فرعون وقومه سمى ظلما لانهم سموا تلك الايات سحرا بعد ما
عرفوا انها منزلة من الله فوضعوها غير موضعها والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقال القائلون قوله فظلموا بها اي
ظلموا انعم الله التي انعمها عليهم حيث عبدوا غيره فصرفوا شكر تلك النعم الى غير الذي انعمها عليهم فذلك ظلم شكر وانعم لم يتم

عليهم وصرفوا عن النعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا الاتباع بتلك الايات حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستتبعوهم او
يقول ظلموا انفسهم حيث تركوا اتباعها وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان المراد بالخطاب غيره امرهم بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم لان من نظر في عاقبة ما حل بغيره بمعصية
وفساد يمتنع عن مثله وامكن ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما انه بما حل بهم بعض التسلي لاذاهم اياه
لانه من قومهم حلول الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض التسلي في ذلك يذكرهم وينبئهم بما يحل بهم في العاقبة
ليمتنعوا عما ارتكبوا من المعاصي لان بذلك انجى وقوله عز وجل وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين فان قيل كيف قال اني
رسول الله وذلك يخرج في الظاهر مخرج الامتداح والتزكية وقد نهينا عن ذلك لا ترى لنا تخبر بفعل الذي يوضع الرسالة فيه وانزاله
قيل ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكية له لانه انما يذكر منة الله تعالى انه جعله بحيث يوضع فيه الرسالة وجعله اهلا لها والتزكية و
الامتداح انما يقع فيما هو فعله لا فعل الله ان لو كان تزكية وامتداحا فهو فدام بذلك فجاز ذلك بالامر واراد بذلك تقريبه لما كان من عادة
الملوك انهم اذا بعث بعضهم الى بعض رسولا فانهم لا يستقبلون الرسل بالمكروه والشر بل يعظمون الرسل ويكرمونهم وان كان بينهم
معاداة فذكر انه رسول من رب العالمين لئلا يستقبل بالمكروه وقوله من رب العالمين قيل العالم هو جوهر الكل وهو قول الفلاسفة وقال
ابو بكر الاصم رب العالمين اي مليك الخلائق وقوله عز وجل حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال اهل التاويل ان موسى لما قال لفرعون
اني رسول من رب العالمين فقال له كذبت فعند ذلك قال له موسى حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق وامكن ان يكون ذلك منه على
غير تكذيب القول من فرعون ولكن قال ذلك لما حقيق على كل احد اكرمه الله بالرسالة واختاره لها ان لا يقول على الله الا الحق وان يقول
اني رسول من رب العالمين حقيق على ما اكرمني بالرسالة ان لا اقول على الله الا الحق وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد
ذكرنا انه لا يصح الابتداء بهذا الابتداء ان يسبق من فرعون كلام خرج ذلك الكلام من موسى جوابا لما كان منه وهو ما قال اهل التاويل
انه قال له لما قال اني رسول من رب العالمين اليك كذبت لم يرسلك الينا او كلام نحو هذا فعند ذلك قال حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق
اي ما كان ينبغي لي ان اقول على الله الكذب وهو كما قال عيسى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق لما قال له وانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله كان ذلك القول من عيسى ما ادعى قومه على عيسى انه قال لهم ذلك وكذلك قول الملائكة سبحانك انت
ولينا من دونهم بعدما قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم خرج ذلك القول منهم جوابا
لما تقدم فعلى ذلك قول موسى حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق خرج على تقدم قول كان منهم والله اعلم ومن قرا حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق فتاويله محقوق على ان لا اقول على الله الا الحق ومن قرا بتشديد على فتاويله حق علي ان لا اقول على الله الا الحق وقوله
عز وجل قد جئتكم ببينة من ربكم يحتمل بينة من ربكم ما يبين وحدانية الله والوهيته ويحتمل بينة الرسالة ما يبين اني رسول رب العالمين
غير كاذب عليه ولا مفتر وقوله عز وجل فارسل معي بني اسرائيل اي لا تستعبدهم فانهم ليسوا بعبيد لك بل ارسلهم معه وكف طلب استنقاذهم
من العبودة كقوله ان عبدت بني اسرائيل وقوله عز وجل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين دل قول فرعون ان كنت جئت
باية ان موسى اراد بقوله قد جئتكم ببينة من ربكم الاية ودل قوله ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين انه قد كان عرف
انه ليس باله وعرف عبودة نفسه حيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه اله لكان قال لموسى انا الاله فمتى
ارسلك ولم يطلب منه الاية وقوله عز وجل فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال ابو عوسجة الثعبان الحية قال كل حية تسمى
ثعبانا والثعابين جماعة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الثعبان هي الحية الذكر وقوله عز وجل مبين اي مبين انها حية وهو كما ذكر
فاذا هي حية تسعى مبين لا يشك احد انها ليست بحية ويحتمل مبين اي مبين ان ذلك التغيير والتحويل لا يكون الا من الله وقوله عز وجل
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ذكر نزع يده ولم يذكر مما ذا نزع فذكر في اية اخرى وادخل يدك تخرج بيضاء من غير سوء اي من غير
اذى ولا افة وقال اهل التاويل من غير برص ولكن عندنا من غير سوء من غير ان يستقبح او تستقذر لان خروج الشيء عن خلقته و
جوهره مما يستقذر فاخبر انه لم يكن كذلك فان قيل لنا ما الحكمة في ادخال يده جيبه على ما هي عليها واخراجه اياها بيضاء من غير ان
كانت كذلك قبل ان يدخلها وكذلك صيرورة العصا حية بعد ما طرحها على الارض دون ان تصير حية وهي في يده قيل ذلك والله اعلم
انه انما اراهم اية بعد ما اخرج العصا عن سلطانه وتدبيره ليعلم انها انما صارت لا بتدبيره وتغييره ولكن بالله عز وجل وكذلك اليد
صيرها اية بعد ما غيبها عن بصره وتدبيره ليعلم انها صارت كذلك لا به ولكن بالله عز وجل والاية هي التي تخرج عن وسع الخلق و
تدبيرهم وقوله عز وجل قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم وقال في اية اخرى قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يحتمل ان يكون
فرعون قال للملأ ان هذا لساحر ثم قال الملأ لقومه ان هذا لساحر عليم اراد والله اعلم تلبيس ما اتى به موسى من الاية على قومه واراد بقوله
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره الاغراء قومه عليه والسحر عندنا هو من ايات الرسالة ولو كان ما اتى موسى سحرا كان ذلك من ايات
رسالته ونبوته لانه لا يستفاد الا بتعلم الاشياء وحفظها وكذلك هذه الحرف والمكاسب التي تكتسب في الخلق لانه لا يعلم الا بالوحي من الله
لكنه ليس باية على الاشارة ولو كان ما اتى به سحرا لكان له اية لانه نشا بين اظهرهم لم يره اختلف الى ساحر قط لا عرف انه تعلم ذلك من

فدل ذلك

فدل ذلك انه من الاية لكنه اخرج ذلك مما عرفوا من السحر لما لا يكاد احد يعرف انه لم يختلف في ذلك ولا تعلم من احد فاخرجه
عن وسع السحرة وتدبيرهم ليعرف كل احد انه ايات رسالته ونبوته لا السحر والله اعلم وقوله عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم
كان موسى لا يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن الله اعلم كانه قال فرعون لقومه لو اتبعتم موسى واجبتموه الى ما يدعوكم اليه
لاخرجكم من ارضكم لكن اضاف ذلك الى موسى لما كان هو سبب اخراجهم والله اعلم او يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب
وراحتكم وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل ويستخدمونهم ويسترقونهم ويمنعون منفعتهم فيقول القبط
يريد ان يذهب بذلك كله عنكم وجائز ان يكون موسى لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذي
كانوا عليه ولكنه كان يغري قومه عليه وقوله فماذا تامرون دل هذا القول من فرعون انه كان يعرف انه ليس باله ولا رب لانه
لو كان ما يقول انا ربكم الاعلى لكان لا يطلب من قومه الامر والاشارة في ذلك دل ذلك انه كان يعرف عجزه وضعفه لكنه يكابر و
يلبس على قومه ويموه بقوله ان هذا لساحر عليم وقوله عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا الحرف حرف اغراء وتحريش عليه وقوله
عز وجل فماذا تامرون هو حرف تقريب حيث جعل اليهم الامر والاشارة وجعلهم من اهل مشورته وقوله عز وجل قالوا ارجه
واخاه هذا الحرف لا يقال ابتداء الا ان يكون هنالك تقدم شيء نحو انه هم بقتله كقوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه فقالوا له
ارجه اي اخره واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا كانوا يمنعون فرعون عن قتله الا ترى انه قال ذروني اقتل
موسى لو لم يكن منهم منع عن قتله لم يكن ليقول لهم ذروني اقتل موسى وقوله عز وجل قالوا ارجه واخاه قال القتبي ارجه واخاه
ما دون يقول احبسه اي اخره ومنه قوله ترجي من تشاء ومنه سميت المرجئة وقال ابن عباس رضي الله عنه ارجه واخاه
ولا تقتلهما وارسل في المدائن حاشرين بعث وارسل الى المدائن الشرط فاتوه من المدائن حاشرين اي يحشرون عليك السحرة والناس
الى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل ياتوك بكل ساحر عليم لا تقتلوه حتى ياتوك بكل ساحر عليم اي يجتمع كل
انواع السحر ليتبين سحره والا كان ساحر واحد كاف ولكن اراد والله اعلم بقوله ياتوك بكل ساحر عليم ليجتمع جميع انواع
السحر عنده ليتبين سحره وقوله عز وجل وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين
في المنزلة والقدر وعندي هذا يدل ان همة الساحر ليس الا الدنيا لانهم طلبوا من فرعون الاجر والقدر والمنزلة عنده ان كانوا هم
الغالبين ولا يجوز من همة الدنيا ما ذكر ان يكون له الرسالة بحال وهمة الانبياء كانت الدين وطلب الاخرة وقوله عز وجل قالوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين هذا ليس على الالقاء هنا ونسبتها ولكنه الالقاء لانه لو كان على الالقاء احدهما لكانت
لا يتبين السحر من الاية لكن الالقاء الاول كانهم قالوا يا موسى اما ان تلقي اولا او نحن الملقون اولا مرة وهو كما ذكر في اية اخرى اما ان تلقي
واما ان نكون اول من القى وقول موسى القوا كانه امره ربه ان يامر بذلك قال موسى القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم هذا
يدل ان السحر انما ياخذ الابصار على غير حقيقة كانت له وهو كالسراب الذي يرى من بعيد كقوله يحسبه الظمان ماء الاية فعلى ذلك
السحر ياخذ الابصار ظاهرا فاذا هو في الحقيقة باطل لا شيء وكالخيال في القلوب لا حقيقة له وكان قصدهم بالسحر استرهاب الناس
وتخويفهم به الا ترى انه ذكر في اية اخرى فاوجس في نفسه خيفة موسى وقد ذكرنا ان ما جاء به الرسل لو كان سحرا في الحقيقة لكان
ذلك حجة لهم في اثبات الرسالة لان قومهم لم يروهم اختلفوا الى ساحر قط فيدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله تعالى وهو كالانباء التي
انبأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل فاوجس في نفسه خيفة موسى يخرج على وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره كما اخذ اعين الناس
والثاني خاف ان سحرهم يمنع اولئك عن رؤية حقيقة ما جاء به وقوله عز وجل سحروا اعين الناس اي حيروا وكقوله سحرت ابصارنا اي اخذ
اعينكم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك فيه ان موسى كان لا يلقي عصاه الا بعد الامر بالالقاء وكذلك قوله اضرب
بعصاك البحر فانفلق ونحوه كان لا يضرب بالعصا ولا يلقي الا بعد الامر بالالقاء والضرب ليعلم ان في ذلك امتحانا لموسى فيما يامر بالالقاء
على الارض لتصير حية وفيما يامره بالضرب بها الحجر ولله ان يمتحن عبده بما شاء من انواع المحن والا كان قادرا ان يفلق البحر على غير الامر
بالضرب بالعصا وكذلك يفجر الحجر ويشق على غير ضرب بالعصا وكذلك تصير تلك العصا حية وهي في يده ولكن امره بذلك كله والله
اعلم امتحانا منه اياه وابتلاء اذ هي دار محنة وابتلاء ان في زمن موسى كان السحر هو الظاهر وكان الناس وقتئذ يعملون بالسحر
فجاء موسى من الايات على رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك ليعرفوا خروجه عن وسعهم ان ذلك ليس بسحر ولكن
اية سماوية وكذلك ما جاء عيسى من الايات جاء بنوع ما كان يعمله قومه وهو الطب ليعلموا ان ذلك بالله عرف ذلك
وقوله عز وجل فاذا هي تلقف ما يافكون قال القتبي تلقف تلتقم وتلقم اشتقاقه من اللقم والابتلاع وقوله ما يافكون قيل ما يكذبون
قال الحسن تلقف ما يافكون حبالهم وعصيهم وقيل تلقف ما يافكون ما جاءوا به من الكذب وقوله عز وجل فوقع الحق قيل اي
ظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين احدهما بطل ما كانوا يعملون اي بطل ما عملوا من السحر والثاني بطل ما كانوا يعملون
اي تلك السحرة العمل بالسحر اذا ظهر الحق لهم والله اعلم وقوله عز وجل فغلبوا هنالك اي عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا لفرعون
في الابتداء ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فذكر ههنا انهم غلبوا عند ظهور الحق لا انهم صاروا غالبين وقوله فغلبوا هنالك

ليس غلبة القهر والغشم ولكن غلبة بالحجج والبراهين اي غلبوا بالايات والحجج وقوله عز وجل وانقلبوا صاغرين قال بعضهم اهل التأويل
رجع السحرة لما غلبوا صاغرين مذلين لكن نقول رجع فرعون وقومه الى منازلهم مذلين لا السحرة لان السحرة قد امنوا فلا يحتمل ان يوصفوا
بالرجوع صاغرين مذلين وقد رجعوا مع الايمان وقوله عز وجل والقي السحرة ساجدين اختلف فيه قال بعضهم قوله القي اي امروا
بالسجود فسجدوا وقال اخرون قوله القي اي لسرعة ما سجدوا كانهم القوا والاية ترد على المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون لله تعالى في فعل
العباد صنع وههنا قد اضيف الفعل الى غيرهم بقوله والقي السحرة ساجدين دل ان لله في فعل العباد صنع وهو ان خلق فعل السجود منهم
وقال جعفر بن حرب يجوز ان يضاف الفعل الى غيره وان لم يكن لذلك الغير في ذلك الفعل صنع نحو ما يقال في الشعر ان هؤلاء خلفوا اولئك
وهم لم يخلفوا اولئك في الحقيقة ولا صنع لهم في التخلف ثم اضيف اليهم فعل التخليف فعلى ذلك هذا يقال ان لهم في ذلك صنع وهم انهم الذين
ينتظرونهم فقد خلفوهم ولهم في ذلك صنع فاضيف اليهم وان يقال انهم لا يملكون تخليف هؤلاء فاما الله سبحانه وتعالى فان له
بلغهم اي بما يخلق منهم فعل السجود فاضيف الفعل اليه لذلك وقوله عز وجل قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال بعض اهل
التأويل انهم لما قالوا امنا برب العالمين قال لهم فرعون اياي تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب موسى وهرون ولكن لا ندري هذا
وموسى انما جاء فرعون ودعاه الى دينه قال له اني رسول من رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه قولهم امنا برب العالمين انهم اياه
عنوا بذلك وجائز ان يكون امنا برب العالمين الذي ارسل موسى وهرون رسولا وقوله عز وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم هذا
يدل ان الايمان هل هو التصديق لا غير لانهم لما قالت السحرة امنا برب العالمين قال لهم فرعون امنتم به وهم لم ياتوا بسوى التصديق
دل ان الايمان هو التصديق الفرد لا غير وقوله عز وجل ان هذا لمكر مكرتموه اي شيء صنعتموه فيما بينكم وبين موسى وهو كما قال في اية
اخرى انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله عز وجل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف هذه الجملة باشد العقوبة والنكال والا لو عدهم
بقطع الايدي والارجل من خلاف اذ ذلك ايسر واقل في العقوبة من القطع من جانب والقطع من جانب اشد وانكل من القطع من خلاف فانا
القطع من خلاف لا يمنع القيام ببعض المنافع ولا يعطل الانتفاع النفس اذ جعل ذلك حدا في بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة
بحال دل انه اشد وانكل ويعطل اهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعطل دل انه لجهله ما قال او ان اختار القطع من خلاف ليكون مؤنة الصلب
عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد يمكن له الصعود على الخشبة والثاني لا والله اعلم وقوله قالوا انا الى ربنا منقلبون وقال في
موضع اخر لا ضير هذا والله اعلم يخرج على وجهين على الاقرار منهم بالبعث والايمان به والثاني وعيد منهم لفرعون حيث اوعدهم بقطع
الايدي والارجل والصلب وغير ذلك من العقوبات فقالوا انا وانت الى ربنا منقلبون فيجزي ويعاقب جزاء صنيعك بنا وقوله
عز وجل وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا قيل لوجهين قيل قوله وما تنقم منا اي وما تعيب علينا وتطعن الايمان بما كان منا
من الايمان بايات ربنا لما جاءتنا وهو ما جاء به من الايات وقيل وما تعاقبنا وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا وكان الحق علينا وعليك
ان نؤمن بها كما امنا نحن وقوله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا قوله افرغ قيل انزل علينا صبرا وقيل تمم لنا صبرا وقيل اصبب علينا صبرا وهو
كله واحد ثم يحتمل سؤالهم الصبر لما علمه اذا فعل بهم ما اوعد من العقوبات لم يعتدوا على الصبر فيتركون الايمان لذلك سالوا ربهم الصبر
على ذلك ليثبتوا على الايمان به وتوفنا مسلمين سالوا ربهم ايضا التوفي على الاسلام وهكذا كان دعاء الانبياء كما قال يوسف توفني مسلما
الاية وكذلك كان اوصى ابراهيم بنيه حيث قال ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب على كل مؤمن
ان يتضرع الى الله في كل وقت ويبتهل اليه في كل ساعة لئلا يسلب الايمان لكسبه اذا الانبياء والرسل صلوات الله عليهم مع عصمتهم
كانوا يخافون ذلك ليعلم ان العصمة لا تسقط الخوف ولا تؤمن عن الزلات وقوله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا دلالة على انهم علموا انهم اذا
افرغ عليهم الصبر صبروا واذا لم يفعل ذلك لم يكن لسؤالهم الصبر معنى وهذا على المعتزلة في قولهم انه يفرغ ولا يصبروا وانه قد اعطاهم غاية ما يصلح
في الدين فدل سؤالهم ذلك على انه لم يعطهم وان عنده مزيدا لو اعطاهم ذلك كان وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض قال بعضهم في اخراجكم من ارض مصر وافساد العيش عليكم ويذرك وامن ترك عبادة فرعون وخدمته ويذرك والهتك
وقد قرئ والهتك قرئ بالهتك حمله على العبادة اي يذرك وعبادتك ومن قراء بالهتك وهو قول ابن عباس ومجاهد وقالوا
ان فرعون قد كان جعل لقومه الهة يعبدونها ليتقربوا بعبادتهم تلك الاصنام الى فرعون على ما كان يعبد اهل الشرك الاصنام
والاوثان على ما عبد غيره وقال غيرهم لا يحتمل ان يكون هو الاصنام ولكن لقومه الاصنام وعلى ما ذكرنا الاول انه قال انا ربكم الاعلى ثم
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم قال بعضهم قوله سنقتل ابناءهم يعني رجالهم ونستحيي نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابناء ولم يكن
منهم اليه صنيع انما كان ذلك من الرجال وقال بعضهم قد كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل في العام الذي قيل له انه يولد مولود يذهب
بملكك ويغير دين اهل الارض فلم يزل يقتلهم في ذلك العام الابناء ويترك البنات فذلك قوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
والله اعلم وقوله عز وجل وانا فوقهم قاهرون قيل مسلطون عليهم فان قيل لنا ما الحكمة في ذكر هذه القصص والانباء التي في
القران قيل لوجوه والله اعلم ان فيها دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لان هذه القصص والانباء كانت في كتبهم بغير
وقد علموا ان لسانه كان على غير ما كانت كتبهم وعرفوا انه لم يختلف الى احد ممن يعرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع عن احد منهم ثم انباهم

على ما كانت دل

على ما كانت دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم علم الغيب والثاني ان البشر جبلوا على حب السماع الى الاخبار والاحاديث وحب التلذذ
في قولهم حتى ان ولسنا منهم يولد الاحاديث ويثنيها من ذات نفسه لان يستمعوا الى ذلك اليه ويسمروا معه فذكر لهم هذه الانباء والقصص
ليكون استماعهم اليها وسمرهم بها وذلك احسن واوثق اذ اخبر ان ذلك احسن القصص بقوله نحن نقص عليك احسن القصص والثالث
ذكر لهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة من الهلاك والاستيصال وانواع العذاب بفسادهم وتكذيبهم الرسل وما عاقبة المفسد منهم والمصلح
ليكون ذلك زجرا لهم عن صنيع مثلهم والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الانبياء والرسل اعداءهم ومعاملة الاعداء الرسل
ليعاملوا اعداءهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسولا فاخبر ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم
من البشر والسادس انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان ويقولون بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وانا على اثارهم مقتدون
فاخبر ان كان في اباءهم السعداء وهم الانبياء والاشقياء فكيف قلدتم انتم بالاشقياء منهم وهلا اتبعتم بالسعداء دون الاشقياء
والسابع فيها انه كيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف والنهي عن المنكر عرفنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن يأمر به ومن
ينهى عنه وايضا ان فيه ذكر الصالحين منهم بعد ما تواو انقرضوا لكانوا بالذكر كالاحياء وقوله عز وجل قال لقومه استعينوا بالله
واصبروا يحتمل قوله استعينوا بالله على اداء طاعته وبما تتقربون به الى الله ويكون لهم ذلك في دينه او ان يقول لهم استعينوا بالله بالنصر لكم
والظفر واصبروا على اذاهم والبلاء ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يحتمل هذا وجهين يحتمل اذ يخرج ذلك من موسى مخرج الوعد
لهم بالنصر والظفر على الاعداء وجعل الارض لهم من بعد اهلاك العدو وهو كما ذكر في موضع اخر ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الاية ويحتمل ان يخرج ذلك منه مخرج التصبير على الرضاء بقضاء الله تعالى ان الارض
له يورثها من يشاء فاصبروا انتم على البلايا وارضوا بقضائه والعاقبة للمتقين قال الحسن العاقبة اي الاخرة للمتقين خاصة وان الدنيا
فانها بالشركة بين اهل الكفر واهل الاسلام يكون لهؤلاء مال ولاولئك واما الاخرة فليست كذلك وانما هي للمؤمنين خاصة وهو ما ذكر
في اية اخرى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية فعلى ذلك هذا والله اعلم ويحتمل غيره والعاقبة للمتقين اي عاقبة
الامر بالنصر والظفر للمتقين على اعدائهم وان كان في الدفعة الاولى عليهم وقوله عز وجل قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما
جئتنا يخرج هذا على وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطاء النصر والظفر لهم كانهم استبطؤا النصر واهلاك العدو والظفر عليهم
فقال لهم موسى عند ذلك عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض والثاني ان يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما اخطر
ببال موسى انهم يقولون ان ما اصابهم من البلايا والشدائد انما كان بسببه ولمكانه فقالوا ذلك له اعتذارا منهم له ان قد اصابنا ذلك
نحن من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا لئلا يتوهم انهم يقولون ذلك او يخطر ببالهم ذلك والله اعلم وجائز ان يكونوا
قالوا ذلك على التعيير له والتوبيخ يقولون لم يزل يصيبنا من الاذى بسببك ولاجلك من قبل ان تاتينا من الاستخدام ومن بعد ما جئتنا
من انواع الضرر وقوله عز وجل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم والعسى من الله واجب فوعدهم اهلاك العدو واستخلافهم في
الارض وقال بعض اهل التأويل في قوله اوذينا في سببك من قبل ان تاتينا بالرسالة يعنون بالاذى قتل الابناء واستخدام النساء ومن
بعد ما جئتنا بالرسالة من الشدائد التي اصابتهم من بعد لكن الاول اقرب واشبه وقوله عز وجل فينظر كيف تعملون يحتمل هذا ايضا
وجهين احدهما ان يجعل لكم الارض ويوسع عليكم الرزق يمتحنكم في ذلك ويبتليكم لانه لا يجعل لكم ذلك على غير امتحان تعملون ما شئتم
في ذلك والثاني يمتحنكم بالشدائد والبلايا لينظر كيف تصبرون على ذلك ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لهم عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم الارض فينظر كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم وقوله فينظر كيف الواقع لكم من الجزاء والثواب وقوله عز وجل
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا امرهم والله اعلم بطلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع حوائجهم دينا ودنيا ويحتمل ان يكون
على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة من الله والعصمة عن المنهي عنه
جرت به سنة الاخيار وبالله المعونة ثم لا يصح ذلك على قول المعتزلة لان الرجاء بالمعونة على اداء ما كلف وقد اعطى اذ على قولهم لا يجوز
ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به اداء ما كلف عند الله وطلب ما اعطى كتمان للعطية وكفران فيصير كان الله امر بكفران نعمة وكتمانها و
بطلبها منه تعنتا وطلب مثله بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعط التمام اذا او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به
اذ من طلب الى احد ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به في العرف مع ما كان الذي يطلب ما ان يكون لله ان لا يعطيه مع التكليف فيبطل
قولهم لا يجيزون ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين على ما يبطل اوليس له ان لا يعطي تكلم قال الله لا تجزوا ولا تنظم ومن هذا عمله بربه ثم
فالاسلام اولى به فهذا مع ما لا يدعو الله احد بالمعونة والا ويطمئن قلبه انه لا يزل عند المعونة ولا يزيغ عند العصمة وليس مثله بملك الله
عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات عن ابن مسعود رضي الله عنه بالسنين
قال بالجوع وقيل بالقحط ومجاهد بالسنين قال بالجوائح ونقص من الثمرات دون ذلك وقال القتبي بالسنين بالجدب يقال اصاب
الناس سنة اي جدب فان قيل ذكر انه اخذ ال فرعون وكان فيهم بنو اسرائيل فما معنى التخصيص قيل يحتمل ان يكون ذلك لهم خاصة دون
بني اسرائيل وان كان فيهم على ما ذكر في بعض القصة ان القبط كانوا يشربون الدم وبنو اسرائيل الماء او كان الجدب والنقص من الثمرات

يسال فرعون ولا يمنعني اسرائيل لما انهم كانوا ياكلون لشهوة وبنوا اسرائيل لحاجة فربما كل الحاجة كان اقل حاجة الى الطعام ممن ياكل للشهوة فاذا لم يجدوا واما ياكلون لشهوة كان لهم اشد بهم الا ترى انه قيل يأكل المؤمن في معى واحد والكافر في سبعة امعاء او نحوه تخصيص ذلك لهم لما ان في عقد بني اسرائيل ان الله ان يمتحنهم بجميع انواع المحن مرة بالشدة ومرة بالسعة ومن عقد القبط لا نا اضيف اليهم ذلك لما لم يكن في عقدهم ذلك وان كانوا جميعا في ذلك وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي يتعظون ولعل من الله واجب قد اتعظوا لكنهم عاندوا وكابروا والا قد لزمهم الاتعاظ وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي الخصب والسعة قالوا لنا هذه اي هذا ما كنا نعرفه ابدا وما جرينا على اعتياده او ان يقولوا لنا هذه بفرعون وبعبادتنا له وان تصبهم سيئة قيل الضيق والقحط يطيروا بموسى وقالوا بشؤمه وهذا كما قال العرب للجد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة الى الله لانهم كانوا يعرفون بالله والقبط لا يقولون ذلك بل يقولون لنا من فرعون او على الاعتياد فقال قل كل من عند الله فعلى ذلك قال هاهنا الا انما طائرهم عند الله ثم يحتمل هذا وجوها قيل جزاء تطيرهم عند الله في الاخرة وقيل طائرهم وشؤمهم الذي كانوا تطيروا بموسى كان يمكن بهم سوء اضاف ذلك الى ما عنده من الايات لانهم بنزول تلك الايات وارسالها عليهم يطيروا بموسى بتلك الايات نجد وتطيرهم وتشاءمهم وقال بعضهم قوله انما طائرهم عند الله اي حظهم عند الله عكس ذلك قال في قوله انما طائره وهو كما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم لما كذبوا تلك الايات زاد ما نزل من الايات من بعد رجسا الى رجسهم فعلى ذلك شؤمهم وطائرهم الذي كان يمكن بهم موسى وقوله عز وجل يطيروا من الطيرة وهو من التشاؤم يقال تشاءمت بفلان اي قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان ايضا مثله ويقال تبركت به اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت واطيرت منه وبه الا انما طائرهم اي شؤمهم ذلك الذي يخافون منه هو من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون انه من عند الله كان يمكن بهم موسى وقوله عز وجل وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قال ابو بكر الكيساني تأويله كلما تأتينا به تزعم انه تريد ان تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين وقال ابن عباس والحسن وهؤلاء اي ما تأتنا به من اية لتسحرنا بها الاية وقوله مه زيادة وهو قول القتبي ومعناه اي ما تأتنا وقال الخليل هو في الاصل ما ما احدهما زيادة فطرحت الالف وابدلت مكانها هاء طلبا للتخفيف وقال سيبويه النحوي قوله مهما اتى من اية اي مه كانهم قالوا له مه اي اسكت ما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين والسحر هو التخييل ولهذا الابصار ولا حقيقة له كقوله اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مخيلا وقوله سحروا اعين الناس ثم دل قولهم مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ان ما قالوا ان هذا ساحر وانه سحر عن علم بالاية والنبوة له قالوا ذلك لا عن جهل وغفلة حيث قالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ذلك منهم اياس عن الايمان به وقبول الايات لانهم اخبروا انهم لا يقبلون الاية ولا يصدقونه في ذلك وقوله عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخر ما ذكر قال اهل التاويل قالوا ذلك ارسل الله بعد السنين ونقص الثمرات الطوفان والايات التي ذكر ويحتمل ان يكون هذا وان كان مؤخرا في الذكر فهو مقدم لما قال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخره لعلهم يذكرون اي يتعظون ثم اختلف اهل التاويل في الطوفان قال بعضهم الطوفان الماء والمطر حتى خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وعن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطوفان فقال الموت فان ثبت فهو هو وقيل الطوفان هو انواع العذاب والجراد هو المعروف والقمل قال بعضهم هو بنات الجراد يقال الدبا وقيل هو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها والضفادع والدم ايات مفصلات قيل مفصلات اي مفرقات واحدا بعد واحد لم يرسل اية الا بعد ذهاب اخرى بعضها على اثر بعض وقيل مفصلات اي بينات واضحات ما علم كل احد انه ليس من احد وليس من عمل السحر ولكن اية سماوية ان لو كان سحرا لتكلفوا في دفعه واشتغلوا بالسحر على ما اشتغلوا بسحر العصي و الحبال فاذا لم يتكلفوا في ذلك لم يشتغلوا بدفع ذلك بل فزعوا الى موسى ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الايمان به وارسال بني اسرائيل معه دل فزعهم اليه في كشف ذلك عنهم على انهم قد عرفوا انه ليس بسحر ولكنها اية اقروا بها انها ليست بسحر وانها اية الا انهم فزعوا عند ذلك الى موسى فقالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ووعدوا له الايمان به وبعث بني اسرائيل معه ان كشف عنهم الرجز وقوله عز وجل بما عهد عندك اختلف فيه قال بعضهم بما عهد عندك ما عند الله انك متى دعوته اجابك وقيل بما عهد عندك انه متى دعوته اجابك وصدقك كشف عنا الرجز فقالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قيل الرجز الوان العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد والقمل والدم وما ذكر قالوا لئن كشفت عنا الرجز يحتمل ان يكون كلما حل بهم نوع من العذاب فسالوا ان يكشف عنهم فقالوا لئن كشفت الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك وعادوا الى ما كانوا من قبل ويحتمل ان يكون قولهم لموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك بعدما حل بهم انواع العذاب عند ذلك قالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشف عنهم نكثوا عهدهم وهو قولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك

وعاد والى

وعاد والى ما كانوا فيه فعند ذلك كان ما ذكر من قوله فانتقمنا منهم وقوله عز وجل لنؤمنن لك بما تدعي بانك رسول ولنرسلن معك بني اسرائيل يحتمل ان يكون ليس على نفس الارسال ولكن على ترك الاستعباد لانه لا استعبادهم بعد هذا كانوا يستعبدون بني اسرائيل وقوله عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه ثم يكثون قال الحسن كشفنا عنهم الرجز الى اجلهم بالغرق [illegible] ذلك ان يجعل له اجلين احدهما الموت والاخر القتل ولكن جعل اجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يموت حتف انفه الموت وكذلك ما روي في الحديث صلة الرحم تزيد في العمر [illegible] وقوله عز وجل فانتقمنا منهم يحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم ما ذكر من الغرق فاغرقناهم في اليم ويحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب الذي كان حل بهم ثم كان الاغراق من بعد وقوله عز وجل بانهم كذبوا باياتنا يحتمل الايات الحجج التي اقامها موسى على وحدانية الله تعالى وربوبيته وعلى الحجج او الايات التي تقدم ذكرها من الطوفان والجراد والقمل وما ذكر وقال الحسن باياتنا بديننا وقوله وكانوا عنها غافلين قيل معرضين مكذبين بها [illegible] وقوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها [illegible] فيها وهو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وكقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين [illegible] واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها [illegible] مصر [illegible] مشارق الارض ومغاربها [illegible] لانها مساكن الانبياء عليهم السلام وقيل باركنا لكثرة انزالها وسعتها وقوله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى قيل هي الجنة اي تمت لهم الجنة بما صبروا وقيل وتمت كلمة ربك الحسنى بما كان وعدهم انه يورثهم فيها ويستخلفهم ثم ذلك الوعد وهو ما قال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ثم ما وعدهم انه يمن عليهم وقوله عز وجل بما صبروا على اذى فرعون ويحتمل بما صبروا من اداء ما اوجب عليهم والله اعلم وقوله عز وجل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه على الوقف وما كانوا يعرشون معطوفا على قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وما كانوا يعرشون وهو من العرش الذي يتخذه الملوك وقيل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ايضا اي اهلكنا ما كانوا يعرشون قال القتبي يعرشون اي يبنون والعرش بيوت وقال ابو عوسجة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه كانوا يستضعفون يعني بالاستضعاف قتل الابناء واستحياء النساء بارض مصر ودمرهم الله ذلك وقيل في قوله وتمت كلمة ربك الحسنى وهي النعم التي انعم على بني اسرائيل بما صبروا على البلاء حين كلفوا ما لا يطيقون من استعباد فرعون اياهم والكلمة التي ذكر ما ذكر في القصص من قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دل هذا على ان لله في فعل العباد صنعا وفعلا حيث اضاف ونسب المجاوزة الى نفسه وهم الذين جاوزوا البحر دل ان له في فعلهم صنعا و هذا ينقض على المعتزلة حيث انكروا خلق افعال العباد وبالله المعونة والعصمة وقوله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم العكوف هو المقام والدوام وقوله يعكفون على اصنام لهم اي يعبدونها فعكفوا على عبادة الاصنام مقيمين على ذلك وقوله عز وجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة يشبه ان يكون سؤالهم الها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله ولكن لما لم يروا انفسهم اهلا للعبادة لله والخدمة له لما رأوا في الشاهد انه لم يخدم الملوك الا الخواص لهم والمقربين اليهم ومن بعد منهم يخدم خواصهم فعلى ذلك هؤلاء سألوا موسى الها يعبدونه لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله والخدمة له لتقربهم عبادة تلك الاصنام الى الله ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله والتبجيل لا على الكفر وصرف العبادة عنه الى غيره وكذلك كانت عادة العرب انهم كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم عبادتها الى الله زلفى فعلى ذلك سؤال هؤلاء لموسى اجعل لنا الها والله اعلم او كان سؤالهم ذلك لما رأوا في الشاهد انه لا يخدم الا لحاجة تقع له الى ذلك فرأوا ان الله يتعالى عن ان يعبد ويخدم لحاجة ويخدمون القادة والرسل ويعبدونهم لماذا

ينالون من النعم وانواع المنافع من الرؤساء والكبراء لذلك كانوا يخدمونهم واما اهل التوحيد فانهم لا يرون العبادة لغير الله لانه
ما من احد وان بعد منزلته وجل محله الا وانما نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل احد حتى لو بذل له جميع حطام الدنيا او اوعد بكل
انواع الوعيد ليترك الدين الذي هو عليه ما ترك البتة وفي امر موسى صلوات الله عليه خصلتان احدهما ان يعلم انه كيف يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر وكيف يعامل مرتكب الفسق والمنكر يعامل على ما عامل موسى قومه باللين والشفقة فان استقبلوه بالعظيم من الامر
والمناكير والثانية ويحتمل ان يكون سؤالهم الها يعبدونه
لما ان اهل الكفرة لو الهم ان الرسل هم الذين امروهم بعبادة الاصنام كقوله والله امرنا بها فعلى ما قالوا ان الرسل هم الذين امروهم بذلك
سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة وقوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه اي ان عبادتهم لهؤلاء متبر اي مهلكهم ومفسدهم وباطل
ما كانوا يعملون اي باطل ما يأملون بعبادتهم هؤلاء وقال القتبي التبار الهلاك وقال ابو عوسجة المتبر المفسد يقال تبرت الشيء اي
افسدته ويقال رجل متبر اي مفسد وقوله عز وجل قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين يحتمل قوله فضلكم على العالمين
يحتمل قوله فضلكم على العالمين باهل زمانكم وفضلكم بالهداية بما لم يوفق من عالمي زمانكم ويحتمل قوله ابغيكم الها دونه وقد فضلكم
بما استنقذكم من استعبادهم فرعون وقومه اياكم واخراجكم من بين واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الهكم الحق وقوله اغير الله ابغيكم
الها وهو فضلكم يقول ما استحسنتم ان تسالوا الها تعبدونه دونه وقد فضلكم بما ذكر من انواع النعم التي ذكر والله اعلم وهو ما ذكر
من قوله واذ انجيناكم من آل فرعون الاية يذكرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون وآله واهلكهم وقوله عز وجل يسومونكم قيل
يعذبونكم سوء العذاب قتل الابناء واستحياء البنات فذلك قوله يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
قيل في ذلك يعني فيما انجاكم من آل فرعون بلاء من ربكم عظيم يعني نعمة من ربكم عظيم ويقال البلاء بالمد هو النعمة ويقال البلاء مقصود
الشر وقوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ذكر ههنا ثلاثين ليلة ثم ذكر التمام بالعشر وذكر في السورة
التي فيها ذكر البقرة اربعين ليلة بقوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وهو واحد كان الميعاد له اربعين ليلة لكنه يحتمل ذكر ثلاثين
مرة وعشر وجهين احدهما ان ثلاثين ليلة كان لامر والعشر لامر اخر فذكر متفرقا لما كان لامرين مختلفين والثاني ان كان في وقتين كان هذا في
وقت والاخر في وقت والقصة واحدة والميعاد واحد فذكر التمام بعشر كقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم
تلك عشرة كاملة وان كان في وقتين والله اعلم وقوله عز وجل فتم ميقات ربه اربعين ليلة قيل تم الميعاد الذي وعد له اربعين ليلة
وقوله عز وجل وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي فان قيل ما معنى قول موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وهو كان بعث معه
رسولا الى فرعون وشركاء في تبليغ الرسالة الى فرعون كقوله واشركه في امري وقوله انا رسول رب العالمين وقوله فاتياه فقولا انا رسولا
ربك وقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا فاذا كان هو رسولا كموسى في تبليغ الرسالة كيف احتاج الى ان يقول موسى
اخلفني في قومي وهو شاركه في الرسالة قيل يحتمل هذا وجهين ان يكونا لما ذكر رسولين لكن من ولي اثنين امرا لم يكن لواحد منهما ان يتفرد
الايثار دون الاخر فيه ذلك عنه كانه قال له اخلفني في الحكم بينهم واصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك الى سبيل المفسدين ويحتمل ان يكون موسى
كان هو الرسول وكان اليه الحكم وهرون كان وزيرا في امره ومعاونا على ما قال فارسله معي ردءا يصدقني والا موسى كان هو الاصل
والاول والمبعوث اليهم دونه الا ترى انه كان هو المناجي ربه دون هرون وكان هو المعطى الالواح دون هرون كقوله وكتبنا له في الالواح
من كل شيء وهو الذي قال اني آنست نارا وهو الذي بالبركة دون هرون وغير ذلك من الايات فاذا كان كذلك استخلفه موسى في قومه
وقوله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا اي لميعادنا الذي وعدناه وكلمه ربه لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام وماهيته سوى انه
انشأ كلاما وصوتا اسمعه موسى كيف شاء بما شاء بكلام مخلوق وصوت مخلوق قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني الاية قال
قائلون ان موسى لم يسال الرؤية لنفسه ولكنه سال لقومه لسؤال القوم له كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لكن هذا بعيد لانه لو
كان سؤاله اياه لسؤال قومه لكان لا يقول رب ارني انظر اليك ولكن يقول ارهم ينظروا اليك فدل انه لم يكن لذلك وقال قائلون لم
يكن سؤاله ربه رؤية الرب ولكن سال ربه رؤية الايات والاعلام والادلة التي بها يرى وذلك جائز سؤال الرؤية سؤال رؤية الايات
والاعلام وذلك بعيد لانه قد اعطاه من الايات والاعلام ما لم يكن له الحاجة الى غيرها من الايات من نحو العصا التي كان يضرب بها الحجر
فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وما كان من فرق البحر واهلاك العدو واليد البيضاء وغير ذلك من الايات فاذا بطل ذلك دل انه سال حقيقة
الرؤية والقول بها لازم عندنا في الاخرة وحق من غير ادراك ولا تشبيه والدليل على ذلك قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
ولو كان لا يرى لم يكن لنفي الادراك حكمة اذ لا يدرك غير بغير الرؤية فوضع نفي الادراك وغيره من الخلق لا يدرك الا بالرؤية لا معنى له
والله الموفق وايضا قول موسى رب ارني انظر اليك الاية ولو كان لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه ثم يجهله لا يحتمل ان يكون موضع الرسالة
امينا على وحيه وبعد ما ائتمنه ولا اياسه ويرون ذلك قد نسي نوحا وعاتب آدم وغيره من الرسل بذلك لو كان لا يجوز تبليغ الكريم ثم قال
فان استقر مكانه فسوف تراني فان قيل لعله سال الاية يعلم بها قيل لا يحتمل الوجوه احدها انه قال لن تراني وقد رأى الاية وايضا ان طلب الايات
يخرج مخرج التعنت اذ قد راى الايات على ما ذكرنا وذلك صنيع الكفرة انهم لا يزالون يطلبون الايات وان كانت الكفاية قد ثبتت لهم

مثله ذلك وايضا انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني والاية التي يستقر معها الجبل هي دون التي لا يستقر معها ثبت انه لم يرد
بذلك الاية وايضا محاجة ابرهيم عليه السلام قومه في النجوم وما ذكر بالافول والغيبة ولم يحاجهم بانه لا احب ربا يرى ولكن حاجهم
بانه لا احب ربا يافل اذ هو دليل عدم الدوام ولا قوة الا بالله وايضا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثم يحتمل ذلك الانتظار
لوجوه احدها ان الاخرة ليست بوقت الانتظار انما هي الدنيا وهي دار الوقوع والوجود الا في وقت الفزع وقبل ان يعاينوا في انفسهم
ما له حق الوقوع والثاني قوله وجوه يومئذ ناضرة وذلك وقوع الثواب والثالث قوله الى ربها ناظرة والحرف يستعمل في النظر
الى الشيء لا في الانتظار والرابع ان القول يخرج مخرج البشارة تعظيم ما نالوه من النعم والانتظار ليس منه مع ما كان الصرف
عن حقيقته المفهوم فضلا على الله فيلزم القول بالنظر الى الله كما قال على نفي جميع معاني الشبه عن الله سبحانه على مثل ما اليه و
الكلام والفعل والقدرة والارادة انه يجب الوصف به على نفي جميع معاني الشبه وكذلك القول بالمشيئة فمن زعم ان الله لا يقدر
ان يكرم احدا بالرؤية فهو يتقيد في الرؤية التي فهمها من الخلق واذا كان القول بالرحمن على العرش استوى وغير ذلك من الايات
لا يجوز دفعها بالعرض على المفهوم من الخلق بل يحقق ذلك على نفي الشبه فمثله حيث الرؤية وايضا قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وجاء في غير خبر النظر الى الله وقد يحتمل غير ذلك مما جاء فيه التفسير لكنه لولا ان القول بالرؤية كان امرا ظاهرا لم يحتمل صرف
ظاهرها يجيء فيها ويرتفع به الخبر والله اعلم وايضا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير خبر انه قال سترون ربكم يوم القيمة
كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون وسئل هل رايت ربك فقال رايته بقلبي فلم ينكر على السائل السؤال وقد علم السائل رؤية القلب
انه علم قد علمه وانه لم يسال عن ذلك وقد حذر الله المؤمنين عن السؤال عن الاشياء قد كفوا عنها بقوله لا تسالوا عن اشياء فكيف
يحتمل ان يكون السؤال عن مثله يجيء وذلك كفر في الحقيقة عند قوم ثم لا ينهاهم عن ذلك ولا يوبخهم في ذلك بل يليق القول في
ذلك ويعرف ان ذلك ليس ببديع والله الموفق وايضا ان الله وعد ان يجزي احسن مما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن من التوحيد
والرفع قدرا من الايمان به اذ هو المستحسن بالعقول والثواب الموعود ومن جوهر الجنة حسنه حسن الطبع دون ذلك دون حسن
العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء حسن في العقول لا يستحسنه ذو عقل وجائز ما استحسنه الطبع طبعا لا يتلذذ به طبع الملائكة
ومثله في العقوبة لذلك لزم القول بالرؤية لتكون كرامة تبلغ في الجلالة ما اكرموا به وهو ان يصير لهم المعبود بالغيب مشهودا كاصناف
المطلوب من الثواب حضورا ولا قوة الا بالله ولا يحتمل العلم لان كان مجمع على العلم بالله في الاخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس وذلك
على العيان لا علم الاستدلال وكثرة الايات ونحو علم الخلق الذي لا يعتري ذلك دليله قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وما ذكر من اسماع
الكفرة بالتكذيب فالاخرة وانكار الرسل وقوم لم يبينوا الاساءة من نار وغير ذلك وبعد فانه لا يجوز ان يصير علم البيان يحق علم البيان
حيث ان الرؤية توجب ذلك وبعد فان في ذلك العلم يستوي الكافر والمؤمن والبشارة بالرؤية خص بها المؤمن ولا قوة الا بالله ولا نقول
بالادراك بقوله لا تدركه الابصار فقد تمدح بنفي الادراك لا بنفي الرؤية وهو كقوله ولا يحيطون به علما كان في ذلك ايجاب العلم ونفي
الاحاطة فمثله في حق الادراك وبالله التوفيق وايضا ان الادراك انما هو الاحاطة بالحدود والله تعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية و
تقصير عما هو اعلى منه تعالى وحدوث الذات والحد وصف المتصل الاجزاء حتى يقتضي مع احالة القول بالحد اذ كان ولا ما يحد وابه يحد
فهو على ذلك لا يتغير على ان لكل شيء من ذلك وجها يدرك ويحاط به حتى العقول والاعراض فاخبر الله تعالى انه ليس بذي حدود وجهات
من طرق ادراكه بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا ولا قوة الا بالله وبعد فان القول بالرؤية يقع
على وجوه لا يعلم حقيقة كل وجه من ذلك الا بالعلم بذلك الوجه حتى اذا عبر حتى اذا عبر عنه بالرؤية صرف الى ذلك وما لا يعرف له الوجه
بدون ذكر الرؤية لزم الوقف في ماهيتها على تحقيقها واما الادراك انما هو معنى الوقوف على حدود الشيء الا ترى ان الظل في التحقيق يرى
لكنه لا يدرك الا بالشمس وان كان مرئيا على ما يرى لوقت نسخ الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا بما يتبين له الحد وكذلك منتهى النهار
يرى لكن لا يعرف بذاته وكذلك الظلمة لان طرفها لا يرى فيدرك ويحاط به وبالحدود يدرك الشيء وان كان يرى لابها لذلك
ضرب المثل بالقمر لانه لا يعرف حده ولا سعته فيوقف ويحاط به ويرى بيقين ولا قوة الا بالله والاصل فيه القول بذلك على قدر ما جاء
ونفي كل معنى من معاني الخلق ولا يفسر لما لم يجئ والله الموفق ثم زعم الكعبي ان الغائب لم يخرج عن الوجوه التي بها يعلم فكذلك لا يرى
الا بالوجوه التي بها يرى من المباينة للمرئي وما هو فيه المرئي بالمسافة والمقابلة والاتصال بالهواء والصغر وعدم الصغر والبعد ولو
جازت الرؤية بخلاف هذه لجاز العلم به قال الشيخ رحمة الله عليه وهذا خطأ لانه قد ردد رؤية جوهر وقد علم ان غير جوهر من جوهر
يرون من الوجه الذي لا يقدر على الاحاطة بجوهره فضلا عن ادراك بعض نحو الملائكة والجن وغيرهم مما يرونه من حيث لا تراهم
والجثة الصغيرة نحو البق ونحو ذلك ما يرى لما لو توهم به مثل ذلك البعض لما احتمل الادراك ويرى الملك الذي يكتب جميع افعالنا
ويسمع جميع اقوالنا على ما اردنا تقدير ذلك ما عليه جبلنا الزم انكار ذلك كله وذلك عظيم وذلك ما ذكر من نطق الجلود
وغيرها مما لو امتحن بمثلها من المشاهد لوجد عظيما وبعد فانه نفى الشاهد بفصل بين البصريين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما
بما اعتور بهما في الحجب ما لو كان لاحدهما حال الاخر على حاله وجده مستنكرا واذا كان كذلك بطل التقدير بالذي ذكر والله الموفق

وايضا انه في الشاهد بكل اسباب العلم لا يعلم غير العرض والجسم ثم جاز العلم بالغايب خارجا منه فمثله الرؤية والثالث ما ذكرنا
من رؤية الظل والظلمة والنور من غير شيء من تلك الوجوه والرابع انه قد يجوز وجود تلك المعاني كلها مع عدم الرؤية اما بالحجاب او بالبعد
فجاز تحقيق الرؤية على نفي تلك المعاني نحو ما اجاب القائل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالم اذ وجد جسم لا كذلك فيجوز وجود
ذلك ولا جسم فمثله في الرؤية على ان العبد الذي يحجبنا والدقة يحجبون ان يبلغه بصر غيرنا فصار ارتفاع الرؤية بالحجاب فاذا ارتفع
جاز ولا قوة الا بالله وبعد فان الذي يقول لن تقدر برؤية الاجسام ولم يمتنع بصره بغير الاجسام والاعراض ان كيف سبيل الرؤية له
وبعد فان كل جسم يرى وان كانت الدقة والبعد يحجبان فيجوز ارتفاعهما عن بصر غيره فيرى على ما يرى ملك الموت من باطراف الارض
وسطها ما لو اعتبر ذلك ببصر البشر لما احتمل الادراك فثبت ان الذي قد به ليس هو سبب تعريف ما يبصره ولكن سبب تعريف
ما يحجب به البصر فاذا ارتفع اي مع ما كان المنفي رؤيته لذاته عرض والا فكل جسم يرى فان لزم انكار الرؤية لما ليس بجسم اولا لا
الا بما ذكر ليلزم الاقرار به لان الذي لا يرى لذاته هو العرض والا فكل غير يرى ولا قوة الا بالله وعورض بامر الدنيا ولا يحال ذلك
لكن يسقط المحنة ويرفع الكلفة والدنيا لما ذكر فامر سواه ذلك على علم الاحاطة بالايات وقد بينا فساد ذلك وما ذلك العلم
بالذي يسال وهو رسول بعث الى ما به نجاة الخلق وذلك لا يكون بغير الممتحن اذ هو تبليغ الرسالة والدعاء الى العبادة وفي محنة
بل يسال الرؤية ليجلي قدره ليعرف عظيم محله عند الله او ان يكون الله امره به ليعلم الخلق جواز ذلك وبالله التوفيق ثم استدل لم يرني
يحتمل انما ارى الجبل والجبل لا يعقل ليعقله ويراه فيقال له ولو كانت شاية فالجبل لا يراها ولا يعقل واذا كان كذلك فالاية اذا صار انه
كالجبل وانشقاقه لان اراه الاية ليسد لنها وفي هذا اية قد ارى موسى الاية وهو انه كان الجبل والله يقول لن تراني وحالته على
الاية وقد راها ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبته لو كان سواله على الامر قيل على العادة في الخلق من تجديد عند الاهوال بلا حدوث
ذنب ولما راى من جلال الله وعظمته فزع الى التوبة واحداث الايمان به وان لم يكن ما يوجب ذلك وذلك متعارف في الخلق ويحتمل
ان يكون قوله لن تراني وكان عنده جواز الرؤية في الشاهد واحتمال وسعه ذلك بها وصار الله في الاخرة رجع عما كان عنده وامن
بالذي قال لن تراني وان كان في اصل ايمانه داخلا على نحو احداث المؤمنين الايمان بكل اية تنزل وبكل فريضة تتجدد وان كان لو انى
تجليه تومن بي ويحتمل والله الموفق وقد بينا ما قالوا في قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والاصل في الكلام انه اذا كانت
على امر معهود ويعرف به المقصود اليه صرف عن حقيقته والا لا وذلك نحو قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ولم تر فعل ربك واصله
ان من قال رايت فلانا وتعرفت الى فلان لم يحتمل غير ذاته واذا قال رايته يقول كذا ويفعل كذا انه لا يريد به رؤية ذاته فمثله امر
قصة موسى وهذه الاية وروي عن حفص بن عمرو انه اتى البصرة فقال يا اهل البصرة اما ان كان موسى مشبها واما ان كان الله
يرى لانه لو كان ما على لا يرى فسال ربه رؤيته كان جاهلا به مشبها خلقه به فدل انه يرى ثم الاصل ان ما في تامل الذي ذكره
الكعبي عرف انه شبيه المذهب لانه لم يذكر المعنى الذي له يجب ان يكون الرؤية بتلك الشرايط انما اخبر انه كذلك وجد وهو قول المشبهة
انه وجد كل فاعل في الشاهد جسما وكذا كل عالم فيجب مثله في الغايب ثم ذكر معنى رؤية الجسم ولم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى يكون
له دليلا وبعد فانه نفى بالرقة والبعد وهما زايلان عن الله تعالى ثم احتج بامتداح الله تعالى لا تدركه الابصار وقال لا يجوز ان
يزول فمثله عليه في قوله خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير فلا يجوز ان يزول ثم قد وصف الله بالرؤية على اشتراط ما ذكر
فثبت ان ذلك طريق لا يؤدي عن كنه ما به الرؤية فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف اذ الكيفية تكون لذي صورة بل يرى بلا وصف
قيام وقعود واتكاء وتعلق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصير وطويل ونور وظلمة وساكن ومتحرك ومماس ومباين
وخارج وداخل ولا معنى ياخذه الوهم او يقدره العقل لتعاليه عن ذلك وقوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية قال
ابو بكر الاصم تجلى باية والاعلام التي بها يرى وكذلك قال في قوله رب ارني انظر اليك انه انما سال رؤية الايات والاعلام
التي يرى لا رؤية الذات وقد بينا بعده واحالته لما قد اعطاه من الايات والاعلام ما له غنية عن غيرها لا يحتاج الى غيرها
وقال الحسن ان موسى سال ربه الرؤية في غير وقت الرؤية وهو يقر بالرؤية لكنه يقول سالها في الدنيا وبينه هذا العالم لا يحتمل
ذلك الا ترى انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني اخبر ان الجبل لا يستقر له فكيف تستقر انت لكنه بنشئ بنيه يحتمل ذلك وقال
الحسن لذلك قال موسى اني تبت اليك وانا اول المؤمنين انه ليس في الدنيا الرؤية الى نحو هذا يذهب الحسن وقد ذكرنا نحو الوجه
على قدر ما حضرنا وقال اهل التاويل قوله تجلى ربه للجبل اي ظهر لكن لا يفهم من ظهوره ما يفهم من ظهور الخلق على ما ذكرنا في قوله
استوى على العرش وقوله وجاء ربك ونحوه من الايات لا يقدر استواؤه باستواء الخلق وكذلك مجيئه ظهوره على ذلك ظهوره و
بالله العصمة وروي عن في التورية انه جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعور واطلع من جبل فاران وتاويله جاء وحيه على
موسى في طور سيناء وظهر على عيسى في جبل ساعورا واطلع على محمد في جبل فاران ثم العجب ان كيف اجترأ موسى بالسؤال
بسؤال مثله ارني انظر اليك لكنه يحتمل وجوها احدها على الامر بالسؤال على ذلك ليعلم انه يرى ويعتقد وان الا وعلى الظن منه
لما راى انه اعطاه اشياء لا يكون مثلها في الدنيا انما يكون في الاخرة خص بها من نحو انفجار العيون من الحجر من غير مؤنة تكون لهم

في ذلك

في ذلك من حفر الانهار واصلاحها وانواع المؤن ومحو ما اعطاهم من اللباس الذي يحتوا ويزداد على قدر قامتهم وطولهم ومن نحو ما
اعطاهم من المن والسلوى على غير مؤنة ولا جهد وذلك كله وصف الجنة فلما راى ذلك ظن ان الرؤية ايضا تكون في الدنيا على ما كانت لهم
من اشياء لم يكن مثلها لاحد في الدنيا او لما راه انه سمع كلام ربه والقى مسامعه كلامه لا من مكان ولا من قريب ولا بعيد ولا من اسفل
ولا من على ولا من فوق ولا من تحت لكنه سمعه بما شاء وكيف شاء بلطفه فعلى ظن انه يجوز له ان يسال رؤيته فيريه بما شاء كيف
شاء بلطفه كما سمع كلامه بلطفه كما ذكرنا وقوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي سمى الله عز
وجل موسى وساير الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه باسماء الجواهر موسى وعيسى ونوح وابراهيم واسمعيل واسحق وسمى نبينا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبينا ورسولا وذلك يدل على تفضيله وكذلك سمى ساير الامم المتقدمة يا بني اسرايل ويا بني آدم وسمى
امة محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا وقال كنتم خير امة ونحوه فذلك يدل ايضا على تفضيل امة محمد على غيرها من الامم
وقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي كان مصطفى ومفضلا بالكلام على الناس كافة الانبياء وغيرهم لان الله تعالى
لم يكلم احدا من الرسل الا بسفير سوى موسى فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير واما قوله اصطفيتك على الناس برسالاتي على ناس زمانه
واهله خاصة ويحتمل برسالاتي التي بين موسى وبين الله تعالى وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى لا يرسل رسولا الا وهو
يستحق الرسالة ولو كان طريقه الاستحقاق لا الافضال والاحسان لم يكن للامتنان معنى دل ان طريقه الافضال والاحسان
لا الاستحقاق والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يكون الله مصطفيا موسى ولا غيره من الانبياء ولكن هم الذين اصطفوا انفسهم و
قوله عز وجل فخذ ما اتيتك يخرج على وجهين احدهما القبول اي اقبل ما اعطيتك كقوله خذ من اموالهم صدقة ويحتمل قوله فخذ
ما اتيتك اي اعمل ما اتيتك باحسن العمل وكن من الشاكرين لنعمة التي انعمها عليه من التكليم والرسالة وغيره من النعم والله الموفق
وقوله عز وجل وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله وكتبنا له في الالواح وجهين احدهما انه انما اضاف ذلك الى نفسه لما تولى
كتابتها الملائكة البررة الكرام اضاف ذلك الى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما على ما ذكر في الكتاب في غير موضع من نحو قوله فنفخنا
فيه من روحنا وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله اخبر ان طاعة الرسول له طاعة ونحو ذلك فكذلك هذا والله اعلم والثاني اضاف
ذلك الى نفسه لما كان ويكون الى يوم القيمة انما يكون بكن الذي كان منه في الاوقات التي اراد ان يكون فعلى ذلك كتبة ذلك
الالواح كان بتحت ذلك الكن وان كان اضاف بعض تلك الاشياء الى نفسه كقوله جعل لكم الليل والنهار وجعل الشمس ضياء والقمر
نورا وانزل لكم من السماء كذا وخلق لكم كذا وجعل لكم السمع والابصار ونحو ذلك فذلك كله كان بتحت قوله كن فكانت على ما اراد ان
تكون والله اعلم وقوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله من كل شيء ما يقع للعباد الحاجة اليه ويحتمل من كل شيء من امره
ونهيه وحلاله وحرامه وقوله عز وجل موعظة قال الموعظة هي التي تحمل القلوب على القبول والجوارح على العمل قال بعضهم الموعظة
هي التي تنهى عما لا يحل قال ابو بكر الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة قال
الشيخ رحمه الله وعندنا الموعظة هي تذكر العواقب وتخاويف على العمل بها وقوله عز وجل وتفصيلا لكل شيء قيل تفصيلا لما امروا به
ونهوا عنه وقيل بيانا لكل ما يحتاج اليه وقوله فخذها يحتمل ايضا وجهين يحتمل قوله فخذها اي اقبل على ما ذكرنا في قوله فخذ ما
اتيتك ويحتمل اعمل بما فيها وقوله عز وجل بقوة قال اهل التاويل بجد ومواظبة ويكون قوله فخذها بقوة القوة المعروفة وعلى قول
المعتزلة لا يكون اخذها بقوة وقد اخبر ان خذها بقوة لانهم يقولون ان القوة تكون قبل الفعل ثم يقولون انها لا تبقى وقت الفعل فيكون
في الحاصل لو كانت قبل الفعل اخذا بغير قوة دل انها مع الفعل وتقول المعتزلة دل قوله فخذها بقوة على ان القوة قد تتقدم الامر
بالاخذ لكن لا يكون ما ذكر والا انه امره باخذ بقوة دل انها تقارن الفعل لا تتقدم وقوله عز وجل وامر قومك ياخذوا باحسنها
يحتمل قوله ياخذوا ما ذكرنا من الوجهين القبول والعمل اي مرهم يقبلوا باحسن القبول ويحتمل مرهم يعملوا باحسن ما فيها من الامر والنهي
والحلال والحرام ويحتمل قوله باحسنها اي باحكمها وانفعها او باحسن ما عمل به الاولون اذ فيه اخبار الاولين وقوله عز وجل ساريكم
دار الفاسقين قال بعض اهل التاويل قال ذلك لبني اسرايل ساريكم دار الفاسقين يعني سنة الفاسقين وهو الهلاك كقوله
تعالى قد خلت سنة الاولين وسنة في اهل الفسق والكفر الهلاك وقال ابن عباس رضي الله عنه ساريكم دار الفاسقين جهنم و
امكن ان يكون الخطاب للفسقة ساريكم يا اهل الفسق دار الفاسقين وقوله عز وجل ساصرف عن اياتي الاية يخرج هذا على وجهين
احدهما ساصرفهم عن قبولها وتصديقها اي لم يستقبلوها بالتعظيم لها بل استهزاء بها واستخفوا بها على علم منهم انها ايات من الله
وحجة والثاني ساصرف عن وجود الطعن والقدح فيها والكيد لها ثم ان كل واحد من هذين الوجهين يتوجه على وجهين قال الحسن
ان تكبرهم ذا يبلغ الكفر وذلك الختم بطبع عليه فلا يقبل ولا يصدق اياته بعد ذلك والثاني انهم كانوا يتعنتون في اياته ويكابرون
في ردها مع علمهم انها ايات وحجج من الله فان تعانتوا صرفهم عن قبولها وتصديقها وهو كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم
اي خلق منهم فعل الزيغ وفعل الانصراف وهكذا كل من يختار عداوة الله فان الله لا يختار له ولايته ولكن يختار له ما اختار هو وانما
قوله ساصرف عن وجود الطعن فيها والقدح وذلك ان الله عز وجل جعل للرسل والانبياء اضدادا من كبراء الكفرة وعظمائهم وكان

يطعنون في الايات ويقدحون فيها فاخبر انه يصرفهم عن وجود الطعن فيها والقدح والكيد لها اي لا يجدون فيها مطعنا ولا
قدحا والثاني قوله سأصرف عن اياتي في الهلاك والابطال بل المهلكون والايات هي الباقية ثم اختلف في الايات قال الحسن اياتي ديني
وتاويله ما ذكرنا انهم اذا بلغوا ذلك الحد صرفهم عنها وقال غيره اياته حججه وبراهينه وقوله عز وجل الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
كانوا يتكبرون هم على الرسل لما لم يروهم الا امثالا لانفسهم واشكالا وهكذا كل من تكبر على اخر انما يتكبر لما لم يره مثلا لنفسه ولا شكلا
ويتكبر لما يرى نفسه سليمة عن العيوب ويرى في غيره عيوبا او يرى لنفسه حقوقا عليه فيتكبر فاذا كان التكبر لهذا فالخلق
كلهم اكفاء بعضهم لبعض لانهم امثال واشكال وفيهم العيوب والحاجات فلا يسع لاحد التكبر على احد وانما التكبر لله تعالى فلا
يليق لما لا مثل له ولا شكل منزه عن العيوب كلها والحاجات لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة وقوله عز وجل بغير الحق
اي لبسواهم باهل الكبر للكبر وقوله عز وجل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها امكن ان يكون قوله يروا اي وان علموا انها اية لا يؤمنون
بها هنا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا اي وان علموا ان ذلك هو سبيل الحق والباطل
يتخذوه سبيلا وقوله عز وجل ذلك بانهم كذبوا باياتنا يحتمل قوله ذلك الصرف الذي ذكر عن اياته لما كذبوا الايات بعد علمهم
انها ايات من الله وكانوا عنها غافلين غفلة الاعراض والعناد لا غفلة الجهل والسهو وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا ولقاء
الاخرة اي الذين كذبوا بالايات والبعث بعد الموت وقوله عز وجل حبطت اعمالهم يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم كانوا مؤمنين من
قبل فكذبوا الايات وكفروا بها فحبطت الاعمال التي كانت لهم في حال الايمان وبطلت ويحتمل حبطت اعمالهم المعروف الذي كانوا
يفعلون في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات وغيره من المعروف والخيرات التي عملوا بها حبط ثواب ذلك كله اذا لم يأتوا
بالايمان وقوله عز وجل هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي ما يجزون الا ما كانوا يعملون من الاستهزاء بالايات والاستخفاف وقوله
عز وجل واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا وقوله واتخذ قوم موسى كيفية وصف اتخاذ العجل ما ذكر في سورة طه
بقوله فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي الاية وصف الله عز وجل قوم موسى بعضهم بالهداية والعدل
واتباع الحق بقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وبعضهم وصفهم بالسفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين
بقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقالوا ههنا اتخذوا العجل الها عبدوه بذكر هذا والله اعلم لما لم يعرفوا نعم الله ولم يتفكروا في اياته
وحججه بذكر هذا لنا لننظر في اياته وحججه ونتفكر في نعمه ونؤدي شكرها ونتدبر في اياته وحججه لنتبعها ولا نضيعها على ما ضيع قوم
موسى قوله من بعده اي من بعد مفارقة موسى قومه وقوله من حليهم قال في موضع اخر اوزارا من زينة القوم وكانت تلك الحلي
عارية عندهم من قوم فرعون بقوله اوزارا من زينة القوم اضافها الى فرعون واضاف ههنا الى قوم موسى بقوله من حليهم دل ان
العارية يجوز ان تنسب الى المستعير فيه دلالة ان من حلف لا يدخل دار فلان فدخل دارا له عارية عنده يحنث وقوله عز وجل
عجلا جسدا قال بعضهم صورته كانت صورة عجل ولم يكن عجلا في جوهره وقيل الجسد هو الذي لا تدبير له ولا تمييز ولا بيان لكنه
ذكر فيه هذا ما لا يحتاج الى هذا وهو قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لكنه كان قال عجلا له جسد يذكر سفههم انهم
عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبب الذي يعبر به او دعا او اختاد والالهية من صفته ما ذكر وقوله له خوار قيل ان السامري
قد اخذ قبضة من اثر الرسول فالقى ذلك القبضة في الحلي الذي القوه في النار فصار شبه عجل له خوار وقال بعضهم صاغ من حليهم
عجلا فنفخ فيه من تلك القبضة فصار خوار وقال بعضهم ان السامري كان هيأ ذلك العجل الذي اتخذه بحيال الحق اذا نشأ وحركه
خار وقال بعضهم كان وضع في مهب الريح فيدخل الريح في دبره ويخرج من فيه فعند ذلك يجوز والله اعلم وقوله عز وجل الم يروا
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ذكر انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وفي سورة طه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ليس فيه انه ان كان
يكلمهم او يملك لهم ضرا ونفعا يجوز ان يعبد ليعلم ان ذكر خطر الحكم في حال لا يوجب اباحة ذلك في حال اخرى وفيه ان امتناع
العلة عن اطرادها يوجب نقضها وان كان اطرادها في الابتداء في معلولاتها لم يدل على صحتها وفي قوله لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ذكر سفههم بعبادتهم شيئا لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله عز وجل اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين
في عبادتهم العجل لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها والالهية في غير موضعها وقوله عز وجل ولما سقط في ايديهم هذا حرف
تستعمله العرب عند وقوع الندامة وحلولها وتاويله لما داوا انهم قد ضلوا سقط في ايديهم اي ندموا على ما كان منهم وقوله
عز وجل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اي لئن لم يرحمنا ربنا ويوفقنا الهداية والعبادة له ويغفر لنا ما كان منا من العبادة للعجل
والتفريط في العصيان لنكونن من الخاسرين ويحتمل قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء سبب الرحمة والمغفرة كقوله استغفروا
ربكم الاية ويحتمل التجاوز لما كان منهم والعفو وفي قوله الم يروا انه لا يكلمهم بعد قوله له خوار دلالة ان الكلام هو ما يفهم منه المراد
ليس الحروف نفسها لانه اخبر ان له خوارا ثم اخبر انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان ذا هجا وحروف ليس بكلام و
ذلك يدل لاصحابنا في مسئلة اذا حلف ان لا يكلم فلانا ثم خاطبه بشيء لا يفهم مراده ان ذلك ليس بكلام ولا يحنث وقوله
عز وجل ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية في الحزن والغضب كقوله يا اسفى على يوسف هو النهاية في الحزن

والاسف

والاسف في موضع الغضب قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا لكن الغضب يكون على من دونه والاسف والحزن على من دونه
وقوله عز وجل غضبان اي لله على قومه لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله حزنا على قومه لما يلحقهم بعبادتهم العجل من العقوبة
وهكذا الواجب على من راى المنكر انه يغضب لله على مرتكب ذلك المنكر لمكان المنكر ويأسف عليه لما يلحقه من العقوبة والهلاك
رحمة منه له ورافة ويلزم الشكر لربه لما عصمه عن مثله وكذلك وصف رسوله عليه السلام بالاسف والحزن لتكذيبهم اياه
حتى كادت نفسه تهلك حزنا عليهم حيث قال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
ذكر هذه القصة لنا لنعرف انه كيف نعامل اهل المناكير وقت ارتكابهم المنكر وقوله عز وجل قال بئسما خلفتموني من بعدي
يخرج هذا على وجهين احدهما بئس خلفتموني بئسما اخترتم من عبادتكم العجل على عبادة والثاني بئسما خلفتموني باتباع
السامري الى ما دعاكم اليه بعد اتباعكم اياي واخي رسول الله وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله عز وجل
اعجلتم امر ربكم اختلف فيه قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اعجلتم الوعد الحسن الذي
وعدكم ربكم وهو قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وقال اخرون قوله امر ربكم اي عذاب ربكم وغضبه بعبادتكم
العجل واتخاذكم الها وقد سمى الله تعالى الامر في غير موضع من القران هذا كقوله اتى امر الله ونحوه جاء امر الله وقوله عز وجل
والقى الالواح قال اكثر اهل التاويل القى الالواح اي طرح على الارض غضبا منه فرفع منها كذا وكذا وبقي كذا لكن لا يجوز ان
يفهم من قوله القى الالواح طرحها لا غير الا ترى انه قال والقى في الارض رواسي ليس يفهم منه الطرح والقاء لكن انما فهم منه الوضع
فعلى ذلك قوله والقى الالواح اي وضع لانه اخذ راسه ولحيته اخي راس اخيه هرون لا سبيل له الى ان يأخذ راسه ولحيته والالواح
في يديه فوضعها على الارض ثم اخذ راسه ولحيته يجره اليه وعلى ما ذكر في سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
دل هذا انه كان اخذ راسه ولحيته جميعا الشرح غضبه لله على صنيع قومه وفي الاية دلالة العمل بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتي ولا
براسي دل هذا انه كان اخذ راسه ولحيته جميعا الشرح غضبه لله على صنيع قومه وفي الاية دلالة العمل بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي ولا يحتمل ان يكون موسى ياخذ راسه بالوحي والامر من الله ثم يقول له هرون لا تاخذ بلحيتي ولا بكذا او لا تفعل كذا وفيه ايضا
ان هرون لما قال له لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت انما قال ذلك بالاجتهاد حيث قال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
لانه لو كان يقول له بالوحي او بالامر لم يكن ليعتذر اليه فلا تشمت بي الاعداء وقوله عز وجل واخذ براس اخيه يجره اليه فيه
دلالة انه انما اخذ شعر راسه لانه لو كان اخذ راسه لكان لا يحتاج الى ان يجره اليه دل انه كان اخذ بشعر راسه وكذلك قوله لا
تاخذ بلحيتي ولا براسي وفيه دلالة لاصحابنا ان من مسح راسه ثم ازال شعره لم يسقط عنه حكم المسح وان مسح على لحيته ثم سقط
زال عنه حكمه ولزم غسل ذقنه لما سمى الشعر راسا وسمى اللحية لحية وسقوطها يسقط حكم المسح وسقوط شعر الراس لا والله اعلم
وقوله عز وجل ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني خرج هذا صلة قول موسى لهرون لما قال له يا هرون ما منعك اذ
رايتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري فقال عند ذلك ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء
ولا تجعلني مع القوم الظالمين وقوله عز وجل قال رب اغفر لي ولاخي قال بعضهم انما خص اخاه بسؤال المغفرة لانهم جميعا قد
عبدوا العجل سوى اخيه هرون لذلك خصه بسؤال المغفرة وقال بعضهم انما قال ذلك جوابا لما قال هرون فلا تشمت بي الاعداء
الاية ويحتمل ان يكون تخصيص السؤال له بالمغفرة لما سال ربه ان يجعل هرون له وزيرا بقوله اجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي
اشدد به ازري واشركه في امري لما سال ربه ان يشركه في امره ويشد به ازره فعلى ذلك خصه بسؤال المغفرة والله اعلم وقوله
عز وجل وانت ارحم الراحمين لان كل من يرحم دونه انما يرحم برحمته وقوله عز وجل ان الذين اتخذوا العجل اي عبدوا العجل سينالهم
غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا قال بعضهم غضب من ربهم عذاب في الاخرة لمن مات منهم على ذلك وذلة في الحيوة الدنيا
القتل والهلاك وذلة الجزية والامر والقهر ويحتمل قوله تعالى وذلة في الحيوة الدنيا ذكر الذم بصنيعهم وثناء الشر على ما كان
وبصنيع الخير المحمود في الدنيا وثناء الحسن وقوله عز وجل سينالهم غضب من ربهم هذا يحتمل وجهين احدهما اي قد نالهم غضب
من ربهم وما ذكر والثاني ان يكون هذا مذكورا في كتبهم ان من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم فان كان هذا خبرا عما في
كتبهم فسينالهم على الوعد صحيح والا على الخبر انه قد نالهم وكذلك نجزي المفترين اي كذلك نجزي كل مفتر على الله تعالى وقوله عز وجل
والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا قال اهل التاويل قوله والذين عملوا السيئات يعني الذين عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها
وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو في كل من عمل السيئات اي سيئة كانت اذا تاب عنها وندم عليها وطلب من الله المغفرة
غفر له وقوله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب الذي غضب لله على قومه بعبادتهم العجل ولا يحتمل ما قاله ابو بكر الاصم ان
الغضب عقوبة وشتم لان الغضب معروف لا يجوز ان يتاول ما قال هو وقوله عز وجل اخذ الالواح يعني الالواح التي وضعها على
الارض وقوله عز وجل وفي نسختها هدى ورحمة قال بعضهم يعني في نسخة الالواح لما كانت نسخت من اللوح المحفوظ وقال
بعضهم قوله وفي نسختها اي الكتب التي انتسخها بنو اسرائيل من تلك الالواح وقوله هدى ورحمة اي هدى من كل ضلالة وبيان

من كل عمى وشبهة ورحمة من كل سخطة وغضب للذين هم لربهم يرهبون اي الذين يخشون ربهم فيعملون به وقوله عز وجل
واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال بعضهم قوله لميقاتنا اي لتمام الموعد التي وعد وهو الاربعين الذي وعد ولكن
لا ندري ماذلك الميقات الذي ذكر وقوله واختار موسى قومه قال بعضهم السبعين الذين اختارهم موسى ليكونوا مع هرون
فعبدوا العجل في غيبتهم فلم ينكروا ولم يغيروا عليهم فاخذتهم الرجفة وقال الحسن انهم جميعا قد عبدوا العجل الا هرون فالرجفة
التي اخذتهم انما اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل ولسنا ندري من اولئك السبعين الذين اختارهم موسى ويمكن ان يكون موسى اختار
السبعين ليخرجوا معه فيكونوا شهداء له على انزال التورية عليه وكلام ربه وقيل هم الذين تركهم في اسفل الجبل لما جاء موسى
بالتورية قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهلكوا لقولهم ذلك وقد ذكرنا انا لا ندري من كانوا
وقيل اختارهم موسى ليتوبوا الى الله مما عمل قومهم وقوله عز وجل فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
قال بعض اهل التاويل لو شئت امتهم واياي بقتل القبطي وقال اخرون لو شئت اهلكتهم على نفس الاهلاك واياي على القدرة اي
تقدر على اهلاكي ولكن لا تهلكنا لما لم يكن ما يستحقه ذلك ويشبه ان يكون قوله لو شئت اهلكتهم اهلاك فتنة واياي
وقوله عز وجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم لئن تهلكنا ابتداء اهلاك والسفهاء
بما فعلوا والثاني يقول لو شئت اهلكتهم واياي من قبل وما تهلكنا قومنا لان موسى اتى قومه واخبرهم انهم اهلكوا بسبب كذا لم
يصدقوا قومه بذلك ولكنهم يتهمونه ويقولون انت قتلتهم على ماذكر في بعض القصة انه خرج بهرون الى بعض الجبال فمات
هرون هنالك فاخبر قومه بذلك فكذبوه وقالوا انت قتلته فعلى ذلك جائز ان يكون ههنا خاف ان يتهمه قومه في اولئك
ولا يصدقوه فيما حل بهم والله اعلم وقوله عز وجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يحتمل هذا وجوها يحتمل يراد به التنزيه ويحتمل الانكار
والرد ويحتمل الايجاب اما الانكار فيكون معناه اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تفعل ولا تهلكنا بما فعل السفهاء ومثل هذا قد
يقال الرجل لاخر اتفعل انت كذا على الانكار اي لا تفعل فعلى ذلك هذا والله اعلم ويراد به الايجاب كانه قال انك ان تهلكنا بما فعل
السفهاء منا وما هي الا فتنتك ان يكون ذلك امتحانا وابتلاء ابتداء اي تفعله امتحانا وابتلاء لا تعذيبا ويحتمل ان يكون على
على الاستفهام لكن لم يخرج له الجواب كقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله ونحوه مما لم يخرج
له جواب فعلى ذلك هذا ويجوز ان يكون اهلاكه اياهم محنة بتفريط كان من بعضهم وان كان بعضهم برا من ذلك على ما كان من اهل
المركز من العصيان وكان الفشل والهزيمة عليهم محنة منه اياهم كقوله اذ تحسونهم باذنه الاية فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء قال ابو بكر تضل بها اي تنهى من فعل الاهتداء لكن حرف من انما يعبر به
الاشخاص دون الافعال فلو كان على ماذكر هو لقال تضل به ما تشاء فان لم يقل ذا ثبت انه ليس على ماذكر وتاويله عندنا انه يخلق
فعل الضلال ممن يعلم انه يختار ذلك ويخلق فعل الهدى ممن يعلم انه يختار ذلك وهو خالق كل شيء واصل ذلك ان جميع ما يضاف الى الله
من طريق الافعال على اختلاف الاضافة بالاختلاف وجوهها حقيقة ذلك من الله خلق ما اضيف اليه من الوجه الذي يحق وصف
بانه خالقه فعلى ذلك قوله تهدي وتضل ويحتمل وتوفق وتخذل وقوله عز وجل انت ولينا اي انت اولى بنا ويحتمل انت ولي
هدايتنا او انت ولي نعمتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين وانت خير الراحمين لان كل احد دونه انما يرحم ويغفر برحمته
وقوله عز وجل واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يحتمل الكتابة الايجاب اي اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وقال بعضهم قوله
واكتب لنا اي وفق لنا العمل الذي نستوجب به الحسنة في الدنيا والاخرة ويحتمل اكتب لنا في الدنيا الحسنات ولا تكتب علينا السيئات
والله اعلم وقوله عز وجل في هذه الدنيا حسنة نختم بها الدنيا ونستقضي بها والامان من سيء الاول في هذه الدنيا حسنة اتانا اياه
وعلى ذلك يخرج قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة انهم انما سالوا الحسنة ان يختمون عليها ويكون كقوله من جاء بالحسنة
فله كذا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل انا هدنا اليك قال بعض قوله هدنا اليك اي ملنا اليك وقال غيرهم انا هدنا اليك وقيل و
لذلك سميت اليهود لانهم هودوا اي تابوا من الالهة لكن لو كان كما ذكر كان قوله ما كان يهوديا اي تائبا وذلك بعيد ولكن ان كان كذا
فهو والله اعلم ما كان ابراهيم يهوديا اي لم يكن على المذهب الذي عليه اليهود وكذلك لم يكن على المذهب الذي عليه اليهود وكذلك
لم يكن على المذهب الذي ادعت النصارى انه كان عليه ولكن كان حنيفا مسلما وقوله عز وجل قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شيء قال الحسن شاء ان يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله وشاء من اطاع الله وصدق رسله ان يصيب رحمته وذلك
قوله عذابي اصيب به من اشاء انه لما شاء ان يصيبهم عذابه شاء الفعل والفعل الذي كان به يصيبهم لان حرف من انما يعبر به عن بني
ادم ولا جائز ان يشاء لهم الايمان ثم يشاء لهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذ علم منهم انهم لا يؤمنون ويختارون فعل الضلال على
فعل الهدى شاء لهم ما اختاروا وقوله عز وجل ورحمتي وسعت كل شيء ما من احد من مسلم وكافر الا وعليه من اثار رحمته في
هذه الدنيا بها يتعيشون ويتراحمون ويتوادون وفيها يتقلبون لكنها للمؤمنين خاصة في الاخرة لاحظ للكافر فيها وذلك قوله
فساكتبها للذين يتقون معصية الله والخلاف له ويؤتون الزكوة وكقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات

من الرزق

من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركة بين المسلم والكافر وخالصة
للذين امنوا يوم القيمة لاحظ للكافر فيها فعلى ذلك رحمته نالت كل احد في هذه الدنيا لكنها للذين امنوا واتقوا الشرك خاصة
في الاخرة ويحتمل قوله والله اعلم واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انهم انما سالوا الرحمة فقال ساكتبها للذين يتقون معاصي
الله ومخالفته والله اعلم وقوله عز وجل ويؤتون الزكوة يحتمل يؤتون الزكوة المعروفة ويحتمل تزكية النفس كقوله قد افلح من زكيها وقد خاب
من دسيها ومعلوم انه لم يرد به زكوة المال ولكن زكوة النفس بالتوحيد والتقوى وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا هو ذلك التزكوة لا الزكوة المعروفة زكوة المال فعلى ذلك الاول والله اعلم وان كان على الزكوة المعروفة فذلك في قوم فرض
عليهم واستثقلوا اخراج الزكوة من اموالهم كقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة كفرون وقوله عز وجل والذين هم باياتنا يؤمنون
قد ذكرنا في غير موضع ان من امن باية من ايات الله وصدقها فقد امن بالله وبرسله ومن كذب باية فقد كذب بالله وخالف رسله لان طريق
معرفة الله ورسله انما هو من طريق الايات والحجج ليس من طريق المشاهدات والمحسوسات لذلك كان الايمان بالايات ايمانا بالله
وبرسله والتكذيب بها كفرا بالله ورسله وقوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي اي يتبعون اثر الرسول في كل سيرة وفي
كل امره ونهيه ويطيعونه فيه سماه رسولا ونبيا بقوله الرسول النبي والرسول كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمامور بها على كل حال
والنبي كالمبني لهم اشياء عند السؤال والاستخبار والرسول هو المامور بالتبليغ سالوه او لم يسالوا وكان محمد عليه
السلام كلاهما الانباء والتبليغ كقوله ما انزل اليك من ربك وقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل الامي الذي يجدونه
مكتوبا الامي ماذكر في اية اخرى وهو قوله ماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
اي يجدونه مكتوبا في التورية انه رسول نبي وانه امي قوله ماكنت تتلوا من قبله من كتاب لئلا يقولوا انما اختلقت هذا من الكتب
المتقدمة ومن علومها وحكمها ولا تخطه بيمينك لئلا يقولوا انه من تاليفك ليعلموا انه من عند الله جاء به لا من ذات نفسه وفي
قوله يجدونه عندهم مكتوبا في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر ماذكر دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
لان اولئك لم ياتوا بالتورية والانجيل فيقولون لا نجد ما تذكر في التورية والانجيل دل ذلك منهم على انهم وجدوه كذلك والله اعلم وقوله
عز وجل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية انه يامرهم بما امر الله به وينهى عما نهى الله عنه ويحل لهم الطيبات
ما احل الله لهم ويحرم عليهم ما حرم الله عليهم يجدونه في التورية انه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء ولا يحل شيئا ولا يحرم الا بامر من الله له
لكنهم ينكرون انكار عناد ومكابرة كقوله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وغيره ويحتمل قوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
الاية اي يامرهم بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة وهو التوحيد وكذلك ينهاهم عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر وهو
الكفر وجميع المعاصي ويحل لهم الطيبات اي يحل ما هو طيب في العقل والطبع ويحرم ما هو خبيث في العقل والطبع جميعا لان من الاشياء
ما هو مستخبث في الطبع لم يجعل غذاء البشر فيه وانما جعل غذاءهم فيما هو مستطاب في الطبع بلغ غاية في الطيب ولكن الذي جعل
غذاء البهائم والانعام هذا محتمل والله اعلم والثالث يحتمل ثم المعروف والطيبات لو تركت العقول والطباع
على ما هي عليها لكانت لا حاجة تقع الى رسول يخبر ان هذا معروف وان هذا طيب او خبيث او منكر ولكن تعرف العقول والطباع
ذلك كله لكن تعترض العقول من الشبه فتمنعها عن معرفة ذلك فاحتاجت الى رسول الله يخبر عن ذلك وقوله عز وجل ويضع عنهم
اصرهم قيل ما غلظوا على انفسهم من الشدائد وقيل اصرهم شرع من العبادة والعمل وقيل اصرهم عهدهم وقيل اصرهم اي الثقل الذي كان
بنو اسرائيل الزموه وقال القتبي ويضع عنهم اصرهم اي ذنبهم الذي كانوا يذنبون اي عقوبة الذنب الذي اذنبوا في الدنيا وقوله عز
وجل والاغلال التي كانت عليهم قال الحسن ان اليهود قالوا يد الله مغلولة اي محبوسة عن عقوبتنا فقال عز وجل غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا اي غلت ايديهم الى اعناقهم في النار فاخبر ان امة محمد صلى الله عليه وسلم لما امنوا به وصدقوه رفع تلك الاغلال عليهم
عن هذه الامة بطاعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الاغلال التي كانت عليهم الشدائد التي كانت عليهم من نحو ما لا يجوز لهم
العفو عن الدم العمد ولا اخذ الدية وما لا يجوز غسل النجاسات الا القطع وغير ذلك من الاشياء الثقيلة فاسلت هذه الامة
ويحتمل ان يكون الاصر والاغلال التي كانت عليهم من نحو ما حرمت من اشياء بظلم كان منهم وتحريمه نحو قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم حرمت
تلك الاشياء عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذي كان منهم اخبر انه وضع عن هؤلاء ذلك لم يحرم ذلك عليهم وفي هذه الاية
دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه امي والامي ماذكر في قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك كان لا يتلو ولا يخطه بيده ثم اخبر على ما كان في كتبهم من غير ان حرف ما في كتبهم او نظر فيها وعرف لسانهم دل انه انما
عرف ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل فالذين امنوا به اي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه قيل اعانوه باموالهم ونصروه
بايديهم بالسيف وقال الحسن قوله عزروه ونصروه انما هو كلام مثنى وهو اعانة وقيل عزروه اي عظموه وقوله عز وجل
واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سماه نورا لما تتبين الاشياء عن حقايقها بالعقول لان النور في الشاهد هو الذي

يكشف عن الاشياء سواترها فصلى ذلك القرآن وهو نور لما يرفع الشبهة عن القلوب ويكشف عن سواترها وقال بعضهم سمى نورا لما
يبين الاشياء ويعرف به ما غاب وما شهد فيصير الغايب به كالشاهد وقوله عز وجل قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فيه
دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة وكذلك روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاحمر والاسود
وساير الانبياء بعثوا الى اقوام خاصة والى البلدان والقرى المعروفة المحدودة وفيه انه لما خاطبهم بقول الناس انى رسول الله
اليكم انه لا سبيل لما كان يخاطب الناس والخلق جميعا فيقول انى رسول الله اليكم جميعا ولكن انما يكون يبعث الرسل اليهم فينزل
قول الرسول انه رسول الله اليكم منزلة قوله بنفسه انى رسول الله اليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل اليهم كانه هو بلغ ذلك
وقال لهم انى رسول الله اليكم او ان الله عز وجل سخر الخلق حتى بلغ بعضهم بعضا رسالته حتى نشا خبره وانتشر ذكره فى جميع
افاق الارض شرقا وغربا وذلك من عظيم ايات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من الله فقال رسول الذى له ملك السموات و
الارض لا اله الا هو يحيى ويميت وذكر تخصيص السموات والارض وان كان له ملك الكل لما هما النهاية فى ملك البشر او
ذكر هذا ليعلموا ان من فى السموات والارض له عبيد واماء او ذكر هذا ليعلموا ان التدبير فيهما جميعا لواحد حيث اتصل منافع
السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما وقوله عز وجل لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب سمت كل معبود الها وهم كانوا يعبدون
الاصنام دونه ويسمونها الهة فنفى الالوهية عن يعبدونهم دونه واثبتها له واخبر انه هو المستحق لاسم الالوهية والعبادة
لا غير لانه يحيى ويميت ومن يعبدون دونه لا يملك الاحياء ولا الاماتة وذكرهما والله اعلم الحيوة والموت لانه ليس شىء
الذ واشهى فى الشاهد من الحيوة ولا امر ولا اشد من الموت ليرغبوا فى ما غاب عنهم ويفزعوا عن الامر والاكره ما غاب
عنهم والله اعلم او ذكر انه يحيى ويميت ليعلم انه فعل واحد لا عدد وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسوله النبى الذى يؤمن
بالله كان صلى الله عليه وسلم هو السابق الى كل خير فعلى ذلك دعى الخلق كقوله وانا اول المؤمنين وانا اول المسلمين فعلى ذلك
انما امر بالايمان بعد ما امن هو وجايز ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اى امن رسول الله بالله وكلماته التى كانت فى الكتب
الماضية فاخبرها على ما فى كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى وقوله عز وجل وكلماته اختلف فيه قال عامة اهل التاويل
كلماته القرآن وذكر فى بعض القراءات وكلمته بلا الف فصرف الى [illegible] عيسى كانه قال امنوا بالله وبمحمد وبعيسى ويحتمل ان
يكون قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر والنهى والحكمة والاحكام التى امرها وشرعها لنا على ما ذكر فى ابراهيم
انه ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوه لعلكم تهتدون قد ذكرنا الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا
وقوله عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قيل امة يدعون الى سبيل الحق وبه يعدلون اى به يعدلون فيما بينهم لكن
الاول اوجب والله اعلم ثم قوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق جايز ان يكون الامة التى اكرم من قوم موسى كان فى
زمنهم يدعون الناس الى الايمان برسول الله او ان يكون الامة من قومه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية من قوم
موسى مؤمنين به يدعون الناس اليه وبه يعدلون وقوله وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما قال ابن عباس رضى الله
عنه هو ما ذكره وقطعناهم فى الارض امما اى جماعة وقيل وقطعناهم اى جعلناهم اثنتى عشرة اسباطا فرقا وقال
غيرهم قوله وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما [illegible] وجعلناهم اثنتى عشرة اسباطا قال ابو عوسجة
الاسباط [illegible] والسبط واحد وقال القتبى الاسباط القبايل واحدها سبط وقيل السبط [illegible] وقيل
ان اولاد اسحق سموا اسباطا واولاد اسمعيل قبايل [illegible] ولذلك يقال للعرب قبيلة [illegible] ولسنا ندرى
كيف هو وقيل سبط الرجل ولد ولده على ما روى الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه قيل [illegible] انهم كانوا فى المفازة لا فى البلدان والقرى لانهم لو كانوا
فى القرى [illegible] انهار تجرى فيها او عيون الارض [illegible] ثم قال وظللنا عليهم الغمام لانهم كانوا فى المفازة
لانه هنالك تقع الحاجة الى الغمام واما فى القرى فلا وقوله عز وجل فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال بعضهم انفجرت
على ما ذكر فى سورة البقرة وقيل ان هذه الكلمة بلسانهم لا بلسان العرب وقوله عز وجل قد علم كل اناس مشربهم قال بعضهم
[illegible] مشربهم [illegible] ليلا يزدحموا فى ذلك فيقع [illegible] التقاتل والفساد و
التنازع والاختلاف وقوله عز وجل وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى فيه ان جميع مؤنتهم كانت من
السماء بلا مؤنة ولا تعب على انفسهم وقوله عز وجل كلوا من طيبات ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوى [illegible] وما ظلمونا
[illegible] ولكن كانوا انفسهم يظلمون [illegible]
التعدى [illegible] وهذه النعم التى ذكر [illegible] فى حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوى والعيون والغمام
ويدل هذا ان عقوبات الدنيا [illegible]
هذه النعم فى الاخرة وكذلك العقوبة هنالك تخلص وتفارق اللذات وقوله عز وجل واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية قال [illegible]

اهل التاويل قوله اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ويمكن ان تكون القرية التى ذكر ههنا هى الارض التى ذكرت فى
سورة المائدة وهو قوله ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم امرهم بالدخول فيها و
نهاهم عن الارتداد على ادبارهم فامرهم بالسكون فيها واباح لهم التناول منها حيث شاؤا وقوله عز وجل وقولوا حطة
اى رجعنا الى السبب الذى يحط الاوزار لا قولهم حط عنا كذا وهو ما قال هود عليه السلام استغفروا ربكم اى ابتغوا
بالسبب الذى به يغفر وهو التوحيد وادخلوا الباب سجدا الاية قد مضى ذكره فى السورة التى فيها ذكر البقرة وقوله
عز وجل فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون هذا ايضا ذكرنا
فيما سوى انه ذكر ههنا فارسلنا عليهم رجزا وذكر فى سورة البقرة فانزلنا والقصة واحدة ليعلم ان اختلاف الالفاظ لا
يوجب اختلاف المعانى والاحكام ولا تغييرها وذكر ههنا بما كانوا يظلمون وهنالك بما كانوا يفسقون والفسق هو الخروج
عن الامر والظلم هو وضع الشىء غير موضعه وقد كان منهم الامران جميعا الخروج عن امر الله ووضع الشىء ايضا فى غير موضعه
اكرم الله عز وجل هذه الامة كما مات من الطاعة لرسولها والخضوع له والتعظيم له حتى لم يخطر ببال احد الخلاف له بعد
ما اتبعه وامن به وما اكرمهم ايضا من الفهم والحكمة والفقه حتى ذكر كانهم من الفقه انبياء وقوم موسى عليه السلام وغيره
من الامم لم يكونوا مثل ذلك الا ترى ان قوم موسى قد خالفوه فى اشياء امرهم موسى بها وقوله عز وجل وسئلهم عن القرية التى كانت
حاضرة البحر قال بعض اهل التاويل القرية التى كانت حاضرة البحر هى ايلة وقال آخرون اريحا ولسنا ندرى ما تلك القرية وليس لنا الى
معرفة تلك القرية حاجة اذ لا منفعة لنا فى معرفتها ولو كانت لنا حاجة اليها لبين لنا عز وجل وقوله واسئلهم عن القرية التى كانت
كذا امره بالسؤال عنها ثم كان هو المبين لهم بقوله اذ يعدون فى السبت والسؤال هو الاستخبار والاخبار ابدا انما يلزم المسؤل
دون المستخبر لكن الاستخبار يكون من وجهين احدهما ابتداء اخبار والثانى طلب التصديق فها هنا يحتمل ابتداء الخبر وهو على
طلب التصديق كانه قال الم يكن كذا فيقولون نعم يصدقونه بما يقول لهم وقال قايلون لم يامره بالسؤال حقيقة ولكن على التمثيل كانه
قال لو سالتهم يقولون لك كذا كقوله سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ليس على الامر ان سالهم ولكن لو سالتهم كان كذا وما يدريك
بكذا فعلى ذلك هنا وقوله عز وجل اذ يعدون فى السبت اذ تاتيهم حيتانهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابتدعوا السبت
فعظموه فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان وقال مجاهد حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تاتيهم يوم السبت شرعا
بلا مؤنة وتختلف ابتلوا به ولا تاتيهم فى غير مثله وقال ابو عوسجة قوله شرعا التى قد دنت من الشط والواحد شارع وقوله عز
وجل لا يسبتون اى لا يدخلون فى السبت كما يقال لا يربعون ولا يخمسون اى لا يدخلون فيه ويسبتون اى يدخلون فيه وكذلك
يربعون ويخمسون وقال القتبى شرعا اى شوارع اذ يعدون اى يتعدون الحق ويقال عدوت على فلان اذا ظلمته وقال الكسائى
يقرا يسبتون بالرفع ويقرا بالفتح فمن قراها دخلوا فى السبت وقال قايلون قوله شرعا اى كثيرة اى تكثر لهم الحيتان يوم السبت وهو
اليوم الذى حرم عليهم الحيتان وقد رغب فيه ذلك وقال بعضهم ابتلاهم الله بحبس السمك فى السبت ليرى الخلق المطيع منهم من العاصى
وقال قايلون ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون فى السبت بكرة فسقهم وفضيحتهم ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله ليلا يحزنوا عنه
التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعنت والله اعلم وذلك قوله كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقال قايلون فى قوله واسئلهم عن
القرية التى كانت حاضرة البحر انما امره بذلك ان يسالهم اما صبهم الله بذنوبهم ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون فى السبت اى يتعدون فى
السبت وقوله شرعا اى شارعات من غمرة الماء اى خارجات وقوله عز وجل واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او
معذبهم عذابا شديدا ذكر فى الاول انهم كانوا ثلاث فرق فريق صيدوا وتركوا امر الله وارتكبوا ما نهوا عنه وفريق نهوا وكانت الذين
اعتدوا وانتهكوا حرم الله وفريق قيل لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تعظون قوما
الاية وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال هم كانوا ثلاث فرق فرقة وعظت وفرقة موعظة وفرقة ثالثة وهم الذين
قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وهو ما ذكرنا انهم ذكرهم فى الابتداء ثلاث فرق وذكر فى الاخر الحال فرقتين فرقة هى التى هلكت
بالاعتداء وفرقة هى التى نهت ونجت ثم اختلف اهل التاويل فى الفرقة الثالثة قال بعضهم كانوا فى الفرقة التى هلكت لوجهين لانهم
لم ينهوا اولئك الذين اعتدوا وكان فرض عليهم النهى عن المنكر والامر بالمعروف فلما لم ينهوا اولئك هلكوا وشركوا فى العذاب
كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم الاية والثانى كانوا معهم لما نهى الناهين بقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم ومعذبهم وقال قايلون كانوا فى الناجين قال الحسن لانهم كانوا نهوا اولئك عن الاعتداء والظلم الذى كان منهم
وكان قوم لم تعظون قوما بعد ما نهوهم ووعظوهم فلم يتعظوا فانما قالوا لاولئك لم تعظون قوما بعد ما نهوا ووعظوا فقالوا كيف
تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون فانما قالوا ذلك بعد ما نهوا وقال قايلون هذا القول منهم نهى لانهم اتوا بوعيد شديد بقولهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فنفس هذا القول منهم نهى وزجر عما ارتكبوا حيث اتوا بالنهاية من الوعيد
وهو الهلاك والعذاب الشديد ولكنا لسنا نعلم انهم كانوا فى الهلكى او فى الناجين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة ولو كان لنا

حاجة الى ذلك ليبين لنا عزوجل ولم ينزل ذلك لارايناسوى انه بين من نجى منهم بالنهى عن الظلم والعدوان وبين من اهلك و
عذب بالظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون وقوله عزوجل
قالوا معذرة الى ربكم قرئ بالرفع والنصب ايضا معذرة فمن قرا بالرفع اضمر فيه هذه كانهم قالوا هذه معذرة الى ربكم كقوله سورة
انزلناها قيل هذه سورة انزلناها ومن قرا بالنصب قال معذرة اى اعتذارا منهم الى ربهم لعلهم يتقون عما نهوا وقوله عزوجل فلما
نسوا ما ذكروا به اى تركوا واعرضوا عما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال القتبى شديد
وكذلك قال ابوعوسجة وقال غيره اى موجع وهو واحد وقال الحسن واخذنا الذين ظلموا بعذاب على الوقف ثم قال بئيس بما كانوا
يفسقون وقوله عزوجل فلما عتوا عن ما نهوا عنه قال ابوعوسجة قوله عتوا اى استكبروا ويقال عتى يعتو عتوا وكان العتو هو النهاية
فى البئيس فلذلك قيل فى قوله عتيا بايسا لكن سمى مرة قساوة ومرة استكبارا وقوله عزوجل قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال بعضهم
حولت صورتهم وجسدهم صورة القردة وكانت عقولهم على حالها عقول البشر لم تحول ليعلموا تعذيب الله اياهم وما اصابهم بهتكهم حرمه
وقال قائلون حول طباعهم طباع القرد واما الصورة والجسد على حاله وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عزوجل خاسئين
قال بعضهم هو من خسأ الكلب صار قاصيا مبعدا يقال الخساة وقال ابوعوسجة خاسئين مبعدين وكذلك قال فى قوله اخسئوا فيها
اى ابعدوا فيها وارجعوا فيها يقال خسأت فلانا وخسا تراى باعدته فخسا اى تباعد وقيل الخاسى الذليل وفى قوله واذ قالت امة
منهم الى اخر ما ذكر من القصة وجهان احدهما دليل اثبات الرسالة والنبوة له حيث اخبر على ما كان من غير نظر له فى كتبهم ولا اختلاف
الى احد ممن له علم فى ذلك دل انه انما عرف بالله تعالى والثانى انباء عن عواقب الظلمة والفسقة وما حل بهم بظلمهم وانتهاكهم
حرم الله ليكون ذلك به زجرا لنا عن ارتكاب مثله وقوله عزوجل واذ تاذن ربك تاذن اى قال ربك وقال ابوعوسجة واذ
تاذن هو من الاذان اى اعلم ربك وقوله واذ تاذن ربك الاية [illegible] نزلت هذه الاية [illegible] فى شان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه لان الكفار كانوا [illegible] من اراد الاسلام واتباع محمد عليه الصلوة والسلام [illegible] ليبعثن عليهم [illegible]
ياخذ منهم الجزية الى يوم القيمة [illegible] محمد صلى الله عليه [illegible]
هو فى بنى اسرائيل [illegible] وقال قائلون
[illegible]
العذاب وقال قائلون هذا انما كان فى هؤلاء الذين سبق ذكرهم فى قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس [illegible]
[illegible] وقوله عزوجل ان ربك لسريع العقاب [illegible]
[illegible]
[illegible] لسريع العقاب [illegible] وقوله
[illegible] وقوله عزوجل وقطعناهم فى الارض امما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] منهم الصالحون ومنهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عزوجل وبلوناهم بالحسنات والسيات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عزوجل فخلف من بعدهم خلف [illegible]
يعنى الصالحين خلف من لم يحفظوا حدوده [illegible] وقال قائلون هو وصلة ما تقدم من ذكر الانبياء والرسل كانه اخبر انه خلف

من بعدهم

من بعدهم خلف يعنى خلف الرسل والانبياء ورثوا الكتاب وهو كما ذكر فى سورة مريم وهو قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات وانما ذكر هذا من بعد ذكر الانبياء والرسل والله اعلم وقوله عزوجل ورثوا الكتاب وعلموا ما فيه ثم
ياخذون عرض هذا الادنى ان اهل الكتاب كانوا ياخذون الدنيا على احد وجوه ثلاثة منهم من كان ياخذها استحلالا كقوله تعالى
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وكقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
ومنهم من كان ياخذها بالتبديل اعنى تبديل الكتاب كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب الاية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ومنهم من كان تناول
على ما تناول اهل الاسلام على قدر الحاجة وههنا لا يحتمل الاخذ الا الاخذ الاستحلال او التبديل والاخذ بالاستحلال ههنا اقرب
كانوا ياخذون عرض هذا الادنى مستحلين له ويقولون سيغفر لنا يحتمل هذا وجهين يحتمل ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فهو
يغفر لنا كانوا يستحلون اموال الناس وياخذونها ثم يقولون سيغفر لنا لانا من ابناء الله واحبائه والثانى يحتمل انهم
قالوا سيغفر لنا مع علمهم انه لا يغفر لهم لما كان فى كتابهم ان لا يغفر لهم اذا تابوا ولو استحلوا وانهم اذا عوقبوا على ما فعلوا
قالوا سيغفر لنا وقوله عزوجل الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه يحتمل قوله الم يوخذ
عليهم ميثاق الكتاب انهم اذا استحلوا ذلك اضافوا ذلك الى الله فقالوا والله امرنا بذلك فقال الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق اى لا يضيفون الى الله ما استحلوا وان يقال اخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال
بعضهم قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق فيما يوجبون على الله من مغفرة ذنوبهم التى لا يزالون
يعودون لها ولا يتوبون عنها قال بعضهم قوله ياخذون عرض هذا الادنى قال ياخذونه ان كان حلالا او حراما وان ياتهم
عرض مثله ياخذوه وقال قومه فخلف من بعدهم خلف سوء ورثوا الكتاب بعد انبيائهم ورثهم الله الكتاب وعهد اليهم
فى سورة مريم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات ياخذون عرض هذا الادنى وهو ما ذكرنا وقال
القتبى الخلف الردى من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من القول وقوله عزوجل ودرسوا ما فيه اى قرؤا ما فيه و
علموه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون اى يتقون الشرك او يتقون مخالفة الله ومعاصيه افلا يعقلون
ما فى كتابهم ان ترك مخالفة الله خير فى الاخرة ثم اخبر عن المؤمنين فقال والذين يمسكون بالكتاب ما فيه من الحلال والحرام
واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة قيل رفعنا الجبل كقوله ورفعنا
فوقهم الطور وقيل نتق قلع وقطع وقال بعضهم حرفا اخذ من كتبهم فلا ندرى كيف وقيل حركنا وهو قول القتبى وقال
ابوعبيد كل شئ قلعته من موضعه فرميت به ذكر هذا والله اعلم ليبصر رسول الله على سفه قومه لان قوم موسى مع كثرة
ما عاينوا من الايات التى جرت على يدى موسى وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من استنقاذه اياهم من اسر فرعون
واخراجه منه وفرق البحر لهم ومجاوزته بهم وتفجير الانهار من الحجر وانزال المن والسلوى لهم وجميع ما كان لهم من موسى ما ذكرنا
لم يقبلوا التورية ولم يقروا بها الا بعد رفع الجبل عليهم والارسال فعند ذلك قبلوا فيصبر رسولنا لئلا يضجر على مخالفة قومه
اياه وكثرة سفههم ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع الجبل فوقهم وجهين احدهما انهم لما عاينوا ذلك امنوا وقبلوا الكتاب لكن
ذلك منهم ايمان دفع اذ ذلك قهر ولا يكون فى حال القهر ايمان والثانى صير ذلك اية عظيمة وحجة واضحة معجزة فقبلوها و
حققوا الايمان به ثم تركوا ذلك بدل ذلك ما ذكر فى سورة الاولى حيث قال ثم توليتم من بعد ذلك وقيل فخلف من بعد بنى
اسرائيل خلف السوء وهم اليهود ورثوا الكتاب قبل التورية عن ابائهم واوائلهم ياخذون عرض هذا الادنى قال رشوة ويقولون
سيغفر لنا وكانوا يرتشون ويقولون يغفر لنا لانهم زعموا انهم ابناء الله واحباؤه وان ياتهم عرض مثله قيل رشوة مثله اخذوها
وقوله عزوجل الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب قالوا الذى اخذ عليهم فى التورية ان لا يستحلوا محرما ولا يقولوا على الله الا الحق
فى التورية ودرسوا ما فيه وقوله عزوجل والدار الاخرة خير للذين يتقون استحلال المحارم واكلهم الحرام وقوله عزوجل
يمسكون بالكتاب قيل بالتورية ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يستحلون محرما واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله
عزوجل وظنوا انه واقع بهم اى ايقنوا انهم ان لم يقبلوا واقع بهم وقوله عزوجل خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا هذا فيما
تقدم قوله خذوا ما اتيناكم بقوة يحتمل وجهين احدهما خذوا اى اقبلوا ما فيه والثانى اعملوا بما فيه وفيه دلالة كون
القوة مع الفعل وقوله عزوجل واذكروا ما فيه قيل اعملوا بما فيه من الحلال والحرام لعلكم تتقون العقوبة والمعصية تكلم
الناس فى تاويل قوله واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم الاية فمنهم من يقول ذلك عندما خلق ادم اخرج من كون من
ذريته مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم قالوا بلى لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول جعل بالبلوغ الذى يجرى على مثله العلم
وهو قول الحسن ومنهم من يقول عرض ذلك على الارواح دون ذلك ومنهم من يقول بل عرض ثم خلق صنفين فقال هؤلاء
للجنة وهؤلاء للنار ولا ابالى ومنهم من يقول عرض الكل على ما عليه احوالهم واجالهم فى الدنيا والله اعلم كيف كانت القصة

وكيف يرى احوال الفقر والغناء فى الذداء كيف هؤلاء فى كذا ولا ابالى مع اجتماعهم على القول بلى لما عرض عليهم فى قوله الست بربكم وقد راينا فى تلك الاخبار ماكان للحفظ وخاصة حفظ العوام واهل الضعف من تبليغها الزم واعظم فى النفع وابعد عن الشبه من دلايلها فانه وتختلف الكشف منها فنسال الله العصمة عما به الهلاك والتوفيق فنصح بما به نجا كل ودفع كل شبهة وخيرة لا قوة الا بالله ومنهم من ذهب فى تاويل الاية الى المعروف من امر ذرية ادم والاخذ عن الاصلاب والانشاء فى الارحام على ما كان ويكون الى يوم القيمة على ما قال الله سبحانه وتعالى فلينظر الانسان مم خلق الى قوله يخرج من بين الصلب والترائب وقال ان كنتم فى ريب من البعث الاية وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال مالكم لا ترجون لله وقارا الاية وغير ذلك مما احتج الله به من اول ما جرى به تدبير البشر الى اخر ما ينتهى به امره مما يعجز عن تقديره وسع الخلق ويتقر(?) عن عقولهم كيفية بدا ذلك وما عليه تنقله من حال الى حال فى كل طرف عين ولحظ بصر مع ما فيه من عجيب التدبير وحسن التقدير الذى لو تكلف الخلق تصوير مثله بكل انواع الحيل من الاصول الظاهرة بحيث يبصر كل بصر لكان يعجز عنه فكيف فى الظلمات الثلاث مع ما ركب فيه من العقل والسمع والبصر وما جعل فى كل ما انشا فيه ومنه مما لا يبلغ الاوهام فضلا من الاحاطة بما فى ذلك من الحكمة ولذلك قال الله وفى انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك هو العهد الى جميع الذرية واشهاد انفسهم عليهم بتعالى من دبرهم على ذلك وانشاهم على ما فيهم عن ان يكون له كذا او يتعد واحد تدره(?) فذلك هو معنى اشهادهم على انفسهم اى جعلهم على انفسهم شهودا ان يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا رب لهم غيره وانه ليس كمثله شئ مع ما فى جعل ذلك ذريته يعرف كل بما يرى من عجزه عن تدبير ولده وجهله باحواله فى حال كونه فى رحم ابويه بيان على انه لا كان يا بائه ولهما انه علم ولكن برب العالمين وذلك هو الذى يمنعهم عن القول بالغفلة عن ذلك اذ قد علمه كل منهم لا حال كونهم فى الوقت الذى احد والذى يبين ان هذا التاويل احق من الاول ما دل عليه سياق الاية من ذلك وقوله عز وجل واذ اخذ ربك من بنى ادم واذا ويل من ذكرت على الاخذ من ظهر ادم والثانى قوله من ظهورهم وفى قوله ذريتهم والثالث قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وفى التاويل الاول ان لا نقولوا فكيف يجحدهم عن القول بذلك وقد علم انهم كذلك ليس احد منهم يذكر ذلك ولا مما يعترض عنه لو نبه بكل انواع التنبيه والرابع قوله تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ما فى ذلك العرض مما يمنع عن هذا القول وايضا انه ذكر فى ذلك القول بهؤلاء فى النار ولا ابالى وفى القران الجمع بينهم فى القول بلى ذلك(?) عند توحيدا منهم مع ما فى القران كنتم امواتا الاية وقالوا ربنا امتنا اثنتين الاية وفى ثبات ذلك اثبات الموت والحيوة اكثر من العدد والذى جاء به القران فى الكل ولا قوة الا بالله ثم قد يتوجه التاويل الثانى فى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الى وجه فاما ابتداء الاية فهو ذلك عند التحقيق لانه ذكر الاخذ من بنى ادم ثم من ظهورهم والماخوذ من بنى ادم ثم من ظهورهم هو النطف وهو الماء الدافق الذى يخرج من بين الصلب والترائب واشهدهم على انفسهم اعلمهم ما منه انشاهم وتقلبهم من حال الى حال الى ان تمت النسمة وظهرت البشرية على ما اعلم كل فى ذريته خروج بدئه من تدبير والده وقيامه على ما عليه مدادة وقراره وتدبير من لا يعجزه شئ ولا يخفى عليه امر ليعلموا ان الذى ذكر هذا هو ربهم الذى رباهم على ذلك ليس كمثله شئ فكان ذلك اعلام من الله اياهم على انفسهم وشهادة منها بالخلقة انه ربهم الذى رباهم وملكهم على ما جرى فيهم من تدبير الله جل ثناؤه ولئلا يقولوا غدا انهم عن هذا غافلين اذ قد عرف ذا كل ذى عقل وعرف انه كان بالله سبحانه وتعالى لا بوالديه ليجعلوا شرك الاباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم والله اعلم والثانى ان يكون الله اشهدهم على انفسهم بما اراهم من احوال ذريتهم فى الانتقال على احوال على ان انفسهم كذلك كانت دخل كل من يجوهر هو ذلك التدبير ليعلموا ان الله ربهم لكل فيزول عنهم شبه الكون بغير الرب الذى ليس كمثله شئ فيزول عنهم به عذر الغفلة وعلاقة الشبهة بكفر الوالدين من حيث حق التبعية او سعة التقليد بما يعلم خروج الجميع من التدبير ورجوع التدبير الى غير ليكون موضع الاستدلال بما اراهم هو وما حكم اليه لا بما امرهم بالاباء والامهات ثم القول بلى يكون نطقا ويكون خلقة ويكون جواب الفطرة بحق التامل فالنطق انه لا يسال احد قبل التلقين الا وهو يقول بالرب والخالق ودل على ذلك قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والخلقة بما كان من حاجته الى معيم(?) والى مدبر على شركة كل فى ذلك اقرار له بالربوبية وذلك معنى نفى التفاوت عن خلقة وفطرته بما يقلبه على احوال لو تامل الخلائق ادراك كل حال منها ووجه التنقل وقدر التغير فى كل حال لما انتهيا لم يعلم ان فى الفطرة شهادة بالتوحيد وهذا معنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة اى على حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت بالتوحيد وذلك قوله بلى لا ان ثم قول لسان بل نطق حال كما قال الحكم(?) كل صامت ناطق لان صمته دليل تدبير اخر فهو ناطق بالبيان عن الواحد العزيز ولا قوة الا بالله وقد يحتمل الاشهاد ان جعلهم شهداء على انفسهم بالعبودة لله وانه ربهم والمالك عليهم والقول ببلى بما يلزم ذلك بالتامل فكانه قال والله اعلم وفى الاية دلالة اثبات خلق الله فعل الخلق لما بهم الدنو(?) وتداخيا انه اخذ ذلك والله اعلم فان قيل على ماذا يخرج تاويل السلف قيل انهم وجدوا فيه خبرا ظنوا ان الاية تخرج عليه فاولوها على ذلك فانا اريد تسوية ذلك بالاية لابد من زيادات تلحق بها او تخرج عنها والا لا تخرج من ذلك ان يقول واذا اخذ ربك من بنى ادم ان يجعل من صلة كانه قال واذ اخذ ربك بنى آدم وقد يكون كنفسه و

نكثر

نكثر منكم من سياتكم وبنوا يوخذ من ظهر ادم كما يوخذ ابن كل من ظهره اى اصل ابن كل من ظهره وذكر ظهورهم لما كان منشؤهم اليهم(?) وان كان لو طرح حرف الصلة يزول الشبه فحفظ فى ذكره حق الوصل وان كان حقه الاسقاط كقوله وكاين من قرية عتت الاية ونحو ذلك مما كنى عن اهل القرية باسمها وعلى ذلك اجرى ذكر الفعل وان لها فى الحقيقة فعل فعلى ذلك هذا فيصير فى التفصيل كانه قال واذ اخذ ربك بنى ادم من ظهره ثم يكون الماخوذ الذى عرض عليه بجمعه لا على حد يحتمل الخطاب ومعنى قوله الست بربكم فاجاب بالذى ذكر والخبر الذى فيه القسمة اما ان كان لا فى هذا فرصل به او كان فى الاية ذكر اجابة احد الفريقين او كان بين الجميع اتفاق فى هذا الحرف والاختلاف فيما جاوز هذا فالقسمة لما صار قد يوجد فى هذا القدر ايضا اتفاق ثم قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين على انكار بعث الرسل وانزال الكتاب بالاخبار عن ذلك ليلا يدعوا الغفلة بما كانت منهم عن ذلك بما او قنطوا او تنهوا او بما لا يحتمل(?) بالامتحان من الغفلة اذ قد قطع عذرهم بغير ذلك من الادلة والرسل والله اعلم او لا يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل اى بعث الكتاب(?) وانزل الكتاب لقطع هذا النوع من الشبه على الوجهين للذين ذكرت ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الاية وقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة الاية وقوله وما كنا معذبين الاية ويكون فى التاويل الاول ظهور امر الذرية للاولاد فى الخروج عن تدبير الاباء والامهات يقطع الحجاج بهذين الحرفين وفى الثانى نزول الكتب وارسال الرسل مع ما امكن جمل هذا فى التاويل جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك نفصل الايات على وجهين احدهما على البيان ان نبين ما يكشف الغمة ويزيل الشبهة والثانى ان نفرق ونضع كل واحد منها فى حق مواضعه واولى ذلك لقطع العذر ودفع العلل وقوله ولعلكم يرجعون ان تاملوا عما هم عليه من الباطل والله اعلم وقوله افتهلكنا بما فعل المبطلون يخرج على وجوه احدها ان يكون ذلك الاهلاك ليس هو التعذيب لكنه الامانة كقوله تعالى ان امرء هلك اى تميتنا اذ فعل السفهاء ما فعل وان لا تستقصهم ما يرجى من التوبة او يحدث منهم من لم يسفه والاضافة الى الجملة بوجهين احدهما على ارادة من سفه منهم والثانى على الكل اذ الموت حق مكتوب على جميع البشر الا على التعذيب على معنى لا تفعل انت لذلك كما يقول الرجل انا افعل هذا وانت تفعل هذا على التبرى والتبرية وقوله ان هى الا فتنتك اى تفعله ابتلاء لا تعذيبا والثالث ان يكون على الايجاب بجمعهم فى ذلك وان كان الذى استحق بعضهم فى حق المحنة ان له ذلك ابتداء وذلك نحو امر احد بما ابتلاهم(?) وان لم يكن منهم جميعا المعصية وعلى ذلك امر جميع انواع المصائب يجمع فيها بين اهل الخير والشر بحق المحنة لا العقوبة وان كان فى بعضهم عقوبة والله اعلم وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ الذى اتيناه فانسلخ منها اختلف اهل التاويل فى هذا قال بعضهم كان هذا نبيا فانسلخ منها يعنى من النبوة وكفر بها لكن هذا بعيد محال ان يجعل الله الرسالة فيمن يعلم انه يكفر به او يختاره لوحيه ويعينه(?) انه ليس باهل لها يعنى والله اعلم حيث يجعل رسالته وقال بعضهم كان بلعم بن باعورا اعطاه الله تعالى ايات فكفر بها وانسلخ منها وقيل اعطى الاسم المخزون كان مستجاب له بجميع ما يسال ربه وقال بعضهم كان امية بن ابى الصلت على ما قيل عنه عليه السلام انه امن شعره وكفر قلبه وقال بعضهم نزلت الاية فيما نفى اهل الكتاب قد كان اعطاهم الله الايات فكفروا بها وكذبوها ولكن لا ندرى فيمن نزلت وهو فى جميع مكذبى الايات ليس يحتاج ان نص واحدا او يشار الى واحد انه نزل فيه ولكن نقول انها فى جميع مكذبى الايات وقوله فانسلخ منها قيل خرج منها ونزع منها وقيل تركها وكله واحد يحتمل قوله فانسلخ منها اى كانوا قبلوها مرة ثم ردوها من بعد القبول ويحتمل ان لم يقبلوها فى الابتداء فيخرج ان انها لكذبوها وقوله عز وجل فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله لا يتبعه الشيطان(?) احدا ولا يزينه الا بعد ان كان منه الاختيار للضلال والميل اليه حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين انما اتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ والنزع وقوله فكان من الغاوين قيل كان فى علم الله ان يكون فى ذلك الوقت من الغاوين وقيل كان من الغاوين او صار من الغاوين اذا انسلخ منها وخرج والغاوى الضال وقوله عز وجل ولو شئنا لرفعناه بها يحتمل قوله لرفعناه به عصمناه حتى لا ينسلخ منها ولا يكذب بها اى لو شئنا لرفعناه بها حتى يعمل بها وان يقال لو شئنا لعصمناه حتى لا يختار ما اختار لكن اذ علم منه انه يختار ذلك ويميل اليه شاء ان لا يعصمه ولا يوفقه فكيف ما كان فهو على المعتزلة لانهم يقولون لو شاء لرفعه بها وكان له مشيئة(?) الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه بها كان اصلح له فى الدين دل انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح فى الدين وهم يقولون المشيئة ههنا مشيئة القهر والقسر لا مشيئة الاختيار ولكن ما ذكرنا ان الايمان فى حال الاضطرار والقهر لا يكون ايمانا فلا معنى لذلك ولا يكون(?) ذلك رفعا فيبطل قولهم وقوله عز وجل ولكنه اخلد الى الارض وهو ما ذكرنا انما علم منه انه يخلد الى الارض ويميل اليها لم يعصمه ولم يرفعه والاخلاد فى الارض قال الحسن سكن الى الارض وكذلك قال الكسائى الاخلاد فى كلامهم السكون الى الشئ والركون اليه وقال ابو عبيدة هو اللزوم الشئ فى قوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه دلالة ان الاناعة من الله وترك العصمة له لما يكون من العبد الميل والركون الى مخالفته وترك الايتمار له واتباع الهوى قال قتادة قوله ولو شئنا لرفعناه بها يقول لو شئنا لرفعناه من ايتاء(?) الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل ولكن يبتلى من عباده من يشاء وقوله اخلد الى الارض ذكر الارض يحتمل ان يكون كناية من الذى(?) كنى لهم بهم الخنوع ويحتمل ان يكون كناية عن الذل والهوان لان كل خير وبركة انما يطلب من السماء وهم انما اختاروا ذلك اختاروا الذل والهوان وقال الحسن فى قوله فاتبعه الشيطان الاية قال الشيطان بينه وبين ان يصيب الهدى بما مناه وزين له واتبع

هواه فمثله كمثل الكلب قال هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما اميت فؤاد هذا الكلب ساء مثلا صدق ولبئس المثل فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون تتدبروا وتفكروا في امثال الله التي ضرب واعقلوها الى هذا ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب مثل الذي كذب
بالايات بالكلب وهوان الكلب من عادته انه يذل ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال منه ادنى شيء ولا يبالي ما يصيبه من الذل
والهوان في ذلك بعد ان ينال منه بشيء فعلى ذلك الكافر والمكذب بالايات لا يبالي ما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب
من الدنيا شيئا ويشبه ان يكون وجه ضرب المثل بالكلب لما ان من عادة الكلاب انها اذا ظفرت بالجيف تنكب لها حتى انه اذا دنا
لها وترعى وتكبوت اليه ولا تلتفت فعلى ذلك هذا الكافر ينكب لكل جيفة ويخضع ولا يلتفت الى ما تؤذي وترعى اليه وقوله
عز وجل ان تحمل عليه يلهث اي يخرج لسانه ويتنفس تنفسا او تتركه يلهث ومعناه والله اعلم ان الكلب اذا اصابه العطش والجوع
لهث وان لم يصبه لهث ايضا فعلى ذلك الكافر يميل الى ذلك ويختار اصابه شدة او لم تصبه وكلام نحو هذا وقال قتادة هذا مثل
الكافر ميت الفؤاد كما اميت فؤاد الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ضرب الله عز وجل مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت
ومرة بالاعمى ومرة بالتراب ومرة بالانعام ونحو هذا وذلك لما فيه من معاني ما ذكر وقوله فاقصص القصص لعلهم كذا ومر قوله
واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا امر رسوله ليقص نبأ الامم السالفة على هؤلاء ليكون زجرا وتحذيرا للكافر ليعلموا ما حل بهم
باولئك بصنيعهم ليحذروا عن مثل صنيعهم ويكون عظة وتذكيرا للمؤمنين كقوله وموعظة للمتقين وقوله عز وجل ساء مثلا
القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقد ذكرنا في غير موضع ان اياته قيل دينه وقيل حججه وبراهينه وقوله ساء مثلا اي ساء مثل
الافعال التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القران وقوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي شهد الله تعالى من هداه فهو المهتدي اي
من هداه الله في الدنيا فهو المهتدي في الاخرة ومن يضلل في الدنيا فهو الخاسر في الاخرة فلو كان الهداية البيان والامر والنهي على ما
ذكره قوم لكان الكافر والمؤمن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر والنهي للكافر على ما كان للمؤمن فلم يهتد فدل ان في ذلك من الله
زيادة معنى للمؤمن لم يكن ذلك منه الى الكافر وهو التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن ولو
كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيرهم على قولهم وكذلك قوله ومن يضلل الله فاولئك هم الخاسرون لخبوا ان من اضله فقد
خسر دل انه كان منه زيادة معنى وهو الخذلان والترك وخلق فعل الضلال وليس على ما يقوله المعتزلة انه قد هداهم جميعا لكن
لم يهتدوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله كما قال لليهود قل انتم اعلم ام الله فظاهر الاية على خلاف ما يقولون ويذهبون وقوله عز وجل
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالت المعتزلة لم يخلقهم الله تعالى لجهنم ولكن خلقهم وذرأهم واعطاهم من القوة ما يكتسبون
الجنة غير انهم عملوا اعمالا استوجبوا بها النار فصاروا للنار بما عملوا من الاعمال لا ان خلقهم لجهنم ثم اختلفوا في تاويله قوله
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال بعضهم ذكر ما اليه آل عاقبة امرهم كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم
يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن انما التقطوه ليكون لهم ما ذكر كقوله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا التقطوه لكن صار لهم ما ذكر
عاد اليه الامر فعلى ذلك هذا وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب ولا احد يلد للموت ولا يبني للخراب ولكن انما ما يؤول اليه عاقبة
امره من الموت والخراب الى هذا يذهب عامة المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الاية على التقديم والتاخير كانه قال ولقد ذرانا كثيرا من الجن
والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك لجهنم واولئك كالانعام لكن هذا بعيد
لانه لو جاز هذا في هذا لجاز مثله في جميع القران ان يجعل اول الاية في اخرها واخرها في اولها فهذا محال واما قولهم انه اخبار عما اليه
آل عاقبة امرهم واستشهادهم بقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم كذا فهو يصلح هذا لمن يجهل عواقب الامور يخرج ذلك منه على التنبيه
والايقاظ لما لم يعرفوا عاقبة ما به صار اليه الامر فاما الله سبحانه عالم السر والعلانية وما كان يكون في الاوقات التي يكون لا يحتمل
ذلك وقول الناس لدوا للموت وابنوا للخراب فهو انما يذكرون هذا عند التنبيه والايقاظ لجهلهم بعواقب الامور وان كانوا لا
يبنون ولا يلدون للموت والخراب وانما قصدوا له واما التاويل عندنا على ما ذكر في ظاهر الاية انه خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس
اعلم في الازل انهم يختارون فعل الكفر والاعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك في الازل انهم
يختارون الاعمال الخبيثة فقد اعلم على ما علم منهم انهم يختارون ويكون منهم وكذلك خلق المؤمنين للجنة لما علم في الازل
انهم يختارون فعل الهدى ويعملون اعمالا طيبة يستوجبون بها الجنة خلقهم للجنة لا ان خلقهم للجنة
مرسلا او خلقهم لجهنم مرسلا ولكن لما ذكرنا والله اعلم واما قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انما خلق منهم للعبادة
من علم انه يعبده ويطيعه واما من علم انه يكفر به ويعصيه فهو انما خلقه لما علم انه خلقه يكون منه ثم كان علم منه في الازل انه
يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن كان علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز ان يعلم منه المعصية وفعل الكفر
فيخلقه على خلاف ذلك دل انه على ما ذكرناه والله اعلم او ان يقال قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الفريق الذي علم منهم
العبادة لا الكل دليله قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا ولم يقل ذرانا الكل فهذه في فريق وهذه في فريق اخر وهذا التاويل يرجع الى
الخصوص الا ترى ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا فيه او ان يكون قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا لاكلفهم العبادة

وامرهم

وامرهم بها فان كان هذا فهي على الكل على الكافر والمؤمن جميعا والله اعلم ويحتمل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ما
خلقت الجن والانس الا لتشهد خلقتهم على وحدانية الله وصرف العبادة اليه وقد شهد خلقة كل كافر ومؤمن على وحدانية الله
والوهيته وقوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره او معرفة الشيء بمعناه الدال
على مدبره فهؤلاء الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا الى الاشياء لمعناها وحقائقها انما نظروا الى الاشياء لظواهرها وكذلك قوله لهم
ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا الى ظواهرها لم ينظروا الى معانيها وحقيقتها الدالة على تدبير منشئها وحكمته وكذلك قوله لهم
اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام لما كانت للانعام قلوب واعين واذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وان كانوا
يسمعون النداء ويبصرون ظواهر الاشياء فعلى ذلك الكفار وان كانوا يسمعون ويبصرون ما ذكرنا
بعد ان لم يفقهوا معانيها وتدبير مدبرها فهم كالانعام واصله انهم لما لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم لمعرفة حقائق الاشياء
وما ادرج فيها من المعاني والحكمة فصاروا في الحقيقة كمن لا حواس له اذ لم ينتفعوا بها انتفاع من له تلك بل كانوا كمن ليس لهم تلك لذلك
نفي عنهم والله اعلم وقال قائلون نفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع من له تلك بل كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس للمعنى
الذي جعلت تلك الحواس فهم كالانعام بل هم اضل لان هؤلاء اضلوا الطريق فهدوا وارشدوا الا يهتدون ولا يرجعون
عن ذلك والدواب اذا اضلوا الطريق فهدوا واهتدوا وعرفوا ومالوا اليه فهم اضل من الانعام لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
بل هم اضل لان بنية الانعام لا يحتمل فهم ذلك وبنية هؤلاء يحتمل اذ جعل لهم عقولا تميز وتعرف حكمة مدبرها ومنشئها لكنهم ضيعوها
ولم يكن من الانعام تضييع لذلك كان اضل واولئك اضل وعن ابن عباس رضي الله عنه قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها مثل ختم الله على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
فمن لم يفقه قلوبهم ولم يبصر اعينهم ولم تسمع اذانهم وقال ثم ضرب لهم مثلا فقال اولئك كالانعام في الاكل لان همتهم ليست الا
الاكل والشرب كهمة الانعام والبهائم ليست همتهم الا الاكل والشرب وقضاء الشهوة فهي تسمع النداء ولا تعقل فعلى ذلك الكافر و
قوله عز وجل اولئك كالانعام في فهم ما القي اليهم بل هم اضل لانهم اعطوا سبب فهم ذلك والانعام لا وقوله عز وجل اولئك كالانعام
في فهم ما القي اليهم بل هم اضل لانهم اعطوا سبب فهم ذلك والانعام لا وقوله عز وجل بل هم اضل لان الانعام تعرف ربها وتوحده
وتذكره لقول الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده الاية وكقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهؤلاء لا يعرفونه ولا يوحدونه فهم
اضل او ان يقال هم اضل لا يهتدون وان هدوا ودعوا والانعام تهتدي اذا هديت اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم والانعام لا او هم
اضل لانهم لا ينتفع بهم والانعام ينتفع بها وقوله عز وجل اولئك هم الغافلون عن فهم ما القي اليهم وامروا به او غافلون عما اوعدوا
وقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم قد ظنوا ان في اثبات عدد الاسماء ايجابا اثبات عدد من
الذات فاخبر ان ليس في اثبات عدد الاسماء اثبات اعداد من الذات اذ قد يسمى الشيء الواحد باسماء مختلفة ثم لا يوجب ذلك
اثبات عدد ذلك ولا تجزيه من نحو ما يسمى المتحرك متحركا وفي هنا شيئا مختلفا من غير ان اوجب ذلك اثبات عدد الحركة او تجزيه
وكذلك في جميع الاشياء فعلى ذلك يخبر انه ليس في اثبات عدد الاسماء اثبات عدد من الذات على ما ذكرنا ويحتمل ان يكون خرج
هذا مقابل قول كان منهم وهو ان وصفوا الله بشيء لا يحسن ان يوصف به واضافوا اليه اشياء لا يصلح ان تضاف من قولهم يا خالق
الخنازير ويا خالق الخبائث ويا آله القرد ونحوه فاخبر ان ادعوه بالاسماء الحسنى بما ثبت عنه الخلق انه مسمى به من نحو ما اعطاهم
يقال يا هادي يا رشيد بنحو اعطاهم من النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحوه ويقال يا خالق يا رازق يا الله يا رحمن يا رحيم لما ظهر في
انفسهم من الوهيته وربوبيته فقال لا تدعوا بكذا ولكن ادعوا بالاسماء التي ثبت عند الخلق تحقيقها وانه يسمى به وهو ما ذكرنا
والله اعلم وقد روي على هذا المعنى روي ان رجلا دعى في صلاته فقال يا الله ويا رحمن ويا رحيم فقال رجل من المشركين اليس يزعم محمد
واصحابه انهم يعبدون الها واحدا فما بال هذا يدعو اربابا من نحو ما سموها الهة وارباب فقال هذه الاسماء التي تدعون بها الاصنام
لله فادعوه بها ولا تدعوا الاصنام وقوله عز وجل وذروا الذين يلحدون في اسمائه يحتمل اي لا تكافهم بصنيعهم ولا تجازهم باذاهم
اياك فان الله هو المكافي لهم والمجازي بصنيعهم الا ترى انه قال في اخره سيجزون ما كانوا يعملون وقوله يلحدون في اسمائه قيل
الالحاد هو الجور والميل عن الحق والوضع في غير موضعه وهم سموا ملحدين لما سموا غيره باسمائه او لاشراك غيره في اسمائه او سموا
بذلك لما صرفوا شكر نعمه الى غيره وعبدوا دونه مع علمهم انه لم يكن منهم اليهم شيء من ذلك انما كان ذلك لهم من الله قال ابن عباس الالحاد
الميل في جميع القران وقيل الالحاد التكذيب قال القتبي يلحدون اي يجورون عن الحق ويعدلون واصله الجور والميل وقوله
عز وجل سيجزون ما كانوا يعملون قال بعضهم بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر على اعدائه في الدنيا وقال قائلون
هو حروف وعيد اوعدهم عز وجل باذاهم رسول الله وقوله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق اي يهدون الخلق بالحق الذي
عندهم وهو القران والكتب التي عندهم ويمكن ان يكون الحق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم به يهدون الناس وبه يعدلون ويجاز ان
يكون قوله يهدون بالحق اي يهدون الخلق الى سبيل الله على ما ذكر في اية اخرى حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

ويحتمل الحق هاهنا هو الله كقوله ان الله هو الحق المبين وقوله عز وجل وبه يعدلون اى بالحق الذى يهدون يعدلون كقوله وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الاية وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا قد ذكرنا هذا فى غير موضع وقوله عز وجل سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال قايلون هذا صلة قوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقال بعضهم فيه الوعد لرسول الله بالنصر
والظفر على اعدائه والاستدراج هو الاخذ فى حال الغفلة من حيث امن الرجل بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وقال
الاستدراج المكر لكن معنى ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير المعنى الذى يضاف الى الله والجهة التى تضاف الى الله غير
الجهة التى تضاف الى الخلق والجهة التى تضاف الى الخلق مذموم والجهة التى تضاف الى الله محمود وكذلك ما اضيف الى الله محمود و
كذلك ما اضيف الى الله من المكر والخداع والاستهزاء ونحوه وهو ما ذكرنا على اختلاف الجهات والمعنى فى الجهة التى تضاف الى الله
غير الجهة التى تضاف الى الخلق لان الله تعالى يأخذهم بما يستوجبون ويستحقون بحق الجزاء والمكافات فلا يلحقه فى ذلك ذم و
اما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على الاستحقاق والجزاء وعن الحسن فى قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال كلما
جددوا المعصية جدد الله لهم نعمة ليستهزؤا ويأشروا ويبطروا ثم يهلكهم وقال بعضهم يظاهر عليهم النعم وينسيهم الشكر وجائز ان يكون
ما ذكرنا من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن العذاب اى ان اخذى اياهم وعذابى شديد حيث قال ان كيدى متين اى عقوبتى شديدة
وقوله عز وجل واملى لهم ان كيدى متين اى كيده انتم واهلهم واكيدهم كقوله انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا الاية فيخرج قوله اكيد
مخرج جزاء كيدهم وكذلك قوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اى جزيناهم جزاء مكرهم ولذلك قوله سنستدرجهم اى نجزيهم جزاء استدراج
وما هو عندهم كيد وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وان لم يكن من الله مكرا وخداعا كقوله وهو اهون عليه اى اعادة الشى
عندكم اهون من الابتداء وان كان الاعادة والابتداء على الله سواء فعلى ذلك قوله سنستدرجهم وكيدى متين ونحوه اى نفعل بكم
ما هو استدراج وكيد عندكم والله اعلم وقوله واملى لهم اى لم ينشئهم لحاجة له اليهم او لمنفعة له فيهم ولكن انشاهم لحوايج انفسهم
ولمنافع ترجع اليهم حتى ان عملوا نفعوا انفسهم وان تركوا ضروا انفسهم وقوله متين قيل شديد اى عقوبتى شديدة والمتين المحكم
القوى وقوله عز وجل اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان الكفرة كانوا ينسبون رسول الله الى الجنون احيانا والذى حملهم
على ذلك والله اعلم لانهم كانوا اهل العز والشرف فى الدنيا وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم بالمكروه الا احد ذو هيبة و
قوة وله اعوان وانصار او رجل به جنون لانهم كانوا يقتلون من يخالفهم فى شى من الامر فلما راوا رسول الله خالفهم واستقبلهم
بما كانوا يكرهون ولم يروا معه انصارا ولا اعوانا انهم لا يخالفهم الا مجنون فيه فنسبوه الى الجنون لذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون
نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاوثان التى كانوا يعبدونها وهم قد رأوا العقلاء منهم قد عبدوا الاصنام
ولم يحرموا ذلك فلما حرم ذلك عليهم ظنوا انه انما حرم ذلك لافة فيه لذلك حملهم بالنسبة الى الجنون والله اعلم ثم عاتبهم بتركهم
التفكر فيه بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ليتبين لهم انه ليس بمجنون وذلك يحتمل وجهين انهم لو تفكروا فى رسول الله
بما اخبرهم من المرغوب والمرهوب والمحذور فى كتابهم على غير لسانهم واختلاف منه الى احد منهم ولا تعلم ليعلموا انه رسول وان ما
اخبر بالله وان يكون قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة اى قد تفكروا فيه وعرفوا انه ليس بمجنون وكذلك فى قوله
اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض الاية اى قد تفكروا فى ذلك وعرفوا ان مثل هذا لم يخلق عبثا باطلا كما بينا الا ومن تفعل
كذا اى قد فعلت لكنهم عاندوا وكابروا اياته وحججه ويمكن ان يكون قوله اولم يتفكروا اى فى انفسهم وفى اولئك الذين عبدوا من
الاصنام والاوثان ليتبين لهم انهم على باطل وسفه وليتبين لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم لا ما كانوا عليه وفيه
دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكر والتدبر لما الحق هؤلاء من الوعيد الشديد والعتاب العظيم لما تركوا التفكر
وكان لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك وقوله اولم يتفكروا فى صاحبهم انه ليس له جنة هذا جواب من الله ويحتمل لو تفكروا فى صاحبهم
لعرفوا انه ليس به جنة ثم اخبر انه نذير مبين ليس كما يقولون انه مجنون اذ معه ايات وبراهين فهو نذير مبين وقوله عز وجل
اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض الاية يحتمل هذا على الابتداء ويحتمل على الصلة بالاول وهو انهم اذا تفكروا فى ملكوت
السموات والارض عرفوا الوحدانية لله وربوبيته لما يرون من اتصال منافع بعضهم ببعض على بعد ما بينهما واتساق التدبير
فى ذلك فعرفوا ان ذلك كله مسخر لمن له التمييز وان المقصود فى خلقه اهل التمييز فاذا عرفوا انهم يحتاجون الى من يعرفهم ذلك
ويعلمهم ما يحتاجون فى ذلك ويحتمل على الابتداء الامر بالتفكر فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شى ليدلهم على
وحدانية الله وربوبيته وقوله عز وجل وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كان هذا نزل فيمن عرف صدقه لكنه عاند فى
تكذيبه فقال وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يحذرهم ليرجعوا الى تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على ما هم عليه
وقوله عز وجل فباى حديث بعده يؤمنون هذا يتوجه وجهين احدهما انكم ممن تقبلون الاخبار والحديث فاذا لم تقبلوا خبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره ولم تصدقوه فباى حديث بعده تقبلون وتصدقون ومعه حجج وبراهين والله اعلم
والثانى ان يكون قوله فباى حديث بعده يؤمنون يعنى بعد القران يؤمنون وهو كما وصفه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه

خلفه الاية وقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فاذا لم تقبلوا هذا ولم تصدقوه وهو
وهو بالوصف الذى ذكر وانتم ممن تقبلون الحديث فباى حديث تقبلون بعده وجائز ان يكون قوله فباى حديث بعده يؤمنون
يريد به فى الاخرة يقول اذا اقترب اجلهم فباى حديث بعده يؤمنون اى لا حديث بعده يؤمنون والثانى لا اخر فى الدنيا وقوله
عز وجل من يضلل الله فلا هادى له وفى موضع اخر ومن يهد الله فما له من مضل ولو كان الهداية الامر والبيان على ما قاله قوم لكان
ذلك من غيره وكذلك لو كان الاضلال والازاغة والنهى هو التخلية لكان ذلك يكون من غيره وكل من اراد الله ان يهديه اضله
غيره وكل من اضله الله هداه غيره فذلك محال ثم ما فى كل ما اضاف الله الاضلال الى الخلق ذمه وفيما اضاف الهداية اليه مدحه
ثم اضافهما جميعا الى نفسه دل ان هنالك زيادة معنى ليس ذلك فى الاضافة الى الخلق وهو ما ذكر فى غير موضع انه خلق فعل الضلال
من الكافر وخلق فعل الاهتداء والايمان من المؤمن وكان منه التوفيق والمعونة فى الهدى والخذلان فى الكفر وهذان الوجهان اللذان
ذكرنا لا يكونان من الخلق انما يكونان من الله لذلك كان معنى الاضافة اليه وانما يكون من الخلق الدعاء وغيره لا ما قالت المعتزلة
من البيان والامر والنهى والتخلية اذ يكون ذلك من الخلق وبالله العصمة وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلا هادى له اى من اماته
بالضلالة فلا احد يملك اكرامه بالهدى وقوله عز وجل ويذرهم فى طغيانهم يعمهون ولا ضرر يلحقه فى طغيانهم لذلك تركهم فيه ودل
ذلك على انه لم ينشئهم لحاجة نفسه ولا لدفع ضرر نفسه ولكن لحاجة انفسهم كقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وكقوله ان كيدى
متين وهو حرف الوعيد وقوله عز وجل يسألونك عن الساعة ايان مرساها قيل ايان متى قيامها وقال القتبى ايان مرساها اى متى ثبوتها
يقال رسا فى الارض اذا ثبت ورسا فى الماء ويقال الجبال رواسى لثبوتها ثم اختلف فى السؤال عم كان قال بعضهم كان السؤال عن
الفناء فناء الخلق وهلاكهم لانه قال فى اخره لا تاتيكم الا بغتة ونحوه كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة الاية ذلك يكون فى
الدنيا وقال قايلون كان السؤال عن البعث وقيام الساعة انكارا منهم اياها واستعجالا للعذاب كقوله وما يدريك لعل الساعة
قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقوله ائتنا بما تعدنا الاية وغير ذلك من الايات يدل على ان السؤال كان عن الساعة وليس
قوله لا تاتيكم الا بغتة انه كان عن الفناء اذ كانوا يعاينون الفناء ولا يحتمل ان يكون السؤال عن ذلك ثم يحتمل بعد هذا وجهين
احدهما ان كان السؤال من المكذب لها فهو سؤال استهزاء واستعجال لما ذكرنا وان كان عن المصدق فهو سؤال استعلام اشفاق
ليتاهبوا لها ويستعدوا كقوله والذين امنوا مشفقون منها لما سمعوا من الايات ما يقرب وقوعها كقوله اقتربت الساعة وقوله
اقترب للناس حسابهم وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه ونحوه من الايات وما سمعوا من رسول الله انا والساعة كهاتين وفى بعض الاخبار
قد كادت الساعة ان تسبقنى وغير ذلك من الاخبار حملهم ذلك على السؤال عنها ليتاهبوا لها ويستعدوا ثم امره ان يقول انما علمها
عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو اى لا يكشفها ولا يظهر وقتها الا هو ليس كالامور التى تجرى على ايدى الخلق ويكون لغيره فيه تدبير
من اخراج الثمار والنبات والامطار وغير ذلك من الامور التى تجرى على ايدى الخلق ويكون لهم فيها تدبير من الملائكة الذين
سلطوا على حفظ المطر والنبات واما الساعة فانها تقوم من غير ان كان لاحد من الخلائق تدبير فيها او علم وهو ما وصفها الله عز
وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اخبر ان امر الساعة خارج عن تدبير الخلق بل تقوم بتدبير الله من غير ان يجريها على يد
احد والله اعلم وقوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض قيل ثقلت على اهل السموات والارض ثم اختلف فيه قال قايلون قوله
ثقلت اى خفيت على اهل السموات والارض فذكر الثقل لان كل من خفى عليه شى ثقل عليه فذكر انها ثقيلة عليهم لخفائها عليهم
وقال قايلون ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لكثرة اهوالها وشدة وقوعها ويمكن ان يكون قوله ثقلت فى السموات و
الارض على نفس السموات والارض على ما ذكر فى قوله تكاد السموات والارض يتفطرن منه الاية وذلك من شدة هولها ولكن ان
كان على نفس السموات والارض اى لو كانت هى بحيث تعرف وتميز وبينها بنية من يعرف ثقل شى لثقلت وهو ما قلنا فى قوله و
غرتهم الحيوة الدنيا والدنيا لا تغر احدا اى ما كان منها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان تغريرا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل
يسألونك كانك حفى عنها اختلف فيه قال قايلون قوله كانك حفى عنها اى مكرم مشرف عنده ذو منزلة فيعلمك عنها و
كذلك قيل انه كان بى حفيا قيل بارا رحيما وقال قايلون كانك حفى عنها اى عالم بها وقال قتادة كانك حفى بهم كانك تحب
ان يسألونك عنها وقال غيره هو على التقديم والتاخير يسألونك عنها كانك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها ثم قال قل ما لى بها
من علم وانما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كائن ويحتمل ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كائن ويحتمل ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انك لا تعلم انها متى تكون او لا يعلمون ما عليهم وما لهم وقال الحسن فى قوله ثقلت فى السموات والارض اذا جاءت ثقلت
على اهل السموات والارض وكبرت عليهم وقال بعضهم ثقل ذكرها على اهل السموات والارض وقال قتادة ثقل علمها على اهل السموات
والارض واصله ما ذكرنا اى خفى علمها على اهل السماء والارض وان الخفى الشى ثقل وقوله كانك حفى عنها ما ذكرنا من التاويل
والله اعلم وعلى قول بعضهم الحفى الخبير العالم وقالوا هو المشرف المكرم البار الذى لا يستخفى منه شى ولا يلبس عليه وقوله
عز وجل قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا قال بعض اهل التاويل قوله لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الهدى والضلالة وقال قايلون من

اهل التاويل لا املك جر النفع الى نفسي ولا دفع الضر عنها الا ما شاء الله الا ان اقدر في الله على ذلك فاملك ذلك ويشبه ان يكون
قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ذلك لئلا يتخذوه معبودا ولا ينسبوه الى الله بالذي لا يليق النسبة به ما قالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت مشركو العرب الملائكة بنات الله لعظيم ما وقع عنهم من محل هؤلاء وتقدمهم
فقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا ينسبوه الى الله من الوجه الذي نسبوا اولئك واظهر من نفسه العجز والعبادة وهو ما قال
عيسى عليه السلام اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وقال ابن عباس في قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وذلك ان اهل مكة قالوا الا
يخبرك ربك يا محمد بالتجارة المرابحة فنتجر فيها فنربح او لا يخبرك بالسنة المحل والجدوبة او يخبرك بوقت السعة والخصب
فقال عند ذلك ولو كنت اعلم الغيب من جدوبة الارض وقحط لاستكثرت من الخير يقول لهيأت لك وما مسني السوء من الفقر والشدة
الى هذا ذهب عامة اهل التاويل وقد قيل في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لو كنت اعلم الغيب متى اموت
لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا اليه لانه ان كان لا يعلم متى يموت لا يستكثر من الخير ومن
العمل الصالح او لو كان يعلم الغيب لاستكثر المال على ما قال بعضهم هذا بعيد ولكن التاويل والله اعلم انه يجمل قوله قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا اي لا اعلم لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم لكم الغيب لاستكثرت من الخير عند الله اي لو كنت اعلم لكم ذلك لصدقتموني
وامنتم بي لاستكثرت من الخير عند الله بايمانكم بالله وتصديقكم اياي وان يقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت املك لكم
ذلك لاستكثرت من الخير لانكم اذا رايتموني املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب لامنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استوجب
عند الله خيرا كثيرا يجمل قوله لو كنت اعلم الغيب جواب ما تقدم من الكلام والله اعلم وقال بعضهم قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا او لا
اعلم الغيب الا قدر ما اوحي الي لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا اعلم الغيب قبل ان اوحي الي ولو كنت اعلم ذلك لاستكثرت من الخير
بذلك وحاصل التاويل في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ما ذكرنا بتصديقكم اياي وايمانكم بي او ما ذكرنا من السعة
والخصب في الدنيا لاهله ولاصحابه او ما ذكرنا اي لو كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب ايضا لامنتم بي وصدقتموني
فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا وجائز ان يكون قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لو كنت اعلم من المصدق
ومن المكذب لاستكثرت من الخير لانه لا يشتغل بمن يعلم انه يرد ولا يجيب وانما يشتغل بمن يعلم منه انه يجيب ولا يكذب فيستكثر
اتباعه المطيعين لله وقال بعضهم وما مسني السوء هو صلة قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كانوا يقولون انه مجنون
فقال وما مسني السوء من النسبة الى الجنون او يقول ما مسني السوء منكم من رد وتكذيب لانه لو علم الذي يجيبه ويصدقه من الذي لا
يجيبه ولا يصدقه لم يمسه سوء منه الرد والاذى لانه لا يشتغل به بعد ما اقام عليه الحجة من المجيب منكم ومن الراد وقوله عز وجل
ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقوله وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت
حملا خفيفا الاية قال عامة اهل التاويل ان ادم وحوا لما اهبطا تغشاها ادم فحملت فاتاها ابليس فقال يا حوا ما هذا الذي
في بطنك قالت لا ادري قال لعله بهيمة من هذه البهائم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها فلما اثقلت اتاها فقال
كيف تجدينك قالت اني لاخاف ان يكون الذي ذكرت ما استطيع القيام اذا قعدت ولا اجهد قال افرايت ان دعوت الله فجعله
انسانا مثلك ومثل ادم اتسمينه بي قالت نعم فانصرف عنها وقالت لادم لقد اتاني ات فخبرني بكذا واني لاخاف ما ذكر فدعوا الله في
ذلك فنزلت قوله دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يقول لجعلته انسانا لنكونن من الشاكرين فكان هذا دعاهما قبل ان تلد فلما ولدت
اتاها ابليس وقال الا تسمينه بي كما وعدتني قالت نعم ما اسمك قال اسمي الحارث فسمته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتاهما صالحا
جعلا له شركاء فيما اتاهما على هذا حمل اهل التاويل الاية والى ادم وحوا صرفوها وذلك وحش من القول قبيح في ادم وحوى ذلك ولو
ثبت ما قالوا انهما سميا ولدهما باسمه ونسبا اليه لم يكن في ذلك اشراك اذ لو كان في مثله اشراك لكان فيما اضاف العبيد والمماليك الى
الخلق اشراك في الوهيته ثم التاويل عندنا على غير ما ذهبوا اليه والله اعلم وهو ان قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من ادم
وجعل منها زوجها حوا ان خلق الذكور كلهم من ادم وخلق الاناث كلهن من حوا كقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
اخبر ان الازواج خلقهن من نفس الازواج فلما اضاف الزوجات الى نفس الزوج وانهن من انفسهن خلقهن كان قوله خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها كل زوجة وزوج اذا تغشاها وحملت دعا ادم وحوى لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
ان جميع الاولاد اولادهما يدعون الله في ذلك ليكون صالحا لمن كان مسلما منهما كان يدعوانهما فعلى هذا التاويل يحصل دعاء هاذين الاولاد
الذين يولدون الى يوم القيمة لانهما اب وام وقد يدعو الوالدان لاولادهما بالصلاح والخير على هذا يجوز ان يخرج ما قيل والا
واما ما قاله اولئك فهو بعيد محال والله اعلم وقال بعضهم ان العرب كان اذا ولد لهم اولاد ذكور ينسبون الى الاصنام التي يعبدونها
ويضيفونه اليها تعظيما لها يقولون ابن اللات وابن العزى وابن مناة ونحو ذلك وكانوا يقتلون البنات وكان اذا اصابتهم الشدة
يفزعون الى الله ويتضرعون اليه كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه
الاية واذا غشيهم موج الاية فلما ذهب ذلك عنهم وانجلى عادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاكم الى البر اذا هم يشركون وقوله ثم اذا

خوله

خوله نعمة منه الاية فاذا كان من عادة العرب ما ذكرنا كان اذا حملت زوجة منهم وثقل ما في بطنها جعلا يدعوان الله ربهما لئن
اتيتنا صالحا ذكرا وسلمت من الولادة لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا يعني ذكرا جعلا له شركاء فيما اتاهما اي جعلوا لله شركاء في
الولد الذي ولد لهما وينسبونه الى الاصنام التي كانوا يعبدونها فذلك قوله جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون والله اعلم
بذلك وقال الحسن الاية في مشركي العرب لا في ادم قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فان ذلك في ادم وحوا الا ترى انه قال ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون دل انه ما ذكرنا وقال ابو بكر الاصم قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهو نفس ادم وجعل منها زوجها اي
خلق كل نفس منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن اليها فعلى هذا التاويل يصرف اخر الاية الى غير ادم وحوا
وقال القتبي قوله فمرت به استمرت بالحمل وقوله عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة ان العرب كانت تعبد الاصنام تقليدا لابائهم
وسفههم فيذكر سفههم ان النفس التي منها لم تعبد الى احد ولم تشرك احدا انما اتبعت ما في العقل حسنه او ما في السمع من الامر فكيف لا
تتبعتم انتم النفس التي خلقتم منها وهي لم تتبع الا ما ذكرنا دون ما تبعتم في الاشراك لابائكم ولو كانت القصة في ادم على ما يقوله اهل
التاويل العرب تعلق واقتداء فيقولون انه اشرك ونحن نشرك فدل انه ليس على ما قالوا ولكن على الوجوه التي ذكرنا وفي قوله خلقكم من
نفس واحدة دلالة ان ليس لاحد من البشر على اخر فضل من جهة الخلقة والنسبة اذ كلهم انما خلقوا من نفس واحدة وهم اخوة واخوات
وان كان لاحد فضل على اخر فانما يكون الاعمال يكتسبها واخلاق محمودة ومحاسن يختارها واما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على
بعض كقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله عز وجل ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يذكر سفههم انهم يشركون في عبادة
والوهيته من يعلمون انه لم يخلقهم وانما خلقهم الله سبحانه بل هم مخلوقون فصرف العبادة الى غير الذي خلقهم سفه وجور وقوله
عز وجل ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون يسفههم ايضا ان في الشاهد لا يخضع احد احدا ولا يشكر له الا مجازاة لما
سبق منه اليه من النعمة او لما يامل في العاقبة من المنفعة وانتم تعبدون هذه الاصنام ولم يسبق منها اليكم شيء ولا لكم رجاء يقع في
العاقبة فكيف تعبدون او لا يستطيعون لكم نصرا يدفعون عنكم الضر ولا انفسهم ينصرون اي ولا من قصدهم بالكسر والاتلاف
يملكون دفعه من انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم يحتمل هذا وجهين يحتمل ان تدعوهم يعني الاصنام
الى الهدى ليهتدوا لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم ولا هم يهتدون والثاني وان تدعوهم الى ما لكم اليه من حاجة لا يتبعوكم لا يقضون
ولا يملكون ذلك يحتمل ان يكون الخطاب للمسلمين يقول وان تدعوهم اهل مكة الى الهدى لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم وجائز ان يكون
يخاطب به اهل مكة يقول وان تدعوا الاصنام التي تعبدونها الى الهدى لا يملكون اجابتكم يسفههم في عبادتهم من حاله ما وصف
وقوله عز وجل سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون امكن ان تكون الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا كقوله سواء عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال بعضهم قوله وان تدعوهم يعني المشركين الى الهدى لا يتبعوكم فعلى ذلك يخرج قوله سواء
عليكم ادعوتموهم وامكن ان يكون قوله سواء عليكم ادعوتموهم في الاصنام والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اي تعبدون من دون الله وقد كانوا يعبدون من دون الله اصناما واوثانا ويحتمل تدعون اي
تسمونهم من دون الله الهة وقوله عباد امثالكم في الخلقة والدلالة على وحدانية الله في التدبير دونهم لما قال الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها الى اخر ما ذكر اي ليس لهم ما ذكر فهم دونهم في التدبير والمعونة ويحتمل قوله تدعون من دون الله
عباد امثالكم الملائكة الذين عبدوهم عباد امثالكم فلا تسموهم الهة اي لا تعبدوا عبادا امثالكم ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا
نظير له وان كان قوله عباد امثالكم الملائكة فقوله الهم ارجل يمشون بها الاية هو منه مقطوع منصرف الى الاصنام وقوله عز وجل
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ذكر الدعاء والاستجابة ولم يبين فيما ذا يستجيبونهم ولا يجيبون يحتمل الاستجابة
في الشفاعة او في التقريب الى الله او في غيره الان يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم كذا وقوله عز وجل الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها يسفه عقولهم بعبادتهم الاصنام التي لا ارجل لهم يمشون بها
يهربون من يقصدهم بالسوء ويقصدون بهم قصد من اراد الضر بهم والسوء وكذلك يعبدون ما لا ايدي لهم يبطشون بها يدفعون عن
انفسهم من اراد السوء ويأخذون من يقصدهم وكذلك قوله ام لهم اعين يبصرون بها يبصرون من يقصدهم بالسوء ام لهم اذان يسمعون
من يشتمهم ويذكرهم بالسوء يسفههم في عبادتهم من لا يملك دفع من يقصدهم بالسوء ما هرب منه وانما قصدا منه اليه بالسوء
فانما كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدون وهو كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئا فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع اليكم او دفع الضر عنكم وقوله عز وجل قل ادعوا شركاءكم قال بعض
اهل التاويل يخاطب به كفار مكة يقول قل ادعوا شركاءكم الذين تزعمون انهم الهة دون الله ويحتمل قوله شركاءكم اعوانكم الذين شاركوكم
في عبادة من دونه ثم كيدون ويحتمل ان يكون الخطاب لجميع الكفار الذين كانوا يعبدون الاصنام والاوثان من دون الله
قال ذلك لهم رسول الله بين ظهرانيهم ثم كيدون فلا تنظرون ثم لم يقدر واحد الكيد به والضرر مع قوتهم وصرامتهم بالكثرة والاعوان
وضعف رسول الله وقلة اعوانه دل عجزهم عن ذلك انه كان ايته في نفسه وانه بالله تعالى يمتنع ويتقوى على اعدائه وذلك من عظيم

ايانه لانه قال ذلك لمن كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فيما هم فيه ثم لم يقدر واحد منهم الضرر به دل انه كان بالله
حفظه وكذلك ساير الانبيا صلوات الله عليهم حيث قالوا بين ظهراني قومهم مثل نحو هود ونوح وهولاء فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون وقول نوح قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون الاية وقوله عز وجل ان وليي الله الذي نزل الكتاب الاية ذكر
هذا على اثر قوله ثم كيدون فلا تنظرون كما ذكر هود اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم وكما قال نوح ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم
وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ففزعوا الى الله عز وجل عند وعيد قومهم بالاهلاك وعليه
اعتمدوا وبه وثقوا فعلى ذلك رسول الله قال ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين اي هو وليي يحفظني وهو يتولى
حفظ الصالحين اي يتوليه صلحوا او يتولى ويحفظ الصالحين مقابل قوله من ذكر من الرسل قومهم ثم قوله وليي الله يحتمل حافظي
وناصري او وليي بربي الله الذي نزل الكتاب دولي امري واولى بي الله نزل الكتاب الذي عجزت الخلايق عن اتيان مثله وهو يتولى
الصالحين وقوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ويذكر سفههم بعبادتهم من عجز
عن دفع الضرر عن نفسه فضلا ان يدفع ذلك عنهم او يجر الى انفسهم منفعة واخبر عن جهلهم انهم يعبدون من لا يملك دفع
ضر ولا جر نفع بقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الهدى هذا يخرج على وجهين
احدهما يخاطب به المؤمنين بقوله وان تدعوا اهل مكة الى الهدى لا يسمعوا اي يجيبوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
اي لا ينتفعون به او لشدة تعنتهم لا يبصرون وجايز ان يكون يقول وان تدعوا الاصنام التي تعبدون الى الهدى لا يسمعوا
اي لا يجيبوا ولا يملكون الاجابة ويحتمل لا يسمعوا حقيقة السمع وتراهم ينظرون اليك على التمثيل اي كانهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون حقيقة وقوله عز وجل خذ العفو يتوجه وجهين احدهما على حقيقة الاخذ والثاني على العمل بالعفو فان كان على
الاخذ فهو على وجهين يحتمل ان خذ الفضل الذي لا حق فيه وهو القليل من ذلك واليسير والثاني ان خذ ما يفضل من نفقتهم
وحوايجهم من غير مسالة اي اقبل منهم ما اعطوك ولا تلح في المسالة كقوله ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا الاية
اخبر انه ان يسالهم اموالهم حملهم ذلك على البخل وان كان على العمل فهو على وجوه اي اعف عن الظلمة عن ظلمهم واعرض عن السفهاء
واحلم معهم امر رسول الله ان يعامل الخلق باشياء ثلاثة امره ان يعفو عن الظلمة عن ظلمهم لا يكافيهم بظلمهم وامره ان يعرض عن السفهاء
والجهال ويحلم معهم وامره ان يعامل المؤمنين باللين والرفق وكذلك وصفه بالرحمة والرافة بقوله بالمؤمنين روف رحيم وروي
عن عبد الله بن الزبير قال خذ العفو وامر بالعرف قال الخلق حسن ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق الناس وعن قتادة قال خذ العفو
وامر بالعرف قال الخلق حسن امر الله به نبيه ودعاه اليه الى هذا ذهب بعض اهل التاويل الى ذلك انصرف تاويل الاية وقال بعضهم هو اخذ
الفضل من المال على ما ذكرنا فهو منسوخ باية الزكوة وروي في حرف ابن مسعود وابي خذ العفو وامر بالعرف وانه عن المنكر
واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة انه امر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو اسم كل خير وامره بان ياخذ بالعفو عن
الظلمة على ما ذكرنا وعلى ذلك روي عن عايشة قالت كان رجل يشتم رسول الله ويوذيه فدخل على رسول الله فاوسع له وادناه
ورحب به قالت فقلت يا رسول الله اليس هذا كان يشتمك قال يا عايشة ان من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم وشتمهم
او مثل هذا دعي رسول الله بالعفو والصفح عن الظلمة وترك المكافاة وقوله وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما يشبه خلقك
وتامره باشياء ثلاثة اثنان فيما بينه وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما تامر خلقته
وتشهد على وحدانية الله والدلالة على الوحدانية والثاني تشهد على نعم الله اليه فيدعوه الى الشكر له فيما انعم عليه واما الوجه الذي
فيما بينه وبين الناس هو ما يرغب نفسه في كل محاسن ويرغب فيه ويبتغي بغضه عن كل اذى وسوء ما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يعامل الخلق بما يرغب نفسه ويطمع في المحاسن وتنزه عنه ويكره فعلى اليهم فكل ما ترغب نفسه فيه وتطمع ويمتنع من
كل اذى وسوء والله اعلم وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال بعضهم النزغ الذي يعرض من المعصية وكذلك
فسره ابن عباس رضي الله عنه فقال اذا عرض لك غضب فاستعذ بالله واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابو عوسجة
ويقال نزغ شيئا اذا افسد وقال ابو عوسجة النزغ التحريك للفساد وقال بعضهم ينزغنك من الشيطان نزغ يقول
الشيطان وسوسة فاستعذ بالله ثم في الاستعاذة وجهان احدهما امر بالفزع عنده الى ما يوسوسه الشيطان والتجا اليه
لما راى نفسه عاجزة عن دفع ما يوسوس اليه ورد ما يكون اليه والثاني عند ذلك وهو الواد والخليل اعوذ بالله
الله تعالى وكذلك قوله استعذ بالله ومعاذ الله معناه اعوذ بالله وهذا الاعاذة والتعوذ والمتعوذ وقال [illegible] اعوذ
بالله اي امتنع بالله وقيل اعوذ بالله اي احتمي بالله وقيل الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى ليدفع ما يعرض له من
الشيطان وكله قريب بعضه من بعض ثم الحكمة فيما جعل عدوهم بحيث لا يرونه ويراهم وجهان احدهما
ابدا على التيقظ والانتباه [illegible] والثاني ليكونوا ابدا الى الله تعالى مفتقرين اليه متضرعين اليه ليكون

لهم والدافع عنهم شره ووسواسه وفيما امر بالفزع الى الله والاستعاذة به عند نزغ الشيطان نقض على المعتزلة لانهم
يقولون قد اعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونزغاته حتى لم يبق عنده شيء يعطيه فعلى قولهم يخرج طلب الاعاذة منه
مخرج كتمان النعمة ومخرج الهزو به لانه يساله ما يعلم انه ليس ذلك عنده وقوله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف من الشيطان قرئ طيف قال الائمة الخطرة التي يعتريك وقال واما الطايف فهو من الطواف وقيل الطيف الوسوسة
وقيل الطيف ما ياتيك من الشيطان وقيل الطايف والطيف سواء وعن ابن عباس اذا مسهم طيف من الشيطان قال اذا اذنبوا
ذنبا تذكروا فاذا هم مبصرون يقول تذكروا ذنوبهم فتابوا منها وكذلك قال في قوله ينزغنك من الشيطان نزغ هو ان في
ذنب يرتكبه وان كان على هذا فهو يخرج على النهي عن ذلك فهو كالمخاطبات التي خاطب بها رسول الله كقوله ولا تكونن من المشركين
فلا تكونن من الجاهلين فلا تكونن من الممترين وان كان يعلم انه لا يشك ولا يجهل ولا يشرك منه في امره فعلى ذلك هذا
الخطاب الذي خاطبه بقوله ينزغنك من الشيطان وان كان ما ذكر هو منه في ذنب يرتكبه فهو يخرج ذلك على تعليمه
امته انه كيف يفعلون اذا اعترض لهم ذلك والله اعلم وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم كذا يحتمل ان يكون قوله اتقوا
مكايد الشيطان اذا اصابهم شيء من ذلك تذكروا ذلك فعرفوا انه من الشيطان اذا اصابهم شيء من ذلك تذكروا ذلك
فعرفوا انه من الشيطان فاذا هم مبصرون اي ابصروا انه من الشيطان او ان يقال انهم من اهل البصر يبصرون عما اتقوا به انه
من الشيطان ويحتمل قوله ان الذين اتقوا المعاصي اذا اصابهم وسوسة من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعض اهل التاويل
قوله ان الذين اتقوا اي اتقوا الشرك لكن لا كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر وقوله اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا
الاية يحتمل وجوها احدها اذا مسهم بذلك فابرا ما كان منهم كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية والثاني تذكروا وتوجهوا
جبلة نزع وساوسه والثالث تذكروا واستعاذوا به حين امرهم بالاستعاذة به عند النزغة وقوله عز وجل واخوانهم
يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال بعض اهل التاويل قوله واخوانهم يعني اخوان الكفار الشياطين يمدونهم في الغي او
في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون عنها اي لا ينتهون عنها ولا يبصرونها كما ابصر الذين اتقوا عنها حين ابصروها ويحتمل
ان يكون قوله واخوانهم يعني اصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم من الانس يدعونهم الى دينهم لكن هم لا يجيبونهم
ولا يطيعونهم فيما يدعون اليه اذ يجوز ان يكون لكل مومن شيطان من الانس وشيطان من الجن كقوله وجعلنا لكل
نبي عدوا شياطين الانس والجن فقد ما اولئك شياطين الجن فتذكروا ولم يجيبوهم ثم دعاهم شياطين الانس ايضا
فلا يجيبونهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ظاهر الاية في سوال اهل الكفر سوال الاية
انهم كانوا اذا اتى بهم اية استهزوا بها وتعنتوا واذا لم ياتهم بما سالوه الاية سوال المستهزئين المتعنتين واذا لم ياتهم بها قالوا لولا
اجتبيتها لولا ابتدعتها واحدثتها وانشاتها وهذا انما تاتي من قبل نفسك فقال قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لا افعلها و
لا انشاها من نفسي انما اتبع ما يوحى الي من ربي ويحتمل ان يكون سوال الاية من المومنين فان كان منهم فهو سوال الاسترشاد لما
يزداد لهم بكل اية تنزل عليهم يقينا وقوة في دينهم كقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الاية واما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الاية كقوله فاذا انزلت سورة محكمة الاية فاذا كان السوال من المومنين فهو سوال
الاسترشاد وطلب زيادة الهدى وان كان من الكفار فهو سوال الاستهزاء والتعنت ثم اخبر انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر
انه بصاير من ربكم قيل بيان اي هذا القران بيان من ربكم يبصر به من لم يكابر عقله كل ما له وما عليه وانه البيان من الحق والباطل وهدى
من الضلالة ورحمة لقوم يومنون اي ورحمة من العذاب وقوله عز وجل واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا الاية امر الله تعالى
بالاستماع الى هذا القران والانصات له اذا قرئ وان كان في العقل ان من خاطب اخر بخطابات يلزمه الاستماع الى ما يخاطبه
به فقد ذكر الله سبحانه اذا خاطب بخطاب او لحان يستمع له مع ما ذكر في غير موضع من القران ايات ما يوجب في العقل الاستماع
اليه كقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك من الايات ولا سبيل الى ان يعرف انه
بصاير وانه هدى وما ذكر الا بالاستماع اليه والتفكر فيه دل ان الاستماع لازم في العقل من له ادنى عقل على ما ذكرنا من المخاطبات لكنه
ذكر ههنا الاستماع اليه والله اعلم لوجهين احدهما مقابل ما كانوا يقولون لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه امر عز وجل المومنين
بالاستماع اليه مكان قولهم لا تسمعوا لهذا القران وامر بالانصات مكان ما يقولون والغوا فيه والثاني يجوز ان يكون امر بالاستماع
اليه في الصلوة على ما قالوا بعض اهل التاويل انه في الصلوة وقال بعضهم في حال الخطبة لما يسبق الى وهمهم انهم لما اشتغلوا بغيره
من العبادات ولزمهم انواع الثواب ان يسقط عنهم حق الاستماع فامر بالاستماع اليه والانصات له ليعلموا ان حق الاستماع لازم
في كل حال ثم الاستماع اليه يكون لتفهم ما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره والانصات للتعظيم له والتبجيل
ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة ولكن انما يلزم لما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره ليفهموا ما فيه ويتبلوا
ويقوموا بوفاء ذلك واما ساير الاذكار انما صار عبادة لنفسها لذلك لم يلزم الاستماع الى ساير الاذكار ولزم التلاوة والقران

ولا القرآن كلام الله وكتابه من الجفاء والاستخفاف ان يكتب انسان الى اخيه كتابا لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الى كتاب الله اعظم في الجفاء والاستخفاف ولان القرآن يجهر وسائر الاذكار لا يجهر فان كانت يجهر فيستمع بها كما يستمع الى القرآن والله اعلم وذكر في بعض القصة ان الاية نزلت في الصلوة لان رسول الله اذا قرأ في صلاته كانوا يقولون مثل ذلك فنزلت الاية بالنهي عن ذلك والامر بالاستماع اليه والانصات له وذكر انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت الاية لذلك فلا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت وقد يحتمل ما ذكرنا انفا انه ان كانت الاية في الصلوة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الامام لا تأمر بالاستماع اليه والانصات له وعلى ذلك جاءت الاخبار روي عن ابي العالية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قرأ اصحابه اجمعون خلفه حتى نزل واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا فسكتوا وعن علي بن احمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلوة الفجر الواقعة وقرأها رجل خلفه فلما فرغ من الصلوة قال من الذي ينازعني في هذه السورة فقال رجل انا يا رسول الله فانزل الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وغير ذلك من الاخبار فقال قوم ان الانصات المذكور في الموتم معناه ان لا يجهر بقراءته وليس فيه نهي عن ان يقرأ في نفسه وزعم بعضهم ان القارئ خفيا يسمى ناصتا منصتا واستدل بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر سكت بين التكبير والقراءة قلت بابي انت رأيت سكاتك بين التكبير والقراءة اخبرني ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المغرب والمشرق وغير ذلك من الدعوات فقال هذا القائل قد سمى النبي القارئ مخفيا ساكتا والمخافت مثل الساكت فيجوز ان يسمى صامتا وهو ان يقرأ خفيا كما يسمى ساكتا قال الشيخ غلط هذا القائل في تشبيه الصامت بالساكت لان الانصات والسكوت في كل واحد منهما ما اطلقته اللغة فيه ومما يبين غلطه ان الله يقول فاستمعوا له وانصتوا فلو كان القارئ مخفيا يسمى صامتا ناصتا ما كان مستمعا وانما يكون مستمعا صامتا اذا انصت فلم يقرأ من اطلق له ان يقرأ فلم يستمع ولا انصت ومما يدل على غلط ايضا ان القراء جميعا ينهون الموتم عن القراءة وامامه يجهر بالقراءة وانما يأمره من يأمره بالقراءة خلف الامام ان يقرأ اذا سكت امامه ويأمرون الامام ان يقف ساعة اذا فرغ من قراءته حتى يقرأ الموتمون فلو كانوا يجعلون القارئ في نفسه والامام يقرأ جهرا صامتا ما امروا بتأخير القراءة حتى يفرغ امامه من القراءة فهذا يبين غلط المستدل بحديث ابي هريرة في استدلاله ومما يدل ان الموتم منهي عن ان يقرأ والامام يجهر ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلوة فظن انها الصبح فلما سلم اقبل على الناس قال هل يقرأ منكم احد فقال رجل انا فقال النبي اني اقول ما لي انازع القرآن قال ابو هريرة فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه النبي فقال قوم ان ابا هريرة قال انتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما جهر فيه فيقال ان ابا هريرة لم يرو ذلك عن النبي ثم مما يدل على ان الموتم لا يقرأ جهر الامام او خافت قول النبي ما لي انازع القرآن وقد علمنا ان الموتم لم يجهر بقراءته فيتأول متأول منازعة النبي عليه السلام على انه شغل فلا وجه لقوله ما لي انازع القرآن الا بنهيه الموتم عن ان يقرأ جهر امامه او خافت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي عن القراءة خلف الامام فيما جهر فيه او خافت ما روي عن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلوته قال ايكم يقرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال بعض الناس انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم خالجنيها فبين عمران بن حصين ان الرجل خافت بقراءته ودلالة النهي الذي رواه ابو هريرة لم يكن في حال جهر الامام دون مخافتة وان الموتم منهي عن القراءة خلف الامام في كل الصلوات وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن القراءة خلف الامام احاديث كثيرة ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمران بن حصين عنه وما روي عن عبد الله كنا نقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلطتم علي القرآن فان قيل لعلهم كانوا يجهرون بالقرآن فنهى عن الجهر قيل له لم ينقل في شيء من الاخبار ان المؤمنين كانوا يقرؤون جاهرين لا نرى ذلك لنا كما روى انهم كانوا يقرؤون وفي ذلك وجه اخر انه لم يكن النهي عن الجهر خاصة ولكن للقراءة نفسه ما روي عن ابي وائل قال سألت عبد الله بن مسعود عن القراءة خلف الامام فقال انصت فان في الصلوة شغلا وسيكفيك ذلك الامام وعن عبد الله بن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى ورجل خلفه يقرأ فنهاه رجل من اصحاب النبي عن القراءة في الصلوة فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي عليه السلام من صلى خلف امام فقراءة الامام له قراءة وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واذا قرأ الامام فانصتوا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فانصتوا وغير ذلك من الاحاديث واكثر ما يحتج به المخالف لعلمائنا رحمهم الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرأ بام القرآن يرويه عبادة بن الصامت قال سفين هذا عندنا فيمن يصلي وحده فذلك محتمل والاخبار التي جاءت مفسرة في النهي عن القراءة خلف الامام فان قال يترك الموتم القراءة فيما يجهر فيه امامه بحديث ابي هريرة ويقرأ فيما يخافت بحديث عبادة بن الصامت ليصح حديث ابي هريرة وحديث عبادة جميعا قيل له فهلا جعلته في المصلي وحده ليصح حديث عبادة وحديث عمران بن حصين لان حديث عمران ينهى عن القرآن فيما خافت وحديث ابي هريرة عن القراءة فيما يجهر فيه فان جعلت حديث ابي هريرة معارضا لعموم حديث عبادة فذلك يوجب ان لا يقرأ الموتم فيما يجهر فيه امامه ويخافت ويقال له هل رأيت فرضا من فرائض الصلوة يسقط عن الموتم في حال ويجب عليه في حال فان قال لا قيل فني استعمالك تلك القراءة عنه في حال الجهر ما اوجب عليك ان تسقطها عنه في حال المخافتة وقد احتج بعض اصحابنا في ذلك بان قالوا وجدنا الرجل اذا جاء الى الامام وهو راكع تكبر ودخل في صلوته ولم يقرأ تكمل بجميع اصلوته تجري به

فدل ذلك ان القراءة غير فرض عليه فان قال انما اطلق له ذلك للضرورة قبل لو جاء الى الامام وهو ساجد لم يعتد بتلك الركعة والضرورة قائمة فلو كانت الضرورة تزيل فرضا لازالت الركوع عمن لحق امامه وهو ساجد فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق امامه وكن لا يلزمه القراءة خلف الامام فلذلك اخر صلوته للضرورة التي ذكرت والله اعلم وقد روي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم قالوا لا قراءة على من خلف الامام منهم علي وابن مسعود وجابر وابو سعيد وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم اما عن علي رضي الله عنه قال من قرأ خلف الامام فقد اخطأ الفطرة وعن عبد الله قال من قرأ خلف الامام ملئ فوه ترابا وعن زيد بن ثابت قال من قرأ خلف الامام فلا صلوة وعن سعد قال وددت ان الذي يقرأ خلف الامام في فيه جمرة وعن ابن عمر كان اذا سئل هل يقرأ احد خلف الامام قال لا فاذا صلى احدكم وحده فليقرأ وكان ابن عمر لا يقرأ خلف الامام وعن ابي سعيد انه سئل عن القراءة خلف الامام قال يكفيك ذلك الامام وعن ابن عباس ان رجلا سأله اقرأ خلف الامام قال لا والى مثل هذه الاحاديث ذهب اصحابنا وعلى ذلك دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وبالله التوفيق **وقوله عز وجل** واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال اختلف اهل التاويل في الذكر الذي ذكر في الاية منهم من صرف التاويل الى كل ذكر ومنهم من صرف الى التلاوة فان كان ذكر الغدو والاصال كناية عن الليل والنهار فهو ذكر احواله بذكر الله عز وجل بنعمه واحسانه وذكره بنعمه شكره او يذكر بقدرته وسلطانه وذلك يحمله على الخضوع له والتواضع او يذكر امره ونهيه ووعده ووعيده وذلك يوجب الاقرار بالتقصير والخوف لعقوبته والرغبة في وعده كانه قال واذكر ربك في كل حال من الليل والنهار اما شكر النعمة واحسانه واما الاقرار بالتقصير في امره ونهيه واما الخوف لوعيده واما الرغبة لوعده فكانه قال اذكر ربك تضرعا وتواضعا وخيفة مع الخوف وان كان تاويل الغدو والاصال كناية عن الغداة والعشي فهو كناية عن التلاوة وهو ما سبق من ذكر التلاوة من قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وقوله هذا بصائر من ربكم وهو كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وتاويله والله اعلم ولا تجهر بصلوتك في بعض صلوتك ولا تخافت في بعضها او ان يقال لا تجهر جهرا عاليا ولا تخافت غاية المخافتة ولكن بين ذلك او ان يقول لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة ولكن اقرأ ما فيه فعلى ذلك قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال وقرأ بعضهم وخفية وهو من الاخفاء حيث قال واذكر ربك في نفسك واما ظاهر القراءة فهو خيفة وهو من الخوف وقال مجاهد رخص الله ان تذكره في نفسك تضرعا وخيفة وانت خلف الامام تسمع قراءته والاصال قال ابو عوسجة العشيات الواحد اصل واصيل **وقوله عز وجل** ولا تكن من الغافلين معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين في حال ولكن على النهي لانه كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ويحتمل نهاه ان يكون ما ذكر لما ذكرنا نهيا لغيره والله اعلم **وقوله عز وجل** ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته قالت المشبهة لو لم يكن بين الله وبين الملائكة قرب الذات لكانوا هم والبشر بمنزلة عند ربك سواء لكان لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك لكن التاويل عندنا في قوله عند ربك في الطاعة والخضوع اوفي الكرامة والمنزلة ليس على قرب الذات ولكن على ما وصف عز وجل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصفهم بالطاعة لهم والخضوع فعلى ذلك الاول ليس على قرب الذات ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع الا ترى انه قال واسجد واقترب ليس على انه في الارض يقترب منه اذا سجد واصل ما يضاف الى الله من جزئية الاشياء يخرج مخرج تعظيم تلك الجزئيات كقوله وان المساجد لله خص المساجد بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها له تعظيما لها وكذلك قوله الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها له ونحو ذلك مما اضاف ذلك الى نفسه من جزئيات الاشياء تعظيما لذلك واجلالا لها فعلى ذلك الاول اضافهم الى نفسه اما الطاعة لهم اياه والخضوع واما الكرامة لهم والمنزلة واضافة كلية الاشياء اليه تخرج مخرج تعظيم الرب من ذلك قوله له الخلق والامر وقوله وهو على كل شيء قدير وقوله خالق كل شيء ومن الناس من استدل بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الاية لكنا نقول ان الافضل عند الله الاطوع له والاخشع والاتقى والاقوم لامره ونهيه على ما ذكرنا ان اكرمكم عند الله اتقيكم لا نشير الى ان هؤلاء افضل من هؤلاء وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم وتاويل الاية والله اعلم في قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته اي انهم وان لم يكن لهم حاجة الى المأكل والمشرب وانواع الحاجات لا يستكبرون عن عبادته فانتم مع حاجتكم الى الاكل والشرب وانواع الحوائج احرى واولى ان لا تستكبروا عن عبادته او يقول ان الذين يعبدون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته فانتم احق ان لا تستكبروا عن عبادته لان من الناس من يعبد الملائكة فيخرج هذا جواب ذلك والله اعلم **وقوله عز وجل** ويسبحونه التسبيح هو وصف الرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي عن الاشياء والامثال وعما وصفه الملحدون والتسبيح هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معاني الخلق **وقوله عز وجل** وله يسجدون هو الخضوع في الفعل وليس في الاية دليل وجوب السجدة على من تلاها او سمعها انما فيها الاخبار عن الساجدين انهم يسجدون غير مستكبرين وفي ذلك ترغيب في السجود الا ان النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه انه سجد وسجد من معه وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا موضعا يسجد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال كان رسول الله يقرأ القرآن في غير صلوة فيسجد ونسجد معه وعن ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه احد الا سجد الا شيخ كبير من قريش اخذ كفا من حصى

ثم فيه المجيبة فقد داينه فيثل كا فرا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ذكر سجود القرآن احد عشر فقال الاعراف والرعد والنحل
وبني اسرائيل ومريم والحج سجدة واحدة والفرقان وطس والم تنزيل وص وحم وقال وليس في المفصل سجود وعن ابن مسعود في
السورة يكون في اخرها السجدة نحو الاعراف والنجم ان شئت فاسجد ثم قم فاقرا وان شئت فاركع وعن ابن مسعود كان يسجد
في الاعراف وفي بني اسرائيل والنجم واذا السماء انشقت واقرا باسم ربك واحتج بعض مشايخنا ان السجود على من تلا اية السجدة
واجب ما اجمع اهل العلم ان على المصلي اذا تلا الاية فيها السجدة ان يسجد في صلوته فلو كان السجود تطوعا ما كان لاحد ان يزيد في صلاته
ما ليس منها فدل ذلك على ان السجود واجب في الصلوة واذا كان في الصلوة واجبا فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا ايضا ما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرا ايات فسجد فيها فكان السجود بها واجبا كما انه لما صلى صلوة العيدين كانت واجبة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول اختلف فيه قال بعضهم الانفال هي المغانم التي يغنمها المسلمون من اهل الحرب
وقال بعضهم الانفال هي الفضول عن حقوق اصحاب الغنائم فان كانت الانفال الغنائم فالسؤال يحتمل وجهين يحتمل انهم سالوا عن حلها
وحرمتها لان الغنائم كانت لا تحل في الابتداء قيل انهم كانوا يغنمونها ويجمعونها في موضع فجاءت نار فتحرقها فسالوا عن حلها وحرمتها فقال
الانفال لله والرسول اي الحكم فيها لله يجعلها لمن يشاء ويحتمل السؤال عنها عن قسمتها وهو ما روي في بعض القصة ان الناس كانوا
يوم بدر ثلاثة اثلاث ثلث في نحر العدو وثلث خلفهم ردءا لهم وثلث مع رسول الله يحرسونه فلما فتح الله عليهم اختلفوا في الغنائم فقال
الذين كانوا في نحر العدو ونحن احق بالغنائم نحن ولينا القتال وقال الذين كانوا ردءا لهم لستم باولى منا وكنا لكم ردءا وقال الذين اقاموا
مع رسول الله لستم باحق بها منا كنا نحن حرسا لرسول الله فتنازعوا فيها الى رسول الله فنزل يسئلونك
عن الانفال قل الانفال لله والرسول وقال ابو امامة الباهلي سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا نزلت معشر اصحاب بدر
حين اختلفنا وساءت فيه اخلاقنا فانتزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه على السواء ومجاهد وعكرمة قالا كانت الانفال
لله والرسول فنسخها واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الانفال المغانم
كانت لرسول الله خالصة ليس لاحد فيها شيء ما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعطيهم منها فقال قل الانفال لله والرسول ليس لكم فيها شيء ويحتمل ان يكون الانفال هو فضول المغانم
على ما قال بعضهم نحو ما روي في الاخبار ان منهم من كبة فقال اجعلها لي يا رسول الله واخذ الاخر سيفا وقال اجعله لي ونحو ذلك كانوا
يسالون رسول الله ذلك فقال قل الانفال لله والرسول ويحتمل ان يكون سؤالهم عن التنفيل انه ينفلهم الرسول بعدما وقع في ايديهم او بعد
ما انهزم الكفار وادبر العدو وانما يجوز للامام التنفيل في حال اقبال الحرب وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال النفل ما
لم يلتق الزحفان او الصفان فاذا التقيا فهو مغنم وروي عن مصعب بن سعد قال نزلت في اربع ايات برعان يوم بدر اصبت سيفا فاتيت
به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبي الله نفلنيه اجعلني كمن لا امل له فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث اخذته
فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ثم قال سعد دعاني رسول الله فقال اذهب فخذ سيفك فدل حديث
سعد ان النبي لم ينفل قبل الحرب احدا شيئا منه مما لا ياخذ لانه لو كان نفله لم يمنع سعدا رضي الله عنه السيف الذي جاء به ويدل
على ان النبي لم يامر في الغنيمة بشيء حتى نزلت اية النفل فرد الله الامر في الغنيمة الى رسوله فاطلق له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رد الامر
ويجوز ان يكون النبي لم ينفل احدا قبل الحرب شيئا ولكنه كان ينفل مما يوتى به من يشاء من قبل بغير ايجاب متقدم يبين ذلك قول سعد
اجعلني كمن لا امل له وحديث عبادة يخبر ان النبي نفل ما ياخذونه من اهل الحرب قبل ان ياخذوه فهذا موضع الاختلاف بين الحديثين والقائم
من ذلك ان النفل قد كان وقع في الغنائم لان الله قد سماها انفالا قبل ان يحلها فلولا ان النبي كان نفلهم اياها قبل الحرب وبعدها
لم يسم الله انفالا والله اعلم وفي حديث عبادة ان قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ذكر بعد ذكر النفل وانه حكم الناسخ
وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك وقد اجمع اهل العلم على ما ذكره عبادة في اخر حديثه فقالوا جميعا ان الغنيمة يخرج خمسها للاصناف
الذين ذكرهم الله الا انما اختلفوا فيه من سهم ذوي القربى ثم يقسم الاربعة الاخماس بين اهل الغنيمة وجعلوا للامام ان ينفل السلب [illegible]
فيقول من قتل قتيلا فله سلبه [illegible] وينفل السرية [illegible] من العسكر شيئا بعد الخمس وما اجمعوا عليه من قسمة الغنيمة
اخماسا نزل القران وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم تحل الغنيمة لاحد قبلنا [illegible] وروي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤوس قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتاكلها فلما كان يوم بدر [illegible] الناس
في الغنائم فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا [illegible]
وقوله عز وجل [illegible]
يسالونك عن الانفال [illegible] الانفال والمغانم [illegible] والثالث [illegible] وقوله

من وجل فاتقوا الله واصلحوا قال اهل التاويل اتقوا الله في اخذ الانفال ولكن في الانفال وفي غيرها اتقوا معصية الله ومخالفته
في امره ونهيه واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين لما ذكر من عظيم منته ونعمه التي انعم عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعداء فالف
بين قلوبكم وذلك من عظيم نعمه عليهم فامرهم باصلاح ذات البين ليكونوا على النعمة التي انعمها عليهم مجتمعين غير متفرقين
وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه ورسوله فيما يسنه ان كنتم مؤمنين او يقول اطيعوا الله
فيما دعاكم اليه ورغبكم فيه ورسوله فيما بين لكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين به وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم الخ ما ذكر يحتمل وجوها يحتمل قوله انما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الافعال من وجل القلب
والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه ليس كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في ايمانهم كما وصفهم في اية اخرى حيث قال
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وكانوا اذا انفقوا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون الله الا قليلا مراءاة للناس واما المؤمنون
فهم الذين يؤمنون بوقام ذلك كله حقيقة فيظهر صدقهم بذلك وهو ما وصفهم في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة
ليس على نفس العمل كانه قال انما المؤمنون الذين اعتقدوا في ايمانهم ما ذكر من وجل القلوب والخشية عند ارتكاب المعصية و
التقصير عن القيام بما عليه وما يرتكب المؤمن من المعاصي انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب كقوله انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ويرتكب ذلك انما الغلبة شهوة او يعتقد التوبة من بعد او يرجوا رحمة
من فضله في العفو عن ذلك فيكون قوله انما المؤمنون الذين اعتقدوا ايمانهم ما ذكر من الافعال وهو كقوله فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو على الاعتقاد والقبول له انهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلى سبيلهم وان لم يقيموا
الصلوة وما ذكر فعلى ذلك الانفال يحتمل ذلك والرابع يحتمل قوله انما المؤمنون هم الذين فعلوا هذا واتوا بذلك كله لكنهم يجعل
ان من امن بقلبه وصدق كان مؤمنا وان لم يات بغيره من الافعال يخاف ان يؤمن ثم يختم ويموت من ساعته مات مؤمنا
ذو ان انه لم يخرج ذلك على الشرط لما ذكرنا ولكن على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم يخرج على وجوه احدها يخبر ان المؤمن هو على وصف ما ذكر والثاني ان المؤمنين الذين ينبغي ان يكونوا
ما ذكروا ويقول انما المؤمنون الخ ما ذكر جعل الله تعالى ما ذكر من وجل القلب وغيره علما بين الذين حققوا الايمان في
الظاهر والباطن وبين الذين اظهروا الايمان واضمروا الكفر والخلاف وكذلك ما ذكر في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا وقوله عز وجل واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يحتمل قوله حججه وبراهينه
اذا تليت عليهم ذلك يزدادهم ثباتا وقوة على ما كانوا واما المنافقون فان الايات التي تنزل كانت تزدادهم بها رجسا الى رجسهم
فالمؤمنون يزيدهم ذلك ثباتا وقوة او ذكر الزيادة لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة فاذا كان
له حكم الحدوث والتجدد فهو زيادة فهو على ما كان فان شئت سميته زيادة وان شئت سميته ثباتا وقال ابو حنيفة رحمه الله
يزيد الايمان بالتفسير على الايمان بالجملة فانا نسترده وكانوا امنوا برسول ونبي اذ زاد بذلك لهم ايمانا وان كان قد امن بالجملة
وكذلك الايمان بجميع الكتب والامر وان كانوا منه في الجملة ان له الخلق والامر فاذا عرف ذلك الامر ازداد له ايمانا في ذلك
والله اعلم لان من امن بالله وان له الخلق والامر فقد اتى بجميع الايمان فاذا جاء بالتفسير واحدا بعد واحد ازداد له ايمانه بالتفسير
على ايمانه بالجملة وقوله عز وجل وعلى ربهم يتوكلون اي على ربهم يثقون ويعتمدون في كل امورهم لا يتكلون على غير الله يتوكلون
على الله وليس كالمنافقين هم انما يتوكلون على النعم التي اعطوا كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ونحو ذلك واما المؤمن فانه في جميع احواله يتوكل على الله ومنه يخاف وان كان يصل
ذلك اليه ويجري على يدي غيره فهو في الحقيقة من الله وقوله عز وجل الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون يحتمل
الذي عليهم وقوله عز وجل اولئك هم المؤمنون حقا يحتمل وجهين يحتمل اولئك الذين حققوا ايمانهم والثاني اولئك
المؤمنون الذين وعدهم وعدا حقا وهو ما وعدهم من الدرجات والمغفرة حق لهم ذلك الوعد والله اعلم درجات عند
ربهم قيل فضائل عند ربهم ومغفرة اي يستر عليهم ذنوبهم التي كانت لهم في الدنيا في الجنة وينسونها لان ذكر ذلك ينغص
عليهم نعمتهم التي انعم عليهم ورزق كريم قيل الحسن ورزق يكرم اهله به وقوله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق لم يخرج
لهذا الحرف جواب في الظاهر لان جوابه ان يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا في جوابه
قال بعضهم هو صلة قوله يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا
من المؤمنين لكارهون يجادلونك كما كرهوا الخروج وجادلوك في قسمة الانفال جادلوك في امر العير ومنهم من يقول جوابه
في امره بالقتال يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون لذلك كذلك يكلفك القتال وهم كارهون لذلك ثم

من يقول جوابه فى قوله اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان
وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام يقول كما اخرجك الله فى الخروج للقتال على غير تدبير منكم فى ذلك ولا نظر فعل ذلك يغشيكم
فى النعاس امنة منه وانزال الماء من السماء والتطهير به وتثبيت الاقدام على غير علم منكم ولا تدبير ومنهم من يقول قوله كما اخرجك
ربك من بيتك غير متاهبين للقتال ولا مستعدين له كذلك يعدكم النصر والظفر والله اعلم وقوله عز وجل بالحق يحتمل وجوها
يحتمل بالحق الذى لله عليهم من الامر بالخروج والقتال ويحتمل بالحق بالوعد الذى وعدهم النصر والظفر وقال بعض اهل التاويل
بالحق اى بالقران ولكن كان فهو ما ذكرنا بالامر الذى يامر القران وقوله عز وجل وان فريقا من المؤمنين لكارهون يحتمل وجهين
يحتمل فريقا من المؤمنين فى الظاهر وهم المنافقون كرهوا الخروج للقتال ويحتمل ان يكون المؤمنون فى الحقيقة كرهوا الخروج للقتال
كراهة الطبع لا كراهة الاختيار لما امروا بالخروج للقتال ولا مستعدين فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن معهم اسباب
القتال لا انهم كرهوا امر الله كراهة الاختيار وفى هذه الاية دلالة ان الامر قد يكون فى الشىء وان لم يعلم وقت الامر فيما يؤمر وفيه
دليل جواز تاخير البيان لانهم امروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا وقت الخروج على ما يؤمرون وقوله عز وجل يجادلونك
فى الحق قبل القتال وقيل قوله فى الحق الذى امرت به ان تسير الى القتال ويحتمل ان يكون قوله فى الحق الوعيد الذى وعدهم بالنصر و
الظفر بعد ما تبين لهم يحتمل قوله بعد ما تبين لهم الوعيد الذى وعدهم الله عز وجل بالنصر وقوله عز وجل كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون فان كانت الاية فى المنافقين فهو ظاهر وهم كذلك وصفوا بالكسل فى جميع الخيرات والطاعات كقوله واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان كان فى المؤمنين الذين حققوا الايمان فهو لما كانوا
غير مستعدين للقتال ولا متاهبين له كانوا كارهين كذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقد قالوا قوله كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى وان فريقا من المؤمنين اجابوا ربهم وان كانوا كارهين
للخروج من شدة الخوف وان كانوا من الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله تعالى لهم بالنصر والظفر وامنهم من
ذلك الخوف والله اعلم وقوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ذكر فى بعض القصة ان عير قريش حين
اقبلت من الشام خرج اصحاب رسول الله يخرجوا على ما يخرج الى العير غير متاهبين انها لكم ذكر فى بعض القصة للحرب
وخرجت قريش من مكة تغيث عيرها فهى الطائفة الاخرى ووعدهم احدى الطائفتين لهم اما العير واما العسكر انهم
ينصرون عليهم ويودون ان غير ذات الشوكة اى التى ليس فيها حرب ثم يكون لكم العير وهى اهون شوكة واعظم غنيمة
كانوا يودون ذلك وقوله عز وجل وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم لما لم تكونوا مستعدين للقتال والحرب وكان بهم
ضعف وفى اولئك قوة وعدة والله اعلم قال الله تعالى ويريد ان يحق الحق بكلماته ويحتمل والله اعلم يريد ان يظهر الحق باية من غير
وجود الاسباب منهم وهو كما ذكر فى قوله قد كان لكم اية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين
اخبار فى غلبة اولئك مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وقصور اسباب الحرب من السلاح والعدة وغير ذلك وقوة ابدان اولئك
وكثرة عددهم وعدتهم وتاهبهم واستعدادهم لذلك اية عظيمة فاراد ان يظهر الحق بالاية ليعلم كل منهم انه انما كان ذلك بالله هو
لا بهم وهو ما قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اخبر انه كان بالله ذلك لا بهم ويحتمل قوله بكلماته
بالوعد الذى وعد رسول الله بمكة بالنصر والظفر لهم فاراد ان يظهر ذلك ويحققه ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ويحتمل بكلماته
بحججه اى يوجب الحق ويظهر بحججه وبراهينه ويحتمل بكلماته البشارات التى بشر بها المؤمنين بالنصر لهم والظفر والعداوة التى كانت
منهم ويحتمل بكلماته كلماته ملائكته الذين بعثهم مددا لهم يوم بدر على ما ذكر فاضافهم اليه تعظيما لهم واجلالا على ما سمى عيسى روح الله
وكلمته وموسى كليم الله تعظيما لهم واجلالا فعلى ذلك هذا والله اعلم ويقطع دابر الكافرين يحتمل انه الكافرين يقتلون جميعا ويبقى
حتى لا يبقى لهم اثر ويحتمل يقطع ما دبرهم حتى لا ياتيهم مدد وقوله عز وجل ليحق الحق اى ليظهر الحق ويوجب ثبات الحق كذا اى وجب
ويحتمل ليظهر حق الحق ويظهر بطلان الباطل وان يقال قوله ليحق الحق ويبطل الباطل ما ذكرنا يجب الحق ويجئ ويذهب الباطل كقوله
جاء الحق وزهق الباطل اى ذهب فعلى ذلك هذا يجى الحق ويجب ويذهب الباطل وان كره المشركون فانه قيل فى قوله كانما يساقون
الى الموت وقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم كيف خافوا كل هذا الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف كانما يساقون الى الموت
وقد وعدهم النصر والظفر بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وكيف استغاثوا ربهم فى ذلك وقد سبق منه لهم الوعد
بالظفر والنصر وقد يمكن ان تصرف الاية الى المنافقين وهو قوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فيما ذكر فى بعض القصة
انه لم يكن ببدر منافق بل كانوا كلهم مؤمنين حتى افتخر بذلك من شهد بدرا وان كان فى المؤمنين فهو ما ذكرنا لقلة عددهم وضعفهم
وكثرة اولئك وعدتهم كانوا كما وصف والله اعلم لكن الاية يحتمل وجوها احدها امكن ان يكون الوعد لهم بالنصر لرسوله ولم يبين لهم
فالقى فى قلوبهم الرعب والخوف لما لم يبين لهم الوعد بالنصر او بين لهم وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم الوقت متى يكون ذلك الا ترى
انهم امروا بالخروج ولا يدرون الى ماذا يؤمرون والثالث ويجوز ايضا ان بين لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك غير انهم خافوا لك

وكرهوا

وكرهوا خوف طبع وكراهة النفس لا كراهة الاختيار وجائز الخوف فى مثل هذا وكراهة الطبع وان كانوا على يقين بالنصر والظفر يقول
ذلك لهم والرابع يجوز ان يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرع اليه والاستغاثة منه على ما يكون فى الدعوات يكون شقاوة بعض و
دخوله النار بمعاص يرتكبها وسعادة اخر ودخوله الجنة بخيرات ياتى بها فيصير من اهلها والخامس جائز ان يكون ذلك من الله تعالى لهم
محنة يمتحنهم بها كقوله ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع الاية يحتمل معنى الاية الوجوه التى ذكرنا والله اعلم ثم اختلف فى قوله اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الاية قال بعضهم هو صلة قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة قالوا قوله بالف من الملائكة مردفين الفان
وقوله عز وجل بثلاثة الاف من الملائكة منزلين فيكون خمسة الاف مسومين ومنهم من يقول ثلاثة كان فى احد اذ ذكر على اثر قصة
احد فان كان ما ذكر وانكان قوله من الملائكة مردفين اما فى ارداف الكثرة وهو المتتابع تابع اهل بدر المشركين
وهم منهزمون او ان يكون الارداف الامداد فيكون الفان وقال بعض اهل التاويل ان قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم هو سوال
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم راى كثرة المشركين ببدر وعلم انه لا قوة لهم الا بالله فدعا ربه وتضرع ولكن ذلك خوطب عندنا والله اعلم
اصح قول المؤمنين الا ترى انه قال اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بكذا والله اعلم بذلك وليس الى معرفة ذلك حاجة سوى
ان فيه البشارة لهم بالنصر والطمانينة لقلوبهم وانما حقيقة النصر انما يكون بالله لا باحد سواه وذلك قوله وما النصر الا من عند الله
ان الله عزيز لا يذل له شىء ولا يعجزه حكيم فى امره ونهيه لا يامر بشىء ولا ينهى عن شىء الا وفيه حكمة وفائدة ما ذكر من بعث مدد الف ملك
وثلاثة الاف وما ذكر لطمانينة قلوبهم وتلك المؤمنين والا ملك واحد كاف لهم وان كثروا لانه يرام ولا يدرك واهلاك مثله سهل و
قوله عز وجل اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر النعاس بعد شدة خوفهم والنعاس لا يكون ممن
اشتد به الخوف ولا يغشيه الا بعد الامن فذكر لطفه ومنته الامن بعد شدة الخوف ذكر عظيم ما من عليهم من الامن لما ذكر من
النعاس عليهم والنعاس انما يكون بعد الامن بعد ما كان من حالهم ما ذكر حيث قال كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون وقوله عز وجل
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر فى بعض القصة ان المشركين سبقوا فاخذوا الماء فبقى المسلمون فى رمل لا يثبت اقدامهم
عطشا فوسوس اليهم الشيطان انهم لو كانوا على حق ما بلوا بمثل ذلك فى رمل لا تثبت اقدامهم عطشى فابدل الله تعالى مكان
الخوف امنا يامنون به وانزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم ويشربون ويشتد به الرمل فتثبت اقدامهم فذلك قوله اذ يغشاكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان قال اهل التاويل وسوسة الشيطان التى
وسوس اليهم وقيل الرجز الاثم ذهب ذلك عنهم كقوله فانه رجس او فسقا وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ذكر هنا والله اعلم على المبالغة انه اخبر انه انزل من السماء ما فضل عن حوائجهم حتى وجدوا لتطهير انفسهم وابدانهم وذهب عنهم رجز
الشيطان ذكر السبب الذى به يذهب الرجز لان الرجز هو العذاب فذكر الرجز والمراد منه سبب الرجز وقوله عز وجل وليربط على
قلوبكم ويثبت به الاقدام ويحتمل الثبات على هؤلاء ما هم عليه والربط هو الشد لشى فيحتمل قوله وليربط على قلوبكم اى شدها حتى
لا يزال احد عما هو فيه ولا يزيغ عن ذلك وان ابتلاه الله تعالى بانواع الشدائد والبلايا ذكر فى التوحيد والايمان الربط والتثبت
بقوله كذلك لنثبت به فوادك وقوله ليربط على قلوبكم وقوله وربطنا على قلوبهم وذكر فى الشرك والكفر الطبع والختم والقفل ونحو
فهو والله اعلم عقوبة لهم لما اختاروا ذلك وقوله عز وجل ويذهب عنكم رجز الشيطان قيل وسوسة الشيطان وهو ما ذكر فى بعض
القصة ان المسلمين اصابهم ضعف شديد والقى الشيطان فى قلوبهم القنط ويوسوسهم ويقول لهم وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم
رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون مجنبين فامطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا واذهب عنهم
رجز الشيطان ونشف الرمل حين اصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وامد الله عز وجل نبيه والمؤمنين بالف
من الملائكة فذلك قوله بالف من الملائكة مردفين ثم قال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا الوحى كان يسمى وحيا
لسرعة قذفه فى القلوب ووقوعه فيها ولذلك سمى والله اعلم وساوس الشيطان وحيا بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
اى يقذفون فى قلوبهم ويدعونهم الى اشياء من غير ان علموا بذلك انه ممن جاء ذلك وما سبب ذلك لسرعة قذفه ووقوعه فى القلوب
وكذلك سمى الالهام وحيا لسرعة وقوعه فى القلب قال تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل هو الالهام اى الهم النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا
وقال عز وعلا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء اخبر انه ليس له ان يكلمه
الا وحيا وهو ما الهم سمى وحيا لسرعة وقوعه فى القلب وقذفه فيه على غير علم منهم انه من ان كان وهم كان وفيه دلالة ان خير
هو الذى اخطر ذلك فى القلوب وقذف فيها لا انه يحدث ذلك بنفسه على غير اخطار احد ولا قذفه فان كان ما قذف فيه خيرا فهو
من الملك وان كان شرا فهو من قذف الشيطان ووسوسته ففيه دليل ثبوت الملك والشيطان والله اعلم وقوله عز وجل انى معكم فى
اى معكم فى النصر والمعونة ودفع العدو عنكم او يقولوا انى معكم فى التوفيق ويحتمل ان يكون قوله اذ يوحى ربك الى الملائكة اى تخبر
المؤمنين انى معكم لما ذكرنا من النصر والمعونة والدفع وقوله عز وجل فثبتوا الذين امنوا امر الملائكة ان يثبتوا الذين امنوا بانواع
والامن بعد ما كانوا خائفين فشلين جبنين لما اجابوا ربهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم فابدلهم الله مكان الخوف لهم امنا ومكان

للضعف القوة والنصر ومكان الذل العز وابدل المشركين مكان الامن لهم خوفا ومكان العز الذل ومكان الكثرة الضعف و
الفشل فذلك والله اعلم قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله فثبتوا الذين امنوا جائز ان يكون نفس نزول الملائكة
تثبيتهم لانهم سبب تثبيتهم او يثبتهم من فيران علم المؤمنون بهم وقوله عز وجل فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال
يكون قوله فاضربوا فوق الاعناق اذا ظفروا بهم ووقعوا في ايديهم فعند ذلك يضرب فوق الاعناق وهو المفصل الذي
بين الراس بالضرب لما نهي عن المثلة وفي الضرب في غير ذلك مثلة ويحتمل قوله فاضربوا فوق الاعناق اي اضربوا الاعناق وما
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان معناه والله اعلم اي اضربوا على ما تهيا لكم من الاطراف وغيرها واما قوله واضربوا منهم
كل بنان في الحرب لانه لا سبيل في الحرب الى ان يضرب ضربا لا يكون مثلة فكانه قال فاضربوا فوق الاعناق اذا قدرتم عليهم
ووقعوا في ايديكم واضربوا منهم كل بنان بحيث ما تقدرون والله اعلم وقوله ذلك بانهم والله اعلم ذلك الضرب والقتل بانهم
شاقوا الله اي حاربوا الله ورسوله والمشاقة الخلاف خالفوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
له في الاخرة وقوله ذلكم اي ذلكم العقاب والعذاب فذوقوه وان للكافرين عذاب النار بالخلاف لله ورسوله والمحاربة
معهم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار كان اول الامر بالقتال وفرضه
كان لبذل الانفس للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف هو الجماعة والعدد الذي لا يحد وليس للواحد القيام للجماعة فكان
فرض القتال لبذل الانفس للقتل وعلى ذلك يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وليس في وسع الواحد القيام
لعشرة اذا احيط به ويجوز ان يفرض بذل الانفس للقتال كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم
ما فعلوه الا قليل منهم اخبر انه لو امر بذلك لم يفعل الا القليل منهم فجائز الامر بذلك امتحانا منه لهم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله
كانما يساقون الى الموت هو على التحقيق اذ الى ذلك يساقون ويحتمل وجها اخر وهو ان الله عز وجل امر بذلك لما يكون انه يعرف
كل احد انه انما قام بالله لا بقوة نفسه اذ ليس في وسع احد القيام لعشرة او لجماعة بقوته اذا احيط به فهو على الاية ان كان فيه
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة والمتحرف للقتال
هو المنتقل من مكان الى مكان للحرب والمتحيز الى فئة هو الملتجئ الى فئة على جهة العود اليهم والحرب يقال تحوز وتحيز
بالياء والواو جميعا وهما نحو الحرب وفيه النهي عن الانهزام والتولي عن العدو الا ما ذكر من التحرف للقتال والتحيز الى الفئة على
جهة العود اليهم ثم اخبر ان من ولى دبره بسوى ما ذكر فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ثم ان المعتزلة دل ما
اوعد المتحرف بغير قتال والمتحيز الى غير الفئة بقوله فقد باء بغضب من الله ان مرتكب الكبيرة يخلد في النار لانه ذكر في اول
الاية المؤمنين ولهم خرج الخطاب بقوله يا ايها الذين كفروا زحفا ثم اوعدهم الوعيد الشديد بما يوعد اهل النار غير اهل الايمان
دل انه يخرج عن الايمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار وقالوا لا يجوز صرف الاية الى اهل النفاق لما ذكر في القصة انه لم يكن
يوم بدر منافق لكن هذا غلط قال الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك يوم بدر
كذلك ذكر والله اعلم وقوله عز وجل الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فان كان مستثنى من قوله فقد باء بغضب من الله لم يكن فيه
رخصة التولي ولكن فيه دفع الوعيد الذي ذكر وان كان مستثنى من قوله ومن يولهم يومئذ دبره ففيه رخصة التولي الى ما ذكر
ثم الدلالة على انه مستثنى من هذا دون الاول ما جاء عن غير واحد من الصحابة تولية الدبر الى ما ذكر وكذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال انا فئة لكل مسلم وبعد فانه لم يكن لاهل الاسلام فئة يوم بدر يتحيزون اليها فدل انها في المنافقين واهل الكفر
والله اعلم ثم يقال يجوز ان يكون ما ذكر من الوعيد لمعنى في التولية عن الدبر والاعراض لا لنفس التولية عن الدبر اذ قد ذكر التولية في
اية اخرى والعفو عن ذلك وهو قوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاية فان قيل
لعل التوبة مضمر فيه تابوا فعفى عنهم قيل ان جاز ان يجعل التوبة مضمرة فيها جاز ان يضمر في التولية عن الدبر الردة فليس تلك
اولى باضمار التوبة من هذه باضمار الردة وفي الاية معان تدل على الاضمار اضمار ما يوجب الوعيد الذي ذكر والله اعلم احدها ذكر
التحيز الى فئة وانه لم يكن للمسلم فئة يتحيز اليها فانما تحيزا انما يتحيز ليصير الى العدو فهو الردة التي ذكرنا والثاني ما ذكر في بعض
القصة انه لما اصطف القوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا ومن
ولى الدبر عن مثل تلك الحال لم يول الا لعصيان لا يعبد فهو كفر والثالث قد وعدهم النصر والظفر على العدو فمن ولى عن الدبر لم يول
الا لتكذيب بالوعد الذي وعدهم وقوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قيل فيه بوجوه
يحتمل قوله فلم تقتلوهم اي لم تكن جراحاتكم التي اصابتهم مصيبة المقتل ولا عاملة في استخراج الروح ولا كانت قاتلة ولكن
الله تعالى صيرها قاتلة مصيبة المقتل عاملة في استخراج الروح لان من الجراحات ما اذا اصابت لم تصب المقتل ولا عملت في استخراج
الروح وقوله فلم تقتلوهم الاية تخرج على وجوه احدها ان العبد لا صنع له في القتل واستخراج الروح منه انما ذلك وهو المالك لذلك
لان الضربة والجرح قد يكون ولا موت هنالك وكذلك الرمي ليس كل من رمى شيئا من بين هو دونه انما يصيب ومالك بالله انشاء السهم حتى يصل

بطبعه البليغ الذي بلغ فكانه لا صنع له في الرمي الا ترى انه لا يملك رد السهم اذا ارسله ولو كان فعله الملك رده ولهذا قال ابو حنيفة
رحمه الله ان الاستيجار على القتل باطل والثالث فقتلوا بمعونة الله ونصره كما يقول الرجل لاخر انك لم تقتله وانما قتله فلان اي
بمعونة فلان قتله فعلى ذلك الاول وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي ما اصاب رميك المقصد الذي قصدت ولكن الله
بالغ ذلك المقصد الذي قصدته والثاني لم تقتلوهم اي لم تطمعوا بخروجكم اليهم قتلهم لانهم كانوا بالمحل الذي وصفهم من الضعف
وشدة الخوف والذلة كانما يساقون الى الموت فاذا كانوا بالمحل الذي ذكر فيقول والله اعلم لم يطمعوا بخروجكم اليهم وقصدكم اياهم قتلهم
لما كان فيكم من الضعف وقوة اولئك ولكن الله اذلهم والقى في قلوبهم الرعب والخوف حتى قتلتموهم وكذلك قوله وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى لا يطيق الانسان برمي كف من تراب النكبة باعدائه ولكن الله رمى حيث بلغ ذلك وغطى ابصارهم واعينهم
بذلك الكف من التراب على ما ذكر في القصة انه رمى كفا من تراب فغشي ابصار المشركين فانهزموا لذلك ويحتمل ان يكون لنسبة هذه
الافعال الى نفسه واضافتها اليه لما نسب واضاف كل خير ومعروف الى نفسه من ذلك قوله يمنون عليك ان اسلموا الاية وقوله ولكن الله
يهدي من يشاء وقوله اهدنا الصراط المستقيم الاية وغير ذلك من الايات التي فيها اضافة الافعال التي خلصت له وصفت فعلى
ذلك نسب فعلهم الى نفسه لخلوصه وصفائه له والله اعلم وقوله عز وجل وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي نعمة عظيمة حيث نصرهم
على عدوهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوة ابدانهم وعدتهم وهو ما ذكر في هلاك فرعون وقومه انه بلاء من
ربكم عظيم بقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله سميع عليم اي سميع لدعائكم الذي دعوتم
وتضرعكم الذي تضرعتم اليه او ان يقول سميع اي مجيب لدعائكم عليم باقوالكم وافعالكم تسرون وتعلنون والله اعلم وقوله عز وجل
ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين قوله ذلكم اي ذلك كان بهم من القتل والاسر والهزيمة لما اوهن واضعف كيدهم تعالى ويحتمل ان
يكون صلة قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي ذلك الانعام والابلاء الذي من الله اليكم لما اوهن كيدهم وذلك يكون في جل
المؤمنين ما من مؤمن الا وله منة الله اليه ابلاء وانعام في كل حال لانه يوهن كيد الكافرين وقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
الاستفتاح يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل الاستكشاف وطلب البيان ويكون طلب النصر والمعونة كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اي يستنصرون ويكون طلب الحكم والقضاء بين الحق والباطل يقال فتح بكذا اي حكم به وقضى فهو يخرج على وجهين على طلب بيان
المحق من المبطل وطلب بيان احق الدينين بالنصر والحكم فقد بين الله احق الدينين ما ذكر في القصة ان ابا جهل قال اللهم اقض بيننا
وبين محمد فقال اللهم اينا كان افضل الرحم وارضى عندك فانصره فجعل الله ذلك ونصر المؤمنين وهزم المشركين فنزلت هذه الاية
وقيل انه دعا اللهم انصر اعز الجندين واكرم الفئتين وخير القبيلتين فكان ما ذكرنا فقد بين الله عز وجل احق الدينين واعز الجندين
لما هزم المشركين مع قوتهم وعدتهم وكثرة عددهم بفئة ضعيفة ذليلة قليلة العدد وضعيفة الابدان والاسباب دل انه دين
الاحق من غيره وقيل انهم استفتحوا بالعذاب وكان استفتاحهم ما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم فجاءهم العذاب يوم بدر واخبرهم يوم احد ان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا الاية والاستفتاح هو ما ذكرنا
قال الحسن الفتح القضاء ولذلك قال قتادة قالوا ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء في يوم بدر كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
الاية وقال القتبي قوله ان تستفتحوا فسالوا الفتح وهو النصر فقد جاءكم وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل وان تنتهوا فهو خير لكم
يحتمل قوله وان تنتهوا عما كنتم فهو خير لكم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل وان تنتهوا عن قتال محمد فهو خير لكم من ان
ينتهي محمد عن قتالكم وقوله وان تعودوا نعد يحتمل وان تعودوا الى قتال محمد نعد اليكم من القتل والقتال والاسر والقهر ويحتمل
وان تعودوا نعد الى البيان والكشف الى ما كنتم من قبل البيان من التكذيب والكفر لمحمد نعد الى الانتقام والتعذيب كقوله وان
تعودوا فقد مضت سنة الاولين وقوله تعالى ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والعون
فان قيل ذكر انه لن تغني عنكم فئتكم وكثرتكم وقد اغنا كثرتهم وفئتهم يوم احد حيث كانت الهزيمة على المؤمنين قيل هذا
الوجهين احدهما ان عاقبة الامر كانت للمؤمنين وان كان في الابتداء كان عليهم فلن يغني عنهم ذلك على ما ذكر لانه لو اغنا عنهم
ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة والثاني انه لم تكن النكبة والهزيمة على المؤمنين الا لعصيان منهم كقوله ولقد صدقكم الله وعده
الاية فما اصاب المؤمنين من النكبات انما كان بسبب كان منهم لا بالعدو لذلك كان الجواب ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه ورسوله في بيانه وفيما دعا اليه وقيل اطيعوا الله في فرائضه
ورسوله في سننه وادابه ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اياته وحججه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي لا تكونوا في
الايمان والتوحيد والايات كالذين قالوا سمعنا ذلك وهم لا يسمعون اي لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون ويحتمل ان يكون
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون استثقالا وبغضا اي لا يستمعون اليه لان من استثقل شيئا وابغضه لم يستمع
اليه كقوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون تاويله والله اعلم
اخبر ان الذي هو من شر الدواب عند الله هو الصم البكم لا ينتفع بسمعه والبكم الذي لا ينتفع بلسانه وينطق لانهم لم ينتفعوا

لما جعل لهم السمع ولم ينتفعوا بنطقهم لما جعل لهم النطق ولم ينتفعوا بعقلهم لما جعل لهم العقل فهم شر الدواب كقوله اولئك كالانعام بل هم اضل واشر لان الدواب والانعام انتفعت بهذه الحواس لما جعلت لها هذه الحواس عرفت بهذه الحواس المهالك والمضاد فتوقت عنها وعرفت اللاذ والمنافع بها فترغب فيها وتتبع فانتفعت الدواب بالحواس التي جعل لها لما جعلت ولم يجعل لها هذه الحواس الا للغذاء الذي عرفت وفهمت وانتفعت وهؤلاء الكفرة لم ينتفعوا بالحواس التي جعلت لهم لما جعلت وانما جعلت لهم ذلك ليعرفوا المنافع لهم والملاذ في العاقبة فيحملوا الذلك ويعرفوا المضادهم في العاقبة والمهالك فيتوقوا عنه فلم ينتفعوا بحواسهم لما جعلت الحواس فالدواب انتفعت بها لذلك كانوا اضل واشر منها وقوله عز وجل ان شر الدواب الذين اكتسبوا الصم الدايم والعمى الدايم وذلك في الاخرة كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله احسنوا فيها ولا تكونوا اي تركوا اكتساب البصر الدايم والسمع الدايم والحياة الدايمة والباقي سماهم صما وبكما وعميا لما لم يكتسبوا بصر القلب ونطق القلب وسمع القلب فهذه هي الحواس التي تكون بالاكتساب ولم يكتسبوها انما لهم الحواس الظاهرة او يقول شر الدواب التي لم ينتفعوا بالذي ذكر من الحواس وتركوا استعمالها والله اعلم وقوله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قيل نزلت الاية في المردة من الكفرة وقال ابن عباس هم نفر من بني الدار كانوا يسالونه رسول الله اية بعد اية وقد اعطاهم اية بعد اية قبل ذلك فلم يقبلوها فقال لو علم الله فيهم خيرا انهم يقبلون جواب المسايل التي سالوا لاوحى اليهم ولاسمعهم ولكن علم انه وان اسمعهم جواب مسايلهم لا يقبلون وقالت المعتزلة دلت الاية انه قد كان اعطاهم جميع ما كان عنده لكنهم لم يقبلوا لانه قال لو علم فيهم خيرا لاسمعهم فدل انه لم يكن عنده ما يعطي والا لو كان ذلك عنده ما يقبلون لاسمعهم لكن هذا بعيد لانه لم يقل لو علم الله عنده خيرا لاسمعهم ولكن قال لو علم الله فيهم خيرا فانما نفى انه ليس عندهم خير والوجه فيه ما ذكرنا انه لو علم فيهم خيرا يقبلون به لاوحى اليهم واسمعهم لكنه علم انهم لا يقبلون بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اي مكذبون جواب ما سالوا تعنتا وتمردا منهم ولمنا انهم يسالون سؤال تعنت وتمرد لا سؤال استرشاد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بعضهم هذه الاية صلة قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يقول والله اعلم اجيبوا الله وللرسول الى ما يدعوكم وان كانت انفسكم تكره الخروج لذلك لقلة عددكم وضعف ابدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم وقوله عز وجل اذا دعاكم لما يحييكم بالذكر والشرف والثناء الحسن في الدنيا والحياة في الاخرة اللذيذة الدايمة وان متم وهلكتم فيما يدعوكم اليه يكون لكم في الاخرة حيوة الابد ويحتمل ان يكون الاية في جملة المؤمنين اي استجيبوا لله في اوامره ونواهيه وللرسول فيما يدعوكم اليه وانما كان يدعوا الى دار الاخرة كقوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ودار الاخرة هي دار الحياة كقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون كانه قال والله اعلم اجيبوا الله وللرسول فانه انما دعاكم الى ما تحيون فيها ليس كالنار الذي لا يموت فيها ولا يحيى بترككم الاجابة وقوله عز وجل واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه امكن ان يخرج هذا على الاول اي اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يجعل القوي ضعيفا والعزيز ذليلا والضعيف قويا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والخايف امنا والامن خايفا فاجيبوا الرسول بالخروج الجهاد وان كنتم تخافون لضعفكم وقوتهم ويحتمل في جملة المؤمنين ان من اجاب لله وللرسول اذا دعاه يجعل قلبه هو الغالب على نفسه والحايل بينه وبين ما يدعوا اليه النفس واذا ترك الاجابة يجعل نفسه هي الحايلة بينه وبين ما يدعوا اليه قلبه والداعية الى ذلك وانه اليه تحشرون وقيل استجيبوا لله وللرسول بالطاعة في امر القتال اذا دعاكم الى الحرب لما يحييكم يعني بالحرب التي اعزكم الله يقول احياكم الله بعد الذل وقواكم بعد الضعف وكان ذلك حياة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يقول بين قلب المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يخرج على وجهين احدهما يستعجل التوبة قبل ان ينزل به الموت يقول اجيبوا الله وللرسول قبل ان يحال بين المرء وبين التوبة بالموت والثاني يحول بين المرء وقلبه بالاعمال التي يكتسبها بشيء الفعل الذي يفعله طبع قلبه وختمه ويغشي ظلمة تحول بينه وبين ما يقصده ويدعى اليه والله وقوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال بعضهم لا ها هنا صلة زايدة كانه قال واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي اتقوا فتنة التي تصيب الظلمة منكم خاصة بظلمهم وهو العذاب كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين فعلى ذلك قوله واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا في الاخرة وهو العذاب وذلك جايز في الكلام نحو ما قرا بعضهم قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بكسر الالف وطرح لا انها اذا جاءت يؤمنون اي انها وان جاءت لا يؤمنون واما على اثبات لا فانه يحتمل وجوها قيل اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا اي اتقوا ان تكونوا فتنة الذين ظلموا كقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا وربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ووجه جعله اياهم فتنة للذين كفروا وان يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبين فيظنون انهم على حق والمؤمنون على باطل فذلك معنى دعائهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لئلا يقولوا لو كانوا على حق ما غلبوا ولا قهروا ولا انتصروا منهم وقيل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا نهى الاتباع منهم ان لا يسمعون فيما بين الظلمة بالفساد ولا يغري بعضهم على بعض فيقع فيما بينهم الفساد فيكون هؤلاء الاتباع

فتنة للذين ظلموا باغراء بعضهم على بعض وذلك معروف فيما بين الخلق في الظلمة يغري الاتباع بعضهم على بعض فذلك فتنة ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى تغير الاحوال في الخلق مرة سعة وخصبا ومرة قحطا وضيقا ومرة غلبة العدو على الاولياء و ويدفع العذاب عن الظلمة بمن لم يظلم ما لم يشاركوا الظلمة فاذا شاركوا اولئك يحل باولئك بظلمهم واهل الصلاح والعدل بتركهم الظلمة واهل الفساد عن الظلم والفساد ولم ينهوهم عن ذلك فيقول لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولكن تصيبهم وتصيبكم فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم اخذ الظلمة العذاب لمشاركة اهل العدل وكذلك فيكونون فتنة لهم كقوله ولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض او ان يدفع عن الظلمة البلاء والعذاب ما دام اهل العدل يامرونهم بالمعروف وينهون عليهم المنكر فاذا تركوا ولا يغيرون عليهم المنكر ترك بهم البلاء فيعمهم البلاء الظالم وغيره والفتنة على وجهين فتنة الجزاء جزاء اعمالهم وذلك يأخذ اهلها خاصة وفتنة المحنة وذلك يعم الخلق والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس الاية ان اهل الاسلام في ابتداء الامر كانوا قليل العدد مستضعفين عند الكفرة حتى كانوا يخافون ان يستلب الكفرة ارواحهم وكانوا لا يؤمنون على انفسهم بالمقام في البلدان لقلة عددهم وضعفهم خوفا على انفسهم واشفاقا فتركوا المقام بالبلدان وخرجوا الى الجبال والغيران فاقاموا فيها واكلوا الحشيش والكلاء طعام الانعام خوفا على ابدانهم واشفاقا على دينهم ثم ان الله عز وجل اواهم وانزلهم في البلدان والامصار وايدهم ونصرهم على عدوهم ورزقهم الطيبات طعام البشر بعد ما اكلوا الحشيش طعام البهايم لعلهم يشكرون ليلزمهم الشكر على ذلك ولا يجوز لهم ان لا يشكروا بعد ما اصابوا ما اصابوا ذكرها والله اعلم لئلا تكون نحن من الاشفاق في الذين مثل اولئك حين هربوا منهم واتخذوا الجبال والغيران بيوتا والحشيش طعاما وتركوا اموالهم ونعمهم ورضوا بذلك اشفاقا على دينهم وقال عامة اهل التاويل نزلت الاية في اهل بدر وكانوا قليل العدد والعدة ضعيف الابدان والعدو كثير العدد وقوي الابدان فاشتد عليهم الخروج لذلك كقوله كما اخرجك ربك من بيتك الاية فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون اي اذ كنتم قليلا وفيه دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله فيمن قال هذا الشيء لفلان اشتريته منه صدق ويصير كانه قال هذا الشيء كان لفلان اشتريته منه دليله قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض اي اذ كنتم قليلا وقوله وايدكم بنصره على هذا التاويل بالملايكة ورزقكم من الطيبات المغانم التي رزقهم واحل لهم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم جعل الله عز وجل هذه الامة وسطا عدلا بقوله جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ثم قال يا ايها الذين امنوا قد جعلكم الله امناء عدلا وسطا فلا تخونوا فيه كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية وقال لا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض اخبر انه عرضها الامانة امتنا البشر دون ما ذكر من الخلايق ثم منهم من ضيع تلك الامانة من نحو المنافقين والمشركين وخانوا فيها فلحقهم الوعيد بالتضييع وهو قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات الاية لكنه قال يا ايها الذين امنوا قد قبلتم امانة الله فلا تضيعوها ولا تخونوا فيها كما قال اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وغيرها من الايات التي فيها ذكر الامانات نهاهم ان يخونوا فيها فيكونون كانهم خانوا اماناتهم ويحتمل قوله يا ايها الذين امنوا ان انفسكم واموالكم لله وهي عندكم امانة استحفظكم فيها فلا تستعملوها في غير ما اذن لكم لان من استحفظ احدا في شيء ووضع عنده امانة فاستعملها في غير ما اذن له صار خاينا فيها فامرنا فعلى ذلك انفسكم واموالكم لله عندكم امانة استحفظكم فيها فان استعملتم في غير ما اذن لكم فيها خنتم الله والرسول فيها فتخونوا اماناتكم التي لكم عند الله واذا حفظتم الامانة كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال بعضهم قوله وتخونوا اماناتكم اي لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم التي فيما بينكم واصله ان الله عز وجل امتحنهم فيما امتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كانوا خانوا انفسهم وخانوا اماناتهم كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدين وخيانة المؤمنين في افعالهم لعدم التوبة عن خياناتهم ودوعدا اولئك على ما خانوا بقوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وقوله عز وجل وانتم تعلمون ان انفسكم واموالكم ليست لكم انما هي لله عندكم امانة فلا تخونوا فيها وعن ابن عباس قال الامانة الاعمال التي ايتمن الله عليها العباد يعني الفريضة يقول لا تخونوا الله اي لا تنقصوا لم اختلف اهل التاويل في نزول الاية قال بعضهم نزلت في ابي لبابة وذلك ما قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة فسالوا الصلح على ان يسير والى اخوانهم الى اذرعات فابى النبي الا ان ينزلوا على الحكم فابوا قالوا فارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحهم فبعثه النبي اليهم فلما اتاهم قالوا يا ابا لبابة اننزل على حكم محمد فاشار ابو لبابة بيده ان لا تنزلوا على الحكم فاطاعوه وكان ابو لبابة ماله وولده معهم فخان المسلمين فنزلت الاية في شان حاطب بن فلان فنعل ابو لبابة وقيل نزلت في شان قوم بينهم وبين رسول الله عهد الذين كانوا يعبدون الاوثان والاصنام لكنا لا ندري في شان من نزلت وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه ما ذكرنا من النهي في الخيانة في امانة الله والامر بحفظها والله اعلم وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي

بعظم الاولاد والاموال لعبا وباطلا او ليكون لهم الاموال والاولاد ولكن اعظام محنة وابتلاء وكذلك جميع ما انشا فى الدنيا
من الاشياء انما انشا لنا فتنة ومحنة كقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون وقال وبلوناهم بالحسنات الاية او غيره من الايات يدل ان جميع ما انشا فتنة ومحنة يمتحن به البشر بقوله انما اموالكم
واولادكم فتنة اى محنة وابتلاء امتحنا به فى انواع التاديب والتعليم والحفظ والحقوق التى جعلها لهم علينا وهو كقوله يا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم الاية وما وجب فى الاموال الحقوق امتحنا باداء تلك الحقوق التى فيها وكذلك فى جميع ما امر الله الخلايق بامور و
نهاهم انما امر ونهى لمنفعة الخلايق ودفع الضرر عنهم لا لمنفعة نفسه او ضررا وحاجته يدفع به عن نفسه اذ له ملك ما فى السموات
والارض وهو العزيز بذاته لا يمسه حاجة يتعالى عن ذلك **وقوله عز وجل** وان الله عنده اجر عظيم لمن لم يخن الله والرسول
وصلهم الاجر العظيم انما قاموا بوفاء ما امتحنهم الله وابتلاهم به من الاموال والاولاد حيث قال وان الله عنده اجر عظيم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال بعض اهل التاويل ان هذه الاية صلة ما سبق من الامر بالجهاد بيد
والخروج اليه كانه قال ان تتقوا الله اطعتم الله واجبتم له فيما دعاكم اليه يجعل لكم فرقانا يحتمل قوله يجعل لكم فرقانا اى يجعل خروجكم
اليه وجهادكم اية عظيمة يظهر بها المحق من المبطل كقوله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته وقال ليحق الحق ويبطل الباطل اى ليظهر الحق
من الباطل وقد كان يجعل الله ذلك وبان الحق من الباطل والمحق من المبطل وقيل قوله فرقانا اى مخرجا فى الدين من الشبهات وقيل
مخرجا فى الدنيا والاخرة ويحتمل فرقانا اى بيانا لما ذكرنا جعل الله تعالى التقوى مشتملا على كل خير واصلا لكل بر وصيره مخرجا من كل
شبهة ومن كل ضيق وشدة وجعله سبيلا ثم يوصل به الى كل لذة وسرور وينال به كل خير وبركة على ما ذكر فى غير اى من القرآن **وقوله**
عز وجل ويكفر عنكم سياتكم التى سبقت ويغفر لكم اى يستر عليكم ذنوبكم لا يطلع احدا عليها وذلك من اعظم النعم واصل المغفرة
الستر **وقوله عز وجل** والله ذو الفضل العظيم اى عند الله فضل يعطيكم خيرا مما تطمعون الذى ذكر **وقوله عز وجل** واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك من الناس من يقول بان هذه الاية هى صلة قوله تعالى اذ انتم قليل مستضعفون فى
الارض تخافون ان يتخطفكم الناس كانوا مستضعفا اذلا فيما بين الكفرة خايفين فيما بينهم فهموا ان يمكروا برسول الله والمكر بهم ما ذكر من
القتل والاثبات وهو الحبس والاخراج كانهم تشاوروا فيما بينهم واستامروا ما يفعل بهم فذكر فى القصة ان بعضهم اشار والى القتل
وبعضهم الى الحبس وبعضهم بالاخراج فكان مشاورتهم وامرهم رجعت الى احد هذه الوجوه اما القتل واما الحبس ثم اخرج الله رسوله عم
من بين اظهرهم على الوجه الذى يكون مطيعا لله متعبدا له فيما كان خروجه بامره ليكون خروجه على غير الجهة التى ارادوا وامر به وهى
خروجه هجرة وليعلموا انه انما علم بكيدهم ومكرهم بالله ليكون اية من ايات نبوته ورسالته بعد خروجه من بين اظهرهم ومفارقته
اياهم كما كان له من الايات وقت مقامه بين اظهرهم وهو كما كان لعيسى ايات وقت مقامه بينهم واية كانت له بالرفع بعد مفارقته
قومه فعلى ذلك الاول ولو كانوا لم يتوافقوا بما ذكرنا من القتل والحبس دون الاخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين اظهرهم وهم قد
هموا باخراجه والله اعلم وفى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاخر ما ذكر تذكير ما انعم على رسوله واصحابه لانه اواهم الى الا
من بعد ما كانوا خايفين فيهم وانزلهم المدينة بعد ما كانوا فى الغيران فى الجبال هاربين منهم ورزقهم من الطيبات طعام البشر بعد
ما كانوا يتناولون من طعام البهايم والسباع يذكر نعمه عليهم باستنقاذه اياهم من بين ظهرانيهم والحيلولة بينه وبين ما قصدوا وهموا
بالمكر به والهلاك بقوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فيه من الوجوه لحججا عليهم احدها ما ذكرنا انهم تشاوروا فيما
بينهم بالمكر لهم لم يطلعوا احدا ثم علم ذلك هو فخرج ليعلموا ان الله هو الذى اطلعه على ذلك والثانى كان يخوفهم الهلاك بمكرهم برسوله
فخرج من بينهم من غير ان اصابه ما هموا به وقد اصابهم من الهلاك الذى كان يخوفهم وحل بهم ما كانوا به وقصدوه وذلك ما ذكر
من مكر الله بهم **وقوله عز وجل** ويمكر الله والله خير الماكرين قال بعضهم اراد وامر بمكرهم بشراء هواه يطفئوا هذا النور وليذهب
هذا الدين ويدرس اثاره واراد الله ان يتم منهم نفر يكونوا اعوانا ونصراء له ليأخذ واحدهم بذلك فهو خير الماكرين وقيل ويمكرون
ويمكر الله اى ارادوا قتله ويمكر الله اراد قتلهم فقتلهم ببدر والله خير الماكرين اى افضل مكرا منهم غلب مكره مكرهم وقال بعضهم
قوله ويمكرون ويمكر الله اى يجزيهم جزاء مكرهم **وقوله** واذا تتلى عليهم اياتنا يحتمل قوله اياتنا ايات القرآن التى كان يتلوا رسول
ويحتمل اياته حججه وبراهينه التى توجب التوحيد وتصديق الرسل **وقوله عز وجل** قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قالوا ذلك
متعنتين اذ كان يقرع اسماعهم قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وقوله فاتوا بسورة من
مثله الاية ثم لم يكن يطيع احد منهم ان ياتى بمثله او تكلفوا فى ذلك دل ان قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا تعنت وعناد ان هذا الا اساطير
الاولين كذلك كان يقول العرب انه اساطير الاولين **وقوله** واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء الاية يذكر نهاية سفههم وغاية جراتهم على الله وبغضهم الحق مع علمهم ان الله هو الاله وانه قادر على انزال العذاب وله السلطان
على امطار الحجارة بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلم ينالوا اهلاك انفسهم
لشرع سفههم وجراتهم على الله وبغضهم الحق وهذا ذكر والله اعلم ليعلم الناس ما لحق رسول الله بمعاينة هؤلاء السفهاء الى دين الله

الذين لم يبالوا اهلاك انفسهم لشرع سفههم وجراتهم على الله وما يحتمل من الوعيد العظيم **وقوله عز وجل** وما كان الله
[illegible]
وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال فيكم امانان احدهما رسول الله [illegible]
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فذهب امان وهو رسول الله وبقى امان وهو الاستغفار وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال ان الله جعل فى هذه الامة امانين لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما دام بين اظهرهم فامان قبضه الله
اليه وامان بقى فيكم وهو الاستغفار الذى ذكر وروى عن عبد الله عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا فى اخر
سجوده فى صلوة الايات فقال اف اف فقال رب الم تعدنى ان لا تعذبهم وانا فيهم رب الم تعدنى ان لا تعذبهم وهم يستغفرونك وعن بعضهم
امانان انزلهما الله اما احدهما فقضى وهو نبى الله واما الاخر فابقاه الله تعالى بين اظهركم وهو الاستغفار والتوبة وفى اثبات قول
السفهاء ودعائهم بامطار الحجارة عليهم وجعل ذلك كتابا يتلى فى الصلوات اوجه ثلاثة من الحكمة احدها ترهيب هذه الامة
المعاملة مع السفهاء عند ارتكاب المناكير من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انهم انما تمادوا فى غيهم واستقبلوا بالمكروه
والاذى ان لا يترك الامر لهم بالمعروف ولا يؤيس من خيرهم اقتداء بالنبى انه لم يترك دعائهم وامرهم بالمعروف مع شدة سفههم
وتمردهم والثانى ليعلم الخلائق ان حجة الله تلزم العباد وان كانوا قد جهلوا انها كان التضييع لما من قبلهم فى ترك النظر والتفكر
اذ لو علموا حقيقة العلم انه الحق لم يكونوا ليدعوا على انفسهم بالهلاك والثالث يكون فيه بيان لنا **وقوله عز وجل** وما لهم الا يعذبهم الله
وهم يصدون عن المسجد الحرام اى ما لهم من عذر فى صرف العذاب عن انفسهم اذ قد كان منهم من انواع ما كان لو كان واحد من ذلك
لكانوا يستوجبون العذاب من تكذيبهم الرسول والايات التى ارسلها اليهم وصدهم الناس عن المسجد الحرام وهو مكان العبادة
وسؤالهم بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم اى ليس لهم عذر فى صرف العذاب عن انفسهم والاحتجاج على الله
انه لم يرسل رسولا بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا الاية بل ارسل اليهم الرسول فكذبوه وبعث اليهم الايات فكذبوها وصدوا الناس
عن المسجد الحرام فلا عذر لهم فى وجه من الوجوه ان يصرف العذاب عنهم الا ان الله بفضله ورحمته يصرف العذاب عنهم ببركة
النبى عليه السلام واستغفار المؤمنين والا قد كان منهم جميع اسباب العذاب التى يستوجبون بها وقوله وهم يصدون عن المسجد
الحرام اى عن الصلوة فيها ويحتمل ان يكون صدوا الناس عن رسول الله لكنه ذكر المسجد لما كان رسول الله فيه لئلا يرد رسول الله
فيتبعوا **وقوله عز وجل** وما كانوا اولياءه ان لم يكونوا اولياءه ليصرفوا العذاب عن انفسهم بالولاية وهو صلة قوله وما لهم
ان لا يعذبهم وهم ليسوا باوليائه ويحتمل قوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون الذين اتقوا ما اتوهم واولياؤهم المؤمنون
لا الذين اشركوا ضيعوا فى عبادته والوهيته **وقوله عز وجل** وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بعضهم كان
احسن حالهم التى هم عليها هى حال الصلوة فاذا كان صلاتهم مكاء وتصدية فكيف حالهم فى غير الصلوة وقال بعضهم فى
وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا صلوا فى المسجد الحرام قام
من المشركين عن يمين النبى واصحابه فيصفرون كما يصفر المكاء وطايفة تقوم عن يسارهم فيصفقون بايديهم ليخلطوا
على النبى واصحابه صلوتهم فنزل قوله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ثم اختلف فى المكاء والتصدية
قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق والتصدية هو طوافهم على الشمال وقال القتبى المكاء الصفير يقال مكا يمكو وهو مثل
ما قيل لطاير مكاء لانه يمكو اى يصفر يعنى بصوت والتصدية هو التصفيق يقال صدا اذا صفق بيديه وقال ابو عوسجة
المكاء شبه الصفير والتصدية ضرب باليدين وهو من الصدى من الصوت وقيل المكاء صفير كان اهل الجاهلية يلعبون به والتصفيق

الصد عن سبيل الله ودينه وقوله عز وجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال بعض اهل التاويل ذوقوا العذاب يوم بدر وهو
الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر ويحتمل قوله فذوقوا العذاب في الاخرة بكفرهم في الدنيا وقوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية يذكرهم والله اعلم النعم التي انعمها عليهم من انواع النعم لما انزلهم في بقعة حصت تلك البقعة
وفضلت على غيرها من البقاع وهو مكان العبادة ثم صدوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها ومن ذلك بعث الرسول منهم
فيهم فكذبوه وما اعطاهم من الاموال فانفقوها في الصد صد الانسان عن مكان العبادة واقامة العبادة فيه ثم اختلف في
معنى الصد قال بعضهم ان كفار قريش استاجروا القتال بدر رجالا من قبائل العرب عونا لهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
فذلك نفقتهم التي انفقوا فصار ذلك حسرة عليهم لما كانت الهزيمة عليهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال
تلك قد نحلنا ان ناسا في الجاهلية كانوا يعطون ناسا اموالهم فيقاتلون نبي الله فاسلموا عليها فطلبوا فكانت عليهم وعن سعيد بن جبير
قال نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفا من الاحابيش من كنانة فقاتلهم النبي ويحتمل ان يكون ثم تكون عليهم حسرة
يوم القيمة اي النفقة التي انفقوها عليهم حسرة في الاخرة لما انفقوها في ضرحل لصد الناس عن سبيل الله وقوله عز وجل
والذين كفروا الى جهنم يحشرون اي يجمعون وهو ظاهر يجمعون الى جهنم بكفرهم بالله وقوله عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب
جعل الله تعالى الخبيث مختلطا بالطيب في الدنيا في سمعهم وبصرهم ونطقهم وجميع جوارحهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم
وجميع منافعهم من الغنى والفقر وانواع المنافع جعل بعضهم ببعض مختلطين في الدنيا على ما ذكرنا لكنه ميز بين الطيب والخبيث
في الاخرة باعلام يعرف بتلك الاعلام الخبيث من الطيب من نحو ما ذكر في الطيب قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال في الكافر ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقوله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية وغير ذلك من الايات ميز الله
تعالى بين الخبيث والطيب بالاعلام التي ذكرنا في سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم ومآكلهم ومشاربهم حتى يعرفوا جميعا بالاعلام
ويحتمل ما ذكر من التمييز بين الخبيث والطيب بالمباهلة التي جرت بين ابي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ابو جهل انصر من اهدى
سبيلا وابرنا قسما واوصلنا رحما فاجيب نصر رسوله واصحابه فميز بين الحق والباطل ويحتمل ما ذكر من التمييز في الاخرة كقوله فريق
في الجنة وفريق في السعير وقوله عز وجل ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلهم دركات
بعضها اسفل من بعض كقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من بعض كقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويحتمل
ان يجعل بعضهم على بعض مقرنين في الاصفاد فيركمه جميعا قيل يجمعه جميعا بعضهم على بعض ويحتمل فيركمه جميعا اخبارا عن الضيق
كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقال القتبي فيركمه جميعا اي يجعله ركاما بعضها فوق بعض وكذلك قال ابو عبيدة يقال ركمت
المتاع اذا جعلت بعضه فوق بعض وقوله فيجعله في جهنم الجهنم هو المكان الذي يجمع اهل النار في التعذيب وقوله عز وجل
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ذكر عز وجل غاية كرمه وجوده بما وعدهم من المغفرة والتجاوز عنهم من الاشراك
في الوحشة وصرف العبادة الى غيره وصد الناس عن عبادته وطاعته ونصب الحروب التي نصبوا بينهم وبين المؤمنين وغير ذلك
من انواع الهلاك فيح ما كان منهم وعدهم المغفرة بالانتهاء من ذلك ليعلم غاية كرمه وجوده والمغفرة يحتمل التجاوز عنهم ما كان منهم
لا يؤخذون بذلك ويحتمل يستر عليهم معاصيهم التي كانت منهم ولا يذكرون ذلك لهم لو ذكروا ذلك ينغص عليهم النعم وفيه دلالة
نقض قول المعتزلة لانه اخبر انهم ان انتهوا وتابوا يغفر لهم ما قد كان منهم وانما انتهوا بالايمان ولم يجعل بين الايمان والكفر منزلة
ثالثة وهم يجعلون بينهما منزلة ثالثة ويقولون اذا ارتكب كبيرة خرج من الايمان ويخلد في النار ابدا وان لم يكن داخلا في الكفر وفيه
دليل نقض قول من يقول بان على الكافر في فعل العبادات من نحو الصلوة والزكوة والصيام لانه ذكر الانتهاء عما كان منهم من ترك
القيام بعبادتها واذا ما تركوا القيام بها عليهم اداء شئ من ذلك دل انه لم يكن عليهم في حال الكفر فعل شئ من العبادات ما سلف استيفاء
تلك العبادات اذ لو كانت عليهم لكان الانتهاء منها قضاء ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها فاذا استيقظ وذلك كفارته ثم ذكر تاويل قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ليس
على الفعل ولكن في حق الاعتقاد لا سبيل الى القيام بفعل ما ذكر الا بعد حول وقت طويل وفي هذه الاية دلالة على ان ليس بين
الشرك والايمان منزلة ثالثة على ما يقوله المعتزلة في صاحب الكبيرة لانه لو كان بين الكفر والايمان منزلة ثالثة لكانوا اذا انتهوا
عن الكفر ولم ينتهوا عن تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم فدل ما ذكر من المغفرة على انه ليس بينهما منزلة ولكن اذا انتهوا عن الكفر دخلوا
في الايمان وقوله عز وجل وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين قال بعضهم وان يعودوا الى الكفر وقتال النبي محمد بعد ما انتهوا عنه
فقد مضت كما يعني القتال ويحتمل ان يكون قوله تعودوا اي داموا فيه لانه لا كانوا خرجوا منه ثم دخلوا فيه
كانوا فيه لان كانوا خرجوا منه ثم دخلوا غير ذلك لم يحتمل وجهين فيكون هذا احدهما ان الكفر ليكم التجدد في كل وقت والثاني ما
ذكرنا ان كانوا العود فيه لدوامهم فيه وان لم يخرجوا منه وذلك جائز في اللسان كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وابتداء الخروج

من غنيمان

من غنيمان كما نوا فيه وكقوله رفع السموات ابتداء ولم يكن لانه كانت موضوعا فرفعها من بعد فعلى ذلك قوله وان يعودوا يحتمل ان
داموا فيه وقوله فقد مضت سنة الاولين مضت يحتمل قوله ما ذكرنا من القتال والثاني في سنة الاولين الهلاك الذي كان وقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قيل الفتنة الشرك اي قاتلوهم حتى لا تكون الشرك ويكون الدين كله لله ويحتمل قوله حتى لا تكون فتنة
اي محنة القتال كانه قال قاتلوهم الى الوقت الذي يرتفع المحنة وهو يوم القيمة وفيه دلالة لزوم الجهاد الى ابد الدين والفتنة هي
المحنة التي فيها الشرك ويكون الدين كله لله وقوله عز وجل ويكون الدين كله لله هو يخرج على وجهين احدهما ويكون من الدين الذي
هو الدين كله لله لا نصيب لاحد فيه وهو السبيل التي كانت للشيطان كانه قال ويكون الاديان التي بها دينا واحدا وهو دين الله
الذي يدعى الخلق اليه وبذلك بعث الرسل والكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون الحكم كله لله كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
اي في حكم الملك وقوله عز وجل فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير وقوله وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم قيل ناصركم وقيل اولى
الميلاك نعم المولى ونعم النصير اي نعم الناصر والنعم ونعم النصير لانه لا يعجزه شئ وقيل مولاكم اي وليكم وقوله عز وجل واعلموا انما غنمتم
من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال عامة اهل التاويل ان الغنيمة هي التي اصاب المسلمون من اموال المشركين بالقتال عنوة
والفئ ما يعطون بايديهم صلحا والغنيمة ياخذ الامام الخمس منها والباقي يقسم بينهم والفئ ياخذ الامام فيضعه في مصلحة المسلمين ليس
فيه الخمس وقال بعضهم الغنيمة والفئ واحد ثم قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه الى اخره ذكر الخمس ولم يذكر الاربعة
الاخماس انها لمن لكنها المقاتلة بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا لكانت الغنيمة كلها لمن غنمها بظاهر هذه الاية الا ما استثنى الله
منها بالاية الاولى وهو الخمس وهذا مما اجمع عليه اهل العلم وعلى ذلك تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته
معروف من بعده روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المال يعني الغنيمة قال لله خمسه واربعة اخماسه لهؤلاء يعني المسلمين دونكم
ثم قسمها بين المقاتلة يعني الاربعة الاخماس وفي بعض الاخبار ان ابا الدرداء وعبادة بن صامت والحارث بن معاوية كانوا جلوسا
فقال ابو الدرداء ايكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى الى بعير من الغنم فلما انصرف فتناول من دبر البعير فقال
ما يحل لي من غنائمكم ما يزن هذه الا الخمس ثم هو مردود فيكم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كانت الغنائم تجزى خمسة اجزاء ثم يسهم
عليها فما صار لرسول الله فهو له وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها
وغير ذلك من الاخبار وعلى ذلك اتفاق الامة ومنهم من يقول يقسم على ستة سهم لله يجعل في ستر الكعبة وسهم لرسوله ينتفع به
ومنهم من قال يقسم على خمسة سهم لرسوله واربعة اخماس لمن غنم ومنهم من يقول يقسم على اربعة سهم لرسوله وللائمة ارباعه لمن غنم
ثم قوله فان لله خمسه وللرسول يحتمل اضافة ذلك الى نفسه وجهين احدهما لما جعل ذلك لاقامة العبادات وانواع البر والخير و
القرب التي هي لله فاضيف اليه على ما اضيف المساجد اليه بقوله وان المساجد لله وان كانت البقاع كلها لله وكذلك ما سمي الكعبة بيت الله
وان كانت البيوت كلها لله لما جعلها لاقامة العبادات وانواع القرب فاضيف اليه فعلى ذلك يحتمل اضافة ذلك السهم اليه لما
جعله لاقامة العبادات والقرب وانواع البر والله اعلم والثاني اضاف ذلك الى نفسه خصوصية لرسول الله اذ كان ذلك لرسوله ثم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع احواله واموره لله خالصا لم يكن لنفسه ولا لاحد من الخلق فعلى ذلك جميع ماله وما كان
تحت يده لم يكن له انما كان ذلك لله خالصا يصرف ذلك في انواع القرب والبر في القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل الاجانب
منهم والاموات جميعا والقريب منهم والبعيد جميعا الا ترى انه قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة هذا يدل ان ما يترك
صدقة هذا يدل ان ما يترك صدقة لا يورث منه ولو كان له ليورث ورثته ما يورث من غيره دل ان نفسه وماله كان لله خالصا
وكذلك جميع اموره لله الا ترى انه روي في الخبر انه كان يجوع يوما ويشبع يوما ويجوع ثلاثا وكان يربط الحجر على
بطنه للجوع فاذا كان اضافة ذلك الخمس الى الله لخصوصية له وخلوص نفسه وماله له وان كان جميع الخلائق وما تحت
ايديهم لله حقيقة لكن لهم فيها الانتفاع وقضاء الحوائج والتدبير لانواع التصرف في ذلك ومشاركة غيره في ذلك لم يخص بالاضافة
اليه وان كان ذلك كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله وما تحت يده لله لا تدبير له في ذلك ولا شرك لاحد فيه خص بالاضافة
ذلك اليه كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله وهذا كما قال والله اعلم الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم لله وقال مالك
يوم الدين وقال وبرزوا لله جميعا خص بالذكر ملك ذلك اليوم والبروز له لما ينقطع يومئذ تدبير تدبير جميع ملوك الارض
ويذهب سلطانهم عنهم ويصفو البروز له وان كان الملك في الاحوال كلها والاوقات جميعا وكذلك البروز له والمصير اليه
وان كان ذلك راجعا اليه في كل الاحوال فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم ليس في ظاهر الاية دليل ان المراد بقوله ولذي القربى قرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل في ظاهره دلالة انه اراد به قرابة اهل السهام في ذلك لانه خاطب به الكل بقوله واعلموا انما
غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وظاهره انه اراد به قربى من خاطب وكان للخطاب جميعا الا انه كان لم
يفهم من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قرابة المخاطبين وكذلك لم يرجع
قوله ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين الى قرابة رسول الله بل الى قرابة المخاطبين به فعلى ذلك الظاهر من قوله ولذي القربى

الان يقال اراد بالقرابة رسول الله بدلالة اخرى سوى ظاهر الاية وهو ما روى انه قسم الخمس بين بني هاشم وما روى انه قال مالي من هذا
المال الا الخمس والخمس مردود فيكم وما روى ان نجدة كتب الى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى فكتب تسالني عن سهم ذي القربى لمن هو
وهو لنا اهل البيت وقد كان عمر دعانا الى ان ينكح منه ايمنا ونقضي عنه مغرمنا فابينا الا ان يسلمه الينا فابى ذلك علينا فدل فعل عمر
هذا على ان التأويل في الخمس كان عنده ان رسول الله كان يصل به قرابته ويسد بالخمس حاجتهم اذ كان جعل سبيل الخمس ما ذكرنا انه
يعني انه يصرف في وجوه القرب اليه فلو كان الخمس حقا لجميع القرابة اعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم وما يأخذه الاغنياء من الخمس فانه
لا يجري مجرى الصدقة ولا يجري مجرى القربة فبان بذلك انه لا يعطى منه اغنياؤهم بل يصرف الى فقرائهم على قدر حاجتهم اذ لم يكن له مكاسب
سواه يصل بها كما يكون لغيرهم من الناس من المكاسب وانواع الحرف ومما يدل على ان رسول الله اعطى بعض القرابة دون بعض ما روي
عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب اتيت انا وعثمان فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله فيهم ارأيت بني المطلب اعطيتهم ومنعتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لا
يفارقوني في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وقوله فان لله خمسه وللرسول الى
اخر ما ذكر بين ان خمس الغنيمة يصرف في وجوه البر والقرب الى الله ثم فسر تلك الوجوه فقال وللرسول ولذي القربى واليتامى و
المساكين وابن السبيل فكانت تسمية هذه الاصناف والله اعلم تعليما لنا ان الخمس يصرف فيمن ذكر من اهلها دون غيرهم وليس ذلك
ايجابا منه لكل صنف منها شيئا معلوما ولكن على بيان الاهل والموضع وهو كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية حمل
اصحابنا ذلك على ان الصدقة لا يجوز الا لمن كان من اهل هذه الاصناف دون غيرهم ولم يجعلوا الامر على ان لكل صنف منهم شيئا
معلوما محدودا ولكن على بيان اهلها وعلى ذلك روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر وعلي وحذيفة وابن عباس و
جماعة من السلف ما يكثر عددهم قالوا اذا وضعت الصدقة في صنف واحد اجزاك فلو كان لاجل كل صنف الثمن منها كان المعطي بها
صنفا واحدا مخالفا لما امر به فعلى ذلك قوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى الاية معناه والله اعلم ان الخمس الذي تميز
به من الغنيمة الى الله لا يستحقه الا الرسول ومن كان من الاصناف التي ذكرها فالى ايهم دفع ذلك الخمس اجزاه واذا كان التأويل
ما وصفنا لم يكن لاحد من اهل هذه الاصناف ان يدعي منه خمسا ولا سدسا ولكن يعطى كل من خص منهم بقدر فاقته وحاجته وعلى
قدر ما يراه الامام فاذا جاء فريق اخر ودن اعطوا مما يدفع الى الامام من ذلك الخمس من المال كفايتهم وكذلك روي عن ابن عمر وابن
عمر ان ابن عباس قال كان عمر يعطينا من الخمس نحوا مما كان يرى انه لنا فرغبنا عن ذلك وقلنا حق ذي القربى خمس الخمس فقال عمر انما جعل الله
الخمس لاصناف سماها فاسعدهم بها اكثرهم عددا واشدهم فاقة فاخذ ذلك ناس وتركه ناس وكذلك فعل عمر لما ولي الامر ما روي عن
ابن عباس قال عرض علينا عمر ان يزوج من الخمس ايمنا ونقضي منه مغرمنا فابينا عليه الا ان يسلمه الينا فابى ذلك علينا فدل فعل عمر على
ان القرابة يعطون من الخمس قدر حاجتهم وما يسد به فاقتهم اذ لو كان الخمس حقا لجميع القرابة اعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم ومما يدل
ايضا على ان الخمس لو كان حقا لجميع القرابة غنيهم وفقيرهم لقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم كما قسم الاربعة الاخماس بين المقاتلة
بل اعطى منه بعض القرابة وحرم بعضا لما ذكرنا في خبر جبير بن مطعم ومما يدل ايضا ان ذلك لاهل الحاجة منهم دون الكل ما روي ان الفضل
بن عباس وفلان دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ عند زينب بنت جحش فقالا يا رسول الله انت ابر الناس واوصل
الناس وقد بلغنا النكاح فجئناك لتأمرنا على هذه الصدقات فنؤدي اليك ما يؤدي العمال ونصيب منها ما يصيبون فسكت طويلا
حتى اردنا ان نكلمه حتى جعلت زينب تلمع الينا من وراء الحجاب ان لا تكلماه ثم قال ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي اوساخ الناس
ادعوا لي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءاه فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل فانكحه وقال لنوفل انكح
هذا الغلام ابنتك فانكحه ثم قال لمحمية اصدق عنهما من الخمس كذا وكذا فهذا دلالة على ان الحكم فيه لاهل الحاجة منهم وما يدل ايضا على
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم وقد جعله مردودا في
سبيل المسلمين يعطى من يحتاج منهم كفايته وعلى هذا سار الائمة الراشدون ومن بعدهم على ما في الامر وكان ذلك عندنا انه لا يجوز
[illegible] القسم عليه فان قيل لو كان قرابة النبي انما يعطون من الخمس على سبيل الفقر والحاجة ثم لم يعطوا بعموم المساكين فما وجه
[illegible] انما قيل ان الله تبارك وتعالى قال انما الصدقات للفقراء والمساكين فذوو القربى من الفقراء [illegible]
الصدقة لمحمد ولا لآل محمد [illegible] فجعل لهم في الخمس عوضا [illegible] ان يقول قائل لا يجوز ان يعطوا من الخمس وان كانوا فقراء [illegible]
من الصدقة وان كانوا فقراء [illegible] الخمس ايام اختلف اهل العلم بعد وفاة النبي
في سهم الرسول وسهم ذي القربى فقالت طائفة سهم الرسول للخليفة من بعده وسهم ذي القربى لقرابة الخليفة وقالت طائفة لقرابة
قرابة الرسول وقال الحسن سهم القرابة لقرابة الخليفة [illegible] وقد ذكرنا انه يحتمل [illegible] يعطيهم سهما
قرابة بحق النصرة او يعطيهم بحق القرابة ما دام حيا [illegible] ذهبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] لا نورث ما تركنا صدقة
فاذا لم يورث عنه ما قد حازه من سهامه فكيف يورث عنه ما لم يأخذ بعد وفاته ولو كان سهمه الذي [illegible]

سهمه الذي

كان سهمه الذي قد جاز له اخرى ان يورث عنه فاذا لم يورث الذي قد حازه وملكه عنه لا يورث الاخر والله اعلم وعن عائشة
ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله وهما حينئذ يطلبان ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما ابو بكر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا صدقة انما ياكل آل محمد في هذا المال [illegible] والله لا ادع امرا رأيت
رسول الله يصنعه فيه الا صنعته وفي بعض الاخبار قال لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة عاملي ومؤنة نسائي
فهو صدقة وعن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق من مال الله عليه سنة ويجعل ما بقي [illegible] وروي ايضا عنه قال
كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله وكانت له خالصا وكان ينفق منها على اهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع
والسلاح فهذه الاخبار تبين انه لم يورث سهم النبي بعده [illegible] بدل على انه لا [illegible] بعد موت النبي من خمس الغنائم لخليفة
شيئا وان ذلك انما كان مخصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كالصفي الذي كان له خاصة دون غيره وكما لم يوجف عليه المسلمون
بخيل ولا ركاب فكان له ذلك خاصة فليس لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم مخصوص من الخمس كالذي له مخصوص من الصفي وغيره واذا
كان الامر في سهم الرسول كما وصفنا ولم ينقص من الخمس الذي هو له بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كله من الغنيمة فذلك
يدل على ان الخمس ليس لاهل هذه السهام حقا مقسوما ولكن يعطون منه بقدر فاقتهم ويدل ذلك ايضا على انه لا يجب لكل صنف
من هذه الاصناف سهم معلوم لانا قد رددنا سهم النبي من الخمس على سائر السهام فكما جاز ان يرد عليهم سهم النبي فكذلك يجوز
ان يجعل سهم اليتامى وبعضه للمساكين اذا حضروا وطلبوا ولم يحضر اليتامى لان المعنى في الاية والله اعلم ان لا يعطى الا من كان من اهل
هذه الاصناف فقد وضع الحق في موضعه ولم يتعد به الى غيره ثم الخطاب في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء لا يحتمل كلا في نفسه
كالخطاب باداء الزكوة وغيرها من الحقوق بل الخطاب راجع الى الجماعة الذين غنموا الا ترى ان العسكر والسرايا اذا دخلوا
دار الحرب فتفرقوا فيها فغنم واحد منهم يجب ضم ذلك الى جميع العسكر والسرايا فعند ذلك يخرج الخمس منه ولان الخطاب بذلك
راجع الى الجماعة وهي الجماعة التي لهم منعة يقومون للعدو لانه خاطب كل احد في نفسه فهذا يدل على ان الواحد والاثنين اذا دخلوا
دار الحرب بغير اذن الامام فغنم غنائم لا تخمس ولكن يسلم الكل له وانما الغنيمة نفسها لا يحتمل ان ترجع الى احد معلوم او مقدار
محدود كالزكوة وسائر الحقوق لان الغنيمة شيء يؤخذ من ايدي الكفرة وانما يؤخذ قدر ما يظفر به ويوجد فلا يحتمل ان يرجع
الخطاب الى قدر دون قدر القليل من ذلك والكثير سواء لاحد في ذلك ولا مقدار ليس كالزكوة وغيرها من الحقوق التي
جعل فيها حدا ومقدارا للوجه الذي ذكرنا واما المصيبون لها والاخذون فلهم في ذلك مقدار وهم الذين لهم منعة ثم نذكر
مسئلة في قسمة السهام بين الرجالة والفرسان وان لم يكن في الاية ذكر روي عن ابن عمر قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
خيبر الرجل منها والفرس سهمين ثلاثة اسهم له ولفرسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
خيبر للراجل سهما وللفارس ثلاثة اسهم سهماله وسهمين لفرسه ثم روي ايضا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم
للفارس سهمين وللراجل سهم وعن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم له يوم بدر سهما ولفرسه سهما وعن علي قال
للفارس سهمان وعن المنذر قال بعثه عمر في جيش الى مصر فاصابوا غنائم فقسم للفارس سهمين وقول بعضهم اسهم للفارس
سهمين لاختلافها وتضادها فخلوا على التناسخ وقد يجوز ان لا يكون ذلك كذلك وقد تكون زيادة التي زادتها النبي للفرس على
سهم ان كان محفوظا ثابتا لتفضل نفله الافراس حينئذ ترغيبا منه للمقاتلة فاتخاذها وتحريضا كما يجوز ان يقول الامام
من قتل قتيلا فله سلبه ومن جاء برأس كذا فله كذا يحرض بذلك المقاتلة في القتال فعلى ذلك زيادة سهم لمكان الافراس ترغيبا
منه وتحريضا على اتخاذها فاما ان كثرت الافراس فان سهمانها لا تكون اكثر من سهمان اصحابها لان الفارس اكثر غناء من فرسه
فان لم يزد عليه لم ينقص عما يسهم وكان ابو حنيفة رحمه الله يسهم للفارس سهمين وابو يوسف يرى ان يسهم للفرس سهمين
ولصاحبه بسهم والحجة في ذلك بقوله قال الله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فكان
النضير خالصة لرسول الله ولم يكن لمن حضرها من المسلمين شيء اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وقد اتوها مشاة فلما منع
الرجالة من السهام لاستغنائهم في فتحها عن الخيل جاز ان يزاد الخيل في السهام على سهمان الرجالة اذا كان الرجالة يمنعون
السهام وان حضروها اذا لم يلجأوا الى ركوب الخيل لكن الحجة على هذا ما ذكر ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجادبوا على
النضير فرسانا ولا رجالة ولو احتاجوا الى الحرب لاحتاجوا الى الخيل فحيث يحاربوا عليها لم يستحقوا منها شيئا وانما ذكرنا الله
تعالى على سهولة امرها وانهم لم يحاربوا عليها خيلا ولا ركابا وانما لم يحارب على مدينة فغنموا بها فهو معروف في مصالح المسلمين
لا يجري فيه السهام فكانت النضير على ما ذكر خالصة للنبي ياخذ منها نفقة سنة ويصرف سائرها الى مصالح المسلمين ومن الدليل
على ان النضير لو احتيج منها الى الحرب حاربهم النبي واصحابه رجالة جرت في غنائمهم القسمة ان قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم
على مدينة من مدائن الشرك رجالة قسم ما يغنم منها كما يقسم لو كان معهم فرسان ومن الدليل على ذلك ايضا ان الرجالة اذا
كانوا مع الفرسان في الحرب قسم لهم كما يقسم للفارس خاصة فلو كانت الغنيمة انما تقسم لسبب الخيل ما اعطي الرجالة منها شيئا

اذلا افراس لهم وذلك يفسد ما ذكرنا لابي يوسف وقوله عز وجل ان كنتم امنتم بالله قال بعضهم هو صلة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ثم قال وان تولوا فاعلموا ان الله هو موليكم اي وان تولوا وتدامنتم انتم فاعلموا ان الله مولاكم ليس بمولى وقالت طايفة قوله ان كنتم امنتم بالله ليس على الشرط على ان لا يكون غنيمة ان لم يكونوا مومنين ولا يجب في العدل في القسمة اذا كانوا غير مومنين ولكن على التنبيه والايقاظ كقوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين وكقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين ليس على انه لا يجب ان يذروا اذا لم يكونوا مومنين ولا يجب ان يطيعوا اذا لم يكونوا مومنين ولكن على ما ذكرنا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قيل قوله وما انزلنا على عبدنا الملايكة الذين ارسلهم يوم بدر لنصرة المومنين وانزل عليهم المطر حتى شد الارض بذلك بذلك فاستقرت اقدامهم وثبت بعد ما لا يقر الاقدام فيها ولا تثبت وشربوا منه وردوا بعد ما اصابهم العطش اذ كان المشركون اخذوا الماء وقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر وقوله يوم الفرقان قيل يوم فرق بين الحق والباطل لانه عز وجل جعل يوم بدر اية حيث غلب المومنون المشركين مع قلة عددهم وضعف ابدانهم وفقد الاسباب التي بها يحارب و يقاتل وكثرة العدو وقوتهم ووجود اسباب الحرب والقتال ليعلموا انهم غلبوا اولئك وهزموهم بنصر الله اياهم فكان اية فرق الحق منهم والمبطل وقيل هو يوم الفرقان ويوم الجمع جمع النبي والمومنين وجميع المشركين ويوم الافتراق افتراق المشركين من المومنين وانهزامهم وهو كما سمي يوم القيامة يوم الجمع في حال ويوم الافتراق في حال اخرى والله اعلم وقوله عز وجل اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى قال بعضهم العدوة القصوى شفير الوادي الاقصى والعدوة الدنيا شفير الوادي الادنى وكذلك قال القتبي العدوة الشفير الوادي وقال ابو عوسجة العدوة ناحية الوادي التي تليهم وقال انما سميت الدنيا لانها دنت منك والاخرى لانها استاخرت وقيل في حرف ابن مسعود اذ انتم بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى وقال ابو معاذ العدوة لغتان والركب والركبان والركاب والراكبون كله لغة وقال في حرف حفصة اذ انتم بالعدوة القصيا وقال بعضهم اذ انتم معشر المومنين بالعدوة الدنيا من دون الوادي على الشط مما يلي المدينة وهم بالعدوة القصوى من الجانب الاخر مما يلي مكة وقوله عز وجل والركب اسفل منكم يعني اصحاب العير على ساحل البحر او على الماء وقال قتادة جمع الله المشركين والمسلمين ببدر على غير ميعاد وهما شفير الوادي كان المسلمون باعلاه والمشركون باسفله والركب اسفل منكم ابو سفيان انطلق بالعير في ركب نحو الحرب وقيل اذ انتم بادنى المدينة وهم باقصى مما يلي مكة على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد يحتمل اي لو علمتم انكم تخرجون الى الحرب دون العير لم تخرجوا الا بميعاد لما هو الحرب والقتال فاختلفتم في الميعاد اما الخروج نفسه واما للميعاد نفسه اتخرجون او لا تخرجون او منكم من يوخر الخروج عن وقت الميعاد ومنكم من لا يخرج راسا ليقضي ذلك وقوله عز وجل ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا يحتمل لينجز الله ما كان وعد من الظفر والنصر او ليقضي الله امرا كان في علمه مفعولا لان احدى الطايفتين انها لكم كاينة قال وعدا الله مفعولا اي منجزا ويحتمل القضا ابتداء انشا وخلق اي ولكن لينشي الله ما قد علم انه يكون كاينا او ليحكم ما قد علم انه يكون كاينا والله اعلم وقوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال بعض اهل التاويل ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة وحجة ان رسول الله كان على الحق وكان صادقا ويومن من امن على مثل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ليهلك من هلك عن بينة قال ليموت من مات عن بينة ويحيى من حي عن بينة يقول عن بيان وحجة وهو والله اعلم ان رسول الله قد كان اتاهم بايات حسية فسموه ساحرا واخبرهم بانباء ماضية التي كانت في كتبهم فقالوا ان هذا الا اساطير الاولين وقالوا انما يعلمه بشر وقد كان رسول الله يخالفهم في جميع صنيعهم من عبادتهم الاصنام والاوثان دون الله وكان يخوفهم ويوعدهم باشياء وكان لا يخالفهم وهم كانوا روساء كبراء لا يخالفهم احد فامرهم ونهيهم الا من كان به جنون فلما راوا رسول الله خالفهم في جميع امورهم نسبوه الى الجنون وقالوا ساحر مجنون ومعلم مجنون فاراد الله ان يجعل له اية عظيمة حتى لا يقدروا بالنسبة الى شي مما كانوا ينسبونه من قبل فوعدهم النصر و الفتح يوم بدر بعد ما علم اولئك ضعف المومنين وقلة عددهم وقوة انفسهم وكثرة عددهم ليكون حياة من حي بعد ذلك عن بينة وموت من مات على مثل ذلك وان كان له من الايات ما لو لم يعاندوا ولا كابروا عقولهم لكانت واحدة منها كافية فان قيل ما الحكمة في ذكر القصة من اولها الى اخرها وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا قيل يذكرهم الله والله اعلم الحال التي كانوا هم عليها من الضعف والقلة والخوف وفقد اسباب الحرب والقتال وكثرة العدو وكثرتهم وقوتهم ووجود اسبابهم الحرب و القتال ليعلم الخلق ان النصر والغلبة ليس يكون بالكثرة والقوة والاسباب ولكن بالله عز وجل لئلا يتكلوا الى الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يستضعفوا ولا يجبنوا ولا يخافوا غيره ليعرفوا ان ما اصابهم من الهزيمة والغلبة انما اصابهم لمعصية كانت منهم او اعجابا بالكثرة واعتمادا بالقوة والاسباب والله اعلم وقوله عز وجل اذ يريكهم الله في منامك قليلا اختلف فيه قال بعضهم قوله في منامك قليلا المنام نفسه كان الله يري رسوله المشركين في منامه قليلا فاخبر الله بذلك اصحابه بما راى

فقالوا

فقالوا رؤيا النبي حق القوم قليل ليس كما بلغنا انهم كثير فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في اعين المومنين تصديقا لرؤيا رسول الله وقال الحسن قوله اذ يريكهم في منامك قليلا اي في عينيك التي تنام بهما وهو في اليقظة لانه ذكر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيني ولا ينام قلبي ولما اراه اياهم قليلا في العين الذي به ينام وهو عينا الوجه ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحب لي تراهم سبعين فقال اراهم مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسالناه فقال كنا الفا فان كان التاويل هذا الثاني انه اراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي ينام فهو ظاهر فان كان اراه اياهم في المنام حقيقة فلقايل ان يقول ان رؤيا الرسول وحي فكيف اراه اياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو في الحقيقة قيل يحتمل ان يكون اراه بعضهم لا الكل فهو حقيقة ما اراه اياهم فلذلك قيل والله اعلم ويجوز ان يكون ارى اصحابه اياهم قليلا وان اضاف ذلك الى رسول الله دليله ما ذكر في اخره حيث قال واذ يريكموهم اذ التقيتم وذلك كثير في القران ان يخاطب به رسوله والمراد به غيره الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ومعلوم ان نزول هذه الاية بعد وفاة والديه وقوله عز وجل ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم ولتنازعتم في الامر اي اختلفتم في امر القتال والحرب ولكن الله سلم قيل سلم دائم للمسلمين امرهم على عدوهم فهزمهم ونصرهم عليهم ويحتمل قوله سلم اي انجا المسلمين لما استغاثوا واستنصروه بالنصر والظفر انه عليم بذات الصدور اي عليم بما في قلوب المومنين من الجبن والفشل وامر عدوهم والله اعلم وقوله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم يحتمل قوله واذ يريكموهم الاية لما راوا الملايكة لانفسهم انصارا واعوانا اذ كان قد وعدهم النصر والاغاثة بالملايكة وكان العدد مع الملايكة فاستقلوا الا ان العدد وان كانوا كثيرا فانهم قليل مع الملايكة فراوهم قليلا على ما كانوا وقلل هولاء في اعين اولئك لانهم كذلك كانوا قليلا فراوا على ما كانوا ولم يروا الملايكة وقال بعض اهل التاويل قلل هولاء في اعين هولاء وهولاء في اعين هولاء اذا التقوا ليضري بعضهم على بعض وليجري بعضهم على بعض على القتال والله اعلم وقوله عز وجل ليقضي الله امرا كان مفعولا هو ما ذكرنا انه لينجز ما كان وعدهم من النصر والظفر للمومنين والغلبة والهزيمة على اولئك وكذلك ذكر في القصة ان قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر في بدر فيه وعد ذلك كقوله وكان وعد الله مفعولا ويحتمل قوله ليقضي الله اي ليخلق الله وينشي ما قد علم انه يكون كاينا او ليفصل بين الحق والباطل مما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل ليقضي الله امرا في علمه مفعولا كاينا يقول فيوجب امرا لابد كاين ليعز الاسلام واهله بالنصر ويذل الشرك واهله بالقتل والهزيمة والله اعلم وهو قريب مما ذكرنا والى الله ترجع الامور اي الى الله يرجع تدبير الامور وتقديره له التدبير في ذلك في الدنيا والاخرة وذكر في بعض القصة ان ابا جهل لما راى قلة المومنين ببدر قال والله لا يعبد الله بعد اليوم فاكذبه الله وقتله فقال والى الله ترجع الامور لا الى الخلق والله اعلم وامر بدر منها وله الى اخره كان انه يتحقق عرف كل احد ذلك الا من عاند وكابر عقله وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا قيل الفية اسم جماعة يتحاز اليها وهو من الفي وهو الرجوع يفيون اليها ويرجعون ذكر هاهنا الفية وذكر في الاية التي تقدمت الزحف وهو قوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا مكان الفية ونهاهم هناك عن تولية الادبار بقوله فلا تولوهم الادبار وقال هاهنا فاثبتوا ليعلم ان في النهي عن تولية الادبار امرا بالثبات وفي الامر بالثبات نهيا عن تولية الادبار فيكون في النهي عن الشي امر بضده والامر بالشي نهي عن ضده والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا الله كثيرا قال ابو بكر الكيساني قوله اذكروا الله كثيرا اي اذكروا الله فيما تعبدكم في طاعته ووعدكم من نصره ولا تنظروا الى الكثرة فتنشطوا ويحتمل قوله اذكروا الله فيما لكم من انفسكم واموالكم اي ان انفسكم واموالكم له ان شاء اخذها منكم بوجه تتقربون به الى الله فاذكروا الله على ذلك وهو ما ذكر قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية ويحتمل اذكروا الله كثيرا في النعم التي انعمها عليكم او يقول اذكروا المقام بين يدي رب العالمين وذلك بالذي يمنعكم من المعاصي والخلاف لامره وبعض ما يرغبكم في طاعته فيكون على هذا التاويل الامر بذكر الاحوال ويحتمل الامر بذكر الله باللسان وذلك بعض ما يستعان في امر الحرب لعلكم تفلحون بالنصر والظفر وتفلحون اي تظفرون وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اطيعوا الله فيما يامركم بالجهاد والثبات مع العدو ورسوله فيما يامركم بالمقام في المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع في الحرب وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب ولا تنازعوا فتفشلوا اي لا تنازعوا رسول الله صلى الله فيما يامركم في امر الحرب ويمنعكم كقوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين لانكم اذا تنازعتم اختلفتم فاذا اختلفتم تفرقتم فاذا تفرقتم فشلتم وجبنتم فلا تنصرون ولا تظفرون على عدوكم بل ظفر بكم عدوكم او ان يقال لا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم فيشغلكم التباغض بانفسكم فيبقى الجهاد مع العدو والله اعلم وقوله عز وجل وتذهب ريحكم قال بعضهم نصركم وظفركم وقال بعضهم يذهب ريح دولتكم ويحتمل الريح التي بها تنصرون على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهو ما ذكرنا فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله واصبروا اي اصبروا للجهاد والقتال معكم ان الله مع الصابرين

بالنصر لهم والظفر وفي هذه الآية تاديب من الله المؤمنين وتعليم منه لهم فيما ذكرنا اي في امر الحرب واسباب القتال والمجاهدة مع العدو ولانه امرهم بالثبات وامرهم بذكر الله ونهاهم عن التنازع والاختلاف وذلك بعض ما يستعان به في الانتصار على عدوهم وقوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قوله بطرا اي كفرا بنعمة الله كقوله ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية فعلى ذلك خرجوا من ديارهم كفرا بانعم الله لانهم خرجوا الى قتال محمد وهو من اعظم نعم كفرانا وتكبرا اي خرجوا متكبرين كافرين ورئاء الناس يحتمل مراءاتهم وجهين احدهما مراءاتهم في الدين لانهم قالوا اللهم انصر اهدانا سبيلا واوصلنا رحما واراهم منيعا عندهم انهم على حق وان المؤمنين على باطل ويحتمل مراءاتهم في امر الدنيا لانهم كانوا اهل ثروة ومال واهل منعة وقوة خرجوا مرائين للناس وقوله ورئاء الناس لانهم كانوا اهل الشرف عندهم فخرجوا لمراءاة الناس ويصدون عن سبيل الله اي يصدون الناس عن دين الله اخبر عز وجل عن خروج اولئك الكفرة انهم خرجوا لما ذكر فكان فيه امر للمؤمنين بالخروج على ضد ذلك كانه قال اخرجوا على ضد ما خرجوا هم وقوله عز وجل والله بما يعملون محيط اي علمه محيط بهم لا يغيب عنه شيء من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله في الدفع عنه والنصر له والثاني محيط بما يعملون يجزيهم ويكافيهم ولا يفوت عنه شيء على الوعيد والله وقوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم قال بعضهم زين لهم الشيطان اعمالهم بالوساوس وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانما قال لهم هذا ووسوس لهم لما القى اليهم انكم اهل حرم الله وسكان بيته وخدامه فيتولى بدفع عنكم نكبة هؤلاء يعني اصحاب محمد كما دفع عنكم فيما كان من قبل وقوله عز وجل واني جار لكم قيل مجير لكم مغيث لكم على هذا التأويل كان قوله اني جار لكم كانه يخبر عن الله انه يغيثهم كما اغاثهم من قبل في غير مرة وقال بعضهم ان الشيطان تمثل بصورة رجل يقال له سراقة بن مالك ابن جعشم فاتاهم فقال لا ترجعوا حتى تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل فانا من غيركم ونحو هذا من الكلام مردود لصاحب التأويل الاول لا يحتمل هذا لان اهل مكة كانوا جبابرة واهل قوة وبطش وباس فلا يحتمل ان يصدهم والاداء رجل هو دونهم وهم بالوصف الذي ذكرنا وعلى هذا اصل التأويل انه تمثل به فلان يكون قوله واني جار لكم ما ذكر في بعض القصة ان ابا جهل واصحابه اعتزلوا واستشاروا فيما بينهم فاتاهم ابليس متمثلا بسراقة فاستمعوا عنه واستاخروا فلما راى ذلك منهم قال اني جار لكم وكان جارا لهم فتاويل هؤلاء اشبه بما ذكر في آخر الآية وقوله عز وجل فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه اي رجع مستاخرا مقبلا وجهه اليهم فقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب انا عاقب قيل راى جبريل مع الملائكة ينزلون فخاف منهم ففيه دلالة انه كان للهلاك قبل يوم المعلوم وقوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم الذين في قلوبهم مرض هم المشركون غر هؤلاء دينهم وعن الحسن اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين وقال بعض اهل التأويل ان قوما كانوا اسلموا بمكة فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى بدر خرج هؤلاء معهم فلما عاينوا قلة المؤمنين وضعفهم شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا غر هؤلاء دينهم يعنون اصحاب محمد يقول الله ومن يتوكل على الله فيثق بوعده في النصر بدل قولهم غر هؤلاء دينهم فان الله عزيز لا يعجزه شيء وقوله غر هؤلاء دينهم لانه لم يكن معهم عدة ولا اسباب الحرب من السلاح وغيره فلم يكونوا يقاتلون الا القوم دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم فان قيل لنا ما الحكمة في ذكر قول المنافقين في القرآن حتى نتلوه في الصلاة قيل ذكر والله اعلم ليعرف بحق عظيم منزلة الدين وخطير قدره في قلوبهم اعني قلوب المؤمنين وذلك انهم بذلوا انفسهم للهلاك لخروجهم لقتال عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوتهم رجاء ان يسلم دينهم يذكر لنا ليعرف عظيم محل الدين في قلوبهم ليكون محل الدين في قلوبنا على مثل قدره وفي قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم دلالة اثبات رسالة محمد لانهم انما قالوا ذلك سرا فيما بينهم فاطلع الله رسوله على ذلك ليعلم انه عرف بالله ثم اختلف في قوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم المشركون قال المنافقون والمشركون للمؤمنين غر هؤلاء دينهم وقال بعضهم هم قوم اسلموا وقد كانوا ضعفاء في الاسلام والدين فلما خرجوا الى بدر فراوا ضعف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة اولئك العدو قالوا عند ذلك غر هؤلاء دينهم وقد ذكر في بعض القصة ان قوما كانوا اسلموا بمكة ثم اقاموا مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى قتال بدر خرج هؤلاء معهم فلما عاينوا قلة المسلمين شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا مع المنافقين غر هؤلاء دينهم يعنون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ومن يتوكل على الله من المؤمنين فيثق به في النصر بدل قولهم غر هؤلاء دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون هم المنافقون على ما فسر في آية اخرى فان كان على ذلك فيكون على اسقاط الواو وكانه قال يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض الا ان يقال ان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر حقيقة والذين في قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا الكفر لكنهم ارتابوا وشكوا واعترض شك وارتياب من بعد اذا راوا تأخر الموعود وقوله عز وجل غر هؤلاء دينهم يخرج على وجهين احدهما قالوا غر الموعود الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم والنصر في الدنيا يقولون غرهم الموعود الذي كانوا به من الفتوح والنصر الذي وعدهم والثاني يقولون غر هؤلاء الموعود الذي وعدوا في الآخرة من النعيم الدائم والحياة الدائمة فيكون احد التأويلين بالموعود في الآخرة وهو بالاسلام ويكون والثاني بالموعود في الدنيا وهو الفتح والنصر الذي ذكرنا وقوله غر هؤلاء دينهم لما راوا انهم تركوا اباءهم واولادهم وجميع شهواتهم وبذلوا انفسهم للقتال ليسلم لهم دينهم لذلك قالوا غر هؤلاء دينهم لما لم يكن خروجهم وبذلهم انفسهم لذلك الا اشفاقا وخوفا على دينهم ادع

لما بذلوا

لما بذلوا انفسهم حيوة الابد في الآخرة فقالوا غر هؤلاء دينهم والله اعلم وقوله ومن يتوكل على الله اي اعتمد على الله في حرب بدر على ما ذكر اهل التأويل والنصر فيه وقوله فان الله عزيز لا يعجزه شيء يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء بالقتل والهزيمة او يتوكل على الله في جميع اموره ويكل اليه اموره والله اعلم وقوله عز وجل عزيز حكيم العزيز في هذا الموضع هو الغالب حكيم لما امر بالقتال وقوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم قال بعضهم الآية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يقول والله اعلم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا اي تقبض ارواح الذين كفروا كيف يقبضون ارواحهم وكيف يضربون وجوههم وادبارهم كانه قال والله اعلم لو رايت الحال التي يقبض فيها ارواحهم وما ينزل بهم لرايت ان ما عملوا من صد الناس عن سبيل الله واستكبارهم على المؤمنين وخروجهم لقتال اصحاب رسول الله انما عملوا بانفسهم لا بالمؤمنين وقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة يوم بدر لان الآية ذكرت في قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك في كل كافر ان الملائكة يفعلون به ما ذكر كقوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت باسطوا ايديهم الآية هذا في كل كافر وقوله يضربون وجوههم وادبارهم ليس على ارادة حقيقة الوجه والدبر ولكن على ارادة ايصال الالم اليهم بكل ضرب وكل جهة كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ليس على ارادة التحت والفوق ولكن على ارادة احاطة العذاب بهم فعلى ذلك الاول وقال بعضهم يضربون وجوههم في حال اقبالهم المؤمنين وادبارهم في حال ادبارهم وانهزامهم منهم وقوله عز وجل بما قدمت ايديكم ذكر تقديم اليد وان كان الكفر من عمل القلب لما باليد يقدم في العرف وقوله ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد وفي الآية دلالة الرد على الجبرية لانهم لا يجعلون للعبيد في افعالهم صنعا يجعلون حقيقة الافعال لله وذكر بما قدمت ايديكم فلو لم يكن لهم صنع لم يكن لقوله بما قدمت ايديكم معنى وكذلك قوله وان الله ليس بظلام للعبيد فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب ظلما اذ لم يعملوا فعلا والله اعلم وقوله ليس بظلام للعبيد فيما شرع من القتال والاهلاك والتعذيب في الآخرة لانه مكن لهم ما يكسبون به من النجاة والحياة الدائمة فالحقهم ما ذكر انما كان باكتسابهم واختيارهم وقوله عز وجل كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله قال بعضهم صنيع هؤلاء اي صنيع اهل مكة بمحمد كصنيع فرعون وقومه بموسى في التكذيب والكفر باياته وقال قائلون صنع الله باهل مكة بالعقوبة كصنيعه بفرعون وآله ومن سبق من الامم من الاهلاك والتعذيب وقد فعل باهل مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون وآله بسوء معاملتهم موسى وكدأب قيل كصنيع وقيل كفعل وقيل كاشباه وقيل كعمل وهو واحد وقوله عز وجل فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب وقوله شديد العقاب اي لا يضعفه شيء يمنعه عما يريد وقوله ذلك اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكر بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال قائلون النعمة التي انعمها عليهم هم الرسل التي بعثهم اليهم والكتب التي انزلها عليهم لم يك مغيرا لتلك النعم حتى يغيروا ما بانفسهم بالتكذيب والرد وترك القبول وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا الآية وقال قائلون قوله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي حتى يصرفوا شكر نعمه الى غير الله ويعبدون دونه اي لا يغير النعم التي انعمها عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم يعبدون غير الله ويشكرون غير الذي انعم عليهم فعند ذلك غير الله ما بهم من النعمة وكذلك قال ابن عباس نعمة من النعم ان تزولوا عن شكرها غير الله عليهم واخذها منهم والثاني يحتمل النعمة الدينية وهو تمكينهم الرسل ودعوتهم الكتب بعد ما اقسموا انهم يكونون اهدى من احدى الامم واختيارهم الشرك والكفر على الاسلام والتوحيد فاذا اختاروا وتغيروا ذلك غير عليهم وقوله عز وجل ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يخرج على وجهين احدهما النعمة الدنيا وانه لا تتغير تلك عليهم الا بتغيير من قبلهم اما بترك الشكر لها واما بصرف الى غير الذي انعمها عليهم ولو غيرت عليهم غيرت ببدل فليس ذلك في الحقيقة تغيير وان الله سميع عليم قيل اي سميع لشكر من يشكره ويجزي عليم لزيادة النعمة اذا شكر ويحتمل سميع اي مجيب عليم بمصالحهم ويحتمل انه سميع لما اسروا من القول وجهروا به عليم بما اضمروا من الخير والشرور وقوله عز وجل كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فان قيل ما فائدة تخصيص ذكر آل فرعون من بينهم وما الحكمة في تكرار قوله كدأب آل فرعون قيل يحتمل تخصيص ذكر آل فرعون لما كانوا اقرب الى هؤلاء من غيرهم ممن كان قبلهم الا ترى انه قال انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا او ان يذكر اهل الكتاب منهم لما كانوا ينكرون بعث الرسل من غيرهم ويقولون ان محمدا انما بعث الى الاميين مثله فقال ان موسى لم يكن من القبط فبعث رسولا اليهم فعلى ذلك محمد وان كان اميا فبعث الى الاميين وغيرهم والله اعلم بذلك واما فائدة التكرار والله اعلم وهو انه ذكر في الآية الاولى الاخذ بالذنوب والتعذيب ولم يبين ما كان ذلك العذاب فبين في الآية الاخرى ان ذلك العذاب هو الاهلاك والاستيصال [illegible] قال فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون الآية ويحتمل قوله فاخذهم الله بذنوبهم في الآخرة بكفرهم بآيات الله في الدنيا ذكر في احدى الآيتين العذاب في الآخرة وفي الآية الاخرى الاهلاك في الدنيا ولانه ذكر في الآية الاولى الكفر بآيات الله ولم يبين ذلك وذكر في الآية الاخرى التكذيب بآياته فبين ان الكفر بآياته هو تكذيبها لان التكذيب انما يكون في الاخبار وكذلك وفيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعل مقابله وضده التكذيب وفيه ان الايمان ليس هو المعرفة لان مقابله الجهل بالله ليس هو التكذيب لكن بالمعرفة يكون بالتصديق وبالجهل يكون التكذيب

وقوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ذكر ههنا ان شر الدواب عند الله الذين لا يؤمنون وقال في اية اخرى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون هم شر دواب حيث سمعوا الايات والحق وعقلوها فلم يؤمنوا بها اي لم ينتفعوا بما عقلوا وما وقع في مسامعهم وصاروا كمن لا سمع له ولا لسان نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بما عقلوا ويحتمل ان يكون في الاخرة هم اي يبعثون يوم القيامة صما وبكما وعميا لما لم ينتفعوا في الدنيا بهن كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما الاية وقوله ان شر الدواب عند الله اي شر من الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون وهو كما ذكر في اية اخرى اولئك كالانعام بل هم اضل اخبر ان الذين كفروا بالله وكذبوا باياته اضل من الانعام وقد ذكرنا فائدة قوله بل هم اضل في موضعه ويحتمل قوله شر الدواب اي شر من يدب على وجه الارض من الممتحنين الذين كفروا فهم لا يؤمنون ثم يكونون بهذا الوصف اذا ختموا بالكفر وترك الايمان ثم اختلف فيه قال بعضهم نزل في بني قريظة عاهدوا رسول الله ثم عانوا مشركي مكة على رسول الله بالسلاح وغيره فقالوا رسول الله وكانوا يعتذرون نسينا واخطانا ثم عاهدهم ثانية فنقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون نقض العهد ولا يتقون الشرك وقال بعضهم نزل قوله ان شر الدواب الى اخر الاية في المردة والفراعنة في الكفار كانوا عقلوا ما سمعوا ودرسوا ولكن عندوها فلم يؤمنوا على هذا حمل اهل التاويل الاية والى ما ذكرنا صرفوا والاصرف الاية الى اهل النفاق اولى لانهم هم المعروفون بنقض العهد ومرة بعد مرة

وقوله عز وجل فاما تثقفنهم في الحرب قيل تاسرنهم في الحرب وقيل تلقينهم في الحرب وقيل تجدنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قيل نكل من بعدهم اي اصنع بهم ما ينكلون من خلفهم اي يتعظون وقيل غظ بهم من خلفهم اي من سواهم الاية نزلت في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكان عادتهم نقض العهد فامرهم عز وجل رسوله ان ينكل هؤلاء ليكون ذلك عبرة وزجرا لمن بعدهم ان لم يكن ذلك لهم حجة فيكون في تنكيل هؤلاء منفعة لغيرهم اذا راى غيرهم انه فعل بهؤلاء ما ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم وهذا ما قال ولكم في القصاص حيوة من راى انه يقتل به امتنع عن قتل اخر فيكون في ذلك حيوة الخلق وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمة لان في الطباع النفار عن القتل فاذا راى انه يقتل بترك الاسلام اجاب الى ذلك اشفاقا على نفسه وخوفا على مهجته فيكون في القتال رحمة وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات في النفس وما دون النفس جعلها زواجر وموانع عن المعاودة الى مثله فعلى ذلك قوله فشرد بهم من خلفهم عظة وزجرا لمن بعدهم لعلهم يذكرون لكي يذكرون النكال فلا ينقضوا العهد وكذلك كل مرغوب في الدنيا ومرهوب جعل دواعي وزواجر لموعود في الاخرة وجعل كل لذيذ وشهي في الدنيا داعيا لما وعد في الاخرة وكل كريه وقبيح زاجرا له عن الموعود في الاخرة في النار على هذا بناء امر الدنيا والتشريد قال ابو عبيدة معناه من التفرقة اي فرق بهم وقال القتبي قوله فشرد بهم من خلفهم اي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من الاعداء قال ويقال وشرد بهم سمع بهم بلغة قريش وقيل نكل بهم اي اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة التنكيل التخويف والردع عما يكره والنكال العذاب وقال غيره قوله فشرد بهم من خلفهم اي اخفهم بما صنع بهؤلاء وقال ابو عبيد التشريد في كلامهم التبديد والتفريق وبعضه قريب من بعض قال ابو عوسجة قوله فشرد بهم اي نكل بهم حتى يخافك من خلفهم والشريد ايضا القليل

وقوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء قال بعضهم قوله تخافن اي تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء اي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون انت وهم في الخيانة سواء لان عندهم انك معاهد وانك على عهد بعد عهد ولكن انبذ اليهم ثم ناصب فيما بينهم الحرب وقال بعضهم هو على حقيقة الخوف يقول اذا خفت منهم النقض والخيانة فانبذ اليهم اي الق اليهم نقضك لتكون انت وهم في العلم بالنقض سواء قال ابو عبيدة قوله فانبذ اليهم على سواء اي اظهر لهم انك عدو وانك مناصبهم حتى يعلموا ذلك فيصيروا على ذلك سواء وقال بعضهم سواء اي على امر بين قال ابو عبيد قال غير واحد من اهل العلم فانبذ اليهم على سواء اعلمهم انك تريد ان تحاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم فذلك السواء قال الكسائي السواء العدل وقال فانبذ اليهم على سواء اي سر اليهم وقد علموا بك وعلمت بهم وبعضهم قريب من بعض وحاصل التاويل هو التاويل اللذين ذكرتهما والله اعلم واصل العهد ما ذكر عز وجل في اية اخرى وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر عز وجل باتمام العهد الى المدة اذا لم ينقضوا شيئا ولم يعينوا ولم يظاهروا علينا احدا منهم فاذا فعلوا شيئا من ذلك فلنا ان ننقض العهد الذي كان بيننا وبينهم وكذلك ابتداء العهد بيننا وبينهم اذا سالونا ليس للامام ان يعطي لهم العهد اذا لم يكن في العهد منفعة للمسلمين منفعة ظاهرة وخير لهم فعلى ذلك ما دام يرجا في العهد منفعة للمسلمين وخير لهم مراعاة ذلك العهد وحفظه فاذا خاف منهم او اطلع على خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم انما كان تلك الخيانة من جملتهم او ممن له منعة فله ان يناصب معهم الحرب وان لم ينبذ اليهم واذا كان ذلك من بعض على سبيل التلصص والسرقة فليس له ان يحاربهم الا بعد النبذ اليهم

وقوله عز وجل ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون قال بعضهم لا تحسبن الذين يخلوا وتخلصوا منك يا محمد من المشركين اني لا اظفرك بهم في غيره من الحروب والمغازي وانهم يفوتون ويعجزون الله عن ذلك وقال بعضهم لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون ويفوتون عن نقمة الله وعذابه وقرا بعضهم بنصب الالف انهم لا يعجزون فمن قرا بالنصب طرح لا وجعلها صلة وقال تحسبن انهم يعجزون واما قراة العامة فهي بالخفض انهم فهو بالابتداء فقال انهم لا يعجزون

وجل

وقيل العجز السابق ما استطعتم من قوة قال بعضهم واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ولا تخرجوا الى الحروب والمغازي كما خرجتم الى بدر بلا سلاح ولا قوة لانه اراد ان يجعل حرب بدر اية ليميز بين الحق والمبطل وبين الحق والباطل لذلك امركم بالخروج اليه بلا سلاح ولا عدة واما غيرها من الحروب والمغازي فلا تخرجوا اليها الا مستعدين لها وبعد فانهم انما تركوا الاستعداد طاعة لربهم وفي الاشتغال بالاستعداد ترك الطاعة له فامر عز وجل بالاعتداد لهم ما استطاعوا من الاسباب لما ان ذلك ارهب للعدو من ترك الاستعداد وان كان عز وجل قادرا ان ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعلها لانفسهم وهو كقوله لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله فامرهم بالاسباب في الحروب وان كان قادرا على نصرهم وليا ته على عدوه بلا سبب لكنه امر بالاسباب لما ان جميع امور الدنيا جعلها بالاسباب من الموت والحيوة وجميع الاشياء وان كان يقدر على ابقاء الانسان والخلائق جميعا بلا غذاء يجعل لهم والموت بلا مرض ولا سبب ولكن فعل بما ذكرنا ثم اختلف في قوله من قوة قال بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان القوة الرمي قال ذلك ثلاثا ويحتمل قوله ما استطعتم من قوة ما تقوون به الحروب لا ما لا تقوون به وقال بعضهم القوة السلاح وقال غيره الخيل وامكن ان يكون جميع اسباب الحرب وفيه دلالة ان القوة التي هي اسباب الفعل يجوز ان تتقدم ويكون قوله لو استطعنا لخرجنا معكم ارادوا استطاعة الاسباب لا استطاعة الفعل والله اعلم

وقوله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم امر برباط الخيل والاعداد للحرب رهبة للعدو واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم ترهبون به رباط الخيل المشركين وقال واخرين من دونهم اليهود والنصارى وهؤلاء الذين كانوا فيما بينهم يرهب هؤلاء ايضا وقال بعضهم واخرين من دونهم الذين كانوا فيما بينهم لا يعرفونهم كانوا اطلاعا للمشركين وعيونا لهم يخبرونهم عن حال المؤمنين يرهب هؤلاء ايضا وقال اخرون قوله واخرين من دونهم هم الشياطين وروا على ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشياطين وقال لن يخبل الشيطان انسانا في داره فرس عتيق ويحتمل ان يكون قوله واخرين من دونهم هم الاعداء الذين يكونون من بعد الى يوم القيامة لا تعلمونهم الله يعلمهم فان كان ذلك ففيه دلالة بقاء الجهاد الى يوم القيامة وقال بعضهم واخرين من دونهم هم الشياطين لا تعلمونهم الله يعلمهم وهو كقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فان قيل اي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من رباط الخيل والسلاح الذي ذكر قيل يكون لهم رهبة في فتح اوليائهم ويكون لاوليائهم رهبة نسب ذلك اليهم وذلك كثير في القران وقوله عدو الله وعدوكم سمى عدو الله عدو المؤمنين لعلمه من اعتقد عداوة الله صار عدوا للمؤمنين ومن اعتقد ولاية الله صار وليا للمؤمنين ومن كان ولي المؤمنين يكون وليا لله

وقوله عز وجل وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اخبر ان ما انفقوا في سبيل الله يوفر عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا كقوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه واما في الاخرة الثواب وانتم لا تظلمون يحتمل وجهين يحتمل وانتم لا تظلمون فيما يامركم بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العدة والانفاق فيها اذ انفسكم واموالكم لله له ان ياخذها منكم والثاني وانتم لا تظلمون والثواب في الاخرة اي يعطيكم الثواب في الاخرة او الخلف في الدنيا والله اعلم

وقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قرئ بالنصب السلم وقرئ بالخفض السلم وقال اهل اللغة من قرئ بالنصب السلم حمل على المسالمة والموادعة ومن بالخفض السلم جعل ذلك في الاسلام وتاويله والله اعلم اي ان خضعوا للصلح وطلبوا منك فاجنح لهم اي مل اليهم ولا يمنعك عن الصلح معهم ما كان منهم من نقض العهد على ذكر في قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة يقول لا يمنعك عن الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النقض ونكث العهود وتوكل على الله ولا تخف خيانتهم و نقضهم العهد فان الله يطلعك ويكفيك على ذلك ومنهم من قال قوله وان جنحوا للسلم اي اذا جنحوا للسلم اي خضعوا وتواضعوا للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين امر بخفض الجناح لهم ذكر ههنا انهم ان طلبوا الصلح منا يلزمنا ان نعطيهم واذا لم يطلبوا منا ذلك لا يحل لنا ان نطلب منهم الصلح الا ان نضطر الى ذلك وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون نهانا ان ندعوهم الى الصلح ولنا قوة وعدة للقتال معهم واما اذا كانوا طلبوا منا ذلك او لا يجابهم الى ذلك ويحتمل ما ذكرنا اي لا يمنعك ما كان منهم من نقض العهد وقوله فاجنح لها يحتمل ذكره بالتانيث اي المسالمة والمصالحة وقال بعضهم السلم هو مونث كقول القائل

السلم تاخذ منها ما رضيت به ۞ والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وكقول ابي بكر فانه قيل ما المعنى في قوله قال بالاسلام بقوله فاجنح لها وهو كان يدعو الى الاسلام وهو لا شك انه كان يقبل منهم الاسلام قيل يحتمل ان يكون الامر بالقبول امر بترك المواخذة ما كان منهم في حال نقض العهد لان من قولنا ان ما اصابوا في حال العهد من الجراحات والاخذ يتبعون بها ويواخذون اذا اسلموا واذا نقضوا العهد ثم اصابوا شيئا من ذلك ثم اسلموا لم يواخذوا بذلك فيحتمل ان يقول لهم فاجنح لها ولا تواخذهم بما كان منهم في حال نقض العهد وقال الحسن هذا منسوخ نسخها قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقال بعضهم نسخها قوله فاقتلوا المشركين الاية وقال بعضهم نسخها قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا ان الامام اذا راى الصلح والموادعة نظرا للمسلمين اجابهم الى ذلك وصالحهم واذا طلبوا منه الصلح وبالمسلمين قوة القتال والحرب معهم لم يجبهم الى ذلك وما ذكر هؤلاء من نسخة فذلك لا نعرفه والله اعلم

وقوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك في الصلح ويخونوك فان حسبك الله اي يكفك الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل وان كان قوله فاجنح لها في الاسلام فيكون قوله فان حسبك الله اي يطلعك

على ما في قلوبهم من النفاق اى وان خفت منهم يظهرون لك الاسلام في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك من قبول الاسلام منهم فان الله يطلعك ذلك ويكفيك على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين يحتمل قوله وبالمؤمنين بالملائكة الذين انزلهم معونة للمؤمنين يوم بدر ويحتمل بالمؤمنين المؤمنين الذين كانوا معه فاخبر انه يؤيده بنصره وبنصر المؤمنين وكانت النصرة بالله في الحقيقة فقوله وما النصر الا من عند الله النصر من الله يكون مرة بالاسباب بالمؤمنين وبغير ذلك من الاسباب ومرة باللطف منه بلا سبب وقوله عز وجل والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال بعضهم الف بين قلوبهم بالدين الذى اجتمعوا عليه كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار اخبر انهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر فلما اسلموا صاروا اخوانا ولكن عندنا الاسلام يوجب التاليف والاجتماع بينها ولكن يجوز ان لا يوجد التاليف وان وجد ليعلم ان الله هو الذى يؤلف بينهم بلطفه وفضله بقوله ولكن الله الف بينهم وقد يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب يكون مرة بالدين ومرة باللطف من الله فاذا كان الخلاف والعداوة بينهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان للاطماع فهو يرتفع باللطف من الله انه عزيز حكيم عزيز لا يعجزه شيء حكيم فاحكم وحكمه وقوله عز وجل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال بعضهم حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين اى كفاك الله في العون والنصر لك وكفاك المؤمنين ايضا فيما ذكرنا وقال بعضهم حسبك الله نصر الله وحسبك نصر المؤمنين وهو على ما ذكر هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والاول اشبه والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال التحريض على القتال يكون بوجهين احدهما ان يعدلهم من المنافع في الدنيا ويطمع لهم ذلك من نحو ما جاء من التنفيل ان من فعل كذا فله كذا او يعدلهم المنافع في الاخرة كقوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية وما ذكر من الثواب في الاخرة بالنفقة التى ينفقونها في سبيل الله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية فيما ذكرنا فيه وعد المنافع لهم في الدنيا والاخرة ووعد النصر لهم والثانى يكون التحريض بعذر يلحق اولئك ونكبة تصل اليهم كقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء جمع الله عز وجل في هذه الاية جميع انواع الخير الذى يكون في القتال مع العدو من وعد النصر للمؤمنين عليهم وادخال السرور في صدورهم ونفي الحزن عنهم وتعذيبا لهم بايديهم وفيه اغراء على العدو بقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول فذلك كله تحريض على القتال وترغيبهم في الحرب مع العدو والله اعلم وقوله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا الاية اختلف في معنى هذا قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا على الامر كانه قال ليكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا امر العشرة القيام لمائة وقال دليله انه على الامر قوله الآن خفف الله عنكم ولو لم يكن على الامر والفرض لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال اخرون هو على الوعيد انهم اذا صبروا وثبتوا للعدو غلبوا عدوهم على ما اخبر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ليس على الامر لانه قال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اخبر انهم اذا صبروا غلبوهم وهو كذلك والله اعلم اذ ظاهره وعد وخبر ولا يشبه ان يكون على الامر ليس على الخبر على ما ذكرنا من قوله الآن خفف الله عنكم وقوله عز وجل بانهم قوم لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان قيل ما معنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا فان قيل ما معنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم ان فيهم ضعف وقت ما امر العشرة القيام لمائة والعشرين لمائتين قيل امرهم ذلك مع علمه ان فيهم ضعفا وان كان في ذلك هلاك انفسهم وذلك منه عدل اذ له الا نفس ان شاء اتلفها بالموت وان شاء بالقتل بقتل العدو والتخفيف منه رحمة وفضل امر الواحد القيام العشرة على علم منه بالضعف ابتلاء امتحان منه وله ان يمتحن عباده بما فيه وسعهم وبما لا وسع لهم فيه وفي الحكمة ذلك اذ له الا نفس له ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو ما ذكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا يحتمل ان يكتب ذلك عليهم والثانى يعلم فيهم الضعف كائنا شاهدا كما علم انه يكون وهو ما ذكرنا في قوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اى يعلم مجاهدا كما علم انه يجاهد فعلى ذلك هذا ثم ذكر العشرة والعشرين يحتمل على التحديد ويحتمل لا على التحديد الا ترى انه ذكر في الناسخ عددا غير العدد الذى في المنسوخ لانه في المنسوخ ذكر العشرين لمائتين وفي الناسخ ذكر الف لا لغير بقوله وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فان كان لا على التحديد فيلزم لواحد القيام لاثنين وفي الاول الواحد لعشرة وعلى ذلك روى عن عمر رضي الله عنه قال اذا لقي الرجل رجلين من الكفار فاستأسر فلا فداء له علينا واذا لقي ثلاثة فاستأسر فعلينا فداؤه ولم يجعل للواحد الفرار من اثنين حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار عن ثلاثة حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار من ثلاثة حيث جعل عليه الفداء وكذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذلك ويحتمل على التحديد اذا كمل العدد الذى ذكر لم يسع الفرار ويلزمهم القيام لهم واذا كانوا دون ذلك لم يلزم وكذلك قال الحسن امر ان يصبر عشرون لمائتين ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر مائة لالفين ان فروا منهم لم يعذروا قال ثم انزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فامر ان يصبر مائة لمائتين وان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر الالف لالفين ان فروا منهم لم يعذروا فان كان على التحديد فهو ما يقولون انهم لم يكونوا منعة فانه يسعهم ان لا يقاتلوا وقوله عز وجل

فان يكن

فان يكن منكم مائة صابرة قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله ويكفها عن جميع شهواتها ولذاتها فاذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره وقال بعضهم الصبر هو ان يوطن نفسه في القتال مع العدو ويحبسها في ذلك والشكر قيل هو ان يبذل نفسه وما يحويه لله لا يجعل لغيره فيكون الشكر والصبر في الاصل سواء وان كانا في العبادة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما حوته يده لله والصبر هو الكف والاحتباس على جميع ما امر الله واداء ما فرض الله عليه فان حبسها عن غيره يكون باذلا ولهذا سمى الصبر ايمانا بقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر هاهنا مكان ما ذكر في غيره الايمان بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل والله مع الصابرين في النصر لهم على عدوهم والغلبة عليهم وقوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قال ابو بكر الكيسانى عاتب الله رسوله واصحابه في اخذ الاسارى بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وبالغ في العتاب في اخذ الفداء من الاسارى بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما استشار اصحابه في الاسارى اشار ابو بكر الى اخذ الفداء وعمر الى القتل فقال لو نزل من السماء عذاب ما نجا الا عمر عاتبهم بالاخذ اخذ الاسارى واشد العتاب في اخذ الفداء وامر بالقتل وضرب الرقاب بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان انما امر بضرب الرقاب وضرب البنان وكذلك يخرج قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم على العتاب الى هذا يذهب ابو بكر الاصم وعن ابن عباس قال لم يكن الانبياء صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم اسارى حتى يثخنوا في الارض وعن سعيد بن جبير قال لا يفادى اسارى المشركين ولا يمن عليهم حتى يثخنوا بالقتل ثم تلا حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق الى هذا ذهب هؤلاء وقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما يقول ما كان لنبي ان ياخذ من الاسرى الفداء حتى يثخن في الارض اى يغلب حتى انا اخذ الفداء وسرحهم بعد ما غلب في الارض يكون رجوعهم الى غير منعة وشوكة وان لم يغلب في الارض اى حتى يصير الدين كله لله كقوله قاتلوهم حتى لا تكون فتنة الاية هذا كان لمن قبله فرخص لرسوله ذلك وقيل في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم تاويله لولا كتاب من الله سبق ان لا يعذب المخطئين في عملهم على خلاف امره والا لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسارى والفداء منهم عذاب عظيم وقال اخرون وقوله لولا كتاب من الله ان احل الغنائم لهذه الامة والا لمسكم العذاب فيما اخذتم واستحللتم عذاب عظيم وقال بعضهم لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما عملوا من الاخذ وغيره وانه يتوب عليهم والا لمسكم العذاب التاويل في هذا غير هذا كان في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان دلالة اباحة الامر ورخصة لانه قال فاضربوا فوق الاعناق هو الابانة من المفصل الذى بان به الرؤس وذلك قل ما يمكن في القتال ولا يقدر ابانة الرؤس في الحرب انما يمكن ذلك بعد ما اخذوا ودفعوا في ايديهم واما ما ذكر من ضرب البنان فهو في الحرب لانه في الحرب انما يضرب فيما ظفر ووجد السبيل الى ذلك ففيه دلالة وتاويل قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم الاية يحتمل ان يكون ملحقا على ما سبق من قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق الاية اى لولا كتاب من الله سبق اى لولا من حكمه ان يجعل لكم الظفر على احدى الطائفتين والا لمسكم العذاب بجدالكم رسول الله وبخلافكم اياه في الخروج واودتكم العير او ان يقال لولا من حكم الله ان لا يعذب احدا ولا يواخذه في الخطاء في العمل بالاجتهاد والا لمسكم كذا ويكون قوله اخذتم اى علمتم ثم قالت المعتزلة في قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة على ان الله لا يريد ما اراد العباد اذا ارادوا المعاصى لانه اخبر انهم ارادوا عرض الدنيا وهو يريد الاخرة فهم ارادوا المعصية وهو يريد لهم الاخرة ولكن التاويل عندنا ان قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة اى يريدون عرض الدنيا والله يريد حيوة الاخرة وعرضها وبعد فانه قد كان الله ارادلهم الاخرة وحيوتها وهم ارادوا العير وعرض الدنيا وقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوا وهم اى اختاروا لهم غير ما اختاروا لهم واصله ان الله عز وجل اراد الاخرة لاهل البدر فكان ما اراد واراد لاولئك الكفرة النار فكان ما اراد كقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة والاشبه ان تكون الارادة هاهنا المودة والمحبة اى تودون وتحبون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم كانوا يودون ان القتال مع غير ذات الشوكة حتى يكون لهم الغنائم والارادة التى تضاف الى الله تخرج على وجوه ثلثة احدها الرضاء كقوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا كانوا يستدلون بتركه اياهم وهم على ان الله قد رضي بصنيعهم والثانى الارادة الامر كقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة فعل كل فاعل يخرج فعله على غير سهو وغفلة ولا طبع بل يخرج على الاختيار وقال بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار في اسارى يوم بدر اصحابه فقال لابي بكر يا ابا بكر ما تقولون فيه فقال يا رسول الله قومك واهلك فاستبقهم واستعتبهم لعل الله يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه واضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله

لم يجيبهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس يقول بقول ابى بكر وقال ناس يقول بقول عمر وقال ناس يقول بقول عبدالله ثم خرج عليهم رسول الله فقال
ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر
كمثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وان مثلك يا ابا بكر كمثل عيسى [illegible]
[illegible]
وانما يطيب ذا حل ويخبث اذا حرم ولكن يحتمل قوله حلالا طيبا بالشرع طيبا فى الطبع وكذلك الحرام وهو حرام بالشرع وخبيث
بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرمة من جهة الشرع والطيب والخبيث بالطبع والطيب هو الذى يتلذذ به ولا تبعة فيه لان خوف
التبعة ينغص وطيه ويذهب بطيبه ولذته ويحتمل ما ذكر من الطيب هاهنا لما ان اهل الشرك كانوا ياخذون الاموال ويجمعونها
من وجه لا يحل وباسباب فاسدة فيكرهون التناول منها اذا غنموا لتلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا وفيه دليل
جواز التقلب فى البيع الفاسد وطيب التناول منه وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون باذن فعلى ذلك الاول
يحتمل ما ذكرنا وفيه دلالة ان اهل الكفر لا يواخذون بالافعال التى كانت لهم فى الكفر ولاما كانوا تركوا من العبادات لما ليست
عليهم انما يواخذون بالاعتقاد **وقوله عز وجل** واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه فلا تعصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع
عما فعل **وقوله عز وجل** يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم قال عامة اهل
التاويل ان الاية نزلت فى العباس بن عبدالمطلب واصحابه وكذلك يقول ابن عباس قالوا للنبى امنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله
فنزل ان يعلم الله خيرا اى ان يعلم الله اعتقادا للايمان والتصديق له فى قلوبكم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اى ايمانا وتصديقا يخلف
عليكم خيرا مما اصيب عليكم لكنها فيه وفى غيرهم من فعل مثل فعله فهو فى ذلك سواء يكون من الموعود الذى ذكر ما يكون له **وقوله**
ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا وهو الايمان الذى علم انهم اعتقدوا فى قلوبهم **وقوله** يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اى ياتكم خيرا وهو الايمان
مما اخذ منكم من المال الذى ذكر فى القصة ويجوز بفعل مكان فعل كقوله اذ يقول المنافقون اى قال المنافقون وذلك كثير
فى القران فعلى ذلك قوله يؤتكم خيرا اى اتاكم خيرا ويحتمل قوله يؤتكم ايضا اى يثيبكم ويعطيكم افضل مما اخذ منكم فى الاخرة والله
اعلم **وقوله عز وجل** ويغفر لكم والله غفور لما كان فى الشرك كقوله فان انتهوا فان الله غفور للذنوب ومتجاوز رحيم
يرحمهم فى الاسلام ويحتمل قوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء او ما اخذ منهم بكثرة اخبرانه يؤتكم خيرا من ذلك فى الدنيا من
الاموال وغيرها والاثخان قال ابن عباس القتل وقال ابو معاذ يثخنون اى يذللوا المثخن الذليل وقال ابو عوسجة حتى يثخن
فى الارض اى يثخن في اهل الارض بكثرة القتل والجراحات يقال اثخنت فى القوم اذا كثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه
حتى اثخنه اى ضربه حتى لا يقدر على القيام ونحو ما ذكر محمد فى بعض مسائله انه اذا رمى صيدا بسهم فاصابه حتى اثخنه ثم رمى اخر
بسهم فاصابه فانه للاول لما انه صيره بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو المذهب الذى وصفنا وتخن يتخن ثخانة فهو ثخين

ويخن يتخن تخونة واصله اى غلظ **وقوله عز وجل** وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يحتمل ان يكون الاية
صلة ما سبق من الايات وهو قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة الاية وقوله وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله الاية وغير ذلك واما تخافن من قوم خيانة ونحوه فقال وان يريدوا خيانتك فى نقض العهد وغير ذلك من الامانات
فقد خانوا الله من قبل فيما عهد وان يوفوا ذلك قوله لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فقد انجاهم الله عن ذلك فلم يكونوا
من الشاكرين وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فقد اتاهم الله ذلك فلم يفوا ما
عهدوا وغير ذلك من العهود التى عهدوا والامانات التى اوتمنوا فيها فخانوا الله فى ذلك وما عهد اليهم فى امر محمد واظهار
نعته وصفته فى كتبهم فكتموا ذلك وحرفوه واظهروا خلاف نعته وصفته فذلك منهم خيانة فيقول انهم قد خانوا الله من
قبل فامكن الله منهم فاذا خانوك يمكنك منهم ايضا **وقوله** فامكن منهم اى انتقم منهم جزاء خيانتهم وقال امكنك حتى انتقمت منهم
وقوله وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة ولكن على وقوع فعل الخيانة كانه قال وان خانوك فقد خانوا الله من قبل لكن
ذكر الارادة لما هى صفة كل فاعل مختار لما لا يكون الافعال الا بارادة **وقوله عز وجل** والله عليم بما يقولون ويضمرون من
الخيانة ونقض العهود حكيم فى امره وحكمه حيث امكنك منهم وقال بعضهم فى قوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من
قبل اى ان خانوك بعد اسلامهم بالكفر بك فقد خانوا الله من قبل اى فقد كفروا بالله قبل هذا يقول ان خانوك امكنك منهم
فتقتلهم واسرتهم كما فعلت بهم ببدر والله عليم بخلقه حكيم فى امره **وقوله عز وجل** ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم فى سبيل الله قوله امنوا اى صدقوا ايات الله وحججه او صدقوا رسوله فى جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كداب
ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله وكذبوا بايات ربهم ذكرها هنا التصديق مكان التكذيب فى ذلك وقوله
وجاهدوا فى اظهار دين الله ونصره باموالهم وانفسهم اى بذلوا ذلك والذين اووا ونصروا النبى ونصروا اولئك بعضهم اولياء
بعض قال ابن عباس وعامة اهل التاويل الولاية التى ذكرت فى الاية فى التوارث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوى
الارحام الذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة وكذلك قالوا فى قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ يعنى
الميراث وروى عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض فى الدنيا والاخرة
والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض فى الدنيا والاخرة وعن جرير بن عبدالله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كذلك وعن المسعودى عن القاسم قال اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فاخى بين عبدالله بن مسعود
والزبير بن العوام اخوة يتوارثون بها لانهم هاجروا وتركوا قرابتهم حتى انزل الله اية المواريث وعن ابن عباس فى قوله والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الانصار دون رحمه للاخوة التى اخى النبى بينهم فلما نزل
قوله ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون نسخها والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة
يوصى له ولا ميراث وعن الحسن فى قوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله فكان المسلمون يتوارثون بالهجرة
فكان الاعرابى لا يرث المهاجر ولا يرث المهاجر الاعرابى فخصهم بذلك على الهجرة حتى كثر المسلمون فانزل الله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض الاية فورث الاعرابى المهاجر وتوارثوا بالارحام الى هذا يذهب عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان الهجرة كانت
مفترضة فزال فرضها بقول النبى صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عايشة رضى الله عنها قالت انقطعت
الهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فانما كانت الهجرة الى الله ورسوله والمؤمنون يفرون بدينهم من ان يفتنوا عنه وقد افشى الله
الاسلام هذا الذى ذهب هؤلاء فى قوله بعضهم اولياء بعض فى التوارث محتمل ويحتمل غير هذا وهو ان قوله ان الذين امنوا وهاجروا
الى قوله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض اى بعضهم اولياء بعض فى تمام الولاية فى التناصر والتعاون والحقوق
والديانة ثم اولى بعضهم ببعض من الذين امنوا ولم يهاجروا لانهم امنوا وهاجروا اى تركوا اوطانهم واهلهم وقراباتهم وبلدهم الذى
كانوا فيه مقيمين اشفاقا على دينهم واستسلاما لهم ولانفسهم والانصار اووهم وانزلوهم فى منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم
وتحملوا لجميع مؤنهم من غير ان كان سبق منهم اليهم شئ فصار والهم اعوانا وانصارا فصار بعضهم اولياء بعض فى تمام ما ذكرنا من
الولاية والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا اى ما لكم من ولايتهم اى من تمام ما ذكرنا من الولاية لهم ولانه
الدين وليس لهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التى تكتسب بالدين وفى قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شئ دلالة نقض قول المعتزلة لانه جعل ما ابقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة وفى تركهم الهجرة
مرتكبين كبيرة فدل ان صاحب الكبيرة لا يزول عنه اسم الايمان **وقوله عز وجل** واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى اولوا الارحام
الذين امنوا وهاجروا بعضهم اولى ببعض من غيرهم لانهم اذا امنوا وهاجروا ولهم قرابة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولى من غيرهم الذين
لا قرابة بينهم ولا رحم انما اجتمع فيهم الرحم والمعونة والنصر والديانة والحقوق اجتمع فيه اشياء اربعة وفى اولئك ثلاثة فهم
اولى بهم من غيرهم هذا على التاويل الذى ذكرنا والله اعلم **وقوله عز وجل** وان استنصروكم فى الدين يعنى الذين لم يهاجروا ويحتمل

وجهين يحتمل انا طلبوا منكم المعونة والنصرة على عدوهم فعليكم النصر والمعونة لهم اذا لم يكن بينكم وبينهم او لئك ميثاق
والثاني اذا علمتم انهم يخشون على انفسهم من عدوهم ويخافون فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اعانة استنصروكم
فالدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم اي وليس عليكم ان تنصروهم تاويله حتى تنبذوا اليهم العهد يقول ان استنصروكم
يا معشر المهاجرين اخوانكم المؤمنون الذين لم يهاجروا اليكم فاتاهم عدوهم من المشركين فقاتلوهم لتردوهم عن الاسلام فانصروهم
ثم استثنى فقال الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول ان استنصركم الذين لم يهاجروا الى المدينة على اهل عهدكم فلا تنصروهم
والله بما تعملون بصير في المعونة والنصرة ونحوه وقوله عز وجل ما لكم من ولايتهم من شيء قرئ بالخفض ولايتهم وبالنصب جميعا
ولايتهم اعني بنصب الواو وخفضها وكذلك التي في الكهف هنالك الولاية لله بالخفض والنصب جميعا الاية ثم قال بعض اهل الادب
الولاية بفتح الواو النصرة والمعونة والولاية بخفض الواو السلطان اي السلطان له وقال بعضهم الولاية بالخفض المعونة والنصرة
والولاية السلطان قال الاخرون هما سواء وهو النصرة والمعونة والولاية في الامارة والسلطان والولاية في الدين وقوله عز وجل
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض على قول ابن عباس وعامة اهل التاويل بعضهم اولياء بعض في التوارث على ما قالوا في المهاجرين
والانصار بعضهم اولياء بعض ويحتمل ما ذكرنا ان بعضهم اولياء بعض في التناصر والتعاون والدين والحقوق جميعا على ما ذكرنا
في المؤمنين وقوله عز وجل الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قيل فيه بوجوه احدها ان اخوانكم الذين لم يهاجروا ان استنصروكم
على عدوكم فلم تنصروهم تكون فتنة في الارض وفساد كبير او ان لم تكونوا بعضكم اعوانا وانصارا لبعض على ما كان اهل الكفر بعضهم
انصارا لبعض غلبكم العدو وقهركم فيكون في ذلك فتنة وفساد ويكون كما ثم قال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
لله وقال بعضهم قوله الا تفعلوه تكن فتنة ملحقا بقوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي ان استنصركم اخوانكم على قوم بينكم و
بينهم ميثاق فنصرتموهم تكن فتنة وفساد كبير وقال بعضهم قوله الا تفعلوه فيما امركم به من جعل التوارث فيما بين المؤمنين
وجعلتم الميراث والتوارث فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير لان الله عز وجل ذكر المواريث ثم ذكر في اخر
الاية تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله وما ذكر من ترك حدود الله وطاعة رسوله وجعل الميراث في غير ما امر عز وجل تكن
فتنة في الارض وفساد كبير وقوله عز وجل والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اي ضموا رسول الله
والمهاجرين ونصروهم اولئك هم المؤمنون حقا اي المهاجرون والانصار الذين ضموا اولئك هم المؤمنون حقا لما حققوا ايمانهم
باعمالهم لانهم هاجروا بلادهم واهليهم واموالهم اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله واطاعوه في ذلك واولئك
الانصار ضموا الى انفسهم وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم
التي عملوا ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون حقا اي صدقا في السر والعلانية ليس كايمان المنافقين يكون في العلانية
ولا يكون في السر كقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال وليعلمن الله الذين
امنوا وليعلمن المنافقين ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون حقا اي وعدهم وعدا حقا وهو ما ذكر في اية اخرى لهم مغفرة ورزق
كريم ويحتمل اولئك هم المؤمنون حقا اي اولئك هم المؤمنون الذين حققوا الايمان به وقوله لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن يكرم
اهله به وقوله عز وجل والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اي من امن بعد هؤلاء وهاجر بعد مهاجرة اولئك فانهم
يلحقون اولئك في جميع ما ذكر في اولئك الذين هاجروا من قبل يذكر هذا والله اعلم لئلا يحتج على ما عمل اولئك من الهجرة والنصرة وبذل
الانفس والاموال وغير ذلك للدين على ما بذل اولئك واشفقوا على دينهم وقوله عز وجل فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله هو ما ذكرنا ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين فاذا لم يكن اولوا
الارحام فجملة المؤمنين اولى وعلى ذلك يخرج قول اصحابنا ان اولي الارحام بالميراث اولى من جملة المؤمنين وهو بيت المال
فما دام واحد من هؤلاء فهو اولى بالميراث وعلى ذلك يخرج قولهم في العقل انه على ذوي الارحام ما داموا هم فاذا لم يكن احد منهم فهو على
جملة المؤمنين في بيت المال وقوله عز وجل ان الله بكل شيء عليم بالعباد وما يكون منهم وبكل شيء عليم بما يحتاجون وما لا يحتاجون
وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي بعضهم اولى ببعض في حق التوارث من المؤمنين
الذين هاجروا وانسخ هذه الاية حكم الميراث الذي ذكر في قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء لانه كان جعل
التوارث بينهم بحق الايمان والهجرة ثم نسخ ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى وكذلك ما ذكر في
سورة الاحزاب حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فاذا لم يبق من الرحم احد فبعد
ذلك يكون لجملة المؤمنين وقوله عز وجل في كتاب الله في حكم الله او في كتاب الله لانه ذكر في كتاب الله ثم لزوم الهجرة على الذين
هاجروا مع رسول الله وعلى الذين تاخر هجرتهم سواء وسوى بينهم في اللزوم وجمع بين المهاجرين والانصار في حق الشهادة
لهم بالتصديق والايمان حيث قال اولئك هم المؤمنون حقا وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب بها من المنافع حيث قال اولئك
بعضهم اولياء بعض وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم وجمع بينهم في حق الفضل وان قدم

ذكر المهاجرين في غير واحد من الايات لما كانوا مستوين في الاسباب التي استوجبوا ذلك لان من المهاجرين ترك الاوطان
والمنازل والخروج منها والمفارقة عن اهليهم واموالهم وكان من الانصار مقابل ذلك انزالهم في منازلهم واوطانهم
وبذل اموالهم وقيام اهليهم في خدمتهم لذلك كان ما ذكر والله سبحانه وتعالى اعلم

قوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال بعضهم من اهل التاويل ذلك في قوم كانت
بينهم وبين رسول الله عهد على غير مدة مبينة فامر بنقض العهد المرسل وجعله في الاربعة الاشهر التي ذكر في قوله فسيحوا في
الارض اربعة اشهر وقال بعضهم هم في قوم كان لهم عهد دون اربعة اشهر فامر باتمام اربعة اشهر دليله قوله فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم وقال ابو بكر الكيساني في الاية في قوم كانت عادتهم نقض العهد ونكثه كقوله الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة فامر ان يعطي العهد اربعة اشهر التي ذكر في الاية ثم الحرب بعد ذلك وقال بعضهم لما نزل قوله براءة
من الله ورسوله بعث رسول الله عليا الى الموسم ليقرأه على الناس فقرأه عليهم براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة اشهر
الا الذين عاهدتم من المشركين على ما ذكرنا حمل هؤلاء كلهم قوله براءة على النقض وعندنا يحتمل غير هذا وهو ان قوله براءة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين في امضاء العهد ووفائه والبراءة هي الوفاء واتمامه ليس على النقض لانه قال
الا الذين عاهدتم من المشركين والبراءة اليهم هو الامان والعهد اليهم ولو كان على النقض لقال من الذين عاهدتم من المشركين
دل انه هو اتمام اعطاء العهد لهم وامضاؤه اليهم ويؤيد ما قال بعض اهل الادب ان البراءة هي الامان يقال كتبت له براءة اي
امانا فهذا الذي ذكرنا اشبه مما قالوا اعني اهل التاويل وقوله عز وجل فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي سيروا واذهبوا
في الارض اربعة اشهر اي في مدة العهد وقوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان المؤمنين وان اعطوكم العهد
في وقت فانكم غير معجزي الله اولياء ولا فائتين عنكم في تلك المدة وان الله مخزي الكافرين المخزي هو العذاب الفاضح الذي
يفضحهم ويظهر عليهم ويحتمل ان يكون ذلك العذاب والاخزاء الذي ذكر في الاخرة وقوله عز وجل واذان من الله و
رسوله الى الناس يوم الحج الاكبر قال القتبي واذان من الله ورسوله اي اعلام ومنه اذان الصلوة هو الاعلام يقال
اذنتهم اي اعلمتهم وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل ان الله بريء من المشركين ورسوله يكون في قوله ان الله بريء من
المشركين ورسوله دلالة ما قال اهل التاويل من النقض لان قوله براءة من الله ورسوله يكون فيه امضاء العهد واتمامه
الى المدة التي ذكر ويكون ما روي في الخبر في القصة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزل براءة بعث ابا بكر على حج الناس
بنيهم المؤمنين حجهم وبعث معه براءة السورة ثم اتبعه علي بن ابي طالب فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبي
فقال للنبي بابي انت وامي نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ غيري او رجل مني اما ترضى يا ابا بكر انك صاحبي في الغار وانك
اخي في الاسلام وانت ترد علي الحوض يوم القيامة قال بلى يا رسول الله فمضى ابو بكر على الناس ومضى علي بن ابي طالب بالبراءة
فقام علي بالموسم فقرأه على الناس براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة اشهر فانهم يسيحون فيها ثم قوله يوم الحج
الاكبر قال عامة اهل التاويل هو يوم النحر لان فيه ذكر طواف البيت وحج البيت وقال بعضهم هو يوم عرفة لانه هو الذي
يوقف بعرفة وبه يتم الحج على ما روي في الخبر الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى معنا الجمع فقد تم حجه وقضى تفثه ثم
بادراكه يتم الحج وبفوته يفوت وعن الحسن انه سئل فقيل له ما الحج الاكبر فقال بسنة حج المسلمون والمشركون جميعا
بمكة وكان في اليوم لليهود عيد وللنصارى عيد لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله حج الاكبر قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان
يسمي الله لعيد النصارى واليهود يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول السخطة عليهم واللعنة ولكن جائز ان يسمى بذلك لان
الخلائق فيه من كل نوع على سمي يوم الحشر يوما عظيما كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله عز وجل
فان تبتم فهو خير لكم اي ان تبتم عما كنتم عليه فهو خير لكم لانهم يامنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم ويكون ذلك
الخوف والرعب في قلوب المشركين على ما روي في الخبر انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقوله وان توليتم عما ذكر
فاعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه ويحتمل قوله فان تبتم عن نقض العهد فهو خير لكم في
الدنيا والاول فان تبتم واسلمتم فهو خير لكم في الدنيا والاخرة ثم روي في بعض الاخبار عن علي رضي الله عنه انه سئل
باي شيء بعثت قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى اربعة
اشهر ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الحرم مشرك بعد هذا وفي بعض الاخبار ولا يحج المشرك بعد عامه هذا و
كذلك قال في الاية الاخرى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ففيه دلالة اثبات رسالة محمد لانه قال فيملأ
من الناس بالموسم لا يحج مشرك بعد هذا مع كثرة اولئك وقوتهم وقلة المؤمنين وضعفهم ثم لم يتجاسر بعد ذلك
النداء احد ان يدخل مكة للحج وغير ذلك ان ذلك كله كان بالله تعالى لانهم ثم من الناس استدل بالخبر الذي روي

انه بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه براءة ثم اتبعه عليا فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبي فقال هل نزل في شيء
قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني على ان عليا هو المستحق لخلافته وهو الاحق بها دون ابي بكر حيث قال لا يبلغ عني الا رجل
مني لكن يحتمل انه ولى ذلك عليا لما كان من عادة العرب انهم اذا عاهدوا عهدا انه لا ينتقض ذلك عليهم الا من هو من قومهم فولى ذلك
عليا لئلا يكون لهم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد امامه بقاله ولها ولى عليا امر الحرب وهو كان ابصر واقوى بامر الحرب من
ابي بكر وولى ابا بكر امر اقامة الحج والمناسك وكان ابو بكر هو المولى امر العبادات وعلي امر الحروب فالحاجة الى الخلافة لاقامة العبادات
اولى وان يقال ان ابا بكر كان امير الموسم وعليا كان مناديه فالامير في شاهدنا اجل قدرا واعظم منزلة من المنادي وامر عليا ذلك
لما ان كان اقبل واسمع من غيره من الامير نفسه والله اعلم وقوله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا قال بعضهم
هذا صلة قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الا الذين عاهدتم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم امر باتمام العهد للذين لم ينقضوا المسلمين ولا ظاهروا عليهم احدا واما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فانه
لا يتم لهم ولكن ينقض وكذلك تاول قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين النقض ويحتمل ان يكون صلة قوله وبشر
الذين كفروا بعذاب اليم ويكون العذاب الاليم هو القتل والاسر كانه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والاسر الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ثم يحتمل قوله لم ينقصوكم شيئا اي لم يخونوكم شيئا ما داموا في العهد ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم
يبادوا ولا اطلعوا احدا من المشركين عليكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء امر بالنبذ اليهم
عند خوف الخيانة وامر بالاتمام اذا لم يخونوا ولم يظاهروا عليهم احدا وذلك قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين على
ان قوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير معجزي اولياء الله في عذاب الدنيا لانهم جميعا سواء في عذاب الاخرة مشتركين فيه وقوله الى
مدتهم قال بعضهم مدة العهد اربعة اشهر بعد يوم النحر لعشر مضين من ربيع الاخر لمن كان له عهد ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم خمسين ليلة
وقال بعضهم الا الذين عاهدتم من المشركين بالحديبية فلم يبرأ الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربع ثم لم ينقصوكم في الاشهر الاربع ولم
يظاهروا عليكم احدا اي لم يعينوا على قتالكم احدا من المشركين اي لم يفعلوا ذلك فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وهو الاربعة الاشهر ان الله يحب
المتقين الذين اتقوا المعاصي والشرك وقوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم قال بعضهم الاشهر الحرم هي اشهر العهد والامان فاذا انسلخ
تلك الاشهر ومضت فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم الاشهر الحرم هي الاشهر التي خلقها الله وجعلها حراما كقوله ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم وقوله عز وجل فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم قال
بعضهم حيث وجدتموهم وخذوهم في الاماكن كلها لان حيث انما يترجم عن مكان امر بقتالهم في الاماكن كلها لانه لم يخص مكانا دون مكان وقال
اخرون هو في الاماكن كلها الا المكان الحرم دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام امر بقتالهم في الاماكن كلها الا المسجد الحرام ويمكن ان يكون انهم يقتلون الا ان يدخلوا الحرام فاذا دخلوا الحرام
وقد نهوا عن الدخول فيها والحج هنالك على ما روي ان عليا نادى بالموسم الا لا يحجن بعد العام مشرك فاذا دخلوا يقتلون ويكون دخولهم
فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم ايانا فاذا قاتلونا عند المسجد الحرام قاتلناهم كقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
فان قاتلوكم فاقتلوهم والله اعلم وقوله وخذوهم قيل اسروهم وقوله واحصروهم قيل واحبسوهم واقعدوا لهم كل مرصد والمرصد الطريق
كانه امر بقوله فاقتلوا المشركين بقتلهم اذا قدروا عليهم وامكن لهم ذلك والامر عند الامكان والحبس اذا دخلوا الحصن وحفظ المراصد
عند غير الامكان لئلا يدخلوا بلادنا ويقال ارصدت له اي انتظرت ان اجد فرصتي ويقال ترصدته اي انتظرته وقال بعضهم قوله كل مرصد اي
كل طريق يرصد ولكم كانه امر بذلك ليضيق عليهم الامر ليضجروا وينقادوا وفيه دليل النهي عما يحمل الى دار الحرب من انواع الثياب والامتعة
وما ينتفعون به لانه امر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليضيق عليهم الامر ويشتد فينقادوا وفيما يحملون توسيع عليهم وقوله وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد يحتمل ان يكون قوله وخذوهم واحصروهم اي اقيموا عليهم الحجج والبراهين ليضطروا الى قبول ذلك فاذا
انقادوا لكم والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم وقوله عز وجل فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فوجب بظاهر
الاية ان نقاتل منا من لم يقم الصلوة ولم يؤت الزكوة لان الله تعالى انما دفع القتل عنهم بالايمان واقام الصلوة وايتاء الزكوة فاذا لم
ياتوا بذلك فالقتل واجب عليهم وكذلك فعل ابي بكر الصديق لما ارتدت العرب ومنعتهم الزكوة حاربهم حتى اذعنوا باداتها اليه روي
عن انس قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر اتريد ان تقاتل العرب كافة فقال ابو بكر انما قال
رسول الله اذا شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة منعوا مني دماءهم واموالهم والله لو منعوني عناقا
مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قال عمر فلما رايت راي ابي بكر قد شرح عرفت انه الحق وفي بعض الاخبار قالوا نؤدي
ان لا اله الا الله ونصلي ولكن لا نزكي فمشى عمر والبدريون الى ابي بكر فقالوا دعهم فانهم اذا استقر الاسلام في قلوبهم وثبت ادوا فقال
والله لو منعوني عقالا مما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قيل او قاتل رسول الله على ثلاث شهادة ان لا اله الا الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله لا اسال فوقهن ولا اقصر دونهن فقالوا انا نزكي

ولكن لا نؤديها

ولكن لا ندفعها فقال والله حتى اخذها كما اخذها رسول الله واضعها مواضعها وقال اخرون قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة في قبولها والاعتقاد دون فعلها الى لا يحتمل حبسهم ومنعهم الى ان يحول الحول فياخذون باداء الزكوة دل
انه على القبول والاقرار بذلك واستدلوا بما روي في بعض الاخبار عن رسول الله قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله واني رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني وفي بعضها حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة فاذا فعلوا ذلك منعوا لكن اول ما ذكرنا من الزيادات والنقصان ان ذلك في قوم مختلفين وانه على القبول لذلك
والاعتقاد لا على الفعل نفسه فمن كان لا يقر بشيء من ذلك فاذا قال لا اله الا الله كان ذلك منه ايمانا في الظاهر ومن كان يقول
لا اله الا الله ولا يقول محمد رسول الله فاذا قال ذلك كان ذلك منه ايمانا ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلوة والزكاة فاذا
اقر ذلك كان ذلك منه ايمانا فهو على الاقرار به والاعتقاد له لا على الفعل الا ترى ان للائمة ان ياخذوا منهم الزكوة شاءوا وابوا
فلو كان الاداء من شرط الايمان لكانوا غير مؤمنين باخذ هؤلاء واختلف الصحابة والروايات في الحج الاكبر روي عن عبد الله
بن الزبير عن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة هل تدرون اي يوم هذا قالوا انه اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال فان الله
قد حرم دماءكم واموالكم عليكم الى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا وعن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الحج الاكبر فقال يوم عرفة وعنه انه
وقف عليهم يوم عرفة فقال ان هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وعن ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر وفي بعض
الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم انه خطب على ناقة حمراء يوم النحر فقال رسول الله اتدرون اي يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم
الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال رايت او قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال اي يوم هذا قالوا هذا يوم النحر قال فاي بلد هذا قالوا هذا بلد حرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر حرام قال هذا يوم
الحج الاكبر فدماؤكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال هل بلغت وعن الحارث قال سالت عليا
عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن المغيرة بن شعبة انه خطب يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج الاكبر وعن
ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر وفيه قول ثالث ما روي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم والحج الاصغر
العمرة وعن ابن عباس قال العمرة هي الحجة الصغرى وسئل عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر فقال الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة
فاما حديث عمرو بن حزم فهو حكاية عن كتاب وليس فيه بيان عن يوم الحج الاكبر انما ذكر فيه الحج الاصغر ولولا خبر علي وابن
عمر لجاز ان يقال يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر لانه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز ان
يقال يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر لانه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز ان يقال هو يوم
النحر لانه فيه يقضى طواف الزيارة وهو فرض ويقضى فيه اكثر مناسك الحج بل يوم النحر اولى ان يكون يوم الحج الاكبر لان الحاج يفعل
في يوم عرفة فرضا من فرائض الحج وهو الوقوف ويقضي في يوم النحر فرضا اخر من فرائضه وهو طواف الزيارة ويقضي مع ذلك
اكثر المناسك فقد استوى هذان اليومان في انه يقضى في كل واحد منهما فرض من فرائض الحج وزاد يوم النحر على يوم عرفة بما يفعل في
يوم النحر من مناسك الحج ولا يفعل في يوم عرفة شيئا من النسك الا الوقوف بعرفة واحتج بعض الناس بفرضية العمرة بما روي عن عمرو بن
حزم ان الحج الاصغر هو العمرة والاكبر هو الحج بما سميت العمرة حجا وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم وعن علي وابي هريرة وابن ابي اوفى
رضي الله عنهم انهم قالوا الحجة الكبرى يوم النحر وعن عمر وابن عباس انهما قالا يوم عرفة وقوله عز وجل وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله وقد قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد الاية فامر بالاية الاولى عند الوجود في هذه بالقتل والاسر وامر في الاولى بتبليغه مامنه وفي هذه بان يقعد له كل مرصد
وحال هذه في حال الاولى في راي العين ويتهيا له في كل وقت يظفر به ان يستجير لما ذكر وفي كل حال يرصد له ان يحتال ليرد الى مامنه
وفي ذلك زوال القيام بما في احدى الايتين في الظاهر فالزم ذلك طلب المعنى الموفق بين الامرين من طريق التامل بالاسباب التي هي
تدل على حق المعاملة بالايتين جميعا فقال اصحابنا انه اذا قصد نحو ما من اهل الاسلام غير مظهر اعلام الحرب ولا بما يدل انه على ذلك
بجيشه بل يمشي مشي من ينقلب لحاجة ومن يتعاهد من ينادي اليه بالاستجارة فيجار ولو كان مقبلا نحو ما منا كالطالب لاحد عليه
اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذين يرصدون له والذين لم منعة ولا قوة به فلا يقبل قوله وذلك على تسليم الامر الغالب من الاحوال
اذ لا وجه لعلم الحقيقة في ذلك وعلى ذلك عامة الامور بين اهل الدارين وما ذكرت من الاية في لزوم ذلك الاعتبار اذ لا وجه له
غير هو بيانه والله اعلم ثم قال قوله وان احد من المشركين استجارك بعد العلم بانه من مامنه لا يقدر على الاستجارة لبعد ما بين كل من
مامن الاخر لم لا يكون مامن الفريقين في جملة الدارين لما كان يحقق اي كل فريق منهما نوع من الاخذ به خوف تثبتا فيه فذلك يوجب الخروج
للاستجارة من مامنه والدخول في مامن المسلمين الى ان يبلغوا اسماعهم فيستجيروا فلذلك لا يوجب ذلك الوجود حق الاسر ولا القتل
ويجب رده لو لم يجر ولا يسع تعرضه لشيء من ذلك ثم قوله وان احد من المشركين استجارك من غيرك يبغي استجارته لما يحتمل ان يكون
ترك بيانه لما في الجواب ذلك بقوله حتى يسمع كلام الله وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة انه في الجواب بيان ما استفتوا

ويحتمل ان يكون ذلك لازم ان يسمع كلام الله بمعنى حجته لاى وجه دخل بامان وذلك موتيب لانا امرنا بالتضييق عليهم ليسلموا
فاذا الجاهم الدخول للحاجات بلا عرض يذهب منفعة التضييق فيكون المقصود بالعهد لما يرون من اثار الاسلام وحسن رقة
اهل الاسلام ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء ان يجيبوا فلذلك يؤذنون وان كان فى ذلك قضاء حاجاتهم وتردد
عن نجاة صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يقاتل حتى يدعوا الى الاسلام فيما قد كان دعاهم غير مرة فذلك المعنى عند الامان اولى والله اعلم
وقوله حتى يسمع كلام الله فالاصل ان حقيقة الكلام لا تسمع بالكلام نفسه اذ الذى به يودى حروف الكلام بما يتقلب الحروف
وبه لغة ولا صوت له يسمع نحو اللسان والشفة ونحو ذلك وانما يسمع بصوت تبيح من حيث الجارحة التى يتكلم وقوله فيبلغ كلام
وحروف كلامه السامع فالسمع يقع على الصوت الذى به يدرك الكلام ويفهم فصار سمع الكلام فى الاصل مجازا لا حقيقة فعلى
ذلك ما قيل من سماع كلام الله ثم هو يخرج على وجوه احدها ان يسمع المعنى الذى جعل له الكلام وهو الامر والنهى والتحريم والتحليل
ونحو ذلك مما ينسب الى الله فقيل بذلك كلام الله لما اليه ينسب الى الامر به والنهى ونحو ذلك والوجه الثانى ان يكون الله ونظم على
ما عجز خلقه عن مثله فنسب اليه بما منه تاليفه على ما هو عليه وان كان مسموعا من غيره على ما نسب القصايد الى مبديها والكتب الى
مؤلفيها والاقاويل الاوايل التى منهم ظهرت وان لم يكن الذى يقوله فى الحقيقة قوله او كلامه بما كان منه الابتدا الذى عليه يتكلم فعلى
معنى قوله حتى يسمع كلام الله والثالث ان يكون ذلك لما الكلام به يعبر وبه يوصف ان له كلام وبه يرجع الى ذلك وان كان الله تعالى
يجل عن الوصف لكلامه بالحروف والهجا والابعاض ونحو ذلك فلما كان اليه المرجع وان كان حد ذلك غير متوهم هنالك ولا
متصور فنسب اليه كما قال الله تعالى خلقكم من نفس واحدة وقال خلقكم من تراب من غير توهم كلية العالم فى ذلك التراب والنفس
الواحدة لما اليه مرجع الكل نسب اليه وعلى ذلك امر الكلام وذلك على ما قيل من لقاء الله والمرجع الى الله والمصير بما لا تدبير لاحد
هنالك ذكر المصير اليه لان لذلك من صيرورة اليه فى الحقيقة ورجوع لم يكن من قبل فمثله لما قيل كلام الله ثم الله تعالى يجل عن التصور
فى الاوهام او التقدير فى العقول فعلى ذلك صفته بل ذلك احق واولى اذ يجد صنات الخلق لا تحد ولا تتصور فى الاوهام ولا يقدرها
العقول الا من طريق القول بالحقيقة لهم على ما هن اعيادهم والله تعالى المتعالى عن التصور فى الاوهام ووصفه بالعلم والكلام
ونحو ذلك احق فابطال توهم ذلك فتدبر فيه وقال الثلجى يقال كلام الله على الموافقة لا على الحقيقة كما يقال ذا قول فلان وليس غير
كلام المتكلم به فالقايل الشاهد وقال ابو بكر فهذا يدل على ان كلام الله يسمع من وجوه نكا ثم يذهب الى مثل ما يقال يعرف الله من
وجوه على تحقيق الوجوه شانه كلامه والله اعلم من غير توهم المعنى الذى به يعرف الله عز الله سبحانه كذلك سماع كلامه وفى قوله
ثم ابلغه مامنه دلالة انه لم يقبل ما سمع وعرض عليه اذ لو قبل لكان يكون مامنه هذه الدار لا تلك وكان يحق عليه الخروج منها
لا العود اليها ثم معلوم ان كلام الله هو حجته وان الحجة قد لزمته لوجهين احدهما ما ظهر عجز الخلق عن مثله وانتشر الخبر فى الا...
على قطع طمع المنابذين لرسول الله بالوتر البا ذلين مهجهم وما حوت ايديهم فاطفاء نوره نكان ذلك حجة بينة لزمتهم والثانى
ان جميع ما يتلى منه لا يوفى عن ايات الا وفيها ما يشهد بالعقول على قصور افهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكمة وعجيب ما فيه من
الحجة مما لو قوبل بما فيه من المعنى وما يحدث به من الفايدة ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شئ واذا كان كذلك
صار هو بالرد مكابرا وحق مثله الزجر والتاديب ثم لم يفعل بيضمن امانة القبول ولا ان لا يعارضه بالرد وذلك اعظم مما فيه
الحدود فالحذاق ان لا يقام عليه والله اعلم ثم قوله ابلغه مامنه يحتمل وجهين احدهما ان يدعه ولا يمنعه عن العود الى مامنه
ليعلم ان حكم تلك الدار لم يزل عنه وانه لا يلزم الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والثانى ان يكون عليه حفظه الى ان يبلغه مامنه
بدفع المسلمين منه وفى ذلك لزوم حق الامان الجميع باجازة وعلى ذلك كل مسلم ثم سماع كلام الله يخرج عن القران وفيه ما ذكرت
من الدلالة وعلى سماع اوامر الله ونواهيه فى حق العرض عليه وعلى سماع حجج النبوة وايات الرسالة او التوحيد من القران والله
اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعلمون اى ما لهم وعليهم ويحتمل نفى العلم بما لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك تعليم مع رسول الله
من كيفية معاملة الكفرة اذ هم لم يكونوا يعلمون من قبل والله اعلم ثم قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هو والله
اعلم ان كيف يستحقون العهد وكيف يعطى لهم العهد وقد نقضوا العهود التى بينهم وبين ربهم والعهود التى بينهم وبين رسول الله فاما
العهود التى بينهم وبين ربهم هو عهد الخلقة اذ فى خلقة كل احد الشهادة على وحدانية الله والوهيته والشهادة على الرسالة وما
عهد اليهم فى كتبهم من نعتها وصفة محمد ونعته للخلق فنقضوا ذلك كله ونقضوا العهود التى بينهم وبين رسول الله ولم يحفظوها
يقول والله اعلم كيف يستحقون ان يعطى العهد لهم وقد نقضوا العهد الذى عهد الله اليهم والعهود التى اعطاهم رسول الله لا يستحقون
ذلك الا ان الله عز وجل بفضله واحسانه اذن ان يعطى لهم العهود فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى وفوا لهم العهد اذا وفوا لكم وان
انقضت المدة يقول والله اعلم اذا استقاموا لكم فى وفاء العهد فاستقيموا لهم فى وفائه واذا انقضت المدة وقوله عز وجل الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام استثنى الذين عاهدوا عند المسجد الحرام يحتمل ان لا يعطى العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ويحتمل قوله
الا الذين عاهدتم كما قالهم ان وفوا لكم فاوفوا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب من اتقى الشرك واتقى جحود ونظم والله اعلم وقوله

عز وجل

عز وجل كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يقول كيف يعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال بعضهم وكيف لا تقاتلونهم وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الله والذمة
العهد وقيل الال القرابة وقيل الال العهد والذمة وكذلك ذكر فى حرف حفصة لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة وقال القتبى الال العهد
قال ويقال القرابة وقال ابو عوسجة الال القرابة وقال ابو عبيدة الال العهد والذمة التذمم وقال ابن عباس الال الله بمنزلة جبريل
تفسيره عبد الله لما قيل جبريل هو عبد الله وقيل الال الحرم يقول كيف تعطونهم العهد وهم وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا
العهد ولا يرقبون الحرم فيكم وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرحم حتى يعادون بعضهم بعضا ويناصرون اذا وقع بين قراباتهم وحرمهم
وبين قوم اخرين مباغضة وعداوة وكانوا يرقبون حرم الله حتى لا يقاتلون فى الاشهر الحرم وعند المسجد الحرام وكانوا يحفظون
العهود فيما بينهم من قبل ولا يرقبون فيكم ولا يحفظونها هذا والله اعلم تاويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقد كانوا يرقبون من قبل
وقوله عز وجل يرضونكم بافواههم بانهم يرعون العهد ويحفظونه وتابى قلوبهم الا النقض وقوله عز وجل واكثرهم فاسقون
فى نقض العهد والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر ربه وقوله عز وجل اشتروا بايات الله يحتمل حججه وبراهينه ويحتمل
ايات القران ومحمد ويحتمل ايات دينه وقوله عز وجل فصدوا عن سبيله اى صدوا الناس عن متابعة النبى وقيل صدوا الناس عن دين الله
الاسلام انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما عملوا بصدهم الناس عن دين الله الاسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل
لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هذا قد ذكرنا واولئك هم المعتدون فى نقض العهد والاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذى جعل لهم
وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين قال بعض اهل التاويل انظروا الى كرم ربكم وجوده قوم قد ابغضوا
كذبا وكذبوا رسول الله وهموا بقتله واخراجه من بين اظهرهم وطعنوا فى دينهم وعملوا كل بلية من نصب الحروب والقتال فيما بينهم ثم
انه وعدهم اذا تابوا المغفرة والتجاوز عما كان منهم بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الاخوة والمودة بقوله
فاخوانكم فى الدين وقال وجعل بينكم مودة ورحمة وقال اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وغير ذلك من الايات
وفيه ان كان له مكان اخوة نبا وجفاء فانه رجع عن ذلك وتاب لزمه ان يتجاوز عنه وان لا يذكر بعد ذلك ما كان منه من الاذى
على ما جعل الله فيما بين هؤلاء الاخوة والمودة اذا تابوا وقال فاخوانكم فى الدين وقد كان منهم ما كان ومن حق الاخوة ان لا يذكر ما
كان منهم من المساوى ثم قوله فان تابوا من الشرك وما كان منهم وقوله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة يحتمل قوله اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وجهين يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة زكوة المال وهو ما ذكرنا فيما تقدم من الاقرار بهما والاعتقاد والقبول
لذلك دون فعلهما وهم فى الكبراء والقادة الذين كانوا يمتنعون عن الخضوع لاحد ولا يؤدون الزكوة ولا يتصدقون لما ظنوا
انهم يخلدون فى الدنيا اشفاقا على انفسهم ويحتمل ان يكون المراد من الصلوة والزكوة الخضوع والخشوع لا الصلوة المعروفة و
المراد من الزكوة زكوة النفس واصلاحها فان كان هذا فهو لازم فى الاوقات كلها ما من وقت الا وله على كل احد الخضوع والخشوع
له ويزكى نفسه ويصلحها وهو كقوله قد افلح من زكيها وقوله ونفصل الايات لقوم يعلمون اى نبين الايات لقوم يعلمون ينتفعون
بعلمهم ويحتمل لقوم يعلمون اى لقوم اذا انظروا فيها وتدبروا يعلموا الا لقوم لا يعقلون وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
يحتمل قوله ايمانهم العهود نفسها كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ثم ذكر العهود ثم قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
ويحتمل قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ايمانا يحلفون بعد اعطاء العهد توكيد البلاء بنقضوا العهد انا ما عاهدتهم نقض
العهد ونكثه وقوله وطعنوا فى دينكم فى الدين ظاهر وقوله عز وجل فقاتلوا ائمة الكفر وتخصيص الامر بقتال الائمة لما ان الاتباع انما
يقلدون الائمة ويصدرون عن ارائهم وتدبيرهم فانا قاتلوهم اتبع الاتباع لهم والثانى لنفى الشبه ان ليس الائمة منهم كما
الصوامع وان كانوا ائمة فى العبادة فلا يترك مقاتلتهم كما يترك مقاتلة اصحاب الصوامع لان اصحاب الصوامع قد عزلوا
انفسهم عن الناس عن جميع المنافع وحبسوها للعبادة والائمة ليسوا كذلك والثالث حض الائمة بالقتال لانهم اذا
قتلوهم لم يبق لهم امام فى الكفر فيذهب الكفر راسا وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الاية انهم لا ايمان لهم يحتمل لا ايمان
لهم لا عهد لهم بعد نقضهم العهد اى لا توفوا لهم العهد الذى كان لهم اذا نقضوا ويحتمل لا ايمان لهم اى لا يعطى لهم العهد ابدا وفيه
لغة اخرى لا ايمان لهم بكسر الالف لا ايمان لهم اى لا يؤمنون اى لا يؤمنون ابدا فان كان كذلك وذلك فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون
ابدا وتاويل قوله انهم لا ايمان لهم يخرج على وجهين احدهما ان اهل العهد اذا نقضوا العهد ينقض ذلك ويتركون على النقض ويقاتلون
بعد النقض وليس كاهل الذمة ان نقضوا الذمة لا يتركون ذلك ولكن يردون الى الذمة ولا ينقض الذمة بينهم وقال الحسن
قوله لا ايمان لهم يقول لا تصديق لهم وقوله لعلهم ينتهون عن نقض العهد وقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اى كيف
لا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وايمانهم ما ذكرنا وهو حرف الاغراء على مقاتلة من اعتقاد نقض العهود والتحريض عليهم وهموا
باخراج الرسول القتل اى هموا بقتله وفى القتل اخراجه وهموا اخراجه من المدينة على ما ذكر فى بعض القصة ان اليهود قالوا
لرسول الله ان كان الانبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة فانتقل اليه وفى الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

لانه معلوم انهم اسروا فى انفسهم وفيما بينهم اخراجه وقتله لانهم اظهروا ذلك ثم اخبرهم بذلك دل انهم انما علموا ثم
انما عرف ذلك بالله تعالى **وقوله** عز وجل وهم بدؤكم اول مرة يحتمل قوله وهم بدؤكم اول مرة فى نقض العهد اى هم بدؤكم بنقض
العهد ويحتمل هم بدؤكم بالقتال اول مرة والاخراج **وقوله عز وجل** اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اى لا تخشوهم ولا تخشوا
انهم لا يقدرون ان يصل اليكم نكبة الا بقدر الله اياهم فلا تخشوهم واخشوا الله ويحتمل قوله اتخشونهم فالله قادر بنصركم
وبقهر عدوكم فالله ان تخشوه ان كنتم مؤمنين اذ هو قادر على منعهم عنكم ونصركم عليه **وقوله عز وجل** قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم الاية علم الله عز وجل كراهة القتل وثقله على الخلق فامر المؤمنين بقتال الكفرة ووعدهم النصر والتعذيب
بايديهم يحتمل وجهين يحتمل القتل والاهلاك ويحتمل الاسر والسبى ويخزهم يحتمل ايضا وجهين ايضا يحتمل الهزيمة والاذلال
ويحتمل قوله يخزهم فى الاخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته الخزى هو العذاب الذى فيه الفضيحة والذلة
وفى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم انه لا قدرة لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم
بايديهم ولو كان غير قادر على افعالهم كان يعذبهم بيده لا بايديهم وينصركم عليهم وعدهم النصر عليهم والظفر وخزى الكفرة
وهو ما ذكر هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وكذلك فى قوله
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا دلالة نقض قولهم لانه اخبر انه يصيبهم العذاب من عنده او بايدى المؤمنين لما
ذكرنا **وقوله** ويشف صدور قوم مؤمنين يحتمل ان يكون قلوبهم توجعت وتالمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسل فوعدهم
شفاء صدورهم وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم يسلمون فيصيرون اخوانا فيدخل فيهم السرور والفرح بازاء ما حزنوا وتالموا
وذلك شفاء صدورهم والثانى يشف صدورهم بالقتل والهزيمة يقتلون ويهزمون ففى ذلك شفاء صدورهم لما تالمت و
توجعت بالتكذيب والكفر بالله واياته **وقوله عز وجل** ويذهب غيظ قلوبهم هذا يحتمل ايضا وجهين يذهب الغيظ الذى
كان فى قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بايات الله باسلامهم يسلمون فيكونون اخوانا او يقتلون ويهلكون فيذهب
عنهم الغضب الذى كان فى قلوبهم غضبوا عليهم بالذى ذكرنا **وقوله عز وجل** ويتوب الله على من يشاء اى من يشاء عذب
ومن شاء تاب عليه وفى الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون فاخبر
انه يعذب بعضا ويتوب على بعض فلما شاء ان يعذب غير الذى شاء ان يتوب غير الذى شاء ان يعذب والله عليم بما
كان ويكون اى عن علم بما كان منهم خلقهم لا عن جهل اذ خلقه اياهم ليس لمنافع نفسه وحاجته انما خلقهم لحاجتهم و
منافعهم حكيم وضع كل شىء موضعه ويحتمل عليم بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر باياته حكيم اى ما جعل عليهم
من القتل والتعذيب والخزى كان وضع الشىء موضعه **وقوله** عز وجل ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضا قوله ام حسبتم ان تتركوا
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله الم احسب الناس ان يتركوا الاية هذه الايات كلها فى المنافقين الذين اظهروا
الايمان باللسان ما رووا المؤمنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام والموافقة ثم قال ام حسبتم ان تتركوا على ما
اظهرتم من الايمان باللسان فلا تبتلون بالقتال لجعل الله تعالى القتال مع الكفرة والله اعلم وامر به لمعنيين احدهما تطهيرا
للارض من الكفر كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والثانى امتحانا للمنافقين ليتبين نفاق
من اظهر الايمان باللسان مراءاة وصدق من اظهر حقيقة ليعرف المحقق المخلص من المنافق المراءى لان القتال هو من
ادفع اعلام يظهر بها نفاق المنافق لانهم انما كانوا يظهرون الموافقة لهم طمعا فى الدنيا ليسلم لهم المنافع التى كانوا ينتفعون
ففى الامر بالقتال خوف الهلاك فاذا خافوا الهلاك على انفسهم امتنعوا عنه كقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلموا الينا الاية خوفا واشفاقا على انفسهم لما ذكرنا انهم انما كانوا يظهرون الايمان باللسان ليسلم لهم ما طمعوا
من المنافع كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية هذا وصف المنافق واما المؤمن المحقق للايمان المخلص الاسلام
فانه يسلم نفسه لله فى جميع احواله وان كان فيه تلف نفسه لما لم يكن عبادته الله على حرف ووجه كالمنافق ولكن على
الوجوه كلها والاحوال جميعا عبادته تكون لله لا تمنعه خوف الهلاك عن القتال بل نفسه يسخو لذلك ونرجو ولا
كذلك المنافق وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يكون على الايجاب والالزام ثم قوله ام حسبتم يحتمل وجهين احدهما
اى قد حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الموافقة والخلاف فى السر ولا تبتلون وتمتحنون ما يظهر عنكم مما اضمرتم
فلا تحسبوا ذلك والثانى ام حسبتم اى لا تحسبوا ان تتركوا على ذلك ولا تمتحنوا بالجهاد والقتال الاحداثا ويلين
يخرج على النهى والثانى على الاخبار عما حسبوا وعما عندهم ثم قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى ليعلم من قد علم
انه يجاهد مجاهدا ويعلم ما قد علم انه يكون كائنا لا على حدوث علمه بذلك اذ هو موصوف بالعلم بكل ما يكون فى وقت
ما يكون على ما يكون فيكون قوله ليعلم المجاهدين من كذا وليعلم الصابرين من كذا اى ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهدا فى

ما قد علم انه يكون كائنا لانه لا يجوز ان يوصف الله بالعلم بالليس يكون انه يعلمه كائنا كما لا يجوز ان يوصف انه يعلم من الجالس القيام
فى حال جلوسه ومن المتحرك السكون فى حال الحركة ومن المتكلم السكوت فى حال كلامه انما يوصف بالعلم على الحال التى تكون عليه لا
يوصف بالعلم فى حال غير الحال التى هو عليه والله الموفق ويحتمل هذا وجها اخر ان فيما اضاف العلم الى نفسه كان المراد منه اولياؤه كقوله
ان تنصروا الله ينصركم اى ان تنصروا اولياءه ينصركم او ان تنصروا دينه ينصركم او ان تنصروا رسوله ينصركم فعلى ذلك قوله ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم اى ليعلم اولياؤه المنافق المراءى والمؤمن المحقق المخلص وليتبين لهم وكقوله يخادعون الله اى يخادعون اولياءه اذ الله
لا يخادع ولا ينصر اذ هو ناصر كل احد ولا يخفى عليه شىء عالم بما يكون فى وقت ما يكون او ان يكون المراد من العلم الذى ذكر المعلوم وذلك
وذلك جائز فى اللغة جار وفى القرآن كثير **وقوله عز وجل** ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى لم يجدوا ملجأ
يلجؤون اليه من دون ما ذكر ولو وجدوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا كقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم
يفرقون لو يجدون ملجأ الاية اخبر انهم لو وجدوا ملجأ يلجؤون اليه ولولوا لا يظهرون ذلك **وقوله** وليجة قال بعض اهل الادب
الوليجة البطانة من غير المسلمين واصلها من الولوج وهو ان يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطا ودا وجمعه الولائج
وقال البعض الوليجة اصلها من الدخول كقوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط يقال ايضا فلان وليجة فلان اى خاصة وقال بعضهم الوليجة
الخيانة وقال بعضهم الوليجة ما يلجأ وقال بعضهم كل شىء ادخلته فى شىء ليس منه فهو وليجة وبعضه قريب من بعض والله خبير بما
تعملون هو الوعيد خرج **وقوله عز وجل** ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعض اهل التاويل
نزلت الاية فى العباس بن عبد المطلب اسر يوم بدر فاقبل ناس من المهاجرين والانصار منهم على بن ابى طالب وغيره فعيروه بالكفر
بالله والقتال مع النبى وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتذرون محاسننا فقالوا ولكم محاسن قال اى والله انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب البيت ونسقى الحاج ونفك العانى فانزل الله ردا عليه لكن فى اخر الاية دلالة انه لا يحتمل ان يكون فى العباس على ما قالوا
لانه قال اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وفى النار هم خالدون والعباس قد اسلم من بعد فلا يحتمل هذا الوعيد بعد الاسلام
وقال غيرهم من اهل التاويل **وقوله** ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اى ما كان بالمشركين عمارة مساجد الله انما كان بهم خراب مساجد الله
ان المساجد انما تعمر بالذكر فيها والصلوة واقامة الخيرات كقوله فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الاية وهم لم يعمروها بالذكر
اسم الله فيها انما عمروها بذكر الاصنام والاوثان فكان بهم خراب المسجد لا العمارة وقال بعضهم قوله ما كان ينبغى للمشركين ان يعمروا
مساجد الله على ما عندهم لان الذى منعهم عن الايمان بالله حبهم الدنيا وميلهم اليها فما ينبغى لهم ان يعمروها وينفقوها ويضيعون اموالهم
فيها ولا ينتفعون اذا الذى منعهم عن التوحيد والايمان بالله حبهم الدنيا وشهواتهم وميلهم اليها فعلى ما عندهم ما ينبغى لهم ان يعمروها
وقال بعضهم قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اى ما كان على المشركين ان يعمروا مساجد الله لانهم لا ينتفعون بها فى الاخرة
لانهم لا يؤمنون بالاخرة وانما يقصد بعمارة المساجد والانفاق عليها الثواب فى الاخرة وهم لا يؤمنون بها فيضيع نفقتهم فى ذلك اذ لا
مقاصد لهم ولا منفعة انما ذلك على المسلمين ويجوز له بمعنى عليه كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اى فعليها
وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله يحتمل هذا اى ما كان بالمشرك عمارة الله انما يكون عمارته بمن امن بالله واليوم الاخر بين
اشرك بالله وكفر بالاخرة **وقوله** شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعضهم شاهدين على انفسهم اى على نفس محمد ومن امن معه سماهم
انفسهم لانهم من قراباتهم وارحامهم وقد سمى الله المتصلين بهم بذلك كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم
فعلى ذلك الاول ويحتمل ما ذكرنا او شاهدين على انفسهم بالكفر عند الضرورات عند نزول العذاب بهم وعند الهلاك كقوله فلما راوا
باسنا الاية وغير ذلك من الاحوال التى كانوا يقرون بالكفر ويرجعون عنه شهدوا عليهم بالكفر وقال بعضهم قوله شاهدين على انفسهم
بالكفر اى انفسهم تشهد بالكفر عليهم لان خلقتهم تشهد على وحدانية الله وانفسهم تشهد على فعلهم بالكفر وهو ما قال تعالى بل
الانسان على نفسه بصيرة قيل بل الانسان من نفسه بصيرة اى بيان من نفسه والله اعلم **وقوله عز وجل** اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا
والاخرة الى اخر الاية فى قوم ماتوا على الكفر **وقوله عز وجل** انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الوجوه التى ذكرنا فى قوله
ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ان لم يكن عليهم فذلك كله على المسلمين اى عليهم عمارة المساجد وبهم تعمر المساجد ولهم ينبغى
ان يعمروها واقام الصلوة واتى الزكوة قد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** عز وجل ولم يخش الا الله قال بعضهم هو صلة قوله اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين امران يخشوا الله ولا يخشوا غيره ثم ذكر ههنا من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة
واتى الزكوة ولم يخش الا الله وقال بعضهم للخشية العبادة كانه قال ولم يعبد الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى
من الله واجب اى كانوا مهتدين **وقوله** اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر فى الاية اضمار فعل
او فاعل لكن يصح المقابلة لانه انما يقابل فعل بفعل وفاعل بفاعل لا يقابل فعل بفاعل ولا فاعل بفعل فههنا ذكر السقاية
وعمارة المسجد مقابل من امن بالله فهو والله اعلم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كايمان من امن بالله واليوم الاخر او
ان يقال اجعلتم القائم باصلاح سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله ليكون مقابلة شخص بشخص او فعل بفعل ثم

لا يصح ان يجمع بين الكافر والمؤمن فيقال لا يستويان عند الله وان كان الكافر قد اتى بالمحاسن الا ان يقال انه ليس من
فعل محاسنا في حال كفره ثم امن من بعد لكن دفعل محاسنا وهو مؤمن هذا يجوز ان يجمع فيقال لا يستوون عند الله واما الكافر
الذي مات على الكفر وان عمل خيرات والمؤمن الذي عمل الصالحات فمات على ذلك فيجمع فيقال لا يستويان فلا وان يقال
بالجهاد الذي ذكر لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف لكن سقي الحاج وعمر المسجد الحرام ولم يبذل نفسه لذلك فاما
ان يقال لا يستوي الكافر والمؤمن فذلك غير محتمل لانه انما يقال الشيء اذا قرب بعضه من بعض واما عند البعد منه
فلا يقال ولا يقابل. وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين ما داموا في ظلمهم وما داموا اختاروا الظلم لا
يهديهم وقت اختيارهم الظلم او لقوم مخصوصين وقد ذكرنا معناه في غير موضع وقوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله قوله امنوا اي صدقوا رسول الله في جميع ما يخبر عن الله انه صادق وفي جميع ما دعا اليه وامرهم
به ونهاهم عنه انه محق والا كانوا مؤمنين بالله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانوا مؤمنين
بالله لكنهم يكذبون الرسل ورسالتهم اي فارقوا اباهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ومنازلهم وبلدهم هاجروا جميع ما تحبه انفسهم
وتهواه وتميل اليه القلوب ما ذكر في الاية التي تتلو هذه الاية الحق وفارقوا ذلك الكل اشفاقا على دينهم ليسلم ما لو اعطوا قبل الا
الدنيا وما فيها اذا وعدوا بكل وعيد وخوف ما فارقوا اباءهم وطلبا لرضوانه واخوانهم وعشائرهم واولادهم الذين ذكر في الاية
ثم اذا اسلموا فارقوهم واجابوا رسول الله في ذلك ابتغاء مرضاة الله وطلبا لرضوانه ليعلم عظم قدر الدين في قلوبهم وخطير منزلته
عندهم ليعلم ان محن اصحاب رسول الله اعظم واشد من محننا لان محنهم كانت على خلاف عادتهم وخلاف ما طبعوا لان الانسان
مطبوع على حب ما ذكرنا مجبول عليه فهم مع ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء مرضات ربهم واما محننا فانها
على سبق من العادة فهو اهون وايسر وقوله وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي بذلوا لله الذ الاشياء والجهاد بينا الاموال
والانفس وقوله عز وجل اعظم درجة عند الله قال بعض اهل التاويل من صدق بتوحيد الله وهاجر الى المدينة وجاهد العدو
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من الذين افتخروا بعمارة البيت وسقاية الحاج وهم كفار وكذلك قالوا في قوله اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ولكن الوجه في ذلك عندنا
ومعنى المقابلة اولئك الذين ذكر اعظم درجة عند الله من الذين اسلموا ولم يهاجروا اولئك وقوله واولئك هم الفائزون الفوز هو الظفر
في اللغة اي اولئك هم الظافرون بنعيم الله وكرامته والناجون عن عذاب الله ونقمته يبشرهم ربهم برحمة منه يحتمل قوله يبشرهم ربهم
برحمة منه اي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم على عدوهم كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم الى اخر ما ذكر كله
انما كان برحمته ويحتمل الثواب لهم في الاخرة والكرامة وقوله عز وجل ورضوان اي يبشرهم ايضا ان ربكم عنكم راض وجنات لهم
فيها نعيم مقيم اي يبشرهم بجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم وكرامة خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الحسن ما سمى الله عظيما فهو
عظيم لا يدرك عقله وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم
منكم فاولئك هم الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين ومن تولاهم في الحقيقة فهو منهم وهو ظالم لا شك فان
كان هذا فهو ظالم لا شك فان كان هذا فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون معنى ويحتمل الولاية الموافقة
لهم في الظاهر على غير حقيقة لكن اظهار على غير حقيقة يباح في حال الاضطرار وعند خوف الهلاك وذهاب الدين فيجوز
ان يكون نزلت في ناس والايمان في انفسهم وكتموه ويظهرون الموافقة لهم في الظاهر اشفاقا على دينهم وخوفا على انفسهم فيباح لهم
ذلك لما ذكرنا فاما ان جعل الله الهجرة وجعل للمؤمنين ماوى وانصارا يلجاون ويأوون اليهم لم يعذروا في اظهار الموافقة لهم وان كانوا
في الستر يثبتوا على دينهم لما ذكرنا فهذا يدل على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه في غير اضطرار ويصير كافرا على ما جعل هؤلاء اولياء الكفرة في
حقيقة ظلمة مثلهم انا تولاهم في الظاهر وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك وهذا اشبه وهو ما قال عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم الاية لم يعذروا في تركهم الهجرة فعلى ذلك هؤلاء اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل لهم الماوى والانصار وصاروا
هم في الحقيقة كذلك نهانا عن موالاة الكفرة جملة بقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء وقال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء هذا النهي لنا في جملة الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء
كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ثم نهانا ان نوالي المتصلين من الاباء والامهات وغيرهم من القرابات لما يقع
الشبه في موالاة المختصين بهم لخص النهي فيه وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى لما بيننا وبينهم موافقة في التوحيد والكتب
لخص النهي في ذلك ثم الولاية التي نهانا عنها تخرج على وجوه احدها المودة والمحبة اي لا تودوهم ولا تحبوهم والثاني ان لا تتخذوهم
موضع سرنا وبطانتنا كقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية والثالث ولاية الطاعة لهم اي لا تطيعوهم كقوله اي لا تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم الاية وقوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم نهانا ان نحبهم ونودهم ونهانا ايضا ان نتخذهم موضع سرنا و
نفشي اليهم سرائرنا ونهانا ان نطيعهم فيما يدعوننا اليه ويريدون والله اعلم الخلاف الذي بيننا وبينهم في الدين وقوله عز وجل

ان استحبوا

ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر على الايمان والمحبة ههنا محبة الاختيار والايثار وقوله عز وجل قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها هو مقابل قوله الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم الاية وقوله عز وجل ان كان اباؤكم وابناؤكم وما ذكر اي ان كان طاعة هؤلاء ورضاهم احب اليكم من طاعة
الله وطاعة رسوله ورضاه ونجب من جهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره هو حرف وعيد اي انتظروا حتى ياتي الله بامره او
بعذابه قال اهل التاويل حتى ياتي بامره في فتح مكة وقال ما ذكر في قوله ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم على ان
المراد من قوله لا تتخذوا اباءكم الاباء والابناء جميعا والاخوان الاخوان وجميع المتصلين بهم دليله ما ذكر في اخره حيث قال ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ذكر الابناء والازواج والعشيرة والله اعلم وقوله واموال اقترفتموها قال بعضهم
اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم واموال اقترفتموها اي اموال جعلوها حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا في ذلك كقوله قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما ويقولون الله اذن لنا في ذلك وقوله عز وجل وتجارة تخشون كسادها كانوا يخشون
فواتها وذهابها الا الكساد اذ في الهجرة تركها ذاسا وقوله عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصركم في مواضع
كثيرة كان نصركم الله الله تعالى ونصركم يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم العدو وباعجابكم الكثرة يصرفكم الفزع الى الله ونصركم انما
يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعني الكثرة يذكرهم عز وجل منته عليهم وفضله ان النصرة والظفر متى كان بالله
لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين قوة وكثرة ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة عليهم في الابتداء لاعجابهم
الكثرة واعتمادهم بها ليعلموا ان النصرة والظفر انما يكون بالله لا بالقوة والكثرة لئلا يعتمدوا على الكثرة ولا يتكلوا اليها فان قيل قد امرنا
باتخاذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية فانما امرنا بما يعجبنا فما معنى النهي عن الاعجاب بالكثرة
والقوة وكذلك نهانا عن الاسى بما فاتنا ونهانا ان نفرح بما يؤتينا وقد كلفنا الشكر لما اتانا والصبر على ما فات عنا فلو لم نفرح بما
اتانا لم يلزمنا الشكر ولا الصبر بما فاتنا فما معناه معناه والله اعلم انه نهانا ان نفرح بما يؤتينا لنفس الايتاء وننسى لنفس ما يصيبنا
ويفوتنا انما علينا ان نفرح بفضل الله ومنته الذي من علينا وخصنا به وعلى ذلك نشكره وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا ويفوتنا لما جعل لنا
لذلك ثوابا في الاخرة واجرا عظيما وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا اتانا ذلك يعجبنا فضل الله ومنته في ذلك الكثرة لا الكثرة لنفسها
والقوة والله اعلم فان قيل الاعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل فكيف هزم الكل وكذلك العصيان يوم حنين انما كان
من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان يتلف الكل ابتداء الا ترى في امر الواحد القيام لاثنين ثم في الامر الجهاد امر على غير بحيح
ولا كذلك في سائر العبادات لانه امر الواحد القيام لاثنين منهم وليس في وسع احد القيام لاثنين فهو والله اعلم لما ان له ان
يكلف قتل انفسهم والا ترى فيها الا ترى انه قال ولو انا كتبنا عليهم الاية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكره دل
ان ذلك له وان له ان يميتهم ويهلكهم فعلى ذلك له ان يامر بقتل انفسهم فاذا كان له ذلك اذ في وسعهم قتل انفسهم فعلى
ذلك ان يكلف الواحد القيام لاثنين وللعدد وان كان في ذلك تلف انفسهم وكذلك امرنا بمجاهدة الشيطان عدونا واخبر انه
يرانا ولا نراه نحن بقوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو لا نراه وهو يرانا امر صعب شديد لكنه
علمنا اسباب ما نحارب معه ونجاهده فنغلبه وقال في الشياطين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال
وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية علمنا اسبابا نقاتل بها الشيطان فنغلبه ونقهره وما ذكر
من ذكره لا يقوم هو لذلك وكذلك قال في العدو الذي نراه من البشر حيث قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
وقال واصبروا ان الله مع الصابرين قد علمنا اسباب الجهاد معه واعلمنا الحيل التي يجوز للواحد القيام لاثنين فصاعدا
بالحيل واذا لم يكن له الوسع به بالقوة نفسها ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره من العبادات لما يحتمل ان جعل الله الجهاد اية
من ايات الحق او الرسالة ليعلم الخلائق ان النصر والظفر كان بالله لا بغيره ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم
وقوله عز وجل وضاقت عليكم الارض بما رحبت هذا على التمثيل يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغها ضاقت عليهم
الارض بما رحبت يقال ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق وقوله عز وجل ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
قال بعضهم السكينة الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به الاية وقال بعضهم انزل سكينته اي نصره
وقيل وقتادة رحمته وقيل طمانينة واصله سكنت قلوبهم واطمانت بعد فزع والخوف والحزن باي وجه ما تسكن بالملائكة
او بغيره فاسكن قلب رسول الله لما اشتدت عليه رجوع اصحابه ومفارقتهم اياه وانزل جنودا لم تروها وهم الملائكة
وعذب الذين كفروا بالقتال والهزيمة وذلك جزاؤهم وفي قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين دلالة نقض قول
المعتزلة لانه سماهم مؤمنين بعد ما كان منهم التولي والتولي لم يخرجهم من الايمان على ما قال وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اختلف فيه قال بعضهم النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه
وعندنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام نهي عن دخول مكة نفسه للحج واقامة العبادات دليله وجوه احدها قوله بعد

عامهم ولو كان النهي لدخول المسجد لكان ذلك العام احق بالمنع في دخوله من غيره والثاني قوله وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله وخوف العيلة انما يكون عن دخول مكة لانه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم
في ذلك لانهم يحضرون ويدخلون مكة للتجارة فلا خوف عليهم في ذلك او ان يقال انه ذكر المسجد الحرام لما انهم كانوا يقصدون
البيت والحج به فيكون النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه وهو ما روي في الخبر انه بعث عليا في الموسم باربع وامره
ان ينادي في الناس ان لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى مدته فان الله بريء
من المشركين ورسوله ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك فالنهي الذي ورد عن دخول المسجد انما
هو نهي عن الحج نفسه لان البيت هو الذي يقصد اليه فيه الا ترى انه قال ولله على الناس حج البيت الاية وقال فمن حج البيت
او اعتمر الاية وقال وليطوفوا بالبيت العتيق ذكر البيت وهو المقصود بالحج في الاسلام والكفر جميعا فعلى ذلك خرج النهي
لكنه ذكر المسجد لما ان البيت فيه فاذا كان ما ذكرنا فان شئت فاجعل اخر الاية تفسيرا وهو قوله وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله وهو ما ذكرنا ان النهي لو كان لدخول المسجد نفسه دون غيره من البقعة لكان ليس عليهم خوف العيلة
لانهم يدخلون مكة ويتجرون فيها ولا يدخلون المسجد وان شئت فاجعل اول الاية تفسيرا لاخرها وهو قوله فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وهو ما ذكرنا فاذا كان ما ذكرنا دل ان المشرك لا يدخلوا المسجد الحرام وخبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ايضا يدل على ذلك فاما من كان من اهل الذمة والعبيد منهم فليسوا والله اعلم بداخلين في الاية اذا كانوا ممن لا يحج فان قيل فقد
روي عن علي رضي الله عنه انه نادى الا لا يدخل الحرم مشرك ولم يذكر الحج قيل له روي عنه انه قال ناديت ان لا يحج بعد العام مشرك
فيكون قوله لا يدخل الحرم مشرك على الحج على ما ذكرنا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقرب المشركون المسجد الحرام
بعد عامهم هذا الا ان يكون عبدا او امة يحتمل استثناء العبد والامة لان العبد لا يدخل للحج ولا لاقامة العبادة انما يدخل لخدمة
المولى اذا كان مسلما وفي بعض الاخبار الا احدا من اهل الذمة وعن جابر بن عبد الله موقوفا كذلك الا احدا من اهل الذمة وفيه
دلالة القول ابي حنيفة انه لا باس للكافر ان يدخل المسجد وقال ارايت لو اراد ان يسمع كلام الله ليؤمن فيمنع عن ذلك ويؤمر
المستمع اتيان ذلك المشرك فيسمع كلامه فيكون الامر بابلاغ المامن لذلك المشرك للامام دل انه لا باس بذلك وقد ذكرنا
ان ليس في ظاهر الاية دلالة النهي عن دخول المسجد بل المراد من ذكر المسجد ما ذكرنا من الحج واقامة العبادة لغير الله الا ترى
الى قول الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد وان سبيل مكة كلها هذا السبيل وكذلك قوله ثم محلها
الى البيت العتيق والحرم كله منحر الا ان المعنى في ذلك والله اعلم ما ذكرنا ان لا يدخل المشركون حجاجا الا ترى انا لا نعلم ان المشركين
لم يزالوا مقيمين في الحرم بعد النداء ولم يخلوا عنه ومما يدل على ذلك ايضا قول الله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم فان كان يعني به موضع العهد فان ذلك العهد يوم الحديبية عند الشجرة فقد صار ذلك الموضع من المسجد
الحرام وهو في المسافة بعيد منه فان كان يعني به الذين عوهدوا فانهم كان يوم بدر نادى علي رضي الله عنه فذلك خارج
من مكة لان اهل مكة قد كانوا قبل ذلك حين فتحها النبي فحاضري المسجد الحرام هم من كان نازلا خارج مكة في الحرم وما حوله
وقوله لا يقرب المسجد الحرام مشرك يخرج على وجوه احدها لا تدعوهم يقربوا المسجد الحرام والثاني قولوا لهم لا يقربوا المسجد
الحرام والثالث على البشارة انما قلتم لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك وقوله عز وجل انما المشركون نجس اي افعال المشركين
نجس والعبادات التي ياتون فيها نجس وهو ما ذكر حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
صير عمل الشيطان رجسا فعلى ذلك العبادات التي يعبدونها نجسة فالنهي عن الحج نهي عن اقامة العبادات لغير الله لان
تلك البقعة نهت عن اقامة العبادة لغير الله ثم اختلف فيه قوله انما المشركون نجس قال بعضهم هو نجس الافعال
وقال بعضهم هم نجس الاحوال والاشبه ان يكونوا نجس الافعال لان قوله انما المشركون نجس يخرج مخرج الذم ولا يحتمل ان يذموا
ويشتموا بنجاسة الاحوال دل انه انما لحقهم ذلك الذم بما اكتسبوا من الافعال الذميمة وهو كقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان اخبر ان عمل الشيطان رجس ونجس فعلى ذلك جائز ان يكون قوله انما المشركون نجس اي نجسة الافعال لان ذلك
من كسبهم فاستوجبوا المذمة لكسبهم واما الاحوال فلا صنع لهم فيها وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قيل خافوا
العيلة لما نفي المشركون من مكة لان معايش اهل مكة انما كان من الافاق ومن اهل الافاق كان سعتهم وتجارتهم لكن الله وعدهم السعة
والغنا بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال بعضهم دل قوله ان شاء على انه اغنا ووعدهم الاغنا في بعض الاوقات وقال بعضهم
قوله ان شاء كان من رسول الله لانه امر رسول الله ان يغنيهم ان شاء وهو مامور ان يستثني في جميع ما يعد كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يكون قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بهؤلاء الذين نفوا عنه لا تذهب اليهم التجارة
والمكاسب وما ينالون الارباح بها يحملهم ذلك على الاسلام فيسلمون فيدخلون فيها يحملهم حب التجارة على الاسلام فيكون لهم بهم غنى كما
كان يحملهم حب التجارة والربح عن الهجرة وقوله وتجارة تخشون كسادها فعلى ذلك الاول وقال بعضهم قوله فسوف يغنيكم الله من فضله

الجزية التي ذكرها في الاية قاتلوا الذين وقوله عز وجل ان الله عليم بما اضمروا من خوف العيلة او عليم بما لهم وعليهم وبمن يكون لهم الغنى
الحكيم في امره وحكمه وان خفتم عيلة دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اضمروا ذلك في انفسهم ثم اخبرهم رسول
الله بذلك دل انهم علموا انه انما عرف ذلك بالله وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ذكر اهل الكتاب اليهود
والنصارى واخبر انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله واليوم الاخرة المعنى منه قيل انهم وان
اقروا في الظاهر بالله واليوم الاخر فانما يؤمنون بالله له ولد كما ذكر على اثره وهو قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله فالايمان بالله له ولد ليس بايمان بالله فهم غير مؤمنين وكذلك امنوا بالبعث واليوم الاخر ولكن لم يؤمنوا بالموعود في ذلك
فالايمان باليوم الاخر بغير الموعود فيه ليس بايمان به او ان يقال انهم وان اقروا بما ذكرنا وامنوا به فقد استحلوا اشياء حرمها الله
عليهم وحرموا اشياء احلها الله لهم ومن امن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن باية منها او برسول منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الاخر
ولا مصدق له وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية فان قال لنا ملحد انكم تقاتلون الكفرة للكفر ثم اذا اعطوكم شيئا
من المال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم اياهم لذلك لانطمع في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشيء يبذلونكم وكذلك لو كانت المقاتلة
للكفر نفسه لكان النساء في ذلك والرجال سواء اذهم في الكفر شرعا سواء وقالوا لو كانت المقاتلة معهم لما ذكرنا وهو حكمة والامر بذلك
حكيما لكان الناس جميعا في ذلك سواء ولا يتركون احدا بشيء من ذلك بل يقاتلون ابدا ولا ترضون منهم غيره فيقال لهم انا لا نقاتل الكفرة
للكفر ولكنا ندعوهم الى الاسلام فان اجابوا الى ذلك والا قاتلناهم ليضطرهم القتل الى الاسلام لهذا ما نقاتلهم لا لشيء سواه فاذا
كان في اخذ الجزية معنى ما ندعوهم الى الاسلام فانا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك لعلهم يرغبون في الاسلام اذا راوا وشرايعنا ما احكامها
لا انا تركناهم رغبة فيما ناخذ منهم او طمعا في ذلك واصله المحنة انما الدار دار المحنة ليست بدار الجزاء والمحنة تكون بمختلف الاشياء
الا ترى انه مرة يمتحنهم بالقتال ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدائد كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير
وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحو ذلك فاذا كان ذلك محنته لاجرا جاز ذلك وكان ذلك حكمة واما قولهم بانا نقاتل
الرجال ولا نقاتل النساء ونسترقهن لانهن اتباع الرجال في جميع الاحوال وخدم لهم فاذا اسلموا اسلمن هذا معروف فيما بينهم انهن في
ايدي الرجال يفعلون بهن ما شاؤا واصله ما ذكرنا ان القتال محنة ليس هو جزاء الكفر اذ الدار دار محنة فله ان يمتحن بعضا بالقتل
وبعضا باخذ المال لا جزاء لذلك ولو كان جزاء لسوى بينهم هو التخليد في النار ابدا فان قيل ما الحكمة في اخذ الجزية من ساير الكفرة
اذا كانوا من اهل الكتاب والمجوس وترك الاخذ من مشركي العرب قيل لوجوه احدها ان ليس لمشركي العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك
الدين ولا لهم اصل يعتمدون عليه او كتاب يجادلون اليه انما هم قوم يقاتلون عن قبايلهم ويتناصرون بهم ولغيرهم من الكفرة دين
يدينون به واصل يعتمدون عليه ويحاجون الناس بالحجاج التي لهم فاذا كان كذلك امكن اقامة الحج على هؤلاء والزام البراهين ولا
كذلك مشركوا العرب اذ لا دين لهم ينسبون اليه ومذاهب يدعون غيرهم اليه بالحجاج وامكن في غيرهم لذلك افترقا والله اعلم بذلك
والثاني انهم تمنوا ان تكون لهم رسول من جنسهم يتبعونه فيما يدعوهم اليه ونذير يجيبونه حتى اقسموا على ذلك واكدوا القول في ذلك
كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية ولم يكن من غيرهم من الكفرة ما كان منهم فاذا كان كذلك فهم يقاتلون ابدا حتى يوفوا ما وعدوا
كقوله تقاتلونهم او يسلمون والثالث لفضل رسول الله اذا كان منهم ومن جنسهم فلا يترك احد في تلك البقعة على غير دينه ويمكن
ان يكون لوجه اخر وهو ان مشركي العرب في حد القليل يمكن المقاتلة معهم والقيام لهم فلا يرضى منهم الا الاسلام واما غيرهم من الكفرة
في بقاع مختلفة وهم كثير اذا اجتمعوا لم يكن في وسع اهل الاسلام القيام لهم والقتال معهم فيلحق المسلمين في ذلك الضرر بين ذلك كان ما
ذكر وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية قد ذكرنا انهم وان كانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر عند انفسهم انهم في الحقيقة غير مؤمنين
به لان شرط ايمانهم الايمان بالرسل جميعا والكتب اجمع ثم قد تركوا الايمان ببعض الرسل وببعض الكتب ومن كفر برسول من الرسل او
بكتاب من الكتب او بحرف منها كان كافرا بالله وقوله عز وجل ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يحتمل انهم لا يحرمون تحريف الكتب
وكتمان نعت رسول الله والله حرم ذلك عليهم او لا يحرمون عبادة الاوثان والله ورسوله يحرم ذلك او لا يحرمون ما حرم الله ورسوله
من الخمر والخنزير وغيره والله اعلم وقوله عز وجل ولا يدينون دين الحق وهو الاسلام لانه دين يوجبه العقول كلها وتشهد عليه
الخلايق كلها او ان يقول لا يدينون دين الذي له الحق انما يدينون بدين الذي لا حق له وهو دين الشيطان وهو ما يدعوهم الى
عبادة الاصنام فيجيبونه والله اعلم وقوله عز وجل حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويحتمل قوله يعطوا الجزية اي يقبلوا
لا على الاعطاء نفسه وهو ما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو على القبول لها لا على الفعل نفسه ويحتمل
نفس الاعطاء وهو والله اعلم لما جعلت الجزية لحقن الدماء تتقدم ليحقن بها الدم وقوله عن يد وهم صاغرون قال بعضهم
عن يدان لا يؤخر قبضها عن وقت وجوبها بل تؤخذ يدا بيد وقال بعضهم عن يد اي عن قهر وغلبة وقيل عن يد اي عن طوع وطيب
وقيل عن جماعتهم لكنا لا ندري ما يعنون بالجماعة وقوله صاغرون قيل ذليلون وهو من الذل يقال صغر الرجل يصغر صغارا
فهو صاغر اي ذل فهو ذليل وقيل صاغرون اي مذمومون وعن ابن عباس رضي الله عنه يمشون بها ملببين واصله الذل وهو

الخشوع والله اعلم الذلة التي ذكر الله في قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا فاذا قبلوا ذلك فقد ذهبوا بالذل
والصغار وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية اما اليهود والنصارى فلا خلاف بين اهل العلم في ان من بذل منهم الجزية
اخذت منه واقر على دينه واما المجوس فانه يؤخذ منهم الجزية لما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال ما ادري ما اصنع بالمجوس
فانهم ليسوا بمسلمين ولا من اهل الكتاب فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة
اهل الكتاب وفي بعض الروايات اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر وعن علي ان ابا بكر وعمر اخذا الجزية
من المجوس وقال علي بن ابي طالب انا اعلم الناس بهم كانوا اهل كتاب يقرؤنه واهل علم يدرسونه فنزع ذلك من صدورهم عن ابي
رزين عن ابي موسى قال لولا اني رايت اصحابي اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها وعن ابي عبيدة ابن الجراح قال كتب النبي صلى الله
عليه وسلم الى المنذر انه قال من استقبل قبلتنا وصلى صلوتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله و
من احب ذلك من المجوس فهو امن ومن ابى فعليه الجزية وعلى ذلك مضت الايمة ولم يكن احد من السلف حتى قال قوم ان المجوس
انما اخذت منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا ذبايحهم ونسايهم وذهبوا الى ما روى عن علي وقال الاخرون ليسوا من اهل الكتاب
ولكن الجزية يؤخذ منهم اتباعا لرسول سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم وما روى عن الصحابة والايمة
الهدى ثم المسئلة في تقدير الجزية روى في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من كل
حالم دينارا او عدله معافر وروى عن عمر رضي انه بعث عثمان بن حنيف الى السواد وامره ان يضع على اهل السواد الخراج ثمانية
واربعين درهما واربعة وعشرين درهما واثني عشر درهما وفي بعض الروايات انه ضرب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى
اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام واصحابنا يجعلونهم ثلاث طبقات اغنياء واوساطا
وفقراء فيؤخذ من الغني الموسر ثمانية واربعين درهما ومن الوسط اربعة وعشرين درهما ومن الفقير المحترف اثني عشر درهما
وفي بعض الاخبار اربعين درهما او اربعة دنانير وضيافة ثلاثة ايام وعشرين درهما ودينارا وهو ما ذكرنا ثمانية و
اربعين بغير الضيافة وغير مؤنة وما روى من اربعين درهما اربعة دينار مع الضيافة والرزق الذي ذكر في الخبر وهذا
من عمر بحضرة المهاجرين والانصار فلم يات عن احد منهم النكير عليه ولا الرد فهو كالاتفاق منهم على ذلك ثم لا يحتمل ان يكون
عمر قدر ذلك التقدير رايا منه لان المقدورات والحدود ذات سبيل معرفتها التوقيف والسمع لا العقل فهو كالمسموع عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روى عن حديث معاذ حين امره النبي عليه السلام ان ياخذ من اهل اليمن من كل حالم دينارا
فذلك يحتمل ان يكون امره بذلك لما كانوا اهل ضعف وفقر على ما روى عن عمر في الضعفاء من اهل مصر والشام وليس هو الحد
الذي لا يلزم اكثر من ذلك لما ذكرنا ان عمر الزم المياسير اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد من الصحابة فدل فعلهم على ما
وصفناه ثم المسئلة في تمييز اصحاب الطبقات بين الموسر الغني وبين الوسط والفقير قال بعضهم الفقير من يحترف
وليس له مال يجب فيه الزكوة على المسلمين وهم الفقراء المحترفون فمن كانت له اقل من مايتي درهم فهو من اهل من الطبقة
والطبقة ان يبلغ مال الرجل مايتي درهم فقال بعضهم اذا بلغ ماله اربعة الاف درهم وزاد عليها صار من اهل الطبقة الثالثة
واحتجوا من قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر حيث قالا اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوق ذلك كنز وقد يجوز ان يجعل
الطبقة الثانية من ملك مايتي درهم الى عشرة الاف درهم وما زاد على ذلك يجعل من الطبقة الثالثة لحديث روي عن رسول
صلى الله عليه وسلم يرويه ابو هريرة قال من ترك عشرة الاف درهم جعلت صفايح يعذب بها يوم القيامة ثم في قوله قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر دلالة على ان الجزية انما تؤخذ ممن يجب ان يقاتلوه لم يبذلها والنساء والصبيان
لا يقاتلون ولا يقتلون ان ظهر بهم فلا يجب ان يوضع عليهم الجزية بدليل الكتاب ان كان الله انما امر ان يؤخذ الجزية
ممن يقاتل وكذلك فعل عمر والايمة بعده روي ان عمر رض كتب الى امراء الجيوش لا تقاتلوا الا من قاتلكم ولا تقتلوا الصبيان
والنساء ولا تقتلوا الا من جرت عليه المواسي وكتب الى عماله ان تضربوا الجزية ولا تضربوها على النساء والصبيان وفي بعض
الروايات انه كتب الى امراء الاجناد ان لا تاخذوا الجزية الا على من جرت عليه المواسي قال والجزية اربعون درهما او اربعة
دنانير وفي خبر معاذ دلالة لذلك حيث قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وامرني ان اخذ من كل حالم دينارا او
عدله معافريا فبين معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ ذلك من الرجال دون الصبيان ودون النساء فان قيل
روي عن معاذ قال امرني رسول الله ان اخذ من كل حالم وحالمة دينارا وفي بعض الروايات عنه انه قال ان اخذ من كل
حالم ذكر او انثى دينارا فان كان هذا ثابتا محفوظا فهو دليل لما يؤخذ من نصارى بني تغلب ويكون حكم نساء العرب
من اهل الكتاب فيما يؤخذ منهم خلاف نساء العجم منهم او ان يقال انه غير محفوظ لما علم الامة بخلافه لان الاتفاق
قد جرى على ان لا جزية على النساء ولو كان محفوظا لظهر العمل به او ان يكون قوله خذ من كل حالم دينارا اي خذ منهما دينارا
ولا تاخذ من كل واحد دينارا كقوله سهو سجدتان لا يلزمه اكثر من ذلك ثم تذكر من ذلك مسئلة ليس في الاية ذكرها

وهو ان

وهو ان الجزية اذا ضربت فدخلت سنة اخرى قبل ان يؤديها اخذت منه السنة الثانية لم يؤخذ للسنة الاولى الماضية
ليس كسائر الديون فان قيل اليس الخراج يطالب به من اخره من سنة الى سنة قيل اليست الجزية مثل الخراج يجب على المسلم في
زمنه فهو كسائر الديون فان قيل ان المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنة طولب بالجزية للسنة الماضية قيل روي عن عمر انه
دفع الجزية بالاسلام فقال والله ان في الاسلام لمعاذا ان فعل يدفع عنه الجزية وروي في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس على مسلم جزية فمن طالبه بالجزية بعد الاسلام فقد خالف الخبر فان قال انما يزول عن المسلم ما كان عليه
من الجزية في حال كفره لانه صار الى حال لا يجوز ان يوضع عليه ابتداء قيل ان الذمي اذا اجتمع عليه جزية سنتين فقد صار الى
حال لا يجوز ان يلزم في الابتداء في مثلها اكثر من اثني عشر درهما الفقير لم يجز ان يلزم اكثر منها لانه جعل حكم مستدير الجزية
التي وجبت فاسلم صاحبها حكم الابتداء في توظيف الجزية عليه فوجب ان يجعل حكم مستدير ما ثبت عليه سنتان حكم ابتداء
واصله ان الجزية انما جعلت لحقن الدم فاذا مضى سنة صار دمه محقونا في السنة الماضية لذلك لم تؤخذ وقوله عز وجل
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى اخره تضمنت هذه الاية احكاما منها الامر بقتال من لم يؤمن بالله واليوم الاخر وهم يقرون بالاقرار
لكنه يخرج على وجوه ثلاثة احدها انهم مشبهة ومن تشبيههم الله بخلقه احتمل قلوبهم القول له بالولد اذا الذين يشهدون من الملايكة
على ذلك وجدوا يولد بعض من بعض واذا كان كذلك فهو غير مؤمن في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا به وانه يكون
الاخرة دون الذي ادعوه والثاني ان الذي جبل عليه الخلق هو تعظيم رسل الملوك واستلطافهم حتى يوجد من بر الرسل بين ملوك
قد ظهرت بينهم العداوة فلما كذبوا رسول الله مع البراهين التي قد اعجزت الخلايق وشهادة كتبهم به وتظاهر من عرفوا انهم
مكذبون بكتبهم ورسلهم على من صدق بذلك ثبت انهم في الحقيقة مكذبين بجميع الرسل والكتب وان اظهروا الوفاق وان ذلك
لا يكون الا لتكذيب منهم بالله فعلى ذلك ايمانهم بالله يكون بايمانهم بالرسل وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
وفد عبد قيس انه قال امركم باربع امركم بالايمان بالله ثم قال اتدرون ما الايمان بالله ان تشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فلذلك
لم يكن ايمانهم بالله ايمانا حتى يؤمنوا برسول الله وعلى هذا يحاربون والثالث ان يكون نفي عنهم الايمان بنفي منفعة الايمان عنهم اذ
تلك المنفعة بالايمان برسله والقبول عنهم بالتعظيم فاذا ظهرت منه هذه المنفعة وترك القتال ثم الترك على قبول الجزية جايز
وان كان الامر قد تقدم بالقتال من غير ان يكون دليل ما لاجل ذلك المال تعالى كما كتب على كل نفس الموت ثم قد يتركون على ما هم عليه
من اختلاف الاديان وتفرق الاهواء وان كان لا يدل ذلك على الامر بما هم عليه والرضاء بما اختاروا فمثله في الاول لا يدل على
الرضاء بكفرهم ولا على القتال لاخذ تلك الاموال عنهم ثم الاصل ان القتال لم يجعل ليكون عقوبة للكفر اذ نوع القتل ومعناه قد
يوجد في الاخيار والاشرار جميعا وهو الموت ثبت انه لم يجعل لذلك ولكن لوجهين ان يضطرهم على الاجابة الى ما فيه نجاتهم
وبه نيل كرامة الابد وكان ذلك بعد ان الزمناهم كل انواع الحجج ثم يمنعهم ما تلذذهم بما كان الذي يمنعهم عن النظر في الحجج حب اللذات
والذهاب الحياة فقاتلناهم حتى يايسوا عن تلك اللذات المانعة عن النظر في الحجج والصادة عن الاجابة يزول عنهم وفي قبول الجزية قبول بعض
الذل والصغار الذي ينفر عنه الطباع ويدعوا الى ما فيه الزوال فينظروا في الحجج ويقبلوا ما دعوا اليه فيكون به نجاتهم وزيادة لنا
في الكرامة والثاني ان المحن كلها منقسمة على الحسنات والسيئات والخيرات والشرور ولذلك جعل بالموت والحياة وعلى ذلك جميع امور الدنيا
هو التقلب على مختلف الاحوال فكذلك الدعاء الى الاسلام يكون مرة بمجاهدة اليد ومرة باللسان ومرة بالترك لان جعل شيء من ذلك شيء
ولكن بما عليه امر المحن ليتذكر به وجوه الذل في قوم على ما في علم الله من المصلحة وعلى ما عليه حق الحكمة ثم الفرق بين مشركي العرب و
غيرهم يخرج على وجوه احدها انهم قد كانوا اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم فكذبوه ثم
اقسموا لئن جاءهم نذير ليؤمنن به فجاءتهم ايات فلم يؤمنوا فاستوجبوا القتال الى ان يتوبوا ابا العهد الذي سبق والقسم الذي جهدوا به
وليس في غيرهم هذا او على قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية بين الاياس عن ايمانهم الا ان يشاء الله فهو يخرج على وجهين احدهما الاياس
عن ايمانهم وقبول الجزية ليخالطوا اهل شريعة الله فيسمعوا منهم الحجج ويعاينوا الافعال المحمودة في العقول والاخلاق الكريمة التي جاء بها
الرسول فيؤمنوا وهؤلاء قد ايس الله عن ايمانهم واخبرهم انهم يياسون ابدا فلذلك لم يعطهم عهدا وعلى ذلك ظهر نقضهم العقود مرة
بعد مرة والله اعلم والثاني انه استثنى فيهم ان لا يؤمنوا بالايات الا ان يشاء الله فلعل الله شاء ان يكون ايمانهم بالقتال خاصة فعرض
فيهم ذلك الى ان يؤمنوا ووجه اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعث فيهم ومنهم فاوجبت لهم الفضيلة بان لا يقبل منهم غير الايمان
كما فضلنا البقعة التي فيها بعث رسول الله ومنها ان لا يترك فيها غير المؤمن تفضيلا ووجه اخر انهم قوم ليس لهم اس ولا ايمة في الدين
اليهم يرجعون في التاسيس ومعلوم ان لا قوام في العقول لامر الدين الا بالايمة كالسياسات كلها والامور فيها التعلم من الملك وغيرهم
بل انما كانوا جروا على عاداتهم وقاتلوهم من القبايل فلا يرجعون في الحقيقة الا الى عادة خارجة من التدبير وغيرهم يرجعون الى مذاهب
اسست مما اسسوا من الديانات فقد تعلقوا بضرب من ذلك فتركوا انا خضعوا الا ان فعوا واذعنوا لهم بحق التبع فيتركون دياناتهم
يتاملوا اذ لكل مذهب نظر وليس لاولئك سوى العادة وتقليد الاباء ومن ذلك وصفه لا ينظر فيهم اهل النظر والله اعلم وايضا ان لسائر

المذاهب اصول بكثرة اهلها وفي الاقامة على القتال الى الفناء بتضمن بعض الى بعض فيناصرون ويخاف على المسلمين بما به رجاء التكثر
الفناء والعرب بقلة عددهم حتى لم يكونوا يقدرون على المنادات الا بمعونة اهل الكتاب وغيرهم فامكن ان يضطرها به الى القتل مع ما ليست
لهم مذاهب معلومة اذ لا يذكر في شيء من الكتب لهم مذاهب وقد ذكر بجميع الفرق فانما امرهم على العادة وقد يبدل العادات بالايه ترهو(?)
فيها ما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحرب فيتركونها واهل المذاهب عندهم انهم لزموا بالحجج ومثل ذلك لا يترك الا بالحجج وذلك يكون
بقبول الذمة والعهد وايضا انه يمكن الزم كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يثبت القول بالاسلام وبالعهد رجاء الوصول اليه وليس
لمشركي العرب ذلك لما لم يبن مذهبهم على الحجج والسنة انما هو تقليد وعادة والله اعلم وقوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال في اية اخرى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا اخبر
ان السموات تكاد ان تنفطر وتنشق الارض وتخر الجبال لعظيم ما قالوا في الله سبحانه من البهتان والفرية عليه ان له ولدا ثم بين الذي
ذكر ذلك فقال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فذكر الاية واخبر والله اعلم انهم قالوا في الله ما قالوا لوجوه
احدها فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان هؤلاء المتاخرين لم يقولوا هذا ولكن انما قال ذلك اوائلهم لكن كتموا ذلك
فاخبر رسول الله ان اوائلهم قالوا ذلك وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله والثاني يخبر رسوله سفه
اوائلهم ويصبره على سفه سؤاله ليصبر على سفههم واذاهم والثالث يخبر انهم مشبهة لانهم نسبوا المخلوق اليه وقالوا ان فلانا
ابنه لما راوا منه اشياء فلولا انهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوق والا ما قالوا ذلك ولا اعتقدوا من التشبيه وغير ذلك والله
اعلم وقوله عز وجل ذلك قولهم بافواههم اي ذلك قول قالوا بلا حجة ولا برهان كانت لهم في ذلك وقالوا ذلك بافواههم على غير شبهة
اعترضت لهم تحملهم على ذلك وقوله عز وجل يضاهئون قول الذين كفروا من قبل يحتمل هذا ان قد كان قبل هؤلاء من قد قال مثل
قول هؤلاء كذلك يحيي الله الموتى ليس ان يحيي الموتى كلهم احياء كما احيا ذلك القتيل بضرب بعض من البقرة ولكن يحييهم احياء فعلى
ذلك قوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل في الكفر نفسه ويحتمل ضاهوا قول النصارى قول اليهود والمضاهات المشابهة و
الاشباه وقوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ان يشبه النصارى بقولهم لعيسى انه ابن الله قول اليهود من قبل عزير ابن الله فضاهى
النصارى في عيسى اليهود قبلهم في عزير وقوله عز وجل قاتلهم الله انى يؤفكون هذه الكلمة انما تستعمل عند مناكير القول
والفعل من غير حصول المنفعة وقوله انى يؤفكون يحتمل من اين يؤفكون ويفترون على الله على غير شبهة اعترضت لهم ويحتمل انى
يؤفكون اي كيف يؤفكون بلا منفعة تحصل لهم وقوله عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا قيل الاحبار العلماء والرهبان
العباد وقيل الاحبار اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
يحتمل ان يكون هذا في السفهاء والاتباع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله في العلماء منهم والرؤساء فاتخذ
الاتباع اولئك اربابا يتبعونهم في جميع ما يدعونهم اليه ويأمرونهم في جميع اوامرهم ونواهيهم لا انهم عبدوهم ولكن ذكر اربابا
لما ذكرنا اتباعهم واستنظارهم اياهم فيما يدعونهم اليه ويأمرونهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وقول ابراهيم لابيه لا تعبد
الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان وطاعته ولكن نسب العبادة اليه لما يجيبونه في كل ما يدعوهم اليه ويأمرهم به
فعلى ذلك هذا ويحتمل ما روي في الخبر انه ثبت انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا لهم اشياء حرمها عليهم فاستحلوها وحرموا لهم اشياء
احل الله ذلك لهم فحرموا ذلك فقيل اتخذوهم اربابا والله اعلم يخرج هذا في الاحبار والرهبان على التمثيل اي اتخذوا في اطاعتهم و
الاتباع لامرهم كانهم اتخذوهم اربابا لا على التحقيق وهو ما ذكر من عبادتهم الشيطان لا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن سماها(?)
بالطاعة للشيطان والاتباع لامره كانهم عبدوه واما في المسيح فهو على التحقيق لانهم قالوا انه اله وقالوا ابن اله فهو يخرج
في المسيح على التحقيق وفي الاحبار والرهبان على التمثيل وقوله عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يحتمل الا ليوحدوا الها
واحدا الذي لا اله الا هو ويحتمل اي ما امروا ان يعبدوا الهة على ما يعبدون من الاصنام والاوثان ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا
وقوله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم قيل نور الله ذكر الله وتوحيده وقيل نور الله القران وقيل نور الله دينه وهو
الاسلام فان كان النور هو الذكر والتوحيد فهو والله اعلم انهم يكونوا يعرفون ذكر الله ولا يذكرونه انما كانوا يعرفون ذكر الاصنام
واياها يذكرون ونهاية الحقارة والرهم(?) يتناصرون فيها بينهم فلما ان بعث الله رسوله محمدا يذكر الله وتوحيده وامر الناس بحق
الذين ارادوا ان يطفئوا ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القران ارادوا اطفاءه كقوله ما هذا الا اساطير الاولين وان هذا الا سحر مبين
ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونحو ارادوا اطفاءه بنحو ما ذكرنا ما هذا الا افك مفترى وقولهم انما يعلمه بشر الاية ومن قال
نور الله هو الدين كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقال الله نور السموات والارض مثل نوره وفي حرف
ابي مثل نور المؤمن وشبهه ارادوا اطفاء هذا النور ليسلم لهم المنافع التي كانت لهم وقوله يريدون ان يطفئوا يحتمل وجهين يريدون
اي يجتهدون ان يطفئوا فما يقدرون على اطفائه ويحتمل يريدون اي يحتالون ان يطفئوا باسباب يتكلفون ويحتالون وقوله
عز وجل ويابى الله الا ان يتم نوره بالحجج والبراهين او بالنشر والاظهار وقد اتمه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عز وجل

وذكره

وذكره الكافرون وقد كره الكافرون وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق يحتمل قوله بالهدى هدى يهديهم
الى ما به يكون جميع المحاسن والخيرات محاسن وخيرات لان المحاسن والخيرات انما يقوم بالايمان وبه ينتفع بها بعينه لذلك ويحتمل
قوله بالهدى وهو القران يهديهم ويبين لهم المحاسن من المساوي والحسنات والسيئات وهو هدى يهديهم الى ذلك وقوله عز وجل
ودين الحق وهو دين الحق اي الايمان الذي يصير المحاسن والخيرات محاسن وخيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق اي دين
تعرفونه وتعلمون ان الله هو الحق المبين وقوله عز وجل ليظهره على الدين كله يحتمل وجوها يحتمل ليظهر رسوله على اهل الدين كله
بالحجج والايات فقد اظهره بحمد الله على الاديان كلها بالحجج والبراهين حتى لم يتعرض احد في شبه ذلك فضلا ان يتعرض في ابطاله
ويحتمل ليظهره على الدين كله بالقهر والغلبة والاذلال فقد كان حتى خضعوا له كلهم وذلوا حتى لم يبق في جزيرة العرب مشرك الا
كان خاضعا له وصار اهل الكتاب ذليلين صاغرين في ايدي المسلمين وان كان المراد من قوله ليظهره على الدين كله فهو بالحجج والبراهين
كلها وان كان اراد به الدين ان يظهره على الاديان كلها فبعد لم يكن ويكون ان شاء الله هو الظاهر على الاديان كلها يوم القيامة و
وقوله عز وجل على الدين كله ولم يقل على الاديان كلها فالدين يتناول الاديان كلها كقوله يا ايها الانسان يدخل فيه كل انسان و
جائز ان يكون اديانا مختلفة فهو واحد لان الكفر كله ملة واحدة وهو دين الشيطان فسماه بذلك وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان اما الاحبار والرهبان فقد ذكرنا وقوله عز وجل ليأكلون اموال الناس بالباطل لانهم كانوا
يأكلون اموالهم بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب الاية ثم اخذهم(?) ذلك ويبدلونه ليسلم لهم تلك الاموال فذلك اكل بباطل لانهم خافوا ذهاب تلك المنافع والاموال
ان اسلموا فيجوز ان يكون انما سماهم اربابا في الاية الاولى لما انهم جعلوا اموالهم اموالا لانفسهم وانفسهم عبيدا لهم فهم كالارباب لهم وقوله
عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يحتمل ان يكون هذا صلة ما قال ليأكلون اموال الناس بالباطل و
يصدون عن سبيل الله اي اخذوا اموالهم ليصدوا الناس عن سبيل الله وكنزوها ولم ينفقوها في سبيل الله انما انفقوها ليصدوا الناس عن سبيله
ومن الناس من حمل الاية في منع الزكوة وروي في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ان كل مال
ادي الزكوة عنه فهو ليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين وكل ما لم يؤد الزكوة فهو كنز وان كان على وجه الارض ومن اصحابنا من
استدل بلزوم ضم الفضة والذهب بعضه الى بعض في الزكوة بهذه الاية لانه ذكر كنز الذهب والفضة جميعا والحق الوعيد بترك
الانفاق من الفضة بقوله ولا ينفقونها في سبيل الله فلولا ان الضم واجب فيكون المؤدى عن احدهما مؤدى عن الاخر والا لم يكن
كذلك معنى ثم في متعارف الناس انهم يؤدون من الفضة عن الذهب لان الذهب اعز عندهم والفضة دونه ثم ان كانت الاية في
الكفرة فهو في القبول كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم
كافرون وذلك على القبول لا في الاداء نفسه وقوله عز وجل يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
الاية جعل الله تعذيب الكفرة في الاخرة بالاسباب التي منعتهم عن طاعة الله ودعتهم الى مخالفة امره ويجمع بينهما في النار كقوله
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقوله احشروا الذين
ظلموا وازواجهم ونحو ذلك فعلى ذلك ما كنز ويحمى عليها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم يعذبهم بها لما منعتهم تلك
الاموال عن طاعته ودعتهم الى الصد للناس عن سبيل الله فجعل عذابهم في الاخرة بها ويحتمل قوله جباههم كناية عن التقديم الى الاخرة
اي لم يقدموها ولم ينفقوها في سبيل الله وقوله وجنوبهم لما اخذوها مما يحل ومما لا يحل من كل جهة وقوله وظهورهم لما
انفقوها في الصد عن سبيل الله ويحتمل ذكر هذا احاطة العذاب بهم من كل الجهات كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي يحيط العذاب بهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وكقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم
القيمة اي يحيط بهم حتى لا يقدروا على دفعه عن وجوههم وقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية وروي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا جعلت له يوم القيمة صفائح ثم احمي عليها في نار جهنم يكوى
بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما
من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيامة تطأه باظلافها وتنطحه بقرونها ثم ذكر فيه ما ذكر في الاول قالوا
يا رسول الله فصاحب الخيل قال هي لثلاث لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر فاما من ربطها عدة في سبيل الله فانه لو انه طول لها
طولها في مرج خصب او في روضة كتب الله له عدد ما اكلت حسنات وعدد ارواثها حسنات ولو انقطع طولها ذلك فاستنت
شرفا او شرفين كتب الله له عدد اثارها حسنات ولو مرت بنهر عجاج لا يريد السقي به فشربت كتب الله له عدد ما شربت حسنات
ومن ارتبطها فخرا وعزا على المسلمين كان له وزرا الى يوم القيمة ومن ارتبطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها
كانت له سترا من النار يوم القيامة فان ثبت هذا الخبر عن رسول الله ففيه دلالة وجوب الزكوة في الخيل وهو حجة لابي حنيفة
لانه قال ثم لم ينس حق الله في رقابها والحق الذي في رقابها هو الزكوة والذي في ظهورها هو الجهاد عليها والله اعلم وقوله

عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله من الناس من يقول ان الشهور كانت التبست عليهم واختلطت لكثرة
ما كانوا يؤخرونها ويقدمونها حتى لم يكونوا يعرفون الشهور بعينها كل شيء على حدة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بالموسم فقال
الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ثم قال اي بلد هو واي شهر هو واي يوم هو قالوا بلد حرام وشهر حرام
ويوم حرام وقال الا هل بلغت قالوا بلى فقال اللهم اشهد وفي بعض الاخبار زيادة فقال وان النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا الاية وقالوا وذلك انهم كانوا يحلون صفرا عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النسيء
من الشيطان وصف رسول الله في هذه الاحاديث الاشهر الحرم وبينها فدل ذلك على ان النسيء كان تحريم القتال فيها على ما كان اهل
الجاهلية يحرمونه وزاد ذلك بيانا بعيب اصحاب النسيء اذ كانوا يستحلون القتال في المحرم ويؤخرونه الى صفر فيحرمونه صفر مكان
المحرم فعابهم الله عليهم بتحليل ما حرم من الشهور وجعله زيادة في الكفر وقال يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله وقال فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم ومنهم من قال ان الله جعل عدة الشهور اثني عشر
شهرا بالاهلة على ما عرفته العرب لما وقفوا على معرفة ذلك ولم يوفق غيرهم وانما يعدون السنة بالايام والعرب تعرفها بالاهلة
على ما خلقها الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم قال بعضهم في الاشهر كلها لما جعل هذه
الاشهر شهودا عليهم يشهدون بما يعملون فيها من المعاصي والخيرات وبها تنقضي اجالهم يخبر انهم لا تظلمون في هذه الاشهر التي ناطق
بكل خير وبكل نعمة فانها تنصف بما تعملون فيها من الخير والشر وقال بعضهم قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في الاربعة الحرم حض
الاربعة وان كان الظلم في الاشهر كلها لا يحل على ما خص مكة بترك الظلم وان كان الظلم حراما في الاماكن كلها كقوله سواء العاكف
فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم الاية اي لا تقاتلوا فيها ولا تظلموا وقوله عز وجل ذلك الدين القيم قيل ذلك الحساب حساب
الاشهر قيم اي صحيح مستقيم على ما خلقه الله وقيل ذلك الحساب هو القضاء العدل وقوله عز وجل في كتاب الله يحتمل كتاب الله
اللوح المحفوظ على ما قيل ويحتمل في كتاب الله اي في حكم الله ذلك وقوله عند الله يحتمل ما ذكرنا من اللوح المحفوظ ان ذلك عند الله
لم يطلع عليه غيره ويحتمل عند الله اي في علمه على ما عرفته العرب والله اعلم وقوله عز وجل وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة يحتمل قوله كافة اي مجتمعين اي قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم مجتمعين ويحتمل كافة اي جماعة ويحتمل كافة الى الابد
الى يوم القيامة اي قاتلوهم الى الوقت الذي يقاتلونكم كما يقاتلونكم واعلموا ان الله مع المتقين في النصر والمعونة وقوله عز وجل
انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الاية كان هذه الاية التي قبلها قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في منزلة
العرب وسائر الايات التي قبلها وهو قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل في اهل الكتاب يخبر ان ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا من دون الله حتى تبعوهم
في جميع ما يحلونه ويحرمونه كان اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم واولئك عبيدا فكانه قال للمؤمنين ان ملوك العرب واحبار اليهود
ورهبان النصارى اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا فانتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا انفسكم اربابا والاتباع عبيدا الا
ترى انه قال في الاية التي تتلوا هذه يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الاية
في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك كقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة الاية فيهم
ذكر ذلك الوعيد وقال بعضهم الاية في المؤمنين امروا ان ينفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قيل استثقلتم النفر في سبيل الله و
اقمتم ويحتمل التثاقل هو ان يروا من انفسهم الثقل من غير ان اقاموا كما يقال يتصامم ويتعامى من غير ان كان به الصمم والعمى لكن
لما يرى من نفسه ذلك وقال بعض اهل الادب قوله اثاقلتم اي تثاقلتم وركنتم الى المقام وذلك في القران كثير كقوله حتى
اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الدنيا في الاخرة الا قليل اي ما متعكم في الدنيا
قليل بما وعد ان يمتعكم في الاخرة او ان يقال متاع الحيوة الدنيا من اولها الى اخرها ما ينتهي قليل من متاع الاخرة وكما انها لا تكون الا
الدنيا على شرف الزوال وكما ان الاخرة على الدوام ابدا او ان يقول متاع الحيوة الدنيا قليل من متاع الاخرة لان متاع الدنيا ومنافعها
يشوبه الافات والمضرات ومتاع الاخرة لا يشوبه الافات والمضرات وقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الاية عاتب المؤمنين بالتثاقل بالخروج الى الارض ونهاهم عن الركون الى الدنيا وقوله انما النسيء زيادة في الكفر اي ما احدث اولئك
الملوك من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله زيادة في كفرهم وكذلك احدثوا من [illegible] وقوله عز وجل يضل به الذين كفروا
يحتمل وجهين يحتمل يضل به الذين كفروا اي يهلك به الذين كفروا اي الذين احدثوا او يحتمل يضل به الذين كفروا اي ما احدث اولئك
الملوك انما احدثوا ليضل به الاتباع يحلونه عاما على ما ذكر في القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون فيه الدماء والاموال
ويحرمونه عاما فلا يستحلون فيه الدماء والاموال وقوله عز وجل ليواطئوا عدة ما حرم الله قيل ليوافقوا عدة ما حرم الله كان
عندهم ان التحريم انما كان بعدد الاشهر لا لما في الاشهر فحفظوا عدد الاشهر ولم يحفظوا الوقت وذلك تاويل قوله ليواطئوا

عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم زين تاخير الحلال وتقديم الحرام والله لا يهدي القوم الكافرين قيل لا يهديهم
وقت اختيارهم الكفر ولا يهديهم في الاخرة طريق الجنة لكفرهم في الدنيا وقد ذكرنا تاويله في غير موضع قال ابو عوسجة
النسيء التاخير نسأت الشهر اي اخرته ويقال انسأ الله في اجلك اي اخره الله وقوله ليواطئوا والمواطاة ان يحلوا شهرا
مكان شهر وهو التتابع يقال تواطأ القوم على حديث كذا وكذا اي تتابعوا وواطات فلانا اي تابعته وقال القتبي
النسيء التاخير وكانوا يؤخرون تحريم المحرم [illegible]
في صفة اخرى كانهم يستنسئون ذلك ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله [illegible]
عدد الشهور المحرمة لم يبالوا ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال وقوله عز وجل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ان لم تنفروا
يعذبكم عذابا ان كانت الاية في المنافقين فهو ظاهر وان كانت في المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا اليما [illegible] ولم يبين
ما ذلك العذاب وقال بعضهم شدد الله الوعيد في تركهم النفر والخروج في سبيل الله [illegible] ويريد في التولية الدبر
[illegible] ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة الاية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يقادرون انا تخلفنا وقوله عز وجل ويستبدل قوما غيركم على ما استبدلكم باهل مكة فينصر دينه وقال بعض اهل التاويل
يستبدل قوما غيركم اي بنيه قوما غيركم لكن تاويل الاول اشبه الا ترى انه قال في اخره ولا تضروه فقد نصره الله وقوله
ولا تضروه شيئا هو ما ذكرنا اي لا تضروا رسول الله بالتخلف عنه وقال بعضهم لا تضروا الله شيئا والاول اشبه لما ذكرنا
وقوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروا رسول الله فان الله ينصره على ما نصره في الوقت الذي كان في
الغار لم يكن معه احد من البشر الا واحد فان لم تنصروه فان الله كافيه في نصره على ما كفاه ونصره في الحال التي لم يكن معه من
البشر الا واحد فاليوم لا ينصره ومعه من الانصار والاعوان ما لا يحصى وكان ما استنفرهم رسول الله وامرهم بالخروج الى
العدو لم يكن يستنفرهم لمكان نفسه اذ يعلم ان الله كافيه في نصره ولكن انما كان يستنفرهم ويامرهم بالخروج لمكان انفسهم ليكتسبوا
قربا وثوابا عند الله وذلك الا ترى انه قال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقال ولا تضروه شيئا اي ان لم تنفروا ولم تنصروا رسول الله
فلا تضروه شيئا اذ الله كافيه في نصره وانما عاتبهم بترك النفر والخروج لئلا يركنوا الى الدنيا ولا يرضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
على ما ركن اولئك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا وحبهم اياها هو الذي منعهم عن اتباع محمد وهو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب
لرسوله وترك الاجابة له فيما يدعوهم اليه فيقول والله اعلم للمؤمنين لا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا بها من الاخرة ليمنعكم ذلك عن
النفر والخروج الى ما يامركم رسول الله على ما منع اولئك الكفرة على ما ذكرنا واصله انه انما استنفرهم لا لحاجة له الى نصرهم اذ هو
قادر ان ينصر رسوله بما شاء لكن طلب منهم النصر له ليكتسبوا بذلك ثوابا لانفسهم وذكرا في الاجل وكذلك ما طلب منهم الشكر له
على نعمه لا لحاجة في ذلك ولكن ليستديموا النعمة ويصلوا الى الباقية الدائمة وقوله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا اي اضطروه
الى الخروج حين هموا بقتله حتى خرج من بين اظهرهم وقوله عز وجل ثاني اثنين اذ هما في الغار ثاني اثنين اي لم يكن معه من البشر
الا واحد ليعلموا ان النصر لم يكن باحد من البشر انما كان بالله تعالى اذ بالواحد لا يكون النصرة والحفظ من العدو ويذكر فضل ابي بكر
وكان هو ثانيه في كل امره وقوله عز وجل اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن ابي بكر على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله
ان يصاب وكذلك روي عن الخبر انه قال لرسول الله يا رسول الله انك ان تصاب يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض
وفي بعض الاخبار ان ابا بكر كان يبكي اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله ما يبكيك فقال ما ذكرنا فقال له يا ابا بكر ما ظنك
باثنين ثالثهما الله وقيل انهما اتيا باب الغار فسبق ابو بكر فدخل الغار وكان الغار معروفا بالهوام فالقمها ابو بكر قدميه فاطال
ذلك فقال ان كان فيه شيء يبالي او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله ان الله معنا ليس بنهي عن الحزن ولكن على تخفيف الامر
عليه وتيسير الحال التي هو عليها وقوله عز وجل فانزل الله سكينته عليه قيل انزل سكينته على ابي بكر حين قال له رسول الله ما ظنك
باثنين ثالثهما الله حتى سكن قلب ابي بكر من الحزن والخوف على رسول الله وقال بعضهم انزل السكينة على رسول الله فهو يخرج على
وجهين احدهما انه انزل السكينة عليه حتى راى موجودا لم تروها وقال وايده بجنود لم تروها والثاني انزل سكينته
بالحجج والبراهين لكنه ان كان ما ذكر فهو قد انزل السكينة عليه في الابد ولانه كان رسول الله لا يخاف سوى الله ويعلم انه ينصره وكذا
وروي عن ابن عباس قال فانزل سكينته على ابي بكر لان النبي لم تزل السكينة معه وهو اشبه وقوله وايده بجنود لم تروها يحتمل في ذلك
الوقت ويحتمل في الغزوات التي نصره بالملائكة يوم بدر وغيره يخبر انه قادر ان ينصره لا بالبشر ليعلموا انه انما يامرهم بالنفر لا
لنصر رسول الله ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا اي

مكر الله بهم ونصرة رسوله هي العليا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا دينهم الذي يدينون به ومذهبهم الذي ينتحلونه السفلى اي جعل ذلك السفلى بالحجج وجعل دين محمد هو العليا بالحجج والبراهين على ذلك ما كان ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا السفلى اي جعل اهل الكلمة الذين كفروا هم السفلى واهل دين الله هم الاعلون كقوله وانتم الاعلون وقوله عز وجل والله عزيز لا يعجزه شيء حكيم في امره وقوله عز وجل انفروا خفافا وثقالا اختلف فيه قيل شبابا وشيوخا وقيل رجلى وانحا وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل فقراء واغنياء وقيل نشاطا وغير نشاط واصله انفروا مستخفين ومستثقلين اي انفروا خف عليكم الخروج او ثقل وما ذكر اهل التاويل من الشيخوخة والشغل والغنى والمرض لان ذلك بالذي يثقل الخروج والنفر واصله ما ذكرنا ان انفروا خف عليكم ذلك او ثقل وقوله انفروا خفافا وثقالا انفروا خف على النفس وثقل وخف على الطبع او ثقل وخف على العقل او ثقل وقوله عز وجل ذلكم خير لكم في الدنيا والاخرة اي علموا ان ذلك خير لكم من المقام وترك النفر ان كنتم تعلمون وقوله عز وجل لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قال بعض اهل التاويل لو كان عرضا قريبا اي غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي هينا لاتبعوك في غزاتك ولكن بعدت عليهم الشقة يعني المسير وقيل العرض الدنيا وسفرا قاصدا ليس فيه مشقة واصل قوله لو كان عرضا قريبا اي منافع حاضرة وسفرا قاصدا اي منافع غائبة والعرض هو المنافع يقول لو كانت لهم منافع حاضرة او منافع غيرها حاضرة لاتبعوك فيما استتبعتهم لان عادتهم اتباع المنافع يعني المنافقين كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله على حرف وهو ما ذكر ان اصابه خير اطمان به فعادتهم انهم انما يتبعون المنافع واليها يميلون واما المؤمنون فانهم يعبدون الله في كل حال في حال السعة وفي حال الضيق ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع او لم تكن اصابتهم مشقة او لا هم لا يفارقون رسول الله على كل حال وقوله عز وجل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا ظهر وسلاح لخرجنا معكم ولو كان زاد وما نشتري ما نحارب به لخرجنا معكم ثم اخبر ان لهم استطاعة على ذلك وانهم كاذبون ان لا استطاعة لهم حيث قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقالت المعتزلة دل قوله لو استطعنا لخرجنا معكم ان الاستطاعة يتقدم الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا ما ننفق وما نشتري به السلاح لكنا نقول ان الاستطاعة على وجهين استطاعة الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال واستطاعة الاسباب والاحوال يجوز ان يتقدم وهذه الاستطاعة هي استطاعة الاسباب والاحوال الا ترى انه قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ومن قولهم ايضا ان استطاعة الافعال لا تبقى وقالوا ان هذه اخبر انها كانت باقية وقالوا ان انها هي استطاعة الاسباب والاحوال وقوله عز وجل يهلكون انفسهم قيل يهلكون انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم لا يستطيعون وقيل يهلكون انفسهم بتركهم الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج كقوله ملعونين الاية ويحتمل يهلكون انفسهم في الاخرة بنفاقهم في الدنيا وقوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يحتمل قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك اية من ايات النبوة ان لم يأذن لهم بالتخلف او ان لم تاذن لهم يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون ويفارقونك وان لم يأذن لهم والذين صدقوا لا يفارقونك فيتبين هؤلاء من هؤلاء ويظهر لك نفاق هؤلاء من صدق هؤلاء المؤمنين وفي قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم دلالة ان النبي انما اذن لهم بالتخلف بلا امر وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لانه لو كان اذن لهم بالتخلف بالامر لم يكن ليعاتبه على الاذن دل انه انما اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لما ظن انهم انما يستاذنونه بالقعود للعذر فان قيل كيف عاتب رسوله باذنه بالقعود وقد اخبر انه انما كان يحكم بما اراه الله بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل يحتمل انه انما عاتبه على ترك الافضل لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن اذ به يتبين له الصادق من الكاذب ويكون فيه اية من ايات الرسالة ويجوز ان يعاتب على ترك الافضل ويحتمل ان يكون قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم تعليم من الله ان كيف يعامل الناس بعضهم بعضا ليس على العتاب ومن الناس من استدل على تفضيل رسول الله على غيره من الانبياء صلوات الله عليهم بهذه الاية لانه بذكر العفو وكذلك في جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زلته وذكر في سائر الانبياء الزلات وقوله عز وجل لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية اي لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف لغير عذر انما يستاذنك لعذر انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر بالقعود لغير عذر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله يترددون نسختها الاية التي في سورة النور انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان سورة التوبة من اخر ما نزلت وانهم انما كانوا في امر جامع لم يذهبوا الا بعد الاستئذان لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين في الامور الجامعة وانما في الخلوات فلا وقوله عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة يحتمل ان يكون هذا في غزوة تبوك على ما قال اهل التاويل امروا بالخروج والتاهب للغزو فعزموا ان لا يخرجوا فعوتبوا على ذلك ويحتمل ان يكون في جميع الغزوات عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يتاهبوا له فقط فقالوا لو استطعنا لخرجنا معكم فاكذبهم الله تعالى انهم كذبة وانهم اغنياء لكنهم عزموا

ان لا يخرجوا

ان لا يخرجوا ولا يعدوا له عدة والله اعلم وقوله عز وجل ولكن كره الله انبعاثهم يحتمل قوله كره الله انبعاثهم اي لم يرض الله بخروجهم وانبعاثهم ثم بين الوجه الذي لم يرض ما ذكر في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا لم يرد الله خروجهم لما علم منهم انه لا يريد بخروجهم في الجهاد الا ما ذكر من الخبال والفساد وقوله عز وجل فثبطهم قيل حبسهم اي اذ علم منهم ان خروجهم وانبعاثهم لم يرد هم الا فسادا حبسهم ويحتمل ان خلق منهم الفعل الذي كان منهم من الكسل والتثاقل وفيه دلالة خلق الله فعل الشر ويكون في ذلك خير الغير وان كان شرا لهم فعلى ذلك خلق فعل المعصية من العاصي وهو شر له ويكون ذلك خيرا لغيره وقوله عز وجل وقيل اقعدوا مع القاعدين يحتمل قوله قيل اقعدوا لما استاذنوا رسول الله بالقعود اذن لهم في ذلك على ما وقع عنده ان لهم عذرا في ذلك وان كان من الله عز وجل فهو التهدد والتوعد ويحتمل ان يكون من الشيطان وسوس اليهم ان اقعدوا ترغيبا منه اياهم بالقعود والتخلف والله اعلم وقوله عز وجل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قوله لو خرجوا فيكم اي لو كانوا خرجوا فيكم الا ترى انه قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم دل هذا انهم لم يكونوا خرجوا ولو كانوا خرجوا لم يكن يثبطهم دل انه ما ذكرنا والانبعاث هو الخروج وكذلك في حرف ابن مسعود ولكن كره الله خروجهم والتثبيط الحبس واصل التثبيط التثقيل وقال ابو عوسجة الانبعاث هو القيام والخبال قيل الفساد والشر وقيل الغي وهو واحد وقوله ما زادوكم الا خبالا يحتمل زيادة الخبال وجوها يحتمل ان يكونوا عيونا للعدو ويخبرهم من عورات المسلمين وكانوا يخبرون اهل الاسلام كقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ونحوه وقوله عز وجل ولاوضعوا خلالكم قيل هو من ايضاع الابل خلالكم يتخلل فيما بينكم وقيل ولاوضعوا خلالكم اي لرحلوهم حتى يدخلوا بينكم حتى لا يصيبكم الاذى كانوا يستترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شيء من البلاد والشر وقال القتبي ولاوضعوا خلالكم من الوضع وهو سرعة السير وقال ابو عوسجة هو من الايضاع يكون على الابل وهو عندي من عدو الابل يقال وضعت البعير وركضت الفرس واجريت الحمار خلالكم بينكم وقيل الخلال القتال وهو ما ذكرنا انهم يدخلون فيهم النقصان والقتال والفشل وقوله عز وجل يبغونكم الفتنة قيل يبغون منكم الفتنة وهو الشرك الذي كانوا هم عليه ويحتمل ما ذكر ناس القتل او ادخال الفشل والجبن فيهم والله اعلم وقوله عز وجل وفيكم سماعون لهم هذا يحتمل وجهين ايضا يحتمل ان هؤلاء المنافقين يكونون سماعا لهم وخبرا وعيونا يخبرونهم عن عورات المسلمين وضعفهم ويحتمل قوله وفيكم من المؤمنين سماعون لهم الاية قيل انهم كان في اصحاب النبي اهل محبة لهم وطاعة لشرفهم فيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يدخل بينهم ثم يقول ابلغكم ما بلغني ان العدو اماكم قد غوروا المياه وفعلوا كذا وهيؤوا ويحتمل قوله وفيكم سماعون لهم اي فيكم من المنافقين الذين قعدوا ولم يخرجوا يسمعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا ايضا ما يكرهون يقولون الدبرة على المؤمنين ونحو ذلك من الهزيمة وقوله عز وجل والله عليم بالظالمين اي لا عن جهل مهلهم على ما هم عليه ولكن اخرهم ليوم كقوله ولا تحسبن الله غافلا الاية وقوله عز وجل لقد ابتغوا الفتنة من قبل يحتمل الفتنة الوجهين الذين ذكرناهما وقوله عز وجل وقلبوا لك الامور اي تكلفوا واجتهدوا ليطفؤوا هذا النور وظهر امر الله قيل دين الله الاسلام ويحتمل حجج الله وادلته وهو ما ذكر يريدون ان يطفؤوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ويحتمل قوله وقلبوا لك الامور وظهر البطن ليمكروا برسول الله ويقتلوه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وظهر امر الله ما ذكرنا من دين الله وحججه وهم كارهون لذلك كقوله ليظهره على الدين كله فظهر دين الاسلام وهم كارهون له وقوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي فيه دلالة انه لا كل المنافقين قالوا انما قال ذلك بعضهم وبعضهم قالوا غير هذا وقوله عز وجل ولا تفتني قيل لا تؤثمني وقيل ولا تحرجني وقيل ولا تكفرني وهو واحد وتاويل من قال ولا تفتني اي لا تكن سبب فتنتي ومعصيتي اي لا تامرني بالخروج ولكن ائذن لي بالقعود لانك ان امرتني بالخروج ولم تاذن بالقعود والتخلف فقعدت وتخلفت كنت عاصيا لك لامرك فكنت انت سبب عصياني وفتنتي والثاني قوله ولا تفتني اي لا تامرني المشقة والشدة ولكن الدعة والسعة لانهم كانوا عبادا للسعة والرخاء حيث كان مالوا اليهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية يقول لا تكن سبب اثمي وانقلابي ومنهم من قال ان رجلا منهم قال يقال له الجد بن قيس اني اذا رايت النساء لا اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بمال ففيه نزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وهو قول ابن عباس يقول لا تامرني بالخروج فاني مولع بالنساء لا اصبر اذا رايتهن ولا ندري كيف كانت القصة لكن الوجه فيه ما ذكرنا انفا وقوله ولا تفتني اي ولا تمتحني بالمحنة التي فيها الهلاك والمشقة فقال الا في الفتنة سقطوا اي الا في المشقة والبلاء والهلاك سقطوا الاية هذا يدل ان اهل النفاق بهم كفرة وقوله عز وجل الا في الفتنة سقطوا اي الا في الشر والاثم سقطوا على تاويل قوله ولا تفتني لا تؤثمني ولا تحرجني وعلى تاويل من قال لا تفتني لا تشق علي ولا تامرني بالمشقة والشدة والضيق يقول الا في الشدة والضيق يسقطون وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي تحيط بهم حتى لا يجدون منفذا ولا مخلصا او تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف ويمين وشمال تحيط بهم حتى تصيب كل خارجة منهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الاية اخبر انها تحيط بهم وفيه دلالة ان المنافقين هم كفار لانه ذكر في اول الاية صفة المنافقين ثم اخبر ان جهنم تحيط بالكافرين وقوله عز وجل ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك سيئة

يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل قيل ان تصبك حسنة اى الغنيمة والظفر والنصر على الاعداء يسؤهم ذلك وان تصبك مصيبة النكبة
والهزيمة فرحوا بها يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اى اخذنا امرنا بالوثيقة والاحتياط حيث لم نخرج معهم حتى لم يصبنا ما اصابهم ويحتمل
ان يكون قوله قد اخذنا امرنا من قبل اى قد اظهرنا الموافقة للمؤمنين فى الظاهر وكانوا مع الكافرين فى السر والباطن فى الحقيقة وهو ما
ذكر من اشفاقهم احدى الحسنيين فى قوله الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم الاية ويتولوا وهم فرحون ويحتمل
يتولوا اولئك الكفرة وهم فرحون وفى الاية دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته لانه معلوم ان ما يسؤهم كانوا يخفون ويسرون
عنهم ثم اخبرهم ما اسروا واضمروا دل انه انما علم ذلك بالله وقوله عز وجل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب
الله لنا اى قضى الله لنا اى لن يصيبنا الا ما قضى الله لنا وقال بعضهم الا ما كتب الله لنا اى ما جاء به القران وهو قوله ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ويحتمل قوله لن يصيبنا الا ما
كتب الله لنا من الكرامة والمنزلة والنعيم الدائم فى الاخرة اى لن يصيبنا الا ذلك وان كنتم انتم تفرحون بذلك فذلك الذى كتب
لنا هو مولانا اى هو ربنا ونحن عبيده يكتب ما يشاء من الخير والشر اى ما اكرمنا الله لنا او ما احل لنا واما القضاء فانه قيل ما يقابل
فيما يكون لهم وانما يقال فيما قضى عليهم واما الكتاب لهم هو فيما ويحتمل لهم ويبيح وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل
المؤمنون يحتمل وجهين يحتمل على الاخبار اى على الله يتوكل المؤمنون لا يتوكلون على غيره ويحتمل ان يكون على الامر اى على الله توكلوا
ايها المؤمنون وقوله عز وجل قل تربصوا بنا الا احدى الحسنيين عن ابن عباس رضى الله عنه قل هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين يعنى الشهادة والحيوة والرزق الدائم والكرامة كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الاية ويحتمل
الاحدى الحسنيين فى الدنيا الغنيمة والظفر يقول هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اما الحيوة الدائمة فى الاخرة والرزق الحسن
والكرامة واما الغنيمة والنصر فى الدنيا هذا تربصون بنا ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده العذاب فى الاخرة او
قتلتم او بايدينا اى القتل بايدينا فتربصوا بنا انا معكم متربصون العذاب بكم هم كانوا لا يتربصون بنا الا الدوائر والهلاك
وهو ما ذكر فى اية اخرى حيث قال ويتربص بكم الدوائر هم كانوا لا يتربصون بنا الحسنى وكن ما ذكر من الدوائر لكن ذلك وان
كان عندنا ولئك المنافقين هلاك ودائرة فهو للمؤمنين الحسنى فى الاخرة وقوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
قال بعضهم الاية فى الجهاد ان المنافقين كانوا يامرون بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما امر اهل الايمان بذلك ثم منهم من كان
يخرج للجهاد ومنهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم من كان يخرج كارها ونحو فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اى خوفا
لن يتقبل منكم ومنهم من قال الاية فى الزكوة ان الله عز وجل فرض الزكوة فى اموال المؤمنين والمنافقون قد اظهروا الايمان وكانوا
ينفقون ويؤدون الزكوة لكن منهم من كان يودى طوعا ومنهم يودى كرها فقال قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم لانهم كانوا
لا يرون قربة وكانوا ينفقون وهم كارهون فى الباطل الا ترى انه قال ولا ينفقون الا وهم كارهون دل انهم كانوا ينفقون جميعا
وهم كارهون لذلك فى الباطل ثم بين ما به لم يتقبل نفقاتهم وهو ما ذكر انكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الاية فى الاية وجهان احدهما دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم انهم لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى
وهم فى الظاهر كانوا ياتون الصلوة على ما كان ياتى المؤمنون ثم اخبرانهم ياتونها كسالى دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وكذلك
اخبرانهم ينفقون وهم كارهون لذلك وكانوا ينفقون فى الظاهر مراءاة لموافقتهم ثم اخبرانهم كانوا كارهين لذلك فى السر دل انه
انما علم ذلك بالله تعالى والثانى ان لا تقوم قربة ولا تقبل الا على حقيقة الايمان هو شرط قيام هذه العبادات وقبول القرب
لا ان انفسها ايمان لانهم كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر دل انه ما ذكرنا وبالله التوفيق وقوله عز وجل انكم كنتم قوما
فاسقين اى انكم كنتم فاسقين ويحتمل قوله كنتم اى صرتم فاسقين بما انفقتم وانتم كارهون اذ هم قد اظهروا الايمان ثم تركوه
كقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا اخبرانهم امنوا ثم كفروا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى وكسلى
وكسالى فيه لغات ثلاثة والمعنى واحد وهو انهم لا ياتون الصلوة الا متثاقلين لانهم كانوا لا يرونها قربة وقوله عز وجل
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم فى الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الاخرة وقال بعضهم هو على ما ذكر فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الاخرة وفى الحيوة الدنيا والتعذيب فى الدنيا هو ما فرض عليهم الجهاد وامروا بالخروج
للقتال فكان يشق ذلك عليهم ويشتد فذلك التعذيب لهم وهو ما ذكر فى اية اخرى اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم الاية او
التعذيب فى الدنيا هو القتل يقتلون ان لم يخرجوا وفى الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون لا يعطى احدا شيئا الا ما هو اصلح له
فى الدين ثم قال لرسول الله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ولو كان لم يعطهم الاموال والاولاد الا للخيرات والصلاح فكانه
قال لا يعجبك ما اعطيتهم من الخيرات والصلاح فذلك بعيد فدل انه قد يعطى خلقه ما ليس باصلح لهم فى الدين وكذلك فى قوله ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع فى الخيرات الاية دلالة الرد عليهم لانه قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات

ثم قال بل لا يشعرون دل انه يمدهم به لا للخيرات دل انه قد يعطى خلقه ما ليس هو باصلح لهم فى الدين وفى قوله انما يريد الله ليعذبهم
بها فى الحيوة الدنيا دلالة الرد عليهم ايضا لانه اخبر انه يعذبهم فى الدنيا والاخرة ولا يعذبهم مجانا فيما لا فعل لهم فى ذلك دل ان لهم
صنع فى ذلك وانه انما يعذبهم بفعل اكتسبوه فى قوله انما يريد الله ليعذبهم بها دلالة ان ليس كل ما يعطيهم انما يعطيهم لما يصلحهم
ولكن يعطيهم لما علم منهم فان كان علم منهم انهم يستعملون ما اعطاهم من الاموال وغيرها فيما فيه هلاكهم اعطاهم لذلك ومن علم منهم
انه يستعمله فيما به نجاته اعطاه لنجاته فانما اعطى كلا ما علم انه يكون منه لا انه اعطاهم على غير ما علم منهم انه يكون فى اعطائه مخطيا
وقوله عز وجل وتزهق انفسهم وهم كافرون قيل تخرج انفسهم ونهلك خوفا قال ابو عوسجة يقال خرج نفسه من فيه وقيل تزهق
انفسهم كقوله زهق الباطل اى ذهب وكذلك قال ابو عبيد تزهق اى تذهب وفى الاية دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه اخبر انه
انفسهم تزهق وهم كافرون فكان ما ذكر دل انه علم ذلك بالله وقوله عز وجل ويحلفون بالله انهم لمنكم فى الباطل فى الدين لانهم
كانوا منهم فى الظاهر وقال وما هم منكم فى الباطل فى الدين ولكنهم قوم يفرقون اى يخافون القتل فيظهرون الموافقة لهم وقوله
عز وجل لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه قيل لو وجد واحرزا او مغارات يعنى الغيرات فى الجبال او مدخلا
او سربا فى الارض فى الجبال لولوا اليه اى رجعوا اليه وهم يجمحون اى يسعون وعن ابن عباس قال الملجأ الحرز فى الجبال و
المغارات الغيران والمدخل السرب قال ابو عوسجة المغارات مثل الملجأ وهو شىء يتحصنون فيه ومدخلا هو موضع يدخلون
فيه وهم يجمحون اى يسرعون يقال جمحت الدابة يجمح جماحا فهو جامح وهو من لا يسنع وكذلك قال القتبى وقال ابو معاذ
الجموح الراكب راسه وهواه وقال بعضهم قوله او مدخلا لا يجدون ناسا يدخلون بينهم لولوا اليه دونكم واصله انكم
انهم لو وجدوا امانا يامنون لولوا اليه اى لصاروا اليه مسرعين ولا يظهرون لكم الايمان ولكن ليس لهم ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ومنهم يعنى المنافقين من يلمزك فى الصدقات اختلف فيه قال بعضهم يلمزك يزورك لمكان الصدقات
طمعا فيها لتعطيهم الصدقات ويلمزك اى يزورك ليسالك من الصدقات اى انما يزورونك لمكان الصدقات لتعطيهم
لا يزورونك ولا ياتونك لمكان الرسالة او رغبة فى الدين ولكن لمكان الصدقات فان اعطوا منها رضوا عنك يعظمونك
وان لم يعطهم انهم يسخطون لان اتيانهم رسول الله وزيارتهم اياه لمكان الصدقة فاذا لم يعطوا منها شيئا سخطوا
ومنهم من قال قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات اى يطعن عليك فى الصدقات اى فى قسمة الصدقات روى عن ابى
سعيد الخدرى قال بينا رسول الله يقسم قسما له فجاءه رجل يقال له ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يا رسول الله
فقال له النبى ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل انا فقال عمر ائذن لى يا رسول الله فاضرب عنقه فقال له النبى دعه فان له
اصحابا يحتقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم لحسن صلاتهم وصيامهم فيحتقر صلوته عند صلوته اولئك يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ذكر حديثا طويلا وهو كان من الخوارج وهو الذى قتله على بن ابى طالب رضى الله
عنه وقوله عز وجل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اتاهم الله من الرزق ورسوله من الصدقات وقالوا حسبنا
سيؤتينا الله من فضله وقيل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله من فضله اى من دينه ورسوله وقالوا حسبنا الله كان خيرا لهم
مما طمعوا فى هذه الصدقات وطعنوا رسول الله فى ذلك وقال بعضهم رضوا ما اتاهم الله من فضله وما رزقهم لكان خيرا لهم
مما فعلوا وقال بعض اهل التاويل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله من فضله اى من الصدقات التى كان اعطاهم رسول الله منها والى
رغبوا لكان خيرا مما طمعوا فى تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسخطوا عليه ويقرا يلمزك ويلمزك برفع الميم قال ابو عوسجة
اللمز العيب يقال له لماز ولامز وهما زوهماز وقال القتبى يلمزك اى يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته اذا اغتبته
وعبته وكذلك قوله ويل لكل همزة لمزة وقوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين يشبه ان يكون الاية فى بيان
موضع الصدقة على ما تقدم من الذكر بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا الاية ما ذكر ان المنافقين
كانوا ياتون رسول الله ويسالونه من الصدقات فان اعطاهم رضوا منه وان لم يعطهم طعنوا فيه وعابوا عليه فبين ان
الصدقات ليست لهؤلاء ولكن للفقراء من المسلمين والمساكين من المسلمين وكذلك ما ذكر من الاصناف المكاتبين والغارمين
انها لهؤلاء من المسلمين لا لهم ويدل على ذلك ما جاء من الاخبار وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وضع صدقات باعيانها
حملت اليه فى صنف واحد ما روى انه اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى فلانا كذا وروى عن الصحابة انهم وضعوا
الصدقة فى صنف واحد روى عن حذيفة انه قال هؤلاء اهلها فى اى صنف وضعتها اجزاك وعن ابن عباس انه قال
كذلك وعن عمر انه كان اذا اصدق اتاه المواشى والبقر والغنم نظر ما كان منيحة اللبن فيعطى لاهل البيت على قدر ما يكفيهم فكان
يعطى العشرة شاة للبيت الواحد ثم يقول عطية تكفى خير من عطية لا تكفى او كلام نحو هذا وقد روى عنه انه سئل عن ذلك
فقال والله لاردن عليهم الصدقة حتى يروح على احدهم مائة ناقة او مائة بعير وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه
اتى بصدقة فبعثها الى اهل بيت واحد هؤلاء نجباء الصحابة استجازوا وضع الصدقة فى صنف واحد ولو كان حق كل صنف

ان تقسم بين هولاء الاصناف الذى ذكر بالسوية على ما قال القوم لكان قال الله عزوجل انما الصدقات بين الفقراء وبين من
معهم من الاصناف كما يقال الميراث لقرابة فلان اى ليس للاجنبيين فى ذلك حق واذا قيل الميراث بين قرابة فلان كان لكل فى ذلك
حقا لان حرف بين يقتضى التسوية بجميعهم وقوله لم يقتضى انه لاحق فيه لغيرهم الا ترى انه يقال الخلافة لولد العباس يراد
انه لاحظ فيها لغيرهم والسقاية لبنى هاشم ونحوه ليس يراد ذلك بينهم بالسوية وانما يراد ذلك ان لاحق لغيرهم فيها وبعد
فانه لو كان فى الاية انما الصدقات بين الفقراء وبين من ذكر معهم لكان لا يجب قسمة كل صدقة بين هولاء الاصناف المذكورة
فى الاية لانه ليس للصدقات انقطاع بل هامدد اذا وقع صدقة ولصاحب الصنف واحد فاذا اتى بصدقة اخرى دفع الى صنف
اخر هكذا يعطى الاصناف كلها وبعد فانه لم يذكر عن احد من الائمة انه تكلف طلب هولاء الاصناف تقسمها بينهم وكذلك
لم يذكر عن احد من ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة بين هولاء والذين ذكر فدل انه خرج على ما ذكرنا لانه لو كان
على تسوية كل صدقة بينهم لم يجزان لا يقسموها كذلك ويضيعون حق البعض من هولاء وبعد فانه لو تكلف الامام ان يعطيهم
بهولاء الثمانية ما قدر على ذلك دل انه لم يخرج الخطاب على ما توهم خصومنا ولان الحق لو كان التسوية بينهم فى كل صدقة لكان
اذا لم يجد فى بلدة او واحدا من هولاء الاصناف يجب ان يسقط مقدار حصته منه لم يجد عن اربابها ذلك بعيد فقد جاء فى الخبر
انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من اغنيائهم ورد فى فقرائهم ونكره اخراج صدقة كل بلد الى غيره من البلدان ثم يحتمل الاية
جميع الصدقات التى يتصدق بها على الفقراء والمساكين من النفل وغيره فتبين ان هولاء موضع لذلك كله من نحو قوله واتوا حقه
يوم حصاده وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ويحتمل زكوة الاموال المفروضة والوجه فيه ما ذكرنا فان قيل ان
الرجل اذا اوصى فقال ثلث مالى لفلان وفلان وفلان اليس هو مقسوم بينهم بالسوية ما منع ان الاول بمثله قيل لا يشبه الصدقات
الوصايا وذلك ان الوصية انما وقعت فى مال معلوم لا يزيد فيه بعد موت الميت شيئا ولا يقوم لها مدد والصدقات يزيد
بعضها بعضا وانا فنى مالخاء مالاخر واذا مضت سنة جاءت سنة اخرى بمال جديد فاذا دفع الامام صدقة بجميع ما عنده
الى الفقراء ثم حضره غارمون فحمل اليه صدقة اخرى يجعلها فيهم فيصلح بذلك احوال الجميع بلا انقطاع للاموال الى يوم القيمة
وكيف يقسم الصدقة على ثمانية اسهم ولا خلاف فان العاملين بقدر عمالتهم زاد ذلك على الثمن او نقص منه فاذا زالت القسمة
فى احد الاصناف زالت فى الجميع فاعطى كل صنف منهم بقدر حاجة كما اعطى العاملون وكيف يصنع بسهم المؤلفة قلوبهم وقد ارتفع
ذلك ونسخ وعلى ذلك جاء عن بعض الصحابة من نحو ابى بكر وعمر انهم لم يعطهم شيئا يرد ذلك على ساير السهام فاذا جاز ان يزاد
على الثمن فى وقت جاز ان ينقص منه فى وقت وفى قوله والعاملين دلالة ان لا باس للائمة والقضاة اخذ الكفاية من بيت المال
ولكل عامل للمسلمين اخذ كفايته ورزقه من ذلك اذا فرغ نفسه لذلك وكفها عن غيرها من المنافع والاعمال ثم تختلف فى الفقراء و
المساكين قال بعضهم الفقراء هم من المهاجرين كقوله للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والمساكين من الذين لم يهاجروا وقال
بعضهم الفقير الذى به زمانة والمسكين الذى ليست به زمانة وهو محتاج وقال بعضهم الفقراء هم المتعففون الذين لا يخرجون و
لا يسالون الناس كقوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف والمساكين هم الذين يسالون وكذلك قال الحسن وعن عمر قال ليس
المسكين الذى لا مال له ولكن المسكين الذى لا يصيب المكسب وعن ابن عباس قال الفقراء فقراء المسلمين والمساكين الطوافون
وهو قريب مما قاله الحسن وعن الاصم ان الفقير الذى لا يسال وهو ما ذكرنا بديا والمسكين الذى يسال اذا احتاج ويمسك اذا
استغنى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية ابو هريرة رضى الله عنه انه ليس المسكين هذا الطواف الذى يطوف على
الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذى لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق
عليه ولا يقوم فيسال الناس فهذا لو حمل على ظاهره لدفع قول من قال ان المسكين هو الذى لا يسال الناس ولكن يجوز ان يكون معناه
والله اعلم ان الذى لا يسال وان كان عندكم مسكينا فان الذى لا يسال اشد مسكنة منه ولا يحمل على غير ذلك لان الله قد سمى الذين
لا يسالون الناس فقراء ولا يجوز ان يجعل الحديث مخالفا للاية ما امكن ان يكون موافقا لها قال الله تعالى يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة فقوله ذا متربة قيل هو الذى لا حايل بينه وبين التراب لفقره فدل بذلك والله اعلم على ان المسكين هو الشديد الفقر والفقير
هو الذى لا يملك شيئا ولم يبلغ فى الفقر والضرورة حال المسكين ويدل لذلك قول عمر ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا
مكسب له كانه يقول ان الذى لا مال له وله مكسب هو فقير والمسكين اشد حالا من الفقير وليس له مال ولا مكسب وان حمل قول النبى
عليه السلام ليس المسكين الذى يسال ولكن المسكين الذى لا يفطن به ولا يسال على ان ذلك الذى لا يفطن به هو اشد مسكنة من
الاخر وان كان الاخر مسكينا ايضا كان موافقا للمعنى الذى ذكرنا لانا قلنا ان المسكين هو الشديد الفقر وقد يكون فقيرا ان
لم يبلغ به الضر مبلغ الفقر الاول وقد يخرج قول من قال ان المسكين الذى يخرج هذا المخرج لان من شان المسلم الفقير انه يحمل ما كان
له حيلة ويتعفف ولا يخرج فيسال والمحل يخرجه يدل على شدة ضيقه وعلى الزيادة فى سوء حاله فكان القولان جميعا يرجعان
الى معنى واحد واذا كان الفقير احسن حالا من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز ان يدفع الصدقة الى من له مال قليل لانه فقير وان لم يكن

حاله فى نفره حال المسكين الذى لا يملك شيئا والله اعلم وقوله عزوجل والعاملين عليها اختلف فيه قال بعضهم الثمن وقال بعضهم
يعطى لهم قدر عمالتهم وقال بعضهم يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم اما قول من قال يعطى لهم الثمن لا معنى له لما لا يجوز ان يبلغ الثمن الوفاء
وعمالته لا تبلغ عشر عشر ذلك ومن قال يعطى لهم قدر كفايتهم وكفاية عيالهم فهو والله اعلم انا كان هو يشغل نفسه لذلك واستعمله
الامام فى جميع امور المسلمين فاذا كان كذلك يعطى له عند ذلك الكفاية له ولعياله واما فانه لو تولى شيئا من ذلك العمالة فى وقت
فيعطى له الكفاية فلا والاشبه عندنا ان يعطى لهم قدر عمالتهم وهكذا الامام اذا استعمل احدا فى عمل من اعمال اليتيم فانه يعطى له قدر
اجر عمله وقوله عزوجل والمؤلفة قلوبهم قد ذكرنا فيما تقدم انه عليه الصلوة والسلام كان يعطى الرؤساء من المنافقين من الصدقة
يتالف به قلوبهم ليسكنوا على ما روى انه كان فلانا ماية من الابل وفلانا كذا وروى انه قسم ذهبة فى اديم مقروظ بعثها على اليمن بين
الاقرع بن حابس وبين فلان وفلان والحديث فى هذا كثير ان النبى كان يخص به الرؤساء منهم بالصدقة يتالفهم والاسلام فى ضعف
واهله فى قلة واولئك كثير ذو قوة وعز فاما اليوم فقد كثر اهل الاسلام وعز الدين وصار دولة ولذا ذلا بحمد الله فقد ارتفع
ذلك وذهب اذ قوى المسلمون وكثروا فيقاتلون حتى يسلموا وعلى ذلك جاء الخبر عن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ما دل على ما ذكرنا
روى ان الاقرع بن حابس وعيينة بن فلان جاءا الى ابى بكر رضى الله عنه فقالوا يا خليفة رسول الله ان عندنا ارضا سبخة
ليس فيها كلاء ولا منفعة فان رايت ان تقطعنا ها فاقطعنا اياها وكتب لهما عليها كتابا واشهد عمر رضى وليس فى قوم فانطلقا الى
عمر يشهداه فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله من ايديهما ثم نظر فيه فمحاه فتذمرا وقالا له مقالة سيئة وقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يتالفكما والاسلام يومئذ قليل وان الله تعالى قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا جهدكما لا ارعى الله عليكما ان رعيتما
ونحن نذهب الى هذا الحديث لان ابا بكر لم ينكر على عمر قوله وفعله فصار ذلك وفاقا منه له فكفى بقولهما حجة لنا ولنا فى ذلك
وجوه من الحجج احدها ان النبى عليه السلام كان يتاهد قوما وهوالى مدارتهم ومعاهدتهم محتاج لما ذكرنا من قلة اهل الاسلام
وضعفهم فلما اعز الله الاسلام واكثر اهله رد الى اهل العهود عهودهم ثم امر بجهادهم جميعا والثانى ما قال الله تعالى ما كان
لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض فكانت الحال الثانية التى فيها الاسلام وقوى اهله وعزوا مخالفة للحال الاولى فى
هذه الاشياء فكذلك لما رايناه فعين جاز الرؤساء فى الحال الاولى محظورا فى الحال الثانية والله اعلم وفى الاية دلالة جواز النسخ
بالاجتهاد لارتفاع المعنى الذى به كان ليعلم ان النسخ قد يكون بوجوه وفى خبر ابى بكر وعمر رضى الله عنهما دلالة ان اذن الامام
شرط فى احياء الارض الموات لا يملك الا بالاذن لان ذانك الرجلين اللذين اتيا ابا بكر فقالا ارض لا كلاء فيها وذلك صورة ارض
الموات وقوله عزوجل وفى الرقاب اختلف فيه قال بعضهم معناه العتق ويجوز ان يعتق عن الزكوة وقال بعضهم هم المكاتبون
يساعدونهم فى كتابتهم وقالوا لا يشبه الاعتاق ما يدفع الى المكاتب فيودى فيعتق لان العتق ليس بتمليك وانما هو ابطال
ملك وما يدفع الى المكاتب فهو تمليك فذلك مختلف وانما تكون الزكوة زكوة اذا زالت من مالك الى مالك الثانى ان العتق يوجب
الولاء للمعتق فحقه فيه باق والذى يدفع فيه الزكوة الى مكاتب لغيره ولا يرجع اليه بذلك حق ولا يجب فيه ولاء فهما مختلفان والثالث
وهو ان الله تعالى قال والغارمين ولو ان رجلا قضى من غارم دينه بغير امره لم يجزه من زكوة ماله وانما يكون زكوة اذا دفعها الى
الغارم فعتق المزكى العبد بمنزلة قضاء دين الغارم لانه لا يحتاج فى واحد منهما الى قبول من الغارمين والعبد واعطاء المكاتب من
الزكوة كدفعه اياها الى الغارم لانه قد دفعها اليه فكل الحالين الى من قبلها منه من زكوة وقبضها وفى ذلك انه لو اشترى عبدا من
الزكوة فعتقه فقد صار ثمنه دينا فى ذمته قيل ان العبد المال فانا قضيته فانما قضيته عن ذمتى دينا قد لزمنى ولا يجوز ان اقضى عن دينى
وقوله عزوجل وفى سبيل الله قيل هم الغزاة ويحتمل فى سبيل الله اى فى طاعة الله ان كل من سعى فى طاعة الله وسبيل الخيرات فانه داخل
فى ذلك وقوله وابن السبيل قيل الضيف ينزل به وقيل هو المار عليك وان كان غنيا المنقطع عن ماله وقوله فريضة من الله
يحتمل بيانا من الله واعلاما اهل الصدقات منهم من غيرهم ويحتمل قوله فريضة من الله اى واجبا من الله وفرضا والله عليم حكيم
وقوله عزوجل ومنهم الذين يؤذون النبى اخبرانهم يؤذون النبى ولم يبين بما كانوا يؤذون فيحتمل يؤذون النبى بتكذيبهم اياه و
تركهم الاجابة له والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل يؤذونه بكلمات يسمعونه وطعن يطعنونه ويعيبونه عليه ويقولون عليه
ويقولون هو اذن قيل الاذن هو الذى يقبل العذر ممن اعتذر اليه ويسمع منه سواء كان له عذرا وعذر له لكرمه وشرفه
وحسن خلقه فظن اولئك لما راوه انه كان يعامله اهل الكرم والشرف والمجد انه انما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة قلبه
وصغره وقصور بره وهم كانوا اهل كبر واتعته قالوا هو اذن نقول ما شئنا ثم نحلف ونعتذر اليه فيصدقنا ويقبل عذرنا
قال الله تعالى قل يا محمد اذن خير لكم اى الذى يقبل العذر ويسمع خير لكم من الذى لا يقبل ولا يسمع فكيف تؤذونه وتطعنون
وتعيبون عليه ولا تصدقونه ولا تؤمنون به يخبر عن سفههم قال ابو عوسجة الاذن الذى من قال له شيئا او حدثه حديثا صدقه
واستمع منه وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق كل من قال له شيئا او حدثه حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده
وحسن خلقه لا لما ظن اولئك وقيل يقولون هو اذن اى يسرف نفسه ويكتم ولا يجافى من اذاه ولا يجاذبه قال الله قل هو اذن

خيركم يؤمن للمؤمنين قال بعضهم يؤمن بالله اى يصدق بالله بما ينزل عليه من آياته يؤمن للمؤمنين اى يصدقهم فيما بينهم
من شهاداتهم وايمانهم على حقوقهم وفروجهم واموالهم ويحتمل قوله يؤمن بالله ويصدقه بما يخبره من سر المنافقين و
ما استكتموه منه من الكيد له والمكر به ويؤمن للمؤمنين بما يخبرونه من قبل اولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه
والايمان باخره والتصديق بجميع ما فيه والايمان له من خبره وحديثه وقوله ويؤمن للمؤمنين فيما يشهدون في الاخرة له
بالتبليغ اليهم كقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين او ان يكون قوله ويؤمن للمؤمنين اى يؤمن بالمؤمنين فيما
بينهم بالاخوة في الدين كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين وقوله عز وجل ورحمة للذين
امنوا منكم كان صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما استنقذهم من الكفر الى الايمان ومن الهلاك الى النجاة ويشفع لهم في الا
ايمانهم في الدنيا والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم في الاخرة بقية من الاية الاولى وقوله والغارمين جعل الله الغا
موضعا للصدقة وهو الذي عليه الدين والغرم من اى وجه لحقه على ذلك روى في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان
المسئلة لا تحل الا باحدى ثلاث من فقر مدقع او غرم مفظع والذي دم موجع وفي بعض الاخبار ان الصدقة لا تحل الا لخمس
العاملين عليها ورجل اشتراها وغارم او غاز في سبيل الله وروى عن الحسن والحسين وابن عمر وابن جعفر ان رجلا سألهم
شيئا فقالوا ان كانت مسألتك في احدى ثلاث فقد وجب حقك في فقر مدقع او غرم مفظع او دم موجع هذه الاخبار
كلها تدل على ان الغارم موضع للصدقة في دينه واكثر ان قيل في الخبر او غرم مفظع قيل الاختلاف بينهم او غرم مفظع
قيل الاختلاف بينهم فان من دينه غير مفظع فله ان ياخذ بقدر دينه من الصدقة فهذا يدل ان الذي روى في الخبر انما هو
لكراهة المسألة لا على التحريم وهكذا نقول ان المسئلة لا تحل له اذا كان غرمه غير مفظع ولكن يحل وضعه فيه واخذه له من
مسألة قوله في سبيل الله هو ما ذكرنا ان المنقطع عن ماله جعله الله موضعا للصدقة فان كان غنيا في مقامه للحاجة
التي بدت له وعلى ذلك روى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله
وابن السبيل او رجل له جار مسكين تصدق عليه فاهدى له وفي بعض الاخبار عنه ما ذكرنا قال لا تحل الصدقة الا لخمس
وفيه او فقير تصدق عليه فاهداها لغني وقد يكون الرجل غنيا بان يكون له دور يسكنها ومتاع بيته وثياب غيره على
الخروج في سفر غزو واحتاج من الات سفر وسلاح يستعمله في غزوه ومركب يغزو عليه وخادم يستعين بخدمته الى ما لم
يكن محتاجا اليه في حال اقامته فيجوز ان يعطى من الصدقة ما يستعين به في حوائجه التي يجدها لسفره فهو في مقامه غني بما
يملكه لانه غير محتاج حينئذ الى ما وصفنا وهو في حال سفره غير غني فيحتمل ان يكون معنى قوله لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله
على من كان غنيا في حال مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه لسفره لما احدث له السفر من الحاجة الا ترى ان الرجل قد يكون له من
المتاع لا يحتاج اليه والدابة لا يركبها فاذا صار ذلك ما يبلغ درهم لم يجز له ان ياخذ من الزكوة فان عرض له مرض او سفر فاحتاج
الى دابة ليركبها انه يخرج من الغنا بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له ان ياخذ من الصدقة عندنا لا يستغني عما هو له
وانما الغني من استغنى عما يملكه فكذلك الغارم على العرف قد يحدث له الحاجة الى اكثر مما يملك وصار ممن يجوز ان يعان وان
كان ملكه الذي كان به غنيا قبل ذلك لم ينتقص فهذا والله اعلم يحتمل وابن السبيل ايضا ما ذكرنا من الخبر ان لا تحل الصدقة لغني
الا لابن السبيل ومن ذكر معه وعلى ذلك اتفاق الامة وهو ما قيل المجتاز من ارض الى ارض وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في
قوله الا عابري سبيل هو المسافر وهو ما ذكرنا ان المنقطع عن ماله وان كان غنيا في مقامه والفقير الذي يجوز ان يعطى من
الصدقة روى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وجاء في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسأل عبد
ولا احد مسئلة وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيامة خدوشا او كدوحا في وجهه قال يا رسول الله وما يغنيه او ما اغناه قال
خمسون درهما وحسابها من الذهب وفي بعض الاخبار يقول من سال وله اربعون درهما فقد الحف وعن علي وعبد الله قالا لا تحل
الصدقة لمن له خمسون درهما او عوضها من الذهب وعن عمر كذلك وعن ابن عباس قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي
اربعون درهما مسكين انا قال نعم وفي بعض الاخبار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني
ولا لذي مرة سوي وفي بعض الاخبار لغني مكتسب وانما يحمل قوله لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي خرج عن الزجر عن التعرض
على الصدقة والمسئلة عليها الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لا تحل الا في احدى ثلاث فذكر احدها او فقر مدقع
فذلك يبيح لذي المرة السوي ان يقبل الا ترى ان الرجلين الذين سالا رسول الله قال لهما ان شئتما اعطيتكما فلو كان حراما عليهما ما
اعطاهما الحرام ولكن ذلك على الزجر عن المسألة وروى عن سلمان انه حمل الى رسول الله صدقة فقال لاصحابه كلوا ولم ياكل هو ولا يتوهم
متوهم ان اصحابه كانوا زمنى فهذا يبين ان النبي انما اراد الزجر عن المسألة والتعرض لها في حال الضرورة لا على التحريم لها وان من
اخذها وله قليل من ما يبلغ درهم او قيمتها ثم فيما يملك سدادا من عيش فذلك مكروه الا ترى انه روى عن الحسن انه كان اصحاب

رسول الله ياخذون الصدقة ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمة عشرة الاف درهم فهذا احسن والتعفف عنها احسن
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله وقوله لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب خير له
من ان يسال الناس شيئا اعطوه او منعوه وقوله عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم بما حلفوا عليه ذكر بعض اهل التاويل ان الاية نزلت
مشت اليهم يعني الى المنافقين فقالوا قد تخبرنا وما نزل فيكم حتى متى تكانوا يحلفون للانصار والله ما كان شيء من ذلك فاكذبهم الله
فقال يحلفون بالله لكم ما كان الذي بلغكم ليرضوكم بما حلفوا والله ورسوله احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث اطلع على ما
حلفوا وهم كذبة ان كانوا مؤمنين يقول ولكن ليسوا بمصدقين والاشبه ان تكون الاية نزلت في معاتبة جرت بين المؤمنين و
المنافقين باستهزاء كان منهم رسول الله او طعن فيه او استهزاء بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا على ذلك ليرضوا فقال الله
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين حقيقة ولكن ليسوا بمؤمنين واما ما قاله بعض اهل التاويل ان رجلا من المنافقين
قال والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال ما حملك على
الذي قلت فحلف والتعن ما قاله فنزل قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم هذا لو كان ما ذكر لكانوا يحلفون لرسول الله لا يحلفون
لهم دل ان الاية في غير ما ذكر ويذكر عن ابن عباس ان الاية نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك فجعلوا
يحلفون لرسول الله حين رجع انهم لا يتخلفون عنه ابدا وكذلك قال غيره من اهل التاويل ولكن لو كان ما قالوا لكانوا يحلفون
لرسول الله ويرضونه لا المؤمنين دل ان الاشبه ما ذكرنا وفيه وجوه احدها ان فيه دلالة تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم لعلمه
انه حيث اطلع عليه بما اسروا في انفسهم وكتموا من المكر به وانواع السفه والثاني ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة اليه لما
علموا انه يطلع على جميع ما يسرون عنه ويكتمونه والثالث تنبيه المؤمنين وتعليمهم منه بانه اذا وقع لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف
طلبا لرضاء بعضهم بعضا ولكن يتوبون الى الله ويطلبون به مرضاته وقوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر نفسه
ورسوله ثم اضاف الرضا الى رسوله بقوله احق ان يرضوه ولم يقل احق ان يرضوهما فهو والله اعلم لانهم اذا ارضوا رسوله رضي الله
عنهم وكان في ارضائهم رسوله ارضاء لله وهو ما ذكر انهم دعوا الى الله ورسوله ثم اضاف الحكم الى رسوله لانهم انما دعوا الى ان يحكم
الرسول بينهم وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه لان الخلاف والخيانة كان في حق الله وفي حق رسوله لم يكن في حق المؤمنين لذلك
قال والله ورسوله احق ان يرضوه من المؤمنين ثم ذكر مخادعة الله ورسوله ثم اقتصر على رضا رسوله لانهم لم يقصدوا قصد مخالفة
رسوله وان يكون ذكر رضاء احدهما لان في رضاء رسوله رضاء الرب كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله عز وجل الم
يعلموا انه من يحادد الله ورسوله في الاية دلالة انهم علموا انهم معاندين في صنيعهم وعلموا ان من عاند وكابر بغير حق فان له نار جهنم وقوله
يحادد الله يحتمل يبادد الله وقيل يحادد الله يشاقق الله ويخالف الله وهو واحد ثم وقوله الم يعلموا يخرج على وجهين احدهما اى قد
علموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر لكنهم عاندوا الخلاف والمحادة لهم مع علمهم والثاني اى اعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على الايجاب والالزام وقوله عز وجل ذلك الخزي العظيم يحتمل وجهين
يحتمل الخزي اى الفضيحة العظيمة في الدنيا ويحتمل ذلك الخزي العظيم في الاخرة اى نار جهنم خزي عظيم وقوله عز وجل يحذر المنافقين
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحتمل قوله يحذر المنافقون اى الحق عليهم ان يحذروا لما اطلع الله رسوله مرارا ما اسروا
وكتموا ويحتمل على الخبر انهم كانوا يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم لكثرة ما اطلع الله ورسوله من سرائرهم و
سفههم وقوله عز وجل قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون فهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد يقول استهزءوا فان الله
مظهر ومبين ما اسررتم وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه وقوله عز وجل ولئن سالتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب ذكر السؤال ولم يبين مم سالهم ولكن في الجواب بيان ان السؤال انما كان عن الاستهزاء حيث قال قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون ذكر ان نفرا من المنافقين كانوا اختفوا في بعض الطريق لينفر رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلونه فاطلع الله
نبيه على اجماعهم في ذلك انه لماذا فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التاويل ان النبي لما رجع
من غزوة تبوك بينا هو يسير اذا هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزءون فاطلع الله رسوله انهم يستهزءون بالله وكتابه
ورسوله فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقيل بغير ذلك وقيل ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض اى لو
سالتهم ما تقولون فيقولون لك ما نخوض فيه الركب اذا ساروا وليس لنا الى معرفة كيفية استهزائهم حاجة ولا ما بينه سوى ان
نبا ذكرنا من خبر المنافقين تنبيه المؤمنين وتحذيرهم ليحذروا اسرار ما لم يظهروا على السنتهم ليعلموا ان الله مطلع على ما يسرون و
يضمرون وقوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون قوله ابالله يحتمل الاضافة الى نفسه اضافة الى انفس المؤمنين لانه لا
احد يقصد قصد الاستهزاء بالله ولكنهم كانوا يستهزءون برسول الله وبالمؤمنين فاضاف الى نفسه كقوله يحادون الله وكذلك قوله
ان تنصروا الله الاية فعلى ذلك الاول كانوا يستهزءون برسول الله وبالمؤمنين واضاف الله الى نفسه تعظيما لهم واكراما وقوله واياته
يحتمل انهم كانوا يستهزءون بالاحكام التي لها ايات فاستهزءوا بتلك الاحكام فاضاف الاستهزاء الى الايات كقوله ولا تمسكوا بعصم

منها الاية ولا تتخذوا ايات الله هزوا ام لم يتخذوا ايات الله هزوا ولكن هزوا بالاحكام التي لها ايات اضاف الهزو الى اياته ولكن
من استخف بحكم من احكام التي لها ايات كان ذلك استخفافا باياته والله اعلم وقوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اي لا تعتذروا
فانه لا يقبل اعتذاركم لما لا عذر لكم فيما تعتذرون بعد ما قلتم انه اذن لما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم اخبانه لا نصدقكم فيما اعتذروا والماظهر كذبهم وتبين خلافهم وقوله وقد
كفرتم بعد ايمانكم يحتمل كفرتم في الباطل بعد ما اظهرتم بالشان ويحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم حقيقة قد كفروا بعد ما امنوا وقوله
عز وجل ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة قال بعضهم قوله ان نعف عن طايفة وذلك ان المنافقين قد آمن منهم بعد النفاق
وتاب فاخبر انه ان يعف عنهم يعذب الطايفة الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل ان يعف عن طايفة منكم يعذب طايفة لان المنافقين
من قد ماتوا على الايمان ومنهم من قد ماتوا على الكفر فوعد العفو عن مات على الايمان كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
اخبر انه ان شاء تاب عليهم فقوله ان نعف عن طايفة منكم الطايفة التي يتوب عليهم وقوله قل ابالله واياته ورسوله يحتمل وجهين
احدهما على الايجاب اي يفعلون بالله ورسوله ذلك ويحتمل على التوبيخ والتوبيخ اباالله ويفعلون هذا والله اعلم وقوله عز وجل
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ذكر في اهل الايمان بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض وذكر في الكافرين الولاية لبعضهم ببعض بقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وقال في المنافقين بعضهم من بعض فهو والله
اعلم ان لاهل الايمان دين يدينون به ويتناصرون ويدعون الناس اليه واهل الكفر يدينون ايضا بدين ويتناصرون به ويتعاونون
بعضهم بعضا فصار لكل واحد من الفريقين موالات فيما بينهم موالاة الدين واما المنافقون فانه لا دين لهم يدينون به ولا مذهب
ينتحلون ولا يناصر بعضهم بعضا ولا يعاون بعضهم ولا يجري بينهم التناصر والتعاون فاعماصادالنعمة والسعة مالو احتجتم الى
النعمة والسعة فلا موالات فيما بينهم لما ذكرنا وفي قوله المنافقات دلالة ان من نافق بالتقليد لاخر او كفر بالتقليد لاخر ونافق
لا بتقليد سواء في استيجاب الاثم والتعذيب في ذلك والوعيد لان النساء من اتباع واهل تقليد الرجال ثم سوى بينهم وبين
النساء في الاثم والوعيد وقوله عز وجل يامرون بالمنكر يحتمل قوله يامرون بالمنكر اي ما ينكره العقول وهو الشرك بالله والخلاف
له وينهون عن المعروف اي ينهون عما يعرفه العقول ويستحسنه وهو التوحيد لله والايمان به ويدخل في ذلك كل خير وحسن وفي
المنكر يدخل فيه الشرك وكل معصية وقوله عز وجل يقبضون ايديهم قيل يقبضون ايديهم من الانفاق في سبيل الخير لكن يحتمل
ان يكون على التمثيل لا على تحقيق قبض اليد ولكن على كف النفس ومنعها من الاشتغال بالخيرات وخوضها فيها وفي جميع الطاعات
لكنه ذكر باليد لما بالايدي يعمل بها وبها يكتسب الخيرات والسيات كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وذلك
ما لم يقدم الايدي ولا كسبت انما ذلك كسب القلب لكنه ذكر اليد لما ذكرنا انه باليد ما يقدم وبها يقبض في الشاهد وجاز ان
يكون ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة انفاقهم في الجهاد كقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله عز وجل نسوا الله
فنسيهم قيل جعلوا الله عز وجل كالشي المنسي لا يذكرونه ابدا فنسيهم اي جعلهم كالمنسيين في الاخرة من رحمة لا ينالونها ويحتمل نسوا الله
اي نسوا نعم الله التي انعمها عليهم فلم يشكروها فنسيهم على المجازاة لذلك وان لم يكن نسيا كما سمي جزاء السيئة سيئة وان لم يكن
الثاني سيئة وان لم يكن الثاني سيئة فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازاة النسيان وان لم يحتمل النسيان والثالث نسوا الله اي سوال
المعونة والفرج والسوال التوفيق فنسيهم الله اي لم ينصرهم ولم يوفقهم وقوله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون فان قيل اسم
النفاق اشر واقبح من اسم الفاسق فما معنى ذكر الفسق لهم فهو والله اعلم لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين باللسان فاخبر انهم ليسوا على
ما اظهروا والله اعلم وان يكون اسم النفاق اشر واقبح عند الناس من اسم الفسق فعندهم يحتمل ان يكون اسم الفسق اكبر في القبح او
سماهم فاسقين لما ان كل اهل الاديان يانفون عن النسبة الى الفسق والتسمية به وان يكونوا يعلمون في انفسهم انهم اهل نفاق ولا
يعرفون انهم فسقة واصل الفسق هو الخروج عن امر الله وقوله عز وجل وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم وعد لهم
نار جهنم كان جهنم هي المكان الذي يعذبون فيه والنار فيه بها يعذبون خالدين فيها هي حسبهم اي هي حسبهم جزاء لصنيعهم
يقول الرجل لاخر حسبك كذا اي كفاك ذلك جزاء لك وقوله ولعنهم الله قيل اللعن هو الطرد في اللغة اي طردهم عن رحمته ولهم
عذاب مقيم لا يفارقهم البتة وقوله عز وجل كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اي هؤلاء المنافقين والكفرة كالذين من
قبلكم ولم يبين كاولئك فيما زاد لكن يحتمل قوله كالذين من قبلكم اي صرتم الى العذاب كالذين صاروا من قبلكم وكانوا اشد منكم
قوة وبطشا واكثر اموالا واولادا وفي الشاهد انما يدفع العذاب او العقوبة بهذا وبه يتناصر بعضهم من بعض ثم لم يقدروا على دفع
ذلك عن انفسهم فانتم دونهم في القوة وما ذكر كيف تقدرون على دفع ذلك هذا قد قيل وقيل كالذين من قبلكم اي صرتم ما اختاروا
من الاعمال كما صاروا وتلك ما اختاروا من الاعمال وكل انواع الخلاف لله وتكذيب الرسل وتعاطي لا يحل فصرتم انتم كما صار واحدهم
فاستمتعوا بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل انتفعوا بخلاقهم اي اكلتم انتم الدنيا بدينكم كما اكل اولئك الدنيا بدينهم وقيل
فاستمتعوا بخلاقهم اي بنصيبهم من الدنيا بقدر ما شاوا لا الاخرة والخلاق النصيب كقوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة اي لا نصيب لهم

وقال ابو هريرة

وقال ابو هريرة الخلاق الدين وكذلك قال الحسن في قوله بخلاقهم اي بدينهم وقوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا اي خضتم
انتم في الباطل والتكذيب كالذي خاض اولئك من الامم الخالية قال ابو عبيدة قوله خضتم اي لعبتم بالذي خاضوا اي لعبوا بالتكذيب
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة فلا ثواب لها في الدنيا والاخرة لانها كانت في غير ايمان فثواب الاعمال انما يكون في الاخرة
بالايمان واولئك هم الخاسرون خسرانا بينا وبطلان اعمالهم في الدنيا لما يقبل واحد من الفريقين من المؤمنين والكفار صنيعهم لانهم
يرون منا انفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا كذلك مع واحد من الفريقين كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وقوله
عز وجل الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الى اخره يحتمل هذا وجهين احدهما قوله الم ياتهم اي قد اتاهم خبر الذين من قبلهم
وما حل بهم وما انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم في قتلهم واهلاكهم وهم من جنس انفسكم واشد قوة وبطشا منكم وانتم
تقلدونهم في ذلك ثم حل بهم ما حل بتكذيبهم والخلاف لهم فانتم دونهم في كل شي واقل منهم في القوة والبطش اولى بذلك ان يصيبكم
ويحتمل قوله الم ياتهم نبا الذين من قبلهم اي ياتيهم نبا الذين من قبلهم وما حل بهم كقوله الم تركنا اي سترى فعلى ذلك هذا
يحتمل وهو حرف وعيد يحذرهم ما حل باولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم وقوله عز وجل والمؤتفكات اتتهم رسلهم قال اهل التاويل
هي قريات لوط سميت مؤتفكات اي منقلبات قال القتبي ائتفكت اي انقلبت وقال ابو عوسجة المؤتفكات هي من الافك وهو الصرف اني
يؤفكون اي يصرفون وقال بعضهم المؤتفكات المكذبات اتتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم فاهلكوا وهو من الانقلاب كانه
اشبه والله اعلم وقوله عز وجل فما كان الله ليظلمهم بتعذيبهم اياهم ولا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك العذاب ولكن
هم ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاءهم من البينات والبراهين وقوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض يحتمل قوله بعضهم اولياء بعض على الايجاب والاخبار ان الدين الذي اعتقدوا وتمسكوا به يوجب لهم الولاية و
يصير بعضهم اولياء بعض كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الاية وقوله انما المؤمنون اخوة ونحو في اخوة الدين وقد
ويحتمل قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض على الامر اي اتخذوا بعضهم اولياء بعض ولا تتخذوا غيرهم اولياء
كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نهى المؤمنين ان يتخذوا اولياء
من غيرهم فكانه امر ان يتخذ المؤمنون بعضهم بعضا اولياء ولا تتخذوا من غيرهم ثم يحتمل الولاية وجهين ولاية روحانية
وهي ولاية في الدين توجب مراعاة حقوق تحدث بالدين الذي جمعهم واحفظها والثانية ولاية نفسانية وهي الولاية
التي تكون في الانفس والاموال من نحو ولاية النكاح والميراث وغيره فهذه الولاية هي الولاية النفسانية التي كانت بالرحم و
النسب فاذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية ثم وهي الولاية نفسها وولاية الروحانية هي المحبة والمودة فيجب مراعاتها
بالدين وتعاهده وهذا كما تقول حيوة روحانية وحيوة جسدانية وحيوة الروحانية هي العلم والادب يرى اشياء ويعرفها
بعد وحيوة الجسدانية وهي الروح الذي به يحيى الجسد وبذهابه يموت الجسد والله اعلم وقوله عز وجل يامرون بالمعروف
يحتمل المعروف الذي يوجبه العقول وهو التوحيد لله والايمان به وينهون عن المنكر اي ينهون عما ينكره العقول وهو الشرك بالله
والتكذيب له وهذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فيما بين الكفرة يامرهم المؤمنون بذلك ويدعونهم الى ذلك وينهاهم
عن ضد ذلك وان كان فيما بين المؤمنين فهو امر شرع يامر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما لم يجئ به الشرع او يامر بعضهم
بعضا بكل خير وبر وينهى عن كل شر ومعصية ويقيمون الصلوة ويطيعون الله ورسوله في كل امر ونهيه اولئك سيرحمهم الله
وعدان يرحمهم ان الله عزيز حكيم قيل حكيم يرى انا دعوه في كل شي حكيم يرى المراد حكمته وتدبيره في كل شي وقوله عز وجل وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ومساكن طيبة في جنات عدن وقوله عز وجل ورضوان
من الله اكبر اي رضاء الله عنهم اكبر من كل ما اعطاهم لان فيه حيوة الروح ولذته وما اعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة في حيوة
الجسد ولذته وحيوة الروح ارفع واكبر من حيوة الجسد لانه لا يؤثر زيادة في الجسد وكذلك العز والحمد وذكر الحسن فيه حيوة
الروح ولذته اذ ليس فيه زيادة في الجسد انما هو فرح وسرور يدخل فيه واذا اصابه شي من الذل وسمع مكروها حزن واهتم
من غيران يتالم جسده او يجد المامشقة في نفسه وذلك لما اصاب روحه لم يصب جسده واصله ان العمل في الدنيا لطلب رضاء
الله ورضيا به اكبر من العمل يطلب ثوابه لان العمل يطلب رضاء امر عليه والعمل لطلب الثواب امر له فالذي قام باداء ما عليه اعظم
درجة واكبر فضلا من الذي قام بعمل ماله لان كل احد يعمل ماله وله فيه نفع والاكل احد يعمل لغيره لذلك كان ما ذكر وقوله
عز وجل ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل وقوله عز وجل يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم يحتمل الامر بالجهاد الفريقين جميعا جهادا بالسيف ويحتمل المجاهدة بالحجج والبراهين والفريقين جميعا ويحتمل ايضا
الامر بالمجاهدة الكفار يجاهدهم بالسيف ويغلظ القول ويشدده على المنافقين ويقيم عليهم الحدود فان كان على مجاهدة
الفريقين جميعا بالسيف فهو والله اعلم في المنافقين الذين انفصلوا من المؤمنين وخرجوا من بين اظهرهم واظهروا الخلاف
للمؤمنين بعد ما اظهروا الموافقة لهم فاما هؤلاء يجاهدون بالسيف ويقاتلون به وهو كقوله لئن لم ينته المنافقون الى قوله

ملعونين الاية اخبر انهم يوخذون ويقتلون اينما وجدوا فيشبه ان يكون الاية فى الامر بالجهاد فى هؤلاء المنافقين ويحتمل
وجها آخر وهو ان المنافقين كانوا يطعنون فى رسول الله ويعيبون عليه فاطلع الله رسوله على ذلك وهم قد علموا ان الله اطلعه
على ما يطعنون فيه ويذكرون بسوء فيقول والله اعلم جاهدهم اذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك وان كان الامر على الجاهد
مجاهدة بالحجج فهو صلى الله عليه وسلم قد كان حاج الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة براءة انما انزلت فى محاجة المنافقين ويحتمل
الامر بالجهاد فى الكفار خاصة وفى المنافقين تغليظ القول والتشديد واقامة الحدود والذى ذكرنا والتعزير اذا ارتكبوا شيئا مما
يجب فيه الحد والتعزير والله اعلم بذلك لما قاموا بين اظهر المؤمنين مظهرين لهم الموافقة **وقوله** عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر قال بعض اهل التاويل الاية نزلت فى شان رجل منافق قال يوما والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
فسمعه ذلك غلام وهو ربيب ذلك القائل فقال له تب الى الله وجاء الغلام الى النبى فاخبره فارسل اليه النبى فاتاه فجعل يحلف
ما قال ذلك فنزلت الاية فيه يحلفون بالله ما قالوا لكن غير هذا كانه اشبه لان الاية ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل لئن
كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا القول نفسه ليس هو كلام ذم بنفسه وبعد ان فى الاية يحلفون بالله فهو
قول جماعة وقيل نزل فى شان عبد الله بن ابى قال لاصحابه فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك وقال لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاخبر النبى بذلك فدعاه فساله فجعل يحلف بالله ما قاله لكن يشبه ان يكون الاية
صلة قوله لئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية كانوا يستهزؤن بالله وباياته وبرسوله والاستهزاء بذلك كفر وان
قالوا قول كفر لم يبين لنا ذلك فلا نفسر انهم قالوا لكن ما ليس لنا الى معرفة ذلك القول الذى قالوه حاجة **وقوله** عز وجل وكفروا
بعد اسلامهم يحتمل كفروا بعد ما اسلموا اسلام حقيقة ويحتمل قوله بعد ما اظهروا الاسلام اى رجعوا عما اظهروا من الاسلام
وفى الاية دلالة ان الاسلام والايمان واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وقال فى اية اخرى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منهم ثم قال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال فى اية اخرى كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا فدل ان الاسلام والايمان
واحد **وقوله** عز وجل وهموا بما لم ينالوا قيل هموا بقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا به وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم
اسروا ما هموا به ثم اخبر عن ذلك وهو غيب دل انه بالله علم بذلك **وقوله** عز وجل وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من
فضله قال بعض اهل التاويل ان الرجل الذى قال ذلك تاب عن ذلك فقبل منه ذلك وكان له قتيل فى الاسلام فوداه رسول الله
فاعطاه ديته فاستغنى بذلك وقال ابن عباس رضى الله عنه وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله كان رسول الله
يعطى المنافقين من الغنايم والصدقات يقول ما نقموا الا اعطاء رسول الله من الغنيمة والصدقة وقوله نقموا قال بعض اهل الادب
ابو معاذ وغيره نقموا اى طعنوا فيه لغتان نقموا بالخفض ونقموا بالنصب يقال نقم ينقم ونقم ينقم بكسر القاف فهو والله اعلم يقول
ما طعنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكروه بسوء الا ان اغناهم الله لانهم لو كانوا اهل فقر وحاجة ما اجترؤا على الطعن على رسول الله
وما ذكروه بسوء ولكن طعنوا عليه لما اغناهم الله ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما عاملهم رسول الله معاملة الكرام وبسط
اليهم حتى قالوا انه اذن يقبل العذر فذلك الذى حملهم على الطعن **وقوله** عز وجل فان يتوبوا يك خيرا لهم فيه ان المنافق يقبل منه
التوبة وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما يحتمل قوله تولوا بعد ما اسلموا ويحتمل قوله اى داموا على الكفر والنفاق يعذبهم
عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بما ذكرنا فى الدنيا الامر بالجهاد والقتل والخوف هذا التعذيب فى الدنيا والتعذيب فى الاخرة ظاهر
وقوله عز وجل وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير قد ذكرنا هذا فى موضع غير هذا **وقوله** عز وجل وما لهم فى الارض ومنهم من
عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن قال بعضهم نزلت الاية فى ثعلبة بن حاطب سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله
ليرزقه مالا وقال لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ومنهم من قال انها نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة انه كان
له اموال فى الشام فقال لئن اتانى تلك الاموال لاصدقن واكن من الصالحين فقد اتاه الله تلك الاموال فبخل ومنع ما وعد و
منهم من قال نزلت فى المنافقين جملة ليست فى شان واحد مخصوص مشار اليه ولكن فى المنافقين جملة وهكذا كانت عادتهم
انهم اذا وعدوا شيئا اخلفوا ولم يوفوا الوعد ثم يحتمل قوله ومنهم من عاهد الله انه كان منافقا وقت ما عاهد الله لئن اتانا من
فضله لنصدقن ويحتمل انه لم يكن منافقا فى ذلك الوقت لكنه صار بما بخل وكذب واعتقد الخلاف واستحل الخلف لما وعد منا
فان كان انما صار منافقا بالبخل واستحلاله والمنع فيكون قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى صار فى قلوبهم نفاقا وان كانت
منافقا فى ذلك الوقت فيكون قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى اعقبهم الدوام على النفاق الى يوم القيامة بخلفهم ومنعهم
ما عدوا فيكون هذا كقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات الاية وفى قوله ومنهم من عاهد الله الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه
دلالة ان النذور يلزم اهلها ويجب الوفاء بها ويواخذون بها ان تركوا الوفاء ويكفرون ان استحلوا نقض ما عهدوا **وقوله** عز وجل ولنكونن من الصالحين قال بعضهم من المؤمنين فهو على تاويل من قال انه كان منافقا وقت ما عاهد ويحتمل ولنكونن من
الصالحين اى من الشاكرين وكذلك ذكر فى الخبر ان ثعلبة لما سال رسول الله ان يسال الله له مالا فقال له قليل تؤدى شكره خير

من كثير لا تؤدى حقه اوكلام من نحو هذا **وقوله** فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يحتمل تولوا عن وفاء ما وعدوا وتولوا
عن طاعة الله وهم معرضون عما وعدوا وعهدوا ان يوفوا **وقوله** عز وجل فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه قال بعضهم انابهم نفاقا
بما بخلوا الى يوم القيامة وقال بعضهم اعقبهم الدوام على النفاق بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ينبغى للمسلم ان يجتنب الكذب
والخلف فى الوعد فانه سبب النفاق او نوع من النفاق وعلى ذلك روى فى الخبر ان اجتنبوا الكذب فانه باب من النفاق وعليكم بالصدق
فانه باب من الايمان وفى بعضها عن النبى صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا من اذا حدث كذب واذا وعد غدر واذا خاصم فجر
وفى بعضها واذا ائتمن خان فان قيل ان اولاد يعقوب ائتمنوا فخانوا وحدثوا فكذبوا بقولهم اكله الذئب ووعدوا فاخلفوا فترى
انهم نافقوا قيل ما روى ان من اذا حدث كذب اى كذب فى امر الدين واما الكذب فى غير امر الدين فانه لا يوجب النفاق وفى الاية دلالة
ان لا ينبغى بالسؤال شيء على غير طلب الخيرة فى ذلك من الله الا ترى ان ثعلبة لالح على رسول الله فى السؤال ان يسال ربه ليرزقه مالا
ففعل فاعقبه الله النفاق الى يوم القيمة ولان اولاد يعقوب قد قدموا التوبة والاصلاح قبل صنيعهم الذى صنعوا على خوف
منهم بما فعلوا فلم يصيروا منافقين واصله ان اعتقاد الكذب واستحلال الخلاف لما عهد والخلف فى الوعد هو الموجب للنفاق فاما ترك
فعل الوفاء على غير استحلال منه فلا يوجب ما ذكر والله اعلم **قوله** عز وجل الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم يحتمل هذا وجهين ان قد علموا
ان الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله على ما اسروا من الخلاف له وذكرهم السوء فى رسول الله والثانى الم يعلموا اى الم يعلموا
ان الله يعلم سرهم ونجواهم يطلع رسوله على سرهم ونجواهم فتركوا الطعن فى رسول الله وذكر السوء فيه والخلاف له **وقوله** عز وجل و
ان الله علام الغيوب اى علام الغيوب او علام بما يكون التى غاب من الخلق والا ليس شيء يغيب عنه ما غاب عن الخلق وما لم يغب
عنهم يحل واحد او علام الغيوب او علام بما يكون ابدا فى الاوقات التى يكون وفيه دلالة انه لم يزل عالما لان علم الغيب هو ما علم
انه يكون لا ما علم وهو كاين دل انه كان لم يزل عالما لما ذكرنا **وقوله** عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الاية
يشبه ان تكون الاية صلة قوله ومنهم من عاهد الله الى قوله وتولوا ان اهل النفاق كانوا اهل بخل لا ينفقون الا رياء وسمعة و
فظنوا بمن انفق من المسلمين وتصدق ظنا بانفسهم فقالوا انهم انفقوا وتصدقوا رياء وسمعة ذكر فى بعض القصة ان عبد الرحمن بن عوف
اتى بنصف ماله فى غزوة تبوك يتقرب به الى الله وقال يا نبى الله هذا نصف مالى اتيتك به وتركت نصفه لعيالى فدعا له نبى الله ان
بارك فيما اعطى وفيما امسك فلمزه المنافقون وقالوا ما اعطى الا رياء وسمعة وجاء رجل اخر من فقراء المسلمين بصاع من تمر فنثره
فى تمر الصدقة فقال له نبى الله خيرا ودعا له فقال المنافقون ان الله لغنى عن صاع هذا فذلك لمزهم فانزل الله تعالى الذين يلمزون
المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم يعنى الذى جاء بصاع قال القتبى الذين يلمزون المطوعين اى يعيبون
المتطوعين بالصدقة والذين لا يجدون الا جهدهم اى طاقتهم والجهد الطاقة قال والجهد المشقة وقال ابو عوسجة الجهد انفاق الرجل
من الشيء القليل يقال الجهد الرجل اذا كان من الضعفاء ومن الفقراء ويقال الجهد فى العمل يجهد جهدا فهو اذا بلغ فى العمل قال ابو عبيد الجهد بالضم
الوسع والجهد الطاقة وكذلك قال ابو معاذ وفى الاية معنيان احدهما دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه معلوم ان ما كان منه من اللمز لم
يكن ظاهرا ولكن كان سرا ثم اخبرهم رسوله بذلك دل انه انما عرف ذلك بالله والثانى ان الامور التى فيما بين الخلق انما ينظر الى ظواهرها
وان كان فى الباطن على خلاف الظواهر حيث عوتبوا بما طعنوا فيهم بالرياء والسمعة ليعلموا ان الامور التى فيما بين الخلق تحمل على ظواهرها
ولا يشتغل فيها الى غير ظاهرها والحقيقة هو ما بطن والسرائر بمخلص العمل لله والسر هو ما يسر المرء فى نفسه والنجوى هو اجتماع جماعة
على نجوة من الارض اى المرتفع من المكان **وقوله** عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم قال بعضهم ان من اعتذر الى اخر فيقبل عذره
على علم من المعتذر اليه انه لا عذر له فيما يعتذر اليه وانه كاذب فى ذلك فقبول المعتذر اليه ما يعتذر من المعتذر اليه الى المعتذر
وقال بعضهم قوله سخر الله منهم اى يجزيهم جزاء السخرية فسمى جزاء السخرية باسم السخرية وان لم يكن الجزاء سخرية كما سمى جزاء السيئة سيئة
وان لم تكن الثانية سيئة وكذلك سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثانى اعتداء فعلى ذلك سمى جزاء السخرية سخرية وان لم يكن
سخرية ويحتمل قوله سخر الله منهم اى سخر اولياء الله منهم فاضيف اليه وكذلك يحتمل قوله الله يستهزئ بهم اولياؤه وقوله ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا فذلك استهزاءهم بهم وذلك جايز فى اللغة اضافة الشيء الى اخر والمراد منه غير المضاف اليه **وقوله** عز وجل
استغفر لهم او لا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عامة اهل التاويل انه لما مات عبد الله بن ابى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يصلى عليه فاخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال ما امرك الله بهذا قال استغفر او لا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال قد خيرنى
ربى فقال افعل او لا تفعل وفى بعض الروايات قال له عمر لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر فلا استغفر احد وسبعين مرة
او كلام نحو هذا فانزل الله عند ذلك سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا يبعد بفهم رسول الله من الاية التخيير
وعمر يمنعه عن ذلك ولا يجوز ان يفهم التخيير فى ذلك او يخرج ذلك على التحديد ويكون هذه منسوخة بالتى فى المنافقين لانه وعيد و
الوعيد لا يحتمل النسخ والوجه فيه والله اعلم ان استغفرت لهم فان استغفارك ليس بالذى يرد فلا يجاب لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله
وقد تعلم من حكم الله انه لا يغفر من مات على ذلك يخرج على الاعتذار لرسوله فى ذلك والنهى له عن الاستغفار لهم كقوله ما كان للنبى والذين امنوا

ان يستغفروا ولو كانوا اولى قربى وقد علم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلع رسوله على كفرهم فدل انه بعد العلم بذلك نهاه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له لانه اخبر انه لا يغفر لهم بالكفر بالله ورسوله فدل ان من لم يكفر بالله ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر فدل انه ما ذكرنا ثم طلب المغفرة من الله والشفاعة لغير يحتمل ان لا يكون الا للخواص من الخلق وهم الرسل والانبياء على ما يكون في الشاهد لا يرفع الى الملوك الارض الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون الا لاهل الشرف عندهم والمنزلة لكن الله تعالى اذن لنا في استغفار غيرنا بقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم يحتمل قوله عليهم اي سواء عندهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استهزاء منهم له حيث قال سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يخرج قولهم فاستغفر مخرج الاستهزاء على هذا التاويل ويحتمل قوله سواء عند الله استغفرت لهم فانه لا يغفر لهم بكفرهم بالله ورسوله ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة يحتمل ذكر السبعين لان السبعين هو النهاية والغاية في الاستغفار على ما روي انه كان يستغفر في كل يوم سبعين استغفارا فاخبر انك وان انتهيت النهاية فيه لا يغفر لهم ولا ينفعهم ذلك وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الفاسقين وقت اختيارهم الفسق او لا يهديهم طريق الجنة في الاخرة لفسقهم في الدنيا اذا ماتوا على ذلك وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الاية جمعوا اعني المنافقين جميع خصال الشر التي فعلوا احدها ما ذكر من فرحهم بالتخلف عن رسول الله والثاني كراهتهم الجهاد مع رسول الله وبخلهم باموالهم والثالث صدهم الناس عن الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم لا تنفروا في الحر جمع الله جميع خصال المنافقين في هذه الاية وقوله فرح المخلفون ذكر المخلفون وهم كانوا متخلفين في الحقيقة لكنه يحتمل وجهين يخلفون خلفهم الله لما ذكر ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وانهم يبغون الفتنة خلفهم عن ذلك كقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اجلسهم فعلى ذلك يخلفون خلفهم الله لما علم ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا ويحتمل يخلفون خلفهم اصحاب رسول الله لانهم لو ارادوا وان يخرجوهم كرها لقدروا واصل ذلك انهم كانوا المخلفين من هذا الوجه لما لو ارادوا والحاجهم اخرجوهم وان كانوا متخلفين في الحقيقة وقوله بمقعدهم خلاف رسول الله اي مخالفة رسول الله وقرئ خلف رسول الله اي في حال بعقب وهم بعد خروج رسول الله وقوله بمقعدهم يحتمل القعود اي بقعودهم خلفه ويحتمل بمقعدهم اي موضع مقعدهم وهو منازلهم واوطانهم وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم بخلهم وخلافهم الذي في قلوبهم وقوله عز وجل لا تنفروا في الحر هذا في الظاهر يخرج على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن لم يكن ارادوا ذلك انما ارادوا حبسهم عن الخروج في سبيل الله لكن المؤمنون لا يشتغلون عن الخروج في سبيل الله اذا قالوا لهم مطلقا لا تنفروا في الحر وهو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يجبنون المؤمنين عن الخروج الى العدو وكانوا يحتالون في منعهم المؤمنين عن الخروج في سبيل الله ولو اطلقوا القول في المنع وصرحوا لفهم المؤمنين ذلك ويظهر نفاقهم وجائز ان يكون قولهم لا تنفروا في الحر قالوا ذلك لاتباعهم لا للمؤمنين كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى وقوله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اي لو كانوا يفقهون ما انزل على رسول الله لعلموا ان نار جهنم اشد حرا من حر الدنيا او لو كانوا يفقهون انهم لم يخلقوا في الدنيا للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم ليعلموا ان الوعود في الاخرة اشد مما امتحنوا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور والبكاء كناية عن الحزن يقول فرحوا وسروا قليلا ويحزنون في الاخرة طويلا كثيرا وامكن ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا يضحكون ويستهزون بالمؤمنين في الدنيا يقول ضحكوا قليلا لان الدنيا قليلة تنقطع ويبكون كثيرا في الاخرة لانها لا تنقطع جزاء بما كانوا يكسبون وقوله عز وجل فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك دل قوله رجعك الله الى طائفة منهم ان ليس كل من تخلف عنه في ذلك فهو منافق ولا كل المنافقين استنفروا وتخلفوا عنه وقوله عز وجل فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا الا انه اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا فيقول لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة اي عوقبوا بالقعود اول مرة لنفاقهم وقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا اي لن اذن لكم ان تخرجوا معي ابدا ولن اذن لكم ان تقاتلوا معي ابدا ويحتمل لن تخرجوا اي وان اذنت لكم بالخروج فلن تخرجوا ابدا فاقعدوا مع الخالفين قيل مع المتخلفين وهم المنافقون ما ذكر ويحتمل ان اقعدوا مع اصحاب الاعذار وقال بعضهم مع النساء والرجل وهو واحد وقوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا يعني المنافقين ولا تقم على قبره ذكر في بعض القصة انه لما مات عبد الله بن ابي جاء ابنه الى رسول الله فقال يا رسول الله ان ابي مات واوصانا ان يكفن في قميصك وان تصلي عليه فخلع النبي قميصه فاعطاه ومشى فصلى وقام على قبره وروي في بعض الاخبار انه صلى عليه والبسه قميصه وقيل له تلبس عدو الله قميصك وقال اني لارجو ان يسلم بقميصي من قومه الخزرج الف فذكر انه لما فعل ذلك اسلم الف رجل من المنافقين وروي انه يصلي عليه فلا ندري كيف كان الامر بعد ان جاء النهي عن الصلوة على المنافقين بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم فسقة وانهم

الكفر اقبح وادوم لكنهم جمعوا مع الكفر انواع الفسق ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذي يذهبون اليه انما اعتقدوا هواهم انما الفسق ما يحرمه كل مذهب ودين وكل يانف عن الفسق ويتحاشاه ولا كذلك الكفر لان كل من آمن بشيء كفر بضده واصل الفسق هو الخروج عن الامر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم في الدنيا قال بعضهم من اهل التاويل انه على التقديم والتاخير كانه قال ولا تعجبك اموالهم واولادهم في الدنيا انما يريد الله ان يعذبهم في الاخرة وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح وقد ذكرنا الوجه الذي يدل على نقض قولهم فيما تقدم ويحتمل قوله انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وهو القتال والخوف التي امروا فيها ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وهو التعذيب الذي ذكر لانهم يصيرون مقتولين وقوله عز وجل وتزهق انفسهم قبل تذهب وتهلك وهم كافرون وقوله عز وجل واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله اي اذا انزلت سورة فيها ان امنوا بالله لا انها تنزل سورة بهذا الحرف ولكن فيها ذكر ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وقوله ان امنوا بالله بقلوبهم لانهم تظاهروا بالايمان باللسان وهم لم يكونوا مؤمنين بالله حقيقة وقوله عز وجل استاذنك اولوا الطول منهم قيل اولوا الطول هم اهل الغنى والسعة وقيل اولوا الطول اهل الفضل والشرف الذين كانوا يصدرون لارائهم وينظرون الى تدبيرهم وقد كان في اهل النفاق اهل السعة والغنى واهل النظر والتدبير وقوله عز وجل وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم لما كانوا لا يزالون اهل الكفر يكرهون القتال مع الاولياء او كانوا يتخلفون ويشتغلون عن الخروج الى القتال واما اهل الايمان فانهم انما يعملون للعواقب وكذلك اهل الكفر انما يقاتلون اهل الايمان اما غنيمة في العاقبة يتاملون لكنهم كانوا يستاذنون القعود ويكونون مع القاعدين يريدون من انفسهم ان لهم العذر في القعود ثم قوله ذرنا نكن مع القاعدين يحتمل مع القاعدين من الضعفاء والزمنى والصبيان حتى اذا نام العدو من بعد ما خرج الرجال منهم الى قتال العدو ويقومون لدفع العدو عن هؤلاء او يكون قولهم ذرنا نكن مع القاعدين من اهل العذر يرون انفسهم انهم اهل العذر ولم يكن لهم عذر في ذلك كقوله ان بيوتنا عورة وما هي بعورة الاية فعلى ذلك الاول يحتمل هذا وقوله عز وجل رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل مع النساء فهذا حرف تعيير وتوبيخ اي رضوا بان يكونوا في مشاهد النساء دون مشاهد الرجال وقوله عز وجل وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ان للايمان نورا يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر عن القلوب وعن الامور لنورها بادية ظاهرة وللكفر ظلمة تستر الظاهر من الامور والبادي منها فتستر تلك الظلمة قلبه فذلك الطبع وقد ذكرنا الوجه فيه في غير موضع والله اعلم فهم لا يفقهون ما لحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره منع تلك الظلمة ان تعرف الاشياء بمعانيها وبنظائرها للحجاب الذي ذكرنا وقوله عز وجل لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم يقول والله اعلم ان الرسول والذين حققوا الايمان والتصديق جاهدوا باموالهم وانفسهم اي بذلوا انفسهم واموالهم لنصر دين الله ودلالة سبيله ولم يبخلوا كما بخل اهل النفاق في بذل اموالهم وانفسهم في نصر دينه بالمجاهدة مع اعدائه وله يحققوا الايمان والتصديق ثم اخبر ان للمؤمنين الذين حققوا الايمان والتصديق وبذلوا انفسهم واموالهم وجاهدوا بها في نصر دين الله واظهار سبيله لهم الخيرات قال بعضهم لهم الخيرات الذكر في الدنيا والثناء الحسن وسلوك الناس طريقهم وفي الاخرة الثواب والجزاء وقيل الخيرات في الاخرة لما بذلوا انفسهم واموالهم في نصر دينه والمجاهدة مع عدوه وقيل لهم الخيرات الحور العين كقوله فيهن خيرات حسان والله اعلم واولئك هم المفلحون والمفلح هو الذي يظفر بحاجته يقال فلح وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ليعلم ان العظيم ليس يقع فيما فيه الغلظ والكثافة ولكن القدر والمنزلة وقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم قال بعضهم من اهل التاويل المعذرون هم الذين يستاذنون القعود والاعذار لهم في ذلك وقال الكلبي المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة وبعضهم قال المعذرون هم المعذرون وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرا المعذرون بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين كانه ذهب الى ان المعذر هو الذي له عذر والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له لذلك لعن المعذر وقال ابو معاذ واكثر كلام العرب المعذر الذي له عذر وهو قولهم قد اعذر من انذر وقال ابو عوسجة المعذر بالتشديد الذي لا ينابح انما يريد ان يعذر ويقال عذرت في الامر اذا لم يبالغ فيه واعذرت في الامر اي بالغت فيه وقال القتبي المعذرون بالتشديد هم الذين لا يجدون انما يعرضون ما لا يريدون ان يفعلوه يقال عذرت في الامر اذا قصرت واعذرت جددت ثم قال بعض اهل التاويل دل هذا على ان اهل النفاق كانوا صنفين صنف كانوا يستاذنون القعود وصنف لا يستاذنون ولكن يقعدون بقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم دل قوله الذين كفروا منهم لهم عذاب اليم على ان من اهل النفاق من قد امن وتاب وان من تاب يقبل ذلك منه لانه قال سيصيب الذين كفروا ولم يقل سيصيبهم عذاب اليم وقال بعضهم المعذرون بالتخفيف هم المؤمنون الذين لهم عذر والتخلف انوا رسول الله لينظر في امرهم الاوفق ان كان الخروج لهم اوفق يخرجون وان كان القعود اوفق يقعدون يدل على ذلك الاية التي تتلوه وهو قوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون الاية حرج

قال قيل كيف احتمل ان يكون اية واحدة في الفريقين مختلفين انا قرئ بالتخفيف فهي في الذين لهم عذر واذا قرئ بالتشديد كانت
في الذين لا عذر لهم قيل نفسر على اختلاف القراة كايتين مختلفين وفئتين مختلفين ان كان تاويل المعذر بالتشديد هو الذي يعتذر ولا
عذر له والمعذر بالتخفيف هو الذي له عذر او كان تاويل احدى القراتين على ضد الاخرى كان لهم عذر في حال ولا عذر لهم في حال
اخرى والا لا يحتمل ان يكون القراتان جميعا في وقت واحد وتاويلهما على الاختلاف الذي ذكروا وهو كقوله قالوا ربنا باعد بين
اسفارنا وربنا بالرفع باعد بين اسفارنا احدهما على الدعاء والاخر على الايجاب هما ايتان صارت اية واحدة لاختلاف القراة والله
اعلم وقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لو لم يذكر المرضى ولا الذين لا يجدون ما
ينفقون لكان المفهوم من قوله ليس على الضعفاء المريض والذي لا يجد ما ينفق وكذلك لو ذكر المريض كان في ذكره ما يفهم منه
كل ضعيف وكل ما لا يجد ما ينفق وفي كل حرف من هذه الحروف ما يفهم منه معنى الاخر فلما ذكر دل ان المراد من ذكر الضعفاء الزمنى
من نحو الاعمى والاعرج فكان كقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج فتكون الايتان واحد اعني معناهما واحد وفيه
دلالة ان ليس في ذكر عدد من الاشياء خطر دخول غير المذكور في حكم المذكور اذا كان في معناه ولهذا قال اصحابنا ان ليس فيما ذكر رسول الله
عددا في الربوا بقوله والحنطة بالحنطة والذهب بالذهب والفضل ربوا على انه لا لمعنى ذكر ولا يدخل فيه ما لم يذكر لما ذكرنا انه
لو ذكر الضعفاء لذكر المريض والاعمى والاعرج وجميع من ضعف عن الخروج من انواع الاعذار ثم لم يدل ما ذكر من العدد وتخصيص
على انه لا لمعنى ذكر فعلى ذلك خبر الربوا ثم جعل العمى والعرج والزمن وعدم النفقة ونحوه عذرا في ترك الخروج ولم يجعل شدة
الحر وبعد المسافة ونحوه عذرا بقوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا واصله والله اعلم ان كل ما لم يعمل في المنع عن
الخروج لشهوة او لطمع يرجوا نيله من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذرا في ترك الخروج اذ شدة الحر وبعد السفر وخوف العدو
ومما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصر ذلك عذرا في التخلف عن الخروج للجهاد واما حال المرض والزمانة وعدم النفقة يمنع
ويحجزهم عن الخروج في كل ما يهوون ويشتهون صار ذلك عذرا لهم بالتخلف عن الخروج للجهاد والثاني ان كل ما يقدر على
دفعه بحال لم يجعل ذلك عذرا في التخلف وكل ما لا سبيل لهم الى دفعه فهو عذر والحر وبعد السفر وخوف العدو ويجوز ان يدفع
فيصير كان ليس وهو ما ذكر قل نار جهنم اشد حرا فاذا ذكر شدة حر جهنم وبعد سفر الاخرة واهوالها هان عليه الخروج وسهل ذلك
ذلك فلذلك صار واحدها عذرا والاخر لا والله اعلم وقوله عزوجل اذا نصحوا لله ورسوله قيل لم يخدعوا احدا في دينه ولم يغشوا
في دنياه وقيل اذا نصحوا الله ورسوله اي لطاعوا الله ورسوله في الحضرة ولم يتركوا طاعته وقوله عزوجل والله غفور رحيم
بتركهم الخروج وتخلفهم عن الجهاد مع الاعذار وقوله عزوجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه قال لولا اشق على امتي او قال على المؤمنين والا خرجت في كل سرية بعثها لانهم
لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا احد ما احملهم عليه فيشق عليهم مفارقتهم اياي فلا حرج بتركهم الخروج اذا لم يجدوا
ما ينفقون ولا ما يحمل عليه ثم قال ولكن السبيل على الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج بقوله انما السبيل على الذين
يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني النساء وطبع الله على قلوبهم يعني النساء وطبع الله على قلوبهم
فهم لا يعلمون هذا قد ذكرهما قد طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الاية الاولى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
والفقه هو معرفة الشيء بغيره والعلم هو نوع العلم لا بغيره ولذلك يقال لله عالم ولا يجوز ان يقال فقيه فاخبر عزوجل انهم
لا عرفوا الشيء بغيره ولا بنفسه عنادا منهم ومكابرة وقوله عزوجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن
نؤمن لكم فيه انباء عما يقولون لهم المنافقون اذا رجعوا اليهم وتعليم من الله لرسوله والمؤمنين ما يقولون لهم وماذا يجيبون لهم فقال
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اي بما تظهرون لانفسكم من العذر
وقوله لا تعتذروا ليس على النهي ولكن على التوبيخ والتعيير وقوله عزوجل قد نبانا الله من اخباركم يحتمل قوله قد نبانا الله
من اخباركم انكم لا تصلحون ابدا كما قال انهم رجس وماويهم جهنم الاية اخبر انهم رجس وان ماويهم جهنم وقيل قد نبانا الله
من اخباركم حين قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الى قوله يبغونكم الفتنة وقالوا وهذا الذي نبانا الله من اخباركم
وقوله عزوجل وسيرى الله عملكم ورسوله قال بعضهم سيرى الله عملكم ورسوله فيما تستانفون ويحتمل قوله سيرى الله عملكم و
رسوله اي سيرى الله ورسوله عملكم باطلا او يقول سيرى الله عملكم اي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله عملكم باطلا او يقول سيرى
عملكم اي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله والمؤمنون يشهدون عليكم بذلك وقوله عزوجل ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
قد ذكرنا ان ليس شيء يغيب عنه او يكون شيء عنده اظهر من شيء ولكن ما يغيب عن الخلق وما لا يغيب عنهم بحال واحد وقوله
عزوجل فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد وقوله عزوجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فاعرضوا عنهم يحتمل قوله لتعرضوا اي لتتجاوزوا عنهم ولا تخافوهم فيكون قوله فاعرضوا عنهم لما سالوا من
المجاوزة عنهم وترك المكافاة ويحتمل قوله لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم اي لا تخاصموهم ولا تشتغلوا بهم فانهم لا يصلحون ابدا

وانهم رجس

وانهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم وتتقبلوا منهم ما يظهرون من العذر ثم
اخبر انكم ان رضيتم منهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم فان الله لا يرضى عنهم لانه يعلم انه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم من العذر واقاموا
ليس على النهي عن رضاء ولكن لان رضاء الخلق بعضهم عن بعض انما يكون بالحلف وما يكون من الظاهر ولكن النهي عن ترك الموافقة في
الباطن وفيه يتحقق رضاء الله وقوله عزوجل الاعراب اشد كفرا ونفاقا وعيدا لهم عن ايمانهم وانما كانوا حول المدينة وما فيها ناس
من ايمانهم بقوله فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم الاية فلما اخبر ان هؤلاء قيل اخبر طاينة من الاعراب الذين
كانوا بقرب المدينة وحواليها فاخبر انهم اشد كفرا ونفاقا من اهل المدينة ويحتمل ان اراد بالاعراب جملة اهل البدو اشد الكفار منهم
واهل النفاق كفرا ونفاقا من اهل الامصار والمدن فهو لوجهين احدهما ان اهل الامصار والمدن كانوا يسمعون الايات والحجج
ويخالطون اهل رحمة ورافة واهل مودة واما الاعراب واهل البادية لم يكونوا يسمعون الايات والحجج ولا يخالطوا اهل رحمة ورافة
فهؤلاء اقسى قلوبا واضيق صدورا واهل المدن والامصار الين قلوبا واوسع صدورا فهم اسرع الى الاجابة وذلك ابعد وابطا
اجابة والثاني انهم وصفوا بغلظة الجهل ما لم يوصف اهل المدن والامصار بذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدرك
اعرابي وفيه لا يؤمن اعرابي مهاجرا وفي بعض الاخبار من بدا جفا وذلك والله اعلم لانهم كانوا لا يدخلون الامصار والمدن ليتأدبوا
ويتعلموا الاداب فانما كانوا كالانعام لجهلهم والاباء هو التصديق والتصديق ابدا يكون بعد العلم لان ما لم يعلم لم يصدق فاذا
كانوا بالجهل وصفوا كانوا اشد كفرا ونفاقا ويحتمل ان يكون ما ذكر واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وصفهم
بالجهل وبالجهل يكون التكذيب وبالعلم التصديق وهو ما ذكرنا واجدر واخلق واحرى واحد وقوله عزوجل حدود ما انزل
على رسوله قال بعضهم هم اقل علما بالسنن وقيل بالفرايض وقيل الحدود ما بين من طاعة الله ومعصيته واصله انهم اهل جهل بجميع
الاوامر والمناهي وجميع الاداب وما لا يحل وما يحل والله عليم اي على علم بما يكون منهم خلقهم حكيم حيث وضع الخلايق بموضع
يدل على وحدانيته والوهيته لو تدبروا فيه ونظروا وقوله عزوجل ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي كان لا ينفق
حسبة وقال بعضهم ينفق ولا يراه حقا انما يراه غرما يلحقه وغرما يجزيه واصله انهم لو كانوا علموا حقيقة انهم وما حوت ايديهم
لله ليس لهم بعد واذلك غرما غرموا وتبعة لحقتهم ولكن لما يرى والله تعالى في اموالهم حقا ولم يعلموا ان اموالهم لله حقيقة لا لهم عدوا ذلك
غرما وتبعة وقوله عزوجل ويتربص بكم الدوائر عليهم دايرة السوء قيل الدواير هو انقلاب الامر وهو من الدوران ثم يحتمل قوله
يتربص بكم ما قال بعضهم موت محمد وقيل دوائر الزمان وحوادثها عليهم دايرة اي عليهم انقلاب الامر وعليهم ما تربصون على المؤمنين
وقوله واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ليس على حقيقة الانزال من موضع ولكن على خلق ذلك كقوله وانزل لكم من
الانعام وكقوله يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا وقوله والله سميع عليم لما قال عليهم باسرارهم واضمروا وقوله عزوجل ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ذكر في الاية ان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ليعلم ان قوله
الاعراب اشد كفرا ونفاقا كان في طايفة منها دون كل الاعراب لانه ذكرها هنا ان منهم من ينفق ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
وذكر في الاية الاولى ان منهم من يتخذ ما ينفق مغرما اي لا يراه حقا واجبا ولكن غرما يلحقه ومنهم من يرى ذلك حقا لله واجبا في
اموالهم فيجعلون ذلك قربة لهم عند الله واولئك يردونه غرما لحقهم لا قربة ثم في الاية خوف دخول المؤمنين في وعيد هذه الاية
الذين لا يؤدون الزكوة ولا ينفقون وخوف لحوق النفاق لانه اخبر انهم يتخذون ما ينفقون مغرما لمن ترك اداءه انما يترك
لانه لا يرى ذلك حقا لانه لو راى ذلك حقا واجبا لاداه على ما ادى غيره من الحقوق او لو كان موقنا بالبعث لانفق وجعل ذلك
قربة له عند الله لان المؤمن انما ينفق ويعمل لعاقبة فاذا ترك ذلك يخاف دخوله في وعيد الاية ولحوق اسم النفاق به وان كنا
لا نشهد عليه ذلك وقوله ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال بعضهم جعلوا ما انفقوا قربات عند الله
بصلوات الرسول لانهم اذا انفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر فكان ذلك لهم قربات عند الله باستغفار الرسول
ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما انفقوا وصلوات الرسول قربات عند الله ويكون لهم ما انفقوا قربة عند الله وصلوات الرسول
طمانينة لهم وبراءة من النفاق لان الرسول كان لا يدعو لاهل الكفر والنفاق فاذا دعا لهؤلاء وصلى عليهم كان ذلك طمانينة لقلوبهم
وعلامة لهم البراءة من النفاق وعلى ذلك يخرج قوله ان صلواتك سكن لهم اي يسكن قلوبهم بصلوة الرسول ويطمئن بانهم ليسوا من اهل
النفاق وانهم براءة من ذلك والله اعلم وقوله عزوجل الا انها قربة لهم ذكر هنا مقابل ما ذكر في الاية الاولى وهو قوله ويتربص بكم
الدوائر عليهم دايرة السوء اخبر ههنا ان ما يتربصون هم بهم من الدوائر عليهم ذلك وههنا اخبر ان ما ينفق المؤمنون ويطلبون
بذلك قربة عند الله انها قربة لهم ثم وعدهم الجنة بقوله سيدخلهم الله في رحمته اي جنته سمى جنته رحمة لما برحمته يدخلون
الا استيجابا لهم منه بذلك بل رحمة منه وفضلا ان الله غفور لما كان منهم من المساوي والشرك اذا تابوا واسلموا رحيم حيث لم
يواخذهم بذلك وقوله عزوجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان يحتمل هذا ان يكون في
معطوفا على قوله سيدخلهم الله مع السابقين الاولين اي اولئك الذين امنوا من بعد اولئك المهاجرين والانصار يدخلهم

فالجنة مع السابقين الاولين ويحتمل ان يكون على الابتداء لا على العطف على الاول ثم اختلف فيه قال بعضهم السابقون هم
الاولون فى الاسلام والنصرة وقال بعضهم الاولون فى الهجرة والنصرة والذين اتبعوهم باحسان على تاويل من جعل السابقة فى
الاسلام وعلى تاويل من جعل على الهجرة اتبعوهم باحسان يجعلهم فى بقين المهاجرين والانصار ولا يجعل طبقة ثالثة واما قراءة
العامة من القراء فهى على اثبات الواو وجعل طبقة ثالثة ثم منهم من قال من اهل التاويل السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقال بعضهم هم الذين صلوا القبلتين وقال بعضهم السابقون الى الاسلام الاولون من المهاجرين
والانصار الذين صلوا القبلتين والذين اتبعوهم على دينهم الى يوم القيمة باحسان ثم خصوص تسمية اهل المدينة انصارا وان
كانوا هم والمهاجرون جميعا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا انصارا له فهو والله اعلم لانهم نصروا المهاجرين حيث آووهم
وانزلوهم فى منازلهم واوطانهم وبذلوا انفسهم واموالهم لهم وان كانوا جميعا فى النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شرعا سواء ثم
فى الاية دلالة الرد على الروافض لانهم يجعلون ابابكر وعمر وهؤلاء رضى الله عنهم ظلمة لا على الحق بتوليهم امر الامامة والخلافة
لانه معلوم انهم كانوا فيما ذكر عز وجل بقوله من المهاجرين والانصار ثم اخبر ان الله راض عنهم وانهم راضون عنه دل انهم كانوا على
حق وصواب من الامر وان من وصفهم بالظلم والتعدى هو الظالم والمتعدى واضع الشئ غير موضعه وفيه جواز تقليد الصحابة
والاتباع لهم والاقتداء بهم لانه مدح عز وجل من اتبع المهاجرين والانصار بقوله والذين اتبعوهم باحسان ثم اخبر من جملتهم ان الله
راض عنهم دل والله اعلم ان التقليد لهم لازم والاقتداء بهم واجب واذا اخبر او بخبر واحد ثم بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه لو
اعلم بذلك وقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق اخبر ان من حولهم من الاعراب ومن اهل المدينة
ايضا منافقون مردوا على النفاق فقال بعضهم المراد فى الشئ هو النهاية فى الشئ وقال بعضهم مردوا على النفاق اى ثبتوا عليه وداموا
وقال بعضهم مردوا اى عتوا عليه وبالغوا فيه لخبر انهم لشدة مكرهم وخداعهم وعتوهم لا تعلمهم انت نحن نعلمهم لان من المنافقين
من كان يعرفهم الرسول فى لحن القول كقوله ولتعرفنهم فى لحن القول ومنهم من كان يعرفهم فى صلوتهم كقوله فاذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى ومنهم من كان يعرف نفاقه فى تخلفه عن رسول الله يعنى عن الغزو فاخبر عز وجل ان هؤلاء لشدة عتوهم ومكرهم وفضل
خداعهم لا تعرف نفاقهم نحن نعرف نفاقهم ثم اخبر انه يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبى وعن الحسن قال عذاب فى الدنيا وعذاب
فى القبر وقال بعضهم يعذبهم بالجوع مرتين وقال ابوبكر الاصم قوله سنعذبهم مرتين القتل والسبى قبل الموت والعذاب الاخر عذاب
فى القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ويشبه ان يكون تعذيبه اياهم مرتين حيث اخذوا بالانفاق على المؤمنين وبينهم وبين المؤمنين
عداوة وامروا ايضا بالقتال مع الكفار وهم اولياؤهم هذا احد العذابين لانهم امروا بالانفاق على اعدائهم وامروا ايضا ان يقاتلوا
اولياءهم والعذاب الثانى القتل فى القتال فان قيل لم يذكر ان منافقا قتل قيل لم يذكر لعله انهم كانوا لا يعرفونهم
لتوليهم لا تعلمهم انهم لم يعرفوا فيقتلون كما يقتل غيرهم من المؤمنين والله اعلم وقال بعضهم سنعذبهم مرتين عند الموت ضرب الملائكة الوجوه
والادبار كقوله يضربون وجوههم وادبارهم وفى وادبارهم وفى القبر منكر ونكير ثم يردون الى عذاب عظيم فى الاخرة وقوله
عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قال عامة اهل التاويل الاية نزلت فى ابى لبابة واصحابه تخلفوا
عن غزوة تبوك عن رسول الله فندموا على ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا فقبل الله توبتهم ووعدهم المغفرة بقوله و
عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وذكر فى بعض القصة انه لما رجع رسول الله عن غزوة تلك جاء هؤلاء الذين تخلفوا
عنه باموالهم الى رسول الله فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فخذها فتصدق بها عنا فكره ان ياخذها فقال
لم اومر بذلك فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا لم يخرجه من الايمان
ثم ندم على ذلك وتاب يرجى والله اعلم ان يكون فى هذه الاية لانه ذكر المؤمنين ومالهم عليه وذكر المنافقين ومالهم عليه ثم
ذكر الذين خلطوا اعمالهم الصالحة باعمالهم السيئة ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وعد الله لهم قبول التوبة والمغفرة وقوله عز وجل خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اختلف فى هذه الصدقة التى امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم قال بعضهم هى صدقة فريضة
ثم اختلف فيها اية فريضة هى فقال بعضهم فريضة زكوة الاموال وقال بعضهم هى فريضة كفارة الماثم وذلك ان اولئك الذين
تخلفوا عن رسول الله عن غزوة تبوك ندموا على تخلفهم فلما رجع رسول الله جاؤا باموالهم فقالوا له تصدق باموالنا عنا فانها
اموالنا هى التى خلفتنا عنك فامر الله رسوله ان ياخذ منهم ذلك ويتصدق بها كفارة لما ارتكبوا ومن قال هى فريضة زكوة المال
المادوى عن ابى امامة قال ان ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال رسول الله ويحك يا
ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاءه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال ويحك يا ثعلبة اما ترضى
ان تكون مثل رسول الله لو شئت لسأل الله ان يسيل الجبال على ذهبا لسالت ثم اتاه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فوالله
لئن اتانى الله مالا لاوتين كل ذى حق حقه فدعا له فقال اللهم ارزق ثعلبة ثلاث مرات وذكر انه اتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
حتى ضاقت عليه ازقة المدينة فتنحى بها وكان يصلى الصلوات كلها مع رسول الله ويخرج اليها ثم ضاقت عليه مراعى المدينة

فتنحى بها فكان يصلى الظهر والعصر مع رسول الله ثم يتبعها ثم يجى بها فكان يصلى الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها ثم بلغ امره
الى ان ترك الجمعة والجماعة فتنحى بها ويتلقى الركبان فيسالهم عن الخبر فما انزل على رسول الله خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الصدقة رجلين فكتب لهما فرايض وامرهما ان يسعيا فى الناس وياخذا صدقاتهم وان يمرا بثعلبة ورجل من بنى
سليم فياخذا صدقاتهما فخرجا بعد فاتى الناس فرا بالسليمى فاقرأه كتاب رسول الله فاطاع بالصدقة ومرا بثعلبة فاقرأه كتاب رسول الله
فقال والله ما ادرى ما هذه الا الجزية او اخت الجزية فاذا فرغتما فمرا بى حتى ارى رايى فلما فرغا من الناس مرا به فقال لهما مثل مقالته الاولى
وقال انطلقا فاتى سائلى رسول الله فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الى قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى هذا يجب
عامة اهل التاويل انها نزلت فى شان ثعلبة ومنهم من قال ما ذكرنا انها نزلت فى شان اهل تبوك الذين تخلفوا عن رسول الله ومنهم من
قال الصدقة التى امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم هى صدقة تطوع وتبرع وهو ما ذكر ان رسول الله كان يحث الناس على الانفاق
فى غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا وفلان بكذا فاخذها منهم وفيه نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات
ومنهم من قال هو فى كل صدقة تطوع قلت الصدقة او كثرت امر رسوله ان ياخذ من اموالهم ما راى لا ياخذ الكل لان اخذ الكل يحوجهم
ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات ولكن امره ان ياخذ قدرا منها وطايفة مقدار ما يكفر ما ارتكبوا من الماثم وقوله تطهرهم
وتزكيهم بها ان كان صدقة الزكوة فهى تطهر اثامهم وتزكى اخلاقهم حتى تنسب عليهم لخروج الصدقة وادائها الى اهلها وان كانت
صدقة كفارة لمن تخلف عن غزوة تبوك فهى تكفر الاثام التى لحقتهم بذلك وتزكيهم قيل وتصلحهم وهو ظاهر وان كان صدقة
تطوع فهى مما يطهر ايضا ويزكيهم لما ينفى عنهم البخل وتؤدى الى الجود والكرم الا يرى انه مدح من اعطى وذم من بخل ومنع بقوله
فاما من اعطى الاية واما من بخل الاية قوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى
احد بصدقة دعا له ويستغفر وكان لا يستغفر لاهل النفاق وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبى لما علموا بذلك
انهم ليسوا من اهل النفاق هذا يحتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان الله امر رسوله ان يستغفر لهم ويصلى عليهم ثم لا يحتمل ان يامره بشئ
فلا يفعل او فعل فلا يجيبه فكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبى اياهم لما قبلت توبتهم وكفرت سيئاتهم والله اعلم والله
سميع عليم قد ذكرنا هذا غير مرة وفى قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم دلالة ان الصدقة اذا وقعت فى يد المتولى والعامل عليها
سقطت عن اربابها وان لم تقع فى ايدى الفقراء ولم تصل اليهم لان النبى كان لا يحل له الصدقة ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت
لهم تزكية وفيه استدلال لمحمد بن الحسن فى الوقف ان الوقف اذا وقف واخرجه من يده وجعله فى يدى اخر من لا حق له فى ذلك كان
ذلك جايزا ويكون وقفا صحيحا ومن الناس من استدل بهذه الاية على ان للامام ان يطلب بزكوات الاموال وكذلك مضت السنة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث المصدقين الى احياء العرب والبلدان والافاق لاخذ صدقات الانعام والمواشى فى مواضعها
وعلى ذلك فعل الايمة من بعده ابوبكر وعمر والايمة الراشدون وظهر العمل بذلك من بعدهم الى هذا الوقت حتى قال ابوبكر لما امتنعت
العرب من اعطائه الزكوة والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله لجاهدتهم عليها فذلك بين فيما ذكرنا من مطالبة الامام
اصحاب الانعام والمواشى بزكوة انعامهم ومواشيهم وقد بين الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله انما الصدقات للفقراء
والمساكين الاية يجعل للعاملين عليها حقا فلو لم يكن على الامام ان يطالب صدقات الانعام فى اماكنها وكان اداء ذلك الى ارباب
الاموال ما كان لذكر العاملين وجه ولم يبلغنا ان النبى بعث فى مطالبة المسلمين بزكوات الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا
يعطون ذلك ادمن حمله منهم الى الايمة يقبلون ما يحمل اليهم منه ولا يسالون احدا عن مبلغ ملكه ولا يطالبونه به الا ما كان من توجيه
عمر العشار فى الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم للتخفيف عمن بعد عن داره وشق عليه ان يحمل صدقته الى امامه فجعل
فى كل طرف من الاطراف عاشرا التجار اهل الحرب والذمة وامره ان ياخذ من تجار المسلمين ما يدفعونه اليه وكان ذلك من عمر
تخفيفا على المسلمين لان على الامام مطالبة ارباب الاموال اموال العين واموال التجارة باداء الزكوة سوى المواشى والانعام
فان مطالبة ذلك الى الايمة الان يأتى احد منهم الامام بشئ من ذلك فيقبله منه ولا يتعدى ما جرت به السنة الى غيره والله اعلم
وقوله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده يحتمل قوله الم يعلموا اى قد علموا ان الله يقبل توبة من تاب ويحتمل على
الامر اى اعلموا ان الله هو يقبل التوبة ممن تاب ويأخذ الصدقات قيل يقبل ويشبه اضافة الاخذ الى نفسه اضافته الى رسوله
بقوله خذ من اموالهم صدقة وذلك كثير فى القرآن وقوله عز وجل ان الله هو التواب الرحيم قال ابوبكر الاصم التواب هو صفة الفاعل
وهو اسم للتايب والتواب عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزم مع التوبة كفارة اخرى سوى التوبة وان كان
ارتكب مساويا وفواحشا سوى الشرك والكفر والمسلم اذا ارتكب مساويا لزمته التوبة والكفارة جميعا وذلك لان المسلم لما
اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب ما ذكرنا فخرج شرايعه وادخل نقصا فيما اعتقد حفظه فاذا ترك حفظه
فادخل فيه النقصان لزمته الكفارة يجتنب بها النقصان الذى ادخل فيه واما الكافر فليس عليه شئ من الشرايع انما عليه ان ينتهى
عن الشرك ويأتى بالايمان لذلك افترقا وقوله عز وجل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون واختلف فيه قال بعضهم

ذلك فى الذين كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا وتابوا عن ذلك فتاب الله عليهم يقول اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
اى ان صدقوا فى ما عنته تبتم وهو التخلف يطلع الله رسوله والمؤمنين على ذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة وقال بعضهم
الاية فى المنافقين يقول فيما اشتاقوه وان الله يطلع رسوله والمؤمنين على نفاقكم فتفتضحون حيث يطلعون على سرائركم وستردون
الى عالم الغيب والشهادة اى تردون الى ما اعد لكم عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اى يجزيكم جزاء ما كنتم تعملون يخرج ذلك
على الوعيد وذكر فى بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازة والمؤمنون ايضا شهدوها فاثنى عليها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال الملائكة شهداء الله فى السماء وانتم شهداء الله فى الارض فاذا شهدتم وجبت
ثم قرا قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فان ثبت هذا ففيه دلالة انه جواز حجة الاجماع لانه قال الملائكة شهداء
الله فى السماء وانتم شهداء الله فى الارض فاذا شهدتم وجبت فاذا شهدوا على شر فهو شر واذا شهدوا على خير فهو خير فعلى ذلك اذا
شهدوا على حكم يلزم العمل به وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ليس على الامر ان يقول لهم جميعا اعملوا كذا و
لكن ان كل من بلغته هذه الاية يتفكر فيها ويتدبر فلا يقدم على عمل لا يستحسنه ان يكون رسول الله والمؤمنون يحضرونه فاذا خلا بن لا
يعمله وكذلك قوله قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير فى الارض ولكن على الامر بالتفكر
والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب وكذلك قوله قل هو الله احد ليس على الامر ان يقول لهم ذلك ولكن يتفكر كل فيه انه واحد م
وقوله عز وجل واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قال بعضهم هو صلة قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون ما يحكم الله فيهم او يعذبهم او يتوب عليهم فتقول قوله واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال بعضهم هو صلة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا وقال بعضهم
قوله واخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة واخرون مرجون لامر الله اى محبوسون يقال ارجيته
اى حبسته وقال القتبى مرجون لامر الله اى مؤخرون على امره كان هذه الاية نزلت فى الذين تخلفوا عنه للركون الى الدنيا ورغبة
فيها وهم المؤمنون والاية التى كانت قبل هذه الاية فى المنافقين الذين تخلفوا للركون فى الدنيا وكفرا ونفاقا وقوله والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين عن ابن عباس رضى الله عنه ان المنافقين اتخذوا مسجدا ثم فرغوا منه جاؤا الى النبى
وهو يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب يا رسول الله ان تاتينا و
تصلى فيه قال رسول الله انا على سفر وحال شغل ولو قدمنا من سفرنا اتيناكم فصلينا لكم فيه ان شاء الله فانزل الله على رسوله والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا الاية اخبر فيه انهم لم يقصدوا ابتناء مسجدهم ذلك ما ذكروا انا بنينا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة
والاشفاق على الدين وحفظ الصلوة بالجماعة ولكن يقصدون به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وقوله ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين يكون قوله تفريقا بين المؤمنين يكون قوله تفريقا بين المؤمنين تفسير القوله ضرارا يقصدون ببناء المسجد
الذى بنوا ريبة ان يفرقوا بين المؤمنين وبين رسول الله حتى اذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين فيكون ايسر واهون عليهم فى الكسر
عليهم والظفر بهم من ان كانوا مجموعين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا كلمتهم واحدة وقوله
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم جعل الاجتماع فى الدين نعمة ونهاهم عن التفرق وهم كانوا يقصدون قصد التفريق بينهم
لما ذكرنا وكانوا يقصدون به لماذا يفرقوا بين ضعفة من المؤمنين وبين رسول الله فيلبسون عليهم الدين لانهم كانوا اهل لبس
وجدل وذلك كله كفر على ما ذكر وفيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم
من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين فاطلع الله نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف بذلك بالله تعالى وقوله عز وجل وارصادا
لمن حارب الله ورسوله اى بنوا ذلك المسجد ارصادا لمن حارب الله ورسوله قال عامة اهل التأويل هو ابو عامر وكان ابا عامر
حارب رسول الله ثم فر منه فقال للمنافقين ابنوا مسجدا واستعدوا فانى ذاهب الى قيصر بالشام فآتى بجند فنخرج محمدا و
اصحابه من المدينة فذهب الى قيصر بالشام فبنوا مسجدا ارصادا لمن حارب الله ورسوله يعنى ابا عمرو قال القتبى ضرارا اى مضارة
وارصادا اى ترقبا بالعداوة وقال ابو عوسجة ضرارا اى مضارة وارصادا لمن حارب الله ورسوله اى ترقبا وانتظارا للفرصة
لمن حارب الله على المؤمنين وقوله عز وجل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اى حلفوا ما اردنا باتخاذ المسجد الا الحسنى والخير والله يشهد
انهم لكاذبون فيه ما ذكرنا من الدلالة على اثبات الرسالة وقوله عز وجل لا تقم فيه ابدا قيل لا تصل فيه لانهم سالوه ان يصلى
فيه لانهم سالوه وقيل لا تقم اى لا تنم ولا تدخل وهو واحد لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه قال بعضهم
هو مسجد قبا وقال بعضهم هو مسجد رسول الله روى عن ابى سعيد الخدرى قال اختصم وقال اختصمنا فى المسجد الذى اسس
على التقوى فقال النبى عليه السلام هو مسجدى هذا وعن ابى بن كعب قال ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى اسس
على التقوى فقال هو مسجدى هذا وظاهر ما ذكر ان يكون مسجد قبا لانه ذكر لما نزل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المتطهرين قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثناء فى الطهور فماذا تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول وفى بعض

الاخبار قالوا يا رسول الله انا نجد مكتوبا علينا فى التورية الاستنجاء بالماء فلا ندعه فقال لا تدعوه وقوله عز وجل
فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويحتمل اى فيه رجال يؤثرون التطهر بالايمان والتوحيد والصلوة فيه وكل مسجد هذا فيه فهو
مؤسس على التقوى اى تقوى الشرك والخلاف لامر الله ومناهيه او يقول فيه رجال يحبون اى يؤثرون التطهر بالتقوى
والاعمال الصالحة على غيرها من الاعمال التى تخبثهم ويحتمل ما ذكر اهل التاويل من التطهير من الاقذار والانجاس كانه قال فيه رجال
يؤثرون الابلاغ فى التطهير من الاقذار والانجاس التى تصيبهم وقوله عز وجل فمن اسس بنيانه على تقوى من الله اى على الطاعة
لله والاخلاص له ورضوان له وطلب مرضاته خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار اى بنى للاختلاف والتفريق بين
المؤمنين والكفر بالله هذا المثل مقابل مكان بمكان يقول من بنى بناء على قرار من الارض مما يقربه وينتفع به خير ممن بنى بناء
على المكان الذى لا يبقى ويؤدى الى الهلاك ولا ينتفع به والاول مقابل فعل بفعل وهو قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
وكفرا وتفريقا بين المؤمنين كالذى بنى لضد ذلك اى ليس يستويان ثم قال المسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه هذا مقابلة فعل بفعل يقول الذين بنوا المسجد على الطاعة لله والاخلاص له وطلب مرضاته والاجتماع فيه خير امن
بنى للكفر بالله والتفريق بين المؤمنين وضرارهم هذا مقابلة فعل بفعل وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هذا مقابل مكان بمكان لما ذكرنا وقوله اسس اصل الاس والاسس والتأسيس والاساس
واحد وقوله عز وجل شفا جرف هار قال ابو عوسجة شفا جرف قال شفاه فمه والجمع اشفاء وجرف ارض يسيل فيها السيل
حتى يجرفها والجرفة جمع وقوله هار قال الهار الهش الذى ليس بصلب ويقال انهار ينهار اى انهدم ويقال رجل هار اى ضعيف
وارض هشة اى رخوة سريعة الانهدام والهش الرخوة وقال القتبى شفا جرف هار اى جرف جرف هار بما يجرف بالسيول الاودية
والهار الساقط ومنه يقال تهور البناء اذا سقط وانهار وقال ابو عبيدة على شفا جرف الشفا هو الشفير والجرف ما تجرف من السيول
من الاودية وهار يريد هاير وقوله عز وجل فانهار به فى نار جهنم قال بعضهم خسف الله مسجدهم فى نار جهنم وفى حرف ابن مسعود
خر من قواعده فى نار جهنم وقال حذيفة فيه بقعة فرى منها دخان ساطع وقال يهوى ببنائهم الذى بنوا فى نار ولا ندرى
كيف هو وما معناه وقوله عز وجل لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال بعضهم بنوا ريبة اى حسرة وندامة وقال
بعضهم ريبة اى شكا وريبا ومن قال الحسرة والندامة فهو على وجهين يحتمل انهم تابوا وندموا على ما صنعوا ويحتمل حسرة وندامة
لما افتضحوا بما صنعوا وبما ارادوا ببنائه والله يشهد انهم لكاذبون ومن قال شكا ونفاقا الا ان تقطع قلوبهم الى الممات اى
هم على الشك والنفاق الى الموت وهو كقوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب
اذا كانت به تهمة وقوله عز وجل الا ان تقطع قلوبهم هذا ايضا على وجهين احدهما على التمثيل ان الخوف والحزن اذا بلغ غايته
يقال فلان منقطع القلب وقوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يحتمل قوله اشترى اى اشترى الله
لان قوله اشترى خبر ولكن يحتمل الاستيام اى استام ان يبذلوا انفسهم واموالهم الله ليجعل لهم الجنة ثم بين فقال يقاتلون فى سبيل
فيقتلون ويحتمل ان يكون قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم خبرا عن قوم باعوا انفسهم واموالهم كقوله ومن الناس من يشرى
نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله الاية فاذا صاروا بايعين انفسهم كان
الله عز وجل مشتريها منهم ثم بين انه كيف يباع وكيف يشترى فقال يقاتلون فى سبيل فيقتلون ويقتلون اى يقتلون العدو
ويقتلون اى يقتلهم العدو وقد قرئ الاول بالرفع فيقتلون والثانى بنصب الياء فهو ليس على الجمع ان يقتلوا ويقتلوا
ولكن ان يقتلوا العدو او يقتلهم العدو وايهما كان او يقاتلون العدو وان لم يقتلوا كقوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله
الاية سمى الايمان بالله والجهاد فى سبيل تجارة ثم قال بان لهم الجنة يحتمل الوعد لهم فضلا منه لا بحق البدل ثم وقوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ذكر شرى انفسهم واموالهم منهم وانفسهم واموالهم فى الحقيقة لله انه يأخذ منهم انفسهم
واموالهم وان يتلفهم باى وجه ما شاء لكنه عامل عباده معاملة من لا ملك له فى ذلك ولا حق كرما منه وفضلا وجودا ووعدهم
على ذلك اجرا وبدلا وكذلك ما ذكر من القرض له ووعدهم على ذلك الاجر مضاعفا وكذلك ما وعدهم من الثواب فيما يعملون لانفسهم
كالعاملين له حيث قال الجزاء بما كانوا يعملون وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ونحوه وان كانوا فى الحقيقة عاملين لانفسهم
بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية لكن ذكر ما ذكر فضلا منه واكراما اذ هى لهم حق فى الحقيقة وهو كما قال لن ينال الله م
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فانما طلب منهم بذل انفسهم واموالهم له او ذكر والله اعلم شرى ماله فى الحقيقة
ليعلم الخلق انه كيف يعامل بعضهم وكذلك قال الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا عاملهم معاملة من لا حق له فى اموالهم وانفسهم
يعامل الناس بعضهم بعضا فى اموالهم وانفسهم كمن لا حق له فى ذلك وقوله عز وجل وعدا عليه حقا اى وعدا واجبا فى
التورية والانجيل والقران اى وعد ذلك فى التورية والانجيل والقران وفى حرف ابن مسعود وعدا عليه حقا فى التورية و

والانجيل والقرآن وقوله عز وجل وعدا عليه حقا في التورية والانجيل هذه الاية تنقض قول من يقول بان الانجيل نزلت
على التخفيف والتيسير والتورية بالشدايد وكذلك قوله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وذلك مذكور في
حكم الانجيل الا ان يقال بان قوله وعدا عليه حقا في التورية والانجيل اي كان هذا مذكورا نعت الامة في التورية والانجيل
وما ذكر ثم قال ومن اوفى بعهده من الله هذا على ان قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية انما هو عهد عهد اليهم حيث
قال ومن اوفى بعهده من الله اي لا احد اوفى واصدق بعهده من الله ان وفيتم انتم بعهده الذي عهد عليكم والله اعلم وقوله
عز وجل فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يشبه ان يكون الاستبشار الذي ذكر وقت الموت ان يقول لهم الملائكة استبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به في الحيوة هذا يدل ان البيع يكون بيعا بالبدل وان لم يتلفظ بلفظة البيع وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام
لم تتعلق بالالفاظ والاسامي انما علقت بمعاني فيها فاذا وجدنا المعاني حكم بها وذلك هو الفوز العظيم الذي ذكر وقوله عز وجل
التائبون العابدون الحامدون الى اخره قال بعضهم على الصلة بالاول فيما ذكر من الشرى والوعد لهم الجنة اذا كانوا على الوصف
الذي ذكر وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين الحامدين على الصلة
بالاول بالكسر الى قوله والحافظين لحدود الله قرأها والقائمين على حدود الله انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومنهم من قال على
الابتداء بالرفع التائبون العابدون الحامدون الى اخره ويشبه ان يكون الشرى الذي ذكر في اول الاية وما وعد لهم ببذل
انفسهم واموالهم في الجهاد يكون ذلك ايضا في غيره من الطاعات والخيرات من بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد
وما ذكر في الاية فهو بايع نفسه منه كقوله ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله ونحوه وقوله التائبون
يحتمل التائبون من الشرك او من جميع المعاصي العابدون يحتمل الموحدون ويحتمل العابدون جميع انواع العبادة والحامدون
قيل الشاكرون وقيل المثنون على الله فان كان قوله العابدون من العبادة فيكون الحامدون المثنون على الله لان العبادات
كلها شكر وان كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون والشاكرون المنعم التي انعمها الله عليهم السائحون
قيل الصائمون وعلى ذلك روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن السائحين فقال هم الصائمون وقال وسياحة امتي
الصيام وقال القتبي واصل السائح الذاهب في الارض ومنه يقال ساح الماء جرى وذهب والسائح في الارض ممتنع من الشهوات
فشبه الصيام به لامساكه في صومه عن المطعم والمشرب وجميع اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون على وجوههم
في الارض ليست لهم منازل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة الراكعون الساجدون قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون
له وكذلك ذكر في حرف حفصة الامرون بالمعروف يحتمل التوحيد اي امرون الناس بتوحيد الله ويحتمل الامرون لهم بالخيرات
والمعروف كلها والناهون عن المنكر الشرك ويحتمل كل معصية والحافظون لحدود الله قال بعضهم لفرايض الله التي فرضها على عباده
وقال بعضهم لسنن الله ولكن حافظون جميع احكام الله لا يجاوزون ما حد لهم ولا يفرطون فيها وبشر المؤمنين يحتمل البشارة
لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ويحتمل على الابتداء اي بشر جميع المؤمنين كقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا والله اعلم
وقوله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين دلت الاية بما نهانا ان نستغفر لهم بعد ما تبين لنا انهم من اهل النار لمانا ان
لا نستغفر لهم ما علمنا انه لا يؤمن فعلى ما علمنا انه لا يغفر لهم يستغفر لهم لم يجز لنا ان نقول انه اراد الايمان لمن يعلم انه لا يؤمن ابدا كما
لم يجب ان يغفر لهم وحيث لنا انا وفي هذا ينقض على المعتزلة في زعمهم ان الله قد اراد لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم وقوله ما كان للنبي
والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين قال بعض اهل التأويل ان رسول الله قد استغفر لاحد ابويه وذكر انه دخل على ابي طالب عمه
فدعاه الى شهادة ان لا اله الا الله فابى ثم استغفر له وقال لاستغفرن لك ما لم انه عنه او كلام نحو هذا فنزل قوله ما كان للنبي والذين
آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية قال الحسن لا يحتمل ان يكون رسول الله لا يعلم ان الله لا يغفر لهم
في العقل والحكمة لا يغفر لهم والتعذيب لهم ابدا وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر له لوجه حد
بين العدو والولي ومن سوى بين عدوه ووليه فهو ليس بحكيم اذ في الحكمة التمييز بينهما والثاني انه اذا عبد غيره معه انما
يعبد غيره لجهله وذلك لجهالة لا ترتفع ابدا لانه انما يعبد غيره بجهل
انه لو غفر لكان في العفو حكمة لان لا تعاد
نعلم انه كيف يستغفر لهم فان استغفر لهم فيحتمل ما قال بعض اهل التأويل
والعبد وقوله عز وجل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم وعد اياه الاسلام
لابيه على وعد الاسلام فانما كان استغفاره بعد اسلامه
فانما طلب له المغفرة في ذلك اليوم وقد كان وعد له الاسلام فلما كان استغفر له الاخرى انه تبرأ منه انه ابى ان يسلم
النار ويحتمل ان يكون استغفار ابرهيم لابيه طلب السبب الذي به يستوجب المغفرة وهو التوحيد وهو كقول هود من

اهل النار لقومه ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا وليس يامرهم ان يقولوا
نستغفر الله ولكن يامرهم بالاسلام ليغفر لهم ويكونوا من اهل المغفرة فعلى ذلك استغفار ابرهيم لابيه وكذلك قوله واغفر لابي
انه كان من الضالين اي اعطه السبب الذي يستوجب المغفرة وهو التوحيد كان سؤال التوحيد اذ لا يحل طلب المغفرة للكافر
وفي الحكمة لا يجوز ان يغفر له فان قيل فاذا كان على ما ذكر ثم كيف استثنى الا قول ابرهيم لاستغفرن لك بعد ما اخبر لنا ان في
ابرهيم قدوة بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم قيل يحتمل الاستثناء الا قول ابرهيم لابيه اي حتى يعلم المؤمنون استغفارا
لانا لا نعرف مراد ابرهيم من استغفاره لابيه وكذلك استغفار الانبياء عليهم السلام لقومهم والمتصلين بهم فاستثنى ذلك الى
ان نعلم مرادهم من استغفارهم وقوله عز وجل ان ابرهيم لاواه حليم قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن الاواه قال الدعاء الخاشع المتضرع وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الاواه المؤمن وقيل الاواه
الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل الاواه المتأوه حزنا وخوفا وحليم قيل الحليم عند السفيه وقيل الحليم والحليم هو الذي لا يغضب
ولا يسفه عند سفه السفيه وقوله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اختلف اهل التأويل فيه
بعضهم الاية في استغفار المؤمنين المشركين وقال بعضهم الاية في نسخ الاحكام والشرايع التي تحتمل النسخ فان كان في استغفار
المشركين فانه ليس هنالك نسخ لانه لم يسبق لهم الامر بالاستغفار ولا الاباحة لهم في ذلك فانه قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا
بالاستغفار بعد اذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك والله اعلم وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قبل ان يتبين لهم
يقول لا يجعلهم ضلالا بذلك حتى يبين لهم ذلك وان كان في نسخ الاحكام فكانه والله اعلم قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا لاجل
فعلهم الذي فعلوا بالامر حتى يبين لهم ما يتقون اي حتى يعلموا بالذي يلزمهم الانتهاء عنه وهو النسخ هنا في الاحكام التي يحتمل
النسخ واما الاحكام التي لا يحتمل النسخ فلا واصله ان كل ما كان في العقل امتناع نسخه فانه لا يرد فيه النسخ وكل ما كان في العقل لا
امتناع على نسخه فانه يجوز ان يرد فيه النسخ ثم المسئلة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ ما حال العمل الذي عملوا به يجزون ويأثمون
في عملهم بذلك في حال النسخ او يثابون ويوجرون على ذلك فان كان الفعل فعل طاعة وقربة فانه يثاب في فعله ولا يحرج
فيه ولكن وان كان الفعل ليس بفعل قربة طاعة ولكن فعل حل وحرمة فانه في فعله قبل بلوغ العلم بنسخه لا يحرج في فعله نحو ما روى
انهم كانوا يشربون الخمر ثم اتاهم آت فقال الا ان الخمر قد حرمت فصبوها وكفوا عنها فهم في شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر اليهم
لا يحرجون واما الفعل الذي هو فعل قربة وطاعة فان لهم القربة في فعلهم وهو الصلوة ونحوه ما روى ان نفرا كانوا يصلون الى بيت
المقدس فرعليهم مار فقال الا ان القبلة قد حولت وهم في الركوع الى الكعبة فتحولوا نحوها فاخبر وا من ذلك رسول الله فلم يامرهم
بالاعادة لان الفعل فعل قربة وطاعة فالطاعة والقربة موجودة في فعلهم لان الافعال التي فرضت لم تفرض لنفس الافعال انما فرضت
للطاعة والقربة فيها فانه يوجر على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان الله بكل شيء عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه كان هذا والله
اعلم خرج لا نكار من انكر النسخ في الشرايع يقول ان الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون وفي الناسخ مصالحهم وانتم لا تعلمون ويكون
ذلك وقوله عز وجل ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فليس لعبيد الا كان شيء على سيده وانما على العبيد الطاعة
لسيده والانتهاء عن نواهيه يحيي ويميت اي كان له ان يميت بعد الحيوة ويحيي بعد الموت فله ان يتعبدهم في حال العبادة وفي حال العبادة اخرى
وقوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية قال بعض من اهل التأويل تاب الله عليهم لزلات سبقت منهم والهفوات
تقدمت من غير ان كان منهم زلات في هذا يعني في غزوة تبوك وهفوات اما التوبة على النبي بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك
الذين صدقوا وعلى المهاجرين والانصار ما كان منهم يوم احد ويوم حنين وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله
عنهم وقال بعضهم تاب عليهم لهفوات كانت منهم في غزوة تبوك هموا ان ينصرفوا في غير وقت الانصراف على غير اذن لشدايد
اصابتهم فقال تاب عليهم لما هموا بالانصراف في غير وقت الانصراف ويشبه ان تكون التوبة التي ذكر على وجهين سوى ما ذكر واحدهما
انه تاب عليهم اي جدد عليهم التوبة للهفوات التي تقدمت والثبات عليها من غير ان كان منهم في الحدوث شيء ولكن يكون لهم
حكم التجديد والثبات عليها فيكون كسؤال الهدى وهم على الهدى كقوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا آمنوا بالله ورسوله اي يا ايها الذين آمنوا فيما مضى من الوقت آمنوا في حادث الوقت واثبتوا في ذلك يحتمل ان يكون قوله لقد
تاب الله عليهم اي جدد عليهم التوبة من غير ان كان منهم هفوة او ثبتهم على التوبة التي كانت منهم والثاني انه ذكر التوبة وذلك
انهم حيث صبروا على ما اصابهم من الشدايد والجهد كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عندهم وجلاهم اعظمه كانت لا تنجلي لهم
من قبل لكن انجلى ذلك لهم وانكشف لصبرهم على الشدايد التي اصابتهم كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
لما صبروا على ما اصابهم من المصايب ازدادهم تفويضا وتسليم الامر والرجوع اليه وكقوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا
ازدادهم بالصبر واحرى ويجلي لهم اشياء لم تكن من قبل فعلى ذلك يحتمل التوبة التي ذكرانهم لما صبروا على ما اصابهم من الشدة والجهد
يجلي لهم اشياء كانت معطاة والله اعلم فانه ذكر من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ولم تذكرانها زاغت وذكر قلوب فريق منهم

ولم يذكر قلوب الكل فهو ماذكرنا ويحتمل ذكر التوبة على النبي على الاشراك له مع المؤمنين من غير ان كان له ذنب لانه اخبر ان ذنبه
مغفور بقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تاخر فهو كما اشرك في الاستغفار كقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين و
المؤمنات امره بالاستغفار لذنبه على الاشراك له مع استغفار المؤمنين اذ اخبر انه قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تاخر والتوبة من الله
تخرج على وجوه احدها التوفيق ونفعهم للتوبة واكرمهم بها كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اى وفقهم للتوبة فتابوا والثاني التوبة
منه قبولها منهم اى يقبل منهم التوبة كقوله انه هو التواب الرحيم والثالث تاب عليهم اى تجاوز عنهم وعفى وصفح عنهم على هذه
الوجوه الثلاثة تخرج اضافة التوبة الى الله وقوله عز وجل الذين اتبعوه في ساعة العسرة قيل في عسرة النفقة وعسرة الظهر
وقوله عز وجل من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصة انه قد اصابهم من الجهد والشدة حتى ان الرجلين ليقتسمان
التمرة بينهما وكانت التمرة يتداولون بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها هذا ذكر نحو هذا ولكن لا ندرى
كيف كان الامر سوى انه اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد وقوله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة نحو
قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار فكانوا يبتهلون ويدعون الله حتى تاب الله عليهم فتابوا وقال قائلون
خلفوا عن رسول الله لما تقدمهم القوم فهم المتخلفون بتقدم اولئك وقال قائلون خلفوا خلفهم الله اى خلفهم ويشبه
ان يكون قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا هم الذين تخلفهم فلحقوا رسول الله وهو ما ذكرنا وقوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم يحتمل هذا على التحقيق ويحتمل ان يكون على التمثيل والتحقيق وجهان احدهما ضاقت عليهم
الارض بما رحبت ماذكر انهم شدوا انفسهم بالسوارى والاسطوانات واتوا باموالهم التى منعتهم عن الخروج مع رسول الله
وتصدقوا بالارضين التى منعتهم عن الخروج وضاقت عليهم الارض بعد ما كانت عليهم متسعة يتسعون فيها لانه ذكر في القصة
ان واحدا من هؤلاء مما حبسته ارضه عن الخروج فتصدق بها على الفقراء وكان له التوسع بتلك الارض ثم ضاقت عليه والثاني
ضاقت عليهم الارض بما رحبت لما حبسوا انفسهم عن اراضيهم وتركوا شهواتهم وامانيهم وما يتلذذون به دون ان ضيق الارض
وضاقت عليهم انفسهم لما شدوا انفسهم بالاسطوانات ويحتمل ان يكون على التمثيل وذلك ان الخوف اذا اشتدت بالانسان
وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار في الارض والتلذذ فيها يقال ضاقت عليها الارض بسعتها وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر كان
الناس لا يكلمونهم ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهاليهم وقوله عز وجل وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه
قال بعضهم ظنوا ان لا نجاة من عقوبة الله الا عفوه اى يقنوا ان لا تخلصهم ولا احترازهم من عقابه وقيل فظنوا ان لا ملجا
من عذاب الله الا الى رحمته وقيل وظنوا ان لا ملجا من رسول الله الا الى الله لانه ذكر انهم سالوا رسول الله النجاة وعن ذلك
فلم يجبهم فايقنوا عند ذلك ان المفزع والملجا الى الله لا الى احد دونه وقوله عز وجل ثم تاب عليهم اى وفقهم التوبة فتابوا
ان الله هو التواب الرحيم اى يقبل التوبة اى قابلها وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين في ظاهر الاية ان
قوما عرفوا بالصدق فامروا بالكون معهم ويشبه ان يكون امر هؤلاء تخلفوا عن رسول الله بالكون مع المهاجرين والانصار الذين
كانوا مع رسول الله وفيه دلالة ان الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين في دين الله فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للامر بالكون
معهم وجه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكونوا من الصادقين وهو ظاهر وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يحتمل وجوها
احدها احفظوا الله في حقه ولا تضيعوه وكونوا مع الصادقين في وفاء ذلك وحفظه واتقوا الله فيما في ترك ما امركم به من
الخروج والجهاد مع رسول الله وغير ذلك من الحق او يقول اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما يامركم به وكونوا مع الموافقين لامره والله اعلم
وقوله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يشبه ان يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة و
العهود التى جرت بينهم وبين رسول الله يقول والله اعلم ما كان اى لم يكن لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
بعد ما قبلوا النصرة والمعونة وبايعوه على ذلك هذا يحتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون صلة ما ذكر على اثره وهو قوله ذلك بانهم
لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله يقول والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
وقد جعل بكل ما يصيبهم في انفسهم من العناء والشدة وفي اموالهم من النقصان وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة او
يصيبون من العدو من القتل والغنيمة الا كتب لهم بذلك عمل صالح اى ما كان ينبغي لهم ان يتخلفوا عنه وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم من
الشدة والعناد ما يصيبون من الخير العمل الصالح والاجر والله اعلم او يقول ما كان لاهل المدينة اذا تخلفوا عن رسول الله ان يتخلفوا
عنه وقوله عز وجل ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه يحتمل قوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى ولا يرغبوا بالتخلف عن نفسه
يقال جاء فلان بنفسه ورايت انا بعيني ونحوه اى جاء هو وراى هو فعلى ذلك هذا ولا يرغبوا اى ما كان ينبغي لهم ان يرغبوا عن
رسول الله ويحتمل ولا يرضوا بانفسهم اى لانفسهم عن نفسه وذلك جائز ما ذكرنا وقوله عز وجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظما قيل
عطش ولا نصب قيل العنا والمشقة ولا مخمصة في سبيل الله اى مجاعة ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار قال بعضهم ولا يقفون موقفا
وقال بعضهم هو من الوطئ والموطئ الشيء الذي يوطا ولا ينالون من عدو نيلا قيل فيهم واغارة عليهم الا كتب لهم به عمل صالح اى يكتب

مالهم وما

مالهم وما عليهم العمل الصالح مكان من تخلف منهم مخافة ان يصيبه ماذكر من العناء والشدة يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح
ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم هو ماذكرنا انه و
يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعناء في انفسهم وفي اموالهم من النقصان وما ينفقون ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون
اى يجزيهم لصالح اعمالهم واحسنها لا يجزيهم بسيئاتهم وهو كقوله اولئك يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم اخبر
انه يتقبل منهم احسن ما عملوا ويكفر عنهم سيئاتهم فعلى ذلك الاول يحتمل انه يجزيهم احسن ما عملوا في الغزو ويتجاوز عن سيئاتهم
وقوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين الاية اختلف اهل التاويل
قال بعضهم ان نبي الله كان اذا خرج للغزو خرجوا جميعا فتبقى المدينة خالية عن الرجال فنهى الله عن ذلك وقال وما ينبغي للمؤمنين
ان ينفروا كافة مع رسول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين وقال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا بعث سرية خرجوا جميعا فيبقى هو وحده لم يبق معه احد ممن يشهد التنزيل ليخبروا اولئك حضروا وقال اخرون الاية
في الوفود وذلك ان الوفود اذا قدموا من الافاق المدينة قدموا مع النساء والذرارى جميعا فامروا ان ينفر الرجال منهم دون
النساء والذرارى ومن كل قوم نفر ليتفقهوا في الدين ذكر في هذه الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة نهى الكل ان ينفروا وامر في الاية الاخرى بنفر الكل بقوله فانفروا ثبات او انفروا جميعا فهو يخرج على وجهين احدهما امر بالنفر
الجميع عند قلة المؤمنين لم يكن لهم الكفاية مع العدو والثاني امر بنفر الكل عند النفير فيكون احدى الايتين في حال النفير والاخرى
انها في غير حال النفير وما ذكرنا في وقت القلة والكثرة ثم يقولون ان الاية في الذين كانوا يخرجون جميعا مع رسول الله اذا خرج كان ثم
نهى عن الخروج جملة مع رسول الله خوفا على اهاليهم وذراريهم لعل العدو يسبيهم واخذ اموالهم يقول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة ليتفقهوا في الدين اى هلا نفر طايفة منهم فيخبروا الكفار المقيمين بما انزل الله على رسوله من النصر والمعونة والهزيمة على
الكفار الذين قاتلوا رسول الله فيكون ذلك سبب دعائهم الى الاسلام والى هذا يذهب الحسن والاصم ويقولون ان هذه الاية نسخت
الاية التى قبله وهو قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يقول الحسن ان عليهم ان يخرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا خرج فيقول هذا منسوخ بالاية التى تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية ومن يقول بان الاية في الوفود
الذين كانوا ياتون رسول الله المدينة بالنساء والذرارى فالنهى لذلك لما كانوا يضيقون على اهل المدينة اوطانهم ويغلون اسعارهم
ونحوه يقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اى يتعلمون الدين واحكامه ثم ليرجعوا الى
قومهم فيعلموهم ومن يقول الاية في الذين خرجوا ونفروا مع السرايا نهاهم عن خروج الكل لما لعله اذا نزل على رسول الله شيئا فلم يكن معه احد
يبلغه اليهم ثم يبلغ هو الى من غاب عنه ضاع ذلك فيقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اى ليعلموا
قومهم ما نزل على رسول الله وليبلغوا ذلك الى من غاب عنه وقوله من كل فرقة منهم طايفة قيل من كل عصبة ومن كل قبيلة ومن كل
حي وفي الاية دلالة سقوط فرض النفر لتعلم العلم والتفقه في الدين عن الكل اذا قام بعض بذلك يخرجون ويتعلمون ثم يعلمون قومهم لانه
قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة الاية وفيه ايضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجماعة اذا قام بعضهم عن بعض وفيه دلالة لزوم
العمل بخبر الاحاد وان احتمل الغلط لان ماذكر من الطايفة يحتمل ان يجتمعوا على ذلك كذبا او غلطا ثم الزم قومهم قبول خبرهم وان احتمل
الغلط والكذب بقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والاية تخرج على وجهين احدهما ان اهل بلدة واهل قبيلة
يختارون من يصلح للتفقه في الدين والتعلم فينفر حتى اذا تفقه وتعلم رجع الى قومه فيعلمهم والثاني يامر من يصلح للتفقه بالتخلف
عن الجهاد اذا كان بهم غنية ليتفقه عند رسول الله فينذر قومه اذا رجعوا اليه من غزاتهم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اختلف فيه قال بعضهم الاية قبل ان ينزل قوله قاتلوا المشركين كافة كان الامر بالقتال بالادنى فالادنى
ثم جاء الامر بقتال الكفار عامة وقال بعضهم ان رسول الله كان اذا غزا ربما كان يجاوز كفارا ويتركهم وراءه ويقاتل غيرهم
ليكون ذلك اية لنبوته ليعلم انه لا يبالى من يقاتل ولا يخاف من تركهم وراءه ثم امر الله المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب منهم والادنى
فالادنى وان لا يتركوا العدو وراءهم والى هذا ذهب بعض اهل التاويل ويمكن ان يكون هذا تعليم من الله المؤمنين امر الحرب والاسباب كما
علمهم جميع ما يقع لهم من الحاجة الى اسباب الحرب في غيرها من القران من ذلك وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا وقوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الاية وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية وغير ذلك من الايات ويحتمل
ان يكون امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم كسائر العبادات وقوله عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يخرج على وجهين احدهما
ماذكرنا انه يخرج على تعليم امر القتال منه للمؤمنين والثاني انباء عن دوام الجهاد والقتال مع الاعداء ابدا لانه كلما فتح ناحية وقوما
صار الذين يتقوا وراء هؤلاء الذين يلونهم وقوله عز وجل وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم وفي حرف ابن مسعود وابى وليجدوا
فيكم عليهم غلظة اى شدة ويقرا غلظة برفع الغين ويقرا غلظة بكسرها وهما لغتان ومعانيهما واحد واعلموا ان الله مع المتقين اى من
اتقى الخلاف له بالنصر لهم وعلى عدوهم وقوله ان الله مع المتقين يخرج على وجوه احدها ماذكرنا اذا الخلاف

بلغ مقابلة

له فيما علمهم من امر الحرب يكون معهم بالنصر والثاني معهم في التوفيق والهداية والثالث في الجزاء وقوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل التاويل قوله فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني يقول المنافقون بعضهم لبعض اذا خلوا عن المؤمنين ايكم زادته هذه ايمانا استهزاء منهم بها وسخرية فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي تكذيبا وكفرا الى تكذيبهم الذي كان منهم لان اهل النفاق والكفر ليسوا باهل انصاف يقبلون الحجة والدلالة اذا قامت عليهم انما همتهم العناد والتكذيب ورد الحجج والدلايل فكلما ازدادوا الحجج والبراهين ازدادهم عنادا في التكذيب والرد واما اهل الايمان فان همتهم قبول الحجج والاتباع فكلما ازدادهم الحجج والبراهين ازدادهم ايمانا وتصديقا على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايمانا زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قامت لهم من الحجج والبراهين وكذلك ازداد لاهل النفاق والكفر بها الثبات على العناد في تكذيب الحجج والايات والثاني ازدادهم ايمانا التفسير على ايمانهم بالجملة وان كانوا مصدقين لذلك كله جملة فاذا نزلت لهم نوازل وفرايض ازدادهم بذلك تصديقا وثباتا واصله انه لولا ما كان منهم من الايمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداء ايمان واحداث تصديق وكذلك لولم يكن من اهل النفاق ما سبق من العناد لكان ذلك منهم احداث تكذيب وعناد فاذا كان منهم ما ذكرنا كان ذلك زيادة على ما كان لما ذكرنا وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان خيرات ولاهل النفاق شر ولكن هو واحد وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فزادتهم ايمانا فزادتهم رجسا يخرج على وجهين احدهما زادت للمؤمنين ايمانا على الذي كان لهم من الايمان والتصديق والثاني ازدادهم حجة وبرهانا لما كان وكذلك يزدادوا لاهل النفاق ضد ذلك وقوله عز وجل وهم يستبشرون قيل يفرحون بنزولها ثم اضاف الزيادة الى السورة بقوله فزادتهم ايمانا لوجهين احدهما اضيف اليها الزيادة على ما اضيف الغرور الى الدنيا وهو لما ذكر انه يزيد ومنها لهم التزيين ما لو كان ذلك من دون الافعال والتغرير كان ذلك غرورا والثاني فاضاف التغرير اليها لما بها اغتر اهلها وكذلك اضافة الزيادة الى السورة لما بها ازدادهم التكذيب والكفر وازداد لاهل الايمان بها التصديق فاضيف الزيادة اليها وقال بعضهم ما ذكرنا انها حجة ودلالة فبالحجة يزداد لاهل الايمان بها ادهم فيما اعتقدوا قبول الحجج والدلايل واما اهل النفاق والكفر فانهم اهل عناد ومكابرة اذ قد اعتقدوا العناد ورد الحجج فكلما ازداد لهم عنادا وكفرا وقال ابو بكر الاصم انما اضيف الزيادة اليها لانها كانت سبب الزيادة وقد تضاف الاشياء الى اسبابها كما تضاف الى حقيقة الافعال ولكن لا يحتمل ان يكون السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قيل يبتلون بالجهاد والغزو ويتخلفون عنه فيظهر بذلك نفاقهم وكفرهم وقيل يبتلون بالشدة والجوع فيظهر ايضا بذلك نفاقهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وقيل يفتنون في كل عام مرة او مرتين وذلك انهم كانوا اذا خلوا تكلموا بالكفر فيما بينهم ثم اتاهم النبي اخبرهم بما تكلموا به في الخلوة فيفتضحون بذلك فذلك افتتان اياهم وابتلا يرهم كان يظهر بما ذكر نفاقهم مرة في الجهاد في سبيل الله ومرة بالشدة والخوف ومرة بما يطلع الله نبيه مما يضمرون ويتكلمون به في الخلاء ويحتمل هذه الاية الوجوه الثلاثة الجهاد معه والابتلاء بالشدايد والافزاع ويحتمل اظهار الاسرار التي اسروا في انفسهم والافتضاح مما اخفوا لكن لو كان هذا فذلك مما يكثر منهم اعني كتمان النفاق واسرار الخلاف لهم لكن ذكر المرة والمرتين يرجع الى الافتضاح والاظهار فذلك يحتمل ان يكون في العام مرة او مرتين وقوله عز وجل ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون بما ابتلوا من الافتضاح وظهور النفاق منهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم قال بعضهم الاية صلة قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي كان نظر بعضهم الى بعض ثم يقولون ما ذكر ومنهم من يقول اذا كانت السورة التي نزلت حجة في اظهار الدين والايمان يسمعون ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا واذا نزلت في اظهار نفاقهم وافتضاحهم نظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا ولا يسمعون منه السورة اشفاقا لئلا يظهر نفاقهم وقوله صرف الله قلوبهم يحتمل خلق الله منهم الانصراف فاضيف اليه الصرف ويشبه ان يكون قوله صرف الله قلوبهم عقوبة اي خذلهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد ورد الحجج وتركهم القبول وقوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اي من البشر وهو امتنان منه عليهم حيث بعث الرسول من البشر ولو ان يبعث من غير البشر لكنه بعث من البشر ليعرفوا الايات التي ياتي بها من التمويه لانهم يعرفون مبلغ وسع البشر في الاشياء وقد امكانهم بعلم الاشياء فاذا جاء بالاشياء التي هي خارجة من الطباع ووسع البشر في التعلم عرفوا انها ايات لا تمويهات مع ما ان يتالف كل ذي جنس بجنسه وينفر من غير جنسه هذا نظام في الخلايق ان كل ذي جنس يالف بجنسه ولا يالف بغير جنسه فبعث الرسول من البشر ومن جنسهم لتالف القلوب ويقبلوا منه ما ياتيهم به ويجيبوه الى ما يدعوهم

اليه وقال بعضهم رسول الله من انفسكم اي من المكان الذي انتم فيه وهو الحرم وقال اخرون من انفسكم اي من انسابكم وهو ابينا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من انسابهم يعرفون نسبه ومولده ونشاته من بين اظهرهم سليما من جميع الافات بريا من جميع العيوب لان المرء اذا كان مولده ونشاه في قبيلة او في مكان لا يعرف له النسب ربما يمكن فيه الطعن والعيب ويقع الشك في نسبه لجهلهم بنسبه ومولده ونشاه على السلامة والصحة والبراءة من العيوب فبعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لئلا يمكن فيه ما ذكرنا فيه من المطاعن ولا يعرف بشي من العيوب والافات التي ذكرنا فيه وقال بعضهم قوله من انفسكم اي من العرب اميا كانهم لا يكتب ولا يقرا ولا يخطه بيمينه على ما وصفه في كتابه النبي الامي الذي يجدونه الاية وقال ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان العرب كانت تتمنوا ان يبعث رسول منهم بقوله لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ذكر مجي الرسول من انفسهم ليكون ابعد من المطاعن التي طعنوا فيه والافات التي ذكروا فيه وابراء عن العيوب التي قرفوا به من نحو السحر والكهانة والجنون والافتراء على الله واقرب الى المعرفة بانه رسول لانه لما ياتي بهم من الايات والحجج يعرفون انها سماوية لما عرفوا انه لم يتعلم السحر ولا اخذ واصلبه بكذب قط ولا جن قط بما كان نشاه فيما بين اظهرهم وقوله عز وجل عزيز عليه ما عنتم قيل شديد عليه ما اعنتكم اي ما ضيق عليكم وضركم وقال القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم اي شديد عليه ما اثمتم وقال ابو عوسجة هو من الاثم اقرب وهو يحتمل كل اثم الكفر وغيره حريص عليكم قال بعضهم حريص على من لم يسلم ان يسلم وحريص عليكم بالهدى والرشد بالمؤمنين رؤف رحيم رحمة الدين والاسلام لا رحمة الطبيعة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله بالمؤمنين رؤف رحيم سماه بفعله العمل الحسن وبرافته ورحمته بذلك اي استحق ذلك الاسم بفعله وانما سماه بذلك لان عمله كان لله لم يكن عمله لنفسه شيئا وكذلك ماله واكسابه فلذلك لم يكن ماله ميراثا بين ورثته وقوله عز وجل فان تولوا اي اعرضوا عن اجابتك ودعايك اياهم الى الايمان والتوحيد فقل حسبي الله اي يكفيني الله لا اله الا هو ويحتمل قوله فان تولوا عنك وردوا اجابتك والطاعة لك والانقياد وهو اي يكفيني ولك ويكفي واياك فقل حسبي الله اي كفاني لا اله الا هو عليه توكلت اي على ما وعد في من النصر والظفر اي اتكلت على وعده وكلت امري اليه ويحتمل قوله فان تولوا عن نصرك ومعونتك على الاعداء فقل حسبي الله في النصر والمعونة على الاعداء ويكفيني عليهم هذا في هذا الموضع اقرب لانه ذكر على اثر ذكر المنافقين ويحتمل ما ذكرنا من الاعراض عن التوحيد والاجابة له وقوله عز وجل وهو رب العرش العظيم قيل هو رب الملك العظيم اي كل ملك عند ملكه صغير ليس بملك فان كان العرش هو السرير على ما قاله بعض اهل التاويل فهو والله اعلم السرير الذي يكرم به الاخيار من الخلايق والابرار منهم وقد ذكرنا ما قيل فيه فيما تقدم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب الحكيم قد ذكرنا الوجه في احرف المقطعات في صدر الكتاب وقوله تلك ايات الكتاب الحكيم قال بعضهم الحكيم هو الله كانه قال الكتاب ايات الله وقال بعضهم الحكيم هو صفة القران والكتاب ثم يحتمل وجهين يحتمل انه سماه حكيما لما بمعنى انه محكم ويجوز تسمية المفعول باسم الفعيل نحو قتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح ونحو ذلك فيه الحلال والحرام والامر والنهي او محكم متقن مبرم من الباطل والكذب والاختلاف وهو ما وصفه تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية والثاني سماه حكيما لان من تامل فيه ونظر وفهم ما اودع فيه وادرج صار حكيما وهو ما وصفه وسماه مجيدا اي من تامله ونظر فيه صار مجيدا شريفا والحكيم هو المصيب في الحقيقة ان كان صفة القران او صفة الله فان كان صفة الله فهو حكيم واضع كل شي موضعه فان كان صفة للقران فهو كذلك ايضا واضع كل شي موضعه وقوله ايات يحتمل ايات الكتاب المعروف ويحتمل الحجج والبراهين اي حجج الكتاب وبراهينه او اعلامه وقد تقدم ذكر الايات في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل اكان للناس عجبا يحتمل وجهين يحتمل اي قد عجبوا ان اوحينا الى رجل منهم ويحتمل يعجبون ان اوحينا الى رجل منهم على الاستيناف كانوا يعجبون من ثلاث من انزال القران على رجل منهم بعجز الخلايق عن اتيان مثله ويعجبون من الوحي الى رجل منهم وارساله رسولا من بين الكل او من البشر كقوله ابعث الله بشرا رسولا او كقوله ا انزل عليه الذكر من بيننا وكانوا يعجبون من البعث كقولهم ايذا متنا وكنا ترابا الاية ثم يحتمل قوله الى رجل منهم اي من البشر اي لا يعجبون ان اوحينا الى رجل من البشر فان الايحاء الى من هو من البشر ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرافة والرحمة لان البشر يعرفون خروج ما هو خارج عن طوق البشر ووسعهم ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم وغير جنسهم ويالف كل جنس بجنسه وكل جوهر بجوهره ولا يالف غير جوهره ولا غير جنسه فاذا كان ما وصفنا كان بعث الرسل من جنس المبعوث وجوهرهم ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرافة والرحمة ويحتمل قوله ان اوحينا الى رجل منهم اي من الاميين اي لا يعجبوا ان اوحينا الى رجل منهم امي فان ذلك ابلغ في التعريف والحجاج لانه بعث اميا لم يعرفوه بدراسة الكتب المتقدمة او تلاوة شي منها ولا اعرفوه اختلف الى احد منهم في تعلم كتبهم ولا عرفوا انه كتب شيئا او خط خطا قط ثم اخبر عما في كتبهم على موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير لسانه دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى فذلك ابلغ في اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم وقوله عز وجل ان انذر

الناس قال بعضهم الانذار يكون في كل مكروه مرهوب والبشارة في كل محبوب مرغوب وقال بعضهم ان انذر الناس يعني الكفار بالنار وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم اختلفوا في قوله قدم صدق عند ربهم قال بعضهم ان لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة يقدمون عليها وقيل قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم وقيل انهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة التي قدموها بين ايديهم قدم صدق اي سلف خيرا وسلف وعد وعدهم بذلك وكان اصله من القدم قال ابو عوسجة يقال في الكلام لفلان عندي قدم صدق وبصدق اي نعمة قد اسلفها الي وقال القتبي قدم صدق يعني عملا صالحا قدموه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سبق لهم السعادة في الذكر الاول من قال قدم صدق هو الشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق اي واقعة ومن قال وعد وثواب اعمالهم اي تقدم لهم وهو حق وصدق ويحتمل قدم صدق اي ثبت قدمهم لا تزل على ما وصف من ثبوت قدم المؤمنين والقرار وتزل قدم الكافرين كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وقوله عز وجل قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ومن قرا لسحر يعني هذا القران ومن قرا لساحر بالالف عني به النبي ثم السحر هو الذي يتراءى في الظاهر انه حق وهو في الحقيقة باطل لا شيء ثم هو ياخذ الابصار وياخذ العقول فاما الذي ياخذ الابصار هو ما يري الشيء على غير ما هو في الحقيقة والذي ياخذ العقول هو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا وقال فرعون لموسى اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مجنونا لكن هؤلاء لم يريدوا بقولهم لساحر السحر الذي ياخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذي ياخذ الابصار يقول انه وان كان اخذ الابصار في الظاهر فهو لا شيء في الحقيقة ولكن في قولهم ان هذا لساحر مبين دليل انهم عجزوا عن رده وعرفوا انه حق لكنهم ارادوا التمويه على الناس كقول فرعون لسحرته حيث امنوا برب موسى انه لكبيركم الذي علمكم السحر ارادوا ان يموه على الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ان القوم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون الاحبار والرهبان اربابا من دون الله يقول ان ربكم الذي يستحق العبادة والالوهية هو الذي خلقكم وخلق السموات والارض لا الذي تعبدونه وقوله في ستة ايام ثم استوى قد تقدم ذكره في صدر الكتاب وقوله عز وجل يدبر الامر هو ايضا على الاول ان الذي يستحق صرف العبادة اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذي يدبر الامر في مصالح الخلق في جر المنافع اليهم ودفع المضار عنهم لا الذين لا يملكون جر المنافع الى انفسهم او دفع المضار عنهم فضلا ان يملكوا جرها الى من يعبدهم او دفع المضار عنهم قال بعض اهل التاويل يدبر الامر اي يقضيه والتدبير والقضاء واحد وقال بعضهم يدبر يقدر وهو ما ذكرنا التدبير والتقدير سواء وقوله عز وجل ما من شفيع الا من بعد اذنه الشفيع هو ذو المنزلة والقدر عند الذي يشفع اليه لا احد في الشاهد يشفع لاخر الى اخر الا بعد ان يكون الشفيع عند الذي يشفع اليه ذا منزلة وقدر فاذا كان كذلك فيخرج ذلك ايضا لا يشفع الا من بعد ما اذن له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم فاعبدوه يقول ذلكم الذي يستحق العبادة هو ربكم الذي خلقكم وخلق السموات والارض ودبر اموركم فاعبدوه ولا تعبدوا الذي لا يملك شيئا من ذلك افلا تذكرون انه هو المستحق العبادة وهو المستوجب الشكر لا الذين تعبدون انتم او ان يقول افلا تذكرون ان الذي خلقكم وخلق السموات والارض هو ربكم وهو يدبر امور الخلائق في مصالحهم ما يرجع الى مصالحهم في دنياهم ودينهم لا الذين يعبدون من دون الله والله اعلم وقوله عز وجل اليه مرجعكم جميعا اليه مرجع الخلائق كلهم في جميع الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لما ان الخلائق كلهم يعلمون يومئذ انهم راجعون اليه وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا هم بارزون له في الدنيا والاخرة لكنهم يومئذ يعرفونه ويقرون بالبروز له وكذلك الملك يومئذ لله الملك لله في الدنيا والاخرة وفي الاوقات جميعا لكنه خص ذلك اليوم لما لا ينازع في الملك في ذلك اليوم وفي الدنيا من قد نازع في ملكه هذا والله اعلم وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وان كان الملك له في الدارين جميعا فعلى ذلك المرجع اي في البعث رجوعا اليه لما المقصود من انشائه البعث فسماه بذلك لما ذكرنا الا ترى لو لم يكن المقصود من انشائه اياهم سوى الا والانشاء كان خلقه عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله عز وجل وعد الله حقا البعث الذي ذكر انه يبدا الخلق ثم يعيده ويحتمل وعد الله حقا من الثواب والعقاب في الاخرة الثواب للمحسن منهم والعقاب للمسيء وقوله انه يبدا الخلق ثم يعيده اي عرفتم انه هو الذي بداكم والخلق جميعا فكذلك هو يعيدكم بعدما افناكم اذ بدء الشيء على غير مثال اشد عندكم من اعادته على مثال كقوله وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي اعادة الشيء اهون عندكم من بدائه وقوله عز وجل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط قيل بالعدل لكن ما يجزيهم انما يجزيهم افضالا واحسانا لا استيجابا واستحقاقا ثم يحتمل قوله بالقسط وجوها احدها انه يجزي المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة ويفصل بين الولي والعدو في الاخرة في الجزاء ويجعل للولي علامة يعرف بها من العدو اذ لم يفصل في الدنيا بين الاولياء والاعداء في الرزق وما يساق اليهم من النعم ولا يجعل علامة يعرف بها الولي من العدو ويجعل في الاخرة ذلك حتى يعرف هذا من هذا فهذا العدل الذي ذكرنا يشبه ان يكون هو ذلك ويحتمل القسط الوزن اي يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع لا على القدر اي يجزي بالحسنة قدرا لا يزيد على ذلك ولكن يجزي الخير خيرا والحسنة حسنة

والسيئة سيئة ويحتمل قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل اي يجزي الذين عملوا بالعدل لم يجوروا فيه ولا جاوزوا الحد الذي حد لهم ولكن عملوا بالعدل فيه ويشبه ان يكون على تقديم العدل ليجزي الذين امنوا بالعدل اي لا يعذبهم في النار اذا امنوا ثم الذين عملوا الصالحات يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والله اعلم بالصواب من ذلك وقوله عز وجل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي يجزيهم في الاخرة بالقسط في الدنيا وهو لو لم يكن القسط على هذا التاويل فما لهم وان كان ما ذكر من القسط وجعل الى الله وفضاله فهو يخرج على وجوه احدها يجزي قربا من المؤمنين بالعدل يجزي لاحسانهم جزاءهم الاحسان ويكفر عن سيئاتهم وهو كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وقوله ان الله لا يغفر الاية والثاني يجزيهم بالفضل فالعدل هو وضع الشيء موضعه ان يضع الفضل في اهله لا يضعه في غير اهله ووضع الفضل في اهل الايمان عدل اذ هم اهل له والله اعلم وهو كقوله ويؤت كل ذي فضل فضله والثالث العدل الذي هو مقابل الاحسان وهو الفضل لا العدل الذي هو ضد الجور كقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية لا يحتمل ان يقول لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في العدل الذي هو ضد الجور في مثل هذا يستطيعوا بينهم فعلى ذلك قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل الذي هو مقابل الاحسان هو الفضل اذ الفضل درجات واصله ان جزاء الاخرة كله افضال واحسان وانعام لا استحقاقا واستيجابا وقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم قيل الحميم هو الشراب الذي انتهى حره وغايته وقوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر في الشمس الضياء وفي القمر النور فهو والله اعلم لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويغلب على ظلمة الليل ويقهرها واما النهار فهو مبصر على ما ذكره عز وجل والنهار مبصرا جعل فيه النور فلو جعل في الشمس النور خاصة لكان لا يظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق فجعل عز وجل بلطفه فيها ضياء ليظهر نورها على نور النهار ويغلبه ويقهره ليظهر المنافع التي جعل فيها للخلق وهو ما ذكر انه مد الظل واخبر انه لو شاء لجعله ساكنا ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعل بقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل لكان لا يعرف الظل ثم اخبر انه جعل الشمس دليلا عليه ليعرف بها الظل فينتفع الشمس ذلك الظل الممدود شيئا بعد شيء فصارت الشمس بها يعرف الظل وبها يظهر فعلى ذلك الضياء الذي في الشمس كان به يعرف نورها من نور النهار وبه يوصل الى منافع الشمس ولو كان نورا لكان لا يعرف ولا يظهر اذ لا يغلب احدهما صاحبه والله اعلم ولا يعرف الشمس من نور النهار ثم جعل اية الشمس غالبة على جميع الايات لا يبصر النجوم بالنهار اصلا والقمر وان كان يبصر ويرى بحال فان نور الشمس قد يغلبه ويقهره حتى لا يظهر ابدا وقوله عز وجل وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يشبه ان يكون التقدير الذي ذكر لهما جميعا ويعرف الحساب وعدد السنين بهما جميعا ولكن ذكر في حرف حفصة وقدرهما منازل ويجوز ان يكون جعل الشمس بالذي يعرف بها اوقات الصلاة والازمنة من الشتاء والصيف لا يعرف ذلك بالقمر وجعل في القمر معرفة الشهور والسنين وفي الشمس معرفة اوقات الصلوات والازمنة لا يعرف الشهور والسنون الا بعد جهد وبالقمر لا يعرف اوقات الصلوات والازمنة جعل الله تعالى في الشمس منفعتين منفعة التقلب ومعرفة الازمنة ومنفعة نضج الاشياء ويبسها وفي القمر منفعتين ايضا احدهما معرفة حساب الايام والشهور والسنين ومنفعة نضج الانزال والاشياء وقوله عز وجل لتعلموا عدد السنين والحساب ليس ان يعرف هذا بهما ولا يعرف غيره بل يعرف ما ذكر واشياء كثيرة وقوله عز وجل ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الاصم الكيساني ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفة وقال قائلون ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الشهادة له على الخلق وهي شهادة الوحدانية والالوهية وقال بعضهم ما خلق الله ذلك الا بالامر الكائن لا محالة وهو البعث ويحتمل قوله ما خلق الله ذلك الا بالحق اي بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ولكن بحكمة وقوله عز وجل نفصل الايات لقوم يعلمون قيل نبين او نفصل لقوم ينتفعون بعلمهم انما ذكر الايات فيما ذكر لقوم يعلمون ولقوم يفقهون الايات التي ينتفعون بها ويعقلون الشيء انما يعقلون بكون الذي ينتفع به لا الذي لا ينتفع به وقوله عز وجل ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ان في اختلاف الليل والنهار اية البعث ودلالة تدبير صانعهما اما دلالة البعث ان كل واحد منهما اذا جاء ذهب الاخر وفني حتى لا يبقى له الا اثر ثم يتجدد ويجدد ثان على ذلك الامر ما ويتلف كل واحد منهما صاحبه حتى لا يبقى له الاثر فمن قدر على ما ذكرنا قدر على بعثهم وانشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا ورمادا التدبير هو جريانهما وسيرهما على سنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت او نقصان يقع فيهما او زيادة وان كان احدهما يخلف الاخر دل ما ذكرنا انهما انما يجريان ويختلفان على سنن واحد وجريان واحد ان فيهما تدبير غير ذاتي وعلم اخر وان واحدا لو كان التدبير فيهما العدد لكانا يختلفان ولا يجريان على قدر واحد من غير تفاوت ان فيهما تبين بها ونقصان او زيادة دلالة واحد وبالله التوفيق وفي ذلك دلالة وحدانية منشئهما وخالقهما لاتساقهما وبينهما من البعد ما بينهما وجعل منافع احدهما متصلة بمنافع الاخر على بعد ما بينهما دل ان منشئهما واحد اذ لو كان فعل عدد منع كل فعله عن الوصول بالاخر على ما هو فعل ملوك الارض وقوله لقوم يتقون مخالفة الله ويتقون جميع الشرور والمساوي وقوله عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا قال قائلون لا يخافون لقاءنا من الرجاء اي لا يرجون ما وعد للخلق من الثواب ولا يرغبون فيما يرجى ويطمع من الرغائب وقال بعضهم لا يرجون لقاءنا اي لا

يخافون لقاءنا وما من خوف الا وفيه رجاء وما من رجاء الا وفيه خوف لان الخوف الذى لا رجاء فيه هو اياس والرجاء الذى لا خوف
فيه امن لكن الغالب فى الحسنات والخيرات الرجاء وفيه خوف والغالب فى السيئات والشرور الخوف وفيه اوفى الرجاء وهو ما ذكرنا فى
الشكر والصبر انهما واحد لان الصبر هو كف النفس عن الشهوات واللهوات والشكر هو استعمالها فى الخيرات فاذا كفها عن الشهوات استعملها
فى الخيرات لذلك قلنا انهما فى الحقيقة واحد لان الشكر هو القبول وكذلك الصبر ايضا فهو ان الشكر فى قبول النعم والصبر فى قبول البلايا و
المصايب والله اعلم بصيركانه قال ان الذين لا يؤمنون بالاخرة وقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اى اختاروا المقام
فيما عملوا بها كانهم مقيمون فيها ابدا والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون من ردهم الايات وكفرهم
وقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يحتمل وجهين احدهما سروا بها واثروا ثواب محاسن الدنيا على ثواب الاخرة والثانى رضوا
بالدنيا والطمانينة فيها منعهم عن التفكر والنظر فى امر الاخرة وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم فى الدنيا طريق الجنة فى الاخرة وهو معنى ما ذكر فى القصة ان المؤمن اذا خرج من القبر يصور له عمله فى صورة حسنة و
الثانى يهديهم ربهم بايمانهم فيصيرون مهتدين بهدايته اياهم ويشبه يهديهم ربهم بايمانهم او يدعوهم الى الخيرات فى الدنيا بايمانهم
والله اعلم فهذا على المعتزلة لانهم يمتنعون عن تسمية صاحب الكبيرة مؤمنا ومعه ايمان فيلزمهم ان يمتنعوا وعدهم وان كان معه
ايمان فاذ ذكر له الوعد مع هذا لزمهم ان يسموه مؤمنا لما معه من الايمان وقوله عز وجل تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم
يقول اهل التاويل من تحت اهل الجنة وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل دعواهم فيها سبحانك اللهم قال قايلون قوله دعواهم دعوى
الايمان اى يدعون فى الاخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا فى الدنيا وحدانية الله ونزهوه وقوله سبحانك اللهم
هو حرف تنزيه وتبرية الرب عن الاشياء وجميع الاذات التى وصفته المشبهة الملحدة فهذا يدل ان ما خرج مخرج الدعوى فانه لا
يختلف باختلاف الدور وقال عامة اهل التاويل هو من الدعاء لان الدعوى يقولون انهم اذا اشتهوا طعاما او شرابا وتمنوا شيئا
فيه عون بقولهم سبحانك اللهم فيؤتون ما تمنوا واشتهوا لكن ذكر ان لا ينقطع اللذات فى الجنة ولو كان ما يقولون لكان فيه انقطاع
اللذات والشهوات الا ان يقال انهم يلهمون شهوات وامانى فيشتهون وقال الله عز وجل ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون ولا نعلم ما اراد به وقوله سبحانك اللهم يخرج على وجوه احدها يخبر انه ليس على اهل الجنة من العبادات شئ
سوى التوحيد وهو كلمة التوحيد والثانى يقولون ذلك لعظيم ما راوا من النعيم وعجيب ما عاينوا والثالث شكرا لما اعطاهم من
الوان النعيم ولا طعمه وقوله عز وجل وتحيتهم فيها سلام قال اهل التاويل ان الملائكة ياتون من الوان النعيم بما اشتهوا ويسلمون
عليهم ويردون السلام على الملائكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فاذا طعموا وفرغوا قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين
وهو قول ابن عباس وغيره من اهل العلم وقيل ويشبه ان يكون قوله وتحيتهم فيها سلام والكلام الذى لا عيب فيه ولا مطعن اى
كلام بعضهم لبعض كلام منزه منفى عن جميع العيوب والمطاعن كقوله لا يسمعون فيها لغوا الاية وقوله الا قيلا سلاما سلاما وضع
وقوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال اهل التاويل يقولون على اثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك وقال الحسن انه
رضى من عبادة بالشكر لما انعم عليهم فى الدنيا والاخرة بالحمد لله رب العالمين ويشبه ان يكون قوله واخر دعواهم اى دعواهم فى الاخرة
الحمد لله رب العالمين كما كان دعواهم فى الدنيا الحمد لله رب العالمين وقوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى
اليهم اجلهم كان الاية على الاضمار كانه قال ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضى اليهم اجلهم لانه
ليس بذكر فى ظاهر الاية استعجالهم الشر انما يذكر تعجيله ولكن فيه ما ذكرنا من الاضمار اضمار الاستعجال وهو ما ذكر فى غير اى من القران
استعجالهم العذاب كقوله اتى امر الله الاية وقوله امطر علينا حجارة الاية ونحو ذلك كانوا يستعجلون العذاب استعجال التضرع فيقول
لو يعجل لهم العذاب اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضى اليهم اجلهم يقول لهلكوا وفنوا هذا الناس وهذا اهل الكفر خاصة عند استعجالهم
العذاب استعجال التضرع وسؤال ويشبه ان يكون هذا فى جملة الخلق على غير تضرع سؤال ولكن عند ارتكابهم الشر يقول لو يعجل الله
للناس الشر باكتسابهم الشر وبارتكابهم اياه وقت اكتسابهم كما يعجل لهم الخير وقت اكتسابهم الخير لقضى اليهم اجلهم جزاء شرهم
وقت اكتسابهم الشر كما يعجل لهم جزاء خيرهم كان ما يستوجبون بارتكابهم الشر وقت فعلهم اياه لقضى اليهم اجلهم لكنه لم يعجل لهم ذلك
واخره الى المدة التى جعل لاجالهم ويكون وجه اخر وهو ان يخرج بعضهم على بعض باللعن والخزى يعنى الرجل عند شرح الغضب اللهم
العن فلانا اللهم اخزه ونحو ذلك من الدعوات يقول لو يعجل لهم هذا كما يعجل لهم عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة لقضى اليهم
اجلهم لهلكوا وفنوا ويكون ذلك انقضاء اجلهم على وجوه ثلثة احدها استعجال سؤال وتضرع الذى ذكرنا والثانى
باغناهم وارتكابهم الشر وقت ارتكابهم والثالث فى الاسباب التى يهلكون ويفعلون وقوله لقضى اليهم اجلهم يحتمل قضى
لا يؤخر ولا يؤخذ وهو ما ذكر ان يدعى الغايب ساعة ولا يستقدمون وقوله عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم
يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمته ان لا يعاقب احدا من الكفرة بصنيعه الذى صنع وتدبيجهم خيرا منه فى الدنيا للماثق
اليهم من انواع النعم ولكن من حكمته ان يؤخر عقوبتهم الى يوم القيامة فذلك تاويله والله اعلم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم

يعمهون اى نتركهم يترددون فى عماهم وحيرتهم الى الوقت الذى وعدهم العذاب والله اعلم وقوله عز وجل واذا مس الانسان الضر
دعانا لجنبه او قاعدا او قائما قال بعض اهل التاويل جميع ما ذكر فى القران الانسان فالمراد منه الكافر من ذلك قوله يا ايها الانسان انك
كادح وقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله والعصر ان الانسان لفى خسر ونحوه لكن هذا لا نعلم انه اراد به الكافر فلين كان
ما ذكر وان اهل الايمان يدخلون فى هذا الخطاب اذ كان منهم ما يكون من الكفرة لان من اهل الايمان من يقبل على الدعاء والتضرع
الى الله عند مسه الحاجة والشدة فاذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعاء الذى كان دعا وذلك التضرع الذى كان يتضرع
اليه فتخلف ذلك ثم وقوله دعانا لجنبه او قاعدا او قائما ليس على ارادة حقيقة الجنب والقعود والقيام ولكن على الدعاء فى كل حال
اى يدعوه لما عرفوا ان الذى كانوا يعبدون من دون الله لا يملكون دفع ما حل بهم من الشدايد والعناد اقبلوا على الله بالتضرع و
الدعاء اليه فى كشف ذلك عنهم ثم اخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعودهم الى الحالة التى كانوا من قبل فقال فلما كشفنا عنه ضره
مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقول والله اعلم مر كان لم يدعنا قد نسينا فى الحال كان لم يدعنا وان التعدى من الحد الذى جعل له وهو وضع
الاموال والانفس فى الموضع الذى لا ينتفعون بها فى عبادة الاصنام وغيرها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اهلكنا القرون من قبلكم
لما ظلموا فان قيل قد اهلك من الظلمة امم انما اهلكهم لظلمهم واهلك لصلاح من لم يظلم قيل انه اهلك الظلمة اهلاك استيصال وعقوبة
واهلك من لم يظلم لا اهلاك عقوبة واستيصال انما هو اهلاك باجالهم التى جعلها ويحتمل قوله ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا
وجاءتهم رسلهم بالبينات انما اهلك اولئك لسؤالهم الذى سالوا سؤال تعنت رسلهم الايات كانما جاءتهم الايات كذبوها فاهلكوا
عند ذلك فانتم يا اهل مكة انما سالتم رسولكم الايات ثم كذبتموها الحقكم كما عذبوا اولئك اذ من حكم الاهلاك على اثر الرسول كما ان يبقى اهل
مكة عن سؤال الايات فان على اثره الاهلاك انهم يتبعونها وقوله عز وجل وجاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل البينات التى تبين ما
يؤتى وما يتقى وقد ذكرناها فى غير موضع وما كانوا ليؤمنوا بخبر رسولهم انهم وان سالوك الايات فاذا جئت بها فانهم لا يؤمنون
يعنى اهل مكة كذلك نجزى القوم المجرمين كل مجرم وقوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم يحتمل قوله خلائف اى جعل
انفسكم خلف انفس اولئك الذين لم يهلكهم فجرج هذا مخرج تذكير النعمة والامتنان والوعيد يذكرهم انه لو شاء اهلك الكل فلا يكون
هؤلاء خلفا اولئك ولكن بفضله ورحمته ابقاكم ويحتمل قوله جعلناكم خلائف اولئك فى المحنة والعبادة اى جعل عليكم من المحنة
والعبادة كما كان على اوايلكم من المحنة والعبادة ويشبه ان يكون قوله جعلناكم خلائف الذين لم يظلموا فكيف لا تتبعونهم لان الذين
ظلموا قد اهلكهم فانتم خلائف اولئك الذين لم يظلموا ولم يكذبوا الرسل فكيف لا تتبعونهم كانهم ادعوا ان اباهم كانوا على ما هم عليه و
انهم على مذاهب ابائهم يقول جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم اى لست انا باول رسول ارسلنا اليكم بل لم يزل الله يبعث رسولا فى الامم
فكان فيهم لهم اتباع يتبعون رسلهم الى ما يدعونهم اليه ويجيبونهم فانتم يا اهل مكة فيما دعيتم اليه وقوله عز وجل لننظر كيف
تعملون لم يزل الله عالما بما كان ويكون منهم من المعصية والطاعة ولكن ليعلمهم عصاة ومطيعين لان المعصية انما تكون بعد ما يكون
النهى والطاعة انما تكون بالامر فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم مطيعين كما علم انه يكون منكم الطاعة وقد
ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات البينات قد ذكرنا فى غير موضع والبينات هى التى
تبين انها ايات نزلت من عند الله لم يخترعها احد من الخلق وقد ذكرنا قوله ايضا قال الذين لا يرجون لقاءنا وقوله عز وجل ائت بقران
غير هذا او بدله يشبه ان يكون قوله ائت بقران غير هذا او بدله الاترى انه قال قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اجابهم فى
التبديل دلالة ان السؤال كان تبديل ولكن كانوا يسالون سؤال استهزاء وتكذيب ثم اختلف اهل التاويل فى التبديل الذى سالوا قال بعضهم
سالوا ان يبدل ويجعل مكان اية العذاب اية الرحمة او بدل احكامه ويحتمل قوله ائت بقران غير هذا اى بدل احكامه وانزل رسمه ويحتمل
ما ذكرنا انهم سالوا ان يتلو مكان اية العذاب اية الرحمة ومكان ما فيه سب الهتهم مدحها ونحو ذلك والله اعلم ونحن لا نعلم ما اراد بالتبديل
تبديل الاحكام وتبديل الرسم والنظم انما نعلم ذلك بالسماع ثم اخبر انه لا يبدل ولا يتبع الا ما يوحى اليه ويؤمر به بقوله قل ما يكون لى ان ابدله
من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى وقوله عز وجل انى اخاف ان عصيت ربى فان تركت تبليغ ما امرت بالتبليغ اليكم وهكذا كل من عرف
ربه خاف ان عصاه وخالف امره ونهيه ومن لم يعرف ربه لم يخف ان عصاه وخالف وقوله ائت بقران غير هذا او بدله سؤالهم سؤال
تعنت واستهزاء لانه منفعة لهم لا فى تغييره وتبديله سوى ما فى هذا ولو جاز لهم هذا السؤال لجاز ذلك فى كل ما اتى واحدا بعد واحد فذلك
مما لا ينقطع ابدا ولا غاية ولا نهاية فسؤال تعنت واستهزاء وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به هو صلة ما
تقدم من قوله حيث قالوا ائت بقران غير هذا او بدله قد ذكرنا ان هذا يحتمل وجهين يحتمل انهم سالوه ان يبدل احكامه على ترك
رسمه ونظمه ويحتمل قوله ائت بقران غير هذا او بدله اى ادفع رسمه ونظمه واحكامه كانهم ادعوا على رسول الله اختراع هذا القران
من نفسه واختلاقه من عنده فقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تاويله والله اعلم لو شاء الله ان لا يظهر دينه فيكم ولا الزمه حجته
ولا يبعثنى اليكم رسولا ما تلوته عليكم تاويله والله اعلم لو شاء الله ولا ادراكم به اى ولا اعلمكم به ويحتمل قوله ولا ادراكم ولا اعلمكم
ما فيه من الاحكام او يقول لو شاء الله لم يوح الى ولا امرنى بتبليغ ما اوحى الى اليكم ولا بالدعاء الى ما امرنى ان ادعو كقوله وفى قوله

لو شاء الله ما تلوته عليكم فلو لم يشا ان يتلوه ما تلاه دل ان ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وذلك يرد على المعتزلة قولهم شاء الله ان يؤمن الخلايق كلهم لم يؤمنوا والله اعلم وقوله عز وجل فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون اى فقد لبثت فيكم عمرا من قبل فلم ادع ما ادعى الحال ولا تلوت ما اتلوا فلو تعقلون انى لم اخترع هذا من نفسى ولكن وحى اوحى الى اذ لو كان اختراعا منى لكان ذلك منى فيما مضى من الوقت وكنت لابثا فيكم فاذ لم يكن منى ذلك افلا تعقلون انى لم اخترع من نفسى يحتمل هذا الكلام وجوها احدها انهم لما ادعوا عليه الاختراع من عنده قال انى قد لبثت فيكم من قبل اى قبل ان يوحى هذا الى فلم تروني خططت بيمينى ولا اختلفت الى احد فى التعلم والدراسة فكيف اخترع من عندى والتاليف لا يلتام ولا يتم الا باسباب متقدم والثانى فقد لبثت عمرا سنين لم تعرفوني ولا اتهمتمونى كذب قط فكيف افترى على الله ولم اخترع القران من عند نفسى لا تزكا ثم قال على اثره فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا والثالث يحتمل قوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم اسمع احدا ادعى البعث ولا اقام حجة عليه وانا لما ادعيت البعث و اقمت على ذلك حجة افلا تعقلون هذا انى لم اخترع من عند نفسى وقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته يشبه ان هذا صلة قوله ايت بقران غير هذا او بدله اى كيف تطلبون منى اتيان غيره وتبديل احكامه وقد تعرفون قبح الكذب وخبثه فكيف تسالوننى الافتراء على الله وتكذيب آياته ويحتمل ان يكون صلة ما ادعوا عليه انه افتراه من عند نفسه بقولهم انكم لم تاخذوني بكذب قط وقد لبثت فيكم عمرا فكيف تنسبوني الى الكذب على الله وقد عرفتم قبح الكذب على الله وخبثه ويحتمل على الابتداء ثم قد ذكرنا ان قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام لجوابه ما قاله اهل التاويل لا احد ابين ظلما واخش ممن افترى على الله كذبا لان ما قالوه وقد ذكرنا هذا فى غير موضع او كذب بآياته الافتراء على الله بتكذيب آياته والتكذيب بآياته افتراء على الله وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم لو تركوا عبادته ولا ينفعهم ان عبدوه والثانى ما لا يضرهم اى ما لا يملكون الضر بهم ولا ينفعهم اى ولا يملكون جر النفع اليهم بسفههم فى عبادتهم من لا يملك بهم دفع الضر ولا يملك جر النفع وتركهم عبادة من يكون جميع منافعهم وغوائهم ومنه يكون كل خوف ورضى والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يحتمل هذا القول منهم تقليدا لآبائهم كقولهم وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ظنوا ان آباءهم لما تركوا وما هم عليه لم يعذبوا انهم على الحق وان الله قد رضى بذلك وقالوا ذلك لما رأوا انفسهم اهلا لعبادة الله والقيام بخدمته وقد يكون مثل هذا فى ملوك الارض ان كل احد لا يرى نفسه يصلح لخدمة الملك فيخدم من دونه المتصلين به رجاء ان يكون من خدمه شفيعا له عند الملك فعلى ذلك هؤلاء طمعوا ان عبادتهم هؤلاء تقربهم الى الله زلفى ويكونون لهم شفعاء عند الله والله اعلم وقوله عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض يقول اتنبئون الله بما لا يعلم اى تعلمون انه عالم اى تعلمون من يعلمون انه يعلم ما ذكر وانتم لا تعلمون ذلك وقد تعلمون انه لو كان كذلك لكان هو اعلم به منكم والثانى ان تقولوا ما لا يعلم اى يعلم انه ليس كما تقولون كقول الناس ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون اى ما يشاء ان لا يكون لا يكون وقوله سبحانه كلمة جعلت لاجلال الله عما يحتمله غيره من الاشكال والاضداد ومن العيوب والآفات ثم فى هذا الموضع يتوجه الى وجهين اذ كانوا يعبدون ما ذكر ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فيقول سبحانه ان يجعل لامثال اولئك شفاعة عنده اذ الشفيع انه يكون من له منزلة وقدر عند من يشفع له والمنزلة تكون بعبد بما يتبعه هم فيقومون بتوقير ما يحتمل وسعهم من العبادة فاما من لا يحتمل التعبد فهو بعيد عما ذكر بمعنى سبحانه اى يجعل الشفاعة لمن ذكر دون الانبياء والرسل وهم قد اخبروا انها لا تملك ضرا ولا نفعا وفى الشفاعة عنده ذلك والثانى ان يكون عما اشركوا فى العبادة فسبحانه عن ان يكون معه معبود او اذن لاحد بعبادة غيره والله اعلم وقوله عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فيه قال بعضهم قوله ما كان الناس الا امة واحدة اى اهل مكة كانوا كلهم اهل شرك عباد الاوثان والاصنام لم يكن فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شئ من اختلاف المذاهب فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من آمن به وصدقه واخلص دينه لله ومنهم من عاند وكابر فى تكذيبه بعد ان عرف انه رسول الله ومنهم من شك فيه ومنهم من لم ينظر فى امره قط ولا تفكر فيه فصاروا اربع فرق وقال بعضهم ما كان الناس الا امة واحدة بالفطرة اى كانوا جميعا على الفطرة وفى فطرة كل الشهادة على وحدانية الله تعالى والربوبية كقوله وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وقوله فطرة الله التى فطر الناس عليها فى خلقة كل احد الشهادة لله بالوحدانية له والالوهية فاختلفوا فمنهم من كان على تلك الفطرة ومنهم من كذب واختار الكفر وهو ما روى كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه اخبر انهم على الفطرة لو تركوا على ذلك لكن ابويه يمنعانه على الكون عليها وقيل ما كان الناس الا امة واحدة اى كان الخلايق جملة امم كقوله وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم كانه يعاتب هذه الاية يقول ان الامم مع اختلاف جواهرها واجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له فانتم ايها الناس امة من تلك الامم فكيف اختلفتم واشركتم غيره فى الوهية وربوبيته مع ما ركب فيكم من العقول والتمييز بين ما هو حكمة وما هو سفه وقد فضلكم على غيرها من الامم فى خلق ما خلق فى السموات وما فى الارض لكم وسخر لكم ذلك كله ما لم يفعل ذلك بغيره من الامم ومنهم من قال من اهل التاويل فى قوله ما كان الناس الا امة واحدة زمن نوح نوح ومن دخل معه فى السفينة كانوا على دين واحد ثم اختلفوا بعد ما خرجوا ومنهم من قال آدم فاختلف اولاده ومنهم من قال ابرهيم لكنا نشهد كيف كان الامر فلا نعلم الا بخبر عن الله تعالى

وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون قيل لولا ان من حكمه ان لا يعذب هذه الامة عند تكذيبهم الاية اذا سالوها والا لاهلكهم كما اهلك الامم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السوال ولكن اخر تعذيب هذه الامة الى يوم والثانى سبقت من ربك ان لا يستاصل هذه الامة عند تكذيبهم الرسل والعناد لهم احد التاويلين فى ترك استيصالهم والاخر فى تاخير العذاب عنهم الى وقت وقوله لقضى بينهم ببيان يضطرهم الى القبول وقوله عز وجل ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله وجوابه والله اعلم ما ذكر لولا كلمة سبقت من ربك ان لا يعذب هذه الامة بتكذيبهم الآيات عند سوالها والا لعذبتم انتم كما عذبت الامم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السوال وقوله عز وجل فقل انما الغيب لله اى انكم تعلمون ان علم الغيب لله وقد انزل من الآيات ما يبين ويدل على رسالتى وقوله عز وجل فانتظروا انى معكم من المنتظرين قيل انتظروا هلاكى انى منتظر هلاككم لانهم كانوا يرصدون له الهلاك وقيل انتظروا مواعيد الشيطان انى منتظر مواعيد الله وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قال اهل التاويل اذقنا الناس يعنى اهل مكة اى اصابهم سعة وفرج ونجاة مما يخافون عاد والى ما كانوا من التكذيب وعبادة الاصنام ولكن اهل مكة وغيرهم انهم اذا ايسوا عما يعبدون من الاصنام والاوثان فزعوا الى الله ويخلصون له الدين كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقوله واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الاية وقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الاية وغير ذلك من الآيات مما يكثر عددها كانت عادتهم الفزع الى الله عند اصابتهم الشدايد والبلايا لعلمهم ان الاصنام التى كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك وقوله عز وجل اذا لهم مكر فى آياتنا المكر فى الآيات تكذيبها وردها فيشبه ان يكون الاية ههنا محمدا كان هو منا والامر الخاص واية مكروا به لما هموا بقتله غير مرة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل سائر الآيات والحجج مكروا بها اى كذبوها وردوها قل الله اسرع مكرا المكر الاخذ من غيبان يعلم هو به يقول الله اسرع اخذا ياخذكم وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تاخذوا رسول الله وتمكروا به الا وهو يعلم بذلك فهو اسرع اخذا منكم ان رسلنا يكتبون ما تمكرون فهم الحفظة ويحتمل قوله قل الله اسرع مكرا اى اسرع بجزاء المكر منكم او اسرع اخذا من حيث لا تعلمون انتم وقال بعض اهل اللغة المكر بالآيات هو الرد والجحود لها وقال بعضهم استهزاء بها فهو والله اعلم وقوله عز وجل هو الذى يسيركم فى البر والبحر اختلف فيه قال بعضهم قوله هو الذى يسيركم اى هو الذى سخر لكم ما به تسيرون فى البر والبحر وهو الدواب والسفن التى يقطع بها البرارى والبحار وهو كقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل قوله هو الذى يسيركم فى البر والبحر اى سخر لكم البر والبحر وما فيهما من الخوف والهلاك اى حفظكم فيهما حتى قضيتم فيهما حوائجكم وليس فى وسع الخلق حفظ البرارى والبحار وما فيهما من الاهوال فتولى الله بفضله حفظ السائرين فيهما حتى قضوا فيهما حوائجهم وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها الى آخر ما ذكر من انواع المنافع فلولا ان الله سخر لهم ذلك وحفظهم فيه والا لم يكن فى وسعهم القيام بذلك وحفظ انفسهم فيه من الاهوال التى فيه يذكركم نعمه ومننه التى انعمها ليرجعوا الى شكر نعمه اليه ثم قوله يسيركم فى البر والبحر يحتمل بخلق ومشى سيركم فى البر والبحر وهو كقوله وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى الاية والتقدير هو التخليق والمقدر المخلوق ففيه دلالة خلق افعال الخلق لان السير هو فعل الخلق اضافه الى نفسه دل انه منشئ فعلهم والله اعلم ويشبه ان يكون قوله هو الذى يسيركم فى البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسه ولكن اراد تذكير نعمه عليهم فى كل حال وكل وقت ليشكروا له فى كل حال وهو كقوله ظهر الفساد فى البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسه ما ولكن اراد المكان الذى فيه المياه والمكان الذى لا مياه فيه اى ظهر الفساد فى الاماكن كلها فعلى ذلك الاول يذكرهم نعمه التى انعمها عليهم فى الاماكن كلها والاحوال جميعا والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا كنتم فى الفلك اى ركبتم الفلك وجرين بهم بريح طيبة اى يجرى بهم السفن بريح طيبة يخبر ان السفن ليست تجرى فى البحار بجريان الماء لان ماء البحار فى الظاهر ولكن الريح هى التى تجريها وتسيرها وكذلك الامواج التى تكون فيها ليست لشدة جريان الماء ولكن الريح هى التى تهيج الامواج وتزعجها الا ترى الماء وفرحوا بها قيل فرحوا بها سروا بها ويحتمل فرحوا بها اى بطروا بها واشروا وقوله عز وجل جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان اخبر ان الريح اما هى طيبة هى تجرى بها السفن ومنها ما هى عاصف قاصفة تكسر وتغرق السفن وتهلك اهلها ليعلم ان الاشياء تصلح مرة وتفسد تارة لا لانفسها ولكن لحفظ الحدود فيها وكذلك النار تحرق مرة وتفسد ثم تصلح وذلك لحفظ الحدود فيها وكذلك الماء مرة يصلح ومرة يفسد وذلك اذا حفظ فيه الحد صلح وان لم يحفظ افسد والا لا يحتمل الشئ الواحد لنفسه يصلح مرة ويفسد تارة ولكن لحفظ الحدود فيه والله اعلم وقوله عز وجل وظنوا انهم احيط بهم قيل ايقنوا انهم مهلكون ولكن لا ايقان بالشئ الذى يصيب به فى حادث الاوقات انما يكون بالخبر لانه لا يدرى لعل الله يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان ولكن جعل غالب الظن فيه فى كثير من الاشياء كالايقان به الا ترى ان الله اباح الميتة فى حال الضرورة لغالب الظن اذ قد يجوز ان لا يهلك بذلك وكذا ما اباح المكره بالقتل ان يجرى كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن والا ليس يعلم بالاحاطة انه يقتله لا محالة لكن جعل الغالب الظن فى بعض المواضع حكم اليقين والاحاطة فعلى ذلك قوله ايقنوا انهم احيط بهم لغالب الظن به وقوله

عز وجل دعوا الله مخلصين له الدين انهم لما ايسوا عن الاصنام التي عبدوها في دفع ما حل بهم عنهم فزعوا الى الله واخلصوا
الدعاء له وقالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اخبر عن سفههم بعودهم الى ما كانوا من قبل فلما انجيهم اذا هم يبغون
في الارض بغير الحق وهكذا كانت عادتهم كانوا يفزعون الى الله عند خوف الهلاك والاياس عن الهتهم التي عبدوها ويخلصون
الدعاء له فاذا كشف ذلك الكرب عنهم ودفع عادوا الى ما كانوا من قبل والبغي في الارض هو الفساد فيها **وقوله** عز وجل
انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا يحتمل قوله على انفسكم اي بعضكم على بعض ويحتمل على انفسكم اي حاصل بغيكم يرجع على
انفسكم والبغي هو الظلم فان كان التاويل من قوله انما بغيكم على انفسكم اي حاصل بغيكم يرجع الى انفسكم في العاقبة فيكون
الوعيد لهم في ذلك بعينه وان كان التاويل من انفسكم بعضكم على بعض فيكون الوعيد في قوله ثم الينا مرجعكم **وقوله** عز وجل
ثم الينا مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون هذا قد ذكرنا وهو حرف وعيد والله اعلم **وقوله** عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية قيل في ضرب مثل الحيوة الدنيا بالزرع الذي ذكر بوجوه قال بعضهم قوله
انما مثل الحيوة الدنيا في سرعة فنائها وانقطاعها وجه زوالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه و
زواله عن صاحبه او ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا فيما يسر ويتبهج مثل صاحب الزرع الذي ذكر فيما سر به وابتهج ثم كان
ما ذكر كان لم تغن بالامس وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا الحيوة الدنيا فيما ينفقون فيها مثل صاحب الزرع الذي ذكر ينفق
عليه لما يامل من المنافع ويطمع منه ثم كان ولو علم في الابتداء ان امر زرعه يزول ويصير الى ما صار لكان لا ينفق نفقة على ذلك
صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبة امر نفقته تصير حسرة عليه وندامة ما انفق كان صاحب الزرع الذي ذكر لو علم ان عاقبة
كان ما انفق عليه او لم علم انه لا ينتفع به ما انفق تلك النفقة اي لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا يدوم الحاضر ما
تكلف ذلك او لو علم انها تزول عنه وتنقطع عن تلك الشهوة ما انفق ذلك وما تكلف ويحتمل ضرب مثل الحيوة الدنيا بما ذكر
من النبات وجهين احدهما يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي يتغير فادنى مدة ووقت **وقوله** عز وجل
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وحسنت فانبتت من الوان النبات وقال ابو عوسجة زخرفها زينتها من النبت
وحصيدا اي محصودا كما يحصد الحصاد الزرع كان لم تغن اي لم تعش والمغاني هي المواضع التي يعيش منها الناس قال وقال
المعاني مغنى وقال القتبي واصل الزخرف الذهب يقال للنقش والذهبة وكل شيء زين زخرف وقال كان لم تغن بالامس
والمعاني المنازل واحدها مغنى وقال بعضهم كان لم تغن بالامس اي لم تنعم وقيل لم تعمر وقال بعضهم عن من الغنى اي كان لم تكن
غنيا بالامس والله اعلم **وقوله عز وجل** وظن اهلها انهم قادرون عليها اي ظن اهل الدنيا فيما ينفقون انهم قادرون على تلك
النفقة كما صاحب الزرع انه قادر على ذلك الزرع **وقوله** عز وجل اتاها امرنا قيل عذابنا سمي امرا لانه بامره اتاه وفيه انه لم يات
عن غفلة وسهو ولكن عن علم وارعظة لهم وتنبيها الا ترى انه قال كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون كان الايات في هذا
الموضع المواعظ اي فاذكر من ضرب مثل الحيوة الدنيا بالنبات والزرع الذي ذكر عظة وتنبيه لمن تفكر فيه والله اعلم **وقوله**
عز وجل والله يدعوا الى دار السلام تختلف فيه قيل الجنة والسلام الله اضافها الى نفسه كقوله وان المساجد لله فاضاف
الجنة الى السلام ان كان دار السلام هي الجنة فهو والله اعلم لان المساجد هي امكنة يقام فيها القرب والجنة هي مكان القرب و
قضاء الشهوة فاضافها الى السلام لما يسلم اهلها من جميع الافات والمساجد خصت بالاضافة الى الله لانها امكنة يقام فيها
القرب وقال بعضهم دار السلام الاسلام ثم يحتمل كل واحد من التاويلين وجهين باسمي الاسلام دار السلام والجنة كذلك
سمي الاسلام دار السلام لانه يامن ويسلم كل من دخل فيه عن جميع الاهوال والافات التي تكون والثاني سمي السلام الدار الاسلام
اضاف الى نفسه كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام الاية اخبر انه على نور من ربه فعلى ذلك اضافة الاسلام اليه ومن قال
السلام الجنة سمي دار السلام لان كل من دخل الجنة سلم وامن من الاهوال كلها والافات جميعا والثاني دار الجنة دار السلام
الله اضاف اليه لانها دار اوليائه وقد يضاف الحالة على ارادة اوليائه والله اعلم وروي في بعض الاخبار عن ابي قلابة ان النبي
عليه السلام والسلام قال قيل لي لتنم عينك ولتعقل قلبك ولتسمع اذنك فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت اذني ثم قيل لي سيد
بنى دارا وجعل مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المائدة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار
ولم ياكل من المائدة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم ان ثبت هذا
الخبر ففيه ان الدار الاسلام على ما قاله بعض اهل التاويل في خبر اخر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فقال رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي قال احدهما لصاحبه اضرب له مثلا قال اسمع سمعت اذنك
واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بنيانا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس
الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من ترك فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك
دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها يدل لا يصنان ثبت ان الدار التي ذكر في الاية هو الاسلام

والله اعلم

والله اعلم **وقوله عز وجل** والله يدعوا الى دار السلام الاية ذكر الاستثناء في الهداية ولم يذكر في الدعاء ليعلم ان الكل من يدعو الى
دار السلام يهديه وانما يهدي من يعلم منه انه يختار الهدى وذلك على القدرية ثم الهدى على وجوه ثلاثة احدها الدعاء كقوله ولكل
قوم هاد والثاني هو البيان كقوله هدى ورحمة يعني القران والثالث التوفيق والعصمة اذا وفق اهتدى والهدى ههنا هو التوفيق
وقوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة اختلف فيه قال بعضهم للذين احسنوا في الدنيا لهم الحسنى في الاخرة جزاء ذلك الاحسان
وهي الجنة سمي الجنة الحسنى لانها جزاء الاحسان كما سمي النار السوءى كقوله اساءوا السوءى لانها جزاء السوء كقوله هل جزاء الاحسان
الا الاحسان وزيادة قيل المحبة في قلوب العباد محبة كل محسن ومحبة له في قلوب الناس بها به كل احد على غير سلطان له ولا يد و
قال قايلون قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي مثل تلك الحسنة وزيادة التضعيف حتى تكون عشرا وسبعمائة وما شاء الله
يدل على ذلك قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وقال قايلون قوله الزيادة الرؤية رؤية الرب والنظر كقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال قايلون الزيادة هو قبول حسناته مع ما فيها من التخلط بالسيئات يقبل حسناته بفضله وان
كانت تشوبها السيئات ورضاه منه وذلك طريقة الفضل والاحسان اذ قد سبق من النعم ما لا يقدر القيام على وفاء نعمة منها
طول عمره وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب فلا ندري ما الزيادة التي
ذكرها عز وجل في الاية الا بالخبر عن الله وقال قايلون الحسنى ما يقدره العقول وتدركها وتصورها الاوهام واما الزيادة
فهي التي لا تقدرها العقول ولا تدركها ولا تصورها الاوهام كقوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر **وقوله عز وجل** ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قيل لا يغشى وجوههم الغبار والرهق على ما وصف وجوه اهل النار وجوه
وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ولكن على ما وصف وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك والله
اعلم اثار احسانهم التي احسنوا في الدنيا ولما لم يروا النعم التي كانت لهم من سواه ولم يصرفوا شكرها الى غيره والغبرة والقترة التي ذكر
لاهل النار هي اثار السيئات التي عملوها في الدنيا من عبادتهم دون الله وصرفهم شكر النعم الى غيره ونحو ذلك من صنيعهم الذي صنعوا
في الدنيا والله اعلم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون **وقوله** والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها جزاء سيئة مما توجبه
الحكمة ان يجزى بمثلها واما جزاء الاحسان والخير طريق وجوبه الافضال والاحسان ليس طريق وجوبه الحكمة اذ سبق من الله الكل
من النعم ما ليس في وسعه القيام بمكافاة واحدة منها عمره وان طال واجتهد كل جهده فضلا ان يستوجب قبله جزاء ما كان منه
من الخيرات **وقوله** وترهقهم ذلة هو ما ذكر لا من اثار السيئات التي عملوها في الدنيا لا وهو انه لهم ما لهم من الله من عاصم
وذلك انهم والله اعلم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله فاخبر ان ليس لهم من عذاب الله مانع يمنع ذلك
عنهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله **وقوله** عز وجل كانما اغشيت وجوههم قيل البست واعطيت قطعا مثقلا ومخففا و
قطعا قيل القطع بالتثقيل هو جمع القطعة والقطع بالتخفيف جزء من الليل يقال سرنا بقطع من الليل اي بجزء من الليل وقوله
فاسر باهلك بقطع من الليل اي بجزء منه والله اعلم لم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد
الوجوه في الدنيا فذلك والله اعلم ان سواد الوجوه على ما يكون في الدنيا لا يبلغ من القبح غايته اذ قد يرغب من كان جنسه
ونوعه في ذلك ويحسن ذلك عندهم فاذا كانت الرغبة قد تقع لبعضهم في بعض لم يبلغ في القبح نهاية واما ظلمة الليل فان
الطباع تنفر عنها ولا تقع الرغبة فيها بحال لذلك شبه وجوه اهل النار بها والله اعلم ويوم نحشرهم جميعا قال اهل التاويل
يعني العابد والمعبود الذين عبدوا دونه ولكن نحشر الخلايق جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم **وقوله** عز وجل
مكانكم انتم وشركاؤكم هذا الحرف هو حرف وعيد يقال مكانك انت كذا وان كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل في الكرامات
وبر بعضهم بعضا ولكن انما يعرف ذا من ذا بالمقدمات فما تقدم ههنا يدل انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به الوعيد
والله اعلم **وقوله** عز وجل فزيلنا بينهم قيل فرقنا بينهم وميزنا بينهم اي بين العابد والمعبود ثم يحتمل التفريق بينهم وجوها
احدها فرقنا بينهم في الحساب مما عمل وما صحب والثاني يحتمل فرقنا بينهم لما طمعوا بعبادتهم اياها الشفاعة ان يكونوا لهم شفعاء
عند الله ففرق بينهم في الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم فيما ضل عنهم ما كانوا يفترون فصار ما عبد واتبا ادم في النار **وقوله**
عز وجل مكانكم انتم وشركاؤكم ثم يحتمل قوله شركاؤكم شركاء وان لم يكونوا شركاء في الحقيقة لما عندهم انهم شركاء كما سمى الاصنام الهة لما
عندهم انها الهة والثاني شركاؤهم لما اشركوها في العبادة فهم شركاؤهم والله اعلم **وقوله** وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
ينطق الله عز وجل هذه الاصنام يوم القيمة وان لم يكن في خلقتها النطق في الدنيا كقوله يومئذ تحدث اخبارها وقوله يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية انطقهم يشهدوا عليهم ما كنتم ايانا تعبدون ويحتمل الملائكة ان يكونوا عليهم الذين انكروا
لان منهم من يعبد الملائكة انكروا ان يكونوا عبدوهم لان العبادة لا انما تكون عبادة اذا كان من المعبود امر بها وكانت
عبادتهم الاصنام عبادة الشيطان لانه هو الامر لهم بالعبادة للاصنام كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة
الشيطان لكنه لما كان الامر لهم بالعبادة للاصنام صار كانهم عبدوه وان لم يقصدوه بها ويحتمل ما ذكر من الانكار من الاصنام

وقوله عزوجل فكفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي كفى الله القاضي والحاكم بيننا وبينكم انا لم تامركم بعبادتنا وهو العالم بانا كنا
بعبادتنا وهو العالم بانا كنا بعبادتكم ايانا غافلين وقوله عزوجل هنالك تبلوا كل نفس قيل عند ذلك وقيل يومئذ اي يوم القيامة
وقوله تبلوا وتتلوا بالبا والتا وقيل تقرا في الصحف ما كتب من اعمالهم وتبلوا بالبا من الابتلاء يقال بلوته وابتليته واحد
وخبرته واخبرته واختبرته ايضا وقيل تبلوا تجد وتعلم كل نفس ما قدمت من الاعمال والله اعلم وقوله عزوجل وردوا الى الله
مولاهم الحق قيل ملكهم الحق لان غيره من الالهة التي عبدوها قد بطل عنهم وضل في الاخرة ويحتمل وردوا الى الله مولاهم الحق
اي حق ما تجد كل نفس ما قدمت من الاعمال او حق ان تقرا كل نفس ما عملت وضل عنهم ما كانوا من العبادة للاصنام وقول
الكفر وقوله وردوا الى الله مولاهم الحق يحتمل وجهين اي ردوا واما اعدلهم مولاهم الحق والثاني ردوا الى امر مولاهم الحق لا الى
امر الاصنام التي كانوا يعبدونها وقوله عزوجل قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار الاية يحاجهم
يعني اهل مكة في التوحيد لانها مكية وقوله عزوجل قل من يرزقكم من السماء والارض اي من يدبر الرزق في السماء ومن يدبر
في الارض يحتمل وجهين اي من ينزل لكم الرزق من السماء ومن يستخرج لكم الرزق والثاني من يرزقكم من السماء والارض
اي من يدبر الرزق في السماء ومن يدبر الرزق في الارض ولا احد يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق من الارض
وكذلك لا احد يملك تدبيره في السماء والارض سواه ولا احد يملك انشاء السمع والبصر ولا احد ايضا يملك اخراج الميت من
الحي ولا تدبير الامر لا يعرفون حقيقة ماهية السمع والبصر ولا كيفيتهما فكيف يملكون انشاء السمع والبصر ونصبهما ولا يملك
احد سواه اصلاح ما ذكروا اذا فسد ذلك فاقروا انه لا يملك احد سوى الله ذلك وهو قولهم فسيقولون الله فقل افلا تتقون
بوايقه ونقمته او يقول افلا تتقون عبادة غيره دونه واشراك غيره في الوهيته وربوبيته او يقول افلا تتقون صرف
شكره الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم هذه لا من تعبدون دونه او يقول والله اعلم اذا عرفتم ما ذكر افلا تتقون مخالفته
وعصيانه فاذا اقروا ان الذي يملك تدبير ما بين السماء والارض وهو الذي له ملك السموات والارض عرفوا الذي يستحق
العبادة والقيام بشكره فاذا ضيعوا ذلك جمعهم عليه اسم الضلال فذلك قوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقوله فذلكم
الله ربكم اي ذلكم الذي ذكر ربكم بالحجج والبراهين فماذا بعد الحق الذي هو حق بالحجج والبراهين الا الضلال لان بلا حجة
ولا برهان فهو ضلال وقوله عزوجل فانى تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره او فانى تصرفون عن شكر النعم الى غيره او يقول
فانى تعدلون من لا يملك ما ذكر الا بملك والله اعلم وقوله عزوجل كذلك حقت كلمة ربك حقت وجبت وقيل كذلك حقت كلمة
ربك على الذين فسقوا بالفسق انهم لا يؤمنون اي لا ينتفعون بايمانهم بعد ذلك وقوله كلمة ربك يحتمل وجهين يحتمل كلمة ربك حجج ربك
وبراهينه على الذين فسقوا وقوله عزوجل قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قال عامة اهل التاويل ثم يعيده البعث بعد
الموت اي لا احد من شركائهم الذين يعبدون دونه يملك بدء الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل البعث لانهم كانوا لا يقرون
بالبعث فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك ولكن قوله ثم يعيده ما سوى البشر لانهم انما ينكرون اعادة البشر فاما اعادة غيره
من الاشياء لا ينكرونه نحو اعادة الليل والنهار واعادة الازال والنبات ونحو الاشياء التي يشاهدونها اي ثم يعيده مثله الليل
ليلا مثله والنهار نهارا مثله وكذلك الخلايق تفنى ثم يعيد مثله فاذا ثبت في غير البشر ثبت في البشر ويحتمل الامرين جميعا عندنا
البعث والاشياء مثله لانه تعليم منه لهم الا ترى انه قال قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قيل تكذبون بتوحيد الله وقد عرفتم
انه هو بدا الخلق ثم يعيده لا احد يملك ذلك الا تراه احتج عليهم ما يلزمهم ذلك بقوله كيف تكفرون بالله الاية وقوله عزوجل قل هل
من شركائكم من يهدي الى الحق يحتمل قوله يهدي الى الحق يدعوا الى الحق فاذا كان هؤلاء الاصنام التي تعبدونها لا يملكون الدعاء الى الخير
فلا يملكون الضر والنفع ومن الخلايق من لا يملك النفع والضر ويملك الدعاء الى الخير والى النفع فهؤلاء دون الخلايق جميعا
اذا لا يملكون الدعاء فكيف يملكون النفع والضر يبين عزوجل سفههم بعبادتهم هؤلاء الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا
ولا ضرا ويحتمل قوله من يهدي الى الحق اي يبين ويقيم الدلايل والبراهين على استحقاق العبادة لهم فاذا لم يملكوا الدعاء الى
العبادة لهم كيف يملكون نصب الدلايل والحجج على استحقاق العبادة قل الله يهدي للحق اخبر ان الله هو الذي يهدي للحق
ثم يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا هو بيان الدعاء الى الحق ويقيم الدلايل والحجج على ما دعاه اليه وهو يستحق العبادة له وقوله تعالى
افمن يهدي الى الحق الذي يبين البراهين والحجج احق ان يتبع امن لا يهدي اي لا يبين ولا يدعوا الا ان يهدى فان قيل ما معنى
الاستثناء وهي وان هدي لا يهتدي قيل يشبه ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا تعبدون ينطقهم الله
عزوجل يوم القيامة فيشهدون عليهم انهم لما يامروهم بالعبادة لهم ولا دعوهم لاشراكهم في العبادة فيكون قوله
الا ان يهدى لما ان يجعلهم الله بحيث يهتدون اذا هدوا ويجيبون اذا دعوا فما لكم كيف تحكمون بالجوز وصرف
العبادة والشكر الى من لا يملك ما ذكر وقوله عزوجل امن لا يهدي الا ان يهدى قال بعضهم الا ان يهدى لا يحتمل الصنم
والوثن الاهتداء وان هدي ولكن المراد منه الانسان وقال بعضهم الا ان يهدى الا ان يحمل الصنم ويوضع فاما ان يهتدي

هو بنفسه فلا لكن يحتمل ما ذكرنا اذا صيرهم بحيث يتكلم ومن جنس ما ينطق واذن له في النطق احتمل الاجابة والاهتداء والله
اعلم وقوله عزوجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا قال بعضهم هذا في الايمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الاصنام والاوثان وقولا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك من القول ما يتبع اكثرهم في عبادتهم بانهم يكونون
لهم شفعاء عند الله الا ظنا ظنوه وقال بعضهم هذا في الاتباع والعوام ليس في الايمة وذلك ان الايمة قد عرفوا البراهين والحجج
التي قامت عليهم والايات التي جاء بها رسول الله لكن ما قالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا افك مفترى وان هذا الا اختلاق
ونحو ذلك من الكلام اراد وان يلبسوا على العوام ويشبهوا عليهم فاتبع العوام الايمة فيما قالوا انه كذا وانه كذا وصدقوهم
يقول وما يتبع اكثرهم الايمة في ذلك الا ظنا ظنوا ويشبه ان يكون قوله وما يتبع اكثرهم يعني اهل مكة اي مكة اهل الاوايل و
الاسلاف في عبادة الاصنام والاوثان الا ظنا لانهم عبدوا الاصنام ويقولون انا وجدنا اباءنا على امة الاية وانا وجدنا
كذلك يفعلون ثم اخبر ان الظن لا يغني من الحق شيا اي الظن لا يدرك به الحق باليقين ان الله عليم بما يفعلون وهو حرف وعيد
يكونوا ابدا على حذر وقوله عزوجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله قال بعضهم هو صلة قوله قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله فيقول وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله كقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء
نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقال بعضهم ان كفار قريش قالوا ان محمدا افترى هذا القران من عند نفسه وتقوله من نفسه
فقال ما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ان يضاف الى غيره او يختلق ولكن تصديق الذي بين يديه اي يصدق هذا
القران الكتب التي كانت من قبل ولو كان محمد هو الذي افترى به واختلقه من عند نفسه لكان خرج هو وساير الكتب المتقدمة
مختلفا اذ لم يعرف محمد ساير الكتب المتقدمة اذ كانت بغير لسانه ولم يكن له اختلاف الى من يعرفها ليتعلم ثم خرج هو اعني
القران مصدقا وموافقا لتلك الكتب دل انه من عند الله جاء كقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية
وقوله عزوجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله يخرج على وجهين احدهما ما كان هذا القران بالذي يحتمل الافتراء
من دون الله لخروجه عن طوق البشر ووسعهم فذلك بالذي يحيله كونه مفترى بجوهره والثاني لما اودع فيه من الحكمة و
الصدق يدل على كونه من عند الله اذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب ويحتمل الاختلاف وتفصيل الكتاب لا ريب فيه قيل فيه
بيان الكتب التي نزلت قبله وتمامه ان هذا وان كان في اللفظ مختلفا فهو في الحكمة والصدق مبين موافق للاول وقيل وتفصيل
الكتاب اي تفصيل ما كتب لهم وما عليهم او ان يقال الى الله تفصيل الكتب ليس الى غيره لا ريب فيه انه من عند رب العالمين
او يقول مفصل من اللوح المحفوظ وقوله عزوجل ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله يقول ان كان محمد افتراه من عند
نفسه فاتوا انتم بسورة مثله اذ لسانه ولسانكم واحد فانتم قد عرفتم بالغربة والكذب ومحمد لم يعرف به قط ولا اخذ عليه
بكذب قط فانتم اولى ان تاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين اختلف فيه قال بعضهم ادعوا
بالحكم التي تعبدونها ليعينوكم على اتيان مثله وقال بعضهم ادعوا من استطعتم اي من لسانه مثل لسانكم ليعينوكم على ذلك
او يقول استعينوا بدراسة الكتب ليعينكم على مثله ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه من نفسه فذلك ترك اشتغالهم
بذلك على انهم قد عرفوا انه ليس بمفترى وانه سماوي وقوله عزوجل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قال بعضهم ما لم يحفظوا نظمه
ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبروا ولم يعقلوا معناه بل كذبوه بالبديهة والشي انما يعرف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر
والتدبر لا بالبديهة فذلك والله اعلم تاويل قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والثاني بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي كذبوا
على علم منهم انهم كذبة فيما يقولون ويتقولون انه مفترى ليس بمنزل ولما ياتهم تاويله اي ولما ياتهم العلم بتاويله اي بتاويل
القران ومعناه والله اعلم انهم كذبوه من غير ان حفظوا نظمه ودعوا لفظه ولا اتاهم العلم بعاقبته واخره وقيل التاويل
هو رد كل شي الى اولية الامر وقالت الحكماء التاويل اخر كل فعل هو قصد في اوله وقصد كل شي في اوله هو اخر في فعله او
نحوه وقال بعضهم ولما ياتهم تاويله قال ما وعد الله ان يكون قبل ان يكون وقال ابن عباس رضي الله عنه تاويل القران بما يكون
منه في الدنيا وبما يكون منه يوم القيامة وهو العذاب الذي وعد وقال بعضهم تاويله ثوابه وقيل عاقبته وقال الواقدي
اي لم ياتهم عاقبة بيان ما وعد الله في القران في الاخرة من الوعيد واصل التاويل هو النظر الى ما يؤل عاقبة الامر وقوله عزوجل
كذلك كذب الذين من قبلهم اي كذلك كذب الامم السالفة رسلهم كما كذب كفار مكة رسولهم اي لست انت باول مكذب
بل كذب من كان قبلك من اخوانك ليكون له التسلي عما هو فيه من تكذيبهم اياه ورد عليه انه ينزل بهم ما نزل باولئك لما
اقاموا على ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب وان كان خارجا لرسول الله فهو راجع الى قومه يامرهم بالنظر فيما نزل بالامم
السالفة وان يتاملوا الخواتم ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه وقوله عزوجل فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بالتكذيب
اي كيف يعاقبون ويعذبون والله اعلم وقوله عزوجل ومنهم من يؤمن به قيل من اهل مكة ومنهم من لا يؤمن به يحتمل الرسول
ويحتمل القران ثم يحتمل قوله من يؤمن به اي من قد امن به ومنهم من لا يؤمن به اي من لم يؤمن به ويحتمل على الوعيد فيما يستقبل

اى منهم من اهل مكة من يؤمن بهذا القران ومنهم من لا يؤمن به وكذلك كانوا منهم من قد امن به ومنهم من لم يؤمن به وكذلك
بعضهم هي في اليهود ليست في اهل مكة وظاهره ان يكون في كفار مكة وعلى ذلك قول عامة اهل التاويل كان هذا يخرج على البشارة
ان منهم من يؤمن به لئلا يقطع ويمنع دعاءهم واخبر ان منهم من لا يؤمن به ليويسه حتى لا يشتد حزنه على كفرهم ويحتمل ان يكون
هذا اى منهم من قد يولد من بعد ومن يؤمن ومنهم من يولد فلا يؤمن وقوله عز وجل وربك اعلم بالمفسدين يشبه ان يكون معناه
اى على علم بما يكون منهم من الفساد خلقهم وانشاهم وليس عن غفلة وجهل بالفساد ولكن عن علم بذلك لما لا يضره فساد مفسد
ولا ينفعه صلاح مصلح انما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون على الوعيد اى عالم بفسادهم فيجزيهم جزاء
فسادهم والله اعلم وقوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم تاويله والله اعلم اى ان كذبت فيما اخبرتكم انه جاء من عند الله فلى عملى
اى فعلى فيما ابلغكم اى فعلى وزر عملى ولكم عملكم اى فعليكم جرم ما رددتم على فيما بلغتكم عن الله وهو كقوله ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برىء مما تجرمون اى على جرم ما افتريت ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم على فيما بلغتكم عن الله
ويحتمل ما قاله اهل التاويل لى عملى اى لى دينى ولكم عملكم اى لكم دينكم انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون تاويله والله اعلم
اى انا لا اواخذ بما دنتم انتم ولا انتم تواخذون بما دنت انا وعملت وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شىء الاية وكقوله فان
تولوا فانما عليه ما حمل الاية وما على الرسول الا البلاغ الاية وكقوله لا تسالون عما اجرمنا الاية وقوله عز وجل ومنهم من يستمعون
اليك اخبر ان منهم من يستمع اليه يعنى الى رسول الله والى ما يتلو من القران لكنه لا يؤمن يخبر انه لا كل مستمع الى شىء ينتفع بما
يستمع او يعقل انما يستمع ويفهم انما ينتفع بالاستماع ويعقل على قدر المقصود والحاجة اليه ومنهم كانوا يستمعون اماماتهم
لم يستمعون بقول الفعل منهم والمنزلة ومنهم من كان يستمع اليه ليسمع غيره كقوله سماعون للكذب سماعون لقوم
اخرين ومنهم من كان يستمع ويطيعه في ذلك فاذا خرج من عنده غيره وبدله كقوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك
بيت طايفة منهم غير الذى تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء منه وطلب الطعن فيه والعيب كانوا مختلفين فى
الاستماع ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باسماعهم وعقولهم وابصارهم
وبهذه الحواس انتفاع من ليست له هذه الحواس انما جعلت لينتفع بها لا لتترك سدى لا ينتفع بها والثانى كان العقل والسمع
والبصر وهذه يكون منها مكتسبا بالاكتساب ومنها ما يكون غريزة فهم تركوا اكتساب العقل الذى جعل مكتسبا فنفى عنهم لما
تركوا اكتساب ذلك يحتمل نفى هذه الحواس لهذين الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم ثم نفى عنهم لا سمع العقل حيث قال لا يعقلون
ونفى عنهم الاهتداء والابصار بترك النظر وقال افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون لانه بالبصر يوصل الى اهتداء الطرق
والسلوك فيها الا ترى ان البهايم قد تبصر الطرق وتسلك بها وتتقى بها المهالك ولا تعقل لما ليس لها سمع العقل فلا تعقل
لما يسمع القلب بعقل وبظاهر البصر تبصر الاشياء وقوله عز وجل ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
يخبر ان ما حل باولئك من عذاب الاستيصال وعقوبته انما حل بظلمهم لا بظلم من الله تعالى وقوله عز وجل ويوم نحشرهم كان لم
يلبثوا الا ساعة من النهار قال في قبورهم يتعارفون بينهم اذا خرجوا من قبورهم وقال بعضهم من اهل التاويل كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار فى الدنيا واشباهه كانهم استقلوا طول مقامهم فى الدنيا وما انعموا فيها لما عاينوا من اهوال ذلك اليوم
وشدايده او استقلوا لبثهم فى الدنيا ومقامهم لطول مقامهم فى الاخرة فى العذاب واستقلوا وفيه وجه ثان وهو انه يذكر
من شدة سفههم وغاية جهلهم ان ما بعدهم من الحشر والعذاب الابد كانهم لا يلبثون فيها الا ساعة من النهار حتى لا
يبالون ما يلحقهم من ذلك وما يستوجبون عليه من العذاب باكتسابهم تلك الاسباب وقوله عز وجل يتعارفون
بينهم اى يعرف بعضهم بعضا على قدر ما يلعن بعضهم على بعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلى قدر ما يتبرا بعضهم
من بعض ثم يفرق بينهم كقوله فزيلنا بينهم اى فرقنا بينهم وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى خسروا
بما وعدوا فى الاخرة من النعم الدايمة بتركهم اكتسابهم اياها اذ قد اعطوا ما يكتسبون به نعم الاخرة فاكتسبوا ما به
خسروا ذلك فهو كقوله فما اصبرهم على النار اى ما اصبرهم على اكتساب ما به يستوجبون النار والثانى خسروا
وقوله عز وجل واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك حرف شك وكذلك حرفا ولكن يكون
تاويله والله اعلم على حرفين اما واضمار حرف ان كان يقول ان اريناك انما نريك بعض ما نعدهم لا كل ما نعدهم او نتوفينك
ولا نرينك شيئا او ان يكون قوله ان نرينك بعض ما نعدهم اى لقد نريك بعض ما نعدهم وهو كقوله ان كان وعد ربنا
لمفعولا فعلى هذا التاويل يريه بعض ما يعدهم ولا يريهم كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول ان اراه انما يريه بعض ذلك
او لا يريه شيئا فان قيل حرفا ما حرف شك وكذلك حرفا وكيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما كان ويكون
وانما يستقيم اضافته الى من يجهل العواقب قيل جميع حروف الشك الذى اضيف الى الله هو على اليقين والوجوب نحو حرف
عسى ولعل ونحو ذلك فعلى ذلك حرف اما داود هو لم يزل عالما بما كان ويكون فاذكر واما حرف الاستفهام والشك

يجرى على مخرج الايجاب والالزام على ما ذكرنا فى حرف التشبيه او ان يكون رسول الله وعدهم ان يريهم شيئا فقال عند ذلك اما
نرينك بعض ما نعدهم او نتوفينك فلا نرينك شيئا يقول ليس اليك ما وعدتهم انما ذلك الينا كقوله ليس لك من الامر شىء وقوله عز
وجل فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا يحتمل ثم الله شهيد لك يوم القيامة على ما فعلوا من التكذيب بالايات وردها
وهو كقوله قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم واوحى الى هذا القران الاية ويحتمل انه عالم بما يفعل لا يغيب عنه شىء وهو وعيد كقوله تعالى
والله بصير بما تعملون وهو بكل شىء عليم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولكل امة رسول اى لكل امة فيما خلا رسول بعث اليهم لست
انا اول رسول بعث اليكم كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط
يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط اى يقضى بين الرسل وبين الامم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة
اليهم والدعاء الى دين الله ومن الامم من التكذيب للرسل والرد للايات قضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص
ويحتمل قوله قضى بينهم اى يهلك المكذبون منهم وينجى من صدق منهم كقوله تعالى ثم ننجى رسلنا والذين امنوا الاية ويجوز ان يقضى
بين المعرضين وبين المجيبين والمطيعين يوم القيامة وقوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وذلك انه لما اوعدهم
العذاب قال واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فقالوا متى هذا العذاب الذى توعدنا يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب نازل
بنا فى الدنيا وهو على التاويل الثانى الذى ذكرنا لقد نرينك بعض ما وعدناهم فقال قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا املك ايضا
جر منفعة اليها يقول لا اقدر على ان ادفع عن نفسى سوءا حين ينزل بى ولا املك على ان اسوق اليها خيرا البتة فانا لم املك هذا كيف
املك انزال العذاب عليكم انما ذلك الى الله هو المالك عليه والقادر على ذلك لا يملك احد ذلك سواه وهو كقوله قل انما انا بشر مثلكم
وقوله عز وجل لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى اذا جاء اجلهم لا يقدرون على تاخيره ولا
يستقدمون اى لا يقدرون على تقديمه ليس على انهم لا يطلبون تاخيره ولا تقديمه فيسالون ذلك ولكن لا يؤخرون اذا جاء ولا يقدم
قبل اجله وفيه دلالة ان لا يهلك احد قبل انقضاء اجله وهو رد على المعتزلة حيث قالوا من قتل اخر فانما قتله قبل اجله والله
يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدمون والله الموفق وقوله عز وجل قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا
او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون يقول والله اعلم اى منفعة لكم ان اتاكم عذابه لا منفعة لكم فى ذلك بل فيه ضرركم فاستعجال ما لا
منفعة فيه سفه وجهل يسفههم فى سؤالهم العذاب ويخبر فى قوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ان عذاب الله اذا نزل جاء
وقته لا يملك احد تقديمه ولا تاخيره ولا يحتمل استقدامه ولا استيخاره بالقدر والمنزلة كما لا يحتمل ذلك فى الدنيا التقديم والتاخير
بالشفاعة والفداء ويذكر عجزه فى انزال العذاب عليهم فى قوله قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع امنتم به الان
قبل اى العذاب اذا نزل بكم امنتم به الان يخبر عنهم انهم اذا نزل بهم العذاب يؤمنون ثم يحتمل قوله امنتم به اى بالله وبرسوله كقوله فلما
راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ثم اخبر ان ايمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب وهو كقوله فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا وقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل يحتمل قوله امنتم به الان اى بالعذاب لانهم يكذبون رسول الله فيما
يوعدهم العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيبا فاذا نزل بهم امنوا اى صدقوا به لكن العذاب يقول امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون
استهزاء وتكذيبا انه غير نازل بكم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا اى اشركوا فى الوهيته وربوبيته وعبادة غيره
ذوقوا عذاب الخلد لانهم يخلدون فيه يقال ذلك بعد ما دخلوا النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اى لا تجزون الا بما كسبتم فى الدنيا
وقوله عز وجل ويستنبئونك اى يستخبرونك احق هو يحتمل هذا وجوها يحتمل قوله احق هو العذاب الذى كان يوعدهم انه ينزل بهم
على ما قاله عامة اهل التاويل ثم قال قل اى وربى انه لحق اى نعم وربى انه لحق نازل بكم وما انتم بمعجزين اى بفايتين عنه ولا سابقين له
ويحتمل قوله احق هو ما يدعوهم اليه من التوحيد كقولهم لابراهيم اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذى
فطرهن الاية فعلى ذلك قولهم احق هو ثم اخبر انه لحق بقوله قل اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين فايتين عنه ويحتمل الاية او يحتمل
او القران احق هو قل اى وربى انه لحق كقوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
اخبر ان ما يامرهم به ويدعوهم اليه ليس هو هزوا ولا لعب ولكن حق امر من الله تعالى فعلى ذلك قوله احق هو وقوله عز وجل ويستنبئونك
احق هو هذا الحرف يحتمل ان يكون من الشاكين منهم فى ذلك طلبوا منه انه حق ذلك ام لا ويكون من المعاندين استعجال العذاب الذى كان يوعدهم
رسول الله استهزاء به وتكذيبا له ومن المتبعين له والمطيعين التصديق له والايمان به كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين
امنوا مشفقون منها كانوا فرقا ثلاثة فرقة قد امنوا به وفرقة شكوا فيه وفرقة قد امنوا به وفرقة قد شكوا فيه وفرقة قد كذبوه وقوله
عز وجل ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به يخبر منهم انهم يفدون ويبذلون جميع ما فى الارض لو قدروا عليه عند نزول
العذاب بهم لشدة العذاب وان كان الذى منعهم عن الايمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها وما فيها يقول ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
وقوله عز وجل واسروا الندامة لما راوا العذاب الندامة لا تكون الا اسرار بالقلب لكنه قال حققوا الندامة فى قلوبهم على ما كان منهم
من التكذيب بالايات والعناد فى ردها وقال بعضهم واسروا الندامة اى اظهروا الندامة وهو مما يستعمل فى الاظهار والاخفاء

كقوله شعب جمع وشعب فرق ونحوه وبعد فانه اذا اسر في نفسه لابد من ان يمنع ذلك في الخي ويجزع بذلك فذلك منه اظهار

وقوله عزوجل وقضي بينهم بالقسط يحتمل قوله قضي بينهم بالقسط مايوجبه الحكمة لان الحكمة توجب تعذيب كل كافر فيعة وكل قايل

في الله مالايليق به وان يكون تفسير قوله بالقسط ماذكر وهم لايظلمون ويحتمل قوله بالقسط ماذكروا كتابك كفي بنفسك الاية و

القسط هو العدل وهم يومئذ عرفوا انه كان يقضي بالعدل في الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عزوجل الا ان لله ما في السموات والارض

اي ان ما في السموات والارض كلهم عبيده واماءه وملكه لا لمن تعبدون من دونه من الاصنام والاوثان لم عند من يملك الدنيا والاخرة

اطلبوا ذلك منه لا من عند من لايملك يبين سفههم في طلبهم الدنيا من عند من تعلمون انه لايملك ذلك والله اعلم وقوله عزوجل

الا ان وعد الله حق في كل وعد ووعيد انه كاين لامحالة عذابا او رحمة ولكن اكثرهم لايعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم فنفي عنهم العلم

وان علموا لما لم ينتفعوا به ويحتمل قوله لايعلمون اي لم يكتسبوا اسباب العلم وهو التامل والنظر في اياته وحججه ويحتمل نفي العلم عنهم

لما لم يعطوا اسباب العلم فلم يعلموا فان كان على هذا لم يكونوا معذورين وان كان على الوجهين الاولين فلا عذر لهم في ذلك وفي قوله الا

ان لله ما في السموات والارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته من خلق السموات والارض ومابينهما ع

بغلظهما وكثافتهما وشدتهما وعظم خلقتهما وان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهمهم فمن قدر على ذلك فهو قادر على احياء

الخلق بعد فنائهم والثاني يخبر عن حكمته من تعليق منافع الارض بالسماء على بعد مابينهما والافضال على الخلق بانواع النعم التي يكبر

الاحصاء وان كل شي منها قد وضع مواضعها فلا يحتمل من هذا وصفه في الحكمة يخلق الشي عبثا باطلا ولو كانوا للفناء لاخروج منه

كان يكون خارجا من الحكمة فظهر انه خلقهم لامر اراده بهم والله اعلم وقوله عزوجل هو يحيي ويميت واليه ترجعون اي تعلمون انه

هو احيي الاحياء وهو يميت الاموات ايضا وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو يحيي الاحياء وهو

يميت الاموات لاغير فاعلموا انه هو يبعثكم واليه ترجعون الزمهم الحجة ولابالكاين ثم اخبر عما يكون بالحجة التي ذكر وقوله عزوجل

يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وهو هذا القران قال بعضهم الموعظة النهي كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا قيل نهاكم ان

تعودوا لمثله وقال الحسن الموعظة هي التي تدعوا الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب وقال بعضهم العظة هي التي تلين كل قلب قاس

وتجلي كل قلب مظلم وفي القران جميع ماذكر فيه النهي وفيه الدعاء الى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب وهو يلين القلوب القاسية

ويجلي القلوب المظلمة اذا تاملوا فيه ونظروا وتفكر المسترشد وطالب الحق وقيل الموعظة التي هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع

العيون اليابسة ويجلي الصدور والمظلمة وقوله عزوجل وشفاء لما في الصدور ان للدين افات وداء تضربه وتتلفه كما يعتري الابدان

افات وامراض تعمل في اتلافها واهلاكها ثم جعلت لافات الابدان وامراضها ادوية يشفي بها الابدان المؤمنة المريضة فجعل الله

هذا القران شفاء لهذا الدين ودواء يداوي به فيذهب بافات الدين وامراضه كما يعمل الادوية في دفع افات الابدان وامراضها فلذلك

سماه موعظة وشفاء للصدور والله اعلم وقوله عزوجل وهدى ورحمة قيل هدى من الضلالة ورحمة من عذابه ويقول وهدى

ورحمة هدى اي يدعوا الى كل خير ويهدي اليه ورحمة لمن اتبعه هو هدى ورحمة لمن اتبعه وتمسك به وعمى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه

وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقال فزادتهم ايمانا اي زاد المؤمنين ايمانا الى ايمانهم وزادتهم رجسا اي زاد الكافرين رجسا الى رجسهم

ونحوه والله اعلم وقوله عزوجل قل بفضل الله وبرحمته قال بعضهم فضل الله ورحمته القران وقال قايلون فضل الله القران ورحمته

الايمان وفيه انه بانزال القران متفضل اذ له ان لاينزل وفيه ان اهل المعتزلة يزاخذون في حال نعتهم والله اعلم وقوله عزوجل فبذلك

فليفرحوا هو خير مما يجمعون اي فرحكم بما ذكر هو خير مما يجمعون من الدنيا وقال بعضهم قوله قل بفضل الله وبرحمته انما خاطب المؤمنين

يقول قل للمؤمنين بفضل الله الاسلام وبرحمته يعني القران فبذلك يعني فبذلك الفضل والرحمة فليفرحوا يعني المؤمنين هو خير مما يجمعون

يعني مما يجمع الكفار من الاموال من الذهب والفضة وغيره وقوله عزوجل قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق ويحتمل ما انزل الله لكم من

اصناف ما انزله الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما كانت اسبابها متعلقة بالسماء يكون منه الانزال وبه الاصابة

واصلاح الاشياء كلها اعني اسباب الارزاق من نحو المطر الذي به تنبت الارض النبات وبه تخرج جميع انواع الخارج مما يكون فيه غذاء

البشر والدواب ومن نحو الشمس الذي بها ينضج الانزال وبها ينبع الاعناب وجميع الفواكه ونحو اصناف ذلك الى السماء لما ذكرنا وكذلك

قوله وفي السماء رزقكم وماتوعدون اي اسباب ذلك في السماء لا ان عين ذلك في السماء ويحتمل قوله ما انزل الله لكم من رزق اي ما

خلق الله لكم وكذلك جميع مايضاف الى الله انما يضاف اليه بحق الخلق اي خلقه منزلا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ونحو

ذلك اي خلق لكم من الانعام ماذكر والله اعلم وقوله عزوجل فجعلتم منه حراما وحلالا وقال بعضهم ما حرموا من البحيرة والسايبة و

الوصيلة وماذكر في سورة الانعام والمايدة وقال بعضهم ما حرموا للالهة التي كانوا يعبدونها اي جعلوها للاصنام وهو ما ذكر في الانعام

وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية نحو ماذكرنا في الاية والله اعلم وقوله عزوجل قل الله اذن لكم ام على الله

تفترون اي الله اذن لكم في تحريم ما حرمتم وتحليل ما احللتم ام على الله تفترون وذلك ان هذه السورة نزلت في محاجة اهل مكة

وهم لم يكونوا مؤمنين بالرسل والكتب وانما يوصل الى معرفة المحرم والحلال بالرسل والكتب والخبر عن الله وهم لم يكونوا مؤمنين برواحد مما

ذكرنا فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم لاتؤمنون مايعرف به الحلال والحرام فكيف حرمتم ما احل لكم واحللتم ماحرم عليكم يخبر عن

سفههم وعنادهم وافترائهم على الله فاذا اجترؤا ان يفتروا على الله فعلى غيره اجرء والله اعلم وقوله عزوجل وماظن الذين يفترون

على الله الكذب يوم القيامة فان قيل كيف اوعدوا بيوم القيامة وهم كانوا لايؤمنون بالبعث قيل قد الزمهم الحجة بكون البعث

بما ظهر من كذبهم وافترائهم على الله في التحريم والتحليل فذلك يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث وبعد فانه قد يوعد الى غيرما لا يتيقن

به ويخوف عليه ويحذر وان لم يحط علمه به فكذلك هذا وبعد فانه قد جعل في عقولهم ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزاء لانه

اذ ليس من الحكمة خلق الخلق للفناء خاصة ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول وماظن الذين يفترون على الله الكذب لو خرج الامر

حقا وكان صدقا على ما اخبر رسول الله وقاله من البعث والجزاء لما اكتسبوا وقوله عزوجل ان الله لذو فضل على الناس هو ذو

فضل على جميع الناس من جهة وهو ماساق الى الكل من الرزق كافرهم ومؤمنهم وانواع النعم وما اخر عنهم العذاب الى وقت او لما

بعث اليهم الرسل والكتب من غير ان كان منهم الى الله سابقة صنع يستوجبون به ذلك ومنه خصوص فضل على المؤمنين

ليس ذلك على الكافرين ولكن اكثرهم لايشكرون لفضله وما انعم عليهم وقوله عزوجل وما تكون في شان قال بعضهم من اهل

التاويل في شان في امرك وحالاتك وما تتلو منه من قران تبلغهم به الرسالة وقال بعضهم قوله وما تكون في شان اي

في عبادة وماتتلو منه من قران تبلغهم به الرسالة ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا يخاطب نبيه تنبيها منه

وايقاظا والمراد منه هو وغيره الا ترى انه قال ولا تعملون من عمل عمهم جميعا في ذلك يخبرانكم في كل امر يكون بينكم وبين

ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم شهودا وكل عمل تعملون لكم وعليكم الا كنا عليكم شهودا بينهم ويوقظهم

ليكونوا على حذر ابدا متنبهين وقيل يكثرون فيه وكله واحد ثم يحتمل قوله فيه في الحق ويحتمل في الدين ويحتمل في القران و

يحتمل في رسول الله يقول انا شاهد فيما تخوضون وفيما تقولون في رسول الله او في دينه او فيما يتلو عليكم وما يعزب عن ربك

من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء لايعزب اي لايغيب عنه ما في الارض ولا في السماء فيما الامر فيه ولانهي ولا كلفة

فالذي فيه السؤال والامر والنهي والكلفة احرى واولى ان لايغيب عنه شي وقوله عزوجل ومايعزب عن ربك من

مثقال ذرة في الارض هو تحذير وتخويف بتمثيل لا وعيد بتعزير وتصريح لان الوعيد على وجهين احدهما على التمثال والا

على التعريض في عينه وتصريح وقوله عزوجل الا في كتاب مبين قيل ما قل وما كثر الا في كتاب اي الا في اللوح المحفوظ مبين

ويحتمل الا في كتاب مبين في الكتب المنزلة من السماء والله اعلم وقال ابوبكر الاصم في قوله اذ تفيضون فيه اي تنتشرون

فيه وتداولونه ولا تعملون من عمل تنتشرون فيه الا كنا عليكم شهودا وقوله عزوجل الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم

يحزنون قالت المعتزلة دلت الاية على ان اصحاب الكباير ليسوا بمؤمنين لانهم لو كانوا مؤمنين لكانوا اولياء الله واذا كانوا

اولياء الله لكان لاخوف عليهم ولاحزن فاذا كان لاشك ان على اصحاب الكباير خوف وحزن في وقت دون وقت ويجوز

ان يكون لاصحاب الكباير لاخوف عليهم ولاحزن في وقت وليس في الاية ان ليس على اولياء الله خوف ولاحزن من اول الامر الى الاخرة و

يحتمل قوله الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون على مايكون لاهل الدنيا في الدنيا من الخوف والحزن انما خوفهم وحزنهم لعاقبتهم

ويشبه ان لاخوف عليهم ولاهم يحزنون في الجنة وهكذا يكون اذا دخلوا الجنة يامنون عن جميع مايفزعهم وقال بعضهم اولياء الله هم

اهل التوحيد لكن تلك البشارة وذلك الوعد كاهل التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا لا لاهل الاعتقاد خاصة وقوله عزوجل لهم

البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة قال بعضهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا الرؤيا الصالحة وعلى ذلك رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال الرؤيا الصالحة فان ثبت فهو الحق وقال بعضهم لايحتمل الرؤيا الصالحة لانه فسق البشرى في الاخرة

على البشرى في الحيوة الدنيا ولاشك انه لايكون في الاخرة الرؤيا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكرنا في الخبر فهو ذلك ويشبه ان يكون البشارة

التي ذكر ههنا نحو قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول الاية وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم

وقوله ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وامثال ذلك وقال بعض اهل التاويل لهم البشرى في الحيوة الدنيا

يبشرهم الملايكة عند الموت وفي الاخرة الجنة والله اعلم وقوله عزوجل لاتبديل لكلمات الله يحتمل لاتبديل لكلمات الله من وعده ووعيده

وذلك مما لاتبديل له ولاتحويل ويحتمل لاتبديل لكلمات الله القران لاتبديل لما فيه من الوعد والوعيد وغيره ويحتمل لاتبديل لما مضى

من سنته في الاولين والاخرين من الهلاك والاستيصال بتكذيبهم الرسل والايات كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا وقوله

وقد مضت سنة الاولين ويحتمل قوله لاتبديل لكلمات الله اي لاتبديل للبشرى الذين ذكر هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ويحتمل لاتبديل لحجج

الله وبراهينه او لاتبديل لوصف الله ووصيه ونحوه والله اعلم وقوله عزوجل ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك البشرى هو الفوز العظيم

او ذلك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون هو الفوز العظيم اذ لاخوف بعده وقال بعضهم من اهل التاويل لاخوف عليهم من النار ولاهم يحزنون

ان يخرجوا من الجنة ابدا والوجه فيه ماذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل ولايحزنك قولهم يحتمل قولهم ما قالوا في الله بما لايليق به من الولد

والشريك يقول لايحزنك ذلك فان العزة لله جميعا ويحتمل قوله لايحزنك قولهم الذي قالوا في القران انه سحر وانه مفترى وقالوا في

رسول الله انه ساحر وانه يفترى على الله كذبا ويشبه ان يكون قوله ولا يحزنك قولهم مكرهم الذى مكروا به وكيدهم الذى كادوه
يريد ذلك قوله فان العزة لله جميعا اى ان العزة فى المكر والكيد لله وهو كقوله وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا اى مكرهم
ينقض مكرهم ويبعد وكيف يسيح كيدهم فعلى ذلك قوله فان العزة لله جميعا اى ينقض جميع ما يمكرون بك ويكيدونك والعزة
والعقوبة يقول ان العزة لله ينصرك على اعدائك ويدفع عنك كيدهم ومكرهم الذى هموا بك وهو السميع العليم لقولهم الذى قالوا
العليم بمصالحهم والسميع المجيب للدعاء العليم بما يكون منهم **و قوله عز وجل** الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض اى تقولون ان
من فى السموات ومن فى الارض كلهم عبيده واماؤه فكيف قلتم ان فلانا ولده وان له شريكا ولا احد منكم يتخذ من عبيده وامائه
ولدا ولا شريكا كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية فعلى ذلك هذا وكيف يحتمل ان يتخذ ولدا وله ملك ما فى السموات والارض
وانما يتخذ فى الشاهد الولد لاحدى خصال ثلاث اما للاستنصار على غيره واما الحاجة تمسه واما الوحشة اصابته فهو غنى له
ملك السموات والارض لا حاجة تمسه فكيف تنسبون الولد اليه والشريك وما قالوا فيه مما لا يليق به وقد ذكرنا هذا فيما تقدم اخبر
عن غناه عما يامرهم وينهاهم ويتعبدهم اى ليس يامر وينهى ويتعبد بانواع العبادات ويمتحنهم بانواع المحن لحاجة له او لمنفعة له
فى ذلك ولكن لمنفعة لهم فى ذلك **و قوله عز وجل** وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى ما يتبعون فيما يدعون من دون
الله من الشركاء بالحجج والبراهين او اليقين بكتاب او رسول انما يتبعون بالظن والحذر وان هم الا يخرصون اى ما هم الا يكذبون
فيما يتبعون بدعائهم دون الله لانهم كانوا اهل شرك لم يكونوا اهل كتاب ولا امنوا برسول فهم قد عرفوا انهم مفترون كاذبون فى اتباعهم
دون الله اذ سبيل معرفة ذلك الكتاب او الرسول ولم يكن لهم واحد من ذلك والله **و قوله عز وجل** هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا اى يبصر فيه وقال فى اية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه يعنى فى الليل وفى النهار فهو فى موضع الامتنان و
تذكير النعم ليتأدى بذلك شكر ما انعم عليه وفيه ان الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير لانهما لو كانا يجريان على غير تدبير
ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سنن واحد ولكن يدخل فيهما الزيادة والنقصان ولا يجريان على تقدير واحد وان
كان يدخل بعضه فى بعض فدل جريهما على تقدير واحد انهما يجريان على تدبير اخر فيهما اذ لو كان على غير تدبير يجريان على الخراف فى
الزيادة والنقصان على القلة والكثرة وفيه ايضا ان مدبرهما واحد لانه لو كان مدبرهما عددا لكان اذا غلب احدهما الاخر ولم يغلبه
ولا يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا فاذا صار ذلك ما ذكرنا دل ان مدبرهما واحد لا عدد وفيه دلالة البعث بعد الموت لان كل
واحد منهما اذا جاء اتلف صاحبه تلفا حتى لا يبقى له اثر ولا شئ منه ثم يكون مثله حتى لا يخلفنا الذاهب من الحادث والاول
من الثانى فدل ان الذى قدر على انشاء ليل قد ذهب اثره واسله لقادر على البعث ومن قدر على احداث نهار وقد فنى وهلك لقادر
على احداث ما ذكرنا من الموت وفيه ان الشئ اذا كان وجوبه لشيئين لم يجب اذا عدم احدهما لانه قال والنهار مبصرا وانما يبصر بنور
البصر ونور النهار جميعا لانه اذا فات احد النورين لم يبصر شيئا من النور نور البصر ونور النهار دل ان الحكم اذا وجب بشرطين لا يجب
الا باجتماعهما جميعا والليل يستر وجوه الاشياء لانه لا يرى نفسه والنهار يكشف وجوه الاشياء وفى الليل فيما يستر وجوه الاشياء
لانه لا يرى نفسه والنهار يكشف وجوه الاشياء وفى الليل فيما يستر وجوه الاشياء دلالة ان الحكم اذا كان وجوبه بشرطين يجوز منعه
بعلة واحدة لانه يستر نور النهار ونور البصر جميعا وفى قوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجوه من الدلالة احدها ما ذكرنا
من تذكير النعم بدعوتهم الى الشكر ونهاهم عن الكفران وفيه تذكير القدرة له حيث انشاهما واحدة واتلف الاخر فمن قدر على هذا
لا يعجزه شئ وفيه دليل السلطان حيث ياخذهم الليل ويستر عليهم الاشياء شاؤوا او ابوا وكذلك النهار ياتيهم حتى يكشف وجوه
الاشياء ويجلى شاؤوا او ابوا وفيه دليل التدبير والعلم لما ذكرنا من اتساق جريانهما على سنن واحد ومجرى واحد وفيه دلالة وحدانية
منشيهما بين ههنا فيما جعل الليل حيث قال لتسكنوا فيه اخبر انه جعل الليل للسكون والراحة فدل ذكر السكون فى الليل على انه جعل
النهار للسعى وطلب المعيش الا ترى انه قال فى النهار مبصرا اى يبصرون فيه ما يعيشون وهو ما ذكر فى اية اخرى ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه الاية **و قوله عز وجل** ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون ولم يقل يبصرون فظاهر ما سبق من الذكر
يجب ان يقال لقوم يبصرون لانه قال والنهار مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اى يعقلون كقوله ومنهم من يستمعون اليك افانت
تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ويحتمل قوله يسمعون اى يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده اى اجاب الله **و قوله** عز وجل قالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى قال بعضهم ارادوا بقولهم اتخذ الله ولدا حقيقة الولد كقوله ويجعلون لله البنات
و قوله وقالت اليهود كذا وقالت النصارى كذا تنزه عز وجل نفسه عما قالوا بقوله سبحانه هو الغنى [illegible]
[illegible]

ولا

ولا ترى لا احد فى الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من [illegible] فاذا كان الله سبحانه الخلائق كلهم عبيده واماؤه كيف احتمل اتخاذ
الولد منهم [illegible] ولان الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه كما الشريك يكون من شكل الشريك ومن
جنسه فكان فى نفى الشريك نفى الولد لان معناهما واحد [illegible] وقال بعضهم
قولهم اتخذ الله ولدا لم يريدوا حقيقة الولد ولكن ارادوا منزلة الولد وكرامته [illegible]
[illegible]
و قوله عز وجل ان عندكم من سلطان بهذا [illegible]
[illegible]
و قوله عز وجل واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بايات الله [illegible]
[illegible]
عز وجل ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى اعملوا بى ما تريدون ولا تنظرون وهو كقوله فاقض ما انت قاض وقال الكسائى هو من الا
والابلاغ وهو كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل الاية وقضينا اليه ذلك الامر اى انهينا اليه وابلغنا اليه وقال ابو عوسجة اى شئ
جعلتها ظلمة فلا يبصر ودائرتهم يعنى غمة وان شئت جعلتها شكا واشتقاق الغمة من غم يغم غما اى غطى يغطى تقول غممت
اى غطيته ثم اقضوا الى اى افعلوا بى ما اردتم وفى قول نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الى قوله ولا تنظرون وقول هود فكيدونى
جميعا ثم لا تنظرون وقول رسول الله فلا دعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم لانهم قالوا ذلك لقومهم
وهم بين ظهرهم ولم يكن معهم انصار ولا اعوان ذلك انهم انما قالوا ذلك لما عندنا على الله واتكالا بمعونته ونصره اياهم وقال بعضهم
فى قوله ثم اقضوا الى اى فافرغوا الى يقال قضى فرغ وهو قول ابى بكر الاصم وقال بعضهم ثم اقضوا الى كقوله فراغ الى اهله وفراغ الى
الهتهم ونحوه **و قوله عز وجل** فان توليتم فما سالتكم من اجر التولى اسم لامرين اسم للاعراض والادبار كقوله واذا تولى
سعى فى الارض واسم للاقبال والقبول ايضا كقوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا الاية ونحوه فههنا يحتمل الامرين
جميعا اى فان توليتم اى اقبلتم وقبلتم ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه فما سالتكم من اجر اى ما اجرى الا على الله وان كان فى
الاعراض فكانه يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسالكم على ذلك اجرا فيكون لكم عذر فى الاعراض والله كقوله ام تسالهم
اجرا الاية اى لم اسالكم على ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه غرما حتى يثقل عليكم ذلك الغرم فيمنعكم ثقل الغرم عن الاجابة ففى
هذه الاية وغيرها دلالة منع اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه لو جاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم عذر ان يبذلوا ذلك
ولا يتعلموا شيئا من ذلك وهم شرايع الله واشغالها والله اعلم **و قوله عز وجل** وامرت ان اكون من المسلمين اى سلما نفسى الى
الله سالما لا اجعل لاحد سواه فيها حقا ولا حظا وامرت ان اكون من المخلصين لله والخاضعين له يحتمل ذلك كله **و قوله عز وجل**
فكذبوه يعنى نوحا كذبه قومه فيما ادعى من الرسالة او ما اتاهم من الايات او ما اوعدهم من العذاب بتكذيبهم اياه فنجيناه
يعنى نوحا ومن معه فى الفلك اى من ركب معه الفلك من المؤمنين وجعلناهم خلائف يحتمل خلائف خلفاء فى الارض وسكانا
يخلف بعضهم بعضا ويحتمل جعلناهم خلائف خلف قوم اهلكوا واستوصلوا بالتكذيب واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
يحتمل الايات الحجج والبراهين التى اتاهم بها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل قوله كذبوا باياتنا العذاب الذى اوعدهم بتكذيبهم

اياه فيما وعد وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كان انذر الفريقين جميعا المؤمن والكافر جميعا لكن قوله انما
تنذر من اتبع الذكر فاذا كان ما ذكرنا فيكون تاويله فانظر كيف كان عاقبة من اجاب ومن لم يجب عاقبة من اجاب الثواب
وعاقبة من لم يجب العذاب ويحتمل المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار ولم يجيبوا اى انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والا
فيكون تاويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر اى انما يقبل الانذار من اتبع الذكر او انما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر واما من لم
يتبع الذكر لم ينتفع والله اعلم وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعده رسلا اى من بعد نوح رسلا الى قومهم اى بعثنا الى كل قوم رسولا
لانه بعث الرسل الى قومهم ولكن واحدا على اثر واحد مخاطبهم بالبينات يحتمل البينات الحجج والبراهين التى اقاموها على ما ادعوا
من الرسالة والنبوة ويحتمل البينات بيان ما عليهم ان ياتوا ويتقوا ويحتمل البينات بما اخبروهم وانبأوا قومهم بالعذاب انه نازل
بهم فى الدنيا وقوله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل قال بعضهم ما كان كفار مكة ليؤمنوا وليصدقوا بالبينات كما لم
يصدق به اوايلهم وقال بعضهم قوله بما كذبوا به من قبل اى قبل بعث الرسل فيه دلالة ان اهل الفترة يؤخذون بالتكذيب فى حال
الفترة ويحتمل قوله بما كذبوا به من قبل اتيان البينات اى ما كانوا يؤمنوا بعد ما جاؤا بالبينات بما كذبوا به من قبل مجى البينات
كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى كذا نطبع على قلوب اهل مكة كما طبعنا على قلوب اوايلهم اذ علم انهم لا يقبلون الايات
ولا يؤمنون بها والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذى جعل وقوله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به
من قبل هو يخرج على وجهين احدهما ما كانوا ليؤمنوا بالبينات اذا جاءتهم البينات على السؤال وهكذا عادتهم انهم لا يؤمنون
بالايات اذا اتاهم على السؤال والثانى ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا على علم منهم انها ايات وانه رسول والله اعلم وقوله ثم بعثنا
من بعدهم اى من بعد من ذكرنا من الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بعثهما الى الملاء وغير الملاء بآياتنا يحتمل الحجج
التى ذكرنا فاستكبروا واهزؤا لانهم قد عرفوا ان ما جاءهم الرسول من الايات انها ايات لكنهم عاندوا وكابروا ولم يخضعوا فى
قبولها وكانوا قوما مجرمين وقوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال بعضهم قوله فلما جاءهم الحق من عندنا اى
الحجج والايات من عندنا قالوا ان هذا يعنون الحجج والبراهين التى جاء بهم موسى لسحر مبين يسمون الحجج والبراهين سحرا لما ان السحر عندهم باطل
لذلك قالوا للحجج انها سحر وذلك تمويه منهم يموهونه على الناس لئلا يظهر الحق عندهم فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الاسلام والدين كقوله
ان الدين عند الله الاسلام قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون الحجج والايات التى جاءهم بها الدين لانه جاءهم بالدين وجاءهم ايضا بحجج الدين والايات
قالوا لحجج الدين والاسلام سحرا فوالتنا ويلين جميعا سموا الحجج سحرا وقوله جاءهم الحق من عندنا اى بامرنا وكذلك قوله ان الدين عند الله الاسلام
اى الاسلام هو الدين الذى امر الله به لانه يفهم العند مكانه ينتقل من مكان الى مكان ولكن معنى العند معنى الامر وعلى هذا يخرج قوله ان
الذين عند ربك يعنى الملائكة لا يستكبرون عن عبادته اى الذين بامر ربك يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته لما انزلهم بعضهم من مجى الحق
من عنده مكان فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من قوله ان الذين عند ربك المكان او قرب المكان منه ولكن التاويل ما ذكرنا ان المفهوم من عنده
امره والله اعلم وقوله عز وجل قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا والحق ما ذكرنا ولا يفلح الساحرون الافلاح هو الظفر بالحاجة
يقول ولا يفلح الساحرون اى لا يظفر الساحر بالحاجة ولا يغلب لان السحر باطل ولا يغلب الباطل بل الحق هو الغالب والسحر هو المغلوب
ما غلب الحق الذى جاء به موسى السحر الذى جاء سحرة فرعون ويقول لا يفلح الساحرون فى الاخرة بسحرهم فى الدنيا ويحتمل قوله ولا يفلح
الساحرون بسحرهم فى حال سحرهم كقوله لا يفلح الظالمون ولا يفلح الكافرون اى لا يفلحون بظلمهم فى حال ظلمهم واما اذا تركوا الظلم فقد
افلحوا فعلى ذلك السحرة اذا تركوا السحر فقد افلحوا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لتلفتنا قيل لتصرفنا وتصدنا قال القتبى لفت
فلانا عن كذا اذا صرفته والالتفات منه وهو الانصراف وقال ابو عوسجة لتلفتنا اى تردنا وتصرفنا على ما ذكر القتبى قال يقال لفته
يلفته لفتا وقوله عز وجل عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام والاوثان ويحتمل ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة فرعون والطاعة
له وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال اهل التاويل الكبرياء والملك والسلطان والشرف اى الملك الذى كان لفرعون والسلطان يكون
لكما باتباع الناس لكما لان كل متبوع مطاع معظم مشرف ويحتمل قوله وتكون لكما الكبرياء فى الارض اى الالوهية التى كان يدعى
فرعون لنفسه لكما لان عندهم ان كل من اطيع واتبع فقد عبد ونصب الها وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعوننا اليه
او ما تدعون من الرسالة وقوله عز وجل ايتونى بكل ساحر عليم هذا من فرعون ينقض ما ادعى من الالوهية حيث اظهر الحاجة العجز
ولا يجوز المحتاج الها وقوله عز وجل فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله
سيبطله اى سيبطل عمل السحر الذى قصدوا به اى يجعله مخلوا بكقوله ولا يفلح الساحرون اى لا يغلب الساحر ولا يظفر
بالحاجة ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى لا يصلح ما افسد وانى عالم فيجعلهم صالحين وقوله عز وجل ان الله لا يصلح عمل المفسدين
هو ما ذكرنا اى لا يجعلهم باعمالهم الفاسدة صالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة وقال بعضهم لا يصلح اى لا يرضى بعمل
المفسدين وقوله عز وجل ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ذكر ان يحق الحق والحق حق وان لم يحق الحق وذكر كذلك فى
الباطل ليبطل الباطل والباطل باطل وان لم يبطل ولكن يحتمل قوله ليحق الحق ويبطل الباطل اى يجعل الحق فى الابتداء حقا

ويجعل الباطل

ويجعل الباطل فى الابتداء باطلا فيكون باطلا اى بابطاله الباطل يكون باطلا وبتحقيقه الحق يكون حقا وهو ما يقال
هداه فاهتدى واضله فضل اى بهدايته اهتدى وباضلاله ضل فعلى ذلك بابطاله الباطل يبطل وبتحقيقه الحق حق
والله اعلم وقوله بكلماته يحتمل وجوها يحتمل يحق الحق بكلماته ما وعد موسى قومه من العذاب النجى وعد من النعمة لهم
كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله عز وجل
فما امن لموسى الا ذرية من قومه يحتمل قوله من قومه من قوم موسى لما قيل ان موسى كان من اولاد اسرائيل فهم من ذريته
من هذا الوجه يقال اهل بيت فلان وان لم يكن البيت له ويحتمل قوله الا ذرية من قومه من قوم فرعون فهو ينسب
اليه لما ذكرنا وقال اهل التاويل اراد بالذرية القليل منهم اى ما امن منهم الا القليل ولكن لا ندرى ذلك وقوله
عز وجل فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون يحتمل قوله ما امن من امن من قومه الا على خوف من فرعون وملائهم
اى امنوا وان خافوا من فرعون وملائهم ويحتمل ما ترك من قومه الايمان بموسى من ترك الا على خوف من فرعون ان يفتنهم
اى يقتلهم ويعذبهم فيه دلالة ان الخوف لا يعذر المرء فى ترك الايمان حقيقة وان كان يعذر فى ترك اظهاره لان
الايمان هو التصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلائق يطلع على ذلك لذلك لم يعذر فى ترك ايمانه لانه يعذر على اظهار
الا ترى الى قوله وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وبين ربه وان لم يظهر وقوله عز وجل وان فرعون
لعال فى الارض وهو ما قال عز وجل ان فرعون علا فى الارض اى قهر وغلب على اهل الارض وانه لمن المسرفين وقوله عز وجل
قال يا موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد فى الحقيقة
لانه بدا بالايمان يقوله ان كنتم امنتم بالله وختم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دل انهما واحد هو اعتقاد ترك تضييع
كل حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق وترك تضييعه والله اعلم والاسلام هو جعل كلية الاشياء لله سالمة والايمان
هو التصديق بكلية الاشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية له والالوهية وقوله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا ان عذبهم فرعون وعنفهم كقوله للسحرة لما امنوا لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف الاية فقال عند ذلك عليه توكلوا فى دفع ذلك عنكم فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قوله يحتمل ما قال على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ما قيل
ان يقتلهم ويعذبهم والله اعلم هذا يخرج على وجهين احدهما اى لا تجعلهم علينا الظفر والنصر فيظنون انهم على هدى
وعلى حق ونحن على ضلال وباطل والثانى لا تجعلنا تحت ايدى الظلمة فيعذبونا فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة على ما نقل
فرعون بالسحرة لما امنوا وقوله عز وجل ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فيه ان قوله الظالمين والكافرين واحد والله
اعلم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة الاية يحتمل وجهين يحتمل قوله
ان تبوءا لقومكما اى اتخذا لقومكما مساجد يصلون فيها واجعلوا بيوتكم اى اجعلوا فى بيوتكم التى اتخذتم مساجد قبلة او
تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الامر باتخاذ المساجد ويكون فى قوله اجعلوا بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة فى المساجد التى امر
بنائها والثانى قوله ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اى تخذ لقومكما بمصر مساجد على ما ذكرنا وقوله عز وجل واجعلوا
بيوتكم قبلة اى اجعلوا فى بيوتكم التى بنيتم لانفسكم قبلة تتوجهون اليها ويكون فيه دلالة ان نصب المحاريب واتخاذ المساجد
القبلة متوارثة ليست ببدعة لنا فى شريعتنا خاصة ويؤيد ما ذكرنا ان فيه الامر باتخاذ المساجد وقوله واقيموا الصلوة دل
الامر باقامة الصلاة على ان الامر بتبوئة البيوت امر باتخاذ المساجد والاية التى ذكر فيها اتخاذ المساجد تخرج مخرج الاباحة لنا وهو
قوله فى بيوت اذن الله ان ترفع هو فى الظاهر اباحة قيل هو امر فى الحقيقة وان كان اباحة الا ترى انه قال ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها الاية ولا شك ان ذكر اسمه والتسبيح له امر فيه دل انه ما ذكرنا والله اعلم واما اهل التاويل فانهم قالوا انهم كانوا يخافون فرعون
وملائه فامروا ان يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا خوفا من فرعون هذا يحتمل اذا كان قبل هلاك فرعون
وقيل ان يستولوا على مصر واذا كان بعد هلاكه وبعد ما استولوا وتمكنوا على مصر واهله فالامر فيه ما ذكرنا امر باتخاذ المساجد ونصب
المحاريب فيه واقامة الصلوة فيها وقال بعضهم من اهل التاويل وجهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لانه لا يكون بنيانا
الا ويكون جهة منها الى القبلة فلا معنى له والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل الامر بتبوئة البيوت لقومهما بمصر وجعل البيوت قبلة
وجهين احدهما الامر بالانفصال من فرعون وقومه حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا على ذلك ولا يكره المرور عليهم
وكان ذلك الانفصال انما كان من جهة القبلة والثانى ما ذكر اراد وان يعتزلوهم حتى يتهيأ لهم الصلوة فيها وكان لا يتهيأ لهم فى
بيوت فرعون وقوله عز وجل وبشر المؤمنين يحتمل البشارة فى الاخرة بالجنة وانواع النعم ويحتمل ان يبشرهم بالملك فى الدنيا والظفر
على فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدائد من فرعون كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابو عوسجة قوله ان تبوءا لقومكما بيوتا من التهيئة اى هيأ لهم موضعا كقوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ

صدق اى هيأنا لهم مهيأ صدق وقوله عز وجل وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة يحتمل قوله زينة من انواع ما اتاهم من
الاثاث والبنات كقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ونحوه ويحتمل الزينة التي كانوا يتزينون بها من المراكب والملبس وما
يتحلون بها من انواع الحلي واموالا كثيرة سوى ذلك وقوله عز وجل ربنا ليضلوا عن سبيلك قالت المعتزلة تاويل قوله ربنا انك اتيت
فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك اى اتاهم لئلا يضلوا الناس عن سبيله ولكن اضلوهم عن سبيله ولولا
هذا كما يقال لم فعلت هذا الفعل كذا وكذا فعلت ونحوه من الكلام ولكن عندنا هو ما ذكر اتاهم الاموال وما ذكر ليضلوا عن سبيله لانه
اذ علم منهم انهم يضلون الناس عن سبيله اتاهم ما اتاهم ليضلوا وهو كما ذكرنا في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله نسارع لهم في الخيرات الاية
وامثاله كثيرة والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم يحتمل هذا وجهين يحتمل اى اطمس على اموالهم واجعل في قلوبهم
قساوة وغلظة تنفر الاتباع ومن يقلدهم عن اتباعهم وتقليدهم فيكون ذلك لعونا علينا في استنقاذ الاتباع منهم ودعوتهم الى الايمان
اعنى الاتباع من يقلدهم ويكون ذلك سببا لابعادهم عن اتباعهم وتقليدهم اياهم هذا وجه والثاني قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم اى اجعل ذلك اية تضطرهم الى الايمان فانهم لم يؤمنوا بالايات التي ارسلتها عليهم من الطوفان والجراد وما ذكر من البلايا
فيكون قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم هذا من طمس الاموال وقساوة القلوب وشدتها والله اعلم قال بعض اهل التاويل واشدد
على قلوبهم واطبعها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق فعند ذلك يؤمنون واما بهذه الايات فلا وهذا يحتمل اذا كان الله عز وجل
اخبر موسى انهم لا يؤمنون فيسع له هذا الدعا واما قبل ان يخبره بذلك فلا يسع له ان يدعو بهذا وهو انما ارسله اليهم ليدعوهم الى الايمان
والطمس قال ابو عوسجة هو الذهاب بها اى اذهب بها وقال القتبي قوله ربنا اطمس اى اهلكها وهو من قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس
وقال غيره الطمس هو المسخ وكقوله فطمسنا على اعينهم اى مسخناهم وقال بعضهم الطمس هو التغيير من جوهر هاد عا موسى بهذا الدعاء
بالامر لما ايس من ايمانهم وهو كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية عند الاياس منهم فعلى
ذلك موسى والله اعلم وقوله عز وجل قال قد اجيبت دعوتكما قال بعضهم ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن على دعايه فقال الله عز وجل قد
اجيبت دعوتكما سمى كليهما داعيا وهكذا قال محمد بن الحسن رحمه الله في بعض كتبه ان الامام يدعو في القنوت في الوتر والقوم يؤمنون
وقوله عز وجل فاستقيما على الرسالة وما امرتما به ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون وكقوله ولا تتبع اهواءهم ونحوه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم وجميع الانبياء صلوات الله عليهم لا يتبعون سبيل اولئك ولا يتبعون اهواءهم
لما عصمهم عز وجل ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا تزيل النهي والامر بل تزيد خطرا ونهيا والله اعلم وقوله عز وجل وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده هذا ظاهر وفي قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دلالة خلق افعال العباد لانه اضاف الى نفسه مجاوزة
بني اسرائيل الذين جاوزوا ودل ذلك انه خالق فعلهم واما قوله حتى اذا ادركه الغرق اى حتى اذا غرق لانه ذكر في بعض القصة ان فرعون
لما انتهى الى ساحل البحر متعجبا قال انما انفرج البحر لي فلما دخل غرق فعند ذلك قال آمنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا
اسرائيل وانا من المسلمين ثم ايمانه لم يقبل في ذلك الوقت لوجهين احدهما لما يحتمل ان يكون ايمانه عند رؤية الباس وخوف الهلاك فهو ايمان
دفع الباس لا ايمان حقيقة وهو على ما اخبر عن ايمان الكفرة في الاخرة لما عاينوا العذاب كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب وكقوله تعالى رب ارجعون لعلي
اعمل صالحا فيما تركت وقولهم نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وامثاله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فما عاينوا من العذاب اكبر واشد مما عاين فرعون
ثم اخبر انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا الى ما كانوا يعملون لكنهم قالوا ذلك قول دفع فعلى ذلك ايمان فرعون دفع الباس عن نفسه لا ايمان حقيقة و
اختيار والثاني ان الايمان والاسلام هو تسليم النفس الى الله فاذا امن في وقت خرجت نفسه من يده لم يصر مسلما نفسه الى الله اذ نفسه ليست
في يده ولذلك لم يقبل الايمان في ذلك الوقت وقت الاشراف على الهلاك ويحتمل وجها اخر وهو ان الايمان بالله انما يكون بالاستدلال بالشاهد
على الغايب ولا يمكن الاستدلال على الغايب في ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا بالنظر والتفكر وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر لذلك لم
يكن ايمان حقيقة والله اعلم واما قوله فاليوم ننجيك ببدنك قيل فيه بوجوه قوله ننجيك من النجوة اى نلقيك على النجوة وهو مكان الارتفاع
والاشراف ليراه كل احد انه هلك ليعلموا انه لم يكن الها على ما ادعى وانما شكوا بان قومه لم تلق على النجوة ولكن بقيت في البحر والثاني قيل
ننجيك اى نخرجك من البحر ولا نتركك فيه لتكون لمن خلفك اية والثالث ننجيك ببدنك ولا ننجي بدنك وروحك لانه ذكر في القصة
انهم لما غرقوا هو واصحابه الى النار كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا اخبر انهم ما جسدهم بروحه الى النار ولكن اخرج بدنه وحده
وروحه الى النار ليرى سائر قومه والله اعلم ليروا جسده ويظهر كذبه ولا يشتبه امره عليهم وقوله عز وجل لتكون لمن خلفك اية يحتمل وجهين
يحتمل ليكون هلاكه اية فلا يدعي احد الربوبية والالوهية مثل ما ادعى هو ويقول لتكون لمن خلفك اية من يشاهد ذلك لمن غرق ما لقي
كان اية له وقوله عز وجل وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون قال بعض اهل التاويل يعني اهل مكة عن اياتنا لغافلون عن هلاك
فرعون وقومه لما قالوا ما هذا الا افك مفترى وما هذا الا سحر بقولهم غافلون عما اصابهم ولكن ذا مثل هذا لا
يقرى اصحى جزء القصص ويحتمل وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اى كثيرا منهم كانوا غافلين عما اصابهم والغفلة تكون على وجهين
احدهما غفلة اعراض وعناد بعد العلم ومعرفة ان ذلك حق والثاني يغفل بترك النظر والتفكر فكلا الوجهين مذموم وقوله عز وجل ولقد

بوانا بني

بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق قال عامة اهل التاويل بوانا انزلنا بني اسرائيل منزل صدق وقال بعضهم بوانا هيأنا لبني اسرائيل مبوأ صدق مهيأ
صدق حسنا كقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين الاية اى تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله من اهلك تبوئ المؤمنين الاية اى تهيئ المؤمنين
وقال بعضهم قوله بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق اى مكناهم تمكين صدق وهو كقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض الاية يحتمل ما ذكر من البوية التمكين الذي ذكر في هذه الاية وقوله مصدق قال بعضهم منزل
صدق اى كريم وقال منزل صدق اى حسن ويحتمل وجها اخرين احدهما انه وعد لهم ان يمكن لهم في الارض فانجز لهم الوعد فهو مبوأ صدق اى
تمكين صدق حيث انجز ذلك الوعد وصدق الوعد ما ذكر واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الاية والثاني مبوأ صدق لان الشام
كان لم يزل منزل اهل صدق وعلى هذا يخرج قوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الاية اى اخرجني مخرج اهل صدق والله اعلم وقوله
عز وجل ورزقناهم من الطيبات قال اهل التاويل يعني المن والسلوى ولكن الطيبات هي التي طابت بها الانفس ما حل بالشرع مما لا تبعة
عليه بها امام بعضهم فيها وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم اى فما اختلفوا في الدين الا من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل
فما اختلفوا في محمد في انه رسول الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله وقيل فما اختلفوا في القران والايات التي انزلها على رسوله الا
بعد ما جاءهم العلم انه منزل من عند الله ويحتمل قوله فما اختلفوا في رسالته رسول الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله وقوله عز وجل
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون الاية ظاهرة من الوجوه التي ذكر وقوله ان ربك يقضي بينهم يحتمل وجهين
احدهما الجزاء والثواب والثاني في تبيين المحق والمبطل وقوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤون الكتاب
اختلف فيه قال بعضهم الخطاب به والمراد به رسول الله ما كنت في شك مما اخبرتهم وانباتهم فمن قال الخطاب لرسول الله والمراد به
غيره وهو ما ظهر في الناس انهم يخاطبون من هو اعظم منزلة عندهم وقدرا ويريدون والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك فيما انزل
اليه قط او يرتاب كقوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الاية ومعلوم انه في وقت ما خاطب به لم يكن ابواه احياء لانه اراد
غيره فعلى ذلك الاول ومن قال الخطاب والمراد به من خص رسول الله يقول ان الوفود من الكفرة كانوا يقدمون رسول الله فيسالونه
شيئا فشيئا فيخاطب الذي يتقدم وقد كان يحضره الواحدان والجماعة يقول فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤون
الكتاب وقوله انزلنا اليك على هذا التاويل هو منزل اليه اذ كل منزل على رسول الله منزل عليه واليه والى كل احد لقوله اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم امرهم باتباع ما انزل اليهم دل ان كل منزل على رسول الله منزل عليهم ومن قال الخطاب والمراد به غيره لما لا يحتمل ان يكون
رسول الله يشك في شيء مما انزل اليه ولكنه يريد به التقرير عنده لقول الكفار الذي يلقي على محمد شيطان فيريد به التقرير عنده او
يخاطب به كل شاك كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم هو يخاطب انسانا واحدا ولكن المراد به كل انسان مفرد وكل كافر و
ذلك جائز في القران كثير ان يخاطب به كلا في نفسه ومن قال خاطب رسوله واراد هو ايضا وهو كان في الابتداء على غير يقين انه
يوحى اليه ولا كقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقال وان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب الانباء التي اخبرتهم وانباتهم وادعيت انها وحيت اليك ليخبروك على ما اخبرتهم وقوله فسال الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك قال بعضهم فاسال الذين يقرؤون الكتاب يعني من آمن منهم وقال بعضهم سل اهل الكتاب منهم يخبروك لانه مكتوب
عندهم كقوله يجدونه مكتوبا عندهم الاية وقوله عز وجل لقد جاءك الحق من ربك قيل الحق القران جاء من ربك وقيل جاء البيان انه
من عند الله وقوله فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا انه يريد
بالخطاب غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يكون من الشاكين او يكون من الذين يكذبون بايات الله او يكون من الخاسرين وقوله
عز وجل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هو قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
هنا يكون في الختم من يختم به يعني بالكفر فقد حقت كلمة ربك لاملان جهنم او حقت عليهم كلمة ربك ما ذكر في اية اخرى وكذلك حقت لهم
نصيبهم من الكتاب الاية او كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقوله حقت عليهم كلمة ربك اى علم ربك باحوالهم اى من كان
في علمه انه لا يؤمن فلا يؤمن وقت اختياره الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادي له اى من يضلل الله فلا هادي له وقت اختياره الكفر
وكذلك قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختياره الظلم ونحو ذلك فالتاويل الاول يرجع الى الختم به والثالث الى وقت من
ثبت عليه علم ربه انه لا يؤمن الى وقت انه لا يؤمن في ذلك الوقت وقوله عز وجل ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم قيل في الدنيا
ايمان دفع العذاب ويحتمل في الدنيا وقد ذكرناه وقوله عز وجل فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا
كشفنا عنهم الاية اى لم تكن القرى امنت عند معاينة الباس ايمانها فنفعها الا ايمان قوم يونس فانهم امنوا ايمان حقيقة وعلم الله
صدقهم من ايمانهم فنفعهم ايمانهم هذا يخرج على وجوه احدها ان ساير القرى كان ايمانها عند اقبال العذاب اليهم ووقوعه عليهم فلم ينفعهم
ايمانهم الا قوم يونس فان ايمانهم انما كان لتخويف العذاب فنفعهم والثاني يحتمل ان يكون قوم يونس كان نزول العذاب بهم على التخويف
والتمكين ان قبلوا الايمان وامنوا دفع العذاب عنهم وان لم يقبلوا نزل بهم والثالث كان ايمان ساير القرى بعد ما عاينوا مقامهم
في النار فامنوا فيكون ايمانهم ايمان اضطرار وقوم يونس امنوا قبل ان يعاينوا ذلك ويشبه ان يكون قوله فلولا كانت قرية امنت بعد

ووقوع العذاب والبأس فنفعها ايمانها الا قوم يونس فانهم آمنوا لما عاينوا العذاب قبل ان يقع بهم وايمان فرعون وقومه انما كان
بعد ما غرقوا و بعد ما خرجت انفسهم من ايديهم فلم يقبل وايمان قوم يونس كان قبل ان يقع العذاب بهم وانفسهم في ايديهم بعد فقبل
وهو ما ذكر عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الاية آمنوا عندما عاينوا قبل ان يقع بهم وسائر الامم
الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثاله واصله ما ذكرنا آنفا **وقوله** عز وجل لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي قوله كشفنا عنهم الوعد بحلول العذاب بهم وعذاب الخزي هو العذاب الفاضح ولا اخزى من العذاب
وقوله عز وجل ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت المعتزلة قوله لو شاء ربك لآمن من في الارض مشيئة القهر
والقسر لو شاء لاجبرهم وقهرهم جميعا فيؤمنوا والا فقد شاء ان يؤمنوا مشيئة الاختيار لكنهم لم يؤمنوا واستدلوا على ذلك
بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فيقال لهم ان مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشيئة الجبر والقهر غايته فاذا
وجد منه مشيئة الاختيار ثم يؤمنوا ولم تنفذ مشيئته فيهم كيف يصدق هو في الاخبار عن المشيئة التي هي غايته انها لو كانت
لآمنوا هذا فاسد على قولهم وبعد فان المشيئة لو كانت مشيئة القهر لكانوا مؤمنين بتلك المشيئة وهي خلقه لان كل كافر مؤمن
بخلقته كل احد تشهد على وحدانية الله فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة ثم ذكر انه لو شاء لآمنوا دل انه لم يرد به مشيئة القهر و
لكنه اراد مشيئة الاختيار وتأويله عندنا هو ان عند الله تعالى لطف لو اعطاهم كلهم لآمنوا جميعا لكنه اذ علم انهم لا يؤمنون
لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنه اذ علم منهم انهم لا يؤمنون شاء ان لا يؤمنوا ثم لا يحتمل ان يتحقق الايمان بالجبر والقهر لانه
عمل القلب والجبر والاكراه مما لا يعمل على القلب فهو وان تكلم بكلام الايمان فلا يكون مؤمنا حتى يؤمن بالقلب فيكون التأويل
على قولهم ولو شاء ربك فلا يؤمنوا فهذا متناقض فاسد وبعد فان الايمان لا يكون في حال الاكراه والاجبار لان الاكراه يزيل
الفعل عن المكره كان لا فعل له في الحكم **وقوله** افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين قال قبل الناس قال الله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون
اي حتى يسلمون اي حتى يسلمون وذلك اكراه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فذلك اكراه فكيف
يجمع بين الآيتين قيل لوجهين احدهما ما ذكر ان هذه السورة مكية وقوله تقاتلونهم او يسلمون مدنية فيحتمل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين اي لا تكرههم ثم امر بالمدينة بالقتال والحرب والاكراه عليه والثاني يجوز ان يجمع بين الآيتين وهو ان يكون قوله تقاتلونهم او
يسلمون اي تقاتلونهم حتى يقولوا قول اسلام ويتكلموا بكلام الايمان دليله ما روي حتى يقولوا لا اله الا الله والقول بلا اله الا الله على غير
حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان وفي هذه الآية حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونون مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب والاكراه مما لا يعمل
عليه والله اعلم وتأويل قوله افانت تكره الناس اي لا تملك ان تكرههم وكان رسول الله لشدة حرصه ورغبته في ايمانهم كاد ان يكرههم
على الايمان اشفاقا عليهم كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين **وقوله** عز وجل وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قيل
بمشيئة الله وقيل بعلم الله وقيل بامر الله وبارادته وهو ما ذكرنا الا تؤمن نفس الا بمشيئة الله وارادته في ذلك ولا يحتمل قوله الا باذن الله
سوى المشيئة والارادة لانكم من مامور بالايمان لم يؤمن فلم يحتمل الامر ولا يحتمل الاباحة لا يباح ترك الايمان في حال واصله ما ذكرنا لا
لا يحتمل ان يكون الله عز وجل يعلم من خلق اختياره عداوته والخلاف له ثم يتولاه الولاية يخرج ذلك مخرج الجهل لان في الشاهد من اختار
عداوة احد فالآخر يختار ولاية انه انما يختار لضعفه وعجزه فيه **وقوله** عز وجل ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قيل الاثم على الذين
لا يعقلون وقيل ويجعل العذاب على الذين لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم حتى يعقلوا او على الذين لا ينتفعون بعقولهم وقال بعضهم في
قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها اي لم تكن قرية آمنت فنفعها ايمانها عند نزول العذاب الا قوم يونس وقال بعضهم فهلا كانت
آمنت اذ رأت باسنا فكانت مثل قوم يونس فانهم آمنوا حين رأوا العذاب واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون الله تعالى يعلم من خلقه
اختيار عداوته والخلاف له ثم يتولاه الولاية لانه يخرج ذلك مخرج الجهل لان في الشاهد من اختار عداوة احد فالآخر يختار ولايته انه انما
يختار لضعفه وعجزه فيه والله اعلم **وقوله** عز وجل وما كان ان يؤمن الا باذن الله قيل وما كان لنفس في علم الله انها لا تؤمن فتؤمن اي لا
يؤمن في علم الله انه يؤمن وامامن في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل وما كان لنفس الا تؤمن نفس الا بمشيئة الله اي انا انت انما تؤمن بمشيئة
الله ما يعقل انما يفعل بمشيئة الله كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقال بعضهم قوله الا باذن الله اي بامر الله فمعناه اذا امنت
انما تؤمن بامره لا تؤمن بغير امره فالاول اقرب والله اعلم **وقوله** ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي يجعل جزاء الرجس اي جزاء الكفر على
الذين لا يعقلون اي الذين لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم **وقوله** عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض تأويله والله اعلم اي انظروا
الى آثار نعمه ولطفه التي في السموات والارض كي تشكروا ويقول انظروا الى آثار ربوبيته والوهيته في السموات والارض فتوحدوه
وتؤمنوا به او يقول انظروا الى آثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته وعقابه او انظروا الى اعجاب الخلق واتساقه على تدبير واحد لتدلكم على
وحدانيته ونحو ذلك ليس شيء في السموات والارض يقع عليه البصر الا وفيه دلالة الربوبية حتى طرفة العين ولحظة البصر **وقوله**
عز وجل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون يحتمل وجوها يحتمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم همتهم المكابرة والمعاندة انما تغني
الآيات من جهة القبول والانقياد واما من جهة المكابرة والعناد فلا تغني وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية ويحتمل

وما تغني

ما تغني الآيات والنذر في الآخرة عن قوم لا يؤمنون في الدنيا انما تشفع وتغني لقوم يؤمنون واما من لا يؤمن فلا تغني والثالث
وما تغني الآيات والنذر ثم النذر يحتمل الرسل ويحتمل الوعيد التي اوعدوا والاحوال التي تغيرت على اوائلهم والله اعلم **وقوله** عز وجل
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فهل ينتظرون بي يوما من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي الا مثل ما انتظرها
الذين خلوا من قبلهم برسلهم من الهلاك فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل وذهاب امرهم ويحتمل وجها آخر فهل ينتظرون
من نزول العذاب بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب بهم الى هذا يذهب بعض اهل التأويل ويحتمل قوله فهل ينتظرون من تأخير
الايمان الى وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج على الاياس من ايمانهم اي لا يؤمنون الى ذلك الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم والوجه الاول
على التوبيخ والتعيير **وقوله** قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ذلك **وقوله** عز وجل ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا قوله ننجي اي ننجينا الرسل
والذين آمنوا لانه لم يكن بعد رسول وتأويله والله اعلم انه وعد ان ينجي الرسل والذين آمنوا والله اعلم **وقوله** عز وجل يا ايها الناس ان
كنتم في شك من ديني قوله ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به وان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تدعون من
دون الله انا اذا اشكلتم في ديني الذي ادعوكم اليه كنتم شاكين في دينكم الذي انتم عليه فتركتم ديني الذي انا عليه بالشك ثم تدعونني
الى دينكم الذي انتم عليه بالشك بذكر سفههم بتركهم اجابته بالشك ودعائهم اياه بالشك يوجب الوقف في الاشياء ولا يوجب الدعاء
اليه بطلان غيره الا الشك هذا والله اعلم يحتمل وهو يخرج على وجهين ايضا احدهما على الاصنام والآخر على المنابذة والاصنام ما ذكرنا ان
كنتم في شك في ديني الذي ادين به وادعوكم اليه فانا لا شك فيه هذا وجه الاصنام ووجه المنابذة يقول ان كنتم في شك ما اعبد دون
به فلا تعبدون ذلك ولا يعبدون به فانا لا اعبد ما تعبدون ولا ادين ما تدينون به وهو كقوله لكم دينكم ولي دين **وقوله** عز وجل
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والتوفي هو النهاية والغاية في الاضداد وما تعبدون من الاصنام دونه لا يملكون ولا الاضرار كم انهم لا تعبدوا
بذكر سفههم ويلزمهم الحجة ان الذي يتوفاهم هو المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها **وقوله** عز وجل وامرت ان اكون من المؤمنين
يشبه ان يكون قوله من المؤمنين من المرسلين كقوله انهما من عبادنا المرسلين وقال انه من عبادنا المؤمنين فعلى ذلك هذا ويحتمل الايمان
نفسه على ما نهاه ان يكون من المشركين او الشاكين فعلى ذلك امر ان يكون من المؤمنين المخلصين له المسلمين انفسهم والله اعلم **وقوله**
عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا اي امرت ان اقيم نفسي لله خالصة سالمة لا اشرك فيها غيره ولا اجعل لسواه فيها نصيبا او ان يقول
اي امرت ان اقيم نفسي على ما عليها شهادة خلقتها اذ خلقة كل نفس تشهد على وحدانية الله والوهيته او يقول اقم وجه امرك لما تدين به
وتقيم عليه ولا تكونن من المشركين هذا ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته واجبته ولا
يضرك ان تركت اجابته وطاعته **وقوله** ولا تدع من دون الله يحتمل لا تعبد من دون الله ما لا يملك جر المنفعة ويحتمل الدعاء نفسه
اي لا تسم من دون الله الها **وقوله** عز وجل فان فعلت فانك اذا من الظالمين ذكر ههنا الظلم ان فعل ما ذكر والمراد منه الشرك وذكر
في قصة آدم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقد قرباها ولم يكونا مشركين انما كانا عصاة ليعلم ان ليس في الموافقة
في الاسماء موافقة في الحقائق والمعاني انما يكون الموافقة في الحقائق في موافقة الاسباب لذلك كان ما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فيه نفي الرجاء والطمع الى من دونه واخبر انه لا يوجد ذلك من عند غيره **وقوله** عز
وجل وان لم يردك بخير فلا راد لفضله اخبر انه ان اراد خيرا وفضلا فلا راد لذلك الفضل والخير والايمان من اعظم الخيرات وافضلها
فاذا اراد الانسان كان ولا يملك احد دفع ما اراد ولا رده دل انه اذا اراد الايمان لاحد كان مؤمنا فهو ينقض على المعتزلة حيث قالوا
انه اراد الايمان للخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا انما اخبر انه اذا اراد به خيرا فلا راد لفضله وهم يقولون بل يملك العبد رد ما اراد له ورد
وبالله العصمة وفيه ان ليس على الله تعالى اصلح فعل الخيرات لانه سماه فضلا والفضل هو فعل ما ليس عليه وهو المفهوم في الناس ان ما عليهم
من الفعل لا يسمون فضلا انما يسمون الفضل ما ليس عليه والله اعلم **وقوله** عز وجل يصيب به من يشاء من عباده ويصيب به من يشاء
من الفضل والجزاء ومن الشر وفيه دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم لا يعجل
بالعقوبة **وقوله** عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم قيل الحق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الحق القرآن الذي انزل عليه ويمكن
ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوهم رسول الله اليه لانه قال يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فيشبه ان يكون الحق هو الدين
شكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك انه لم تكابروا لما اقام عليهم الحجج والبراهين ويحتمل الحق محمدا صلى الله عليه وسلم على ما
ذكره بعض اهل التأويل كان رسول الله فاولئك الى آخره ويحتمل الحق على ما ذكره بعضهم وهو ما ذكر لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد سماه باسماء مختلفة سماه حقا وسماه نورا وشفاء ورحمة وهدى ونحو ذلك فيه كل ما ذكر
من تأمله وتفكر فيه وتمسك به **وقوله** عز وجل فمن اهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي من اهتدى فانما منفعة اهتدائه
في الدنيا والآخرة ومن ضل فانما يرجع ضرر ضلالته اليه وخيانته عليه اي ما يؤمر وينهى ليس يأمر وينهى لمنفعة تحصل له او لحاجة
نفسه انما يأمر وينهى لمنفعة الخلق ولحاجتهم **وقوله** عز وجل وما انا عليكم بوكيل اي بمسلط قال بعض اهل التأويل هو منسوخ
نسخته آية القتال لكنه لا يحتمل لانه وان كان مامورا بالقتال فهو ليس بوكيل ولا مسلط على حفظ اعمالهم انما عليه التبليغ كقوله انما

عليك الا البلاغ وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية وقوله عز وجل
واتبع ما يوحى اليك يحتمل القران وغيره من الوحي غير القران وقوله عز وجل واصبر حتى يحكم الله اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا يؤذونه و
يقولون فيه بما لا يليق به يقول اصبر على اذاهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير الحاكمين
واصبر على تكذيبهم اياك بالحق يحكم الله بينك وبين مكذبيك وهو خير الحاكمين او اصبر على تبليغ الرسالة والقيام لما امرت به والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال بعضهم احكمت اياته
بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر والنهي وقال بعضهم احكمت اياته حتى لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولا يملك احد التبديل
ثم فصلت بين ما يؤتى وما يتقى او بين ما لهم وما عليهم وما لله عليهم وقال بعضهم احكمت اياته فلم تنسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل
فصلت اي فرقت في الانزال انزل شيء بعد شيء على قدر النوازل والاسباب فلم ينزل جملة لانه لو انزل جملة لاحتاجوا الى ان يعرفوا الكل
سببه وشانه وخصوصه وعمومه فاذا انزل متفرقا في اوقات مختلفة على النوازل والاسباب عرفوا ذلك على غير اعلام ولا بيان والتفصيل
هو اسم التفريق واسم التبيين وذلك يحتمل المعنيين جميعا والله اعلم وقوله عز وجل احكمت اياته اي احكمت حتى لا يرد عليها النقض والانتقاض
او احكمت حتى لا يملك احد التبديل والتغيير او احكمت عن ان يقع فيها الاختلاف وقال بعضهم احكمت اياته بالفرايض وفصلت بالثواب
والعقاب ثم الايات يحتمل وجوها احدها العبر والثاني الحجج والثالث العلامة ثم الاية كل كلمة في القران تمت فهي عبرة او حجة او علامة
لا تخلو عن احد هذه الوجوه الثلاثة وقوله عز وجل من لدن حكيم خبير من عند حكيم عليم جاءت هذه الايات وقوله عز وجل الا تعبدوا
الا الله انني لكم منه نذير وبشير اي من الله ينذر من عصى ويبشر من اتبع وينذر من خالف وقوله الا تعبدوا الا الله في
شهادة خلقتكم هو المستحق للعبادة ويحتمل ان لا تعبدوا ان لا تتحدوا الا الذي في شهادة خلقتكم وحدانية وقوله عز وجل
وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان كانت الاية في الكفار فيكون قوله استغفروا ربكم اي اسلموا ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه عن كل
معصية وكل ثم تأتونها وان كان في المسلمين فهو ظاهر فيكون قوله استغفروا وتوبوا واحدا وقوله عز وجل يمتعكم متاعا حسنا
اي يمتعكم في الدنيا متاعا تستحسنون في الاخرة ذلك التمتع واما الكفار فانهم لا يستحسنون في الاخرة ما متعوا في الدنيا لان تمتعهم
في الدنيا للدنيا والمؤمن ما يتمتع في الدنيا يتمتع لامر الاخرة والتزود لها والله اعلم وقوله عز وجل ويؤت كل ذي فضل فضله يحتمل يؤت
كل ذي فضل في الدنيا جزاء فضله في الاخرة ويحتمل يؤت بمعنى آتى اي ما اتى كل ذي فضل في الدنيا انما اتاه بفضله وقوله ويؤت
كل ذي فضل فضله اي ويؤت كل ذي فضل في دينه في الدنيا فضله في الاخرة او يقول يؤت كل ذي فضل في الدنيا والاخرة فضله
لان اهل الفضل في الاخرة وان تولوا ولم يسلموا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الاية ظاهرة وقال عظيم في موضع اخر وهذا لما
يكبر على الخلق ويعظم ذلك اليوم وقال بعض اهل الفقه في قوله الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت دلالة تاخير البيان لانه قال
احكمت اياته ثم فصلت وحرف ثم من حروف الترتيب ففيه جواز تاخير البيان والله اعلم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم اي الى
ما اعد لكم مرجعكم من وعد ووعيد وهو على كل شيء قدير اي وهو على كل ما وعد واوعد قدير وقوله عز وجل الا انهم يثنون
صدورهم ليستخفوا منه عن عبد الله بن شداد كان احدهم اذا مر بالنبي تغشى بثوبه وثنى صدره وقال قتادة كانوا يخفون
صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله وذكره وقال بعضهم نزلت الاية في رجل له الاخنس بن شريق الثقفي كان يجالس النبي ويظهر له
امرا حسنا وكان حسن المنظر حسن الحديث وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه حديثه ويقربه مجلسه وكان يظهر خلاف ما يظهر
فانزل الله الا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما في صدورهم ويستترون وهو قول ابن عباس واصل تثنية الصدور هو ان يجمع
احد طرفي الصدر الى طرفه الاخر ليكون ما اضمر واسر واخفى ويشبه ما ذكر من ثني الصدر ان يكون كناية عن ضيق الصدر كقوله و
من يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا او عبارة عن الكبر كقوله ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله الاية وكان اصله الميل الى غيره
وهو ما قال ابو عوسجة يثنون صدورهم اي يميلون الى غيره وكذلك قوله ثاني عطفه وقوله ليستخفوا منه قال بعضهم من الله وقال
بعضهم منه اي من رسول الله لكن ان كانت الاية في المنافقين على ما ذكره بعض اهل التاويل فهو الاستتار والاستخفاء من رسول الله
لانهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون له العداوة وان كانت الاية في المشركين فهو على الاستتار والاستخفاء من الله لانهم لا
يبالون الخلاف لرسول الله واظهار العداوة عنده ان الله لا يطلع على ما يسرون وما يضمرون في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما اسروا
وما اضمروا ففيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يسترون ذلك عنه ويضمرون فاخبرهم بذلك ليعلم انما علم ذلك
بالله تعالى وقوله عز وجل الا حين يستغشون ثيابهم اي يستترون بها قال الحسن الا حين يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل وفي اجواف بيوتهم
يعلم تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون واصله انهم يعلمون ان الله هو الذي انشا هذه الصدور والقلوب والثياب هم الذين
نسجوها واكتسبوها ثم لا يملكون الاستتار باكتسابهم فلان لا يملكون الاستتار بما تولى هو انشاءه احق وقوله الا حين يستغشون

الاانما

الا انما هو تاكيد الكلام وهو قول ابي عبيدة وغيره وقوله عز وجل انه عليم بذات الصدور وقال اهل التاويل عليم بما في الصدور لكن
يشبه ان قوله عليم بذات الصدور عبارة عن صدور لها تمييز وتمييز وهو البشر وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها قال بعضهم عني بالدابة الممتحن بها وهو البشر وانما غيره من الدواب فقد سخرها للممتحن به وقال قائلون اراد كل دابة تدب على
وجه الارض من الممتحن به وغيره وتمامه ما من دابة في الارض جعل قوامها وحياتها بالرزق الا على الله انشاء ذلك الرزق لها ثم من الرزق
ما جعله بسبب ومنه ما جعله بغير سبب وقوله الا على الله رزقها اختلف ايضا قال بعضهم قوله على الله رزقها اي على الله انشاء
رزقها وخلقها الذي به قوامها وحياتها وهو كقوله وفي السماء رزقكم اي ينشئ ويخلق رزقا بسبب من السماء من المطر وغيره
فعلى ذلك قوله على الله رزقها اي على الله انشاء رزقها وخلقه لها وقيل على الله رزقها اي على الله ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به
معاشها ثم قوله على الله قال بعضهم ما جاءها من الرزق انما جاء من الله لم ياتها من غيره وعلى الله بمعنى من الله وذلك جائز في اللغة كقوله اكتالوا
على الناس اي عن الناس وهو قول مجاهد ويحتمل قوله على الله رزقها اي على الله وفاء ما وعد وقد كان وعد ان يرزقها فعليه وفاء وعده
وانجازه ويحتمل وجها اخر وهو انه لما خلقها انه يبقيها الى وقت عليه تبليغ ما به تعيش الى ذلك الوقت والاجل الذي خلقها ليبقيها الى
ذلك وبعضه قريب من بعض وقوله عز وجل ويعلم مستقرها ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها
بالنهار في معاشها وقال بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وقال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم وقال بعضهم المستقر
المتقلب في الدنيا والمستودع مثواها في الاخرة كقوله والله يعلم متقلبكم في الدنيا وحركتكم في معاشكم ومثواكم اي قراركم ومقامكم في
الاخرة وقال بعضهم مستقرها في الدنيا ومستودعها في القبر ويشبه ان يكون هذا عن العلم بها في كل احوال سكونها وفي حال حركتها
لانها لا تخلو اما ان تكون ساكنة تارة او متحركة اي يعلم عنها كل حالها ويشبه ان يكون صلة ما تقدم وهو قوله الا انهم يثنون
صدورهم ليستخفوا منه الاية يخبر انه اذا لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض وما تغيض الارحام وما استودع في الاصلاب
كيف يخفى عليه اعمالكم التي عليها العقاب وبها الثواب وفيها الامر والنهي والله اعلم وكل في كتاب مبين اي مبين في كتاب قيل
في لوح المحفوظ ويحتمل القران وغيره وقوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في موضع اخر خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وقال في موضع اخر قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وقال فقضاهن سبع
سموات في يومين وقال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام يجوز ان يكون جعل للارض يومين يوما لوجودها ويوما لعدمها وكذلك
السماء جعل يوما لوجودها ويوما لعدمها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض الاية وكقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ويوم
تشقق السماء بالغمام وكذلك ما بينهما جعل يوما لوجوده ويوما لعدمه فيكون يوم السابع يوم البعث يكون لكل من ذلك يومين
يوما لوجوده ويوما لعدمه وقد ذكرنا شيئا في ذلك مما احتمل وسعنا في سورة الاعراف وفي الاية دلالة ان السماء والارض دخلتا تحت
الاوقات بقوله في ستة ايام اذ الايام عند الناس انما هو مضي الاوقات فان دخلتا تحت الاوقات ثبت انهما ليستا ازليتين على ما يقول بعض
الملحدة انهما ازليين كانا كذلك والله اعلم وجائز ان يكون اليوم السابع هو اليوم الذي انشأ الممتحن فيه وهو المقصود في خلق ما ذكر
من الاشياء اعني البشر وقوله عز وجل وكان عرشه على الماء ان كان العرش اسم الملك والسلطان على ما قال بعض اهل التاويل فتاويله
والله اعلم كان اظهر ملكه على الماء بمعنى عن وذلك جائز في اللغة لانه بالماء ظهور كل شيء وبدؤه كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وان
كان العرش اسم السرير والكرسي على ما قاله بعض الناس فهو عرش الملك وسريره خلقه ليكرم به اولياءه ليمتحن ملائكته بحمله والخدمة له
على ما يكون للملوك في الارض سرير يستخدمون خدمهم في ذلك وهو خلق من خلائقه اضافه اليه كما يضاف الاشياء الى الله لكنه يضاف الاشياء
اليه مرة بالاجمال جملة ومرة بالاشارة والافراد ولكن ما اضاف اليه بالاشارة فهو على تعظيم ذلك الشيء وما اضيف اليه الاشياء
بالاجمال والارسال فهو على ذكر عظمته وكبريائه كقوله له ملك السموات والارض وخلق السموات والارض ونحوه فيه ذكر سلطانه
وعظمته وقوله بيت الله وان المساجد لله ونحوه يخرج على ذكر تعظيم البيت والمساجد والله اعلم وقوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن
عملا اي خلق السموات والارض وما فيها للممتحن لم يخلق هذه الاشياء لانفسها انما خلقها للممتحن فيهما كقوله وسخر لكم ما في الارض
وما في السموات جميعا لان خلقها لانفسها عبث لانها مخلوقة للفناء خاصة فكل مخلوق للفناء خاصة فهو عبث لذلك كان ما ذكر والله
اعلم وقوله عز وجل ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين قوله ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت هذا القول لنفسه انكم مبعوثون من بعد الموت ليس يقولون هذا سحر ولكن اذا اخبرهم انهم مبعوثون من بعد الموت و
اقام الحجج والبراهين على البعث فحينئذ قالوا للحجج البعث وبراهينه ما هذا الا سحر ويحتمل وجها اخر وهو انه يذكر سفههم انهم اعتادوا
نسبة كل شيء الى السحر حتى الاشياء التي لا تحتمل السحر وهو الاخبار لان السحر انما يكون في تقليب الاشياء وانما فيما يخبر عن شيء
يكون فلا وقوله عز وجل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل الى وقت معلوم وهو البعث ذكر امة والله اعلم لانه وقت
ينقضي اجال الامم جميعا ليقولن ما يحبسه اي كانوا يقولون ما يحبس عنا العذاب الذي يعدنا لم تزل عادتهم استعجال العذاب
استهزاء بهم وقوله عز وجل الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ذلك اذا جاء لا يملك احد صرفه عنهم كقوله ليس له من دونه دافع

يشفع وقوله ما لهم من الله من واق ونحوه **وقوله** وحاق بهم قيل نزل بهم وقيل يحيق بهم ما كانوا به يستهزءون جزاء استهزائهم بالرسل والكتاب وقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا اي لا يصرف عنهم بشفاعة من طمعوا بشفاعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ونحو ذلك لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم **وقوله** عز وجل ولئن اذقنا الانسان منا رحمة قيل سعة في المال والولد ثم نزعناها منه انه ليؤس اياس ذهاب ذلك المال عنه وتزهده منه عن العود ذلك اليه ويقنط والاياس قد يكون كفرا كقوله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ويحتمل قوله انه ليؤس في حال ذهاب النعمة والكفور في حال النعمة والسعة كفور لما راى نزع ذلك المال والسعة منه جورا وظلما فهو كفور وعن ابن عباس قال ولئن اذقنا الانسان يعني الكافر منا رحمة يقول نعمة العافية وسعة في المال وما يسر به ثم نزعناها منه يعني الرحمة انه ليؤس يعني قنوط ايس واقنط من رحمة الله وهو كقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الفرح هو الرضا كقوله فرحوا بالحيوة الدنيا اي رضوا بها وقيل الفرح البطر يبطر في حال السعة والرخاء كقوله ان الله لا يحب الفرحين والفرح قد يبلغ كفرا ويكون الفرح سرورا ولا يكون كفرا فخور يفتخر على الفقراء بالمال الذي اعطي ويفتخر على الانبياء والرسل بالتكذيب وكذلك كان عادة رؤسائهم انهم كانوا ذوي مال وسعة فلا يرون الرسالة تكون فيمن دونهم في المال والسعة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالا واولادا ونحوه ويحتمل قوله ليؤس في حال الشدة كفور لله في نعمه والرخاء واصله وذلك انهم كانوا لا ينظرون في النعم الى من انعم عليهم انما ينظرون الى اعين النعم وانفسها لذلك حملهم نزع ما اعطوا منهم على الاياس والقنوط واعطاؤها اياهم على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا في تلك النعم الى المنعم لم يقع لهم الياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل بل يصبرون عند النزع من ايديهم ويشكرون للمنعم عليهم في حال النيل ثم استثنى فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال بعض اهل التاويل الا الذين صبروا اي امنوا على ما ذكر في غير واحد من الايات الا الذين امنوا وعملوا الصالحات كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا ويكون قوله الا الذين صبروا عن المعاصي فلم يرتكبوها وعملوا الصالحات اي الطاعات والايمان نفسه هو اعتقاد الانتهاء عن المعاصي كلها والانتفاء عن جميع ما يدخل نقصانا فيها واتيان الطاعات جميعا وهكذا يعتقد كل مومن ان ينتهي عن كل معصية ويأتي بكل طاعة ويعمل بها هذا اعتقاد كل مومن وحقيقة الوفاء بذلك كله **وقوله** عز وجل اولئك لهم مغفرة واجر كبير يشبه ان يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا من الصغاير من الذنوب وانتهوا عن الكباير منها واجر كبير على ما اتوا وعملوا من الكباير من الطاعات ويحتمل لهم مغفرة الستر في الدنيا يستر عليهم تلك الذنوب في الدنيا لم يطلع عليها الخلق واجر كبير بما اظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس اليهم بعين عظيم بما اظهر منهم من الخيرات وخفي عليهم بما ارتكبوا من المعاصي هذا التاويل يكون في الدنيا والاول في الاخرة **وقوله** عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وان كان معلوما انه لا يترك كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وامثاله نهاه وان كان معلوما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك وانما احتمل النهي كما يقال الرجل لاخر لعلك تريد ان تفعل كذا فهو نهاه عن ذلك والثاني يقال عند القرب الى الفعل والدنو منه كقوله لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يقال الحرف كاد عند الميل اليه والقرب منه طمعا منه في ايمانهم وذلك فيما يحل له الترك وذلك ما قيل من نحو سب الهتهم وذكر العيب فيها ويحل له ترك سب الهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله لعلك باخع نفسك على هذين الوجهين على المنع ان لا يحمل على نفسه اشفاقا على انفسهم ان لا يومنوا ما يوجب تلفه والثاني على التخفيف كقوله ولا تحزن عليهم [illegible] ولا تخافي ولا تحزني [illegible] وفي قوله فلعلك تارك الاية وجه اخر وهو ان يخرج مخرج البشارة [illegible]

[illegible]

فاتوا بعشر سور مثله وادعوا ايضا شهداءكم من الجن والانس من استطعتم من دون الله يعينوكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين انه افتراه من عنده او يقول فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اي ان محمدا قد جاء بسور فيه انباء ما اسررتم واخفيتم ولا سبيل الى معرفة ذلك والاطلاع عليه الا من جهة الوحي من السماء واطلاع الله اياه فاتوا انتم بسورة مفتريات فيها انباء ما اضمر هو واسر وتطلعون انتم على سرائره ما اطلع هو على سرائركم وادعوا من استطعتم ممن تعبدونه من دون الله من الالهة ان كنتم صادقين انه افتراه او يقول انه لسانكم مثل لسان محمد فان قدر هو على الافتراء افتراء مثله من عنده فتقدرون انتم على الافتراء مثله فاتوا به وادعوا ايضا ممن لسانه مثل لسانكم حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال في موضع اخر فاتوا بسورة من مثله قال بعضهم بعشر نزل قبل فلم يقدروا على مثله وقوله فاتوا بسورة من مثله دعوا اولا ان ياتوا بعشر سور فلما عجزوا عن ذلك عند ذلك قيل لهم ايتوا بسورة من مثله وقوله بعشر سور مثله مفتريات فان قيل كيف ذكر فاتوا بسور مفتريات قيل معناه ان كان هذا ما لا يحتمل الافتراء على ما تزعمون فاتوا بمثله انتم لانكم اقدر على الافتراء من محمد فان لم تقدروا ولم يقدر واحد على ذلك **وقوله** عز وجل فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم تقدروا انتم ولم يجيبوكم اولئك على الاعانة على اتيان مثله فاعلموا انما انزل بعلم الله وبامره اتاه ومن عنده نزل ليس بمفترى على ما تزعمون وان لا اله الا الله لا الوهية لمن تعبدون دونه من الاصنام والاوثان والثاني فان لم يستجيبوا لكم يا اصحاب رسول الله ولم يقدروا على مثله فاعلموا انتم انه انما انزل بعلم الله ومن عنده نزل على التنبيه والتذكير لهم وان كانوا علموا انه من عنده نزل كقوله فاعلم انه لا اله الا الله على التنبيه والتذكير ليس على انه لا يعلم فعلى ذلك الاول **وقوله** عز وجل فهل انتم مسلمون خاضعون له مخلصون وعلى التاويل الاول على حقيقة الاسلام والايمان والله اعلم **وقوله** عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية اختلف فيه قال بعضهم الاية في اهل الايمان الذين عملوا الصالحات مراءاة للخلق يقول نوف اليهم اعمالهم فيها من الذكر فيها والشرف وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباهات وغير ذلك في الدنيا جزاء تلك الاعمال التي عملوها وبطل ما كانوا يعملون لانهم عملوا لغير الله فلا يجزون في الاخرة باعمالهم تلك والى هذا يذهب ابن عباس وروي في بعض الاخبار ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سئل ما بال العبد المعروف بالخير يشدد عليه عند الموت والرجل المعروف بالشر يهون عليه الموت فقال المومن تكون له ذنوب فيجازى بها عند موته فيفضي الحالة في الاخرة ولا ذنب عليه والكافر يكون له الحسنات فيجازى عند الموت يخفف عنه كرب الموت ثم يفضي الى الاخرة وليست له حسنة او كلاما نحوه وقال بعضهم الاية في اهل الكفر يعملون اعمالا هي في الظاهر صالحة نحو التصدق على الفقراء وعمارات الطرق واتخاذ القناطر والرباطات هي في الظاهر صالحة يقول نوف لهم جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا لا تنقص منها شيئا فهو ما وسع عليهم الدنيا وجائز ان يكون قوله نوف اليهم اعمالهم اي نرد اليهم اعمالهم التي عملوها فلا يقبلونها ويكون ايفاء اعمالهم الرد **وقوله** عز وجل وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون ما قدر لهم من الرزق الى انقضاء مدتهم واجالهم بشركهم بالله **وقوله** عز وجل اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وعلى هذا التاويل ظاهر ليس لاهل الكفر في الاخرة الا النار وعلى هذا التاويل ظاهر ليس لاهل الكفر في الاخرة الا النار وعلى التاويل الذي قال انها في اهل الايمان اي لا يستوجبون بتلك الاعمال التي عملوها مراءاة الا النار لانه اذا راءى فيها لم يخلصها لله وضيع امره وكل من ضيع امر الله وفريضته يستوجب التعذيب عليه وله العفو وليس في الاية انه لا محالة يعذبهم بعملهم المراءاة والله اعلم **وقوله** عز وجل فاعلموا انما انزل بعلم الله فيه دلالة نقض قول الجهمية والمعتزلة بنفيهم العلم عن الله وفي الاية اثبات العلم له بقوله انزل بعلم الله **وقوله** عز وجل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد قوله افمن حرف يقتضي الجواب لم يخرج في الظاهر لان جوابه ان يقول افمن كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة من ربه كما قال في اية اخرى افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى لا يعلم فعلى ذلك جواب قوله افمن كان على بينة من ربه كمن لا يكون على بينة من ربه لكن الجواب عندنا يكون على وجوه مرة يكون بالتصريح وهو ما ذكرنا ومرة بالاشارة ومرة بالكناية على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية اي لا يكون كذلك ومنهم من يجعل جوابه فيما تاخر وهو قوله ومن يكفر به من الاحزاب كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يكفر به من الاحزاب اي لا يكون كذلك وقالوا يجوز تقديم الجواب وتاخيره كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه لم يخرج لهذا ايضا جواب التصريح ثم اختلفوا في جوابه قال بعضهم جوابه فيما تاخر في قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون امن هو قانت وصف الذين يعلمون فكانه يقول افمن يعلم كمن لا يعلم ومنهم من يجعل جوابه في قوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يقول من جعل لله اندادا واضل عن سبيله وصار من اصحاب النار كمن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما اي ليسا بسواء وقال مقاتل ليس الذي على بيان من ربه كالذي موعده النار والله اعلم وجائز ان يكون على طرح الالف لمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى الاية يقول لمن كان على بيان من ربه اولئك يومنون به ثم **قوله**

بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال بعضهم دين من ربه اي من كان على دين من الله ويتلوه شاهد منه يتلو لما هو عليه من
الدين شاهد منه كمن كان على دين الشيطان ولا شاهد له عليه وقال بعضهم قوله افمن كان على بينة من ربه اي على برهان من
ربه وحجج ويتلوه شاهد منه على ذلك كمن لا على برهان من ربه ولا حجج وشاهد له على ذلك ثم قال بعضهم قوله يتلوه شاهد
منه جبريل وملك غيره يتلو عليه القران وقال بعضهم يتلوه شاهد منه هو القران ونحوه ثم **وقوله** افمن كان على بينة من ربه
يحتمل اصحاب اصحاب عيسى الذين امنوا به ومن قبله كتاب موسى اصحاب التورية الذين امنوا به اولئك يؤمنون به اي هؤلاء
الذين امنوا بهولاء الذين يؤمنون بمحمد عليه افضل الصلوات وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** عزوجل ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة قيل فيه بوجوه قيل ومن قبل القران كتاب موسى جاء به جبريل الى موسى كما جاء بهذا القران اماما يقتدى به ورحمة
من العذاب لهم ويحتمل قوله ومن قبله يعني قبل القران كتاب موسى التورية اماما فيها انباء هذا القران وانباء محمد انه رسول
كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وامثاله ويحتمل قوله اماما ورحمة وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال اماما ورحمة كان كتاب موسى وهو التورية اماما يقتدى به وكان رحمة اولئك يؤمنون به قال
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين امنوا به من اهل الكتاب وغيرهم ويحتمل قوله اولئك يؤمنون به اي مؤمنو اهل التورية يؤمنون
بالقران ويقتدون به كما امنوا بالتورية واقتدوا بها **وقوله** عزوجل ومن يكفر به اي بالقران من الاحزاب الاحزاب الفرق و
الاصناف يحتمل من يكفر به اي بالقران من الفرق ويحتمل يكفر به اي يجحد ويحتمل الدين الذي هو عليه ويدعوهم اليه والنار موعده
ان مات على ذلك واما اذا اسلم ومات على الاسلام فلا يكون النار موعده **وقوله** عزوجل فلا تك في مرية منه يحتمل في قوله
الوجوه الثلاثة الذي ذكرنا من الدين والقران والنبي يحتمل هو نفسه ويحتمل الخطاب غيره لما ذكرنا في قوله فلا تكونن من الممترين
فلا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين وامثاله فكذلك هذا وقد ذكرنا ان العصمة لا تزيل النهي والامر بل تزيدهما لان
بالعصمة يظهر بموافقة الامر ومخالفة النهي والمحظور **وقوله** عزوجل انه الحق من ربك يحتمل القران ويحتمل الدين الذي عليه و
يدعوهم اليه ويحتمل هو نفسه الحق من ربه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون **وقوله** عزوجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو ما ذكرنا
ان لا احد اظلم على نفسه ممن اخذ نفسه من معبوده وشغلها في عبادة من لا يملك له نفعا ان عبده ولا ضرا ان ترك عبادته
او يقول لا احد اظلم على نفسه ممن القى نفسه الظاهرة في عذاب الله ونقمته ابدا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة وفي التاويل
لا احد اظلم على نفسه ممن افترى على الله كذبا وفي المعنى لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا بعد معرفته ان جميع ما له من الله
وقوله عزوجل اولئك يعرضون على ربهم اي اولئك الذين عرضوا اعمالهم على انفسهم عند ربهم فان وافقت اعمالهم ما في شهادة خلقتهم
ادخلوا الجنة وان خالفت اعمالهم شهادة خلقتهم ادخلوا النار تعرض على انفسهم عند ربهم لان الله عزوجل عالم بما كان منهم من الاعمال
والا قوال على ربهم اي عند ربهم كقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي عند ربهم وتاويله ما ذكرنا يعرضون على ربهم لانفسهم
لانهم انما يؤمرون وينهون ويمتحنون لانفسهم ولمنفعة انفسهم فيكون عرضهم لهم او ان يكون قوله اولئك يعرضون على ما اوعدهم
ربهم في الدنيا او يقول اولئك يعرضون لانفسهم على ربهم من غير حجبة كان منه والله اعلم **وقوله** عزوجل ويقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم اختلف فيه قيل الاشهاد الرسل والانبياء وقال بعضهم الاشهاد والملائكة وقال بعضهم الاشهاد المؤمنون
ممن قال هم الانبياء والمؤمنون فهو لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
ومن قال هم الملائكة كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الاية ونحوه ومعناه والله اعلم
ان قوله تعرض اعمالهم واقوالهم على انفسهم فان اقروا بها بعثوا الى النار وان انكروا يشهد عليهم ما ذكر من الشهداء فان انكروا ايضا الله
اقرا كتابك الاية فان انكروا ذلك فعند ذلك تشهد عليهم جوارحهم كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية
ويحتمل ان يكون الملائكة نادوا في ملاء الخلق قبل ان يدخلوا النار هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويحتمل ما ذكر في شهادة الذين كانوا
موكلين بكتابة اعمالهم يخبرون ما كتبوا في الكتب **وقوله** عزوجل الا لعنة الله على الظالمين اللعنة قال بعضهم هي الطرد عن جميع المنافع
والابعاد من رحمة الله في الدنيا وفي الاخرة من ثوابه وقال بعضهم اللعنة هي العذاب **وقوله** عزوجل الذين يصدون عن سبيل الله هم
يصدون يحتمل وجهين ان اعرضوا هم بانفسهم عن دين الله ويحتمل صرفوا الناس عن دين الله لكنه يتبين ذلك بالمصدر انه اراد ذا او
ذا يقال في الاعراض بنفسه صد يصد صدودا وكقوله يصدون عنك صدودا ويقال في صرف غيره صد يصد صدا **وقوله** عزوجل
يبغونها عوجا قال بعضهم هم بغاة على دين الله بالجور وقال بعضهم يبغون من البغاء الميل عن دين الله الى دينهم فذلك هو بغي العوج
كل سبيل غير سبيل الله فهو عوج وبغي كانه قال يبغون سبيلا غير سبيل الله وهم بالاخرة هم كافرون في الدنيا **وقوله** عزوجل اولئك لم
يكونوا معجزين في الارض اي اولئك لم يكونوا معجزي الله في الدنيا من ان يعذبهم وينتقم منهم ان شاء والثاني اولئك لم يكونوا سابقي الله في الامر
في دفع العذاب عن انفسهم وجائز ان تكون الاية في الائمة منهم والجبابرة يخبر انهم غير معجزين الله فيما يريد منهم من التعذيب لهم **وقوله**
عزوجل وما كان لهم من دون الله من اولياء هم حسبوا ان اولئك الذين عبدوا دون الله يكونون لهم اولياء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا

عند الله

عند الله دون الله يكونون لهم اولياء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطمعون
في شفاعة الاصنام التي كانوا يعبدونها والذين اتبعوهم يكونون لهم اولياء فاخبر ان ليس لهم اولياء على ما طمعوا وحسبوا بل يكونون لهم اعداء
كقوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء الاية وامثاله كثير وكقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وكقوله واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا اي لم يكن لهم ما طمعوا وقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا صاروا لهم اعداء على ما ذكر و
يحتمل ما كان لهم من دون الله من اولياء اي لا ينفعهم ولاية من اتخذوا اولياء كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ونحوه **وقوله عزوجل**
يضاعف لهم العذاب هذا يدل على ان قوله الذين يصدون عن سبيل الله في الاية الذين صرفوا الناس عن دين الله لانهم اخبر انه يضاعف لهم العذاب
وهو يحتمل وجهين احدهما لما ضلوا هم بانفسهم والاخر لما صرفوا الناس عن دين الله **وقوله** عزوجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
قالت المعتزلة فيه بوجهين احدهما انهم كانوا يسمعون ويبصرون لكنه قال لا يستطيعون السمع ولا يبصرون استثقالا منهم لذلك وهو
كما يقول ما استطيع ان انظر الى فلان ولا اسمع كلامه وهو ناظر اليه سامع كلامه لكنه يقول ذلك لاستثقال النظر اليه وسماع كلامه
فعلى ذلك الاول كانوا يسمعون ويبصرون لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر اليهم فنفاهم ذلك والثاني كانوا لا يستطيعون السمع
اي كانوا كانهم لا يستطيعون السمع ولا النظر وهو ما اخبر انهم صم بكم عمي كانوا يتصامون ويتعامون الحق واما عندنا الجواب للتاويل
الاول انهم لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون السماع سمع الرحمة والنظر اليه بعين الرحمة والنبول لهم من ذلك الوجه كانوا لا
يستطيعون والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمع القلب وبصر القلب كقوله فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذه الاستطاعة عندنا هي استطاعة الفعل لا استطاعة الاحوال اذ جوارحهم كانت سليمة صحيحة
فدل انها الاستطاعة التي بها يكون الفعل لما ذكرنا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع
ثم سئل الحسن عن ذلك فقال هو قول الله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا انما سمعوا الوحي تقنعوا
في ثيابهم فلم يستطيعوا احتمال ذلك وفي حرف حفصة وما كانوا يستطيعون السمع بالواو واما في حرف ابن مسعود وظاهر تاويله
اي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وابطا واصله ما كانوا يستطيعون السمع المكتسب والبصر
المكتسب عندنا ما ذكر من السمع والبصر هو السمع المكتسب والبصر المكتسب والحيوة المكتسبة لان سمع الاخرة وحيوتها مكتسبا و
حيوة الدنيا والسمع والبصر مخلوقة **وقوله** عزوجل اولئك الذين خسروا انفسهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا عبادتهم غير معبودهم
الذي كان منه جميع النعم والمنافع وما لحقهم بذلك من الذل والصغار واما في الاخرة فالعذاب والهوان الدائم بل لا عز النعم
الدائمة وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الاية وامثاله **وقوله** عزوجل
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون قال ابو عوسجة لا جرم ولا بد من الكلام اي حقا انهم في الاخرة هم الاخسرون وقال بعضهم لا جرم
اي نعم انهم في الاخرة هم الاخسرون وقال الفراء قوله لا جرم اي لا بد ولكن الناس اكثروا استعماله مضافي متعارفهم حقا ولا بد في
الحقيقة حقا لانه اذا كان لا بد فهو حق **وقوله** عزوجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة تاويله
والله اعلم ان الذين امنوا بالله وبجميع ما انزل على رسوله وعملوا الصالحات ولزموا ذلك حتى صاروا الى الله اولئك اصحاب الجنة وهو
كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اي من تاب من الشرك وامن بالله وعمل صالحا ثم اهتدى اي ثم لزم ذلك حتى
صار الى الله هكذا فعلى ذلك قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اي لزموا ذلك كله حتى صاروا الى الله ويحتمل
قوله ثم اهتدى سنن الذين اولئك كذا **وقوله** عزوجل واخبتوا الى ربهم اختلف فيه قال بعضهم الاخبات التخشع والتواضع اي
تخشعوا وتواضعوا فرقا من ربهم وقال بعضهم اخبتوا اي اطمانوا على ذلك اولئك كذا وعن ابن عباس رضي الله عنه اخبتوا اي خافوا
من ربهم وقال القتبي اخبتوا اي تواضعوا لربهم وقال الاخبات التواضع والوقار وقال ابو عوسجة الاخبات التوبة والخبت التائب
وقال غيرهم الاخبات الانابة اخبتوا اي انابوا الى الله وبعضه قريب من بعض ومن قال الاخبات هو التواضع والخشوع فمعناه والله
اعلم اي تواضعوا وخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه ربهم وندبهم اليه **وقوله** عزوجل مثل الفريقين اي الصنفين اللذين سبق
وصفهما وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية فهو وصف الكافر والفريق الاخر قوله افمن كان على بينة من ربه الى اخر
قوله افمن كان على بينة من ربه الى اخر ما ذكر وفيه وصف المؤمن او يكون وصف الكافر ما ذكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك
يعرضون على ربهم الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون هو وصف احد الفريقين وهم الكفار والفريق الاخر ما ذكر ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم هذا والله اعلم الفريقين اللذين ضرب مثلهما بالاعمى والبصير والسميع ثم وجه ضرب مثل الكافر بالاعمى والاصم
والمؤمن بالبصير والسميع فهو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب والاصم السمع لم يبصر ما غاب عنه من الموعود ولا سمع ما غاب عنه من
الموعود انما ابصر ظواهر الامر وكذلك انما سمع ظواهر من الامور وبادئها لم ينظر الى الغائب من الموعود ولا سمع ذلك وهو لم يخلق لهم
ذلك الظاهر خاصة انما خلق لما وعد واوعد في الغائب والمؤمن ابصر ذلك الغائب وسمع ما غاب من الموعود فيقول كما يسبق منكم
في الظاهر البصير والاعمى والسميع والاصم لم يستو من كان عمي القلب بما كان بصر القلب بذلك ولم يستو ايضا من به صمم القلب من كان

سميعا بذلك فلا تذكرون انهما لم يستويان او يقول افلا تذكرون اى افلا تتعظون بما نزل من القران فتنتهون عما تشتهون
والله اعلم وفى قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وجوه من الاسولة احدها ان
يقال كيف احتج عليهم وهو ما ذكر انهم عميان وصم او كالعميان والصم ولا تكلف الاعمى الابصار والنظر ولا الاصم السماع والثانى
يقولون انا بصراء سمعاء ليس بنا صمم ولا عمى بل انتم العميان والصم والثالث كيف ذكر المثل لهم وهم لا يتفكرون ولا ينظرون فى المثل
ولا يلتفتون اليه اما جواب الاول بانه احتج عليهم لانهم تركوا اكتساب بصر الاخرة وسمع سماع الاخرة فنفى عنهم السمع والبصر و
الحيوة لانه يبصر المخلوق يكتسب بصرا فى الدين وسمعا فى امر الدين وحيوة الدين فيصير بذلك مكتسب الحيوة الدائمة والبصر الدائم
والسمع الدائم فيكونون فى الاخرة بصراء سمعاء احياء كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثانى نفى عنهم هذه الحواس
لانهم لم ينتفعوا بها لان هذه الحواس انما انشات لهم وخلقت لينتفعوا بها وهو المقصود بانشائها فاذا تركوا الانتفاع بها كانها
ليست لهم واما جواب ما قالوا انا بصراء وسمعاء وانتم العميان والصم فيقال لهم ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك قد اشتغلوا بالتفكر
فيما قرع اسماعهم من الايات والنظر فيها وانتم لا بل تصاممتم عنها وتعاميتم فدل تفكرهم ونظرهم فيها على انهم بصراء وسمعاء واحياء
وانتم يا اهل الكفر العميان والصم والاموات والثانى ان هذه الايات انما نزلت فى محاجة اهل مكة وهم قد علموا ان اباءهم لم يكونوا
حكما ولا علما فلم يكونوا مما ذكر بصراء ولا احياء ولا سمعاء فصاروا صما عميانا امواتا ولان احد الفريقين لا محالة ما ذكر بحق ادم
ثم قد استويا فى هذه الدنيا وفى العقل والحكمة التفريق بينهما فدل انهم بما ذكرا ولى واما جواب ذكر المثل لهم على علم منهم انهم لا يقبلون
المثل ولا ينظرون بانه انما ذكر لاهل الاسلام ولان ذكر المثل به ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكر وقوله عز وجل ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اخبر انه ارسله الى قومه ولم يفهم منه الارسال من مكان الى مكان وكذلك قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم
يكن مجيئه من مكان فهذا يدل انه لا يفهم من ذكر المجئ الانتقال من مكان الى مكان وكذلك الارسال وقوله عز وجل انى لكم نذير مبين
اى نذير لمن عصى بالنار وتبعا بما بين الانذار وقوله عز وجل الا تعبدوا اى لا تجعلوا عبادتكم الا لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم
تشهد على انه هو المستحق للعبادة لا من تعبدون من الاصنام والاوثان ويحتمل قوله لا تعبدوا الا الله تعالى اى وحدوا الله ولا تصرفوا
الالوهية الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم اضاف الالم الى اليوم واليوم ليس بمولم لكنه والله اعلم اضافه
اليه لما فيه يولم وهو كقوله وجعل الليل سكنا والليل لا يسكن ولا يوصف لكنه يسكن فيه وكذلك قال والنهار مبصرا والنهار لا يبصر
لكنه يبصر فيه فعلى ذلك قوله يوم اليم لما فيه يكون العذاب الاليم وقوله عز وجل انى اخاف عليكم اى الخوف فى غيره لا يكون فى الحقيقة
خوفا وكذلك الرجاء فى غيره لا يكون فى الحقيقة رجاء وفى نفسه يكون فى الحقيقة خوفا ورجاء لما يلحقه ضرر فى نفسه ان حل به
ذلك لغيره ويلحقه نفع فيكون الخوف فى نفسه حقيقة خوف والرجاء حقيقة رجاء واما فى غيره لما لا يلحقه ضرر وان حل ذلك بالغير
ولا ينال من النفع فى الرجاء ان نال ذلك الغير لكنه يخرج على وجهين احدهما على العلم اى انى اعلم انه ينزل بكم العذاب نحو قوله وان خفتم شقاق
بينهما اى علمتم وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله اى فان علمتم ان يضيعا حدود الله والثانى يخاف عليهم اشفاقا منه لان الخلق جبلوا
على ان يتالم بما يحل بغيره حتى لا يكون فى وسع بعضهم ان يرى ذلك فينزل على هذين الوجهين يخرج الخوف على غيره وفى الخوف رجاء وفى
لان الخوف اذا لم يكن فيه رجاء فهو اياس وقال الله عز وجل انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء اذا لم يكن فيه خوف
فهو امن وقال فلا يامن مكر الله الا الكافرون وقوله عز وجل فقال الملاء الذين كفروا من قومه قيل اشراف قومه والمنتهم ما نراك الا بشرا مثلنا
وكذلك قال عامة القوم لرسلهم الذين بعثوا اليهم ما انتم الا بشر مثلنا كان هذا احتجاجهم فى رد الرسالات يحتجون على الرسل
فيقولون والله اعلم ان الرسل فى الشاهد انما يجيئون من عند المرسل وانتم نشاهد من بين اظهرنا لم تاتونا من احد فالظاهر والرسول
هو الذى ياتى من عند غيره ويكون للرسول خصوصية عند المرسل ولا نرى لك خصوصية لا فى الخلقة ولا فى القدرة والمال وغيره فكيف
بعثتم الينا رسلا وهو ان يبعث نحن اليكم رسلا اذ انتم ونحن فى الخلقة سواء وفى الامور الظاهرة سواء او نحو من الكلام واحتجوا
على رسلهم فى رد الرسالة وكذلك كان عادة الكفرة يقولون للرسل ان لزمتهم الحجة واقيم عليهم نسبوها الى السحر ونسبوا الرسل انهم
بشر مثلهم فجواب هذا كله ما ذكر ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما قال لهم نوح يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربى واتانى رحمة من عنده اى اتانى رحمة من عنده وجعله بينة وبرهانا على ما اتانى رحمة من عنده بمثل هذا يحتج عليهم و
يقال ايضا انكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض لما جعلكم ائمة ورؤساء بامور الدنيا على غيرهم فكيف تنكرون فضل الله
وتخصيص بعض على بعض بفضل الدين والرسالة وقوله عز وجل ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى احتجوا ايضا فى
رد الرسالة يقولون ان الاراذل هم اتباع لكل من دعاهم واهل طاعة لكل متبوع فليس فى اتباع الاراذل اياك والضعفاء دلالة
ثبوت رسالتك اذ هم يتبعون بلا دليل ولا حجة وهم فروع واتباع لغيرهم ولم يتبعك احد من الاصول لكن يقال ان هؤلاء الاراذل
لما اتبعوا الرسول ولم يتبعوا الائمة والرؤساء الذين معهم الاموال والدنيا ولم يكن فى ايدى الرسل ذلك ثم تركوا اتباع اولئك وفى اتباع
ما يدعوهم اليه واتبعوا الرسل دل انهم انما اتبعوا الرسل بالحجة والبرهان التى اقاموها عليهما ونحو ذلك الاراذل قيل هم السفلة والضعفاء

وقال النبى

وقال النبى اراذلنا اشرارنا وبادى الراى قال بعضهم ظاهر الراى من قولك بدا لى ما كان خفيا وقال بعضهم بادى الراى
خفيف الراى لا يعرفون حقايق الامور انما يفهمون ظواهرها كانهم يقولون انما اتبعك من كان خفيف الراى وباديه لم يتبعوك
من يعرف حقايق الامور والاصول وقد تروى بادى الراى بالهمز وقد قرئ بغير همز ومن قرا بالهمز فهو من الابتداء اى فى اول
الراى وابتدائه لا ينظر فى عواقب الامور ومن قرا بغير همز فهو من الظهور راى ظاهر بالراى على تفكر ونظر فيه وقوله عز وجل
وما نرى لكم علينا من فضل الاية يحتمل هذا اى فضلا فى الخلقة او فى مال وما لا ولا فى شئ لكن جواب هذا ما سبق وقوله
عز وجل بل نظنكم كاذبين هكذا كانت عادة الكفرة يردون دلالات الرسل والحجج بالظن لم يردوا بحقيقة ظهرت و
قوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اى على بيان من ربى او على حجة من ربى وبرهان فيما اتانى من رحمته
والرحمة تحتمل النبوة لانهم كانوا ينكرون رسالته لما انه بشر مثلهم فكيف خص هو بها دونهم وهو مثلهم فيقول واتانى
رحمة اى النبوة لا انهم واتانى ايضا على ذلك بينة وحجة ويحتمل الرحمة الدين الذى كان يدعوهم اليه والله اعلم وقوله عز
وجل فعميت عليكم قرئ بالتخفيف والتشديد اى ليست او التبس عليكم حيث اعرضتم عنه ومن قرا بالتشديد عميت عليكم
يرجع الى الاتباع والسفلة اى عمت عليهم القادة والرؤساء منهم ولبست وعميت بالتخفيف اى التبس وعمى على القادة
والرؤساء وقوله عز وجل انلزمكموها اى انوجبها عليكم وهى التى ذكر انه اتاها اياه والبينة التى ذكر ايضا والدين الذى
كان يدعوهم اليه اى لا نوجبها عليكم ولا نلزمها وانتم لها كارهون بلا حجة ولا برهان وانتم لها كارهون اى لا نلزمها لكم
بلا حجة سبقت او ابينتم ولكن بحجة وفيه ان الدين لا يقبل بالاكراه وقوله عز وجل ويا قوم لا اسالكم عليه مالا على تبليغ
الرسالة اليكم او على اقامة الحجة على ما ادعى من الرسالة او على الدين الذى يدعوهم اليه اى لا اسالكم على ذلك اجرا فلماذا
تعرضون عما ادعوكم اليه وانما فيه عليكم فيكون لكم الاحتجاج او الاعتذار وكذلك يخرج قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
اى لا تسالهم اجرا على ما تبلغه اليكم وتدعوكم اليه فيمنعكم ثقل ذلك الغرم اجابتكم اياه فعلى ذلك الاول ذكر هذا لان ما يلحق
الانسان من الغرم انما يمنعه عن الاذعان بالحق والاقبال اليه والقيام بوفائه ويمنع ذلك بما لا يتبين له الحق لئلا يكون
لهم الاحتجاج والاعتذار عند الله وان لم يكن لهم حجة كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ليس على انه اذا سالهم
على ذلك اجرا يكون لهم عذر فى رد ذلك وترك الاجابة له اذ لله ان يكلفهم الاجابة والطاعة له بالمال وبغير المال ولكنه
يقول لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغه اليكم مالا مع حاجتى وقلة مالى فيمنع عندكم انى ادعوكم اليه رغبة فيما فى ايديكم
من الاموال او منفعة نفسى بل انما ادعوكم الى ما ادعوكم اليه لمنفعة انفسكم وقوله عز وجل ان اجرى الا على الله اى ما اجرى
الا على الله فى ذلك ليس عليكم وقوله عز وجل وما انا بطارد الذين امنوا فيه دلالة انهم كانوا سالوا رسولهم ان يتخذ لهم مجلسا
على حدة ويبعدهم ذلك دون الاراذل والضعفاء الذين اتبعوه ويطرد الضعفاء وهو كقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى الاية وقال اهل التاويل وما انا بطارد الذين امنوا اى ما انا بالذى لا اقبل الايمان من الاراذل والضعفاء
عندكم لقولهم حيث قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى لانهم يقولون اتبعوك الاراذل الظاهر
واما فى الباطن فليسوا على ذلك ولذلك قال ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم يعنى
ما فى قلوب السفلة فيقول ما انا بطارد الذين امنوا ظاهرا الله اعلم بما فى قلوبهم وقوله عز وجل انهم ملاقوا ربهم يحتمل وجهين
اى ملاقوا ربهم فيشكون منى اليه فى ردى ايمانهم ويخاصموننى فى ذلك ويطالبوننى فى طردى اياهم والثانى انهم ملاقوا ربهم
بايمانهم ظاهرا كان ايمانهم او باطنا اى فى اى حال هم يلاقون ربهم فيجزيهم بما هم عليه كقوله ان حسابهم الا على ربى لو
تشعرون وقوله عز وجل ولكنى اراكم قوما تجهلون يحتمل تجهلون ما ادعوكم اليه او تجهلون فى قولكم انهم انما امنوا واتبعوا
فى ظاهر الحال واما فى السر فلا او تجهلون ما يلحقنى فى طردهم وقوله عز وجل ويا قوم من ينصرنى من الله اى من يمنعنى من
عذاب الله ان انا طردتهم على ما تدعوننى اليه او من يمنعنى من عذاب الله ان لم اقبل منهم الايمان افلا تذكرون انه لا يسع لى ما تدعوننى
اليه من طرد هؤلاء او رد ايمانهم او افلا تذكرون فتؤمنون وما روى فى حرف ابى بن كعب انلزمكموها من شطر انفسنا معناه و
انلزمكموها نحن انفسنا وانتم لها كارهون وفى حرف ابن عباس انلزمكموها من شطر انفسنا اى من تلقاء انفسنا اى لا نقدر
ان نلزمكم ذلك من تلقاء انفسنا وانتم كارهون لذلك وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندى خزائن الله يخرج على وجوه
احدها يقول ليس عندى خزائن الله والسعة فابذل لكم لتومنوا رغبة فى المال والسعة والثانى يقول ليس عندى سعة
فيقع عندكم انى ادعوكم الى ما ادعوكم اليه انفعا لا رغبة فى المال على ما يفعل المتغلبون للرغبة فى المال ولكن لتعلموا
انى محق فى ذلك والثالث يحتمل ما ذكر بان اسولة كانت منهم وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا
اعلم الغيب ولا اقول انى ملك هذا القول منه لهم يحتمل الوجهين احدهما انه قال ذلك لهم على اثر اسولة كانت منهم
من نحو قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا

ويكون لك جنة ونحو ذلك او يكون لك بيت من زخرف وامثال ما كان منهم فيقول لهم ليس ذلك عندى وبيدى انما ذلك عند الله وهو
وبيده ولا اعلم الغيب يحتمل ان يكون سألوه ان يخبرهم عن امور تستقبلهم قبل ان يستقبلهم ان كان شرا فيعذروا له فى دفعه وان
كان منافع فيستقبلوها ويتأهبوا فيقول لهم ذلك غيب فانا لا اعلم الغيب انما العلم فى ذلك الى الله ولا اقول انى ملك اعلم اخبار السماء والامور
التى فيها انما انا بشر مثلكم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ولا اقول لكم عندى خزائن الله اى مفاتيح الله فى الرزق فهنا كانهم سألوه
السعة فيتبعوه فيقول ليس عندى ذلك ويحتمل ان يكون قال لهم الرسول هذا لدفع الشبه عنهم وذلك ان من الكفار من اتخذ الرسول
الها فعبدوه بعد ما عاينوا انه من البشر ومنهم من قال انه ابن الله ومنهم من قال انه ملك وكانوا يعبدون الملائكة وكانوا يخبرونهم
عن اشياء غابت عنهم فظنوا انه انما علم ذلك لانه اله فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم تلك الشبه ويتبرأ من ذلك ولذلك قال عيسى انى
عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا هو عليه السلام كان يعلم فى نفسه انه عبد الله ولكن يقول لهم لئلا ينسبوه الى الا
لوهية والربوبية على ما نسبوا اليه فاقروا بالعبودة له والله اعلم بذلك وقال بعض اهل التأويل لا اقول لكم عندى خزائن الله اى مفاتيح
بانه يهدى السفلة دونكم ولا اعلم الغيب اى لا اقول ان عندى غيب ذلك ان الله يهديهم وهم مؤمنون فى السر وذلك كقوله وما علمى بما
كانوا يعملون وقوله الله اعلم بما فى انفسهم من الصدق ولا اقول انى ملك اى انما انا بشر لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا الى آخر الاية ثم قال
ولا اقول للذين تزدرى اعينكم قيل الذين حقرتموهم يعنى السفلة والاتباع وقال ابن عباس الذين لم تأخذهم اعينكم لن يؤتيهم الله
خيرا يعنى ايمانا الله اعلم بما فى انفسهم من الصدق انى اذا لمن الظالمين لو ان لم اقبل منهم الايمان او طردتهم والله اعلم وقوله عز وجل
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قالوا ذلك لانه قد كان طال عمره وهو بين اظهرهم ويدعوهم الى الايمان فاكثر محاجته
ومجادلته اياهم فقالوا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكان يعدهم العذاب ان لم يجيبوه كقوله انى اخاف
عليكم عذاب يوم اليم وما كان وعدهم فى غير آية من القرآن ان لم يجيبوه فقالوا ايتنا بما تعدنا من العذاب فقال انما يأتيكم به الله ان شاء
اى ليس الى اتيان ذلك انما ذلك الى الله ان شاء عجل وان شاء اخر الى ما بعد الموت وهو كقول رسول الله لقومه لو ان عندى ما تستعجلون
لقضى الامر بينى وبينكم وقوله عز وجل وما انتم بمعجزين اى لا تعجزون الله عن تعذيبكم فتفوتون عنه وقيل وما انتم بسابقى الله
باعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها وهو واحد والله اعلم وقوله ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم تأويله
والله اعلم لا ينفعكم دعائى الى ما به نجاتكم ان كان الله يريد ان يغويكم اى لا ينفعكم نصحى ان كان الله ان يعذبكم فى نار جهنم ويقول الغى
العذاب كقوله فسوف يلقون غيا اى عذاب جهنم من الكلام وما عندنا فهو على ما اخبر ان كان الله يريد اغواء قوم ابدا فهم فى الغواية
واضله ان الله اراد غواية من فى علمه انه يختار الغواية والضلال اختارها ثم ولا يجوز ان يريد هو هداية من يعلم انه يختار غواية
لان ذلك يكون من السفه ان يختار المرء ولاية من يختار عداوته فدل انه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغواية والضلال الى قدمه ?
يخرج على وجهين احدهما انه يسمى ذلك الفعل منهم غيا وزيغا وضلالا لان فعلهم فعل غواية وزيغ والثانى انه خذلهم ولم يوفقهم
ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولا سددهم فمن ذا الوجه ليس فعله فعل الذم عليه حتى يخرج بالاضافة الى الخلق يكون على الذم لان فعلهم
نفسه فعل غواية وضلال فاستوجبوا الذم عليه بذلك وبالاغواء من الخالق هو الدعاء الى ذلك والامر به فهو مذموم يذمون على ذلك
وليس على ذلك وليس من الله من هذا الوجه ولكن على الوجهين اللذين ذكرناهما وفى قوله ولا ينفعكم ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم دلالة تعليق الشرط على الشرط وقوله عز وجل ام يقولون افتراه اى بل يقولون انه افتراه من عند نفسه قل ان افتريته
فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون اختلف فيه قال بعضهم قال قوم نوح لنوح عليه السلام انه افترى على الله انه رسول اليهم من الله على
ما سبق من دعاية قومه الى دين الله فقالوا له انه افتراه وقال بعضهم هو قول قوم محمد صلى الله عليه وسلم قالوا افترى محمد هذا القرآن
من نفسه ليس هو من الله على ما يزعم وهو ما قال فى صدر السورة وهو قوله ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
الى آخر ما ذكر فعلى ذلك هذا هو قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه افترى هذا القرآن الذى يقول هو من الله من نفسه فقال قل ان
افتريته فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون اى ان افتريته فعلى جرم افترائى وجزاؤه وانا برئ مما تجرمون معناه والله اعلم اى لا
تؤاخذون انتم بجرم افترائى ان افتريته وانا لا اؤاخذ باجرامكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما
عليك من حسابهم من شئ فعلى ذلك اجرامى ويمكن ان يكون هذا القول لهم لما ايس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم لما ايس عن ايمانهم
وانقطع طمعه ورجاؤه عن اسلامهم قال لهم ذلك ان لا محالة بيننا وبينكم بعد هذا والله اعلم وقوله عز وجل واوحى الى نوح انه
لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قال بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بالهلاك ما دام يرجو ويطمع من قومه الايمان
فلما ايس وانقطع رجاؤه فحينئذ دعا عليهم بالهلاك كقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخره انك ان تذرهم يضلوا
عبادك الاية وعرف الاياس عن ايمانهم بقوله واوحى الى نوح الاية وكذلك سائر الانبياء والرسل لم يؤذن لهم بالدعاء على قومهم
بالهلاك والخروج من بين اظهرهم ما داموا يرجون ويطمعون منهم الايمان والاجابة لهم فلما ايسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك
فعند ذلك اذن لهم بالدعاء عليهم بالهلاك والخروج من بين اظهرهم وفى قوله من يؤمن من قومك الا من قد آمن دلالة ان للايمان

حكم التجدد والابتداء فى كل وقت وكل حال لانه اخبر ان الذى قد آمن قد يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادات التى ذكر
فى الايمان فزادتهم ايمانا ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قيل لا تحزن بما كانوا يفعلون فهو يحتمل وجهين
احدهما لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم آياته ليس على النهى عن الحزن فى ذلك ولكن على رفع الحزن عنه والتسلى به لان الانبياء عليهم
السلام كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجعلهم انفسهم اعداء له كقوله لرسول الله لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وامثاله كان الانبياء عليهم السلام اشد الناس حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم آياته واشدهم رغبة فى ايمانهم
وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم الا ترى ان نوحا دعا عليهم بالهلاك وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام ان حزنهم كان لمكان كفرهم بالله
وتكذيبهم آياته لا لمكان هلاكهم اشفاقا على انفسهم والثانى قوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يحتمل انهم كانوا هموا قتله والمكر به
فقال لا تحزن بما كانوا يصنعون فى هلاكك فانى كافيهم قال ابو عوسجة قوله فلا تبتئس هو من الحزن يقال ابتأس يبتئس ابتئاسا قال
الكسائى ايضا لا تبتئس اى لا تحزن هو من البائس يقال لا تبتئس بهذا الامر وقوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال بعض اهل
التأويل باعيننا بامرنا ووحينا وقال بعضهم بمنظرنا ومرأى منا ولكن عندنا يحتمل وجهين احدهما قوله باعيننا اى بحفظنا ورعايتنا
يقال عين الله عليك اى حفظه عليك ثم لا يفهم من قوله باعيننا نفس العين على ما لا يفهم من قوله ذلك بما قدمت ايديكم وكسبت ايديكم
ولكن ذكر الايدى لما فى الشاهد انما يقدم باليد ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين لما بالعين يحفظ فى الشاهد والثانى فى قوله باعيننا
اى باعلامنا اياك لانه لولا تعليم الله اياه اتخاذ السفينة وبحرها لم يكن ليعرف ان كيف يتخذ وكيف يجرى انما عرف ذلك بتعليم الله اياه هو
والله اعلم وقوله عز وجل ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون هذا يحتمل وجهين يحتمل اى لا تشفع الى فى نجاة الذين ظلموا فانهم مغرقون
فى حكم الله والثانى لا تخاطبنى فى هداية الذين هم فى حكم الله انهم يموتون ظلمة اى لا تسألنى ايمان من سبق علم الله انه لا يؤمن وفيه نهى السؤال
عما فى علم الله انه لا يكون لانه اذا اخبر انه لا يكون او لا يفعل فاذا سأله كان يسأله ان يكذب خبره الذى اخبر انه لا يكون وفيه ان من اراد
ايمان احد آمن ومن لم يرد ايمانه لا يؤمن وقوله عز وجل ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه الملأ هم الاشراف والرؤساء من قومه
سخروا منه هم الذين سخروا منه قال بعضهم سخريتهم منه ان قالوا صار نجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه لما
راوه يتخذ الفلك ولم يكن هنالك بحر ولا واد ولا مياه جارية انما هى اماكنهم ? فقالوا يتخذ السفينة ليسيرها فى البرارى والمفاوز و
نحوه من الكلام وقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقالوا سخريته منهم انه اذا ركبوا الفلك وهم يغرقون قالوا كنتم على حق وعلى هدى
ونحوه من الكلام لكن هذا لا نعلم ولا حاجة لنا الى معرفة سخريتهم انه كيف كانت سوى ان فيه انهم سخروا منه ويحتمل قوله فانا نسخر منكم
اى نجزيهم جزاء سخريتهم وقوله عز وجل فسوف تعلمون هو وعيد اى سوف تعلمون ان حاصل سخريتكم يرجع اليكم كقوله وما يخدعون
الاية اى سوف تعلمون انا نجونا بحق وعرفتم انتم من يأتيه عذاب يخزيه اى عذاب يفضحه ويهلكه وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم
اى عذاب يدوم وقال بعضهم عذاب مقيم هو عذاب الآخرة كقوله اغرقوا فادخلوا نارا واما قول اهل التأويل ان سفينة نوح كان طولها
كذا وعرضها كذا فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك فان صح ذلك فهو ما قالوا وقولهم كان لها ثلاثة ابواب وثلاثة اطباق ونحو ذلك
ايضا لا نعرفه ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قوله جاء امرنا اى جاء وقت امرنا بالعذاب الذى استعجلوه وهو
كقولهم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكذلك كانت عادة الامم السالفة استعجال العذاب من رسلهم وسمى العذاب امر الله لما لا
صنع لاحد فيه وكذلك المرض سمى امر الله بما لا صنع لاحد من الخلائق فيه وسمى الصلوة امر الله لما امر بصلى وقوله عز وجل وفار التنور قال
ابو عوسجة وفار التنور يقال فار الماء اى خرج يفور فورا اى غلا كما تغلى القدر وقال فيه قوله وهى تفور تكاد قالوا فار اى خرج وظهر
والتنور اختلف فيه قال بعضهم التنور هو وجه الارض قالوا اذا رأيت الماء وخرج ونبع وظهر على وجه الارض فاركب وقال بعضهم
التنور هو التنور الخابز التى يخبز فيها قالوا اذا رأيت الماء ينبع من تنورك فاركب قالوا كان الماء ينزل من السماء وينبع من الارض
كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لكن جعل علامة وقت ركوبه السفينة هو خروج الماء من الارض ونبعه
منها وقوله عز وجل قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل هذا وجهين يحتمل ان كنا قلنا له اذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين
اثنين ويحتمل ان قلنا له وقت فور الماء من التنور احمل فيها من كل زوجين وقوله عز وجل من كل زوجين اثنين الزوج هو اسم فرد
لذى شفع ليس هو اسم الشفع حتى يقال عند الاجتماع ذلك ولكن ما ذكرنا انه اسم فرد لذى شفع كان الاناث صنف وزوج والذكور
صنف وزوج فيكون الذكر والانثى زوجين والله اعلم وقوله عز وجل زوجين اثنين اى من ذكر وانثى ثم يحتمل زوجين من ذوى الارواح
التى تكون لهم النسل لئلا ينقطع نسلهم ويحتمل ذوى الارواح وغيره والله اعلم وقوله عز وجل واهلك الا من سبق عليه القول قال
بعضهم قوله واهلك اى واهله والذين آمنوا معه يقول احمل فيها من كل زوجين اثنين واحمل اهلك ايضا الا من سبق عليه القول اى الا من
كان فى علم الله انه لا يؤمن والا من كان فى علم الله انه يهلك وقال بعضهم قوله واهلك اى واهله خاصة ثم استثنى من سبق عليه القول وهو
ابنه وزوجته وهما من اهله الا ترى انه ذكر ومن آمن معه وهو قوله ومن آمن معه اى احمل اهلك الذين آمنوا معك الا من سبق عليه القول
من اهلك وهو انه فى الهالكين ويقول الا من سبق عليه القول انه لا يؤمن فهذا يدل ان فى اهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى من اهله

ان الله اعلم وقوله عز وجل وما امن معه الا قليل يذكر هذا والله اعلم تذكيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منته ونعمه التي انعم بها عليه لان
نوحا عليه السلام مع طول مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعائه قومه الى دين الله ومواعظه لم يؤمن من قومه الا القليل منهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم مع قلة مكثه وقصر عمره امن من قومه الكثير يعرف نعمه عليه وفيه دلالة رد قول من يقول ان المواعظ انما تنفع الموعوظ
على قدر استماعه للواعظ وليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعوظ اياها وقدر الاقبال اليها لان نوحا عليه السلام كان اشد الناس مواساة
للواعظ واكثرهم ثم لم يؤمن من قومه الا القليل دل انه ليس لما فيهم ولكن لما ذكرنا واما ما ذكر اهل التاويل انه حمل في السفينة حبات العنب
فاخذ ابليس فلم يعطه الا ان اشركه له الشركة فذلك شيء لا علم لنا به فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة انه ليس له فيما يؤخذ الاشربة
نصيب مما يكون له فيما يخرج من العنب وتقدير الثلث والثلثين انما يكون في عصير العنب خاصة ليس في غيره والله اعلم وقوله عز وجل
وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها يحتمل قوله بسم الله مجريها انه لما قال لهم نوح اركبوا فيها قولوا بسم الله مجراها ومرساها وهكذا
الناس بسم الله من اوله على ما يقال ويذكر اسم الله في افتتاح كل امر وكل عمل من ركوب ونزول وغيره ويحتمل قوله بسم الله مجراها ومرساها
اي بالله مجريها ومرسيها اي به تجري وبه ترسو وانه ليس كسائر السفن التي باهلها تجري وبهم تقف وهم الذين يتولون ويتكلفون
اجراءها ووقفها واما سفينة نوح كانت جريتها بالله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربي لغفور رحيم
هو ظاهر لمن امن به وصدق رسوله ينجيه من الغرق والهلاك وقوله عز وجل وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على ما ذكرنا
انها كانت بالله تجري وبه ترسو حيث لم يخافوا الغرق ما كان من الامواج واما سائر السفن فان اهلها خافوا من امواجها لما كانوا هم
الذين يتولون ويتكلفون اجراءها ووقفها والله اعلم وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على انها كانت آية لان الامواج
تمنع من جريان السفينة وسيرها فاذا اخبر انها لم تمنع هذه من جريانها دل انه اراد ان يصيرها آية لهم وقوله عز وجل ونادى نوح ابنه
وكان في معزل يحتمل قوله وكان في معزل اي بمعزل من نوح او كان بمعزل من السفينة او ما كان وقوله عز وجل يا بني اركب معنا ولا تكن
مع الكافرين يحتمل لا تكن مع الكافرين لتغرق او لا تكن مع الكافرين لنعم الله وقوله عز وجل ساوي الى جبل اي سانضم الى جبل يعصمني
من الماء ظن انه مشكين ان هذا الماء كغيره من المياه التي يسلم اليها بالالتجاء الى الجبال فاخبر عليه السلام انه لا مانع اليوم من امر الله
اي من عذاب الله سمي عذابه امر الله لما ذكرنا امر الله امر تكوين لانه هو النهاية في الاحتجاج كقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه الاية وهو كما
يسمي البعث لقاء الله لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر البعث فعلى ذلك سمي عذابه امر الله وهو امر تكوين لانه هو النهاية في الاحتجاج
على من ينكر العذاب وقوله عز وجل الا من رحم الله بهدايته اياه الا من قد سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة وقوله وحال
بينهما الموج يحتمل قوله بينهما بين ابنه وبين نوح ويحتمل بينه وبين السفينة فكان من المغرقين يحتمل صار من المغرقين ويحتمل كان
في علم الله انه يغرق وهذا يدل على ان قوله في ابليس انه كان من الكافرين انه يخرج على وجهين احدهما انه كان في علم الله انه يكفر ومنا
من الكافرين كما ذكر وكان من المغرقين اذ لم يكن من المغرقين في الازل وقوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
قال بعضهم عاد كل ماء الى من حيث خرج ما ارسل من السماء عاد اليها وما خرج من الارض غاض في الارض وغار فيها وقال بعضهم
لا ولكن امسك السماء من ارساله وامسكت الارض من نبعه وقوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ليس على القول
لهم ولكن الله امسكها من ارساله ونبعه ويحتمل على القول منهم لهم باللطف جعل فيهم ما يفهم هذا وغيض الماء اي غار الماء في الارض
وقضي الامر بهلاك قوم نوح ويحتمل على التكوين ما ذكر واستوت على الجودي اي استقرت على الجودي وهو جبل وقيل بعدا للقوم الظالمين
اي هلاكا ويحتمل بعدا للقوم الظالمين من رحمة الله وقال القتبي مرساها اي نقف وقوله عز وجل يعصمني من الماء يمنعني من الماء و
قال لا عاصم اليوم من امر الله قال القتبي لا معصوم اليوم من عذاب الله كقوله من ماء دافق اي مدفوق وامثاله لا عاصم اليوم من امر الله
اي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم منه وقوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق الاية فقال يا نوح انه ليس من اهلك هذا والله اعلم كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لما كان يظهر الموافقة له والا لا يحتمل
ان يقول ان ابني من اهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولا يحتمل
ان يكون يعلم انه على غير دينه ثم يسأل له النجاة بعد ما نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا فقال انه ليس من اهلك في الباطن والسر والا اخرج
هذا القول مخرج تكذيب رسوله لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان في الظاهر عنده انه على دينه لما كان يظهر له الموافقة وكان لا يعرف
ما يضمر فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك اهل النفاق كانوا يظهرون الموافقة وكان لا يعرف ما يضمرون فسأله على الظاهر الذي
عنده وكذلك اهل النفاق يظهرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويضمرون الخلاف له وكانوا لا يعرفون نفاقهم الا بعد
اطلاع الله اياه فعلى ذلك نوح كان لا يعرف ما يضمر هؤلاء لذلك خرج سؤاله فقال انه ليس من اهلك الذين وعدت النجاة لهم او ليس من
اهلك لانه لم يؤمن بك ولم يصدقك فيما اخبرت انه عمل غير صالح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ عمل غير صالح بغير
تنوين وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ عمل غير صالح بالتنوين ثم قرأ بالنصب على غير صالح اي ان ابنك عمل غير صالح ومن
قرأ عمل يكون معناه والله اعلم ان سؤالك عمل غير صالح بالتنوين وكل القراءتين يجوز ان يصرفا الى ابنه اي انه عمل غير صالح وهو

الكفر وعمل

الكفر وعمل غير صالح اي الذي كان عليه عمل غير صالح والله اعلم وقوله ان ابني من اهلي ثم قال انه ليس من اهلك هذا
في الظاهر يخرج على التكذيب له لكن الوجه فيه انه من اهلك على ما عندك وليس من اهلك فيما بشرتك من نجاة اهلك وقوله
وان وعدك الحق يحتمل وجهين يحتمل وان وعدك باغراق الظلمة حق والثاني وان وعدك بنجاة المؤمنين حق وانت احكم
الحاكمين وقوله عز وجل فلا تسألن ما ليس لك به علم يحتمل هذا نهيا عن سؤال ما لم يؤذن له من بعد لان الانبياء عليهم الصلوة
والسلام كانوا لا يسألون شيئا الا بعد الاذن لهم في السؤال وان كان يسع لهم السؤال وان يكون عتابا بما سبق والانبياء
عليهم السلام كانوا يعاتبون في اشياء يحل لهم ذلك نحو قوله لرسول الله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
منه الامر بالقعود والنهي عن الخروج بقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا ونحوه وقوله عز وجل اني اعظك ان تكون من الجاهلين
هو نحو نهي رسول الله فلا تكونن من الجاهلين وامثاله وان كان معلوما انه لا يكون من الجاهلين وهو ما ذكرنا ان العصمة لا
تمنع النهي عن الشيء بل بالنهي يظهر العصمة وقوله عز وجل رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي اعوذ بك ان اعود
الى سؤال هذا يحتمل وقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين ان لم تغفر لي باعصمتي من العود الى مثله اكن من الخاسرين
هذا يشبه ان يكون ذكر هذا لما لا يستوجبوا المغفرة والرحمة الا برحمة الله وفضله على ما روي عن رسول الله انه قال لن يدخل
احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله عز وجل والا تغفر لي وترحمني
هو طلب المغفرة بالكناية وهو ابلغ واكثر من قوله اللهم اغفر لي كان في قوله والا تغفر لي وترحمني قطع المغفرة من غيره و
واخبار انه لا يملك احد ذلك وليس في قوله اغفر لي قطع كون ذلك من غيره لذلك كان ذلك ابلغ من هذا وكذلك سؤال ادم
وحوى المغفرة حيث قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية هو سؤال بالكناية فهو ابلغ في السؤال وقوله عز وجل قيل يا نوح اهبط
قال بعضهم اي انزل من الجودي الى قرار الارض وقال بعضهم قوله اهبط انزل واقم على المقام والمكث في المكان ليس على الهبوط
من مكان مرتفع الى مكان منحدر وقوله عز وجل اهبط بسلام منا وبركات عليك السلامة هو ان يسلم من الشرور والآفات
والبركة هي نيل كل خير وبر على غير تبعة ثم هما في التحصيل واحد لانه اذا سلم عن كل شر وآفة نال كل خير وبر واذا نال كل خير
سلم عن كل شر وآفة هما في الحقيقة واحد لكنهما في العبارة مختلف وهو كالبر والتقوى من العبد البر هو كسب كل خير والتقوى
هو اتقاء كل شر ومعصية هما في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا اتقى كل شر ومعصية عمل كل خير وبر واذا
كسب كل خير وبر اتقى كل شر ومعصية وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر الصبر هو كف النفس عن كل مأثم والشكر هو استعمال
النفس في كل طاعة هما ايضا في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا كف نفسه من كل مأثم استعملها في الطاعة واذا
استعملها في الطاعة كفها عن كل مأثم ومعصية وعلى ذلك يخرج الاسلام والايمان الاسلام هو تسليم النفس لله خالصة
سالمة لا يجعل لغيره فيها حقا والايمان هو ان يصدق الله بالربوبية في نفسه وفي كل شيء وهما في الحقيقة واحد وفي العبارة
مختلفان لانه اذا جعل نفسه وكل شيء لله سالما اقر بالربوبية في نفسه وفي كل شيء واذا صدقه واقر له بالربوبية في نفسه
وكل شيء جعلها لله وكل نوع له هذه اشياء في العبارة مختلفة وفي التحصيل واحد ثم قوله اهبط بسلام منا يحتمل ان
يكون جواب قوله والا تغفر لي وترحمني امنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة والثاني السلام وله منه هو الثناء
الحسن كقوله سلام على نوح في العالمين وقوله عز وجل وبركات عليك يحتمل ان يكون جواب قوله انزلني منزلا مباركا
والبركة هي اسم كل خير لا انقطاع له او اسم كل شيء لا تبعة له عليه فيه ثم قوله بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن
معك وامم سنمتعهم على قول بعض اهل التاويل ذلك السلام وتلك البركات في الدنيا السلام لما سلموا من الغرق والبركات
ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع وعلى قول بعضهم السلام والبركات جميعا في الاخرة ثم جعل عز وجل المؤمن والكافر
مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها وجعل منافع الاخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة بقوله والعاقبة للمتقين وبقوله
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم قال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة سوى
المؤمن والكافر في زينة الدنيا ثم جعلها للمؤمنين خالصة يوم القيامة فذلك قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب
اليم اخبر انه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب اليم اخبر انه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب اليم ويمتع المؤمن ايضا في هذه الدنيا بانواع
المنافع ثم اخبر ان العاقبة للمتقين ثم جعل العاقبة بازاء ما جعل لهم عذابا اليما في الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل وعلى
امم ممن معك ولم يكن مع نوح امم يومئذ انما كانوا معه نفرا لكنه اراد والله اعلم الامم التي كانوا من بعده كانه قال وعلى امم يكونون
من بعدك فهذا يدل ان دين الانبياء والرسل عليهم السلام دينا واحدا وان اختلفت شرائعهم لان تلك الامم لم يكونوا
بانفسهم مع نوح ولا كانوا معه في العبادة التي كان فيها نوح دل انهم كانوا جميعا على دينه وهو واحد وعلى ذلك يخرج
دعاؤه رب اغفر لي ولوالدي الاية دعا بالمغفرة له ولكل مؤمن ومؤمنة يكون من بعده وكذلك يلحق على كل ما ذكر دعا
ولا تزد الظالمين الا تبارا وقوله عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اي قصة نوح من انباء

الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اى قصة نوح من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها ولم تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا ان كان المراد من قوله تلك من انباء الغيب قصة نوح خاصة وانباؤه كان يجيء ان يقول هذه من انباء الغيب نوحيها
اليك لكنه كانه على الاضمار اى هذه الانباء تلك الانباء التى ذكرت فى كتبهم وان كان المراد هذه وغيرها من الانبا فيصير
كانه قال هذه من تلك الانباء ويحتمل قوله تلك من انباء الغيب القصص كلها قصة نوح وغيره من الانبياء من انباء الغيب
غابت عنك لم تشهدها ولا تعلمها انت ولا قومك خص قومه لان غيره من الاقوام وقد كانوا عرفوا تلك الانباء فيخبروهم
فيعرفون به صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم على ما اخبروا اولئك
الذين عرفوا تلك الانباء بكتبهم ليعلم انه انما عرف ذلك بالله اذ تلك الانبياء كانت بغير لسانه ولم يعرف انه تختلف الى احد
منهم دل انه انما عرف بالله تعالى وقوله عز وجل فاصبر يحتمل قوله فاصبر على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم او اصبر على ما امرت ونهيت
او اصبر على ما صبر اخوانك من قبل كقوله كما صبر اولوا العزم من الرسل ونحوه وقوله عز وجل ان العاقبة للمتقين يشبه ان يكون قوله
للمتقين الذين اتقوا الشرك ويمكن الذين اتقوا الشرك والمعاصى كلها والاشبه ان يكون المراد منه اتقاء الشرك لانه ذكر بازاء
قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم فهو فى العذاب اشبه وقال بعض اهل التاويل فى قوله اهبط بسلام من السفينة بسلام
منا فسلمه الله ومن معه من المؤمنين من الغرق وبركات عليك وعلى امم ممن معك يعنى بالبركة انهم توالدوا وكثروا بعد ما خرج
من السفينة وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله وبركات عليك وعلى امم ممن معك ممن سبق له فى علم الله البركات والسعادة
من البنين وغيرهم وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا واصل الاصالة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فيقول وقد ارسلنا
هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله اخاهم الاخوة تكون على وجوه اخوة جنس يقال هذا اخو هذا اخو مصراعى الباب يقال لاحدهما
هذا اخو هذا ونحو احد زوجى الخف وامثاله واخوة فى النسب واخوة فى الدين كقوله انما المؤمنون اخوة فهو لم يكن اخاهم
فى الدين فهو يحتمل انه اخوهم فى الجنس وفى النسب لان الناس كلهم ينسبون الى ادم فيقال بنو ادم بعد ما بينه وبينهم فعلى ذلك
يكون بعضهم لبعض اخوة مع بعد النسب الذى بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يقول
الذين تعبدون ليسوا بالهة لا يستحقون العبادة انما الاله الذى يستحق العبادة الله الذى خلقكم وخلق لكم الاشياء وقوله
عز وجل ان انتم الا مفترون اى ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون هود قال لهم هذا فى اول ما دعاهم الى التوحيد وفى اول
ما رد واجابته وكذبوه لانهم امروا بلين القول لهم وتذكير النعمة عليهم كقوله لموسى وهرون حيث بعثهما الى فرعون فقولا
له قولا لينا الاية ولكن كانه قال لهم ذلك بعد ما سبق منه اليهم دعاء غير مرة واقام عليهم الحجج والبراهين فردوها
فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة الاية وقوله عز وجل ان انتم الا مفترون يحتمل فى تسميتهم الاصنام
التى عبدوها يقول ان انتم الا مفترون فى ذلك ويحتمل انه سماهم مفترين فيما قالوا الله امرهم بذلك يقول انتم مفترون
فيما ادعيتم الامر بذلك او مفترون فى انكارهم البعث او الرسالة وقوله عز وجل يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى
فطرنى هذا قد ذكر فى غير موضع يقول لهم والله اعلم اى لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه اجرا يمنعكم ثقل ذلك الاجر وغرمه عن
الاجابة فما الذى يمنعكم عن الاجابة فما الذى يمنعكم عن الاجابة لى ويحملكم على الرد لما ادعوكم اليه ما ترغبون
فيه فكيف يمنعكم عن الاجابة والنظر فيما ادعوكم اليه افلا تعقلون انى رسول اليكم بايات وحجج جئت بها افلا تعقلون انها
ايات وحجج ونحوه او يقول فلا تعقلون ان الله واحد وانه رب كل شىء وخالق كل شىء ومنشيه وقوله عز وجل ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يحتمل ان يكون قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واحدا ويحتمل على التقديم والتاخير توبوا اليه ثم استغفروا
ما كان منكم من المساوى اى اقبلوا الى طاعة الله واندموا على افعالكم وقوله استغفروا ربكم معلوم ان هو لم يرد بقوله
استغفروا ان يقولوا نستغفر الله ولكن امرهم ان يطلبوا السبب الذى به يجب لهم المغفرة ويحق وهو التوحيد كانه قال و
حدوا ربكم فامنوا به ثم توبوا اليه او يقول اطلبوا المغفرة بالانتهاء عن الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله عز وجل يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال بعض اهل التاويل انه قد كان انقطع عنهم المطر و
انقطع نسلهم فاخبرهم انكم ان تبتم الى الله واستغفرتم ربكم يرسل السماء عليكم مدرارا الاية حتى تناسلوا وتتوالدوا
ويحتمل قوله ويزدكم قوة اى يزدكم قوة افعالكم الى قوة ابدانكم لانهم كانوا اهل قوة واهل بطش بقولهم قالوا من اشد منا
قوة ويحتمل على الابتداء يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم نعمة ولا تتولوا عما ادعوكم فيه فتكونوا مجرمين المجرم
قال ابو بكر هو المذنب فى الاسم وقيل هو المكتسب وقوله عز وجل قالوا يا هود ما جئتنا ببينة على ما تدعونا اليه
او على ما تدعى من الرسالة فعند ذلك قال لهم هود ان انتم الا مفترون وما نحن بتاركى الهتنا اى ما نحن بتاركى عبادة
الهتنا عن قولك اى بقولك كان لا يدعوهم هود الى ترك عبادة الهتهم بقوله خاصة ولكن قد دعاهم واقام على فساد ذلك
الحجج والبراهين لكنهم قالوا متعنتين مكابرين وما نحن لك بمؤمنين فيما تدعونا اليه وتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا

وقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قيل هو كان يسب الهتهم ويذكرهم بالعيب فيقولون انه يقول بك
من بعض الهتنا بسوء ويصيبوك بجنون او خبل فلا تخبان يصيبك منها فاجتنبها سالما فذلك يخرج منهم مخرج الامتنان
اى انا انما ننهاك عن سب الهتنا وذكر العيب فيها اشفاقا عليك لئلا يصيبك منها شىء وقال ابن عباس رضى الله عنه
كانوا شتمت الهتنا فخبلتك واصابتك بالجنون فمن وبله والله اعلم انك انما تدعونا الى ما تدعونا اليه وتدعى ما تدعى لما
اصابتك الهتنا بسوء واعترتك بجنون كانوا يخوفونه ان تصيبه الهتهم بسوء بذكره عبادتها على ما كانوا يخوفون ويطمعون
عبادتهم اياها شفاعتهم اليهم قال انى اشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون به وتعبدونه من الالهة واشهدوا انتم ايضا
بانى برىء من ذلك فكيدونى جميعا انتم والهتكم فيما تدعون من الهلاك والسوء ثم لا تنظرون اى ثم لا تمهلون فى ذلك ويحتمل قوله
فكيدونى جميعا انتم والهتكم يقول اعملوا انتم والهتكم جميعا التى تزعمون انها خبلتنى واخبثتنى ثم لا تنظرون اى لا تمهلون وهذا
من اشد ايات النبوة لانه يقول لهم وهو بين اظهرهم وحيدا فلولا انه يقول ذلك لهم بقوة من الله والاعتماد له عليه والانتصار به و
الا ما اجترا احد ان يقول مثل هذا بين اعدائه علم انه قال ذلك بالله تعالى وكذلك قول رسول الله فادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
وقول نوح ثم اقضوا الى الاية وقول شعيب يا قوم اعملوا على مكانتكم الاية وامثاله قالوا ذلك بين اظهر الاعداء ولم يكن
معهم انصار والاعوان دل انهم انما قالوا ذلك بالله وذلك من ايات النبوة وقوله عز وجل انى توكلت على الله اى فوضت
امرى اليه او وكلت فى جميع عملى اليه او وثقت به واعتمدت عليه فيما توعدون نفى من الهلاك او توكلت عليه فى دفع ما
اوعدتمونى ربى وربكم اى كيف توعدونى بالهتكم التى تعبدونه ولا تخافون الذى تعلمون انه ربى وربكم اى كيف توعدونى وهو
كما قال ابرهيم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله الاية وقوله عز وجل ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها بيمينها
متى شاء وقوله اخذ بناصيتها اى فى ملكه وسلطانه يقال فلان اخذ بحلقوم فلان فلان فى قبضته فلان لبس الا فى قبضته
بنفسه ياخذ بحلقوم فلان ولكن يراد انه فى سلطانه وملكه وفى قبضته ان ربى على صراط مستقيم اى يحملنى الذى امرنى ربى ودعانى
اليه او يكون قوله ان ربى على صراط مستقيم اى ان الذى امرنى ربى ودعانى اليه هو صراط مستقيم كقوله ان ربك لبالمرصاد
وقال ابو عوسجة الاعتراء هو الاخذ يقال عترته الحمى اى اخذته وقال القتبى الاعتراء الاصابة يقول الا اعتراك اصابك يقال
اعترت اصابت وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يحتمل على الاضمار اى فان تولوا عن
اجابتك وطاعتك فقل قد ابلغتكم رسالات ربى لان قوله تولوا هو خبر وقوله عز وجل ابلغتكم خطاب وامكن ان يكونا
جميعا على الخطاب يقول فان توليتم عن اجابتى فيما ادعوكم اليه فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وليس على الا تبليغ الرسالة
اليكم كقوله ما على الرسول الا البلاغ وكقوله ان عليك الا البلاغ يقول انما على بلاغ رسالته اليكم ليس على جبركم توليكم عن اجابتى
كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه والله وقوله عز وجل ويستخلف ربى قوما غيركم خلفهم لانهم
كانوا يقولون من اشد منا قوة يقول والله اعلم ان قوة ابدانكم وبطشكم لا يعجز الله عن هلاككم وفيه ان عادا لم يستوجب النهاية
فى العالم بل يكون بعدهم قوم غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تضرونه شيئا اى لا تضرونه بتوليكم عن اجابتى وردكم رسالته
اليكم ليس كملوك الارض انه تولى عنهم خدمهم وحشمهم ضرهم ذلك والثانى لا تضرونه كما يضر ملوك الارض بالقتال
والحرب بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه لانه لا منفعة له فيما يدعوكم حتى يضره ذلك اذ ليس يدعوكم الى ما يدعو لحاجة
نفسه ولا لمنفعة انما يامركم ويدعوكم لحاجة انفسكم والمنفعة لكم ويحتمل ان يكون لا تضرونه شيئا جواب قوله فكيدونى جميعا
الاية ان ربى على كل شىء حفيظ لا يخفى عليه شىء وان لطف فكيف يخفى عليه اعمالكم واحوالكم مع ظهورها وبدوها او يقول
ان ربى على كل شىء حفيظ فيجزيه عليه اى لا يذهب عنه شىء اى لا يعزب عنه والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا هودا قوله
جاء امرنا امر تكوين لا امر يقتضى الساعة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فعلى ذلك هذا هو امر تكوين وقد
ذكرناه وقوله عز وجل نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا هذا يدل ان من نجا انما نجا برحمته منه لا بعمله وعلى ذلك
روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدنى الله برحمته لا على ما يقول المعتزلة ان من نجا انما ينجى بعمله لا برحمته ثم يحتمل قوله برحمة منا وجوها يحتمل الرحمة و
ههنا هودا اى رحمهم به حيث بعث اليهم رسولا فنجا من اتبعه فان كان هذا ففيه ان اهل الفترة معاقبون فى حال لانه اخبر
ان من نجا انما نجا بهود فدل انهم معاقبون قبل بعث الرسل اليهم ويحتمل قوله برحمة منا اى بتوفيق منا اياهم نجا من نجا منهم
والثالث ونجيناهم من عذاب غليظ قال بعضهم نجيناهم من العذاب الذى اهلك هؤلاء ويحتمل ان يكون على الوعد اى نجيهم
فى الاخرة من عذاب غليظ وقوله عز وجل وتلك عاد جحدوا اى وتلك اهل قرية عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسلهم
الكفر بالايات كفر بجميع الرسل والكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله التوفيق لان كل واحد من الرسل يدعو الى الايمان
بالله وبجميع الرسل فالايمان بواحد منهم ايمان بالله وبجميع الرسل والايات والكفر بواحد من هذا كفر بالله وبجميع الرسل وانما

لان الكفر بالايات كفر بالله لان الله انما يعرف من جهة الايات والكفر بالايات كفر وقوله عز وجل واتبعوا امر كل جبار عنيد
قيل اخبر انهم اتبعوا امر الجبابرة واطاعوهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم قيل هو المتجبر الذي يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم
لان الرؤساء منهم كانوا يتجبرون على الرسل ويتكبرون ثم الاتباع اتبعوا الرؤساء في عملهم قال ابو عوسجة الجبار هو المتجبر
والعنيد هو المعاند والمخالف وقال القتبي العنود والعنيد والعاند المعارض لك بالخلاف عليك وقال ابو عبيدة العنيد و
العاند هو الجائر وقوله عز وجل واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة قال بعضهم اللعن هو العذاب اي اتبعوا في الدنيا و
الاخرة كقوله الا لعنة الله على الظالمين اي عذاب الله وقوله عز وجل واتبعوا اي الحقوا وقيل ان اللعن هو الطرد طردوا
عن رحمة الله حتى لا ينالونها لا في الدنيا ولا في الاخرة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود اي الا بعدا من رحمة الله و
وقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا هو ما ذكرنا اي ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله اخاهم قد ذكرنا ايضا ان الاخوة
تتجه الى وجوه ثلاثة اخوة في الدين واخوة في الجنس واخوة في النسب وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ان الرسل جميعا صلوات الله عليهم اول ما دعوا قومهم انما دعوا الى توحيد الله وجعل العبادة له لان غيره من العبادات
انما يقوم بالتوحيد وكان اول ما دعاهم قومهم اليه لم يزل عادة الرسل وعليهم الدعاء الى توحيد الله والعبادة له وقوله
عز وجل هو انشاكم من الارض قال بعض اهل التاويل هو انشاكم من الارض يقول هو خلقكم من آدم وخلق ادم من الارض
لكن اضاف خلق الخلائق اليها كما اضاف في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الاية اخبر انه خلقنا من نفسه اي ادم وان
لم نكن انفسنا فيه فعلى ذلك اضافته ايانا بالخلق من الارض وان لم يخلق انفسنا منها اي خلق اصلنا وانشاء من الارض فاضاف
انشانا الى اصلنا ويشبه ان يكون قوله هو انشاكم من الارض اي جعل نشء الخلائق كلهم ونماءهم وحيوتهم ومعاشهم بالخارج من
الارض اذ به نشاءهم ونماءهم وحيوتهم وقوامهم منها وقوله عز وجل واستعمركم فيها قال بعضهم اسكنكم فيها وقال بعضهم اعمركم
فيها وقال غيره قوله واستعمركم فيها اي جعلكم عمار الارض تعمرونها المعادم ومعاشهم جعل عمارة هذه الارض الى الخلق هم الذين
يقومون بعمارتها وبنائها وانواع الانتفاع بها ويرجع كله الى واحد وقال بعضهم في قوله واستعمركم اي جعل عمركم طويلا وقوله
عز وجل فاستغفروه ثم توبوا اليه هذا قد ذكرنا فيما تقدم في قصة نوح اي كونوا بحال يغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف كانه قال فان انتهوا عن الكفر يغفر لكم وقوله عز وجل ان ربي قريب بحفظ الخلائق او قريب لمن انعم عليهم وامثاله او
قريب الى كل من تضرع اليه مجيب لدعاء كل داع استجاب له كقوله واذا سالك عبادي عني الاية وكقوله واوفوا بعهدي الاية
وقوله عز وجل قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا قال بعضهم لم قد كنت فينا مرجوا
كنت ترحم الضعفاء وتعود المرضى ونحوه من الكلام فالساعة صرت على خلاف ذلك وقال بعضهم كنت فينا مرجوا كنا نرجو
ان ترجع الى ديننا قبل هذا الذي تدعونا اليه فالساعة صرت تشتم الهتنا وتذكرها بعيب اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
اي ما كنا نعرف له الا انا عندك سفهاء من قبل هذا فالساعة تسفه احلامنا في عبادتنا الاصنام وانا لفي شك مما تدعونا
اليه مريب اوكانوا يذكرون هذا له احتجاجا عليه فيما دعاهم الى توحيد الله وعبادتهم اياه فقالوا انا على يقين ان اباءنا قد
عبدوا هذه الاصنام وانا على شك مما تدعونا اليه مريب اي بريبنا امرك ودعاؤك لنا الى هذا الدين قد قيل هذا وكنا لا نعلم
ما كانوا يرجون فيه وما المعنى الذي قالوا له قد كنت فينا مرجوا سوى انا نعلم انه كان مرجوا فيهم بالعقل والدين والعلم والبصيرة
ونحوه فكان مرجوا فيهم بالاشياء التي ذكرناها نعلم ولا نعلم ما هي ولكن بقولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا والله اعلم وقوله
عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي ان كنت على حجة وبرهان من ربي فيما ادعوكم الى توحيد الله وصرف
العبادة اليه والثاني قوله ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة يحتمل قوله رحمة اي اتاني هدى ونبوة من
عنده فمن ينصرني من الله اي من يمنعني من عذاب الله ان عصيته ورجعت الى دينكم اي لا احد ينصرني لو اجبتكم الى ما تدعونني
اليه اي لا احد ينصرني من دون الله لو اجبتكم واطعتكم فيما تدعونني اليه ثم الذي تدعونه اليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة اليهم
او دعوة الى عبادة الاصنام التي عبدوها وقوله عز وجل فما تزيدونني غير تخسير قيل فيه بوجوه قيل فما تزيدونني بمجادلتكم
اياي فيما تجادلونني الا خسرانا وقال بعضهم فما تزدادون بمعصيتكم اياي الا خسرانا لانفسكم وقال القتبي غير تخسير اي غير
نقصان وقال ابو عوسجة غير تخسير هو من الخسران يقال اخسرته اي الزمته الخسران وقوله عز وجل ويا قوم هذه ناقة الله
لكم اية فذروها تاكل في ارض الله قال لهم هذا حين سالوا منه الاية فقال هذه ناقة الله لكم اية على صدق صالح فيما ادعى من الرسالة
او هذه ناقة الله لكم فذروها تاكل في ارض الله قال لهم هذا حين سالوا منه الاية فقال هذه ناقة الله لكم اية اي لكم اية التي سالتموها
من الرسالة وقوله عز وجل ناقة الله اضاف اليه لخصوصية كانت فيها نحن لا نعرف ذلك ليست تلك الخصوصية في غيرها
من النوق لما جعلها اية لرسالته وبنيتها خارجة عما عاينوا من النوق وشاهدوها وهكذا كانت ايات الرسل كانت خارجة
عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا انها سماوية ثم لا نعرف اية خصوصية كانت لها عظم جسمها وغلظ بدنها حيث قسم الشرب

بينهم وبينها

بينهم وبينها حتى جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولم يقسم المرعى بينها وبينهم بقوله
تذروها تاكل في ارض الله واما ما قاله بعض الناس انها خرجت من صخرة كذا وانها كانت تحلب كل يوم كذا واشياء اخر ذكروا
فانا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول فيه انه كان كذلك سوى انا نعرف انها كانت خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها
من النوق ولو كانت لنا الى تلك الخصوصية حاجة لبينها لنا واصله ما ذكرنا انه اذا اضيف جزئية الاشياء الى الله فهو على
تعظيم تلك الجزئيات المضافة اليه واذا اضيفت اليه كلية الاشياء فهو على ارادة التعظيم له والتبجيل له نحو قوله له
ملك السموات والارض وله كل شيء ونحوه وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء نهاهم ان يمسوها بسوء ولم يبين ما ذلك السوء
فيحتمل ان يكون ذلك نوع عرفوا هم عن ذلك وقال بعض اهل التاويل لا تمسوها بسوء اي لا تعقروها فياخذكم عذاب قريب
لما كان ذلك مما لو عقروا الناقة بثلاثة ايام حيث قال فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير
مكذوب وما ذكر ايضا ان وجوههم اصفرت في اليوم الاول ثم احمرت في اليوم الثاني ثم اسودت في اليوم الثالث
ثم نزل بهم العذاب في اليوم الرابع فكذلك ايضا مما لا نعرفه وقوله عز وجل عذاب قريب قيل سريعا لا يمهلوا حتى تعذبوا
وقوله ذلك وعد من الله غير مكذوب ليس فيه كذب وكان عذابهم انما نزل على اثر سؤال الاية سالوا ذلك فلما ان جاءهم
بها كذبوها فنزل بهم العذاب وهكذا السنة في الامم السالفة انهم اذا سالوا الاية فجاء ثم لم يؤمنوا بها نزل بهم العذاب
وهو قوله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الاية والله اعلم
وقوله عز وجل فلما جاء امرنا اي جاء ما امر به كما يقال جاء وعد ربنا اي جاء موعود ربنا لان وعده وامره لا يجيء ولكن جاء
ما امر به وما وعد به وهو العذاب او يقول جاء اي اتى وقت وقوع ما امر به وعد وهو العذاب الذي وعد وامر به والله اعلم
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا بنعمة منا او بفضل منا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ومن خزي
يومئذ قيل الخزي هو العذاب الذي يفضحهم وقيل كل عذاب فهو خزي اي نجاهم من خزي ذلك اليوم وقوله عز وجل ان
ربك هو القوي العزيز قيل القوي هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي يذل من دونه وقيل القوي المنتقم المنتقص
ذو الباس من اعدائه العزيز هو المنيع في ملكه وسلطانه الذي لا يعجزه شيء وقوله عز وجل واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل ان
كان صيحة صاح بهم جبريل وقيل الصيحة الصاعقة وكل عذاب فهو صيحة لكن لا ندري كيف كان او ان يكون عذابهم قد
صيحة لسرعة وقوعه بهم او يسمى ذلك العذاب صيحة لما انه ما يصيحون فيما بينهم او ما ذكرنا وقوله عز وجل فاصبحوا
في ديارهم جاثمين قال ههنا ديارهم وقال في سورة الاعراف دارهم والقصة واحدة قال بعضهم دارهم قراهم وديارهم
منازلهم ولكن هو واحد فاصبحوا جاثمين في دارهم ومنازلهم سواء وقوله جاثمين قيل خامدين موتى واصل قوله جاثمين اي منكبين
على وجوههم يقال جثم الطائر اذا انكب على وجهه مخافة الصياد وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل كان لم يغنوا فيها
قيل كان لم يعيشوا فيها وقيل كان لم يسكنوا فيها وقيل كان لم يعمروا فيها واصله انهم صاروا كان لم يكونوا فيها لما لا يذكرون
بعد هلاكهم صاروا من حيث لا يذكرون كان لم يكونوا لما الاحياء والابدان فانهم وان ماتت ابدانهم وصارت
كان لم تكن فهي الذكر كانهم احياء حيث يذكر وبعد موتهم وقوله عز وجل الا ان ثمود كفروا ربهم قيل كفروا نعم ربهم او
كفروا بايات ربهم فذلك كله كفر بالله وقوله عز وجل الا بعدا لثمود اي لا بعدا لثمود من رحمة الله وقوله عز وجل ولقد
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اختلفوا في هذه البشارة قال بعضهم جاؤهم ببشارة اسحق وهو قوله فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب وقال بعضهم جاؤا ببشارة اهلاك قوم لوط وانجاء لوط واهله قيل لان لوطا كان ابن اخي
ابراهيم وكان لوط فزع الى الله بسوء عمل قومه وصنيعهم ودعا بالنجاة منهم وهو قوله اني لعملكم من القالين الاية حتى ذكر
في بعض القصة ان سارة قالت لابراهيم ضم ابن اخيك الى نفسك فان قومه يعذبون كانها عرفت انه لا يتركهم على ما هم
عليه بسوء عملهم قالوا البشارتين جميعا ببشارة الولد والحافد وبشارة هلاك قوم لوط ونجاة لوط واهله الى هذا
يذهب بعض اهل التاويل وقوله عز وجل قالوا سلاما قال سلام هذا يدل ان السلام هو سنة الانبياء والرسل والملائكة
في الدنيا والاخرة لم يخص هذه الامة له بل كان سنة الرسل الماضية والامم السالفة هو تحية اهل الجنة بقوله سلام عليكم
طبتم ونحوه هذا يدل ما ذكرنا ثم انتصاب قوله سلاما وارتفاع الثاني لان الاول انتصب لوقوع القول عليه كقولك
قال قولا والثاني حكاية لقولهم وقوله عز وجل فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فما لبث ان جاء اي ما لبث عندهم حتى اشتغل
بتقديم شيء اليهم والا قد يكون في ذبح العجل وشويه لبث الا ان يكون العجل مشويا فان لم يكن مشويا فتاويله ما ذكرنا انه لم
يلبث عندهم في المؤانسة والحديث معهم على ما يفعل مع الاضياف حتى جاء بما ذكر وفيه ما ذكرنا من الادب وفيه دلالة فيمن
نزل به ضيف ان لا يشتغل بالسؤال عن احوال الضيف من اين والى اين وما حاجتهم ولكن يشتغل بقراهم وازاحة حاجتهم لان
ابراهيم صلوات الله عليه انما اشتغل بقراهم لم يشتغل بالسؤال عن احوالهم ولكن اشتغل بما ذكرنا فجاء بعجل حنيذ وهذا هو الادب

فى الضيف الا ترى انه لو كان سال عن احوالهم نعرف انهم من الملائكة لكان لا يشتغل بما ذكر اذ عرف انهم من الملائكة والملائكة لا ياكلون شيئا من الطعام وقوله بعجل حنيذ قال بعضهم الحنيذ السمين وهو ما ذكر فى موضع اخر فجاء بعجل سمين وقال بعضهم الحنيذ هو المشوى الذى خد فى الارض خدا ثم يشوى بالحجر المحمى وقال بعضهم الحنيذ هو المشوى الذى يسيل منه الماء وقال ابن عباس هو ابن عباس هو نضيج الحنيذ النضيج وقوله عز وجل فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم قال بعضهم نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد وهو من الانكار اى لم يعرفهم ظن انهم لصوص لان اللصوص من عادتهم انهم كانوا اذا ارادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم ياكلوا شيئا عندهم وقيل نكرهم انهم من البشر واوجس منهم خيفة قيل اضمر منهم خيفة قال بعضهم خاف لما ظن انهم سراق ولصوص حيث لم يتناولوا شيئا مما قدم اليهم وقال بعضهم خيفة اى وحشة اى اضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما قرب اليهم فحين علم انهم ليسوا من البشر لان منزل ابرهيم كان بناى من البلد ولم يتن له احد من البشر الا وقد احتاج الى الطعام فلما لم ياكلوا علم انهم ليسوا من البشر فلما جاؤا الا لامر عظيم لتعذيب قوم واهلاكهم فخاف لذلك فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقال فى موضع اخر لا تخف وبشروه بغلام عليم وقال فما خطبكم ايها المرسلون يذكر ههنا ان قولهم انا ارسلنا على اثر سؤال وفيما نحن فيه لا كذلك فالمعنى فيه والله اعلم ان ذلك كان على اثر سؤال ابرهيم بقوله فما خطبكم لكن جميع ذلك فيما نحن فيه والله اعلم ان ذلك كان على اثر سؤال ابرهيم بقوله فما خطبكم لكن جميع ذلك فيما نحن فيه بالحكاية عن قولهم وكان كله مفصولا عنه وخرجنا الحكاية فى موضع اخر على ما كان فى الحقيقة وذلك مستقيم فى كلام العرب والله اعلم وقوله عز وجل وامراته قائمة فضحكت قال بعضهم قائمة على رؤس الاضياف لانها كانت عجوزة ولا باس لعجوز ذلك الا ترى الى قوله تعالى والقواعد من النساء الاية وقال بعضهم قائمة من وراء الباب لكن لسنا ندرى اى ذلك كان وقوله عز وجل فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من خوف ابرهيم انهم لصوص وهم كانوا ثلاثة واربعة دون عشرة وكان خدم ابرهيم مما يبلغ عددهم ثلثماية على ما ذكر فى القصة ضحكت تعجبا انه كيف يخاف من نفر عددهم دون عشرة وعنده من الخدم ما يبلغ عددهم ما ذكرنا وقال بعضهم ضحكت تعجبا مما بشروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكبر وهو كذلك وقالت أألد وقد كبرت من السن كذا وقال بعضهم ضحكت اى حاضت من قولهم ضحكت الارنب اذا حاضت وهو قول ابن عباس وعكرمة وقال الفراء فضحكت حاضت غير مسموع ولا معروف فعلى تاويل من قال انها ضحكت تعجبا مما بشرت بالولد فهو على التقديم والتاخير كانه قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم لانها خافت منهم وقوله ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت ظاهر هذا انها بشرت باسحق ومن وراء اولاد اسحق بولد يعقوب ولكن لم يكن يعقوب ولد من ابرهيم انما ولد من اسحق وهو حافد ابرهيم بن اسحق فتاويله من وراء اسحق حافد فانما البشارة بالولد وبالحافد وهم كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وقال فى هذه السورة وامراته قائمة فضحكت وقال فى موضع اخر فاقبلت امراته فى صرة فصكت فان كان على ما قالوا انها كانت قائمة وراء الباب فيكون اقبالها خروجها الى القوم وان كان قيامها على رؤسهم فيكون معنى الاقبال هو الاقبال فى ضرب وجهها وصكها لكن ذلك من القدوم لكنه على الاقبال بفعل ما اخبر عنها من صك وجهها والله اعلم وقوله عز وجل قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب هى لم تتعجب قدرة الله انه قادر على ان يهب الولد فى كل وقت ولكنها تعجب لما دات العادة فى النساء والرجال انهم اذا بلغوا المبلغ الذى كانوا لم يلدوا فتعجبها انها تلد فى الحال التى هما عليها او يردان الى حال الشباب فعند ذلك يولد لهما وكلاهما عجيب بحيث الخروج على خلاف العادة لا يجيئ قدرة الرب وهو كما ذكرنا من قول زكريا انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر وفى موضع اخر وقد بلغت من الكبر عتيا قوله انى يكون لى غلام فى الحال التى انا عليها او يرد الى شابى فعلى ذلك قولها أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب وقوله عز وجل قالوا اتعجبين من امر الله قال اهل التاويل اتعجبين من قدرة الله هذا

وقوله رحمت الله وبركاته عليكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قالوا سلاما قال سلام لانه معلوم انهم لم يقولوا سلاما حسب لم يزيدوا على هذا بل زادوا فكانهم قالوا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته او قالوا سلام الله ورحمته وبركاته عليكم اهل البيت بالنصب كانه قال يا اهل البيت كقوله صلى الله عليه وسلم حيث قال تركت بعدى الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتى اى اهل بيتى انه حميد مجيد يحتمل حميدا الذى يقبل اليسير من المعروف ويعطى الجزيل كالشكور والمجيد من المجد والشرف وقيل الحميد المحمود والمجيد الماجد وهو الكريم والله اعلم وقوله عز وجل فلما ذهب عن ابرهيم الروع قيل الروع هو الفزع والفزع الذى دخل فيه بمجيئ الملائكة وجاءته البشرى بالولد والحافد وفى نجاة لوط واهله وهو ما ذكرنا فى قوله ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى وقوله عز وجل يجادلنا فى قوم لوط قال بعض اهل التاويل مجادلته اياهم فى قوم لوط ما ذكر فى القصة انه قال لهم ارايتم ان كان فيهم من المؤمنين كذا تعذبونهم قالوا لا ونحوه من الكلام فان ثبت هذا والا لا

ثم مجادلته

ثم مجادلته اياهم فى دفع العذاب عنهم او تاخيره دليله قوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويحتمل مجادلته اياهم فى استنباء قوم لوط شفقة عليهم ورحمة لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يدعون اليه ليلا ينزل بهم العذاب ما اوعدوا يستشفع اليهم ليؤخروا عنهم ان يبقيهم والله وقوله عز وجل ان ابرهيم لحليم اواه منيب قيل الحليم هو الذى لا يكافى من ظلمه ولا يجازيه به او يحلم عن سفه كل سفيه اواه قيل الاواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه التائب وهو الدعاء وهو كثير الدعاء وقيل الاواه المتقى الذى لا يفتر لسانه عن ذكره وقيل الاواه الحزين فيما بينه وبين ربه جميع فى هذه الاحرف الثلاثة جميع انواع الخير والطاعة ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين الخلق حيث ذكر انه حليم وانه اواه وانه منيب والمنيب قيل المخلص له وقيل هو المقبل اليه بقلبه ودينه وقد ذكرناه فى سورة التوبة وقوله عز وجل يا ابرهيم اعرض عن هذا يعنى عن المجادلة التى كان يجادلهم انه قد جاء امر ربك اى جاء امره ربك وجاء موعده وانهم اتيهم عذاب غير مردود اى غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل قوله يا ابرهيم اعرض عن هذا عن المجادلة التى ذكرنا قد جاء امر ربك بالانصراف والرجوع عنك ويحتمل جاء امر ربك من انزال العذاب بهم وقوله عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم قوله سيئ بهم قيل اى ساء مجيئهم ومكانهم وكرههم لصنيع قومه بالغرباء مخافة ان يفضحوهم وضاق بهم ذرعا اى لم يدر كيف يصنع بهم وكيف يحتال ليدفع عن ضيفه سوء قومه والذرع قيل هو المقدرة والقوة اى ضاق مقدرته وقوته وقال هذا يوم عصيب قيل فظيع شديد لانه يوم يهتك الاستار ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لانه قال يوم عصيب فظيع فبعدما يفهمون شره لكنه قالوا اجتهادا والله اعلم ثم قوله ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا يشبه صنيع قومه بالاضياف فهذان الحرفان جميعا ينصرفان الى لوط لمكان قومه او لمكان الاضياف او يكون احد الحرفين لمكان ضيفه وما ينزل بقومه والله اعلم وقوله عز وجل وجاءه قومه يهرعون اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرعون اليه اى يهرولون اليه وهو سير بين السعى وبين المشى بين بين وقال بعضهم قوله يهرعون اليه اى يدعون اليه من الدعاء اى يزعجون اليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن قبل كانوا يعملون السيئات هذا يحتمل وجهين قوله من قبل ان يبعث لوط رسولا اليهم كانوا يعملون السيئات ويحتمل قوله من قبل اى من قبل نزول الاضياف بلوط كانوا يعملون السيئات والسيئات مثل الشرك وغيره من الفواحش التى كانوا يركبونها والله اعلم وقوله قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم اختلف فى قوله بناتى هن اطهر لكم قال بعضهم اراد بنات قومه لان الرسل هم كالاباء لاولاد قومهم ينسبون اليهم الا ترى الى قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وهو اب لهم مما ازواجه امهاتهم والنبى اباهم فعلى ذلك يحتمل قول لوط هؤلاء بناتى اراد بنات قومه فشبههن الى نفسه لما ذكرنا انه كالاب لهم ثم يحتمل معنى جعل النبى لاولاد قومه كالاب وازواجه كالام وجهين احدهما انه اليه الشفقة هو اشفق بهم من الاب والام او لحق التربية وتعليم الدين وتعليم الدين كالاب لهم فهو اولى بهم من انفسهم لهذين الوجهين وقال بعضهم اراد بنات نفسه ثم اختلف فيه قال بعضهم كان ذلك منه تعريضا لهم النكاح يعزلون هؤلاء بناتى هن اطهر لكم نكاحا ان كنتم قابلين للايمان ومنهم من قال هو تعريض منه لما هو زنا عندهم لانه عرض ذلك عند نفسه وهذا كما يقول ان من اكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا باس بان يشتم ويقصد بشتمه محمدا اخر يحل له شتمه وان كان عند المكره انه يشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اخطر الشاتم فى قلبه غيره وكذلك ان اكره على ان يشتم الاله فيقصد بالشتم المعبود (؟) وان كان عندهم انه انما يشتم الهه الذى يعبده فعلى ذلك يحتمل قول لوط هن اطهر لكم تعريض زنا عندهم وان كان عنده انه ليس لذلك يقصد وقال قائلون قال هذا ليريهم قبح الفعل الذى كانوا يقصدون باضيافه لان الزنا كان عندهم محرم نعرض عليهم بناته ليعرفوا قبح ذلك الفعل حيث احتمل ذلك فى بناته ولم يحتمل فى اضيافه لم يمتنعوا عن ذلك ويحتمل ان يكون قال ذلك وان كان كلاهما لا يصلح لكن احدهما ايسر واهون ويجوز الجمع بين شرين فيقال هذا اطهر واحل من هذا وهذا ايسر من هذا واهون وان كان كلاهما شرين فالزنا وان كان حراما فذلك مما يحل وادبار الرجال لا يحل بحال وقال بعضهم انهم كانوا يخطبون بناته ثم وكان ابى ان يزوجهن منهم لما لم يكونوا اكفاء لهن ثم عرض عليهم فى ذلك الوقت ليعلموا قبح ذلك الفعل الذى قصدوا باضيافه جزاء او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى وقال فى موضع اخر فلا تفضحون فى ضيفى ليعلم ان الخزى هو الفضيحة هنا يدل ان الخزى هو الذى يفتضح من نزل به وقوله عز وجل اليس منكم رجل رشيد قال بعضهم هو ان يزوج بعض بناته من يصدر لرايه فيمنعهم عنهم كما تقول اليس منكم من يرشد ويصد لرايه وقوله عز وجل اليس منكم رجل رشيد اى اليس منكم رجل يقبل الموعظة ويرشدكم ويعظكم او يقول اليس منكم رجل رشيد على النهى فيمنعهم عما يريدون ويصدون وقوله عز وجل لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق على التاويل اللذين ذكرناهما ليكون الحق حق النكاح او حق الاستمتاع وفى بعض التاويل من حق من حاجة له وبذلك يقول عامة اهل التاويل ما لنا فى بناتك من حق اى من حاجة وانك لتعلم ما نريد يعنون الاضياف قال لو ان لى بكم قوة او اوى فى نفسى او اوى الى ركن شديد قيل عشيرة والركن الشديد عند العرب العشيرة يقول لو ان لى بكم قوة

اى قوة فى نفسى او آوى الى ركن شديد قيل عشيرته والركن الشديد عند العرب العشيرة يقول لو ان لى بكم قوة فى نفسى عشيرة يمنعونى
لما تلكم فيه دلالة ان من راى اخر فاحشة فله ان يقاتله وقوله عزوجل مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد واللّه اعلم انك تعلم انه ليس لنا
فى بناتك من حق كما ليس لنا فى اضيافك حق فكيف تمنعنا عنهم وتعرض علينا بناتك فهن فيما ليس لنا فيهن حق كذلك واللّه اعلم
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قيل قالوا ذلك للوط لن يصلوا اليك لما طمعوا اعينهم وهو كقوله ولقد راودوه عن
ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر وقال قايلون قالوا ذلك للوط حين طمست اعينهم ان ضيفك سحروا ابصارنا
فستعلم غدا ما تلقى انت واهلك فقالوا عند ذلك لن يصلوا اليك بسوء عزا بانهم يهلكون ودل قوله لو ان لى بكم قوة او
آوى الى ركن شديد على انهم قد هموا بلوط واوعدوه حتى قال ما قال الا ترى ان الملائكة قالوا انهم لن يصلوا اليك فهذا
على ما ذكرنا وقوله عزوجل فاسر باهلك بقطع من الليل قيل قطع من الليل اخره وهو وقت السحر وقيل هو ثلث الليل او ربعه
من اخره وهو واحد واللّه اعلم وقوله عزوجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك قيل لا يتخلف احد منكم الا امراتك فانها تتخلف
ويصيبها ما اصاب اولئك وقال بعضهم ولا يلتفت من الالتفات والنظر وقيل لا يبرك احد منكم منا بعتك الا امراتك فانها
لا تتبعك فيصيبها ما اصاب اولئك وقوله عزوجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك يحتمل النهى عن الالتفات كانه يقول لا
يلتفت احد ويحتمل الخبر كانه يقول لا يلتفت منكم احد الا من ذكر وهو زوجته فذلك علامة خلاف فيها له وقوله عزوجل ان
موعدهم الصبح فقالوا اليس الصبح بقريب كان لوطا استبطا الصبح لعذابهم فقالوا اليس الصبح بقريب هذا من لوط لا يحتمل
ان يكون قال ذلك وهو بين اظهرهم ويعلم ان قراه يقلب اعلاها واسفلها اعلاها ولكن قال واللّه اعلم بعدما اخرجوه واهله
من بين اظهرهم فعند ذلك قال ما قال واستبطا وقت نزول العذاب بهم واللّه اعلم وقوله عزوجل فلما جاء امرنا يحتمل جاء
الامر بالمراد بامرنا او امره هو جعله عاليها سافلها ثم قال اهل التاويل قوله جعلنا عاليها سافلها ادخل جبريل جناحه
تحت قريات لوط فرفعها الى السماء ثم قلبها فجعل ما هو اعلاها اسفلها فهوت الى الارض فذلك قوله والمؤتفكة اهوى
قيل اهوى بها جبريل من السماء الى الارض وامكن ان يكون اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض فذلك جعل اعلاها اسفلها لكن اهل
التاويل حملوا على ما ذكرنا واجمعوا على ذلك وقال بعضهم قلبت القرى وجعل اعلاها اسفلها على ما ذكرنا وارسل الحجارة
على من كان غائبا عنها وقوله عزوجل وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال بعضهم امطر الحجارة عليها ثم قلبها جبريل وقال
بعضهم امطر عليها الحجارة بعد ما قلبها جبريل فسويها وكل واحد منهم كان غائبا من بلدة جاءت حجارة مكتوب عليها اسمه
فقتله حيث كان واللّه اعلم وقوله عزوجل من سجيل قال بعضهم السجيل هو اسم المكان الذى منه رفع الحجر الذى امطر
قال بعضهم هو طين مطبوخ كالاجر وعن ابن عباس رضى اللّه قال سنك وكل منضود نضد الحجر بالطين والصق بعضه
ببعض مسومة قيل معلمة مخططة سود وحمرة وقال بعضهم مسومة اى مكتوب عليها اسم صاحبها وقوله عزوجل وما هى
من الظالمين ببعيد قال بعضهم ما هى من ظلمة قوم لوط ببعيد وقال بعضهم ما هى من ظالمى اهل مكة وحوالهم ببعيد اى
عذاب اللّه ليس ببعيد يعذبهم ان شاء ويحتمل قوله وما هى من الظالمين ببعيد اى تلك القرى والامكنة التى اهلك اهلها ليست
ببعيدة من مشركى اهل مكة وهو ما ذكر وانكم لتمرون عليهم مصبحين الاية وفيه تذكير منه على هذه الامة التى الامة [illegible] لم يجعل عذابهم
عذاب استيصال بحيث لا يملكون العود عنه والرجوع ولكن جعل عذابهم الجهاد حتى لو ارادوا الرجوع عنه ومكنوا واللّه اعلم
وقوله عزوجل والى مدين اى الى مدين ارسلنا اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من اله غيره هذا قد ذكرنا فيما تقدم ان
كل نبى اول ما دعا قومه انما دعى الى توحيد اللّه وجعل العبادة له وفى قوله اخاهم شعيبا وما ذكر فى غيره من الاخوة دلالة
على ان الرسل من قبل كانوا من البشر من جنس قومهم لا من الملائكة حيث قال اخاهم شعيبا فمعلوم انهم لم يكونوا اخوة لهم فى الدين
وفيه ان الاخوة لا توجب فضيلة المواخى له لانه ذكر ان الرسل اخوة اولئك الاقوام وهم كفرة وذلك يرد قول الروافض فى
تفضيل على على ابى بكر بالمواخاة التى كانت بين رسول اللّه وبين على والخلة توجب الفضيلة وقد جاء عنه صلى اللّه عليه وسلم انه قال
لو اتخذت سوى ربى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقوله عزوجل ولا تنقصوا المكيال والميزان ذكر انهم كانوا ينقصون
المكيال والميزان ولا يوفون الناس حقوقهم فنهاهم عن ذلك فهو واللّه اعلم لوجهين احدهما انهم انما نهوا عن ذلك لحق الربا لان
النقصان اذا كان برضاء من صاحبه يجوز فدل انه انما نهاهم لحق الربا وفيهما يجرى الربوا والثانى فيه ان هبة المشترى المتاع
وقبضه قبل قبضه على قيام البيع فيما بينهما غير جائز واللّه اعلم وقوله عزوجل انى اراكم بخير قيل سعة من المال وقيل فى رخص
من السعر وانما يحمل لهم على النقصان والظلم على اعز الشئ وضيق الحال فكيف تنقصون انتم فى حال السعة والرخص
السعة او يقول انى اراكم بخير فى غير هذا فلا تظلموا الناس فى هذا ولا تمنعوا حقوقهم وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط
اى يوم يحيط بهم العذاب ان كانت الاحاطة مضافة الى اليوم فهو محيط بالكل وان كانت الاحاطة مضافة الى العذاب
فهو محيط بالكفرة خاصة وهو واللّه اعلم انه ما من جارحة من ظاهره وباطنه الا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها ليس كعذاب

الدنيا

الدنيا ياخذ جزءا دون جزء بل يحيط به النهى بتخصيص نقصان الكيل والميزان لا يدل على انه لم يكن فيهم من المال ثم والاجرام
سوى ذلك لكن خص هذا لكان الظاهر فيهم نقصان والوزن فذكر ذلك وهو ما خص قوم لوط بقوله اياتون الذكران
من العالمين وانكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها الاية ذكر هذا وخصهم ليس على انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش غيرها
لكن خص هذا لان الظاهر فيهم هذا فكذا ذاك نقصان الكيل والميزان فى قوم شعيب واللّه اعلم وقوله عزوجل ويا قوم
اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم خص المكيال والميزان لما كانوا يطففون المكيال وينقصون الميزان لانه
فيها وفيهما يجرى الربوا لما ذكرنا وقوله عزوجل ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيه دلالة ان المشترى يملك المبيع قبل ان
يقبضه لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الى الناس اشياءهم فلو كان لا يملك لم يكن اشياء الناس انما كان اشياء البائع
انما نقص ماله ولا تعثوا فى الارض مفسدين وهو ما ذكر فى موضع اخر ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وقوله عز
وجل بقيت اللّه خير لكم ان كنتم مؤمنين قال بعضهم بقيت اللّه خير لكم اى ما جعل اللّه لكم مما يحل خير لكم مما يحرم عليكم من
نقصان الكيل والوزن ان كنتم مؤمنين بالحلال او بالاخرة وقال بعضهم طاعة اللّه وهو ما يامركم به ويدعوكم اليه خير لكم
مما تفعلون وقال الحسن رزق اللّه خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم لكن هذا يرجع الى ما ذكرنا واللّه اعلم وقوله عزوجل
وما انا عليكم بحفيظ يحتمل ما انا عليكم بحفيظ اى لست اشهد باعمالكم واشربكم حتما فلم بخستم الناس المكيال والميزان لكن
انما اعرف ذلك باللّه وفيه دلالة اثبات رسالته والثانى وما انا عليكم بحفيظ اى بمسلط عليكم انما ابلغ اليكم كقوله ما على
الرسول الا البلاغ وقوله عزوجل قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء
قال بعض اهل التاويل صلواتك اى قراءتك تامرك هذا وقال ابن عباس قالوا ذلك له لان شعيبا كان يكثر الصلوة كانه
يخرج على الاضمار يقولون اصلوتك تامرك بان تامرك بترك عبادة ما عبد اباؤنا وقوله صلوتك وصلواتك يحتمل ان
يكون له صلوات معروفة يفعلها فيقولون اصلواتك التى تفعلها تامرك ان نترك كذا ام صلوة واحدة نكرها فقالوا ذلك
تخصيص الصلوة من بين غيرها من الطاعات لما لعلها كانت من اظهر طاعاته عندهم فقالوا له هذا ثم يحتمل وجهين احدهما
كانهم قالوا اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل كذا على التسفيه له والتجهيل كمن يوبخ اخر ويسفهه يقول
اعقلك يامرك بذلك وايمانك يامرك هذا كقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم ونحوه من الكلام يخرج على التسفيه له والتجهيل والثانى
يقال ذلك على الانكار يقول الرجل لاخر ايمانك يامرك بذلك او عقلك يامرك بذلك فعلى ذلك يحتمل قول هؤلاء اصلوتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء اى لا يامرك بذلك هذا اذ كانت الصلوة التى ذكر وهى مرضية عندهم
وان لم يكن مرضية فالتاويل هو الاول وقوله عزوجل اصلواتك تامرك الاية حبب اليهم تقليد ابائهم فى عبادة الاصنام واتباعهم
اباءهم والاموال التى كانت لهم فمنعهم هذان عن النظر فى الحجج والايات لما حبب اليهم ذلك وهكذا جميع الكفرة انما منعهم عن النظر
فى ايات اللّه والتامل فيها احد هذه الوجوه التى ذكرنا حب اللذات ودوام الرياسات والميل الى الشهوات ظنوا انهم لو اتبعوا رسل اللّه
واجابوهم الى ما دعوهم اليه لذهب عنهم ذلك ثم وقوله وان نفعل فى اموالنا ما نشاء يحتمل قضاء جميع الشهوات ويحتمل ما ذكرنا من
نقصان المكيال والميزان يقولون اموالنا ليس لاحد فيها حق نفعل فيها ما نشاء وقال بعضهم قوله او ان نفعل الالف صلة وان
نفعل الالف صلة وان نفعل فى اموالنا ما نشاء وقوله عزوجل انك لانت الحليم الرشيد قال اهل التاويل قالوا ذلك له استهزاء
به وسخرية كنوا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال اى انت السفيه حيث سفهت اباك فى عبادتهم الاصنام الضال
حيث تركت ملتهم ومذهبهم وقال بعضهم على النفى والانكار اى ما انت الحليم الرشيد ويشبه ان يكون على حقيقة الوصف له
بالحلم والرشد لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا رادا على خلاف ولا على سفاهة قط فقالوا انك لانت الحليم الرشيد اى
كنت هكذا فكيف تركت ذلك وهو ما قال قوم صالح لصالح حيث قالوا قد كنت فينا مرجوا وقوله عزوجل قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربى او على بيان وحجج وبرهان من ربى على ما ذكرنا فيما تقدم او يقولون انى كنت على بيان من ربى وحجج ورزقنى
منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه مكان ما قال اولئك الانبياء واتانى رحمة من عنده اى قال هود ورزقنى منه رزقا حسنا الرزق
والهدى او النبوة على ما ذكرنا وامكن ان يكون الرزق الحسن هو الاموال الحلال الطيبة التى لا تبعة عليه فقال ذلك وما رزق
اولئك عليهم تبعة فى ذلك لانهم اكتسبوها من وجه لا يحل وقوله عزوجل وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من الناس
من يقول قال لهم ذلك بازاء ما قالوا فيما ذكر فى الاعراف لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى
ملتنا يقول ادعوكم الى الايمان باللّه والتوحيد له وانهاكم عن الكفر به ثم ارتكب ما انهاكم عنه واترك ما ادعوكم اليه وقال
قتادة لم اكن انهاكم عن امر وارتكبه وهو واحد ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وفيه دلالة ان الاستطاعة تكون مع الفعل
لا يخلو ما ان يكون اراد استطاعة الارادة او استطاعة الفعل فكيف ما كان فقد اخبر انه يريد لهم من الصلاح ما استطاع ففيه
ما ذكرنا وينقض على المعتزلة مذهبهم لانهم يقولون ان الاستطاعة تتقدم على الفعل وهى لا تبقى وقتين فيصير على قولهم ارادة

الصلاح لم يا علم من الاستطاعة وقوله عز وجل وما توفيقي الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع والخذلان هو صفة كل عاص وقال بعضهم التوفيق هو ما يوفق بين قوله وفعله في الطاعة والخذلان ما يفرق بين قوله وفعله في المعصية و قال الحسين النجار التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية وعندنا التوفيق هو ان يوفق بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفرق بين عمل الخير والاستطاعة او ان يقول هو ان يوفق بين عمل الشر والاستطاعة وهما واحد وقوله عز وجل عليه توكلت اي عليه اعتمدت في جميع اموري واليه وكلت واليه انيب اي ارجع او يقول اليه اقبل بالطاعة وقوله عز وجل ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحة قال ما ذكر قال بعضهم لا يجرمنكم اي لا يحملنكم شقاقي قبل خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب اولئك وقال بعضهم قوله لا يجرمنكم اي لا يؤثمنكم شقاقي او عداوتي ان يصيبكم مثل ما اصاب اولئك وقيل لا يجرمنكم لا يكسبنكم عداوتي وقال الحسن شقاقي ضراري لكن يرجع الى معنى واحد لا تراءت العداوة بينت المخالفة والبغض والفرق فكل ما ذكروا فهو واحد واصل الجرم الاثم والكسب ثم يخرج انذاره اياهم بمن هلك من الامم على وجهين احدهما ان قوم شعيب قوم لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة فانذرهم بمن هلك من الامم السالفة لانه لو كان ينذرهم بالبعث لكان لا ينجع فيهم لانهم لا يؤمنون والثاني انذرهم باولئك لانهم كانوا يقلدون اباءهم في عبادة الاوثان ويتبعونهم فيقول انكم تقلدون اباءكم وتتبعونهم في عبادة الاوثان فاتبعوهم ايضا بما بلغوا اليكم من هلاك اولئك بعبادتهم الاوثان وتكذيبهم الرسل فانا نذكر قومهم في ذلك فهلا تقلدونهم وتتبعونهم فيما اصابهم بما اصابهم او يقول لهم انكم تقلدون اباءكم الذين عبدوا الاوثان وقد هلكوا فلا تقلدون من لم يعبدها منهم وقد عرفتم ان من هلك منهم بم هلك ومن نجا منهم بم نجا والله اعلم وقوله عز وجل وما قوم لوط منكم ببعيد اي ان نسيتم من مضى منهم فلا تنسون ما نزل بقوم لوط وليسوا هم ببعيد منكم وقوله عز وجل واستغفروا ربكم اي اطلبوا من ربكم المغفرة اي اطلبوا السبب الذي به يغفر لكم المغفرة من ربكم وهو التوحيد ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه ولا تعودوا الى ما كنتم من قبل وقوله عز وجل ثم توبوا اليه لما رجعوا اليه رجوعا حتى لا تعودوا الى مثل صنيعكم ابدا ان ربي رحيم يرحم من تاب اليه والله يرحمه ودود يحتمل وجهين احدهما ودود اي حقيق ان يود كل شيء وكل احسان والناس جبلوا على حب من احسن اليهم والثاني ودود لمن توسل اليه وتقرب وقوله عز وجل قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول قوله ما نفقه يحتمل ما نفهم وما نعقل كثيرا مما تقول كانهم يقولون ذلك على الاستهزاء والطنز به كانهم ينسبونه الى الجنون يقولون لا نفهم ما تقول لانه كلام مجانين وهذه هي عادة القوم كانوا ينسبون الرسل الى الجنون ويحتمل ما نفقه ما نقبل كثيرا مما تقول فان كان على الفهم فهو كقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهم كانوا فريقين فريق كانوا يقولون قلوبنا اوعية للعلم كقولهم قلوبنا غلف فان كان ما تقول حقا نفهم ونعقل كما نعقل غيره وفريق قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر كانوا يعقلون انهم لا يفهمون ولا يفقهون لان قلوبهم في اكنة وفي اذانهم وقر والفريق الاول يقولون ان قلوبنا اوعية للعلم فلو كان حقا لنعقل كما عقلنا غيره فهؤلاء كانوا يصرفون العيب الى الرسول واولئك الى انفسهم فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل ان يكونوا كذلك والله اعلم وقوله عز وجل وانا لنراك فينا ضعيفا يحتمل هذا وجهين احدهما اي انك لست من كبرائنا واجلتنا انما انت من اوساطنا وعلى ذلك الانبياء انما بعثوا من اوساط الناس لا من كبرائهم في امر الدنيا فالقوي والعزيز عند اولئك القوم من عنده الدنيا والمال والناس لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف وقيل لانهم لا يعرفون الدين ولا يؤمنون بالاخرة لذلك قالوا ما قالوا والثاني لست انت بذي قوة وبطش في نفسك وقد ذكر انه كان ضعيفا في بصره وفي نفسه يحتمل وصفهم بالضعف لهذين الوجهين والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رهطك اي قبيلتك وقيل عشيرتك لرجمناك الرجم يحتمل القتل ويحتمل اللعن و الشتم ثم يحتمل قوله لولا رهطك لرجمناك وجهين احدهما لولا رهطك اي لولا حرمة رهطك والا لرجمناك كانهم كانوا يحترمونه لموافقة رهطه اياهم في العبادة اعني عبادة الاوثان وعلى ما هم عليه والثاني لولا رهطك لرجمناك خوفا منهم لما ذكروا انه كان كثير العشيرة والقبيلة كانوا يخافون عشيرته فلم يؤذوه والله اعلم وقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز اي ما انت من اجلتنا و كبرائنا انما انت من اوساطنا علينا بعزيز لان العزيز عندهم من كان عنده المال والدنيا لا يعرفون العز في غير ذلك ولم يكن عند شعيب الدنيا لذلك نسبوه الى ما ذكروا وانت ذليل عندنا لست بعزيز فيكون صلة قوله وانا لنراك فينا ضعيفا والله اعلم و قوله عز وجل قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله هذا يخرج على وجهين يحتمل يا قوم ارهطي اعظم حقا عليكم من الله واكثر حرمة حتى تركتم ما اوعدتموني من النقمة لحقهم وحرمتهم والثاني قوله يا قوم ارهطي اعز عليكم اي رهطي اشد خوفا عليكم واكثر نكاية من الله لانا قلنا في قوله ولولا رهطك لرجمناك انه يخرج على وجهين احدهما على الاحترام لرهطه لموافقتهم اياهم في جميع ما هم عليه والمناصرة لهم والثاني على الخوف والنكاية لقوتهم وكثرتهم وفضل بطشهم تركوا ما اوعدوا له خوفا من رهطه فقال اخوفكم من رهطي اشد واكثر عليكم من الخوف من الله وقد بلغكم من نكاية الله ونقمته فيما حل بالامم الماضية او حرمة رهطي عندكم وحقهم اعظم من حق الله وحرمته وقد تعلمون احسانه اليكم وانعامه عليكم وقوله عز وجل واتخذتموه وراءكم ظهريا

قال

قال بعضهم قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اي حملتموه على ظهوركم وحملهم اياه على ظهورهم استخفافهم اياه قال تقول العرب فلان حمل الناس على ظهره اي استخفهم على نفسه ولكن لا ندري ايقال هذا ام لا فان قيل هذا فهو محتمل ما قال وهو قول ابي بكر الاصم وقال غيره من اهل التاويل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اي نبذتم امر الله وراءكم ظهريا اي نبذتم حق الله وامره وكتابه الذي انزل اليكم وراء ظهوركم لا تعملون به ولا تكترثون اليه هو كالمنبوذ وراء ظهوركم هذا على التمثيل اي جعلوا امر الله ودينه الذي دعوا اليه كالمنبوذ وراء ظهورهم لا ينظرون اليه ولا يكترثون وهو ما ذكر في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم على التمثيل اي الذي انتم عليه في القبح كالانقلاب على الاعقاب وقوله ان ربي بما تعملون محيط هذا يخرج على وجهين ايضا اي ان ربي بما تعملون من الاعمال الخبيثة محيط فيجزيكم بها او يقول ان ربي بما تعملون من الكيد برسول الله والمكر به محيط فينصره عليكم وقوله عز وجل ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل هذا يخرج على وجهين احدهما ان كونوا على دينكم الذي انتم عليه وانا اكون على ديني كقوله لكم دينكم ولي دين لان قوم شعيب قالوا لشعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا فقال لهم عند ذلك وهذا انما يقال عند الاياس عن ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم وامثاله والثاني قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل اي اعملوا في كيدي والمكر بي هلاكي اني عامل ذلك بكم وهو كما قال غيره من الرسل فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ونحوه وقوله عز وجل سوف تعلمون في العاقبة وعيد من يأتيه عذاب يخزيه او سوف تعلمون في العاقبة من يأتيه منا عذاب يخزيه نحن او انتم من هو كاذب وتعلمون ايضا في العاقبة من يأتي منا عذاب يخزيه نحن اذا انتم ومن هو كاذب وتعلمون ايضا في العاقبة من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين يدعي على الفريق الاخر الكذب والافتراء على الله فيقول سوف تعلمون في العاقبة الكاذب منا والمفتري على الله والصادق عليه وارتقبوا اني معكم رقيب ارتقبوا هلاكي وانا ارتقب هلاككم او ارتقبوا لمن العاقبة منا لنا او لكم اني معكم رقيب والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا هذا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل الصيحة صيحة جبريل اي هلكوا بصيحته وقال بعضهم الصيحة اسم كل عذاب و كذلك الرجفة سمي العذاب باسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة ومرة رجفة وقوله عز وجل فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم قال بعض اهل التاويل قوله الا بعدا لمدين في الهلاك كما بعدت ثمود كما اهلكت ثمود لان كل واحد منها اهلك بالصيحة ثم لم تختص ذكر ثمود من بين الامم وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يعذب بعذاب واحد الا قوم شعيب وصالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم قال فنشأت لهم سحابة فيها عذابهم فلم تعلموا كيفية الظلمة فيها ريح فلما راوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فسال عليهم العذاب من فوقهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة وقوله الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمته ويحتمل الهلاك الذي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين وهي الحجج يحتمل قوله باياتنا وسلطان مبين واحدا على التكرار فان كانت الاية هي الاوامر والمناهي وما يؤتى وما يتقى قوله وسلطان مبين هي الحجج والبراهين على ذلك وقوله عز وجل الى فرعون وملائه قد ذكرنا ان الملأ هو اسم لشيئين اسم الجماعة واسم الاجلة والاشراف وهو كان مبعوثا الى الاشراف من قومه والى الجماعة جميعا خص بعثه الى فرعون وملائه وان كان مبعوثا الى الكل لما العرف في الملوك انهم انما يخاطبون الكبراء منهم والاشراف وان كان المقصود من الخطاب الكل وقوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما ذكر في قوله المؤمن حيث قال لهم يا قوم ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فاطاعوا فرعون في قوله يقول الله وما امر فرعون برشيد اي بهدى او يقول ما الامر الذي عليه فرعون برشيد بل هو ضلال ولكن عندنا انهم اطاعوا فرعون في جميع امره ونهيه في عبادة الاصنام وغيره وهو ما ذكر فاستخف قومه فاطاعوه وقوله عز وجل وما امر فرعون برشيد اي ليس بهدى بل كان امره ضلالا حيث كان هو ضد الاصطاد وقوله عز وجل يقدم قومه يوم القيامة قال بعضهم اي صار قدامهم وقال بعضهم يقدم اي يقود قومه الى النار حتى لا يوردهم النار ويحتمل قوله يقدم قومه اي يكون امامهم في الاخرة يتبعونه اثره كما كانوا امامهم في الدنيا فاتبعوه كقوله يوم ندعو كل اناس بامامهم وكقوله وجعلناهم ايمة يدعون الى النار اخبر انهم يكونون ايمة لهم في الاخرة ويشبه ان يكون قوله فاوردهم النار اي دعاهم في الدنيا وامرهم بما يوردهم النار تلك الاعمال كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على عمل اهل النار وقال بعضهم يتبعونه حتى يدخلهم النار وقوله عز وجل وبئس الورد المورود قال بعضهم بئس المدخل المدخول والورد هو الدخول والمورود المدخول سمي الجزاء باسم سببه قال ابن عباس رضي الله عنه جميع ما ذكر في القران من الورود فهو دخول منه قوله بئس الورد المورود وقوله وان منكم الا واردها وقوله وانتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال والله ليردنها كل بر وفاجر ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقوله عز وجل واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة يحتمل اللعنة في الدنيا العذاب الذي نزل بهم ويحتمل لعن الخلائق ايضا من بعدهم

من ذكرهم وفي الاخرة يحتمل الوجهين جميعا يحتمل يعذبون في الاخرة ايضا كما عذبوا في الدنيا ويحتمل لعن الخلق ايضا من رآهم
لعنهم الله واللعن هو الطرد في اللغة طردوا عن رحمة الله ولم يرحموا في عذاب الدنيا ولا يرحمون في عذاب الاخرة وقوله عز وجل
بئس الرفد المرفود وعن ابن عباس بئس الرفد المرفود يقول لعنة الدنيا والاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله
لعنة الدنيا ولعنة الاخرة وكذا على زعمهم بجنايته يقال الردف من الترادف وقال بعضهم الرفد العون وهو قول القتبي وقال
القتبي الرفد العطية والمرفود المعطى يقال رفدته اذا اعطيته واعنته كما يقال بئس العطاء المعطى ولذلك قال ابو عوسجة هم
بئس ما اعطوا واعينوا وبئس المعطى والله اعلم وقوله عز وجل ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد قوله
ذلك من انباء القرى ذلك ما سبق من ذكر القرى والقرون في هذه السورة من انباء الغيب نقصه عليك ليعلم بها رسالتك لتكون
اية لنبوتك لانك لم تشاهدها ولا اختلفت الى احد منهم فتعلمت منهم ولا كانت الكتب بلسانك فيقولون نظرت فيها فاخذت
ذلك منها ثم انبأت على ما كان وقصصت عليهم ليعلم انك انما عرفت بالله فتكون اية لرسالتك وقوله منها قائم وحصيد قال
بعض اهل التاويل ههنا قائم ترى مكانها وتنظر اليها ومنها حصيد لا ترى له اثرا ولا مكانا وقال بعضهم قائم اي خاوية على عروشها
وحصيد مستاصلة وعن الحسن قال منها قائم وما حصدها الله اكثر اي وما اهلك الله من القرى اكثر واصله عندنا منها قائم نحو
قرى عاد وثمود ومدين اهلك اهلها وبقيت القرى لاهل الاسلام لانه يقول في قرى عاد فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم الاية
ومنها حصيد ما اهلك اهلها والقرى جميعا نحو قوم نوح اهلكوا ببنيانهم ونحو قريات قوم لوط اهلكت باهلها ايضا خسف
لم يبق لا الاهل ولا البنيان فذلك والله اعلم تاويل قوله منها قائم هلك اهلها وبقي البنيان ومنها حصيد هو ما اهلك البنيان
باهله حتى لم يبق لها اثر وفيه وجوه ثلاثة احدها اية الرسالة لما ذكرنا وعبرة لاهل التقوى وهو ما ذكر في اخره ان في
في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة اي عبرة لمن خاف عذاب الاخرة وزجرا لاهل الشرك والكفر لانهم يذكرون ما يذكرون ما نزل
بالذين فينزجرون عن صنيعهم فيه هذه الوجوه التي ذكرها والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقوله
وما ظلمناهم فيه وجهان اي لم نظلمهم لانهم وبنيانهم ملك الله تعالى وكل ذي ملك له ان يهلك ملكه ولا يوصف بالظلم من اتلف ملكه
وهم ظلموا انفسهم اذ انفسهم ليست لهم في الحقيقة وكذلك بنيانهم ومن اتلف ملك غيره فهو ظالم والثاني ان الظلم هو وضع الشيء
غير موضعه يقول وما ظلمناهم بالعذاب اذ يستوجبون ذلك بما ارتكبوا فلم نضع العذاب في غير موضعه بل هم الذين وضعوا
انفسهم في غير موضعها حيث صرفوها الى غير مالكها عبدوا غيره فهو ظلم هذا التاويل في انفسهم واما البنيان فهو فانما
جعله لهم فاذا امكوا اهلك ما جعل لهم انما ابقى لهم ما داموا فاما اذا بادوا فلا معنى لابقاء البنيان وما ذكر من ظلمهم انفسهم
يحتمل وجوها احدها ظلموا انفسهم بعبادتهم غير الله والثاني ظلموا انفسهم بصرفهم الناس وصدهم عن سبيل الله عن عبادة الله
وتوجيههم الى عبادة غير الله والثالث ظلموا انفسهم بسوء العذاب وقوله فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك في هذا وجهان احدهما ما اغنت عنهم عبادة الهتهم التي عبدوها من دون الله لما جاء امر
ذلك اي عذاب ربك كقولهم ما نعبدهم الاية يخبر ان عبادتهم الاصنام لا تنفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني في اغنت
عنهم انفس الهتهم في دفع العذاب عنهم في احوج حال اليها بعجزهم في انفسهم وضعفهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
فاذا لم يملكوا ذلك في وقت الحاجة اليهم فكيف يملكون في غيره من الحال والله اعلم وقوله عز وجل وما زادوهم غير تتبيب
يحتمل ما زاد عبادتهم اياها غير تتبيب او ما زاد الهتهم التي عبدوها غير تتبيب والتتبيب قال عامة اهل التاويل هو التخسير
وقال ابو عوسجة غير تتبيب غير فساد والتتبيب الفساد وكذلك قال في قوله وما كيد فرعون الا في تباب اي فساد وقال
غيره الا في خسار وقال غيره غير تخسير وكذلك قالوا في قوله تبت اي خسرت وقال ابو عبيدة غير تتبيب غير تدمير
واهلاك وكذلك قالوا في قوله تبت يدا ابي لهب وتب وكذلك قالوا في قول الناس تبا لك وقال بعضهم غير شر وقال التتبيب
الشر والتب الشر والخسران وهما واحد وقوله عز وجل وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اي هكذا ياخذ كفار هذه الامة
كما اخذ اولئك اي كما عذبنا الامم الخالية وهي ظالمة مشركة كما في كذلك نعذب هذه الامة وفيه دحض ان اخذه اليم شديد اي
ان اخذه بالعذاب اليم شديد لا اخذ نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالالم والعذاب يوصف بالالم لكن لما وصف
بالالم والشدة دل ان الاخذ اخذ بعذاب والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة هو ما ذكرنا فيه
عبرة لاهل التقوى ولمن خاف عذاب الاخرة وقوله عز وجل ذلك يوم مجموع له الناس خص الناس بالذكر وان كان الجمع
لهم ولغيرهم لان الاية التي ذكر تكون لهم اية او لانهم المقصودون بالجمع وبذلك اليوم والله اعلم قيل يجمع فيه الاولون والاخرون
وذلك يوم مشهود قال بعضهم يشهده اهل السماء واهل الارض للعرض والحساب والله اعلم وقوله عز وجل وما نؤخره الا
لاجل معدود اي ما نؤخر العذاب عن هذه الامة الا لاجل معدود وذكر هذا والله اعلم جواب ما استعجلوه بقولهم امطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وما نؤخر العذاب عنهم الا لاجل معدود الا لوقت موقوف اي لاجل معدود و

عند الله ولو كان ما ذكر ابن عباس انه سبعة الاف فيكون معدودا عند الناس ويكون وقت القيامة معلوما على قدر وقد
اخبر لا يجليها لوقتها الا هو الاية وقوله عز وجل يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه اي لا تكلم نفس بالشفاعة لاحد الا باذنه
كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى لا تكلم نفس لاهوال ذلك اليوم ولفزعه كقوله مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ولا تكلم نفس من الاجلة والعظماء لاحد من دونهم بالشفاعة الا
باذنه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فمنهم شقي وسعيد فمنهم شقي باعمال الخبيثة التي اختارها وعملها ادخلته
النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعة والخيرات التي اختارها وعملها ادخلته الجنة وكل عمل يعمل فيه حله الجنة فهو سعيد
وكل عمل يعمل يدخل النار فهو شقي به روي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه
الاية فمنهم شقي وسعيد سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلام يعمل على شيء قد فرغ منه او شيء لم يفرغ منه قال
بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت هذا فهو يدل لما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل فاما الذين شقوا ففي النار لهما ذكرنا لهم فيها زفير وشهيق قال بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصدر وهو اول ما
ينهق واما الشهيق فهو كشهيق الحمار في الحلق فهو اخر ما يفرغ من شهيقه وقال بعضهم الزفير هو ما لا يفهم منه شيء انما هو
كالانين والجزع من شيء يصيبه لا يتبين منه كقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا والشهيق هو ما يفهم منه الصوت يسمى
شهيقا ويحتمل ما ذكر من الزفير والشهيق انهم يصيرون بعد كثرة دعائهم وندائهم حتى يكون منهم الزفير والشهيق لا يفهم كصوت
الدواب اذا اصابها الم وقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض عن الحسن قال ما دامت السموات والارض تبدل
سما غير هذه السماء والارض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الارض لان هذه اخبر انها تنشق وتطوى وتبدل كقوله يوم
تشقق السماء ويوم نطوي ويوم تبدل ونحوه وقال بعضهم قوله ما دامت السماوات والارض تماسلة الكلام كما قال خالدين
فيها الا ما شاء ربك وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة وقال بعضهم يدوم لهم العذاب ابدا ما دامت السموات والارض لاهل الدنيا ما
كانوا فيها لانهما انما يفنيان بعد فناء اهلها وبعد احياء الاهل والبعث فاخبر ان العذاب يدوم لهم كما يدوم لاهل الدنيا السماء
والارض وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت سماء الجنة وارض الجنة وسماء النار وارض النار
لكن ذكر هذا لئلا يتوهم اهل الجنة والنار قبل هلاك سمائها وارضها على ما يتوهم في توهم هلاك اهل الدنيا قبل هلاك سمائها و
ارضها وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت الارض والسماء سماء يتكلمون على ما يعدون ودوامهم
فنا وهم او على الصلة يقول الرجل لاخر لا اكلمك ما دام الليل والنهار اي ابدا هذا تاويل قوله ما دامت السموات والارض واما قوله
الا ما شاء ربك قال بعضهم ان ناسا من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون منها وقد روي في ذلك
روي عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستثناء في الايتين كلتاهما لاهل الجنة يعني الذين يخرجون
من النار من اهل التوحيد الا ما شاء ربك يقول لم يشقوا اشقاء من يخلد في النار قال في الذين سعدوا الا ما شاء ربك هم اولئك
الذين لم ينالوا من السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اما من يريد الله اخراجه
منها فانهم يموتون فيها اماتة وقال في خبر اخر اما من يريد الله له الخلود فلا يخرجون منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبت هذا
فهو المعتمد وقال بعضهم قوله الا ما شاء ربك اي قد شاء لاهل النار الابد والخلود وشاء لاهل الجنة عطاء غير مجذوذ اي
غير منقطع ويؤيد هذا التاويل ما ذكر في حرف ابن مسعود وابي ما دامت السموات والارض في الاثنين وفي الاولى الا ما شاء ربك
وفي الاخرى ما دامت السموات والارض عطاء غير مجذوذ وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي انهما لم يذكرا الثنيا في اهل الجنة و
امثل هذا ما ذكر ابو عبيد قال الاستثناء الذي هو في اهل السعادة فهو المشكل لانه يقال كيف يستثني وقد وعدهم خلود الابد
في الجنة وقال في ذلك قولا لا ادري الى من يسند الا انه مخارج في كلام العرب وشواهد في الاثار وانما يتكلم الناس في
هذا على معاني العربية والله اعلم بما اراد قال فاحد هذه الوجوه في الاستثناء فيما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشيء ثم يقول
ان شاء الله وعزمه ضميره مع استثنائه انه فاعله لا يريد غيره ومما يقوي هذا المذهب قول الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين فاستثنى وقد علم انهم داخلوا البتة ومنه ما روي في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ولا تحل لقطتها الا
لمنشد وقال بعضهم استثنى المنشد وهي لا تحل له كما لا تحل لغيره والوجه الثاني بان يكون الا في معنى سوى فان العرب تفعل
ذلك تقول عليك الف درهم من قبل كذا وكذا الا الالف التي قبل ذلك اي سوى الالف التي قبل ذلك وغير الالف التي قبل ذلك
فيكون المعنى على هذا انه وعدهم خلود الابد سوى ما اعد لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها ومما يقوي هذا
التاويل ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله الذي ما اطلعتهم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية الا ترى ان ههنا من الزيادة ما لم
يطلعهم عليه والوجه الثالث ان يكون الاستثناء من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين البعث والحساب وقد قيل ما ذكر

انه ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الذى ذكر الى ان يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد يقول لم يبغوا عن الجنة الا بقدر اقامتهم فى الحساب ومما يقوى هذا المذهب ما قيل فى قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قيل ما بين الموت والبعث والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واما الذين سعدوا فقد اختلف القراء فى قراتها فقراها الكسائى وحمزة بضم السين سعدوا واما ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القراء فقرؤا بفتح السين سعدوا على قياس شقوا قال ابو عبيدة لا اعرف سعدوا بضم السين وانما هو سعدوا بفتح السين وقال ابو عبيدة غير مجذوذ اى غير مقطوع كقوله فجعلهم جذاذا اى قطاعا وقد ذكرنا قولهم فى الزفير والشهيق على قدر حفظنا له وقوله عز وجل فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل تاويله والله اعلم لا تكن يا محمد فى شك بان هؤلاء قد بلغوا فى عبادتهم الاصنام والاوثان الحد الذى بلغ اباؤهم فى عبادتهم الاصنام والاوثان فاهلكوا اذا بلغوا ذلك الحد فهؤلاء ايضا قد بلغوا ذلك المبلغ اى مبلغ الهلاك لكن الله برحمته وفضله اخر عنهم الى وقت ويقال ان هؤلاء قد بلغوا فى العبادة لغير الله بعد نزول القران والحجة المبلغ الذى كان بلغ اباؤهم قبل نزول الحجة والبرهان فى عبادتهم غير الله وكان فى قوم قد اظهروا الموافقة لهم وكانوا يعبدون الاصنام فى السر على ما كان يعبد اباؤهم فقال هؤلاء وان اظهروا الموافقة لك فقد بلغوا بصنيعهم فى السر مبلغ ابائهم والله اعلم هذا يحتمل وجهين احدهما الخبار عن قوم خاصة انه لا يؤمن احد منهم ليجعل شغله بغيرهم والثانى اخبار انه لا يؤمن جميع قومك كما لم يؤمن قوم موسى باجمعهم بل قد آمن منهم فريق ولم يؤمن فريق فعلى ذلك يكون قومك و قوله عز وجل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم فى الدنيا من الارزاق وما قدر لهم من النعم غير منقوص لا ينقص ما قدر لهم اى لا يهلكون حتى يوفيهم وقال قائلون وانا لموفوهم باعمالهم غير منقوص اى لا ينقصون من اعمالهم شيئا ولا يزاد وكذلك ان كان حسنا فحسن وان كان شرا فشر هو على الجزاء وقال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم يقول انا نوفرهم حظهم من العذاب فى الاخرة غير منقوص عنهم ذلك العذاب وقوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ان كان التاويل فى قوله فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل على الاياس من قوم علم الله انهم لا يؤمنون فيكون تاويله ما ذكر فى اية اخرى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وان كان الثانى فهو ما ذكر فى اية اخرى قوله وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم الاية وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب اى التورية فاختلف فيه اى اختلف فى الكتاب والاختلاف فيه يحتمل وجوها ثلاثة احدها فى الايمان به والكفر منهم من امن به ومنهم من كفر والثانى اختلفوا فيه فى الزيادة والنقصان والتبديل والتحويل والتحريف كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية وكقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وامثاله من الايات والوجه الثالث من الاختلاف فاختلفوا فى تاويله وفى معناه بعد ما اتبعوه وقبلوه فالاختلاف فى التاويل ما احتمل كتابنا واما التبديل والتحريف والزيادة والنقصان فانه لا يحتمل لما ضمن الله حفظ هذا الكتاب بقوله انا نحن الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل الاية وجعله مبشرا على السن الناس وقلوبهم حتى من زاد او نقص او بدل حرفا شيئا او قدم او اخر عرف ذلك فهو والله اعلم لما لا يحتمل احكامه هذا نسخها ولا شريعة تبديلها واما الكتب السالفة فانما جعل حفظها اليهم بقوله بما استحفظوا من كتاب الله فهو والله اعلم لما احتمل شرايعها واحكامها نسخها وتبديلها لذلك كان الامر ما ذكرنا قوله ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ذكر هذا لرسول الله ليصبر على ما اختلف قومه فى الكتاب الذى انزل عليه يقول قد اختلف فيما انزل على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل عليك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم بالهلاك اهلاك استيصال واستيعاب وكلمته التى سبقت يحتمل ما كان من حكمه ان يختم الرسالة بمحمد وان يجعله من خاتم النبيين وامته اخر الامم بهم تقوم الساعة يحتمل ان يكون كلمته التى ذكر هذا الذى ذكرنا ويحتمل وجها اخر وهو ان كان من حكمه انهم اذا اختلفوا فى الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يهتدون الى شئ ولا يجدون سبيلا الى الدين ان يبعث رسولا يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى لولا هذا الحكم الذى سبق والا لقضى بينهم بالهلاك والثالث لولا ما سبق منه ان يؤخر العذاب عن هذه الامة الى وقت والا لقضى بينهم بالهلاك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم يحتمل الكلمة التى ذكر انها سبقت فى قوم موسى وهو انه لا يهلكهم بعد الغرق اهلاك استيصال والتورية انما انزلت من بعد فقد منا من من قوم موسى امة يهدون بالحق الاية وقوله عز وجل وانهم لفى شك منه مريب يحتمل قوله لفى شك منه فى الدين مريب وقال بعضهم لفى شك منه يعنى من العذاب مريب وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب فيما تقدم وقوله عز وجل وان كلا لما ليوفينهم قيل لما ههنا صلة يقول والله وان كلا ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم فى الاخرة ان كان شرا فشر وان كان حسنا فحسن ومن قرا لما بالتشديد فتاويله يحتمل وجهين احدهما الا والثانى لما اى لما اجتمع فيها ميمان طرحت الواحد وادغمت لمن يهلك فى الاخرة وقوله عز وجل انه بما تعملون خبير هو وعيد وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا وقال فى موضع اخر فلذلك فادع واستقم كما امرت قال بعضهم قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاستقامة هو التوحيد اى استقم عليه حتى ياتى به ربك كقوله ان قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ذلك حتى اتوا على الله به وقالوا بعضهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا

بالتمنى

بالتمنى قوله ربنا الله لان قوله ربنا الله اقرار منه له بالربوبية فيجعل فى نفسه وجميع اموره الربوبية لله والالوهية له و ويجعل فى نفسه العبودية له هذه هى الاستقامة التى ذكر والله اعلم ان يجعل فى نفسه وجميع اموره الربوبية لله والالوهية له ويأتى ما يجب ما يؤتى وينتهى ما يجب ما ينتهى ويتبع جميع اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل فاستقم لرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة اليهم وقوله فاستقم كما امرت يخرج على وجهين احدهما استقم على ما امرت ومن امن معك ايضا يستقيم على ما امر والثانى يتولى معنى الى ما امرت حرف كما يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما على ما امرت والى ما امرت وقوله ومن تاب معك من الشرك ادعوهم على ان يستقيموا على ما اقروا وادوا باسانهم ولا تطغوا قال بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذى جعل له وقوله انه بما تعملون بصير هذا وعيد وقوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال الحسن هو صلة قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال الحسن بينهما دين الله بين الركون الى الظلمة والطغيان فى النعمة الاية وان كانت فى اهل الشرك فهى فيهم وفى غيرهم من الظلمة الركون الى الظلمة ان كل من ركن الى الظلمة بطبيعهم او يودهم فهو يخاف ان يكون فى وعيد هذه الاية وما لكم من دون الله من اولياء فى دفع العذاب عنهم اذا حل بهم ثم لا تنصرون لا ناصر لهم دونه ولا مانع والله اعلم وتاويل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فى ظلمهم فتمسكم النار والاية وان خرجت مخرج العموم فهى خاصة لانه لا كل ظلم يركن اليه تمسه النار وكان انما خاطب به الاتباع يقول لا تركنوا الى الكبراء منهم والقادة فى ظلمهم وفيما يدعونكم اليه فتمسكم النار والاية وقال بعض اهل التاويل نزل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فى رسول الله حين دعاه اهل الشرك الى ملة ابائه يقول ولا تميلوا الى اهل الشرك لا تلحقوا بهم وقوله عز وجل اقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ظاهر هذا ان يكون فيها ذكر صلوات ثلاث صلوة الفجر فى الطرف الاول وصلوة العصر فى الطرف الاخير وزلفا من الليل صلوة المغرب لانه ذكر زلفا من الليل والزلف يعنى المغرب لان الزلفى هى القربة والوسيلة فيكون قوله وزلفا من الليل اى قريبا من طرفى النهار من الليل وهو المغرب ويكون ذكر سائر الصلوات فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل ذكر دلوك الشمس وهو زوال الشمس وغسق الليل العشاء او فى قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون حين تمسون صلوة العصر وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العشاء وحين تظهرون صلوة الظهر وليس لصلوة المغرب ذكر فى الاية لكنها ذكرت فى قوله وزلفا من الليل وقال بعضهم زلفا من الليل هو ساعات الليل الا ان بعض اهل التاويل صرفوها الى الصلوات الخمس وقالوا قوله طرفى النهار صلوة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء وقال الحسن هما زلفتان من الليل صلوة المغرب وصلوة العشاء وعلى ذلك جاءت الاثار وفى قوله ان الحسنات يذهبن السيات الحسنات يعنى الصلوات الخمس وروى ان رجلا اصاب من امراة كل شئ الا الجماع فندم على ذلك فاتى رسول الله فساله فقال رسول الله ما ادرى ما ارد عليك حتى ياتينى فيك شئ من الله قال فبينما كذلك اذ حضرت الصلوة فلما فرغ من صلوته نزل عليه جبريل بتوبته فقال اقم الصلوة طرفى النهار غدوة وعشية صلوة الغداة والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء ان الحسنات يعنى الصلوات الخمس يذهبن السيات ذلك يعنى الصلوات الخمس ذكرى للذاكرين قال توبة للتائب فقرا رسول الله فقال عمر يا رسول الله اخاص له ام عام قال للناس كلهم فان ثبت هذا فهو الاصل فى ذلك وعن عثمان فى بعض الاخبار انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيات فقالوا فما الباقيات الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارة الخطايا واقرؤا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيات وعن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيات قال الصلوات الخمس وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات والاخبار فى هذا كثيرة وقال بعضهم فيه ذكر اربع صلوات يعنى طرفى النهار الفجر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقد جاءت الاثار فى ان الحسنات هى خمس صلوات وقوله ان الحسنات يذهبن السيات قال بعضهم فعل الصلوات نفسها وهو ما ذكرنا من الاخبار ان ثبت وقوله يذهبن السيات وقال بعضهم نفس الصلوة لا تكفر ولكن يذكر ما ارتكب من الذنوب فيندم عليها فذلك يكفر وهو كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الاية اخبر ان الصلوة تنهى ولا تنهى لا بد ان تذكر ذلك وقال بعضهم تنهى عن الفحشاء اى تمنع عن الفحشاء اى ما دام فيها ويحتمل قوله ان الحسنات يذهبن السيات الصلوات وغيرها من الحسنات فيه اخبار ان من الحسنات تكفر شيئا من السيات والله اعلم وقوله ذلك ذكرى للذاكرين ذلك الذى سبق ذكره عظة للمتعظين وقوله عز وجل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ظاهر ما ذكر من الكلام ان يقول فان الله لا يضيع اجر الصابرين لانه ذكر الصبر بقوله اصبر لكن يحتمل قوله واصبر من الشر وركانها فاحسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين بل يجزيهم جزاء احسانهم او يقول اصبر على اداء ما كلفت من الطاعات او تبليغ ما كلفت التبليغ اليهم ويحتمل وجها اخر اصبر على اذاهم ولا تكافئهم فتكن محسنا

يهم فان الله لا يضيع اجر المحسنين او يقول ان الحسنات واللہ اعلم قال ابو عوسجة قوله زلفا من الليل ساعات من الليل و
قال الزالفة المرحلة والزلفة القربة كقوله وان له عندنا لزلفى اى القربة وقال ابو عبيدة الزلف ذافة وهي الساعة وهي المنزلة
على ما قلنا وقوله عز وجل فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا وظاهر هذا يخرج على
المعاينة او التنبيه والتذكير لانه يقول فلولا كان من القرون اى لم لا كانوا كذا فليس ثم من ولذلك من يعاتب او ينبه لكنه يخرج
على وجهين احدهما فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اى فهلا كانوا ذوى بقية ينهون عن الفساد في الارض ومعناه
والله اعلم هلا كثر اهل الاسلام فيهم حتى قدروا على النهى عن الفساد في الارض لانهم اذا كانوا قليلا لم يقدروا على النهى عن الفساد
نحو لوط واهله كانوا عددا قليلا كيف كان يقدر على النهى عن الفساد او المنع عن ذلك وكنوح ايضا كان معه يقل عددهم لم
يقدر على منع قومه عن الفساد ونحوه فاذا كان ما ذكرنا فكانه والله اعلم يقول هلا كثر اهل الاسلام واولوا بقية ينهون عن
الفساد في الارض والثاني فلولا كان من القرون من قبلكم اى قد كان منهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد في الارض
فاهلكوا جميعا الا قليلا ممن انجينا منهم وذلك القليل قد نهوا عن الفساد في الارض فنجوا يبين اولئك حاصل هذا يخرج على
هذين الوجهين اللذين ذكرناهما احدهما لم يكن منهم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض على ما قال بعض اهل التاويل والثاني
كان فيهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد في الارض الا قليلا منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه هو يخرج على يحتمل واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا من اترفوا فيه من الاموال اى وسع عليهم
واعطوهم الاموال وهم الاجلة والائمة منهم اى اثروا اتباع الائمة والاجلة الذين اترفوا فيه على اتباع الرسل والانبياء والثاني
واتبع الذين ظلموا وهم الاجلة والائمة ما اترفوا فيه اى ما اعطوا من الاموال اثروا الدنيا وما فيها على اتباع الرسل والانبياء
احد التاويلين يرجع الى السفلة والاتباع وهو الاول والثاني الى الاجلة والائمة ثم اثروا اتباع الدنيا على اتباع الرسل ثم تبعهم
الاتباع والسفلة في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اى ما كان ربك ليهلك
القرى اهلاك استيصال وانتقام واهلها كلهم مصلحون واكثر اهلها مصلحون انما يهلك القرى اذا كان اهلها كلهم مفسدين
او عامة اهلها مفسدين هذا يدل ان الحكم في الدار انما يكون بغلبة اهلها اذا كان اكثر اهلها اهل الاسلام فالحكم حكم الاسلام
وان كان عامة اهلها اهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمى اهلها كلهم بالكفر والفساد اذا كان اكثر اهلها مصلحين الا
ترى انه قال في قوم لوط انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء سمى اهل قرية وان كان فيها لوط واهله مصلحون لم يعد
لوطا واهله من اهلها وقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اى لا يكون في اهلاكهم ظالما ثم هو يخرج على وجهين احدهما
ان الخلق له فهو باهلاكهم لم يكن ظالما لانه اهلك ماله والثاني انه انما يهلكهم بظلم كان منهم كقوله وما ظلمناهم الاية انما يهلكهم
بشئ اكتسبوه فهو بما اكتسبوا ظلموا انفسهم وهو كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ولو شاء ربك
يهلك القرى بظلم اى لا يكون في اهلاكهم ظالما ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان الخلق له فهو باهلاكهم لجعل الناس امة واحدة
قالت المعتزلة هذه المشيئة مشيئة القهر والقسر وذلك ما يرفع المحنة ويزول لديه المثوبة والعقوبة وكذلك في قوله ولو شاء
ربك لامن من في الارض كلهم جميعا واما عندنا فلو شاء لجعلهم امة واحدة مشيئة لا تزول معها المحنة والذي يدل عليه
خصال احدها ان الله قد عرفنا الايمان والدين الذي يقع به اجتماع او فيه الاختلاف بما ركب فينا من العقول التي بها نعرف
حقايق الاشياء ومجازلتها ومحاسن الامور وقبيحها بمعونة السمع او بالتامل فيما يحس بالامرين جميعا انه لا يكون الا بالاختيار
ولا يوصل الى السبب الذي به يدان الا بالاستدلال او التعليم اذ هو طاعة وتصديق وذلك يكون ممن لا يحسن وطريقه الاجتهاد
وكل ذي اضداد القسر فمحال ان يعود الكون لو شاء على وجه قد عرفنا انه لا يكون سمعا وعقلا فيكون في الحقيقة كانه قال لو
شاء ان يكون لا يكون على ان ذا من يقبل عنه هذا الدعوى على قولهم وهو منذ كان الخلق يبين ان كان فيما شاء اثبانه منا فعال
الخلق فلم يكن ولم يشا فكان عندهم فهو كمن ظهر عجزه بجميع ادلة العجز ثم يدعى ان له القدرة بما يقهر ما يشاء فمن كان كذلك لا ينبغي
للانتصاب والنهوض فيدعى انه يقدر على الصعود او من لا يملك امساك مثل ذرة انه ممسك السموات والارض على انه لو كان
كذلك ينبغي ان يكون يقدر على فعل الكفر والسفه والكذب اذ من يقدر على فعل شئ لا يقدر على فعل ضده عندهم ليس ذلك
بقدرة ثم لو كان ذلك كله بلا غير نصيب له فعلا فكان يكون في الحقيقة سفيها كذوبا ومن كان ذلك وصفه فهو رب ولا
حكيم ومن ربوبيته تحت قدرة غيره او حكمته تحت المضادات فهو مسؤل انما يفعل مطالب بالحجة فانى يكون لمن ذلك وصفه
ربوبية جل عن ذلك والثاني ان الذي يكون بالقسر والقهر يكون امر الخلقة لا امر فعل العبد وذلك في الحقيقة لله لا للبشر
وما هو له من جهة الخلقة موجود لان نفس كل احد بالخلقة مؤمن وقد شاء الله تلك المشية فالقول بلو شاء لا معنى له بل
قد شاء وكان ولا قوة الا بالله والثالث انه وعد ان لو شاء ان يجعل كذا الفعل وهو لو فعل لكان يجعل من قد امن منهم في الحقيقة
مؤمنا في المجاز كافرا في الحقيقة لانهم بهذا يصيرون امة واحدة اذ صار كثير منهم مؤمنين بالاختيار لا يحتمل ان يجعلهم على غير

ذلك فيكون مجموا عد لا والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل دلالة كل موعود في الحسن ظاهرا وكل مقدور عليه والموعود
به ما جبل عليه اثر ثلثا وهذا النوع من المشية عندهم والدعوى بالجعل جميع ما نفا لان يكون كذلك فيصير بالذي به ادعى
لنفسه من القدرة مكذبا بما جعل لمنع مثله الادلة ومن ذلك وصفه فهو غير حكيم جل الله عن هذا على ان المتامل بالاخبر يجد
حقيقته دون ان يحتاج الى دليل يوضح قدرته على ادعى على بقاء المحنة سبيلا وسهلا بحمد الله لا يحتاج الى ما ذكروا من المكان
وهو ما قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية ومعلوم انهم لو كفروا جميعا ما ذكر لكانوا مختارين والى ما جاء
وابه غير مضطرين فاذا استقام كونهم على دين الكفر بذلك لا يحتمل ان لا يوجب ذلك بقاء على الايمان لو كانوا فيه قد دون
على قولهم ان يجعلهم كفارا بالمحنة لا يقدر على ان يجعلهم مؤمنين بها لان ذلك وصف العجز عندهم وان كان لا يكون كذلك
عندنا لانه مستقيم القول بالاقرار على احداث غيره ومحال القول على جعل غيره قديما او على اخراج غيره اليه لا يحتمل الوصف
بالقدرة على اغناء غيره عنه وعليهم اوضح انا جاز ان الله القدرة على كل حركة للعبد وسكون بالاضطرار ولم يجوزوا في ذلك
الاختيار الهم الا ان يقولوا لا يجوز ان يكون العبد غير كامل القدرة وهي القدرة على مضادات الاشياء والله يجوز ان يوصف
له بالقدرة الناقصة فيكون قريبا مما جعلوا للعبد قدرة على ما يجعل الرب ويجعله كاذبا فيما يخبر على بقاء او بوبية له وقد
لا يقدر على مثله في العبد على بقاء العبودة له بالمحنة او ما قدر العبد على اهلاك من وعد الله فيه الابقاء ويريد ذلك
وذلك فضله ووعده مع ذلك ان يعطيه كذا فيا في معاند فيقتل ويمنع الرب على انجاز وعده وعن سلطان بقاء جل
الرب عن هذا وذلك في قولهم فيما يضرب الله للنبي تصديق اجلا يرى به مصلحة عباده فيقدر الكافر على قتله قبل مجى ذلك
الاجل وابطال جميع ما وعد والايفا بما هو صنيعه من ابقاء لحياة فيه ولا يقدر الله على انجاز ما وعد وابقائه على ما اراد وانا
لعبد بحاله الا ان يعجزه او يميته او يجعله زمنا والله المستعان ثم الاصل ان كل مريد يفعله فيما فعله امر لا يكون ذلك وهو
لم يكن فعله الا لذلك يوجب احد امرين في الحكمة اما جهلا بالعواقب وخطا بالفعل لكن يفعل فعلا يحزن عليه او يلحقه به
مكروه فهو لا يفعله له يظهر فاعله انه عن جهل فعل وعن الخطاء خرج فعله وعلى ذلك معنى التحذير في الخلق والتنبيه عن
بتوالدوا للموت وابنوا للخراب وسرق ليقطع وباز رنقيل من حيث كان الثاني متصلا بالاول بينه من الغفلة على ارادة
التحذير فانه اليه يؤول امر فعله وعلى ذلك قوله فالتقطه آل فرعون الاية او ان يقال ذلك على انه كذلك في فعله عند الله لكن
جهله هو او يوجب السفه في الفعل والعبث اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون او يريد ما يتيقن انه لا يبلغ واذا كان
كذلك فاعطاء الله تعالى القدرة ليؤمن او خلقه ليعبد واراد انه يفعله ذلك ولختيار ذلك الفعل لذلك يوجب احد شيئين
الوجهين جل الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله عالم بالعواقب متعال عن العبث ثبت انه خلق من خلق واعطى ما اعطى لما علم
انه يكون وقد علم انه ما يكون وعلى هذا التقدير يخرج الامر في قوله ولقد ذرأنا لجهنم الاية وقوله ولا تعجبك اموالهم الاية
وقوله عز وجل ولا يزالون مختلفين انه خلقهم للذين علم انهم يصيرون اليه من اختلاف او اتفاق او عداوة او ولاية
لا يريد غير الذي علم ولا يعلم غير الذي يكون ممن يعلم ما يكون ولا قوة الا بالله وقالت المعتزلة قوله ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اى للرحمة خلقهم فقال بعض متكلمي اصحابنا ان الرحمة تذكر بالتانيث وهو انما ذكر بالتذكير
حيث قال ولذلك خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم دل انه ليس على ما يقولون قال قائلون للاختلاف خلقهم الا من رحم
ربك وقال بعضهم هو صلة قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اى خلقهم لئلا يهلك القرى بظلم و
اهلها مصلحون وعندنا ما ذكرنا انه خلقهم للذى علم انه يكون منهم وانهم يصيرون اليه من الاختلاف او الاتفاق و
العداوة والولاية لا يخلقهم لغير الذى علم انه يكون منهم ولا يريد ايضا غير ما علم انهم يصيرون اليه ولا يعلم غير ما يكون
منهم والله الموفق وتاويل المعتزلة في قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة انها مشية القسر والقهر فذلك بعيد لانه
لا يكون في حال القهر والاضطرار ايمان لان من اكره واضطر على الايمان حتى امن فانه لا يكون ايمانا انما يكون الايمان ايمانا
في حال الاختيار اذا امن مختارا ممتحنا فيه فعند ذلك يكون ايمانا فدل ان تاويلهم فاسد وقوله عز وجل وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك تاويله والله اعلم كل الذى نقص عليك او قصصنا عليك من انباء الرسل بناء
بعد بناء وبناء على اثر بناء ما نثبت به فؤادك وقوله ما نثبت به فؤادك يحتمل وجوها احدها نثبت به فؤادك لما يحتمل
ان نفسه كانت تنازعه وتناقشه بان الذى انزل او يأتي به ملك او كان ذلك من القاء الشيطان والقايه عليه وسوسة
نقص عليه من انباء الرسل واخبارهم ليكون له اية بينة بينه وبين ربه ليعلم ان ما انزل عليه وما يأتي انما هو ملك من الله
ليدفع به نوازع نفسه وخطراته اذ لا سبيل للشيطان الى معرفة تلك الانباء ولا في وسعه القاؤها عليه فيكون له بها
طمانينة قلبه وهو كقول ابرهيم حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى الاية كان نفس ابرهيم
تنازعه في كيفية احياء الموتى فسال ربه ليريه ذلك ليطمئن بذلك قلبه وان كان يعلم انه يحيي الموتى وانه قادر على ذلك

والثاني قص عليه أنباء الرسل واحدا بعد واحد ليثبت به فؤاده فيعلم كيفية معاملتهم وماذا القوا من قومهم فكيف صبروا على ما آذاهم ليصير هو على ما صبر أولئك وليعامل من قومه بمثل معاملتهم ويشبه أن يكون قوله ما نثبت به فؤادك نبأ بعد نبأ لينتقل ويتمكن في كل نبأ وخبر ويعرف ما فيه فيكون ذلك أثبت في قلبه وهو كقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك بإنزال الآية واحدة بعد واحدة وسورة بعد سورة وذلك أثبت في فؤاده من إنزاله جملة لأنه يزدحم في مسامعه وفؤاده وإذا كان بالتفاريق نظر وتمكن فهو أثبت في قلبه وفؤاده والله أعلم وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق قال بعضهم جاءك في هذه أي في هذه الأنباء التي قصصناها عليك جاءك فيها الحق وهو ما ذكرنا وقال بعضهم جاءك في هذه أي في هذه السورة الحق وهو ما ذكر من الأنباء نبأ وعوكالأول وقال بعضهم جاءك في هذه الحق أي في هذه الدنيا الحق يعني الآيات والحجج والبراهين لرسالته ودينه وموعظة وذكرى للمؤمنين أي جاءك ما تعظ به قومك وتذكر به المؤمنين وقوله وموعظة وذكرى للمؤمنين خص المؤمنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة والذكرى للمؤمنين وإلا هو موعظة وذكرى للكل وقوله عز وجل وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم المكانة المنزلة والقدر ويقول اعملوا أنتم على مكانتكم ومنزلتكم التي لكم عند أتباعكم كأنه يخاطب به الأشراف منهم والرؤساء إنا عاملون على المكانة والمنزلة التي لنا عند الله فتنتظرا بنا أربح نحن أو أنتم وأينا أخسر نحن أو أنتم وقوله عز وجل اعملوا على مكانتكم إنا عاملون يخرج على وجهين أحدهما على التوبيخ والتخويف عندما بالغ في الحجاج فلم ينجع بهم فقال عند ذلك كقوله لكم دينكم ولي دين ونحوه والثاني على الإعجاز مما أرادوا به من المكر والكيد يقول اعملوا ما تريدون وإنا أعمل وقوله عز وجل وانتظروا إنا منتظرون بكم ذلك أو يقول هذا لما كانوا يتربصون به ويخوفونه من أنواع الوعيد فيقول انتظروا بنا ذلك ما تخوفون بنا إنا منتظرون بكم ما تخوفكم نحن والله أعلم وقوله عز وجل ولله غيب السموات والأرض قال بعض أهل التأويل ولله غيب نزول العذاب وغيب ما في الأرض كأنه خرج جواب ما سألوه من العذاب كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وكقوله متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وقوله ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فقال ولله غيب السموات والأرض أي علم ذلك عند الله وكقوله لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم وأمثاله ويشبه أن يكون جواب ما تحكموا على الله من إنزال القرآن وجعل الرسالة في غيره كقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولولا نزل هذا القرآن جملة واحدة فقال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم الآية وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته فعلى ذلك قوله ولله غيب السموات والأرض لا إلى الخلق والله أعلم بما أراد وإليه يرجع الأمر كله إليه يرجع أمر الخلق كله وتدبيرهم فاعبده أي اعبده في خاص نفسك وتوكل عليه في تبليغ الرسالة إليهم أي لا يمنعك كيدهم ومكرهم بك من تبليغ الرسالة ولا تخاف منهم فإن الله يحفظك من كيدهم ومكرهم بك كقوله والله يعصمك من الناس وما ربك بغافل عما تعملون هذا ما يؤيد ما ذكرنا أي ما ربك بغافل عما يريدون بك من كيدهم ومكرهم بل يعلم ذلك وينصرك وينتقم منهم وهو كقوله لموسى وهرون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى أي أسمع قوله وجوابه إياكما وأرى ما يفعل أي أنصركما فلا تخافا فعلى ذلك الأول والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين ذكر تلك وهي كلمة إشارة إلى شيء سبق ذكره ولم يتقدم فيه ذكر شيء يشار إليه وذكر آيات أيضا وليس هنالك ذكر آيات أو شيء يكون آية في الظاهر لكن يشبه أن يكون قوله تلك يعني هذه آيات ويجوز استعمال تلك مكان هذه على ما يجوز ذكر ذلك مكان هذا كقوله الم ذلك الكتاب أي هذا الكتاب أو أن يكون قوله إشارة إلى ما في السماء أي الذي في السماء آيات الكتاب أو يقول تلك إشارة إلى ما في الكتاب المتقدم أي تلك آيات الكتاب المبين يحتمل المبين أنها آيات الرسالة أو يبين أنها من عند الله وقوله آيات الكتاب هذا أيضا يشبه أن يخرج على وجهين أحدهما إشارة إلى الحروف المقطعة المعجمة فقال تلك الحروف إذا جمعت كانت تلك آيات الكتاب أو أن يكون الله أراد أمرا لا نعلم ما أراد فنقول تلك آيات الكتاب أي ذلك الذي أراد هو آيات الكتاب والله أعلم بما أراد به وقوله المبين قيل المبين أي ليبين فيه الحلال والحرام وما يؤتى وما يتقى كقوله تبيانا لكل شيء وقال بعضهم ليبين بركته وهداه ورشده أو يبين فيه الحق من الباطل والعدل والجور والكتاب هو اسم ما يكتب وسمي قرآنا لما يقرأ وكتابا لما عن كتاب أخذ ونحو والقرآن لما قرئ عليه وقوله عز وجل إنا أنزلناه قرآنا عربيا قوله أنزلناه هاء كناية عن الكتاب الذي تقدم ذكره قرآنا عربيا أنزله بلسان العرب ولا ندري بأي لسان كان في اللوح المحفوظ فيما أنزله بلسان العرب وهكذا كل كتاب إنما أنزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم وقوله عز وجل لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم وما تأتون وما تتقون أو تعقلون أن هذه الأنباء التي تخبر بها محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى

لأنباء كانت في كتبهم بغير لسانه فأخبر على ما كانت في كتبهم دل أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى ولعلكم تعقلون بأن فيه شرفكم لكنكم تصيرون متبوعين لما يحتاج الناس إلى معرفة ما فيه ولا يوصل ذلك إلا بكم فتكونون متبوعين والناس أتباع لكم وهو كقوله لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم قال أهل التأويل أي فيه شرفكم والله أعلم وقوله عز وجل نحن نقص عليك أحسن القصص قال بعضهم قوله نقص عليك أن نبين عليك أحسن البيان بما أوحينا إليك هذا القرآن وقال بعضهم نقص عليك أي نخبرك أحسن ما في كتبهم من القصص وأحسن ما في كتبهم من الأنباء والأحاديث وقوله أحسن القصص أصدقه وكذلك قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا أي وأحسن الحديث أصدقه فهو أحسن القصص أي أصدقه وأحسن الحديث أصدقه وقوله عز وجل وإن كنت من قبله أي وقد كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه الأنباء وعن قصصهم فهذا يدل لأن الإيمان بجملة الأنبياء والرسل إيمان وإن لم يعرف أنفس الأنبياء وأنفس الرسل وأسمائهم لأنه أخبر أنه كان غافلا عن أنبائهم وعن قصصهم ولا شك أنه كان عاقلا أنباءهم وعن قصصهم ولا شك أنه كان أنه كان مؤمنا بالله مخلصا دائنا العصمة وقال ابن عباس رضي الله عنه أحسن القصص كلام الرحمن وقال مجاهد الله نزل أحسن الحديث كلام رب العالمين وقوله تلك آيات الكتاب يخرج على وجهين أحدهما أن يكون الذي سألوا عنه رسول الله عن قصة يوسف وصيرورة بني إسرائيل بمصر وقد كانوا من قبل بالشام فقال تلك الأنباء والقصص بجملها آيات هذه السورة التي هي من الكتاب المبين أو تلك آيات حجج وبراهين الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم إذ هي من أنباء الغيب عنهم فعلم الأنباء عنها بالله سبحانه وتعالى وقوله عز وجل إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين دل قوله إني رأيت أحد عشر كوكبا أن إخوة يوسف كانوا علماء وعيون الأرض نجوما يقتدى بهم ويهتدون إذ بالنجوم يهتدى في الأرض وبها يهتدون الطرق والمسالك ودل قوله والشمس والقمر خرج على أبويه أنه كان بهما جميع منافع الخلق إذ بهما صلاح جميع الأغذية في الأرض ونضج جميع الفواكه والأنزال وجميع المنافع التي ما بالناس حاجة إلى ذلك ودل قوله إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين أن الرؤيا تخرج على غير ما رأى وتخرج على غيره بالمعنى الذي يتصل به لأنه رأى الكوكب والشمس والقمر فخرج على إخوته وأبويه كان المراد بالكوكب وضوء الشمس والقمر وذلك المعنى وذكر السجود وخرج على السجود وحقيقته وكذلك ما رأى إبرهيم في المنام ذبح ولم يخرج الذبح على حقيقته وهو ذبح الكبش ورأى ابنه وكان المراد منه الكبش فهذا أصل لنا أن الخطاب يخرج والمراد منه على غير ذلك الخطاب لا غير وقد يخرج لمعنى فيه فإذا اتصل ذلك المعنى بغيره وجب ذلك الحكم وفيه جواز الاجتهاد وطلب المعنى في المخاطبات وكذلك ما ظهر في الناس من تعبير الرؤيا على الاجتهاد يدل على جواز العمل بالاجتهاد قال بعض أهل التأويل أن يوسف لما قص رؤياه على أبيه بين يدي إخوته قال له هذه رؤيا النهار ليس بشيء وقال ليوسف في السر إذا رأيت رؤيا بعد هذا فلا تقصها على إخوتك لكن هذا كذب فلا يحتمله أن يكذب رسول الله يعقوب يقول له رؤيا النهار ليس بشيء ثم يعني له في السر ولا يتوهم على نبي من أنبياء الله الكذب وهو كذب فإن كان فهو بالإلهام وقوله عز وجل يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك دل قوله لا تقصص رؤياك على إخوتك على أن ما رأى يوسف من سجود الكواكب وسجود الشمس والقمر إنما كان رأى ذلك في المنام ويدل ما ذكر في آخره أيضا على ذلك وهو قوله يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ودل قوله لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أن يعقوب إنما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول في قوله فيكيدوا لك كيدا ولم يستثن في ذلك وقد فعلوا به ما قال وفيه دلالة أن إخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء حيث قال لا تقصص رؤياك على إخوتك لأنهم لو كانوا لا يعرفون تأويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لنهيه عن أن يقص على إخوته لأنه لو قصها أو لم يقصها إذا لم يعلموا سواء وفيه دلالة أن الأخ لا يتهم على أخيه ويكون من الأخ الخيانة إلى الأخ والأب والأم يتهمان في الابن والولد يتهم في والديه ولا يكون من بعض إلى بعض خيانة في الغالب لأن يعقوب نهى ولده يوسف أن يقصها على إخوته وأخبر أنهم إنما علموا بذلك كادوه وحسدوه ولم ينهه بمثله في أمه دل أن الأخ لا يتهم في شهادة أخيه ويتهم الأب والأم في شهادتهما لولدهما وكذلك الولد يتهم في الأبوة ولهذا قال أصحابنا أن شهادة الوالد لولده لا تقبل وكذلك شهادة الولد لوالديه أما شهادة الأخ بمال أخيه وكل من انتفع بماله أجاز لهم في شهادته وكل من لم ينتفع به قبلت والله أعلم وقوله عز وجل إن الشيطان للإنسان عدو مبين ظاهر العداوة وقال موسى حين قتل ذلك هذا من عمل الشيطان بدو كل شيء يكون من الشيطان يقذف في القلوب ويخطر في الصدور ثم يكون العزيمة على ذلك والفعل من العبد وهو ما قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وقال إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف والنزغ هو القذف والوسوسة فإذا ذكر الله ذهب وقيل الكيد والمكر سواء وهو قول أبي عوسجة وقال القتبي الكيد هو الاحتيال والاغتيال وقيل الكيد هو أن يطلب الشر على علم منه وكذلك المكر وقوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبرهيم وإسحق والله أعلم أي كما اجتبى ربك أبويك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بأنواع الخيرات وأتم نعمته عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ويحتمل قوله وكذلك يجتبيك ربك أي كما اجتباك ربك بالرؤيا

التي اراك بفعل ذلك بك وقوله عزوجل ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل تعبير الرؤيا وقال بعضهم علمه تاويل الصحف التي كانت لابرهيم وغيره وعلمه تاويل تلك الصحف والاحاديث وقوله عزوجل ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق حين اراد ذبح ابنه فجعل مكانه كبشا فعلى ذلك يتم نعمته عليك ويسجد لك اخوتك وابويك ثم من الناس من استدل بهذا ان الذبيح كان اسحق لانه ذكر اتمام نعمته على ابراهيم واسحق وذلك قوله وعلى آل يعقوب على انه قد اجتباهم بالنبوة من بعد على اولاد يعقوب لان ولده من الله وقد اخبر ان يجتبيهم ويتم نعمته عليهم كما فعل بابويه ابراهيم واسحق وكذلك روي عن الحسن انه قال في اخوة يوسف نبئوا بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا وقال بعضهم تاويل الاحاديث العلم والكلام قال وكان يوسف اعبر الناس وهو ما قال الله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وقوله عز وجل ان ربك عليم بما صنع به اخوته او عليم بما ذكر من التمام حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله عزوجل لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين الاية اية للسائلين اذا كان السائل يسترشد وكذلك القران كله هو حجة واية المسترشد واما المتعنت فهو اية عليه ثم يحتمل قوله ايات للسائلين السائلين الذين سالوا على ما ذكر في بعض القصة ان اليهود سالوا النبي عن امر يوسف ونبائه فاخبرهم بالحق في ذلك على ما كان فهو اية لهم ان ثبت ذلك ويحتمل قوله ايات للسائلين السائلين الذين يسالونه من بعد الى اخر الدهر عن نباء يوسف كل من سال عن خبره ونبائه فهو اية له ثم وجه نبائه اية يحتمل وجوها احدها انه جعل قصة يوسف ونباه سورة وتلك السورة هي ايات الكتاب على ما ذكر الر تلك ايات الكتاب المبين جعل قصة يوسف ونباه ايات من الكتاب ويحتمل ايضا انه جعل اية اي حجة لنبوة رسوله ورسالته لان قصته ونباه كان في كتبهم بغير لسانه من غير ترجمة احد منهم ولا تعليم ثم اخبرهم على ما كان في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان دل انه انما علمه بالله تعالى لانه اخذه من كتبهم وهو ما ذكر في القصة ان اليهود سمعوا النبي يقرا سورة يوسف فقالوا يا محمد من علمكها قال الله علمنيها فعجبوا من قراته اياها على ما كانت في كتبهم دل انه انما عرفها بالله ثم يحتمل ان يكون اية لمن سال عن حجة رسالته او هي اية لمن سال عنها والله اعلم وقوله عزوجل اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة في الاية دلالة ان لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالعطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا قال اصحابنا انه لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالهبة له او الصدقة عليها ما لم يقصد بها الجور على غيرهم من الاولاد ثم يحتمل تخصيص يعقوب يوسف واخاه بالحب لهما وجوها احدها لما راى فيهما من الضعف في انفسهما والعجز في ابدانهما فازدادت شفقته لهما وعطفه عليهما لذلك وهذا مما يكون فيما بين الخلق او كان ذلك منه لهما لصغرهما وهذا ايضا معروف في الناس ان الصغار من الاولاد يكون عندهم احب و قلوبهم اليهم اميل وعليه اعطف ولهم ارحم من الكبار منهم او خصهما بذلك لفضل خصوصية كانت لهما من جهة الدين او لما علم او عرف امر الله بذلك لذلك من دون غيرهما او لما بشر يعقوب بنبوة يوسف فكان يفضله على سائر اولاده ويؤثره عليهم لذلك وانما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا لما راوا ظهوره عندهم والا حقيقة المحبة لا تعرف وقوله عزوجل ونحن عصبة قيل العصبة الجماعة وقال بعضهم العصبة من عشرة الى اربعين والعصبة الجماعة اي نحن جماعة ولنا منعة ولهذا ما قال اصحابنا ان السعة مع الامام تكون منعة يستوجبون ما يستوجب السرية اذا دخلت دار الحرب فغنمت غنائم يخمس منها وقوله ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما ارادوا ذلك والله اعلم انا جماعة نقدر على دفع من يريد النصر به ويقصد قصد الشر بنفسه وماله ونحن اولوا قوة بما يقوم معاشه واسبابه فكيف يؤثر هؤلاء علينا وكذلك قوله ووجدك ضالا فهدى لم يرد به ضلال الدين ولكن وجه وقالوا انما كانت له منافع من انفسهم لم يكن تلك المنافع من يوسف واخيه وابنا انما يؤثر المرء من له منافع من قبله لا من لا منفعة له منه فهو فيه في ضلال مبين حيث يؤثر من لا منفعة له منه فهو على حب من كانت له منه منافع وامثاله والله اعلم وقولهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لا يحتمل ان يكونوا عزموا على قتله ولكن على المشاورة فيما بينهم نفعل كذا او كذا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليس على واحد ولكن على المشورة فيما بينهم يدل على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم اي يقبل انهم ارادوا ان يخلو وجه ابيهم لهم لا قتله انما ارادوا تغييبه عنه وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم اي يقبل عليكم ابوكم بوجهه وقال بعضهم اي يفرغ لكم من الشغل بيوسف وقوله عزوجل وتكونوا من بعده قوما صالحين يحتمل صالحين اي تائبين وقال بعضهم تكونوا صالحين عند ابيكم من بعد وقال بعضهم يصلح امركم وحالكم منه ابيكم بعد ذهاب يوسف ويحتمل ان يكونوا قوما صالحين في الاخرة وقال انهم تابوا قبل ان يزلوا ويعصوا وقوله عزوجل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب قال ابو عوسجة يعني في قعر البئر والغيابة ما يغيبه ويواريه والجب البئر والجباب جمع وقال ابو عبيدة الغيابة كل شيء غيبت منك شيئا فهو غيابة وقوله عزوجل يلتقطه بعض السيارة اي يرفعه بعض السيارة ولذلك يقال للطاير يلتقط الحب ويلقطه اي يرفع ان كنتم فاعلين ان كنتم لا بد فاعلين ان تغيبوه عنه وانما قول اهل التاويل ان قوله لا تقتلوا يوسف قاله فلان او فلان فذلك مما لا نعرفه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقال ابو

عوسجة

عوسجة السيارة اهلها من السير هو مثل المسافر وهي القافلة يعني العير وقيل الجب الركية التي لم تطو بالحجارة فاذا طويت فليس بجب وقوله عزوجل قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف دل قوله ما لك لا تامنا على يوسف على انه اخراجه من ابيهم غير مرة لان مثل هذا الكلام لا يتكلم به مبتدا على غير سابقة شيء منه دل انهم قد استاذنوا في اخراجه غير مرة وانا له لناصحون الناصح هو الدال على ما به نجاته او الدال على كل والله اعلم وقوله عزوجل ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كان يعقوب خاف على نفسه اعني يوسف الضيعة بتركهم حفظه فامنوه على ذلك بقولهم وانا له لحافظون وخاف عليه الضياع من جهة الجوع بتركهم حفظ اوقات الاكل فامنوه على ذلك بقولهم يرتع اي ياكل وخاف قلبه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا على ذلك بقولهم ويلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة فخاف عليه الضياع بالوجوه التي ذكر فامنوه على تلك الوجوه كلها حتى اذا استنقذوه من يديه وقوله يرتع ويلعب قال بعضهم نرتع ناكل ويلعب بلدكا نخرج جانبا العولة في نجر ان تذهبوا به قالوا له لا تحزن عليه فانه يرتع ويلعب على التقديم والتاخير وقال بعضهم نرتع ونتنشط ويلعب بتله ونرتع بالنون نرتع ونلعب قال القتبي نرتع اي ناكل يقال رتعت الابل اذا رعت وارتعتها اذا تركتها ترعى ونقرا نرتع بكسر العين والمراد منه ان نتحارس ويرعى بعضنا بعضا اي يحفظ ومنه يقال رعاك الله اي حفظك الله وقوله يرتع ويلعب وقالوا يلعب فيما يحل ويبيح من نحو الاستباق وغيره وهو ما ذكر وانا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا واللعب في مثل هذا يحل وقد روي ايضا في الخبر انه قال لا يحل اللعب الا في ثلث وفيه معالجة الرجل فرسه او قوسه وملاعبة الرجل امراته اخبر انه لا يحل الا في ثلث والله اعلم وقوله عزوجل اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب قال اني ليحزنني ان تذهبوا به عند الواقع به و الغايب عنه من النعمة التي انعمها عليه لانه كانت نعمة عظيمة له فات النظر اليه فذكر الحزن على ما فات منه وذكر الخوف لما خاف وقوعه في وقت ياتي وما سيقع فهذا تفسير قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لانه موجود الحال غير فات ولا خوف عليهم ان لا يخافوه ترته لان خوف فوت النعمة ينقص على صاحب النعمة فامنهم على ذلك وهو ما ذكرنا ان الحزن يكون بالواقع الحال والخوف على ما سيقع والله اعلم وقوله واخاف ان ياكله الذئب قال بعض اهل التاويل كان يعقوب عليه السلام راى في المنام ان يوسف تحزه الذئب فمن ثم قال واخاف ان ياكله الذئب لكن هذا لا يحتمل لان رؤيا الانبياء اكثرها حق وصدق فلا يحتمل ان راى ذلك ثم يقول اخاف ان ياكله الذئب او يرحله يذهب معهم لكنه خاف عليه ان ياكله الذئب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز والبراري اذ الخوف على الصبيان في المفاوز والبراري والضياع عليهم يكون بالذئب اكثر من وجه اخر لانه جايز ان يفترسه سبع من السباع عند مناقصة اخوته واشتغالهم بما ذكر من الاستباق لا يحتمل الضياع من الناس باخذه واحد من بني نفره وقال بعض اهل التاويل ان قوله واخاف ان ياكله الذئب كناية عن بنيه اي اخاف ان تهلكوه وتضيعوه وقوله عزوجل قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اولوا قوة انا اذا لخاسرون تاويله والله اعلم لئن اكله الذئب ونحن عصبة اولوا قوة انا اذا لخاسرون تاويله والله اعلم لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي جماعة انا اذا لخاسرون اي كانا نحن سلمناه الى الذئب وعرضناه للضياع هذا والله اعلم معنى الخسران الذي ذكروا والاول يلحقهم الخسران ان اكله الذئب لانه اذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه فكانهم ضيعوه وقوله عزوجل فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب قد ذكرنا وقوله عزوجل واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون يحتمل قوله واوحينا اليه وحي نبوة او وحي بشارة النجاة من ذلك الجب او بشارة الملك له والعز ثم قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم هو قول يوسف حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف الاية قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي هذا الذي نبأهم يوسف وهم لا يشعرون بذلك ويشبه ان يكون قوله واوحينا اليه اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ويكون قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون هو ما قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه الاية امرهم ان يطلبوه ويتحسسوا من امره كانه علم انه حي كقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون انه حي الا ترى انه قال اني لاجد ريح يوسف ولهذا قال حين القى الثوب على وجهه فارتد بصيرا اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك تاويل قوله وهم لا يشعرون ان كانت الاية في يعقوب وان كانت في يوسف فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل وجاؤا اباهم عشاء يبكون الاية في الاية دلالة ان احدا من ارتكب صغيرة فانه يجانب عليه التعذيب ولا يصير كافرا ومن ارتكب كبيرة لم تخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف وطرحه في الجب والتغييب عنه وجه ابيه واخاه نرصنه وذلك لا يخلوا منهم اما ان تكون صغيرة او كبيرة فان كانت صغيرة فقد استغفروا عليها بقولهم يا ابانا استغفر لنا الاية دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب عليها وان كانت كبيرة ولم يخرجوا من الايمان حيث صاروا انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين حيث قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين دل ما ذكرنا على قول المعتزلة في صاحب الصغيرة ان لا تعذيب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان وينقض قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب كبيرة او صغيرة صار به كافرا مشركا وفيه نقض قول معتزلة بقولهم انه من كذب او وعد فاخلف وائتمن فخان يصير منافقا لان اخوة يوسف وائتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا

وحدثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذيب ولم ياكله وهو كذب واو تمنوا لخانوا حين القوه في الجب ووعدوا
انهم يحفظونه ولم يحفظوه فان قيل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من علامات النفاق من اذا حدث كذب
واذا ائتمن خان فاذا وعد فاخلف فكيف يوفق بين الاية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه
ان يكون هذا في قوم خاص من الكفرة واو تمنوا بما اودع في التوراة من نعت محمد فغيروه ووعدوا ان يبينوه فاخلفوا وكتموه و
وحدثوا انهم يبينوه فكذبوا فيصيروا منافقا بما ذكرنا فاما اخوة يوسف فان ذلك كان في امر الدين واما في غيره فانه لا يصير منافقا ولا يكون ذلك من
اعلام المنافق والله اعلم وقوله عز وجل وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين هذا القول منهم له في الظاهر عظيم لانهم قالوا
انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولا يحتمل ان يكونوا عنده صدقة ثم يكذبهم بحق من الانبياء يعلم صدق انسان ثم لا يصدقه
هذا بعيد لكن يحتمل قوله وما انت بمؤمن لنا في هذا وما كنا صادقين عندك من قبل في غير هذا او يكون قوله وما انت بمؤمن لنا
اي تتهمنا ولا تصدقنا لانه اتهمهم حين قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب فاعترضت له التهمة وليس في
الاتهام تكذيب انما هو فيه الوقف لان من ائتمن اخر في شيء ثم اتهمه فيه لا يكون في اتهامه اياه تكذيبه فعلى ذلك قولهم وما انت
بمؤمن لنا اي تتهمنا لما سبقت من التهمة ولو كنا صادقين على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية والا لم يجز ان يكون بحق من الانبياء
يكذب من يعلم انه صادق في خبره وقوله فان قيل في قوله واخاف ان ياكله الذيب كيف ذلك وقد قال له يعقوب وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب الاية انبا انه يجتبيه ويعلمه من تاويل الاحاديث
ويتم عليك نعمته وعلى آل يعقوب الاية انباه انه يجتبيه ويعلمه من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليه فكيف خاف اكل الذيب
والضياع وذلك لا يحتمل ان يقول له الا بعلم من الله والوحي اليه قيل يحتمل ان يكون ما ذكر على شرط الخوف انه يخاف مما ذكر
فيكون له ما قال من الاجتبا وتعليم الاحاديث واتمام النعمة او خاف ذلك على ما خافوا جميعا على ما هم عليه من الدين وان
عصموا عما خافوا جميعا حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومعلوم ان ابراهيم لا يعبد الا صنام
وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين ومثاله وهو ما ذكرنا في غير موضع ان العصمة لا يزيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب
مضادات بل يزيد الخوف على ذلك وعلى ذلك الاخيار والابرار كان خوفهم واشفاقهم على دينهم اكثر من غيرهم والله اعلم وقوله
عز وجل نستبق قال بعضهم ننتضل الى الصيد وقال ابو عوسجة نستبق هذا من السباق اي يعدون حتى ينظر ايهم نستبق اي ينفذ
من صاحبه ويغلبه في العدو وقال القتبي نستبق اي ننتضل من السباق بعضنا بعضا في الرمي يقال سابقته فسبقته والله اعلم وقوله
عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب الدم لا يكون كذبا ولكن والله اعلم جاؤا على قميصه بدم قد كذبوا فيه انه دم يوسف وان
الذيب اكله ولم يكن وقال الفرا بدم كذب بدم مكذوب والعرب قد تستعمل المصدر في موضع المفعول ثم قال بل سولت لكم انفسكم
اي زينت لكم انفسكم والتسويل هو التزيين في اللغة والله اعلم زينت لكم انفسكم ودعاكم الى امر تفعلونه وتفرقون بيني
وبين ابني لكنا لا نعلم ما ذلك الامر الذي زينت انفسهم لهم ويشبه ان يكون ذلك يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك
كيدا والله اعلم وقوله عز وجل فصبر جميل يحتمل وجهين صبر لا جزع فيه جميل ارضى بما ابتليت به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع
والثاني صبر جميل كف النفس عن الجزع وجميل لا مكافاة فيه والله اعلم وقوله عز وجل والله المستعان لانهم بما فعلوا بيوسف
كانوا استوجبوا المكافاة فقال الصبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافاة فيه والله اعلم وقوله عز وجل والله المستعان
على ما تصفون الاية وبالله استعين على الصبر بما تصفون او يقول اي به استعين على ما تقولون من الكذب حين تزعمون ان
الذيب اكله ونحوه وقوله عز وجل وجاءت سيارة السيارة هي جماعة السابلين كالمسافرين فارسلوا واردهم الوارد هو طالب الماء
ومستقيه فادلى دلوه اي ارسل دلوه في البئر وجده قال يا بشرى هذا غلام قال بعضهم بشرى هو اسم ذلك الرجل الذي كان
مع المدلي الدلو فقال له يا بشرى هذا غلام كما يقال يا فلان هذا غلام وقال بعضهم هو في البشارة كانه قال لما ابشر بهذا الغلام
وفي بعض القراءة يا بشراي على الاضافة الى نفسه فكانه بشر نفسه اي البشرى لي بهذا الغلام ويشبه ان يكون هذا كناية كلام
كان هنالك لكن لم يبين لنا ذلك والله اعلم بذلك كقوله وقاسمهما اخبر انه اقسم لكن لم يبين لنا ما ذلك القسم وقوله عز
وجل واسروه بضاعة قال بعضهم الاسرار هو اسم الاخفاء والاظهار جميعا كقوله واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اظهروا
الندامة فان كان ما ذكر انه اسم لهما جميعا فكانه قال اظهروا بضاعة فان كان على حقيقة الاخفاء والاسرار فهو على الاضمار كانه
قال واسروا على ما كانوا واظهروا بضاعة لئلا يطلب اصحابهم في ذلك شركة والله عليم بما يعملون اي عليم بما عمل اخوة يوسف بيوسف
او عليم بما عمل السيارة من الاسرار والاظهار والله اعلم وقوله عز وجل وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن دراهم معدودة قال بعضهم
البخس هو النقصان اي باعوه بثمن لا يباع مثله بمثل وقال بعضهم البخس الظلم باعوه ظلما واخذوا ثمنه ظلما لانهم باعوا حرا وبيع الحر
حرام واخذ ثمنه ظلما حراما قال بعضهم بثمن بخس دراهم بهرجة وزيف وكانوا فيه من الزاهدين اي كانت السيارة في يوسف
من الزاهدين حيث باعوه بثمن الدون والنقصان بما لا يباع مثله بمثل ذلك الثمن خشية ان يجيبهم طالب لما علموا ان مثل هذا لا يكون

ملوكا

ملوكا لا ينزل هكذا الا بطلب فباعوه بادنى ثمن يكون لهم كما يبيع الرجل منكر على رغبة منه خشية الطلب والاستنقاذ من بين
ايديهم وقال عامة اهل التاويل قوله وشروه بثمن ان اخوة يوسف هم الذين باعوه من السيارة بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا
فيه من الزاهدين كانوا في شرائه من الزاهدين اي خافوا من الثمن ان كان مسروقا وقوله عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر
لامراته اكرمي مثواه اي مقامه ومنزلته عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ان صدق التجار انه بضاعة عندهم او نتخذه ولدا ان
ظهر انه مسروق وانه حر لما وقع عندهم انه بضاعة لا يباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه وكذلك مكنا ليوسف عند العزيز وامراته
كذلك يمكنك عند اهل الارض ويكون ذكر مكنا على الخبر لانه كان مكنا في هذا اليوم عند العزيز والملك ويشبه ان يكون قوله مكنا
اي كذلك جعلنا ليوسف مكانا ومنزلة عند الناس وفي قلوبهم مكانا ما اخذ له اخوته ولم يعرفوا مكانه ومنزلته وبعد ما كان
شبه المملوك عند اولئك والله اعلم وقوله عز وجل ولنعلمه من تاويل الاحاديث هذا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل
والله غالب على امره اي لامره ولقضائه اذا قضى امرا كان لقوته لا معقب لحكمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال اهل التاويل انه بيع
بعشرين درهما او بعشرين ونيف ذلك مما لا يعلم الا بخبر سوى ان فيه انه بيع بثمن الدون والنقصان بقوله بخس والبخس هو
النقصان يقال بخسته اي نقصته كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا وهو ما قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
وقيل البخس الظلم والحرام وقد ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولما بلغ اشده الاشد هو اشتداد كل شيء ونهايته كل نوع في الكمال يحتمل
اشده انتهاء بلوغه وانتهاء شبابه او انتهاء عقله في التمام لا يخلو من هذه الوجوه الثلاثة وقول اهل التاويل ثمانية عشر سنة الى
اربعين لانه يتم ويكمل كل نوع من ذلك الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اتيناه حكما وعلما قوله حكما الحكم من الناس
والعلم في الحكم ويحتمل قوله حكما اي اعطيناه النبوة وعلما على الاحاديث وتاويلها على ما تقدم ذكره او ان يكون اذا اعطاه العلم
اعطاه الحكم وقوله عز وجل وكذلك نجزي المحسنين يحتمل الاحسان في الاعمال اي عملا عملا لا حسنة صالحة ويحتمل الاحسان
الى الناس اي احسن اليهم واحسن الى نفسه لا تخلو من هذه الاوجه الثلاثة او ان يكون قوله وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك
نجزي من احسن صحبة نعم الله واحسانه وقام بشكر ذلك اي مثل الذي جزا يوسف لا يريد ان يجزي غيره عين ما جزى يوسف ولكن
نجزيهم جزاء الاحسان وقوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه دل قوله في بيتها ان البيت قد يجوز ان يضاف الى
المراة وان كانت البيت في الحقيقة لزوجها حيث ما اضاف بيت زوجها اليها وقوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
المراودة قيل هي الدعوة والطلبة راودته اي دعته الى نفسها وقال اهل التاويل راودته اي ارادته وغلقت الابواب وقالت
هيت لك ليس ان هذه كلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست بعربية ونحن لا نعرف ما ارادت بها لكن اهل التاويل قال بعضهم
هلم لك وقال بعضهم تهيات لك وفي بعض القراءات هئت لك بالهمز ومعناه ما ذكرنا اي تهيات لك ويشبه ان يكون قوله
هيت لك ما انا لك قال معاذ الله اي اعوذ بالله والجا اليه انه ربي احسن مثواي قال اهل التاويل ربي او سيدي الذي اشترى
مثواي اي اكرم مقامي ومكاني دليله قوله لزوجته اكرمي مثواه هذا يدل ان قوله اكرمي مثواه اي احسن مثواه ولكن يشبه ان
يكون اراد بقوله انه ربي احسن مثواي ربه الذي خلقه وقوله عز وجل انه لا يفلح الظالمون بظلمهم وقت ظلمهم والمثوى الموضع
الذي يثوي فيه والثوا المقام والثاوي المقيم ومعاذ الله قيل اعوذ بالله والجا اليه وتحصن به او لا يفلح الظالمون اذا ختموا بالظلم
واما اذا انقلعوا عنه فقد افلحوا وقوله عز وجل لقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اما ما قال اهل التاويل انها استلقت
له وهم بها اي حل سراويله وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال فيه شيء من ذلك والدلالة على فساد ذلك وجوها
منصوب بنزع الخافض احدها قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان منه الارادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك طاويا عن نفسه
من ذلك والثاني قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان شيء مما ذكروا من حل السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء
مصروفا عنه ذلك والثالث قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان منه ما ذكروا لقد خانه بالغيب والرابع قولها ما علمنا
عليه من سوء وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه هذا كله يدل ان ما قاله اهل التاويل فاسد لا يحل ان يتكلم فيه بشيء
من ذلك وليس في ظاهر الاية شيء مما قالوا من قليل ولا كثير اذ ليس فيه سوى ان همت به وهم بها ثم يحتمل الاية وجوها عندنا
احدها همت به هم عزم وهم بها هم خطر ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مواخذ عليه وهو قول الحسن والثاني همت به وهم
الارادات والتمكن وهم بها هم دفع لكنه يدخل عليه قوله لولا ان راى برهان ربه لو كان هم بها هم دفع لم يكن لقوله لولا ان
راى برهان ربه معنى لكنه يشبه ان يكون هم بها اي هم قتلها اذا كان هم بقتلها فراى برهان ربه فتركها لما لا يحل قتلها والثالث
كان يتم بها لولا ان راى برهان ربه على الشرط كان يتم بها لولا ما راى من برهان ربه وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
لولا كان من تثبيتنا اياك وكذلك يخرج قول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان هو الذي ينطق لفعل هو
ثم اختلف في قوله لولا ان راى برهان ربه قال بعض اهل التاويل راى يعقوب عاضا على شفتيه وقال بعضهم مثل له يعقوب وصورته
فراى عاضا على اصبعه وقال بعضهم راى برهان ربه قال بعضهم راى اية من كتاب الله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية هذا

كله لا يدرى واصل البرهان الحجة اى لولا ما راى من حجة الله والا كان يهم بها ولكن لا ندرى ما تلك الحجة والله اعلم بذلك
والبرهان هو الحجة والاية لولا ان راى حجة ربه وبرهان ربه واياته او الرسالة ويشبه الحجة اى النبوة وقوله عز وجل
واستبقا الباب قال بعضهم استبقا الباب استبقت هى لتغلق الباب واستبق هو ليخرج ويفر لكن قوله لتغلق الباب لا يحتمل
لان الابواب كانت مغلقة بقوله وغلقت الابواب ولكن استبقت هى لتحبسه وتمنعه واستبق هو ليخرج ويهرب وقوله
عز وجل وقدت قميصه من دبر لما جرته لتحبسه وقوله عز وجل والفيا سيدها اى وجدا سيدها هذا يدل ان قوله ربى احسن
مثواى لم يرد به العزيز الذى اشتراه ولكن العزيز الذى خلقه لانه قال سيدها ولم يقل سيدهما وقوله عز وجل قالت ما جزاء
من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم هذا يدل ان الارادة تكون مع الفعل لانها كانت لا تعلم ارادة مضمرة فاذا اخبرت
عما عرفت من الميل واظهار الفعل وكذلك قول اخوة يوسف ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكانوا لا يعرفون ما فى ضميره من
الحب سوى ما ظهر لهم منه من الميل اليه وابداء الشفقة له فهذا يدل ما ذكرنا من كون الارادة مع الفعل والله اعلم وقوله عز وجل قال
هى راودتنى عن نفسى اى دعتنى والمراودة قد ذكرنا انها هى الدعوة كقوله سنراود عنه اباه اى سندعوا منه ونطلب فان قيل
كيف هتك سترها بقوله هى راودتنى عن نفسى قيل ليس فيه هتك الستر عليها بل فيه نفى العيب والطعن عن نفسه فالواجب على
المراة ان ينفى العيب وما يشينه عن نفسه على ما فعل يوسف وقوله عز وجل وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فهو
كذا وان كان كذا فهو كذا من كذا قال بعض اهل التاويل ذلك الشاهد هو ابن عم لها رجل حليم يقال كذا وقال بعضهم شق القميص
من دبره هو الشاهد وامثاله لكن هذا لا يعلم من كان ذلك الشاهد وقيل صبى فى المهد وليس لنا الى معرفته ذلك حاجة وقوله عز
وجل ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين هذا لان القميص اذا كان
قد من قبل فهو انما يتقدم من دفعها عن نفسها واذا كان القميص مقدودا من دبر فهو انما يتقدم من جرها اياه الى نفسها لا من
دفعها اياه عن نفسها هذا هو الظاهر فى العرف لذلك قال الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت فهو من كذا وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الاية استدل على انه انما يمزق من جرها اياه
لا من دفعها عن نفسه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص فى الغالب لا يتمزق من دبر الا عن من وراءه عن قبل الا عن دفع
من قدام لذلك دل على ما ذكرنا والله اعلم وان كان يجوز ان يكون فى الحقيقة على غير ذلك لكن نظرا الى الغالب وقال ابو عوسجة
قوله وقدت قميصه اى شقت ومزقت ومقدود اى مشقوق من دبر اى من خلف ومن قبل اى من قدام وهو ماخوذ من القبل
من قبل المراة وقوله والفيا سيدها لدا الباب ولم يقل سيدهما فهذا يدل ما ذكرنا لدا الباب اى عند الباب وهو ظاهر اى وجد
سيدها عند الباب وفى قوله ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان قميصه قد من دبر فهو من كذا دلالة يستدل بها الشافعى
لاصحابنا من ذلك قولهم فى حانوت فيه لؤلؤ واهاب تنازع فيه دباغ ولؤلوى فانه يقضى باليد لكل واحد منهما فى ذلك اللؤلؤ
باللؤلؤى والدباغ بالاهاب باليد يستدل بغالب الامر وظاهر اليد على ما قضى عليها بالمراودة بتمزق القميص من دبر وامثال هذا
مسائل يكثر عددها يقضى بالدلالة الغالبة وان كان يجوز فى الحقيقة على خلاف الظاهر وقوله عز وجل فلما راى قميصه
قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يشبه ان يكون كيدها انها المراودة من نفسه وامتنعه على اظهار ذلك
وافشائه عليه فافشت عليه ذلك حيث ابتدات بها فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ذلك القول منها من كيدهن و
اصل الكيد والمكر هو الاخذ على الامن والله اعلم وفى الاية دلائل لقول اصحابنا وقولهم فى المتاع يختلف فيه الزوجان فان كان من
متاع الرجال فهو فى يد الرجل وان كان من متاع النساء فهو فى يد المراة فى قول ابى يوسف ومحمد وقوله عز وجل يوسف اعرض
عن هذا يحتمل قوله اعرض عن هذا اى عن قوله هى راودتنى عن نفسى يشبه ان يكون قوله اعرض عن هذا او عن قوله هى راودتنى
عن نفسى ويشبه ان يكون قوله اعرض عن هذا عن جميع ما كان بينهما اى استر عليها ولا تهتك عليها سترها وقوله عز وجل
واستغفرى لذنبك قال ليوسف ذلك القائل اعرض عن هذا وقال للمراة استغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين لما ظهر
عنده انها التى راودته وترددته فى نفسها ثم اختلف فى تاويل هذا القول قال بعضهم هو زوجها قال ليوسف اعرض عن هذا
ولا تهتك عليها سترها واكتمه قالوا انه كان قليل الغيرة وقال بعضهم ذلك القائل هو رجل اخر هو ابن عم لها وهذا اشبه
وقوله واستغفرى لذنبك قال بعضهم قال هذا لها لانهم وان كانوا يعبدون الاصنام فانما يعبدونها ليقربوهم الى الله زلفى
حيث قال لها واستغفرى لذنبك وقال بعضهم من اهل التاويل قوله واستغفرى لذنبك الى زوجك حيث خنتيه فان
كان التاويل هذا فذلك يدل ان القائل لذلك رجل اخر لا زوجها فان كان التاويل هذا فذلك يدل ان القائل لذلك
رجل اخر لا زوجها فان كان التاويل هو الاول فانه يحتمل كليهما ايهما كان والله اعلم وقوله عز وجل وقال نسوة فى المدينة
امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه يشبه ان يكون استكتمت سرها عند نسوة فى المدينة امراة العزيز تراود فتيها
عن نفسه يشبه ان تكون استكتمت سرها عند نسوة فى المدينة فافشين سرها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الخبر الملك

او ان لم تكن

او ان لم تكن احبت ذلك النسوة فلا بد من ان يعلم ذلك بعض خدمها فالخادم اعلمت سرها وافشت عند نسوة فى المدينة
فقلن عند ذلك تراود فتيها اى تدعو عبدها الى نفسها وقوله عز وجل قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو حجاب القلب
وغلافه قد شغفها حبا اى بلغ حبها اياه الشغاف والمشغوف قيل المجنون حبا وهو من العشق قال الحسن الشغف ان يكون
قد بطن لحاجته والشغف ان يكون مشغوفا به قال ابو عوسجة شغفها حبا اى دخل الحب فى شغاف القلب وهو غطاؤه و
قال من قراها شعفها اى ذهب بعقلها اى عشقها لكن هذا قول اولئك النسوة فلا ندرى ما ارادوا به لنا انما ذلك خبر
خبر عن قول قلن هن والله اعلم وقوله عز وجل انا لنراها فى ضلال مبين حيث خانت زوجها او فى ضلال مبين اى فى حيرة من
حب والله وقوله عز وجل فلما سمعت بمكرهن اى بقولهن المكر هو الاخذ فى حال الامن وهو الحيلة انه فيما ايتمن واستكتم فهو
كانها استكتمت سرها وحبها ليوسف عن الناس وافشت ذلك النسوة فى المدينة على ان يستكتمن عن الناس فافشين عليها
ذلك فذلك المكر الذى سمعت والله اعلم الى هذا ذهب بعض اهل التاويل وامكن ان يكون المراة لم تفش سرها اليهن لكن بعض
خدمها الذى اطلعت على ذلك هى التى افشت اليهن فافشين هن ذلك فلما سمعت ذلك منهن ارسلت اليهن اما تدعوهن
ودعاء للضيافة واما استاذنه بزنيها ما قول اهل التاويل ان النسوة كانت امراة الخباز والساقى ولا ادرى من ماذا
ذلك لا نعلمه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل واعتدت لهن متكا قال الحسن متكا طعاما وشرابا ومتكاة
وقال بعضهم الابرنج والترنج وقال بعضهم متكا وسائدا وما يتكا عليه وقال ابو عوسجة متكا ممدود يعنى هيات المجلس
ما يتكا عليه ومن قرا متكا مقصورا وهو الاترج وطعام على ما قال الحسن وكذلك قال القتبى قال ويقال البزماورد وقوله
عز وجل واتت كل واحدة منهن سكينا اى اعطت كل واحدة منهن سكينا ظاهر وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه هنا كلام
انه كيف اطاع يوسف بالخروج على النساء بقولها اياه اخرج عليهن فذلك مما لا يحل لكنه يخرج على وجوه احدها انه انما يكره
الدخول عليهن والخلوة بهن واما الخروج عليهن فهو ليس بمكروه اذ فيه الخروج منهن لانه اذا خرج عليهن كان يقدر ان يخرج
منهن فكانه انما الخروج لما اذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة ان يخرج من عندهن اذ لم يقدر ان يخرج من البيت عليهن بغير
اذن منها فالامر بالخروج عليهن افاد له اذنا بالخروج من البيت اذ لا سبيل له الى الخروج منه بلا اذن له منها الخروج عليهن
ثم من عندهن الى غيره من المكان وذلك مما لا يكره اذا كان مما لا سبيل الى ما سواه ويشبه ان يكون منها الامر بالخروج حيث
انا خرج ولم تعلم عليهن ولم تعلم يوسف انها انما تامره بالخروج على النساء فخرج لكن الله عز وجل اخبر عن مقصودها وكان مقصودها
من الامر بالخروج ذلك عليهن فاخبر عن مقصودها بقوله وقالت اخرج عليهن ومثل هذا قد يكون فى الكلام وجائز ان يكون
قوله اخرج عليهن اى منهن وذلك جائز فى اللغة على مكان عن كقوله اذا اكتالوا على الناس اى عن الناس وامثاله كثير وفى هذه
الاية دلالة ان مشترى يوسف كان يمنع يوسف عن ان يخرج الى البلد والسوق ومن ان يخالطه الناس اما اشفاقا على نفسه
او لئلا يفتتن به النساء او لئلا يطلع على نفسه يعقوب لما وقع عنده انه مسروق فكيف ما كان ففيه ان على المرء ان يحفظ ولده
او عبده اشفاقا عليه وقوله فلما راينه اكبرنه اى اكبرنه واعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا بشرا الا ترى انهن قلن حاش
لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقطعن ايديهن قيل حزا حزا بالسكين وقوله عز وجل حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم حاش لله قال اهل التاويل اى معاذ الله وقال بعضهم حاش لله كلمة تنزيه من القبيح وقال هذا القول منهن انهن كن
يؤمن بالله حيث قلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم كان الملك وان لم يرونه
حسن عندهم ينسبون كل حسن الى الملائكة والشيطان لعند الله عندهم قبيح فينسبون كل قبيح اليه قوله بشرا قرا بعضهم بشراء
بالتنوين اى ما هذا بمشترى وقوله عز وجل قالت فذلكن الذى لمتننى فيه بقولهن امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه اى لكى
لمتننى فيه اراودته عن نفسه وانتن قطعتن ايديكن اذ رايتن وانكرتن ان يكون هذا بشرا فذلك اعظم وقوله عز وجل ولقد
راودته عن نفسه اى دعوته الى نفسى فاستعصم قيل امتنع كقوله لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع ويشبه قوله استعصم
بالله او بربه ويعصمه او بفعله هذا يدل على انه لم يكن منه ما قال اهل التاويل من حل السراويل ونحوه حيث قالت فاستعصم وقوله
عز وجل ولئن لم يفعل ما امره قالت ذلك امراة العزيز ليسجنن وليكونا من الصاغرين يشبه ان يكون قولها ليسجنن وليكونن فى
السجن من الصاغرين او ليسجن وليكونا من الذين الصاغرين هو الذليل لانه قال لامراته اكرمى مثواه فكان مكرما عندها
معظما فلما ابى الى ما راودته فقالت ليسجنن وليكونا من الصاغرين اى من الذليلين وقوله عز وجل رب السجن احب الى مما
تدعوننى اليه فيه دلالة انه قد كان منهن من المراودة والدعاء ما كان من امراة العزيز من المراودة والدعاء الى نفسها حيث قال
السجن احب الى مما تدعوننى اليه الا ترى انه قال فى موضع اخرها خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وكذلك قالت امراة
العزيز فذلكن الذى لمتننى فيه اى كنتن لمتننى فيه اى راودته عن نفسه وانتن قد راودتنه عن نفسه وقول يوسف
رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ذلك الزنى والصغار لحبا الى اى ثم عندى واخبر فى الذين ما يدعوننى اليه وان كان

ما يدعوننى اليه تهواه نفسه وتميل اليه وتحبه فاخبر ان السجن احب اليه اى انه اختير فى الدين انا النفس تكره السجن وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فهذا يدل على ان ما قال السجن احب الى مما يدعوننى اليه انما اراد به محبة الاختيار والايثار فى الدين لا محبة النفس واختيارها بل كانت النفس تحب وتهوى ما تدعونه اليه دليله قوله اصب اليهن واكن من الجاهلين وليس الدعاء فى قوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه كما نقل لبعض الناس انه انما وقع فى السجن لانه سال ربه السجن فاستجيب له فى ذلك ولكن الدعاء فى قوله والا تصرف عنى كيدهن وهو كقول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا الاية ليس الدعاء فى قوله ربنا ظلمنا انفسنا لانه اخبار عما كان منهم انما الدعاء فى قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فكذلك قول نوح رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى وفى قوله والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن دلالة ان عند الله لطفا لم يكن اعطى يوسف ذلك اذ لو كان اعطاه لكان كيدهن وشرهن مصروفا عنه حيث قال والا تصرف عنى كيدهن ولو كان اعطى ذلك لم يكن لسؤاله ذلك معنى فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله قد اعطى كلا قدرة كل طاعة وقوة كل خير والدفع عن كل شر وقوله والا تصرف عنى كيدهن اى لا احد يملك صرف كيدهن عنى لو لم تصرف انت وكذلك قوله والا تغفر لى وترحمنى وهو ابلغ فى الدعاء من قوله اللهم اغفر لى وارحمنى وقوله اصب اليهن قال بعضهم اميل اليهن وقال بعضهم قال لو لم تصرف عنى كيدهن لاتابعهن وقيل الصبو هو الخروج من الامر يقال لكل من خرج من دينه قد صبا ولهذا كان المشركون يسمون النبى صلى الله عليه وسلم صابيا اى خرج مما نحن عليه وقال ابو بكر الاصم الاصب هو الامر المعجب وقوله واكن من الجاهلين اى يكون فعلى فعل الجهال لا فعل العقلاء والحكماء ان لم تصرف عنى كيدهن وقوله عز وجل فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اى اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن هذا يدل على ان الدعاء كان فى قوله والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن ليس فى قوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه انما هو خبر اخبر حيث اختاره اجاب له ربه فصرف كيدهن وقوله عز وجل انه هو السميع العليم لكل قول وكلام خفيا كان على الخلق او ظاهرا العليم به لا يخفى عليه شىء وقوله والا تصرف عنى كيدهن فصرف عنه كيدهن دلالة انهن كن يدعونه الى ذلك من وجه كان يخفى عليه ولم يشعر به فالتجا الى الله فى صرف ذلك عنه عز وجل ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ذكر فى بعض القصة انها قالت لزوجها ما زال يوسف يراودنى عن نفسى فابيت عليه فصدقها فحبسه فى السجن وقوله عز وجل من بعد ما راوا الايات قال اهل التاويل هو قد القميص من دبر وخمش الوجه ونحوه ولكن يشبه ان يكون الايات التى راوها هى ايات نبوته ورسالته وقال بعضهم حبسوه لينقطع عن المراة ما رميت به وينقطع ذلك عن الناس ويموت ذكر الخبر ويذهب فيه انهم حبسوه بعد ما راوا ايات عصمته وبراءته عما اتهموه وانهم ظلمته فحبسه والله اعلم وقوله عز وجل ودخل معه السجن فتيان قيل عبدين للملك غضب عليهما الملك قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا وقال بعضهم ارض يدعى العنب بها خمرا وسمى خمرا باسم سببه وباسم اصله وجائز فى اللغة تسمية الشىء باسم سببه وباسم اصله وقال الاخر انى ارانى احمل فوق راسى خبزا كان احدهما خباز الملك والاخر ساقيه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين قال بعضهم احسانه فى السجن انه كان يداوى المرضى ويعزى حزينهم ويجتهد فى نفسه فى العبادة لربه هذا يحتمل انه كان [illegible] اهل السجن ويصليهم ويجتهد فى العبادة لله فى الصلوة له والصوم وانواع العبادة التى تكون فيما بينه وبين ربه فسماه محسنا لذلك ويشبه ان يكون قالوا انا نريك من المحسنين لما راوا به سيما الخير واثاره او يدعوهم الى توحيد الله والعبادة له ويخلعهم عن عبادة الاصنام والاوثان والانتزاع من ذلك فسموه محسنا لذلك ويحتمل قوله انا نراك من المحسنين لما رادوا احسن الى اهل السجن ويحتمل الاحسان ههنا العلم انا نراك من العالمين وهو قول الفراء وقوله عز وجل نبئنا بتاويله سمى التعبير تاويلا لان التاويل هو الاخبار عن العواقب لذلك سموه ثم خرج تاويله الذى كان يعصر الخمر على العود الى ما كان فى امره من السقى للملك وهو كان ساقيه على ما ذكر فلما راى انه دام على امره اول بالعود الى امره الذى كان فيه والاخر كان خبازا على ما ذكر وهو انما كان يخبز للناس فلما راى انه حمل الخبز على راسه وانه ياكل الطير علم انه يخرج من الامر الذى كان فيه وخروجه يكون بهلاكه لانه كان من قبل يخبز لهما مرضا ويخبز لغيرهم فاستدل بذلك على خروجه من امره وعمله لكنه اخبر انه يصلب لانه كان قائما منتصبا فادل ما كان امره والله اعلم وقوله عز وجل لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما هذا والله اعلم كان يقول لهم ذلك ليخبرهم ان عنده علم ذلك علم ما لا يحتاج اليه فعلم ما لا يحتاج اليه احرى ان يعلم ذلك وهذا والله اعلم منه احتيال لينزعهم عما هم فيه من عبادة الاوثان وعبادتهم غير الله ويدعوهم الى توحيد الله وصرف العبادة اليه ولهذا قال ذلكما مما علمنى ربى هذا باللطف ما اضاف اليه انه علمه والا التعليم لا يكون الا باختلاف الملائكة اليه وذلك لطف من الله تعالى للرسل عليهم الصلوة والسلام وقوله لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما تاويله والله اعلم اى لا ياتيكما طعام رايتما انه ذلك فى المنام الا نباتكما بتاويل ذلك قبل ان ياتى ذلك وقوله عز وجل انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون الاية وقوله تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ليس انه كان فيه ثم ترك ولكن ترك ابتداء ما لو لم يكن تركه كان اخذا لغيره وهو كقوله لمن رفع السموات ليس انها كانت موضوعة

فرفعها

فرفعها ولكن رفعها اول ما خلقها وكذلك قوله والارض وضعها ليس انها مرفوعة ثم وضعها اى انشاها مرفوعة وموضوعة وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ليس انهم كانوا فيها فاخرجهم ولكن عصمهم حتى لم يدخلوا فيها فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل واتبعت ملة اباءى ابراهيم واسحق ويعقوب قال فى الاية الاولى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله واخبر انهم كافرون بالله واليوم الاخر وفيه ان من لم يؤمن بالله واليوم فهو كافر فهذا ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والايمان منزلة ثالثة ويوسف يخبر ان من لم يؤمن بالله فهو كافر وهم يقولون صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر ثم اخبر انه ترك ملة اولئك الذين لا يؤمنون بالله واتبع ملة اباءه ابراهيم ومن ذكر ثم اخبر عن ملة اباءه وهو ما ذكر ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء عرفهم ملة اباءه ودينهم وهو ترك الاشراك بالله وجعل الالوهية له وصرف العبادة اليه وفيه ان الملة ليست الا ملتين ملة كفر وملة الاسلام واخبر ان من لم يكن فى ملة الاسلام كان فى ملة الكفر ثم خص بذكر هؤلاء ابراهيم واسحق ويعقوب لان هؤلاء كانوا مكرمين عند الناس كافة كل اهل الدين يدعون انهم على دين اولئك فاخبر انهم على دين الاسلام والحنيفية المخلص لا على ما تزعمون انتم ولهذا قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وفى قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون دلالة ان الكفر كله ملة واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون على اختلاف مذاهبهم وقوله عز وجل ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس اى ذلك الدين والملة التى انا عليها واباى من فضل الله علينا وعلى الناس لانه عز وجل فطر الناس على فطرة يعرفون وحدانية الله وربوبيته بقوله ركب فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله وما ركب فيهم من العقول وذلك الدين والهداية الذين اعطاهم من فضل الله لكن الناس يتركون ذلك وتلك الهداية والله اعلم وقوله عز وجل يا صاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يوسف لما سئل عن تاويل الرؤيا دعاهم الى توحيد الله ودلهم عليه فقال ذلكما مما علمنى ربى وقال يا صاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اى عبادة رب واحد وارضاء خير ام عبادة عدد وارضاء فعلانه اذا عبد بعضا واجتهد فى رضائهم سخط الباقين فلا سبيل الى الوصول الى مقصوده والظفر بحاجته اذ لا يقدر على رضائهم جميعا وان اجتهد واما الواحد فانه يقدر على رضائه اذ لا يزال يكون فى عبادته وارضائه فيصل الى حاجته والظفر بمقصوده والثانى يخبر ان الواحد القهار يقهر جميع من الارباب ومن تعبدون فعبادة الواحد القهار خير من عبادة عدد مقهورين وقوله عز وجل ما تعبدون من دونه من الاصنام والاوثان الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ولا يستحقون العبادة ولا التسمية بالالوهية انما المستحق لذلك الذى خلقكم وخلق السموات والارض ما انزل على ما عبد تموهم وسميتم انتم واباؤكم الهة من حجته ولا برهان ان الحكم الا لله اى ما الحكم فى الالوهية والربوبية والعبادة والالوهية الا لله او يقول ما الحكم فى الخلق الا لله كقوله الا له الخلق والامر اى له الخلق وله الامر فى الخلق وامر ان لا نعبد والا [illegible] وقوله عز وجل ذلك الدين القيم [illegible] والبرهان [illegible] والقيم هو القائم الذى قام عليه الحجج [illegible] وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون [illegible] فلم يعلموا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا [illegible] وقوله عز وجل يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا [illegible] فتاكل الطير من راسه [illegible] وقوله عز وجل قضى الامر الذى فيه تستفتيان [illegible] وقوله عز وجل وقال للذى ظن انه ناج منهما [illegible] وقوله عز وجل اذكرنى عند ربك [illegible]

عن دعائهم فراى انه اذا ذكره لعله اخرجه من ذلك لما راى انه جعل سبب نجاته على يديه لا انه راى ذلك منه ورفع قلبه عن الله
وهكذا جعل الله تعالى امور الدنيا كلها وعلى ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب النصر من الله نحو ما جعل الانزال
والزراعة باسباب يكتسبونها ونحو الاسلحة التي اتخذت للحرب والقتال بها ما يكثر عدد ذلك وانما يحاربون بالله وبه يقاتلون
ومنه ينصرون وتمام ذلك كله وتلك الاسباب فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وليس كل من فعل هذا كان فزع الى غير الله
او راى النصر والنجاة من ذلك الشيء والسبب بل راى ذلك كله من الله ومن ظن فعل ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الى المخلوق
مثله وراى نجاته من عنده ذلك ولكن للوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اذكرني عند ربك يحتمل وجهين احدهما اذكرني
عند ربك لعلي حبست بلا جرم منه وبغير امر لان تلك المراة هي التي اوصت له بالسجن فوقع عنده انها التي احتالت في حبسه فقال
لذلك ما قال والثاني يقول اذكرني بالذي رايت مني وسمعت لانه دعاهما في السجن الى التوحيد حيث قال ارباب متفرقون خير
ام الله الواحد القهار وقوله عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التاويل انسى الشيطان يوسف ذكر ربه الذي
انشاه وخلقه ربهم الذي هو في الحقيقة رب وقال بعضهم قوله فانساه الشيطان الذي قال له يوسف اذكرني عند ربك
ذكر ربه وهذا اشبه والاول بعيد لانه قال في اخره وادكر بعد امة اي بعد حين انا انبئكم بتاويله فارسلون دل هذا انه انسى
الشيطان على ذلك الرجل فلم يذكره عنده جنا وقال بعضهم لم ينسه الشيطان ولكن تركه عمدا لم يذكره عنده لعله يتذكر ما تقدم
من المقال فيزداد غضبا عليه فتذكر عمدا الى هذا وقته والله اعلم لان بره كل شر يكون من الشيطان واضاف الانسان الى الشيطان
وكذلك قال موسى عليه وما انسانيه الا الشيطان فهو والله اعلم لان به كل شر يكون من الشيطان لانه يخطر بباله ويقذف في
قلبه ويوسوسه ثم يكون من العبد العزيمة على ذلك والفعل وفائدة النسيان والله اعلم هو ان الله تعالى اراد ان يظهر اثر رسالته و
حجة نبوته بكونه في السجن ويظهر براءته في شان تلك المراة بشهادة اولئك النسوان وذلك علم الاحاديث التي ذكر والرؤيا التي
عبرها وقوله عز وجل فلبث في السجن بضع سنين قال بعضهم خمس سنين وقال بعضهم سبع سنين ونحو ذلك ولكن لا نعلم
ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه انه لبث فيه حينا وقال ابو بكر الاصم قوله يا صاحبي السجن بالالف فلما لم
يقل هذا دل انه اضاف الى نفسه كانه قال يا صاحبي في السجن لانهما كانا معه في السجن وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان قيل
فرغ وقيل انتهى الامر الذي فيه تستفتيان وانتهى كقوله وقضينا الى بني اسرائيل الاية قوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان قيل فرغ
وقيل انتهى الامر الذي فيه تستفتيان وانتهى كقوله وقضينا اليه الاية وقوله قضي الامر فيه تستفتيان كانه بلغ ابلغهما
وجاء اليه وامر به اي هو كائن من غير رجوع كان منهما على ما يقول اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل وقال الملك اني ارى سبع
بقرات سمان ذكر انه راى وليس فيه ذكر انه راى في المنام ولكن ذكر في اخره الرؤيا دل انه راى في المنام يقول ان كنتم للرؤيا
تعبرون وفيه ان من الرؤيا ما هو حق ولها حقيقة ومنها باطل لا حقيقة لها لانه قال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون قالوا اضغاث احلام فكان الرؤيا هي حق ولها حقيقة بما دل عرفها واضغاث احلام لا حقيقة لها وقوله عز وجل اني
ارى سبع بقرات سمان اما البقرات هي السنون والسمان هي المخصبات الواسعات يأكلهن سبع عجاف العجاف هن المجدبات وسبع
سنبلات خضر السنبلات سنبلات وخضر عبارة عما يحصد واخر يابسات عبارة عما لا يحصد فيه دلالة ان في الرؤيا ما يكون
مصرحا مشارا اليها يعلم بالبديهة ومنها ما يكون كناية منها غير مفسر لا يعلم الا بالنظر فيها والتفكر والتامل لانه قال اني ارى سبع
بقرات وسبع هو سبع لا غير وبقرات هن كناية عن السنين وسمان كناية عن الخصب والسعة يأكلهن على حقيقة الاكل لا غير و
كذلك سبع عجاف السبع هو سبع والعجاف كناية عن الشدة والجدب وسبع سنبلات هن عين السنبلات وخضر هن كناية عما
يحصد ويابسات كناية عما لا يحصد فيه ما يحصد فيه ان من الخطاب ما يكون مصرحا مبينا مشارا اليه يفهم المراد منه بالبديهة
وقت قرع الخطاب السمع ومنه ما يكون مبهما غير مفسر فهو على وجهين منه ما يفهم بالنظر فيه والتفكر والثاني لا يفهم بالبديهة
ولا بالنظر فيه والتفكر الا ببيان يقرن به سوى ذلك على هذا يخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم وقوله عز وجل
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون خاطب الاشراف من قومه والعلماء بقوله يا ايها الملأ على ما ذكرنا فيما
تقدم ان الملأ هو اسم للاشراف منهم والرؤساء وهكذا العادة في الملوك انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون اعقلهم واعظمهم منزلة
عندهم واكرم مثواهم ودل قوله افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون انه انما راى ذلك في المنام والله اعلم وقوله افتوني
في رؤياي الاية كانه نهاهم ان يتكلفوا التعبير لرؤيا التي راها ان لم يكن لهم بها علم وكذلك الواجب على كل شيء من سئل عن شيء لا يعلم
ان لا يشتغل به ولا يتكلف علمه ان لم يكن له به علم حيث قال افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله عز وجل قالوا
اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل احلام الكاذبة وقال بعضهم اخلاط احلام الكاذبة مثل اضغاث النبات يجمع فيكون فيه
ضروب مختلفة وهو كما قيل في قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اي جماعة من اغصان الشجر وقال بعضهم
اضغاث احلام الضغث والاضغاث ما لا يكون له تاويل ويقال لنوع من الكلام ضغث وهو الخلط شبه البردي وغيره وقيل

ان الضغث

ان الضغث والاحلام هما اسمان لشيء لا معنى له ولا تاويل لهما واحد واصل الاحلام كان يخرجه من وجهين احدهما العقول
دليله قوله ام تامرهم احلامهم بهذا اي عقولهم ام هم قوم طاغون والثاني من الاحتلام وهو ما ذكر من الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم الاية فيشبه ان يكون يخرج على هذا لان الصبي ما لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم كان الاحتلام هو من لعب الشيطان
به تسمى الرؤيا الباطلة الكاذبة احلاما لانها من لعب الشيطان به كما سمي احتلام الصبي حلما لانه اذا بلغ العقل لعب به الشيطان
وقوله عز وجل وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يحتمل قوله تعالى وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما لا تاويل لها كقوله ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا تشفع لهم ويحتمل قوله وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لها
تاويل ولكن نحن لا نعلمها والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذي نجا منهما من الهلاك وهو الساقي الذي ذكر وقوله عز وجل وادكر
بعد امة قال الامة ههنا الحين اي ذكر بعد حين ووقت كقوله ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت معدود
وقال الحسن وادكر بعد امة اي من الناس ويقرا بعد امه قال ابو عوسجة الامه النسيان والسهو اي تذكر بعد نسيان وسهو
كقوله فانساه الشيطان ذكر ربه يقال امه في الكلام امه يامه امها فهو امه وامه اي نسي والامة من الامم
والقرون التي مضت والامة النعمة والامم جميع والامة ايضا الدين والسنة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون اي على دين ويقال الامة القامة ايضا يقال فلان حسن الامة اي حسن القامة ويقال الامم القريب فهو يحتمل ههنا
الوجهين اللذين ذكرناهما اي ذكر بعد حين ووقت او بعد نسيان من قراه بالنصب والله اعلم وقوله عز وجل انا انبئكم بتاويله
معناه اي انا انبئكم ببيان تاويلها لانه كان بينهم هو بنفسه الا ترى انه قال فارسلون يوسف فيه اضمار كانه قال فارسلون
الى يوسف وليس في تلاوة الاية انه ارسل اليه ولا انه اتاه اليه ولكن فيه دليل ارسل اليه فاتاه فلما اتاه قال له ايها الصديق
قيل الصديق هو كثير الصدق كما يقال شريب وفسيق وسكير اذا كثر ذلك منه والصديق هو الذي لم يوخذ عليه كذب قط اذ
سماه صديقا لما عرف انه رسول الله وهو ما قال في ابراهيم انه كان صديقا نبيا او يقول انا انبئكم بتاويله اي انا اتعلم منه فانبئكم
بتاويله وقوله عز وجل افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فافتنا بالرؤيا
عليه وهي ما قال تزرعون سبع سنين دابا الى اخر ما ذكر وقوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا
مما تحصنون هذا تعبير رؤيا الملك الذي ساله وقوله عز وجل لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون هذا يحتمل وجهين يعلمون
ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة ليس كما قال اولئك اضغاث احلام والثاني يعلمون فضلك على غيرهم من الناس ويعلمون انك
تصلح لحاجتهم التي في حال يقظتهم فيرفعونها اليك كما صلحت ما كان لهم في حال نومهم ثم علمهم الزراعة وجمع الطاعات والادخار
انه كيف يدخر ويبقى الى ذلك الوقت فقال تزرعون سبع سنين دابا قال بعضهم اي دائما اي تداومون الزراعة فيها وقال ابو عوسجة
دابا من الدؤوب من الجد والتعب وقال القتبي دابا اي جدا في الزراعة ومتابعة وكله واحد وقوله عز وجل فما حصدتم فذروه
في سنبله لا تبقوه لان ذلك انقى له من ان يبقى ومبتوا الا قليلا مما تاكلون فتبقونه ان شئتم اي قدر ما تاكلون وقوله ثم ياتي من بعد
ذلك سبع شداد قيل مجدبات من الشدة ياكلن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لهن الا قليلا مما تحصنون قال بعضهم تدخرون وقال
بعضهم تحرزون وقال ابو عوسجة تحصنون اي تدخرون وقوله عز وجل ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال بعضهم هو
من الغيث وهو المطر اي يمطرون وقيل يغاثون بالمطر من الاغاثة والغوث وقوله عز وجل وفيه يعصرون قال بعضهم هو من
عصر الاعناب والدهن والزيت وغيره لما هو لخيار من الخصب والسعة وقال بعضهم قوله يعصرون قال بعضهم يعصرون
اي ينجون يقول من العصر يعني المنجاة اي يلجاون الى الغيث والعصر المنجاة وهو قول ابي عبيدة واما قول غيره من اهل الادب
والتاويل فهو من العصر يعني عصر العنب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وقال الملك ائتوني به يعني يوسف للرجل اذكرني عند
ربك انما طلب بذلك براءة نفسه فيما اتهم به ليس كما قاله اهل التاويل لانه لو كان غير ذلك لابتدر الوصول اليه ولكنه خرج
والله اعلم وقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن يحتمل هذا وجهين احدهما امر على كيدهن بعدما وجهن على ذلك
والثاني ليعلم الملك براءته مما قرف به واتهم وقوله عز وجل ان ربي بكيدهن عليم انهن كدن ثم قال لهن الملك ما خطبكن اذ راودتن
يوسف عن نفسه هذا يدل ان الملك قد علم انهن راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل لهن اراودتن
ام لا ولكنه قطع القول فيه وقوله عز وجل قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء بانهن حتى اقرر ان الذي كان بريا فيما قرف به واتهم ثم
اقرت امراة الملك بعد ذلك لما اقر النسوة فقالت الان حصحص الحق قيل الان تبين الحق وتحقق انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وقوله ما خطبكن ما شانكن وامركن والخطب الشان راودتن قد ذكرناه
وقوله قلن حاش لله قيل معاذ الله وقيل هي كلمة تنزيه من القبيح وقوله ما علمنا عليه من سوء قال اهل التاويل الزنا ولكن قوله ما
علمنا عليه من سوء هو الذي قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا هو ذلك السوء قالت انه اراد به بها فلن ما علمنا منه ذلك وقوله
حصحص الحق قد ذكرناه انه تبين الحق وفي قوله ما علمنا عليه من سوء دلالة ان لم يكن منه ما قاله اهل التاويل من حل السراويل

وغيره لانه لو كان منه ذلك لكن قد علمن منه السوء **وقوله** عز وجل ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قوله ذلك الود الذى كان
منه وترك الاجابة لرسول الملك حيث قال ائتونى به ليعلم الملك انى لم اخنه بالغيب فى اهله اذا غاب عنى ربنا العقولها ما جزاء من
اراد باهلك سوء وتصديقا القول حيث قال هى راودتنى عن نفسى وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم الله انى لم اخنه يعنى الزوج
بالغيب لكن هذا بعيد انه قد علم يوسف ان الله قد علم انه لم يخنه بالغيب وقول اهل التاويل لما قال يوسف ليعلم انى لم اخنه بالغيب
قال له الملك ولا حين هممت ما هممت فقال وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء هذا مما لا يعلمه وقد ذكرنا التاويل فى قوله ولقد
همت به وهم بها ما يحل ويسع ان يتكلم به ففساده دليل اهل التاويل من الوجوه التى ذكرنا ومعنى قوله وما ابرئ نفسى ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى عصم ربى والله اعلم انه لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب لما عصمنى الله عن ذلك ولولم
تكن عصمنى لكنت اخونه ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى ما عصم ربى لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى الشهوات
واللذات والهوى فيها والرغبة والنفور عن المكروهات والشدائد الا ترى انه قال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هى المأوى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى اثبت للنفس الهوى وايثار الحيوة
الدنيا وشهواتها هذا يدل وان قوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه هو محبة الاختيار والايثار فى الدين لا ما
تختار النفس وتؤثر النفس بها تختار وتؤثر ما هو اللذ واشتهى وتنفر عن الشدائد والمكروهات على هذا طبعت وجبلت
وقوله عز وجل وان الله لا يهدى كيد الخائنين اى لا يحتمل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة
ضلالا وغواية **وقوله** عز وجل وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اصدر لرايه واطيع امره فى هذا يقع استخلاصه
اياه ولذلك قال مكنا ليوسف الاية لان يجعله لحاجة نفسه خالصا دون الناس لا يشرك غيره دلالة ما ذكر فى حرف
حفصة انك اليوم لدينا مطاع امين **وقوله** عز وجل فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر فيه انه اتى به ولكن
قال فلما كلمه فهذا يدل انه قد اتى به وان لم يذكر انه اتى به حيث قال فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قيل المكين الوجيه
وقيل المكين الامين المرضى عندنا والامين على ما استامنك **وقوله** عز وجل قال اجعلنى على خزائن الارض سأل هذا لما
علم انه ليس فى وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام وعلم انه لو ولى غيره الخزائن لم يعرف اقوال الناس منازلهم فى تقديم
من يجب تقديمه والقيام بحاجة الاحق فمن غيره علم انه اليه يرجع ويقع حوايج اكثر الناس منازلهم وبه قوام ابدانهم فسأل
ليقوم بذلك كله وعلى يديه يجرى ولذلك قال انى حفيظ عليم قال بعضهم حفيظ بما وليت عليهم بامرهم وقيل حفيظ لما فى الارض
من علة عالم بها وعن ابن عباس رضى الله عنه حفيظ لما تحت يدى عليم بالناس وقيل حفيظ بصير بتقديره عالم بسنيات
الجوع حين يقع انى حفيظ لما استحفظت عليهم بحوايج الناس وعليم بتقديم الاحق **وقوله** عز وجل وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض يقول والله اعلم كما برانا يوسف مما قذف به واظهرنا براءته منه مكناه فى الارض حتى احتاج اهل نواحى مصر واهل
الآفاق اليه او ان يقال كما حفظناه ونجيناه مما قصد به اخوته من الهلاك نمكن فى الارض وجائز ان يكون قوله وكذلك
مكنا ليوسف جوابا كما مكنا ليوسف فى الارض بعد ما اخرج من عليه الابراء والضم كذلك نمكنك فى الارض ونؤدى بعد
ما اخرجك من عليه ابواك **وقوله** عز وجل يتبوأ منها حيث يشاء اى ينزل منها حيث يشاء او يسكن منها حيث يشاء **وقوله**
عز وجل نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا ونعيمها كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
ويحتمل برحمتنا امر الدين من النبوة والعصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون ليس ان يختص احدا برحمته ولا يصيب من
رحمته انسانا دون انسان وعلى قولهم لم يكن من الله الى رسول الله من الرحمة الا وكان الى ابليس مثله **وقوله** عز وجل ولا
نضيع اجر المحسنين اى لا نضيع اجر من احسن صحبة الله فى الدنيا والاخرة اى نجزيه جزاء الحسنا او يقول ولا نضيع اجر
من احسن صحبة نعم الله وقبلها بالشكر له **وقوله** عز وجل ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا اى ثواب الاخرة واجرها خير لهم
من ثواب الدنيا واجرها وقوله آمنوا صدقوا وكانوا يتقون الشرك او آمنوا صدقوا وكانوا يتقون المعاصى والفواحش
وقوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا فعرفهم وهم له منكرون لما اراد الله ان يبلغ امر يوسف فيما اراد ان يبلغ جعلهم
بحيث لا يعرفونه لذلك قال فعرفهم وهم له منكرون اى لا يعرفونه كقوله قوم منكرون او غير معروفين عندنا براهيم و
المنكر هو الذى لا يعرف فى الشرع ولا فى العقل **وقوله** عز وجل ولما جهزهم بجهازهم اى اعطاهم الطعام الذى طلبوا منه
قال ابو عوسجة الجهاز المتاع والجهاز ايضا متاع المراة التى تجهز به ولا يقال الجهاز بخفض الجيم وقال اهل التاويل ان يوسف
عليه السلام قال لهم حين دخلوا عليه انتم عيون بعثكم ملككم تنظرون الى اهل مصر ثم تاتونه بالخبر وقال انا بكذا ذلك
ما لا نعلمه انه قد كان قال لهم ذلك ام لا وغير ذلك من الكلمات التى قالوا انه قال لهم كذا وقالوا هم له كذا وكذا رجلا فهلك
منا كذا ولنا اب كذا مثل هذا لا يكون كلام بعض العوام الغوغا والله اعلم **وقوله** عز وجل قال ائتونى باخ لكم من ابيكم الا
ترون انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل ان يقوله يوسف ابتداء على غير سبب وكلام كان هنالك لكنه لم

بذكر الذى

يذكر الذى كان ونحن لا نعرف ما الذى كان جرى هنالك فيما بينهم وكذلك قوله فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى
ولا تقربون اما اهل التاويل فانهم قالوا قال لهم ائتونى باخ لكم من ابيكم الاخ ما ذكر لانه لما قال انكم جئتم عيونا فاخبرهم
فقالوا نحن بنو يعقوب النبى وكنا اثنى عشر رجلا فهلك منا رجل فى الغنم ووجدنا على قميصه دما فاتينا ابانا فقتلنا كذا
وقد خلفنا عند ابينا اخا له من امه الذى هلك فعند ذلك قال لهم ائتونى باخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوفى الكيل وانا
خير المنزلين لكن هذا الذى ذكروا لا يكون سببا القول ولا جوابا له وقد ذكرنا انه لا يصح هذا الكلام مبتدا الكلام نعلم
بالعقل انه كان هنالك سبب ومعنى امر يوسف ان يقول لهم ذلك والا لا يحتمل ان لهم يوسف لا كيل لكم عندى ولا تقربون
وهو كان يعلم ان اباه يعقوب يحتاج الى طعام ويعرف حاجتهم فى ذلك هذا لا يسع الا بسبب كان ثم فامر يوسف
بذلك **وقوله** فلا كيل لكم عندى ولا تقربون فيما يستقبل اى لا تاتونى والله اعلم ويحتمل قوله الا ترون انى اوفى الكيل
وجهين احدهما قال ذلك لهم انه يوفى لهم الكيل لان اهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويخسرون الكيل فى الضيق فقال
هو الا ترون انى اوفى الكيل ولا ابخس والثانى الا ترى انى اوفى الكيل على غير الحاجة وكان يجعل لغيرهم الطعام على
الحاجة لضيق الطعام اى اوفى الكيل على قدر الحاجة وانا خير المنزلين فى الاحسان اليكم والتوسيع عليكم لان اهل
ذلك المكان لا يحسنون الى النازلين بهم ولا يوسعون عليهم لضيق الطعام وكان قوله الا ترون انى اوفى الكيل موضع
عن قوله فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون كانه قال ائتونى لى باخ لكم من ابيكم فان لم تاتونى به فلا
كيل لكم عندى ولا تقربون فعند ذلك قال الا ترون انى اوفى الكيل والله اعلم **وقوله** عز وجل سنراود عنه اباه
وانا لفاعلون هذا الكلام فى الظاهر ليس هو جواب قول يوسف وانا لفاعلون جوابا فلا يحتمل حيث قال ائتونى
باخ لكم من ابيكم وجوابه ان يقول والله ناتى به او لا ناتى فاما ان يجعل قولهم سنراود عنه اباه وانا لفاعلون جوابا له فلا
يحتمل مع ما ان فى قولهم سنراود عنه اضطراب يكون او لا يكون قولهم وانا لفاعلون على القطع لكن يشبه ان
يخرج على وجهين احدهما على الاضمار سنراود عنه اباه فان اذن له وانا لفاعلون ذلك او على التقديم والتاخير يكون
جواب قوله ائتونى باخ لكم فى قولهم وانا لفاعلون كانه لما قال لهم يوسف ائتونى باخ لكم من ابيكم قالوا انا لفاعلون ثم
قالوا فيما بينهم سنراود عنه اباه على هذين الوجهين يشبه ان يخرج والله اعلم وقوله سنراود عنه اباه قال ابو عوسجة
المراودة المارسة وهو شبه المخادعة وهى المعالجة وقيل سنراود اى سنجهد ونطالب **وقوله** عز وجل وقال لفتيانه
ولفتيته الفتية الخدم والفتيان المماليك اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم قيل اجعلوا دراهمهم فى اوعيتهم فى دلالة ان الكيل
قد يصح وان لم يصرح بها انما وقع فى يدى الموهوب له وقبضه وان لم يعلم هو بذلك وقت ما جعل له لان يوسف جعل بضاعتهم
فى رحالهم هبة لهم منه وهم لم يعلموا بذلك وهو وقت ما جعل ذلك لهم ملكا ليوسف ولهذا قال اصحابنا ان من وضع ماله
فى طريق من طرق المسلمين ليكون ذلك ملكا لمن رفعه كان ما فعل والله اعلم **وقوله** عز وجل لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى
اهلهم لعلهم يرجعون هذا يحتمل وجهين احدهما يرجعون مخافة ان يعرفون بالسرقة والثانى ما قال اهل التاويل لما تخوف
يوسف ان يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى فجعل دراهم فى اوعيتهم لكى يرجعوا الينا فلا يحبسهم عنا عدم
الدراهم لانهم كانوا اهل ماشية **وقوله** عز وجل فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل ويشبه نفس
بقوله فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون فارسل معنا اخانا نكتل بالنون وبالياء يكتل وبالنون اقرب لانهم قالوا
منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل نحن بسببه ويكتل هو ان ارسلته وانا له لحافظون لا يحتمل ان يقولوا له هذا من غير
سبب كان هنالك من خوف خاف عليه ابوهم من ناحيتهم وتهمة اتهمهم لانه كان اخوهم من ابيهم خاف عليه ان يضيعوه او
ان استقبله امر يعيقونه او امر كان لم يذكر ولسنا ندرى ما ذلك المعنى والله اعلم بذلك قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
من قبل وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه هل تحفظونه الا كما حفظتم اخاه يوسف من قبل فى هذا دلالة ان من ظهرت منه
تهمة او خيانة فى امر يجوز ان يتهم فيما لم يظهر شيء حيث اتهمهم يعقوب فى ابن يامين بخيانة كانت منهم فى يوسف وان لم
يظهر لهم منهم فى اخيه شيء وهو حجة لاصحابنا ان من ظهر فسقه فى شيء او كذبه فى شيء صار مجروح الشهادة فى غيره
وقوله فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين اى ان ارسلته فانما اعتمد على حفظ الله واليه اكل فى حفظه لست اعتمد
على حفظكم وهو ارحم الراحمين اى هو يجل بكل ورب وملهوف ارحم من كل راحم لان كل من يرحم انما يرحمه برحمته نالها منه
والله اعلم **وقوله** عز وجل ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم هذا قد ذكرنا **وقوله** عز وجل قالوا يا ابانا
ما نبغى سوى الثمن فقد رد الينا دراهمنا او يكون قوله ما نبغى وراء هذا اكبر شيء انما نبغى ثمن بعير واحد بعير لا نتر
قد ردت بضاعتنا وهو ثمن عشرة ابعرة ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه ذكر ان يوسف كان لا
يعطى كل رجل الا حمل بعير واحد ولا يعطى اكثر من ذلك فقالوا ونزداد كيل بعير به ومن اجله الكيل يسير قال

بعضهم ذلك كيل يسير لبعضهم ذلك كيل يسير اى سريع لا حبس فيه وقال بعضهم وذلك كيل يسير اى يسير علينا الكيل
ولا يحبس عنا الطعام ولا يشتغل عليه ذلك بقولنا لا تردوه اى اوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتونى به فلا كيل لكم فان
لم تاتونى به فلا كيل لنا وقد حجبنا عنه والله اعلم ويشبه ان يكون فيه وجه اخر اقرب مما قالوا وهو ان قوله ذلك كيل يسير ان
طالب ثمن كيل بعير يسير لانه قد ردت اليهم بضاعتهم وهو ثمن كيل عشرة ابعرة فاما احتاجوا الى ثمن كيل بعير واحد فقالوا
طلب ثمن كيل بعير واحد يسير وتكلفه سهل وهو ثمن كيل بعير ابن يامين والله اعلم وقوله عز وجل قال لن ارسله معكم حتى
تؤتون موثقا من الله اى حتى تؤتونى بما اثق من الله وبعهود منه لتاتننى به فيه دلالة انه وان كان قال فالله خير حافظا وهو
ارحم الراحمين واعتمد فى الحفظ على الله ورأى الحفظ منه لم يرسله معهم الا بالمواثيق والعهود من الله وهذا امر ظاهر بين الناس
انهم وان كان اعتمادهم على الله واليه يكلون فى جميع امورهم فى الاموال والانفس ومنه يرون الحفظ فانه ياخذ بعضهم
من بعض المواثيق والعهد فعلى ذلك يعقوب ثم وان اخبر ان اعتماده وكلامه فى حفظ ولده على الله لم يرسله معهم الا بعد
ما اخذ منهم العهود والمواثيق لتاتننى به الا ان يحاط بكم اى الا ان يجمعكم امر ويعمكم ويحيط بكم الهلاك جميعا فعند ذلك
تكونون معذورين فاما ان يخص به امر فلا والثانى الا ان يجئ امر عظيم يمنعكم عن رده كانه خاف عليه من الملك حيث طلب
منهم ان ياتوه به وقوله عز وجل فلما اتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اى الله على المواثيق والعهود التى اخذتها
منكم شهيدا وبتوكل الله له حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم وقوله عز وجل يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة قال بعضهم من اهل التاويل ان يعقوب خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى صور وجمال وبهاء فخشى عليهم
العين لذلك امرهم ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم حين خشى عليهم البيات والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فخاف ان
اهل البلد ويفرقون منهم السرقة فامرهم بالتفرق وهو قول ابن عباس فاذا كانوا متفرقين فلا يهلكون الكل وانما يهلك بعض
وينجو بعض او لا يدرى ما اراد بهذا وقال بعضهم علم يعقوب انهم لا يهلكون لما راى يوسف من الرؤيا ان يسجد له اخوته
ولكن خاف عليهم ان يصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة او سكك متفرقة او من طرق متفرقة او ما قالوا
وقوله عز وجل وما اغنى عنكم من الله من شئ اى لا ادفع عنكم من الله من شئ ان اصابكم نكبة او غير فان قيل لو كان امره ايام
بالتفرق لخوف العين او لخوف اهل البلد منهم السرقة والاغارة كيف لم يامرهم بذلك فى المرة الاولى وخوف العين لم يخش ذلك
لما قد يقع الاجتماع ما ذكر ابن عباس رضى الله عنه انه يخافهم اهل البلد اذا رأوهم مجتمعين انهم لصوص وانهم كذا ولكن ان يكون
فى المرة الاولى لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع فى امثال ذلك من الرفقاء والصحابة فلا يكون فى ذلك الخوف الذى ذكروا او
انا عادوا فى المرة الثانية قد يحتمل ذلك الخوف من العين وغيره اذا علم اهل البلد ان ذلك العدد من اب واحد وامرهم بالتفرق
فى الابواب لمحنة امتحن بذلك وامر به او لمعنى غاب عنا لا يحتاج اليه والله اعلم وقوله وما اغنى عنكم من الله من شئ اى لا ادفع
منكم بما احتال ما قدر الله وقضاه ان يصيبكم يصيبكم لا محالة ويرل بكم ان الحكم اى ما الحكم فى ذلك الا لله ما فى حكمه وقضائه
ان يصيبكم فيصيبكم لا محالة وقوله عز وجل وعليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امر يخاف المرء ان ياخذ
بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله على ما امر يعقوب عليه السلام بنيه بالحذر فى ذلك ثم توكل على الله فى ذلك والحذر هو العادة
فى الخلق والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد عليه والله اعلم وقوله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان
يغنى عنهم من الله من شئ اى ما كان يدفع ذلك عنهم ما حكم الله عليهم انه يصيبهم وقوله عز وجل الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها
الحاجة فى النفس احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة كقوله ولا يجدون فى صدورهم حاجة فعلى ذلك حاجة يعقوب لا
تخلو اما ان كانت رغبة منه فى تفرقهم او رهبة فاجتماعهم فقضى تلك الحاجة وقوله عز وجل وانه لذو علم لما علمناه ويشبه
ان يكون هذا صلة ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة اى وانه لذو علم لما امرهم بالتفرق
على التفرق والنهى عن الاجتماع وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه ما اراد بقوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضى الله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من السكك المتفرقة ما كان يغنى عنهم من قضاء الله
شيئا الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها يقول بدا لها فتكلم بها وانه لذو علم لما علمناه يقول حافظا لما علمناه وقيل حافظا له عاملا
به وقيل لذو علم لما علمناه اى عامل بجميع ما علم وانتفع به ولكن اكثر الناس لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل وانه لذو علم بقصة يوسف
من اولها الى اخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ويجوز ان يكون قوله وانه لذو علم لما علمناه اى ما اصابه من
الحزن بذهاب يوسف واخيه وما اصابه من الشدة والنكبة لم يؤثر ذلك فى علمه الذى علمناه وان اثر ذلك فى نفسه وبدنه و
اى علمه بما علمناه بعدما اصابه كهو ما كان قبل ذلك لم يعمل فيه ولم يؤثر وعن الحسن فيما اظن فى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت به طيرة نظر بها ولكن قد علم او ظن ان يوسف سيلقى اخاه
فيقول انى انا اخوك واكثر اهل التاويل قالوا قوله الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها اى خيفة العين على بنيه بجمالهم وهيبتهم

وحسن سوءهم او لما يكون لواحد كذا وكذا عددا من البنين فيقصدون قصدهم بالنكاية عليهم لما ذكرنا او ما اراد بذلك والله
اعلم وقوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه هذا يحتمل وجهين يحتمل انهم دخلوا البلد الذى فيه دعا يوسف اخاه و
وضمه اليه ويحتمل انهم دخلوا جميعا على يوسف فضم اخاه الى نفسه فقال انى انا اخوك قال بعض اهل التاويل لم يقل انى انا اخوك
بالنسبة ولكنه قال انا اخوك مكان اخيك الهالك وقوله عز وجل فلا تبتئس يقول لا تحزن بما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين
ويحتمل لا تبتئس بما كان عمل اخوتك بنا لما دعاه فضمه الى نفسه شكا اليه عن اخوته فقال عند ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون
ويحتمل فلا تبتئس بما يفعل بك هؤلاء اى خوفه وعاله كانه اخبره بما كان يريد ان يكيد بهم من جعل الصاع فى رحله فقال فلا تبتئس
بما كانوا يعملون بك لانه يجوز ان يجعل اخاه منهما يعرف به من غير ان ظهر منه شئ وقد اخبره انه اخوه والله اعلم ذلا انه اراد
ان يعلم ما يريد ان يكيد بهم ليكون هو على علم من ذلك وقوله عز وجل جعل السقاية فى رحل اخيه السقاية قيل هو الاناء الذى
كان يشرب فيه الملك وقيل هو الصاع الذى كان يكال به الطعام ولكن لا نعلم ما كان ذلك سوى انا نعلم انها كانت ذات قيمة و
ثمن الا ترى ان ذلك الرسول قال ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم فلولا انها كانت ذات قيمة وثمن والا لم يعط لمن جاء به حمل
بعير الطعام وكان قيمة الطعام عندهم فى ذلك الوقت ما كان ثم اذن مؤذن اى نادى مناد انكم لسارقون لا يحتمل ان يكون
يوسف يأمر رسوله ان يقول لهم انكم لسارقون وقد علم انهم ليسوا بسارقين ولكن قال لهم ذلك المنادى ناداه والله اعلم انكم لسارقون
من نفسه وهو من بعض من يتولى كيل الطعام على الناس وامثاله لا يبالون الكذب او قال لهم ذلك فوردت ذلك توهم كانوا بحضرتهم
ايتها العير انكم لسارقون او ان يكون على الاستفهام والتقرير فان كان هذا فهو يحتمل من يوسف وان كان ذلك فلا لانه كذب وضم بنيامين
اخاه يحتمل وجهين يحتمل لمكان دسه له اياهم ان يأتوا به او لمكان فضله ومنزلته ليعلموا ان ما كان ليوسف واخيه عند ابيهم من
فضل المحبة والمنزلة من الله اذ جعل ذلك لهما عند الملك وغيره والله اعلم وقوله عز وجل قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
قالوا نفقد صواع الملك اى اناء الملك سماه مرة صاعا ومرة سقاية فيجوز ان يستعمل فى الامرين جميعا فى الاستقاء والكيل جميعا
قالوا لنا ديه ما نا تفقدون قال ابو عوسجة اى اضللتم يقال افتقدتك وتفقدتك اى تعهدتك وقال القتبى فلا تبتئس من
البؤس والسقاية المكيال وقيل مشربة الملك وصواع الملك وصاعه واحد وقوله عز وجل ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قيل
ضمين لذلك الطعام وكفيل به والزعيم كما تريضا انه لرئيس من القوم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى
الارض وما كنا سارقين هذا يحتمل وجوها يحتمل انهم قالوا ذلك لانهم ردوا اليهم الدراهم وجعلتم فى اوعيتنا ثم رددنا عليكم
فما تبان نعرف بالسرقة والفساد فى الارض فكيف تعرفوننا بهذا والثانى انكم تعلمون انا ابناء النبى والرسول والانبياء لا يكون
منهم السرقة ولا الفساد فى الارض ومثل هذا لم يظهر فى اهل بيتنا قط ولا عرفنا به فكيف تتهموننا بهذا والثالث انكم ترونا
صوامين قوامين ومن هذا فعله فانه لا يتهم بالسرقة او ان يكون قوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض لما رأوهم دخلوا من ابواب
متفرقة ولو كانوا سراقا لدخلوا مجتمعين لان عادة السراق الاجتماع لا التفرق ثم قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اى ان كان فيكم
من يكون يظهر ذلك منه فما جزاؤه وقالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فهو جزاؤه اى يصير
رقيقا مملوكا لها او يصير محبوسا بها عنه والله اعلم وقوله عز وجل فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام ان يكون
يوسف هو الذى فتش اوعيتهم وطلب ذلك فيها حيث نسب ذلك اليه بقوله قبل وعاء اخيه لكنه نسب اليه لما يامر فتشه لان
الملوك لا يتولون ذلك بانفسهم وفيه انه قد فصل بينهم وبين ابن يامين سماه هنا اخاه ولم يسم اولئك بقوله باوعيتهم قبل
وعاء وهو يخرج على وجهين احدهما انه قد ذكر هنا انه اخوه حيث قال له انى انا اخوك ولم يذكر اولئك فسمى هذا اخاه ونسب اليهم
بالاخوة لما كان ذكر له ولم يسم اولئك لما لم يذكر لهم انه اخوهم والثانى انه لم يكن لهذا اعنى ابن يامين لكان يوسف سوء صنيع
ولا شرك بل هو على الاخوة والصداقة التى كانت بينه وبين ابيه واما اولئك اعنى غيره من الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من
سوء صنيعهم وقبح فعالهم فخرج ذلك مخرج البرى ومن الاخوة بسوء ما كان اليه وهو كقوله لنوح انه ليس من اهلك لما ان ابنى من اهلى
يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح نفى ان يكون من اهله بسوء عمله وفعله غير صالح فعلى ذلك الاول يشبه ان يكون على
هذا والله اعلم وقوله عز وجل ثم استخرجها من وعاء اخيه ولهذا انه قد كان منه ايضا التفتيش والطلب فى وعاء اخيه على ما كان
فى اوعيتهم لما يستخرجها على غير تفتيش وقوله عز وجل كذلك كدنا ليوسف هذا يحتمل وجهين يحتمل كذلك كدنا اى علمنا يوسف
من اول الامر الى اخره ما يكيد ويحتال فى امساك اخيه عنده ومنعه عنهم لانه يحاولهم وجه ايهم جزاء ما طلبوا منه يحاولهم وجه
ايهم بتغيب يوسف عن ابيه لانه ابام قال حتى تؤتون موثقا من الله لتاتننى به الا ان يحاط بكم فلما بلغه ذلك الخبر بوثق عنهم
وهو تولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف الاية هذا والله اعلم جزاء كيدهم الذى كادوا بيوسف ليحاولهم وجه ايهم ليتوقى
عنهم ابوهم هذا يشبه ان يكون والثانى كذا ليوسف اى علمناه ان كيف تفتيش اوعيتهم لئلا يشعروا انهم عن علم استخرجها
من وعاء اخيه لا عن جهل وظن فعله البداية فى التفتيش باوعيتهم لئلا يقع عندهم انه عن علم وبعين باخذه يشبه والله اعلم

ان يخرج قوله كذلك كدنا ليوسف على هذين الوجهين اوكدنا ليوسف اى امرنا يوسف بالكيد بهم جزاء ما عملوا بمكانه لما اهتموا باسائة
اخيهم وقوله عزوجل ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك اى فى حكم الملك ذكر ان حكم اخوة يوسف وصنائع ابيهما ان من سرق يكون عبدا
بسرقة المسروق ويستعبد بسرقته ومن حكم الملك ان يغرم السارق ضعفى ما سرق ويضرب ويؤدب ثم يخلى عنه ولا نعلم ما حكم الملك فى الزمن
سوى انه اخبر انه ليس له اخذ اخيه فى دين الملك وقوله عزوجل الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك ويجعل له حق الاخذ و
حبسه وان لم يكن ذلك فى حكمه او ان يكون قوله الا ان يشاء الله على ما كان من ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى الاية ذكر
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه يذكرون الثنيا على حقيقة المشية اويقول الا ان يكون فى علم الله سبق زلة فاستوجب عند ذلك
الكون فى دين ذلك الملك نيشاء ما علم منى وكذلك قول ابراهيم حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا اى لا اخاف ما
تشركون به الا ان يكون منى ما استوجب ذلك بزلة بشاء الله ذلك منى وقوله عزوجل نرفع درجات من نشاء الدرجات هى
الفضائل نرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم وفى كل شئ وفوق كل ذى علم عليم ما من عالم وان لطف علمه وكثر الا وقد يكون فوقه من هو
الطف علما منه واكثر واعلم فى شئ او يكون قوله وفوق كل ذى علم عليم وهو الله تعالى فوق كل ذى علم بعلمهم العلم والله اعلم من يقول انه
عالم لا بعلم يحتج بظاهر هذه الاية حيث قال وفوق كل ذى علم عليم اثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه بل قال عليم لكنه انا قال عليم اثبت
العلم ولانه انا قال وفوق كل العلماء عليم فيكون كذلك وقوله عزوجل ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال بعض اهل التاويل كانت
سرقته انه كان صنم من ذهب لجده ابى امه يعبده فسرق ذلك لئلا يعبد دون الله ولكنا لا نعلم ذلك ونعلم انهم كذبوا فى قولهم فقد سرق
اخ له من قبل وارادوا ان يتبرؤا منه وينفوا ذلك عن انفسهم ليعلم انه ليس منهم فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر
مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة فى نفسه
لم يظهرها لهم او اسر واما اتهموه بالسرقة وجاز ان يكون ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل خاطبوا به اخاه ابن يامين وقال يوسف
اسرقت فقد سرق اخ له من قبل يقولون فيما بينهم وقد ذكر فى بعض الحروف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل بالتشديد فان ثبت
فالتاويل هو لقولهم وقال بعضهم قوله انتم شر مكانا اى انتم اشر صنعا بيوسف والله اعلم بما تصفون من الكذب انه سرق اخ له من قبل
وقوله عزوجل قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه ارادوا والله اعلم ان يرققوا قلبه بهذا ان له ابا شيخا كبيرا
لا يكون قلب الشيخ بولده الصغير اميل وهو عنده انفس واكثر منزلة منا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين لما احسن اليهم فى الكيل و
الانزال فى المنزل والضيافة والقرى قدراوه وعلموه محسنا وقوله عزوجل قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده قيل
هذا قول يوسف معاذ الله اى اعوذ بالله اى ناخذ ونحبس بالسرقة الا من وجدنا متاعنا عنده فان قيل كيف تعوذ على ترك اخذ واخذ
غيره مكانه ولم يكن وجب له حق الاخذ انه لم يكن سرقه وانما يتعوذ على ترك ما لا يسع تركه فيما انه لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه انما
تعوذ على غير من وجد المتاع عنده انا اذا لظالمون عندكم لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده اذ فى حكمهما اخذ من سرق بالسرقة
والحبس بها والله اعلم وقوله عزوجل فلما استيأسوا منه قيل آيسوا عن ان يرد اليهم اخوهم خلصوا نجيا قيل خلوا من الناس و
خلصوا منهم يتناجون فيما بينهم فى امر اخيهم او فى الانصراف الى ابيهم وقت المقام فيه قال كبيرهم الم تعلموا قال اهل التاويل ع
كبيرهم فى العقل ليس فى السن وهو فلان قال بعضهم وهو يهودا وقال بعضهم هو شمعون ولكن لا نعلم من كان قيل هذا لهم
ولا نحتاج الى معرفة ذلك سوى ان فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم فى العقل او كبيرهم فى السن الم تعلموا ان اباكم الم تعلموا
اوالم تعلموا حرفان يستعملان فى احد امرين فى الامر اعلموا كذا وفى موضع التنبيه والتقرير وههنا كانه قال ذلك على التقرير
والتنبيه اى قد علمتم ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف هذا يدل ان التاويل فى قوله الا ان يحاط
بكم هو ان يحكم امر ويجمعكم فيهلككم فيه جميعا وليس كما قال بعض اهل التاويل الا ان يجى ما يمنعكم عن ردة الا ان
تغلبوا فتعجزوا عن ردة لانه قد جاء ما يمنعهم عن ردة ثم ابى اكبرهم الرجوع الى ابيه دل ان التاويل هو هذا ومن يقول ان التاويل
فى قوله الا ان يحاط بكم الا ان يجى ما يمنعكم عن الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق فلو كان على
على ما يغمهم ويجمعهم لم يكن ليامرهم بالرجوع الى ابيهم دل انه ما ذكر واما اهل التاويل الاول يقولون ان قوله ارجعوا الى ابيكم
ليس على الامر ولكن اذا رجعتم الى ابيكم فقولوا ان ابنك سرق وكذلك يخرج قوله واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا
فيها ليس على الامر ولكن لو سألت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا ليس على الامر ولكن لو رجعتم
اليه فقولوا كذلك وقوله عزوجل ومن قبل ما فرطتم اى من قبل ما ضيعتم امر ابيكم فى يوسف وضيعتم الله ووعده فى يوسف
فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى هذا يحتمل وجهين يحتمل حتى يأذن لى ابى بالرجوع اليه اذا ظهر عذرنا عنده وصدقنا فى
امر ابنه او يأذن لى ابى بالمناذعة فى القتال مع الملك حتى استنقذ اخى واستخلصه منه او يحكم الله لى بالرجوع ايضا او فى القتال
معه وهو خير الحاكمين او يحكم الله لى باظهار عذرنا وصدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين فى اظهار العذر لانه اذا حكم
باظهار العذر ظهر ذلك فى الخلق جميعا وكذلك حكم غيره لان كل من حكم يحكم يجوز انا نحكم بحكم وحكم الله فهو خير الحاكمين

وكذلك

وكذلك قوله وهو ارحم الراحمين لان من رحم من الخلق انما يرحم برحمته فهو ارحم الراحمين وقوله عزوجل ارجعوا الى
ابيكم يحتمل على الامر على ما هو فى الظاهر ويحتمل ما ذكرنا اى لو رجعتم اليه فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يشبه ان يكون هذا منه
تعريضا فى الخطبة على ما كانوا يقولون على غيره من الاولاد اى الذى كنت توثق علينا لم نجده وميل القلب اليه قد سرق ويشبه
ان يكون ليس على التعريض ولكن على الاخبار على ما ظهر وعندهم من ظاهر الامر وما شهدنا الا بما اخرج المتاع من وعائه وما كنا
للغيب حافظين هذا على التاويل الذى قيل فى قوله الا ان يحاط بكم اى يغمكم ويجمعكم اى ما كنا نعلم وقت اعطانا الموثق والميثاق
انه يسرق والا لم نعطك العهد على ذلك ويحتمل وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج المتاع من وعائه وانهم انه سرق اولم
يسرق او هو وضع المتاع فى رحله او غيره وضع او ما كنا نعلم فى الابتداء ان الامر يرجع الى هذا والا لم نخرجه معنا وقوله
عزوجل واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها اى لو سألت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه على ما نقول وانا
لصادقون على ذلك على ما ظهر لنا من استخراج الاناء من وعائه والله اعلم وقوله عزوجل قال بل سولت لكم انفسكم امرا قال
قيل كيف قال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا وجعل ما اخبروه من تسويل انفسكم وتزيينها ولم يكن للقوم فيما امرهم فى امر ابن
يامين ولا تركوا شيئا مما امرهم به وليس هذا كالاول الذى قال لهم فى امر يوسف بل سولت لكم انفسكم لانه قد كان منهم خلاف
لما امرهم به والسعى على هلاكه فكان ما ذكر من تسويل انفسهم وتزيينها فى موضع التسويل والتزيين واما ههنا فلم يأت
منهم اليه خلاف ولا ترك لامره فكيف قال بل سولت لكم انفسكم امرا لكن يشبه ان يكون قال ذلك لانهم لما اتهموا جميعا بالسرقة
فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قطعوا فيه القول انهم لم يكونوا سارقين
وهو كان فيهم فكيف قطعتم فيه القول بالسرقة ان ابنك سرق ولكن سولت لكم انفسكم امرا من البغض والعداوة من
الايثار له ويوسف عليهم والميل اليهما منهم حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة والله اعلم
فسولت لكم انفسكم ببعضكم وعداوتكم حتى تركتم التفحص عن حاله وامر الاكيل من ذخيه فى رحله شئ يكون هو
واضع ذلك الشئ بل قد يضع غيره فيه على غير علم فيه وقوله فصبر جميل قد ذكرناه وقوله عسى الله ان يأتينى بهم
جميعا قال اهل التاويل قال يأتينى بهم جميعا لانهم صاروا جماعة يوسف وابن يامين اخوه ويهودا وشمعون قد
تخلفا بسبب حبس يوسف اخاه او يوسف واخوه وقال بعض اهل التاويل ان جبريل اتى يعقوب على احسن صورة
فسأله من يوسف افى الاحياء ام فى الاموات فقال بل هو فى الاحياء فقال عند ذلك عسى الله ان يأتينى بهم جميعا وقيل
يعقوب ان يوسف فى الاحياء وانه ضمن هالك لما راى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب والشمس والقمر له علم انه فى
الاحياء وانه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه وغير ذلك من الدلائل لكنه كان لا يعلم اين هو فقال ذلك انه هو العليم الحكيم
وقوله عزوجل وتولى عنهم اى اعرض عنهم وعاتبهم حين اخبروه ان ابنه سرق وقال يا اسفى على يوسف قيل يا حزنا على يوسف
وقيل يا جزعا وقال القتبى الاسف اشد الحسرة واصله ان الاسف كانه النهاية فى الحزن اذا بلغ غايته ونهايته يقال اسف
وهو النهاية فى الغضب ايضا كقوله فلما اسفونا اى لنا اغضبونا انتقمنا منهم وقوله عزوجل يا اسفى على يوسف يحتمل ان
يكون لا على اظهار القول باللسان ولكن اخبار عما فى ضميره وذلك جائز كقوله انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما فى قلوبهم
لا ان قالوا ذلك باللسان ويحتمل القول به على غير قصد منه وقوله عزوجل فهو كظيم الكظيم هو كف النفس عن الجزع
وترديد الحزن فى الجوف على غير اظهار فى غير افعاله والجزع هو ما يظهر فى افعاله فالذى يهيج الغضب لان الحزن يكون
على من فوقه والغضب من تحت يده وسبب هيجانهما واحد وان يكون الكظيم هو الذى يستر ويخفى القلب ما حل به والهم
هو ما يبعث على القصد من الهم هو ما يبعث على القصد من الهم به والحزن هو على ما يؤثر التغيير فى الخلقة ولا يظهر فى
الافعال والجزع يظهر فى الافعال ولا يغير الخلقة عن حالها لذلك فى ضعف نفس يعقوب وحمل فى الهلاك بعضه
حيث ذهبت عيناه وابيضت من الحزن والكظيم ما ذكرنا هو الذى يرد الحزن فى جوفه ولا يظهره ويكف عن الجزع وقوله
عزوجل قالوا تالله هو يمينهم مكان والله وبالله وكذلك قال ابرهيم تالله لاكيدن اصنامكم وقوله عزوجل تفتؤ
تذكر يوسف اى لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره حتى تسلوا من حزنه كانهم دعوه الى السلو من حزنه لانه بالذكر
يتجدد الحزن ويحدث فقالوا له لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل حرضا هرما واصل الحرض الضعف
او تكون من الهالكين كذلك صار يعقوب ضعف فى بدنه من الحزن وصار بعض بدنه من الهالكين حيث ابيضت عيناه
ذهبت من الحزن وقوله عزوجل قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله قال القتبى الحرض الدنف والبث اشد الحزن لانه مما
لا يصبر عليه حتى يبثه اى يشكوه وكذلك روى فى الخبر من بث فلم يصبر اى شكا وما ذكر من الشكاية الى الله ليس على
اظهار ذلك باللسان ولكن اشتكاه فى القلب وقال الحسن اشكو بثى اى حاجتى وحزنى الى الله ويشبه ان يكون البث
والحزن واحدا ذكر على الشكر او قال بعضهم الحرض الذى ذهب عقله من الكبر او يكون من الهالكين فموت والله اعلم

وقوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التأويل قوله اعلم من الله من تحقيق رؤيا يوسف انه كاين ما لا تعلمون انتم وانما تستبعد لرؤية وقال ابن عباس رضي الله عنه قوله واعلم من الله ما لا تعلمون انه حي لم يمت وهو ما ذكر انه كان يعلم من الله ما لا يعلمون هم ويشبه ان يكون قوله اعلم من الله اي انتفع بعلم ما لا تنتفعون انتم واصله ان اخوة يوسف لو علموا ان امر يوسف يبلغ ما بلغ من الملك والعز ما قصدوا قصد تغييبه عن والده ولا سعوا فيه فيما سعوا من افساد امره لكنهم لم يعلموا والله اعلم او علم من الله شيئا لم يبين ما لا يعلمون هم كقول ابراهيم وما ذكر اهل التأويل ان يعقوب قال كذا من النياح على يوسف والجزع عليه لا يحتمل ذلك لانه قال حين اخبروه بذلك فصبر جميل وما ذكروا منه ليس هو بصبر فضلا ان يكون جميلا وقوله يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه قال اهل التأويل تحسسوا اطلبوه واستخبروه عنه وعن اخيه لكن غير هذا كانه ترجى وهو من وقوع الحس عليه كانه قال اذهبوا فانظروا اليه والى اخيه لانهم ان لم يكونوا يجهلون ان يوسف اين هو فلقد كانوا يعلمون من حال اخيه ابن يامين انه اين هو فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار على ما قاله اهل التأويل ان احتمل في يوسف فذلك لا يحتمل في اخيه اذ هم كانوا يعلمون مكانه واين هو وان كانوا لا يعلمون مكان يوسف ولا اين هو وهو انما امرهم ان يتحسسوا عنهما جميعا فدل والله اعلم انه من وقوع الحس والبصر عليهما لا من البحث والطلب والله اعلم لكانه علم بالوحي انه هالك واخوه معه لكنه لم يخبر بنيه انه هالك لما علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فانما امرهم بذلك امر تهيين لا امر تصريح او ان يكون قوله فتحسسوا من يوسف على الاضمار اي تحسسوا من يوسف واسألوا منه عن اخيه لما علم ان اخاه يكون معه وقال عامة اهل التأويل انما قال لهم هذا وعلم انه في الاحياء لانه راى اي ملك الموت فقال له هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الارواح قال لا وقال بعضهم راى في المنام ملك الموت فقال له ما ذكرنا فعند ذلك قال هذا القول لكنا نقول انه كان عالما في الاحياء ليس بهالك لما راى من الرؤيا وغيره فعلم انه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه على الصدق والحق لكنه لم يكن يعلم انه اين هو من قبل ثم علم من بعد بالوحي عن مكانه وحاله فامر بنيه ان يأتوه فينتظروا اليه والى اخيه واصل هذا ان ما حل بيعقوب من دون يوسف وغيبته عنه محنة امتحنه ربه وبلية ابتلاه بها يبتلي بذلك حسرة عليها الا ترى ان يوسف لو اراد ان يعلم اباه يعقوب عن مكانه وحاله لقدر عليه لانه كان يعلم بمكان ابيه وان كان يعقوب لا يعلم بمكان يوسف فلم يعلم الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم وقوله عز وجل ولا تيأسوا قيل من رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اخبر انه لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون لان المؤمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته نهاهم عن الاياس لما كان عندهم انه هالك حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم لما قال لهم اني لاجد ريح يوسف واخوه كان محبوسا بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم او يقول نهاهم وان لم يكونوا آيسين ثم يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون خبر عن الله اخبر انه لا ييأس من رحمته الا القوم الكافرون وكذلك ما بشر ابراهيم بالولد حيث قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين نهاه عن القنوط ولا يحتمل ان يكون ابراهيم قانطا عن ذلك لكنه نهاه ثم اخبر فقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والاية ترد على المعتزلة قولهم لقولهم ان صاحب الكبيرة خالدا مخلدا في النار وانه ليس بكافر وهو آيس على قولهم من روح الله وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من روح الله وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من روح الله وهو ليس بكافر وقوله عز وجل فلما دخلوا عليه اي على يوسف قالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لما لعلهم يسمون كل ملك عزيزا او سموه عزيزا لما كان عندك عزيزا بقوله اكرمي مثواه ولما كان بالناس اليه حاجة بالطعام الذي في يده وهو كان غنيا عما في ايديهم والله اعلم وقوله مسنا واهلنا الضر وقال اهل التأويل اصابنا الشدة والبلاء والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة قيل دراهم نفاية بنهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لانه كان في عزة وتنفق في غيره وقال ابو عوسجة وجئنا ببضاعة مزجاة اي قليلة وكذلك قال القتبي اي قليلة وقال ابن عباس هي الورق الردية لا تنفق حتى يوضع وقال ابو عبيد الازجاء في كلام العرب الدفع والسوق وهو كقوله الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوق ويدفع وقال بعضهم جاؤا بسمن وصوف وقيل جاؤا بصنوبر وحبة الخضراء وامثال هذا ويشبه ان يكون مزجاة من التزجية كما يقال تزجي يوما بيوم وقوله عز وجل فاوف لنا الكيل قال بعضهم اوف لنا الكيل بسعر الجياد وناخذ النفاية وتكيل لنا الطعام بسعر الجياد لكن قوله فاوف لنا الكيل اي سلم لنا الكيل تاما لان الايفاء هو التسليم على الوفاء كقوله واوفوا الكيل والميزان وتصدق علينا بفضل ما بين الثمنين في الوزن وقيل ما بين الكيلين وقال بعضهم وتصدق علينا اي رد لنا شيئا يكون ذلك صدقة لنا منك لكن يشبه على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة حط الثمن لان الصدقة لا تحل للانبياء ويجوز الحط لهم ويجوز حط من لا يجوز صدقته نحو العبد الماذون له في التجارة يجوز حطه ولا يجوز صدقته وكذلك نبي الله كان يجوز الشراء له بدون ثمنه ولا يحل له الصدقة ويحتمل قوله مسنا واهلنا الضر بذهاب بصر ابيهم مسهم بذلك واهلهم الضر وقوله عز وجل وتصدق علينا اي رد علينا ابن يامين

لعل الله يرد

لعل الله يرد بصره علينا ان الله يجزي المتصدقين قيل قال اهل التأويل ان الله يجزي المتصدقين لو كان على دين الاسلام كانهم ظنوا انه ليس على دين الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لقالوا ان الله يجزيك بالصدقة وقوله عز وجل هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه هو ظاهر لا يحتاج الى ذكره واما ما فعلوا باخيه قال اهل التأويل فرقوا بينهما قالوا انه سرق لكنهم لم يقولوا الا قدر ما ظهر عندهم فلم يلحقهم بذلك [illegible] لكن يشبه ان يكون نزل اذاهم بانواع الاذى ولا شك انهم كانوا يبغضون يوسف واخاه حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه قد كانوا علموا ما فعلوا بيوسف لكنه قال هل تذكرون ما فعلتم بيوسف اذ انتم جاهلون ذلك كانه سائل يقول لهم اذكروا ما فعلتم بيوسف وقولوا الحق على ذلك ولا تكونوا جاهلين عن ذلك ويقول لهم [illegible] وانتم بعد فيه وقوله عز وجل اذ انتم جاهلون قال بعض اهل التأويل اي انتم جاهلون اي مذنبون ولكن اذ انتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته لانهم لو علموا ما قدر يوسف عند الله وما منزلته ما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وما خطئوا في اتيانهم [illegible] قالوا انك لانت يوسف كانهم عرفوا انه يوسف بقول يوسف هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون حيث قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لما ذكر اخاه [illegible] عرفوا انه يوسف لذلك قالوا والله اعلم قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر [illegible] من يتق معاصيه ويصبر على بلاياه [illegible] ويصبر على الاذى او من يتق ويصبر فقد احسن [illegible] ويقول انه من يتق الجفا ويصبر على البلاء فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين ويشبه ان يكون قوله وتصدق علينا يرد اخانا علينا وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد اثرك الله علينا قسم فداعنا دون في نحوى كلامهم على غير ارادة يمين بذلك هكذا عادة العرب والا كان يعلم يوسف ان الله قد اثره عليهم ويشبه ان يكون تخريج القسم ههنا على تاكيد معرفتهم فضله ومنزلته اي لم تزل كنت موثرا مفضلا علينا وان كنا لخاطئين اي وقد كنا خاطئين فيما كان منا اليك من الصنيع ان يكون قوله اثرك الله علينا فيما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اي لما كان يؤثرهما عليهم فقالوا كنت موثرا على ما كان ابونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال القتبي قوله لا تثريب اي لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وقال بعضهم لا تثريب عليكم اليوم اي لا تنغيص عليكم وقيل اصل التثريب الافساد يقال ثرب علينا الامر اي افسد وقال ابو عوسجة التثريب الملامة يقول لا لوم عليكم في صنيعكم وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تثريب عليكم اي لا اعيركم بعد هذا اليوم ابدا ولا اعيره عليكم وهو يحتمل هذين الوجهين احدهما لا تعيير عليكم ولا ملامة اي ليس في العقل تعيير ولا ملامة اذا تبتم واقررتم بالخطاء وهكذا كل من اذنب ذنبا وارتكب كبيرة ثم انتزع منها وتاب منها لا يعير هو عليه ولا يلام وكذلك قيل في قوله ولا تنابزوا بالالقاب ذكر انهم كانوا يعيرون اهل الكفر في كفرهم ويلقبونهم ثم اسلموا فنهوا ان ينابزوهم ويصنعوا بهم مثل صنيعهم بهم في حال كفرهم ولو وجب التعيير والملامة بعد الانتزاع عنه والتوبة لجاز ذلك لكان اصحاب رسول الله معيرين ملامين لانهم كانوا اهل الكفر في الابتداء فهذا ما لا يحل في العقل والثاني قوله لا تثريب عليكم لا اعيركم على ما قال ابن عباس رضي الله عنه اي لا اذكر ما كان منكم الينا انهم خافوا ان يذكر شيئا مما كان منهم اليه ولذلك قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ذكر ان الشيطان هو الذي فعل ما كان بينه وبين اخوته وكذلك فعل حيث قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اضاف ذلك الى الشيطان ولم يضف الى اخوته وقوله عز وجل يغفر الله لكم قطع فيه القول بالمغفرة لهم حين اقروا بالخطايا وتابوا عما فعلوا وهكذا كل من تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنه ان يقطع القول فيه هو بالمغفرة والرحمة وقوله يغفر الله لكم صريح على الدعاء لهم بالمغفرة وعلى الاخبار بالوحي انه يغفر لهم او قد غفر لهم وتقول استغفروا الله الذي كان بين الله وبينكم يغفر لكم وهو ارحم الراحمين لان كل من يرحم من الخلائق انما يرحم برحمة منه اليه فهو ارحم الراحمين بما قلنا على ما قلنا في قوله خير الحاكمين واحكم الحاكمين لان من يحكم من الخلائق بحكم يجوز انما يحكم بحكم ناله منه وقوله عز وجل اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا دل هذا من يوسف حيث قطع فيه القول انه يصير بصيرا انه عز وجل قال هذا لا عن راي منه واجتهاد اذ قطع القول فيه انه اذا القي على وجهه يصير بصيرا وقوله يأت بصيرا هذا يخرج على وجهين احدهما يصير على ما ذكرنا والثاني يأتيني بصيرا وقوله عز وجل واتوني باهلكم اجمعين اراد والله اعلم حيث امرهم ان يأتوا باهلهم اجمع ان يبرهم ويكرمهم حين تابوا عما فعلوا به واقروا له بالخطأ في امره وقوله عز وجل ولما فصلت العير قيل خرجت وفصلت وانفصلت واحد قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف قال اهل التأويل كان بينهما ثمانين فرسخا يعقوب في مصر وبين كنعان مكان يعقوب وقيل مسيرة ايام ما بين الكوفة والبصرة ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك انه كم كان بينهما سوى انا نعلم انه كان بينهما مسيرة ايام ثم وجد يعقوب ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك اية من ايات الله

جث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد ذلك غيره وذلك من اثار البشارة والسرور الذي يدخل فيه بعد غمه قال بعض اهل التاويل
ذلك القميص هو من كسوة الجنة كان الله كساه ابرهيم اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف كذلك وجد ريحه لانه
كان من ثياب الجنة فهو ان ثبت ما قالوا فذلك ايضا حيث وجد هو ذلك ولم يجد غيره وكان ابناؤه لا يجد ذلك الارج قبل فصول
العير وكان مع يوسف احتمل ما قالوا او احتمل ان يكون قميصا والله اعلم وقوله عز وجل لولا ان تفندون قيل تحزنون وقيل تهوموني وقيل
تكذبون وقيل تضعفون وقيل تعجزون وقيل تجهلون وقيل تسفهون وقيل تحمقون وقيل لولا ان تقولوا ذهب عقله والمفند معروف
عند الناس هو الذي يبلغ في الكبر غايته كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقوله لولا اذا كان على الابتداء فهو على النهي اي تفندون وان كان
على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها اي لم ينفع وقوله عز وجل قالوا تالله هو ما ذكرنا انه يمين اعتادوا
في كلامهم على غير ارادة القسم انك لفي ضلالك القديم قيل في حب يوسف وذكره القديم كان عندهم انه هالك لذلك انكروا عليه
وخطاؤه فيما يجد من ريحه وعنوانه في الاحياء لذلك كان ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فلما ان جاء البشير القاه على وجهه
فارتد بصيرا اي رجع بصيرا على ما كان قال اهل التاويل البشير كان يهودا وقيل البريد ولا ندري من كان وليس بنا الى معرفة ذلك
حاجة سوى ان المدفوع اليه الثوب كان واحدا وان قال في الابتداء اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي وقوله عز وجل قال الم
اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل وذلك ان يعقوب قال لهم قبل ذلك انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا
تعلمون انه من تصديق رؤيا يوسف وانه حي وكان يعلم هو من الله اشياء ما لا يعلمون هم وقوله عز وجل قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي طلبوا من ابيهم الاستغفار فاخرهم ذلك الى وقت وطلبوا من يوسف العفو واقروا
بالخطا والذنب فعفا عنهم وقت سؤالهم العفو فمن الناس من يقول انما اخر يعقوب الاستغفار وعفا عنهم يوسف لان قلب الشاب
يكون الين وارق من قلب الشيخ لذلك كان ما كان لكن هذا ليس بشيء انما يكون هذا في عوام من الناس فاما الانبياء كلما مضى وقت فتزداد
قلوبهم لينا ورقة وخشوعا ومنهم من يقول انما كان كذلك لان وجد يعقوب كان اكثر من وجد يوسف لذلك كان اجابهم يوسف
وقت سؤالهم العفو واخر يعقوب الى وقت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله والوجه فيه عندنا والله اعلم انهم انما سالوا يعقوب
وطلبوا منه الاستغفار من ربهم فيكون لهم شفيعا فاخر ذلك الى وقت الاستغفار والشفاعة اذ ليس كل الاوقات يكون وقتا للاستغفار
وطلبوا من يوسف العفو منه فعفا عنهم وقت طلبهم منه العفو لهذا الوجه يحتمل ان يخرج معناه والله اعلم او ان يكون يعقوب اخر الاستغفار
لان الذنب في ذلك كان بينهم وبين ربهم واخر الى ان يجيء الاذن من ربه واما الذنب في يوسف فيما بينهم وبين يوسف فعفى عنهم
من ساعته ويحتمل قوله سوف استغفر لكم ربي ان استغفر ثم انتم او قال سوف استغفر لكم ربي اذا جاء وقته فهو ما قال ابن عباس رضي الله
عنه انه اخره وقت الاستغفار الى السحر او ان يكون اخره الى ان يقدم شيئا بين يدي الاستغفار والشفاعة فيكون اسرع اجابة
وقوله عز وجل فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ظاهر هذا ان يوسف كان تلقاهم خارجا من
المصر فقال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ثم لما دخلوا المصر اوى الى نفسه ابويه وضمهما اليه ويشبه ان يكون تاويل هذا القول في
ما قال لهم ائتوني باهلكم اجمعين وادخلوا مصر ان شاء الله امنين ثم لما جاؤوا ودخلوا مصر ضم اليه ابويه وامرهم اياهم ان يدخلوا مصر
امنين لان المصر كان اهله اهل كفر فكانهم خافوا الملك الذي كان فيه فذكر لهم الامن لذلك والله اعلم وذكر الثنيا فيه لا يرد وعد منه
وعهدهم والانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا لا يعدون شيئا الا ويستثنون في اخره كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا
ان يشاء الله وانما ذكر الثنيا في الامن لم يذكر في الدخول لان الدخول منه امر وما ذكر من الامن فهو وعد فهو ما ذكرنا انه يستثني في الوعد
ولا يستثني في الامر وقوله عز وجل ورفع ابويه على العرش يشبه ان يكون قوله اوى اليه ابويه هو ما ذكر من رفعه اياهما على العرش وخص
بذكر ابويه بالرفع على العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة جميعا لانه لم يؤنبهم وقد كان عفى عنهم لما اقروا بالخطا وقال لا تثريب
عليكم اليوم فكان يرفع عنهم انه قد بقي شيء مما كان منهم اليه لكن خص ابويه بالذكر فيهما وجعلهما على ما يخص الاشراف والاعاظم يخوض
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه ونحوه وذلك في رفع ابويه على العرش على ان اتخاذ العرش والجلوس عليه لا باس
به اذ لو كان لا يحل او لا يباح ذلك لكان يوسف لا يتخذ ولا كان يعقوب يجلس عليه دل ذلك منهما ان ذلك مباح لا باس به والله اعلم
وقوله عز وجل وخروا له سجدا قال بعضهم من اهل التاويل كانت تحيتهم يومئذ فيما بينهم السجود يسجد بعضهم لبعض فكان ما
يسلم بعضنا على بعض واما اليوم فهو غير مباح واما التحية في السلام لكن السجود لدون الله ليس يكره لنفس السجود وانما يكره
ويمنع عنه في السجود وهو العبادة والتسفل لا يحل لاحد ان يجعل العبادة والعبادة والتسفل لدون الله واما نفس السجود فانه
كالقيام والقعود وغيره من الاحوال يكون فيها المرء والله اعلم ويحتمل قوله وخروا له سجدا اي خروا له خاضعين لمن بدل بين ذلك منهم
وخروا لله سجدا اي خروا له سجدا شكرا له لما جمع بينهم ورفع ما كان بينهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل وقال
يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اي حقق تلك الرؤيا التي رايتها من قبل وجعلها صدقا اري يوسف رؤيا لحقق
رؤياه بعد حين ووقت وزمان طويل فهنا يدل ان الخطاب انما قرع السمع يجوز ان ياتي تاويله من بعد حين وزمان ويجوز ان

يكون

يكون معروفا به وليس في تاخير بيان الخطاب تلبيس ولا تشبيه على ما قال بعض الناس وقوله عز وجل وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن ولم يقل سجنت وجلست وانما له ما كان ابتلاه الله به وقوله عز وجل وجاء بكم من البدو قيل من البادية لانهم كانوا
اهل بادية اصحاب المواشي وقوله عز وجل من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قال بعضهم نزغ اي فرق بعدما فرق الشيطان بيني
وبين اخوتي وكان النزغ هو الافساد على ما ذكره اهل التاويل اي بعد ما افسد الشيطان بيني وبين اخوتي واضاف ذلك الى
الشيطان لما كان قال لهم لا تثريب عليكم حين اقروا له بالفضل والخطا في فعلهم وقوله عز وجل ان ربي لطيف لما يشاء هو اسم
لشيئين اسم البر والعطف يقال فلان لطيف اي بار عاطف والثاني يقال لطيف اي عالم بما يلطف من الاشياء ويصغر كما يعلم
بما يعظم ويجسم او يقال لطيف اي يعلم المستور من الامور والخفية على الخلق كما يعلم الظاهرة منها والبادية لا يخفى عليه شيء
يعلم السر واخفى يقال له عظيم ولطيف ليعلم انه ليس يفهم من عظمته ما يفهم من عظم الخلق اذ لا يجوز في الخلق ان يكون عظيما لطيفا
ويجوز في الله ليعلم ان ما يفهم من هذا غير ما يفهم من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل انه هو العليم الحكيم اي العليم بما كان
ويكون وما ظهر وما بطن وما يسر ويعلن وبكل شيء عليم بعواقب الامور وبداياتها الحكيم حكم بعلم ووضع كل شيء موضعه الحكيم لا
يجهل ولا سفه على ما يحكم الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثلاث ايات في سورة يوسف
على المعتزلة قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن اخبر انه لو لم يصرف عني كيدهن مال اليهن وهم يقولون قد صرف عن كل احد
السوء والكيد لكن لم ينصرف عنه كذلك قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اخبر انه رحمه امتنع عن السوء والامرة وهم
يقولون انه وان رحم لا يمتنع السوء ولا الامرة وكذلك قوله نصيب برحمتنا من نشاء وهم يقولون ليس له ان يصيب احدا دون
احد من رحمته ولا ان يخص احدا بذلك وقوله عز وجل رب قد اتيتني من الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من الملك لانه لم يؤت كل الملك
اذ كان فوقه ملك اكبر منه لكن لا لهذا ذكر من الملك اذ معلوم انه لم يؤت لاحد ملك الدنيا قال الله تعالى تؤتي الملك من تشاء ويكون
في وقت واحد ملوك وقال مقاتل من صلة كانه قال رب قد اتيتني الملك لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله قد اتيتني من الملك
وعلمتني من تاويل الاحاديث توفني مسلما الى اخر ما ذكر قدم دعاءه وسؤاله ربه ما سال الثناء اليه ومحامده وثنائه فيكون
ذلك له وسيلة الى ربه في الاجابة وفي ذلك دلالة نقض قول المعتزلة من وجهين احدهما يقولون ان كل احد شفيعه عمله فيوسف
لم يذكر ما كان منه اني فعلت كذا فافعل بي كذا ولكن ذكر نعم الله واحسانه اليه والثاني من توهم انه لا يؤتي احدا ملكا ولا نبوة الا
بعد الاستحقاق ومن توهم ان كل احد هو المتعلم لا ان الله يعلم احدا وقد اضاف يوسف التعليم الى الله حيث قال وعلمتني من تاويل
الاحاديث وهم يقولون لم يعلمه ولكن هو تعلم وقوله عز وجل وعلمتني من تاويل الاحاديث قال اهل التاويل تعبير الرؤيا ولكن
الاحاديث هي الانباء والتاويل هو علم العاقبة وعلم ما يؤول اليه الامر كانه قال علمتني مستقر الانباء ونهايتها كقوله تعالى لكل
نبإ مستقر والله اعلم وقوله عز وجل فاطر السموات كانه على النداء والرجاء ذكر يا فاطر السموات والارض لذلك انتصب
وقوله عز وجل انت وليي في الدنيا والاخرة يشبه ان يكون تاويله انت ولي نعمتي في الدنيا والاخرة كما يقال فلان ولي نعمة فلان
ويحتمل انت اولى بي في الدنيا والاخرة او انت ربي وسيدي في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل توفني مسلما تمنى صلى الله عليه
وسلم التوفي على الاسلام والاخلاص بالله والالحاق بالصالحين فهو والله تعالى اعلم وذلك ان الله قد اتاه النهاية في الشرف والمجد
في الدنيا دينا ودنيا لان نهاية الشرف في الدين هي النبوة والرسالة ونهاية الشرف في الدنيا الملك فاحب ان يكون له في الاخرة
مثله فقال توفني مسلما والحقني ثم يحتمل سؤاله ان يلحقه بالصالحين بكل صالح ويحتمل انه سال له ان يلحقه بالصالحين باباءه والجدود
وبجميع الانبياء والرسل وقوله عز وجل توفني مسلما والحقني بالصالحين هو ينقض على المعتزلة ايضا لان توهم انه اعطى كل احد ليس
له ان لا يتوفى مسلما فيكون في دعائه عابثا على توهمهم والثاني على توهمهم لا يملك ان يتوفاه مسلما لان من توهم انه اعطى كل احد ما به
يكون من ناحيته لم يبق عنده شيئا ومن سال اخر شيئا يعلم انه ليس عنده فهو به وبه اذ يكون كتمان النعمة وفي كتمان النعمة كفرانها
وقوله تعالى عز وجل ذلك من انباء الغيب الاية ذلك اي خبر يوسف واخوته وقصصهم التي قصصنا عليك واخبرناك من اوله
الى اخره من انباء الغيب لم تشهدها انت ولم تحضرها لقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ليعلم انك انما علمت وعرفتها
بالله وحيا ليدلهم على رسالتك ونبوتك والله اعلم وقوله عز وجل وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون اي ما كنت لديهم
ولا بحضرتهم ثم اثبات على ما كان ليدلهم على ما ذكرنا من الرسالة وقوله عز وجل وهم يمكرون بابيهم واخيهما مكرهم بابيهم
حيث قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون اخبروه انهم له ناصحون فخانوه ومكرهم باخيهم حيث قالوا ارسله
معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ضمنوا له الحفظ فلم يحفظوه مكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال في اللغة والاخذ على غفلة
الامن وقد فعلوا هم بابيهم يعقوب واخيهم يوسف عليهما السلام وقوله عز وجل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي ما اكثر
الناس بمؤمنين ولو حرصت يا محمد ان يكونوا مؤمنين كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يبلغ من شفقته ورحمته على الخلق ورغبته في ايمانهم حتى كادت نفسه تهلك في ذلك حيث قال لعلك باخع

نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك ولا تحزن عليهم كان حرصه على ايمانهم بلغ ذلك حتى خفف ذلك عليه بهذه الاية و
قال بعض اهل التأويل قوله تعالى وما اكثر الناس يعني اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين وهم كذلك كانوا كان اكثرهم غير مؤمنين و
اهل مكة وغيرهم سواء كلهم كذلك كانوا وقوله عز وجل وما تسألهم عليه من اجر اي على ما تبلغ اليهم وتدعوهم الى طاعة الله وجعل
العبادة له وتوجيه الشكر اليه لا تسألهم على ذلك اجرا فالذي يمنعهم عن الاجابة لك والاتباع بامرك هذا يدل ان لا يجوز اخذ
الاجر على الطاعات والعبادات حيث نهى واخبر انه لا يسألهم على ما يبلغ اليهم اجرا وهو مبتول بتبليغ جميع ما امر بتبليغه بنفسه
الى الخلق كافة بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس الاية ولكنه ولى بعضه غيره كقوله تعالى الا فليبلغ الشاهد الغائب فانه
فاذا لم يجز له اخذ الاجر فيما يبلغ هو فالذي كان مامورا ان يبلغ عنه ايضا لا يجوز ان ياخذ الاجر على ما يبلغ وفي قوله وما تسألهم
عليه من اجر وجهان احدهما انه ليس يسألهم على الذي يبلغه ويدعوهم اجرا حتى يمنع بذل ذلك ويثقله عن الاجابة والثاني الجهاد
ان ليس له ان ياخذوا ان يجمع من الدنيا شيئا كقوله ولا تمدن عينيك الاية ومعلوم انه لا يمد عينيه الا ما لا يحل فيكون النهي عن اخذ
المباح وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اي هذا القران الذي تبلغهم ليس الا ذكرى وموعظة للعالمين او هو نفسه عظة
وذكر للعالمين اعني النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اي شرف وذكرى لمن اتبعه وما تقدم وهو ما ذكر في اية
اخرى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقوله لاية للمؤمنين اي منفعة تكون لمن اتبعه نعلى ذلك هذا وقوله عز وجل وكاين
من اية الاية اي كم من اية في السموات والارض قال بعض اهل التأويل الايات التي في السماء الشمس والقمر والنجوم والسحاب و
امثاله والايات التي في الارض من نحو الجبال والانهار والبحار والمداين ونحوها لكن السماء نفسها اية والارض نفسها اية
وما يخرج منها اية وما يخرج منها اية من النبات يمرون عليها وهم عنها معرضون اي هم عنها معرضون عما جعلت هي ايات لانها انما
جعلت ايات لوحدانية الله والوهيته فهم عما جعلت هي من ايات معرضون وبالله الهداية والعصمة وقال بعضهم في قوله وكاين
من اية اي كم من دليل وعلامة على وحدانية الله في خلق السموات والارض وهو قريب ما ذكرنا وقال بعضهم ايات السماء ما ذكرنا
من نحو الشمس والقمر والكواكب واما في الارض فمثل ايات الامم التي اهلكوا من قبل من نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط و
غيرهم ممن قد اهلكوا يمرون عليها ويرونها ولا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا انهم معرضون عما جعلت تلك ايات وانما
جعلت ايات لوحدانية الله والوهيته او معرضون عن التفكر فيها والنظر اعراض معاندة ومكابرة ثم يحتمل الاعراض وجهين
احدهما اعرضوا اي لم ينظروا فيها ولم يتفكروا ولم يدلهم على وحدانية الله والوهيته فهو اعراض عنها والثاني نظروا وعرفوا انها اية
لوحدانية لكنهم اعرضوا مكابرين معاندين ليس في السموات ولا في الارض شيء وان لطف الا وفيه دلالة وحدانية الله والوهيته و
الوهيته وقوله تعالى عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون يحتمل هذا وجهين احدهما في الاعتقاد وما يؤمن اكثرهم بالله
بانه الاله الا وهم مشركون الاصنام والاوثان في التسمية وسموها الهة كقوله تعالى عز وجل قل لو كان معه الهة كما تقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا والثاني اشراك في الفعل او وما يؤمن اكثرهم بالله عز وجل الا وهم عبدوا غيره من الاصنام والاو
او ان يكون وما يؤمن اكثرهم بالله تعالى بلسانهم الا وهم مشركون بقلوبهم او يقول وما يؤمن اكثرهم بالله في اللغة انها من الله
سبحانه وتعالى الا وهم مشركون في الشكر له تعالى وقوله تعالى عز وجل افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون اي كيف امنوا ان ياتيهم عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وقد سمعوا الاتيان العذاب بمن قبلهم و
هلاكهم وقد جاء ما يخوفهم اتيان الساعة وخافوا عنها وان لم يعلموا بذلك حقيقة لما تركوا العلم بها نزل معاندة ومكابرة لان ذلك
ما قد بين لهم ومن لم يرات له التخويف والاعلام وغاشية من عذاب الله قال ابو عوسجة رحمه الله اي مجللة تغشيهم و
قوله هل اتاك حديث الغاشية وهو ما ياتيهم العذاب من فوقهم وقال غيره غاشية من عذاب الله اي عذاب من عذاب الله سبحانه
وتعالى وهو كقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك يحتمل ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وكذلك بقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وان كانت الايات الايات
نزلت فيهم لانهم يمرون بما ذكر من الايات لا يعتبرون بما ذكر وكذلك يكونون امنين عن غاشية من عذاب الله سبحانه وقوله
تعالى عز وجل قل هذه سبيلي قيل السبيل يؤنث ويذكر ويحتمل هذه الطاعة او العبادة لله تعالى يحتمل قوله تعالى سبيلي هذه التي انا
عليها ويحتمل هذه سبيلي التي ادعوكم الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني البصيرة العلم والبيان والحجة النيرة اي هذه سبيلي التي انا ادعو
اليها انما ادعوكم على بصيرة اي على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان نير ليس كسائر الاديان التي يدعى اليها على الهواء والشهوة و
بغير حجة ولا برهان ومن اتبعني او ومن اتبعني ايضا انا ما يدعوكم ايضا على حجة وبرهان اذ من يجيبني فانما يجيب على بصيرة وبيان
وحجة وسبحان وما انا من المشركين قيل هذا صلة قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون سبحان الله نزهها لما قالوا وتبرئه
عما قالوا في الله بما لا يليق به وما انا من المشركين في الوهيته وربوبيته غيره او في عبادته والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا يوحى اليهم ذكورا رجالا والله اعلم اي لم نبعث رسولا من قبل الا بشرا لم نبعث ملكا ولا جنا فكيف انكرتم رسالة

من بانه بشر ولو كان رسولا من قبل ولا سمعوا الا من البشر كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وكقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
هذا والله اعلم الا رجالا الا مثلك بشرا الا ملكا ولا جنا او ذكورا رجالا لانه لم يبعث امراة رسولا وقوله عز وجل يوحى اليهم من اهل
القرى اي انما ارسل جملة من اهل الامصار والمدن لم يبعثوا من اهل البوادي واهل البوادي والقرى انما يريد الامصار و
البنيان وقال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هي مكة جميع ما ذكر
في القران من القرية والقرى يريد به الامصار والمدن وانما بعث الرسل والانبياء من الامصار ولم يبعثهم من البوادي
ومن اهل البوادي لوجهين والله اعلم احدهما لان اهل الامصار والمدن اختلطوا باصناف الناس وامتزجوا بانواع الخلق
ويكون لهم تجارب بالخلق فهم اعقل واحلم وابصر من اهل البادية والبرية انما اختلاطهم وامتزاجهم انما يكون بالماشية
وانواع لذلك بعثوا من الامصار دون البادية وبعد فان الرسل يكون لهم اسباب واعلام تتقدم عن وقت الرسالة لا هم
يحتاج الى ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك اشرح الى الاجابة لهم وادعى وانقاد الى القبول فاذا كانوا من اهل البوادي لا
يظهر ذلك للخلق والثاني انه يراد من الرسالة اظهارها في الخلق في الافاق والاطراف والامصار والمدن هي الامكنة التي
ينتاب الناس اليها في التجارب وانواع الحوايج من الافاق والاطراف فيظهر ذلك فيها وفي اهل الافاق والبوادي والبراري
ليس يدخلها ولا ينتاب اليها الا الشاذة من الناس ولا يقتضى فيها الحوايج فلا يظهر في الخلق الرسالة وما يراد بها وقوله
عز وجل افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي لم ينظروا ولم يتفكروا فيمن هلك من قبلهم من
الامم بتكذيبهم الرسل ان كيف كان عاقبتهم بالتكذيب في الدنيا ليمتنعوا عن تكذيب رسولهم افلم يسيروا في الارض الاية يخرج
على وجهين احدهما اي قد ساروا ونظروا كيف كان عاقبة المكذبين لكنهم عاندوا ولم يعتبروا والثاني اي سيروا في الارض
وانظروا ولكن ليس على نفس السير في الارض ولكن على السؤال عما نزل باولئك وقوله عز وجل ولدار الاخرة خير للذين اتقوا
الشرك وخلاف الله ورسوله افلا تعقلون ان ذلك افضل واخبر من لم يتق بذلك والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا وكذبوا كلاهما لغتان قال بعضهم ايس الرسل عن ايمان قومهم وضعف يقينهم الرسل ثم يحتمل استياسهم
عن ايمانهم لكثرة ما راوا منهم اعتنادهم الايات وتفريطهم في ردها ايسوا عن ايمانهم وكان اياسهم بالخبر عن الله انهم لا يؤمنون
كقوله واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن الاية وامثاله وقوله وظنوا انهم قد كذبوا قال بعضهم وظن الرسل
ان اتباعهم الضعفة قد كذبوهم لكن هذا ان كان من الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم من الشدايد وطال
عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر لتوقع عند الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم وان كان من الاعداء فقد استيقن
الرسل انهم قد كذبوهم وروي عن عروة بن الزبير انه سال عايشة قال قلت ارايت قول الله حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا او كذبوا قال فقال بل كذبهم قومهم قال فقلت ارايت قول الله حق والله لقد استيقنوا ان قومهم قد كذبوهم وما هو
بالظن فقالت يا عروة لقد استيقنوا بذلك قال قلت فلعلهم ظنوا ان قد كذبوا قال معاذ الله لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها
وما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر حتى اذا استياست
الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وقال بعضهم حتى اذا استياس الرسل
عن ايمان قومهم وظن قومهم ان الرسل فقد كذبوا فيما وعدوا من العذاب انه نازل بهم لما ابطا عليهم العذاب وقال بعضهم
وظنوا انهم اي ظن قومهم ان رسلهم قد كذبوهم خبر السماء جاءهم نصرنا فان كان الاية في اتباع الرسل على ما ذكر بعضهم
فهو كقوله والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب فان كانت في غيرهم من المكذبين فقد جاء الرسل نصر الله وقوله
فنجي من نشاء من المؤمنين فهو في ظاهره خبر على المستقبل انه ينجي من يشاء من هؤلاء من المؤمنين ويشبه ان يكون على الخبر
في اولئك فان كان على هذا فيجب ان يكون نجينا من شئنا منهم واهلكنا من نشاء منهم لكن يجوز هذا في اللغة او يكون في الاخر
ننجي من نشاء وقوله عز وجل ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اي لا يرد عذابنا اذا نزل عن المجرمين وقوله عز وجل لقد
كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب يحتمل قوله في قصصهم قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب ويحتمل قصص
الرسل والامم السالفة جميعا لاولي الالباب والاعتبار انما يكون لاولي الالباب الذين ينتفعون بلبهم وعقلهم وقوله
عز وجل ما كان حديثا يفترى يحتمل اي ما حديث محمد صلى الله عليه وسلم وما اخبر من القصص واخبار الرسل والامم السالفة
بالذي افترى بل انما اخبر ما كان في الكتب السالفة على غير تعلم منه ولا دراسة ويحتمل ما كان هذا القران بالذي يفترى
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي تصديق الذي نزل على رسول الله الكتب التي كانت من قبل وتفصيل كل شيء اي تفصيل
ما للناس حاجة اليه وهدى من الضلالة لمن اهتدى ورحمة للمؤمنين وفيما ذكر من قصة يوسف واخوته على رسول الله دلالة
التصبير على اذى قريش بقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين والنسب والموالاة عملوا بيوسف ما عملوا من
الكيد والمكر فقومك مع مخالفتهم اياك في الدين احرى ان تصبر على اذاهم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل المر تلك ايات الكتاب يحتمل ان يكون قوله المر كناية عن الاحرف المقطعة المعجمة فيكون قوله تلك ايات
الكتاب تفسير المر هذا هو الظاهر ان يقال في كل حروف المعجمة والمقطعة ان يكون ما ذكر من بعدها على اثرها كان تفسير
لها والثاني يشبه ان يكون قوله المر كناية عن الحجج والبراهين وساير الكتب كانه قال تلك الحجج والبراهين وساير الكتب
جعلناها ايات القران وحججه وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم اختلف في قوله تلك ايات الكتاب
والذي انزل اليك من ربك هو القران الذي انزل قال بعضهم تلك ايات الكتاب التورية والانجيل وساير الكتب المتقدمة
وقوله والذي انزل اليك من ربك هو القران الذي انزل على محمد عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم تلك ايات الكتاب
هو القران لكنه اخبر انه منزل من ربك الحق وقوله الحق يحتمل هو الحق اي منزل من الله ليس كما قال اولئك انه ليس منزل
انما يقوله محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق اي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والله اعلم وقوله عز وجل
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون انه من الله او اكثر الناس لا يؤمنون انه ايات الله وحججه والله اعلم وقوله عز وجل الله
الذي رفع السموات قوله رفع اي انشاها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها في الابتداء مرفوعة
وكذلك قوله والارض وضعها للانام ومد الارض والجبال ارسا ها ونحو ذلك اي انشاها مرفوعة ممدودة لا انها
كانت مرفوعة فوضعها او كانت منقبضة فبسطها ولكن انشاها كذلك وقوله عز وجل بغير عمد ترونها قال بعضهم
هي بعمد ترونها لكن لا ترونها اي ترونها بغير عمد وقال بعضهم هي بغير عمد على ما اخبر على رفع ولكن اللطف و
الاعجوبة بما ينسكها بعمد لا ترى كاللطف والاعجوبة فيما يمسكها بغير عمد لان في الشاهد لم يعرف ولا قدر على رفع سقف
فيه سعة وبعد بغير عمد لا ترى لكن ما يرفع انما يرفع بعمد ترى فاللطف في هذا كاللطف في الاخر وفيه دلالة قدرته
على البعث لانه ذكر هذا ثم قال لعلكم بلقاء ربكم توقنون اي من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد وبعدها
بلا عمد يقدر على اعادة الخلق وبعثهم واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشيء
بعد فنائه اذ في الشاهد من قد يقدر على اعادة اشياء بعد فنائها ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد من
ذا الوجه امكن ان يحتج والله اعلم وقوله عز وجل ثم استوى على العرش لما لم يفهم من قوله سميع عليم مدبر المكان وان
كان في الشاهد يفهم عنه المكان اذا اضيف الى المخلوق لم يجز ان يفهم من استوائه ما يفهم من استواء الخلق وبعد فان في
الشاهد اذا قيل فلان استولى على بلد كذا واستوى امره لم يفهم منه نفاذ الامر والسلطان والمشية فعلى ذلك لم
يجز ان يفهم من الله اذا اضيف اليه المكان واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اخبر انه ليس كمثله شيء فهو في كل شيء وكل
وجه لا يشبه الخلق اذ الخلق في الشاهد ليس يشبه بعضه بعضا من جميع الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة
ثم صاروا جميعا اشكالا واشباها بتلك الجهة التي وقعت بينهم تشابه فاذا الله سبحانه وتعالى لما اخبر انه ليس
كمثله شيء دل انه انما نفى عنه الجهات التي يقع بها التشابه والمثل فهو يخالف الخلق من جميع الوجوه وهذه مسئلة
مذكورة فيما تقدم اختلف في العرش قال بعضهم العرش هو الممتحنون بهم استوى تدبيرا انشاء فيهم من العالم
لانهم هم المقصودون في انشاء ذلك كله وقال بعضهم العرش البعث به استوى وتم تدبير انشاء الخلايق ما لولا البعث
يكون انشاؤهم عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل عدم الرجوع اليه انشاء الخلق
عبثا وقال بعضهم العرش هو الملك وبه تم ما ذكر وقيل هو سرير الملك وقوله عز وجل يدبر الامر على ما في العقل انه عن
تدبير مدبر خرج وعن علم وحكمة وضع ليس على الجزاف بلا تدبير ولا علم وقوله عز وجل يفصل الايات يحتمل بين
الحجج والبراهين ويحتمل يفصل الايات اي ايات القران انزلها بالتفاريق لا مجموعة لعلكم بلقاء ربكم توقنون هو ما ذكرنا
ان ما فيما ذكر من الايات والتدبير ورفع السماء بلا عمد دلالة البعث والاحياء بعد الموت وقوله عز وجل بلقاء
ربكم هو كما ذكرنا في قوله اليه مرجعكم جميعا ومصيرهم وبروزهم وامثاله والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي مد الارض
وقال في اية اخرى والارض بعد ذلك دحاها وقال في موضع اخر والى الارض كيف سطحت وكله واحد وقال الارض
فراشا ومهادا يذكرهم نعمة التي انعمها عليهم مد الارض اي بسطها وجعل فيها رواسي ذكر انها بسطت على الماء فكانت
تكفو باهلها وتضطرب كما تكفو السفينة فارسيها بالجبال الثقال فاستقرت وثبتت وذكر انها مدت وبسطت على
الهواء ثم اثبتها بما ذكر من الجبال ولكن لو كان انها ما ذكر لكان يجيء ان لا يكون بالجبال ثباتها واستقرارها لان الارض
والجبال من طبعها التسفل والانحدار في الماء والهواء فكلما زيد من ذلك النوع كان في التسفل والانحدار اكثر وازيد
فلا يكون بها الثبات والاستقرار بل انما يكون الثبات والاستقرار بشيء من طبعه العلو والارتفاع فيمنع ذلك الشيء
الذي طبعه العلو عن التسفل والانحدار الان يقال انها كانت لا تتسفل ولا تتسرب ولكن تضطرب وتميد باهلها على ما

ذكره عز وجل وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم فان كان على هذا فيكون بالجبال ثباتها واستقرارها ومنعها عن
الاضطراب والميلان او ذكر هذا ليعلم لطفه وقدرته حيث امسكها بشيء من طبعه التسفل والانحدار وهي في نفسها كذلك
ليعلم قدرة الله ولطفه في كل شيء والله اعلم بذلك وقوله عز وجل مد الارض اي انشاها ممدودة لا انها كانت مجموعة في
مكان فبسطها على ما ذكر من رفع السماء ونحوه وجعل فيها رواسي وانهارا جعل الله عز وجل الاشياء اكثرها بالاسباب ليعلمهم الخلق
ليكون ذلك عليهم اهون وان كان جعل الاشياء عليه باسباب وبغير اسباب سواء اذ هو قادر بذاته بذكر هذا ما يحق النعم التي
انعمها عليهم من مد الارض وبسطها واثباتها بالرواسي التي ذكر وجعل الانهار فيها ليصلوا الى الانتفاع بها ليستادي بذلك
شكره او يذكر بجري الانهار من قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا يدخل فيها شيء فاخبر انه ادخل فيها الجبال مع كثافتها و
عظمتها ليعرفوا قدرته وقوله عز وجل وانهارا اي جعل فيها انهارا واخبر انه مد الارض وبسطها وجعلها مستقرة ثابتة ليتقلبوا
عليها ثم اخبر انه جعل فيها انهارا لينتفعوا بها من جميع انواع المنافع ثم اخبر انه جعل فيها من كل الثمرات زوجين قال بعض اهل
التاويل زوجين اثنين اي لونين وقال بعضهم ذا طعمين لكن يكون منها الوان اكثر من لونين احمر وابيض واسود واصفر
ونحوه وكذلك الطعم يكون حامض وحلو ومر ومز الا ان يقال زوجين اثنين الطيب والخبيث فلا يكون ثالث واما اللون فانه
يكون ذا الوان وذا طعوم وقال بعضهم الذكر والانثى فهذا يصح اذا اراد به الشجر فمنه ما يثمر ومنه ما لا يثمر فالذي يثمر هو
انثى والذي لا يثمر هو ذكر واما على غير هذا فانه لا يصح واصل الزوجين هو انهم اشكال وامثال واسم اضداد ففيه دليل نفي ذلك
كله عن الله واصل الزوج هو من له المقابل من الاشكال والاضداد اخبر انه جعل الخلق كله ازواجا اشكالا واضدادا من نحو الليل
والنهار والذكر والانثى فهو في حق المنافع كشيء واحد وفي حق انفسهم كالاشياء وقوله عز وجل يغشي الليل النهار اي يذهب ظلمة
الليل بضوء النهار وبظلمة الليل ويلبس احدهما الاخر ويجعل الليل ما هو بالنهار باديا ظاهرا للخلق وبالنهار ما هو مستور وخفي على الخلق
والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيما ذكر دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم والحكمة
ودلالة الوحدانية لقوم يتفكرون في اياته وحججه لا لقوم يعاندون اياته ويكابرونها وقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
ذكر ان الايات تكون ايات لهم بالتفكر والنظر فيها والله اعلم لان من الايات ما يعرفها بالبديهة او يقول ان منفعة الايات تكون
لمن تفكر فيها الا لمن ترك التفكر والنظر والله اعلم وقوله عز وجل وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب دل قوله قطع
متجاورات ان الارض ليست واحدة فانه لا يقال فيها التجاور فهذا يبطل قول من يقول ان
التجاور انما يذكر فيما فيه الشركة فيجب الشفعة فيما فيه الشركة واما في غيره فلا يجب واما عندنا هو ما ذكر عز وجل انه
انما اثبت التجاور في الارض التي صارت قطعا وقوله عز وجل قطع متجاورات وجنات من اعناب القطع المتجاورات هي الارض
المتواجهة التي تصلح للزرع وجنات من اعناب اي جنات متجاورات ايضا والجنات هي البساتين المحفوفة بالاشجار فيها الوان
الثمار وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قيل صنوان هو النخلتان في اصل واحد وغير صنوان النخل المتفرق وقيل الصنوان ما كان
اصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان التي نبتت وحدها وقيل صنوان هي النخلة ويخرج فاذا خرجت انشعبت بعد خروج الاصل فهو
الصنوان ولهذا قيل عم الرجل صنو ابيه تسقى بماء واحد اي يسقى ما ذكر من الزروع والنخيل والجنات بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جواهر الارض كلها واحد وهي قطع متجاورة بعضها ببعض ثم هي مختلفة في حق الثمار والفواكه وكذلك
الاشجار والنخيل كلها من جوهر واحد من جنس واحد والارض في جوهرها واحد تسقى كلها بماء واحد ثم يخرج مختلفا في الوانها وطعومها
وطيبها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم تكن بنفسها ولا بالاسباب التي جعلها ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانها لو كانت
بانفسها وطباعها وبالاسباب لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن ما ذكرنا على لون واحد
ولا طعم واحد ولا منظر واحد دل انه كان بتدبير مدبر واحد عليم لطيف وقوله عز وجل ونفضل بعضها على بعض في الاكل قيل
في الحمل بعضها اكثر حملا من بعض وبعضها يحمل وبعضها لا ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبيث والطعم واللون والمنظر مفضل
بعضه على بعض واصله ان الارض واحدة متجاورة متصلة بعضها ببعض والماء واحد ايضا ثم خرجت الثمار والفواكه والزروع
مختلفة متفرقة ليعلم ان ذلك ليس هو عمل الارض ولا عمل الماء ولا عمل الاسباب والطباع ولكن باللطف من الله لانه لو كان ذلك
بالماء او بالارض او بالاسباب او الطباع لكانت متفقة مستوية ان في ذلك لايات لما ذكرنا من وحدانيته وتدبيره وعلمه و
حكمته لقوم يعقلون اي لقوم همتهم العقل والفهم والنظر والتفكر في الايات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة ولقوم ينتفعون
بعقلهم وعن الحسن هذا مثل ضرب لقلوب بني ادم كانت الارض في الاصل طيبة واحدة فسطحها الرحمن ثم بطحها فصارت
الارض قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فيخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها ويحيي مواتها ويخرج
سبخها وملحها فتضادت الارض قطعا متجاورات وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد فلو كان الماء ما لحا قيل استسبخت هذه من
قبل الماء كذلك الناس خلقوا من ادم عليه السلام من السماء تذكرة واحدة فترق قلوبا فتخشع وتخشوا وتخضع قلوبا فتسهو و

وكلام نحوه ثم قال الحسن والله ما جالس القرآن احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان ثم تلا قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله عز وجل وان تعجب فعجب قولهم قال الحسن ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك في الرسالة فعجب قولهم حيث قالوا ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد وقال بعضهم وان تعجب يا محمد مما اوحينا اليك من القرآن كقوله في الصافات بل عجبت ويسخرون فعجب قولهم اي فاعجب ايضا قولهم يقول لكن قولهم اعجب عندك حين قالوا ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد تكذيبا للبعث وامثاله والله اعلم يقول انك ان عجبت من قولهم في تكذيبهم اياك في الرسالة ولم تكن رسولا من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت اعجب اذ قد راوا وشاهدوا من قدرة الله واياته بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم ما لو تفكروا او تاملوا ولم يعاندوا عرفوا انه قادر على ذلك كله فوصفهم الله تعالى بالعجز وانه لا يقدر على البعث والاحياء بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة ولم يكن سبق منك اليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعرفهم قدرته على ذلك او على اكثر منه وامثاله والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك ولم يكن منك اليهم حقيقة الحواس والنعم والايات والحجج وانما كان منك البيان والدعاء فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله على البعث وقولهم في الله سبحانه ما قالوا فيه بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بالله اليهم والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين كفروا بربهم يشبه ان يكونوا لما كفروا بالبعث كان كفرهم بالبعث كفرا بالله لانهم عرفوه بما جاء حيث قالوا لا يقدر على بعث الخلق ومن عرف ربه عاجزا فهو لم يعرف الرب الحقيقة والاله الحقيقة وقوله عز وجل واولئك الاغلال في اعناقهم قال بعضهم صار الكفر في اعناقهم اغلالا حيث انكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الاصنام والاوثان معبودهم يعكفون لها ويخضعون فذلك هو الاغلال في اعناقهم وقال بعضهم نزله فاولئك الاغلال في اعناقهم في الاخرة كقوله خذوه فغلوه الاية واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقوله عز وجل ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال يكون على وجهين يكون طلب الفعل نفسه كقوله ادعوني استجب لكم قيل اجيب لكم وقوله تعالى فليستجيبوا لي اي ليجيبوا لي وقوله ويستعجلونك فان كان على طلب الفعل فهو ما سالوا رسول الله العذاب كقوله سال سائل بعذاب واقع وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فبدءوا بسؤالهم بتاخير وامهاله وتاخير العذاب عندهم وامهاله من الحسنة فاستعجلوا بهذا قبل هذا وان كان الفعل نفسه فقوله يستعجلونك اي يعجلونك يا محمد بالسيئة اليك قبل ان تكون منهم اليك حسنة حيث كذبوك في الرسالة واذوك في نفسك ولم يكن منهم اليك الاحسان من قبل والله اعلم بذلك وقيل بالسيئة العذاب على ما ذكرنا قبل الحسنة اي قبل العفو وسؤالهم السيئة والعذاب يحتمل منهم انه رسول وانه صادق فيما يخبر ويوعد من العذاب كانوا لا يسالون لانهم يعلمون ان الله يقدر على ان ينزل عليهم العذاب لكن سالوا ذلك بجهلهم بانه رسول سؤال استهزاء وسخرية وان كان على هذا سؤالهم كان فيه دلالة ان العقوبة العذاب قد يلزم من جهل الامر اذا كان سبيل العلم به والنظر والتفكر فيه وهؤلاء جهلوا انه رسول الله لتركهم النظر والتفكر والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلت من قبلهم المثلات قال بعضهم العقوبات اي قد كان في الامم الخالية العقوبات بسؤالهم العذاب والمعاندة في الايات اذا جاءت كانه والله اعلم يصبر رسوله على سفه قومه بسؤالهم العذاب والايات ثم المعاندة فيها يقول كان في الامم الماضية من سؤال العذاب والايات ثم المعاندة من بعد نزولها ما نزلت لهم العقوبات فعلى ذلك هؤلاء وقال بعضهم المثلات الامثال والاشباه وكذلك ذكر في حرف حفصة وقد خلت من قبلهم الامثال وتاويله والله اعلم اي وقد خلت من قبلهم الامثال ما لو اعتبروا بها كان مثالهم ولكن لا يعتبرون فيمنعهم عن الامثال ذلك وقوله عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال بعضهم لذو مغفرة اي ذو ستر على ظلمهم وتاخير العذاب الى وقت كقوله انما يؤخرهم ليوم وقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وقال بعضهم لذو مغفرة للكفار لمن لم يتب ومات على الظلم والشرك وقوله وان ربك لشديد العقاب للكفار وعلى التاويل الاول وان ربك لشديد العقاب اذا عاقب وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقال في موضع اخر فلياتنا باية كما ارسل الاولون وقال في اية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية ما ذكر فيحتمل سؤالهم الاية كما ارسل الاولون مثل تلك الايات التي اتت بها الرسل الاولون وليس عليه ان ياتي ببعض تلك الاية انما عليه ان ياتي باية تخرج عن عرفهم وطباعهم والرسل جميعا لم ياتوا باية واحدة انما جاءوا بايات مختلفات كل جاء باية سوى ما جاء بها الاخر فقال له ليس عليك انما انت منذر وسائر ايات سؤال الاعتناد ولديها هلاكهم على ما فعلوا الاولون فقال انما انت منذر قد عفا هذه الامة احضار ايات وانزالها لديها هلاكهم وان كانوا في سؤالهم الايات معاندين لانهم قد جاءهم من الايات على اثبات رسالته واظهارها ما كفاهم لكنهم يعاندون وقوله عز وجل انما انت منذر لا تملك اتيان الايات قل انما الايات عند الله وقال قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر الاية او يقول انما انت منذر ليس اليك انشاء الايات واختراعها قل انما الايات عند الله وقوله عز وجل ولكل قوم هاد اي داع يدعو الى توحيد الله ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله ولكل قوم هاد يحتمل

لكل وقت

لكل وقت هاد ثم اختلفوا انه من ذلك الداعي قال بعضهم الله وقال بعضهم نبي من الانبياء وقال بعضهم داع دليل سوى النبي وقالت الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي لئلا يزيغ عن الحق ولكن عندنا معصوما كان في القرآن ما يمنع عن الزيغ ويعرف ذلك منه اذا زاغ وضل عن الحق ولكل قوم هاد اي داع وهو كما قال وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى قيل تعليم انها حملت انثى او ذكرا مستويا او غير مستو وما يخبر عز وجل من علمه وقدرته انه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء فان قيل هذا دعوى ما الذي يعلمنا انه يعلم ذلك قيل اتساق تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه حيث رباه فيه وانشاه مستويا غير موصوف سليما عن الافات وتمام الجوارح كلها على الاستواء لا يكون بعضها انقص وبعضها اتم نحو العينين تراهما مستويتين لا زيادة في احدهما دون الاخرى بل تتساويان على الاستواء وكذلك اليدين والرجلين والاذنين وامثاله فدل ذلك على العلم له به والتدبير وقوله عز وجل وما تغيض الارحام وما تزداد اي يعلم ما تغيض وما تزداد قال عامة اهل التاويل ما تغيض الارحام ما تنقص عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة الاشهر فكان الحسن يقول غيضوضة الرحم ان تضع لستة اشهر او ثمانية واما الزيادة فما زاد على تسعة اشهر وفي حرف ابي الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تضع ولكن يحتمل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وجهين احدهما ما تغيض الارحام اي ما لا تحمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والغيضوضة تكون ذهاب الشيء قال الله تعالى وغيض الماء اي ذهب وما تزداد اي ما تحمل وما تغيض الارحام فتلد بدون الوقت الذي تلد النساء وما تزداد على الوقت الذي تلد النساء او ما تغيض الارحام وما تزداد في زيادة عدد الاولاد ونقصانهم ما تحمل واحدا او اكثر من واحد او يكون في زيادة قد ونقص الولد ونقصانه لان من الولد ما يصيبه في البطن افة فلا يزال يزداد وله نقصانا في البطن ومنه ما ينمو ويزداد وامثاله والله اعلم وكل شيء عنده بمقدار مقدر بالتقدير ليس على الجزاف على ما يكون عند الخلق ولكنه بتقدير وتدبير عالم الغيب قال بعضهم لا يغيب عنه شيء ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق ويشهد الخلق اي ما يغيب عنهم وما يشهد ثم عنده يحل واحد في العلم به وقال بعضهم عالم الغيب ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد بعد ولم يكن والشهادة ما قد وجد وكان يعلم ما لم يوجد بعد انه يوجد او لا يوجد واذا وجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي اي وقت يوجد وما وجد وشهد يعلمه شاهدا موجودا على هذين الوجهين يجوز ان يخرج الاية والله اعلم ويعلم ما غاب عنهم فاشهدوا من نحو ذوق الطعام في الطعام والقوة التي في الماء وما يتم البصر والسمع والعقل والروح وكيفيتها وهذا كله مما غاب عن الخلق وقوله عز وجل الكبير المتعال المتعالي عن جميع ما يحتمله الخلق يقال هذا عظيم القوم وكبيرهم وهذا واحد زمانه لا يعنون عظيم النفس وكبره او نحوه من جنس العدد ولكن من حيث نفاذ الامر له والمشيئة فيهم والعز والسلطان وله الخلق والخضوع فعلى ذلك لا يفهم فيما وصف هو به ما يفهم من الخلق من عظم الجسم وكبر النفس وعلى ذلك ما وصف هو باسماء لا يحتمل ذلك في الخالق يقال اول واخر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف ليعلم انه ليس يفهم مما اضيف اليه ووصف هو به ما يفهم مما يضاف الى الخلق اذ من قيل في الشاهد انه عظيم لم يقل انه لطيف ومن قيل انه اول لم يقل به اخر وكذلك الظاهر والباطن اذا وصف باحدهما انتفى عنه الاخر وذلك مما وصف به الغائب واضيف اليه ليعلم انه لا يفهم بما يوصف هو به ويضاف اليه ما يفهم مما وصف به الخلق واضيف اليهم والله اعلم وقوله عز وجل سواء منكم من اسر القول في نفسه في حال انفراده ومن جهر به بغيره ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قيل ظاهر بالنهار وقال بعضهم وسارب بالنهار يكون في السرب وهو الغار بالنهار وقال بعضهم من هو مستخف بالليل اي ساكن بالليل وسارب بالنهار اي منصرف متقلب بالنهار في حوائجه ذكر هذا صلة ما تقدم وهو قوله يعلم ما تحمل كل انثى ويعلم ما تغيض الارحام ويعلم ايضا ما تزداد وما ذكر انه عالم الغيب والشهادة يقول ايضا يعلم من اسر القول ومن جهر به ومن كان مستخف بالليل وسارب بالنهار اي يعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من عمل سر من الخلق او علانية ظاهر منهم يذكر هذا والله اعلم ليكونوا على حذر من المعاصي لان من علم ان عليه رقيبا حفيظا يكون احذر واخوف ممن يعلم ان ليس عليه ذلك وقال مقاتل سواء منكم عند الله من اسر القول ومن جهر وسواء منكم من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار اي من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل وهو منتشر بتلك المعصية بالنهار معلن بها فعلم ذلك كله عند الله سواء في ذلك تذكير من احدهما يذكرهم نعمة التي انعمها عليهم من قول حالهم الاخر ما ينتهون اليه بسا... بذلك لشكره ليستديموا بذلك تلك النعم ابدا ما كانوا والثاني يذكرهم علمه بجميع احوالهم وافعالهم ليكونوا ابدا على حذر من معاصيه والخاوف له اذا علم هو ما ذكر الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله سواء منكم الاية وانما نعمة ما ذكر له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله له معقبات قال بعضهم هم الامراء والشرط الذي يحفظونه في ظواهر من امره يجبرانه محفوظ عليه الخفيات من امره حيث قال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية حيث اخبر انه يعلم ذلك ومحفوظ عليه الظواهر من امره وقال بعضهم له معقبات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمعون منكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسن من بين يديه و...

من خلفه الاول غرمينه وقوله عزوجل له معقبات يحتمل قوله اى لله معقبات يحفظونه ويحتمل من كل ذكر وانثى يكون شانه قوله يعلم ما تحمل كل انثى وقوله عزوجل يحفظونه من امر الله يحتمل قوله يحفظونه من امر الله اى يحفظون نفسه من البلايا والنكبات التى تنزل على بنى ادم فان كان فى حفظ نفسه فقوله من امر الله اى من عذاب الله وبلاياه حتى اذا جاء امرنا وهو عذابنا ويحتمل قوله يحفظون اعماله بامر الله ثم يحتمل قوله من بين يديه ومن خلفه الشرور والسيئات ويحتمل قوله من بين يديه ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما بقى واخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل من بين يديه ما مضى من الوقت ومن خلفه ما بقى والله اعلم وقوله عزوجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يشبه ان يكون هذه النعمة نعمة الدين من دين الله اوانا وما كان فامر الدين لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير يكون منهم كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ويحتمل ان يكون ذلك فى النعمة الدنيا وهى من الصحة والسلامة والمال لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل ان الانبياء قد كانوا بلوا بشدائد وبلايا لا يحتمل ان يكون ذلك منهم البداية فى التغيير قيل ابدلت لهم مكان تلك النعمة خيرا منها فليس ذلك بتغيير ولكن لما ذكرنا انه ابدلت لهم مكان النعمة نعمة هى خير منها ثم ما كان من النعم والافضال من الطاعات لها حق التجدد والحدوث يكون التغيير عليهم حالة اختيارهم وتغييرهم على انفسهم واما الافعال التى لها حق البقاء يكون التغيير من الله من بعد وهو من نحو السلامة والصحة والسعة والذى له حق التجدد والحدوث الطاعات والمعاصى وقوله عزوجل واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون انه لا يريد الا ما هو اصلح لهم فى الدين وقد اخبر انه اذا اراد بهم سوءا فلا مرد له الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون انه لا بد بدل هذا انه قد يريد السوء اذا عصوهم ما انعم الله عليهم اراد ان يغير عليهم والمعتزلة يقولون يملك الخلق دفع سوء اراده الله بهم واذا اراد الخير يملكون رد ذلك والله يقول فلا راد لفضله ولا مرد لسوء وقوله عزوجل وما لهم من دونه من وال اى ليس لهم فى دفع العذاب الذى اراد بهم ولى يدفع عنهم او ينصرهم كقوله وما لهم من دون الله من ولى ولا نصير وقوله عزوجل هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا اى خوفا وطمعا طمعا او ما تخافون وتطمعون وقال اهل التاويل خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا لاهل البنيان وطمعا لاهل الانزال وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه فى وقت المنفعة ويخافون ضرره فى غير وقت النفع او يطمعون نفعه ويخافون ضرره او يطمعون مضيه ويخافون نزوله والضرر به فى غير وقت النفع ويحتمل وجها اخر فى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا اى يريكم خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار ويطمع النور الموعود فى الجنة والنار ويخوف النار الموعودة فى الاخرة لان فيها نارا الا ترى انه اذا اشتد خيف على من اصابه وقوله عزوجل وينشئ السحاب الثقال يقال نشأت السماء اذا ارتفع الغيم فيها ويسمى الغيم نشا وقوله انشا اى اخذ فيه ويقال انشاء الله الخلق اى خلقهم نشاء ارتفع وانشاء رفع وهو من هذا والله اعلم ويسبح الرعد بحمده اختلف فى الرعد والبرق قال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب صوته تسبيحه وعلى ذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اقبلت يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذى نسمع قال زجره السحاب اذا زجره حتى ينتهى الى حيث امره قالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو وعن على رضى الله عنه انه سئل عن البرق والرعد قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقيل الرعد ملك على ما ذكرنا يزجر السحاب بالتسبيح ويسوقه فاذا شذت سحابة ضمها واذا اشتد غضبه صار من فيه النار وهى الصواعق وقيل هى الريح تسوق السحاب فاذا تراكمت السحاب ثم منفذا صوت فذلك صوتها فقال بعض الفلاسفة الرعد اصطكاك الاجرام فيحدث هذا الصوت بمنزلة الحجر يصك الحجر وقال بعضهم من الفلاسفة انما هى ريح تحتقن تحت السحاب فتصدعه فذلك الصوت منه واى شئ كان الرعد الملك والريح او ما كان فالتسبيح يحتمل من كل شئ على ما اخبر الله تعالى التسبيح من كل شئ حيث قال وان من شئ الا يسبح بحمده فيحتمل تسبيح الخلقة جعل فى خلقه كل شئ حمد صانعه وبراءته وتنزيهه من كل ما وصفه الملحدون ودلالة الوحدانية وربوبيته ويحتمل تسبيح جعل فى سرته كل شئ تسبيحه وتنزيهه ما لا يفهمه الخلق وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال الرعد ملك وهذا تسبيحه والبرق صوته الذى يزجر به السحاب قيل امثال هذا كثير والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انه هول هائل يهول الخلق ويذكرهم سلطانه وعظمته ولولا انهم اعتادوا ذلك والا لم تقر انفسهم لسماع ذلك وقوله ويسبح الرعد بحمده اى يذكرهم سلطانه وعظمته فيكون ذلك تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته والملائكة من خيفته او تسبيح الملائكة من خوف الرعد يسبح ويذكر الخلق عظمته وسلطانه فذلك الثناء عليه والملائكة يسبحونه فيما بينهم وبين ربهم فلم يذكر فيهم التسبيح بحمده وذكر فى الرعد والملائكة من خيفته اى من خوفه ثم الخوف يخرج على وجهين احدهما خوفا من عقوبته لانه قد جاء فيهم الوعيد اذا زلوا كقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية والثانى خوف رهبة وهيبة لا خوف عقوبة لان الله تعالى وصفهم بالطاعة له والاستسلام كقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله ولا يستحسرون الاية ويخوف ذلك ثم خوف الهيبة لا يزول فى الاخرة وخوف العقوبة يزول وقوله عزوجل ويرسل الصواعق قيل الصاعقة الصيحة التى فيها موت البعض ويذهب عقل البعض كقوله فصعق

من في

من فى السموات ومن فى الارض وقيل هى اسم العذاب وقد ذكرنا فيما تقدم ذكره فى بعض الاخبار ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن شئ من امر الرب فجاءت صاعقة فاحرقته ونزل ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال وقوله عزوجل وهم يجادلون فى الله اى فى توحيد الله لان اهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم فى توحيد الله والوهيته وقوله عزوجل وهو شديد المحال قال بعضهم شديد الانتقام والعقوبة وقيل شديد القوة وقيل شديد الاخذ وقال القتبى المحال من الكيد والمكر واصل المحال الحيلة لكن سمى باسم الاول انه جزاء الحيلة فيكون كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء والمكر ما ذكرنا انه الاخذ من حيث لا يشعرون به وقال ابو عوسجة المحال عندى وقال ابو عوسجة المعقبات الحفظة الذين يحفظونه بامر الله ويقال عقبة اى حفظة واما قوله لا معقب لحكمه اى لا راد لحكمه قال ويقال فيرحم اعقب فلان فلانا اى ذهب هو وجاء هذا ويقال عقبت اى رجعت والمعقب من العقب ويقال رجع على عقبيه اى من حيث جاء وقال القتبى معقبات ملائكة يعقب بعضها بعضا فى الليل والنهار اذا مضى فريق خلف بعده فريق اخر يحفظونه من امر الله اى بامر الله وقوله وما لهم من دونه من وال اى ولى مثل قادر وقدير وحافظ وحفيظ وذلك جائز فى اللغة وقوله عزوجل له دعوة الحق يحتمل وجهين يحتمل اى له عبادة الحق وليس لمن دونه عبادة الحق اى هو المستحق للعبادة العبادة ليس لمن يعبد دونه بالذى يستحق العبادة وعبادة الحق له ليس لمن دونه والثانى له دعوة الحق اى له اجابة دعوة الحق ليس يملك من دونه اجابة دعوة الحق ليس يملك من دونه اجابة من دعا بالحق فعلى التاويل الاول الدعوة العبادة وعلى الثانى الدعوة الاجابة اى له اجابة دعوة من دعا بالحق والله اعلم هو يملك اجابة دعوة فاما من عبد دونه ودعى دونه لا يملك ذلك يدل على ذلك قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ اى والذى يدعون من دونه لا يملكون لاجابة او لا يملكون ما يأملون من عبادتهم الاصنام فيكون مثله ما ذكر الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وجه صرف مثل من يدعون من دون الله بباسط كفيه الى الماء هو والله اعلم ليس من يدعون من دون الله الا كباسط كفيه الى الماء فيدعو الماء فكما لا يجيبه الماء وان دعاه فعلى ذلك من يدعو الاصنام لا يملكون اجابته والله اعلم بذلك او ان يكون وجه ضرب هذا المثل ان من عبد دون الله او دعا من دونه ليس الا بباسط كفيه الى الماء وهو على بعد من الماء فكما لا يصل كما لا يصل هو الى الماء لا يصل من عبد دون الله الى ما يأمل ويطمع او يحتمل من وجه اخر وهو ان الماء يفتقر فانا قبض الكف ولا سبيل الى الاغتراف اذا بسطت فعلى ذلك من عبد دون الله وقوله عزوجل وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى دعاؤهم وعبادتهم لا يعقبهم الا الخسار فى الاخرة حاصله يضل ذلك كله عنهم لا يصلون الى ما يأملون بالدعاء والعبادة كقوله وضل عنهم ما كانوا يعبدون او يفترون وقوله عزوجل ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها يحتمل قوله يسجد على حقيقة السجود يسجد له المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فانه يسجد له بالاختيار والطوع ويحتمل ما ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود فان كان هذا فهو فى الممتحن خاصة والثانى سجود الخلقة فان كان على هذا فهو فى جميع الخلائق جعل الله فى خلقة كل شئ دلالة وحدانيته والوهيته وربوبيته والثالث سجود الاحوال فهو فى المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فهو يسجد له فى كل حال واما الكافر فانه يسجد له ويخضع فى حال الشدة والضيق ولا يسجد له فى حال السعة والرخاء و يشبه ان يكون الكافر يكون سجوده لله اختيارا وطوعا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم وان عبدوا الاصنام فيرون السجود والعبادة لله لكنهم لم يقبل ذلك منهم لاشراكهم غيره فى ذلك وقوله عزوجل وظلالهم بالغدو والاصال اى يسجد ظلالهم بالغدو والاصال ينتقل ظل كل احد بانتقال نفسه ينتقل حيث ينتقل نفسه فذكر الغدو والاصال اى لانه بالغدو والعشى يظهر الظل ويحتمل السجود انه يسجد اى يخضع له من فى السموات والارض طوعا وكرها فان كان على الخضوع فهو فى الخلائق كلهم فى البشر وغير البشر وذى الروح وغير ذى الروح وظلالهم بالغدو والاصال اى ظلالهم تخضع له ايضا بالغدو والاصال ويحتمل ان يكون المراد من السجود سجود الخلقة فيسجد له خلقه كل احد فان قيل ما معنى بالغدو والاصال قيل يحتمل ابدا دائما ليس على ارادة الوقت ولكن على الاوقات كلها وقوله عزوجل قل من رب السموات قل الله امره ان يسألهم من رب السموات والارض ثم امره ان يجيب هو لهم فيقول الله وصرف الظاهر دعوى اكثر ما فى هذه الاية دعوى وبعضه حجاج وهو قوله لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وقوله خلقوا كخلقه لانهم يقرون بهذا الا يخلقون كخلقه ولا يملكون دفع الضر ولا جر النفع و قل من رب السموات والارض قل انما امره ان يسألهم من رب السموات والارض ولم يقل من ربكم فانما امره ان يسألهم ما لا يتجاسرون ان يقولوا الاصنام التى يعبدونها هى ارباب السموات والارض فلا بد من ان يقروا الله رب السموات فاذا اقروا بهذا انه رب السموات والارض قد دخل ما فى السموات والارض فى ربوبيته او السموات والارض انما خلقتهما لاهلها فاذا كان رب السموات والارض كان رب ما فيهما وقال بعضهم قل من رب السموات والارض قل الله امره ان يسبقهم بالاجابة لانه هو السابق بكل خير وهم يجيبون انه رب السموات والارض دليله حرف ابن مسعود وحفصة حيث قرا من رب السموات والارض قالوا الله يدل انه امره ان يسبقهم بالاجابة كما كان هو السابق على كل خير وقوله عزوجل افتخذتم من دونه اولياء يقول والله اعلم اذا اقررتم ان رب السموات والارض هو الله و الاله فكيف اتخذتم من دونه هذه الاصنام الهة اربابا وعبدتموها وكيف جعلتم من ليس هو برب السموات والارض ولى نفسه ثم

بالعبادة له ام دونها والله اعلم وقوله عزوجل لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اى لا يملكون نفعا لانفسهم ولا دفع الضر عنها الكيف
يملكون نفع غيرهم او دفع ضر عن غيره فعرفهم انه لا يملكون ذلك وان الله هو المالك فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا
يملك فيخرج تاويله على وجهين احدهما يقول لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتم دون الله الهة والثانى لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا مع وجود الحاجة فيها فكيف تعبدون على رجاء النفع لكم بقولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله قل هل يستوى
الاعمى والبصير اى تعلمون ان الاصنام التى تعبدونها انها اعمى لا تبصر شيئا وان الله هو البصير فكيف تركتم عبادة من يبصر وعبدتم من لا يبصر
هل يستوى ذلك اى لا يستوى او يقول لم اكم بعبادتكم الاصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عمى وانتم بصراء فهل رايتم اعمى يقود بصيرا
فى الشاهد ورايتم من لا يبصر يكون دليلا لبصير فاذا لم تروا ذلك وجه توهم حيث شبهوا الكفر بالظلمة والايمان بالنور لان الظلمة تحجب وتستر
كل شيء والنور يرفع ذلك الحجاب وذلك الستر فالايمان له دلائل وحجج ترفع تلك الحجب والستر فيبرز له كل شيء والكفر ليس له حجج و
دلائل ترفع ذلك فهو ظلمة لم يضئ له شيئا والايمان نور حيث اضاء له ونور كل شيء بالدلائل والحجج التى ذكرنا فصار الكافر كالاعمى لا يبصر
شيئا لانه فى الظلمة والمؤمن كالبصير والمؤمن لان معه الدلائل والحجج وقوله عزوجل وجعلوا لله شركاء اى بل جعلوا لله شركاء فى العبادة
بعد ما علموا انهم لا يملكون نفعا ان عبدوها ولا ضرا ان تركوا العبادة لها وقوله خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اى خلق هؤلاء الاصنام
التى عبدوها واشركوها فى الوهيته كخلق الله فتشابه عليهم خلق من خلق الاصنام او عرفوا انها لم تخلق شيئا كما خلق الله فكيف اشركوا
هذه الاصنام فى عبادة الله والوهيته وهم كانهم قد اقروا ان الله هو خالق كل شيء وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله
لم يخلق افعال الخلق ولا يقدر على خلقها فاذا كان الله لم يخلقها فهم خلقوها على زعمهم فيكون موضع تشابه الخلق عليهم على قولهم فدل
على قولهم فيدل على بطلان قولهم وفساد مذهبهم والله الموفق وقوله عزوجل قل الله خالق كل شيء فى السموات والارض وهو الواحد القهار
اى كل شيء تحت قدرته وقهره وسلطانه والاصنام التى تعبدونها مقهورة مغلوبة وقوله عزوجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا الى اخر ما ذكر من الامثال الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس
فيمكث فى الارض قال بعض اهل التاويل هذا مثل ضربه الله لليقين والشك فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع
منه عمل واما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وهو اليقين
وكما لا يجعل الحلى فى النار فيوخذ خالصه ويترك خبيثه فى النار كذلك يتقبل الله اليقين ويترك الشك وهو قول ابن عباس وقال قتادة قوله
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول عاليا ومما توقدون عليه فى النار
ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من الزبد واما ما ينفع
الناس فيمكث فى الارض فضرب المثل للحق والباطل يقول والله اعلم كما اضمحل هذا الزبد الذى ظهر على فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به
ولا يرجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء فى الارض ومما توقدون عليه فى النار وقرّ
فامرعت وربت بركته كذلك واخرجت له نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقى هذا الماء فى الارض ومما توقدون عليه فى النار
ابتغاء حلية يقول يبقى هذا الذهب والفضة حين ادخل فى النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله او متاع يعنى هذا الحديد والصفر
الذى ينتفع به وفيه منافع يقول كما بقى خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله كما بقيا هما
وقال الكلبى قوله انزل من السماء ماء وهو القرآن فاحتمله القلوب باهوائها دون اليقين على قدر يقينه وذو شك على قدر شكه فاحتملت
الاهواء باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية هى القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل والحق المتاع والحلية قال كذلك يضرب الله
الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض فالزبد وخبث المتاع هو الباطل من اصاب من هذا شيئا
لم ينتفع به وكذلك الباطل يوم القيامة لا ينتفع بباطله واما الحلية والماء والمتاع فهو الحق من اصاب شيئا منه انتفع به وكذلك
صاحب الحق يوم القيامة ينتفع بالحق اما الحلية فالذهب والفضة واما المتاع فالصفر والحديد والرصاص والنحاس ونحوه ليس
شيء من هذا ينتفع به حتى يدخل النار فيميز مصنوعه من خبثه وقال الحسين بن واقد وهو قول مقاتل ضرب الله الكفر والايمان ومثل الحق
والباطل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها سال الوادى الكبير على قدر كبره والصغير على صغرها فاحتمل السيل زبدا رابيا
اى عاليا ثم قال ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع الشبه والحديد والصفر والرصاص زبد
مثله اى للسيل زبد لا ينتفع به والماء ينتفع به والحلى والمتاع ايضا زبد مثل زبد السيل اذا ادخل النار وهو خبثه لا ينتفع به والحلى والمتاع
ما خلص منها ينتفع به فمثل الاودية مثل القلوب ومثل السيل مثل الاهواء ومثل الماء والحلى والمتاع الذى لا ينتفع به مثل الباطل فكما
ينتفع بالماء وما خلص من الحلى والمتاع الذى ينتفع به اهله فى الدنيا فكذلك الحق ينفع اهله فى الاخرة وكما لا ينفع الزبد وخبث الحلى وخبث
المتاع اهله فى الدنيا فكذلك الباطل لا ينفع اهله فى الاخرة كذلك اى هكذا يضرب الله الامثال اى يبين الله ما ذكر من مثل الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء قال يعنى يابسا فلا ينتفع به واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث فى الارض فيسقون ويزرعون عليه وينتفعون به فهذه
ثلاثة امثال ضربها فى مثل واحد يقول هكذا يبين الله الامثال والاشباه للذين استجابوا لربهم اى اجابوا ربهم فى الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى

وهى الجنة فى الاخرة فضرب الله مثل الايمان والحق ووصفها بالثبات والقرار والطيب بالارض الطيبة مرة وبالشجرة الطيبة ثانيا وضرب
مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة والشجرة الخبيثة ووصفها بالخبث والذهاب فقال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
فى السماء توتى اكلها كل حين وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه الاية وضرب مثل المؤمن مرة بالبصير والسميع ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت ومثل الايمان بالنور والضياء والحيوة ونحو فهذه الامثال ضربها الله
عزوجل فخرج كلها مخرج الدعوى فى الظاهر اذ ليس فيها بيان الحق منها وبيان المحق من غير المحق سوى ان فيها هل يستوى ذا مع ذا لا يستوى
على ما ذكر وهل يستوى الطيب الخبيث او البصير والسميع الاصم والاعمى او الميت الحى والظلمات النور وامثاله هذا كله غير مستو وكل
اهل الاديان وان اختلفت مذاهبهم يقول كل انا الذى عليه هو الحق والباطل هو الذى عليه غيرى وينفى كل عن نفسه العمى والصمم
وكونه فى ظلمة ويدعى كونه فى النور ونحوه فليس فى نفس الامثال التى ضرب بيان الحق من الباطل والمحق من غيره فذلك يعرف بغيرها
بالدلائل والحجج والبراهين وهو ما ذكر وتلك الامثال نضربها للناس الاية فبالدلائل والحجج والبراهين يعرف الحق من الباطل والمحق
من غير المحق فالايمان والحق دلائل وحجج يعرف ذو العقول بالعقل حسنه وطيبه وما يعقب من ثمرته ويبين قبح الكفر والباطل الذى
العقول بالعقل واستخباثهم الباطل وما يعقب لاهله من الخبث والقبح والشر وقال القتبى زبدا رابيا اى عاليا على الماء ابتغاء حلية او متاع
اى حلى ومتاع انية يعنى من فلز الارض وجواهرها مثل الرصاص والحديد ونحوه والذهب والفضة حيث تغلوها اذا اذيب مثل زبد
الماء والجفاء ما رمى به الوادى الى جنابته يقال اجفات القدر بزبدها اذا القت زبدها عنها وقال ابو عوسجة رابيا اى مرتفعا
فوق ظهر الماء وهو واحد ويقال زبد الماء اذا صار له زبدا ابتغاء حلية هو من الحلى من الذهب والفضة مما يتحلى به فيذهب جفاء اى باطلا
لا ينتفع به واما الجفاء فهو اظهار التهاون بالانسان وقلة الاكتراث له والاستخفاف به وقال الجفاء هو الغثاء ويقال قد اجفا الوادى
اذا علاه ذلك ثم جرى به الماء قال ابو عوسجة والغثاء عندى ما احتمله السيل من العيدان والبعر وما يشبه ذلك وقال القتبى قوله هو
يجعله غثاء احوى اى يبسا قال ابو عبيدة الجفاء الجود ويذهب الى ان الزبد يجمد ويجتمع على الماء ثم يذهب بما بينها وقال الفراء يذهب
جفاء اى يذهب سريعا كما جاء وقال الشيخ رحمه الله عليه ويشبه ان يكون المثل الذى ضرب بالماء هو للدين وهو ان الدين الحق
الذى نزل من السماء واحد لكن الناس اتخذوا اديانا متفرقة ومذاهب مختلفة كقوله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فالدين الذى امرهم سلوكه واتباعه واحد وهو كالماء الذى انزل من السماء واحد صاف وهو الاصل تحدث منه اشياء لا يعبا بها
ولا يكترث فعلى ذلك السيل وان يكون وجه ضرب مثله بالماء وهو ان الماء اذا نزل من السماء انزل طيبا عذبا لكن فى
اختلف الوانه وطعومه باختلاف جواهر الارض بعضه خرج ملحا اجاجا وبعضه مرا لا ينتفع به وبعضه عذب وذلك على اختلاف
جواهر الارض والاماكن المنزل من السماء كله عذب طيب فالذى ينتفع به واحد وهو العذب فعلى ذلك الدين الذى ينتفع به واحد
والبواقى لا ينتفع بها كالمياه المرة المالحة او يكون غير هذا ونحن لا نعرفه والله اعلم وقوله عزوجل كذلك يضرب الله الامثال
للذين استجابوا لربهم اى اجابوا ربهم فيما دعاهم اليه والذى دعاهم الى الشيء الذى يوجب لهم دار السلام وهى الجنة بقوله والله
يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم دعاهم الى دار السلام ومكن لهم من الاجابة له والرد لها فيما دعاه
كان له دار السلام والحسنى الذى ذكره ومن رده كان له النار ودار الهوان فانهما اختارا الموعود الذى وعدان اختار
اجابته الى ما دعاه فله النعيم الدايم الذى وعد دار السلام وان اختار الرد وترك الاجابة فله ما وعد من العذاب الدايم و
الهوان والامثال التى ذكرنا للذين استجابوا لربهم الحسنى هو هكذا للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بها وكذلك ما ذكر من القرآن انه
هدى ورحمة للمؤمنين واما على اهل الكفر فهو عمى وضلال وكذلك قوله ويشف صدور قوم مؤمنين واما قلوب الكفرة فانه
زادتهم رجسا الى رجسهم وفى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وامثاله وقوله عزوجل لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لا
فتدوا به اى صنعة معه لافتدوا به يذكر هذا والله اعلم ان الذين كان يمنعهم عن الاجابة الى ما دعاهم اليه رغبتهم فى هذه
الدنيا وميلهم اليها يجمعون لما يحل فيهم من العذاب والشدائد يكون لهم ما فى الارض جميعا ان يفتدوا به اولئك لهم سوء الحساب
اى يحاسبون حسابا يسوءهم لان حسناتهم التى عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذى ذكر يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ولم ينجوا وعن سيئاتهم وماويهم جهنم وبئس المهاد الذى ياوون اليه هو جهنم وبئس المهاد لما
يسوءهم ذلك والله اعلم وقوله عزوجل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق اى من يعلم الحق حقا كمن هو يعمى عنه ولا يعلم انه
يعلم الحق انه حق كمن يعلمه باطلا ليسا بسواء كقوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله عزوجل انما يتذكر اولوا الالباب
اى انما يتذكر بالتذكير اولوا الالباب وذو العقول الذين ينتفعون بعقولهم ولبهم ثم بين من هم فقال الذين يوفون بعهد الله
يحتمل عهد خلقه يوفون ما فى خلقتهم من العهد اذ فى خلقة كل احد دلالة وحدانية وشهادة الوهيته فوفوا ذلك العهد ويحتمل
عهد الله ما جرى على السن الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما ذكر فى اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واذ اخذ الله

ميثاق الذين اوتوا الكتاب لاية ولا ينقضون الميثاق العهد والميثاق واحد وسمى العهد ميثاقا لانه يوثق المرء يمنعه عن الاشتغال بغيره والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل الصلوة التى امر الله بها ان يوصل على جهات ومراتب ما بينه وبين المؤمنين ان لا يحبهم الا ما يحب ولا يصحبهم الا بما يحب هواه يصحب وما فيما بينه وبين محارمه ان يؤدى ويحفظ الحقوق التى جعل الله لبعضهم على بعض ولا يضيعها وما فيما بينه وبين الرسل فهو ان من حقهم ان يوصل الايمان بالنبيين جميعا والكتب كلها هذا والله اعلم الصلة التى امر الله ان يوصل بها ويخشون ربهم اما فى التقصير فيما امر ان يوصل واما بالتفريط فى ذلك وترك الصلة ويخافون سوء الحساب اى شدة الحساب حين لم تنفعهم حسناتهم ولا يتجاوز عن شئ من سيئاتهم فذلك يسوءهم والله اعلم وقوله عز وجل والذين صبروا قد ذكرنا فيما تقدم ان الصبر هو كف النفس وحبسها عما تهواه على ما تكره ويثقل عليها ثم يحتمل كفها وحبسها عن الجزع فى المصائب وعلى اداء ما افترض الله عليهم وامرهم بها اى كفوا انفسهم وحبسوها عن المعاصى يكون الصبر على الوجوه الثلاثة التى ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل ابتغاء رضوان الله ويحتمل ابتغاء وجه يكون لهم عند الله وهو المنزلة والرفعة ولذلك سمى الرفيع وذو منزلة وجيها كقوله وجيها فى الدنيا والاخرة اى ذو منزلة ورفعة فى الدنيا والاخرة ويحتمل ذلك يخرج قوله فاينما تولوا فثم وجه الله اى ثم الجهة التى امر الله ان يتوجه اليها فعلى ذلك هذا صبروا ابتغاء وجه ربهم اى ابتغاء المنزلة والرفعة التى عند ربهم وابتغاء رضوان الله ومرضاته والله اعلم وقوله عز وجل واقاموا الصلوة اى داموا على اقامتها ليس انهم اقاموا مرة ثم تركوها ولكن داموا على اقامتها وعلى ذلك قوله اقيموا الصلوة اى دوموا على اقامتها ويحتمل قوله واقاموا الصلوة اى جعلوها قائمة ابدا وقوله عز وجل وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل كل نفقة الصدقة والزكوة وما ينفق على عياله وولده سرا وعلانية اى ينفق فى كل وقت سرا من الناس وعلانية منهم اى ينفق على جهل من الناس وعلى علم منهم ينفقون على كل حال لا يمنعهم علم الناس بذلك عن الانفاق بغضا ان يكون ابتغاء وجه ربهم وقوله عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالحسنة السيئة ثم يحتمل وجهين احدهما يدفعون بالاحسان اليهم العداوة التى كانت بينهم كقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة الاية والثانى يدرؤن الاساءة التى كانت لهم بالخير اليهم بالمعروف ولا يكافؤن بالسيئ السيئ وبالشر الشر ولكن يدفعونه بالخير وقال بعضهم فى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة اى اذا سفه عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة اولئك لهم عقبى الدار عقبى اولئك الذين صبروا على ما ذكر من وفاء العهد والصلة التى امروا بها ان يصلوا والصبر على اداء ما امر به وافترض عليه والانتهاء عما نهى عنه الدار التى دعاهم اليها بقوله والله يدعوا الى دار السلام والثانى اولئك لهم عقبى الدار اى عقبى حسناتهم دار الجنة اولئك لهم عقبى هذه الدار الجنة اوعاقبتهم دار الجنة ثم نعت تلك الدار فقال جنات عدن يدخلونها عدن قال اهل التاويل عدن هو بطنان الجنة وهو وسطها وقال بعضهم عدن هو الاقامة اى جنات يقيمون فيها يقال عدن اى اقام وقوله عز وجل ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم فان قيل كيف خص بالذكر الاباء والازواج والذرية وهم قد دخلوا فى قوله الذين يوفون بعهد الله وفى قوله يصلون ما امر الله به ان يوصل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فما معنى تخصيصهم بالذكر هنا يحتمل وجهين احدهما انهم اسلموا فاختموا اى ماتوا كما اسلموا ولم يكن لهم مما ذكر من الخيرات والحسنات فاخبران هؤلاء يدخلونها ويلحقون باولئك والثانى لم يبلغوا الدرجة التى بلغ اولئك فاخبر عز وجل انه يبلغهم درجة اولئك ويلحقهم به كقوله والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الاية يضم بعضهم الى بعض فى الاخرة كما كانوا فى الدنيا يضم كل ذى قرين فى الدنيا قرينة اليه فى الاخرة وفى قوله ومن صلح من ابائهم وما ذكر دلالة ان صلاح غيره وان قرب منه لا ينفعه حتى يكون فى نفسه صلاح حيث قال ومن صلح من ابائهم الى اخر ما ذكر وهو ما قال لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح دل هذا ان صلاح والده وقريبه لا يجدى نفعا فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب هذا يحتمل ان يكون لمقامهم ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك والثانى يحتمل ان ياتى كل ملك بتحفة من التحفة التى اتى بها الاخر على اختلاف خيراتهم وقدر اعمالهم من كل باب اى من كل نوع من التحف وفيه وجهان احدهما ان الملائكة يكونون خدم اهل الجنة وفى ذلك تفضيل عليهم او ان يكون على حق المصاحبة لما جوا اهل الخير من البشر فى الدنيا الخير لهم فجعل الله بينهم الولفة والصحبة فى الاخرة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل سلام عليكم بما صبرتم كقوله تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل فنعم عقبى الدار هو ما ذكرنا فى قوله اولئك لهم عقبى الدار وقوله عز وجل والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرناه فى غير موضع وكذلك النقض وقوله عز وجل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض كل حرف من هذه الحروف يقتضى معنى الحرف الاخر اذا نقضوا العهد والميثاق قد قطعوا ما امر الله به ان يوصل وسعوا فى الارض بالفساد واذا قطعوا ما امر الله به ان يوصل نقضوا العهد وسعوا فى الارض بالفساد الا انه يقال ان نقض العهد يكون بالاعتقاد وذلك يكون بينهم وبين ربهم وكذلك قطع ما امر الله به ان

يوصل اذا كان الامر الذى امر به صلة الايمان بالنبيين والكتب جميعا فان كان صلة الارحام فهو فعل والسعى فى الارض بالفساد فعل ايضا من زنا او سرقة او قطع الطريق وغير ذلك من المعاصى او قطع الطريق وقوله عز وجل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا من وصل الايمان ببعض الرسل بالكل وجميع الكتب ويحتمل صلة الارحام التى فرض عليهم صلتهم فقطعوا ذلك او امرهم ان يصلوا اعمالهم بما اعتقدوا وقوله عز وجل اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة هى الطرد فى اللغة والابعاد كانهم طردوا وابعدوا عن رحمة الله فى الاخرة او طردوا وابعدوا من هداية الله وارشاده فى الدنيا ولهم سوء الدار قد ذكرنا انهم دعوا الى دار وحذروا عن دار السلام فان اجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر وحذروا عن دار الهوان فلم يحذروا واو اداروا سوء والهوان او سماها سوء الدار لما يسوء مقامهم فيها او ذكر لاهل النار سوء الدار مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسن الماب وحسن الثواب والحسنى وقوله عز وجل الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيما عنده ويوئسهم عما فى ايدى الخلق ويقطع رجاءهم عن ذلك لان الذى كان يمنعهم عن الايمان به ويحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة هذه الاموال التى كانت فى ايدى اوليك وبها رأوا دوام الرياسة والعز والشرف لهم فى هذه الدنيا فقال هو الباسط لذلك والقادر لا اولئك هو يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق وذكر انه يبسط الرزق لمن يشاء من اوليائه واعدائه ويقتر على من يشاء من اعدائه واوليائه ليعلم ان التوسيع فى الدنيا والبسط لا يدل على الولاية ولا التقتير والتضييق على العداوة ليس كما يكون فى الشاهد يوسع على الاولياء ويبسط ويضيق على الاعداء لان التوسيع فى الدنيا والتضييق بحق المحنة فى الاخرة بحق الجزاء ويسوى فى المحنة الولى والعدو ويجمع بينهما فى المحنة ويفرق بينهما فى الجزاء وقوله عز وجل وفرحوا بالحيوة الدنيا يحتمل قوله وفرحوا صلة ما تقدم وهو قوله الذين ينقضون عهد الله الى قوله ويقطعون ما امر الله به ويفرحون بالحيوة الدنيا ثم الفرح يحتمل وجوها يحتمل فرحوا بالحيوة الدنيا اى رضوا بها كقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها او فرحوا سروا بها فان قيل ان المؤمن قد يسر بالحيوة الدنيا قيل يسر ولكن لا يلهيه سروره بها ولا يغفل عن الاخرة واما الكافر فانه يلهيه سروره بها وفرحه عليها يلهى عن الاخرة وعن جميع الطاعات وهكذا يعرف الناس انه اذا اشتد بالمرء السرور بالشئ فانه يلهى عن غيره ويغفل عنه او يكون له فرحوا اى اشروا وبطروا كقوله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وهو الاشر والبطر والله اعلم وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا متاع تاويله والله اعلم اى ما الحيوة الدنيا مع طول تمتعهم بها بمتع الاخرة الا كمتاع ساعة او كمتاع بشئ يسير وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وكقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار يظنون مع طول ما متعوا فى هذه الدنيا عند متاع الاخرة كانهم ما متعوا بها الا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا متاع وهو ما ذكر فى موضع اخر فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الاخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع لا يشوبه افة ولا حزن ولا خوف ومتاع الدنيا منقطع غير متصل مشوب بالافات والاحزان لذلك كان قليلا عند متاع الاخرة ونعيمها وقال بعض اهل التاويل وما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا متاع اى الا لهو وباطل لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه يحتمل سؤالهم الاية نفس الايات التى اتت بها الرسل من قبل قومهم او سالوا ايات سموها كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الاية او يكون لك بيت من زخرف الى اخر ما ذكر من الايات سالوها منه او سالوه ايات تضطرهم وتقهرهم على الايمان كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفيه دلالة انه لو شاء لانزل عليهم ايات لامنوا كلهم بها واهتدوا وعندهم اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم وتوحيدهم ولذلك لو اعطى اشياء لكان ذلك سبب كفرهم جميعا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية لكنه لا ينزل الاية على شهواتهم واهوائهم ولكن ينزل اشياء يكون فيه صنع التامل والنظر حجة فمن تامل فيها وتفكر لاهتدى وامن بالاختيار ومن اعرض عنها ولم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار ويحتمل قوله ان نشاء ننزل عليهم من السماء اى نشأ ايمانهم واهتداءهم ننزل عليهم اية وذلك ما دل قوله على اثر سؤالهم الاية قل ان الله يضل من يشاء ويهدى من اليه من اناب ان ينزل من الايات ما يهتدى بها المنيب اليها والمقبل ويضل المعرض عنها والصاد وبالاختيار ويكون اهتداؤهم باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا باضطرار والقهر والاكراه قال الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهو القران الذى انزله على رسوله فهو وصف المقبل المنيب الى ذكر الله يسكن وتطمئن قلوبهم بالتامل والتفكر فيها واضله ان الله عز وجل شاء اهتداء من علم انه يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال من علم انه يختار فعل الضلال والزيغ بيشاء لكل ما علم منه انه يختار ذلك وقوله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب وتسكن اليه وقال بعض اهل التاويل هو فى الحلف فى الخصومات الا فى الحلف بالله تطمئن وتسكن قلوب الذين امنوا لا تطمئن بالحلف بغير الله وقال بعضهم الا بالقران وبما فى القران من الثواب يسكن ويطمئن قلوب الذين امنوا ويشبه ان يكون قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اى تفرح وتستبشر قلوب الذين امنوا بذكر الله الا بذكر تستبشر وتفرح قلوب الذين امنوا لانه ذكر فى الكفرة الفرح بالحيوة الدنيا وهو قوله وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وذكر فى المؤمنين الاستبشار والفرح بذكر الله وفى اوليك ذكر ان قلوبهم تشمئز بذكر الرحمن وتستبشر بذكر من دونه وهو قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون اخبر عز وجل ان قلوب المؤمنين يستبشر وتفرح بذكر الله وقلوب اولئك تشمئز وتستبشر بذكر من دونه وقوله عز وجل الذين امنوا و

وتطمئن قلوبهم بذكر الله يخرج على وجهين احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله لهم التوفيق والتشديد والعصمة ونحوه والثاني تطمئن
قلوبهم بذكر الله وذكرهم الله احسانه ونعمه وعظمته وجلاله ونحوه **وقوله** عز وجل الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب قيل
خير لهم وغبطة وقيل حسنى لهم ونعمى لهم وقيل بقاء طوبى لمن اصبت خيرا وقيل هو اسم الجنة بلسان الجنة وقيل بالهندية وقيل اسم شجرة في الجنة
اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دار امته فان كان هذا وهو اسم شجرة فذلك لا يستقيم الا ان يعني منه كان اهل الكتاب
دعوها لانفسهم فاخبر انها للذين امنوا لا لهم كقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ثم قال عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن ادعوا الجنة لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين امنوا وان كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار فيشبه
ان يكون قالوا ان كان بعث على ما يقولون وجنة وطوبى فهي لنا كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم طوبى كلمة مدح الله بها ثوابه
وغبطهم بها وقال بعضهم طوبى كرامة اعدها الله تعالى لاوليائه وهي مذكورة في الكتب **وقوله** عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من
قبلها امم اي كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا وهم يكفرون بالرحمن وقالوا ربنا لا اله الا هو عليه توكلت الاية اي كل رسول كان ارسل قبلك
كان امره يقول ما ذكر كذلك ارسلناك الى قومك رسولا وان كانوا يكفرون بالرحمن فقل انت ما قالوا وتلك الرسل ربي لا اله الا هو
الاية لم تخل امة عن رسول كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يشبه ان يكون هذا صلة قوله لولا انزل
عليه اية من ربه يقول ارسلناك لتتلو انباء الرسل والامم الذين كانوا من قبلك عليهم فيكون اية لرسالتك فيعلموا انك انما علمت تلك
بالله تعالى **وقوله** عز وجل وهم يكفرون بالرحمن يقول والله اعلم هم يكفرون بالرحمن وفي كل الخلائق اية توحيد الرحمن والوهيته ولا في كل الخلائق
اية لرسالتك وهم مع هذا كله يكفرون بالرحمن فعلى ذلك يكفرون بايات رسالتك وقال ابو بكر الاصم وهم يكفرون بالرحمن هو صلة قوله
لولا انزل عليه اية من ربه وكانوا اهل التعهد من اكبر فقال لو جئتهم بقران سيرت به الجبال وقطعت به الارض وكلم به الموتى يقول لوجب
بذلك كله كان امرهم التكذيب والعناد وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الاية يخبر
عز وجل عن عنادهم انهم لا يؤمنون بالاية وان عظمت الا ان يشاء الله **وقوله** عز وجل بل لله الامر جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
اي الامر فيه من شاء ان يؤمن فيؤمن ومن شاء ان لا يؤمن فلا يؤمن البتة وقال بعضهم قوله وهم يكفرون بالرحمن اي يكفرون باسم الرحمن
لانهم قالوا ان محمدا كان يدعونا الى عبادة الله وتوجه الساعة تدعونا الى عبادة الرحمن والوهيته فذلك عبادة اثنين فقال قل
هو ربي لا اله الا هو اي دعاي الى عبادة الرحمن والوهيته هو دعاي الى عبادة الله هو واحد ليس هو باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن اي عدد الاسماء لا يوجب عدد الذات ويكون لشيء واحد في الشاهد اسماء مختلفة فاختلاف الاسماء لا يوجب
اختلاف الذات فعلى ذلك في الله وقال بعضهم الرحمن اسم من اسماء الله في الكتب الاول قالوا كتبها رسول الله ابوان يغزوا به قالوا وما الرحمن
انا لا نعرفه فنزل وهم يكفرون بالرحمن والله اعلم **وقوله** عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر ما ذكر قال بعض اهل التاويل ولو ان
قرانا ما غير قرانك سيرت به الجبال من اماكنها او قطعت به الارض او كلم به الموتى لفعلناه بقرانك ايضا ذلك ولكن لم نفعل بكتاب من الكتب
التي انزلنا على الرسل الذين من قبلك ولكن شيء اعطيته انبياء وهو شيء بل لله الامر جميعا يفعل بل جميع ذلك الامر كان من الله وليس من قبل
القران اي لو فعل بالقران ذلك كان جميع ذلك من الله تعالى **وقوله** عز وجل بل لله الامر جميعا ان شاء فعل ما سالتم وان شاء لم يفعل ويشبه
ان يكون غير هذا اقرب ان يكون صلة ما تقدم من سؤالهم الايات وهو قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه فيقول لولا ان
قرانك الذي تقراه عليهم لو سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما امنوا بك ولما صدقوك على رسالتك على ما لا يؤمنون
بالرحمن وكل الخلائق له اية لوحدانيته والوهيته يخبر عن شدة تعنتهم وتمردهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سؤالهم الاية سؤال
تعنت وتمرد ليس سؤال استرشاد واستهداء وقال بعضهم قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي لو ان قرانا فعل ما ذكر لكان هذا القران
لفضيلة القران والتاويل الذي ذكرنا قبل هذا كانه اقرب والله اعلم **وقوله** عز وجل افلم ييأس الذين امنوا قال بعضهم هو صلة ما تقدم
من قوله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية يقول والله اعلم افلم ييأس الذين امنوا من ايمان من كان على ما وصف الله هم
وتمام هذا كان المؤمنين سالوا لهم الايات ليؤمنوا لما سالوا هم ايات من رسول الله فيقول افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هؤلاء وهو كما
قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها كان المؤمنين سالوا لهم الايات ليؤمنوا فقال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون انها
اذا جاءت لا يؤمنون اي يؤمنون على طرح لا على هذا التاويل وقال بعضهم افلم ييأس الذين امنوا افلم يتبين للذين امنوا انهم لا يؤمنون لكثرة
ما راوا منهم من العناد والمكابرة فسروا الاياس بالعلم والايس لان الاياس قاطعت يعمل عمل العلم كالخوف والظن ونحوه جعلوه يقينا
وعلما للغلبة لانه اذا غلب يعمل عمل اليقين والعلم وقال بعضهم افلم ييأس اي افلم يعلم الذين امنوا ان الله يفعل ذلك لو شاء لهدى الناس
جميعا وقوله افلم ييأس الذين امنوا قالت عائشة رضي الله عنها قوله افلم ييأس خطا من الكاتب انما هو افلم يتبين للذين امنوا ان لو يشاء الله
فمعناه اي قد تبين للذين امنوا وقال بعضهم قوله افلم ييأس افلم يعلم الذين امنوا اي قد علم الذين امنوا لو شاء الله ايمان الناس واهتدائهم
وقال صاحب هذا التاويل ان جائز في اللغة ييأس يعلم وذكروا انها لغة نخع وغيرها والله اعلم وقال بعضهم قوله افلم ييأس الذين امنوا منقطع
من قوله ان لو يشاء الله الاية وهذا موصول بما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه ثم قالوا اجوابا لما قالوا انه قال

لو يشاء الله

لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء اي علم منه انه يختار الضلال ويؤثرون من يشاء ذلك له ومن علم منه انه
يختار الهدى يشاء له ويكون قوله افلم ييأس الذين امنوا منقطع لا جواب له كانه قال افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم لكثرة ما راوا منهم من العناد وقد لقيت
بعدد فيهم الايات والحجج كان اهل الايمان والاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات التي سالوهم رغبة في اسلامهم واشفاقا عليهم
فيقول والله اعلم ايان الذين امنوا الاياس من ايمانهم اي قد ان للذين امنوا ان ييأسوا من ايمانهم كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية فعلى ذلك
هذا يقول قد ان للذين امنوا ان ييأسوا من ايمانهم ولو شاء هدى الناس جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله **وقوله** عز وجل ولا يزال
الذين كفروا قال بعضهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تصيبهم بما صنعوا قارعة القارعة هي اسم ما يقرع القلوب ويكسرها ثم قد
يكون بعذاب وقيل وغيره من الهزيمة والسبي وذراريهم وبغنم المسلمين اموالهم او تحل قريبا من دارهم قال بعضهم او يكون القارعة يحتمل
انهم الذين قرب منكم دارهم وقال بعضهم لا تزال سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل ببعضهم او ينزل هو قريبا منهم حتى ياتي وعد
الله وعيد الله يكون بوجهين احدهما ان يظفره بهم جميعا او يورث المؤمنين ارضهم وديارهم واموالهم والثاني يكون وعد الله فتح مكة كقوله
واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها الاية ان الله لا يخلف الميعاد ما وعد رسوله من الفتح والنصر وغيره **وقوله** عز وجل ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة يحتمل ما ذكر من اصابة القارعة الجوع والشدائد التي اصابتهم ويحتمل القتال والحروب التي كان بينهم
وبينهم **وقوله** او تحل قريبا من دارهم نزول السرايا بقرب من دارهم حتى ياتي وعد الله يحتمل فتح مكة اي تحل قريبا من دارهم حتى ياتي
ما وعد الله من فتح مكة عليك او ان يكون وعد الله هو البعث والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد
استهزئ برسل من قبلك قومهم كما استهزئ بك قومك يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم وقال ابو بكر الاصم ولقد استهزئ برسل من قبلك
من تقدم من الرسل سالهم قومهم الايات والعذاب بالهزء ثم بين بهذا ان ما سالوه من الايات اراد والهزء وهو صلة ما تقدم من قوله
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه **وقوله** عز وجل فامليت للذين كفروا اي اخرتهم يقول امهلتهم في كفرهم وهزئهم هذا يذكر
ان تاخير العذاب عنهم لا يؤمنهم **وقوله** عز وجل ثم اخذتهم وهم امنون فكيف كان عقاب يقول اهلكت بهم جزاء ما كانوا يهزؤون
منه وقال بعضهم فكيف عقاب اي شديد عقابه وهو كقوله وكاين من قرية امليت لها الاية وقيل كيف رايت عذابهم اي ليس وجد
شديدا والثالث فكيف كان عقاب اي ليس ما ادخروه الرسل من العذاب كان حقا وصدقا **وقوله** عز وجل افمن هو قائم على كل نفس بما
كسبت قال ابو بكر الاصم يقول من الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت الله ام شركاؤكم فالقائم هو المدبر الحافظ بكل ما فيه الخلق ويشبه
ان يكون تاويله افمن هو قائم اي حافظ وعالم على كل نفس بما كسبت او بالرزق لهم والدفع عنهم كمن هو عمي عن ذلك من ذلك ليسا سواء
كقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق الاية او يقول افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن هو غيره قائم عليه ليسا سواء وقال اهل التاويل
افمن هو قائم على رزقهم وطعامهم ثم قال وجعلوا لله شركاء اي وصفوا لله شركاء وعبدوها والله احق ان يعبد من غيره يقول الله انا القائم
على كل نفس ارزقهم واطعمهم افاكون انا وشركائي الذين لا يفعلون ذلك سواء والوجه فيه ما وصفنا افمن هذا افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت اي يرزق ويبصر ويعلم ما تعمل وتكسب من انواع البلاء كمن هو اعمى جاهل عاجز عن ذلك كله اي ليس هذا كذلك ويسفههم في
اشراكهم الاصنام التي عبدوها في الالوهية والعبادة وهي بالوصف الذي ذكر هو اعمى عاجز عن ذلك اي ليسا سواء **وقوله** افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت يحتمل قائم على كل نفس بما كسبت فيما قدرها وقواها او في الجزاء يجزي على ما تكسب وجعلوا لله هم
شركاء في العبادة او في تسميتهم الهة لا يعلمون ما كسب لها ولا يملكون جزاء ما كسبوا لها ايضا يبين سفههم في جعلهم هذه الاصنام
والاوثان شركاء لله في العبادة وتسميتهم الهة مع علمهم انهم لا يقدرون ولا يملكون شيئا من ذلك **وقوله عز وجل** قل سموهم قال
بعض اهل التاويل قوله قل سموهم بذلك الاسم ولو سموهم سموهم بكذب وباطل وزور وعندنا قوله قل سموهم اي لو سميتموها الهة هم
واتخذتموها معبودا فسموهم ايضا باسماء سمى الله من نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحوه والله اعلم اذ سميتم هذه الاصنام
الهة ومعبودا فسموهم ايضا خالقا ورازقا ورحمانا ورحيما وهم يعلمون انها ليست كذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ام تنبئونه بما لا يعلم
في الارض اي ام تنبئون الله وهو عالم بما في السموات وما في الارض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم في الارض ما تقولون من الالهة وما تصفون
بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام تنبئونه بما ليس في الارض شيء مما تقولون وتصفون
شيء اي يقول اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض وهو عالم بكل شيء اي تقرون انه عالم بكل شيء وهو لا يعلم ما تقولون وتسمون
من الشركاء وغيره والثاني ام تنبئونه بما لا يعلم اي ليس في الارض **وقوله** عز وجل ام بظاهر من القول قال اهل التاويل بظاهر
من القول اي بل بباطل من القول وزور ويشبه ان يكون بظاهر من القول اي بضعيف من القول وخفيف يسمون الشيء الذي لا حقيقة
له ولا ثبات ظاهرا باديا يكتفى له الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ضعيف الراي وحقيقة له ولا قرار ويحتمل قوله ام بظاهر من القول
الى الخلق والاسلاف اي لم يظهر ما يقولون ويصفون اشراك هذه الاصنام وتسميتها الهة ومعبودا ويكون ام في موضع حقيقته و
يتبين على هذا التاويل والله اعلم **وقوله** عز وجل زين للذين كفروا مكرهم قال بعض اهل التاويل مكرهم قولهم الذي قالوه من الكذب و
الزور وانها الهة وانها شركاء لله لكن يشبه ان يكون قوله مكرهم اي مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اخالوا واحتالوا ليقتلوه ويبلد

يظهر هذا الدين في الارض ويطفئون هذا النور ليدوم عزهم وشرفهم في هذه الدنيا وهو كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا والمكر هو الاحتيال والاخذ من حيث لا امن الله والله اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن السبيل صدوا لما علم من مكرهم واختيارهم ما اختاروا والسبيل المطلق هو سبيل الله والا كان جميع الاديان والمذاهب يسمى سبيلا كقوله ولا تتبعوا السبل لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق وسبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد من اضله الله فلا يملك احد هدايته وهداه فلا يملك احد اضلاله وقوله عز وجل لهم عذاب في الحيوة الدنيا العذاب لهم في الحيوة الدنيا يحتمل القتل والخوف والجوع وانواع البلايا كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الاية وقوله عز وجل ولعذاب الاخرة اشق اي اشد وما لهم من الله من واق اي ما لهم من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه وقوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون يحتمل وصف الجنة التي وعد المتقون او صفة الجنة التي وعد المتقون ويحتمل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية يقول والله اعلم كشبه الشيء بالشيء وعدالكافرون اي ليسا بشبيهين ولا مثلين لا تكون هذه مثل هذه ولا شبيهها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية يقول والله اعلم يقول الذي وصفه كمن هو خالد في النار كالذي يكون عذابه وصفه كذا اي لا يكون فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اكلها دائم اي ثمارها دائمة لا تزول ولا تنقطع ليس كثمار الدنيا الا وهي تزول ونعيمها ليس من ثمرة من ثمار الدنيا الا وهي تزول وينقطع في وقت فاخبر ان ثمار الاخرة وما فيها من النعيم غير زائلة ولا منقطعة وكذلك صفاتها دائم لا يزول وظلها ايضا اخبر ان ظل الجنة لا يزول ولا ينقطع لا يكون فيها شمس يزول ظلها بزوالها ووصف جميع ما فيها بالدوام والمنفعة الظل شيء لا اذى فيه وفيه منافع والشمس فيها اذى ومنافع وكذلك جميع ما يكون من الا في الدنيا يكون من الاشياء فيها منافع ومضار وانها تزول وتنقطع فاخبر ان ظل الاخرة وما فيها من النعم دائمة باقية غير زائلة ولا منقطعة ولا مضرة فيها ليس كنعيم الدنيا وظلها والله اعلم وقوله عز وجل تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي جزاء الكافرين النار فظاهر هذا ان يكون الذين اتقوا الشرك لانه ذكر عقبى الكافرين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي جزاء وعقبى ما ذكرنا اي تلك الجنة جزاء الذين اتقوا الشرك وعقبى الكافرين النار اي جزاء النار او عقبى هذه للذين اتقوا الجنة وعقبى اولئك النار وقال بعضهم تلك عقبى الذين اتقوا اي عاقبة اعمالهم وحسنا تهم الجنة وعاقبة اعمال الذين كفروا ابو جهل الله النار وقوله عز وجل والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يشبه ان يكون الاية صلة قوله وهم يكفرون بالرحمن فاخبر عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك بذكر الرحمن ثم اختلف في قوله الذين آتيناهم الكتاب قال بعضهم اصحاب محمد فرحوا بما انزل الى رسول الله وقال بعضهم الذين آتيناهم الكتاب اهل التوراة يفرحون بما انزل اليك بذكر ههنا انهم يفرحون بما انزل اليك ويذكر في موضع اخر ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وقال في موضع اخر الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فمن تلاه منهم الكتاب حق تلاوته ولم يبدله ولم يغيره فهو يؤمن به ويفرح بما انزل على محمد ومن غيره وبدله فهو لم يفرح بما انزل عليه وقوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك تأويله والله اعلم والذين آتيناهم منافع الكتاب اولئك يفرحون اليك وهو ما قال في اية اخرى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته لان اكثرهم لا يفرحون بما انزل على محمد وقوله عز وجل ومن الاحزاب من ينكر بعضه يحتمل اهل الكتاب كانوا ينكرون بعض ما انزل اليه لا ينكرون كل ما انزل اليه وانما ينكرون نعته وصفته لانهم كتموا نعته وصفته التي في كتبهم ويحتمل قوله من الاحزاب من ينكر بعضه مشركي العرب وهم ايضا انكروا بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم يكفرون بالرحمن وقوله اجعل الالهة الها واحدا ونحوه لم ينكروا كله وقوله عز وجل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو كان هذا قاله على اثر قول كان منهم كانهم دعوه الى ان يشاركهم في عبادة الاصنام او دعوه ان يكون على ما كان اباؤهم فقال قل انما امرت ان اعبد الله وامرت ان لا اشرك به ويحتمل قوله ولا اشرك به قال ذلك من نفسه اليه ادعوا يقول الى توحيد الله ادعوا غيري ثم لا اخالف واعبد غيره واليه مآب اي اليه المرجع وقوله عز وجل وكذلك انزلناه اي كما علمناك آدابا واعطيناك النبوة كذلك انزلنا عليك حكما عربيا قيل حكمة عربية وكانت العرب لا تفهم الحكمة او انزلنا ما فيه حكم وتفسير قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا ما ذكر في اية اخرى وهو قوله الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا سمى القرآن حكما لانه لحكم انزل وقوله عز وجل ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم هذا يدل انهم كانوا يدعونه الى ان يشاركهم في بعض ما هم فيه ما لك من الله من ولي ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا واق يقي العذاب وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قال بعض اهل التأويل نزل هذا وذلك ان اليهود عيروا رسول الله وطعنوا في كثرة النساء والاولاد وقالوا لو كان نبيا على ما يزعم لكان لا يتمتع بالنساء ولا يطلب الاولاد كما يفعله غيره وكانت النبوة تشغله عن ذلك فانزل الله ولقد ارسلنا الاية اي الاستمتاع بالنساء والاستكثار منهن لم يمنع عن الاختصاص بالنبوة والرسالة على ما لم يمنع غيره من الرسل الذين كانوا من قبله والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله اي لا يملكون انزال الايات من انفسهم انما ينزلها الله اذا شاء ذلك وهو قول عيسى حيث قال وابرئ الاكمه والابرص الاية اخبر ان ما يأتي من الايات انما يأتيها باذن الله وبامره لا من نفسه يحتمل ان يكون جواب ما ذكر

اهل التأويل

اهل التأويل وجواب غير ذلك ايضا وهو طعنهم الرسل بالاكل والشرب والمشي في الاسواق وسؤالهم الايات التي سالوهم وجواب انكارهم الرسل من البشر يقول لست انت باول رسول طعنت بما طعنك به قومك ولكن كان قبلك رسل طعن قومهم بما طعنك به قومك وسالوهم من الايات ما سالك به قومك فلم يكن ذلك لهم عذرا في رده وتوله ما تركوا بل نزل بهم العذاب فعلى ذلك قومك وقوله عز وجل لكل اجل كتاب اختلف فيه قال قائلون لكل كتاب اجل وهي الكتب التي انزلت على الرسل يعمل بها الى وقت ثم تنسخ ويترك العمل بها وقال قائلون هو ما قال لكل اجل كتاب اي لكل ذي اجل اجله الى وقت انقضائه ليس يراد به الكتابة باليد ولكن الاثبات كقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت ليس ان كتب هنالك باليد فعلى ذلك قوله لكل اجل كتاب اي اثبات الى وقت ويحتمل قوله لكل كتاب اجل اي لكل ما كتب له الاجل وجعل له الوقت من العذاب ينزل بالمعاندين والنصر للرسل فانه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتاخر ايضا عن ذلك الوقت وهو كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة الاية وقوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت ذلك قائلون قوله يمحو الله ما يشاء المحو ههنا ان انشاءه في الابتداء يمحو ليس على ان كان مثبتا فمحا ولكن انشاءه هكذا يمحو وهو كقوله فمحونا اية الليل ليس انه كان مثبتا كذا ثم محي ولكن انشاءه في الابتداء يمحو وكقوله رفع السموات ليس انها كانت موضوعة ثم رفعها ولكن انشاءها مرتفعة كما هي فعلى ذلك هذا ثم يحتمل ذلك الاعمال التي كانت معفوة في الاصل من اعمال الصبيان والاعمال التي لا جزاء عليها وقال قائلون على احداث محو ثم يحتمل وجوها ما ينسخ من الاحكام فهو على محو الحكم به والعمل ليس على محو نفسه ويثبت وهو ما لا ينسخ ولا يترك العمل به والحكم ويحتمل المحو الاحوال وهو ما ينقل ويحول من حال الى حال من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة يحوله وينقله من حال الى حال الاخرى فذلك هو المحو ويحتمل المحو ايضا هو ما يختم به العمر السعادة او الشقاء اذا كان كافرا ثم اسلم في اخر عمره محيت الاعمال التي كانت له في حال كفره فبدلت حسنات واذا كان مسلما ثم ختم بالكفر محيت اعماله التي كانت له من الصالحات فلم ينتفعوا بها وان يكون ما ذكر من المحو والاثبات هو ما يكتب الحفظة من الاعمال والافعال يمحي عنها ما لا جزاء له ولا ثواب ويبقى ما له الجزاء والثواب ويترك مكتوبا كما هو او يكون للخلق مقاصد في افعالهم والحفظة لا يطلعون على مقاصدهم فيكتبون ما هو في الحقيقة حسنة لقصده سيئة على ظاهر ما عمل او حسنة في الظاهر وهو في الحقيقة سيئة فيغفر ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة شر وفي الظاهر خير شرا بالقصد وما هو في الحقيقة خير وفي الظاهر شر خيرا او يكون في كتابة الحفظة لكنه من وجه اخر وهو ان الحفظة يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما في اللوح المحفوظ فيمحى من كتابة الحفظة من الزيادة ويثبت فيها ما كان فيه من النقصان والله اعلم وقوله عز وجل وعنده ام الكتاب هذا يحتمل عنده الذي يعارض به كتب الملائكة ويحتمل وعنده ام الكتاب الذي ينتسخ منه الكتب التي نزلت على الانبياء والرسل وهو اللوح المحفوظ وفيه دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب تغيير المعنى لانه لا يدرى ان تلك الكتب في اللوح باي لسان هو ثم انزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذي نزل عليه وكذلك الملائكة الذين يكتبون اعمال بني آدم لا يحتمل ان يكتبوا بلسان الخلق لا تريظهر لو كانوا يكتبون بلسان هؤلاء نزل انهم انما يكتبون بلسان انفسهم فهذا كله يدل ان اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف المعنى والله اعلم وقوله عز وجل واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كان صلوات الله عليه طمع وسال ان يريه جميع ما وعد من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال ان شيئا نرينك بعضها وعدناهم وان شيئا نتوفينك ولم نرك فانما عليك البلاغ اي ليس لك من الامر شيء اي ليس اليك هذا انما عليك البلاغ وهو كقوله ليس لك من الامر شيء الاية انما عليك كذا فيخرج مخرج العتاب والتوبيخ ليس مخرج الوعد والعدة اذ قوله نا او نا عرف شك فهو يخرج على الوعد وعلى النهي عن سؤال كان منه ورسول الله فان كان على النهي فكانه نهاه ان يسال اتيان العذاب عليهم بقوله ان شيئا انزلنا وان شيئا لم ننزل وان كان على الوعد فقول نرينك بعض ما وعدنا ولا نرينك كله والا ظاهره حرف شك وقوله وعلينا الحساب يحتمل حساب ما وعد وجزاء ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسبهم يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل الم يروا قد ذكرنا فيما تقدم ان انما هو حرف تعجيب وتنبيه فهو يخرج على وجهين احدهما على الخبر اي قد راوا انا نفعلنا ما ذكر والثاني على الامر اي راوا انا فعلنا ما ذكر وهو ما ذكر من قوله اولم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض اي سيروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قال بعضهم هو ما جعل من ارض الكفرة للمسلمين بالفتح لهم والنصر على اولئك والاخراج من سلطان اولئك الكفرة وايديهم وادخالها في ايدي المسلمين فذلك النقصان والله اعلم لما وعد لرسوله ان يريه بعض ما وعدهم فقال الكفرة عند ذلك اين ما وعدك ربك فقال عند ذلك اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها اي الم يروا انه جعل بعض ما كان لهم من الارضين للمسلمين فانا قد دعا على جعل البعض الذي كان لهم لهؤلاء لقادر ان يجعل الكل لهم او نحو هذا والله اعلم ما اراد بما ذكر من النقصان وقال قائلون نقصان الارض موت فقهائها وعلمائها وخيارها ووجه هذا وهو ان الفقهاء والعلماء هم عماد الارض واهلها وبهم صلاح الارض فوصف الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما وصف الارض بالفساد وهو قوله لفسدت الارض وقوله ظهر الفساد في البر والبحر

لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد لفساد اهلها فعلى ذلك لا تنقص هي بنفسها ولكن بالنقصان لذهاب اهلها وعمارها فنقصانها
وعلمائها وهلم يحتمل ذهاب العلماء المتقدمين الذين تقدموا رسول الله في الامم السالفة وهم علماء اهل الكتاب فنقول لا يعتبرون بان ذلك
الذين قبضوا وتفانوا من علمائهم فلا بد من رسول يعلمهم الآداب والعلوم ويجدد لهم ما درس من الرسوم وذهب من الآثار فكيف انكروا
رسالته وفي بعث الرسول حدوث العلماء وذلك وقت حدوث العلماء وزمانه فان كان اراد العلماء المتاخرين وفقهائهم فيخرج ذلك
مخرج التنزيه له اي نقص الارض بحال نصف بالنقصان بذهاب العلماء والفقهاء والله اعلم وقوله عز وجل والله يحكم لا معقب
لحكمه قيل لا راد لحكمه وحكمه يحتمل العذاب الذي حكم على الكفرة يقول لا راد للعذاب الذي حكم عليهم وهو كقوله رب احكم بالحق اي
احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم ويحتمل قوله لا معقب لحكمه اي لا يتعقب احد حكمه ولا يعقب احد سلطانه كما يكون في حكم الخلائق يتعقب
بعضهم بعضا وكما ذكر في المعقبات له معقبات من بين يديه يتعقب بعض عن بعض في الحفظ وفيما سلطوا والله اعلم وهو سريع الحساب
هنا قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وقد مكر الذين من قبلهم اي مكر الذين من قبلهم برسلهم كمكر هؤلاء بك بصيرا رسوله
على ما نام به ثم يحتمل المكر به وجهين احدهما مكروا بنفسه هموا قتله واهلاكه والثاني مكروا بدينه الذي دعاهم اليه واراد
هموا امحاء ذلك وابطاله وكذلك مكر الذين من قبلهم برسلهم يخرج على هذا والله اعلم وقوله عز وجل فلله المكر جميعا هذا ايضا
يخرج على وجهين احدهما يقول فلله جزاء المكر جميعا يجزي كلا بمكره والثاني اي لله حقيقة المكر باخذهم جميعا بالحق من حيث لا
يشعرون واما هم فانما ياخذون ما ياخذون لا بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون على الاخذ من حيث لا يشعرون الا قليلا من ذلك
فحقيقة المكر الذي هو مكر بالحق فالحقيقة لله لا لهم ويحتمل قوله فلله المكر جميعا ان شاء امضاه وان شاء منعه اليه ذلك لا اليهم او في
حقيقة المكر يغلب بكره مكرا ولذلك وقوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس من خير او شر وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار شبه ان يكون
عقبى الدار معهودا عندهم وهي الجنة فيكون صلة قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيقول والله اعلم سيعلمون
لمن عقبى الدار هي لهم ام هي للمؤمنين او ان يكون جواب قوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا انهم لما رادهم مفضلين في
امر الدنيا ووسع عليهم الدنيا ظنوا انهم في الآخرة كذلك فقال ذلك جوابا لهم وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا اي قالوا لست مرسلا
اي لن يبعثك الله رسولا وهم كانوا يقولون كذلك له فامره ان يقول لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اني نبي رسول الله اليكم بالآيات التي
اتى بها وكان قال لهم هذا لما بالغ في الحجاج والبراهين في اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا ذلك فآيس من تصديقهم فعند ذلك قال كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب اي يعلم من كان عنده علم الكتاب يعني التوراة فيشهد ايضا اني رسول نبي اي يعلم من كان عنده
علم الكتاب اني على حق واني رسول الله وهو كقوله او لم يكن لهم آية الآية وقوله فاسألوا اهل الذكر ومن قرأ بالخفض ومن عنده علم الكتاب
فتاويله والله اعلم اي من عند الله جاء علم هذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك روي في بعض الاخبار
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ ومن عنده علم الكتاب بالخفض واما القراء جميعا فانهم يختارون بالنصب ومن عنده علم الكتاب
قال ابو عبيد وقرأ بعضهم ومن عنده علم الكتاب بخفض الميم والدال ورفع العين وقال لكن لا ادري عن عمرو روي عن عبد الله بن سلام
انه قال فيّ نزل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب هذا يوثقنا ان ثبت قول اهل التاويل حيث قالوا ومن عنده علم الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر كتاب الر كناية عن حروف مقطعة جملها بالحكمة كتاب انزلناه اي جمعناها و
جملناها كتابا باعني تلك الحروف المقطوعة كتابا وانزلناه اليك بعد ما لم تكن تدري ما الكتاب وهو كما قال ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان وقوله ولا تخطه بيمينك لتخرج الناس وما يضاف الاخراج الى الله فانه يكون باعطاء الاسباب وحقيقة ما يكون به
الافعال وهي القدرة وما يضاف الاخراج الى الرسل فانه لا يكون الا باعطاء الاسباب لانه لا يملك احد سواه اعطاء ما به يكون الفعل
ثم الاسباب يكون بوجهين احدهما الدعاء الى ذلك والثاني ما اتى بهم من البيان والحجة على ذلك فهو الاسباب التي يملك الرسل اتيانها
وانما ما به حقيقة الفعل فانه لا يملك الا الله وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور قيل من الكفر الى الايمان التي يملك الرسل اتيانها
سمي الكفر ظلمات وهو واحد لانه يستر جميع منافذ الجوارح من البصر والسمع واللسان بحبس ما لا يبصر ويسمع ما لا يصلح وكذلك
العقل يقول ما لا يصلح وكذلك جميع الجوارح والايمان يرفع ويكشف جميع الحجب والستور ويحق له كل مستور والثاني قوله من
من الظلمات اي من الشبهات الى النور الى الايمان والهدى وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور الاخراج المضاف الى الله والى الآية يخرج
على وجوه اربعة احدها يامر ويدعوهم الى ما ذكر والثاني يكشف ويبين والثالث يرغب ويرهب حتى يرغبوا في المرغوب ويحذروا
المرهوب والرابع بتحقيق ما يكون به الهداية وذلك لا يكون الا بالله وهو التوفيق والعصمة واما الوجوه الثلاثة الاول فانها تكون
برسول الله يامر ويدعو ويرغب ويرهب ويبين ويكشف والله اعلم وقوله الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس كان في الكتاب
انزلناه اليك لتامر الناس بالخروج مما ذكر الى ما ذكر والثاني انزلناه لتخرج به الناس مما ذكر باذن ربهم قيل بامر ربهم اي يدعوهم بامر ربهم

وقال قائلون بعلم ربهم اي انزل هذه الحروف المقطعة بعلمه والثالث يحتمل بتوفيق ربهم الاذن من الله يحتمل احد هذه الوجوه التي ذكرنا
الامر والعلم والتوفيق وقوله عز وجل الى صراط العزيز الحميد هو الله اي يدعوهم الى طريق الله الذي من سلكه نجا العزيز الحميد سمي عزيزا لان
كل عزيز به عز او يقال عزيز لانه عزيز بذاته ليس بغيره كالخلائق والعزيز هو الذي لا يغلب والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله والحكيم
هو الذي لا يلحقه الخطأ في تدبيره وقال اهل التاويل العزيز المنيع والحميد الذي هو يقبل اليسير من العباد وقوله عز وجل الله الذي له
ما في السموات وما في الارض من قرأ بالخفض صيره موصولا بالاول وجعله كلاما واحدا واتبع الخفض بالخفض ومن قرأ بالرفع الله الذي
جعله مقطوعا عن الاول على حق الابتداء فقال الله له ما في السموات وما في الارض ذكر قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ليعلم
انه يأمر الخلق ويدعوهم الى دينه ويمتحنهم بانواع المحن لا يفعل ذلك لمنافع نفسه او لحاجته في ذلك بل لحاجة الممتحنين ولمنافعهم
وقوله عز وجل وويل للكافرين من عذاب شديد قال قائلون الويل الشدة وقيل الويل هو اسم واد في جهنم وقال الاصم الويل هو نداء كل مكروب
وملهوف من شدة البلاء وقول الحسن كذلك وقوله عز وجل الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة وصفا لذلك الذين ذكروا فيهم
الويل منهم فقال الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اي اثروا واختاروا الحيوة الدنيا على الاخرة اي رضوا بها واطمانوا فيها كقوله
ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اختاروا الحيوة الدنيا لان الدنيا لم يختاروا الاخرة فالدنيا انشئت لا للدنيا ولكن انما انشئت للاخرة
فمن اختارها لها لا ليسلك بها الى الاخرة ضل وزاغ عن الحق وقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا يستحبون
الحيوة الدنيا على الاخرة حتى يلهوا عن الاخرة ويسهوا فيها ويغفلوا والا اهل الاسلام ربما يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا
انهم يختارون ذلك للاخرة واولئك للدنيا وقوله عز وجل ويصدون عن سبيل الله يحتمل يصدون وجهين احدهما اعرضوا هم بانفسهم
والثاني صرفوا الناس عن سبيل الله الذي من سلكه نجا لكن انما يتبين ويظهر ذلك بالمصدر صد يصد صدا صار في غيره وصد يصد
صدودا اعرض هو بنفسه ويبغونها عوجا اي طعنا وعيبا فيه ويحتمل هذا الآية في الرؤساء منهم والقادة الذين كانوا يصدون
الناس عن سبيل الله ويبغون في دين الله الطعن والعيب فما وجدوا الى ذلك سبيلا قط وقوله عز وجل اولئك في ضلال بعيد
الضلال يحتمل وجوها يحتمل الضلال اي هلكوا هلاكا لا نجاة فيه قط ويحتمل الحيرة والتيه اي تحيروا فيه وتاهوا حتى لا يهتدون ابدا و
يحتمل الضلال البطلان اي في بطلان بعيد حتى لا يصلحوا ابدا وهو في قوم علم الله انهم لا يهتدون ابدا ويموتون على الضلال وقوله
عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لو كان غيره من الكتب ارسلت بغير لسان الامم لكان هذا الكتاب يجب ان يكون مبعوثا
بلسان قومه لانه جعل هذا الكتاب في نفسه حجة وآية لرسالته لانهم يعجزون عن اتيان مثله وهو كان بلسانهم ليعلموا انه من الله جاء
اذ لو كان من اختراع الرسول لقدروا على اختراع مثله لان لسانهم مثل لسانه فاذا عجزوا عن اتيان مثله دل انه منزل من الله تعالى
لا من عند الخلق ثم يحتمل قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وجوها قال قائلون هذا بعد ما اختلف الالسن ارسله هذا وفيه
انباء اوائلهم الذين كان لسانهم غير لسان هؤلاء واخبارهم ليعلموا انه انما عرف تلك الانباء والاخبار التي كان بغير لسانهم بالله
وقال بعضهم ارسل بلسان قومه لئلا يكون لهم مقال لقوله لولا فصلت آياته الآية والثالث انه انما كان بلسانهم يكون آلف واقرب
الى القبول منه اذا كان بغيره اذ كل ذي نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه آلف من غير نوعه وجوهره كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا اذ ليس في وسع البشر رؤية الملك والنظر اليه على ما هو عليه فعلى ذلك كل ذي لسان يكون بلسانه آلف واقرب للقبول
من غيره وقوله عز وجل ليبين لهم قال قائلون ليكون ليبين لهم وافهم وقال قائلون ليبين لهم فيفهمون قول رسولهم وقوله عز وجل
فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ان يضل الله من آثر سبب الضلال ويهدي من يشاء ممن آثر سبب الذي به يهتدي يهدي ذلك
وقال قائلون يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء هو الحكم الله ان يضل المكذبين ويهدي المصدقين لكن الوجه فيه ما ذكرنا بديا انه
يضل من آثر سبب الضلال ويهدي من يشاء هو الحكم انه ان يضل المكذبين ويهدي المصدقين اي من آثر سبب الاهتداء وهو العزيز
الحكيم لان جميع الخلائق مفتقرون اليه اذ لا به يعز من عز وان يكون العزيز هو الذي لا يغلب والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في الحكم
والتدبير او الحكيم في بعث الرسل وفي جميع فعله ولم يدخل عليه في فعله خطأ قط مصيب وضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل آياته حججه وبراهينه التي ارسل بها على وحدانية الله والوهيته ويحتمل آياته التي بعثها الى موسى ليقيمها
على رسالته ان شئت قلت آياته حججه وان شئت سميتها اعلاما والآيات والاعلام والحجج كله واحد فيكون اعلام وحدانية الله والوهيته
او اعلام رسالته وقال قائلون باياتنا اي بديننا اي ارسلنا موسى بديننا ليدعوهم اليه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وعلى ذلك
بعث جميع الرسل والانبياء بعثوا ليخرجوا قومهم من الظلمات الى النور وقد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وذكرهم بايام الله
التذكير هي العظة اي عظهم بايام الله قال قائلون ايام الله نعمه قال قتادة امر موسى ان يذكرهم بنعم الله التي انعمها عليهم فان الله انعم
اياما من النعم كايام القوم كم من خير قد اعطاه الله لكم وكم من سوء قد صرفه الله عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم فالله ربنا فله الحمد وقال
قائلون ايام الله وقايعه اي ذكرهم بوقايع الله في الامم السالفة كيف اهلكهم لما كذبوا الرسل هذا يحتمل يذكرهم بنعم الله التي كانت
على المصدقين بتصديقهم وهو ما انجا المصدقين من التعذيب والاهلاك اهلاك تعذيبا وذكر المكذبين منهم بالوقايع التي كانت على

وبتلك بالتكذيب وهو الاهلاك ويشبه ان يكون قوله بايام الله الايام المعروفة بنفسها امره ان يذكرهم بهلاك الايام تاتى باوزارهم
ومضى باعمالهم واعمارهم وان كانت خيرا فخير وان كان شرا فشر وتفنى اعمارهم واجالهم وفيما ياتى باوزارهم ثم من الله عليهم وفى ذهاب
اعمارهم واجالهم اظهار سلطان الله وقدرته فامره ان يذكرهم بذلك والله اعلم هذا يشبه ان يكون امر موسى ان يذكر بنى اسرائيل ما كان عليهم
من فرعون من انواع التعذيب ثم الانجاء من بعد يقول والله اعلم ذكرهم الايام الماضية وما يتلوها وهذا اشبه واقرب من فرعون من
انواع التعذيب ثم الانجاء من بعد يقول والله اعلم ذكرهم الايام الماضية وما يتلوها وهذا اشبه واقرب والله اعلم وقوله عز وجل ان
فى ذلك لايات لكل صبار شكور قد ذكرنا ان الصبر هو كف النفس عن معاصى الله وعن جميع مناهيه والشكر هو الرغبة فى طاعته اخبر
ان فيما ذكر ايات لمن كف هو نفسه عن المعاصى ورغب فى طاعته لا لمن نقضا ولا على الرسل وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم
اليه ليس لامثال هؤلاء عبرة واية لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم اليه ليس
لامثال هؤلاء عبرة واية لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن لان كل مؤمن امن بالله وهو اعتقد الكف
عن جميع والرغبة فى كل طاعته وان كان يقع احيانا فى معصيته فكانه قال ان فى ذلك لايات للمؤمنين على ما ذكر فى غيره من الايات من
ذلك قوله ان فى ذلك لاية للمؤمنين وللموقنين وللمتقين ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من آل فرعون يشبه ان يكون هذا على الاضمار وهو ما ذكر فى اية اخرى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا الاية واذكروا ايضا اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب وقال كانوا يكلفونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم السوم الازافة والتعريض يقال سامنى كذا اى ازافنى وعرضنى ويقال سمت الدابة على الحوض اى عرضتها وفى
ذلك بلاء من ربكم عظيم هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم فى سورة البقرة والاعراف والله اعلم وقوله عز وجل واذ تاذن قال بعضهم واذ تاذن
قال ربكم وقيل اذ اعلم ربكم واخبر والعرب ربما قالت افعلت فى معنى تفعلت فهذا من ذلك ومثله فى الكلام اوعدنى وتوعدنى وهو قول الزجاج
حقيقته وعد ربكم او كفل ربكم لئن شكرتم لازيدنكم لم يقل لئن شكرتم نعمة كذا ولا بين اى نعمة النعم كلها او نعمة دون نعمة ولا قال شكرتم
عاذا وقال لازيدنكم لم يذكر الزيادة فيما ذا من اى شئ هو فيشبه ان يكون قوله لئن شكرتم بالتوحيد اى وحدتم الله فى الدنيا فيما خلقكم
خلقا وركب فيكم ما يتلذذون وتتمتعون فى الدنيا وفيما فوقكم من احسن تقويم لازيدنكم النعم الدائمة فى الاخرة فيصير على هذا التاويل
كانه قال لئن ابتم شاكرين فى الاخرة لازيدنكم النعم الدائمة والى هذا يذهب ابن عباس رضى الله عنه او قريب منه الا ترى انه قال ولئن
كفرتم ان عذابى لشديد ولئن كفرتم ولم توحدوه واشركتم غيره فيه وصرفتم شكر تلك النعم الى غيره ان عذابى لشديد ويحتمل ان يكون
كل نعمة بشكرها يزيد له من نوعها فى الدنيا ويديم ذلك له وفى قوله لئن شكرتم لازيدنكم لطف وفضل لان الشكر هو المجازاة المكافأة
لما سبق والله اعلم تعالى لا يكافى فيما انعم لانهم لا يستحقون بدون لانفسهم الزيادة بالشكر الذى ذكر فهو ليس بشكر فى الحقيقة لكن هذا من
لطف ذكره وهو كما قال الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية فهذه الانفس و
الاموال فى الحقيقة لله ليست لهم فيهم فيما يقرضونه يقرضون لانفسهم وكذلك فى الشراء يشرون لانفسهم من مولاهم لكنه ذكر شراه لطفا منه
وفضلا فعلى ذلك فيما ذكر من الشكر له يطلبون الزيادة لانفسهم لطفا منه وان كان الشكر فى الظاهر موضوعه المكافأة لما سبق
فهو فيما بين الرب والعباد ليس بمكافاة ولكن سبب الزيادة ولكن سمى شكرا لطفا منه وفضلا على ما ذكر التصديق قرضا والله اعلم
الا ترى انه قال ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد اى غنى بذاته ليس بامره بامر لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن
ما امتحنكم انما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعة ابدانكم وقال بعضهم قوله ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد اى
غنى عن عبادة خلقه حميد عند خلقه وهو ما ذكرنا انه ليس يامرهم فيما يامر لمنفعة نفسه او لحاجة نفسه ولكن لمنافع تحصل
للخلق وحوائج تبدو لهم وكذلك النهى عما ينهى ليس ينهى لخوف مضرة تلحقه ولكن للضرر يلحقهم ولا فيه منزجه اليهم يحمد عز وجل عن
عنائه عما يامر خلقه فى طاعته وعبادته وتوجيه الشكر اليه والحميد هو الذى لا يلحقه الذم فى فعله يقول والله اعلم انهم وان كفروا و
كان علم منهم انهم يكفرون فعله بذلك لا يجعله فى انشائهم مذموما والله اعلم وقوله عز وجل الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح الاية
يشبه ان يكون الخطاب لاهل الايمان منهم الرسل خاطبهم عز وجل تبصيرا او تنبيها على تكذيب الكفرة اياهم واذاهم واستهزائهم بهم فقال
الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم اى قد اتاكم نبؤا الذين من قبلكم ما فيه مزجر لكم عن مثل معاملتهم الرسول وهو ما ذكر ولقد جاءهم من الانباء
ما فيه مزدجر انه ما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والاستهزاء باتباعهم بذكر هنالك ليهون ذلك عليهم ويخف لان من علم ان له شركا فيما يبلى به
وامتحن كان ذلك عليه اهون واخف من ان يكون هو المخصوص فيه ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل الكفر منهم يقول الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم اى قد اتاكم خبر الذين من قبلكم انه ما نزل بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم باتباعهم فينزل بكم ما نزل بهم لان الذى انزل
ذلك عليهم حى قادر على انزال مثله فيخرج ذلك مخرج التوبيخ والتعيير والوعيد ليحذروا عن صنيع اولئك والله اعلم وقوله
عز وجل لا يعلمهم الا الله فيه دلالة ان تكلف معرفة الانساب وحفظها الى ادم شغل وتكلف لا تراخيبا فيهم من لا يعلمه الا الله
وروى فى الخبر انه كان ينسب الى معد ولا ينسب الى اكثر من ذلك قال ابو بكر الاصم قوله لا يعلمهم الا الله يكذب من ادعى معرفة الانساب

المتفرقة

المتفرقة لانه قال لا يعلمهم الا الله وقد اخبر ايضا انه لم يقص عليه خبر الكل بقوله منهم من قصصنا عليك فمن البعيد ان يتكلف
حرف ما لم يقص على رسوله والله اعلم وقوله عز وجل جاءتهم رسلهم بالبينات قيل البينات بينات على وحدانية الله والوهيته
ويحتمل الحجج التى اتوا بها الرسل على اثبات الرسالة والنبوة وقال بعضهم البينات ما يتقون وما ياتون وما يحل عليهم وما يحرم وقوله
عز وجل فردوا ايديهم فى افواههم يحتمل ان يكون هذا على التمثيل والكناية عن التكذيب وترك الاجابة لان رد الايدى فى افواههم
يمنعهم عن التصديق كقوله كباسط كفيه الى الماء الاية اذا ترك اجابته وقوله يردوكم على اعقابكم واشباهه ويشبه ان يكون على
تحقيق جعل الايدى فى افواههم ثم يخرج على وجهين احدهما ردوا ايديهم فى افواههم فى افواه الرسل فيقولون انكم كذبة ويحتمل
رد الايدى فى افواه انفسهم يصفقون ويستهزئون بهم وباتباعهم كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية الاية وقد ذكرنا معناه
فى موضعه فعلى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به الاية وقد ذكرنا معناه يحتمل قوله بما ارسلتم به
التوحيد لانهم ارسلوا بالدعاء الى توحيد الله والعبادة له يدل ذلك قولهم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب وقول الرسل
افى الله شك الاية ويحتمل قوله انا بما كفرنا بما ارسلتم به من اثبات الرسالة واقامة الحجة عليها وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من
التصديق بالرسالة والنبوة مريب هذا يدل انهم كانوا على شك مما يعبدون من الاوثان والاصنام لانه لو كان لهم بيان فى ذلك
وحجة ودعاء اليه لكانوا لا يقولون انا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ولكن كانوا يقطعون فيه القول فدل انهم كانوا على شك
وريب فى عبادتهم الاصنام والاوثان التى عبدوها ثم الشك والريب قال بعضهم هما سواء وقال بعضهم الشك المعروف و
الريب هو النهاية فى الشك وقال بعض اهل التاويل فى قوله تعالى فردوا ايديهم فى افواههم اى عضوا على اصابعهم غيظا على ما ذكر
وقال بعضهم ردوا عليهم قولهم وكذبوهم وهو ما ذكرنا بديا وقال ردوا عليهم بافواههم وقوله عز وجل قالت رسلهم افى الله
شك اى فى الوهية الله شك او فى عبادة الله شك اى ليس فى الوهيته ولا فى عبادته شك وتقرون انتم انه اله وانه معبود و
كذلك اقررتم ذكر انه اله وانه معبود فليس فى الوهيته ولا فى عبادته شك انما كان الشك فى عبادة من تعبدون دونه من الاوثان
والاصنام والوهيتها لان اباكم اقروا بالوهية الله وانه معبود حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء
شفعاؤنا عند الله واقروا انه خالق السموات والارض فاطر جميع ما فيهما بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وان الاصنام التى عبدوها لم تخلق شيئا فليس فى الله شك عندكم انما الشك فيما تعبدون دونه او فى وحدانية الله او يقول
افى الله شك انه لم يزل انه معبودا اى ليس فى الله شك انه لم يزل معبودا انما الشك فى الاصنام التى قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى فاما فى الله فلا شك انه لم يزل معبودا فاطر السموات والارض يشبه ان يكون على الاضمار اى افى الله شك وقد تقرون انه
فاطر السموات والارض وتعلمون انه خالقهما ويحتمل ان يكون على الاحتجاج اى افى الله شك وهو فاطر السموات والارض اى تعلمون
انه فاطر السموات والارض وتقرون انه خالقهما وقوله عز وجل يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم هذا يحتمل وجهين يحتمل ليغفر لكم
ذنوبكم التى كانت لكم فى حال الفترة اذا اسلمتم وفيه دلالة والله اعلم ان الاثام التى كانت لهم فى وقت الفترة ماخوذة عليهم
ثم وعد لهم المغفرة اذا اسلموا والثانى وعد المغفرة والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والقول فيه بما لا يليق به اذا اسلموا
وتابوا عن ذلك اى انكم وان افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذبتم رسله فاذا اسلمتم وتبتم وصدقتم رسله غفر لكم ذلك كله
وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى جواب ما قالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يقول اذا اسلمتم وتبتم لا تتخطفون ولكن تبلغون
الى اجالكم المسماة ويؤخر الى اجل مسمى يتعلق المعتزلة بظاهر هذه الاية ان لكل انسان اجلين اجل فى حال اذا كان فعل كذا واجل
فى حال اذا فعل كذا لكن جعل الاجلين انما يكون بجهل فى العواقب من يجهل العواقب فاما سبحانه وتعالى هو عالم بما كان ويكون فلا
يحتمل ان يجعل له اجلين وهو عالم بما يكون فانما جعل اجله بالذى علم انه يكون منه فى الوقت الذى جعل والله الموفق وقوله
عز وجل قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فى قولهم تناقض من وجهين احدهما انهم تركوا اتباع
رسلهم واتباعهم لانهم بشر مثلهم حيث قالوا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فذلك تناقض فى القول والثانى
انهم لم يروا الرسل متبوعين بشر ثم لا يجعلوهم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين استتبعوا غيرهم من دونهم او كانوا اتباعا لغيرهم
حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فذلك تناقض فى القول فاتونا بسلطان مبين سالوا الحجة على
ما دعوا اليه من الوهية الله تعالى وربوبيته او على ما ادعوا من الرسالة من الله وفى كل شئ دفع عليهم بصرهم دلالة وحدانية الله
والوهيته لكنهم سالوا ذلك سؤال تعنت وعناد وكذلك لما قاموا الحجج على ما ادعوا من الرسالة لكنهم تعاندوا وكابروا فى رد
ذلك فسالوا سؤال اية وحجة تضطرهم وتقهرهم على ذلك ويكون عند اتيانها هلاكهم فاجابهم الرسل فقالوا وما كان لنا
ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اى ما كان لنا ان ناتيكم باية يكون بها هلاككم انما ذلك الى الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل
وقوله ان نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن الا بشر مثلكم رد قول الباطنية لانهم يكون كون الرسالة فى جوهر البشرية ويقولون

انما يكون الرسالة في جوهر الروحانية فهم صلوات الله عليهم انما اجابوا قومهم حيث قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا وقولهم ان نحن الا بشر مثلكم لم يذكروا شيئا سوى البشرية فدل ان قول الباطنية باطل حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يختص احدا بالرسالة الا من كان منه ما يستحق به الرسالة وهم صلوات الله عليهم لم يذكروا سوى منة الله عليهم دل انه يمن عليهم ويختصهم لا بشيء من الاستحقاق يكون منهم من الاعمال ولكن بالمنة والفضل منة عليهم وقوله وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله هو ما ذكرنا الاذن موضوعة الاباحة هو مقابل الحجر لكن الاذن المذكور في القران ليس كله على وجه واحد ولكن يتجه في كل موضع ويحتمل على ما يليق به قال الله تعالى عز وجل فهزموهم باذن الله اي بنصر الله لان الهزيمة هي موضع النصر يحمل عليه وقال واحيي الموتى باذن الله اي بانشاء الله فعلى ذلك الاذن ههنا حيث قال وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي بانشاء الله السلطان واجرائه على ايدينا ويحمل الاذن المذكور في القران على ما يليق ويتبين بما تقدم ذكره ويحتمل الاذن ههنا الامر اي بامر الله يأتي اي ان امرنا الله بذلك نأتي به وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون يشبه ان يكون ذكر هذا على اثر وعيد واذى كان منهم اليهم فقالوا على الله يتكل ويعتمد المؤمنون في دفع وعيدكم واذاكم وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر اي على الله توكلوا ايها المؤمنون في جميع ما يوعدكم اهل الكفر وفي جميع اموركم ويحتمل على الاخبار عن صنيع المؤمنين انهم انما يتوكلون على الله وبه يعتمدون في جميع امورهم ومنه يرون كل خير و لا بالاسباب التي لهم ولا يرون منها واما اهل الكفر فانما يتوكلون ويعتمدون بالاسباب ومنها يرون كل سعة وخير والله اعلم وقوله عز وجل وما لنا ان لا نتوكل على الله كان هذا يخرج على اثر جواب كان منهم لما قال الرسل وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاجابوهم بحرف فعند ذلك قال الرسل وما لنا ان لا نتوكل على الله لكنه لم يذكر ما كان منهم ولكن ذكر جواب الرسل لهم وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا قال بعضهم وقد بين لنا سلوك سبلنا وعندنا قوله وقد هدانا اي وفق لنا السلوك في السبل التي علينا ان نسلكها واكرمنا لذلك اي ما لنا ان لا نتوكل عليه في النصر والظفر عليكم وقد وفقنا واكرمنا السلوك في السبل التي علينا سلوكها وذلك اعسر من القيام للاعداء والنصر بهم وقد اكرمنا ما هو اعسر واعظم فان ينصرنا اولى والله اعلم وقوله عز وجل ولنصبرن على ما اذيتمونا يحتمل ان يكون هذا قبل ان يأمروا بالقيام لهم والاستنصار منهم امروا بالصبر على اذاهم فقالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا ويشبه ان يكون قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله انهم قالوا ذلك لما كان اهل الكفر في كثرة و كان اهل الاسلام واتباع الرسل في قلة يستقلون اهل الاسلام ويعيبون على ذلك فقالوا عند ذلك وما كان لنا ان لا نتوكل على الله بالنصر لنا على اعدائنا والغلبة عليهم وقد ذكرنا بما ذكر وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون كان يخرج على الامر اي على الله فتوكلوا لا تتوكلوا على غيره ويشبه ان يكون على الخبر اي لا يتوكل المؤمن الا على الله لا يتوكل على غيره كقول الرسول حيث قال اني توكلت على الله الاية وهو قول هود وقول المؤمنين على الله توكلنا ربنا افتح بيننا الاية ونحوه وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا الاخراج يحتمل وجوها ثلاثة احدها على حقيقة الاخراج من البلد الى غيره من البلدان والارضين ويحتمل الاخراج الحبس لنخرجنكم اي نحبسكم عن الانتفاع بالبلد وباهله وبما فيه ويحتمل الاخراج القتل اي نقتلكم وقد كان اهل الكفر يوعدون ويخوفون الرسل واتباعهم بهذه الثلاثة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ونحوه ثم في وعيدهم الذي وعدوا الرسل وجوها ثلاثة حيث تجاسروا اقبال الرسل بمثل هذا الوعيد ومع الرسل ايات وحجج احدها انهم راوا انفسهم مسلطين على اولئك قاهرين عليهم وكانوا اهل كبر وتجبر الا ترى انه قال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد دل هذا انهم كانوا راوا انفسهم كما ذكر اهل تسلط وتجبر والثاني قالوا ذلك لهم لما لم يكن عندهم ما يدفعون حجج الرسل وبراهينهم فهموا قتلهم واخراجهم لعجزهم عن دفع ما الزمهم الرسل وهكذا الامر المتعارف بين الخلق ان الخصم لا يقصد اهلاك خصمه ما دام له الوصول الى الحجاج فاذا عجز عن ذلك هم بقتله ويقصد اهلاكه والثالث جواب الرسل اياهم عند القول السيء بالقول الذي ليس فوقه احسن منه وقوله عز وجل او لتعودن في ملتنا الملة الدين كقوله لا يتوارث اهل الملتين وقوله ملة ابراهيم حنيفا اي دين ابراهيم وقوله لتعودن ليس انهم كانوا فيها فتركوا ولكن على ابتداء الدخول فيها على ما ذكرنا وقوله عز وجل فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وعدهم النصر والظفر عليهم والتمكين في ارضهم مع قلة عدد اتباع الرسل وضعف ابدانهم ومع كثرة الاعداء وقوة ابدانهم ليعلموا انهم انما نالوا ذلك برحمة من الله وعونه اياهم لا من جهة انفسهم والله اعلم فكان على ما اخبر وكان ذلك من ايات رسالتهم وما ينبغي لهم ان يطلبوا من الرسل الايات والحجج على ما ادعوا لانهم لم يدعوهم الى طاعة انفسهم او عبادتهم انما دعوهم الى وحدانية الله تعالى و الوهيته وجعل الطاعة والعبادة له دون ما عبدوه من الاصنام وذلك في شهادة خلقتهم وشهادة كل خلقة وان لطف و صغر فلم يحتجوا الى ان يقيموا البراهين والحجج على ما دعوهم ودعوهم اليه لكنهم كانوا قوما معاندين مكابرين لا يقبلون قولهم ولا يصدقونهم تعنتا منهم ولكنهم لم ينظروا في خلق الله ليدركوا اثار وحدانيته والوهيته فكلفوا اقامة الحجج والايات لئلا يكون لهم مقال واحتجاج وان لم يكن لهم الاحتجاج والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لمن خاف مقامي الاية قوله تعالى ذلك يحتمل وجوها لانه

قد سبق خصال ثلاث ما يحتمل رجوع هذا الحرف الى كل واحد من ذلك احدها قوله ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فيحتمل قوله ذلك المن والفضل لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله اي ذلك الهدى والسبيل التي هدانا اليها اي ذلك الهدى والهداية لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا فاوحى اليهم ربهم الاية اي ذلك النصر والظفر بهم والتمكين في الارض لمن خاف وعيد ثم قوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال بعضهم خاف مقامي في الدنيا والاخرة وقيامه والله اعلم اي خاف سلطاني ونقمتي وعذابي في الدنيا والاخرة اما في الدنيا لما نزل بمكذبي رسله وانبيائه وخاف وعيد وعذابه في الاخرة حيث وصاه يحل بهم بالتكذيب وترك الاجابة وقال بعضهم خاف مقامي في الاخرة وهو كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يخاف ذلك المقام وخاف ما وعد من العذاب في النار ثم قوله مقامي حيث اضاف اليه ليس في الاشتباه باقل من قوله استوى على العرش واقل من قوله وجاء ربك والملك وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الاية وامثاله فكيف اشتبه هذا على التشبيه ولم يشتبه قوله مقامي حيث سالوا في ذلك ولم يسالوا في هذا وهذا ان لم يكن اكثر في الاشتباه فليس باقل والاصل في هذا وامثاله من قوله اليه المصير واليه مرجعكم واليه ماب ومتاب ذكر هنا وان كان الخلق جميعا في الدارين جميعا يكون مصيرهم ومرجعهم اليه لانه جل وعلا لم يخلقهم للمقام في الدنيا والدوام فيها انما خلقهم للزوال عنها والفناء والمقام في الاخرة والدوام فيها لكن خلقهم في هذه الدنيا ليمتحنهم ويبتلون فيها ثم يصيرون الى دار المقام فالاخرة هي المقصودة في خلقهم في الدنيا لا الدنيا فاذا كان كذلك اضاف المصير الى نفسه لما هو المقصود في خلقهم وان كانوا في الدنيا والاخرة صائرين اليه غير غائبين عنه طرفة عين ولا فانين وبالله النجاة ذكر الله عز وجل انباء الرسل الماضية وانباء وانباء اعدائهم وما عامل بعضهم بعضا وما نزل بالاعداء بما عاملوا رسلهم من العذاب والاستيصال وانواع البلايا وما اكرم رسله واتباعهم واوليائهم من النصر على اعدائهم والظفر بهم والتمكين في الارض وجعل ذلك كله كتابا بالحكمة يتلى ليعلم بعامل الاعداء والاولياء ليرغب فيما استوجبوا الاولياء من الكرامات وليحذروا عن مثل صنيع الاعداء وليعلم ان كيف عامل الله رسله واولياءه كيف عامل الرسل ربهم اضافوا الرسل جميع ما نالوا من الخيرات والكرامات الى الله كان لا صنيع لهم في ذلك حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ذكر قوله ان نحن الا بشر مثلكم ليعلم ان الخير ليس يكون بالجوهر ولكن بفضل من الله تعالى وبرحمته وقوله عز وجل وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وامثاله واضافوا ذلك اليه كانهم لا صنيع لهم في ذلك وذكر الله عز وجل ما اكرم اولياءه ورسله من النصر والتمكين والانزال في الدنيا دكانهم استوجبوا ذلك بفعل كان منهم وهو قوله ذلك اي ذلك النصر والتمكين وما ذكر من الوجوه لمن خاف مقامي وخاف وعيد ذكر انهم استوجبوا ذلك لا ان كان من الله ذلك من الله بحق افضال وامتنان ليعلموا معاملة الله رسله واولياءه ومعاملة الرسل والاولياء سيدهم ومولاهم والله اعلم وقوله عز وجل واستفتحوا يحتمل وجهين احدهما الاستنصار استنصروا الله على عدائهم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون والثاني استفتحوا اي تحاكموا الى الله في النصر الاحق منهم والاقرب الى الحق كقوله ربنا افتح بيننا الاية وهو الحاكم اليه وقوله عز وجل وخاب كل جبار عنيد هو ما ذكرنا تحاكموا الى الله فنصر اولياءه واهلك اعداءه على ما ذكر ان ابا جهل قال اللهم دينك القديم ودين ابائك الحسنة ايما كان احب اليك واقرب من الحق فانصره فنصر المؤمنين واهلك الاعداء وقوله وخاب كل جبار عنيد اي تجبر على رسله واوليائه والعنيد قيل المعرض المجانب عن الحق والطاعة وقال بعضهم الجبار القاتل على الغضب والضارب على الغضب وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل من ورائه جهنم اي من وراء عذاب الدنيا لهم جهنم وعذابه وقوله من ورائه جهنم الوراء قد يستعمل في امام وخلف اي من امام ما حل بهم جهنم ويحتمل وراء ما اصابهم ما ذكر وقوله عز وجل ويسقى من ماء صديد اي يسقى في جهنم صديد مكان ما يسقون في الدنيا وهو الذي يسيل من القروح جعل الله للكافر في الاخرة مكان ما كان لهم في الدنيا لباسا وشرابا وطعاما ما كانت تكرهه انفسهم جعل مكان ما يسقون في الدنيا من الماء في النار الصديد والغسلين والحميم ومكان الطعام في الدنيا في النار الزقوم والضريع ومكان اللباس القطران ونحوه ومكان القرين الصديق في الدنيا يجعل قرينه الشيطان كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الاية ذلك كله يمنعهم عن دين الله ويصدهم عن ذكره ليكون جزاء من نوع ما كان يمنعهم في الدنيا عن طاعته ثم قال بعضهم ان الصديد الذي يسقون هو ان النار تجرحهم وتقرحهم فيسيل من ذلك الصديد فيسقون من ذلك فقال بعضهم لا ولكن يجعل شرابهم فيها صديدا كما ان اهل الجنة وطعامهم من غير اصل وقوله ويسقى من ماء صديد ويحتمل يسقى من ماء في ظنهم ماء وهو في الحقيقة صديد ويحتمل ان يكون في الحقيقة والظاهر صديد لكن يشربون رجاء ان يدفع عطشهم وقوله عز وجل يتجرعه قال ابو عوسجة التجرع ما يشربه مكرها عليه ولا يكاد يسيغه يقال اساغه اي ادخله في الحلق يقال اسغته فساغ في حلقه اذا دخل دخولا سهلا لا يؤذيه وقوله عز وجل ويأتيه الموت من كل مكان قال قائلون يأتيهم الغم والهم من كل مكان وكذلك المتعا

في الحلق اذا اشتد بهم الغم والهم والشرق يقال كانك ميت او تموت غما وقال بعضهم ويأتيه الموت اي اسباب الموت ما
لو كان من قضاية الموت فيها لماتوا لشرة ما يحل بهم ولكن قضاوه اي لا يموتون فيها وما هو بميت موت حقيقة يستريح من العذاب
وقوله من كل مكان قال بعضهم من كل ناحية من فوق ومن تحت ومن خلف ومن قدام كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش لخبران النار تأتيهم وتأخذهم من كل جانب ومن كل جهة ويحتمل من كل مكان اي
من كل سبب من تلك الاسباب التي تأتيهم ما لو كان من قضاء الموت لماتوا بكل سبب من تلك الاسباب وقال بعضهم اي ليس من موضع
من جسده ومن سائر خوارجه الا الموت يأتيه منها من شدة ما يحل بهم حتى يجدوا طعم الموت وكربه وقوله عز وجل ومن ورائه
اي من وراء ذلك العذاب عذاب غليظ لا ينقطع ولا يفتر وصفه بالغلظ والشدة لدوامه والاياس عن انقطاعه والله اعلم
وقوله عز وجل مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد هو والله اعلم على التقديم اي مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به
الريح ثم يحتمل اعمالهم الاعمال التي كانت لهم في حال ايمانهم ثم كفروا بما احدثوا من الكفر ابطل ذلك الاعمال الصالحة في الايمان وهو
ما ذكر ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله او يكون محاسنهم التي كانت لهم في حال الكفر طمعوا ان ينتفعوا بتلك المحاسن في الاخرة
فلما انتفعوا بها فصارت كالرماد الذي تذروه الريح الشديدة لم ينتفع صاحب ذلك الرماد به بعدما عملت به الريح ما عملت
فعلى ذلك الاعمال الصالحة التي عملوها في حال كفرهم او اعمالهم الصالحة التي كانت لهم في حال الايمان ثم احدثوا الكفر لا ينتفعون بها
وقال في اية اخرى اعمالهم كسراب بقيعة فيشبه ان يكون هذا في اعمالهم السيئة في انفسها فراوها صالحة حسنة كقوله سوء عمله
فراه حسنا فيشبه ما كان في نفسه سيئا بالسراب لانه لا شيء هنالك انما يرى خيالا فعلى ذلك اعمالهم السيئة في انفسها فراوها
حسنة صالحة وما كان وما يشبه بالرماد فهي اعمال الصالحة في انفسها لكن الكفر ابطلها وقوله عز وجل في يوم عاصف اليوم
لا يكون عاصفا ولكن على الاضمار كانه قال في يوم فيه ريح عاصف كقوله والنهار مبصرا النهار لا يبصر ولكن يبصر فيه او يبصر به
العاصف قيل هو القاصف الكاسر الذي يكسر الاشياء او يكون قوله اشتدت به والعاصف والقاصف حرفان يوديان جميعا معنى
واحدا وقوله عز وجل لا يقدرون مما كسبوا على شيء كالرماد الذي ذكرنا ان صاحبه لا يقدر به بعد ما عملت به الريح وذرته والله
اعلم وقوله عز وجل ذلك هو الضلال البعيد يحتمل ذلك الكفر هو الضلال البعيد لا نجاة فيه ابدا او ذلك الذي اتوا به بعيد
عن الحق والله اعلم وقوله عز وجل الم تر ان الله خلق السموات والارض الم تر حرف تنبيه عن عجيب بلغه وعلم به غفل عنه او نعوله
حرف تنبيه عن عجيب لم يبلغه بعد ولم يعلم به على هذا الوجهين يشبه ان يكون والله اعلم وقوله عز وجل خالق السموات والارض بالحق
قال عامة اهل التأويل بالحق اي للحق وتأويل قولهم والله اعلم للحق اي لكائن لا محالة وهي الاخرة لانه خلق العالم الاول للعالم الثاني و
المقصود في خلق هذا العالم هو العالم الثاني فكان خلقهما للثاني لا للاول ولو كان الاول دون الثاني يجعل خلقهما للفناء وذلك خارج عن الحكمة
وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال قائلون للحق الذي وجب لله عليهم بالامتحان والابتلاء خلقهما
للشهادة له على الممتحن او نقول خلقهما بالحق اي بالحكمة وقوله ان الله خالق السموات والارض بالحق ان كان الخطاب به لرسول الله فتفسير
كانه قال قد رايت وعلمت ان الله خالق السموات والارض بالحق وان كان الخطاب به لغيره من اولئك يقول اعلموا ان الله خالق السموات
والارض بالحق لم يخلقهما عبثا باطلا وقوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال بعض اهل التأويل هذه المخاطبة يخاطب
بها اهل مكة يذكر قدرته وسلطانه على بعثهم بعد الموت والهلاك يقدر على اذهابكم واهلاككم ويقدر ايضا ان ياتي بغيركم فعلى ذلك
يقدر على بعثكم بعد مماتكم وقوله عز وجل وما ذلك على الله بعزيز قال اهل التأويل اي عليه هين يسير ولكن عندنا والله اعلم و
وما ذلك اي ذهابكم وفناؤكم عليه ليس يشتد عليه ولا شاق ليس كملوك الارض اذا شيء من مملكتهم يشتد ذلك عليهم فاما الله
سبحانه وتعالى لا يزيد الخلق في سلطانه ولا في ملكه ولا ينقص فناؤهم وذهابهم منه شيئا كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
اي شديد عليهم وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مكان الشدة العزة ومكان الذلة ههنا الرحمة او ان
يكون قوله وما ذلك على الله بعزيز اي ما بعثكم واحياكم بعد الممات على الله بشاق ولا شديد وقوله عز وجل وبرزوا لله جميعا قال
بعض اهل التأويل خرجوا الى الله من قبورهم جميعا لانه لا يغادر احدا لا بعث ويحتمل وجوها اخر سوى ذلك وهو ان قوله وبرزوا لله لامر الله
اي لوعده الذي وعد انهم يبعثون او يريد الحكم الله يحكم في بعثهم وبرزوا اي ظهروا وابدوا ووجدوا فيكونون موجودين ظاهرين بعد ان
ان كانوا نابتين ذاهبين غايبين اي عندهم في الدنيا انهم نابتين غايبين عن الله فيومئذ يعلمون انه كان لا يخفى عليه شيء من افعالهم
واحوالهم وهو ما ذكرنا في قوله ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وامثاله ان يعلمهم مجاهدين
صابرين كما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين وكقوله عالم الغيب والشهادة ويعلمهم شهودا كما علمهم غيبا فعلى ذلك قوله وبرزوا لله
جميعا اي يكونون له موجودين ظاهرين والله اعلم واضافة البروز اليه في الاخرة وان كان بروزهم له في الدارين جميعا وكذلك من
المصير اليه والمرجع اليه والمآب ونحوه فهو والله اعلم لما لا ينازع احد في البروز في ذلك اليوم وقد ينازعون في الدنيا وخص ذلك البروز
بالاضافة لما هو المقصود من انشائه اياهم وخلقهم ليس المقصود في خلقهم وانشائهم الاول ولكن الاخر فخص ذلك بالاضافة اليه

والله اعلم وقوله وبرزوا لله جميعا اي يومئذ يعلمون انه كان لا يخفى عليه شيء وكانهم لم يكونوا يعلمون قبل ذلك وقوله عز وجل فقال
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قال قائلون قوله فهل انتم مغنون عنا اي دافعون
عنا عذاب الله اذ كنا لكم اتباعا وانتم متبوعين وادفعوا عنا ذلك لكن هذا بعيد ان يطلبوا منهم دفع العذاب عنهم وقد رأوهم في
العذاب فلو قدروا على دفع عنهم لدفعوا اولا عن انفسهم الا ان يكون فيهم حيرة وعمى كما كان في الدنيا فالحيرة ما قالوا كقوله ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى والاشبه انهم يطلبون منهم دفع بعض العذاب عنهم وتحمل بعض لان سونة الاتباع في العرف يحملها المتبوع
فيطلبون منهم دفع شيء وتحمل بعض ما حل بهم وهو ما ذكر في اية اخرى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار وطلبوا منهم تحمل بعض ما حل بهم وقوله
عز وجل قالوا لو هدانا الله لهديناكم قال بعض اهل العلم ان الكفرة جميعا اتباعهم ومتبوعهم اعلم بهداية الله من المعتزلة لانهم قالوا
لو هدانا الله لهديناكم علموا ان الله عز وجل لو هداهم لاهتدوا وبذلك هدايتهم والمعتزلة يقولون قد هدى الله جميع الكفرة وجميع الخلائق
فلم يهتدوا وانهم لو ارادوا ان يهدي احدا لم يملك والكفرة حيث قالوا لو هدانا الله لهديناكم راوا وعلموا ان الله لو هداهم لاهتدوا لانهم لو
لم يهتدوا بهدايته اذا هداهم لم يعتذروا والى اتباعهم لهديناكم وقال ابليس رب بما اغويتني اضاف الاغواء اليه وهم يقولون لا يغوي الله
احدا فابليس اعلم بهذا من المعتزلة وقولهم لو هدانا الله اي لو رزقنا الله الهدى واكرمنا بهداية لهديناكم ولكن لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا وقال
ابو بكر الاصم تأويل قولهم لو هدانا الله لهديناكم لو كان الذي كنا عليه هدى لهديناكم فهذا صرف هذه الاية عن وجهها بلا دليل فلو جاز له
هذا جاز لغيره صرف جميع الايات عن ظاهرها بلا دليل مع ان الاتباع قد علموا ان الذي كانوا عليه لم يكن هدى فلا معنى لهذا وقوله
عز وجل سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال اهل التأويل انهم قالوا فيما بينهم تعالوا حتى نجزع لعل الله يرحمنا فجزعوا حينا فلم
يرحموا ثم قالوا تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا فلم يرحموا فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص لكن لا يحتمل ان يقولوا
ذلك بعد الامتحان والاختيار ولكن كانهم قالوا ذلك بالذي سمعوا وهو قوله فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
ولما سمعوا ذلك عند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي منجى ومخلص لا يحتمل ان يقولوا سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص في اول احوالهم وامورهم ولكن يحتمل ما ذكر اهل التأويل انهم يقولون ذلك عند الاياس وقوله عز وجل
وقال الشيطان لما قضي الامر قال بعضهم قضي الامر اي دخل الجنة الجنة واهل النار النار ويقوم ابليس خطيبا في النار فيخطب
كما ذكر وقال قائلون قضي الامر اي ميز وبين اهل الجنة من اهل النار قبل ان يدخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة قام خطيبا فخطب
لاتباعه كما ذكر ويحتمل قوله لما قضي الامر اي لما فرغ من الحساب ومن امرهم عند ذلك يخطب ما ذكر وهو كقوله فلما قضي الامر ولوا
الى قومهم منذرين اي لما فرغ من الاستماع فعلى ذلك هذا وقال بعضهم لما قضي الامر اي قضى ولو لما نزل بهم العذاب ويشبه ان يكون
قوله لما قضي الامر هو ان الله كان وعد ان يقوم ابليس خطيبا لهم فقضي الامر اي انجز ما وعد انه يخطب وان يكون لاهل الكفر كلمات
ومنازعات فيما بينهم يوم القيامة كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله فيحلفون له كما يحلفون لكم
الاية يكذبون في الاخرة ويكون لهم محاجة على ما كان منهم في الدنيا ويحتجون فيقولون ان ابليس هو كان غلبنا وقهرنا لانه كان
يرانا ونحن لم نكن نراه فالمغلوب المقهور غير ماخوذ بما كان منه في حكمك يحتجون بمثل هذه الخرافات والتهاجات ويقولون هو
الذي اضلنا فيقوم عند ذلك ابليس خطيبا بينهم وقال وما كان لي عليكم من سلطان حتى اقهركم واغلبكم الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
طايعين غير مقهورين ولا ممتحنين والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ان الله وعدكم وعد الحق يشبه ان يكون وعده ما وعد على
السن الرسل من البعث والجنة والنار والحساب والعذاب كائن لا محالة او جميع ما وعد من مواعيده فذلك كله حق اي كائن
لا محالة ووعدتكم يحتمل ما ذكر حيث قال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وامثاله من عداته كانت كلها اماني وغرورا
وكذبا وقوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان يحتمل السلطان وجهين احدهما اي ما كان لي عليكم من ملك وقهر وغلبة
اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء فاستجبتم طوعا ويحتمل قوله من سلطان من حجة وبرهان اي لم يكن لي حجة وبرهان على ما دعوتكم
اليه انما كان لي دعاء ووساوس وكان الرسل بحجج وبراهين فتركتم اجابتهم فاستجبتم لي بلا حجة وبرهان اي لم اقهركم ولم اغلب
عليكم لكن هذا لا يصلح لانه لو كان له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا معذورين غير معذبين لان المقهور والمغلوب والمضطر
معذور ولكن السلطان هو الحجة وقوله عز وجل فلا تلوموني ولوموا انفسكم ليس مراده لعنه الله انه لا يلام ولكن مراده
ارجعوا الى اللائمة انفسكم واشتغلوا بها فان ذلك كان منكم لم يكن مني الا الدعاء وقوله عز وجل ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
قيل ما انا بناصركم وما انتم بناصري وقيل ما انا بمغيثكم وما انتم بمغيثي وقيل ما انا بنافعكم وما انتم بنافعي ما نزل بي هذا كله واحد
وقوله ما انا بمصرخكم اي ما انا بالذي اغيثكم وانقذكم وما انتم بالذي اغاثني والا لو كان لهم ملك ذلك لفعلوا وقوله عز
وجل اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي كفرت بما اشركتموني في عبادة الله وطاعته اي كنت بذلك كافرا ويحتمل اني كفرت اي تبرأت
اليوم بما اشركتموني مع الله في الطاعة والعبادة من قبل احدا ثوابين تحجج الخائن تبرأ في ذلك اليوم وقت ما قام خطيبا والثاني
اني كنت تبرأت من ذلك في الدنيا وقت ما اشركوه ان الظالمين لهم عذاب اليم وقوله عز وجل وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات

اى اذن لهم بالدخول فى الجنة قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها باذن ربهم الاذن ههنا كانه الرحمة اى خالدين فيها برحمة ربهم تحيتهم فيها سلام يحتمل السلام ويحتمل الثناء اى يثنون على ربهم كقوله الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الاية وقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام قال بعضهم يسلم بعضهم على بعض ويحيى بعضهم بعضا بالاسلام وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير وبر وبركة كما قال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله عز وجل الم تر قد ذكرنا ان كلمة الم ترحرف تنبيه عن عجيب كان بلغه فغفل عنه او تنبيه عن عجب لم يبلغه وقال ابو بكر الاصم هى كلمة تفتتح بها العرب عند الحاجة يقول الرجل لاخيه الم تر الى ما فعل فلان ونحوه هذا يحتمل فى غيره من المواضع واما فى هذا فانه غير محتمل وقوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا قيل بين الله مثلا واظهر كلمة طيبة كشجرة قال ابو بكر الكيسانى كلمة طيبة هو هذا القران وكلمة خبيثة هى الكتب التى احدثها الناس شبه القران بالشجرة الطيبة وهى النخلة على ما ذكران بشا وكل شجرة مثمرة وشبه الكتب التى احدثها الناس بالشجرة الخبيثة وهى التى لا تثمر وقال انما شبه القران بالشجرة الطيبة لان الشجرة الطيبة هى باقية الى آخر الدهر ينتفع بها الناس بجميع انواع المنافع لا يقطعونها فهى تدوم وتبقى دهرا فعلى ذلك القران ينتفع بها الناس وهو دايم ابدا وقوله عز وجل اصلها ثابت وفرعها فى السماء اصلها ثابت لها قرار فعلى ذلك القران هو ثابت بالحجج والبراهين والكتب التى احدثها اولئك هى باطلة ناسخة لا حجة معها ولا برهان كالشجرة الخبيثة التى هى غير مثمرة لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات وقال بعضهم الكلمة الطيبة هى الايمان والتوحيد شبهها بالشجرة الطيبة وهى التى تثمر وتنمو وتزكوا هى على ما وصفها عز وجل فى قوله تؤتى اكلها كل حين باذن ربها فعلى الايمان والتوحيد لا يزال يجنى لاهله الخيرات والاعمال الصالحة كالشجرة التى وصفها انها تؤتى اهلها اكلها فى كل حين وكل وقت اصلها ثابت بالحجج والبراهين وفرعها فى السماء فى كل وقت ينفع ويصعد به العمل الى السماء والكلمة الخبيثة هى الكفر لانه لا منفعة لاهلها فيها اذ لا عاقبة له ولا حجة معها ولا برهان انما شىء اخذوه عن شهوة واماني فكان كالشجرة الخبيثة التى لا ثمر لها ولا منفعة لاحد فيها فهى لا تبقى ولا تدوم فذلك قوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ويشبه ان يكون ضرب المثل بغير هذا المعنى وهوانه ذكر جواهر طيبة وجواهر خبيثة مما يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر ليكون كل جوهر من هذه الجواهر التى يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر من خبيث وطيب دليلا وشاهدا على ما غاب عن الخلق ولا يقع عليها الحواس وهكذا جعل الله تعالى هذه المحسوسات والاشياء الظاهرة دليلا وشاهدا لما غاب عنهم ولا يقع عليه الحس بذلك بالعقول التى ركب فيهم ليرغبهم الطيب مما يقع عليه الحس والبصر على الموعود الغائب ويحذرهم الخبيث المحسوس عما غاب واوعد وكذلك هذه الالام والامراض والشدايد التى جعل فى هذه الدنيا لتزجرهم عن الافعال التى بها يستوجبون مثلها فى الاخرة كذلك النعم التى فى الدنيا واللذات جعلها لتذكرهم على النعم الدايمة على هذا يجوزان يخرج لانه اراد بالشجرة الطيبة الشجرة نفسها او بالثمرة نفسها ولكن ما وصفنا والله اعلم بذلك وقال قائلون ضرب الله مثل الشجرة الطيبة مثلا للمؤمن هو فى الارض وعمله يصعد فى السماء كل يوم فكما تؤتى الشجرة اكلها كل حين كذلك المؤمن يعمل لله فى ساعات الليل والنهار وقوله عز وجل كل حين قال قائلون كل عام لانها تثمر فى كل عام مرة وقال قائلون ستة اشهر من وقت طلوعها الى وقت ادراكها وقال قائلون كل عشية وغدوة كقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال قائلون شهرين والله اعلم ويشبه ان يكون ما ذكرنا انه ليس فى وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها فى كل وقت وكل ساعة فان قال لنا الحرى ان الكلمة التى ضرب الله مثلها بالشجرة الطيبة كلمتنا ونحن المراد بذلك والكلمة الخبيثة فى اخره فهو الحق والذى انتم عليه لا عاقبة له ولا اخرة وفى الحكمة ان كل امر لا عاقبة له فهو باطل والكفر لا عاقبة له والثانى ان الايمان والتوحيد له الحجج والدلايل والكفر ما لا حجة له ولا دلايل انما هو ماخوذ بالامانى والشهوة من تسويل الشيطان وتزيينه لذلك كان ما ذكرنا ويحتمل الكلمة الطيبة ايضا ان يكون الوحى الذى اوحى الله الى رسوله والكلمة الخبيثة ما اوحى الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم الاية فوحى الله هو ثابت دايم ينتفع به اهلها فى الدنيا والعاقبة ووحى الشيطان هو باطل مضمحل لا عاقبة له ولا ينتفع به اهله والله اعلم وقوله عز وجل اجتثت من فوق الارض قال بعضهم استوصلت وقيل انتزعت وقال ابو عوسجة اقتلعت من اصلها يقال اجتثثت الشجرة اجتثها اجتثاثا اذا قلعتها من اصلها وقوله عز وجل ما لها من قرار هو ما ذكرنا وقال بعض اهل التاويل شبه كلمة الشرك بحنظلة قطعت فلا اصل لها فى الارض ولا فرع فى السماء اى لا يصعد له عمل ولا حلو وشبه كلمة الايمان فى نفعها وفضلها وثباتها وقرارها فى الارض بما ذكر من الشجرة والله اعلم ثم من الناس من احتج بهذا المثل فى خلق الايمان والكفر فقال لانه ضرب مثله بما هو مخلوق وهو الشجرة فعلى ذلك الايمان ولكن عندنا لا بهذا يجب ان يستدل فى خلق ولكن لما ثبت ان مشبهها واحد لانه لو كان مشبهها مختلفا لكان لا يضرب مثل هذا ولا هذا بهذا فاذا ضرب دل ان مشبههما واحد فاذا ثبت ذلك دل على ما وصفنا ومن الناس من استدل بهذا انه يزداد وينتقص حيث شبهه بالشجرة وهى تزداد وتنتقص ونحن نقول ليس فيه دلالة ما ذكر والا ان الشجرة فى نفسها ليست بزيادة والايمان ذو حد فما يزداد انما هو فى حق

تزيين والتحسين واما الايمان نفسه فانه لا يزداد كالشجرة اذا اورقت وخرجت ثمارها توصف بالزينة والحسن فاما نفس الشجرة فلا توصف بالزيادة فعلى ذلك الايمان وقوله عز وجل ويضرب الله الامثال للناس يحتمل يبين الله الامثال التى يقع عليها البصر والاشياء الظاهرة لتدلهم على ما استتر وغاب عنهم يذكرون بالعقول ما استتر وخفى بالظاهر والمحسوس لعلهم يتذكرون لعلهم يتعظون وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة الكلمة الطيبة يحتمل التوحيد وفروعها هى الخوف والخشوع والخضوع والرغبة واكلها هو الاعمال الصالحة والخيرات تكون منه والكلمة الخبيثة هى الشرك وفروعها ما يكون منه فى الشرك من الفساد والشر والعناد واكلها هو الاعمال التى تكون منه فى الشرك او ان تكون الكلمة الطيبة هى الايمان وفروعها هى الشرايع والاحكام التى تعمل واكلها هو ما يثاب عليه فى الدنيا والاخرة ابدا والله اعلم وقوله عز وجل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ذكر مرة بالتثبيت ومرة بذكر الزيادة وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومرة يذكر الابتداء والتجديد بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله وقوله اهدنا الصراط المستقيم فالتجديد والابتداء فى حادث الوقت لان تلك الافعال تنقضى وتذهب ولا تبقى واما الزيادة على ما كان وكله واحد فى الحقيقة وقوله عز وجل ويضل الله الظالمين اضاف الاضلال مرة الى نفسه ومرة الى الشيطان ولا شك ان ما اضيف الى الشيطان انما اضيف على الذم فاذا كان ما ذكر فيكون الجهة التى اضيف الى الله غير الجهة التى اضيف الى الشيطان الجهة التى اضيف الى الله هو انه خالق فعل الضلال من الكافر وما اضيف الى الشيطان هو على التزيين والتسويل ليصح الاضافتان ولو كان على التسمية على ما يقوله المعتزلة ان سماه ضالا لكان كل من سمى اخر ضالا كافرا جازان يسمى مضلا فاذا لم يسم بتسمية ضالا او كافرا مضلا دل انه انما سمى الله نفسه مضلا لتحقيق الفعل له فيه وهو ما ذكرنا ان خلق فعل الضلال منه والمعتزلة يقولون ان الله هدى الخلق جميعا لكنهم لم يهتدوا وضلوا من غيران يكون الله اضلهم فهذا صرف ظاهر الاية الى غيره بلا دليل وقوله عز وجل ويفعل الله ما يشاء وعلى قول المعتزلة لا يقدران يفعل ما يشاء لانهم يقولون انه شاء ايمان جميع البشر لكنهم لم يؤمنوا وكذلك قال فعال لما يريد وهم يقولون اراد ايمانهم لكنه لم يفعل ما اراد ولا يملك وقد اخبرانه اراد فعال لما يريد ولما يشاء ثم يقولون هم بل انه يفعل ما شاء واراد بل العباد يفعلون ما شاؤا فاضيع ما شاء هو فهنا ويلهم خلاف الظاهر القران والله اعلم وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة يشبه ان يكون هذا صلة قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة على تاويل من يقول ان الكلمة الطيبة هى القران يكون القول الثابت هو القران يقول والله اعلم ثبت الله الذين امنوا فى الحيوة الدنيا حيث تلقوه بالاجابة والقبول والعمل وفى الاخرة اى بالاخرة والبعث يقرون به ويضل الله الظالمين حيث تركوا الاجابة وتلقوه بالرد والمكابرة والعناد ومن يقول الكلمة الطيبة التوحيد والايمان يكون القول الثابت هو الايمان يثبتهم فى الحيوة الدنيا باختيارهم وفى الاخرة قيل فى قبورهم يثبتهم الاجابة منكر ونكير ويمكن لهم ذلك ويضل الله الظالمين والذين تركوا الاجابة له فى الحيوة الدنيا وفى القبور حيث تركوا الاجابة فى الدنيا ويحتمل ان يكون قوله يثبت الله الذين تركوا الاجابة له فى الحيوة الدنيا هو ما ذكر والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ثبت من اجاب الله الى ما دعا فى الدنيا وفى الاخرة يهديه الطريق الذى به يوصل الى دار السلام والكافر حيث ترك اجابته الى ما دعاه ويضله فى الاخرة طريق دار السلام بترك اجابته فى الدنيا والله اعلم بذلك وقوله ويفعل الله ما يشاء فى هداية من اختار الاجابة والاهتداء والاضلال لمن اختار ترك الاجابة والغواية وقوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اختلف فى نزوله قال بعضهم هذه السورة كلها نزلت بمكة الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة وقال بعضهم نزلت بمكة كلها فمن يقول نزلت بالمدينة يقول قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم هو بدر اى حلوهم الى بدر حتى قتلوا لانه لم يكن بمكة بدر انما كان بالمدينة ومن يقول نزلت بمكة يقول دار البوار هى جهنم على ما فسره ظاهر الكتاب وهو الاشبه بظاهر الاية لانه بين تلك الدار فقال جهنم وفى الاية دلالة ان الاية فى عظمائهم وكبرائهم حيث قال واحلوا قومهم الاية ثم اختلف فى النعمة التى ذكر انهم بدلوها كفرا فهو يحتمل وجوها احدها ان الله عز وجل قد انعم عليهم فى هذه الدنيا وسعها عليهم فجعلوا تلك النعم على انفسهم فجعلوها للاصنام التى عبدوها وسيبوها ولم ينتفعوا ولم ينتفعوا بها من نحو البحيرة التى ذكر والسايبة والوصيلة والحامى وما جعلوا للاصنام هو ما ذكر هذا لشركائنا فتلك تبديل النعمة كفرا حيث حرموا ما انعم الله عليهم كفرا وحلل لهم والثانى تلك النعمة محمدا والقران او الاسلام وهو نعمة كذبوهم اوان يكونوا بدلوا الشكر الذى عليهم بما انعم عليهم كفرا جعلوها سببا للكفر فلم يشكروه بما انعم عليهم وقوله عز وجل بدلوا نعمة الله كفرا حقيقته يخرج على وجهين احدهما بدلوا وصرفوا ما انعم الله عليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم من انفسهم حتى اخذ منهم بدلوا به كفرا والثانى بدلوا به كفرا انا بعد ما سالوا ربهم واقسموا بالله الاية فلم يشكروا ما انعم عليهم بدلوا الشكر كفرا وقوله عز وجل واحلوا قومهم دار البوار اى انزلوا دل هذا ان الاية نزلت فى الرؤساء من الكفرة والايمة منهم حيث اخبرانهم احلوا قومهم دار البوار ذكر حلوا قومهم على الماضى لانه قد وجد منهم الجناية بالاحلال فى دار البوار وذكر فى دخولهم جهنم على الايتناف بقوله جهنم يصلونها وفى القران المام توحيد بعد سوجيد ويجوزان يستدل بهذا الاصحاب المسئلة وهوان العبد اذا حفر بئرا ثم اعتق ثم وقع فى البئر انسان ينظر الى قيمة العبد يوم حفر لان الحفر منه جناية والى الواقع فيه يوم الوقوع لا يوم الحفر لانه لم يوجد بعد يوم الحفر جناية وانه ان يقال احلوا اى واحلهم دار البوار فتدخل اجسادهم يومئذ لم تدخل بعد وقوله عز وجل وجعلوا لله اندادا ثم فسرانهم لم

حلوا قومهم دار البوار فقال وجعلوا لله اندادا اعدالا واشالا ليضلوا عن سبيله يحتمل قوله جعلوا لله اندادا في العبادة يعبدونه كما يعبدون الله او في التسمية يسمونها الهة كما يسمى الله جعلوه اندادا في هذين الوجهين يذكر سفههم حيث جعلوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يدفع ولا يضر امثالا واعدالا لله على علم منهم ان الله هو الذي خلقهم ورزقهم وينعم عليهم وهو الذي يدفع عنهم كل بلاء وشر وجائز ان يكون قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله هو تفسير ما ذكر من تبديل النعمة كفرا وقوله عز وجل تمتعوا بهذه النعم التي ذكر انهم بدلوها كفرا فان مصيركم الى النار هذا في قوم ماتوا على الكفر ويقول قل تمتعوا في الدنيا او تمتعوا بالكفر فان مصيركم الى النار هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وفيه دلالة اثبات الرسالة وقال ابو عوسجة البوار الهلاك والفناء يقال بار الرجل يبور بورا فهو بائر وقوم بور اي هالكون ويقال بارت السوق وبارت السلعة اذا كسدت ويقال بارت المرأة تبور بورا فهي بائرة اذا كبرت وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من بوار الايم قيل يعني من كسادها والله اعلم وقوله عز وجل قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة يحتمل اقامة الايمان بها كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو اقامة الايمان بها اذ لا يحتمل الحبس الى ان يقيموا اقامة الفعل والوفاء اذ في ذلك حبسهم ابدا ويحتمل اقامة الوفاء بها و الفعل لانه انما خاطب المؤمنين على اقامتها وقد سبق منهم ما ذكرنا من الايمان بها قيل هذا جائز بامرهم باقامة الايمان بها في حادث الوقت اذ للايمان حكم التجدد في كل وقت وهو كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله اي امنوا في حادث الوقت فعلى ذلك هذا يحتمل الامر باقامتها اقامة الايمان بها ويحتمل ما ذكرنا اقامة الصلوة في الاية والانفاق هي الصلوة المعروفة المعهودة المفروضة و الادامة لها واللزوم بها ويحتمل القبول والوفاء بها وقوله عز وجل وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن الامر بالانفاق مما رزقناهم الزكوات المفروضات الا ترى انه ذكر الوعيد في اخره وقال من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ولا يحتمل الوعيد في صدقات التطوع وهو ما ذكر ايضا في اية اخرى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت ولا يحتمل طلب الرجوع والتاخير الى اجل في النوافل دل انه اراد به الزكوات المفروضات وقال بعضهم وينفقوا مما رزقناهم سرا هي التطوع والعلانية الفريضة لان الفريضة لا بد من ان تظهر وتعلن وليس في ادائها رياء والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا بيع فيه اي يوم لا يقدر احد ان يبيع نفسه من ربه وفي الدنيا يقدر ان يبيع نفسه من ربه كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله ان الله اشترى وقوله من قبل ان يأتي يوم لا يقدر احد يبيع نفسه من ربه ويحتمل قوله يوم لا بيع فيه اي لا ينفعه بيع نفسه منه في ذلك اليوم وان باع كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وقوله فلما راوا بأسنا الاية فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ولا خلال هو مصدر خاللت وهو من الخلة والصداقة ثم هو يحتمل وجهين احدهما لا تنفعهم الخلة التي كانت بينهم في الدنيا لان كل خلة كانت في الدنيا ما ليست لله فهي تصير عداوة في الاخرة كقوله الاخلاء يومئذ الاية اخبر ان الاخلاء الذين كانوا يخالون في الدنيا للدنيا فهم الاعداء الا الخلة التي كانت لله فهي تنفع اهلها وهو ما ذكر عز وجل يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وامثاله يخبر ان الخلة كانت بينهم في الدنيا لا لله فهي تصير عداوة في الاخرة حتى يتبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم من بعض والثاني ان يكون لهم شفعاء واخلاء ولكن لا يشفعون كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى ويشفع لهم لكن لا يقبل كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله عز وجل الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الى اخر ما ذكر فيه دلالة ان تدبير الله محيط متسق بجميع ما في السموات والارض وعلمه محيط بجميع الخلايق حيث ذكر انزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يعني البشر جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل انه عن تدبير واحد علم دل انه تدبير واحد عليم قدير ثم ما ذكر من تسخير السموات والارض مع شدة السماء وصلابتها وغلظ الارض وكثافتها وتسخير البحر مع اهواله وامواجه وتسخير الانهار الجارية وتسخير الشمس والقمر والليل والنهار لهذا البشر في ذلك كله وجهان احدهما ذكر نعمه التي انعمها عليهم من المنافع التي جعل لهم في تسخير هذه الاشياء التي ذكر وعلى جهل هذه الاشياء انهن مسخرات لهم يستوي بذلك شكرها والثاني يذكر سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وغلظها واهوالها ومن قدر على تسخير ما ذكر قادر على البعث والاحياء بعد الموت ويحتمل ما ذكر من تسخير الاشياء التي ذكر انه هذه الاشياء مسخرة مذللة لنا والثاني سخرها لنا لنعتبر بها والجبال التي جعلها لنا لانتفاع بها والتسخير وقوله عز وجل وآتاكم من كل ما سألتموه فيه لغتان وتأويلان كل من كل على التنوين ما سألتموه على الجحود اي آتاكم من غير ان سألتم الاشياء التي ذكر سخرها لنا واتاكم من غير سؤال ولا طلبة والثاني وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لانه اعطانا الاشياء قبل ان نعلم انا نحتاج بما سألنا حيث خلق هذه الاشياء التي ذكر من قبل ان يخلقنا وقال الحسن من كل ما سألتموه قال وهو ما ذكرنا قال ما لم تسألوه قبل ان نسأل امثالها خلقنا ما فيه منفعتنا فاخرج قبل بوجود امرها ذكر حرف التبعيض وهو ما قال من كل ما سألتموه والثاني وآتاكم علم منا ما نعم فانا ما سألنا الحق قبل ان يسألوا اوجه على الانتفاع به والثالث واتاكم من كل ما يحق السؤال ويليق به على هذه الوجوه يخرج الاية والله اعلم وقوله عز وجل وان تعدوا

نعمة الله

نعمة الله لا تحصوها قال بعضهم لا تحصوها اي لا تشكروها اي لا تقدروا شكرها وقال بعضهم اي لا تقدروا احصاها وعدوها و هكذا انا فان الناس نعمة لو تكلف احصاها ما قدر عليه من حسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبنية وسلامة الجوارح وغير ذلك مما لا سبيل له الى ما ذكرها واحصائها الا بعد طول التفكر والنظر وقال بعضهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوا كنهها ونهايتها وقوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار لظلوم اي ظلم نفسه حيث صرفها الى غير الجهة التي جعلت وامر وادخلها في المهالك والقاها في التهلكة كفار النعم حيث صرف شكرها الى غير الذي جعلها له والله اعلم واستدل بعض المعتزلة بقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ان صاحب الكبيرة يخلد في النار لانه اوعد بترك الصلوة والزكوة التخليد ابدا وترك الصلوة والزكوة من غير عذر من الكباير دل انه ما ذكرنا فنقول نحن وبالله التوفيق ان الاية يحتمل الامر باقامة الصلوة وما ذكر من الزكوة والصدقة اقامة الايمان بها على ما ذكرنا من تأويل بعض اهل التاويل فان كان على هذا على اقامة الايمان بها فمن ترك ذلك فهو يخلد ابدا لا شك فيه او يكون من استحل تركها فهو يخلد او يترك لعذر فهو لا يخلد باتفاق القول فاذا كان ما ذكرنا محتملا دل ان الاية مخصوصة ثم معرفة تخليد صاحب الكبيرة انما هي بالدلايل سوى هذا اذ ليس في ظاهر الاية دلالة التخليد لما ذكرنا من احتمال الخصوص دل انه انما يطلب الدليل من وجه اخر قال القتبي لا خلال مصدر خاللت فلانا خلالا ومخالة والاسم الخلة والمخالة وهي الصداقة وقال ابو عوسجة ولا خلال قال من المخالة يعني المودة دائبين قال يجريان ابدا وهو من الدوب اي من التعب وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا اي مامنا اما يامن الخلق فيه كما سمى النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه ومثله كثير يحتمل قوله اجعل هذا البلد امنا قال بعض اهل التاويل انما طلب ابراهيم ان يجعله امنا على اهله ولهم خاصة لا على الناس كافة اذ قد سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم دل انه جعله امنا على اهله ولهم خاصة ولكن لو كان ما ذكر واحتمله ما يصنع بقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا الاية وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وغيره من الايات اخبر انه جعل تلك البقعة مأمنا للخلق يأمنون فيها ثم يحتمل وجهين احدهما جعله امنا بحق الابتلاء والامتحان الزم الخلق حفظ تلك البقعة عن سفك الدماء فيها وهتك الحرم وغير ذلك من المعاصي وان كانوا صنيعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يصلح كالمساجد التي بنيت للعبادة واقامة الخيرات الزم اهلها وعلى جميع الخلايق حفظها من ادخال ما لا يصلح ولا يحل ثم ان الناس قد صنعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يليق بها ولا يصلح فعلى ذلك الحرم الذي اخبر انه جعله مأمنا والثاني جعله مأمنا بالخلقة من ذا الوجه يجوز ان يقال كيف سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم وهو بالخلقة جعله امنا قيل يجوز هذا بحق العقوبة وان كان امنا الا ترى انه قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية الطيبات بالخلقة حلال لكنه حرم عليهم ذلك بالظلم الذي كان منهم بحق العقوبة والانتقام فعلى ذلك الحرم جعله مأمنا بالخلقة ثم قيل فيه عقوبة لما كان منهم من المعاصي والله اعلم وقوله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام الاية فان قيل كيف دعا وطلب منه العصمة وقد عصمه بالنبوة والرسالة واختاره لها عن ذلك كله قال بعض اهل التاويل انما سال العصمة لولده وذريته لما علم ان ذريته قد يختلفون في دين الله وتوحيده وما ذكر نفسه لما المعروف ان من دعا لاخيه بدا بنفسه قالت المعتزلة دعاء ابراهيم وطلبه العصمة ما ذكرنا دل انه قد يجوز ان يدعى بشيء وان كان قد اعطاه ذلك او يعلم انه مفعول قيل دعى ابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام يجوز ان يكون عصمتهم كانت معروفة منه وسالوه وتضرعوا اليه او معلوم انهم لو يستفيدوا الا ان العصمة باحالهم انفسهم وتركهم اياها سدى بل انما وجب لهم ذلك بما اجهدوا انفسهم في طاعة الله ثم الاية على المعتزلة من وجهين احدهما ان ابراهيم طلب منه العصمة عن عبادة الاصنام وهو علم انه يعتصم اذا عصمه عن ذلك الله واهتدى اذا هداه وهم يقولون الله يعصم ولا يعتصم العبد ويهدي ولا يهتدي العبد ويقولون اذا اعطى احدا ذلك خرج من يده ولا يملك اعطاءه ذلك فعلى قولهم يخرج دعوات الرسل على الهزء وعلى الكتمان لان من سأل احدا شيئا يعلم انه ليس ذلك عنده فهو هزء وسال وهو يعلم انه قد اعطاه ذلك فهو كتمان وكان خوف الانبياء والرسل والكبراء من الخلق اشد واكثر على دينهم والزيغ عام عليه اخا فوا ان يكونوا عند الله على غير ما هو عند انفسهم كانوا ابدا وجلين خائفين على سلب ما هم عليه وهكذا الواجب ان يكون الخوف على من نعمه عليه اكثر لخوفه اشد فقال ابو عوسجة اجنبني اي اصدني وجنبني ابعدني وقال القتبي اي جنبني واياهم وقوله عز وجل رب انهن اضللن كثيرا من الناس نسب الاضلال الى الاصنام وان لم يكن لها صنع في الاضلال لانهم بها ضلوا وكانت الاصنام سبب ضلالهم وقد ينسب الاشياء الى الاسباب وان لم يكن للاسباب صنع فيها نحو ما ذكرنا من قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والسورة لا تزيدهم رجسا لكن نسب الرجس اليها لما كانت هي سبب زيادة رجسهم وهو انها لما نزلت يزدادهم بها تكذيبا وكفرا بها فنسب اليها فعلى ذلك الاول والثاني ينسب الى الاحوال التي كانت بها ما لو كانت تلك بذوات الارواح لكانت تضل وتغوي ممن يكون منه الاضلال لانها تزين وتحلى بالاشياء نحو ما نسب الغرور الى الدنيا وان كانت الدنيا لا تغر لانها تكون بحال لو كانت تلك الارواح

من ذي الروح لكان ذلك تعزيرا فعلى ذلك نسبة الاضلال الى الاصنام والله اعلم وقوله عزوجل فمن تبعني فانه مني يشبه ان
يكون مني اي موافقي في الدين او في الولاية وحاصله والله اعلم مني في الدين وفي امر الدين وكذلك من غش فليس منا اي ليس من
لنا او ليس معنا او ليس من ملتنا وكذلك قوله فانه مني اي من ملتي وحاصله فمن تبعني واجابني فيما دعوته اليه وامرته به فانه
مني اي مما انا عليه وكذلك قوله من غش فليس منا اي ليس مما نحن عليه وقوله عزوجل ومن عصاني فانك غفور رحيم
يشبه قوله ومن عصاني ليس عصيانا في شرك ولكن عصيانا دون الشرك فانه غفور رحيم او ومن عصاني فانك غفور او
ستره عليهم الكفر الى وقت معلوم ان الغفران هو الستر فستر عليهم الى اجل كقوله انما يؤخرهم ليوم او يقول ومن عصاني فانك غفور
رحيم اي تمكن له من التوبة والاسلام فيسلم ويتوب فتغفر له ما كان منه من العصيان وترحم عليه وقوله ومن عصاني فيما دعوته
اليه وامرته به فانك غفور رحيم تمكن له من التوبة والرجوع عما كان منه فيغفر له ويرحمه وقوله عزوجل ربنا اني اسكنت من
ذريتي بواد غير ذي زرع لا يحتمل ان يكون قال هذا اول ما قدم تلك البقعة لانه قال عند بيتك المحرم ولا بيت هنالك دل
انه انما دعى بهذه الدعوات ربنا اني اسكنت من ذريتي وما ذكر ربنا واجعلنا مسلمين لك الى اخر ما ذكر بعد ما رفع البيت
وقوله عزوجل اسكنت من ذريتي دل انه انما اسكن بعض ذريته لم يسكن ذريته كلها حيث قال من ذريتي فقد امتحنه الله بمحن
ثلاث لم يمتحن بمثلها احدا من الانبياء احدها امتحنه باسكان ولده بواد غير ذي زرع ولا ذي ماء مما لا يحتمل قلب بشر تركه
في مثل ذلك المكان مثله دل انه انما فعل بامر من الله تعالى والثاني امتحنه بذبح ولده حتى اذا اشرف على الهلاك فداه الله بكبش وامتحن
بالقائه في النار فالنجى حتى اذا اشرف على الهلاك جعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما ففي ذلك كله دلالة رسالته وكان له هجرتان احديهما
الى مكة حيث اسكن فيها ولده والهجرة الثانية الى بيت المقدس وهو ما ذكر ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها الاية ثم قوله
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع هو دعاء بتعريض لا بتصريح والدعاء بالتعريض والسؤال بالكناية ابلغ واكثر
من السؤال بالتصريح وهو كدعاء ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا الاية فهذا ابلغ في السؤال من قوله اغفر لنا وارحمنا لان مثل هذا
قد سئل من دونه ولا يكون فيه ما ذكر فيه من الخشوع وقوله من ذريتي يحتمل ان يكون كلمة من صلة اي اسكنت ذريتي ويحتمل
على التبعيض اي اسكنت بعض ذريتي على ما ذكر في بعض القصة ولادات اسمعيل واسحق وقوله عزوجل عند بيتك المحرم يحتمل قوله
المحرم وجهين احدهما حرمه ان يستحل فيه ما لا يحل ولا يصلح لكنه خص تلك البقعة بالذكر وان كان ذلك لا يحل في غيرها من البقاع لفضل
الحرمة التي جعلها الله لها كما خص المساجد باشياء لفضلها على غيرها من الامكنة والبقاع والثاني قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع يقال
حرم اي منع كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس ذلك على التحريم ان لا يحل له المراضع ولكن على المنع اي منعناه عنه لنرده الى امه فعلى ذلك
قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع عن الخلق فلم يقدر احد من الفراعنة والملوك الغلبة عليها وادخالها في منافع انفسهم بل هو ممنوع
منهم على ما كان وفيه اية الوحدانية له والالوهية والله اعلم وقوله عزوجل ربنا ليقيموا الصلوة قال بعض اهل التأويل فيه تقديم يقول اجنبني
وبني ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلوة عند بيتك ويحتمل ايضا غير هذا وهو ان يقال اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع اي ليس فيه
ما يشغلهم عن الصلوة لان الزرع وغيره من النعيم يمنع الناس عن اقامة الصلوة ثم يحتمل الصلوة الصلوة المعروفة ويحتمل الصلوة الثناء
والاذكار وغيرها من الدعوات ويحتمل قوله ربنا ليقيموا الصلوة الصلوة نفسها وغيرها من الطاعات وكذلك قوله رب اجعلني مقيم
الصلوة ومن ذريتي وقوله عزوجل فاجعل افئدة من الناس يحتمل سؤاله ربه ان يجعل افئدة الناس تهوي اليهم وجهين احدهما انه اسكن
ذريته في مكان لا بناء فيه ولا نبات ولا زرع ففي مثل هذا المكان يستوحش المقام فيه فسأل ربه ان يجعل افئدة الناس تهوي اليهم ليأتوا
ذلك المكان فيذهب عنهم تلك الوحشة فيستأنسوا بهم او سأله ان يجعل افئدة الناس تهوي اليهم ليتعيشوا بما يحمل اليهم من الزاد والاطعمة اذ
سكنهم في مكان لا زرع فيه ولا يتعيشون فيه به وقد جعل الله بنية هذا البشر لا قوام لهم الا بالاغذية والاطعمة فسأل ربه ليتعيشوا بما
يحمل اليهم وقال اهل التأويل فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم تحج وقالوا لو قال فاجعل افئدة الناس تهوي اليهم ولم يقل من لحجه الخلق جميعا
الكافر والمؤمن لكن لا يحتمل عندنا ان يكون سؤاله للخلق جميعا ويكون قوله واذن في الناس بالحج للخلق جميعا الكافر والمؤمن بل يرجع
ذلك الى الخصوص والله اعلم وقوله عزوجل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون يحتمل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون تلك
الثمرات ويحتمل لعلهم يشكرون بما جعل لهم من التعيش بما يحمل اليهم من الاغذية والاطعمة وقوله وارزقهم من الثمرات ليس على تخصيص
الثمرات ولكن سأل الثمرات وما به غذاؤهم وقوامهم وقوله عزوجل ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن لا يحتمل ان يكون مثل هذا الدعاء
منه مبتدأ بل كان والله اعلم عن نازلة دعاه اذ يعلم صلوات الله عليه انه كان يعلم ما يخفون وما يعلنون لكن لم يبين ما تلك النازلة
واهل التأويل يقولون قال هذا اي تعلم ما نخفي من الحزن والوجد على اسمعيل وامه حين تركهما بواد لا ماء فيه ولا زرع ويقولون وما
نعلن وهو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي لكن لا نعلم ذلك والله اعلم وقوله عزوجل وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء كان
هذا جوابا من الله واخبارا منه اياه انه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي لا يخفى عليه ما لا امر فيه ولا نهي ولا جزاء فكيف يخفى
عليه الاعمال التي فيها الجزاء والامر وقوله عزوجل الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق قال اهل التأويل انه وهب له الولد

وهو ابن

وهو ابن كذا وامرأته ابنة كذا لكن لا نعلم ذلك سوى ما ذكر انه وهب له الولد على الكبر في وقت الاياس عن الولد حيث بشر بالولد فقال
ابشرتموني على ان مسني الكبر وحيث قالت امرأته لما بشرت بالولد االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا نعلم انه وهب له الولد وهما كانا كبيرين
في وقت الاياس عن الولد وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق يكون حمدا على الامرين جميعا على الهبة وعلى الولادة في حال
الكبر وهو حال الاياس اذ كل واحد مما يوجب الحمد عليه والثناء وقوله عزوجل ان ربي لسميع الدعاء قيل لمجيب الدعاء وقوله عزوجل رب
اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي قد سبق من الله الامر باقامة الصلوة وهو المقيم لها فدل الدعاء منه والسؤال على ان يجعله مقيم الصلوة
ان عند الله لطفا سوى الامر لم يعطه فسأله ذلك هو التوفيق وعلى قول المعتزلة لقولهم انه قد اعطى كل شيء حتى لم يبق عنده ما يعطيه وقوله
عزوجل ربنا وتقبل دعاء قال بعضهم تقبل دعائي في اقامة الصلوة لنفسه وذريته لكن لا يجب ان يخص دعاء من الدعوات التي سأل
وقد دعا ربه بدعوات كثيرة نحو ما قال اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وقوله
ربنا واجعلنا مسلمين لك وغير ذلك من الدعوات وقوله عزوجل ربنا اغفر لي ولوالدي طلب من ربه المغفرة لوالديه قال الحسن انه
امه كانت مسلمة واما ابوه فكان كافرا فالاثر قال اغفر لابي انه كان من الضالين خص والده بالضلال دل ان امه كانت مسلمة لكان لا
نعلم ما حال الام امه كانت مسلمة او كافرة واما ابوه فهو لا شك انه كان كافرا ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران ان كانت امه كافرة
الا على اضمار الاسلام اي اغفر لهما ان اسلما او ان يكون سؤال المغفرة لهما سؤال الاسلام نفسه او ان يكون طلب منه الستر عليهما في
الدنيا وان لا يفضحهما ولا يخزيهما لكنه سأل المغفرة يوم يقوم الحساب ولا يحتمل طلب الستر الا ان يفصل بين قوله ربنا اغفر لي ولوالدي
وبين قوله وللمؤمنين يبتدا بالمؤمنين يوم يقوم الحساب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ودعا ابراهيم وسؤاله المغفرة لوالديه يكون سؤاله
السبب الذي يستحقان به المغفرة من ربهما ويكونان اهلا لها وهو التوحيد ومعرفة المولى وهو ما ذكرنا في امر نوح قومه الاستغفار لم
وكذلك قوله هود حيث قال ويا قوم استغفروا ربكم الاية وقوله عزوجل يوم يقوم الحساب يحتمل قوله يوم يقوم الحساب بالعدل
يقول الرجل لاخر اقم حسابي اي اعدل فيه واقامة الحساب العدل فيه على ما يوجبه الحكمة لا يزاد ولا ينقص كقوله ونضع الموازين
القسط وقال بعضهم يوم يقوم الحساب يوم يحاسبون قيام الحساب هو المحاسبة نفسه والله اعلم ويحتمل قوله انك تعلم ما نخفي وما نعلن
كانت له حاجات اخفاها طلب قضاها فقال تعلم حاجا في اخفيتها او ان اعلنتها فاقضها او ان يكون قومه طعنوا في شيء فقال ذلك على
التبري من ذلك انه يعلم ما نخفي وما نعلن ولم يعلم ذلك الذين يطعنون فيه والله اعلم كقول عيسى تعلم ما في نفسي او ان يكون قال ذلك لان
اهل الاديان جميعا كانوا يتولون ابراهيم ويدعون انه على دينهم وكذلك قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية برأه الله مما ادعى كل
فريق ثم منهم من كان من هذه الفرق يدعون الاسرار عن الله والاخفاء عنه فقال هذا ليعلم الناس توحيده انه لا يخفى عليه شيء اخفي واعلن
ليعرفوا توحيده انه ليس شيء يخفى عليه والله اعلم وقوله عزوجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعضهم المخاطبة بهذا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة على علم منه ان رسول الله كان لا يظن ان الله يغفل عما يعمل الظالمون لكنه خاطب به كما خاطب به في قوله
ولا تدع مع الله الها اخر وقوله ولا تكونن من المشركين وامثاله نهاه مع العلم انه لا يفعل ذلك واصله في هذا ان العصمة لا ترفع المحنة
وليس المحنة الا الامر والنهي اذ لو رفعت العصمة المحنة والامر والنهي لذهبت فائدة العصمة ولا حاجة تقع اليها فدل ان العصمة تزيد في المحنة
ومع المحنة يحتاج اليها وينتفع بها ويحتمل ان يكون الخطاب بالاية غيره كل ظان يظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم وهو كما خاطب بقوله يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم انما خاطب به كل غار بربه الكريم لا كل انسان فعلى ذلك خاطب بقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
كل ظان بالله الغفلة عن ظلم الظالم ثم ان الذي حملهم على الظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم حلمه وتأخيره العذاب عنهم عن وقت ظلمهم
وترك اخذهم بذلك فمنهم من ادعى الغفلة عن ذلك لما راوا من عادة ملوك الارض او من اظلم احدا منهم انتقم منه في اعجل وقت يقدر
على الانتقام منه فحمل تأخير الله العذاب منهم والانتقام منهم على القول بالغفلة ومنهم من ادعى الرضا بما اختاروا من الشرك و
الكفر بالله وادعوا الامر بذلك لما لم يأخذهم ولم يستأصلهم بصنيعهم فاستدلوا بذلك رضاه بفعله وامره اياهم بذلك فاخبر رسوله
ان تأخير العذاب عنهم وامهاله اياهم ليس عن غفلة عنه ولا عن سهو ولا لرضاه وامر ولكن انما يؤخرهم ليوم ثم وصف ذلك اليوم لشدة
هوله وفزعه فقال ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم قال بعضهم هذا كله يرجع الى الطرف والبصر
يقولون شاخصة ابصارهم مهطعين ناظرين اليه اي الى الداعي مقنعي رؤسهم رافعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم لهول ذلك اليوم هذا
كله يصرفون الى الابصار دون النفس لان الاهطاع والاقناع هو النظر والشخوص الابصار ومنهم من صرف قوله تشخص فيه الابصار الى الابصار
ولا يرتد اليهم طرفهم الى البصر وصرف قوله مهطعين مقنعي رؤسهم الى الانفس وهو ما ذكر في موضع اخر مهطعين الى الداعي اي
مسرعين اليه الاجابة رجاء التخلص والنجاة عما حل بهم بترك الاجابة والاهطاع قيل هو النظر الدائم والاقناع هو الرفع رفع
الرؤس مهطعين اي مديمي النظر مقنعي رؤسهم رافعيها على تأويل بعضهم مسرعين على ما ذكرنا وقال بعضهم مقنعي رؤسهم اي
رافعيها ملتزقة الى اعناقهم وقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون يخرج على وجهين احدهما يقول لا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون وقت خلقه الخلق وانشائهم عما يكون منهم من الظلم اي لا عن غفلة وسهو عن ظلم الظالمين انشاهم وخلقهم ولكن على

علم بما يكون منهم انشاهم وخلقهم لكن انشاهم على علم منه ذلك عن الحكمة والثانى ماذكرنا ان تاخيره العذاب عنهم ليس لغفلة منه
بذلك ولكن لما فى اخذهم بالعذاب وقت صنيعهم زوال المحنة لانه يصير العذاب والثواب مشاهدة وقوله عز وجل وافئدتهم هواء
خالية لهول ذلك اليوم اى خالية من التدبير لاشتغالها بما شاهدت من بلى بيلابا وشدايد يتدبر وبتفكر فى دفع ذلك فيحتمل ان افئدتهم
هواء يومئذ اى خالية عن التدبير اذا افئدتهم لا يكون معهم لشدة اهوال روى لبعضهم وافئدتهم هواء اى لا شئ فيها ما ينتفعون بها
وهكذا الهواء هو كل شئ يوصف بالخلاص عن كل شئ والله اعلم وقوله عز وجل وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا
اخرنا الى اجل قريب يحتمل قوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين يقولون يومئذ ربنا اخرنا الى اجل قريب ويحتمل وانذر الناس
يوم ياتيهم العذاب الذى يحل بهم ثم اخبر عما يقولون اذا حل بهم العذاب ربنا اخرنا الى اجل قريب قال بعضهم الى الدنيا والدنيا اجلها قريب
لكن هذا لا يحتمل لان الدنيا اولى والاخرة اخرة فلو جاز هذا لتكون الاخرة اولى فذلك بعيد لكن طلبوا والله اعلم الرد الى حال الامن
ليجيبوا داعية اذ لم ينفعهم اجابتهم فى حال الخوف والهول وما حل بهم انما حل بتركهم فى حال الامن فطلبوا الرد الى الامن ليجيبوا داعيه
لتنفعهم اجابتهم حيث قالوا نجب دعوتك ونتبع الرسل وقوله عز وجل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال لم يبين بما اقسموا فى هذه
الاية وهو ما بين فى اية اخرى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم قوله ما لكم من زوال قال قائلون ما لكم من زوال من الدنيا
اى كنتم تقولون ان ليس الا الدنيا لا زوال لنا عنها احيا وموتى كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا الاية على ما ذكر من قسمهم انهم لا
يبعثون وقال قائلون قوله ما لكم من زوال الجواب لسؤالهم ربنا اخرنا الى اجل قريب على الاستيناف قال ما لكم عما انتم فيه من العذاب الى ما
يسالون من الرد والتاخير اى ما لكم الى ذلك سبيل وقال بعضهم فى قوله وافئدتهم هواء اى تنزع قلوبهم حتى صارت فى حناجرهم
فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها لشدة هول ذلك اليوم وفزعهم عليه وهو على التمثيل والكناية كقوله اذ جاؤكم من
فوقكم ومن اسفل منكم الاية لشدة خوفهم وهو على التمثيل اذ لا يحتمل بلوغ القلوب الحناجر فى الدنيا حقيقة اذ لو بلغت ذلك لخرجت
فماتوا اذ الدنيا يحتمل الموت فيها فدل ان ذلك على التمثيل لشدة خوفهم وقوله عز وجل وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم
الرسل وتاويله والله اعلم انهم كانوا يطلبون من ربهم الرد الى حال الامن ليجيبوا بقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل والله اعلم فقال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل اى سكنتم فى الدنيا فى مثل ما هم وما كنتم
فرايتم ما نزل باولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم وذلك وقوله عز وجل وتبين لكم كيف فعلنا بهم من التعذيب والاستيصال ثم
لم تتعظوا بما حل بهم فعلى ذلك اذا رددتم الى حال الامن لا تتعظون بما حل بكم فى هذه الحال وهو ما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون فيما يقولون انهم يجيبون دعوتك هذا والله اعلم تاويله وقال بعض اهل التاويل وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا
انفسهم اى علمتم مثل اعمالهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم من الاستيصال بالتكذيب بتكذيبهم الرسل فلم تتعظوا بذلك فلا يتعظون
بهذا ايضا اذا رددتم والله اعلم وفى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم الى اخر ما ذكر دلالة لزوم النظر والاستدلال
ولزوم القياس ودلالة لزوم العقوبة وان كانوا لم يعلموا به بعد ان يمكنوا من العلم به لما دلالة النظر والاستدلال هو قوله
وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم فهلا نظرتم ما حل بهم بتكذيبهم الرسل والعظم ودلالة القياس هو ما خوفهم
ان ينزل بهم ما نزل باولئك لانهم اشتركوا فى المعنى الذى نزل باولئك ما نزل هو تكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم وقوله
عز وجل وضربنا لكم الامثال اى ضربنا لكم من الامثال ما لو تفكرتم فيها ونظرتم لكان ذلك لكم موعظة وزجرا عن مثل صنيعكم
او يقول وضربنا لكم الامثال اى قد بينا لكم الامثال والاشباه ما يعرفكم لو تاملتم ان اولئك لكم اشباه وامثال وصنيعهم
لصنيعكم اشباه وامثال فينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم مكروا واحتالوا على اهلاك الرسل
وقتلهم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وكيدهم الذى ذكر فى غير اى من القران برسل الله حق قال الرسل تكيدوني جميعا
ومكروا ايضا بدين الله الذى اتت به الرسل مكروا واحتالوا على اطفاء ذلك النور فابى الله ذلك عليهم واظهر دينه وابقى
نوره الى يوم القيامة كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله كان مكرهم وحيلهم يرجع فاحد التاويلين الى انفس الرسل حين هموا
وبعدوا اهلاكهم والثانى يرجع الى اطفاء الدين الذى اتى به الرسل والنور الذى دعوا اليه وقوله عز وجل وعند الله مكرهم يحتمل
عند الله جزاء مكرهم الذى مكروا برسل الله وبدينه او عند الله مكرهم اى عند الله العلم بمكرهم محفوظ ذلك عنده لا يفوت ولا
يذهب عنه شئ فيجزيهم بذلك فى الاخرة او عند الله مكرهم اى عند الله الاسباب التى بها مكروا من عند الله استفادوا وهو
النعيم الذى اعطاهم والاموال التى ملكهم والعقول التى ركب فيهم بما قدروا على المكر والاحتيال عند الله والله اعلم وقوله
عز وجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اختلف فى تلاوته وقراءته وتاويله قرا بعضهم وان كاد مكرهم بالدال وهو حرف عمر وابن
مسعود وابى وابن عباس رضى الله عنهم وقرا بعضهم وان كان مكرهم بالنون ثم اختلف فى قوله وان كاد قال الحسن وغيره
ان كان قال الحسن وغيره وان بمعنى ما اى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال قال كان مكرهم اوهن واضعف من ان يزول منه الجبال
قال كان مكرهم وان بمعنى ما كثير فى القران كقوله لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اى ما كنا فاعلين وكقوله ان نحن الا بشر

مثلكم

مثلكم اى ما نحن الا بشر مثلكم وقد يستعمل ان فى موضع قد كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اى قد كان وعد ربنا لمفعولا لكن هو
على ما قال استهانة بمكرهم واستخفاف به فقال ان مكرهم اوهن واضعف من ان يزول منه الجبال والجبال اوهن واسرع زوالا من رسالة
الرسل ودين الله بل رسالة الرسل ودين الله ورسله معها حجج الله وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم فى ازالة الجبال لا يعمل فى ازالة دين الله ورسله
معها حجج الله وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم فى ازالة الجبال لا يعمل فى ازالة دين الله ورسالة الرسل ومعها الحجج والبراهين ومن قال وان كان
قد كان حمله على الاستعظام بمكرهم وعلى ذلك من قرا كاد بالدال على الاستعظام بمكرهم كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا من عظيم ما قالوا فى الله كادت السموات ان تنشق فعلى ذلك مكرهم جميعا الوجهين ان يستهان مرة
يستعظم الا ان يقال ان كلتهم من حيث الشرك والكفر عظيمة ومن حيث احتيالهم ومكرهم فى ازالة ذلك النور والمنابذ ضعيف والله اعلم وقوله
عز وجل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الخطاب به يحتمل ما ذكرنا اى لا تحسبن ان ما تاخر من نزول ما وعد انه يخلف وعده الذى وعد
رسله كالبر يكن تاخير العذاب عنهم من وقت ظلمهم عن غفلة وسهو ولكن كان وعده الى ذلك الوقت وخلف الوعد فى الشاهد من الخلق
انما يكون لوجهين احدهما لما لا يمكن انجاز ما وعد والثانى لما يضره الانجاز فالله يتعالى عن ذلك كله وقوله عز وجل ان الله عزيز ذو انتقام
قال بعضهم عزيز لا يعجزه شئ وقيل عزيز قاهر يقهر ويذل الخلايق كلهم اذلاء دونه وقوله عزيز اى غالب قاهر ذو انتقام لاوليائه من
اعدائهم اى غالب الاعداء وقاهرهم وناصر الاولياء واما ما قال اهل التاويل فى قوله وقد مكروا وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال انه نزل فى شان فلان نمرود اتخذ تابوتا وربط نسورا على قوايمه وما ذكروا الى اخره فلا علم لنا الى ذلك واظنه انه كذب
خيال فلا نقول الا القدر الذى ذكر فى الاية والنزول بنصب اللام الاولى ورفع الاخرة على معنى التوكيد ولتزول بكسر اللام ونصب الاخرة
على الجحد اى ما كانت الجبال لتزول من مكرهم وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال الحسن
تنفى هذه الارض ثم تعاد من ساعته مستوية لا تجرى فيها ولا جبل ولا اكام فاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال بعضهم تبدل هذه الارض
ارضا غير هذه بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها بالمعاصى وكذلك السموات ومنهم من يقول لا تبدل عينها ولكن بتغيير صفتها ذكر
كما يقول الرجل لاخر تبدلت يا فلان لا يريد تبدل اصله وعينه ولكن تغيير الاخلاق والذى فعلى ما ذكر من تبديل الارض والسموات والاشبه
ان يكون على اختلاف الاحوال لانه ذكر فى اية يومئذ تحدث اخبارها وقال واذا الارض مدت وقال يوم تشقق واذا السماء انشقت واذا
السماء انفطرت وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ويوم نسير الجبال وقال ويسالونك عن الجبال وقال فجعلناه هباء منثورا ذكر
مرة مد الارض وذكر مرة انها تخبر وتحدث بما عمل عليها وذكر فى السماء بالتشقق والانفطار وفى الجبال بالسير والمر ومرة ومرة بالرفع ومرة اخبر
انه جعلنا ما هباء منثورا وامثاله فيشبه ان يكون هذا كله على اختلاف الاحوال والاوقات اذ يوم القيامة يوم ممتد فيكون كل ما ذكر على ما
قال يومئذ فهم لا يتساءلون قال فى اية واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ولا يتساءلون وقال ولا يتساءلون وقوله يساله من فى السموات
والارض فهو والله اعلم ذلك على اختلاف الاحوال والاوقات فعلى ذلك الاول والله اعلم بذلك وتبديل الارض والسموات يحتمل وجهين
احدهما تبديل اهلها على ما يذكر الارض والقرية والمراد منها الاهل كقوله واسال القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وقوله قرية كانت
امنة الاية ونحوه كثير والثانى تبديل نفس الارض ثم يحتمل كل واحد من الوجهين وجهين اما تبديل اهلها هو ان يكونوا مستسلمين خاضعين له
فى ذلك ولم يكونوا فى الدنيا والثانى تبدل اهلها هو ان يكون الاولياء فى النعم الدائمة واللذة الباقية والاعداء فى عذاب دائم وشدة وكانوا
فى هذه الدنيا جميعا مشتركين الاولياء والاعداء فى اللذات والالام فان كان تبديل نفس الارض فهو يخرج على وجهين احدهما تغيير نعتها
وصفتها والثانى تبديل عينها وجوهرها وهو ما ذكر ان ارض الجنة تكون من مسك وزعفران ونحو ما روى فى الخبر والله اعلم كان قوله يوم
تبدل الارض غير الارض صلة قوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الاية فقالوا متى يكون ذلك فقال يوم تبدل الارض غير الارض
يخرج جوابا بالسؤالهم والله اعلم وقوله عز وجل وبرزوا لله الواحد القهار قد ذكرنا تخصيص بروزهم لله يوم القيامة انه والله اعلم انشأ
هذا العالم الاول للعالم الثانى فالعالم الثانى هو المقصود فى انشاء هذا العالم خص بروزهم يومئذ له لما هو المقصود فى انشائهم وقال قائلون
تخصيص البروز له يومئذ لانهم يخرجون من قبورهم للحساب لا لغيره فهو يحاسبهم فاضاف البروز اليه لما يخرجون الا له واما فى الدنيا
فانما يخرجون لحوائج انفسهم لذلك خرج التخصيص له والاضافة وقوله وبرزوا لله يحتمل وجهين احدهما برزوا له مستسلمين خاضعين
قائلين طايعين ولم يكونوا فى الدنيا كذلك والثانى يبرزون له لما وعدوا واوعدوا بارزون لوعده ولوعيده ولما دعوا اليه ورغبوا فيه
والثالث يبرزون له لما لا يمكن اخفاء انفسهم وسترها بل ظاهرين له وقوله عز وجل الواحد القهار الذى لا شريك له والقهار يقهر
الخلايق كلهم ويغلبهم الجبابرة والفراعنة او يبرزون له ليجزيهم على ما ذكر فقال ليجزى الله كل نفس ما كسبت والله اعلم وقوله عز وجل وترى
المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وذكر من قطران قيل القطر هو النحاس والان الذى قد انتهى حره كقوله من حميم آن
وقيل الصفر وقال بعضهم من قطر ان اى من نحاس اذاب يذوب به وقال بعضهم هو من القطران المعروف الذى يطلى به الابل ذكر هذا لانه اشد لحرقه
واشتعالا وقوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد الى اخر ما ذكر جعل الله عذاب الكفرة فى الاخرة بالاسباب والاشياء التى كانوا يتنعمون
بها فى الدنيا من اللباس والشراب والاصحاب وغيره وهو كان سبب منعهم عن اجابة الرسل فيما دعوهم اليه فجعل تعذيبهم فى الاخرة بذلك النوع

من النار فقال وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد بعضهم ببعض كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية لانه كان يتبعه ويأتمر بامره وكقوله احشروا الذين ظلموا الاية وكذلك الرؤساء منهم والمتبوعون وقوله سرابيلهم من قطران لما كانوا يتفخرون في الدنيا بلباسهم وكذلك كل نوع يتفخرون به في الدنيا ويمنعهم عن اجابة الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والاصفاد الاغلال اي قد قرن بعضه الى بعض في الاغلال واحدها صفد وهو قول القتبي وكذلك قول ابي عوسجة في الاصفاد الاغلال قال واحدها صفاد والصفد العطية سرابيلهم قميصهم واحدها سربال من قطران القطر ما ذكرنا النحاس والاني الذي قد اشتد حره وهو قول القتبي وابي عوسجة ذكر هذه المواعيد والشدائد وانواع ما يعذبون به في الاخرة ونعتها على السن من قد ظهر صدقهم بالايات والحجج ليحذروا ما اوعدوا ويرغبوا فيما رغبوا اليه لئلا يكون لهم الاحتجاج يومئذ كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله ليهلك من هلك عن بينة الاية ونحوه والله اعلم **وقوله** عز وجل وتغشى وجوههم النار لان ايديهم مغلولة الى اعناقهم فلا يقدرون ان يتقوا النار بايديهم ذكر هذا لان في الشاهد من اصاب وجهه اذى يتقي عنه بيده فيخبر انهم انما يتقون ذلك بوجوههم والله اعلم ليجزي الله كل نفس ما كسبت لما ذكرنا يجزون الله ليجزيهم من خير وشر **وقوله** عز وجل ان الله سريع الحساب قال بعضهم كان قد جاء حسابه والثاني ذكر هذا لان الحساب انما يبطئ لا يتذكر من له الحساب لمن يحاسبه في الشاهد فيما يحاسبه فيطول الحساب والاشتغال بشيء عنه او الجهل بالحساب فاما الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء كله محفوظ عنده فهو سريع الحساب والله اعلم ونقول انما يطول الحساب في الشاهد ويمتد لما يحتاج الى التفكر والنظر والتذكر في ذلك فالله سبحانه متعال عن التفكر والنظر بل كل شيء محفوظ عنده والله اعلم **وقوله** عز وجل هذا بلاغ للناس ولينذروا به يحتمل قوله هذا بلاغ القران هو بلاغ للناس على ما ذكر في صدر السورة كتاب انزلناه اليك الاية هو بلاغ على ما ذكر والله اعلم ولينذروا به اي بالقران ايضا على ما ذكر وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها ويحتمل قوله هذا بلاغ ما ذكر من المواعيد وهو قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى اخر ما ذكر اي هذا الذي ذكر بلاغ يبلغهم لا محالة ولينذروا بما ذكر وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له بالايات التي اقامها على وحدانية الله والوهيته وليذكر اولوا الالباب اي ذوو العقول

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب وقران مبين قد ذكرنا فيما تقدم انه يحتمل ان الحروف المقطعة كناية عن كتاب او ايات انه جعلها على ما توجبه الحكمة نجعلها كتابا بينا او يكون كناية عن الانباء والاخبار عن الامم السالفة التي لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الانباء والاخبار التي جعلناها كتابا او ايات ليعلموا ان هذا الكتاب انما نزل من السماء وانه انما علم بالوحي من الله وقد ذكرنا هذا في غير موضع وقران مبين اي بين فيه ما يؤتى وما يتقى او مبين يبين بين الحق والباطل والله اعلم **وقوله** عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال العامة اهل التاويل انما يودون الاسلام والتوحيد بعد ما عذب بالنار قوم من اهل التوحيد بعد ما عذب بالنار قوم من اهل التوحيد بذنوبهم ثم اخرجوا منها بالشفاعة او بالرحمة فعند ذلك يتمنى اهل الشرك ويودون الاسلام والتوحيد لو كانوا مسلمين لكن هذا بعيد لانه لا يتمنوا الا في النار بعد ما اخرج اولئك وقد اصيبوا الشدائد والبلايا من قبل ان يأتوا النار وقال الله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الاية اخبر انه يتمنى عند حلول الموت الاسلام حيث طلب الرجوع الى الدنيا دل انهم يودون الاسلام قبل الوقت الذي ذكر انهم يتمنون الاسلام اذا حوسبوا او اذا بعث اهل الجنة وبعثوا الى النار يتمنون الاسلام قبل ذلك في مواضع وربما يتمنى الاحاد من الكفرة ويودون لو كانوا مسلمين في احوال واوقات يظهر لهم الحق لكن الذي يمنعهم وقربان لهم الحق لكن الذي يمنعهم عن الاسلام نوع شيء من الدنيا وذهاب شيء قد طمعوا فيه وقال الحسن في قوله الر تلك ايات الكتاب قسم لما ذكر ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فلا اقسم بالحروف المقطعة انهم يودون الاسلام والله اعلم **وقوله** عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا هذا ليس على الامر لكن على التوعيد والتهديد والابلاغ في الوعيد وتاكيد كقوله اعملوا ما شئتم الاية هو على التوعيد حيث قال انه بما تعملون بصير فعلى ذلك قوله ذرهم يأكلوا وعيد بقوله فسوف يعلمون ويشبه ان يكون ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم **وقوله** عز وجل فسوف يعلمون الحق والباطل وان الحق والباطل من تابعهم او سوف يعلمون نصحك اياهم وشفقتك لهم انك نصحتهم واشفقت عليهم لا انك خنتهم او يعلمون بما سخروا بك وهزؤوا وقوله ويلههم الامل الامل الطمع اختلف فيه قال بعضهم اي منعهم طمعهم انهم وآباؤهم قد اصابوا الحق ذلك منعهم عن الاجابة والنظر في الايات والحجج والثاني تقديرهم بامتداد حياتهم ليبقى لهم الرياسة والشرف ذلك الذي كان يمنعهم عن الاجابة والانقياد له والنظر في الايات والحجج والثالث يطمعون هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ويتمنون ذلك وانقطاع ملكه وامره والعود اليهم بذلك الذي كان منعهم و في حرف حفصة ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الامل وقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون آيس رسوله عن ايمانهم وهو كقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون **وقوله** عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قال الحسن وما اهلكنا اهل قرية اهلاك تعذيب الا وقد ارسلنا اليهم رسلا بكتاب معلوم تتلو ذلك الكتاب المعلوم عليهم فاذا كذبوهم وآيسوا من ايمانهم فعند ذلك يهلكون اهلاك تعذيب وهو ما قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا فعلى ذلك الاول وقال بعضهم وما اهلكنا من قرية

الا ولها كتاب معلوم يقول كتاب فيه اجل معلوم موقت لها على هذا التاويل كانه قد خرج جوابا بالقول كان منا ولئك الكفرة من استعجالهم الاهلاك **وقوله** عز وجل ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون او ما تسبق امة اجلها الذي جعل الله لها بالاهلاك وما تستأخر عنه وهو ما قال لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله يجعل للخلق اجالا ثم يجيء اخر فيقتله قبل الاجل الذي جعله الله له والله يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب يخبر لجاءهم العذاب لولا ما جعل من اجل مسمى قد وعد جل وعلا انه يبقي بما وعد من البلوغ الى الاجل الذي سمى وعلى قول المعتزلة لا يملك انجاز ما وعد لانه يجيء انسان فيقتله فيمنع الله عن وفاء ما وعد فذلك عجز وخلف في الوعد فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق **وقوله** عز وجل وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القران انك لمجنون قال الحسن قوله يا ايها الذي تدعي انه نزل عليه الذكر انك لمجنون فيما تدعي من نزول الذكر هو على الاضمار الذي قال الحسن والا في الظاهر متناقض لانهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه لانهم كانوا يقرون بنزول الذكر عليه لانهم لو اقروا بنزول الذكر عليه لكان قولهم متناقضا فاسدا انك لمجنون سموه مجنونا والذي حملهم على تسميتهم اياه مجنونا وجوه احدها انهم لما رأوه انه قد اظهر الخلاف لذوي العقول منهم والافهام والدعاء الى غير ما هم فيه ظنوا انه ليس يخالف اهل العقول والفهم الا المجنون فسموه مجنونا والثاني رأوه قد اظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والهلاك من اظهر الخلاف لهم في امر من امور الدنيا فكيف من اظهر الخلاف لهم في الدين فظنوا انه ليس يخالفهم ولا يخاطر بنفسه ويرميه الا المجنون فيه والثالث قالوا ذلك لما رأوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا ان ذلك لآفة فيه ومن تأمل حقيقة ذلك علم ان من قرفه بالجنون به هو المجنون لا هو حيث قال اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة الاية وقال ما انت بنعمة ربك بمجنون اخبر انهم لو تفكروا لعرفوا انه ليس به جنة ولكن عن معاندة ومكابرة يقولون ويجهل ويسموه ساحرا فذلك تناقض في القول لانه لا يسمى ساحرا الا الفضل بصره وعلمه فذلك تناقض **وقوله** عز وجل لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين تاويله والله اعلم يقولون لما انك تزعم ان الملائكة هم يأتونك بالوحي فهلا اظهرت لنا اذا اتوك فننظر اليهم املائكة هم على ما تزعم ام شياطين وقال بعضهم لو ما تأتينا بالملائكة فيشهدون انك رسول الله وانك ارسلت على ما تدعي من الرسالة فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت وما كانوا اذا منظرين قال بعضهم انه ليس في وسع البشر رؤية الملائكة على صورتهم فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت لو رأوا الملائكة لماتوا لم يجعل في وسعهم رؤية الملائكة وهو كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك الاية اخبر انه لو انزل عليهم الملك لماتوا اذ ليس في وسعهم رؤية الملك على صورته ثم اخبر ايضا انه لو جعله ملكا لجعله رجلا ويكون في ذلك لبس عليهم وكذلك وقال بعضهم ما ننزل الملائكة الا بالحق اي الا بالحجج والايات والبراهين على الرسل وعلى من زعموا انه لا ليس على كل احد وقال بعضهم الا بالحق اي بالعذاب الذي يكون فيه هلاكهم وهكذا ان الملائكة لا تنزل الا بالعذاب الذي فيه هلاكهم او بالحجج والبراهين والله اعلم **وقوله** عز وجل انا نحن نزلنا الذكر يعني القران وانا له لحافظون حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيما وكل الحفظ الى نفسه لم يقدر احد من الطاعنين مع كثرتهم منذ نزل ان يضع الطعن فيه وذلك يدل انه سماوي وانه محفوظ وقال بعضهم وانا له لحافظون اي محمد عليه افضل الصلوات اي نحفظه بالذكر الذي انزل عليه كقوله والله يعصمك من الناس وكقوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي الاية اخبر انه انما يهتدي بما يوحي اليه ربه فعلى ذلك يحفظه بالقران الذي انزل عليه ويحتمل ان يكون الذكر النبوة اي انا نحن نزلنا النبوة وانا له اي لرسوله لحافظون بالنبوة والرسالة **وقوله** عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين قيل في ملك الاولين وقيل في فرق الاولين وقيل في جماعات وهو واحد وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون يصبر رسوله على استهزاء قومه اياه واذاهم يقول والله اعلم لست انت المخصوص بهذا ولكن لك شركاء واصحاب في ذلك ليخف ذلك عليه ويهون لان العرف في الخلق ان من كان له شركاء واصحاب في شرع اصابته او بلاء مصيبة كان ذلك ايسر عليه واهون من ان يكون مخصوصا به من بين سائر الخلائق والله اعلم كان هذه الاية صلة قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر فكانه لما سمع هذا اشتد عليه وضاق صدره بذلك فعند ذلك قال ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين الى اخره ليصبر على اذاهم وهزئهم به فانما يشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم ما ذكر لعلك باخع نفسك وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك وذكر هذا له لمكان هؤلاء اعني قومه انما استهزؤا به تقليدا لآبائهم واشياعهم وتلقفوا منهم لانهم انشأوا ذلك من انفسهم او ذلك عن الاوائل انما استهزؤا برسلهم لا تقليدا باحد ولكن انشؤوا من ذات انفسهم فمن استهزأ بآخر وشتمه تقليدا او ابتداء وثقلنا كان ذلك ايسر عليه واخف من فعل به من ذات نفسه لانه انما يلحق الجفاء والضيماء ومن به آفة بمثل ذلك فهم الذين يعملون بالتلقين واما العقلاء والسالمون عن الآفات فلا فذلك اهون عليه من استهزاء اولئك برسلهم والله اعلم **وقوله** عز وجل كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اختلف فيه قال بعضهم كذلك نسلك التكذيب والا في قلوب المجرمين لا يؤمنون به يقول من حكم الله ان يسلك التكذيب في قلب من اختار التكذيب وكذب ومن حكمه ان يسلك التصديق في قلب من صدق واختاره كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وكقوله وما يضل به الا الفاسقين وقال بعضهم قوله كذلك نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين بكفرهم كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الاية وقوله وجعلنا قلوبهم قاسية ونحو

ويحتمل قوله نسلكه في قلوب المجرمين الحجج والايات فيكون يكذبون بهم ودوم الايات والحجج ونكذبهم تكذيب عناد ومكابرة لا يؤمنون
به وقوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل الذي سلكناه في قلوب المؤمنين من قبول الايات والحجج والتصديق لها لما علم انهم يختارون
ذلك نسلك في قلوب المجرمين في تكذيب الايات والحجج ورده لما علم منهم الرد والتكذيب لها هذا محتمل ويحتمل غير هذا ما ذكرنا والله
اعلم **وقوله** عز وجل وقد خلت سنة الاولين يحتمل قوله خلت سنة الاولين بالتكذيب والرد والمعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج و
الايات ويحتمل وقد خلت سنة الاولين الهلاك والاستيصال عند مكابرة حجج الله ومعاندتهم اياها وقال بعض اهل التاويل كذلك
نسلكه اي نجعله على ما ذكرنا الكفر بالعذاب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي لا يصدقون بالعذاب وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب
لرسلهم بالعذاب فهؤلاء يستنون بسنتهم وقال ابو عوسجة كذلك نسلكه اي ندخله يقال السالك الداخل والسلوك الدخول وسلكت
ادخلت وتصديقه قوله كذلك سلكناه وقال اسلك يدك في جيبك اي ادخل **وقوله** عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون يخبر جل وعلا عن سفههم وعنادهم في سؤالهم الايات وطلب نزول الملائكة بقوله لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
يقول ان سؤالهم الايات وما سالوا متعنتين مكابرين ليس سؤالهم بمسترشدين يحكي اهل الاسلام لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قال و
اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية الاية ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وذلك ان المؤمنين كانوا يشفعون
لهم بسؤالهم الايات لعلهم يؤمنون فاخبر وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون فعلى ذلك قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
فظلوا فيه يعرجون يخبرانهم بسؤالهم نزول الملائكة معاندين مكابرين ليسوا بمسترشدين ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ولو
فتحنا عليهم يعني على الملائكة بابا حتى راوا وعاينوا الملائكة ينزلون من السماء ويصعدون فلا يؤمنون وقالوا انما سكرت ابصارنا
قيل حبست وسدت بل نحن قوم مسحورون اي سحرت اعيننا فلا نرى ذلك وقال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم اي لهم بابا من السماء
كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على النخل وما ذبح على النصب اي للنصب **وقوله** عز وجل فظلوا فيه حتى يعرجون فيه ويعاينون نزول الايات ويشاهدون كل
شيء لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ويقولون ذلك لشدة تعنتهم وسفههم وينكرون معاينة ذلك
وقوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا قيل نجوما ويحتمل البروج المنازل التي ينزل فيها الشمس والقمر والنجوم جعل لكل واحد
من ذلك منزلا ينزل في كل ليلة في منزل على حدة ويحتمل ما ذكر من البروج هي مطالع من الشمس والقمر والنجوم **وقوله** عز وجل
وزيناها للناظرين يعني السماء للناظرين وفي قوله زيناها للناظرين دلالة نقض قول من ينهى عن النظر الى السماء من القرا لانه
اخبر انه زينها للناظرين ولا يحتمل ان يزينها ثم ينهى عن النظر اليها دل انه لا باس للناظرين وقال في اية اخرى هو الذي جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها الاية وقال في موضع اخر ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعل الله في الشمس والقمر والنجوم منافع يهتدون بها
الطرق في ظلمات الليل وجعلها مصابيح في الظلمات واخبر انه زينها للناظرين لان ما يبتهج في العين من المنظر بلا يتفكر الناظر فيه ولا
ينظر اليه فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيه والنظر اليها ليعلموا انه تدبير واحد حيث جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع
بعد ما بينهما وجعل اشياء هي في الظاهر اشباه وهي في الحقيقة كالاضداد لها ومنها ما هي في الظاهر اضداد وهي كالاشكال كالنور
والظلمة هي في الظاهر اضداد وصارت كالاشكال حيث يضيء النجوم في ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك اهل الارض وهما في الظاهر
اضداد فصارت بما يظهر من منافعها كالاشكال وجعل لا ينتفع بضوء النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس
وهي اشكال بما يذهب كل واحد منهما بسلطان الاخر كالاضداد ليعلم انه تدبير واحد حيث صارت الاضداد كالاشكال والاشكال
كالاضداد في حق المنفعة **وقوله** عز وجل وحفظناها يعني السماء من كل شيطان رجيم ذكر ان الشياطين كانوا يصعدون السماء
فيستمعون من اخبار السماء من الملائكة ما يكون في الارض من غيث وغيره ثم زادوا فيها ما شاءوا فيلقون ذلك الى الكهنة فيخبر
الكهنة الناس فيقولون الم نخبركم بالمطر في يوم كذا وكذا وكان حقا ثم منعوا عن صعودهم الى السماء وحفظوا عنهم فجعلوا
يسترقون السمع فسلط الله الشهب عليهم حتى يقذفون وهو قوله ويقذفون من كل جانب دحورا وقوله فاتبعه شهاب ثاقب
ويحتمل وحفظناها اي اهلها من الشيطان الرجيم لما ذكرنا من ذكر اشياء من الفرية والمصر والعير وغيره والمراد منه اهله
فعلى ذلك هذا الا ان اهل السماء باجمعهم اهل ولاية الله واهل طاعته وما اهل الارض ففيهم من الغاوين الضالين فهم اهل
اولياء الشيطان كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه الاية ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة وهو ما ذكر ويقذفون الاية و
يحتمل بالشهب التي في غير اي من القران وقال بعضهم الرجيم اللعين وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود من شيطان لعين واللعين في
اللغة هو المطرود والمبعد وهو على ما ذكر دحورا **وقوله** عز وجل والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقال في اية اخرى وجعلنا فيها
رواسي ان تميد بهم يعني الجبال فظاهر هذا ان الارض كانت تضطرب وتتكفا باهلها فاثبتها بالجبال والارض طبعها التسفل والانحدار
وكذلك الجبال من طبعها التسفل والانحدار فكيف كان ثباتها بشيء طبعه التسفل والتسرب الا ان يقال ان طبعها كان الاضطراب والانكفاء
فاثبتها بالجبال عن الاضطراب والانكفاء وان يقال من طبعها ما ذكرنا التسفل والانحدار الا ان الله بلطفه اثبت ما هو طبعه التسفل
ما هو طبعه كذلك ليعلم لطف الله وقدرته وقد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** عز وجل وانبتنا فيها من كل شيء موزون وقال بعضهم فيها

فالجبال

في الجبال من كل شيء موزون اي ما يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج منها وهذا كانه ليس بصحيح
لانه لا يقال في الذهب والفضة والحديد انه انبت في الارض كما يقال ذلك للنبات وما ينبت فيها وانما يقال للذهب والفضة والحديد
جعلنا فيها او خلقنا فيها وقال بعضهم وانبتنا فيها يعني في الارض من كل الوان النبات موزون اي معلوم مقدور ويقدر كقوله
وما ننزله الا بقدر معلوم ويحتمل وانبتنا فيها ما يصير موزونا في الاخرة من الزرع وغيرها والحبوب او ما ذكرنا اي معلوم
مقدور والله اعلم ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير ويحتمل قوله من كل شيء موزون ما لو اجتمع الخلق
لم يعرفوا قدره وما يزداد وينمو من النبات في الخلقة واخرج وطرقه عين في ذلك ما يخرج ويبيد وبين الارض وذلك موزون عنده
معلوم قدره ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وانه تدبير واحد حيث لم يختلف ذلك ولم يتفاوت والله اعلم قال ابو عوسجة
فظلوا فيه اي صاروا يعني يعرجون يرتقون فيصعدون وقال غيره ظلوا اي مالوا كقوله فظلت اعناقهم اي مالت وقال
قوله سكرت ابصارنا اي حبست يقال تسكر بصره اي تحير وقال يقال ايضا تحيرت يقال سكر الله بصره اي حبسه وسكرت
الريح تسكر سكرا اذا سكنت ويقال ليل ساكر اي ساكن وسكرت الماء اسكره سكرا اي حبسته والسكر السد والسكر جمع
والسكر مصدر والسكر مصدر سكر يسكر سكرا فهو سكران وقوم سكرى وسكارى والسكرة الغمرة والغمرة الشدة وقال عز وجل
وجاءت سكرة الموت بالحق اي شدته وعلزه وقال القتبي سكرت غشيت ومنه يقال سكر النهر اذا سد فالسكر اسم ما سكرت
وسكر الشراب منه انما هو الغطاء على العقل والعين وقال الحسن سكرت بالتخفيف وسحرت **وقوله** عز وجل بروجا قال اثنا عشر
برجا واصل البروج الحصون والقصور وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع يقول حفظناها من ان
يصل اليها شيطان او يعلم من امرها شيئا الا استراقا ثم يتبعه شهاب مبين اي كوكب مضيء وقال ابو عوسجة الا من استرق السمع
اي تغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون وهكذا لو علم الملائكة ان الشياطين يسترقون السمع ويختطفون لمنعوهم
ذلك وامتنعوا عن التكلم به حتى لا يستمعون كلامهم وحديثهم وشهاب كوكب وقيل الشهاب خشبة في طرفها نار والشهبان جماعة
وقال بعضهم شهاب مبين لرسول الله كان له خاصة لم يكن والله اعلم **وقوله** عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش اي في الارض والجبال
وقوله عز وجل ومن لستم له برازقين قال الحسن اي جعلنا لكم في الارض معايش ما تعيشون به ولمن حولكم ايضا جعل فيها معايش
لا ترزقونه انتم انما ذلك على الله هو يرزقهم واياكم وقال بعضهم ومن لستم له برازقين الوحوش والطير واما الانعام فانهم
قد اشركهم ايش في المعايش وكان غير هذا اقرب واوفق وهو ان اهل مكة كانهم يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون
نحن ربيناه وغذيناه وانفقنا عليه ورزقناه ثم نعل بنا كذا فخرج هذا جوابا لهم جعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
اي محمدا **وقوله** عز وجل وان من شيء الا عندنا خزائنه يحتمل هذا والله اعلم وان من شيء تخزنه في الخلق الا عندنا خزائنه اي الا وهو
عندنا تلك الخزائن اي ما تخزنون من الاشياء فتلك عندنا وفي خزائننا وما ننزله الا بقدر معلوم على هذا وما ننزله الا بقدر
معلوم على هذا وما ننزله اي ما نعطيه الا بقدر معلوم اي وان كان عندكم تخزنونه محبوسا فانه ذلك كله خزائنه اعطى من شاء
وحرم من شاء ويحتمل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه الخزائن هي الامكنة الحقيقية التي تخزن فيها الاموال وبواطن الارض
فنقول والله اعلم وان من شيء كان في بواطن الارض وامكنة خفية الا عندنا تدبير ذلك وعلمه بخبرانه تدبيره وعلمه في الحقيقة
من الامكنة كهو في الظاهر لا يخرج شيء عن تدبيره وعلمه بل كل ذلك في تدبيره وعلمه وقال الحسن وان من شيء الا عندنا خزائنه
اي الماء الذي به جعل حيوة كل شيء ولا يخرج شيء عن منافعه فهو خزائنه الاشياء كلها وبه قوام كل شيء وقال الا ترى انه قال
وما ننزله الا بقدر معلوم وذكر الانزال وهو الذي ينزل من السماء ظاهر هذا الذي قاله محتمل لكن تمامه ان يقال ان الماء
خزانته هي الموضع الذي يخزن فيه وفي الماء قوة ومعنى يكون فيه حيوة الخلق ومنافعهم فيما جعل فيه لا في نفس الماء الا ترى
انه يصيب عروق الشجر فيظهر منافعه في غصونها في اعلاها فثبت ان فيه قوة سرية ومعنى يكون المنافع بها لا بنفس الماء والله
اعلم بذلك ثم ما ذكر من الخزائن والرياح والماء والمطر وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم لانه انما انشا هذه الاشياء
وخلقها لهؤلاء لانه انشاها لنفسها فاذا كان انشاها لهم فلا يحتمل ان يتركهم لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة
يثابون ويعاقبون ولذلك قال في اخره وان ربك هو يحشرهم **وقوله** عز وجل الا بقدر معلوم على التاويل الاول ما ذكرنا اي
ما نعطيه الا بقدر معلوم وان خزنه وحبسه ويحتمل الا بقدر سابق معلوم ذلك اي ان كان على هذا فانه يدل على ان ما يكون
ويحدث انما يكون لقدر سابق لا يكون غير ما سبق تقديره او بقدر معلوم محدود اي ليس بجزاف ولكن معلوما محدودا
والله اعلم **وقوله** عز وجل وارسلنا الرياح لواقح قال بعضهم لواقح حوامل قال بعضهم هذا لا يصح لو كان على هذا لكان ملاقح و
ملقحات قال ابو عوسجة لواقح تلقح الشجر اي تنبت ورقها وهي ملحقة وقال يقال ناقة لاقح اي حامل قد حملت ونوق لواقح
ويقال وحرب لاقح اي شديدة وسحاب لاقح الذي فيه ماء او مطر وريح لاقح اي ملقح يلقح الشجر اي تنبت ورقه وحمله ويقال
القح الرجل اذا لقحت ابله اي حملت ورجل ملقح واللقوح الناقة التي معها ولدها صغير والجمع لقاح وجمع الجمع لقايح واللقح

وهي الحوامل من الابل قال القتبي قال ابو عبيدة لواقح انما هي ملاقح جمع ملقحة يريد انها تلقح الشجر وتلقح السحاب كانها تنتجه و
اللواقح المنتجة والثمار من الاشجار والسحاب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين
هو ما ذكرنا على التاويل وان من شيء الا عندنا خزائنه وما انتم له بخازنين وعلى تاويل الحسن هو ما ذكر من الماء والمطر وما انتم له م
بخازنين اي حابسين لما جرى به الذكر من المطر والماء الذي ذكر انه انزل من السماء ويحتمل وما انتم له اي لله خازنين اي ليست خزائنه
في ايديكم ولا بيد احد ولكن بيد الله عز وجل وعلى تاويل الاخر وما انتم له بخازنين بمدبرين ما تخزنون في الارض وقوله عز وجل
وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اي انا نرث يعني الخلق كله فيبقى هو ولذلك سمي من خلف الميت وارثا لانه يموت او يبقى الوارث
وهو باق وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين قال بعضهم ولقد علمنا المستقدمين من المكذبين منكم ما حل بهم بالتكذيب وقد علمنا المستاخرين من المكذبين منكم
وقال بعضهم ولقد علمنا من كان منهم ومات وعلمنا المستاخرين من يكون منهم ويولد ولذلك قال وان ربك هو يحشرهم من مضى
ومن بقي لم يكن بعد الى يوم القيامة وقال الحسن ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستاخرين في الشر وقال بعضهم في الصف
الاول والاخر لكنه بعيد وقوله عز وجل انه حكيم عليم الحكيم هو الذي يضع الاشياء مواضعها والثاني هو الذي يجعل الاشياء
موضعها فالاول قد يعرف الخلق وضع الاشياء مواضعها واما الثاني فلا يكون ذلك الا بالله وقوله عليم عليم بمصالح الخلق
وما لهم وما عليهم او عليم بوضع الاشياء مواضعها وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون وقال في
اية اخرى خلقكم من طين وقال من طين لازب وقال في اية اخرى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال خلقناكم من تراب
ذكر مرة الحما المسنون وقيل هو الطين الاسود المتغير وذكر مرة التراب ومرة الطين اللازب وهو الملتزق وذكر مرة من سلالة الطين
فيشبه ان يكون على الاحوال واختلاف الاوقات كان في حال الاول ترابا وفي حال طينا لازبا وفي حال حما مسنونا وهو الذي
اسود وتغير لطول مكثه وصلصالا وفخارا فقيل ان يكون خلقا وركبا الجوارح فيه والعظام كان عليه هذه الاحوال الثلاثة
على الخبر من تغير احوال اولاده حيث قال خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ذكر فيه احوالا ثلاثة قبل
ان يخلق لحما وعظما في حال كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة فعلى ذلك يحتمل ما ذكر في ادم من تراب وطين وحما ونحوه
ان كان على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا او ان يكون على التشبيه والتمثيل ووجه التمثيل بالطين الذي ذكر وهو ان الطين الذي
يكون كالصلصال والفخار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذي يكون منه البنيان والاواني والقدور وجميع انواع
المنافع واما الطين الذي يخبث فانه لا يتخذ منه شيء مما ذكرنا ولا يتخذ ولا يتهيا اتخاذ شيء من ذلك فتشبه خلق ادم بالطين
الذي يجتمع فيه جميع انواع المنافع فعلى ذلك جمع في ادم جميع انواع المنافع والخير كالطين الطيب ثم فيه دلالة قدرته و
سلطانه وذكر نعمه حيث اخبر انه خلق ادم من تراب وطين وما ذكر وليس في التراب ولا في الطين من اثر البشرية شيء وكذلك
ليس في النطفة التي خلق البشر منها اثر البشرية شيء ليعلم انه قادر على انشاء الاشياء من شيء ومن لا شيء اذ ليس فيما ذكر من الطين
والتراب الذي خلق منه ابا البشر من اثر البشرية فيه شيء ولا في النطفة التي خلق منها اولاده من اثر البشرية والانسانية
من اللحم والعظم والشعر وغيره وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح وغير ذلك شيء ليعلم قدرته وسلطانه على
خلق الاشياء لا من شيء وليعرفوا نعمه التي انعمها عليهم حيث اخبر انه خلق ادم من طين لازب وصلصال وما ذكر وذلك وصف
الطين الطيب لان ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ الذي وصف ولا يصير الى تلك الحال وان طال مكثه لانه لا ينتفع به لا من
اتخاذ البنيان والاواني والقدور ولا ينبت الزروع ايضا فيحتمل على التمثيل الذي ذكرنا لا على التحقيق وعلى التحقيق على الاحوال
المختلفة ويدل انه انما خلقه من طين طاب اصله فعلى ذلك يحتمل النطفة التي يخلق منها البشر تكون طاهرة وهي لا تصيب شيئا
وهي على غير الوصف يخرج لانه قال من ماء دافق وقال من ماء مهين والصلصال قال بعضهم هو التراب اليابس والحما الطين الاسود
والمسنون المنتن المتغير وقال بعضهم الصلصال هو الذي اذا ضربته تصوت ومنه يقال صلصلة اللجام والفرس اذا كان يصلصل
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال القتبي الصلصال الطين اليابس الذي لا يصيبه النار فاذا نقرته صوت فاذا مسته
النار فهو فخار والمسنون المتغير الرائحة والمسنون ايضا المصبوب وسننت الشيء اذا صببته صبا سهلا وسن الماء على
وجهك وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة من حما مسنون الحما التراب الاسود يكون في اسفل البير ومن هذا سمي الحما لانه يحمى
ان يرعى ويقال حميت الحرب والشمس والتنور يحمى اذا اشتد حره ومسنون اي مخلوق وقال الحسن المسنون الذي سن على خلقه
الخلق يعني اولاده على خلقته او على خلقته خلق الخلق وامثال هذا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل والجان خلقناه من قبل من نار
السموم قال بعضهم الجان هو ابليس قال بعضهم الجان هو ابو الجن وابليس هو ابو الشياطين سموا شياطين لتمردهم في فعلهم ذلك
مقتدر من فعلهما الا ترى انه ذكر من الانس والجن شياطين وهو قوله شياطين الانس والجن وذلك لتمردهم والجان مقتدر
عن الجن والله اعلم بذلك والسموم قال بعضهم السموم لهب النار ذكا نه وليس له دخان وهو المارج من نار والمارج هو المتقطع

منها وقال بعضهم من جنس النار وكانه اراد لهبها وقال نار السموم الحارة التي تقتل فان كان السموم والمارج ما ذكر بعضهم انه لهب النار
ان طبعه الارتفاع والعلو فعلى ذلك من خلق منه طبعه الارتفاع والعلو وهو الجان الذي ذكر والطين طبعه السفل والانحدار الى الارض
فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهوى الى الارض والميل اليها والجان قال ابو عوسجة الجن واحد الجان والجمع جان سمي ذلك لاستجنانه وقال
غيره الجن الجماعة والجان الواحد وقوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته اي تممته
ونفخت فيه من روحي وقال في اية اخرى فنفخنا فيه من روحنا ثم يشبه هذا على الناس ولم يفهموا من قوله ونفخت فيه من روحي
وفنفخنا فيه من روحنا ما فهموا من نفخ الخلق فيا لهم فهموا من قوله ثم استوى على العرش واستوى الى السماء ونحوه استواء الخلق بل فهم
نفخه من فهم نفخ الخلق اكثر من استوائه لانه امكن صرف الاستواء الى وجوه لا يمكن صرف النفخ فيه لكنه اشتبه عليهم لانهم اعتقدوا
فعل الله بفعل الخلق ولا يجب ان يعتقدوا بالخالق على ما لم يعتقدوا في قولهم دار الله وحكم الله وعباد الله وخلق الله وامثاله وقد
اخبر انه ليس كمثله شيء او يلقين من الشيطان ويقوله روحي روحنا اي الروح الذي به حيوة الخلق اي خلق الذي يكون به حيوة الخلق
على ما ذكرنا وقوله عز وجل فقعوا له ساجدين يحتمل ان يكون قوله خالق بشرا مما ذكر خبرا انه سيفعل وامرهم بالسجود فيكون الامر
بالسجود بعد ما خلقه اياه فهذا يدل انه قد يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل والله اعلم وقوله عز وجل فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ظاهر الامر بالسجود والاستثناء الذي ذكر يدل ان ابليس من الملائكة لانه فيهم كان الامر
بالسجود ومنهم وقع الثنيا وقد ذكرنا اختلافهم واما وبليهم فيما تقدم مقدار ما حفظناه قال والاصل بان كل ما خرج مخرج الاستثناء
فيجب ان تسقط اسم ما اجمل نحو قول الرجل لاخر لك علي عشرة الا درهم يسقط الاستثناء ما اجمل من الاسم حتى صار تسعة وكذلك انه
لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما انه يسقط ذلك الاسم فلا بد ان يكون الكل فيه مضمر نحو قول الرجل رايت علماء بلدة كذا الا فلانا فيجب ان يضمر فيه
حرف الكل حتى يقع على كل نحو ان يقول رايت كل علماء بلدة كذا الا فلانا فعلى ذلك تخصيص العموم وقال الحسن في قوله من صلصال من حما
مسنون قال الصلصال هو الطين الحر الذي يتصلصل من صلابته ويبوسته والحما الطين والمسنون قال مسنون خلقته فهو سنة
الخلق بعده من ذريته ان يخلقوا على خلقته وكقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يقول استصفاه من بين ظهراني الطين
لا من كل طين خلقه وكذلك قال في تناسل ذريته وهو قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ليس من كل ما خلقه ولكن استخرجها
من بين ظهراني الماء وقال الحسن ابليس هو ابو الجن خلقناه من قبل اي من قبل ادم من نار السموم يقول السموم هو اسم من اسماء جهنم ولها
اسماء كثيرة اخبر انه خلقه من نار السموم اي جهنم والله اعلم وقوله عز وجل الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر
خلقته من صلصال من حما مسنون وقال في موضع اخر الا ابليس ابى واستكبر وقال له يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال في
موضع اخر ما منعك ان تسجد وقال في موضع اخر خلقتني من نار وخلقته من طين ذكر مثل هذا على اختلاف الالفاظ ومعلوم ان هذه
المخاطبات معه لم تكن مرارا ولكن مرة واحدة ونحوه قال ابو بكر الاصم ذكر الله قصة ابليس وقصة الانبياء جميعا في مواضع
على اختلاف الالفاظ لانها كانت في كتبهم فذكرها على ما في كتبهم ليعلموا ان نبي الله انما عرف ذلك بالله ليدلهم على صدقه وفيه
دلالة ان اختلاف الالفاظ وتغييرها لا يوجب اختلاف الحكم بعد ان لا يغير المعنى فهذا يدل ان الخبر اذا ادى معناه على اختلاف في لفظ
انه يجوز وكذلك اذا قرا بغير لسانه الذي انزل فانه يجوز اذا اتى بمعناه والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها فانك رجيم قوله فاخرج
منها قال بعضهم اخرج من السماء الى الارض وقال بعضهم اخرج من الارض الى جزائر البحر وقال بعضهم اخرج من الجنة وامثاله واخرج من
صورة الملائكة الى صورة الابالسة وجائز ان يقال اخرج من كذا اي تحول من مكان كذا الى مكان كذا على غير حقيقة الخروج ولسنا ندري
كيف كان كذلك وقوله عز وجل رجيم قيل الرجيم الملعون وقيل الرجيم ما يرجم بالكواكب وقوله عز وجل وان عليك اللعنة الى يوم الدين اللعن
هو الطرد في اللغة والحد لانه طرد عن رحمة الله الى يوم الدين حتى لا يهتدي الى دين الله وهداه ثم يوم الدين له العذاب الدائم واللعنة الغاية
وقوله عز وجل قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم لعن اللعين وطرده عن رحمته الى يوم الدين
اي لا يذكر الهداية لان الهداية في الدنيا انما يذكر برحمته والرحمة في الاخرة هي العفو عما لزمه ووجب عليه مسالة تكلموا فيها ما الحكمة
في خلق الله تعالى ابليس مع علمه ما يكون منه من افساد خلقه والدعاء الى المعاصي وانظاره الى يوم الوقت المعلوم وقد علم انه انما ينظر
ليفسد عباده فيما علم ما يكون منه فما الحكمة في خلقه قال بعضهم خلق ابليس واهل المعاصي مع علمه ذلك ليعلم انه لم يخلق لمنافع نفسه و
لحاجة نفسه وان معاصيه لا تضره ولا تدخل نقصانا في ملكه فخلقه مع علمه بما يكون منه ليعلم انه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه ولا لحاجة
ولكن لمنافع انفسهم ولحاجاتهم وقال بعضهم خلق الاعداء والاولياء نظرا للاولياء ليعلم اولياؤه الاختصاص الذي اختصهم به ولو كان
جميعا اولياء لم يعرفوا فضيلة الله واختصاصه اياهم وكذا النعم واحسان الله لا يعرف بنفس النعم ونفس الاحسان وانما يعرف بالبلاء
والشدائد التي تحل فعلى ذلك الاولياء لو لم يكن الاعداء لم يعرفوا اختصاص الله لهم وفضائله التي اكرمهم بها وقال بعضهم خلق الاعداء نظرا للاولياء
على ما ذكرنا لكن من وجه اخر واصله ان الله عز وجل جائز ان يمتحن اشياء فيها حكمة وسر لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة
البشر على ما جعل النعم الظاهرة فيها حكمة معنى لا يبلغه علم الخلق ولا حكمة البشر وكذلك البلايا والشدائد فيها حكمة لا يبلغها علم الخلق فعلى

ذلك جائز انه خلق ابليس والعصاة والغواة لحكمة جعل فى ذلك حكمة لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما ذكرنا من النعمة الظاهرة و
الشدائد الظاهرة واصله ان الله تعالى خلق الخلق على علم منه انهم يعصون ويعادون لكن مكن لهم من الاختيار والايثار ما به نجاتهم وهلاكهم اذا
اختاروا ذلك فاذا اختاروا ما به نجاتهم نجوا واذا اختاروا ما به هلاكهم هلكوا فيكون هلاكهم باختيارهم ونجاتهم باختيارهم واصله ما
ذكرنا فى غير موضع انه امتحنهم فى هذه الدنيا ليمتحنهم فيها وفى خلق ما ذكر من ابليس وغيره من الاعداء ليتم لهم المحنة وفى ترك خلق ذلك
ذهاب المحنة وهى دار الامتحان وقوله عز وجل فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال بعض اهل التأويل الى النفخة الاولى وقيل
الى النفخة الثانية ونحن لكنا لا نعلم ذلك وكانه تعالى انظره الى الوقت المعلوم ولم يبين له ذلك الوقت ولم يطلعه عليه حيث قال
وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه الاية اخبر انه يرى ما لا يرون هم وانه يخاف الله ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان
لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت فهذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض قال الحسن قوله
بما اغويتنى اى لعنتنى وهذا منه احتيال وفرار عن مذهب الاعتزال وما يلزمهم فى قوله اغويتنى يلزم فى قوله لعنتنى لان اللعن هو
الطرد فاذا طرده عن رحمته فقد خذله فى الطرد والاغواء والاضلال سواء فيلزم فى اللعن ما يلزمهم فى الاغواء وقال ابو بكر الاصم الاغواء
واللعن من الله شتم لكن هذا بعيد لا يجوز ان يضاف الى الله الشتم انه يشتم لان الشاتم والساب لاخر فى الشاهد بما يشتمه مذموم عند الخلق
فلا يجوز ان يضاف الى الله ما به يذم واصله ان قوله رب بما اغويتنى يحتمل انه خلق فعل الغواية منه واغواه لما علم انه يختار الغواية و
الضلال وقوله رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين كانه يقول رب بما اغويتنى لازيدن لهم فى الغواية بما اغويتهم
وقد ذكرنا هذا وامثاله فيما تقدم فان قيل قوله اغويتنى قول ابليس وهو كاذب بالاضافة اليه قيل لو كان فيما اضاف اليه الاغواء كاذبا
بالكذب فيه ورد عليه قوله كما كذبه فى قوله ورد عليه انا خير منه خلقتنى من كذا وخلقته من كذا حيث فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر
فيها فلما لم يرد عليه ولم يكذبه فيما اضاف اليه صرف الاغواء دل ان الاضافة اليه الاغواء والاضلال حقيقة او ان يكون قوله خلقتنى من
نار وخلقته من طين انما ذلك منه ذكر فضله واخبار انه حيث اخبر انه خلقه مما هو افضل واعظم مما خلق ادم فيخرج ذلك مخرج الشكر واما
قوله اغويتنى ليس على ذلك فلا يحتمل ان لا يكذبه ولا يرد عليه قوله اذا كان كاذبا فيه لانه فعل شئ اضافه اليه اذا لم يكن منه الاغواء لذ
اختلفا ولو كان قول ابليس لعنه الله كذبا فما تصنعون بقول نوح عليه السلام حيث قال ان كان الله يريد ان يغويكم وقال موسى فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم ثم قوله رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يحتمل ان يكون منه عزم على
ما ذكر دون ان تفوه بذلك فاخبر عز وجل عنه ما كان عزم من الاغواء وغيره بالقول وذلك جائز يخبر عن العزم والقصد كقوله انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يحتمل ان يكون هذا القول الذى اخبر عنهم قولا منهم لانه لا احد من المتصدقين يقول بمثل
ذلك عند التصدق لكنه اخبار عما قصدوا وعزموا بالتصدق فعلى ذلك يشبه ان يكون هذا من الله اخبارا عما عزم ابليس وقصد على غير
التفوه به والقول وهو ما ذكر والله اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اخبر انهم كتموا فيه واضمروا ويحتمل ان يكون على التفوه بما ذكر قال ذلك لما
قال له عز وجل ان عليك اللعنة الى يوم الدين لما شهد الله عليه باللعن الى يوم الدين آيس لعنه الله عن الهدى فقال رب بما اغويتنى اى لعنتنى وتم هلك
على بذلك لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين المخلص بخفض اللام هو الذى اخلص له الاعتقاد والعمل والوفاء
والمخلص بنصب اللام هو الذى اخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه بذلك والمخلص لا يقال الا بعد ان يكون لله فيهم صنع وهم اختصاص و
فضائل اختصهم بذلك برحمة الله وفضله والمعتزلة يقولون لا يستوجب احد الاختصاص والفضيلة الا بفعل يكون منه لا يستوجب بالله
يقولون ان الله لا يغوى احدا الا ابليس ولا احدا من اتباعه فابليس لعنه الله من المعتزلة حيث رأوا ان الله لا يغوى احدا ولا يخص احدا الا
بصنع يكون منه وقوله عز وجل هذا صراط على مستقيم قال بعضهم قوله على بمعنى الى اى الى صراط مستقيم يقول هو بيدى ليس بيد احد قال
بعضهم الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعوج على شئ ويحتمل قوله على مستقيم اى على بيانه وهو مستقيم كقوله وعلى الله قصد السبيل اى
بيان قصد السبيل وقال بعضهم لما قال ابليس لاغوينهم اجمعين قال الله تعالى هذا صراط على مستقيم يقول الى مرجع من اغوى به وما بعد كقوله
لاخذنا انا وعدنا من طريقك على والله اعلم وقوله عز وجل ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان اى ليس لك
عليهم حجة الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان ويحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان تغويهم وتضطرهم على ذلك الا من
من الغاوين فانهم يتبعونك على غير قهر واضطرار بل من كان من عباد الله فانه يتبعك ويختار الغواية وانما يكون اغواءك اياه فانه ذلك عليه
سلطانا وقوله وان جهنم لموعدهم اجمعين لموعد ابليس واتباعه وقوله عز وجل لها سبعة ابواب يحتمل ابوابا لمعروفة ويحتمل
الموارد والجهات التى يكون لها الا ترى انه قال لكل باب منهم جزء مقسوم فهذا يدل ان المراد بالابواب الموارد والدركات لا ينفرد ابوابها
انه جزء مقسوم انما يكون للدركات لا يكون للابواب لانها كالحسن والاهم لها سبعة ابواب يعنون بها الابواب الطبقات والدركات
لكل باب منهم جزء مقسوم لليهود باب وللمجوس باب وللذين اشركوا باب وللمنافقين باب ولاهل الكبائر باب وذكر
ايضا بابا للعزيز ادخلوا اهل الكبائر فيها والصابئين والدهرية وعنده ان ظاهر الاية على الكافرين لانه قال ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين والغاوين هم الكافرون وكذلك قوله لا غوينهم فان كان كذلك فالسبعة الابواب التى ذكر كلها لاهل الكفر لا يدخل اهل الكبائر فيها

ويجعل

ويجعل بابا للجاهلية وهم الذين ينكرون العالم الشاهد والغائب لا يقرون بشئ وبابا للدهرية وهم الذين ينكرون الصانع وبابا للثنوية
وهم الذين يقولون بالاثنين وبابا للذين اشركوا وهم يقولون بالواحد لكنهم يشركون فيه غيره يعبدون الاصنام والاوثان وبابا لليهود
وبابا للنصارى وبابا للمنافقين فذلك سبعة ابواب وليس لاهل الكبائر باب مسمى معلوم انما ذلك كله لاهل الكفر وقوله عز وجل ان
المتقين فى جنات وعيون ان كان اهل الكبائر فى قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الكبائر وان كان اصحاب الكبائر لم
يدخلوا فى قوله ان المتقين الذين اتقوا الشرك وقوله عز وجل فى جنات اى بساتين والبساتين هى التى التفت بالاشجار والنخيل والعيون
تذكر جارية فى الدنيا وقد يكون غير جارية فاخبر فى اية انها اى عيون الاخرة تكون جارية بقوله فيهما عينان تجريان وعيون قال بعضهم
ذكر العيون ليعلم ان مياه الجنة ليست تكون من الثلوج والانهار العظام على ما تكون فى الدنيا ولكن تنبع فيها وقال بعضهم ذكر العيون لانه
ينبع فى بستان كل احد عين على حدة لا يأتى بستانه من ملك اخر ومن بستان اخر ما يكون فى الدنيا ولكن تنبع فى جنة كل احد عين على حدة على ما اراد
ليس انها تتصل بالارض كما ذكر فى قصة بنى اسرائيل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ان الله فى ذلك الحجر ما يخرج لهم على غير اتصاله بالارض ذكر
بلطفه ينبع فيه ماء فعلى ذلك فى الجنان التى وعد ويشبه ان يكون ذكر هذا لما يختلف رغائب الناس فى الدنيا منهم من يرغب فى الذب
ويتلذذ بالنظر اليها ومنهم من يرغب فى النهر الجارى فذكر مرة العيون ومرة الانهار كقوله تجرى من تحتها الانهار على ما ذكر مرة الخيام و
القباب والغرف وانواع الفرش والبسط والكيزان والاكواب والجوارى والغلمان وغير ذلك على ما يرغب الناس فى الدنيا منهم من يرغب
فى نوع اخر فذكر فيها كل ما يرغبون فى الدنيا ليبعثهم ذلك على العمل الذى به يوصل الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ادخلوها بسلام
امنين قال بعضهم قوله ادخلوها بسلام اى اجعلوا دخولكم فيها بسلام على ما امرهم فى الدنيا ان يجعلوا الدخول فى المنازل كقوله فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم تحية الاية وعلى ما اخبر ان الملائكة يسلمون عليهم كقوله سلام عليكم طبتم وكقوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال بعضهم قوله ادخلوها بسلام امنين اى ادخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه امنين لا يمسهم خوف
ولا حزن على ما اخبر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال بعضهم وقوله عز وجل ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال
بعضهم هو صلة قوله ان المتقين فى جنات وعيون اى نزعنا ما فى صدورهم من غل الذى كان فى الدنيا بالكفر فصاروا اخوانا بالاسلام
الذى هداهم الله اليه فكانوا اخوانا ثم قيل لهم ادخلوا الجنة بلا غل وهو ما قال فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها قد نزع من قلوبهم الغل فى الدنيا فصاروا اخوانا فدخلوا الجنة وقال بعضهم قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل فى الاخرة اذا دخلوا
الجنة وتقابلوا واتكأوا على سرر فعند ذلك ينزع الغل من قلوبهم والمظالم التى كانت بينهم فان كان هذا فهو بين اهل الاسلام وعلى ذلك
يحتمل ان يكون من جفا اخى فى الدنيا ان ينسى الله ذلك منهم فى الجنة لان ذكر الجفا ينغص النعم التى فيها وكذلك ما يكون بين الرجل وولده من
الجفا والعقوق يجوز ان ينسى ذلك عليهم وعلى ذلك ما روى عن على رضى الله عنه قال انى لارجو ان اكون انا وطلحة والزبير قال الله ونزعنا
ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقوله عز وجل قال بعضهم يجعل الله سرادقهم بعضها مقابل بعض فينظر بعضهم الى بعض
ويزور بعضهم بعضا وقال بعضهم بامراة السرر التى هم عليها جلوس ليكون بعضها مقابل بعض اذا اشتهى بعضهم زيارة بعض ولا
يكونون مدبرين ولا معرضين بل مقبلين يخبر عن اجتماعهم فى الاخرة فى الشراب وانواع الطعام على ما يستحسن فى الدنيا الاخوان بينهم
الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم الى بعض فعلى ذلك اخبر ان لهم فى الاخرة كذلك الاجتماع فى الشراب والنظر وانواع
التلذذ والله اعلم وقوله عز وجل لا يمسهم فيها نصب اى عناء ومشقة اخبر انه لا عناء يمسهم كما يكون فى الدنيا لان فى الدنيا من
المنام فى موضع بلا ص ذلك ونصب وكذلك اذا كثر من نوع من الطعام او الشراب والفاكهة يمل عن ذلك ونصب ويؤذيه ولا يوافقه
فاخبر ان اهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم طعامها وان اكثروا وقوله عز وجل وما هم منها بمخرجين اخبر انهم لا يخرجون منها ولا هم
يطلبون الخروج منها كقوله لا يبغون عنها حولا لان خوف زوال النعم ينغص على صاحبها تلك النعمة ولذتها فاخبر انهم فيها ابدا وتلك
النعم لهم دائمة غير زائلة عنهم والله اعلم وقوله عز وجل نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم قال بعضهم نبئ عبادى اى اخبرهم انى انا الغفور
الرحيم لمن استغفرنى وتاب عما ارتكب من معاصيه وان عذابى هو العذاب الاليم لمن عصانى ولم يستغفر ولم يتب اليه ويحتمل غير هذا وهو
ان يقول نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم لئلا ييأسوا عن رحمتى ولا يقنطوا منى ولكن يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه ونقمته
ونبئهم ايضا ان عذابى هو العذاب الاليم لئلا يكونوا امنين ابدا فيكون فيه امران بشر وانذار كانه قال ابشر اوليائى انى انا الغفور الرحيم لا
اوليائى وان عذابى شديد اليم لاعدائى وفى قوله نبئ عبادى فيه بشارة ونذارة اما البشارة فهو قوله انى انا الغفور الرحيم والنذارة قوله
وان عذابى هو العذاب الاليم وقوله عز وجل ونبئهم عن ضيف ابراهيم اى نبئ قومك عن ضيف ابراهيم اى نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والوعظ
لان ذلك اخبار ما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسل وهو الاهلاك ونجاة من صدق الرسل ففيه تمام ما يزجرهم ويعظهم من الترهيب و
الترغيب فان فيهم انه رسالتك ونبوتك لانه يخبرهم على ما فى كتبهم لم يشهدها هو فيدلهم انه انما عرف ذلك بالله ونبئهم فان ذلك ما
يزجرهم عن مثل صنيعهم وفيه ذكر نعم الله لانهم جاءوا بالبشارة بشارة الولد وجاءوا باهلاك قوم مجرمين فذلك بالذى يزجرهم عن مثل
والبشارة ترغبهم فى مثل صنيع ابراهيم فنبئهم فان فيه ما ذكرنا ودل قوله ضيف ابراهيم ان الضيف اسم كل نازل على اخر طلع عنده ادم يطعم وكا

نزول الطعام اولا وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى سلموا على ابرهيم فرد ابراهيم السلام عليهم وقال ابو بكر الاصم السلام جعله الله
امانا بين الخلق وعطفا فيما بينهم وسببا لاخراج الضغاين من قلوبهم وقال بعضهم جعل الله السلام تحية على كل داخل على اخر وهو ما ذكرنا قال
بعضهم السلام هو اسم كل خير وبر وبركة كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما سلاما وقوله عز وجل انا منكم وجلون اى خايفون قال بعض اهل
التاويل انما خاف لانه ظن انهم لصوص واهل ريبة لكن هذا لا يحتمل ان يخاف منهم ويظن انهم لصوص واهل ريبة وقد سلموا عليه وقت ما دخلوا
عليه واللصوص واهل الريبة اذا دخلوا بيت اخر لا يسلمون عليه لكنه انما خافهم اذ راى ايديهم لا تصل اليه كما قال فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم
واوجس منهم خيفة عند ذلك خافهم فلما راى ذلك ظن ابراهيم انهم ملايكة انما جاؤا لامر عظيم حيث لم يتناولوا مما قربه اليهم وبين ابراهيم
وبين المكان الذى يرحل منه مكان يبعد لم الحاجة الى الطعام وقوله عز وجل لا توجل اى لا تخف انا نبشرك بغلام عليم وقال فى اية اخرى
فبشرناه بغلام حليم والحليم هو الذى ينفى عن صاحبه كل اخلاق دنية والعليم هو الذى يدعو صاحبه الى كل خلق رفيع ليعلم انه اجتمع فيه
جميع الخصال الرفيعة ونفى عنه كل خلق دنى وقوله عز وجل ابشرتمونى على ان مسنى الكبر اى ابشرتمونى فاه يولد لى وانا على الحال التى انا عليها
او يرد الى شبابى وشباب امراتى فبم تبشرون على الحال التى انا عليها وامراتى او يرد الشباب الينا والا لا يحتمل ان يخفى عليه قدرة الله عز وجل
الولد فى حال الكبر لكنه لم ير الولد يولد فى تلك الحال فاستخبرهم انه يولد فى تلك الحال او يرد الى حالة اخرى حال الشباب والله اعلم وقوله عز
وجل قالوا بشرناك بالحق اى بما هو كاين لا محالة اى وعد كاين لا محالة والواجب على كل من انعم عليه بنعمة ان يشتغل بالشكر للنعم لا يكشف
عن الوجوه التى انعم والاحوال التى يكون عليها ثم فى البشارة الولد بشارتان احدها بشارة بالغلام والثانى بالبقا والبلوغ الى وقت
العلم حيث قالوا انا نبشرك بغلام عليم وهو ما قال فى اية اخرى ويكلم الناس فى المهد وكهلا ففى قوله كهلا دلالة وبشارة انه يبقى الى ان
يصير كهلا والا الكهل يضعف وقوله عز وجل فلا تكن من القانطين قد ذكرنا فيما تقدم ان الانبياء قد نهوا عن اشياء قد عصموا عنها
ما لا يحتمل ان يكون منهم ما نهوا عنه نحو قوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ومن الظالمين الكافرين وامثاله وذلك مما
لا يتوهم كونه منهم وذلك لما ذكرنا ان العصمة لا ترفع المحنة لانها لو رفعت لذهبت فايدة العصمة لانه انما يحتاج اليها عند المحنة
فاما اذا لم يكن محنة فلا حاجة تقع اليها فعلى ذلك ابرهيم لم يكن قنط من رحمة ربه انه لا يهب له الولد فى حال كبره ولكن ما ذكرنا انه بين
انه لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون اخبر ان القنوط من رحمة الله هو ضلال والاياس من رحمته كفر بعد ما تقدم تضييق رحمته حتى لا يسع
فيها الكبائر والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لقولهم فى اصحاب الكباير ما يقولون وقوله عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون قيل فما خبركم
وما قصتكم وما شانكم والخطب الشان اى على اى امر وشان ارسلتم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لم يحتمل ان يكون اول ما اخبروا ابراهيم
وقالوا هذا ولكن كان فيه ما ذكر فى اية اخرى انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين وانا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون فقال ابراهيم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها يذكر هاهنا على الاختصار فذلك بين ان الخبر اذا ادى معناه يجوز وان
تفاوت بلفظة على ما كان وقوله عز وجل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط كان الثنيا هاهنا تكون عن الاشخاص والانفس اهل
القرية عن قوله مجرمين لان ال لوط لم يكونوا مجرمين فلا يحتمل الاستثناء من ذلك ولا يكون على حقيقة الثنيا وان كان فى الخبر استثنا
وقوله عز وجل الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته اخبر انهم يهلكون قومه ثم استثنى اله منهم ثم امراته من اله ففيه دلالة ان الثنيا
ليس برجوع لانه لو كان رجوعا لكان يوجب الكذب فى الخبر ولكن فى الثنيا بيان تحصيل المراد مما جمل فى اللفظ وفيه دلالة ايضا انه يجوز
ان يستثنى من الاستثناء لانه استثنى امراته من اله بقوله الا ال لوط الا امراته فحصلت المراة من قومه حيث استثناها من اله وفيه انه قد
يجوز ان يستثنى من خلاف نوعه لانه استثنى ال لوط من قومه والمجرم ليس من نوع الصالح ثم استثنى امراته من اله وهى ليست منهم وفيه
ايضا ان الال قد يكون اتباعه حيث استثنى اله منهم ويدخل فيه من تبعه الا ترى انه قال ال فرعون وانما اتباعه وال موسى وال هرون وال
عمران كل يرجع الى اتباعهم فيدخل فى قولهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كل من تبعه والله اعلم وقوله الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين
قال ابو بكر الاصم قدرنا انها اى اخبرنا لكن هذا منه لاحتيال على تقوية مذهبه لا افعال لانهم يكرهون ان يكون افعال العبيد مقدرة لله ثم
مخلوقة ففى ذلك دلالة ان افعالهم مخلوقة لله مقدرة له واصله اى قدرنا بقاها من الاصل وقوله عز وجل لمن الغابرين اى الباقين قال ابو
عوسجة الغابر الباقى والغابرون [illegible] الماضين ايضا يقال [illegible] وقوله عز وجل فلما جاء ال لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون [illegible]
البلد الا ترى انهم قالوا اولم ننهك عن العالمين [illegible] وقوله عز وجل قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون هذا
ليس بجواب لما سبق من قوله انكم قوم منكرون [illegible] ولكن [illegible]
من ذلك وقوله ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وغير ذلك من المخاصمات وقد كان لوط يعدهم العذاب
بصنيعهم الذى كانوا يصنعون ولذلك قالوا له ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون بانه كان يعدهم من العذاب وقال بعضهم بما كانوا فيه يمترون يجادلون ويتنازعون او
يقول بل جئناك بالجزاء بما كانوا يمترون [illegible] وما كانوا عليه من الربوبية وقوله عز وجل فاسر

باهلك

بالحق وانا لصادقون قال بعضهم واتيناك بالحق اى بهلاك قومك ونجاة اهلك وقال بعضهم واتيناك بالحق اى
بالعذاب الذى كنت تعدهم وانا لصادقون [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل فاسر باهلك بقطع من
الليل [illegible] واتبع ادبارهم [illegible]
[illegible]
وقوله عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك فانها تخلف عنهم فيصيبها ما اصابهم وتلك هنا بدلا ان ليس فى تقديم الكلام
وتاخيره منع ولا فى تغيير اللسان ولفظ بعد اداء المعنى خطر لان قصة لوط وغيرها من القصص ذكرت وكررت على الزيادة و
النقصان وعلى اختلاف الالفاظ واللسان فدل ان اختلاف ذلك لا يوجب تغييرا فى المعنى ولا باس بذلك وقال بعضهم فى قوله لا
يلتفت منكم احد اى لا ينظر احد وراءه فيروا ما اقام الله بهم فلا ينظروا وراءهم فيروا ما حل بهم من تقليب الارض دارهم عليهم لا يحتمل
بنيتهم وقلوبهم فيهلكوه او يصعقوه الا ترى ان موسى مع قوته لم يحتمل اندكاك الجبل وكيف صعق وخر مدهوشا فى ذلك
الوقت فهولاء اضعف وما حل بقومهم اشد فنهاهم الله عن ذلك لانهم لا يحتملون ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر قيل
اوحينا اليه كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اوحينا اليهم وقال بعضهم قوله وقضينا اليه اى انهينا اليه واعلمناه
وهو قول الكسائى والقتبى وقوله عز وجل ذلك الامر يحتمل قوله ذلك الامر هو ما ذكر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين هذا الذى
اوحى اليه واعلمه ويحتمل قوله وقضينا اليه ذلك الامر اى اوحينا الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ذلك الامر الذى بلغك مقطوع مصبحين
ويحتمل الوحى الى لوط على البشارة ان دابر قومه مقطوع مصبحين اى مقطوع نسلهم فيه اخبار عن قطع نسلهم وفى الخبر عن قطع
نسلهم اخبار عن هلاكهم وقوله عز وجل ان دابر هؤلاء قال بعضهم اصل هؤلاء وقال بعضهم دابر هؤلاء مقطوع اى مستاصلون
مصبحين ليس يريد به حين اصبحوا او حين به طلوع الفجر ولكن اراد طلوع الشمس الا ترى انه قال فاخذتهم الصيحة مشرقين و
شروق الشمس هو ارتفاعها وبسطها فى الارض دل انه ما ذكرنا والله اعلم والصيحة يحتمل وجوها احدها ذكر الصيحة لشدة هلاكهم
وقدر صيحة والثانى اهلكوا بالصيحة او صاح او تلك لما اهلكوا والصيحة اسم كل عذاب وقوله عز وجل وجاء اهل المدينة يستبشرون
يحتمل يبشرون بنزول اضياف او يبشر بعضهم بعضا لما راوهم من حسن الهيبة والمنظر ورفعة اللباس وقوله عز وجل ان هؤلاء ضيفى فلا
تفضحون يحتمل هذا وجهين فلا تفضحون فى ضيفى فانهم انما نزلوا بنا على امن منا فلا تفضحون عندهم وهو ما قال فى اية اخرى ولا
تخزون فى ضيفى ويحتمل لا تفضحونى فى الخلق يقولون ان فى اهل بيت لوط يفعل بالاضياف كذا وانما عرف اهل بيتى عند الخلق
بالصلاح والا فلا تفضحون فى الخلق واتقوا الله فى صنيعكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق بل هو من الهوان ويشبه ان يكون قوله
واتقوا الله ولا تخزون ان يكون الاخزاء هو الفضيحة دليله ما ذكر ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون فيكون هذا تفسير ذلك ويحتمل
الهوان وكذلك قيل فى قوله ان الخزى اليوم اى الهوان اليوم وقوله عز وجل اولم ننهك عن العالمين هذا يدل على انه قد كان سبق النهى عن
انزال الاضياف كانه قد نهوه عن انزال الاضياف لذلك قالوا اولم ننهك عن العالمين قال ابو بكر الاصم يخرج قولهم اولم ننهك عن العالمين
مخرج الاعتذار له لانهم كانوا يعظمون الرسل اليهم سوى الخلاف فى الدين والدعاء الى دين الله فهم وان كذبوا الحجج التى اتت بهم لكن
فقد كانوا يعظمونهم الا ترى انه قال لرسولنا صلوات الله عليه قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون الاية والاول اشبه والله اعلم وقوله
عز وجل هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين وفى موضع اخر هؤلاء بناتى هن اطهر لكم وقد ذكرنا ذلك فى السورة التى فيها ذكر هود قال بعضهم
انما عرض عليهم نساء قومهم لانه كالاب لهم على ما ذكر ان نساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امهات وقال بعضهم فى البنات اخبار
منه لم بناته لكن صنيعهم لانه يجوز ورود الشرع على بنات لهم ولا يجوز حل ذلك بحال وقوله عز وجل لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
قال الحسن يقسم الله بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وانما اقسم بحيوة محمد عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم اقسم
بحيوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقسم بحيوة غيره وقال بعضهم قوله لعمرك كلمة تستعملها العرب فى اقسامهم على غير ارادة القسم
بحيوة احد ومنهم من قال انما ذلك على التعريض واصله ان الله لم يقسم باشياء اقسم بالشمس والقمر والليل والنهار واقسم بالجبال
والسماء وغيرها من الاشياء التى تعظيم عند الخلق كرسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبره انه ارسله رحمة للخلق وهدى وكان يعظم
بالقسم به الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن كان رحمة للعالم كله اولى ان يعظم من غيره اذ منافعه اعم واكثر وقال
بعضهم لعمرك القسم ليس بحيوة الرسول ولكن بدينه وهو قول الضحاك وقوله عز وجل انهم لفى سكرتهم يعمهون قال بعضهم السكرة
الشدة التى تحل بهم عند الموت شبههم بحيرتهم التى فيهم بسكرة الموت يعمهون يترددون وقال بعضهم فى ضلالتهم وكفرهم يعمهون
يتحيرون وقوله عز وجل فاخذتهم الصيحة قد ذكرنا فى غير موضع اختلافهم فى الصيحة قال بعضهم الصيحة هى العذاب نفسه
اى اخذهم العذاب وقال بعضهم سمى صيحة لشدة نزوله بهم واخذه اياهم وقوله عز وجل مشرقين قال بعضهم اشرقت الشمس اذا
ارتفعت وانارت وشرقت اذا بزغت وهو قول الكسائى وقال ابو عوسجة مشرقين اى اذا طلعت الشمس عليهم وقد ذكرنا هنا

وقوله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها قد ذكرنا في السورة التي فيها ذكر هود وقوله عز وجل ان في ذلك لايات للمتوسمين قال بعضهم
للمتوسمين المتفرسين من الفراسة وروي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برويه ابو سعيد الخدري قال اتقوا فراسة المؤمن فانه
ينظر بنور الله قال ثم قرا ان في ذلك لاية للمتوسمين فان ثبت الخبر وثبت تلاوة هذه الاية على اثر ما ذكر فهو هو وقال بعضهم المتوسمين المعتبرين
وقيل المتفكرين وقيل الناظرين ذكر والاية للمعتبرين ولكن لم يبينوا من اي وجه يكون اية لمن ذكر فيحتمل وجوها احدها اية للمتوسمين المعتبرين
لرسالته لانه ذكر قصة ابراهيم ولوط على ما كان وهو لم يشهدها فذلك يدل على صدقه واية لرسالته والثاني اية لتصديق اخبار ابراهيم وصدق
لوط لانهم كانوا يخبرون قومهم العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد فيدل ذلك على صدق خبر الانبياء عليهم السلام في كل ما يخبرون
والثالث في هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجي منهم اية لمن ذكر من هلك بالتكذيب ومن نجا بالتصديق فيكون ذلك اية والرابع فيما بقي من اثارهم
منهم اية فيكون هلاكهم اية لمن ذكر واصل هذا ان الله ذكر ان في ذلك لاية للمتوسمين اي المؤمنين المتقين والاعتبار والتفكر للمؤمنين لانهم
هم المنتفعون قال والمتوسم هو الذي يعلم بعلامة وكذلك المتفرس هو الذي يعلم بعلامة في غيره ينظر في غيره بان هلاكهم كان فينزجر
عن صنيعه ويتعظ به وهو كالمتفقه الذي يعلم بالمعنى والله اعلم وقوله عز وجل وانها لبسبيل مقيم اي طريق دايم لا يزول معلم ان في ذلك
لاية للمؤمنين وهو ما ذكرنا ان الاية تكون للمؤمن والله اعلم ذكر في الاية الاولى لايات لانه انباء ابراهيم وقصة قوم لوط ففي ذلك ايات لمن
ذكر وذكر في هذه الاية لاية للمؤمنين لانه ذكر شيئا واحدا وهو السبيل وقوله عز وجل وان كان اصحاب الايكة لظالمين اي وقد كان اصحاب
الايكة ذكروا انها الغيضة من الشجر وهو ذات اجام وشجر كانوا فيها فبعث اليهم شعيب وهم في الغيضة وذكر بعض اهل التاويل ان شعيب بعث الى قومين
الى اهل غيضة مرة والى اهل مدين مرة على ما ذكر والى مدين اخاهم شعيبا وقال في اية اخرى كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون وقوله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين سمى الله تعالى الكفرة باسماء مختلفة سماهم مرة ظالمين ومرة فاسقين ومشركين واسم الظلم قد يقع فيما دون الكفر
الشرك وكذلك اسم الفسق يقع فيما دون الكفر والشرك ثم الكفر لم يقبح لاسم الكفر وكذلك الايمان لم يحسن لاسم الايمان اذ ما من مؤمن الا وهو يكفر
باشياء ويؤمن باشياء قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله المؤمن يكفر بالطاغوت بالاصنام كان اهل الكفر عبدوها وكذلك الكافر
يؤمن باشياء ويكفر باشياء يؤمن بالاصنام ويكفر بالله فثبت ان الكفر لا لاسم الكفر ليس بقبيح وكذلك الايمان لا لاسم الايمان ليس بحسن لكن
انما حسن لانه ايمان بالله والكفر انما قبح لانه كفر بالله واما الظلم فهو لاسم الظلم قبيح وكذلك الفسق قبيح فسماهم باسماء هي باسمها قبيح لكن الايمان
المطلق هو الايمان بالله والكفر المطلق هو الكفر بالله وان كان يسمى بدون الله كفرا وايمانا كما قلنا الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله
وان كان اسم الكتاب والدين يقع على ما دونه وقوله عز وجل فانتقمنا منهم ذكر الانتقام منهم ولم يذكر ههنا بم كان الانتقام وقال في
اية اخرى فاخذتهم الرجفة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في اية اخرى فاخذهم عذاب يوم الظلة فيحتمل ان يكون الرجفة لقوم والصيحة
لقوم ويوم الظلة لقوم منهم او كان كله واحد فسماها باسماء مختلفة ليس لنا الى معرفة ذلك العذاب حاجة سوى ما عرف انهم انما اهلكوا و
عذبوا بالتكذيب فيكون ذلك اية لمن بعدهم لئلا يصنعوا مثل صنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل فانتقمنا منهم للرسل كما انتقمنا من قوم لوط للوط
بسوء صنيعهم وسوء معاملتهم اياه فعلى ذلك ننتقم من اهل مكة لمحمد صلى الله عليه وسلم بسوء صنيعهم وسوء معاملتهم اياه وقد كان ما نزل باصحاب الايكة
كفاية مزجرهم وعظة لا يحتاج الى ما ذكر ما نزل بقوم لوط وقوله عز وجل وانهما قال بعضهم يعني قوم لوط وقوم شعيب وقوله عز وجل لبامام
مبين اي طريق مستبين اي بين هلاكهم وقوله عز وجل وانهما لبسبيل مقيم وانهما لبامام مبين واحد اي بين واضح انا دم من سلك ذلك الطريق
او دخل قراهم ومكانهم لاستبان لهم اثار هلاكهم وما حل بهم وقوله لبامام مبين اي طريق يؤم ويقصدون بين واضح وقوله عز وجل ولقد
كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل اصحاب الحجر هم قوم صالح وثمود وقالوا الحجر هو اسم واد وقيل هو اسم القرية على شط الوادي نسبوا
اليه وقوله ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل يعني بالمرسلين صالحا وحده لكن ذكر المرسلين لان صالحا كان يدعوهم الى ما كان
دعا سائر الرسل فاذا كذبوه فكان قد كذبوا الرسل جميعا اذ كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فاذا كذب واحد منهم فقد كذب الكل
والله اعلم وقوله واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يحتمل الايات ايات وحدانية الله وحججه ويحتمل جميع الايات ايات الوحدانية
وحججه وايات رسالته معرضين اي لم يقبلوها فاذا لم يقبلوها فقد اعرضوا عنها اي كذبوها وقوله عز وجل وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا امنين عادوهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا امنين عن ذلك وقال بعضهم كانوا
امنين عن ان يقع عليهم ما تخوف الحذاقهم وهو ما قال وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تاويل بعضهم حاذقين وقوله عز وجل فاخذتهم
الصيحة مصبحين يحتمل اخذتهم ظاهرة بالنهار وقوله عز وجل فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يحتمل قوله فما اغنى عنهم اي ما كانوا
ينحتون لا يغنيهم من عذاب الله من شيء ويحتمل فما اغنى عنهم ما عملوا من عبادة الاصنام والاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي لم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله او يقول ما اغنى عنهم ما صنعوا وانفقوا في هذه الدنيا في دفع عذاب الله
عن انفسهم كقوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم الاية اي وان اعطوا ما ذكر من السمع والبصر والافئدة انه لم ينظروا ولم يتفكروا في الايات
وجحدوها وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يحتمل بالحق الحق الذي جعل بعضه على اهلها والحق الذي لبعض
على بعض والحق هو اسم كل محمود ومختار من القول والفعل والباطل اسم كل مذموم من القول والفعل قال بعضهم تاويله وما خلقنا السموات والارض

وما بينهما الا شهودا لله بالحق على اهلها وقوله عز وجل الا بالحق اي لم يخلقهما لغير شيء ولكن خلقهما لمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها والى
ما ذهب الحسن وقيل خلقهما وما بينهما الامر كاين اي لعاقبة للثواب والجزاء لم يخلقهم للفناء خاصة ولكن للعاقبة لان خلق الشيء خاصة
عبث وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان خلقهم لا لمرجع اليه ولا لعاقبة عبث وقد ذكرنا فيما
تقدم وجايز ان يكون قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية على الاحتجاج على ولئك لانكارهم
الساعة لوجهين احدهما ما ذكرنا انه لو لم تكن الساعة حصل خلقهما وما بينهما للفناء خاصة وخلق الشيء للفناء خاصة عبث باطل كبناء
البناء للنقض خاصة لا لعاقبة تقصد عبث والثاني انه يكون في ذلك التسوية بين الاعداء والاولياء وفي الحكمة التفريق بينهما وما
قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الاية لم يكن ظنهم انه خلقهما باطلا ولكن لما انكروا البعث صار في
ظنهم خلقهما باطلا وقوله عز وجل وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل قال بعضهم فاصفح الصفح الجميل اي اعرض عنهم وعن الانتقام بما
اذوك بالسنتهم وفعلهم وان الساعة لاتية فانا الانتقم عنك على اذاهم اياك وصنيعهم يومئذ والصفح الجميل هو ما لا نقص فيه ولا منة
في العرف اي اصفح الصفح ما يوصف به بتمام الاخلاق وما لا نقص فيه ولا منة ويحتمل الصفح الجميل هو ان يصفح ولا يمن عليهم كانه امر
ان يصفح صفحا لا منة فيه وان الساعة لاتية فنجزي انت على صفحك الجميل وهم على اذاك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك هو الخلاق
العليم هذا يحتمل وجهين احدهما انه على علم بما يكون منهم خلقهم من المعصية والخلاف لا خلقهم عن غفلة وجهل بذلك ليعلم انه لم يخلق
الخلق لحاجة نفسه ولا لمنفعة نفسه ولكن خلقهم ليمتحنهم بما امرهم به ونهاهم ولما يرجع اليهم من نفعهم وحوايجهم والثاني
ان ربك هو الخلاق لخلقه العليم بمصالحهم بان الصفح الجميل لم ذلك اصلح في دينهم من المكافاة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم اختلف في قوله سبعا من المثاني قال بعضهم سبعا من المثاني المثاني هو القران كله كقوله الله نزل
احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وقيل سمي مثاني لترديد الامثال فيه والعبر والانباء فان كان على هذا فيكون قوله سبعا من المثاني اي
سبعا من القران العظيم ثم يحتمل السبع الطوال على ما ذكر بعض اهل التاويل كانه قال اتيناك سبعا من القران العظيم ويحتمل سبعا يعني فاتحة
الكتاب من القران اي اتيناك فاتحة الكتاب من القران وقال قوم يقولون سبع المثاني فاتحة الكتاب ويروون على ذلك حديثا عن رسول
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وعن ابي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة والانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما
سال ومنهم من يقول المثاني القران كله يذهب الى ما ذكرنا من الاية وبما يروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزلت
في التوراة لا في الانجيل ولا في الزبور والقران مثلها يعني ام القران وانها السبع من المثاني والقران العظيم الذي اعطيت ذكروا انها السبع
من المثاني فان كان سبع المثاني فاتحة الكتاب بخبر كانه قال ولقد اتيناك سبعا وهي المثاني وان كان سبعا من المثاني هو الطوال
يكون هكذا اي اتيناك سبعا وهو المثاني روي ايضا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني السبع الطوال مكان التوراة والمثاني
مكان الانجيل فضلني ربي بالمفصل فان ثبت ما روي في الخبران سبع المثاني فاتحة والا الكف والامساك عن ذلك اولى لانه لا
حاجة بنا الى معرفة ذلك وليس يجوز تسميتنا اياها سوى الشهادة وما خرج مخرج الشهادة من غير حصول النفع لنا فالكف عنه
والامساك اولى ومنهم من يقول هو المفصل ومن قال المثاني فاتحة الكتاب قال لانها تثنى في كل ركعة او ما جعل فيها مكررة معادة
لان كل حرف منها يوذي معنى حرف اخر فسمي مثاني بذلك ومن قال المثاني هو القران قال لما ذكرنا لان امثاله وانباءه وغيرها مثناة
مرددة ومن قال المثاني السبع الطوال فقال لانه يثنى فيها حدود القران وفرايضه وعامة احكامه والله اعلم وقوله عز وجل
والقران العظيم سماه عظيما وسماه مجيدا وحكيما وهو اسم الفاعلين ولا علم له ولا فعل في الحقيقة لكنه يخرج والله اعلم على وجوه
يحتمل سماه عظيما مجيدا لما عظمه وشرفه ومجده فهو عظيم مجيد حكيم اي محكم الفعيل بمعنى المفعول وذلك جايز في اللغة او سماه
بذلك لان من تمسك به وعمل به يصير عظيما مجيدا وسماه عظيما مجيدا حكيما وسماه اي جاء من عند عظيم مجيد حكيم واصل الحكيم هو
المصيب واضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم يحتمل المراد بقوله عينيك
نفس العين ثم يحتمل وجهين احدهما نهى رسوله ان ينظر الى ما متع اولئك مثل نظرهم لانهم ظنوا انهم انما متعوا هذه الاموال في الدنيا لخطرهم
وقدرهم عند الله وعلى ذلك قالوا ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقال ولئن رجعت الى ربي الاية ونحوه ظنوا انما متعوا
في هذه الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله لذلك قالوا ما قالوا فنهاه ان ينظر الى ذلك بعين الذين نظروا هم اليه ولكن بالاعتبار والثاني
نهاه ان ينظر الى ذلك نظر الاستكبار والتجبر على المؤمنين والاستهزاء بهم على ما نظروا هم لانهم بما متعوا من انواع المال استكبروا على
الناس واستهزؤا بهم اذ البصر قد يمتنع من غير تكلف فيبصر كانه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا فيه لان ما متعوا به هو ما
ذكر ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وقال في اية اخرى لنفتنهم فيه وقوله لا تمدن عينيك فيما متعوا
فانهم انما متعوا لما ذكر ويحتمل النهي عن مد العين لا العين نفسه ولكن نفسه ولكن كانه قال لا تمنين نفسك فيما متعوا هم ولا ترغبن
في ذلك فانه ليس توسيع ذلك عليهم لخطرهم وقدرهم ولكن ليعلم انه ليس لذلك خطر عند الله وقد جعل ذلك عطاء منه لمن نوى على الله وجعل

نور وفضله وفي الاية تفضيل الفقر على الغنا لانه نهى رسول الله ان يمد عينيه الى ما متعوا ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد الى ذلك ليس يمد للدنيا ولا لشهواته ولكن يستعين به في امر جهاد عدوه ويعين به اصحابه في سبيل الخيرات ثم نهاه مع ذلك عنه دل ان الاخير والافضل ما اختاره من الفقر وتصورنات بره والله اعلم وقوله عز وجل ازواجا منهم اي اصنافا من الاموال والوانا من النعم وقال بعضهم ازواجا منهم اي الاغنياء منهم واشباهها فان كان قوله ازواجا منهم هو اصناف الاموال فهو على التقديم و لنا خيرا كانه قال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا وان كان ازواجا منهم هو اصناف الناس فهو على النظم الذي جرى به التنزيل اي لا تمدن عينيك الى ما متعنا به قوما منهم وفي قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم دلالة تنقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يعطي احدا شيئا الا ما هو اصلح له في الدين ولو كان ما متع هؤلاء اصلح لهم في الدين لم ينه رسوله عن مد عينيه اليه دل انه قد يعطي ما ليس باصلح في الدين وكذلك قوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا واثما اخبر انه انما يملي لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون يملي لهم ليزدادوا خيرا وكذلك قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم الاية هذه الايات كلها تنقض عليهم قولهم وقد ذكرنا هذا في غير موضع فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تحزن عليهم يحتمل النهي نفسه نهاه ان يحزن عليهم اشفاقا عليهم بل امره ان يغلظ عليهم كقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل النهي نفسه وعلى هذا يخرج قوله واخفض جناحك للمؤمنين اي ارفق بهم ولين عليهم واشدد على اولئك واغلظ عليهم وهو ما وصفهم اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اخبر انهم اهل شدة على الكفار واهل غلظة رحماء بينهم واهل ذلة على المؤمنين واهل شدة عليهم اي على الكفار فعلى ذلك هذا ويحتمل ان ليس على النهي ولكن على التخفيف والتسلي ودفع الحزن عن نفسه لانه كان يحزن بكفرهم بالله وتركهم الايمان حتى كادت نفسه تتلف لذلك كقوله لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك الاية وامثاله ويحتمل ايضا وجها اخر وهو انه كان يحزن عليهم ويضيق صدره لما مكروا به وكادوا به كقوله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون فانا كافيهم والله اعلم وقوله عز وجل وقل اني انا النذير المبين يحتمل انا النذير على معاصيه المبين على طاعاته وانا النذير على العصاة من عذاب الله المبين لامره ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين قال الحسن الكتب كلها قران يعني كتب الله اقتسموها وجعلوها عضين اي فرقوها بالتحريف والتبديل فما وافقهم اخذوه وما لم يوافقهم غيروه و بدلوه كقوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ونحوه فذلك اقتسامهم وتعضيتهم على قوله وكقوله يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ونحوه وقال بعضهم اقتسامهم وهو ان نفرا من قريش كانوا اقتسموا عقاب مكة ليصدوا الناس عن رسول الله فيقول طايفة منهم اذا سئلوا عنه هو كاهن وطايفة اخرى هو شاعر ساحر مجنون وكذ وعضين قولهم هو سحر شعر كهانة اساطير الاولين افترى على الله كذبا وامثال ما قالوا فذلك اقتسامهم وتعضيتهم وقال بعضهم هو على التقديم اي اتيناك المثاني والقران العظيم انزلناه عليك كما انزلنا التورية والانجيل على اليهود والنصارى فهم المقتسمون كتاب الله فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقال ابو عوسجة يقال عضيت الجزور اي قسمتها اعضوا وقال غيره هو من العضة وهو السحر بلسان قريش يقال للساحر عاضه وقال القتبي المقتسمون قوم تحالفوا على عضة النبي صلى الله عليه وسلم وان يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النزاع اليهم وعضين اي فرقوه وعضوه وقيل فرقوا القول فيه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قوله فوربك قيل قسم اقسم به تعالى لنسالنهم اجمعين قال بعضهم الخلايق كلها كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين اخبر انه يسالهم جميعا الرسل عن تبليغ الرسالة والذين ارسل اليهم عن الاجابة لهم وقال بعضهم قوله فوربك لنسالنهم اجمعين هؤلاء الذين سبق ذكرهم المقتسمين الذين جعلوا القران عضين والذين استهزءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم و اصحابه يسالهم عن حجج ما فعلوا والمعنى الذي حملهم على سوء معاملة رسوله وكذبا به لاي شيء نسبتم رسولي وكتابي الى السحر والكذب والكهانة والافتراء على الله لا يسالون عما فعلتم واي شيء علمتم لان ذلك يكون مكتوبا في كتبهم بقرونه كقوله اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وهو وعيد شديد في نهاية الوعيد والشدة لانه وعيد مقرون بالقسم وكل وعيد قرنه بالقسم فهو في الشدة اذ لو جاء ذلك الوعيد من ملك من ملوك البشر يجبا انه يخاف فكيف من ربنا وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقال بعضهم فاصدع بما تؤمر اي استقم كما تؤمر كقوله فاستقم كما امرت فهو في كل ما امر به وقال بعضهم اصدع اي امض بما تؤمر من تبليغ الرسالة واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم والله اعلم امض على ما تؤمر من تبليغ الرسالة اليهم ولا تخافهم ولا تهبهم ولا يمنعك شيء عن تبليغ الرسالة الخوف ولا القرابة ولا شيء من ذلك ولكن امض على ما تؤمر وهو كما قال ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اي لا يمنعكم عن القول بالحق والعدل بغضكم اياهم ولا القرابة التي فيما بينكم فعلى ذلك قوله فاصدع بما تؤمر اي امض على ما امرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك عن ذلك الخوف والوعيد والقرابة التي فيما بينك وبينهم وقال القتبي اصدع بما تؤمر اي اظهر وصدع اظهر ذلك واصله الفرق والفتح يريد اصدع الباطل بحقك حتى ياتيك الموقن به وهو الموت وقال ابو عوسجة اصدع اي امض على ما تؤمر وصدعت اي مضيت وذلك من المضي وامثل هذا كله

شق ويقال تصدعوا اي تفرقوا والله اعلم وقوله عز وجل واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم فانا كافيهم منك على الاذى لهم وقال بعض اهل التاويل قوله واعرض عن المشركين هو منسوخ باية السيف لكن على الوجه الذي ذكرنا ليس بمنسوخ وقال اعرض عن المشركين ان كان اراد به القتال والدعا الى التوحيد فهو في وقت دون وقت وفي قوم خاص علم الله انهم لا يجيبونه ولا يؤمنون به اياس رسوله عن ايمانهم فقال اعرض عن هؤلاء ولا تشتغل بهم ولا تدعهم فانهم لا يؤمنون ولكن ادع قوما اخرين والله اعلم وقوله عز وجل انا كفيناك المستهزئين قال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الكفرة جميعا فمنعناهم عن ان يصلوا اليك على ما قصدوا اليك من اهلاكك ونحوه كقوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الذين كانوا على الطرق والمراصد ليصدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في القصة العدد الذي ذكر سبعة او خمسة كفاه الله اهلكهم بما ذكر اهل التاويل ان الذين استهزءوا به اهلكوا جميعا بعقوبات مختلفة وقوله عز وجل الذين يجعلون مع الله الها اخر قوله يجعلون ليس على الجعل لانهم لو جعلوا لكان لان كل مجعول كاين موجود ولكن قوله يجعلون اي يزعمون ان مع الله الها اخر اماني العبادة وكذلك قوله جعلوا القران عضين هم لا يقدرون على ان يجعلوه عضين ولكن زعموا انه كذا لان الله وكل حفظه الى نفسه بقوله وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اخبر انه يحفظه حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلو قدروا على جعله عضين لكان قد اتاه الباطل من بين يديه دل انه على القول الذي قالوا وهو على المجاز وكذلك قوله فراغ الى الهتهم وقوله اجعل الالهة الها واحدا فهو كله على المجاز على ما عندهم انما يجري التسمية لها انها الهة وانما يصرف العبادة اليها ظاهر هذا ان المستهزئين الذين ذكرهم انه كفاه عنهم هم الكفرة جميعا لكن يحتمل الذين ذكرهم اهل التاويل كانوا على مراصد مكة اضاف ذلك اليهم ونسب لانهم هم الذين امروا غيرهم ان يجعلوا ونحوه فكانهم فعلوا ذلك وهم قالوا وقوله كفيناك المستهزئين الذين فعلوا به ما فعلوا ممن تقدم ذكرهم فيكون قوله الذين يجعلون على ما كان اي الذين كانوا يجعلون مع الله الها اخر وان كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهر ما ذكر يجعلون على المستقبل وقوله عز وجل فسوف يعلمون وعيدا اي سوف يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا نزل العذاب بهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وما كانوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء به وانواع الاذى الذي كان منهم م رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نعلم ذلك وهو محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك فلا يضيقن صدرك لذلك فهو على التصبير على الاذى والتسلي عن ذلك وترك المكافاة لهم والله اعلم وكان يضيق صدره مرة لتركهم الاجابة له ومرة للاذى باللسان والثاني على علمنا بما يكون منهم ومن ضيق صدرك بذلك لكن انشاناهم ومكناهم على علمنا بذلك امتحانا منا اياك بذلك واياهم وقوله عز وجل فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اي صل بامر ربك وكن من الساجدين اي من المصلين وقوله فسبح هو امر فاذا فعل ذلك كان بامر ربه فلا معنى لذكر الامر من بعد بقوله بحمد ربك ان كان الحمد هو الامر على ما قال بعض اهل التاويل ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله فسبح اي نزه الله عن جميع ما قالت الملحدة فيه اذا التسبيح هو التنزيه في اللغة بحمد ربك اي بثناء ربك اي نزه عن ذلك كله بثناء تثنيه عليه وكن من الساجدين اي من الخاضعين انه السجود هو الخضوع او ان يكون امره اياه بالتسبيح على التسلي وتوسيع صدره بالذي يكون منهم اي فسبح ربك بمكان ذلك وقوله عز وجل واعبد ربك يحتمل التوحيد اي وحد ربك وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كل عبادة ذكرت في القران فهو توحيد بامره باعتقاد الاخلاص له في كل امره ويحتمل العبادة نفسها يامره بالعبادة له شكرا له على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت ساقاه فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال بلى افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين اي ما يتيقنت به وهو الموقن به وكذلك قوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله اي من يكفر بالمؤمن به فقد حبط عمله لان الايمان لا يكفر به فعلى ذلك اليقين لا ياتيه ولكن ياتيه الموقن به وكذلك ما ذكر الصلوة امر الله اي بامر الله وهو المامور به لان الصلوة لا تكون امر الله لكن بامر الله وكذلك ما يجيء من هذا النحو ويحتمل قوله حتى ياتيك اليقين فيهم وهو ما وعد من العذاب فيهم اي يتيقنون بذلك بعض اهل التاويل سورة النحل كلها مكية الا ثلاث ايات لانها نزلت بالمدينة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه في قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وجهان احدهما ان يعرف قوله امر الله واراد وما الذي استعجلوه الساعة والقيامة بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها الاية ونحوه من الايات وقال بعضهم امر الله هو عذابه وكذلك ما ذكر في جميع القران من امر الله المعنى منه عذابه كقوله جاء امر الله اي عذابه ونحوه ويحتمل قوله اتى امر الله رسوله الذي كان يستفتح به اهل الكتاب على المشركين كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الاية وكان يتمنى مشركو العرب ان يكون لهم رسول كما لاهل الكتاب كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية فلا تستعجلوه ذهاب ما كنتم تتمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم او متى اخر والله اعلم ثم اخبر انه يتعالى

اى امر الله وقوعه وكون قربه اى قرب اتى امر الله كما يقال اتاك الخير واتاك امر كذا على ارادة القرب لا على الوقوع وجايز ان يكون
قوله اتى امر الله اى ظهر اعلام امر الله وامارته وليس على اتيان امره من مكان الى مكان كقوله جاء الحق وزهق الباطل وامارته هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه كان به ختم النبوة فهو كان اعلام الساعة على ما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال انا والساعة كهاتين اشار الى اصبعين
لقربها منه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تستعجلوه لانه لا منفعة لكم فيها فلما ذا تستعجلونه كقوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا
ماذا يستعجل منه المجرمون اذ لا منفعة لهم فيه بل فيه ضرر عليهم وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون سبحان هو كلمة اجلال الله يجريها
على السن اوليائه على تبرية قالت الحكمة فيه وتعاليه عن جميع ما نسبوا اليه من الولد والصاحبة والشريك وغيره من الاشباه والامثال
تعالى عن ذلك سبحان الله حرف يذكر على اثر شى مستبعد او مستعجب او مستعظم جوابا لذلك وهو ما ذكر على اثر وصف وقوله لا يليق
بالله من الولد والشريك ونحوه فقال سبحان الله على التنزيه مما وصفوه وقوله عز وجل ينزل الملائكة بالروح من امره قال بعضهم قوله
بالروح اى بالوحى الذى انزله على رسله والرحمة والروح الرحمة وهو الذى به نجاة كل من رحمه الله وحياه لدينه وهو ما ذكر حيث قال وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل الرسالة والنبوة وما ذكر ورسالته به حيوة الدين كما سمى الذى به حيوة الابدان ارواحا وقال الحسن قوله
بالروح من امره اى بالحيوة من امره وهو ما ذكرنا من حيوة الدين وقوله عز وجل على من يشاء من عباده اى على من يشاء ان يخص من عباده و
يختاره وهو مشية الاختيار وان كان غيره يصلح لذلك وفيه دلالة اختصاص الله بعضهم على بعض وان كان غيره يصلح لذلك وقوله
عز وجل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون على هذا الباب الرسل والانبياء عليهم السلام جميعا بالانذار والدعاء الى وحدانية الله وتوجيه
العبادة اليه وقوله ان انذروا هو صلة ما تقدم من قوله ينزل الملائكة ان انذروا ولا يوصل بآخره ثم يخرج على الاضمار اى انذروا وقولوا
انه لا اله الا انا فاتقون وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق قد ذكرنا تاويله بالحق في غير موضع انه لم يخلقهما وما فيهما عبثا انما
خلقهما لامر كاين للمحنة والجزاء ونحوه وقوله عز وجل تعالى عما يشركون من لا يخلق ولا ينفع ولا يضر ولا يدفع في الذى يخلق وينفع و
يضر ويدفع تعالى عن ذلك وتبرا وقوله عز وجل خلق الانسان من نطفة يذكرهم عز وجل نعمه عليهم وقدرته وسلطانه وعلمه لانه لو اجتمع
الخلايق كلهم على ان يدركوا المعنى الذى به تصير النطفة نسمة وانسانا ما قدروا عليه حيث خلق من النطفة انسانا على احسن تقويم واحسن
صورة وفيه نقض قول الدهرية حيث انكروا خلق الشى من لا شى لانهم لم يدركوا المعنى الذى به خلق الانسان من النطفة فيلزمهم ان يجوزوا
يخلق الشى من لا شى وان لم يشاهدوا ذلك ولم يدركوا وفيه دلالة البعث لان من قدر على انشاء الانسان من النطفة وليس فيها من آثار الانسان
شى يقدر على البعث والنشاء الاشياء لا من شى وقوله عز وجل فاذا هو خصيم مبين قال بعضهم الخصيم هو الذى يجادل بالباطل مبين
اى ظاهر يجادل به بالباطل ويخاصمه وقال بعضهم الخصيم هو الجدل الذى يجادل ايما كان قال ابو عوسجة الخصيم هو المخاصم كما
خصيم ويقال فلان خصمى بين ظاهر خصومته والخصيم هو الفعيل والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعا فكانه قال
فاذا هو خصيم مبين اى منقطع عن الخصومة بين انقطاعه وهو ما ذكر من خصومته في اية اخرى وانقطاع حجته حيث يقال اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم فهذا احتجاج عليه فاذا انقطعت
حجته وبهت الذى انكر قدرته على البعث حيث لم يتهيأ له جواب ما احتج عليه وقوله عز وجل والانعام خلقها لكم يحتمل قوله خلقها لكم
على انظار خلق هذه الاشياء لنا فيها دفء ومنافع كقوله هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه ويحتمل قوله والانعام خلقها اى هو خلقها ثم اخبر لنا فيها منافع يذكر انواع المنافع والنعم التى انعم علينا مفسرة مبينة واحدا بعد
واحد في هذه السورة وفي غيرها من السور وانما ذكرها بجملة غير مشار الى كل واحد منها على ما اشار ما في هذه السورة ليعرفوا شكرها و
ليعلموا قدرته على خلق الاشياء لا من الاشياء ثم قوله فيها دفء قال بعضهم الدفء نسل كل دابة وقال بعضهم ما ينتفع منه وقال القتبى الدفء
ما استدفات به ويشبه ان يكون تفسير الدفء والمنافع التى ذكرهما ما فسر في اية اخرى وهو قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الاية جعل الله عز وجل الانعام وما ذكر وقاية بجميع انواع الاذى من السماء و
غيره مما يهيج من الانفس من الحر والبرد والجوع وغير ذلك مما يكثر عددها ويطول ذكرها وجعل فيها منافع كثيرة من الركوب والشرب
والاكل كما قال ولكم فيها منافع وقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة الى اجل مسمى واخبر ايضا ان
فيها جمالا وزينة بقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فان قال قايل اى جمال يكون لنا فيها الا وقت الاراحة وحين السرح وقال بعض
اهل التاويل في ذلك انه اعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا اسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها وان يكون الجمال
عند الاراحة والسرح شرب البانها وقرى الضيف من البانها في الرواح والمسا وقال بعضهم ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك
انهم كانوا يسرون عند الاراحة والتسريح وذلك السرور يظهر في وجوههم فاذا ظهر ازداد لهم جمالا وحسنا وهكذا المعروف في الناس
انهم اذا سروا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد لهم بذلك جمالا واذا حزنوا واصابهم غم يورث ذلك الغم نقصانا في خلقتهم
فيزداد لهم قبحا وتشوها وقال بعضهم انهم اذا راحوها واسرحوها راى الناس ان اربابها اهل غنى واهل ثروة وانهم لا يحتاجون الى
غيرهم وان يكون لغيرهم اليهم حاجة فيكون لهم بذلك ذكر عند الناس وشرف وذلك الجمال لهم في الدنيا والجمال لهم فيها ظاهر لان ما يبسط

ويزين

ويزين لنا يتخذ منها ومن اصوافها وكذلك ما يلبس انما يكون منها وانما يبسط ويزين ويلبس للتجمل بها والله اعلم وقوله عز وجل
وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ذكر ايضا ما جعل فيها للناس من النعم ما يحمل من الاثقال من مكان الى مكان ومن
بلد الى بلد ما لم نكن انشا هذه اعنى الانعام التى اخبر انها تحمل اثقالنا الى ذلك بدونه الا بجهد وشدة وذلك والله اعلم ان الله جعل في هذه
الانفس حوايج وقواما بالا قوام لها الا بذلك فلعله لا يظفر بما به قوام النفس الا في بلد اخرى ومكان اخر فلو تحمل ذلك بنفسه لكان في ذلك
تلف نفسه وذهاب ما به قوامه فذكر انه خلق لنا ما يحمل به من بلد الى بلد ما به قوام انفسنا وحاجاتنا والله اعلم وقوله عز وجل
ان ربكم لرءوف رحيم اى من رحمته ورافته ما جعل لكم من المنافع في الانعام وما ذكر او ذكر هذا ليرحموا على هذه الانعام التى خلقها
لهم في الانفاق عليها والاحسان اليها وذكر فيه ومنها تاكلون وذلك الا يوصل الى اكله الا بالذبح ليعلم ان الذبح فيما يوكل ليس بخارج
من الرحمة والرافة وذلك ينقض على الثنوية قولهم انكروا ذبح هذه الاشياء ويقولون انهم يتالمون بالضرب والذبح والقتل كما تالمون انتم
فمن قصد قصد احدكم بالقتل فهو سفيه عندكم غير حكيم ولا رحيم بل موصوف بالفسادة والسفه فالله سبحانه موصوف بالحكمة و
الرحمة والرافة لا يجوز ان يامر بالذبح والقتل لهذه الاشياء اذ ذلك مما يزيل الرحمة والحكمة فيجاب لهم بوجوه احدها ان الله خلق هذا
البشر في هذه الدنيا للمحنة ولعاقبة قصدها اما ثوابا واما عقابا واخبر انه خلق هذه الاشياء لنا وجعل لنا فيها منافع نتامل ونقصد
و قد نجد في الشاهد من هو موصوف بالرحمة والرافة على نفسه يجرح نفسه الجراحات ويحمل عليها الشدايد والمكروهات لمنافع تقصد
وخير يتامل في العاقبة ثم لم يوصف بالسفه ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة المشربة
ما لو لم يتامل ما قصد من النفع والعاقبة في العاقبة ما يحمل تلك المكروهات والشدايد فدل ما وصفنا ان تحمل الاذى والالم والمكروه غير خارج
عن الحكمة والرحمة ولا الفعل بما فعل سفه اذا كان لمنافع تقصد في العاقبة وعاقبة تتامل فيبطل قول الثنوية ان ذلك مما يزيل الرحمة على
ان هذه الانعام والبهايم لم تخلق للمحنة وللجزاء في العاقبة ولكن خلقت لمنافع البشر فلهم الانتفاع بها في لحومها ودرها وحمل اثقالها
والانتفاع يظهر ذلك مع ما ذكرنا ان تحمل المكروه وهذه انواع الشدايد والالام لا يخرج الفعل عن الحكمة ولا يزيل الرحمة والرافة اذا قصد به
النفع في العاقبة وطمع فيه الخير وهذا يدل انه ابيح لنا الانتفاع بها والذبح على غير جعل حقيقتها لنا حيث لم يبح لنا اتلافها اذ لو كان
اصول الاشياء لنا لكان لا يمنع عن الاتلاف فدل انه ابيح لنا الانتفاع بها على غير جعل الحقيقة والاصول لنا فيبطل قول من يقول ان
الاشياء في الاصل على الحل والاباحة حتى يقوم ما يحظر قال ابو عبيد حين تريحون يقال منه اراحت الابل ريحا اراحة والاراحة عند الرواح
ان يصدر الرعاء مواشيها بالليل الى مراحها ولهذا يسمى ذلك الموضع المراح وقوله وحين تسرحون هو لخروجها الى المرعى يقال سرحتها
سرحا وسروحا وكذلك قال القتبى وابو عوسجة والدفء ما ذكرنا انه من الاستدفاء وقوله عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وقوله وزينة يحتمل وجهين احدهما ان الماشى هو دون الراكب والمشى يورث نقصانا في الوجه والركوب لا وذلك زينة على ما ذكرنا في
قوله ولكم فيها جمال والثانى ان الراكب اذا نظر الى الماشى سره ركوبه فالسرور يظهر في وجهه وذلك يزيد في حسنه وجماله ولعله ما ذكر عز وجل
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الاية والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة بين انه لماذا خلق الانعام وما جعل فيها وهو ما ذكر انه
جعل فيها الدفء والمنافع ومنها تاكلون وبين انه لماذا خلق الخيل وهو ما ذكر لتركبوها وزينة وسئل ابن عباس رضى الله عنه عن لحوم
الخيل فقرا والخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يقل لتاكلوها فكره اكلها لذلك وتمام هذا ان الله ذكر الانعام وما ذكر من النعم والانتفاع
بها وبالغ في ذكرها لانه قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الاية
وقال هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال
وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا الى اخر ما ذكر ذكر جميع ما ينتفع به من انواع المنافع ذكرا شافيا مبالغا غير مكتفى فدل ما
ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير على انه ليس فيها منفعة اخرى سوى ما ذكر وهو الركوب اذ خرج الذكر لها على المبالغة
والاستقصاء ليس على الاكتفاء ولو كان هنالك منفعة اخرى لذكر على ما ذكر في غيره والله اعلم والثانى من الاشياء اشياء يعرف جنسه
بنفاد الطباع والصبيان اول بلوغهم يرغبون في ركوبها لا احد يرغب في اكلها الا من غير طبعه عما كان مجبولا به فهو يرغب في اكله
من ترك وطبعه يستخبث وينفر طبعه عن اكله والله اعلم وروى عن جابر قال لما كان يوم خيبر اصاب الناس مجاعة واخذوا الحمر الانسية
فذبحوها فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الانسية ولحوم الخيل والبغال وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير و
حرم الخلسة والنهبة وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك قال اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر وعن اسماء بنت ابى بكر قالت نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه وفى بعض الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر واذن لنا في لحوم الخيل قلنا قد يجوز ان يكونوا اكلوه في الحال التى كان يوكل فيها الحمر
لان النبى انما نهى عن اكل لحوم الخيل حيث فقد يجوز ان يكونوا اكلوا لحم الفرس في حال الاباحة ولم يذكروا الوقت وعن الحسن قال
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكلون لحوم الخيل في مغازيهم وكان الحسن لا يرى فيها باسا على كل حال وقول الحسن انهم كانوا ياكلون
لحوم الخيل في مغازيهم يدل على انهم كانوا ياكلون في حال الضرورة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل الثلاثة فرس للرجل كذا و

لوجل اخر كذا وعلى رجل وزر ويبين انها لا تصلح لغير ذلك ولو صلحت للاكل لقال الخيل لاربعة ولقال ولرجل طعام ومما يبين ما ذكرنا
ان البغل حرام وهو من الفرسة فلو كان امه حلالا كان هو ايضا حلالا لان حكم الولد حكم امه لانه منها وهو كبعضها فمن حرم لحم
البغل لامه ان يحرم لحم الفرسة في حكم النظر والمقاييس الا ترى ان حمار وحش لو نزى على حمارة اهلية لم يوكل ولدها ولو ان حمارا
اهليا نزى على حمارة وحشية فولدت اكل ولدها الا ترى انه جعل حكم الولد حكم امه ولم يعتبروا بالفحل فلما كان لحم البغل حراما
وجب ان يكون لحم الفرسة كذلك الا ان ابا حنيفة رحمه الله كان لا يطلق تحريم اكلها لما فيها من الشبهة والاختلاف والاحاديث
المروية عن رسول الله لكنه ذكر الكراهة للشبهة التي فيها وكان ابو يوسف رحمه الله يبيح اكلها وقد يجوز ان يحتج لابي يوسف
في الفرق بين المولود من الفرسة وبين ولد الحمار الوحشية اذا نزى عليها حمار اهلي بان ولد الحمار لم يتغير عن جنس امه فحكمه حكمها و
البغل ليس من جنس امه هو من جنس ثالث فلذلك لم يكن سبيلها سبيله والله اعلم وقوله عز وجل ويخلق ما لا تعلمون اخبر انه
يخلق ما لا نعلم فليس لنا ان نتكلف في علم ذلك او يخلق من النعم فيما خلق ما لا تعلمون انتم انها نعم او قال يقول قوم ان ليس لله
ان يخلق شيئا الا يطلعه الممتحن وقوله عز وجل وعلى الله قصد السبيل اختلف فيه قال بعضهم اي على الله بيان قصد السبيل وهو
الهدى يبين الهدى من الضلالة ويبين من السبل التي تفرقت عن سبيله كقوله ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ومنها جائر اي
عليه بيان ما يجوز منها قصد السبيل بقول ويجادل ويقال وبالله يوصل الى قصد السبيل وقال بعضهم وعلى الله اي وبالله يوصل
بقصد السبيل وهي السبل التي ذكرنا ومنها جائر كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقال بعضهم طريق الحق
بالله وقد يستعمل حرف على مكان له وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم وكقوله تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين ومنها جائر وهي السبل المتفرقة عن سبيله وقوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين قد ذكرنا تاويله وقوله ولو شاء
لهديكم اجمعين يخرج على وجهين احدهما لو شاء اكرم الخلق كله اللطف الذي اكرم اولياءه فاهتدوا به فيهتدون والثاني لو شاء لاعطاهم جميعا
الحال التي يكون بها الاهتداء وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية ما ذكرنا لا يستقيم الا ان كان ذلك مع الكفار ولكفروا جميعا
وانا كان تلك الحال للمسلمين لا يسلمون وقوله عز وجل هو الذي انزل من السماء ماء موصول بقوله خلق السموات والارض بالحق وقوله
خلق الانسان من نطفة وقوله والانعام خلقها لكم والخيل والبغال يقول الذي خلق لكم ما ذكر من الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر هذا يحتمل ما ذكرنا انه انزل من السماء ماء لنا ثم اخبر انه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي انزل من السماء ماء ثم اخبركم
منه شراب ومنه شجر ثم يحتمل قوله منه شراب جميع ما يشرب من الاشربة اذ منه تكون منه الاشربة جميعا وجميع الاشياء ويحتمل منه شراب
الماء خاصة ومنه شجر الشجر معروف هو الذي يعلو ويرتفع في الارض ولا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه الارض شجرا فظاهر هذا ان
يرجع الى ذلك المعروف الا انه ذكر شجر فيه تسيمون اي ترعون دل هذا انه انما اراد بالشجر المنبسط على وجه الارض والمرتفع عليها وقال
القتبي السائمة الراعية وكذلك قال ابو عوسجة وقال ابو عبيدة اسمت سائمتي اي رعيتها وكذلك قوله والخيل المسومة اي الراعية وقوله
عز وجل ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات اي تنبت لكم بالماء الذي ذكر انه انزل من السماء الزرع والزيتون و
جميع ما ذكر جعل الله بلطفه الماء لقاح كل الاشياء المختلفة والمتفقة ليس كغيره من الدواب حيث لا يحتمل اللقاح شيء من جنس اخر انما جعل لقاح
كل نوع من نوعه وجعل في الماء بلطفه سرية توافق جميع الاشياء المختلفة لو اجتمع الخلائق على ادراك ذلك وان اجتهدوا لم يقدروا عليه و
يعرفون الماء ظاهرا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف والسرية الذي به يكون حيوة كل احد وموافقته وقوله عز وجل ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون ذكر ان فيه اية لقوم يتفكرون ولم يذكر انه لماذا ولكنه ذكر انه اية لقوم يتفكرون بالتفكر يعرف انه اية لماذا وهذا
يدل على الاشياء التي غابت عنا ظواهرها بالتفكر والنظر ندرك وقوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وما
ذكر ووجه تسخير هذه الاشياء لنا وهو ان الله خلق هذه الاشياء وجعل فيها منافع للخلق تتصل تلك المنافع الى الخلق شئن او ابين
احيينا وكون جعل في النهار معاشا للخلق وتقلبا فيه يتعيشون ويتقلبون وجعل الليل راحة لهم وسكنا ينتفعون بهما شاءوا او ابوا وكذلك
ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من انضاج الفواكه والثمرات وادراك الزروع وبلوغها ومعرفة الحساب والسنين والاشهر
ومعرفة الطرق والسلوك بها وغير ذلك من المنافع ما ليس في وسع الخلق ادراكه ينتفع الخلائق بما جعل فيها من المنافع شاءت هذه الاشياء او ابت
فذلك وجه تسخيرها لنا ويحتمل ما ذكر من تسخير هذه الاشياء لنا ما جعل في وسعنا استعمال هذه الاشياء والانتفاع بها والحيل التي بها نقدر
على استعمالها في حوائجنا ويحتمل تسخيرها لنا ما ينتفع به من شئن او ابين بالطباع والله اعلم وقوله عز وجل مسخرات بامره يحتمل وجهين يحتمل
اي بامره تنتفع الخلائق ويحتمل بامره اي كونها في الاصل هكذا بان تنتفع الخلق والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
قال في الاية الاولى لقوم يتفكرون جعل الله عز وجل التفكر سبيلا للعقول الى ادراك المغيبة بالحواس الظاهرة اذ لا سبيل للعقل
الى ادراك ما غاب عنه الا بالحواس الظاهرة لا يدركه العقل فجعل الحواس الظاهرة سبيلا للعقول الى درك المغيب فيما ذكر عز وجل في الاية الاولى
لقوم يتفكرون وذكر في الاية الثانية لقوم يعقلون وفي الاية الثالثة لقوم يذكرون وفي الرابعة لقوم يشكرون فهو والله اعلم كذا
لها مراتب لانه بالتفكر فيها يعقل ويعلم ثم بعد العلم والعقل والفهم يتذكر واذا تذكر عند ذلك شكر نعمه ثم قوله ان في ذلك لايات لقوم

ويتفكرون

يتفكرون وما ذكر فيه دلالة وحدانية الله تعالى ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته ودلالة بعث الخلائق ودلالة قدرته وسلطانه لان
الليل والنهار ياتيان الجبابرة والفراعنة ويذهبان بعزهم ويفنيانهم شاؤا او ابوا فذلك اية سلطانه وقدرته ليعلم ان له السلطان والقدرة
والعلم وفيهما دلالة البعث لانه اذا اتى هذا ذهب الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم ينشئ مثله بعد ما لم يبق من الاول شيء ولا اثر فالذي قدر على انشاء
النهار والليل بعد ما ذهب اثره ولا شيء لقادر على انشاء الخلق بعد ما ذهب اثرهم وكذلك الشمس والقمر والنجوم وما ذكرنا انه على سنن
واحد وتقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تفاضل وعلى غير تقديم ولا تاخير بل يجري كله على واحد وتقدير واحد وميزان واحد من فيه دلالة
ولا اختلاف دل انه على تدبير واحد خرج ذلك لا على الجزاف وان مدبر ذلك كله واحد ولو كان تدبير عدد لخرج مختلفا متفاوتا فدل انه تدبير
واحد لا عدد وانه على تدبير غيره خرج وجرى كذلك لا بنفسه وانه على حكمة وعلم جرى كذلك فيدل على لزوم الرسالة والعبادة له فهذا والله
اعلم تاويل قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقوله عز وجل وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه او مختلفا اصنافه وجواهره يخبر عن
عن قدرته وسلطانه ونعمه التي انعمها عليهم اما سلطانه وقدرته ما خلق في الارض وانبت فيها بالماء لم يرجع الى جوهر الارض وجنسها
ولا الى جوهر الماء وجنسه وهما كالوالدين الماء كالاب والارض كالام فلم يرجع ما خرج منهما من جنسهما ولا من جوهرهما كما كان في سائر الاشياء
يرجع التوالد منها الى جنس الوالدين وجوهرهما بل يرجع التوالد والمنشو من الارض والماء الى جنس البذر وجوهره ليعلم قدرته وسلطانه
الى انشاء الاشياء باسباب وبغير اسباب ومن شيء ومن لا شيء ويذكر نعمه حيث اخبر انه خلق في الارض من الاصناف المختلفة والجواهر
المتفرقة لينتفعوا بها ويحتمل قوله مختلفا الوانه من جنس واحد من شيء واحد لانه يكون من جنس واحد الوان مختلفة ومن قدر على انشاء
الوان مختلفة من شيء واحد لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وفي اية لقوم يعقلون وفي اية لقوم يتفكرون
وفي اية اخرى لكل صبار شكور وللمتوسمين وفي اية للمؤمنين فيحتمل ان يكون كله كناية عن المؤمنين كانه قال ان في ذلك لاية للمؤمنين اذ يجمع
الايمان جميع ما ذكر من التفكر والتذكر والعقل والاعتبار والصبر والشكر وغيره ويحتمل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ويعقلون ويذكرون
اي لقوم همتهم التفكر والنظر في الايات ولقوم همتهم التفهم والاعتبار فيها لا لقوم همتهم العناد والمكابرة والاعراض عن النظر في الايات
والتفكر فيها وفي ذكر الاية للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين لما منفعة الاية تكون لهؤلاء وان كانت الايات لهم ولغيرهم فنفعتها لمن ذكر والله
اعلم وقوله عز وجل وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتسخيره اياه لنا هو ما بذل للخلق ما فيه من انواع الامور التي خلق الله فيه
من الحلي والجواهر واللؤلؤ وبذل ما فيه من الدواب السمك وغيره فلولا تسخيره اياه للخلق وتعليمه اياهم الحيل التي بها يوصل الى ما فيه من
الاموال النفيسة والامتعة والا ما احتال استخراج ما فيه والوصول اليه لشدة اهواله وما فيه وقوله عز وجل لتاكلوا منه لحما طريا يحتمل السمك
خاصة ويحتمل السمك وما فيه من الدواب من نوع ما يؤكل بريا لكل من نحو الجواميس وغيرها وقوله عز وجل وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
يحتمل الحلية اللؤلؤ والمرجان الذي ذكر في اية اخرى حيث قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ثم يحتمل قوله حلية اي ما يتخذ منه حلية وهذا جائز
ان يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير به في المتعقب ويسمى حلية لانه زينة ولا شك ان اللؤلؤ والمرجان هما زينة وجمال وفي الجلال
الابدال كذلك فالزينة في اللؤلؤ والمرجان اكثر والجمال فيه اظهر اخبر انه جعل لنا الوصول الى ما في قعر البحر وهو ما ذكر من اللؤلؤ وانواع
الحلي وما في بطن البحر وهو ما ذكر من اللحم الطري وما هو على وجه الماء وهو السفن التي ذكر ووجه تسخيره ايانا الحيل والاسباب التي علمنا
حتى نصل الى ما فيه فكانه قال سخرت لكم البحر من اسفله الى اعلاه وفي ذلك دلالات احدها اباحة التجارة بركوب الاخطار لان الغائص في
البحر يخطر بنفسه وروحه وكذلك راكب السفن فلولا انه يباح له طلب ذلك والا ما ذكر هذا في منته اذ هو يخرج مخرج ذكر الامتنان والافضال
وقوله عز وجل وترى الفلك مواخر فيه قال الحسن والاصم المواخر السفن المشحونات الوافرة احمالها وانما يذكر منة الرحمن بها عليهم حيث
جعل لهم السفن والفلك التي يحمل بها الاحمال الثقال العظام في البحار ما سبيلها الشغل والاجهاد في البحر فاسكنها فيه بالسفن العظام الثقال
وقال بعضهم مواخر اي جارية مقبلة مدبرة بريح واحدة في البحر لان ماء البحر راكد فاجرى السفن فيه بالرياح حيث اراد وقصدوا الى الاشياء
تجري على جري الماء اذا كان له جرية واما اذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل الى ذلك فيذكر عظيم منته وقدرته على اجراء السفن في الماء الراكد
بالريح وقال بعضهم مواخر اي جواري تشق الماء شقا وتخرقه يقال مخرت السفينة ومنه مخر الارض انما هو شق الماء لها وهو قول القتبي
وكذلك قال ابو عبيدة انه من شق السفن الماء وقال ابو عوسجة المواخر المستقبلة يقال استمخر الانسان الريح اذا استقبلها وقال ابو عبيد
مواخر من الاستدبار يقال اذا اراد احدكم البول فليستمخر الريح اي يستدبرها والله اعلم وقوله عز وجل ولتبتغوا من فضله يحتمل بالتجارة
التي جعل فيها حيث جعل سبيل قطع البحار الى بلاد نائية بعيدة بالسفن لتبتغوا ما به قوام ابدانهم وبنيتهم في بلادهم فيحتاجون الى البلاد
النائية البعيدة فمن عليهم بذلك كما من بقطع المفاوز والبراري بالدواب بقوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
او قال ولتبتغوا من فضله بما يستخرج منه ولعلكم تشكرون جميع ما ذكر من الوان النعم والمنافع من اول السورة الى اخرها بما تتأدى به شكره
وفي قوله ولتبتغوا من فضله دلالة اباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدائد حيث اخبر انه سخر البحر حتى
امكنهم ركوبه بالحيل والاسباب التي علمهم لان الغائص يخطر بروحه ونفسه وكذلك راكب السفينة وقوله عز وجل والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم اي القى في الارض رواسي لئلا تميد بكم لانها بسطت على الماء فكانت تتكفأ باهلها كما تتكفأ السفينة على الماء

فاثبتها بالجبال لئلا تميد باهلها لكن لو كان على ما ذكروا انها بسطت على الماء لكانت لا تكفو ولا تضطرب ولكنها تسرب في الماء وتزداد فيه لان من طبعها التسفل والتسرب في الماء الا ان يقال ان الله عز وجل جعل بلطفه طبعها طبع ما يضطرب ويكفو فعند ذلك يحتمل ما ذكروا والله اعلم ولو قالوا انها بسطت على الريح لكان يحتمل ما قالوا ويكون اشبه بقولهم الا ترى ان السراج في الاناء والشروب لا يطفئ بل ينطفئ كما اسرج فيشبه ان يكون انطفاؤه لريح يكون في الارض وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم بذلك و قال بعضهم بسطت على ظهر الثور فكانت تضطرب بتحركه فارسيها بما ذكروا والله اعلم ثم قوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم و انهارا وسبلا يخرج ذكر ذلك منه ذكر الامتنان والنعمة لان له ان يترك الارض على ما خلقها ولا يثبتها بالجبال لتميد باهلها ويقلبها فلا يقدروا على القرار عليها والانتفاع بها لكن بفضله ومنه اثبتها بالجبال ليقروا عليها ويقدروا على الانتفاع بها وكذلك له ان لا يجعل لهم فيها انهارا جارية فيكون سقاهم من انارها وكذلك له ان يحوجهم بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التي بها يصلون الى قضاء حوائجهم وتكليفهم طلب الطرق والسبل التي بها يصلون الى قضاء حوائجهم بتكليفهم طلب الطرق والسبل التي بها يقضي حوائجهم بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل لكن بفضله ومنه بين لهم الطرق والسبل التي تفضي الى البلدان والامكنة التي فيها تقتضي حوائجهم وكذلك بفضله جعل لهم في الارض انهارا جارية واثبت الارض بالرواسي ليقروا عليها وذلك كله بمنه وفضله **وقوله** عز وجل لعلكم تهتدون الطرق والسبل التي تقضيهم الى الحوائج ويحتمل تهتدون الهدى المعروف بما ذكر من نعمه ومنته والله اعلم **وقوله** عز وجل وعلامات وبالنجم هم يهتدون هذا ايضا يخرج مخرج ذكر المنن والنعم عليهم لانه لو ما جعل الله اعلاما في البحار والبراري يعرفون بها السلوك فيها والا لم يقدر احد معرفة الطرق في البحار والبراري ثم يحتمل الاعلام مرة بطعم الماء والجبال التي جعل فيها وبالرياح ومرة تكون بالنجم يعرفون بطعم الماء ان هذا الطريق يفضي الى موضع كذا وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح يعرفون السبل الى حوائجهم ومقصودهم وكذلك بالنجم يعرفون الطرق فالاعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل ويحتمل يهتدون بما ذكر من الاعلام والنجم سبب اهتدائهم الى توحيد الله **وقوله** عز وجل افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون يحتمل هذا وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم اي لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا ينعم كمن هو خالق الاشياء كلها منعم النعم عليكم افلا تذكرون ان صرف العبادة والشكر الى غير خالقكم وغير منعمكم جور وظلم والثاني يخرج مخرج تسفيه احلامهم انهم يعبدون من يعلمون انه ليس بخالق ويتركون عبادة من يعلمون انه خالق الاشياء كلها افلا تذكرون والله اعلم **وقوله** عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا يحتمل وجوها احدها وان تعدوا انفس نعمة الله التي انعمها عليكم واعينها لا تقدروا على عدها لكثرتها والثاني وان تعدوا وان تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم ان تقوموا الشكر لما انعم الله عليكم ومن ما قدرتم على القيام لشكر واحد منها فضلا ان تقوموا للكل والثالث يخرج على العتاب والتوبيخ اي كيف فرغتم لعبادة من لا يخلق ولا ينعم عن عبادة من خلق وانعم وكنتم لا تقدرون على احصاء ما انعم عليكم فضلا ان تقوموا الشكر وقال الحسن في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تعرفوا كل النعم لانه كم من النعم ما لا يعرفه الخلق كقوله نعمة ظاهرة وباطنة فاذا لم يعلموا لم يقدروا احصاءها **وقوله** عز وجل ان الله لغفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما انكم وان افتريتم على الله وعاندتم حججه وآياته وكذبتم رسله فاذا استغفرتم وتبتم عما كان ذلك منكم يغفر لكم ذلك كله كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والثاني لغفور اي يستر عليكم ما كان منكم ما لو اظهر ذلك لافتضحتم لكنه برحمته ستر ذلك عليكم رحيم بالستر عليكم او ذكر لغفور رحيم على اثر ذكر النعم وانواع المنافع ليكونوا رجاء على ما ذكر مما سخر لنا واذل والله اعلم **وقوله** عز وجل والله يعلم ما تسرون وما تعلنون هذا يخرج على وجهين احدهما ذكر هذا ليكونوا ايقظ واحذر لان في الشاهد من يعلم ان عليه رقيبا حافظا بما يفعل كان هو ارقب واحفظ لافعاله ويكون احذر ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب والثاني يعلم ما تسرون من المكر برسول الله والكيد له من القتل والاخراج وغير ذلك كله منكم ما اسررتم واعلنتم وهو يخرج على نهاية الوعيد والتعيير **وقوله** عز وجل والذين يدعون من دون الله يحتمل يدعون الى سبيلها الهة ورجاء كانوا يدعونهم عند الحاجة ويحتمل يدعون يعبدون اي الذين يعبدون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فهذا يرجع الى الاول افمن يخلق كمن لا يخلق **وقوله** عز وجل اموات غير احياء الاية يحتمل المراد بقوله اموات غير احياء الذين عبدوا الاصنام و الاوثان وجميع من كفر بالله هم اموات غير احياء لان الله تعالى سمى الكافر في غير آي من القرآن ميتا فيشبه ان يكون قوله اموات غير احياء ايضا وما يشعرون ايان يبعثون اي يشعرون حين يبعثون اي لو شعروا في الدنيا ما شعروا في الاخرة لم يعملوا ما عملوا ويحتمل قوله اموات غير احياء الاصنام التي عبد وهاهنا اموات غير احياء قال بعضهم اموات لانها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر كالميت غير احياء اي ليس فيها ارواح ينتفع بها كالبهائم والانعام ويكون قوله وما يشعرون ايان يبعثون راجعا الى الذين عبدوا الاصنام لانها لا تشعر ايان يبعثون وهم يعلمون انها لا تشعر لكن هم يشعرون حين يبعثون وقال بعضهم قوله وما يشعرون ايان يبعثون يبعث الالهة والذين عبدوها جميعا كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وقال بعضهم

يحشر اولئك الذين عبدوا والاصنام وما يشعرون هم ايان يبعثون اي حين يبعثون وما شعروا ذلك في الدنيا ما فعلوا ما فعلوا وان كان قوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون راجعا الى الملائكة والملوك الذين عبدوا دون الله هو يكون تاويل قوله وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون وقت يبعثون وان كان راجعا الى الاصنام فتاويله وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون انهم يبعثون [illegible] لا يخلقون ان يكون قوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ان يقال ذلك في الاصنام لانهم [illegible] يخلقون انهم لا يخلقون وانما يقال ذلك في الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع فذلك راجع الى الملائكة والذين عبد **وقوله** عز وجل الهكم اله واحد قد ذكرنا فيما تقدم ما يبين ابطال ما كانوا يعبدون وما لا يليق بامثالها العبادة هاهنا ونصب لهم ثم ذكر ما يبين جعل الالوهية والربوبية انه لواحد وانه هو المستحق لذلك دون العدد والذي عبدوها فقال الهكم اله واحد لا العدد والذي عبدتم ذلك **وقوله** عز وجل فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة يحتمل قوله قلوبهم منكرة اي منكرة للايمان بالاخرة والبعث بعد الموت او قلوبهم منكرة لجعل الالوهية والربوبية لواحد وصرف العبادة اليه كقولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ويحتمل قوله قلوبهم منكرة لما جاء به الرسول وهم مستكبرون عما جاء به **وقوله** عز وجل وهم مستكبرون ويحتمل مستكبرون على رسول الله لم يروه اهلا للخضوع لامثالهم ومستكبرون على ما دعاهم الرسل الى الرسل جميعا دعوا الخلق الى وحدانية الله وجعل العبادة له **وقوله** عز وجل لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون قوله ما يسرون من المكر برسول الله والكيد له وما يعلنون من الظاهر عليه او جميع ما يسرون من اعمالهم الخبيثة التي اسروها وما علنوها [illegible] لا يخفى عليه شيء من اعمالهم اسروا او علنوا وقوله لا جرم قال الاصم كلمة تستعملها العرب في الجواب يحقق او نفي يحقق كقولهم حقا ولعمري دايم الله ونحوه وقال الحسن هو كلمة وعيد وقال بعضهم لا جرم حقا وبلى ولا بد وكلمة في الحاصل وجوابها واحد وهو وعيد لان قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد والله اعلم **وقوله** عز وجل انه لا يحب المستكبرين لانه لا يحب الاستكبار لانه لا يليق الاستكبار الا بمن يكون على صنوف من الخلق لان الخلق كلهم اشكال وامثال ولا يجوز لذي شكل وشكل ان يتكبر على شكله لانه يكبر على صنوف من الخلق لان الخلق كلهم اشكال وامثال ولا يجوز لذي شكل وشكل ان يتكبر على شكله لان تكبر بعض على بعض كذب وزور والله جعلهم كلهم امثالا واشكالا لذلك كان ذلك زورا وكذبا وقوله الكبرياء الكذب والزور وجعله قبيحا في العقول **وقوله** عز وجل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين اي قالوا الاتباع للرؤساء ماذا انزل ربكم قال الرؤساء انزل اساطير الاولين جواب سؤالهم ماذا انزل ربكم [illegible] فلا يحتمل ان يكونوا سالوا ماذا انزل ربكم فيقولون اساطير الاولين الا ان يكون في السؤال زيادة قوله في الجواب اضمار يكون والله اعلم كانه قال اذا قيل لهم ماذا انزل ربكم هذا الذي تزعم انزل عليه ربكم قالوا [illegible] اساطير الاولين وقالوا انها انزل عليه الذكر [illegible] اساطير الاولين [illegible] **وقوله** اساطير الاولين قال بعضهم احاديث الاولين والواحد اسطور والاحاديث المختلفة [illegible] ان هذا الاختلاف في انه لا اصل له واصله الكذب وهكذا عادة [illegible] الكفرة يقولون لا انبياء اساطير الاولين كانوا ينسبون ما يقرأ عليهم الى السحر ولو كان في الحقيقة سحرا واحاديث الاولين كان لا يليق له وقالوا ذلك على الاستهزاء وذلك جائز يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء والله اعلم **وقوله** عز وجل ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم هذا يحتمل احدهما انهم يحملون اوزارهم كاملة يعني الذين قالوا للرسل [illegible] الاولين ومن اوزار الذين يقلدونهم [illegible] السؤال عن رسول الله تحملا وزرا انفسهم ووزر الذين يقلدون الرسل ويقتدون بهم بغير علم لانهم لا يعلمون [illegible] يقتدون و بالرسل فيضلون وهم وان لم يعلموا فذلك عليهم لانهم هم الذين سنوا ذلك وهو كما روي من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ويحتمل ليحملوا اوزارهم ومن اوزار الذين طمعوا الاسلام اذا اسلموا اسقط ثقلها وزادهم **وقوله** ليحملوا اوزارهم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا اوزارهم ولكن معناه والله اعلم اي لتصيروا حاملين لاوزار الذين اضلوهم **وقوله** عز وجل بغير علم يحتمل بغير علم اي بسفه الا ساء ما يزرون اي ساء ما يحملون وقوله بغير علم اي لم يعلموا ان يحملوا اوزارهم عليهم او لم يعلموا ما يلحق بهم **وقوله** عز وجل قد مكر الذين من قبلهم لم يزل كانت عادة الكفرة بالمكر برسل الله والكيد لهم وكذلك مكر كفار مكة برسول الله يذكر هذا والله اعلم لرسول الله ليصبر على اذاهم اياه كما صبر اولئك على مكر قومهم وترك مكافاتهم اياهم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم مكرهم الذي ذكر كان يخرج على وجهين احدهما فيما جاءت به الرسل كانوا يتكلفون تلبيس ما جاءت به الرسل على قومهم والثاني يرجع مكرهم الى انفس الرسل من الهم بقتلهم واخراجهم من بين اظهرهم ونحوه ويخوف بذلك اهل مكة بصنيعهم لرسول الله ان ينزل بهم كما نزل باولئك الذين مكروا برسلهم لئلا يعاملوه بمثل معاملة اولئك رسلهم والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد قال الحسن هذا على التمثيل بالبناء الذي بني على غير اساس يهدم ولا يعلم من اي سبب انهدم فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى كالبناء الذي بني على غير اساس ويشبه ان يكون على التمثيل من غير هذا الوجه وهو انهم تركوا واحكموا مكرهم ثم يتحصنون بذلك كالبناء الذي يتحصن به فابطل الله مكرهم كقوله

مكروا ومكرنا مكرا الاية وقوله ومكروا ومكر الله الاية وقوله عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم هو ما ذكرنا من ابطال مكرهم الذى بكانوا
يحصنون كوقوع السقف الذى به يتحصن من انواع الاذى والشرور ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من الخسف وتقليب البنيان و
انقياد الحجر عليها وانا ماذكر بعض اهل التاويل من الصرح الذى بنى نمرود وبنيانه ووقوعه عليهم فانا لا نعلم ذلك وقوله عز وجل واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون وكذلك كان ياتى العذاب الظلمة الكذبة من حيث لا علم لهم بذلك كقوله فاخذناهم بغتة الاية وقوله فاتى الله بنيانهم هو
من الاتيان ومعلوم انه لا يفهم من اتيانه الانتقال من مكان الى مكان ولكن اتيان عذابه اضيف اليه الاتيان لما بامره ياتيهم ومنه
نحو ذلك لا يفهم من قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله فى ظلل الاية اتيان الانتقال ومجيئه من مكان الى مكان وقد
ذكرنا هذا وامثاله فى غير موضع وقوله عز وجل ثم يوم القيمة يخزيهم اخبر انه يخزيهم يوم القيمة بعد ما عذبهم فى الدنيا بقوله واتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون وقوله يخزيهم قال اهل التاويل يعذبهم وكان الاخزاء هو الاذلال والاهانة والفضيحة يذلهم ويهينهم و
يفضحهم فى الاخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبر على النبى واصحابه وكذلك قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا اى لا
يذلهم ولا يهينهم لتواضعه للمؤمنين وخفض جناحه لهم والله اعلم وقوله عز وجل ويقول اين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم اى تعادون
اولياءى فيهم او تعادوننى فيهم وقوله اين شركاى ليس له شركاء ولكن اضافه الى نفسه شركائى على ما زعمتم فى الدنيا انها شركاؤه وكذلك
قوله فراغ الى الهتهم اى الى ما زعمهم وتسميتهم اياها الهة وقوله عز وجل كنتم تشاقون فيهم اى كنتم تخالفون فيهم وتعادون او تخالفون
المؤمنين فى عبادتهم اياها لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه كانوا يخالفون المؤمنين وكانوا
يشاقون فى ذلك الا انه اضاف ذلك الى نفسه لانهم اولياؤه واضافه ردهم على رسول الله واضاف اليه المخالفة والمشاقة لانهم خالفوا امر الله وقوله
قال الذين اوتوا العلم قال اهل التاويل الذين اوتوا العلم الملائكة الكرام الكاتبون وهم غيرهم من المؤمنين يحتمل وقوله عز وجل ان الخزى اليوم والسوء
على الكافرين اى الذل والهوان والافتضاح وكل سوء على الكافرين هكذا يقابل كل معاند ومكابر فى حجج الله وبراهينه مكان استكبارهم وتجبرهم
فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة قال الحسن تتوفاهم الملائكة من بين يدى الله يوم الحساب الى النار وقال بعضهم تتوفاهم
الملائكة وقت قبض ارواحهم ظالمى انفسهم بالشرك والكفر بالله على تاويل الحسن يكون قوله ظالمى انفسهم فى الدنيا ويجوز ان يوصفوا بالظلم
فى الاخرة ايضا بكذبهم فيها فى قولهم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثاله من الكذب حيث ينكرون الاشراك فى الوحدانية
وعبادة كان هذا الانكار والكذب منهم فى اول حالهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم فاذا لم ينفعهم انكارهم طلبوا الرد الى الدنيا او الى
حال الامن ليعملوا غير الذى عملوا كقولهم او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل فاذا لم يردوا وايسوا عن ذلك فعند ذلك انطق الله جوارحهم
حتى تشهد عليهم بما كان منهم فعند ذلك يقرون ويعترفون بذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة
فالقوا السلم قال بعضهم يسلمون ويستسلمون لامر الله ولكن لو كان ما ذكر والم يكونوا ينكرون عمل السوء كقولهم ما كنا نعمل من سوء وقال
بعضهم فالقوا السلم هو الاستخذاء والخضوع والتضرع ويشبه ان يكون قوله فالقوا السلم عند الموت يؤمنون عند معاينة ذلك
او سلموا عليهم فى الاخرة على ما اداوا فى الدنيا المؤمنين يسلم بعضهم على بعض وقوله عز وجل ما كنا نعمل من سوء فى الاخرة والله اعلم بذلك
فاكذبهم الله فى قولهم ما كنا نعمل من سوء فقال بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون وهذا وعيد يخبران لا يجوز كذبهم فى الاخرة ولا يحتمل كما جاز
فى الدنيا ولم يظهر وقوله عز وجل فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها وقوله فلبئس مثوى المتكبرين اى بئس مقام المتكبرين الذين تكبروا
على دين الله وتكبروا على ما جاء به الرسل من الله وما انزل الله عليهم وقوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قال اهل
التاويل هذا قول المؤمنين مقابل قول المشركين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ثم اختلف فى قوله قالوا خيرا قال بعضهم
قوله قالوا خيرا اى قولهم الذى قالوا انه ارسل بحق وانه كان خيرا وقال بعضهم قوله قالوا خيرا حكاية عما انزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخيرا اى انزل عليه ربنا خيرا او ان يكون الناس الذى ياتون من الافاق يسالون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سالوا
المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا واذا سالوا الكفرة قالوا اساطير الاولين ويجوز ان يكون اتباع المؤمنين سالوا كبراءهم ماذا انزل
ربكم قالوا خيرا مقابل ما كان من كبراء الكفرة لاتباعهم اساطير الاولين وقوله عز وجل للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة من النصر لهم
والظفر على عدوهم ولدار الاخرة خير لهم مما كان اعطاهم فى الدنيا وقال بعضهم للذين احسنوا العمل فى هذه الدنيا لهم حسنة فى الاخرة
ولدار الاخرة خير لهم مما كان اعطاهم فى الدنيا اى الجنة خير وافضل للمؤمنين مما اوتوا فى الدنيا ولنعم دار المتقين قال هذا للمؤمنين
مكان ما قال للكافرين فلبئس مثوى المتكبرين ثم نعت الدار التى وعد للمتقين فقال جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن من اللذات والشهوات فان قيل ارايت لو شاؤا ان يكون لهم درجات الانبياء ومنازل الابرار والصديقين
ايكون لهم ما شاؤا قيل لا يشاؤن هذا لان مثل هذا انما يكون فى الدنيا اما حسدا واما تمنيا فلا يكون فى الجنة حسد لان الحسد هو
ان يرى لاحد شيئا ليس له فيحسد او يتمنى مثله فاهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون ويخطر ببالهم فلا معنى لسؤالهم ربهم ما ليس لهم والله
اعلم وقوله عز وجل كذلك يجزى الله المتقين ظاهر وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة طيبين على تاويل الحسن تتوفاهم الملائكة
وهم طيبون من بين يدى الله يوم الحساب يقولون لهم سلام عليكم ادخلوا الجنة وقد ذكرنا ان السلام هو تحية يجعل الله بين الخلائق

فالدنيا

فى الدنيا والاخرة وقد ذكرنا فى غير موضع وقال بعضهم الذين تتوفاهم الملائكة تقبضهم الارواح فى الدنيا يقبضون ارواحهم
وهم طيبون وقال بعضهم طيبون احياء وامواتا وهم المؤمنون الذين طابت اعمالهم فى الدنيا يحتمل السلام وجهين احدهما تحيتهم الملائكة
بالسلام فى الجنة كما يحيا اهل الايمان فى الدنيا بعضهم بعضا والثانى السلام يكون منهم اى عن جميع الافات والمكروهات والله اعلم
وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر ربك هذا الحرف يخرج مخرج على الاياس من ايمانهم اى ما ينظرون
لايمانهم الا وقت قبض ارواحهم او وقت نزول العذاب عليهم اى لا يؤمنون الا فى هذين الوقتين ولا تنفعهم ايمانهم فى هذين الوقتين
لان ايمانهم ايمان اضطرار كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته يؤمنون
عند معاينتهم باس الله لكن لا ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت يخبر انهم ينظرون ذلك الوقت يؤيس رسوله عن ايمانهم لما علم انهم لا يؤمنون
ليرفع عنه مؤنة الدعاء الى الايمان والقتال معهم وقوله او ياتى امر ربك يحتمل العذاب فى الدنيا ويحتمل عند معاينتهم العذاب فى الاخرة
وقوله عز وجل كذلك فعل الذين من قبلهم هذا يحتمل وجهين احدهما كذلك فعل المعاندون والمكابرون والذين كانوا من قبل من
من التكذيب لهم والعناد وتركهم الايمان الى الوقت الذى ذكر كما فعل قومك من التكذيب لك يا محمد والعناد ويحتمل كذلك فعل الذين
من قبلهم اى هكذا انزل العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمهم الله با
عذابهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث وضعوا انفسهم فى غير موضعها الذى وضعها الله وحيث صرفوها عن عبادة من نعمهم
وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة بحال فهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن عبادة من
نعمهم وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة بحال فهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن
الحكمة المغير الحكمة لا الله ان الله وضعها حيث توجب الحكمة ذلك والظلم هو وضع الشئ فى غير موضعه والحكمة هو وضع الشئ فى
موضعه فهم وضعوا انفسهم فى غير موضعها فاما الله سبحانه وتعالى قد وضعها فى المواضع التى توجب الحكمة وضعها وقوله
عز وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر ربك كان قال ما ينظرون للايمان بعد الحجج السمعيات وبعد الحجج العقليات
والحجج الحسيات الا نزول الملائكة بالعذاب من الله تعالى عليهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات
والحسيات فلم يؤمنوا به ولم يصدقوه فيقول انهم ما ينظرون الا الحجج التى تقهرهم وتظهرهم فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول
العذاب بهم او يقول ما ينظرون بايمانهم الا الوقت الذى لا ينفعهم ايمانهم وهو الوقت الذى تخرج انفسهم من ابدانهم فاخبرهم ان ايمانهم
لا ينفعهم فى ذلك وهو ما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم الاية وقوله عز وجل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن
ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم وقال فى سورة الانعام كذلك كذب الذين من قبلهم وقال قل هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا وقال ههنا فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل هو حرف استفهام فى الظاهر لكن المراد منه ما على الرسول
الا البلاغ المبين على ما قال اهل التاويل لما قد كان من الله من البيان انه ليس على الرسل الا البلاغ المبين وكذلك قوله هل ينظرون الا ان
تاتيهم الملائكة اى ما ينظرون الا ان ياتيهم كذا وكذلك قوله هل اتى على الانسان ما عنى امر هو حرف شك ومراده للانسان ما عنى و
امثاله لما سبق من الله ما يبين لهم انه ليس للانسان وقد ذكر قوله وقال الذين اشركوا فى سورة الانعام ويحتمل قولهم هذا وجوها احدها قالوا
ذلك على الاستهزاء كقوله ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا والثانى قولهم لو شاء الله اى لو امر الله ان نعبده ولا نعبد غيره
لفعلنا كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الاية والثالث قالوا لو لم يرض الله منا ذلك ما تركنا
نفعلنا ذلك ولكن اهلكنا وقوله عز وجل ولقد بعثنا فى كل امة رسولا يخبر رسوله انك لست باول مبعوث الى امتك ولكن
قد بعث الى كل امة رسولا وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ما يصيبه منهم من المكروه والاذى اى لست انت باول
من يصيبه ذلك بل كان ذلك قبلك اصابهم من اممهم ما يصيبك من امتك وقوله ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله هو على
الاضمار كانه قال ولقد بعثنا فى كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا الله الاية ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت على ذلك
كان بعث الرسل جميعا الى قومهم بالدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والنهى عن عبادة الاوثان دونه كقوله قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ويكون قوله اجتنبوا الطاغوت كقوله ما لكم من اله غيره هما واحد والطاغوت قال بعضهم كل من عبد دون الله
فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت هو الشيطان اضيف العبادة اليه بقوله ولا تعبد الشيطان لان من يعبد دونه يعبد بامره
فاضيف لذلك اليه وقد ذكرنا هذا ايضا فيما تقدم وقوله عز وجل فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا يدل
انه لم يرد بالهدى البيان على ما قاله بعض الناس اذ قد سبق منه البيان لكل احد وما ذكر ايضا ومنهم من حقت عليه الضلالة وهذا
يرد على المعتزلة قولهم حيث قالوا الهدى البيان من الله لكن الهدى منه فى هذا الموضع ليس هو البيان هو ما يكرم الله به عبده ويوفقه
لدينه وقوله فمنهم من هدى الله لاختياره الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اى لزمت لزوم الضلالة واختياره اياها و
وقوله عز وجل فسيروا فى الارض قال الحسن قوله فسيروا ليس على الامر ولكن كانه قال لو سرتم فى الارض لرايتم كيف كان عاقبة المكذبين
بالتكذيب وقال بعضهم سيروا كانه على الحجاج عليهم ان سيروا فى الارض فانكم الا ادرى كان قبلكم الذين هلكوا بالتكذيب كان النبى

يخبرهم من انباء الامم الخالية وما نزل بهم فيكون ذلك فيقال عند ذلك فسيروا في الارض فانظروا الى اثار من كان قبلكم ويشبه
ان يكون ليس على السير نفسه ولكن على التامل والنظر في اثار اولئك واموره انه بم نزل بهم ما نزل والله اعلم وقوله عز وجل ان تحرص
على هديهم قال ابو بكر الاصم كان يحب ويحرص على هدى قرابته كقوله انك لا تهدي من احببت فقال فان الله لا يهدي من يضل اي
لا يهدي من يضل اي لا يهديهم بضلالهم وقت ضلالهم او لا يهدي وقت اختيارهم الضلال او لا يهدي من علم انه يختار الضلال
او لا ينجي من هلك على الضلال وفيه لغات ثلاث فان الله لا يهدي من يضل اي لا يهدي من اضله الله او اذا اضله الله فليس احد
يهديه ولا يهدي من يضل ما ذكرنا ولا يهدي من يضل اي لا يهتدي من اضله الله والله اعلم بذلك او لا يهتدي في الاخرة طريق الجنة
من اضله الله في الدنيا لاختياره الضلال وهو كقوله والله لا يهدي القوم الكافرين والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختيارهم
الكفر والظلم او لا يهدي من علم منه ان يختار الضلال والظلم او لا يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه وقوله عز وجل وما لهم من
ناصرين ظاهر تاويله وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فان قيل لنا ما الحكمة والفائدة في ذكر قسمهم
الذي اقسموا في القران وجعل ذلك اية تتلى وذلك القسم الذي اقسموا كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم علموا ذلك ليس
كالانباء والقصص التي كانت من قبل اذ كان ذلك شيء غاب عنه لم يشهدوها فاخبرهم على ما كان ففي ذلك اثبات رسالته ونبوته و
فالحكمة والفائدة من ذكرها في القران وجعلها ايات تتلى ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى واما القسم الذي اقسموا ليس فيه ما ذكرنا
من اثبات الرسالة وهم قد علموا ذلك فما الفائدة في ذكره قيل يشبه ان يكون ذكره لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفه اولئك وقلة
عقولهم وعلم الرسول واحتماله ما احتمل منهم من الاذى والمكروه لنعلم نحن ان كيف نعامل السفهاء واهل الفساد والعصاة من الناس على
ما عامل رسول الله اقوامهم مع عظيم سفههم وقلة عقلهم فهذا ذلك فائدة ذكر قسمهم في القران قد تكلف اولئك الكفرة الكبراء منهم
في تلبيس الايات والحجج التي اتت بها الرسل مرة بالقسم الذي ذكر حيث اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لا يبعثون ومرة بالنسبة الى السحر و
مرة بالافتراء ومرة بالنسبة الى الجنون وفي الانباء بانه انما يعلمه بشر منا يريدون بذلك التلبيس على الاتباع ثم البعث واجب بالعقل
والحكمة واخبار الرسل اذ ليس خبر اصدق من اخبار الرسل واثارهم وهم ممن يقبلون الاخبار الرسل اولى بالقبول والتصديق من غيرهم
لان معهم ايات صدقهم ودلالة تحقيقهم واما العقل فهو ان كون هذا العالم وانشائه لفنا خاصة خارج عن الحكمة اذ كل عمل لا يكون
له عاقبة عبث وهو كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية اخبر انه اذا لم يكن رجوع اليه يكون خلقه اياهم عبثا واما الحكمة فهي ان
الانتقام لاوليائه من الظلمة واجب لظلمهم والاحسان لاهل الاحسان فلو لم يكن بعث والحيوة بعد الموت لينتقم من الظالم لظلمه ويجزي
المحسن لاحسانه يذهب فائدة الترغيب على الطاعة والاحسان ووعيد الظالم بالانتقام فالبعث واجب للوجوه التي ذكرنا والتمييز
بين الاولياء والاعداء وقد جمعهم في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما وقوله جهد ايمانهم ذكر ان مشركي العرب كانوا لا يقسمون
بالله الا ما يعظم من الامر ويشبه عليهم تعظيما له واجلالا انما كانوا يقسمون بالاصنام والاوثان التي عبدوها فاذا حلفوا بالله الا انما يعظم
من الامر فذلك جهد ايمانهم وقوله عز وجل بلى وعدا عليه حقا قوله بلى رد على قولهم لا يبعث الله من يموت فقال بلى يبعث وقوله وعدا
عليه حقا يحتمل وعدا اي وعدا به بعثهم حق عليهم ان ينجز ما وعد وحقا عليه ان يبدأ البعث والانجاز له والله اعلم وقوله عز وجل
ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا يحتمل وجهين احدهما انه نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم فهو كما نفى عنهم السمع والبصر وغيرها
من الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع ما لذلك كان خلقها فنفى ذلك عنهم والثاني نفى عنهم ذلك على حقيقة النفي لانهم لم ينظروا ولم
يتاملوا في الايات والاسباب التي بها جعل لهم الوصول الى العلم فلم يعلموا ثم لم يعذرهم بجهلهم ذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى علم ذلك
بالنظر والتامل في الايات والحجج لكنهم شغلوا انفسهم في غيرها ولم ينظروا في الاسباب التي جعلها لهم سبيل الوصول اليه فهذا يدل ان
من جهل امر الله ونهيه يكون مواخذا به بعد ان جعل له سبيل الوصول اليه بالدلائل والاشارات فلا يخرج مواخذته اياه وعقوبته
بترك امره عن الحكمة واما في الشاهد من امر عبده شيئا ولم يعلمه ما امره ثم عاقبه بذلك فهو خارج عن الحكمة اذ لا سبيل الى الوصول الى
امره الا بالتصريح ولم يكن منه تصريح اعلام لذلك كان ما ذكرنا الا من انذار وعظيم الوعيد الشديد فافهم وقوله ليبين لهم الذي يختلفون
فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل قوله ليعلم الذين كفروا اي ليعلم اتباعهم ان الرؤساء كانوا كاذبين والا كان الرؤساء
منهم كانوا كاذبين عند انفسهم او ان يكون قال ذلك لما ادعى اولئك الكفرة ان الاخرة لهم كقوله ولئن رجعت الى ربي الاية فقال جوابا
له ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين لادعائهم الاخرة لانفسهم ثم قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال بعضهم انما اختلفوا
في البعث منهم مصدق ومن مكذب بقوله يبين لهم ذلك ويحتمل قوله الذي يختلفون فيه اي في الدين والمذهب لانهم اختلفوا في الدين
والمذهب وكل من ادعى دينا ومذهبا حتى دعا غيره الى دينه ومذهبه فيتبين لهم المحق منهم من غيره والصادق منهم من الكاذب في
قوله وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل كفرهم بالبعث وانكارهم اياه او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم او وحدانية الله
انهم كانوا كاذبين في انكار ما انكروا ويتبين لهم ذلك في الاخرة وقوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
يخبر عن سرعة نفاذ امره وسهولة الامر عليه انه يكون اسرع من لحظة بصر او لمحة عين وفيه دلالة ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء

لانه يخبر بكن عن تكوينه ويكون عن المكون وكذا كنى عنه بالشيء لقوله انما قولنا لشيء فكنى عنه بوقوع القول عليه والتكوين ثبت
ان التكوين غير المكون ثم لا يخلو من ان يكون التكوين بتكوين اخر الى ما لا نهاية له او لا بتكوين وقد بينا فساد هما جميعا وهما وجها
الحدث ثبت ان الله تعالى به موصوف في الازل وبالله التوفيق والثاني من فعله كسب سمي كاسبا ومن فعله باسم سمي به فلو كان
فعل الله كلية الخلق يسمى به فيسمى ميتا متحركا ساكنا خبيثا طيبا صغيرا كبيرا ونحو ذلك فاذا كان يتعالى عن هذا سمي ناعما ومميتا
محييا محركا مسكنا جامعا مفرقا ثبت ان فعله هو غير مفعوله دائم بذاته يفعل الاشياء لا بغيره وفي ذلك لزوم الوصف له به في الازل
والله الموفق وقوله عز وجل والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا كان ظلمهم اياهم على وجوه منهم من ظلم بالاخراج من الديار و
الطرد من البلاد كقوله انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم الاية ومنهم من ظلم بالمنع من الهجرة ومنهم من ظلم
بالمنع عن اظهار الاسلام والعمل له وانواع ما اوذوا وظلموا باظهارهم الاسلام واجابتهم رسول الله واتباعهم اياه ثم وعدهم
في الدنيا حسنة فقال لنبوئنهم قيل لنعطينهم وقيل لنرزقنهم وهو واحد في الدنيا حسنة يحتمل الحسنة في الدنيا العز بعد الذل
والسعة بعد الضيق والشرف والنصر والغلبة لهم بعد ما كانوا مقهورين مغلوبين في ايدي الاعداء والذكر والشرف بعد الهوان
هذه الحسنة التي بوأهم في الدنيا والمهاجرة المقاطعة كانه قال والذين قاطعوا ارحامهم واقاربهم واموالهم ومكاسبهم ودياركم
فابدل الله لهم مكان الارحام والاقارب اخلاء واخوانا ومكان اموالهم اموالا اخرى وكذلك الدور وكل شيء تركوا هنالك فابدلهم
مكان ذلك كله واما قوله ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون يشبه ان يكون ذكر هذا عن حد كان من الكفرة للمهاجرين لما انزلهم في
المدينة وبوأهم فيها واعزهم ورفع ذكرهم وامرهم ونصرهم حسدهم اهل الكفر بذلك فعند ذلك قال ولاجر الاخرة لهم اكبر واعظم
في الاخرة لو كانوا يعلمون ما وعدهم في الاخرة ويحتمل ايضا قوله ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون هؤلاء المهاجرون يخف عليهم
احتمال ما اوذوا وظلموا ويهون والله اعلم وقوله عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قال الحسن اي على ربهم يثقون في
انجاز ما وعدهم في الاخرة انه ينجز ذلك ويحتمل قوله صبروا على امره او صبروا على الهجرة انقطاع ما ذهب عنهم وفراق ما كان لهم وقوله عز وجل
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا والله اعلم يكون على اثر ما كان من الكفرة نحو ما قال اهل التاويل
انهم قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة ونحوه من كلامهم فقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم اي الا بشرا اي لم نرسل من غير البشر فيكون قوله الا رجالا كناية عن البشر او ان يكون قوله الا رجالا نوحي اليهم اي لم نبعث من
النساء رسولا انما بعث الرسل من الرجال الى الرجال والنساء والله اعلم وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال
بعضهم ليس على الامر بالسؤال ولكن لو سالتم اهل الذكر لاخبروكم انه لم يبعث الرسول من قبل الا من البشر وقال بعضهم هو على الامر
بالسؤال اي سلوا اهل الذكر فتقلدوهم اي ان كان لابد لكم من التقليد فاسالوا اهل الذكر فقلدوهم ولا تقلدوا اباءكم ومن
لا يعرف الكتاب ولكن قلدوا اهل الذكر قال بعضهم فاسئلوا اهل الذكر تقلدوهم ان كنتم لا تعلمون بالبينات والحجج لانهم كانوا
اهل تقليد لم يكونوا اهل نظر وتفكر في الحجج والبينات ويحتمل ان يكون قوله ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر والرسل ليخبروكم
ان الرسل انما بعثوا من البشر بالبينات والكتب فيكون على التقديم الذي ذكره بعض اهل التاويل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم بالبينات والزبر ويحتمل قوله فاسئلوا اهل الذكر اي اهل الشرف من اهل الكتاب ليبينوا لكم البينات والزبر لانهم بالتوت
الكتمان والكذب وان كان اهل الذكر جميع اهل الكتاب فالسؤال عن الرسل انهم كانوا من البشر والرجال لانهم يعلمون ذلك
وقوله وانزلنا اليك الذكر قيل انزلنا اليك القران لتبين للناس ما نزل اليهم يحتمل قوله لتبين للناس من انباء الغيب ما
غاب عنهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وتبين لهم جميع ما يؤتون وما يتقون وما يحل وما يحرم ولعلهم يتفكرون في ذلك
ويحتمل قوله وانزلنا اليك الذكر لتبين ما حرفوا من كتبهم وبدلوه وغيروه فيكون فيه اية لرسالتك ويكون الذي انزل اليه كالمنزل
اليهم حيث ذكر انه يبين لهم ما نزل اليه والله اعلم وقوله عز وجل افامن الذين مكروا السيئات قوله افامن قد ذكرنا انه حرف
استفهام الا انه من الله غير محتمل ذلك وهو على الايجاب ذلك ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الخبر انهم قد امنوا مكره
والثاني على النهي اي لا تامنوا كقوله افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون هذا يشبه ان يكون على هذا الذي
ذكرنا انه اخبار عن امنهم مكر الله وعلى النهي ان لا يامنوا ثم اخبر انه لا يامن الا القوم الخاسرون الكافرون لانهم كذبوا الرسل
فيما اوعدوهم من العذاب فامنوا لذلك او لما لم يعرفوا الله ولم يعرفوا حقوقه ونعمته ونقمته فامنوا لذلك واما من عرف الله
وعرف حقه ونقمته وعرف نعمته فانه لا يامن مكره والله اعلم ثم قوله مكروا السيئات قال بعضهم مكرهم السيئات هو ما مكروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ما لو اصابهم ذلك لساءهم وما ظاهروا عليهم عدوهم وقال بعضهم مكرهم السيئات هو اعمالهم
التي عملوها وكل ذلك قد كان منهم كانوا مكروا برسول الله واصحابه وكانوا ظاهروا عليهم عدوهم وقد عملوا اعمالهم الخبيثة
السيئة وقوله عز وجل ان يخسف الله بهم الارض اي امنوا حين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياخذهم العذاب
من حيث لا يشعرون في الحال التي لا يكون لهم امن لا خوف وقوله عز وجل او ياخذهم في تقلبهم قيل في اسفارهم وفي تجاراتهم

ان الناس انما يسافرون ويتجرون في البلدان في حال امنهم او ياخذهم على تخوف قال بعضهم على تقريع وقال بعضهم على تنقيص
من الاموال وغيره كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية وقال بعضهم او ياخذهم على تخوف ان ياخذ قرية فقرية وبلدة
فبلدة حتى ياتي قريبا منهم ثم ياخذهم كلما اخذ قرية كان لهم من ذلك خوف فذلك اخذ بتخوف وهو ما قال ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم الاية وعد الله حلولا قريبا من دارهم كان يخوفهم حتى نزل بساحتهم فذلك اخذ
بالتخوف يخبر ان عذابه لا يؤمن حلوله واخذه اياهم في كل حال في الحال التي ليس لهم امن ولا خوف اي لم يتقلب هذا على هذا وفي الحال التي
يكونون امنين في تقلبهم وحوائجهم وفي الحال التي يكونون متخوفين وقوله عز وجل فان ربكم لرؤف رحيم حيث لم يستاصلكم
ولم ياخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله والتكذيب لرسله والمكابرة والمعاندة لاياته وحججه وفيه ولكن امهلكم ولم ياخذ
عنكم او رؤف رحيم اذا تبتم ورجعتم عما كان منكم يرحمكم ويغفر لكم ذلك وقوله عز وجل اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا
ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قوله اولم يروا يحتمل وجهين احدهما قال ذلك لقوم قد تقرر عندهم وثبت ان كل شيء يسجد
لله ويخضع له فقال ذلك لهم على العتاب انكم قد علمتم ان كل شيء لم يركب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والسمع يخضع لله ويسبح له
فانتم لا تخضعون له مع ما ركب فيكم العقول وجعل فيكم الافهام وغيرها والثاني على الامر اي اعلموا ان كل شيء من خلق الله ثم
يسجد له ويخضع وقد اقام لهم من الحجج على ذلك ما لو تاملوا وتفكروا لعلموا ان كل ذلك يخضع ويسبح والاظهر قوله اولم يروا
الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله ان يقولوا لم تراه كان الخطاب لاهل مكة على ما ذكر اهل التاويل لكن يخرج على هذين الوجهين
اللذين ذكرهما ويشبه ان يكون ذكر قوله اولم يروا الى ما خلق الله الاية لما استوحش اهل الاسلام مما عبدوا اولئك الكفرة
الاصنام وعظيم ما قالوا في الله ما قالوا فقال لذلك اولم يروا الى كذا وقوله تتفيؤا ظلاله قال بعضهم يريد بالظلال شخص
ذلك الشيء والظلال كناية عن الشخص كما يقال رأيت ظل فلان اي شخصه وقال بعضهم اراد بالظل الظل نفسه لكن خضوعه
وسجوده يكون للشمس والقمر وعلى تاويل من يجعل الظل كناية من الشخص يجعل كل نفس تتفيؤ خضوعا او سجودا ثم سجود هذه
الاشياء الموات وخضوعهن من نحو قوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ومن نحو قوله يسبحن بالعشي والاشراق
وقوله يا جبال اوبي معه والطير وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله تكاد السموات يتفطرن منه وامثاله يحتمل
وجوها احدها ان يجعل الله عز وجل بلطفه في سريرة هذه الاشياء معنى تعلم السجود لله والخضوع له وهو كما ذكر في الريح انها
تجري بامره رخاء حيث اصاب اخبر انها تجري بامره دل انها تعلم امر الله وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اخبر انها تشهد وتنطق ولولا انها تفهم
وتعقل الخطاب والا ما خوطبت وان كانت مواتا ففي ذلك تسبيحها وخضوعها جائز ان يكون الله يجعل في سريرة هذه الاشياء ما
تعرف السجود والتسبيح وتفهم والثاني يكون سجود هذه الاشياء وتسبيحها بالتسخير جعلها مسخرات لذلك وان لم تعلم
هي ذلك ولم تعرف لكن جعلها بالخلقة كذلك والثالث ان جعل خلقة هذه الاشياء دالة وشاهدة على وحدانية الله ثم
والوهيته فهن مسبحات لله وساجدات وخاضعات له بالخلقة التي جعلها دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته
هذا والله اعلم معنى سجودهن وخضوعهن والله اعلم وقوله عز وجل وهم داخرون قيل صاغرون ذليلون وقوله عز وجل
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يذكر هذا والله اعلم يسجد له اعلى الخلائق
واعظمهم وهم الملائكة ويسجد له اشد الخلق واصلبه وهو الجبال والسموات والارض ويسجد له ايضا ويخضع اصغر الخلق
واجهله وهو الدواب وغيرها وانتم ابيتم السجود له والخضوع واستكبرتم عن عبادته فهؤلاء الذين ذكرهم يسجدونه
يخبر عن سفه اولئك في ابائهم السجود له والخضوع واستكبارهم عليه وقوله عز وجل يخافون ربهم من فوقهم قال بعضهم خوف
الملائكة والرسل خوف هيبة الله وجلاله لا خوف نزول شيء من نقمته عليهم وخوف غيرهم من البشر خوف نزول شيء يضرهم
وكذلك رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يصل اليهم رجاء الملائكة والرسل وطمعهم رجاء رضاء الله عنهم لا رجاء نفع يصل اليهم
وقال بعضهم يخافون خوف العقوبة والانتقام لانهم ممتحنون وكل ممتحن يخاف عذاب الله ونقمته الا ترى انه كيف اوعدهم
الوعيد الشديد وقال ومن يقل منهم اني اله من دونه وقوله لابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام خاف عبادة
غير الله ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه والله اعلم وقوله عز وجل يخافون ربهم من فوقهم الفوق والتحت والاسفل
ونحوه في الامكنة والمجلس ليس فيه فضل عز وشرف ومرتبة لما يجوز ان يكون الذي كان فوق هذا في المكان والمجلس تحته و
اسفل منه فلا يزداد لهذا بما صار فوقه عزا وشرفا ومرتبة ولا لهذا بما كان تحته ذل وهو دل هذا الانه لا يفهم من فوقهم و
فوق المكان ولا تحته لان من صعد الجبال والامكنة المرتفعة لا يوصف بالعلو والعظمة وانا قيل فلان امير على العراق او
على خراسان كان في ذلك تعظيم لانه ذكر بالقدرة والسلطان ونفاذ امره ومشيئته وقدرته وسلطانه فيهم واطلاعه على
جميع ما يسرون ويضمرون ويعلنون ويظهرون وعلمه على جميع اعمالهم على هذا يجوز ان يتاول الفوق والله اعلم وقوله

عزوجل

عز وجل ويفعلون ما يؤمرون وصفهم الله عز وجل بفضل طاعتهم له وخضوعهم اياه وهو ما قال لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو ما قال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومثله وقوله عز وجل
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد لا نعلم الخطاب بهذا الا لمن كان الخطاب بهذا لاهل مكة فهم قد اتخذوا الهة بل لم يجعل الالهة
الها واحدا الاية الا ان يخاطب به الثنوية والزنادقة فانهم يقولون باثنين ويشبه ان يكون اهل مكة وان اتخذوا الهة فانهم في الحقيقة
عبدوا الهين لانهم انما كانوا يعبدون تلك الاصنام بامر الشيطان وطاعتهم اياه فنسب العبادة لما بامره يعبدون هذه الاصنام
اما فالعبادة اليه او ان يكون المراد من ذكر اثنين انما هو على الزيادة على الواحد كانه قال لا تتخذوا ولا تعبدوا اكثر من اله واحد و
قوله عز وجل فاياي فارهبون لا تخافون الاصنام التي تعبدونها فانكم ان تركتم عبادتها لا تضركم وقوله عز وجل وله ما في السموات
والارض اي وله يخضع ما في السموات والارض وانتم لا تخضعون وانما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه فكيف اشركتم عـ
عبيده في الوهيته تعالى وربوبيته وقوله عز وجل وله الدين واصبا قال بعضهم دائما لان غيره من الاديان كلها يبطل ويضمحل ويبقى
دينه في الدارين جميعا وقال بعضهم وله الدين واصبا اي مخلصا من الوصف والتعب فنا ولله والله اعلم اي وله دين لا يوصل اليه الا
بتعب وجهد فاجتهدوا واتعبوا لتخلصوا له الدين هذا معنى من لم مخلصا وقوله عز وجل افغير الله تتقون اي تخافون غير الله تتقون
اي تخافون ولكن اتقوا مخالفته ويقول لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه ولكن اتقوا الله واتقوا نقمته وقوله عز وجل وما بكم من
نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اي تتضرعون يخبر عن سفههم وقلة عقلهم انهم يعلمون ان له ما في السموات والارض
وان كل ذلك ملكه وان ما لهم من النعم منه وان ما يحل بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم ثم يكفرونه ويصرفون شكرها
منه الى غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء فيقول انا المنعم عليكم تلك النعم وانا المالك عن الكشف عنكم لا الاصنام
التي عبدتموها فكيف كفرتم في الرخاء والسعة وامنتم بي في وقت الضيق والبلاء كانوا يخلصون له الدين في وقت ويشركون غيره في وقت
فيقول ادعوا الى الدين بقوله وله الدين واصبا ولا تتركوا الايمان في وقت وتؤمنوا في وقت وكذلك كان عادتهم كانوا يكفرون بربهم في حال
الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال البلاء والشدة كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله الاية ويحتمل ان يكون فرض الجهاد على المسلمين
والقتال معهم لهذا المعنى لانه من عادتهم الايمان في وقت البلاء والشدة والخوف ففرض عليهم القتال معهم لينظروا الى الايمان فيؤمنوا
ويرجعوا الى الايمان ومنذ فرض القتال معهم كثر اهل الاسلام فدخلوا فيه فوجا فوجا وكان قبل ذلك يدخل فيه واحدا وفيه دلالة اثبات
رسالة محمد عليه الصلاة والسلام قال وما بكم من نعمة فمن الله فانما اخبر عما عرفوا وتقرر عندهم ان كل ذلك من عند الله ليعلموا انه انما عرف
ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل ليكفروا بما اتيناهم هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلوا ما اتاهم الله وانعم عليهم سبب كفرهم بالله والثاني
يكفرون بنعم الله تعالى بعبادتهم الاصنام وصرفهم الشكر عنه ويشبه ان يكون اخبارا عن سفههم من وجه اخر وهو انهم لم يروا في البشر
احدا يطيع ويخضع الا احد رجلين راج نفع او دافع بلاء عنه ارجاء نفع اليه والاصنام التي تعبد وهي ليس منها دفع بلاء ولا رجاء منفعة فلماذا يعبدونها
وقال ابو بكر ليكفروا بما اتيناهم اي بالقران وقوله عز وجل فتمتعوا فسوف تعلمون هذا وعيد من الله لهم يقول فسوف تعلمون ما نزل بكم من
كفران نعمه وصرف الشكر عنه انه مهلككم ومنزل بهم عذابه وقوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون او تتضرعون
موعظة للمؤمنين ايضا لانهم يجعلون يتضرعون الى الله اذا اصابهم الضر والبلاء واذا انكشف ذلك عنهم تركوا ذلك التضرع الى ما بكم من نعمة
فمن الله فكيف تصرفون شكرها الى غيره في حال وقوله عز وجل ويجعلون اي يتولون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث
وغيره الذي جعل الله لهم قال بعضهم يجعلون للاصنام والاوثان التي يعبدونها نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث وغيره الذي جعل الله
لهم ولا يعلمون لهم نصيبا في ذلك وهو كقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا حرموا على
انفسهم ما جعل الله لهم وجعلوه لالهتهم ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا وهو الشيطان اي ما يجعلون للاوثان فذلك للشيطان
في الحقيقة هو الذي امرهم بذلك وهو الذي دعاهم الى ذلك وهو كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان
لكنهم انما عبدوا الاوثان كان قد عبدوا الشيطان لانه هو امرهم بذلك وهو دعاهم الى ذلك فعلى ذلك ما يجعلون للاوثان ذلك للشيطان
لما ذكرنا لكن لا تعلمون ان ذلك له نصيب ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا اي يعلمون اي ليس لها نصيب في ذلك ولكن يجعلون
ذلك لها على علم منهم اي لا نصيب للاوثان في ذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي اتنبئون الله بما يعلم انه
ليس ونحوه او بظاهر غير الذي تنبئون وقد ذكرنا قوله يجعلون على التوالي يتولون والا لا يملكون جعل ذلك وقوله عز وجل تالله
لتسألن عما كنتم تفترون يحتمل قوله تفترون تسميتهم الاصنام الهة ويحتمل افتراؤهم على الله ما قالوا والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها زعموا انه فعل اباؤهم وفعلوا هم كان بامر من الله ورضاه حيث تركهم على ذلك فذلك افتراؤهم وقوله ثم
تالله لتسألن عما كنتم تفترون يحتمل السؤال الجزاء اي ان الله يجزون عما كنتم تفترون ويحتمل السؤال سؤال الحجة يسألون على ما ادعوا
على الله من الامر الحجة على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويجعلون لله البنات اي يقولون لله البنات يخبر عن شدة سفههم حيث ما ينفون
ويستحيون عن البنات ثم ينسبون ذلك الى الله ويضيفونها اليه يصبر رسوله على اذى الكفرة حيث قالوا فيه ما قالوا انه ساحر وانه مفتر

ويعني على علم منهم ويقين انه ربهم وخالقهم فمن انكر رسالته اولى بالصبر على قوله والحلم منه سبحانه كلمة تنزيه عما قالوا فيه وحرف
تعجيب حيث نسبوا الى الله ما يكرهون لانفسهم وقوله عز وجل واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال بعضهم قول العرب
قبح الله وجهك وسود الله وجهك ليس على ارادة السواد والقبح ولكن على ارادة ما يكرهه وقال الحسن قوله ظل وجهه مسودا اي متغيرا
من الغم وهو كظيم اي حزين وهكذا العرف في الناس انه اذا اشتد بهم الحزن والغم يظهر ذلك في وجوههم قبحا وسوادا يتوارى من القوم من
سوء ما بشر به ايمسكه على هون يذكر فيه كيف يصنع به ايمسكه على هون اي على هوان يغضبه ويبقي مهجنا ام يدسه في التراب وهو حي فيقول
ان ربي اختار البنات فابعث بها الى ربي فانه احق بها وهي الموؤدة التي قال الله واذا الموؤدة سئلت وانما كانوا يصنعون ذلك
خشية الاملاق كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقوله عز وجل الا ساء ما يحكمون في جعلهم لله ما كرهوا لانفسهم او في قولهم والله
امرنا بها او في قولهم هذا لله وهذا لشركائنا ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء قال بعضهم قوله مثل السوء
لهم جزاء السوء وهو النار وقال الحسن مثل السوء اي صفة السوء التي وصفوا بها ربهم انه اختار البنات ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا انه
ليس له شبه فان تلك الصفة من صفته ويشبه ان يكون قوله لهم مثل السوء باسامهم مرة موتى ومرة فسقة ومرة ظلمة ومرة صم في الظلمات و
امثاله لهم ذلك الوصف بما انكروا الاخرة وذلك ما يوجبه الحكمة والعقل والشريعة فلهم ذلك الوصف والمثل السوء بما انكروا ما توجبه
الحكمة والعقل والشريعة ويحتمل مثل السوء شبه السوء ويحتمل مثل السوء النعت والصفة فان كان هو على الشبه فهو ما ذكرنا
ما شبههم في غير اي من القران بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة وبالرماد وبالزبد والتراب ونحوه وان كان على النعت والصفة فهو وصف
الاخرة وهو ما ذكر الذين يحشرون على وجوههم وقوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي لاولياء الله المثل الاعلى وهم المؤمنون لما ان الله وصف
المؤمنين بالحياة والنور والعدل ونحو ذلك من الاسماء الحسنة وذلك لله في الحقيقة لكنه بفضله ومنه وصفهم وسماهم بذلك فاضيف
الى الله لما بفضله استوجبوا لا باستحقاق انفسهم وكذلك قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اضيف ذلك اليه بفضله يستوجبون
تلك الاسماء التي سماهم ويحتمل قوله ولله المثل الاعلى اي لاولياء الله المثل الاعلى كانه قال وللذين يؤمنون بالاخرة مثل الاعلى مقابل ما ذكر حيث
قال الذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء وهو العزيز الحكيم قال الحسن العزيز بالغلبة منه في الاشياء كلها على ما امر وكل شيء دونه ذليل
الحكيم بالعدل منه في كل قضاء وقد ذكرنا في غير موضع وقوله العزيز الحكيم في هذا الموضع كانه قال هو العزيز بنفسه لا يخلفه اولياءه
كما يكون لملوك الارض يكون عزهم بجندهم وحشمهم فاذا ذهبوا او عصوهم بصيرا مقهورا مغلوبا فاما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته و
الحكيم اي انشاؤه العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك على غير الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
ان له ان يستاصلهم ويهلكهم بما كان منهم لكنه بفضله تركهم الى المدة التي ضرب لهم لانه لو لم يكن له ذلك لم يكن للوعيد الذي اوعد معنى
وقال ابو بكر البلخي ان الله بما اوعد من الوعيد ليس يوعد لمضرة تقيه ولا لمنفعة تصل اليه ولكن يوعد بما توجبه الحكمة فذلك انه اوعد
لازم واجب ونحن نقول يوعد بما توجبه الحكمة وقد انظرهم بهذا الوعيد فعلى ذلك يجوز ان يخرجهم من النار بعد ما ادخلهم النار
بما ارتكبوا من الكبائر ثم في قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الاية دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس لله ان يهلك قوما قد علم
منهم الايمان في وقت ويكون في اصلابهم من يؤمن اذ قد كان ممن اوعد ذلك الوعيد من بعضهم الايمان او في اصلابهم من قد كان امن ثم
الوعيد لهم انه قد يهلك من يعلم انه يؤمن في اخر عمره اذ لا يوعد الا بما له ان يفعل لكنه بفضله اخرهم الى وقت فيه دلالة ان له ان يفعل ما
ليس ذلك بالاصلح لهم في الدين ثم اختلف في قوله بظلمهم قال بعضهم هذا للكفرة خاصة وقال بعضهم لهم وللمؤمنين كل من يرتكب زلة اذ ما
من احد يرتكب زلة الا وقد استوجب العقوبة بذلك والمؤاخذة به لكنه بفضله عفا وقوله عز وجل ما ترك عليها من دابة قال
بعضهم اراد بالدابة الدابة التي خلقها لهم اذا اهلك الناس فقد اهلك الدواب اذ خلقها اياهم وقال بعضهم قوله ما ترك عليها من
دابة اي على ظهر الارض من دابة لان الدواب انما يعيش بالذي يعيش الناس فاذا اهلكوا هم هلكت الدواب ايضا اذ ذهب سبب عيشها
وجائز ان يكون اراد بالدابة البشر اي ما تركهم بظلمهم ولكن يهلكهم وسماهم دابة لانه اذا ذكرهم في موضع الظلم وان كان سماهم في
غير موضع بالاسماء الحسنة وهو كما سماهم في موضع اخر دابة حيث وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا شك ان البشر دخلوا في
هذه التسمية فعلى ذلك جائز دخولهم في الاخرى وان كان المراد ما ذكر من الدابة البشر فالانبياء والرسل انما يكون هلاكهم بقطع
نسلهم لان الانبياء اكثرهم ولدوا من الاباء الظلمة فاذا اهلك اباؤهم لم يولد الرسل والانبياء فيكون هلاكهم لا بظلم هؤلاء ولكن بقطع
النسل وان كان المراد بتلك الدابة الدواب نفسها فلان الدواب انما انشأت للبشر ولمنافعهم فاذا اهلكت الدواب فلان المنافع
لهم والله اعلم وفي قوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون يجعل الله للخلق اجالا ثم يجيء كافر فيقتله
دون بلوغ الاجل الذي جعله الله حيث اخبر انهم لا يستاخرون ساعة بعد الاجل المضروب لهم ولا يستقدمون قبل ذلك وهم يقولون
بل يستقدم كافر فيقتله فذلك سرف في القول وهذا يخرج على وجهين احدهما لا يتاخر الاجل الذي جعل لهم ساعة ولا يتقدم عن ذلك
والثاني لا يجاب في التاخير ولا في التقديم وقوله عز وجل ويجعلون لله ما يكرهون كانوا يجعلون لله اشياء يكرهون ذلك لانفسهم
من نحو البنات يقولون لله البنات ويكرهون لانفسهم البنات ويجعلون له الشركاء من عبيدهم وهم كانوا يكرهون لانفسهم

الشركاء

الشركاء من عبيدهم وامثاله كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية يخبر عز وجل عن سفههم وسرفهم في ويخبر عن حلمه حيث لم يستاصلهم
ولم يهلكهم بما قالوا في الله من عظيم القول من الولد والشريك ليعلم انه لم يمهلهم لغفلة ولا سهو لكن يحلم لانه لا يخاف الخلق في ذات الله ولا
يعجل بالعقوبة اذ لو اراد اهلاكهم لاهلكهم ساعة قالوا ذلك ولا يمهلهم يعيشون لكن اخر ذلك ليوم وهو ما قال ولا تحسبن الله
غافلا الاية وجائز ان يكون قوله ويجعلون لله اي يجعلون لاولياء الله ما يكرهون لانفسهم لانهم يقولون ان لهم الحسنى في الاخرة
وهي الجنة وان للمؤمنين النار بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله عز وجل وتصف السنتهم الكذب قال ابو بكر
الاصم يقولون انا دين الله وعلى الحق لعبادتنا ويقولون ان لهم الحسنى يعنون انهم محسنون في اعمالهم وما هم عليه من دين وقال
بعضهم قوله ان لهم الحسنى يعنون البنين لانهم كانوا يضيفون البنات الى الله وينسبون البنين الى انفسهم فذلك الحسنى الذي
ذكروا وقال بعضهم بان لهم الحسنى اي الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربي الاية ثم كذبهم في قولهم فقال لا جرم ان لهم النار ليس لهم الحسنى
على ما زعموا ولكن النار وقد ذكرنا قوله لا جرم فيما تقدم كان اهل الكفر فرقا منهم من ادعى الاشتراك في نعيم الاخرة كما كان لهم اشتراك
في نعيم الدنيا كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ومنهم من ادعى الاخرة لانفسهم كما كانت لهم الدنيا فجائز ان يكون قوله ويجعلون
لله ما يكرهون هم الذين ادعوا الحسنى وهي الجنة لانفسهم وقوله عز وجل وانهم مفرطون هو من الفرط وهو السبق التقدم كان الاتباع
في الرؤساء اخبر انهم سابقون اتباعهم الى النار وهو كقوله وقالت اولاهم لاخراهم الاولى هم المتبوعون واخراهم الاتباع وقال
بعضهم معجلون اليها بين يدي اتباعهم وقال بعضهم مفرطون اي متركون منسيون في النار وقال بعضهم معزلون مبعدون عن رحمة الله
لكن هذين ليسا بتاويل الاية اذ كل من في النار فهو منسي متروك فيها مبعد عن رحمة وقال بعضهم وانهم مدخلون فيها والوجه فيه ما ذكرنا
وقوله عز وجل تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك هذا لا يحتمل ان يكون هذا القسم منه ابتداء لكن كانه عن انكار كان منهم لرسالته فعند
ذلك اقسم بقوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك واكد بما انكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد
قوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك كما ارسلناك الى قومك فزين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لامتك فهو كان وليهم يومئذ كما هو ولي امتك
اليوم بعينه وقوله عز وجل فزين لهم الشيطان اعمالهم يقول ليس هؤلاء باول من زين لهم الشيطان اعمالهم ولكن كان في الامم الماضية من
من زين لهم الشيطان اعمالهم فيكذبون رسلهم فلست انت باول مكذب بل كان لك شركاء في التكذيب فهو وليهم اليوم في الدنيا لان
الدنيا هي دار الولاية بينهم كقوله بعضهم اولياء بعض وقوله اولياؤهم الطاغوت واما في الاخرة فيصيرون اعداء كقوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ونحوه ولا يحتمل
ان يكونوا اولياء في الاخرة ثم يلعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض فذلك علامة العداوة وقال بعضهم قوله فهو وليهم اليوم
في الاخرة اي اولى بهم فيقترنون بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهو وليهم او صاحبهم كقوله احشروا
الاية وكقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وقوله عز وجل وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه قال بعضهم قوله
الذي اختلفوا فيه الكتب التي كانت من قبلهم لانهم اختلفوا في كتبهم فمنهم من بدل ومنهم من غير وحرف فيقول والله اعلم وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا في كتبهم لان هذا الكتاب انزله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يبين هذا الكتاب ما
اختلفوا في كتابهم الحق من الباطل وقال بعضهم الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه في الرسل والاديان في الكتاب المنزل عليك اختلفوا
في ذلك كله يبين لهم الحق من الباطل في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي نزله عليه اذ فيه انباء الامم الماضية وهو لم يشهدها ولم
يختلف الى من يخبره بها ثم انباهم على ما كانت فدل انه انما عرف ذلك بالله ومنه نزل ذلك وفيه دلالة ان الحوادث التي علم الله انهم يبتلون
بها الى يوم القيامة انه جعل لهم سبيل الوصول الى بيانها في الكتاب اما بيان كناية واما بيان تصريح حيث قال وما انزلنا عليك الكتاب
الاية حيث لم يدعهم في الاختلاف على غير بيان فعلى ذلك حيث علم انهم يبتلون بالحوادث التي ليس لها نصوص في الكتاب لا يحتمل ان لا
يبين لهم ذلك ويدعهم حيارى لكن البيان على وجهين بيان تصريح يعقل ببديهة العقل وبيان كناية يدرك بالنظر والتامل والاستدلال
واصله في قوله الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي الا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه لانهم اختلفوا في الحق في ذلك لان كل فريق
منهم ادعى انه هو المحق وان الذي هو عليه الحق وان غيره على باطل فاخبر انه انزل الكتاب عليه ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه وقوله
عز وجل وهدى ورحمة لقوم يؤمنون جعل الله تعالى رسوله وكتابه هدى ورحمة للمؤمنين لانهم امنوا بهما وصدقوهما وقبلوهما
فصار ذلك لهم هدى ورحمة ونورا واما كذبوهما ولم يقبلوهما فهو عذاب عليهم وعمى وهو كقوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض الاية وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقوله عز وجل والله الذي انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث اخبر انه ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض وهي ميتة ويخرج منها نباتا وزروعا
واشجارا فمن قدر على هذا القادر على احياء الارض بعد موتها انه لا فرق بين الاحياء بين الانفس فمن قدر على احدهما قدر على الاخر
ان في ذلك فيما ذكرنا الاية لقوم يسمعون قال بعضهم لاية لقوم يسمعون المواعظ وقال بعضهم لاية لقوم يسمعون الايات والحجج والا
من لم يسمع فلا يكون له اية واصله ان في ذلك لاية لقوم ينتفعون بسماعهم ولاية لقوم يعقلون اي ينتفعون بعقولهم واصله ان

هذا كله بصيرة للمؤمنين على ما ذكر كله لانهم هم الغافلون عن الله ما امرهم به ونهاهم عنه وهم يسمعون اياته ومواعظه وكله
حكاية عن المؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة الاية اي انشا لكم انعاما فيه الاية هو صلة قوله والله انزل
من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها اي انزل من السماء ماء وانشا الانعام لكم فيه الاية انشاء جل وعلا في الانعام لبنا غذاء الارواح
في الوقت الذي لا يحتمل الغذاء بالعلف وجعل لاربابها الانتفاع بذلك اللبن في الاشياء التي لا يؤكل لحمها لم يجعل لاربابها الانتفاع بما يخرج
من اللبن لم يجعل لها فضل لبن وقوله عز وجل نسقيكم مما في بطونه ذكر بالتذكير فظاهره ان يذكر بالتانيث لانه لما ان يريد به الامهات
التي يدر منها اللبن او جماعة مما لذكران منها فكيف ما كان فهو يذكر بالتانيث لكن بعضهم يقولون ذكر باسم التذكير على ارادة الاكل
الذي به كان اللبن وهو النحل وهذا يدل لابي حنيفة رحمه الله لقولهم في لبن النحل انه يحرم وقال بعضهم ذكره باسم التذكير
على ارادة الجنس والجوهر من بين الاجناس والجواهر دون العدد والجماعة وقوله عز وجل من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين
قال ابن عباس رضي الله عنه معنى استخراج اللبن من بين فرث ودم وذلك ان العلف اذا وقع في الكرش طبخه الكرش فيجعل الفرث
اسفله والدم اعلاه واللبن بين ذلك ثم يسلط الكبد عليهم فيجعل الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش كما هو وقال
بعض الفلاسفة ان العلف اذا وقع فيه يصير منه فرثا ثم يصير منه دما ثم يصير لبنا خالصا فهو كالنطفة التي وقعت في الرحم تصير
علقة ثم تصير مضغة ما كوله فعلى ذلك اللبن الذي ذكر والله اعلم ويحتمل ما قال بعض الفلاسفة ان العلف يصير فرثا ثم دما ثم لبنا
ويحتمل ان يكون مجرى اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم فاي الوجهين كان فيه اللطف الذي ذكرنا ووجه ذكرهما والله اعلم على الامتنان
وكذلك من الثمرات والاعناب انه بلطفه اخرج اللبن الصافي لسنى الاشياء والطعم من اخبث الاشياء واكدره في راي العين فمن قدر على
حفظ هذه الاشياء مما ذكر بلا حجاب بدل لنا وحاجز يعرف لقادر على انشاء الاشياء من لا شيء لان الخلائق لو اجتمعوا على ان يدركوا
السبب الذي به كان حفظ هذا من هذا وامتناعه من الخلط بالخبث ما ادركوا ذلك وكذلك ما يخرج من النخيل والكروم الثمرات الطيبة
والاعناب الحلوة من غير ان يروا ثوذلك فيها ومن غير ان يدركوا السبب الذي كان به الاعناب والثمرات دل انه قادر على انشاء الا
من لا شيء اذ هي خشبة يابسة والله اعلم وقوله عز وجل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال بعضهم السكر ما يحرم منه والرزق الحسن
ما يؤكل تمرا او دبسا ونحوه وقال بعضهم السكر خمر الاعاجم والرزق الحسن ما ينبذون ويخللون ويأكلون وروي في بعض الاخبار
انه حرم السكر ولم يفسر الاية وفي الاخبار انه بعث معاذا الى اليمن وامره ان ينهاهم عن نبيذ السكر وعن عبد الله قال ان اولادكم ولدوا
على الفطرة فلا تسقوهم السكر فان الله تعالى لم يجعل في حرام شفاء وليس بين فقهاء الامصار في تحريم السكر ونقيع الزبيب ونقيع
الزبيب اذا اسكر كثيرها ولم يطبخ اختلاف انها حرام وقد ذكرناه في سورة البقرة ان في ذلك لما ذكر لاية لقوم يسمعون يعقلون
وقال النبي الفرث ما في الكرش لان اللبن كان طعاما تخلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبنا سائغا
او سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه ولا يغص وكذلك وقال ابو عوسجة اسغته اي ادخلته في حلقي حلاوة وقوله تتخذون منه سكرا و
رزقا حسنا ان تتخذون منه بالحرم اكله ورزقا حسنا ما يحل منه كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية او يخرج على تذكير النعم
في الوقت الذي كان السكر حلالا اي تتخذون منه سكرا ما تشربون ورزقا حسنا سوى الشراب وقوله عز وجل واوحى ربك الى النحل
ان اتخذي من الجبال بيوتا الى اخر ما ذكر قال بعضهم اوحى ان قذف في قلوبها ان افعلي ما ذكر والوحي هو القذف سمي بذلك لسرعته ووقوعه
ونفاذه في القلوب من غير ان يشعر الملقى فيه والمقذوف في قلبه ان احدا فعل ذلك والقاه فيه وهو ما مكن الله الشيطان من الوسوسة
في القلوب من غير ان يعلم الموسوس اليه والمقذوف في قلبه ان احدا دعاه الى ذلك او زينه ذلك وكذلك ما يلهم الملائكة بني آدم
من اشياء من غير ان علموا ان احدا دعاه الى ذلك والقاه في قلوبهم فهذا كله يرد على من ينكر الشيطان والملائكة وهم طائفة من الملحدة
يقولون ان الشهوات والاماني التي جعلت في انفسهم هي التي تبعثهم وتهيجهم على ذلك لا الشيطان فيعلم ان الانسان قد يناله
اشياء من غير ان كان منه تفكر في ذلك واماني او سابق تدبير فذلك يدل ان غيرا القى ذلك في قلبه وقذف لا على الاماني والشهوات
وهذا ايضا يدل على لطف الله في البشر انه يوفقهم على الطاعات ويحثهم عليها من غير ان علموا ان غيره في ذلك صنعا وكذلك الخذلان في
المعاصي وانواع الاجرام التي يكتسبونها ثم يحتمل قوله واوحى ربك الى النحل وغيرها من البهائم وجهين احدهما يحتمل ان انشاء
هذه البهائم على طباع تعرف بالطبع مصالحها ومهالكها ومعاشها وما به قوام ابدانها وانفسها وما به فسادها وصلاحها من غير ان
يعلم ان احدا يدعوهم الى ذلك ويشير اليها بامر ونهي لكنه بالطبع تعرف ذلك ويعلم من نحو اشياء يعلمن اشياء بالطباع من غير ان
يعلم ان احدا علمه ذلك من نحو الوز يسبح في الماء بالطبع من غير ان يعلم انها تسبح وكذلك الطير الذي يطير في الهواء من غير ان يعلم
بالطيران فعلى ذلك يحتمل فهم هذه البهائم وعرفانها ما ذكرنا من المصالح والمهالك من غير ان يعلم انها تعرف ذلك والله اعلم والثاني
يحتمل ان يكون الله عز وجل جعل خلقة هذه الاشياء بالذي يعقلون على المخاطبات والامر والنهي ويعرفون ذلك ما لا يعرف
مثله البشر الا ترى ان البشر لا يعرف المهالك والمصالح الا بالتعلم والبهائم وان صغر ذلك تعرف حتى تتوقى المهالك وترغب في
المصالح ومما يدل ان هذه الاشياء مما يفهم الامر والنهي والمخاطبات قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء الا ترى انهم فهموا الخطاب حيث ردوا عليهم الجواب بقوله و
انطقنا الله فذلك ما ذكرنا والله قد لك الوحي والقذف لكل البهائم لا للنحل خاصة لما ذكرنا من معرفتها المهالك والمصالح وما به معاشها و
غذاها ما انشادها وهلاكها حتى يعرفن ذلك من غير ان تعلم والبشر لا يعرف الا بالتعلم فهو والله اعلم لوجهين احدهما المحنة ان البشر امتحنوا بالتعليم
وذلك من الله امتحان لهم والبهائم لا محنة عليهم فعرفوا ذلك على غير تعليم او كان ذلك للبشر لفضل بعض على بعض في العلم بالتعلم اذ البهائم يستوي
صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك وفي بني آدم يتفاضلون ويتفاوتون بالتعلم والله اعلم فان قيل فاذا كان البهائم كلها مشتركة في ذلك الالهام والوحي
فما معنى تخصيص النحل في الذكر من غيرها من البهائم قيل يحتمل تخصيص النحل بالذكر والله اعلم لما ان هذه الاشياء غير النحل لا تعطي تلك المنافع التي
جعلت فيها ولا يبذل البشر الا بالرياضة والنحل تعطي ذلك لهم وتبذل من غير تعلم ولا رياضة والله اعلم ثم قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا وقوله
ثم كلي من كل الثمرات وقوله فاسلكي سبل ربك ذللا ونحوه ظاهره لكن حقيقته تمكين وتسهيل نحو قوله سيروا في كذا في الظاهر امر وفي الحقيقة
تمكين وتسبب ثم في هذه الاية وفي قوله يخرج من بطونها شراب وفيما سبق من الاية وهو قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه و
في قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا دلالة قدرته على انشاء من لا شيء ودلالة علمه وتدبيره لانه اخرج
من هذه الجواهر المختلفة اشياء من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شيء مما اكل منها هذه البهائم من الجواهر التي اخرج منها من نحو العسل الذي
اخرج من الفواكه التي اكلت واللبن من العلف الذي اكل والعصير والسكر والاعناب من الكروم اذ ليس شيء خرج منها من جنس ما اكل ولا
من جوهر ما سقي دل انه كان بغير علم قادر على انشاء الاشياء من لا شيء ولا سبب وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته لان انشاء ذلك اللبن
في البطن على غير جوهرها تناولت ومن خلاف لونه في تلك الظلمات دل ان علمه غير مقدر بعلم الخلق وان حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق و
كذلك قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق ثم قوله فاسلكي سبل ربك قيل طرق ربك ذللا وقيل مطيعة وقيل من الذل اي الرفق واللين
كقوله اذلة على المؤمنين وقوله واخفض لهما جناح الذل من الرفق واللين وهذا يخرج على وجهين احدهما ذللت سبل ربها وسهل
السلوك فيها حتى تسلك كيف شاءت وقوله عز وجل ومما يعرشون قيل ما يبنون ويتخذ من العريش وهو الذي يتخذ من الخشب وقوله عز
وجل مختلف الوانه قال الحسن الشهد والعسل يحتمل قال بعضهم مختلف في الطعم وقيل في الالوان الابيض والاحمر والاصفر وقوله عز وجل
فيه شفاء للناس قال بعضهم فيه شفاء للناس من كل داء حتى القروح وكل شيء وقال بعضهم قوله فيه شفاء من داء دون داء وقال بعضهم
فيه شفاء يعني في القران فيه شفاء القلوب للدين ويحتمل قوله فيه شفاء فان اراد هذا فهو ظاهر لا شك ان فيه ذلك الشفاء ويحتمل
فيه شفاء للدين فان كان هذا فيكون ذلك من جهة النظر فيه يدرك ويوصل الى ذلك الشفاء وقوله ثم كلي من كل الثمرات قال بعضهم
من نوع ما تاكل النحل وقال بعضهم من جميع الثمرات التي تكون في الجبال عن عبد الله قال القران والعسل هما الشفاء ان القران شفاء الدين
والعسل شفاء الابدان وقال بعضهم من اهل اللغة ان الوحي في كلامهم كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة فهو ارسال الله الملائكة
الى انبيائه ورسله كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ومنها وحي الاشارة كقوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ومنها وحي
الالهام وهو قوله واوحى ربك الى النحل وقوله واوحينا الى ام موسى وقوله بان ربك اوحى لها ونحوه ومنها وحي الاسرار كقوله يوحي
بعضهم الى بعض زخرف القول الاية وقال بعضهم ان وصل الوحي عندنا هو ان يلقى الانسان الى صاحبه شيئا للاستتار والاخفاء
وقد يكون ذلك بالايمان والخط واصل الوحي ما ذكرنا انه سمي به لسرعته ووقوعه وقذفه في القلب وقال ابو بكر نافي الوحي ان يعلم الذي
يوحى اليه ويرشده وذلك من وجهين احدهما ان الله ارشد كل دابة سوى الانسان الى مصلحتها والهرب عن مهلكها ومتلفها بما فطرها الله
عليه كما ارشد الانسان الى ما يصلحه في دينه ودنياه بالتعليم فتال الله تعليمه كل دابة ما فيه مصلحتها ومفسدتها بما دبرها عليه كما
علم الانسان بالقول والبيان فقال واوحى ربك الى النحل اي ارشدها ودلها بفطرتها ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر بيوتا فيها
ومما يعرشون يعني واتخذي مما يبني الانسان لمسكنهم وقال العريش الحيطان التي لا سماء لها بفطرها تتخذ خلايا ها في كل ذلك ثم
لمنافع الخلق ثم قال ثم كلي من كل الثمرات والثمرات مختلفة الطعم والمنظر والمشم فاسلكي سبل ربك وهو ما سبل الله لها من الورق
والماوى ذللا وقال يقول ذلك ذللك كل شيء قدره لمرزقك ومسلكك وذلك فوطلب ما نيل لك لبني آدم وجعلها سببا لمنافعهم
وصغر قدرك ليريهم بذلك قدرته وسلطانه على ما شاء ليعلموا ان خالقهم لا يعجزه شيء وانه القدير على ما يعدهم من البعث والثواب
والعقاب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه يقول الجنس واحد ثم هو ضروب كالالوان الثمر والعنب وسائر الثمار في منافع
ومشامه ومنظره وكله عسل فيه شفاء للناس لنا اولنا نعمهم وملاذهم وفيما اداه الله من قدرته على ما يشاء من ذلك فيه شفاء في الدين
والعلم يعلمون بما يشاهدون من تدبير الله وقدرته على ما بينا وقوله عز وجل ان في ذلك لاية يقول لعبرة ودليلا وبرهانا لقوم
يتفكرون فيما يشاهدون من تدبير الله وتقديره وقدرته على ما يشاء والله اعلم وقال في قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب يقول وكم
عبرة ودليل ان النخل اجذاع خشب لا طعم فيها والكرم ايضا وما فيهما من سعف وورق لا عسل فيها ولا عنب فاخرج الله عنهما ثمرات
مختلفات فيه عسل وفيه تمر وزبيب وتتخذون منه ما تلذذون من الشراب وقال هذا قبل تحريم الخمر والسكر كل ما اسكر و
تتخذون منه ايضا رزقا حسنا اي طيبا وهو ما تاكلون منها وما تشربون بها اموالا كثيرة من الله به عليهم وقال بعضهم السكر

كل شئ حرمه الله من ثمارها من الشراب الخمر من العنب والسكر من التمر والرزق الحسن ما احل من ثمرها الزبيب والتمر والنبيذ وقال السكر ما اسكر والرزق الحسن واشباهه ان فى ذلك لاية دليلا وبيانا لقوم يعقلون ما ينتهون فيعلمون ان الذى لم يعجز عما خلق لهم من الثمار من خشب يابس بعد ان يحيا الموتى او يخلق ما يشاء وما عرف الخلق انه يكون من النطفة الولد ومن الماء والاشجار الفواكه ومن العلف اللبن وغير ذلك من الحوادث التى تحدث من الاشياء وتلك اسبابها ما لم يدرك كون تلك الاشياء فيها ولا يرى ولا يعرف ذلك الا بعلم من هو عالم بذاته لان علم ذلك لو كان بتعليم لو اجتهد واكل جهدهم لم يدركوا هذه من تلك الاشياء مما ذكرنا ولا كونها منها دلالة الذى علمهم هو عالم بذاته فاذا ثبت كونه بعالم بذاته وان كانوا لم يشاهدوا الا عالما بغير فعلى ذلك هو قادر على انشاء من لا شئ وان كانوا لم يعاينوا فى الشاهد شيئا الا من شئ وفيه ان ما يحدث ويكون من اللبن بالعلف الذى ياكل والطعام الذى تناول والفواكه والثمار التى تخرج ليس تكون بنفس الماء او بنفس الطعام والعلف ولكن باللطف من الله تعالى لانه قد يستوى ذلك الماء الشجر والنخل فى حال ثم لا يكون فيه الثمر وكذلك الدواب تعلف فى حال لا يكون ذلك منه **وقوله** عز وجل والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا فان قيل لنا امتن لنا علينا فى ذكر خلقنا ثم توفيه ايانا ورده لنا الى الحال التى هو حال الجهل حتى لا نعلم شيئا قبل ذكرهنا والله اعلم يحتمل وجوها احدها يذكرهم انه هو الذى خلقكم ثم هو يتوفيكم ثم هو يملك ردكم الى الحال التى لا تعلمون شيئا وفى ملكه وسلطانه تتقلبون فكيف عبدتم الاصنام والاوثان التى لا تملكون شيئا من ذلك واشركتموها فى الوهية وعبادته او يذكرهم انه خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم بعدما احياكم ثم يردكم الى الحال التى لا تعقلون شيئا بعدما جعلكم عقلاء علما من ملك هذا ويقدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت والبعث بعد الفناء او يذكر ليعلم انه لم يكن المقصود بخلقه الفنا خاصة لكن لامر اخر قصد بخلقهم وهو ما ذكر فيما تقدم من انواع النعم وتسخير ما ذكر من الاشياء لهم ليعلموا ان المقصود فى خلقهم لم يكن الفنا خاصة اذ لو كان الفنا خاصة لم يحتج الى ما خلق لهم من الاغذية والنعم التى انشاء لهم والاشياء التى سخر لهم وقال ابو بكر الاصم قوله والله خلقكم وكنتم نطفا امواتا فاحياكم ثم يتوفاكم اطفالا او شيوخا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يقول يرده بعد قوة وعلم وتدبير الامور الى الخرف والجهل بعد العلم ليتبين لخلقه ان العمر والرزق ليس بهما دنى وقوى لانهما ثابتان ثم يبلى ويفنى بهما ويرجع الى الجهل ولكن بلطف من الله وتدبير منه لا بالاغذية والله اعلم ان الله عليم بما دبر فى خلقه مما يدركون به قدرة خالقهم وتقدير الامور وما يكونون به حكما وعلماء ان الذى دبرها حكيم قدير على ما شاء الحكمة فيما ذكر من تفريق الاجال ليكون ابدا خائفين راجين لانه لو كانت اجالهم واحدة يامنون ويتعاطون المعاصى على امن لما يعلمون وقت نزول الموت بهم والثانى ليعلموا ان التدبير فى انفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم لان التدبير والامر لو كان اليهم لكان كل منهم يختار من الحال ما هو اقوى واكد **وقوله** عز وجل والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق قال بعض اهل التاويل يذكر هذا مقابل ما اشركوا خلقه وعباده فى الوهيته وعبادته يقول فضل بعضكم على بعض فى الرزق والاموال حتى بلغوا السادة والموالى فلا ترضون ان يكون عبيدكم وما ملكتم شركاء فى ملككم واموالكم فكيف ترضون لله ان يكون عبيده وما ملكه شركا الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وقال ابو بكر الاصم قوله فضل بعضكم على بعض فى الرزق اغنى بعضكم وافقر بعضا وجعل منكم احرارا وعبيدا فما الذين فضلوا بالغنى والتمليك برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم من عبيدهم فهم فيه سواء ان يستوى المولى وعبده فيما ملكت يمينه يقول فليس احد منكم يرضى ان يكون عبده بمنزلته فيما يملك سواء فاذا رايتم انتم ذلك نقصا بكم لو فعلتم فكيف زعمتم ان الله اشرك بينه وبين اوثانكم حتى اشركتم وما ملككم الله بينه وبين الاوثان فى العبادة وفيما اتاكم من رزق فعلتم هذا لله وهذا لشركائنا افبنعمة الله يجحدون يقول انعم الله عليهم بانفسهم وارزاقهم واموالهم واولادهم فاشركوا غير الله فيها وجحدوا انعم الله عليهم بها عصوا وبها كفروا ثم الزمهم النظر فى الفضل الذى ذكر انه فضل بعضهم على بعض الى عين الفضل الذى كان من الله لا الى الاسباب التى اكتسبوها ليعلموا انهم لم ينالوا تلك الفضائل باستحقاق منهم ولكن انما نالوا بفضل منه ورحمة فيكون ذلك دليلا لهم فيما انكروا من افضال الله واختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وان كانوا جميعا من بشر ومن جنس واحد على ما فضل بعضهم على بعض فى الرزق والسعة والملك والحرية والسلطان وان كانوا جميعا فى الجنس فاذا لم ينكروا هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص بالرسالة من فضله ورحمته فلذلك قال والله اعلم ام يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اخبر انه برحمته وفضله ينال ما ينال من الرسالة وغيرها لا بالاستحقاق والاستيجاب كان منهم وان يذكر سفههم بانهم يانفون ان يشركوا عبيدهم وما ملكتهم فى ملكهم واموالهم ولهم منهم منافع من الخدمة والاعانة فى الامور ثم بالهم يشركون احجارا وخشبا لا منفعة لاحد منهما فى الوهية الله وربوبيته وفى عبادته افبنعمة الله يجحدون وعلى تاويل النبوة ايفضل الله ورحمته يجحدون انه لا يفضل بعضا على بعض بالرسالة او يجحدون ما اتاهم الله من النعم فيصرفون نعمه الى غيره وهى الاصنام التى عبدوها فقالوا هذا لشركائنا او ينصرفون شكر نعمه الى غيره وهى الاوثان التى عبدوها والله اعلم **وقوله** عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة قال الحسن وغيره الحفدة الخدم والمماليك فهو على التقديم على تاويل هؤلاء يقول جعل لكم من انفسكم ازواجا وخدما من جنسكم لانه ذكر فيما تقدم والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق الاية يذكرهم نعمه وفضله الذى ذكر انه جعل لكم من جنسكم ازواجا وخدما تحت ايديهم يستمتعون بالازواج ويستخدمون الخدم والمماليك وهم من جنسهم وجوهرهم يذكرهم فضله

ومنته عليهم او يشبه ان يكون هذا صلة قوله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا الاية كانوا يانفون عن البنات ويدفنون هن حياء اذا ولدن انفا منهن يقول والله اعلم كيف تانفون منهن وقد جعل لكم من البنات ازواجا تستمتعون بهن حتى لا تقبروا عنهن وكذلك جعل لكم من البنات البنين الذين ترغبا انفسكم فيهم مالولا البنات لم تكن لكم الازواج التى تستمتعون بهن ولم يكن لكم البنون الذين ترغبون فيهم والانصار والاعوان والخدم الذين ترغبون فيهم فيبين ويذكر تناقضهم فى الانفة منهن يانفون منهن ومن البنات يكون ما يرغبون فيهن فهذا يدل ان النساء يصرن كالملك للازواج ويصرن تحت ايديهم فى حق ملك الاستمتاع كالمماليك فى حق ملك الرقاب ثم جعل عز وجل التناسل فى الخلق على التعادين وتقليبهم من حال الى حال وتقلبهم ابدا كذلك لم يكن اذكر لتدبيره وانظر فى اياته ودلالة لانه ولو شاء لانشاء الخلق كله بمرة واحدة وافناهم بدفعة واحدة وكذلك ما جعل لهم من الارزاق وانواع البنات لو شاء لاخرج لهم ذلك كله بمرة واحدة فى وقت واحد لكنه انشاهم بالتعادين ليذكرهم النظر فى اياته وتدبيره ليكون ذلك لهم ادعى الى المرغوب واحذر للمرهوب وكذلك ما رد ومن الانبياء والقصص والمواعيد وذكر الجنة والنار فى القران فى غير موضع ليبعثهم ويحثهم على النظر فى اياته وتدبيره ويرغبهم فى كل وقت فى المرغوب ويحذرهم عن المحذور والمرهوب ثم قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وقال فى اية اخرى فقوا انفسكم وقال ولا تقتلوا انفسكم ونحوه ذكر الانفس فى كله ثم لم يفهم اهل الخطاب من هذا كله معنى واحدا وشيئا واحدا وان كان فى حق اللسان واللغة واحدا لكنه فهموا فى كل غير ما فهموا فى اخر فهذا يدل انه لا يفهم الحكمة والمعنى فى الخطاب بحق ظاهر اللسان واللغة ولكن بدليل الحكمة المجعولة فى الخطاب ومن اعتقد فى الخطاب الظاهر حسم باب طلب الحكمة فيه والمعنى لانه يجعل المراد منه الظاهر **وقوله** عز وجل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة هو ما ذكرنا وحفدة اختلف فيه قال بعضهم الحفدة الخدم والمماليك وقال بعضهم الحفدة ولد الولد وقال ابن مسعود رضى الله عنه الحفدة الاختان وروى عنه انه قال الحفدة الاصهار والاختان على واحد وقيل الحفدة الاعوان والانصار يذكرهم التناقض فيما يانفون من البنات انه كيف يانفون عنهن ومنهن يكون لكم الاعوان والانصار والاختان فى امر الدنيا وقال ابو عوسجة الحفدة بنو البنين وقال ايضا الحفدة الاعوان والحافد المجتهد فى العبادة وفى العمل يقول احفد يحفد اى خدم واجتهد وقوله واليك نسعى ونحفد اى نجتهد وقال القتبى الحفدة الخدم والاعوان يقال لهم بنون وخدم وقال اصل الحفد مداركة الخطو والاسراع فى المشى وانما يفعل ذلك الخدم فقيل لهم حفدة واحدها حافد ومنه يقال فى دعاء الوتر واليك نسعى ونحفد وقال ابو عبيد واصل الحفد العمل وقال ومنه الحرف فى القنوت نحفد اى نعمل والله اعلم **وقوله** عز وجل ورزقكم من الطيبات قال بعضهم الطيبات الحلالات وقال بعضهم الطيبات اى كل ما طاب ولان ولطف ودفق نحو كرمن الدواب والبهايم كل ما خشن وخبث يذكر منته عليهم ليستادى بذلك شكره **وقوله** عز وجل افبالباطل يؤمنون قال بعضهم بالشيطان يصدقون ويجيبونه الى ما دعاهم من الانفة من البنات وبنعمة الله هم يكفرون اى حين البنات لكم نعمة فكيف تكفرونها فقال افبالباطل يؤمنون اى بالشيطان الى ما دعاكم وبنعمة الله اى بمحمد يكفرون او بالاسلام او بالقران وقال ابو بكر الاصم افبالباطل يؤمنون يقول تعبدون بانكم عبيد الاحجار تزلفون لها وتعبدونها وبنعمة الله هم يكفرون يقول وبالنعم الله عليكم فى انفسكم وما خولكم ورزقكم تكفرون به وكان الشكر اولى بكم والله اعلم **وقوله** ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا فائدة ذكره هذا لنا والله اعلم ليلا نتبع بعض المخلوقين باهوائنا ولا نكل فى امورنا الى من نعلم انه لا يملك ضرا ولا نفعا ولا يستطيع شيئا من الرزق كما تبع اولئك فى عبادة من يعلمون انه لا يملك شيئا ولا نفعا ولا ضرا فيعبدونه يذكر سفههم من عبادتهم من يعلمون انه لا يملك شيئا من النفع والضر والرزق ليلا نفعل نحن مثل صنيعهم بمن دون الله من المخلوقين ثم اختلف فى قوله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا قال الحسن هو على التقديم اى يعبدون من دون الله شيئا لا يملك لهم ما ذكر وقال بعضهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض ولا يستطيعون شيئا وقال بعضهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض ولا شيئا فلا تضربوا لله الامثال اى لا تتخذوا لله الامثال من الخلق واشباها وفى الوهيته وعبادته ولا تقولوا ان له اشباها وامثالا او يقول فلا تجعلوا لله مثالا فى العبادة واشباها فى تسميتهم الهة على علم منكم ان ما يكون لكم انما يكون بالله لا بالاصنام التى تجعلونها امثالا لله فى العبادة والوهية وجائز ان يكون فلا تضربوا لله الامثال اى فلا تضربوا الاولياء اى الامثال فانه قد بين محل اوليائه ومكانهم **وقوله** عز وجل ان الله يعلم ان لا مثل له من الخلق ولا شبه وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم بمصالحكم وانتم لا تعلمون ما به صلاحكم وما اذاكم **وقوله** عز وجل ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ضرب المثل بهذا من وجهين احدهما ان من لا يقدر ولا يملك ان ينفق فى الشاهد عندكم ليس كمن يملك ويقدر ان ينفق فهو كقوله هل يستوى الاعمى والبصير وكقوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع اى ليس يستوى البصير والاعمى ولا الاصم والسميع فعلى ذلك لا يستوى من يملك الانفاق والانعام على الخلق وهو المعبود الحق ومن لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل والثانى ضرب مثل المؤمن والكافر ان الكافر لا ينفق ما انعم عليه من المال فى طاعة الله ولا فى خيراته والمؤمن ينفق جميع ما انعم عليه واعطى فى طاعة الله وخيراته فليسا بسواء من انفق فى طاعة الله كمن لا ينفق شيئا احدهما يكون ضرب مثل الاله الخالق والمعبود الحق بالمعبود الباطل والثانى مثل المؤمن بالكافر ثم فى الاية وجوه من الدلائل احدها ان القدرة لا تفارق الفعل حيث قال عبدا

مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه جعل مقابل العقل القدرة فلو كانت نفاذ الفعل لكان ذكر من
القدرة مثلها او مقابل الفعل بفعل مثله فلما ذكر مقابل القدرة الفعل انها لا نفاذ في الفعل وفيه ان العبد لا يملك حقيقة الملك حيث ذكر
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وان قدر ما يملك انما يملك باذن من له الملك وكذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الاملاك انما حقيقة
الملك في الاشياء لله وان قدر ما يملكون انما يملكون بالاذن على قدر ما اذن لهم وفيه ان العبد لا يملك الانفاق والتصدق حيث قال
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال فيمن يملك ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق دل انه لا يملك العبد الانفاق والهبة وقوله عز وجل
هل يستويان مثلا الحمد لله قال بعضهم ذكر الحمد لله على اثر ما ذكر لانه عرف رسوله النعم وانواع المنافع ثم عرفه على اثر ذلك الحمد لله وقال
بعضهم الحمد لله ثناء اخبر ان اكثرهم لا يعلمون حمده وثناءه وقوله ومن رزقناه منا اي من اوليائنا او من اولياء ديننا وذلك جائز
سائغ في اللغة ثم قوله لا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا او على حقيقة النفي لما لم ينظروا في الايات والحجج ولم يتاملوا فيها
فلم يعلموا والله اعلم وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه الى اخر الاية فالوا هذا المثل كالاول
يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في الاول احدهما في المؤمن والكافر شبه الكافر بالمملوك الابكم الذي لا يقدر على شيء وهو كل
على مولاه لا يأتي المولى بخير ولا ينتفع به وشبه المؤمن بالذي يأتي المولى بكل خير وينفع يقول هل استوى هذا مع هذا عندكم لا يستوي فعلى
ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئا من طاعة الله ولا يأتي بخير والمؤمن الذي يعمل كل طاعة الله ويأتي بكل خير ويأمر بكل عدل ممن هو ابكم و
الثاني ضرب مثل الاله المعبود الحق والمعبود الباطل يقول هل يستوي من اتاكم بكل نعمة وكل خير ويأمر بكل عدل ممن هو ابكم لا يقدر على شيء ولا يضر
ولا ينفع ولا يجيب وهو عيال على من يعبده ويخدمه هل يستوي هذا مع ذلك لا يستويان مثلا البتة غير ان المثل ههنا ضرب بالذي لا ينطق
بالحق ولا يأمر بالعدل الذي يأمر بالعدل ذكر مقابل الابكم الذي يأمر بالعدل وفي الاول ضرب المثل الذي لا يملك الانفاق بالذي
يملك الانفاق وقوله عز وجل وهو على صراط مستقيم او هو على الحق المستقيم وهو المعبود بالحق قال ابو عوسجة الكل العيال وكذلك
قال غيره من اهل الادب وقال بعضهم الكل الثقيل وهو واحد والاخرس والابكم الاخرس وهو الذي لا ينطق البتة وقالوا ومن يأمر
بالعدل بالتوحيد وقوله عز وجل ولله غيب السموات والارض هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكر اهل التأويل من السؤال عن الساعة
ومن وقتها كقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض خفاءه
على اهلها لان كل خفي ثقيل اخبر انه لا يجليها الا لوقتها ووقت قيامها لا يعلمه غيره والثاني ولله علم ما غيب اهل السموات واهل الارض
اي ما غيب بعضهم من بعض فذلك ليس بغيب عن الله بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك لله كله ظاهر بمحل واحد وهو كقوله
يعلم ما تسرون وما تعلنون والثالث قوله ولله غيب السموات والارض اي له علم ما في سرية هذه الاشياء الظاهرة مما لا سبيل
للخلق الى علم ذلك وان كانوا هذه الاجسام والاشياء الظاهرة ويقع حواسهم عليها لا يعلمون ما في سرتها من نحو الماء الذي به
حيوة كل شيء ونحو النطفة التي يخلق منها الانسان لا يعلمون المعنى الذي به يصير انسانا ومن نحو السمع والبصر والعقل يعلمون
ويرون ظواهر الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه يقول والله علم ما غاب عن الخلق ما في
هذه الاشياء الظاهرة والاجسام المرئية ويقول ولله ملك ما غاب عن اهل السموات والارض وملك ما لم يغب عنهم وظهر لهم وذلك
كقوله ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير كما ثم قال والله اعلم ولله العلم الذي غيب عن اهل السموات واهل الارض
وهي الساعة لم يطلع عليها غيره وقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر قال بعضهم قوله وما امر الساعة اهون على الله وايسر
من لمح البصر اذ ليس شيء ايسر واهون على الانسان من لمح البصر لانه يلمح البصر وهو وهو قريب اي بل هو اقرب اي ايسر من لمح البصر
وقال الحسن اعادة الخلق على الله ايسر واهون من لمح البصر لانه يلمح بصره فيبصر به بلحظة ما بين الارض الى السماء وهو مسيرة
خمسمائة عام يقول من قدر ان ينشئ في خلق من خلايقه ما يبصر بلحظة البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على اعادة الخلق
وبعثهم بعد الفناء بل هو اقرب اي اعادته ايام اسرع واقرب من لمح البصر الى هذا يذهب الحسن وقال بعضهم وما امر الساعة
اي ما وقت قيام الساعة الا كلمح البصر اي ليس بين وقت قيامها وبين كونها الا لمح البصر بل هو اقرب من لمح البصر لكنه مثل لمح البصر
لما ليس شيء عندنا اسرع واهون من لمح البصر لما ذكرنا انه يلمح ولا يشعر به لسرعته وخفته عليه فذكر هذا على التمثيل ليس على ارادة حقيقة
الوقت بقدر لمح البصر ولكن على المبالغة في السرعة وذكر اقصى ما يقع في الاوهام ويتصور من نحو ما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
وشرا يره وما قال ما يملكون من قطمير ولا يظلمون فتيلا ولا يظلمون نقيرا وامثاله كله يذكر على التمثيل ليس على التحقيق اي ما يعمل من قليل
او كثير يره شرا كان او خيرا وكذلك لا يظلمون فتيلا ونقيرا اي لا يظلمون شيئا وكذا ما يملكون من قطمير اي لا يملكون شيئا لان القطمير
لا يملك فانما يذكر هذا وامثاله على التمثيل الذي ذكرنا او ان يكون تأويل قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اي ليس ما بين الساعة
وبينكم فيما مضى من الوقت الا وقدر لمح البصر اي لم يبق من وقت قيامها مما مضى الا ما ذكر من لمح البصر او اقرب مما ذكر على الاستقصار
مما بقي ان الله على كل شيء قدير وعلى البعث والاعادة وعلى كل شيء لا يعجزه شيء وظاهر الاية ينقض على المعتزلة قولهم لانكارهم خلق
افعال العباد لانه اخبر انه على كل شيء قدير وعلى قولهم هو غير قادر على الف الف شيء وقوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم

لا تعلمون

لا تعلمون شيئا يذكر بهذا قدرته وسلطانه على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم بها والحكمة التي جعل في البعث فقال والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا خلق الولد في ظلمات ثلاث وجعل غذاءه بغذاء الامهات وبقاءهم ثم تقلبه في تلك
الظلمات من حال الى حال ما لو اجتهد الخلائق ان يجعلوا اغتذاءه بغذاء الامهات وتقليبه من حال الى حال ومن جوهر الى جوهر ما قدروا
على ذلك فيدل هذا على ان من قدر على هذا وعلم هذا في تلك الظلمات لقادر على البعث واعادة الخلق بعد الفناء وعلم ما غاب عن
الخلق ويذكرنا ابتداء احوالنا انه اخرجنا من بطون امهاتنا ونحن لا نعلم شيئا ثم صيرنا بحال صرنا عالمين اشياء يذكرنا نعمه ومننه
علينا في بلوغنا الى الاحوال التي صرنا اليها بعد ما كنا ما ذكر والثاني يذكرنا انكم كنتم بالحال التي ذكر لتعلم انه صيرنا في البطون بلا
استعانة باحدنا ولا عون منه الى احد والله اعلم وقوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فمن قدر على جعل السمع
حتى يسمع الاصوات ويميز بينها ويبصر ويميز بين الوان الاجسام والفؤاد ليفهم ويعقل ما له وما عليه ما لا يدركون ماية
ما به يسمعون ويبصرون ويعقلون وما به يميزون بين ما ذكرنا فمن قدر على انشاء الخلق بعد الفناء والاعادة بعد الموت
ثم ذكر على اثر قوله لا تعلمون شيئا السمع والبصر والافئدة فذلك يدل على ان هذه الاشياء من اسباب العلم بالاشياء وبها يوصل
الى العلم بالاشياء فمن اعطي اسباب العلم بالشيء فكان قد اعطي له العلم به والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تشكرون هو حرف شك
في الظاهر ذكر والله اعلم لانه لا كل الناس يشكرون نعمه او لكي يلزمهم الشكر وقوله عز وجل الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء
ما يمسكهن الا الله اي من قدر على امساك الطير وهي اجسام كغيرها من الاجسام في الهواء بلا اعانة في الاسفل ولا تعلق بشيء من
الاعلى لقادر على انشاء الخلق واعادتهم بعد الفناء او يقول الم يروا الى اللطف الذي جعل في الطير والحكمة التي انشأ فيها حتى
قدرت على الاستمساك في الهواء والطيران في الجو ما لو اجتمع الخلائق جميعا ان يدركوه ذلك اللطف وتلك الحكمة ما قدروا على
ادراكه وفي ذلك نقض قول المعتزلة لان الطيران فعل الطير ثم اضاف ذلك الى الله حيث قال ما يمسكهن الا الله دل ذلك ان لله
في ذلك صنعا وفعلا وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون جميع ما ذكر يكون اية لمن امن لانه هو المنتفع قال ابو عوسجة
لمح البصر سرعة النظر وجو السماء هواها ويقال بطن السماء ويقال الجو جوف السماء ويقال الجو ما اطمأن من الارض والاول اشبه وقوله
عز وجل والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ظاهر هذا انه قد جعل لنا من البيوت ايضا ما ليس يسكن لانه قال جعل لكم من بيوتكم سكنا وهو
ما ذكر في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وهو كالمساجد والرباطات وغيرها ويشبه ان يكون ذكر هذا ليذكر
عظيم منته ونعمه حيث جعل الارض بمحل يقرون عليها ويمكن لهم المقام بها بالرواسي التي ذكر واثبت فيها بعد ما كانت تميد بهم
ولا تقر بها اخبر انه قرها بالرواسي وان يكون حرف من صلة اي جعل لكم بيوتا تسكنون فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين
احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها تسكنون فيها او جعل لكم بيوتا اي علمكم تسكنون فيها ثم قوله جعل لكم
من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها تسكنون فيها او جعل لكم بيوتا اي
علمكم ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه اياكم ما تقدرون على بناء البيوت فيها يذكر منته عليهم والله اعلم وفي هذه الايات
في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ونحوه دلالة نقض قول المعتزلة لانه ذكر انه جعل بيوتا سكنا
والسكن فعل العباد دل ان لله في فعلهم صنعا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا قال اهل التأويل جعل لكم من جلود الانعام اي من
صوفها لكنه اضافها الى الجلود لما من الجلود يخرج ومنها يجز ويؤخذ وهو ما ذكر ومن اصوافها وهو صوف الغنم واوبارها وهو
صوف الابل واشعارها ما يخرج من المعز يوم ظعنكم قبل يوم سفركم وسيركم ويوم اقامتكم قال بعضهم في المصر وقال بعضهم في
السفر حين النزول والجعل في هذا يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا احدهما على التسخير لهم والثاني على
التعليم ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدر السكن حيث قال من بيوتكم سكنا ولم يذكر في البيوت المتخذة من الجلود والادبار
والاشعار فكانه ترك ذكره في هذا لذكره في الاول ذكر بتصريح وذكر في الثاني ذكر دلالة وقوله عز وجل اثاثا قيل الاثاث والرياش
واحد وهو المال وقيل ما يتخذ من الثياب والامتعة وقوله عز وجل ومتاعا الى حين يحتمل الى حين الى وقت بل ذلك الاثاث او الى
حين وقت فنائهم وقوله عز وجل والله جعل لكم مما خلق ظلالا لا يحتمل قوله ظلالا البيوت التي ذكر وهي تظلهم ويحتمل الاشجار
وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي الغيران والبيوت التي تتخذ في الجبال تقيهم عن الحر والبرد وجعل لكم سرابيل قيل القميص والدروع
ثم ذكر ان ما ذكر من البيوت والاكنان والسرابيل تقيكم الحر وتقيكم ايضا باس العدو كذلك يتم نعمته عليكم ما ذكر من انواع
النعم وقوله عز وجل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ذكر انها تقي من لحى وهي تقي الحر والبرد جميعا فكان في ذكر احدهما ذكر
الاخر ذكر كفاية وقوله كذلك يتم نعمته عليكم اي كذلك يتم نعمته عليكم بان يلزمهم الاسلام او حجته ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره ويحتمل الرسول
وقوله عز وجل لعلكم تسلمون جميع ما ذكر من النعم والايات في هذه السورة من اولها الى اخرها انما ذكر لهذا الحرف وهو قوله لعلكم تسلمون وما
ذكر لعلكم تشكرون ولعلكم تهتدون يحتمل ان يكون هذه الاحرف كلها واحدا ويحتمل ان يكون لكل حرف من ذلك معنى غير الاخر والله اعلم وقوله
عز وجل فان تولوا عن الاجابة لك وعاندوك فانما عليك البلاغ المبين اي ليس عليك اجابتهم انما عليك التبليغ اليهم والبيان لهم وقوله

عز وجل يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يحتمل النعمة هاهنا محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وما ذكر يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل ويحتمل نعمة الله يعرفون نعمة الله وهو ما ذكر عرفوها انها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم الاصنام وصرفهم شكرها الى غيره
كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله مع ما يعرفون ان الله هو خالقهم وان ما لهم كله من عند الله يعبدون الاصنام فتكون عبادتهم دون الله
كفران نعمة الله وقال ابو عوسجة يوم ظعنكم يوم سيركم ظعن سار والسرابيل القميص يقول تقيكم اى تستركم وقال القتبي ظلالا اى ظلال الشجر
والجبال وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون هذا والله اعلم في قوم علم الله انهم يؤمنون بما ذكر لهم من انواع النعم والافضال ليعلم ان ذلك
من اعظم نعم الله لانه لا احد الا ينتفع به وقال بعض اهل التاويل سميت سورة النحل سورة النعم لما فيها من ذكر النعم وانواع منافع الخلق من اولها
الى اخرها **وقوله** يوم نبعث من كل امة شهيدا قال بعضهم شهيدها ان يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة جوارحهم عليهم وهو قوله يوم يشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم الاية وقوله يومئذ تحدث اخبارها ونحو ذلك من الايات
التي فيها ذكر الشهادة عليهم عند انكارهم اعمالهم التي عملوها وقال بعضهم شهيدها رسولها الذي بعث اليهم يشهد عليهم انه قد بلغ اليهم رسالة
ربهم وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير والنذير هو الرسول المبعوث اليهم وهو ما ذكر ايضا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وكقوله و
كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اخبر انه يجيء بمحمد صلى الله
عليه وسلم شهيدا على اولئك ان الرسل قد بلغوا الرسالة اليهم وهو ما ذكر فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقوله يوم يجمع الله
الرسل الاية يقول يوم ينادبهم يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عما اجابوا الرسل الى هذا يذهب بعض اهل التاويل
والله اعلم جميع ما ذكر في القران من مجيئه واتيانه ونحوه جائز ان يكون ذلك البعث تفسير ذلك كله قوله يوم نبعث من كل امة كذا من ذلك و
قوله وجاء ربك والملك هل ينظرون الا ان ياتيهم الله وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فهو البعث والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم لا يؤذن
للذين كفروا وقال الحسن لا يؤذن لهم بالاعتذار لانه لا عذر لهم وهو ما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون لانه لا عذر لهم واعتذارهم
لا ينفع لهم شيئا انما اعتذارهم من نحو قولهم ربنا هؤلاء اضلونا وقولهم لولا انتم لكنا مؤمنين ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم لذلك
ولا هم يستعتبون قال الحسن ولا هم يعتبون اى لا يستعتبوا فاهم من العتبى اى من الغاية التى لا ينالون عما كان منهم
وقال بعضهم لا يؤذن لهم لا يمكن لهم من التوبة والرجوع عما كانوا لان ذلك الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع كقوله فلما راوا باسنا
قالوا امنا بالله وحده الاية وقال فلم يك ينفعهم ايمانهم ونحو ولا هم يستعتبون العتاب الخالق وهو تذكير ما كان من الغرط ليرجع عما
كان منه فذلك في الاخرة لا يحتمل ويحتمل لا يؤذن للذين كفروا اى لا يؤذن لهم بالكلام كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يؤذن
للشفعاء ان يشفعوا للذين كفروا ويؤذن لهم في الشفاعة ان يشفعوا المؤمنين **وقوله** عز وجل واذا راى الذين ظلموا العذاب وتعاويه ليهم
ما ذكر فلا يخفف عنهم ولا هم انهم لم يرد رؤية العذاب ولكن الوقوع فيه فلا يخفف عنهم لانه يدوم ولا تخفيف عما يدوم من العذاب ولا هم
ينظرون اى يمهلون من العذاب والثانى لا يخفف عنهم عما استحقوا واستوجبوا وما ذكرنا انه لا يكون لعذابهم انقطاع
وقوله عز وجل واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك قال الحسن هو الذين اشركوا هم اوثانهم
واولياءهم من الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وقيضنا لهم قرناء الاية وقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين
وقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية وقوله شركاءهم دعوا اولياءهم [illegible] شركاءهم الذين ذكر قوم هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك على هذا [illegible] كنا ندعوهم اياهم من دون ذلك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وقال بعضهم
قوله هؤلاء شركاؤنا الذين ندعوا من دونك الاصنام التى عبدوها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى يكونون وهو ما ذكر كما
عن عبادتكم لغافلين يكونون بها قالوا ويخبرون انهم كانوا غافلين عن عبادتهم وقال بعضهم شركاؤهم الملائكة الذين عبدوهم كقوله
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم
مؤمنون فاعبدوا الجن بامرهم ودعائهم [illegible] او يكون شركاؤهم [illegible] الذين اتخذوا الاتباع لهم ويحتمل الاصنام وما ذكر والله اعلم **وقوله**
عز وجل فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون هو ما ذكرنا يقولون لهم انكم لكاذبون انكم كذبتم بعبادتكم **وقوله** عز وجل والقوا الى الله
يومئذ السلم اى يخضعون كلهم في يومئذ ويخلصون له الدين ويسلمون له الامر والالوهية وضل عنهم ما كانوا يفترون اى بطل عنهم
ما طمعوا بعبادتهم الاصنام والاوثان التى عبدوها من الشفاعة وغيرها كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا
عند الله بطل عنهم ما طمعوا وجوابهم عبادة اولئك من الشفاعة لهم والقربة الى الله **وقوله** عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال بعضهم هؤلاء كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب
الدائم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلال غيرهم وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
وكقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم الاية اخبر انهم يحملون اوزارهم واثقالهم واوزار الذين اضلوهم ومنعوهم عن الاسلام فعلى ذلك
قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما اضلوا اتباعهم وسعوا في الارض بالفساد وهو ما ذكر من صدهم [illegible] وقال بعضهم ان عذابهم كلما ارادوا
ان ينقطع ويتضح الجلود زيدت لهم بتبديل الجلود ثم ما كلما ارادوا ان يخرجوا زيدتهم سعيرا كقوله بدلناهم جلودا غيرها وقوله كلما خبت زدناهم

سعيرا فذلك هو الزيادة في العذاب ويحتمل غير هذا وهو ان عذاب الكفر دايم ابدا فيزدادهم عذابا بما كان لهم في الكفر سوى الكفر اعمال
وسساو كما يعفى ويتجاوز عن المؤمنين بما كان منهم من المساوي كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز يعفى عن المؤمنين المساوي ويزيد لاهل
الكفر على عذاب الكفر بالمساوي لهم وفي حرف ابن مسعود زدناهم عذابا ضعفا بما كانوا يفسدون واصله ان جزاء الاخرة من الثواب والعقاب
على المضاعفة لانه دايم لا انقطاع له وما ذكر من الزيادة والفوق وغيره فهو على المضاعفة **وقوله** عز وجل ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم
من انفسهم يحتمل قوله من انفسهم اي من البشر ويحتمل ما ذكر من شهادة الجوارح عليهم **وقوله** عز وجل وجئنا بك شهيدا على هؤلاء هو ما ذكرنا
يشهد لمن اجابه بالطاعة وعلى من رده وكذبه بالرد والتكذيب **وقوله** عز وجل ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء يحتمل قوله تبيانا لكل شيء
ما ذكر في هذه السورة لانه ذكر فيها جميع اصناف النعم واجواهرها ووجوه الاسباب التي بها يوصل اليها وذكر فيها ما سخر لهم من انواع الجواهر
وفيه ذكر ما عدوا وعبدوا من دونه وذكر ما سأل بالاعتداء وما ظفروا بيناه وبهم وفيه ذكر سلطانه وقدرته وذكر سفه الكفرة وعنادهم
وما ذكر ما يؤتى ويتقى فذلك تبيان كل شيء او ان يكون في الكتاب تبيان كل شيء وفي القران ما ذكرنا من الامر والنهي والوعد والوعيد و
اخبار الامم الماضية وامثالهم وجميع ما يؤتى ويتقى ففيه تبيان كل شيء من الوجه الذي ذكرنا او ان يكون انزل عليه الكتاب لكل ما دعا به
الرسل وجاءت به الرسل والكتب جميعا في هذا الكتاب جميع ما اتى به الرسل والكتب من الامر والنهي والوعد والوعيد كقوله ومهيمنا عليه
ثم اختلف في ذلك البيان قال بعضهم يحتمل الاية وجهين احدهما الخصوص على الاصول دون الفروع كذكر الكمال للدين لكن ذلك وصف
الدين وقد يقع له الكمال بالكتاب والسنة وهذا الكتاب لم يجز التقصير عن الاشتمال على ما الزمت الحاجة في امر الديانة وذكر ان الكتاب
تبيان لكل ما دفعت اليه حاجة في اصول الدين من الايمان وانواع العبادات والاحكام مع الحدود والحقوق ومكارم الاخلاق تنتظم صلة
الرحم وعشرة الاخوان وصحبة الجيران ونحو ذلك فتشتمل هذه الجملة على اصول الدين وما دونها يكون موكولا الى بيان الرسول ليبين الكتاب
بما شرطه تلاوة ودلالة الوجه الثاني ان يكون تبيانا لكل شيء منتظما لما فيه جملة ومبهمة ومشكلة ولبيان الرسول جملة وتفسيره
مبهمة وايضاحه ودلالته على مشكله وقال والسنن كلها بيان الكتاب لا ترابط بعض ببعض ثم تد يحتمل الايات التي فيها ذكر البيان التفصيل
وجوها غير الوجهين الذين ذكرنا احدها انه تبيان كل شيء ظهر فيه التنازع بين اهل الاديان والزمتهم الفرجة فيه الى البيان بجملة
الكتاب تبيانا الزمهم بالتدبر العلم بانه من عند الله بخروجه عما عليه وسع القوم عن نوع ما ذكر فيه من الحجج والادلة وبما عجزهم عن الطبع
في تاليف مثله ونقله ليعرفوا ان الله قد اعانهم فيما استهم الحاجة والجاتهم الضرورة الى من يطلعهم على الحق فيما لو خلوا عن ذلك لنشا منه
العداوة والعنا فانعم الله عليهم به وبين فيه جميع ما بهم اليه من الحاجة لدوام الاخرة والثاني ان يكون فيه تبيان كل شيء يطلب من عنده و
لا يبحث فيه الفطرة بجملة ما ينوب بهم من الحاجات الى الابد فيكون هو اصل ذلك لكن باختلاف الاسباب يوصل الى حقيقة العلم به وذلك نحو
ما جعل الماء جوهرا لكل شيء ووصفه في السماء ورزق جميع الخلق فانه انزله من السماء الماء والنبات والمواشي واخبر انه خلقنا من تراب ثم اخبر انه
خلقنا جميعا من نفس واحدة على رجوع كل ما ذكر باختلاف الاسباب والتوالد اليه والله اعلم وذلك كما قال اهل الكلام في جعل المحسوسات
ادلة لكل غايب جعلها الله ادلة توصل اليه بالتامل والنظر فيكون المحسوس مبنيا من ذلك والاعلى اختلاف الدرجات في حد البيان معا
من جعله الله كذلك وحيا ان في الفلاسفة من تكلف استخراج كلية امور العالم العلوي والسفلي وما على ذلك مدار ما عليه من هذا المحسوس
فمثله امر القران مدار ما عليه من هذا المحسوس فمثله امر القران والله الموفق والثالث ان يكون فيه بيان على الرمز والاشارة مرة وعلى الكشف
ثانيا فما كان منه على الرمز فهو مطلوب في المعاني وطريق الوصول الى ما في تلك المعاني من الامور مختلفة منها ما يقع بمعونة الوحي من غير
الكتاب على اختلاف وجوه الوحي من ارسال الملك على لسان ملك او رويا او الهام والتامل في ذلك والاستدلال بما تدا وضعه بعد توفيق الله تعالى
في ذلك وعصمته عن الزيغ او على ما شاء من ترتيب الحكا في حق النظام لغوامض الامور وغير ذلك مما يريد الله ان يطلع عليه نبيه فات
لطف رب العالمين بما عامل به الاخيار يجل عن احتمال العبادة عنه او تصويره في الاوهام نحو كتابة الحفظة وقبض ملك الموت ارواح الخلق
في وقت واحد في اطراف الارض ونحو ذلك وذلك كله من اللطف الذي يعجز البشر عن الاحاطة فعلى ذلك امر تبيانه كل شيء معنا يحتمل الرجوع
بتاويل الاية الى اغلب الامور واعمها كقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وغيره ولا فوق الابانة والاصل عندنا ان ليس للبيان عدد
يجب حفظ العدد على ما ذكره قوم انه على خمسة اوجه انما هو امران احدهما ما يبين غيره والثاني ما يبين هو لكن الوجه التي بها يقع ما
غاب عن الحواس بالبيان اصله الواقع تحت الحواس ثالبين الذي يتحد حرم ادل درجات البيان عن فهم المجود عنه [illegible]
خصومته ثم عين ما يصير بالتامل على الوجوه التي جعلت للوصول اليه وان بعد او قرب بدليله كالمحسوس اذ التامل في الاسباب هو سبب
الوصول الى ما غاب كاستعمال الحواس فيما يشهد فمن اراد القطع على حد وشيء يحتاج الى دليل فيه واصل البيان حقيقته هو الظهور والانشاء
اظهار الاشياء استعارة وعلى ذلك معادنها من الظهور وجملته ارتفاع النوازع عن القلوب وتجلي حقائق الامور لها على قدر العقول
في الادراك وما يتجلى للقلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور **وقوله** عز وجل وهدى ورحمة يجب ان يكون قوله تبيانا لكل شيء وقوله هدى
ورحمة كله واحدا الرحمة والهدى والبيان برحمته وبهداه يتبين لهم ويتضح لكنهم قالوا البيان للناس كافة يتبين ويتضح الامر عند و
كان به والهدى والرحمة للمؤمنين خاصة على ما ذكر وهدى وبشرى للمسلمين ذلك للمسلمين خاصة والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله يامر بالعدل

والاحسان الى اخر ما ذكر قال الحسن قوله ان الله يامر بالعدل فيما بين الناس اى يامر بالحكم فيما بينهم بالعدل والاحسان هو ما كلفهم بالطاعة له او ان يكون الامر بالاحسان الى انفسهم او الى الناس وجايز ان يكون الامر بالعدل فيما بينه وبين الله والاحسان فيما بينه وبين الخلق اى يعامل ربه بالعدل لان العدل هو وضع الشئ موضعه وهو لا يقدر على المحاوزة عن العدل الحق يكون في حد الاحسان فيما بينه وبين ربه ويقدر ان صنيع الخلق اكثر ما يصنعون هم اليه فيكون محسنا اليهم واما الى الله فلا يكون محسنا وايتاء ذى القربى اى اعطاء ذى القربى الصدقة من غير الزكوة المفروضة وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى هى المعاصى اى ينهى عن المعاصى كلها وقال ابو بكر الاصم يامر بالعدل اى بالحق الذى له عليهم والاحسان هو ما تعبدهم من العبادات والطاعات التى جعل سبب عطف بعضهم على بعض وايتاء ذى القربى بصلة القرابة والارحام وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال ابن عباس ومقاتل وقتادة في قوله يامر بالعدل بالتوحيد والاحسان اى اداء الفرايض وهو قول ابن عباس وقتادة وقال المقاتل قوله والاحسان هو فيما بينهم يحسن بعضهم الى بعض وايتاء ذى القربى صلة الارحام وينهى عن الفحشاء اى الزنا والمنكر اى الشرك والبغى مظالم الناس وقال بعضهم المنكر ما لا يعرف في الشرايع والسنن ويقال المنكر ما اوعد الله عليه النار والبغى الاستطالة والظلم ثم يجب حقيقة العدل ما هو فهو والله اعلم وضع كل شئ موضعه فيدخل فيه كل شئ التوحيد وغيره يجعل الربوبية والالوهية لله لا شريك فيها ضيره ولا يصرفها الى غيره ولا يضيف بل ينسب الربوبية والالوهية الى الله والعبودة الى العباد لا يضاف العبودة الى الله ولا الربوبية والالوهية الى العباد فذلك العدل ووضع كل شئ موضعه الربوبية في موضعها والعبودة في موضعها هذا والله اعلم معنى العدل واما الاحسان فهو ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل سأله عن الاحسان حين سأله عن الايمان والاسلام فقال ما الاحسان فقال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن يعمل لاخر بحيث يراه وينظر اليه يكون ابدا طالب رضاه في ذلك العمل واخلاصه له وطلب مرضاته فيه فهو يحتمل وجوها ثلاثة اعنى الاحسان احدها ما ذكرنا يعمل له كانه يراه وذلك فيما بينه وبين ربه والثانى فيما بينه وبين الخلق وهو ان يحب لهم كما يحب لنفسه فيما اذن له في ذلك او نقول على الاطلاق يجب لهم كما يجب لنفسه فان عورض بالقتال والحرب التى بيننا وبين اهل الحرب وذلك الذى لا يجب لانفسنا ونحب لهم قيل في ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب الدايم الابدى وذلك ما نحبه نحن لانفسنا ان نسعى احد في نجاة احدنا من المهلكة الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وليس في الظاهر رحمة لكن في الحقيقة رحمة حيث يحملهم القتال على الاسلام اذا كان قبل نصب القتال والحروب معهم لم يسلم الا قليل منهم فلما نصب الحرب معهم والقتال دخلوا في الاسلام افواجا فصار ذلك في الحقيقة رحمة وان كان في راى العين في الظاهر ليس برحمة وكذلك هذه الشدايد والبلايا التى تحل بالخلق هى في الحقيقة نعمة ورحمة ولذلك عدها وسماها بعض الناس لما تعقب من الثواب والنعم اذا صبر عليها وراى ذلك منه حقا وعدلا ورآى حال الضراء والسراء منه فهو يطيب نفسه في جميع الاحوال ينصرف به من الشدة والضيق فاذا رآى نعمة لما تعقب من الخير والنفع في العاقبة من هذه الجهة يجوز ان يقال ذلك نعمة ورحمة واما في ظاهر الحال فلا وذلك ان كل بلاء ينزل باحد فصبر عليه كان في ذلك خصال اربعة احدها تكفير ما كان ارتكب من المعاصى والثانى معرفة العبودة وما عليه والثالث ما يعقب من الثواب والنعيم الدايم والرابع معرفة النعم من الشدة يعرف النعم واما الاحسان الى نفسه هو ان يجنبها عما فيه هلاكها وتلفها وينهى عن الفحشاء هو ما يكبر ويفحش من الشئ والمنكر هو الشئ الغريب الذى لا يعرف الا ترى الى قول ابراهيم انكم قوم منكرون سماهم منكرين لما لم يعرفهم فالمنكر ما يفعل من هو معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبا اذ لم يعرفوا بذلك فذلك منهم والفحشاء ما يكون من اهل الفساد والشرور وذلك ما يكبر ويفحش ذلك منهم والبغى هو الظلم ويحتمل ان يكون هذا كله المنكر والفحشاء والبغى وكله واحد الفحشاء هو المنكر والفحشاء هو البغى والمنكر هو الفحشاء والبغى والله اعلم وقوله عز وجل يعظكم قال بعضهم اى ينهاكم عما ذكر كله لعلكم تذكرون وتنتهون عنه وقال بعضهم والموعظة هى التى تلين القلوب القاسية وتصرفها الى طاعة الله وتذكرنا وقوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يحتمل امرها بوفاء العهد العهود التى تعطى بعضهم لبعض امرهم بوفاء ذلك ونهاهم عن نقضها ويلزمهم وفاء عهد الله وان لم يعاهدوا في ذلك لكنه ذكر وفاء العهد اذا عاهدوا ونهى عن النقض لان ترك وفاء ما عاهدوا ونقض ما اعطوا على ذلك شرطا اقبح واوحش مما لم يعاهدوا وهو كقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ترك الوفاء ونقضه بعد قولهم سمعنا واطعنا اوحش واقبح من نقضه اذا لم يكن لهم عهد سابق وشرط متقدم وهذا والله اعلم معنى امره بوفاء العهد اذا عاهدوا وان كان وفاء العهد لازما لهم وان لم يعاهدوا اذ جعل الله البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام بذلك كقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها الاية اى خلقتهم وبنيتهم لم يجعل خلقة هذه الاشياء وبنيتها يحتمل ذلك وحملها الانسان اى خلقته وبنيته يحتمل ذلك والقيام بها ويحتمل ان يكون العهود التى امر بوفائها انما عاهدوا على الايمان التى يتبعون بها حيث قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ذكر الايمان ونهى عن نقضها ثم لا يحتمل ان يكون النهى عن النقض في الايمان التى يأثم بها المرء اذا حلف لانه نهى عن نقضها ولو كان يأثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لان الايمان التى يأثم بها المرء اذا حلف ينقضها اولا يأمر وفائها وحفظها ثم ذكر فيه بعد

توكيدها

توكيدها ما لم يتبع نقض اليمين وان لم يوكدها انا لم يكن في الوفاء بها اثم لكنه ذكر التوكيد لان النقض بعد ذلك اقبح والفحش من النقض على غير التوكيد على ما ذكر من القبيح والفحش في نقض العهود بعد ما عاهدوا وقال بعضهم قوله بعد توكيدها هو تغليظهم بالله لان مشركى العرب كانوا لا يقسمون بالله الا ما يعظم من الامر ويجل وذلك اخر اقسامهم لذلك قال بعضهم اهل التاويل في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم يقول جهدا ايمانهم هو قسمهم بالله وقوله عز وجل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قيل كانوا يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلا عليهم وقيل الكفيل هو الشهيد الحافظ وهكذا يوخذ الكفيل فيما يوخذ ليحفظ المال والنفس وقوله عز وجل ان الله يعلم ما تفعلون من الوفاء بما عاهدوا او النقض والله وقوله عز وجل ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هى اربى من امة اختلف فى تاويل الاية قال بعضهم الاية نزلت في محالفة اهل الكفر بعضهم بعضا وهو ان يرث بعضهم بعضا وينصر ويعين بعضهم بعضا ويحلفون على ذلك ويقيمون فان هلكوا فى ذلك او في نصر بعضهم بعضا ثم اذا راوا الكثرة والغلبة مع غير الذين خالفوا نقضوا ذلك ورجعوا الى الذين معهم الكثرة والغلبة فنهوا عن ذلك وقال بعضهم الاية في الذين يكونون بعد رسول الله واصحابه لما علم انه يكون خوارج واهل اختلاف في الدين فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على اهل العدل فنهى من عاهد اهل العدل وبايعهم ان ترك بيعتهم وغلبتهم الكون مع اهل العدل واعانتهم ونقض ما عاهدوا ولذلك قال انما يبلوكم الله به وقال هذا يدل انه في اهل الاسلام وقال بعضهم الاية في اهل النفاق انهم كانوا يقسمون بالله انهم ينصرون رسول الله واصحابه ويقولون انا معكم كقوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم الاية كانوا يرون من انفسهم الموافقة لهم والنصر والعون لهم على اعدائهم ويحلفون على ذلك ثم اذا راوا الكثرة مع الكفرة والغلبة وقلة المؤمنين تحولوا الى اولئك ونقضوا ايمانهم وكانوا معهم كقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم الاية ويحتمل قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة اى لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمراة التى تنقض غزلها من بعد قوة وجايز ان يكون غير هذا يقول ولا تظنوا فى الله انه يكون فى انشاء الخلق كالمراة التى نقضت غزلها من بعد قوة فلو لم يكن بعث لكان يكون في انشاء الخلق كالمراة التى نقضت غزلها من بعد قوة وقد عرفتم قبح ذلك فعلى ذلك انشاء الخلق اذا لم يكن بعث يكون في القبيح ما ذكرتم ضرب الله مثل من اعطى العهد والميثاق وكذا الايمان في ذلك ثم نقض ذلك بامراة تغزل ثم تنقض ذلك الغزل من بعد قوة انكاثا يقول والله اعلم كما لم تنتفع هذه المراة بغزلها اذا نقضت من بعدما امرتها اياه كذلك لا تنتفع ولا يوثق بمن اعطى العهد ثم نقض يقول فلا هى تركت الغزل فتنتفع به ولا هى تركت القطن والكتان كما هو فكذلك الذى يعطى العهد ثم ينقض فلا هو حين اعطاه وفى به ولا هو ترك فلم يعط ونحوه ثم اختلف في تلك المراة قال بعضهم هى امراة من قريش حمقاء بمكة كانت اذا غزلت نقضته وقال بعضهم هذا على التمثيل يقول والله اعلم اى لو سمعتم بامراة نقضت غزلها من بعدما ابرامه لقلتم ما احمق هذه فعلى ذلك من اعطى العهد والميثاق ثم نقض فهو كذلك وقوله عز وجل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال ابو بكر الاصم الدخل الذى لا ينفع ولا يستقيم يقال هذا مدخول اى عيب صحيح وقال غيره دخلا اى خديعة ومكرا يخدع بعضكم بعضا وهو قول ابى عوسجة ايضا وقال القتبى دخلا بينكم اى خيانة و دغلا بينكم ان تكون امة اى فريق اربى من فريق وقال ابو عوسجة انكاثا هى جمع نكث والنكث من الحبل خيوط تنكث ثم تطرق وتصير صوفا ثم من بعد ذلك تفتل قال والمطرق قضيب يضرب به الصوف حتى ينفش ويلين كما يندف القطن يقال طرقت الصوف اطرقه طرقا اى ضربته ويقال نفشت القسه نفشا اى فرقت بينه فتفرق ومنه قوله كالعهن المنفوش ويقال الحبل مثنى اذا كان ذا طاقين ومثلوث ومربوع ومخموس ومسدوس ومسبوع ومثمون ومعشور وقال القتبى الانكاث ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نكث يقول لا تؤكدوا على انفسكم الايمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فتكونوا كامراة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك فجعلته انكاثا والله اعلم عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة قال الحسن لو شاء الله المشية ههنا مشية القهر والقسر اى لو شاء لجبرهم وقهرهم على الايمان فامنوا جميعا فهذا فاسد لانه لا يكون بالقهر والجبر ايمان لانه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر فيبطل تاويله اذ لا يجوز ان يثبت ايمان في تلك الحال وقال ابو بكر تاويله قوله لو شاء لانزل لهم اية حتى يومنوا جميعا مثل الاية كقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر انه لو انزل اية يكونوا لها خاضعين لكن عندنا انهم ليسوا يؤمنون ويخضعون للاية ولكن بما شاء لهم ذلك ولا يحتمل ان تحملهم الاية على الايمان سابقا وابوا الاترى انهم يكذبون يوم الحشر عند معاينتهم الايات وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اخبر انهم يكذبون وقد عاينوا الايات وليست الاية التى تنزل عليهم في الدنيا باعظم من الايات التى يعاينونها يوم القيمة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب دل ان الاية ليست تحملهم على الايمان ولا تضطرهم عليه ولكن لو شاء لامنوا بالاختيار فيبطل تاويله ثم الاية تحتمل عندنا وجهين احدهما قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة بنظام الشيئ الذى اذا اعطاهم لامنوا له ولولا ان يكون للناس امة ولحوق الاية اخبر انه لولا ان يرغب الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم والاجعل سقفا اهل الكفر ومعارجهم من فضة

انه جعل ذلك بينة لاهل الاسلام وفي ايديهم لامنوا ايضا كلهم لانه لا يحتمل ان يكون ذلك في ايدي الكفرة فيحمل اهل الاسلام على
الكفر واذا كان ذلك بينة لاهل الاسلام لا يحمل اهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الاسلام والوجه الثاني لو شاء لجعلهم امة
واحدة بلطف منه يشرح صدره للاسلام من غير ان يعلم ان احدا القى ذلك في قلبه من نحو ما مكن للشيطان عدو الله حتى يلقى
في قلوب الخلق ويلقي وساوس من غير ان يعلموا ان احدا دعا الى ذلك او القى الى قلوبهم الا ترى ان ابليس لما وسوس الى آدم
ليتناول من الشجرة التي نهى عنه ربه لو علم انه ابليس لما اجابه وكذلك ما مكن للملائكة من تثبيت قلوب الذين امنوا والقاء اشياء
في قلوبهم ويلهمونهم وهو قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا من غير ان يعلموا احدا دعاهم الى ذلك
او القى احد ذلك في قلوبهم فمن ملك تمكين عدوه وملائكته على ما ذكرنا يملك شرح الصدر للاسلام والدعاء الى ذلك من غير
ان يعلموا ان احدا فعل ذلك وقوله عز وجل ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء على قول الحسن على الحكم لذلك وقال ابو بكر يضل
بالنهي من نهى ويهدي بالامر يكون هذا فاسد لانه لو كان بالنهي مضلا وبالامر هاديا لكان مضلا للانبياء والرسل لانه قد نهاهم
بما هي فيكون مضلا لهم فان قيل لم يصر ما ذكرت لانهم لم يرتكبوا المناهي قيل الارتكاب فعلهم فلا يحتمل ان يكون بفعلهم
ذلك فدل ان ما ذكرنا فاسد وعلى قولهم يكون بالنهي عاصيا مضلا وعندنا قوله يضل من يشاء اي يخلق فعل الضلال منهم او
يضل من علم انه يختار الضلال على الهدى ويخذلهم وقوله عز وجل ولتسئلن عما كنتم تعملون هو ظاهر وقوله ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم قد ذكرنا وقوله عز وجل فتزل قدم بعد ثبوتها قال ابو بكر دل قوله فتزل بعد ثبوتها ان الايات التي تقدم ذكرها
في اهل الاسلام لانه اخبر انه تزل قدم بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الاسلام وعندنا ما ذكرنا ان قوله فتزل قدم بالخوف
بعد ثبوتها او بعد ما كانوا امنين لانهم بايمانهم كانوا يأمنون وتنقضهم العهد والايمان يخافون فيكون قوله فتزل قدم
كناية عن الخوف والثبوت كناية عن الامن اي صاروا خائفين بنقضهم العهود والايمان بعدما كانوا امنين والله اعلم وقوله
عز وجل وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله على هذا التأويل يذوقون ذلك في الدنيا بالقتل والقهر ويحتمل في الاخرة بما صدوا
الناس عن دين الله واستبدلوا به الكفر بعد الايمان ولكم عذاب عظيم وقوله عز وجل ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قال بعضهم عهد الله
دين الله وقال بعضهم عهد الله الذي عهد اليهم ويحتمل عهد الله ما اعطوا من العهد والايمان اي ينقضونها بشيء يسير انما عند الله
هو خير لكم دايم باق وهذا زايل فان وما يجزي بوفاء ما عهد واخبركم من هذا اي يجزيكم بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من غيره
والله اعلم وقوله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق اي ما اخذتم من الاموال واكتسبتم بنقض العهود والايمان ينفد ويفنى
وما عند الله من الجزاء والثواب بعهد الوفاء باق ولنجزين الذين صبروا يحتمل قوله على ما امروا به ونهوا عنه وصبرها على وفاء العهد
باحسن ما كانوا يعملون يحتمل قوله باحسن اي الجزاء الذي يجزيهم على الصبر احسن من وفاء العهد ويجزيهم باحسن ما عملوا اي يجعل
سيئاتهم حسنات كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم
والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة اختلف اهل التأويل في قوله فلنحيينه
حيوة طيبة قال بعضهم قوله حيوة طيبة في الاخرة وهي الجنة وقال بعضهم حيوة طيبة في الدنيا فمن قال الحيوة الطيبة هي
الجنة في الاخرة يكون تأويله من يكن عمله في الدنيا صالحا فلنحيينه الله في الاخرة حيوة طيبة والاظاهر قوله من عمل صالحا انما هو
على عمل واحد وكذلك قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة ظاهره على حسنة واحدة لكن الوجه فيه ما ذكرنا من يكن عمله في الدنيا صالحا فيفعل
ما ذكر وقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة اي ما توتينا في الدنيا اتنا حسنة اراد ان يكون على الختم به اي من ختم بالعمل الصالح فنحييه حيوة
طيبة في الجنة كقوله من جاء بالحسنة فله كذا وكذا وقال الحسن الحيوة الطيبة هي الجنة لان في الدنيا ما ينغص حيوته وقال بعضهم الحيوة
الطيبة في الدنيا وتأويله من يكن عمله وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة اي نوفقه ونيسر الخيرات والعمل الصالح والطاعات
وهو ما روي انه قال كل ميسر لما خلق وكقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وكقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ونحوه فذلك هو الحيوة الطيبة في الدنيا حيث يسر عليه العمل الصالح ووفق للطاعات والخيرات وقال بعضهم
قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى اي قنع في الدنيا بما قسم الله له ورزقه ورضي به فلنحيينه في الدنيا حيوة طيبة بما انه لا يهمه طلب
الفضل وغمه وزلة حرصه عليه لان اكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا به فهو يحيى حيوة طيبة
لما عصم عن ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولنجزينهم اي في الاخرة باحسن ما كانوا يعملون على تأويل من قال الحيوة الطيبة في الدنيا
وقال بعضهم وهو قول ابي بكر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون في الدنيا ما ذكر هؤلاء وقال بعضهم حيوة طيبة الرزق
الحلال وقوله باحسن ما كانوا يعملون وقد ذكرنا وقوله عز وجل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في اية
اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في اية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
الاية فيجب ان يتعوذ من همزات على ما امر رسوله او عند نزغ الشيطان على ما ذكر لكنه اذا تعوذ منه تعوذ من همزاته ونزغاته ثم
ان قيل كيف خص قراءة القرآن بالتعوذ منه دون غيره من الاذكار والعبادات والاعمال الصالحة قيل قد يتعوذ منه دون غيره ثم

ايضا في غيره من العبادات والاذكار يقولون بسم الله اذا لا يفتتح شيء الا به فذلك تعوذهم منه لكن التعوذ في هذا تعوذ يجاب به والتعوذ
في قراءة القرآن بالتصريح وذلك انه حجة وبرهان فطعن الاعداء فيما هو حجة في نفسه اكثر من الافعال التي تعملوها الا ترى انه كان يلقنهم
اعني الشيطان اولياءه انه سحر وانه اساطير الاولين وانه انما يعلمه بشر ونحوه وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم كانوا
يطلبون الطعن في القرآن لانه حجة وبرهان ولم يشتغلوا في طعن فعل من الافعال والاذكار فعلى ذلك يجوز ان يكون التعوذ منه فيما
هو حجة بالتصريح وفي غيره يكتفى به والله اعلم ثم في هذه الاية وفي غيرها من قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله واذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يفهم اهلها منها على ظاهر المخرج ولكن فهموا على مخرج الحكمة لان ظاهر المخرج ان يفهم التعوذ بعد
فراغه من القراءة وكذلك يفهم من الامر بالقيام الى الصلوة الوضوء بعد القيام اليه ثم يفهموا في هذا ونحوه هذا ولكن فهموا انا اذا اردت قراءة القرآن
فاستعذ بالله وكذلك فهموا من قوله اذا قمتم اي اذا اردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا كذا ولم يفهموا كل قيام انما فهموا قياما دون قيام اي
اذا القيام الى الصلوة وانتم محدثون وفهموا من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وفهموا من قوله فاذا طعمتم فانتشروا وكذلك
فهموا من قوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله الفراغ منها دل ان الخطاب لا يوجب المراد والفهم على ظاهر المخرج ولكن على مخرج الحكمة والمعنى
واصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه ومكره وقوله عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا قال بعضهم ليس له سبيل على الذين
امنوا وقال بعضهم السلطان الحجة اي ليس له حجة على الذين امنوا وقال بعضهم اي ليس له ملك على الذين امنوا ملك القهر والغلبة انما ملكه على الذين
يتولونه لكن ليس له ملك القهر على الذين يتولونه ايضا انما يتبعونه ويطيعونه باشارات منه طوعا فدل ان ما قيل الملك لا يصح في السلطان
ويكون تأويله السبيل والحجة ثم يحتمل قوله ليس له سلطان على الذين امنوا بالقرآن لانه ذكر على اثر ذكر القرآن ويحتمل الذين امنوا بربهم فهما واحد
في الحاصل انما سلطانه حجته او سبيله على الذين يتخذونه وليا فيطيعونه في كل امر وجميع اشاراته وما يلقون اليهم واصله ليس له سلطان
على الذين امنوا بربهم وعلى ربهم يتوكلون في جميع احوالهم وساعاتهم اي لا سلطان له ولا سبيل على من امن به وتوكل عليه وقوله عز وجل والذين
هم به مشركون ابليس يتبعونه ويعدلون بربهم ويحتمل به مشركون بربهم والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الامر اليه في كل حال السراء والضراء
وفي وقت الضيق والسعة فذلك التوكل به وقوله عز وجل واذا بدلنا اية مكان اية الاية يحتمل وجهين احدهما ما قاله اهل التأويل على النسخ
ان يبدل اية مكان اية وهو على تبديل حكم اية اخرى لا على رفع عينها والثاني قوله واذا بدلنا اية مكان اية اي بدلنا حجة بحجة واية بغير اية
لرسالته قالوا انما انت مفتر كلما اتاهم بحجة على اثر حجة واية بعد اية يقولون انما انت مفتر ينسبون اليه الافتراء انه افترى وكذلك كان
فادتهم المعاندة والمكابرة كقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وكقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون ونحوه من الايات كلما اتى بهم بحجة واية بعد اية كانوا يستقبلونه بالتكذيب لها ونسبة رسول الله الى الافتراء من نفسه و
يزداد لهم بذلك كفرا وهو ما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر انه كان يزداد لاهل الايمان بما ينزل عليهم من سورة ايمانا ويزداد لاهل الشرك رجسا
وكفرا الى كفرهم مثل هذا ولو كان يحتمل ان يكون حرفا ان مكان لو كان اقرب ويكون تأويله ولو انزلنا حجة بعد حجة واية على اثر اية جديدة ما
امنوا كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال
الاية اي لو ان هذا القرآن قرآن سيرت به الجبال او كلم به الموتى فما امنوا به لعنادهم فعلى ذلك الاول ويحتمل قوله واذا بدلنا اية مكان اية
اذا بدلنا اية بالسؤال مكان اية قالوا انما انت مفتر وقوله عز وجل والله اعلم بما ينزل يحتمل قوله والله اعلم بما ينزل به صلاحهم وفيه
صلاحهم او ان يكون والله اعلم بما ينزل من تثبيت قلوب الذين امنوا كقوله ليثبت الذين امنوا او ان يكون والله اعلم بما ينزل جبريل على
رسوله جوابا لقولهم انما انت مفتر وكقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق اي ليس بمفتر ولكن نزله جبريل من ربه وقوله عز وجل
قل نزله روح القدس من ربك بالحق يحتمل قوله بالحق اي بالحق الذي عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والحق في الاقوال هو الصدق وفي
الافعال الصواب والرشد وفي الاحكام عدل واصابة والحق هو الشيء الذي يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ليثبت الذين امنوا هذا تفسير قوله
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا لانه اخبر انه ليثبت الذين امنوا فاذكر من زيادة الايمان هو التثبيت الذي ذكر ههنا قوله فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا ذكر قوله انما انت مفتر مقابل قوله والذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم ليعلم ان الزيادة التي ذكر في سورة التوبة هي
ما ذكر ههنا من التثبيت والطمانينة ونحوه وقوله عز وجل وهدى وبشرى للمسلمين اي هدى من الجهالات والشبهات التي كانت تعترض
لهم او من الضلالة وبشرى للمسلمين وقال في اخرى وهدى ورحمة للمؤمنين ليعلم ان الايمان والاسلام واحد وقوله عز وجل ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لم يقولوا انما يعلمه بشر ولكن كانوا يقصدون واحدا فلانا لكن الخبر من الله على ذكر البشر الا ترى انه اخبر ان لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين دل ان البشر الذي اخبر عنهم انهم يقولون انه يعلمه كان منصوصا عليه مشارا اليه حيث قال لسان هذا اعجمي
ولسان النبي عربي فكيف فهم هذا عن هذا وهذا من هذا ولسان هذا غير لسان هذا وما قاله اهل التأويل انه كان يجلس الى غلام يقال له
كذا وهو يهودي يقرأ التوراة فيستمع الى قراءته وكان يعلمه الاسلام حتى اسلم فعند ذلك قالت له قريش انما يعلمه بشر ولو كان ما ذكر
انه كان يعلمه الاسلام فاسلم فللقائل ان يقول كيف فهم ذلك الرجل منه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسانه غير لسانه على ما اخبر لكن

يحتمل ان يكون ذلك في القران حيث قالوا انما انت مفتر ثم يقولون انما يعلمه بشر فيقول والله اعلم انه كيف علمه هذا القران وهولاء يفهم من لسان الاعجمي فانتم لسانكم عربي لا تقدرون ان تاتوا بمثله ولا بسورة من مثلها ولا باية فكيف قدر على مثله من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك بلسانه فيخرج ذلك على الاحتجاج عليهم وبعد فان في قولهم ظاهر التناقض لانهم قالوا انما انت مفتر ثم قالوا انما يعلمه بشر فالذي علمه غيره ليس بمفتر وانما يكون الافتراء من ذات نفسه فهو ظاهر التناقض وقوله عز وجل عربي مبين يحتمل مبين ما لهم وما عليهم او مبين لحقوق الله عليهم وما لبعضهم على بعض او مبين اي بين انه من عند الله نزل ليس بمفترى وهذه الاية ترد على الباطنية قولهم لانهم يقولون ان رسول الله هو الذي الف هذا القران بلسانه ولم ينزل الله عليه بهذا اللسان فلو كان على ما ذكروا كان لاولئك ادعاء ما ادعوا على رسول الله من الافتراء وقوله يلحدون اليه قال بعضهم يميلون اليه وهو قول ابي عوسجة والقتبي قالوا الالحاد الميل ولذلك سمي اللحد لحدا لميله الى ناحية القبر وقال الكسائي هو من الركون اليه اي يركنون وقوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله قال الحسن انه والله من كذب بايات الله فهو ليس بمهتد عند الله وقال ابو بكر لا يهديهم الله يمكن بهم الاية فهو كله خيال على كل من يشكل ويخيل ان من كذب بايات الله فهو غير مهتد من يظن هذا وقول ابي بكر ايضا من يتوهم ان من كذب بايات الله انه يهديه هذا فاسد خيال كله واصله عندنا قوله ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم لعنادهم ومكابرتهم لانهم كانوا يعاندون ايات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها ايات وانها حق او قال ذلك لقوم علم انهم لا يؤمنون ويموتون عليه فمن علم منه انه لا يؤمن لا يهديه وقوله عز وجل انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها واولئك الذين كذبوها هم الكاذبون وقوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه يحتمل وجهين حيث ذكر من كفر بالله احدهما كفر بالله في زعم المكره لانه اكرهه به في زعمه كافر بالله و تطلب ذلك منه وهو كقوله فراغ الى الهتهم في زعمهم لانهم لم يكونوا الهة وكقوله وانظر الى الهك سماه الها لانه في زعم السامري اله والثاني من كفر بالله شارحا صدره بالكفر هو الكافر به واما من اظهر الكفر بلسانه بالاكراه وقلبه معتقد بالايمان على ما كان مطمئنا به فهو ليس بكافر واصله ان من اعتقد مذهبا ودينا انه يعتقده بخصال ثلاث احدها يعقل الحق لما راه ابصر واحدا واعلم فيه وهو لا يبلغ ذلك و فيقلد لفضل بصره وعلمه فيه ورايه والثاني يعتقد للشبهة لما يتراءى عنده انه الحق فيعتقده لذلك الشبهة التي ذكرنا والثالث يتضح له الحق فيعتقده فلهذه الوجوه الثلاث يعتقد من يعتقد دينا او مذهبا فاما ان يعتقد الانسان مذهبا مجانا على الجزاف فلا فاما كان اظهار كفر جزاء الاكراه من اكرهه لم يصر كافرا واصله ان الايمان والكفر انما يكونان بالاختيار فالاكراه يزيل الاختيار اختيار الكفر لذلك يبقى على الايمان على ما كان لما لم يوجد منه اختيار الكفر فان قيل اليس امرنا ان نقاتل اهل الكفر ليسلموا وذلك اسلام باكراه وعلى ذلك نقاتل الكتاب وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم اذا اسلم تحت ظل السيف كان اسلامه اسلاما في الظاهر بما يتبع كذلك انه اذا اكره على الكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه كان كفرا في الظاهر فيحكم بحكمه كما حكم في الاسلام على الاكراه فما الفرق فيه قيل كذلك كان يجيء الا ان الله تعالى عفى عباده عن ذلك فانه قائم على الايمان وحكمه وان اظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد ان تكون قلوبهم مطمئنة بذلك فضلا منه ونعمة والا القياس ان يحكم بحكم الكفر ان تكلم بكلام الكفر واما الطلاق والعتاق والنكاح ونحوه هو ظاهر على ما تكلم به عامل وواقع لان الطلاق والعتاق ونحوهما ما تتعلق بالكلام نفسه لا غيره فهو وان اكره على ذلك فهو مختار للتكلم به قاصد له لان المكره لو اجاب ان يستعمل لسانه بالتكلم بما ذكر ما قدر عليه دل انه على الاختيار يتكلم واما البيع والشراء ونحوه لم يتعلق بالكلام نفسه اذ قد يكون بالاخذ والتسليم دون التكلم به لذلك عمل الاكراه في ابطاله فانه قائم على الايمان وحكمه وان اظهر بلسانه كلام الكفر بعد ان يكون قلبه مطمئنا بذلك وعلى ذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عفي عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه وذلك في الكفر ليس في غيره لان الاكراه على الكفر كان ظاهرا يومئذ ولم يكن في غيره من طلاق وغيره واما قتالنا اياهم ليسلموا فهو يحتمل وجوها على المجازات كقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة نقاتلهم ليظهروا على الاسلام وان لم يعرف حقيقة على المجازاة والثاني قبلنا منهم الاسلام على الاكراه لنعرفهم فيما بين المسلمين فيرون الاسلام ويتعلمون منهم حقيقته الا ترى انه قال اذا جاءكم المومنات مهاجرات سماهن مؤمنات ثم امرنا بامتحانهن بقوله فامتحنوهن فانما يمتحن ليظهر حقيقة ايمانهن والا لم للامتحان معنى لولا ذلك واصله ان الله جعل حقيقة الايمان والكفر بالقلب دون اللسان وغيره من الجوارح لان غيره من الجوارح يجوز استعمالها بالاكراه ولا القلب فانه لا يملك احد سواه استعماله وذلك لفضله ومنه ولكن من شرح بالكفر صدرا ومن شرح صدره بالكفر فهو كافر بان كان ذلك على الاكراه لما ذكرنا انه باختياره الكفر ينشرح له الصدر لما لا يعمل الاكراه على القلب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ثم قال وقوله عز وجل ذلك بانهم اي ذلك الغضب والعذاب بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة يحتمل وجهين احدهما استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة جحودا وانكارا والا فنفس الاستحباب قد يكون من المؤمن فلا يزول عنه اسم الايمان كقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الى قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فلم يزل عنهم اسم الايمان باختيارهم واستحبابهم الحيوة الدنيا فدل ان الاول عن الجحود له والانكار وهذا على الميل اليه دون الجحود او ان يكون كذلك لما لم يروا الاخرة كاينة لا محالة ولكن ظنا ظنوا انها كاينة كقولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين واما اهل الاسلام لم يكونوا فيها ظانين شاكين ولكن متحققين

مستيقنين فاستحقوا بذلك وقوله عز وجل وان الله لا يهدي القوم الكافرين وقت اختيارهم الكفر وان الله لا يهدي القوم المختارين الكفر على الايمان وقال ذلك لقوم علم الله انهم يختارون الكفر وانهم يموتون على الكفر فلا يهديهم وقوله عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم الطبع هو التغطية تغطي ظلمة الكفر نور القلب والسمع نور البصر كان لكل احد نورين ويبصر بنور ظاهر وباطن يبصر جميعا فاذا ذهب احدهما او عمي صار لا يبصر كمن يبصر ببصر الظاهر انما يبصر بنور بصره ونور الهواء فاذا دخل في احدهما افة ذهب الانتفاع وصار لا يبصر شيئا فعلى ذلك القلب بصر حقي وبصر ظاهر الذي هو معروف فانما يبصر بهما فاذا غطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا الا ترى انه قال لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اخبر ان الابصار الظاهرة لم تعم ولكن عميت القلوب التي في الصدور وهذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم معنى طبع السمع والبصر وقوله عز وجل واولئك هم الغافلون يحتمل غافلون عن النظر في اياته وحججه ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم ويمكن بهم ايات الله وحججه وقوله عز وجل لا جرم قد ذكرنا ما قيل فيه لا بد وحقا وقيل هو حرف وعيد لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون قال الحسن انهم والله خسروا الجنة ورحمة الله خسروا اهليهم ومنازلهم الذي كان لهم في الجنة وخسروا انفسهم حيث قذفوها في النار وقال ابو بكر وقال ابو بكر الاصم خسروا النعم الدائمة الباقية بالزايلة الفانية وخسروا انفسهم حيث قتلوا وامروا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قيل عذبوا على الايمان بمكة ثم جاهدوا مع النبي واصحابه عدوهم وصبروا على ذلك ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة لغفور لما كان منهم رحيم ذكر مرتين احدهما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا ثم قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة فيجيء ان يكتفى بواحد بقوله لغفور رحيم موصولا بقوله للذين فعلوا ما ذكر لكنه ذكر مرتين والله اعلم انه لغفور لهم يعني لهؤلاء الذين فتنوا وعذبوا و لغيرهم ذكر اهل التاويل ان اناسا من المؤمنين خرجوا الى المدينة فادركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية ومنهم من يقول ايضا فيهم نزل قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية واكثرهم قالوا ان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان انما نزل في عمار بن ياسر وليس لنا الى ذلك حاجة انما الحاجة فيما ذكر من الحكم به والحكمة والله اعلم وقوله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها قال الحسن تجادل اي تخبر عن نفسها ما عملت من خير او شر وقال ابو بكر الاصم ان كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طايرا في عنقه ولكن ليس فيما ذكر هؤلاء تجادل لان الجدال المخاصمة كانها تخاصم عن نفسها من ارتكاب اشياء وادعى اشياء على ما ذكر في غير اية من قوله ثم لم تكن فتنتهم وقال بعضهم ان جهنم تزفر زفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقد جثا بركبتيه خوفا منها فعند ذلك تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها ويشبه ان يكون تجادلتهم على غير هذا وهو ما ذكر شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فذلك تجادل انفسهم وكقوله ثم لم تكن فتنتهم وكذلك ما ذكر في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية وذلك كله تجادل لهم انفسهم او ان يقال تجادل لكن لا نفسر ما تلك المجادلة لان الله تعالى ذكر المجادلة ولم يذكر ما تلك المجادلة وقوله عز وجل وتوفى كل نفس ما عملت اي توفر كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اي لا ينتقصون من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم وهذه الاية ترد على المعتزلة لانهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه توفى كل ما عملت فاما ان توفى ما عملت من سوء ولا توفي ما عملت من الخيرات والطاعات وقوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة اختلف في ضرب المثل بهذه الاية وفي من نزلت قال بعضهم ضرب المثل لاهل مكة وفيها نزلت بقريات نزل بهم العذاب بتكذيبهم رسلهم في بني اسرائيل يحذر اهل مكة بتكذيبهم رسول الله نزول العذاب بهم كما نزل باوائلهم وقال بعضهم ضرب المثل لاهل المدينة وفيهم نزل باهل مكة يحذر اهل المدينة لئلا يكذبوا محمدا كما كذبه اهل مكة فيحل بهم كما حل باهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب وقوله عز وجل قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هي مكة وهكذا كانت مكة اهلها كانوا امنين فيها من خير وشر مطمئنين باتيهم رزقهم من كل مكان ويحتمل قرية اخرى غيرها كانوا على ما ذكر وقوله عز وجل فكفرت بانعم الله اي كفرت بالشكر لانعم الله اي لم يشكروها والبس انهم لم يروها من الله تعالى وقوله عز وجل فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اللباس هو ما يستر وجوه الجواهر الا ترى انه سمي الليل لباسا لما استر وجوه الاشياء فعلى ذلك الجوع يرفع الستر واللباس الذي كان قبل الجوع لان الجوع اذا اشتد غير وجه صاحبه ورفع ستره والجوع ما ذكر انه اصابهم جوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والخوف ذكر انه بعث رسول الله اليهم الا ترى انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقيل الخوف القتل وقوله رغدا قال الكسائي ارغد الرجل اذا اصاب مالا وعيشا من غير عناء كد وقال القتبي رغدا اي كثيرا واسعا وقوله عز وجل ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قوله رسول منهم اي من انفسهم من نسبهم وحسبهم يعرفونه كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون بالتكذيب حيث وضعوا الشيء في غير موضعه او ظالمون على انفسهم اخبر انه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم لانه انما كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم الاية من غير الاية ولا المعجز من الشبهة لانه انما خرج على غير المعتاد و الطوق عرفوا انه اية وانه حجة اذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق ويعرف ذلك من جوهرهم وكذلك يعرف صدق من نشا بين اظهرهم من كذبه ولا يعرف اذا كان من غيرهم وقوله عز وجل فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قال بعضهم الحلال

والطيب واحد وهو الحلال كانه قال كلوا مما احل لكم كقوله فانكحوا ما طاب لكم اى ما حل لكم وقال بعضهم حلالا طيبا اى حلالا يطيب لكم
ما تتلذذون به لان من الحلال ما لا يتلذذ به النفس ولا تستطيب بل تكره وقوله تستطيب له انفسكم وتتلذذ به لا ما تستخبث لان الله
جعل غذاء البشر ما هو اطيب والذى جعل للبهائم والانعام ما هو اخبث واخشن لان ما هو اطيب ادعى الى الشكر له ويحتمل ان يكون قوله
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا الا تبعة عليكم وفى الاية دلالة انه قد يرزق ما يخبث ولا يحل على ما يختاره حيث شرط فيه الحلال
وقوله عز وجل واشكروا نعمة الله اياه تعبدون الشكر له عليهم لازم وان لم تعبدوا وهو كقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين
طاعته وطاعة رسوله واجبة وان لم يكونوا مؤمنين او يقول وجهوا شكر نعمه اليه ان كنتم عابدين له عابدون له بجهة اى افعلوا
العبادة له والشكر فى الاحوال كلها وقوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير اى حرم اكل الميتة وما ذكر كانه قال
هذا وذكر على اثر تحريمهم اشياء احلها لهم نحو ما حرموا على انفسهم اشياء احلها لهم من الزرع والانعام والبحيرة والسائبة وما ذكر فقال لم يحرم
ذلك ولكن انما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه على هذا يجوز ان يخرج تاويله واما على الابتداء فانه يبعد والله اعلم وقوله
عز وجل فمن اضطر الى ذكر من المحرمات غير باغ على ما نهى عنه وهو الشبع كقوله فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم ولا عاد اليه وقال
بعضهم غير باغ يستحله فى دينه ولا عاد ولا متعد فى اكله وقال بعضهم غير باغ على المسلمين مفارق بجماعتهم مشاق لهم ولا عاد عليهم
بسيفهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وانا وبلهم واما تاويله عندنا غير باغ على المسلمين سوى دفع الاهلاك عن نفسه ولا عاد متعد
ومجاوز اضطراره ولا يحتمل ما قاله بعض الناس غير باغ على الناس ولا متعد عليهم لوجهين احدهما انه لا يحتمل البغى على الناس فى حال
الاضطرار لانه لا يقدر عليه والحال ما ذكر والثانى انه وان كان باغيا على ما ذكر وانما يبح له التنا ولمن الميتة يكون باغيا على نفسه لانه
ان لم يتناول هلكت نفسه فيصير باغيا على نفسه فدل انه على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام يحتمل اى لا تعودوا الى ما وصفت السنتكم من الكذب هذا حلال وهذا حرام وان لا تقولوا الكذب الذى السنتكم هذا حلال
وهذا حرام وعن ابن عباس رضى الله عنه قال لا تقولوا لما احللتموه هذا حلال ولما حرمتموه هذا حرام وهو كقوله قل ارايتم ما انزل الله
اليكم من رزق الاية وفى هذه الاية دلالة ان لا يسع لاحد ان يقول هذا ما احله الله وهذا ما حرمه الله الا باذن من الله ومن يقول بان
الاشياء فى الاصل على الاباحة او على الحظر فهو مفتر بذلك على الله الكذب لان الله لم ياذن له ان يقول ذلك بل نهاه عن ذلك حما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل لتفتروا على الله الكذب اى تكونون مفترين على الله الكذب اذا قلتم ذا فان قيل كيف سماهم مفترين على الله
بتسميتهم الحرام حلالا والحلال حراما قيل لان التحليل والتحريم والامر والنهى ربوبية فاذا حرموا شيئا احله الله اى احلوا شيئا
حرمه الله فكانهم على الله افتروا انه حرم او احل وحرموا او احلوا فاضافوا ذلك الى الله تعالى انه هو الذى حرم او احل فقد افتروا على الله لان من احل شيئا حرمه الله او حرم شيئا احله الله فقد كفر وليس من انتفع بالمحرم او ترك الانتفاع بالمحلل كفر انما يصير انما مجرما او كذا
تارك الامر ومرتكب النهى وقوله عز وجل ان الذين يفترون على الله الكذب فى تحليل ما حرم عليهم وفى تحريم ما احله وقولهم والله امرنا بها
وقوله عز وجل لا يفلحون اى لا يفلحون وهم مفترون على الله واما اذا انتزعوا من الافتراء وتابوا فلحوا او لا يفلحون فى الاخرة اذا كانوا
مفترين على الله فى الدنيا ثم قوله متاع قليل على الابتداء وانما سمى قليلا والله اعلم لوجوه احدها ان متاع الدنيا على الزوال والانقطاع
فكل ما كان على شرف الزوال والانقطاع فهو قليل كما قيل كل آت قريب لما يأتى لا محالة فعلى ذلك كل زائل منقطع قليل والثانى سمى
قليلا لما هو مشوب بالافات والاحزان وانواع البلايا والشدائد فهو قليل فى الحقيقة وان سماه قليلا لما ان متاع الدنيا قليل
عما وعد فى الاخرة فمتاعها من متاع الاخرة قليل لما ليس فيها الوجوه التى ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل وهو ما نص فى سورة الانعام وهو قوله حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله فبظلم
من الذين هادوا الاية وقوله عز وجل وما ظلمناهم بتحريم ما حرمنا عليهم لانا انما حرمنا عليهم تلك الطيبات عقوبة لهم وجزاء لبغيهم
وهو ما قال فى سورة النساء وهو قوله فبظلم من الذين هادوا وهو ما قال ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر انه انما عليهم ذلك بظلم كان منهم
عقوبة وجزاء لبغيهم لكن هم ظلموا انفسهم فى ذلك وان يكون قوله وما ظلمناهم لانهم عبيده واماؤه ولله ان يمتحن عباده واماءه
بتحريم مرة وبتحليل ثانيا ولكن ظلموا انفسهم حيث وجهوها الى غير مالكها او صرفوا شكر ما انعم عليهم الى غيره وقوله عز وجل ثم ان ربك
للذين عملوا السوء بجهالة اى عمل السوء بجهالة ويحتمل وجهين احدهما ان الفعل فعل جاهل وسفيه وان لم يجهل بنا المن عمل السوء يا جاهل
يا سفيه والثانى جهل ما يحل به بعمله السوء ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الى آخره يحتمل ان يكون فى الاية اضمار لم يذكر لانه قال ثم
ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ثم كرر ذلك الحرف على الابتداء من غير ان ذكر له جواب وهو قوله
ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة من بعدها لغفور رحيم فظاهر الجواب ان يقول ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من
بعد ذلك لغفور رحيم على ما ذكرنا فى قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية لكن يخرج على الاضمار او على التكرار على ارادة التاكيد او
على الابتداء والاكتفاء بجواب ذكره فى موضع اخر ثم قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم هذا والله اعلم
جوابا عن ان ربك من بعد التوبة لغفور رحيم فهو قبل ان يعمل عمل السوء والعرب تذكر اشياء على ارادة التاكيد والله اعلم وقوله

عند

عز وجل ان ابراهيم كان امة قانتا قال عبد الله بن مسعود الامة الذى يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله وقال بعضهم امة قانتا
اى مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقال بعضهم كان امة اى اماما يقتدى به فى كل خير كقوله انى جاعلك للناس اماما وقيل الحق
كان امة اى سنة يقتدى به ويحتمل ان يكون سماه امة لما كان كالامة والجماعة من القيام مع الاعداء لانه وان كان منفردا وحده
فكان قيامه مع الاعداء والاكابر منهم كالجماعة والامة والممتنع عنهم كالمنفرد واصل الامة قيل الجماعة والعدد ويحتمل قوله كان
امة اى يجمع كل خير وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير فسمى امة هذا الذى ذكرنا او ان يكون تفسير الامة ما
ذكرنا على اثره قانتا لله حنيفا والقانت قيل المطيع والقنوت كما ذكر انه سئل عن افضل الصلاة فقال طول القنوت اى طول القيام
فعلى هذا المعنى هو القائم لله فى كل ما يعبده وامره به وقيل امة اى دينا لقوله ان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم دينا واحدا وقوله
عز وجل حنيفا قيل الحاج وقيل الحنيف المسلم وقيل المخلص وفيه كل ذلك كان حاجا مسلما مخلصا لله واصل الحنيف الميل اى كان مائلا الى
امر الله وما تعبده به والله اعلم وقوله عز وجل ولم يك من المشركين لا شك انه لم يك من المشركين لكنه ذكر هذين الوجهين احدهما ان ادعى كل
اهل الاديان انهم على دينه وانتسب كل فرقة اليه فبرأه الله من ذلك واخبر انه ليس على ما هم عليه من الدين وهو ما قال ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا الاية والثانى ذكر هذا انه لم يك من المشركين بقوله هذا ربى لانه هو كان ذلك عنه على ظاهر ما نطق كان ذلك فى الظاهر
شركا ففيه شبه فى ظاهره فبرأه الله عن ذلك واخبر ان ذلك منه لم يكن اشراكا ولكن على المحاجة خرج ذلك منه محاجة قومه كقوله وتلك
حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والله اعلم وقوله عز وجل شاكرا لانعمه اى لم يصرف شكر نعمه الى غير المنعم بل صرف شكرها الى منعمها
والشكر فى الشاهد هو المكافاة ولا يبلغ احد من الخلائق فى المرتبة التى يكافئ الله فى اصغر نعمة انعمها عليه ولا يتفرغ احد عن اداء ما عليه
من احسان الله عليه فضلا ان يتفرغ للمكافاة لكن الله عز وجل بفضله ومنه سمى ذلك شكرا وان لم يكن فى الحقيقة شكرا كما ذكر الصدقة
التى يتصدق بها العبد قرضا كما سمى تسليمه نفسه وبذله لامر الله شراء وان كان نفسهم واموالهم فى الحقيقة له ولا يطلب المرء فى القرض
القرض من عنده ولكن الشراكنه بلطفه عامل عباده معاملة من لا ملك له فى انفسهم واموالهم فعلى ذلك فى تسمية الشكر والله اعلم وقوله
عز وجل اجتباه قال بعضهم لرسالته ونبوته او اجتباه من بين ذلك القوم وجعله اماما يقتدى به وقوله عز وجل وهداه الى صراط مستقيم و
هو دين الاسلام وهو ما ذكر قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما الاية وقوله عز وجل واتيناه فى الدنيا حسنة قال بعضهم الثناء
الحسن وقال بعضهم الحسنة فى الدنيا ان جميع اهل الاديان يتولونه ويرضونه ويحتمل ان يكون قوله واتيناه فى الدنيا حسنة اى ما اتاه الله
لم يؤته الا حسنة على ما ذكر فى قوله ربنا اتنا فى الدنيا حسنة اى ما اتيناه فى الدنيا اتيناه كلها حسنة لان قوله حسنة انما هى اسم حسنة وا...
او ان يكون واتيناه فى الدنيا حسنة عند قبض روحه اى على الحسنة قبض روحه وقوله عز وجل وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى لم ينقص ما
اتاه فى الدنيا عما يؤتيه فى الاخرة وقال بعضهم فى قوله واتيناه فى الدنيا حسنة النبوة والرسالة وان قيل انه لم يبين الحسنة التى اخبر انه
اتاها اياه لكنه خص به كما هو خص فى قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم قد كان من ابراهيم معنى خص الله ابراهيم به من بين صنع
ذلك لنبى الاول والله اعلم وقوله عز وجل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اى دين ابراهيم وسبيله وذكر فى بعض الاخبار عن نبى
صلى الله عليه وسلم انه قال جاء جبريل الى ابراهيم صلوات الله عليه يوم التروية فراح به الى منى فعلمه المناسك كلها واراه اياه فاوحى الله الى محمد
صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين نحن امرناه ان يتبع ملته فى الحج وفى غيره واصل الملة الدين والله اعلم كقوله لا
بنوا رث اهل ملتين اى اهل دينين وقوله عز وجل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال بعضهم اختلافهم فى ذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان
يتفرغوا فى كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم الجمعة ويتفرغوا فيه عن دنياهم فقالوا نتفرغ يوم السبت فان الله لم يخلق يوم السبت شيئا فقال
فريق منهم انظروا الى ما يامركم نبيكم فخذوا به فذلك اختلافهم فجعله لهم يوم السبت على ما سالوا فاستحلوا فيه المعاصى فحرم الله عليهم العمل فيه
عقوبة لهم وقال الحسن وقتادة انما جعل السبت اى اللعن فى السبت فمسخوا قردة الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم انه حرمه بعضهم واستحله
بعض وقال ابو بكر اختلافهم كان فى تكذيب الرسل والانبياء فمنهم من صدق ومنهم من كذب فحرم عليهم يوم السبت عقوبة وان يكون اختلافهم
ما سالوا موسى من الايات العجيبة والاسولة الوحشة كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقوله اجعل لنا الها كما لهم الهة ونحوه بعد ما انعم
عليهم من الايات كما نعم فيها كفاية فيشبه ان يكون اختلافهم الذين ذكر ذلك وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يخرج على وجهين
احدهما انما جعل محنة السبت على الذين اختلفوا فيه اى على الذين فسقوا فيه حيث قال بما كانوا يفسقون والثانى انما جعل عقوبة السبت على الذين
اعتدوا فيه دون الذين اختلفوا فيه لان فريقا منهم قد نهوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا فاهلك الذين اعتدوا دون الذين نهوهم وقوله
عز وجل وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يحتمل فيه اى فى موسى وفى يوم السبت الذى اختلفوا فيه وعوقبوا فيه والله اعلم وقوله
فيما كانوا فيه يختلفون يحكم بينهم بالجزاء ويحكم بما يبين لهم المحق من المبطل حيث فريقا والنجاء فريقا فكيف قال يحكم بينهم فيما كانوا يختلفون
لكن يشبه ان يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا وقوله ادع الى سبيل ربك قيل دين ربك بالحكمة قال الحسن الحكمة القران اى ادعهم الى دين الله و
بالقران وقال بعضهم بالحكمة بالحجة والبرهان اى ادعهم الى دين الله بالحجج والبراهين اى الزمهم دين الله بالحجج والبراهين حتى يقروا به وقوله عز و
والموعظة الحسنة قال الحسن اى عظهم بالمواعظ التى وعظهم الله تعالى فى الكتاب وقال ابو بكر اى ذكرهم النعم التى انعم الله عليهم وجادلهم بالتى

هي احسن او جادلهم احسن المجادلة بلين القول وخفض الجانب والحجاج لعلهم يقبلون دينهم ويخضعون لربهم وكذلك اختلفوا في قوله واذ علمتك الكتاب والحكمة وقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة واحد اسم مثنى وهو القران وقال بعضهم الكتاب هو القران وهو سماع الوحي والحكمة وحي الالهام وهو السنة وقال بعضهم الكتاب هو التنزيل والحكمة هي المعنى المودع فيه فمن يقول ان الكتاب والحكمة واحد وهي القران يقول في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة القران ومن يقول ثمه انهما غير يقول هاهنا ان الحكمة الحجة والبرهان اما من جهة الالهام او من جهة الانتزاع من الكتاب ويحتمل ان يكون قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة التي ذكر في هذه السورة من ذلك قوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه وتخرج من بطون النحل وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وما ذكر انه يخرج من الخشب اليابسة الاعناب وانواع الثمرات ونحوه فذلك كله بحكمته اي ادعهم الى دينه وذكرهم بهذا وهم يقرون به ليقبلوا دينه ويخضعوا لامره والموعظة الحسنة ما ذكر في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وذلك كله مستحسن في العقل وتوجيه الحكمة لان العدل والاحسان وما ذكر من ايتاء ذي القربى الصدقة مستحسن في عقل كل احد والانتهاء ايضا عن الفحشاء والمنكر مستحسن مستقبح اذكار برا بناية كان الحكمة هي التي تشتمل على العلم والعمل جميعا كانه قال ادعهم الى الدين بالعلم والعمل جميعا حتى يجمع ذلك فيهم او ادعهم باللين وخفض الجناح مرة بالعنف والخشونة ثانيا فيكون وضع الشيء موضعه ثم قال يعظكم لعلكم تذكرون **وقوله** عز وجل وجادلهم بالتي هي احسن يحتمل والله اعلم اي جادلهم بالذي يقرون على ما ينكرون وهو ما ذكر افمن يخلق الاية وقوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا وقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الاية وقوله وضرب مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الاية وقوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم الاية ونحو هذا يجادلهم باحسن المجادلة بالذي يقرون انه كذلك على الذي ينكرون ليلزمهم القبول والخضوع له ثم في الاية دلالة تعليم المناظرة في الدين وكيفية المعاملة بعضهم لبعض فيها حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة التي عندك بالقران او غيره من الحجج والبينات والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن هكذا يجب ان يناظر بعضهم بعضا بالوجه الذي وصف الله وعلى ذلك ما ذكر الله في كذا من مناظرة الانبياء والرسل مع الفراعنة والاكابر وهو ما قال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى اخر ما ذكر وقوله وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله الاية ومناظرة فرعون مع موسى صلوات الله عليه حيث قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض الاية وما قال رب المشرق والمغرب وقوله فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه وما قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامثاله مما يكثر فهذه مناظرة الرسل والانبياء مع الفراعنة والاعداء فكيف المناظرة بين الاولياء فهذا كله يرد على من ابى المناظرة في الدين ويمنع من التكلم فيه والاحتجاج **وقوله** عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله في الاية نسبتهم الى الضلال اشارة وكناية لا تصريحا لانه لم يقل لهم صريحا انكم قد ضللتم عن سبيله لحسن معاملته التي علم رسوله وامره ان يعاملهم لان ذلك اقرب الى القبول واميل الى القلوب واحنى الا ترى انه قال لموسى وهرون حين ارسلهما الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى **وقوله** عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اختلف في سبب نزول ذلك قال بعضهم في خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك نزل انهم قد مثلوا يوم احد مثلة سيئة من قطع الاذان وتجديع الانوف وبقر البطون ونحوه فقال اصحابه لئن اظهرنا الله منهم لنفعلن كذا وكذا فاراد وا ان يجاوزوا ذلك فانزل الله وان عاقبتم بمثل ما عوقبتم به الاية وفيه البشارة لهم بالنصر والظفر على اعدائهم لانه لو لم يكن لهم الظفر بهم كيف يقدرون على معاقبة مثل ما عاقبوا دل انه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم وفيه دلالة جواز اخذ من لم يتول القتل والاخذ والضرب لما لعلهم لا يظفرون باولئك الذين تولوا ذلك لكن يؤخذ اخوانهم بهم لما بمعونة بعضهم بعضا فعلوا ويكون فيه دليل اخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع وان كان الذي تولى ذلك بعضا منهم لما ان من تولى ذلك انما تولى بمعونة من لم يتول وقال بعضهم انما نزلت الاية في ابتداء الامر الذي كان القتال مع الكفرة قتل مجازاة مثل قوله وقاتلوا المشركين كافة وكقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم ومثله فاذا كان على المجازاة امران لا يجاوزوا عقوبتهم ولكن مثله واما اذا كان القتال معهم لا قتال مجازاة فانهم يقتلون جميعا اذا ابوا الاسلام بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقوله عليه الصلوة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وقال بعضهم لا ولكن الاية نزلت في اهل الاسلام وحكمه في القصاص والقطع فيما دون النفس والجراحات امران لا يجاوزوا حقوقهم كقوله وجزاء سيئة سيئة بمثلها وقوله فمن اعتدى عليكم الاية وقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الاية **وقوله** عز وجل ولئن صبرتم على ما ذكر لهو خير اي الصبر خير للصابرين وذل قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين على ان الاية في القصاص لا في الحرب لانه في الحرب لا يفضل الصبر ولا يكون الصبر خيرا دل انه في غير المحاربة والله اعلم **وقوله** عز وجل واصبر يا محمد وما صبرك الا بالله اي ما توفيقك على الصبر الا بالله كقول شعيب وما توفيقي الا بالله الاية والثاني واصبر وما صبرك الا بالله اي تركك القصاص لامر الله حيث امرك به لا لضعف وعجز فيك **وقوله** ولا تحزن عليهم قال بعضهم انه كان يحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم بالله وتركهم الايمان بالله كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقال ولا تحزن عليهم لذلك على التسلي

والتخفيف

والتخفيف على النبي عن ذلك ويحتمل ان يكون قوله لا تحزن على المؤمنين الذين قتلوا واستشهدوا لانهم مستبشرون فرحون عند ربهم بما اتاهم الله من فضله اي لا تحزن عليهم وهم فيما ذكرنا ولا تحزن على المؤمنين ولا يضيق صدرك مما يمكرون وتلك الكفرة اذ كانوا يمكرون برسول الله واصحابه ويؤذونهم لعل ان لا يضيقن صدرك لذلك وقال بعضهم نزلت في امر حمزة سيد الشهداء انه مثل وجرح جراحات عظيمة فاشتد على النبي فقال لئن ظفرنا باولئك لنفعلن كذا ولنفعلن كذا فنزلت الاية وان عاقبتم بمثل ما عوقبتم به لكن ان ثبت هذا فانه يكون في الوقت الذي كان يؤخذ غير القاتل والجارح بالقتل وذلك قد كان في الابتداء الا ترى انه قال الحر بالحر والعبد بالعبد كانوا هموا ان ياخذوا الحر بالعبد والذكر بالانثى حتى نزل هذا فصار منسوخا بقوله ولكم في القصاص حيوة ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن فيه حيوة وان قالوا في الحرب مع الكفرة فذلك يحتمل لانه في الحرب لهم ان يقتلوا الكل وان لا يتركوا واحدا منهم دل انه يخرج على احد وجهين على النسخ الذي ذكرنا او على النهي عن اخذ اكثر من حقه كقوله فاعتدوا عليه الاية **قوله** عز وجل ان الله مع الذين اتقوا مخالفة الله ورسوله بالنصر لهم والعون فان الله ناصركم ومعينكم عليهم **قوله** عز وجل والذين هم محسنون في العمل والتوحيد ويقول ان الله مع الذين اتقوا محارم الله وارتكاب مناهيه بالنصر لهم والمعونة والذين هم محسنون الى نعم الله بالقيام بالشكر لها • والله تعالى اعلم . . . . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان كلمة اجلال الله عن الاكفاء وتنزيه عن الشركاء وتبرئة عما قالت المعطلة فيه وظنت المخلوق به من الولد والحاجات والافات وجميع معاني الخلق وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله قال هو تنزيه الله عن كل سوء ومعنى قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى هو والله اعلم كانه ذكر ان من قدر على ان يسري بعبده ليلا مسيرة شهر يقدر على احياء الموتى بعد الموت وبالله حفظ رسوله والنصر له واظهار ايات نبوته ورسالته وقطع جميع حيل المكذبين له والمخالفين وقوله من المسجد الحرام سماه اقصى وهو الابعد من قصى يقصى قصيا فهو قاص كانه لم يكن يومئذ الا المسجد الحرام ومسجده بالمدينة ومسجد بيت المقدس فسماه لذلك والله اعلم المسجد الاقصى **قوله** عز وجل الذي باركنا حوله قيل سمي مباركا لكثرة انزاله وخيراته وسعته وقيل سمي مباركا لانه مكان الانبياء ومقامهم فبورك فيه ببركتهم وبهم والله اعلم **قوله** عز وجل لنريه من اياتنا اي لنريه من اياتنا الحسية بعدما اراه الايات العقلية لان الايات الحسية اكبر في قطع الشبه ودفع الوساوس من العقلية اذ لا يشك احد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعترض ربما الشبه والوساوس في العقليات لانه لا يشك احد في نفسه انه هو فاحب عز وجل ان يرى رسوله ايات حسية تنضبط للمعاندين على نبوتها والايمان بها والاقرار لانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمون انما كان يخبرهم من اخبار حيث قال اذ داري ضيق فلان وامورا يعلمون انه لا يقول الا عن مشاهدة وعيان لانه كان ما اتى من الايات العقليات قالوا انه سحر وما ذكر من الانباء التي كانت في كتبهم المتقدمة قالوا اساطير الاولين وانما يعلمه بشر ليلبس ذلك عليهم بسحر والافك ولا افتراء ولا اساطير الاولين على ما نسبوه الى السحر مرة والى الافك والافتراء ثانيا ونحوه **وقوله** عز وجل انه هو السميع البصير اي من قدر على ما ذكر لا يحتمل ان يخفى عليه شيء من قول او عمل ثم ما روي من الاخبار انه عرج به الى السماء حتى راى اخوانه الانبياء الماضين قبله وما ذكر فيها فنحن نقول لما قال الصديق رضوان الله عليه ان كان قال ذلك فانا اشهد على ذلك والا نقول على مقدار ما في الاية انه اسرى به الى بيت المقدس المسجد الاقصى ولا نزيد عليه لانه من اخبار الاحاد فلا يسع الشهادة له **وقوله** عز وجل واتينا موسى الكتاب يعني التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل كل كتاب الله هدى لمن استهدى ورشد لمن استرشد وبيان لمن استوضح لانها دعت الى ثلث خصال دعت الى معالي الامور ومكارم الاخلاق ومصالح الاعمال ونهت عن ثلاث عن مساوي الاعمال وعن سفاسف الامور ودناءة الاخلاق وردائها ثم ما ذكر انه جعل الكتاب هدى لبني اسرائيل لان منفعة الكتاب حصلت لهم لانهم هم الذين استهدوا به فعلى ذلك هو هدى لمن استهدى والله اعلم **وقوله** عز وجل ان لا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا او قلنا لهم فيه او ذكرنا لهم فيه او امرناهم فيه ان لا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا موكولا الوكيل هو موكول الامر اليه معتمد في الاحوال عليه فانه في جميع ما وكل اليه بالتبرع والتفضل **وقوله** عز وجل ذرية من حملنا مع نوح قال بعضهم يعني بالذرية الانبياء الذين كانوا من قبل اي كانوا من ذرية نوح ومن حمل معه وهم بشر فيه ذكر هذا لانكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا ابعث الله بشرا رسولا والثاني يحتمل غيره اي من ذرية من حملنا مع نوح او هؤلاء من ذرية من حملنا مع نوح فكيف خالفوا اباءهم الذين كانوا على الهدى وتابعوا غيرهم او يذكران هؤلاء الرسل من ذرية من حملنا مع نوح وهم بشر فكيف انكروا الرسول من بشر ثم قال بعضهم هو على النداء والدعاء يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة في اصلاب الرجال وارحام النساء زمان الطوفان لا تتخذوا من دوني وكيلا قيل ذرية ابدالها وقيل شريكا وصله ما ذكرنا ان الوكيل هو المعتمد انه كان عبدا شكورا يعني نوحا قال بعضهم سماه شكورا لانه كان يذكر ربه في كل احواله وقال بعضهم الشكور هو الذي يبتغي مرضات منعمه ويجتنب مساخطه وقال بعضهم الشكور هو المطيع لله وقد ذكرنا معنى الشكر انه اسم المكافاة

اويقال كانت عبادته لله عبادة شكر لا عبادة استغنا اي كان شكورا في عبادته لا مستغنيا وقوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين اختلف في قوله وقضينا قال الحسن وغيره اوحينا اليهم واخبرناهم واعلمناهم في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين و
قال بعضهم قضينا عليهم وقال بعضهم كتبنا عليهم وقال بعضهم كتبنا عليهم فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه اخبرهم واعلمهم على
يا قول من زعم ان القضاء ههنا هو الاعلام والاخبار لم فيقال لم كان اخبرهم واعلمهم ليصدق في خبره اولا فان كان اخبرهم ليصدق في خبره و
عذلك منه حكم انهم ليفسدن في الارض مرتين فان كان تاويل القضاء الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ما نقول ان كل فاعل فعل طاعة كانت او
معصية كان بحكم ثم من سال عن المعصية انها كانت بقضاء الله فلا يجب ان يجاب له على الاطلاق بنعم او بلا الا ان يبين انه ما يريد بالقضا
وما يفهم منه لان القضاء يتوجه الى وجوه يرجع الى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن والقضاء الامر بقوله وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه امر ربك والقضاء الحكم كقوله فاقض ما انت قاض اي احكم ما انت حاكم ولم يعرف القضا الحل والدفع على ما يقوله المعتزلة ونحوه
فلا يجاب على الاطلاق الا ان يبين انه ما اراد بالقضاء فان اراد بالقضاء الحكم فعند ذلك يقال نعم كان بقضاء وحكمه وليس فيما قضى
وحكم دفعه في المعصية ثم اختلف في قوله مرتين قال بعضهم من اهل التاويل ان بني اسرائيل عتوا ربهم فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم وسبى
ذراريهم واموالهم فكانوا كذلك زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك ثم بعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من يديه وردهم الى مكانهم ثم
عادوا الى ما كانوا من قبل ثم سلط عليهم بخت نصر ففعل بهم ما فعل جالوت ثم تابوا فبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بعث لا بخت
نصر ثم فلانا وفلانا وهو ما قال فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا الى قوله وان عدتم عدنا اي ان عدتم الى العصيان عدنا الى العقوبة ولكن ليس
لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من وجوه الحكمة والدلالة احدها فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما كان في كتبهم
من غير ان علم ما في كتبهم ولا اختلف الى احد منهم فكان على ما اخبر دل انه انما عرف ذلك بالله بما اخبره في كتابه وفيه انه لم يهلك قوم بنفس الكفر
اهلاك استيصال الحق كان منهم مع الكفر السعي في الارض بالفساد والعناد للايات وفيه ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم واعطاؤه في الدين
حيث لم يثبتهم على الايمان ولكن تركهم حتى عصوا ربهم ثم سلط عليهم من قتلهم على تلك الحال ودعاهم الى دينه وهو كفر فلو كان عليه اعطاء الاصلح
لاماتهم على الاسلام فذلك اصلح لهم في الدين وقوله عز وجل ولتعلن علوا كبيرا قيل ليقهرون جبارة عظيمة وقيل لتقهرون ولتغلبن غلبة كقوله
ان فرعون علا في الارض اي قهر وغلب الا نرعاه قال وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ثبت انه على الغلبة والقهر وقيل العلو هو
العتو والجراة والتكبر وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فاذا جاء وعد اولاهما اي جاء وعد هلاك من عصى منهم اولا وخالف امر الله وكذبه بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد قال الحسن قوله بعثنا عليكم ليس على بعث الوحي اليهم ولكن على التخلية اي خلينا بينهم وبين عبادا ولي باس
شديد اي ولي باس وبطش شديد وقوة كقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطنا عليكم وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس
شديد على المعتزلة لانه ذكر بعث عليهم عبادا اولي باس شديد وانما بعثهم جزاء اساءتهم ولسوء صنيعهم وذلك شر يفعلها بهم دل ان الله صنع
في جميع فعل العباد وقوله عز وجل فجاسوا خلال الديار قال بعضهم فجاسوا [illegible] ويجمعون [illegible] جنود
[illegible] وقال بعضهم فجاسوا اي [illegible] الناس في الازقة وقيل في الطرق وقوله عز وجل وكان وعدا مفعولا اي الذي كان لتفسدن في
الارض مرتين وعدا علينا مفعولا [illegible]
وكذلك ما اشبه هذا وقوله عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والغلبة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا اي
اكثر رجالا [illegible]
الهلاك والتدمير [illegible] عسى ربكم ان يرحمكم [illegible]
اليوم بالعقوبة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقوله عز وجل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان الله اذ اليكم يرجع منفعة ذلك وانتم تجزون على ذلك وان اسأتم فلها اي فعليها كقوله من عمل صالحا فلنفسه
لا يزاي عليها ضرر ذلك وعلى ذلك جميع ما امر الله عباده من الاعمال ونهاهم عنها انما امر ونهى لمنفعة انفسهم ولحاجتهم لا لمنفعة له او لحاجة
وقال بعضهم وان اسأتم فلها اي اليها اي الى انفسكم تسيئون وقوله عز وجل فاذا جاء وعد الاخرة واي فاذا جاء وعد موعود الاخرة وهو
العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله وقوله فاذا جاء وعد الاخرة بالتعبيس وتبديل الدين ليسوءوا وجوهكم يراد بها على الجماعة ويراد واحد
على الواحد ليسوء وجوهكم ولم يبين من يسوء وجوههم فيشبه ان يكون يبعث قوما يسوءون وجوههم كما ذكر في الوعد الاول فاذا جاء وعد
اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد ثم يسوءون وجوهكم ومن قرا بالنون لنسوء وجوهكم اضاف الى نفسه لما يامرهم بما كان
يفعل وبتسليطه اياهم عليهم وقال بعضهم ذكر الوجوه ههنا كناية عن الحزن والهم والاهانة لهم كما يقال في الشهود اكرم وجهه اي ادخل فيه
سرورا او ذكر الوجه لما بالوجه يظهر ذلك التغيير والقبح والله اعلم وقوله عز وجل وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة في ظاهر الاية ان
يدخل الاولون المسجد في المرة الثانية كما دخلوا في المرة الاولى لانه قال كما دخلوه اول مرة لكن يحتمل ليدخل عباد اخرون المسجد في المرة
الثانية كما دخل الاولون في المرة الاولى وقال بعضهم المسجد ههنا الكنيسة والبيعة وقوله عز وجل وليتبروا ما علوا تتبيرا اي ليهلكوا ما عملوا
وما غلبوا به وقهروا اي الاسباب التي بها عصوا وقال ابو عوسجة ما علوا اي ليفسدوا والتبار الفساد ويقال علوت الشيء اي ملكت وقوله
عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يحتمل ان يكون ذلك لاولئك الذين تقدم ذكرهم وفيهم نزل ما نزل يرحمهم ان تابوا ويشبه ان يكون على الابتداء
عسى ربكم ان يرحمكم بمحمد وان عدتم عدنا اي وان عدتم الى التكذيب والعصيان عدنا الى العقوبة والقتال والى يوم القيامة وقوله عز وجل
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قيل سجنا لا يخرجون منها وقيل محبسا وحصيرا يحصرون فيها والله اعلم قوله عز وجل ان هذا القران يهدي للتي هي
اقوم معنى التانيث في قوله للتي هي اقوم وقيل بوجوه قيل ان هذا القران يهدي للملة التي هي اقوم الملل واعدلها والملة هي الدين دين الله و
قال بعضهم يهدي الى الامور التي هي اعدل الامور واصوبها وقيل يهدي الى السبيل التي هي اقوم السبل واعدلها يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي
ذكرناها ويجوز ان يكون قوله يهدي للتي هي اقوم الاعمال الصالحات والخيرات لان الاعمال الصالحات قوامها به ثم قوله يهدي يحتمل وجهين
يحتمل يبين والثاني يدعو فهو يهدي الكل لو استهدوا ولكن خص هؤلاء لما منفعة تكون لمن ذكرهم وقد ذكرنا ان هذا القران وغيره من كتب الله
هدى ورحمة يدعو الى ثلاث خصال الى معالي الامور ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومصالحها وينهى عن مساوي الاعمال ودناءة الامور
وسوء الاخلاق ودناءتها فهو هدى ورحمة على ما اخبر لمن استهدى به ورشد لمن استرشد قوله عز وجل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
البشارة المطلقة انما جعل للمؤمنين الذين عملوا الصالحات لم يذكر للمؤمنين خاصة على غير العمل الصالح فالمسالة فيهم غير المسالة وهؤلاء
وفيه دلالة انه يقع اسم المؤمنين بدون العمل الصالح لانه قال المؤمنين الذين يعملون الصالحات دل ان ذلك الاسم يقع بدون ذلك لان
وفيه دلالة ان اسم الايمان قد يستحق بدون العمل الصالح حيث شرط فيه العمل الصالح وقوله عز وجل ان لهم اجرا كبيرا سماه كبيرا لكبر
خطره عند الله كما سمى النار عظيما لعظم خطره عنده او سماه كبيرا لانه اكبر ما يقصد اليه ويرغب فيه وهو ثواب الجنة والنار اعظم ما
يحذر بها ويرهب عنها وقوله عز وجل وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما انكارهم البعث وكفرهم به هو الذي حملهم
على تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله ليسلم لهم شهواتهم في الدنيا لان الرسل جميعا دعوهم الى ترك شهواتهم في الدنيا ورغبوهم بما يوجب لهم الثواب
في الاخرة وحذروهم عما يوجب العقاب فانكروا الاخرة والبعث واسا ليسلم لهم الدنيا فذلك الذي حملهم على انكار الرسل وتكذيبهم اياهم الا ترى انه
قال والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقران او بمحمد ايمانهم بالبعث حملهم على الايمان بالقران والرسول وتكذيبهم الاخرة حملهم على
تكذيب الرسل والله اعلم قوله عز وجل ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قال بعضهم اذا غضب الانسان يدعو على نفسه وولده واهله
ويلعن كدعائه عليهم بالخير كذلك انتصب قوله دعاءه وقال الحسن ان الانسان يضيق صدره وقلبه بادنى شيء يكون فيلعن على نفسه
واهله فلا يجيبه الله ثم يدعو بالخير فيعطيه او نحوه من الكلام وقوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير هذا يحتمل وجهين احدهما يدعو
الانسان بالشر على العلم منه بذلك كدعائه بالخير على العلم منه بذلك والثاني يدعو الانسان بالشر لو اجيب فيه على الجهل منه والغفلة
كدعائه بالخير لو اجيب في ذلك ثم ان كان ذلك الانسان هو الكافر فهو يدعو على الاستهزاء كقوله فامطر علينا حجارة من السماء الاية وكان
قوله سال سائل بعذاب واقع ونحوه وان كان مسلما فهو يدعو بالشر على نفسه واهله عند الغضب على علم منه انه يدعو ايضا بالشر على
السهو والغفلة منه نحو ما بال الاموال والنكاح ولعل ذلك شر له وقوله عز وجل وكان الانسان عجولا قال بعضهم هذا لادم لانه لما
خلقه الله فنفخ الروح في بعض جسده اراد ان يقوم فسماه عجولا لكن كل الانسان خلق في الطبع من الاصل عجولا الا ترى انه لا يصبر على امر واحد
ولا على شيء واحد وان كان نعمة لم يصبر عليها ولكن يمل منها وكذلك في شدة وبلاء اذا ابتلي لم يصبر عليه فابدا يريد الانتقال من حال الى حال
الا ترى ان قوم موسى قد اكرمهم الله بكرامات من انزال المن والسلوى عليهم من غير كد ولا جهد ولا مؤنة وكذلك اللباس ثم لم يصبروا على ذلك حتى
قالوا لن نصبر على طعام واحد واحدثنا لو ادتهم القوم والبصل ونحوه على هذا طبع الانسان ملولا عجولا الا ترى ان الله مكن في باطنه وجعل في
وسعه ورياضة نفسه وصرفها الى احد الوجهين اللذين يحمد عليه ولا يذم وهو ان يروضها ويعودها على الصبر والحكم والوقار ويصرف تلك
العجلة الى الخيرات والطاعات التي يحمد عليها المرء بالعجلة والا ففي ظاهر الخلقة والطبع منشاه على العجلة وما ذكر الا ترى انه قال ان الانسان

خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا كذا وهو ما ذكرنا والله اعلم لكن بما امتحنه من الامر والنهي والترغيب في الموعود
والترهيب عنه بحيث يملك اخراجه عما طبع والشئ الى حال اخرى بالرياضة التي ذكرنا الا ترى انه ذكر الهلع والجزع ثم استثنى الا كذا وعلى ذلك
خلق الله الخلق على همم مختلفة واطوار مشتتة لم يخلقهم جميعا على همة واحدة بحيث يرغبون جميعا في معالي الامور ومعاظم الحرف ولا يرغبوا في
الاسماء بل طبعهم على اطباع مختلفة فمنهم من يرغب في معالي الامور ومعاظم الامور والحرف ومنهم من كانت همته الرغبة في الارذل من
الامور والحرف في الحجامة والدباغة والحياكة ونحوها وكذلك في الاسماء ومنهم من كانت همته معالي الامور ومعاظم الاعمال ولو كانت
همتهم همة واحدة لذهبت المنافع والمعارف جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين اختلف فيه قال بعضهم المراد
بالليل والنهار الشمس والقمر اي جعلنا في الشمس والقمر الا ترى انه اضاف الاية الى الليل والنهار حيث قال فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار
مبصرة وحيث قال ايضا ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما يعلم ذلك بالقمر الا ترى انه قال ايضا هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا الاية انما اضاف معرفة عدد السنين والحساب الى القمر لانه بالقمر يعلم ذلك وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم من اهل
التاويل ويكون تاويل المحو الذي ذكر في قوله فمحونا اية الليل ما قالوا في محو وهو السواد الذي يرى والنقصان الذي يكون فيه في اخره
وقال بعضهم محي منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا الى هذا يذهب هؤلاء واما الحسن وابو بكر وهؤلاء فهم يقولون ليس في الاية ذكر الشمس
والقمر انما ذكر الليل والنهار واخبر انه جعلهما ايتين فيهما كذلك ايتان وبهما يعلم عدد السنين والحساب لانه بالايام يعرف ذلك فاما
الشهور فانه انما تعرف بالقمر لا تعرف بالايام ويكون قوله تاويل فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلنا اية الليل في الابتداء
ممحوة مظلمة وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة في الابتداء ليس ان كان جميعا مبصرتين مضيئتين ثم محا اية الليل وابقى اية النهار مضيئة
ولكن انشأ اية الليل في الابتداء ممحوة واية النهار في الابتداء مبصرة وهو كقوله والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت اي انشأها في الابتداء كذلك لان السماء
كانت موضوعة فرفعها وكذلك مبسوطة ثم نصبها ولكن انشأها في الابتداء كذلك فعلى ذلك قوله فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
اي جعلهما في الابتداء هذا مظلما ممحوا وهذا مبصرا مضيئا وجعلنا الليل والنهار هما ايتان مختلفان بل متضادتان يضاد كل واحد منهما
صاحبه ثم اذا كل واحد منهما ينسخ الاخرى حتى لا يبقى لها اثر وهما ايتان والثالث على وحدانية الله تعالى لانه لو كان افعال عدد لكان اذا اتى هذا وغلب
عليه منع غيره ان يكون للاخر سلطان او امر فاذ لم يكن دل انه صنع واحد وفيهما دلالة تدبير حيث جريا على سنن واحد ومقدار واحد
غير تفاوت يكون فيهما وتفاضل وتغير على ما كان ومعنى دلالة عن تدبير خرجا وكانا كذلك وفيه دلالة علمه وحكمته لما جعل فيهما من المنافع
ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل نفسه ولو كان النهار سرمدا ذهب منفعة النهار راسا وفيه دلالة البعث لانه يتلف احدهما
بالاتيان الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يعيده على ما كان من غير ان يعلم انه غير الاول ثم قوله ايتين والاية علامة وعلامتهما لا تعرف الا بالتامل
والنظر فيهما فعلى ذلك لا يفهم مراد ما في القران والمعنى المودع فيه الا بالتامل والنظر فيه وفيهما دلالة نقض قول اصحاب الطبائع واصحاب
النجوم والدهرية وجميع الملحدة اما نقض قول اصحاب الطبائع لما ذكرنا من اتساق مجراهما على سنن واحد واثر واحد دل انه بالتدبير ما صار
كذلك لا بالطبع واما نقض قول اصحاب النجوم مسخرة لمنافع الخلق ومغلوبة يغلبها ضوء الشمس ونور القمر حتى لا ترى دل انه لا تدبير لها
وان التدبير لغيرها وعلى غيرهم من الملحدة ما ذكرنا من اتصال منافع هذا بهذا ومنافع هذا بهذا دل انه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتبتغوا
فضلا من ربكم يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق والمعاش الذي ذكر في اية اخرى وجعلنا النهار معاشا ويحتمل انواع فضل تكون في الدين
ولتعلموا عدد السنين والحساب هو ما ذكرنا انه بهما يعرف اية واحدة على ما ذكر وقال الحسن اي فصل وبين ما امر عباده ونهاهم اي بين وفصل
ما يأتي مما يتقي وفصلناه او فصله تفصيلا لم يترك منهما بل بين غاية البيان وقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اختلف
في قوله طائره قال بعضهم طائره شقاوته وسعادته ورزقه وعيشه وقال بعضهم عمله الذي عمل من خير او شر وقال بعضهم حظه ونصيبه
من عمله وهو جزاؤه ونحو ذلك فذلك كله يرجع الى معنى واحد لانه انما يسعد ويشقى بعمله الذي يعمله وكذلك جزاء عمله ولذلك قال الحسن
في تاويل قوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي باعمالنا التي عملناها ثم يخرج تسمية العمل وما ذكر واطائرا على وجهين احدهما على وجه التفؤل
والطيرة كانوا يتفاءلون ويتطيرون باشياء بالطائر وغيره ويقولون جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له بكذا من الشر على طريق الفال
والطيرة فخاطبهم على ما يستعملون واخبر ان ذلك يلزم اعناقهم وهو ما قال الله تعالى يطيروا بموسى ومن معه وكقوله فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه وقوله ايضا قالوا اطيرنا بك ومن معك الاية ونحوه والثاني سمى الاعمال التي عملوها طائرا لما ان الذي يتولد منه تلك الاعمال
كالطائر وهو الهمة ان لا يخطر بباله شيئا فيخطر ولا صنع له فيه ثم يهم ثم تبعث الهمة على الارادة ثم الارادة تبعث على الطلب الاول
فالهمة التي في النفس التي يتولد منها الاعمال كالطائر فسماه لذلك باسمه والله اعلم وقوله عز وجل في عنقه يحتمل ان يكون العنق كناية عن
النفس اي الزمناه نفسه وذلك جائز يقال هذا لك علي وفي عنقي والثاني ذكر العنق كما يقول الرجل لاخر اذا اراد التخلص من عمل قد دنا منك
قلدتك هذا العمل وجعلته في عنقك اي تكون انت المأخوذ به ان كان في ذلك شر وانت المأجور به المثاب ان كان فيه خير والمعنى من قوله
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي لا يؤخذ غيره بعمله وبشقائه ولكن هو المأخوذ به وهو ما قال من اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقوله
الا تزر وازرة وزر اخرى هذه الايات الثلاث معناها واحد وهو ما ذكرنا انه لا يؤخذ غيره بعمل اخر ولا تحمل نفس خطيئة اخرى ولا ت

وكذلك لا نفس

ولكن كل نفس هي تحمل خطيئة نفسها وقوله عز وجل ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا يحتمل وجهين احدهما ان
يجعل ما الزم عنقه كتابا يلقاه منشورا والثاني ان يجعل ما الزم عنقه كتابا وقوله عز وجل اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا قيل شهيدا وقيل كافيا وحاسبا وهو واحد الا ان الموثق باسبق صالحا يقف بها لا يقطع القول فيها لما شاء في وجه و
يخرج على مساويه فلا يشهد على نفسه بالعقوبة واما الكافر فانه يشهد على نفسه بالنار لما لم يكن له ما يطمع رحمته وقوله
اقرأ كتابك يخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي ذلك لطف
عظيم يقرأ كتابه باي لسان كان لانه لم يبق باي لسان يكتب ثم يذكر جميع ما عمل في عمره وقد نسي الرجل ما عمل في ادنى مدة
لكن هذا يتذكر في ساعة وهلة ما كان عمل عاما ومنه وقوله عز وجل من اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي من اهتدى الى ما جعل الله
عليه من انواع النعم وقام باداء شكرها فانما فعل ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به او يقول من لغنا الهدى واجاب الى ما دعاه
مولاه فانما يهتدي لنفسه اي فانما اختار ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به وهو الساعي في فكاك رقبته وقوله عز وجل ومن
ضل اي من ضل اي من اختار الضلال فانما يضل عليها اي فانما يرجع عليها ضرره وهو ما ذكر من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله ومن ضل عن ذلك فانما يضل عليها اي الى نفسه يرجع
ضرره وضلاله كقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه وقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى هو ما ذكرنا اي لا تحمل نفس
خطيئة اخرى ولا تاثم بوزر اخرى والله اعلم ذكر هذا ليعلم ان امر الاخرة خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يؤخذ نفس
مكان اخرى وتحمل نفس مؤنة اخرى وفي الاخرة لا تؤخذ نفس بدل اخرى والثاني قد يتبرع بعض على بعض بتحمل المؤنات
والقيام في كفايتها واما في الاخرة فلا يتبرع بذلك وقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يحتمل ما كنا معذبين
تعذيب استيصال في الدنيا الا بعد دفع الشبه ورفعها عن الحجج من كل وجه وبعد تمامها وان كانت الحجة قد لزمتهم ببرهان
بعث الرسل ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه او ان يكون قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا افضالا منه ورحمة وان
كان العذاب قد يلزمهم والحجة قد قامت عليهم والعذاب الذي كانوا يعذبونهم في الدنيا ما ليس هو عذاب الكفر لان عذاب
الكفر ابد لا انقطاع له وهذا مما ينقطع وينفصل لكن يعذبون باشياء كانت منهم من العناد ودفع الايات واما عذاب
الكفر فهو في الاخرة ابدا لا ينقطع وفي اول الاية دلالة ان حجة التوحيد قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل حيث قال وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلو لم تلزمهم لكان الرسل اذا دعوهم الى ذلك يقول من انتم ومن بعثكم الينا فاذا لم يكن لهم هذا
الاحتجاج دل ان الحجة قد قامت عليهم لكن الله بفضله اراد ان يدفع الشبه عنهم ويقطع عنهم عذرهم برسول يبعث اليهم
لما ان اسباب العلم بالامور ثلاثة فمنها ما يعلم بظاهر الحواس بالبديهة ومنها ما يفهم بالتامل والنظر ومنها ما لا يعلم الا
بالتعليم والتنبيه وقال القتبي ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وهو ما ذكرنا اي نخرج بذلك العمل كتابا وقال
ابو عوسجة اي نكتب ما عمل ثم نعلقه في عنقه يجيء به يوم القيامة وقال ابو عبيدة طائره حظه وقال غيره من المعتزلة
ما عمل من خير او شر الزمناه عنقه وقال القتبي وهذان المعنيان يحتاجان الى بيان والمعنى فيما ارى والله اعلم ان لكل امرئ
حظا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقه والعرب تقول لكل ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهو لازم طائره
عنقه وهذا لك علي وفي عنقي حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب ما ذكرنا جرى له الطائر بكذا
من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر على وجه الفال والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء
بما كان له سببا وهو ما ذكر وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا التعذيب يكون على وجوه ثلاثة احدهم يعذبهم في
الدنيا ابتداء بتعذيب امتحانا وابتلاء بلا جريمة كانت منهم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وبلوناهم بالحسنات و
السيئات ونحوه فيكون تنبيها وتذكيرا لهم لا تكفيرا والثاني يعذب تعذيبا للعناد والمكابرة وهو تعذيب اهلاك واستيصال
فهو عقوبة لهم وموعظة للمتقين وعبرة لغيرهم وهو الذي ياتي على اثر وعيد والثالث عذاب الموعود في الاخرة بقوله
وما كنا معذبين في الاخرة حتى نبعث رسولا في الدنيا والاشبه ان يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استيصال والله
اعلم وقوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها بالتخفيف والتثقيل امرنا مترفيها ثم من قال امرنا بالتثقيل يحتمل
وجهين احدهما امرنا مترفيها من الامارة والتسليط عليهم اي امرنا عليهم وسلطنا مترفيها اي كثرنا عددهم وسلطنا مترفيها
فسقوا فيها ومستكبريها والثاني امرنا مترفيها اي كثرنا عددهم ومنعهم يذكرهم هذا القول وكذلك ما ارسلنا من قبلك في
قرية الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة الاية وقوله نحن اكثر اموالا واولادا الاية كانوا يزعمون انهم لا يعذبون
لانهم قد انعموا في هذه الدنيا واكثروا اموالهم واولادهم فاخبرهم عز وجل انه ما اهلك من الامم الخالية الا بعد ما كثر عددهم و
وسع عليهم الدنيا لم يهلكوا في حال القلة والضيق كقوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا اكثروا وقوله حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون لم يأخذ بالعذاب الامم الخالية الا في حال كثرتهم وامنهم وعزتهم بالسعة يحذر

هؤلاء ليتاذ بغيروا بكثرة اموالهم واولادهم وعددهم ومن قال امرنا مترفيها بالتخفيف هو من الامر اي امرنا عظماءهم و
كبرائهم بطاعة الرسول والاجابة الى ما دعاهم اليه حتى اذا عصوا رسله وتركوا اجابتهم على العناد والمكابرة فعند ذلك يهلكون
لما ذكرنا انه لم يستاصل الامم الخالية الا بعد عنادهم في ايات الله ومكابرتهم في دفعها وتكذيبها الا يهلكهم فاول ما كذبوا الايات
وخالفوا رسله وقوله مترفيها قال بعضهم المترف المنعم وقال بعضهم المترف المكرم والمستكبر وكله واحد وفي قوله واذا اردنا ان
نهلك قرية دلالة ان الارادة غير المراد لانه اخبر بتقدم الارادة عن وقت الاهلاك دل انها غيره وفيه انه اراد السبب الذي به
يهلكون وهو التكذيب والعناد لما علم منهم انهم يختارون ذلك اذ لا يحتمل ان يريد هلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب الهلاك
فهذا يرد قول المعتزلة ان الارادة هي المراد وانه لم يرد ما كان منهم من سبب الهلاك والله اعلم وقوله عز وجل فحق عليها القول
بالارادة اهلاككم وجب عليهم او يكون قوله فحق عليها القول بما اخبر عن الامم الخالية وهو قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل
الاية وقوله عز وجل فدمرناها تدميرا اي اهلكناها اهلاكا وقوله عز وجل وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا يحتمل ان يكون الخبير والبصير واحدا ويشبه ان يكون بينهما فرق الخبير العالم باعمالهم والبصير بضمائرهم
ومعاشهم ومجازاتهم يقال فلان بصير في امر كذا وفلان ابصر من فلان ويحتمل ان يكون بذنوب عباده وهو مكرهم الذي
كانوا يمكرون برسول الله فقال وكفى بمكرهم الذي يمكرون بك وقوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
يحتمل هذا وجهين احدهما انهم كانوا يعملون باعمالهم الحسنة في حال كفرهم من نحو الانفاق والصدقات وبذل الاموال وغير ذلك
يريدون بذلك العز والشرف والذكر في الدنيا فاخبر انه من اراد بما يفعل ذلك عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والثاني يكون قوله
من كان يريد العاجلة اي لا يريد بها الا جمع الاموال وسعتها عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم اخبر انه لا كل من ارادها يعجل له ذلك
ولكن انما يعجل ما اراد الله ولمن اراد اذ لا كل من اراد شيئا يعطى له ذلك ثم اخبر عما يعطى في الاخرة من اراد العاجلة فقال ثم جعلنا له
جهنم يصلاها مذموما مدحورا اي مذموما بما يسمى باسماء قبيحة دنية مذمومة عند الخلق او يذم ويلام في النار مدحورا
مطرودا من الاسماء الحسنى ومن الخيرات ومبعدا عن رحمته وقوله مذموما عند نفسه اي يذم نفسه يومئذ ومذموما عند
الملائكة والخلق جميعا وفي قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وجهان احدهما يحتمل ان يكون اراد باهلاكه اياهم موتهم
باجالهم بقولهم كانوا عددا قليلا في زمن نوح ثم كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم احد ويحتمل ان يكون الاهلاك
ههنا اهلاك استيصال فهو يخرج على وجهين احدهما انه قد استووا في هذه الدنيا اعني الولي والعدو وفي الحكمة التمييز بينهما و
التفريق فلا بد من دار تفرق بينهما فيها ويميز والثاني قد هلكوا جميعا وفي العقل والحكمة انشاء الخلق للافناء خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل
فدل ان هنالك دارا اخرى هي المقصودة حتى صار خلق هؤلاء حكمة وفيه الزام البعث وقوله عز وجل ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
تفسير قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد كانه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر بربه مكذب بالاخرة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ومن كان يريد الاخرة وهو مؤمن بربه مصدق بالاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن هذا يدل انهم انما ارادوا العاجلة بكفرهم بالاخرة ثم
اخبر ان من اراد بعمله في الدنيا الاخرة ولها سعى ما سعى وهو مؤمن بها فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مجزيا مقبولا وقوله عز وجل كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء اي المؤمن والكافر يعطي هذا وهذا اي لا تحرم عن العاجلة من اراد الاخرة يخبر ان لذات الكفرة يخبر وتمنيات الكفرة بكفرهم بالاخرة انه
ليس يعطي الدنيا وسعتها لمن يكفر بالاخرة ولكن يعطي من كفر بها ومن امن بها ليلا يحملهم ذلك على حب الدنيا وطلب العز والشرف فيها على كفرهم
بالاخرة حيث قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي يعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر قوله عز وجل وما كان عطاء ربك محظورا اي رزق
ربك وفضله محظورا قال بعضهم محبوسا وممنوعا وقال بعضهم محظورا اي منقوصا فهو في الاخرة اي لا ينقصون في الاخرة من جزائهم و
روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا وعن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان العبد همه الاخرة كف الله له من ضيعته وجعل غناه في قلبه واذا كان همه الدنيا افشى الله عليه ضيعته وجعل
فقره بين عينيه فلا يمسي الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا وقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد واما من كان يريد العاجلة للاخرة فهو ليس بمذموم فهو ما ذكر في قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وهو ما قال
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو حيوة الدنيا لعب ولهو واما من اراد
الحيوة الدنيا للحيوة الاخرة فهو ليس بلعب ولهو لان الدنيا لم تنشأ لنفسها انما انشأت للاخرة فمن راها لها واراد لنفسها فهو لعب ولهو ومن
يراها للاخرة واراد للاخرة فهو ليس بلعب ولا لهو وقوله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق
و في الخلقة يكون بعضهم اعمى وبعضهم بصيرا ويكون اصم ويكون سميعا ونحوه فعلى ما يكون في الدنيا على التفاوت والتفاضل يكونون في الاخرة
كذلك في المنزلة والقدر عند الله لا في الضيق والسعة والاحوال التي يكونون في الدنيا حيث قال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ولم يقل
اكثر ولا اوسع دل انه على القدر والمنزلة عند الله لا على اختلاف الاحوال التي يكونون في الدنيا والله اعلم قوله عز وجل لا تجعل مع الله الها اخر
قد ذكرنا فيما تقدم ان النهي في مثل هذا والخطاب لرسوله وان كان فيه موهوم ذلك منه للعصمة التي عصمه فانه غير مستحيل التي عصمه لما ذكرنا

ان العصمة

ان العصمة انما ينتفع بها مع النهي والامر ما احتيج اليها او خاطب به على ارادة غيره على ما يخاطب به ملوك الارض الاقرب اليهم والاعظم والخطر
منهم دون خساس الناس ورذالهم والثاني انه يخاطب كل في نفسه ليس انه يخص رسوله بذلك ولكن كل موهوم ذلك منه ومحتمل ان يخاطب به
كقوله يا ايها الانسان ويا ايها الناس ليس انسان احق بهذا الخطاب من انسان فعلى ذلك الاول او يقول يخاطب رسوله ليعلم من دونه انه ليس
لاحد وان عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته محاباة في الدين لان الرسل هم المكرمون على الله المعظمون عنده فاذا لم يعفوهم في هذا لم
يعف من دونهم الا ترى انه قال للملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم اكرم خلق الله حيث وصفهم انهم لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون فعلى ذلك الرسل الا ترى انه قال على اثره وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
ومعلوم ان ابويه كانا ميتين فلا يحتمل ان يخاطب رسوله في قوله وقل رب ارحمهما دل انه خاطب به كل محتمل ذلك منه وموهوم وقوله عز وجل فتقعد
مذموما عند الناس مخذولا اي ذليلا مقهورا لان الخذلان هو ضد النصر والعون الا ترى انه قال ان ينصركم الله الاية ذكر الخذلان مقابل النصر فعلى
ذلك قوله مخذولا اي مقهورا ذليلا غير منصور والله وقوله عز وجل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه قال بعضهم قضى حكم وقال بعضهم قضى ههنا
امر اي امر ربك الا تعبدوا الا اياه وقال بعضهم قضى ربك اي وصى ربك وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما انهما كانا يقران ووصى
ربك قال بعضهم وعهد ربك وقال القتبي وقضى ربك اي حتم ربك وهو من الفرض والالزام اي فرض ربك والزم ان لا تعبدوا الا اياه وكذلك حكم
وهو اشبه الا ترى انه قال في اية اخرى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ثم قال ومن يعص الله ورسوله
الى قوله ومن يعص الله ورسوله دل ان قوله اذا قضى الله ورسوله معناه اي فرض الله ورسوله وحكما امرا ثم قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فرض
وحتم وحكم وامر ان لا تعبدوا الا اياه الا لا اله المعبود الحق المستحق للعبادة والربوبية لا تعبدوا دونه احدا وقد ابان لنا انه هو الاله والرب
المستحق للعبادة والالوهية والربوبية لا الذين تعبدون من دونه من الاوثان والاصنام بوجوه ثلاثة احدها بحجة العقول وجهها لما عرف ان
بحجة العقول وما بينها لان العقول لا تعرف محاسن الاشياء ومقابحها فقد عرفت الالوهية لله وحسن العبادة له وقبحها لغيره والثاني ما يرى من
جميع الخلايق من اثار الوهيته وربوبيته وجعل العبادة له شكرا له وعلى ذلك جعل في كل جارحة من جوارح الانسان عبادة شكرا له لما فيها من اثار
الوهيته والثالث السمع اخبرنا ان لا معبود الا الله ولا الوهية لسواه دونه فذلك معنى ما فرض على خلقه وامرهم ان لا يعبدوا الا اياه وقال وحكم
ربك الا تعبدوا الا اياه لما انشأ في خلقه كل احد اثار وحدانيته وشهادة ربوبيته واستحقاق العبادة له فذلك تاويل من قال قضى اي حكم واما
تاويل من قال قضى اي امر ربك وكلفك الا تعبدوا الا اياه يكون فيه امر بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره كانه قال امر ربك ان اعبدوه ونهاكم
ان تعبدوا غيره ثم الفرق بين الطاعة والعبادة انه يجوز ان يطاع غيره ولا يجوز ان يعبد غيره لان الطاعة هي الائتمار كقوله واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم اي ائتمروا واما العبادة هي الاستسلام والخضوع له والتذلل ولا يجوز ذلك لغيره سوى الله او ان يكون في العبادة
معنى لا يوصف به كقوله الرحمن لا يجوز تسمية غيره به فعلى ذلك هذا والله اعلم قوله عز وجل وبالوالدين احسانا كانه قال وفرض عليكم ايضا
بالاحسان للوالدين ثم الاحسان في عرف الناس هو الفعل الذي ليس عليه انما هو فضل ومعروف يصنعه الى غيره هذا هو الاحسان في العرف واللغة
لكن المراد من الامر بالاحسان الى الوالدين هو الشكر لما ذكرنا من الاحسان المعروف عند الناس وهو ما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك
ان الشكر هو المكافات والجزاء لما انعم ومنح من المعروف فهو والله اعلم وان ذكر الاحسان في هذا وفي غيره من الايات وهو قوله ان لا تشركوا به
شيئا وبالوالدين احسانا وقال في اية اخرى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وغيرها من الايات فالمراد منه والله اعلم هو
الشكر لما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك والشكر هو المكافاة امر ان يكافي لهما ويجازي بعض ما كان منهما اليه من التربية والبر واللطف
عليه والوقاية من كل سوء ومكروه في البطن وبعد ما خرج من البطن حتى كانا يؤثرانه على انفسهما في الشرور ويجعلان انفسهما وقاية له من كل سوء
ومحذور فامر الولد ان يشكر لوالديه جزاء ومكافاة لما كان منهما اليه ما ذكرنا هذا ذكر في الحال التي عجزا فيها عن القيام لامر انفسهما والحوائج لهما
وذلك والله اعلم لانهما اذا كانا قويين قادرين لحوائج انفسهما ومنافعهما يريان ولدهما ويحسنان اليه فيحمل برهما والاحسان اليه على الطاعة لهما
في البر والاحسان اليهما على المجازاة وهكذا المعروف عند الناس انه اذا بر بعضهم بعضا يبعث ذلك على المكافاة ليدوم ذلك عليهم وان لا ينقطع
لذلك ذكر والله اعلم الاحسان الى الوالدين في الحال التي هي حال الضعف والعجز حيث قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ثم امر ان يذكر
الحال التي هو عليها وهو حال طفوليته وصغره ان كيف ربياه وبراه وعطفا عليه ولا نالاه قولا ولا فعلا حتى لم يستقذرا منه شيئا مما يستقذر
الناس بعضهم من بعض ولم يتباعدا عنه ما يتباعد الخلق بعضهم من بعض من انواع الاذى والخبث فامره ان يعاملهما اذا بلغا الحال التي كان هو
فيها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على ما كان هو وبلغا المبلغ الذي يستقذر منهما ويبعد عنهما اي لا يستقذر هو منهما ولا يبعد
عنهما كما لم يستقذراه منه ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة اليه كما لم يفعلا هما به بل بلين وبذل كما لا ناهاله وخضعا وهو ما قال والله
خلقكم ثم يتوفاكم الاية وقال في اية اخرى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اخبر انه
يرد من بعد القوة والعلم الى الحال التي كانوا عليها وهو حال الضعف والجهل حيث قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم الاية وقال خلقكم من ضعف
الاية فقال فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقال بعضهم قوله فلا تقل لهما اف هو كناية عن اظهار الكراهة منهما في الوجه ولا تنهرهما اي لا تعنفهما
في القول والكلام على ما لم يفعلا بك وقال بعضهم اف المراد منه هو اف لا غير ولا تنهرهما اي لا تعنفهما ولا تخشن لكنه ذكر اف لحال الاف

والكراهة منه واخرها اى لا تقل لهما اف على ما يستثقل الناس شيئا ويكرهون فاول حال يرونه شيئا مستثقلا مكروها يقولون اف اى لا تقل
افا ولا يحمل ذلك على العنف والخشونة والنهر وعلى هذا المعنى قالوا فى قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية قال بعضهم
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم لان النظر بالبصر يحمله على الزنا فى الفرج ومنه يكون بدء الفجور وقال بعضهم قوله يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذكر اول الحال واخرها ليمتنعوا عن كل ذلك فعلى ذلك قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ذكر اول الحال واخرها والثانى اى لا
تظهر فى وجهك من الكراهة والاستثقال ليحملك ذلك على العنف والانتهار فان كان تاويل قوله اف اف لا غير ففيه حجة لابى حنيفة رحمه الله
فى قوله اذا نفخ المصلى فى موضع سجوده هو كلام يقطع صلاته حيث قال فلا تقل لهما اف اى لا تتكلم به والله اعلم وقوله عز وجل وقل لهما قولا
كريما حيث نهاه ان يقول لهما اف ونهاه ان ينهرهما فاذا امتنع عن الاف والنهر كان بعد ذلك قولا لينا طيبا قال ابو عوسجة يقال نهرته و
انتهرته وهو الخشن من الكلام شبه الوعيد وقال ابو بكر الكيسانى الكريم هو الذى يتولى على اخوته ويهينه بترك الاذى والمن كقوله لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال غيره فى وصف السخى فقال الذى يبذل ما احتوى عليه لمن احتاج اليه وقطع طمعه عما احتوى عليه غيره عند
حاجته اليه ويشبه ان يكون الكريم قريبا منه فان قيل ان الوالدين كالمجبولين المطبوعين على البر لاولادهما والشفقة عليهم ولا كذلك الاولاد
فكيف يشبه بر من كان مجبولا به مطبوعا عليه بر من لم يكن ذلك بطبعه قيل لذلك ذكر هذا فى الولد دون الوالدين وامرهم بذلك لان ما يفعل
الوالدان من البر والاحسان الى الولد يفعلان بطبع والولد لا لذلك كان ما ذكر والله اعلم ولهذا ما لم يجعل ولم يشرع قتل الوالد بولده اذ القصاص
جعل حجزا بينهم وشرع قتل الولد بوالديه اذ فى الوالدين من الشفقة والرحمة ما يمنع قتل الولد وليس فى الولد ذلك فجعل فى قتل الولد والديه
القصاص ولم يجعل فى قتل الوالدين ولدهما فعلى ذلك هذا فى البر والاحسان فان قيل ما الحكمة فيما قرن الله من شكر والديه بشكره فى غير اية
من القران اشكر لى ولوالديك قيل لانهما كان منشاؤه من اول حاله الى اخر ما انتهى اليه من التغذية والتربية والوقاية عن كل سوء والحفظ عن
كل افة وشر فى الاية دليل لقول ابى حنيفة حيث قال فى المكاتب اذا اشترى والده او امه صار مكاتبا مثله واذا اشترى اخاه او ذا رحم محرم
منه لم يصر مكاتبا لان الاب والام يصيران كذلك بحق الجزاء والشكر فعليه ذلك واما الاخ وغيره من المحارم بحق المعروف فلذلك لا يحتمل ذلك
والخطاب من الله وان كان مع رسوله فالمراد منه غيره لان رسول الله معلوم انه لم يدرك والديه فى الوقت الذى ارسل اليه وخاطبه بما خاطب دل
انه اراد بالخطاب غيره كل من يحتمل ذلك وهو مرسوم منه وامره ان يعاملهما بالمعاملة التى ذكر والله اعلم وقوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل من
الرحمة يحتمل ان يكون الجناح كناية عن اليدين لان اليدين فى الانسان بموضع الجناح من الطائر وجناح الطائر يداه فكانه قال اخفض واخضع لهما
بيديك كما امره ان يخضع لهما بلسانه بقوله وقل لهما قولا كريما اى اخضع لهما قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الجناح كناية عن النفس اى اخضع لهما بجميع
النفس والجوارح وقوله الذل يحتمل ان يكون المراد من الذل الذل نفسه اى كن لهما كالمستعين المحتاج اليهما لا كالمعين لهما قاضى الحاجة ولكن ذليلا
كالمستعين من الاخر رافع الحاجة اليه ويحتمل ان يكون الذل كناية عن الرحمة التى تكون فى القلب اى اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا الا
ترى انه قال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اى رحماء على المؤمنين اشداء على الكافرين الا ترى انه قال فى اية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم
وذكر مكان الذل فى تلك الاية الرحمة فهذا ومكان العزة الشدة فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله جناح الذل كناية عن الرحمة فيكون معنى
ان اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا فى قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما والله اعلم وقوله عز وجل وقل رب ارحمهما
كما ربيانى صغيرا قال بعضهم رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ويحتمل ان على الاضمار فيكون والله اعلم كانه قال رب ارحمهما كما رحمانى
وربيانى صغيرا وقال اهل التاويل ان هذا منسوخ نسخه قوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية بعيد و
امكن ان يكون الاية فى المؤمنين والكافرين فالرحمة التى ذكر تكون فى الكافرين سؤال الهداية لهم وجعلهم اهلا للرحمة والمغفرة و
ذلك جائز كقول نوح لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا اى استهدوا ربكم فيهديكم فيغفر لكم ما كان منكم انه كان لم يزل غفارا
اذ لا يحتمل ان يامرهم بالاستغفار ويعدهم بالمغفرة على الحال التى هم عليها وكذلك استغفار ابراهيم لابيه او ان يكون من الرحمة التى
يتراحم بعضهم لبعض والشفقة التى تكون بين الناس كما يتراحم الصغار والضعفاء ثم مثل هذه المعاملة التى امر الولد ان يعامل
ابويه يلزم المؤمنين من جهة الدين ومكارم الاخلاق ان يعامل الناس بعضهم بعضا غير ان هذا فيما بين الناس ليس بفرض لازم
وذلك لازم لانهما يحق الشكر والجزاء لهما بما كان منهما اليه من البر والاحسان وحق التربية او التعظيم حقهما وجليل قدرهما وحسن صنيعهما
وهو كما قال لرسوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين يتراحم بعضهم على بعض على ما ذكر رحماء بينهم وامرهم بذلك وقوله
عز وجل ربكم اعلم بما فى نفوسكم قال بعضهم قوله اعلم بما فى نفوسكم من اسرار المحبة لهما والبر والكرامة وقال ربكم اعلم بما فى نفوسكم
اى اعلم ما تفعله نفوسكم وهو كما قال عيسى تعلم ما فى نفسى اى تعلم ما تفعله نفسى ولا اعلم ما فى نفسك من التدبير والتقدير فعلى
ذلك هذا وجائز ان يكون قوله ربكم اعلم بما فى نفسكم صلة قوله فلا تقل لهما اف الاية اى ربكم اعلم بما فى ضميركم من الاستقذار اياهما و
الاستثقال والكراهة اذا بلغا المبلغ الذى ذكر ولكن لا تظهر ذلك لهما ولا توافق ظاهرك باطنك او ان يقول ربكم اعلم بما فى نفوسكم
فلا يرون الناس ولا تصرفوا ما فى ضميركم اى من لا يعلم ذلك يخاطب الكل على الابتداء ان لا يجعل ما فى قلبه لغيره بل يخلص له او ان يكون
قوله ربكم اعلم بما فى نفوسكم اى ما تفعله انفسكم وتدبرها وقوله عز وجل ان تكونوا صالحين اى تقيا واصالحين لان قوله تكونوا انما هو فى

احاديث الوقت

احاديث الوقت وقوله عز وجل فانه كان للاوابين غفورا يشبه ان يكون قوله ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا
للاوابين ولمن شاء ثم اختلف فى الاواب قال بعضهم الاواب الرجاع التواب وهو قول ابى عوسجة قال القتبى الاواب التائب مرة
بعد مرة وهو من اب يؤب اى رجع بعضها واحد وقال بعضهم الاواب المطيع وقيل المسبح ونحوه وقال ابو عوسجة فى قوله واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة اى لن لهما وارفق بهما ذكر بر الانسان للوالدين ولطفه اياهما قولا وفعلا وليس فى ظاهر الاية ذكر البر بالمال و
الانفاق عليهما فيشبه ان يكون ذلك داخلا فى قوله وبالوالدين احسانا او لم يذكر ذلك لما ان مال الولد مال لهما الا ترى الى ما روى
عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابوه فقال يا رسول الله ان لى مالا وان لى ابا وله مال وان ابى يريد ان يأخذ
مالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك ولا ترى ايضا انه اضاف بيوت الولد اليهما حيث قال ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
اباءكم قوله من بيوتكم معناه بيوت ابنائكم وقال بعضهم فى قوله انه كان للاوابين غفورا انه صلوة الضحى ويروى فى ذلك خبرا
روى زيد بن ارقم قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم على قوم وهم يصلون الضحى فقال صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال وفى خبر
اخر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث امرنى ان اصوم ثلاثة من كل شهر وان لا انام الا على وتر وان اصلى ركعتى
الضحى فانها صلوة الاوابين وقد يروى احاديث كثيرة فى الحث على صلوة الضحى وفضلها وانه صلى هو ركعتين واربعا وستا وثمانيا ما يكثر
ذكرها ويطول ومن صلاها فانما صلاها على سبيل التطوع ليس على سبيل اللزوم والوجوب والسنة المؤكدة لان النبى صلى الله عليه وسلم صلاها مرة
وتركها مرة فكان كصلوة الليل يدرك فاعلها الفضل وقوله عز وجل وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل كان الاية هى صلة قوله وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اى وقضى ايضا ان توتى ذا القربى حقه ومن ذكر اى فرض وحتم وحكم على اختلاف ما قالوا وهو كقوله
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى الاية امر عز وجل ببر الوالدين والشكر لهما وصلة ذى القربى فريضة ومن ذكر
ثم اختلفوا فى قوله حقه قال بعضهم ذلك الحق فريضة وهو الزكوة حيث جعل ذلك صلة ما هو فرض وهو الشكر لله وجعل العبادة له والشكر
للوالدين جزاء لما كان منهما اليه وقد ذكرنا ان ذلك فرض لازم فعلى ذلك صلة هؤلاء اذ صلتهم فريضة لما جاء من المواعيد الشديدة فى قطع
الرحم وان غيب فى صلتهم ومنهم من قال ذلك الحق نفل الا ترى انه قال ولا تبذر تبذيرا ولا تبسطها كل البسط وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها فلا يحتمل ما ذكر من الاعراض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فى الفرض دل انه فى النفل والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تبذر تبذيرا قال بعضهم التبذير والاسراف واحد وهو المجاوزة عن الحد الذى جعل فى الانفاق والحقوق والمجاوزة عن الحق غير الحق
روى عن ابن مسعود انه سئل عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وكذلك قول ابن عباس رضى الله عنهم وقال بعضهم التبذير هو الانفاق
فيما لا ينتفع به ويحتمل ما ذكرنا انه بترك الانفاق على الحق وهم ذو القربى وينفق على الاجنبين قوله عز وجل ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين اى كانوا اولياء الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا اى كفورا بالنعم ربه قوله عز وجل واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها عن الحسن قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يسال فيقول ما لال محمد وانهم لتسعة اهل ابيات الاصاع من طعام فانزل الله تعالى فقل
لهم قولا ميسورا اى عدهم ان سوف ياتى بالرزق وعن ابن عباس رضى الله عنه قال فى قوله واما تعرضن عنهم اذا سألوك وليس عندك شئ انتظار
رزق من الله بانك فقل لهم قولا ميسورا يكون ان شاء الله شبه العدة وامثال هذا قالوه ويحتمل قوله واما تعرضن عنهم اعراض الوجه
ويحتمل اعراض الاجابة فذلك يكون بالاستثقال والاستخفاف مرة ولما ليس عنده شئ يعطيهم ثانيا لكن لا يعرف ان الاعراض كان للاستثقال
والاستخفاف ولما ليس عنده ما يعطيهم فامره بين لهم ان الاعراض عنهم ليس للاستثقال والاستخفاف وكذلك ترك الاجابة لهم ولكن لما
ليس عنده شئ ليعلموا ان الاعراض عنهم ليس للاستخفاف ولا للاستثقال ولكن لما ليس عنده ما يعطيهم او يطلب ما يعطيهم وهو ما قال
فقل لهم قولا ميسورا جمع اهل التاويل ان هذا الاعراض هو السؤال لانه كان يعرض عنهم لابتغاء ما يعطيهم فذلك الاعراض يرجع منفعة
الى السائل ثم اختلفوا فى قوله ميسورا قال بعضهم عدهم عدة حسنة اذا كان ذلك اعطيناك وقال بعضهم اى عدهم خيرا وقال بعضهم قل لهم
قولا لينا وسهلا وقال ابو عوسجة ميسورا اى حسنا وهو من التفسير ونحو ذلك قالوا اى ارددهم ردا حسنا ليقع عندهم ان الاعراض
لما ليس عنده شئ لا لوجه اخر وقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فى الانفاق اذا كان عندك ولا تبسطها كل البسط فيلومك
من رجائك ولكن لما قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا والاية امر الله ان ينفقوا نفقة ليس فيها سرف ولا اقتار وهو قول ابن عباس رضى
وغيره وقال بعضهم لا تمسك عن النفقة فيما امرك ربك به من الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهاك عنه فتقعد كذا وقال بعضهم هذا نهى عن البخل
والسرف فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط نهيا عن الجود ولا يحتمل ان ينهى احدا عن البخل والجود لانهما غريزتان
طبعيتان ولا ينهى احد عما كان سبيله الطبع والغريزة ولكن ما ذكرنا والله اعلم عن كف اليد وقبضها عن الانفاق فى الحق والحق وبسطها فى
غير الحق وذى الحق وقال ابو بكر الاصم دل قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ان قول اليهود يد الله مغلولة انهم لم يريدوا حقيقة اليد لكن
التضييق والتقتير وكذلك لم يرد بقوله بل يداه مبسوطتان حقيقة بسط اليد ولكن اراد التوسيع فى الرزق والتكثير الا ترى انه قال ينفق
كيف يشاء ثم يحتمل الخطاب فى هذه الايات الوجوه الثلاثة التى ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع احدها انه خاطب رسوله بذلك كله والمراد
فيه قومه وفى القران كثير انه خاطب رسوله باشياء فيشرك قومه فى ذلك والثانى خاطب كلا فى نفسه نحو ما ذكرنا فى قوله يا ايها الانسان

ولما بنا الناس وقوله قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ونحوه من الخطابات خاطب كل احد في نفسه اذ لا يحتمل ان يخاطب في قوله قل هو الله احد رسول الله خاصة ولا يخاطب غيره بل الخطاب به كل الناس وكل انسان والثالث خاطب رسوله على ارادة غيره على سبيل الخصوصية له نحو ما يخاطب ملوك الارض خواصهم واعقلهم من رعيتهم على ارادة ذلك الخطاب غير المخاطبين فعلى ذلك يحتمل هذا او ان يكون خاطب بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك غيره ممن يمسك ويخاطب بقوله ولا تبسطها كل البسط رسول الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ان يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فتقعد ملوما محسورا يحتمل قوله ملوما عند نفسك وعند الناس فتلوم نفسك بانك لم انفقت وعند الناس لما لم تجد ما تنفق عليهم وعند قضايا انا انفقت في غير حق محسورا قال القتبي اي يحسرك العطية ويقطعك كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا وقال ابو عوسجة هو من الحسرة وهي الندامة يقال حسر الرجل فهو محسور وقال الشيخ [illegible] الفساد وملوما اي معلوما محزونا وقوله عز وجل ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي هو يوسع الرزق على من يوسع وهو يقتر ويضيق على من تضييق ويقتر اي ذلك الى الله لا الى الخلق ليقطعوا الرجاء من الخلق ويردوا ذلك الى الله لا يردون الى غيره والثاني ذكر هذا ليدوم الفضل لمن ذكر الفضل ويتبين لهم حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ومن الناس من قال بان قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر صلة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط يقول والله اعلم انك ان منعته وحرمته وكان في تقدير الله التوسيع عليه والبسط لم يضره منعك ولا حرمانه ولو وسعت عليه وبسطت وكان في تقديره التضييق والتقتير لم ينفعه بسطك ولا توسيعك ليعلم ان التوسيع والبسط والتضييق والمنع من الله اذ ذكر ليقطعوا الرجاء من الخلق ولا يطمعوا في رحمته وفضله والله اعلم وقوله عز وجل انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي عالما عالم بسبيل بما لهم وما عليهم او ان يكون الخبير والبصير واحدا او ذكر هذا ليعلم انه على علم بما يكون منهم انشاءهم من الخلاف لامره والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وانشاؤه اياهم على علم بما يكون منهم عن الحكمة لانه لا منفعة له [illegible] وقوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق [illegible] قتل ما كانوا يقتلون من البنات قطع التناسل والتوالد [illegible] كان خطاء كبيرا [illegible] الخالية ويشبه ان يكون خطاب ما خاطب هؤلاء الايات من قتل الاولاد والزنا وقتل النفس بغير حق وغير ذلك ما تقدم وما تاخر وجهين احدهما ما كان للعرب افعال وعادات السوء ما يخرج على السفه والقبيح في العقل خارجة عن الحكمة نهاهم عن ذلك والثاني ذكر هذا ونهى لما علم انه قد يكون في خلقه ان يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحملهم ذلك على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا اي في العقل كان وقت ما كان فاحشة لان في اباحة الزنا ذهاب المعارف التي بها يوصل الى الحكمة والعلم او كان فاحشة في الحكمة الا ترى انه قال ان الله لا يامر بالفحشاء ولقوله ان الله لا يامر بالفحشاء على اثر ما هنالك فحشاء قيل الامر به الحكمة وفي العقل حتى قال لا يامر بالفحشاء او لم يكن يكن قتل الاولاد حسب وفي اباحة قتل الانفس ذهاب ما به قصد من انشاء العالم اخبر انه كان خطاء كبيرا وهو ما يعظم في العقل وذكر في الزنا فاحشة وهو ما يفحش في العقل والحكمة وذكر في قتل النفس الاسراف وقال فلا يسرف في القتل والاسراف هو المجاوزة من الحد الذي جعل له ويحتمل قوله ولا تقربوا الزنا اي لا تزنوا فانه كان فاحشة ويحتمل لا تقربوا الاسباب التي بها يوصل الى الزنا وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل دم امرئ مسلم الا في ثلاث كفر بعد ايمانه او زنى بعد احصان او قتل نفس بغير حق حرم الله قتل النفس بغير حق اذ في اباحته ذهاب ما قصد من انشاء العالم وفي التحريم حيوة الانفس وفي اباحة الزنا ذهاب المعارف وجهالتها وفي تحريمها حيوة المعارف وابقاؤها والوصول الى الحكمة والعلوم التي يطلب بعضهم من بعض اذ لا يعرف اهل الحكمة من غيرهم وفي ذلك ذهاب العلوم والحكمة وفي القتل على الدين انا استبدله حيوة الدين لان من تفكر قتل نفسه اذا ترك الدين اعني دين الاسلام ورجع عنه لم يترك دينه الاسلام ومن تفكر رجمه بالزنا امتنع عن الزنا وترك ومن تفكر انه يقتل اذا قتل غيره امتنع عن قتله ولذلك قال ولكم في القصاص حيوة ثم قيل في المراة اذا ارتدت عن الاسلام انها لا تقتل قيل لانه ليس في قتلها حيوة الدين لان النساء اتباع الرجال في الدين لا يمتن يبتلين بالاسلام ازواجهن ويصرن ذمة بذمة الازواج فاذا كان كذلك فليس في قتلهن حيوة الاديان [illegible] ولان الزنا اسم وانما

سمع كذا

سد كذا وكن اسوة والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما ذكرنا وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يحتمل الاسلام او بالذمة باعطاء الجزية والا بالحق ما ذكرنا وقوله عز وجل ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قيل سلطانا اي وقيل وقال بعضهم سلطانا اي حجة على القتل فيما يستوجب بالقصاص ثم ذكر انه جعل لولي القتيل سلطانا ولم يذكر اي ولي فيشبه ان يكون المراد من الولي الذي يخلف الميت في التركة وهم الورثة اذ هو حق كغيره من الحقوق فذلك الى الورثة فعلى ذلك حق الدم تكانه قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لورثته سلطانا اي حجة فيما يستوجب وفي ظاهر هذه الاية دلالة ان الواحد من الورثة القيام باستيفاء الدم اذ لو كان لكل الاستيفاء لدخل في ذلك الاسراف الذي ذكر فلا يسرف في القتل اذ لو ضرب كل الورثة لصار في ذلك مثله وقد منعوا عن ذلك فاذا كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول ابي حنيفة رح حيث قال ان الورثة اذا كان بعضهم صغارا وبعضهم كبارا الكبار ان يقوموا بالاستيفاء دون ان ينتظروا بلوغ الصغار والله اعلم وقوله عز وجل فلا يسرف في القتل قال بعضهم لا يقتل غير قاتل وليه لانه كان من عادة العرب قتل غير القاتل وقال بعضهم فلا تسرف في القتل الاول حيث قتل نفسا بغير حق فانه اسراف كما قال من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله فلا تسرف في القتل هذا يحتمل ان يكون خاطب به ولي القتيل فقال فلا تسرف في القتل اي تجاوز الحد الذي جعل لك على ما روي انه قتلت فاحسن القتلة والثاني خاطب به القاتل يقول له لا تقتل فانه اسراف والله اعلم وقوله عز وجل انه كان منصورا قال بعضهم ان المقتول كان منصورا بالولي بنصره الولي بقوله فقد جعلنا لوليه سلطانا ويحتمل منصورا بالمسلمين اي على المسلمين والحكام وغيرهم دفع ذلك القتل عنه هذا على تاويل من يتاول في قوله فلا تسرف في القتل قتل غير قاتل وليه او يزيد في جراحاته ويمثل به بقول الحزين وا ذلك فان على المسلمين دفع ذلك عنه اذ كان منصورا في الاخرة وفي ظاهر هذه الاية دلالة ان القصاص يجب بين الاحرار والعبيد وبين اهل الاسلام واهل الذمة لان الله عز وجل قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فكانت انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الاية لانها محرمة وفيه ما ذكرنا ان لكبير من الورثة قتله وان كان فيهم صغار وروي ان الحسن بن علي رضي الله عنهما قتل قاتل ابيه وكان في الورثة صغار لم يدركوا بعد ويحتمل ان يكون انه كان منصورا في ظاهر هذا ان القاتل هو كان منصورا او لم يقل هو منصور فجائز ان يقول كان منصورا قبل قتل هذا اذا كان على المسلمين نصرة فلما قتل كان غير منصور الا ان يقال ان الولي صار منصورا وذلك جائز في في قوله ولا تقربوا الزنا يحتمل النهي عن نفس الزنا ويحتمل اسباب الزنا من نحو القبلة والمس وغيره على ما ذكر العينان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذب وقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قوله احسن هو افعل وان كان في الاشكال فهو على غاية الحسن وان كان في الجوهر فهو على طلب الحسن كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي اتبعوا ما هو طاعة كانه قال ولا تقربوا مال اليتيم الا ما هو خير له وحسن وهو ما قال ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا يقول لا تاكلوا اسرافا وبدارا ولكن اقربوا ما هو خير له وان كان على طلب الغاية من الحسن فهو ما قال ابو حنيفة رح اذا قرب مال اليتيم لمنفعة نفسه فلا يقربه الا لمنفعة حاضرة لليتيم لا يقرب ماله لمنفعة مرجوة واذا قرب مال اليتيم لليتيم فانه يجوز ان يقربه لمنفعة مرجوة وان لم يكن فيه منفعة حاضرة وقد ذكرنا تاويله وما فيه من الدلالة لقول ابي حنيفة رح فيما تقدم في سورة الانعام ثم من الناس من احتج بهذه الاية لقول ابي حنيفة حيث قال ان للوصي ان يبيع مال اليتيم من نفسه اذا كان خيرا له لان له ان يبيع من غيره بمثل قيمته فدل ان ذكر الخير له اذا كان يبيع من نفسه وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن كانه نهى الاوصياء اي الا مال اليتيم الا بالوجوه التي هي احسن له وانفع وهو الحفظ له وطلب الربح والنماء والله اعلم وقوله عز وجل حتى يبلغ اشده اي حتى يستحكم عقله ويستتم تدبيره في ماله وامره فعند ذلك يكون الامر اليه وليس فيه انه لا يكون بعد ذلك الامر الى الوصي انه كان ولكن باذنه يبيع ويشتري وقوله عز وجل واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا يحتمل ان يكون قوله بالعهد العهود والمواثيق التي بين الناس امروا بوفاء ذلك ويحتمل الامر بوفاء العهد ما ذكر في هذه الايات من الامر والنهي من نحو ما قال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الى اخر الموضع اي اوفوا بذلك كله فان ذلك كله كان مسئولا يسال العبد وفاء كان ذلك او نقضا وقال بعضهم ان العهد كان مسئولا اي ناقض العهد كان مسئولا ثم ان العهد على وجوه احدها عهد خلقة او العهد الذي اخذ عليهم على السن الرسل والعهد الذي يجري بين الناس والله اعلم وقوله عز وجل واوفوا الكيل اذا كلتم امر بوفاء الكيل اذا كالوا او الوزن اذا وزنوا لهم وابقاء حقوقهم وهو ما قال ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ان من عادتهم اذا كالوا او وزنوا بخسوا الناس اشياءهم ولم يوفروا حقوقهم فنهاهم عن ذلك واوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ذكر تخصيص الكيل والوزن من بين سائر الاشياء يحتمل وجهين احدهما لما بهما يجري عامة معاملة الناس فامرهم بايفاء ذلك والثاني تخوفا للربوا لان الكيل والوزن هما اللذان يكونان ربا في الذمة فاذا اخذ شيء منهما اخذ عما كان دينا في الذمة فان نقصا وزاد فيكون ربوا لذلك خص وان كان غيره من الاشياء يوفرها لا ايفاء وقوله عز وجل وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم القسطاس معرب اخذ من الكتب السالفة ليس بعربية وقال بعضهم هو العدل اي زنوا بالعدل وقال بعضهم هو الميزان كقوله اوفوا المكيال والميزان بالقسط وقال بعضهم القسطاس القبان

فكيف ما كان ففيه ما ذكر من الامر بتوفير الكيل والوزن والايفاء لحقوقهم والنهي عن البخس والنقصان قوله عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله ذلك خير ما ذكر من توفير الكيل والوزن وايفاء الحقوق خير في الدنيا لما فيه له من ظهر من الناس واحسن تاويلا اي احسن عاقبة في الاخرة ويحتمل قوله ذلك ما ذكر في هذه الايات من اولها الى اخرها اذا عملوا بها خير لهم في الدنيا واحسن تاويلا اي عاقبة قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم قيل لا تقفا اي لا تقل وقيل لا ترم وقيل لا تتبع فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به ولا ترم ما ليس لك به علم ولا تقل ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤولا قال بعضهم كل اولئك يعني السمع والبصر والفواد يسال عما عمل صاحبه كقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم نسال هولاء عما عمل صاحبها فيشهدون عليه وقال بعضهم هو عن كل ذلك كان مسؤولا اي يسال المرء عما استعمل هذه الجوارح وانه فيم استعملها وقال بعضهم قوله اولئك يعني الخلائق جميعا عنه يعني عما ذكر من السمع والبصر والفواد مسؤولا وقال بعضهم في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم ومنهم من قال في شهادة الزور فان احتج محتج بهذا في ابطال القياس والاجتهاد فيقول انا قاس الرجل فقد قال ما ليس له به علم لكن ليس كذا لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في الحوادث بارائهم وشاوروا في امورهم وولي ابو بكر رضوان الله عليهما الخلافة بغير نص من الرسول عليها وجعلها عمر شورى بينهم ولم يرد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقول انهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لم يعلموا فدل ما ذكرنا ان معنى قول الله ولا تقف ما ليس لك به علم ليس يدخل فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفرع الحادث بالاصل المنصوص عليه والله اعلم وقال القتبي حتى يبلغ اشده اي يتناهى في الثبات الى حال الرجال ويقال ثماني عشرة سنة وقال الاشد اليتيم غير اشد الرجل في قوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والاشد ما ذكرنا من استحكام عقله وتبين الحال لا يؤخذ بالنقصان وهو ما بين ثلاثين واربعين ياخذ في النقصان والى اربعين يكون على الزيادة والنماء ويحتمل قوله ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد اي لا تقف ما ليس لك علم باسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر وخايفا ان يكون ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤولا يسال عن شكر هذه الاشياء او يسال عما امتحن بهذه الاشياء وفي قوله واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم دلالة جواز الاجتهاد لانه امر بايفاء الكيل والوزن ولا يقدر على ذلك الا بالاجتهاد الكايل والوازن لان كيل الرجل يزيد على كيل غيره وينقص وربما كال الرجل الشيء ثم يعيد كيله هو بنفسه فيزيد وينقص ولا يكاد يستوي الكيلان وان كانا من رجل واحد وانما تكليف الاجتهاد في كيله وترك التعمد للزيادة او النقصان فاذا فعل ذلك فقد وفى الكيل وادى الواجب وهذا عندنا اصل الاجتهاد الاستحسان لان الكايل انما يجتهد في توفيقه الحق ولا يعلم يقينا انه وفى ما كان عليه من الكيل الذي سماه في العقد فعلى ذلك الاستحسان انما هو اجتهاد العالم في اختيار احسن ما يقدر عليه اذا لم يكن للحادث امثل يردها عليه ويشبهها به والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا ليس النهي عن المشي نفسه انما النهي للمشي للمرح ثم النهي عن الشيء يوجب ضده وكذلك الامر ثم ان النهي عن الشيء يوجب الامر بضده وههنا نهي عن المرح فيكون امرا بما ذكر كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال بعضهم مرحا بطرا واشرا وقيل متعظما متكبرا بالخيلاء وقوله عز وجل انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا قال بعضهم ذكر خرق الارض ولن وبلوغ الجبال طولا لان من الخلائق من يخرق الارض ويدخلها ويبلغ طول الجبال وهم الملائكة ثم لم يتكبروا على الله ولا تعظموا عليه ولا على رسوله بل خضعوا له فمن لم يبلغ في القوة والشدة ذلك احرى ان يخضع له ويتواضع له ولا يتكبر ويحتمل ان يكون ذكر هذا لما انهم كانوا يسعون في اطفاء هذا الدين وقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لكم لم يتهيا لكم خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لم يتهيا لكم اطفاء دين الله وقهر رسوله وهو ما ذكر ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه او يذكر هذا يقول انك لن تبلغ بكبرك وعظمتك مرتبة الروساء القادة ومنزلتهم على هذا التمثيل يحتمل ان يخرج والله اعلم ويقول انك ان تخرق الارض اي لا تقدر ان تخرق الارض فتخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها ولا تقدر ان تبلغ الجبال طولا فتنتفع بما في رؤوس الجبال من المنافع وكيف تتكبر وتمرح على غيرك ومثلك في القوة والشدة واصل الكبر ان من عرف نفسه على ما هي عليه من الاحداث والافات وانواع الحوايج لم يتكبر على مثله والله اعلم وقوله عز وجل كل ذلك اي كل ما امر الله به ونهى عنه في هولاء الايات كان سيئة بالفعل عند ربك مكروها مسخوطا وفيه دلالة ان الامر الذي امر في هذه الايات ونهاهم عنه لم يكن امر ادب ولا نهي ادب ولكن امر حتم وحكم حيث ذكر ان ذلك عند ربك مكروها اذ لو كان ادبا لم يكن اي شيء ما ذكر في هذا مكروه عند ربك وهو كقوله فيتبعون احسنه اي يسمعون الكل فيتبعون احسنه ويتركون غيره فعلى ذلك الاول والله اعلم قوله عز وجل ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ذلك الذي امر الله به ونهى عنه في هولاء الايات من الحكمة ليس من السفه اي ما امر فيها هو حكمة وما نهى عنه وقال بعضهم الحكمة ههنا القران قوله ذلك اي ذلك الذي اوحي اليك هو حكمة وقال بعضهم الحكمة الاصابة ذلك الذي اوحي اليك صواب وقوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ما ذكر في هذه الايات وامر به ونهى عنه هو من الحكمة والحكمة هي وضع الشيء موضعه يقول حكمة وضع كل شيء موضعه لا وضع الشيء غير موضعه

وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا معلوم ان رسول الله لا يجعل معه الها اخر اذ عصمه واختاره لرسالته لكنه ذكر هذا ليعلم انه لو كان منه ذلك فيفعل به ما ذكر لمن هو دونه احق ان يفعل به ما ذكر وهو ما قال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية انه عصمهم حتى اخبر انهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فمن لم يكن معصوما بوصف انه لا يسبق بالقول فعلى ذلك قوله ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما عند الله او عند نفسك او عند الخلق مدحورا مبعدا مطرودا من رحمته في الدنيا وخاطب به رسوله واراد به غيره على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا يخبر عن سفه مشركي العرب انهم نسبوا الى الله البنات والبنين الى انفسهم بقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم البنون ما يشتهون والذي حملهم على ذلك قول اهل الكتاب حيث وصفوا الله بالولد وقالوا ان ما يكون له الولد يكون له البنات فقال انكم لتقولون قولا عظيما لم يرد على هذا العظيم ما قالوا في الله فلم يضرب لقولهم ذلك مثلا لما ليس وراء ذلك مثل يضرب لانه ضرب مثل ما قالوا بالولد له بانفطار السماء وانشقاق الارض وخرور الجبال حيث قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الاية اخبر ان السموات وما ذكر كادت ان تنقلب عن وجهها تعظيم ما قالوا في الولد من الولد وقال في الشريك ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء الاية فهذا غاية ما ذكر من الاشياء لمن قاله بالولد والشريك فليس وراء هذا يذكر لمن قال له بالبنات ولكن قال انكم لتقولون قولا عظيما لم يرد على ذلك لان الذي قالوا له ونسبوا اليه نهاية في السفه والسرف في القول تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا او يقول انكم لتقولون قولا عظيما في عقولكم لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم ان ما قلتم في الله سبحانه وتعالى عظيم قال ابو عوسجة افاصفاكم ربكم اي اعطاكم ربكم يقال اصفيته واعطيته واصفاكم اي اختاركم وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا قال الحسن قوله صرفنا نقول بينا في هذا القران ما ترك يكذب الرسل من الامم الخالية بتكذيبهم الرسل امة قائمة ليذكروا وما ترك بهم فينتهوا عن تكذيبهم الرسل ما يزيدهم ما بين لهم الا نفورا اي تكذيبا للرسل وقال بعضهم ولقد صرفنا في هذا القران اي بينا في هذا القران والايات التي تقدم ذكرها جميع ما يوتى ويتقى وما لهم وما عليهم ليعتبروا به فيؤمنوا وما يزيدهم القران الا نفورا عما دعا من الايمان به وهو ما ذكر ذلك مما اوحى اليك ربك الاية وقال بعضهم صرفنا في هذا القران من المواعيد الشديدة انه ما ينزل بهم في الاخرة من العذاب والعقوبة بصنيعهم وتكذيبهم الرسل لكي لم يومنوا بالاخرة لم يزدهم ذلك الوعيد الا نفورا وبعد فان الله قد ذكر في القران المواعظ الكبيرة ما لو نظروا فيه وتاملوا لكانت تمنعهم ويزجرهم عن مثل صنيعهم لكن لم ينظروا اليه بالتعظيم ولكن نظروا اليه بالاستهزاء والاستخفاف به لذلك اضيف زيادة النفور اليه او اضاف ذلك اليه لما احدثوا عند نزوله الكفر والتكذيب له كما اضاف ذلك اليه لما ازدادوا التكذيب وحدث لهم تكذيب اذا نزل كما كان لاهل الاسلام يزداد لهم الايمان واليقين اذا نزل ويحتمل ان يكون قوله ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا اي ليشرفوا كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم او ليذكروا ما نسوا وتركوا واغفلوا عنه ثم قوله صرفنا في هذا القران ليذكروا ومعناه والله اعلم انزله ليلزمهم الذكر او يكون عليهم اولياءهم بالذكر وهو ما ذكرنا في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اي ليلزمهم العبادة والطاعة او ليامرهم بالعبادة والطاعة اذ ارسل وخلق لمن علم منه العبادة والطاعة وقوله عز وجل ليذكروا اي ليكون لهم الذكرى بذلك لانه لا يحتمل ان يبين لهم ويجعل لهم بيانا ليذكروا وانهم لا يكون ولكن ما ذكرنا ليكون لهم الذكرى وقد كانت لكن لم تنفعهم وقوله عز وجل وما يزيدهم الا نفورا ليس القران بالذي يزيدهم نفورا ولكن لما نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء زادهم بذلك نفورا عندنا وتكذيبا والا القران لا يزيد الا هدى ورشدا على ما وصفه وقوله عز وجل قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا قال عامة اهل التاويل الاية في الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها اي لو كانت هي الهة معه كما تقولون اذا لابتغوا التقرب والزلفى الى ذي العرش سبيلا وقال بعضهم لو كانت لهم عقول لابتغت وامكن لها من الطاعة والعبادة اذا لابتغت الى ذي العرش سبيلا بالطاعة له والعبادة هم وهو ما قال في الملائكة اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية لكن الاشبه ان يكون الله تعالى ان لا يقول في الاصنام مثل هذا لو كان معه الهة انما هي خشب لكن قال فيها ما قال لا تسمع ولا تعقل ولا تبصر وما ذكر في اية اخرى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وما قال ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الاية مثل هذا ان يقال في الاصنام واما ما ذكر لو كانت معه الهة كما تقولون الاية معلوم انها ليست من اهل الابتغاء الا ان يقال ما ذكر بعضهم اي لو كانت الاصنام التي تعبدونها الهة على ما تزعمون اذا لابتغوا الى الله سبيلا ويتخذونهم معبودا وفي الثنوية الذين يقولون بالعدد الذين لهم تدبير والذين يقولون بقدم العالم واصوله فهو يخرج على وجوه فنقول والله اعلم لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي فالاظهروا دلالة ربوبيتهم والوهيتهم بانشاء الخلائق كما اظهر الله سبحانه الوهيته وربوبيته بانشاء الخلائق ولم يظهر ممن يدعون لهم الوهية انشاء شيء من ذلك فدل انه ليس هنالك اله غيره وقال بعضهم لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي ضادوا واكثروا يعني الله اي في الا والافناء والتدبير ومنعوه عن انفاذ الامر له في خلقه والمشية له واتساق التدبير اذ لم يكن ذلك منهم اثر لا اله معه سواه

ويكون كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الاية وقال بعضهم لو كان معه الهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا فى القهر والغلبة على ما عرف من عادة ملوك الارض انه يبتغى كل منهم فى غلبة غيره وقهر اخر ومناصبه كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض اى غلب وقهر وناصب ويحتمل غير هذا وهو ان يمنع كل منهم ان يكون لله الواحد بالخلق دلالة الوهيته وربوبيته وجهة الاستدلال له بذلك فاذا لم يمنعوا ذلك دل انه لا الوهية لسواه وهو الاول و بعينه وقال بعضهم اهل التاويل لعرفوا فضله ومرتبة عليهم ولا بتغوا ما يقربهم اليه وقيل ولا ابتغت الحوائج اليه وهذا هو الذى ذكرناه بديا من طلب الطاعة له وقوله سبحانه نزه نفسه وبراها عما يقول الملحد فيه ووصفوه بالشركاء والاشباه والولد ومالا يليق به تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ثم قال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجهين احدهما جعل الله تعالى فى خلقه السموات والارض وما ذكر دلالة على وحدانية الله والوهيته وشاهدة له انه واحد لا شريك له ولا شبيه فان كان على هذا فيدخل فيه كل شئ ذو الروح وغيره فيكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم الكفرة خاصة واما اهل الاسلام يفقهون ذلك والثانى انه جعل الله فى سريرة هذه الاشياء ما ذكر من التسبيح والتنزيه لكن لا نفقه نحن ذلك ولا نفهمه على ما اخبر ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهى لا نعرف ايضا ان ذلك يسبح على ما جعل فى الجوارح والاعضاء تسبيحا وعبادة له وان كانت هى لا تعرف ذلك انه تسبيح والثالث انه جعل صوت هذه الاشياء تسبيحا له حقيقة على معرفة هذه الاشياء انه تسبيح وان كان لا يعرف ذلك الا الخواص من الناس وهم الانبياء والله اعلم وقوله عز وجل انه كان حليما غفورا الحليم هو ضد السفه وهو الحكيم والثانى يقال حليم ليس بعجول اى لا يعجل بالعقوبة غفورا اذا تابوا وعفوا حيث ستر عليهم فضايحهم الحلم ما ذكرنا ضد السفه والعجلة ذكرهما على اثر ما ذكر منهم من القول الوحش فيه والعظيم انه حليم ليعلموا انه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا وعفو ليعلموا انهم وان اعظموا القول فيه يغفر لهم ويتجاوز عليهم ان رجعوا وتابوا فان قال لنا ملحد انكم تصفون ربكم بالحلم والرحمة ثم تقولون انه يعذب ابدا لابدين فى النار بكفر كان منه فانى يكون فيه رحمة او حلم قيل انكم لا تعرفون ما الحلم وما الرحمة ولو عرفتم ما قلتم ذلك ولو لم يعذب على الكفر ابدا لابدين لم يكن حليما ولكن سفيها وكذلك الرحمة وليس خروج الشئ على غير موافقة الطبع بالذى يخرج صاحبه عن حد الحكمة والرحمة فانتم انما تصورتم الحكمة والرحمة على موافقة طباعكم وليس كذا وكذلك يقال المعتزلة حيث قالوا انه لا يفعل الا ما هو اصلح لنا فى الدين لانه جواد فلو منع الاصلح والاخير لم يكن جوادا موصوفا بالجود وانما قدرتم ذلكم على ما وافق طباعكم وانفسكم ولو عرفتم حقيقة الجود ما قلتم ذا ولا خطر على بالكم شئ من ذلك وانما على الله ان يختار لكل ما علم منه انه يختار ويؤثر لانه لا يجوز ان يختار الولاية لمن علم منه انه يختار العداوة وكذلك لا يجوز ان يختار العداوة لمن علم منه انه يختار الولاية وليس على الله تعالى حفظ الاصلح لاحد فى الدين بل عليه حفظ ما يوجبه الحكمة والربوبية وفى ذكر تسبيح ما ذكر من جميع الموات على اثر ما ذكر من قول اولئك الكفرة من وصفهم الله تعالى بالولد والشركاء ونحوه يخرج على وجوه احدها ليذكر سفههم انهم مع ادعائهم العقل والعلم والتمييز والسود ووصفوا الله بالذى لا يليق به وما يسقط الالوهية والربوبية عنه على زعمهم فالذين ليس لهم شئ من ذلك التمييز والفهم والعقل نزهوه عن ذلك كله وبراوه عن جميع ذلك والثانى ذكر تسبيحهم على اثر ذلك ليعلم ان لا حاجة الى تسبيحهم ولا منفعة له فى ذلك اذ يسبح له جميع الخلائق سواهم بل منفعة تسبيحهم ترجع اليهم والثالث ذكر لاثبات الرسالة للرسل لانهم ذكروا تسبيح الموات ولا يعلم ذلك ولا يعقل الا بوحى من السماء فذلك يدل على الرسالة فعلى هذه الوجوه الثلاثة التى ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذكر على اثر ذكر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الموات يخرج على هذه الوجوه التى ذكرناها والله اعلم قوله عز وجل واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا قال بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس وقراءة ما انزل اليه من القرآن عليهم وقد امر بتبليغ الرسالة وتلاوته عليهم هذه الاية فاخبر انه جعل بينه وبينهم وذلك حجابا مستورا ومكن له التبليغ اليهم بالحجاب الذى ذكر ثم اختلف فى ذلك الحجاب قال بعضهم شغلهم فى انفسهم بامور واشغال حتى بلغ اليهم ومنهم من يقول القى فى قلوبهم الرعب والخوف حتى لم يقدروا على منع ذلك ومنهم من يقول صرفهم بحيث كانوا لا يرونه يسمعون قراءته وتلاوته ولم يقدروا على اذاهم به والمنع عليه فبلغهم وجايز ان يكون ما ذكر من الحجاب هو حجاب الفهم وذلك انهم كانوا ينظرون اليه بالاستخفاف والاستهزاء به فحجبوا عن فهم ما فيه وهو كقوله ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق الاية يدل على ذلك قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الاية ثم قال الحسن فى قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اى طبع على قلوبهم حتى لا يؤمنون ومذهبه فى هذا انه يقول ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدا واستوجب بذلك العقوبة والاهلاك والذى كان منهم الا ان الله بفضله ابقاهم لما علم انه يلد منهم من يؤمن او يبقيهم لمنافع غيره والا فقد استوجب الهلاك فيقول الحسن اضاف ذلك الى نفسه لما استوجبوه بفعلهم وقال ابو بكر الاصم اضاف ذلك اليه لانهم انفوا عن اتباع الرسل وتكبروا عليهم فاستكبروا ولكن نقول له الاستكبار الذى ذكرت فعلهم لا فعل الله فما معنى اضافته ذلك اليه فهو خيال وقول وعا يلزمهم فى مذهبهم وقال جعفر بن حرب فى الاية اضمار لما هم اضافوا ذلك اليه

انه هو

انه هو جعل ذلك وهو ما قالوا قلوبنا فى اكنة وقلوبنا غلف ونحوه من الخيال فلو جاز صرف هذه الايات الى ما ذكر وانه الخيال لجاز لغيره صرف الكل الى مثله فهذا بعيد ولكن عندنا ان اضافة ذلك الى نفسه تدل على ان له فيه صنعا وفعلا وهو ان يخلقه باختيارهم ما اختاروا واضاف ذلك اليه لما خلق ظلمة الكفر فى قلوبهم وهذا معروف فى الناس ان اعتقد الكفر يضيق صدره ويحرج قلبه حتى لا يبصر غيره وهو ليس يعتقد الكفر لا يبصر غيره ولا يهتدى الى نور لكن لا يبصر غيره فيدل هذا انه يصير كذلك لصنيع له فيه وكذلك لمن اعتقد الايمان يبصر بنوره اشياء وهو ليس يعتقد الايمان يبصر بنوره اشياء غابت عنه دلالة بغيره ادرك ذلك وكذلك المعروف فى الخلق ان من اعتقد عداوة اخر يضيق صدره بذلك وكذلك من اعتقد ولاية اخر ينشرح صدره له بالاشياء فهذا كله يدل ان لغيره فى ذلك فعلا وهو ما ذكرنا من الخذلان والتوفيق وخلق ذلك منهم والله اعلم فيدخل فيما ذكرنا فى قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية واصله ان ما ذكر من الحجاب والغلاف والاكنة انما هو على العقوبة لهم لعنادهم ومكابرتهم الحق لانهم كلما ازدادوا عنادا وعتوا ازدادت قلوبهم ظلمة وعمى وهو ما ذكر فى غير اية حيث قال فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الاية وقال ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخبر ان ما ران على قلوبهم بكسبهم الذى كسبوا وزاغ قلوبهم باختيارهم الزيغ وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف فعلى ذلك ما ذكر من جعل الحجاب والاكنة عليها بما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال بعضهم الشيطان اذا ذكر الله ولى عنه واعرض وفر منه وهو ما ذكر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية وقال بعضهم ولوا على ادبارهم نفورا الانس اى ولوا عما دعوتهم اليه واقبلوا نحو اصنامهم التى عبدوها وقوله واذا ذكرت ربك فى القرآن يحتمل واذا ذكرت دلالة وحدانية ربك والوهيته وربوبيته او ذكرت دلالة رسالتك او دلالة البعث يحتمل ذكر دلالة هذه الاشياء الثلاثة لانهم كانوا منكرين لهذه الاشياء فعند ذلك ذكرها يولون على ادبارهم نفورا يحتمل الهرب والاعراض ويحتمل الكناية عن الانكار والتكذيب وقوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى كانهم يستمعون الى القرآن اما ليستحلوا نظمه ووصفه او يستمعون اليه لما فيه من الانباء العجيبة او يستمعون اليه ليجدوا موضع الطعن فيه فان كان استماعهم لوجهين الاولين فاذا موضع الخلاف والتنازع وهو ما يذكر فيه من دلالة الوحدانية ودلالة الرسالة ودلالة البعث عند ذلك كانوا يولون الادبار ونفورا فرقا للانكار منهم ذلك وان كان الاستماع لطلب الطعن فهو يحتمل ايضا واختلف فى قوله نحن اعلم بما يستمعون به قيل كانوا يستمعون اليه ليكذبوا عليه كقوله فما الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين كانوا يسرعون الى استماع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكذبوا عليه وقال بعضهم كانوا يستمعون اليه ليجدوا موضع الطعن فيه وقال بعضهم استمعوا اليه لبر والصنعة والاتباع انهم انما يطعنون فيه بعد ما استمعوا اليه وعرفوه فيقع عندهم ان الطعن كان فى موضع الطعن والله اعلم وقوله واذ هم نجوى قيل اى يتناجون فيما بينهم انه مسحور وانه مجنون وانه كاهن ثم لعبرانة بينه ما اسروا فيه وتناجوا بينهم ليدلهم على رسالته وانه انما عرف بالله وسماهم ظالمين لما علموا انه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا ذلك له ونسبوه الى ما نسبوه من السحر والجنون على علم منهم انه ليس كذلك وقوله عز وجل انظر كيف ضربوا لك الامثال بالمجانين والسحرة والكهنة فضلوا وضربوا لك الاسباب التى تزجر الناس وتمنعهم عن الاقتداء بك بما وصفوا له ونسبوه اليه من السحر والجنون والكهانة فذلك كان يمنعهم عن اجابته من دعا واجابته والاقتداء به وقوله عز وجل فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اختلف فيه قال بعضهم لا يستطيعون الى ما قصدوا من منع الناس عنك وصدهم سبيلا وقال بعضهم لا يستطيعون الى المكر به والكيد له سبيلا لانهم قصدوا به ذلك وقال بعضهم لا يستطيعون الى ما نسبوه اليه سبيلا وقال الحسن لا يجدون الى الهدى والايمان سبيلا لما طبع على قلوبهم وجعلها فى اكنة وغلف ويحتمل ان يكون قوله فلا يستطيعون الى الاحتجاج على الحجج والدلالات التى اقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا اى ائذا كنا عظاما بالية ناخرة ورفاتا قيل ترابا وقيل غبارا وقيل رفاتا اى بالية حتى اذا فتتت تكسرت وذهبت كقوله ائذا كنا عظاما ناخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة اى غير كائنة قالوا ذلك كله انكار البعث واستهزاء بانهم يبعثون ويجزون باعمالهم وهذا كانهم قالوا ذلك على التعجب والاستبعاد عن كون ذلك والاستهزاء بذلك والجهل هو الذى حملهم على التعجب والاستهزاء بما ذكر انكر هؤلاء الكفرة قدرة الله على البعث كما انكر المعتزلة قدرته على خلق افعال العباد ثم الاحتجاج علي وكذلك الكفرة بانشاء الاول لانه لم ان يقولوا انكم تقرون بالقدرة على خلق الاول وتنكرون خالق افعالهم وليس لكم الاحتجاج وقوله عز وجل قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم قال بعض اهل التاويل اى لو كنتم حجارة او حديدا لبعثكم لكن هذا بعيد لانهم لم يكونوا ينكرون الموت اذ كانوا يشاهدون الموت فلا يحتمل الانكار ولكن كانوا ينكرون البعث بعد الموت وبعدما صاروا ترابا ورفاتا الا ان يقال انكم لو كنتم بحيث لا تبعثون ولا تجزون باعمالكم لكنتم حجارة او حديدا لم تكونوا بشرا لان الحجارة والحديد ونحو ذلك غير ممتحن ولا مامور بشئ ولا منهى عن شئ واما البشر فانهم بنشاؤا الا للامتحان بانواع المحن والامر والنهى والحل والحرمة فلا بد من الامتحان فاذا امتحنوا باشياء لا بد من البعث للجزاء والعقاب فاذا لم يكونوا ما ذكر ولكن كنتم فاعلموا انكم تبعثون وتجزون باعمالكم على هذا يحتمل ان يصرف تاويلهم لا الى ما قالوا والاظهر ما قالوا ونا قالوا لا يحتمل لما لا احد انكر الموت ويحتمل قوله كونوا حجارة او حديدا

وخلقا مما يكبر في صدوركم اى لو ما ذكر حجارة او حديدا او اشد مما يكون من الخلق لقدر ان يبعثكم بشرا من ذلك فكيف اذا كنتم بشرا
في الابتداء ان يعيدكم بشرا على ما كنتم كما انشاكم في الابتداء من ماء وتراب وليس في ذلك الماء والتراب من اثار البشر شيء من العظام واللحوم
والعصب والجلد وغيرها فمن قدر على انشاء هذا قدر على انشاء البشر بعد الموت وبعد ما صار ترابا ورفاتا على هذا يجوز ان يتاول وجه
اخر ان يقال لو ظننتم انكم كنتم حجارة او حديدا او ما ذكر يبعثكم فكيف تظنون انه لا يبعثكم اذا كنتم ترابا ورفاتا او كلام نحوه **وقوله** عز وجل
او خلقا مما يكبر في صدوركم ذكر واهنا وكل ما يكبر في صدوركم على ما ذكر فسيقولون من يعيدنا استهزاء منهم به قل الذى فطركم اول مرة انهم
وان قالوا ما قالوا استهزاء به وسخرية فقد امر الله تعالى اولياءه والمؤمنين ان يحاجوهم محاجة العقلاء والحكماء مع الحجج والبراهين وان كانوا
قالوا ما قالوا سفها واستهزاء وعلى ذلك عاملهم الله وان كانوا سفهاء في قولهم مستهزئين وكذلك امر رسله ان يعاملوا قومهم بحسن المعاملة
حيث قال وجادلهم بالتى هى احسن وقال وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن وانما ذكر الله هذه الايات لتحاج بها هؤلاء ونعلم ان كيف المعاملة
مع هؤلاء اذ قد قام الله تعالى من الايات والحجج على بعثهم واجابهم حججا كافية ما لم يحتج الى مثل هذا لكنه ذكر هذا لما ذكرنا والله اعلم كان الذى
حملهم على انكار ذلك وجوه من الاعتبار احدها انهم لم يروا من الحكمة اماتتهم ثم الاحياء على مثل ذلك اذ لو كان يحييهم ثانيا كان لا يميتهم
كنقض البناء على قصد بناء مثله والثانى لما رأوا انهم ماتوا من مدة طويل ثم لم يبعثوا فيقال لهم انه قد تاخر كونكم وانشاؤكم ثم لم يدل
تاخركم على انكم لا تكونون فعلى ذلك لا يدل تاخر البعث على انه لا يكون واما جواب الاول فانه يقال لهم انكم تقرون انه انشاكم اول مرة لم
يبتكم فليس من الحكمة انشاء ثم الابقاء لانه يجرى كرمانيا للنقض والافناء فاذا كان حكمه كان الثانى ايضا حكمة والله اعلم **وقوله** عز وجل
قل الذى فطركم اول مرة اى يعيدكم الذى خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيئا على ما ذكرنا واعادة الشيء ومعرفته وانما يتكلفون تعلم ابتداء
الصناعات ومعرفتها ثم يعرفون اعادة ذلك بمعرفة ابتدائه فدل ذلك انه اهون وايسر وهو ما قال وهو اهون عليه اى في عقولكم ذلك
اهون وايسر **قوله** عز وجل فسينغضون اليك رؤسهم اى يحركون رؤسهم استهزاء به وهزؤا ويقولون متى هو على الاستهزاء ايضا اى لا
يكون **قوله** عز وجل ويقولون متى هو قالوا ذلك لجهلهم به وانكارا والا لو علموا انه كائن لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك بل يخافون كما
خاف الذين امنوا به **وقوله** عز وجل قل عسى ان يكون قريبا وعسى من الله واجب اى يكون لا محالة **قوله** عز وجل قريبا اى كائنا القريب يقال
على الكون اى كائنا ويقال على القرب والبعيد كذلك يقال على الانكار راسا ويقال على الاستبعاد كقوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا
اى هم لا يرونه كائنا ونراه نحن كائنا كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه
كائنا والمؤمنون يرونه كائنا والله اعلم **وقوله** عز وجل يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يحتمل هذا الدعاء والاجابة دعاء الخلق واجابة
الخلق لما كانت خلقتهم تعظم ربهم وتحمده في كل وقت وتثنى على ما ذكرنا في غيرها من القران ويحتمل دعاء القول واجابة القول والعمل لما
كانوا عاينوا قدرته وعظمته اجابوا له بحمده وثنائه كقوله مهطعين الى الداع ونحوه او ان يكون قوله يوم يدعوكم يوم القيامة كقوله يوم
يدع الداع الى شيء نكر الاية قوله مهطعين مقنعى رؤسهم الاية اخبر انهم يجيبون داعيهم يومئذ ويثنون على الله لما رأوا من الاهوال من
ترك الاجابة في الدنيا **وقوله** عز وجل فتستجيبون بحمده او يجيبون داعيه بثنائه ويحمده اى تثنون على الله وتحمدونه **وقوله** عز وجل وتظنون
ان لبثتم الا قليلا قال الحسن قوله تظنون اى تعلمون وتستيقنون انكم ما لبثتم في الدنيا الا قليلا وكذلك قال قتادة اى تستحقرون الدنيا و
تستصغرونها لما عاينوا القيامة واهوالها ثم من انكر عذاب القبر احتج بظاهر هذه الاية حيث قال وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقوله لبثنا
يوما ومثله قالوا في العذاب والشدة لم يكونوا يستقصرونه ويستصغرون المقام فيه اذ كل من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم ذلك
ويستكثره ولا ينساه ابدا هذا المعروف عند الناس فاذا هم استقلوا ذلك واستقصروه حتى قالوا يوما او بعض يوم وقالوا قليلا وتبين
اول ذلك انهم لم يكونوا في عذاب وبلاء وبما يقولون قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا على التقديم والتاخير يقولون تاويله ويوم
القيامة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا البشر على انه لا يكون لهم عذاب فيما بين ذلك ولكن على ما في
الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ومن يقول بالعذاب في القبر يقول قوله وتظنون ان لبثتم الا قليلا في الدنيا او يقولون ذلك في
وقت وهو ما بين النفختين كذلك يقولون انه يرفع عنهم العذاب ما بين النفخة الاولى والثانية وهذا احتمال ويقال ايضا اليس في
استقلالهم المقام والاستقصار ما يدل على انه لم يكن لهم عذاب في القبر لان العرف في الناس انهم كانوا في بلاء وشدة ونوع من المرض ثم
نزل بهم ما هو اشد من ذلك واعظم استصغروا ما كانوا فيه ونسوا ذلك فعلى ذلك هؤلاء اذا عاينوا عذاب القيامة واهوالها وافزاعها
استصغروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوا ذلك الا ترى انهم اذا عاينوا الجنة ونعيمها نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا ولا
انه قد كان لهم نعيم في الدنيا فعلى ذلك العذاب وقال ابو عوسجة ورفاتا قال رفاتا منكسرة وختنة اى كسرته وقال القتبى في اكثر جميع
كناه مثل غطاء واغطية وانهم نجوى اى متناجون يسار بعضهم بعضا انه مجنون وانه ساحر كاهن واساطير الاولين وقال بعضهم
كان نجويهم ما ذكر في سورة الانبياء حين قالوا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر الاية فذلك قوله قال الظالمون ان تتبعون اى
ما تتبعون الا رجلا مسحورا قال ابو عبيدة مسحورا اى قد سحر به وقد بينا ناقض قولهم وقد ذكرنا وجه تناقض قوله فيما تقدم والله
اعلم **وقوله** عز وجل وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن يحتمل قوله التى هى احسن الوجوه الثلاثة احدها الدعوة كقوله ادع الى سبيل

ذلك

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة امر ان يدعوا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فالتانيث للدعوة كانه قال ادعوهم الدعوة
التى هى احسن الدعوة على اضمار الدعوة وجائز على اضمار الحسنة اى قل لهم ان يقولوا لهم الحسنة التى هى احسن وعلى اضمار الاقوال كانه
قال يقولوا لهم الاقوال التى هى احسن الاقوال والاظهر ان يقول يقولوا الذى هو احسن والثانى على اضمار المجادلة المناظرة معهم
كقوله وجادلهم بالتى هى احسن امر رسوله ان يجادلهم احسن المجادلة والمحاجة معهم والثالث في حسن المعاملة معهم والعفو والصفح
عما كان منهم الى المسلمين من انواع الاذى فامرهم ان يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم كقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وقوله ادفع بالتى هى احسن الاية وقوله والكاظمين الغيظ الاية ونحوه من الايات امرهم ان يعاملوا ولكن احسن المعاملة ولا يكافوهم
بسوء صنيعهم ولكن يعفون عنهم ويصفحون لما لعلهم يكونون اولياء وحميما على ما اخبر ويصيرون اخوانا لهم من بعد هذا فى حق هذه
الاية واما من جهة الحكمة وهو ان الله تعالى انشأ هذا اللسان وجعله ترجمانا بين الخلق به يفهم بعضهم من بعض وبه يقضى الحوائج بعضهم
من بعض وبه قوام معاشهم ومعادهم وبه بعث الرسل والكتب جميعا فاذا كان كذلك فالواجب ان لا يستعمل الا في الخير والحكمة ولا ينطق
الا ما هو احسن واصوب والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الشيطان ينزغ بينهم اى يفسد بينهم ويوسوس اليهم ويغرى بعضهم على بعض
ليفسد بينهم وذلك دابه ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اى كان الشيطان منذ كان الانسان عدوا ظاهر العداوة بينا
جعل الله تعالى الشيطان بحيث يوسوس اليهم ويدعوهم الى اشياء يظنون ان ذلك خير لهم وابدا يلقى اليهم ما يقع عندهم ان ذلك نفع لهم
ويجيب الى كل مذهب يقع عنده هو الحق فيقصد بذلك الافساد والقاء العداوة بينهم ابدا هذا دابه وشانه يجيب كل الى جهة ويرى كل احد جهة غير
الجهة التى ارى الاخر والله اعلم **قوله** عز وجل ربكم اعلم بكم هذا يحتمل وجهين احدهما اعلم بكم بمصالحكم وما لا يصلح لكم فى الدنيا والاخرة والثانى ربكم
اعلم بكم بما تسرون وما تعلنون وما تقولون وتفعلون والافلاك شك انه اعلم بنا **قوله** عز وجل ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم قال بعضهم
ان يرحمكم فينجيكم من اذى هؤلاء او ان يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم والثانى ان يشأ يرحمكم فيهديكم الى دينه ويوفقكم لسبيله او ان يشأ
يعذبكم ويخذلكم ولا يهديكم الى سبيله ولا يوفقكم لدينه وقوله ان يشأ يرحمكم يحتمل الرحمة فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا هو ان يوفقهم على
الطاعة ويعينهم على ذلك وفى الاخرة ينجيهم ويدخلهم الجنة واما التعذيب فى الدنيا ان يخذلهم ويتركهم على ما يختارون وفى الاخرة
يعذبهم فى النار بالذى اختاروا فى الدنيا **قوله** عز وجل وما ارسلناك عليهم وكيلا قال بعضهم اى لم نجعلك حفيظا على دمهم واجابتهم ولا
على صنيعهم وقال بعضهم وكيلا اى تقيلا باعمالهم اى لا تؤاخذ انت بصنيعهم كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقال بعضهم وما ارسلناك عليهم وكيلا اى مسلطا عليهم وقاهرا لهم **وقوله** عز وجل وربك
اعلم بمن فى السموات والارض يحتمل ما ذكرنا انه اعلم بمصالحهم ومفاسدهم وما يسرون وما يعلنون ويحتمل غيره هذا جوابا لقولهم لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم وقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته يقول والله اعلم وربك اعلم بمن فى السموات اى اعلم بمن يصلح للنبوة
والرسالة وبمن لا يصلح ومن هو اهل لها ومن ليس باهل لها او يقول اعلم بمن فى السموات والارض اى عن علم بما يكون منهم انشاهم لا عن جهل
وانه اعلم بهم من انفسهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مثل هذا لا يكون الا فى نازلة لكنه لم يذكر النازلة التى
عندها نزلت ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض قال بعضهم انه اعطى كل واحد شيئا لم يعط غيره من نحوها ذكر انه كلم موسى واتخذ ابرهيم
خليلا واعطى عيسى احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وهو روح وكلمته واعطى سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده واعطى داود زبورا
واعطى سيدنا محمدا ان بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومثله وقال بعضهم فضل بعضا على بعض فى الدرجة و
المنزلة والقدر عنده فالاول يكون التفضيل فى الايات والحجج والثانى فى انفسهم فى المنزلة والقدر ويحتمل ما ذكر من تفضيل بعض على بعض
فى الايات والحجج ويحتمل فى كثرة الاتباع بفضل بعضهم على بعض بكثرة الاتباع والثالث بفضل بعضهم على بعض فى القيام بشكر ما انعم عليه
وصبرها ابتلاه به والرابع وعلى قول المعتزلة لا يكون لاحد فضيلة عند الله الا باستحقاق منه **وقوله** عز وجل
واتينا داود زبورا جميع كتب الله زبور لان الزبور هو الكتاب وقد ذكرنا انا لا ندرى لاية نازلة ذكر هذا ولا يحتمل ذكر مثل على الابتداء
والايتاف لكن فيه ان التفضيل والمنزلة انما يكون من عند الله ومن عنده يستفاد لا بتدبير من انفسهم واستحقاق وحيث قال انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لئلا يرى احد الفضل والمنزلة لنفسه باسباب منه ولكن من عند الله ولكن
الاصل فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض يقول يخاطب به اهل الكتاب ان اوائلكم كانوا يرون بعض على بعض فضلا فى الدنيا والدين
ثم ان اولئك المفضلين كانوا يتبعون الرسل لما رأوا لهم من الفضل والخصوصية فما لكم يا اهل مكة لا تتبعون محمدا وقد ترون فضائل
وخصوصية ما لا ترون ذلك لانفسكم ولا لاحد سواه او كلام نحو هذا والله اعلم **وقوله** عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفى سورة سبأ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة الاية فيشبه ان يكون الاية عند
ما نزل بهم البلايا والشدائد على ما قال اهل التاويل فامروا عند ذلك ان يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون من دون الله فيقول
لهم ادعوا الذين زعمتم انها الهة دونه تكشفوا عنكم ما نزل بكم ويشبه ان يكون لا على نازلة ولكن على تبيين سفه اولئك حيث قالوا ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله اخبر ان ليس لهؤلاء شفاعة عند الله وان عبادتهم اياها لا تقربهم

الى الله زلفى كقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اخبر انهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم
اياها وان يذكر هذا القطع ما يرجون من دون الله من كشف ضر عنهم ودفعه او جر نفع اليهم وسوق خير على ما اخبر انه لا يملك ذلك
احد سواه كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة الاية وقوله وان يمسسك الله الاية اخبر ان لو نفع هو رحمة لا يملك احد دونه امساكه ولو
امسك هو لا يملك احد ارساله دونه ولو مس ضرا لا يملك احد كشفه وان اراد ضرا لا يملك احد دفعه ورده وهذا يذكر والله اعلم لئلا
يرجوا احدا من الخلائق دون الله ولا يخافوا احدا سواه ثم صرف اهل التاويل الاية الى الملائكة لكن الاية يحتمل كل معبود دون
الله الملائكة والجن والاصنام التى عبدوها واما الاية الثانية التى تتلوها ظاهرها فى الملائكة والجن وهو قوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة اى اولئك الذين يعبدون من دونه يبتغون هم الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه الاية اختلف فيه منهم من صرفها الى الملائكة ومنهم من صرفها الى الجن وهو قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
يقول ان قوما من العرب كانوا يعبدون الجن ثم اسلم الجن فبقى اولئك كانوا يعبدونهم بعد اسلامهم فيقول اولئك الذين يدعون
من دون الله يبتغون الى ربهم الوسيلة فكيف تعبدونهم ومن قال انها فى الملائكة اختلفوا فى قوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه
قال الحسن يرجون محبته ورضاه ويخافون عذابا اى خوف الهيبة والاجلال والعظمة لا خوف عذاب النار ونقمته لان الله عصمهم
من ان يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة لان الله عصمهم من ان يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة والعذاب حيث قال لا يعصون الله ما امرهم وقال
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال فى قوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هذا اخبار انهم لو قالوا ذلك
لفعل بهم ما ذكر ليس ان يقول احد منهم ذلك وقال ابو بكر يرجون رحمته ثوابه ويخافون عذابه نقمته حيث قال فيهم من الوعيد ما قال ومن
يقل منهم الاية فقد اثبت لهم الوعيد فيه لكن ثوابه ما يتلذذ به وعذابه ما يتالم به ويتوجع ومنهم من يقول من اهل التاويل يرجون رحمته اى جنته
لكن هذا يشبه ان يكونوا يرجون صحبة اهل الجنة كقوله يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم الاية وجايز عندنا صرف قوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الى الاصنام التى عبدوها من دونه ايضا ويكون تاويله يدعون يبتغون اى لو كن لهم من
العبادة والطاعة وركب فيهم من اسبابه لكانوا كما ذكر وهو كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل اى لو كن له وركب فيه ما ركب فى البشر
ومكن لهم لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من سعه اولئك الذين تعبدون من دون الله يقول كيف تعبدون من لو مكن من العبادة
والطاعة لكانوا يبتغون بذلك الوسيلة الى ربهم او كيف تعبدون من هو يطاع ربه يبتغى الوسيلة اليه ان كانت الاية فى الملائكة كما ذكر
يذكر سفه اهل مكة حيث سالوا العذاب بقوله فامطر علينا حجارة الاية ويخوف اهل السماء والارض جميعا يحذرون عذابه وقوله قل
ادعوا الذين زعمتم فلا يملكون ما ذكر ليس هو بامر فى الحقيقة وان كان ظاهره امرا ولكن اخبار عن عجز ما يدعون من دونه وتعجيز ما ذكر
من كشف الضر ودفعه والتحويل وكذلك قوله قل كونوا حجارة الاية ليس هو بامر انما هو اخبار عن قدرته انه لا يعجزه شىء وان لم اصلب
الاشياء واعظمها **وقوله** عز وجل فلا يملكون كشف الضر عنكم اى دفعه ورده ولا تحويلا يحتمل وجهين احدهما فلا يملكون تحويلا ذلك
الضر الى غيركم ولا صرفه والثانى ولا تحويلا من الاشد الا نقل الى الاخف والايسر **وقوله** عز وجل ان عذاب ربك كان محذورا
اى يحذره اهل السماء واهل الارض **وقوله** عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا
قال ابو بكر الاصم وان من قرية الا نحن مميتوها وقد يستعمل الهلاك فى موضع الموت كقوله امرؤ هلك اى مات ويقال ايضا هلك
فلان اى مات فعلى ذلك يقول قوله الا نحن مهلكوها اى مميتوها قبل يوم القيمة كقوله كل نفس ذائقة الموت وكقوله كل من عليها
فان او معذبوها اى معذبوها عذابا شديدا فعلى تاويله يصح على جميع القرى والمدن ليس قرية دون قرية ولا مدينة دون مدينة
ويكون هذا الكل على ما اخبر من هلاك الكل بقوله كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فان ويحتمل ما ذكر من اهلاك القرية اهلاك اهلها الا
من اهلاك القرية بعذابها كما فعل بكثير من القرى وجاز ان يكون يهلك الاولين ويبقى القرية على ما هم ان يهلك بعضهم قبل يوم
القيامة واضاعهم عليها بالتخريب بفعل ذلك او ما ياتيهم موتا او بجملهم ويعذبهم عذابا شديدا وقال الحسن قوله الا نحن مهلكوها
اى مميتوها هكذا قال ابو بكر ومعذبوها عذابا شديدا يقول اذا قامت الساعة قبل يوم القيامة كما يدل وينفخ فى الصور فصعق من
فى السموات الاية وقوله ان زلزلة الساعة الاية بذلك كله قبل يوم القيامة وهو يقول ان الساعة تقوم على شرار الناس
ما ذكر من التعذيب لاولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله وقال قتادة هذا قضية من الله كما تسمع ليس منه بد لا بد الا ان
يهلكها بموت كقوله كل نفس ذائقة الموت او انه يهلكها بعذاب مستاصلا اذا تركوا امره وكذبوا رسله وهو ما ذكرنا من الاية
وقال بعضهم يميت القرية بالياهم واما القرية الطالحة فياخذها بالعذاب الذى ذكر فهو فى القرون الماضية ان احتمل ذلك ويشبه
ان يكون قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة وهو ان يهلك اهل الكفرة وقد دسهم فيصير الدين كله دينا واحدا
وهو الاسلام على ما قال بعض اهل التاويل فى قوله او لم يروا انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها قالوا هو ان يهلك اهل الكفر فيجعل
ملك اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك نقصانها من اطرافها ان تنقص اهل الكفر وتزيد وتعزيز ويبلغ حتى ينتشر الاسلام كلها
لاهل الاسلام وهو ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك

امتى مازوى

امتى ما زوى لى منها فذلك والله اعلم تاويل قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها اى نهلك اهل الكفر ويشبه ان يكون قوله وان من
قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا على ما اخبر انه كان يفنى جميع من كان على وجه الارض ويجعل
الارض مستوية لا بناء فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال يسالونك عن الجبال الاية وقال وبست الجبال بسا
الاية اخبر انه لا يبقى عليها احد ولا بناء فيصيرها قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا امتا فذلك اهلاكها وتعذيبها والله اعلم
وقوله عز وجل كان ذلك فى الكتاب مسطورا قال بعضهم كان ذلك فى الكتاب الذى عند الله وهو اللوح المحفوظ مكتوبا وقال
بعضهم كان ذلك فى جميع كتب الله التى انزلها على رسله مكتوبا اى ما من كتاب انزله الله على رسله الا وكان فيه كل من عليها فان
وكل نفس ذائقة الموت مسطورا والله اعلم **وقوله** عز وجل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اخبر انه ليس
يمنعه من الانزال الا التكذيب الاولين بها فان قيل فاى شىء فيما يكذب الاولون بالايات ما يمنع انزالها على هؤلاء قيل كانه على
الاضمار اى ما منعنا ان نرسل بالايات الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها الاولون فان قيل عن هذا يسال ان علمه
بتكذيب الاخرين كعلمه بتكذيب الاولين ثم لم يمنع علمه بتكذيب الاولين اياها انزالها كيف منع علمه بتكذيب الاخرين ذلك
اوليس قد ارسل الرسول وانزل الكتاب على علم منه انهم يكذبون الرسول والكتاب ثم لم يمنع علمه بذلك انزاله الكتاب وارساله
الرسول فكيف منع علمه بتكذيب الايات منهم عن ارسال الايات ولم يمنع علمه بتكذيب الرسول على بعث الرسول وانزال الكتاب
قيل انه قد مضى من سنته انه اذا انزل الايات على اثر السؤال اعنى سؤال الايات فكذبوها اهلكهم هكذا مضت سنة فى
القرون الاولى ثم قد سبق من وعده ان لا يهلك هذه الامة اهلاك تعذيب واستيصال فى الدنيا رحمة منه وفضلا على ما اخبر
رسوله حيث قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فرحمته ان من عليهم بابقائهم وازالة العذاب عنهم فى الدنيا واستيصالهم
فكانه قال والله اعلم وما منعنا ان نرسل بالايات الا ما سبق من وعدنا ورحمتنا ان لا نهلك هذه الامة اهلاك استيصال
وتعذيب فذلك الوعد والرحمة الذى ذكرنا منعنا عن ارسال الايات على علم منا انهم يكذبونها اذا ارسلناها اليهم وقد مضت
السنة منا على الاهلاك اذا انزلنا الايات على اثر سؤالهم اياها ثم التكذيب من بعد ثم قد سبق الوعد لهؤلاء ان لا يهلكوا فى الدنيا
اهلاك تعذيب رحمة منه لهم على ما اخبر انه لم يرسل الا رحمة للعالمين واصله ان الله عز وجل قد انزل الايات والحجج على اثبات رسالة
الرسل ايات كافية وحججا تامة ما لم يقع لهم الحاجة الى غيرها من الايات والحجج مما سالوا من الايات والحجج من بعد انما سالوا
تعنتا وتمردا لا سؤال استرشاد واستهزاء فاذا كان سؤالهم الايات سؤال العناد والتعنت اهلكوا اذا كذبوها ولم يناظروا كقوله
ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ونحوه الا ترى ان عيسى لما
سالوه ان يسال ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم اية منه فساله فاخبر انه منزلها عليكم ثم اخبر ما يفعل بهم
اذا كفروا بعد ذلك وهم كانوا سالوه سؤال تعنت وتمرد فقال انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم الاية فهكذا كانت سنته
فيمن سال الايات سؤال تعنت وعناد وجايز ان يكون الذى منع عن ارسال الايات على اثر السؤال واهلاك هذه الامة
ما يكون من الاسلام من نسل هذه الامة بعد سبيهم وابقاء التناسل الى يوم القيامة والله اعلم **وقوله** عز وجل واتينا ثمود
الناقة مبصرة قيل اية لرسالة صالح وقال بعضهم مبصرة اى معاينة يعاينونها انها اية من الله لهم حيث ما راوها مخالفة لنوقهم
وهو ما قال هذه ناقة الله لكم اية فظلموا بها اى كذبوا بها وجحدوها بعد علمهم انها اية من الله لهم حيث راوها
وعاينوها خالفة النوقهم خارجة عن نوق البشر والله اعلم **وقوله** عز وجل وما نرسل بالايات الا تخويفا قال ابن عباس والحسن
وغيرهما الموت الذريع اى السريع وقال بعضهم وما نرسل بالايات الا تخويفا للناس فان لم يؤمنوا بها عذبوا فى الدنيا او
يقتل وما نزل الايات مقرونة بالسؤال سؤال التعنت فكذبوها الا تخويفا الهلاك على ما ذكرنا من الايات التى سالوها او
ان يكون قوله وما نرسل بالايات على اثر السؤال بها ثم التكذيب لها الا تخويفا لمن تاخر ممن سال مثلها فكذبها وكلام نحوه
ويحتمل الايات التى ذكر كسوف الشمس والقمر وغيره وما نرسل ذلك الا تخويفا للناس والله اعلم **وقوله** عز وجل واذ قلنا لك
ان ربك احاط بالناس اى وقد قلنا لك ان ربك احاط بالناس الاحاطة بالشىء تكون بالوجوه الثلاث احدها بالغلبة و
القدرة والسلطان كقوله وظنوا انهم قد احيط بهم اى اخذهم الهلاك والغلبة وقدر عليهم والثانى الاحاطة العلم به
كقوله وكان الله بكل شىء محيطا اى عالما وقوله ولا يحيطون بشىء من علمه اى لا يعلمون والثالث لاحاطة المعروفة
بين الخلق من احاطة بعضهم بعضا فذلك لا يحتمل فى الله سبحانه وتعالى فهو على الوجهين الاولين على احاطة العلم بهم او
القدرة عليهم والغلبة ثم قوله اختلف قال بعضهم احاط باعمالهم بما لهم وما عليهم وبما يصلح لهم وما لا يصلح وهو ما ذكر
فى قوله وربك اعلم بمن فى السموات والارض وقال بعضهم انهم كانوا يمكرون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون اطفاء
نوره ويمنعونه عن تبليغ الرسالة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فيقول ان ربك احاط بالناس اى قد علم بمكرهم
على علم منه بمكرهم بك بعثك رسولا اليهم وكلفك على تبليغ الرسالة اليهم لكنه وعدك ان يعصمك منهم ويمنعك عنهم حتى

تبليغ الرسالة بقوله والله يعصمك من الناس وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الاية كان عز وجل يبعث الرسل
ويكلفهم تبليغ الرسالة اليهم على علم منه بما يكون من قومهم من المنع والمكر برسله لكنه عصمهم ومكن لهم حتى بلغوا الرسالة
اليهم فعلى ذلك قوله ان ربك احاط بالناس بالعلم او القدرة والغلبة عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس قال عامة اهل التاويل ان الرؤيا التي اراها اياه لم تكن رؤيا المنام ولكن كانت رؤيا يقظة ورؤيا عين
بالتي تنام لا بالذي لا ينام منه لا ندري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تنام عيناي ولا ينام قلبي فانما اراه من الرؤيا بالعين
التي كانت تنام لا رؤيا قلب وعلم قال سعيد بن المسيب هي رؤيا منام روي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم راى قوما على منابر
ذلك فذكر انهم كانوا يعطون مالا فذلك فتنة لهم وقال بعضهم انه اري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام كانه يدخل المسجد
الحرام امنا فاخبر بذلك اصحابه انه راى ذلك فلما كان عام الحديبية وصرف عن البيت ارتاب بعض الناس في رؤياه فذلك
فتنة للناس على ما اخبر لكنه لم يتبين له متى يدخل فيه وقد وعد انه يدخل فيه امنا وهو ما قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق الاية وقوله عز وجل الا فتنة للناس والفتنة المحنة الشديدة فان كان ذلك في الرؤيا التي راها مسيره بيت المقدس
وما اخبر من الايات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر ولا ببصر فذلك الذي اخبرهم انه راى فتنة لهم ومحنة في التصديق و
والتكذيب في الخبر الذي اخبر من الايات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر فان كان على رؤيا منام فهو فتنة لما ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل والشجرة الملعونة في القران اي كانت الشجرة الملعونة التي ذكرت في القران ايضا فتنة لهم كقوله انا جعلناها
فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الاية ووجه فتنتها لهم ما ذكر في القصة انهم قالوا ان محمدا يقول ان في النار شجرة
والنار من طبعها ان تاكل الشجرة فكيف يكون في النار الشجرة وهي تاكلها ولكن لم يعرفوا ان شجر النار يكون من النار وثمرها
من النار وكذلك طعامهم من النار فاذا كان من النار لم تاكلها النار ومنهم من قال الزقوم هو الزبد والتمر فكيف يكون فيها ذلك
فيدعون بذلك الكذب عليه فيما يخبرهم ان في النار شجرة فتلك الشجرة ايضا كانت فتنة لهم ومحنة في تصديق رسول الله و
تكذيبه وسمي ملعونة قال بعضهم ان العرب سمت كل ضار موذ ملعونا فلذلك سميت الشجرة الزقوم ملعونة اذ كانت ضارة
لاهلها موذية قال الحسن سميت ملعونة لما لعن اهلها بها فسميت باسم اهلها وهو ما سمي النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن
يبصر به فسمي باسم ما فيه فعلى ذلك هذا واصل اللعن الطرد فطرد منها كل خير ونفع فهي ملعونة وكقوله رب انهن اضللن كثيرا
من الناس اضاف الاضلال الى الاصنام لا صنع لها في ذلك لكن كثيرا من الناس ضلوا بهن فكانها اضلتهم وكقوله وغرتهم
الحيوة الدنيا اغتروا بها وقوله في القران اي ذكرت في القران والا الشجرة لا تكون في القران وهو ما ذكر من المصايب وغيرها
كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض الاية والمصايب لا تكون في الكتاب لكن ذكرت فيه ونخوفهم بما ذكرنا وقوله عز وجل فما يزيدهم الا
طغيانا كبيرا اي ما ذكرنا اليه يعني الاستخفاف والاستهزاء فزادهم ما ذكر واما اهل الاسلام فزادهم ايمانا وهو ما انهم نظروا اليه
بعين التعظيم والتبجيل وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قوله اسجد لا
كقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فدل هذا ان قوله ءاسجد معناه اي لا اسجد ذكر في قصة ابليس الفاظا مختلفة مرة قال يا ابليس
ما لك ان لا تكون مع الساجدين وقال في موضع ما منعك ان تسجد وفي موضع اخر ما منعك الا تسجد ونحوه فجايز ان يكون ذكر هذا على
اختلاف الاحوال لا في حال واحد هذا نحو ما ذكر في قصة ادم من اختلاف الاحوال حيث قال مرة من تراب وقال مرة من طين ومرة من
صلصال ونحوه وذلك اخبار عن احوال تغيرت فيها وجايز ان يكون ذلك بغير هذا الشان فذكر ههنا بالفاظ مختلفة والزيادة و
النقصان لان اختلاف الالفاظ لا يغير المعنى وقوله عز وجل قال ارايتك هذا الذي كرمت علي تداقر ابليس لعنه الله بالفضيلة لادم
والاكرام له اما من الطاعة والنبوة التي اعطاها الله وانه ادعى لنفسه الفضيلة عليه من جهة الخلقة بانه ناري وهو طيني حيث قال انا
هذا الذي كرمت علي اقر بالفضل له عليه والاكرام اما الطاعة له او لما جعله رسولا الى خلقه وقوله عز وجل لئن اخرتني الى يوم القيامة
لاحتنكن ذريته الا قليلا لا يحتمل ان يخاطب ربه ويقول لئن اخرتني الى كذا لاحتنكن لانه لما يطلب التاخير والبقاء الى يوم القيامة
طالب لنعمة منه ومنة فيقول معا بل لما يطلب من النعمة لئن اعطيتني ذلك لاعصينك انما يذكر معا بل طلب النعمة الطاعة له والشكر على
ما قال ومنهم من عاصى الله لئن انا نامن فضله ليستدق انما يقابل بطلب النعمة الطاعة له واما مقابلة المعصية فلا تعرف ثم يخرج
قوله لئن اخرتني الى يوم القيامة على وجهين احدهما على التاكيد بقوله انك وان اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته او على التمني منه
الامرين جميعا التاخير واحتناك ذريته وسواله اياهما ثم اختلف في قوله لاحتنكن ذريته قال بعضهم لاحتوينهم ولاحيطن بهم و
قال بعضهم لاضلنهم على ما ذكر في اية اخرى ولاضلنهم ولامنينهم وقال بعضهم لاحتنكن لاستنزلن وقيل لاستولين وقال القتبي لاحتنكن
اي لاستاصلنهم وقيل هو من حنك الدابة حنك دابته يحنكها حنكا اذا شد في حنكها الاسفل حبلا يقودها به وقال القتبي لا اقوى
كيف شئت ثم قوله لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته كانه سال ربه التاخير على ما ذكر في اية اخرى حيث قال رب فانظرني الى
يوم يبعثون كان اللعين لما سمع قوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين انه لا يناله الرحمة في الابد بحيث ذكر اللعنة عليه الى يوم الدين

والتعين

والتعين هو المطرود عن رحمته فبعد ذلك سال ربه النظرة الى يوم الدين ليغويهم عن عبادته وقد علم اللعين ان طاعة خلقه له لا تزيد في ملكه
شيئا وعصيانهم لا ينقص في ملكه شيئا لذلك قال لاحتنكن ذريته ولاغوينهم ولاضلنهم وما ذكر وقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك
منهم مع احسانه اليهم وانعامه عليهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله عز وجل واستفزز من استطعت منهم بصوتك هذا يخرج على وجهين
احدهما على التمكين له والاقدار على ما ذكر اي مكن له ذلك واقدر عليه لخذلانه اياه لما عصى به وترك امره لما راى امره بالسجود لادم
منه حيث قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين يكون له ذلك ليتم له اللعنة والخذلان والثاني قال ذلك له على التوعد والتهدد والاوعيد
انه ذكر هذا على امر وعيد وهو قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا فيخرج قوله واستفزز على اثر ذلك مخرج الوعيد له ولمن
تبعه واجابه كقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير هذا وان كان ظاهره امرا فهو وعيد فعلى هذا قوله واستفزز من استطعت منهم فان ذلك ولمن
تبعك كذا ولما ذكرنا من التمكين له ذلك والاقدار على ذلك ليتم له الخذلان واللعن الذي لعنه والا لا يجوز ان يكون الله يامر بما ذكر اذ يخرج الامر
بما ذكر مخرج سفه والامر بالفحشاء وقد اخبر انه لا يامر بالفحشاء والمنكر وانما يامر بالعدل كقوله ان الله لا يامر بالفحشاء وقوله ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلو حمل هذا على الامر لكان امرا بالفحشاء والمنكر فدل انه يخرج على احد
الوجهين اللذين ذكرناهما او على الاستبعاد والاياس عن ان ينالنا ويقدر علينا بما ذكرنا الا من لحقه منهم اتباعه وهو ما ذكر ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الاية والله اعلم وقوله عز وجل واستفزز قال القتبي اي استخف والرجل الرجالة وقال ابو عوسجة واستفزز اي استخف
اي دعاه فاجابه وامره فاطاعه وعلى هذا يخرج قوله فاستخف قومه فاطاعوه اي امرهم فاطاعوه او دعاهم فاجابوه وقوله عز وجل
بصوتك يحتمل وجوها ثلاثة احدها على حقيقة الصوت يكون له صوت يدعو الناس به فيسمع ذلك الصوت النفس الخفية التي تكون
في هذه النفس الظاهرة الكثيفة لا يسمعه النفس الظاهرة على ما يخطر اشياء بالقلب من غير ان يعلم به الانسان انه من اين جاء ومن اين جيء به
وعلى ما يقذف ويوسوس اشياء في القلوب من غير ان يعلم ذلك ويطلع عليه فعلى ذلك يجوز ان يكون له صوت يدعو الناس به وان
كنا لا نسمعه لكنه يسمع النفس الخفية بما يسمع النفس الظاهرة وبها يتصل عين النفس الخفية الا ترى ان النائم يرى اشياء ويكون في اقصى
الدنيا ونفسه الظاهرة ملقاة ههنا فذلك كله بالنفس الخفية والثاني على التمثيل ليس على التحقيق الصوت لكن ذكر الصوت لما بالصوت
يوصل الى اعلام بعضهم بعضا وبه يدعو بعضهم بعضا عند البعد فذكر الصوت له مكان الوسوسة التي يوسوس الناس اشياء من بعد
ويدعوهم به الى معاصي الله وكذلك قال الحسن في قوله فوسوس اليه الشيطان من بعد من غير ان كان هنالك قرب منه والثالث على اضافة
عمل كل عاص من نحو الغناء والمزامير وغيره او ما يضاف عمل كل اع وكل صنائع اليه اضيف ذلك اليه هو موحيث قال هذا من عمل الشيطان وقوله
وما انسانيه الا الشيطان ولم يكن ذلك عمل الشيطان بحقيقته ولكن قال ذلك واضافه اليه لما يامره ودعاه بعمل ذلك وقال عامة اهل
التاويل بصوتك اي بدعائك وقوله عز وجل واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال بعضهم اجلب اي اجمع وبقال واجلبهم اي اعنتهم ايضا
وهو قول ابي عوسجة وقوله بخيلك ورجلك يخرج على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا احدها ان يكون له خيل ورجالة من جنسه وجوهرهم
يجلبهم بهم وان كانوا لا نراهم كما قال انه يريكم هو وقبيله الاية فجايز ان يكون له خيل ورجالة وجنود لا نراهم نحن وهم يروننا والثاني على ما ذكرنا
انه على التمثيل لكنه ذكر الخيل والرجل لما بالخيل والمشي يصل بعض الى بعض عند الحاجة اليه في البعد والقرب فذكر ذلك له على ما ذكرنا في الصوت
والثالث انه اضاف كل خيل راكب في معصية الله اليه على ما ذكرنا في الصوت انه اضاف كل صوت في معصية الله اليه والله اعلم وقوله
جزاؤكم جزاء موفورا قال القتبي موفورا اي موفرا وقال غيره وافرا في قوله لئن اخرتني الى يوم القيمة دلالة نقض قول المعتزلة لان
ابليس سال ربه التاخير والابقاء له الى يوم القيمة وقد علم انه اذا اعطاه ذلك له يبقى له ما وعد وابقاه الى ذلك الوقت وهم لم يعرفوا
ذلك بل قالوا انه يجب عليه فيقتله فيمتنع على وفاء ما وعد والابقاء الى الوقت الذي وقت له فهو اعرف بربه منهم وكذلك قال رب
بما اغويتني وهم يقولون لم يغوه فهو اعرف بربه منهم وقوله عز وجل وشاركهم في الاموال والاولاد قال بعض اهل التاويل مشاركته
في الاموال هي ان يجعلوا البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي على ما كانوا يفعلون واما الاولاد فانهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم وهو
قول قتادة وقال بعضهم مشاركته في الاموال هي ان يكتسبوها من خبيث وحرام وينفقوها في مثله وفيما لا يحل واما الاولاد فهم ما
ولدوا من الزنا وقال بعضهم الاموال ما كانوا يذبحون لالهتهم ويجعلون لها من الحرث والانعام والاولاد ما ولدوا من الزنا
وجايز ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك الى اخر ما ذكر حتى
يشاركهم في الاموال والاولاد ثم معنى المشاركة له فيما ذكر والله اعلم هو ان هذه الاموال والاولاد لله تعالى حقيقة لما هو انشا
وخلقها فحقيقة الملك له بما ذكرنا وظاهر الانتفاع لعبيده اذ هذا كله لله يحق المحنة يمتحنهم وحق الانتفاع لهم اذ لا يجوز ان
يخلق الله شيئا المنفعة نفسه ولكن يخلق لمنافع انفسهم ليمتحنهم بها وقد شرع الله لهم شرايع وشرع لهم ابليس شرايع وهو ما ذكر ام لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله فاذا صرفوا ذلك الى ما شرع لهم ابليس دون ما شرع الله فقد اشركوا فيها وكلما اطيع فيها فما
سن لهم ابليس وشرع لهم فذلك شركة فيها وذلك الاولاد في الشاهد انما تطلب لاحد الوجوه الثلاثة اما للاستيناس بهم في حال
الوحشة واما للاستنصار بهم والعون على اعدائهم واما للذكر بعد الوفاة وكذلك الاموال يطلب منها ما ذكرنا الانتفاع بها في حال

الحيوة واما للمعونة على الاعداء او الذكر بعد الموت لخيرات يتركونها فاذا صرفوها الى ما امرهم ابليس شركوه فيها وشاركتم اياه في الاموال الحق ان يامرهم ويدعوهم الى اكتساب ما يحرم والانفاق فيما لا يحل وفي الاولاد وكذلك يامرهم بالمعصية ويدعوهم اليه و فيطيعونه ويجيبونه في ذلك فذلك والله اعلم مشاركته قوله عز وجل وعدهم قال عامة اهل التاويل وعدهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله وخوفهم على ضد ما خوفهم الله ما كان من الله لهم وعد رجاء يكون منه وعيد وما كان من الله وعد خوف يكون منه وعد رجاء وهو ما قال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم اخبر ان ما وعدهم قد اخلف فذلك تاويل قوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي كذبا وباطلا لانه يخرج كله على خلاف ما وعد قوله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان وجوها ثلاثة احدها القدرة والقهر والثاني الحجة والبرهان والثالث الولاية فاما القدرة والقهر فليس له عليهم ذلك لانه لم يجعل له قدرة القهر عليهم شاؤا او ابوا وكذلك ليس له عليهم الحجة فيما يدعوهم اليه ويامرهم به كقوله يوم القيمة حين يقول وما كان لي عليكم من سلطان الاية واما سلطان الولاية فان له ذلك على من اختار اتباعه وتوليه كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقوله ان عبادي المخلصين الذين اخلصوا الى ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان اي حجة لانهم انما يتبعون امره بحجة فلا يتبعوا الشيطان بامانيه التي يمنيهم وشبهاته التي يشبه عليهم او ان يكون قوله ليس لك عليهم سلطان اي سلطان القهر والغلبة المانعة عليهم الدعاء والتزيين لا غير او ان يكون قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان من الحجة والملك على ما ذكرنا انما سلطانه عليهم سلطان الولاية على الذين يتولونه وقوله عز وجل وكفى بربك وكيلا يحتمل وكيلا حافظا يعصمك عن تمويهاته وتسويلاته وناصرا ينصرك على مكايده او مفزعا تفزع اليه او معتمدا تعتمد عليه في جميع امورك والله اعلم وقوله عز وجل ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر يجريه ويسيره ويسوق الفلك في البحر قال الحسن اي سخر الفلك المسخر لنا في البحر والدواب في البر لنقطع بها البحار والمفاوز والبراري لنصل بذلك الى حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية والامكنة البعيدة وكذلك قال في قوله كان بكم رحيما في البر والبحر اي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكرنا الا اضافة ذلك اليه على قولنا انه خلق سيرنا وجرينا في البر والبحر اي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكرنا الا اضافة ذلك اليه على قولنا انه مخلوقه ثم يذكر فيه قدرته وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل فيها معنى تقر على وجه الماء مع ثقله ومن طبع الشيء الثقيل الترسب في الماء والتسفل فيه ولا نفهم المعنى الذي به تقر على وجه الماء وان كان من ذلك في الثقل يستفل فيه ويترسب فيجعل ذلك طبعه بحيث يقر على وجه الماء ولا يترسب فيه لطفا منه ثم قدر على انشاء ما يقر على وجه الماء لمن يجعل فيه لا يفتقد ثمن او بلطفه لقادر على انشاء هذا الخلق واعادته بعد فنائه وذهابه وان كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك واوهام البشر تعجز عن دركه كما قدر على انشاء ما هو طبعه الترسب في الماء والتسفل فيه بحيث يقر ويركب على الماء لقادر على ما ذكرنا وحيث على تسكين الامواج في البحر ليعبروا فيها وخلق فيها ما يجري السفن كما تجري بالماء الجاري فقدر على هذا القدر على ما ذكرنا من الاحياء بعد الفناء وفيه ما ذكر من تذكير نعمه لنا ليشكروا وتذكير قدرته وسلطانه لئلا يهاب منه ولا ينكر قدرته وسلطانه في خلق من الاشياء على الذي قدرته يعجز خلقه لعقولهم عن درك ذلك وفيه وجوه من الدلالة احدها علمه بالاسباب التي بها يوصل الى قطع البحار والبراري لاتخاذ السفن والحمل عليها وغير ذلك والثاني تسخيره البحار والبراري لنا ولولا ذلك ما تهيأ استعمال ذلك والثالث دلالة الرسالة اذ لولا الرسالة لما علم به ما في البلدان النائية والامكنة وما يعلم ان ذلك الخلق يتفنى الى تلك الامكنة الا بخبر الرسول عن الله تعالى وقوله عز وجل انه كان بكم رحيما اي بعضهم اي من رحمته ان جعل لكم الفلك والدواب لتصلوا بها الى البلاد النائية البعيدة وقال بعضهم انه بالمؤمنين رحيم فاذا اتبع ويجمع عنهم ذلك وكانت الاية في المؤمنين فهو لم يزل بهم رحيما وان كانت في الانس فالرحيم بهم جميعا قالت الشيوخ انكم تسمون ربكم بالرحمة والرأفة وهو يعينكم ويتقبلكم ويحمل عليكم الشدائد والمؤن العظام فذلك ليس من صفة الرحيم انا قد ذكرنا انكم لم تخبروا بجواب السؤال ان العالم بالرحمة والشفقة عليها مع ذلك ربما يحمل على نفسه الشدائد والمؤن العظام لما فيه من النفع في العاقبة من الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة لما يأمل من النفع في العاقبة فاتخذ ذلك وكذلك الوالدان فيهما من الرحمة والرأفة على اولادهما ثم لا يمنع ذلك على احدهما يحملهم على اولادهما ما ذكرنا من الشدائد والمؤن العظام لما يأملون من النفع في العاقبة ثم لا يمنع ذلك من الوصف بالرحمة والرأفة فعلى ذلك الله سبحانه لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن ان يوصف بالرحمة ولا يخرجه ذلك عن الحكمة بل هو على ما قال وهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ... ان ذلك يبطل ما كانوا يدعون من عبادتهم الاصنام التي كانت لله فانه لم يبطل ولم يزل على عبادتهم اياه لانهم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاخبر عز وجل عن سفههم انهم عبدوا الاصنام وعجزهم عما يأملون منها في الآخرة حيث لم يكن لدفع شيء مما مسهم وكشف ما اصابهم في الدنيا فكيف يأملون ذلك في الآخرة اولى ان يكون مثل من تدعون الا اياه في

مثل الآلهة

مثل الآلهة التي تعبدونها دون الله الا الله الحق المستحق للعبادة فانه اعانكم ونجاكم من الهلاك وقوله عز وجل فلما نجاكم الى البر اعرضتم هكذا كانت عادتهم انهم اذا خافوا الهلاك على انفسهم اخلصوا الدعاء لله كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وكقوله وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا فريق منهم بربهم يشركون ويحلفوا فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن وفاء ما عهدتم وانجاز ما وعدتم لانهم قالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فاعرضوا عن هذا والوعد ولم يوفوا ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان كفورا لنعم ربه يذكر سفههم من وجهين احدهما عبادتهم من يعلمون انه لا ينعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء في حال الشدة والثاني ان في الشاهد من انعم على اخر نعمة واحسن اليه يشكر له ويثني عليه واذا حل به بلاء وشدة من احد من الخلائق يدعو عليه ويلعنه فمعاملة اولئك الكفرة مع الله على خلاف معاملة الخلق بعضهم بعضا يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلاء ويكفرون نعمه في حال الرخاء والله اعلم وقوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر كما خسف قوما في البر او يرسل عليكم حاصبا على ما ارسل على قوم من الحصباء وهي الحصى فاهلكهم ثم لا تجدوا لكم وكيلا وناصرا ينصركم ومعتمدا يعتمدون عليه وقوله عز وجل ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى اي يحوجكم الى ركوب البحر مرة اخرى فيغرقكم بما كفرتم او يذكر هذا ان من قدر على انشاء ما ذكر من الفلك واجرائها في البحر وتسكين امواجه ودفع اهواله عنكم لقادر على اهلاككم في البر واعادتكم في البحر ثانيا واغراقكم فيه وفي قوله يزجي لكم الفلك في البحر والبر دلالة ان لله في فعل العباد صنعا لانهم هم الذين يسيرون في البحر وهم الذين يجرون الفلك فيه ثم اضاف الاجراء الى نفسه وكذلك التسيير ليعلم ان له فيه صنعا وفعلا وقوله عز وجل ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال بعضهم تبيعا اي من يتبعنا بدمائكم ويطالبنا بها وقد ذكر بعضهم التبيع الكفيل ويقال المتقاضي في موضع وقال غيره هو من التبعة اي لا تجدوا لكم علينا به تبعة وهو ما ذكرنا وقال القتبي الحاصب الريح سميت بذلك لانها تحصب اي ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجر اي تكسرها وكذلك قال ابو عوسجة القاصف الشديدة من الرياح وقوله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم كرمهم بان خلقهم في احسن صورة كقوله وصوركم فاحسن صوركم وقومهم في احسن تقويم واحسن قامة كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكرمهم بان ركب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان ويعرفون بها المحاسن من المساوي والحكمة من السفه والخير من الشر وكرمهم بان جعل لهم لسانا ناطقا يتكلمون بها بالحكمة وكل خير وبها يتوصلون الى درك الحكمة وجمعها وكرمهم بان جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم وكرمهم بان خلق جميع ما على وجه الارض كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا وكرمهم بان سخر لهم جميع الخلائق وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجعل بني ادم ممتحنين بتلك جميع الخلائق ونحوه وكرمهم حيث جعلهم بحيث ينتفعون باستعمال السماء والارض واستعمال الشمس والقمر واستعمال البحار والبراري وجميع الصعاب والشدائد في حوائجهم وسخر لهم ما لا يتهيأ لغيرهم من الخلائق ذلك فذلك تفضيلهم وجائز ان يكون كرم بني ادم لانه كرم ادم وكرم ادم لانه اسجد ملائكته له وبعثه رسولا اليهم حيث قال انبئهم باسمائهم فلما اكرم ادم صار بنوه مكرمين ايضا ونحن نقول بان الاب يصير مشتوما بشتم ابنه وما قال اهل التأويل ان فضل بني ادم على غيرهم من الحيوان والدواب حين اكلوا وشربوا بايديهم وسائر الدواب يأكلون بافواههم هذا الذي ذكروا هو من التفضيل الا ان ذكره له خاصة ليس فيه كثير حكمة وفضل لكن فضلهم وكرمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات والله اعلم وقوله عز وجل وحملناهم في البر والبحر هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم لم يحتمل هذا فيجيء احدهما ان جعل لهم البر والبحر مسخرين حتى يصلوا الى ما في باطن البحر وظاهره من انواع المال والمنافع وكذلك البر سخرهم حتى يصلوا الى ما في باطنه من الاموال والمنافع وظاهره والثاني ان جعلهم بحيث يقضون حوائجهم التي كانت لهم من وراء البحر ووراء البر ما لم يجعل ذلك لغيرهم من الخلائق قضاء الحوائج من ورائها وذلك معنى تفضيلهم الذي ذكر ثم ما ذكر على اثر قوله كرمنا بني ادم وهو تفسير تفضيله وكرامه حيث قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وجائز ان يكون ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم هو ما جعل فيهم من الانبياء والرسل والاتقياء والاخيار منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم الا ترى ان موسى قال لقومه اذكروا نعمة الله عليكم الاية وقوله ورزقناهم من الطيبات هو ما ذكرنا ان جعل ارزاقهم وغذاءهم ما بلغ في الطيب غايته ولا كذلك غذاء غيرهم من الدواب ورزقهم لانهم لا يأكلون الا بعد ان يستخرجوا منه ما فيه من اذى وخبث وخشونة من النخالة وغيرها في الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب واللين غايته واما غيره من الدواب فانما يأكلون كما هو نيئا غير مطبوخ ولا نضيج وفيه من الخبث والاذى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اما بعض اهل التأويل فانه قال فضلناهم على كثير ممن خلقنا على الجن والشياطين واضرابهم غير الملائكة وقال بعضهم على كثير ممن خلقنا من الحيوان والدواب تفضيلا بالاكل بالايدي وجعل رزقهم من غير رزق الدواب ويحتمل على كثير ممن خلقنا ممن على وجه الارض من الجن وغيرهم لما لم يرسل الى الجن رسول منهم ولا انزل عليهم كتاب على حدة وما جعل ارزاقهم مما يفضل من البشر من العظام والروث وغيره على ما ذكر فذلك وجه تفضيلهم عليهم واما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فانا لا نتكلم في شيء من ذلك لما لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فلا نرى فيه الحالة في تفضيل هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ليس الينا من ذلك شيء ولا جائز ان يجمع بين اشتراك البشر وفسقهم وبين الملائكة الذين لم

يعصوا الله طرفة عين فيقال هم افضل من الملائكة ولكن ان كان لا بد فاما بجميع بني الانبياء والرسل واتقى الخلائق وبني الملائكة الذين
فيتكلم حينئذ بتفضيل بعض على بعض فاما ما ذكرنا ان الامر فى ذلك الى الله ليس الينا من ذلك شىء والله اعلم وقوله عز وجل يوم ندعوا كل
اناس بامامهم قال الحسن هذا صلة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فيقول اى يوم فيقول يوم ندعوا كل اناس بامامهم ثم اختلف
فى قوله بامامهم قال بعضهم ندعوا بامامهم اى بدينهم الذى دانوا به وذبوا عنه ويدعى كل بدينه الذى دان به وذب عنه وقال
بعضهم بامامهم اى برؤسائهم وائمتهم الذين اضلوهم اى يدعى الاتباع بائمتهم وروسائهم الذين اضلوهم حتى يلوم بعضهم على بعض
ويلعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية وقوله ويلعن بعضكم بعضا وقوله
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين يدعى الاتباع بالمتبوعين وقال بعضهم يدعى كل اناس بداعيهم الذى
دعاهم ان كان رسولا فبالرسول وان كان شيطانا فبالشيطان وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم بامامهم كتابهم الذى كتبت الملائكة
اعمالهم فيه وقال بعضهم بكتابهم الذى نزل عليهم يدعى كل بما ذكر لئلا يقولوا ان الحجة قد قامت عليهم ووجبت لهم العذاب باتباعهم ما
اتبعوا بلا حجة ولا برهان وحاصل تاويل هؤلاء ترجع الى وجوه ثلاثة احدها يوم ندعوا امام كل اناس كان امامهم فى خير او شر
فيجزى له جزاؤه ثم تكلف هؤلاء اتباعه الى ما اعدلهم من الثواب والعقاب والثانى يدعى كل امام ورئيس فى خير وشر باتباعهم الذين
يتبعونه فيما يدعوهم اليه نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه وكل رئيس وشيطان استتبعهم والثالث امامهم كتابهم الذى
كتب لاعمالهم الذى كتبوه لم ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ونحوه وقوله عز وجل فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن
كتابهم فيه ان المؤمن اذا نظر فى الكتاب فرح به واستبشر بما فيه فسهل عليه القراءة وهان لما كان يتبع حجج الله واما الكافر اذا نظر
فى الكتاب حزن واهتم به فعسر عليه قراءة كتابه وهو كقوله فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت انى
ملاق حسابيه الاية ويقول الكافر يا ليتنى لم اوت كتابيه الاية لانه اتبع بلا حجة او ان يكون المؤمن اذا نظر فى كتابه راى سيئاته
مغفورة كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فرح بذلك والكافر راى سيئاته باقية عليه
وحسناته قد بطلت حزن بذلك واهتم لذلك قال قال والله اعلم وقوله عز وجل ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل
سبيلا قال بعضهم من كان فى هذه الدنيا اعمى عن توحيد الله والايمان به مع كثرة اياته ودلالته على وحدانيته فهو عن الايمان بالاخرة
والبعث بعد الموت اعمى وقال بعضهم من كان فى هذه الدنيا اعمى عن الحق فهو فى الاخرة اعمى عن حججه لانه اذا عمى عن الحق نفسه فهو عن
حججه اعمى فيكون فى معنى عن الايات والدلالات على وحدانية الله اكثر واظهر من الدلالة على البعث والاخرة اذ ليس شىء الا وفيه
وحدانيته ودلالة الوحدة ولا كذلك الاخرة فهو عن الايمان بها اشد عمى وقال بعضهم من عمى فى هذه الدنيا عن الايمان بالله فهو فى
الاخرة اعمى عن الايمان به لان الدنيا مما يقبل فيها الايمان وفى الاخرة لا يقبل وهو ما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون اى حيل بينهم
وبين ما يشتهون من الايمان به كما فعل باشياعهم من قبل اى كما حيل بين اشياعهم وبين الايمان به عند معاينته باس الله وعذابه
وهو قول الحسن وقال ابو بكر قريبا من هذا وهو ان من عمى عن الرشد والحق فى هذه الدنيا لجهله به فهو فى الاخرة عند علمه بالرشد والحق
اشد عمى او كلام نحو هذا وقال بعضهم من عمى قلبه فى الدنيا عن الايمان بالله والتوحيد له فهو فى الاخرة يكون اعمى الوجه والحواس كقوله
لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا وكقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما الاية ما ذكر ذاهبة حواسهم لما تركوا الانتفاع
بها فى الدنيا لما جعلت لهم الحواس ويشبه ان يكون قوله من كان فى هذه اعمى بالافتراء على الله فهو فى الاخرة اعمى اى مفتر على الله ايضا كقوله ثم
لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ونحوه يفترون فى الاخرة ويكذبون كما كذبوا فى الدنيا وكقوله ولو ترى اذ وقفوا ثم اخبر عنهم
فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال قتادة ومن كان فى هذه اعمى يقول ومن كان فى الدنيا فيما اراه الله من اياته من خلق
السموات والارض والجبال والنجوم فهو فى الاخرة الغائبة عنه التى لم يرها اعمى واضل سبيلا وهو قريب مما ذكرنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما
ومن كان فى هذه النعم اعمى ان يعلم انها من الله فهو فى الاخرة اعمى عن حجته ويقال عن دين الله واضل طريقا ويقال ضل عن حجته وقال غيره
من اهل التاويل من كان فى هذه النعم اعمى يعنى الكافر عمى عنها وهو يعاينها فلا يعرف انها من الله فيشكر ربها فهو فى الاخرة اعمى يقول عما غاب
عنه من امر الاخرة من البعث والجزاء اعمى واضل سبيلا واخطا طريقا وبعضه قريب من بعض والله اعلم وقوله عز وجل وان كادوا
ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك دل هذا انه قد كان من الكفرة شىء من الدعاء الى شىء يهمه به فعوتب لو اجابهم الى ذلك وكذلك
كانت عادة الكفرة كادوا ان يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفتنوه عن الذى اوحى اليه ويصرفوه عنه كقولهم ائت بقران غير
هذا او بدله هكذا كانت عادتهم كانوا يطلبون منه الافتراء على الله والضلال على وجه المكر به لا ضلال الصريح وكفر صريح ولكن حتى
يؤدى ذلك الى الاضلال والكفر ويريدون منه المساعدة لهم فى بعض ما هم فيه بما كانوا به ويتمنون الموافقة له والمساعدة لكن الله عصم
رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون منه بالايات التى ذكر فى كتابه وبالعقول كقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الاية اخبر انهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضى ومن لم يكن معصوما يجوز ان يوجد منه حرجا مما قضى به وكقوله ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة ومن لم يكن معصوما يجوز ان يؤذى ولا يلحقه اللعنة وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة

ان لم يكن معصوما يجوز ان يكون الخيرة من امره وقوله اطيعوا الله ورسوله وامثاله مما يكثر عدها وكذلك القول يشهد
كان معصوما لو اراد ان يحرف ويزيل عنه العصمة بتاويل يتاوله فى بعض الايات او بحديث يرويه فانا لا نقبل تاويله
ولا خبره الذى روى ونشهد انه كذب ويجوز ان يكون فى خبره الذى روى معنى اخر سواه فليس له ان يروى الا بالمعنى الذى
كان فيه فتاويل اهل التاويل انه القى عليه الشيطان ولقنه عنه تلاوته افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وقال بعضهم لانه كان يستلم الحجر الا ان يستلم آلهتنا ونحوه ان ذلك كله فاسد خيال لانه
كان لا يحرم حرم اصنامهم فى حال صغره ولا اراده دنا منها حتى لم يطمعوا ذلك منه ما دام صغيرا فكيف طمعوا ذلك الاستلام
بعد ما اوحى اليه وصار رسولا وكذلك ما ذكر وانهم طلبوا منه ان يطرد بعض الذين اتبعوه عنه ليكونوا هم اتباعه فهم
ان يفعل ذلك فنزل وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لكن ذلك كله فاسد خيال لا يحتمل ما توهموا فيه لانهم
لم يعرفوه حق معرفته والا لو عرفوه حقيقة المعرفة ما توهموا فيه شيئا من ذلك وبالله التوفيق والمعونة ثم قوله ليفتنونك
عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره قد ذكرنا ان عادتهم ذلك الا ان الله عصمه عن ذلك ثم قوله ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فظاهر الاية يرد جميع ما قال اهل التاويل فى هذه الاية لانه يقول ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم اخبر انه وقد ثبته فلم يكن لانه اخبر انه قد ثبته فلم يكد ان يركن اليهم وقال شيئا قليلا سمى ذلك شيئا قليلا
ولو كان ما قالوا ولذلك لكان شيئا كبيرا عظيما بل يبلغ الكفر دل انه لم يكن ما ذكروا وقال لقد كدت تركن وكاد هو حرف
قارب ان يركن كقوله تكاد السموات اى قارب ان يتفطرن وليس فيه انه ركن اليهم فقولهم فاسد للوجوه التى ذكرنا شيئا
قليلا وما قالوا كبير عظيم يخاف ان يبلغ الكفر والثانى قال كدت وهو حرف تقارب والثالث ذكر على الشرط ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فلم يركن لما ثبته وهو ما قال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا
ينطقون وما ذكرنا فى قصة يوسف ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ليس فيه انه هم ولا فيه انه ركن
لانه خرج على الشرط وقال الحسن فى قوله لقد كدت تركن اليهم اى هممت لكنه هم به هم خطر خطره ابليس وكذلك قال وفى قصة
يوسف همت به هم عزم وهم بها هم خطر وقال غيره اراد وامنه ان يجعل لهم مجلسا على حدة ليسلموا فهم به ان يفعل ذلك لحرصه
على اسلامهم واشفاقا عليهم فمثل هذا يجوز الفعل الا ان الرسل لا يجوز لهم ان يفعلوا شيئا وان صغر الا باذن من الله الا ترى
ان يونس لما خرج من عند قومه مغاضبا عليهم بغير اذن منه عاتبه ربه بذلك معاتبة عظيمة حيث قال فلولا انه كان
من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ومثل هذا لو فعله غيره من دونهم كان ممدوحا محمودا فى ذلك فهذا يدل ان الانبياء
لم يكن لهم صنع شىء وان قل الا باذن من الله والله اعلم وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب
الحيوة وضعف عذاب الممات وقال ابو عوسجة ضعف الحيوة اى مثل الحيوة وغيره قال الضعف الحيوة عذاب الدنيا وضعف
الممات عذاب الاخرة وقوله عز وجل ثم لا تجد لك علينا نصيرا قيل مانعا وقيل ناصرا ينصرك وشافعا يشفع لك الينا والله اعلم
وقوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قال الحسن قوله ليستفزونك اى كادوا ليقتلونك
ويخرجوك منها بالقتل وقد كانوا هموا قتله لكن الله عصمه عن ذلك بقوله والله يعصمك من الناس وقوله عز وجل واذا لا
يلبثون خلافك الا قليلا وهكذا كان سنة الله فى الامم الخالية انهم اذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا بعده الا قليلا حتى اهلكوا وقال
بعضهم هو على الاخراج نفسه الا ان الله عز وجل اخرجه اخراج هجرة الى المدينة لما سبق من رحمته وفضله ان لا يهلك هذه
الامة اهلاك استيصال فلو كانوا هم اخرجوه لاستوجبوا الاهلاك لما كان من سنته فى الاولين اهلاكهم اذا اخرجوا
رسولهم من بينهم وقال بعضهم هو على حقيقة الاخراج منهم اخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا ذلك فلم يلبثوا بعده الا قليلا
حتى اهلكهم الله بالقتل يوم بدر وغيرهم وهو ما قال وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم
فيه دلالة انهم اخرجوا وانهم اهلكوا بذلك وكذلك كانت سنة الله فى الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك وقال اهل التاويل
فى قوله وان كادوا ليستفزونك اى يستزلونك من ارض المدينة حيث نزل بالمدينة قالت له اليهود ان هذه الارض ليست
بارض الانبياء والرسل انما ارض الانبياء والرسل ارض الشام فان كنت نبيا رسولا فاخرج اليها فخرج الرسول عليه الصلوة
والسلام متوجها الى الشام فعسكر على راس اميال فثاب اليه اصحابه فنزل به جبرئيل بهذه الاية لكن ذكرنا ان هذا وامثاله
لا يحتمل لانه لا يجوز ان يخرج رسول الله من ارض المدينة الى ارض الشام بقولهم ولكنه اليهود من غير ان كان من الله اذن له فى
ذلك هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم ويشبه ان يكون قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى
اوحينا اليك اى كادوا ان يفتنوك بالمكر والكيد والخديعة لك ليستفزونك من الارض لانهم كانوا يطمعون ان يفتنوه
ويضلوه عن الذى اوحى اليه على التصريح والافصاح ولكن على جهة المكر به والخديعة والله اعلم وقوله عز وجل سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا على قول الحسن السنة فى الامم الذين قبله انهم اذا قتلوا الرسول اهلكوا وعذبوا وعلى قول بعضهم السنة فيهم الاهلاك

اذا خرجوا الرسول من بينهم على علم منه انهم لا يؤمنون بعده الاهلاك وفي قول بعضهم على الاخراج نفسه وهؤلاء فما خرجوا رسولهم من بينهم و
بقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الاية وقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم لكنهم
عذبوا تعذيب رحمة واهلاك رحمة لا اهلاك استيصال **وقوله** عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغيرا ابا تحويلا **قوله** عز وجل اقم الصلوة يحتمل الامر
باقامة الصلوة الامر بالدوام عليها واللزوم بها اي الزم بها وادمها واتمها التمام والكمال اي اتمها واكملها بالشرايط التي امرت بها ويحتمل قوله
اقم فعلها ولم يفهم من قوله اقم الصلوة الانتصاب على ما ينتصب الشيء ويقام به فدل انه لا يفهم من الخطاب ظاهره **وقوله** عز وجل لدلوك الشمس
اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها الى غسق الليل اي ظلمة الليل وقران الفجر اي صلوة الفجر فيقول الناس في هذه الاية بيان
اوقات الصلوات الخمس جميعا لانه ذكر اول ما يجب من الصلوات وهي الظهر الى ما ينتهي وهي الفجر فعلى هذا التاويل الى لا تكون غاية ولكن تكون
كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس والله اعلم ومنهم من يقول فيه ذكر صلوات النهار لانه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها الى غسق الليل وغسق
الليل هو بدء ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر فعلى تاويل هذا يكون حرف الى غاية لا يدخل صلوة الليل فيه ثم تخصيص الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والامر له باقامة الصلوة يكون كانه قال اقم الصلوة فان كان هذا فيه دلالة صحة صلوة القوم بصلوة الامام وتعلق
صلوتهم بصلوة الامام حيث قال اقم الصلوة ولو كان كل احد يقيم صلوة نفسه لكان لا يقول اقم الصلوة ولكن يقول صل الصلوة فدل انه
على ما ذكرنا ثم قوله لدلوك الشمس يحتمل وجهين احدهما اقم الصلوة للذي بدلك له الشمس كقوله تتفيؤ ظلاله الاية والثاني اقم الصلوة
لوقت الذي يتلو دلوك الشمس الصلوة ثم تخصيص الفجر بما ذكر حيث قال ان قران الفجر كان مشهودا التخصيص لقران الفجر لانه مشهود والفرضية
بها بقوله اقم قراة الصلوة على ما ذكرنا ثم قوله ان قران الفجر كان مشهودا اي لم يزل في علم الله كان مشهودا او صار مشهودا ثم قال وقران الفجر
وهي صلوات الفجر وانما ذكر صلوات النهار فدخل صلوات الليل بقوله ومن الليل فتهجد به لكنهم يقولون ان التهجد بعد النوم وقد يكره النوم قبل
المغرب والعشاء فلا يصح هذا ومنهم من يقول دلوك الشمس غروبها وهو قول عبد الله بن مسعود وغيره قال بعضهم فيه ذكر صلوات الليل لانه
ذكر بدء ظلمة الليل وذلك بالغروب وقران الفجر هو اخر ما ينتهي ظلمة الليل لانه ينتهي ظلمة الليل الى وقت الفراغ من الفجر **وقوله** عز وجل وقران
الفجر يحتمل هذا وجهين احدهما القران يكون كناية عن صلوة الفجر كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس واقم ايضا صلوة الفجر لانه نسق على الاول
ويحتمل قوله وقران الفجر اي قراة الفجر ويجوز ان يقال القران مكان القراة كقوله فاذا قراناه فاتبع قرانه اي قراته ثم من الناس من احتج بفرض
القراة في الصلوة بهذا لانه نسق على الاول على ما ذكرنا كانه اقم القراة ومنهم من يقول انما حث على قراة الفجر دون غيرها من صلوات لما طول القراة
فيها لتقصيرها عن الاربع لانه لم يجعل غيرها من الصلوات ركعتين لحث على قراتها لهذا والله اعلم **وقوله** عز وجل ان قران الفجر كان مشهودا قال
عامة اهل التاويل تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار اي حرس الليل وحرس النهار وعلى ذلك روينا الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
الصحابة وقوله ان قران الفجر كان مشهودا اي قراة الفجر تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار على هذا حمله اهل التاويل تشهده ملايكة الليل
وملايكة النهار وعلى هذا حمله اهل التاويل تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار اي حرس الليل وحرس النهار وعلى ذلك روينا الاثار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وقوله ان قران الفجر كان مشهودا اي قراة الفجر تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار على هذا حمله اهل التاويل
وعلى ذلك روينا الاخبار والاثار ويحتمل ان يقال فيه اخر وهو ان تشهده القلوب والسمع والعقول لان ذلك الوقت هو وقت الفراغ عن جميع الاشغال
والموانع التي تشغل عن الاستماع والفهم عنه ما لا يكون ذلك الفراغ لغيرها من الصلوات من صلوة المغرب والعشاء لانها تقرب من الاشغال و
الحوايج الا ترى انه الجهر بالقراة فانما جعل في الاوقات التي هي اوقات الفراغ عن الاشتغال وهي المغرب والعشاء ثم وقت الفجر هو اخلى و
عن غيره لانه بعد فراغ النوم وقيل هجوم وقت التقلب فالقراة فيها والقلوب تشهدها لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى ما ذكرنا والله اعلم
قوله عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال بعضهم النافلة الغنيمة كقوله يسالونك عن الانفال اي الغنايم **وقوله** عز وجل نافلة لك اي
غنيمة لك تغنم بها غنايم او كلام نحو هذا وقال الحسن قوله نافلة لك اي خالصة لك وخلوصه له وهو ان لا يغفل هو عن شيء منها في حال من
الاحوال وغيره من الناس يغفلون فيها من اشياء وقال بعضهم ذكر انه نافلة له لانه كان مغفورا له فلا يكون له نافلة واما غيره فان
ما يعمل من الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة والله اعلم **وقوله** عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا تحمد عاقبة بالتهجد
اي يبعثك ربك مقاما تحمد انت تلك العاقبة جزاء بتهجدك في الدنيا وقال بعضهم مقاما محمودا ما يحمده كل الخلايق الاولون والاخرون
وقال بعضهم مقاما محمودا هو مقام الشفاعة والله اعلم اي تشفع امتك واهل العصيان منهم وجايز ان يكون هو صلة قوله ما تقدم من
قوله فتقعد مذموما مخذولا وقوله فتقعد ملوما محسورا وقوله فتلقى في جهنم ملوما مدحورا وما ذكر من المواعيد لما سمع هذا وقرع
سمعه ذلك اخافه ذلك وافزعه فنزل قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ان عبدت الله واطعته في جميع اوامره ونواهيه واقمت له
الصلوة والصيام **وقوله** عز وجل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ظاهر هذا الخطاب يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث امران يدعو بما ذكر وقد عرف هو ما امر من الدعاء بقوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فلا حاجة تقع لنا الى ان
نطلب المراد من ذلك الا ان يكون لغيره في ذلك اشتراك فعند ذلك يتكلف فيه ويطلب المراد منه وقد تكلم اهل التاويل في ذلك قال بعضهم
قوله رب ادخلني مدخل صدق كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة منها الى المدينة وامران يدعو بهذا الدعاء رب ادخلني في المدينة

مدخل صدق امنا على رغم اليهود واخرجني من المدينة الى مكة مخرج صدق امنا على رغم كفار مكة ظاهرا عليهم الا ترى انه قال واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا عليهم ففعل الله ذلك له واجابه وقد ذكرنا في غير موضع ان حرف السلطان يتوجه الى وجوه ثلاثة يكون مرة
عبارة عن حجة قاهرة غالبة ويكون عن ولاية نافذة غالبة ويكون عبارة عن اليد الظاهرة الغالبة ايضا وقد كان بحمد الله ومنه هو
لرسول الله على الكفرة ذلك كله وقال بعضهم رب ادخلني مدخل صدق في مكة ليعلم اهل مكة اني قد بلغت الرسالة ولتخرجني منها مخرج صدق
ليعلم يهود المدينة اني نصرت وبلغت ما امرت به وقال الحسن اخرجني من مكة مخرج صدق وادخلني في الجنة مدخل صدق وقال بعضهم
رب ادخلني مدخل صدق فيما حملتني من الرسالة والنبوة وما امرتني به اؤديها على ما امرتني وابلغ الرسالة الى الخلق على ما كلفتني واخرجني
مخرج صدق اي اخرجني مما كلفتني سالما لتبعة علي وكلام نحو هذا واصله كانه امر ان يسال ربه الصدق في جميع افعاله واقواله وفي جميع
ما تبدو به من الدخول في امر والخروج منه اذ لا يخلو العبد من هذين من الدخول في امر والخروج منه فسال الصدق في كل حال وكل دخول
وكل خروج وقال مجاهد رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق في الرسالة والنبوة وهو ما ذكرنا **وقوله** عز وجل واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا قال بعضهم حجة منه وقد قام بها على الكفرة وقال بعضهم سلطانا نصيرا اي اجعل في قلوب الناس هيبة لي بها يرفى
وقد كان من الهيبة بحيث هابوه من مسيرة شهرين وقال بعضهم هو السلطان الذي يقهرون به الدين ويقيمون الحدود والاحكام ونحو
وقيل السلطان هو اقامة الحدود والاحكام والشرايع وهو تفسير الولاية لان تاويل الولاية ما يقيمها وهو ما ذكرنا من الولاية اقامة الاحكام
ثم قيل في الصدق والاخلاص قال بعضهم الاخلاص هو ان لا يجعل الشيء بقلبه نصيبا لاحد سواه والصدق وان جعل لا يجد لذلك لذة
الصدق وعندنا ان يجعل الفضل في جميع افعاله لله لا يجعل لنفسه شيئا من الفضل وعلى ذلك يلزمه الشكر له في جميع خيراته وعن الحسن
قال لما مكر كفار مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه فاراد الله بقاء اهل مكة فامر نبيه ان يخرج منها مهاجرا الى
المدينة وعلمه ما يقول فانزل الله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ووعد الله لينزعن
عن ملك فارس والروم ويجعله لامته **وقوله** عز وجل وقل جاء الحق وزهق الباطل قال بعضهم جاء الحق وهو الاسلام وقيل جاء الحق
القران وقيل جاء الحق اي محمد او يقول جاء اثار الحق فذهب الباطل واثاره او جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شبه الباطل وتمويهاته
والحق يحتمل ما ذكرنا من الاسلام ورسول الله **وقوله** عز وجل وزهق الباطل اي ذهب وبطل غيره من الاديان وغيره من المذاهب
وعبادة الاصنام ونحو ذلك قالوا واصله ان الناس كانوا في حيرة وتيه قبل بعث الرسول لما كانوا فقدوا دين الله وسبيله منذ كان
رفع عيسى من الارض الى السماء لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون الى شيء حيارى حيرانين حتى بعث الله محمدا ليدعوهم الى دين الله ويبين
سبيله الذي كان يتمسك به الانبياء من قبله ويخرجهم من تلك الحيرة التي كانوا فيها ففعل صلى الله عليه وسلم فذلك الذي قال الله تعالى
جاء الحق وزهق الباطل اي جاء الحق الذي فقدوه فسروا بذلك وزهق الباطل اي ذهب واضمحل ان الباطل كان زهوقا اي ذاهبا م
مضمحلا لا يجدي خيرا ولا يعقب لاهله نفعا والحق هو الذي يعقب ويجدي نفعا لاهله ثم قوله جاء الحق وزهق الباطل لم يفهم اهل
الخطاب بمجيء الحق الانتقال من مكان الى مكان فلا بذهاب الباطل على ما يفهم من مجيء فلان وذهاب فلان بل فهموا من مجيء الحق ظهوره و
علوه وفهموا من زهوق الباطل وذهابه فناءه واضمحلاله وتلاشيه وعلى ذلك لم يفهموا من مجيء الاعراض ما فهموا من مجيء الاجسام و
الاجساد فعلى ذلك لا يجب ان يفهموا من قوله وجاء ربك الانتقال من مكان الى مكان وكذلك لا يفهم من قوله ثم استوى على العرش استواء
الخلق ولا من نزوله نزول الخلق على ما لم يفهم ما اضيف الى الاعراض من الافعال ما فهموا من الاجساد والاجسام بل فهموا من الاخر فعلى
ذلك لا يفهم ما اضيف الى الله تعالى ما يفهم ما اضيف الى الخلق بل يتعالى عن ان يشبه الخلق او يشبهه الخلق في معنى من المعاني او
في وجه من الوجوه بل هو كما وصف نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وتعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا **وقوله** عز وجل وننزل من القران ما هو شفاء كان الاية نزلت في ابتداء الامر حيث كان ينزل ولم يقل ونزلنا من
القران ما هو شفاء وجايز ان يكون قوله وننزل من القران ما هو شفاء نفس القران وهو ما ذكرنا ويحتمل المواعيد التي في القران من
وقايع تكون عليهم وكان في ذلك شفاء المؤمنين كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية او نقول بانه يجوز ان تفعل بمعنى فعلنا وقد
كثر هذا القران ثم قوله ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اي شفاء للمستشفين في الدنيا ورحمة لمن تمسك به في الاخرة فيه شفاء لمن استشفاه
في الدنيا ورحمة في الاخرة لمن تمسك به وعمى وخسار وظلمة لمن اعرض عنه ونظر اليه بعين الاستخفاف والاستثقال واما من
نظر اليه بعين التعظيم والاجلال فهو له شفاء ورحمة وان كان القران نفسه شفاء ونورا وهكذا في الشاهد ان من ابصر شيئا انما
يبصر بنور البصر وبنور الهواء بارتفاع ما يستر النورين جميعا لانه اذا كان عمى البصر لم يبصر شيئا وان كان نور الهواء متجليا وكذلك
لا يبصر اذا كان نور البصر متجليا بعد ان سترت الظلمة نور الهواء فاذا كان ما ذكرنا انه لا يبصر في الشاهد شيئا الا بنورين نور البصر
ونور الهواء فالكافر لم يبصر نور القران وشفاءه لما سترت الظلمة نور قلبه والمؤمن ابصر نوره وشفاءه بنور ايمانه وهكذا الادوية
فانها لا تجدي نفعا وان كانت نافعة شافية في انفسها الا بقبول الطبيعة لان الطبع اذا لم يقبلها وان كانت شافية نافعة لم
تنفع صاحبها ولم يكن له شفاء وصارت كانها في الاصل كانت ضارة غير شافية فعلى ذلك القران وان كان في نفسه شفاء ونور

صار للكافر عمى وخسارا كان لا شفاء فيه ولا رحمة لما ستر ظلمة الكفر نوره فصار كما لزاد له رجسا وطغيانا وتزدادوا هو ما قال
ولا يزيد الظالمين الا خسارا والله اعلم وقوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه يشبه ان يكون النعمة التى ذكرنا انهم
كانوا فى حيرة وعمى لا يجدون السبيل الى دين الله وقد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فذلك الاعراض الذى ذكر والله اعلم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعوهم الى دين الله ويبين
سبيله فذلك منه نعمة عظيمة اعرضوا عنه وتباعدوا عنه ويشبه ان يكون ما قاله اهل التاويل انه اذا وسع عليه الرزق
والعيش اعرض عن الدعاء له وتباعد بجانبه وقوله عز وجل واذا مسه الشر كان يؤسا اى آيسا من الخيرات لا يعود اليه اصلا وهكذا
كانت عادتهم انهم كانوا يخلصون الدعاء له اذا مستهم سوء واصابتهم شدة ويكفرون به اذا تجلى ذلك لهم وانكشف كقوله فاذا ركبوا
فى الفلك الاية وانا انعمنا على الانسان الاية وامثاله وكان الناس كلهم فرقا اربعة منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا انهم كانوا يخلصون
له الدعاء فى حال الشدة ويكفرون فى حال الرخاء ومنهم من كان يؤمن به فى حال الرخاء والنعمة ويكفر به فى حال الشدة كقوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف الاية وهم اهل النفاق ومنهم من يكفر به فى الاحوال كلها كقوله والفرقة الرابعة هم اهل
الاسلام يؤمنون به فى حال الرخاء وحال الشدة فى الاحوال كلها على هذا كانوا فى الاصل وعلى هذا يجب ان يكون قوله واذا مسه
الشر كان يؤسا من الاصنام كقوله ضل من تدعون الا اياه فيكون آيسا من الاصنام التى عبدوها لكن اهل التاويل صرفوا الى ما ذكرنا
من الاياس عن الخيرات ان يعود اليهم وقوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته لسنا نعلم انه اى سبب كان هنالك حتى قال قل كل يعمل على شاكلته
اذ لا يجوز ان يقال هذا بلا سبب كان منهم ابتداء لكن يشبه ان يكون قاله على الاياس من ايمانهم لما لم يزدهم دعاؤه اياهم وكثرة ايراده
الايات عليهم واقامة حججه عليهم الا عنادا وانكارا فقال عند ذلك قل كل يعمل على شاكلته اى على دينه وطريقته كقوله لكم دينكم ولى دين
وكقوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون فهو كله على الاياس عن ان يؤمنوا به ويقبلوا دينه
ثم قال فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى ربكم اعلم بمن منا على الهدى ومن ليس ومن منا اهدى سبيلا نحن وانتم وقال ابو عوسجة الشاكلة
الناحية اى على ناحيته وقال القتبى شاكلته اى على خليقته وقال قطرب على طريقته وكان هذا اشبه وقال بعضهم على نيته وقيل
على دينه ومذهبه وقيل على جديلته ومنهاجه وكله يرجع الى واحد ويشبه ان يكون اى كل عامل بما هو الشبيه به وما هو يشبهه لان الشكل
هو ما يشبه الشئ يقال هذا شكل هذا وقوله قل كل يعمل على شاكلته على قول من يقول على خليقته خلق عليها لانه خلق على ما علم منه انه
يختار ويؤثر والله اعلم وقوله ان الباطل كان زهوقا قيل ذاهبا باطلا لا يجرى لاهله نفعا لانه يتلاشى ولا يبقى والحق يجرى لاهله
نفعا لانه يتلاشى ولا يبقى والحق يجرى لاهله نفعا ويبقى وعلى ذلك ضرب الله مثل الحق بالشئ الذى يبقى وضرب مثل الباطل
بالذى لا يبقى ولا يثبت فقال كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض
وقد ذكرنا فى موضعه ضرب مثل الباطل بالزبد وهو يتلاشى لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل وضرب مثل الحق بالماء وهو يبقى فى
الارض وينفع الناس وضرب مثل الباطل ايضا بالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض ولا يكون لها قرار بقوله ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة الاية وضرب مثل الحق بالشجرة الطيبة النابتة فى الارض ذات قرار ونبات بقوله الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء فهو على ما وصفها الحق ثابت باق وله قرار ينتفع اهله والباطل يرى ثم يتلاشى
ولا بقاء وقوله عز وجل ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى اختلف فيه قال ابو بكر الاصم الروح القرآن ههنا
كقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وكذلك قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان الاية
قل الروح من امر ربى اى من تدبير ربى ما لو اجتمع الخلايق وما قدروا على مثله فان قيل كيف سالوا عن القرآن وهم لم يعرفوه
بالقرآن فقال سموه قرآنا على ما عنده اعنى عند رسول الله كقوله وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام وهم لم يكونوا
اقروا انه رسول ولكن سموه رسولا لما عند نفسه وزعمه رسولا اى ما لهذا الذى يزعم انه رسول ياكل الطعام فعلى ذلك قوله
ويسالونك عن الروح وهو الذى به حيوة الابدان من هلاك الضلال اى من تمسك به نجا من هلاك الضلال وقوله عز وجل
قل الروح من امر ربى اى بامر ربى ينزل وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الروح من امر ربى اى من خلق ربى وهم واحد وقال
بعضهم الروح هو الملك وانما سالوه عنه كقوله تنزل الملائكة والروح فيها يعنى الملك وقال بعضهم انما سالوه عن الروح
المعروف الذى به حيوة الابدان لكنه لم يجبهم ووكل امره الى الله لما يذكرون ذلك لو بين لهم وشانه وروى عن ابى يوسف رحمه الله
انه كان ينهى عن الخوض فى الكلام ويحتج بظاهر هذه الاية حيث سالوه عن الروح فلم يجبهم ولكن فوض امره الى الله وما سئل من
الاحكام الا وقد بين لهم كقوله يسالونك عن الخمر والميسر الاية ويسالونك عن الانفال الاية ويسالونك عن اليتامى ويسالونك
عن المحيض ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن مثل هذا ما سئل عن شئ من الاحكام الا وقد اجابهم وبين لهم بيانا شافيا
وقال ههنا قل الروح من امر ربى وقال جعفر بن حرب ان الله قد امر بالتكلم فى الكلام بقوله وجادلهم الاية وقال فلا تمار فيهم الاية
ونحوه فكيف نهى عن الخوض فى الكلام لكن ابا يوسف انما نهى عن الخوض فى الكلام الذى لا يدرك ولا يرى الخوض فيه الاخيرة و

منلا لا

مثلا لا يخرج ما روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكروا فى المخلوق ولا تتفكروا فى الخالق لانه لا يدرك فالتفكر فيما لا
يدرك لا يزيد الا عمى وحيرة وتيها واما الخوض فى الذى يدرك ويعقل فانه لم ينه عن مثله واصله ما ذكرنا من اباحة التكلم فى الدين
والخوض فى الكلام فى كثير من الايات من ذلك قوله وجادلهم بالتى هى احسن الاية ونحوه قال الشيخ رحمه الله ولا نفسر الروح ما هو
لما لا نعلم انهم ما ارادوا بالروح وهم قد علموا ما ارادوا وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالوا وانما سالوا ذلك عما فى كتبهم ليعلموا
صدقه فيما يدعى من الرسالة لما علموا ان غير الرسول لا يعلم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعضهم
اى ما اوتيتم من العلم الذى به مصالحكم وما جاءكم الا قليلا وقال بعضهم اى ما اوتيتم من العلم الذى انشاه والعلم الذى عنده
الا قليلا وهو هكذا انا لم نؤت من العلم الا علم ظواهر الاشياء وبادئها لم نؤت علم بواطن الاشياء وحقايقها وذلك انا نعلم ان
البصر يبصر والسمع يسمع واللسان ينطق واليد تقبض وتاخذ والرجل تمشى والعقل يدرك لكن لا نعلم المعنى الذى جعل فيه
به يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه ياخذ وبه يمشى وبه يدرك وكذلك نعرف هذه الجواهر التى نشاهدها ونعاينها بان هذا حار
وهذا نور وهذا كذا وكذا ولكن لا نعرف المعنى الذى صار هذا حارا وهذا نورا وكذلك كل جواهر واجناس فلا نعرف من العلوم التى
انشاها الله الا القليل منها ظواهرها واما الحقايق فلا وقوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك من يقول بان
الروح الذى سالوه عنه هو الوحى والقرآن الذى انزل عليه يحتج بهذه الاية وبقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله لما خرج ذكرها على اثر سؤال الروح فدل انه ما ذكرنا وقد ضل بهذه الاية فريقان الحشوية والمعتزلة
اما الحشوية فانهم يقولون ان القرآن والكلام هو صفة الله الذى هو لم يزل به موصوف وانه لا يزايله ثم يقولون القرآن فى المصاحف
بعينه وهو فى الارض وفى القلوب فقولهم متناقض لانه اذا كان صفته لا هو ولا غيره لا يجوز ان يكون فى المصاحف بعينه او
فى الارض وفى القلوب قال الشيخ ابو منصور رحمه الله اما الذى فى المصاحف هذا ما يفهم به ذلك وما يوافق به ذلك اصح
القرآن ويقال هذا حكاية عن ذلك واما المعتزلة فانهم ينكرون خلق افعال العباد ثم يقولون ان القرآن مخلوق فعلى زعمهم
يكون القرآن والكلام ما يكتب ويثبت ويحكى وذلك فعل العباد ثم يقولون انها لهو غير مخلوقة فذلك تناقض فى القول لهم
وعلى قولنا ما ذكر من الذهاب والمحى كله على المجاز اى الموافقة لا على الحقيقة كما يقال سمعت كلام فلان وقول فلان وكتبت حديث
فلان ونحوه فذلك كله على المجاز لا على التحقيق لانه لا يسمع قول فلان حقيقة ولا كلامه ولا حديثه ولكن يسمع صوتا يفهم
به قوله وكلامه وحديثه فعلى ذلك الاول يذهب بالذى يسمع ويكتب فاما حقيقة ذلك فلا يوصف بشئ من ذلك ويحتمل انه
اضيف المحى الى الذى يعرف منه ذلك ثم يحتمل قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ان يكون صلة قوله ويسالونك
عن الروح قل الروح من امر ربى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك حتى لا يظفر به والا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلم انه لو شاء لذهب بالذى اوحى اليه وقادر عليه وله رفعه وكذلك يعرف هذا كل مؤمن وان كانت الاية فى الابتداء فهو يخرج
على ذكر المنة والرحمة اى انه ان يرفع هذا الذى اوحى اليه ليعلموا ان ابقاء النبوة والوحى فضل منه ورحمة وكذلك الوحى اليه
فى الابتداء وبعثه رسولا اليهم فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه واستيجابا كقوله والله يختص برحمته من يشاء وقوله
كان ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اخبر ان النبوة له وما ارسل اليه اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه فعلى ذلك
ابقاء النبوة والوحى رحمة وفضلا منه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه احدها ما قالوا ان لا يختار الله احدا للرسالة
والنبوة الا من كان مستحقا لها ومستوجبا لذلك وقد اخبر انه بفضله واختصاصه ارسله رسولا وبفضله ورحمته ابقاها
وتركها بعدما اوحى اليه وارسله رسوله والثانى فيه ان له ان يفعل ما ليس هو باصلح لهم فى الدين حيث اوعدهم برفع ما اوحى
اليه وارسله واذهابه اياه ولا يوعد الا بما له ان يفعل ما وعد اذ لا يوعد بما ليس له الفعل فى الحكمة ثم لا شك ان ابقاء النبوة
وترك ما اوحى اليه اصلح لهم من رفعها وتركه اياهم خلوا عن ذلك دل انه قد يفعل ما ليس هو باصلح لهم فى الدين وفيه انه قد يكلف
خلقه التوحيد والايمان وان لم يرسل رسولا ولا اوحى اليه وحيا لانه معلوم انه لو لم يرسل الرسول ولا كانوا مكلفين فى انفسهم
لكان خلقهم اياهم عبثا ليتركهم سدى فدل انهم مكلفون بتوحيده ومعرفته وان لم يرسل ولا اوحى حيث اخبر ان بعث الرسل
وابقاها فضل منه ورحمة بقوله الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا وقوله الا رحمة من ربك اى ابقاء النبوة والوحى
رحمة من ربك وفضله ايضا فى ابقاء ذلك كبيرا وفيه ان الحفظ والنسيان وان كان من العبد فلله فيهما صنع به يحفظ
حيث قال ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك اخبر انه لو شاء لذهب بالمحفوظ فى القلب وينسيه دل ان له قدرة فى فعل
العبد وفى قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك وجه اخر من الحكمة وهو ان يعلم المؤمنون ان الفضل كله من الله لئلا
يروا لانفسهم فى ذلك فضلا ومعنى واليه يضيفون جميع ما يجرى على ايديهم من افعال الخير والطاعة والله اعلم وقوله عز وجل
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله يشبه ان يكون هذا صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن
بالذى اوحينا اليك ثم لو اجتمع الانس والجن على ان ياتوا بمثله ما قدروا عليه وقوله بمثله اى به كقوله ليس كمثله شئ اى

بيّن كهو شيء اذ لا مثل له فدل ان قوله لا ياتون بمثله اي لا يقدرون ان ياتوا به بعد ما عرفوه وعاينوه فلان لا يقدروا على اتيانه ابتداء قبل ان نظروا فيه وعرفوا مثاله اشد وابعد اذ نظم الشيء وتصويره بعد ما عاينوا الاشياء والصور اهون وايسر تصويرها ونظمها قبل ان يعاينوها ويشاهدونها وجائز ان يستدل بهذه الاية على انه كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا حيث قال لئن اجتمعت الانس والجن لانه لو لم يكن مبعوثا الى الفريقين جميعا لم يكن لذكرهما معنى وفائدة وفيه دلالة ان الجن من لسان العرب اذ لو لم يكن يذكروا ولكن ثم جائز ان يكون قوله لئن اجتمعت الانس والجن مع الجن او الانس مع الجن وهؤلاء على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقال بعض اهل التاويل انما ذكر هذا لقولهم انه سحر وانما يعلمه بشر وقولهم ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ومثله يقولون الافك والسحر وما ذكروا لا يكون الا من هذين من الجن والانس فاخبر انهم لو اجتمعوا على ان ياتوا بمثله ما قدروا عليه والدلالة على انهم عجزوا عن ذلك ولم يطع احد منهم ذلك الا سفيه اظهر الله سفهه وكذبه في القران حيث قال لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء لم يسال النشر ان كان هو حقا ولكن سال العذاب دل انه كان سفيها غاية السفه وان هذا الا اساطير الاولين ثم ارتاب فيه وشك بقوله ان كان هذا هو الحق من عندك والا لم يطع ولم يخطر ببال احد من الخلائق التكلف اذ ذاك دل انه اية معجزة من الله تعالى ثم اختلف في قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران قيل مثل نظمه ووصفه وقيل مثل حقه وصدقه ويحتمل مثل حججه وبراهينه ويحتمل مثل علمه وحكمته ويحتمل مثل احكامه واتقانه يحتمل قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله هذه الوجوه الخمسة التي ذكرنا ثم قوله بمثله يحتمل ما ذكرنا اي بالذي دفع وذهب به على التاويل الذي جعلناه صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ولئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران بالذي ذهب به ودفع لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على اتيانه وان كان على الابتداء فهو على المثل اي لا يقدرون على ان ياتوا بمثله على ما لم يقدروا عليه بعد ما فرغ سمعهم هذا فلو كان في وسعهم هذا لفعلوا ليخرج قولهم صدقا وقول الرسول كذبا فاذ لم يفعلوا ذلك ولم يتكلفوا دل انهم عرفوا ان ذلك من [illegible] انه معجزة خارجة عن وسعهم وقوله عز وجل ولقد صرفنا اي بينا ويحتمل ضربنا ويحتمل فرقنا للناس من كل مثل اي ذكرنا للناس مثلا على اثر مثل ومثلا بعد مثل ما لو تفكروا فيه وتاملوا لعرفوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب انفسهم وسفههم ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتاملوا وعاندوا وقوله عز وجل من كل مثل لا يريد كل الامثال ولكن ما ذكرنا من كل مثل لو تاملوا فيه وتفكروا لكان لهم معتبرا وفي قوله ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل يكون ما ذكر من تصريف الامثال وضربها للناس من وجوه ثلاثة احدها ضرب المثل لهذه الامة من شهد رسول الله وغيره من مكذبيهم ومصدقيهم بالامم الماضية ما ذا حل بالمكذبين منهم رسول الله من نقمته وعذابه وقد اخبر ان تلك سنة في المكذبين منهم وذكر ان سنة تلك لا تحول ولا تبدل وهي غير محولة ولا مبدلة لو لحقه من الامم والثاني يحتمل تصريف الامثال لهم ما بينهم وذكر ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم ما لو تاملوا فيها وتفكروا لادركوا ذلك والثالث يكون تصريف الامثال التي ذكر دعاء الى دين الله وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى هذه الوجوه الثلاثة يصرف جميع ما ذكر من الامثال في القران وقوله عز وجل فابى اكثر الناس الا كفورا يحتمل اي اكثر الناس الا كفورا بالامثال التي ضربها في القران وصرفها لهم او يقول فابى اكثر الناس الا كفورا

[illegible]

معاملة السفهاء اذا بلوا بهم ان كيف يعاملونهم معاملة رسول الله وقوله عز وجل قل سبحان ربي امره ان ينزه ربه من ان يكون لاحد الامر عليه والحكم والذي سالوه احكامهم منهم على الله وفي قوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ينزه ربه عن ان يملك سواه ما سالوه من نبات الجنة وغير ذلك ما ذكر في الاية والله اعلم وقوله عز وجل هل كنت الا بشرا رسولا اي هل كنت الا بشرا كغيري من الرسل الذين كانوا من قبل من البشر فلم ياتوا بمثل الذي تسالوني انتم من الاسولة او ان يسالوا ذلك فلم يجابوا كقوله ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وان يكون قوله هل كنت الا بشرا رسولا اي ليس الى الرسول بشيء انما على الرسول تبليغ ما ارسل وامر بتبليغه او يقول لا الى الا ما امرني ربي سبحانه وتعالى من ان يكون لعباده عليه احكام واختيار وقال ان عاشا لوني سوى تسبيح ربي وتنزيهه وقوله قل سبحان ربي اي تعاظم ربي وتعالى من ان يكون لعباده عليه احكام واختيار وقال ينبوعا والعيون الينبوع العين والينابيع جمع والكسف القطعة والكسف جمع وقال بعضهم الكسف بالجزم عذابا وكسفا مثقل قطعا والله اعلم وقوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي اذ جاءهم الرسول بالهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقال في سورة اخرى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين لكن هذا على الاياس عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند معاينتهم باس الله والايمان في ذلك الوقت لا يقبل ولا ينفعهم واما قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا فيخرج هذا القول منهم مخرج الاحتجاج لو شاء الله ان نؤمن لانزل ملائكة كقوله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فيه موضع الشبهة لهم ان يقولوا هو بشر فليس هذا اولى بالرسالة الينا من ان يكون نحن رسلا اليه فذلك موضع الشبهة فاجابهم ذلك لما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول اليهم من جوهرهم وجنسهم فقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين اي مقيمين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ثم اختلف فيه قال بعضهم لو كان في الارض ملائكة اي لو كان سكان الارض من ملائكة فبعث اليهم رسولا منهم اكان لهم ان يقولوا ابعث الله ملكا رسولا اي ابعث الله الينا من جوهرنا اي ليس لهم ان يقولوا ذلك فعلى ذلك اذا كان سكانها البشر ليس لهم ان يقولوا ابعث الله الينا من جوهرنا رسولا والثاني لو كانت الارض سكانها الملائكة وهم سكانها لكان لهم ان يقولوا ابعث الله بشرا رسولا من غير جوهرنا فاما اذا كانت الارض سكانها البشر وهم سكانها فليس لهم ان ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم لانهم لا يعرفون الملائكة ولا من كان من غير جوهرهم ويعرفون من كان من جوهرهم فبعث الرسول من جوهرهم اولى بهم من غير جوهرهم او يقول لو كان في الارض ملائكة وبشر فعرفوا الملائكة لكان لهم ان يسالوا رسولا من الملائكة لما امر قوم فاما اذا كان سكان الارض ليسوا الا البشر فليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم لم يعرفوا قوى الملائكة ولا قوى الجن وقد عرفوا قوى البشر فيعرفون الايات والحجج من التمويهات اذ عرفوا قواهم ولم يعرفوا قوى الملائكة والجن فلا يعرفون ما اتاهم انها ايات وحجج اذ كان ذلك بقواهم ويعرفون ذلك من البشر انها خرجت من احتمال وسعهم وقواهم وبعد فانهم قد انكروا رسالة البشر لانهم لا يعرفون الملائكة الا بخبر من البشر انه ملك فلم يكن معهم خلط لبعض قوم وانما يعرفونهم بخبر من البشر انه ملك فليس لهم ان ينكروا رسالة البشر واصله ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لما ذكر انهم لا يعرفون الملائكة ومن كان من غير جوهرهم فلا بد من ان يكون رجلا وكان في ذلك تلبيس عليهم على ما اخبر والله اعلم وقوله عز وجل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم قال بعضهم كفى بما اقام الله من الايات والحجج على رسالتي واني رسول اليكم اذ كان ذلك من قول كان منهم اولئك الكفرة من انكار الرسالة وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلك على الاياس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا الاية وقوله عز وجل انه كان بعباده خبيرا بصيرا يذكر هذا والله اعلم بانه عن علم باجابتهم وردهم بعثه اليهم رسولا لا عن جهل باحوالهم وليس فيما يعلم انهم يردون ولا يجيبون رسالته خرج عن الحكمة لانه ليس في اجابتهم منفعة للرسل ولا في ردهم ضرر له انما المنفعة في الاجابة لهم وفي الرد الضرر عليهم لذلك لم يكن في بعث الرسل على علم منه بالرد خروج عن الحكمة لانه في الشاهد انما يبعث الرسول لمنفعة تاتي ويصل اليه او دفع ضرر عنه فاذا علم انه يرد رسالته ولا يجيب كان في وقت بعث الرسول اليه بعد علمه بالرد خروج عن الحكمة او يخرج قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا على الوعيد وكذلك امثاله وان احتج علينا بعض المعتزلة بقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يقولون له منعنا القضاء والقدر اذ من قولكم ان ما يفعل الانسان من فعل معصية او طاعة فانما يفعل بقضائه وتقديره فيكون لهم الاحتجاج عليه بان يقولوا منعنا قضاؤك وتقديرك لكن هذا فاسد لانهم لا يعقلون ذلك وهم ما يفعلون عند وقت فعلهم لانه قضى ذلك وقدر ولو جاز لهم هذا الاحتجاج لانه كذلك قضى وقدر فانا كانوا عند انفسهم لا يفعلون ما يفعلون لانه كذلك قضى عليهم وقدر لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك لان القضاء والقدر لم يضطرهم الى ذلك ولا قهرهم عليه بل كان منهم مختارا لذلك لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك لان القضاء بهذا اشبه بالقضاء والقدر لكان لهم الاحتجاج عليه ايضا بالعلم اذ لا شك انه علم ذلك منهم فاذا لم يكن الاحتجاج عليه بما علم منهم ذلك اذ لا يقدرون ان يفعلوا غير الذي علم منهم فعلى ذلك لم يكن الاحتجاج عليه بالقضاء والقدر لما علم انه يختار ذلك ويؤثره على ضده لجاز ذلك لهم بالعلم ونحوه دل ان ذلك ليس بشيء لما قضى ذلك عليهم وقدروا اذا كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون وقت فعلهم لما كذلك قضى عليهم فلم يكن الاحتجاج لهم عليه بذلك انما القضاء والقدر لم يمنعهم عن ذلك لما لا يضطرون على ذلك وانما قضى ذلك لما علم انهم يفعلون ويختارون ذلك لذلك كان ما ذكرنا وكذلك كل من قضى في الشاهد على اخر انما يقضي لما سبق منه العلم به وقوله عز وجل ومن يهد الله فهو المهتد كان

يباين القدر

من وفق الله لقبول ما كان من الهدى وعصمه عما وسوس اليه الشيطان فهو المهتدى عند الله وعند من عقل الهدى ومن يضلل اى من خذله ولم يعصمه حتى يقبل من الشيطان ما جاء من وساوسه فهو ضال فلن تجد لهم اولياء من دونه يحتمل لن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم لدينهم ويوفقونهم او لن تجد لهم اولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم ما نزل بهم من العذاب والله اعلم وقوله عز وجل ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما قال الحسن يحاسبون حتى يعلمون سوء صنيعهم الذى صنعوا فى الدنيا ثم يحشرون الى جهنم ما ذكر عميا وبكما وصما او كلام نحو هذا ثم يحتمل قوله الذين يحشرون ما ذكر فى اية اخرى يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب الاية انما يتقى بوجهه لما يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم وقوله عميا وبكما وصما هذا يحتمل وجهين احدهما اسماع عميا وبكما وصما الذهاب منافع هذه الحواس ولذاتها فى الاخرة ليس على حقيقة ذهابها لكن حال بينها وبين الانتفاع بها ما ذكر لهم من فوقهم ظلل الاية فتلك الظلل تحول بينها وبين رؤية الاشياء وسماع فى الدنيا عميا وبكما وصما ليس على حقيقة ذهاب عينها ولكن لما لم ينتفعوا بهذه الحواس فى الدنيا ولم يستعملوها فيما امروا استعمالها نفى ذلك عنهم فعلى ذلك فى الاخرة ويحتمل على حقيقة ذهاب اعين هذه الحواس عقوبة لما لم يستعملوها فى الذى لما له خلقت كقوله لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل ماويهم جهنم اى مقامهم جهنم واليها ياوون وقوله عز وجل كلما خبت زدناهم سعيرا قال يحتمل هيهنا من غير ان يذهب ويجيء ما اصابهم ثم يزداد لهم سعيرا قال بعضهم كلما خبت اى نضجت جلودهم وسكنت النار زدناهم سعيرا اى نعود بنار على ما كان وجعلت تلتهب وتستعر كقوله كلما نضجت جلودهم وقال بعضهم وذلك ان النار اذا اكلتهم فلم يبق منهم غير العظام وصاروا حمما سكنت النار فهو الخبت ثم بدلوا جلودا غيرها حتى لما تكون وقودا لها والله اعلم وكله واحد وقال بعضهم كلما خبت اى كلما احرقتهم النار فصاروا رمادا خلقوا لها خلقا جديدا فتعاودهم النار فتحرقهم وذلك قوله زدناهم سعيرا وهو قول الله لا تبقى ولا تذر لا تبقى منهم شيئا الا اخذته حتى تحرقهم وقوله عز وجل ذلك جزاؤهم اى ذلك الذى ذكر جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ثم قال اولم يروا اى ولم يعتبروا ولم ينظروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم هذا الاعتبار يحتمل وجهين احدهما انكم تقرون ان الله هو خالق السموات والارض وخالقكم فخلق السموات والارض على الابتداء وخلق سائر الخلائق على الابتداء بلا احتذاء فتقدم وسبق اعظم واكبر من خلق من دونه فمن قدر على انشاء ذلك فهو على انشاء امثالكم واعادتكم اقدر واعادة الشىء فى عقولكم اهون وايسر من ابتدائه والثانى تعلمون انه خلق السموات والارض وخلقكم ايضا فلم يخلقهما للفناء خاصة اذ خلق الشىء للفناء خاصة لا لعاقبة عبث ولعب فدل انه خلقكم وخلق السموات والارض لعاقبة وهى البعث وعلى ذلك يخرج قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه انه كائن لا محالة وجائز ان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال وجعل لهم اجلا لا يتقدم عنه ولا يتاخر وان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه الموت الذى به ينقضى اجالهم لكنهم لم يخلقهم للموت خاصة ولكن لعاقبة وهو ما ذكرنا وقال القتبى خبت اى سكنت يقال خبت النار اذا سكن لهبها والخبو فاذا سكن لهبها ولم يطفا الجمر قلت خمدت تخمد خمودا فاذا طفئت ولم يبق منها شىء قيل همدت تهمد همودا وقوله عز وجل زدناهم سعيرا اى نارا تتسعر اى تتلهب وقال ابو عوسجة السعير النار يقال سعرت النار اذا اوقدتها ويقال نار مسعورة اى موقدة وقوله عز وجل فابى الظالمون الا كفورا اى كفرا بالبعث الظالمون ههنا هم الكافرون ولو قال فابى الكافرون الا ظلموا لكان واحدا وقوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق يحتمل الاية وجوها وقال بعضهم هى صلة ما تقدم من سؤالهم وهو قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف وقوله او تكون له جنة ياكل منها كانوا يسالون هذه الاشياء على التعنت والعناد والاستهزاء فاخبر انه وان اعطاهم ما سالوا لا ينفقون بل يمسكون عن الانفاق ومن سنته انه اذا اعطاهم ما سالوا على السؤال فتركوا الايمان به والوفاء انه يهلكهم فاخبر انهم يسالون سؤال تعنت لا سؤال ما ينتفعون بها وفى الاية اثبات الرسالة وهو ما بين عن بخلهم وامساكهم عن الانفاق وقال بعضهم قوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق فى قوم خاص علم الله انهم لو اعطوا ما سالوا لم يفعلوا ما ذكر لا فى كل منهم وهو كقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون الاية وكقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية كان فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون فعلى ذلك الاول ويحتمل ان يكون الاية فى قوم ضمنوا لله الانفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك ان وسع عليهم فاخبر انهم لا يؤمنون بما عاهدوه وضمنوا كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الاية ويحتمل ان يكون هذا اخبارا منه عن طبع الخلق وعادتهم وذلك انهم لما استكثروا من الاموال وجمعوا يزداد لهم بذلك حرص على جمعها وبخل على التوسيع والانفاق لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار هذا المعروف فى الناس فاخبر انهم يمسكون عن الانفاق والتوسيع اذا ملكوا ما ذكر على ما طبع الانسان بالبخل والتضييق عند الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان قتورا يحتمل ان يكون هذا صفة كل كافر وكذلك قوله ان الانسان خلق هلوعا ومنوعا

يكون عادتهم البخل والجزع عند المصائب وجائز ان يكون هذا صفة كل انسان فى الابتداء هكذا يكون ثم بالامتحان والتجربة يكونون اسخياء صابرين او يكون يخبر انهم لو ملكوا واعطوا جميع ما يرزقون فى عمرهم على التفاريق بدفعة واحدة يجمعونها هم لامسكوا عن الانفاق خشية الفقر فى اخر عمرهم اذ لا يعلمون الى ما ينتهون من اجالهم فيحملهم ذلك على البخل والامساك ويذكر لما اجبلهم ويذكر لما انه جبلهم وانشاهم على الامساك والمنع فى الابتداء وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك ترى الصبيان والصغار من الاولاد يمنعون ما فى ايديهم عن غيرهم وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك هذا معروف فيهم وانما جبلهم وانشاهم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع والبذل والتضييق والا كانوا فى اصل خلقتهم وابتداء انشائهم على ما ذكرنا اشحة بخلاء وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا وجزوعا وكان الانسان عجولا انشاهم جزوعا عن الالم والمصائب غير صابرين عليها وكذلك انشاهم عجولا لا يصبرون على امر واحد ولا حال واحد ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة فعلى ذلك قوله وكان الانسان قتورا اى طمعا بخيلا ممسكا مضيقا والله اعلم ثم ترك ذلك واعتياد ذلك وخلافه وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هذا والله اعلم فيما اتاه من الايات وامره ان يحاج بها فرعون والا كانت ايات موسى عليه السلام اكثر من تسع كانها تبلغ عشرين وتزداد عليه اذ كان فى عصاه اربع من الايات احدها حيث ضرب بها البحر فانفلق وحيث كان يضرب بها الحجر فينفجر منه عيونا وحيث القاها فصارت ثعبانا وحيث كانت تلقف حبالهم وعصيهم وامثاله كانها تبلغ الى ما ذكرنا لكنه ذكر تسع ايات بينات التى امر ان يحاج بها فرعون وقومه وقوله عز وجل بينات انها من عند الله جاءت وانها ليست من البشر وانها سماوية او بينات اى مبينات ما يبين صدق موسى فى جميع ما يخبر ويقول ويبين عدله فى حكمه وفعله لانه فى ايات الرسل يحتاج الى هذا ان تبين لنا صدقهم فى قولهم وعدلهم فى حكمهم لانهم يدعون الى عبادة الله والطاعة له وذلك يوجب على كل عقل وطبع سليم فلا حاجة الى الايات ليثبت الا لصدقهم وعدلهم فى حكمهم ثم اختلف فى الايات قال بعضهم العصا واليد والبحر والطمس والحجر التى ذكر فى سورة المص وهو قوله فارسلنا عليهم الطوفان وقال بعضهم الخمس التى ذكر فى سورة المص والعصا والموت الذى ارسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق البحر وقال بعضهم انما الخمس التى ذكر فى سورة المص واليد وحل العقدة التى بلسانه وفى العصا ايتان وقال ابن عباس رضى الله عنه العصا واليد والسنون ونقص من الثمرات ثم منهم من يجعل السنين ونقصا من الثمرات اية واحدة ومنهم من يجعلها اثنين وكذلك العصا منهم من يجعلها اية واحدة ومنهم من يجعلها ايتين ومنهم من يعد الطمس ومنهم من لا يعد ويجعل العصا اية واحدة والسنين ونقصا من الثمرات اية واحدة والطمس اية والخمس التى ذكرت فى سورة المص فتكون ثمانيا فيكون التاسعة قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لانه قال لقد علمت انها ايات ولم يكذبه فرعون ولم يستقبله بشىء يكذبه فى قوله وهو ما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اخبر انهم جحدوا بها بعدما استيقنوا انها ايات وانها ايات وحجج ظلما وعلوا وما روى صفوان بن عسال المرادى انه قال ان يهوديين اتيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع ايات التى ذكر انه اتاها موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرفوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان فيقتله ولا تاكلوا الربوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت قال فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبى الله فقال عليه الصلوة والسلام فما يمنعكما ان تسلما قالا انا نخاف ان اسلمنا يقتلنا اليهود فان ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز ان يعدل المغير من الناس قيل والله اعلم وقوله عز وجل فاسال بنى اسرائيل اذ جاءهم يعنى موسى صلوات الله عليه قال بعضهم امر رسولنا صلى الله عليه وسلم ان يسال بنى اسرائيل الايات التسع التى كانت فى كتبهم على التقرير عندهم انه انما عرف ذلك بالله وانه رسول لانه علم انه كان تلك الايات فى كتبهم بغير لسانه وكان لا يخط بيده ولا كان اختلف الى احد منهم ليعرف ذلك فدل انهم علموا انه انما عرف ذلك بوحى السماء وقال بعضهم ليس هو على الامر ان يسالهم ذلك ولكن لو سالتهم لاخبروك عنها كقوله فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون الاية وقوله عز وجل انى لاظنك يا موسى مسحورا فى عقلك اى سحرت والمسحور هو المغلوب فى العقل وقوم تنتقص لانهم قالوا مرة ساحر ومرة مسحور فالساحر هو الذى يبلغ بالبصيرة غايته والمسحور المغلوب وقوله عز وجل قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر علمت بالرفع والنصب جميعا قوله علمت بالنصب والرفع جميعا معا قد قرئا وامكن ان يكون قال فى ابتداء الامر قد علمت ما انزل هذه الايات الا رب السموات والارض وقال فى اية اخرى لما اتى عليه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ما يبصر بها الحق من الباطل من لم يعاند ولم يكابر وقوله عز وجل انى لاظنك يا فرعون مثبورا قال موسى عليه السلام لفرعون انى لاظنك يا فرعون مثبورا مقابل ما قال له فرعون حيث قال انى لاظنك يا موسى مسحورا قال بعضهم مثبورا هالكا وقيل ملعونا وقال بعضهم مبدلا ويحتمل قوله لاظنك يا فرعون مثبورا اى تدعو على نفسك بالثبور وهو الهلاك كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا اى هلاكا والظن يكون فى موضع الظن ويكون فى موضع العلم وقوله عز وجل فاراد فرعون ان يستفزهم من الارض قال اهل التاويل

اراد ان يخرجهم ويستخفهم من الارض اى ارض مصر لكنهم قد كانوا خرجوا طايعين قبل ان يخرجهم من حين امر موسى
باخراجهم بقوله واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ليلا انكم متبعون الاية فيكون تاويل قوله فاراد ان يخرجهم من الارض
بالقتل والهلاك من الدنيا الاترى انه قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها اراد ان
مشارق الارض والا فقد كانوا هم قد خرجوا من ارضه على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل فاغرقناه ومن معه جميعا هو
ما قال في اية اخرى فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا الاية وقوله عزوجل وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اى بعد هلاك فرعون
لبنى اسرائيل اسكنوا الارض اختلف فيه قال بعضهم قوله اسكنوا الارض ارض مصر الذى كان يسكن فرعون وهو كقوله و
واورثكم ارضهم وديارهم وقال بعضهم اسكنوا الارض ارض الشام والارض المقدسة كقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التى كتب الله لكم وقال بعضهم اسكنوا الارض ليس في ارض دون ارض ولكن اسكنوا اى ارض شيتم مشارقها ومغاربها
امنين لا خوف عليكم على ما اراد ان يخرجكم من مشارق الارض ومغاربها بالقتل كقوله واورثنا القوم الذين كانوا الاية
وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وعلى هذا قال في قوله فاذا جاء وعد الاخرة بعث عيسى بن مريم جئنا بكم لفيفا اى جميعا و
مجتمعون من مشارق الارض ومغاربها على ما تفرقوا وقال بعضهم فاذا جاء وعد الاخرة يعنى خروج عيسى ونزوله من السما
جئنا بكم لفيفا اى جميعا النزاع من القرى ههنا وههنا لفوا جميعا وهو مثل الاول واما عامة اهل التاويل فانهم قالوا
فاذا جاء وعد الاخرة يوم القيامة جئنا بكم لفيفا اى جميعا انتم وفرعون وجنوده حتى يروا كرامتكم التى اكرمتم بها ويروا
هوانهم وقوله عزوجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل قال الحسن ان في القران حكما وانباء وحكمه عدل وانباؤه صدق وحق وهو
كقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا فيما فيه من الانباء وعدلا فيما فيه من الحكم فبذلك الحق الذى فيه من الحكم العدل
والانباء الصدق انزله ويقال الصدق في الاخبار والانباء والعدل في الاحكام والحق وقوله عزوجل وبالحق نزل اى بذلك
الحق الذى فيه دام وبقى فيكم اوكلام نحو هذا ويحتمل قوله وبالحق انزلناه اى بالحق الذى لبعضهم على بعض وبالحق نزل اى بذلك
الحق الذى لله على خلقه دام واستقر وبالحق الذى لبعضهم على بعض ثبت واستقر واصله ان قوله وبالحق انزلناه وبالحق
الذى نزل الحق اسم كل محبوب محمود والباطل اسم كل مكروه ومذموم فمن اتبعه صار محبوبا محمودا ومن خالفه وترك اتباعه
صار مذموما ان يكون قوله وبالحق نزل اى لم ياته التغيير والتبديل وقوله عزوجل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اخبر انه
لم يرسله الا للبشارة والنذارة لكن هذا في حق الرسالة لم يرسله الا لهذين اللذين ذكر والا فقد كان امتحنه في نفسه بحق كثير
فلم يكن في جميع الاوقات مشغولا بهذين خاصة لكنه في حق الرسالة لم يرسله الا للبشارة والنذارة اى لم يرسلك حافظا ولا
وكيلا ولا مسلطا عليهم بل ارسلك لتبليغ الرسالة اليهم ثم للبشارة والنذارة وهما امران يكونان في كل قبل الامور التى
تكون عاقبة كل محبوب ومحمود والنذارة عاقبة كل فعل مكروه ومذموم ثم لقايل ان يقول في قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
البشارة لمن اجابه فيما امره به ودعاه اليه والنذارة لمن ارتكب ما نهى عنه فكيف لا دل هذا على ان النهى يوجب الحظر والتحريم حيث
الحق النذارة بارتكاب ما نهى عنه قيل ان النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم والبشارة عاقبة كل محبوب ومحمود فيكون ذلك في
الاداب وغيرها ولان الرسل لم يبعثوا الا لتغيير مناكير وفواحش ظهرت في الخلق وغيره من الفواحش والمناكير لم يبعثوا الصغاير
ظهرت فيهم ثم دخل الصغاير والاداب فيما ارسل بها والا كان سبب ارسالهم الكباير والفواحش فاذا كان ما ذكرنا كان في النهى نهى
ادب ونهى حتم وحكم وبعد فان الله تعالى قد اخبر انهم قد بعثوا عن كثير من السيات وما عفو عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد والله اعلم
وقوله عزوجل وقرانا فرقناه بالتخفيف والتثقيل فرقناه قال بعضهم فرقناه بالتخفيف اى احكمناه وبيناه حتى لا ياتيه الباطل من
من بين يديه ولا من خلفه وقال بعضهم فرقناه وقطعناه في الانزال سورة فسورة واية فاية على ما انزل التنزيل على الناس على مكث
فهو والله اعلم لوجوه احدها ما ذكر قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك فاخبر عزوجل انه
انما انزله بالتفاريق ليثبت به فوادك فاخبر لان ذلك اثبت في القلب وايسر في الحفظ والثانى انزله بالتفاريق على قدر النوازل ثم
ليتجدد لهم البصيرة ويزداد لهم الحجة بعد الحجة ولو كان جملة لم يكن ليتجدد لهم ذلك ولا يزداد لهم البصيرة او ان يكون انزله بالتفاريق
للتنبيه ليثبتهم في كل وقت ويعظهم في كل حال اذ ذلك انبه لهم واوعظ من ان يكون منزلا جملة واحدة الاترى ان الاية واذا دامت
تكون في التنبيه اقل واذا كانت منقطعة في الاوقات كانت اخوف وانبه نحو كسوف الشمس بالنهار صار بالدوام غير مخوف ولا منبه
لهم للدوام وكسوفها بالنهار صار تنبيها للانقطاع فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عزوجل قل امنوا به اولا تومنوا ظاهر هذا خرج على
التخيير لكن المراد منه يخرج على حتم المواعظ وتاكيد الوعيد وتغليظ وكذلك قوله اعملوا ما شيتم ظاهره على التخيير لم يفهم منه على ما خرج
ظاهره لكن فهموا منه تاكيد الوعيد وحتم الوعظ وكذا المعروف في الشاهد ان انسانا لو امر اخر بامر ووعظه مرارا فلم ينجع فيه يقول له
ان شيت فافعل وان شيت لم تفعل على ان فعلت او لم تفعل فانما ضرر ذلك عليك ان تركته ونفعه يرجع اليك لو فعلت فعلى ذلك قوله
قل امنوا به او لا تومنوا فلا ضرر علينا في ترككم الايمان به ولا يرجع نفعه الينا لو امنتم به انما نفعه لكم وضرره عليكم ان شيتم فعلتم وان شيتم

لم تفعلوا

تفعلوا فهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وكقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية ونحو ذلك مما يخبر ان كل من عمل خير فلنفسه
او عمل شرا فعلى نفسه ضرر ذلك فهذا ينقض على اصحاب الظواهر حيث قالوا يفهم من الخطاب ظاهره لا يتعدى عن ظاهره حيث لم يجب ان يفهم
من قوله قل امنوا به او لا تومنوا التخيير لكن فهموا الوعيد والوكيل الغليظ وحتم المواعظ فان قيل ما الحكمة في لزوم الامر والنهى ونفعه انما كان ما يامرنا
وينهانا لمنافع انفسنا ولضرر على انفسنا ومنهم يعمل في الشاهد لنفسه ولا سعى لنفع نفسه قيل لان نعمه علينا ولا مواخذة قيل في الحكمة ان يوجب
علينا السعى في فكاك انفسنا ودفع الهلاك عن انفسنا وفي امره ايانا امر بالسعى في فكاك انفسنا ودفع الهلاك عنها وحاصل امره ونهيه
يكون المنفعة لنا لا له وكذلك الضرر وعلى ذلك يخرج قوله وما ظلمناهم الاية وعلى ذلك يخرج دعاء ادم عليه السلام وغيره ربنا ظلمنا
انفسنا الاية وقوله عزوجل ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وهذا ايضا ينقض على اصحاب الظواهر
لانه لا كل من اوتى العلم منهم يخر للاذقان على ما خرج ظاهره فدل ان الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع السمع ولكن على ما توجبه الحكمة ثم
قوله ان الذين اوتوا العلم اى ان الذين اوتوا منفعة العلم يخرون للاذقان سجدا ثم يحتمل قوله يخرون للاذقان سجدا على التمثيل ليس على
حقيقة الانقلاب على الاعقاب ولكن على التمثيل الرجوع وترك الحق فعلى ذلك الاول وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم على ترك العمل
به ويحتمل ان يكون السجود كناية عن الصلوة اى يصلون لله ويحتمل ان يكون على حقيقة السجود خضوعا لله سجدا اذا تتلى عليهم ايات الله
وحججه وهو كسجود سحرة فرعون حين ما راوا ايات الله وحججه وهو كقوله فالقى السحرة ساجدين فعلى ذلك يحتمل سجود هولاء والله اعلم
وقوله عزوجل ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا قالت المعتزلة فيه ان كان وعد ربنا لمفعولا اى قد كان موعود ربنا مفعولا وكذلك قوله وكان
امر الله مفعولا وكان امر الله قدرا مقدورا اى كان ما يامر به كائنا مفعولا اى قد كان ما ياتى ووعده مفعولا وهو ما ذكرنا كان
مفعولا وقوله عزوجل ويخرون للاذقان يبكون فان كان الناس من السجود الصلوة ففيه دليل لقول ابى حنيفة رحمه الله ان
المصلى اذا بكى في صلوته خوفا على نفسه وانسانا ادرسوا على ما انعم الله عليه واكرمه دينه لم تفسد صلوته وانما كان البكاء للتسلى مما
حل به من الشدايد والبلايا تفسد صلوته واصله ان البكاء اذا كان لله فهو لا يفسد الصلوة وان كان للدنيا او لحاجة نفسه فهو يفسد
وقوله عزوجل ويزيدهم خشوعا اى يزيد ما يتلى عليهم من القران خشوعا او خضوعا لهم او الايات وقال الحسن الخشوع هو الخوف الدايم في القلب
وقوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ذكرها هنا والله اعلم ان العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة من
السما ولا يومنون بها وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به وكذلك غيره من الاسماء لما لا سبيل الى معرفة ذلك اما بالسنة الرسل والانبياء
واما بالكتب المنزلة من السماء فاذا لم يومنوا بالرسل ولا عرفوا الكتب حملهم ذلك على الانكار والجحود لاسمايه ولذلك قالوا وما الرحمن وقوله
وهم يكفرون بالرحمن اى يكفرون بذكر الرحمن واسمه لما ذكرنا وان يكونوا انكروا اسم الرحمن لما لم يعرفوا انه ماخوذ من الرحمة واما الله فهم يسمون
كل معبود الها وعلى ذلك سموا الاصنام التى كانوا يعبدونها الهة ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهولاء شفعاونا عند الله فيسمون
الله لما هو المعبود عندهم ووجهت عبادتهم الاصنام الى الله حيث زعموا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطلبون بعبادتهم الاصنام القربة
الى الله لذلك انكروا وغيره من الاسماء على ان العرب لم ينكروا التسمية لواحد اسمين واكثر وعرفوا ان اختلاف الاسماء وكثرتها لا توجب اختلاف
المسمى به ولا اوجب عددا منه وان ما قالوا انه كان يدعوا حتى الان الى عبادة واحد فالساعة يدعوا الى عبادة اثنين واكثر انما قالوا
على التعنت والعناد ولا قد عرفوا التسمية لواحد اسمين واكثر لكنهم انكروا لله ذلك لما ذكرنا تعنتا منهم وعنادا على هذا يجوز ان يتاول الاية هو
والله اعلم ثم اختلف في تخصيص ذكره بهذين الاسمين قال بعضهم وجه تخصيصهما لانهما اسمان مخصوصان له لا يجوز ان يسمى غيره بهذين الاسمين
واما غيرهما من الاسماء فانه يجوز ان يسمى غيره بها وقال الحسن خص بذكرهما لانهما اسمان معظمان عند الخلق ما لم يجعل لغيرهما من الاسماء من التعظيم
ما جعل لهذين وقال ابو بكر الاصم خص بذكر هذين لان غيرهما من الاسماء اسماء اخذت عن صفات واما هذان فليسا اخذا عن صفة وقال الزجاج
الرحمن هو ماخوذ من الرحمة الا انه النهاية في الرحمة لانه فعلان وهو ما يقال غضبان اذا انتهى غضبه غايته والا قوله الرحيم والرحمن كلاهما
من الرحمة الا ان الرحمن فعلان والفعلان هو النهاية من وصف الرحمة لما ذكرنا وغيره من الخلايق لا يبلغون في الرحمة ذلك المبلغ لذلك
خص بذكر الرحمن دون الرحيم وهذا كله واحد ليس فيه خلاف واصله ما ذكرنا لا يشرك غيره في هذين ويجوز في غيره وقوله عزوجل
فله الاسماء الحسنى اى اسماؤه التى يسمى بها كلها الحسنى ليس شىء منها قبيحا او ان يكون قوله فله الاسماء الحسنى اى كل افعال الصالحة
وامور حسنة له اى تنسب اليه ويضاف ولا يجوز ان يضاف وينسب ما قبح منها وقبح واصله ما ذكرنا اليه ينسب اليه كل حسن وكل
صالح على الاشارة والتسمية به وهو ما يذكر التحيات لله والصلوات والطيبات الاخر ينسب اليه كل طيب وكل حسن وقوله
عزوجل فله الاسماء الحسنى هذا يحتمل وجهين احدهما له اسماء حسنة يسمى بها والثانى ان كل حسن يسمى به وكل حسن منسوب اليه
وقوله عزوجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اختلف اهل التاويل فى ذلك قال بعضهم قوله لا تجهر بصلوتك
اى لا تجعل صلوتك في مكان غيظا للمشركين ولا تخافت بها اى ولا تسر عن اصحابك فتخفى عليهم لكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال
بعضهم لا تجعل كل صلوتك في جماعة ولا تخافت بها ولا كلها في غير جماعة وابتغ بين ذلك سبيلا ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا
بالجماعة وقال بعضهم لا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اى لا تجاوز الحد في الامور والاعمال التى امرتك بها ولا تقصر عن الحد الذى حددت لك

فيها ولكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم ولا تجهر بصلاتك مرات للناس ولا تخافت بها اى ولا تجب بها الاخفاء وجايزان
يكون قوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت لها اى لا تجهر بجميع الاذكار التى فى الصلوة او بجميع القراءة التى فيها ولا تخافت بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمخافتة وقال بعضهم انه كان يجهر فى صلوته بحيث يسمعه المشركون فيوذونه فامروا ان لا يجهر بها لئلا
يوذوه ولا تخافت كل المخافتة فيسمع اصحابك فياخذوا قراءتك وقال بعضهم ذلك فى الدعاء الى الله وتوجيه فى حق التبليغ ولكن
امثاله ولكن لا يجوز ان يقطع التاويل فى هذا وامثاله فيقال انه كان كذا الا بخبر منه ثابت لان الخطاب بخطاب له فتقطع
التاويل فيه والقول على شىء واحد شهادة على الله وعلى رسوله ولا يحل الشهادة على الله ولا على رسوله الا بالاحاطة انه اراد ذلك والله
اعلم **وقوله** عز وجل وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ذكر فى هذه الاية جميع ما يقع بالحاجة الى التوحيد
لان من نفى التوحيد وانكره انما نفى لاحد الوجوه التى ذكر منهم من قال له بالشريك وهم مشركوا العرب ومنهم من قال له بالولى والعون من
الذل وهم الثنوية وغيرها حيث قالوا انشاء هذا النور ليستعين به على التخلص من وثاق الظلمة فنزه نفسه وبراها عن جميع ما
قالوا فيه ونسبوا اليه لان الولد فى الشاهد انما يطلب للتلهى واما للاستيناس والله يتعالى عن ان يقع له الحاجة الى ذلك
ويتعالى عن ان يكون له شريك لان الشركاء فى الشاهد انما يتخذ للمعونة والتفرق بهم على بعض ما هم وما فيه والولى من الذل انما
فى الشاهد للاستنصار والاستعانة على اعدائه والله يتعالى عن ان تقع له الحاجة الى شىء من ذلك فنفى عنه جميع معانى الخلق وجميع
ما ينسب اليهم ويضاف ويصفون به **وقوله** عز وجل وكبره تكبيرا اى وصفه بما وصف نفسه وانف عنه جميع معانى الخلق وتكون
فى ذلك تعظيمه وتكبيره او يقول اعرفه بما ذكر فانا عرفت هكذا فقد عظمته وكبرته والولد فى الشاهد انما يتخذ ويطلب لوجهين
احدهما للتسلى به والاستيناس عن وحشة او الحاجة تمسه فيستعين به على قضائها او الذل يخاف من عدو له فيستنصر به على
عليه والله يتعالى عن ان يصيبه شىء من ذلك وقوله ولم يكن له ولى من الذل اى لم يتخذ الاولياء ليستعز بهم من الذل بل انما
اتخذ اولياء رحمة منه وفضلا ليتعززوا هم بذلك ويكونون عظماء وذكر لم يتخذ ولدا وقد خلق الاولاد والخالق يعلم ان ليس فى خلق
الشىء ما يصلح ان يتخذ لنفسه **وقوله** ولم يكن له شريك فى الملك ولو كان على ما تقوله المعتزلة لكان له شريك فى الملك على قولهم لانهم
يقولون ان الله لم يرد لاحد من الكفرة الملك لهم وانما اراد اولادا وليائه فعلى قولهم صار الفراعنة شركاءه فى الملك حيث لم يكن ما
اراد هو وكان ما ارادوا هم والله اعلم . والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب تاويل الحمد ههنا وفى امثاله والله اعلم اى حق الحمد للذى منه وصلت الى كل احد نعمة اى
انها وان وصلت على ايدى من وصلت الى كل من وصلت فان حق الحمد والثناء له فى تلك النعمة وان حمد من دونه ذلك لا من الذى وصلت
على يديه وان الذى وصلت على يديه كالمستعمل له فحق الحمد والثناء له لا من دونه وان يكون قوله الحمد لله اى قولوا له الحمد والثناء لانه فى جميع
ما ذكر الحمد له الحق به شيئا اما قدرته وسلطانه واما نعمه التى انعم على الخلق كقوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض الاية والحمد لله فاطر
السموات والارض الاية والحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ونحوه وقوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ما ذكر الحمد لنفسه والثناء الا ذكر
على اثره ما قدرته وسلطانه واما نعمه فما كان المذكور على اثره النعمة فهو يستادى به شكره وان كان الملحق به القدرة والسلطان
فيخرج القول منه مخرج الامر بالتعظيم له والهيبة والاجلال والله اعلم **وقوله** انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ويجوز زيادة
اللام فى مثله كقوله ردف لكم وردفكم هذا جايز فى اللغة ثم قوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل عوجا قيما اى لم يجعله عوجا وهو يخرج على
وجهين احدهما على التقديم والتاخير على ما قاله اهل التاويل اى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعله عوجا والثانى على زيادة بل كانه قال
انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له بل جعله قيما على احد هذين الوجهين يخرج والله اعلم ثم قوله ولم يجعل له عوجا قيما انا لم يكن عوجا كان
قيما وانا كان قيما كان غير عوج فى كل واحد من الحرفين معنى الاخر الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته على التاكيد كقوله محصنات
غير مسافحات وانا كن مسافحات لم يكن محصنات حرفان موديان معنى واحدا الا انه كرر لما ذكرنا من عادة العرب التكرار وكذلك ما ذكر لينذر
باسا شديدا الباس هو الشديد بدءا هو الباس هما واحد فعلى ذلك الاول ثم اختلف فى قوله قيما قال بعضهم القيم هو الشاهد اى القيم على الكتب
المتقدمة والشاهد عليها فى الزيادة والنقصان وفى التغيير والتحريف يبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوه وما غيروه كقوله
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الاية وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا الاية كانوا يحرفون نظمه ووصفه
ومنهم من كان يحرف احكامه وشرايعه فهذا القرآن شاهد وقيم فى بيان ما فعلوا وقال بعضهم قوله قيما اى ثابتا قايما ابدا لا يبدل
ولا يغير ولا ينسخ ولا يزاد ولا ينقص وهو على ما وصفه لا ياتيه الباطل الاية وهو على ما وصف الحق بالثبات والقيام والباطل بالزهاق
والتلاشى كقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل الاية وما وصف الكلمة الطيبة بالثبات والقيام لها والخبيثة بالزوال والتغيير والزهاق
فعلى ذلك هذا القرآن لا تلحق وقال بعضهم قيما اى مستقيما وتاويل المستقيم المستوى الموافق اى يصدق بعضه بعضا ويوافق اوله اخره

واخره اوله

واخره اوله لم يخرج مختلفا وهو على ما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان من عند غير الله
على ما قالوا وتلك الكفرة لكان خرج مختلفا متناقضا ينقض اوله اخره واخره اوله فاذ لم يكن دل انه من عند الله نزل ولو كان على
ما يقوله اصحاب العموم والظاهر ايضا لم يكن قيما ولا مستقيما بل يخرج مختلفا متناقضا لانهم يعتقدون على العموم والظاهر
ثم يخصونه بدليل فهو مختلف وامثاله قيم بالحجج والبراهين على ما ذكرناه وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل لينذر باسا شديدا
اى انزله على عبده لينذركم باسا شديدا اى لينذر باس شديد والباس العذاب **وقوله** عز وجل من لدنه هذا يحتمل وجهين احدهما
انزل على عبده الكتاب من لدنه اى من عنده والثانى لينذركم الكفار باسا شديدا ينزل من عنده والله اعلم **وقوله** عز وجل ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات فيه دلالة انه قد يكون المؤمنون ويستحقون اسم الايمان وان لم يعملوا الصالحات حيث
ذكر المؤمنين ثم ذكر الاعمال الصالحات خص المؤمنين بعمل الصالحات لكن البشارة المطلقة انما تكون للمؤمنين الذين عملوا الصالحات
لانه لم يذكر البشارة المطلقة فى جميع القرآن الا للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ثم المؤمنون الذين عملوا غير الصالحات فى مشيته
ان شاء عفى عنهم وان شاء عذبهم بقدر عملهم الذى كانوا عملوا وان شاء قابل سيئاتهم بحسناتهم فان فضلت حسناتهم على سيئاتهم
بدل سيئاتهم حسنات على ما اخبر فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات هم فى مشية الله على ما ذكر وليست لهم البشارة المطلقة
التى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات **وقوله** عز وجل ان لهم اجرا حسنا لا سوء فيه ولا قبح وقوله ان لهم اجرا حسنا دون قوله ان
لهم اجرا كريما او كبيرا فى الذكر لكنه صار مثله بقوله ماكثين فيه ابدا لا يخرجون منه ابدا وهم مقيمون فيه ثم يحتمل وجهين احدهما ماكثين
فيه اى لا تاخذهم سامة ولا ملالة فيه فيريدون التحول منه الى غيره على ما يكون فى الشاهد انه يسام المرء ويمل من طعام وان كان قيما
ويرغب فيما دونه وهو ما قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا والثانى ماكثين فيه ابدا لا خوف الخروج والزوال عن النعمة ينغص النعمة
على صاحبها وهو ما قال خالدين فيها ابدا وقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **وقوله** عز وجل وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم
هذا يحتمل وجهين احدهما اى يقولون انه لم يتخذ ولدا ولكن يقولون ذلك على العلم منهم كذبا وزورا كقوله وتدعونني الى النار وتدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به اى شرك ما اعلم منه ليس هو شريك له وكقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات اى تنبئون الله بما يعلم
انه ليس على ما يقولون والثانى يحتمل قوله ما لهم به من علم اى عن جهلهم يقولون ما يقولون من الولد والشريك لا عن علم تقليدا لابائهم لانهم
ليسوا باهل كتاب يعرفون به ولا كانوا يؤمنون بالرسل واسباب العلم وهى الكتاب والرسل فما قالوا انما قالوا من جهل لا عن علم وكذلك
اباؤهم فان كان على هذا ففيه دلالة ان من قال شيئا عن جهل فانه مواخذ به حيث قال وينذر الذين قالوا الاية **وقوله** عز وجل كبرت
كلمة تخرج من افواههم اى كبرت وعظمت تلك الكلمة التى قالوها على من عرف الله حق المعرفة حتى كادت السموات والارض ان تنشق لعظم
ما قالوا فى الله كقوله تكاد السموات يتفطرن منه الاية وقوله ان يقولوا اى ما يقولوا الا كذبا ثم تكلم اهل الادب فى نصب كلمة قال بعضهم
انتصب على المصدر اى كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة كقوله وكلم الله موسى تكليما وقال قطرب هو على الوصف كما يقال بئس رجلا ونعم رجلا
على الوصف به وذلك جايز فى اللغة فعلى ذلك هذا وقال الخليل انما انتصب لانها نعت لاسم مضمر معرفة وهى بمنزلة قولهم ساء مثلا
وانما كان نعتا لاسم مضمر لانه قال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا فهذا القول هو فرية فتا وبله كبرت الفرية كلمة وقد قيل كبرت المقالة
كلمة وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل تخرج من افواههم اى كبرت تكلموا بها ويقول كبرت كلمة تكلموا بها **وقوله** عز وجل فلعلك
باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا وقال فى اية اخرى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين اخبر انه فاعل ما ذكر ولم يقل له لا تفعل ولا
تفعل فى هذا فيشبه ان يكون النهى ما ذكر فى اية اخرى وهو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولهذا قال بعض الناس ان فى قوله فلعلك
باخع نفسك نهى عن الحزن عليهم وعندنا ليس يخرج على النهى ولكن على التسلى والسلوة ثم اختلف فى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
فى الاسف قال بعضهم الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم قال اهل التاويل اسفونا اغضبونا وقال بعضهم
الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله يا اسفى على يوسف اى يا حزنى ويحتمل ان يكون منه الحزن اشفاقا عليهم ان تتلف انفسهم فى النار بتركهم
الايمان او كانت نفسه تغضب عليهم بتركهم الاجابة والقول فى الله سبحانه على ما قالوا فيه وكلاهما يجوزان اذا كان ذلك لله كادت
نفسه ان تتلف حزنا عليهم اشفاقا فانه او كادت تتلف غضبا عليهم وفيه دلالة انه لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والتلف ولكن كان
يقاتلهم ليسلموا حيث كادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم وفيه فلا يحتمل ان يكون يقاتلهم القتل وفى القتل ترك الشفقة ولكن
كان يقاتلهم ليضطرهم القتال الى الاسلام فيسلم فلا يهلكون وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين احدهما ما اخبر عن عظيم محل
الذنوب فى قلبه فلعل ذلك يؤذيه فيلحقهم اللعن كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية وفى ذلك زجر عن ارتكاب ما يسوء
ويؤذيه والثانى تعليم منه لامته ان كيف يعاملون وان اهل المناكير منهم يقاتلون فى الظاهر ويضمرون الشفقة لهم فى القلب على ما فعل هو
رسول الله وعاملهم وقوله بهذا الحديث سمى القرآن حديثا وهو ما قال الله نزل احسن الحديث سماه ما سماه قصصا وحديثا وذكرا وروحا
وامثاله والنهاية فى الحزن والغضب الانبياء انفسهم تقوم هونين وانما غيرهم من الخلايق فلا يحتمل انفسهم الا لا حدهما اذا كان الحزن ذهب الغضب
ذهب الحزن فالانبياء هم المخصوصون بهذا **وقوله** عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها اختلف فيه اخبر انه جعل للارض زينة قال بعضهم

كل ما على وجه الارض من النبات والشجر والانسان وغيره هو زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فان كان التاويل على هذا فيكون قوله و
انا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا القيمة يعني جميع ما على وجه الارض فيبقى قاعا صفصفا وذلك اخبار عن القيمة وقال بعضهم زينة لها من
النبات التي عليها وما جعل لهم من الرزق ليبلوهم بما جعل لهم من الارزاق بالامر والنهي والعبادات وغيرهم لم يجعل ذلك النبات عليها وتلك الارزاق
مجانا ولكن ليختبرهم ويبتليهم بانواع الامتحان فاذا كان كذلك ففيه دلالة ان ليس لاحد ان يتناول مما عليها الا باذنه ولا يقدم على شيء منها
الا بامر من اربابها وقال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان زينة لها اهلها جعل ذلك ليبلوهم ذكر ههنا انه جعل ما على الارض ليبلوهم ايهم احسن عملا
وقال في اية اخرى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ثم من الناس من يجمع بين الايتين فيقول جعل الحيوة للابتلاء والموت للجزاء
فيستدل على ذلك بقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اخبر انه يبلوهم بالزينة والحيوة لا بالضيق والمراد ومنهم من يقول
امتحنهم بهما جميعا بالحيوة ليتزودوا فيها لما بعد الموت كما يتزود في حال السعة والرخاء حال الضيق والشدة فمن لم يتزود في حال السعة فلا زاد له
في حال الضيق فعلى ذلك من لم يتزود في الحيوة فلا زاد له بعد الموت وقوله عز وجل وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي نبتليهم ونخبرهم بها
بذهاب النبات والا تزال وتاويله ان يبتليهم بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله ولنبلونكم بشيء
من الخوف والجوع الاية وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فعلى ذلك قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا واضعا اي نبتليهم بالسعة والرخاء والضيق والشدة وقال القتبي باخع نفسك اي مهلك
نفسك وقال ابو عوسجة باخع نفسه اي اخرجها وقال لا جيها الاسف الحزن وقال غيرهما الاسف الغضب ايضا دليله قوله فلما اسفونا
انتقمنا منهم اي اغضبونا وقال القتبي الصعيد المستوي ويقال وجه الارض ومنه قيل للتراب صعيدا لانه وجه الارض والجرز الارض
التي لا تنبت شيئا يقال ارض جرز وارضون اجراز وكذلك قال ابو عوسجة والجرز التي لا تنبت فيها والصعيد التراب وقوله عز وجل ام
حسبت قيل احسبت وقيل قد حسبت ويحتمل بمعنى بل حسبت كقوله ام يقولون افتريه اي بل يقولون فعلى ذلك قوله ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم وفيه ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله يكون على الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما
على الامر احسب واعلم ان انباء الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا وما ذكرنا بل احسبت وهو كذلك ويقول لا تحسبن ان اصحاب
الكهف والرقيم من اياتنا عجبا ليس اعجب منها بل ما لك ايات اعجب منها بكثير والله اعلم ثم اختلف في الرقيم قال بعضهم الرقيم الكتاب كقوله
كتاب مرقوم اي مكتوب وقال بعضهم الرقيم الوادي الذي فيه كهفهم وقيل الرقيم اللوح الذي كتب فيه اسامي الفتية وقيل الرقيم القرية
التي خرجت الفتية منها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما ادري ما الرقيم لكني سالت كعبا عنها فزعم انها القرية التي خرجوا
منها وقيل الرقيم الكلب الذي كان معهم قالوا امثال ما ذكرنا وليس بنا الى معرفة الكهف والرقيم حاجة الا ذلك بلسانهم ولم يسالوا عن الكهف
والرقيم وانما سالوا عن اصحاب الكهف والرقيم فما ينبغي لهم ان يشتغلوا به ثم قال اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قصة
اصحاب الكهف والرقيم وانبائهم فقال اخبركم غدا ولم يستثن فعاتبه الله فيه ان حبس عنه الوحي كذا وكذا يوما فنزل ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لكن ذلك فاسد وما توهموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم محال لانه كذب لا يجوز ان يكون رسول الله
يقول اخبركم غدا وقد علم بامره بذلك وقال ولم يستثن فيحبس الله الوحي عنه ولا يخبرهم في الوقت الذي قال انه يخبرهم فيظهر كذبه
عندهم بعد ما اختاره لرسالته واصطفاه لموضع وحيه ثم يكذب فيما اخبر هذا فاسد محال غير محتمل ما توهموا به على الله وعلى رسوله قد
كان من كفار مكة السعي في منع رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس والحيلولة عن الدعاء اليها الا انه بدعوه واستقبال حججه و
براهينه بتمويهاتهم وقد ذكر في غير قصة وخبر انهم سالوا اليهود عنه وعن نعته هل يجدون نعته في كتبكم اذ لم يكونوا اهل كتاب
يعلمون ذلك فاحتاجوا الى من يعلمهم ويخبرهم عن ذلك فسالوا يهود المدينة عنه وعن خبره فقالوا نجد نعته في كتابنا كما تقولون فهذا
وقت خروجه وانه فقالوا لهم حدثونا بشيء نسأله لا يعلمه الا نبي فقالوا اسألوه عن ثلاث خصال فان اجاب بهن فهو نبي والا فهو كذاب
سلوه عن اصحاب الكهف وسالوه عن ذي القرنين فانه كان ملكا وكان من امره كذا وكذا وسالوه عن الروح فان اخبركم فهو نبي وان لم يخبركم
فهو كذاب فسالوه فاخبرهم عن ذلك وفي بعض القصة سالوه عن الروح فان اخبركم عنه فهو ليس بنبي وان لم يخبركم وكله وكل امر الى الله
فهو نبي ثم قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا يحتمل ان يكون الخطاب به وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فالمراد به غيره على ما خاطبه في غير اي من القران والمراد به غيره ويحتمل ان الخطاب له والمراد هو وان كان هو المخاطب بهذا فانه يحتمل قوله
ام حسبت الاخرة وجهين احدهما يقول قد حسبت ان انباءهم واخبارهم كانت من اياتنا لرسالتك ونبوتك عجبا فيكون الحسبان على هذا
التاويل في موضع العلم واليقين كانه قال قد علمت ان انباء اصحاب الكهف واخبارهم اية عجيبة لرسالتك والثاني اخبار عن احوالهم وتقلبهم
من حال الى حال فان كان على هذا فيكون الحسبان في موضع الحسبان كانه قد حسبت ان احوالهم وتقلبهم كان من اياتنا عجبا هذا اذا كان
الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم واما اذا كان الخطاب به غيره فانه يجوز على الحسبان والظن وغيره والله اعلم وقوله عز وجل اذ اوى
الفتية الى الكهف اي انضم قال بعضهم الكهف الغار في الجبل وقيل الغار وقيل الملجا ولكن قد ذكرنا انا لا ندري ما الكهف وما الرقيم ذلك
بلسانهم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة واسم الفتية اسم الاحداث منهم والشبان لا اسم المشيخة ثم يكون المماليك والخدم ويكون الا

والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة قال الحسن ربنا من لدنك رحمة اي جنته وهيئ لنا من امرنا رشدا اي تيسيرا و
هو ما ذكر في قوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا فهذا ليس بشيء انما هو تلقين والهام منه اياهم فيكون تفسيرا للاول و
قال بعضهم قوله اتنا من لدنك رحمة اي رزقا لانهم كانوا يفارقون قومهم لكفرهم ليسلم لهم دينهم الذي هم عليه وهو الاسلام وقد عرفوا انه
يسع مفارقة الناس كلهم للسلامة في الدين ولكن لم يعرفوا انه يسعهم قومهم وما به قوام انفسهم الى مكان خال عن ذلك فسالوا ربهم الرزق
على انفسهم بقولهم اتنا من لدنك رحمة اي رزقا وهيئ لنا من امرنا على الصواب والرشد على ما ذكرنا انهم عرفوا سعة المفارقة للدين
ولكن لم يعرفوا سعة ذلك اذا كان فيه خوف هلاك انفسهم فسالوا ربهم ان يجعل امرهم ذلك على الرشد والصواب ويحتمل اتنا
من لدنك رحمة نعمة وسعة وهيئ لنا من امرنا رشدا صوابا يقول اتنا من لدنك رحمة دينا وهيئ لنا من امرنا وقوله عز وجل فضربنا على
اذانهم في الكهف سنين عددا الضرب على الاذان هو المحو محو الاسماع ويقال الضرب على حديث كذا اي محته ثم يحتمل محو الارواح
بما يحيي الانفس فيكون كناية عن الموت ويكون محو ارواح الاسماع التي يسمع لا الموت فلما قال في اية اخرى وتحسبهم ايقاظا وهم
رقود دل انه انما اراد محو ارواح الاسماع لا محو الارواح التي بها حيوة الانفس وهو كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل الاية وقوله عز وجل
ثم بعثناهم من رقودهم لنعلم اي الحزبين اي لنعلم ما قد علمناه غائبا شاهدا اذ كان عالما بما يكون منهم وبما ذكرنا ليعلم الخلق شاهدا كما
علم هو غائبا او ليعلم المخطئ منهم من المصيب اذ محال وصفه بالعلم بالمخطئ ولا مخطئ ثم وبالمصيب ولا مصيب ثم فاذا كان كذلك فيكون قوله
ليعلم المخطئ من المصيب والمصيب من المخطئ اذا كان واصله انه يعلم كائنا على ما يعلم انه يكون وقوله عز وجل احصى لما لبثوا امدا يحتمل ليعلم اي
الحزبين قال بعضهم مشركهم ومؤمنهم ومنهم من قال الملك والفتية وقال بعضهم هم اختلفوا في مدتهم اذ بعثوا قال بعضهم لبثنا يوما او بعض
يوم وقال بعضهم ربكم اعلم بما لبثتم ولكن لسنا ندري من اي الحزبين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انا ذكرنا قول اهل التاويل وقوله
عز وجل نحن نقص عليك نبأهم بالحق الحق في الانباء الصدق والحق في الاحكام العدل وفي الافعال الصواب وقال بعضهم الحق ههنا هو القران
فيكون قوله بالحق اي في الحق وهو القران اي نقص عليك نبأهم بالقران والله اعلم وقوله عز وجل انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم هذا الحرفان معناهما واحد الزيادة والربط كل واحد منهما يؤدي معنى صاحبه زيادة الهدى اي ثبتناهم على الهدى ويجوز ان
يقال هو التثبيت والربط كذلك ويجوز ان يقال على التجديد والابتداء اذ للايمان حكم التجدد في كل وقت اذ هو يكون منكرا جاحدا للكفر في
كل وقت فهو مجدد للايمان كذلك في كل وقت فان شئت حملته على الثبات والزيادة على ما كان وان شئت على الابتداء والتجدد وكذلك
قوله فزادتهم ايمانا وقال الحسن في قوله وزدناهم هدى اي من حكم الله اي من اهتدى فاده هدى كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان لا يجوز ان يكفروا اذا اهتدى مرة لانه لا يزال يزيد له هدى فاذا لم يكن دل انه لا يصح ذلك والوجه فيه
ما ذكرنا وقوله عز وجل اذ قاموا فقالوا ربنا يحتمل قوله اذ قاموا بالحجج والبراهين ويحتمل اذ قاموا بالنهوض الى الكهف حين انضموا اليه
او قاموا لله ولدينه او قاموا من عند اولئك الكفرة فقالوا ما ذكر ربنا رب السموات والارض اي قالوا ربنا هو رب السموات والارض
ورب ما بينهن وقوله عز وجل لن ندعوا من دونه الها يحتمل قوله لن ندعو من دونه الها اي لن نسميهم الهة على ما سمى قومهم الاصنام التي عبدوا
الهة وقوله عز وجل لقد قلنا من دونه الهة فسموهم الهة على زعمهم وعلى ما عندهم كقوله فراغ الى الهتهم وقوله وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا لا يجوز ان يسمي الانبياء الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة وهي ليست بالهة ولكن قالوا ذلك على زعمهم وعلى ما عندهم فعلى ذلك
قوله لن ندعو من دونه الهة اي لن نعبد فان كان على العبادة ففيه اضمار اي لن نعبد من دونه الها غير الله كفعل قومنا ولو فعلنا لقد قلنا
شططا اي جورا وظلما ثم قالوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة يعبدونها لولا ياتون عليهم بسلطان بين اي هلا ياتون على تسميتهم الهة
او استحقاق العبادة لها بحجة بينة ثم حرف هلا يستعمل في الماضي ويستعمل في المستقبل فان كان على الماضي فهو على الانكار اي لم يكن وان
كان على المستقبل فهو على السؤال اي ايتوا بحجة بينة اي انها الهة كما زعموا ان الله هو الاله الحق وانه خالق السموات والارض ورب ما فيهما قال
القتبي فضربنا على اذانهم اي انمناهم والامد هو الغاية وربطنا على قلوبهم اي الهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم وقوله شططا اي غلوا يقال اشط
على اذا غلا في القول وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله الهة وقد ذكرنا تاويله في غير موضع وقوله
عز وجل واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فتاويله الاية
على القراءة الظاهرة وما يعبدون الا الله اي وان اعتزلتموهم والذين لا يعبدون الا الله فلا تعتزلوا عبادته لانهم كانوا يعبدون الاصنام
ويعبدون الله ايضا دونه معبودا فكانهم قالوا واذ اعتزلتموهم والذين يعبدون الا الله فلا تعتزلوه وهو كقول ابراهيم عليه السلام
لقومه حيث قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون الاية استثنى عبادة رب العالمين من بين عبادة من يعبدونه من
دونه اذ كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الله دونه معبودا الا ان بعضهم لا يرون انفسهم بلغت مرتبة عبادة الله فيعبدون
الاصنام رجاء ان تشفع لهم عنده او تقرب عبادتهم الى الله زلفى وامثاله وجائز ان يكون قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
على التقديم والتقديم اي واذا اعتزلتموهم فأووا الى الكهف لانهم كانوا لا يعبدون الا الله يعني اصحاب الكهف والثاني ما ذكرنا
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون هم في الحقيقة الا الله وان كانوا في الظاهر يعبدون غير الله وقد قيل قراءة عبد الله بن مسعود و

واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون من دون الله ويحتمل ان يكون هذا منهم ليس على القول والنطق ولكن القى في قلوبهم وقذف انهم اذ فارقوا قومهم وباينوا وياوون الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وقال الحسن قوله في قومهم من قد امن سواهم فقالوا لكم اذا باينتم و فارقتم فاووا الى الكهف فلا تعبدوا منهم فلعلهم يحتوشونكم ويطلبون لقاءكم فلا تعبدوا منهم ويشبه ان يكون قوله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته لما عزموا ان يفارقوا قومهم اعترض الشيطان فقال انكم تفارقون قومكم الى مكان وليس معكم شراب ولا طعام فتهلكون انفسكم فدفعوا وساوسه بقوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ثم قوله ينشر لكم ربكم من رحمته قال بعضهم يظلن لكم ربكم كقوله وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء اي كيف نخلقها وقال بعضهم ينشر لكم اي يبسط والنشر هو البسط وقوله عز وجل من رحمته يحتمل الرزق ويحتمل كل شيء به يدفع الهلاك عن انفسهم وقوله عز وجل ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي ما ترتفقون به وتنتفعون وهو قول ابي عوسجة وهو من الرفق والمرفق ايضا مثله لانه ينتفع وقال القتبي مرفقا ما يرتفق به وقال ابو عبيدة المرفق ما ارتفقت به فاما في اليدين فهو مرفق والله اعلم وقوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم قيل تميل عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال قال بعضهم ان الشمس كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند غروبها لان الكهف كان مستقبل بنات النعش وكل شيء يكون مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس وقال بعضهم لا ولكن كان ثمة حجاب وستر يحجب الشمس عن ان تقع عليهم لكن هذا لا يصح لان الله عز وجل جعل لهم ذلك اية من اياته وكرامة من كراماته فليس فيما لا يقع عليهم بحجاب وستر كبير اية ومنة و انما الاية فيما تقع الشمس عليهم ثم ترفع عنهم ضررها واذاها فاذا كانوا بحيث لا تصيبهم الشمس فاذاها وضررها ايضا لا يصيبهم فليس في ذلك كبير اية وحكمة اذ ليس فيما لا يصيب الشمس ضررا واذى ولكن يذكر لطفه حيث منع ضرر الشمس واذاها عنهم مع اصابة الشمس اياهم ووقوعها عليهم والله اعلم وقوله عز وجل تزاور عن كهفهم ذات اليمين يمينهم او يمين القبلة وكذلك ذات الشمال شمالهم او شمال القبلة فاما يمين الجبل والغار على ما قال اهل التاويل فانه ليس للجبل يمين ولا شمال وقوله عز وجل وهم في فجوة منه قال بعضهم الفجوة الظل وقال بعضهم الفجوة الفضاء وقال بعضهم هي سعة المكان يخبر عز وجل عن لطفه ومنته انه قد حبسهم الى غار كانوا يسعون فيه حتى يتقلبون فيه والغار الذي يكون في الجبال لا يمكن ان يكون بل يكون ضيقا وقوله عز وجل ذلك من ايات الله هذا يرد قول من ينكر جري الايات على يدي غير الانبياء لانه جعل في اصحاب الكهف عددا من الايات كلها خارجة عن احتمال وسع الخلائق وعاداتهم لمفارقتهم قومهم لسلامة دينهم احدها ما اخبر انه ضرب على اذانهم وانامهم نوما خارجا عن طبع الخلائق وعاداتهم وهو ثلثماية سنة ثم بعثهم ليتساءلوا بينهم على ما اخبر عز وجل والثاني لم تبل ثيابهم في مثل تلك المدة وفي مثل المكان ولم يتغيروا الا ترى انهم قالوا حين بعثوا لبثنا يوما او بعض يوم ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة لم يستقلوا ولا استقصروا كل هذا يوما او بعض يوم الا ترى انهم فزعوا الى الطعام ولم يفزعوا الى الثياب حيث قالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة لكان فزعهم الى الثياب كهو الى الطعام وهو اولى والثالث ما اخبر من تزاور الشمس اذا طلعت ذات اليمين وقرضها اياهم ذات الشمال والرابع دفع الحر والبرد عنهم اذ من طبعهما الاهلاك والفساد اذا اشتد وكثر والخامس ما ذكر من تقليبه اياهم ذات اليمين وذات الشمال وحفظه اياهم عن ان تفسدهم الارض وتاكلهم اذ من طبع الارض ذلك عند امتداد الوقت والسادس ما ذكر في الاية من الهول والهيبة اذا دخل عليهم واطلع حيث قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا خوفا عما ترى فيهم من الاهوال هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لمن دونه و السابع حفظه اياهم عن جميع الخلائق حتى لم يطلع ولم يعثر عليهم احد من الخلائق والثامن ابقاؤهم احياء اكثر من ثلثماية سنة بلا غذاء والانفس لا تبقى بلا غذاء بدون ذلك وذلك باللطف وامثال هذا كثير مما يكثر عدها واحصاؤها كلها من ايات عظيمة خارجة عن وسع الخلق وعاداتهم فذلك لهم باختيارهم دين الله من بين قومهم وبغضا رقتهم اياهم ليسلم لهم دينهم اذ الغلبة فيهم يومئذ الكفر فاكرمهم الله بذلك بالكرامات ذكرنا فلا ننكر ان يعطي الله احدا من اوليائه قطع مسيرة ايام بيوم او بساعة او المشي على الماء ونحو ذلك ليس يستبعد ولا يستنكر وقول اهل التاويل انهم كانوا كذا والكلب كذا واسماؤهم كذا وعددهم كذا ونحوه فذلك مما لا يعلم الا بخبر الصدق وترك الحق وقد نهى رسوله ان يستفتي فيهم منهم احدا حيث قال ولا تستفت فيهم منهم احدا وهو ما ذكر هؤلاء كله من الاستفتاء الذي نهى رسوله عنه عن ذلك قال ابو عوسجة تزاور اي تميل وتزور مثله تقرضهم او اي تدعهم على شمالها اي ان الشمس لا تصيبهم طالعة ولا غاربة عند طلوعها وغروبها ويقال قرضته اتركته اقرضته قرضا ويقال قرضت موضع كذا اي جاوزته وتركته خلفي ويقال قرضته اي قطعته بمقراض وتزاور تزور اي عدل ومال وهم في فجوة منه اي سعة وفجوات جمع ويحتمل قوله ذلك من ايات الله اي ذلك النبأ وما ذكر من قصة اصحاب الكهف من ايات قدرة الله ومن حجج الله على اثبات رسالة رسوله ونبوته او من ايات كراماته للفتية ولمن اختار دين الله واثره على غيره وقوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا قد ذكرنا في غير موضع فقال بعضهم تزاور وتقرضهم كلاهما واحد وهو ان تميل عن كهفهم فتدعهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم اي تدعهم ذات [illegible] وقوله وهم في فجوة منه اي رابية من الكهف

قال ابو معاذ

قال ابو معاذ الرابية قدر ما يصلح وقال بعضهم في قوله يهيئ لكم اي ييسر لكم كقوله تبوئ المؤمنين اي تهيئ وهيئ لنا من امرنا رشدا الرشد الصلاح وقوله تعالى رشدا اي مخرجا ويهيئ لكم من امركم مرفقا قال ابن عباس رضي الله عنه غذاء تاكلون وهو ما ذكرنا كل ما يرتفق به ويقال مخرجا وقوله عز وجل وتحسبهم ايقاظا وهم رقود قال بعضهم لانهم كانوا مفتحة الاعين والابصار كاليقظان وقد بعضهم وتحسبهم ايقاظا لانهم كانوا يتقلبون في رقودهم اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا وقال بعض اهل التاويل انما كان تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال ليدفع عنهم اذى الارض وضررها لئلا يفسدوا ولا يندرسوا وان كان الله قادرا ان يدفع عنهم الاذى وضرر الارض لا بتقليب من جانب الى جانب وان كان مما يفعل من لا يملك دفع الاذى بما ذكرنا فاما من كان قادرا بذاته مستغنيا عن الاسباب التي بها يدفع فغير محتمل وقوله على التعليم منه اياهم انه كيف يتقي الاذى وكيف يدفع الضرر فاذا لم يكن يشهد من الخلق فلا معنى له وقال بعضهم قوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لانهم كانوا في مكان الريبة واللصوص مما لا ياوي اليه الا هارب منذعر وشرا وقاصد ريبة وطالب عثرة ومكابرة لم يكونوا في مكان ينام فيه ويرقد ولا يختار النوم مثله فقال وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لما كانوا في مكان لا ينام فيه للخوف كانهم ايقاظ وهم رقود والله اعلم ولكن لا ندري لاي معنى ذكر انه يحسب الناظر اليهم كانهم ايقاظ وهم رقود اذ لم يبين الله ذلك فلا نفسر وقوله عز وجل ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال هو ما ذكرنا وقوله نقلبهم في نومهم من جانب الى جانب وذكر التقليب وجائز ان يكون لما ذكر بعضهم من دفع اذى الارض وضررها او ذكر فعله لما له في تقلبهم صنع وفعل والله اعلم وقوله ذات اليمين وذات الشمال ان لا يفهم من ذات الشيء غير ذلك الشيء وشيا اخر سواه ولانه ذكر ذات اليمين فهو اليمين والشمال نفسه لا غير فعلى ذلك في قولنا عالم بذاته لا يفهم غير علمه اي عالم وقوله عز وجل وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بعضهم الوصيد هو فناء الباب وقال بعضهم الوصيد هو عتبة الباب قال القتبي الوصيد الفناء ويقال عتبة الباب وهذا اعجب الي لانهم يقولون اوصد بابك اي اغلقه ومنه انها عليهم موصدة اي مطبقة واصله ان تلصق الباب بالعتبة اذا اغلقته فان كان الوصيد هو عتبة الباب ففيه ان الكلب كان داخل باب وان كان الفناء ففيه انه كان خارج باب الغار وفيه ايضا ابقى الكلب ثلثماية سنة على ما ابقاهم و لم يكن من جوهرهم بلطفه وقوله عز وجل لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا قال بعض اهل التاويل وذلك ان شعورهم قد طالت واظفارهم قد امتدت وعظمت فكانوا بحال يرعب عنهم ويهاب لكن هذا لا يحتمل لانهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فلو كانوا على الحال التي ذكر واهل التاويل من طول الشعور وامتداد الاظفار وتغير احوالهم لم يكونوا ليقولوا لبثنا يوما او بعض يوم اذ لو نظروا في انفسهم من تغيير الاحوال لعرفوا انهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت دل ذلك ان ذلك الخوف والهيبة لا لذلك وقال بعضهم لانهم كانوا في مكان الريبة فيما لا ياوي الى مثله الا لخوف ريبة او طلب ريبة لا ياوي اليه الا هارب من شر وطالب شر على اخر على ما ذكر فان من نام في مهاب ومكان مخوف يهاب منه ويخاف وان يكونوا بحيث يهابون ويخاف منهم لئلا يدنوا منهم احد ولا يقرب فلا يوقظهم حتى يبقوا الى المدة التي اراد الله ان يبقوا فيه ولذلك يحتمل هذا المعنى في تقليب اليمين والشمال وجائز ان يكون قوله لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ذلك الخوف وتلك الهيبة هيبة الدين على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وذلك لدينه وحقيقته [illegible] فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من هيبة احوالهم لدينهم الذي اختاروا واثروا بين قومهم وفارقوا قومهم ليسلم دينهم الى مكان لا طعام فيه ولا [illegible] وذلك لحقيقة ما اختاروا وامر الذي كان ذلك لعلمهم بطلوع الله رسوله على ذلك فلا نفسر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك بعثناهم [illegible] اباكم من ابنائكم وقصصهم كذلك بعثهم او كما ضرب على اذانهم وانامهم سنين كذلك بعثهم وقوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم بعثهم لما علم ما يكون منهم وهو التساؤل وهكذا جميع ما يخلق ويبتدي انما يخلق ويبتدي انما يخلق ويبتدي لما يعلم انه يكون منهم كقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا الاية ذراهم لما علم انه يكون منهم وهو عمل اهل جهنم وكذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من علم انه يعبده و يعمل له عمل اهل الجنة خلقه لذلك هكذا كل ما يخلق انما يخلق لما يعلم انه يكون منه اذ يخرج الفعل لذلك مخرج العجز والجهل بالعواقب فاذا كان الله عالما بما كان ويكون ويتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا في الشاهد من عمل عملا وفعل فعلا لغير ما علم انه يكون فهو عابث او جاهل بعواقبه وبالله العصمة وقوله عز وجل قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بعضهم تاويله ما ذكر ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله عز وجل لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ذلك لما مر بهم وفي انفسهم انا [illegible] على طول المكث والمقام فيه ثم لما تذكروا الخواطر وما يرى النائم في نومه من العجائب واشياء كثيرة عرفوا ان ذلك العدد من الاشياء و ذلك من العجائب التي راوا لا يحتمل ان يكون في يوم او بعض يوم فعند ذلك وكلوا الامر الى الله فقالوا ربكم اعلم بما لبثتم واما الذي مات مائة عام لما بعثه قطع القول في ذلك ولم يكل الامر الى الله حيث قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم لانه كان ميتا والميت لا يرى شيئا ولم يكن في نفسه ما يدل على ذلك فقطع القول فيه ولم يكل الامر الى الله واما النائم فانه يرى في نومه اشياء فيعرف انه لا يكون في وقت قصير لذلك وكلوا الامر الى الله تعالى وقوله عز وجل فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه انهم لما فارقوا ومعهم زاد وهو الورق امر بعضهم بعضا ان يبعث بالورق ليأتيهم بالطعام وفيه انه اضاف الورق اليهم ولا شك انه كان له فيه نصيب حيث قال بورقكم هذه وفيه دلالة جواز المناهدة في الاسفار وغيرها اذ كان ذلك الورق بينهم وفيه دلالة جواز الوكالة وانها ليست ببدعة ولكن كانت في القرون

الماضية وهو مستوارثه وقوله عز وجل فلينظر ايها ازكى طعاما اختلف فيه قال بعضهم قوله ازكى طعاما اي احل طعاما لان بعض اهل تلك المدينة يذبحون للاصنام وباسم الاوثان التي كانوا يعبدونها فامروا ان ياتيهم بحلال يحل لهم اكله والتناول منه وقال بعضهم ازكى ارخص واكثر لانهم كانوا في مكان لا يدرون متى يخرجون منه فطلبوا الاكثر لسد حاجتهم اليه ويكون لوقت مقامهم ونحوه وقال بعضهم ازكى طعاما اي اطيب واجود لان الطيب ازيد للعقول واصلح للانفس وانفع ولذلك جعل الله ارزاق البشر ما هو اطيب والين لما يزيد ذلك في العقول والفهم وجعل لغيرهم من الدواب كل خشن خبيث لما ليس لهم عقول يحتاج الى ما يزيد فيها واصل الزكا النما والزيادة وقوله عز وجل وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا يحتمل قوله وليتلطف اي ليرفق بهم لئلا يشعرن انه من اولئك الذين فاروا من دينهم او امره بالتلطف اي بالسماحة والتسهيل في الشرا لما جاء في الخبر رحم الله سهل البيع سهل الشرا ولا يشعرن بكم احدا انه فلان بن فلان وانه من قوم كذا فيعرفون انه من اصحاب الكهف او لا يشعرن بمكانكم احدا ولا يشعرن بمكانكم احدا من الناس وقوله عز وجل انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم يحتمل يقتلوكم او ما ارادوا به ويعيدوكم في ملتهم اي في دينهم الكفر وقوله عز وجل ولن تفلحوا اذا ابدا اي ما دمتم في ملتهم ودينهم هذا كانهم لم يعرفوا التقيه والا لو اعطوهم بلسانهم ولم يعطوهم بقلوبهم لكانوا قد افلحوا او عرفوا التقيه الا انهم لم يكن في القرون الماضية التقيه ولم يؤذن لهم فيها وهي رخصة رخص لهم والافضل ان لا يعطى ذلك ولا يظهر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اختلف في قوله وكذلك قال بعضهم كما اخرج المبعوث بشرا الطعام من الكهف مع الورق المتقدم ضربها فكان ذلك سبب اعلام اهل المدينة عن الفتية كذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم وقال بعضهم كما علم عن انبا الفتية واصحاب الكهف وقصصهم من اولها الى اخرها كذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم اي اطلعنا عليهم والله اعلم وجايز ان يكون قوله وكذلك اعثرنا عليهم اي كما ضرب على اذانهم ليعلموا ان ما وعدهم الرسل عن الله حق ثم اختلف في اطلاعهم عليهم قال بعضهم اطلع الله الملك الذي هربوا منه واهل المدينة بعد ما انامهم لكن حيل بينهم وبين ذلك وقال بعضهم اطلعهم قبل ان ينيمهم فحيل بينهم وبينهم فسدوا باب الكهف فبقوا هنالك ثم انامهم بعد ذلك ما ذكر فهلك ذلك الملك وانقرض تلك القرون ثم ولي ملك اخر مسلم صالح ثم اطلع ذلك الملك عليهم وامثال ذلك قد قالوا فلا ندري كيف كانت القصة وفي ظاهر الاية انه اطلع عليهم بعدما انامهم وبعثهم وليس فيه بيان انه من اطلع عليهم الملك الاول والثاني والقوم او غيرهم ولا يجوز ان يقطع فيه القول انه فلان لان هذه الانبا ذكرت في القران حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلو قطع القول على شي او يزاد ونقص عما كان في كتبهم خرجت من ان يكون حجة له وقوله عز وجل ليعلموا ان وعد الله حق يشبه ان يكون الرسل من قبل كانوا يخبرون قومهم ان فتية من ملككم اشفقوا على دينهم ولجاوا الى الكهف فينامون كذا كذا سنة ثم يبعثون فاكذبهم قومهم بما اخبروا قومهم من انبائهم فقال اعثرنا عليهم ليعلموا ان ما وعد الرسل واخبروهم من نبا اصحاب الكهف حق والثاني يحتمل ان يكونوا ينكرون البعث والساعة والرسل يخبرون انهم يبعثون فاطلع على اولئك ليعلموا ان البعث والقيامة حق لان الاعجوبة في ابقاء النفس اصحاب الكهف في نومهم ثلثماية سنة او اكثر بلا غذاء يتغذون ولا طعام يطعمون ولا شي يقوم به الانفس ان لم تكن اكثر واعظم من احياء الموتى وجميع العظام الناخرة البالية لا تكون دونه لما لم يروا الا نفس تبقى اياما بلا غذاء فضلا ان تبقى سنين كثيرة ثلثماية او اكثر فبعث هولاء ليعلم من انكر البعث من قدر على ابقاء الانفس مدة مديدة طويلة بلا غذاء فهو لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الموت وان يكون ما ذكرنا بديا ان الرسل السابقة كانوا اخبروا قومهم عن قصة اصحاب الكهف فكذبوهم فاطلع الله بنا م وخبرهم ليعلم اولئك ان الذي اخبرهم الرسل حق وصدق والله اعلم ثم ان هذه الانبا والقصص المتفرقة ذكرت في القران حجة لرسول الله ودلالة في اثبات رسالته فلا يجوز ان يقطع القول في شي لم يبين فيه ولم يوضح ولم يفسر لما يخاف فيه الكذب على الله ولا الزيادة فيها والنقصان على ما ذكر فيه لما لعلها تخرج مخالفة لما ذكرت في كتبهم فلا يكون له فيها حجة ولا دلالة فان قيل كيف علموا ان ما اخبرهم الرسل حق او كانوا لا ينكرون ان وعد الله حق ولكن يظنون ان ما وعد الرسل ويخبرونهم ما هو اختراع منهم لا وعد من الله وخبره قيل علموا ان ذلك حق بوجوه احدها ما راوا من [illegible] بدى المبعوث بشراء الطعام من الغريب المستنكر وان كان [illegible] ذلك الرجل لا من دوام اصحاب الكهف فانا اصدقوا ذلك الرجل فلما اخبرهم من دوام اصحاب الكهف فصدقوا في الرسل ان خبرهم احوالهم يصدق والثاني علموا انها والله اما من هم مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم من كل ضرر واذى وفساد وانتباههم من غير طعام ولا شراب على مثل ما هم عليه من انهم لا يبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة بكثير فعلموا ان من بقيت [illegible] تلك المدة قدر على حفظهم ما ذكرنا وانباهم لقادر على البعث والاحياء ولا يعجز عن شي يريد كونه [illegible] وحفظهم من جميع الآفات ثم بعثهم واحياهم [illegible] احياء الخلق و [illegible] الا لعاقبة تتامل وحكمة فقصد والله اعلم وقوله عز وجل اذ يتنازعون بينهم امرهم [illegible] امرهم فيما بينهم وقوله عز وجل فقالوا ابنوا عليهم بنيانا [illegible] في البنا الذي ذكر في المسجد وغيره ويحتمل في عددهم وغيره ولكن لا نقطع القول فيه [illegible] ربهم اعلم بهم وقوله عز وجل قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا يحتمل بناء المسجد عليهم [illegible] في ذلك المكان على قرب منهم

على ما ظهر

ما ظهر عندهم من اكرام الله اياهم او يتخذون مسجدا للعبادة انفسهم ليعبدوا الله على قرب منهم لينالوا من بركتهم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعضهم كان عددهم سبعة والثامن الكلب لانه ذكر في الثلاث والخمس رجما بالغيب اي قذفا بالغيب ظنا وقيل ترجما بالغيب اي ظنا ولم يذكر في قوله سبعة وثامنهم كلبهم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه وقال انا من القليل الذين استثناهم الله وكانوا هم سبعة والثامن الكلب لعل ابن عباس قال انا من القليل ظنا واستدلالا بالذي ذكرنا وكان سماعا من رسول الله ذلك وقال الحسن وابو بكر وغيرهما ان الله تعالى قال قل ربي اعلم بعدتهم ثم استثنى قليلا من عباده فلا نعلم بانه او لئك القليل من الملائكة او من البشر او منهم فلا ندري من هم ولكنا عددهم ونحن نقول نحن وهو ما قال فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا نهى رسوله ان يستفتي منهم احدا لما يحتمل ان يكون ذلك غير مبين في كتبهم فلا يطلع رسوله خوف التكذيب ثم اختلف في وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد وقال بعضهم ذلك كان قبل بعث موسى نحو قول الحسن وابي بكر وهؤلاء وهذا اشبه لانهم انما سالوا عنهم اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون بالانجيل وقول اهل التنا ولكان امامهم وعندهم حاجة ولو كانت لتولى الله بيان ذلك في الكتب وقال القتبي رجما بالغيب اي ظنا بالغيب اي يقولون بالظن وقيل قذفا بالغيب على غير استيقان وهما واحد وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا لقوله الا ان يشاء الله يحتمل الخطاب بهذا كل الناس ليس لاحد ان يحاج من غيره فيخرج ذلك مخرج التعليم لهم في ترك المراء مع الكفرة الا مراء ظاهرا وكذلك في ترك الاستفتاء وكذلك علمهم وادبهم ان لا يعد واحد الاما لثنيا بها ويحتمل ايضا ان يكون الخطاب به رسول الله لكن ليس له انه قد كان منه ما ذكر من المراء والاستفتاء والوعد بغير ثنيا ولكن خاطب به رسول الله ليتادب غيره من الناس بذلك الادب وهو ما خاطب به بقوله ولا تكونن من المشركين ونحوه من الخطاب التي خاطب بها فخاطبه بها الا ان كان منه ذلك او كان فيه ما ذكر ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم ثم اختلف في قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا قال بعضهم ذلك في امر اصحاب الكهف اي لا تمار فيهم ولا تستفت فيهم منهم الا قدر ما كان في كتبهم فانك لو ماريتهم بالبشر في كتابهم كذبوك ولكن قدر ما في كتبهم هذا كان على المسالة فان كان على غير المسالة في غير امر اصحاب الكهف على ابتداء المحاجة والحجاج فهو يحتمل وجهين احدهما اي لا تمار فيهم الا بما هو اظهر ويعرفونه ذلك ظاهرا من نحو ما يعرفون ان الاصنام التي عبدوها لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ونحو ذلك مما يعرفون انها كذلك والثاني لا تحاجهم بلطايف الحكمة ودقايقها ولكن بشي محسوس ظاهر من الاية لا بما يلطف ويدق على ما يحاجهم الانبيا بايات حسيات وفي قوله ولا تستفت منهم احدا دلالة ان لا يسع النظر في كتاب الفلاسفة الاعلى جهة الرصد لما فيها على كتاب الله فيؤخذ بما يوافقه ويترك الباقي وقوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لو كان فيهم الخطاب على ظاهر ما خرج لكان في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي عن العزم بالثنيا فانه يفهم هذا ولكن فهو الا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول وان شاء الله على اضمار القول ولان الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما توجبه الحكمة والدليل ثم نهي ان عزم ولا يستثنى فيها وقاس بعض الناس الايمان على العداف فيقول انا حالف فانه يلزمه ان يستثنى فيها وذلك فاسد لان الايمان يخرج على تعظيم الرب واجلاله فلا يجوز ان يوصلها بالثنيا فيها لان الثنيا نقض ذلك التعظيم وكذلك ما روي اذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحلفوا بابائكم ولا بالطواغيت نهى عن الحلف بغير الله لما في الحلف به تعظيم لذلك الشي واما العدة فانما هي اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يملك حقيقته لذلك امره بالحاق الثنيا فيه لئلا يحتمل الخلف في الوعد اذا لم يفعل ما وعد وعلى ذلك ذكر عن الانبياء انهم اذا وعدوا استثنوا فيه كقول موسى ستجدني ان شاء الله صابرا الاية ثم اذا لم يصبر لم يعاتبه بترك الصبر ولو كان خلفا لعاتبه كما عاتب صاحب موسى حيث قال انك لن تستطيع صبرا وتحفظهم من الانبياء والرسل الايمان والقسم ثم لم يذكر عن احد منهم الثنيا في ذلك ذلك ان الثنا في العدات لا دم دقا لايمان لا وفي قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله دلالة ان لا يكون شي الا بمشية الله حيث نبه الى الثنيا ثم اذا خرج على غيرها وعدلم يحتمل الخلف في الوعد دل انه قد شا ذلك وانه اذا لم يشا شيئا لم يكن لانه لو كان شيئا لم يشاء هو وشاء شيئا فلم يكن لم يكن لقوله الا ان يشاء الله معنى اذ كان ما لم يشا هو ولم يكن ما هو شاء دل انه ان شاء هو كان وما لم يشا لم يكن وفيه انه قد شاء كل طاعة وخير من العبد فلو لم يشا ما ليس بطاعة لكان لا يستثني وقد علم انه قد شاء ذلك فدل ذلك على انه قد يشاء ما ليس بطاعة اذا علم انه يختار ذلك وذلك على المعتزلة فان قيل انما امر بالثنيا في العدة لما لعله سيموت قبل ان يفعل ما وعد او يذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد قيل ان الاوهام لا ترجع الى ذلك بل الامكان مشروط فيه وان لم يذكر نحو ما لا يؤمر الانسان بالطيران لعدم الامكان فيه موجودا فهو كالمشروط وان لم يذكر فعلى ذلك في العدات والايمان وغيرها وجايز ان يكون المراد بهذا الخطاب غير النبي وهو الاشبه لما لا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعد ولا يذكر الثنيا لما لا يعرف ان لا يكون شي الا بمشية الله وارادته وانما غير النبي فجايز ان لا يعرف ذلك لذلك كان غيره اولى به يخرج منه على التعريف لهم والعلم وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت هذا يحتمل وجهين احدهما واذكر ربك اذا نسيت اي اذا ذكرته بعد ما نسيت فاذكره كقوله واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين فعلى ذلك هذا والثاني واذكر ربك اذا نسيت

اذا ثنيا فى اخر الكلام اذا نسيت وله ان الثنيا اذا المستحب ان يستثنى فى اول كلامه على التبرك كقوله وانا ان شاء الله لمهتدون
استثنوا اولا ثم يصلوا فهو المستحب فكانه قال واذكر ربك الثنيا فى اخر كلامك اذا نسيت فى اوله وهو الثنيا وهذا يرد على
اصحاب الظاهر لان ظاهر الكتاب ان يخاطبهم بذكره اذا نسوا ولا يجوز ان يخاطب احدا فى حال نسيانه فاذا لم يفهم من هذا دل انه لا
يفهم على ما خرج ظاهره ولكن على ما يصح ويوجبه الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا
رشدا قال بعضهم ان قل عسى ان يهدينى ربى فى الاية هى اوضح على دلالة رسالتى واخذ مما تسالونى من امر اصحاب الكهف لانهم كانوا
يسالونه عن خبرهم فيستدلون على رسالته وصدقه ويقول قد هدانى ربى فى الاية على دلالة رسالتى واوضح مما تسالونى واخذ للقلوب
اذ كانت له ايات حسيات على رسالته وقال الحسن قوله قل عسى وعسى من الله واجب اى قد هدانى ربى الرشد والصواب وانا
مخبركم من اهل التاويل يقولون انه وعد له ولكن ان يخبرهم غدا عما يسالوه وقال عسى ان يرشدنى ربى لاسرع من هذا الميعاد الذى
وصفت والله اعلم وقوله عز وجل ولبثوا فى كهفهم ثلثماية سنين قال بعضهم هو صلة قولا ولكن الذين قالوا سيقولون ثلاثة رابعهم
كلبهم الاية مع قوله انهم لبثوا فى كهفهم ما ذكر فامره ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا الاية وقال بعضهم هو قول الله اخبر انهم لبثوا ما ذكر
من المدة وازدادوا تسعا قال بعضهم تسع سنين لكن ليس فيه بيان انه اراد تسع سنين او تسعة اشهر او تسعة ايام فلا ندرى
اراد بذلك ذا او ذا فالامر فيه الى الله على ما امر رسوله ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض فان قيل فى قوله ثلثماية
سنين الا قال ثلثماية رجل وثلثماية درهم ونحوه قال بعض اهل الادب انه لم يضف ثلثماية الى سنين ولكن اراد تمام الكلام بقوله
ثلثماية لذلك نون فيها ثم اخبر ما تلك الثلثماية فقال سنين على القطع من اول القطع والله اعلم وقوله عز وجل قل الله اعلم بما لبثوا
هو ما ذكرنا انه جعل علم مدة لبثهم فى كهفهم الى الله تعالى وقوله عز وجل له غيب السموات والارض يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها
له علم ما غاب عن اهل السموات واهل الارض كقوله عالم الغيب والشهادة والثانى له علم ما غيب واسر اهل السموات والارض
بعضهم من بعض والثالث له علم غيب ما شاهد اهل السموات واهل الارض لان فيما شاهدوا من الاشياء وعاينوه ما غيبا وسرا
لم يعلموه من نحو الشمس شاهدوها وعرفوا انها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذى به صلاح الاشياء ومنافعها وكذلك القمر
وانما شاهد واهذه الاشياء ولكن لم يعرفوا المعنى الذى به صارت نافعة للاشياء ومصلحتها وكذلك السمع والبصر والعقل ونحوه
من الحواس عرفوا هذه الحواس على ظواهرها ولكن لا يعرفون المعنى الذى به يسمعون ويبصرون ويفهمون فيقول له علم ما غاب عنكم من هذه
الاشياء التى شاهدتموها والله اعلم وقوله عز وجل ابصر به واسمع هذا كلام يتكلم على النهاية والغاية والابلاغ من الوصف و
يقال اكرم به من فلان اذا كان بلغ الكرم به غايته وكذلك يقال احسن به من فلان اذا بلغ فى الحسن غايته ونحوه فعلى ذلك قوله
ابصر به واسمع هو وصف له على النهاية كما يقال ما اعلمه وما ابصره وما اكرمه وما احسنه فى العلم انه يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوا
ابصره من الافعال التى يفعلونه واسمع به من الاقوال التى يتفوهون اى يعلم ما غاب عنهم ما لم يفعلوا ولم يقولوا فالذى قالوا وفعلوه
احق ان يعلم يحذرهم عز وجل عن افعالهم واقوالهم والله الموفق وقوله عز وجل ولا يشرك فى حكمه احدا يحتمل لا يشرك فى الوهيته و
ربوبيته احدا ويحتمل ولا يشرك فى حكمه اى الحكم له ليس لاحد دونه حكم انما عليهم طلب حكم الله فيما يحكمون او لا يشرك فى تقديره
وتدبيره الذى يدبر فى خلقه احدا ويحتمل ولا يشرك فى قسمته التى يقسم بين الخلق احدا او لا يشرك فى حكمه اى فيما جاءت به الرسل
ودعت الخلق اليه وقوله عز وجل واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك يحتمل كتاب ربك اللوح المحفوظ اى بلغ ما اوحى اليك
من اللوح الذى عند الله من متلو كقوله بلغ ما انزل اليك من ربك وهو جميع ما انزل اليه من المتلو وغير المتلو ويحتمل من كتاب
ربك الكتاب الذى انزل عليك وهو القران اى اتل عليهم ذلك الكتاب فان كان هذا ففيه ان القران فيما يتعرب بتلاوته ثم فى قوله
بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله واتل ما اوحى اليك فريضة ضيعناها وذلك انه امر رسوله بتبليغ رسالته وما انزل اليه ثم معلوم
ان من كان فى اقصى الدنيا وابعد اطرافها ثم يقدر رسوله ان يتولى التبليغ بنفسه وكذلك بعد وفاته لا يجوز ان يتولى بتبليغه
فكان ذلك القيام يلزم المسلمين وانهم بتبليغه فضيعوا ذلك ولهذا ما خص والله اعلم بدخول المسلمين دار الحرب للتجارة
ودخولا ولئك دار الاسلام للتجارة ايضا لينتهى اليهم خبر هذا الدين حيث علم انه يكون ائمة فى اخر الزمان لا يهتمون لدينه
ولا يتولون بتبليغ ما امروا بتبليغه ويضيعون امره فيلزمهم حجة الله والا ما الحاجة فى تلك التجارة والاموال التى يتجرون
فيها ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لا مبدل لكلماته قال بعضهم لا مبدل لسنته اذ سنته فى المكذبين الاهلاك وفى
المصدقين النجاة هذا سنته وان امكن تعجيلها وتاخيرها فاما نفس سنته فهى لا تبدل ولا تحول كقوله ولا تجد لسنة الله
تبديلا ونحوه وقال الحسن فى قوله لا مبدل لكلماته ما وعد ووعد فى الدنيا فذلك فى الاخرة لا يبدل ولا يحول اذ وعد المؤمنين
الجنة والكافرين العذاب فذلك لا يبدل وقال بعضهم لا مبدل لكلماته وهى القران لا يبدل ولا يغير ولا يزاد ولا ينقص كقوله
لا يأتيه الباطل من بين يديه وقال بعضهم لا مبدل لكلماته وهى القران بحججه وبراهينه التى جعل لدينه واقام لذلك يلزم الاسلام
ودينه الا من قصر عليه فى العبارة او كان المقام عليه الحجة معاندا مكابرا واما من لم يكن هذان المعنيان به فلعله والله اعلم

وقوله عز وجل ولن تجد من دونه ملتحدا هذا الخطاب وان كان فى الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه على ما ذكرنا
فى غير اى من القران وقوله ملتحدا قال بعضهم مدخلا ولذلك سمى اللحد لحدا لما يدخل فيه وقال بعضهم ملجا والله اعلم وقوله
عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يحتمل واصبر نفسك بالغداة والعشى مع الذين يدعون ربهم
فيكون فيه الامر بالجلوس لهم بالغدوات والعشيات للتذكير وتعليم العلم على ما تعاد الناس الجلوس للناس لذلك فى هذين
الوقتين اذ ذانك الوقتان خاليان عن الاشغال التى تشغلهم عن ذلك الغداة والعشى لما لم يجعل عليهم بعد صلوة الغداة
صلوة وكذلك بعد العصر للذكر الذى ذكرنا وتعليم ما يحتاجون فى ليلهم ونهارهم او ان يكون ذلك كناية عن صلوة الفجر والعصر
لما جاء لهما من فضل وعيد لم يجئ فى غيرهما من الصلوات نحو ما ذكر وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا وما روى فى العصر من
الوعيد من فاته العصر فكانما وتر اهله وماله ونحوه امر بصبر نفسه على حفظ هذين لما ذكرنا مع من ذكر او ان يكون لا
على ارادة غداة او عشى ولكن على الكون مع اتباعه فى كل وقت والصبر معهم وقال اهل التاويل ذكر هذا لان رؤساء كفار مكة
سالوه ان يطرد اتباعه من عنده ويتخذ لهم مجلسا فنزل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية وقوله
واصبر نفسك الاية وقال الواقدى قوله واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته نزل فى اصحاب الكهف يقول واخبرهم
ما سالوك مما اوحينا اليك من اخبار اصحاب الكهف ولا تزيد ولا تنقص عليه فان كان فانه نزل هذا فرسول الله كان لا
يخبرهم الا ما اوحى اليه وانزل عليه من امرهم والوجه فيه ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعد عيناك عنهم قيل لا تعد
عنهم الى غيرهم وقيل لا تصرف ولا ترفع عينيك عنهم تجاوزهم الى غيرهم تريد زينة الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين احدهما ان
كان على تاويل اهل التاويل انهم سالوه ان يتخذ لهم مجلسا دونهم اولئك فيكون ما قيل قوله تريد زينة الحيوة الدنيا اى تريد
اولئك الذين يطلبون منك مجلسا على حدة يريدون بذلك زينة الحيوة الدنيا لا يريدون بذلك وجه الله والثانى لو فعلت
ما سالوك كان فعل ذلك من يريد زينة الحيوة الدنيا لان المجلس الذى يحضره الاشراف والرؤساء انما يراد به زينة الحيوة الدنيا
والله اعلم وقوله عز وجل من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ذا دليل الاية على قولنا ظاهر نحن نقول على ما نطق ظاهر الاية من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا اى من خلقنا ظلمة الكفر بكفرهم فى قلوبهم اذ خذلناهم بكفرهم الذى فعلوا واما المعتزلة فانهم قد تحيروا فيه
وتاهوا واكثروا التاويلات فيها حتى ان منهم من صرف القراءة عن وجهها فقال ولا تطع من اغفلنا بنصب اللام وقلبه برفع
الباء معناه ان من اغفل قلبه عن ذكرنا على قوله المعتزلة على صرف الفعل الى القلب وكذلك قال الواقدى قوله من شربا خلق ليصح على
مذهبهم ويستقيم ومنهم من قال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى لا تطع من وجدنا قلبه غافلا وقال ذلك مستقيم فى اللغة
يقال قاتلناهم فما وجبناهم اى ما وجدناهم جبناء ويقال فسالناهم فما بخلناهم اى ما وجدناهم بخلاء ونحوه من الكلام وهو
تاويل الجبائى فيما اظن وقال بعضهم ولا تطع من اغفلنا قلبه اى من خلينا بينه وبين من يغفل وهو كما يقال لمن خلى عبده حتى افسد
كثيرا من الناس يقال سلطت عبدك على الناس وهو لم يسلطه عليهم لكنه يقال له لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة بينه وبين
ما فعل اضيف ذلك اليه فعلى ذلك قوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم وهو تاويل جعفر بن حرب
وقال بعضهم اضاف ذلك الى نفسه الاسباب التى اعطاهم من السعة والغناء والشرف فى الدنيا فتلك الاسباب التى اعطاهم هى
التى حملتهم على ذلك فاضيف اليه ذلك لذلك وهو ما قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وهو
تاويل ابى بكر الاصم وقال الحسن اغفلنا قلبه اى خذلناهم وطبعنا على قلوبهم وهو يقول ان الكفر حدا اذا بلغ ذلك الحد يخذله ويطبع
على قلبه فلا يؤمن ابدا فيقال الخذله فى اول حال الكفر او بعد ذلك باوقات وزمان فان قال فى اول حال كفره فهو قولنا وان
قال لا فى اول حاله ولكن بعد زمان فهو كافر موفق ومؤمن مخذول على قوله فنعوذ بالله مما قالوا ثم الجواب للاول ما ذكرنا
من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره فلو جاز لهم ذلك لغيرهم صرف جميع الايات عن ظاهر التنزيل وذلك بعيد محال واما تاويل
الجبائى اى وجدناهم كذا فانما يسوغ له هذا ان لو كان جميع حروف افعل يخرج على ما يقوله فى الاخر فاما ان يقال فى بعض فان
ذلك غير مستقيم وبعد فانه لو كان كما ذكر لكان يقول ولا تطع من اغفلته عن ذكرنا اى وجدته غافلا عن ذكرنا لانه نهى عن
ان يطيع من وجده غافلا فهو لا يعلم من وجده الله غافلا انما يعلم من وجده بنفسه غافلا فاما اذا كان ما ذكرنا لم يكن للنهى عما
ذكر معنى فدل ان تاويله فاسد وخيال وان اضافة اليه لمعنى يكون من الله واما جواب تاويل جعفر بن حرب انه على التخلية و
التسليط فهو انما يقال لمن يقال سلطت عبدك على كذا على الذم لا على المدح فلا يجوز ان يقال ذلك فى الله على الذم ويضاف
اليه ايضا ذلك وكذلك يقال لابى بكر حيث قال انما اضاف ذلك اليه الاسباب التى ذكر انه اعطاهم يقال له ذلك ويضاف
على الذم انك اعطيت كذا حتى فعل كذا فاما ان يقال على المدح فلا فبطل قوله وتاويله فدل اضافة ذلك الى نفسه انه كان منه
فى ذلك معنى يستقيم اضافته اليه وهو ما ذكرنا من خلق الظلمة فى قلوبهم بكفرهم الذى اختاروا وخذلانه اياهم لما اختاروا و
اثروا والله اعلم وقوله عز وجل وكان امره فرطا قال بعضهم فرطا اى ضياعا وهلاكا وقال بعضهم فرطا اى خسرانا وخسا

وقال ابو عبيدة هو من التفريط وقال غيره افرط في القول ليس كما قال انا دوس من مضران نسلم يسلم الناس بعدنا على ما ذكرنا
في بعض القصة وقال ابو عبيدة فرطا اي ندما وقوله عز وجل وقل الحق من ربكم كانه على الاضمار اي قل قد جئتكم بالحق من ربكم او
يقول لهم قد تعاونت اني قد جئتكم من الايات والحجج على ما ادعوكم اليه ما لا يحتمل بلبس وبحجج عن وسعي وطاقتي وقوله عز وجل
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم يحتمل هذا وجوها احدها من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فانه انما يعمل لنفسه ليس يعمل
لاحد سواه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية فعلى ذلك يقول والله اعلم
والثاني يقول اني بلغت الرسالة اليكم فلا اكرهكم اما على الاسلام ولا احد سواي فمن شاء منكم فليؤمن
ومن شاء فليكفر فانه انما يؤمن باختياره ومشيته ومن كفر فانما يكفر باختياره ومشيته لا يكره على ذلك والثالث ان الايمان
والكفر قد بين الله لها العواقب ما عاقبة من اختيار الايمان وما عاقبة من اختيار الكفر وهو ما قال انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها الى اخر ما ذكر وقال للمؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن
الاية يقول قد بين لكل واحد منهما عاقبة فمن شاء اكتسب لنفسه في العاقبة الجنان وما فيها من النعيم ومن شاء اكتسب ما ذكر
في العاقبة من النار وانواع العذاب فذلك كله يخرج على الوعيد وقوله عز وجل انا اعتدنا للظالمين وقت دخولهم النار نارا
وهو في الاخرة وقوله عز وجل احاط بهم سرادقها يحتمل هذا وجهين احدهما على ارادة حقيقة السرادق والثاني على التمثيل اي
يحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها ما يمنع السرادق من الخروج في الدنيا ودفع الحر والبرد فان كان على حقيقة السرادق
فهو والله اعلم على ما جعل الله لهم من انواع ما كانوا يتفاخرون في الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك يجعل لهم في الاخرة
من ذلك النوع من النار وهو ما ذكر سرابيلهم من قطران وما قال ليس لهم طعام الا من ضريع والشراب ما ذكر من الصديد والغساق
وغير ذلك من النوع الذي كانوا يتفاخرون به في الدنيا ويمنعهم عن الايمان جعل لهم في الاخرة من ذلك النوع من النار وبه م
يا قبهم فعلى ذلك جائز ان يكونوا يتفاخرون به في الدنيا بالسرادق انا خرجوا في السفر فيا قبهم الله في النار بذلك والله اعلم
وقوله عز وجل وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يحتمل استغاثتهم هو ما ذكر في الاية ان افيضوا علينا من الماء فيغاثون بماء
كالمهل ويحتمل ان يطلبوا في النار الماء بعد ما طعموا فيها منها فيغاثون بالمهل ثم المهل قال عامتهم المهل هو دردي الزيت او
لكنهم اختلفوا في معنى التشبيه به قال بعضهم شبهه به لغلظه لان الشيء الغليظ يكون الصق واخذ من غيره وقال بعضهم
شبه به لسواده وقال الحسن وابو بكر تشبيه به لكثرة تلونه من الحمرة والصفرة والسواد ونحوه لشدته وهو ما ذكر يوم
يكون السماء كالمهل شبهه كالمهل لتلونه لشدة ذلك اليوم وهوله وقوله عز وجل يشوي الوجوه ذلك الشراب وبئس
الشراب وساءت مرتفقا اي ساءت النار مرتفقا اختلف فيه قال بعضهم المرتفق المتكأ وقال بعضهم المجتمع اي بئس الاجتماع
وقال بعضهم مجلسا وقال بعضهم بئس المنزل النار قرنا وهم فيها الكفار والشياطين وقوله عز وجل ان الذين امنوا و
عملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا قال بعضهم هو على التقديم والتأخير كانه قال انا لا نضيع اجر من احسن عملا منهم
ثم قال الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن الى اخر ما ذكر وقال بعضهم ليس على التقديم والتأخير ولكن على
ما ذكر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا منهم ثم بين ما لهم فقال اولئك لهم جنات عدن الى اخر ما
ذكر قال ابو عبيدة السرادق البناء والذي يحيى من الكتب بيس شبه الدار والحجرة وساءت مرتفقا اي متكأ ومنزلا وقال القتبي
السرادق والحجرة التي تكون حول الفسطاط قال وهو الدخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظل ذو الثلاث الشعب و
المهل دردي الزيت ويقال اذيب من النحاس والرصاص وساءت مرتفقا اي مجلسا واصل الارتفاق الاتكاء على المرفق وقوله
اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من ذهب يذكر ثواب المؤمنين الذين تركوا شهواتهم في الدنيا لها و
يلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق قالوا الاستبرق الديباج الغليظ والسندس هو الرقيق والغليظ منه لا يلبس لكنه كانه
جمع بين ما يلبس وبين ما يبسط فذكر اللبس لما يلبس كما يقال اطعمت فلانا طعاما وشرابا والشراب لا يطعم وقيل ان الاستبرق هو الرقيق
من الديباج بلغة قوم فان كان ما ذكر فكانه انما ذكر ذلك لاولئك والله اعلم وقوله عز وجل متكئين فيها على الارائك قال بعضهم الارائك
السرر في الحجال والاريكة السرير في الحجال والاريكة السرر في الحجلة وقال بعضهم الارائك السرر عليها الحجال وقال ابو عبيدة الارائك الفرش
الوسادة وحسنت مرتفقا قيل منزلا واصل هذا انه وعد لهم في الاخرة ما كانت انفسهم ترغب فيه في الدنيا فتركوا ذلك في الدنيا للموعود
في الاخرة وكذلك حذرهم في الاخرة باشياء تنفر انفسهم وطباعهم في الدنيا ليحذروا ما يستوجبون الموعود في الاخرة والله اعلم وقوله
عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الى اخر ما ذكر جائز ان يكون هذا المثل كان في الامم المتقدمة وكتبهم سئل
رسول الله عن ذلك ليعلم ويتبين لهم صدقه بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يدعو على ما سئل هو عن قصة ذي القرنين وبنائه وبناء اصحاب
الكهف واخبارهم ليتبين لهم صدقه اذ علموا ان تلك الانباء والقصص لا يعلم ولا يعرفها الا من علم كتاب الله اذ كان ذلك في كتب الله وهو لم
يعرف تلك الكتب لانها كانت بغير لسانه ولم يره اختلف الى من يعرفها ليتعلم منه ثم انباهم على ما كان في كتبهم فدل ان ذلك انما عرف بالله

بلغ

وانه صادق

وانه صادق فيما يدعي من الرسالة على هذا يجوز ان يقال والله اعلم فيكون في ذلك اية لرسالته ونبوته او ان يكون قوله واضرب لهم مثلا
رجلين الى اخره اي اضرب لهم مثلك ومثلهم مثل رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل ما ذكر من رجلين الى اخره او ان يكون قوله واضرب لهم مثلا
رجلين احدهما اي اضرب للمتكبرين والمتوسطين مثلا رجلين كل رجلين هذا سبيلهما يرغب احدهما في الدنيا وزينتها ويطلبها لا يرى غيرها والاخر
في الزهد فيها وترك الطلب لها والرغبة في الاخرة فان كان على هذا او ما ذكرنا من ضرب مثله ومثل اولئك فهو على الابتداء فيخرج على الاعتبار و
التفكر فيما ذكر تنبيها وايقاظا وان كان على السؤال عما كان فهو ليس على الاعتبار ولكن على الانباء انه رسول فيه اية لرسالته ونبوته ثم
قوله واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا اي بين الجنتين كلتا الجنتين اتت اكلها
اي حملها ولم يقل اتتا اكلهما خرج على اسم واحد فان كان في المعنى على التثنية وذلك جائز في اللغة كقولك كلتا المرأتين صالحة وكلا
صالح وفيه قول الشاعر كلانا شاعر من حي صدق ولكن الرجى تعلوا اسفلا وقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص من ثمرها
شيئا وقوله عز وجل وفجرنا خلالهما نهرا اي اجرينا بينهما ماء جارية وقوله تعالى وكان له ثمر قال بعضهم من قرائه بالرفع فهو كل ما كان
من الجنان وغيرها ومن قرأ بالنصب فهو على الثمر وقال بعضهم الثمر بالنصب فهو الثمر والثمر بالرفع فهو جميع الثمار والله اعلم وقوله عز وجل
فقال لصاحبه وهو يحاوره يكلمه ويجيبه او يناز عه ويناظره انا اكثر منك مالا واعز نفرا لا يحتمل ان يكون هذا الخطاب منه على
الابتداء لانه لا يصح على الابتداء فيشبه ان يكون كان من صاحبه له وعيد وتخويف فعند ذلك قال له ما ذكر او ان يكون قال بعض ربي
في الاخرة مثل ذلك او خيرا منها فقال له عند ذلك انا اكثر منك مالا واعز نفرا قد تفضل علي في الدنيا ويفضلني ايضا في الاخرة عليك حيث
قال لاجدن خيرا منها منقلبا ان كان ما تزعم صدقا انا نبعث ونرد الى الله والا على الابتداء لا يصح وقوله عز وجل ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
يحتمل اي ظالم نفسه ويحتمل ان يكون قوله نفسه بدنه وهو ظالم المعنى الذي يكون في النفس به يستعملها فيما يستعمل والله اعلم وقوله عز وجل
وما اظن ان تبيد هذه ابدا قال بعضهم ما اظن اي ما اوقن وما اعلم وقال بعضهم هو الظن لانه صاحبه كان يناظره فيه فاضطرب في فنائها
وقيام الساعة فشك فيه والله اعلم وقوله عز وجل ان تبيد هذه ابدا ما دامت نفسه اذ كان لم يشاهد الهلاك ولم ينظر اليه فقال ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اي لو رددت الى ربي على ما تزعم لاجدن خيرا منها منقلبا ان كنت صادقا وقوله
عز وجل قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة اي خلق اصلك من تراب وخلقك من نطفة ثم سواك رجلا
اي صححك وقومك رجلا جائز ان يكون محاجته اياه في هذه لانكاره البعث اي كفرت وانكرت قدرة الله على البعث والاعادة وهو خلق
اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة فانت اذا مت وهلكت تصير ترابا او ماء فاذا قدر على خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من ماء
فهو قادر على اعادتك وبعثك بعد ما صرت ترابا او ماء او يكون محاجته في انكاره حكمة الله فيقول خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة
ثم سواك وصححك فان لم يبعث ويعيدك وكان خلق اصلك وخلقك باطلا عبثا غير حكمة اذ من بنى بناء ثم نقضه على غير قصد الانتفاع به
كالذي بنائه في الابتداء عابثا لاهيا سفيها غير حكيم فلو ذلك خلقك وخلق اصلك من غير اعادة من بعد يكون سفيها على غير حكمة وهو ما قال
افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير خلقهم على غير رجوع اليه عبثا او يكون محاجته في تشفيعه اياه في عبادته غير الله يقول اكفرت نعمة
الذي خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك صحيحا فصرفت شكر نعمه الى غيره وعبدت غيره على هذه الوجوه الثلاثة
ويحتمل محاجته اياه اما في انكاره قدرته في بعثه واعادته او انكاره الحكمة في البعث او في انكاره نعمه وصرفه الشكر الى غيره والله اعلم قوله
عز وجل لكنا هو الله ربي كانه قال لكن الذي خلق اصلك من تراب وخلق اصلك من نطفة هو ربي ولا اشرك بربي احدا وقال الخليل لكنا
انا هو على تأويل لكني انا اقول هو الله ربي كقوله هو الله ربي كقوله اني انا اخوك ثم حذفوا الالف من انا اثبتوها بعد النون في
اعلم وقوله عز وجل ولولا اذ دخلت جنتك اي هلا اذ دخلت نظرت الى ما انعم الله عليك وقمت بشكره دون ان اشتغلت بالازدراء
ونظرت الى قلة ذات حالي ويدي واشتغلت بالافتخار علي وكذلك قال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ثم ذكر طمعه ورجاءه على ربه
وخوفه حيث قال فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء او يرسل على جنتك حسبانا من السماء قال اهل
التأويل الحسبان العذاب الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا وذلك جزاؤه في الكفرة وهو ما ذكر في الجنتين الذين اهلكها
حيث قال ذواتي اكل الى قوله ذلك جزيناهم الاية وقال ابو عبيدة حسبانا اي عذابا والحسبان الصغار من النبل والحسبانة واحدة
والحسبان جمع والاول عذاب وقوله عز وجل فتصبح صعيدا زلقا قال ابو عبيدة صعيدا زلقا الذي ليس عليه نبت وزلقا اي
مستويه وقال القتبي الصعيد الاملس المستوي والزلق الذي تزل عنه الاقدام وقوله عز وجل او يصبح ماؤها غورا هذا يخرج
على وجهين احدهما يقول ويرسل عليها حسبانا من السماء اي عذابا فتصير صعيدا زلقا املس لا نبات عليها او يذهب بمائها فتهلك بذهاب
الماء اذ هلاك البساتين يكون بذهاب الماء مرة وبالعذاب النازل عليها ثانيا وقوله عز وجل فلن تستطيع له طلبا هذا يحتمل وجهين احدهما لن
تستطيع له طلبا اي تغييره لا يستطيع له طلبا او لن تستطيع له وجودا وقال في قوله ان ترن انا اقل منك بالنصب لان الكلام مبني على انه
ان ترني وجعل انا صلة واما قوله انا اكثر فرصفنا بالكثر فارتفع وقوله عز وجل واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق
فيها هكذا العادة الناس انهم اذا اصابهم خسران او مصيبة يقلبون كفيهم بعضهم على بعض على الندم والحسرة على ما فات وقوله عز وجل وهي خاوية

على عروشها اي ساقطة على عروشها ويحتمل خاوية ناحية البركة وقوله عز وجل ياليتني لم اشرك بربي احدا ان كان هذا القول في الدنيا فذلك منه توبة لان التوبة هي الندامة على ما كان منه وقال بعضهم هذا القول منه في الاخرة فان كان في الاخرة فانه لا ينفعه ذلك والله اعلم وهكذا كل كافر يؤمن في الاخرة لكن لا ينفع وقوله عز وجل ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هذا والله اعلم مقابل ما قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي لم يغن عن عذاب الله ما ذكر من النفر ولا قدر ان يقوم بنفسه منتصرا بالمال الذي ذكر وقوله عز وجل هنالك قال بعضهم عند ذلك وقال بعضهم هنالك اي هكذا ولاية الله ثم اختلف في تلاوته وتأويله قرأ بعضهم الولاية لله بالفتح وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود هنالك الولاية لله الغفور وهو الحق بالرفع وفي حرف حفصة وهنالك الملك والولاية لله الغفور ذو الرحمة وقرأ بعضهم لله الحق اي الولاية الحق لله والولاية بالنصب من الموالاة قال ابن عباس رضي الله عنه لا يبقى احد الا تولى الله وامن به وعلم انه حق والولاية بالكسر من الامارة والملك على ما ذكر في حرف حفصة وفي حرف ابي هنالك الولاية الحق لله يقرأ الولاية لله وهو الحق ويقرأ هنالك الولاية الحق لله الولاية لله الحق بالخفض ويقرأ هنالك الولاية الحق لله وذكر هذا المثل لرسول الله والله اعلم لان فيه دلالة رسالته وحجة توحيد الله وقدرته وسلطانه وقوله عز وجل هو خير ثوابا وخير عقبا اي ثوابا هذا المؤمن منهما افضل ثوابا في الاخرة وافضل عاقبة من عقبى ذلك الكافر قال ابن عباس في قوله واضرب لهم يعني لاهل مكة مثلا رجلين اخوين من بني مخزوم واحدهما مسلم والاخر كافر وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الصافات اني كان لي قرين الى قوله فراه في سواء الجحيم تصدق المسلم منهما بماله وطلب الاخرة وطلب الاخر به الدنيا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان اخوين ورثا عن ابيهما مالا فاقتسماه فاما احدهما فالتمس بماله الدنيا وزينتها واما الاخر فتصدق به وطلب الاخرة حتى لم يبق له شئ الى هذا ينحسب هؤلاء والله اعلم وقوله عز وجل واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اختلف الناس في ضرب هذا المثل قال بعضهم ضرب هذا للمشركين الذين لانهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها وانها لا تبيد ابدا فيقولون الذي يعاينون من فناء ما ذكر من النبات وغيره وهلاكه هو جزء منها فاذا احتمل جزء منها فاذا احتمل جزء منها الفناء والهلاك فعلى ذلك الكل وقال بعضهم وجه ضرب هذا المثل وهو ان اهل الدنيا وطلابها اذا ظفروا بالدنيا وطمعوا الانتفاع بها والاستمتاع يحال بينهم وبين الانتفاع والاستمتاع بها كما طمع الزراع الظفر بذلك الزرع والوصول الى الانتفاع به ثم حيل بينهم وبين الانتفاع بالزرع والوصول الى مقصودهم فعلى ذلك الدنيا يحال بين اهلها وطالبيها وبينها وقال بعضهم وجه ضرب مثل الدنيا بما ذكر من النبات للتزيين والتحسين لاهلها والتعجيب لهم لانها تتزين وتحسن لاهلها كالنبات الذي ذكر انه يعجب اهلها ويتزين لهم ثم يفسد ويصير هشيما فعلى ذلك الدنيا وهو ما ذكر في اية اخرى كمثل غيث اعجب الكفار نباته الاية هكذا وما فيها كلها مشوب بالافات والفساد في هذا المثل وجوه من الحكمة والدلالة احدها العظة والاعتبار للمتفكرين والمتبصرين والحجة على المعاندين والمكابرين في انكارهم حدث العالم وحدثه شهادة انكارهم فناء العالم وانكارهم البعث لما حدث العالم لما عاينوا حدوث اشياء منه واحدا بعد واحد فعلى ذلك الكل وادام ايضا فناء اشياء منها حتى لم يبق لها اثر ثم حدث مثلها فاذا ظهر هذا في بعض منها امكن ذلك الكل فاذا ظهر حدوثه وفناؤه لابد من ان صح حدثها وفيه دلالة البعث بما اراهم يتجدد ويحدث هذه الانزال والاشجار والنبات وغيره والعود على ما كان بعد فنائها فعلى ذلك اعادة العالم الذي هو المقصود في انشاء تلك الاشياء وذلك اولى بالاعادة من غيره من الاشياء اذ هم المقصود في خلق غيرهم من الاشياء وبعد فانهم فلما تعتقوا على ان خلق الشئ وفناه للهلاك خاصة من غير مقصود وعاقبة عبث ليس بحكمة فلو لم يكن بعث ولا اعادة لم يكن في خلق ايام حكمة لانه يجعل خلقه للفناء والهلاك خاصة وفي قوله كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض دلالة علمه وتدبيره وقدرته لما اخبر انه ينزل من السماء ماء فيختلط به نبات الارض واكله من طبع الفساد انه اذا اختلط به فانه لم يفسد ولكن احياه بالاختلاط دل ان ذلك فعل ان حتى يحيي النبات لا بطبع ذلك غيره دلالة عالم بذاته وتدبيره ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ان ذلك كان بواحد عليم مدبر قادر بذاته ما من قدر على ما ذكرنا من الاحداث والافناء قادر على الاعادة والبعث والله الموفق وقوله عز وجل فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا اي هو مقتدر من قدرت وقوله عز وجل المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات كان هذا ذكر على معصور ان من كان ضيق في الدنيا كثير المال والبنين فهو زينة الحيوة الدنيا وهو الفاني والذاهب على ما ذكر ومن كان مقصوده في هذه الدنيا الخيرات والاخرة فالباقيات الصالحات ثم اختلف في الباقيات الصالحات قال بعضهم هو قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعلى ذلك روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا وان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هن الباقيات الصالحات وفي بعض الاخبار قال لاصحابه خذوا جنتكم قالوا من عدو حضر قال لا ولكن جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات الموجبات الباقيات الصالحات وفي بعض الاخبار لا بل لي قد خير من يدا بك وبينهن فانهن الباقيات الصالحات وهي كنز من كنوز الجنة قال وما هي يا رسول الله قال فذكر سبحان الله فان ثبت هذه الاخبار ففي امثل ما يجوز غيره وقال بعضهم الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهو قول ابن عباس وغيره فان كان فيه معنى الاخبار ولكن كل واحد منها يجمع جميع انواع الخيرات والعبادات في الحقيقة لان سبحان الله هو تنزيه الرب عن كل آفة وعيب والحمد

هو الثناء

هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه الى الخلق وجعله مستحقا للحمد والثناء له دون من سواه وان لا اله الا هو لا معبود سواه وانه لا يستحق العبادة غيره والله اكبر هو الاجلال له عن كل ما قيل فيه ونفي كل معاني الخلق عنه ولا حول ولا قوة الا بالله هو التبري وقطع الطمع عن دونه وتفويض الامور بكليتها اليه والتسليم له فكل حرف من هذه الحروف يجمع في الحقيقة كل انواع العبادات و الخيرات لما ذكرنا وكذلك الصلوات ايضا تجمع كل انواع العبادات لانه يستعمل كل جارحة من جوارحه فيها فيكمل المنها في تجمع جميع العبادات والاصل في قوله والباقيات الصالحات انها كل الخيرات والطاعات لان الله تبارك وتعالى ذكر ووصف الحق بالبقاء والثبات في غير اي من القران ووصف الباطل بالبطلان والتلاشي والذهاب من ذلك قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض الاية وقال الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الاية وامثاله فعلى ذلك قوله و الباقيات الصالحات هي باقية خير عند ربك ثوابا وخير املا اي خير ما يأملون قال ابو عوسجة فاصبح هشيما اي يابسا بالياء و قال القتبي ومنه سمي الحطب هاشما وقال ابو عوسجة تذروه الرياح اي تطيره وقال القتبي اي تنسفه كقوله فقل ينسفها ربي نسفا وعن ابن عباس قال خير عند ربك ثوابا اي خير ما يثاب الناس عليه وخير املا اي خير ما يأمل الناس من عنا اعمالهم يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة يذكرهم جل وعلا عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث سار ما ثبت شئ دام في الدنيا وتمكن اثبت شئ دام في الدنيا وهو الجبال لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه وقال في اية اخرى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال في اية اخرى وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقال في اية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال في اية اخرى هباء منثورا وامثاله يذكرهم عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث صار اثبت شئ في الدنيا واشده على الوصف الذي ذكره ويريهم هذه الاحوال والافزاع التي ذكر لا تقوم انفس البشر في الدنيا لقيامها لشدة هذه الاهوال التي ذكر اخبر انه لا تقوم الا ترى ان موسى صلوات الله عليه كان اشد الناس واقوى البشر ثم لم تقم نفسه لما تدكدك الجبل حتى صعق الا ان الله حكم ان لا هلاك يومئذ بعد ما احياهم والاكان تنفسهم لا تقوم بدون ما ذكر من الاهوال ثم ما ذكر من احوال الجبال يكون ذلك في اختلاف الاحوال والاوقات يكون في ابتداء ذلك اليوم ما ذكر انها تسير وانهم يرونها جامدة وهي ليست بجامدة ثم تصير كثيبا مهيلا ثم تصير كالعهن المنفوش في وقت ثم تصير هباء منثورا يكون على الاحوال التي ذكر على اختلاف الاحوال والاوقات على قدر الشدة والهول والله اعلم ثم يحتمل قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب لشدة ذلك اليوم تراها كانها جامدة وهي تمر مر السحاب وقد يتراءى في الشاهد مثله للهول والفزع والثاني تراها لازدحام الجبال واجتماعها وقد تتراءى في الشاهد السائر كالجامد والساكن للكثرة والازدحام نحو عسكر عظيم يسير يراه الناظر اليه كانه ساكن لا يسير فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذه الاحوال التي ذكر لاهل الكفر والعصاة منهم فاما اهل الايمان والاحسان يكونون في امن وعافية من تلك الاهوال كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الاية وقوله عز وجل وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها بناء ولا شجر ولا جبال ولا حجر ولا شئ يسترها مستوية على ما ذكر قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ويحتمل قوله وترى الارض بارزة اي يكون اهلها بارزين له كقوله وبرزوا لله جميعا وقوله عز وجل وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا اي نجمعهم جميعا كقوله قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقوله عز وجل وعرضوا على ربك صفا قال بعضهم عرضوا على ربك جميعا ثم يحتمل قوله وعرضوا على ربك للحساب وقال بعضهم يعرضون على مقامهم اي يعرض كل فريق على مقامه اي يبعث كقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ويحتمل معنى العرض عليه في ذلك اليوم وان كانوا في جميع الاحوال والاوقات في الدنيا والاخرة معروضين عليه عالم باحوالهم لما يقرون له جميعا يومئذ بملكهم ومقرهم بالعرض والقيام كقوله وبرزوا لله جميعا والامر يومئذ لله والامر في جميع الاوقات لله وكذلك هم بارزون له في جميع الاحوال لكنه خص ذلك اليوم بالاضافة اليه لانهم يقرون له جميعا في ذلك اليوم بالالوهية له والملك ويعرفونه حقيقة فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا وجوها يحتمل لقد جئتمونا بالاجابة والاقرار لنا كما اجابت خلقتكم في اول خلقنا اياها في الدنيا والثاني لقد جئتمونا كما قلنا في الدنيا انكم تبعثون وتحشرون وتقوم لكم الساعة والثالث ما قاله اهل التاويل لقد جئتمونا فرادى بلا انصار ينصرونكم ولا اعوان يعينونكم على ما كنتم في الدنيا وقال بعضهم كما خرجتم من بطون امهاتكم عراة حفاة ليس معكم مال ولا بانعكم ولا انصار يناصركم وهو ما قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وقوله عز وجل بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا هذا يدل ان تلك الاحوال التي ذكر انما تكون لمن انكر البعث حيث قال بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعني القيامة وهذا يدل ان الاهوال والافزاع التي ذكر في الاية الاولى تكون للعصاة والفسقة من خلقه دون المؤمنين وقوله عز وجل ووضع الكتاب قبل الحساب ويحتمل الكتاب الذي كتبته الملائكة ووضع ذلك الكتاب في ايديهم وقوله عز وجل فترى المجرمين مشفقين اي خائفين وجلين وقال بعضهم لما نظروا في الكتاب فرأوا اعمالهم الخبيثة فيه عند ذلك خافوا مما فيه وقوله عز وجل ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من اعمال السيئة الا احصاها اي حفظها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الحسنات والسيئات الا احصاها ويحتمل قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا مما يجري به الاسناد ومما يجري به الا احصاها اي حفظها ووجدوا ما عملوا في الدنيا حاضرا في الاخرة محفوظا عليهم فلم يغب عنه شئ ولا غائب منه وقال بعضهم انما هو قول

الملك يقولون ذلك كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي حفيظ والله اعلم وقوله عز وجل ولا يظلم ربك احدا اي يجزي كلا على قدر عمله لا يزيد على قدر عمله ولا ينقص منه او لا ينقص المؤمن من حسناته والكافر لا يترك له سيئة الظلم هو وضع الشيء غير موضعه يقول لا يظلم ربك احدا اي لا يكون بما يجزي كلا على عمله ظالما واضعا شيئا غير موضعه وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ذكر الله عز وجل قصة آدم وابليس في غير موضع من القرآن على الزيادة والنقصان وانما ذكر كذلك وكرر لما كان ذلك في الكتب المتقدمة مكررا معادا فذكر في القرآن على ما كان في تلك الكتب ليكون ذلك آية لرسالة محمد حيث علموا انه كان يعرف الكتب المتقدمة وان ما كرره لحاجات كانت لهم ولفوائد يكون لهم في التكرار ويكون لهم عظة وتنبيها في كل وقت وكل حال وقد يكون الشيء ويعاد على التذكير والتنبيه والله اعلم بذلك وقوله عز وجل فسجدوا الا ابليس كان من الجن اختلف فيه قال بعضهم سمي من الجن لانه كان من الجان الذين يعملون في الجنان فنسب اليه قال بعضهم ان من الملائكة قبيلة يقال لها الجن فكان ابليس منها فنسب اليها وقال الحسن ما كان ابليس من الملائكة قط طرفة عين ولكنه من الجن كما قال الله فهو اصل الجن وهو اول من عصى ربه من الجن ان آدم هو اصل الانس وهو ابوهم فعلى ذلك ابليس ابو الجن وقال بعضهم كان من الجن اي صار من الجن وكذلك قالوا وكان من الكافرين اي صار من الكافرين وقال بعضهم كان من الجن اي كان في علم الله في الازل انه يكون من الجن وكان في علم الله في الازل انه يكون من الكافرين وقت عصيانه ربه واباية السجود لآدم وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم وقوله عز وجل ففسق عن امر ربه قيل عتى وعصى واصل الفسق الخروج اي خرج عن امر ربه وكذلك قال القتبي فسق اي خرج عن طاعة ربه يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وقوله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني هذا يحتمل وجهين احدهما انه اراد بقوله من دوني نفسه فكانه قال افتتخذونه وذريته اربابا والهة من دوني وهم لكم وليسوا بآلهة ولا ارباب فكيف يجوز ان يتخذ العدو ربا والها والثاني انه اراد بقوله اولياء من دوني اي من دون اوليائي فكانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دون اوليائي وهم لكم عدو اي كيف تتخذون الاعداء اولياء وتتركون من هم لكم اولياء ولا تتخذونهم اولياء والله اعلم وقوله عز وجل بئس للظالمين بدلا اي بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم ان عبدوا ابليس واطاعوه فبئس ذلك لهم بدلا وان يكون قوله بئس للظالمين بدلا اي ما اتخذوا اعداءهم اولياء بدلا عن اوليائهم او بدلا عن الوهيته وربوبيته وقوله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قال بعضهم قال هذا لمشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله والاصنام التي عبدوها انها الهة وانها شركاؤه فيقول ما اشهدتهم خلق الملائكة وخلق الارض ولا خلق انفسهم ولا كان لهم كتاب ولا آمنوا برسول فكيف عرفوا ما قالوا الملائكة بنات الله والاصنام الهة وشركاؤه واسباب العلم والمعارف هذا اما المشاهدة واما الرسل فاذا لم يكن لهم واحد مما ذكرنا فكيف عرفوا ربهم وبم علموا ما قالوا في الله من الولد والشركاء والى هذا يذهب الحسن ومنهم من قال لاتخاذهم ابليس وذريته اولياء وارباباو هو صلة ما قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو الآية وفيه وجوه من التأويل بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ما استحضرتهم خلق انفسهم لانهم لم يكونوا في ذلك الوقت ولا خلق السموات والارض لانه خلقهما وهم لم يكونوا ايضا شيئا او اشهدتهم ما علمتهم تدبير خلق السموات والارض ولا تدبير خلق انفسهم فكيف قالوا ما قالوا في الله من الدعاوى والثالث ما اشهدتهم اي ما استعنت بهم في خلق السموات والارض ولا في خلق انفسهم فكيف اشركوا في الوهيته وربوبيته وما استعنت بهم في ذلك والله اعلم وقد استدل كثير من المتكلمين بهذه الآية على ان خلق الشيء هو غير ذلك الشيء لانه قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقد شهدوا السموات والارض وشهدوا انفسهم حتى قال الله وفي انفسكم افلا تبصرون ثم اخبر انه لم يشهدهم خلق السموات والارض وخلق انفسهم دل ان خلق السموات والارض وخلق انفسهم غير السموات والارض وغير انفسهم وقوله عز وجل وما كنت متخذ المضلين عضدا قال بعضهم وما كنت متخذ المضلين عن الايمان والهدى عونا لديني والثاني وما كنت متخذ المضلين عبادي ينصرونهم ويعينون اوليائي وقال بعضهم وما كنت متخذ المضلين الذين اضلوا بني آدم عونا فيما خلقت من خلق السموات والارض وخلق انفسهم وهو ابليس وذريته او ما كنت متخذ المضلين اولياء انما اتخذهم اعداء وما كنت لاولي المضلين عضدا على اوليائي كقوله لا ينال عهدي الظالمين ونحوه وكله قريب بعضه من بعض وقوله عز وجل ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم قال شركائي على زعمهم والا لم يكن لله شركاء من عومهم يعني دعوا الاصنام التي عبدوها فلم يستجيبوا لهم قال ابو بكر الاصم لم يجيبوهم في وقت وقد اجابوهم في وقت آخر وهو ما قالوا انا كنا عن عبادتكم لغافلين ولكن قوله فلم يستجيبوا لهم لما كانوا يعبدونها في الدنيا وانما كانوا يعبدونها طمعا ان يكونوا لهم شفعاء وانصارا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا فيكون قوله فلم يستجيبوا لهم ما طمعوا بعبادتهم الاصنام من الشفاعة والنصرة ودفع ما حل بهم عنهم والمنع عن عذاب الله والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا بينهم موبقا اي بينا وبينك وبين الاصنام موبقا قال بعضهم مهلكا وقال بعضهم موبق الذي يفرق بينهم وبين الهتهم في جهنم وقال بعضهم نهرا فيها وقال بعضهم جعلنا وصلهم في الدنيا الذي كان بين المشركين وبين الاصنام موبقا اي مهلكا وقوله عز وجل فظنوا انهم مواقعوها اي علموا وايقنوا انهم داخلوها ولم يجدوا عنها مصرفا اي لم يقدر الاصنام التي عبدوها ان تصرف النار عنهم قال القتبي

ولم يجدوا

ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ولقد صرفنا قد ذكرناه وبينا في غير موضع وقوله عز وجل من كل مثل يحتمل وجهين احدهما من كل مثل اي من كل صفة كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفات العليا والثاني المثل هو الشبه كقوله ليس كمثله شيء فان كان التأويل التشبيه فكانه يقول والله اعلم ولقد صرفنا اي بينا في هذا القرآن من كل شبه ما بهم حاجة الى معرفة ما غاب عنهم جعل لهم شبيها مما شاهدوا وادركوا ليعرفوا به ما غاب عنهم وان كان التأويل المثل الصفة فكانه يقول والله اعلم ولقد بينا في هذا القرآن من كل ما يؤتى وما يتقى وصفة يعرفون بها ما لهم وما عليهم ما يأتون وما يتقون والله اعلم وقوله عز وجل وكان الانسان اكثر شيء جدلا قال اهل التأويل وكان الانسان يعني الكافر اكثر شيء جدلا اي جدالا كقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ويشبه ان يكون وكان الانسان اكثر جدلا اي وكان جوهر الانسان اكثر جدالا من غيرهم من الجواهر لان الجن لما عرض عليهم القرآن والآيات قبلوها على غير مجادلة ذكرت حيث قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية وكذلك الملائكة لم يكن منهم الجدال ولا المجابة وذلك وقد ظهر من جوهر الانسان المجادلة والمحاجات في الآيات والحجج من ذلك قوله ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم الآية وقوله وجادلهم بالتي هي احسن وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وامثال هذا ولذلك احتيج الى ما كثرة الآيات والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة وفيه الاذن بالمجادلة والمحاجة في الدين على الوصف الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي لم يمنع الناس ان يؤمنوا الا التعنت والعناد لانه قد اكثر عليهم من الحجج والآيات ما لم يعاندوا ولا كابروا الا لزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذي منعهم عن الايمان ما ذكرنا من عنادهم وتعنتهم الا ان تأتيهم سنة الاولين وسنة الاولين الاستئصال والاهلاك فيقول لا يؤمنون الا في ذلك والايمان لا ينفعهم في ذلك الوقت كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقوله عز وجل او يأتيهم العذاب قبلا اي عيانا جهادا قال ابو عبيد او يأتيهم العذاب قبلا اي مقابلة وقبلا استئنافا وقال مجاهد قبلا فجأة وقال قبلا قبيلا قال ابو عوسجة قبلا او مواجهة وكذلك قبلا وقال القتبي قبلا اي مقابلة وعيانا والله اعلم وقوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي لم نرسلهم الا ليوجب لهم البشارة والنذارة انما ارسلوا للامر والنهي ليأمروا الناس بالطاعة طاعة الله وينهوهم عن معاصيه فانما ارسلوا فالبشارة لمن اتبع امرهم وانتهى عما نهوا عنه والنذارة لمن ارتكب ما نهوا عنه فيكون البشارة لمتبعيهم في امرهم والنذارة لمرتكبين المنهي والله اعلم وقوله عز وجل ويجادل الذين كفروا بالباطل يحتمل قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ما نسبوه الى السحر والكهانة والى غيره بمجادلته وهو باطل او ان يكونوا عرفوا ان ما يجادلونهم به ويحاجونهم باطل وان ما يدعوهم الرسول الى الله حق وصدق لكن يجادلونه وعندهم انهم على باطل كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم الآية عرفوا انه نور لكنهم عاندوه في المجادلة والمحاجة بالباطل والله اعلم قوله عز وجل ليدحضوا به الحق اي ليبطلوا به الحق وقوله عز وجل واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا قال بعضهم آياته الشمس والقمر وغيره وما انذروا هزوا قال بعضهم آياته الشمس والقمر وغيره وما انذروا به ما انذروا به الرسل هو القرآن وقال بعضهم قوله واتخذوا آياتي هزوا القرآن والحجج التي اقامها وما امروا به غير القرآن هي المواعيد هزوا وقال هذا التأويل تأويل الاول باطل لا يصح لانه قال على اثره ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها يقول هذا يدل انه اراد بالآيات ما ذكرنا من الحجج والبراهين لا ما ذكر وجائز انهم اذا لم يعملوا بآياته ولم يستعملوها نسبهم الى الهزء بها والسخرية وان لم يهزؤوا بها وهو ما سماهم عميا وبكما وصما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولم يستعملوها فيما جعلت له وان لم يكن في الحقيقة كذلك كذا كان فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل مجادلتهم اياهم ما قالوا هذا سحر وكهانة وانه افك وشعر ونحوه وان يكون مجادلتهم قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا واشباه ذلك من المجادلات التي كانت منهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها يحتمل قوله ذكر بآيات ربه اي وعظ بالآيات التي نزلت بمكذبي الرسل من الامم الماضية فيكون تأويله اي لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ بآيات ربه فاعرض عنها ما لم يتعظ بما وعظ كان به نجاته او ان يكون تذكيره بآيات ربه وهو ما اقام من حججه وبراهينه على توحيده ورسالة الرسول فلم يقبلها ولم يصدق فيها اي لا احد اظلم على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الآيات والحجج ولم يقبلها والله اعلم وقوله عز وجل فاعرض عنها يحتمل الاعراض عنها في الابتداء اي لم يقبلها ولم يكترث اليها ولم ينظر فيها او اعرض عنها بعد ما عرفها انها آيات وانها حجج تعنتا وعنادا وقوله عز وجل ونسي ما قدمت يداه يحتمل اي نسي من الخيانة والشرك او ان يكون قوله ونسي ما قدمت يداه موصولا بالاول اي لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ وجعل له سبيل الخلاص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ به والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ان الكفر مظلم اذا تمكن في الانسان يستر على نور القلب وعلى نور كل جارحة منه والايمان منير ينير القلب وينور كل جارحة منه وعضو وهو ما ذكرنا في غير موضع ان الانسان انما يبصر بنورين ظاهر من نور نفسه وبنور ذلك الشيء فاذا ذهب لا ينتفع بالآخر والايمان ما ذكرنا انه منير في القلب نور فاذا اجتمع النوران معا فعند ذلك انتفع به فجعل يفقهه ويعقل الشيء بنور القلب وبنور الايمان وكذلك كل جارحة منه من الاذن والبصر والانسان جعل يبصر الحق به ويعتبر به ويستمع الحق والصواب والكفر مظلم يمنع ويستر على نور الجوارح فجعل لا يبصر ولا يعتبر ولا يسمع ولا يتكلم بالحق وهو ما ذكرنا ان الانسان انما يبصر الشيء بنور العين وبنور الهواء فاذا ذهب احدهما صار لا يبصر شيئا فعلى ذلك ما ذكرنا في الآية دلالة نقض قول المعتزلة لانه لا يخلو الكفر من ان يكون مظلما قبيحا ذميما بنفسه او بالله تعالى فان قبل ما ذكرنا قبل ان يجاد حدوث

الاشياء بنفسها اذ لا فرق بين ان يكون الشئ مظلما قبيحا ذميما بنفسه وبين ان يكون الاشياء ما نفسها على ما كانت فانه
بطل بنفسه مظلما قبيحا ثبت ان الله هو الذى جعل مظلما قبيحا وهو ما يقول نحن ان الله خلق فعل الكفر من الكافر مظلما قبيحا
وخلق فعل الايمان من المؤمن منيرا حسنا والله الموفق **وقوله** عز وجل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا هذا فى قوم
مخصوصين علم الله انهم لا يؤمنون ابدا والا لا يحتمل فى جميع الكفار اذ من الكفار من قد امن وقال الحسن هو فى قول الذين جعل على قلوبهم
الغطاء والطبع اذ من قوله ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدا وقال بعضهم هو فى قوم عادتهم العناد و
المكابرة وتكذيب الاية والحجج فاخبر انهم لا يؤمنون ابدا لعنادهم واصله ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وربك الغفور ذو الرحمة
يحتمل ان يكون على وجهين احدهما الغفور حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم وقت عصيانهم وذو الرحمة يقبل توبتهم اذا تابوا والثاني
الغفور اذا استغفروا وتابوا وذو الرحمة يرحمهم ويتجاوز عنهم ما سبق لهم من الذنوب **وقوله** عز وجل لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب فى الدنيا بل لهم موعد قال الحسن جعل الله لكل امة يهلكون هلاكهم موعدا واجلا كقوله ان موعدهم الصبح وقال
فى اية تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وجعل موعد هذه الامة الساعة وهو قوله بل الساعة موعدهم قال بعض
اهل العلم اهلك الله كلا ممن كذبت رسولها بالسغط الامة التى تأتى بعدها وجعل هلاك امة محمد بالساعة لان ليس بعدها امة سغط
وقوله عز وجل لن يجدوا من دونه موئلا قيل ملجأ قال القتبى يقال لا والت نفسك اى لا نجت ويقال الدال فادن الى كذا او
لجأ **وقوله** عز وجل وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يجعلون المهلك
هالكا قبل اجله وقد اخبر عز وجل لمهلكهم موعدا لا يتقدم ولا يتاخر طرفة عين وفى قوله فنسى ما قدمت يداه ذكر تقديم اليد وان
يكن لليد صنع فى ذلك لما فى العرف الظاهر انه انما يقدم ويؤخر باليد وكذلك ما ذكر من الكسب فيما كسبت ايديكم لانه فى الشاهد
انما يكتسب باليد ونحوه فهو يرد على اصحاب ان الخطاب على مخرج الظاهر حيث لم يفهم من ذكر اليد هاهنا اليد نفسها ولكن فهم
غير اليد **وقوله** عز وجل واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين قال اهل التاويل لا ابرح اى لا ازال حتى ابلغ كذا
فان كان على هذا فهو ظاهر والاعرف البراح يعرف البراح عن المكان اى لا ابرح المكان حتى ابلغ مجمع البحرين وهو كانه على الاضمار
اى لا ابرح اسير معك حتى ابلغ كذا كانه سبق من فتاه انه يسير الى ذلك المكان دونه على ما يقول الخادم لمولاه اذا اراد ان يسير لحاجة انا
اسير وانا اذهب فعند ذلك قال له موسى لا ابرح اى لا افارقك واسير معك حتى ابلغ ما ذكر اى امرت بذلك وقال بعضهم سماه فتى لانه
كان خادمه يخدمه وقال بعضهم سماه فتى لانه كان خادمه يخدمه وقال بعضهم سماه فتى لانه كان يتبعه ويصحبه ليتعلم منه العلم
وقوله مجمع البحرين اى ملتقى البحرين **وقوله** عز وجل او امضى حقبا قيل زمانا ودهرا وقيل الحقب ثمانون سنة وقال بعضهم هو بلغة
قوم سنة وقال بعضهم هو على التمثيل على ما يبعد وقيل سبعون سنة ونحوه والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما بلغا مجمع بينهما نسيا
حوتهما اضاف النسيان اليهما وان كان الذى نسيه هو فتاه وقال بعضهم اضاف النسيان اليهما على الترك لانهما فارقا ذلك المكان
وترك الحوت فيه وانما اضاف النسيان اليهما لما تركاه جميعا فيه وفارقاه وان كان الفتى هو الذى نسيه دون موسى حيث قال
وما انسانيه الا الشيطان وكل نسى متروك وقال بعضهم اضاف اليهما لما كان منهما جميعا النسيان نسى الفتى ان يذكره ويخبر
ان سرب فى البحر ونسى موسى ان يستخبره عنه فقد كان منهما جميعا النسيان عن الفتى الاخبار والتذكير وعن موسى الاستخبار
عن حاله وقال بعضهم اضاف ذلك اليهما لما نسيا مكان الرجل الذى امر موسى ان يأتيه يقتبس منه العلم فهو على الجهل لا يخرج على
التاويل اى جهلا مكانه والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال ابو عوسجة سربا اى دخل فى البحر كما يدخل فى السرب
والسرب هو داخل الارض يقال بالفارسية سمج وقال القتبى سربا اى مذهبا ومسلكا وقول اهل التاويل ان الحوت كان مشويا
فاحياه الله وقال بعضهم كان طريا ولكن ليس لنا الى معرفة الحوت انه كان مشويا او طريا حاجة وهو قادر على ان يحييه مشويا
او طريا فاى حال كان والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما جاوزا يعنى المكان قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
فيه دلالة ان لا باس للرجل اذا اصابته مشقة وجهد ان يذكر اصابنى كذا وللمريض يقول بى من المرض كذا ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى
والجزع عن الله حيث قال موسى عليه السلام لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجهدا **وقوله** عز وجل قال ارايت اذ اوينا الى
الصخرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وفى حرف ابن مسعود ان اذكره قال الحسن لم يكن نسيه ولكن
تركه متعمدا مضيعا وانما اضاف الى الشيطان يقول ان الشيطان هو الذى حملنى حتى تركت ذكره لك وكذلك يقول فى قوله فى قصة
ادم فنسى اى ضيع امره وتركه ونحوه من الحال ولكن لا يحتمل ان يترك ان يذكر له عمدا والشيطان مما يسعى بالحيلولة فى مثل هذا
الحال الدين وفى النعم اذا كثرت واتسعت على انسان فيسعى بالانساء فى مثله **وقوله** عز وجل واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال
بعضهم عجب موسى من الفتى انه كيف نسى ان يذكره وقد احتاج اليه ان يحمل مؤنة عظيمة فى حمله وقال بعضهم عجب موسى منه
حين يبس له الماء واثره فيه والله اعلم ثم ذكر موسى بخبر الحوت وما صنع فقال ذلك ما كنا نبغ اى نطلب من حاجتنا من الظفر
بذلك الرجل بقول ذلك لفتاه ثم فى الاية وجوه من الفوائد احدها ان يلزم الانسان طلب العلم واقتباسه اذا كان به

وبالناس حاجة اليه وان بعدت الشقة ونأى الموضع حيث قال موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا وفيه ان لا
باس لاثنين ان يسافرا ولا لكل واحد واثنين يكونان شيطانين على ما ذكر فى بعض الاخبار ان الواحد شيطان والاثنين شيطانان
ولكن واحد دون واحد واثنين وفيه انه لا يسافر الا بالزاد حيث تزود موسى والفتى والحوت الذى ذكر حين خرجا الى حيث
امر موسى ان يخرج فى مجمع البحرين فاما اهل التاويل فانهم قالوا جميعا ان امر موسى ان يأتى الخضر ليتعلم منه العلم ولكن ليس فى
القران ذكر الخضر انما فيه ذكر عبد من عباده حيث قال فوجدا عبدا من عبادنا وفيه ان الثنيا انما تلزم فى كل فعل مستقبل مما يشك
فيه ويرتاب فاما ما كان سبيل معرفته الوحى واليقين فانه لا يستثنى فيه حيث قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين
او امضى حقبا قال ذلك من غير ثنيا لانه عز وجل ان يأتيه ولا يحتمل ان يؤمر بالاتيان فى مكان ثم هو يشك انه لعله لا يأتيه هو
لذلك قطع القول فيه وكذلك قول ذلك العبد الصالح لموسى انك لن تستطيع معى صبرا قطع القول فيه من غير ثنيا لانه علم بالوحى
انه لا يصبر على ما يرى منه واما موسى فانه قد استثنى فيما وعد انه يصبر لانه اضاف الى حادث من الاوقات على الشك منه انه هو
يصبر او يصبر وعلى الارتياب ليس على اليقين فقال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا لما ذكرنا وفيه ان الرجل اذا
اختلف الى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه فرأى منه مناكير ومظالم يلزمه ان يفارقه ولا يتعلم منه العلم كصنيع موسى بصاحبه
لما راى من خرق السفينة وقتل الغلام وغيره مما كان منكرا وظلما فى الظاهر وان كان ما فعل هو فعل الامر كره موسى صحبته ثم
على ذلك اشد الندامة حتى جعله على علم من ذلك كله فهكذا الواجب على الرجل اذا راى مناكير من الذى يأخذ منه العلم ومظالم ان
يفارقه ولا يأخذ من علمه والله اعلم وفى قوله ستجدنى ان شاء الله صابرا دلالة ان الاختيار والمستحب فى الثنيا ان يكون فى ابتداء
الكلام لان موسى ابتدأ به وكذلك قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فاذا تركه فى اول كلامه او نسى يستثنى فى اخره فيعمل عمله فى دفع الحلف
فى الوعد والكذب وعلى هذا تأول بعض الناس قوله واذكر ربك اذا نسيت اى استثن فى اخره اذا نسيت فى اول كلامك والله
اعلم ثم هذه القصص والانباء التى ذكرت لرسول الله على اثر سؤال كان منهم على ما ذكرنا فى قصة اصحاب الكهف وغيرها
من القصص او على غير سؤال ولكن كانت فى كتبهم فذكر له ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف اهل التاويل فى السبب الذى
امر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل وبعثه عليه قال بعضهم وذلك ان موسى قام خطيبا فى قومه فخطب خطبة لم يخطب
خطبة مثلها فاعجبه ذلك فوقع عنده ان ليس احد اعلم منه فاخبر ان فى مجمع البحرين رجلا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه
وقال بعضهم لا ولكن موسى قد اعطى التورية وفيها علوم كثيرة فظن انه ليس احد اعلم منه فاخبر ان فى مجمع البحرين عبدا من عبادنا
اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه فان كان على ما ذكر اهل التاويل من السبب فيخرج الامر له بالمصير اليه والتعلم منه مخرج
العقوبة له والعتاب لما خطر بباله ووقع فى وهمه ما وقع وجائز ان يكون الامر له بالمصير اليه والتعلم منه ابتداء محنة من الله
تعالى اياه بتعلم العلم من غير سبب كان من موسى على ما يؤمر المرء بتعلم العلم ابتداء من غير سبب محنة من الله يمتحن بها نحو ما امر موسى
بالمصير الى الطور سيناء واعطى هناك التورية فى الالواح على غير سبب كان منه ولكن ابتداء محنة يمتحنه به فعلى ذلك يحتمل
امره له بالمصير الى ما امر والتعلم منه ابتداء محنة امتحنه بها وقوله اهل التاويل ان صاحب موسى الذى امر موسى بالمصير اليه والتعلم
منه الخضر وفتاه الذى كان يصحبه ويتبعه يوشع بن نون فذلك يعلم الا بالسمع والخبر عن يوحى اليه فيعلمه بالوحى واما من
ذلك وقاله لا عن وحى فلا يعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع فيه من انواع الحكمة
والعلوم واما ما ذكر وانه فلان وانه كان فى موضع كذا فى البحر وان موسى قال له كذا وهو قال لموسى كذا فان سبيل معرفة ذلك السمع
فان ثبت السمع فيه والا لم يجب ان يذكر فيه اكثر فما ذكر فى الكتاب لان هذه الانباء والقصص التى ذكرت فى القران انما ذكرت لتكون
اية الرسالة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلو قيل فيها ما لم يذكر فى كتبهم من الزيادة والنقصان لكان ذلك سببا لاكذابه لا لتصديقه على ما يدعى
من الرسالة **وقوله** عز وجل ما كنا ذلك اى فقد الحوت هو ما كنا نبغى اذ كان ذلك على الوجود مكان ذلك الرجل **وقوله** عز وجل فارتدا على
اثارهما قصصا قال بعضهم اى رجعا عودهما على بدئهما قال بعضهم اى رجعا يقصان طريقهما واثارهما الذى مشيا فيه يطلبان المكان
الذى فقد الحوت فيه اذ ذلك المكان هو مكان علم وجود ذلك الرجل الذى امر موسى بالصبر اليه وقال بعضهم اقتصا اثر الحوت فى الماء لكن
الاول اشبه لانه فى الاية ذكر اثارهما لا ذكر اثر الحوت **وقوله** عز وجل فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا يحتمل قوله رحمة من
عندنا النبوة حيث قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا لا يحتمل ان يقول له هذا الا على علم وحى وحيث قال وما فعلته عن امرى اخبر انه
لم يفعله ما فعل عن امر نفسه ولكن امر الله والله اعلم ويحتمل قوله رحمة من عندنا كل خير وكل بر وكرم اعطاها الله اياه او ان يكون رحمة القلب
وشفقته التى كانت منه على اهل السفينة بخرقها وقتل ذلك الغلام الذى قتله اشفاقا منه على والديه وعلى الناس واقامة الجدار التى كادت
ينقض فاقامه واشباهه **وقوله** عز وجل وعلمناه من لدنا علما هو ظاهر **وقوله** عز وجل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن فى قوله هل اتبعك
على ان تعلمن فى قوله هل اتبعك دلالة انه كان على سفر ولم يكن مقيما فى ذلك المكان ومن يتعلم من اخر علما فانه يتبعه حيث يذهب هو فى حوائجه لا
يؤمر بالمقام حيث يقيم المتعلم لانه قال هل اتبعك على ان تعلمن **وقوله** عز وجل مما علمت رشدا يحتمل اى رشد فى الى ما علمت او تعلمنى مما علمت

من المرشد والصواب وقوله عزوجل انك لن تستطيع معى صبرا بما ترى منى من الامور ما يخرج فى الظاهر مخرج المناكير ويقول انك نبى
ورسول والرسول اذا راى منكرا فى الظاهر لا يسع له ترك الانكار عليه والتغيير وانت لا تصبر على ما ترى منى لما لم تعرف سببه الا ترى
انه وسع له الانكار عليه والتغيير حيث قال له وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اى ما لم تعلم علما والله اعلم وقوله عزوجل قال ستجدنى ان شاء الله
صابرا ولا اعصى لك امرا يحتمل ان يكون الثنيا منه على الامرين جميعا على الصبر الذى وعد وعلى قوله ولا اعصى لك امرا ويشبه ان يكون
على وعد الصبر خاصة دون قوله ولا اعصى لك امرا لان قوله ولا اعصى لك امرا عهد منه والثنيا لا يستعمل فى العهود واما قوله ستجدنى
ان شاء الله صابرا انما هو فعل اضافه الى نفسه فلا بد من ان يستثنى فيه وقوله عزوجل شانه فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شئ مما تنكر
نفسك وتكرهه حتى احدث لك منه ذكرا اى لماذا فعلت ما فعلت وقوله عزوجل فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال
اخرقتها لتغرق اهلها هذا الكلام يخرج على وجهين يخرج على الانكار عليه اى اخرقتها لتغرق اهلها ولتعيبها او لماذا و
ظاهر هذا الحرف استفهام لولا قوله لقد جئت شيئا امرا فان كان على الاول على الانكار عليه والرد فقوله لقد جئت شيئا امرا
ظاهرا اى جئت شيئا امرا ظاهرا اى جئت شيئا عظيما شديدا وان كان على الاستفهام فهو على الاضمار كانه قال اخرقتها لتغرق اهلها
فلئن خرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اى عظيما شديدا وان كان التاويل على الانكار فهو كما يقال لمن يبنى بناء ثم يترك
الانفاق عليه فى عمارته بنيت لتخرب ولتهدم وكما يقال لمن زرع زرعا ثم ترك سقيه زرعت لتفسده ونحوه وان كان لم يبن
لذلك ولم يزرع لما ذكر ولكن لما كان ذلك يصير فى العاقبة اذا ترك سقيه وعمارة ما بنى فان قيل كيف قال له موسى اخرقتها لتغرق
اهلها وبعد لم يعلم ان ذلك الخرق اهلها وقد يجوز ان يكون غير مغرق قيل انما اخبر عما يؤول الامر فى العاقبة والظاهر من الخرق
ان يغرق فى الاخرة وهو كما ذكرنا من امر البناء والزرع بنيت لتخرب وزرعت لتفسد وان لم يكن بناؤه وزراعته لذلك فعلى ذلك
قول موسى لصاحبه والله اعلم وقوله عزوجل الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا هذه الاية على المعتزلة لانه قال له انك لن تستطيع
معى صبرا هذه الاية على المعتزلة لانه قال له انك لن تستطيع معى صبرا فلانه كان يحتاج الى استطاعة تقارن الفعل لا يتقدم
الفعل فيكون بها الفعل والا قد كانت له اسباب لو لم يوثر غيره لاستطاع الصبر معه دل ان استطاعة الفعل تكون تقارن
وقال الحسن انما يقال هذا للاستثقال كما يقول الرجل لآخر لا استطيع ان انظر اليك بغضا وهو ناظر اليه لكن يقال ذلك
على الاستثقال والبغض ليس على حقيقة نفى الاستطاعة فعلى ذلك الاول فيقال له هو كما يقال لا استطيع ان انظر اليك
نظر الرحمة فهو وان كان ناظرا اليه لما ذكر فهو غير ناظر اليه نظر رحمة وشفقة فهما سواء وهو ما يقوله والله اعلم وقوله عزوجل
لا تؤاخذنى بما نسيت يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على التعريض من الكلام اى لا تؤاخذنى بالنسيان كقول ابراهيم حيث قال
فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم ونحوه اى ساسقم والثانى على حقيقة النسيان نسى قوله فلا تسالنى عن شئ بعدها لما راى من المنكر
فى الظاهر وهكذا كانت عادة الانبياء انهم اذا راوا منكرا لا يملكون انفسهم حزنا وغضبا على ما راوا فلا ينكر ان يكون نسى ما
قال له وقال بعضهم على التضييع والترك فهو يخرج على الاول والله اعلم وقوله عزوجل ولا ترهقنى من امرى عسرا قال بعضهم
لا تكلفنى من امرى ما يعسر على وقال بعضهم الارهاق هو الشرف والتعب وقال بعضهم ولا ترهقنى اى لا تغشنى عسرا وقوله
عزوجل فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس يحتمل هذا الكلام ايضا وجهين على الانكار و
الرد عليه والثانى على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا فى الاول وان قلت نفسا زكية بغير نفس ولم يحق دما اذ على الايجاب
والرد على ما راى فى الظاهر قتل نفس ولم يعرف الوجه الذى به يجب القتل وقوله عزوجل لقد جئت شيئا نكرا هو على ما ذكرنا
الايجاب ظاهر وعلى الاستفهام والسؤال على الاضمار ان قلت نفسا زكية بغير نفس فلئن فعلت لقد جئت شيئا نكرا اى
منكرا ثم اختلف فى قوله نكرا قال بعضهم نكرا اكبر من قوله امرا لان فيه مباشرة القتل واهلاك النفس بغير نفس فهو اكبر ولهذا فى نفسه
الخرق اهلاك وقد يجوز ان لا يهلك وقال بعضهم قوله امرا اكبر من نكرا لان فيه اهلاك جماعة وههنا اهلاك واحد فهو دون
الاول والله اعلم وقوله عزوجل الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ما ذكرنا فى الاول وقوله عزوجل قال ان سالتك عن شئ
بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فى ترك المصاحبة عذرا فى ترك انك لن تستطيع معى صبرا وقوله عزوجل
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية سمى قرية وهى كانت مدينة الا ترى انه قال فى اخره واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة دل
انها كانت مدينة والعرب قد تسمى المدينة قرية وقوله عزوجل استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
فاقامه قال الحسن كان ذلك الجدار كهيئة عند الناظر انه يسقط وقال ابو بكر الاصم يريد ان ينقض اى ارادة صفة كما على حقيقة
الفعل وليس له حقيقة الفعل بعد ان يضاف اليه الفعل الا ترى انه يقال للجدار يسقط وان كان فى الحقيقة يسقط وعند ذلك انا
يقال ذلك لقربها الحال ودنوها للاشراف على الهلاك والسقوط الا ترى ان الرجل يقولون له اذا دنت وادوت ان اهلك وادوت
ان اسقط وهو لا يريد بان يموت ولا السقوط ولكن يريد بذلك ذلك لاشرافه على الهلاك وقرب الحال اليه ليس على حقيقة الارادة فعلى ذلك
قوله يريد ان ينقض اى اشرف وقرب على حال السقوط والله اعلم وقوله عزوجل قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا هذا القول من موسى يخرج

وجهين احدهما قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا لشدة حاجته الى الطعام بلا ينفع لهما حاجة الى اهل تلك البلدة اذ قد وقع لهما اليهم حاجة
حيث قال استطعما من اهلها مرة فلم يطعموهما فاراد ان ياخذ على ذلك اجرا بلا يقع لهما حاجة اليهم ثانيا والثانى قال له ذلك لما لم يراهل
تلك البلدة اهلا ليصنع اليهم المعروف لما راى فيهم من البخل والقسوة فى الطعام حيث استطعما فلم يطعموهما لبخلا منهم وقسوة والله اعلم
وذكر فى بعض القصة ان الجدار الذى اقامه صاحب موسى كان طوله خمسمائة ذراع وقامته مائتى ذراع وعرضه اربعين ذراعا ونحوه
مخرجه على نعت القوم لكن لا حاجة لنا الى معرفة ذلك انما الحاجة الى ما فيه من انواع الحكمة والفوايد وقوله عزوجل قال هذا فراق بينى
وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اى سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اى سانبئك بيان ما قلت لك انك لن
تستطيع معى صبرا ثم بين وفسر له فقال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها اى اجعلها معيبة قوله وكان
وراءهم ملك ذكر فى بعض الحروف وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا فعلى ذلك انا قيل فيه فاردت ان اعيبها اى اجعلها
معيبة لئلا ياخذها ذلك الملك غصبا اذ كان لا ياخذ الا سفينة صالحة صحيحة والله اعلم وقوله عزوجل واما الغلام فكان ابواه
مؤمنين اختلف فى سن ذلك الغلام قال بعضهم كان ذلك الغلام كبيرا بالغا والعرب قد تسمى الرجل البالغ الذى لم يلتح بعد والملتحى
يسمى لحيته غلاما الغريم بوقت البلوغ ولذلك قال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس والصغير مما لا يقتل اذا قتل نفسا بغير حق فلو كان
صغيرا لم يكن لقول موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس وهو كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ان ابائكم تحقن دماءكم اى اباكم
تحقن دماكم اذا ظهر منهم الدم وكقوله لولا الايمان لكان لى ولها شان اذا ظهر منها الزنا فعلى ذلك قوله اقتلت نفسا زكية بغير نفس
لو كانت محتملة القتل بالنفس والله اعلم ثم اختلف فى سبب قتل ذلك الغلام قال بعضهم قتله لكفره كان كافرا وكذلك ذكر فى حرف ابى بن
كعب واما الغلام فكان كافرا الا ترى انه قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا دل هذا انه كان بالغا كافرا ذ لو لم يكن كافرا لم يلحق
والديه منه الطغيان والكفر وقال بعضهم انما قتله لانه كان لصا قاطع الطريق يقطع الطريق على الناس وياخذ اموالهم وعلى قول
من يقول انه كان صغيرا قتله لانه علم انه لو بلغ كان كافرا والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك السبب الذى قتله حاجة ولانه كان
صغيرا لانه اخبر انه انما قتله بامر الله لا من تلقاء نفسه حيث قال وما فعلته عن امرى ولكن انما فعلته بامر الله وقد ان يامر عبدا من عباده
بقتل الصغير على ما له ان يميته وعلى ما يامر ملك الموت بقبض ارواح الخلق فعلى ذلك له ان يميته على يدى اخر وان يقبض روحه اذ له الخلق
والامر وقوله عزوجل فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ليس هو الخوف ولكن العلم اى علمنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكذلك ذكر
فى حرف ابى فان قيل كيف احتج على قتل واهلاكه بما علم انه يلحق ابويه منه الطغيان والكفر وقد ترك ابليس وجنوده يبعثون الى
الى اخر الدهر على علم منه انهم يحملون الناس على الطغيان والكفر ويحقونهم انواع المعاصى والفواحش وكذلك هؤلاء الظلمة الذين
لا يكون منهم الا كل شر وجور على الناس من تركهم على علم منه بما يكون منهم فما معنى الاحتجاج فى قتله واهلاكه بما ذكر من ارهاق
الطغيان والكفر بالوالدين قيل الجواب ان احدهما ان الله عزوجل قد يمتحن بالشر بعباده وعلل واشيا بحملهم تلك المعانى والا
على الرغبة والحث فيما امتحنهم وان كان له الامتحان لا على تلك المعانى والعلل نحو ما امتحنهم بانواع العبادات والطاعات وثواب
وجزاء ذكر لهم فيها لو فعلوا وان كان له الامتحان بذلك على غير ثواب ولا جزاء وكذلك العقوبات وغير ذلك من المحن فعلى ذلك
الاولى والثانى ذكر هذا ليطيب بانفسهم احسانا منه اليهم وانما ما عليهم اذ له ان يميتهم صغارا وكبارا وعلى ذلك يخرج قوله
ولو بسط الله الرزق لعباده الاية وقد وسع على كثير من الخلق وكذلك قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية وقد جعل
الكثير من الخلق ذلك لكن هذا المال ان يفعل ذلك للكل فمن لم يفعل ذلك له انما لم يفعل احسانا منه وافضالا لا فعلى ذلك الاول
انما ذكر ما ذكر احسانا منه وافضالا والله اعلم وقوله عزوجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما قال بعضهم
خيرا منه زكوة اى صلاحا واقرب رحما اى وصل رحما وابر لوالديه وقال بعضهم خيرا منه زكوة اى عملا واقرب رحما اى
منه برا لوالديه قال ابو عوسجة رحما من الرحم والقرابة وقال القتبى رحما اى رحمة وعطفا وذكر انهما قد اعطيا خيرا منه اى جنس من
القتيل والله اعلم وقوله عزوجل واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما اختلف فى ذلك الكنز قال بعضهم
كان ذلك الكنز ما لا كنزه ابوهما قال ابن عباس حفظ لصلاح ابيهما وما ذكر منهما صلاحا وقال بعضهم كان ذلك الكنز صحفا
فيها علم قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان يكون علما لان العلم مما يعلمه العلماء ويشترك الناس فيه فلا يحتمل ان يحفظ ذلك لهما دون
الناس فان ثبت وحفظ ما روى فى الخبر فهو مال وعلم وروى عن ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تحت الجدار
الذى قال الله فى كتابه وكان تحته كنز لهما لوح من ذهب فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح و
عجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها محمد رسول الله فان حفظ هذا
عن رسول الله ففيه مال وعلم لان اللوح من الذهب مما يكثر ويعظم قدره وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقوله
عزوجل فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك اى نعمة من ربك واحسانا عليهما اذ كان له ان لا يحفظ
ذلك لهما ولا يوصله اليهما على ما لم يعط لكثير من اليتامى والمساكين شيئا من ذلك لكن ذلك منه اليهما فضل وانعام ورحمة عليهما

والله اعلم وقوله عز وجل وما فعلته عن امري هو ما ذكرنا انه اخبر عن امر الله فعل ما فعل لا عن امر نفسه وقوله عز وجل ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا اي تاويل ما قلت لك في بدء الامر انك لن تستطيع معي صبرا ثم لا يحتمل ان يكون موسى حيث امر بالذهاب
الى ذلك الرجل والاتباع له والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه الا علم ما انكر عليه وسبب حل ذلك له اذ كان ذلك
بانكار ما انكر عليه من الافعال التي هي في الظاهر منكرة لكن جائز ان يكون استفاد منه علوما كثيرة سوى ذلك لكنه لم يذكر لنا ذلك
والله اعلم وقول اهل التاويل اسم الغلام الذي قتله صاحب موسى خشنوتا ولا ادري ما زاد والدار اسمهما اكنوا لا نعلم ذلك وليس
بنا الى معرفة اساميهم حاجة وكذا اسم الغلامين اليتيمين صاحبا الجدار اصرم وصريم ولا ادري ما نا لا حاجة بنا الى ذلك وقولهم
كان صاحب موسى خضرا وانه انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضا فاخضرت فذلك ايضا مما لا يعلم الا بالخبر عن الوحي وخبر
السماء فلا نقول فيه الا قدر ما ذكره الكتاب فانه يخرج ذكره مخرج الشهادة على الله من غير حصول النفع لنا في ذلك علما وغيره
وليس في الكتاب الا ذكر عبد من عبادنا وذكر الغلامين وذكر الفتى وذكر غلامين يتيمين في المدينة وامثاله يقال ما فيه ولا
يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكذب والله اعلم وقوله عز وجل ويسألونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا
في الاية دلالة ان الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يسال هو عن خبر ذي القرنين لانه قال يسالونك ولم يقل سالوك
والخبر الذي روى عقبة بن عامر الجهني يدل على ذلك ايضا لانه روى ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف والكتب فقالوا
استاذن لنا على رسول الله لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ولهم يسالون عما
لا اعلم انما انا عبد لا اعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابلغني وضوءا اتوضأ به فتوضأ ثم قام الى مسجد في بيته فركع فيه ركعتين فلما انصرف
حتى بدا السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي قال فادخلهم فلما راهم النبي قال لهم
ان شئتم اخبرتكم بما تجدونه في كتابكم فهذا ان ثبت يدل انه نزل عليه نبأ ذي القرنين وخبره قبل ان يسال وانا افزلنا وبل
جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل من بعد السؤال والله اعلم ثم اختلف فيه قال الحسن كان نبيا دليله ما قال قلنا
يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال هذا الحكيم من الله اياه فيما ذكر ولا يولي الحكم الا من كان نبيا واما علي
بن ابي طالب رضي الله عنه فانه سئل عن ذلك كان نبيا او ملكا فقال لا واحد منهما وقال غير هؤلاء انه كان ملكا يدل على
ذلك الخبر الذي روى عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن خبره ونبائه قال فقال رسول الله كان غلاما
من الروم اعطي ملكا فسار حتى بلغ كذا على ما ذكر في الخبر ولا يشبه ان يكون انه كان ملكا الا ترى انه قال انا مكنا له في الارض
اي ملكنا له الارض له جملة ذكر تمكين الارض له جملة يصنع فيها ما يشاء لم يخص له ناحية منها دون ناحية وليس كقوله ولم
نمكن لهم حرما امنا الاية وكقوله ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه ههنا خص مكانا لهم دون مكان واما في ذي القرنين ذكر التمكين
له في الارض لم يخص ناحية منها دون ناحية فهو ان ملكه ومكنه الارض كلها وقول الحسن انه حكمه وولي له الحكم فهذا لا يدل انه
كان نبيا لان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان الا ترى الى قوله ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
ان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو والقتال في ذلك مع العدو فعلى ذلك هذا وقوله اما من ظلم فسوف نعذبه
اما من كذا يحتمل هذا منه الهام من الله تعالى وتعليم الملك الذي كان فيه او كان معه نبي فاخبر له بذلك والله اعلم وقوله
تعالى واتيناه من كل شيء سببا اختلف في ذلك قال بعضهم علم المنازل منازل الارض ومعالمها واثارها وقال العلم
والقوة وقال بعضهم اعطاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك له مما يقع له الحاجة اليه وقال بعضهم ذلك السبب
كان انما كان عليها يحمل الخشب فيتخذ منه سفينة ان استقبله بحر فيعبر بها ثم ينقضها ويحمل الخشب على الانعام ويعبر
البر على الدواب فذلك السبب الذي ذكر واصله انه ذكر انه اتاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك عليه ولم يبين ما
ذلك السبب فلا ندري ما اراد بذلك والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة كانه
اراد وطلب ان يعرف انها اين تغرب حيث قال وجدها تغرب في عين حامية وفيه لغتان حامية وحمئة قالوا من قراها
حامية اراد في عين حارة ومن قرا حمئة مهموزة بغير الف اراد الحماة وهي الطينة السوداء والله اعلم بذلك وقوله عز وجل
ووجد عندها قوما قال بعضهم كانوا كفارا ومؤمنين الفريقان جميعا فقال في الكفار اما ان تعذب وهو القتل وقال في
المؤمنين واما ان تتخذ فيهم حسنا ليس على التخيير ولكن على الحكم في كل فريق على حدة وقال بعضهم كانوا كلهم كفارا فيكون تاويل
قوله اما ان تعذب ان لم يجيبوك واما ان تتخذ فيهم حسنا اذا اجابوك وامنوا بالله وقوله عز وجل قال اما من ظلم فسوف
نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هذا انه حكم بذلك بتعليم نبي او ملك كان
معه او حكم بذلك لما كان عرف ان سنة الله في الكفار القتل والاهلاك وفي المؤمنين الترك والاحسان اليهم لهذا ما بذلك
والله اعلم وقوله عز وجل وسنقول له من امرنا يسرا قال الحسن يسرا اي عارفا وقال بعضهم يسرا معروفا وقال بعضهم اليسر هو
اسم كل خير وبركة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ثم اتبع سببا اي بلاغا لحاجته وقال غيره ما ذكرنا من السبب الذي به ملك

طريق المغرب

طريق المغرب والمشرق وبه بلغ ما بلغ والله اعلم ثم اختلفوا فيما سمي ذو القرنين قال بعضهم سمي ذو القرنين لانه دعا قومه
الى توحيد الله والايمان به فضربوه على قرنه الايمن ثم غاب ما شاء الله وفي بعض الاخبار مات ثم حضر فدعاهم ثانيا فضربوه على
قرنه الايسر فبقي عليه لذلك الاثر فسمي لذلك ذا القرنين لانه كان له قرن كقرن الثور وقال بعضهم سمي ذو القرنين لانه كان ذا ذوابتين على
وقال بعضهم سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مغربها ومطلعها وقال بعضهم سمي ذا القرنين لانه عاش قرنين والله اعلم بذلك وليس بنا
الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل حتى اذا بلغ مطلع الشمس بالسبب الذي ذكرنا انه اعطاه كما بلغ مغرب الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا قال الحسن ان تلك الارض عندهم سبخة لا تعرو ولا تمسك لا يحتمل البناء والحجر فاذا طلعت عليهم الشمس لم يكن لهم بناء ولا شيء يستترون به
في اسراب فاذا ارتفعت عنهم خرجوا وقال ابن عباس ان الشمس اذا طلعت كانت حرارتها اشد عند طلوعها من غروبها فتحرق كل شيء حتى
لا يبقى لهم ثوب ولا بناء ولا خشب ولا غيره الا احرقته قوله عز وجل كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اختلف في قوله كذلك قال بعضهم قوله
كذلك اي كذلك اخبرنا رسول الله من نبأ ذي القرنين وخبره على ما كان وكان بعضهم لذلك اعطيناه من السبب حتى بلغ مطلع الشمس
كما بلغ مغربها بالسبب الذي ذكر وقال بعضهم كذلك قيل له في المطلع من قوله اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا كما قيل له في المغرب والله
اعلم وقوله عز وجل وقد احطنا بما لديه خبرا قال بعضهم هو صلة قوله قل ساتلوا عليكم منه ذكرا وقد احطنا بما لديه خبرا اي عن علم ساتلو
عليكم وقال بعضهم هو على الابتداء ليس على الربط والصلة على الاول اي قد احطنا علما بما لديه ثم اتبع سببا ما ذكرنا في بلوغه مغربها ومطلعها
اي اعطيناه من السبب حتى بلغ بين السدين في بعض القراءات السدين بالنصب فان كان بين اللفظين فرق فيشبه ان يكون السدان بالرفع
الجبلين اللذين كانا هنالك والسدين بالنصب هو بناء ذي القرنين وان لم يحتمل الفرق فهو ما بناه هو وكانا في الخلقة ثم اختلف في ذلك السد
قال بعضهم هو المنفذ الذي كان بين طرفي الجبل الذي كان محيطا بالارض يدخل فيه ياجوج وماجوج الى هذه الارض فسد ذو القرنين ذلك المنفذ
وقال بعضهم لا ولكن كان جبلين احدهما سد بين ياجوج والثاني بين ماجوج فسد ذلك والله اعلم كيف كان قوله عز وجل وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قال الحسن كانوا يفقهون ما به صلاح معاشهم وما به بقاؤهم ولكن كانوا لا يفقهون الهدى من الضلال والخير من الشر
ونحوه وقال بعضهم لا يفقهون قولا من غير كلامهم ولسانهم ولكن يفقهون بلسانهم وكلامهم وذو القرنين كان يعرف
الالسن كلها ففهموا وفقه هو منهم حيث قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا اي جعلا اجرا على
ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال هو ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة فهم ذو القرنين منهم وفهموا ايضا منه ما ذكرنا فدل ذلك انهم كانوا يفقهون
بلسان غيرهم وفي الاية دلالة انهم كانوا لا يفقهون شيئا قليلا من القول وان كانوا لا يفقهون كثيرا لانه يقول لا يكادون يفقهون فهو
يتكلم على العرف لا على النفي راسا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا جعلا واجرا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير على ما قال الحسن يكون قوله ما مكني ربي من النبوة خير لانه يقول
انه كان نبيا حيث قال انا مكنا له في الارض الاية وعلى قول غيره يكون ما مكني فيه ربي من الملك والسبب الذي اعطاني وابلغ به مغرب الشمس
ومطلعها خير مما تذكرون وقوله عز وجل فاعينوني بقوة اي بالقوى اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا وقوله عز وجل اتوني زبر الحديد
اي قطع الحديد وقال بعضهم سالم الحديد لان المكان كان مكان الحديد وقال بعضهم ان الحديد كان اللبن لهم والطوع من اللبن والقطر وكن
لا يعلم ذلك الا بالسمع وقوله عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بلغ ذلك السد راس الصدفين وهما جبلان وسوى بهما والله اعلم
وقوله عز وجل قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اصب عليه قطرا قيل نحاسا وقيل رصاصا ذكر انه كان يبسط الحديد
صدرا ثم يبسط الحطب فوقه صدرا ثم الحديد فوق الحطب حتى بلغ راس الجبلين وسوى بها على هذا السبيل ثم اذيب القطر
نصب فيه فجعل النار يحرق الحطب ويذيب الحديد حتى دخل القطر مكان الحطب وصار مكانه فالتزق القطر بالحديد على هذا ذكر انه بني ذلك
السد وقال الحسن كان القطر لهم كالملاط لنا والله اعلم وقوله عز وجل فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه يعني على ذلك السد وما استطاعوا له
نقبا في اسفله ولا ابعاد على المذكور في الكتاب في هذه الانباء والقصص خوفا للشهادة على الله والكذب عليه ولكن نذكر مقدار ما ذكر في الكتاب
لا نزيد على ذلك وفي الكتاب القدر الذي ذكرنا والله اعلم قال القتبي بنا الجبل السد زبر قطع والقطر النحاس وقوله ان يظهروه اي يعلوه
بنا الظهر فلان السطح اذا علاه وكذلك قال ابو عوسجة وقال السد بين ناحيتي الجبل والردم السد الصدفين هو شل السدين فرغ عليه
قطرا اي اصب عليه نحاسا وقوله عز وجل قال هذا رحمة من ربي يحتمل ان السد الذي بني وحال بينهم وبين ياجوج وماجوج ذلك منه رحمة
اي برحمته كانت تلك الحيلولة او كان ذلك منه نعمة من الله والرحمة هي النعمة اي هذا السد بينكم وبينهم نعمة من ربي عليكم ثم وجهان احدهما
ذكر ان ذلك كان برحمة من الله اذا فرغ منه وقد كان في الابتداء حين سالوه ان يجعل لهم السد اضاف الفعل الى نفسه حيث قال فاعينوني
بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما فدل ذلك ان ما فعل برحمة منه وفضل وان له في ذلك صنعا والثاني فيه ان لله ان يفعل بالخلق ما ليس
هو اصلح لهم في الدين لانه لا يخلو اما ان كان الاول لم اصلح في الدين ثم فعل الثاني فلا يكون الثاني اصلح لهم في الدين وان كان الاصلح لهم
في الدين الثاني فالاول لم يكن ثم ذكر ان ذلك رحمة منه وقوله عز وجل فاذا جاء وعد ربي اي فاذا جاء الذي به كان وعد ربي وهو الوعد
ولان الوعد لا يجيء فكانه قال موعود ربي وهو خروج ياجوج وماجوج او فتح ذلك السد جعله دكا اي كسرا وهدما على ما ذكرنا وجعله

دكا اى هدمه وسواه بالارض وقال القتبي جعله دكا اى الصقه بالارض يموج في بعض اى يجول بعضهم في بعض وقوله عز وجل وكان
وعد ربي حقا هنا وعد الاجل والموعود قوله عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اى يجول بعضهم في بعض ثم يحتمل قوله يموج في بعض
عند السد الذي بناه ذو القرنين يموجون عنده في فتح ذلك السد ويذكر هذا لكثرتهم وازدحامهم والله اعلم وقوله عز وجل ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا ظاهره على الماضي والمراد منه المستقبل اى ينفخ في الصور فيجمعهم جمعا ومثل هذا كثير في القران يذكر الماضي بحرف المستقبل
والمستقبل بحرف الماضي وقوله عز وجل وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يحتمل ان يكون عرضنا عليهم قبل ان يدخلوا فيها كقوله وبرزت
الجحيم للغاوين ويشبه ان يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعدما ادخلوا فيها كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقوله عز وجل
الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان ظلمة الكفر تستر وتحجب نور القلب ونور كل حاسة من
حواسه من السمع والبصر والفؤاد وغيره اذ لكل حاسة من هذه الحواس نور وضياء في سريتها لا تبصر ولا تسمع الحق والحجة الا بنورين
جميعا نور الظاهر ونور السرية والباطن فالكفر يستر ويغطي ذلك النور فيجعل لا يبصر الحق ولا ينظر العبر ولا يتفكر ولا يتجلى له الحق بنور
الظاهر وللايمان نور وضياء يجمعه ويسمع ويرفع له غطاء كل شيء حتى يتجلى له الحق ويعرف به حسن كل حسن وقبح كل قبيح فهو
كما يرى الانسان الشيء بنور بصره وبنور الهواء فاذا ذهب احدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى شيئا فعلى ذلك انما يعرف الشيء ويفهم له
حقيقته بنورين بنور القلب وبنور الحواس فاذا اغطى ظلمة الكفر نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا يعتبر ولا يسمع ولا ينطق بالحق
والايمان بنور ذلك ويضيء فيجعل يبصر كل شيء ويتجلى له الحق من الباطل ويعرف الايات من التمويهات والله اعلم وقوله عز وجل
وكانوا لا يستطيعون سمعا فيه وجهان من الدلالة احدهما انه نفى عنهم استطاعة السمع وقد كان لهم السمع فدل ان الاستطاعة
التي هي استطاعة الفعل تقترن الفعل لا يتقدم ولا يتاخر حيث قال وكانوا لا يستطيعون سمعا وكذلك قول صاحب موسى حيث قال له
انك لن تستطيع معي صبرا في مواضع فدل ما نفى عنه الفعل انما يقارن الفعل لا يحتمل التقدم والتاخر والثاني فيه دلالة ان هنالك
استطاعة هم يستفيدون بها وعد الله ويستوجبون به فضيعوها باشتغالهم بغيرها حيث عوتبوا ذلك العتاب والتوبيخ بالتضييع
الذي كان منهم فلو لم يكن العتاب والتوبيخ الذي عوتبوا ووبخوا معنى قال قوم انما نفى عنهم ذلك لاستثقال الذي كان منهم وقد
يقال مثله على المجاز للاستثقال دون الحقيقة يقول الرجل لاخر ما استطيع ان انظر اليك لكنا وهو ناظر اليه لكن قد ذكرنا انه على
الوجه الذي قال لا استطيع ان انظر اليك وهو ناظر اليه غير مستطيع النظر اليه وهو نظر رحمة وشفقة وقال بعضهم هو على الطبع
وهو قول الحسن وقال بعضهم انما نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق لما لم ينتفعوا به ليس على انهم لم يكن
لهم تلك الحواس فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة لما لم ينتفعوا بها ليس على انها ليست قبل هكذا نفى عنهم ذلك لما عموا وصموا عن
ذلك والله اعلم وقوله عز وجل افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء قال بعضهم قوله افحسب الذين عبدوا في الدنيا
الملائكة والرسل واتخذوهم من دوني اولياء ان يكونوا لهم اولياء في الاخرة ويتولون شفاعتهم يشفعون لهم وينصرون كلا ان يصيروا
اولياء كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والثاني افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي الخاصين
من دوني اولياء ويتولونهم اى لا يقدرون على ان يتخذوا اولياء من دوني وقد كانوا يدعون المؤمنين الى دينهم والتولي لهم وهو ما
قال انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والثالث افحسب الذين كفروا ان ما عبدوا
واتخذوا من دوني اولياء اى امرتهم بذلك او اذنت لهم حيث قالوا والله امرنا بها ونحوه كلا انه امرهم بذلك او اذن لهم في ذلك
ومن قرا افحسب على الجزم فهو على اسقاط الف الاستفهام يعني فحسب الذين كفروا فهو يخرج على وجوه ثلاثة احدها فحسب الذين
كفروا واتخذوا عبادي من دوني اولياء ما اعتدنا لهم من جهنم كقوله حسبهم جهنم يصلونها الاية والثاني حسب الذين كفروا ما
اتخذوا من دوني اولياء اى ما كفاهم ذلك وما حاجة ان يرجعوا الى عبادتي والوهيتي وقد اقمت لهم الايات والحجج على ذلك والثالث
حسبهم من الذل ما اتخذوا من دوني اولياء وقوله عز وجل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قال بعضهم نزلا هو النزول وهو من
النزل وقال بعضهم هو المنزل والانزال اى ياكلون فيها النار فيكون ماكلهم ومشربهم من النار وقال القتبي النزل ما يقدم للضيف
ولاهل العسكر وقوله عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يشبه ان يكون هذا خرج على مقابلة
قول كان من رؤساء الكفرة وجوابهم وهو ان الرؤساء منهم كانوا يوسعون الدنيا على بعض اتباعهم ويحسنون اليهم ثم صار و
الاتباع لرسول الله ودخلوا في دينه فضاقت عليهم الدنيا وذهبت المنافع التي كانت لهم منهم فعيرهم بذلك وكذلك الكفرة ويحتج
على ما اختاروا من الدين انه لو كان حقا لاتسع عليهم الدنيا كما اتسع علينا وعليهم ما داموا على ديننا وكلام نحو هذا فاجابهم الله
بذلك فقال قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية ويحتمل ان يكون على الابتداء في اهل الصوامع منهم والرهبان الذين اعتزلوا الناس
وحبسوا انفسهم لعبادة الاصنام والاوثان وجهدوا فيها وحملوا على انفسهم الشدائد والمشقة فاخبر عز وجل ان هؤلاء
اخسر اعمالا واضلهم سعيا من الذين طلبوا الدنيا والرياسة فيها ولم يفعلوا ما فعل هؤلاء وان كانوا في الكفر سواء والاخسر هو
الوصف بالخسران والنهاية والغاية وجائز ان يستعمل افعل في موضع فعل هذا في اللغة غير ممتنع فيكون تاويله قل هل ننبئكم بالخا

عما لا كقوله الله اكبر كبير وقوله عز وجل الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما ضل اى ذلوا لعبادتهم التي عبدوا تلك
الاوثان والاصنام وخذلوا انفسهم بذلك وعلى ذلك يخرج قوله اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اذلوا انفسهم في الدنيا بعبادة
الاصنام والثاني ضل سعيهم الذي سعوا في الدنيا بعبادتهم الاصنام في الاخرة لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله ونحوه فضل ما املوا في الاخرة بسعيهم في الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عز وجل وهم يحسبون بعبادتهم الاصنام
التي عبدوها انهم يحسنون بما انفقوا اهلا وذلك وسعوا انهم يحسنون صنعا اى خيرا ومعروفا اى ليس لهم ذلك يمنع لا خبر و
فيه دلالة انهم يؤاخذون بفعلهم الذي فعلوا وان جهلوا الحق وهكذا قولنا ان من فعل فعلا وهو جاهل فانه يؤاخذ به بعد ان يكون
له سبيل الوصول الى الحق بالطلب والتعلم حيث قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم اخبر منهم فقال اولئك الذين كفروا بايات ربهم
بحججه وبراهينه وقال الحسن دينه وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله ولقائه البعث والمصير اليه وهو مذكور ايضا وقوله عز وجل
فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اى لا نقيم لهم وزنا وهو ما قال عز وجل فما ربحت تجارتهم فانما لم تربح لهم خسرت عليهم وقوله
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم هذا يدل ان قوله لا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قد يقام عليهم الوزن ثم
خبر عز وجل عن جزائهم فقال ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ثم ذكر للمؤمنين من الثواب والجزاء باعمالهم التي
عملوها في الدنيا والخلود فيها مقابل ما ذكر للكفرة فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وكان
الجنان التي وعد للمؤمنين اربعة جنات النعيم وجنات الماوى وجنات عدن وجنات الفردوس ثم كان في كل واحدة منها اعني
الجنان فيها معنى الاخرى لانه قال الجنات الماوى وهو ما يؤدي اليه وجنات النعيم ظاهر وجنات عدن من المقام او غيره والفردوس
سميت فردوسا لانها تكون ملتفة محفوفة بالاشجار ففي كل واحدة منها ذلك كله وقوله نزلا قيل منزلا من النزول وقيل من النزل
وهو منزل الانزال وقوله عز وجل خالدين فيها لا يبغون عنها حولا اى تحولا اخبر انهم لا يملون ولا يسالون عن بقيتها كما يمل اهل الدنيا
عن بقيتها ويسامون لان السرور ربما غرق وترغب في اخرى فاخبر ان اهل الجنة لا يملكون فيها ولا يسامون ولهم فيها ما يشتهون
ولهم فيها ما يتخيرون وروي ان ابن عباس سال كعبا عن الفردوس فقال هي جنات الاعناب بالسريانية وقال بعضهم ما ذكرنا انها
سميت لكثرة اشجارها والتفافها وروي عن ابن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة مائة درجة ما
بين كل درجتين كما بين السماء والارض الفردوس اعلاها درجة من فوقها يكون العرش منها يتفجر انهار الجنة الاربعة ف
فاذا سالتم الله الجنة فسالوه الفردوس وقال القتبي لا يبغون عنها حولا اى تحولا وكذلك قال ابو عوسجة هو من التحول وقوله
نزلا قال هنا من الطعام والشراب وجمع النزل انزال وجمع الفردوس فراديس وقال القتبي النزل ما يعد للضيف والله اعلم وقوله
عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي يشبه ان يكون هذا خرج مقابل قوله ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء وقوله وتفصيل كل شيء وجوابه لما ذكر فيه تبيانا لكل شيء وتفصيل كل شيء قالوا كيف يحتمل هذا القدر
ان يكون فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء فقال عز وجل عند ذلك جوابا لقولهم انه لو بسط ما اودع فيه هو من المعاني و
الحكم وشرح ذلك وكتب فاذكر لبلغ القدر الذي ذكر وزاد وقال الحسن قوله لو كان البحر مدادا للكلمات ربي اى لخلق ربي اى
او قال ما خلق ربي اي خلقت كذا وخلقت كذا فيكتب جميع ما خلق لبلغ القدر الذي ذكر فيرجع تاويله الى ما خلق من اصناف
الخلق واجناس الاشخاص وقال ابو بكر الاصم قوله لكلمات ربي لبيان ما خلق ربي فهو يرجع الى الاول وقال قائلون ما ذكر هو ان يعرفوا
ان خلائقه وما انشا ما خرج عن الوقوع في الاوهام فالذي انشا ذلك وخلقه احرى ان يكون خارجا عن الوقوع في الاوهام والتصور
فيها والثاني ان يعرفوا قدرته وسلطانه واحاطة علمه بالخلائق وما انشا فيعلموا ان من قدر على هذا فهو على البعث الذي انكروا اقدر
ومن احاط علمه بما ذكر فهو على الاحاطة بافعالهم واقوالهم اعلم واعرف ليكونوا على الحذر ابدا في كل وقت ثم يحتمل قوله كلمات ربي حججه واياته التي اقامها
على وحدانيته وربوبيته اي لو كتب ذلك لبلغ ذلك الذي ذكر وان كان المراد من الكلمات القران فالتاويل ما ذكرنا بدءا انه خرج كان على الجواب و
المقابلة لقول كان منهم ما قال الحسن وابو بكر ان كلمات خلقه او البيان عن خلقه وقوله عز وجل ولو جئنا بمثله مددا هذا ليس على التحديد ولكن على التعظيم
والابلاغ وهو ما قال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله دل هذا على ان قوله ولو جئنا بمثله مددا
ان ليس لذلك المدد حد ولا نهاية ولكن ذكر على التعظيم له والابلاغ وفيه دلالة ان ليس لما خلق الله من العلوم نهاية ولا غاية يدرك الخلائق ولكن يوتى
من كل جنس شيء فيعلم به وفيه ان ليس الامر تعلم العلم والمقصود منه العلم نفسه ولكن المقصود منه العمل بما يعلم اذ ليس للعلوم نهاية ولا احد يبلغ ذلك البشر
فدل انه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد امره ان يخبرهم انه بشر مثلهم لم يكونوا لذلك الامر وانكاره اياه
انه بشر مثلهم وجوه من المعنى احدها انهم كانوا يسالونه ايات خارجة عن وسع البشر وطوقهم فامره ان يخبرهم انه بشر لا يقدر على ما يسالونه من الايات التي
تخرج عن وسع البشر وطوقهم وليس لاحد التحكم على الله والتخير عليه في شيء انما ذلك الى الله ان شاء انزل وان شاء لم ينزل وانا لا املك شيئا من ذلك و
الثاني ذكر هذا ليعرفوا انه انما جاء من الايات التي لا يحتمل وسع البشر ان ياتوا بمثلها انه انما اتى بذلك من عند الله لا من ذات نفسه اذ علموا ان وسع البشر
لا يحتمل ذلك فلما اتاهم بذلك انما اتى بها من عند الله وانه رسول على ما يقول والثالث امره ان يقول لهم هذا انه بشر مثلهم كيلا يحملهم فرط حبهم على ان يجعلوا

الها دبا على ما اتخذ قوم عيسى عيسى الها دبا لفرط حبهم اياه وقوله عز وجل فمن كان يرجوا لقاء ربه فان كانت الاية في مشركي العرب فهم يكن دون البعث ولا يرجونه لكنه يكون ذكر لقاء ربه لما انهم عرفوا في انفسهم تدبير لخسان الله اليهم نعمه عليهم فامرهم ان يعمل العمل الصالح ليستديموا به الاحسان الذي كان من الله اليهم فيحملهم العمل على التوحيد بالله والاقرار بالبعث وان كانت الاية في المؤمنين فيكون تأويله فمن كان يرجوا لقاء ربه اي ثواب ربه فليعمل عملا صالحا لما ثاب عليه ان الثواب انما يكون للعمل الصالح دون غيره وفيه ما ذكرنا ان المقصود من العلم العمل الصالح والعلم ما ليس له نهاية فالامر يطلب ما لا نهاية له ليس لنفسه ولكن للعاية والله اعلم وقوله عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا يحتمل حقيقة الاشراك في العبادة والالوهية على ما اشركوا ولك اشركوا الاصنام والاوثان التي عبدوها في عبادته والوهيته ويحتمل المراآة في العمل الصالح على ما يراى بعض اهل التوحيد في بعض ما يعملون من الطاعة والخيرات • والله اعلم بالصواب • واليه المرجع والماب

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل كهيعص اسم من اسماء القرآن وقيل اسم من اسماء الله وعلى ذلك روي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول يا كهيعص اغفر لي قال ابو بكر الاصم لا يصح هذا من علي لان هذا لم يذكر في اسماء الله المعروفة التي يدعى بها وقال بعضهم حروف من اسماء الله افتتح بها السورة فهو ما ذكرنا وهو الاول وقال بعضهم الكاف مفتاح اسمه كافي والهاء مفتاح اسمه هادي والعين مفتاح اسمه عالم والصاد مفتاح اسمه صادق وقال ابن عباس الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقال الربيع بن انس الياء من قوله وهو يجير ولا يجار عليه وقال الكلبي هو ثناء اثنى الله على نفسه فقال كاف هاد عالم صادق يقول كاف لخلقه هاد لعباده عالم ببريته وبامره صادق في قوله وقال بعضهم لم ينزل الله كتابا الا وله فيه سر لا يعلمه الا الله وسر القرآن فواتحه وقال بعضهم تفسيره ما ذكر علي انه وهو قول الحسن وامثال هذا قد اكثروا فيه وقد ذكرنا الوجه في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا هذا يحتمل وجهين احدهما على الامر اذكر لهم رحمة ربك عبده زكريا بالاجابة له عند سؤاله الولد في الوقت الذي ايس عن الولد في ذلك الوقت فيكون فيه دلالة رسالته حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا واخبرهم على ما في كتبهم والثاني ذكر رحمة ربك اي هذا ذكر رحمة ربك لعبده زكريا في دعائه وعلى هذا التأويل يكون الذكر هو القرآن وقد سمى الله القرآن ذكرا في غير آي من القرآن والله اعلم وقوله عز وجل اذ نادى ربه نداء خفيا قال بعضهم نداء خفيا في قلبه على الاخلاص من غير ان ينطق به وقال بعضهم نداء خفيا عن قومه ومن حضره ثم يحتمل وجهين احدهما اخفاه واسره منهم اخلاصا لله واصفاء له والثاني اخفاه واسره منهم حياء ان يعيبوه انه سال ربه الولد في وقت كبره واياسه والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف ورق واشتعل الرأس شيبا اعتذر اليه وقدم زكريا ما حل به من الكبر وبلوغه الوقت الذي لا يطمع في ذلك الوقت الولد اي بلغت المبلغ الذي ضعف بدني ورق عظمي ثم سال ربه الولد ليس على انه كان لا يعرف قدرة الله انه قادر على هبة الولد وانشائه في كل وقت في وقت الكبر والضعف وبالسبب وبغير السبب لكنه لا يعرف انه يهب ويصلح سؤال الولد وهبته في الوقت الذي كان بلغ هو وهو الوقت الذي كان بلغ هو وهو الوقت الذي لا يطمع فيه الولد في الاغلب وما ذكر في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك عرف زكريا انه يسمع دعاءه جنبة الولد وسؤاله في وقت الاياس حيث راى عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء غير متغيرة عن حالها فسال عند ذلك ربه الولد وهو قوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة الاية والله اعلم وقوله عز وجل ولم اكن بدعائك رب شقيا قال بعضهم اي كنت معودا في الاجابة في دعائي اياك فيما مضى وقال بعضهم ام لم يكن دعائي مما يخيب عندك وهما واحد ذكر منته وفضله الذي كان منه اليه قوله عز وجل واني خفت الموالي من ورائي قال الحسن خاف مواليه ان يرثوا ماله فاما علمه ونبوته فما لا يورث قال ابو بكر الاصم هذا لا يصح ولا يحتمل ان يخاف زكريا وراثة ماله مواليه فيسال ربه لذلك الولد ليرث ماله ولكن كانه خاف ان يضيع مواليه دينه وسنته من بعده فسال ربه ان يهب له الولد ليقوم مقامه في حفظ دينه وسنته وقال لا يحتمل وراثة المال لما روي في الخبر انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فلا يخلو هذا من احد وجهين اما ان كان هذا في المال له خاصة دون سائر الانبياء واما ان لم يكن زكريا نبيا فدل هذا انه لا يحتمل وراثة المال فدل انه على العلم اي بضيع الموالي من ورائي ويحتمل قوله واني خفت الموالي من ورائي وسؤاله الولد وجها اخر وهو انه سال ربه الولد الرضي الطيب ليذكر به بعد وفاته بالاعمال والصنيع الذي كان منه في حيوته ويدعى له لئلا ينقطع ذكره ودعاء الخلق له وهذا هو المعروف في الخلق انهم يذكرون ويدعون لهم بالخيرات التي كانت في حال حيوتهم اذا كان له ولد صالح فعلى ذلك سؤال زكريا الولد والله اعلم قوله عز وجل وكانت امرأتي عاقرا اي لا تلد وقوله عز وجل فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب قال بعض اهل التأويل ما ذكرنا يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وقال فهب لي من لدنك وليا وانظر يرثني مكاني وجودي ويرث من آل يعقوب الملك لانهم كانوا ملوكا وكانوا اخواله وهو كان خيرا والله اعلم بذلك ولكن قوله يرثني ما كان له من العلم والحكمة والدين وغيره ويرث من آل يعقوب ما كان لهم من العلوم وغيرها فان ثبت ان آل يعقوب كانوا اخواله ففيه دلالة ان ذوي الارحام يرثون بعضهم من بعض والله اعلم قوله عز وجل يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم نجعل مثل يحيى من قبل في الفضل والمنزلة لانه روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن

من ولد ادم احد الا وقد عمل بخطيئة او هم بها غير يحيى بن زكريا فانه لم يهم بخطيئة ولا عمل بها وقال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وجايز ان يكون قوله لم نجعل له من قبل سميا اي مثلا في ان تسميته يحيى ... لم يولد احد قبله ... وسائر الخلق ... تسميته قوله عز وجل قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقال الحسن عبد الله ان زكريا استوهب ربه الولد فاعطاه وبشره فقال انى يكون لي غلام وطلب منه الاية كذلك فقال اجعل لي اية فاجابه على ذلك ولا وجه ... وكلام يحيى هذا وقال غيره انما امسك لسانه واعتقله عقوبة لما سأل من الاية ان ذلك هؤلاء كانهم يجعلونه ذلك منه ذلة الا ان الحسن قال لم يعيبه على ذلك ولا عاقبه عليه ولكن ذكر ذلك رحمة منه اليه وغيره يجعل ذلك عقوبة لما كان منه وجائز ان يخرج ذلك على غير ما قالوا وهو ان قوله انى يكون لي غلام اي على اي حال يكون مني الولد على الحال التي انا عليها او ... شبابا في تلك الحال يكون لي الولد فذلك منه استعباد واستعلام عن الحال التي يكون منه الولد ليس على ما ... قادر على انشاء الولد في حال الكبر وبسبب وبلا سبب وعلى ذلك يخرج قوله حيث قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا اي ... خلقتك لم تك شيئا وطلب الاية ... بعدما بشره يخرج على وجهين احدهما انما بشر بالولد لعله اشكل عليه ان تلك بشارة ملك وغيره فطلب منه العلامة ليعرف ان تلك بشارة ملك ... وقال غيره ذكر في الاية فساد قول المتكبرين وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى فطلب الاية ليخرج منه على استعلام ان بشارة الملك وان ذلك من الله لانهم يرون قدرة الله انه قادر على خلقه في كل حال هذا لا يظن ... مؤمن في الدنيا فكيف يظن نبي من الانبياء او ان يكون طلب الاية منه ليعرف وقت حملها الولد ووقت وقوعه ... ولد وعن وقت وقوع بصره عليه والله اعلم وقوله عز وجل هو علي هين لا في خلق سبب وبغير سبب وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فهو قادر على خلق الاشياء لا من شيء وبلا سبب قادر على خلق الولد في حال الكبر ومن امرأة عاقر الولد وقوله عز وجل قال ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وقال بعضهم اية لا تكلم الناس ثلاث ليال وانت سوي صحيح وقال بعضهم ثلاث ليال سويا اي تماما ... على ما قال في اية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا ذكر هاهنا ثلاث ليال وفي تلك الاية ثلاثة ايام والقصة واحدة وقوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قوله فاوحى اليهم قيل اومى اليهم وقيل كتب على الارض وجائز ان يكون اوحى اليهم بالشفتين على ما ذكر في اية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا والرمز تحريك الشفتين والايماء ... قال ابو عوسجة وعقم المرأة التي لا تلد وقوله عتيا قال هو اشد الكبر ... والمحراب قال ان شئت جعلته ... وقصرا وداره وقال القتبي عتيا اي يبسا ويقال عتيا وعسيا بمعنى واحد ويقال ملك عات اذا كان قاسي القلب غير لين وسويا اي سليما وقوله بكرة وعشيا اليهم فقد ذكرنا انه اومى اليهم وقال بعضهم كتب لهم على الارض وقوله ان سبحوا بكرة وعشيا يحتمل قوله ان سبحوا اي صلوا لله بكرة وعشيا فان كان التسبيح هو الصلوة ففيه ان الصلوة كانت في الامم الماضية في ختم الليل ويحتمل التسبيح نفسه والثناء على الله والدعاء له بالغدوات والعشيات والله اعلم وقوله عز وجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال بعضهم خذ الكتاب بما قوى الله واعانك وقال بعضهم خذ الكتاب واصبر على العمل بما فيه وقال بعضهم خذ الكتاب بقوة اي بجد قال ابو بكر الاصم الجد هو الاحكام ثم العمل والقوة هي احتمال ما حمل عليه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون بان القوة يتقدم الفعل ثم لا يبقى وقتين فيكون على قولهم اخذا بغير قوة وقد امر ان ياخذه بقوة فقولهم على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب وقوله عز وجل واتيناه الحكم صبيا قال بعضهم اتيناه الحكم او النبوة في حال صباه وقال بعضهم اتاه الله الفهم واللب وقال بعضهم الحكمة والعلم فكيف ما كان ففيه فساد مذهب المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى لا يخص احدا بنبوة ولا شيء من الخيرات الا بعد ان يسبق من المخصوص له ما يستوجب ذلك الاختصاص ويستحق فالذي كان من يحيى في حال صباه وطفولته ما يستوجب به النبوة وما ذكر من الحكم انه اتاه فدل ذلك ان الاختصاص منه يكون لمن كان افضالا منه وانعاما ورحمة لا باستحقاق من المخصوص له واستيجابه وفي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة دلالة انه كان نبيا حيث اخبر انه اتاه الكتاب وقوله عز وجل وحنانا من لدنا هو على قوله واتيناه الحكم صبيا واتيناه حنانا وزكوة ايضا ثم اختلف في قوله وحنانا من لدنا قال ابن عباس تعطفا من لدنا وقال بعضهم اي رحمة من لدنا وهو قول الحسن وقال بعضهم الحنان المحبة وقال ابو عوسجة حنانك وحنانيك كليهما يعني رحمتك وقال اصله من التحنن وهو الرحم وقال القتبي اصله من حنين الناقة على ولدها وقوله وزكوة وكان تقيا قال بعضهم زكوة اي صدقة تصدق بها على زكريا وزوجته في الوقت الذي لا يرجى من مثلهما الولد وقال بعضهم زكوة اي صلاحا وما ينموا به من الخيرات وجائز ان يكون الزكوة اسم كل خير وبركة وهو كالبر من التقوى كانه قال اعطيناه كل بر وخير وقوله عز وجل وكان تقيا عن جميع الشرور كقوله تعاونوا على البر والتقوى اي تعاونوا على البر وتعاونوا ايضا على دفع الشرور وقوله عز وجل وبرا بوالديه هو على قوله واتيناه الحكم واتيناه البر بوالديه وقوله عز وجل ولم يكن جبارا عصيا بل كان خاضعا لله ذليلا مطيعا وقال الحسن لم يكن جبارا عصيا اي لم يكن ممن يجبر الناس على معصية الله وقال اهل التأويل لم يكن جبارا اي قتالا اي لم يكن ممن يقتل على الغضب ويضرب على الغضب واصله ما ذكرنا انه كان على ضد ما ذكر خاضعا لله مطيعا له على ما ذكرنا

لم يرتكب ذنبا ولا هم به وقوله عز وجل وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يحتمل السلام عليه الوجوه الثلاثة احدها
هو اسم كل بر وخير اي عليه كل بر وخير في هذه الاحوال التي ذكر والثاني السلام هو الثناء اثنى الله عليه في اول امره الى اخره وبعد الموت
في الاخرة وان يكون قوله وسلام عليه اي السلامة عليه في هذه الاحوال التي يكون للشيطان في تلك الاحوال الاعتراض والنزغ فيها اذ
وقت الولادة يعترض ويفسد الولد ان وجد السبيل اليه وكذلك عند الموت يعترض ويسعى في افساد امره فاخبر ان يحيى كان سليما
سالما عن نزغات الشيطان محفوظا عنه حتى لم يرتكب خطيئة ولا هم بها والله اعلم وفي قوله يوم يموت دلالة ان الموت والقتل
سواء وان كان في الحقيقة مختلفا لانه ذكر في القصة ان يحيى قتل ثم ذكر الموت فدل انهما واحد فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا ان
المقتول ميت قبل اجله وفيه ان قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات انما نهانا ان نسميهم اموات في جهة ليس في الجهات كلها
حيث سمي يحيى ميتا وهو كان شهيدا على ما ذكر انه قتل وفي قوله واتيناه الحكم استدلال لابي حنيفة رحمه الله حيث وقف في اولاد
المسلمين والمشركين فقال لا علم لي بهم ولم يقطع فيهم القول لما يجوز ان يجعل الله لهم من المعرفة والتمييز والفهم في حال صغرهم حتى
يعرفوا خالقهم ومنشيهم على ما اعطى يحيى وعيسى في حال صباهما وصغرهما الحكم والفهم والمعرفة وقوله عز وجل واذكر في الكتاب
مريم قال الحسن هو صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي اذكر رحمة ربك مريم وقال بعضهم واذكر نبأ مريم وقصتها في الكتاب
وقوله عز وجل اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اي نحو المشرق ثم يحتمل قوله انتبذت من اهلها اذا بلغت مبلغ النساء فارقت
اهلها وانتبذت منهم لئلا يقع بصر غير ذي الرحم المحرم عليها وان لا يراها احد ولا يبلغ النظر اليها وقال بعضهم مكانا شرقيا اي
جلست في المشرقة لانه كان في الشتاء وقوله عز وجل فاتخذت من دونهم حجابا قال بعضهم احتجبت من دونهم بالغيبة عنهم وقال
بعضهم اتخذت من دونهم حجابا اي سترا وقال مقاتل اتخذت من دونهم الجبل حجابا وسترا اي جعلت الجبل بينها وبين اهلها
فلم يرها احد منهم وقوله عز وجل فارسلنا اليها روحنا قال ابي بن كعب روحنا هو روح عيسى ارسله الله الى مريم في صورة بشر
فتمثل لها بشرا سويا وقال غيره من اهل التاويل فارسلنا اليها روحنا جبريل وقد سمى الله جبريل روحا في غير اي من القران روح
القدس وغيره فتمثل لها بشرا سويا اي بشرا لم يكن به اثر غير البشر وقال بعضهم بشرا سويا لا عيب فيه ولا نقصان بل كان سويا
صحيحا كاملا والله اعلم وقوله عز وجل اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فان قيل كيف تعوذت بالرحمن ان كان تقيا وانما يتعوذ
بالرحمن من الفاجر والفاسق قال الحسن قوله ان كنت تقيا مفصول من قوله اني اعوذ بالرحمن منك فيكون على الابتداء كانها قالت
ان كنت تقيا لا يأتيني منك سوء ولا يمسني شر ويحتمل قوله ان كنت تقيا اي ما كنت تقيا اي حيث دخلت علي من غير استيذان منك
ولا استيمار ما كنت تقيا ويحتمل قوله ان كنت تقيا اي قد كنت تقيا فعلى هذا التاويل كانه دخل عليها على صورة بشر عرفته بالتقى و
الصلاح فكيف دخلت علي بلا اذن ولا امر وقد يجوز ان يستعمل ان مكان ما ومكان قد وفي القران كثير والله اعلم وقوله عز وجل قال
انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا هو على الاضمار كانه قال انما انا رسول ربك بالقول بان اهب لك غلاما زكيا اي ارسلني
اليك بهذا القول وهو قوله لاهب لك غلاما زكيا وفي حرف ابن مسعود انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا وقوله زكيا
اي صالحا طاهرا عن جميع الشرور وقوله عز وجل قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا او قالت لم يمسسني بشر بعلم
انه لم يمسها بشر لا بغيا ولا غيره لكن كانها قالت لم يمسسني بشر نكاحا ولم اك بغيا ولا بغيا فمن اين يكون لي ولد لكانها لم يعرف الولد
الا بسبب لذلك قالت اني يكون لي غلام وقوله عز وجل قال كذلك قال ربك اي اخلق بسبب وبلا سبب وقوله عز وجل هو علي
هين اي خلق الشيء بسبب وبغير سبب هين علي وقال بعضهم قوله كذلك قال ربك للانبياء الذين كانوا من انه يخلق ولدا بلا
اب ولا ام وقوله عز وجل ولنجعله اية للناس اي نجعل ولاده بلا اب على ما اخبر الانبياء من قبل اية للناس لرسالتهم لانهم اخبروا
انه يولد ولد بلا اب ولا ام فكان ما اخبروا فدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله فيكون ذلك اية لصدقهم ويكون قوله وكان امرا
مقضيا اي ذلك الخبر الذي اخبر الانبياء من قبل والوعد الذي وعد وعلم امرا مقضيا كائنا وقال اهل التاويل في قوله ولنجعله اية
للناس اي نجعل عيسى اية للناس حيث ولد بلا اب وكلم الناس في المهد وغير ذلك من الايات التي كانت فيه وجائز ان يكون
اية للناس بالبعث لانه انشاه بلا اب ولا سبب وهم انما انكروا البعث لما لم يعاينوا ولم يعاينوا الولد بغير اب ايضا ثم كان فعلى
ذلك البعث اذ لا فرق بينهما لان من قدر على انشاء الولد بلا اب ولا ام قدر على الاحياء بعد الموت بل هو اولى وقوله عز وجل
ورحمة منا اي رحمة منا للخلق لان من اهتدى واتبعه كان له به نجاة وهو ما قال الله عز وجل لرسوله وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وعلى ذلك جميع الانبياء والرسل الذين بعثهم الله الى خلقه كان ذلك رحمة منه الى خلقه وقوله عز وجل وكان امرا مقضيا
اي كان امرا كائنا وعلى التاويل الذي ذكره ابو بكر الاصم كان ذلك رحمة منه الى خلقه في قوله قال كذلك قال ربك هو علي هين
ولنجعله اية للناس يكون قوله وكان امرا مقضيا اي كان وعدا وخبرا معلوما على ما اخبر الانبياء عن نبأ عيسى وامه وقوله عز وجل
فحملته فانتبذت به مكانا قصيا دل هذا على ان الولاد لم يكن على اثر الحمل ولكن كان بين الولاد وبين الحمل وقت لكن لا يعلم كم ذلك
الوقت لا يخبر عن الله وقوله عز وجل فانتبذت به مكانا قصيا قال بعضهم تباعدت به حياء من اهلها وقال انفردت به مكانا قصيا

متباعدا

متباعدا وقوله عز وجل فاجاءها المخاض قال القتبي فاجاءها المخاض اي جاء بها من المجيء والجاها اليها تقول جات بي الحاجة اليك
واجاتني الحاجة والمخاض هو الحمل ودل قوله فانتبذت به مكانا قصيا ان النخلة التي الجاها المخاض اليها كانت يابسة على ما قاله
اهل التاويل لانه انما انتبذت مكانا قصيا وتباعدت حياء من اهلها فلو كانت تلك النخلة رطبة ذات ثمار لكان الناس يأوون اليها
ويقيمون عندها فلا يحتمل ان يأوي اليها مريم وعندها مأوى الناس ثم الجاها الى النخلة لتستند اليها وتستعين بها على ما يقع للحوامل من
النساء وقت الولاد المخاض تستعين به مما تنزل بهن من الشدة والله اعلم وقوله عز وجل قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
يحتمل ان يكون يا ليتني مت قبل هذا او كنت نسيا منسيا اي كنت غير معروفة ويحتمل ان يكون على ما ذكر يا ليتني مت قبل هذا وكنت
نسيا منسيا لا اذكر بعد الموت بذلك لانه ذكر انها كانت من اهل شرف وكرم ومن اهل بيت النبوة فتمنت ان تكون غير معروفة لئلا
تذكر بسوء بعدها ولا تقذف وقال اهل التاويل وكنت نسيا منسيا اي حيضة ملقاة وكذلك قال ابو عوسجة النسي الحيض قال ابو بكر
الاصم لا يحتمل هذا لانها قد عرفت قدرها عند الله فلا يحتمل ان تتمنى ما ذكر لكن الانسان ربما يتمنى لامر العظيم اذا اشتد به الامر نحو
ما يتمنى الموت في بعض الوقت لعظيم ما يحل به فعلى ذلك غير مستنكر هذا من مريم ان تتمنى ما ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل
فناداها من تحتها ومن تحتها المختلف فيه قال بعضهم ناداها ملك وقال بعضهم ناداها ابنها عيسى قال ابو بكر لا يحتمل ان يكون الذي
ناداها ملكا لانه قال من تحتها ولو كان ملكا لناداها من فوقها لكن هذا ليس بشيء لان الملك انما ينادي من حيث يؤمر من تحت ومن فوق
وقال بعض اهل التاويل فناداها جبريل من تحت الوادي الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا والاشبه ان يكون ابنها عيسى لانها كانت
تخاف ان تشتم وتقذف به فعيسى اذا تكلم وشاهد بذلك الحمل شرحى بذلك لما تعلم انه ينفي عنها بعض ما طعنت به وقرفت ويحتمل حزنها
من وجه اخر وهو انها كانت حزنت خوفا على نفسها وعلى ولدها لانها اقامت في مكان لا ماء فيه ولا طعام فخافت على نفسها وولدها
الهلاك فحزنت لذلك فبشرت حيث قال لها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا امنها عن الخوف الذي كان لها ثم السري قال بعضهم
من اهل التاويل هو الجدول وهو النهر الصغير قوله عز وجل وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فيه دلالة لزوم
الكسب لانه امر مريم ان تهز النخلة لتساقط عليها الرطب ولو شاء لسقط من غير فعل يكون منها فتجتني هي وذلك عليها اهون وايسر
على ما كان رزقها عند ما كانت مؤنتها على زكريا وفيه دلالة اي لا يسع لمن السالة ما دام به ادنى قوة يقدر على قوته وفيه دليل ان زكريا
كان افضل منها واكبر منزلة عند الله حيث رزقها عند ما كانت في عيال زكريا من غير تكلف كان من زكريا ولا مؤنة فلما فارقت زكريا امرها
في الكسب وفيه دلالة ان الايات التي تكون للانبياء يجوز ان يجريها على غير ايدي الانبياء حيث جعل لمريم نخلة يابسة رطبة
ثمرا رطبة وحيث جعل من تحتها سريا اي نهرا جاريا وحيث رزقها عند ما كانت في عيال زكريا من غير تكلف احد فذلك يشبه ايات
الانبياء والرسل ويقاربها وهذه المحن التي امتحن بها مريم في الظاهر عظيمة عند الناس وفي الباطن من اعظم كراماتها لها لانه اخبر انه قد
اصطفاها على نساء العالمين بقوله ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين وسماها صديقة بقوله وامه صديقة
ذلك لا يسمى الا من يبلغ من البشر في الصدق والعبرة غاية والله اعلم وقال بعضهم في قوله فناداها من تحتها اي من تحت النخلة وقوله
عز وجل فكلي واشربي وقري عينا اي كلي الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من السري الذي جعل تحتك وقري عينا اي وارضي
بكان ما حزنت عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك او وطيبي نفسا وقوله عز وجل فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن
صوما اي صمتا وسكوتا وكذلك روي في بعض الحروف وهو في حرف ابي وقال ثم قوله فقولي ليس على القول نفسه ولكنه اشارة
اشارت اليهم اني نذرت للرحمن صوما فان كان على هذا ففيه دلالة ان الاشارة اذا كانت معلمة مفهمة المراد تعمل عمل القول نفسه
والكلام ولذلك وقع الطلاق بالاشارة والنكاح وكل عقد من الاخرس وغيره اذا كانت الاشارة مفهومة معقولة وقال بعضهم
قوله فقولي هو على حقيقة القول اي امرناه ان تقول اني نذرت للرحمن صوما فكان نذرها الصوم للرحمن بعد هذا القول والى هذا يذهب
الحسن وقوله عز وجل فاتت به قومها تحمله اي بعيسى قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا قال ابو بكر الاصم لقد قربت عظيما من
الامر لكنه يخرج تاويله قربت من التعريض يقال فريا اي قذرا وقال بعضهم لقد فريت عظيما وهو قذف تصريح بالزنا كقوله يفترينه
بين ايديهن وارجلهن وقال بعضهم شيئا فريا كل قائم من عجيبا ومن عمل فهو فري وهو ههنا عجب فري وهذا اقرب ولا يجوز ان
يحمل كلامهم على تصريح القذف ولم التعريض القذف مساغ ووجه والله اعلم وقوله عز وجل يا اخت هارون قال بعضهم كانت
اخت هرون بن عمران اخي موسى وعلى ذلك روي خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثبت فهو هو وقال بعضهم لا ولكن كان
لها اخ من ابيها يقال له هرون بن ماثان لذلك نسبوها اليه فقالوا يا اخت هرون وقال بعضهم ان هرون كان رجلا صالحا ناسكا
فيهم فشبهوها به ونسبوها اليه لصلاحها ونسكها وقال بعضهم ان بني اسرائيل يسمي كل رجل صالح هرون حبا لهرون لذلك سموها
ونسبوها الى هرون منسكا وصلاحها وقوله عز وجل ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا اي ما كان ابوك ما ذكر ولا امك ولا
انت فمن اين كان لك هذا هذا تعريض من الكلام ليس بتصريح فهو ما ذكرنا انهم قالوا ذلك على التعجب ليس على تصريح الفرية والقذف لها وقوله
عز وجل فاشارت اليه اي الى ابنها عيسى ان كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف نكلم من كان صبيا في المهد وقوله عز وجل

قال انى عبد الله اتانى الكتاب اى اتانى علم الكتاب ولا نعرف ان الكتاب هو الانجيل والتورية او غيره لانه قال فى اية اخرى ونعلمه
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل فذكر الكتاب وذكر معه التورية والانجيل فهذا يدل ان الكتاب غير التورية والانجيل وقوله عز
وجل وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت هذا يدل انه قد تكلم بعد هذا الكلمات وليس كما قال اهل التاويل انه تكلم بهؤلاء الكلمات
ثم لم يتكلم بعد ذلك الى ان بلغ المبلغ الذى يتكلم الصبيان لانه اخبر انه جعله نبيا وجعله مباركا فلا يحتمل ان يكون نبيا ولا يتكلم
ولا يدعو الناس الى دين الله واى بركة تكون فيه اذا لم يتكلم بكلام خير فدل ذلك منه ان ليس على ما قالوا والبركة هى اسم خير
وصلاح والله اعلم وقوله عز وجل واوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعهودة ويحتمل
الصلوة الثناء له والدعاء فى كل وقت وفى كل مكان والزكوة كل ما تزكو به النفس وتصلح وتنمو من كل خير فان كان الاول
الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة فهو على تعليم الناس كانه قال اوصانى ان اعلم الناس واعلمهم عن الزكوة اذ لم يكن يملك عيسى
ما يجب فيه الزكوة فهو يخرج على اعلام الناس عن حكم الزكوة او ان يكون على المواساة فذلك مما قل وكثر سواء وان كان الثانى
فهو وغيره من الناس فى تلك الزكوة سواء والله اعلم وقوله عز وجل وبرا بوالدتى اى جعلنى برا بوالدتى صلة بقوله وجعلنى نبيا مباركا
وجعلنى برا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا قد ذكرنا فى قصة يحيى وقوله عز وجل والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا هذا ايضا قد ذكرناه فى قصة يحيى غير ان الله تعالى هو سلم على يحيى فى تلك الاحوال وههنا ذكر ان عيسى سلم على نفسه وذكر فى بعض
القصة ان عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يحيى لعيسى انت خير منى فقال عيسى بل انت خير منى سلم الله عليك وانا سلمت
انا على نفسى والله اعلم وقوله عز وجل ذلك عيسى بن مريم اى ذلك عيسى بن مريم ليس على ما قالت النصارى وغيرهم انه ابن الله وانه ثالث
ثلاثة على ما قالوا ولكن عيسى بن مريم عبد الله كما اقر هو بالعبودة حيث قال انى عبد الله ويحتمل قوله ذلك عيسى بن مريم اى ذلك الذى
انباتهم من انباء عيسى قول الحق الذى فيه يمترون اى هؤلاء الكفرة حيث انكروا انه ليس على ما انباتهم من نبائه اى الذين يشكون
فيه هو قول الحق وقوله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه نزه نفسه عن ان يتخذ ولدا لانه لا تقع الاسباب التى لها يتخذ الاولاد
ويطلب منه او يقولون ان اتخاذ الولد يسقط الالوهية لان الولد فى الشاهد يكون شكل الاب وشبيها له فلا يحتمل ان يكون الاله شبيها
لمن يشبه الخالق لان الولد فى الشاهد انما يتخذ ويطلب لاحد وجوه ثلاثة اما الوحشة فاستانس به واما الحاجة عنه لـ
يستغنى به فى دفعها والخوف يخاف من اعدائه فيستنصر به فاذ كان الله سبحانه وتعالى عن ذلك وله من سرعة نفاذ امره ما ذكر فى
قوله انما قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاله من سرعة نفاذ الامر ما ذكر لا تقع له الحاجة الى الولد فى معنى من المعانى ولا وجه
من الوجوه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قول اهل التاويل انه نفخ فى جيب مريم او فى انفها او فى غيره وغير ذلك
من القصص التى ذكروها مما ليس فى الكتاب ذكرها فلا يجوز ان يقال ذلك لانه لا يخبر عن الله تعالى او عمن وحى اليه فانه يعلم صدقه
ولا ثبوته فنذكر مقدار ما فى الكتاب لا يزاد على ذلك ولا ينقص لان هذه الانباء انما ذكرت لرسول الله لتكون اية لرسالته ونبوته
لانها كانت مذكورة فى الكتب المتقدمة وكان هنالك من يعرفها فذكرت له هذه الانباء على ما كتب فى كتبهم ليعلموا انه انما عرف
ذلك بالله فلو زيد فيه او نقص لكانت غير دالة لهم على ذلك وقال القتبى الصبم الامساك صوما اى صمتا فريا اى عظيما عجبا والبغى البغيا
امراة بغى وتسوق بغيا بى اى فاجرات وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل ان الله ربى وربكم فاعبدوه انهم كانوا يعرفون ان الله هو ربهم
حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فكان عيسى قال لهم ارجعوا الى عبادة الذى تعرفون انه ربى وربكم واتركوا العبادة
لمن تعرفون انه ليس ربكم وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم اختلف فيه قال بعضهم اختلف الذين تحزبوا فى عيسى فى خبائه
منهم من قال هو ساحر وقال بعضهم هو كاهن وقال بعضهم كذا من هذا النحو وقال بعضهم اختلف الذين تحزبوا فى عيسى بعد ما رفع بينهم
فمنهم من قال هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة وامثال ما قالوا على علم منهم انه لم يكن على ما وصفوه ولكن
فيه لكنهم عاندوا وكابروا وقال بعضهم قوله فاختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا واختلفوا فى رسول الله لما بعث فمنهم من قال
انه ساحر وانه كاهن ومجنون وانه مفتر وانه كذاب ونحو ما قالوا فيه على علم منهم ان ما يقول هو ثابت فى كتبهم وان كتابه مصدق
لكتبهم وانه يؤمن بالرسل الذين يؤمنون هم بهم لكنهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة فقال لاصحاب هذا القول ويل الويل والوعيد واختلف
فيه والله اعلم والويل لكل كافر من كافر لا ولذلك الوعيد وقوله عز وجل من مشهد يوم عظيم وصف ذلك اليوم بالعظم لما فيه
يجمع الاولين والاخرين ويشهده الجن والانس والملائكة فهو مشهد عظيم ويحتمل انه وصف بالعظم لانه هو المقصود فى خلق العالم
فى الدنيا فهو انما خلقهم لامر عظيم وهو ذلك اليوم وقوله عز وجل اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال الحسن يكونون سمعا وبصراء
فى الاخرة ليس على ما كانوا فى الدنيا عميا بكما صما وقال بعضهم ما اسمعهم وما ابصرهم يوم ياتوننا وقال بعضهم لا يصح هذا لان هذا
ليس على وجه التنزيه والتعجب ولكن يا تونا وبه اى يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا وقال بعضهم اسمع بهم وابصر اى اسمع بحديثهم
واعلمهم وابصر كيف نصنع بهم يوم ياتوننا والله اعلم وقوله عز وجل لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اى فى حيرة بينة اى
هلاك بين وقد ذكرنا ذلك فى غير موضع وقوله عز وجل وانذرهم يوم الحسرة قال عامة اهل التاويل الحسرة حين يجاء بصورة الموت

بصورة

سورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فينظر اليه اهل النار واهل الجنة فيستيقن اهل النار ويكون لهم الحسرة لما كانوا يطمعون
الموت بيأسون منه فذلك الحسرة التى ذكر لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن رسول الله فان ثبت شىء عنه فهو ذاك والا فالحسرة لهم
فى عامة التى عملوا فى الدنيا وهو ما قال كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وقوله يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وقوله
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ونحوه كل عمل عملوا فى الدنيا يكون لهم ذلك حسرة فى الاخرة وندامة وقوله عز وجل اذ قضى الامر قيل
حل الجنة الجنة واهل النار النار وهم فى غفلة اى هم كانوا فى غفلة من هذا وهم لا يؤمنون بالله وقوله عز وجل انا نحن نرث
الارض ومن عليها هذا والله اعلم كناية عن فناء الخلق جميعا وبقاء الخالق فذلك معنى الوراثة والله اعلم وعلى ذلك سمى الوارث
وارثا هو وارثا لانه باق بعد فناء مورثه والله اعلم وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب ابراهيم قال الحسن هو صلة كهيعص ذكر رحمت
ربك عبده زكريا يقول اذكر رحمت ربك ابراهيم وكذلك يجعل هو جميع ما ذكر فى هذه السورة من نحو هذا صلة ذلك كانه ذكر
كهيعص فى كل ذلك لانه يجعل تفسير كهيعص ما ذكر على اثره وكذلك يقول فى جميع الحروف المقطعة ان تفسيرها ما ذكر على اثرها
واما غيره من اهل التاويل فانه يقول واذكر لهم نبأ ابراهيم وقصته فى الكتاب وكذلك يقولون فى جميع ما ذكر فى هذه السورة
من قوله واذكر فى الكتاب مريم اى اذكر نبأها وقصتها فى الكتاب لهم واذكر فى الكتاب نبأ موسى وخبره وذكره والله اعلم وقوله
عز وجل انه كان صديقا نبيا الصديق انما يقال لمن كثر منه ما يستحق ذلك الاسم وذلك التشديد انما يشدد اذا كثر الفعل
منهم وصار كالعادة له والتطبيع فكانه سمى بهذا الاسم لم يكن يجعل بين ما هو له من الحقوق والفعل وبين وفائها وادائها نظرة
ولا مهلة بل كان يؤديها ويوديها كما ظهر له ولذلك سماه والله اعلم وفيما يقوله وابراهيم الذى وفى وقال فى اية اخرى واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن سماه وفيا لما كانت عادته القيام بوفاء ما ظهر له والقيام ما ابتلاه به والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال
لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع اذا دعوته ولا يبصر لو عبدته ولا يغنى عنك شيئا اذا احتجت اليه ويحتمل ان يكون قوله لم
ما لا يسمع اى لا يجيب لو دعوته واحتجت اليه ولا يبصر حاجتك اذا احتجت اليه ولا يغنى عنك شيئا اى لا ينصرك وقال بعضهم
ولا يغنى عنك شيئا من عذاب الله فى الاخرة يقول كيف لا تعبد من اذا دعوته سمع واذا عبدته ابصر وينصرك اذا احتجت اليه
وسالته والله الموفق وقوله عز وجل يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك اى من البيان ما يحل بك بعد الموت اذا مت على ما انت عليه لم
يأتك ذلك فاتبعنى الى ما ادعوك اليه من دين الله اهدك صراطا سويا اى دينا عدلا سويا فيما لا عوج فيه فهذا يدل منه انه قد اوحى
اليه فى ذلك الوقت ويشبه ان يكون عرف ذلك استدلالا منه واجتهادا على غيره وهو كقوله هذا ربى هذا اكبر حتى انتهى للذى فطر السموات
والارض حنيفا وكل ذلك كان له من الله الا ترى انه قال فى اخره وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وقوله عز وجل يا ابت لا تعبد الشيطان ان
الشيطان كان للرحمن عصيا هم لم يكونوا يعبدون الشيطان عند انفسهم ولكن يحتمل اضافة عبادتهم الى الشيطان وجوها احدها ان الاصنام
التى عبدوها كانت لا تامرهم بالعبادة ولا تدعوهم اليها ثم عبدوها فانما عبدوها بامر الشيطان وبدعائه اياهم فاضاف ذلك اليه لان
الذى كان منه بذلك والثانى ذكر ان الشيطان كان ينطق من جوف الصنم فعبدوها لكلامه فكانهم عبدوا الشيطان والله اعلم
وقوله عز وجل يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن قال بعضهم قوله انى اخاف اى اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن لو مت على الكفر
ختمت به فان كان تاويل العلم فهو على هذا الشرط يخرج ويحتمل ان يكون الخوف فى موضع الخوف اى انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
ان لم تنجز وعدك فتكون لك الشيطان وليا اى قريبا فى العذاب وقوله عز وجل قال اراغب انت عن الهتى يا ابراهيم ولا شك انه كان
راغبا عن عبادة الهتهم وقوله عز وجل لئن لم تنته لارجمنك يحتمل قوله لئن لم تنته لارجمنك وجوها احدها لئن لم تنته عن دينك
الذى انت عليه لارجمنك اى لاقتلنك والثانى لئن لم تنته عن دعائك اياى الى دينك لارجمنك اى لاطردنك والثالث لئن لم
تنته عن قذف الهتنا وسبها وذكرها بسوء لارجمنك اى لاشتمنك وقذفك الهتنا فالرجم مشتمل على هذه الوجوه الثلاثة
القتل والطرد والشتم فان كان على القتل فهو مقابل الدين اى لئن لم تنته عن دينك لاقتلنك وان كان على الطرد فهو مقابل الدعاء
اى لئن لم تنته عن دعائك اياى الى ما تدعو لاطردنك وان كان على الشتم فهو مقابل الشتم اى لئن لم تنته عن شتمك الهتنا لاشتمنك
والله اعلم وقوله عز وجل واهجرنى مليا قال بعضهم طويلا وقال بعضهم بعيدا وقال بعضهم دهرا فان مليا اى بعيدا فهو على بعده منه
اى بعد منى وتباعد منى من داره ومقامه وان كان على الدهر والطول فهو يخرج اى لا تكلمنى ابدا والله اعلم وقوله عز وجل قال سلام
عليك يحتمل انه ليس على ان سلم عليه ولكن كلمة بكلام السداد كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما هو ان يقولوا لهم كلام السداد
وليس على ان يسلموا عليهم ويحتمل سلام عليك على حقيقة السلام المعروف لكنه يخرج على الاضمار اى سلام عليك اذا اسلمت وقوله
عز وجل ساستغفر لك ربى اذا اسلمت على نحو ما قلنا ويحتمل قوله ساستغفر لك ربى ليوفقك على السبب الذى يستوجب به الاستغفار
ويكون اهلا للاستغفار وقوله عز وجل انه كان بى حفيا قال بعضهم اى برا لطيفا وقال بعضهم حفيا عالما وقال بعضهم انه كان عودنى
فى الاجابة اذا دعوته قال ابو عوسجة الحفى العالم بالامر ويقال حفى الرجل يحفى اذا سار بلا نعل ولا خف وجمعه حفاة واحفى يحفى
اذا الجئنى حيثما وقوله عز وجل واعتزلكم وما تدعون من دون الله الاعتزال ههنا اعتزال الهجرة الى ارض الشام ومفارقته اياهم

منازل قومه المكان والدار كقوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فقوله ونجيناه النجاة بالفراق منهم وقوله
عز وجل وما تدعون من دون الله اي واعتزلكم وما تعبدون من دون الله ايضا فيه اخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان
وعن فعلهم ايضا اعتزلهم عن الامرين جميعا وقوله عز وجل وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا هذا يحتمل وجهين
احدهما اي ادعوا ربي عسى ان لا اكون بعبادة غير الله شقيا كما كان قومه بعبادة غير الله شقيا والثاني ان لا اكون
بدعاء ربي اذا دعوته شقيا اي خائبا مردود الدعا والله اعلم وقوله عز وجل فلما اعتزلهم اعتزل الدار والمكان بالهجرة الى
الارض المباركة التي ذكر انه نجاه واعتزل ايضا صنيعهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم غير الله وقوله عز وجل وهبنا له
اسحق ويعقوب وقال في اية اخرى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ذكر الهبة لان الهبة من الله تعالى خلقه على الافضال
منه والانعام عليه لانه يعطي لا عن حق كان لهم عليه فلذلك ذكر الولد هبة وقوله عز وجل وكلا جعلنا نبيا هو ظاهر
وهب له ما ذكر ثم اخبر عز وجل انه جعلهم انبياء وقوله عز وجل ووهبنا لهم من رحمتنا اختلف فيه قال بعضهم الرحمة ههنا
هي النبوة اي وهبنا لهم النبوة وقال بعضهم الرحمة النعمة اي من نعمة وهب لهم ما وهب من النبوة وغيرها والله اعلم وقوله
عز وجل وجعلنا لهم لسان صدق عليا اختلف فيه قال بعضهم قوله لسان صدق هي الكتب التي انزلها الله فيها انباء صدقهم
وفضلهم ومنزلتهم هي لسان صدق عليا وقال بعضهم لسان صدق عليا هم اولادهم الذي جعلهم انبياء رسلا يذكرونه
ويعظمونه من بعدهم لان جميع الانبياء والرسل عليهم السلام كانوا من نسل ابراهيم من لدنه الى لدن محمد صلى الله عليه وسلم
فهم كانوا لسان صدق عليا حيث يذكرونه بكل خير وبكل بركة ويمن وقال بعضهم لسان صدق عليا هو ما ان جميع اهل الاديان
به اعني بابراهيم ودانوا توجيها به وعلى ذلك يخرج تخصيص ابراهيم وآله بالصلوة وبالبركة عليهم والثنا على قول قوم حيث
قالوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى هو ما ذكرنا في
قوله واذكر في الكتاب ابراهيم وقوله واذكر في الكتاب مريم على قول الحسن هو صلة قوله ذكر رحمت ربك عبده زكريا او
اذكر رحمة ربك موسى وعلى قول غيره من اهل التاويل اي اذكر لهم نبأ موسى وقصته في الكتاب وهو ما ذكرنا فيما تقدم
وقوله عز وجل انه كان مخلصا ومخلصا قد قرئ بالنصب والخفض جميعا قال بعضهم مخلصا هي اخلصه الله واصطفاه
واختاره لرسالته ونبوته وقوله مخلصا بالخفض اي اخلص عبادته وتوحيده له وقوله عز وجل وكان رسولا نبيا قال
بعضهم الرسول هو الذي امر بالتبليغ والنبي هو الذي ينبئ ويخبر عن التاويل وقال بعضهم الرسول هو الذي ينزل
عليه الوحي والكتاب والنبي هو الذي ينبئ لا عن لسان واصل النبي هو الذي ينبئ عن كل خير وبركة وسمي نبيا لاجتماع
خصال فيه كالصديق لا يسمى به الا بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة ما لو تفرد بكل خصلة من تلك الخصال سمي صادقا
فاذا اجتمع ذلك سمي صديقا فعلى ذلك النبي سمي نبيا لاجتماع خصال وهو ما روي في الخبر الرؤيا الصالحة جزء من خمسة
واربعين جزءا من النبوة والسمت الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة فهذا يدل ان النبي انما يسمى نبيا لاجتماع
خصال الخير والبركة فيه كما ذكرنا في الصديق والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه من جانب الطور الايمن ان كان الايمن من اليمن
والبركة فيكون تاويله وناديناه من جانب الطور المبارك واليمن وكذلك روي في الخبر ان موسى عليه السلام قال انا اتاني
ربي من جبل طور سيناء واطلع من جبل ساعير واظهر من جبل فاران ومعناه اتاني وحي ربي من جبل طور سيناء واطلع
من جبل ساعير واتى وحي عيسى من جبل ساعير واتى وحي محمد فجبل فاران فهو على اليمن من الجبل والبركة وقال
بعضهم هو يمين الجبل وقال بعضهم يمين موسى قال ابو بكر الاصم هذا لا يعلم الا بالخبر ولا ندري انه ما اراد به
لا ذكر هذا في موضع الاحتجاج عليهم فان زاد او انتقص عليهم كتبهم يبطل الاحتجاج به عليهم وقوله عز وجل
وقربناه نجيا قال اهل التاويل المنزلة والقدر والفضل هذا معروف عند الناس قربناه نجيا
اي ناجيا منه حيث لم يطلع على ذلك غيره سمي موسى بهذا لانه اخلص بنفسه لله وسلم له ولذلك سمي ايضا نجيا
فالخبر حيث فرغ نفسه عن جميع الاشغال وسلمها اليه فسمي لذلك مناجيا والله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هرون نبيا هو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب اسمعيل على قول الحسن هو صلة قوله ذكر رحمت ربك عبده
اذ ذكر رحمة ربك اسمعيل وعلى قول غيره من اهل التاويل على الابتداء اي اذكر لهم نبأ اسمعيل وقصته في الكتاب على الاحتجاج عليهم
لان هذه الانباء والقصص كانت في كتبهم فاخبر رسوله عن تلك الانباء والقصص على ما كانت ليخبرهم ليعلموا انه عرفها بالله ليدل
ذلك على نبوته ورسالته ثم اختلف في اسمعيل قال عامة اهل التاويل هو اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما وقال بعضهم هو الذي
قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وليس لنا الى معرفته حاجة وقوله عز وجل انه كان صادق
الوعد قال عامة اهل التاويل سمي صادق الوعد لانه وعد رجلا ان يقيم عليه وان ينتظره حتى يرجع اليه فانتظره مكانه زمانا
الميعاد حتى رجع اليه لكن لا يحتمل ان يكون مثل اسمعيل يعد وعدا ولا يستثني وقد نهى الله رسوله ان يقول اني فاعل ذلك غدا حتى يستثني

وهو

وهو قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويكون قوله صادق الوعد اي صديقا والصديق هو القايم بوفاء
كل حق ظهر له لان كل مؤمن يعتقد في اصل ايمانه طاعة ربه في كل امر يامره به والانتهاء عن كل نهي ينهاه ووفا كل حق عليه فسماه
صادق الوعد لقيامه بوفاء كل حق ظهر له وتجلى والله اعلم وقوله تعالى وكان رسولا نبيا قد ذكرناه وقوله عز وجل وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة اي قومه بالصلوة والزكوة فان كانت الصلوة هي الصلاة المعروفة والزكوة المعروفة ففيه انهما كانتا في الامم
الماضية وان كانت الدعاء والثنا وما به تزكوا الانفس وتصلح فهو على جميع الخلايق ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وكان عند ربه مرضيا
ظاهر وقوله عز وجل واذكر في الكتاب ادريس هو ما ذكرنا وقوله عز وجل انه كان صديقا نبيا قد ذكرنا ايضا وقوله عز وجل ورفعناه
مكانا عليا قال الحسن رفعناه اي رفعه في الجنة وقال عامة اهل التاويل رفعه الى السماء الرابعة فهو ميت فيها او كلام نحو هذا ولكن
عندنا يشبه ان يكون رفعه اياه في المنزلة والقدر والرفعة عند الله وعند الناس جميعا على ما ذكرنا قوله وجعلنا لهم لسان صدق
عليا وقوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم اي بالنبوة والرحمة التي ذكر فيما تقدم والرحمة هي النعمة فهذا يرد قول اهل الاعتزال لانهم
يقولون لا يخص الله احدا بالنبوة او بشيء من الافضال الا من يستحق ذلك ويستوجبه فاخبر الله عز وجل ان ذلك منه انعام وافضال
عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن ذرية من حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم ايضا ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب وممن ذرتهم من هداه
للتوحيد واجتباه للرسالة والنبوة والله وقوله عز وجل اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا قال بعض اهل التاويل هذا في مؤمني
اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه اذا تتلى عليهم آيات القرآن بعد ما آمنوا خروا سجدا وبكيا ويشبه ان يكون هذا في اولئك الذين ذكر انه
انعم الله عليهم كانت لهم آيات في كتبهم فيها سجود اذا تليت عليهم خروا له سجدا وبكيا او ان يكون لا على حقيقة السجود ولكن على الخضوع له
والقبول لحججه وبراهينه التي تليت عليهم وان يكونوا لا يملكون انفسهم اذا رادوا الآيات وسلطانه ولكن وقعوا سجدا على ما اخبر عن سحرة
فرعون عند معاينتهم الآيات حيث قال فالقي السحرة سجدا وما يجدون ليس انه سجدوا له ولكن يلقون سجدا لما لا يملكون انفسهم عند معاينتهم
الآيات قال ابو عوسجة بكيا فيه ثلاث لغات بكيا وبكيا وهو جماعة الباكي وقوله نجيا يقال فلان نجي فلان اي موضع سره ويحتمل قوله اذا
تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ان يكون كناية عن الصلوة وصفهم عز وجل انهم كانوا يكونون في الصلوة خاشعين باكين ثم قال
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اي خلف من بعد اولئك الذين وصفهم عز وجل بالصلوة لله والخشوع له فيها والبكا
خلف اضاعوا الصلوة اي جعلوها للخبرات وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها فاذا جعلوها وصرفوها الى غير الذي يصلى اولئك فقد اضاعوها
لانهم كانوا يصلون للاصنام الصلوة التي كان يصلي اولئك لله ويحتمل ان يكون قوله اضاعوا الصلوة لان الصلوة هي آخر ما يترك ويضيع لانه
روي في الخبر انه قال سينقض عرى الاسلام عروة عروة اولها الامانة وآخرها الصلاة وقال بعض اهل التاويل اضاعوا الصلوة اي اخروها
تاخيرها عن مواقيتها لا ان تركوها اصلا فهذا في اهل الاسلام ان ثبت والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوا الشهوات اي آثروا الشهوات على العبادات
وجعلوا الشهوات هي المعتمدة دون العبادات وقوله عز وجل فسوف يلقون غيا قال بعضهم الغي واد في جهنم لكن هذا لا يجوز ان يقال الا بالخبر
عن رسول الله انه قال واد في جهنم وقال بعضهم الغي واد في جهنم لكن هذا لا يجوز ان يقال الا بالخبر عن رسول الله انه قال واد في جهنم وقال
بعضهم الغي العذاب وقال بعضهم الغي الشر وجائز ان يكون سمي جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا بالغواية باسم اعمالهم غيا ويجوز تسمية الجزاء
باسم سببه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ونحوه ثم استثنى فقال الا من تاب عن الشرك وآمن بالله وعمل صالحا وقوله
عز وجل فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ويشبه ان يكون قوله لا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من حسناتهم التي عملوها في حال
ايمانهم لمكان ما عملوا من الاعمال في حال كفرهم بل يبدل سيئاتهم حسنات على ما اخبر تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اخبر انهم اذا آمنوا وانتهوا عن الشرك لا يواخذهم بما كانوا منهم في حال كفرهم والله اعلم ثم بين اية جنة
فقال جنات عدن التي وعد الرحمن عباده الذين آمنوا بالغيب ثم يحتمل ايمانهم بالغيب اي بالله آمنوا به بالخبر وان لم يروه ويحتمل الغيب الجنة
اي صدقوا بها وان لم يروها والنار والبعث بالغيب وقوله عز وجل انه كان وعده مأتيا اي كان موعوده آتيا ولكن ذكر مأتيا لان كل من
اتاك فقد اتيته فسمي لذلك مأتيا وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال في موضع آخر لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا
قيلا سلاما سلاما اي لا يسمعون باطلا ولا ما يكره بعضهم من بعض ولا ما ياثم بعضهم بعضا الا السلام والسلام كانه اسم كل خير وبركة
وقوله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال الحسن ان اطيب العيش واحبه الى العرب الغداء والعشا فاخبرهم الله عز وجل ان لهم في الجنة
الغدا والعشا واطيب العيش الى العجم لباس الحرير والذهب واللؤلؤ فاعلمهم ان لهم في الجنة ذلك بقوله يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير ويقول اهل التاويل ليس في الجنة بكرة ولا عشي ولا ليل ولا نهار ولكن يؤتون على ما يحبون من البكرة والعشي وعن ابن عباس قال
على مقادير الليل والنهار ويشبه ان يكون قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ليس على تخصيص وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها
في كل وقت يحبون ويشتهون كقوله وفيها ما تشتهي الانفس وفاكهة مما يتخيرون ويخرج ذكر البكرة والعشي ان زمان الجنة يكون يشبه
البكرة من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس مثل الوقت الذي يكون بعد غروب الشمس الى ان يظلم لانه اخبر ان اظله ممدود بقوله وظل
ممدود ثم اخبر ان تلك الجنة التي ذكر انه يورثها هي التي نورث من عبادنا من كان تقيا يحتمل ان يكون وعد الجنة المتقين كلهم بشرايط

شرط عليهم ان وفوا بها فلهم الجنة جميعا وان لم يوفوا بها فلا فرق وفى بشرايطه التى شرط يجعل الذى كان وعد للذى لم يف ذا
وفا الذى وفى ذلك فهو الميزان الذى ذكر وعلى ذلك يخرج قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الاية
والوارث هو الباقى عن الموروث والخلف عن الميت وقوله فخلف من بعدهم خلف قال بعضهم الخلف بالجزم
يستعمل فى موضع الذم والخلف بالتحريك والنصب فى موضع المدح وقال بعضهم هما سواء ويستعملان جميعا فى
موضع واحد وقوله عز وجل وما نتنزل الا بامر ربك هذا الكلام منه لا يكون الا عن سؤال كان منه فكانه قيل
كان استبطاء نزول جبريل عليه فعند ذلك قال له انا لا نتنزل الا بامر ربك ثم فيه انه لم يقل ذلك له الا بامره
لان الله اخبر انهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فلا يحتمل ان يقول له ذلك من تلقاء نفسه فيجعل ذلك
اية فى كتاب الله تتلى وقوله عز وجل له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك كان هذا الكلام موصول بقوله وما
نتنزل الا بامر ربك لانهما جميعا كانا يعلمان ان له ما بين ايديهم وما خلفهم وما بين ذلك فدل ذلك انه موصول
بالاول وجهة الصلة بالاول هو ان يقال ما نتنزل الا بامر ربك لا نتقدم الا بامره ولا نتاخر ولا نعمل شيئا الا
بامره وهو كقوله لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واما غيره من اهل التاويل اختلفوا فيه قال بعضهم قوله له ما
بين ايدينا هو الاخرة وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك الحال التى نحن فيها وقال بعضهم قوله له ما بين ايدينا
الدنيا وما خلفنا الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وامثال هذا لكن الذى ذكرنا بدءا اولى واشبه اذ هو
على الصلة بالاول ان لا يتقدم ولا يتاخر ولا يعمل شيئا الا بامره والله اعلم وقوله عز وجل وما كان ربك نسيا هذا
يخرج على وجوه فلو تم احدها قال له بعض اهل التاويل ان جبريل قد كان احتبس عنه زمانا فقال اهل مكة قد ودعه
ربه وقلاه فنزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى على ما قال المشركون فيخرج على هذا قوله وما كان
ربك نسيا على الترك اى ما كان ربك تركك لما قالوا ولكن من التوديع والقلى ويحتمل ما كان ربك نسيا كملوك الارض
يطلب خدمهم وخولهم وقت سهوهم وحالة غفلتهم فيقضون حوائجهم وحوائج من يطلب منهم القيام بها اى ما كان
ربك بالذى يسهو ويغفل كملوك الارض والثالث وما كان ربك نسيا بتاخير نزولك عن وقت النزول بل انزل عليك
فى الوقت الذى هو وقت النزول فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة والاول على الترك وقوله عز وجل رب
السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته اى اصبر نفسك عليها وعلى طاعته وقوله عز وجل هل تعلم له سميا
اى ما تعلم له شريكا تشتغل بعبادته عن عبادة الله انما هو اله واحد لا راحة لك عن عبادته ولا ما يشغلك عنه وقال بعض
اهل التاويل هل تعلم احدا اسمه الله سواه وقال بعضهم هل تعلم له مثلا وشبها وقوله عز وجل ويقول الانسان اءذا
ما مت لسوف اخرج حيا هذا الكلام يخرج على وجهين احدهما على انكار البعث لسوف اخرج حيا اى ما اخرج حيا و
الثانى على التهزؤ والهزء وجواب ما قال لهم اهل الاسلام انكم تبعثون وتحيون فقالوا عند ذلك الهزء بهم والسخرية
ثم ذكرهم بدء احوالهم حيث لم يكونوا شيئا فخلقهم فقال اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فاذ قدر على
خلقه فى الابتداء ولم يك شيئا كان على احيائه وبعثه بعد ما كان شيئا اقدر ثم اقسم انهم سيبعثون فقال فوربك
لنحشرنهم والشياطين اى لنجمعنهم والشياطين الذين اضلوهم كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله الاية وقوله عز وجل ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال بعضهم جثيا جماعات كقوله وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم جثيا على الركب لان اقدامهم لا تقلهم لشدة هول ذلك اليوم وقوله عز وجل
ثم لننزعن من كل شيعة قال بعضهم الشيعة الصنف اى من كل صنف والشيعة الاتباع كقوله هذا من شيعته وهذا
من عدوه اى من اتباعه وقوله عز وجل ايهم اشد على الرحمن عتيا اى تمردا وعنادا والعاتى هو العاصى المتمرد فى عتوه
وقوله عز وجل ثم لننزعن اى لنخرجن اى بنزعهم من كان منهم اشد على الرحمن تمردا وعنادا وهم القادة والرؤساء منهم
فيقذفون فى النار اولا ثم الامثل فالامثل على المراتب التى كانوا فى الدنيا وقوله عز وجل ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اى اعلم بمن اولى بها صليا اى يصلى بالنار وهم القادة والكفرة وقوله يلقون غيا قال ابو عوسجة الغى الشر
جثيا قال الجماعات والجاثى هو البارك على ركبتيه والشيعة الصنف من الناس وقال القتبى جثيا جمع جاث وفى التفسير
جماعات وقال قتادة فى قوله هل تعلم له سميا قال لا سمى لله ولا عدل ولا مثل كل خلقه يقر له ويعرفه ويعلم انه خالقه
وقال بعضهم لا يسمى احد باسمه يعنى بالله وقال بعضهم بالرحمن وقوله عز وجل وان منكم الا واردها اختلف فيه قال
بعضهم الاية فى الكفرة خاصة واستدلوا بما قبل الاية بقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين الى اخر ما ذكر والمؤمنون
لا يحشرون مع الشياطين ولكن انما يحشر الكفار مع الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله ويكون قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا على ابتداء الورود عليها والنجاة منها وقال بعضهم

الاية

الاية فى المؤمنين والكافرين جميعا لكن اختلف فى الورود وقال بعضهم الورود الدخول [illegible] الدخول لان الله عز وجل اخبر
ان من ادخل النار فقد اخزاه بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وقال بعضهم الورود الدخول فيها واستدل بقوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وبقوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار الاية
[illegible] بردا وسلاما على ابراهيم [illegible] الكفار والظلمة وقال
الحسن لا يحتمل ان يدخل اهل الايمان النار لان الله عز وجل اخبر ان المؤمنين لا يكون عليهم خوف وحزن بقوله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فلو كانوا يدخلون النار لكان لهم خوف وحزن وقد اخبر ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] خوف ولا حزن [illegible] اصحاب النار [illegible]
[illegible]
والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قد ذكرنا وقوله قال الذين كفروا للذين امنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا كان هذا القول من
الكفرة خرج جواب ما احتج عليهم اهل الايمان بالايات التى ذكرت وحجاجا عليهم فيقولون انكم تقولون ان الدنيا والاخرة لله فقد وسع علينا
الدنيا وضيق عليكم فعلى ذلك يوسع الاخرة علينا ويضيق عليكم كما فعل فى الدنيا اذ لا يجوز ان يوالينا فى الدنيا ويعادينا فى الاخرة وعلى هذا قولهم
نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فضلنا لما وسع عليهم الدنيا واحسن لهم الندى والمجلس كذلك يكونون فى الاخرة فاكذبهم الله و
رد عليهم ذلك فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اخبرهم بما عرفوا انهم كانوا اهل السعة والزينة ثم اهلكوا بتكذيبهم
الرسل وعصيانهم ربهم فلو كان ما ذكر هؤلاء الكفرة لكانوا لا يهلكون فيلزمهم بما ذكر ان من وسع عليه الدنيا وضيق على الاخرة انما يكون
بحق المحنة لا بحق المنزلة والقدر واما الثواب والجزاء فهو بحق القدر والمنزلة والخذلان وقوله عز وجل اثاثا قيل المتاع والمال ورءيا
اى منظرا وقوله عز وجل قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اى خيرا وسعة فى الدنيا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب هو العذاب و
الهلاك الذى وعدهم رسول الله فى الدنيا واما الساعة القيامة وقوله عز وجل فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا هذا يدل ان قولهم اى
الفريقين خير مقاما واحسن نديا اراد والخدم والحواشى حيث قال واضعف جندا قال ابو عوسجة حتما مقضيا اى واجبا نديا اى مجلسا و
الاندية جمع والاثاث المتاع ورئيا منظرا ونعد لهم اى نطيل عذابهم قال القتبى نديا اى مجلسا يقال المجلس ندى وناد ومنه قيل دار الندوة التى
كان المشركون يجلسون ويتشاورون فى رسول الله والاثاث المتاع والرئى المنظر والشارة والهيئة وقوله فليمدد له الرحمن مدا اى يمهله
فى ضلالته ونرثه ما يقول اى نرثه المال والولد الذى قال لاوتين وقوله ويأتينا فردا لا شىء معه وقوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
جميع ما ذكر الله عز وجل من زيادة الهداية وابتداء الهداية فهو لما يزيد له الهداية ويهديه ابتداء اذا كان من العبد رغبة فى ذلك وبغيه و
طلب اذا كان مهتديا يزيد له الثبات على ما كان عليه فى وقت رغبته وطلب منه وان لم يكن مهتديا يهديه ابتداء هداية فى وقت رغبته
ويقول على هذا يخرج عندنا ما ذكر بحق الزيادة او بحق الابتداء او يحتمل قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اى يوفقهم انا اهتدوا عرفوا
هداية الله لانواع الخيرات والطاعات وقالت المعتزلة الهداية الاولى البيان وهى هداية عامة والهداية الثانية هى شرح الصدر لها
والتوفيق وهى هداية خاصة تكون فى وقت ثان بحق الثواب فعلى زعمهم يجب ان لا يكفر احد بعد ما هداه الله مرة ابدا لانهم يقولون انا
اهتدوا وقبلوا هدايته مرة يوفقه ويشرح صدره فى الوقت الثانى فهو ابدا يكون على الهداية والايمان فاذا وجد عن كثير ممن اهتدى
امر الكفر من بعد ذلك ثم ويلهم فاسد ما قالوا وبل ما ذكرنا يحتمل انه يزيدهم الهداية وقت رغبتهم وطلبهم الهداية اذا كان بحق
الزيادة او بحق الابتداء والله اعلم وقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يحتمل الباقيات
الامور الباقية التى لها البقاء اى ما يبقى لكم عند الله خير مما يبطل لان الله عز وجل وصف الحق والخير بالبقاء والمكث ووصف الباطل
بالذهاب والتلاشى بقوله فاما الزبد الاية وقال ومثل كلمة طيبة الاية وقال ومثل كلمة خبيثة الاية وقال وقل جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اى ذاهبا فيشبه ان يكون قوله والباقيات الصالحات خيرا اى اعمال التى لها البقاء خير لكم
عند الله ثوابا من الذى ليس لها البقاء ويحتمل الباقيات ما يبقى الله لكم فى الاخرة من الثواب خير لكم مما اعطى لكم فى الدنيا لانه

هذا نادٍ وذلك بان والله اعلم وقوله عز وجل افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا قال بعضهم هذا القول قاله العاص بن وائل السهمي لما حاجه اهل الايمان في امر الاخرة انهم دون الكفرة فقال لهم عند ذلك لاوتين مالا وولدا في الاخرة ان كان ما تقولون انتم حقا انا نبعث ونحيى كما اوتيت في هذه الدنيا وقال الحسن قال هذا القول الوليد بن المغيرة وهو ما قال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيده في الدنيا ابدا فقال كلا ردا على ذلك وقال ههنا اطلع الغيب ان يكون له في الاخرة ذلك على التاويل الاول او في الدنيا في وقت اخر ذلك على تاويل الحسن ام اتخذ عند الرحمن عهدا اي له بذلك عند الله عهدا كلا ردا على ما ادعوا سنكتب ما يقول اي سنحفظ ذلك ونمد له من العذاب مدا قال بعضهم قوله ونمد له اي نزيد له من العذاب في كل يوم كقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال بعضهم نمد له من العذاب مدا اي نمد به عذابا لا انقطاع له والله اعلم وقوله عز وجل ونرثه ما يقول قال بعضهم اي نرث المال والولد الذي قال لاوتين اي لله ما يقول بانه له من المال وغيره لا له وقال بعضهم قوله نرثه اي نعطي في الجنة ما يعطي المؤمنون فنرثه عنه ونعطيه غيره وجاز اضافة الوراثة اليه على ارادة اوليائه اي يرث ذلك اولياؤه وقوله عز وجل ويأتينا فردا في الاخرة لا شيء معه ولا اهل كقوله ولقد جئتمونا فرادى ويحتمل قوله ويأتينا فردا في الدنيا في وقت لا شيء معه ولا اهل ولا ولد على تاويل من يقول في قوله لاوتين مالا وولدا في الدنيا والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في العهد الذي ذكر ان له عند الله قال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله في الدنيا وقال بعضهم قدم عملا صالحا وقال بعضهم الصلوة وهو قول مقاتل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اتخذوا عند الرحمن عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم فقيل كيف هو قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا انك ان لا تكلني الى عمل تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ويرفع ابن مسعود هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اشبه ان يثبت الخبر وقوله عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فان كان على حقيقة العز فهو في القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا تلك الاصنام والاوثان ليتعززوا بذلك ولا يزولون ويدوم لهم الرياسة التي كانت لهم في الدنيا فظنوا انهم ان امنوا تذهب تلك الرياسة والمأكلة عنهم ويحتمل قوله ليكونوا لهم عزا اي نصرا ومنعة فان كان هذا فهو في الرؤساء منهم وفيما والاتباع في الدنيا والاخرة اما ما طمعوا بعبادتهم الاصنام النصر في الاخرة هو كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله طمعوا بعبادتهم النصر والشفاعة في الاخرة واما في الدنيا ظنوا ان الهتهم التي اتخذوها وعبدوها ينصرونهم في الدنيا حيث قالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فكيف ما كان فقد رد الله عليهم ما طمعوا منها عزا كان او نصرا بقوله كلا لانهم اذلوا انفسهم بالخشب وحنوا ظهورهم لها كفى بذلك ذلا وصغارا وقوله عز وجل سيكفرون بعبادتهم قال الحسن سيكفرون عباد الاصنام في الدنيا ومن عبدوه في الاخرة انهم ما كفروا وما عبدوها كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ينكرون في الاخرة ان يكونوا اشركوا فيه غيره او عبدوا دونه وقال غيره من اهل التاويل سيكفر المعبودون بالعابدين لهم ويتبرؤون لهم ويتبرؤن منهم وهو كقوله شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ونحوه وقوله عز وجل ويكونون عليهم ضدا قال بعضهم ضدا اي عونا وقيل لعونه هو ان يلقي تلك الاصنام معهم في النار ليحرقون فيها معهم فيزداد لهم بها عذابا فكانت عونا على احراقهم وعلى هذا يخرج قول من يقول الضد البلاء اي يكونون بلاء عليهم على ما ذكرنا وهو ما قال انكم وما تعبدون الاية فانها صاروا حطبا بلاء كانوا بلاء وعونا على احراقهم وقال بعضهم يكونون عليهم ضدا اي قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ويخاصم بعضهم بعضا ويكذب بعضهم بعضا فذلك كله ضد عليهم ضد ما طمعوا منها لانهم عبدوها في الدنيا رجاء ان يكون لهم شفعاء في الاخرة ونصرا فكانوا لهم على ضد ذلك اعداء وقال ابن عباس يكونون عليهم ضدا اي حسرة وكله واحد وقوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا قال بعضهم اي سلطنا عليهم كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقال بعضهم ارسلنا الشياطين اي قيضنا لهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهما في الحقيقة واحد لانه اذا ارسلهم اتصلوا بهم فاذا اتصلوا قيضوا وقرنوا بعضهم ببعض وقال الحسن وابو بكر الاصم ارسلنا الشياطين على الكافرين اي خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم منهم ما ذكر لكن لو كان تاويل الارسال التخلية وتاويل التقييض كذلك لم يكن لتخصيص الكفار بذلك معنى اذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين ان كان تاويل التخلية انه لم يمنعهم منهم ولم يحل بينهم فدل تخصيص الكفار بهذا وامثاله ليس هو التخلية لا غير وان تخصيص هؤلاء بهذا وامثاله من قوله طبع الله على قلوبهم وقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ونحوه وان كان هنالك من الله معنى في الكفار ليس ذلك في المؤمنين وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكافرين وهو والله اعلم اذا علم في المؤمنين الرغبة والاجابة وفقهم على ذلك وهداهم واذا علم من الكفار خلاف ذلك وضده خذلهم واضلهم فذلك تخصيصه اياهم بما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل تؤزهم ازا قال بعضهم تزعجهم ازعاجا وقال بعضهم تشليهم اشلاء وتغريهم اغراء وقال الحسن تحركهم تحريكا وقال بعضهم تقدمهم اقداما الى الشر وقال بعضهم تامرهم

امرا

امرا وقال بعضهم تزعجهم ايقاعا ونحوه وكله واحد وقوله عز وجل فلا تعجل عليهم اي لا تكافئهم على اذاهم اياك ولا تعاقبهم انما نعد لهم عدا اي انفاسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة تنقضي اجالهم عن قريب فلا تكافئهم على ذلك وما يستقبلونك بالمكروه والسوء ثم وجه ما ذكر من ارسال الشياطين عليهم والتمكين لهم من الوسوسة في الصدور وما عن صدور المؤمنين والنزع في دعوتهم من غير ان يملكوا القهر والقسر على ذلك وما جعلهم بحال لا نراهم نحن وهم يرونا على ما اخبر انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فهو والله اعلم وذلك ان من علم ان بحضرته وقرب عدوا له يراقبه ويطلب الفرصة عليه يكون احذر واحب له ممن لا يعلم ذلك ولا كان بقرب وحضرته عدو وعلى ذلك ما جعل الله عز وجل من الحفظة والكرام الكاتبين صلوات الله عليهم على بني ادم رقباء عليهم في قليل ما يفعلون ويتفوهون وكثيرهم وان كان قادرا على حفظ ذلك عليهم والتذكير لهم واحصاء بعد نسيانا على الرقيب وذلك لما ذكرنا ان من علم ان عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل وكثير كان احذر واحب ممن لم يعلم ذلك على نفسه رقيبا والله اعلم وقوله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي الذين اتقوا مخالفة امر الله في كل ما لا يغلب عليهم لان المؤمن لا يرتكب المعصية الا بغلبة شهوة او لغلبة رجاء المغفرة ونحوه او نوبة بعضها بعد ارتكابها على هذا يكون ارتكاب المؤمن مخالفة ربه وقوله عز وجل الى الرحمن اي الى ما وعد لهم الرحمن الثواب وقوله عز وجل وفدا الوفد في الشاهد هم اهل الكرامة والمنزلة يبعثون لامور فكانه ذكر ان المتقين يحشرون وهم مكرمون معظمون ولهم منزلة عند الله وقدر والله اعلم وقوله عز وجل ونسوق المجرمين الى جهنم وردا الوارد هو طالب الماء والورد الجمع فكانه قال ونسوق المجرمين الى جهنم عطاشا طلاب الماء على ما ذا اهل النار قيل والمجرم قال ابو بكر الاصم هو المرتاب في المعصية واصل الاجرام الاكتساب لكنا قال بعض الناس في قوله لا يجرمنكم شنان قوم اي يكسبنكم واصله هو كسب الاثم وقوله عز وجل ونسوق المجرمين فيه انهم اتوا يساقون على كره منهم اذ ذكر في الكافرين السوق وذكر في المؤمنين الجمع والحشر وقوله عز وجل لا يملكون الشفاعة من الشفاعة انما تكون فيمن استوجب العذاب والعقوبة واما من لا عقوبة عليه مغفور الذنب فانه لا معنى لها ولا فائدة فهو يرد على المعتزلة مذهبهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له فالشفاعة التي ذكر لا تخلو ما ان تكون لاهل الكبائر فيغفر لهم بالشفاعة فيبطل قولهم او لاهل الصغائر فانه تعذيبهم فكيف ما كان فهو يرد قولهم اذ لا معنى لذكر الشفاعة في المغفورين ولو لا ان الشفاعة في الشاهد ان يذكر محاسن الانسان عند اخر ليعرف محاسنه ومناقبه ليكون له منزلة وقدر عنده لكن مثل هذا يجوز من يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه فاما الله سبحانه هو عالم بذاته يعلم حال كل احد فلا يحتمل ذلك وقوله عز وجل الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله وقال بعضهم العمل الصالح وقال بعضهم الصلوة على ما ذكرنا واصل العهد هو ان يشترط عليه شرط الوفاء حتى يفي بما شرط عليه وهو الوفاء بما امر به ونهى عنه والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال بعضهم الاية في مشركي العرب لانهم هم الذين قالوا الملائكة بنات الله لكن اهل الكتاب قالوا ايضا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله مريد فهو في كل من قال ذلك ثم قوله لقد جئتم شيئا ادا يخرج على الاضمار حين اخبر عنهم انهم قالوا اتخذ الله ولدا كان قال لهم يا محمد لقد جئتم شيئا ادا اي عظيما منكرا او ان يكون لما قالوا ذلك قيل عليهم فقال لهم لقد جئتم شيئا ادا اعظيما منكرا والله اعلم وقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال بعضهم مثل هذا انما يقال على المبالغة في العظيم من الامور والنهاية من الضيق والشدة على التمثيل يقول الرجل لاخر اظلمت الدنيا عليه وضاقت عليه الارض بما رحبت ونحوه على الابلاغ في الضيق والشدة فعلى ذلك هذا ذكر على الابلاغ والنهاية في العظيم من قولهم الذي قالوا لله سبحانه ثم جعل مثل ما قالوا في العظيم لله بما يعظم من المحسوسات في العقول وهو ما ذكر من انفطار السموات وانشقاق الارض وهد الجبال وهي اصلب الاشياء واشدها ليعرفوا اعظم ما قالوا فيه وهكذا يعرف الامور الغائبة التي سبيل معرفتها الاستدلال بالمحسوسات من الاشياء والمشاهدات منها وجائز ان يكون ما ذكر من انشقاق الارض وهد الجبال وانفطار السماء على حقيقة ما ذكر ان يكون فيها وان لم يشاهد ذلك منها ولم يحس كقوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقال قائلون ذكر هذا في اهل السموات والارض انهم يكونون كما ذكر بما قالوا فيه تعظيما لذلك وانكارا والله اعلم وقوله عز وجل وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما ينبغي له ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وفي الشاهد لا احد يتخذ الولد من عبيده او ما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا واسباب الاولاد التي بها يتخذ الولد ليست فيه لان في الشاهد انما يتخذ الولد للثلاث وقد ذكرنا في غير موضع فان كان الله سبحانه يتعالى عن ذلك كله لم ينبغ له ان يتخذ الولد وقال بعضهم في قوله الا اتي الرحمن عبدا في الاخرة اي كلهم يقرون بالعبودية له يومئذ وقوله عز وجل لقد احصاهم وعدهم عدا يحتمل قوله احصاهم وعلم عددا من عدد انفسهم واحصاها لا يخفى عليه شيء وان يكون على الوعيد ان يحصي اقوالهم وافعالهم بما سلط عليهم من الملائكة ما يراقبون ذلك منهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله كراما كاتبين قال ابو عوسجة الضد الخصم والاد الشيء الشديد وقوله شيئا ادا اي شديدا والورد اي يردهم اياها اي يدخلهم وقال الورد النصيب من الماء وقوله هدا اي صوتا بهدة اي يهدم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها خاطب به اهل مكة انكم اذا امنتم وعملتم الاعمال الصالحات يرفع الله ما بينكم من التباعد والتعادي فيبدل مكانه المحبة والمودة كقوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم صاروا بالايمان اخوانا مؤلفة قلوبهم بنعمة الله وفضله والثاني سيجعل لهم الرحمن ودا في الجنة اي ينزع عنهم ما في قلوبهم من غل وغش كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والثالث سيجعل لهم الرحمن ودا في قلوب الانبياء والاخيار

واصحاب الدين لانهم انما ينظرون الى الانسان لدينه وخلوص عمله لله وصفا بره له لا الى الدنيا وما يجري بين وجائز ان يكون على ما روت الاخبار انه ثبت روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى اني قد احببت فلانا فاحبوه وكذلك هذا في البغض وقال كعب وجدت في التورية انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض حتى يكون بدؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السما ثم على اهل الارض وكذلك قال في البغض ثم قال وكذلك وجدت في القران فقرا هذه الاية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحببهم ويحببهم الى المؤمنين فصدق وقد نعلى هذا انه ثبت محبا انه يخاف المرء على نفسه اذا راى الناس لا يحبونه ان يكون ذلك لسوء عمله والله اعلم

وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك قال بعضهم يسرناه تبليغ الرسالة على لسانه حتى بلغها الى الفراعنة منهم والاكابر الذين كانوا يقتلون من يخالفهم ويستقبلهم بغير الذي هم عليه قولا وفعلا وبما قبوه على ذلك يسر ذلك عليه حتى بلغها الى امثال هؤلاء وقدر على ذلك من غير ان قدروا على اهلاكه حيث اخبر انه عصمه منهم بقوله والله يعصمك من الناس وقال بعضهم يسره على لسانه حتى قدر على التكلم به والنطق لانه كلام رب العالمين قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لانه انزله بلسانه ولسان العرب فلا يحتمل ان لا يقدروا على التكلم به والنطق وقال قائلون يسره على لسانه حيث جعله بحيث يحفظونه ويقرونه عن ظهر قلوبهم ليس كسائر الكتب المتقدمة انهم كانوا لا يقدرون على حفظها والقراءة عن ظهر القلب والله اعلم

وقوله عز وجل لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وقال في اية اخرى انما تنذر من اتبع الذكر وقال في اية اخرى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين مرة ذكر النذارة للناس جميعا ومرة للذين ظلموا خاصة ومرة للذين اتبعوا الذكر لا الاصل في النذارة والبشارة ان البشارة اذا كانت خاصة لاحد فهو على شرط الدوام على ذلك ابدا وفيها النذارة له ان لم يدم وكذلك النذارة الخاصة لاحد هي له ما دام بذلك ملتزما فان تاب ورجع عن ذلك فله فيها البشارة على هذا يكون البشارة الخاصة والنذارة الخاصة يكون في كل واحد منها اخرى واما البشارة المطلقة فهي بشارة لا يكون فيها النذارة وكذلك النذارة المطلقة لا يكون فيها البشارة على هذه الا يخرج البشارة والنذارة والله اعلم

وقوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا يخوف اهل مكة باهلاك القرون الماضية في الدنيا بتكذيبهم الرسل لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اولئك الذين من قبلهم فينزل بهم العذاب والهلاك كما نزل باولئك يقول لنبيه هل تحس منهم من احد اي هل ترى وتبصر منهم احدا اي لا ترى ولا تبصر منهم احدا او تسمع لهم ركزا قيل صوتا وقيل ذكرا اي لا يذكرون بعد هلاكهم الا بسوء يحذر اهل مكة لئلا يكذبوا رسولهم كما كذب الذين من قبلهم الرسل فيكونون كما كان اولئك وصاروا مثلهم قال القتبي الركز الصوت الذي لا يفهم وقال ابو عوسجة الا لد هو شديد الخصومة هل تحس هل ترى ركزا اي ذكرا والركز ايضا الصوت وقال هو اي صوتا اذا تهوت وقال ابو معاذ والعرب في بشره ثلاث لغات بشره بالتخفيف فانا ابشره وبشرته بالتشديد فانا مبشره والرجل مبشور ومبشر ومبشر وقوله وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اي وحده ليس معه من دنيا شي وقال الحسن قوما لدا قال ساعهم اذان القلوب وقال بعضهم لدا وقيل عوجا عن الحق واصله ما تقدم ذكره والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل طه قال بعضهم من اهل التاويل قوله طه يا رجل بالنبطية وقال بعضهم بالسريانية وقيل يا فلان وقيل هو اسم من اسماء الله وقيل حروف من اسمائه ونحو ذلك وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع **وقوله** عز وجل ما انزلنا عليك القران لتشقى لا يحتمل ان يكون هذا نزل على الابتداء من غير سبب ولا امر لكنه لم يبين السبب الذي به نزل هذا فيحتمل ان يكون سببه وجوها احدها ما حمل نفسه من الشدائد والمؤن العظام واجهد نفسه في ذلك فقيل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب به نفسك كقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي تتعب الا ترى انه قال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى والثاني انه لما كف نفسه عن الشهوات ومنعها عن جميع ما تهواه من اللذات فقال وذلك الكفرة انه شقي حيث راوه لم يعط نفسه شيئا من شهواتها ولذاتها والثالث انهم قالوا ذلك لما راوه انه دعا الفراعنة والجبابرة الى دينه واتباعه واظهر لهم الخلاف واستقبلهم بما يكرهون وكانت عادتهم القتل واهلاك من يظهر لهم الخلاف فخاطر بذلك فعند ذلك قالوا انه شقي حيث يخاطر نفسه فقال ما انزلنا عليك القران لتشقى على ما يقولون اولئك بل انزله عليك لتسعد حيث اخبر انه عصمه بقوله والله يعصمك من الناس وان لا يفسر ولا يذكر ذلك الامر والسبب الذي به نزل لانه لم يبين ولا حاجة بنا الى معرفة ما ذكر وهو قوله الا تذكرة لمن يخشى اي ما انزلنا عليك لتشقى بل انزلناه لتسعد وانه لتذكر به من يخشى كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب **وقوله** عز وجل الا تذكرة لمن يخشى اي عظة لمن يتقي ما به يخشى ويحتمل قوله لمن يخشى كل مؤمن لان كل مؤمن ليعتقد في اصل ايمانه الخشية منه والانقاء من نقمته وعذابه **وقوله** عز وجل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى كان هذا نزل على اثر قول قاله اولئك الكفرة وهو ما قالوا

انه ساحر وانه

انه ساحر وانه مفتر وانه شاعر وانه انما يعلمه بشر ونحوه فقال جوابا لقولهم تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ليس كما يقولون اولئك انه سحر وانه مفترى وانما يعلمه بشر بل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى والله اعلم **وقوله** عز وجل الرحمن على العرش استوى قال الشيخ رحمه الله القول بالكون على العرش وهو موضع بمعنى كونه بذاته او في كل الامكنة لا يعدو واحد من ذلك به او الاستواء به او مجاوزته عنه واحاطته به فان كان الاول فهو اذا محدود محاط به منتقص عن الخلق اذ هو دونه ولو جاز الوصف له بذاته بالمحيط به الاوقات فيصير متناهيا بذاته مقصرا عن خلقه وان كان على الوجه الثاني فلو زيد في الخلق لا منتقص ايضا وفيه ما في الاول ولو كان على الوجه فهو الامر المكروه الدال على الحاجة وعلى التغيير من ان يتبنى بالا ينفصل عنه معا بينهم انه من فعل الملوك ان ينفصل عنهم من المقاعد شيئا ويعد ذلك في ذلك يجزئه بما كان بعضه في ذي بعاض وبعضه ينفصل عن ذلك وذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك وبعد فانه في ليس الارتفاع الى ما يعلو من المكان للجلوس شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء كمن يعلو السطوح والجبال انه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر فلا يجوز صرف تاويل الاية اليه بل فيها ذكر العظمة والجلال اذ ذكر في قوله له ما في السموات والارض وما بينهما وصفه بالعظمة والسلطان له والقدرة فدل ذلك على تعظيم العرش اي شي كان من نور او جوهر لا يبلغه علم الخلق واما فيه الاستواء اليه لوجهين احدهما على تعظيمه بما ذكر على اثر ذكر سلطانه وربوبيته وقدرته وخلقه ما ذكر والثاني على تخصيصه بالذكر بما هو اعظم الخلق واجله على المعروف من اضافة الامور العظيمة الى الاعظم الاشيا كما يقال ثم لفلان ملك بلد كذا واستوى على موضع كذا لا على خصوص من ذلك في الخلق ولكن معلوم ان من له ملك ذلك فادون ذلك احق به وعلى ذلك قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية بما صارت له ام القرى وايس الذين كفروا من دينهم وكذا ما ذكر من ارسال الرسل الى الفراعنة والهام القرى لا لتخصيص ذلك ولكن يذكر عظم الامر في ذلك والعرش وهو كقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقوله امرنا مترفيها على الحصوص في غيرهم ويحتمل ان يكون على المنع عن وصف المكان اذ هو على الامكنة عند الخلق ولا يقدر العقول فوقه شيئا فانشا واليه ينتهي علوه عن الامكنة وتعاليه عن الحاجة وعلى ذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الاية والنجوى ليس من نوع ما ينشا في المكان ولكن يعنا في الاسرار فاخبر بعلوه عن الامكنة وتعاليه عن ان يخفى عليه شي ثم بقدرته وقوته بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي بالسلطان والقوة وبالوحشة في البقاع كلها لانها امكنة العبادة بقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وبملك كل شي بقوله له ملك السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وبقوله له ملك السموات والارض ثم بعلوه وجلاله بقوله فوق كل شي وهو بكل شي عليم وهو على كل شي قدير فجميع في هذه الاحرف ما فرق في تلك ليعلم انه بكل ما سمي به ووصف كان ذلك له بذاته لا بشي من خلقه وكذلك عزه وشرفه ومجده جل ثناؤه عن الاشباه ولا اله غيره وقيل بعضهم يريد بالعرش الملك اذ هو اسم ما ارتفع من الاشيا وعلا حتى سمي به السطوح وروس الاشجار والاستواء قيل فيه باوجه ثلاثة احدها الاستيلاء كما يقال استوى فلان على كورة كذا بمعنى استولى والثاني العلو والارتفاع كقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وقوله اذا استويتم اي علوتم والثالث التمام كقوله حتى اذا بلغ اشده واستوى اي تم واستقر وقد قيل بالقصد والى ذلك وجه بعض اهل الادب قوله ثم استوى الى السماء بمعنى خلق على التمثيل بفعل الخلائق فيما يتلو فعلهم قولا ان يكون بالقصد وان كان لا يقال له القصد ولا توقع الا بالله ثم الوجه في ذلك لو كان على الاستيلاء العز والملك وهو مستول على جميع خلقه وعلى هذا التاويل المحول غير هذا يدل على الارض قوله وهو رب العرش العظيم بمعنى الملك العظيم وفيه اثبات تعرده بشي غيره فذلك يحتمل ما يحمل ويحف به الملائكة والله الموفق واما على التاويل التمام والعلو فهو ان الله تعالى قال قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية فاخبر بخلق ما ذكر في ستة ايام على التفاوت ثم اجملها في موضع فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات الى قوله ثم استوى بمعنى خلق الممتحن من خلق الارض والسموات فبهم ظهر تمام الملك وعلى ذلك ارتفع اذ هم المقصود ومن خلق ما بينا قبل ذلك تم معنى الملك وعلاه اذ وصل الى الذين لهم خلقوا وقد قيل انا في خلق البشر خاصة بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية وقوله لكم ما في السموات ونحوه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه ان البشر خلق اليوم السابع فيه التمام والعلو اذ خلق لهم كل شي وهم لعبادة الله والحق بهم الجن بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية لكن المقصود البشر اذ تسخير ما ذكرت كله انما يرجع الى منافعهم والله الموفق والاصل عندنا في ذلك ان الله عز وجل قال ليس كمثله شي فنفى عن نفسه شبه خلقه وقد بينا انه في فعله وصفته متعال عن الاشباه فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وينفي عنه شبه الخلق لما اضاف اليه واذ لزم القول فانه بالتعالي عن الاشباه ذاتا وفعلا لم يجز ان يفهم من الاضافة اليه المفهوم من غيره في الوجود والله الموفق وقد ذكرنا هذا في غير موضع من القران وفي قوله له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى الوصف له بالسلطان والقدرة والملك على ما ذكرنا وفي قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الوصف له بالعلم في الغيب والسر والعلانية جميعا ليكونوا ابدا على حذر وخوف ويقظة في جميع افعالهم واقوالهم وفي الاول ليصرفوا همهم ورجاهم من الخلق الى الله وان لا يطمع ولا يرجو غيره ثم اختلف في قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال بعضهم السر ما اسررت به الى غيرك واخفى ما اضمرته واكننته في نفسك ولم تسره الى احد وقال قائلون السر ما اسررت به وحدثت به نفسك واخفى ما علم الله انه كاين يكون ولم يكن بعد ولم تعلمه انت وقال قائلون السر ما اسر في نفسه واخفى ما خطر في قلبه وهو لا ينضبط ونحو ذلك واصله في قوله وان تجهر بالقول كانه يقول

او نشر فانه يعلم واخفى والله اعلم وقوله عز وجل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال ابو بكر الاصم اى من وحد الله باسمائه فله الحسنى
وهي الجنة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وهل اتيك حديث موسى اذ راى نارا ظاهر هذا سوال واستفهام لكن المراد منه الايجاب
ثم اختلف في معنى الايجاب قال الحسن وابو بكر قوله وهل اتيك اى لم ياتيك حديث موسى وسياتيك ثم اخبره واعلمه بحديثه ونبائه
وقال بعضهم هل اتاك اى قد اتاك حديث موسى لتخبرهم عما كان في كتبهم ليكون ذلك اية لنبوتك ورسالتك وقوله عز وجل فقال لاهله
امكثوا اني انست نارا قيل رايت نارا وقيل علمت نارا لعلي اتيكم منها بقبس ليس في هذه الاية بيان ان موسى في اى حال كان وفي اى
وقت لكن في موضع اخر بان ذلك وهو ما قال فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا هذا يدل لانه كان في حال
السير والسفر اى ذلك وقال في اية اخرى لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فهذا يدل انه كان في ايام الشتاء والبرد
حيث قال لعلكم تصطلون قال ابو عوسجة لعلي اتيكم منها بقبس القبس النار والاقباس النيران ويقال قبس يقبس قبسا اى جاء بالنار
ويقال اقبسني نارا اى اعطني نارا واقبست ايضا تعلمت وهذا من ذلك لان العلم ضوء ويقال اقبستك اى علمتك واقبست الى
ستالت النار والعلم وقال القتبي انست نارا ابصرت ويكون في موضع اخر علمت كقوله فان انستم منهم رشدا وقوله عز وجل او اجد
على النار هدى هذا يشبه ان يكون قد استقبله الطرق فلم يعلم الطريق الذى له من غيره فقال او اجد على النار هدى اى من يدلني
ويرشدني على الطريق وان كان قد ضل الطريق وعدل عنه فقال عند ذلك ما قال والله اعلم وقوله عز وجل فلما اتيها نودى اى ندا
وحيا يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك قال بعضهم انما امره ان يخلع نعليه لانهما كانا من جلد ميتة وقال قائلون امره بنزع نعليه
ليمس قدماه بركة ذلك الوادى ويصيبه من يمنه وقال بعضهم امر بذلك للتواضع والخضوع له لان لبس النعل يخرج مخرج المباهات فامر
بذلك ليكون اخضع له واكثر تواضعا والله اعلم بذلك وليس لنا ان نفسر ذلك انه لما ذا امر بذلك اذ له اى يامر بخلع نعليه لا لمعنى
وليس لنا ان نقول امر لهذا ولعله امر بذلك لمعنى اخر ولا لمعنى يخرج ذلك مخرج الشهادة على الله تعالى وقوله عز وجل انك بالواد
المقدس طوى المقدس المطهر ولعله سماه مطهرا لما لم يعبد عليه سواه ودون او سماه مطهرا لمعنى خص به لفضل عباده او عين
على ما خص بقاعا بفضل عبادة تعالى فيها من نحو المساجد والحرم وغيره وقوله عز وجل طوى قال بعضهم هو اسم ذلك الوادى
وقال بعضهم هو من وطى الارض اى طاء الوادى المبارك حافيا وقال بعضهم طوى قد قدس مرتين وهو قول الحسن وقال
بعضهم طوى يقول يطوى سيره ونحو هذا قد قالوا لكن الاصوب ان لا نفسر الا بعد حقيقة به لانه انباء كانت في كتبهم ذكرت
لرسول الله ليكون له حجة ودلالة على رسالته عليهم ففي التفسير خوف دخول الغلط فيه وتغيير فاذا تغير لم يصر له عليهم حجة
ودلالة على رسالته لذلك كان السكوت عنه اولى والله اعلم وقوله عز وجل وانا اخترتك اما بالرسالة والنبوة او باشياء
اخر كقوله واصطنعتك لنفسي الاية وقال في اية اخرى انه كان مخلصا اخلصه الله لنفسه بما شاء وقوله عز وجل فاستمع لما
لما يوحى هنا يدل ان الندا الذى نودى كان ندا وحى وهو قوله فلما اتاها نودى وقوله عز وجل انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني وهو ظاهر كذلك امر رسله اول ما امر وا بذلك وقوله عز وجل واقم الصلوة لذكرى قال بعضهم اقم الصلوة لذكرى
لتكون ذاكرا لي لان اكثر ما يذكر المرء ربه انما يذكر في الصلوة لان الصلوة من اولها الى اخرها ذكر الله ولذلك سمى الصلوة
مناجات الرب وان يكون قوله اقم الصلوة لذكرى اى لتذكرني فيها يا موسى وقال قائلون اقم الصلوة لذكرى اى اقم
الصلوة اذا انت نسيتها ثم ذكرتها وعلى هذا روايت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وقرا هذه الاية
ان ثبت وجائز ان يكون قوله اقم الصلوة لذكرى اى اقم الصلوة لتستوجب بها ذكرى وقال القتبي اقم الصلوة لذكرى اى
لتذكرني فيها وقوله عز وجل ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال الحسن اكاد صلة كانه قال ان الساعة اتية اخفيها وفي حرف
ابي بن كعب ان الساعة اتية اكاد اخفيها من نفسي ثم يحتمل قوله من نفسي وجهين احدهما اخفيها من خلق ولا يجب ان يفهم
من نفسه ذاته بالاضافة اليه كما لم يفهم من قوله روحي وروحنا وهو اخص من النفس ذاته ولكن فهم منه خلقه فعلى
ذلك لا يفهم من قوله من نفسي ذاته هذا لا يحتمل والله اعلم والثاني ان يكون قوله اكاد اخفيها من نفسي اى من خيار
عبادى مع عظيم قدرهم ومنزلتهم عندى من نحو الملائكة والانبياء والرسل اذ من عادة ملوك الارض انهم لا يكتمون
سرايرهم من خواصهم بل يطلعونهم على ذلك فاخبر عز وجل والله اعلم انه اخفاها من خواص عباده واخيارهم فكيف من
دونهم فيكون اضافة ايام الى نفسه لعظيم قدر اولئك وفضل منزلتهم كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا
ينصر ولكن ان تنصروا دين الله ينصركم او ان تنصروا اولياء الله ينصركم وكذلك قوله يخادعون الله والله لا يخادع
ولكن يخادعون اولياء الله ونحوه فعلى ذلك قوله اخفيها من نفسي اى من خواصي واخيار خلقي والله اعلم هذا على اسقاط
قوله اكاد وجعله صلة واما على اثبات اكاد فهو على وجهين احدهما يقال كاد اراد اى اريد اخفيها وهو معروف في اللغة
والثاني كاد يقال قارب وهو سائغ في اللغة جار كاد على ارادة مقاربة كادت الشمس ان تطلع او تغرب اى قاربت كذ
ان تسقط اى قاربت والا لا يريد السقوط فاذا كان على هذا فهو قال ذلك والله اعلم على التعظيم لها انه قاربت ان يخفيها

من نفسه

من نفسه فكيف من غيره وقال ابن عباس قريبا من هذا اى اكاد اخفيها من نفسي فكيف اعلمها لكم اى لا اظهر عليها ابدا
غيرى فكانه استجاز الاخفاء في موضع الاظهار باللغة نحو ما قالوا في قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب اى اظهروا وقيل
ما كان الاسرار في موضع الاظهار والكتمان فعلى ذلك اراد الاخفاء مستعملا في الامرين جميعا وكذلك قال ابو عوسجة
اخفيها اى اظهرها والله اعلم وقوله عز وجل لتجزى كل نفس بما تسعى اى لهذا ما اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى لانها لو كانت
ظاهرة يعاينها كل احد ويعلمها لما كان ذلك جزا ولكن كان دفعا لانه يعاين كل انسان بما نزل بهذه النفس بما سعت من
العذاب فيمتنع هو عنه واذا راى كل احد ثواب هذا بسعيه رغب في مثله فيكون ذلك كله بحق الدفع لا بحق الجزاء فلما
انه اخفاها للجزاء والمحنة لا للدفع والله اعلم وقوله عز وجل فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اى عن الايمان بها من لا
يؤمن بها يعني الساعة والله اعلم اى لا يصدنك عنها باسباب القاها اليك وقد يمتنع الانسان عن الشيء باسباب
تعرض وشبه تستقبل وان لم يقدر على منعه بالتصريح والافصاح والله اعلم اى لا يصدنك عن الايمان بها يعنى الساعة من لا يؤمن بها
واتبع هواه في التكذيب بها بالشبه والاسباب التى ذكرنا فتردى اى فتهلك ليصدك عنها فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد
من المؤمنين على ما ذكرنا في غير اى من القران فيما خاطب رسوله به وقوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى اتوكا عليها
الاية كان موسى صلوات الله عليه لم يفهم مراده بسواله اياه انه ما اراد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى انه يسئله عن اسمها او ينبئه
عماله فيها فاجاب الامرين جميعا عن اسمها وعماله فيها حيث قال هي عصاى اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى
ثم قال الحسن انه والله كان يعلم انه خابره عصا لكنه اراد ان يقرر عنده انه عصا لا حية ليرى له منها اية فيعلم ذلك وان يريد بذلك
تنبيه وايقاظه ليعلم انه وقت ما اخذها اخذها عصا فيعلم انها انما صارت كذا بالاية التى جعلناها لا انها كانت يومئذ كذلك
حية والله اعلم قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى ثم يحتمل جعلها حية واراد الاية له منها لما ان قوم فرعون كانوا اهل
بصر وحذق في ذلك النوع من السحر فاحب ان يريهم الاية والعلامة من النوع الذى لهم فيه بصر وحذاقة ليعلموا عجزهم عن مثله وسعيهم
وطوقهم انها اية وعلامة سماوية وربوبية لا بشرية اذ الاعلام التى جعلها الله ايات واعلاما لرسله انما جعلها ما كانت
خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك انها سماوية وربوبية لا بشرية سحرا ولا كهانة والله اعلم ثم قوله خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى على ما كانت في الحالة الاولى عصا كان موسى خاف حين صارت حية وهو ما قال في اية اخرى
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا فعند ذلك قال له خذها ولا تخف فاخبره انه يعيدها عصا على ما كانت والله اعلم وفي
قوله وما تلك بيمينك يا موسى دلالة ان العصا انما تمسك باليد اليمنى قال ابو عوسجة فتردى اى تهلك يقال ردى اى هلك
ويقال ردى الرجل اذا وقع في بئر او من فوق حائط ويقال رديته اى البسته الردا وارتديت اى لبست الردا وتردى مثله
وقوله اتوكا عليها اى استعين بها على المشى وقوله واهش بها على غنمي اى اضرب الشجرة حتى تنتثر ورقها فتاكله غنمي الكريم
والهش من البشاشة قال والمارب الحوائج والارب ايضا الحاجة والاراب جميع ويقال ارب الشيء فسمته وجعلته اربا اربا اى قسمته
جزئيه اجزا وفي قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى دلالة ان الانسان اذا استخبر عن شيء كان عليه ان يخبر المستخبر عما يستخبر
على الاجابة له وان كان يعلم ان المستخبر له عن ذلك عالم بذلك لان موسى كان يعلم ان ربه كان اعلم بما في يده منه ولم يقل له حين استخبره عما
في يده ربنا انت اعلم به مني ولكنه قال هي عصاى اجابة له وتعظيما لامره والله اعلم وقوله عز وجل واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من
غير سوء اية اخرى قال في اية اخرى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء كان فيها تفسير الاول وقوله من غير سوء قال عامة
اهل التاويل من غير سوء اى من غير برص كانهم ذهبوا الى ان البياض في الانسان اذا اشتد به حتى يخالف ساير بدنه لا يكون الا البرص لذلك
قال من غير سوء اى من غير برص بك اية اخرى سوى اية العصا وجائز ان يكون قوله من غير سوء اى من غير افة وعيب بك اذى لان التغير
اذا وقع في بعض بدن الانسان لا يكون الا بعيب وافة تحل به واخبر ان ذلك البياض ليس لافة بك ولا عيب في بدنك ولا فيه اذى
ولكن اية لنريها منها والله اعلم وقوله عز وجل لنريك من اياتنا الكبرى قال قائلون الاية في اليد اكبر من الاية في العصا لان سحرا ولكن
كان في العصا والحبال لم يكن في غيره فاراهم اية في غير ما لهم فيه علم وبصر ليعلموا ان ذلك ليس بسحر ولكن اية من الله اراها اياهم وجائز ان يقال
اية العصا اكبر من اية اليد لانه وتلك كانوا اهل بصر وعلم في السحر في العصى فخرج عصى موسى عما احتمل وسعهم وما به فيه بصر وعلم بل
على ان ما القى موسى ليس هو بسحر ولكن اية من الله لان فضل بصر الرجل وعلمه في شيء انما يظهر بمجاوزته في ذلك عن اهل بصيرة ذلك النوع وعلم الا
يظهر ذلك على اهل الجهل في ذلك فعلى ذلك امر عصى موسى وجائز ان يكون قوله لنريك من اياتنا الكبرى التى ذكر في اية اخرى وهو قوله
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فالايات الكبرى هي التسع التى ذكر في هذه الاية ان كان لموسى ايات سوى التسع لكن التسع هي الكبر
او ان يكون ذلك لا على تخصيص اية دون اية بالكبر والعظم ولكن على وصف الكل بذلك كقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها هو على
وصف اياته كلها بالكبر والعظم وهو كقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا هو على اثبات النفع في كل واحد منهما على ما في الاخرى
ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذى جعلت له وكذلك كان فرعون

قد تعدى وجاوز الحد فى كل شىء حتى ادعى لنفسه الربوبية حيث قال انا ربكم الاعلى وقوله عز وجل قال رب اشرح لى صدرى ان موسى سال ربه ان يشرح له صدره وذكر فى محمد انه شرح له صدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ثم جايز ان يكون شرح صدرهم توسيع ما حمل عليهم من ثقل النبوة والرسالة ليتسع صدرهم لذلك ويقدر على القيام بذلك والوفاء به او ان يكون سال له شرح صدره لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيبهم قومهم حين دعوهم الى دينه ويحزنون على ذلك فيمنعهم غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة كقوله قال رب انى اخاف ان يكذبون الاية اخبر انهم انه يخاف عند تكذيبهم انه يضيق صدره ونقل لسانه فسال له ان يشرح له صدره ويطلق له لسانه ويحتمل ما قاله بعض اهل التاويل رب اشرح لى صدرى اى لين لى قلبى لان الانبياء قد امتحنوا فى حال واحدة بشيئين متضادين بالغضب لله عند تكذيب قومهم اياهم والرافة لهم والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب فذلك امران متضادان خص الرسل بهما فجايز ان يكون سال ربه ان يشرح له صدره ليتسع له الامرين جميعا الغضب له والرحمة عليهم وقوله عز وجل ويسر لى امرى يحتمل تبليغ الرسالة اليهم والقيام بها او سال له التيسير بجميع ما امره به ونهاه عنه وقوله عز وجل واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى يحتمل ما ذكرنا انه اذا اشتد به الغضب يكل لسانه ويثقل حتى يمنعه عن النطق به فيظن ذلك المعنى انه يخوف صار كذلك او ان يكون سال ذلك لانه كانت بلسانه ما كان يمنعه عن التكلم به فساله ان يحل تلك الافة والرتوبة التى كانت به واما قول اهل التاويل انه اخذ بلحية فرعون فلطمه فاراد ان يعاقبه فقالت له امراته انه فعل ذلك لانه لا يعقل فاتى بطشت من جمر وطشت من حلى فهم ان يتناول من الحلى فاهوى جبريل بيده الى الجمر فاخذه وجعل فى فيه فتلك الرتوبة التى سال ان يحلها لذلك لكن ذلك لا يعلم الا بالوحى عن الله انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى سال ربه ان يجعل اخاه معه وزيرا له ويشاوره ليحتمل عنه بعض ما حمل عليه من الاثقال اذ قيل الوزير هو الذى يحمل عن الملك بعض ثقل ما حمل وقوله عز وجل اشدد به ازرى قال بعضهم قو به ظهرى وقال بعضهم اشدد به ازرى اى عونى وكذلك ذكر فى حرف حفصة وقرا بعضهم اشدد به ازرى على الخبر من موسى وكذلك فى قوله واشركه فى امرى ما قراة عامة القراء فهو على الدعا والسؤال وقال ابو عوسجة اشدد به ازرى اى ظهرى ويقال الازر اى عنته ويقال توازروا اى تعاونوا واستوزرته اى استعنت به ومن هذا اخذ الوزير وقال القتبى ازرى ظهرى ويقال ازرت فلانا على الامر اى قويته عليه فاما وازرته فصرت له وزيرا واصل الوزارة من الوزر وهو الحمل كان الوزير يحمل عن السلطان بعض الثقل ويرفع عنه وموسى سال ربه ان يعينه باخيه ويقويه به فيما حمله وان يشركه فيما قلده من الرسالة والقيام بها فاجابه الله لذلك حيث قال سنشد عضدك باخيك وقوله عز وجل كى نسبحك كثيرا يحتمل كى نسبحك كثيرا بالجماعة لان الصلوة بالجماعة تتضاعف على الصلوة وحده وان يعين بعضنا بعضا على التسبيح لك والذكر ونحوه وقوله عز وجل انك كنت بنا بصيرا اى انك بضعفنا وعجزنا فيما حملتنا وقلدتنا بصيرا عالما والله اعلم وقوله عز وجل قد اوتيت سؤلك يا موسى اى اعطيت ما سالت وكان ساله اشياء فاوفى تعولهم وسؤلك وسالتك لغات ثلاث كلها واحد وقوله عز وجل ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى الاية يشبه ان يكون المنة حين انجاه فيما ابتلى بالوقود واشباه الطريق حتى قال انى انست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او جذوة من النار لعلكم تصطلون فتلك المنة الاخرى او ان يكون المنة التى ذكر هو ما انجاه الله حيث قتل ذلك القبطى فاشتد له ذلك الخوف حتى بلغ الاياس فتلك المنة التى ذكر او ما ذكر من الوحى الى امه ان اقذفيه فى التابوت وقال بعضهم مننا عليك من النبوة مرة اخرى ثم بين النعمة ثم قال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الى اخر ما ذكر والى هذا ذهب اهل التاويل والاول كان منه اليه من المنن ما لا يحصى والله اعلم ثم الكلام فيما الهم امه والقى فى روعها ان تقذفه فى البحر انه يسع لها ان تفعل ذلك ويحل ولا انه قد يجوز ان يكون من الشيطان مثل هذا نحو ما قال لا غالب لكم اليوم من الناس الاية فلم يعرف وقت ما كلمهم بهذا هو شيطان او غيره فعلى ذلك يجوز ان يلقى الشيطان اليها فكيف وسع لها ان تعمل ما علمت من الاخطار لكن يجوز ان يكون فى ذلك الالهام وما القى اليها اية ومعنى عرفت بذلك ان ذلك من الله لا من احد سواه وان يكون الله رفع الحجاب والموانع من قبلها وصار لها ذلك كالعيان او صارت كالمضطرة الى ذلك فوسع لها ذلك لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والقيت عليك محبة منى قال عامة اهل التاويل القى عليه محبته فى قلب امراة فرعون حيث قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه الاية لكن القى محبته فى قلب امراته وقلب فرعون ايضا حتى كان اشفق الناس عليه واخوفهم اليه بعد ما كان يقتل الولدان بسببه ليجده ويظفر به فذكره عز وجل رحمته عليه ومننه له وهو المنة التى ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى وقوله عز وجل ولتصنع على عينى والصنع هو فعل الخير والمعروف اى لتصنع اليك المعروف والاحسان وقوله على عينى قال بعضهم لتغذى على حفظى يقال عين الله اى كن فى حفظ الله وهو قول الحسن وقتادة وقال بعضهم لتربى على عينى اى على علمى والاول اشبه وقوله عز وجل اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله اى من يضمه يسمى كافل اليتيم الذى يضمه ويحفظه وهو كقوله ايهم يكفل مريم اى يضمها او يحفظها فهذا يدل انه كان عندهم من احوج الناس اليه واشفقهم عليه حيث قال هل ادلكم على من يكفله والله اعلم وقوله عز وجل فرجعناك الى امك كى تقر عينها حيث قال لها انا رادوه اليك وعدها ان يرده اليها فرد وقوله عز وجل كى تقر عينها ولا تحزن اى يذهب حزنها الذى كان لانها قد كانت حزينة بطرحها اياه فى اليم لا ترى انه قال ان كادت لتبدى به

الاية

الاية هذا يدل ان قوله ولا تحزن اى يذهب حزنها الذى كان لها وقوله عز وجل وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يحتمل ان يكون الغم الذى اخبر انه نجاه منه هو الخوف الذى كان به بقتل ذلك القبطى حيث قال انى اخاف ان يقتلون وقوله فخرج منها خائفا يترقب ونحوه ونجاه من انواع الغموم اذ كان له عموم وفى الاية دلالة ان لا قصاص يجب فى شبه العمد وان كان الضرب بشىء لا نجاة فيه لان موسى صلوات الله عليه كانت له قوة اربعين نفرا على ما ذكر فانما لطمه لطمة فقضى عليه ثم قال هذا من عمل الشيطان هذا يدل انه كان لا يحل له قتله ثم قال فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين سماهم ظلمة فلو كان فعل القتل ويجب القصاص لكان لا يسميهم ظلمة والله اعلم وقوله عز وجل وفتناك فتونا هو جمع فتنة اى فتناك فتنا وقال بعضهم وفتناك فتونا هو المصدر والفتنة اى ابتليناك ابتلاء اى بلاء والفتنة فى البلاء ولكن كانوا فى وقت فى بلاء وشدة وفى وقت اخر فى نعمة وخير او فتنة بهما جميعا على ما اخبر ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقوله عز وجل فلبثت سنين فى اهل مدين هذا والله اعلم من المنة التى ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم جئت على قدر يا موسى قال بعضهم بالنبوة والرسالة وقال بعضهم على موعود او على قدر وقت المجى فكيف ما كان ففيه ان مجى العبد وذهابه وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقدير منه وفيه انه يجعل الامور باسباب وان كان قادرا ان يجعل بغير اسباب وقوله عز وجل واصطنعتك لنفسى اى اخترتك واصطنعتك لرسالتى ونبوتى فذكر نفسه لانه بامره يقوم باداء ذلك وقوله عز وجل اذهب انت واخوك باياتى هو ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تنيا فى ذكرى اى لا تضعفا فى الدعاء الى دينى وتوحيدى وفى حرف عبد الله بن مسعود ولا تنيا فى ذكرى فى البلاغ الى فرعون انه طغى امرهما ان لا يقصرا ولا يعجزا فى تبليغ الرسالة اليه والدعا الى دينه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا قال ابو عوسجة ولتصنع على عينى اى تربى بعينى وسئل عن العين فقال العين العلم ههنا والعين فى غير هذا المال والعين الاديم المتخرق والعين المصدر من عان يعين فهو عاين والمفعول به معيون اذا اصابه بعين والعين الحقيقة كقولك هذا بعينه اى بحقيقته قال والعينه السلف ومثله وقوله واصنع الفلك باعيننا اى بعلمنا على من يكفله اى يضمه ويضمنه وقال ابو عوسجة ثم جئت على قدر يا موسى اى وقت المجى واصطنعتك اى اخلصتك لنفسى ولا تنيا فى ذكرى اى لا تقصرا ولا تعجزا والله اعلم وقوله عز وجل فقولا له قولا لينا كان القول اللين اقرب واثبت فى القلوب وانجع واقرب الى الاجابة والقبول من القول الخشن البارد وخاصة فى الملوك والرؤسا اذ طباعهم لا تحتمل ذلك ولا تنجع فيهم بل اكثر صولتهم على من دونهم انما يكون عند استقبالهم بالخلاف وبما يكرهونه فامر عز وجل رسوله موسى وهرون ان يقولا له قولا لينا ويلطفا معاملته ليكون اقرا واثبت فى قلبه وانجع ولذلك قال لعله يتذكر او يخشى قال الحسن كل لعل هو من الله فهو على الايجاب لانه قد تذكر وخشى حيث قال لين كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الاية وحيث قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل لكن لم ينفعه ايمانه فى ذلك الوقت لانه ايمان دفع واضطرار وقال بعضهم لعله يتذكر او يخشى فى علمكم فان كان على هذا فهو يحتمل الشك وان كان على الاول فهو على الايجاب لا يحتمل الشك ثم اختلف فى القول اللين قال ابن عباس قال هو قول هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فتوحد قال هذا القول اللين وعن الحسن قولا لينا اى قولا حقا قولا له ان لك ربا وقال بعضهم قولا لينا قول لا اله الا الله وقال بعضهم اى كنياه ونحوه واصله ما ذكرنا به وقوله عز وجل قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال اهل التاويل قوله ان يفرط علينا اى يعجل بالعقوبة من قبل ان يسمع حجتنا او ان يطغى بقتلنا بعد ما سمع الحجة منا وجايز ان يكون احدهما فى الفعل والاخر فى القول ان يفرط علينا او ان يطغى ابهما كان لانه قال فى الجواب لهما قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما فهذا يدل والله اعلم ان قوله ان يفرط علينا او ان يطغى يرجع احدهما الى القول والاخر الى الفعل بانه قال فى وقت ذرونى اقتل موسى وليدع ربه ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل لا تخافا يحتمل على نفى الخوف والامن منه كقوله ولا تحزن عليهم ليس على النهى عن الحزن فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل اننى معكما فى النصر والمعونة لكم والذب عنكم والدفع اسمع ما يقول وارى ما يفعل وقد كان كل منه اليهما النصر والمعونة لهما والدفع عنهما وقوله عز وجل فاتياه فقولا انا رسولا ربك يشبه ان يكون قوله ولا تنيا فى ذكرى هذا اى لا تضعفا تبليغ الرسالة ولكن قولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل لا يحتمل ان يكون اول ما اتياه قالا ان ارسل معنا بنى اسرائيل قد سبق منهما الدعا الى توحيد الله والاقرار له بالالوهية والربوبية فاذا ترك الاجابة فعند ذلك قالا له فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم هذا يحتمل وجهين احدهما انه كان يمنع بنى اسرائيل عن الاسلام وهم ارادوا الاسلام فقالا ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تمنعهم عن الاسلام او كان يستعبدهم فامر ان يستنقذهم من يده كقوله ان عبدت بنى اسرائيل لا ترى انه قال ولا تعذبهم وقوله عز وجل قد جئناك باية من ربك وهو ما قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله عز وجل والسلام على من اتبع الهدى هذا يدل انه لا يبدأ بالسلام على اهل الكفر ولكن يبدأ باهل الاسلام وفيه ان تحية اهل الاسلام هو السلام لا قول الناس اطال الله بقاك ونحوه وقوله عز وجل انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى كانه قال والسلام على من اتبع الهدى والعذاب على من كذب وتولى والسلام

على من اتبع الهدى والعذاب على من كذب وتولى والسلام هو اسم كل خير وبر وقال القتيبي ان يفرط علينا ان يعجل ويتقدم وقال الزجاج
التقدم والسبق وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وهو من السبق وكذلك قال ابو عوسجة ان يفرط
علينا اي يعجل يقال فرط يفرط فرطا اي يعجل وقال ولا تنيا في ذكري اي لا تقصرا ولا تعجزا في البلاغ واصطنعتك اي استخلصتك
لنفسي فاذ لم يفهم من قوله لنفسي ذاته كيف يفهم ولتصنع على عيني ما يفهم من الخلق ولا يتصور هذا وامثاله في وهم احد الا من اعتقد
التشبيه ولم يعرف ربه والا لو عرف ربه حق معرفته لكان لا يتصور في وهمه تشبيه الخالق به ولا تشبيهه بخلقه سبحانه وتعالى عما
يقولون علوا كبيرا وقوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال في اية اخرى وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما الاية رب المشرق والمغرب وما بينهما سأله عن ماهيته فاجابه موسى عن اثار صنعه في خلقه
وانه رب كل شيء ورب ما ذكر لم يجبه عما سأله من ماهيته وكيفيته حيث قال فمن ربكما يا موسى فجوابه عن الماهية ربنا فلان وانه كذا
ففيه دلالة ان الله لا يعرف من جهة الماهية والكيفية اذ لا ماهية له ولا كيفية انهما اوصاف الخلق فالله سبحانه تعالى عن ان يوصف
بشيء من صفات الخلق ثم يحتمل قوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وجوها احدها اعطى كل شيء جنسه وشكله واعطى كل شيء خلقه ما به
معاشه وقوامه ان يقال اعطى كل شيء يكون صورة ما فيه كان معاشه وقوامه ليعلم انه قادر على بعثهم على الصورة التي كانت
وقوله عز وجل ثم هدى فهو على قوله اعطى كل شيء ثم هدى فان كان التأويل اعطى كل شيء صورته وهيأته فقوله ثم هدى النجاة وان كان
اعطى جنسه وشكله ثم هداه للنسل وان كان قوله اعطى كل شيء ما به معاشهم وقوامهم ثم هداه لما يتعيشون به ويتقومون به وهداه
لما يصلح لهم واتقاهم وقوله عز وجل قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب قال بعضهم انما سأل فرعون موسى عن القرون
الاولى لانه سمع من ذلك الرجل المؤمن حين قال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ولم يكن لموسى بهم علم فوكل علمهم الى الله ثم انزل الله
عليه التورية فبين له فيها امرهم وقال بعضهم سأل فرعون موسى ذلك اخبار انه يبعث وخوفه على ذلك فعند ذلك قال فما بال القرون
الاولى لم يبعثوا منذ اهلكوا فقال له ما قال وقال بعضهم قوله فما بال القرون الاولى انما سأله عن حال القرون الاولى اهم في الجنة
او في النار فقال علمها عند ربي وقال بعضهم انما سأل عن اعمالهم فاعمال القرون الاولى فقال علمها عند ربي اي اعمالهم عند ربي في كتاب
كقوله كتاب مرقوم وقوله سايق وشهيد وقوله في كتاب قال بعضهم الكتاب الذي كتبت فيه اعمالهم وقال بعضهم في اللوح المحفوظ
لا يضل ربي ولا ينسى قال ها واحد لا يضل ولا ينسى ذلك الكتاب وقرئ لا يضل ولا يضل بنصب الياء اي لا يضل الهوى ولا يضل اي لا يضل ذلك
الكتاب الذي ذكر ليس انه يرجع الى قوله لا يضل ربي وقوله عز وجل الذي جعل لكم مهادا هو على قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا والذي سلك لكم فيها سبلا والذي انزل من السماء ماء يذكر نعمه التي انعمها عليهم
يقول جعل لكم الارض بحيث تفترشون وتعيشون فيها وتترددون عليها بعد ما كانت تميدكم وسلك لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكون
فيها وتختلفون الى البلدان النائية في حوايجكم وما به معاشكم وقوامكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا قضيت حوايجكم و
وانزل من السماء ماء فاخرجنا به اي بالماء ازواجا من نبات شتى ما به معاشكم وقوامكم وقوام انعامكم على اختلاف ما جعل لكل
دابة من ذلك قوتا وغذاء لم يجعل ذلك لغيرها لان من الدواب ما ياكل النبات ومنها ما ياكل الحب ومنها ما ياكل اللحم ونحوه كلوا
وارعوا انعامكم اي كلوا انتم ما به قوامكم وارعوا انعامكم فيما به قوامها ان في ذلك لايات لاولي النهى قال بعضهم لاولي النهى اولي
العقول وقال الحسن ان في ذلك لايات للذين يتناهون عما نهوا عنه وقال بعضهم لايات لاولي الورع واولي النهى هم اهل
العقول ينهى وبه ينتهى وبه يومر ويوتمر فذلك ايات لهم وكذلك قال القتيبي لاولي النهى اولي العقول وقال النهية العقل و
قال بعضهم فما بال القرون الاولى اي ما حالها يقال اصلح الله بالك اي حالك وقوله عز وجل منها خلقناكم وفيها نعيدكم يحتمل قوله
منها خلقناكم وجوها احدها منها خلقنا اصلكم وهو خلق ادم لكنه اضاف خلقنا اليه وان لم يخلق منها كما اضاف الانسان الى
النطفة وان لم يكن الانسان منها لكنه اضاف اليها لانها اصل الانسان فعلى ذلك الاضافة خلق انفسنا الى الارض والثاني نسبنا
اليها لانا منها ولما نشأنا الى اخر ما ننتهي اليه يكون قوامنا ومعاشنا من الخارج من الارض فنسبت خلقنا اليه وهو ما قال قد
انزلنا عليكم لباسا واللباس على هيئته ما هو لم ينزل من السماء لكنه اضافه اليه لانه كان باسباب من السماء واصل منه وقال
بعضهم ذكر ان الملك ينطلق فياخذ من تراب ذلك المكان الذي يدفن فيه الانسان فيذره على النطفة التي قضى الله منها الولد
فيخلق من التراب والنطفة فذلك معنى الاضافة اليها لكن هذا سمعي لا يعرف الا بالخبر فان ثبت فهو هو والا لا يجوز ان يقال ذلك
وقوله عز وجل وفيها نعيدكم يحتمل قوله فيها نعيدكم اذا متم اي تقبرون فيها فيخرج مخرج الامتنان علينا وذلك لنا خاصة دون غيرنا
من الحيوان لئلا يتاذى بهم كقوله ثم اماته فاقبره وان يكون قوله وفيها نعيدكم اي تصيرون ترابا اذا متم فيخبر عن قدرته وسلطانه
من قدر على ان صير الانسان ترابا بعد ان لم يكن ترابا لقادر على ان يصير انسانا على ما كان بعد ما صار ترابا وهو ما قال ومنها نخرجكم
تارة اخرى اي منها نبعثكم وننشئكم مرة اخرى والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اريناه اياتنا كلها ولم ير جميع اياته انما اراه بعضها
لكن ان كان المراد منها الاعلام له فقد اعلم له الايات كلها لانه اذا اراه اية واحدة او بعض الايات فروية اية واحدة او بعضها تدل

على اعلام

على الاعلام غيرها من الايات فهو على الاعلام فقد اعلمه كلها وهو ما قال له موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض علم العين انها الايات وليس سحرا وان يكون يريد بالايات كلها الايات التي ارسلها الى موسى فقد
اراه ذلك كلها فكذب بتلك الايات وابى ان يصدق فيها ويقبلها فيسلم وقوله عز وجل قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك
يا موسى قد علم العين انه لم يجيئهم ليخرجهم من ارضهم ولكنه يدعوهم الى الاسلام لكنه اراد ان يغري قومه عليه كقوله
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فهذا اغراء منه قومه عليه وقوله عز وجل فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك
موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال بعضهم سوى المكان وقال بعضهم مكانا سوى اي منصفا وقال القتيبي
مكانا سوى وسطا بين فريقين وقال الكسائي سوى وسوى لغتان الا ان يقرأ سوى وقال ابو عبيدة
هو منزل طوى وهو النصف وقوله عز وجل قال موعدكم يوم الزينة قال بعضهم يوم عاشوراء وقال بعضهم يوم العيد وقال
بعضهم يوم سوق فهم تكلفوا ذلك ولا نعلم ذلك وليس بنا الى معرفته ذلك حاجة وهو يوم قد عرفوه وذلك حيث دعوا بذلك ولم
يتنازعوا فيه وقوله عز وجل وان يحشر الناس ضحى بينوا اليوم وبينوا الوقت وهو وقت الضحى قال بعضهم اي نهارا
جهارا كقوله ياتيهم باسنا ضحى نهارا يعني جهارا وقوله عز وجل فتولى فرعون فجمع كيده قيل جمع كيده ليس على الاعراض
عاد عليه اي انه ثم اتى بهم كقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها وقوله عز وجل قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تفتروا على الله كذبا بان لكم الحق وظهر لكم الحجة باتخاذكم فرعون
الها لانكم انما اتخذتم دونه سواه الها ولا اله غيره فقد افتريتم عليه والثاني لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم
الحجة فلا تفتروا على الله كذبا بقولكم انه سحر وانه كذاب وقوله عز وجل فيسحتكم بعذاب بوقع البلاء ويضربها جميعا فيسحتكم قال ابو
معاذ يقال اسحته وسحته فهو واستهواه قال اهل التأويل اي يهلككم ويستأصلكم بعذاب لم يحتمل ذلك العذاب في الدنيا او عذاب
بعذاب بانهم اذا افتروا على الله كذبا بعد ما بان الحق وظهر لهم البرهان والحجة وقوله عز وجل وقد خاب من افترى في الدنيا والاخرة وقوله
عز وجل فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قال بعضهم قوله فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اي السحرة فيما بينهم سرا من فرعون
لذلك قوله واسروا النجوى من فرعون فقالوا ان هذان لساحران يعنون موسى وهرون وقال بعضهم فتنازعوا امرهم بينهم واسروا
النجوى من موسى وهرون لنجواهم ان قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما والاشبه هذا انهم عنوا قومهم
واسروا النجوى عنهم فيما بينهم انهما كذا ثم قوله ان هذان بالالف قال ابو عبيدة هذه لغة قوم من العرب يقال مررت برجلان ورايت
رجلان فهو على تلك اللغة وقال بعضهم ان هذا الالف لا تسقط في الوجدان بحال يقال مررت بهذان ورايت هذان ونحوه فهو كالاصل
لا يحتمل السقوط في الاحوال كلها في الوجدان والتثنية وقال بعضهم ان هذان لساحران اي نعم هذان وذلك لغة قوم ايضا يقولون
ان مكان نعم كقول القايل في اخر بيته فقلت انه اي نعم وقال بعضهم لا ولكن هذا خطاء من الكاتب وكذلك روي عن عثمان انه لما
نظر في الكتاب فقال اني ارى فيه خطايا فيقومها العرب بالسنتها او نحو هذا وقوله عز وجل يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما فهذا
القول انما اخذوا من فرعون حيث قال يريدان يخرجكم من ارضكم الاية وقوله ايضا حيث قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
علم فرعون ان ذلك ليس بسحر لكنه اراد ان يغري قومه عليه لئلا يتبعوه وقوله عز وجل ويذهبا بطريقتكم المثلى اختلف فيه قال بعضهم
قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بعيشكم الامثل العيش لانهم كانوا جبابرة وفراعنة وكان بنو اسرائيل لهم خدما وخولا ويستخدمونهم
ويستعملونهم في حوايجهم فكان نعيشهم بهم فقال ويذهبا بامثل عيشكم حيث قال له موسى فارسل معنا بني اسرائيل وقال بعضهم
بطريقتكم المثلى اي يذهبا بدينكم ومذهبكم الامثل لانه يقولان الذي يدعوهم هو اليه هو الرشاد وان الذي يدعوهم موسى اليه هو
باطل وانه سحر وفساد كقوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وحيث قال وما اهديكم
الا سبيل الرشاد وحيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك ونحوه يدعي انما يدعوهم اليه هو الرشاد
وان الذين يدعوهم موسى اليه السحر والفساد وقال بعضهم قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اي خياركم واشرافكم والامثل الامثل منكم
قال القتيبي فيسحتكم اي يهلككم ويستأصلكم يقال اسحته الله واسحته وقال ويذهبا بطريقتكم المثلى اي الاشراف ويقال هؤلاء طريقة
قومهم اي اشرافهم اشتقاق الطريقة من الشريف ويقال اراد بسنتكم ودينكم والمثلى مؤنث امثل مثل كبرى واكبر فاجمعوا كيدكم اي
حيلتكم وقال ابو عوسجة بطريقتكم المثلى اي بدينكم الافضل وهو من الامثل وقال ابو عبيدة ثم ائتوا صفا اي مصلى والصف المصلى
وقال يحكى عن بعضهم انه قال ما استطعت ان اتي الصف اليوم اي المصلى وقال القتيبي صفا اي جميعا وكذلك قال غيره من اهل التأويل
وقوله من استعلى اي غلب وقوله عز وجل فاجمعوا كيدكم حرف الاجماع يستعمل في العزم مرة والاجتماع ثانيا اما في العزم فما ذكر في
الخبر لا صوم لمن لم يعزم رايه من الليل اي لمن لم يعزم عليه ما روى الخبر لا صوم لمن لم يعزم من الليل واما الاجتماع ظاهر فان كان
على الاجتماع فكانه قال فاجمعوا على عمل واحد لا تختلفون فيه وعلى العزم اي اعزموا شيئا واحدا او قصدا وامرا واحدا لكي
تغلبوا ثم ائتوا صفا قال بعضهم جميعا غير متفرقين وقال بعضهم ثم ائتوا صفا اي المصلى الذي كان موعودا بالاجتماع وهو يوم الزينة

وقوله عز وجل وقد افلح اليوم من استعلى قيل من غلب كقوله ان فرعون علا في الارض اي غلب وجائز ان يكون قوله استعلى
اي من طلب العلو واراد ان يسعد بما وعد فرعون للسحرة من الاجر اذا كانوا هم الغالبين كقوله أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين فذلك هو ما طلبوا منه فاخبروا انهم يظفرون بذلك هذا اذا كان القول من فرعون والله اعلم
وقوله عز وجل قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا انما قال لهم بل القوا بامر من الله واذن منه
وقوله عز وجل فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه اي الى موسى من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى اي وقع في قلبه الخوف
وخاف اذ صنع القوم ما صنعوا من السحر ثم يحتمل ذلك الخوف منه وجهين احدهما خاف على ما طبع البشر عليه من خوف الطبع لا خوف
علية لانه قال لهم ما جئتم به السحر ان الله سيبطله كان يعلم صلوات الله عليه ان تمويهات السحرة لا تبطل حجج الله واياته ثم ذلك
انه خاف خوف الطبع والجبلة لا خوف القهر والغلبة او ان يكون خوفه لما اخذ سحرا وذلك اعين الناس خاف موسى ان يمنعهم ذلك
عن ان يبصروا ما جاء هو من الاية والبرهان وقال بعضهم خاف ان يشكوا فيه فلا يتابعوا ويشك فيه من تابعه وهو ما ذكرنا
وريبا منه والله اعلم وقوله عز وجل قلنا لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب فان كان الخوف الذي ذكر خوف طبع وما جبل عليه
المرء فيكون قوله لا تخف على تسكين القلب وتثبيت وان كان الثاني فهو على البشارة له والاخبار على ان يمنع سحرا ولئلا عن
ان يبصروا ما اتى بهم من الاية والله اعلم وقوله عز وجل والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا هذا يدل ان سحرا وذلك انما صار
سحرا بعد ما القوا ما في ايديهم لم يكن سحرا وقت كونه في ايديهم وكذلك عصى موسى انما صارت اية وحجة بعد ما القاها من يده لم
يكن وقت كونها في يده ذلك حيث قال والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا اي تلقم وتاكل ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح
الساحر حيث اتى اي لا يفلح الساحر حيث اتى بسحره والا قد افلح السحرة وفرعون وفي حرف ابن مسعود اين اتى وقال بعضهم حيث كان
وحيث وحوث لغتان وهو قول الكسائي وقوله عز وجل فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى لانهم عرفوا حقيقة ما اتى
بهم موسى فعلموا انه سماوي وانه اية ليس بسحر فامنوا ايمانا ثم لم يرتابوا فيه قط وهذا يدل ان كل ذي بصر وعلم في شيء يكون ابصر وانظر في
ذلك الشيء من غيره حيث لم ينتظروا المدارسة وما اتى به موسى وعاينوا وقتا ينظروا فيه بل لسرعة معرفتهم ذلك لم يملكوا انفسهم بل القوا
على وجوههم على ما اخبر حيث قال فالقي السحرة ساجدين وسجدا وقال القتبي فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر خوفا وقال
غيره وقع في قلبه حيث اخذ حيث كان وقال ابو عوسجة يخيل اليه اي يظن يقول يخيل الي اي يرى في وهمي وعلى ان هذا الشيء كذا وكذا
فاوجس اي احس تلقف وتلقم واحد وقوله عز وجل قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر قال بعضهم يعني موسى
وقال بعضهم كبير السحرة الذي علم غيره السحر وقال في اية اخرى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها الاية قد علم فرعون
ان ذلك ليس بسحر ولا مكر مكروا به لكنه اراد ان يموه على قومه ويلبس عليهم امر موسى وما جاء من الايات والحجج لانه هو الذي ربّاه
ونشا بين ظهرانيه واهله نعلم انه لم يتعلم السحر من احد ثم لما فارقه وخرج من عندهم الى مدين لم يكن هناك ساحر يتعلم منه السحر
اراد التمويه والتلبيس على قومه وكذلك اهل مكة حيث نسبوا رسول الله الى السحر والكهانة والافتراء والجنون وغيره علموا
انه ليس بساحر ولا كاهن ولا مجنون ولا مفتر لانه نشا بين اظهرهم صغيرا لم يوخذ عليه كذب قط على احد من الخلائق فكيف على الله
تعالى ولا راوه اختلف الى احد من السحرة والكهنة في تعلم ذلك لكنهم ارادوا بذلك التمويه والتلبيس على الناس لئلا يتبعوه
ولا يجيبوه الى ما دعاهم اليه من دين الله وتوحيده ثم الرسل صلوات الله عليهم لو لم يكن معهم الايات المعجزة ولا الحجج النيرة
كانت انفسهم وما عليه طبعوا من السيرة الحسنة والاخلاق الكريمة الجليلة وما اختاروا من الامور العظيمة الرفيعة دالة
على رسالتهم ونبوتهم فكيف وقد جاؤوا بالايات المعجزة والبراهين النيرة وما طبع السحرة من السيرة المذمومة والاخلاق الدنية
والامور الخسيسة يدل على كذبهم وافتعالهم فكيف اشكل عليهم معرفة السحر من الرسالة والتمويه من الحجج لكنهم ارادوا
بذلك ما ذكرنا من التمويه على قومهم والله اعلم وقوله عز وجل فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع
النخل يشبه ان يكون هذا الوعيد منه في وقتين اوعدهم ان لا يقطع اليد والرجل من خلاف على الابتداء ان ينتهوا
عما اختاروا فاذا لم ينتهوا عنه فعند ذلك اوعدهم بالقتل والصلب اذ في القتل والصلب اتلاف ما دونه من الجوارح فان
على هذا قضيته ان كل حد يراد به الابقاء فانه لا يوتى على الجوارح كلها والقطع في السرقة فيراد به الابقاء لذلك لا يوتى على
الجوارح كلها وكذلك قطاع الطريق اذ يراد به الابقاء لم يزد على قطع اليد والرجل من خلاف وقوله عز وجل اينا اشد
عذابا وابقى لو ذاق اللعين شيئا من عذاب ربه لم يقل مثل هذه المقالة ولولا ما عرف من حلم ربه والا لم يتجاسر ان يتكلم
بمثل هذا ويوعدهم ان عذابه اشد من عذاب الله وقوله عز وجل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اي لن نؤثرك بالربوبية
والعبادة لك والطاعة على ما جاءنا من البينات على ربوبية الله والوهيته وعبادته وقوله عز وجل والذي فطرنا قال بعضهم لن نؤثرك
ايضا على الذي خلقنا لكن غيره كانه اشبه وهو ان قوله والذي فطرنا على القسم اي بالذي فطرنا كانهم ايأسوه على العود الى عبادته وترك
خدمته وقوله عز وجل فاقض ما انت قاض ليس على الامر لكن على الاياس عن ذلك اي انك وان فعلت بنا ما اوعدت فانا لا نتركه وقوله

عز وجل

عز وجل انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي انما تقضي في هذه الحيوة الدنيا وقوله عز وجل انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه
من السحر والله خير وابقى يحتمل قوله والله خير معبود وثوابه ابقى من ثواب غيره او ان يكون هذا جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا و
ابقى فيقول عذاب الله ابقى والله اعلم قال ابو عوسجة جذوع النخل سوق النخل واصله وقوله عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اصل هذا والله اعلم ان من قبل من الله حياته بالشكر
وطيبها بالاعمال الصالحات طيب الله حيوته وعيشه في الاخرة ومن لم يقبل حيوته من الله بالشكر في الدنيا بل كفر بها وخبثها وقبحها
بالاعمال القبيحة الخبيثة الدنية خبث حيوته في الاخرة وعيشه وقوله عز وجل فاولئك لهم الدرجات هي ما يرتفع ويعلو والدركات
ما يسفل ويحدر في الارض والدرجات للمؤمنين في الاخرة لاختيارهم في الدنيا الاعمال الصالحة الرفيعة العالية على ما اختاروا
في الدنيا من الاعمال الرفيعة العلوية فلهم في الاخرة مقابل ذلك الدرجات العلى واما الدركات فهي لاهل الكفر مقابل ما اختاروا
في الدنيا من الاعمال الدنية الخبيثة واختارهم كمثل من زرع بذر الشوك لم يحصد به قط وقوله عز وجل وذلك جزاء من تزكى اي ذلك
الذي ذكر جزاء من اصلح عمله والنماء والزكوة هي النماء في اللغة وقوله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وهو السير بالليل وقوله
عز وجل فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اي اضرب بعصاك البحر اجعل لهم طريقا في البحر يابسا كقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق الاية وقوله عز وجل لا تخاف دركا ولا تخشى اي لا تخاف لحوق فرعون وجنوده ولا تخشى غرق البحر ليس على النهي ولكن على
رفع الخوف عنه والامن عن ان يدركهم ويلحقهم الا ترى انه قال كلا ان معي ربي سيهدين وقوله عز وجل فاتبعهم
فرعون بجنوده دل قوله بجنوده على ان كان معه جنود واحد واما العدد فانهم كانوا كذا وكذا الفا وقوم موسى كذا وكذا الفا فذلك لا نعلم
الا بالخبر وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم اي من الغرق والهلاك وقوله عز وجل واضل فرعون
قومه وما هدى قال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداه الله وقال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداهم حيث قال وما اهديكم الا
سبيل الرشاد وقيل اضل قومه وما هدى نفسه وقال بعضهم وذلك جزاء من تزكى اي امن وذلك انه بالايمان تزكوا الاعمال وتنمو وي
ثاب عليها ويجزى وقال القتبي لا تخاف دركا اي لحاقا وقوله فاتبعهم فرعون بجنوده اي لحقهم وقوله عز وجل يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم هذا خبر يخبر عما انعم عليهم ومن على اوائلهم واباءهم من حضر رسول الله يذكر هؤلاء بما انعم ومن على اوائلك والا لم يكن هؤلاء
يومئذ وفيه تذكير النعم والمنن على الصحابة في اواخر امورهم لانه امن هم في اخر امرهم من عدوهم واياسهم عن عود هؤلاء الى دينهم وفيه
تذكيرنا بما انعم علينا ومن في اوائل امورنا واخرها ليس التذكير لبني اسرائيل خاصة ولكن لنا ولكل من انعم عليه وقوله عز وجل وواعدناكم
جانب الطور الايمن لسنا ندري ان الايمن هو اسم ذلك الجبل او سماه الايمن ليمنه وبركته وقال عز وجل في اية اخرى فلما اتاها نودي
من شاطئ الواد الايمن او سماه الايمن من يمن موسى عليه السلام فان كان من اليمن والبركة فهو كذلك كان بدو وحي موسى عليه السلام
وقوله عز وجل ونزلنا عليكم المن والسلوى يذكر هؤلاء ما وسع على اوائلهم من الرزق واحسن اليهم ليستادي بذلك الشكر على ما انعم عليهم
وذلك تذكير لنا ولمن وسع عليه ذلك انه لم يزل علينا يوسع الرزق منا ولا عصرنا الى الاخر وقوله عز وجل كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قلنا
لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله طيبات ما رزقناكم اي من حلالات ما رزقناكم فان كان على هذا ففيه
دلالة ان قد يرزق ما ليس بحلال والثاني من طيبات ما رزقناكم اي ما يطيب به انفسكم ففيه دلالة انه يجوز لنا ان نختار من الاطعمة
ما هو اطيب ان كان على ما يستطيب به الانفس وقوله عز وجل ولا تطغوا فيه الطغيان هو مجاوزة عن الحد والتي جعلت اي لا تطغوا
فيما رزقكم من الطيبات وتجعلونه في غير ما جعل وتجاوزون عن القدر الذي جعل وقوله عز وجل فيحل عليكم غضبي من رفع الحاء والخفض
جميعا يحل ان ينزل عليكم غضبي ويحل بالرفع يجب وقوله ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى قيل هوى هلك او من يجب عليه عذابي فقد
هلك وكذلك قال القتبي هوى اي هلك يقال هوت امه اي ثكلت وقيل فقد هوى اي سقط في النار يقال هوى في موضع كذا و
قوله عز وجل واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى يحتمل قوله غفار لمن تاب عن الشرك ورجع عنه وامن بتوحيده وعمل
صالحا فيما بين ذلك ثم اهتدى في حفظ ما امره وانتهى عما نهى والثاني غفار لمن تاب عن جميع المناهي وامن بجميع ما امر وقوله ثم
اهتدى اي دام على ذلك وثبت كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله عز وجل وما اعجلك عن قومك يا موسى قال بعضهم ان
موسى صلوات الله عليه خرج بنفر من قومه الى الجبل لياخذ التورية فعجل حتى خلفهم وتركهم وراءه فعند ذلك قال له ربه وما اعجلك
عن قومك يا موسى وقال بعضهم لم يخرج بنفر ولكن خرج وحده وترك قومه فاصابهم ما اصابهم من الافتتان بالعجل الذي اتخذه
السامري عز وجل قال هم اولاء على اثري هذا على التاويل الاول اي هم يجيئون على اثري وعلى التاويل الثاني اي تركتهم على ديني وسبيلي
وهو قول الحسن وقتادة وقوله عز وجل وعجلت اليك رب لترضى اي عجلت اليك رب فيما دعوتني اجابة لك وطاعة فيما ارتضي لترضى
هذا على التاويل الذي قال انه خرج وحده وعلى التاويل الذي يقول انه خرج بنفر يقول والله اعلم وعجلت اليك رب لترضى اذ لم يكن لي
سبب ولا معنى يمنعني عن الاسراع الى ما دعوتني وارتضي وهكذا عندنا ان من لزمه امر الله وفرضه لزمه الاسراع والعجلة الى القيام به اذا
لم يكن هناك سبب يمنعه عن التعجيل له والقيام به والله اعلم وقوله عز وجل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك الفتنة هي المحنة التي

فيها شدايد وبلايا ومعنى الافتتان ههنا هو ما فتنتهم بالعجل الذي اتخذه السامري جعله جسدا بدم ولحم على ما ذكر ونفخ فيه الروح
وجعل له خوار فذلك معنى الافتتان منه اياهم والله اعلم وقوله عز وجل واضلهم السامري اضاف الاضلال الى السامري لانه كان سبب
اضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى فاضاف الاضلال اليه لما ذكرنا من دعايه اليه والسبب الذي
كان منه والا لم يملك احد اضلال احد واضاف الافتتان الى نفسه لما ذكرنا من جعل العجل جسدا من لحم ودم وروحا فان قيل
ما معنى اجراء ما اجرى على يدي السامري مع ضلاله من الاية قيل هو والله اعلم انه لو ادعى لنفسه الرسالة لكان لا يتهيا له ذلك لكنه انما ادعى
انه اله واثار العبودية فيه ظاهرة قايمة يعرفه كل احد انه ليس باله واما الرسالة فانه يجوز ان يشتبه على الناس وتلتبس عليهم فيمنع
عز وجل من ليس برسول اذا ادعى الرسالة اقامة دلالة الرسالة لاشتباهها على الناس واما الالوهية فلا يمنع عن اجراء ذلك لان اثار
العبودية واعلام الحدث فيها ظاهرة يعرفه كل احد وهكذا من اتى قرية لم يبلغهم هذا القران فقرا هذا القران وقال انى رسول الله
اليكم لم يقدره الله على قراءته ولو ادعى الربوبية لم يمنع لان اثار العجز عن اتيان مثله ظاهرة وفي الرسالة لا لذلك افترقا والله اعلم
وقوله عز وجل فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية في الغضب والنهاية في الحزن وهكذا جعل الله رسله والانبياء على
نهاية الغضب لله والاسف له عند معاينتهم الخلاف لله والتكذيب له كقوله لرسوله لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا قال اهل التاويل الحسن وعدا حسنا هو الثواب الذي وعدهم بالدين
والسبيل القائم او لا على ان ذاق على دينى وسبيلى وقال بعضهم وعدا حسنا اي عدلا وصدقا فاجئت وعدهم انه يرجع اليهم عند داموا بين
او ثلثين ليلة على ما ذكر عز وجل افطال عليكم العهد قال اهل التاويل الحسن افطال عليكم عهد ما وعدكم من الثواب والجزاء على دينه
حتى نسيتم ذلك وقال اهل التاويل من قال ان الوعد هو ما وعد انه يرجع اليهم على راس كذا يقول افطال ذلك عليكم ومضى وعدى حتى فعلتم
ما فعلتم وقوله عز وجل ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اي ام تقدم الخلاف فيحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي يحتمل
الوعد الوجهين الذين ذكرناهما فيما مضى وقوله عز وجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا برفع الميم وكسره فمن قرا بملكنا برفع الميم اي
بسلطاننا وطاقتنا اي لم نفعل بسلطاننا وطاقتنا ومن قرا بملكنا بكسر الميم ما ملكنا ايدينا وقال الكسائي من قرا بملكنا بالرفع
معناه بسلطاننا ومن قرا بملكنا بكسر الميم ونصبه بملكنا معناهما واحد وهو ما ملكت ايدينا وقوله عز وجل ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم قيل اثقالا من زينة القوم اي من حلي القبط وقوله عز وجل فقذفناها اي قذفنا ما حملنا من حليهم وقوله عز وجل فكذلك
القى السامري اي كذلك القى السامري اي كذلك قذف ما حمل السامري من حليهم ويجوز ان يكون قوله فكذلك القى السامري ما اخذ
من قبضته من اثر الرسول كقوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وقوله عز وجل فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اي عجلا جسدا
جسد عجل وليس هو بعجل في الحقيقة وقال بعضهم عجلا جسدا لا يتعيش كما يتعيش العجل المولود من البقر والاول اشبه وقوله عز وجل
فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي هذا القول انما قاله السامري وقوله عز وجل فنسي قال بعضهم نسي السامري حيث قال لهم هذا الهكم
واله موسى فيكون النسيان على هذا التاويل التضييع والترك كانه اضيع السامري بعد ما علم وعلم رب العالمين ونسب الالوهية الى العجل
وقال بعضهم ان السامري لما قال هذا الهكم واله موسى لكن موسى نسي هذا حيث خرج في طلب غيره ولا يحتمل ان يقبلوا هذا القول منه في عجل
العجل الذي اتخذه السامري الها وقد علموا انه انما اتخذ من حلي حلوه من القبط لكنه كان في عقدهم انه يجوز اتخاذ اله دون الله رب العالمين
والعبادة له رجاء ان يقرب عبادتهم تلك الالهة الى الله وعلى هذا كانوا يعبدون الاصنام دون الله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وهولاء شفعاونا عند الله وكذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وكذلك ما اتخذ لهم فرعون من الهة عبدوها
دونه والا لم يحتمل ان يقع عندهم ان رب العالمين هو ذلك العجل لكنه ما ذكرنا انهم كانوا يستخيرون في اعتقادهم عبادة من
دونه فقال عند ذلك ورد عليهم اعتقادهم فقال افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يرون ان لا انه
في عبادة من يرجع اليه القول ويملك النفع والضر وهو البشر فكيف اذن في عبادة من لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن يذكر والله اعلم بهذا رسوله ان الذين كذبوك وجحدوا رسالتك
لم يكذبوك لجهلهم بالرسالة ولكن لتعنتهم وعنادهم على ما ذكروا بنا من قول هرون لقومه لما عبدوا العجل حيث قال
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فكانه يوبسه عن ايمانهم اولئك لعنادهم وهو ما قال افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد
كان فريق منهم يسمعون كلام الله وقوله عز وجل انما فتنتم به يحتمل وجهين احدهما فتنتم اي صرتم مفتونين بالعجل بصوته
وخواره او بغيره والثاني فتنتم اي ضللتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن وقوله عز وجل فاتبعوني اي اجيبوني الى ما ادعوكم
به واطيعوا امري اي ما امركم به وقوله عز وجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال بعضهم لن نبرح اي لن
نزال على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع الينا موسى وقال بعضهم لن نبرح اي لن ننازع في عبادته ثم قال موسى يا هرون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا هذا يدل ان قول هرون لهم انما فتنتم به اراد به الضلال حيث قال له موسى اذ رايتهم ضلوا الا
تتبعن افعصيت امري يحتمل الا تتبعني اي ما منعك اذ رايتهم ضلوا لا ان تصير الي ما كنت صرت انا وقد علمت اني صرت

انا وان

انا وان يكون قوله الا تتبعني اي لا تتبع ديني وسنتي وكانت سنته ومذهبه القتال والحرب معهم اذا ضلوا وتركوا
دين الله فاعتذر اليه هرون فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي هذا ايضا يخرج على وجهين
احدهما اني خشيت ان اتبعك وصرت الى ما صرت انت تقول لي فرقت بين بني اسرائيل لانك لو نهيتهم عما اعتادوا من عبادة
العجل وبينت لهم السبيل لعلهم يتبعونك فحيث لم تفعل فانت الذي فرقت بينهم والثاني على تاويل القتال والحرب في قوله الا
تتبعني اي اني خشيت لو قاتلتهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فريقين فان تفرقوا فقتلوا وسفكوا الدماء وتفانوا فترك
القتال لما اطمعوه الايمان اذا رجع اليهم موسى ونهاهم عن ذلك فلعل سنته في القتال مع من لم يطمع منه الايمان هذا على تاويل
من يقول بان هرون اعتزلهم لما عبدوا العجل مع عشرة الاف نفرا واكثرا واقل على ما ذكر واما الحسن فانه يقول كلهم قد عبدوا
العجل الا هرون فعلى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم قوله عز وجل ولم ترقب قولي قيل هو ما قال واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
وقوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي يا بن ام كان له الشعر فكنى بالراس عن الشعر وقوله عز وجل قال فما خطبك يا سامري قال الحسن
ما حجتك يا سامري على ما فعلت ولا حجة كانت له قط وقال غيره ما خطبك ما شانك وما امرك والخطب هو الشان والامر في
اللغة وتاويله والله اعلم فما شانك اي ما الذي حملك على صنيعك الذي صنعت ثم قوله بصرت بما لم يبصروا به باليا والتاء جميعا
ثم بين ما الذي بصر هو ما لم يبصر وا هم فقال فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها اما عامة اهل التاويل فانهم يقولون انه قبض
قبضة من تراب من اثر فرس جبريل فنبذها وليس في الاية ذكر التراب ولا ذكر الفرس ولا ان ذلك الرسول جبريل وغيره و
يشبه ان يكون الذي قبضه هو تراب من اثر الفرس على ما قاله اهل التاويل وقد ذكر في حرف ابي فقبضت قبضة من اثر الرسول
فان ثبت ما قالوا والا لم نزد على ما ذكر في الكتاب لان هذه الانباء والقصص كانت في كتبهم فذكرت في القران ليحتج بها رسول الله
على اولئك ليعرفوا انه انما عرف ذلك بالله تعالى فلو زيد ونقص عما في كتبهم لذهب موضع الاحتجاج عليهم بل يوجب ذلك نسبة
الكذب عليهم لذلك وجب حفظ ما حكى في الكتاب من الانباء والاخبار من غير زيادة ولا نقصان مخافة الكذب الا ان ثبت شيء
بذكر عن رسول الله انه كان فعند ذلك يقال والا الكف اولى لما ذكرنا وفي قراءة الحسن وقتادة فقبصت قبصة بالصاد و
القبصة هو الاخذ باطراف الاصابع والقبضة هو بالكف فلا يحتمل ان يصح الحرفان جميعا لان الاخذ باطراف الاصابع دون
الكف غير خبر يخبر عما في كتبهم فاما ان يكون ذا او ذا فاما ان يكونا جميعا فلا يحتمل الا ان يقال انه اخذ باطراف الاصابع ثم رده الى
الكف فحينئذ يكون او ان يكون بمرتين والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك سولت لي نفسي هذا يحتمل وجهين احدهما اي كذلك سولت لي
نفسي انك متى تاخذ قبضة من اثر الرسول فنبذتها في الحلي يحيى او ان يكون سولت له نفسه على ما كان عادتهم وطبيعتهم انهم لا يعبدون
الها لا يرون ولا يقع بصرهم عليه حيث قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال سولت لي
نفسي ان اتخذ لهم عجلا يرونه فيعبدونه او سولت لي نفسي ان اخذ قبضة من اثر الرسول بناء عليها او قال ذلك اعتذارا للجميع ما كان
منه من وال الامر الى اختياره والله اعلم وقوله عز وجل قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس قال بعضهم اي لا تزال تقول لا
مساس لا تقول غيره عقوبة له وجزاء الصنيعة وقال بعضهم ان تقول لا مساس لم يمسني ولا امسك اي لا تمسني ابدا الحجة من بين
اظهرهم لما علم موسى منه وقوله عز وجل وان لك موعدا لن تخلفه يحتمل وان لك موعد العذاب لن تخلفه يحتمل ذلك في الدنيا والاخرة
وقوله عز وجل وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا قوله وانظر الى الهك الذي تزعم انه اله لان موسى سمى ذلك الها وهو كان قال عز
الهتهم التي في زعمهم الهة وقوله عز وجل ظلت عليه عاكفا نقول له ظلت يقال بالنهار وفي الليل يقال بات وقوله عز وجل لنحرقنه ثم
لننسفنه في اليم نسفا وفي هذا اثبات اية لموسى حيث قال لنحرقنه والعجل الذي هو من لحم ودم ليس من طبع النار احراقه وكذلك
الحلي الذهب والفضة ليس من طبع النار احراقها حتى تصير رمادا ولكن من طبعها الاذابة ثم اخبر انه محرقه فدل انه اية وفي قوله
لنحرقنه لغتان لنحرقنه بالتشديد وبرفع النون وهو التحريق بالنار ولنحرقنه بنصب النون وهو القطع بالمبرد وقال ابو معاذ قرئ
لنحرقنه بنصب النون فقد كان العجل من الحلي فلم يقدر على تحريقه بالنار فحرق بالمبرد ومن قرا لنحرقنه برفع النون والتشديد يقول
كان لحما ودما فاحرق بالنار حتى صار رمادا ثم نسف في اليم قال ابو معاذ قال ابن سليمان لنحرقنه برفع النون بالنار ثم لنحرقنه
بالنصب بالمبرد قال ابو معاذ يا سبحان الله ان كنت احرقته بالنار فما حاجتك الى المبرد لكنه اراد مقاتل ان يجمع القراءتين والثانية
في قراءة واحدة لكنه عندنا لا يجوز ان يكون العجل من لحم ودم في احدى القراءتين وفي الاخرى من الحلي لا لحم فيه ولا دم ويكون القراءتان
جميعا منزلتين وما قاله مقاتل انه حرق بالنار ثم حرق بالمبرد حسن لان النار لا تحرق العجل اذا كان لحما ودما ولكنها تذيب فاذابه
بالمبرد فعند ذلك نسف في اليم قال ابو معاذ تقول العرب نسفت البر وانسفته نسفا اذا اخرجت المنسفة فطيرت عبادة وتبنا
في المشي اذا كان نسف بو مشاكلة نسفا اي غشى وقال ابو عوسجة لننسفنه اي لنرمين به نسفا اي رميا والنسف القلع من الاصل
وصرفه نسف ينسف نسفا وقال لن نبرح اي لن نزال لصرت بما لم يبصروا به يقال بصرت وابصرت بصر يبصر بصرا وقبضت قبضة و
القبصة باطراف الاصابع وقال لا مساس اي لا يمسك احد ولا يؤذيك وقال ظلت عليه لغة سوء انما هو ظللت وظللت

في حرف ابن مسعود بصرت بالوبيصر وا بر اذجاء الرسول فقبضت قبضة فالقيتها وفي حرف حفصة اذمر الرسول وفي حرف ابي بن كعب ان لك في الحيوة ان لا مساس ليس فيه ان تقول وفي حرف حفصة ان لك في الحيوة الدنيا ان تقول لا مساس وقال بعضهم تاويله لا تخالط الناس ولا يخالطونك قال ابو معاذ المساس مصدر ماسه مساسا ومماسة كما يقال ضاده ضرادا ومضادة وساده سرادا ومسادة ومن قرا لا مساس كان كقيلك نزال ودراك وفي حرف ابن مسعود وابي وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وانظر كيف نفعل بالهك الذي ظلت وقوله سولت لي نفسي قال بعضهم شجعت وظاهره زينت لي نفسي وقيل سمي السامري سامريا لانه كان من قبيلة يقال لها السامرة وقول هرون لموسى يا ابن ام وكان اخاه لابيه وامه قيل اراد بذلك ان يرققه عليه فيتركه وقوله عز وجل انما الهكم الله الذي لا اله الا هو جايز ان يكون موسى لما احرق العجل ونسفه في البحر قال عند ذلك انما الهكم الله الذي تعرفونه لا اله الا هو وسع كل شيء علما لا يعزب عنه شيء ولا يخفى عليه شيء فيشبه ان يكون موسى ذكر هنا لهم لما عنوا وانهم واسروا حب العجل في قلوبهم على ما اخبر الله عنهم بقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فقال لهم وسع كل شيء علما يعلم ما تسرون وما تظهرون او ان يكون لا يعلمون انه يعلم ما يسرون وما يضمرون وما يغيب عن الخلق ويكون عندهم كملوك الارض يعلمون الظاهر من الاسود الحاضرة منها ولا يعرفون منها الباطن والغائب فاخبر انه عز وجل يعلم الظاهر والباطن والسر والعلانية والحاضرة والغائبة والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اي هكذا نقص عليك من انباء ما قد سبق ليكون اية لرسالتك ونبوتك وان يقول كما قصصنا عليك هذا النبا كذلك نقص عليك ساير الانبيا والله اعلم وقوله عز وجل وقد اتيناك من لدنا ذكرا قال اهل التاويل الذكر ههنا القران وهو ظاهر الا ترى انه قال على اثره من اعرض عنه فانه كذا وجايز ان يكون قوله اتيناك من لدنا ذكرا اي شرفا وذكرا اي ذكر هو نبي ابدا ومن اتبعه واجابه الى ما دعاه بصير مذكورا به وقوله عز وجل من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا الحمل وسميت الاثام حملا لان الاثام تنقض ظهور اصحابها في النار وتكسرها كالحمل في الدنيا ينقض ظهر صاحبه ويكسره وهو ما ذكر ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عز وجل خالدين فيه اي في ذلك الوزر اي لن يفارقهم او دام ابدا الابدين وقوله عز وجل وساء لهم يوم القيمة حملا حمل السوء حمل يورد صاحبه النار بئس الحمل حمل يورد صاحبه النار ويقال بئس ما حملوا على انفسهم من الاعمال وقوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا يحتمل الاعراض عنه وجهين احدهما اعرض عنه اي كذب به ولم يلتفت اليه و الثاني اعرض عنه اي لم يعمل بما فيه ومن لم يعمل من المسلمين بما فيه يخاف ان يكون في وعيد هذه الاية وقوله عز وجل يوم ينفخ في الصور و نحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا قيل يتسارون بينهم ويتكلمون فيما بينهم كلاما خفيا ان لبثتم الا عشرا مثل هذا الكلام انما يقولونه تلهفا وتحزنا على ما كان منهم في وقت قليل لاستقلالهم واستصغارهم الدنيا يقولون كيف كان منا كل هذا العمل في ذلك الوقت القليل ثم اختلفوا في ذلك اللبث الذي قالوا ذلك قال بعضهم في الدنيا استقلوا مقام الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال بعضهم ذلك في القبور ويستدل من ينكر عذاب القبر بهذه الاية يقول لانهم استقلوا مقامهم في القبور ولو كان لهم عذاب في ذلك لاستعظموا ذلك واستكثروا لان قليل اللبث في العذاب يستعظم ويستكثر لا يستقل ولا يستحقر فلما استقلوا ذلك دل انهم لا يعذبون في القبور واستدلوا ايضا بنفي العذاب فيه بقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومن يقول بعذاب القبر زعم ان ذلك انما قالوا في القبر يقول ذلك بين النفختين يقول لهم يعذبون ويكونون في العذاب الى النفخة الاولى ثم رفع عنهم العذاب الى النفخة الثانية عند ذلك يرقدون فيستصغرون مقامهم النوم وقد يستصغر الوقت ويستقل في حال النوم على ما ذكر في قصة اصحاب الكهف حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وهم قد ناموا ثلثمائة سنة وزيادة و جايز ان يكون عذاب القبر عذاب عرض وعذاب الاخرة عذاب عين كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فاستصغروا عذاب العرض واستقلوه عند معاينة عذاب العين ومن يقول ذلك في الدنيا يقول تخافتت الدنيا في اعينهم ومقامهم فيها حين عاينوا الاخرة واهوالها وقوله تعالى نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما قوله امثلهم قيل اعقلهم واعلمهم وقيل افضلهم ان لبثتم الا يوما من كان ابصر واعلم بامور الاخرة واهوالها كان اكثر استحقارا بالدنيا واستحقارا لها وفي حرف ابن مسعود ونحن اعلم بما يقولون اذ عيل عليهم اذ يقول امثلهم طريقة قال ابو معاذ قوله عيل عليهم اي اشتبه وخفي ومنه علم وقال ومنه يقال عالت الفريضة تعول عولا اذا جاوزت السهام فاشكل على الفارض واشتبه ومنه قيل عيل صبري وقوله عز وجل ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يشبه ان يكون سوالهم عن احوال الجبال في ذلك اليوم لما بين احوال الناس في الساعة بقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية وكقوله وترى الناس سكارى الاية وصف لهم احوال الخلق في ذلك اليوم ولم يصف احوال الجبال والارض فعند ذلك سالوه عن احوال الجبال فامر رسوله ان يخبرهم بما ذكر انه ينسفها ربي نسفا وما ذكر ايضا في اية اخرى هباء منثورا وكالعهن المنفوش وكالفراش المبثوث ويحتمل جايز ان يكون ذلك على اختلاف الاحوال وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال بعضهم قاعا صفصفا اي مستوية والقاع صفصف واحد وقال بعضهم هي الارض الملساء التي لا نبات فيها

ولا زرع

ولا زرع وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا قيل لا واديا ولا اكمة ولا رابية وقال بعضهم العوج الارتفاع والامت الهبوط و قال بعضهم العوج اخا الاودية والامت التلال وقيل لا انخفاضا ولا ارتفاعا والقاع الصفصف هو تفسير لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها عوجا ولا امتا تفسير لقوله قاعا صفصفا وقوله عز وجل يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له لا خلاف له ليس كالداعي في الدنيا منهم من يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه ولا يجيبه فاخبر انهم في الاخرة يجيبون الداعي في اي حال كانوا لا يخالفونه وقوله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن لا تخشع لكن تخفض وتلين عند خوف اهلها وترتفع عند الامن او ان يكون خشوع الاصوات كناية عنهم اي يخشعون ويذلون لشدة فزعهم لاهوال ذلك اليوم وقوله عز وجل فلا تسمع الا همسا قيل الهمس الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمعه وقيل وقع الاقدام ونقلها وهو تحركها قال ابو عوسجة يتخافتون بينهم اي اخفوا صوته وقوله امثلهم طريقة اي افضلهم قاعا صفصفا قال القاع الارض الصلبة التي لا شيء فيها والصفصف المستوية والقيعا صفصف جميع والقيعان جمع القاع عوج واحد ولا امتا والامت هو العوج وهو التل وقوله عز وجل وخشعت الاصوات اي سكنت والهمس الخفي وقوله عز وجل يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تنفع الشفاعة ليس ان يكون لهم الشفعاء فلا تنفع ولكن لا شافع لهم الا من اذن له الرحمن بالشفاعة لاحد ورضي له بقول الشفاعة انه لا احد يتكلم يومئذ الا باذنه فضلا ان يوذن لاحد بالشفاعة كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والثاني لا تنفع الشفاعة الا من وقوله الرحمن بما يستوجب الشفاعة له ورضي له قولا وسال ذلك وهو قول الشهادة و التوحيد فيرجع احد التاويلين الى الشفعاء انه لا احد يشفع لاحد الا باذنه ورضاه بالقول قول الشفاعة والثاني يرجع الى المشفوع له انه لا احد يستوجب شفاعة الا من وقوله الرحمن في الدنيا بالتوحيد وشهادة الاخلاص والله اعلم وقوله عز وجل يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما بين ايديهم قبل ان يخلقوا وما خلفهم بعد ما خلقوا وكانوا او ان يكون قوله ما بين ايديهم ما قدموا من الاعمال وما خلفهم ما تركوا وخلفوا من بعدهم او ان يكون قوله ما بين ايديهم كناية عن الخيرات اي يعلم ما يعملون من الخيرات وما خلفهم من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم وجايز ان يكون المراد من البين والخلف الاحوال كلها اي عالم بجميع احوالهم و لا يخفى شيء يكون منهم وهو كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اي لا ياتيه الباطل البتة لانه ليس للقران بين ولا خلف ولكن المراد ما ذكرنا فعلى ذلك الاول وجايز ان يكون المراد منه ليس البين ولا الخلف ولكن الاخبار عن احاطة علمه بهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا يحيطون به علما هذا يحتمل وجهين لا يحيطون بالله علما ولكن انما يعرفونه على قدر ما يشهد لهم الشواهد من خلقه لان الخلق انما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدلهم من الدلالات من خلقه والاحاطة بالشيء انما تكون ما كان سبيل معرفته الحس والمشاهدات فاما ما كان سبيل معرفة الاستدلال فانه لا يحاط به العلم والثاني لا يحيطون به علما اي بعلمه كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وكقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاية وقوله عز وجل وعنت الوجوه للحي القيوم قيل عنت ذلت وخضعت الوجوه وجايز ان يكون ذكر الوجوه كناية عن انفسهم لما بالوجوه يظهر الذل والخضوع فكنى بها عنهم فان كان ما اخبر من خضوعهم وذلهم في الاخرة فهو على ما اخبر من خضوع الخلايق لرب الاخرة وان كان بعضهم يتكبر في الدنيا وان كان في الدنيا فهو على خضوع الخلقة له خضعت خلقة الخلايق كلهم له وقوله للحي القيوم قد ذكرنا تاويل الحي القيوم فيما تقدم وقوله عز وجل وقد خاب من حمل ظلما اي قد خاب من حمل الشرك والظلم ههنا الشرك وقد خاب من حمل ما ذكر من الحمل والوزر وهو ما ذكر في قوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا اي خاب من حمل ذلك الحمل والله اعلم وقال بعضهم في قوله يعلم ما بين ايديهم من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا ولا يحيطون به يعني الملائكة به علما بقوله لا يعلمون من كلامه الا ما علمهم اياه فان كان هذا في الملائكة خاصة فانه لا يحتمل ما ذكرنا من التاويل في قوله وما خلفهم من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم لانهم مطيعون لله لا يعصونه طرفة عين ويحتمل غيره من التاويلات التي ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم في قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له الرحمن في الشفاعة ورضي له قولا قول لا اله الا الله مسلما في الدنيا مومنا حقا فذلك الذي رضي والشفاعة تحل لهم فاما غيرهم فلا يشفع لهم وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم اي علت الوجوه للحي القيوم قالوا وتاويل عنت العمال وخضعت له بالعمل الصالح في الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع و السجود وغيره وهو في المومنين خاصة ليس ان يكون تاويل قوله وعنت اي علت حقيقة ولكن من الوجه الذي ذكرنا وان كان التاويل في الاخرة فهو في الفريقين جميعا يذلون له جميعا ويخضعون في الاخرة وان كان من بعضهم التكبر في الدنيا وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فيه دلالة انه قد يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحات حيث قال ومن يعمل من الصالحات و هو مومن وفيه ان الايمان شرط في قبول الصالحات وجعلها طاعة لله حيث شرط الايمان فيه وقوله عز وجل فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ههنا على منع الثواب والهضم النقصان لا ظلم الجور لان الثواب على الاعمال الصالحات بحق الافضال لا بحق العدل فان كان على هذا فيخرج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ان ينقص من حسناته شيا او يزيد في سيئاته شيا ويجوز في اللغة ذكر الظلم على ارادة

النقصان كقوله في ذكر الجنتين كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا والجنة لا توصف بالظلم الذي هو ظلم جور فدل
ان اراد بالظلم ههنا النقصان اي لم ينقص بل اتت بثمارها وافية وافرة وان كان على الظلم الذي هو ظلم الجور فهو على النهي اي
لا يخف منه الظلم والجور وقوله عز وجل وكذلك انزلناه قرانا عربيا اي كما ذكرنا ان من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما
ولا هضما كذلك انزلناه في القران العربي وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون حرف لعل في جميع ما ذكر في القران يحتمل وجهين احدهما على
الوعد انهم يتقون فهو على الايجاب والثاني لعلهم يتقون اي الزمهم ان يتقوا بما صرف فيه من الوعيد وان كان على الوعد والايجاب
منه فهو لمن علم انهم يتقون وان كان على الالزام اي الزمهم فهو في الكل ثم ان كان على الوعد فيخرج قوله او يحدث لهم ذكرا اي ويحدث لهم
ذكرا فيكون قوله لعله يتذكر او يخشى اذا تذكر خشي واذا خشي تذكر فعلى ذلك انه اذا اتقى فقد احدث له الذكر واذا احدث له الذكر اتقى
وان كان الزمهم ان يتقوا فهو على امرهم قال بعضهم ذكرا اي عذابا وقوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق مثل هذا انما يذكر على نوازل كانت
اما قولا او فعلا يقال تعالى الله عن ذلك لكن لم يذكر النوازل والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه قيل
ما قاله اهل التاويل ان جبريل كان اذا اتاه بالسورة والاي فيتلوها عليه فلا يفرغ جبريل من التلاوة حتى يتكلم رسول الله باولها
مخافة ان ينساها فانزل الله ولا تعجل بالقران فتقراه من قبل ان يفرغ من تلاوته عليك وقد امنه عن النسيان بقوله سنقرئك فلا
تنسى الاية وكذلك ولا تحرك به لسانك لتعجل به الاية ثم امره عز وجل ان يساله ان يزيد له علما ويحتمل ان يكون قوله ولا تعجل بالقران من
قبل ان يقضى اليك وحيه اي لا تعجل بما ذكر من الوعيد لهم في القران من قبل ان ياتي وقته كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وقوله
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه جايز ما قال اهل التاويل انه كان يتلو مع تلاوة جبريل فقال له لا تعجل بالقران من قبل
ان يقضى اليك وحيه ان ثبت عنه انه كان يتلو مع تلاوة جبريل وجايز ان يكون نهي من غير ان كان منه ما ذكر والله اعلم على ما نهي هو عن
اشيا من غير ان كان منه ذلك وقوله عز وجل ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال الحسن وعامة اهل التاويل ان
قوله فنسي اي ضيع وترك ليس نسيان السهو لانه عوتب عليه وعوقب به ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان فدل انه على
التضييع والترك ليس على النسيان والسهو الى هذا يذهب هولاء لكن يقبح هذا ان يقال في آدم او في نبي من انبيائه او في رسول من رسله
صلوات الله عليهم انه ضيع والنسيان عندنا على ضربين نسيان يكون عن غفلة منه وبشغل ما لو لا ذلك الشغل منه والغفلة لحفظ
وذكره ولا ينساه وجايز المعاتبة على هذا النسيان اذ لو كان تكلف لكان لا ينساه ولا يقع فيه ونسيان اخر يقع فيه من غير سبب
كان منه لا يملك دفعه وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه ولا يعاقب به وهكذا الكلفة من الله تعالى والمحنة انه جايز ان يكلف ويمتحن
من لا يعلم ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه اياه بعد ان يحتمل عقله ادراك ذلك لو استعمله فاما من كان عقله لا يحتمل ادراك ما كلفه
وان استعمله واجهد نفسه فيه فان الله لا يكلفه البتة فعلى ذلك النسيان الذي ذكر من آدم جايز انه لو تكلف حفظه وذكره فانما عوتب
لذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولم نجد له عزما قال الحسن اي منعا من الشيطان وقال بعضهم حفظا لما امر وقال بعضهم صبرا
ونحوه والعزم حقيقة القصد والقطع على الشي وهو ضد النسيان الذي ذكر وقال بعضهم العزم هو المحافظة على امر الله والتمسك
به وقوله عز وجل واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى قال لولا قول اهل التاويل في صرف سجود الملايكة لادم
الى حقيقة السجود والا جاز ان يصرف الامر بالسجود الى الخضوع له اذ السجود هو الخضوع حيث قال يا ادم انبئهم باسمائهم وقد
يؤمر الانسان بالخضوع لمن يتعلم منه العلم وقوله عز وجل فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال اهل التاويل ليس شقاء الدين ولكن
تعب النفس والنصب في العمل وقوله عز وجل ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى اي لا يصيبك الشمس
وقوله عز وجل فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اي لا يفنى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة قد ذكرناه فيما تقدم قال ابو عوسجة قوله وعنت الوجوه ذلت يقال عنا يعنو عنوا وقال ولا
هضما اي ظلما يقال هضمته اي ظلمته واهتضمته مثله وقال ابو عبيدة الهضم النقصان وقال قاعا صفصفا القاع الارض التي
يعلوها الماء وهو قريب مما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى كل من عصى ربه فقد غوى العصيان والغواية
واحد وقوله عز وجل ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قوله ثم اجتباه يحتمل وجوها احدها اجتباه للتوبة وهداه لها او اجتباه
ربه للرسالة وهداه لها او اجتباه ربه للدين وهداه للتوحيد وهذا جايز عندنا لان للتوحيد والايمان حكم التجدد والحدوث
في كل وقت وكل ساعة لانه مامور بترك الكفر ونفيه في كل وقت فاذا كان مامورا بترك الكفر في كل وقت منهيا عنه كان مامورا
بالايمان والتوحيد فاذا كان ما ذكرنا دل ان للايمان والتوحيد حكم التجدد الحدث في كل وقت والاظهر قوله ثم اجتباه ربه
انه لم يكن يجتبي قبل ذلك فاجتباه من بعد لكن الوجه ما ذكرنا من اجتباه اياه للرسالة واجتباه للتوحيد والطاعات والخيرات
ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو قال الحسن قوله اهبطا اي آدم والشيطان بعضكم
لبعض عدو يعني ذرية آدم وذرية ابليس بعضهم لبعض عدو وقال فيما قال اهبطوا عني آدم وحوى وابليس والهبوط ليس
هو الانحدار والتسفل من المكان العالي المرتفع انما هو النزول في المكان فجايز ان يكون قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو اراد

ذريتها ذرية

ذريتها ذرية ادم وذرية ابليس وعلى ذلك يخرج قوله فاما ياتينكم مني هدى يعني الذرية فمن اتبع هداي فلا يضل ولا
يشقى وقت اتباعه الهدى او لا يضل ولا يشقى فاختم بالهدى او لا يضل طريق الجنة ولا يشقى في النار والله اعلم وقوله عز وجل
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الضنك هو الشدة والضيق ثم اختلفوا فيه قال بعضهم فان له معيشة ضنكا
في الدنيا وان كانت في الظاهر واسعة عليه لانهم ينفقون ولا يرون لنفقتهم خلفا ولا عاقبة ويرون الدنيا انها تدوم لهم فلذلك
يمنعهم عن التوسيع في الانفاق خوفا انفاد ذلك المال وبقاء انفسهم لما ذكرنا انهم لا يرون لنفقتهم خلفا ولا عوضا ولا عاقبة
فلذلك الضنك وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا لانهم يعصون بما اعطوا من المال وانفقوا فيه لان توسعهم يكون في معصية
فنفى عنهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على قيامها لما ذهبت منافعها في
الطاعة وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا في عذاب القبر لكن لا يقال للبرزخ القبر ان له معيشة ضنكا حتى يوصف بالضيق وعذاب
القبر سبيل معرفة السمع فان ثبت السمع والا فالترك اولى وقال قايلون ذلك في الاخرة والله اعلم كقوله مكانا ضيقا مقرنين وقوله
عز وجل ونحشره يوم القيامة اعمى قال بعضهم نحشره اعمى عن حجته في دينه لكن حتى كانت له الحجج في الدنيا حتى يعمى عنها في الاخرة و
قال بعضهم نحشره يوم القيامة اعمى على الحقيقة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فهو على حقيقة عمى البصر
وهو اشبه والله اعلم قال مجاهد قوله رب لم حشرتني اعمى قال لا حجة لي وقد كنت بصيرا في الدنيا لكن الاشبه ما ذكرنا من حقيقة
ذهاب البصر اذ لم يكن له فيه حجة في الدنيا حتى يقول وقد كنت بصيرا ثم اختلف فيه قال بعضهم ذلك بعد ما حوسبوا وسيقوا الى
النار نعوذ بالله من النار فعند ذلك يعمى عليه البصر وقال بعضهم لا ولكن يبعثون من قبورهم ويحشرون عميانا والله اعلم وقوله
عز وجل قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي كما اتتك اياتنا فصيرتها كالشي المنسي لم تكترث اليها ولم تنظر
فيها ولم ترغب فيها كذلك تصير في النار كالشي المنسي عن رحمته لا يكترث اليك ولا ينظر اليك وان يقول كما ضيعت اياتنا التي
اتتك لنجاتك كذلك تضيع انت وتترك في النار لا نجاة لك وقوله عز وجل وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه اي
كذلك نجزي كل من اسرف في الدنيا ولم يؤمن بايات ربه ليس احد المخصوص بذلك دون غيره ولكن كل من هذا صنيعه في الدنيا
وقوله عز وجل ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قد سبق منه الوعيد لهم في الدنيا بعذاب ثم قال ولعذاب الاخرة اشد وابقى من العذاب
الذي اوعدتم والا في الابتداء لا يقال هذا وقوله عز وجل افلم يهد لهم جميع ما ذكر في القران مثل هذا افلم يهد لهم افلم يسيروا ولم يروا
وامثاله كله انه قد بين لهم ورآه ذلك اي قد بين لهؤلاء انهم قد وقفوا اولئك الذين اهلكهم من القرون الماضية وما نزل بهم
بتكذيبهم الرسل والايات التي اتوا بها وهم امنون يمشون في مساكنهم فكيف امن هؤلاء من عذاب الله مع موافقتهم اولئك في جميع
صنيعهم او يقول افلم نبين لهم سنتي فيمن كان قبلهم من القرون الماضية بتكذيبهم الرسل وردهم الايات وهم كانوا امنين في مساكنهم
[illegible] في جميع صنيعهم وفعلهم وهما واحد وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لاولي
النهى قال بعضهم لاولي الورع وقال بعضهم [illegible] وهم ذوو العقول وقد ذكرنا هذا في
غير موضع قال ابو عوسجة وانك لا تظما فيها اي لا تعطش والظما العطش ولا تضحى [illegible] وقال ابو عبيدة
[illegible]
[illegible] معيشة ضنكا [illegible] وقوله عز وجل
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى هو على التقديم والتاخير [illegible]
[illegible]

اذا هم يلبسانهم ايضا الاية فيما ذكرنا من حفظ نفسه من لا نلاوف والله اعلم وقوله عزوجل وسبح بحمد ربك قال اهل التاويل
صل بامر ربك وتاويل قولهم هذا صل بامر ربك لانه امره ان يصلي لله بقوله اقم الصلوة وقوله اقيموا الصلوة فيكون قوله سبح
اي صل بامر ربك الذي امرك بقوله اقم الصلوة ولولا صرف اهل التاويل التسبيح في هذه الاية الى الصلوة والا يجوز ان يصرف
الى غيرها من الاذكار في كل وقت لكن صرفوا الى الصلوة لان الصلوة تشتمل على معان قولا وفعلا وسائر الاذكار لا يشتمل
الا على معنى الذكر قولا فهو اجمع واشمل لذكره والله اعلم ثم قوله قبل طلوع الشمس قيل صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة العصر
وقال بعضهم قبل غروبها الظهر والعصر وقوله عزوجل ومن اناء الليل قيل صلوة المغرب والعشاء وقوله عزوجل واطراف النهار
قيل صلوة الفجر والعصر فهو على التكرار والاعادة تاكيدا كقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ذكر الصلوة جملة
ثم خص الصلوة الوسطى بالذكر لمعنى فعلى ذلك جائز ان يكون قوله واطراف النهار ذكر ادامة لصلوة الفجر والعصر لمعنى ويجائز
ان يكون قوله واطراف النهار انه ليس على ارادة وقت دون وقت ولكن يريد به الاوقات كلها وعلى ذلك يخرج قول من قال
في قوله وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر والله اعلم وقوله عزوجل لعلك ترضى بالنصب والرفع جميعا ترضى اي يرضيك ربك
بما عملت اي يرضى بذلك وقوله عزوجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم هذه الاية يحتمل وجهين احدهما لا تمدن
عينيك اي لا ترغبن في هذه الدنيا ولا تركنن الى ما متع به هؤلاء من اموالهم وزهرتها وهو كقوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم الاية والثاني قوله ولا تمدن عينيك على حقيقة مد البصر اي لا تمدن بصرك الى عين الدنيا والى ظاهر ما هم عليه من
الغرور والتزيين ولكن انظر الى الدنيا الى ما جعلت الدنيا والى ما فيها من سمومها وتنغيصها على اهلها فان من نظر اليها لما فيها من
سمومها وتنغيصها الزهد فيها ورغب عنها ومن نظر اليها والى عينها وظاهر ما هي عليها من الغرور والتزيين لاغتر بها ورغب
فيها وركن اليها ومن نظر الى حقيقة ما هي عليه وجعلت على ما ذكرنا الزهد فيها ورغب عنها ثم معلوم ان رسول الله لم يكن يمد بصره
الى الدنيا او يركن اليها ويرغب فيها لها وانما هو ابتداء نهي رسوله ومعلوم ايضا انه لو رغب في شيء منها لم يكن ليرغب ليتمتع هو به انما
يرغب وتمنى ان له ليوسع به على اهل الحاجة والفقر ثم نهاه عن ذلك فدل ان الزهد فيها والرغبة عنها خير من الاخذ منها والتوسع
في حق حيث نهاه عن ذلك على علم منه انه لا يتمنى ولها ولا يتمتع هو به ليوسع به على نفسه ولكن ياخذها ليصنع في الخير ثم اختلف
اهل التاويل في التقديم والتاخير قال الحسن هو على تقديم قوله منهم على قوله ازواجا يقول تاويله لا تمدن عينيك الى ما متعنا
منهم ازواجا زهرة الحيوة الدنيا فعلى تاويله ازواجا زهرة الحيوة الدنيا اي الوانا واصنافا من النبات فذلك زهرة الدنيا وقال بعضهم
على غير تقديم ولكن على سياق ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون تاويل الاية ازواجا اي رجالا منهم والله اعلم وقوله عزوجل لنفتنهم فيه
قال اهل التاويل اي لنبتليهم ونختبرهم وكان الفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلوى كانه اخبر انه انما متعهم بما متع من زهرة
الحيوة الدنيا ليمتحنهم فيها بالشدائد كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وقال في اية اخرى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات ففي هذه الايات دلالة ان السعة والضيق فيها ليس لفضل اهله ولا لهوانهم لكن
انما هو محنة يمتحنهم بالسعة والغنا وبعضهم بالشدة والضيق فالتكلم بان هذا خير من هذا كلام لا معنى له لما ذكرنا من الابتلاء
في قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ان الزهد في الدنيا وترك التناول منها حلالا خير من التناول منها حلالا ووضعها موضعها
وقوله عزوجل ورزق ربك خير وابقى اي ما رزقك ربك من النبوة والرسالة والتوحيد له والايمان به خير وابقى مما متع
هؤلاء من الوان زهرة الحيوة الدنيا واصنافها وقال بعضهم ورزق ربك خير وابقى اي حظك من ربك خير في الخير وابقى
في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا وقول اهل التاويل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فاستسلف من يهودي طعاما
فابى ان يعطيه الا برهن فرهن درعه عنده فنزل قوله لا تمدن عينيك الاية تعزية له عن الدنيا لكن لسنا نعرف نزول الاية
على ما ذكروا لانه لم يثبت والله اعلم وقوله عزوجل وامر اهلك بالصلوة قال بعضهم اراد باهله قومه وقد يسمى قوم الرسل
اهلهم وجائز ان يكون المراد بالاهل الذين باهلهم وكانوا في عياله وقوله عزوجل واصطبر عليها اي دم عليها والزمها فيه
ان الصلوة فرضت على الدوام عليها واللزوم وقوله عزوجل لا نسالك رزقا قال بعضهم لا نسالك جعلا واجرا على نبوتك
ورسالتك وقوله عزوجل نحن نرزقك قال بعضهم لا نسال الخلق رزقا بل نحن نرزقهم وقوله عزوجل والعاقبة للتقوى
اي لاهل التقوى كقوله والعاقبة للمتقين وقوله عزوجل وقالوا لولا ياتينا باية من ربه سالوه ان ياتيهم باية من عند ربه
على رسالته ونبوته فقال عزوجل اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتاهم بينة على رسالته ونبوته ما في الصحف الاولى
لان الكتب المتقدمة كانت بغير لسان رسول الله ولم يكن يعرف الكتابة بلسانه فضلا من ان يعرف غيرها من الكتب التي كانت على
غير لسانه ثم اخبر عن الانباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها دل انه انما عرف تلك الانباء والقصص التي كانت في
كتبهم بالله تعالى فهذا والله اعلم تاويل قوله اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتاهم على ما ذكرنا وقوله عزوجل ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل رسوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من الناس من يقول ليس لله ان يعذب

تعذيب

تعذيب اهلاك قبل ان يبعث رسولا ويحتج بظاهر هذه الاية ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا وعندنا انه لو اهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول اليهم لله تعالى ذلك فاقام عليهم حجة العقل ما لو تاملوا ونظروا فيه
لعرفوا وادركوا حق الله عليهم [illegible] فكان اهلاكه اياهم اهلاكا عن بينة وحجة لكن بفضله ورحمته لا يهلكهم
[illegible] حتى يرسل الايات [illegible] انما ذلك لامته ومنة والا كان له اهلاكهم [illegible] فيكون قوله ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله [illegible] القول والاحتجاج بذلك ولان قوله ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا [illegible] انما يخرج مخرج الامتنان [illegible] قبل بعث الرسول [illegible] ما ذكرنا
من اقامة حجة العقل عليهم والله اعلم وقوله عزوجل قل كل متربص [illegible] والله اعلم
[illegible]
وقوله عزوجل فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى [illegible]
الصراط السوي قال بعضهم العدل وقال [illegible] السوي المستقيم وفي حرف ابي [illegible] ومن اهتدى ومن على الهدى والله اعلم وقوله

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله اقترب للناس حسابهم قال الحسن اي محاسبتهم وهم في غفلة معرضون ظاهر هذا انه نزل في المشركين
لانها نزلت بمكة وكان اكثر اهلها اهل الشرك [illegible] وصفهم بالغفلة عن ذلك والاعراض
عنه واهل الاسلام قد يغفلون عن الحساب الا ان غفلة الكفرة غفلة تكذيب واعراضهم اعراض تكذيب بالحساب والايات
التي انزلها عليهم وغفلة اهل الاسلام ليس كذلك فانهم امنوا بالحساب وصدقوا بالايات وعرفوا لكنهم غفلوا عن الحساب لما
مكث فيهم وغلبت شهواتهم واغفلتهم عنه من هذه الجهة كذلك فاما من جهة الايمان به والتصديق بالايات فليسوا بغافلين
ثم وصف الحساب والساعة بالقرب والدنو والاتيان كقوله اقتربت الساعة وقوله اتى امر الله وقوله اقترب للناس حسابهم وامثاله
هي قريبة كائنة عند الله لان الله تعالى عرف جملة الاوقات فهي في جملة ما عرف قريبة واما الخلق فانهم قد استبعدوها
لانهم انما يعرفون ذلك باجالهم واعمارهم وما جاوز اعمارهم فهو عندهم بعيد ليس بقريب وهذا انما يكون بعد ذهاب اعمارهم
وقال قتادة ذكر انه لما نزلت هذه الاية اقترب للناس حسابهم واتى امر الله فلا تستعجلوه قال ناس من اهل الضلال يزعم هذا
الرجل ان الساعة قد اقتربت فتناهوا قليلا ثم عادوا الى اعمالهم وكذلك قالوا في قوله اتى امر الله تناهوا عنها ثم لما تاخر ذلك عنهم
عادوا الى ما كانوا من قبل هذا لانهم فهموا من قرب الساعة واتيان امره وقتا بقرب ومدة تدنو فلما مضى ذلك وقع عندهم ان الخبر
كذب فكذبوه لانهم انما قدروه باجالهم وما عرفوه من القرب والدنو وقوله وهم في غفلة معرضون ما ذكرنا من غفلة تكذيب واعراض
تكذيب بعد ما عرفوا انها ايات الله والله اعلم وقوله عزوجل ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث قوله من ذكر ما يذكرهم ما ياتون وما
يتقون او ما يذكرهم ما وعدوا وخوفوا او من ذكر يذكرهم ما لهم وما عليهم وقوله محدث قال بعضهم محدث محكم احكمه فلا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه واحكمه بما اعجز الخلق عن ان ياتوا بمثله وقال بعضهم محدث لان الله انزل هذا القران بالتفاريق واحدث
انزاله في كل وقت على قدر الحاجة فعلى ما نزل بالتفاريق احدثوهم عند الكفرة تكذيبه ورده على ما ذكر قتادة ثم رجعنا الى ما سمعتم
ونحوه فهو محدث من الوجوه التي ذكرنا لان كل موصوف بالاتيان فهو محدث وقوله عزوجل الا استمعوه وهم يلعبون دل قوله الا
استمعوه وهم يلعبون ان استماعهم اياه استماع استهزاء به وقوله عزوجل لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الذي اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر هذا كان نجواهم وقوله لاهية
قلوبهم قيل غافلة قلوبهم عن الذكر واسروا النجوى الذين ظلموا الذي اسروه هو ما ذكرنا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر
وانتم تبصرون السحر وفي حرف ابن مسعود وابي واسروا النجوى الذين كفروا وقال الكسائي وفي بعض الحروف واسروا النجوى الذين
ظلموا قال وفي حرفنا واسروا النجوى ثم اخبر عز وجل عنهم خبرا مستانفا فقال الذين ظلموا كقول الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم
وهذا على كلام بين والله اعلم وقوله عزوجل قل ربي يعلم القول في السماء والارض يشبه ان يكون قوله يعلم القول في السماء والارض
القول الذي اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر مثلكم وقولهم افتاتون السحر وانتم تبصرون وقولهم اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
وامثال ما قالوا فيه ونسبوه اليه اي قل لهم ربي يعلم ذلك القول منكم في السماء والارض لينتهوا عن ذلك لان من يعلم في الشاهد ان احدا
يطلع على جميع ما يختاره من القول والفعل ترك ذلك وامتنع عن التفوه به والاقدام على ما يختار وان يكره قال ذلك على الابتداء
والاستيناف فانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم السميع لقولهم العليم بافعالهم ثم اخبر عن سفههم
وقلة نظرهم في قولهم وكلامهم وحفظهم عن التناقض فقال بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فيما نسبوه الى الشعر
والسحر والافتراء وان اضغاث احلام تناقض في قولهم لان السحر غير اضغاث احلام كل حرف من هذه الحروف التي نسبوه يناقض

الاخر ويبطله فدل انهم انما قالوا ذلك ونسبوه الى ما نسبوا متعنتين مكابرين لا عن معرفة وعلم قال ذلك اذ تناقض قولهم وكلامهم اذ السحر لا يدوم ولا يبقى في وقت اخر فاذا عرفوا وعلموا انه دام وبقي الى اخر الدهر وكذلك ما قالوا اضغاث احلام والافتراء عن ما اتى رسول الله بهم وبعد فانه لو كان ما اتاهم به سحرا كان ذلك اية وعلامة على صدقه ونبوته لان السحر لا يعرفه احد الا بالتعلم فاذا راوه نشا بين اظهرهم ولم يكن في قومه ساحر حتى يتعلم منه ولا اختلف الى احد من السحرة يتعلم منهم السحر ثم اتى به لكان ذلك يدل على انه انما عرف ذلك بالله تعالى فكيف وقد اتاهم بالحجج النيرة الواضحة والايات المعجزة الخارجة عن وسع البشر وطوقهم لكنهم كابروا وعاندوا في ردها وتكذيبها والله الموفق وقوله فليأتنا باية كما ارسل الاولون قد علموا على حقيقة انه قد اتاهم بايات وحجج ما لو تاملوا فيها ولم يكابروا لدلهم على صدقه ورسالته وقد عرفوا انه صادق لكنه سالوا في قولهم فليأتنا باية الاية التي تنزل عند المكابرة والعناد وهي الاية التي نزلت في الامم الخالية عند مكابرتهم الايات والحجج وهو اهلاكهم واستيصالهم اذ من سنته وحكمه في الاولين الاهلاك والاستيصال عند مكابرتهم الايات والحجج وسنته وحكمه في هذه الامة ختم النبوة بهم وابقاء شريعة محمد صلوات الله عليه الى الساعة وسنته في الامم الماضية نسخ شرايعهم واستبدال احكامهم فاذا كان ما ذكرنا جعل وقت اهلاكهم الساعة وهو ما قال بل الساعة موعدهم الاية وقوله عزوجل ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها اى ما امنت قبلهم من قرية سالوا الاية سؤال مكابرة وعناد وقوله عزوجل افهم يؤمنون اى لا يؤمن هؤلاء وان اتاهم باية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن اولئك المتقدمون لانهم يسألون سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء وقوله عزوجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم كان هذا خرج جوابا لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم كذا وجواب قولهم ابعث الله بشرا رسولا وجواب قولهم لولا انزل عليه ملك فقال ما ارسلنا قبلك الا رجالا اى بشرا يوحى اليهم الى عامة الخلق اى الرسالة في الامم الذين من قبله الى عامة الخلق كانت في البشر لم تكن في الملايكة والا كانت الرسالة الى الخواص في الملايكة وهم الرسل فعلى ذلك لا يجعل الرسالة في هذه الامة الى عامة الخلق في الملايكة ولكن يجعل في البشر على ما جعل في الامم الاولى في البشر وجايز ان يكون قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم اى جعلها في الذكور منهم لم يجعلها في النسا والاناث لما لم يستكملن شرايط الرسالة والنبوة فكان الاول في بيان الجنس اى لم يجعل الرسالة الى عامة الخلق الى الملايكة ولكن جعلها في البشر والثاني في بيان استكمال شرايط الرسالة واستحقاقها وفي حرف ابن مسعود وابي وما ارسلنا قبله الا رجالا يوحى اليهم فعلى حرفهما كانه خاطب به اولئك الكفرة اى ما ارسلنا قبل محمد الا رجالا يوحى اليهم وفي القراءة الظاهرة المشهورة يكون الخطاب لرسول الله اى قل لهم انه ما ارسل الله من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وقوله عزوجل فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال بعضهم انما خاطب به مشركي العرب وامرهم ان يسألوا اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالرسل المتقدمة ليخبروكم انه لم يجعل الرسالة فيهم الى عامة الخلق الا في البشر وقال بعضهم انما خاطب به من كفر من اهل الكتاب من لا يعرف الكتاب وغيره [illegible] سالوا اهل الذكر اى من امن منهم ليخبروكم ان محمدا رسول الله اليكم ان كنتم لا تعلمون انه رسول الله وهذا التاويل في رسول الله خاصة والتاويل الاول في جميع الرسل وقوله عزوجل وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام قال بعضهم ما جعلنا اجسادا لا ارواح فيها لا ياكلون ولا يشربون ولكن جعلناهم اجسادا فيها ارواح ياكلون ويشربون ويمشون في الاسواق وجايز ان يكون قوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام من نحو الملايكة والجن ولكن جعلناهم بشرا وهذا انهم كانوا يطعنون الرسل باشيا مرة قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا هل هذا الا بشر مثلكم ونحوه كانوا لا يرون الرسالة تكون من نوع المبعوث اليه فالزمهم ان الرسل الذين كانوا من قبل الذين صدقهم اباؤهم وامنوا بهم كانوا من البشر بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم ومرة طعنوا الرسل انهم ياكلون الطعام ويشربون وينكحون ويمشون في الاسواق كغيرهم من الناس كقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ونحوه فالزمهم عزوجل واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا ياكلون ويشربون ويمشون ويقضون حوايجهم حيث قال وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا وما قال في اية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم هو كسائر الرسل كانوا من قبل هو ممن ياكل ويشرب وينكح وهو رسول وانه بشر كسائر الرسل وهو رسول الله على هذا يخرج تاويلاته والاية ترد على الباطنية قولهم ومذهبهم لانهم يقولون ان الرسالة لا تكون في الجوهر الكثيف الجسد الذي ياكل ويشرب ويبلى ويبيد انما تكون في الجوهر البسيط الذي لا ياكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى فاخبر عزوجل انه لم يجعلهم جسدا لا ياكلون الطعام ولا يبيدون بل جعلهم اجسادا ياكلون ويموتون بقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين وقوله عزوجل ثم صدقناهم الوعد اخبر انه وعد لكنه لم يبين ما كان ذلك الوعد الذي وعد رسله لكن في اخره بيان ان الوعد الذي وعدهم كان وعدا لهلاك وتعذيب لانه قال فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين دل قوله فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين ان الوعد كان وعد هلاك فنقول كان وعد عزوجل الرسل الذين من قبل باهلاك من كذبهم فكان كما وعد وان تاخر ذلك الموعود من وعد الوعد فعلى ذلك ما وعدكم محمد من العذاب فانه نازل بكم وان تاخر نزوله والله اعلم وقوله عزوجل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قيل قوله ذكركم

ما ذكركم

ما ذكركم ما تأتون وتتقون او يذكركم ما لكم وما عليكم وقال بعضهم فيه ذكركم اى شرفكم ونبلكم لو اتبعتموه وقال الحسن و نزل فيه ذكركم اى فيه ذكر دينكم الذي ما سلك عليكم به وقال غيره فيه شرفكم ونبلكم لو اتبعتموه كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك وقوله عزوجل وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة قصمنا اهلكنا واصل القصم الكسر يعني فاهل مكة بتكذيبهم ما نزل بالقرى قبلهم [illegible] بهم الرسل وقوله عزوجل وانشأنا من بعدها قوما اخرين وقوله عزوجل فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون قوله احسوا قال بعضهم علموا بالعذاب انهم يركضون اى يهربون وقال بعضهم يعدون وهو واحد وقوله عزوجل لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اى نعمتم فيه ومساكنكم مثل هذا يخرج مخرج الاستهزاء بهم وقوله عزوجل لعلكم تسألون قال بعضهم تفهمون وقال بعضهم تسألون [illegible] وقال بعضهم لعلكم تسألون الايمان كما سألتموه قبل نزول العذاب وقيل لعلكم تسألون عن قتل نبيكم لانهم قتلوا نبيهم تسألون فيما قتلتموه وقال بعضهم كان هذا في نازلة [illegible] الملايكة ثم هاربون [illegible] تقولون لهم لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون استهزاء بهم وقال بعضهم لعلكم تسألون تفقهون وقال بعضهم اضغاث احلام قال الضعف ما لا تاويل له ويقال خلط واحلام ويقال اى يحلم حلما فهو حالم [illegible] انا اى حالا اى انتبه فاذا [illegible] احلم يحتلم اى يكون منه حلم ويقال من الحلم يحلم حلما فهو حليم ويقال حلمه اى جعله حليما والا فقدنا الكذب والشاعر الذي [illegible] يشعر من الكلام ما لا يشعر به غيره والقصم الكسر والمراد منه الاهلاك فقصم غيره والقصم بنفسه اى الكسر وقال احسوا اى استيقنوا بعذابنا ويقال احست اى وجدت واحست علمت واستيقنت احسست قطعت وتحسست اى تحيرت والمحسة [illegible] وقال يركضون يعدون [illegible] ما اترفتم فيه اى النعمة والمعيشة [illegible] الاكرام وقال ابو عبيدة يركضون يعدون وقوله لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ليس على الاستفهام ولكن اى ارجعوا الى ما اترفتم فيه وكذلك قوله فسيروا في الارض فانظروا [illegible] ليس على الامر ولكن لو سرتم [illegible] ذلك ولو رجعتم الى ما اترفتم فيه اى لو رجعتم لعلكم تسألون الحوائج على ما كنتم تسألون من قبل فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء جزاء لصنيعهم والله اعلم وقوله عزوجل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين يقرون يومئذ بالظلم لكن لا ينفعهم ذلك ويندمون على سوء صنيعهم فيطلبون العود الى الدنيا كقوله يا ليتني قدمت لحياتي وقوله عزوجل فما زالت تلك دعويهم اى ما زالت تلك اى قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين فان كان هذا القول منهم في الدنيا فيكون قوله حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالقتل بالسيف والاهلاك وان كان ذلك منهم في الاخرة فيكون قوله حصيدا خامدين في النار في الاخرة والله اعلم وحصيدا اى هالكا وهو محصود وخامدين كما يقال خمدت النار اذا طفئت وقوله عزوجل وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين اخبر انه لم يخلق السما والارض وما بينهما لتكون سما وارضا على ما هما عليه ثم تفنيان وتبيدان ولكن خلقهما لعاقبة قصدها وهو ان يمتحن اهلها لان من عمل في الشاهد عملا لا يقصد به عاقبة فهو عبث لعب ولهو فهو كقوله عابث لاغ ولو كان على ما عندنا وليك الكفرة بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا ثواب لكان انشاؤهما وما بينهما باطلا لعبا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير عدم الرجوع اليه خلقهم عبثا باطلا وقال الحسن لم يخلقهما عبثا ولكن خلقهما لحكمة من نظر اليهما دلاه على وحدانية منشئهما وسلطانه وقدرته وحكمته وعلمه وتدبيره وقوله عزوجل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا قال بعضهم لهوا اى زوجة لكن هذا بعيد لانه احتج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة فلولا انهم اقروا وعرفوا ان لا صاحبة له والا لم يكن للاحتجاج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة معنى ويكون قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا اى ولدا لان الناس يتلهون بالولد فسماه لهوا لذلك قال لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين هذا يخرج على وجهين احدهما لاتخذناه من لدنا بحيث لا يبلغ افهامكم ولا يدركه عقلكم لان الولد يكون من جنس الوالدين ومن شكلهما و سبيل معرفته وعلمه الاستدلال الحسي فاذا لم يعرفوا هو بالحس فكيف يعرفون من هو يكون منه لو كان والثاني ان الغايب انما يعرف بالاستدلال بالشاهد فلو كان له الولد على ما تزعمون لكان لا يعرف لانه لا صنيع للولد في الشاهد اذ هو الواحد المتفرد بانشاء العالم فيذهب معرفة الولد وادراكه لو كان على ما تزعمون وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ليس على انه يحتمل ان يكون له الولد وان يحتمل ان يتخذ ولدا ولكن لو احتمل ان يكون لم يحتمل ان يدرك ويعلم وكذلك يخرج قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ليس انه يحتمل ان يكون فيهما الهة ولكن لو احتمل ان يكون فيهما الهة لفسدتا وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل يشبه ان يكون الحق الذي اخبر انه يقذف على الباطل القران الذي انزله على رسوله او الرسول نفسه او الايات التي جعلها لوحدانيته والوهيته فيدمغه اى يبطل ذلك الذي قالوا في الله ما قالوا من الولد والصاحبة وغيره ما لا يليق بربنا تعالى فاذا هو زاهق اى هو ذاهب متلاشي وقوله ولكم الويل مما تصفون من الولد والصاحبة وجميع ما وصفوه مما لا يليق به وقوله وله من في السموات والارض كانه ذكر هذا جوابا لقولهم وردا على وصفهم اياه بالذي وصفوه فقال وله من في السموات والارض اى له من في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه ولا احد في الشاهد يتخذ لنفسه ولدا من عبيده واماه فاذا لم يرتض احدنا في الخلق ذلك من ذلك

واستنكارا كيف قلتم ذلك في الله سبحانه وتعالى واضفتم اليه اوان تخبر غناه من الخلق بان له من في السموات والارض
والولد في الشاهد انما يطلب لحاجات تسبق فاذا كان الله سبحانه وتعالى غنيا بذاته بما ذكر ان له كذا الاحاجة تقع له الى الولد
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يشبه ان يكون ذكر هذا
لقولهم الملايكة بنات الله فاخبر انهم ليسوا كما وصفتم ولكنهم عبيد لي فمن لا يستنكفون عن عبادتي ولا يفترون او ان يكون
ذكر هذا لكان من عبد الملايكة واتخذهم الهة دونه فاخبر انهم لا يستكبرون عن عبادتي ولا يفترون ولم يدعوهم الى
الوهية انفسهم فكيف تنسبهم الوهية اليهم وعبدتموهم دوني فاوان يكون قال ذلك انكم ان استكبرتم عن عبادتي فلم يستكبر
عنها من هو ارفع منزلة واعظم قدرا منكم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ينزهون الله ويبرؤنه عما وصفه الخلق من
الولد وجميع ما قالوا فيه مما لا يليق به وهذه الاية تنقض قول المعتزلة ومذهبهم حيث قالوا ان الافعال لانفسها متعبة منصبة
ولو كانت الافعال لانفسها متعبة على ما ذكروا لكان البشر والملايكة فيها شرعا سواء فلما اخبر عنهم انهم لا يعيون ولا
يفترون ولا يتعبهم العبادة دل انها صارت متعبة لصنع غير فيها لا لانفسها وهذه المسالة في خلق افعال العباد ثم يكون
خلقها ونحن نقول هي خلق الله عز وجل كسب للعباد لقد ذكرنا هذا في غير موضع كلاما كافيا قال ابو عوسجة فيدمغه اي
يبطله وقال غيره يهلكه وهو من قولك ضربت الرجل فدمغته اذا وصلت الضربة الى الدماغ واذا كان ذلك مات كذلك يدمغ
الحق الباطل اي يهلكه وقوله فاذا هو زاهق اي ذاهب وميت زهق اذا مات وهلك والزاهق في غير هذا السمين ولا يستحسرون
اي لا يعيون ومنه حسير ومحسور اي ايضا لا يفترون والفتور الاعيا ايضا وقوله ام اتخذوا الهة من الارض قوله ام اتخذوا
استفهام في الظاهر من الخلق لكن ذلك من الله على الايجاب قد اتخذوا الهة وهكذا كل ما خرج في الظاهر من الله على الاستفهام
فانه على الايجاب لانه عالم بما كان ويكون لا يخفى عليه شيء واما الخلق فانه يجوز ان يستفهم بعض من بعض لما يخفى على بعض
امور بعض فيطلب بعضهم من بعض العلم والفهم بذلك والله وقوله هم ينشرون يحتمل قوله هم ينشرون وجهين احدهما ينشرون
اي يخلقون اي اتخذوا الهة لا يخلقون كقوله لخلقوا كخلقه وكيف اتخذوا الهة لا يخلقون وانما يعرف الاله بالخلق وبالالاد
تكون في الخلق فاذا لم يكن من هولاء خلق كيف اتخذوها الهة والثاني ثم ينشرون اي يبعثون ويحيون فان كان على البعث
والاحيا فكانه يقول كيف اتخذوا من لا يملك البعث والاحيا الهة وخلق الخلق للبعث والاحيا بعد الموت يخرج على غير الحكمة
في الظاهر لان من بناء في الشاهد بناء للنقض خاصة لا لعاقبة تقصد به كان غير حكيم في فعله عابثا في بنائه وكذلك قوله
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا فيخرج هذا على وجهين ام اتخذوا الهة اي قد
اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اولم يتخذوا الهة من الارض يملكون النشر والنشور والله اعلم وقوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة لو كان فيهن الهة غير الله لفسدت لم يحتمل قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وجوها الفساد اي لم يكونا من الاصل لان العرف في الملوك ان ما يبني هذا واثبته يريد الاخر نقضه وافناه فلم يثبتا ولم يكونا من
الاصل لو كان لعدد والثاني لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لم يكن منافع احديهما متصلة بمنافع الاخرى للخلق اذ منع كل
واحد منهم منافع ما خلق هو من ان تصل الى الاخرى فاذا اتصلت منافع احديهما بالاخرى دل انه صنع واحد وتدبير واحد
لا عدد والثالث لو كان عددا لكان لا يخرج تدبيرها على حد واحد في كل عام فاذا اتسق التدبير وجرى الامر في كل عام وعلى
سنن واحد دل انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان لعدد لكان يختلف الامر في كل عام ولم يتسق على سنن واحد ولا جرى
على امر واحد وقال بعضهم لفسدتا هو قول الله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض على ما هو من عادة ملوك الارض وقوله عز وجل فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الولد والشريك و
قوله عز وجل لا يسال عما يفعل وهم يسالون هذا يحتمل وجوها احدها انه لا يسال لان ما يفعل يفعل في ملكه وسلطانه وانما
يسال من فعل في سلطان غيره وملك غيره ففي ذلك دلالة انه لا يجوز التناول في شيء الا بالامر والاباحة من مالكه فيبطل
قول من يقول على الاطلاق والاباحة في الاصل والثاني لا يسال عما يفعل لانه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة فانما يسال
من يحتمل فعله السفه فاما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يحتمل السوال لم فعلت ولماذا فعلت والثالث لو احتمل السوال
عما يفعل لا يحتمل الامر والنهي ان افعل كذا او لا تفعل كذا او ذلك محال ولو ثبت الامر فيه لكان يخرج سواله سوال حاجة لان
من يامر من فوقه بامر فانما يكون امره سوال حاجة ومن يامر من دونه فيكون بامره امرا وقوله عز وجل ام اتخذوا من دونه الهة قل
هاتوا برهانكم فيه دلالة لزوم الدليل على النافي لانه لما قال هاتوا برهانكم كان لهم ان يقولوا هات انت البرهان على ما ادعيت
من الالوهية ونحن ننكر ذلك فاذا لم يكن يقولون ذلك دل ان الدلالة تلزم النافي وقوله عز وجل هذا ذكر من معي وذكر
من قبلي اي هذا القران ذكرى من معي وذكر من قبلي قال بعضهم هذا القران فيه ذكر من معي من الحلال والحرام ام وذكر من قبلي
اي فيه ذكر اعمال الامم السالفة واخبارهم وما صنع الله بهم والى ما صاروا واليه او ان يكون قوله هذا ذكر من معي اي خبر من معي

وخبر من قبلي فيكون فيه دليل رسالته لانه اخبر عن انباء الامم السالفة واخبارهم على ما ذكرت في كتبهم من غير ان علم ما في كتبهم
بتعلم منهم او بنظر كان منه فيها ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله ويشبه ان يكون تاويل قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ما ذكر وما
ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي هذا ذكر من معي وذكر الرسل من قبلي ومن معه اي بهذا الذكر
ارسلني الى من معي وارسل الذين من قبلي الى قومهم والله اعلم وقوله عز وجل بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كذلك كانوا لا
يعلمون الحق باعراضهم عنه وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اخبر انه لم يرسل رسولا من
قبل الا بما ذكر من قوله انه لا اله الا انا فاعبدون ثم يحتمل قوله فاعبدون اي وحدوني في الالوهية لا تشركوا الالوهية الى
غيري ولا تشركوا من دوني والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون دل قوله بل عباد مكرمون
انهم لم ينسبوا الولد اليه ولا قالوا ذلك انه اتخذ ولدا على حقيقة الولاد ولكن قالوا ذلك على الصفوة والاصطفاء دون انهما
ونسبوا اليه لانه اخبر ان الذين قالوا انهم ولده من نحو عيسى وعزير والملايكة ليسوا كما وصفوا ولكنهم عباد مكرمون ثم اخبر
باكرامهم فقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون اخبر انهم لا يتقدمونه في قول ولا فعل الا باذن منه وامر وان يكون قوله
لا يسبقونه بالقول اي لا يامرون بشيء ولا ينهون عن شيء الا باذن من الله وامر منه والله اعلم وقوله عز وجل يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم هذا قد ذكرناه في سورة طه وقوله عز وجل ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال في اية اخرى يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فيكون تاويل قوله الا لمن ارتضى اي الا لمن اذن له ثم يتوجه قوله الا لمن ارتضى
الى الشفيع اي لا يوذن لاحد بالشفاعة الا من كان مرضيا مرتضى دينا وعلا ويتوجه قوله الا لمن ارتضى الى المشفوع له
اي لا يشفعون الا لمن ارتضى عنه الرب مذهبا وعلا حتى لم يدخل في عمله تقصير ثم الشفاعة انما جعلت في الاصل للتجاوز فيما
دخل في العمل من التقصير لا يخلو الذي يشفع له اما يكون صاحب الصغيرة فيجوزان يعذب عليها او ان يكون صاحب كبيرة فيه
دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة لانا قد قلنا ان الشفاعة انما جعلت لمن منه التقصير في العمل ففيه دلالة نقض قول المعتزلة
لانهم يقولون ان صاحب الصغيرة معفو عنه الصغيرة حتى لا يجوزان يعذب عليها وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز
بل هو معذب بها وقوله عز وجل وهم من خشيته مشفقون هذا والله اعلم كان صلة قوله لا يسبقونه بالقول الاية اي من خشية
عذابه وهيبته لا يتقدمون بقول ولا فعل ولا امر ولا نهي خوفا منه وهيبة والله اعلم وقوله عز وجل ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين هذا كانه مقطوع مما سبق وتقدم ذكره ليس موصول لان ما سبق هو القول منهم
انه اتخذ الرحمن ولدا فلو كان على اتصاله بالاول لكان يقول ومن يقل منهم اني ولد الله لانهم قالوا اتخذ الرحمن ولدا ولم يقولوا انه
اتخذ الها فلو كان على اتصاله بالاول والجواب له فهو يخرج على الجواب لهم ومن يقل منهم اني ولد الله لكن كانهم كانوا فرقا
منهم من قال اتخذ ولدا ومنهم من عبد دونه الملايكة واتخذهم الهة فخرج هذا جوابا لذلك فقال ومن لم يقل منهم اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم الاية فان قيل لنا في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقد عبد عيسى
دونه وعبد الملايكة دونه فيكونون حصب جهنم على ظاهر ما ذكر قلنا تاويل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
اي انكم وما تعبدون من دون الله بامر الذين عبدوا وقالوا لهم اعبدوني حصب جهنم دليله ما ذكر في الاية ومن يقل منهم اني
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي المشركين الظالمين ههنا اي المشركين الكافرين ثم قال الحسن في قوله
ومن يقل منهم اني اله من دونه لا يحتمل ان يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم بالطاعة له وترك الخلاف لامره لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق
ان منزلة ذلك وان عظم قدره وصنعه وجلت منزلته انه يجزيه لما ذكر وانه يستوجب لذلك ولكن عندنا المعصية من الملايكة ممكن
محتمل دليله قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه ولانه قد مدحهم بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقوله لا يستكبرون
عن عبادته الاية فدل ذلك كله على انهم يختارون في ذلك غير مجبولين عليه وقال بعضهم من اهل التاويل ومن يقل منهم اني
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هو ابليس هو كان منهم وهو الذي قال ذلك اني اله من دونه فاعبدوني والله اعلم وقوله عز وجل
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قوله اولم ير يخرج على وجوه احدها ان اعلموا وان لم تروا
والارض كانتا كذا والثاني لو تفكروا وتاملوا لعلموا انهما كانتا والثالث على التنبيه ان قد روا واعلموا انهما كانتا كذا وكذلك
هذا في كل ما ذكر من قوله اولم تروا الى كذا والم تروا كذا فهو كله يخرج على هذه الوجوه ثم يكون قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وجعلنا
في الارض رواسي وجعلنا فيها فجاجا سبلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل هذا كان
في قوله اولم ير الذين كفروا كانه يقول اولم يروا كذا اولم يروا ما جعلنا لهم من انواع ما ذكر ثم ذكر هذا يكون لوجوه احدها ان يذكر نعمه
عليهم حيث اخبر ان السماء والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم وذكرهم انه جعل بالماء حياتهم وجعل لهم الارض بحيث تقر باهلها
وتسكن بهم وجعلها مهادا لهم وفراشا بالجبال حتى قدروا على المقام بها والقرار ثم قال انه جعل فيها فجاجا وسبلا ليصلوا الى حوايجهم
ومنهواتهم ومنافعهم التي جعلها لهم في البلاد النائية وذكرهم نعمه ايضا في حفظ السماء عن ان تسقط عليهم على ما اخبر انه يمسكها

هو يتولى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وذكرهم ايضا نعمه فيما جعل لهم من الليل والنهار وفي الشمس والقمر من
المنافع ليستادي بذلك كله الشكر على ما انعم عليهم او ان يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه ان من قدر على فتق السماء من
الارض وجعل حيوة كل شيء في الماء وامساك السما وحفظها عن ان تسقط بلا عمد وما ذكر من خلق الليل والنهار وقطع
الشمس والقمر بيوم واحد مسيرة خمسمائة عام ان من قدر على كل ما ذكر لقادر على بعثهم ولحياتهم بعد الموت وبعد ما صاروا
ترابا او ان يذكرهم غناه بذاته وملكه ان من كان هذا سبيله فانى يقع له الحاجة الى اتخاذ الولد والشريك والصاحبة
ردا على ما قالوا اتخذ الله ولدا وما اتخذوا من دونه الهة ونحوه ويبين فساد ذلك كله وبطلانه حيث قال لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وقوله ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ونحوه يبين بهذا كله فساد ما ادعوا على الله انه اتخذ كذا ثم
اختلف في قوله كانتا رتقا ففتقناهما قال بعضهم فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فتق السماء وهي اشد الاشيا واصلبها بالين
شيء وهو الماء وكذلك الارض فتقها بالين شيء وهو النبات مع شدتها وصلابتها وهو ما ذكرنا من لطفه وقدرته وقال بعضهم
كانتا رتقا ملتزقتين ففتقهما وجعل بينهما هوا مكانا للخلق وقال بعضهم كانت السماء واحدة والارض كذلك فجعل من
السماء سبعا ومن الارض كذلك سبعا فذلك فتقه اياهما والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي قال بعضهم الماء
نطفة الرجال منه يخلق الخلايق وقال بعضهم وجعلنا من الماء الذي خلق في الارض او نزل من السماء حيوة كل شيء يعلم حيوة
خلايق الارض بهذا الماء ولكن لا يعلم حيوة اهل السما بماذا والله اعلم وقوله وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم هذا يدل
ان الارض لم يكن من طبعها في الاصل التسفل والتسرب في الماء على ما قاله بعض الناس لانه لو كان طبعها التسفل والتسرب
لكان الجبال تزيد التسفل في الماء والتسرب فاذا لم يكن دل ان طبعها كان الاضطراب والزوال والتحرك والميد باصلها في
التسفل والتسرب ولكن على ما ذكرنا فاثبتها بالجبال وان كنا نشاهد بعض اجزايها انها تتسفل وتتسرب وهذا كما نقول ان بعض
العالم متعلق ببعض وانه لا يخلو عن مكان وكل العالم لا تعلق له به ولا الامكنة اخذة لها فعلى ذلك الارض وان كان طبعها
التسفل والتسرب جعلها بحيث تقر وتسكن بشي طبعه التسفل ايضا باللطف وقوله عز وجل وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بعضهم
الفجاج والسبل واحد وهي الطرق التي جعلها في الجبال وقال بعضهم الفجاج الشعبة والفتحة والسبل الطرق وقال بعضهم الفجاج
هي الطرق التي في الجبال والسبل هي التي في المفاوز وقوله عز وجل وجعلنا السماء سقفا محفوظا قال بعضهم محفوظا اي محبوس
عن ان تسقط عليهم وقال بعضهم محفوظا من الشياطين اي صار محفوظا منهم حتى لا يستمعوا كلام الملايكة بعد ما كانوا
يستمعون من قبل والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون قال بعضهم الفلك
السماء وقال بعضهم استدارة السماء وقيل الفلك المجرى والسرعة وقيل الفلك فلكة المغزل وهو دورانه وكذلك فلكة الطاحونة
هو ما يدور به الطاحونة وهي الحديدة التي يدور بها الطاحونة وقالوا ان الفلك هو استدارة وكل شيء دار فهو فلك
وهو ما ذكرنا وقوله يسبحون قال بعضهم يجرون وقال بعضهم يسبحون يعملون وكذلك روي في حرف عبد الله كل في
فلك يعملون وظاهر الاية ان يكون هنالك بحرا ونهرا فيه يجري الشمس والقمر وفيه تغربان ومنه تطلعان لانه قال
في فلك يسبحون والسباحة هي المعروفة عند الناس وهو ما يسبح المرء في بحر او نهر هذا ظاهر الاية وعلى ذلك جاءت
الاخبار روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله بحرا دون سماء الدنيا مقدار ثلاث فراسخ فهو
موج مكفوف قايم في الهواء بامر الله تعالى لا يقطر منه قطرة والبحور كلها ساكنة وذلك البحر جار في سرعة السهم ثم انطلق
في الهوا مسيرا كانه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب تجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر فذلك قوله كل في فلك يسبحون
والخنس هي التي تخنس بالنهار وتجري بالليل والفلك دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لحرقت كل شيء في الارض حتى الصخور ولو بدا القمر من ذلك البحر لافتتن به
اهل الارض كلهم يعبدونه من دون الله الا من عصمه الله وفي بعض الاخبار الفلك ماء مكفوف يجري فيه الشمس والقمر
والنجوم والليل والنهار ويقال الشمس والقمر والليل والنهار كله دون السما يدور به الفلك ومثل هذا قد قيل فيه والله
اعلم بذلك وظاهر الاية في الخبر ما ذكرنا ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان ويسبحان في ذلك الماء وعلى تاويل بعضهم انهما على
حالهما لا يجريان لكن الفلك هو يجري فيظهران ويبدوان في وقت ويختفيان في وقت اخر ولو كانا هما اللذان يجريان
لكانا على حالة واحدة ويظهران في الاحوال كلها لكنا لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كان هذا خرج جوابا لقول اوليك الكفرة في رسول الله صلوات الله عليه والاشبه
ان يكون ما اصابهم من الشدايد والفتن والهلاك كانوا يتشاءمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به ان ذلك انما يصيبهم
بشومه لولا هو ما يصيبنا من ذلك شيء فقال جوابا لهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بل حكمنا ان يموت الكل على ما اخبر كل نفس
ذايقة الموت فاذا لم يكن لاحد من قبلك الخلد بل كلهم قد ماتوا كيف يتشاءمون بك ان ذلك انما يصيبهم بسببك وشومك

افإين مت

افإين مت فهم الخالدون اي وان مت انت ويخرج من بينهم لا يخلدون هم فيها لما من حكمنا ان كل نفس ذايقة الموت
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل واذا راك الذين كفروا ان
يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم كان رسول الله كان يذكر الهتهم بسوء ويعيبها فيهزؤون به مكان ما يعيب هو الهتهم
ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم ثم يحتمل ان يكون هذا من القادة منهم والروساء اغراء لاتباعهم عليه انه يذكر الهتكم
بسوء او ان يقول بعضهم لبعض تحاكوا عنه كقوله واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم الاية وقوله عز وجل وهم بذكر
الرحمن هم كافرون قال بعضهم كانوا يقولون لا نعرف ما الرحمن فكفروا باسم الرحمن ويحتمل ان يكون بذكر الرحمن بنعمة
الرحمن وهو محمد عليه الصلوة والسلام اي يكفرون بنعمه او ان يذكر هذا ليصبر رسوله ويعزيه على تكذيبهم [illegible] بذلك
اليهم بالكفر من اياديه بالرحمن ثم يكفرون به ويكذبون ويقولون فيه ما يقولون فاصبر انت على اذاهم وما قالوا فيك والله اعلم
وقوله عز وجل خلق الانسان من عجل وقال في اية اخرى وكان الانسان عجولا قال الحسن عجولا اي ضعيفا وضعفه هو انه
يضيق صدره ويضجر عند اصابة شيء يحل به ضيق صدره حتى يدعو على نفسه وعلى بنيه بالهلاك لضيق صدره
وذلك الضعف وعند ذلك خلقه عجولا حتى لا يصبر بحالة واحدة وان كانت الحالة حالة نعمة ورخا تجده يميل عنها و
يسام ويريد التحول الى حالة هي دون تلك الحالة وهو شيء دون شيء لكن وان خلقه في الاصل ما اخبر من الحالة وسعة وراحة
نفسه حتى يصير بحيث لا يميل ما عليها وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين
اخبر انه خلقه هلوعا جزوعا منوعا ثم استثنى المصلين لانه بالرياضة يتحول من الحالة التي خلقه الى حالة اخرى وهي حالة الحلم
والصبر وكذلك ما اخبر وكان الانسان قتورا وكان كذلك في الابتدا لكنه بالرياضة والعادة يصير سخيا جوادا وكذلك
ما قال واحضرت الانفس الشح ثم قال ومن يوق شح نفسه اخبر ان الانفس احضرت الشح ثم اخبر ان من يوق شح نفسه فذلك
دل بهذا كله انه بالرياضة والعادة يتحول الحالة الى حالة السخا والجواد بعد ما كان شحيحا قتورا بخيلا فعلى ذلك ما ذكر من
العجلة والهلع والجزع فيه يحتمل بالرياضة والعادة ان يصير حليما صبورا [illegible] وليست المحنة الا الرياضة
والعادة فامر ان يروض نفسه ويعودها الثبات بجميع ما امر به ويكفها عن جميع ما نهى عنه فيعتاد اتباع امره والانتهاء عن
نهيه والله الموفق وقوله عز وجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون يشبه ان يكون نزل بسؤالهم الايات التي سالوا رسول الله و
سالوه ايات هي وحدانية الله تعالى وربوبيته فقال ساريكم اياتي في التوحيد [illegible] الامر الوجه الذي
تريدون انتم وتسالون وقال بعض اهل التاويل ساريكم اياتي فيما نزل من العذاب [illegible] فلا تستعجلون انتم العذاب على
من كان قبلكم [illegible] ساريكم اياتي [illegible] في الارض [illegible] فلا تستعجلون انتم العذاب [illegible]
الذي بعد ذكر الرسول كانوا يخوفون العذاب وبعد لهم اياه فكذبوه في ذلك فقال عند ذلك ما قال ويقولون ايضا متى هذا الوعد
الذي يعد ان كنتم صادقين اي لم تعذب وجايز ان يكون الاية فيهم تكذيبهم الساعة والقيامة [illegible]
التي يكون قبل وقوعها فلا تستعجلون [illegible]
عن ظهورهم ولا هم ينصرون وقوله عز وجل بل تاتيهم بغتة الاية وقوله عز وجل لو يعلم الذين كفروا ما ينزل بهم بوقوع القيامة
حتى لا يملكون كفا عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون انما يحيط بهم حتى لا يمكنهم دفعها عن انفسهم لا بانفسهم ولا بالات
ما نالتهم والانصار والاعوان في الدنيا يقع ذلك ايضا وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الاية وقوله لو يعلم [illegible]
العذاب يوم القيامة وقوله عز وجل بل تاتيهم بغتة اخبر انها تاتيهم بغتة لانه لا يعلم اهلها عن وقت وقوعها فتبهتهم قال بعضهم
الناس في فتبهتهم اي فتحيرهم والبهتة كانها حيرة بغتة فجاة فتحيرهم وهو ما اخبر [illegible]
وذلك الخبر عنهم في انفسهم وهو ما ذكر انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية يصيرون حيارى لشدة اهوالها وقوله عز وجل
فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اخبر انهم لا يملكون دفعها اذا وقعت بهم ولا هم ينظرون في وقوعها ان من ابتلي بالبلايا في
الشاهد فانما يملك دفعه عن نفسه اما بقوة نفسه واما بانصار واعوان ينصرونه ويعينونه في دفعه عنه واما بالتضرع والابتهال
والاستسلام كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا الاية فاخبر عز وجل لا يملكون دفعها بقوى انفسهم ولا بانصارهم الذي استنصر
حيث قال ولا هم ينصرون ولا هم ينظرون بالتضرع والاستسلام وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فيه تصبير رسوله
على ما يستهزئ قومه به لانه قال ولقد استهزئ برسل من قبلك اي لست انت باول رسول استهزئ به قومه وفيه تخويف لاوليك
باستهزائهم به بما نزل بالاوايل باستهزائهم برسلهم وقوله عز وجل فحاق قال اهل التاويل حاق نزل ووجب ووقع وانشاء الله وقال
بعض اهل المعاني الحيق هو ما اشتمل على الانسان من مكروه فعله اي بفعله كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال بعضهم حاق اي
رجع عليهم واحاط بهم وقوله عز وجل قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي من يحفظكم ويجيركم من عذاب الرحمن وقيل من يمنع
عنكم عذاب الرحمن هذا يخرج على وجهين احدهما قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن لو سالتهم من يكلؤكم من عذاب الرحمن

لا فرقوا الذى ان الرحمن هو الذى يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن لا الالهة التى يعبدونها وهو كقوله قل من رب السماوات والارض
وقل من بيده ملكوت كل شئ ونحوه فسيقولون الله لا الالهة التى يعبدونها فقال ان كيف عدلتم عن عبادته وعبدتم دونه من لا يكلؤ
ولا يدفع عنكم العذاب قد عرفتم ان الرحمن هو الذى يكلؤكم بالليل والنهار وهو اله السموات والارض فكيف عبدتم من ليس
هو باله فيخرج على الاحتجاج عليهم ولزوم الحجة لهم لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والثانى يخرج على التذكير والتنبيه لهم
لانهم كانوا ينكرون الرحمن ويقولون ما الرحمن وقوله وهم يكفرون بالرحمن فيخرج قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار اى كيف تنكرون
الرحمن وتكفرون به وهو يكلؤكم بالليل والنهار عن عذابه وعلى هذا يخرج بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى بل هم عن ذكر ربهم الرحمن
معرضون اى منكرون له والله اعلم وقوله عز وجل ام لهم الهة تمنعهم من دوننا اى ليس لهم الهة من دوننا تمنعهم من عذابنا هو على
النفى اى ليس لهم الالهة من دونه وان كان ظاهره استفهاما لانا قد ذكرنا ان الاستفهام من الله تخرج على تحقيق الايجاب
وان كان ظاهره استفهاما ثم بين موضع الاحتجاج عليهم وهو ما اخبر عن عجزهم حيث قال لا يستطيعون نصر انفسهم و
لا هم منا يصحبون اى لا تستطيع الالهة نصر انفسها اذا ارادوا بها سوءا ولا هم منا يصحبون اى يمنعون تاويله ان كيف عبدتم
من دونه واتخذتموهم الهة رجاء شفاعتهم ووسيلتهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه وفى قولهم هولاء
شفعاؤنا عند الله فانها كانوا لا يملكون نصر انفسها ان اصابها سوء ولا يصحبها من يدفع عنها السوء فكيف اتخذتم الهة دونه و
فمن كان عن دفع السوء عن نفسه ونصرها عاجزا فهو عن دفعه عن الاخر ونصره اعجز ثم بين الذى حملهم على ذلك وهو ما قال
بل متعنا هولاء واباءهم حتى طال عليهم العمر ظنوا انا متعتهم واباءهم واطال عليهم العمر ولم ياخذهم بالعقوبة باعمالهم التى عملوها
ان الله راض عنهم وانهم على الحق ولهذا قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ادعوا رضاء الله بما هم عليه واباؤهم ثم بين انه
وان تركهم وقتا طويلا ومتعهم عليها ثم قد نقص عما كانوا يملكون حيث غلب عليهم رسول الله على بعض املاكهم وجعله
ملكا للمسلمين وهو قوله افلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها وجعلناها ملكا للمسلمين ثم اختلف فى تاويل هذا
قال الحسن قوله افلا يرون ننقصها من اطرافها اى اعلموا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها اى نحشرهم يوم القيامة من اطراف
الارض الى المحشر فذلك نقصها وقال غيره افلا يرون ان رسول الله كلما بعث الى ارض ظهر عليها قال ننقصها بالظهور عليها ارضا
فارضا افهم الغالبون اى ليس هم الغالبين ولكن رسول الله هو الغالب عليهم وقال ابن عباس ننقصها ذهاب فقهائها وخيار
اهلها وقال قتادة ننقصها بالموت وكذلك قال عكرمة ننقصها من اطرافها بالموت وقال لو كانت الارض تنقص لم يوجد للرجل ما يجلس
فيه ونحو هذا قد قالوا فيه وقوله عز وجل قل انما انذركم بالوحى هذا والله اعلم يخرج على وجهين احدهما يخرج جوابا لقولهم ما انت الا
بشر مثلنا انهم كانوا ينكرون رسالته ويقولون انه بشر كيف خص هو به فيقول انى لست انذركم بما انذركم لانى بشر ولكن انما انذركم
بالوحى من الله وانتم ممن لا تقبلون بشارة ربى ونذارته والثانى قال ذلك لما تقدم منه فى الايات النذارة فيرجعها الى الله خارج
ان يقول لهم انى فيما انذرتكم من النذارة لم انذركم من ذات نفسى ولكن انما انذركم بالوحى من ربى تعالى والله اعلم اى فيما انذركم
ما نزل بالامم المتقدمة والانباء التى اخبرتكم عنها ما لم اشهدها ولا انتم بل انما انذركم بالوحى فذلك موضع الاحتجاج عليهم
فى اثبات رسالته وقوله عز وجل ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون هذا والله اعلم يقول ان الصم اذا اريد ان يرفع عن المهالك
لا سبيل ان يدفع عنها ويكف بالنداء والدعاء ولكن انما يكف ويدفع عن المهالك بالايدى والواحات كانه قال ذلك لما اكثر دعاءهم الى
ما به نجاتهم فابوا ذلك ولم يجيبوه فقال حينئذ ذلك انكم لا تسمعون الدعاء والنداء الى ما به نجاتكم ولكن تعرفون ذلك بالقتل والسيف
او ان يقول ذلك انكم صم عن الحق حتى لا تسمعونه كالصم بالسمع والصم بالسميع لا يدعى ولا ينادى لانه لا يسمع ولكن يدعى باليد
والاشارة فعلى ذلك انتم صم عن الحق لا تدعون بالنداء ولكن بالذى يعرف الدعاء وهو اليد والله اعلم وقوله عز وجل ولئن مستهم
نفحة من عذاب ربك قال الحسن نفحة اى طائفة من عذاب ربك وقال بعضهم نقمة ربك وقال بعضهم النفحة الدفعة وقال
بعضهم عقوبة ربك واصل النفحة الرمية ولذلك سمى نفحة الدابة اى رميتها وهو ما ذكر من رمى الشرر كقوله انها ترمى بشرر
كالقصر وقوله عز وجل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين وقوله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فظاهر الاية الموازين
هى القسط والقسط هو العدل لانه قال ونضع الموازين القسط فكانه قال ونضع الموازين التى توضع فى الدنيا ويعرف بها
حقوق الناس فى الاخرة العدل الذى به يعرف حدود الاشياء واقدارها فيكون على هذا التاويل الموازين العدل وتفسير العدل ما ذكر
بقوله فلا تظلم نفس شيئا اى لا تنقص من حسناته او تزاد على جزاء سيئاته ولكن يوفى كل جزاء عمله ويحتمل ان يكون قوله ونضع
الموازين القسط على الاضمار اى نضع الموازين التى تكون فى الدنيا يوم القيمة بالعدل لا تطفف ولا تنقص ولا تخسر كما تفعلون
فى الدنيا ولكن العدل لا تطفف ولا تنقص وتسوى وتستوفى مستوفيا من غير زيادة ولا نقصان لان الزيادة والنقصان انما تكون
فى الشاهد لوجوه اما لجهالة او لحاجة او لجور فيجل ذلك كله على الزيادة والنقصان والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك
كله لانه عالم بذاته غنى بذاته عادل فلا وجه لخسران منه والزيادة فيه وقوله عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها

اى

اى اتينا بحاسبها واتينا بها اى لا يعزب عنه شئ ولا يعزب عنه وليس المراد من ذكر مثقال ذرة الذرة والحبة و
لكن ذكر على التمثيل اى لا يفوت عنه شئ ولا يغيب ذلك المقدار من الخير والشر [illegible] عنه ولا منسى ولكن محفوظ محاسب
وقوله عز وجل وكفى بنا حاسبين لا يشغله كثرة الحساب وازدحامه [illegible] انا اكثر الحساب
وازدحم يشغله ذلك عن حفظ الحساب والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء [illegible]
الفرقان ونورا وضياء ومبارك وروح وذكرا اما الفرقان فهو ما يفرق بين الحق والباطل وبين الشبه والواضح وبين
ما يؤتى ويتقى وبين ما عليهم وما لهم والنور [illegible] الاشياء والضياء هو ما يظهر به حسن ما يتجلى واستنار وروح
هو ما به حيوة كل شئ القران سماه روحا لانه به حيوة الدين [illegible] حيوة الابدان والمبارك هو ما ينال
ويحصل اليه من كل خير والذكر هو ما يذكر ما لهم وما عليهم وذكرا هو الموعظة والموعظة قيل هى التى تلين القلوب وترقق
الصدور وتخشع وتخضع بها [illegible] على هذا الوصف جميع كتب الله الذى وصف هذا القران بها ثم بين انها على الوصف
الذى ذكرنا للمتقين فقال للمتقين وان كانت هى فى انفسها على الوصف الذى ذكرنا انما يتجلى بها الشبه من الحقائق والحق من
الباطل لمن قبلها ونظر فيها وقبلها بعين التعظيم والاجلال فاما من اعرض عنها فليست لهم على ما ذكرنا [illegible]
[illegible] رجسا الى رجسهم ثم بين المتقين فقال الذين يخشون ربهم بالغيب [illegible]
الموعود فى الغيب وهو عذاب الاخرة [illegible]
[illegible]
[illegible] وهم من الساعة مشفقون [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل وهذا ذكر
مبارك انزلناه [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ولقد
اتينا ابراهيم رشده [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل [illegible]
حال الصغر [illegible]
[illegible]
واحدا فوجب النظر فيه [illegible] وقوله عز وجل وكنا به عالمين
[illegible] عالمين [illegible] وقوله عز وجل اذ قال
لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل قالوا وجدنا اباءنا
لها عابدين [illegible]
كنتم انتم واباؤكم فى ضلال مبين [illegible]
اباؤكم فى ضلال مبين بعبادة الاصنام وقوله عز وجل قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما علموا ان مثل هذا القول لا يقولوا لا
من كان عنده حجة وبرهان فقالوا اجئتنا بما تقول بحجة ام انت من اللاعبين تلعب وتهزء واخبر انه جاءهم بالحق وبين لهم ذلك الحق
فقال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن لا الاصنام التى تعبدونها اى ربكم رب السموات والارض الذى يعرف بالدلالات
والبراهين وانا والصنعة فى غيره لا الذى نحتتم انتم واتخذتموهم والله اعلم وقوله عز وجل وانا على ذلكم من الشاهدين يحتمل وانا على
جميع ما قال وكان منه من الحجاج واقامة الحجج على الوهية الله تعالى وتسفيه اولئك فى عبادة الاصنام من الشاهدين ومن الشاهدين
على خلقها ويجوز ان يقال الشاهد المبين وانا على ذلكم من المبينين والله اعلم وقوله عز وجل وتالله لاكيدن اصنامكم ان الاصنام
لا يقصد فيها بالكيد لكن تاويله والله اعلم لاكيدنكم فى اصنامكم وقوله عز وجل بعد ان تولوا مدبرين قال عامة اهل التاويل ان ابراهيم
انما قال ذلك لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين من الاصنام الى عيدهم لانهم كانوا يخرجون الى عيدهم من الغد فقال لاكيدن اصنامكم
اى لاكيدنكم فى اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين منها الى عيدكم وجائز ان يكون قوله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عنى وكان
فى ذلك الوقت بحضرة الاصنام لا يرى ان قال لهم ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون ومثل هذا الكلام لا يقال الا بحضرة الاصنام لانه

لانه اشار الى الاصنام فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون فقال عند ذلك تالله لاكيدن اصنامكم اي لاكيدن لكم في اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عني على التاويل الاول يكون قولهم الادبار عن الاصنام التي عبدتم وعلى التاويل الثاني يكون توليهم الادبار عن ابراهيم والله اعلم وقوله عز وجل فجعلهم جذاذا وجذاذا قال بعضهم قطعا وقال القتبي جذاذا فتاتا وكل شيء كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ والجذ هو القطع والجذ والمقطوع وكذلك قوله غير مجذوذ اي غير مقطوع وقوله عز وجل الا كبيرا لهم لم يكسره لعلهم اليه يرجعون قال بعضهم لعلهم اليه يرجعون يقول الى الصنم الاكبر الذي لم يكسره ابراهيم يرجعون من عبدهم وقال بعضهم لعلهم الى الحجة يرجعون وقيل هو الحجج القولين اي من الحجة وقال بعضهم لعلهم اليه يرجعون اي يتذكرون وجايز ان يكون قوله لعلهم اليه يرجعون اي يرجعون الى ما يريدان يكيدلهم في اصنامهم لانه انما يريدان يكيدهم اذا رجعوا الى الاصنام فراوها مجذوذات والكيد هو الاخذ على الامن وكذلك المكر وقوله عز وجل قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين لو تاملوا كانوا هم الظلمة في الحقيقة لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء منفعة تكون لهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا هم لا يقدرون على دفع الكسر والقطع عن انفسهم ودفع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعا او دفع الضر عن انفسهم لان من عجز عن دفع الضرر عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره اعجز فهم الظلمة في الحقيقة حيث طمعوا النفع ودفع الضرر ممن لا يملك ذلك لنفسه لكن قالوا ذلك منهم وقوله عز وجل قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم حين قال لاكيدن اصنامكم سمع ذلك القول منه ناس فاخبروا قومهم لما قالوا من فعل هذا بالهتنا فعند ذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم فقال له ابراهيم وجايز ان يكون قوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالعداوة وهو حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين اخبر انه اولئك الذين عبدوا الاصنام اعداء له فالمعبود الذي عبدوه يكون دون لهم وله ايضا فاستدلوا بذلك القول منه انه هو فعل بهم ما فعل والله اعلم وقوله عز وجل قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قال بعضهم على رؤس الناس وقيل بحيث ينظر الناس اليه او بحيث يراه الناس وهو واحد عز وجل لعلهم يشهدون اختلف فيه قال بعضهم يشهدون عقوبته بما فعل باصنامهم فيكون نكالا له وزجرا للغير عن ان يفعل بها مثل ما فعل هو ولذلك قالوا حرقوه نكالا وزجرا للغير كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها اي زجرا وكقوله فشرد بهم من خلفهم وقال بعضهم لعلهم يشهدون بفعله الذي فعل بالاصنام لم يريدوا ان يعاقبوه بلا بينة ولا حجة وقال بعضهم لعلهم يشهدون انه قال لاكيدنهم ما قال والله اعلم وقوله عز وجل قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اختلف في هذا قال بعضهم هذا القول من ابراهيم كذب في الظاهر فيما اراد ان يكيدهم وان لم يكن في الحقيقة عنده كذبا وكذلك ما قال اني سقيم وكان صحيحا وقوله هذا ربي ومثل هذا قالوا هذا في الظاهر كذب وان لم يرد هو به في الحقيقة كذبا وقال بعضهم انه انما قال ذلك على ان يريهم من نفسه الموافقة لهم في الظاهر ليكون ذلك احج واسمع وللبراهين اقبل فيكونوا قبله والله اعلم لعل كبيرهم فعل بهم هذا وان يقول اكبرهم فعل هذا بهم وكذلك قالوا في قوله هذا ربي قال بعضهم ليس على هذا ولا فيه كذب في الظاهر ولكن قال ذلك على الشرط حيث قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون علق فعله بشرط النطق فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعله وقوله اني سقيم اي ساسقم وكل حي يسقم يوما وقوله هذا ربي اي اهذا ربي اي ليس هذا ربي ومثل هذا قد قالوه والله اعلم وقوله عز وجل فرجعوا الى انفسهم اي رجعوا الى انفسهم باللائمة فقالوا فيما بينهم انكم انتم الظالمون هذا يحتمل وجوها انكم انتم الظالمون حيث نسبتم الفعل بهذه الاصنام والكسر الى ابراهيم وقلتم انه هو فعل ذلك بهم وانما فعل هذا كبيرهم لما وقع عندهم ان كبيرهم هو الذي فعل بهم والثاني انكم انتم الظالمون حيث اتخذتم مع كبيرهم اخرين شركاء في العبادة حتى غضب عليهم فكسرهم او ان يكون قوله انكم انتم الظالمون بعبادة الاصنام المكسورة بان هؤلاء انكم انتم الظالمون حيث حملتم الكبير على كسرهم والله اعلم بما ارادوا بذلك ولا يجوز لنا ان نزيد وننقص في هذه الانباء المذكورة في الكتاب او نقطع على جهة دون جهة لانها انما ذكرت ليحتج عليهم بما في كتبهم فلو زدنا او نقصنا او قطعنا على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بها عليهم والله اعلم وقوله عز وجل ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قوله نكسوا على رؤسهم للتفكر والنظر في قول ابراهيم حيث قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون انما علق فعل الكبير بهم ان نطقوا فقالوا لقد علمت يا ابراهيم ما هؤلاء ينطقون فكيف قلت بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعل كبيرهم ثم قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم فان قيل ان ابراهيم لم يحتج عليهم ان كيف تعبدون من دون الله ما لا ينطق ولكن قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم قيل قد كان احتج عليهم من ذلك النوع حيث قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وبعد فانه قد احتج عليهم بعجزهم عن النطق حيث قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون ثم قال ههنا افتعبدون من دون الله شيئا ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف هو كلام كل مستخف باخر ومستحق له في فعله يقول اف لكم فابراهيم حيث قال ذلك لهم اغاظة لما استخفوا بهم وبما عبدوه افلا تعقلون ان عبادة من لا ينفع ولا يضركم لا يصلح ولا يحل وفي انباء ابراهيم خصال ليست تلك في غيرها من الانباء احدها انهم يتركون صنما كانوا يعبدون الله الا وقد نقض كسر ذلك والثانية انه حاج قومه اولا في فساد مذاهبهم

وفساد

وفساد ما اعتقدوه ثم بعد ذلك اقام عليهم حججه وبراهينه لانه قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين وقال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب ونحو ذلك فلما اراهم ابراهيم فساد مذهبهم فعند ذلك ذكر حججه وبراهينه على اثبات الاله الحق حيث قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وقال الذي خلقني فهو يهدين الاية وهكذا الواجب على كل مناظر ان يبدا اولا باظهار فساد مذهب خصمه فاذا اراه فساد مذهبه فحينئذ يذكر حجج مذهبه وبراهين ما يعتقده فيكون لها اسمع وعند اقامتها اقبل والثالث انه لم يبتل نبي قط لمزعومه مثل ما ابتلي ولا قوم مثل قومه في السفه والبغض والهم بقتله بالنار وجايز ان يكون خصوصيته بالخلة لهذه الخصال التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين هذا ظاهر وقوله عز وجل قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم جايز ان يكون قوله كوني بردا وسلاما اي جعلها في الخلقة بردا وسلاما على ابراهيم خاصة واما على غيره فهي على ما هي في طبعها من الاحراق والالم فيكون ذلك من اعظم ايات رسالة ابراهيم ونبوته وان يكون على الوحي والالهام على ما قاله اهل التاويل انه اوحي اليها ان كوني بردا وسلاما على ابراهيم لكنه ان كان على هذا فجايز ان يجعل في سريتها ما تفهم امره ويكون فيها ما تعقل ذلك فلم تحرقه وقوله اهل التاويل انها بردت حتى لم ينتفع بها اهل المشرق واهل المغرب ثلاثة ايام فذلك لا يعلم الا بالسمع وقوله عز وجل وارادوا به كيدا الكيد هو الاخذ من حيث الامن فجايز ان يكونوا كادوه ان حبسوه في موضع ثم جمعوا عليه الحطب من غير علم منه بذلك ثم اوقدوا عليه النار وان يكونوا اخذوه مغافصة فجعلوه في المنجنيق ثم رموه في النار على ما قاله بعض اهل التاويل وان يكون كادوه كيدا اخر سوى ذلك لم يذكر فنحن لا نعلم ذلك وقوله عز وجل فجعلناهم الاخسرين لاشك انهم في الاخرة من الاخسرين واما الخسران في الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران والله اعلم به وقال بعضهم في قوله وارادوا به كيدا وذلك انه لما جعلت النار وانجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما على ابراهيم وامره الله تعالى بالخروج الى الارض المقدسة فخرج اليها فطلبوه وبعث ملكهم الى اصحاب المناظر فقال لا يمر بكم انسان يتكلم بالسريانية الا حبستموه فقال حول الله لسانه بالعبرانية فمر بهم فغير عليهم فانطلق ابراهيم متوجها نحو ارض الشام فذلك وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اي الاسفلين واعلاهم ابراهيم صلوات الله عليه وقوله عز وجل ونجيناه ولوطا دل هذا على ان ابراهيم كان المشرف على الهلاك لان لفظة النجاة لا يقال الا فيما كان هنالك اشراف على الهلاك وفيه ان لوطا كان معه وان كان ابراهيم هو الممتحن في ذلك وهم كانوا يقصدون قصد اهلاك الرسل والاتباع جميعا وقوله عز وجل الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الحسن بركتها ما ذكر في اية اخرى وهو قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين كثيرة المياه والنبت والخوخ وقال بعضهم بركته سعته على اهلها وقال بعضهم بركتها لانها كانت مكان الانبياء والرسل صارت مباركة بهم وجايز ان يكون صارت مباركة بابراهيم ولوط لما بهم ظهر الاسلام هنالك والله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال بعضهم النافلة العطية وقال بعضهم النافلة الفضل واصل النافلة الغنيمة كقوله يسالونك عن الانفال اي الغنائم والولد وولد الولد فضل منه وعطية وغنيمة لانه سمى الولد هبة بقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وسمى الولد مواهبا وخاصة ابراهيم لم يكن يطمع ان يولد له الولد في ذلك الوقت فكيف يطمع ولد الولد وقوله عز وجل وكلا جعلنا صالحين يحتمل قوله صالحين رسلا او صالحين في كل امر وكل شيء وقوله عز وجل وجعلناهم ائمة قادة في امر الدين يهدون بامرنا قوله يهدون اي يدعون الناس بامرنا كقوله ولكل قوم هاد اي داع وجايز ان يكون قوله يهدون بامرنا اي يهدون الناس الى ما هو امر الله والى دينه وقوله عز وجل واوحينا اليهم فعل الخيرات دل قوله واوحينا اليهم انهم كانوا رسلا ثم يحتمل قوله فعل الخيرات اي يفعل الخيرات وقوله عز وجل واقام الصلوة وايتاء الزكوة فيه ان الصلوة والزكوة كانتا في شرايع الذين وقوله عز وجل وكانوا لنا عابدين موحدين او عابدين له في كل وقت وقوله عز وجل ولوطا اتيناه حكما وعلما قال بعضهم حكما يعني النبوة وقال بعضهم حكما الفهم والعقل وعلما وجايز ان يكون قوله حكما اي الحكم الذي يحكم بين الناس وعلما اي العلم الذي كانوا به يحكم بين الناس ومن قال الحكم هو النبوة قال لان الانبياء انما يحكمون بين الناس بالنبوة فكنوا بالحكم عن النبوة ومن قال بالفهم فهو لانه انما يحكم بين الناس بعد ما فهم من الخصوم والحاصل الحكم هو الحكم بين الناس وعلما اي العلم الذي به يحكم او علما فيما بينه وبين ربه والله اعلم وقوله عز وجل ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ههنا عمل الخبائث الى القرية ومعلوم ان القرية لا تعمل شيئا لكن معناه نجيناه من القرية التي كان اهلها يعملون الخبائث وكذلك ذكر في حرف حفصة وقوله الخبائث كل انواع الخبث من الكفر والتكذيب بالاية والمواطة وغيرها وقوله عز وجل انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي كانوا قوم سوء في افعالهم واعمالهم التي كانوا يعملونها فاسقين اي خارجين عن امر الله كان له والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه اي خرج وقوله وادخلناه في رحمتنا قال الحسن في جنتنا سمى الجنة رحمة لانه برحمته يدخل فيها ويتبرك وقال غيره في رحمتنا اي نعمتنا ونعمته النبوة كقوله لعيسى ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجايز ان يكون قوله رحمتنا اي اعطيناه كل انواع الخير برحمتنا اذ كل من اصاب خيرا في الدنيا والاخرة انما

بدو ذكره بحمده وقوله عز وجل انه من الصالحين من النبيين ومن الصالحين لانه كان يعمل بكل انواع الصلاح وقوله عز وجل ونوحا
اذ نادى من قبل قال بعضهم من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب لانه ذكر هؤلاء على اثره ثم اختلف في ندائه قال بعضهم نداؤه
هو قوله فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وقال بعضهم نداؤه هو قوله ربنا اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي
الا فرارا او ان يكون ذلك قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله ربنا اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا
الاية وامثاله وقوله عز وجل فاستجبنا له فنجيناه واهله اهله اتباعه من اهله ومن غيرهم وقوله عز وجل من الكرب العظيم قال عامة
اهل التاويل من الكرب العظيم هو الغرق والهول الشديد الذي كان به ويجوز ان يكون الكرب العظيم هو ما قاسى من قومه ولقي
منهم بدعايته اياهم الى دين الله في تسعمائة وخمسين عاما وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من انواع الاذى كقوله ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم ونحو ذلك من الاذى فاصابه منهم فانجاه من ذلك الكرب والله اعلم وقوله عز وجل ونصرناه من القوم الذين كذبوا
بآياتنا وفي حرف ابي بن كعب ونصرناه على القوم الذين كذبوا بآياتنا والنصر هو اسم لامرين اسم المنع واسم الظفر فمن قرأ
ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا اي منعناه من ان يقتله قومه ويهلكوه والنصر المنع كقوله فلا ناصر لهم اي لا مانع لهم
ومن قرا على القوم الذين كذبوا بآياتنا اي اظفرناه على قومه كقوله وما النصر الا من عند الله وقد كان له الامران جميعا المنع
والظفر وقوله عز وجل انهم كانوا قوم سوء ما ذكرنا من افعالهم واعمالهم وقوله عز وجل فاغرقناهم اجمعين حتى لم ينج منهم احد قال ابو
عوسجة الكرب واحد وجمعه كروب وهي الهموم والشدائد والكربة واحدة والكرب جميع وهو مثل الكعب قال والاكراب
لكرب الدلاء وهي جماعة الكرب وهو حبل يشد في عراقي الدلو وعراقي الدلو خشبات الدلو الواحدة عرقوة قال و
الكراب الحراث وقوله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الاية قال بعض الناس دل تخصيص
سليمان بالتفهيم على انه لم يفهم داود ذلك ويدل على ذلك وجوه احدها اشراكه عز وجل اياهما جميعا في الحكم والعلم وعنى حيث
قال اذ يحكمان في الحرث وقال وكلا آتيناه حكما وعلما ذكر ما كانا مشتركين فيه وخص سليمان بالتفهيم فدل التخصيص بالشيء
احدهما والاشتراك في الاخر على انه كان مخصوصا به دون الاخر والثاني ان هذه الانباء انما ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن لنا
لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيد ما سوى الحكم والعلم وكنا نعلم انهما قد اوتيا حكما وعلما وكانا يحكمان
بالعلم فاذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لاحدهما على ان الاخر لم يكن معه ذلك والله اعلم والثالث فيه دلالة ان المجتهد
اذا حكم واصاب الحكم انه انما اصاب بتفهيم الله اياه وبتوفيقه حيث اخبر انه قد اتاهما جميعا العلم ثم خص سليمان بالتفهيم
والتفهيم هو فعل الله حيث اضاف ذلك الى نفسه ثم ان كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لاصحابنا في من قتل مسلما في دار الحرب
اسلم هناك ان عليه الكفارة وليست عليه الدية حيث قال ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا
ان يصدقوا وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة ذكر في الاول الدية والكفارة جميعا ثم خص الثالثة بذكر الكفارة دون الدية فدل التخصيص به باحدهما
على ان ليس عليه الاخر لانه لو لم يكن كذلك لكان يذكر في الاول الدية والكفارة ولا يذكر في الاخرين فيكون ما ذكر في الاول كالمذكور
في الاخرين ولا يذكر ذلك كله في الكل فاذ لم يفعل هكذا ولكنه ذكر كل الواجب في الاثنين على الابلاغ وترك في الواحد احدهما
وذكر الاخر فدل التخصيص للثالث باحد الحكمين على ان ليس عليه الاخر ثم استدلوا بهذه الاية على جواز العمل والقضاء باجتهاد
الراي فمنهم من استدل باصابة المجتهد فيما يجتهد وان لم يصب هو الحكم الذي هو حكم عند الله فيه حقيقة وهو قول من يقول
كل مجتهد مصيب فيما عليه من الاجتهاد في تلك الحادثة وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومنهم من يستدل بخطا احد
المجتهدين وعذره في خطائه فيذهب الى ان المقصود مما كلف من الحكم في ذلك واحد الحكمين المختلفين فاذا كان المقصود
مما كلفنا من الحكم فيه واحدا فلا يجوز ان يحكم اثنان في شيء واحد بحكمين مختلفين والمقصود فيه واحد فيكونان جميعا
مصيبان حيث خص احدهما بالتفهيم بقوله ففهمناها سليمان فلو كانا جميعا مصيبين كانا جميعا مفهمين فاذا اخبر انه
فهم سليمان ولم يفهم الاخر دل ان المصيب هو المفهم منهما وهو قول ابي حنيفة وبشر وغيرهما ومن استدل باصابته ع
يستدل بقوله وكلا اتينا حكما وعلما اخبر انه اتاهما حكما وعلما فدل ذلك على انه لم يكن عليهما غير ما فعلاه وحكما فيه ولم يصيبا
الحكم الذي هو حقيقة عند الله ثم ذكر في الاية انهما يحكمان في الحرث ولم يذكر انهما حكما بالضمان او البراءة عن الضمان
وكيف كان حكمها فدل ترك بيان ما حكما فيه على ان ليس علينا ذلك الحكم اذ بين لنا ما علينا
العمل فيه وهو العمل بالاجتهاد وحيث قال ففهمناها سليمان ولم يبين لنا الحكم الذي حكما فيه فدل بيان احدهما وترك بيان
الاخر على ان ليس علينا الذي ترك ذكره وبيانه الا ان اهل التاويل حملوا حكمهما على الضمان والبراءة وعلى ذلك روي في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناقة لرجل هابرثير دخلت حائط رجل فافسدت ما فيه فكلم رسول الله فقضى ان
حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشي بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل و

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى ما اصابت الماشية بالليل على اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شيء لكن الخبر
انما جاء في المدينة انما ترعى الماشية في السكك اذ ليس لها مراعي ونحن نقول ان من ارسل ماشية في مكان لا مرعى فيها الا كرم انسان او
حائطا فاتلفت فانه موجب عليه الضمان ما افسدت منه وان الناس من يجعله مضمونا بامها بحديث جرح العجماء جبار وكذلك
الوجه فيه ما ذكرنا وانما يكون جرحها جبارا اذا نفذت هي من غير ارسال صاحبها فاما اذا كان بصنيع صاحبها فعليه الضمان
والله اعلم وقال القتبي نفشت دخلت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهملت بالنهار وابل نفش ونفاش ونافش واحدها نافش ونفس
وسرحت بالنهار وقال ابو عوسجة نفشت فيه غنم القوم يقال نفشت الغنم اذا تركتها فالابل ترعى وهو النفش ونفشت
اذا انتشرت بغير علم اهلها نفشت تنفش نفشا فهو نافشة قال ابو عبيدة النفش بالليل ان تدخل في زرع فتاكله او رعت
وقوله عز وجل وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ذكر التسبيح هنا في الجبال ولم يذكر في الطير وذكر في اية اخرى حيث قال والطير
محشورة كل له اواب اي مسبح ثم يحتمل ان يكون تسبيح الجبال ههنا والطير تسبيح خلقة لكن لو كان تسبيح خلقة لكان
تسبيحها مع داود وغيره سواء وقد ذكر يسبحن مع داود ونعلم ان الله جعل هذه الاشياء تسبح يسبحن الله ويذكر وكذلك
ما روي في الاخبار ان الطعام يسبح في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي ان الحصا يسبح في يده واخذ كذا فسلم عليه
واما هذا كله وذلك كله اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشهيد وقوله عز وجل وكنا فاعلين اي كنا فاعلين ما يريدون الان يسبحن
يسبحن داود وان لا يسبحن اي كنا فاعلين جميع ما نريد ليس كالخلق لانهم يريدون اشياء لا تستقيم لهم وقوله عز وجل وعلمناه
صنعة لبوس لكم وقال في اية اخرى والنا له الحديد ان اعمل سابغات الاية لم يحتمل قوله والنا له الحديد اي جعلنا السبب الذي
به تلين الحديد له فيصنع به ما شاء كما علم غيره من الخلق السبب الذي به يلين الحديد ويجعل الرجل الحديد لينا بلا سبب فيجب ان الله عبره
من الاشيا الشديدة الصلبة كما اعطى داود من القوة حيث قال واسلنا له عين القطر وذلك لم يكن لاحد سواه وكذلك الحديد الان ان الله
حتى يعمل به ما شاء اما لم يكن ذلك لاحد سواه وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم قيل اي دروع الحرب لتحصنكم من باسكم اي تقيكم
من باسكم اي من عدوكم ومن حربكم وفيه قراات لتحصنكم بالتاء وليحصنكم بالياء ولنحصنكم من باسكم اي نقيكم من باسكم ولنحصنكم
بالنون قال الكسائي من قرا بالتاء لتحصنكم اي الصنعة تحصنكم من باسكم ومن قرا بالياء ليحصنكم اي اللبوس يحصنكم من باسكم ومن قرا
بالنون لنحصنكم قال يقول الله نحصنكم نحن من باسكم وقوله عز وجل فهل انتم شاكرون لما اعطيكم من النعمة التي ذكر من تسخير
الجبال له والطير والحديد والرياح وغيره فهل انتم شاكرون لذلك اي اشكروا والله في نعمه لان الاستفهام من الله على الايجاب والالزام
وقوله عز وجل ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره ذكر ههنا عاصفة وقال في اية اخرى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
اي لينة فهو يحتمل وجوها قال بعضهم كانت تشتد اذا اراد سليمان وتلين اذا اراد وقال بعضهم كانت تشتد وقت حمل السرير وتلين
وقت سيره ويحتمل ان يكون عاصفة شديدة في الخلقة لكنها كانت تلين له وترخو فكانه يقول سخرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة
حتى كانت تلين له وقوله عز وجل تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها لا يقصد غيرها وقوله عز وجل وكنا بكل شيء عالمين ومن
الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك ذكر نعمه التي كانت عليهم حيث اخبر انه سخر لها اشد الاشيا واصلبها من نحو
الجبال والرياح والحديد والشياطين ايضا وهم اعداء لبني ادم سخر له الاعداء الشياطين والرياح وقوله عز وجل وكنا لهم حافظين
يحتمل وجوها احدها وكنا لهم حافظين حتى لا يضلوا الناس وقال بعضهم وكنا لهم حافظين على سليمان لئلا ينفروا عنه لان
سليمان كان لا يملك امساكهم واستعمالهم لكن الله سخرهم له حتى عملوا له وذلوا له وخضعوا له والثالث وكنا لهم حافظين عن
الخلاف فيهم والله اعلم وقوله عز وجل وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقال في اية اخرى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
ذكر في سليمان انه سلطه على الشياطين وجعلهم مسخرين له يستعملهم في كل امر وعمل شاء وذكر في ايوب على اثر قصة سليمان انه
سلط الشياطين عليه وصار هو كالمسخر لهم حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب حتى يعلم ان تسخير الشياطين لسليمان
له كان له افضال وانعام لم يكن سبق منه ما يستوجب به ذلك ويستحقه ولا كان من ايوب اليه من العصيان ما يستحق ذلك
وما اصابه من البلاء منه عدل وكان ما يعطي من السلامة والصحة رحمة منه ونعمة وله ان يعطي من شاء ما شاء ويحرم
من شاء ما شاء الا ترى انه قال في اخره لما رد عليه ما اخذ منه وكشف عنه البلاء رحمة منا ولو كان ذلك حقا له على الله لم
يكن لذكر الرحمة معنى فهذا يرد على المعتزلة مذهبهم ان على الله الاصلح لهم في دينهم لان ما اصاب ايوب من البلاء باضاف
ذلك الى الشياطين حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ولو كان ذلك اصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الاصلح
له في الدين الى الشيطان فدل انه ليس على ما يذهبون اليه ثم قوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر يشبه ان يكون فيه
اضمار دعاء كانه قال اني مسني الضر فارحمني وعافني وانت ارحم الراحمين الا ترى انه قال فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر دل انه على الدعا خرج والثاني قوله اني مسني الضر وصرت بحال يرحمني من رآني من الخلق وانت ارحم لي من كل راحم
والله اعلم وقوله عز وجل فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وظاهر انه كشف عنه ما اصابه من البلاء في بدنه واهله حتى

عادا الى الحال التي كان قبل ذلك وقال بعضهم اوتي اهله في الدنيا ومثل اجورهم في الاخرة وقال بعضهم واتيناه اهله
لاحياهم الله ومثلهم معهم وكانت امرأة ايوب ولدت قبل البلاء اولادا بنين وبنات فاحياهم الله وقال بعضهم اتيناه
اهله اي ما بدلناه به من الاهل والانصار على ما كان له من قبل والله اعلم وقوله عز وجل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين يحتمل
وجوها احدها ان من ابتلي ببلاء فصبر على ما صبر ايوب على بلائه فرجه الله عن ذلك البلاء فيفرجه عنه كما فرج لايوب والثاني
يعلم ان ما اصاب ابليس لامر يستوجب منه ولكن ابتداء محنة من الله امتحنه بها ولله ان يمتحن من شاء بما شاء من المحن وقوله عز وجل واسمعيل
وادريس وذا الكفل يشبه ان يكون ذا الكفل اسم من اسمايه ويجايز انه سمي ذا الكفل لامر كان منه ذكر انه كان رجلا صالحا
تكفل لنبي بامر قومه فوفى ما تكفل به فسمي لذلك ذا الكفل ثم اختلف فيه قال بعضهم هو رجل صالح على ما ذكرنا وقال بعضهم كان
نبيا لكن لسنا نعلم ذلك سوى انه ذكر من الصابرين سماهم صابرين على الاطلاق وذكر انه سماهم صالحين على الاطلاق وذلك والله
اعلم لانهم جمعوا جميع انواع الصبر وجميع انواع الصلاح صبروا على ما ابتلوا به وامتحنوا وصبروا على جميع ما امروا به من الطاعات
والقيام بها والقيام بجميع الخيرات وكذلك الصلاح سماهم به لما جمعوا جميع انواع الصلاح والله اعلم وقوله عز وجل وادخلناهم
في رحمتنا قال الحسن ادخلناهم في رحمتنا وهي الجنة وجايز ان يكون جميع ما نالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله برحمة الله و
فضله وهكذا ان من نال شيا من الخيرات والطاعات فانما ينال ذلك كله برحمته والله اعلم وقوله عز وجل وذا النون قال بعضهم
ذا النون هو اسم من اسمايه سمي به وقال بعضهم سماه ذا النون لكونه في بطن النون وهو الحوت اي صاحب النون سمي باسمين مختلفين
احدهما اسم موضوع والاخر مشتق من فعله وما كان به وهو ما يسمى عيسى مرة وسماه مسيحا اخرى احدهما اسم له موضوع والاخر
مشتق من فعله وهو ما كان يمسح به المرضى والموتى فيبرؤن وكذلك ذا الكفل يخرج على هذين الاسمين احدهما موضوع له والاخر
مشتق من فعله على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اذ ذهب مغاضبا اختلف فيه قال بعضهم مغاضبا لربه اي حزينا له لانه كان
اراد ان يهلك الله قومه لما ايس من ايمان قومه وقد كثر عنادهم ومكابرتهم فخرج حزينا لذلك وقال بعضهم مغاضبا للملك وذلك
ان قومه قد اسرهم عدوهم قبل رسالته وقد كان الله اوحى اليهم فقال انا امركم عدوكم واصابتكم مصيبة فادعوني فاذا دعوتموني
استجيب لكم فلما اسروا اشتغلوا بدعوة زمانا حتى اذا ذهبت ايام عقوبتهم ونزلت ايام عافيتهم اوحى الله تعالى الى نبي من انبياء بني
اسرايل ان ابعثوا رجلا قويا امينا فاني ملق في قلوب الذين اسروا قومهم ان يرسلوهم وفي القصة طول اضربنا عنه مخافة فبعث ملكهم
يونس الى اولئك الاسارى ليستنقذهم من ايديهم فخرج وايتمر بامره لكنه غضب عليهم لما اشتد عليه ذلك فلذلك ذهب مغاضبا
للملك حيث امره بالخروج الى اولئك الاسرى وقال بعضهم ذهب مغاضبا لقومه وذلك يخرج على وجوه احدها فاخرج من عندهم لما
ايس من ايمان قومه خرج مكيدة لقومه لان السنة فيهم انه اذا خرج رسولهم من بين اظهرهم نزل بهم العذاب فخرج من عندهم
ليما نزل العذاب فيؤمنوا والثاني خرج اشفاقا على نفسه لئلا يقتل لما ان قومه هموا بقتله فخرج لئلا يقتل اشفاقا على نفسه
كما خرج رسول الله من بين اظهر قومه لما هموا بقتله لكن رسول الله خرج باذن ويونس بغير اذن والثالث خرج من عندهم لما كثر
العناد والمكابرة وايس من ايمانهم خرج لما ذكرنا بغير اذن من ربه وان كان في خروجه منفعة له خرج ليفرغ نفسه لعبادته اذ كان
مامورا بالعبادة لربه ودعا قومه الى ذلك فلما ايس من ايمانهم خرج لما ذكرنا بغير اذن ربه وان كان في خروجه منفعة له
ولقومه تفويت لذلك والله اعلم وقوله فظن ان لن نقدر عليه قال بعضهم فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه الامر لا
نبتليه بالضيق والشدايد لما خرج من عندهم فقال فلان مقدر عليه ومقتر اي مضيق عليه الامر وهو كقوله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر اي يضيق وقوله نقدر عليه وقرى اي ضيق عليه وقوله عز وجل فنادى في الظلمات قالوا في ظلمات
ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال بعضهم التقم الحوت حوت اخر فكان في بطن حوت وحوت
اخر وظلمة البحر فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وحد ربه ونزهه عن جميع ما قبل نبيه ثم اعترف بزلته وذنبه
فقال اني كنت من الظالمين فسمع الله تعالى دعاءه وقبل توبته واخبر انه كشف عن الغم الذي كان له حيث قال فاستجبنا له ونجيناه
من الغم واخبر انه كذلك ينجي المؤمنين فيرجو ان من ابتلاه الله بالبلاء والشدة فدعا بما دعا به يونس ان يفرج الله عنه حيث قال و
كذلك ننجي المؤمنين وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا بدعوة ذي النون استجيب له ثم قال بعضهم
النقص ذلك من الارض لما بلغ الى قرار الارض فقال ذلك وقال بعضهم كان رجلا صالحا عابدا وكان عود نفسه ذلك قبل ان
بطن الحوت فلما دخل فيه فكان يقول فيه على ما كان يقول من قبل وهو كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الاية قال
بعضهم هذا انه كان من المسبحين قبل هذا والا للبث فيه الى ما ذكر وقال بعضهم لولا انه قال هذا القول لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين للبث فيه يكون على هذا التاويل كان من المسبحين اي صار من المسبحين والاول اشبه ثم اختلف في قوله ونجيناه
من الغم قال بعضهم ذلك الغم هو ما ابتلاه الله بالضيق في بطن الحوت والبحر فنجاه من ذلك الغم ولكن جايز ان يكون نجاه من الغم الذي
كان به بسبب خروجه من بين اظهرهم وقول اهل التاويل ان يونس مكث في بطن الحوت اربعين يوما او ثلاثة ايام ونحو هذا فذلك

لايعلم

لا يعلم الا بالوحي فان ثبت الوحي فان شيا لوحي فهو هو والا ليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقال القتبي وذا النون يعني ذا الحوت والنون
الحوت وقال ابو عوسجة الاسمي ذا النون لان الحوت التقم والنون الحوت والنينان الجمع وقال القتبي قوله فظن ان لن نقدر عليه اي لن
نضيق عليه يقال فلان مقدر عليه ومقتر ومنه فقدر عليه رزقه اي ضيق عليه ومنه قوله ايضا يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي
يضيق والله اعلم وقوله عز وجل وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا قوله لا تذرني فردا في الظاهر نهي وكذلك قوله ربنا لا تزغ
قلوبنا وامثاله يخرج في الظاهر مخرج النهي وقوله ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك ونحوه يخرج في الظاهر مخرج الامر لكن الامر والنهي
اذا كان من العبد للسيد فهو تعوذ ودعاء واذا كان من السيد للعبد فهو امر ونهي ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة الامر والنهي
وكذلك سوال الادنى لمن فوقه امر ونهي وسوال الرعية للامير تضرع وتعوذ ودعاء ثم قوله رب لا تذرني فردا يحتمل وجهين احدهما
رب لا تذرني فردا في الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمت حيا ولكن اشرك لي في العبادة والذكر من يعينني على
ذلك وهو كقول موسى واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ويكون
قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب اي هب لي لذلك وليا يعينني على عبادتك وذكرك وما امرتني به ما
دمت حيا ويرثني ويرث من ال يعقوب اذا مت وان يكون قوله رب لا تذرني فردا بعد مماتي في قبري ولكن هب لي من يذكرني ويدعو لي
بعد وفاتي ويحيي امري وقوله عز وجل وانت خير الوارثين اي وانت خير من يرث العباد على هذا التاويل وعلى التاويل الاول وانت
خير من يعين على العبادة والطاعة والله اعلم وقوله عز وجل فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى قال الحسن انه كان يحيى على
ما سماه الله في الطاعة والعبادة وفي الاخرة يحيى في الكرامات والثواب الجزيل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل واصلحنا له
زوجه يخرج على وجهين احدهما انه جعلناها بحيث يرغب فيها ذا وجها ذات هيئة ومنظر لانه ذكر في القصة انها بلغت في السن ثم
غير شيء والعرف في النساء انهن اذا بلغن المبلغ الذي ذكر انها بلغت زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتي لا يرغب فيها احد فاخبر انه
اصلحها وصيرها بحيث يرغب فيها ذات هيئة ومنظر والثاني اصلحنا له زوجه اي لم تكن تلد لانه لما بشر بيحيى قال اني يكون لي غلام
وكانت امراتي عاقرا والعاقر هي التي لا تلد فيكون قوله واصلحنا له زوجه ولودا بحيث تلد والله اعلم هذان الوجهان محتملان والله اعلم وقوله
من يقول بان في لسانها بذا وطول وفي خلقها سوء فذلك لا يحل ان يقال لا يثبت وهو على خلاف ما ذكرهم ووصفهم حيث قال انهم
كانوا يسارعون في الخيرات ثم المسارعة في الخيرات انه كان لا يمنعهم شيء عن الخيرات وهكذا المؤمن من هو يرغب في الخيرات كلها الا ان
يمنعه شيء من شهوة او سهو وقوله عز وجل ويدعوننا رغبا ورهبا اي يدعوننا رغبا فيما عندنا من جزيل الثواب ورهبا من اليم عقابنا
والثاني رغبا فيما عندنا من اللطايف من التوفيق على الخيرات والعصمة عن المعاصي ورهبا مما عندنا من النقمات والخذلان والزيغ
وقوله عز وجل وكانوا لنا خاشعين قال بعضهم الخشوع هو الخوف الدايم الملازم للقلب لا يفارقه وقال بعضهم متواضعين ذليلين
لامر الله تعير الخشوع ما ذكر بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وقوله عز وجل والتي احصنت فرجها اي عفت فرجها وقوله عز وجل
فنفخنا فيها من روحنا قال اهل التاويل ان جبريل اتاها فنفخ في جيبها او في فرجها وهذا ليس في الاية فلا يجوز القول الا بثبت
ولكن قوله فنفخنا فيها من روحنا كقوله في ادم ونفخت فيه من روحي اي انشات فيه من روحي ان لم يقل احد فيه بالنفخ اي
جبريل نفخ فيه فعلى ذلك قوله فنفخنا فيها من روحنا اي انشانا فيها من روحنا والله اعلم وقوله عز وجل وجعلناها وابنها اية للعالمين
ذكر فيها اية واحدة لانها ولدت بغير زوج وولد هو بلا اب فهو واحد لما كانت هي ولدته بغير زوج فيكون بغير اب فهو اية
واحدة والاية فيها ما ذكر يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين واية عيسى تكلم في المهد فقال اني عبد الله
اتاني الكتاب الاية قال ابو عوسجة احصنت اي عفت ويقال امراة حصان ونسوة حاصنات وحواصن قال والحصان ويقال
امراة حصان اي عفيفة ومحصنة اي قد احصنها زوجها ومحصنة اي عفيفة وامراة حصان ونسوة حاصنات وحواصن قال والحصان
ذكر الخيل وحصن جمع وقوله عز وجل ان هذه امتكم امة واحدة قال بعضهم ان هذه ملتكم وشريعتكم ودينكم ملة واحدة وشريعة واحدة
يعني شريعة الاسلام وملة واحدة ليست بمعرفة وقال بعضهم ان هذه دينكم دين واحد ليس كدين الامم الخالية اديانا مختلفة و
ان يكون الامة ما يؤم اليها ويقصد لان الامة هي الجماعة وهي المقصودة وجايز ان يكون اخبارا عن هذه الامة انهم على دين واحد
وملة واحدة ليسوا بمختلفين فيه ولا يتفرقون كما تفرق الامم الخالية كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية وقوله ولا
تفرقوا فيه الاية اخبر عنهم انهم غير متفرقين ونهاهم عن ان يتفرقوا كما تفرق الاولون الاخرى انه قال على اثره وتقطعوا امرهم
بينهم هذا يدل على انه اخبار عن اهل الاسلام فصدر الامر انهم على شيء واحد وقال الزجاج ان هذا امتكم امة واحدة ما لم تولوا الحق و
اتبعوه واما اذا تركوا لزومه وتركوا اتباعه فهي ليست بامة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل وانا ربكم فاعبدون وقال في اية اخرى
وانا ربكم فاتقون ليعلم ان العبادة والتقوى واحد في الحقيقة لان الاتقاء هو ما يجتنب من الافعال والعبادة ما يؤتى من الافعال
والعبادة ما يؤتى من الافعال والعبادة فاذا اجتنبت ما يجب اجتنابه فقد اتى بما يجب اتيانه واذا اتى بما يجب اتيانه فقد اجتنب ما يجب
اجتنابه وهو كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لا انها تفعله انها مجتنب عن الفحشاء والمنكر وجايز ان يكون قوله فاتقون

فاعبدون اى توحدون على ما قال اهل التاويل لان الخطاب لاهل مكة وقوله عز وجل وتقطعوا امرهم بينهم اخبر عن الاولين انهم اختلفوا في دينهم وتفرقوا كل الينا راجعون من تفرق ومن لم يتفرق كقوله والينا ترجعون واليه المصير وقوله عز وجل فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اى يشكر سعيه ويقبل ولا يجحد ولا يكفر كقوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بالثناء والجزاء فلن يكفروه واصل الكفران الستر والشكر هو الاظهار ويخبر عز وجل انه لا يستر ما عملوا من الحسنات والخيرات بل يشكر ويظهر وقوله عز وجل وانا له كاتبون اى يكتب لهم تلك الحسنات والخيرات كقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة وقوله عز وجل وحرم على قرية اهلكناها وحرام بالالف ايضا ثم قوله وحرم وحرام على قول اهل اللسان واللغة واحد يقول حرم عليك كذا وحرام كما يقال حل وحلال واما على قول اهل التاويل فانهم يفرقون بينهما فيقولون حرم حتم وواجب على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لقوله حتم وواجب على قرية اهلاكهم بعد ما علم انهم لا يرجعون اى لا يتوبون او ان يكون قوله وحرم على قرية اراد الله اهلاكها انهم لا يرجعون وظاهر قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ان يكون لهم الرجوع لا يقول حرام انهم لا يرجعون الا ترى الى قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وظاهره انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق فعنده يرجعون لقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا او ان يكون ذكر هذا انهم لا يرجعون لقول قوم لان قوما يقولون ان الخلق كالنبات ينبت ثم ييبس ثم ينبت فعلى ذلك الخلق يموتون ثم يعودون ويرجعون وبعض من الروافض يقولون يرجع علي وفلان فاخبر انهم لا يرجعون ردا عليهم ويكذبهم في خبرهم لان القران قد صار حجة عليهم وان انكروه لما عجزوا عن ان ياتوا بمثله والله اعلم بذلك كله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج كانه قال والله اعلم اضاف فتح ذلك السد اليهم انفسهم وهم جماعة والله اعرف لنا نبت فتح السد وهو والله اعلم وقوله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون قيل الحدب الشى المشرف قيل الحدب كل ما ارتفع من الارض وقيل الحدب الاكم وقيل من كل حدب من كل جهة ومن كل مكان ينسلون قيل يسرعون وقيل يخرجون اخبر انهم من كل حدب اى من كل ناحية ومن كل جهة يسرعون كانهم لما سد عليهم ذلك السد وحيل بينهم وبين ما يتعيشون ويرتزقون من هذا العالم تفرقوا في تلك الاماكن لطلب ما يتعيشون به فاذا بلغهم خبر فتح السد اتوا من كل جهة وناحية التي كانوا متفرقين فيها ينسلون يسرعون لانهم منذ سد عليهم السد في جهد من فتح ذلك السد فلما فتح خرجوا مسرعين وهو ما ذكر وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وقوله عز وجل واقترب الوعد الحق قوله اقترب اى وقع ووجب الوعد الحق لانه قد اخبر من قبل هذا الوقت انه قد اقترب بقوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم وهو كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ليس على القرب ولكن على الوجوب فعلى ذلك الاول يحتمل ان يكون اخبارا من الوقوع والوجوب وجائز ان يكون على القرب ايضا ويكون وجوبها ووقوعها في قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله عز وجل فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية وكقوله مهطعين الى الداع الاية وقوله عز وجل يا ويلنا اى يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا كانهم تركوا فيما بينهم انا كنا في غفلة عن هذا ثم تداركوا انهم لم يكونوا في غفلة ولكن قالوا انا كنا ظالمين في ذلك ضالين اعترفوا بالظلم والضلال وقوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقال ان حرف من يتكلم عن البشر ونحوه وما انما يتكلم عما سواهم من العالم فاذا كان على هذا الذى ذكروا فما ينبغي لاولئك ان يفهموا من قوله وما تعبدون عيسى وعزيرا والملائكة يقولون هؤلاء عبدوا دون الله فهم حصب جهنم على زعمكم الى هذا ذهب اهل التاويل ويقولون ثم نزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون قالوا لكنه يستثنى من جملة من عبدوا دون الله من سبقت له من الحسنى وهو عزير وعيسى وهؤلاء لكن قد ذكرنا انه لا يجوز ان يفهم عن هذا هؤلاء والاصنام والاحجار التي عبدوها كقوله وقودها الناس والحجارة التي عبدوها او ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الشياطين الذين امروهم ودعوهم الى عبادة غير الله فيكون العبادة لمن دون الله للشيطان حقيقة لانه هو الامر لهم بذلك والداعي الى ذلك دون من ذكر والان هؤلاء اعني عيسى وعزيرا والملائكة لم يامروهم بذلك فيكون على هذا كانه قال انكم والشياطين الذين تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو ما ذكر في اية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الى قوله فاقبل بعضهم الى بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين دل هذا ان القرين هو الشيطان كقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله عز وجل حصب جهنم بالصاد وقرئ بالطاء حطب جهنم قال ابن عباس الحصب بلسان الزنجية هو الحطب وقال بعضهم بلسان الحبشة ويقال ايضا بالضاد حضب جهنم قال بعضهم الحصب هو من الرمي يحصب جهنم لهم اى يرمى بهم والحطب هو معروف والحضب هو التهييج اى يهيج النار عليهم وقال الكسائي حصبت النار اى القيت فيها الحطب وعن عايشة حضب جهنم بالضاد وقوله عز وجل انتم لها واردون اى داخلون فيها وقوله عز وجل لو كان هؤلاء الهة ما وردوها اى لو كان الذين عبدوا دون الله الهة على ما زعموا ما وردوا النار فان قيل انهم لم يقروا انها تورد النار بل انكروا ذلك فكيف احتج عليهم بهذا لو كان هؤلاء الهة ما وردوها قيل انهم وان لم يقروا بذلك فقد الزمهم عز وجل الحجة من جهة الكتاب انها تورد النار لما عجزوا عن اتيان مثله فقد لزمتهم الحجة فكانهم اقروا انهم ما وردوها وهو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم

امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية هم لم يقروا انهم يحيون بعد ما ماتوا ولكن لما عرفوا انهم كانوا امواتا فاحياهم فقد لزمهم الاقرار والحجة بالاحياء بعد الموت فعلى ذلك الاول كانهم اقروا بانها تورد ومن عبدوا معهم الجنة وقوله عز وجل وكل فيها خالدون ظاهر وقوله عز وجل لهم فيها زفير قيل الزفير هو الصوت الخفيض الذى فيه انين والشهيق هو الصوت الرفيع الذى انين فيه وقيل الشهيق هو نهيق الحمار والزفير هو اخر نهيقه وقوله عز وجل وهم فيها لا يسمعون قيل لا يسمعون الخير ويسمعون غيره وقال بعضهم لا يسمعون لانهم يكونون صما وبكما وعميا في النار كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اى حرام عليهم ان يرجعوا ويقال واجب وقال هو حرم وحرام واحد كما قال حل وحلال وقال وهم من كل حدب ينسلون اى من كل نشز من الارض واكمة ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذئب اذا بادر وقال ابو عوسجة الحدب ما ارتفع من الارض والاحدب حدبة ينسلون اى يجيئون وقوله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال اهل التاويل انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قالت الكفرة ان عيسى وعزيرا والملائكة قد عبدوا من دون الله فهم حصب جهنم فنزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى استثنى من سبق له الحسنى منه وهو عيسى وهؤلاء وكذلك في حرف ابن مسعود الا الذين سبقت لهم منا الحسنى على استثناء وروى عن علي رضي الله عنه قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية ذلك عثمان وطلحة والزبير وانا من شيعة عثمان وطلحة والزبير ثم قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية ولكن قد ذكرنا الوجه فيه فان ثبت ثم نزل بشان هؤلاء والا فهو لكل من سبق له من الله الحسنى يحتمل الجنة كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى اى بالجنة فعلى ذلك قوله سبقت لهم منا الحسنى ويحتمل الحسنى السعادة والبشارة بالجنة وثوابها وقوله عز وجل اولئك عنها مبعدون اى لا يعودون اليها ابدا ليس على بعد المكان كقوله اولئك في ضلال بعيد اى لا يعودون الى الهدى ابدا او ان يكون قوله مبعدون عنها مكانا لكن قد ذكر في اية فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وقال في اية فاطلع فراه في سواء الجحيم ولا نعلم هذا انه يجعل في نرى اهل الجنة انهم متى ما ارادوا ان ينظروا الى اولئك ويروهم يقدرون على ذلك وتقرب لنا ر اليهم فينظرون اليهم والله اعلم والاول اشبه انهم لا يعودون اليها ابدا وقوله عز وجل لا يسمعون حسيسها اى صوتها وهو ما ذكر من الابعاد انه بعد وامنها لم يسمعوا حسيسها وقوله عز وجل وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون وهو ما قال في اية اخرى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وقوله عز وجل لا يحزنهم الفزع الاكبر اى لا يحزنهم اهوال يوم القيامة وافزاعها وتتلقيهم الملائكة اى تلقاهم الملائكة بالبشارة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية او لا يحزنهم الفزع الاكبر اى لا يحزنهم ما يحل بالكفرة من الفزع والعذاب ليس كمن راى في الدنيا انسانا في بلاء وشدة او يعذب عذابا فانه يحزن ويهتم بما حل به انهم لا يحزنون بما حل بالكفرة من العذاب والشدايد قال ابو عوسجة حصب جهنم قال الحصب والحطب واحد قال ما اكثر من العرب من يتكلم بهذه اللغة قال ولا اعرف حصب جهنم بالضاد وقال غيره ما ذكرنا من القا الحطب والتهييج وقوله انتم لها واردون اى داخلون وقوله لهم فيها زفير الزفير فهو شدة النفس في الصدر يقال زفر يزفر زفيرا وزفرا وقال بعضهم الزفير هو انين كل محزون ومكروب وهو قريب ما ذكرنا وقوله لا يسمعون حسيسها اى صوتها وهو من الحس وهو الصوت وقال القتبي حصب جهنم ما القى فيها واصله من الحصباء وهى الحصى ويقال حصبت فلانا اى رميته حصبا بتسكين الصاد وما رميت به حصب بتحريك الصاد كما تقول نفضت الشجرة نفضا وما وقع نفض واسم حصى الجمار حصب وقوله عز وجل يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كان هذا خرج على اثر سؤال سالوه على غير ابتداء لان الابتداء بمثله على غير تقدم امر لا يحتمل تكلم به والله اعلم لما ذكر اهل النار وقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون وذكر اهل الجنة ووصفهم بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر ما ذكر من قوله هذا يومكم الذى كنتم توعدون فكانهم قالوا متى يكون ذلك فقال عند ذلك يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب اخبر ان السماء تطوى كما يطوى السجل للكتاب ثم ذكر في السماء الطى مرة والتبديل في اية بقوله يوم تبدل الارض غير الارض الاية وذكر الانشقاق في اية كقوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت ونحو ما ذكر في الجبال احوالا مرة قال وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال في اية ينسفها ربي نسفا وقال في اية اخرى هباء منثورا وقال في اية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ونحوه فجائز ان يكون كذلك على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا فيما تقدم ثم تتلاشى وتفنى حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هباء منثورا فعلى ذلك السموات والارضون يختلف عليها الاحوال على ما ذكر ثم يكون اخرها التبديل كما ذكر يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وفيما ذكر في هؤلاء الايات من تغيير الجبال والسموات والارضين دليل فناء هذا العالم بجملته واسره لان فناء السموات والجبال والارض يبعد عن اوهام الخلق واما غيرها من الخلايق فانهم يشاهدون فناءه فذكر فناء ما يبعد في اوهامهم ليعلموا ان هذا العالم يفنى باسره ويستبدل عالما اخر يحتمل البقاء والجزاء والله اعلم وقوله عز وجل كما بدانا اول خلق نعيده هذا ايضا لا يحتمل الا على نفي

ذكر فهو محتمل ما ذكرنا انما سبق من ذكر اهل الجنة واهل النار فقالوا كيف يجيئون فقال عند ذلك كما بدانا اول خلق نعيده
ثم اختلف فيه فقال بعضهم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم ينفخ فيهم الروح وقال بعضهم كما بدانا اول خلق نعيده
حفاة عراة على ما خلقوا في الابتداء وقال بعضهم كما بدانا اول خلق نعيده يعنى السموات السبع يطويها الله فيجعلها سماء واحدة
كما كانت ولا قيل ان يخلق منها ست سموات والارضين كذلك وجائز ان يكون ذكر هذا اخبارا انه قادر على ان يعيدهم كما قدر على ابتداء
خلقهم وقوله عز وجل وعدا علينا انا كنا فاعلين اى بعثهم وعدا علينا لا نخلف ذلك على ما قال انه لا يخلف الميعاد ثم اختلف في السجل
وفي قراءته قال بعضهم السجل اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم هو اسم الملك الذى يكتب وقال بعضهم السجل
الصحيفة ثم قال بعضهم من قرا السجل بالتشديد فهو الصحيفة ومن قرا السجل بالتشديد فهو الصحيفة ومن قرا السجل بالتخفيف
هو ملك موكل بالصحف اسم السجل ويقرا الكتاب وللكتب قال ابو عوسجة كطى السجل للكتب قال ابو عوسجة كطى السجل الكتب قال
يقال اسجل وسجلناه اى كتبناه سجلا وتسجيلا وسجلنا بفناء علت وسجل خلق يقال منه سجل يسجل سجالا والساجلة المفاخرة
يقال ساجلته فاخرته ويقال اسجلت الكلام فهو مسجل اى اطلقته وارسلته والله اعلم وقوله عز وجل ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون قال بعضهم ان كل كتب الله التى انزلها هى زبور من بعد الذكر اى الكتاب الذى عند الله وهو
اللوح المحفوظ معناه والله اعلم على هذا انا ولى اى كتبنا في الكتب التى انزلناها بعد ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ ان الارض
يرثها كذا وقال بعضهم كتب الله في الزبور المعروف وهو زبور داود بعد ما كتب من بعد الذكر اى التوراة ان الارض يرثها يعنى
الجنة يرثها عبادى الصالحون وكتب ذلك في هذا القران فقال ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وقال بعضهم ولقد كتبنا في
الزبور اى زبور داود بعد ما كتب في الذكر الذى عندنا وجائز ان يكون قوله كتبنا في الزبور في بعض كتابه اى في بعض السور
من بعد الذكر اى من بعد السورة ان الارض يرثها كذا وجائز ايضا كتبنا في كتاب من بعد الذكر اى من بعد ما ذكرهم ووعظهم
ان الارض يرثها كذا وجائز ايضا كتبنا في كتاب من بعد الذكر اى من بعد ما ذكرهم ووعظهم ان الارض يرثها كذا ثم اختلفوا
في قوله ان الارض يرثها عبادى الصالحون قال عامة اهل التاويل هى الجنة اخبر ان الجنة انما يرثها عبادى الصالحون وهو ما ذكر في اية
اخرى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فيكون هذا تفسير الذلك وقال بعضهم الا الارض يعنى ارض
بيت المقدس يرثها عبادى الصالحون وهو كذلك كان لم يزل بها عباد الله الصالحون الى يوم القيامة وجائز ان يكون قوله ان الارض
يرثها امة محمد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها
فذلك وراثتهم وهم عباده الصالحون كقوله كنتم خير امة الاية انها خير الامم والله اعلم وقوله عز وجل ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين
يحتمل قوله في هذا اى فيما ذكر من قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون في ذلك بلاغا لقوم عابدين
اى لقوم همتهم العبادة او لقوم مطيعين موحدين وجائز ان يكون قوله ان في هذا فيما تقدم من الايات وهو قوله واقترب
الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون وما ذكر من قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر
ما ذكر ان فيما ذكر كله لبلاغا لقوم عابدين وجائز ان يكون بلاغا للناس جميعا كقوله هذا بلاغ للناس فيكون قوله لقوم عابدين
اى لقوم يلزمهم العبادة وقال بعضهم ان في هذا اى في هذا القران لبلاغا ابلغهم عن الله لقوم عابدين وفي حرف ابن مسعود
ان في هذا لذكرى لقوم عابدين وقوله عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين جائز ان يكون كل رسل الله رحمة من الله للعالمين
وكذلك كل كتب الله رحمة للعالمين على ما ذكر في عيسى ورحمة منا وكان امرا مقضيا وجائز ان يكون ذلك لرسول الله صلوات الله
عليه خاصة فيكون على وجهين احدهما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك الا جعلناك رحمة للعالمين وان يقال
وما ارسلناك الا رحمة منا للعالمين والعالمين هم الجن والانس لانه بعث اليهم ثم الرحمة فيه يحتمل وجوها احدها تاخير العذاب
عنهم والثانى انه رحمة حتى اذا اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والاخرة والثالث شفاعته لاهل الكبائر في الاخرة ونحو
ذلك قوله عز وجل قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد كانه على الدعا خرج الامر كانه قال امرنى ربى ان اخبركم ان الهكم اله واحد فامر في
العبادة اليه ولا تشركوا فيها غيره او ان يقول ادعوكم الى الهكم الذى هو اله واحد والا كان رسول الله يعلم انه اله
واحد لكنه خرج على الدعا والاخبار انه اله واحد او ان يخبرهم انى انما ادعوكم اليه وامركم به انما ادعوكم وامركم بالوحى بما اوحى
الى لا من تلقاء نفسى قل انما انذركم بالوحى والله اعلم وقوله عز وجل فهل انتم مسلمون ظاهره وان كان استفهاما فهو على الامر
والايجاب كانه قال قد اوحى الى ان الهكم اله واحد فاسلموا له واخلصوا العبادة له لا تشركوا فيها غيره والاسلام هو ان يجعل كلية
الاشيا والاعمال كلها لله عز وجل ثم هو يكون على وجهين احدها على الاعتقاد وان يعتقد كلية الاشيا لله لا على تحقيق ذلك
بالفعل والثانى على تحقيق جعل اشيا كلها لله اعتقادا وفعلا وقولا منه يخاف ومنه يرجو الا يخاف غيره ولا يرجو احدا دونه
فهو حقيقة الاسلام وقوله عز وجل فان تولوا هذا يدل ان اول خرج على الامر والدعا حيث قال فان تولوا عن الاجابة الى ما
دعوتكم اليه فقل اذنتكم على سواء اى اعلمتكم على عدل وحق كقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اى على

بيننا

بيننا وبينكم يعلى ذلك هذا يحتمل ان يكون قوله على سواء اى على عدل وحق ويحتمل ايضا اذنتكم على سواء اى علمتكم حتى صرت
انا وانتم في العلم على سواء اى على الاستوا في العداوة والمخالفة وكلام على الاستواء وهو كقوله فانبذ اليهم على سواء اى على الاستوا
في العداوة انما نبذ اليهم حتى يكونوا هم على الاستواء في العلم بالمنابذة والله اعلم وقوله عز وجل وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون
اى ما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون ثم يحتمل قوله ما توعدون الساعة والقيامة التى كانوا يوعدون بها وهم كانوا يستعجلون
بها كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فيقول ما ادرى اقريب ما توعدون ام بعيد ويحتمل قوله ما توعدون من العذاب
الذى كان يعدهم انه نازل بهم فانهم كانوا يستعجلون بذلك كقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فيقول ما ادرى
اقريب ام بعيد ما توعدون من العذاب والله اعلم وقوله عز وجل انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون يخرج ذلك على الوعيد
والتنبيه والزجر عن المكر من رسول الله والقول فيه بما لا يليق به يخبر انه يعلم ما تقولون من القول وما تكتمون اى ما تسرون
من المكر به وفيه دلالة اثبات رسالة محمد حيث اخبرهم عما اسروا فيما بينهم من المكر به وقوله عز وجل وان ادرى لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين ذكر وان ادرى لعله فتنة لكم لم يبين ما الذى يكون فتنة لهم لكن بعض اهل التاويل قال ما ادرى ما قلت
لكم من العذاب والساعة ان يؤخر عنكم لعله فتنة لكم والمتاع لكم الى حين فيصير ما قريب من العذاب والساعة فتنة لكم فيقول
لو كان ما اخوفنا به حقا لكان نزل بعد فيصير ذلك فتنة لكم وهذا يحتمل وجوها اخر وهو لما قال وان ادرى
اقريب ام بعيد ما توعدون ان كان خوفهم نزول العذاب بهم لكن لم يبين لهم الوقت متى ينزل بهم فيقول ما ادرى لعل
تخويفى اياكم العذاب بلا بيان وقته فتنة لكم لانه لو اخر عنهم العذاب يامنون عنه فيحملهم ذلك على تكذيبه فيما خوفهم
من العذاب ويكون ما يامنون من العذاب متاعا لهم لانه لو كان وقت نزول العذاب مبينا لكانوا ابدا على خوف فينقص ذلك
الخوف ويمنعهم عن المتاع وان لم يبين لهم الوقت فاذا تاخر عنهم يامنون ويتمتعون فيقول ما ادرى لعل تخويفى اياكم لكم
فتنة او لا يجب ان يفسر قوله لعله فتنة لكم انه اى شئ اراد وهم تدعون انه ما اراد به وليس لنا ان نفسر ذلك انه اراد
كذا الا بيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل قال رب احكم بالحق تعلق اكثر المعتزلة بظاهر هذه الاية في مسايل
لهم يقولون يجوز ان يدعى بدعوات يعلم الداعى انه قد اعطى ذلك له من نحو سؤال المغفرة رب اغفر لى وهو مغفور ورب
اعطنى كذا وهو معطى له ذلك ويقول رب اغفر لى وهو يعلم انه لا يغفر له ونحو هذا من المسايل لهم فيحتجون بظاهر قوله قل
رب احكم بالحق امر رسوله ان يدعو به على علم منه انه لا يحكم الا بالحق ونحن نقول انه لا يجوز ان يدعى بمثل هذا الدعا على
الاطلاق الا على اعتقاد معنى اخر في ذلك كان الله فعل ذلك فيكون ذلك منه عدلا وحقا ونحو ان يكون قوله قل رب احكم
بالحق اى بالنصر له والظفر على اعدايه وان ينصره ويكون ذلك عدلا منه وحقا او ان يكون المراد به احكم بالحق اى بالعذاب
الذى هو حق على مكذبى الرسل فاما ان يعتقد من قوله رب احكم بالحق ما اعتقد المعتزلة فيحصل الدعا به الهزؤ
تحرج وربنا عدل ومن عرف به هكذا فهو ليس يعرفه حقيقته وقال ابو عبيد في قوله رب احكم بالحق اى رب احكم بحكمك وهو الحق
وهو محتمل مستقيم وقد ذكرنا هذه المسالة واشالها فيما تقدم وقوله عز وجل وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون امر رسوله
ان يستعين بالله على ما يقولون من تكذيبهم اياه فيما يدعوا وبعد قال القتبى اذنتكم على سواء اى اعلمتكم فصرت انا وانتم
على سواء وانما يريد باذنتكم واخبرتكم واعلمتكم ذلك فاستوينا في العلم وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة قوله اذنتكم على سواء اى كلكم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم قد ذكرنا تاويله في غير موضع وقوله عز وجل ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال الحسن
ان بين يدى الساعة ايات تحجب التوبة وقبول الايمان منها الزلزلة التى ذكر ومنها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
والدابة وخروج ياجوج وماجوج وامثاله وهو كقوله يوم ياتى بعض ايات ربك يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وجائز عندنا ان تكون هذه الايات غاية لقبول التوبة والايمان فيقبل
الى ذلك الوقت ولا يقبل بعد ذلك وان تابوا وامنوا او ان يكون قوله لا ينفع نفسا ايمانها لانهم لا يؤمنون لما يشغلهم
تلك الايات عن ذلك ولا يؤمنون لان تلك الايات تعم الخلايق كلهم المؤمن والكافر جميعا فلا يعرف المبطل والضال انه
على الضلال والباطل فيرجع الى الهدى والحق ليس كعذاب ينزل على قوم خاص لان ذلك يعرفوا وكذلك انه انما ينزل بهم خاصة
لما فيهم من التكذيب والعناد واذا كانت الايات عامة لم يعرف اهل الضلال انهم على باطل وانه انما ينزل بسببهم لما به وهم
انه قد عم الخلايق كلها فقوله لا ينفع لانهم لا يؤمنون كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى لا يكون لهم من يشفع لهم
ان يكون لهم شفعاء فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله لا تنفع لانهم يشغلون عن الايمان
فلا يؤمنون فلا ينفع لهم على ما ذكرنا ثم اختلف فيه قال بعضهم زلزلة الساعة قبل الساعة وقبل القيامة وقال بعضهم

ان زلزلة الساعة هي الساعة وصفها بالشدة والفزع فقال يوم ترونها تذهل اي تشغل كل مرضعة لشدة احوالها
وافزاعها وتضع كل ذات حمل حملها هذا على قول من يقول ان زلزلة الساعة قبل الساعة يكون على التحقيق اي تذهل عما
ارضعت وتضع حملها لانها تكون في ذلك الوقت مرضعات وحاملات فتذهل لاهوال ذلك وافزاعها عن ولدها
وتضع ما في بطنها كقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية فذكر هولا لان من اصاب شيا من البلاء في هذه الدنيا يفزع الى هولا
فيخبر ان في ذلك اليوم يفر بعض من بعض لشدة ذلك اليوم وهوله لشغله بنفسه وعلى قول من يقول ان زلزلة الساعة
هي الساعة فيخرج قوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية على التمثيل اي تذهل عما ارضعت ان لو كان مرضعة وتضع
حملها ان لو كانت حاملا لشدته وهوله والله اعلم **وقوله** عز وجل وترى الناس سكارى اي من له وترى يرى الناس
كانهم سكارى وما هم بسكارى والاثم يجزان نريهم سكارى ويسوهم بسكارى في الحقيقة وانما قلنا انه يرى من مكن له
وترى والا لو كانوا كلهم سكارى لكان لا يريهم سكارى لان السكارى لا يرى من مكان في مثل حاله سكران اوان
يكون خاطب به رسوله ولا يكون فيه ذلك الهول الذي يكون في غيره اوان يكون ذلك على التمثيل ليس على التحقيق و
قول اهل التاويل يقول لادم في ذلك قم فابعث بعث النار فيقول يا رب كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
في النار وواحد في الجنة ويروون الاخبار في ذلك عن رسول الله فان ثبت ما روي عنه في ذلك والا الكف عن مثله
اولى لانه يخرج حيث يوم ان يتولى بعث ولد الى النار من غير ان كان ما يستوجب هذه العقوبة قال القتبي يذهل اي
يسلوا عن ولدها وتترك وقال ابو عوسجة تذهل اي تنسى يقال ذهل يذهل ذهولا واذهلته اي انسيته وقال غيره اي تشغل
والحمل بالنصب ما في البطن والحمل بالخفض ما على الظهر والزلزلة الرجفة يقال زلزلت اي حركت وتزلزلت اي تحركت **وقوله** عز وجل
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ذكر المجادلة في الله ولم يبين فيم جادلوا وقد كانت مجادلتهم من وجوه منهم من جادل في
مشية الله تبارك وتعالى ومنهم من جادل ان هذا العالم منشأ ام لا ومنهم من جادل في وحدانية الله تعالى انه واحد او عدد و
منهم من جادل في بعث الانبيا وارسال الرسل ومنهم من جادل في انزال الكتب ومنهم من جادل في دين الله تعالى المدعو اليه
وبمثل هذا قد كثرت مجادلاتهم فيما ذكرنا وكل ذلك كان مجادلة بغير علم لانهم لو تفكروا في هذا العالم ونظروا فيه حق النظر
لعرفوا ان لهذا العالم منشأ وانه واحد لا عدد وانه عالم قادر بذاته وانه بعث الرسل والكتب وعرفوا ايضا انه يبعث هذا
العالم ويحييهم وانه قادر على ذلك لكنهم لم يتفكروا فيه ولم ينظروا حق النظر فجادلوا فيه بغير علم **وقوله** عز وجل ويتبع
كل شيطان مريد يحتمل ان يكون قوله ويتبع كل شيطان مريد الشيطان المعروف نفسه يتابعه في كل ما يدعوه ويحتمل ان
يكون اراد انه يتبع كل من يعمل عمل الشيطان وهم القادة الذين كانوا يدعون الى اتباع ما يدعو الشيطان ويوحي اليهم كقوله
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اخبر ان الشياطين يوحون الى اوليائهم من الانس ليجادلوكم فذلك معنى
قوله ويتبع كل شيطان مريد قيل فعيل بمعنى فاعل على ما ذكر في اية اخرى من كل شيطان مارد قال بعضهم كل متمرد في العناد والمكابرة
فهو مارد وقال بعضهم المارد هو المجاوز عن جنسه في عتوه وتمرده ولذلك سمي الذي لا لحية له امرد لخروجه ومجاوزته اجناسه
ورجاله والمارد بالفارسية ستنبه **وقوله** عز وجل كتب عليه انه من تولاه فانه يضله قال بعضهم كتب على الشياطين ان من تولاه
واتبعه ان يضله ويهديه اي يدعوه الى عذاب السعير وهو ما قال في اية اخرى او لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير و
قال بعضهم كتب على من تولى الشيطان واتبعه انه يضله اي يدعوه الى ما به ضلاله وهلاكه **وقوله** عز وجل كتب قيل حكم وقيل قضي و
كتب يحتمل الاثبات اي اثبت في ام الكتاب ان من تولى الشيطان واتبعه انه يضله وقد ذكر اضلال الشيطان في غير موضع **وقوله**
عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة اي خلقنا اصلكم من تراب وخلقنا اولادهم
من نطفة ثم من علقة الاية تاويله والله اعلم انكم كيف تشكون في البعث وتنكرونه وليس سبب انكاركم البعث الا ان تصيروا ترابا
او ماء في العاقبة وقد كنتم في مبادي احوالكم ترابا وماء فكيف انكرتم بعثكم اذا صرتم ترابا اوان يكون معناه ان كيف انكرتم البعث
وقد رايتم انه يقلبكم من حال النطفة الى حال العلقة ومن العلقة الى المضغة ولا يقلب من حال الى حال بلا عاقبة تقصد فلو
لم يكن بعث كما تزعمون لكان خلقكم وتقليبكم من حال الى حال عبثا على ما اخبر ان خلق الخلق لا للرجوع اليه عبث لقوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا فعلى ذلك الاول اوان يكون تاويله والله
اعلم فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى اخر الاية ولو اجتمع حكماء البشر وعلماؤهم ليعرفوا السبب الذي خلق البشر من ذلك
التراب او من نطفة ما قدروا عليه وما وجدوا للبشر فيه اثرا ولا معنى البشرية فيه فمن قدر على ابتداء انشاء هذا العالم من التراب
او من النطفة من غير سبب يوجد فيه ولا اثر لقادر على اعادتهم واعادة الشيء في عقولكم اهون وايسر من الابتداء فمن قدر
على الابتداء فهو على الاعادة اقدر **وقوله** عز وجل مخلقة وغير مخلقة قال بعضهم مخلقة اي مخلوقة خلقا وغير مخلقة اي غير مخلوق
خلقا نطفة على حالها وقال بعضهم مخلقة اي تامة وغير مخلقة اي غير تامة خلقا خلقتها وهو الاشبه لان التشديد انما يذكر

لتكثير الفعل

لتكثير الفعل والتخفيف لتقليله فكانه قال مخلقة اي قد اتم خلقها من الجوارح والاعضا وغير مخلقة اي غير تامة خلقا بل ناقصة
وقوله عز وجل لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى كان قوله ونقر في الارحام ما نشاء موصولا بقوله ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم نقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى من ستة اشهر الى سنتين او ما شاء الله ثم نخرجكم من الارحام
بعد الارحام بعد الاقرار فيها طفلا قال بعضهم ثم نخرجكم كل منكم طفلا وقال بعضهم اسم الطفل يجمع ويفرد ثم لتبلغوا اشدكم قال بعضهم
الاشد هو ثلاث وثلثون سنة وقال بعضهم هو من ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة واصل الاشد هو من اشتداد كل شي وتقوي
كل شي منه من الجوارح والاعضا وكل ما ركب فيه من العقل وغيره ثم عند ذلك يبتلى ويكون قوله لنبين لكم بعد هذا كله اذا بلغوا المبلغ
الذي يعرفون تقليبه اياهم من حال الى حال على ما ذكر ثم يحتمل قوله لنبين لكم وجوها احدها يبين قدرته وسلطانه ان من قدر على تحويله
من حال التراب الى حال الانسانية والبشرية ومن حال النطفة الى حال العلقة ثم الى اخر ما ذكر قدر على البعث والاحيا بعدما صاروا
ترابا ويبين علمه في الظلمات الثلاث الذي كان الولد فيها انه كيف قلبه من حال الى حال في تلك الظلمات ليعلموا انه لا يخفى عليه شي
ويبين حكمته وتدبيره في خلق الانسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع جميع الحكما من البشر والعلما ليعرفوا المعنى الذي به خلق
الانسان منه وصار به بشرا ما قدروا عليه ولا عرفوا السبب الذي به صار كذلك ليعلموا انه حكيم بذاته وعالم قادر بذاته لا يعجزه
عجز ولا بآلة وغيره فمن كان هذا سبيله لا يعجزه شي ينشئ الاشياء من الاشياء ولا من الاشياء على ما شاء وكيف شاء **وقوله**
عز وجل ومنكم من يتوفى اي قبل ان يبلغ اشده دليله قوله ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يبلغ ذلك المبلغ وهو الاشد ومنكم
من يرد الى ارذل العمر اي الى وقت يستقذر منه ويستخبث ليس كالصغير والطفل ما يؤمل منه في العاقبة المنافع والزيادات وهذا
لا يرجى منه ولا يؤمل منه العاقبة بل كلما امر عليه وقت كان اضعف في عقله ونفسه ولا كذلك الصغير وهو ما قال الله خلقكم من ضعف
ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة قال القتبي ارذل العمر اي الخرف والهرم **وقوله** عز وجل لكيلا يعلم من بعد
علم شيئا اي لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلمه شيئا ثم ذكر قدرته وسلطانه فقال وترى الارض هامدة قال بعضهم ميتة وقيل
خاشعة وقيل يابسة وقيل بالية **وقوله** عز وجل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت قال الزجاج وربت من الزيادة والنما وكذلك قال ابو
عوسجة يقال ربا يربو اي زاد وهو من الربوا وربات من الارتفاع وربا يربو ربوة كقوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ثم
اضاف الاهتزاز والزيادة الى الارض وهي لا تهتز ولا تربوا انما يربوا ويهتز ما يخرج منها من النبات لكن اضاف ذلك اليها لما بها كان
اهتزاز ذلك النبات وبها كان النما فاضيف اليها او ان كان من الارتفاع والربوة فهي ترتفع وتنتفخ وتهتز بالمطر **وقوله** عز وجل وانبتت
من كل زوج بهيج قيل البهيج الحسن يخبر في هذا كله قدرته وسلطانه ان من قدر على احيا الارض بعدما كانت يابسة ميتة لقادر على
احيا الموتى بعد الموت وبعدما صاروا ترابا **وقوله** عز وجل من كل زوج بهيج اي من كل جنس حسن بهيج به اي يبتهج وهو فعيل بمعنى
فاعل يقال امرة ذات خلق باهج وقال ابو عوسجة الهامد البالي يقال همد الثوب اذا بلي والهامد ايضا الخامد خمدت النار تخمد خمودا
وقال بعضهم قوله وربت اي اضعفت النبات **وقوله** عز وجل ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي تقدم ذكره من الساعة وزلزلتها
واهوالها وما ذكر من خلق الانسان وتقليبه من حال الى حال وما ذكر من البعث والاحيا واحيا الارض بعدما كانت هامدة هو
الحق ذلك بان امره هو الحق اي كائن لا محالة الاترى انه قال وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور وهذا كله يدل ان قوله ذلك بان الله هو الحق في تحقيق البعث والاحيا بعد الموت وانه لا يعجزه شي وانه قادر بذاته
عالم وقال بعضهم ذلك بقول لهذا الذي فعل وظهر من صنعه يدل على ان الله هو الحق وغيره من الالهة التي يعبدونها باطل وانه يحيي
الموتى في الاخرة لا الالهة التي يعبدونها وانه على كل شي قدير على ما يشاء وهو ما اخبرنا وقال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله تعالى
سمي به لانه يحكم بالحق **وقوله** عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يحتمل قوله بغير علم حجة ولا هدى اي ولا بيان دليل من جهة
العقل ولا كتاب منير اي ولا وحي ينير ما يجادل فيه ويخاصم ويحتمل ان يكون قوله بغير علم اي بغير [illegible] ممن عنده العلم ولا هدى
ولا استسلام لمن عنده الدليل ولا خضوع لمن عنده كتاب منير **وقوله** عز وجل ثاني عطفه قال بعضهم لاوي عنقه الى معصية الله و
قال بعضهم ناظر في عطفه اي في جانبه ومثل هذا الكلام حقيقته يخرج على وجهين احدهما على التمثيل والكناية عن اعراضه عن دين الله
الحق والصدود عنه كقوله انقلب على وجهه وقوله انقلبتم على اعقابكم ونحوه كله على التمثيل والكناية عن الاعراض عن الحق والصدود
عنه لا على حقيقة الانقلاب على الاعقاب فعلى ذلك جائز قوله ثاني عطفه يخرج على التمثيل والكناية عن الاعراض عن الحق وجائز
ان يكون على حقيقة عطف العنق والميل عنهم تكبرا وتجبرا منه عليهم ثم بين انه لم يفعل ذلك فقال ليضل عن سبيل الله اي ليضل الناس
عن سبيل الله ثم اخبر ما له في الدنيا بصنيعه فقال له في الدنيا خزي قال بعضهم خزي هو العذاب الذي يفضحه واصل الخزي الهوان و
الذل وهم لما اعرضوا عن عبادة الله ودينه بلوا بعبادة الاصنام واتباع الشيطان فذلك الخزي لهم في الدنيا ثم اخبر ما له في الاخرة
من الجزاء فقال ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق وعامة اهل التاويل يصرفون الاية الى واحد منهم وهو النضر بن الحارث ويقولون
له في الدنيا خزي لانه اسر يوم بدر فضرب عنقه وقتل صبرا فذلك الخزي له والحسن يقول هذا الخزي جميع الكفرة لانه لم يزل هذا مستعليهم

منتذ كما فيها الخزي في الدنيا الخسف والخسف على ما كان في الامم الخالية وقوله عز وجل ذلك بما قدمت يداك ليس على تحقيق تقديم الايدي ولكن على التمثيل لما بالايدي يقدم فذكر اليد لذلك عاما من انقلاب الاعقاب عز وجل وان الله ليس بظلام للعبيد لانه لا ياخذ احدا بغير ذنب ولا ياخذ بذنب غيره وقوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف اختلف في قوله على حرف قال بعضهم يعبد الله على حرف اي على شك يمتحن ربه على انه ان اعطاه طمعه وامله في هذه الدنيا حقق له الالوهية والعبادة وان لم يجد طمعه وامله لا يحقق له ذلك ويقول ليس هو باله اذ لو كان الها لاعطاه ما يطلب منه على هذا الشك يعبد بالامتحان وقال بعضهم على حرف اي على شرط اي يعبده على شرط الاعطاء يقول ان اعطاني عبدته وان لم يعطني ذلك لم اعبده يكون عبادته على هذا الشرط وقال بعضهم يعبد الله على حرف اي على حال واحدة وعلى جهة واحدة ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده في حالين جميعا حالة الظاهر والباطن وحالة الضراء والسراء وحالة السعة والشدة على ما تعبده الله كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ويعبده المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبده الله والمنافق انما يعبده على حالة السعة والخصب لانه ليس يعرف ربه حق المعرفة فانما يعبد السعة والرخاء واما المؤمن فاذا عرف ربه عبده في الاحوال كلها لما عرف نفسه عبد السيده ولم ير للعبد سعة ترك العبادة لمولاه في كل حال ورأى للعبود حق استعباده واستخدامه في كل حال في حال الضيق وحال السعة وان يكون رأى بما يصيبه من الشدائد والبلايا بتقصير كان منه وتفريط وعبده في الاحوال كلها ولما رأى وعرف نعمة ربه عليه كثيرة ورأى شكر تلك النعم عليه لازما ضيعه في الاحوال كلها شكرا لتلك النعم واما اولئك لم يروا لله على انفسهم نعما فانما عبدوه على الجهة التي ذكرنا كانوا في قوم من الكفرة من يعبد الله في حال الشدة والضيق ولا يعبده في حال السعة والرخاء كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ونحوه ومنهم من كان يعبده في حال السعة والرخاء هو ما ذكرنا من امر المنافق واما المؤمن فهو يعبده في الاحوال كلها لما رآه معبودا حقيقة على ما ذكرنا وقوله عز وجل وان اصابته فتنة قد ذكرنا ان الفتنة هي المحنة التي فيها بلاء وشدة وقوله عز وجل انقلب على وجهه وقال بعضهم هو على التمثيل على ما ذكرنا وقوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم وقال بعضهم على تحقيق انقلاب وجهه لانه كان عبادته ظاهرا ولم يكن يعبده في الباطن في حال السعة فلما اصابته الشدة ترك عبادته ظاهرة على ما كان باطنه فهو انقلاب وجهه والله اعلم وقوله عز وجل خسر الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا لانه فاتت عنه ما كان يامله ويرجوها وخسران الاخرة ظاهر العذاب والشدائد وجائز ان يكون خسران الدنيا هو خضوعه لمن لا يضر ولا ينفع العبادة للاصنام ذلك هو الخسران المبين لانه خسر في الدارين جميع امله وطمعه والله اعلم وقوله عز وجل يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه قيل ان الاية في المنافقين وهم كانوا لا يعبدون لكن ذكر انه يعبدون على حرف والعبادة على حرف ليست بعبادة الله انما هي عبادة الشيطان فاخبر انه يعبد ما لا يضره ان ترك العبادة له ولا ينفعه ان عبده يدل على ذلك قوله ذلك هو الضلال البعيد لانه عبد من لا يضره ان لم يعبده ولا ينفعه ان عبده فذلك هو الضلال البعيد وقوله عز وجل يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه قال بعضهم قوله يدعوا اي ويله من يضره اقرب من نفعه وقال بعضهم قوله يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه هذا ان يعبده ضره عبادته اياه في الاخرة والاولى حيث قال ما لا يضره ان ترك عبادته في الدنيا ولا ينفعه ان عبده والله اعلم وقوله عز وجل لبئس المولى ولبئس العشير قال بعضهم لبئس المولى اي الولي وهو الشيطان ولبئس العشير يعني الصاحب كقوله وعاشروهن بالمعروف اي صاحبوهن بالمعروف وقال بعضهم لبئس المولى اي الولي وهو الشيطان ولبئس العشير اي القرين الذي لا يفارق وقال القتبي اي الصاحب والخليل وهو ما ذكرنا كله واحد وقال ابو عوسجة العشير الرفيق الذي تعاشره وتصاحبه وتخالطه والعشير الزوج ايضا وقال القتبي ثاني عطفه اي يتكبر معرضا وكذلك قال ابو عوسجة ثاني عطفه اي متكبر متجبر والعطف في الاصل الجانب والاعطاف جميع وقوله من يعبد الله على حرف قال لا يدري احق هو ام باطل وهو الشك يقال انا من هذا الامر على حرف اي على شك لست بمستيقن وقال القتبي على حرف واحد وعلى وجه واحد وعلى مذهب واحد وقال قتادة على شك على ما ذكرنا وقال ابو عبيدة على حرف اي لا يدوم ويقول انا على حرف اي لا اثق بك ونحو هذا واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم قوله يدعو لمن ضره في الاخرة اقرب من نفعه وقوله انقلب على وجهه اي رجع الى دينه الاول وقوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد المعتزلة كذبت هذه الاية وهو قوله وان الله يهدي من يريد لانهم يقولون اراد ايمان جميع الخلائق ثم لم يفعل ذلك واراد جميع الخيرات والكف عن الشرور ثم لم يقدر على وفاء ما اراد ويقولون لا صنع له في افعال العباد ولا تدبير فعلى توهم لم يفعل الله مما اراد واحدا من الوف ويقولون ان الله اراد هدى جميع الخلق لكنهم لم يهتدوا وهو اخبر انه يهدي من يريد وهم يقولون يريد هدى الخلق كلهم فلم يهتدوا ونحن نقول من اراد الله هداه اهتدى وما اراد ان يفعل فعل وهو ما اخبر فقال لما يريد اخبر انه يفعل ما يريد فيخرج هذا على توهم على احد الوجهين واما على الخلف في الوعد واما على الكذب في القول والخبر نعوذ بالله من السرف في القول وقوله عز وجل من كان يظن

ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تاويل الاية عندنا يخرج على وجهين احدهما من كان يظن ان لن ينصره الله محمدا صلوات الله عليه ثم نصره فغاظه نصره اياه فيدوم غيظه فليمدد بسبب اي بحبل من السماء فيختنق ويقتل نفسه ليذهب غيظه الذي غاظه نصره فيستريح مما غاظه والثاني يخرج على الوعد بالنصر والجزاء ينصره يقول من كان يظن ان ما وعده من النصرة لا يفعل ذلك له ولا ينصره ولا ينجز ما وعد فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع اي يحبس ما وعد له من النصر ان غاظه ما وعد ليذهب غيظه الذي غاظه فعلى هذا التاويل يكون السماء سماء الاصل اي يحبس السبب الذي ينزل من السماء وقال بعضهم قوله من كان يظن ان لن ينصره الله ان لن يرزقه الله ويجعله صلة قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف لانه يجعل الاية في اهل النفاق يقول من كان يظن من اهل النفاق ان الله لا يرزقه اذا كان في زمان الذين الذي كان فيه ودوام فليمدد بما ذكر وقال مجاهد كيده ما يغيظ قال ذلك خيفة ان لا يرزق واهل التاويل صرفوا السماء الى سقف البيت ويقولون القطع الخنق وقال القتبي من كان يظن ان لن ينصره الله اي لن يرزقه الله وهو قول ابو عبيدة يقال مطر ناصر وارض منصورة اي ممطورة وقال المعتبرون من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا فليمدد بسبب او بحبل الى سقف البيت ثم ليقطع اي ليختنق فلينظر هل يذهب كيده اي حيلته غيظه اي يجهد جهده وقال ابو عوسجة فليمدد بسبب قال هذا شي لا يكون ولا يقدر عليه وهذا ذم للمتولي فيه لانه جعل السماء سماء الاصل وقوله عز وجل فليمدد اي يمد يده وقوله والسبب في الاصل الحبل اي يعلق سببا يرتقي في السماء والسبب الحار وسبوب جميع اي خمر قال والسبب الحبل بلغة هذيل وقوله ما يغيظ هو شدة الغضب وقوله عز وجل وكذلك انزلناه ايات بينات اي مثل هذا وهكذا انزلناه ايات بينات يبين ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا اما الصابئون فان الناس اختلفوا فيهم قال اهل الكلام هم الثنوية قال اهل التاويل هم عباد الملائكة وقد ذكرنا اقاويلهم فيه في سورة المائدة فتركنا ذكره ههنا لذلك والذين اشركوا قيل هم مشركوا العرب وهم عبدة الاوثان والاصنام وقوله عز وجل ان الله يفصل بينهم يوم القيامة يحتمل قوله يفصل بينهم اي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة لاختلافهم في الدنيا كقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ثم قال فالله يحكم بينهم يوم القيامة فالفصل بينهم يوم القيامة هو الحكم الذي ذكر في هذه الاية ويحتمل قوله يفصل بينهم يوم القيامة في المقام يبعث هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار فذلك الفصل بينهم وجائز ان يكون قوله يفصل اي يبين لهم الحق من الباطل حتى يعرفوه جميعا بالحق ويؤمنون به لكن لا ينفعهم ذلك يومئذ وقوله عز وجل ان الله على كل شيء شهيد من اعمالهم وافعالهم واقوالهم واقرارهم وجميع ما كان منهم وقوله عز وجل الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض حرف من في ظاهر اللغة واللسان انما يعبر به عن الممتحن من البشر والجن والملائكة واما الموات فانه لا يعبر به عنه وانما يعبر عنه بحرف ما لكن ذكر في الاخرة وهو قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال الاية ما يدل انه اراد الكل الممتحن والموات جميعا حيث قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب والاظاهر ما ذكرنا انه انما يعبر به عن الممتحن وبحرف ما عن الكل وجائز ان يكون عند الاجتماع يذكر باسم الممتحن على ما يذكر عند اجتماع الذكور والاناث باسم الذكور ثم ما ذكر من سجود هذه الاشياء يخرج على وجوه احدها سجود خلقة يسجد كل شيء ذكر بخلقته على ما ذكرنا في التسبيح والثاني سجود عبادة وهو سجود كل ممكن منه السجود وتركه وهو سجود الممتحن والثالث سجوده بذل ما جعل في هذه الاشياء من المنافع لا تاتي بذلها لاحد من الماء والشمس والشجر والدواب وكل شيء والرابع ما الهم هذه الاشياء من الطاعة لله والخضوع له لا ترى انه قال ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين الا ترى انه الهم الدواب معرفة اتيان المصالح واتقاء المهالك فجائز ان يعرف طاعته والخضوع له والله اعلم وقوله عز وجل وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب في النار ومن يهن الله فما له من مكرم هذا يحتمل وجهين احدهما من خذله الله وطرده عن عبادته وبابه فما له من مكرم كقوله ومن يضلل الله فما له من هاد او ان يقول ومن اهانه الله في النار بالعذاب فما له من منجي ينجيه عن ذلك ان الله يفعل ما يشاء على المعتزلة لانهم يقولون شاء اشياء فلم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء وقوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم اختلفوا في نزوله قال بعضهم نزل هذا في ستة نفر بارزوا ثلاثة من المسلمين حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث وثلاثة من المشركين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فذلك اختصامهم وقال بعضهم اهل الاسلام واهل الكتاب في الدين قالت اليهود والنصارى نحن اولى بالله منكم يا معشر المسلمين لان نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون بل نحن اولى بالله امنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وبكل كتاب انزله الله ثم كفرتم انتم بنبينا وبكتابنا وبكل نبي كان قبل نبيكم فانزل الله تعالى ما فصل بين المؤمنين واهل الكتاب فقال هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا بمحمد وبالقران وهم اليهود والنصارى قطعت لهم ثياب من نار الى اخر ما ذكر وقال في المؤمنين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وقال بعضهم هذان خصمان اختصموا في ربهم النار والجنة قالت

النار جعلها الله للعقوبة للعصاة والفسقة وقالت الجنة جعلني الله للرحمة للانبياء والاولياء ونحو ذلك من يكون للنار مخاصمة وكذلك الجنة وهو بعيد وقال بعضهم اختصم المسلم والكافر في البعث وجايز ان يكون اختصامهم ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من ذلك قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وقوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يكون اختصامهم بين هولاء الذين ذكرهم في هذه السورة وهم اهل الاسلام واهل الكفر وفي الاية بيان ذلك حيث قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال في المومنين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ثم جايز ان يكون هذا الذي ذكر هو الفصل الذي ذكر في الاية الاولى حيث قال ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بين اهل الاسلام في الجنة واهل الكفر في النار والله اعلم وقوله عز وجل قطعت لهم ثياب من نار كقوله سرابيلهم من قطران الاية وقوله عز وجل يصب من فوق رءوسهم الحميم قيل الحميم الماء الحار الذي انتهى حره غايته وقوله عز وجل يصهر به ما في بطونهم قال القتبي يصهر يذاب يقال صهرت النار الشحمة والصهارة ما اذيب من الالية وكذلك قال الصهارة ما يبقى من الشحم والالية اذا اذيبا يقال صهرت الشحم اي اذبت اصهره صهرا ولهم مقامع من حديد قال بعضهم المقامع الاعمدة من الحديد وهو قول ابي معاذ وقال بعضهم المقامع شبه العصا الواحدة مقمعة قال ابو معاذ معنى قوله يصهر به ما في بطونهم اي يذاب ما في بطونهم خاصة واما الجلود فانها تحرق لان الجلد لا يصهر ولا ينصهر وقال هذا مثل قول العرب اتيته فاطعمني والله ثريدا اي والله ولبنا قارصا اي حامضا اي والله واذا راود داه اي والله وحاولنا فارها تضمر لكل شيء فعلا يشاكله وفي القران مثله كثير وكذلك في اللسان وقوله عز وجل كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها قال بعضهم ان جهنم اذا جاشت القت من فيها الى اعاليها فيريدون الخروج منها فيعيدهم الخزان فيها بالمقامع ويقول لهم الخزنة ذوقوا عذاب الحريق وقال بعضهم ان في جهنم دركات فاذا اشتد العذاب بهم ينقلبون من دركهم السفلى الى دركهم العليا ويصعدون ثم يريدون الخروج منها فيعادون فيها كقوله سارهقه صعودا وقال بعضهم ان النار تفور بهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بمقامع من حديد فاذا انتهوا الى اسفلها ضربهم زفيرها والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اهلها وهو كما ذكر في اية اخرى تجري من تحتهم الانهار وقوله عز وجل يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ذكر هنا والله اعلم لقوم رغبوا في هذه الدنيا بالتحلي بما ذكر وتفاخروا به فيها وهو ما ذكر فلولا القي عليه اسورة من ذهب والا قل ما يرغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر الا النساء خاصة فاما ان ذكر للنساء او لقوم تفاخروا به في الدنيا فوعدهم في الاخرة ذلك كقوله وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقوله ولولوا بالخفض والنصب ولولوا قال الكسائي من قرا لولو بالخفض فهو يخرج على وجهين احدهما يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو والثاني يحلون فيها من اساور من ذهب ويحلون فيها من لولو حلية سوى الاساور ومن قرا بالنصب ولولوا اي يحلون فيها لولوا وقوله عز وجل ولباسهم فيها حرير وكذلك ذكر في الخبر هو لهم في الدنيا ولنا في الاخرة وقوله عز وجل وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد جايز ان يكون هذا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا هو قول التوحيد وشهادة الاخلاص واما في الاخرة كقوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو القول الطيب الذي هدوا اليه وقال بعضهم قوله وهدوا الى الطيب من القول هو القران وهدوا الى صراط الحميد الاسلام وشرايعه وقال قتادة الحمد والتسبيح والتحميد كما الهموا النفس وقال الطيب من القول هو كل قول حسن وقوله الحميد يحتمل صراط الحميد اي صراط الله كقوله صراط الله ويحتمل ان يكون نعت ذلك الصراط اي صراط حميد والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام قوله كفروا هو خبر ماض وقوله ويصدون خبر مستقبل فنسق المستقبل على الماضي قال الزجاج معناه ان الكافرين والصادين عن سبيل الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وعندنا فاوله ان الذين كفروا قبل ان يبعث محمد ويصدون الناس عن سبيل الله اذا بعث محمد ثم يحتمل قوله والمسجد الحرام اي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام اي كانوا يمنعون المسلمين عن دخول المسجد الحرام للاسلام والسوال عنه والنافي اخراجهم منه كقوله واخراج اهله منه اكبر عند الله وقوله عز وجل الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد فظاهر هذا ان يكون الذي جعل فيه العاكف والبادي سواء هو المسجد الحرام لانه قال جعلناه للناس سواء لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى مكة وقالوا سواء العاكف فيه والباد في النزول في المنازل وظاهره ما ذكر ثم يحتمل ان يكون المسجد الحرام مخصوصا بهذا ليس كساير المساجد التي لها اهل ان اهلها احق بها من غيرهم واما المسجد الحرام فان الناس فيه شرعا سواء العاكف والبادي ويحتمل ان يكون ذكر هذا في المسجد الحرام ان الناس فيه سواء ليعلموا ان الحكم في ساير المساجد كذلك ان الناس فيها سواء اهلها وغير اهلها والله اعلم وقوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال بعضهم الالحاد فيه هو الشرك فيه والكفر وقال الالحاد هو كل المعاصي واصل الالحاد هو العدول والميل عن الطريق وقوله ومن يلحد فيه الحادا بظلم

اذقه كذا وقال بعضهم من هم فيه بالحاد بظلم نذقه كذا ثم يحتمل تخصيص ذلك المكان بما ذكر وجوها احدها ليعلموا ان كثرة الخيرات وتضاعفها مما لا يعمل في اسقاط المساوي فيه وحدوثها الماد وكان صلوة واحدة بمكة تعدل كذا كذا صلوة في غيرها من الاماكن وكذلك كل حسنة فيها والثاني خصت بالذكر فيه على التغليظ والتشديد على ما خصت تلك البقعة بتضاعف الحسنات والثالث اولئك ادعوا انهم اولى بالله من غيرهم لنزولهم ذلك المكان فاخبر ان من يرد فيه بكذا الا قد يكذا ليس تخصيص ذلك المكان بما ذكر والعفو في غيره ولكن بما ذكرنا وقال بعضهم معناه من يرد فيه الحادا بظلم والباء زايدة ومثله قوله تنبت بالدهن معناه تنبت الدهن وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احتكار الطعام بمكة الحاد وكذلك روي عن عمر وابن عمر وجايز ان يكون ما ذكر من التغليظ والتشديد وتضاعف العقوبة ولذلك كره قوم الجوار بمكة لما يتضاعف عليهم العقوبة اذا ارتكب فيه ماثما والحد فيه وجايز ما ذكرنا وقد كره قوم بيع رباع مكة واجارتها بقوله سواء العاكف فيه والباد وعلى ذلك روي الاخبار بالنهي عن ذلك روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مكة مناخ لا يباع رباعها ولا يواجر بيوتها وعن عمر رضي الله عنه قال يا اهل مكة لا تتخذوا لدوركم ابوابا لينزل البادي حيث شاء ونهاهم ان يغلقوا ابواب دورهم وليس في ظاهر الاية ذكر مكة انما في الاية ذكر المسجد حيث قال والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد انما ذكر ذلك في المسجد خاصة وقال ابو حنيفة رحمه الله اكره اجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر فاما المقيم والمجاور فلا يرى باخذ ذلك منهم باسا وهو قول محمد وقوله عز وجل واذ بوانا لابراهيم مكان البيت قال بعضهم بوانا اي هيانا مكان البيت لينزل فيه والنبوة الانزال كانه قال بوانا لابراهيم مكان البيت اي انزلنا ابراهيم مكان البيت ليتخذ فيه بيتا وقلنا لا تشرك بي شيئا وهكذا بعث الانبياء جميعا بعثوا ان لا يشركوا بالله وامروا ان يدعوا الناس الى ترك الاشراك بالله تعالى وقوله عز وجل وطهر بيتي للطايفين وادعوا الناس ايضا الى ان لا يشركوا بالله شيئا ثم يحتمل قوله وطهر بيتي للطايفين ومن ذكر اي طهره من الاصنام والاوثان التي فيه لئلا يعبد فيه غيره ثم يحتمل وجايز ان يكون قوله طهر بيتي من جميع الخبايث وعن كل انواع الاذى من الخصومات والبياعات وغيرها وذلك المسجد الحرام وغيره من المساجد يطهر ويجنب جميع انواع الاذى والخبث والفحش وقوله عز وجل للطايفين والقايمين والركع السجود قال اهل التاويل الطايفين هم القادمون من البلدان والقايمين المقيمين هنالك والركع السجود المصلين ويحتمل قوله للطايفين لكل طايف به والقايمين والعاكفين لكل عاكف نحوه والعكوف هو المقام للعبادة والقايمين لكل قايم لعاكف نحوه والركع السجود لكل راكع وساجد نحوه اي كل مصلي وهذا اشبه والله اعلم وقوله عز وجل واذن في الناس بالحج يحتمل وجهين احدهما على الاعلام اي اعلم الناس ان الله عليهم الحج بالبيت كقوله ولله على الناس حج البيت الاية والثاني واذن في الناس بالحج اي ادع الناس ونادهم ان يحجوا البيت قال اهل التاويل لما امر الله ابراهيم ان ينادي في الناس بالحج فنادى فاسمع الله صوته ما بين المشرق والمغرب حتى اسمع صوته ونداه في اصلاب الرجال وارحام النساء فقالوا لبيك ومن حج بعد فهو الذي اجاب ابراهيم لما نادى بالحج لكن لا يعلم ذلك الا بالخبر عن رسول الله انه كان ما ذكروا والا فالسكوت عنه وعن مثله اولى وقالوا ان قوله واذن في الناس بالحج موصول بقوله واذ بوانا لابراهيم الاية وجايز ان يكون قوله واذن في الناس بالحج لرسول الله او لكل رسول بعث ويكون الامر بذلك في كل زمان والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ياتوك رجالا اي على الارجل مشاة وعلى كل ضامر اي يجيئون من حيث سمعوه لبعد المسير وهو ما ذكر ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد ثم قوله واذن في الناس بالحج على الامر فيكون في قوله ياتوك رجالا دلالة لزوم الحج على المشاة كما ان قال من يحجون مشاة على الارجل وركبانا وان كان على الاعلام فهو على الوعد والجزاء انهم ياتوك على الارجل مشاة وعلى الدواب وقوله عز وجل ياتين من كل فج عميق اضاف الاتيان الى الدواب لانهم بالدواب ياتون فاضاف اليها ذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة يحلون فيها من الحلي من الذهب والفضة تقول حليت المراة اي اتخذت لها حليا ويقال حلي الشي يحلى حليا اذا احسن ويقال حلى الشي يحلو حلاوة فهو حلو ويقال حليته اذا شيت جعلته اكلته حلاوة وان شيت جعلته من الحلي ويقال حلات الابل عن الماء اي منعت ويقال حليت الشي واحليته اي جعلته حلوا وقال القتبي سوا العاكف فيه والباد اي المقيم فيه والبادي هو الطاري من البدو سواء فيه ليس المقيم فيه باولى من النازع اليه وقوله ومن يرد فيه بالحاد اي من يرد فيه الحادا وهو الظلم والميل عن الحق فزيدت الباء كما يقال تنبت بالدهن وهو ما ذكرنا وقوله وعلى كل ضامر اي ركبانا على ضمر من طول السفر من كل فج عميق اي بعيد غامض وقال ابو عوسجة العاكف المقيم والبادي من كان في البادية والالحاد الميل عن الحق ومنه اشتق اللحد القبر على كل ضامر اي على كل بعير ضامر اي خميص البطن ياتوك رجالا لا تقول رجل الرجل يرجل رجلة فهو راجل والفج الطريق العميق البعيد يقال عمق اي بعد يعمق عمقا فهو عميق وقوله عز وجل ليشهدوا منافع لهم قال الحسن ليشهدون مشاهدا فيذكرون الله فيها ويكتسبون اشياء تنفع لهم في الاخرة فذلك منافع لهم التي يشهدونها وقال غيره من اهل التاويل منافع لهم التجارات والمنافع التي كانوا يكتسبونها اذا خرجوا للحج وقال بعضهم التجارة في الدنيا والاجر في الاخرة وهو مثل الاول وجايز ان يكون قوله يشهدوا منافع لهم الارزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة ما لو لم يشهدوها لم يسق الله ذلك اليهم لان من الارزاق التي جعلت لهم في البلدان ما يساق الى اهلها وهم في مقامهم واماكنهم ومن الارزاق ما يساق اهلها اليها ما لو

لم ياتوها لم يسبق ذلك اليهم فجايز ما ذكر من المنافع هو ما غاب عنهم من المنافع والارزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية
البعيدة اذا خرجوا للحج نالوها واذا لم يخرجوا له لم ينالوا وقال بعضهم ليشهدوا منافع لهم اي متاجرهم وقضاء مناسكهم وقوله عز وجل
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات اختلف فيه قال الحسن هو يوم النحر خاصة وجايز ايضا في الواحدة الى الجماعة كقوله وجعل القمر
فيهن نورا وانما جعل في السماء الدنيا وكما يقال نوادي فلان في دور بني تميم وانما نوادي في دار من دورهم ومثل هذا كثير وذلك جايز
في اللسان وقال بعضهم الايام المعلومات هو يوم النحر ويومان بعده وقال بعضهم المعلومات والمعدودات هي ايام التشريق جميعا
وقال بعضهم الايام المعلومات هي ايام العشر لانها هي ايام الذكر فيها وجايز ان يكون قوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات كناية
عن الذبح وايام الذبح ثلاثة يوم النحر ويومان بعده الا ترى انه قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها ذكر الاكل ولم يذكر
الذبح فذلك يدل على ان قوله ويذكروا اسم الله كناية عن الذبح وانما كان كناية عنه لانه بالذكر يقوم الذبايح ولا يخلو منه دونه
والله اعلم وقوله عز وجل فكلوا منها قال بعضهم من الاضاحي لان التناول من الاضاحي كان لا يحل فخرج ذلك مخرج رخصة التناول
منها والحل لكن الاضاحي لا يحتمل لان الوقت ليس هو وقت الاضاحي ولا اماكنها انما هو وقت دم المتعة والقران ودم تطوع وفيه
اباحة التناول من دم المتعة والقران وقوله عز وجل واطعموا البايس الفقير قال بعضهم البايس من البوس وهو ما اشتد به من
الحاجة والشدة وقال بعضهم البايس الذي سالك والفقير المتعفف الذي لا شيء له وقال بعضهم البايس هو الذي به زمانة
والفقير الصحيح الذي لا شيء له وهو مثل الاول وقوله عز وجل ثم ليقضوا تفثهم قال بعض اهل الادب التفث لا يعرف في لسان
العرب ما يراد به وقال الحسن التفث هو التقشف وهو ترك الزينة يدل على ذلك ما روي انه سيل عن الحاج فقال كل شعث تفل
وقال ابو عوسجة التفث في الاصل الوسخ يقال امراة تفثة اذا كانت خبيثة الريح وهو قريب مما قال الحسن انه ترك الزينة و
اهل التاويل يقولون التفث هو حلق الراس وقص الاظفار والشارب والرمي والذبح ونحوه وقال بعضهم ثم ليقضوا تفثهم
المناسك كلها وروي في الخبر من وقف بعرفة بليل وصلى معنا الجمع فقد تم حجه وقضى تفثه ظاهر قوله فقضى تفثه اي نسكه
وجايز ان يكون قوله فقضى تفثه اي جاء وقت الزينة وهو وقت الحلق واللباس والله اعلم وقوله عز وجل وليوفوا نذورهم اي
ليوفوا اذبح ما اوجبوا ذبحه ذكر فيما ساق من الهدي لنعته والحجة الاكل منه لقوله فكلوا منها ولم يذكر الاكل فيما وجب با
لنذر فكذلك يقول اصحابنا انه يجوز له التناول من هدي المتعة والقران ولا يجوز التناول مما كان وجوب بالنذر والكفارات
بل عليه ان يتصدق بالكل وهو ما قال ففدية من صيام او صدقة او نسك والله اعلم وقوله عز وجل وليطوفوا بالبيت العتيق
وهو طواف الزيارة وهو طواف يوم النحر وهو الفرض عندنا ولا يحتمل ما قاله بعض الناس انه طواف الصدر لان الله تعالى
قال ولله على الناس حج البيت وحج البيت هو الطواف بالبيت لا غير وطواف الدخول وطواف الصدر ليس على اهل مكة ذلك
الطوافان وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس فدل ما ذكرنا على ان قوله وليطوفوا بالبيت العتيق هو طواف الزيارة
وهو حج البيت الذي قال الله ولله على الناس حج البيت وقوله عز وجل بالبيت العتيق قال بعضهم سماه عتيقا لانه اعتقه الله
عن الجبابرة عن ان يتجبروا عليه وكم من جبار قد قصد اليه ليهدمه فمنعه الله عن ذلك وقال بعضهم سماه عتيقا لانه رفع الى
السماء الرابعة فذلك انه رفع هو البيت العتيق عندنا هو الذي بناه ابراهيم صلوات الله عليه واسسه ويكون قوله وليطوفوا
بالبيت العتيق الذي اسسه ابراهيم لا بالبيت الحادث الذي احدث الناس الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشة
لولا ان قومك حديث عهد بالاسلام والا ردت البيت على اساس ابراهيم وجعلت له بابين بابا يدخل فيه وبابا يخرج منه وروي
في بعض الاخبار يرويه عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار فان ثبت
هذا فهو هو وقوله عز وجل ذلك ومن يعظم حرمات الله قوله ذلك جايز ان يكون الذي تقدم ذكره من قوله ياتين من
كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم الى اخر ما ذكر لهم ذلك الذي ذكر ومن يعظم حرمات الله وجايز ان يكون لا على ذلك ولكن حرف يذكر
عند ختم قصة والفراغ منها مبتدا لا على ربط شيء نحو قوله هذا ذكر وان للمتقين كذا وان للطاغين كذا قوله وان للمتقين وان
للطاغين بغير دون ذكر هذا لكن ذكر على ختم كلام الاول وابتداء اخر فعلى ذلك جايز ان يكون قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله
كذلك وقوله عز وجل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه كانه قال ومن يعظم حرمات الله وخرج للحج وانفق المال واتعب
النفس فله عند ربه من الثواب فذلك خير له من حفظ ماله وحفظ نفسه والا لا شك انه من عظم حرمات الله خير له ممن لم يعظمها
وقوله عز وجل واحلت لكم الانعام وفي حرف ابن مسعود واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم من الحرمات
من الميتة والدم وما ذكر في سورة المايدة وقد ذكرنا هذا والله اعلم وقوله عز وجل فاجتنبوا الرجس من الاوثان جايز ان يكون
قوله فاجتنبوا الرجس وهم الاوثان وجايز ان يكون قوله فاجتنبوا عبادة الاوثان فانه رجس وليس فيه ان غير الاوثان ليس
برجس كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه انه يحل قتل الاولاد في غير خشية الاملاق فعلى ذلك هذا وقوله
عز وجل واجتنبوا قول الزور يحتمل كل قول زور ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الولد والشريك وما لا يليق به واجتنبوا قول الزور

حنفاء

حنفاء لله تاويله والله اعلم واجتنبوا قول الزور وكونوا حنفاء لله غير مشركين به وقوله حنفاء قد ذكرنا وجايز ان يكون قوله
غير مشركين به تفسير قوله حنفاء لله اي كونوا مخلصين لله في جميع اموركم غير مشركين به في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق يحتمل ضرب مثل من اشرك بالله بالساقط
من السماء واختطاف الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق وجوها احدها ما وصف وضرب مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات
نحو ما قال كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ونحو ما قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
يحسبه الظمان ماء الاية ضرب مثل الكفر بشيء لا قرار له ولا ثبات فعلى ذلك ضرب مثله بالساقط من السماء تخطفه الطير او تهوي
به الريح لا يدري اين هو ولا اين يطلبان اراد واطلبه ولا يظفر به فعلى ذلك الكافر والثاني ضرب مثله بالساقط من السماء في
بعد البقاع في الاوهام لا ينتفع بمن سقط منها ولا بشيء من نفسه ولا يبقى نفسه فعلى ذلك الكافر لا ينتفع بشيء من محاسنه
ولا تبقى نفسه ينتفع بها لبعده عن دين الله والثالث من سقط من السماء انه سقوطه منها في نفسه وفي جميع جوارحه
وظهر ذلك كله فيه حتى لا يرجى به ذلك وصحته فعلى ذلك الكافر يظهر اثار الكفر في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله والله
اعلم وقال بعضهم هذا مثل ضربه الله لمن اشرك به في هلاكه وبعده من الهدى والسحيق البعيد وهو قريب مما ذكرنا وقوله عز وجل
ذلك هو ما ذكرنا في قوله هذا وان للطاغين لشر ماب وقوله عز وجل ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب تاويله
والله اعلم اي ومن يعظم شعاير الله بالجوارح فذلك التعظيم من تقوى القلوب وهكذا الامر الظاهر في الناس انه اذا كان
في القلب شيء من تقوى او خير ظهر ذلك في الجوارح وكذلك الشر ايضا اذا كان في القلب ظهر في الجوارح وقوله حرمات الله
وشعاير الله قال بعضهم هما واحد وهي المناسك وقال بعضهم الحرمات هي جميع محارم الله ومعاصيه يتقيها تعظيما لها وقد ذكر
تاويل شعاير الله في سورة المايدة والسحيق هو المكان البعيد يقال سحق المكان يسحق سحقا فهو سحيق اي بعد والسحق ايضا الشيء
الخلق يقال اسحق الثوب وسحق يسحق سحقا واسحق فهو مسحق والسحوق النخلة الطويلة وقوله او تهوي به الريح اي تذهب به
يقال هوى يهوي هوا اي ذهب بنفسه وقوله عز وجل لكم فيها اي فيما ذكر من الشعاير منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال
بعضهم لكم فيها منافع من ظهورها والبانها واصوافها الى اجل مسمى اي الى ان تقلد وتهدى ثم محلها اذا قلدت واهديت الى البيت العتيق و
كذلك يقول اصحابنا اي من اوجب بدنة او اهدى بدنة لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها الا في حال الاضطرار فاذا بلغت محلها وذبحت
حل الانتفاع بلحمها ومنهم من قال في قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى وقت محلها من الركوب بظهورها وحلب اللبن وجز الصوف
وغير ذلك مما كانوا ينتفعون بها من قبل ويروى في ذلك خبر ان روي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال
انها بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله قال اركبها ويلك وبه يقول بعض الناس يجوز
الانتفاع بالهدايا والقلايد قبل ان تنحر وتذبح لكن عندنا ذلك في وقت الحاجة الشديدة المضطرة اليها ففي مثل ذلك يجوز الانتفاع
بها لا غيره يدل فعلى ذلك الهدايا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن ما نقصها ركوبه بها وجايز ان يكون قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى
ان تهلك او تهلكوه انتم كقوله ومتاع الى وقت هلاكها فعلى ذلك الاول ثم يكون قوله ثم محلها الى البيت العتيق والله اعلم والاول
اشبه ابتداء سؤال سئل عن محل الهدي يا او القلايد فقال عند ذلك محلها الى البيت العتيق والله اعلم والاول اشبه واقرب مما
ذكرنا وقوله عز وجل الى البيت العتيق ذكر البيت العتيق ومعلوم انه لم يرد به نفس البيت ولكن انما اراد به البقعة التي فيها البيت
لان الدماء لا تراق في البيت انما تراق في تلك البقعة التي هو فيها الحرم كله منحر ومذبح واراد بقوله وليطوفوا بالبيت العتيق
نفس البيت الا ترى انه قال هنهنا بالبيت فانما يطاف به وقال هنا الى البيت ايضا فاليه دل انه لم يرد به نفس البيت ولكن البقعة
التي فيها البيت والله اعلم وقوله عز وجل ولكل امة جعلنا منسكا قال بعضهم المنسك الموضع الذي يعبدون ويشكرون فيه ويترددون
اليه لعبادتهم ومن ثم يقال للرجل العابد ناسك ولذلك قال من قال منسكا اي عيدا يعيدونه ويجيئون اليه للعبادة وقال
الدين وقال الشريعة وقال بعضهم المنسك المنحر والمذبح وجايز ان يسمى في اللغة الذبح نسكا كقوله ففدية من صيام او صدقة او
نسك وهو الذبح وقوله ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي ولو كان النسك عبادة كذكر الصلوة وهي عبادة لكان لا يذكر النسك
فدل انه اراد بالنسك الذبح وقوله عز وجل ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام دل قوله ليذكروا اسم الله ان ذكر اسم الله
من شرط الذبيحة حيث ذكر ذكر اسم الله ولم يذكر الذبح فيفهم من ذكر اسم الله الذبح دل انه من شرط جوازه وحله سوى التسمية
فانه يفهم ما فهم الناس والامم جميعا حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة وقوله عز وجل فالهكم اله واحد كانه ذكر قوله
ولكل امة جعلنا منسكا لقوم اتخذوا الذبايح فقال ولكل امة جعلنا منسكا اي ذبحا ذبحوا وذكروا اسم معبودهم عليه ثم اخبر ان
معبودهم واحد فله اسلموا اي اخلصوا ذلك كله وبشر المخبتين قال المتواضعين وقال بعضهم المطمئنين وقال بعضهم الخاشعين
وقال بعضهم كل مجتهد في العبادة وهو المخبت ويقال المخلصين وتفسير المخبتين ما ذكر على اثره حيث قال الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الاية ومن قال المخبت المطمئن قال والخبت الطمانينة قوله منسكا ومنسكا فيه لغتان قال الكسائي من قرا منسكا بكسر

السمين فهو من نسك ينسك ومن قرا منسكا بالنصب فهو من نسك ينسك ثم لاخلاف بين اهل العلم فى ان البدن التى تساق
والهدايا التى تقلد فى الحج والعمرة لا يجوز ان ينحر فى غير الحرم انما اختلفوا فى المحصر اذا اراد ان يحل ابن ينحر ويذبح هديه الذى يحل به
وقد ذكرنا اقاويلهم واختلافهم فى سورة البقرة ولم يختلف فى ان معنى قول الله ثم محلها الى البيت العتيق يدخل فيه الحرم كله
على ما ذكرنا وعلى ما رويت الاخبار روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفة كلها موقف ومنا كلها منحر
وفى بعض الاخبار فى كل ايام التشريق ذبح وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى الجمرة فرمى بها ثم اتى المنحر فقال هذا المنحر
ومنا كلها منحر وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ان المنحر بمكة ولكنها نزهت عن الدما ومنا من مكة **وقوله** عز وجل الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم اى خافت وفرقت خوفا منه والصابرين على ما اصابهم من المصايب والرزايا والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون هذه الاية
قد ذكرنا تاويلها فى سورة الانفال **قوله** عز وجل والبدن جعلناها لكم من شعاير الله قال بعضهم من فرايض الله وقال الحسن من دين الله
والاشبه ان يكون قوله من شعاير الله اى من معالم دينه وعبادته ونسكه لان الشعاير هى المعالم فى اللغة خصت بها المناسك
دون غيرها من العبادات يجعلها معالم لها والبدنة سميت بدنة لما تعظم فى نفسها وتبدن ويقال للرجل اذا اعظم فى نفسه بدن
فلان وظاهر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزى عن سبعة والبقرة تجزى عن سبعة ان البدنة هى الجزور
وهو الابل حيث قال البدنة تجزى عن سبعة والبقرة تجزى عن سبعة فرق بين البدنة والبقرة بالذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل لكم
فيها خير قال بعضهم المنافع الحاضرة من الركوب والحلب والحمل عليها بعد ما قلدت واوجبت هديا وقال بعضهم لكم فيها خير الحاث
تقلد فاذا قلدت فلهم الاجر فى الاخرة وكان هذا اشبه ان يكون قوله لكم فيها خير اى الاجر فى الاخرة لان الانتفاع بها لا يحل اذا
اوجبت بدنة الا فى حال الاضطرار لانه قال فى اية اخرى لا تحلوا شعاير الله وفى الانتفاع بها احلال شعايره لذلك قال اصحابنا
لا ينتفع بالبدن وما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يسوق بدنة فقال له اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله فقال له
النبى اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها ويحك وفى بعض الاخبار ويلك وهذا عندنا لما راى بالرجل الحاجة الشديدة الى ركوبها و
هو ما ذكرنا ان الانتفاع بها يجوز فى حال الاضطرار ولا يجوز فى حال الاختيار لان الانتفاع بالحرمات يجوز فى حال الاضطرار
فعلى ذلك الانتفاع بالبدن التى جعلت معالم المناسك والله اعلم **وقوله** عز وجل فاذكروا اسم الله عليها صواف دل هذا ان ذكر اسم الله
من شرط الذبيحة لانه لم يذكر الذبح بنفسه ولكن انما ذكر ذكر اسمه فلولا انهم فهموا من ذكر اسم الله عليها ذبحها ونحرها والا لم يكتف
بذكر اسمه دون ذكر الذبح فدل انهم انما عرفوا ذلك به وانه من شرط جوازها والله اعلم **وقوله** عز وجل صواف فيه لغات ثلاث
احديها صوافى بالياء وهو من الاخلاص لله والصفو له والثانية صوافن بالنون وهو من عقل ثلاث قوايم منها وترك اخرى
مطلقة والثالث صواف بالتنوين اى قياما مصطفة وكان جميع ما ذكر يراد ان يجمع فيها من الاخلاص له وعقل القوايم والقيام
وكذلك جاءت السنة والاثار وفى حرف ابن مسعود صوافن بالنون وتاويله ما ذكرنا وظاهر الاية يدل على القيام لانه قال فاذا وجبت
جنوبها وجبت اى سقطت والسقوط انما يكون من القيام فدل انها تنحر قياما لا مضطجعة والله اعلم **وقوله** عز وجل فكلوا منها قد
ذكرنا هذا فيما تقدم فى قوله فكلوا منها واطعموا البايس الفقير والبايس الفقير مسكين هذا قول بعض وقال بعضهم البايس المعروف
باليوس والفقير المتعفف الذى لا يسال وقال بعضهم البايس المسكين والمعتر فقير وقال بعضهم البايس الضرير والقانع المعتر وقال
بعضهم القانع المعتر وقال بعضهم القانع هو الراضى وهو من القناعة وقال بعضهم هو السايل وهو من القنوع والمعتر الذى يعترك
ولا يسال والقانع هو الجالس فى بيته ونحوه وقال القتبى القانع السايل يقال قنع يقنع قنوعا ومن الرضا قنع يقنع قناعة والمعتر
الذى يعتريك ولا يسال يقال اعتراني وعراني واعتراني وقال ابو عوسجة القانع السايل والقنوع السوال والقناعة من الرضا
يقال منه قنع يقنع قناعة ويقول قنعته اى ارضيته وقنعته اى غطيت راسه بالقناع ونحوه ويقال من المعتر اعترا اعترارا
واعترى وعراه يعروه كلها واحد وقيل صواف اى قياما مصطفة وقال ويكون صافن وصوافن اى قايما على ثلاث قوايم يقال
صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاث قوايم وقوله وجبت جنوبها اى سقطت الى الارض وجب يجب وجوبا فهو واجب
اذا سقط ووجبت الشمس اذا غابت قال وهذا كله من الصوت يقال سمعت وجبة اى صوتا وقال المنسكا اى موضعا ينسكون
اليه العبادة وعن ابن عباس قال القانع الذى يقنع بما اعطيته والمعتر الذى يريك نفسه ولا يسال **وقوله** عز وجل كذلك سخرناها
لكم اى البدن التى ذكرناها ثم يحتمل ما ذكر من تسخيره اياها لنا وجهين احدهما كذلك سخرناها اى كما سخرناكم لركوبها والحمل
عليها وانواع الانتفاع بها فى حال الحيوة كذلك سخرناها لكم ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك لعلكم تشكرون له على ذلك
او ان يكون قوله كذلك سخرناها لكم اى مثل الذى وصفته لكم كل ذلك من تسخيره اياها لكم والله اعلم **وقوله** عز وجل لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم هذا يحتمل وجهين احدهما لن يقبل الله ذلك الا من كان من اهل التقوى لا يقبلها من
اهل الكفر لانهم قد كانوا ينحرون البدن فى الجاهلية على ما ذكرنا فاخبر انه لا يقبل ذلك الا ممن كان من اهل التقوى وهو كقوله
انما يتقبل الله من المتقين والثانى ان يكون قوله لن يناله الله اى لن يرفع الى الله الا الاعمال الصالحة الزاكية وما كان بالتقوى

واما ما كان غيرها فانه لا يرفع ولا يصعد بها وهو ما قال ولكن يناله التقوى منكم وقال بعض اهل التاويل ذكر هذا لان
اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن نضحوا بدمائها حول البيت ويقولون هذه قربة الى الله فاراد المسلمون ان يفعلوا مثل
صنيعهم فنزل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم قد ذكرنا ما ذكرنا **وقوله** عز وجل
لتكبروا الله على ما هداكم اى لتصفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هداكم من اسباب منحر البدن التى بها يوصل الى الانتفاع
بها من انواع الانتفاع اذ لولا هدانا الله وعلمنا من الاسباب التى بها نسخر ونذلل والا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها ولشدتها
وصلابتها والثانى بان يكون قوله على ما هداكم من امر الدين والهدى **وقوله** عز وجل وبشر المحسنين يخرج قوله المحسنين على وجوه
احدها محسنين الى انفسهم او المحسنين **وقوله** عز وجل اخوانهم او الذين حسن افعالهم وصلح عملهم فاما المحسنين الى الله فلا يحتمل
والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله يدافع عن الذين امنوا وفى بعض القراات ان الله يدفع عن الذين امنوا بغير الف وتاويل يدفع اى يدفع
عن الذين امنوا جميع شرور الكفرة واذاهم وتاويل يدافع اى يدافع الكفار عنهم وينصر المؤمنين عليهم وكان قوله يدافع عن الذين
امنوا انما نزل بمكة وعد الذين امنوا هنالك النصر والدفع عنهم فى حال قلتهم وضعفهم وكثرة اولئك الكفرة وقوتهم وهنالك
كانوا كذلك اعنى بمكة قليلا وضعفا ويكون نزول قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بالمدينة لانه هنالك كان اهل خيانة لانهم كانوا
اهل كتاب وتمنوا على رسالة محمد واشياء فخانوهم وكتموها ولم يكن يومئذ بمكة احد منهم انما كانوا جميعا اهل شرك فيشبه ان يكون
ما ذكرنا وان يكون قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بازاء ما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه فاخبر انه لا يحب كل خوان كفور
على ما يقولون بل يبغضهم وفيه دلالة اثبات رسالته محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه ينصرهم ويدفع عنهم اذاهم وشرهم وانهم
خونة فكان على ما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك **وقوله** عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعض اهل التاويل ان المشركين
كانوا لا يزالون يؤذون اصحاب رسول الله ويقاتلونهم ولم يؤمروا بقتالهم بعد فلما هاجروا الى المدينة امروا بقتالهم بقوله
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعضهم انه لم يكن لهم الامر بقتالهم ولا الاذن حتى امروا بذلك واذنوا فقالوا ولكنهم
لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا فاخبرهم انهم اذنوا وامروا بالقتال معهم والله اعلم بذلك وظاهره انه كان هنالك منع
عن القتال حتى اذنوا وامروا ولكن لا ندرى لاية جهة كان ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وان الله على نصرهم لقدير ظاهر على
ما اخبر **وقوله** عز وجل الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله قال بعض اهل التاويل اخرج الكفار اصحاب
رسول الله من مكة بغير حق بان قالوا ربنا الله وامنوا به ونحوه هذا اخرجهم وقال بعضهم على التقديم والتاخير يقول
كانه قال اذن للذين ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ان يقاتلوهم الا ان يقول ربنا الله فاذا قالوا ذلك يرفع عنهم القتال
لان اهل مكة كانوا لا يقرون بالله ولا يؤمنون به فاذا قالوا ذلك واقروا به امر بهم دفع عنهم القتال واما من يقر به ويصدق ثم
لكن ينكر رسالة محمد ونبوته فما لم يقربها ولا يصدق بها فان القتال لا يرفع عنهم ومن يقر به ويصدق بانه رسوله الا انه
ينكر الشرايع فانه يقاتل حتى يقربها ويصدق بها فاذا اقر بها رفع عنهم القتال وذلك كله روى فى الخبر انه قال صلى الله عليه
وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وفى خبر اخر حتى يقولوا
لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا منى كذا وفى خبر اخر حتى يقولوا لا اله الا الله وانى رسول الله واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة الى اخر ما ذكر فالاول للذين لا يقرون بوحدانية الله فاذا اقروا به دفع عنهم القتال والثانى فى الذين
يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة فاذا امنوا بها دفع عنهم القتال والثالث فى الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله لكنهم
ينكرون الشرايع فاذا اقروا بها دفع عنهم القتال كانوا انواعا ثلاثة على ما ذكرنا فجاء فى كل فريق ما ذكرنا والله اعلم **وقوله**
عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع الى اخر ما ذكر وقال فى اية اخرى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض وفى موضع اخر لفسدت السموات والارض ونحوه قال بعضهم دفع بالنبيين عن المؤمنين
ودفع بالمجاهدين عن القاعدين ما لولم يدفع لهدمت كذا وما ذكر اى دفع بالاخيار عن الاشرار وبالاخير عن الادون ولكان
هدمت وفسد ما ذكر وقال بعضهم لولا ان الله يدفع بمن يصلى عمن لا يصلى وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن
يزكى عمن لا يزكى وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعل والا لفسدت الارض وهدمت الصوامع وما ذكر وعلى ذلك عن ابى الدرداء
رضى الله عنه انه صلى باهل دمشق صلوة الصبح فقال لو يعلم الناس ما فى هذه الصلوة من الخير لحضروها ثم قال لولا ان الله
يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قبلا او كلام نحو هذا وقال الحسن ان فى الصوامع
والبيع والكنايس من الرهبان لا اخبار من يتمسك بالاسلام وشرايعه فيدفع بهم عمن لا يتمسك منهم وقال بعضهم لولا دفع
الله باهل هذا الدين اى الاسلام عن الاديان كلها لكان كذا وكذا وقال بعضهم دفع بالمسلمين عن مساجدهم وبالنصارى عن بيعهم
وباليهود عن كنيسهم الى هذا ذهب اهل التاويل والمتقدمون ولو قيل غير هذا لكان اشبه واقرب وهو ان الله خلق هذا الخلق و
جعل بعضهم عونا لبعض ورداء فى امر المعاش والدين جميعا وجعل منافع بعضهم متصلة ببعض ما لو كلف كل القيام بنفسه

فيه لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك لحوائجهم لو كلف احد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الحراثة والزراعة و
الحصاد والدياس والتذرية والطحن والخبز وغيره ما لو كلف واحد القيام بنفسه بذلك كله لهلك ولكن جعل بعضهم
عونا لبعض وردءا لهم ولانتفاع بعضهم ببعض وكذلك الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القياس
ما لو كلف كل واحد بنفسه القيام بذلك كله لهلكوا فاذا هلكوا اهلك ما لهم خلق من السموات والارض وما فيهما وما سخر لهم و
قال بعضهم دفع بما ذكر اهل المساجد في المساجد من اسم الله عن اهل الصوامع والبيع والكنائس وهو قريب مما ذكرنا من قبل
ثم اختلف فيما ذكر من الصوامع والبيع والصلوات قال بعضهم الصوامع للراهبين والبيع للنصارى والصلوات الكنائس
التي تكون لليهود والمساجد للمسلمين وقال بعضهم الصلوات للصابئين وقال القتبي الصوامع للصابئين والبيع للنصارى
وصلوات بيوت صلوات اليهود والمساجد للمسلمين وقال ابو عوسجة الصوامع للرهبانية والبيع للنصارى ومصلى
والصلوات لليهود وهي شبه البيعة على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دين الله
نصره الله او من نصر اولياء الله نصره وقال الحسن من حكم ان من نصر الله نصره وقد ذكرناه فيما تقدم في غير موضع وقوله
عز وجل ان الله لقوي عزيز يحتمل قوي لنصرة اوليائه عزيز لانتقام اعدائه وان يكون قوله لقوي عزيز اي قوي فيضعف
كل قوي من دونه عند قوته ويذل كل عزيز عند عزه او قوي لا قوي سواه عزيز لا عزيز سواه وفي قوله ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وما ذكر دلالة ترك هدم الكنائس والبيع وما ذكر والنهي عن هدمها لانه
ذكر الصوامع والبيع وعلى ذلك تركت الكنائس والبيع في امصار المسلمين لم تهدم ولا خلاف بين اهل العلم في ذلك وانما
يمنعون عن احداث البيع والكنائس في امصار المسلمين وقراهم واما العتيقة منها فانهم يتركون ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة الاية قال بعضهم هذا نعت من الله لاصحاب رسول الله
ومن تبعه ومدح لهم بالدوام على دين الله الذي قبلوه واخذوه في حال الخوف بعدما مكن لهم في الارض وامنهم من ذلك
الخوف الذي كان في الابتداء واخبر انهم داموا على ذلك ولم يتركوا ما كانوا عليه بل زادهم حرصا على ذلك وجهدا وكذلك
الاية التي ذكر في سورة النور وهو قوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الى اخر الاية فان
كان التاويل هذا فهو رد على الروافض قولهم ومذهبهم لانهم يقولون انه لما ولي ابو بكر ارتدوا جميعا وتركوا الدين الذي اختاروه
فالاية تدل على نقض قولهم انهم ارتدوا لان الله عز وجل اخبر انه مكن لهم في الارض واستخلفهم ووعدهم الجنة وانما ارتد
من كان اسلامه بالقهر والغلبة فاذا مكن لهم تركوا ذلك وقال بعضهم ان الاية وان كان ظاهرها خبرا ووعدا فهي في الحقيقة
امر ان افعلوا كذا الى اخر ما ذكر وهو كقوله ولله عاقبة الامور يحتمل قوله عاقبة الامور اي ترجع اليه الامور في الاخرة هو
كقوله والى الله ترجع الامور وجائز ان يكون قوله عاقبة الامور ان يكون عاقبة الامر لاوليائه من النصر والقهر على اعدائهم
فالمراد بالاضافة اليه اولياؤه كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا اولياءه او تنصروا دينه ينصركم والله اعلم وقوله عز وجل
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح الاية هذا يخرج على وجهين احدهما وان يكذبوك فيما اخبرت لهم وذكرت من التمكين و
الثبوت على الدين ووعدت لهم الجنة فقد كذبت لهم الامم الذين من قبلك رسلهم اذا اخبروا لهم بشيء او وعدوا لهم بنصر ونحو
وجائز ان يكون قوله وان يكذبوك في الرسالة وفيما تخبر عن الله من الاخبار يصبر رسوله فيقول لست انت باول مكذب في
الخلق ولكن قد كذب الاقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة وهو ما قال وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك الاية وقوله عز وجل فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير اي لم يعاجلهم الله فيما كذبوا رسولهم وقت تكذيبهم
الرسل بل امهلهم حتى اغتروا بتاخير العذاب عنهم وزادهم تكذيبا وعنادا فعند ذلك اخذوا وعوقبوا بالتكذيب وهو ما اخبر
عنهم وهو كقوله لولا يعذبنا الله بما نقول قال الحسن ان الله لم يهلك قوما باول التكذيب ولكن امهلهم قرنا فقرنا وقوما بعد
قوم ورسولا بعد رسول فعند ذلك انا علم منهم انهم لا يؤمنون اهلكهم وان كان يعلم في الازل من يؤمن منهم ومن لا يؤمن حتى
يعلم علم ظهور وعلم ابتلاء انهم لا يؤمنون وهو كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم على ظهور في الخلق وان كان يعلم علم باطن وخفي
وقوله عز وجل وكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة لم يهلك الله عز وجل اهل قرية اهلاك استيصال وتعذيب الا بعد عناد اهلها
وظلم شرك كقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وكقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وامثاله كثير على ما ذكرنا وقوله
عز وجل فهي خاوية على عروشها قال فاذا ذهبت السقف وبقيت الحيطان فهي خاوية على عروشها وقال بعضهم خاوية خربة
ساقطة حيطانها على سقوفها وقال الحسن العريش كل ما ارتفع من الارض وعلا يقال العرش والعروش جميع وهكذا كان ما اهلك الله
من القرى منها ما اهلك اهلها وترك القرى والبنيان على حالها لاوليائه من ذلك فرعون وقومه وغيره من الاقوام ومنها ما اهلك
القرى باهلها لم يترك منها شيئا من نحو قريات لوط وثمود وعاد ونحو ذلك وقال بعضهم العروش هي اجذام البيوت واجذام الشجر
وكانها اسطوانته واصل الخاوية خلاء وفراغ الاهل وكذلك وقوله عز وجل وبئر معطلة عطلها اهلها ليس بها احد لانها خربت

على ما ذكرنا من اهلاك اهلها وقوله عز وجل وقصر مشيد قال بعضهم مشيد مجصص والشيد الجص وقال بعضهم مشيد اي مرتفع
والمشيد بالتشديد هو المطول المرتفع قال القتبي المشيد المبني بالشيد وهو الجص والمشيد المطول ويقال ما سوا وهو مطول وكذلك
قال ابو عوسجة او قريبا منه وكانه ذكر هذا لاهل مكة لوجهين احدهما ان كانت لهم قرية فيها قصور مشيدة محصنة يتحصنون بها
يخبر ان من كان قبلكم اشد قوة واكثر حصنا وقصورا فلما كذبوا رسولهم لم ينفعهم ذلك ولكن نزل بهم العذاب فعلى ذلك انتم يا
اهل مكة اذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل باولئك او ان يكونوا امنين فيها مطمئنين فقال ان اولئك قد كانوا امنين مطمئنين
في قرارهم كامنكم ثم نزل بهم ما نزل فانتم وان كنتم امنين فينزل بكم ما نزل باولئك وهو ما قال عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة الاية والله اعلم وقوله عز وجل افلم يسيروا في الارض اي هلا ساروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فينظروا الى
ما حل باولئك بالتكذيب فيمتنعوا عنه واذان يسمعون بها اي لم يسيروا ليستمعوا الى الاخبار التي فيها ذكر هلاكهم وما نزل بهم
بالتكذيب والعناد لان ما حل بالاولين انما يعرف ذلك باحد امرين اما بالمعاينة بالنظر اليهم واما بالسماع من الاخبار وان يكون قوله
افلم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض ولكن لم تكن لهم قلوب عقول وافهام يعقلون بها ما نزل باولئك بالتكذيب فيعتبروا
بذلك ولا كانت لهم اذان يستمعون ما حل بهم اذ كانت لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر واذان يسمعون بها لو سمعوا حق السماع
لكنهم لما لم ينتفعوا بعقولهم واسماعهم نفى ذلك عنهم وهو ما قال فانها لا تعمى الابصار الظاهرة ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وهو ما نفى عنهم السمع والبصر لتركهم الانتفاع بها صم بكم عمي وقال بعضهم هذه الاية في شان عبد الله بن زائدة ابن ام مكتوم الاعمى
معناه ان العمى عمى القلب ليس عمى البصر وهو كان عمى البصر لا عمى القلب هذا معناه ان ثبت والله اعلم وقوله عز وجل ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده اي لن يخلف الله وعد الذين وعد في نزول العذاب انه ينزل بهم لا يتقدم ولا يتاخر عن ميعادهم
وقوله عز وجل وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال عامة اهل التاويل نحو ابن عباس والضحاك ومجاهد وهؤلاء انها هي
الايام التي خلق الله فيها الدنيا وجعلها اجلا لها بعد كل يوم من تلك الايام كالف سنة والى هذا صرف عامة اهل التاويل فلا نعلم
لذلك وجها وقال بعضهم وان يوما عند ربك من عذابهم في الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اليوم الواحد الف سنة وهو
هذا ان الوقت القصير القليل يجوز ان يصير مديدا طويلا لشدة العذاب والبلاء نحو ما قيل لهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
قصر مقامهم في الدنيا لشدة ما عاينوا من العذاب فعلى ذلك هذا والله اعلم وجائز ان يكون هذا لا للتوقيت والمراد ان الاخرة ما
لا غاية لانتهائها وكل شيء لا غاية لانتهائه فذكر الوقت ثم يخرج مخرج التمثيل لا التوقيت كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض
وقال عرضها السموات والارض ليس على التحديد لها والتوقيت ولكن على ما خرج عن الاوهام ذكر ذلك ومثلها به فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله عز وجل وكأين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي امهلت لها لم اخذها وقت ظلمهم ثم اخذتها من بعد والى المصير وقوله
عز وجل قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين هو ظاهر قد ذكرناه في غير موضع وقوله عز وجل فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة لذنوبهم ومعاصيهم ورزق كريم قال بعضهم سماه رزقا كريما لانه من رزق ذلك واعطى يكرم ويعظم قدره وقال بعضهم
سماه كريما لان الكريم هو الذي يقضي عنده الحوائج والحاجات فعلى ذلك هذا الرزق من ناله واصابه قضى عنده الحوائج لذلك سمى
كريما والله اعلم وقوله عز وجل والذين سعوا في اياتنا معاجزين وفي بعض القراءة معجزين قال بعضهم معاجزين مثبطين مبطئين
يثبطون الناس عن اتباع النبي والاشبه عندنا ان يكون قوله معاجزين سابقين فائتين لكثرة ما جاء في الاخبار كما قال والذين
سعوا في اياتنا معاجزين على ظن منهم انهم سابقون فائتون عن عذابه اولئك اصحاب الجحيم وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى اي تلا القى الشيطان في امنيته قيل في تلاوته وقراءته الاية قال عامة اهل التاويل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا تمنى اي تلا في صلوته او حدث نفسه القى الشيطان على لسانه عند تلاوته والنجم اذا هوى حتى اذا انتهى الى قوله افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وذكروا انه اتاه على صورة جبريل فالقى عليه ما ذكروا
ثم اتاه جبريل فاخبره النبي بذلك فقال له انه لم ينزل عليك قط شيئا مثله وامثال ما قالوا لكنه لو كان ما ذكروا لا يكون عرف في المرة الثانية
انه جبريل وانه ليس بشيطان ولا يؤمن ان ليس عليه في وقت اخر فامثاله وقال قتادة انه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان يذكر الله الهتهم
بعيب فلما قرأ تلك الاية ومناة الثالثة قال انهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى عندهم يعني به عند اولئك الكفرة وهم على
ذلك كانوا يعبدونها وقال الحسن انه اراد بقوله تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى الملائكة لانهم كانوا يعبدون الملائكة رجاء
ان يشفعوا لهم يوم القيامة فاخبر ان شفاعة الملائكة ترتجى وهذان التاويلان اشبه من الاول والاشبه عندنا ان يكون على غير
هذا الذي قالوا وهو ان قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي عند تلاوته القران او في
تلاوته القران في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه فيشبهون بذلك على الاتباع ليتبعوهم وهو نحو قولهم ان محمدا يحرم ما
ذبحه الله ويحل ما ذبح هو بنفسه ويخوضون عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
فقالوا ان عيسى وعزيرا والملائكة عبدوا دون الله فهم حصب جهنم اذا ويخوضهم قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى حساب

الجل وامثال هذا مما حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجادلوه به فاخبر انه ينسخ مجادلتهم ومحاجتهم رسوله وانه يحكم اياته حيث
قال لعند قولهم انه يحل ذبح نفسه ويحرم ذبيح الله فبين انه يحرم هذا ويحل الاخر وهو قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
ولكن كلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين انه انما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرم الاخر بترك ذكر اسم الله عليه وبين فى قولهم ان عيسى عبد دون الله
والملايكة عبدوا دونه فهم ليسوا بحصب جهنم حيث استثنى اولئك فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فابطل مجادلتهم ومحاجتهم
فمن فهم الاية الى حسبانا بالحل بقوله هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الاية فهذا والله اعلم تاويل قوله فينسخ ما يلقى الشيطان
ثم يحكم الله اياته نسخ ما القى الشيطان فى قلوب اولئك الكفرة ما به جادلوه وحاجوه واحكم اياته بما ذكرنا ثم ان ثبت ما ذكر ابن عباس
وعامة من ذكرنا حيث قالوا جرى على لسانه ذلك فجايز عند ما جرى الخطا على لسان من عصم اذا عرف السامع منه مذهبه ودينه الذى
يدين به عرف ان ما جرى على لسانه جرى غلطا وخطا نحو من يعتقد مذهبا وينتحل نحلة فجرى على لسانه خلاف ما يعرف منه الاعتقاد
يعرف انه جرى على لسانه غلطا فعلى ذلك الذى ذكره اهل التاويل ان ثبت ما ذكر وعنه انه قال ذلك والاشبه فيه ما ذكرنا من القاء
الشيطان فى قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه كقوله ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم الاية وقال القتبى
الا اذا تمنى اى تلا القران القى الشيطان فى امنيته او فى تلاوته وكذلك قال ابو عوسجة وقال واما فى مشددة جميع وقال غيرهم
انما تمنى اذا احدث وفى امنيته فى حديثه قال بعضهم تمنى وامنيته هو من تمنى النفس كقوله ولا تتمنوا ما فضل الله الاية ونحوه
وهو قول الحسن تمنى كبعض ما يتمنى الناس من الدنيا وقال قتادة تمنى ما ذكرنا من تمنى النفس ان يذكر الهتهم التى كانت تدعى وترجى
شفاعتهن على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض هذا على تاويل القوم يجعل ما
يلقى الشيطان فى قلوب اولئك الكفرة فتنة للذين فى قلوبهم مرض وعلى تاويلنا يجعل ما يلقى الشيطان فى قلوب اولئك الكفرة فتنة
للذين ذكر لما ظنوا انه لا يقدر الاجابة لهم ولا يحضره ما يجيبهم فيكون ذلك فتنة لهم والله اعلم وقوله عز وجل فى قلوبهم مرض
كانهم هم المنافقون لانهم هم الموصوفون المسمون بهذا الاسم كقوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا وقوله عز وجل والقاسية قلوبهم كانهم هم الرؤساء المكابرون المعاندون لرسول الله والكفرة كلهم موصوفون
بقساوة قلوبهم كقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وقوله عز وجل وان الظالمين لفى شقاق بعيد
يحتمل اى لفى عناد ومكابرة بعيد عن الاجابة له او بعيد لاسماع الحق وقبوله وقيل شقاق اى خلاف بعيد اى لا يرجعون الى
الوفاق ابدا وقوله عز وجل وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به وقوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه
هذه الاية كالايات التى ذكرناها فيما تقدم من ذلك قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض الاية ونحوها من الايات التى وصف اهل التوحيد بالقبول
لها والخضوع والاقبال اليها ووصف اهل الكفر بالرد والتكذيب فعلى ذلك قوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك علم الذين
اوتوا العلم ان القران ومحمد الحق من ربك لانهم نظروا اليه بالتعظيم والتبجيل والخضوع له فاقروا به فزادهم بذلك هدى ورحمة
وشفاء واولئك نظروا اليه بالاستخفاف والهوان والتكذيب فزادهم بذلك رجسا وضلالا وفسادا وقوله عز وجل عذاب
يوم عقيم قال بعضهم هو يوم بدر وقال بعضهم هو عذاب يوم القيامة وهو شديد وجايز انه سماه عقيما لانه لا يرجى النجاة منه
ولا الخير وكذلك سميت المراة لا تلد عقيما لانه لا يرجى منها الولد وقوله عز وجل الملك يومئذ لله يحكم بينهم قال الحسن الملك فى الاحوال
كلها لله فى الدنيا والاخرة لكن تاويل قوله الملك يومئذ لله اى الحكم يومئذ لله هو يحكم بينهم دون الخلايق لان فى الدنيا من قد حكم
غيره فاما يومئذ فالحكم له وعندنا تخصيص الملك له يومئذ بالذكر وان كان الملك فى الايام كلها لله لانهم جميعا يعزون له بالملك يومئذ
لا احد ينازع وفى الدنيا من قد ادعى الملك لنفسه وهو ما ذكر فى قوله وبرزوا لله جميعا والى الله المصير والى الله ترجع الامور ونحوه
فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل فالذين امنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم
عذاب مهين ظاهر تاويله وقوله عز وجل والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا اما اهل التاويل فانهم صرفوا تاويل الاية الى
الغزاة والمجاهدين فى سبيل الله قتلوا او ماتوا حتف انفهم فان لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمدخل المرضى وظاهره ان يكون فى الذين
هاجروا الى رسول الله فان كان فيهم ففيه دلالة نقض قول الروافض حيث قالوا ارتدوا عامتهم حيث شهد الله لهم بالجنة والرزق
الحسن والمدخل المرضى قتلوا او ماتوا حتف انفهم فلا يحتمل ان يكون منهم ما قالوا قال القتبى قوله فتخبت له قلوبهم اى تخضع وتذل
وهو كما ذكرنا فى قوله وبشر المخبتين وقال عذاب يوم عقيم كانه عقم عن ان يكون فيه خير او فرج للكافر وقال ابو عوسجة عذاب يوم
عقيم شديد وهو ما ذكرنا وقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل هو الجنة لانه انما ذكر بعد الموت والقتل فلا يكون رزق حسن
الا فى الجنة يستحسنه كل طبع وعقل وقوله وان الله لهو خير الرازقين وان لم يكن رازق سواه لانهم كانوا يطعمون ويطلبون الرزق
والسعة من عند من سواه حيث كانوا يعبدون من دونه طمعا فى السعة فاخبر انه هو الرازق ومنه يطمع الرزق والسعة لانه هو
المالك لذلك وهو ما قال الحسن انا الغنى وان لم يكن خالق سواه وقوله عز وجل ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة ايضا يرضى

كل طبع وعقل وان الله لعليم حليم عليم بما صنع باوليايه اعداوه او ما صنع هو باوليايه حليم حيث اخر الانتقام ممن صدا بهم ينتقم منهم
وقت صنيعهم بما صنعوا باوليايه والله اعلم وقوله عز وجل ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قد ذكرنا فيما تقدم انه جايز فى اللغة ذكر حرف
ذلك وحذف هذا على الابتداء وان كان مما يخبر به عن غايب نحو قوله هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب هذا وان للطاغين بسمعنيم ذكر
بدون ذكر هذا وهو ان يقول وان للمتقين كذا وان للطاغين كذا فعلى ذلك هذا او ان يكون ذكر ذلك صلة ما سبق من ذكر الايات
والاخبار يقول ذلك الذى ذكرت لك وانباتك من عاقب بمثل ما عوقب به ثم اختلف فى سبب نزول هذه الاية قال بعضهم هى فى
القصاص ان من قتل ولى اخر فاقتص منه ثم ان المقتص منه بغى على ولى المقتول فقتله لينصرنه على من بغى عليه وهو ما ذكر فى اية اخرى
وهو قوله فمن عفى له من اخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ثم قال فمن اعتدى بعد ذلك
فله كذا لكن ذكر ههنا الاعتداء بعد ما اخذ المال وعفا وفى الاول ذكر البغى بعد القصاص وهو واحد فى المعنى وقال بعضهم
نزل فى المؤمنين والمشركين وذلك ان المشركين عاقبوا المؤمنين بعقوبات واعتدوا عليهم ثم ان المسلمين ظفروا بهم فعاقبوهم جزاء
عقوبتهم ثم ان المشركين بغوا على المؤمنين فوعد الله لهم النصر عليهم بعد البغى وقال بعضهم قريبا من هذا وهو ان المشركين كانوا يوذون
اصحاب رسول الله ومن امن منهم ويعاقبونهم فى اشهر الحج ولم يكن للمؤمنين اذن بقتالهم فى ذلك الوقت فقاتلوهم مكافاة ثم اخبر الله
عز وجل ووعد لهم النصر اذا بغوا ولكن عليهم من بعد فعلى هذا التاويل يكون وعد النصر لهم اذا بغوا وبغيا عليهم من بعد وعلى التاويل
الاول يكون لهم الوعد بالنصر بعد ما بغى وبغيا على هولاء والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ان الله لعفو غفور للمؤمنين بقتالهم وذلك فى
اشهر الحج حيث كان لم ياذن لهم بالقتال او ان الله لعفو غفور اذا تابوا ورجعوا عما فعلوا والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بان الله
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل قد ذكرنا ان حرف ذلك يستقيم ذكره على الابتداء والاستيناف على غير صلة وجايز ان يكون
صلة قوله لينصرنه الله اى ذلك النصر لهم ذكر لان من قدر على ايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل قادر على ما وعد من النصر لهم وقوله
عز وجل وان الله سميع بصير سميع لاقوالهم بصير بحوايجهم والسميع يقال هو المجيب اى يجيب لدعائهم بصير بما يكون من الاعداء او ان يكون على
الابتداء فى كل امر وكذلك ذلك بان الله هو الحق بما ذكرنا وقال بعضهم ذلك بان الله اى هو الذى يفعل هذا وقوله عز وجل ذلك بان الله
هو الحق قال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله به يعطى وبه يمنع وبه يحكم بين الخلق وبه يقضى ونحوه وجايز ان يكون قوله ذلك بان الله
هو الحق اى عنده يتحقق ما يطمع فى العبادة ويطلب ذاهو المالك لذلك وقوله عز وجل وان ما يدعون من دونه هو الباطل اى ما
تطمعون بعبادتهم من دونه باطل وهو الاصنام التى عبدوها رجاء الشفاعة او طمعا فى السعة فاخبر انها لا تملك ذلك وانما
يملك ذلك الله وقوله عز وجل وان الله هو العلى الكبير اى من عنده يطلب العلو ومن عنده يطمع الرزق والسعة والشفاعة
والنصر والظفر والاجابة لا من عند هولاء الاصنام التى يعبد ونها يذكر سفههم بعبادتهم الاصنام من دون الله وقوله عز وجل
الم تر اختلف فيه قال بعضهم الم تر انما هو حرف تعجب يعجب رسول الله جميع ما يعقل من افعاله وقال بعضهم الم تر هو حرف اثبات
الحجج وافادة براهينه كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ونحوه واصله ان ظاهره وان كان استفهاما فهو فى الحقيقة تحقيق وايجاب
الم تر اى قد رايت وانبهرت وهكذا جميع ما خرج ظاهره فى الكتاب مخرج الاستفهام فهو فى الحقيقة ايجاب والزام ثم فى قوله ان الله
انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وجهان من الاستدلال على منكرى البعث احدهما يخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على انزال
الماء من السماء وشق الارض واخراج النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الارض وشدتها قادر على احياء الخلق بعد الموت ولا يحتمل
ان يعجزه شىء والثانى حيث قدر على احياء الارض بعد موتها وجعلها لقادر على البعث والاحياء وقد عرفوا ان اعادة الشىء اهون من
ابتداء اذ يقدر على الاعادة من لا يملك على الابتداء انما عرف الابتداء وقوله عز وجل ان الله لطيف خبير قال الحسن اللطيف فى الشاهد
انما يقال على وجوه ثلثة احدها انه يقال للشىء لطيف لرقته وذلك عن الله منفى والثانى يقال لطف لما ينافى له الاشياء ولا يصعب عليه
والثالث اللطيف هو الرحيم الرؤف وهذان الوجهان يضافان الى الله والاول لا يجوز اضافته اليه خبير عليم وقوله عز وجل له ما فى
السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد يخبر ان له ما فى السموات وما فى الارض وانهم عبيده واماؤه وانه لم يخلقهم لحاجة
نفسه ولكن انما خلقهم لحاجة انفسهم حيث اخبر انه الغنى بذاته والثانى يخبر انه لم يامرهم ولم ينههم ولا امتحنهم لمنافع تكون له
ولكن لمنافع الممتحنين الحميد هو المحمود فى افعاله او الحميد الحامد وقوله عز وجل الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر
بامره يذكرهم نعمه لينادى به شكره لانه اخبر انه سخر لهم ما فى الارض من انواع المنافع ليعلموا انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى
لان من كان خلقه لما ذكر لم يكن خلقه ليكون خلقا متروكا سدى ويخبر انه اعطى لهم الاسباب التى بها يصلون الى منافع الارض مع
شدتها وصلابتها والاسباب التى بها يصلون الى منافع البحر وهى الفلك التى خلقها لهم ليصلوا بها الى منافع البحر حيث خلق الخشب
مارة على وجه الماء غير متسربة وغيره من الاشياء من طبعها التسفل والتسرب فى الماء من الحديد ونحوها من الاشيا ليعرفوا فضله و
لحكمته اذ كيف ثبت وقرارها على وجه الماء ولم يثبت الحديد والحجر ونحوه ثم يثبت الحديد على وجه الماء مع الخشب اذا السفن لا تخلو
عن الحديد وبه يقوم السفن ثم لم يتسرب والله اعلم وقوله عز وجل ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه اى يمسك السماء لا

بالاسباب ولا بالاشياء التي يمسك الاشياء في الشاهد وهو ما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية وقوله عز وجل
ان الله لرؤف رحيم اى من رافته ورحمته ما خلق لهم وسخر ما ذكر وقوله عز وجل هو الذي احياكم ثم يميتكم هذا قد ذكرنا وقوله عز وجل
ان الانسان لكفور وجايز ان يكون قوله ان الانسان اى الكافر لكفور للبعث اى جاحد له او لكفور لربه في نعمة التي انعمها عليهم حيث
ذكر انه سخر لهم في قوله سخر لكم كذا لانه ينظر في النعم الى اسبابه والحيل التي يحتال لا الى فضل ربه وافضاله في تلك النعم لذلك صار كفورا
لربه في نعمه واما المؤمن فانه ليس ينظر الى الاسباب والحيل فيها ولكن ينظر الى فضل الله وافضاله وانعامه عليه فيها فيكون شكورا له
فيها غير كفور والكافر ينظر الى ما ذكرت لذلك كان ما ذكر وعلى المعتزلة في قوله ان الانسان لكفور لانه يقول هو الذي سخر الفلك
وهم يقولون لم يسخر الفلك ولكن انما سخر الخشب التي منها يتخذ الفلك لانهم لا يرون لله في فعل العباد تدبيرا ولا صنعا وهم يكفرون
نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا وهم ما خلوا في ظاهر هذه الاية على وجه الذي ذكرنا وقوله عز وجل ولكل امة جعلنا منسكا
اختلف في المنسك قال بعضهم منسكا اى جعلنا لكل امة دينا يدعون اليه اى كل امة تدعى الى دين واحد وهو دين الاسلام
وهو قول الحسن وقال بعضهم لكل امة جعلنا منسكا اى شريعة فهذا على الاختلاف اى جعلنا لكل امة شريعة على حدة هم ناسكوه
ذلك كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال عامة اهل التاويل منسكا اى ذبائح وعيدا لو ذكر هذا والله اعلم لان من الناس
من ينكر ان يكون الذبح شريعة الله فاخبر ان الذبح سنة وشريعته في الامم كلها ليس على ما قالت الثنوية وقوله عز وجل فلا ينازعنك
في الامر على تاويل من يقول ان المنسك هو الذي اى لا يخالجنك في نسكك الذي انت عليه هو دين الله وادع الناس اليه وعلى تاويل
من يقول هو الذبح يقول فلا ينازعنك اى لا يصدنك عن الذبح من ينكر ذلك كقوله ولا يصدنك عن ايات الله وقوله عز وجل
وادع الى ربك اى ادع الى توحيد ربك وفلا تكونن قوله ادع الى ربك الى عبادة ربك وانههم عن عبادة من دونه وقوله عز وجل
انك لعلى هدى مستقيم اى لان التاويل الذي ذكرنا في المنسك هو الذي اشبه واقرب لانه ذكر انك لعلى هدى مستقيم
فلا يخالجنك في نسكك شك في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وان جادلوك في امر الذبيحة او في الدين وقد جادلوه في الدين كثيرا
لكن ذلك قالوه والله اعلم عند اياسه عن توحيدهم واسلامهم يقول والله اعلم وان جادلوك في التوحيد والدين فقل الله اعلم
بما تعملون وهو كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فعلى ذلك قوله الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة
فيما كنتم فيه تختلفون من الدين قال بعض اهل التاويل هذه الاية منسوخة نسختها اية القتال لان فيها الكف عن القتال والترك
على ما هم عليه وتسليم الامر الى الله يحكم بينهم يوم القيامة لكن جايز ما ذكرنا انه انما قال ذلك عند الاياس منهم عن توحيدهم وقوله
عز وجل الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الم حرف يتوجه الى وجوه الى التعجيب مرة والى
التنبيه والايقاظ ثانيا والى الايضاح الحجج والبراهين ثالثا وقوله عز وجل ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقوله عز وجل ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى حججا وبراهين وما ليس لهم به علم يخبر عن سفههم انهم يعبدون من دون الله بلا سلطان ولا حجة
لهم ولا علم بذلك علم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم ولا كان لهم كتاب فيعملون به فيقولوا انهم يقولون الله امرهم بذلك ولا
حجة لهم في ذلك ولا علم وفيه انه انما بعث الرسل اليهم على علم له منهم انهم يكذبون الرسل لان من الناس من ينكر بعث الرسل الى من يعلم
انه يكذبهم ويترك اجابتهم كمن لا يبعث في الشاهد رسولا الى من يعلم انه يكذب به ولا يجيبه فعلى ذلك يقولون لا يجوز ان يكون الله
يبعث الرسول الى من يعلم انه يكذب به ولا يجيبه لكن الله اخبر انه على علم منهم بالتكذيب وترك الاجابة بعثهم حيث قال الم تعلم ان الله
يعلم ما في السموات والارض واما قولهم ان من علم في الشاهد تكذيب المرسل اليه رسوله فانه لا يبعثه اليه لان المرسل انما يبعثه
لحاجة نفسه ومنافعه فاذا علم منه تكذيب وترك الاجابة له لم يبعثه فاما الله سبحانه وتعالى انما يرسل الرسول لحاجة المرسل
اليه ومنافعه لا لحاجة نفسه ومنفعته فلا ضرر يلحقه في تكذيبه وجحوده فجاز ارساله على علم منه بالتكذيب وقوله عز وجل
ان ذلك في كتاب قال بعضهم ان ذلك لنا لعلم في الكتاب الذي عنده ان ذلك على الله يسير لقوله حفظه يسير على الله بغير كتاب
لا يصعب عليه حفظ شيء لانه عالم بذاته لا بسبب ولا تعليم وانما يصعب ذلك على من كان علمه بالشيء بسبب وتعليم وقوله
عز وجل الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير فيه دلالة رد قول القدرية حيث قالوا
يكذب من كذب الرسل بلا ارادة الله فذكرنا انه علم منه ذلك [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون
في اخر الزمان ناس من امتي يكذبون بالقدر [illegible] ان الله يعلم ما في السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا هو ما ذكرنا انه يسفههم بعبادتهم من دون الله بلا حجة ولا برهان ولا علم وذكر عبادة الله مع الحجج والبراهين
والعلم انه اله وانه مستوجب للعبادة عز وجل وما للظالمين من نصير يمنعهم من عذاب الله فيه دلالة اثبات
رسالته لانه انما قال ذلك [illegible] كان ذلك والله اعلم

وقوله

وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يحتمل الايات الحجج والبراهين ويحتمل القران المنزل عليه تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر الانكار والامتناع والرد لاياته والكراهية والبغض لها يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يخبر
سفههم وشدة تعنتهم وعتوهم عند تلاوة الايات عليهم واقامة الحجج عليهم حيث قال يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم يسطون قيل ياخذون اخذا وقيل يبطشون بطشا وقال القتبي يسطون اى يبطشون بهم بالمكروه من الشتم والضرب
وقال ابو عوسجة يكادون يسطون اى يقعون بهم يقال سطا يسطو سطوا وسطوة وبطشة اى ذو قوة وقدرة قال
ويقال يسطو به [illegible] اخذا شديدا وبطشت به كذلك ثم قال قل افانبئكم بشر من ذلكم النار ظاهر الاية ليس بجواب لما
تقدم ولا صلته وليس على الابتداء ولكن على ذلة واضمار كان منهم لم يذكر لنا ذلك فاما ابن عباس وغيره من اهل التاويل قالوا
انما نزلت جوابا لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه حيث قالوا ما نعلم قوما اشقى منكم ولا اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم حيث ادعوا انهم قد حظرت الدنيا عليهم لم يعطوا من الدنيا شيئا فنزل جوابا لهم قل افانبئكم بشر من ذلكم النار الاية وقال
بعضهم هو جواب لما يكادون يسطون بالذين يتلون قل افانبئكم بشر من ذلكم النار كقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله الاية وقوله عز وجل يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قد ذكرنا معنى ضرب الامثال والحاجة اليها وذلك
ان العقول يجوز ان يعترض عليها ستر [illegible] سبيل الحق ويحجب عنها ادراك الحق فضرب الامثال ليرفع عنها ذلك الحجاب والستر الذي
العقول سبيل الحق والا لم يجز ان لا يدرك العقول المجردة للعقول له من درك الحق لكن يمنع عن درك الحق وسبيله ما ذكرنا من
اعتراض السواتر والحجب فيستكشف ذلك بما ذكرنا من الامثال ثم في هذا المثل وجهان احدهما يخبر عن سفه احلامهم في عبادة
من لا يقدر على خلق اضعف خلق وهو ما ذكر لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وتركهم عبادة من هو خالقهم وخالق جميع الخلائق
والثاني يخبر عن قطع ما يامولون ويطمعون من عبادتهم الاصنام حيث قال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
وبين كون عبادة من يومل منه ويطمع كل خير والله اعلم وقوله عز وجل فاستمعوا له قال بعضهم اجيبوا له وقال بعضهم استمعوا له
استماع من ينظر ويامل الحق ويقبله ومعناه انا نظهر لكم الاستماع من لا ينظر الى الحق ولا يقبله والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين
تدعون من دون الله قال بعضهم تدعون اى تعبدون من دون الله وقال بعضهم تدعون من دون الله على الدعاء اى تسمون
الهة من دون الله وقد كان منهم الامران جميعا العبادة للاصنام من دون الله وتسميتهم اياها الهة من دون الله وقوله عز وجل
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فيه ما ذكرنا من الوجهين من تسفيه احلامهم في عبادتهم من لا يملك خلق اضعف خلق الله و
عجزهم عما يامولون من النفع وعن دفع من يدعم بهم الضرر وسلب ما ذكرنا ثم اختلف في قوله ضعف الطالب والمطلوب
قال بعضهم الطالب الصنم والمطلوب هو الذباب لكن على هذا التاويل يقع فيه لو اى ضعف الصنم لو كان طالبا وقال بعضهم
الطالب هو الذباب والمطلوب هو الصنم فان قيل وصفهما جميعا بالضعف الذباب والصنم جميعا على تاويلهما اعنى هؤلاء
فالصنم ضعيف عاجز على ما وصف واما الذباب فهو ليس بضعيف لانه غلب ذلك الصنم ان كان طالبا او مطلوبا فكيف وصفه
بالضعف وهو الغالب عليه في الحالين لكنه كانه رجع قوله ضعف الطالب والمطلوب الى العابد والمعبود كانه قال ضعف العابد
عما يامل ويطمع من عبادته اياه وضعف المعبود عن ايفاء ما يومل ويطمع منه فهذا كانه اشبه واقرب الى التاويل من الاول والله
اعلم وقوله عز وجل ما قدروا الله حق قدره اختلف فيه قال بعضهم ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوا الله حق معرفته حيث
قالوا له بالشريك والولد والصاحبة وما قالوا فيه ما لا يليق به لانهم لو عرفوا حق معرفته لم ينسبوا اليه شيئا مما نسبوا اليه
ولا وصفوه بالذى وصفوه وعرفوا بائنه وتعاليه من ذلك لكن حيث لم يعرفوه حق معرفته شبهوه بواحد من خلقه على ما ذكرنا
وقال بعضهم ما قدروا الله حق قدره اى ما عظموا الله حق عظمته حيث صرفوا العبادة والشكر الى غيره اذ لو عظموه حق تعظيمه
ما صرفوا عبادتهم وشكرهم الى غير الذي انعم عليهم وما اشركوا غيره في ذلك على علم منهم انه انما وصلت اليهم تلك النعم من الله لا ممن
عبدوه وبالله العصمة والصواب ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم اموره ونهيه والقيام بها لا في قوله يا عظيم
يا كبير ونحوه ولكن على ما ذكرت من تعظيم اموره وقيامه بها وكذلك المحبة لله انما تكون في القيام باموره والانتهاء عما
عن مناهيه لا فيما في قوله انا احبك ويضمر شيئا في قلبه ولكن على ما ذكرت والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لقوي عزيز يحتمل
قوله ان الله لقوي عزيز لنصر اوليائه وجعل العاقبة لهم عزيز اى منتقم من اعدائه او يقول لقوي لانه يضعف جميع القوى عند قوته
عزيز يذل جميع العز عند عزته او يقول لقوي لانه به يقوى من قوي ومنه يستفيد ذلك عزيز لانه به يعز من عز ومنه كان ذلك
والله اعلم قوله عز وجل الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس يحتمل قوله يصطفي من الملائكة رسلا اى اختار رسلا من الملائكة
الى الملائكة في بعض ما امتحنهم من انواع العبادات له والطاعات بعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك على ما اختار من الناس رسلا
اليهم فيما امتحنهم ويحتمل اصطفى رسلا من الملائكة الى الرسل من الانس ومن الناس اى اختار منهم اعنى من الناس رسلا الى الانس
اعلم كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته قوله عز وجل انه سميع بصير جايز ان يكون قوله بصير لمن يصلح للرسالة ومن لا يصلح

لمن اختارها ومن لم يختر سبيع لما يلقى المرسل اليه الرسول من الاجابة والقبول والرد والتكذيب وان على علم منه بالرد والتكذيب ارسل وفيه دلالة ان انما اصطفاهم للرسالة لا لشيء يستوجبون منه ذلك ولكن افضالا منه وانعاما منه لهم حيث قال الله يصطفي كذا وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا لا يختار للرسالة الا من كان منه ما يستحق ذلك وقوله عز وجل يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما بين ايديهم اي يعلم ما كان قبل ان يخلقهم وما خلفهم بعد ما خلقهم وقال الحسن يعلم باوايل امورهم وباواخرهم وقيل بعضهم ما بين ايديهم من الاخرة وما خلفهم من الدنيا وجايز ان يكون قوله يعلم ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم في حيوتهم وما خلفهم ما سنوا لغيرهم من بعدهم كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت ما عملوا بانفسهم في حيوتهم وما اخرت ما سنوا لغيرهم من بعدهم وجايز ان يكون على حقيقة بين الايدي والخلف ولكن لا يخفى عليه شيء من افعالهم واقوالهم والى الله ترجع الامور قد ذكرنا معناه فيما تقدم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الاية دلالة ان الايمان هو شيء خاص وتحت واحد لا اسم جميع الخيرات وهو التصديق لانه ثبت لهم اسم الايمان ثم امرهم بالركوع والسجود وفعل الخيرات لان جميع المخاطبين بهذه الاية عرفوا من خوطب بها فلو كان اسما لجميع الخيرات لكان لا يعرف المخاطب بها لانه لا يقدر واحد على جميع الخيرات فدل انه شيء معروف خاص ما يرجع صاحبه الى حد المعرفة حيث عرف المخاطب به والله اعلم ثم يحتمل قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وجوها احدها ان اجعلوا ركوعكم وسجودكم وعبادتكم عبادة لله لا تشركوا فيها غيره على ما اشرك اهل مكة وغيرهم من الكفار في عبادتهم غيره وهي الاصنام التي عبدوها والثاني اعبدوا ربكم بالاسباب والاشياء التي عرفكم انها عبادة وكذلك افعلوا الخيرات التي عرفكم انها خيرات والثالث اجعلوا احوالكم التي انتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى واجعلوا تقلبكم ايضا المعاش الذي ابيح واذن فيه عبادة الله فالاول هو عبادة بنفسه التي جعلها الله عبادة نصا والثاني هو الذي يصير عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع احواله مؤدي عبادة وهكذا الواجب على المرء ان يكون في جميع ما يؤديه من النوافل من الصلوة والصيام وغيره مؤدي فرض وهو ان يؤدي جميع ذلك بنية الشكر لنعمه وتكفير المعاصيه وكلاهما لازمان واجبان فان فعل ذلك كان مؤدي لازم والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تفلحون ظاهره خرج على الترجي وفي الحقيقة على الوجوب على ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده ليس لحق الله غاية يوصل اليها وكذلك قوله اتقوا الله حق تقاته لانه لو كان لحقه غاية لكان الرسل والملائكة يقومون بوفا ذلك ويتوهم منهم المجاوزة عن ذلك اذ كل ذي حد وغاية يتوهم المجاوزة فيه فان لم يحتمل المجاوزة دل ان حقه ليس بذي حد وغاية ويكون تاويل قوله وجاهدوا في الله حق جهاده وحق تقاته حقه الذي احتمل وسعكم وبنيتكم وطاقتكم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم فيكون هذا تفسيرا لقوله حق تقاته وحق جهاده ثم يحتمل قوله وجاهدوا في الله اي جاهدوا انفسكم في شهواتها واماينها وجاهدوا اعداء الله في دفع الوساوس والمحاربة معهم وقوله عز وجل هو اجتبيكم يحتمل وجهين احدهما اجتبيكم الايمان والهدى والتوحيد او اجتبيكم جنسا من افضل الاجناس واكرمهم من بين ساير الاجناس كقوله ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر وقال عامة اهل التاويل في قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم اي وحدوا ربكم وجعلوا كل عبادة مذكورة في الكتاب توحيدا فيكون ذكر العبادة ههنا كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله كانه قال يا ايها الذين امنوا وحدوا ربكم ثم اختلف في قوله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا قال بعضهم فيه وجوب سجدة التلاوة وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور فمن لم يسجدهما فلا يقراها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قراها فسجد فيها مرتين ثم قال ما ذكرناه وتاويله عندنا ان قوله فضلت بسجدتين السجدة التي هي من صلب الصلوة وسجدة التلاوة في اول السورة فمن لم يسجدهما فلا يقراها واصله في وجوب سجدة التلاوة ان كل سجود ذكر في القران للخضوع لله فهو واجب للتلاوة لازم له وكل سجود كان الامر به يحق سجود الصلوة فانه لا يلزمه السجدة بالتلاوة فالامر بالسجود في قوله اركعوا واسجدوا امر بسجود الصلوة لا غيرها فلا يلزم تاليه السجود بالتلاوة والله اعلم وقوله عز وجل وما جعل عليكم في الدين من حرج يحتمل تاويله وجوها احدها ان عليهم معرفة وحدانيته والوهيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء وعليهم معرفة نعمه والقيام بشكرها له والخضوع له في كل وقت وانه لم يبعث الرسل لكنه بفضله ورحمته بعث اليهم الرسل ليكون ايسر عليهم معرفة ذلك واهون والقيام باداء ذلك اخف لان معرفة الاشياء بالسماع من لسان الصدوق والعدل ايسر والادراك لها اهون من معرفتها بالنظر والتفكر وهو ما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اخبر انه لولا فضله ورحمته في بعث الرسل لاتبعوا الشيطان الا قليلا اخبر انه لولا فضله ورحمته في بعث الرسل لاتبعوا الشيطان الا قليلا والقليل الذي استثناهم الذين يتفكرون وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر وذلك لا يعرف الا بجهد وتكلف فلذلك ذلك قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ولكن بعث اليكم الرسل ليكون اوضح لسبيل الحق ومعرفته وان كان له ان لا يرسل ويكلف ذلك بالنظر والتفكر والثاني لم يجعل عليكم في الدين من حرج في قطع ما ينفع لهم الحوايج وحجر عليهم كل انواع المطاعم والمشارب والملابس فيهم لكنه اذا حرم نوعا منها اباح نوعا اخر بازايه مما يسد به حاجته ويدفع به علته ولو حرم كل انواعها كان حرجا في الدين وضيقا والثالث لم يجعل عليهم من العبادات والفرائض التي كلفهم بها والقيام باداءها ما لا يحتمل وسعهم ولا بنيتهم ولا حمل عليهم امورا واشياء خلاف ما عليهم

دام

وامر معاشهم ولكن كلفهم بعبادات احتمل بها وسعهم وبنيتهم وحل عليهم امورا غير شاقة وموافقة لما عليه امر معاشهم وطباعهم وان بعد ذلك عنهم والرابع انه لم يجعل توبتهم عما ارتكبوا من المعاصي والماثم قتل بعضهم بعضا واهلاك بعضهم بعضا على ما جعل ذلك لقوم حيث قال لهم فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم ولو كلف ذلك كان حرجا في الدين وامثال ذلك والخامس جايز ان يكون قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي من شك وشبه اي قد ازاح عنكم الشبه والشك بالحجج والبراهين التي اقامها لكم والله اعلم وقوله عز وجل ملة ابيكم ابراهيم هذا يحتمل وجهين احدهما ان الامر الزموا ملة ابراهيم والثاني ان هذا الذي ذكر هو ملة ابيكم ابراهيم وقوله عز وجل هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا اختلف فيه قال عامة اهل التاويل قوله هو سميكم اي الله سماكم المسلمين وقال بعضهم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل حيث قال ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ودعوته لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان ولد اسمعيل وقد دعا له ولذريته بذلك وقوله عز وجل من قبل وفي هذا قال بعضهم من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران وقال بعضهم من قبل في الامم الذين كانوا من قبل لانه ما من قوم وامة الا وفيهم مسلمون مشمولون بهذا الاسم وفي هذا في قومه اي كنتم مسمين بهذا الاسم في الامم الخالية كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كنتم خير امة في الامم التي كانت من قبل انها تخرج في هذا الوقت والله اعلم وقوله عز وجل ليكون الرسول شهيدا عليكم قال قايلون عليكم بمعنى لكم وذلك جايز في اللغة كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب فعلى ذلك جايز في هذا عليكم اي لكم ويكون تاويله يكون الرسول لكم شهيدا بالتصديق له وتكونوا انتم شهداء للناس بالتصديق لرسول الله اذا صدقتم اياه وقال بعضهم ليكون الرسول شهيدا عليكم بمعنى عليكم دونا دبلهم يكون شهيدا عليكم اذا خالفتموه لم تصدقوه وتكونوا انتم اذا صدقتم رسولكم ووافقتموه شهداء على ساير الناس اذا كذبوا رسولهم انهم كذبوه وخالفوه وفي هذه الاية دلالة ان الاتفاق فيكون حجة على من بعدهم حيث جعلهم شهداء على من بعدهم ومن قبلهم وقد ذكرنا تاويل الاية في سورة البقرة وقوله عز وجل فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فان اراد الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة ففي الامر بها الصلوة امر باصلاح ما بينهم وما بين ربهم وفي الزكوة اصلاح ما بينهم وبين الخلق كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي حرف عبد الله بن مسعود ان الصلوة تامر بالعدل وتنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عز وجل واعتصموا بالله قال بعضهم بدين الله وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره من قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الى اخر ما ذكر فكانه يقول اعتصموا بالذي ذكر واصل الاعتصام هو الالتجاء اليه فكانه قال اعتصموا به من كل ما نهى عنه من الشرور وبكل ما امر به من الخير وقوله عز وجل هو موليكم قال الحسن هو مولى كل من تولاه بالطاعة وقال بعضهم المولى الناصر اي هو ناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير المانع والنصير المنتصر ينتصر لهم من اعدائهم ويمنع عنهم الاعداء وجايز ان يكون قوله هو موليكم اي ربكم وسيدكم كما يقال مولى العبد هذا مولاه وسيده والله اعلم ويكون في قوله ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم قال ابو عوسجة ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته يقال في الكلام ما قدرتك حق قدرك اي ما عرفتك حق معرفتك وقالوا الحرج الضيق في هذا الموضع قيل هو الشك في قوله فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك والضيق انما يكون من الشك اذا شك في شيء ضاق صدره وفيه قال ابو معاذ واصل الحرج في كلام العرب شجر من شوك ملتف والواحدة حرجة ومنه حرجة سلم وقوله هو اجتبيكم اي اختاركم وفي حرف ابن مسعود وابي هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا وهذا يؤيد تاويل من يقول هو سماكم المسلمين اي الله سماكم وقال بعضهم في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال لم يترك الله على هذه الامة شيئا الا جعل فيه رخصة لم عندنا الا مضطر ومثل التيمم اذا لم يجد ماء وتصلي قاعدا ومضطجعا في المرض وتفطر اذا كنت مريضا في نحو هذا ليس فريضة الا فيها رخصة ولم يكن من قبل ذلك وهو قول مقاتل ابن حيان وقال قتادة قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال لنبي اذهب فليس عليك حرج وقال الله لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي انت شهيد على قومك وقال الله لهذه الامة وتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الامة ادعوني استجب لكم وقال بعضهم في قوله اركعوا واسجدوا اي صلوا لله كقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون يقول صلوا لا يصلون وقال قتادة واركعوا واسجدوا ان لا صلوة الا بركوع وان اقواما احدثوا بدعا يسجد احدهم مائة سجدة لا يركع فيهن وكان يقال ثلاث مما احدث الناس رفع الايدي في الدعا والاصوات عند المسالة والاختصار في السجود وقال ابو هريرة لا يصلح سجود الا بركوع ∴

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قد افلح المؤمنون الفلاح قال قايلون هو البقاء اي بقي المؤمنون وقال قايلون الفلاح السعادة وقال القتبي الفوز واشباهه وفي قوله قد افلح المؤمنون الى اخر ما ذكر دلالة ان من المؤمنين من هو لا بهذا الوصف هؤلاء وان اسم الايمان يقع بدون الذي ذكر في هذه الاية لانه لو لم يكن لم يكن لذكر ما ذكر من الخشوع في صلوتهم والحفظ لفروجهم والاعراض عن اللغو معنى دل انه يكون مؤمنا بغير الوصف الذي وصف هؤلاء وكذلك في قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله ممن ترضون من الشهداء

قد دل ان فيهم من ليس بعدل وفيهم من لا يرضى في الشهداء حيث خص العدل والرضى في الشهادة وقوله عز وجل الذين هم في صلوتهم خاشعون قال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم اللازم في القلب وقال غيره الخشوع في القلب واصل الخشوع كانه اثار ذل من الخوف يظهر في الوجه وفي الجوارح كلها لا الخوف الذي ذكر هو الا ترى انه قال وجوه يومئذ خاشعة وقال خاشعة ابصارهم ولهذا ان الخشوع هو اثار ذل من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها ولذلك قال بعضهم الخشوع في الصلوة هو ان لا يعرف من عن يمينه و شماله لان ذلك يشغله عن العلم بمن يليه واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والذين هم عن اللغو معرضون اللغو كانه اسم كل باطل واسم كل ما يلغى ولا يعبأ به اخبر انهم يعرضون عن كل باطل وعن كل ما نهوا عنه ويقبلون على كل طاعة وبكل ما امروا به والذين هم للزكوة فاعلون يحتمل الزكوة الزكوة التي بها تزكوا انفسهم عند الله ويجوز الزكوة المعروفة المعهودة اخبر انهم فاعلون ذلك مؤدون و جائز ان يكون ذكر هذا من المؤمنين من الطاعة لله والائتمار لامره والرضا به بمقابل ما كان من المنافقين من الكراهية في الانفاق و الصلوة على الكسل والمراءاة كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس الاية وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله نعتهم بالكسل والخلاف وترك الانفاق والمراءاة في الطاعات ونعت المؤمنين بضد ذلك وبالرغبة فيما امروا والانتهاء عن معاصيه ونواهيه قوله عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى في هذا لان هذا مما يحل في حال ويحرم في حال واما اللغو وما ذكر من الاية الى اخره لا يحل بحال واللغو حرام في الاحوال كلها وكذلك ترك اداء الامانة والزكوة والصلوة مما لا يحل تركه بحال وقوله عز وجل فانهم غير ملومين ذكر انه لا يلحقهم لائمة في ذلك والله اعلم لوجهين احدهما القول المنوية لانهم لا يرون التناكح فاخبر ان لا لائمة في هذين والثاني ذكر لابطال المتعة لانه استثنى الازواج وما ملكت ايمانهم والمتعة ليست في هذين الذين استثناهما ثم اخبر ان لا لائمة في هذين وفيما عداهما لائمة والمتعة مما عدا هذين وهو ما قال ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء والى هذا يذهب حفظ الفروج ولا كان عامة الناس يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمته لكنهم كانوا يستبيحون المتعة والاجارة فيها فحرم ذلك ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والعادي هو المجاوز عن الحد الذي حد له وقوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون يحتمل الامانات العبادات والفرائض التي فرضت عليهم راعوها اي ادوها في اوقاتها والعهود التي فيما بينهم وبين ربهم او ان يكون الامانات التي وضعت عندهم والعهود التي فيما بينهم وبين الخلق راعوها اي حفظوها وادوها الى اربابها ولم يضيعوها والله اعلم وقوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون يكون محافظة الصلوة بوجوه احدها يحافظونها باداء فرائضها ولوازمها وادابها والثاني يحافظونها باسبابها التي جعلت لها من الاوقات والطهارات وستر العورات وغيرها من الاسباب التي لا تقوم الصلوة الا بها والثالث يحافظونها بالخشوع والوقار واظهار الذل له والاخلاص له وغير ذلك من الاشياء مما يرى المصلي انه وعلى ذلك جميع ما ذكر من الامانات وغيرها والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الوارث هو الباقي عن المورث وقال الله عز وجل انا نحن نرث الارض اي انا باق عن الخلق اي يفنى الخلائق وهو يبقى وان يكون قوله الذين يرثون الفردوس هكذا هو ما وعد الله عباده الجنة ان اجابوه واليها دعاهم بقوله والله يدعوا الى دار السلام فمن ترك اجابته يصير الموعود الذي وعد له ان اجاب لمن اجاب فذلك الوراثة التي ذكر الله وقوله الفردوس قيل هو بلسان الروم بستان سماه الله تعالى الجنة باسماء مختلفة جنات عدن ونعيم ومأوى وفردوس وفي الحقيقة واحد لان العدن هو المقام والنعيم هو ما ينعم ومأوى فخرى كذلك ثم فردوس وعدن ومأوى ونعيم وروى في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس ربوة الجنة العليا وهي اوسطها واحسنها فان ثبت هذا فهو ما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الذين هم في صلوتهم خاشعون قال الاقبال عليها والذلة عليها وعن علي رضي الله عنه قال الخشوع في القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم وان لا تلتفت في صلوتك وقيل التواضع واصله ما ذكرنا وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين قال بعضهم انما ذكر سلالة لانه سل من كل تربة وقال ابو عوسجة السلالة الخالص من كل شيء وقوله من سلالة من طين حر اي من اجود الطين ذكر مرة من سلالة من طين ومرة من صلصال من حمأ مسنون ومرة قال فانا خلقناكم من تراب ومرة كالفخار ونحوه وهو ادم عليه السلام وذلك على تغيير الاحوال والله اعلم بالصواب وقوله عز وجل ثم جعلناه نطفة اي ثم خلقنا ولده وذريته من نطفة اخبر اصل ما خلق ادم منه واصل ما خلق ولده منه وهي النطفة وقوله عز وجل في قرار مكين قال بعضهم الرحم وجائز ان يكون القرار هو صلب الرجل لان النطفة لا تخلق في الصلب اول ما خلق الانسان ولكن يحصل فيه من بعد فيكون الصلب قرارها ومكانها الى وقت خروجها منه الى الرحم وعلى ذلك قوله فمستقر ومستودع قال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم وجائز ان يكونا جميعا واحدا ايهما كان الرحم او الصلب لان كليهما قرار وما يستودع فيه وقال ابن عباس وغيره السلالة صفوة الماء وقوله عز وجل ثم خلقنا النطفة علقة والنطفة هي المعروفة والعلقة الدم والمضغة القطعة من اللحم الى اخر ما ذكر يخبرهم عن تحويله اياهم وتقليبه من حال الى حال لوجوه احدها يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره ليعلموا ان من قدر على انشاء العلقة من النطفة مما لو اجتمع الخلائق جميعا على ان يعرفوا سبب خلق هذا عن هذا مع احاطة علمهم ان ليس فيها من اثار العلقة شيء ما قدروا على ذلك وعلى ذلك جميع ما ذكر من العلقة من النطفة والمضغة من العلقة والعظم من المضغة والانسان من ذلك كله فدل ذلك كله على انه قادر بذاته ثم من قدر على

هذا يقدر على انشائهم من الاصل من لا شيء ويقدر على احيائهم بعد ما صاروا ترابا والاعجوبة في خلق الانسان ما ذكر من نطفة والعلقة والمضغة ليست بدون خلقه اياهم من التراب من الوجوه التي ذكرنا وفيه دلالة علمه الذاتي لان من قدر على تحويلهم من حال الى حال التي ذكر في الظلمات الثلاث دل انه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من احد ولا قوة مكتسبة ولكن بالعلم الذاتي والقوة الذاتية لان من علمه مستفاد ومن قوته مستفادة ومكتسبة لا يبلغ ذلك وفيه دلالة تدبيره بخروج الخلق جميعا وتوالدهم من اول ما نشأهم الى اخر ما ينتهون على مجرى واحد وسنن واحد على غير تغيير في التوالد والتناسل الذي جعل فيهم وكذلك جميع ما يخرج من الارض من النبات ومن الاشجار والاوراق في كل عام وفي كل سنة يخرج على جرية ولحن وسنن واحد لا يتغير ولا يتفاوت وقت خروجه عن تقدير واحد وميزان واحد دل انه على تدبير ذاتي خرج لا على الجزاف وبالله الحول والقوة وفيما ذكر من تحويله اياهم وتقليبه من حال الى حال دلالة انهم لم ينشئهم لا لنفسهم وان ما انشأ من العالم سواهم انما انشأهم وانشأ انفسهم لعاقبة لانه لو كان انشأه اياهم لا لنفسهم والفنا الذي ذكر في قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون لكان يتركهم على حالة واحدة ولا يحولهم من حال الى حال فاذا حولهم وتقليبهم من حال الى حال دل انه لا للموت الذي ذكر خلقهم خاصة بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ولكن لعاقبة تقصد وهو البقاء الدائم لا فناء فيه وهو ما ذكر ثم انكم يوم القيامة تبعثون وقوله عز وجل ثم انشأناه خلقا اخر ما اهل التأويل فيهم من قال نفخ الروح فيه وهو قول ابن عباس وغيره وقال بعضهم انبات الشعر ونحوه وهو قول قتادة وغيره وعن الحسن وغيره ذكرا وانثى وجائز ان يكون قوله انشأناه خلقا اخر غير ما قال هؤلاء وهو اظهار الجوارح والاعضاء وتركيبها فيه ولانه اخبر انه يقلبه من حال الى حال وانما يقلبه شيئا واحدا مصمتا ليس به هذه الجوارح والاعضاء انما يكون فيه اثارها لا اعينها فيركب فيه اعين الجوارح والاعضاء حتى يكون انسانا فذلك هو انشاء خلق اخر ويكون نفخ الروح ونبات الشعر في تركيب ما ذكرنا والله اعلم ومن ينكر خلق الشيء لا من شيء ومن يقول بقدم العالم انما ينكر ذلك لما لم ير في الشاهد صنع شيء لا من شيء فيقال له وهل رايت انشاء شيء من شيء على اتلاف الاصل حتى لا يبقى له اثر فاذا لم تر هذا في الشاهد وقد رايت في الغائب انشاء شيء من شيء على اتلاف الاول منه نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة فيه والعلقة مضغة على تلاف العلقة فيها الى اخر ما ذكر كل ذلك منشأ من اخر على ان كان بعد تلف الاصل فهلا كل ذلك ان عدم الانشاء في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغائب وانه حيث قدر على هذا يقدر على كله وقوله عز وجل فتبارك الله احسن الخالقين من الناس من يستدل على انه اذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله احسن الخالقين معنى كقوله ارحم الراحمين واحكم الحاكمين ونحوه انما قال هذا لما يكون سواه رحيما حكيما كريما فاخبر انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين فعلى ذلك ما قال احسن الخالقين ولكن جائز القول بمثل هذا عند الناس على غير اثبات اخر سواه في ذلك حقيقة وهو يخرج على وجوه احدها احسن الخالقين ما تشبهون انتم اليه وتجعلونه خالقا عندكم كقوله فراغ الى الهتهم ابراهيم لم يسم معبودهم الذي عبدوه الها على جعل الالوهية له ولكن على ما سموه هم ونسبوا الالوهية اليه وكذلك قول موسى حيث قال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا على ما عندهم ليس على تسمية الالهية له حقيقة دل ما ذكرنا على ان تسميته ما ذكر او ذكره يجوز وان لم يكن هنالك سواه الها وخالقا وكذلك قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس على ان لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم فعلى ذلك ما ذكرنا والثاني تاويل احسن الخالقين اي لو جاز ان يكون خالق اخر سواه لكان هو احسن الخالقين ولكن لا يجوز وهو كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو جاز ان يتخذ ولدا لاصطفاه مما ذكر لكن لا يجوز و كذلك قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اي لو جاز ان يكون كذا لكان كذا ليس على انه يجوز ان يكون و كذلك قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الاية اي لو جاز ان يكون معه اله لذهب بما ذكر لكن لا يجوز فعلى ذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين اي لو جاز ان يكون هنالك خالق غيره لكان هو احسن الخالقين ولكن لا يجوز والله الموفق والثالث ذكر احسن الخالقين لما ان العرب تسمي كل صانع شيء خالقا فخرج الذكر لهم على ما يسمون هم ليس على حقيقة الخلق لمن دونه كقوله عيسى حيث قال اني اخلق لكم من الطين او ان يكون ذكر هذا القول من يقول العالم كان من اربع طبائع من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة او ان يكون لبعض الفلاسفة ان العالم اصله من اربع او من خمس من الماء والارض والنار وغيره فاخبر انه ليس كذا ولكن هو خالقهم لا من الاشياء التي قولهم هم وعلى قول من يقول انه يكون غيره خالقا لكان الخلق غير دال على الخالق وقد جعل الله الخلق سببا لمعرفة الخالق فلو كان غيره خالقا لكان الخلق غير دال على معرفة الخالق لانه قال خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اخبر انه لو كان سواه و خالقا او عدد لكان في ذلك تشابه الخلق عليهم فاذا تشابه لم يكن سببا المعرفة على ما اخبر في اثبات عدد الالهة كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق فاذ بطل هذا ولم يجز عدد الالهة واثبات الالوهية لغيره فعلى ذلك في الخلق على الوجه الذي ذكرنا وقوله عز وجل ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون قد ذكرنا فيما تقدم ان المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الاماتة والافناء خاصة ولكن عاقبة تتامل وتقصد حيث قلبهم من حال

الى حال لم يتركهم على حالة واحدة فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك لا غير لكان تركهم على حالة واحدة ولم يقلبهم
من حال الى حال فدل التحويل والتقليب من حال الى حال على ان المقصود من الخلق العاقبة على ما ذكرنا والله اعلم على انه اخبر ان خلقهم
لا لعاقبة يقصد بها عبث حيث قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا اخبر خلقهم لا للرجوع اليه عبثا وقال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها الاية صير نقض الغزل بعد ابرامه وقوته سفها منها فلا جائز ان يسفه تلك المراة بنقض غزلها بعد الاحكام والا
برام ونفع يكون لها ثم هو يفعل ذلك انه خلق الخلق للفناء والهلاك خاصة عبث ولعب وعلى ذلك بنا البناء في الشاهد لا لعاقبة ونفع
ولكن للهدم والنقض سفه ولعب لذلك قلنا ان خلق الخلق لا للموت خاصة ولكن لما ذكر من قوله ثم انكم يوم القيمة تبعثون اي
تحيون قال القتبي يقال للولد سلالة ابيه وللخمر سلالة وللنطفة سلالة ويقال انما جعل ادم من سلالة لانه سل من كل تربة وقال
ابو عوسجة السلالة الخالص من كل شيء قال ابو معاذ النسل الولد سيل من تحت كل شعرة وقال القتبي المضغة اللحمة الصغيرة سميت
بذلك لانها بقدر ما يمضغ كما قيل غرفة بقدر ما يغرف وقوله في قرار مكين اي مكانا حريزا وهو الرحم او الصلب ايهما كان فهو ما وصف
وقوله عز وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال بعضهم سبع سموات وقال بعضهم سبعة افلاك يذكر هذا والله اعلم ايهما كان السموات
والافلاك التي جعل لامر الخلق وحوائجهم لوجهين احدهما يخبر عن قدرته وسلطانه وغناه ان من قدر على خلق ما ذكر وانشا به بلا سبب
لقادر على انشاء الخلق لا من شيء والثاني ان من قدر على هذا يقدر على بعثهم واحيائهم بعد الموت قال القتبي سبع طرائق اي سبع سموات
كل سماء طريقة ويقال هي الافلاك كل واحد طريق وانما سمي طرائق لان بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء اذا جعلت بعضه على
بعض ويقال ريش طرائق اهواء مختلفة وقوله عز وجل وما كنا عن الخلق غافلين اي لم نخلقهم على جهل منا باحوالهم ولكن على علم
منا بذلك ولا يحتمل ان يكون خلقه اياهم على علم منه ثم يخلقهم للفناء لا لعاقبة خاصا لان من يفعل هذا في الشاهد انما يفعل
اما الجهل به او لحاجة والله يتعالى عن ذلك كله او ان يكون قوله وما كنا عن الخلق غافلين خلق ما ذكر اي اذا عرفتم ان خلق هذه
الاشياء لا لانفسها ولكن لانفسهم ولمنافعكم فلا يحتمل ان يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء فان ثبت المحنة فيكم ثبت
الثواب والعقاب فاذا ثبت هذا ثبت البعث والحيوة والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا من السماء ماء بقدر قال بعضهم بقدر يعلم
منا وقال بعضهم بقدر ما يقع لهم الحاجة والكفاية وجائز ان يكون قوله بقدر اي معلوم مقدر لا ينعدم ولا يتاخر ولا يزداد ولا
ينتقص ولكن على ما قدر وكذلك جميع الاشياء فاسكناه في الارض يذكر هذا ويخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على انشاء
الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق الشيء لا من شيء خلق اذ لا احد من الخلائق يقدر على ذلك الا بالحيل التي علمه الله وان يكون
يقول انه حيث جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء بمنافع الارض لبعد ما بينهما دل اتصال منافع احدهما بالاخر
مع بعد ما بينهما على ان منشيهما واحد ومدبرهما واحد عالم بذاته وقوله عز وجل وانا على ذهاب به لقادرون وهو كقوله ارايتم ان
اصبح ماؤكم غورا الاية وقوله عز وجل فانشانا لكم به اي بالماء جنات من نخيل واعناب اي الكروم يذكر نعمه التي انعمها عليهم
من الماء الذي به حيوة الابدان والاشياء جميعا ليتادى به شكره وعبادته وقوله فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم
فيها فواكه كثيرة فان كان قوله لكم فيها اي في الجنات حيث ذكر انشاها لنا فواكه كثيرة ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله ان
من حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل عنبا لم يحنث حيث ذكر النخيل والاعناب وذكر فيها الفواكه على حدة وان كان يعني به النخيل و
الاعناب فليس فيه حجة له وقوله عز وجل وشجرة تخرج من طور سيناء اي انشانا لكم ايضا شجرة في طور سيناء ثم الشجرة التي يكون
في الجبال لا صنع للخلق في انباتها وما يكون في الجنان والبساتين انما يكون بانبات الخلق ثم اضاف كليهما ما يكون للخلق فيه صنع و
ما لا يكون لا اضافة ذلك اليه كله على ان لله في فعل العباد صنعا وان جميع ما يكون انما يكون بصنع منه ولطف ويذكرهم نعمه التي
انعمها عليهم من انشاء الجنان لهم والنخيل والاعناب والفواكه التي ذكر ليتادى بذلك شكره وفيه دلالة قدرته وسلطانه حيث
انشا الشجرة واخرجها من الجبل وهو اشد الاشياء واصلبها في تلك الشجرة الدهن وهو الين الاشياء والطفها فيخبر ان من قدر
على اخراج الين الاشياء من اشدها واصلبها لا يعجزه شيء وفيه ان لا باس بقران شيء الى شيء فيوكلان جميعا وضم بعضهم الى بعض ويجمع
في الاكل حيث قال تنبت بالدهن وصبغ للاكلين والصبغ هو الادام ثم اختلف في قوله طور سيناء قال بعضهم الطور الجبل بالسريانية و
السيناء الحسن بالحبشية وقال بعضهم الطور الجبل وما ذكر والسيناء الشجرة الحسنا وقال بعضهم الطور هو الجبل الذي كلم الله موسى
واوحى اليه والشجرة هي شجرة الزيتونة وقال بعضهم السيناء الحجارة وقال بعضهم الطور السيناء المبارك بما اوحى على موسى
وقال بعضهم الطور الجبل والسيناء شجرة حوله وفي حرف ابن مسعود وحفصة وشجرة تخرج من طور سيناء تخرج الدهن وصبغا للاكلين
قال بعضهم تخرج الثمر قال ابو معاذ انبت النبات ونبت لغتان كقولك اسرى وسرى وقال قال الكسائي تقول خرجت بزيد واخرجت زيدا
ولا تقول اخرجت بزيد الا ان تقول اخرجت بزيد عمرا وقال القتبي وصبغا للاكلين مثل الصباغ كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس
وقال ابو عوسجة وصبغ للاكلين اي الصباغ وهو ما اصطبغت به من شيء اي غمزته فيه وقوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونها وفي سورة النحل مما في بطونه قال بعضهم انما ذكره على الفرد والوحدان وفيما ذكره على التانيث على الجمع وقال بعضهم فيما ذكر

بالتذكير

المذكر اراد به جنسا من الانعام نسقيكم مما في بطونه وهذا اشبه وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ثم قوله وان لكم في الانعام لعبرة وجه العبرة
فيها من وجوه احدها ما قال ابن عباس وهو ما ذكر عز وجل من بين فرث ودم الاية ففي ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته وربوبيته
وعلمه وقدرته وتدبيره ولطفه اذ ليس شيء منها الا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة علمه وقدرته وتدبيره وفيه انه لم
ينشئ هذه الانعام لانفسها ولكن انشاها للبشر حيث اخبر انه سخرها لنا لينتفعوا بها ثم اختلف في الانعام قال مقاتل الانعام كل شيء
يؤكل لحمه ويشرب لبنه وما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من الانعام وقال ابو معاذ ان من الانعام ما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه وقال
بعضهم الانعام كل بهيمة حتى الوحش والاشبه ان يكون الانعام هو الابل ولكنا لا نعلم حقيقته انما هو على ما يسميه اهل اللسان وقوله
عز وجل ولكم فيها منافع كثيرة قيل من الحمولة وغيرها وقد ذكرنا هذا في سورة النحل وقوله عز وجل وعليها وعلى الفلك تحملون يذكر
نعمه فيما سخر لهم من الانعام والسفن ليتادى به شكره وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره يذكر عز وجل انباء اولي العزم من الرسل واخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون ابدا يقظا ناسيا بها ويعرف ان كيف عامل اولو
العزم قومهم وكيف صبروا اولوا العزم من الرسل على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم ويصبر هو على اذى قومه على ما
صبروا وتلك على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم لهذا ما يورد ويكرر انباءهم عليه ويعرف قومه ايضا انهم لا يظفرون بما ياملون من تكذيبهم لما
بل العاقبة تصير له على ما صارت لاولي العزم من الرسل لا لقومهم والله اعلم وقوله عز وجل افلا تتقون يحتمل وجوها احدها الا
تتقون مخالفة الله ومخالفة رسوله او افلا تتقون عذابه ونقمته او وعيده او افلا تتقون عبادة غير الله وقوله عز وجل فقال الملؤ
الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم هذا الذي قالوا هو تناقض لانهم قالوا ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان
يتفضل عليكم بما ادعى من الرسالة والاجابة له الى ما دعاهم ثم هم اعني الروساء منهم والقادة ادعوا لانفسهم الفضل بما استتبعوا
السفلة وطلبوا منهم الموافقة لهم والاجابة وهم بشر امثالهم فذلك تناقض في القول ثم اقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا
قدرة الله على ذلك حيث قالوا ولو شاء الله لانزل ملائكة فاذ قدر على تفضيل الملائكة على البشر قدر على تفضيل بعض البشر على بعض ثم انبئوا
عن نوح انه لا يريد بما ادعى من الرسالة التفضل عليهم ولكن يريد به النصح لهم والاشفاق عليهم حيث قال ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم وقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وعذاب يوم الظلة ونحو ما قال اخبر انه انما اراد النصح لهم والشفقة
لا التفضل الذي قالوا هم وقوله عز وجل ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين هذا قولهم وقد كذبوا في قولهم وقوله عز وجل ان هو الا رجل به جنة
قد عرفوا انه ليس به جنون ولكن ارادوا التلبيس والتمويه على قومهم حيث خالفهم في جميع امورهم وعادى الروساء منهم والقادة و
يقولون ما يفعل هذا الا المجنون فيه وافة اصابته في عقله والا عرفوا هم في انفسهم اعني القادة انه ليس بمجنون ولكن ارادوا التمويه
على قومهم ثم قالوا فتربصوا به حتى حين لسنا ندري ما ارادوا بالحين ارادوا الوقت او وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون او ارادوا
وقتا اخر قال مقاتل يريد ان يتفضل عليهم بالرسالة وليس له عليكم فضل في شيء فتتبعونه وقوله ما سمعنا بهذا قال بعضهم اي
بالعذاب في ابائنا الاولين وقيل ما سمعنا بالتوحيد في ابائنا الاولين كما يدعو نوح وقوله عز وجل قال رب انصرني بما كذبون لم يدع
عليهم باول ما كذبوه ولكن انما دعا عليهم بعدما ايس من عودهم الى تصديقه وهو ما قال اني مغلوب فانتصر وقال اهل التاويل
انصرني بتحقيق ما وعدت لهم من العذاب فانه نازل بهم في الدنيا وعنهم بما كذبوني في قولي بان العذاب نازل بهم في الدنيا وان يكون
قوله انصرني بما كذبون اي اجعل لي الظفر عليهم بالتكذيب ونحوه وقوله عز وجل فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا قال بعضهم
بمنظر منا وقال بعضهم بمراى منا وجائز ان يكون صلوات الله عليه ظن لما امر باتخاذ الفلك انهم لا يتركونه ان يتخذ الفلك فاخبر
عز وجل انك تتخذه بحيث يراه ويتصرف عليهم بحيث لا يملكون عن اتخاذها وقوله عز وجل ووحينا اي بامرنا وقوله عز وجل فاذا
جاء امرنا وفار التنور اي اذا جاء الموعود بامرنا وفار التنور وان يقولوا انا جاء وقت امرنا بالعذاب وفار ما ذكر اي خرج الماء
من التنور وظهر وقوله عز وجل فاسلك فيها قيل ادخل فيها يقال سلكت واسلكت وهو الادخال كقوله اسلك يدك في جيبك اي
ادخل وتفسيره اسلك ما ذكر في اية اخرى قلنا احمل فيها وقوله عز وجل من كل زوجين اثنين يحتمل ان يكون قوله اثنين نعتا لقوله من كل
زوجين من الذكر والانثى وجائز ان يكون قوله من كل زوجين اي من كل زوجين عددين لونين ابيض واسود وطيب وخبيث
وقوله عز وجل واهلك اي احمل اهلك ايضا في السفينة وقوله عز وجل الا من سبق عليه القول بالعذاب والهلاك وقد ذكرنا هذا في
سورة هود وقوله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اختلف فيه قال قائلون انما نهاه عن مخاطبته في الذين
ظلموا حيث قال ان ابني من اهلي نهاه عن ان يساله فان كان على هذا فقوله ولا تخاطبني اي لا تراجعني الكلام في الذين ظلموا وقال
قائلون قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا في جميع ظلمة قومه انهم مغرقون وان كان على هذا فهو نهي عن ابتداء السؤال في نجاتهم
والله اعلم وقوله عز وجل فاذا استويت انت ومن معك من المؤمنين على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين هكذا
الواجب على كل من انجاه الله من الظلمة ان يحمد ربه على ذلك ويساله النجاة اذا ابتلي بهم كما علم نوحا ان يقول ما ذكر ويحمد على النجاة
منهم وكما قال موسى حين خرج من عندهم خائفا رب نجني من القوم الظالمين وكما سالت امراة فرعون النجاة من فرعون وقومه

حتى قالت ويخفى من فرعون وعمله ويخفى من القوم الظالمين ثم علمه ربه ان يساله الانزال في منزل مبارك حيث قال وقل رب
انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميع الخيرات والحسنات وعمل الصالحات ويحتمل سؤاله المنزل المبارك
الموضع الذي فيه السعة والخصب على ما قاله بعض اهل التاويل المبارك بالماء والشجر وغيره فان كان هذا ففيه دلالة اباحة سؤال
السعة والخصب والله اعلم وقوله عزوجل ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين قال ما يلون قوله وان في ذلك لايات اي في هلاك قوم نوح
واغراقهم لايات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين بايات تفضلا منا ولحسانا سوى ذلك ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين بسوء
الايات التي كانت وجائز في اللغة ان يعني ما يحتمل وجها اخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين اي قد ابتلاهم قبل اهلاكه اياهم ولسنا نعرف
ما حقيقة هذا الكلام وما مراده والله اعلم وقال القتبي فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته وقال ابو
عبيدة كذلك وقال ابو عوسجة وان كنا لمبتلين هذا من الابتلاء اي اختبار ومن البلاء يبتلون وقوله عزوجل ثم انشانا من بعدهم
قرنا اخرين قيل من بعد قوم نوح قرنا اخرين عادا وغيرهم فارسلنا فيهم رسولا منهم قالوا هو دان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وجميع
الانبيا والرسل انما بعثوا بالدعا الى توحيد الله وجعل العبادة له وقوله عزوجل افلا تتقون مخالفته او عبادة من دونه وجميع ما
على ما ذكرنا من قبل وقوله عزوجل وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة اي بالبعث واترفناهم في الحيوة الدنيا قال
بعضهم اترفناهم اي بسطنا لهم في الدنيا حتى ركبوا المعاصي وقال بعضهم المترف الغني الطاغي وقوله عزوجل ما هذا الا بشر مثلكم ياكل
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم الاية قد ذكرنا فيما تقدم انهم تناقضوا في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم الى قوله
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لما انهم منعوا الاتباع عن ان يتبعوا الرسل ويطيعون لانه بشر مثلهم ثم طلبوا منهم الطاعة
لهم والاتباع في امورهم وهم بشر امثالهم فذلك تناقض في القول وفساد وقوله عزوجل ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم
مخرجون هيهات هيهات لما توعدون قال بعضهم هيهات هيهات استبعاد لامر وانكار اي بعيدا بعيدا اي امر لا يكون وقوله
عزوجل ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ان كان هذا القول من الثنوية والدهرية فتقول نموت ونحيا بانفسهم لانهم يقولون
يموت الانسان فيحيا غيره من البقر والحمر وغيره من تراب اذا اكل وان كان هذا القول من غير الثنوية فتقول قوله نموت ونحيا اي نموت
نحن ونحيى الابنا وذكر في حرف ابن مسعود وابي نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين وقوله عزوجل ان هو الا رجل افترى على الله كذبا و
ما نحن له بمؤمنين هذا قولهم وقوله عزوجل قال رب انصرني بما كذبون فقد ذكرناه قال عما قليل ليصبحن نادمين اي عن قريب
يندمون بالتكذيب عن هذا القول الذي قالوه والانكار الذي انكروه لا شك في ذلك وقال القتبي واترفناهم اي وسعنا عليهم
حتى اترفوا والترفة منه ومثلها التحفة كان المترف هو الذي يتحف وقال غيره اترفناهم اي انعمنا عليهم وبسطناهم فكله و
يرجع الى واحد قال ابو عوسجة قوله هيهات هيهات هذا بعيد الامر اي انه امر بعيد على ما ذكرنا انه لا يكون وقوله عزوجل
فاخذتهم الصيحة بالحق قد ذكرنا وقوله عزوجل فجعلناهم غثاء قال بعضهم الغثاء اليابس الهامد كنبات الارض اذا يبس وقال
بعضهم الغثاء هو الذي يحمله السيل بالموج قال ابو معاذ غثاء احوى اي اسود وقال بعضهم غثاء اي موتى وجائز ان يكون تاويل
قوله غثاء اي كالشيء المنسي الذي لا يذكر البتة لان اولئك الفراعنة والاكابر اذا اهلكوا لم يذكروا البتة ولا فخر احد من اولادهم بهم من
بعد اهلاكهم كما افتخر اولاد الانبيا والرسل والصالحين بابائهم واجدادهم من بعدهم وصاروا مذكورين الى الابد لا يبيدون فاما اولئك فصاروا
خاملي الذكر كالشيء الخسيس المنسي المتروك وقوله عزوجل فجعلناهم غثاء الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالرميم الهامد الذي يحمله السيل
وعلى قول بعضهم كالشيء البالي المتغير وعلى قول بعض الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به وكله واحد وقال القتبي غثاء اي هلكى كما
وهو ما علا السيل من الزبد والقمش لانه يذهب ويتفرق قال ابو عوسجة الغثاء ما يحمل السيل من العيدان والبعر والاغثية جميع والغثاء
حميل السيل ثم ذكر انفس قوم عاد وثمود وشبهها بما ذكر من الغثاء وكذلك يذكر انفس جميع اهل الشرور والفساد وذكر في اهل الخير
اعمالهم لانفسهم لان لهم اعمال الخير والصلاح فيجعل انفسهم حية بالاعمال كقوله فجعلناهم احاديث فجعل عالمهم احاديث فيما بينهم واما
[illegible]

اخبرنا ثم

اخبرنا ثم ارسلنا رسلنا تترا بعضا على اثر بعض وان كان بين بعضهم فترة لما ابقى الحجج والبراهين واثار الرسل وعلامهم والله اعلم وقوله
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقال بعضهم نذهب نزعمهم بعد ما كنا غالبين عليهم بجعلهم غالبين علينا وكانوا
لنا عابدين اي خدمهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك والله اعلم حين اتاهم بالرسالة
فكذبوهما فكانوا من المهلكين صاروا من المهلكين بالتكذيب وقوله عزوجل ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون يشبه ان
يكون حرف لعل موجبا اي اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عندنا ولعل حرف رجاء وترجي لكن يستعمل مرة على الايجاب
والالزام ومرة على النهي كقوله لعلك باخع نفسك اي لا تبخع نفسك وقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لا تترك بعض
ما يوحى اليك وذلك جائز في اللغة يقول الرجل لاخر لعلك تفعل كذا اي لا تفعل ونحوه وحرف لعل من الله يحتمل الايجاب و
الالزام والنهي ومن الخلق على النهي والترجي والله اعلم وقوله عزوجل وجعلنا ابن مريم وامه اية خص عزوجل عيسى وامه
بان جعلهما اية وجميع البشر في معنى الاية واحد اذ خلقوا جميعا من نطفة ثم حولت النطفة علقة والعلقة مضغة الى اخر ما
ينتهي اليه فيصير انسانا فالاية والاعجوبة في خلق الانسان من النطفة وما ذكرنا ان لم تكن اكثر واعظم لم تكن بدون خلقه بلا
اب ولا زوج وما ذكر لكنه خصهما بذكر الاية فيهما لخروجهما عن الامر المعتاد في الخلق والعادة الظاهرة فيهم ان يخلقوا من النطفة
والاب والتزاوج والتناسل الذي يجري فيما بينهم والاسباب التي جعل التوالد في الخلق فلخروجهما عن الامر المعتاد والعادة
الظاهرة خصهما بذكر الاية والا الاية والاعجوبة في خلق البشر من النطفة وما ذكر ان لم تكن اكثر واعظم لم تكن دونه وهو
ما خص بني اسرائيل بالخطاب بالشكر لما انعم عليهم من المن والسلوى ولما انجاهم من آل فرعون بقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ
انجاكم من آل فرعون وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين وقد كان عليهم من النعم
ما هو اعظم واكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون والله لكنه خصهم بذكر المن والسلوى واستادي منهم
الشكر بذلك من بين سائر النعم لانها خرجت عن المعتاد من النعم المعروفة وهم كانوا مخصوصين بها من بين غيرهم فعلى ذلك
عيسى وامه كانا خارجين عن الامر المعتاد مخصوصين بذلك لذلك خصهما بذكر الاية والاية ما ذكر بعض اهل التاويل ان
خلق من غير اب وولدته امه من غير بعل وقال بعضهم الاية في عيسى بان كلم الناس في المهد صبيا ونحوه من ابراء الاكمه والابرص
واحيا الموتى ومثله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر انه اواهما الى ربوة كان ابوى الاب والام الولد الى مكان يتعيش
به ان الربوة هي مكان التعيش فيه الا ترى انه ذكر ذات قرار ومعين وذات القرار هو المكان الذي يستقر فيه ويتعيش
قوله عزوجل ومعين المعين هو الماء الجاري الظاهر الذي تاخذه العيون وينبع عليه الابصار وقوله عزوجل يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا قال عامة اهل التاويل انما خاطب بهذا محمدا خاصة على ما يخاطب هو والمراد منه جميع امته في ذلك ولكن
جائز ان يقال خاطب به جميع الرسل لانهم جميعا مخاطبون بهذا كله من اكل الطيبات والعمل الصالح هذا الخطاب فيه وفي غيرهم
ادعهم جميعا بهذا ثم الطيبات يحتمل ان يراد به الحلالات كانه قال كلوا حلالا لا غير حرام الا ترى انه قال واعملوا صالحا اي اعملوا
صالحا ولا تعملوا سيئا فعلى ذلك قوله كلوا من الطيبات اي كلوا حلالا ولا تاكلوا حراما ما خبث وفيه انهم يبغضون كما يعني غيرهم بالا
والنهي ويحتمل ايضا قوله كلوا من الطيبات وطابت به انفسكم وتلذذت فان كان على هذا فهو يخرج على الاباحة والرخصة ليس على
الامر معناه لكم ان تاكلوا ما تستطيب به انفسكم ولكم ان تؤثروا غيركم به على انفسكم وان كان الاول فهو على الامر يخرج والنهي والله
اعلم وقوله عزوجل اني بما تعملون عليم ظاهر وهو وعيد وقوله عزوجل وان هذه امتكم امة واحدة جائز ان يكون قوله وان هذه امتكم
امة واحدة في الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كنتم خير امة في الكتب المتقدمة
وفي الامم الماضية فعلى ذلك هذا وقال بعضهم قوله وان هذه امتكم امة واحدة اي دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وهي الاسلام
وقال بعضهم لسانكم لسان واحد وجائز ان يكون قوله امتكم امة واحدة لا تختلفوه في رسولكم الى يوم القيامة كما اختلف الامم
الذين من قبلكم في رسلهم بل تجعلوا رسولكم رسولا على ما هو عليه واما سائر الامم فانهم قد فرطوا فيهم حتى كان فيهم من جعل
الرسول ابنا له كقوله وقالت اليهود عزير ابن الله والنصارى كذلك واما هؤلاء فانهم لا يزالون على امر واحد والله اعلم وقوله عزوجل
وانا ربكم فاتقون وقال في اية اخرى فاعبدون جائز ان يكونا واحدا وجائز ان يكون قوله فاتقون اي خافوا مخالفتي وفاعبدون
اي اعبدوني واطيعوني وقوله عزوجل فتقطعوا امرهم بينهم زبرا قال بعضهم فتقطعوا امرهم وتقطعوا واحد وهما لغتان تفرقوا
وتفرقوا زبرا بنصب الباء وزبرا بنصب الباء قال ابو معاذ من قراه بالنصب زبرا فمعناه قطعا كقوله اتوني زبر الحديد وزبرا بالرفع
اي كتبا كقوله تجعلونه قراطيس وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ونحوه وقال في حرف ابن مسعود وابي وقطعوا الزبور
بينهم قال ابو معاذ قطعوا وتقطعوا لغتان كقولك علقت الشيء وتعلقته وحولت وتحولت ووليت وتوليت ونحوه كثير كل حزب
بما لديهم فرحون راضون او مسرورون بما لديهم من الدين او ما ذكرنا فذرهم في غمرتهم حتى حين وقال في اية اخرى فذرهم يخوضوا
ويلعبوا وقال فذرهم في طغيانهم يعمهون فذلك يحتمل وجوها احدها قال ذلك عند الاياس عن اجابتهم لما علم انهم لا يؤمنون

وذلك في قوم مخصوصين كانه قال فذر هؤلاء واقبل نحو هؤلاء الذين يقبلون امرك ويجيبون دعايك ويسمعون والثاني فذرهم في غمرتهم ولا تكافيهم حتى انا اكافيهم كقوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون والثالث امر ان يذرهم ويعرض عنهم لئلا يخوضوا في سب الله والطعن في اياته كقوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية وقوله عز وجل حتى حين يحتمل القيامة ويحتمل وقت الخرم ببين والله اعلم قال ابو عوسجة قوله الى ربوة المكان المرتفع وربيته اي ارتبته وقال القتبي الربوة الارتفاع وكل شي ارتفع او زاد فقد ربا ومنه الربوا في البيع قال ابو معاذ للعرب في الربوة اربع لغات ربوة وربوة وربوة ورباوة وقوله ذات قرار ومعين قال ابو عوسجة المعين الماء الظاهر الجاري والقرار الثبات وتقول منه قربتر قرارا فهو قار واقررته اي اثبته وكذلك قال القتبي وقال معين ماء ظاهر وهو مفعول من العين كان اصله معيون كما يقال ثوب مخيط وبر مكيل و قوله في غمرتهم قيل في ضلالتهم وغفلتهم وقال الغمر الماء الكثير وغمرة الحرب وسطها وغمرة الموت شدتها ورجل غمر اي شيخ ليس له جمع وجمعه غمار ويقال غمر الماء اي صار فوقهم قال والغمر العداوة والغمر الذي لم يجرب الامور وقوم اغمار والغمر الدسم والغمر الشرق والغمرات جمع والغمر القدح الصغير والمغامرة المخاطرة تقول غامر بنفسه اي خاطر بها وقوله عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون حسبوا ولذلك الكفرة الا انما امدهم من الاموال والبنين ما اعطى لهم انما اعطى لهم خيرا لهم وبرا لا شرا فاخبر عز وجل وكذبهم في حسبانهم الذي حسبوا فقال بل لا يشعرون انه انما اعطى لهم ذلك شرا وانما نملي ما حسب اولئك الكفرة فيما اعطوا من الاموال والبنين انما اعطوا خيرا حسب المعتزلة في قولهم ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين فاخبر ان ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح لهم وهو ما ذكر في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون انما نملي لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك قالوا في قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وهم يقولون لا بل انما اراد ليرحمهم بها فيقال لهم اانتم اعلم ام الله الا ان يكابروا وفي قوله بل لا يشعرون لما انهم قالوا ذلك على الظن والحسبان لا على العلم حيث قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فقال بل لا يشعرون حيث قالوا ذلك ظنا وحسبانا وانما الواجب عليهم ان يعلموا ذلك علم احاطة ويقين بجواب ضمان يقال ان عندهم ان ذلك انما اعطى لهم واملى خيرا وبرا لهم تكلفوا على يقين من ذلك واحاطة عند انفسهم وانما ذلك الظن والحسبان لهم ما عند الله والاكان على حقيقة العلم عند انفسهم انه انما اعطاهم ذلك وامد لهم خيرا فاكذبهم الله في ذلك ورد عليهم قولهم انه انما اعطاهم ذلك بما ذكرنا بل اخبر انه انما اعطاهم لمضادة ذلك وقوله عز وجل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون جايز ان يكون هذا موصولا بقوله نسارع لهم في الخيرات على التقديم والتاخير كانه قال انما نسارع في الخيرات للذين هم من خشية ربهم مشفقون الى اخر ما ذكر لا لاولئك الكفرة جايز ان يكون على الابتداء وصف الذين امنوا ونعتهم فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اي من عذاب ربهم خايفون والذين هم بايات ربهم يؤمنون الايمان بالايات يكون ايمانا بالله حقيقة لان الايات من الاعلام التي تدل على وحدانية الله وربوبيته والايمان هو التصديق فاذا صدق اياته وهي اعلام واخبار تخبر عن وحدانية الله فانما صدقها صدق الله وامن به لذلك قلنا الايمان باياته يكون ايمانا بالله وقوله عز وجل والذين هم بربهم لا يشركون اي لا يشركون غيره في عبادتهم وقوله عز وجل والذين يؤتون ما اتوا وفي بعض القراءات والذين ياتون ما اتوا مقصورة وهي قراءة عايشة فمن قرا ياتون ما اتوا فتاويله اي الذين يعملون من عمل وجلت له قلوبهم ايتقبل منهم ام لا ومن قرا يؤتون ما اتوا فهو من الاعطاء والانفاق يقول والذين يعطون وينفقون ما انفقوا وقلوبهم وجلة ان ذلك يتقبل منهم ام لا وفيه دلالة ان المطيع فيما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسيء في اساءته وكذلك روي عن عايشة انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية قالت اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون فقال لا ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يتقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وجايز ان يكون قوله وقلوبهم وجلة لا على ذلك ولكن على ما ذكر اي قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون الى ربهم على الشقاوة ام على السعادة والله اعلم وقوله عز وجل اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اخبر ان الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون في الخيرات لا اولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم وقوله عز وجل وهم لها سابقون يحتمل اي سبقوا الى الخيرات او سبقوا اولئك الكفرة بها والله اعلم وقوله عز وجل ولا نكلف نفسا الا وسعها جايز ان يكون ذكر هذا وقاله لما عمل اولئك الكفرة من الاعمال التي لا تسع ولا تحل فقالوا الله امرهم بذلك بقولهم والله امرنا بها فقال ولا نكلف نفسا الا وسعها اي الا ما يسعها ويحل كقوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء ردا لقولهم وتكذيبا ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا وسعها اي طاقتها وذلك يحتمل وجهين احدهما اي لا نكلف احدا من العمل ما لا يبلغ طاقته دون فيه لا يكلف الغني من الاعطاء ما يتلف به غناه وكذلك لا يكلف كل احد من العمل ما يتلف به طاقته وجهوده ولكن انما امره ويكلفه بامر يحتمل طاقتهم ذلك العمل والامر فان كان كذلك فدل ذلك انه لم يرد به طاقة العمل وقدرته ولكن طاقة الاحوال التي يجوز تغيرها عن الاحوال والثاني ذكر هذا لئلا يقولوا انا لم نطق ما كلفنا لانهم تركوا الاعمال التي امروا بها

وكلفنا

وكلفوا باعمال مثلها التي تركوها وهي المعاصي التي عملوها فامروا من الاعمال ليس بفوق التي عملوها ولكن مثلها فلا يكون لهم في ذلك احتجاج وقوله عز وجل ولدينا كتاب ينطق بالحق قال قايلون هو الكتاب الذي يكتب فيه اعمالهم وافعالهم بالخيرات والسيات وذلك كله محفوظ محصي عليهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان كان هذا فيكون قوله بالحق اي بالصدق وقال قايلون هو الكتاب الذي انزل الينا وهو هذا القران ينطق عليكم بالحق اي بالحق الذي لله علينا وبالحق الذي يكون لبعض على بعض وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وهو ما ذكرنا من الحق الذي له علينا ومن الحق الذي لبعضنا على بعض و جايز ان يكون هو اللوح المحفوظ فان كان هذا ففيه ان الله لم يزل عالما بما كان ويكون في الاوقات التي يكون ابدا لا بدين وهم لا يظلمون فان كان على الكتاب الذي يكتب فيه اعمالهم فيكون قوله وهم لا يظلمون اي لا ينقص من اعمالهم التي عملوا من الخيرات ولا يزاد فيه على سياتهم بل يحفظ ما عملوا وان يكون لا يظلمون اي لا يزاد على الجزاء على قدر اعمالهم ولا ينقص من قدرها بل يجزون على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله عز وجل بل قلوبهم في غمرة من هذا قيل في عماية وجهالة وغفلة من هذا قال قايلون قوله من هذا من الكتاب الذي كتب فيه اعمالهم واحصي عليهم وقال قايلون قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا اي من هذا القران الذي ينطق بالحق اي قلوبهم في عماية وغفلة من هذا القران وجايز ان يكون قوله من هذا من الاعمال التي ذكر المومنين فيما تقدم من ذلك قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون الى اخر ما ذكر من اعمالهم فاخبر ان قلوب اولئك الكفرة في غفلة وعماية من الاعمال التي عملها المومنون والله اعلم وقوله عز وجل ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون اختلف فيه قال بعضهم ولهم اعمال من دون ذلك اي من دون ما عمل اولئك الكفرة من الاعمال التي تقدم ذكرها من قوله فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون على ما ذكر ثم اخبر ان لهم اعمالا من دون ما ذكر وقال قايلون ولهم اعمال يعني المومنين الذين ذكر اعمالهم اي لهم اعمال دون الذي ذكر لهم دون تلك الاعمال وقوله عز وجل حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون قال اهل التاويل ذلك في العذاب الذي اخذ اهل مكة في الدنيا من الجوع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة ونحوه لكن الاشبه ان يكون ذلك في عذاب الاخرة الا ترى انه يقول اذا هم يجارون اي يتضرعون ويقول ايضا قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون فانما يخبر ان كنتم تفعلون كذا في الدنيا ويذكر اذا هم يجارون فلو يحتمل ان يتضرعوا اليه في الدنيا ثم لا يقبل منهم ذلك التضرع او نهاهم عن التضرع بقوله لا تجاروا اليوم فدل ذلك انه في الاخرة وهو ما ذكر فلما راوا باسنا الاية مثل هذا يكون في الاخرة وفي الدنيا ما ذكر ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ذكر في عذاب الدنيا انهم لم يتضرعوا في الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم لا يقبل عنهم التضرع والاستكانة فدل ذلك انه ما ذكرنا الا ترى انه قال لا تجاروا اليوم انهم عن التضرع ولا يحتمل التضرع عن ذلك وقوله عز وجل انكم منا لا تنصرون اي لا تمتنعون من عذابه وقوله عز وجل قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون قوله على اعقابكم ترجعون على القهقرى ليس على التحقيق لانهم اذا رجعوا على الاعقاب صار امامهم خلفهم ووراءهم امامهم فكانهم يدبرون وذلك وراء ظهورهم وان يكون المنقلب على الاعقاب كالمكب على وجهه مقدم عند جميع من وراءه وعاينه لهذا شبهه وبه ضرب مثله به والله اعلم وقوله عز وجل مستكبرين به قال اهل التاويل قوله به اي بالبيت وجه هذا انهم قالوا انهم اهل البيت وفي حرم الله واهله فخروا وظنوا ان ذلك لهم لفضل كرامتهم ومنزلتهم عند الله فحملهم ذلك على الاستكبار على رسول الله ومن تابعه وقال بعضهم مستكبرين به اي بالقران وقوله اي استكبروا وعلا فلما سمعوه انزل القران الاستكبار الى القران لانه يحتمل ان يكون به كبروا وعلاه فاضاف استكبارهم اليه لانه كان سبب تكبيرهم وهو كقوله واذا ما انزلت سورة فزادتهم رجسا الى رجسهم لانه اضاف زيادة الرجس الى السورة لما ازدادوا رجسا وكانت سبب رجسهم وان كانت لا تزيد رجسا في الحقيقة وقوله عز وجل سامرا تهجرون قال الزجاج السمر هو ظل القمر وكانوا يتحدثون والسمر هو حديث الليل و قوله تهجرون وقال قايلون تهذون وقال بعضهم تهجرون القران اي كانوا لا يعملون به وقرئ فهو الهجر وهو لغة اخرى تهجرون وتهجرون وهو كلام الفحش والفساد وقوله عز وجل افلم يدبروا القول قيل في القران يحتمل قوله افلم يدبروا وهلا دبروا في هذا القول الذي يتلون في الاخرة فلا في الدنيا ذكر من تعذيبهم في الاخرة وهو قوله اذا هم يجارون ولا يجارون بكون قوله افلم يدبروا القول قد دبروا القول لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له انفا واستكبارا وقوله فاتوا بسورة من مثله وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله الاية لا يحتمل ان لا يدبروا فيه انهم تدبروا فيه وعرفوه انه اية لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا وانفوا عنه استكبارا وانفا عن اتباعه والخضوع له قال ابو عوسجة اذا هم يجارون اي يستغيثون قال واصله من الصياح وقال بعضهم يجارون ويضجون

وقيل يهجرون وقوله سامرا تهجرون ماذكرنا من الحديث بالليل تهجرون اى تهذون كما يهذى النايم او المريض الشديد المرض قال وهجر
يهجر من الهجر وهو الفحش وهجرا انشاد في الهاجرة وهي شدة الحر وقوله تنكصون قال بعضهم ترجعون وقال بعضهم يستاخرون كقوله
نكص على عقبيه ترجعون وتستاخرون واحد وقوله عز وجل افلم يدبروا القول قد ذكرنا انه يخرج على وجهين احدهما على ترك التدبر فيه
والتفكر والاعراض عنه اى لم يدبروا فيه ولم يتفكروا والثاني على ايجاب حقيقة التدبر فيه والتفكر اى قد تدبروا فيه وعرفوا انه
منزل من الله لكنهم تركوا متابعته عنادا وتمردا اشفاقا على ذهاب رياستهم وطمعا على ابقايها ودوام ماكلتهم فاى الوجهين كان
ففيه لزوم حجج الله وبراهينه على من جهلها ولم يعرفها بالاعراض عنها وترك التدبر فيها حيث استوجبوا عذاب الله ومقته بجهلهم بها
بترك التدبر فيها بعد اذ كان لهم سبيل الوصول الى معرفتها وظاهر قوله افلم يدبروا استفهام الا انه في الحقيقة ايجاب لها لا يجوز ان يستفهم
احدا فهو على الايجاب لانه علام الغيوب وقوله عز وجل ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين اى قد جاء اباءهم الاولين من الرسل لم يات
هؤلاء شيء الاماني اباهم لم يخصوهم بالرسول فكيف انكروه الا ترى انهم قالوا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم قد اقروا ان
في الامم المتقدمة رسولا حيث قالوا لنكونن اهدى من احدى الامم وعلى ذلك يخرج قوله ام لم يعرفوا رسولهم اى قد عرفوا رسولهم
لكنهم انكروا وتركوا اتباعه لما ذكرنا في القران من احد الوجهين عنادا وتكبرا اشفاقا على رياستهم لكي يبقى الا ترى انه قال يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم الاية وعلى هذا ام يقولون به جنة اى قد عرفوا انه ليس به جنة وجايز ان يكون قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين اى قد جاء هؤلاء ما لم يات اباءهم وخصهم لما لم يخص اباءهم وكذلك قال ابن عباس لعمري لقد جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
وجايز ان يكون قوله افلم يدبروا القول الى اخر ما ذكر من قوله ام يقولون به جنة لانه يخرج على الامر بالتدبر فيه ومعرفة الرسول انه ليس
كما يصفونه من الجنون وغيره كقوله اولم يتفكروا اى تفكروا فيه فانه ليس به جنة على ما يصفونه او على ما ذكرنا انهم تفكروا وعرفوا
انه ليس به جنون ولا شيء مما وصفوه به لكنهم ارادوا ان يلبسوا امره على اتباعهم ويشغلهم اشفاقا على ابقاء ما ذكرنا وقال بعضهم
قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين من البراءة من العذاب وقوله بل جاءهم بالحق بالرسالة والقران من عند الله وجعل العبادة له من دون
الاصنام التي عبدوها ولكن اكثرهم للحق كارهون كرهوا الحق لما ظنوا ان في اتباعه ذهاب الرياسة والاسباب التي كانت لهم على اتباعهم بعد
معرفتهم انه حق وكرهوا لما لم يعرفوا في الحقيقة انه حق والا لا احد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته يكره الحق ويترك اتباعه الا لوجهين الذي
ذكرناهما والله اعلم وقوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم قال عامة اهل التاويل الحق ههنا هو الله اى لو اتبع الله اهواءهم في كفرهم وشركهم
لفسدت السماوات والارض ومن فيهن ودل هذا ان الكفر والشرك ما لا عاقبة له وكل شيء لا عاقبة له فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل
غير مستحسن وقال بعضهم الحق ههنا كتاب الله وهو القران اى لو جاء هذا القران على ما يهوون هم لفسد ما ذكر لانه يكون خارجا عن الحكمة
وجايز ان يوصل قوله ولو اتبع الحق اهواءهم الحق الذي سبق ذكره وهو قوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون اى ذلك الحق ان كان رسالة
او قرانا او كل خبر لان الحق هو اسم كل خير واسم كل مستحسن وممدوح في العقل والحكمة لو اتبع ذلك الحق اهواءهم وجاء على ما هوت به
انفسهم واشتهت من عبادة غير الله وتسميتهم اياها الهة وانكارهم البعث والتوحيد وغير ذلك من الافعال التي كانوا اختاروها
وعلوها لفسدت السموات والارض وما ذكر لانه يكون خلقهم وخلق ما ذكر من السموات والارض وما فيهن لا لما توجبه الحكمة
والعقل اذ خلقهم وخلق ما ذكر لافعالهم التي يفعلون فاذ خرج افعالهم على غير ما توجبه الحكمة والعقل بل على السفه والجهل خرج الذي
لها خلق ومن اجلها الشيء كذلك لان اذا خلق الشيء وفعله لا لعاقبة تقصد خارج عن الحكمة والله اعلم بذلك وجايز ان يكون الحق هو رسول الله
اى رسول الله لو اتبع اهواءهم لفسد ما ذكر وقوله عز وجل بل اتيناهم بذكرهم قال اهل التاويل بشرفهم وذكرهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
فهم عن ذكرهم معرضون اى عن شرفهم معرضون وجايز ان يكون الذكر هو الحق الذي تقدم ذكره اى لو تبلا ذلك الحق وانبلا اخره يكون
في ذلك ذكرهم من بعد هلاكهم كما يذكر اصحاب رسول الله من بعد ما ماتوا الا ترى ان اولادهم يذكرون اباءهم يتعيشون يقولون انا من بني فلان
فيبرهم الناس بذلك ويكرمونهم واما اولئك فانهم لا يذكرون بشيء من ذلك فذلك يدل على ما ذكرنا ويحتمل قوله بل اتيناهم بذكرهم الثناء
عليهم ان لو امنوا كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس الاية وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله والسابقون الاولون الاية ونحو
ذلك مما اثنى الله على من امن منهم فهم لو امنوا استوجبوا ذلك الثناء وجايز ان يكون قوله بل اتيناهم بذكرهم اى بدعائهم وهو ما دعا
الملائكة والرسل للمؤمنين كقوله ويستغفرون للذين امنوا الاية وقوله واستغفر لذنبك وقول نوح رب اغفر لي ولوالدي الاية وقول ابراهيم
ودعايتهم لو امنوا استوجبوا دعاء هؤلاء الملائكة والرسل جميعا وان يكون ما ذكرنا من ابقاء ذكرهم الى يوم القيامة كما بقي ذكر اولئك
الذين امنوا به وصدقوه فيكون في ذلك كله شرفهم وقدرهم على ما قاله اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل ام تسالهم خرجا فخراج ربك
خير جايز ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم اى قد عرفوا رسولهم ام يقولون به جنة
اى ليس به شيء يمنعهم عن الاجابة له والايمان به بما يعذرونهم في ترك الايمان به فعلى ذلك قوله ام تسالهم خرجا اى لم تسالهم اجرا على ما
تدعوهم اليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الاجر عن اجابته وتصديقه كقوله ايضا ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون فينقطع ما ذكر جميع
اعذارهم وحججهم وان لم يكن لهم عذر ولا حجة في ترك الاجابة له وقال بعضهم الخراج الرزق اى تسالهم رزقا ثم اخبر ان اجر ربك خير

وهو خير

وهو خير الرازقين وقوله عز وجل وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم المستقيم القايم بالايات والحجج ليس كالسبيل التي سلكوها هم لا
ايات ولا حجج ولا برهان وقوله عز وجل وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون هذا يحتمل وجهين احدهما ان انكار البعث
والاخرة هو الذي حملهم على العدول عن الصراط المستقيم والثاني ان الصراط الذي في الدنيا هو المجعول للاخرة فانكروا سلوكه فصار سبيلهم
مستقيم عن ذلك انكروا الاخرة وكلاهما واحد وقوله لناكبون لعادلون ومايلون عنه الى غيره وقوله عز وجل ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ذكر في القصة انهم لما اصابهم الجوع وكانوا لا يجدون ما ياكلون وفيه
من المعتبر انه اخبر انهم لو كشف عنهم من البلاء والشدائد لما انابوا برحمته وفضل الله على ما قاله بعض الناس الا باستحقاق
حيث ذكر برحمته يكشف ذلك عنهم والثاني فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه ان كشف عنهم ما بهم من الضر
عنهم لجوا في طغيانهم فكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم كما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولقد
اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون لجهلهم بعذابه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
اذا هم فيه مبلسون الاختلاف في قوله مبلسون قال بعضهم ايسون من كل خير وهو ما وصفهم انهم لم يؤمنوا
وقال الزجاج المبلس الساكت المتحير انهم كانوا اذا جاءهم العذاب لا يدرون ما يفعلون
عنهم ومنه سمي ابليس لانه ايس من رحمة الله وانقطع رجاؤه عنه وقال ابو
عوسجة المبلس البايس الحزين ويقال ابلس الرجل اى يئس فحزن وابلس غيره ايضا وانما سمي ابليس ابليس لانه يئس من رحمة الله فحزن قال
وقوله فما استكانوا لربهم اى لم يذلوا لربهم بالطاعة له والخضوع لما ذكرنا وقوله عز وجل وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم ليستادي بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم لم يذكر غيرها وهو السمع والبصر
والفؤاد الذي ذكر ان بها يوصل الى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث وكل لين وخشن وكل سهل وشديد وكل حلو ومر وكان الانسان
مطبوعا على حب النافع والطيب واللين والسهل واختياره على اضداده والهرب من كل ضار ومؤذ والفرار عن اضداد ما ذكرنا من الخيارات
عنه فاخبر انه اعطى لهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث ونحوه شاهده وغايبه وما به يميزون ذا من ذا ويختارون
ما هو المختار عندهم من غيره وما ينفعهم مما يضرهم ليستادي بذلك شكره ويذكرهم في قوله وهو الذي ذراكم في الارض اى جعلكم سكان
الارض بقدرته وسلطانه واخبر انه لم يخلقكم عبثا ولكن للبعث بعد الموت والحشر اليه لما ذكرنا في غير موضع ان خلق الخلق للفناء خاصة
لا للبعث والاحياء بعد الموت عبث ولعب واخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ان
من قدر وملك على احياء الموتى واماتة الحي لقادر على البعث ومن ملك على انشاء الليل بعدما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعدما ذهب
اثر الليل لقادر على الاحياء والبعث بعد الموت ثم قال افلا تعقلون اى افلا تعقلون انه كذلك فكيف تنكرون قدرته على البعث والاحياء
بعد ما صرتم رمادا وترابا وكيف تشركون غيره في عبادتكم اياه وتصرفون الى غيره فيما انعم عليكم ثم اهل التاويل صرفوا قوله وهو الذي
انشا لكم السمع والابصار والافئدة الى الكفار وهم يكفرون بنعمه ذلك ويكفرونها وهم لا يشكرون راسا بقوله قليلا ما تشكرون
الا ان يقال انهم في بعض الاحايين ربما يشكرون الله ويتضرعون اليه نحو قوله فاذا ركبوا في الفلك الاية ونحوه من الايات التي ذكر فيها
دعاءهم وتضرعهم الى الله عند ما اصابهم الضر فذلك منهم شكر وان يقال ان قوله قليلا ما تشكرون اى ما تشكرون راسا كقول الرجل لاخر
قليلا ما تفعل كذا اى لا تفعل اصلا فعلى ذلك هذا ان كان المراد منها والخطاب بها اولئك الكفرة وان الخطاب بها يحتمل ان يكون راجعا الى
المؤمنين ذم الذين يتوهمون ببعض الشكر لنعمه وتقليله واما الكفرة فهم يكفرونها ويكفرون راسا وقوله عز وجل بل قالوا مثل ما قال الاولون
قالوا ايذا متنا وكنا ترابا يخبر جل وعلا رسوله سفه قومه وقولهم الذي قالوا له بعدما بين لهم حكمته في خلقهم وانشاءهم ذكر
نعمه التي انعم عليهم وذكر قدرته وسلطانه فيما ذكر من قوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة وقوله عز وجل وهو الذي
ذراكم في الارض واليه تحشرون وقوله عز وجل وهو الذي يحيي ويميت ذكرهم ما ذكر في هؤلاء الايات من حكمته في خلقهم وقدرته في
انشاءهم وعرفهم ذلك حتى عرفوا ذلك كله ثم بين سفههم فجوابهم رسوله فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون يخبر رسوله
ان هؤلاء ليسوا باول من كذب الرسل ولكن كان لهم شركاء واصحاب في التكذيب فلهؤلاء اولئك الاولين يصبر رسوله على سفه هؤلاء وانهم
ليصبر على ذلك كما صبر اخوانه الذين كانوا من قبل اذ يذكر هذا البشري بعض ما تداخل فيه بتركهم اجابته وخوضهم فيما فيه هلاكهم لانه
كان صلى الله عليه وسلم كاد ان يهلك نفسه لذلك حتى قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولعلك باخع نفسك فبين ما قالوا ايذا متنا
وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يقولون قد وعد اباؤنا بمثل ما وعدنا
نحن فلم ينزل بهم ما اوعدوا من العذاب ولا ينزل ايضا بنا ما تعدنا وهو اساطير الاولين اى احاديث الاولين ثم امر رسوله ان يسالهم
ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فقالوا لله لم يجدوا بدا من ان يقولوا لله و
يقروا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم ويظهر جهلهم عند كل احد ثم قال قل افلا تذكرون فاذا عرفتم ان ذلك كله له وهو خالقهم فكيف تنكرون

طاعته وانا لست ادعوكم الا الى ذلك ان تجعلوا الارض وما فيها كله لله افلا تتعظون وتقرون بما ادعوكم اليه وعلى ذلك قوله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله لابد لهم من ان يقروا بذلك فاذ عرفتم بذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وتتقون نقمته وكذلك ما قال قل من بيده ملكوت كل شئ فاذ عرفتم ذلك واقررتم به فانى تسحرون قيل فانى تصرفون عن ذلك وقال بعضهم فانى تخدعون وتغرون فى ذلك انا عرفتم ذلك ان ذلك كله لله ويحتمل ان يكون قوله فانى تسحرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون انه ساحر وانه كذاب وهو ليس يدعوكم الا الى ما اقررتم واعترفتم فانى تنسبونه الى السحر والله اعلم وقوله ملكوت كل شئ قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وهو يجير ولا يجار عليه اى هو يؤمن كل خايف ولا يقدر احد ان يؤمن من اخافه هو وهو كقوله وان يمسسك الله بضر الاية قال ابو عوسجة قوله وهو يجير اى يمنع ولا يجار عليه اى لا يقدر احد ان يمنع منه احدا فانى تسحرون اى تغرون وتخدعون تقول سحرت اى خدعت وغررت ويقال تسحرون اى تخدعون وتصرفون عن هذا وسمى السحر من هذا وقوله عز وجل بل اتيناهم بالحق الحق قد ذكرنا انه يحتمل وجوها احدها بالحق اى بوحدانية الله والوهيته وتعاليه عن الشركاء والولد وعما وصفوه او ان يكون قوله بالحق اى بالقرآن الذى عرفوه انه حق وانه من عند الله او ان يريد بالحق محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا انه حق وانه رسول الله اليهم او ان يكون الحق ما ذكر لهم وما فيه شرفهم ومنزلتهم او بالحق الذى يكون لله عليهم وما لبعضهم على بعض من الحقوق والله اعلم وقوله عز وجل وانهم لكاذبون فى وصفهم ربهم فما وصفوه وصفتهم بما لا يليق وكاذبون بان القرآن مفترى ومختلق من عند غير الله او كاذبون فى قولهم بانه ساحر وانه مجنون وانه ليس برسول لكذبوا فى جميع ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق جائز ان يكون كل حرف من هذه الحروف موصولا بعضه ببعض لما تقدم وجائز ان يكون كل حرف من هذه الاحرف منفصلا من الاول مستبدا بذاته فان كان على الاول فيكون قوله ما اتخذ الله من ولد ولو كان اتخذ ولدا لكان الها لان الولد يكون من جنس الوالد ومن جوهره لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه فى المتعارف فاذا كان الها من الوجه الذى ذكرنا لذهب اذا كل اله بما خلق وان كان منفصلا فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله لانه قال ولو كان معه آلهة على ما زعموا اذا لذهب كل اله بما خلق من الخير والشر ولدلالة على الوهيته ولعلا بعضهم على بعض اى قهر وغلب بعضهم بعضا على ما يكون من عادة ملوك الارض فاذا كان ما قالوا ذهب دلالة الالوهية والربوبية فاذا لم يكن ذلك دل انه واحد لا شريك معه ولا ولد اذ اتساق التدبير وجرى الاشيا على حد واحد وسنن واحد دال على الوهية واحد لا بعدد اذ لو كان ما ذكر من غلبة بعض على بعض وقهر بعض لبعض ثم ما ذكر لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم معلوم ان مثل هذا الا لا يكون مع الذين ينكرون الوهية الله ويعبدون الاصنام وهم مشركوا العرب وكفار مكة ولكن انما يكون مع الذين يقرون بالالوهية لله لكن يجعلون معه شريكا لحاجة تقع له وهم الثنوية والدهرية والمجوس واولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير وخالق جزا غير خالق هذا فيكون قوله سبحان الله عما يصفون على هذا اى يتعالى عما وصفوه بالحاجة له فى خلق ما خلق والمنفعة له فى ذلك وكذلك قوله سبحانه وتعالى عما يشركون واما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ الولد والشريك سبحان الله عما يصفون فيه من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسبوا اليه ما لا يليق به او ان يكون قوله سبحان الله عما يصفون كما يوصف المخلوق المحدث لانهم وصفوه بالولد والولد فى متعارف الخلق لا يكون الا من الوالد والام هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق فاذ وصفوه باتخاذ الولد شبهوه بالمخلوق المحدث من الوجه الذى ذكرنا فنزه نفسه عن ذلك وقوله عز وجل قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وقوله عز وجل اما تريني ما يوعدون يحتمل وجهين احدهما ان اما تريني ما يوعدون فلا تجعلنى فى القوم الظالمين لانه كان وعد له ان يريه بعض ما وعدهم بقوله فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فلا نريك شيئا فقال رب ان ترينى ما يوعدون او لا ترينى فلا تجعلنى فى القوم الظالمين والثانى انك وان اريتنى ما تعدهم على التحقيق فلا تجعلنى فى القوم الظالمين ثم يحتمل قوله فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وجهين احدهما لا تجعلنى فى القوم الظالمين فى العذاب الذى وعدت لهم انه ينزل لانه من العدل ان يعذبهم ويعاملهم معاملة اهل العدل كانه يقول رب لا تعاملنى معاملتك اياهم وان كان ذلك من العدل من العدل لان تعاملنى مثل ما تعامل ولذلك لان رسل الله وان لم يكن لهم زلات ظاهرة فلقد كان من الله اليه من النعم والاحسان ما لو اخذ بشكر ذلك لم يقدر على اداء شكر واحد منها فضلا عن ان يؤدى شكر الكل الا ترى انه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته ويحتمل قوله فلا تجعلنى فى القوم الظالمين فى الزيغ والغواية يسال ربه ان يعصمه عن الزيغ بالضلال والغواية الذى عليها القوم الظالمون وهو كدعاء ابراهيم ربه وسواله العصمة عن الزيغ بقوله رب اجعل هذا البلد امنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وان كان وعد لهم العصمة عن ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما يخبر رسوله انه ليس بعجز يؤخرها وعلهم من العذ

ولكن علم

ولكن يحلم منه ويعفو وهو كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم على التنبيه والايقاظ على ذلك يحتمل هذا والثانى يعزى رسوله ويصبره على اذاهم اياه يقول انى مع قدرتى على انزال العذاب عليهم والانتقام منهم احلم عنهم واوخر عنهم فانت مع ضعفك على ذلك اولى ان تصبر على اذاهم وعلى هذا يخرج قوله ادفع بالتى هى احسن السيئة اى لا تكافئهم لاذاهم اياك ولا تشتغل بهم بمجازاة ذلك ولكن ادفع ذلك باحسن ذلك وكل مكافاتهم الى الحق انا كافيهم ونحن اعلم بما يصفون من الكذب والاذى الذى يؤذونك والثانى ادفع بالتى هى احسن السيئة اى ادفع سياتهم المتفرقة بالاحسان يكون منك اليهم ليكونوا لك اولياء واخوانا فى حادث الاوقات وهو كقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقوله عز وجل وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وقال فى اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله علم رسوله وامره ان يتعوذ به من الشيطان الرجيم اللعين اذا نزغه ونزغ وسوسته وامره ايضا ان يتعوذ من همزه ايضا وهو همزة وقصده بذلك وامره ان يتعوذ بحضورهم مكان الوسوسة حتى يدفع عنهم ولا يحضرون ذلك المكان وكان التعوذ عن نزغهم ليدفع عنه لئلا يؤثروا فى نفسه بعدما حضروه ووسوسوه والتعوذ عن همزهم هو ان يدفع عنهم طعنهم ونخسهم لئلا يشغلوه بالذى قصدوه به والتعوذ عن حضورهم مكان الوسوسة قال الحسن همزه الشيطان الموتة والموتة غشيان القلب روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم قال من همزه ونفخه ونفثه وقال بعضهم همزاته ونزعاته واحد وقال القتبى همزات الشياطين نخسها وطعنها ومنه قيل للعائب همزة كانه يطعن ويعيب قال ابو عوسجة همزات الشياطين وساوسهم يقال همز يهمز همزات وسوس ومن وجه اخر همز يهمز همزا اى عاب يعيب ومنه قوله ويل لكل همزة لمزة ثم فى قوله رب اعوذ بك من همزات الشياطين الى اخر ما ذكر وجهان على المعتزلة احدهما انه امر رسوله ان يتعوذ به ما ذكر فلو ان عنده لطف لم يعطه ما لو اعطاه الله لدفع به ما ذكر وانه مالك لذلك اذ لو كان غير مالك لذلك يخرج السؤال به مخرج الهزء به اذ من طلب من اخر شيئا يعلم انه ليس عنده ذلك خرج ذلك الطلب مخرج الهزء به فعلى ذلك هذا والثانى ان كل ما هو بالتعوذ جعل الله له الاعاذة عما يتعوذ عنه فالوجهان جميعا ينقضان على المعتزلة فى قولهم ان الله قد اعطى كل الاصلح فى الدين واعطى كل العصمة عن كل زيغ وضلال وقوله عز وجل حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ظاهر هذا ان يكون قوله رب ارجعون بعد الموت وبعد ما عاين اهوال الاخرة وانواعها لان الموت ليس هو شئ ياتى من مكان الى مكان انما هو شئ يذهب بالحيوة التى فيهم الا ان اهل التاويل قالوا ان ذلك عند معاينتهم ملك الموت وعند هجومه عليهم باهواله فعند ذلك يسالون الرجعة الى الدنيا والاول اشبه واقرب ثم قوله حتى اذا جاء احدهم الموت ليس هو صلة قوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ولا جوابه لانه ليس من نوعه ولا من جنس ذلك ولكنه والله اعلم صلة قوله بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون وجواب قوله واكثرهم للحق كارهون ونحوه الذى تقدم ذكره يقول وانهم على ذلك حتى اذا جاء احدهم الموت فعند ذلك يرجع الى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه فى ذلك الوقت وقال رب ارجعون ولم يقل رب ارجعنى وذلك يخرج على وجهين احدهما سال على ما يسال الملوك ويخاطبون افعلوا كذا على الجماعة وان كان انما يخاطب واحدا على ما خرج جواب الله وقوله انا فعلنا كذا والثانى ان يكون قوله رب ارجعون يسال ربه ان يامر الملائكة الذين يتولون قبض ارواحهم ان يرجعوه الى ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل لعلى اعمل صالحا فيما تركت قال بعضهم فيما تركت اى فيما كذبت وقال بعضهم فيما تركت فى الدنيا من الاعمال الصالحة فاعمل بها وجائز ان يكون قوله فيما تركت من الاموال فاؤدى منه حقه لان من الكفرة من كان سبب كفرهم منع الزكوة وجحوده كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فيسال ربه ان يرجع الى المال الذى تركه ليؤدى الحق الذى كان فيه فتنعه كقوله فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين وقوله فاصدق اى فاتصدق بالصدقة التى منعها لان الخطاب فى الصدقة بقوله وانفقوا مما رزقناكم الاية وهذا اشبه والله اعلم وقوله عز وجل كلا وهو رد لما سالوا من الرجعة وقوله عز وجل انها كلمة هو قائلها قال بعضهم قوله انها كلمة هو قول الله لن يؤخر الله نفسا الاية هو قائلها يعنى الكافر عند معاينة العذاب وهو قوله رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت ثم قوله كلا على هذا يحتمل وجهين احدهما انه لا حقيقة لسواله الذى يساله من الرجعة ليعمل العمل الصالح اى انه وان رد ورجع لا يعمل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والثانى ان لا منفعة لهم فى سوالهم الرجعة اذ لو رجعوا لا يصلون الى ما يأملون لانهم انما يسالون ليؤمنوا والايمان سبيله الاستدلال فاذا لم يستدلوا به وقت امنهم وفسحتهم فكيف يقدرون على الاستدلال فى وقت خوفهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم ورائهم اى امامهم قال ابو معاذ ومشتقة من تواريت عنك فكل ما توارى عنك فامامك كان او خلفك فهو ورائك قال بعضهم من ورائهم على حقيقة الوراء برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم البرزخ هو ما بين النفختين وقال بعضهم

البرزخ هو الاجل بين الموت والبعث وهو قول الكلبي وقتادة وقال مجاهد البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع الى الدنيا وقال القتبي وابو عبيدة البرزخ ما بين الدنيا والاخرة وقال الكلبي كل شيء بين شيئين فهو برزخ وقال ابو عوسجة البرزخ ما بين الحدين يعني الدنيا والاخرة وقال بعضهم البرزخ الارض المستوية واصل البرزخ الحاجز ومنه قوله وجعل بينهما برزخا اي حاجزا وتاويله اي حاجزا الى الوقت الذي يجزيهم بما يتمنون ويشتهون وهو كقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانما يشتهون ويتمنون الايمان والاعمال الصالحة وجايز ان يكون قوله ومن ورائهم برزخ اي من وراء احوالهم المحكية الايمان فيه احوال لا يمكن فيها الايمان وما تمنوا من العمل الصالح والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية لانهم يقولون البعث هو ان يجعل للمومن من الاعمال الصالحة صورة روحانية تتجلى بها ثياب تلك الصورة الروحانية ومن الاعمال القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحة روحانية هي تعاقب وتعذب بها فلا البعث عندهم فاخبر عز وجل ان بين موتهم وبين البعث برزخ وهو الاجل الذي ذكرنا والحاجز فدل ذلك على نقض قولهم ان ليس البعث الا خروج الصورة الروحانية وقوله عز وجل فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم ولا يتساءلون اذ كان قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في الناس كلهم فذلك في اختلاف المواطن على ما قاله ابن عباس وغيره من اهل التاويل واختلاف الاوقات لا يتساءلون في موطن او في وقت ويتساءلون في وقت اخر الا ترى انه قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ونحوه وان كانت الاية في الكفرة خاصة فهو يخرج على وجهين احدهما لا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون لانه كان يتناصر بعضهم ببعض على غيرهم ويستعين بعضهم ببعض ويكونون لهم في هذه الدنيا وشفعاء واعوانا وانصارا فاخبر ان ذلك ينقطع بينهم ويذهب ذلك التناصر عنهم في الاخرة والعرب خاصة كان يتفاخر بعضهم على بعض بالانساب ويتناصر فاخبر ان ذلك منقطع عنهم في الاخرة والثاني لا انساب بينهم وما ذكر يومئذ لشغلهم بانفسهم لفزع ذلك اليوم واهواله يعني بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم اهوال ذلك اليوم وافزاعه كان لكل في نفسه شغلا حتى لا يتفرغ الى احد وان قرب منه لشغلهم بانفسهم وان كان في الناس جميعا فهو ما ذكرنا ان ذلك يكون في اختلاف المواطن والاوقات يتساءلون في وقت ولا يتساءلون في وقت ويتساءلون في موطن ولا يتساءلون في موضع او او يسألون عن شيء ولا يسألون عن اخر وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب كان فهو منقطع الا نسبي وكلاما نحو هذا ثم يحتمل قوله الا نسبي وجهين احدهما الشفاعة له فانسابه لا يكون ذلك لغيره فحسبه كان اراد هنا فهو على حقيقة نسبه والثاني اراد بقوله الا نسبي المومن له في دينه لان كل من اتبعه فقد انتسب اليه فكانه قال ان كل شفاعة دوني فهو منقطع الا شفاعتي لمن اتبعني وانتسب بقوله ديني وقوله عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه جايز ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه اي من عظم قدره ومنزلته عند الله بالاعمال التي عملوها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند باعماله الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا انفسهم والله اعلم وقد ذكرنا تاويل اهل التاويل في الموازين فيما تقدم وقوله عز وجل تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال بعضهم تلفح تحرق النار اللحمة ثم تدع العظام عارية وهم فيها كالحون قال بعضهم عابسون وقال بعضهم تلفح اي تنفح وقال بعضهم تلفح تشوي وتحرق فذلك عادة النار انها تفعل كل هذا الفعل وقال ابو عوسجة تلفح اي تضرب واللفح الضرب يقال لفحته النار اي ضربته فاحرقت وجهه تلفح لفحا فهي لافحة والكالح العابس وقوله عز وجل الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون كذلك كانوا يكذبون بآياته وقد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا قال اما ما قال اهل التاويل غلبت علينا اي ما كتبت علينا من الشقاوة فانه لا يحتمل لانهم يقولون ذلك القول اعتذارا وما كان منهم من التفريط فاره والتضييع فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم اذ لو كان ما ذكروا لكان في ذلك طلب العذر لانفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لانفسهم وكيف يعتذرون بما كان منهم لكن يحتمل وجهين احدهما يقولون ربنا اشتغلنا بأعمالنا وشغلنا انفسنا عن ضلالتنا والثاني علينا اعمالنا التي استوجبنا بها تلك الاعمال جزاء فنحن اولى بذلك الجزاء تلك الاعمال وكلام هذا وما اتى وانشك من اهل النار وقول عليهم شقوتنا كتبت فهو بعيد لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يختاره لا يكتب غير الذي هو يفعل ويختار والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قوله فانا ظالمون ظلم عناد وظلم ظاهر [illegible] فانهم [illegible] عدنا فانا ظالمون [illegible] وقوله عز وجل قال اخسئوا فيها ولا تكلمون قال بعضهم اخسئوا اي [illegible] ابعدوا فيها قال ابو عوسجة يقال اخسأت [illegible] وقوله عز وجل ولا تكلمون [illegible] ان يكون هذا السؤال منهم [illegible] سالوا ملك الموت [illegible] منه فعند ذلك يسألون [illegible] على الكلام لشدة العذاب [illegible] انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون يخبر عز وجل انه كان الكفرة الذين يسألون الاخراج من النار

كم قد اتخذتم فريقا من عبادي امنوا بي سخريا وكنتم منهم تضحكون يذكر هذا لهم والله اعلم ليكون ذلك حسرة عليهم ونكاية وقوله سخريا اختلف في قراءته وتاويله قرا بعضهم سخريا بكسر السين وقرا بعضهم برفعه قال ابو معاذ من قرا برفع السين فهو من العبودة والهزولة اي اتخذتموهم خولا وعبيدا ومن قرا بكسر السين فهو من الاستهزاء والهزء وقال الكسائي بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء ولا يقال في العبودة الا برفع السين وقال بعضهم هما سواء وقوله حتى انسوكم ذكري قال بعضهم حتى انساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي وقيل انسا الى الذكر لانهم كانوا يذكرونهم ودعاءهم الى ذكر الله يهزؤن بهم فاضيف اليه لذلك فكان كما اضاف الرجس الى السورة لان ذلك انما يزادهم عند تلاوة السورة فاضيف ذلك الى السورة والا كانت السورة لا تزيد رجسا فعلى ذلك اضاف الانسا الى ذكره لما عند ذكره ودعاءهم اليه عليهم الى ذلك والله اعلم فاضيف اليه وقوله عز وجل اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي جزيتهم اليوم الفوز بما صبروا في الدنيا على اذى ولئك الكفرة وعلى اداء ما امروا به ونهوا عنه او ان يكون ذلك كقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ونصر ايام هو ان صارت لهم عاقبة والله اعلم وقوله عز وجل قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم اختلف فيه قال مقاتل بن سليمان في القبور وقال ابو معاذ قد اخطأ مقاتل وذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية لان من كان في عذاب وشدة لا يقتصر المقام فيه كل هذا الاقتصار حتى يقول لبثت يوما او بعض يوم بل يزداد له مقام يوم في العذاب على سنة واكثر فقال لا ان يكون على ما بين النفختين حتى يوذن للارواح فتر قدرا ذا بعثوا استقلوا قدر ذلك المقدار كانوا فاستقبل الى قوم من العذاب في القبور الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وجايز عندنا ما قال مقاتل ومحمد بن اسحق بان ذلك يكون في القبر وذلك لا يدل على نفي عذاب القبر لانهم لا يعذبون في القبور بالعذاب الذي يعذبون في الاخرة فجايز ان يستقلوا عذاب القبر بعذاب الاخرة ويستقصر ذلك الوقت بعذاب الاخرة لشدته واهواله وذلك جايز في متعارف الخلق ان يكون الرجل في بلاء وشدة ثم يزداد له البلاء والشدة فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حل به فعلى ذلك ثم جايز ان يكونوا في عذاب في قبورهم لكنهم لما عاينوا عذاب الاخرة استقلوا عذاب القبر واستقصروه لشدة عذاب الاخرة او ان يكون عذاب القبر على النفس الروحاني الدراك الذي يخرج في حال النوم ليس على روح الحيوة نحو النايم يرى نفسه في بلاء وعذاب في نومه ويكون في فزاع وكانت نفسه ملقاة في مكان لا علم لها بذلك ولا تتبين فيها اثار الاحياء فجايز ان يكون عذاب القبر على هذا سبيل الروح الذي به يدرك الاشياء لا على روح الحيوة الذي به يحيى وقال قايلون ذلك في الدنيا استقلوا حيوة الدنيا بحيوة الاخرة وهو كقوله فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل الا ترى انه قال فاسأل العادين هذا يدل على ان ذلك في الحيوة الدنيا اشبه حيث امرهم بسؤال الذين يعدون وذلك انما يكون في الدنيا لا في الاخرة ثم اختلف في العادين قال بعضهم هم الملائكة الذين يكتبون اعمالهم في هذه الدنيا ويحصونها وقال بعضهم هم ملك الموت واعوانه وقوله عز وجل قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون اي ما لبثتم الا قليلا لو كنتم تعلمون ولكن لا تعلمون قال القتبي سخريا بكسر السين اي يسخرون منهم وسخريا بضمها اي يتسخرونهم من السخرة وقوله حتى انسوكم ذكري اي شغلكم امري عن ذكري والوجه فيه ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا قوله افحسبتم يحتمل وجهين احدهما افحسبتم اي قد حسبتم انما خلقناكم عبثا والثاني افحسبتم اي لا تحسبوا انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقه الخلق لا للرجوع اليه والبعث عبثا لوجهين احدهما لان خلقه اياهم لا للعاقبة تاملا ولنا فيه نقصد للهلاك خاصة والفناء عبث كبناء الباقي لا لمنفعة تقصد به ولكن للنقض يكون عبثا في الشاهد وهو ما قال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا سفهها في غزلها النقض لا لمنفعة قصدت بردها ان تنقل شرعا نعلها فلو لم يكن المقصود من خلق الخلق الا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة تقصد كان سفها وعبثا والثاني ما اخبر انه انشا هذا العالم غير البشر لهذا البشر وله سخر ذلك كله حيث قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اذ ليس لغير البشر منفعة بهذه النعم التي انشا ها لهم من نحو الجن والملائكة ونحوهم انهم قوام بدون ذلك من الشمس والقمر ونحوه من النعم انما ذلك للبشر خاصة فاذا كان كذلك لا يحتمل ان يجعل لهم كل هذه النعم التي ذكرها وانشاها لهم ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يامرهم بامر ولا ينهاهم بنا هي فدل لما انشا لهم من النعم وسخر لهم من الاشياء انهم يبعثون ويرجعون اليه حتى يجزون جميعا المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة اذ في العقول التفرقة بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر ثم رايناهم جميعا في هذه الدنيا عاشوا على السواء في الضيق والسعة لم نر ما يفصل بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر فدل ما لم نر التفرقة بين ما ذكرنا في هذه الدنيا ان هنالك دارا اخرى دار الجزاء هنالك يفصل بين ما ذكرنا في الجزاء والله الموفق لا ترجعون قيل لا تبعثون وقيل لا ترجعون اليه بالاعمال التي عملتموها كقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله فاستقيموا اليه واستغفروه وقوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق اي يتعالى الله عن ان يكون خلق الخلق منه عبثا او يتعالى ان يكون خلق الخلق لا لحكمة الملك الحق قال الحسن الحق اسم من اسماء الله او الملك الحق الذي خلق الخلق للحكمة لا اله الا هو تنزيه وتبرية عن جميع ما قالوا فيه وقوله عز وجل رب العرش الكريم يشبه ان يكون على الاول يتعالى الملك الحق ورب الملك الكريم عن ان يخلقهم لا لحكمة او البعث وقالت الباطنية العرش القيامة ونحن نقول يشبه ان يكون العرش القيامة على ما قالوا الا انهم يتاولون هو قايم الزمان وقلنا نحن هي القيامة المعروفة وهي الساعة ورب القيامة

هو الملك الذي ذكرنا كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وخص ذلك اليوم بالملك لله وان كان الملك له في الدارين جميعا لانه لا
ينازع في ملكه يومئذ وقد نوزع في الدنيا فخلص له ملك ذلك اليوم فوصفه به يومئذ وقال بعض اهل اللغة ذو العرش السرير اضافه الى
نفسه لكرامته ومنزلته عند الله والكريم هو نعت ذلك السرير اي الحسن كقوله ومقام كريم اي حسن وهكذا يوصف كل كريم بالحسن
وقال بعضهم هو نعت الرب اي ذو عفو وصفح والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن يدع مع الله الها اخر ظاهر هذا برهان هنالك الها اخر لانه
قال ومن يدع مع الله الها اخر لكنه يخرج على وجهين احدهما لا تجعل مع الله الها اخر كقوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر وقوله والثاني ومن
يدع مع الله الها اخر اي من يسم مع الله الها اخر اذ كانوا يسمون الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية **وقوله**
عز وجل لا برهان له به اي لا حجة لهم بذلك لان الحجة انما تكون بوجوه ثلاثة اما بالاخبار التي يجوز الشهادة على صدقها وصحتها واما
العقول تشهد على ذلك واما من جهة الحس بين لعلة ذلك فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه ثم الحس يكون بالدلالة من وجهين احدهما بوقوع
الحس عليها بالبديهة او بآثار تدل على الالوهية فلا كان في ظاهره وقوع الحس دلالة ذلك ولا كان بها آثار تدل على ذلك بل فيها آثار الجور
والذل فضلا ان يكون لها آثار الالوهية ولا عذر لهم في ذلك لان العبادة الاخرى انما تكون لوجوه اما للنعم والايادي يكون منه اليه ثم
فيعبدون شكرا لما انعم عليه واحسن اليه واما الحوايج يطمع قضاها له من عنده او لما يرى له في نفسه من آثار العبودة له فاذ لم يكن واحد
من هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الاصنام فان قالوا لنا برهان وحجة في ذلك قيل فقطع حجاجكم بما ذكر من قوله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية وقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ونحو ذلك من آيات فيها قطع حجاجهم
ودحض حجتهم لا برهان له اي لا سلطان له به **وقوله** عز وجل فانما حسابه عند ربه قال قايلون حسابه عند ربه هو قوله
انه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم حسابه جزاؤه لصنيعه عند ربه كقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم **وقوله** عز وجل
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين وجايز ان يكون هذا تعليما من الله لكل احد سؤال المغفرة والرحمة وقيل هو لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو يخرج على وجهين احدهما ان في حكمته وعدله ان لا يرحم ولا يغفر احدا وان كان في فضله ورحمته ان يرحم
ويغفر والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء او ان يكون العصمة تزيد في الخوف كقول ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا **وقوله** عز وجل وانت خير الراحمين لانه رحمته اذا ادركت
احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته ∴ والله العون والتوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سورة انزلناها سماها سورة وجعل تلاوتها سورة ولم يجعل لغيرها من السور والتلاوة سورة كما جعل هذه لجايز ذلك
لكثرة ما فيها من الاحكام من الفرايض والاداب ما بالناس الى ذلك حاجة او لمعنى لم يذكروا ولا لمعنى ولكن ذكر هكذا وله الخلق والامر
قال ابو عوسجة السورة القطعة من كل شيء يقول سورت الشيء اي قطعته وقال بعض العلماء انما سمي القران لجماعة السور وسميت السورة
مقطوعة من الاخرى فلما قرن بعضها الى بعض سمي قرانا كقوله ان علينا جمعه وقرانه اي تاليف بعضها الى بعض فاذا قراناه فاتبع قرانه
اي فاذا جمعناه والفناه فاتبع قرانه اي ما جمع فيه فاعمل به من امر ونهي ويقال ليس لشعره قران اي نظم وتاليف ويقال للمراة ما قرأت
سلى قط اي لم تجمع في بطنها ولدا وقال بعضهم سورة بلا همز هي المنزلة والرفعة وبالهمزة سؤرة البقية ومنه سمي سؤر والكتب وسؤر
وسؤر الطعام اي بقيته والقطعة منه ثم قريت بالنصب سورة انزلناها والرفع جميعا سورة وهي القراءة الظاهرة فمن قراها
بالنصب اوقع الفعل عليها اي انزلنا سورة والفعل اذا وقع على شيء انتصب تقدم الفعل او تاخر كقولك زيدا ضربناه وضربنا زيدا و
قال بعضهم انما انتصب لاضمار فيه كانه قال اتبعوا سورة او اذكروا سورة انزلناها كقوله ناقة الله بالنصب اي احذروا ناقة الله ومن
قرا بالرفع رفع على الابتداء لكل ما يبتدا به فهو رفع وقال بعضهم رفع على اضمار هذه سورة انزلناها وذلك كله جايز في اللغة والله
اعلم **وقوله** عز وجل وفرضناها قرئ بالتخفيف فرضناها والتشديد فرّضناها قال الزجاج قوله فرّضناها بالتشديد يخرج على وجهين
احدهما اي كثرنا فيها الفرايض والاحكام والثاني فرّضناها اي فصلنا فيها بين ما يؤتى وبين ما يتقى وبين ما امر فيها وبين ما نهي عنه
واما بالتخفيف فرضناها اي الزمنا ما فيها من الفرايض وادابها وقال القتبي فرضناها بالتخفيف اي بينا فيها الفرايض وقال ابو عوسجة من
قراها بالتخفيف فرضناها اي انزلنا فيها فرايض مختلفة ومن قرا فرّضناها بالتشديد يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم على
التكثير والله اعلم **وقوله** عز وجل وانزلنا فيها ايات بينات يحتمل قوله ايات بينات اي حججا بينة بعضها ويعرفها كل احد بالبديهة و
التامل وان يريد بالايات الايات التي جمع فيها اشيا وتلى لان الاية انما تستحق اسم الاية اذا جمع فيها كلمات وحروف فاما كلمة واحدة
وحروف واحد لا يسمى بهذا الاسم وان يكون قوله ايات بينات ما ذكر فيها وبين ما يوتى ويتقى وبين ما يحل وما يحرم فذلك كله مبين
فيها والله اعلم **وقوله** عز وجل لعلكم تذكرون اي تتعظون بما ذكر فيها من المواعظ وبين فيها ما يزجر عن المعاودة وهي الحدود التي ذكر
فيها لان سبب الاتعاظ احد شيئين المواعظ التي تلين القلوب والحدود التي تزجر **وقوله** عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

ماية جلدة

ماية جلدة لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المخرج والعموم على ما قاله بعض الناس لكان لكل احد ان يقيم على اخر حدا بظاهر
قوله فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة فيقول الله امرني بذلك بقوله فاجلدوا وان يقربوا جميعا واحدا من الزناة بظاهر قوله فاجلدوا
غير وان الضرب والحد على ما حد الله اضعافا مضاعفة فدل ان اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج او ان يقول قايل روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه سمي الناظر الى ما لا يحل نظره
اليه زانيا والماس لها كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة فاذ لم يفهم من ظاهر قوله الزانية
والزاني ما ذكرنا كله دل ان الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وان المراد من قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة راجع
الى المخصوص الى مقيم دون مقيم والى زان دون زان وهو الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه العين واليد والرجل والفرج وجميع
بدنه ورجع الخطاب به الى البكرين الحرين او الثيبين الحرين الذين لم يستجمعا جميع احكام الاحصان فاما من استجمع جميع اسباب
الاحصان فان حده الرجم على اتفاق القول منهم جميعا الا ان طايفة من اهل العلم اوجبوا عليه مع الرجم الجلد وفي البكر مع الجلد تغريب
عام والدليل على ان المراد به راجع الى الحرين البكرين والثيبين اللذين لم يستجمعا اسباب الاحصان ما ذكرنا من القول المتفق وقوله
فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب دل ايجاب نصف ما على المحصنات على الاماء على انه اراد
بالمحصنات الحراير التي لم يستجمعن جميع اسباب الاحصان وان الخطاب بقوله الزانية والزاني الى اخر ما ذكر راجع الى الحرين الذين
ذكرناهما ثم لم يضرب في الزنا الذي به زنى وهو الفرج وقطع في السرقة الذي به سرق وهو اليد فهو والله اعلم لما جعل الحدود زواجر عن
المعاودة فلم يجعل زاجره مذهبة امكان ذلك الفعل من الاصل وفي ضرب الفرج ذهاب امكان الفعل من الاصل ولا كذلك في قطع اليد لانه
اذ بقي اخرى بها ياخذ وبها يقبض لذلك افترقا وان يقال في ضرب الفرج خوف هلاكه في الاغلب وليس ذلك في قطع اليد بل يبقى
حيا في الغالب وقد ذكرنا ان الحدود لم تجعل مهلكة متلفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة لذلك افترقا وفي قوله الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة دلالة على ان النفي ليس من عذاب الزانيين ولا من عقوبتهما لانه قال وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين
والنفي مما لا يحتمل ان يحضر ويشهد ولانه لا يمكن فدل انه ليس من عذابهما ويدل ايضا قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة عليهن نصف ما
على المحصنات من العذاب لانهم اجمعوا على انه لا نفي على الاماء اذا زنين وقد وجب عليهن اذا زنين نصف ما على المحصنات وان ثبت
النفي فهو يحتمل وجهين احدهما انه اراد به قطع الشين الذي يلحقهما بفعل الزنا لانه ليس جرم من الاجرام اكثر شينا واشد من فعل
الزنا فاراد ان ينقطع ذلك من بين الناس وان يكون اراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنا بذل السفر وذلة الغربة او صار منسيا
لما شدد في الضرب بقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وفيما ذكر النفي لم يكن فيه الشدة انما ذكر فيه الجلد حسب بقوله عليه السلام
ما علي بابك هذا جلد ماية وتغريب عام فيحتمل ان يكون الضرب كان بالتخفيف [illegible]
رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد عن الاسلام ولحق بالروم فقال كفى بالنفي فتنة [illegible]
عنه والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال بعضهم لا تاخذكم بهما رافة في تخفيفهما فهو والله اعلم لعظم
[illegible]

كان الواحد غير كاف لذلك وان كان الاول وهو المحنة فالواحد وما فوقه يكون بمحضر كان في نفسه مخصوص ذلك الحد ليتألم به
وقد ذكرنا ان بعض اهل العلم قالوا انه يجمع مع الرجم الجلد واحتجوا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثيب بالثيب جلد مائة
ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام فاما الجلد فلا خلاف فيه انه حد البكر واما النفي فما اختلفوا فيه فمنهم من رآه
واجبا ومنهم من رآه عقوبة لم يضم الى الحد ونحن قد ذكرنا المعنى في ذلك ان ثبت ما يغنينا عن تكراره وتزيد ايضا الحكمة وهي ان
الحدود هي نهايات المقدار وغايات ولذلك سميت حدودا لان لها نهاية وغاية كما يقال هذا حد فلان وحد الدار يراد منتهاها
واخرها فلما لم يكن للنفي مكان معلوم ينفى الزاني اليه دل انه ليس بحد ولكن اراد به الوجوه التي ذكرنا ما حبسا كما يحبس الداعي حتى
يحدث توبة او قطع الشين والذكر الذي يحدث الناس به لينسى ذلك ويزول او قطع الشهوات التي حملتهم على ذلك بذل السفر
والغربة او ان كان ثم صار منسوخا بما اشتد فيه الضرب والله اعلم واما قول اصحابنا رحمهم الله في ازالة الجلد عن الثيب اذا كان
محصنا لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر جلدا وذهبوا ايضا الى ان حديث ما
عز بن مالك لما رجمه النبي باعترافه ولم يذكر انه جلد وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال له لما اعترف ثلاثا ان اعترفت في المرة الرابعة
لرجمك ولم يقل جلدك على انه لا يجمع مع الرجم الجلد وما روي عن عمر رضي الله عنه انه امر برجم امراة زنت ولم يجلدها وروي عن ابن
عمر عن عمر مثله الحسن الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله ويقولون لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان الجلد والرجم جميعا كما لا يجتمع
في غيره من الاجرام في فعل واحد حدان او عقوبتان وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب يجلد ويرجم يحتمل الجلد ثيبا غير محصن ويرجم ثيبا
اخر محصنا او يجلد ثيبا في حال ويرجم في حال وقد ذكرنا هذه المسالة في سورة النساء وقوله عز وجل الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية
لا ينكحها الا زان او مشرك فظاهر الاية ان لا تحل للزاني ان ينكح الا الزانية من المؤمنات لا ينكحها العفيف من المؤمنين وانما ينكحها الزاني منهم
والمشرك وفي ظاهر الاية النهي للزاني عن نكاح العفايف واباحة نكاح الزانيات والمشركات فان كان كذلك فكان قوله ولا تنكحوا المشركات
وكذلك قوله ولا تنكحوا المشركين الا الزانيات فانه يحل هذا ظاهره لكنهم اجمعوا على ان لا يحل للمؤمن وان كان زانيا ان ينكح المشركة وكذلك
لا يحل للمشركة ان يتزوج بالزاني من اهل الايمان ثم اختلف اهل التاويل في تاويله قال مقاتل وغيره انه منسوخ وهؤلاء الزاني من اهل الكتاب
لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية من اهل الكتاب او مشركة من غير اهل الكتاب والزانية من اهل الكتاب لا ينكحها الا زان من اهل الكتاب او
مشرك من غير اهل الكتاب يزنين علانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت الاية في نفر من اهل مكة هاجروا الى المدينة وكانوا
ذوي عسرة وكان بالمدينة بغايا يبغين بانفسهن ظاهرات بالفجور وكن مخصبات ومخاصب البيوت فهم اوليك المهاجرون
ان يتزوجوا بهن ليتلك البغايا ليصيبوا من خصبهن وسعتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستاذنوه في ذلك فنزلت الاية في شانهم
الزاني من اهل القبلة المعلن به لا ينكح الا زانية من اليهود او مشركة الاية وحرم ذلك على المؤمنين اي نكاحهن على المؤمنين لكن
هذا ينبغي ان لو كان اوليك المهاجرون مثلهن زناة فاما ان كانوا مهاجرين اهل ايمان وعفة فلا ينبغي ان يقال فيهن الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة وهم لم يكونوا زناة الا ان يقال على الابتداء انه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح اي لا يجامع ولا
يزني الا بزانية مثله وكذلك الزانية لا تزني الا بزان مثلها ومشرك لا يحرم الزنا وهو قول الضحاك وهؤلاء وقال سعيد بن المسيب
نسخت هذه الاية وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم قوله الزاني لا ينكح الا زانية ومشركة الاية وسئل ابن مسعود
رضي الله عنه عن رجل يزني بالمراة ثم يتزوجها قال هما زانيان ما اصطحبا وجايز ان يكون النهي عن نكاح الزانية والزاني نهيا عن
الزنا نفسه لا عن نكاح كانه قال لا تزنوا فانكم اذا زنيتم معروفين به لا تجدون ان تنكحوا الا زانية او مشركة التي لا تحرم الزنا
لان العفايف منهن لا يرغبن في نكاح من صار معلن الزنا فاذا لم يرغبن لم يجدوا الا من ذكر وهو ما قال لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى ليس النهي عن قربان الصلوة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكر وكذلك ما روي انه قال لا صلوة للمراة الناشز ولا للعبد الابق
انما النهي عن نشوزها وعن اباقه ليس عن الصلوة فعلى ذلك جايز ان يكون قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك انما نهى عن الزنا اي لا تزنوا لم يرغب العفايف من المؤمنات فيكم ولا يرغب النساء لم يرغب اهل العفاف من المؤمنين فانكم اذا
زنيتم وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا الا نكاح من ذكر من الزانية او المشركة او ان يكون ما ذكرنا لا يرغب الزاني الا في نكاح
زانية او مشركة وكذلك المراة الزانية لا ترغب الا في نكاح زان مثلها او مشرك ولا يرغب الزاني في الزنا الا بزانية او مشركة التي
لا تحرم الزنا وكذلك الزانية لا ترغب الا بزان مثلها او مشرك الذي لا يحرم الزنا وحرم ذلك على المؤمنين وحرم الزنا على المؤمنين
وان كان على النكاح فيكون تاويل قوله وحرم اي منع من ذلك المؤمنين اعني نكاح الزانيات والزناة قال ابو عوسجة الزانية
والزاني يقال منه زنا يزني زناء واما زناء يزنو زنوءا اي دنى يدنو ويقال الزناء الضيق ويقال زنيته اذ نسبته الى الزنا وظننت
به ظنا والقذف التهمة والرمي اشد من القذف ومن جعل الاية في الزانيين المسلمين وجعل قوله لا ينكح على التزويج لزمه ان يجيز
للزانية المسلمة ان تتزوج الزاني المسلم والمشرك على ما ذكرنا بدا وهذا لا يقوله احد وفي بطلان هذا القول بيان ان الاية ان كان
المراد بها عقد النكاح فانها نزلت في الزانية المشركة يريد المسلم ان يتزوجها كما ذكر في حديث مرثد وان كان المراد بذكر النكاح منها الوطي

فهو كما قال ابن عباس في احدى الروايتين عنه انه الجماع ليس يحتمل الاية غير هذين الحالين والله اعلم بما اراد وقد زعم قوم ان المراة
اذا زنت حرمت على زوجها فكانهم ذهبوا الى انه لما لم يحل له ان يطاها لانها اذا كانت زانية لم يحل المقام عليها اذا زنت وهي زوجة هو
تكن التاويل في الاية على خلاف ما توهم اوليك بما وصفنا فلا وجه لتحريمهم الزانية على زوجها ولو كان التاويل على ما توهموه فوجب
ان تحرم الزانية على زوجها من حيث كان ممنوعا من تزويجها الا ترى انه لا يجوز للرجل ان يتزوج امراة في عدة من غيره ولو ان رجلا
وطي امراة رجل بشبهة فوجبت عليها من عدة لم تحرم على زوجها افلا ترى ان العدة اذا كانت على النكاح بمخالفة النكاح في العدة و
احتجوا ايضا بان الرجل اذا قذف امراته لعن بينهما وفرق لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والذين يرمون المحصنات
ذكر الرمي ولم يذكر به فيعرف ذلك بالنازلة وبقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء ذكر الاربعة الشهود والزنا هو المخصوص بالشهود
الاربعة دون غيره من الاجرام فدل ذكر ذلك على ان ذلك على ان الرمي المذكور فيه هو الزنا ثم قوله المحصنات هو الحراير في هذا
الموضع لا العفايف لان قاذف الامة يلزمه التعزير الا ترى انه قال فان اتين بفاحشة الاية الا ترى انه اوجب على الاماء نصف ما على
المحصنات وهن الحراير ولانا لو جعلنا قوله المحصنات عبارة وكناية عن العفايف دون الحراير لاسقطنا شهادة الشهود
لان العفة تكون بها وكذلك يدل قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الغافلات عبارة عن العفايف فدل
ان المحصنات عبارة عن الحراير ثم ادخل المحصنين في حكم هذه الاية في الرمي والقذف وغيره وان لم يذكروا في الاية ثم شدد الله
تعالى في الزنا وغلظ في امره ما لم يشدد ولم يغلظ في غيره من الاجرام مثله منها ما نهى من تعطيل الحد فيه واضاعته وتخفيفه
حيث قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ومنها ما امر برجمه اذا كان محصنا مثل ما يرجم الكلاب ويقتل بالحجارة ومنها ما اوجب
على الرامي به من الحد اذا لم يات باربعة شهداء والزنا بهذا كله مخصوص من بين غيره من الاجرام وذلك والله اعلم لقبحه
في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع والدليل على انه قبيح في الطبع والعقل جميعا ما ينفر عنه طبع كل مسلم وينفر عنه كل
عقل سليم فان قيل لو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا ياتيه قيل ينفر عنه الا ان الشهوة التي مكنت فيه وركبت تغلبه وتمنعه
عن النفار عنه الا ترى انه لو تمكن مثله في المتصلات به من الام والابنة وجميع المحارم لم يحتمل قلبه ذلك وبمثله روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه فقال له ايذن لي في الزنا فقال لو فعل بابنتك وامك مثله اكنت تكره فقال نعم
فقال له اكره لغيرك ما تكره لنفسك دل ذلك انه قبيح في الطبع والعقل جميعا الا ان الشهوة تمنعه عن النفار عنه وفيه اشتباه
الانساب والمعارف التي جعلت فيما بين الخلق حتى لا تهتدي احد الى معلم يعلمه الحكمة والادب ومعالم السنن ولا الدعاء
بالاباء وارتفع التواصل وحفظ الحقوق التي يقوم بعض ببعض والشفقة التي جعل لبعض على بعض من التربية في الصغر
وحقوق المحارم وغيرهم وبها امتحن البشر والعالم الصغير وبطل خلق ما ذكر من الانشاء لهذا العالم وتسخير ما ذكر مما في السموات
والارض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنا ونهايته في الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم قبحه ونهاية فحشه وانما يعرفه العالم الروحاني
الذي لم يكن فيهم هذه الشهوة ولم يمتحنوا بها واما هذا العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قدر قبحه وفحشه لما تغلبهم
وتمنعهم عن النفار عنه والنظر في معرفة قبحه لهذا والله اعلم ما شدد الله تعالى امر الزنا وغلظ فاحكامه ما لم يغلظ بمثله
في غيره من الاجرام وعظم شانه من بين ساير الاثام ثم الذكر انما جرى في الحراير بما ذكرنا فهو بالرجال من الاحرار ان لم يكن اكثر فيما
يكون دونه لان العذر فيهن اكثر وهي الشهوة التي تغلب وتمنع عن النفار عنه وفي الرجال فالعذر فيهم اقل الا ترى انه ذكر الحد
في الاماء بقوله فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولم يذكر في العبيد شيئا فيلزم العبد ذلك الحد اذا
ارتكبه فعلى ذلك ما ذكر من الحد في النساء والقذف فهو في الرجال مثله ثم اجمعوا ان على قاذف الامة التعزير ولا حد عليه وقد
سمى الزوجة وان كانت محصنة امة وقال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقال و
المحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم سمى ملك اليمين محصنة بقوله احصن اي تزوجن وقوله عليهن نصف ما على المحصنات من
العذاب اي الحراير فقد بان بهذه الاية ان الاحصان قد يكون بالحرية ويكون بالتزويج وان كانت الزوج امة اذا كان لها زوج
وسمى الطبقة من النساء محصنة قال تعالى محصنات غير مسافحات يعني العفايف فالاحصان على ثلاثة اوجه وانما يجب الحد
على قاذف الحر المسلم والحرة المسلمة فان كان حرا او حرة فعليهما الحد ثمانين وان كان عبدا او امة فعليه الحد اربعين سوطا على
ما ذكرنا وقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة فظاهر هذا انه لا يتبع عند حضرة
القذف ولكن له ان ياتي الى وقت اياسه وهو الموت لكن يخلف يمينه ولم يوقت لها وقتا فانما وقعت الى وقت اياس فحينئذ
عند ذلك فعلى ذلك يجيء على ظاهره ان يتبع على الابد ليس عند حضرة القذف لكن لو وقع على الابد لكان فيه سقوطه اذ لا
يقام الحد بعد الموت واراد بذكر الشهود الاربع زجره عن قذف المحصنات لما لم يجد الشهود على الحلول فالذي هو الحق
وامر العبد والثاني ان الحد قد لزمه بالقذف فان اراد اسقاطه لم يسقط الا ببينة تقوم حضرة ذلك كمن يقر بقصاص
او حق من الحقوق ثم ادعى العفو في ذلك واسقاطها في له والخروج منه لم يصدق الا ببينة تقوم على حضرة ذلك فعلى ذلك

قوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء . وقع ذلك على حضرة القذف فإن أتى به والا حد والله أعلم ثم المسألة بأنه إذا أتى بأربعة
فساق درئ عن نفسه الحد عندنا والقياس أن لا يطالب بشهود عدول لأن العدول لا يشهدون بذلك الشهد ولا ينظرون إليه
إنما يشهد الفساق أحق أن يدرء بهم الحد عنه من العدول وليس كالشهادة على إقامة حد الزنا لأن قصدهم بالنظر إلى ذلك
المكان قصدا لإقامة الشهادة وإيجاب الحد على فاعل ذلك لأن ذلك لم يصيروا فسقة ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة
تكون منهم إذ يملكون التوبة ولأن الفساق من أهل الشهادة ليسوا كالكفار والعبيد وهؤلاء وإن كانت لا تقبل شهادة
الفساق فهم من أهل الشهادة ألا ترى أن من قذف فاسقا أو كانت امرأة فقذفها زوجها وهو فاسق أنا نحد قاذف
الفاسق ويلاعن بين الزوج وبين امرأته وإن قذف مسلم كافرا أو قذف حر عبدا لم يحد وإن قذف أحدهما زوجته لم يلاعن
بينهما فتحصل لنا في هذا اللعان فليس يخالفنا في أن الحر إذا قذف العبد والمسلم إذا قذف الكافر فلا واحد منهما فهذا كله
يدل أن الفساق من أهل الشهادة والكافر والعبد والمحدود في القذف فليسوا من أهل الشهادة فإذا كانوا من أهل الشهادة
وإن لم تقبل شهادتهم في غيرها وجب ذلك شبهة والحدود مما يدرء بالشبهات لذلك درئ عنه الحد وأما الكافر والعبد
والمحدود في قذف فإذا لم يكونوا من أهل الشهادة لم يوجب شبهة في درء الحد عنه لذلك افترقا ثم المسألة إذا جاء الشهود
متفرقين حدوا ولم يقبل شهادتهم والقياس عندنا أن لا يحد والأنهم إنما يقومون في الشهادة محتسبين لا يقصدون به قذفه
ولا شتمه وأما الرامي فإنه يقصد قصد شتمه وقذفه ولأن الشاهد يقول رأيته فعل كذا والرامي يقول أنت كذا فكان
كمن يقول لآخر رأيته كفر لم يضرب بهذا القول ولو قال يا كافر ضرب لأن هذا خرج مخرج الشتم والأول لا يعلى ذلك إلا أن
لكنهم أقاموا الحد على الشهود إذا جاؤا متفرقين لا والله أكد الشهادة بالزنا بأمرين أحدهما أن لا يقبل فيها أقل من أربعة وإن
لا يقبل حتى يقولوا زنى بها فيأتون بهذا اللفظة ويصفوا بأكثرهما يوصف غيره من النكاح وغيره فالشهادة بالزنا أحوج
إلى اجتماع الشهود في موطن واحد من اجتماع الشهود على النكاح ومن وهم أن النكاح إذ عقد بشاهدين متفرقين لم يكن نكاحا
فالزنا الذي كان أمره أوكد والحاجة أحوج وأكثر أحق أن لا يقبل والثاني ما جاء عن عمران ثلثة شهدوا على رجل بالزنا وفيهم
أبو بكرة فجلدهم عمر جميعا لما لم يشهد الرابع كما شهدوهم وكان ذلك بحضرة أصحاب النبي فلم ينكر عليه أحد فكان ذلك إجماعا
ألا ترى أن أبا بكرة قال بعد ذلك أنا أشهد فهم عمران يجلده فقال له علي رضي الله عنه إن جلدته هذا فارجم صاحبك فلم
ينكر عليه علي في جلدهم أيام إذا لم يتم أربعة إنما أنكر إذا ثم والله أعلم لذلك قلنا إنهم إذا جاؤا فرادى متفرقين حدوا وقذفة ولا ينتظر به
حضور من بقي منهم كما لم ينتظر عمر ثم مسألة أخرى أنه إذا جاء أربعة وأحدهم زوج قبل عندنا ودرء عنه الحد لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره من السلف ولأن الشهادة عليها وشهادة الزوج على امرأته تقبل وإنما تردنا شهدها الا ترى أنه لو شهد عليها في الدين
والقصاص والسرقة وغير ذلك من الحقوق قبل فعلى ذلك في هذا فإن قيل إن الزوج إنما يشهد لنفسه وفيه منفعة له لأن حرمة العار
إنما قذفها فهو يريد أن يزيل اللعان عن نفسه قيل إنما يكون حد الزوج اللعان إذا قذفها قبل أن يرتفعا إلى الحاكم فأما قبل
ذلك ثم شهد مع ثلثة لم تجز شهادته وأما إذا كان أول ما جاء بأن جاء مع ثلثة فشهدوا عليها بالزنا فليس يبطل شهادته
عن نفسه شيئا وجب عليه ألا ترى أن الأجنبي إذا قذف امرأته ثم جاء يشهد بذلك عليها مع ثلثة أن شهادته لا تجوز لأن الحد قد
لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذي وجب عليه بشهادته فلا تقبل وإنه لو جاء مع ثلاثة وكان أول أمره أن يشهد وأعليهم
بالزنا فشهادتهم جائزة ولا يقال إن أحدا منهم يدفع عن نفسه شيئا وجب عليه فعلى ذلك الزوج وقوله عز وجل ولا تقبلوا لهم
شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون سمية الفسق لم لا يخلو إما إن كان لما رموا وقذفوا به بريا من ذلك أو لما هتكوا عليه
الستر من غير أن هتك هو على نفسه فإن كان الأول فذلك لا يعلم إلا الله فعلى ذلك توبته لا تظهر عندنا فإنما ذلك فيما بينه
وبين ربه فكأنه قال فأولئك هم الفاسقون عند الله إلا الذين تابوا وإن كان الثاني فإنما فعله فكأنه قال وأولئك هم الفاسقون
عندكم إلا الذين تابوا لكن لا تظهر توبته عندنا لأن توبته هو أن يعزم أن لا يهتك على أخر ستره ويعزم أن لا يقذف بريا
من الزنا أبدا فأي الوجهين كان سميه فسقهم فإن التوبة من ذلك لا تظهر عند الناس لذلك لم تقبل ولذلك قال ابن عباس وإنما
توبته فيما بينه وبين الله إذا تاب غفر الله له ذنبه العزيز وكذلك روي عن غير واحد من السلف من نحو الحسن وإبراهيم وأشباهم
قالوا توبته فيما بينه وبين ربه وقوله عز وجل ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ليس ثم شهادة رفعت إلى الحاكم فردها ولكن لا تقبلوا لهم
شهادة يرفعونها إلى الحكام والجرح على كل شهادة يرفعون من بعد ثم إذا شهد بعدما قذف قبل أن يجلد قبلت شهادته وهو
قاذف فدل أن شهادته إنما ترد بعد ما جلد لما اتهمه الحاكم وكل شهادة ردت لتهمة فهي لا تقبل أبدا والتهمة التي بها جلد القاذف
هي لا تزول أبدا وإن يكون توبته قوله فقد كذبت فيما قذفت فكأنه يرد شهادته لتهمة الكذب فإن أكذب نفسه نقلها إلى
تحقق الكذب فهذا بعيدا وأصله أن كل توبة كانت بعد التمكين فهي لا ترفع الحكم الذي جعل له والحد وكل توبة كانت قبل التمكن
فهي ترفع العقوبات كقوله إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فلو لم يرفعوا عنهم تلك العقوبات لكانوا يتمادون في السعي

في الأرض بالفساد وأما فيما نحن فيه فليس في ذلك التمادي فيه وزعم الشافعي أن حاله قبل الحد وبعد ذلك سواء وهذا خلاف
ما نص الله عليه قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة الآية وقال فإذ لم يأتوا بالشهداء
فأولئك عند الله هم الكاذبون فجعلهم كاذبين عند العجز عن إقامة الشهداء وكان أمرهم قبل ذلك موقوفا فالواجب أن يجعلهم في
كاذبين عند عجزهم عن تصحيح ما قالوا وهي الحال التي جعلهم الله فيها كاذبين فبان بما وصفنا أن من جعل حال المحدود بعد أن ضرب
الحد كحاله قبل ذلك مخطئ ودل ما وصفنا على أنه لا يجيء أن يستدل بجواز شهادته قبل أن يجلد على جواز شهادته إذا تاب بعد الجلد على
ما ذكرنا إلا أنا بالجلد علمنا أنه قاذف لا بما كان من رميه المرأة قبل أن يجلد ومن الدليل على الخلاف الحالين أن عمر جلد أبا بكرة قال
له إن تبت قبلت شهادتك وإنه قبل أن يجلده لم يرد شهادته لأنه لو كان عنده مجروحا بالقذف فلم يسمع شهادتهم ولا أعلم بين أهل العلم
خلافا أنه لا يقبل شهادته بعد الجلد ما لم يتب وإنما يختلفون في شهادته بعد التوبة وإن شهادته قبل الجلد مقبولة فكيف يشبه
الحالتان مع ما وصفنا فالشيء التوبة يزيل فسقه ولا يجوز شهادته وقالوا الاستثناء على آخر الكلام على الذي يليه وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على بطلان شهادته وإن تاب روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدودا في قذف وعن ابن عباس قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وذكر حديثا فيه طول وفيه لم يلبثوا إلا قليلا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين
تاب الله عليهم قال يا رسول الله لقد رأيت فلانا مع أهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا هلال قال والله يا رسول الله
لقد رأيته وسمعته بأذني قال فشق على رسول الله الذي جاء به ثم قال يجلد هلال ويبطل شهادته في المسلمين وقول رسول الله يخبر
هلال ويبطل شهادته في المسلمين وما ظهر من غمه بذلك وجزعه بدلالة على أن المحدود لا يقبل شهادته بعد توبته لأن توبته لو
قبلت وكان كسائر الأشياء التي إذا تيب منها جازت شهادته فقال النبي يبطل شهادته في المسلمين إلا أن يتوب لأنه لا يقال في شيء
من المعاصي فلان فعل كذا وكذا فبطلت شهادته في المسلمين حتى يعزره إلى ذلك إلا أن يتوب وقد ذكرنا عن ابن عباس في قوله
إلا الذين تابوا قال الأخبار الله عليهم من الفسق فأما الشهادة فلا يجوز وكذلك روي عن كثير من السلف أنهم قالوا توبته فيما بينه
وبين ربه وفيه وجه آخر وهو أن القاذف إذا ضرب الحد فهو يقول ما لم يرجع أنا صادق في نفسي ولم يلزمني الحد فيما بيني وبين
ربي وإنما لزمني في ذلك الحكم فإذا تاب فهو يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي وفي الحكم فذلك أحرى أن لا يزول عنه من
إبطال شهادته بوجوب الحد ووجه آخر وهو أن القاذف لم يبطل شهادته بقوله فلان زان لأنه مدعي بقوله هذا شيئا قد يجوز أن يكون
حقا وإنما يصير قاذفا إذا عجز عن إقامة البينة وضربه الحاكم للجلد فإذا كانت شهادته إنما بطلت بحكم حاكم لم يزل ذلك الحكم إلا
بحكم حاكم فإن حكم حاكم بجواز شهادته في شيء جازت شهادته فإن قيل يلزمكم على هذا أن تقولوا إن قال الحاكم قد أجزت شهادته في
كل شيء أن تجوز لأن الحاكم قد رفع ما لزم من بطلان شهادته بالحكم الأول قيل قول الحاكم قد أجزت شهادته ليس بحكم إنما هو فتوى
والحكم إنما يكون فيما تقام له البينة أو يقع له الإقرار فإن قيل فإنكم تقولون في رجل زنى فحده الحاكم هل يجوز شهادته إن تاب قيل
بلى فإن قال بطلت شهادته بحكم آخر وتوبته مقبول بغير حكم حاكم فما سبيل أن يكون القاذف مثل ذلك وما الفرق بين الزنا
فعل ظاهر يعرف به فسق الزاني وإن لم يحدوا القذف لا يعلم كذب القاذف فيه من صدقه لأنه شيء يدعيه على غيره وإنما يعلم أنه
كاذب في قذفه بما ينفذ عليه من حكم الحاكم فلذلك افترقا ومن الدليل أيضا على أن شهادة القاذف إذا حد لا تقبل وإن تاب
أنه إذا قال ثبت من قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا قلنا لا ندري هل هو صادق في قوله كنت كاذبا أم هو في قوله ذلك
كاذب لأن المقذوف إن كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف كنت في قذفي إياه كاذبا يكون كذبا منه وهو في ذلك آثم
فإذا كنا لا نعرف تكذيبه نفسه تحلى كذبا فيه من صدق فلم يجعله توبة لأن التوبة إنما تكون بأن يظهر عند الحاكم من الأفعال
ما يعلم بنفسها أنها طاعة وأنه فيها على خلاف ما ظهر من نفسه في الوقت الأول فلما لم يعرف كذبا المكذب لنفسه من صدقه
لم يجعل ذلك منه توبة وقلنا توبته فيما بينه وبين ربه لأن الله يعلم هل هو كاذب في تكذيبه نفسه أو صادق ونحن لا
نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه فلم نجعل توبته توبة في الحكم وقلنا حاله الآن كحاله قبل ذلك ودليل آخر أنا قد علمنا كذبه
بقول الله فأولئك عند الله هم الكاذبون فإذا قال كذبت في قذفي قلنا له لم تعدنا بتكذيبك نفسك فائدة لم نعرفها فأنت في
هذا الوقت كاذب فإنك في الوقت الأول تعلمنا أنك كاذب فحالك الآن في شهادتك كحالك قبل ذلك على ما ذكرنا على أن الشافعي
يقول لا ترجع الملاعنة إلى زوجها وإن تاب فإذا كانت توبته لا تبطل ما لزمها من الحكم في رجوعها إليه فكذلك لا يبطل ما لزم
من الحكم في بطلان شهادته والله أعلم وقوله عز وجل فاجلدوهم ثمانين جلدة إن كان الجلد مأخوذا من الجلود فجائز أن يخرج
منه حد الضرب وهو أن لا يجاوز الجلود ولكن يضرب مقدار ما يتألم به ويوجع ولا يمزق به الجلود ولا يخرقها ويستخرج منه
التفريق في الأعضاء كلها والجوارح لأنه لو ضرب في مكان واحد لخرقه ومزقه سوى الرأس والوجه والمذاكير فإنه من التأديب
والمجاوزة فإن كان ذلك ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله إن الشهود إذا شهدوا على حد فضربه الإمام ذاهبا بعد

الجراحات ثم رجعوا لا يضمنون ما اصابه من الجراحات لانهم لو شهدوا على ضرب يجرح ويؤثر فيه ما اصابه لذلك لم يضمنوا ارش
عمرو بن ابي بكرة تقبل شهادتك ان تبت فهو يحتمل اي تقبل روايتك عن رسول الله ومشاهدك التي شهدتها وقد ذكرنا ان الحكم والحد في
الاية انما جرى في قذف المحصنات دون المحصنين بقوله والذين يرمون المحصنات الاية لكن قذف المحصن وشينه ان لم يكن اكثر
فالشين واغلظ في الوزر لا يكون دونه فالذكر وان جرى في المحصنات فالمعنى وجود المعنى الذي به جرى ذلك في المحصنات في المحصن
وهو ما قال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة وهو الايمان والاحصان والعفة لذلك لزم
الحكم في هذا كما لزم في المحصنات وقد ذكرنا ايضا فيما تقدم ان لا يجلد من قذف مملوكة او مملوكا او قذف كافرة اما المملوك فلقوله
والذين يرمون المحصنات وقد ذكرنا الدليل على ان المراد بالمحصنات الحرائر دون غيرهن لذلك لم يجلد قاذف المملوك ولانا
لو اوجبنا على قاذفه الجلد واوجبنا جلده ثمانين فهو لو انه فعل الزنا حد خمسين فلا يجوز ان يوجب على قاذفه بما به قذف من
الجلد اكثر ما يوجب في عين ذلك الفعل الزاني به فسقط بما ذكرنا الجلد على قاذف المملوك واما الكافر والكافرة فسقط على قاذفهما
الحد لما ذكرنا من قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات شرط فيه الايمان والاحصان والعفة فاذا عدم احد ما ذكرنا
لم يعم ولانا لو اوجبنا الحد وحددناه حددنا لقذف عدو الله ولا يجوز ان يجلد مسلم بقذف عدو من اعداء الله مع ما فيما ذكرنا
من المسائل الاجماع بين اهل العلم في ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة
احدهم اربع شهادات بالله روى عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن صدى الانصاري ان دخل منا رجل بيته فوجد
رجلا على بطن امراته ان ذهب يخرج فيجيء باربعة رجال شهود يشهدون على ذلك قد قضى الرجل حاجته وخرج وان هو عجل فقتل قتل
وان هو قال وجدت فلانا مع فلانة ضرب به الحد ولاعن امراته وان سكت سكت على غيظ فذكر انه ابتلى بذلك من بين الناس
فاتى رسول الله فاخبره بذلك وقال وجدت فلانا على بطنها فارسل رسول الله الى امراته والى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال
للمراة ويحك ما يقول زوجك قالت يا رسول الله انه لكاذب ما راى شيئا من ذلك ولكنه رجل غيور فذلك الذي حمله على ان يتكلم
بالذي تكلم وكان فلان ضيفا عنده يدخل ويخرج عليه وهو يعلم ذلك فلم ينهاه عن ذلك ساعة من ليل ولا نهار ان برجل على
عن ذلك فقال يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل الا حقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بالله ما قلت الا حقا فلقد
رايته يغشى على بطنها وهي حبلى وما قربتها منذ كذا وكذا فامرهما رسول الله ان يتلاعنا عند ذلك وقال يا عاصم قم فاشهد اربع
شهادات بالله انك لما قلت وانك لمن الصادقين فيما رميتها به ثم قال والخامسة ان لعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين ففعل
ما ذكر ثم قال للمراة مثل ذلك فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين عليها والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
عليها في قوله فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرق بينهما ثم قال للمراة اذا ولدت فلا ترضعيه حتى تاتيني به فلما انصرفوا عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ولدته احيمر مثل الدبس فهو الذي يشبه اباه الذي نفاه وان ولدته اسود ادعج جعدا قططا فهو يشبه الذي
رميت به فلما وضعت اتت به رسول الله فنظر اليه فاذا هو اسود ادعج جعدا قططا على ما نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه الذي
رميت به فقال رسول الله لولا اللعان والايمان التي سلفت لكان لي فيها راي وفي بعض الاخبار انه لما جمع بينهما قال لهما اتقيا الله
فان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فان عذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا وفي بعض الاخبار ان الاية نزلت في شان هلال
ابن امية فذكر فيه ما ذكرنا والله اعلم ثم في هذا فصول احدها انه ذكر قذف الازواج وذكر فيه اللعان ولم يبين في ظاهر الاية الزوج
والزوجة كافرين او حرين مسلمين او مملوكين او كيف هو فعندنا انه اذا كان احدهما كافرا او مملوكا او كانا جميعا لم يكن بينهما لعان
الا ان يكونا جميعا من اهل الشهادة وحجتهم في ذلك ان الله جعل على الاجنبي الحر اذا قذف اجنبية حرة الحد ثمانين وجعل حد الزوج
اذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعان ثم قد ذكرنا اجماعهم على ان الحر اذا قذف امة او يهودية فلا حد عليه فلما لم يكن على الحر
القاذف للامة من الحد ما على قاذف الحرة اذا قذف امة لم يكن على زوج الامة من اللعان ما على زوج الحرة واصل هذا بان الله ذكره
الشهادة في رمي الاجنبية المحصنة وابراء القاذف عن الجلد اذا اتى بها وامر باقامة الحد اذا عجز فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
فانهم لم يدخلوا في تلك الشهادة اذا كانا مملوكين او كافرين او احدهما لم يدخلوا فيما استثنى في القذف استخراج من تلك الحالة المستثناة
وتحصيل منها الذي بطل اللعان ووجه اخرجه الكافرة وهو ان المراة تقول في الخامسة عليها غضب الله ان كان من الصادقين وغضب الله
يكون عليها بغير شرط فحالها يقول القاضي لها عليك غضب الله بشرط ان كان الزوج صادقا وهو يعلم ان غضب الله عليها في كل حال لان
يبطل والمخالف لنا اولى بابطال اللعان بين الحرة والامة والمسلم والذمية منا لانهم يزعمون ان العبد ليس بكفو للحر ولا الكافر بكفو
للمسلم في القصاص في النفس وما دون النفس فكيف جعلوهما في ايمانهما اكفاء لايمان الاحرار المسلمين كان يجب ان يقولوا الميت يمين
الكافر يجاز به يمين المسلم فلا يوجبون بينهما لعانا والوجه فيه ما ذكرنا بعد ياتي المسئلة في اباء الايمان اذا ابى احدهم الايمان
بعض اهل العلم وهو قول الشافعي وعندنا انه لا يحد بالاباء فذهب من اوجب الجلد بالاباء الى ظاهر قوله ثم لم ياتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم اوجب الجلد في قذف الاجنبي اذا عجز عن اقامة الشهود ودرا عنه الحد اذا اتى باربعة يشهدون على

ذلك

ذلك عن الزوجين الحد اذا شهد كل واحد منهما اربع شهادات بالله فوجب اذا ابى احدهما الايمان ان يجزى بالايمان
درء الحد ويوجب اللعان والثاني ما قال ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله فجعل الايمان سبب درء الحد عنها
فاذا ابت ذلك لزم الحد وعندنا انه لا يحد بالاباء لانه ليس في الاباء ظهور الكذب اذ ليس كل من ابى اليمين يظهر كذبه فيه وانما
يحد لظهور كذبه في القذف وهو لا يعلم لا يظهر بالاباء وانما حد في الاجنبية اذا لم يات باربعة شهداء لانه في الظاهر عند الناس
كاذب لانه ليس بينه وبين الاجنبية سبب ولا معنى يبعثه على اظهار ما ذكر واما فيما بينه وبين زوجته سبب ومعنى يحمله
على اظهار ذلك وهو الغيرة فاذا كان كذلك فهو في قذف الزوجة في الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي ذكرنا لانه هو
طالب حق فيها على ما روي لا يوطئ فرشهن من يكره الازواج فلا يزال صدقه بالاباء اليمين واما في قذف اجنبية فهو كاذب
في الظاهر لعدم السبب الحامل على اظهار ذلك الكذب حتى ياتي بما يزيل الكذب وهو الشهود وفي الزوجة على الصدق حتى يظهر
كذبه ولا يظهر بالاباء لذلك افترقا ولان الحد لا يقام بالاباء البتة ولان الايمان لا تقابل بشهادة العدول بحال الا ترى ان من
شهد عليه شاهدا عدل بحق فحلف هو بايمان لم تكن تقابل الايمان بتلك الشهادة في سقوط الحق واما قوله ويدرؤا عنها العذاب
ان تشهد اربع شهادات بالله جائز ان يكون ذلك في تلك المراة التي فيها نزلت الاية علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها بالحجة
الا ترى انه قال ان جاءت به بكذا فهو لكذا وان جاءت بكذا فهو لكذا ثم جاءت به شبيها بالذي رميت به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شان علم كذبها حيث قال لولا الايمان لكان لي ولها شان فدرات تلك المراة العذاب الذي
درا عنها الحبس اذ من قولنا انها اذا ابت اليمين حبست حتى تشهد اربع شهادات بالله او تقر بالزنا او يكذب نفسه فدرء الحبس عنها بالايمان
التي ذكر وانما لم يحد بالاباء لان الاباء لا يظهر الكذب كالاقرار ولان الاباء في الحقيقة اباحة ولو ان انسانا اباح للحاكم ان يقيم
عليه الحد لم يقم فعلى ذلك هذا ولما يجوز ان يابى من الايمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذكر فلم يحد لما ذكرنا ثم
مسئلتان في هذا نذكرهما وان لم يكونا في ظاهر هذه الاية احديهما في الحاق الولد لامه والاخرى في تفريق الحاكم بينهما اذا تلاعنا
قال بعض اهل العلم اذا فرغ الزوج من ايمانه وقعت بينهما الفرقة وان لم يفرق الحاكم وقلنا نحن لا تقع الفرقة بينهما حتى
يفرغا من تلاعنهما ويفرق الحاكم بينهما والاخرى في الحاق الولد قال اولئك ايضا اذا فرغ الزوج من لعانه الحق الولد لامه وان لم
تلتعن المراة والقياس في الحاق الولد ما قال اولئك انه يلحق بفراغه من اللعان والقياس في وقوع الفرقة ما قال اصحابنا انه
لا يقع الا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما لان الزوج اذا شهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رمى به
امراته الزنا في الظاهر فاذا ظهر ذلك ظهر ان الولد ليس منه فجاز لحوقه بالام بفراغه من اللعان واما الفرقة فانها لا تقع بظهور
الزنا الا ترى ان امراة الرجل اذا زنت لا يقع بينهما الفرقة الا ترى ان دعوى المراة باقية بعد فراغ الزوج من ايمانه لذلك افترقا و
الاخبار تدل لمذهب اصحابنا في المسئلتين جميعا الا انه روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا لاعن امراته في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها ففرق رسول الله بينهما والحق الولد بالمراة وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن
بينهما ففرق بينهما وروى في الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب قال ذلك لهما ثلاثا
فابيا ففرق بينهما وفي بعض الاخبار قال حسابكما على الله احدكما كاذب لا سبيل لك عليها فان قيل انما فرق بينهما النبي لان الفرقة قد وقعت
بينهما فاخبره النبي انه لا تحل له وقال لا سبيل لك عليها قيل قولكم ان الفرقة قد وقعت بينهما باللعان دعوى منكم وظاهر الاخبار
يشهد لنا وعلى وهم الخصم ثم يقال لهم الستم تقولون في المولى اذا مضت مدته فارتفعا الى الحاكم هل تقع الفرقة بينهما اذا امتنع من
قربانها وطلاقها ما لم يقل القاضي قد فرقت بينكما فان قيل فرقة الايلاء طلاق وفرقة اللعان غير طلاق وعندنا قيل هما عندنا طلاق
فان قيل انكم تزعمون ان فرقة الايلاء تقع بمضي الاجل فما منع ان يقع الفرقة باللعان بتمام اللعان قيل لم يكن للحاكم في الايلاء صنع فلا
يحتاج الى حكمه وفي الاخرى لا يتم اللعان الا بالقاضي فلا تقع الفرقة الا بالقاضي ويقال لهم ما تقولون في رجل ادعى حقا فاقام عليه شاهدين
عند قاض هل يلزم الحكم قبل ان يقول القاضي قد حكمت بذلك فان قالوا لا يلزم الحكم حتى يقول قد حكمت فيقال ما منع ان اللعان مثله
ويقال لهم ايضا ما يقولون في العنين اجله الحاكم بينهما فان قالوا لا تقع حتى يفرق الحاكم بينهما قيل ما منع في فرقة اللعان انه كذلك فان قالوا
انما صارت الفرقة لا تقع في العنين والمولى حتى يوقعها الحاكم يقول للزوج طلقها او فئ اليها ويقول لامراة العنين اختاري الفرقة
او المقام معه فلما كان الحاكم ينتظر ما يقول المرء وامراة العنين لم يقع الفرقة حتى يوقعها وليس في اللعان شيء ينتظره الحاكم لذلك افترقا
قيل بل ينتظر الحاكم ان تكذب المراة نفسها فيحدها او يكذب الزوج نفسه فيحد ويتركها عنده امراته واصله انه
لا تقع الفرقة الا بعد التعانهما جميعا وتفريق الحاكم بينهما لانهما اذا التعنا جميعا عند ذلك يكون احدهما ملعونا لانه كاذب فالانتفاع
بالملعون حرام الا ترى انه روى في الخبر انهما لما التعنا قال لها انها موجبة اي اللعنة التي ذكرت فانما يلحق اللعن احدهما اذا التعنا جميعا
فاما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع فاذا كان كذلك فيحتاج الى ان يفرق الحاكم بينهما ويطرد احدهما من صاحبه اذ اللعن هو الطرد
في اللغة وهو عندنا كالعقود التي تفسخ لا يكون الا بالحاكم نحو ما ذكرنا من العنين والذي ياتي الاسلام وغيرهما من العقود فانه

لا يقع بينهما الفرقة الا بالحاكم فعلى ذلك هذا وروى عن عمر انه قال المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا ثم مسئلة اخرى
انه اذا فرق بينهما باللعان فاكذب الملاعن نفسه يجوز له ان يتزوجها ام لا فعند بعض اهل العلم ليس له ان يتزوجها احتجوا
بما روى عن عمر وعلي رضي الله عنهما المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعن عبد الله كذلك وعند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله له ان يتزوجها
اذا اكذب نفسه وليس في الخبر لا يجتمعان ابدا وان تاب واكذب نفسه فجائز ان يكون قوله لا يجتمعان ابدا ما داما في تلاعنهما
وما اقام على قوله ولم يكذب نفسه وان كان فيه حجة لمن قال انما قال لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها يدل على ما ذكرنا قوله انهم
ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا قوله ولن تفلحوا اذا ما دمتم في ملتهم فاما اذا انقلبوا منها فقد
افلحوا فعلى ذلك لا يجتمعان ابدا ما داما في تلاعنهما وما اقام الزوج على قوله فاما اذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع واجمعوا انه اذا
اكذب نفسه وادعى الولد الحق به فعلى ذلك هي والثاني لو اكذب الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفرقة وجب ان يحد ويكونان
على نكاحهما فيجب اذا اكذب نفسه بعد اللعان فجلد فله ان يتزوجها ثم فرقة اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة باينة لما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامرأته قال كذبت عليها لئن امسكتها هي طالق ثلاثا فصارت سنة في المتلاعنين فان
كانت منه الفرقة بين المتلاعنين الطلاق الذي اوقعه عويمر فواجب ان يكون كل فرقة تقع باللعان طلاقا ومن الدليل على ذلك
ان قذف الزوج كان سبب هذه الفرقة وكل فرقة يكون من الزوج او يكون الزوج سببها وتقع بقوله فانها طلاق كالعنين و
الخلع والايلاء ونحوه فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة باينة لان الزوج سببها وتقع به وعلى ذلك جاءت الاثار عن السلف
ان كل فرقة وقعت من قبل الرجال بقول فهي طلاق من نحو ابرهيم والحسن وسعيد وقتادة وهؤلاء وكذلك يقول اصحابنا ان كل
فرقة جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة فان عورض بافعال يكون من الرجال فيقع به الفرقة والحرمة من نحو الجماع ونحوه فذلك
ليس بمعارضة لما ذكرنا والله اعلم ثم قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا الحرف مما يقتضي الجواب ثم يحتمل ان يكون جوابه لولا
فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الكاذب منهما من الصادق والمذنب من غيره ويحتمل لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما
من غيره لكن لا ينتفع به اذا احدهما ما لحقه اللعن الذي ذكر ولا يحل الانتفاع بالملعون الا ترى انه روي في الخبر امرأة ركبت ناقة
فلعنت فاستجيب فامرت ان ترفع ثيابها وتخلي سبيلها لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوز لغيره ان ينتفع به و
ان كان لا يجوز لواحد منهما ان ينتفع بصاحبه ما دامت اللعنة فيهما قايمة وجايز ان يكون وجه اخر وهو ان يقال لولا فضل الله
عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما ولا يحل العقوبة بين الزوجين كهي في الاجنبيين وهي الحد ولاظهر الزاني منهما لكن بفضله
لم يحل والله اعلم وقوله عز وجل وان الله تواب حكيم جايز ان يكون تواب يقبل التوبة اذا تاب واكذب نفسه فيرفع اللعن منهما بالتوبة
فاذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع والاجتماع بينهما ففيه حجة لقول ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز نكاحها اذا اكذب نفسه
حكيم حيث حكم باللعان بين المتلاعنين او حكيم وضع كل شيء موضعه وفيه نقض قول المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل باحد الا ما
هو اصلح له في الدين واخبر انه لو لم يكن له ان يفعل غير الذي فعل لم يكن لتسميته ما فعل فضلا ورحمة معنى فدل ان له ان يفعل غير
الاصلح في الدين قوله عز وجل ان الذين جاءوا بالافك اي بالكذب عصبة منكم اي جماعة منكم ثم اختلف في قوله منكم قال قايلون
كانوا من اصحاب عايشة رضي الله عنها بما ذكر في الاية وقال بعضهم كانوا منافقين من نحو عبد الله بن ابي راس المنافقين وحسان بن
ثابت وهؤلاء وقال بعضهم كان ذلك من الفريقين جميعا من اصحاب ابي بكر وقرابته والمنافقين ايضا فان كان ذلك من اصحاب
عايشة وقرابتها فذلك يخرج منهم على الغفلة والعثرة ليس على الانتقام والحقد لان القرابات والمتصلين بالرجل لا يقصد
بعضهم ببعض الانتقام والحقد بمثله فاذا كان كذلك فيخرج ذلك منهم ان كان يخرج على الزلة لا يخرج الانتقام وان
كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب الشين منهم لها وكان في ظاهر الاية دلالة ان ابتداء ذلك الافك من المنافقين
ثم تسامع المؤمنون بعد ذلك وتلقى بعضهم من بعض حيث قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا
فان كان ذلك فهو على ما وصفنا ان ذلك من المؤمنين غفلة وزلة وعثرة ومن المنافقين انتقام وطلب شين والله اعلم
وقوله عز وجل لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم وقال بعضهم لا تحسبوه شرا لكم لانكم توجرون في الاخرة على ما قيل فيكم من الخبث
والقذف بما ترمون به بل هو خير لكم في الاخرة على ما ذكرنا من الاجر ويحتمل قوله بل هو خير لكم في الدنيا لما براه الله وقرابه ودفع
عنهم تمكين ما قرفوا به ووعدهم الجنة بقوله اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وكان قبل نزول هذه الاية
موهوم عند الناس فيما يتمكن احتمال ذلك الفعل الا ترى انه قال في اية اخرى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وقال ومن يقنت منكن لله ورسوله الاية كان الامران جميعا موهوما عنهن عند الناس يحتمل
ذلك فلما قرفت بما قرفت رفع الله ما كان موهوما عند الناس قبل ذلك ووعدهم الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله اولئك
مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فلا شك ان ذلك خير لهم في الدنيا والاخرة وشرا لاولئك الذين رموها حتى لم يتجاسر
احد بعد ذلك ولا اجترا ان يظن فيها ظن السوء فضلا عن ان يقول فيها شيئا وقصة عايشة رضي الله عنها طويلة لكنا نذكر

ماكان

ما كان بنا الحاجة الى ذلك حاجة او ان يقال بل هو خير لكم لما انزل الله تعالى بشانهم ايات فيها براءتهم عما قرفوا به تتلى تلك الايات
الى يوم القيمة وذلك خير لهم والله اعلم وقوله عز وجل لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي اثم ما قرفوها به والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم هو ذلك المنافق الذي القى ذلك في الناس وله عذاب عظيم فيه دلالة انه يموت على نفاقه وكذلك مات على نفاقه و
لحقه ذلك الوعيد قيل هو عبد الله بن ابي بن سلول والله اعلم وقال بعضهم والذي تولى كبره اي عظمه من العصبة يعني عبد الله بن
ابي بن سلول له عذاب عظيم لانه كان منافقا وقوله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا قال بعضهم
هلا اذ سمعتموه قذف عايشة رضي الله عنها بصفوان كذبتم به اولئك القذفة يقول لا ظن بعضهم ببعض خيرا وهلا قالوا
هذا افك مبين يقول الله هلا قالوا القذف كذب مبين وعلى هذا يخرج ايضا قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي هلا قالوا
لهم جيئوا باربعة شهداء على قذفكم اياها فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ويحتمل ان يكون قوله لولا اذ
سمعتموه ظننتم بهم ظنا ما يظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا دون ان قالوا افك مبين او ان يكون الناس لو لم يظن
احد منكم بنفسه اذا كان مع ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوان ذلك اذا كان هو مع ازواجه او ان
يقال اذا لم يكن يظن احد منكم بامهاته ومحارمه ذلك الظن فكيف ظن بازواج رسول الله وهن امهاتكم وامهات جميع المؤمنين
والله اعلم وقوله عز وجل لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي لم يكن لهم بما قذفوا شهداء ولا يجدون على ذلك شهداء وجايز ان
يكون قوله لولا اي لم يكن قوله فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية اي لم يكن من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا والاعلى تاويل هلا يبعد لانه لم يكن لهم شهداء على ذلك فكيف يأتون وقوله عز وجل فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون وان اتوا بالشهداء على رمي عايشة كانوا كاذبين ايضا فدل ان تاويل قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي لم يكن لهم
شهداء فكيف قذفوها والله اعلم وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم
هذا يحتمل وجهين لولا فضل الله عليكم ورحمته حيث انزل في قذفكم عايشة بصفوان ايات في براءتها حتى تبتم عن ذلك والا لمسكم
العذاب في الاخرة بذلك والثاني لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب ولعاقبكم بما قلتم في عايشة في الدنيا على هذا التاويل العذاب
الموعود في الدنيا وعلى التاويل الاول الوعيد في الاخرة لكن بفضله ورحمته دفع عنكم والله اعلم وقوله عز وجل فيما افضتم فيه اي
خضتم فيه وقال بعضهم في قوله بانفسهم خيرا اي بامثالهم خيرا تاويله لولا ظن المؤمنون بامثالهم خيرا دون ان يظنوا بهم شرا وفيما عظم
عز وجل امر القذف وشدد فيه ما لم يشدد في غيره ولم يعظم وجوه احدها قطع اهل الجحود والريبة فيهن لئلا يطمع احد منهم في الحصان
واولاد الكرام ذلك الفعل فقطع طمعهم بما شدد فيه لئلا يعرض بذلك ولا يطمع فيهن ذلك والثاني بترك الناس الرغبة في مناكحة
المحصنات واولاد الكرام ويرغبون فيمن دونهن ويحدث بينهما الضغاين والعداوات بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات و
قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكان كذا هذا من الله على الايجاب اي قد كان منه ذلك فاذا كان منا فالى الخلق فهو على انه لم يكن
ذلك ولذلك تاوله هلا وعن ابن عباس انه قال في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات يقول قال للمؤمنين لولا هلا اذ سمعتم
عن عايشة وصفوان ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يقول ظننتم بعايشة ظنكم بانفسكم وعلمتم انكم لا تفعلون ذلك ك
كذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم هذا افك مبين لولا هلا جاءوا عليه باربعة شهداء على قولهم ويصدقوهم على مقالتهم فاذ لم ياتوا
بالشهداء كما يحبون فاولئك عند الله هم الكاذبون وهو قريب ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل اذ تلقونه بالسنتكم
اي يقبلونه وتلقونه بالتخفيف اي تاخذونه من الولق وهو الكذب وكذلك قراءة عايشة وقال ابو عوسجة اذ تلقونه اي تقولونه
قال تلقيت الكلام ولقنت وتلقنت واحد ثم قوله اذ تلقونه بالسنتكم من غيركم وتقولون بافواهكم فيما بينكم وجايز ان يكونا
جميعا واحدا اي تتكلمون بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا ان الذين قلتم من القذف قد كان والله
اعلم وقوله عز وجل وتحسبونه هينا قال بعضهم تحسبون القذف ذنبا هينا وهو عند الله عظيم في الوزر وجايز ان يكون قوله و
تحسبونه هينا في الدين لان القذف يحدث نقصا ما في الدين والنقصان في الدين عظيم عند الله وتحسبونه انتم هينا ثم وعظ الذين
حضروا في امر عايشة فقال لولا يقول هلا اذ سمعتموه اي القذف قلتم ما يكون لنا اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا الامر وهلا قلتم
سبحانك هذا بهتان عظيم لعظم ما قالوا فيها والبهتان الذي يبهت فيقول ما لم يكن من قذف وغيره وقال ابو عوسجة البهتان
الكذب يقال بهت اي كذب وقوله عز وجل يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي القذف ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات
في بيان ذلك وبراءتهم او يبين امره ونواهيه والله عليم حكيم اي عليم بكل شيء من قول او فعل حكيم يضع كل شيء موضعه وقوله
عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا كان اصل النفاق هم الذين احبوا ان تشيع الفاحشة والاهل
الاسلام لا يحبون ذلك ثم يحتمل قوله ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا في عايشة وصفوان او احبوا ان تشيع قذف
عايشة وصفوان في المؤمنين واهل النفاق هم الذين احبوا ذلك في المؤمنين لهم عذاب اليم في الاخرة لنفاقهم وقذف عايشة
واما في المؤمنين فهو ما قال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين وروى عن عمرة عن عايشة قالت لما نزل عذري

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القران لما نزل امر برجلين وامراة فضربوا حدهم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله ابن ابي وحسان ومسطح بن اثاثة الحد وفي بعض الاخبار وامراة ايضا وهي حمنة لكل واحد ثمانين جلدة ثم ماذكر من قذف عايشة انه بهتان عظيم وقوله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ونحوه جائز ان يكون ذلك في قذف كل محصنة بريئة دون ان يكون ذلك خصوصا لعايشة وهو كما ذكر في قذف المحصنات والذين يرمون المحصنات الاية وقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا هذا يحتمل وجهين احدهما يشيعون الفاحشة ويذيعونها في الذين امنوا هم الذين تولوا اشاعتها واذاعتها فيهم لهم ماذكر من العذاب الاليم والثاني يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا ليكون ذلك ذريعة لهم في المؤمنين فيقولون ان دينكم لم يمنعكم عن الفواحش والمنكر لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة لانهم كانوا منافقين منهم كان اول بدا القذف وبهم شاع لذلك كان لهم هذا الوعيد وقوله عز وجل والله يعلم وانتم لا تعلمون اى والله يعلم حقايق الاشيا وانتم لا تعلمون حقايقها وفيه دلالة تعليق الحكم بالظواهر دون تعليقه بالحقايق وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم لم يذكر جواب قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لجوابه ماذكر في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا بفضله يزكو من زكا وبرحمته يفلح من صلح لا يصنع من نفسه وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر نهى المؤمنين ان يتبعوا خطوات الشيطان ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر لجوابه يقول فان خطواته كذا ولم يقل ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يفعل الفاحشة ولكنه قال فانه يامر بالفحشاء والمنكر لكن جوابه ما قال في اية اخرى وقال في اية اخرى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء الاية اخبر ان من اتبعه امره بالفحشاء والمنكر وخطوات من الخطوة والخطوة وهما من رفع القدم ووضعه واصله نهي عن اتباع اثاره وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء التزكية يحتمل التوفيق والعصمة يزكون بما اعطى لهم من التوفيق والعصمة ويزكون بما ارسل اليهم من الكتب والرسل والتوفيق والعصمة اشبه وفيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر ان من زكى انما يزكوا بفضله ورحمته وهم يقولون لو فعل بهم غير الذي فعل كان جائرا عندهم فعلى قولهم ليس بفضل ولكن عادل لانه فعل ما عليه ان يفعل فعلى قولهم لا يكون بفضله ولكن عادلا اذ لم يتم في الشاهد من فعل ما عليه ان يفعل متفضلا وعلى قولهم انه قد اعطى كلا ما به يزكون ويصلحون لكنهم لم يزكوا هم فعلى قولهم لم يزك من زكا به ولكنه انما زكى بما اعطاه له فقد اخبر ان من زكا انما زكا به وانه قد بقي عنده ما لو اعطاهم ذلك لزكوا وقد اعطى ذلك من زكى وصلح ولم يعط من لم يزك وقوله عز وجل والله سميع عليم اى سميع لاقوالهم وعليم لافعالهم واصله ماذكر يعلم ما يسرون وما يعلنون قوله عز وجل ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة قال بعضهم قوله ولا ياتل اى ولا يحلف وهو يفتعل من الايلاء وقال ابو عوسجة لا ياتل اى لا يعجز ولا يقصر يقال لا يألو ما قلى والا يألوا لوالوا وهو التقصير وترك المبالغة ثم يحتمل قوله اولوا الفضل اى من له الافضال والمعروف وبذل ولوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ذكر اهل التاويل ان ابا بكر كان حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة وكان قريبه بما تكلم في عايشة فانزل الله النهي عن ذلك فقال ولا ياتل اولوا الفضل منكم لكن الاية وان نزلت في امر ومعنى كان من ابي بكر فان غيره من الناس يشترك في معنى ذلك وفي ذلك النهي وكذلك ما قال في اية اخرى وهو قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية ذكر ان قوما كانوا يحلفون ان لا يبروا الناس ولا يصلحوا بذلك ان يكون حلفهم في ذلك عذرا لهم في ترك الانفاق عليهم والتعاون والاصلاح بين الناس فنهوا عن ذلك وذلك اليمين لهم ولمن كان في معناهم ليس لهم خاصة فعلى ذلك قوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الاية وان كان في ابي بكر فهو فيه وفي الذي في معناه وان كان حلف هذا بترك الانفاق لاساءة كانت منهم اليهم والاول على الابتداء لاساءة كانت منهم اليهم وكذلك هذه الايات نزلت لنازلة كانت في عايشة واصفوان فانما نزلت لتلك النازلة لا لمعنى لا نزلت لانها كانت في عايشة او ابو بكر ولكن لمعنى يكمل من وجد ذلك المعنى فيه شرك في ذلك ويجعل كان هذه الايات كلها نزلت فيه وهو ما قال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل محصنة مؤمنة غافلة بريئة مما رميت به دخلت في الاية وكل رجل محصن مؤمن غافل برئ مما رمي به في الاية لوجود المعنى الذي نزلت الاية وعلى ذلك جميع القران اذا نزلت بسبب بامر امر نازلة المعنى يشترك من وجد فيه ذلك المعنى فيه شرك في ذلك ويجعل كان هذه الايات كلها نزلت فيه وهو ما قال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل امرأة محصنة مؤمنة غافلة بريئة مما رميت به دخلت في الايات وكل رجل محصن مؤمن غافل برئ مما رمي به في ذلك الحكم فعلى ذلك ما نزل في ابي بكر من النهي بترك الانفاق وما عود من اصطناع المعروف اليه لما كان منه اليه من الاساءة ثم امره بالعفو والصفح

وهو قوله وليعفوا وليصفحوا اى ليصفحوا عن اساءته واصفحوا اى لا تذكروا واعفوا كرابا عن اساءته ولا يذكروا ذلك ايضا لان ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اخبر ان المن يبطل الصدقة وذكر الزلة يخرج مخرج التعيير والتوبيخ وامره بالعفو وهو ظاهر والصفح ماذكرنا من ترك ذكر العفو والزلة والاساءة جميعا والله اعلم وقوله عز وجل الا تحبون ان يغفر الله لكم اى قد تحبون ان يغفر الله لكم ما كان منكم اليه من الاساءة فان احببتم ذلك فاعفوا عمن اساء اليكم والله غفور رحيم وقوله عز وجل ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات قد ذكرنا ان المحصنات ههنا من الحرائر والغافلات عن بريات من الفاحشة المؤمنات ظاهر وقوله عز وجل لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم كان الاية نزلت في المنافقين الذين كانت منهم اشد القذف واشاعته في الناس من لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم فهو كما قال ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والمؤمن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين انما ذلك عادة المنافقين ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضرب وفي الاخرة العذاب الاليم وعظيم كما تر ذكر اللعن والعذاب الاليم اذا لم يتوبوا وماتوا على النفاق فعند ذلك يكون لهم ماذكر وبين لما ذكرنا ان الاية في المنافقين قوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وانما تشهد هذه الجوارح على الكافر لانكاره باللسان واما المؤمن فانه مقر به لذلك لا يحتاج الى ان يشهد عليه الجوارح وهو ما قال اليوم نختم على افواههم ونحوه كانهم ينكرون ذلك في الاخرة كما انكروا في الدنيا كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم اخبر انهم يحلفون لله في الاخرة كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا لجاز السنتهم تشهد عليهم بعدما انكروا ويشهد عليهم سائر الجوارح اذا انكروا وهو ما قال في اية اخرى شهد عليهم سمعهم الاية وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية يكون شهادة الالسن بعدما انكروا انهم ذلك وحلفوا فعند ذلك تشهد عليهم السنتهم والله اعلم وقوله عز وجل يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يؤمنون به جميعا يومئذ ويعرفون بالحق لكن لا ينفعهم ايمانهم يومئذ كقوله لا ينفع نفسا ايمانها ويعلمون ان الله هو الحق المبين اى يعلمون انما دعاهم الرسول اليه من توحيد الله والاقرار بالربوبية له والالوهية هو الحق المبين اى بين ذلك او الحق المبين ما يبين ما يؤتى وما يتقى وما يحل وما يحرم وقوله عز وجل الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات اختلف فيه قال بعضهم الخبيثات من الكلمات والاقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات والقول والطيبات من الكلمات للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات وقال مجاهد هو القول السيء والقول الحسن للحسن للمؤمنين والسيء للكافرين وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وقال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل برئ مما ليس له نحو من الكلام وابن عباس رضي الله عنه يقول هذا نزل في الذين قذفوا عايشة ع يصفون وهم حسان بن ثابت واصحابه يقول الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال احق ان يليق بهم بما قيل لهم والخبيثات من الكلام تخرج من الخبيث من الرجال يعني بهم حسانا واصحابه الذين تكلموا بالفرية ثم قال والخبيثون من الرجال للخبيثات يعني ما تكلم به حسان واصحابه من الفرية ثم قال والطيبون فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا بالحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثات تكلموا بالخبيث من الكلام ثم قال اولئك يعني عايشة واصفوان مبرؤن مما يقولون وذلك القذف ثم قال الله واتك يعني عايشة وصفوان مبرؤن مما يقولون وذلك القذف لهم مغفرة ورزق كريم ان حسن فابن عباس صرف الاية الى عايشة وصفوان والى قذفتهم وذلك محتمل وهو قريب من الاول وقال بعضهم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال لكن هذا يتوجه الى النكاح شرعا ووجودا اما الشرع نهيه المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة فالمشركات من الخبيثات فهن للخبيثين عنهم وهم المشركون وكذلك الزانيات للزناة منهم والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين من اهل العفاف والصلاح هذا هو شرع واما الوجود فهو ما صبر ازواج المنافقين والكفرة على كفر ازواجهن والسب لرسول الله والاذى له وذلك لخبثهن لموافقة ازواجهن فلو كن طيبات لكن لا يصبرن على ذلك كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امراته ومن صبر على ذلك انما صبر لخبثه فبعضهم لبعض اكفاء الخبيثات والخبيثون للخبيثات وكذلك الطيبات والطيبون والله اعلم وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الكلمة الخبيثة لتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الخبيث فيضمها الى ما عنده من الشر وان الكلمة الصالحة ليكون في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها الى ما عنده من الخير ثم تلا عبد الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين الاية وجائز ان يكون الخبيثات هي الدركات التي يكون في النار للذين عملوا اعمالا خبيثة في الدنيا والطيبات هي الدرجات التي يكون في الجنة للطيبين الذين عملوا في الدنيا اعمالا طيبة فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا والدركات في النار للذين عملوا الخبائث والمعاصي في الدنيا وقال بعضهم قوله ان الذين يرمون المحصنات الى قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين انزلت في المنافقين الذين قذفوا عايشة عبد الله بن ابي واصحابه وكان قد

منافقون ومؤمنون وهو ما ذكر ان المؤمنين لم يقصدوا به قذفها ولكن كان ذلك زلة منهم او غفلة واما المنافقون
فقد قصدوا به القذف ولغرتهم فاوجب للمنافقين الحد واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم
عذاب عظيم ولهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة واما المؤمنون فقال لهم لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم
فيما افضتم به عذاب عظيم وقال بعضهم فضله الاسلام ورحمته القران ولولا ذلك لعذبكم كما عذبا وليك ثم قال الخبيثات
من القول للخبيثين من الناس بخو ما ذكرنا وذلك الا انه زاد فيه من القول والعمل وذلك كله قريب بعضه ببعض والله اعلم بذلك
وقال بعضهم ان الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيقول القايل قال فلان كذا وكذا فيقول الاخر ما هذا من كلام فلان
وروي عن كعب بمثل قيل عبد الله فقال ان الكلمة الخبيثة يخرج من لسان العبد فتصعد الى السما فلا يفتح لها ابواب السما
وترجع الى الارض فلا تجد لها مستقرا وتذهب الى البحور فلا تجد لها فيها مكانا فتقول ما احد لى مكانا فتقول ما اجرى
موضعا اسكنه غير الموضع الذي خرجت منه فترجع الى صاحبها ثم تلا كعب هذه الاية الخبيثات للخبيثين الاية وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وروي عن عبد الله بن عباس انه كان
يقراها حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها وقال تستانسوا وهم من الكاتب وقال بعضهم الاستيناس الاستيذان وقال بعضهم
الاستيناس الاستعلام وهو ان يطلب من اهل البيت الاذن بالدخول والاستيذان هو طلب الاذن منهم للدخول وروي
عن ابي ايوب قال قلنا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فما الاستيذان قال ان يرفع صوته بالتحميد او بالتسبيح او بالتكبير
ليؤذن للدخول فان ثبت هذا فهو الى الاستعلام اقرب وهو من قوله فان انستم منه رشدا اي علمتم ثم قال بعضهم في قوله حتى تستاذنوا
وتسلموا على التقديم والتاخير اي حتى تسلموا وتستانسوا وهو ان يبدا فيقول السلام عليكم ورحمة الله ادخل فيسلم اولا ثم يستاذن وهو
ما روي السلام قبل الكلام ولكن عندنا ان الاستيذان للدخول فاذا اذن بالدخول فدخل فعند ذلك يسلم عليهم كقوله فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم تحية فانما امر بالسلام بعد الدخول فعلى ذلك هذا يستاذن للدخول فاذا اذن له فدخل فيفعل الدخول يسلم
عليهم لانه لو سلم اولا ثم يستاذن احتاج الى ان يسلم ثانيا فاذا دخل فهذا الذي ذكرنا اشبه بفعل الناس وظاهر الاية والله
اعلم ثم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لم يرجع الى المساجد ونحوه بل يرجع ذلك الى بيوت مسكونة فذلك يدل لكم ان
من حلف ان لا يدخل بيتا فدخل المسجد لم يحنث وقوله عز وجل ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون اي ذلك الاستيذان والتسليم
خير لكم من ترك الاستيذان لانه من ترك التادب بادب الله وعلمه لعلكم تذكرون اي تتعظون بادب الله وروي في بعض
الاخبار ان من دخل بيتا بغير اذن قال له الملك الموكل به عصيت واذيت فيسمع صوته الخلق كله غير الثقلين ويصعد
صوته الى السما الدنيا فيقول ملايكة السما اف لفلان عصى ربه واذى وقوله عز وجل فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم هذا يدل على ان الاستيذان وطلب الاذن لا لاجل انفسهم خاصة ولكن لانفسهم ولما لهم في البيوت من الاموال لانه
قال فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها ما لم ياذن لهم بالدخول فيها وان لم يكن فيها احد حتى ياذن ارباب الاموال والمنازل بالدخول
فيها ليعلم ان النهي عن الدخول للانفس والاموال جميعا لان الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا للانفس والاموال جميعا
فكما يكرهون اطلاع غيرهم على انفسهم وعيالاتهم فلا يطيب انفسهم ايضا على اموالهم وامتعتهم فلا يدخل الا باذن من اهلها
والله اعلم وقوله عز وجل وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ذكر في بعض الاخبار ان الاستيذان ثلاث من لم يؤذن له
فيهن فليرجع اما الاول فيستمع الحي واما الثانية فيأخذون حذرهم واما الثالثة فان شاؤا اذنوا وان شاؤا ردوا وقيل لا
تقعدوا على باب قوم ردوكم عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله اعذر للعذر وفي بعضها وما تنقم من شيء بابن ادم
هو ازكى لكم وقوله عز وجل هو ازكى لكم لانه اذا لم يؤذن بالدخول فقعدوا على بابهم ولم يرجعوا اورث ذلك معانيا تكرهها اهلها
تهمة على اهل الدار على ما يقعد على ابواب اهل التهم من الشرطي وعليه فذلك مكروه عند الناس والثاني يكون للناس اشغال
وحاجات في منازلهم وخارج المنازل فان انتظر وقعد على بابهم ضاق بذلك ذرعهم وشغل قلوبهم ذلك فلعل حاجتهم
تلتام لشغلهم به لذلك كان الرجوع ازكى لهم وخيرا لهم من القعود على الباب والانتظار والله اعلم وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الاستيذان ثلاث فان اذن لك فيهن والا فارجع وقال بعضهم معناه وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول ان سكت
عنكم فلم يؤذن لكم فقد قيل لكم ارجعوا وان لم يقولوا بالسنتكم ارجعوا وقوله عز وجل والله بما تعملون عليم وعيد كقوله والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون ثم الاستيذان على محارمه لازم وان كان يجوز له ان ينظر الى شعرات محرمة ووجهها فانه منهي
عن النظر الى ما سوى ذلك من عورتها فالمخشي ان يبدو من عورة المراة ان دخل عليها بغير اذن وروي ان رجلا سال نبي الله
صلى الله عليه وسلم فقال انا اخدم امي وافرشها استاذن عليها قال نعم فسأله ثلاثا فقال له ايسرك ان تريها عريانة قال لا
فاستاذن عليها وكذلك روي عن حذيفة ان رجلا سأله فقال استاذن على اختي فقال ان لم يستاذن عليها رايت
ما يسوؤك وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس عن احدهما في الام وعن الاخر في الاخت كل امر في الاستيذان على هؤلا

تستهل وايسر من امر الاجنبي اذ كان مطلقا له ان ينظر الى شعر محرمه ووجهها والله اعلم وقوله عز وجل ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة يحتمل قوله بيوتا غير مسكونة يحتمل وجهين احدهما بيوتا غير محتملة للسكنى وهي الخربات والمواضع التي
يقضي فيها الحوايج وكذلك ذكر في حرف حفصة بيوتا غير معمورة لكم فيها منافع والثاني بيوتا غير مسكونة محتملة للسكنى الا ان
اهلها لم يسكنوها لنزول الناس فيها وهي نحو الخانات والرباطات التي تكون للمارة وعلى ذلك روي في الخبر انه لما نزلت اية
الاستيذان قال ابو بكر يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وذكر في حرف ابن مسعود ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه ساكن ان تدخلوه
وقوله عز وجل فيها متاع لكم ان كان ذلك البيوت الخانات والبيوت التي ينزل فيها اهل السفر فيكون قوله فيها متاع لكم اي فيها منفعة لكم
من الدفء في الشتاء والظل في الصيف ودفع الحر ودفع البرد في ايام البرد وان كان البيوت هي الخربات والقباب والمتعات التي
كانوا يضعون في الطرق لقضا الحوايج فيكون قوله فيها متاع لكم اي الخلاء والبول والله اعلم وقوله عز وجل والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون قال ما تبدون من السلام وما تخفون منه او في كل شيء كقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يذكر هذا ليكونوا ابدا على
حذر وخوف والله اعلم وقوله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا ابصارهم ويحفظوا روي عن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا علي ان لك كنزا في الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظر فان لك الاولى وليست لك الاخرة وعن انس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابن ادم لك اول نظرة فاياك والثانية وعن جرير قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني ان اصرف
بصري وعن ابن عباس قال يغضوا ابصارهم عن ما يكره الله ثم يحتمل قوله يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وجوها
ثلاثة احدها غضوا ابصارهم لكي يحفظوا فروجهم فان حفظ الفرج انما يكون بغض البصر وحفظه والثاني يغضوا ابصارهم
عن النظر الى من لا يحل من الاجنبيات لان النظر الى المحارم يحل ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والاجنبيات الا الذين
استثناهم في اية اخرى والثالث غضوا ابصارهم عما في ايدي الخلق ولا تطمحوا الى ما في ايديهم كقوله ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم الاية وقوله عز وجل ذلك ازكى لهم اي اطهر وادعى لهم الى الصلاح من النظر وعلى هذه الوجوه يخرج قوله و
قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وقوله عز وجل ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها روي عن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال الا ما ظهر الردا والثياب وعن ابن عباس قال الا ما ظهر منها الكحل والخاتم وفي رواية اخرى
الكف والوجه وعن عايشة قالت الا ما ظهر منها القلب والفتخة وهي خاتم اصبع الرجل وعن عبد الله الزينة زينتان زينة
باطنة لا يريها الا الزوج فاما الزينة الظاهرة فالثياب والباطنة فالاكليل والسوار والخاتم فان كان التاويل ما روي عن ابن
مسعود حيث خص من الثياب وغيره ففيه دلالة ان لا يحل النظر الى وجه امراة اجنبية وان كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة
حل النظر الى وجه المراة لا بشهوة وان كان ما قالت عايشة من القلب والفتخة ففيه دلالة جواز النظر الى الكفين والقدمين لانهما
ظاهرتان باديتان الا انهما من الظواهر في فرض غسل الوضوء وان كان ذلك ففيه دلالة جواز صلوتها مع ظهور القدم وجايز ان يكون
النظر الى وجه المراة حلالا اذا لم يكن بشهوة لكن غض البصر وترك النظر اوفق واذكى كقوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن انهن حراير فلا يؤذين كما يؤذى الاماء والذي يدل ان المراة ان لا تغطي
وجهها ولا ينبغي للرجال ان يتعمد النظر الى وجه المراة الا عند الحاجة اليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انما لك الا
ولى وليست لك الاخرة وفي بعضها الاولى لك والاخرة عليك لانه كانه انما يتعمد النظر في الثانية لشهوة تحدث في قلبه واذنه الذي يريد
ان يتزوج امراة ان ينظر اليها يدل على ان نظر الرجل الى وجه المراة غير حرام لانه لو كان حراما لم ياذن فيه النبي لاحد ونرى والله
اعلم ان النظر الى وجه المراة ليس بحرام اذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة فاذا وجد لذلك شهوة ولم يمتنع ان يؤدي ذلك الى
ما يكره فمحظور عليه ان ينظر اليها الا ان يريد معرفتها او النكاح فانه قد خص في ذلك روي ان المغيرة اراد ان يتزوج امراة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وقال في بعض الاخبار اذا خطب احدكم
المراة فلا باس ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وان كانت لا تعلم واحسن للشابة وافضل لها ان تستر وجهها وبدنها عن
الرجال ليس ان ذلك حرام ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بهن فان لم يكن للناظر في ذلك شهوة بان
كان شيخا كبيرا او كانت المراة دميمة او عجوزة فانه لا يحظر النظر الى وجوه امثالهن ولا ينظر الى ما سوى ذلك واصله قوله
تعالى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وما يدل على ان الوجه
والكفين جايز ان لا يكونا بعورة بان المراة لا تصلي وعورتها مكشوفة ويجوز ان تصلي ووجهها ويداها ورجلاها مكشوفة فاذا
كان كذلك دل ذلك على ان النظر الى ذلك جايز اذا لم يكن ذلك لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم العينان
تزنيان لان زناء العين لا يكون الا النظر للشهوة فاذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله وروي في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان الوجه والكفين ليسا بعورة ما روي عن عايشة قالت دخلت على اختي اسماء وعليها ثياب شامية رقاق

وهي اليوم عندكم صفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ثياب لا تحجها سورة النور فامر بها فاخرجت فقلت يا رسول الله ع
زاد تحتي اخرق فقلت لها ما قلت فقال يا اسما ان الحرة اذا حاضت لا ينبغي ان يرى منها الا وجهها وكفاها فان ثبت هذا عنه فهو يبين
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن قد ذكرنا ان المراة يكره لها النظر الى
الرجال من غير محرم منها كما يكره للرجل الى المراة الاجنبية الا ترى انه روي ان اعميين دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض ازواجه
عنده عايشة واخرى فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما فقالت انهما اعميان يا رسول الله فقال لها هاوان كانا اعميين فانتما
لستما باعميين او كلام نحو هذا فدل انه ما ذكرنا ودل على ذلك اخبار روي عن خالد بن معدان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل
لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تبيت في مكان تسمع فيه نفس رجل ليس بمحرم ولا يحل لامري يومن بالله واليوم الاخر ان يبيت في مكان يسمع
نفس امراة ليست له بمحرم وفي بعض الاخبار انه رخص للمراة ان ترى غير ذي محرم منها الا الكف وما ظهر وقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كوع عايشة وقال هذا وعن الحسن انه قال في قوله الا ما ظهر منها الوجه وما ظهر من الثياب فان ثبت ما ذكرنا من المروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رخص النظر الى الوجه والكف لقوله الا الوجه والكف استثنى الوجه والكف من ساير الجوارح كان ذلك
تفسير القوله الا ما ظهر منها كانه قال ولا يبدين زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها وهو الكحل والخاتم ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد
فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها لان النظر الى الزينة حلال لكل احد اذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم فدل ان المراد بذكر
الزينة مواضع الزينة لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للاجنبيين النظر الى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف ولم يرخص
ما خفي منها وما بطن ثم استثنى المحارم منها ورخصهم النظر الى ذلك بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابايهن الى اخر ما ذكر ثم مواضع
الزينة الخفية منها الصدر ومنها الاذنان وهما في الراس ومنها الساق ثم جمع بين الاب ومن سمي معه وبين الزوج في النظر الى زينة المراة ولا
خلاف في ان الاب لا يجوز له ان ينظر من عورة ابنته الا الى راسها وفي راسها الاذنان وقد يكون فيهما القرط ونحوه واذا جاز له ان ينظر الى راسها
ولا حار عليها فله ان ينظر الى صدرها وهو موضع الزينة لانه مما يغطيه الخمار وينظر الى ذراعها وموضع الخلخال من قدميها ورجليها
وهو مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للاجنبي النظر اليها ثم النظر الى الوجه احق ان يحرم النظر اليه للاجنبي من الراس وغيره من مواضع
الزينة لان الوجه يجمع فيه جميع المحاسن وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن لكن انما حرم النظر الى هذه المواضع لانها عورة في
نفسها فالنظر الى العورة حرام للاجنبي ولان النظر اليها اعني مواضع الزينة لا يكون الا لشهوة حرام اليها فاما المحارم منها فانهم لا ينظرون
الى هذه المواضع منها لشهوة ولا يقصدون به ذلك البتة فابيح لهم النظر اليها لحاجة وكل من يخشى من المحارم النظر اليها لشهوة لا ينظر اليها
ثم غيرها من الحرة لا يحل لاحد النظر اليها الا الاب وغيره الا الزوج خاصة وللمولى الى مملوكته وهو ما قال والذين هم لفروجهم حافظون الا
على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى الازواج والموالي من بين غيرهم لان النظر الى ذلك لا يكون الا لشهوة لا يقع فيه حاجة الا
يباح ذلك الا لمن له قضا الشهوة والوطي وهو الزوج والمولى فانقسم العورة الى جهتين جهة يحل للمحارم منها النظر اليها لحاجة
وضرورة تقع لهم وجهة لا تحل لهم الا للازواج لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر الى ذلك ان الامة ينظر الى شعرها وذراعيها وساقيها
وصدرها ان اراد شراها ولا ينظر الى ما سوى ذلك فاذا جاز للاجنبي ان ينظر اليه من الامة جاز لمحرمها النظر الى ذلك من المراة
لحاجة التي ذكرنا ثم ذكر في الاية المحارم جميعا الا الاعمام والاخوال قال بعضهم انما لم يذكرا في هذه الاية لانهما تحل لبنيهما بالنكاح
فكره ان تصفاها لبنيهما وبطا كره من كره للمراة المسلمة ابدا الزينة الخفية للكافرة من اليهودية والنصرانية لما لعلها تصف لذلك
للمشركين فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك وصرف قوله او نسايهن اي المسلمات لكن جايز عندنا ان العم والخال انما لم يذكرهما لكثرة
والتطويل لما يكثر ذلك او لما ذكر من اجناسهم وامثالهم فذكر الرخصة في امثالهم كافية والله اعلم وقوله عز وجل او نسايهن يحتمل
وجوها يحتمل النسا يختلطن بهن او نسا قراباتهن وارحامهن او النسا التي توافقهن في دينهن وهن المسلمات على ما قاله اولئك
والله اعلم وقوله عز وجل او ما ملكت ايمانهن قال قايلون او ما ملكت ايمانهن كقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ونحوه و
قال قايلون الاما والعبيد جميعا فان كان المراد بالاما فهو ظاهر وان كان المراد بالامة والعبد اباحة نظر العبد الى شعر مولاته
على ما يقوله بعض الناس والاشبه ان يكون المراد به والله اعلم الاما دون العبيد ما ذكر في اخر الاية او التابعين غير اولي الاربة من
الرجال والعبد من الرجال او ذكر التابع وان كان خصيا او عنينا او معتوها على ما قالوا فانه لا يحل لهولاء النظر الى تلك المواضع على
حال فعلى ذلك العبد فيكون الدخول عليهن مضمرا في الاية وكن النسا متاهبات وقت دخول العبيد والتابعين عليهن لانه ذكرنا انه
وهم تابعوا الازواج ووقت دخول هولا يكون معلوما عندهن فيتاهبون له ويستترن والله اعلم بذلك الا ترى انه لا يحل للمراة ان تتزوج
بعبدها دل انه ليس بمحرم لها لذلك لم يحل له النظر الى شعر مولاته فان قيل ما معنى ذكر امايهن ونسايهن وكل النسا يجوز لهن النظر الى المراة
والى هذه التي ذكرنا قيل خص الله عز وجل بذكر امايهن ونسايهن دون نسا الاجنبيات تاديبا لا حظرا وذلك ان المراة قد يضيق عليها
ان تستتر من امتها ونسا اهل بيتها لكثرة دورانهن لها وقد يقدر ان تستتر من الاجنبية محاسنها وزينتها لقلة دخولها اليها الا ترى انه
قد نهى المراة ان تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها وفي ذلك صيانة الرجل والمراة وابعادهما ما يخاف عليهما ويخاف فليس ببعيد

ان يجعل

يجعل نهيه المراة ان تظهر زينتها ومحاسنها للاجنبية لما يخاف على الاجنبية من فساد قلبها وحذرت الشهوة لها فيا تم تفتنا و
الرجال جميعا وابعادهم من الزينة دليلا ان تصنعها الرجل يفتتن بها ويتكلف الوصول اليها والله اعلم قوله عز وجل وليضربن بخمرهن على جيوبهن
روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لما نزلت هذه الاية اخذ النسا ازرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن به وعن ابن عباس
على جيوبهن يقول وليشددن بخمرهن على جيوبهن لتقول ليرخين بخمرهن على الصدر والنحر فلا يرين منها شيئا قال وكن النسا قبل هذه الاية
انما يسدلن خمرهن سدلا من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت هذه الاية شددن الخمر على النحر والصدر وفي الاية دلالة ان درع النسا
كانت ذات جيب انما تكون للدروع وذلك كان لباس النسا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى الرجال عن لبسة النسا وانه
لعن المتشبهين من الرجال بالنسا وروي انه لعن الرجل يلبس لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل وعن ابن عباس لعن النبي المونثين من
الرجال والمذكرات من النسا وكان يكره للرجل والله اعلم ان يلبس قراعة وحرها لا قميص تحتها لان ذلك لباس النسا الا ان يكون
نقاشق ذيل لخرجت من لبس النسا ولم يكن للرجال والله اعلم وقوله عز وجل ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها جايز ان يكون قوله الا ما
ظهر منها انما يباح النظر الى الوجه للحاجة واما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله يدنين عليهن من جلابيبهن الاية وقوله واذا
سالتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن فعلى ذلك ترك النظر الى وجه المراة اطهر للنسا وللنسا
جميعا فلا يباح ذلك الا عند الحاجة اليه وهو معرفتها بالقسم والشهادة فان قيل ليس النظر يبيح الى مواضع الزينة الخفية للاجنبي
للنداوي بها قيل يجوز لك للضرورة واما للحاجة فلا ومسالتنا في الحاجة ليست في الضرورة ثم قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
الى اخر ما ذكرنا جايز ان يكون المراد برخصة النظر الى الزينة لهولا المسلمين في الاية رخصة النظر الى نفس الزينة وموضع الزينة لا موضع
الزينة فيدخل في هذه الرخصة من ذكر من التابعين غير اولي الاربة من الرجال ونحوه لان الزينة في الصدر وما ذكر انما تكون من وراء ثياب
تكون على الصدر ثم رخص النظر للمحارم الى مواضع الزينة الخفية لغير هذه الاية او ان يكون رخصة للمحارم الى مواضع الزينة ولغير المحارم
من المماليك والتابعين غير اولي الاربة ومن ذكر رخصة الدخول عليهن فيكون في الاية اضمار الدخول كانه قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
ومن ذكر من المحارم ولا يدخل عليهن الا العبيد والتابعون ومن ذكر من غير اولي الاربة فيكن في وقت دخول هولاء متاهبات لان وقت
دخول هولا يكون معلوما يعرفون فيتاهبن لهم لان العبيد انما على ساداتهم ومواليهم عند حاجتهن اليهم والتابعين ومن ذكر انما يجي
اذا دخل اذا واحتجن عليهن فيتاهبن لذلك ومثل هذا الاضمار جايز في الكلام يتبين ذلك بالثنيا كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما
يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي الصيد انه قد كان الصيد مذكورا فيه مرادا اذ لو لم يكن مذكورا لم يكن استثنى
منه فعلى ذلك جايز ان يكون في الاول الاضمار الدخول فيه لهولاء الذين لا يحل لهم النظر الى مواضع الزينة منهن ورخصة الابدا للمحارم
او ان يكون ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل والتابعين غير اولي الاربة من الرجال قال بعضهم الشيخ الكبير الذي لا حاجة
له في النسا وقال بعضهم المعتوه الاحمق الذي لا يشتهيه النسا ولا ينقاد عليه الازواج وقال بعضهم العنين والخصي وهولاء الذين
لا يطيقون الجماع لكن عندنا لا يسع للعنين ولا للخصي ان يخلوا بامراة اجنبية وقال الحسن غير اولي الاربة من الرجال هم المخنثون
روي عن عايشة قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة قالت فدخل النبي ذات يوم
وهو ينعت امراة فقال لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه وعن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث
فاقبل على اخي ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله لكم غدا الطايف دللتك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال لا ارى
يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم وقال بعضهم غير اولي الاربة الذين لا تهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النسا وكله واحد الذين ليست لهم
الحاجة الى النسا قال ابو عوسجة الاربة الحاجة والارب جميع وكذلك قال القتبي وقال ابن عباس هو الذي لا يستحي منه النسا وقوله
عز وجل والطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا قال بعضهم هو الاطلاع اي لم يطلعوا ولم يعلموا ولم يدروا ما هو من الصغر قال
بعضهم لم يظهروا على عورات النسا اي لم يبلغوا الحلم والاول اشبه عندنا وذلك ان الطفل الذي لم يحتلم قد امر بالاستيذان في بعض
الاوقات لقوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم فالذي يومر بالاستيذان هو اصغر من ذلك وهو الذي لا يطلع
على عورات النسا لصغره والله اعلم وقوله عز وجل ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن اي لا يضربن احدى رجليها على الاخرى
ليقرع الخلخال بالخلخال ليعلم ما يخفين من زينتهن اي ما يواري الثياب من الزينة وهو الخلخال قد اخفاه الثياب نهيت المراة عن ضرب
رجلها ليعلم الرجال ما يخفي من زينتها وذلك محظور عليها لما يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس وتحريضهم عليها اذ الزينة في الاصل ما جعلت
الا للترغيب والتحريض على انفسهم وهي الداعية الى النظر والشهوة وفي ترك ذلك وترك ابدا الزينة صيانتها وصيانة الرجال و
ابصارهم جميعا من الزينة والرغبة فكشف الشابة عن وجهها ونظر الرجل لشهوة اليها احرى ان يكون محظورا عليه منهيا عنه والله اعلم
بالصواب وقوله عز وجل وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله توبوا الى الله اي ارجعوا الى الله
بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين او ان يكون قوله وتوبوا الى الله اي ارجعوا عما قدمتم من المعاصي والمساوي واجعلوا مكان ذلك
طاعة له ليعفو عنكم ما قدمتم من المعاصي والله اعلم وقوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم الامر بالانكاح وان

خرج مخرج امر واحد في الظاهر فهو في الحقيقة على اقسام الامر في تزويج الاماء والعبيد يخرج مخرج المعونة والتقوية لان من بلغ
ولزم النكاح ذكرا او انثى استشار اقرباءه واهل انسابه والمتصلين في ذلك واستعانهم على ذلك وكذلك السادات في المماليك
دل ان الامر في احدهما يخرج على المعونة وفي الآخر على الترغيب ثم تزويج العبد يخرج كانه فعل المعروف اذ في ذلك التزام مؤن بلا
عوض يحصل له الا ترى انه لا يملك الا من يملك المعروف من نحو الوصي والاب والمكاتب والعبد المأذون له في التجارة ولا كذلك
تزويج الاماء اذ يملك هؤلاء ذلك وكل مكتسب خير له لنفسه او لغيره ثم جرى الوفاق بينهم ان للمولى ان يزوج امته شاءت هي او ابت
واختلفوا في تزويج العبد امرأة قال بعضهم له ذلك الا برضاء العبد وقال بعضهم له ذلك شاء او ابى ثم الناس اختلفوا في قوله وانكحوا
الايامى منهن الاناث من الاحرار دون الذكور واستدلوا ويبطلون النكاح بفساده اذا كان بغير اذن الولي بهذه الآية لان الله تعالى
من الاولياء ويخاطبهم ان تزوجوهن كما امر المولى بتزويج امته فاوجب للمولى الولاية كما اوجبها للولي وان كانا مختلفين في الولاية لكن عندنا
لو كانت الآية خرجت على التفسير على ما يقول خصومنا انكحوا الايامى منكم الآيات لم يكن فيه دليل على ما قالوه ويخرج ذلك على وجوه
احدها على الترغيب في انكاحهن لما يتولين النكاح بانفسهن حياء ويستحيين التكلم بذلك حتى من فعل ذلك منهن بنفسها صار مطعونا
عندهن او ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكرنا الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من بلغ ولزم النكاح وعنده ما
ينكح فاحدث فالاثم بينهما فهذا يدل والله اعلم على وجه المعونة في تزويج الاب الابن البالغ فاذا كان الاب مامورا من جهة الندب
على المعونة بتزويج ابنه ولا يوجب ذلك عليه ولاية اذا كره ذلك لكن ان يكون مامورا بتزويج ابنته من طريق المعونة او جهة الحياء
او ان يخرج ذلك على ما قال خصومنا من ايجاب الولاية له عليها ثم راينا انها اذا رغبت في النكاح ورضيت به وكره وليها ذلك جبر الولي
على الانكاح وان هي كرهت النكاح وابت ورغب الولي ذلك ومثله لم يجبر هي على ذلك دل ذلك على ان الحق لها عليه دون ان يكون الحق في
ذلك له عليها فاذا كان الحق لها عليه جاز ذلك اذا تولت بنفسها لما ذكرنا ان الخطاب الاول لنا يخرج على الوجوه الذي ذكرنا والله
اعلم هذا اذا كان في الآية ذكر الاناث دون الذكور فكيف وانه ليس في الآية ذكر تخصيص الاناث دون الذكور واسم الايم يقع على
الاناث والذكور جميعا الا ترى انه روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ما رايت مثل ما يلتمس بعد هذه الآية التماس
الغنا في الباه وما روي عن مخرمة ان عمر دعانا الى ان ينكح من ايامانا وفي الشعر لله در بني علي ايم منهم وناكح وفي بعضها وايمة تأبى من
القوم ايما جمع فيها اسم الايم الرجال والنساء ومن الدليل ايضا على ذلك قوله والصالحين من عبادكم وامائكم فدل ذلك على انه حث
على تزويج البالغين من الاحرار رجالهم ونسائهم فان قيل فما وجه امره بتزويج الرجال والامر اليهم الجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة
والترغيب فيه ثم قوله والصالحين من عبادكم جائز ان يكون قوله والصالحين اي المؤمنين وجائز ان يكون الصالحين من طلب منكم
الصلاح والعفة او ذكر الصالحين لما كانت العادة في الملوك انهم يخاطبون اهل الصلاح منكم والاخيار لا على اخراج غيرهم من حكم ذلك
الخطاب والله اعلم وقوله عز وجل ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله من الناس من استدل بهذه الآية ان العبد يملك لانه ذكر العبيد
والاحرار جميعا ثم ذكر في آخره الغنا دل انه يملك ويستدل بقوله فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن اضاف الاجور والايتاء
اليهن دل انهن يملكن لكن عندنا ان المماليك يملكون ملك التوسيع وملك التصرف ويقع لهم غناء التوسيع وغناء التصرف ولا يقع
لهم المماليك ولا حقيقة الملك والدلالة على ذلك قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فهم فيه سواء لو كان ما ملكت ايمانهم يملكون ما يملك الموالي والسادات لكان المماليك يفضلون على السادات في
انهم الذين يتصرفون ويكتسبون الاموال دون السادات فدل ذكر تفضيل بعض على بعض انهم لا يملكون ما يملك الموالي والسادات
قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآية ولو كانوا يملكون على ما يملك السادات لكانوا لهم فيه شركاء دل انهم لا يملكون
حقيقة الملك ولكن يملكون ملك التوسيع والتصرف وان يكون قوله يغنهم الله من فضله راجعا الى الاحرار منهم دون المماليك وذلك
جائز في اللسان كقوله ثم روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله تعالى ان يعينهم الله
المجاهد في سبيل والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء وعن عمر قال ما رايت مثل الرجل لا يلتمس الغنا في الباءة والله تعالى يقول ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروي في الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وروي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب
ما فعلت بناتك قال هن عندي يا رسول الله قال وقد حصن قال نعم قال انك لم تحبس واحدة منهن عن كفو الا نقص من اجرك كل يوم
قيراط وفي بعض الاخبار من بلغ ولزم النكاح وعنده ما ينكحه فاحدث فالاثم بينهما وقوله عز وجل وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله الاستعفاف هو طلب العفاف كانه قال يطلب الاسباب التي تمنعه عن الزنا وتصيره عفيفا حتى
يغنيه الله من فضله واسباب العفة تكون اشياء احدها ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ونحوه يكتسب اسباب العفة ان لم
يكن عنده ما ينكح حتى لا يقع في الزنا الى ان اغناه الله كقوله عليه السلام من استعف اعفه الله وجائز ان يكون قوله وليستعفف ا

يستعفف الذين

يستعفف الذين لا يجدون نكاحا لم يجعل الله عز وجل للذي عجز عن النكاح استباحة الفروج والاستمتاع بها اذا لم يكن عنده ما
ينكح كما جعل في الاموال وغيرها رخصة التناول في ملك غيره عند الحاجة والضرورة ببذل العوض او رخصة التناول في ملك غيره انما
يكون عند الضرورة والضرورات لا تقع في الفروج وفي الاستمتاع بها بحال لذلك لم تبح والثاني ان الاستمتاع بالنساء في الاصل كانه انما
جعل وابيح لبقاء النسل والتوالد لا لحاجة انفسهم وقضاء الشهوة فاذا لم يكن عنده ما ينكح ارتفع عنه ابقاء النسل والتوالد والثالث ان
السعة والغنا وانواع النعم هي الداعية الى الحاجة وقضاء الشهوة فاذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال عنه الاسباب التي تدعوه الى ذلك
لذلك لم يبح واما الحاجات والضرورات وما ذكرنا كلها تقع في الاموال واما الحاجات في النساء ولمنها لانفسهم ولابقائها لذلك افترقا
والله اعلم ثم في قوله حتى يغنيهم الله من فضله وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وجهان من المعتبر على نقض قول المعتزلة احدهما
انه اضاف الاغناء الى نفسه وهو ليس يعطي احدا شيئا يطرحه ويلقيه في برج بلا سبب ولكن انما يغنيه ويعطيه باسباب يجعلها لهم فدل
اضافة الاغناء الى نفسه على ان له في تلك الاسباب التي بها لهم غناء صنعا وفعلا ليس على ما يقوله المعتزلة ان لا صنع لله في افعال عباده
والثاني فيه دلالة ان غناهم وسعتهم فضلا منه ورحمة لا شيء يستوجبونه هم بانفسهم ذلك قبله لكن افضالا منه لهم واحسانا اذ لو كان
عليه ذلك كان منه عدلا لا فضلا فدل تسمية الفضل ذلك على ان من اعطاء الله يقال ذلك اعطاء فضلا منه وانعاما لا استيجابا و
استحقاقا وذلك رد عليهم في الاصلح في الدين ثم من الناس من استدل بهذه الآية بقوله يغنهم الله من فضله وحتى يغنيهم الله من فضله
من فضله على تفضيل الغناء على الفقر قالوا لانه سماه فضلا بقوله من فضله وسماه في غير اي من القرآن رحمة وحسنة وسماه خيرا ايضا في
غير موضع وسمى الفقر والضيق بلاء ومرة وهينة تاتيا وضرا وشرا قال الله تعالى بقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وقوله هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وغير ذلك من الآيات وكان ما سمي من البلاء والشدة والشر والضر
والسيئة كله عبارة وكناية عن الضيق والفقر وما ذكر من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة والغناء فدل تسمية الغناء
خيرا وحسنة ورحمة على انه افضل اذ لا شك ان الخير والحسنة والرحمة خير من الشر والسيئة والبلاء لذلك كان الغناء افضل من الفقر
فيقال لهم هو كما قلتم انها خير مما ذكرتم الا ان هذا الاسباب التي ذكرتم هي الداعية الى الفساد الباعثة على قضاء الحاجات والشهوات وانواع
المعاصي والتعاطي في انواع المحرمات فضلا ان ترغبه وتبعثه الى ما لا فنقول انه افضل بالمعنى الذي ذكرنا لا بالمعنى الذي فهمتموه انتم او ان يكون
ما ذكر وسمي خيرا اعني السعة عند الناس وكذلك ما ذكر من الضيق شرا وسيئة عندهم لانه كذلك عند الناس لا انهما في الحقيقة كذلك
لما يحتمل ان يكون الغنا والسعة سبب الفساد والضيق والفقر سبب منعه عن الفساد او ان لا يتكلم في تفضيل احدهما على الآخر لانهما
محنتان يمتحن بهما العباد هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق وهؤلاء بالشكر على النعمة والسعة فالتكلم في فضل احدهما على الآخر فضل والله اعلم وقوله
عز وجل والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ظاهر هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله تعالى لان
الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى يسالون سادتهم تعليم الكتاب ثم الا ان الناس لم يفهموا من هذا ولكن فهموا كتابة العبيد والاماء وصرفوا
الآية اليها ثم قوله فكاتبوهم ليس على الوجوب والالتزام ولكن على الترغيب فيها والحث دليله ترك الائمة المماليك بعد موتهم مواريث لورثتهم من لدن
رسول الله الى يومنا هذا ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون لان ما عليهم فدل تركهم ذلك على انه خرج مخرج الترغيب عليها والحث
لا على الوجوب والله اعلم وقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا اختلف فيه قال بعضهم اي كاتبوهم ان علمتم انهم يرغبون في انواع الخير واقامة
الصلوة وانواع وفرغوا انفسهم لذلك وقال بعضهم ان علمتم فيهم خيرا اي وفاء وامانة وصلاحا وهو قول الحسن وقال بعضهم اي كاتبوهم ان
علمتم انهم يقدرون على وفاء ما كوتبوا واداء ذلك وقال قايلون خيرا اي حيلة وقال قايلون مالا وقال قايلون خيرا اي حرفة وروي في
ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرا عن يحيى بن كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان علمتم فيهم خيرا اي حرفة ولا ترسلوهم كلالا
على الناس ان ثبت هذا لا يحتاج الى غيره من التفسير ولو كان قال ان علمتم لهم خيرا جاز ان يقال معنى ذلك مالا ولكن قال ان علمتم فيهم خيرا
والمال لا يكون فيهم وانما يكون لهم فانتفى ذلك والله اعلم ان يكون الخير حرفة كما روي في الخبر او وفاء وامانة ثم في الآية دلالة ان العبيد لا
يملكون شيئا لانهم لو كانوا يملكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق دون الكتابة فدل ترغيبه اياهم عليها انهم لا يملكون حتى يجعل الكتابة
الكسب لهم والخدمة دون الموالي وفي الكتابة ايضا نظر للموالي لانهم ان قدروا على وفاء ما قبلوا واداءه والا كان للموالي ردهم الى منافع انفسهم
ولو كان عتقا لم يملكوا ردهم الى منافع انفسهم ويبطل حقهم بلا شيء يصل اليهم والله اعلم وفي قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا دلالة
القول بعلم العمل على ظاهر الاسباب دون تحقيق العلم به حيث قال ان علمتم فيهم خيرا وانما يوصل الى ما ذكر من الخير باسباب تكون لهم على نحو ما
ذكر وفيه من الحرفة والوفاء واداء الامانة وامثاله وذلك اسباب توصل الى الخير ما اكبر الظن والعلم لا على الحقيقة وفيه دلالة العمل بالاجتهاد
على ما يرى بهم من ظاهر الاسباب والله اعلم وقوله عز وجل وآتوهم من مال الله الذي آتاكم اختلف في خطابه قال الحسن وغيره فيخرج ذلك
على وجهين احدهما ما جعل الله من الحق للمكاتبين في الصدقات بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وفي الرقاب وهم المكاتبون امر ارباب
الاموال بدفع الصدقات الى المكاتبين وجعلها حلالا لهم ليستعينوا بها على اداء ما عليهم من الكتابة فان كان ذلك فذلك حق لهم والثاني
جائز ان امر الناس بمعونة هؤلاء المكاتبين على اداء ما عليهم من الكتابة باموالهم سوى الصدقات ليفكوا رقابهم عن ذل الرق والكسب قال

ان يلزمون انما الخطاب للموالي خاصة لما ان اول الخطاب بالكتابة راجع الى الموالي فعلى ذلك هذا ثم اختلفوا فيه روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال يترك المولى ثلث من مكاتبته له وروي عنه انه قال ربع المكاتبة وروي عن عمر رضي الله عنه انه كاتب غلاما له فحط عنه اول نجمه وقال له
حط عني اخر فقال عمر لعلي لا اصل اليه او كلام نحو هذا ثم تلا هذه الاية قوله والذين يبتغون الكتاب الاية وروي عن غلام لعثمان بن عفان
رضي الله عنه قال كاتبني عثمان ولم يحط عني شيئا ولما روي عن عثمان انه لم يحط عنه شيئا على ان الامر بالايتاء للكاتبين من الاموال الحط
عنهم انما هو على الاختيار والافضال ليس على الوجوب واللزوم لانه لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان لا يحتمل ان لا يحط عنه شيئا
ومن جعل ذلك واجبا على المولى ان يوتيه من ماله ويجعله له كان ذلك خارجا عما روي من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين خلافا ثم
لانه روي عن بعضهم الحط عنهم ولم يجع دون الايتاء من ماله وروي عن بعضهم الاستيفاء على الكمال لا حط فيه ولا ايتاء لان قوله من
يامرهم بالايتاء من اموالهم دون الكتابة خارج من قولهم جملة ثم يبطل ذلك من وجهين احدهما ان من قال العبد اذا اديت الي كذا فانت حر فحط عن
بعض ذلك فادى البقية لم يعتق حتى يودي الكل فدل ان قوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم ليس على الوجوب ولكن على الاختيار والثاني
انه لا يستحق بعد الاداء مكاتبا وانما هو حر وهو انما ذكر الايتاء اياهم وهم مكاتبون حيث قال فكاتبوهم ثم قال واتوهم فلو كان على ما يقوله
قوم لكان ذلك باطلا للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله عزوجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ليس في قوله ان اردن
تحصنا بشرط فيه لان من لا يكرهن على البغاء وان لم يردن التحصن دل ان ذلك ليس بشرط فيه ولا يتكلم الاكراه فيه اذا كن اطعن فيه
لكنه خرج ذلك على ما ذكر في القصة كانوا يكرهونهن على الزنا ابتغاء المال وهن كن يردن التحصن فخرج الخطاب والنهي على فعلهم دون
ان يكون ذلك شرطا فيه او ان يكون ذلك اكراها اذا كن مطاوعات في ذلك وفيه دلالة بطلان المتعة وفسادها لانهم كانوا يكرهون
اماءهم على ان يواجرن انفسهن للزنا ابتغاء الاجر وليست المتعة الا كذلك وقال اهل التاويل ان الاية نزلت في نفر من المنافقين عبد الله بن
ابي وفلان وفلان كانوا يكرهون فتياتهم على الزنا ابتغاء عرض الدنيا فان كان ما ذكروا ففيه دلالة ان الزنا حرام في الاديان كلها وقوله
عزوجل ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما يرجع الى الاماء يقول فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم لهن وكذلك روي في بعض الحروف انه قرا فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم والثاني يرجع الى السادات فان الله
غفور رحيم اذا تابوا واصلحوا والله اعلم وقوله عزوجل ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات بخفض الياء ونصبها ثم يحتمل ان يكون المراد
بالايات ايات القران جميعا وقوله مبينات بالخفض اي تبين للخلق ما لهم وما عليهم وما لبعضهم على بعض ومبينات بالنصب اي بينت
انها من عند الله وجائز ان يكون المراد بالايات الحجج والبراهين فان كان هذا فقوله مبينات بالخفض اي تبين وحدانية الله تعالى وعلم
رسالة رسوله ومبينات بالنصب اي واضحات بينات انها حجج وبراهين وقوله عزوجل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين
اي انزلنا اليكم ايضا مثل الذين خلوا من قبلكم ما حل بهم ونزل بالمكذبين من العذاب وموعظة ما يتعظ المتقون او جعل لكم فيما انزل من
الايات عليكم امثالا من الذين خلوا من قبلكم ليتعظوا به والله اعلم وقوله عزوجل الله نور السموات والارض قال بعضهم الله هادي السموات
والارض ثم انقطع الكلام فاخذ في نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما ضرب له من الامثال فقال مثل نوره يقول مثل نور محمد اذ كان في صلب ابيه
كمشكوة اي كوة بلغة الحبش غير نافذة فيها مصباح اي سراج المصباح يقول والله اعلم ذلك السراج المضي ضوءه في زجاجة الزجاجة نعتها
الصافية التامة الصفاء والمشكاة صلب ابيه عبد الله والزجاجة وصفا وهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهره من الادناس والمعاصي
والمصباح نوره وصفاوه قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الايمان والحكمة والنبوة كانها كوكب دري اي محمد صلى الله عليه وسلم
ذكره مع اسماء الانبياء والرسول في اللوح المحفوظ عند الله في الفضيلة على تلك الانبياء والرسل عليهم السلام كفضل الكوكب الدري على المضي
وهي الزهرة على سائر الكواكب وقوله عزوجل يوقد من شجرة مباركة [illegible] ابراهيم لان محمدا [illegible]
[illegible] ابراهيم مثل الشجرة مباركة [illegible] ابراهيم صلوات الله عليهم وقوله عزوجل زيتونة لا شرقية ولا غربية
والزيتونة [illegible] ابراهيم [illegible]
[illegible] يعني [illegible] لا شرقية ولا غربية يقول ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن يهوديا ولا
نصرانيا [illegible] المشرق [illegible] المغرب [illegible]
يقول الله تعالى [illegible] وقوله عزوجل يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار [illegible]
[illegible] وقوله عزوجل نور على نور [illegible]
[illegible] ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم وهو النور [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]

والارض

والارض اي بالله نور اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال مثل نوره كذا ولم يقل مثله ولو كان النور هو الذي على ما قاله قوم وفهموا
فقال الله نور السموات والارض مثله كذا ولم يقل مثل نوره فدل قوله مثل نوره اي لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكرنا انه نور اهل السموات
واهل الارض الا ترى انه قال في اخره يهدي الله لنوره من يشاء انه لم يرد بالنور ما فهموا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور دل انه ليس
على ما فهموا به انه نور كسائر الانوار التي عاينوه وشاهدوه وهم المشبهة وعلى هذا يخرج تاويل ابن عباس حيث قال الله هادي اهل السموات
والارض وقوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري جائز ان يكون قوله مثل نوره اي مثل
نور المومن الذي في قلبه مثل مشكاة فيها مصباح لان المشكاة هي الكوة التي لا منفذ لها يدخل فيها الانوار فتكون مظلمة فاذا جعل فيها
المصباح اضاء ذلك كله وانارة حتى لا يبقى فيها ناحية الا وقد اصابها الضياء والنور فعلى ذلك القلب وهو مظلم اذ ليس له منفذ يدخل فيه
النور من الخارج فاذا امن انار الله قلبه بايمانه حتى ظهر ذلك النور واثره في جميع نواحيه وجوارحه وهو ما قال افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه اخبر ان من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهذا يدل ان قوله مثل نوره انما هو مثل نور المومن
وعلى ذلك روي في حرف ابي بن كعب انه قرا مثل نور المومن كمشكوة وفي حرف ابن مسعود مثل نوره في قلب المومن وقال الحسن مثل نوره
قال مثل القران في قلب المومن كمشكوة كوة فيها مصباح او ان يكون قوله الله نور السموات والارض اي به تنجلي الظلمات وتنكشف
الحجب والستور اذ النور انما سمي نورا لما به تنجلي الظلام وتنكشف الستور والحجب لا انه نور الا ترى انه سمى القران نورا والرسول
نورا لما به تنجلي الشبهة والظلمات وبه ترتفع الستور والحجب وان كانا في انفسهما ليسا بنور وسمي نورا لما ذكرنا من تجلي الاشياء بهما
وارتفاع الستور فعلى ذلك جائز ان يسمى الله نورا لما به يكون تجلي الظلمات والشبه وانكشاف الستور وارتفاع الحجب لا انه نور وقوله
مثل نوره قال بعضهم مثل نور المومن على ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم مثل نوره في صدر المومن وقال بعضهم مثل نور محمد على ما ذكرنا
وغيره وقال بعضهم مثل نور القران وقوله كمشكوة قال الكوة التي لا منفذ لها النور على ما ذكرنا وقال بعضهم موضع الفتيلة من القنديل
وقال بعضهم الحدائد التي تعلق بها القنديل وقوله لا شرقية ولا غربية قال بعضهم هي شجرة مضحية تطلع عليها الشمس اذا طلعت
وتغرب عليها اذا غربت وهو اجود الزيت وقال بعضهم هي شجرة في كن لا تطلع عليها الشمس اذا طلعت ولا تغرب عليها اذا غربت
وقال بعضهم ليست بشرقية ولا غربية لا شرق لها ولا غرب لها ولكنها شرقية غربية فكيف ما كان فانما ذكر الزيت لصفائه ونوره
فيجب ان يسال اهله فيما اي الزيت اجود واصفا الذي تصيبه الشمس او الذي لا تصيبه او الذي تصيبه في وقت وقال
بعضهم الله نور السموات والارض هو الله سبحانه هادي اهل السموات واهل الارض كما هو في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي
يضيء قبل ان يمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكون قلب المومن يعمل الهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم
ازداد هدى على هدى ونورا على نور وعن ابي بن كعب قال في قوله مثل نوره يقول مثل نور المومن وكذلك يقراها مثل نور المومن على
ما ذكرنا عنه قيل قال فهو عبد قد جعل القران والايمان في صدره قال كمشكوة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال المصباح القران
والايمان الذي جعل في صدره قال المصباح في زجاجة قال الزجاجة قلبه قال الزجاجة كانها كوكب دري يقول كوكب مضيء توقد من شجرة مباركة
قال الشجرة المباركة اصله فالمبارك الاخلاص لله وحده لا شريك له قال لا شرقية ولا غربية قال فمثله كمثل شجرة التفت بها الشجر
فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المومن قد اجير من ان يصله شيء من الفتن
وقد ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين اربع خلال ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل
الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور قال فهو يتقلب في خمسة من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور و
مصيره الى النور يوم القيامة الى الجنة قال ثم ضرب مثل الكافر فقال وهو يحسب ان له عند الله خيرا فلا يجد عند
الله النار وقال في اية اخرى له مثلا فقال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب فهو يتقلب في ظلمات وقال بعضهم
في قوله الله نور السموات والارض اي بنوره يهتدي من في السموات ومن في الارض على ما ذكرنا مثل نوره في قلب المومن كمشكاة وهي
الكوة غير النافذة على ما ذكرنا فيها مصباح اي سراج كوكب دري مضيء اي منسوب الى الدر وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة كمشكاة
الكوة التي تكون في الحائط ومثال زجاجة وكوى جماعة الكوة وكوكب دري شديد الضوء ودري هو ايضا من الضوء ماخوذ
جميعا من الدر وكواكب دراري مضيئة وعن كعب مثل نوره قال ضرب مثل محمد كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كانها كوكب دري مثل لسانه وصدره وقلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم وعن الضحاك بن مزاحم كانها
كوكب دري قال الخلقت الكواكب من نار بقال الحادري خرفه قال كوكب دري وقد ذكرنا قولهم في المشكوة قال بعضهم الكوة التي لا منفذ
لها وقال بعضهم الفتيلة التي في جوف القنديل وقال بعضهم القنديل نفسه وقال بعضهم القايم في وسط القنديل وهو موضع الفتيلة
وقال بعضهم هي الحدائد التي يعلق بها القنديل واما الزجاج فهي القنديل ثم ان كان قوله مثل نوره اي نور المومن فليس ذلك وصف
كل مومن ونعته ولكن وصف المومن الذي يجتمع فيه جميع شرائط الايمان وجميع الاخلاق الحسنة والاداب لانه وصفه بطهارة
نفسه وجسده وقلبه وجميع اعماله وافعاله لانه قال كمشكوة وهي قلبه فيها مصباح وهو صدره الذي في قلبه المصباح في زجاجة

وهو الايمان الذي في صدره ثم نعت الزجاجة فقال كانها كوكب دري اي مضيء، وقال بعضهم من الدر فوصف الكل بالصفا
والنور وظهارة الداخل منه والخارج ونقاوته فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع الشرايط والخصال المحمودة واما كل مؤمن فلا
يحتمل وهذا اشبه الاوجه اذ ذكر نعت الكافر من بعد وجهله حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وان كان وصف محمد
ففيه جميع ما ذكر ونعته وان كان القران فهو كذلك ايضا وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار الى ذكرنا يحتمل المؤمن و
يحتمل محمد ويحتمل القران ويحتمل ابرهيم فكله نور على نور **وقوله** عز وجل يهدي الله لنوره من يشاء يحتمل يهدي الله لنوره محمد
ويحتمل القران ويحتمل الايمان والهدى وقال بعضهم نور على نور قال فالزيت نور والمصباح نور والقنديل نور وقال المؤمن
والمجاهد نور وكلامه نور ويحتمل قوله يهدي الله لنوره من يشاء ان ينوره وقال بعضهم الله نور السموات والارض يقول بنوره
اضاءت السموات والارض على ما ذكرنا مثل نوره يقول في القلب المؤمن وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قلب المؤمن
وهذا مثل ضربه الايمان والقران والقلب حيث يدخله الايمان والقران كمشكوة يعني الكوة فيها مصباح يعني الايمان والقران
في زجاجة يعني القلب والمشكوة الصدر فكما دخل هذا المصباح في الزجاجة فاضاء فكذلك اضاء القلب ثم خرج من الزجاجة
فاضاءت المشكوة فكذلك اضاء الصدر ثم نزل الضوء من الكوة فاضاء البيت فكذلك نزل النور من الصدر فاضاء الجوف
كله فلم يدخله حرام والله اعلم **وقوله** عز وجل ويضرب الله الامثال للناس يحتمل ضرب الامثال لهم وجهين احدهما ضرب لانعامهم
واقوالهم مثلا ليعرفوا مقاديرها في الحسن والجمال ليعلموا قدرها من الجزاء والثواب وضرب الامثال لهم للانفس المكرمين المعظمين
المستوجبين كل خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا اوليك وكان ضرب مثل الايمان او القران او محمد وما كان على الخلاف
ما قالوا بالانوار التي ضربها والله اعلم لما انه قد اقام الحجج والبراهين على الايمان والقران ومحمد حتى صار كالانوار التي
شبههم بها من الحسن والجمال والضيا البهاجتي يعرف حسن هذه الانوار وبهاءها كل احد فعلى ذلك المضروب بها المثل صار
في الحسن والبهاء والضيا بالحجج والبراهين كالانوار التي لا يخفى حسنها وبهاؤها على احد ولا ينكرها الا معاند ومكابره
كامثل الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضها فوق بعض وكالسراب والزبد الذي ذكر حيث
قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وكالظلمات التي ذكر حيث قال او كظلمات في بحر لجي الاية ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور فقال ابن عباس رضي الله عنهما كانها كوكب دري قال النجم الخمسة كلهن دري . زهرة . وعطارد .
والمشتري . وبهرام . وزحل . قال قتادة الدري المضيء منير قال الكسائي من همز دري فهو حسنه وظهوره وارتفاعه
يقول درا النجم وهو فاش ظاهر في كلام العرب ومن رفع الدال ومن لم يهمز فهو ينسبه الى الدر ومنهم من يرفع الدال ويهمز وانها
لغة وقال ابو عمرو بن العلا الدري النجم الذي تراه يتلالا كانه يجئ ويذهب وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
من اهل عليين ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة بوجهه كانه كوكب دري وان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما منهم وانعما وايضا دري
دري بالرفع وفي خبر اخر عنه ان اول زمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر دري بالرفع والذين يلونهم على
اضوء كوكب دري في السما لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ادميتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم والذي نفس محمد بيده ما فيها
عزب **وقوله** عز وجل توقد من شجرة مباركة اختلف في قرائته بعضهم يوقد بالياء ورفعها ونصب القاف يعني المصباح يوقد
ومن قراها بالتاء ورفع الدال ونصب التاء رده على الزجاجة اراد تتوقد ثم طرح احدى التائين ومن قرا توقد بالتاء و
رفعها يعني الزجاجة التي توقد واهل مكة توقد بالنصب وتشديد القاف يعني المصباح يوقد فلذلك انتصب ومن قرا
يوقد يعني الكوكب والمصباح **وقوله** عز وجل لا شرقية ولا غربية قد ذكرنا بعض تاويلهم فيما تقدم لكنا نزيد فيها شيئا
قال قايل هي شجرة ضاحية من حين تطلع الشمس الى ان تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي وزيتها اصفى الزيت واعذبه
واطيبه وقال قايل ليست بشرقية يحوزها المشرق دون المغرب وليست بغربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها
بارزة في صحرا او راس جبل تصيبها الشمس النهار كله وهو مثل الاول وقال الكسائي ليست شرقية وحدها ولا غربية
وحدها ولكنها شرقية وغربية كما يقول لا اتيك ولا اتي فلانا الا معنيان ان شئت كان معناه لا اتي واحدا منهما وان شئت
كان معناه انك تاتي جامعا ومثله والله لا اكل ولا تاكل زيد له معنيان وكان يقال الرجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار وهو يحب
الفتنة في المال والولد قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وهو يرجو الجنة ويخاف النار على ما فسرنا وقال بعضهم لا شرقية
يقول لا تفيء الشمس من اول النهار الى اخره ولا غربية عليها ظل من اول النهار الى اخره ولكنها شرقية وغربية يصيبها الشمس والظل
والعرب تقول لا خير في شجرة في مقناة ولا خير في شجرة في مضحاة وقايل يقول لا تطلع الشمس ولا تغرب وقايل يقول هي شجرة
بالشام ليست بالمشرق وليست بالمغرب والحسن يقول والله لو كانت هذه الزيتونة في الارض لكانت شرقية او غربية والله
ما هي في الارض ولكن هذا مثل ضربه الله تعالى لنوره وهو هذا القران واما قوله نور على نور قال بعضهم ايمان المؤمن نور وعمله
نور فهو نور على نور قال بعضهم نور النار على نور الزيت فذلك نور على نور وهو يجوز يعني الزيت وقال بعضهم نور النار ونور

زيت حين اجتمعا اضا ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القران ونور الايمان واذا اجتمعا لا يكون احدهما مضيئا الا بصاحبه
قال بعضهم ما ذكرنا من نور الايمان والعلم ثم معنى تشبيه ما ذكر بالزيت لان الزيت اصفى شي واطهره واطيب شي واضوء للسراج كل
ما فيه من الادام والدوا وغيره **وقوله** عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع اختلف فيه قال بعضهم قوله ان ترفع اي تعظم ويرفع
قدرها وهي المساجد على غيرها من البيوت المسكونة يذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه من الاقذار والانجاس ومن الامور
الدنيوية وقال بعضهم قوله ان ترفع اي تبنى وتتخذ فان كان التاويل هذا ففيه الامر ببناء المسجد واتخاذها وان كان الاول
ففيه الامر بتعظيم المساجد ورفع قدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها ثم الاذن في هذه الامر لوجهين احدهما يحتمل اقامة
الجماعات فيها في هذه الصلوة المعروفة اذ الارض كلها في الاصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت في الارض
مسجدا وطهورا فهي من حيث جواز الصلوة مسجد فيخرج الامر به مخرج الامر ببنايها لاقامة الجماعات والثاني امر بها خصوصا المساجد و
غيرها من البيوت المسكونة انما اتخذت بنيت باذن والاباحة فخص المساجد باذن بنايها خصوصا لها اذ لو كان اذنا على قيام
ما ذكر لكان المساجد وغيرها من البيوت سوا والله اعلم **وقوله** عز وجل ويذكر فيها اسمه فان كان تاويل قوله ان ترفع اي تعظم ويرفع
قدرها فيكون ويذكر فيها اسمه يسبح له تفسير الذي التعظيم والقدر الذي امر ان تعظم ويرفع قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح
وان كان التاويل هو الامر بالبنا فيكون قوله ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها كانه على الابتداء اي امر ان تبنى بيوتا مساجدا وامر ان يذكر فيها اسمه و
يسبح له فيها بالغدو والاصال ثم اختلف في تلاوة قوله يسبح له قال بعضهم يسبح له بنصب اليا وقرا بعضهم يسبح بخفض اليا ومن قراها
بالنصب صيره على الاول يذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والاصال ثم ابتدا فقال رجال لا تلهيهم تجارة ومن قراها بالخفض اعني خفض اليا
صيره معطوفا على الاول مبتدا يراى يسبح له فيها رجال بالغدو والاصال ثم ابتدا من قوله لا تلهيهم تجارة ثم قوله ويذكر فيها اسمه جايز
ان يراد بذكر اسمه الصلوة وكذلك بالتسبيح ويحتمل ان يريد بذكر اسمه جميع انواع الاذكار من الخير ويراد بالتسبيح بالغدو والاصال
الصلوة المفروضة ثم قال بعضهم الغدو صلوة الغداة والاصال صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا فيجعل الاصيل عبارة عن هذه الصلوة
في اوقاتها وقال بعضهم الاصال صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا فيجعل الاصيل عبارة عن هذه الصلوة في اوقاتها وقال بعضهم الاصال
صلوة العصر خاصة فاما غيرها من الصلوة فانما عرف لا بهذا ولكن بشي اخر والغدو وهو صلوة الفجر والله اعلم **وقوله** عز وجل رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع اي لا تشغلهم تجارة ولا بيع ذكر التجارة والبيع تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمع كل انواع التقلب واسم البيع يقع على خاص
ولذلك يقال للذي يجمع انواع التقلب تاجر وللذي يبيع شيئا خاصا بايع اخبر انه لا يشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم جايز ان يكون قوله
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا يشتغلون بالتجارة والبيع ولكن فرغوا انفسهم لذكر الله واقامة الصلوة وما ذكر وجايز
ان يكونوا يتجرون ويبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تشغلهم ولا تمنعهم عن ذكر الله يكونون ابدا في ذكر الله ثم قوله عن ذكر الله يحتمل الصلوة
وقوله عز وجل واقام الصلوة بركوعها وسجودها وقرائتها وجميع اسبابها وشرايطها وجايز ان يكون قوله عن ذكر الله جميع انواع الاذكار
واقام الصلوة اقامة الصلوة نفسها وايتاء الزكوة وقال بعضهم جايز ان يكون قوله عن ذكر الله الخطبة واقام الصلوة صلوة الجمعة لانه
قال واذا راوا تجارة الاية وقال ابو زيد الصلوة هي الخطبة غير مسموع من اهل التاويل ولكنه محتمل والله اعلم **وقوله** عز وجل يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار وهو يوم القيمة يخبر عن شدة هول ذلك اليوم وخوفه لا تثبت القلوب والابصار في اماكنه وحرفها
كقوله مهطعين مقنعي رءوسهم الاية وكقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وجايز ان يكون قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار يعرفون مرة ويجهلون تارة او يعتبرون يومئذ بالمرتعين وافي الدنيا ويقرون بالمرتعين وقال بعضهم يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب حتى تزول عن اماكنها من الصدور وتنشب في حلوقهم عند الحناجر ثم قال والابصار ان تقلب ابصارهم فيكون تزداد زرقا وهو قوله
وقوله عز وجل ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويحتمل قوله ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي يجزيهم الله اجزاء احسنا ثم يكفر عن سيئاتهم ولا
يجزيهم بها كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وكقوله ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون **وقوله** عز وجل ويزيدهم
من فضله على قدر حسناتهم والله يرزق من يشاء بغير حساب قال بعضهم ليس فوقه ملك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب
لا يخاف من احد يحاسبه كقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويحتمل قوله بغير حساب اي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم الجنة
بلا محاسبة وجايز ان يكون بغير حساب اضعافا مضاعفة ما لا يحصى لا على قدر اعمالهم والله اعلم **وقوله** عز وجل والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء جايز ان يكون في ضرب مثل اعمال الكفرة بالسراب الذي ذكر من وجهين احدهما انهم قد عملوا في الظاهر اعمالا
طمعوا ان يصلوا اليها في الاخرة وينتفعوا بها من نحو الصدقات والنفقات وصلة الارحام ونحوه مما هي في الظاهر اعمال الخير فاذا هم حرموا
ذلك ولم يجدوا شيئا كالذي يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فسار اليه فاذا هو لا شي فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الاعمال على طمع منهم انهم
ينتفعون بها فاذا هم على لا شي كالعطشان الذي يرى السراب فيحسبه انه ماء فاذا هو سراب والثاني ضرب مثل اعمالهم بالسراب الذي
ذكر وذلك انهم قد عبدوا الاصنام والاوثان رجاء ان ينتفعوا بشفاعتهم في الاخرة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هولاء
شفعاؤنا عند الله وكانت عبادتهم الاصنام لما ذكر وامن شفاعتهم فاذا هم لم ينتفعوا بها فصار كالعطشان الذي يرى السراب

يحسب انه ماء فاذا جاءه فوجد سرابا لم يجده الى هذا تمام المثل ثم ابتدا فقال فوجد الله عنده فوفيه حسابه اى وجد الله يوفيه حساب عمله وجزاءه او ندم على عمله يوم القيامة لم يجد عمله الذى عمل في الدنيا شيئا الا كما وجد هذا العطشان هذا السراب و وجد الله عنده فوفيه حسابه يقول على الله توفاه حسابه اى عمله وقال بعضهم هذا المثل ضرب الكفار وذلك انهم يبعثون يوم القيامة وقد تقطعت اعناقهم من العطش فيرفع لهم سراب بقيعة من الارض فاذا نظروا اليه حسبوه ماء فاتوه ليشربوا منه فلم يجدوا شيئا ويوخذون ثمة فيحاسبون وكذلك اعمالهم تضمحل يوم القيامة فلا يصيبون منها خيرا وقوله عز وجل او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج هذا مثل اخر ضربه الله لاحوال الكافر او كظلمات جنس شبهه بظلمات وذلك ان البحر اذا كان عميقا كان اشد كظلمته فقال والبحر اللجي قلب الكافر يغشاه موج فوق الماء من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة السحاب هذه ظلمات بعضها فوق بعض فكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم لا يبصرون الايمان كان صاحب البحر اذا اخرج يده في تلك الظلمة لم يكد يريها اى لم يرها البتة او ان يكون ضرب المثل بالظلمات لاوث كظلمات احواله لا يزال يزداد ظلمة كفره في كل وقت وفي كل حال يجعله الذى يعمله كالظلمات التى ذكر فكان كضرب المثل الذى سبق لا يزداد احوال المؤمن حيث قال مثل نوره كمشكاة اوله نور جسده وصدره وقلبه ثم قوله او كظلمات ليس هو حرف شك ولكن كانه قال ان ضربتم مثل عمله بالسراب فمستقيم وان ضربته بالظلمات التى ذكر فمستقيم بايهما ضربت فمستقيم صحيح لانه ذكر اولا ثم ذكر في اعمال الكفرة مثلين احدهما السراب والثانى الظلمات فجائز ان يكون في المؤمن ايضا مثلين الظلمة التى ذكر مقابل النور الذى ذكر في المؤمن والسراب الذى ذكر لاعمالهم مقابل ما ذكر من اعمال المؤمنين حيث قال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب وقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال بعضهم من لم يجعل الله ايمانا فما له من ايمان وقيل هدى فما له من هدى وهذا ولهم والاية على المعتزلة لانهم يقولون لم يجعل الله للمؤمنين من النور الا وقد جعل مثله للكافر وفي الاية اخبار انه لم يجعل للكافر النور اذ لو كان جعل له كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور معنى دل انه لم يجعل للكافر النور وقوله فوفيه حسابه يقول فجازاه بعمله فلم يظلمه وقوله والله سريع الحساب قد ذكرناه في غير موضع قال القتبى السراب ما رايته من الشمس كالماء نصف النهار والال ما رايته في اول النهار واخره الذى يرفع كل شئ والقيعة القاع وقال ابو عوسجة السراب الذى يشبه الحر فتراه كانه ماء يجرى وهو الذى يكون نصف النهار الى السماء والال في اول النهار الى قريب من نصف النهار والقيعة القاع وهى الارض اليابسة الطيبة التى يستنقع فيها الماء وقاع واحد وقيعان جميع والظمآن العطشان وقوم ظماء وامراة ظماى ونسوة ظماء واظمأته عطشته وظماته ايضا بحر لجي اللجي الكثير الماء واللجة وسط البحر يغشيه موج اى يصير فوقه قال الموج طرايق في الماء تكون اذا هبت الريح وقال الكسائى الظمآن والصديان والعطشان واحد والسراب قبل الزوال والال قبل الزوال وهو ارفع من السراب والرقراق بعد العصر وقال بعضهم في قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها يقول لم يقارب البصر كقول الرجل لم يصب ولم يقارب وقوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض قوله الم تر والم نعلم ويجرى في الكلام حرف تعجب واستفهام يقول الرجل لاخر الم تر كذا والم نعلم كذا على التعجب وعلى الاستفهام ولكنه يخرج من الله على وجهين احدهما اى قد رايت و علمت اذ الاستفهام لا يجوز عنه والثانى على الامر اى اعلم ورد واراء على ما ذكرنا في غير موضع وقوله يسبح له من في السموات والارض يحتمل تسبيح من ذكر وجهين احدهما تسبيح خلقه وصنعة اذ في خلقته كل احد دلالة وحدانيته وتعاليه عن الاشباه وتنزيهه والشهادة له بالربوبية والتفرد بالالوهية له والثانى يجعل الله تعالى في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنى يسبحون له بذلك له بذلك يفهمونه ذلك من انفسهم ويعرفونه انه يسبح وان لم يفهم غيرهم من الخلائق نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله يا جبال اوبي معه والطير وقال في اية اخرى يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب ولو كان التسبيح ممن ذكر تسبيح من ذكر بتسبيح خلقه لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك سواء والعشي وغيره من الاوقات سواء فدل تخصيص سليمان في ذلك وتخصيص الاوقات [illegible] ان تسبيح هذه الاشياء ليس تسبيح خلقه ولكن تسبيح عبادة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقوله عز وجل يسبح له من في السموات [illegible] [illegible] [illegible]

والارض

الارض لا يبتغى له الحاجة الى عباده احد ولا طاعته وانما الحاجة والمنفعة في الطاعة والعبادة لهم دون الله ولذلك قال ولله ملك السموات والارض على اثر ذلك وقوله عز وجل والله عليم بما يفعلون جائز ان يكون هذا على الاول اى عليم بما يفعل من ذكر من التسبيح وغيره وان يكون على ابتداء وعيد للخلق اى عليم بجميع ما يفعلون وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والى الله المصير قد ذكر في غير موضع وقوله عز وجل والطير صافات اى قد صف اجنحتها في الطيران وكذلك قال ابو عوسجة اى صفت اجنحتها في الهواء فلا يحركها وقوله عز وجل الم تر ان الله يزجى سحابا قيل يسوق سحابا ثم يؤلف بينه اى بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما قال فيها تقديم وتاخير ثم يجعله ركاما اى قطعا يجعل بعضه على اثر بعض ثم يؤلف بينه اى يضم السحاب بعضه الى بعض بعد الركام وقال بعضهم قوله يزجى اى يخرج من الارض فيجمع بين السماء والارض ثم يجعله ركاما وقوله عز وجل فترى الودق اى المطر يخرج من خلاله وقيل خلاله اى من خلال السحاب وينزل من السماء من جبال فيها من برد قال بعضهم جبال من ثلج وينزل الله على السحاب منها الثلج والبرد وقال بعضهم جبال خلقها الله من برد في السماء ثم ينزل وليس في الاية بيان ان الجبال التى ذكر انه ينزل من السماء انها من ثلج او برد سوى انه اخبر ان فيها بردا والاشياء تشبه بالجبال وتنسب اليها لما للكثرة ولما للشدة والغلظ والعظم نحو قوله وترى الجبال تحسبها جامدة الاية فجائز ان يكون الجبال المذكورة في هذه الاية هى الجبال التى اخبر انه ينزلها او لان هى في السماء او فيما بين السماء والارض وقوله عز وجل فيصيب به من يشاء في نفسه او في زرعه او نعم فيضره ويصرفه عمن يشاء فلا يصيب وان كان على هذا فهو يخرج على التعذيب وكذلك على البرد يفسد في مكان وينزل مكانا لا يتم ولكن يصيب مكانا ويخلى مكانا ويجاوزه يكون قوله فيصيب من يشاء من بركته ويصرفه عمن يشاء من بركته يكاد سنا برقه قيل ضوء برقه كاد ان يذهب بذهب ضوء البرق بالابصار من شدة ضوءه يقلب الله الليل والنهار واختلافهما ياتى بهذا ويذهب بالاخر بكذا هذا والله اعلم صلة قوله ولله ملك السموات والارض الاية يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره وعلمه وحكمته ووحدانيته اما سلطانه وقدرته ما ذكر من سوق السحاب بين السماء و الارض وتسخيره وضم بعضه الى بعض دل ذلك انه قادر بذاته لا يعجزه شئ ودل نزول المطر واصابته في مكان دون مكان وتخطيه موضعا دون موضع مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على بعض على السواء انه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب وعلى الجزاف ودل جريان الامر واتساق التدبير فيما ذكرنا وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال الى حال من النقصان الى الزيادة الى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان تدبير عدد لمنع بعض على بعضا على ما يريد من التدبير والمنع دل ذلك كله على انه واحد عليم قادر مدبر لا يعجزه شئ ولذلك قال ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار لما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار قال القتبى وابو عوسجة يزجى اى يسوق ركاما بعضه فوق بعض فترى الودق اى المطر يخرج من خلاله وخلله سنا برقه ضوءه قال ابو عوسجة والركام هو الكثير المتراكم الذى بعضه فوق بعض يقال ركم الشئ اى صار بعضه على بعض ويقال ركمت المتاع اركمه ركما اذا جعلت بعضه فوق بعض والودق المطر يقال ودقت السماء تدق ودقا اى مطرت يخرج من خلاله اى من بينه واحد الخلال خلل يكاد سنا برقه السنا مقصور وهو الضوء والسناء الثناء ممدود وهو واحد وقوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء هو والله اعلم صلة قوله ولله ملك السموات والارض الاية ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر ايضا تقليبه الليل والنهار وما فيهما من التدبير والعلم والحكمة والقدرة فعلى ذلك قوله والله خالق كل دابة من ماء يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره اخبر انه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف اجناسهم وجواهرهم من شئ واحد دل انهم لم يكونوا بالطباع كذلك ولكن بتدبير واحد عالم بذاته لا بعلم وتدبير مستفاد ولكن علم ذاتى اذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد وصفة واحدة والثانى انه لا احد من حكماء البشر يدرك كيفية انشاء هذا العالم وخلق هذه الخلائق من هذه المياه فانه خلق ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شئ من جوهر الخلائق دل انه انشاها على ايام انه قادر بذاته لا يعجزه شئ يخلق بسبب وبغير سبب وانه خلق هذه الخلائق بحكمة ذاتية اذ لم يدرك ذلك حكماء البشر ودل خلق هذه الخلائق على هذه المعانى والاسباب انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم فاذ ثبت الامر والنهى ثبت الاحياء من بعد الممات للجزاء ودل قدرته على خلق هذه الخلائق من الماء انه قادر على الاحياء فانه لا يعجزه لان من قدر على هذا القادر على ما ذكرنا ثم وقوله عز وجل فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين يذكر هذا والله اعلم لاحد وجهين اما تذكيرا اياه نعمه ومننه وفضله الذى اعطاهم واحسانه الذى احسن اليهم لانه اخبر انهم خلق هذا العالم معتدلا سويا من غير ان كان منهم اختيار لذلك او يستوجبون ذلك قبله وخلق غيرهم من الدواب مكبين على وجوههم وماشين على بطونهم وذلك فضل منه ونعمة او ذكر مثلا بحال الكفرة في الاخرة كقوله افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى الاية اخبر ان الكفرة يكونون مكبين على وجوههم واهل الاسلام يمشون منتصبين مستوين يخلق الله ما يشاء بسبب وبغير سبب ان الله على كل شئ قدير لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة من غيره وقوله عز وجل لقد انزلنا ايات مبينات الاية قد ذكرنا وقوله عز وجل ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم اختلف فيه قال بعض اهل التاويل ابن عباس وغيره انه وقعت بين على بن ابى طالب وبين عثمان رضى الله عنهما خصومة في ارض اشتراها عثمان من على فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك فقضى لعلى على عثمان والزمه الارض فقال قوم عثمان انه ابن عمه واكرم عليه منك فيقضى عليك له ونحو هذا من الكلام فمن في قوم عثمان ذلك الحاكم ذكر لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون عثمان وقومه يخطر ببالهم في رسول الله ما ذكر وقال بعضهم نزل هذا بشر المنافق ودعا الناس رجلا

من اليهود كان بينه وبين البشر خصومة وان اليهودي دعا بشر الى رسول الله ودعا بشر الى كعب بن الاشرف فقال لنحتكم الى كعب فانه يجير
علينا ونحو من الكلام فنزل هذا لكنا لا نعلم انه تبين بذلك سوى انه فيه بيانا انها انما نزلت في المنافقين وفي ظاهر الاية دلالة انهم علموا
ان رسول الله لا يقضي الا بالحق الا ترى انه ذكر في اخره وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي منقادين مطيعين ولو كان عندهم انه يقضي
بالجور لكانوا لا ياتونه للقضا وان كان الحق لهم مخافة الجور والظلم عليهم لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التاويل وهو قوله افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فهذا من الدلالة ان عندهم انه لا يقضي بالحق لهم وانه يجور حيث قال افي قلوبهم
ام ارتابوا او ان يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فمن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه الا ان يجعل الاية في فرق من المنافقين
فرقة منهم عرفوا انه لا يقضي الا بالحق وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض وفرقة ارتابوا وفرقة خافوا جوره وهم كانوا فرقا الا ترى انه قال
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله ومنهم من قال كذا وان يكون تاويل قوله وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين
اي وان يكن لهم القضا بالحق اتوه مذعنين اي اذا عرفوا انه يقضي لهم لا محالة اتوه والا لا ياتونه فان كان على هذا فما ذكر على اسبابه من المرض
والارتياب والخوف للحيف فيستقيم على هذين الوجهين يحتمل ان يخرج تاويل الاية واما على غير ذلك فانا لا نعلم والله اعلم **وقوله**
عز وجل وما اولئك بالمؤمنين لان من ارتاب وشك في رسالته او خاف جوره وحيفه فهو كافر ليس بمؤمن وفي قوله افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون يخرج على وجهين وان كان ظاهره حرف شك احدهما على الايجاب والتحقيق اي في قلوبهم مرض وارتابوا و
خافوا على ما ذكرنا في حرف الاستفهام انه في الظاهر وان كان استفهاما فهو في التحقيق علم وايجاب اي قد علمت ورايت ونحوه لما لا يجوز
الاستفهام منه فعلى ذلك هذا والثاني ما ذكرنا انه في فرق فرقة عرفت انه لا يقضي الا بالحق وفرقة منهم ارتابت وفرقة منهم خافت جوره
وظلمه قال القتبي قوله مذعنين اي خاضعين وقال ابو عوسجة مذعنين مطيعين يقال ناقة مذعان اي سريعة وتوق مذاعين والحيف
الجور خاف يخيف حيفا فهو خايف **وقوله** عز وجل واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم قوله دعوا الى الله يحتمل اضافة الدعا الى الله
وجهين احدهما دعوا الى كتاب الله والى رسوله اذا فريق منهم معرضون كقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت
المنافقين يصدون عنك صدودا والثاني اضافته الى الله هي اضافة الى رسوله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله جعل طاعة
الرسول طاعة الله فعلى ذلك جايز ان يراد باضافة الدعاء الى الله دعاء الى رسول الله وعلى ذلك يخرج قوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله لا يحتمل ان يكونوا يخافون حيف الله وجوره لكن انما يخافون جور رسوله او كتابه والله
اعلم **وقوله** عز وجل انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله قد ذكرنا اضافة الدعا الى الله في قصة المنافقين ونعتهم فعلى
ذلك في نعت المؤمنين **وقوله** عز وجل ان يقولوا سمعنا واطعنا يحتمل قوله سمعنا اي سمعنا الدعا واطعنا الامر ويحتمل سمعنا اجبنا
واطعنا الامر وجايز ان يكون قوله سمعنا واطعنا ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكن اخبار من الله تعالى عما عليه وعتقد
كل مؤمن يعتقد في اصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله فيكون كما ذكر في اية اخرى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
هذا اخبار عما اطعموهم ليس انهم قالوا باللسان انما نطعمكم لكن ولكن اخبار عما في قلوبهم فعلى ذلك الاول **وقوله** عز وجل اولئك هم المفلحون
المفلح هو الذي يظفر بحاجته دنيا وبه واخروية يقال فلان افلح اي ظفر بحاجته والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه يحتمل قوله ويخش الله اي يخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره او يخشى الله على ما يكون منه من التقصير والتفريط
ويتقه ذلك وكل معصية الله ومخالفته فاولئك هم الفائزون وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة فاولئك هم المؤمنون فهما واحد **وقوله**
عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم قال بعضهم كل يمين بالله فهي جهد اليمين لانهم من عبادتهم انهم كانوا لا يحلفون بالله الا في العظيم
من الامر والخطير فاما الامر الدون فانما يحلفون بغيره فيكون على هذا كل يمين بالله فهو جهد اليمين ويحتمل ان يكونوا حلفوا بيمين غليظة
شديدة على ما يغلظ الناس في ايمانهم وبما في مثله جهد اليمين وان يكون بجهد اليمين ما ذكر على اثره وهو قوله لئن امرتهم ليخرجن
لئن امرتهم ليخرجن فهو جهد ايمانهم والله اعلم **وقوله** عز وجل لئن امرتهم ليخرجن قوله لئن امرتهم يحتمل وجوها يحتمل لئن امرتهم
ليخرجن من ارضهم التي تخاصموا اليه فيها اي ليخرجن ويسلمونها الى خصمهم ويحتمل لئن امرتهم ليخرجن من جميع املاكهم وما في
ايديهم تعظيما لامرك واجلالا فكيف لا يتبعون لقضائك وينقادون لحكمك وجايز ان يكون قوله ليخرجن من المدينة نفيا لانهم
وجميع حواشيهم الى بلدة اخرى وقال بعضهم لئن امرتهم ليخرجن اي امرتهم اي يخرجوا في الجهاد ليخرجن لانهم كانوا يحلفون ثم امر
رسول الله ان ينهاهم عن القسم الذي اقسموا فقال قل لا تقسموا طاعة معروفة يقول اطيعوه وقولوا له المعروف وقال بعضهم قوله لئن امرتهم
ليخرجن قل لا تقسموا تم الكلام ثم قال طاعة معروفة وفي هذا الكلام حذف الايجاز يستدل بظاهره عليه كان القول كانوا يتعوذون
ويحلفون في الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم لا تقسموا هي طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها لا طاعة فيها نفاق وقال بعضهم
لا تحلفوا ولكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة حسنة وقال بعضهم طاعة معروفة يقول طاعة يعرف انها طاعة بالقول والعمل لا تكونوا
كالذين فيها بالقول دون العمل وبعضه قريب من بعض ان الله خبير بما تعملون فلا تقسموا وفيه دلالة اثبات رسالته لانهم كانوا يسرون
ويضمرون فيما بينهم التولي والاعراض عن حكمه ثم اخبرهم بذلك فاعلموا انه بالله عرف ذلك **وقوله** عز وجل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول

فان تولوا

فان تولوا اي تولوا طاعة الله وطاعة رسوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم قال فانما على النبي ما امر بتبليغ الرسالة وعليكم
ما حملتم وامرتم من الطاعة لله ورسوله ويحتمل فانما عليه اداء ما حمل من الفرايض وعليكم اداء ما حملتم وامرتم من الفرايض وجايز
ان يكون قوله فانما عليه ما حمل اي يسال هو ولا يواخذ بما عليكم تسالون انتم ولا تواخذون ايضا بما عليه انما يسال كل عما عليه
كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء والله اعلم **وقوله** عز وجل وان تطيعوه تهتدوا الا شك انهم
ان اطاعوه اهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين ظاهر **وقوله** عز وجل وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم قال بعضهم مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما اوحي اليه خايفا هو واصحابه يدعون
الناس الى الله تعالى سرا وعلانية ثم امر بالهجرة الى المدينة فكانوا بها خايفين يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح فقال رجل
من اصحابه يا رسول الله اما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول الله لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في
الملا العظيم محتبيا ليس فيهم حديدة فانزل الله هذه الاية على اثر ما ذكر وقال بعضهم لما صد المشركون رسول الله واصحابه يوم الحديبية
وعد الله المسلمين ان يظهروا وان تفتح لهم مكة وقال تصديق ذلك ما ذكر في سورة الفتح وهو قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام الاية حتى قال في اخر ذلك هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية وعد رسوله في القران
ان يستخلفهم في الارض ويمكن لهم فيها كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء في الارض وقال قايلون كان وعد اياهم في التورية
والانجيل والزبور انه يجعلهم خلفاء في الارض كما فعل بالذين من قبلهم ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم في القران او في الكتب المتقدمة
ففيه امران اثنان احدهما البشارة للمسلمين والحجة على الكفرة لانه وعد لهم الامن في النصر لا يرجون ولا يطمعون النجاة فضلا ان
يطمعوا الاستخلاف والتمكين في الارض واظهار الدين الذي ارتضى لهم وهو الاسلام على الاديان كلها فاذا كان مثل ذلك الوعد والبشارة
لا يطمع ولا يرجى في مثل ذلك الوقت والخوف علم انه انما بشرهم بذلك بوحي من الله ووعد منه فكان ما وعد دل انه بالله وعد ذلك و
بشر فذلك الحجة على اولئك وبشارة للمؤمنين والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قوله ومن كفر
بعد ذلك ليس بشرط فيه لانه لو كفر قبل ذلك ايضا فهو فاسق ثم من الناس من قال ومن كفر بعد هذه النعم التي انعمها عليهم ولم يشكر
عليها فهو كذا وجايز ان يكون قوله ومن كفر بعد ذلك وليس له جواب **وقوله** عز وجل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول
فيما امركم ونهاكم عنه لعلكم ترحمون اي ترحمون هو ظاهر قد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع ثم قال لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض قال بعضهم معجزين اي فايتين في الارض هربا من عذابه فلا يدركهم وقال بعضهم سابقين في الارض هربا ايضا
حتى لا يجزون بكفرهم وهو واحد وماويهم النار ولبئس المصير قد ذكرنا ايضا **وقوله** عز وجل لا تحسبن كان رسول الله يعلم
انهم ليسوا بفايتين ولا سابقين عنه لكنه ذكر له هذا كما ذكر في قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون هما واحد وفي حرف
ابن مسعود وابي وحفصة حسب الذين كفروا ان يعجزوا الله في السموات والارض ثم وان اختلفت الحروف فالمعنى واحد والله اعلم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال بعضهم ذكر ان رجلا وامراة تسمى
اسماء ابنة مرشد اتخذا طعاما للنبي فجعل الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسماء ما اقبح هذا يا رسول الله ان يدخل على الرجل وامراته
بغير اذن وهما في ثوب واحد غلامهما المملوك فانزل الله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم وقال بعضهم نزل هذا في شان عمر بن الخطاب
وهو ما قال وافقت ربي في ثلاث ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه
فانطلق الغلام اليه ليدعوه فوجده نايما قد اغلق عليه الباب فسال الغلام عنه فاخبر انه في هذا البيت قال فدفع الغلام الباب ثم
سلم فلم يستيقظ عمر فرجع الغلام ورد الباب فقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام اللهم ايقظه لي قال فدفع الباب ثم نادى
ودخل فاستيقظ عمر فجلس فانكشف منه شيء فراه الغلام وعرف عمر ان الغلام قد راى ذلك منه فقال عمر وددت والله ان الله نهى ابناءنا
ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله فوجده قد نزل عليه هذه الاية وامر بالاستيذان على
دخولهم في هذه الساعات لكن لا حاجة لنا الى ان نعرف انها نزلت في شان فلان او فلان او في امر فلان وسببه سوى ان نعرف الوزغ فيها
وما ذكر من انواع الاداب والاحكام بالاستيذان المستاذن والسادات والاباء ومن يقول الصغار حيث قال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم وذلك الخطاب والله اعلم يخرج مخرج الامر للاباء والسادات بتعليم امور الدين والقيام بما يحتاجون اليه و
التاديب على ذلك ان ابنا انفسهم وكذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مروا صبيانكم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم
عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع خاطب به الاباء والاولياء ان يامروهم بامور الدين امر عادة والتعليم لهم والتاديب لما امتنعوا
عن ذلك ولم يخاطبهم في انفسهم لجهلهم وقلة معرفتهم بامرهم واذا بلغوا وعرفوا الامر والامر فعند ذلك خاطبهم بانفسهم بالاستيذان في انفسهم
وما داموا صغارا خاطب به الاباء والاولياء لما لا يجري عليهم القلم وليس الخطاب والامر والنهي الا لمن يجري القلم عليهم ورفع الامر والخطاب لرفع
القلم عنهم واما امر الاباء لهم بذلك يخرج مخرج الشفقة عليهم والنظر لبعض مصالحهم وذلك جايز ثم اختلف فيما ملكت ايماننا قال الجماعة
هن النساء دون الرجال واما الرجال فانهم يستاذنون في جميع الاوقات وقال بعضهم هم النساء والرجال جميعا والنهي عن الدخول في هذه

الاوقات الثلاث تأدبهم اوقات عزة وساعات غفلة للذكور والاناث جميعا ومنهم من يقول لم الكبار منهم دون الصغار ولا يشبه
ان يكون في الصغار منهم لان الكبار منهم والاحرار سواء في حظر النظر الى العورة واباحته الا ترى انه قال والذين لم يبلغوا الحلم منكم وهم
الاحرار والصغار فعلى ذلك قوله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الصغار منهم امر السادات بتعليم ما ذكرنا من الاسعد والله اعلم وقوله عز وجل
والذين لم يبلغوا الحلم منكم هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله لم يبلغوا الحلم اي لم يحتلموا ويحتمل والذين لم يبلغوا الحلم اي لم يبلغوا مبلغ الحلم بعد وهم
في مراتب ثلاث على الصغار في حال لا يؤمرون ولا ينهون وهي الحال التي لا يميزون بين العورة وبين غير العورة وهو ما قال او الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لا يعرفون العورة من غير العورة وحال يعرفون ذلك الا انه لا يقع لهم الحاجة اليها فيؤمرون بالستر
عنهم وحال يقع الحاجة اليها وقضاء الوطر فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع والله اعلم وقوله عز وجل ثلاث مرات من قبل صلوة
الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم احدها ثلاث اوقات عورات لكم وساعاتها ويحتمل ثلاث
عورات اي ثلاث صلاة يظهر فيها العورة كقوله ان بيوتنا عورة اي ليس ما يمنع السارق عن السرقة فيها وفيه ان العمل بالاجتهاد في الاغلب
والاكبر من الراي والامر ليس على الحقيقة جائز لانه ذكر ثلاث عورات ونهى عن الدخول بلا استيذان وان كان يجوز ان يكون العورة م
مستورة واباح في غيرها من الاوقات الدخول بلا استيذان ويجوز ان يكون هنالك كشف العورة حيث قال ليس عليكم ولا عليهم جناح
بعدهن اي بعد ثلاث ساعات طوافون عليكم بعضكم على بعض لكن اباح وحظر بالاغلب والاكبر لا على الحقيقة وهكذا العمل بالاجتهاد
والله اعلم وقوله عز وجل طوافون عليكم اي يخدمونكم بعد هذه الثلاث ساعات يدخلون عليكم بغير اذن بعضكم على بعض بالخدمة ولا
اذن عليهم لما ذكرنا ان الاغلب ان يكون العورات مستورة في غير هذه الثلاث ساعات وفي ثلاث لا قال القتبي الذين ملكت ايمانكم
العبيد والاماء ثلاث عورات لكم يريد هذه الاوقات لانها اوقات التجرد وظهور العورة اما قبل صلوة الفجر فللخروج من ثياب النوم
ولبس ثياب النهار واما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة واما بعد صلوة العشاء فلوضع الثياب للنوم بعدهن اي بعد هذه الاوقات
ثم قال طوافون عليكم يريد انهم خدمكم فلا بأس بان يدخلوا قال الله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اي يطوف عليهم في الخدمة قال
ابو عوسجة الظهيرة نصف النهار وقلها يرجع واظهرنا اي دخلت في الظهيرة وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قد
ذكرنا انه خاطب به الاولياء في تعليم الاداب وامور الذين الصغار ولم يخاطبهم هو حيث ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
واذا بلغوا خاطبهم بانفسهم حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا ثم يحتمل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم وجهين يحتمل اذا احتلموا
ويحتمل اذا بلغوا وقت الحلم فالاول على حقيقة الاحتلام والثاني على وقت بلوغ الاحتلام فكان الاول اشبه لانه خاطبهم في انفسهم و
امرهم بالاستيذان فلو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الاولياء كما خاطبهم في الاية الاولى وفيه دلالة ان الحد في بلوغ الصغير
الاحتلام وعلى ذلك اتفاق القول منهم الا ترى انه قال فليستأذنوا الذين من قبلهم يقول والله اعلم ما امر به قبل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا
يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على اهله او ان يكون قوله كما استأذن الذين من قبلهم يعني الكبار ان يكون الاستيذان في الكبار معروفا
وفي الصغار لا امر ان بلغوا ان يستأذنوا كما يستأذن الكبار منهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الاية وهو ما قال رفع
القلم عن ثلاث احدهم الصبي حتى يحتلم واما اذا بلغ خمس عشرة سنة فما اختلف اصحابنا فيه رواه ابو يوسف ومحمد بالخبر الحديث ابن عمر رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اجازه في القتال وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يجزه وهو ابن اربع عشرة سنة لكن ليس فيه ان الاجازة
للبلوغ ولم يجزه لانه لم يبلغ جائز ان اجازه في العام الثاني لقوته وطاقته على القتال ولم يجزه في العام الاول لضعفه ووهنه وعجزه
عن القتال واحتج بعض مشايخنا رحمهم الله لقول ابي حنيفة في حد ثماني عشرة سنة لبلوغ الغلام اذا لم يحتلم قال لان الوسطى احتلام
الغلمان ان يبلغوا خمس عشرة سنة وربما احتلموا قبل ذلك وربما تأخر احتلامهم عنه ووجد المعروف فيمن نقصت سنة عن اثنتي عشرة
ان لم يحتلم فاذا بلغها فربما احتلم فجعل حد الزيادة على الخمس عشرة سنة التي هي وسط بين المختلفين ثلاث سنين كما كان مقدار النقصان
عنها ثلاث سنين وهذا القول من قوله استحسان والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم قوله كذلك يبين الله لكم
اياته اعلامه اي يبين الله لكم الاعلام التي يحتاجون اليها ويعرفون ما يسع لكم مما لا يسع ولا يؤتى ما يتقى وقال بعضهم اياته ههنا امره ونهيه
والله اعلم وقوله عز وجل والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا قال اهل التأويل قوله لا يرجون نكاحا اي لا يريدون نكاحا لكن
الاشبه ان يكون قوله لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن ان يرغب فيهن الرجال لكبرهن والا كن يردن النكاح وان كبرت وعجزت وقوله عز وجل
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وقال بعضهم ثيابهن الرداء وكذلك روي في حرف ابن مسعود انه قرأ ان
يضعن من ثيابهن وهو الرداء وقال بعضهم هو الجلباب يقال الجلباب هو القناع الذي يكون فوق الخمار فلا بأس ان تضع ذلك عند
عند اجنبي وغيره بعد ان يكون عليها خمار صفيق غير متبرجات بزينة يقول والله اعلم من غير ان يكون وضعت الرداء والجلباب تريد به الا
اظهار الزينة والتبرج وقوله عز وجل وان يستعففن خير لهن اي وان لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من ان يضعن وقال بعضهم
الخمار لكنه لا يحتمل لانه معلوم ان المرأة وان كبرت وعجزت لا تكشف عورتها لاحد من الزينة وربما تكشف للمحارم ولا تكشف للغريب
وهما الرأس والصدر فاذا بلغت في السن مبلغا لا تطمع ان يرغب في نكاحها لا تتزين ومعها لا تفعل لا يحل للاجنبي ان ينظر الى شعرها ولا

الى صدرها

صدرها ولا الى ساقيها وانها ان صلت ورأسها مكشوف فصلوتها فاسدة واذا كان كذلك فليس يجوز ان يحمل قوله وضع الثياب
الخمار لما ذكرنا ولكن الرداء والجلباب الذي يلبس اذا خرجن من منازلهن فان قيل انما اطلق لها بهذه الاية ان تضع خمارها عن رأسها
ثم وجها احد قيل الشابة ايضا يجوز لها ان تضع الخمار عن رأسها اذا خلت في بيت فذلك يدل على ان العجوز اذن لها ان تضع ثوبها وهو الجلباب
او الملاءة الذي كانت تغطي بها وجهها اذا خرجت واذا كان المطلق لها هذا فالواجب على الشابة ان لا تظهر وجهها اذا كانت تشتهي
ولا يبديها فاذا كان ذلك كان قوله الا ما ظهر منها وهو الزينة التي لا يمكن سترها بالا وهو الكحل والله اعلم وقوله عز وجل غير متبرجات
بزينة قال بعضهم اي غير مظهرات محاسنهن وقال بعضهم غير متبرجات اي غير متزينات بزينة والمتبرجة المتزينة لاظهار الزينة
والزينة هي الداعية المرغبة الى النظر اليها وقضاء الشهوة فكانه اباح لها وضع الثياب اذا كانت غير متزينة فلا واباح لها ايضا
اذا لم يكن بها محاسن يرغب فيها واذا كان بها ذلك لم يبح وقوله عز وجل وان يستعففن خير لهن يحتمل وجهين يحتمل وان يستعففن ولا
يبدين محاسنهن خير لهن من ان يبدين والثاني وان يستعففن ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علما بين معرفة الحرة من الامة خير لهن
من الوضع كقوله يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين كما يؤذى الاماء والله اعلم
وقوله عز وجل والله سميع عليم كان قوله سميع ههنا صلة قوله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والا ليس في هذه الاية ما يتصل او ان
يكون جوابا له قال القتبي القواعد من النساء وهن العجز واحدها قاعد ويقال انما قيل لها قاعد لقعودها عن الحيض والولد ومثلها لا يرجو
النكاح اي تطمع فيه ولا اراها سميت قاعدا بالقعود عما ذكر الا انها اذا اسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة واطالت القعود فقيل
لها قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء على انه قعود كبر كما قالوا امرأة حامل بلا هاء ليعرف على انه حمل حبل وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها
وحاملة على ظهرها وقال والعرب تقول وامرأة واضع اذا كبرت فوضعت الثياب ولا يكون هذا الا في الهرمة وقال ابو عوسجة غير
متبرجات اي غير مظهرات محاسنهن والمتبرجة المتزينة باظهار الزينة وحاصل قوله ليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير
متبرجات بزينة يخرج على وجهين والله اعلم احدهما يكون معنى قوله لا يرجون نكاحا غير متبرجات بزينة كل واحد من الحرفين
يكون معناه معنى الاخر كقوله محصنات غير مسافحات اذا كن محصنات كن غير مسافحات واذا كن غير مسافحات كن محصنات فعلى
ذلك قوله لا يرجون نكاحا اذا كن لا يرجون النكاح كن غير متبرجات والله اعلم لان التزين انما يكون منهن طمعا في النكاح
والثاني معناه لا يرجون النكاح ويتزين ويتبرجن فقال ليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير مظهرات الزينة على هذين الوجهين
جائز ان يخرجن تأويل الاية وقوله عز وجل وان يستعففن عن ذلك كله خير لهن والله اعلم وقوله عز وجل ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض اشفقا عليهم ورحمة يقول انه لا يبصر طيب الطعام فلعله يأكل الخبيث وانا اكل الطيب ويقول
ان الاعرج لا يستوي جالسا اذا قعد فلا يقدر ان يتناول فيما اتناول انا وان المريض لا يأكل مثل ما يأكل الصحيح وكان الرجل لا يأكل من
بيت ابيه ولا من بيت امه اذا لم يكن فيه وكذلك ما ذكر الى اخره حتى يكونوا فيه وكذلك الصديق وهؤلاء فانزل الله هذه الاية في رخصة
ذلك كله وقال بعضهم ان هؤلاء الزمنى وهم العميان والعرج والمرضى واولي الحاجة منهم يستتبعهم رجال الى بيوتهم ويستضيفونهم
فان لم يجدوا لهم طعاما اوصيا يأكلون ذهبوا بهم الى بيوت ابائهم ومن عدد معهم فكره ذلك المستتبعون التناول من غير بيوتنا ولئك
بلا دعوة ولا اذن سبق منهم فانزل الله في ذلك اباحة لهم ورخصة واحل لهم الطعام حيث وجدوه وقال ان الاعمى والاعرج والمريض
وهؤلاء الذين كانت بهم زمانة كانوا يتحرجون مواكلة الاصحاء مخافة ان يتقززوا منهم ويستقذروا ويقول الاعرج لا واكل الناس لاني
اخذ من المجلس مكان رجلين واضيق عليهم وقال الاعمى اني افسد عليهم طعامهم وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك فانزل الله
الرخصة في ذلك ورفع عنهم الجناح في مواكلتهم فيقول لا حرج عليهما ان يؤاكلوا لما بكم من الزمانة وان يدعوا لكم بالرفع عنكم
لا التقزز والاستقذار عنكم وقال بعضهم ان الرجل الغني كان يدخل على الرجل الفقير والزمن فيدعوه الى طعامه فيقول والله
اني لاجنح واخرج ان اكل من طعامك وانا غني وانت فقير فانزل الله في ذلك ولا على انفسكم الى اخر الاية وقال بعضهم كان هذا
في اهل الجهاد ان الرجل كان يخرج الى الجهاد فيخلف اخر في منزله في حفظ ماله واهله والقيام بكفايتهم فكان يتحرج ولا يأكل من
ماله شيئا ولا من طعامه لما لم يسبق منه الاذن في ذلك فانزل الله في ذلك رخصة واباحة التناول من ذلك الى هذا انتهت اقاويل
اهل التأويل وتأويلهم والاشبه عندنا ان يكون تأويل الاية في غير ما ذهبوا هم اليه وهو ان يكون قوله ليس على الاعمى حرج ولا
على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي ليس على هؤلاء حرج ان يأكلوا من بيوت ابائهم وامهاتهم او بيوت اخوانهم او بيوت اخواتهم
او بيوت اعمامهم الى قوله او بيوت خالاتكم لانهم انما يأكلون بالحق لان من كان زمانة كان له التناول من اموال من ذكر من الاباء
والامهات والقرابات وتفرض لهم النفقة في اموالهم فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في اموالهم ويكون قوله ولا على انفسكم
جناح ان تأكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم اي لا بأس ان تأكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او من بيوت صديقكم
ذلك يباح للرجل التناول من مال نفسه ومن مال الصديق في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة بل يباح في الاحوال كلها
دل ان التأويل الذي ذكرنا اشبه فيصرف تناول الزمنى في اموال القرابات بحق النفقة والحق ومن ليس به زمانة في ماله ومال

صديقه يحق الملك والصداقة ولا يجمع القرابة ولا يزول صلتها ثم اختلف في قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم قال
بعضهم من بيوت اولادكم وقال بعضهم من بيوت ازواجهم ونسائهم وقال بعضهم من بيوت انفسهم وهو ما يجد الرجل في بيته
من طعام فانه لا باس ان ياكله وكذلك لا باس للرجل ان ياكل من بيت ابنه ولا من بيت زوجته لانه لم يذكر في الاية بيت الولد وبيت الزوجة على
الاشارة والتفسير فيصير قوله تاويل قوله ان تاكلوا من بيوتكم الى هولاء وقوله عز وجل او ما ملكتم مفاتحه اي خزاينه يحتمل العبد
لان السيد يملك مال عبده ويحتمل الوكيل والخازن ان ياكل من طعامه وادمه بغير اذن السيد ويحتمل قوله او ما ملكتم مفاتحه السيد
نفسه صاحب الخزانة ومالكها ثم ذكر الاكل من بيوت من ذكر على التاويل الذي ذكرنا واستدللنا على ايجاب النفقة لهولاء الزمنى
في اموال من ذكرنا من القرابات يخرج على وجهين احدهما ذكر البيوت لانهم اذا كانوا زمنى يستوجبون السكنى ايضا مع النفقة فذكر البيوت
لكونهم فيها وسكناهم معهم والثاني في ذكر الاكل من بيوتهم ليلا يفهم من الاكل الاخذ منها لانه ذكر في ايات الاكل والمراد المفهوم منه الاخذ
كقوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وقوله لا تاكلوا الربوا وهو
المراد من الاكل المذكور في هذه الايات الاخذ لا الاكل نفسه فذكر هاهنا الاكل من بيوتهم ليلا يفهم منه الاخذ كما فهم من تلك وعلى
التاويل الاول التاويل مستقيم ظاهر ذكر البيوت اذ لا يجعلون ذلك الاكل والتناول منه اكلا ونحو ولا يحق وقوله عز وجل ليس عليكم
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال بعضهم ذكر هذا لان قوما كانوا لا ياكلون وحده ولا يرون ذلك حسنا في الخلق ويتحرجون ذلك
حتى يكون معهم غيره فرخص الله تعالى لهم ذلك ودفع عنهم الحرج فقال ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا وعلى تاويل
من يقول انهم استضافوا قوما فلم يجدوا في بيتهم شيئا ياكلونه ذهبوا بهم الى بيوت هولاء فيتحرج اولئك الاضياف الاكل من بيوت
من ذكر وارباب البيوت ليس فيها فرخص لهم في ذلك وعلى تاويل من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل مع هولاء تقززا او استقذارا
يرغبهم في الاكل مع اولئك التقززة عن ذلك وتاويل التاويل الاول ما روي عن عمر بن الخطاب رسول الله عن محمد بن علي قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يرى احدهم انه احق بالدنانير والدراهم من اخيه المسلم قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان يكون
الدينار والدرهم احب الى الرجل من اخيه المسلم وعن ابن عمر قال لقد رايتني وما الرجل المسلم احق بديناره ودرهمه من اخيه
المسلم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم ان يسلم بعضكم على بعض فصير المسلمين اجمع بعضهم لبعض كانفسهم كقوله ولا تقتلوا
انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ونحو ذلك من الايات فصير بعضهم لبعض لانهم كشي واحد
بعض ويحزن بعضهم بحزن بعض ويسر بعضهم بسرور بعض ونحوه فهم جميعا كشي واحد وانفسهم جميعا كنفس واحدة لذلك جعل
السلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا ويحتمل وجها اخر وهو ان بعضهم اذا سلم على بعض رد عليه مثله فيصير كانه هو يسلم على نفسه
وكذلك قوله ولا تقتلوا انفسكم اي اذا قتل احدا اخر فيقتل به فيكون كانه قتل نفسه اذ لولا قتله اياه لم يقتل به وكذلك قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
انه اذا اكل مال غيره بغير رضاه ضمنه فاذا ضمنه فكانه اكل مال نفسه بالباطل ويحتمل انه اراد به السلام على نفسهم اي يسلم كل على نفسه وان لم
يكن فيه احد وكذلك روي عن ابن عباس قال اذا دخلتم المساجد اذا دخلتها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعلى ذلك رويت الاخبار من دخل
بيتا او مسجدا ليس فيه احد فليقل السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين وعلى ذلك جايز ان يكون قوله لا تقتلوا انفسكم يراد
الاتفاق عليها وكذلك قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وجايز ان يراد بالانفس اهلهم اي سلموا على اهاليكم وهو الاولى ثم اختلف في
السلام قال بعضهم السلام من السلامة اي عليك السلامة من جميع الافات والنكبات وقال بعضهم السلام هو اسم من اسماء الله فتاويله
عليك اسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي ولا يلحقك به اذى كقوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السماء وقوله عز وجل
تحية من عند الله الطيبة كانها الكرامة كانه قال كرامة من عند الله لكم وقوله مباركة المبارك هو الذي ينال به كل خير ويراد ان يسمى مباركة
لما ينمو الشي ويزكو وقوله عز وجل طيبة اي ما يستطيب به كل احد وقال بعضهم طيبة اي حسنة وتاويله ما يستحسن به كل احد وقال بعضهم
قوله تحية من عند الله يقول سلام من امر الله لكم مباركا بالاجر طيبة بالمغفرة والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك يبين الله اي مثل الذي بين لكم
الايات لعلكم تعقلون اي كي تعقلوا ما لكم وما عليكم وما لبعضكم على بعض وقوله بيوتكم ما ذكرنا قال بعضهم المساجد وقال بعضهم البيوت
المسكونة كقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وقوله عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه
وقال في اية اخرى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وقال في اية اخرى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا هذا والله اعلم ليس ان ما ذكر من الاستيذان وترك الارتياب وزيادة الايمان بالتلاوة ونحوه شرط
الايمان ولكن والله اعلم ان الاولى بالمومنين هذا ان لا يذهبوا حتى يستاذنوا رسوله وان لا يرتابوا وان يجاهدوا وان يزداد لهم بالتلاوة
ما ذكر ليس على جعله شرطا للايمان ولكن ما ذكرنا من الاولى بهم والاختيار لهم ما ذكر والله اعلم ثم ذكر في هذه الاية ان المومنون لا يذهبون عنه
ولا يفارقون الا بالاستيذان منهم من رسول الله وذكر ان المنافقين يذهبون ويفارقون قوله يتسللون لواذا حيث قال قد يعلم الله الذين يتسللون
لواذا وقال في اية اخرى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ذكر انهم لا يستاذنونه وانما يستاذنك المنافقون بقوله انما يستاذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فهذه الايات في ظاهر المخرج مختلفة وان كانت في المعاني المدرجة فيها موافقة فهذا يبطل قول من يحتج

بظاهر

بظاهر المخرج اي الملحدة ان تقول هو مختلف في الظاهر وانه من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فدل ما ذكرنا ان الاحتجاج
بظاهر المخرج باطل والاعتقاد به فاسد خيال ثم جايز ان يكون ما ذكر من استيذان المومنين وترك استيذان اولئك الخروج منه لما لا يستاذن
المومنون للخروج الا بعذر واولئك يستاذنون للخروج لا للعذر كقوله يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة واما المومنون فلا يستاذنون
الا بعذر وان يكون ذلك في نوازل مختلفة او في فرق وان يكون المومنون يظهرون له عذرهم ويفوضون امورهم الى رسول الله على ان
في ذلك فان راى الصواب ان ينصرفوا صرفهم وان راى الصواب الكون والمقام معه اقاموا معه والمنافقون لا على ذلك كانوا يفعلون ذلك
هذا والله اعلم جايز ان يخرج تاويل الايات التي ذكرنا ثم قوله واذا كانوا معه اي مع رسول الله على امر جامع اختلف فيه قال بعضهم يوم
الجمعة ويوم العيد وقال بعضهم في الغزو والجهاد في سبيل الله يخبر ان المومنين يكونون معه لا يذهبون عنه الا باذن والمنافقون يتسللون
ويذهبون مستخفين منه او يتعدون ويخرجون من عمل واصله واذا كانوا معه على امر جامع اي على امر طاعة الله لم يذهبوا حتى يستاذنوه
وقال بعض من اهل التاويل هذه الاية نسخت الاية التي في سورة براءة حيث قال في ذلك عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية وقال في سورة النور
فاذن لمن شئت منهم اذن له بالاذن لهم في هذه الاية وضيق في ذلك بالاذن لهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر لهم
ان الله غفور رحيم الامر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الامر بالتشفع لهم وقوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
هذا يحتمل وجهين احدهما لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تجعلوا دعاء الرسول اياكم الى ما
يدعوكم اليه كدعاء بعضكم بعضا مرة تجيبونه ومرة لا تجيبونه كما يجيب بعضكم بعضا اذا دعاه مرة ولا يجيب تارة بل اجيبوا رسول الله في
جميع ما يدعوكم اليه وفي كل حال تكونون والثاني لا تجعلوا دعاء الرسول اذا دعوتموه كما يدعو بعضكم بعضا يا فلان ويا فلان ولكن
ادعوه باسم هو مخصوص به يا رسول الله ويا نبي الله على ما في ذلك من انه مخصوص من بينكم ليس كمثلكم فعلى ذلك في الدعاء والاجابة اجلوه ووقروه
تعظيما له واجلالا لخصوصية له وفضيلة وهو ما ذكر في اية اخرى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وقوله
عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال بعضهم ان المنافقين اذا كانوا في امر جامع فيسمعون رسول الله يذكرهم ومثالبهم
وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا يلوذ بعضهم ببعض وقال بعضهم نزل هذا في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون
من عنده بغير استيذان منهم اياه وقوله عز وجل لواذا اي يستترون بالشي ويلوذ بعضهم ببعض ويستتر بعضهم ببعض ويخرجونه
وقوله عز وجل فليحذر الذين يخالفون عن امره يحتمل قوله يخالفون عن امره اي يخالفون امره وحرف عن يكون صلة فيه وجايز ان يكون
على ظاهر ما ذكر يخالفون عن امره فان كان على هذا كانه قال يخالفون عن امره اي يعدلون عن امره ويزيغون عنه كقوله ومن يزغ منهم
عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقوله عز وجل ان تصيبهم فتنة يحتمل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة القتال والتعذيب في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل الا ان لله ما في السموات والارض ليس هاهنا ما يستقيم ان يجعل قوله الا ان لله
ما في السموات والارض صلة له اللهم الا ان يجعل ذلك صلة قوله من يجعل له الولد والشريك وصلة قوله ما هذا الا بشر مثلكم فيقولون له
ما في السموات والارض لا يحتمل ان يقع الحاجة الى الولد والشريك ومن له ملك ما في السموات والارض يختار لرسالته من يشاء بشرا او ملكا
ليس لاحد القول في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل قد يعلم ما انتم عليه هذا وعيد منه واعلام انه مراقبهم مطلع عليهم في جميع احوالهم ليكونوا
ابدا على حذر لان من علم ان عليه رقيبا وحافظا كان انبه وايقظ واحذر ممن لم يعلم ذلك وان يكون على علم باحوالكم وما انتم عليه من الخلاف
لامره خلقكم وارسل اليكم رسولا لا على جهل بذلك وغفلة او يوخر عنكم العذاب على علم بما انتم عليه اليوم الموعود لا بسهو وغفلة
كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الاية فعلى ذلك قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا اي انما يوخر
ذلك عنهم الى يوم الرجوع اليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا والله بكل شي عليم قال ابو عوسجة يتسللون اي يذهبون مستخفين و
يقال انسل الرجل اي انسرق من الناس اي فارقهم ولا يعلمون به والتسلل من الجماعة وقوله لواذا يقال لاذ مني واختفا ويقال لاذ اي
استترفي وقال القتبي قوله يتسللون منكم لواذا اي من يستتر بصاحبه فانسل له ويخرج يقال لاذ فلان والواذ مصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل تبارك الذي نزل الفرقان قيل تبارك من التفاعل وهو من تعالى لان البركة هي اسم كل رفعة وفضيلة وشرف فكان تاويله
تعالى من التعالي والارتفاع وقال اهل الادب تبارك هو من البركة والبركة هي اسم كل فضل وبر وخير اي به ينال كل فضل وشرف وبر قال
ابو عوسجة هو تفعل مثل قولك تعالى وقال الكسائي والقتبي هو من البركة وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل نزل الفرقان على عبده سماه
فرقانا قال بعضهم لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وبين ما يوتى وما يتقى وعلى هذا جايز ان يسمى جميع كتب الله التي
انزلها على رسله فرقانا لانها كانت تفرق بين الحق والباطل وبين ما يحل وما يحرم وبين ما يوتى وما يتقى ولذلك سمى التورات
فرقانا بقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان واما القران هو من قرن بعضه الى بعض يقال قرنت الشي اذا ضممته اليه قرن
يقرن قرنا وقال بعضهم سمي القران فرقانا لانه انزل بالتفاريق مفرقا وساير الكتب انزل مجموعة لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءا وهو

اقرب واشبه وقوله عزوجل ليكون للعالمين نذيرا جايز ان يكون قوله ليكون نذيرا للعالمين اى القران الذى انزله عليه يكون نذيرا لهم
ذكرا ويحتمل قوله ليكون للعالمين نذيرا اى ليكون محمد بالقران الذى انزل عليه نذيرا [illegible] وان من امة الا خلا فيها نذير وكقوله
واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ اى من بلغه القران من الخلق فرسول الله نذير لهم [illegible]
الانس والجن ثم ذكر النذارة فيه ولم يذكر البشارة [illegible] وقوله عزوجل للعالمين [illegible]
سوى النجاة من العقاب [illegible] لم يذكر الثواب فى الكتاب وذكر العقاب بالعصيان حيث قال [illegible]
اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم الاية جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب اليم [illegible]
يوم القيامة لانهم اذا اتقوا [illegible] كانت لهم العاقبة فلهم بشارة فى ذلك ونذارة كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقوله عزوجل الذى له ملك السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
معقول عنه على ما يبعثه ملوك الارض من الرسل لحوايج انفسهم اما لجر منفعة اليهم او لدفع مضرة عنهم [illegible]
البشير لمنافع الخلق [illegible]
لفناء واما ملوك الارض [illegible]
[illegible] والشريك [illegible]
[illegible]
[illegible] السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عزوجل واتخذوا من دونه الهة [illegible]
انها الهة والاله عند العرب المعبود [illegible]
[illegible]
[illegible] موتا ولا حيوة ولا نشورا [illegible]
[illegible] نفعها والاصنام لا تملك ذلك لهم ولا لانفسها وقال بعضهم فى قوله لا يملكون موتا اى الموت الذى كان قبل ان يخلق الناس
كقول الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا واما قوله ولا حيوة يقول لا يملكون ان يزيدوا فى هذا الاجل الموجل ولا نشورا
اى بعثا بعد الموت وقال بعضهم لا يملكون اى يميتوا احيا قبل اجله ولا احيوه ولا يحيون ميتا اذا جاء اجله ولا نشورا اى بعثا
على ما ذكرنا وبالله العصمة وقوله عزوجل وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه يعنون هذا القران الذى نزل على رسول الله
وكان يقراه عليهم يقولون ما هذا الا افك اى كذبا افتراه من تلقاء نفسه ويخترعه من نفسه ان اهل الشرك كانوا يكذبون
الانبيا والاخبار من غير ان كانت لهم اسباب التى بها يوصل الى معرفة صدق الاخبار وكذبها وذلك كانت عادتهم وهمتهم والاسباب
التى يعرف بها صدق الاخبار وكذبها هى الكتب السماوية والرسل التى ينطقوا عن وحى السماء فكفا ومكنتم لم يكن لهم واحد من هذين فكيف
ادعوا على رسول الله اختلاق هذا القران واختراعه عن نفسه وانه مفترى على غير كون اسباب معرفة الكذب والصدق لهم فى الاخبار
مع ما ظهر لهم ايات رسالته واعلام صدقه فى الاخبار حيث لم يوخذ عليه كذب قط ولا راوه اختلف الى احد من اهل الكتاب ولا
كان يحسن ان يخط بيمينه كتابا وما قرع اسماعهم من اول الامر الى اخر الابد قوله فاتوا بسورة من مثله وقوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
فلم يجيبوه وتركهم تكلفهم ذلك على انهم عرفوا انه من عند الله وانهم كذبت فى قولهم انما انت مفترى وقوله عزوجل واعانه عليه قوم اخرون
وقالوا انه انما افك مفترى واعانه على ذلك قوم اخرون فى افترايه واختراعه وهم قوم من اهل الكتاب اسلموا وقد كانوا يجدون فى التوراة
والانجيل نعته وصفته وما كان انبائهم رسول الله ويخبرهم من الانباء المتقدمة والاخبار الماضية فاخبروهم بذلك حين سالهم
اولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا انه كما يقول وانه صادق فى ذلك كله وانا نجد ذلك فى كتابنا فلما سمعوا ذلك من اهل الكتاب

ما سمعوا

ما سمعوا من تصديقهم اياه عند ذلك قالوا واعانه عليه قوم اخرون ثم اخبر انهم جاءوا ظلما وزورا اما قوله ظلما لانهم كذبوه
وانه مفترا من غير ان كان لهم اسباب معرفة الكذب والصدق فهو ظلم حيث وضعوا ذلك غير موضعه واما قوله وزورا لانهم
قالوا انه مختلف وانه سحر وانما يعلمه بشر وانه اعانه عليه قوم اخرون وانه اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا فقد
ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم لانهم متى رووه اختلف الى واحد منهم يعلمه ذلك ومتى راوه كتب شيئا قط او يحسن الكتابة قط وقوله
اساطير الاولين قد عرف تلك الانباء والاحاديث التى كانت من قبل ولا شك انها لم تكن بلسانه وانما كانت بلسان اولئك
اخباره عما فى كتبهم بلسانه انه انما عرف ذلك بالله وقوله عزوجل فهى تملى عليه بكرة واصيلا قال اهل التاويل غدوا وعشيا
لو كان على ذلك لكانوا يحضرونه فى البكرة والعشى فيسمعونه ويشاهدونه ما يملى عليه اذا الوقت وقت الحضور ولكن عندنا انهم
ارادوا بالبكرة والعشى اول الليل واخر الاوقات التى هى ليست باوقات الحضور والجلوس يقولون ياتونه سرا فيملى عليه ونعلم انه لو
كان ذلك ايضا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرا ليعرفوا ذلك ويشاهدوه فاذا لم يفعلوا ذلك دل انهم كانوا يعرفون صدقه وانهم
كذبة فى زعمهم لكنهم كابروه وعاندوه فى ذلك ثم اخبر انه انما انزله عليه الذى يعلم السر فى السموات والارض حيث قال قل
انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ليس بمختلق منه ولا مفترى ثم قوله يعلم السر فى السموات والارض اى يعلم الاعمال الخفية
والسر من اهل السموات والارض اى يعلم الكوامن التى فى السموات والارض وخفياتها وقال بعضهم قوله قل انزله الذى يعلم
السر اى قل لهم يا محمد انزله اى هذا القران الذى يعلم السر وذلك انهم قالوا بمكة سرا ما هذا الا بشر مثلكم بل هو ساحر افتاتون السحر
وانتم تبصرون فى ذلك دلالة اثبات رسالته لانهم قالوا سرا فيما بينهم ثم اخبرهم بذلك دل انه بالله عرف ذلك وقوله عزوجل انه كان
غفورا رحيما فى تاخير العذاب عنهم رحيما حين لا يعجل عليهم بالعقوبة اذا تابوا ورجعوا عن التكذيب الى التصديق على ما ذكرنا
وقوله انه كان غفورا رحيما فى تاخير العذاب يحتمل قوله غفورا رحيما اذا تابوا عن ذلك وامنوا به ورجعوا الى الحق وغفورا
لا يعجل بالعقوبة اى بحلمه وفضله لا يعجل بعقوبتهم لعلهم يتوبون وقال القتبى تبارك مشتق من البركة وكذلك قال الكسائى
وقد ذكرنا ذلك وقال ابو عوسجة متى يرسل قولك تعالى على ما ذكرنا وقال الفرقان هو الحق فرق بين الحق والباطل والقران هو
من فرق بعضه الى بعض والزبور هو اسم كتاب والزبر جمع زبرت كتبت والزبر قطع الحديد كقوله اتونى زبر الحديد اى قطع
الحديد الواحد زبرة والتورية اسم كتاب لا اظنه بالعربية قال ابو معاذ الاساطير الاحاديث واحدها اسطورة كارجوزة واراجيز
واحدوثة واحاديث واعجوبة واعاجيب و [illegible] وفى سورة البقرة ان يمل هو فليملل وليه بالعدل
وقوله عزوجل وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كان الكفرة يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين
احدهما انه من البشر بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وان انتم الا بشر مثلنا كانوا يابون ان يكون من البشر رسول كقوله وقالوا لولا انزل
عليه ملك الاية وقولهم لولا انزل ملك فيكون معه نذيرا ونحو ذلك والثانى كانوا يطعنون بالفقر والحاجة وصفاده اليد حيث
قالوا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة وحيث قالوا ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كانهم ينكرون الرسالة فى الفقرا وذوى الحاجة ويرد
فى ذوى الملك والاموال ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فعلى ذلك قولهم ياكل الطعام كما ياكل الفقرا ويمشى
فى الاسواق فى حوايجه كما يمشى الفقرا ولو كان رسولا لكان ملكا غنيا ياكل الطعام الملوك ولا يقع له الحاجة الى المشى فى الاسواق فى حوايجه
فاجابهم فى طعنهم فيه انه بشر مثلهم وانكارهم الرسالة فى البشر بوجوه احدها قوله لولا انزل عليه ملك قال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر
الاية معناه والله اعلم انه لا ينزل الملك الا بالعذاب فلو انزل لانزل بالعذاب فاهلكوا والثانى ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
تاويله والله اعلم انه لم يجعله فى وسع البشر رؤية الملك على صورته وعلى ما هو عليه اذ جنس هذا غير جنس اولئك وجوهرهم غير جوهر
اولئك ولو جعلناه هكذا لالبسنا ما كانوا يلبسون ولكنك القادة على الاتباع كقولهم انه ساحر وانه كذاب وانه مجنون فكان فى ذلك تلبيس
عليهم والثالث قال قل لو كان فى الارض ملائكة الاية اى لو كان اهل الارض ملائكة لكنا انزلنا عليهم بالرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم
لانهم اعرف به واظهر صدقا عندهم فمن هو من غير جوهرهم وجنسهم فاذا كان اهل الارض بشرا فالرسول اذا كان منهم فهم اعرف به وصدقه
اظهر عندهم وقلوبهم اليه اميل الى من هو من غير جنسهم واجاب لطعنهم فى اكله ومشيه فى الاسواق حيث قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فى حوايجهم اى غيرك من الرسل الذين تومنون انتم بهم كانوا فقرا ياكلون الطعام ويمشون
فى حوايج انفسهم ثم لم يمنع ذلك عن ان يكونوا موضع الرسالة فعلى ذلك محمد والفقر والحاجة احق ان يكون موضع الرسالة من الغنى
المثرى لان الناس يتبعون الغنى ومن له الملك والثروة فلو كان الرسول غنيا مثريا ملكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره واذا كان فقيرا ما
محتاجا الظهر ذلك اللهم الا ان يكون ملكا هو اية الرسالة نحو ملك سليمان وداود وذلك لنفسه اية لرسالته على ما قال وهب لى ملكا لا ينبغى
لاحد من بعدى والله اعلم وقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا كانهم قالوا ذلك لما نزل قوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا قالوا عند ذلك لولا انزل اليه ملك الاية وقالوا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة ياكل منها عند سماع قوله الذى له ملك
السموات والارض اى قالوا لو كان محمد رسول من له ملك السموات والارض ونذير العالمين على ما يقول لكان انزل معه ملك نذيرا ولكان

اعطى هو كذا اى مالا او تكون له جنة يأكل منها على ما يكون لرسل ملوك الارض لكن الجواب ثم ما ذكر تبارك الذى جعل لك خيرا من
ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار الاية لو شاء اعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما اعطى لكن ليس فيما منع منقصة
ولا فيما اعطاهم فضيلة وقوله عز وجل وقال الظالمون ان تتبعون اى ما تتبعون الا رجلا مسحورا لا نزال عادتهم بنسبة الرسول
الى السحر والجنون والكذب وقوله عز وجل انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا تاويله والله اعلم اى انظر الى سفههم انه كيف ضربوا لك
وشبهوك بها نسبوك مرة الى السحر وقالوا انك ساحر ومرة الى الجنون وقالوا انك مجنون ومرة الى الشعر انك شاعر ومرة الى الكذب
حيث قالوا بل هو كذاب اشر ونحو هذا مما كانوا ينسبونه اليه فيقول والله اعلم انظر الى سفههم انه كيف ضربوا لك الامثال وشبهوك
الى ما ذكروا وعلى علم منهم انك لست كذلك ولا على ذلك وانك على الحق وهم على باطل وكذب او ان يكون قوله انظر كيف ضربوا لك
الامثال ما قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ويلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وامثال ما سألوه فيقولون لو كان
ما يقول انه رسول لكان ذلك له اعلام الرسالة بامارات صدقه فيخبر ان الاعلام والايات ليست تأتى على شهوات سؤال المعاندين
واما نيهم ولكن انما تجى على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادعى ويظهر كذب من عاند وتولى وقد اتاهم بحمد الله الحجج والبراهين
ما اظهر لهم صدق ما ادعى من الرسالة والنبوة لكنهم عاندوها وكابروا فلم يعترفوا بها خوفا ان يذهب عنهم رياستهم وقوله عز وجل
فضلوا الامثال انهم قد ضلوا عن الهدى اى ضلوا او عدلوا بضربهم الامثال له ونسبتهم اياه الى ما نسبوه اليه فلا يستطيعون
سبيلا الى الهدى والى ما سألوه من الاشياء وفى حرف حفصة فلا يهتدون سبيلا وقال بعضهم فلا يستطيعون مخرجا من الامثال
التى ضربوها لك والله اعلم وقوله عز وجل تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قد ذكرنا انه خرج جواب ما سألوه من الاشيا
من الملك والكنز والجنة وانواع الطعن الذى طعنوه اى لو شاء لاعطاك خيرا من ذلك ثم اخبر ان الذى حملهم على ذلك السؤال وانواع
الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال بل كذبوا بالساعة لم يروا لامورهم عاقبة ينتهون اليها يثابون عليها او يعاقبون
ثم اخبر ما اعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ثم وصف ذلك السعير فقال اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله عز وجل وانهم من مكان بعيد يحتمل وجهين احدهما يجعل لها انسيا بآ نريهم كما يرونها او اذا صاروا فى
فى مكان بحيث يرونها كانها راتهم وقوله عز وجل واذا القوا منها مكانا ضيقا قيل ان النار يرفع ويعلو لهبها وترد من مكان من اعلاها
الى اسفلها وبرد من كان فى اسفلها الى اعلاها فيجمعهم جميعا فيضيق عليهم المكان ويشتد بهم العذاب كلما ضاق عليهم المكان كان
العذاب لهم اشد وقوله عز وجل مقرنين قال بعضهم مقيدين بعضهم ببعض ثم قال بعضهم الشيطان بقرنه ويقيد كل بشيطانه الذى
دعاه واتبعه كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية وقال بعضهم بقرن العابد والمعبود من دون الله وهو الاصنام
عبدوها كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله عز وجل دعوا هنالك ثبورا اى هلاكا والثبور الهلاك كقوله وانى لاظنك يا فرعون مثبورا
اى هالكا والثبور والويل هما حرفان يدعو بهما كل من كان فى الهلكة والشدة فقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى لا تدعوا
هلاكا واحدا كما يكون فى الدنيا ان من هلك مرة لا يهلك ثانيا واما فى النار فان لاهلها هلكات لا تحصى كقوله ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت وكقوله كلما نضجت جلودهم الاية وانما يسألون ويدعون بالهلاك لما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب وهكذا
كل من ابتلى بشديد ويتمنى الهلاك والموت وقوله عز وجل قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون يشبه ان يكون قال هذا القول
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ويلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها فيقول اذلك الذى سألتموه انتم خير ام جنة الخلد التى
وعد المتقون او يكون قال ذلك لهم لما دا والا تفسهم الفضل والمنزلة فى الدنيا لما وسع عليهم الدنيا واعطوا منها حظا فقال اذلك
الذى اعطيتم فى الدنيا من السعة خير ام جنة الخلد التى اعطى المتقون والله اعلم وقوله عز وجل لهم فيها ما يشاءون خالدين كان
على ربك وعدا مسئولا يحتمل قوله وعدا مسئولا ما سألته لهم الملائكة كقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم الاية او سؤال
الرسل كقوله ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك الاية او وعدا مسئولا ما سألوا هم ربهم فوعدهم ذلك فهذا يدل انهم انما يدخلون الجنة
بالسؤال والتشفع لهم والتضرع لا انهم يستوجبون ذلك باعمالهم وقال بعضهم فى قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين فى السلاسل
وذلك انهم اذا القوا فيها تضايق عليهم كتضايق الزج فى الرمح فالاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم اللهب فيزدحمون
فى تلك الابواب الضيقة فتضايق عليهم فعند ذلك يدعون بالثبور يقولون يا ثبوراه ويا ويلاه وروى مثله عن عبد الله بن عمر
وكان يقول ان جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج فى الرمح وقوله دعوا هنالك ثبورا يقول ويلا وهلاكا قال الله تعالى لا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ثم قيل اذلك خير يعنى الذى ذكر ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء لاعمالهم ومصيرا اى
منزلا قال ابو عوسجة التغيظ من الغيظ والزفير الشهيق يكون فى الحلق وشهق يشهق شهيقا وشهيقا وهو نفس فى الحلق شبيه
صوت وقال ثبورا اى هلاكا وصرفه ثبر يثبر ثبرا وثبورا فهو ثبور وقال القتبى تغيظا وزفيرا اى تغيظا عليهم كذلك قال المفسرون
وقال بعضهم بل يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى لهم فيها زفير وشهيق واعتبره الاولون
بقوله تكاد تميز من الغيظ هذا اشبه التفسيرين ان شاء الله لانه قال سمعوا لها ولم يقل سمعوا فيها ولا منها وقال ثبورا اى بالهلكة كما

يقول القائل

يقول القائل واهلاكاه والله اعلم وقوله عز وجل ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أانتم اضللتم عبادى هؤلاء
ام هم ضلوا السبيل اختلف فيه قال بعضهم يحشر اولئك الذين عبدوا دون الله والمعبودين وهم الملائكة لان من العرب من قد عبدوا
الملائكة كقوله فى اية اخرى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم الاية
وقال بعضهم هو عيسى بن مريم انت قلت للناس الاية وقال بعضهم يحشر الاصنام ومن عبدها ثم ياذن لها فى الكلام فيقول أانتم اضللتم
عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل كقوله يوم يحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم الى قوله ان كنا عن
عبادتكم لغافلين ولو كان عيسى او الملائكة لكانوا عالمين بعبادتهم اياهم غير غافلين دل ذلك انها الاصنام التى عبدوها دون الله فى
ايا ما يسألون وكل ذلك يحتمل اذ قد كان منهم ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل فيقول أانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
والله عز وجل كان عالما بما كان منهم لكن السؤال اياهم والله اعلم يخرج مخرج توبيخ اولئك الكفرة وتعييرهم لانهم يعبدون من دون
من دون الله ويقولون هم امرونا بذلك وكانوا مقبولى القول عندهم صادقين فيما يخبرونه ويقولون فاراد ان يظهر كذبهم عند
الخلق لذلك سألهم والله اعلم بالكاين منهم من انفسهم لكنه يخرج على ما ذكرنا ثم نزهوا عن جميع ما لا يليق به وبرؤا انفسهم عن ان
كان منهم امر او نهى مما نسبوا اولئك اليهم وهو اعلم بهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء قال اهل التأويل
اولياء اى اربابا وهم لم يتخذوا اربابا من دونه لكنه عندنا يخرج على وجهين احدهما ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دون اوليائك اولياء
لنرى او ان يكون ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دون ولايتك ولاية سؤال وفى بعض القراءات ان نتخذ من دونك اولياء برفع النون
لكن اهل الادب يقولون هو خطاء وقوله عز وجل ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر هذا يحتمل وجهين احدهما ان اباءهم قد امهلوا
ومتعوا فى هذه الدنيا حتى ماتوا على ذلك من غير ان اصابهم شئ مما اوعدوا فى كتابهم وما اوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا
من الدين وصنيعهم فظنوا انهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة فى كتابهم وما اوعدهم رسلهم بشئ فعلى هذا
التاويل الذكر الذى انهم نسوه هو كتابهم وما اوعدهم رسلهم لشئ والله اعلم فان كان على هذا فالاية فى اهل الكتاب منهم ويحتمل ان
يكون الاية فى الفراعنة والقادة من هؤلاء الكفرة متعوا فى هذه الدنيا باموال ورياسة ووسع عليهم المعيشة حتى دعوا الناس و
اتباعهم الاتمام عليهم من التكذيب برسوله وما انزل عليه فاجيبوا بالاموال التى عندهم فنسوا ما فى القرآن من الوعيد وكانوا قوما
بورا والبور قال بعضهم الهلاك وقال بعضهم البور الفساد وقوله عز وجل فقد كذبوكم اى فقد كذبكم اولئك المعبودون بما تقولون
انهم امرونا بذلك وكانوا عندهم صادقين وقوله عز وجل فما تستطيعون صرفا ولا نصرا هذا يحتمل وجوها احدها اى ما يستطيع اولئك
الكفرة صرف قول من عبدوه وتكذيبهم حين كذبوهم فى قولهم ولا نصرا اى ولا استطاعوا الانتصار منهم حين كذبوهم وعلى ذلك يخرج
قراءة من قرأ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا ويحتمل فما يستطيعون اولئك المعبودون صرف عذاب الله ونقمته عنكم ولا كانوا لهم نصراء لانهم
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والثالث فما يستطيعون صرفا اى فدا ولا نصرا اى ولا ناصرا اى لا
يقبل منهم الفداء ولا كان لهم ناصر ينصرهم فى دفع العذاب عنهم كقوله لا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة وقال القتبى وابو عوسجة
قال بعضهم الصرف الحيلة من قولهم ليتصرف وقال بعضهم الصرف النافلة سميت صرفا لانها زيادة على الواجب والعدل الفريضة وقد
روى فى الخبر من طلب صرف الحديث ليبتغى به اقبال وجوه الناس لم يرح رايحة الجنة اى من طلب تحسينه بالزيادة فيه وقال بعضهم
الصرف الدية والعدل رجل مثله كانه يريد لا يقبل منه ان يفتدى برجل مثله وعدله ولا يصرف عن نفسه بديته ومنه قيل صارف درهم
الدراهم بالدنانير لانك تصرف هذا الى هذا واصله ما ذكرنا قال القتبى وابو عبيدة قوما بورا اى هلكى وهو من بار يبور اذا هلك
وبطل يقال بار الطعام اذا كسد وبارت الايم اذا لم يرغب فيها وفى الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الايم قال
ابو عبيدة يقال رجل بور وقوم بور لا يثنى ولا يجمع وقال ابو عوسجة قوما بورا لا خير فيهم ورجل بائر وكذلك قال ابو زيد بورا
اى ليس فيهم من الخير شئ وقال قتادة بورا فاسدين بلغة اهل عمان وقال ما نسى قوم ذكر الله قط الا باروا وفسدوا وقوله عز وجل
ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا اما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو فى ذلك الوعيد على اصل مذهبهم وعلى قول المعتزلة كل
صاحب كبيرة فى ذلك الوعيد واما على قول المسلمين فذلك الوعيد لمن يكون الظلم ظلم كفر وشرك واما ما دون ذلك فهو فى مشية الله
ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق
قد ذكرنا فيما تقدم ان هذا انما خرج جوابا لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاخبر ان الرسل الذين
كانوا من قبل محمد كانوا يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق على ما يأكل هو ويمشى ثم من الناس من كره الركوب فى الاسواق
بهذا وقال انه اخبر عن الانبياء والرسل جملة انهم كانوا يمشون فى الاسواق لم يذكر منهم الركوب فدل ذلك منهم انه مكروه منهى
فيشبه ان يكون ما قال هؤلاء وان يكون مكروها لانه يخرج الركوب فى الاسواق مخرج التعزز والمباهات فالواجب على كل
مسلم ان يكون تعززه بالاسلام وبدينه التى اختاره الله تعالى وخاصة على العلماء يجب ان يكون تعززهم ومباهاتهم بالعلم الذى
اعطاه الله لهم واكرمهم كما تعز لا يعقبه ذل ولا يبور ثم صغارا ولا قهرا واما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو الى ذل ما يصير بعد

كما انه ليس بعز في الحقيقة لو تامل والله اعلم وقوله عزوجل وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الفتنة كانها هي المحنة التي فيها شرع وبلا
ثم قال اهل التاويل انه لما اسلم عبد الله وابو ذر وعمار وبلال وصهيب وامثال هولاء قالت الفراعنة من قريش نحو ابو جهل والوليد و
امثالهما انظروا الى هولاء الذي اتبعوا محمدا اتبعوه من موالينا واعرابنا وذاك كل يوم فاذ د ردهم واذدهم واستهين وابهم فانزل الله
هذا الاية هولاء الفقراء الذين اتبعوا رسول الله ليصبرهم على اذاهم فقال فتنة اتصبرون اي اصبروا على الامر هذا محتمل وقال الحسن في قوله
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة جعل اهل البلوى فتنة لغيرهم وغير اهل البلوى فتنة لاهل البلوى يقول الاعمى لو شاء الله لجعلني
بصيرا مثل فلان ويقول الفقير شاء الله لجعله غنيا مثل فلان وكذلك يقول السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان لكنه اعطى لاهل
البلوى وامرهم بالصبر عليه واعطى لاهل النعمة وامرهم بالشكر عليها وجايز ان يكون غير هذا وهو قريب من هذا وذلك انه اعطى بعضا
النعمة والسعة وجعل بعضهم اهل ضيق وشدة ثم جعل كل فريق محتاجا الى الفريق الاخر جعل الغني والمثري محتاجا الى الفقير في بعض
اموره والفقير محتاجا الى الغني لغناه وجعل البعض على بعض مونة ما لولا فقر الفقير لم يعرف الغني قدر غناه ولا الفقير قدر فقره
ولا قام بعض بكفاية مونة بعض ثم امر كلا بالصبر على تحمل مونة الاخر بقوله اتصبرون اي اصبروا على الامر يخرج وان كان ظاهره استفهاما
وسوالا والله اعلم وقوله عزوجل وكان ربك بصيرا اي على بصر وعلم جعل بعضا فتنة لبعض ليس على سهو وغفلة وقوله عزوجل
وقال الذين لا يرجون لقاءنا قال اهل التاويل لا يرجون اي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا اي البعث بعد الموت وقال اهل الكلام
الرجاء هو الرجاء لا الخوف لكن جايز ان يكون في الرجاء خوف وفي الخوف رجاء الذي لا خوف فيه هو امن والخوف الذي لا رجاء فيه
اياس فكلاهما مذمومان الاياس والامن جميعا وقوله عزوجل لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا جايز ان يكون قولهم لولا انزل علينا
الملايكة رسلا دون ان انزل البشر رسلا الينا لانكارهم البشر رسولا كقولهم ما هذا الا بشر مثلكم ويحتمل قولهم لولا انزل علينا الملايكة
بالوحي والرسالة لنا دونك ونحن الروساء والملوك والقادة دونك يقولون لو كان ما تقول حقا وصدقا انك رسول وانه ينزل عليك
الوحي والملوك نحن اولى بالرسالة منك ونحن الملوك والروساء كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال هذا م
لانكارهم الرسالة لمن هو دونهم في الدنيا وتبرا ان يكون ذلك كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يكون له شاهدا م
رسولا او نرى ربنا عيانا ونكلمه ونساله عن ذلك والله اعلم وقوله عزوجل لقد استكبروا في انفسهم الاستكبار هو ان لا يرى غيره
مثلا لها ولا عدلا ولا شكلا في نفسه وامره فان كان هذا فهو ما لم يروا رسول الله اهلا للرسالة وموضعا لصغره وحاجته ور
انفسهم اهلا لها فاستكبارهم هو ما لم يروا غيرهم مثلا ولا شكلا لانفسهم فاستكبروا ولا يخضعوا لرسول الله ولم يطيعوه ولم يتبعو
انفة منه بعد علم انه محق لذلك وانه رسول اليهم وقوله عزوجل وعتوا عتوا كبيرا قال بعضهم العتو هي الجراة وهو اشد من
الاستكبار وقال بعضهم العتو هي الغلو في القول غلوا شديدا وقال بعضهم هو من التكبر وقوله عزوجل يوم يرون الملايكة لا
بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا كله من كلام العرب اذا كرهوا الشيء قال حجرا حراما هذا فاذا راوا الملايكة كرهتهم
وقالوا حجرا محجورا فعلى ذلك القول الكفرة هم يقولون حجرا محجورا اذا راوا الملايكة وما معهم من المواعيد قال بعضهم ان الملايكة
يتلقون المومنين بالبشرى على ابواب الجنة ويقولون للكفرة لا بشرى لكم ويقولون حجرا محجورا اي تقول الملايكة حرام البشرى
او حرام عليهم الجنة ان يدخلوها والحجر على هذا القول هو الحرام وقال بعضهم الحجر هاهنا هو المنع والحظر يقولون انهم يمنعون و
يحظرون عما طمعوا وقصدوا بعبادتهم الملايكة والاصنام التي عبدوها حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله وما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فيقول يمنع عنهم ما قصدوا وطمعوا بعبادتهم او يكون المنع ثواب الخيرات التي عملوها في هذه الدنيا
من صلة الارحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات منعوا ثوابها في الاخرة كقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا وقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ونحو ذلك كله والله اعلم وقوله عزوجل وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا هو ما ذكرنا من الاعمال عملوها في هذه الدنيا رجاء ان يصلوا اليها في الاخرة فجعلناه هباء
منثورا قال اهل التاويل وقدمنا اي عمدنا وقصدنا الى ما عملوا من عمل لكن عندنا اي جعلنا اعمالهم تلك في الاصل هباء
منثورا قال منبثا وهو رهج الدواب وقال بعضهم الهباء المنثور هو غبار الثياب وقال بعضهم هو الغبار الذي يكون
في شعاع الشمس وهو الذي يسمى الذر وقال بعضهم قوله حجرا محجورا اي عوذا معاذا يقول المجرمون يستعيذون من
الملايكة قال ابو عوسجة وعتوا عتوا كبيرا هو من التكبر ويقال من الخلاف عتا عتيا اذا خالف يقال في الكلام لا تعت
علي اي لا تخالفني وقال بعضهم هو من الشرع واليبس كقوله وقد بلغت من الكبر عتيا اي يابسا وقال حجرا محجورا اي
حراما محرما وحجرة عليها له اي منعته منه حجرا ويقال حجرت عليه اي لطخت اجعلها بشيء من الثنا وقوله عزوجل
هباء منثورا اي لا شيء والهباء هباء النار اي ما يكون على اعلى النار اذا خمدت ويقال هبت النار تهبوا هبوا اذا خمدت
والجمرة على حالها الا انه قد تغطاه ذلك الهبا وكل شيء ليس بشيء فهو هباء وتقول هذا هباء اي لا شيء ومنثور قد نثر وقوله
عزوجل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وصف عزوجل اعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور ومرة بالرماد ومرة

بالتراب

بالتراب ومرة بالتراب الذي يكون على الصفوان وهو الحجر الاملس اذا اصابه الوابل ووصف اعمال المومنين بالنبات والقرار ونحوه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة ثم قرا اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا وكذلك ذكر في حرفه في سورة الصافات ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قراهو ثم ان مقيلهم لالى الجحيم اي الى الجحيم
ويشبه ان يكون ذكر هذا القول لما يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها اي لنا اموال وجنان وليس له من ذلك شيء فقال جوابا لهم اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله عزوجل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وصف السماء لهول ذلك
اليوم باوصاف وذكرها احوالا فقال في اية اخرى واذا السماء كشطت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وقال يوم نطوي السماء
ويوم تبدل الارض ونحو ذلك وذلك في اختلاف الاوقات يكون في كل وقت على الحال التي وصف وذلك ما وصف الجبال مرة بالهباء
المنثور ومرة كالعهن المنفوش ومرة كثيبا مهيلا ومرة قال وترى الجبال تحسبها جامدة الاية ونحوه من الاوصاف التي وصفها و
ذلك في اوقات مختلفة تكون في كل وقت على حال ووصف التي وصف فعلى ذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم تتغير وقوله عزوجل
تشقق السماء بالغمام اي تشقق عن الغمام فيبقى بلا غمام كقوله واذا السماء كشطت وجايز ان يكون قوله بالغمام اي تبقى الغمام
فوق رؤوس الخلايق يظلهم وهذا يدل ان قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام انما معناه بظلل من الغمام فان كان
على هذا فيه نفع الاشياء والله اعلم وقوله عزوجل الملك يومئذ الحق للرحمن يحتمل اضافة ملك ذلك اليوم اليه وان كان الملك له
في جميع الايام في الدنيا والاخرة وجوها احدها ان ملك الاخرة ملك دايم باق لا فناء له وملك الدنيا جعله فانيا لا دوام ولا
بقا والثاني يقر له جميع الخلايق بالملك له في ذلك اليوم وان لم يقر له البعض بملك الدنيا والثالث لما لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم
وان كان له منازع في الدنيا او ان يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم يظهر الخلق ويومئذ يعلم كل احد ان خلقهم في
الدنيا لذلك اليوم وكان لا للدنيا خاصة وقوله للرحمن ذكر هنا الرحمن وقال في اية اخرى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لتعلم العرب ان
الرحمن المذكور في هذه الاية هو الله الذي لا اله الا هو ذكر في تلك الاية لان العرب تسمي وتعرف كل معبود الها ولا تعرف الرحمن معبودا
ولا تسميته الرحمن لتعرف ان الله والرحمن الذي ذكرهما واحد وقوله عزوجل وكان يوما على الكافرين عسيرا ظاهر لا شك فيه كذلك
يكون وقوله عزوجل ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الاية قال بعض اهل التاويل نزلت الاية في
عقبة بن ابي معيط كان يواخي رسول الله ويوده وكان رسول الله يجيبه اذا دعاه الى طعامه فدعا يوما رسول الله الى طعامه
فقال لا حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك ابي بن خلف فاتاه فقال صبوت يا عقبة
محمدا واجبته الى ما دعاك اليه فغيره على ذلك حتى رجع عقبة عن ذلك وارتد عن دينه وفي حديث طول فنزلت الاية في شانه وصنيعه
وندامته وخيبته على ما فعل فقال ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى اخر ما ذكر وذكر ان عقبة وابي
بن خلف قتلا احدهما يوم بدر والاخر يوم احد ولكن الاية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما ذكر ثم يحتمل قوله يعض الظالم على يديه على
التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة لان من اشتد به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد ان يعض يديه غيظا منه على ذلك كما
كنى بغل اليد عن ترك الانفاق وبالبسط عن كثرة الانفاق والمجاوزة فيه وكما كنى بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر
فيه والاكتراث اليه وكقوله نكص على عقبيه عن الرجوع ونحوه وقوله يردكم على اعقابكم وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وامثال
هذا كل هذا على التمثيل والكناية عن الرجوع والثبات والاخذ والترك فعلى ذلك جايز ان يكون عض الايدي كناية عن شدة الندامة
والغيظ على ما حل به ويشبه ان يكون على التحقيق تحقيق عض اليد يجعل الله عقوبته بعض اليد كما جعل عقوبة انفسهم بانفسهم
حيث جعل انفسهم حطبا للنار يعذبون ويعاقبون والله اعلم وقوله عزوجل يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا السبيل الذي
دعاه الرسول اليه يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يحتمل الانسان ويحتمل الشيطان اي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم اطعه
فيما دعاه والانسان الذي قلده فيما قلده وقوله عزوجل لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني يحتمل قوله عن الذكر اي الشرف الذي
يذكر به المرء اضلني عن ذلك الشرف واضلني عما يذكر في هذا واضلني عن الذكر اي عن القران وما فيه من الذكرى والله اعلم وقوله
عزوجل وكان الشيطان للانسان خذولا اي تاركا له متبريا منه يقول كما قال في اية اخرى حكاية عنه اني بريء منك ويقول كما
قال وما كان لي عليكم من سلطان الاية او ان يكون كما ذكر ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية او ان يكون ذلك الخذلان منه له
في الدنيا يمنيه بما في ويزينه اشياء ثم لا يوصله اليها وقوله عزوجل وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا قال
بعضهم المهجور هو الذي لا ينتفع به ولا يعمل وقال ابو عوسجة والقتبي مهجورا اي تركوه مهجورا اي متروكا اي جعلوه كالهذيان
والهجر الاثم يقال فلان يهجر في منامه اي يهذي وهو بالفارسية بلاية كفتي وقوله عزوجل وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
او مثل الذي جعلنا لك من العدو من الكفرة جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا ثم العداوة تكون في الدين مرة ومرة في الانفس واحوالها فان
كان العدو عدوا في الدين فجميع الكفرة له اعداء لخلافهم لهم في الدين ويكون حرف من صلة اي جعلنا لكل نبي المجرمين اعداء وان كان على
تحقيق واثباتها العداوة عداوة في الدين والاحوال وذلك راجع الى الفراعنة واضداد الرسل بان من رسول الا وله فراعنة ولعله

يتآمرون ويقاتلونه ويهمون قتله ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على اعدايه وهو قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا وقوله
عزوجل وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة ذكر بعض اهل التاويل ان اهل مكة كانوا ياتون رسول الله فيتعنتونه و
يسألونه ويقولون يا محمد انزعم انك رسول من عند الله فلا اتيتنا بالقران جملة واحدة كما انزلت التوراة جملة على موسى والانجيل على
عيسى والزبور على داود فقال كذلك لنثبت به فوادك اي نجعل الذي يثبت به فوادك ثم يحتمل قوله لنثبت به فوادك وجهين احدهما انزلناه
متفرقا لتثبته في فوادك تحفظه وتذكره لان حفظ الشيء اذا كان سماعه بالتفاريق كان حفظه اهون وايسر من حفظه اذا سمع
جملة واحدة وخاصة اذا كان الكلام من اجناس وانواع والثاني لنثبت به فوادك اي لنثبت بما في القران من الحكمة والمعاني فوادك
ثم يحتمل قوله فوادك انه يراد به فواد من يستمع اليه ويسمعه فان كان هذا فهو كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث الاية على ما ذكر
ان يكون اسرع حفظا واهون ثباتا من سماعه جملة وجائز ان يكون اراد فواده كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
وقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله كان يعجل بحفظه اذا قرئ عليه خوفا ان يذهب فاخبره انه يثبت فواده وينزله بالتفاريق
لكي يحفظه ويذكره ثم ان كان المراد بتثبيته في الفواد هو ما فيه من الحكمة والمعاني وقراته على الناس على مكث كذلك فهو والله اعلم ينزله
على قدر النوازل والحوايج ليكون احفظ لتلك المعاني واعرف بمواضعها وتقديرها من النوازل به من ان نزل جملة في دفعة واحدة
والله اعلم وقوله عزوجل ولا ياتونك بمثل اي بصفة يشبهون بها على الخالق الا جيناك بصفة هي احق مما توهموا فيقع تلك الشبه
عنهم اعني عن الخالق وان يقال ولا ياتونك بصفة هي باطلة الا جيناك بحق اي بصفة هي حق فتبطل تلك وتضمحل واحسن تفسيرا
اي بيانا من الاول على الثاني [illegible] واحق [illegible] قال ابو عوسجة [illegible] واحسن تفسيرا
[illegible] وقال بعضهم لم ينزل في مرة واحدة ولكن [illegible] وتنزلناه تنزيلا وقال بعضهم فيه قوله ورتلناه ترتيلا اي بيناه بيانا
وقال بعضهم في قوله ولا ياتونك بمثل الا جيناك بالحق واحسن تفسيرا اي لا يخاصمونك بشيء ولا يحتجون عليك الا جيناك بالحق يعني
القران واحسن تفسيرا يقول جيناك بالقران باحسن مما جاءوا به تفسيرا [illegible] ما ذكر بعدها بيانا وقريب [illegible]
تفسيرا [illegible] وقوله عزوجل الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا [illegible]
هذا على مقابلة [illegible] قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا الاية هذا ذكر
مقاما اهل الجنة ذكر مقابلة ذلك شر مكانا واضل سبيلا [illegible]
في الاخرة واضل سبيلا في الدنيا او يكون مقابل قوله قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا من الذين امنوا بل مقامهم الجنة والمومنين ومقام الكفرة النار فهم شر مكانا
[illegible] وفي بعض الاخبار ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه [illegible] فقال الذي امشاه على رجليه قادر على ان يمشيه
على وجهه وقوله عزوجل ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ذكر ههنا ان كان هرون وزيرا وذكر في اية
[illegible] فقولا انا رسولا ربك وفي اية اخرى انه كان نبيا حيث قال ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا فكان ما ذكر ذلك كله كان
نبيا ورسولا وكان له وزيرا والوزير هو العون والعضد كانه قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اي عونا وعضدا كقوله واجعل لي
وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري الاية سال ربه المعونة له والاشراك في امره وقال فارسله معي ردءا يصدقني وقال الزجاج الوزير
الذي هو يلتجا اليه في النوايب ويعتصم بامره وهو واحد وقوله عزوجل فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا كانه قال فقلنا اذهبا الى القوم فادعواهم الى توحيد الله فذهبا اليهم فدعوا فكذبوا باياتنا ثم دمرناهم تدميرا اي اهلكناهم
هلاكا وقوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم جائز ان يكون قوله لما كذبوا الرسل نوحا خاصة لانه ذكر قوم نوح فان كان ذلك
فهو دلالة جواز تسمية الواحد باسم الجماعة وجائز ان يكون نوح دعاهم الى الايمان به وبجميع الرسل فكذبوه وكذبوا الرسل جميعا
والله اعلم وقوله عزوجل اغرقناهم لم يغرقهم على اثر تكذيبهم اياه ولكن انما اغرقهم ما دعاهم الف سنة الا خمسين عاما وقوله عزوجل و
جعلناهم للناس اية يحتمل قوله وجعلناهم للناس اية اي اية للمكذبين والمصدقين لما بين حكمه في المكذبين منهم الاهلاك والاستيصال
وفي المصدقين منهم النجاة والخلاص منه فذلك اية لكل مكذب ومصدق لما اليه يدل عاقبة امرهم عاقبة المكذبين الاهلاك وعاقبة
المصدقين النجاة فان قيل انهم جميعا قد هلكوا المصدقون منهم والمكذبون قيل اهلاك المكذبون منهم اهلاك عقوبة وتعذيب و
المصدقين هلاك بانقضاء اجالهم لا اهلاك عقوبة ثم ذكر وجعلناهم للناس اية فمن جعل انفسهم اية ما ذكرنا وقال في اية اخرى جعلناها
اية للعالمين اي السفينة قال بعضهم جعل السفينة اية لان من طبع السفن انها اذا مرت الاوقات وطال الزمان انها تفسد وتتلاشى
فبقيت باقية كما هي اعني سفينة نوح لكن ذلك لا يعلم الا بما ذكرنا ولا فالوجه فيه ما ذكرنا وقوله عزوجل واعتدنا للظالمين عذابا اليما
هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك ان يعد له العذاب الاليم وقوله عزوجل وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا اخبر
انه اهلك هولاء كلهم بالتكذيب عادا وهم قوم هود وثمود وهم قوم صالح واصحاب الرس قال بعضهم سموا اصحاب الرس لانهم
رسوا نبيهم في بير رسوه فيها وقال بعضهم الرس هو اسم البير كانوا نزولا عليها فبعث اليهم شعيبا فكذبوه فسموا الى تلك البير وعن

ابن عباس

نبأ من انه سال كعبا عن اصحاب الرس فقال انكم معاشر العرب تدعون البئر رسا والقبر رسا وتدعون الخد رسا فخدوا خدودا في الارض
فاوقدوا فيها النيران للرسولين الذين ذكر الله في يس اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والله اعلم بذلك وقوله عزوجل
وكلا ضربنا له الامثال اي ذكرنا لاهل مكة امثال من تقدم منهم من الامم من المكذبين والمصدقين وما حل بهم وما اليه العاقبة امورهم
بالتكذيب حيث قال وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وقال بعضهم تبرنا اي كسرنا بالنبطية يقول الاعجم للشيء اذا اراد ان يكسره
اتبر وقوله عزوجل ولقد اتوا يعني والله اعلم اهل مكة على القرية التي امطرت مطر السوء وهي الحجارة يعني والله اعلم قريات لوط اي يمرون عليهم
اهل مكة في تجاراتهم ويأتونها وهو كما قال في الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين الاية فلم يكونوا يرونها ما حل بهم بالتكذيب فيعتبروا
بل كانوا لا يرجون نشورا اي بعثا بعد الموت واحياء اي انما كذبوا الرسل لانهم لا يومنون بالبعث ولا يخافون نشورا وقوله عزوجل واذا
راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا كانوا اذا راوه هزءوا به واذا خلا بعضهم الى بعض يقولون فيما بينهم ابعث الله
بشرا رسولا هكذا كانت عادة الكفرة يهزءون به اذا حضروه واذا غابوا عنه قالوا ما ذكر وقوله عزوجل ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا
ان صبرنا عليها وفي قوله كاد ليضلنا عن عبادة الهتنا دلالة انه انما اراد ان يضلهم عن عبادتهم الاصنام بالحجج والايات اذ ليس في
وسع النبي صرفهم ومنعهم عن ذلك الا من وجه لزوم الايات والحجج الا انهم تلك الايات والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الاصنام
والاوثان والا علموا من جهة الايات والحجج التي اقامها عليهم انه على الحق وانهم على باطل ثم وقوله عزوجل وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا اي يعلمون حين لا يقدرون على الجحود والانكار اذا نزل بهم العذاب ووقع من اضل سبيلا هم اي يعلمون او المومنون
لانهم وان علموا بالايات والحجج انه على الحق وانهم على باطل وعلموا الموعود من العذاب فاخبر انهم يعلمون عند وقوعه بهم علما لا يقدرون
على جحوده ولا انكاره كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا وامثال ذلك اذا عاينوا الموعود في الدنيا يقرون به ولا يقدرون على الجحود فكذلك قوله وسوف يعلمون علما لا
يقدرون على الانكار والجحود حين يرون العذاب من اضل سبيلا وقوله عزوجل ارايت من اتخذ الهه هواه قال بعضهم انهم كانوا يعبدون
اشياء حجرا وغيره فاذا راوا احسن منه في راي العين والنظر تركوا عبادة ذلك وعبدوا ما هو احسن منه وقال بعضهم كلما هوت
انفسهم شيا عبدوه وكلما اشتهوا شيا اتوه لا يحجزهم عن ذلك ورع ولا تقوى ويحتمل وجهين اخرين سوى ما ذكر هولاء احدهما
تركوا عبادة الاله الذي قامت الحجج والايات بالوهيته وربوبيته ولزموا عبادة من لم يقم له الايات والحجج بذلك بهواهم والثاني
انهم عبدوا ما عبدوا من الاصنام بلا امر كان لهم بالعبادة لا بد من امر يوتمر بها بل عبدوا بهواهم او كلام نحو هذا وقوله عزوجل افانت
تكون عليه وكيلا اي لست بوكيل ولا مسلط عليهم ولا حافظ اي لا تسال انت عن اعمالهم ولا تحاسب عليها بل هم المسئولون عنها
وهم محاسبون عليها كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية والله
اعلم وقوله عزوجل ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون قوله ام تحسب وان كان في الظاهر استفهاما فهو في الحقيقة على الايجاب
وهكذا كل استفهام من الله يخرج على الايجاب وعلى النهي كانه قال قد حسبت ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اي لا ينتفعون بما يعقلون
انهم الا كالانعام بل هم اضل قال بعضهم كالانعام لان همتهم ليست الا كهمة الانعام وهو الاكل والشرب ليست لهم همة سواه ليس للانعام همة
العاقبة فعلى ذلك الكفرة فهم كالانعام من هذه الجهة وقوله عزوجل بل هم اضل قال قايلون قوله اضل لان الانعام تعرف ربها وخالقها و
تذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرون فهم اضل لان الانعام لا ينسبون الى الله ما لا يليق به من الولد والشريك ويشركون غيره في
العبادة والانعام لا فهم اضل وقال بعضهم هم اضل لان الانعام اذا هديت الطريق اهتدت وهم يهدون ويدعون الى الطريق فلا
يهتدون ولا يجيبونه فهم اضل وان يقال هم اضل لانهم يضلون غيرهم ويمنعونهم عن الهدى والانعام لا والله اعلم وقوله عزوجل
الم تر قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الم تر هو حرف تعجيب واستفهام لكن في الحقيقة على الايجاب اي قد رايت وقوله الم تر الى ربك
اي تدبير ربك ولطفه انه كيف مد الظل وهو لا يوذي ولا يمض ولا يمس ولا يشعر به احد بكونه فيه ولا يثقل ولا يخف
ولا يستر ولا يكشف عن وجوه الاشيا انما النور هو الكاشف عن وجوه الاشياء والظلمة هي الساترة لذلك ونحو ذلك ما يكثر ذكره
ما يحلط بالخلايق كلها ليعلم ان من المحسوسات التي يقع عليها الحواس ما لا يدرك حقيقته من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما يدرك حقيقته
من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما لا يدرك حقيقته ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان ونحو ذلك من المحسوسات وهولا
يدرك حقيقته ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق ليعلم ان الذي سبيل معرفته الاستدلال وهو منشي هذه الاشياء احق ان لا
يدرك ولا يحاط بتدبيره ولطفه ليعلم ان من بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغ لا يحتمل ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء يخبر عن قدرته
وتدبيره ولطفه ليعلم انه قادر ومدبر بذاته لطيف وقوله عزوجل ولو شاء لجعله ساكنا اي دايما لا يذهب ابدا ولا يصيبه الشمس
ولا يزول وقال بعضهم ساكنا اي مستقرا دايما لا تنسخه الشمس كظل الجنة وقوله عزوجل ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال بعضهم
اي تتلوه وتتبعه حتى تاتي على كله وقال بعضهم قوله جعلنا الشمس عليه دليلا يقول حيث ما تكون الشمس يكون الظل واصله انه
بالشمس يعرف الظل انه ظل ولولا الشمس ما عرف الظل فهو دليل معرفته وكونه انه ظل وقوله عزوجل ثم قبضناه الينا قبضا

تفسيرا قال بعضهم هينا خفيا واصله انه يقبض بالشمس الظل وينسخه شيئا حتى ياتي على كله وقوله عز وجل وهو الذي جعل لكم الليل لباسا قيل سكنا يسكن فيه الخلايق وقيل لباسا اي سترا والنوم سباتا قال بعضهم اي راحة يقال سبت الرجل يسبت سباتا فهو مسبوت وقال بعضهم اصل السبت التمدد وقال بعضهم سبت الرجل اذا نعس وقيل رجل مسبوت لا يعقل كانه ميت وجعل النهار نشورا فمن جعل السبات النوم جعل قوله والنهار نشورا اي حيوة يحيون فيه ومن يقول السبات راحة يجعل النهار نشورا ينتشرون فيه للمعاش والكسب وابتغا الرزق وقال بعضهم يذكر نعمه ومنته على عباده لتاديه شكره وقال ابو معاذ قال مقاتل مد الظل يعني الفي من اول وقت صلوة الفجر الى طلوع الشمس واخطا لا يسمى ذلك الظل فيا وقال الكسائي العرب تقول الظل من حين يصبح الى انتصاف النهار فاذا زالت الشمس عن كبد السما فما خرج من ظل فذلك الفي ويقال للفي الظل ولا يقال للظل في قبل الزوال وقوله عز وجل وهو الذي ارسل الرياح نشرا قال بعضهم نشر للسحاب تنشر اي تبسطه وعلى التاويل الاول تنشر اي تحييها وقوله عز وجل بين يدي رحمته يعني بين يدي المطر سمي المطر رحمة لما برحمته يكون وذلك ما سمي الجنة رحمة لانها برحمته ما يدخل من دخل فيها وقوله عز وجل بين يدي رحمته هنا يد لانه لا يفهم باليد المعروفة التي هي الجارحة حيث ذكر المطر ذلك ولا يعرف ذلك اعني اليد ليعلم انه لا يفهم من قوله بيد الله ان يرى الله ذلك وبالله العصمة وقرا بعضهم بشرا بالبا وهو من البشارة كقوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي تبشرهم بالرحمة والسعة والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا من السما ما طهورا اي ما يطهر به الانجاس والاقذار الظاهرة منها والباطن وكذا الطهور انه يطهر حيث ما اصابه وقوله عز وجل ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا فيه لغتان اسقى وسقى بالالف يقال اسقى بحرثه وماشيته وسقيته اي ناولته ما يشرب وهو قول القتبي وابو عوسجة وقوله واناسي كثيرا قال بعضهم الاناسي جمع انسي وقال بعضهم هو جمع انسان واصله بالنون اناسين لكن ابدلت النون يا وقال ابو عوسجة والقتبي اناسي مشددة يعني الناس واناسي جمع الانسان على ما ذكر ثم يحتمل قوله ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي نسقيه من الما الطهور والمنزل من السما كثيرا من الانعام وكثيرا من الاناس وكثيرا ما يسقى من المياه المنبعثة من الارض وقوله عز وجل ولقد صرفناه بينهم ليذكروا اي صرفنا المطر والسحاب بينهم يمطر في مكان ولا يمطر في مكان ويسوق السحاب الى مكان ولا يسوق الى مكان اخر كقوله وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض الاية وكقوله فسقناه الى بلد ميت الاية يذكرهم في هذه الاية من قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل الى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا تدبيره وقدرته وحكمته ونعمه اما تدبيره حيث ترى السحاب في موضع ولا تراه في موضع وتراه منبسطا في الافاق ثم يمطر في موضع ولا يمطر في موضع اخر ولا يرسل في مكان اخر ليعلم انه عن تدبير كان هكذا لا بالطبع لانه لو كان بالطبع كان ذلك المكان لا جايز ان يمطر في مكان ويترك في مكان اخر دل انه بالتدبير كان ما كان وبالامر واما قدرته ما ذكر من احيا الارض الميتة بعد موتها واماتتها بعد حيوتها ما يعلم كل احد حيوتها وموتها ويعرف بذلك ان من قدر على هذا قادر على احيا الموتى بعد الموت ولا يعجزه شي واما حكمته ان ما خلق مما ذكر وانشا لم ينشيه عبثا يهملهم لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بشي ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولا يستادي منهم شكر ما انعم عليهم من انواع النعم مما يعجز عقولهم عن ادراكه ويقصر عن تقدير مثله ليعلم انه قادر بذاته لا يعجزه شي ثم قال فابى اكثر الناس الا كفورا قال الكسائي الكفور برفع الكاف الكفر والكفور بفتح الكاف الكافر والشكور بضم الشين الشكر والشكور بفتح الشين الشاكر وهو المؤمن فيكون تاويله فابى اكثر الناس الا كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة الى غيره وانشادهم وتطيرهم انه هذا من نوكذا او نوكذا والله اعلم وقوله عز وجل ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا هذا يحتمل وجهين احدهما لو شينا لرفعنا عنك بعض ما حملنا عليك من المؤنة من مؤنة التبليغ والقيام بذلك وحملناها غيرك فيكون عليك ايسر واهون من القيام بالكل والثاني لو شينا لجعلنا غيرك ايضا اهلا للرسالة وموضعا لها في زمانك وحيث بعثناك في بعض القرى والمدن لكنا لم نجعل غيرك اهلا لها وخصصناك لها من بين غيرهم من الناس فهو على الامتنان يخرج والاختصاص له ثم لا يخلوا ذلك من ان يكون فيهم من يصلح للرسالة ويصلح ان يكون اهلا لها وموضعا فلم يرسل وكان لم يكن فيهم من يصلح لذلك فيكون تاويله لو شينا لجعلنا فيه من يصلح للرسالة ويصلح ان يكون اهلا لها وموضعا فاي الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم لانه ان كان فيهم من يصلح لها ارسل كان اصلح له فلم يرسل فقد ترك ما هو اصلح له واخير وان يكون لا يصلح فيهم احد لذلك لكنه يملك ان يصلحه ويجعله اهلا لها فهو اصلح له واخير ثم لم يفعل دل ان له ان يترك الاصلح والاخير في الدين وقوله عز وجل فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فيه وجهان احدهما ان لا يجوز للرسل التقية والامتناع على التبليغ اليهم والقيام بمجاهدتهم وان خافوا على انفسهم الهلاك حيث قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ولم يكن معهم الا قليلا ممن تبعه ان كان ذلك بمكة لان سورة الفرقان فيها نزلت والثاني فيه دلالة اثبات رسالته لانه امر بالخلاف لهم والقيام بمجاهدتهم بالحجج والايات وهم يعلمون ان لا يكون في وسع واحد القيام لذلك لامثالهم وكانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فعلموا انه انما قام لذلك بالله لا بنفسه اذ لا يملك واحد القيام لذلك والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي مرج البحرين قال مرج اي خلع ما الملح على ما العذب وقال بعضهم مرج اي ارسل البحرين احدهما عذب والاخر اجاج وقال بعضهم مرج اي منع احدهما على الاخر قال ابو معاذ العرب تقول مرجت

الدابة

الدابة اذا خليتها وتركتها تذهب حيث شاءت ومرج الوالي الناس من البحوث اذا ارسلهم فاذا رعيت دابة في المروج قلت امرجتها امرجها امراجا وانما سمي المرج مرجا لانه متروك للسباع غير معمور والمرج الذي يرعى دابته في المرج والدابة المرجية وقال ابو عوسجة مرج البحرين مرجهما اي خلطهما فهو مارج وقال غيرهم فامر مريج اي مختلط ويقال مرجت عن كل شي اذا خلطت والله اعلم ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر الارض والاخر بحر السما وجعل بينهما برزخا اي حاجزا عن ان يختلط احدهما بالاخر وهو الهواء وقال بعضهم احدهما بحر السما والاخر بحر تحت الارض وجعل بينهما برزخا وهو الارض وقال بعضهم بحران على وجه الارض احدهما بحر الروم والاخر بحر الهند وقال بعضهم بحران احدهما بحر الشام والاخر بحر العراق احدهما ملح اجاج والاخر عذب وكان الاجاج هو الذي يبلغ في الملوحة غايته والفرات هو الذي يبلغ في عذوبة غايته ذكر منته وفضله ولطفه حيث لم يختلط احدهما بالاخر بل حفظ كل على ما هو عليه الى ان تقوم الساعة فعند ذلك يصير الكل واحدا كقوله واذا البحار سجرت ثم ان كان احدهما بحر السما والاخر بحر الارض فالحاجز بينهما الارض وان كانا بحرين في الهواء فالحاجز بينهما ليس الا اللطف وكذلك وان كان الثالث ليعلم ان من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب ولا حاجز باللطف لقادر على احيا الموتى وبعثهم ولا يعجزه شي وله الحول والقوة وقال ابو عوسجة ما اجاج شديد الملوحة ويقال اج الما يوج اجاجا يقال ما عاج اي ما ردي وقوله عز وجل وهو الذي خلق من الما بشرا اي من النطفة يخبر عن فضله ومنته وقدرته ولطفه اما اللطف وقدرته حيث خلق البشر من النطفة ولو اجتمع جميع حكما البشر على ان يعرفوا ويدركوا البشر من النطفة او يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك دل انه قادر بذاته لطيف لا يعجزه شي واما فضله ومنته ما اخبر انه جعل لهم نسبا وصهرا ما النسب فيه يتعارفون ويتواصلون ما لولا ذلك ما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلا به يتزاوجون ولا يتوادون كقوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وقال وجعل بينكم مودة ورحمة يذكر فضله ومنته ليستادي به شكره ليعلم ان خلق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزاوج والصهر ما يحل ويجري بينهم التناكح والتزاوج وذحرف خصه وهو الذي خلق من الما نسبا وصهرا قال ابو معاذ الصهر الختن والختن ابو المراة والختنة ام المراة والاختان ال المراة واهلها والاصهار ال الختن واهله وقال ابو عوسجة وصهر من المصاهرة وكلهم اصهار من الجانبين جميعا والمعروف عندنا انه انما يسمى قرابة الزوج اختانا وقرابة المراة اصهارا وذلك لسان فهو على ما تعارفوا بينهم والله اعلم وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي يعبدون من دون الله ما لا يعلمون انه لا ينفعهم في الاخرة ان عبدوه ولا يضرهم في الدنيا ان تركوا عبادته وهو كما ذكر على حسن كانوا صنع الاية وامثال ما ذكر في غير اي من القران سفه اولئك بعبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله وقوله عز وجل وكان الكافر على ربه ظهيرا اي تاويله والله اعلم وكان الكافر للكافر والولي ظهيرا على من اطاع ربه يكون بعضهم لبعض عونا وظهيرا على اوليا الله والا لا يكون الكافر على الله ظهيرا ولكن على اوليايه ويكون ذكر الذي على ارادة وليه ومن اطاعه كقوله ان تنصروا الله ينصركم وكقوله يخادعون الله ونحو ذلك مما يراد به اولياؤه لا نفسه وقوله عز وجل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا مبشرا لمن اطاعه ونذيرا لمن عصاه والبشارة هي الاعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالاعمال الصالحة والنذارة هي الاعلام لما يلحق من المكروه والمحذور في العاقبة بالاعمال السيئة القبيحة وقوله عز وجل قل ما اسالكم عليه من اجر الا ما اسالكم على الدين الذي ادعوكم اليه من اجر كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا اسالكم اجرا على ذلك حتى يمنعكم ثقل الغرم عن اجابتي فعلى ذلك قوله قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا كان فيه اضمار اي لا اسالكم عليه اجرا الا من شاء وكني انما اسالكم ان تتخذوا الى ربه سبيلا او ان يقول قوله الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي ولكن من اراد ان يتخذ الى ربه سبيلا اطاعني واجابني ويحتمل قوله قل ما اسالكم على تبليغ الرسالة اليكم وما ادعوكم اليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فيبذل ان يكون قوله الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فيوادني كقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله وتوكل على الذي لا يموت اي توكل على الله والتوكل هو الاعتماد عليه بكل امر وقوله عز وجل وسبح بحمده اي نزه ربك وبرئه عن الافات كلها التي بشابه تشبيه عليه وهو التسبيح بحمده وقال اهل التاويل اي صل بامر ربك لكن التاويل ما ذكرنا وقوله عز وجل وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي كفى به عالما بذنوب عباده اي لا احد اعلم بها منه وقوله عز وجل الذي خلق السموات والارض وما بينهما قد ذكرناه وقوله عز وجل فاسال به خبيرا قال قايلون قوله فاسال بالله خبيرا لما يسال عنه محمد وذلك ان بعض كفار مكة قالوا يا محمد ان كنت تعلم الشعر فنحن لك فقال النبي الشعر هذا ان هذا كلام الرحمن فقالوا اجل لعمر الله انه الكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال النبي الرحمن هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما من عنده ياتيني ذلك فقالوا انزعم ان الله واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن يعلمني الستم تعلمون ان هذا الطان او كلام نحو هذا وجايز ان يكون قولهم وما الرحمن لما لا يعرفون الرحمن عرفوا الله فانكروا ذلك لما لم يكونوا يسمعون ذلك فعرفهم بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية او ان يكونوا يعرفون كل معبود الها وكذلك يسمون الاصنام التي عبدوها الهة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى عبادة الرحمن فظنوا انه غيره فقالوا فلين جاز ان يعبد غير الله فنحن نعبد الاصنام فلم تمنعنا عن ذلك فاخبر ان الرحمن والاله واحد ليس هو غيره حيث قال تبارك الذي

جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا الى اخر ما ذكر يقول الله تعالى انه يكون الرحمن غيرا له بل الرحمن هو الذي جعل
في السماء بروجا وقد كانوا يعلمون ان الذي جعل في السماء البروج وهي النجوم وجعل فيها السرج وهي الشمس والقمر هو الله فاخبر
ان الرحمن هو ذلك لا غيره وفي قول بعضهم ان قوله الذي خلق السموات والارض الاية من المكتوم وفي الاية دلالة انه ليس من المكتوم ولكن
ما يعلم ويفسر حيث قال فاسأل به خبيرا ولو كان مما لا يعلم لكان لا يامر ان يسأل به خبيرا وان امر بالسؤال لكان لا يحتمل ان لا يخبره ذلك
ذلك انه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم لكن لا يعلمه الا الخبير والخبير هو العالم ثم يحتمل الله الجبريل او من يعلمه والله اعلم وقوله فاسأل به قال
بعضهم بالله وقال بعضهم بالذي سبق ذكره من قوله ثم استوى على العرش وقوله عز وجل واذا قيل اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قد ذكرنا
انسجد لما تامرنا بالياء والتاء جميعا وقوله عز وجل وزادهم نفورا اي زادهم دعاؤه الى عبادة الرحمن نفورا عن رسول الله وقال بعضهم
في قوله فاسئل به خبيرا يقول ما اخبرتك من شيء فهو كما اخبرتك لا شك فيه والله اعلم وقوله عز وجل تبارك الذي جعل في السماء بروجا
قوله تبارك قد ذكرناه بعضهم يقولون هو من البركة وقال بعضهم هو من التعالي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا هو ما
ذكرنا انه خرج جوابا لقولهم وما الرحمن وكذلك قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي جعل احدهما خلفا للاخر اذا ذهب هذا جاء هذا
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يذكر الليل والنهار لمن اراد ان يتذكر فيعظه او يشكر نعمه لانهما يذكران قدرته وسلطانه حيث يقهر
الجبابرة والفراعنة ويغلبانهم حيث يطلانهم ويأتيانهم شاؤوا او كرهوا لا يقدرون دفعهما عن انفسهم وفيهما دلالة الاحياء والبعث
بعد الفناء والهلاك حيث ذهب بهذا اتى باخر بعده لم يبق من اثره شيء فمن قدر على هذا قدر على البعث والاحياء بعد الموت وذهاب الاثر
ويذكران ايضا نعمه والاءه لانه جعل النهار متقلبا لمعاشهم ومطلبا لرزقهم وما به قوام انفسهم وجعل الليل مستراحا لابدانهم
وسكونهم لا قوام للابدان لاحدهما دون الاخر الا ترى انه كيف ذكر نعمه فيهما حيث قال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيامة الاية وقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه الاية
يذكرهم عظيم نعمه فيهما اعني في الليل والنهار لتأدي به شكره فعلى ذلك هذا ما ذكرنا قوله جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان
يذكر او اراد شكورا النعمة التي جعل فيهما وقال بعضهم قوله خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يكون كل واحد منهما خلفا
للاخر فيما يفوت فيه من التذكر والتشكر لما فات في احدهما من التذكر والتشكر يقضي في الاخر وقال الحسن قريبا مما ذكرنا
وقال من فاته شيء بالليل ادركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار ادركه بالليل وعلى مثل ذلك روي عن عمر ان رجلا قال له يا امير
المؤمنين اني فاتتني الصلاة الليلة قال عمر ادرك ما فاتك من ليلك في نهارك ثم قرأ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال
بعضهم خلفة من الاختلاف اي يخالف احدهما الاخر ثم يحتمل الاختلاف وجهين احدهما مجيء هذا وذهاب الاخر على ما ذكرنا كقوله واختلاف
الليل والنهار والثاني هو اختلاف اللون من السواد والبياض احدهما اسود والاخر ابيض والله اعلم وقوله جعل في السماء بروجا قال بعضهم
البروج هي النجوم العظام والواحد برج وهو قول ابي عوسجة الاعرابي وقال بعضهم البروج القصور في السماء فيها تنزل الشمس كل ليلة
وروي مثل عمر عن سلمان ان رجلا اتاه فقال يا سلمان اني لا استطيع قيام الليل قال ان كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار وذكر ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين ولو اربعا وذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان
في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا الا اعطي له في هذا الليل والنهار فانهما مطيتان تقحمان الناس الى اجالهم تقربان كل بعيد
وتبليان كل جديد وتجيئان بكل موعود حتى يؤدي ذلك الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يصير الناس باعمالهم الى الجنة والى
النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وصف عز وجل اهل الصفوة والاخلاص من
عباده انهم يمشون على الارض هونا الى اخر ما ذكر والا كانوا كلهم عباد الرحمن لكن وصف اهل الصفوة منهم والاخلاص والتحقيق
وقوله يمشون على الارض هونا قال بعضهم حلماء اتقياء بغير مرح ولا بطر وقال بعضهم هونا اي متواضعين لا خيلاء ولا كبرياء
ولا مرحا وعن الحسن قال هم المؤمنون قوم ذلت والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى والله ما بالقوم
من مرض وانهم لاصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم وفي بعض الاخبار مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ وامثاله انهم يمشون هونا من غير ان يتأذى بهم احد
اي يلحق باحد منهم ضررا وعنتا والله اعلم وقوله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال بعضهم اذا جاهلهم الجاهلون
وسافههم السفهاء لا يجاهلون اهل الجهل والسفه ولكن قالوا السلام عليكم وقال بعضهم اذا سمعوا الشتم والاذى قالوا سلاما
اي سدادا وصوابا من القول وردا معروفا اعرضوا عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافئوهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه و
قالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية يخبر عز وجل عن صحبتهم اهل السفه والجهل وحسن معاشرتهم اياهم ورفقهم بهم فكيف يعاملون
اهل الخير والفضل منهم ويصاحبونهم فهذه معاملتهم الخلائق على الوصف الذي وصف ثم اخبر عن صنيعهم لله وذكرهم اياه فقال
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما عن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله الذين يبيتون الليل
واربهم على ركبهم ثم قال من صلى ركعتين بعد العشاء فقد بات لله تعالى ساجدا وقائما وقال الحسن كانوا يبيتون لله على اقدامهم

ويفترشون

يفترشون وجوههم سجدا لربهم تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم وقال لامر ما سهر له ليلهم ولامر خشع له نهارهم و
ذل له والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يحتمل ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى عما في ضميرهم ليس على حقيقة القول
والدعاء لان من بلغ في العبادة والورع المبلغ الذي وصفهم لا يشغلون انفسهم بالسؤال عن دفع المضار وجر النفع ويحتمل على
الدعاء والقول على ما اخبر والله اعلم ثم اخبر عن عذابها فقال ان عذابها كان غراما قال الحسن الغرام اللازم الذي لا يفارق صاحبه
وكل غريم يفارق غريمه غير عذاب جهنم وقال بعضهم الغرام الهلاك وقال انها ساءت مستقرا ومقاما اي جهنم بئس المستقر وبئس
المقام لاهلها هو مقابل ما ذكر لاهل الطاعة الجنة حيث قال حسنت مستقرا ومقاما وقال بعضهم غراما اغرموا في الاخرة ما نعموا في الدنيا
وفي حرف ابن مسعود كان غراما انا انبيا انها ساءت مستقرا ومقاما وقال ابو عوسجة هونا هو من الرفق يقال هان يهون هونا فهو هين
وقوله انا عز اخوك فهن اي اذا اشتد فارفق به والغرام الهلاك وكذلك قال القتبي غراما اي هلكة وقال سلاما هونا وقيل سلاما اي سدادا
من القول لا رفث فيه ولا هجر وقوله عز وجل اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال بعضهم لم يسرفوا في غير حق كسبوا طيبا وانفقوا قصدا
فسألوا اعطوا قصدا والمجرم استبشروا ولم يقتروا اي ولم يمسكوا عن الحق وقوله عز وجل وكان بين ذلك قواما اي بين الاسراف
والقتر مقتصدا وهونا وقيل مقاتل وقال بعضهم الاسراف هو الانفاق في معصية الله ولم يقتروا اي لم يمنعوا عن طاعة الله وكان بين
ذلك قواما اوعدلا لا يمسك عن حق ولا ينفقون في باطل ولكن نفقته في طاعة الله وقال بعضهم الاسراف في النفقة هو الانفاق
فيما لا ينتفع به من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانوا يتركونها سدى ولا ينتفعون بها والاقتار هو الامساك عن
الانفاق فيما ينتفع به وقال بعضهم الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له في الانفاق في الاكثار والاقتار هو المنع عن الحد
الذي جعل له وكان بين ذلك قواما اي وسطا كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولكن بين ذلك
واصله لم يسرفوا اي لم ينفقوا ولم يضعوا الا فيما امروا ان يضعوا فيه وكان بين ذلك قواما اي قائما في ذلك يجيزان ما يفعلون
لا يفعلون الا بامر واخبر انهم لا يدعون مع الله الها اخر ثم يحتمل هذا وجهين لا يدعون اي لا يعبدون دون الله غيره او لا يسمون
غير الله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون اخبر في الاية الاولى في قوله يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما عن معاملتهم الخلق وصنيعهم بينهم وبين العباد حيث اخبر انهم يمشون هونا لا يؤذون احدا ولا يغيرونه و
اذا اذاهم اهل الجهل والسفه لم يكافئوهم لاذاهم ولكن احتملوا ذلك عنهم وتجاوزوا وقالوا لهم قولا سديدا هذه معاملتهم فيما بينهم
وبين الخلق بالنهار واخبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل حيث قال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم الاية ثم اخبر عن صنيعهم في اموالهم التي في ايديهم انهم لا يضعونها الا فيما امروا بالوضع فيها واخبر عن
صفوتهم واخلاصهم لله في العبادة وكفهم عن محارم الله حيث قال اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله عز وجل والذين لا
يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وقوله عز وجل والذين لا يشهدون الزور موصول
بهذا ايضا ومقدم عن قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما كانه قال ولا يشهدون الزور ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من قتل النفس المحرمة
والزنا والشهادة الزور والشرك يلق اثاما قال بعضهم اثاما اي واديا في جهنم وقال بعضهم اثاما عذابا في النار وقوله عز وجل
لا يشهدون الزور قال بعضهم لا يشهدون مكان الزور وهو الشرك اي لا يشهدون المكان الذي يشرك فيه وقال بعضهم
لا يشهدون بشهادة الزور وهو الكذب وقوله عز وجل واذا مروا باللغو مروا كراما مروا الكرام اي ان قدروا على تغيير ما
عاينوا من اللغو والمنكر غيروه ومضوا على وجههم من غير ان دخل في ذلك فساد وان لم يقدروا مضوا ولم يعبأوا به ولا التفتوا
كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وفي قوله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون دلالة نقض قول الخوارج
بتكفيرهم اصحاب الكبائر لانه اخبر انها محرمة بعد ارتكابها الزنا والقتل كما هي قبل ارتكابها الا بالحق حيث قال ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق دل انها محرمة بعد غير كافرة الا بالحق اما بحق واما بحق الزنا واما بحق الارتداد على ما ذكر في الخبر لا يحل قتل
امرئ مسلم الا في احدى ثلث خصال زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق ولو كانت كافرة بارتكاب ما ذكر لكانت
غير محرمة فدل انه ما ذكرنا وقال ابو عوسجة الاسراف الفساد والتقتير والتضييق ولم يقتروا اي لم ينفقوا قليلا لا يكفي عيالهم
قال والقوام الوسط ويقال لا قوام لي في هذا الامر اي لا طاقة لي فيه ولا اقادم هذا الامر اي لا اطيقه والقوام القصد قال ابو معاذ
في قوله لم يقتروا لغات ربع لم يقتروا برفع الياء وبخفض التاء غير مثقل ويقتروا مثقل ويقتروا بنصب الياء وخفض التاء ويقتروا
برفع التاء والمعنى كله واحد وقوله عز وجل والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال بعضهم يقول اذا ذكروا بايات
ربهم لم يصموا عن الحق ولم يعموا عنها هم والله قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وقال الحسن من ذكرها بلسانه ثم يخر
عليها اصم واعمى كانه يخبر ان ذلك على اهل صفوة الله واخلاصه لم يخروا على تلك الايات صما ولا عميانا كالكفرة العتوة ولكن
خروا عليها متذكرين ومتفكرين متيقظين عالمين بما فيها عاملين كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية
وقوله عز وجل يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا قال قيل اخبر هنا انه يضاعف له العذاب وقال في اية اخرى

من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها فما معنى التضعيف ههنا قيل يحتمل هذا وجهين احدهما انه يضاعف العذاب للذين يقدم ذكرهم اذا
كفروا بالله بعد ما بلغوا المبلغ الذى وصفهم والرتبة التى ذكر وهو قوله وعباد الرحمن الاية ان واحدا منهم اذا كفر يضاعف له العذاب
يتضاعف عذابه على قدر منزلته ومرتبته عند الله وعلى قدر نعم الله عليه اذا كان منه عصيان وكفران لذلك وهو كما قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الحيوة
وضعف عذاب الممات وما ذكر ايضا لازواجه حيث قال يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
كل من كان اعظم قدرا واكثر نعما عليه فعقوبته اذا عصى ربه اكثر واشد من الذى لم يبلغ ذلك المبلغ ولا تلك الرتبة فيكون ضعف
غيره وجزاء مثله والثانى ان يكون ذلك الاية اعنى الكفرة والرؤساء دون الاتباع لاعمالهم بانفسهم ودعوا غيرهم الى ذلك كقوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم او ان يكون ذلك لهم للعناد الذى كان منهم والمكابرة ثم استثنى من تاب وامن وعمل صالحا
الاية فان كان الاية فى الذين قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا فكان فيه دلالة قبول توبة المرتد اذا تاب ورجع
الى الاسلام حيث استثنى من تاب منهم وقوله عز وجل فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات هذا يحتمل وجهين احدهما يوفق الله اذا تابوا
وندموا على ما فعلوا من السيات فى الدنيا حتى يعملوا مكان كل سيئة عملوها فذلك معنى تبديل الله حسنات اى يوفقهم على ذلك والثانى
يبدل الله سياتهم حسنات فى الاخرة لما كان منهم الندامة والحسرة على كل سيئة كانت منهم فى الدنيا وعلى ذلك روى عن ابى هريرة رضى
الله عنه قال ليأتين اقوام يوم القيامة ودوا انهم استكثروا من السيات فقيل له يا ابا هريرة ومن هم قال هم الذين يبدل الله سياتهم حسنات
وكذا روى مثله عن عبد الله بن مسعود وقوله عز وجل ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لا يرجع عنها ابدا وعلى ذلك
يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اى ان يكن منكم عشرون فليثبتوا يغلبوا مائتين على الامر لبيان قوله حيث
قال خفف الله عنكم الاية والثانى ان يكون ذلك لقوم خاص علم الله انهم اذا تابوا تابوا توبة لا يرجعون عنها ابدا والا فليس كل من تاب
يكون على توبته ابدا وقوله عز وجل والذين لا يشهدون الزور قد ذكرناه واذا مروا باللغو مروا كراما قد ذكرناه ايضا وقال بعضهم
اذا اوذوا صفحوا وقال بعضهم انهم كانوا اذا اتوا على ذكر النكاح او غيره كنوا عنه قال ابو عوسجة والقتبى يلق اثاما اى عقوبة الاثام العقوبة
وقوله مروا كراما اى لم يخوضوا فيه واكرموا انفسهم عنه صما وعميانا اى لم يتغافلوا عنها وقال بعضهم انهم اذا وعظوا بالقران لم
يخروا عليها صما وعميانا عند تلاوة القران فلا يسمعون ولا يبصرون ولكن يخرون عليها سمعا بصرا وهو واحد وقوله عز وجل
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين قد نعتهم عز وجل فى معاملتهم ان كيف ما عاملوا ربهم بالليل والنهار ونعتهم
ايضا فى معاملتهم عباده ان كيف عاملوا عباده ثم نعتهم فى معاملتهم اهليهم ودعائهم لهم فقال يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين فهو والله اعلم لما امرهم ان يقوا انفسهم واهليهم النار بقوله قوا انفسكم واهليكم نارا الاية فعند ذلك دعوا ربهم
وسالوه ان يهب لهم من ازواجهم وذرياتهم ما تقر به اعينهم فى الدنيا والاخرة وقال بعضهم اجعلهم صالحين مطيعين ذلك قرة اعيننا
قال الحسن والله ما شىء احب الى العبد المسلم من ان يرى ولده او حميمه يطيع الله وقال بعضهم يعملون بطاعة الله فتقر بذلك اعيننا والله اعلم
وقوله عز وجل واجعلنا للمتقين اماما قال بعضهم اى اجعلنا ائمة هدى وتقوى يقتدى بنا وقال بعضهم واجعلنا بحال يقتدى بنا
المتقون وامثاله والله اعلم فانهم سالوا ربهم ان يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار متقيا لا من اقتدى صار ضالا فاسقا هذا والله اعلم
تاويله والا سؤالهم ان اجعلنا اماما للمتقين لا معنى له ان يطلبوا لانفسهم الامامة ولكن على الوجه الذى ذكرنا والله اعلم ثم اخبر عن جزائهم
فى الاخرة بصنيعهم فى الدنيا وصبرهم على ما امروا فقال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والغرفة هى على المنازل واشرفها اخبر انهم يجزون
ذلك ويكونون فيها وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه اولئك يجزون الجنة بما عملوا فجائز ان يكون الغرفة المذكورة فى الاية كناية عن الجنة
يدل له حرف ابن مسعود وجائز ان يراد به نفس الغرفة وهو لارتفاعها وعلوها على غيرها من المنازل وذلك مما يختار الكون فيها فى بعض
الاوقات فى الدنيا والناس يرغبون فيها لاشرافها وارتفاعها على غيرها فرغبهم بذلك فى الاخرة وقوله عز وجل ويلقون فيها بالتخفيف ويلقون بالتشديد
ويلقون تحية وسلاما اى يلقيهم الملائكة بالتحية والسلام كقوله سلام عليكم بما صبرتم وقوله سلام عليكم طبتم او يلقى بعضهم بعضا
بعضا بالتحية والسلام ويحيى بعضهم بعضا ويسلم بعضهم على بعض وقوله عز وجل خالدين فيها دائمين حسنت مستقرا ومقاما تاويله
والله اعلم اى حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يملوا فيها ولا يسالوا ولا تاخذهم الوحشة والكلالة كنعيم الدنيا يمل عنها ويسام
عند الكثرة وطول المقام فيها وقوله عز وجل قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم قال بعضهم ما يعبؤا بكم ربى اى ما يعتد بكم ربى لولا دعاؤه
اياكم الى التوحيد لتوحدوه وتطيعوه وقال بعضهم ما يعبؤ اى ما يصنع بكم ربى وتاويله والله اعلم اى ما يصنع ربى بعذابكم ان
وحدتموه واطعتموه بقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقوله عز وجل فقد كذبتم فسوف يكون لزاما اختلف فيه قال
بعضهم هو عذاب يوم بدر يعنى الزم بعضهم بعضا وكذلك قال ابن مسعود قال مضت اية الدخان والبطشة واللزام يوم بدر
وقال بعضهم لزاما اى عذابا ملازما غير مفارق وهو عذاب الاخرة وقال ابو عوسجة ما يعبؤا بكم ربى اى ما يصنع يقال عبات الطيب
عبا فهو عابئ اذا اخلطته ويقال ما عبات بهذا الامر اى ما اصنع به ويقال عبات بفلان اى احتجت اليه وكذلك قال القتبى والله اعلم

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل طسم قد ذكرنا تاويل الحروف المقطعة فيما تقدم وكذلك قوله تلك ايات الكتاب المبين قد ذكرنا تاويله ايضا
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين كان يشتد على رسول الله تركهم الايمان وتكذيبهم اياه اشفاقا وحزنا عليهم وتعظيما لله و
اجلالا لحقه حتى كادت نفسه تهلك حزنا على ذلك وكقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا والاسف
هو النهاية فى الحزن كقوله يا اسفى على يوسف وقال بعضهم الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم قيل اغضبونا وقد ذكر
فى سورة يوسف على ما ذكر الله رسوله ووصفه كان مطبوعا بحزنه وتاسفه لمكان كفرهم وتكذيبهم كقوله عزيز عليه ما عنتم الاية يحزن عليهم
اشفاقا عليهم ويغضب عليهم لله تعظيما له واجلالا لامره لما ضيعوا امره ونهيه وهكذا الواجب على كل من راى اخر فى فاحشة او كبيرة ان
يحزن ويتوجع عليه ويغضب لله لما ارتكب من الفاحشة وقوله عز وجل ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين فى
المعتزلة قوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية مشيئة قهر وجبر حتى يضطروا اليها فيؤمنوا لكن مشيئة الايمان والاختيار ان نشا
ايمانهم ننزل عليهم اية فيؤمنوا لان الاية لا تضطرهم ولا تقهرهم على الايمان دليله قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية اخبر
لا يؤمنون وان فعل ما ذكر ولا يضطرهم ذلك على الايمان وكذلك ما اخبر عنهم فى الاخرة حيث قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية
وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا الاية اخبر عن حلفهم والكذب فى الاخرة انهم لم يكونوا على ما كانوا ولا يكون اية اعظم مما عاينوا من انواع العذاب
ثم لم يمنعهم ذلك من التكذيب ولا اضطرهم على الاقرار والتصديق دل ان الاية وان كانت عظيمة لا تضطر اهلها على الايمان والتصديق
وقد ذكرنا هذه المسالة فيما تقدم ما يغنينا عن ذكرها فى هذا الموضع فظلت اعناقهم لها خاضعين اى مالت وخضعت لها والاعناق
كناية عن انفسهم وعن ابن عباس قال فظلت اعناقهم لها خاضعين قال سيكون لنا دولة على بنى امية فتذل لنا اعناقهم بعد
صعوبة وهوانا بعد عزة فقد كان ذلك وقال بعضهم الاعناق السادة والقادة والواحد عنق اى اذا اسلم القادة اسلم الاتباع
اتباعهم والله اعلم وقوله عز وجل وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث قال بعضهم يقول كلما نزل شىء من الموعظة والذكر فهو محدث
من الاول وجائز ان يكون قوله وما ياتيهم من ذكر اى ما ياتيهم من ذكر ما به فيه ذكرهم فى الاخرين وشرفهم فى الخلق الا كانوا عنه معرضين
لانهم لو امنوا لذكروا فى الناس وبقى لهم ذكر وشرف كذكر الانبياء والرسل فيهم الى اخر الدهر وقوله عز وجل محدث هو محدث على هذين
الوجهين اللذين ذكرناهما قال القتبى وابو عوسجة فظلت اعناقهم كما تقول ظللت اليوم قائلا والاعناق السادة والواحد منه عنق
وقوله فقد كذبوا الاية هى ظاهرة قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل اولم يروا الى الارض هذا يحتمل وجهين احدهما قوله
راوا ما انبتنا واخرجنا منها والثانى على الامر اى راوا ما انبتنا فى الارض واخرجنا منها من كل زوج كريم قال الحسن الكريم الحسن كالبهيج
وقوله عز وجل من كل زوج اى جنس حسن وقوله ان فى ذلك لاية يحتمل قوله لاية لوحدانية الله والوهيته واية لسلطانه وقدرته واية
لعلمه وتدبيره لان من قدر على احياء النبات والابد ما يبس وجف لقادر على احياء الموتى وبعثهم ودل اخراج النبات من الارض فى
كل عام على حد واحد وعلى قدر وميزان واحد على انه انما خرج ذلك عن تدبير وعلم ذاتى وقدرة ذاتية ليست بمستفادة فدل ذلك كله انه
فعل واحد قادر مدبر عالم لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه شىء والله الموفق وقوله عز وجل وما كان اكثرهم مؤمنين يحتمل قوله وما كان اكثر
الذين بعث اليهم محمد مؤمنين وهم الذين كانوا وقت مبعثه وجائز ان يكون وما اكثر ما يكونون مؤمنين وقوله عز وجل وان ربك لهو
العزيز الرحيم جائز ان يقال العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه ويحتمل العزيز على الخلائق كلهم وهم اذلاء دونه بعز وقوله
عز وجل واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون فيه دلالة ان موسى صلوات الله عليه كان مبعوثا
مرسلا الى فرعون وقومه وان كان لم يذكر فى بعض الايات قومه حيث قال اذهب الى فرعون انه طغى وقال اذهبا الى فرعون وملائه فهذا
لانهم كانوا الرؤساء والقادة فاذا اسلموا اتبعهم الاتباع فى ذلك والا كان مبعوثا فى الحقيقة رسولا اليه والى قومه جميعا الاتباع و
المتبوعين لما ذكر فى الاية وقوله عز وجل قوم فرعون الا يتقون كانه على الاضمار ان ائت القوم الظالمين وقل لهم الا يتقون ثم قوله الا يتقون
يحتمل وجهين احدهما الا يتقون مخالفة امر الله ونهيه اى قل الا يتقون نقمة الله وعقوبته والله اعلم وقوله عز وجل قال رب انى
اخاف ان يكذبون لم يقطع موسى القول فى التكذيب ولكنه على الرجاء قال ذلك وذلك والله اعلم كقوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى فكان رجاء ذلك منه لهذا والله اعلم وجائز ان يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب كانه قال انى اعلم ان يكذبون وذلك
جائز فى اللغة وقوله عز وجل ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى لان مليا ان يغضب لله اذا كذبوه فاذا اشتد بالمرء الغضب ضاق
صدره وكل لسانه وهو ما دعا ربه وساله حيث قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى الاية وهو ما ذكرنا انه
اذا اشتد بالمرء الغضب يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويكل لسانه حتى يمنعه عن العبارة والبيان وجائز ان يكون ذلك لانه كانت لحبسة
ثم ضيق الصدر يكون لوجهين احدهما لعظم امر الله وجلال قدره اذا كذبوه وردوا رسالته وامره ضاق لذلك صدره او يضيق لما
ينزل عليهم من عذاب الله ونقمته بالتكذيب اشفاقا عليهم منه والله اعلم وقوله عز وجل فارسل الى هرون ولهم على ذنب واخاف
ان يقتلون قوله فارسل الى هرون وكشف الله اباه حيث قال واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى فعلى

قوله فارسل الى هرون بكونه معي في الرسالة وكقوله هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الاية وذنبه الذي ذكر انه عليه هو قتل
ذلك القبطي وهو قوله فوكزه موسى فقضى عليه ذلك ذنبه الذي لهم فارسله معي ردءا الاية وذنبه الذي ذكر انه عليه هو قتل ذلك القبطي
وهو قوله فوكزه موسى فقضى عليه ذلك ذنبه الذي لهم عليه ثم قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون وقوله كلا رد على قول موسى فاخاف
ان يقتلون كانه قال لا تخف وهو ما قال في اية اخرى حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال عند ذلك لا تخافا انني معكما
اسمع وارى فعلى ذلك قوله كلا فاذهبا اي لا تخافا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون وقال في تلك الاية انني معكما اسمع وارى اي اسمع
ما يقولون لكما وارى ما يفعلون بكم فامنعهم عنكما لانهما ذكرا الخوف منه من شيئين من الفعل والقول حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا
بالفعل او ان يطغى بالقول وقوله عز وجل فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل وقوله عز وجل ان ارسل
معنا بني اسرائيل ليس على حقيقة الارسال معه ولكن على ترك استعبادهم كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم اي خل بينهم وبين استخدا[مك]
اياهم واستعبادك والله اعلم ثم قال له فرعون الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين يذكر نعمه التي انعمها عليه بتربيته اياه
صغيرا وكونه فيهم دهرا وكفران موسى لما انعم عليه وهو ما قال وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين وهو قتل ذلك القبطي
الذي وكزه موسى بذلك فاخبر انه فعل ذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين وقوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي فعلت ذلك
وانا كنت من الجاهلين لانه لم يعلم ان وكزته تلك تقتله الا لو علم ما وكزه لانه لم يحل له قتله حيث قال هذا من عمل الشيطان دل ذلك
منه انه كان لم يحل قتله الا انه جرى ذلك على يديه خطاء وجهلا وفيه دلالة ان الرجل قد ينهى ويؤاخذ بما يجري على يديه خطاء وجهلا
ويخاطب بذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين ثم قال ففررت منكم لما خفتكم وهو حين قال له ذلك الرجل ان الملا ياتمرون
بك ليقتلوك فاخرج الاية فخرج منها خائفا يترقب وذلك فراره منهم وقوله عز وجل فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين قال
بعضهم قوله فوهب لي ربي حكما اي نبوة وقال بعضهم حكما اي علما بالحكم وجعلني من المرسلين وقد كان ذلك له كله وقوله عز وجل
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وهو استعبادك اياهم اي اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك هذا يحتمل وجوها احدها اي تذكر ما
علي وتمنها ولا تذكر مساويك في بني اسرائيل وهو استعبادك اياهم اي اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك والثاني ان تلك نعمة تمنها علي حيث لم
تعبدني وعبدت بني اسرائيل يخرج على قبول المنة منه والثالث وتلك نعمة لو خليت عن بني اسرائيل ولم تستعبدهم لو تواذلك عنك وقام
يقول موسى لفرعون اتمن علي يا فرعون بان اتخذت بني اسرائيل عبيدا وكانوا احرارا فقهرتهم وقال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من
الجاهلين بذلك لم يعلم انه يتولد من وكزته الموت وكذلك روي في بعض الحروف وانا من الجاهلين دل انه على الجهل ما فعل ذلك لا على القصد
وقال بعضهم في قوله وتلك نعمة تمنها علي يقول وهي منة تمنها بقوله الم نربك فينا وليدا يقول تمن بها علي ان تستعبد بني اسرائيل
وتمن علي بذلك ثم قال فرعون لموسى وما رب العالمين فقال له موسى رب السموات والارض وما بينهما من خلق ان كنتم موقنين ثم قال لمن حوله
الا تستمعون انما قال اللعين هذا والله اعلم لما وقع عنده ان موسى حاد عن جواب ما ساله لانه انما ساله عن ماهيته فهو انما اجابه عن فعله
وربوبيته فظن انه حايد عن جواب ما ساله وكذلك قال لقومه الا تستمعون الى ما يقول موسى تعجبا منه اني ساله عن شيء وهو يجيبني
عن شيء اخر ثم قال موسى ربكم ورب ابائكم الاولين فقال عند ذلك ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون نسبه الى الجنون لما ذكرنا انه
ظن انه حايد عن الجواب في كل ما ذكرنا كان السوال منه عن الماهية وهو لم يجبه عنها فعند ذلك قال موسى رب المشرق والمغرب وما
بينهما ان كنتم تعقلون لم يجبه موسى في كل ما ذكر عن الماهية ولكن اجابه في الاول في بيان ربوبيته والوهيته حيث قال رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ذلك فعرف اللعين انه ليس هو برب السموات والارض لما يعلم ان لا صنع له في ذلك وانه لم ينشئهما و
انشاهما رب العالمين على ما ذكر موسى لكن كان انه لم يعرف حدثهما ولا فناءهما بما ذكر له موسى لما لم يشاهد حدثهما وفناءهما وهو ما قال
ربكم ورب ابائكم الاولين ذكر له ما شاهد حدثه وفناءه فاذا عرف حدث ما ذكر وفناءه يعرف انه لم يكن بنفسه ولا كون نفسه ولكن بمحدث
احدثه ومدبر دبره ثم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ذكر منها قدرته وسلطانه وهو ما ياتي بالنهار من المشرق وبالليل من المغرب ويطلع
الشمس من المشرق ويغربها من المغرب وكذلك القمر والنجوم ففيه دلالة البعث لان من قدر على ان ياتي بالنهار من كذا وبالليل من ناحية
كذا والشمس والقمر من كذا قادر على البعث لا يعجزه شيء ففي كل حرف من هذه الاحرف دلالة واستدلال على شيء ليس ذلك في الاخرى ففي
قوله رب السموات والارض دلالة ربوبية الله والوهيته وفي قوله ربكم ورب ابائكم الاولين دلالة حدث ما ذكر وفنائه ودلالة
محدث له ومدبر وفي قوله رب المشرق والمغرب دلالة قدرته وسلطانه على البعث على الوجه الذي ذكرنا وفي ذلك دلالة ان الله تعالى
لا يعرف بالماهية ولا بالحس ولكن انما يعرف من جهة الاستدلال بخلقه وبالايات التي تدل على وحدانيته حيث سال فرعون موسى عن
الماهية فاجاب له على الاستدلال بخلقه ثم قال اللعين لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال بعضهم انما اوعد السجن
ولم يوعد القتل لانه طلب منه الحجة على ما ادعى من الرسالة حيث قال فات بها الاية ولو قتله لكان لا يقدر على بيانها وقال بعضهم
لا ولكن كان سجنه اشد من القتل ومن كل عقوبة فقال له موسى اولو جئتك بشيء مبين اي ما يبين ربوبية الله والوهيته او ما يبين اني رسول
فقال له فرعون فات به ان كنت من الصادقين بالرسالة وبما ادعيت فذلك قول فرعون لموسى حيث قال له فات به ان كنت من الصادقين

انه قد عرف

[ان]ه قد عرف انه رسول وانه ليس باله على ما ادعى وان الاله غيره حيث طلب منه الاية وقوله ان كنتم موقنين بالايات التي تدل على
وحدانية الله تعالى وحسيته ذكر هذا مقابل الكلام الصانع والايقان هو العلم الذي يستفاد من جهة الاستدلال ولذلك لا يقال لله
موقن وقوله ان كنتم تعقلون ذكر مقابل قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقوله عز وجل فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال
بعضهم الثعبان هي الكبيرة العظيمة من الحيات وقال في موضع اخر تهتز كانها جان وقال في موضع اخر فاذا هي حية تسعى فجائز ان يكون
كالثعبان بعد ما طرحها والقاها وقبل ان يطرحها كالجان وهي حية الصغيرة والله اعلم وقوله عز وجل ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
بياضا خارجا عن خلقة البشرية وخارجا عن الاثر على ما ذكر في اية اخرى من غير سوء وقوله عز وجل قال للملا حوله ان هذا لساحر
عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره هذا منه اغراء وتحريش منه لقومه على موسى لئلا ينظروا اليه بعين التعظيم لعظيم ما اتاه
من الاية وادام حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وموسى كان لم يرد اخراجهم من ارضهم ولكن ذلك اغراء منه لهم عليه لئلا
يتبعوه كانه يقول يريد ان يخرجكم من ارضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم مقامكم ومتقلبكم وقوله عز وجل فماذا تامرون
هذا يبين انه كان عرف انه ليس باله فيبين دناءته وقلة معرفته لانه لا يقول ملك من الملوك لقومه ماذا تامرون وخاصة من يدعي
لنفسه الالوهية بقوله ما علمت لكم من اله غيري فدل انه كان خسيس الهمة دني الراي والبال وقوله عز وجل قالوا ارجه واخاه
وارجه اي احبسه واخره وابعث في المدائن حاشرين الجامع والحشر الجمع ياتوك بكل سحار عليم وكان يجب ان يعرف ان السحر يقابل بالسحر
مثله ولا يحتاج الحال ان يسال قومه ذلك لكنه كان اللعين ما ذكرنا من قلة البصر في الامر وخساسة الهمة ودناءة الراي وقوله عز وجل
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين قال اللعين نتبع السحرة ان
كانوا هم الغالبين ولم يقل نتبعهما ان كانت معهم الحجة ليعلم انه قد علم وعرف ان لا حجة معهم وان الحجة مع موسى حيث وعد اتباع
الغالبين دون من معه الحجة وفي حرف ابن مسعود وقال للناس مستمعون الى السحرة انهم يتغالبون لعلنا نتبع منهم الغالبين
وقوله عز وجل فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ابن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين هذا ظاهر لكن اهل التاويل
قالوا كان السحرة كذا كذا عددا وان موسى قال لاكبرهم ساحرا اتؤمن بي ان غلبتك وقال الساحر كذا وغير ذلك من الكلام
مما ليس ذلك في الكتاب ذكره وليس ينبغي لهم ان يشتغلوا بشيء من ذلك وان بينا ولو شيئا ليس في القران لما يدخل في ذلك
من الزيادة والنقصان فيكون للكفرة مقال في ذلك وطعن في رسالة رسول الله لان هذه الانباء كانت في كتبهم مذكورة
لرسول الله لتكون اية له في الرسالة فان زادوا او نقصوا يقولون هذا كذب لم يذكر في كتبنا ذلك فلهذا الوجه ما ينبغي لهم ان
يزيدوا على ما ذكر في الكتاب وينقصوا البلا بجدا وتكون مقالا في تكذيب رسول الله وقوله عز وجل قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فان قيل كيف قال موسى لاولئك السحرة القوا وهو يعلم ان ما يلقون هو سحر كيف امرهم بالسحر قيل هذا وان كان في الظاهر امرا فهو
في الحقيقة ليس بامر انما هو تهدد وتوعد اي القوا الى واجمعوا كيدكم وضعفكم وذلك كثير في القران ظاهره امر وهو في الحقيقة
توعد وذلك كثير في القران ظاهره امر وهو في الحقيقة توعد كقوله لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك الاية ليس
يخرج على الامر ولكن على التوعد والتهدد اي ان فعلت ذلك فلا سلطان لك عليهم كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وقوله اعملوا ما شئتم والثاني امرهم بذلك ليظهر كذبهم ويتبين صدقه وحجته اذ بذلك يظهر او قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب
ايمان اولئك السحرة والله اعلم وقوله عز وجل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون هذا يدل ان السحرة كانوا يعبدون
فرعون حيث قالوا بعزة فرعون وقد علموا عجز فرعون وضعفه حيث فزع اليهم وقالوا فماذا تامرون وقوله عز وجل فالقى موسى
عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون وقد قرئ تلقف بالتخفيف قال ابو عوسجة يقول تلقفت الشيء والتقفته اي اخذته و
قال غيره تلقف اي تلقم وهو واحد وقوله يافكون وهو الفاعل بمعنى المفعول اي ما افك وذلك جائز في اللغة وامثاله كثير
كقوله في عيشة راضية ونحوه وقوله عز وجل فالقي السحرة ساجدين اخبر لسرعة ما سجدوا وكانهم القوا لما بان لهم من الحق وظهر
فقالوا امنا برب العالمين قال اهل التاويل ان فرعون قال عند ذلك انا رب العالمين فقال السحرة رب موسى وهرون لكن الامساك
عن هذا وامثاله مما لم يذكر في الكتاب اولى لما ذكرنا انه انما يحتج عليهم هذه الانباء على تصديق من اهل الكتاب له فذلك لما هي
مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه في ذلك فيذكر القدر الذي في الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان
فيعرف به ويكذب الا ما ظهر عن رسول الله القول به فيقال والا الامتناع والكف اولى ثم قال فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه
لكبيركم الذي علمكم السحر ان فرعون قد علم ان ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يلبس على قومه واصحابه ويغريهم عليه فقال
مرة ان هذا لساحر عليم وقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقال مرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون وقال
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة الاية ثم اوعدهم بوعايد فقال فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين فقالوا
لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي انا الى ثواب ربنا الذي وعدنا لراجعون لا يضرنا ما توعدنا به قال ابو عوسجة والقتبي لا ضير هو
من ضار يضوره ويضيره بمعنى ضره وقد قرئ وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا بالتخفيف بمعنى لا يضركم فقالوا انا نطمع ان

ان يغفر لنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين قال بعضهم ان كنا اول المؤمنين وقال بعضهم ان كنا اى اذ كنا اول اهل مصر ايمانا وجايز ان كنا اول
المؤمنين لحال وقال بعض اهل التاويل ان فرعون قد فعل بهم ما اوعد من قطع الايدى والارجل والصلب لكن ليس فى الاية بيان على
حلول ما اوعدهم فلا تقول بمخالفة الكذب وقوله عز وجل واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون السرى سير الليل وهو ما قال
فى اية اخرى فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وقومه وقوله عز وجل فارسل فرعون فى المداين حاشرين اى ارسل فى المداين
من يحشر الجنود والعساكر وقالوا ان هولاء يعنون اصحاب موسى لشرذمة قليلون قال بعضهم الشرذمة الجماعة العصابة اى عصابة
قليلة قال بعضهم ان هولاء لشرذمة قليلون اى طايفة قليلة وانهم لنا لغايظون اى لغايظون فى الحلى الذى استعاروه منا
اى ذوا بر مغايظة لنا وقال بعضهم وانهم لنا لغايظون بما فعلنا بهم من قتل اولادهم واستعباد نسايهم ورجالهم يفعلون بنا
ما فعلنا بهم ان ظفروا بنا وقوله عز وجل وانا لجميع حاذرون وحذرون قال بعضهم من الحذر وقال بعضهم وانا لجميع حاذرون
اى موردون اى مقوون اى معنا اداة اصحاب الحرب والقوى الذى دابته قوية وقال بعضهم حاذرون اى مستعدون للحرب
وقال بعضهم حاذرون لما حدث لهم من الخوف والحذر الحال حدر لما وداه اى حذر وان يعودوا اليهم وحذرون اى كانهم
نزل منهم على حذر وقال ابو معاذ حاذرون مؤدون من الاداة اى تام السلاح وفى خروج موسى بجاشنه مع كثرتهم على ما ذكر
انهم كانوا استمانة الف فصاعدا من غير علم القبط به اية عظيمة اذ لا يقدر نفر الخروج من محلة او ناحية الا ويعلم اهلها بخروجهم
ففى ذلك كان اية عظيمة حيث خرجوا من بينهم من غير ان علم احد منهم بذلك وقوله عز وجل فاخرجناهم يعنى فرعون وقومه من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم اى حسن كذلك واورثناها بنى اسرايل فاتبعوهم مشرقين اى تبع فرعون وقومه حين شرقت
الشمس اى طلعت ومشرقين اى كانوا فى الشمس اى قوم موسى صاروا فى الشمس يقال اشرقنا اذا ما صادوا فيها وقوله عز وجل
فلما تراء الجمعان جمع موسى وجمع فرعون اى انا نرى بعضهم بعضا قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين
كان قوم موسى لم يثقوا باشارة التى بشرها الله موسى انهم لا يدركونكم وهو ما قال لا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف دركهم ولا تخشى
فرعون وقومه لذلك قالوا انا لمدركون وكانت البشارة لهم جميعا لا لموسى خاصة يدل ذلك قول موسى كلا ان معى ربى سيهدين على
اثر قولهم انا لمدركون اى كلا انهم لا يدركونكم وقوله عز وجل فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اى انشق وكذلك ذكر
فى حرف ابن مسعود فانشق فكان كل فرق كالطود العظيم اى كالجبل العظيم والطود واحد والاطواد جماعة وقوله عز وجل وازلفنا ثم
الاخرين قال الحسن ازلفنا اى اهلكنا ثم الاخرين وقال بعضهم جمعنا ومنه قيل ليلة المزدلفة اى ليلة الازدلاف وهو الاجتماع وكذلك
قيل للموضع جمع فان كان التاويل هذا ففيه دلالة ان الله فى فعل العباد صنعا وتدبيرا لانه اضاف الجمع اليه وهم انما كانوا اجتمعوا
للمعصية فدل ذلك انه ما ذكرنا وقال بعضهم وازلفنا ثم الاخرين اى ادنينا وقربناهم ومنه ازلفك الله اى قربك الله ويقال
ازلفنى كذا عند فلان اى قربنى منه والزلف المنازل والمراقى لانها تدنو بالمسافر ومنه ازلفت الجنة للمتقين اى زينت وقربت
وكذلك قال ابو عوسجة والقتبى وقوله عز وجل وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين الاية ظاهرة وقوله عز وجل
ان فى ذلك لاية اى فى هلاك فرعون وقومه وانجاء موسى ومن معه متعظ ومزجر لمن بعدهم حيث راوا انه اهلك الاعداء
وابقى الاولياء وما كان اكثرهم مؤمنين هذا يحتمل وجوها قال بعضهم لم يكن اكثر اهل مصر مصدقين بتوحيد الله اذ لو
كان اكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا ولكن غير هذا كانه اشبه اى لو لم يهلكهم الله تعالى ولكن ابقاهم لم يؤمن اكثرهم وقال
بعضهم وما كان اكثرهم من بنى اسرايل مؤمنين اى لم يدم اكثرهم على الايمان بل ارتد اكثرهم من بعد ما انجاهم حيث قالوا لموسى
اجعل لنا الها كما لهم الهة والله اعلم وقوله عز وجل وان ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من فرعون وقومه الرحيم بموسى ومن معه
من المؤمنين هذا فى هذا الموضع يستقيم ان يصرف تاويل العزيز الى الاعداء والرحيم الى الاولياء كل حرف منه ذلك الى العرق الذى
يستوجب ذلك الرحمة الى المؤمنين والنقمة الى الاعداء وقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابرهيم اى اتل على اهل مكة نبا ابرهيم
وخبره لانهم كانوا من اولاد ابرهيم ومن نسله وهم يقلدون فى ابائهم فى عبادتهم الاصنام وابراهيم فهلا اتبعوا ابراهيم ومن
كان معه وفى بعض اولاده اسمعيل واسحق وهولاء كانوا مسلمين عباد رب العالمين لا عباد الاصنام فهلا اتبعوا ابرهيم ومن
كان معه على دينه من ابايهم دون من اتبعوا من عند الاصنام وسفه احلامهم فى عبادتهم وتقليدهم اولئك الذين عبدوا من
ابايهم الاصنام وتركهم تقليد من لم يعبدها وعبد الله ثم قول ابراهيم حيث قال لابيه وقومه ما تعبدون على ما ذكر فى
اية اخرى ما انا تعبدون اعكا ويحتمل ما تعبدونه اى من تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اى نقيم لها عابدين
اى ندوم على عبادتها والعكوف على الشى هو الاقامة عليه والدوام قال ابو معاذ النحوى ظل لا يقال الا بالنهار ومحالات
يقال ظل ليله يصنع كذا حتى يقول بات ليله ومنه الحديث ظل نهاره صايما وبات يبين سقههم هل يسمعونكم اذ تدعون
يحتمل قوله هل يسمعونكم اى هل يجيبونكم اذ تدعونهم ويحتمل هل يسمعونكم على السماع نفسه اى هل يسمعون دعاكم اذ تدعون
كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم الاية وقوله اذ تدعون يحتمل تعبدون ويحتمل الدعاء نفسه وان كان على العبادة فلا يحتمل

تاويل السماع وقوله عز وجل او ينفعونكم او يضرون وهل يقدرون على نفعكم وضركم ان اراد ما ذلك بكم وشاؤا وان
يكون ما ذكر اهل التاويل هل ينفعونكم ان عبدتموها واطعتموها او يضرون ان عصيتموها وتركتم عبادتها فبهتوا ولم يقدروا على
الجواب له سوى ما ذكر وامن تقليدا بابايهم فى ذلك فقالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعرفوا ان تلك التى عبدوا ها لا تملك
شيا ولا نفعا لكنهم عبدوها تقليدا لابايهم لما وقع عندهم ان اباءهم ما عبدوها الا بامر ولو لم يكن ذلك بامر ما تركوا لكن قد ذكر
ان فى ابايهم من لم يعبدها قط ثم لم يقلدوها فكيف قلدوا اولئك دل ان الافاسد قوله عز وجل افرايتم ما كنتم تعبدون انتم و
اباؤكم الاقدمون ثم قال انتم واباؤهم الذين عبدوا الاصنام من قبل عدو لى الا رب العالمين استثنى رب العالمين فيكون على الاضمار
اى فانهم جميعا عدو لى يقول لهم عدو لى وان برى منهم الا ان يكون فيكم من يعبد رب العالمين فيكون على الاضمار اى فانهم جميعا
عدو لى الا من عبد رب العالمين وقال بعضهم يقول ان العابد والمعبود كلهم عدو لى الا رب العالمين اى الا المعبود بالحقيقة الذى
يستحق العبادة فانه ولى وقال بعضهم ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء كانه قال انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى
ولكن رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى
اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ذكر هذا لهم ان الاله المستحق للعبادة هو هذا الذى يصنع هذا وهو المالك للنفع ودفع الضرر
لا الاصنام التى عبدتم انتم واباؤكم وقوله عز وجل رب هب لى حكما قال بعضهم فهما وعلما وجايز ان يكون ابرهيم سال ربه
الابقاء على الحكم اذ كان قد اعطاه العلم والحكم كقوله اهدنا الصراط المستقيم او سال الزيادة على ما اعطاه كقوله وقل رب
زدنى علما ويحتمل ان يكون سال ربه قبول حكمه فى الخلق ودفع الحرج له عن قلوبهم على ما ذكر فى حكم رسول الله حيث قال فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وقوله عز وجل والحقنى بالصالحين اى توفنى على ما توفيت الصالحين حتى الحق بهم هذا
والله اعلم معنى الالحاق بالصالحين ان يتوفاه على الذى توفاهم وهو الاسلام ليلحق بهم والله اعلم وقوله عز وجل واجعل لى
لسان صدق فى الاخرين اى اجعل لى الثناء الحسن فى الناس وكذلك ابرهيم صلوات الله عليه جميع اهل الاديان على اختلافهم قد انقادوا له وا
ليه وادعوا انهم على دينه وان دينه هو الذى هم عليه ليس من اهل ملة الا وهم يتولونه وقوله عز وجل واجعلنى من ورثة جنة النعيم اى اجعلنى
باقيا من يخلد فى جنة النعيم اذ الوارث هو الباقى عن المورث وكذلك تاويل قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى بعد
فناء اهلها اذ الوارث هو الباقى فعلى ذلك قول ابرهيم اجعلنى من الباقين فى جنة النعيم والله اعلم وقوله عز وجل واغفر لابى انه كان
من الضالين لا يحتمل ان يكون استغفار ابرهيم لابيه والله اعلم على ما ذكر فى ظاهر الاية واغفر لابى فانه من الضالين يطلب من ربه
المغفرة له لانه من الضالين لانه لا يجوز له ان يدعو له وهو كذلك لكن كان من ابرهيم الاستغفار له فاخبر الله له انه من الضالين
فيكون هذا الثانى اخبارا من الله لابرهيم انه من الضالين والاول قول ابرهيم وكذلك قال بعض اهل التاويل فى قصة بلقيس حيث قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فصدقها الله تعالى فى مقالتها وقال وكذلك يفعلون يجعلون قوله
وكذلك يفعلون تصديقا من الله لها لا قول تلك المراة ومثال ذلك كثير فى القران يكون بعضه مفصولا من بعض ولو القى معاذيره لا
تحرك به لسانك قوله ولو القى معاذيره مفصول من قوله لا تحرك به لسانك لا وصل بينهما فعلى ذلك دعاء ابرهيم يحتمل ان يكون قوله
واغفر لابى مفصولا من قوله انه كان من الضالين هذا جايز ان يكون اخبارا من الله لابرهيم حين دعا له بالمغفرة انه من الضالين
وجايز ان يكون قوله واغفر لابى اى اعطه ما به تغفر خطاياه وهو التوحيد فيكون سؤاله سؤال التوحيد له والتوفيق على ذلك
وبه يغفر ما يغفر من الخطايا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك يخرج دعاء هود لقومه حيث امرهم ان يستغفروا ربهم
وهو قوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اى توبوا اليه واسئلوه طلب منهم ابتداء الاسلام اذ لا يحتمل ان يقولوا استغفر الله
ولكن امرهم ان ياتوا ما به يغفر لهم وهو التوحيد وكذلك قول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول اهل التاويل ان ابرهيم كذب ثلاث
كلام لا معنى له لا يحتمل ان يكون قد يختاره ويجعل رسالته فى الذى يكذب بحال وقوله عز وجل ولا تخزنى يوم يبعثون قال اهل التاويل
لا تخزنى اى لا تعذبنى يوم يبعثون وكان الاخزاء هو العذاب الذى يهتك الستر على صاحبه فسال ان لا يهتك الستر عليه لما خاف ان كان
منه ما يهتك الستر عليه فسال ربه ذلك لان العصمة لا ترفع عن اصحابها الخوف بل كلما عظمت العصمة كان الخوف اشد لان الانبياء
صلوات الله عليهم كان خوفهم اشد على دينهم وانفسهم من غيرهم ثم الامثل فالامثل بهم كذلك اشد خوفا منهم ممن هو دونهم
الا ترى الى قول ابرهيم حيث قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقال يوسف توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ومثله كثير وقوله
عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينتفع لا يكون فى نفى النفع دفع الضرر كقوله لا يقبل منها عدل ولا ينفعها
شفاعة كقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم وكذلك قوله
لا تجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقوله يود المجرم لو يفتدى
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وقوله فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى ظاهرها
استثنى من الاية دلالة انه ينفع المال والبنون اذا اتوا بقلب سليم حيث قال لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

ويشبه ان يكون كذلك ينفعهم اولادهم اذا اتوا ربهم بقلوب سليم لما استعملوا اموالهم في الطاعات وانواع القرب
وعلموا اولادهم الاداب الصالحة والاخلاق الحسنة فينفعهم ذلك يومئذ كقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اخبر انهم اذا امنوا وتابوا يقربهم اموالهم واولادهم عنده وجايز
ان يكون على غير ذلك اى لا ينفع مال ولا بنون وانما ينفع من اتى ربه بقلب سليم والقلب السليم هو السالم عن الشرك والسليم
عن الافات والذنوب والخالص لربه لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا وشرط فيه اتيانه ربه ما ذكر ليعلم انه ما لم يقبض على السلام
والتوحيد لا ينفعه ما كان منه من قبل من الطاعات اذا لم يقبض على التوحيد وكذلك شرط في الحسنات الاتيان فقال من جاء بالحسنة
فله كذا ولم يقل من عمل الحسنة وهو ما ذكرنا ان يخرج من الدنيا على التوحيد ولا يفسد ما عمل من الحسنات والله اعلم وقوله عز وجل
وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين يحتمل قوله ازلفت وبرزت اى تزلف وتبرز وان يقال يومئذ ازلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وابي وقربت الجحيم للضالين وفي هذه القراءة الظاهرة برزت لهم
وقوله عز وجل وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا اى ثم يقال لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا هل ينصرونكم
ويمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون هم من العذاب لانهم يطرحون جميعا العابد والمعبود في النار كقوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم وانما قالوا ذلك لهم لانهم كانوا يقولون في الدنيا هولاء شفعاؤنا عند الله وانما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فيقال لهم
مقابل ذلك في الاخرة هل ينصرونكم الاية وقوله عز وجل فكبكبوا فيها هم والغاوون قال الزجاج هو من كب اى كبوا لكن ذكر كبكبوا
على التكرار والاعادة مرة بعد مرة اى يكبون ثم يكبون لم يزل عليهم ذلك وكلام نحو هذا وقال القتبي فكبكبوا فيها القوا على رؤسهم
وقذفوا واصل الحرف كببوا من ذلك كببت الاناء فابدلت مكان الباء الكاف وهو الطرح والالقاء على وجوه يقال كببتهم اى طرحتهم
في النار او في البير وهو من قوله فكبت وجوههم في النار والغاوون قيل الضالون يقال غوى يغوى غيا وغواية فهو غاو اى ضل
وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقال ابو معاذ فكبكبوا اصله كبوا وقال بعضهم جمعوا فيها وجنود ابليس اجمعون قال بعضهم الغاوون
هم الشياطين وجنود ابليس ذريته اى الشياطين الذين اضلوا بني ادم وهو قول قتادة وقال بعضهم الغاوون هم كفار الجن وجنود
ابليس هم الشيطان وقال بعضهم الغاوون هم الائمة من الكفار وجنود ابليس سائر الكفار اى اتباعهم وذريتهم والله اعلم وقوله عز وجل
قالوا وهم فيها يختصمون ذكر انهم يختصمون في النار ولم يذكر فيم يكون خصومتهم فجايز ان يكون خصومتهم ما ذكر في اية اخرى
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين الى اخر ما ذكر وقوله قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار الاية وقوله ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا الاية وامثاله من المجادلات التي تجري فيما بين الاتباع والمتبوعين
وقال بعضهم اختصامهم ما ذكر على اثره حيث قال تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين الاية هذه هي خصومتهم
وقوله عز وجل تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فان كان قولهم هذا للاصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم
الهة وجعلهم العبادة لها يسوونها برب العالمين في التسمية والعبادة وان كان قولهم هذا للشيطان فهو في اتباعهم امره
ودعاهم الذي والا لا احد من الكفرة يقصد قصد عبادة الشيطان او يسميه الها ولكن على ما ذكرنا من متابعتهم امرهم
وفي حرف ابن مسعود اذ نسويكم برب العالمين اذ كنا نشرككم برب العالمين وقال بعضهم اذ كنا نطيعكم كما نطيع رب العالمين
وقال بعضهم اذ نعدلكم برب العالمين وبعضه قريب من بعض وقوله عز وجل وما اضلنا الا المجرمون اى ما اضلنا الا
اولونا وكذلك في حرف ابن مسعود وما اضلنا الا الاولون وقال في هذا انهم لما راوا الاولين تركوا على ما كانوا عليه من
الكفر والشرك ولم يعذبوا في الدنيا ولا اصابتهم نقمة ظنوا انهم امروا بذلك ورضي الله عنهم بذلك وهو ما ذكر في اية اخرى
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقوله عز وجل فما لنا من شافعين لانهم قالوا هولاء شفعاؤنا
عند الله فلم يشفعوا لهم اى ليست لنا شفعاء يشفعون ولو كانت لهم شفعاء لا تنفعهم شفاعتهم على ما قال فما تنفعهم
شفاعة الشافعين وهو ما قال لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به ليس انه كان ينفعهم فعلى ذلك هذا
وقوله عز وجل ولا صديق حميم الحميم القريب اى ليس لهم حميم يهتم بامرهم وقوله عز وجل فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين
وقوله فلو ان لنا كرة اى لو ان لنا رجعة الى المحنة فنكون من المومنين فاخبر الله انهم لو ردوا لعادوا بقوله ولو ردوا لعادوا
الى ما كانوا فيه لما نهوا عنه وقد ذكرناه وقوله عز وجل ان في ذلك لاية ما ذكرنا من الاخبار والانباء الاية وعبرة لمن
اعتبر وما كان اكثرهم مومنين قال بعضهم لو كان اكثرهم مومنين ما عذبوا في الدنيا وجايز ان يكون لو ردوا الى المحنة
التي سالوا الرجعة اليها ما كان اكثرهم مومنين وجايز ان يكون نفر منهم والله اعلم وان ربك لهو العزيز الرحيم قد ذكرناه
وقوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين ذكر كذبت بالتانيث على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم نوح والا
القوم يذكر ولا يونث وقوله عز وجل المرسلين لان من كذب رسولا من الرسل جميعا لان كل رسول يدعو الخلق الى الايمان
بجميع الرسل وبعد فان نوحا كان يدعو قومه الى الايمان بالرسل الذين يكونون بعده لذلك قال والله اعلم كذبت قوم نوح

المرسلين وقوله عز وجل اذ قال لهم اخوهم نوح قال اهل التاويل كان اخاهم في النسب وليس باخيهم في الدين قال الشيخ ابو منصور رحمة الله
عليه ان الله تعالى سمى الناس جميعا بني ادم بقوله يا بني ادم على بعدهم من ادم فيجوز ايضا تسميتهم اخوة على بعد بعضهم من بعض
وقوله عز وجل الا تتقون نقمة الله وعذابه في مخالفتكم امره ونهيه او يقول الا تتقون عبادة غير الله وطاعة من دونه اني لكم
رسول امين هذا يخرج على وجهين احدهما اى كنت امينا فيكم قبل هذا تصدقونني في جميع ما اخبرتكم وانباتكم فما بالكم لا تصدقونني
الان اذا اخبرتكم اني رسول الله اليكم والثاني يقول اني لكم رسول امين ائتمنني الله وجعلني امينا على وحيه فابلغكم الرسالة و
ادى الامانة شئتم او ابيتم قبلتم او لم تقبلوا فافعلوا ما تريدون كيدا وجعلني الله امينا او يمنني على ما فيه كقوله ثم
كيدون في جميعا ثم لا تنظرون وقوله عز وجل فاتقوا الله واطيعون اى اتقوا نقمة الله وعذابه واتقوا مخالفة الله في امره
ونهيه واطيعون فيما ابلغكم عن الله وادعوكم اليه وما اسالكم عليه من اجر اى لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغكم اجرا
وشيئا يمنعكم ثقل ذلك عن الاجابة ولا احملكم في اموالكم وانفسكم مؤنة فيما ادعوكم اليه بل ادعوكم اليه والى عبادة
وعبادة اهون واخف على انفسكم من عبادة العدد ولا احملكم ايضا في اموالكم مؤنة يمنعكم ثقل ذلك عن اجابتي ان اجري
اى ما اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله ما ذكرنا اى اتقوا نقمة الله وعذابه واتقوا مخالفة الله
في امره ونهيه واطيعون فيما ادعوكم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون يقولون نصدقك وانما اتبعك الضعفاء منا
والسفلة من لا راى لهم ولا تدبير ولو كنت صادقا لاتبعك الاشراف والرؤساء فكان في اتباع الارذال ومن ذكر ما اعظم
اية من الرسالة من اتباع الاشراف وذلك ان الارذال من الناس هم اتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال ونيل منهم او رياسة
ومنزلة تكون لهم والفضل بصيبي ونخط وعلم في الدين فيصيرون اتباعا لمن كان عنده من هذه الخصال شيء ثم الرسل صلوات الله
عليهم حيث لم يكن عندهم اموال ولا طمع رياسة ولا منزلة اتبعهم الضعفاء والسفلة مع خوفهم على انفسهم من اولئك
الاشراف من القتل والصلب لمخالفتهم اياهم فما اتبعوهم الا لما تبين عندهم انهم على حق وان ما يدعون صدق ففي اتباع من ذكرنا
اعظم دلالة على صدق الرسل فيما ادعوا من الرسالة لو تاملوا التفكر في ذلك وقول نوح وما علمي بما كانوا يعملون يحتمل وجهين
احدهما يقول لم اكن علمت ان الله يهديهم للايمان والتوحيد من بينكم يعني الضعفاء ويدعكم لا يهديكم ثم قال ان حسابهم اى ما جزاء هؤلاء
الذين اتبعوني من الارذال الا على ربي لو تشعرون والثاني وما علمي بما كانوا يعملون اى ما لي علم بما يعملون هم في السر وما ذلك علي ان
حسابهم الا على ربي لو تشعرون اى حسابهم عليه فيما يعملون في السر فهذا يدل ان التاويل الاخير اشبه واقرب من الاول وكان
من اولئك طعن في الذين امنوا بانهم يعملون في السر على خلاف ما اظهروا واحق قال ذلك وفي بعض القراءات لو يشعرون بالياء فهو يرجع
الى المؤمنين الذين اتبعوه يقول حسابهم على الله فيما يعملون في السر اى لو يشعرون ذلك ولا يعملون في السر خلاف ما يعملون في العلانية
والله اعلم وقوله عز وجل وما انا بطارد المؤمنين قال اهل التاويل انهم سالوا نوحا ان يطرد اولئك الذين امنوا به من الضعفاء حتى
يؤمنوا به فقال عند ذلك وما انا بطارد الذين امنوا الاية وما انا بطارد المؤمنين وجايز ان يكونوا طعنوا في الذين امنوا انهم
قالوا ذلك ظاهرا واما في السر فليسوا على ذلك فقال نوح عند ذلك وما انا بطارد المؤمنين وما انا بطارد الذين امنوا يدل
على ذلك قول نوح حيث قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا هذا القول منه يدل على انه كان منهم طعن في اولئك امنوا به
حيث وكل امرهم الى الله فقال الله اعلم بما في انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل ان انا الا نذير مبين قد ذكر فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين المرجوم هو المقتول بالحجارة وهو اشد قتل لذلك وعدوه وقال بعضهم لتكونن من المشتومين
باللسان لكن الاول اقرب لان قد كان منهم الشتم فلا يحتمل الوعيد به ثم دعا نوح عند ذلك فقال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا
اى فاقض بيني وبينهم قضاء اى افتح عليهم بالعذاب والهلاك الا ترى انه قال ونجني ومن معي من المؤمنين فدل سؤاله نجاة نفسه ومن معه
من المؤمنين على ان قوله فافتح بيني وبينهم فتحا سال ربه هلاك من كذبه وهو ما قال في قصة اخرى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاية
ومعناه ان ينزل بهم وهو العذاب فعلى ذلك هذا ثم لا يحتمل ان يكون هذا منه في اول تكذيب كان منهم بل كان ذلك بعد ما ايس من ايمانهم
لانه لبث فيهم ما قال الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما وفي كل ذلك دعاهم الى توحيد الله وانما دعا عليهم بالهلاك بعد ما اخبره الله تعالى
عن امرهم واياسه عن ايمانهم فقال لن يؤمن من قومك الا من قد امن واذن له بالدعاء عليهم بالدعا دعا الانبياء صلوات الله عليهم لا يدعون
على قومهم بالهلاك الا باذن من الله في ذلك الا ترى انه ذكر انه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا اذن كان من الله له بالخروج من بينهم
فان عوتب هو بالخروج بلا اذن فلا يحتمل ان يدعوا بالهلاك بلا اذن والله اعلم وقوله عز وجل فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون قيل
المملو قال ابو معاذ والعرب تقول شحنت السفينة فلم يبق الا الدفع وهو السوق وتقول العرب شحنا عليهم بلادهم خيلا ورجالا
اى ملاناها وقال بعضهم المشحون المجهز الذي قد فرغ منه فلم يبق الا دفعه وهو واحد وانما شحنت باصناف من الخلق والا كان المو
قليل العدد وهو ما قال فيها من كل زوج اثنين لخبر انه انجى من كان معه في الفلك المشحون واهلك الباقين ان في ذلك الاية اى في
نبأ نوح الاية لمن كان بعدهم او ان في هلاك قوم نوح واغراقهم لعبرة لمن بعدهم وما كان اكثرهم مومنين الى اخر القصة ذكرنا وقوله

وقوله عز وجل كذبت عاد المرسلين هو والله اعلم ما ذكرنا اى ما كذبت جماعة عاد المرسلين وقوله المرسلين ما ذكرنا ان كل رسول
كان دعا قومه الى الايمان به وبجميع الرسل فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقوله عز وجل اذ قال لهم اخوهم هود وهو كان اخاهم
فى النسب لانهم جميعا ولد ادم على بعد من ادم فعلى ذلك هم اخوة فيما بينهم على بعد بعضهم من بعض وقوله عز وجل الا تتقون يحتمل
وجهين احدهما الا تتقون نقمة الله وعذابه والا تتقون مخالفة امر الله ومناهيه انى لكم رسول امين فيما ايتمنى الله وبعث على يدى
اليكم هدايا فاقبلوا منى هداياه وامانته او ان يكون ما ذكرناه من قبل والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واطيعون ما ذكرنا وما
اسالكم عليه من اجر اى اسئ فى نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما اسالكم على ذلك اجرا وفى الشاهد لا يعمل احد لاحد الا ويطمع
على ذلك منه اجرا وانا لا اسالكم على ذلك اجرا فيمنعكم ذلك عن قبول ذلك منى ان اجرى اى ما اجرى الا على رب العالمين وقوله
عز وجل اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع هذا يحتمل وجوها احدها انهم كانوا يبنون بنيانا لا حاجة لهم الى ذلك
البنيان ولا ينتفعون به فهو عبث لان كل من بنى بناء او عمل عملا لا ينتفع ولا يحتاج اليه فهو عابث لذلك سمى ما بنوا عبثا والثانى
جائز ان يكون ذلك المكان لهم كالمكان البعث والاجتماع اللهو فبنوا على ذلك المكان فسميه عبثا لما لم يكن اجتماعهم فى ذلك
الا لعبث واللهو والثالث ان يكون ذلك المكان مكانا يمر فيه الناس فبنوا فيه اعلاما يضلون الناس بها لما يرون انه طريق ولم
يكن ذلك فكان تصدم بذلك البناء باطلا وكل باطل عبث والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تخلدون ولا تموتون اى تتنعمون
نعمة من يطمع ان يخلد فى هذه الدنيا ليس نعمة من يموت ويرجو ثوابه وعاقبته او ان يكون قوله لعلكم تخلدون لما وسع عليهم
الدنيا ورزق لهم الدعة يحسبون انهم يخلدون لان من وسع عليه الدنيا ويكون الدعة والسعة فى هذه الدنيا يطمئن بها ويسكن وهو
كما قال يحسب ان ماله اخلده فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل واذا بطشتم بطشتم جبارين كفى والله اعلم بالجبار الظالم و
المعتدى اى واذا بطشتم بطشتم ظالمين والريع هو المكان المرتفع وقال بعضهم هو الطريق ومصانع قال بعضهم بنيان وقيل الجياد
وقال ابو عوسجة الريع ما ارتفع من الارض وجمع الريعة ريع ارباع وهما واحدا والريع الريع ايضا يقول اراع المال اذا بحث عليه
وجمعه ارباع ومصانع هو فى موضع قصور وفى موضع حياض يجتمع فيها الماء والواحد مصنعة من كلاهما وقال البطش الاخذ يقال
بطشت فلان ابطش بطشا اذا اخذته وقبضت عليه وقال القتبى ايضا الريع الارتفاع من الارض وللمصانع البناء واحدها
مصنعة فكان المعنى انهم يستوثقون فى البناء والحصون ويذهبون الى انهم يحصنهم من اقدار الله وقضائه وهذا يشبه ان يكون
ما ذكر لانه قال فاخره لعلكم تخلدون اى تبنون بناء كانهم يخلدون ولا يموتون وقال واذا بطشتم بطشتم اى اذا ضربتم
ضربتم بالسياط ضرب الجبارين واذا عاقبتم قتلتم وقال بعضهم بطشتم اخذتم بالظلم والاعتداء والاستطالة الخوم
وقال ابو معاذ وكل بناء مصنعة وفى حرف حفصة وتبنون مصانع كانكم خالدون والاية العلم وقال بعضهم الريع ما
استقبل الطريق من الجبال والظراب وقال قتادة كل شرب فى الارض وقال محمد بن اسحق انهم كانوا اذا سافروا فلا
يهتدون الا بالنجوم فبنوا القصور اطول العبث علما بكل طريق يهتدون بها فى طرقهم وقال بعضهم مصانع اى مجالس
ومساكن لعلكم تخلدون ما بقيت مصانعكم والجبار هو الذى يضرب ويقتل بلا حق بلا خوف تبعة فى العاقبة وقوله
عز وجل فاتقوا الله واطيعون قد ذكرنا وقوله عز وجل واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم قيل اعطاكم وهو من المدد
اى اعطاكم النعم تباعا واحدة بعد واحدة لا تنقطع ثم هو يحتمل وجهين احدهما اتقوا كفران الذى اعطاكم النعم
فلا توجهوا شكرها الى من لم ينعم عليكم ولم يمدها لكم وانتم تعلمون وهو عبادتهم الاصنام التى لا يقدرون على اعطا
شئ من النعم والثانى اتقوا نقمة الذى اعطاكم هذه النعم فان الذى قدر على انعامها قدر على الانتقام منكم وعلى التاويل الاول
اتقوا كفرانها فان قدر على اعطائها قدر على صرفها عنكم على هذين الوجهين والله اعلم ثم ذكر الذى امدهم من النعم فقال امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون هذا وغيره مما لا يحصى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال بعضهم اى اعلم ان ينزل بكم
عذاب يوم عظيم وقال بعضهم الخوف ههنا هو الخوف نفسه لانه كان يرجو الايمان منهم بعد فقال انى اخاف عليكم ان
اذا متم على هذا فقالوا عند ذلك جوابا له سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين الوعظ هو الاخبار عن عواقب الامور
من ترغيب وترهيب اى سواء علينا تخوفنا العذاب او لم تخوفنا لا نصدقك ولا نجيبك الى ما تدعونا اليه ثم قالوا ان هذا
الا خلق الاولين قيل فيه بوجوه احدها اى ما هذا الذى نحن عليه الا دين الاولين وما ابتدعت انت وتدعونا اليه هو حادث
بديع والخلق يجوز ان يكنى به عن الدين كقوله لا تبديل لخلق الله اى لدين الله وقال بعضهم قوله ان هذا اى ما هذا الذى تقول
الا كذب الاولين واختلاقهم اى تكذب وتختلق كما اختلق الذى كانوا من قبلك من الرسل كقوله ما هذا الا اساطير الاولين
فان كان على هذا فيكون قوله كذبت عاد المرسلين هذا لانهم كذبوا الرسل جميعا وقال بعضهم قوله ان هذا الا خلق الاولين
قالوا هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقال بعضهم الوعظ هو النهى كقوله يعظكم
ان تعودوا لمثله ابدا اى ينهيكم وقوله عز وجل وقوله وما نحن بمعذبين على ما نزعم وتخبر كما لم يعذب الاباء وقوله عز وجل

فكذبوه

فكذبوه فاهلكناهم قيل اهلكوا بالريح كقوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الاية وقوله عز وجل ان فى ذلك لاية قد ذكرناه
وقال ابو عوسجة والقتبى خلق الاولين اى اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته اذا افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات
احاديث الخلق قال ومن قرا خلق الاولين بضم الخاء اراد عادتهم وشانهم وقوله عز وجل كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا
تتقون قد ذكرنا ما قبله فيما تقدم انى لكم رسول امين اى كنت امينا قبل ذلك فكيف تتهموننى اليوم وقيل الامين على الرسالة ناصح لكم وقد
ذكرنا ما قبله الى قوله ان اجرى الا رب العالمين وقوله عز وجل اتتركون فيما ههنا امنين يخرج على وجهين احدهما اتتركون هنا وان اخرج
على الاستفهام فكانه قال على الايجاب ولا تتركون فيما ذكر امنين والثانى اتتركون اى اتظنون ان تتركوا فيما ههنا امنين اى لا تظنوا
تتركوا فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم قال بعضهم الهضيم المتهشم وقال بعضهم الذى رطب واسترخى وهو اللين وعن
الحسن الذى ليس له نوى وقال بعضهم هو من الرطب الهضيم وهو الذى ينقطع لينه ومن اليابس الهشيم ينكسر ليبوسته وقال القتبى
والهضيم الطالع قبل ان ينشق عنه القشر وينفتح وقال ابو عوسجة الهضيم الذى لا شوك فيه ولا مشقة وقال بعضهم الهضيم هو الذى
يتراكم بعضه بعضا ويكون نوى بعض ولو قيل ان الهضيم هو الهنى المرئ الذى لا داء فيه ولا مشقة بهضم كل ما فيه داء ومرض ولذلك سمى
الهاضوم هاضوما وهو الذى يهضم الطعام ويهضمه والله اعلم وقوله عز وجل وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بالالف وفرهين بغير
الف فارهين اى حاذقين مجيدين اى لهم حذاقة وبصر فى نحت البيوت فى الجبال يقال فلان فاره فى امر كذا اى حاذق وفرهين اشرين
بطرين اى فرحين قال القتبى والفرح قد يكون السرور ويكون الاشر ومنه قول الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين اى الاشرين قال ومن قراها
فارهين بالالف فهى لغة اخرى يقال فره وفاره كما يقال فرح وفارح وقال فارهين حاذقين وقال ابو عوسجة فارهين وفرهين اى كيسين
ويقال فره يفره فرها فهو فره وفاره وقوله عز وجل فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين يقول والله اعلم اتقوا نقمة الله فى مخالفتكم
امره واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين اى لا تطيعوا امر من ظهر لكم منه الاسراف والفساد ولكن اطيعوا امرى اذ لم يظهر لكم منى اسراف ولا فساد
ولا تطيعوا الذين يفسدون انهم يفسدون فى الارض ولا يصلحون او ان يكون قوله ولا تطيعوا امر المسرفين موخرا عن قوله ما انت الا بشر مثلنا
يقول لهم صالح تتركون طاعتى والاجابة لى لانى بشر مثلكم فلا تطيعوا انا بشر اهود وفى دم الذين ظهر لكم منهم الفساد والاسراف ولم يظهر لكم
منى شئ من ذلك يخبر عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتباع الرسل وطاعتهم لانهم بشر اد نهم فى كل ثم اجابوا اصاغرا ولا تطيعوا امر المسرفين
فقالوا انما انت من المسحرين اختلف فيه قال بعضهم يقولون انما انت سوقة مثلنا لست بافضلنا وانما نتبع نحن الملوك وذى ثروة من
المال وانت لست بملك ولا لك ثروة فهم والله اعلم طعنوا صالحا كما طعن كفار مكة رسول الله حيث قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى
فى الاسواق وقال بعضهم يقولون انت بشر مثلنا فى المنزلة لا تفضلنا بشئ لست بملك ولا رسول فات باية ان كنت من الصادقين بانك
رسول فنتبعك كما اطعنا ادلك وقال القتبى انما انت من المسحرين ممن له سحر السحر الرئة واشباه جميع وقال بعضهم من المسحورين فكنه عند
الكفرة بشئ والله اعلم ثم قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ذكر اهل التاويل ان الماء سقسم بينهم كان يوم لهم ويوم
للناقة استدلوا بقوله ولكم شرب يوم معلوم فلما كان يوم لهم معلوم لكن كان يوم لها معلوم لكن ليس فى الاية دلالة ان الامر وصفوا
ولكن فى الاية ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وظاهره ان الماء بينهم بالقسمة لا اشرب وقوله عز وجل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
جائز ان يكون الماء بينهم بعضه للناقة وبعضه لهم ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة فى ذلك اليوم شئ والله اعلم وقد ذكرنا ان هذه الانباء
انما ذكرت فى كتبهم حجة لرسول الله فلا يزاد على ما ذكر فى الكتاب مخافة ان يذهب حجته عليهم على اهل الكتاب لئلا يكذبوا رسول الله
فيما يخبر من الانباء التى فى كتبهم وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين يحتمل قوله
فاصبحوا نادمين اذا هلكوا والا لو ندموا على صنيعهم وتابوا قبل ان يهلكوا لقبل ذلك منهم وقوله عز وجل فاخذهم العذاب كانه انا هم
الرسل على اثر السؤال فكذبوها اخذهم العذاب فاهلكوا وقوله عز وجل ان فى ذلك لاية قد ذكرنا وقوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين
قد ذكرنا بالتانيث على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون الى قوله العالمين قد
ذكرناه فيما تقدم وقوله عز وجل اتاتون الذكران من العالمين وقال فى اية اخرى ائنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
وقوله عز وجل وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اى تذرون ما جعل الله ذلك طلبا لابقاء هذا النسل لانه لم يجعل النساء لهم
لقضاء الشهوة خاصة ولكن انما جعل لهم الازواج لابقاء هذا النسل دوام فيعيرهم لوط بتركهم اتيان النساء لما فى ذلك انقطاع
ما جعلن هن له وهو ابقاء النسل واشتغالهم بالرجال وليس فى ذلك ابقاء النسل هنا والله اعلم معنى قوله وتذرون ما خلق لكم
ربكم من ازواجكم انما خلق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة لكن جعل فيهم ومكن قضاء الشهوة ليرغبهم على ذلك ليبقى هذا النسل
الى يوم القيامة والا لو لم يجعل ذلك فيهم لعلهم لا يتكلفون ذلك ولا يحتملون هذه المؤن التى يتكلفون ذلك ولا يحتملون هذه
المؤن التى يتكلفون حملها لذلك وفى الاية دلالة ان المراة هى المملوكة عليها دون الزوج والزوج هو المالك عليها حيث قال وتذرون
ما خلق ربكم من ازواجكم وقال فى اية اخرى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا الاية اخبر انه خلق النساء لنا لا انه خلقنا لهن وفى
ذلك الحجة لاصحابنا فى قولهم ان المسلم اذا تزوج نصرانية بشهادة نصرانيين جاز النكاح لانه هو المتملك عليها النكاح وهى المملوكة له

والله اعلم وقوله عز وجل بل انتم قوم عادون اي بل انتم قوم متجاوزون حده الذين حد لكم او عادون حقه الذي له عليكم او
عادون وقوله عز وجل قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ذكر الانتهاء ولم يبين ماذا فجايز ان يكون قالوا
لئن لم تنته يا لوط من تعييرك الذي تعيرنا به لتكونن منا لمخرجين حيث قال ما سبقكم الاية وقوله عز وجل وتذرون ما خلق لكم
ربكم من ازواجكم ويحتمل لئن لم تنته من دعايك الذي تدعونا اليه لتكونن كذا وقوله لتكونن من المجرمين يحتمل نفس الاخراج
اي نخرجك من القرية ومن بيننا وجايز ان يكون ارادوا بالاخراج اخراجا بالقتل كقوله قوم نوح حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح
لتكونن من المرجومين وهو اشبه ثم قال لوط اني لعملكم من القالين اي من المبغضين اي كيف توعدونني بالاخراج واني لعملكم الذي تعملون
من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية اعمالكم التي تعملون كيف توعدونني بالاخراج ثم دعا فقال رب نجني واهلي مما يعملون فهذا
يحتمل وجوها احدها رب نجني واهلي من عذاب ما يعملون وجايز ان يكون رب نجني اهلي من عمل ما يعملون من الخبايث كقول ابرهيم
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام او ان يقول رب نجني واهلي عن رؤية ما يعملون ومعاينته ثم قال فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين يحتمل ان يكون امطر عليهم الحجارة بعد
ما قلبهم ظهرا لبطن وبطنا لظهر كقوله فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة وجايز ان يكون جعل عاليها سافلها بما
امطر عليهم من الحجارة وجايز ان يكون جعل القريات ومن فيها عاليها سافلها وامطرنا على من كان غايبا منهم الحجارة قال ابو عوسجة
والقتبي من القالين اي من المبغضين يقال قليت الرجل اي ابغضته ومن ذلك قوله ما ودعك ربك وما قلى والغابر الباقي وقوله
عز وجل كذب اصحاب الايكة المرسلين والايكة قال بعضهم هي الشجرة نسبوا اليها وقال بعضهم الايكة الغيضة اذ قال لهم الا تتقون
قال بعض اهل التاويل وانما لم يقل هاهنا في شعيب اخوهم لان شعيبا لم يكن من نسلهم اعني من نسل اصحاب الايكة لذلك لم يقل اذ قال لهم
اخوهم شعيب وقال في سورة هود حيث قال والى مدين اخاهم شعيبا لانه كان من نسل اهل مدين ويقولون ان شعيبا كان بعث
اهل مدين وهو كان منهم والى اصحاب الايكة وهو لم يكن منهم لذلك قال ثم اخاهم ولم يقل هاهنا لكن ليس فيما [illegible]
اخاهم يكن من نسله ولا من نسبهم لان جميع ولد ادم اخوة [illegible] فعلى ذلك اولاده اخوة واخوات [illegible]
ان مدين غير الايكة والايكة غير المدين فبعث شعيب اليهم جميعا او هما واحد [illegible] والى مدين ثانيا والله اعلم
بذلك وقال القتبي الايكة الغيضة وجمعها ايك وقال ابو عوسجة الايكة شجرة والايك جمع ايكة وقال لا اعرف ليكة [illegible] وكذلك
قال ابو عبيد وقال ابو زيد اصحاب ليكة اصحاب بادية والله اعلم وقوله عز وجل اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وكذلك قال الا
مدين في سورة هود واوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ذكر فيها جميعا ايفاء الكيل [illegible]
انه نهاهم فيها جميعا نقصان الكيل والوزن فامرهم بايفاء ذلك وان كانت [illegible] ذكر ذلك ثم في قوله ولا تبخسوا الناس
اشياءهم جواز [illegible] من وجهين احدهما [illegible] المشتري والثاني [illegible] من الكيلي والوزني [illegible]
ولا تبخسوا الناس اشياءهم [illegible] ولكن كانت اشياء هولاء
اذ لا يخلوا ذلك ما ان كان ثمنا او كان مبيعا فكيف ما كان فهو موصوف بالملك لهم دون الذين عليهم ايفاء ذلك وقوله عز وجل
اوفوا الكيل كانه قال اوفوا الكيل والوزن فيما عليكم ايفاؤه ولا تبخسوا الناس اكثر ما لكم عليهم وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس
قال بعضهم العدل اي وزنوا للناس حقوقهم بالعدل ولا تنقصوها وقال بعضهم القسطاس هو القبان وهو الميزان وقوله عز وجل
المستقيم المستوي كانه قال وزنوا بالميزان المستوي لا يجعلوا احدى الكفتين اثقل من الاخرى كانهم يجعلون الكفة التي يوفون بها
حقوق الناس اثقل والكفة التي يستوفون من الناس اخف فامرهم ان يسووا الكفتين جميعا وقوله عز وجل ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي لا تفسدوا فيها وقوله عز وجل واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي اتقوا نقمة الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين
ان كيف عليهم وانتقم منهم بظلمهم والجبلة هو الخليقة يقال اي خلق قالوا انما انت من المسحرين قال بعضهم هو الذي سحر مرة بعد
مرة فعلى هذا التاويل يكون انما انت من المسحرين لكن التشديد للتكثير وقال بعضهم انما انت مخلوق وبشر مثلنا وقد ذكرنا وقوله عز وجل
وان نظنك لمن الكاذبين هذا يدل انهم انما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا وحقا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين سالوا
شعيبا العذاب على التعنت كما سال غيرهم امطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فنزل بهم العذاب من حيث سالوا من السماء
وعن الحسن قال سلط الله الحر على قوم شعيب سبعة ايام ولياليهن حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا ببرد ماء ورفعت لهم سحابة في البرية
فوجدوا تحتها الروح فجعل بعضهم يدعو بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها اشعلها الله نارا فاحرقتهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة
الاية وقال بعضهم سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم والظلة قال ابو عوسجة حر شديد وقال القتبي كسفا اي قطعا من السماء والكسف
القطع وقال بعضهم اصابهم حر شديد وغم في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الروح قبله فلما غشيتهم تلك السحابة اخذتهم الرجفة فاصبحوا جاثمين
وقال بعضهم ظلل العذاب اياهم وبعضهم قريب من بعض وعن ابن عباس قريبا من هذا قال بعث الله عليهم وهدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم
فلما احسوا بالموت بعث لهم سحابا فاظلتهم فتنادوا تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة والظلة السحاب

وهو قريب

وهو قريب من الاول وقول شعيب ربي اعلم بما تعملون من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم وقوله فكذبوه فاخذهم عذاب
يوم الظلة كذبوه فيما اخبر من نزول العذاب بهم او كذبوه فيما ادعى من الرسالة وما سوى ذلك هو مذكور فيما تقدم وقوله
عز وجل وانه لتنزيل رب العالمين وانه اي القران تنزيل رب العالمين اي نزله رب العالمين نزل به الروح الامين لقوله انما يعلمه بشر
وقوله نزل به الروح الامين على قلبك قوله على قلبك يحتمل وجوها احدها ان جبريل لما ينزل من القران انما ينزله على قلبه لا يحجبه
شيء عن قلبه والثاني على قلبك اي لا يذهب عنه بل الله يجمعه في قلبك كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
وان يكون قوله على قلبك اي يثبته على قلبك لقولهم لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك وان يكون قال
ذلك لما انتهى الى قلبه وحفظه غاية حفظه قال على قلبك كانه القي في قلبه وكذلك يقال وقوله عز وجل ليكون من المنذرين
بلسان عربي مبين كانه والله اعلم على التقديم والتاخير يخرج اي نزل به الروح الامين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من
المنذرين والباطنية يقولون انزله على رسوله كالخيال غير موصوف بلسان ثم ان رسوله اداه بلسانه العربي المبين اي بينه
لكنه ليس كذا لانه قال في اية اخرى انا انزلناه قرانا عربيا فيبطل قولهم انه اداه بلسانه عربيا من غير ان انزله كذلك ولو كان على
قول الباطنية انه لم ينزله بهذا اللسان اعني لسان العرب وان الرسول هو الذي صيره بهذا اللسان واداه به لكان لا يصير
جوابا لقولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ولا حجة عليهم فاذا ذكر هذا جوابا لقولهم
وحجة عليهم دل انه انما انزله عربيا وان قاله لاية ما ذكرنا على التقديم والتاخير وقوله عز وجل وانه لفي زبر الاولين
قال بعض اهل التاويل وانه اي بعث محمد وصفته كان في كتب الاولين وجايز ان يكون قوله وانه اي هذا القران كان ذكره
في كتب الاولين انه ينزل على رسول الله محمد لا ان عينه كان فيها او ان كان بعضه في زبر الاولين لا الكل والله اعلم وقوله عز وجل
اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قال بعض اهل التاويل اولم يكن لهم محمد اية ان علماء بني اسرائيل كانوا يعلمون انهم يجدونه
مكتوبا عندهم في الكتب لكن تاويله اولم يكفهم علم علماء بني اسرائيل اية انه رسول ثم الاية تكون بوجهين احدهما ما ذكر
ان اهل مكة ارسلوا الى اليهود بالمدينة يسالونهم عن رسول الله فاخبروهم عنه انه يخرج في وقت كذا وان نعته كذا
وهذا وقت خروجه والثاني يقول اولم يكفهم اية اسلام علماء بني اسرائيل وفقهائهم انه رسول نحو ابن سلام وغيره اذا
كانوا لا يسلمون الا عن علم وتثبت انه رسول لما كان في اسلامهم ذهاب ماكلتهم ورياستهم والله اعلم وقوله عز وجل ولو
نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مومنين قال بعضهم نزلناه على رجل منهم عربي فلم يومنوا به فكيف لو
نزلناه على اعجمي وقال بعضهم لو نزلنا هذا القران على بعض الاعجمين فقراه عليهم يقولوا انا لنكانوا اشر الناس فيه ما فهموه وما دروا
ما هو وهو قريب الاول وقال بعضهم لو نزلناه على بعض الاعجمين من الدواب فكلمهم هذا ما صدقوه بذكر سفههم وتعنتهم وتجاهل
قوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي لو انزلنا اعجميا فلم يفهموه لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي ولكن نزلناه عربيا
لئلا يقولوا ذلك والله اعلم وقوله عز وجل كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به قال بعضهم هكذا سلكنا الكفر والتكذيب
وادخلناه في قلوب المجرمين وقال بعضهم كذلك سلكناه يعني الاباء والحج في قلوب المجرمين حتى عقلوه ولزمهم الحجة لكنهم
تركوا الايمان به تعنتا وعنادا لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم حين لا تنفعهم ايمانهم لان ايمانهم عند معاينة العذاب ايمان
دفع واضطراب لا ايمان اختيار وهو كما قال فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لانه ايمان دفع واضطراب لا ايمان اختيار وهو
كما قال فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لانه ايمان دفع العذاب عن انفسهم حين طرح انفسهم من بين ايديهم وايمان اضطرار
لا ايمان اختيار لذلك لم ينفعهم وقوله عز وجل فياتيهم بغتة اي ياتيهم العذاب فجاة وهم لا يشعرون لانه عز وجل اذ علم منهم
انهم لا يومنون ابدا فانزل عليهم العذاب بغتة ولو علم منهم انهم يومنون حقيقة عند معاينة العذاب لانزل عليهم العذاب
معاينة مجاهرة ليومنوا فيقبل منهم ذلك ورفع العذاب عنهم كما قبل ايمان قوم يونس حيث قال فلولا كانت قرية امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا قبل منهم الايمان عند معاينتهم العذاب لما علم منهم انهم
يحققون الايمان في ذلك واما من كان منهم العناد والمكابرة فهم لا يحققون الايمان وقوله عز وجل فيقولوا هل نحن منظرون
لا يزالون يطلبون النظرة والرجعة الى الدنيا وتاخير العذاب عن انفسهم اذا نزل بهم كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب وكقولهم يا
ليتنا نرد فيتمنون الرجوع والنظرة لكن لا يجابون الى ذلك وقوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون قال اهل التاويل هذا جواب لهم
لما اوعدهم النبي العذاب بنزل بهم متى العذاب تكذيبا له واستهزاء يقول الله عند ذلك افبعذابنا يستعجلون ولقولهم متى هذا الوعد
وقولهم امطر علينا حجارة ومثله والا ليس هذا في الظاهر جوابا لقولهم فيقولوا هل نحن منظرون وجواب هذا والله اعلم وقوله عز وجل
افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون يقول ما يغني تاخير العذاب عنهم وامهالهم عن وقت
يمنعون من عذاب الله من شيء لا ينفعهم ذلك وان يكونوا سالوا العذاب في الظاهر واستمهلوه في الحقيقة فخرج قوله افرايت ان
متعناهم سنين الاية جوابا لاستمهالهم وان يكون بعضهم استعجل العذاب واستمهل غيرهم فخرج هذا جواب من استمهل ثم خوفهم فقال

وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى يقول وما اهلكنا من قرية اهلاك استيصال وانتقام الا بعد الانذار واقامة الحجة والبيان
ذكرى اى موعظة وزجر عما هم فيه او ذكرى يذكرهم ما لهم وما عليهم وما لبعضهم على بعض وقوله عز وجل وما كنا ظالمين في تعذيبهم اى لم
نعذبهم بلا ذنب ولا جرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم لان العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد ومكابرة وانما عذاب الكفر في
الاخرة وعلى ذلك يخرج قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اى ما كنا معذبين في الدنيا تعذيب انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم
العناد والمكابرة فعند ذلك يعذبهم الله وقال بعضهم وما كنا ظالمين اى ما كنا نعذبهم الا من بعد البيان والحجة والقطع العذر والله اعلم وفي
مصحف ابي وما اهلكنا من قرية الا بذنوب اهلها وقوله عز وجل وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم قال بعضهم ما تنزلت بالقران الشياطين
فذلك جواب لقول اهل مكة ان محمدا كاهن معه راى وهو يأتيه بما يقول يعنون بالراى الشيطان وكانت الشياطين من قبل يقعدون من السما
مقاعد يستمعون فيها الوحي من الملائكة فينقلون به على الكهان فرين بعيب ويخلطون فقالوا لمحمد كذلك فاكذبهم الله تعالى في مقالتهم
تلك فقال وما تنزلت به اى بالقران الشياطين وما ينبغي لهم ان ينزلوا بالقران وما كانوا يستطيعون اى مدخل بينهم وبين السمع بالملا[ئكة]
والشهب واخبر انهم عن السمع لمعزولون وفي قوله وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون دلالة ان من اراد ان يجعل القران حجة لغير الذي
جعل هو حجة لم يقدر على التخلق به ولا التلاوة ونحو من يأتي فيما بين افاق الارض لم ينته اليهم هذا القران فادعى لنفسه النبوة وجعل
يحتج بهذا القران فانه لا يقدر على تلاوته ولا التخلق لانه انما جعل حجة وبرهانا للحق لا للمبطل حيث قال وما تنزلت الشياطين وما
ينبغي لهم ان ينزلوا وما يستطيعون اخبر انهم لا يستطيعون ذلك وانهم معزولون عن ذلك وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله
فلا تدع مع الله الها اخر وامثاله والله اعلم وقوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين روي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية
وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني
لا املك من الله نفعا ولا ضرا يا معشر بني قصي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا وقال يا معشر بني عبد
مناف انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا وكذلك لبني عبد المطلب وقال لفاطمة ابنته يا فاطمة بنت محمد
انقذي نفسك من النار فاني لا املك لك من الله ضرا ولا نفعا ولكن لك رحم وسابلها ببلالها اى ساصلها وفي بعض الاخبار انه قال
عند نزول هذه الاية اني ارسلت الى الناس عامة وارسلت اليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة وهم الاقربون وهو اخوان
ابناء عبد مناف وعن الحسن قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اهل بيته قبل موته فقال الا ان لي عملي ولكم عملكم الا
اني لا املك لكم من الله شيئا الا ان اوليائي منكم المتقون الا لاعرفنكم يوم القيمة تأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم ويأتي
الناس بالاخرة وعن قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا يفخذ عشيرته فخذا فخذا يدعوهم الى الله
قال في ذلك المشركون لبات هذا الرجل يهوت منذ الليلة يقول يصيح فانزل الله في ذلك قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله
مثنى وفرادى الاية ومعنى التخصيص في انذاره وعشيرته فهذه الاية يحتمل وجهين وان كانوا داخلين في جملة انذار الناس
جميعا في قوله نذيرا للعالمين اذ هم من العالمين احدهما جائز ان يكونوا هم يطمعون شفاعة رسول الله يوم القيامة بقرابته
واتصالهم به وان لم يطيعوه ولم يجيبوه الى ما يدعوهم اليه لما روي عنه انه قال كل نسب وسبب منقطع يومئذ الا نسبي وسببي فخشي
ان يكونوا يطمعون شفاعته يومئذ وان خالفوه بحق القرابة والوصلة ما لا يطمع ذلك غيرهم من الناس الا بالطاعة والاجابة فامر
ان ينذرهم لئلا يتكلوا الى شفاعته ولكن احتالوا لاجلتهم بالطاعة له والعمل لما يأمر وهو ما ذكر في الاخبار التي ذكرنا اني لا املك لكم
من الله نفعا ولا ضرا الا ان اوليائي منكم المتقون ان لا ولاية لهم ان لم يتقوا مخالفته ولم يطيعوه والثاني

بياض في الاصل

واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قيل ليّن جانبك لمن اتبعك من المؤمنين كانه امر رسوله ان يتواضع لهم ويرحم وقال في الوالدين
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في المؤمنين بعضهم لبعض فيما بينهم رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ذكر الذل فيما
بينهم والرحمة ولم يذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذل والله اعلم لان الذل كانه يرجع الى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا وذلك
في رسول الله بعيد لا يحتمل ان يأمره بالخدمة لهم وجائز ان يخدم بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل فان عصوك فقل اني بريء
مما تعملون فالوا انه راجع الى قوله وانذر عشيرتك الاقربين وموصول به كانه قال وانذر عشيرتك الاقربين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون
قد كان رسول بريئا ما كان يعملون وتلك الكفرة لكنه يحتمل ان يكون ذلك لما انذرهم رسول الله طلبوا منه ان يطيعهم في بعض امورهم
ويشاركهم في بعض اعمالهم حتى يطيعوا اولئك له في بعض ما يأمرهم ويدعوهم اليه ويشاركونه في بعض اعماله فقال عند ذلك اني بريء
مما تعملون يتبرا مما يدعونه اليه وطلبوا منه مساعدة اياهم والاعراض عما يعملون فقال وتوكل على العزيز الرحيم كانه امنه عن شرهم و
كيدهم فقال توكل على العزيز الرحيم ولا تخف مخالفتهم اياك فيما تدعوهم اليه او امره ان يكل نفسه اليه ويفوض جميع اموره في كل وقت
فقال وتوكل على العزيز الرحيم العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه او الشديد باعدائه الرحيم باوليائه او ذكر العزيز لانه به يعز من يعز
وهو يرحم من لم يعزه هو لا يكون عزيزا ومن لم يرحمه هو لا ينفع ترحم غيره والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء وقوله عز وجل الذي يراك
حين تقوم في ظلمة الليل وحدك قائما وجالسا وعلى حالاتك يراك في تقلبك ايضا في الساجدين في الصلوة مع الناس في الجماعة وبعضهم

يقول

يقول في تقلبك في الساجدين في المصلين يقول كما يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من امامه لكن هذا ليس تأويل الاية الا كلام رآه من
ذات نفسه ولو كان ما ذكر لكان يقول يريك برفع الابصار لا بالنصب وروي في بعض الاخبار انه قال اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا
بالسجود ولا بالقيام فاني اراكم خلفي كما اراكم امامي والذي نفسي بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا يا رسول الله
وما رايت قال رايت الجنة والنار وقال بعضهم يريك حين تقوم الى الصلوة فتصلي وحدك ويراك مع المصلين في جماعة وهو مثل الاول
وفي حرف حفصة وتقلب وجهك في الساجدين انه هو السميع العليم السميع لمقالتهم مما يجهرون ويسرون وما يعملون والعليم بضمائرهم و
خفياتهم والسميع المجيب لمن دعاه العليم باعمالهم وافعالهم وقوله عز وجل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم خرج هذا
والله اعلم وما تقدم ذكره من الايات جوابا لقول كان رؤسا الكفرة وقادتهم لا يزالون يلبسون على اتباعهم والسفلة امر رسول الله وما يتـ[لو]
فقالوا مرة اساطير الاولين ومرة ما هذا الا افك مفترى وانه شاعر وانه ساحر ومرة قالوا انما يعلمه بشر وامثال هذا فجائز ان كان
منهم ايضا قول ان الشياطين هم الذين يتنزلون بهذا القران عليه على ما ذكرنا انهم قالوا انما يجيء به الراي وهو الشيطان فيلقيه على لسانه
فقال عند ذلك جوابا لهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم الاية ولكن انما يتنزل به جبريل حيث قال قل نزله روح القدس الاية ثم
اخبر عن الشياطين انهم على من ينزلون حيث قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين فقال تنزل على كل افاك اثيم ذكر الماعرفوا ان
الشياطين لا تتنزلون الا بكذب وباطل لا ينزلوا الا على كذاب وكان معلوما عندهم ان محمدا لم يكذب قط ولا افك ابدا اذ لم
يأخذوه بكذب فيما بينهم قط فيقول والله اعلم كيف تتنزل عليه الشياطين وهو معروف عندكم انه ليس بكذاب ولا افاك وقد
تعلمون ان الشياطين لا يتنزلون الا بكذب وباطل على هذا يخرج تاويل هذه الاية والا على الابتداء لا يحتمل ان يكون ثم اخبر عن صنيع
الشياطين فقال يلقون السمع واكثرهم كاذبون وقال بعضهم يلقي الشياطين باذانهم الى السمع في السماء لكلام الملائكة وذلك ان الله
اذا اراد امرا في الارض علم به اهل السماء من الملائكة فتكلموا به فيسمع الشياطين ذلك فيخبرون به الكهنة فيخبر الكهنة اهل الارض
بذلك فيقولون انه يكون في الارض كذا في وقت كذا ثم قال واكثرهم كاذبون على هذا التاويل واكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون
الكهنة من اخبار السماء وقال بعضهم ان الجن كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون اسماعهم الى السماء فيستمعون من اخبار اهلها ثم
ينزلون به على الكهنة ويستمع الكهنة ايضا من اخبار الرسل ويخلطون ما سمعوا من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل
فيحدثون الناس بذلك فما كان من الرسل حقا وما كان من الشياطين فيكون باطلا فذلك تاويل قوله واكثرهم كاذبون اى اكثرهم الكهنة
كاذبون فيما يخبرون الناس مما سمعوا من الشياطين وقال بعضهم كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يخلطون من عند انفسهم كذبا
فيحدثون به الناس حتى اذا كان الناس يتركون ما يسمعون منهم من الكذب حدثوهم بذلك الحق الذي نزل به من السماء فيراجعونهم
ويصدقونهم فذلك قول الله واكثرهم كاذبون اى اكثر قولهم كذب والله اعلم بذلك وقوله عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون قال
بعضهم رجلان شاعران كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما من الانصار والاخر من قوم اخرين فهجوا رسول الله واصحابه
ومع كل واحد منهما غواة من قومه فذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال فاستاذن شعراء المسلمين النبي ان يقتصوا من المشركين
فاذن لهم النبي فهجوا المشركين ومدحوا النبي وذلك قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اخبر في الاول والشعراء يتبعهم الغاوون ثم استثنى
شعراء المسلمين بقوله الا الذين امنوا وقال بعضهم الشعراء عصاة الجن يتبعهم غواة الانس كقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض وقال بعضهم هم الكفار يتبعون ضلال الجن والانس وهو مثل الاول وقوله عز وجل الم تر انهم في كل واد يهيمون قال بعضهم
في كل فن يأخذون اى يمدحون قوما بباطل ويذمون قوما بباطل وانهم يقولون ما لا يفعلون وانهم يصفون ما لا يفعلون وكذلك
ذكر في بعض الحروف انه كذلك وقال بعضهم انهم في كل لغو وباطل يخوضون وانهم يقولون ما لا يفعلون يقول في اكثر قولهم يكذبون
وقال بعضهم وانهم يقولون ما لا يفعلون اى يقولون فعلنا كذا وفعلنا كذا وهم كذبة لم يفعلوا ذلك وقال ابو عوسجة يهيمون اى
يذهبون ويجيئون ويركبون كل واحد هام يهيم هيما فهو هايم ويقال الهايم العطشان يقول هام يهيم هيما وهيمان وعطشان و
قوم هيم والهايم المولع المحب الذي هو عطشان الى لقاء من يحب والتهويم النوم يقال هوم يهوم تهويما وقوله فشاربون شرب الهيم
هم العطاش والواحد هيمان وقال القتبي في كل واد يهيمون اى في كل واد من القول وفي كل مذهب يذهبون كما يذهب الهايم على وجهه
وقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا الاستثناء يحتمل ان يكون من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهو ما ذكر
كانه قال اولئك الشعراء وهم القادة منهم نحن نقول بمثل ما اتى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الشعر وانشدوه واجتمع اليهم غواة من
قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي واصحابه فاستثنى شعراء المسلمين الذين قالوا الشعر وانشدوه في
انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يتبعهم الغاوون او ان يكون الاستثنا[ء]
من قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يهيمون في كل واد ويقو[لون]
ما لا يفعلون ولا يقولون ما لا يفعلون بل يذكرون الله كثيرا وينتصرون رسوله وانفسهم من بعد ما ظلموا فيكون الاستثناء في احد
التاويلين من الاتباع وفي الاخر من الايمة والقادة فكان منهم نوع سبق في ذلك حتى قال والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر ما ذكر

اذ لا يحتمل على الابتداء دون نزل كان منهم على ما ذكر في قوله وما تنزلت به الشياطين وقوله هل انبئكم على من تنزل
الشياطين الاية قد كان منا ولئك الكفرة قول وطعن بان الشياطين هم الذين ينزلون به عليه حتى صرح جوابا لهم وما تنزلت به
الشياطين وما ينبغي لهم وان لم يذكر ذلك بظهر ذلك في الجواب انه كان منهم قول وطعن وان لم يذكر ثم او عدهم وقال وسيعلم الذين ظلموا
اى منقلب ينقلبون يحتمل في الاخرة فينقلب الظلمة وهى النار اى يعلمون علم عيان يومئذ وان لم يعلموا ذلك في الدنيا علم الاستدلال لما تركوا
النظر فيه او يعلمون ذلك علم عيان في الاخرة وان علموا في الدنيا علم استدلال لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يومنوا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قد ذكرنا فيما تقدم تاويل الحروف المعجمة واقاويل الناس فيها وكذلك الايات قد ذكرنا وقوله وكتاب مبين يحتمل قوله
مبين اى بين واضح لان ابان قد يستعمل في موضع بان يقال بان وابان ويحتمل وكتاب مبين اى يبين انه رسول من الله او يبين
ما لله عليهم او ما لبعضهم على بعض او ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل هدى وبشرى للمؤمنين قوله هدى يحتمل وجهين احدهما على
كقوله ولكل قوم هاد اى داع يدعو الخلق الى توحيد الله فعلى ذلك يحتمل قوله هدى اى دعاء يدعوهم الى توحيد الله تعالى
فان كان هذا فهو للناس كافة والثاني جائز ان يريد بالهدى الهدى الذي هو نقيض الضلال وضده فهو للمؤمنين خاصة
وان كان اراد به البيان والدعاء فهو للكل وقوله عز وجل هدى وبشرى للمؤمنين جميعا وعلى الدعاء يكون قوله وبشرى للمؤمنين
اى يدعوهم الى الايمان بالله وبرسوله فاذا امنوا به كان لهم بشرى ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة يحتمل قوله يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اى يقرون بهما ويؤمنون لان من الناس من كان يؤمن بالله ويؤمن
لكنهم ابوا الايمان بالصلوة والزكوة كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة فخلوا سبيلهم لا يحتمل ان يامرهم بحبسهم الى ان
تمضى السنة فتجب الزكوة عليهم فيؤتون فحينئذ يخلون سبيلهم ولكن الامر بحبسهم الا ان يقروا بها ويؤمنوا فيخلون
عند ذلك سبيلهم وكذلك قوله بالدين لا يؤتون لا يقبلونها ولا يقرون بها ليس على فعل الايتاء فعلى ذلك الاول يحتمل
هذا والثاني يحتمل الامرين جميعا القبول والاقرار بهما والايتاء جميعا اى اذا قبلوهما واقروا بهما واعطوهما فحينئذ
يستوجبون هذه البشارة التي ذكرت وقوله عز وجل وهم بالاخرة هم يوقنون الايقان بالشيء هو العلم به من جهة الاستدلال
والاجتهاد والاسباب التي يستفاد بها العلم بالاشياء لا العلم الذاتي ولذلك لا يوصف الله على الايقان بالشيء ولا يقال
يا موقن لانه عالم بذاته لا بالاسباب وبالله التوفيق وقوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم يحتمل قوله
زينا لهم اعمالهم الاعمال التي هم فيها بما ركب فيهم من الشهوات والاماني ويحتمل زينا لهم اعمالهم الاعمال التي هى عليهم اى زين لهم الخيرات
والطاعات لكنهم ابوا ان يأتوا بها فالمعتزلة قالوا بهذا التأويل وابوا ان يقولوا بالاول ان يكون من الله تزيين ما هم فيه من
الشرك والكفر وانواع افعال الكفر اذا اضاف تزيين ذلك الى الشيطان حيث قال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن سبيل
وقال الشيطان سول لهم ونحو ذلك من الايات فقالوا اضاف الى الشيطان ولا يجوز ان يضاف الى الله ذلك بعينه فذلك
ان الله انما زين لهم اعمالهم التي عليهم من الايمان والخيرات لا الاعمال التي هم فيها لكن عندنا يجوز اضافة تزيين اعمالهم التي
هم فيها الى الله من جهة ما ركب فيهم من الشهوات والاماني التي توافق طباعهم وانفسهم لان التزيين يقع بنفس الكفر
وافعاله ان الكفر نفسه ليس بمزين ولا مستحسن انما هو شتم رب العالمين ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما يفعل
من الاعمال طباعهم والجهة التي تضاف الى الشيطان من التزيين والاضلال غير الجهة التي تضاف الى الله اذ الجهة التي
تضاف الى الشيطان هو دعاؤه وتمنيته الى ما يوافق طباعهم فمن هذه الجهة يجوز اضافته الى الشيطان والجهة التي تضاف
الى الله فهو ما ركب فيهم من الشهوات والاماني وجعل الطباع من افعالها والالتذاذ في جميع الخيرات انما يكون مزينا له
مستحسنا في العقل العاقبة والكفر وجميع المعاصي مستقبح في العقل العاقبة اذ يحمد احدهما ويثاب على فعله ويذم الاخر و
عوقب لسوء اختياره او ان يكون اضافة ذلك الى الله لما خلق افعالهم واعمالهم التي عملوها واخرجها من العدم الى
الوجود وهى من هذه الجهة فعله وهو يرد قولهم في بابهم خلق افعال العباد وقوله عز وجل فهم يعمهون قيل يترددون
واصل العمه الحيرة اى يتحيرون اولئك الذين لهم سوء العذاب اى لهم ما يسوءهم من العذاب في الاخرة لاختيارهم سوء الافعال في الدنيا
وهم في الاخرة هم الاخسرون الاخسرون والخاسرون واحد وجائز ان يقال لهم الاخسرون للقادة منهم والرؤساء لانهم ضلوا بانفسهم
واضلوا اتباعهم وهم اخس من الاتباع كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة وقوله عز وجل وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم هذا
يحتمل وجهين احدهما انك لتلقى القران من الله على يدى رسوله وهو جبريل وجائز ان يكون حكيم عليم هو جبريل بنفسه اى انك لتلقى القران من
لدن جبريل وهو الحكيم بصنيع الوحى والقران حتى امر بوضعه فيه اذ الحكم هو المصيب في فعله الواضع لشيء موضعه وعليم بما امر به وارسل
وهو كذلك كان اذ يجوز ان يقال للمخلوق حكيم عليم الا ترى الى قول يوسف حيث قال اني حفيظ عليم فعلى ذلك هذا جائز والاول اشبه اى انك

لتاخذ القران من لدن حكيم عليم على يدى رسوله جبريل فانما تاخذ من رسوله كانه ياخذ من عنده بهله انا الرسول انما يؤدى كلام مرسله
وقال ابو عوسجة وانك لتلقى القران يقال تلقيته اخذته وتلقيته واحد وكذلك قال القتبي لتلقى اى لتاخذه وقال محمد بن اسحق
وانك لتلقى القران اى لتزنى بالقران كقوله وما يلقيها الا الذين صبروا اى وما يؤتيها والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال موسى لاهله انى
انست نارا قيل رايت وابصرت ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس وقال في اية اخرى لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى هذا يدل
انه كان ضل الطريق على ما ذكره اهل التاويل وقال في اية اخرى انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ذكر على
التقديم والتاخير على اختلاف الالفاظ والحروف والقصة واحدة والممتحن بذلك موسى لا ضير فهذا يدل ان ليس على الناس تكلف حفظ
الالفاظ والحروف بلا تقديم ولا تاخير ولا تغيير بعد ان اصابوا المعنى المودع فيها اعنى في الالفاظ وحفظوها من غير تغيير يدخل في
المعنى المودع اذ قصة موسى هذه وغيرها من قصص الانبياء صلوات الله عليهم ذكرت في الكتاب على التقديم والتاخير على اختلاف الالفاظ
والحروف فكثير من الاحكام في الشهادات والاخبار وغيرها انما عليهم اصابة المعنى ثم وقوله عز وجل بشهاب قبس قال بعضهم الشهاب
حشبه في طرفها نار والقبس النار وشهاب جمع ولا يسمى النار قبسا الا ما يحمل من موضع الى موضع يقال قبست النار قبسا وقبست وهو
قول ابو عوسجة والقتبي وقال بعضهم القبس الجمر والشهاب النار الموقدة وهو قول ابى عبيدة وقال بعضهم الشهاب النور والشهاب الكوكب سمى
شهابا لضوئه ونوره وقال بعضهم بشهاب قبس اى شعلة من نار والجذوة كانها خشبة فيها نار وهو مثل الاول ودل قوله لعلكم تصطلون
على ان الوقت وقت برد وايام الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءها نودى ان بورك من في النار
ومن حولها اضطرب فى تاويل اهل التاويل في هذا صرف بعضهم تاويله الى ما لا يوافق الاحاجة وبعدا عن الحق والصواب وعندى لو جاز ان يعبر
ويحكى بحرف من عن غير مميز ذى فهم وعقل لاستقام التاويل فيه ولم يقع فيه شبهة فيجعل كانه قال ان بورك ما فيه النار وما حولها ويكون
عبارة عن المكان الذى فيه النار وما حولها من الامكنة اى بورك في ذلك المكان الذى فيه النار وما حولها لانه قال له في اية اخرى انك بالواد
المقدس طوى اى طوى فيه البركات وقال في اية بادك حولها من بركة ذلك المكان فعلى ذلك لو جاز ان يعبر بحرف من عن غير المميز والفهم
ويحكى به جاز صرف التاويل الى ما ذكرنا من المكان او يقال بورك من في النار ومن حولها اى بورك ما في النار من النور وما حول ذلك وما يستنار
ويستضاء وهو ما استضاء به من النبوة والرسالة هذا كله اذا جازة العبارة والكناية بحرف من عن ذى التمييز والفهم فان جاز هذا الاستقام
ان يقال هذا او ان يكون التاويل منصرفا الى ما ذكر في حرف ابن مسعود وابى على طرح حرف من وحرف في ذكر ان في حرفهما نودى ان بورك
النار ومن حولها وكذلك جائز في اللغة ان يقال بورك في فلان وبورك فلانا وبوركت وبورك فيك وكذلك ذكر على الكسائى ثم قال
ذلك فان كان ما ذكر عن ابن مسعود وابى ثابت صحيحا لم يقع فيه شبهة ولا ريب وان لم يجز العبارة بحرف من عن غير التمييز فجائز ان
يصرف حرف من الى موسى فيكون كانه قال بورك في الذى في النار وهو موسى او بورك فيمن جعل له اقتباس النار فينصرف تاويل من الى موسى
وقد جعل له من البركة في تلك النار ما لا يحصى من استفادة النبوة والارشاد الى الطريق والاصطلاء وغير ذلك والله اعلم بذلك وقوله
عز وجل وسبحان الله رب العالمين ذكر هذا والله اعلم تنزيها عن جميع ما قاله بعض اهل التاويل وتبرئة منه عن ذلك كله من نحو مقاتل ومن قال
بمثل قوله ما يؤدى الى التشبيه والتشبيه وقوله عز وجل يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اى الذى اعطاك ذلك الله العزيز الحكيم او يقول
اى الذى جعلك ذلك الله العزيز الحكيم او ان يقول ان الذى اراك هذا واكرمك به انا الله العزيز الحكيم وان يقول ان الذى اراك الذى
جعلك العزيز الحكيم العزيز الذى لا يعجزه شيء الحكيم المصيب في فعله غير مخطئ او ان يقال العزيز لا يذل ابدا قط لانه عزيز بذاته الحكيم
يضع كل شيء موضعه لا يخطئ قال ابو معاذ وقال مقاتل بن سليمان يا موسى انه يقول ان النور الذى رايت انا الله وهذا محال لا وجه له
لانك لا تقول ان الذى رايت ان الانسان داه ولشيء اخر ولكن تقول انا الذى رايت وهذا ايضا قوله لما ذكر في حرف ابن مسعود
نودى يا موسى لا تخف يكلمه الله ويخاطبه ثم يقول ان النور الذى رايت انا محال ايضا لقول الله انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر
قال الله فلما اتيها ولم يقل اتاه وهذا ايضا ان يكون الله نعتا لانك لا تقول بانه الذى رايت انا اخوك فقال قول مقاتل محال من اربعة
اوجه خلاف الظاهر الاية واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل والق عصاك فلما راها تهتز في الاية الامر بالقاء العصا ولم يذكر انه
القاها ولكن فيه اضمار والق عصاك فالقاها فلما راها تهتز اى تتحرك كانها جان ذكر اهل التاويل ان الجان هى الحية الصغيرة ليست بعظيمة
لكنه اخبر ان موسى خافها وولى مدبرا وموسى لا يحتمل ان يخاف من حية صغيرة على الوصف الذى ذكر فكانها كانت عظيمة لكنها في تحركها
النون انها كانها صغيرة ان الحية العظيمة الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغير لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن ذلك وقال لا تخف
انى لا يخاف لدى المرسلون وقوله عز وجل ولم يعقب قال بعضهم لم يرجع وقال بعضهم لم يلتفت وهو ماخوذ من العقب والجان قال بعضهم
من الجن والجان الحية ولا يكون الا من الجن وهو قول ابو عبيدة وقوله عز وجل لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون فان قيل كيف نهاه عن الخوف
واخبر انه لا يخاف لديه المرسلون وقد مدح الله الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف من ربهم حيث قال يخافون ربهم من فوقهم وقال في
اية اخرى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعونه تضرعا وخيفة وامثال ذلك من الايات مما فيها مدحهم بالخوف من ربهم لكنه يخرج على وجوه
احدها انه قد امن موسى حيث قال لا تخف انك من الامنين لكنه قال ها هنا لا تخف بعد ما امنك انى لا يخاف لدى المرسلون اذا امنتهم

والثاني لا تخف من غيري اني لا يخاف لدي المرسلون من غيري مكانه قال والله اعلم على هذا التاويل انما نهاه عن الخوف من غيره واخبر انه
لا يخاف لدي المرسلون والثالث اخبار وامن منه من خوف الاخرة واهوالها كانه قال لا تخف فاني سا ومن المرسلين من خوف يومئذ
ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء هذا ايضا يخرج على وجوه احدها لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم الا بدل حسنا
بعد سوء والثاني لا يخاف لدي المرسلون ولكن من ظلم من سواهم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه غفور رحيم رجاء المغفرة وطمع العفو فيما كان
منه والثالث لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم منهم نحو موسى بقتله النفس واخوة يوسف ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فانه يخاف
ايضا والله اعلم وقوله عز وجل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فالله تعالى قادر ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها
في جيبه لكنه امتحن موسى بالامر بادخالها في جيبه وكذلك قادر ان يصير عصاه في يده حية لكنه امتحن بالامر بالالقاء اياها وله ان
يمتحن عباده بكل انواع المحن وقوله عز وجل تخرج بيضاء من غير سوء قيل من غير افة من برص وغيره وقد ذكرنا معناه فيما تقدم وقوله
عز وجل في تسع ايات الى فرعون وقومه قال بعضهم يد موسى في تسع ايات اي من تسع ايات وقد يجوز استعمال حرف في مكان من كما
قال لفلان كذا كذا من كذا فيها يخرج اي منها كذا وقال بعضهم في تسع ايات اي مع تسع ايات قال ابو معاذ وقد يكون في في موضع مع ولعل
فيما لا يحصى عدده تقول حججت في اهل مرو الى اهل مكة ومع اهل مرو الى مكة فاذا قلت حججت في سبعة اخلفنا لانك احصيت العدد في
سبعة انت سابعهم ومع سبعة انت ثامنهم وقال بعضهم هو على الانقطاع من الاول كانه قال لرسوله محمد ولقد بعثنا موسى في تسع
ايات الى فرعون كما قال ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وقوله عز وجل الى فرعون وقومه دل هذا انه كان مبعوثا الى فرعون وقومه
جميعا اذ ذكر في اية الى فرعون خاصة وفي اية الى فرعون وملائه ثم ذكرهما الى فرعون وقومه فكان مبعوثا الى الكل وقوله عز وجل
فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي يبصر بها ويعلم كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وقال بعضهم مبصرة بنصب الصاد اي بينة ظاهرة
يبصر فيها وكذلك قال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقالوا هذا سحر مبين لم يزل عادة
فرعون اللعين تلبيس امر موسى واياته على قومه لئلا يؤمنوا به ولا يطيعوه فيما يدعوهم قال ان هذا لساحر مبين وان هذا الساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره وامثال ذلك مما يلبس على قومه امره ويغريهم عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم اليه ولا يجيبوه وقوله عز وجل
وجحدوا بها اي جحدوا بالايات وجائز في اللغة ان يقال جحد بها وجحدها كلاهما واحد ثم قال بعضهم ان الجحود لا يكون الا بعد العلم به و
الايقان ولكن يجوز ان يقال الجحد بعد المعرفة والعلم وقبل ان يعلم به ويعرف ان الجحود ليس الا الانكار وقد يكون الانكار منشؤ الجهل به وبعد
المعرفة وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال فلما جاءتهم اياتنا مبصرة جحدوا بها ظلما وعلوا واستيقنتها انفسهم انها من الله و
انها ايات ليست بسحر ولو كان سحرا في الحقيقة لكان اية لان السحر على غير تعلم يكون منه اية سماوية وقوله ظلما لانهم جحدوا الايات وهم
سحرا فوضعوا الايات موضع السحر لم يضعوها موضعها والظلم وهو وضع الشيء غير في موضعه وقوله عز وجل وعلوا اي تكبرا وعنادا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ليس على الامر بالنظر في ذلك ولكن على تنبيه اولئك والزجر لهم عام فيه اي انظر ما نزل بهم بالجحود الايات
وعنادهم فيها على ما نزل باوائلهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين فيه وجهان من الاستدلال احدهما في خلق افعال العباد والثاني في ترك الاصلح اما الاستدلال على خلق الافعال لانه قال اتينا
داود وسليمان علما وقال علمنا منطق الطير وقال في رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقال الرحمن علم القران خلق الانسان
علمه البيان ونحو من الايات فيما اضاف التعليم والفعل الى نفسه فلو لم يكن له في ذلك صنع لم يكن لاضافة ذلك اليه معنا فدل انه و
خلق افعالهم منهم فان قيل انما اضاف ذلك الى نفسه بالاسباب التي اعطاهم قيل لا يحتمل ذلك لانه قد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جميع اسباب الشعر ولم يكن غيره من الشعراء احق باسباب الشعر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخبر انه لم يعلمه الشعر دل انه لم يرد به
الاسباب ولكن اراد ما ذكرنا واما في ترك الاصلح فهو ما ذكر من قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شيء انه انما ذكر هذا على الامتنان والافضال فلو كان لا يجوز له ان لا يعطيه ذلك ولا كان له ترك ما فعل بهم
من الافضال لم يكن لذكر ذلك له على الافضال والامتنان معنى ولا كان داود وسليمان يحمدانه على ما اعطاهما ولا كان هو يستوجب
الحمد بذلك اذ فعل ما عليه ان يفعل دل انه انما اعطى ذلك لهم وفعل بهم ذلك على جهة الافضال والامتنان كان له ترك ما فعل وان كان
ذلك لهم اصلح في الدين فهذان الوجهان ينقضان على المعتزلة مذهبهم في انكارهم خلق الافعال وجواز ترك الاصلح في الدين
ثم قوله علما بالقضاء والحكم والعلم بكلام الطير والدواب وقال بعضهم فضلا بالنبوة والعلم لكن عندنا ذكر انه اتاهما العلم ولم
يبين ما ذلك العلم انه علم ماذا مخافة الكذب على الله والله اعلم وقوله عز وجل وورث سليمان داود وقال اهل التاويل ورث
النبوة والحكم والوارث هو الباقي في بعد هلاك الاخر وفنائه كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نبقى بعد هلاك اهلها وفنائها
وقوله انا لنحن الوارثون اي الباقون بعد فنائهم لانه ورث شيئا لم يكن له من قبل وذلك قوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
لا يتراني ابقاكم وتركهم في ارضهم وديارهم وقوله وتلك الجنة التي اورثتموها اي بقيتم فيها وامثال ذلك كله راجع الى البقاء فعلى
ذلك قوله وورث سليمان داود اي بقي في ملكه ونبوته وعلى ذلك ما سال ذكريا ربه من الولد حيث قال فهب لي من لدنك وليا يرثني

ويرث من ال يعقوب لا يحتمل ان يسال ربه ولدا يرث ماله من بعد وفاته ولكن كانه سال ربه الولد ليبقى في نبوته وسالته بعد وفاته
لتبقى النبوة في نسله والله اعلم وقوله عز وجل وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء لا يحتمل ان يذكر هذا صلوات الله
عليه على الافتخار والتباهي ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي اعطاه ومن عليه كقوله واما بنعمة ربك فحدث الا تراه قال ان هذا لهو
الفضل المبين ثم قوله واوتينا من كل شيء لانهم لم يؤتوا كل شيء حتى لم يبق شيء الا وقد اوتيا دون شيء ولكن كانه قال واوتينا من كل
شيء سالناه ان يؤتينا او ان يكون واوتينا من كل شيء مما يؤتى الانبياء والملوك وما يحتاج اليه والله اعلم وقوله عز وجل وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال بعضهم قوله فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم كانه لا يدعهم ان
ينتشروا ويتفرقوا ولكن يسيرهم مجموعين على كل صنف منهم وزعة تردا ولهم على اخرهم وذلك من سيرة الملوك وامراء العساكر ان
يسيروا جنودهم مجموعة غير منتشرة ولا متفرقة وقال ابو عوسجة فهم يوزعون اي يساقون ويقال اوزعني اي الهمني والوزع من الكف
والسوق تقول وزع اي ساق وقال من يوزعون يجمعون يقال وزعت الابل اي جمعتها ازع وزعا وقال القتبي يوزعون اي
يدفعون واصل الوزع الكف والمنع يقال وزعت الرجل اذا كففته ووازع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق والانتشار وهو على ما
ذكرنا وقوله عز وجل حتى اذا اتوا على واد النمل وقيل لا تخالط الناس حيث اضاف الوادي اليها بقوله حتى اذا اتوا على واد النمل ولو كانت
تخالط الناس لم يكن لان يقال حتى اذا اتوا على الوادي الذي فيه النمل دل انها كانت لا تخالط الناس وكان لهن مكان على حدة والله اعلم
وقوله عز وجل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون يخرج قوله قالت نملة على وجهين
على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر اطلع الله سليمان ذلك والقاه فيسمعه لطفا منه وفضلا من بين سائر الخلائق على
ما ذكرنا في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده الاية والثاني ان يجعل الله في سريرة النمل معنى يفهم بعضها من بعض ما يريدون فيما بينهم
من انواع الحوائج على غير حقيقة القول اطلع الله سليمان على ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفا منه وفضلا وهو
كقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ليس احد يقول لاخر اذا تصدق عليه ذلك لكن الله اخبر عما علم من ضميرهم و
مرادهم من التصدق على غير حقيقة القول منهم فعلى ذلك قول النمل اخبر سليمان عما كان في سريرتها فيما بينهم من فحواه كان منها نطق
او كلام يفهم منه الخلق والله اعلم وقالت الباطنية ليس المراد من ذكر النمل النمل المعروفة وقوطها وكذلك قالوا في الهدهد انه لم يرد به
الهدهد المعروف اذ لا يجوز للهدهد من العلم اكثر مما يكون لسليمان ولغيره ولكن اراد به الرجل وهو الامام الذي يدعو الناس الى الحق
ويدلهم على الرشد وليس كما قالوا لانه انما ذكر هذا على التعجيب ولو كان ذلك انسانا من قول وكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبير تعجيب
ولا فائدة دل انه ليس كما قالوا وقوله عز وجل لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم والحطم هو الكسر وفي حرف ابن مسعود لا يحطمنكم على طرح النون
والتشديد وقوله عز وجل وهم لا يشعرون قال بعضهم هذا من النملة ثناء على سليمان ومدح عليه لعدله في ملكه وسلطانه لو شعر بكم لم
يحطمكم ولم يهلككم وقال بعضهم وهم لا يشعرون اي لا يشعر جنوده كلام النمل وهذا يدل ان النملة كانت رئيس سائر النمل وسيدتها
حيث قالت ذلك من بين غيرها من النمل وعلى كل رئيس وسيد القوم ان يحفظ رعيته وحواشيه او ما يحملهم على الفساد وقيل ان
ان النمل يومئذ كانت كالذباب عظيما لا يحتمل لانها لو كانت كما ذكر لم يكن لقوله وهم لا يشعرون معنى لانها لو كانت كالذباب يشعرون
بها فدل انها كانت على ما هي اليوم والله اعلم وقوله عز وجل فتبسم ضاحكا من قولها قال بعضهم تبسم ضاحكا اي سبح لله لما فهم من قول
النمل وحمد عليه وتبسم الانبياء التسبيح وجائز ان يكون التبسم هو السرور لان التبسم انما يكون لسرور يدخل في الانسان فقوله
فتبسم ضاحكا اي سرورا بما اعطاه الله من عظم النعمة له والملك الا ترى انه سال ربه الالهام ليشكر نعمته التي اتاه الله حيث قال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي سال ربه الالهام واللطف الذي يكون فيه يشكر نعمه ولو كان الالهام هو الاعلام
على ما قاله بعض الناس لم يكن سليمان ليسال له ذلك لانه كان يعلم ان عليه شكر نعمه وكذلك يعلم كل احد ان عليه شكر منعمه فدل سؤاله
الالهام على الشكر انه انما سال اللطف الذي عنده به يشكر نعمه اذا اعطاه وهو التوفيق لا الاعلام الذي قالوه وقوله عز وجل وعلى
والدي فيه اي يجب على المؤمن شكر النعم التي انعم الله على والديه وسال ربه ايضا ان يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال وان اعمل
صالحا ترضيه وقوله عز وجل وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين جائز ان يكون سؤاله هنا بادخاله فيما ذكر كسؤال يوسف
حيث قال توفني مسلما والحقني بالصالحين سال ربه التوفيق على الاسلام والالحاق بالصالحين فعلى ذلك سؤال سليمان يشبه
ان يخرج على ذلك ثم فيه دلالة ان النجاة ودخول الجنة انما يكون برحمة الله لا بعمل حيث قال وادخلني برحمتك بعدما سال ربه
العمل الصالح المرضي عنده وقوله عز وجل اوزعني اي الهمني والايزاع الالهام والوزع الكف والسوق وقال القتبي واصل الايزاع
الاغراء بالشيء يقال اوزعته بكذا اي اغريته وهو موزع بكذا ومولع بكذا وقوله عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تدرون كيف تفقد سليمان الهدهد ثم قال لانه اذا كان في فلاة من
الارض دعا الهدهد فسال عن بعد الماء في الارض وغوره فهو يعلمه من بين غيره من الطيور ولذلك تفقده وساله عن حاله
وذكر انه سال ابن سلام عن ذلك فاخبر بذلك لكن هذا بعيد لان سليمان صلوات الله عليه كانت له الريح مسخرة وذكر انها

كانت تحمله وتسير به كل غداة مسيرة شهر وكل عشية كذلك وهو قوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر فلا
يحتمل انه اذا وقعت له الحاجة الى الماء ان لا يبلغ الى الماء حتى يحتاج الى ان يحفر له البئر فيستخرج منه الماء او ما كان له من
الشياطين والجن مسخرين له مذللين حتى قال واحد منهم انا آتيك به يعني عرش بلقيس قبل ان تقوم من مقامك وقال الآخر
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فمن له سلطان وقوة على القدر الذي ذكر لا يحتمل ان يقع له الحاجة الى الماء واذا وقعت
يحتاج الماء يتكلف وصوله اليه بالهدهد فيتكلف الحفر في الارض هذا يبعد بعيد والله اعلم الا ان يخرج على الامتحان
ويكون تفقد الطير لما كان عليه حفظهم جميعا ومنعه اياهم عن الانتشار في الارض والتفرق لما ذكرنا والله اعلم لما
على كل ملك وامير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن احوالهم واسبابهم فعلى ذلك هذا ثم يحتمل ان يكون من كل صنف من
الطير واحد لا عدد حتى قال مالي لا ارى الهدهد اذ لو كان عددا من الهدهد لقال مالي لا ارى هدهدا من الهدهد الا ان يكون
الذي فقده كان رئيسا لغيره من الهدهد سيدهم فجائز ان يقال ذلك مالي لا ارى الهدهد من بين غيرهم يغيب عن بصري ولا
ادري ام كان من الغائبين منهم فكانه سأل واحدا منهم عن ذلك فاخبر انه من الغائبين فعند ذلك قال لاعذبنه عذابا شديدا
الآية فقالت الباطنية في ذلك ان سليمان لا يحتمل ان يعذب من ليس المخاطب في شيء ولا يجري عليه القلم فدل وعيده اياه من
التعذيب والذبح انه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطب ويجري عليه القلم وكذلك قالوا في النملة انه كان
رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم واما النملة المعروفة فلا يحتمل لكن الجواب لهم في ذلك ان الله خلق هذه الدواب والطير
من الاشياء المنافع للبشر ولحاجاتهم فجائز تعذيبها وذبحها لرد الى منافعهم اذا امتنعت عن الانتفاع بها او يعذبه لما
يشغله عن ذكر الله والقيام ببعض اموره على ما ذكر في آية اخرى حيث قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني
احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب الآية لما شغلته عن ذكر ربه فعلى ذلك جائز ان يكون تعذيب الهدهد
على الوجوه التي ذكرنا ومن الناس من استدل بهذا على مخاطبة الطيور والدواب وغيرها وتكليفها بامور كما يكلف غيرها
من الخلائق واحتج على هذا بقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اخبر ان الطير وغيره امم
امثالنا وقد اخبر في آية اخرى انه لم تخل امة عن ان يكون فيها نذير بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير الامة التي هي امثالنا
من الانس والجن دليله قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية
ونحو كثير وقوله الا امم امثالكم ليس في الخطاب والتكليف ولكن في اشياء كثيرة وقوله عز وجل فمكث غير بعيد اي لم يكث
طويلا حتى جاءه وفي حرف ابن مسعود فتمكث غير بعيد ثم جاءه فقال احطت بما لم تحط به كانه سأله اين كنت فقال
عند ذلك له احطت بما لم تحط به وفي حرف اذ احطت بما لم تحط به انت ولا احد من جنودك اي بلغت ما لم تبلغ انت او
علمت ما لم تعلم انت ولا احد من جنودك ثم قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين لا شك فيه فكانه سأله عند ذلك النبأ فقال
عند ذلك والله اعلم اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء اي اوتيت من كل شيء يؤتى الملوك على ما ذكرنا في قوله
واوتينا من كل شيء ثم التعجب من امر بلقيس انه كيف خفي خبرها وامرها على سليمان كل ذلك الخفاء وكان يقرب منه وكانت تملكه جاده
ذات سلطان وملك وكل مذهب في كل غدو مسيرة شهر وفي كل رواح كذلك كيف لم يطلع على امرها وخبرها وكانت الجن والشياطين
مسخرين له ومذللين يعملون له الاعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الآفاق والانس وكان هو بعث الى الدعاء الى توحيد الله كيف خفي
عليه امرها كل هذا الخفاء حتى اخبره بذلك الهدهد هذا والله امر عجيب ومن عادة الملوك ايضا انهم يطلع بعضهم على امور بعض ويعلم بآ
لكن يحتمل خفاء خبرها عليه لما لا يجالس كل احد يكلمه في ذلك وان يعلمه عن حالها وان كان لا يعلم هو ذلك الا بعد السؤال وطلب
الخبر تعظيما له واجلالا وهكذا الملوك ليس يجالس كل احد عن ان يخبره عن كل امر وخبر الا بعد السؤال اياه تعظيما لهم وتوقيرا فعلى
ذلك امر سليمان مع بلقيس وان يكون لامر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نستعبر به وقال بعض اهل التأويل في قوله وتفقد الطير فقال
مالي لا ارى الهدهد انما طلبه وتفقده لان الطير قد تظلله على رأسه من الشمس فلما نظر الى الطير وجد موضع الهدهد خاليا يقع عليه
الشمس فعند ذلك قال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين وقالوا في قوله لاعذبنه عذابا شديدا اي لانتفن ريشه حتى تصيبه
الشمس فذلك هو العذاب الشديد لكن لا نفسر ما ذلك العذاب الشديد الذي اوعد سليمان مخافة الكذب والله اعلم وقوله عز وجل
فمكث غير بعيد قال بعضهم غير طويل وجائز ان يكون فمكث وقتا باقي في مثله من كان بعيدا لانه انما يعبر عن المكان لا عن الوقت في
الظاهر فقال احطت بما لم تحط به كانه المناصحة له والشفقة بقوله اتيتك من العلم والخبر ما لم تأت انت ولا احد من جنودك لكيف
تعذبني وفي حرف عبد الله فتمكث غير بعيد ثم جاء قال ابو معاذ مكث بنصب الكاف ودفعها مكث لغتان وقوله عز وجل وجئتك من
سبأ بنبأ يقين قال بعضهم حق لا شك فيه اي عند هدهد واما عند سليمان فلا الا ترى ان سليمان قال له سننظر اصدقت ام كنت من
الكاذبين وقف في خبره لينظر اصدق ما يقول ام كذب وقال بعضهم بنبأ يقين اي عجيب ثم اختلف في قوله من سبأ بنبأ قال بعضهم سبأ
اسم رجل ينسب القرية اليه وقال بعضهم اسم بلد وقال ابو عوسجة سبأ ابو اليمن فمن جعلها اسم بلد لم يجره ومن جعلها اسم رجل جره والله

اعلم وقوله عز وجل اني وجدت امرأة تملكهم كانه على الاضمار اي وجدت امرأة تملكهم اي تملك اهل سبأ الآية ثم قال في آخره
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ذكر القوم في آخر الآية دل ان الاهل كان مضمرا فيه وقوله عز وجل واوتيت من
كل شيء اي اوتيت من كل شيء كما يؤتى الملوك من الذكور من الاسباب والهيئة والهيبة وغير ذلك وقال بعضهم واوتيت من كل شيء
في بلادها ولها عرش عظيم قال اهل التأويل اي لها سرير حسن عظيم ضخم كما كنا ذكرنا طوله وكذا كذا ذراعا عرضه وجائز ان يكون العرش
كناية عن الملك كانه قال ولها عرش عظيم اي ملك عظيم وقوله عز وجل وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قال هذا لعظم
ما وقع عند الهدهد من السجود لغير الله ليعلم ان الطير وغيرها من البهائم يعرفون الله ويوحدونه وهو كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده
ثم وقوله عز وجل يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدون الشمس من دون الله وجائز يطيعون للشمس ويخضعون لها من دون الله
وقوله عز وجل وزين لهم الشيطان اعمالهم اي زين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة السيئة وادعاها حسنة فصدهم عن السبيل وهو سبيل الله
لان السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الاسلام والكتاب المطلق كتاب الله وقوله عز وجل فهم لا يهتدون فان كان هذا القول من هد
هد فانه صدهم عن السبيل فهم غير مهتدين لانه لا يحتمل ان يعرف انهم لا يهتدون في حادث الوقت وان كان من الله فهو اخبار انهم
لا يهتدون ابدا لما علم انهم لا يهتدون والله اعلم وقوله عز وجل الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء اختلف في تلاوته وتأويله بالتخفيف
والتشديد فمن قرأ بالتشديد الا يسجدوا فهو يخرج على وجهين احدهما على طرح لا انه يقول فهم لا يهتدون ان يسجدوا اي هم لا يهتدون
ان يسجدوا والثاني صلته قوله فصدهم عن السبيل الا يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو يخرج على الا يا اسجدوا لله وقال بعضهم الا يا
هلا يسجدوا لله وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قرأ هلا يسجدوا لله وهو حجة لمن قرأ بالتخفيف وفي حرف ابي الا تسجدوا لله
بالتاء على المخاطبة الى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون وذكر في حرف حفصة الا تسجدون بالنون قال الكسائي من شدد الا وتأويله
زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا على ما ذكرنا واما التخفيف فهو على وجه الامر اي اسجدوا والا صلة ويا صلة ايضا ثم قال بعضهم من قرأ
بالتخفيف يلزمه السجود لانه امر واما من قرأ بالتشديد فلا يلزم لكن عندنا سواء يلزمه السجود بالتلاوتين جميعا انه لا يحتمل ان يلزم
السجود بما يأمر غيره بالسجود ولا يلزم فيما يخبر عنهم انهم لا يسجدون بل لزوم السجود فيما يخبر انهم لا يسجدون ولا خلاف لصنيعهم
واظهارا للطاعة لله في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل يخرج الخبء في السموات والارض الخبء ما يخبأ من الشيء ما كان قال بعضهم خبأ
في السماء المطر فيخرج وفي الارض النبات فيخرج ذلك النبت ويحتمل الخبء ما يخبأ بعضهم من بعض ويسر بعضهم بعضا يخبر انه يظهر ذلك
ويعلمه الا ترى انه قال يعلم ما يخفون وما يعلنون على الوعيد ليكونوا على حذر ابدا وفي حرف حفصة الا يسجدون لله الذي يعلم غيب
السموات والارض وقوله عز وجل الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ذكر هذا والله اعلم جواب قوله ولها عرش عظيم يقول رب العرش
العظيم هو الله الذي لا اله الا هو لا هي يعني بلقيس وقوله سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اي سننظر اصدقت فيما اخبرت واتيت من امر
بلقيس ام كنت من الكاذبين في ذلك وقف في خبره ولم يصدقه ولم يكذبه الى ان يظهر له الصدق او الكذب وهكذا الواجب على كل من اخبر
بخبر ان يقف فيه الى ان يظهر له الحق في ذلك اذا كان الخبر ممن يحتمل الغلط والكذب ثم قال له اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم لا يحتمل
ان يكون سليمان امر الهدهد بذهاب اليها ويوليه تبليغ ذلك اليها وهو اعظم من خبره الذي اخبره بذلك بعد ما وقف في خبره قبل ان
يتبين ويظهر له صدقه في خبره فدل توليته اياه تبليغ الكتاب اليها انه قد ظهر له صدقه فيما اخبره من امر تلك المرأة اما بوحي من الله تعالى
اليه او انتهى اليه من الخبر ما قد علم بذلك علم يقين واحاطة فعند ذلك ولاه تبليغ الكتاب اليه حيث قال له اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وقوله عز وجل ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون يحتمل وجهين احدهما القه الكتاب اليهم ثم تول
اي استتر واختف عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يرددون فيما بينهم من الكلام والجواب والثاني على التقديم والتأخير كانه قال الق
الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون من الجواب ثم تول عنهم ففعل ما قال له سليمان من القاء الكتاب اليها وان لم يذكر في الآية حيث قالت يا ايها
الملأ اني القي الي كتاب كريم فكانهم قالوا ممن ذلك الكتاب فقالت عند ذلك انه من سليمان وقوله عز وجل كتاب كريم قال بعضهم اي حسن
لما رأت فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف وقال بعضهم كتاب كريم اي مختوم وقد ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
كرم الكتاب ختمه او كلام نحو هذا او شبهه وجائز ان يكون فيه اضمار اي اني القي الي كتاب من انسان كريم وسليمان كان معروفا بالكرم
يشبه ان يكون قد اتاها خبر كرمه والملأ قالوا هم الاشراف واهل السودد وقال الزجاج سموا ملأ لما اجتمع عندهم من حاجات الناس في حسن
الرأي والتدبير في كل شيء من الامور او كلام نحو هذا وقوله عز وجل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم هو ما ذكرنا كانهم سألوها عن
ذلك الكتاب فقالت انه من سليمان وسألوها ايضا ما في ذلك الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قوله الا تعلوا
علي اي لا تتكبروا ولا تتعظموا علي واتوني مسلمين مخلصين لله بالتوحيد اي اجعلوا انفسكم سالمة لله خالصة له لا تجعلوا لاحد سواه فيها
شركا ولا حقا لانه اخبر انهم كانوا يسجدون للشمس من دون الله فيخبر في الكتاب حيث افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ان الذي يستحق السجود
العبادة هو الرحمن الرحيم لا ما تعبدون انتم ثم من عادة الانبياء والرسل الايجاز في الكلام والرسائل لا يشتغلون بفضول الكلام ونظوله
على ما ذكر من كتاب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين ذكر ان هذا القدر كان الكتاب والله اعلم وقوله عز وجل

قالت يا ايها الملاء افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون استشارت اشراف قومها وطلبت منهم الراي في ذلك وهكذا عمل الملوك و
عاداتهم انهم اذا ارادوا امرا واستقبلهم امر يستشيرون اولي الراي من قومهم واهل الحجى والتدبير منهم ثم يعملون بما يعلمون بتدبير يكون لهم وما
يرون ذلك صوابا وعلى ذلك امر الله رسوله ايضا واصحابه بقوله وشاورهم في الامر ثم امره اذا عزم على الامر ان يتوكل على الله في ذلك وان يكل
امره اليه وقوله حتى تشهدون يحتمل وجهين ما كنت قاطعة امرا حتى تحضرون او ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون انه صواب وانه حق فاجابوها
بما طلبت منهم الراي والتدبير في ذلك فقالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد اي نحن اولوا قوة في انفسنا واولوا باس اي حرب وقتال شديد
اي لنا معرفة في ذلك وعلم بذلك قالوا وكلوا الامر اليها حيث قالوا والامر اليك فانظري ماذا تامرين فهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية
انهم اذا استشاروهم في امر ان يدلوهم على الاصوب والاحسن لهم ثم يكلوا الامر اليهم وقصة سليمان صلوات الله عليه معها فيها من العجائب
والاداب فيها معرفة سياسة الملوك وتعلم ادابهم من ذلك ما قال سليمان فهم يوزعون ومن ذلك قوله وتفقد الطير الاية وقوله لاعذبنه
عذابا شديدا ومن ذلك استشارة بلقيس اشراف قومها في ذلك وجوابات قومها لها وانجادها اياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الافساد
والقتل والاذلال حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون قال اهل التاويل هذه شهادة
من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما اخبرت انهم كذلك يفعلون بحكم ايمانهم ثم قال واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون
ذكر انها قالت ان لي في هذا رايا فان يك صاحب دنيا فسيرضيه المال فيمسك عنها ويكف وان يك نبيا فلا يقبل ذلك منا ويبرئ
فعلت ذلك وارسلت اليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت انه نبي وهكذا كان منها تدبيرا وحسن الراي في الامر واحتيالا وتقيت في ذلك لم
تشتغل بالحرب والقتال ما اشار لها قومها وقال ابن عباس قالت بلقيس لما اتاها كتاب سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت منهم
فيام فانوا لها فانها ان ابعث اليه بهدية فان قبلها فهو ملك فقاتله وان لم يقبلها فهو نبي فاتبعه قال ابو عوسجة فناظرة وقال القتبي
نظرة اي امهلته والنظرة في الدين خاصة وهو الانظار **وقوله** عز وجل فلما جاء سليمان الرسول الذي بعث بلقيس الهدية ويحتمل فلما جاء
سليمان المال الذي بعث اليه يحتمل ذا وذا **وقوله عز وجل** قال اتمدونن بمال اي تعطونني بمال وقال اهل الادب امد وتمد بالمال من المد و
المدد الزيادة كما يمد القوم ويكون الاعطاء كقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ويحتمل هذه الزيادة والله اعلم **وقوله** عز وجل فما
اتاني الله خير مما اتاكم اي ما اتاني الله من النبوة والعلم والحكمة خير مما اتاكم من الاموال ويحتمل فما اتاني الله فاتيكم اذا ابتعتم في سلمين خير
مما اتاكم ان لم تاتوني وابيتم الاسلام او كلام نحو هذا وقال بعض اهل التاويل فما اتاني الله من الملك خير مما اتاكم من الملك لانه سخر لي الجن و
الانس والشياطين والطيور والرياح وجميع الاشياء فذلك خير لي واعظم من ملكها والاول اشبه واقرب اذ لا يحتمل ان يفتخر سليمان بملك
على غيره انما يكون افتخاره بالدين والنبوة والله اعلم **وقوله** بل انتم بهديتكم تفرحون قال بعضهم هل انتم بهديتكم تفرحون ان اردت اليكم لكن
هذا بعيد لا يفرح برد الهدية اذا ردت عليه ولم تقبل بل الحرب على ذلك وتهيئتم لكنه يقول والله اعلم بل انتم اولى بالفرح بالمال والهدايا منا اذ من
المال والدنيا ومرادنا الدين والدار الاخرة او كلام نحو هذا والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال ذلك و
اعلم لرسول الذي اتاه بالهدية ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لناتينهم بجنود لا طاقة لهم بها ان لم ياتوني مسلمين ولنخرجنهم منها اذلة
وهم صاغرون ان لم ياتوني مسلمين ثم قال سليمان صلوات الله عليه يا ايها الملاء انما خاطب به اشراف قومه وهكذا العادة في الملوك انهم اذا
خاطبوا اصحابهم انما يخاطبون اهل الشرف والمنزلة منهم ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال بعض اهل التاويل انما قال هذا لانه
علم بخانة انهم متى ما اسلموا يحرم اموالهم مع دمائهم فاحب ان يؤتى به قبل ان يكون ذلك من امرهم وقبل ان يحرم ذلك عليه لكن هذا محال الفيد و
من القول لا يحتمل ان يكون رغبة سليمان في الاموال هذا الذي ذكر بعد ما رد هداياها اليها واخبر انكم تفرحون بها لانكم اهل دنيا اذ رغبة اهل
في الاموال ونحن اهل الدين ورغبتنا في الدين به نفرح ويستعجل كل هذا الاستعجال رغبة في مالها وعرشها لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما
انه اراد ان يريهم قوته وسلطانه ان يرفع واحد من جنوده عرشها مع عظمه بمعاينة منهم ومشاهدة وحمله من بينهم ليعلموا ان من قدر على هذا
القادر ان ياتيهم بجنود لا طاقة لهم بها تصديقا لما قال فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ويقدر على قهرهم وغلبتهم والثاني اراد ان يريهم اية
من ايات نبوته انه اتوه قبل ان ياتوني مسلمين ليعلموا انه نبي ليس بملك على التاويل الذي ذكرنا اية لكنه قبل ان ياتوه ليعلموا انه نبي ليس بملك
وقوله عز وجل قبل ان ياتوني مسلمين اي مصالحين وذلك جائز في اللغة **وقوله** عز وجل انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك قال بعضهم من
مجلسه الذي كان يقضي فيه الى ان يفرغ من قضائه حتى يؤتى به واني عليه لقوي امين لان الجن اقوى من الانس وصف نفسه بالامانة لان الجن لا
يعبئون الاموال من يرغب الانس وقال بعضهم امين على فرج تلك المراة مقامه مجلس الرجل يكون فيه حتى يقوم ولكن لا ندري ما اراد بمقامه
الذي ذكر وقال بعضهم اراد سليمان ان يكون اعجل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب ذكر انه كان رجلا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي
اجاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ثم اختلف فيه ارتداد طرفه قال بعضهم هو ان يبعث رسولا الى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به وقال
بعضهم هو الرجل ينظر الى الشيء البعيد قبل ان يرجع اليه طرفه فلما راه مستقرا عنده قال بعضهم دخل في نفق الارض فخرج بين يدي سليمان يعني
العرش كانه والله اعلم اتاه اذا دعاه بذلك الاسم من غير ان تكلف هو حمله او اتيانه به فهذا يدل ان الايات قد تجري على غير ايدي الرسل لكن تكون
الاية هو رسول وان كانت تجري على ايدي غيرهم ثم قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر قال بعضهم والله ما جعله فخرا ولا شرا ولا بطرا لكنه

جمله شكرا وتواضعا قال بعضهم لما عاذ لك الرجل بذلك الاسم فرآه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله انه يكون
رجل عنده علم ما ليس عنده من العلم قال تعزم الله له على الخبر وقيل له انه من جوهر الله فقال سليمان هذا من فضل ربي يقول لما اعطى ذلك
رجلا ما لم يعطني ليبلوني ااشكر اذ كان مثله تحت يدي ام اكفر لكن لا يحتمل ان يشكر الله على ما اعطى غيره ثم يحتمل قوله هذا من فضل ربي
ما اعطى سليمان والنبوة والعلم الذي اتاه الله قال ذلك من فضل ربي اراد تسخير ما سخر له ليبلوني ااشكر ام اكفر اي ليمتحنني اشكر
ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ليعلم انه انما يمتحن بالشكر ويامره به لا لمنفعة نفسه ولكن لمنفعة الممتحن المامور به **وقوله** عز وجل فان
ربي غني كريم غني عن شكره كريم يقبل القليل منه واليسير **وقوله** عز وجل قال نكروا لها عرشها قال اهل التاويل نكروه اي غيروا لها
عرشها كانه امر ان ينقص بعض ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها ليعرف انها عرفتها ام لا والمنكر هو الذي لا يعرف كقوله قوم منكرون
وقوله نكرهم واوجس منهم خيفة اي لم يعرفهم وقوله نكروا لها عرشها كان يجيء ان يقال انكروا عرشها ويكون لها ذا يوم الان يقال نكروا لها
اي نكروا لاجلها عرشها ومعنا يشبه ان يكون **وقوله** عز وجل ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون وقال اهل التاويل تهتدي
الى عرشها او لا تهتدي اليه ويجائز ان يكون قوله ننظر اتهتدي الى دين الله وتوحيده ام تكون من الذين لا يهتدون الى دين الله **وقوله**
عز وجل فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو قال بعضهم شبهت عليهم ولبست امرها كما فعلوا بها من تغيير عرشها عليها و
تلبيسه عليها لكن فعلها كانه هو لم يقطع فيه القول لما رات فيه من التغيير والتنكير ورات فيه شبه سريرها فوقفت فيه وقوله
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك ان العرش لم يحل وهي عليه نائمة بعض اهل التاويل انه علم ونهاها قبل مجيئها ثم نفذ ذلك والله اعلم الا ترى
انه لو امر ان يغير وامرها وهي عليه لم تشعر به هذا بعيد والله اعلم بذلك **قوله** عز وجل واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ان كان
هذا القول من سليمان فكانه يقول قد اوتينا العلم من قبل علمها بانه عرشها ولنا غنية عن السؤال لها عنه لكن نسالها مستخبرين عن ذلك
ممتحنين لها **وقوله** عز وجل وكنا مسلمين اي صبرنا مسلمين جميعا وان يكون هذا صلة قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما فهذا
العلم الذي قال واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين والا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله قالت كانه هو والله اعلم **وقوله** عز وجل
وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال بعضهم صدها عبادتها الشمس والاصنام التي عبدوها دون الله عن الاسلام وعبادة الله عز
وقال بعضهم وصدها سليمان عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله لانه ذكر انها اسلمت **وقوله** عز وجل قيل لها ادخلي الصرح قال بعضهم
الصرح صحن الدار وهو قول الزجاج وقال القتبي وابو عوسجة واكثر اهل التاويل الصرح هو القصر ثم لا ندري ما سبب بناء ذلك
الصرح وما سبب امره اياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقيها اما اهل التاويل فانهم قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم قالت الجن
لما قبلت بلقيس لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب فلو اجتمع سليمان وهذه المراة وما عندها من العلم هلكنا وكانت ام هذه المراة
جنية فقالوا انما لو نبغضها ونكرهها الى سليمان فقيل لسليمان ان رجليها مثل حافر الدواب لانها كانت جنية فامر سليمان عند
ذلك فبني له بيت من قوارير فوق الماء وارسل فيه السمك لتحسبه انه ماء فتكشف عن رجليها فينظر سليمان اصدقت الجن ام كذبت فلما
راته حسبته الماء وكشفت عن ساقيها فنظر اليها سليمان فاذا هي احسن الناس قدمين وساقين فلما رات الجن ان سليمان راى ساقيها قالت الجن
لا تكشفي عن ساقيك انه صرح ممرد من قوارير وقال بعضهم لا ولكن ذكر لسليمان ان على ساقيها شعرا وانها شعراء فامر بذلك ليعرف ذلك
وقال بعضهم لا ولكن خافت الجن عند ذلك ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اشياء كانوا اطلعوها عليه وافشوا اليها فارادوا ان يكرهوها
اليه فطعنوها بعيوب في عقلها شيئا قال بلى فجاءت الجن بماء فاجروه في كومة ثم جاءوا بالسمك والضفادع فارسلوها في الماء ثم
جيء بها الى ذلك الماء فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فقالوا لسليمان ان في عقلها افة الا ترى انها لا تعرف الصرح من الماء ولا
تميز بينهما او نحو هذا من الكلام لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يحتمل ان يكون سليمان يحتال الحيلة لينظر الى ساقيها وهي اجنبية ثم جائز ان يكون
لغير ذلك اراد ان يريها اية من ايات نبوته حيث اتخذ صرحا ممردا من قوارير يرى لطافته وذلك خارج عن تدبير البشر لتعلم هي ان ذلك
تدبير السماء لا تدبير البشر او ان يكون اراد بذلك والله اعلم ان يريها عظم ملكه وسلطانه لتعلم انه يفعل ما يشاء وقادر على ذلك لا ينفعها
سوى الطاعة له والاجابة والخضوع لله والاسلام له فعند ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي فيما عبدت دون الله واسلمت مع سليمان
لله رب العالمين اي اخلصت واسلمت نفسي لله رب العالمين قال القتبي عفريت اي شديد وثيق واصله العفر زيدت التاء فيه يقال عفريت
نفريت وعفريت ونفريت وعفاريت نفاريت وقال ابو عوسجة العفريت الخبيث المارد وعفاريت جميع وقال صدها اي ردها
ومنعها وقال الصرح القصر والصرح جمع ولجة الماء المجتمع الكثير وقال الممرد هو المملس بالطين وبالجص ويقال وقال غيره الممرد
الطويل وقال القتبي ومن ذلك يقال للامرد الذي لا شعر على وجهه ويقال للرملة التي لا تنبت مرداء ويقال الممرد المطول وفيه قيل
لبعض الحصون مارد وقال الكسائي الممرد الاملس ويقال منه سمي الامرد امرد **وقوله** عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان
اعبدوا الله يحتمل هذا القدر ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وامرناه ان يقول لهم اعبدوا الله وجائز ان يكون قوله ان اعبدوا الله بالرسالة
اي فارسلنا ليدعوهم الى عبادة الله وقوله اعبدوا الله يحتمل وحدوا الله ويحتمل العبادة نفسها ان اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها
او لا تشركوا في تسمية الالوهية غيره ولكن وحدوه فكيف ما كان ففيه امر بالتوحيد له في العبادة وجعل الالوهية له **وقوله** عز وجل

فاذا هم فريقان يختصمون قيل فريقان هو من يصلح ومكذب به ولم يبين فيم كانت خصومتهم وبين من كانت في هذه الاية لكنه بين في اية اخرى وفسر وهو ما قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون هذه الخصومة التي ذكر في قوله فاذا هم فريقان يختصمون بين الرؤسا من الكفرة والمومنين بصالح والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي لم تستعجلون قبل الايمان واستعجالهم العذاب والسيئة ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فذلك استعجالهم السيئة قبل الحسنة وقوله عز وجل لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون اي لولا توحدون الله ولا تشركوا غيره في العبادة وتسمية الالهية لكي يرحمكم وفيه اطماع لهم انهم لو امنوا وتابوا عنه لرحمهم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل قالوا اطيرنا بك وبمن معك ان نشاء منابك وبمن معك بنزول الكفرة لرسل الله صلوات الله عليهم ولمن امن منهم اطيرنا بكم اذا اصابتهم الشدة والبلاء ويتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون انما اصابنا هذا بشومكم واذا اصابهم رخاء وسعة فقالوا انما نالنا بانفسنا وهو ما قالوا لقوم موسى حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الاية وكذلك قال اهل مكة لرسول الله حيث قال وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كانوا يتطيرون برسول الله ويتشاءمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء فاخبر الله رسوله وامره ان يقول لهم كل من عند الله اي الرخاء والشدة من عند الله يقول وهو باعث ذلك لا انا فعلي ذلك قوله طائركم عند الله اي ما ينزل بكم ويصيبكم من الشدة والرخاء انما ينزل من عند الله لا بنا ولا بكم او يقال ما ينزل بكم من العذاب في الاخرة انما يصيب بمكذبيكم اياي في الدنيا او ان يقال طائركم عند الله وجزاء طيركم عند الله هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا والاخرة بل انتم قوم تفتنون يحتمل قوله بل انتم قوم تفتنون ابتداء مرة بالشدة ومرة بالرخاء لا بما تكسبون من الاعمال ويجاوز ان يكون قوله تفتنون بالعذاب بما تكسبون من الاعمال في الدنيا اي تعذبون بها قال ابو عوسجة طائركم عند الله يقول الله اعلم بطائركم وما تطيرتم به وقال القتبي طائركم عند الله اي ليس ذلك بي وانما هو من الله وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل وكان في المدينة تسعة رهط قال بعضهم الرهط انما يقال لمن ثلاثة الى العشرة واذا انقص عن ذلك او زاد فانه يقال [illegible] وقال ابو عوسجة الرهط النفر والرهط ورهوط جميع ثم يحتمل الرهط وجهين احدهما تسعة رهط اي تسعة نفر من الاتباع وغيره يفسدون في الارض ولا يصلحون والثاني تسعة رهط لا تسعة نفر من الرؤسا ولكل احد منهم رهط من الاتباع يفسدون في الارض ولا يصلحون وجائز ان يكون هذا اخبارا من الله انهم يفسدون ابدا في الارض ولا يومنون ابدا وجائز ان يكون اخبارا عن حالهم اي يعملون الفساد والمعاصي ولا يصلحون اي لا يسعون بالصلاح وقال ابن عباس ان هولاء التسعة كانوا من ابناء اشرافهم وكانوا بالحجر وكانوا فساقا تقاسموا بالله قال بعضهم لبعض لنقتلن صالحا واهله ثم لنقولن لوليه اي لقومه من ورثته ما قتلناه وهو قوله لنبيتنه واهله ثم لنقولن ما شهدنا مهلك اهله فاجتمعوا على ذلك فاتوا صالحا ليلا فدخلوا عليه باسيافهم ليقتلوه واهله وعند صالح ملائكة جاؤا من الله تعالى يحرسونه فقتلوا الرهط في دار صالح بالحجارة فذلك قوله ومكروا مكرا بصالح واهله ومكرنا مكرا اي اهلكناهم وهم لا يشعرون انهم يهلكون وقال بعضهم هولاء التسعة الرهط تواثقوا انهم يبيتون صالحا ويقتلونه واهله بغتة غير ان الناقة وقالوا فيما بينهم ان خوصمنا في ذلك لنقولن ولنقاسمن ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا فحملوا كلهم على هذا التاويل يكون على التقديم والتاخير وقال بعضهم هولاء التسعة كانوا اشرار قومه خرجوا بحجر الى بعض المغاد ليشربوا ثم ليبيتوا على صالح واهله فسروا هنالك فانهد بهم الصخرة وعذبوا فيه فذلك قوله ومكروا بقتل صالح فجازاهم مكرا ومكرنا بهم حيث اهلكناهم مكرا وهم لا يشعرون والمكر هو الاخذ بغتة وقوله ومكروا مكرا اي جزيناهم جزاء مكرهم ثم اختلف في قراءة لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فذلك قوله بعضهم لبعض وقرا بعضهم بالتاء لتبيتنه ثم لتقولن فذلك قول الرؤسا للاتباع ومن قرا بالياء يجعله خبرا عن الله تعالى لهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اعلم تسكن فيها احد ولكن تركناها خالية كذلك وقال بعضهم خاوية اي خربة بما ظلموا كقوله وهي خاوية على عروشها اي ساقطة خربة وقد كان ذلك كله منها ما جعل لغيرهم مسكنا انا اهلكهم من نحو ما اورث بني اسرائيل ديار القبط واموالهم وانزلهم فيها ومنها ما تركها كذلك خالية بعد ما اهلك اهلها ومنها ما اهلك اهلها وخربها وتركها كذلك وقوله عز وجل ان في ذلك لاية اي في هلاك من ذكر لاية ولعبرة يعتبرون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون مخالفة الله ومخالفة امره ونهيه وقوله وقوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه كان فيه اضمار كانه قال ارسلنا لوطا الى قومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اي تاتون الفاحشة وانتم تبصرون وتعلمون انها فاحشة ائنكم لتاتون الرجال شهوة اي اشتهاء لكم من دون النساء يقول ه تاتون الذكور وتدعون النساء وهو ما قال في اية اخرى اتاتون الذكران من العالمين الاية وقوله عز وجل بل انتم قوم تجهلون قال بعضهم ولكن انتم قوم تجهلون ان تجهلون الا فتعصون ويشبه ان يكون هذا جواب قول كان من قومه نحو ما قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فقال لهم عند ذلك بل انتم قوم تجهلون ما تقولون اي على جهل ما تقولون ذلك او كلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم قوله فما كان جواب قومه في وقت الا ان قالوا كذا

لافي الاوق

لا في الاوقات كلها لانه قد كان منهم قول وجوابات نحو ما قالوا ايتنا بعذاب الله الاية ونحوه وقولهم انهم اناس يتطهرون وكل هذا انهم قد علموا ان ما يأتون ويعملون انه خبيث وفحش ومنكر حيث قالوا انهم اناس يتطهرون ثم يحتمل قولهم هذا وجوها احدها انهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم والثاني قالوا اخرجوا ال لوط فانهم يتنزهون عن اعمالنا وافعالنا والثالث على التحقيق انهم اناس يتطهرون وقوله عز وجل فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين فيه دلالة ان غير الزوجة يجوز ان يسمى اهلا قال عامة اهل التاويل اهله بناته وقوله قدرناها من الغابرين دلالة خلق افعال العباد حيث اخبر انه قدرناها من الغابرين والغبور والبقاء فعلها فاخبر انه قدر ذلك منها وخلق وقوله من الغابرين اي الباقين في عذاب الله وفي حرف ابن مسعود ولقد وفينا اليه اهله كلهم الا عجوزا في الغابرين وقوله عز وجل وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اي ساء مطر المنذرين الذين علم انهم لا يقبلون الانذار ولم تنفعهم النذارة وقوله عز وجل وقل الحمد لله امر نبيه بالحمد له والثناء عليه على هلاك اعداء الرسل الخالية قال وسلام على عباده الذين اصطفى وهم الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وجائز ان يكون امره اياه بالحمد له والثناء عليه لما انعم عليه من انواع النعم منها ما ذكر وامن هلاك اعداء الرسل وابقاء اوليائهم تخويفا لاعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهلكوا كما اهلك اعداء الرسل او غالبة او ان يكون امره اياه بالحمد له والثناء عليه لما انعم عليه في نفسه من انواع النعم من النبوة والرسالة والهداية ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل وسلام على عباده الذين اصطفى يحتمل الرسل كقوله وسلام على المرسلين ويحتمل الامر بالسلام على اصحابه وجميع المومنين كقوله واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم امر رسوله بالسلام على المرسلين وعلى اصحابه وعلى المومنين ثم في قوله اصطفى دلالة ان لا احد يستوجب الصفوة الا بالله حيث قال اصطفى وقوله عز وجل الله خير اما تشركون اي الذي فعل هذا بالامم الخالية من الهلاك للاعداء وابقاء الرسل والاولياء ام الاصنام التي تشركون في عبادته وهي لا تملك شيئا من ذلك يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الله يملك ما ذكر من اهلاك اعدائه وابقاء رسله والاصنام التي تعبدونها دونه لا تملك شيئا فكيف تشركونها في الوهيته والا لم يذكر جواب قوله الله خير اما تشركون جوابا ام يقولوا بل الله خير وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرا هذه الاية قال بل الله خير وابقى واجل واكرم وقوله عز وجل امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة يذكرهم بهذا وجهين احدهما قدرته وسلطانه في خلق ما ذكر من السموات والارض وانزال الماء من السماء وانبات النبات من الارض واخراجه على اقرارهم ان الله خالق ذلك لا غيره فيقول فاذ علمتم ان الله هو خالق ذلك كله فكيف اشركتم غيره من لا يملك ذلك ولا يقدر في تسمية الالهية والعبادة والثاني عن اتساق الامور والتدبير فيهما انه جميعا واتصال منافع احدهما بالاخر على تباعد ما بينهما ليعلم ان منشئهما ومدبرهما واحد لا عدد فاذ عرفتم ذلك فكيف اشركتم غيره فيهما وهو كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وهذا الحرف على الثنوية والدهرية وهم لا يقولون بالعدد وانكارهم الواحد والاول على المعتزلة بالواحد الا انهم يشركوا الاصنام في التسمية والعبادة وقوله عز وجل حدائق ذات بهجة قال بعضهم الحدائق الحيطان والبساتين ما دون الحيطان وقال بعضهم الحدائق الحوائط التي تحيطت بالاشجار والبساتين هي المنتفع بها وقال ابو عوسجة الحدائق البساتين والرياض والحديقة الروضة وقال القتبي الحدائق البساتين واحدها حديقة سميت بذلك لانها تحدق بها اي تحظر بهجة حسن المنظر وجائز انها سميت ذات بهجة لما يبتهج صاحبها اذا نظر اليها وقوله عز وجل ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما تقدرون انتم ان تنبتوا شجرها فمن هو دونكم اشد وابعد فكيف اشركتم في العبادة وتسمية الالهية من هو دونكم في كل شيء وقوله عز وجل االه مع الله الا االه مع الله بل هم قوم يعدلون يحتمل هذا وجهين يحتمل يعدلون اي يجعلون من لا يملك ما ذكر عديلا لله والثاني يعدلون اي يعدلون عن الله ويميلون الى غيره من العدول والله اعلم امن جعل الارض قرارا يقرون عليها ويتعيشون فيها ويبيتون وجعل خلالها انهارا ينتفعون بها في انواع المنافع ويشربون وجعل لها رواسي اي الجبال اوتادا تميد بهم وجعل بين البحرين حاجزا قال بعضهم جعل بين بحر فارس وبحر الروم جزيرة العرب حاجزا وسمي جزيرة لما جزر الماء فيها اي ذهب وقال بعضهم بحر الشام وبحر العراق وقال بعضهم قوله وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح حاجزا بلطفه لا يختلط هذا بهذا ولا هذا بهذا لطفا منه يذكرهم نعمه عليهم ولطفه انه كيف اشركتم في عبادته والوهيته من لا يملك ذلك وصرفتم شكرها الى غير المنعم االه مع الله اي لا اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون لان من لا ينتفع بما يعلم فكانه جاهل نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح فعلى ذلك جائز نفي العلم منهم لتركهم الانتفاع به والثاني بل اكثرهم لا يعلمون لما لا يتكلفون النظر فيما ذكر او لا يعلمون ان بينهما حاجزا والله اعلم وقوله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض يخرج على الصلة بقوله الله خير اما تشركون كانه يقول من يملك اجابة المضطر وكشف السوء عنه وجعلكم الخلفاء في الارض خير ام من لا يملك من ذلك شيئا فجواب ذلك ان يقولوا بل الذي يملك ذلك خير ممن لا يملك ولا يقدر ذلك ويخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما احدهما انكم تعلمون ان الذي يجيب المضطر ويكشف السوء هو الله تعالى لا الاصنام التي تعبدونها فكيف اشركوها في الالوهية والعبادة والثاني انه اذا اجاب دعوة المضطر وكشف السوء وجعلكم خلفاء الارض بعد هلاك اوائلكم

تدل ذلك انه واحد لا عدد له لو كان غيره عدد لكان اذا اجاب هذا وكشف السوء رده الاخر ومنع فدل بقاء ذلك كله واتساق الامر انه
واحد لا شريك له هذا على الثنوية والاول على المشركين غيره فى العبادة له وتسمية الالهية　عز وجل أإله مع الله اى لا اله مع الله
قليلا ما تذكرون وعلى ذلك يخرج قوله امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته على الوجوه التى ذكرنا
وكذلك قوله امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض امن يقدر على ما تقدم ذكره يملك البعث بعد الموت واحياءه يلزمهم
البعث بهذا اى من يقدر بهذا يقدر ما ذكره اله مع الله بل الله هو المتفرد بذلك دون من يعبدون وتشركون　عز وجل قل هاتوا
برهانكم اى حجتكم فى هذا وانكر ذلك وادعى الشرك فيه لغيره قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فى مقالتكم وقوله بشرا من البشارة ونشرا
بالنون من التفريق والرفع　عز وجل خلفاء الارض يخلفون من قبلهم من الامم قال ابو معاذ واحد الخلفاء خليف وواحد الخلائف
خليفة والخليف من الخالف كالعليم من العالم وقوله أإله مع الله يقول والله اعلم يفعل ذلك بكم يرزقكم وينزل لكم من السماء ماء وينبت لكم
من الارض ما تأكلون وترعى انعامكم أإله مع الله يهديكم فى ظلمات البر والبحر ويرسل لكم الريح بشرا او يجيب المضطر ويكشف السوء عنه
وكل ما ذكر اى ليس معه اله سواه بل الله هو يفعل ذلك كله بكم فكيف اشركتم غيره فى الهيته وعبادته على علم منكم ان الذين تعبدون
من دونه لا يملك شيئا ان يفعل ذلك بكم يذكر سفههم وقلة بصرهم ومعرفتهم ثم قال قل هاتوا برهانكم ان كنتم ان مع الله اله فعل ذلك
بكم ان كنتم صادقين ثم قال قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله كانه قال والله اعلم لرسوله قل لا يعلم ممن تعبدون من اهل
السموات ومن فى الارض الغيب الا الله لان بعضهم كان يعبد اهل السموات وهم الملائكة وبعضهم كانوا يعبدون من فى الارض يقول لا
يعلم ممن تعبدون من دون الله من فى السموات والارض الغيب انما يعلم الغيب الله ثم قوله الغيب يخرج على وجهين احدهما ما يغيب بعضهم
من بعض يقول لما يغيب بعضهم من بعض فهو يعلم ذلك والثانى لا يعلم الغيب الا الله اى ما كان وما يكون الى ابد الابدين لا يعلم ذلك
الا الله وان اعلموا واعلموا ذلك ومنهم من صرف الغيب الى البعث والساعة يقول لا يعلم الساعة احد متى يكون الا الله　عز وجل وما
يشعرون ايان يبعثون قال اهل التأويل وما يشعر اهل مكة متى يبعثون لكن لو كان الجهل عن وقت البعث لاهل مكة وغيرهم من اهل
السموات واهل الارض فى جهلهم بوقت البعث شرعا سواء لا احد يعلم من اهل السموات والارض انه متى تبعث الا ان يكون الاية فى
منكرى البعث فحينئذ جاز صرفه الى بعض دون بعض فاما فى وقت البعث فالناس فى جهلهم بوقت البعث سواء وهو ما قال فى
اية اخرى يسألونك عن الساعة ايان مرساها الاية اخبر انه لم يطلع احدا على علم ذلك عند الله　عز وجل بل ادارك علمهم فى الاخرة
بل هم فى شك منها بل هم منها عمون اختلف فى قراءته وتأويله اما القراءة فانه قرأ بعضهم ادارك بالتشديد والالف وقرأ بعضهم
ادرك باسقاط الالف والتشديد وقرأ بعضهم بلى باثبات الياء فى بلى وعلى الوقف عليها وادرك على الاستفهام بلى آادرك
ومنهم من قرأ على الاستفهام ادرك على غير اثبات الياء فى حرف بل وعلى غير قطع منه فمن قرأ ادارك بالتشديد على غير استفهام
يقول معناه تدارك واجتمع اى تدارك علمهم فى الاخرة يقول ابلغ علمهم بالاخرة اى لم يدرك ولم يبلغ علمهم بل هم فى شك منها
بل هم منها عمون يسفههم ويجهلهم يقول ما بلغ علمهم بالاخرة وقال بعضهم بل ادارك علمهم فى الاخرة اى ام ادرك علمهم
وقال بعضهم ادرك علمهم فى الاخرة اى غاب علمهم عن الاخرة وادرك فى الاخرة حين لم ينفعهم وعن الحسن قال بل ادرك علمهم
اى اضمحل علمهم وذهب وعن ابن عباس وغيره قالوا بل ادرك علمهم فى الاخرة بل اجتمع علمهم بان الاخرة كائنة وهم مشركوا
العرب بل هم فى شك منها قال يقولون مرة الاخرة كائنة ثم يشكون فيها فيقولون ما ندرى اكائنة ام لا بل هم منها عمون يعنى جهلة
بها وجائز ان يسمى الشاك فى شئ عميا وابو عوسجة والقتبى يقولان ادارك علمهم اى ادرك ظنهم فى الاخرة وتتابع بالقول
عز وجل بل هم منها عمون اى من علمها وقال بعضهم من اهل الادب لا تستقيم قراءة من قرأ باثبات الياء فى بلى والصلة بالاول لان
بلى بالياء انما يقال فى الايجاب والاثبات وما تقدم من الكلام هو على الانكار والنفى وذلك غير مستقيم فى اللغة والكلام والله اعلم
عز وجل وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون كانهم قالوا ذلك لاحد وجهين اما استهزاء بما يخبرهم الرسل
انكم تبعثون او قالوا ذلك احتجاجا احتجوا به على الرسل بقولهم الذى قالوا لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
يحتجون فيقولون لقد وعد اباؤنا بالبعث كما وعدنا نحن ثم لم نرهم بعثوا منذ ماتوا فعلى ذلك نحن وان وعدنا فلا نبعث كما
لم تبعث اباؤنا ثم قال قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين يقول والله اعلم لو سرتم فى الارض فنظرتم الى ما حل
بمكذب الرسل من العذاب والرسل انما كانوا يدعون الى توحيد الله والاقرار بالبعث بعد الموت فكل ذلك ينزل بكم ما نزل باولئك
بتكذيبهم الرسل بالبعث وغيره فيكون قوله سيروا فى الارض ليس على حقيقة الامر بالسير ولكن على ما ذكرنا اى لو سرتم لعرفتم ما حل
بهم بتكذيبهم او ان يكون الا بالسير فى الارض امرا بالتفكر فيما نزل باولئك الامر بالنظر فى عاقبة امرهم للاعتبار فيهم وقام ولكن
امرهم هنا لينزجر هؤلاء عن مثل صنيعهم وفعلهم　عز وجل ولا تحزن عليهم قال تاويلون قوله لا تحزن عليهم بما يحل بهم من العذاب
ان لم يحزنوا هم على انفسهم ولم يرحموها وقال بعضهم قوله ولا تحزن عليهم ان لم يسلموا كقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثال ذلك كان

نفسه

نفسه تهلك وتتلف اشفاقا عليهم بما ينزل بهم السلام فقال ولا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس على النبى
ان يكن على تسكين نفسه وتقريرها على ما هى عليه لئلا تتلف وتهلك وهو ما قال انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين　عز وجل ولا تكن فى ضيق مما يمكرون هذا يحتمل وجهين احدهما لا تكن فى ضيق مما يستهزؤن بكم ويسخرون بما توعدهم من
العذاب والهلاك الا ترى انهم قالوا على اثر ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قالوا ذلك له استهزاء بما يوعدهم فكانه قال لرسوله لا تكن
فى ضيق مما يستهزؤن بما توعدهم فان الله يجزيهم جزاء استهزائهم بك والثانى لا تكن فى ضيق مما يمكرون اى ما يريدون ويهمون قتلك
فان الله يحفظك ويحوطك فلا يصلون اليك بما يريدون من قتلك واهلاكك وهو ما قال والله يعصمك من الناس وفيه دلالة اثبات
رسالته حيث امنه واخبره انه يحفظه ويعصمه من جميع الاعداء وهو بين اظهرهم فدل انه من ايات النبوة والرسالة والله اعلم
عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قد ذكرنا انهم انما يقولون ذلك استهزاء وتكذيب بما كان يوعدهم من العذاب بتكذيبهم
اياه ثم كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم فى الدنيا كما نزل باوائلهم بتكذيبهم الرسل ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم فى الاخرة ثم
فيكذبونه فى ذلك كله ويستهزؤن به ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكذلك قال اوائلهم لرسولهم فأتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين ثم قال قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون هذا يحتمل وجهين احدهما قرب ودنا لكم بعد هذا الحال
وبعد هذا القول الذى قالوا بعض الذى تستعجلون اى ينزل بكم بعد هذه الحال بعض الذى تستعجلون وهو العذاب وقوله ردف لكم
اى دنا منكم وقرب والثانى عسى ان يكون ردف لكم بعد الحزن والكرب الذى يحل بكم بالموت بعض الذى تستعجلون وهو عذاب
القبر لانهم وقت الموت يحزنون ويكرهون لما شاهدوا وعاينوا من حالهم ولذلك يسألون ربهم الرجوع والرد الى الدنيا ثانيا نحو
قولهم رب ارجعون وقولهم او نرد فنعمل ونحوه　عز وجل وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يحتمل قوله
ذو فضل على الناس وجوها احدها ذو فضل فى تاخير العذاب عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون ذلك الفضل ولكن يستعجلون والثانى
ذو فضل على الناس فى دينهم فى بعثه وارساله اليهم من يرحمهم ويبصرهم عما يستوجبون من عذاب الله ونقمته وهو الرسول لكن
لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه ويكابرونه او لذو فضل على الناس فيما انعم عليهم فى انزالهم وانفسهم لكنهم لا يشكرون
ذلك بل يصرفون شكره الى غير المنعم والله اعلم　عز وجل وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قوله تكن صدورهم يحتمل
وجهين احدهما ما تكنون انتم فى صدوركم وتسرون فيها وما تعلنون اى ما تبدون وما تظهرون فيها يعلم ذلك كله او ما تكن صدورهم
اى ما تخفى انفس الصدور وتسر فيها وما تعلنون وما تحمل الصدور اصحابها على ابداء ما فيها واظهاره وهو ما ذكر فى الخبر حيث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الانسان مضغة اذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب والله اعلم　عز وجل وما من غائبة
فى السماء والارض الا فى كتاب مبين هذا يخرج على وجهين اما احدهما ما من غائبة فى السماء والارض ما كان ويكون ابد الابدين
الا كان ذلك مبينا فى كتاب مبين [illegible]
عن جهل وغفلة والثانى وما من غائبة فى السماء والارض ما يغيب بعضهم من بعض [illegible]
ذلك فى كتاب مبين [illegible] عند الله محفوظا [illegible]
رقيب لا يغيب عنه شئ كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد [illegible] فى قوله عسى ان يكون ردف لكم
اقترب لكم　عز وجل ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون [illegible]
[illegible] على بنى اسرائيل [illegible] اكثر ما اختلفوا فيه [illegible]
[illegible] ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون [illegible] الاختلاف فى الذى
هم فيه [illegible] يبين القران الذى هم فيه يختلفون [illegible] ما اختلفوا فيه تأويل والله اعلم ان هذا القران يبين لهم الحكم
فى اكثر ما يختلفون او يبين لهم الحق فى اكثر ما يختلفون فيه وفى ظاهر الاية انه يبين لهم اكثر الذى هم فيه يختلفون انه لا يبين كل
ما اختلفوا فيه [illegible] حيث قال اكثر الذى هم فيه يختلفون لكن الاكثر الذى هم فيه يختلفون يبين لهم بما فيه نص القران
ولا يبين لهم ما فيه دليل القران ويبين لهم ما فيه نص القران ولا يبين ما فيه سنة الرسول ونحوه والله اعلم　عز وجل وانه لهدى
ورحمة [illegible] اى هدى من الضلالة لمن اتبعه فى الدنيا [illegible] ورحمة من العذاب لهم فى الاخرة فيكون هو هدى ورحمة
للمؤمنين　عز وجل ان ربك يقضى بينهم بحكمه [illegible] يقضى بينهم بعدل لا يجوز ولا يظلم فى
الحكم والقضاء وهو العزيز العليم العزيز الذى لا يعجزه شئ العليم الذى لا يخفى عليه شئ عز بذاته عالم بذاته　عز وجل فتوكل
على الله اى توكل على الله واعتمد عليه ولا تخف مكرهم وما يريدون ويقصدون [illegible] فالله يعصمك من الناس
عز وجل انك على الحق المبين لان معك حجج وبراهين ليس مع اولئك حجج وبراهين وان كان كل منهم يدعون انه على الحق ثم قال
على الحق المبين [illegible] وان الذى هم عليه باطل ليس بحق　عز وجل انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قال بعض اهل التأويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى يوم بدر يا فلان ويا

فلان وهم قتلى بعد ما ارمان يجمعوا فى قليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا الم تكذبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا ارحامكم ه
فانزل الله هذه الاية انك لا تسمع الموتى لكن عندنا ان الله تعالى سمى الكافر ميتا فى غير اى من القران لما لم يجهدوا انفسهم فى عبادة الله
ولا استعملوها فى طاعته فهم كالموتى وسماهم صما لما لم يسمعوا الحق ولم يقبلوه وسماهم بكما لما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به وسماهم
عميا لما لم يبصروا الحق وسماهم موتى لما لم تستعملوا ايديهم فى الحق فنفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها فيما
انشات وخلقت وان كانت لهم هذه الحواس فعلى ذلك سماهم موتى وحكى فى موضع اخر شبههم بالانعام واخبر انهم اضل لما لم يستعملوا
انفسهم فيما انشات هى له ولم ينتفعوا بها فان قيل ما معنى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قال بعض اهل التاويل بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى يوم بدر يا فلان ويا فلان وهم قتلى بعد ما ارمان يجمعوا فى قليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا الم تكذبوا
نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا ارحامكم فانزل الله هذه الاية انك لا تسمع الموتى لكن عندنا ان الله تعالى سمى الكافر ميتا فى غير اى
من القران لما لم يجهدوا انفسهم فى عبادة الله ولا استعملوها فى طاعته فهم كالموتى وسماهم صما لما لم يسمعوا الحق ولم يقبلوه وسماهم
بكما لما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به وسماهم عميا لما لم يبصروا الحق وسماهم موتى لما لم تستعملوا ايديهم فى الحق فنفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا
بهذه الحواس ولا استعملوها فيما انشات وخلقت وان كانت لهم هذه الحواس فعلى ذلك سماهم موتى وحكى فى موضع اخر شبههم بالانعام
واخبر انهم اضل لما لم يستعملوا انفسهم فيما انشات هى له ولم ينتفعوا بها فان قيل ما معنى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
اخبر انه لا يقدر على ان يسمع الصم اذا ولوا مدبرين ولا يقدر ان يسمع الصم وان انوا مقبلين ولم يولوا قيل معناه والله اعلم انهم صاروا
صما لا ينتفعون بما سمعوا لاعراضهم وترك امكان النظر فيه ولو اقبلوا اليه لانتفعوا به فيصير سمعهم لهم يخبر عن شدة تعنتهم و
مكابرتهم انهم كالصم المدبرين لا يمكن اسماعهم بحال ولا تفهيمهم وان جهدوا واما الصم المقبلون فانهم قد يمكن اسماعهم وتفهيمهم
بجهد بالاشارة والايماء ونحوها والله اعلم بذلك   عز وجل وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم وفى بعض القراءات وما انت
تهدى العمى عن ضلالتهم هذا يدل ان ليس كل الهدى البيان على ما قالت المعتزلة لانه لو كان الهدى كله بيانا فى جميع المواضع على ما
قالوه لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر ان يبين الكفار عن ضلالتهم وقد بين لهم ثم اخبر رسوله وما انت بهادى العمى عن
ضلالتهم فدل هذا ان عند الله هداية ولطفا اذا سالوه وطلبوا منه ذلك فاعطاهم لاهتدوا به وامنوا فهذا ينقض على المعتزلة قولهم
عز وجل ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون اى ما تسمع الا اهل الايمان بالايات واهل الاسلام منهم فاما اهل العناد و
المكابرة فلا   عز وجل واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض قال بعضهم قوله واذا وقع القول عليهم اى اذا وجبت الحجة
عليهم ولزمت تكذيبها اخرجنا لهم دابة وقال بعضهم واذا وقعت السخطة والغضب عليهم اخرجنا لهم دابة   عز وجل وقال قائلون
اذا وقع القول عليهم اى اذا بلغوا فى الكفر حدا يعلم الله انهم لا يؤمنون ابدا بعد ذلك اخرجنا لهم دابة لكن قد ذكر فى غير موضع ان هذا
لا يصح ولا يجوز اذ الله عز وجل لم يزل عالما بما كان ويكون منهم ابدا الابدين فليس علمه باحوالهم بما يكون منهم اذا بلغوا ذلك الحد بل لم
يزل عالما بما يكون منهم وهذا الحرف الذى يقول هذا القائل يومى الى انه انما يعلم ذلك منهم اذا بلغوا ذلك الحد وقبل ذلك لا فهو قبيح
وقول من قال اذا وقعت الحجة عليهم فهو لا يحتمل ايضا لان الحجة قد كانت قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم الحجة عليهم
فى ذلك الوقت فيكون التاويل احد وجهين احدهما ما ذكرنا من وقوع العذاب ووجوب العقوبة والسخطة عليهم كقوله اولئك
الذين حق عليهم القول اى العذاب ووجب عليهم والثانى اى واذا اى وقت خروج الدابة التى وعد لهم انها تخرج اخرجناها فى
ذلك الوقت اى لا يتقدم خروجها عن الوقت الموعود ولا يتاخر كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهكذا
كل شئ جعل الله لظهور ذلك وكونه وقتا لا يتقدم ولا يتاخر ذلك الوقت هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية   عز وجل تكلمهم
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قراءة العامة بالتشديد تكلمهم من التكليم والتحديث وكذلك فى بعض الحروف يحدثهم وتنبئهم
وقد قرا تكلمهم بالتخفيف وهو ما ذكر فى الاخبار والقصص ان الدابة اذا خرجت تخرج الكافر وتسمه بسمة وعلامة حتى يعرف الكافر
من المؤمن فيقال يا مؤمن ويا كافر وسئل ابن عباس عن ذلك وقال تكلم المؤمن وتحدثه وتجرح الكافر والله اعلم ثم اختلف فى قوله ان
الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اختلف فى تلاوته وقرئ ان الناس بنصب الالف وان الناس بكسرها فمن قرا بالنصب ان الناس جعل
ذلك القول من الدابة ثم يخرج على وجهين احدهما يقول الدابة ان الناس كانوا فى وجه لما دعوا لا يوقنون انى اخرج فيها انا دابة تخرج
والثانى انها تخبر عن الله وتنبئ ان الناس كانوا بالدابة وبغيرها من الايات لا يوقنون ومن قرا بالخفض ان الناس يجعل ذلك القول
من الله ابتداء اخبار انهم كانوا لا يزالون لا يوقنون باياتنا وفى خروج الدابة اعظم ايات فى اثبات رسالته رسول الله ونبوته لانه اخبر
انها تخرج فى وقت كذا فتخرج على ما اخبر فى ذلك الوقت على الوصف الذى وصف فيدلهم على صدقه   عز وجل ويوم نحشر من كل امة
فوجا ممن يكذب باياتنا يجمع القادة منهم والاتباع والمتبوعون فيساقون الى النار جميعا كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية
وكقوله وسيق الذين كفروا الاية وكقوله ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قال اهل التاويل يوزعون اى يحبس اولهم على
اخرهم حتى يجتمعوا وقد ذكرنا الوزع فيما تقدم وما قيل فيه   عز وجل حتى اذا جاؤا اى حتى اذا جاؤا جميعا واجتمعوا فيقف الكفار

قال لهم

قال لهم اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما يحتمل ولم تحيطوا بها علما اى قد احطتم بها علما انها ايات لكن كذبتم وانكرتم
انها ايات عنادا ومكابرة اذ يجوز ان يتكلم بالنفى على اثبات ضده كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض اى
نعلم بضد ذلك ويخالف ما يقولون انتم وذلك جائز فى القران كثير وان يكون قوله ولم تحيطوا به علما لما لم يتفكروا فيها ولم تنظر
اليها نظر التعظيم والاجلال لكى تعرفوا وتحيطوا بها علما انها ايات والاول كان التاويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر فى تكذيبها اذ
لم يحيطوا بها علما اذ من لم يحط العلم بالشئ فله عذر الرد وترك القبول لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتها والله اعلم ثم
قال اما ذا كنتم تعملون فى تكذيب الايات والاعمال التى عملوها بلا حجة ولا برهان ووقع القول عليهم اى وجب القول ه
بالعذاب ووقع ما وعد وامن العذاب بما ظلموا حيث قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ونحوه   عز وجل فهم لا
ينطقون بالحجة ما يكون لهم به عذر   عز وجل الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لايات
اى فى الليل والنهار الايات لقوم ثم الايات التى ذكر فيها يكون من وجوه احدها دلالة وحدانيته ودلالة علمه وتدبيره وحكمته
ودلالة كرمه ووجوده ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة قدرة على البعث والاحياء بعد ما باد وذهب وداثر اما دلالة
كرمه وجوده ما جعل لهم فى الليل والنهار منافع تدوم ما داموا هم ثم تلك المنافع يكون من وجهين احدهما جعل النهار للتقلب
فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم وجعل الليل راحة لهم وسكونا ولو جعلهما جميعا للتقلب ما قام به معاشهم وما به
قوام انفسهم وابدانهم ابدا لانه لا تلتام ذلك الا بالراحة ولو جعلهما جميعا الراحة لم يقم امر معاشهم فمن رحمته وفضله جعل
احدهما للراحة والاخر للتقلب وهو ما ذكر فى اية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله و
الثانى من النعمة التى ذكرنا جعل الذى للتقلب انما جعل ذلك للتقلب انما جعل ذلك الكل لا لبعض دون بعض وكذلك الذى
هو مجعول للراحة والقرار انما جعله كذلك للكل لا لقوم دون قوم ولو جعل كذلك لكان لا يقوم امر معاشهم ولا ما به
يقوم ابدانهم وانفسهم ولكن من رحمته وفضله جعل المجعول وقتا للراحة للكل لا لبعض دون بعض وكذلك المجعول
للتقلب ليظفر المشترون بالباعة والمشترين ليلتام امر معاشهم ودنياهم واما دلالة وحدانيته ما جعل منافع احدهما
متصلة بالاخر اذ لا يقوم احدهما الا بالاخر على اختلاف جوهرهما ليعلم ان مدبرهما ومنشيهما واحد اذ لو كان عددا لكان
ما اراد هذا ايضا له منع الاخر فاذ لم يكن ولكن جريا على سنن واحد واتساق واحد دل انه تدبير واحد لا عدد واما دلالة علمه
وحكمته انهما منذ كانا على ميزان واحد وعلى تقدير واحد من غير تغير وتبدل يقع فيهما دل ان منشيهما على ذاتيا وحكمة ذاتية
لا على اكتساب استفاد احكم الخلق واما دلالة القدرة والسلطان لانهما يقهران الخلق كله من الجبابرة والفراعنة شاؤا
وابوا حتى اذا اراد واحد منهم فى منع احدهما او يزيد فى احدهما او ينقص من الاخر لم يقدر عليه او ان اجتمعوا جميعا على دفعهما
او دفع احدهما دون الاخر لم يقدروا عليه دل ان منشيهما قدرة وسلطانا اذ من قدر على انشاء هذا لا يعجزه شئ ودلالة
القدرة على البعث لانه يتلف احدهما ويذهب به حتى لا يبقى اثره ثم ياتى بالاخر على تقدير الاول فمن قدر على انشاء هذا بعد
ذهاب الاخر بكليته وذهاب اثره لقادر على انشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وانه لا يعجزه شئ ثم جعل هذا ما ذكرنا وخلق
ما خلق من المنافع التى ذكرنا لهذا العالم المحنة بامرهم ونهيهم وجعل لهم عاقبة فيها يثاب من اطاعه ويعاقب من عصاه اذ لو لم يكن
عاقبة لكان خلقهم عبثا لا حكمة فيه لان من بنى بناء للفناء والنقض خاصة لا للعاقبة يتامل نفعه كان بناؤه عبثا غير حكمة
فعلى ذلك خلق الخلق لا للعاقبة فقصد عبث ليس بحكمة والايات لمن امن بها وصدق فاما من لم يؤمن وكذب بها فهى ايات
عليهم لا لهم   عز وجل ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض اختلف فى النفخ ما هو وفى عدده
واختلف فى عدده واختلف فى الصور ايضا ما هو وكيف هو اما الاختلاف فى النفخ فمنهم من يقول ليس على حقيقة النفخ
ولكن اخبار عن خفة قيام القيامة على الله اخبر بالنفخ عنها لانه اخف شئ على الخلق واهونه فاخبر به عنها وهو ما قال وما امر
الساعة الا كلمح البصر يشبه امرها بلمح البصر لما ليس شئ اخف على المرء من لمح البصر فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق
ومنهم من يقول ذكر النفخ لسرعة نفاذ الساعة اذ ليس شئ اسرع نفاذا من النفخ وهو ما قال الا صيحة   ذكر
ذلك وشبهها بالصيحة والرجفة لسرعة نفاذها اذ ليس شئ اسرع نفاذا من الصيحة والرجفة فيقول ليس على حقيقة النفخ
ولكن اخبار عن خفتها على الله او سرعة نفاذها على ما ذكرنا وهو ما قال فنفخنا فيه من روحنا ليس انه ينفخ فيه نفخا ولكن يجعل
كانه قال وجعلنا فيه من روحنا ومنهم من يقول على حقيقة النفخ فان كان على هذا فهو ان يمتحن الملك من غير ان يقع له الحاجة
الى ذلك نحو ما امتحن الكرام الكاتبين بكتابة اعمال الخلق وافعالهم من غير وقوع الحاجة اليه لكن امتحانا منه ملائكته بذلك وان يكون
اخذ واذ هو عالم بما كان وبما يكون كيف يكون ومتى يكون واى شئ يكون واما الاختلاف فهو فى عدد النفخ قال قائلون انه واحد
يحتج بقوله الا صيحة واحدة وقوله   وانما هى زجرة واحدة ومنهم من يقول بالنفختين يقول بقوله يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة اخبر انه يردف الاولى غيرها ويحتج بقوله ايضا ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من

شاء الله ثم نفخ فيه اخرى ومنهم من يقول بالنفخات الثلاث يقول الاولى للفزع والثانية للصعق على ما ذكر فى الاية والثا
للاحياء ومنهم من يقول بالثلاث الا انه يجعل ذلك كله بعد الموت احديهما للفزع فى القبور والثانية للاحياء فيها والثالثة
للاخراج منها والنشر ويقول هذا القائل بعذاب اهل القبر من النفخة الثانية الى النفخة الثالثة وعلى ذلك دريت اخبار فى ذلك
فان ثبت فهو ذاك والا نقف فيه واما اختلافهم فى الصور قال قائلون ينفخ فى الخلق والصور جمع صورة قال الزجاج لا
يحتمل هذا لان الصور على سكون الواو ليس هو من اثار الصور ولا من جمعها لان الفرد هو صورة بالها وجمع الصورة صور
بتحريك الواو على ما ذكر فى الاية فاحسن صوركم ومنهم من يقول هو قرن ينفخ فيه كرتين كذا او بوق كبوق كذا لكنا لا نفسر شيئا
مما ذكر من النفخ والصور انه كذا ولا نشير الى شيء انه ذا الا ان يثبت شيء من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به وليس
هو بشيء يوجب العمل به فيتكلف صحته او سقمه انما هو شيء يجب التصديق به فنقول بالنفخ والصور على ما جاء ولا نفسر والله اعلم
عز وجل ففزع من فى السموات ومن فى الارض وقال فى اية اخرى فصعق من فى السموات ومن فى الارض انما هو اخبار عن شدة
هول ذلك اليوم كقوله وترى الناس سكارى الاية وكقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ونحوه عز وجل
الا من شاء الله قال بعضهم الا من شاء الله هم الشهداء فى الارض وعلى ذلك روى فى بعض الحديث انه قال ما اعطى احد بعد النبوة
افضل من الشهادة لا يسمع الشهيد الفزع يوم القيامة الا كرجل قال لصاحبه استمع قال اسمع كاذين الصلوة وقال بعضهم
هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقال بعضهم هم الانبياء والرسل لكنا لا نقول لخزان اهل الدنيا هم كذا ولا نشير
الى احد لانا لا نعلم ذلك الا ان ثبت فى ذلك خبر عن رسول الله فنقول به وجائز ان يكون الذين استثناهم عن الذين اخبر عنهم
فى اخر الاية انهم يكونون امنين من فزع ذلك اليوم وهوله وهو ما قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون
عز وجل وكل آتوه بالمد اتوه وبغير مد مضمومة التاء فيه على مثال فاعلوه وهو جمع آت كقوله الا اتى الرحمن عبدا وانى
جمع اتا وهو من سياتون وقرأ بعضهم بقصر الالف ونصب التاء على الاتيان فاتوه عز وجل داخرين قيل صاغرين
ذليلين داخرين اى ذل عز وجل وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب قال بعضهم وهى تمر لكثرتها واذ
يرى الناظر اليها ويحسبها كانها جامدة وكذلك العسكر العظيم يحسب الناظر اليه كانه ساكن جامد لكثرتهم وازدحامهم
فعلى ذلك الجبال وقال بعضهم لا ولكن لشدة ذلك اليوم وهوله وفزعه على الناس يحسبون كانها جامدة وهى تمر مر السحاب
وهو ما ذكر وترى الناس سكارى وما هم بسكارى الاية لشدة هول ذلك اليوم وفزعه وقال بعضهم لا ولكن الجبال لهول ذلك
اليوم وفزعه تمر مر السحاب وسيره كقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش واصله انما يذكر هذا وما تقدم من هول ذلك اليوم
وشدته على الخلق ليتعظوا وينزجروا عز وجل صنع الله الذى اتقن كل شيء قال بعضهم اتقن احكم وابرم وقال بعضهم
اتقن اى احسن كل شيء قال بعض المعتزلة كيف يكون الكفر حسنا وهو قبيح لانه شتم رب ولا يجوز ان يقال الله خلق شتم
نفسه او احسن شتم نفسه او احسن كفر الكافر وغير ذلك من الخرافات فيقال انهم لا يقول احد انه خالق الكفر واحسنه او
احسن شتم نفسه على هذا الاطلاق من قال ذلك فهو كافر ولكن يقول فعل الكفر من الكافر قبيحا وخلق فعل المعصية من
العاصى قبيحا لكنه من حيث خلقه ذلك وجعله حجة عليه حسنا متقنا محكما وان كان ذلك الفعل منه قبيحا باطلا سفها جورا
اعنى من الكافر الا يرى ان من تكلف ان يعرف فعل الكفر منه سفها وجورا كان غير مذموم لانه يتكلف ان يعرف ما هو سفه
فى الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا فهو من هذا الوجه عارف حق وحكمة لان الحكمة توجب ان يعرف كل شيء على ما هو فى
نفسه حقيقة فعلى ذلك خلق فعل الكفر من الكافر على الوجه الذى ذكرنا هو حسن متقن محكم وان كان من حيث فعل
الكافر قبيحا سفها باطلا وهذا كما يصفه على الاطلاق انه رب كل شيء وخالق كل شيء ولا نقول يا خالق الانجاس ويا رب
الاقذار ونحوه وان كان هذا واخلاف فى الجملة انه خالقها وربها لانه على الاطلاق يخرج مخرج المدح والثناء وعلى التخصيص
مخرج الذم له فعلى ذلك الاول وقوله صنع الله الذى اتقن كل شيء على اثره وصف الجبال بما وصف من انتقاضها وافسادها
واخراجها الصفة التى انشاها الى ما ذكر لم يخرج من الاتقان والاحكام والابرام ليعلم ان ليس فى افساد الشيء خروج عن
الاتقان اذ كان ذلك محكمة والله اعلم عز وجل انه خبير بما يفعلون وعيدهم عز وجل من جاء بالحسنة قالوا جميعا
الحسنة ههنا التوحيد والايات عز وجل فله خير منها قيل فيه بوجوه احدها من جاء بالتوحيد توحيد رب البعث فله
خير منها ومجيئه ربه بالتوحيد اذا ختم به فله ما ذكر شرط المجيء به ولم يقل من عمل الحسنة فله كذا لان الرجل قد يعمل با
لحسنات ثم يفسدها ويبطلها فلا يثاب بها عليها ليعلم ان ما ينتفع بالحسنات فى الاخرة الحسنة التى ختم بها عليها وجاء
ربه وقال بعضهم قوله فله خير منها اى ما يعطى فى الاخرة له من الثواب والجزاء انما يكون من الحسنة التى كانت منه
فى الدنيا منها يكون له جميع الخيرات فى الاخرة وقال بعضهم فله خير منها اى الذى اعطى له فى الاخرة من الخيرات خير مما ترك
فى الدنيا من النعم واصبر عليها فذلك خير مما ترك كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم كذا وقال بعضهم فله خير

منها

منها اى رؤية الرب واللقاء خير فانا اعطى غيرها من الخيرات على ما يكون فى الدنيا رؤية الملك ولقاؤه على الرعية اعظم و
افضل عندهم من غيره من الكرامات وان عظمت وجلت وقال بعضهم ذلك الثواب والجزاء فى الاخرة خير واعلى من الخيرات
فى الدنيا لان الثواب وجوبه الفضل والرحمة لا الاستيجاب والاستحقاق اذ فى الحكمة والعقل وجوب العمل وليس فيهما وجوب
الثواب فما هو سبيله فضل الله خير مما غيره لكنه عوض بان كل ما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقل خير مما كان سبيل وجوبه
الافضال اذ ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسع تركه وما كان وجوبه الافضال له تركه لكنه قال ان اقول فله خير منها اى
فى طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لانه فى الحقيقة لخير وهو كقوله وهو اهون عليه اى فى طباعكم وعندكم ان اعادة
الشيء اهون من ابتدائه اذ ليس شيء اهون على الله من شيء ولكن عندكم ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه فعلى ذلك الاول والله اعلم
عز وجل وهم من فزع يومئذ امنون اخبر انهم اذا اتوا ربهم بالتوحيد يكونون امنين من فزع ذلك اليوم وهوله عز وجل
ومن جاء بالسيئة اى بالشرك فكبت وجوههم فى النار المكب على الوجه هو الملقى على الوجه كقوله يوم تقلب وجوههم فى النار
المكب على الوجه هو الملقى على الوجه كقوله يوم تقلب وجوههم فى النار عز وجل هل تجزون الا ما كنتم تعملون اى ما تجزون
الا باعمالكم عز وجل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وقوله حرمها يحتمل وجهين يحتمل حرمها اى منعها من
الاستلاب والاختطاف فيها كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس على التحريم حتى لا يحل له ذلك ولكن على المنع والحظر اى منعنا منه
المراضع والثانى على التحريم نفسه وهو ما جعل فى كل احد من الكافر والمسلم فى الجاهلية والاسلام حرمة ذلك المكان حتى لا يتناول
احد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها والله اعلم عز وجل وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران اى وامرت
ان اتلو القران ايضا عليكم كانهم اوعدوه بوعيد وخوفوه به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال عند ذلك لهم انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة وهو رب كل شيء الى امرت ان اكون عبد الله لا اجعل نفسى عبد الغير وامرت ايضا ان اجعل نفسى سالما لله لا اجعل لاحد
فيها شركا كما جعلتم انتم وامرتم انتم ايضا بذلك كله وامرت ايضا ان اتلو القران عليكم فانا اتلوه عليكم كذبتمونى او لم تكذبونى لا
اخاف كيدكم ولا مكركم والله اعلم وفى قوله انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها دلالة لزوم الرسالة لان اهل مكة وغيرهم
اقروا جميعا بحرمة تلك البقعة من اوايلهم واواخرهم فاعرفوا ان ذلك الا بالرسل لان اوايلهم يقرون بالرسالة والنبوة فعلى
ذلك يلزم هؤلاء الاقرار بها والله اعلم عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه يخبر ان من امن وقبل الهدى فانما يفعل ذلك النفع
نفسه ومن ضل ايضا فانما يكون مردود عليه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها عز وجل فقل انما انا من المنذرين
اى ليس على الا الانذار فاما غير ذلك فذلك عليكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء عز وجل وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها يحتمل وجهين احدهما سيريهم ايات وحدانيته
وربوبيته وايات رسالته عز وجل فتعرفونها اى بالايات ما ذكر كقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم والثانى سيريهم ما
وعدلهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا على ما عرفوه خبرا عز وجل وما ربك بغافل عما تعملون قال بعضهم هذا الحرف وعيد الظالم و
تعيير وزجر وتعزية للمظلوم وتسلية له وقال بعضهم هذا الحرف ترغيب وترهيب قل للنبى قوله ردف لكم اى تبعكم واللام زايدة كانه قال ردفكم

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم وفى غير موضع ما يغنى ذكره فى هذا الموضع عز وجل نتلوا عليك
من نبإ موسى وفرعون بالحق من نبإ موسى وفرعون اى من خبرهما عز وجل بالحق اى بالصدق ما يعلم انه صدق وحق جاز ان يكون
قوله بالحق الذى لموسى على فرعون وقومه او بالحق الذى له عليه والله اعلم عز وجل لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما نتلوا عليك
من نبإ موسى وفرعون للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بالانبياء وما فيها واما من لا يؤمن فلا ينتفع بها فلا يكون والثانى لقوم يؤمنون
بالانبياء والكتب المتقدمة هم يعرفون انه حق لما فى كتبهم ذلك والله اعلم عز وجل ان فرعون علا فى الارض قال بعضهم تجبر وا
ستكبر وابى ان يخضع لموسى ولامثاله وقال بعضهم علا فى الارض اى بغى وتجبر فيكون تفسيره ما ذكر على انه يستضعف طايفة
منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم هذا والله اعلم يشبه ان يكون علوه وبغيه فى الارض ويشبه ان يكون قوله علا فى الارض اى علا
فى الارض اى جاوز قدره وارتفع رتبته فى الارض لما ادعى لنفسه الالوهية والربوبية بعد ما كان عبدا كسائر العباد او دونهم
فعلا قدره وارتفعت منزلته بدعواه بذلك وعلا فى الارض اى غلب عز وجل وجعل اهلها شيعا فرقا يستضعف طايفة
ويذبح طايفة ويستحيى طايفة ويعذب طايفة وجائز ان يكون قوله وجعل اهلها شيعا اى جعل لكل طايفة منهم عبادة صنم لم يجعل
ذلك لطايفة اخرى وجعل طايفة اخرى على عمل اوليك وحوائجهم ليتفرغوا للعبادة الاصنام التى استعبدهم لها لان الشيع فرق وجموع
جميعا الى اصل واحد والى امر واحد عز وجل انه كان من المفسدين كذلك كان لعنه الله عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
فى الارض هذا فى الظاهر اخبار لرسوله انه سيفعل ذلك لانه من عليهم وفعل ذلك لانه يقول ونريد ان نمن على الذين كذا وقد من عليهم بذلك

فهلا قال وقد مننا على الذين استضعفوا في الارض لكن معناه والله اعلم اي كنا نريد في الازل ان نمن عليهم وان نجعلهم ائمة
وان نجعلهم الوارثين والا الظاهر ما ذكرنا عز وجل ونجعلهم ائمة يحتمل وجهين احدهما جعلهم جميعا ائمة الناس بهم تقتدى
وتنقاد لهم وان يكون قوله ونجعلهم ائمة اي نجعل فيهم ائمة وقادة لهم اي نجعل بعضهم ائمة لبعض كقوله لموسى اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبياء والائمة المذكورة ههنا كانهم هم الانبياء الذي ذكر في هذه الاية ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض
هذا كما ذكر في اية اخرى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الاية اي يرثون الارض وملكهم
بعد فرعون وقومه والوارث هو الباقي على ما ذكرنا كانه قال يبقون هم في ارضهم وملكهم بعد هلاكهم كقوله انا نحن
نرث الارض ومن عليها اي نبقى بعد هلاك الارض وهلاك من عليها والله اعلم عز وجل ونري فرعون وهامان و
جنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي يرون ما كانوا يحذرون منه وهو الهلاك وذهاب الملك هذا كانوا يحذرون
فاذبحهم ذلك لانه كان يذبح ابناءهم اشفاقا على بقاء ملكه ويحذر ذهابه قال الزجاج ان من حماقة فرعون وقلة عقله
ان كان يذبح ابناءهم لقول الكهنة انه يذهب ملكه بغلام يولد في العام الذي قالوه فلا يخلوا اما ان صدق قولهم فيذهب
ملكه وان قتل الانبياء وان كذبوا في قولهم فلا معنى لقتل الابناء لانه لا يذهب لكنه فعل ذلك بهم لحماقته وسفهه وجهله
بنفسه عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض بالنجاة من فرعون وآله واستنقاذه اياهم من يديه ومن قتل الاولاد
او غير ذلك من انواع التعذيب والله اعلم وفي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى اخر ما ذكر وجوه على المعتزلة
في قولهم انه ليس لله ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين وانه لو لم يفعل ذلك كان ذلك جايرا فيقال لهم لو كان عليه فعل
الاصلح لهم في دينهم على كل حال لكان لا معنى لذكر المنة على الذين استضعفوا في الارض في جعلهم ائمة وابقائهم في ارضهم وتمكينه
اياهم في ملكهم ووراثتهم اموالهم لانه على زعمهم فعل بهم ما عليه ان يفعل اذ ذلك اصلح لهم في الدين وكل من فعل فعلا عليه ذلك
الفعل لا يكون له الامتنان على المفعول به ذلك فدل ذكر المنة فيما ذكر انه فعل بهم على انه فعل ما لم يكن عليه ذلك ولكنه فعل
ذلك بهم متفضلا ممتنا وله ان لا يفعل ذلك ويقولون ايضا ان في هلاك فرعون وقومه اصلح لهم من ابقائهم وكذلك في اماتة
كل كافر لم يذكر فيه المنة دل ذلك انه ليس على ما يقولون هم وان ذلك منقوض مردود عليهم ويقولون ايضا ان الارادة
من الله لهم امره لهم بامرهم به فلو كان امر على ما يزعمون لكان الامر منه قد شمل الكل ثم لم يصيروا جميعا ائمة وقادة ولكن انما صار
بعض دون بعض دل ان الارادة غير الامر وانه اذا اراد لاحد شيئا كان ما اراد فليس على ما يقولون انه اراد ايمان كل كافر لكنه لم
يؤمن بعد ما اعطاه جميع ما عنده من القوة والعون على ذلك حتى لم يبق عنده شيء من ذلك الا وقد اعطاه فدل ما ذكر على فساد
مذهبهم عز وجل واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه قال عامة اهل التأويل ان الوحي ههنا وحي الالهام والقذف في القلب
لا وحي ارسال صارت رسوله وذلك لا يجوز لكن يقال جايز ان تلهم هي الارضاع والالقاء في اليم فاما ان تلهم ما ذكر لا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين هذا ما لا سبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بتصريح قول ومشافهة اخر اللهم
الا ان يقال انه كان بموسى ايات الرسالة واعلام بها عرفت هي بتلك الاعلام والايات التي كانت به انه يرد اليها وانه يبقى
رسولا الى وقت وقد كانت بالرسل اعلام وايات الرسالة في حال صغرهم وصباهم نحو عيسى حيث كلم قومه في المهد اني عبد الله آتاني
الكتاب الى اخر ما ذكر ونحو ما ذكر ان محمدا لما ولد ولد بالليل استنارت تلك الناحية واستضاءت بنوره حتى ظنوا ان الشمس قد طلعت
ونحوه فعلى ذلك جايز ان يكون بموسى اعلام وايات عرفت امه بها انه رسول وانه يرد اليها وانما تكلفنا بهذا التخريج قول اهل
التأويل انه وحي الهام وقذف في القلب لا غير وعندنا جايز ان يكون الوحي اليها وحي ارسال رسول اليها واخبار من غير ان صارت
هي بذلك رسوله نحو ما ذكر في قصة مريم ان الملك لما دخل تعوذت بالله منه حيث قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وذلك من البشارة التي بشروها بالولد فلم تصر بما ارسل اليها من الرسل رسولا
رسوله فعلى ذلك ام موسى ونحو بشارة الملائكة لامرأة ابرهيم بالولد وهو قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
ونحو ما يكثر ذكره لم يصيروا بذلك رسلا فعلى ذلك الوحي الى ام موسى يحتمل ما ذكرنا وجايز ذلك من غير ان صارت بذلك
رسوله وهو اشبه واقرب والله اعلم عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال بعضهم في الاية اضمار
لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن كان فيه اضمار اي التقطه آل فرعون ليتخذوه ولدا ووليا فكان لهم عدوا وحزنا
اذا كبر نحو هذا وقال بعضهم ذلك اخبار عما في علم الله انه يكون ما ذكر معناه والله اعلم التقطه آل فرعون فكان في علم الله
تعالى انه يكون لهم عدوا وحزنا وذلك جايز في اللغة يقال لدوا للموت وابنوا للخراب لا يلدون للموت ولا يبنون للخراب ولكن
اخبار عما يؤول امرهم في الاخرة والله اعلم عز وجل ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ظاهر وفيه نقض قول
المعتزلة عز وجل وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا هذا لطف
من الله ورحمة حيث القى محبته في قلوبهم وحلاوته في اعينهم وهو ما ذكر منه عليه حيث قال والقيت عليك محبة مني هم

لتأدى

التأدي بذلك الشكي عليه قال ابو معاذ قال مقاتل قوله قرة عين لي ولك لا يقول ليس لك بقرة عين قال ابو معاذ وهذا
محال ولو كان كذلك لكان في القراءة تقتلونه وهذا ايضا محال لقوله عسى ان ينفعنا ولو كانت القراءة قرة عين لي ولك
لا تقتلوه لكان مقاتل مصيبا عز وجل وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما وهم لا يشعرون ان هلاكهم واستيصالهم
على يديه والثاني لا يشعرون انه هو المطلوب بقتاله من بين الكل والله اعلم عز وجل واصبح فؤاد ام موسى فارغا قال
بعضهم فارغا من هم موسى وحزنها عليه وقال بعضهم فارغا من كل شيء الا من موسى وذكره وكان قوله واصبح فؤاد ام موسى
فارغا صلة قوله ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك الاية وهو يحتمل وجوها احدها ان الله رفع الحزن والخوف وطبعها من
غير ان كان ثمة قول او كلام والثاني على القول لها لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فان كانت
على هذا فهو على البشارة لها بالرد اليها وجعله رسولا او على النهي والزجر عن الحزن عليه والخوف عليه والحزن عليه هو حزن
مفارقته عنها والخوف عليه خوف الهلاك كقوله ليعقوب حيث قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر
الحزن عند المفارقة والذهاب عنه والخوف عند الهلاك فرفع الله عنها حزن المفارقة وبشرها بالرد اليها وجعله رسوله
وامنها عن الهلاك فيكون قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا مما خافت عليه وحزنت والله اعلم عز وجل ان كانت لتبدي به
لولا ان ربطنا على قلبها كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لكنه ربط على قلبها بما ذكر من قوله لا تخافي ولا تحزني الاية
فلم تكن تبدي وهو كما ذكر ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اي كان يهم بها لولا برهان ربه لكنه لم يهم بها وهو
كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي كاد يركن اليهم شيئا قليلا لو لم يثبته لكنه ثبته فلم يركن
اليهم ونحوه فعلى ذلك الاول وقال اهل التأويل ربط قلبها بالايمان وجايز ان يكون ربطه قلبها بما ذكر من قوله لا تخافي ولا
تحزني الاية وقال بعضهم فارغا من عهد الله الذي كان عهد اليها انساها عهد الله عظم البلاء الذي حل بها فكادت تبدي به ثم
تداركها الله بالرحمة فربط على قلبها فتذكرت وادعت وقال بعضهم اتخذه فرعون ولدا فضاد الناس يقولون ابن فرعون فادركت
امه الرقة وحب الولد فكادت تقول بل هو ابني والاول اشبه وفي حرف ابن مسعود وفي حرف حفصة ان كادت لتشعر به عز وجل
وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره عز وجل فبصرت به عن جنب قيل عن بعد اي كانت تتبع اثره عن بعد منه وقال بعضهم الجنب
ان يسمو بصر الانسان الى موضع بعيد وهو الى جنبه يقرب منه وذلك عند الناس معروف ظاهر فيهم ذلك وقال بعضهم في قوله
فبصرت به عن جنب قال تشده بجنباته وهي معرضة عنه كالاجنبية عز وجل وهم لا يشعرون انها هي تراقبه او تنظر
اليه وتحتفظ او لا يشعرون ان هلاكهم على يديه بصرت وابصرت واحد عز وجل عن جنب عن ناحية بعيدة وجانب
جماعة ويقال رجل جنب وقوم اجناب وجانب واجناب واجنبي واجانب اي غريب وهذا كله من الاجتناب وهو قول ابي عوسجة
والقتبي عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل حرم تحريم منع وحظر الذي ضد الاطلاق والارسال لا التحريم الذي ضد
الحل وذلك لطف من الله تعالى وفضل ورحمة حيث منع موسى عن ان يرتضع من النساء وهو طفل ومثله لا يمتنع عن الارتضاع والرغبة
في التناول من كل لبن ومن كل مرضع ترضعه لا تمييز لهم في الارتضاع فدل امتناعه وكفه نفسه عن الارتضاع من النساء اجمع ان ذلك
لطف من الله اعطاه ليمتنع عنه فعلى ذلك جايز ان يكون عند الله لطف لو اعطى الكافر الذي همته الكفر والرغبة فيه لآمن واهتدى
لكنه لما عرف رغبته وهمته فيه واختياره له منع ذلك عنه ولم يعطه وهذا حرف ينقض على المعتزلة مذهبهم في زعمهم ان الله
قد اعطى كل كافر السبب الذي به يؤمن وما به يصير مؤمنا حتى لم يبق شيء ما يكون به ايمانه الا وقد اعطاه لكنه لم يؤمن فينتقض قولهم
ما ذكرنا من امر موسى ان عنده لطفا لم يعطه لو اعطاه لآمن واهتدى لكنه لم يعطه لما ذكرنا وفيه لطف اخر وهو ان فرعون والقبط
كانوا يقتلون الولدان من الذكور ليصير الذي يخاف هلاكهم وذهاب ملكهم على يديه مقتولا فجعل الله بلطفه ورحمته محبته في قلب فرعون
وقلوب اهله حتى صار احب الخلق اليهم وصار رؤيتهم اشفق الناس وارحمهم عليه حتى خافوا هلاكه وطلبوا له المراضع ليلا يهلك بعد
ما كانوا يطلبون هلاكه وتلفه وذلك لطف منه له ورحمة وهو ما قال والقيت عليك محبة مني وبالله يستعاذ كل فضل ونعمة
عز وجل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم قولها فقالت اخته التي كانت تتبعه وتمشي على اثره وذلك منها بعد ان الله لما الى
امه لئلا يشعروا انها امه حيث قالت هل ادلكم على اهل بيت ولم تقل على امرأة لها لبن وهي ترضع ولعلها لو قالت لهم ذلك وقع عندهم انها امه
ولكن دلتهم الى اهل بيت ليقع عندهم انهم اهل بيت وقبل ولادهم ولم ولد يكفلونه لكم اي يقبلونه ويضموه الى انفسهم وهم له ناصحون
يحتمل قوله وهم له ناصحون اي لفرعون لا يخونونه فيه ويحتمل وهم له ناصحون لموسى عز وجل فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن
يحتمل قوله كي تقر عينها بالمقام معه والكون عندها ولا تحزن على فراقه او ان يقال كي تقر عينها ولا تحزن اي يسر برده اليها وذلك معروف
في النساء ظاهر انهن يحزن بمفارقة اولادهن ويسررن لذلك ويسررن اذا رجعوا اليهن واجتمعوا عز وجل ولتعلم ان وعد الله حق
كانت تعلم هي والله اعلم وعد الله حق كاين لا محالة لكن علم خبر لا علم عيان ومشاهدة وكانه قال لتعلم علم عيان ومشاهدة ما علمت
علم خبر لان علم العيان والمشاهدة اكبر واطلع وادفع للشبهة من علم الاخبار الا ترى ان ابراهيم سأل ربه ان يريه احياء الموتى وان كان

يعلم حقيقة انه يحيي الموتى وانه قادر على ذلك لكنه كان يعلم علم خبر فاحب ان يعلمه علم عيان ومشاهدة لانه اكبر وابلغ للوساوس
من علم الاخبار فعلى ذلك الاول   عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون والمعتزلة فيهم لانه اخبر انه يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين
حيث قال لاملأن جهنم وهم يقولون اراد ان لا يملأ جهنم لانهم يقولون انه اراد ايمان كل الناس جميعا وشاء ذلك لهم فلم يؤمنوا فعلى
قولهم اذا شاء ذلك لهم شاء ان لا يملأ جهنم منهم فذلك خلف في الوعد وكذب في القول على قولهم   عز وجل ولما بلغ اشده واستوى
قال بعضهم اهل التاويل الاشد هو ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة ثم هو ما بين الثلاثين الى الاربعين استواء الشرع ثم يأخذ
بعد الاربعين في النقصان ثم غير بعد الاربعين سنة وقال بعضهم بلغ اشده ثلث وثلثون سنة واستوى اربعون وعن ابن عباس
مثله وقال بعضهم بلغ اشده قال الاشد الحلم والاستواء اربعون سنة واصل الاشداد يشتد كل شيء منه وصار يحتمل ما قصد به وجعل
فيه ويدخل في ذلك العقل وكل شيء واستوى اي استوى ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل ذلك وجايز ان يكون الاستواء هو تفسير
الاشد الذي ذكر وقال ابو عوسجة والقتبي واستوى اي استحكم وانتهى شبابه واستقر فلم يكن فيه زيادة واصله ما ذكرنا والله
اعلم   عز وجل اتيناه حكما وعلما اي اتيناه العلم الذي يحكم به بين الناس وعلما بمصالح نفسه ومصالح الخلق قال بعض اهل التاويل
الحكم الفقه والعقل والعلم قبل النبوة   عز وجل وكذلك نجزي المحسنين يحتمل قوله وكذلك نجزي المحسنين في الاخرة بالوعد
الذي وعد في الدنيا كما جزى موسى بايجاز ما وعد او ان يكون من موسى احسان وجهد في طلب العلم وغير ذلك ما اعطاه
ذلك واخبر انه كذلك يجزي من ذكر كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ولتعلم ان وعد الله حق كما وعدها
ان يرده اليها ويجعله من المرسلين ومعناه ما ذكر فيما تقدم قال الكسائي يقال امرأة مرضع ما دامت ترضع فاذا فطمت سميت
مرضعة ما دامت حبلى فهي مرضعة اي مسترضع   عز وجل ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال عامة اهل التاويل على حين
غفلة اهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك وقت القايلة وقال قايلون على حين غفلة اهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك
وقت القايلة وقال قايلون على حين غفلة اهل البلد عن دخول موسى اي دخلها من غير ان شعروا به وعرفوا انه موسى على هذا
الناس قبل الغفلة يكون على دخول موسى عليهم وعلى الاول على غفلة اهل المدينة اي وقت غفلتهم فان كان على هذا فيحتمل ان
يكون غفلة اهلها هو ان كان ذلك يوم عيدهم خرجوا اليه فدخل هو المدينة ليطلع احوالها واسبابها الا ان يكون العادة فيهم
انهم باجمعهم يتبادلون فذلك محتمل والله اعلم   عز وجل فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه قال بعض
اهل الادب ان قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه انما يقال للشاهد المشار اليه فاما الغايب فانه لا يقال لكن قالوا ان فيه
اضمارا ولطفا كانه قال فوجد فيها رجلين يقتتلان من نظر اليهما يقول هذا من شيعته وهذا من عدوه ثم قال اهل التاويل احدهما
كان اسرائيليا والاخر قبطيا فان قيل كيف سمي اسرائيلي من شيعته موسى وذلك اول دخل موسى المدينة وبنو اسرائيل يومئذ كانوا عبدة
الاصنام وقد حبب ذلك اليهم حتى قالوا لموسى بعدما اخرجهم من المدينة وبعد هلاك فرعون والقبط جميعا اجعل لنا الها كما لهم
الهة وكذلك يقول تعالى كانا كافرين جميعا الا ترى انه قال فلن اكون ظهيرا للمجرمين لكن يخرج هذا على الاضمار كانه قال يكون
هذا من شيعته وهذا من عدوه او يقول يكون هذا من قوم هم شيعته ويبقى هذا عدوا في قوم هم اعداؤه وعلى هذا يخرج قوله فلما
ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما او ان يكون عدوا لهما لان ابا معاذ النحوي يستدل على وهم مقاتل وجهه فرنا وبله انهما
كانا كافرين جميعا لكن يخرج على ما ذكرنا والله اعلم   عز وجل فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه اي استغاث
الذي كان في علم الله انه يكون من شيعته على الذي في علم الله انه يبقى عدوا له ينصره والاستغاثة هي الاستغاثة والاستنصار
سال له ان يكون من شيعته   عز وجل فوكزه موسى فقضى عليه قال ابو عوسجة الوكز الطعن في الصدر وقال الزجاج و
القتبي وهؤلاء الوكز الدفع وكزه اي دفعه فقضى عليه قال بعضهم اي فرغ منه كقوله لما قضى موسى الاجل وقوله قضي الامر الذي
فيه تستفتيان اي فرغ ونحوه وقال بعضهم فقضى عليه اي قتله وكلاهما سواء انه قتله فقد فرغ منه وهو لم يتعمد قتله ولا لم
لكن الله قضى اجله وجعل انقضاء عمره بوكزة موسى وهو في الظاهر قاتل لانه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون ولم
يكن بالله موسى في قوله ان لم يقتل وقال ايضا اني ظلمت نفسي فاغفر لي الاية وفيه دلالة جواز الاستدلال القول لابي حنيفة حيث
قال من قتل اخر بحجر عظيم او بخشبة عظيمة مما لا يتجر مثله انه لا يقتل به ولا يجب القصاص فيه لان موسى لما وكز ذلك القبطي
فمات وذكر ان له قوة اربعين رجلا لم ير القصاص به واجبا حيث قال له ذلك الرجل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك
من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولو كان القصاص واجبا لكان اولئك لم يكونوا ظلمة في
قتله بل يكون هو الظالم فيه ولا يحتمل ان يكون القصاص واجبا ايضا وموسى لغرض ذلك ويهرب وفي ذلك ابطال الخصم دلالة انه يجب
ولا شك ان وكزة من له قوة اربعين رجلا الى الهلاك اسرع والاقرب واعمل من الضرب بالحجر العظيم والخشبة العظيمة فاذا لم يجب
في هذا لم يجب في ذاك والله اعلم   عز وجل رب بما انعمت علي قال بعضهم بما انعمت علي بالمغفرة فلم تعاقبني بقتل النفس وعصمتني
من ان اعاقب به في الدنيا وجايز ان يكون بما انعم عليه هو قوته التي اعطاها اخبر انه لا يكون بها ظهيرا للمجرمين والله اعلم   عز وجل

فاصبح

فاصبح في المدينة خايفا يترقب اكثر ما ذكر في القران اصبح اي صار كقوله او يصبح ماؤها غورا اي صار وقوله ان اصبح ماؤكم غورا
ونحوه واما ههنا قوله فاصبح في المدينة خايفا انما يريد الصباح نفسه   عز وجل يترقب قال عامة اهل التاويل يترقب اي ينتظر سوءا
يناله منهم وقال ابو عوسجة الترقب الخوف كانه قال خايفا يخاف هلاكه واصل الترقب هو النظر والرقوب انه يرقب من يطلبه ومن يأتي
في طلبه وهو من الرقيب   عز وجل فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين كان الرجل الذي اخبر انه
من شيعة موسى كان ضعيفا في نفسه حيث لا يقدر ان يقوم لواحد فيستنصر به من موسى ويستعينه به يخاطب وينازع و
يقاتل لسوء فيه وبلاء يقاتل وينازع والا لم يكن بنفسه من القوة ما يقوم لواحد فمن حيث لا يقاتل مثله ولكنه لما ذكرنا من شر
به ولذلك قال له موسى انك لغوي مبين لكن موسى انما عرف غوايته بالاستدلال الذي ذكرنا لا بالمشاهدة ولذلك اراد ان
يبطش بالذي هو عدو لهما البلاء بقتله ولا يهلكه لما عرف غوايته بالاستدلال حقيقة وذكر ههنا البطش وهو الاخذ باليد
وفي الاول ذكر الوكز وهو الدفع والطعن على ما ذكرنا فهو والله اعلم لانه لما وكز الاول فاتت الوكزة على نفسه فقتلته
فاخذ هذا من هذا ليمنعه عن اهلاكه وانه لا فرو لا ياتي على نفس الاخر كما فعلت الوكزة ثم قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس اختلف في قايل هذا قال عامة اهل التاويل ان قايل هذا هو الذي استصرخه واستغاثه قالوا لانه ظن ان
موسى انما اراد بطشه واخذه واليه قصد لذلك قال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقال قايلون هذا القول
انما قال له ذلك القبطي فان كان هذا فهو يدل ان قتله ذلك الرجل بالامس كان ظاهرا حيث علم به القبطي وكان قوله على
حين غفلة من اهلها اي من دخول موسى المدينة وان كان هو الاول كان قتله اياه خفيا غير ظاهر فعلى هذا يكون الغفلة على
اهل المدينة لبس على دخول موسى والله اعلم   عز وجل ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين
لان الذي يصلح بين اثنين لا يقتل ولا ياخذ احدهما دون الاخر ولكن يصلح بينهما على السواء الذي قال ما قال وقوله ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض قال بعضهم يقول هكذا فعل الجبابرة يقتل النفس بغير نفس وقال بعضهم الجبار هو الذي يحمل الناس
على هواه وعلى ما يريد ويقهرهم على ذلك شاؤوا او ابوا وقال بعضهم الجبار هو الذي يتكبر على الناس لا يرى احدا لنفسه
نظيرا او كفوا ونحوه ويقال كل قاتل اجترأ على القتل بغير حق فهو جبار   عز وجل وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يحتمل ان
يكون اقصى المدينة هو مسكن فرعون ومقامه فمنه جاء ذلك الرجل وان يكون اقصى المدينة موطن الملأ والاشراف الذين
ذكر انهم ائتمروا على قتله   عز وجل يسعى والسعي هو العدو في اللغة كانه يسرع المشي اليه ليخبره بذلك   عز وجل ان
الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يأتمرون قال بعضهم يتشاورون في قتلك وقال الزجاج يأتمرون بك اي يامر بعضهم بعضا
ان يقتلوك وقال القتبي يأتمرون اي يهمون في قتلك وذكر عنه انه قال يأتمرون يتشاورون بك وهو قول ابي عوسجة
واصل الائتمار في اللغة هو الطاعة والاتباع لما يؤمر من الفعل كان فرعون امر الملأ ان يقتلوه فاطاعوه وائتمروا الامر والله اعلم
عز وجل فاخرج اني لك من الناصحين قال الزجاج قوله لك للصلة والصلة لا تتقدم الموصول به ولكن معناه فاخرج اني لك
من الناصحين الذين ينصحون لك وليس كما قال الصلة تتقدم وتتأخر وذلك ظاهر في الكلام   عز وجل فخرج منها
خايفا يترقب قد ذكرنا هذا وقوله خايفا يترقب اي الخوف قد يكون من دون الله وجايز ان يخاف من غير ليس كما يقول
بعض الناس ان لا يسع الخوف من دون الله وحقيقته الخوف يكون من الله يخاف ان ينتقم منه على يدي هذا والله اعلم
عز وجل رب نجني من القوم الظالمين يحتمل الظالم كل مشرك لان كل مشرك ظالم ويحتمل قوله رب نجني من القوم
الظالمين حيث هموا قتله وقتل موسى ذلك القبطي لم يوجب عليه القتل والقصاص لانه لم يتعمد قتله اولم يقتله بسلاح يجب
به القتل فذكر انهم فيما هموا قتله ظلمة   عز وجل ولما توجه تلقاء مدين قال بعضهم اخذ طريقا انا سلك الطريق ونفذ
فيه خرج تلقاء مدين او وقع تلقاء المكان المقصود اليه   عز وجل قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي الطريق الذي
كان يقصده ويطلبه وهو طريق مدين وذكر انه كان ضل الطريق   عز وجل ولما ورد ماء مدين اي ورد البير التي كان ماء
مدين من تلك البير وجد عليه امة من الناس يسقون امة اي جماعة وقيل اناسا من يسقون اغنامهم ومواشيهم ووجد من دونهم
امراتين تذودان اي يحبسان اغنامهما تستقيا انها ثم قوله ووجد امراتين تذودان قال بعضهم تذودان حتى يفرغ الناس و
يصدرون ويخلو لهما البير وقال بعضهم تذودان اي تطردان اغنامهما تستقيا هاثم قوله ووجد من دونهم امراتين تذودان
يحتمل وجهين احدهما عنهما ولا تستقيانها حتى يصدر الرعاء لما لا ترى كانتا تستقيان غنمهما مع غنم اولئك الرعاء حتى يصدر
هم والثاني لا تمنعان ذلك ولكنهما استحيتا ان تزاحما الرجال وتخالطاهم فتنتظران فراغهم وصدور الرعاء عنها فان قيل فما
بالهما لا تخلفان وقت اجتماع القوم وتشهدان في ذلك الوقت ولا تنتظران خلاء البير عنهم قيل لما ذكر ان على رأس البير
حجرا يلقى عليه لا يطيقه الا كذا كذا نفرا وكذلك الدلو التي يستقى منها لا يطيقها الا كذا نفرا من عشرة الى اربعين على ما ذكر فهما
تشهدان ذلك البير وقت شهود القوم وحضورهم ليتولوا نزح الدلو واستقاءها ولو تخلفتا وانتظرتا خلاء البير عنهم ثم

ثم ما بيان لم تقدرا على نزح الماء والدلو ورفع الحجر الذي ذكر انه كان على راس البئر لذلك كان ما ذكر والله اعلم — عز وجل ما خطبكما
اي ما شأنكما وما امركما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لما ذكرنا وقرئ يصدر بنصب الياء وبالرفع جميعا فمن قرأ بالنصب فانه يقول
حتى يصدر الرعاء بانفسهم اي يرجع ومن قرأ بالرفع حتى يصرفوا او يرجعوا اغنامهم والله اعلم — عز وجل وابونا شيخ كبير ذكر
والله اعلم عذرا بينهما في التخلف عن سقي الغنم وارساله اياها في ذلك دون تولي ذلك بنفسه وقالا ذلك لكبره وضعفه ما
يتخلف عن ذلك وارسلهما والا لا معنى لذكر كبر ابيهما بلا سبب يحملهما على ذلك سوى ما ذكرنا ويحتمل ان يكون المعنى آخر لا
نعلمه — عز وجل فسقى لهما ثم تولى الى الظل دل ان البئر التي كانت تسقى الماشية منها كانت في الشمس حيث اخبر انه لما سقى
لهما تولى الى الظل وفيه ان لا بأس بان يجلس في الظل — عز وجل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير قيل ان هذا منه شكاية
عما اصابه من الجوع لانه ذكر انه خرج من مصر الى مدين هاربا من فرعون وقومه غير متزود وهو مسيرة ثمان ليال وفيه دلالة
ان لا بأس للرجل ان يخبر ويذكر عما هو من الشدة والبلاء حيث ذكر موسى حاله التي هو فيها من الجوع الذي اصابه وكذلك
ما قال في آية اخرى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك يرد قول من يقول ان مثل هذا يخرج مخرج الشكاية عن الله ولو كانت
شكاية لكان موسى يقول ذلك ولا يذكره — عز وجل فجاءته احداهما تمشي على استحياء قوله تمشي مشي من لم يعتد الخروج
او تمشي على استحياء او تمشي مشي من لم يخالط الناس على التستر والتغطية قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا هذا يدل على ان لا بأس ان يأخذ على المعروف الذي صنع الى احد اجرا ولا فضل على من صنع اليه المعروف والتبرع ان يعطي
المعروف وتبرعه بدلا واجرا والافضل على المتبرع وعلى صانع المعروف ان لا يأخذ على ذلك بدلا الا ان موسى كان قد اشتد
به الحاجة لذلك كان ما ذكر واخذ المعروف ما ذكر بدلا والله اعلم — عز وجل فلما جاءه وقص عليه القصص اي فلما جاء اباها المرأتين
وقص عليه قصته قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين دل قوله هذا لموسى لا تخف نجوت من القوم الظالمين انه لم يكن لفرعون
على ذلك المكان سلطان ولا يد ولو كان له سلطان لكان له فيه الخوف الذي كان من قبل ولم يكن نجا موسى منه دل انه لم يكن له
عليهم سلطان وقوله الظالمين يحتمل المشركين اذ كل مشرك ظالم ويحتمل نجوت من القوم الظالمين الذين يقتلون بغير حق حيث
قال رب نجني من القوم الظالمين — عز وجل قالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اهل التأويل
قال ابوهما لما قالت له استأجره فانه قوي امين ما قوته وما امانته فقالت اما قوته فانه دفع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يطيقه
الا كذا كذا نفرا ونزح الدلو من البئر وحده وكان لا يطيقه نزحه الا كذا فذلك قوته واما امانته فانه قال لي امشي خلفي وصفي لي الطريق
فذلك امانته ولكن قد كانت تعرف امانته قبل ذلك لما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما ما خطبكما وحين سقى لهما في مثل
هذا تعرف امانته في ترك النظر اليهما وترك الاعتراض لما يوجب التهمة والله اعلم وقولها يا ابت استأجره كان اباها كان في طلب اجير
قوي امين لكنه لا يجد ولا يظفر به لذلك قالت له استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين اذ لا يحتمل ان يكون من له ماشية و
غنا وبه حاجة الى رعي ذلك وسقيه وقد بلغ في نفسه من الكبر والضعف ما ذكر يرسل ابنته في الرعي والسقي ولا يستأجر الاجير
ليتولى ذلك له دون بناته هذا لا يحتمل ذلك وخاصة ما وصف ابنته من الحياء حيث قال فجاءته احداهما تمشي على استحياء دل ذلك
انه كان في طلب الاجير وانما ارسل ابنته في سقي الغنم وهو مضطر الى ذلك محتاج اليه لذلك قالت له يا ابت استأجره ان خير من
استأجرت القوي الامين ثم قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج طلبت هي الاستيجار وهو عرض
عليها النكاح لما لم ترغب هي في النكاح او طلبت الاستيجار لما لم تر من نفسها الرغبة في النكاح وان كانت لها الرغبة فيه والله اعلم
ثم قوله على ان تأجرني ثماني حجج يحتمل وجهين احدهما انه جعل عمله ثماني حجج بدلا للنكاح ومهرا لبعضها ثم تحديده بثماني حجج لما رأى
تمامها في سنين مثلها — عز وجل فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان اتممت عشرا وزدت على مهر المثل فمن عندك اي انه ذلك فضل
منك واحسان والثاني قوله على ان تأجرني ثماني حجج ليس على جعله بدلا للنكاح ولكن على الاجارة المعروفة على اجر معلوم على حدة
من غير ان كان ذلك مهرها ثم التحديد بثماني سنين على هذا الوجه يخرج على احد وجهين احدهما انه لما قص عليه قصته علم انه لا يريد
يحلي العود الى مصر ورأى انه لا يأمن تلك الناحية بدون ما ذكر من المدة او لما رأى ان نفسه تنزع وتشوق بالعود الى ذلك في ذلك
الوقت شرط ذلك عليه لما يحدث نفسه بالرجوع اليه الى ذلك الوقت — عز وجل فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان زدت
سنتان على ذلك فمن فضلك واحسانك وما اريد ان اشق عليك في الزيادة على ذلك كله والله اعلم ثم قال ستجدني ان شاء الله
من الصالحين في جميع ما يجري بينك وبيني من المعاملة والصحبة وفيه ان الشيا نبا بعد وان كان ظاهرا في الامم السالفة ثم اختلف اهل
التأويل قال بعضهم كان شعيبا وقال بعضهم ابن اخي شعيب وقال الحسن لم يكن شعيب ولكنه كان سيد الماء يومئذ وليس لنا الى معرفة
من كان حاجة اما شعيب فانه لم يكن في زمن موسى والله اعلم — عز وجل قال ذلك بيني وبينك اي الشرط والله اعلم بيني وبينك ايما الاجلين قضيت
اي ادنيت وعملت اما الثاني واما العشر فلا عدوان علي يقول لا سبيل لك علي بعد ذلك ولا تبعة والعدوان هو الظلم والمجاوزة عن الحد
الذي جعل له يقول لا اظلم ولا تطلبونه على اي الاختيار في قضاء اي الاجلين اخترت وشئت انا ثم قال والله على ما نقول وكيل قال بعضهم

والله كفيل

والله كفيل على مقالتي ومقالتك والوكيل هو الشهيد والحافظ كأنه يقول والله على ما نقول شهيد ذكر ان جبريل جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان سألك الناس اي الاجلين قضى موسى فقل ابعدهما واتمهما وان سألت اي المرأتين تزوج فقل اصغرهما فان ثبت هذا ففيه انه
قضى الاجلين جميعا الثماني والعشر وهو ليس في الآية الا قضاء الاجل حيث قال فلما قضى موسى الاجل وقال القتبي على ان تأجرني اي تجازيني
من التزويج والاجر من الله انما هو الجزاء على العمل — عز وجل فلما قضى موسى الاجل قيل فعل الناس قيل ما ذكرنا انه قضى اتمهما واكثرهما لكن
لا نعلم الا بالخبر الصحيح عن نقل ما ذكروا وليس في الآية الا قضاء الاجل فلا يزاد على ذلك الا بثبت فان ثبت ما روي من الخبر فهو والله اعلم
عز وجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا آنس قيل ابصر واحس نارا قال بعضهم ان موسى لم يكن رأى نارا ولكن انما رأى نورا
ظن انه نار ويحتمل ذلك لانه اخبر انه آنس نارا وان لم يكن ذلك في الحقيقة نارا ولكن لو كان ذلك يوجب الكذب في الخبر الا ان يقال
على الاضمار آنس من جانب الطور نورا ظن انه نار وفي هذه الآية نار قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة
من النار اي امكثوا لعلي آتيكم منها بخبر يدلنا ويخبرنا عن الطريق لكانه قد ضل الطريق فيقول لعلي آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة
من النار اي آتيكم بجذوة من النار لعلكم تصطلون فيه ولم اكن تجدوا الطريق لعلكم تصطلون هذا يدل انه كان في ايام الشتاء وفي وقت البرد
فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة قال بعضهم الايمن اي عن يمين الجبل وقال بعضهم عن يمين موسى وقال
بعضهم يمين الشجرة ولكن الايمن المبارك وهو من اليمن الوادي اليمن والبقعة المباركة قال بعض اهل التأويل سمي مباركا لكثرة
اشجارها وانزالها وكثرت مياهها وعشبها ولكن سماه مباركا وايمن والله اعلم لانه مكان الانبياء والرسل وموضع الوحي
عز وجل نودي من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الله يسمع ويخبر من شاء من شاء فيما شاء وكيف شاء كما اسمع
مريم من تحتها حيث قال فناداها من تحتها ان لا تحزني — عز وجل وان الق عصاك ليس هذا بموصول بقوله اني انا الله رب العالمين
وان الق عصاك ولكن ذلك ما ذكر في سورة طه اني انا ربك فاخلع نعليك الى آخر ما ذكر ثم قال في آخره وان الق عصاك فلما رآها
تهتز اي تتحرك كأنها جان قال بعضهم الجان الحية الصغيرة وقال بعضهم الجان ما بين العظيمة والصغيرة والله اعلم — عز وجل ولى
مدبرا فارا هاربا ولم يعقب اي لم يلتفت ولم يرجع لشدة خوفه وفرقه — عز وجل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين قوله
لا تخف يحتمل وجوها احدها على دفع الخوف من قبله واذ قال الامن فيه والثاني على البشارة انه لا يؤذيك كان يقول لا تخف وكن
من الآمنين فانه لا يؤذيك والثالث على النهي اي لا تخف فاني احفظك وادفع اذاه عنك كقوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع ما يقول لكما واري ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما وقوله او جذوة بكسر الجيم و
رفعها قال بعضهم عود قد احترق بعضه وقال قتادة اصل شجرة فيها نار وقال ابو عوسجة الجذوة مثل الشهاب سواء والجذى جمع
الجذوة وقال ابو عوسجة الجذوة القطعة الغليظة وقال القتبي الجذوة عود قد احترق اي قطعة منها وشاطئ اي شط الوادي
آنست ابصرت وكذلك قوله فان آنستم منهم رشدا اي ابصرتم وعلمتم — عز وجل اسلك يدك في جيبك على ما ذكر في آية اخرى
وادخل يدك في جيبك هذا يدل ان لا بأس بتغيير الالفاظ واختلافها بعد اصابة المعنى وما قصد بها تخرج بيضاء من غير سوء
قد ذكرنا فيما تقدم — عز وجل واضمم اليك جناحك من الرهب بالضم والرهب بالفتح تقرأ بهما جميعا ثم قال بعضهم هو على التقديم
والتأخير قوله من الرهب موصول بقوله اقبل ولا تخف انك من الآمنين من الرهب اي الخوف والفرق وقال بعضهم امره ان يضم يديه
الى نفسه لان ذلك اخوف واهيب واعظم من ارسالها وذلك معروف ايضا في الناس انهم اذا دخلوا على ملك من الملوك ضموا ايديهم
وجناحيهم الى انفسهم تعظيما لهم وتبجيلا وخوفا منهم فعلى ذلك جائز ان يأمره بضم يديه الى نفسه ليكون بين يدي ربه واهيب و
اخوف ما يكون واعظم ما يجب له وهو ما قال له فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى — عز وجل فذانك برهانان من ربك
اي اليد والعصا اللتان ذكرهما برهانان من ربك اي حجتان الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين — عز وجل قال رب
اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا وقال في سورة الشعراء قال رب اني اخاف ان يكذبون
الى قوله فاخاف ان يقتلون واخر في هذا ما كان مقدما في الذكر في ذلك وذكر على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف ليعلم ان ليس
على السامع حفظ الالفاظ والحروف بعد اصابة المعنى وفهم ما قصد بها واودع فيها لان الله ذكر هذه الانبياء والقصص التي
كانت من قبل في القرآن على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف على التقديم والتأخير والزيادة والنقصان ليعلم ان المقصود
والمراد بذكرها ما فيها لا عين اللفظ والحرف فاذا عرف ما فيها وفهم جاز الاداء باي لسان كان وباي لفظ والله اعلم — عز وجل
هو افصح مني لسانا يحتمل وجوها احدها ما اهل التأويل قيل فانهم قالوا كان في لسانه رتة او عقدة لما ادخل في فمه من النار فذلك
لا نعلمه وقد قال في آية واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فيجوز ان يكون ذلك خلقة خلقه هكذا على ما خلق بعض الخلق افصح
وابين من بعض وان يكون لما ذكر له من الخوف والذنب ما لم يكن ذلك الآخر ولا شك ان من اشتد به الخوف منع صاحبه عن التكلم
والبيان وذلك متعلم معروف في الناس وهو ما قال اني اخاف ان يكذبون الآية وان يكون ذلك لان لسان هرون كان فهم وهم
بلسانه اعرف ويظهر لهم ولموسى فترات كان معتبر لا عنهم — عز وجل فارسله معي ردءا اي عونا يصدقني ثم بين فقال اني اخاف

انه فيم طلبه منه عونا وهو ما قال واجعل لى وزيرا من اهلى هارون الاية ويصدقنى بما اقول اذ اكذبونى او استانس به اذا ضاق صدرى بالتكذيب والرد فاجاب به ربه فقال سنشد عضدك باخيك العضد كناية وعبارة عن القوة فيه يكون فيمن يكون وهو كقوله وثبت اقدامنا ذكر الاقدام يثبت وقوله نكص على عقبيه لانه بالعقب ينكص ومثله كثير فعلى هذا ذلك عزوجل ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا قال قائلون هو على التقديم والتاخير اى نجعل لكما سلطانا باياتنا فلا يصلون اليكما وقال بعضهم ونجعل لكما سلطانا بالطف نرفع عنكما اذاهم وشرهم كقوله لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما فلا يصلون اليكما بالايات التى معكما عزوجل انتما ومن اتبعكما الغالبون يحتمل هذا وجهين الغالبون بالحجج والبراهين اى يغلب حجتكما سحرهم وتمويهاتهم وان يكون عاقبة الامر لكما وان يكون ذلك فى الاخرة قال ابو معاذ العرب تقول ادات الرجل اى اعنته وقال ابو عوسجة سنشد عضدك باخيك اى اعينك به واقويك والعضد كناية عن القوة لانه فيه يكون القوة وبه يقوى من يوصف بالقوة على ما ذكرنا عزوجل فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اى جاء موسى فرعون وقومه باياتنا اى علاماتنا انشاها موضحات مظهرات يظهرن ويوضحن رسالة موسى ونبوته وقد اظهرن لهم ذلك وعرفوا انها ايات من الله نزلن اذ الا ترى ان موسى قال له يا فرعون لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر لكنهم عاندوا وكابروا وقالوا ما هذا الا سحر مفترى هذا منهم تمويه وتلبيس على الاتباع والسفلة ولم يزل عادتهم التمويه والتلبيس على الاتباع امر موسى عزوجل وما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين يقولون والله اعلم ان اباءنا قد عبدوا الاصنام على ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك من غير ان نزل بهم ما توعدنا من الهلاك العذاب فعلى ذلك نحن على دين ابائنا وعلى ما هم عليه فلو ينزل بنا شى مما تذكر وعدنا به من العذاب ثم قال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار هذا والله اعلم كانه ليس بجواب لقولهم ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين ويكون جواب هذا ان كان هو قوله انه لا يفلح الظالمون كنى بالظلم عن السحر يقول والله اعلم ليس بسحر لانى قد غلبتكم وقهرتكم ولو كان سحرا ما اتيتكم به لم افلح اذ الله تعالى اخبر ان الساحر لا يفلح بقوله انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وقال ايضا ما جئتم به السحر الاية وقد نبح على فعلهم انه ليس بفساد ولكنه صلاح ويكون قوله ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار ما ذكر فى سورة المصحف حيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون فقال عند ذلك ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار انتم او نحن ويقول ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده جوابا لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد والله اعلم عزوجل وقال فرعون يا ايها الملاء ما علمت لكم من اله غيرى كانه ذكر الملاء خصوصية لهم لانه كان اتخذ للاتباع اصناما يعبدونها وجعل الملاء عبادة نفسه والهيته لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملاء اهلا لذلك فخصهم ومنه اتخذت العرب عبادة الاصنام دون الله لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله وقالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى عزوجل فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا قال اهل التاويل اول من اتخذ الاجر هو ولا نعلم ذلك يحتمل ان يكون من قبل ذلك عزوجل فاجعل لى صرحا اى قصرا لعلى اطلع الى اله موسى كان يعرف انه ليس باله السماء والارض اذ لا يملك ذلك فكانه اراد بقوله ما علمت لكم من اله غيرى قومه واهله خاصة وانى لاظنه من الكاذبين كان جميع ما كان بين موسى وفرعون من الكلام كان على الظن كقوله انى لاظنك يا موسى مسحورا وكذلك قال له موسى وانى لاظنك يا فرعون مثبورا عزوجل واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق الاستكبار هو ان لا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا وهو كذلك كان لا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا لانه يدعى لنفسه الربوبية والالوهية واستكبار قومه لما استعبدوا امم بنى اسرائيل واستخدموهم او استكبروا ان يخضعوا لموسى ويجيبوه الى ما يدعوهم اليه عزوجل وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده لخذناه اخذ تعذيب واهلاك فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعنى بظلمهم عزوجل وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ذكر فى هؤلاء انه جعلهم ائمة فى الشر وذكر فى الرسل واهل الخير انه جعلهم ائمة فى الخير حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات وما قال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير فكان من الله تعالى فى اهل الخير صنيع ومعنى حتى صاروا بذلك ائمة الخير ما لم يكن ذلك منه باهل الشر وائمة الشر فهذا على المعتزلة لانهم يقولون لم يكن من الله الى الرسل وقادة الخير الا وقد كان ذلك منه الى كل كافر وفاسق فلو كان على ما قالوا لكان لا يحتمل ان يصير هؤلاء ائمة الخير واولئك ائمة الشر فدل ذلك انه منه الى هؤلاء معنى صاروا بذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك الى اولئك الا ان يقولوا هؤلاء صاروا ائمة الخير باعمالهم واولئك ائمة الشر باعمالهم ايضا وان كان ما من الله اليهم على السواء لكن يضاف ذلك الى الله باسباب يكون منه وكانت حقيقة ذلك منهم وفعلهم نحو ما قال انما تنذر من اتبع الذكر واضاف انذاره الى من اتبع الذكر وان كان رسول الله ينذر من لم يتبع وكذلك ما قال فى الشياطين انما يدعو حزبه وهو يدعو الحزبين جميعا لكنه اضاف دعاءه الى حزبه لما منهم يكون له الاجابة واضاف انذار رسول الله الى من اتبعه وقبله لطاعتهم له فعلى ذلك الاول اضاف ذلك الى نفسه لعلم

لكن عندنا

لكن عندنا لا يكون من الخالق فى فعل الخلق حقيقة الفعل انما يكون منهم الاسباب ويكون من الله فى افعالهم الاسباب وحقيقة الفعل فيكون اضافة ذلك الى الله على حقيقة الفعل والاسباب جميعا والى الخلق الاسباب يكون منهم اليهم والثانى انه خص الانذار من اتبع الذكر لانه انما يقصد بالانذار به لمن اتبعه لا من لا يتبعه وكذلك الشيطان انما يقصد بدعائه [illegible] وان كان الرسول ينذر الخلق جميعا الذى يتبعه والذى لا يتبعه وكذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعا [illegible] بدعوته اليه الاتباع قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير والرسول بما ينذر يقصد نفعهم لذلك خص الانذار لمن اتبعه وخص ذلك حزبه عزوجل ائمة يدعون الى النار [illegible] لانهم لو دعوهم الى النار لا يجيبونهم ولكن يدعونهم الى الاعمال توجب لهم النار لو اجابوهم وهو كقوله فما اصبرهم على النار عزوجل ويوم القيامة لا ينصرون [illegible] والشفاعة بعبادة الاصنام [illegible] لا ينصرون [illegible] عزوجل واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة وهو ما عذبوا فى الدنيا و استوصلوا يوم القيامة هم من المقبوحين [illegible] والزينة وطعنوا فى موسى [illegible] حيث قالوا فلولا القى عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين [illegible] فى الاخرة [illegible] عزوجل ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى من نحو عاد وثمود وهؤلاء الذين كانوا من قبل [illegible] بعد هلاك من ذكر بصائر للناس [illegible] وهدى ورحمة اى الكتاب الذى اتاه الله موسى هو بيان وهدى ورحمة لهم انما قبلوه واتبعوه وعملوا به وكذلك كان جميع كتب الله هدى ورحمة وبصيرة لمن امن بها وعمل بها ويحتمل ان يكون هذا جوابا وصلة لقولهم ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين يقول والله اعلم انكم لو سمعتم ذلك فى ابائكم الذين اتبعوا رسلهم فاجابوهم فاما من كذبوهم فانا اهلكناهم فلم يمكن بهم الرسل واستاصلناهم والله اعلم عزوجل وما كنت بجانب الغربى قال بعضهم جانب الغربى حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم والشرقى حيث تشرق وتطلع وقال بعضهم جانب الغربى اى بجانب الوادى الغربى والله اعلم ما اراد به عزوجل وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وما كنت ثاويا فى اهل مدين اى مقيما وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يحتمل وجوها احدها انك لم تكن شاهدا هذه المشاهد التى شهدها موسى حيث قضينا الى موسى الامر بجانب الغربى ولم تكن شاهدا هنالك وما كنت فى اهل مدين ثاويا حتى تعلم امر موسى وحينه وما كنت بجانب الطور حيث نادينا موسى ونحوه اى لم تكن شاهدا هذه المشاهد التى كان موسى شاهدا فيها ثم اعلمناك بتلك الانباء والاخبار على ما كانت لتتلو تلك الانباء والاخبار على اهل مكة فتكون اية لنبوتك وحجة لرسالتك اذ لم تشهدها ولا اختلفت الى احد ممن يعرفها فعلمك ثم انبائك على ما كانت ليعرفوا انك انما عرفت بالله تعالى والثانى يحتمل ان يذكر هذا امتنانا عليه يتنادى به شكره لانه ذكر انه اوحى الى موسى وذكر محمدا وامته فشرفهم حتى تمنى موسى ان يجعل من امته يقول والله اعلم لم تكن انت شاهدا فى هذه المشاهد فذكرناك ثم وامتك وان يذكر هذا على الاختصاص له ليعرف ان امر الرسل والوحى اليهم على الاختصاص لهم من الله لا بامر كان منهم على هذه الوجوه الثلثة يحتمل ان يخرج تاويله ما ذكر له وقال بعض اهل التاويل فى قوله وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يقول لمحمد لم تعاين هذا ولم تشهده وانما هو شئ انزلناه عليك لتتلوه على اهل مكة عزوجل ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر هذا ليس بصلة بالاول ولكن على الابتداء يقول والله اعلم لكنا انشانا قرونا بعد القرون الاول [illegible] اعلامهم واثارهم وتطاول العهد والعمر ثم بعثناك فيهم رسولا لتحيى به اثارهم وتظهر فيهم سننهم واعلامهم رحمة منا اليهم وهو ما قال فى اخره ولكن رحمة من ربك اى ارسلناك اليهم رحمة منا لهم وهو ما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وان يكون قوله ولكن رحمة من ربك اى بما انبائك واعلمك من انباء موسى واخباره حيث لم تشهدها من رحمة ربك حيث جعلها اية لنبوتك وحجة لرسالتك والله اعلم عزوجل لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما ما انذر به الرسل الذين من قبلك قومهم والثانى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اى لم ياتهم نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اى على رجاء التذكر تنذرهم او ان يكون ذلك خاصة لمن تذكر انذاركا على الايجاب عزوجل ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم لولا ينتظم الجواب ليس ما ذكر على اثره جواب له الا ان يقال ان قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة وذلك جائز فى اللغة كقوله ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اى لم تقولوا ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم اى لمسكم وجميع ما ذكر فى هذه السورة من لولا كله ان لم يكن فعلى ذلك جائز ان يكون تاويل قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة اى لو تصيبهم مصيبة ولولا اصابتهم مصيبة وهو العذاب فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا على هذا يخرج تاويل هذا ثم فى هذه الاية وفى قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله وجهان احدهما على من يقول بان ليس لله ان يعذبهم بما كان منهم قبل بعث الرسل اليهم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفى الاية بيان ان له ان يعذبهم وان لم يبعث الرسل الا انه

وعدم الهلاك فلو لم يكن له التعذيب والاهلاك لم يكن الا بفساد فدل ان له الهلاك في الدنيا والاستيصال لكنه اخره عنهم
تفضلا منه ورحمة والثاني على المعتزلة في قوله الاصلح لانه لا يخلوا اما ان يكون ما اوعدهم اصلح لهم من الترك والترك لهم اصلح فان
كان ما اوعدهم فقد تركته فيكون في تركهم اياهم جايرا على قولهم لانه لم يفعل ما هو اصلح لهم في الدين او ان يكون الترك لهم اصلح فيكون
بما اوعدهم جايرا اذ اوعد بما كان غيره اصلح لهم مما اوعد فدل ما ذكرنا على ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم في الدين ثم قوله بما
قدمت ايديهم ليس الكفر نفسه الفساد والمكابرة مع الكفر لان عذاب الكفر في الاخرة ليس في الدنيا لان الله قد ابقى كثيرا من الكفرة
لم يهلكهم ولم يعذبهم في الدنيا ولكن انما اهلك واستاصل في الدنيا من عاند وكابر الرسل في الايات والحجج التي اتوها بهم واقاموها
عليهم على اثر سؤال كان منهم فعند ذلك اهلكهم واستاصلهم لا بنفس الكفر ثم مع ما كان له التعذيب قبل بعث الرسل لم يعذبهم
ولكن اخر عنهم الى ان يبعث الرسل اليهم بالايات والحجج ليقطع به احتجاجهم ومنازعتهم فضلا منه وان لم يكن لهم الاحتجاج
عليه بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين يحتمل قوله فنتبع اياتك الايات التي يبعث مع الرسل
لانه يبعث الرسل بالايات وجايز ان يكون قوله فنتبع اياتك يعنون بالايات الرسل انفسهم لانهم ايات لا بغيرهم وحجج والله
اعلم عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا جايز ان يكون الحق الذي ذكر الرسول نفسه ويحتمل الحق الكتاب الذي انزل عليه
والايات عز وجل قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى هذا يحتمل وجوها احدها قالوا هلا اوتي محمد من انواع النعم من المن والسلوى
وغيره من غير تكلف ولا تعب مثل ما اوتي موسى لو كان رسولا على ما يقول او ان يقولوا لولا اوتي من الايات الحسيات التي كانت مرادا
من نحو اليد والعصا والحجر الذي كان ينفجر منه الماء والغمام وما ذكر من الضفادع والقمل والدم والطوفان وغير ذلك مثل
ما اوتي موسى او ان يقولوا لولا اوتي محمد القران جملة عيانا جهارا كما اوتي موسى التورات جملة عيانا جهارا والله اعلم بذلك
ما عنوا به ثم بين الله تعالى واخبر انهم انما يسالون ما سالوه سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد وطلب الحق حيث قال
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي ولم يكفر هؤلاء الذين سالوك الايات بما اوتي موسى يعني اهل مكة لانهم كانوا مشركين لم
يومنوا برسول قط من قبل ويحتمل قوله اولم يكفروا اي ولم يكفر قوم موسى بما اوتي موسى بعد سوالهم الايات اذا نام بها فعلى ذلك
هؤلاء يكفرون بما اوتيت والاول اشبه ثم قالوا سحران تظاهرا وقد قرا ساحران بالالف قال بعضهم ساحران موسى وهرون
وقال بعضهم موسى ومحمد وقال بعضهم عيسى ومحمد عز وجل سحران بغير الالف كتابان لكنهم اختلفوا قال بعضهم التورات
والانجيل وقال بعضهم الفرقان والتورية ونحوه وقال بعض اهل الادب اولى واقرب لانه ذكر التظاهر والتظاهر انما يكون بين
الانفس لا يكون بين الكتب تظاهر اي تعاونا وقال بعض اهل الادب ايضا سحران بغير الالف اولى لانه اراد به الكتابين الا يرى
انه طلب منهم بما قالوا اتيان الكتاب حيث قال فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما دلنا على ما قالوا وطلبوا منه لكن نقول
نحن لا يجب ان يختار احدى القرائتين على الاخرى لانه انما هو خبر خبر عنهم انهم قالوا ذلك فرقة قالوا ساحران وفرقة قالوا
سحران فاخبر على ما قالوا وكذلك قوله سيقولون لله وسيقولون الله بالالف وبغير الالف لا يختار احدهما على الاخر
لانه خبر اخبر عنهم على ما كان منهم فهو على ما اخبر والله وقال بعض اهل التاويل في قوله لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
قالت اليهود انا مر قريشا ان تسال ان يوتي محمد مثل ما اوتي موسى يقول الله لرسوله قل لقريش يقولوا لهم اولم يكفروا بما اوتي
موسى يعني يهود وقالوا ساحران تظاهرا قال قول يهود لموسى وهرون وهو ما ذكرنا قريب والله اعلم عز وجل وقالوا
انا بكل كافرون ما اوتي موسى وما اوتي محمد على اختلاف ما ذكرنا ثم قال قل يا محمد لقريش اهل مكة فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما من التوراة والفرقان او التوراة والانجيل على اختلاف ما قالوا اتبعه ان كنتم صادقين في زعمكم انهما
سحران تظاهرا وانه مفترى ايتوا انتم من عند الله بكتاب اتبعه الى هذا ذهب اهل التاويل ووجه اخر يشبه ان يكون اقرب
منه وهو ان قوله فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي ايتوا بكتاب من عند الله انه امركم بعبادة الاصنام والاوثان
لانهم كانوا يعبدون الاصنام دون الله ويقولون الله امرهم بذلك ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وان عبادتهم اياها
تقربهم الى الله زلفى ونحوه من الكلام فيقول والله اعلم ايتوا بكتاب من عند الله انه امركم بذلك هو اهدى منهما اي ابين منهما
واوضح من هذين لان هذين انما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعهما دونه لتقول ايتوا بكتاب هو اهدى وابين مما جاء منه من هذين
ان كنتم صادقين ان الله امركم بذلك ويكون عبادتكم اياها على ما يدعون هذا جايز ان يكون اقرب من الاول والله اعلم
فان لم يستجيبوا لك في اتيان ما تطلب منهم وتسال من الكتاب فاعلم انما يتبعون اهواءهم بغير علم وهم كانوا يقولون انهم
انما يتبعون عبادة الاصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام اهواءهم ويجعلون هواهم هو الامام اذ لا يومنون برسول حتى يكون
لهم الكتاب ثم قال ومن اضل اي لا احد اضل ممن اتبع هواه على افراد منهم وعلى ان ليس احد اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
اي من غير بيان من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي والله اعلم ان الله لا يهدي قوما يتبعون اهواءهم لا يتبعون الحجج والبراهين
لا يهديهم ما داموا في اتباع هواهم او لا يهدي القوم الذي ظلمه الحجج والبراهين والله اعلم عز وجل ولقد وصلنا لهم القول الاية

تتذكرون اختلف فيه قال قايلون هو القران ثم يخرج هو على وجهين احدهما وصل القران بعضه ببعض حتى خرج كله موافقا
بعضه بعضا مصدقا مجتمعا غير مختلف وان فرق في الانزال على تباعد الاوقات وطول المدد لعلهم يتذكرون ان مثل هذا لا يكون
الا من يعلم الغيب ولا يعزب عنه شيء ولا يغيب اذ لو كان هو ممن لا يعلم ذلك من كلام المخلوق لخرج مختلفا متناقضا على ما يكون من
كلام المخلوق في تباعد الوقت وطول المدة مختلفا متناقضا والثاني وصل مواعظ القران بعضها ببعض ومواعيده بعضها ببعض وعلا
بعضها ببعض وكذلك اوامره ومناهيه وان تفرق نزولها واختلف مواضعها يعرفهم لما يدعوهم به مرة بعد مرة لعلهم يتذكرون
ومنهم من يقول في قوله وصلنا لهم القول اي الانباء واخبار الامم الخالية نبأ بعد نبأ وخبرا على اثر خبر ما نزل بمكذبي الرسل منهم من
الهلاك والعذاب وبمصدقي الرسل من النجاة والبقاء في النعم الدايمة على اقرار منهم بذلك وعلم انه كان بهم ذلك لعلهم يتذكرون
ذلك ويزجرون عن تكذيب رسولهم مخافة ان ينزل بهم بالتكذيب ما نزل باولئك وجايز ان يكون قوله وصلنا لهم القول اي قول
التوحيد ووجه هذا ان وصلنا التوحيد حتى جعلنا في كل امة وكل قوم اهل توحيد لم تخل قوما ولا امة منه كقوله ولكل قوم هاد و
كقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق ونحو ذلك من الايات يدل على ان كل امة وقرن اهل توحيد لعلهم يتذكرون ان في ابائهم
من كان امن بالرسل وصدق بهم ولا يقولون ان اباءنا على ما هم عليه يشبه ان يكون هذا وصل القول الذي ذكر وصلنا القول قال ابو
عوسجة والقتبي اي اتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم وقال بعضهم وصلنا اي بينا شيا فشيا حتى صار عندهم ظاهرا وقال ابو سعيد
وصلنا في كلام العرب تممنا كصلتك الشيء بالشيء عز وجل الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون وقال في اية اخرى الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال في اية اخرى فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به
ومن هؤلاء من يومن به وقال يحرفون الكلم عن مواضعه وامثاله يذكر في هذه الايات ان من اهل الكتاب من لم يومن ويذكر في الاولى على الاطلاق
ان الذين اوتوا الكتاب من قبله هم به يومنون جايز ان يكون قوله الذين اتيناهم الكتاب واشتغلوا بهم الكتاب فيتلونه حق تلاوته هم
به يومنون على ما ذكر في الاية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون به واما من لم يتل حق تلاوته فلا يومنون
فاما اهل التاويل فانهم صرفوا الاية الى قوم خاص من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا به ويشبه ان يكون الاية في قوم
خاص منهم الا ترى انه قال على اثره واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين يذكر اهل التاويل انهم كانوا امنوا به
قبل ان يبعث محمد فلما بعث ثبتوا على ذلك وامنوا به على ما كانوا من قبل وفيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد لانهم قالوا امنا به و
قالوا انا كنا من قبله مسلمين دل انهما واحد وكذلك قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وهم واحد ذكر مرة الايمان ومرة الاسلام دل انهما واحد عز وجل اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا هذا يحتمل وجوها ثلثة
احدها يوتون اجرهم مرة بالاسلام ومرة بما صبروا على زوال الرياسة منهم وذهابها لانهم كانوا اهل رياسة ومنزلة وقدر فيهم فكان
ذلك كله عنهم بالاسلام فلهم الاجر مرتين لذلك والثاني يوتون اجرهم مرتين بالاسلام ومرة بما صاروا قدوة وايمة لمن بعدهم
يقتدون بهم احد الاجرين باسلام انفسهم والثاني بدعايهم غيرهم اليه على ما يعاقب الرؤساء منهم والقادة ويضاعف العذاب عليهم
مرتين مرة بضلال انفسهم ومرة باضلال غيرهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وجايز ان يكون
ايتاء الاجر مرتين لما يصيرون ايمة وقدوة لغيرهم في الخير ويضاعف عليهم العذاب اذا صاروا ايمة وقدوة في الشر الا ترى انه قال
في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك والله اعلم
لما يصرن هن ايمة لغيرهن تقتدون بهن فعلى ذلك الاول وجايز ان يكون يوتون اجرهم مرتين بالاسلام نفسه ويكون الصبر كناية
عن الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اي امنوا واسلموا واما اهل التاويل فانهم يقولون يوتون اجرهم مرتين اجرهم
مرة بايمانهم بمحمد قبل ان يبعث ومرة بايمانهم بعدما بعث والاول اشبه وقال بعضهم يوتون اجرهم مرتين بما صبروا ومرة باسلامهم
ومرة بما صبروا وحملوا على اذى وذلك الكفرة ولم يكافوهم بل خاطبوهم بخير حيث قال سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وروى في
بعض اخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة يوتون اجرهم مرتين رجل امن بنبيه ثم اذا بعث محمد امن به ومملوك لرجل يحسن
ويحسن خدمته وعبيد ربه ورجل ربى جارية ثم اعتقها فتزوجها عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة هذا يحتمل وجهين
احدهما يحسنون اليهم بقدر اساءتهم اليهم واذاهم اياهم على ما كانوا يفعلون ويصنعون اليهم قبل ذلك والثاني يدرؤن بالحسنة
السيئة اي يعفون عن اذاهم ولا يكافؤنهم فيكون كقوله خذ العفو وامر بالعرف الاية والاول كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم عز وجل ومما رزقناهم ينفقون اي ينفقون في حقوقه وسبيل الخير والاكل كان في
ينفق كقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر الاية عز وجل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه هذا
ايضا يحتمل وجهين احدهما اذا سمعوا منهم من الكلام من كلام اللغو والاذى والفرية لم يعرضوا عنه اي لم يكافوهم لاذاهم والثاني اذا
سمعوا ما يلغون به من الباطل اعرضوا اي لم يخالطوهم بما هم فيه فليس انهم لا ينهون ولا يمنعونهم عن ذلك اذا راوا والنهي يجمع فيهم
واذا راوا ولا يجمع فيهم فعند ذلك اعرضوا عنه وهو كقوله واذا مروا باللغو مروا كراما عز وجل وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم

يتولون هذا لهم اذا لم يجع النهي والموعظة ولم يقبلوا ذلك عند ذلك يقولون لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لكم جزاء اعمالكم ولنا
جزاء اعمالنا وكذا قوله لكم دينكم ولي دين لم يقل هذا لهم في ابتداء الدعاء ولكن بعد ما ايس عن ايمانهم واجابتهم فعلى ذلك الاول
عز وجل سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين هذا يشبه ان يخرج على وجهين احدهما على القول منهم بالسلام عليهم اي كانوا لا يجاهلون
الجهال ولا يخاطلون هم الا بالسلام خاصة بهذا القدر يخالطونهم حسب والثاني ليس على حقيقة قول السلام عليهم ولكن على الصفح و
ترك المكافاة لهم وتركهم اياهم على ما هم عليه اذ السلام هو الصفح والله اعلم وقال بعضهم ردوا عليهم معروفا لا نبتغي الجاهلين يعنون
لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه عز وجل انك لا تهدي من احببت ذكر اهل التاويل ان هذا نزل في ابي طالب عم النبي وذلك
ان ابا طالب قال يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبي عليه السلام تامرهم بالنصيحة لانفسهم
وتدعها لنفسك قال فما الذي تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في يوم من الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك
بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك واخيك
غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكن سوف اموت على
ملة الاشياخ فلان وفلان فانزل الله في ذلك انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فهو على المعتزلة لانهم يقولون ان
الهدى البيان ولو كان بيانا على ما يقولون لكان رسول الله يقدر ان يبين له وقد بين لكن الجبائي يحتج لهم فيتاول ويقول ان
رسول الله كان يحرص ان يدخله الجنة فيقول انك لا تهدي طريق الجنة له حتى تدخلها او كلاما يشبه هذا وذلك بعيد وقال جعفر
بن حرب هذا ليس في ابتداء الهداية ولكن في اللطائف التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء والالف كقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى الاية يخبر انك لا تملك الهداية اللطيفة التي تخرج مخرج الثواب ان تهديهم فيقال له اخبرنا عن تلك الزيادة
التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء اينفع لهم وبالابتداء فان قالوا نعم فيقال لهم نزل على ان
يفعل بهم اذ من قولهم ان علينا ان يفعل كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك وذلك ينفعهم والثاني يقال لهم ان
تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم واللطائف على ما كان منهم في الابتداء يستوجبها او لا يستوجبها فان كان يستوجبها
فلا معنى للمنع على قولهم لانهم يقولون ان على الله ان يعطي ذلك وان كان لا يستوجبها فلا معنى لقوله ولكن الله يهدي من يشاء
على قولهم فيبطل الاحتجاج به على قولهم وعندنا زيادة الهداية وابتداؤها سواء وهو على ما اخبر رسوله انه لا يهدي ولكن لو كان
كل الهداية بيانا على ما قالوا لكان قد بين لهم فدل ذلك منه ان ثم هداية سوى البيان عند الله اذا اعطى العبد يصير بها مؤمنا
وهو التوفيق والعصمة والسداد وذلك لا يملكه رسول الله انشاء ذلك وابتداءه بل الله هو المالك بذلك عز وجل وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا دل قولهم ان نتبع الهدى معك هو على انهم عرفوا ان ما جاء به رسول الله ويدعوهم اليه هو
الهدى حيث قالوا ان نتبع الهدى معك عز وجل نتخطف من ارضنا يخرج قولهم هذا على وجهين احدهما اي نهلك ونفنى
جوعا انا خالفنا اهل الافاق في الدين لان ارزاقهم وما به قوام ابدانهم انما يحمل ويساق من الافاق يقولون انا ان اتبعنا الهدى
معك وخالفناهم في الدين اخافوا الافاق منعونا الميرة فنهلك ونموت جوعا فذلك تخطفهم من الارض والثاني قالوا ذلك
مخافة ان يغزوا ويسبوا ويقتلوا اذا خالفوا اهل الافاق والاطراف في الدين واتبعوا الهدى مخافة الاسر والقتل فاجابهم الله
ورد عليهم اعتلالهم في الوجهين فقال اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا يقول والله اعلم انا جعلناهم
في الحرم امنين وما بعثنا اليهم من انواع الثمرات باللطف لا بموافقة الدين الا يرى انهم معه موافقة الدين كانوا يتخطفون الناس
منهم حيث قال في اية اخرى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم اخبر انهم مع موافقتهم في الدين يتخطفون
دل انه انما جعل لهم الحرم مامنا والميرة اليهم باللطف لا بالموافقة في الدين حتى لا يتعرض لاهل الحرم في الحرم ولا خارجا منه ولا يتعرض
ايضا من دخل الحرم بشيء ليعلم انه انما كان كذلك باللطف من الله لا بالموافقة في الدين والثاني انه معما كانوا يعبدون الاصنام
دون الله فيه لا يمنعهم الرزق ويؤمنهم فيه فلان يفعل ذلك بهم عند عبادتهم لله وتركهم عبادة غيره احق ان يرزقهم
يامنوا فيه عز وجل يجبى اليه ثمرات كل شيء قال اهل التاويل ثمرات كل شيء اي من كل جنس ونوع من الثمرات يجبى اليه وظاهره
ان يجبى اليه من كل شيء ارفعه وانفعه وذلك ثمرته لان ثمرة كل شيء ارفعه وانفعه يقال ثمرة الشيء كذا وثمرة هذا الكلام كذا
اي ما ينتفع من هذا هذا والله اعلم عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يحمل اليهم من الافاق ويجبى
اليه من الثمرات والاطعمة انما هو باللطف لا بموافقة الدين وكذلك لا يعلمون ان امنهم فيه باللطف لا بموافقة الدين والله اعلم
عز وجل وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال بعضهم كفرت معيشتها وقال بعضهم لم ترض معيشتها وفيه اضمار اي بطرت
معيشتها فانتصبت لانتزاع حرف في منها والله اعلم اي كم اهلكنا من قرية بطر اهلها في معيشتها حتى صرفوا شكرهم انعم
عليهم وجعلوا عبادتها لغير الذي جعل لهم السعة والرخاء فانتم يا اهل مكة انا بطرتم واشرتم في سعتكم وخصبكم تهلكون كما
اهلك من كان قبلكم وهو كما قال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية عز وجل فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم

الا قليلا من القريات قريات اذا اهلك اهلها اسكن غيرهم فيها نحو قريات فرعون وغيره جعل مساكنهم لبني اسرائيل حيث قال
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض الاية وقوله واورثنا بني اسرائيل الكتاب ومن القريات ما جعلها خربة
معطلة لم يسكن غيرهم فيها نحو قريات لوط وغيره وقوله عز وجل وكنا نحن الوارثين اي الباقين والوارث هو الباقي في اللغة على
ما ذكرنا انفا في غير موضع وقوله عز وجل وكنا نحن الوارثين يخرج على وجهين في هذا احدهما اخبار عن هلاك اهل الارض
وفنائهم ويبقى هو كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها والثاني اخبار عن هلاك اولئك وجعلها
لغيرهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين كقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والله اعلم قال ابو عوسجة تتخطف من
ارضنا اي نؤخذ وقوله يجبى اليه من الجباية اي يجمع يقال جبيت اجبي جباية وجبيا واجبي يجبي اي يجاز يجوز بطرت معيشتها
اي لم ترض بعيشتها وقال القتبي اي اشرت وقال في امها رسولا اي في اكثرها واعظمها قدرا وهي مكة والنبي منهم والكتاب انزل
عليهم وقال ام ما كلمة لا يتكلم بها احد يعنون بالكسر وقوله عز وجل وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
جائز ان يكون تلك القرى التي اخبر انه غير مهلكها حتى يبعث في امها رسولا القريات التي هن حول مكة لا يهلك القرى حتى يبعث
في امها رسولا قبل في اعظمها وهي مكة رسولا يتلوا عليهم اياتنا فان كان هذا يكون الاهلاك الانتزاع من ايديهم وجعلها في ايدي
اهل الاسلام على ما كان لان الله كان يفتح على رسوله قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى جعل الكل في ايدي المسلمين وهو ما قال ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله وهو وعد فتح مكة وذلك اهلاكهم والثاني
جائز ان يكون هذا في كل القرى وجميع الرسل انه كان لا يهلكها بالكفر بنفسه حتى يبعث في اعظمها واكبرها وهي المصر رسولا يتلوا عليهم
اياته وذلك يشبه كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر بعث الرسول في امها لانه انما بعث الرسول في اعظمها وهو
المصر ينتشر وينتهي الى الاطراف والصغار منها والقرى لما انهم يدخلون المصر لحوائجهم فيتهيا للرسول تلاوة الايات عليهم والدعاء
لهم وانما كان في بعض القرى لا يتهيا لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي معاندون مكابرون
لا نهلكهم اهلاك تعذيب بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة انما يعذبون عذاب الكفر في الاخرة وهو عذاب
الابد وقوله عز وجل وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى اي انهم كانوا يتفاخرون بما اوتوا من
السعة ومتاع الحيوة الدنيا واهل الزهد والتقوى اثروا الباقي على الفاني في الاخرة على متاع الحيوة الدنيا وزينتها وذلك قال افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا فجواب هذا ان يقال بل الموعود الحسن الملاقي بالذي له عاقبة خير من المتاع
الفاني الذي ليست له عاقبة لكنه لم يذكر له جواب فجوابه ما ذكرنا ثم كل استفهام كان من الله فهو على الايجاب في الحقيقة ليس على
الاستفهام وقوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين اي يحضرون في النار وقيل من المحضرين اي المعذبين وكلاهما واحد وقوله
عز وجل ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون قوله شركاءي الذين في زعمكم انهم شركاءي حيث اشركتموهم في العبادة
وتسميته الالوهية والا لم يكن لله شريك فيقول اين شركاءي الذين زعمتم انهم شركاءي ثم قوله اين شركاءي انما يقال لهم لقولهم ما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول اين شفعاؤكم من زعمتم انهم شفعاؤكم عند الله واين قربكم
وزلفاكم بعبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى اين ذلك لكم منهم وقوله عز وجل قال الذين حق عليهم القول يحتمل قوله حق عليهم
القول القول الذي قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وجائز ان يكون قوله حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب كقوله
واذا وقع القول عليهم بما ظلموا اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا ونحوه ثم اختلف في الذين حق عليهم القول فمنهم من يقول هم
رؤساء الكفرة وائمتهم الذين اضلوا اتباعهم ودعوهم الى الضلال ومنهم من يقول هم شياطين الجن والقرينين جميعا في الكتاب
ذكر قال في ايهم اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقال قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا وامثال هذا كثير وقال في شياطين
الجن ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية ونحو كثير ايضا وقوله
عز وجل ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا يقولون اغويناهم كما غوينا بعتذرون انه لم يكن منا اليهم الا الدعاء والاشارة
الى الغواية وهو كقول ابليس اللعين وخطبته يومئذ حيث قال وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الاية فعلى ذلك
هؤلاء يقولون لم يكن منا اليهم سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتبعونا فلا تلومونا ولوموا انفسكم حيث تركتم اجابة الرسل
ومعهم براهين وحجج واجبتمونا بلا حجة ولا برهان فاغويناكم كما غوينا ولو كنا على الهدى لهديناكم كقولهم لو هدانا الله لهديناكم
وقوله عز وجل تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون انما يتبرؤون انا لم نامرهم بالعبادة لنا والا كانوا عبدوهم ثم ان المعتزلة
ادنى تعلق بهذه الاية لانهم يقولون انما اضافوا الغواية الى انفسهم حيث قالوا اغويناهم كما غوينا دل انه لا يغوي احدا فيقال
لهم انا لا نضيف ولا نجيز اضافة الغواية الى الله فيما يخرج مخرج الذم له وانما نضيف فيما يخرج مخرج المدح له والثناء عليه ثم قد
اضاف ابليس الغواية اليه ولم ينكر عليه حيث قال رب بما اغويتني في غير موضع وقال يضل من يشاء ونحوه كثير في القران فاخرج
مخرج المدح له والثناء عليه يضاف اليه وما خرج مخرج الذم له فلا وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل حق عليهم

القول يوم قال لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم قالت الشياطين في الاخرة ربنا هولاء الذين اغوينا يعنون
كفار بني آدم هولاء الذين اضللناهم عن الهدى كما ضللنا تبرانا اليك يا رب ما كانوا ايانا يعبدون فتبرات الشياطين ممن كان
يعبدها فقالوا لم تامرهم بعبادتنا وقيل الكفار بني ادم ادعوا شركاكم يقول سلوا الالهة التي سميتموها الهة ام الهة فدعوهم
اي سالوهم فلم يجبهم الالهة بانها الهة وقوله اين شركاي الذين كنتم تزعمون في الدنيا ان معي شركا على ما ذكرنا من قبل والله اعلم وقوله
عزوجل وقيل ادعوا شركاكم يحتمل شركاكم في الخلقة اي شركاكم في العبادة ادعوهم يشفعوكم ويقربوكم الى الله على ما زعمتم في الدنيا
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لما لم يجعل في وسعهم الاجابة لهم والجا كابنا في الاخرة وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون تاويله اي لو راوا
العذاب في الدنيا لكانوا يهتدون ولكن لم يروه هذا اوجه ووجه اخر انهم لم يصدقوا بالعذاب في الدنيا ولو صدقوا به لاهتدوا الغاية
نزول العذاب بهم والثالث لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا ما راوا العذاب في الاخرة والله اعلم وقوله عزوجل ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء اختلف فيه قال قايلون انما يسالون عن اجابتهم الرسل ماذا اجبتموهم على علم منه انهم لما
اجابوهم فعميت عليهم الانباء اي الاجابة فلا يتهيا لهم الاجابة للهول ذلك وفزعهم وقال بعضهم انما يسالون عن الحجة والعذر الذي به
كانوا تركوا اجابة الرسل فيقول لهم لاي حجة وعذر تركتم اجابتهم فعميت عليهم الانباء اي الحجج والعذر لما لم يكن لهم الحجة والعذر في تركهم
اجابتهم فهم لا يتساءلون قال بعضهم لا يسال بعضهم بعضا بل يتبرا بعضهم من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا على ما ذكر
في الكتاب وقال بعضهم فهم لا يتساءلون بالحجج والبرهان لما لا حجة لهم ولا برهان اي لا يسال بعضهم بعضا عن الحجج لان الله دحض حججهم
وكلّ السنتهم وقال بعضهم لا يتساءلون بالانساب يومئذ كما كانوا يتساءلون في الدنيا كقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون والله اعلم بذلك ثم ان بعض المعتزلة تكلموا فيه وقالوا لو كان الامر على ما يقوله القدرية والجبرية في
المشية والارادة لكان يسهل لهم الاحتجاج ويهون لهم العذر فيقولون يا ربنا اجبناهم ما نفذ من مشيتك وارادتك وما مضى
من قضايك وكتابتك علينا اذ كنت انت قضيت وكتبت علينا او شيت واردت ما كان منا من التكذيب لهم وترك الاجابة فلم يكن
لنا تخلص مما شيت انت وقضيت علينا الى هذا الخيال يذهب جعفر بن حرب وهذا منه تعليم لاولئك الكفرة الحجاج بالباطل والكذب
بين يدي رب العالمين لتكذيب الذي كان منهم فيقال لهم لو كان لهم ذلك الحجاج على زعمكم فلا يكون ذلك لهم بقولنا ولكن انما يكون
بكتاب الله وسنة رسوله وقول المسلمين اجمع حيث قالوا ما شا الله وما لم يشا لم يكن وبكتاب الله ما ذكر في غير اي من القران يهدي
من يشاء وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شاء ربك لامن
من في الارض كلهم الاية وامثاله مما لا يحصى من الايات فلئن كان لهم ذلك انما يكون بما ذكرنا لا بقولنا واصله انه لا يكون لهم حق [illegible]
من الاحتجاج لانهم وقت فعلهم لا يعلمون ما يفعلون بان الله شا ذلك لهم او قضى وكتب ذلك عليهم وهم يودون ويجبون وقت فعلهم
ان شا الله ذلك منهم ويرضى فاذا كانوا وقت فعلهم لا يعلمون لذلك فكيف يكون لهم الحجاج على ما كانوا عليه يفعلون لا لذلك لكن
هذا منهم تعليم الكذب لكن يوبخ بين يدي رب العالمين على ما ذكر واصل قولنا في هذا انا نقول انه شا من كل ما علم انه يكون منه و
يختار وكذلك قضى وكتب على كل ما علم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يشا منه خلاف ما علم انه يكون لان فيه احد وجهين اما الجهل له
بالعواقب وما الجور فيه وذلك منفي عن الله منفيان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واصله ما روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال بيننا وبين
القدرية حرفان احدهما انا نقول لهم ان الله علم ما يكون انه يكون فان قالوا لا كفروا لانهم جهلوا الله وان قالوا بلى فيقال لهم وشا ان
يكون ما علم انه يكون فان قالوا لا كفروا لانهم يقولون شا ان يجهل وذلك كفر وان قالوا بلى شا ذلك لزمهم قولنا في المشية والارادة
في ذلك قال ابو عوسجة والقتبي فعميت بالتخفيف اي خفيت فعميت بالتشديد بدا اي اخفيت وقوله عزوجل فاما من تاب وامن وعمل
صالحا الى فاما من تاب اي رجع عما كان فيه من الشرك والكفر وامن بالذي دعاهم الرسل واجابهم وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه فعسى
ان يكون من المفلحين يحتمل رجوع عسى الى ذلك الرجل الذي بعثه يقول على رجاء القبول والفلاح بفعل ما يفعل من التوبة
والعمل الصالح وان يقال ما قال اهل التاويل ان عسى من الله واجب وهو ما ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على اللزوم والوجوب
فعلى ذلك حرف عسى ولعل وان كان حرف شك في الظاهر فهو من الله على الوجوب واليقين قال ابو معاذ الفلاح في كلام العرب البقا
ويقال النجاة وقد ذكرنا في غير موضع وقوله عزوجل وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة ويقول والله اعلم وربك
يختار للرسالة ويجتبيه لها فيجعلهم رسلا ما كان لهم الخيرة يقول لم يكن لهم ان يختاروهم وكون الله يختار ويصطفي من يشاء [illegible]
لقوم لولا نزل هذا القران [illegible] الاية الى هذا ذهب بعضهم وجايز ان يكون هذا في كل امر ان وربك يختار ما يشاء ويامر وما كان لهم الخيرة
من امرهم انما التخلص والنجاة من امر كقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة
من امرهم [illegible] يحتمل وجهين احدهما على الوقف في قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار [illegible]
الخيرة من امرهم فان كان على هذا فيكون ما هنا بمعنى الذي على الصلة ليس على الجحد فيكون تاويله
وربك يخلق ما يشاء ويختار الذي لهم الخيرة [illegible]

قال ابو معاذ

قال ابو معاذ فهي في المعنى مجرى النفي [illegible] وربك يخلق ما يشاء ويختار على المعتزلة من وجهين احدهما
[illegible] والطاعات فاذا شاء ذلك [illegible] انه يخلق
ما يشاء الخيرات فدل ذلك على خلق افعال العباد ولكنهم يقولون [illegible] انه يخلق ما يشاء انما خلقه وكذلك يقولون في قوله والله
على كل شيء قدير اي على خلق كل شيء قدير [illegible] جاز لكل احد مثله فذلك
بعيد وعلى قولهم [illegible] الاشياء ليست بمخلوقة لله [illegible]
انه على كل شيء قدير وانه يخلق ما يشاء وان هذا منه خرج مخرج الامتداح له والثناء عليه بما له من السلطان والقدرة على الخلق
كلهم فلو كان على ما يقوله المعتزلة لم يكن هذا مدحا له والا ثناء بالسلطان والقدرة اذ هو على قولهم اكثر الاشياء ليس
بقادر على ما ذكرنا ثم نزه نفسه وبراها عما قالوا فيه واشركوا معه في الوهيته وربوبيته وفي عبادته فقال سبحان الله
وتعالى عما يشركون وقال وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون هذا يخرج على الوعيد لهم والتنبيه ليكونوا على حذر
فيما يسرون من القول والفعل وما يعلنون والله اعلم وقوله عزوجل وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة و
له الحكم قوله وله الحكم كقوله ويختار وما كان لهم الخيرة وقد ذكرنا ان قوله ويختار ما كان لهم الخيرة من امرهم انه يخرج على وجهين
احدهما له الاختيار فاختارهم لا هم الاختيار فاخبرهم ولا يملكون هم ما يختارهم وغيرهم والثاني هو يختار لهم الخيرة فاخبرهم لانه هو العالم
بمصالح امورهم وما يرجع الى الادون والانفع لهم لا يعرفون ذلك فعلى ذلك قوله له الحكم في الدنيا والاخرة لان انفس الخلايق له دونهم
فله الحكم في امورهم وانفسهم كان له الحكم في احوالهم لانه لا يلحقه الخطاب في حكمه اذ هو عالم بما ته ولا يلحقه التهمة ايضا في دفع مضرة او جر
نفع لانه غني بذاته فله الحكم في الدارين جميعا والله الموفق وقوله عزوجل له الحمد في الاولى والاخرة هذا يخرج على وجوه احدها ما
قال اهل التاويل ان اولياءه يحمدونه في الدنيا والاخرة في الجنة حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية يقولون اذا دخلوا
الجنة الثاني وقال بعضهم في الاولى والاخرة يقول في السموات والارض وقصد بذلك قوله الله وله الحمد في السموات والارض وقوله
ايضا يسبح لله ما في السموات وما في الارض وقوله يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن والثالث له الحمد في الاولى والاخرة
وهو ان جعل الدنيا مشتركا بين الاعدا والاوليا في نعيمها غير مفترقة ولا مختلفة واما الاخرة فقد فرق فيها بين الاوليا
والاعداء جعل للاولياء النعم الدائمة وللاعداء العذاب الدائم فله الحمد على ذلك والرابع له الحمد في الاولى والاخرة لما جعل الدنيا
دار محنة والاخرة دار الجزاء لم يجعلها دار المحنة او ان يكون تركه له الحمد في الاولى والاخرة اي له الحمد من الخلق في كل حال وكل
حال وكل وقت كقوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين انهم يحمدونه في بدء كل امر وختمه ان يكون له الحمد وقوله عزوجل
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة او ان جعل النهار سرمدا اي دايما الا ليل فيه الى اخر ما ذكر من قوله افلا تسمعون
افلا تبصرون يخرج ذكره لوجهين احدهما في تسفيههم في صرفهم العبادة والشكر الى الاصنام التي كانوا يعبدون وهم على علم منهم انها لا تملك
شيئا مما ذكر من جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وتركهم عبادة من يملك ذلك كله وكذلك ما ذكر في اية اخرى حيث قال
افرايتم من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية يقول والله اعلم فاذ لا يملك ما تعبدون من دون الله دفع ضر اراده الله
به وجعله سحرا اراده الله وجعله ضرا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة من يملك جعل هذا وهذا هذا ودفع هذا بهذا فعلى ذلك
يقول والله اعلم كيف تعبدون من لا يملك جعل الزمان كله ليلا دايما لا نهار فيه وجعل النهار نهارا كله دايما لا ليل فيه وتتركون عبادة
من يملك ذلك كله فجعل وقتا للراحة والقرار والثاني يذكرهم عظيم نعمه ومنته حيث انشأ هذا العالم محتاجا الى ما به قوام انفسهم
وابدانهم في دينهم ودنياهم ثم جعل ذلك كله على التعاون والتظاهر بعضهم بعضا ما لو جعل ذلك على غير ذلك لا يقوم انفسهم وابدانهم
بذلك حيث جعل الليل وقتا للراحة والسكون والنهار وقتا للتقلب والتعيش ولو كان ذلك كله وقتا للراحة لا يقوم انفسهم ابدا بالتعيش
والكسب ولو كان كله وقتا للتقلب والكسب لا راحة فيه لا تنتفع ايضا انفسهم بذلك لكن من رحمته وفضله جعل لهم وقتا للراحة انما
جعله للكل لا للبعض دون بعض وكذلك ما جعله وقتا للتقلب انما جعله لذلك الكل لا لبعض دون بعض ليقوم لهم اسباب التعيش وما به
قوام انفسهم وابدانهم ولو كان ذلك كله وقتا لاحدهما لم يقم انفسهم ولا بقي هذا العالم الى الوقت الذي جعل له البقاء الى ذلك الوقت
وهو ما ذكر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقوله عزوجل افلا تسمعون افلا تبصرون
انما هو سمع عقل وقلب وبصر عقل وقلب كانه يقول افلا تسمعون هذا بالعقل او فلا تبصرونه بالعقل والله اعلم كقوله فانها لا تعمى الابصار
الاية وقوله عزوجل ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون قد ذكرناه وهذه الايات التي يكررها ويعيدها مرة بعد مرة من قوله
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون وقوله وقيل ادعوا شركاءكم
وامثال ذلك تاكيد على علم منه انهم لا يصدقونها ولا يقبلونها ولا يستمعون اليها وان كررت واعيدت غير مرة فهو والله اعلم يخرج
على وجهين احدهما لزوم الحجة لما مكنوا من الاستماع والسماع وان كانوا لا يستمعون اليها والثاني يكون فيه عظة المومنين من وجهين
احدها ليتذكروا على ما عصموا من عبادة غير الله وتعوا عبادة الله المستحق لها ليعرفوا عظيم نعم الله عليهم والثاني الحذر [illegible]

فى الرجوع الى ما هو عليه او كذلك الكفرة على ما اخذ الرسل والانبياء وادوا العصمة عاقبتهم فى الرجوع الى ذلك كقول ابرهيم واجنبنى
وبنى ان نعبد الاصنام وامثاله كثير والثالث خوف العاملة لئلا يعاملوا لهم فى العمل كما عاملوا او كذلك فى الاعتقاد لان المؤمنين و
[illegible]

[illegible] وقوله عز وجل ونزعنا من كل امة شهيدا [illegible]

[illegible] وقوله عز وجل فعلموا ان الحق لله [illegible]

[illegible] وقوله عز وجل ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم [illegible]

[illegible] وقوله عز وجل [illegible]

[illegible] اولى القوة
اولى قوة قال بعضهم مفاتحه خزائنه وقال بعضهم مفاتحه جمع مفتاح وهو فى الاصل مفاتيح وذكر ان كنوزه كذا اكثر الفا وان
مفاتيحه كان يحمل كذا وكذا بغل وانها من جلود كذا او من كذا فذلك ايضا لا نعلمه ولا نفسره ولا نذكر الا قدر ما ذكر فى الكتاب اذ
ذكر فى الكتاب الكنوز والمفاتح وذكر العصبة تنوء بها وذلك الكثرة ما ذكر ولكن لا نعلم قدره وعدده ما هو ولا كم هو وذلك العصبة
ايضا لا نعلم كم عدده الا ان اهل التاويل يقول بعضهم من عشرة الى اربعين ويقول بعضهم من عشرة الى خمس وسبعين وبعضهم من عشرة الى
خمس وسبعين وبعضهم من عشرة الى خمس عشرة ونحن لا نفسره ولا نذكر عدده سوى انه اسم جماعة يتعصب بعضهم بعضا ويعين بعضهم
بعضا ويرجعوا جميعا الى امر واحد وكذلك الشيعة هى جماعة يتشيع بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا ولذلك قال اخوة يوسف لئن
اكله الذئب ونحن عصبة اى ينتصب بعضا لا ندعه ياكله ولئن لم نفعل ولم نحفظ انا اذا لخاسرون وقوله عز وجل لتنوء بالعصبة اختلف
فيه قال بعضهم لتثقل العصبة تلك المفاتح وقال القتبى لتنوء اى تميل بها العصبة اذا حملتها من ثقلها وقال ابو عوسجة لتنوء بالعصبة
اى لتعجز العصبة عن حملها وقال بعضهم تنوء تثقل والعصبة جماعة وقوله عز وجل اذ قال له قومه لا تفرح قال بعضهم لا تبطر ولا تاشر
ان الله لا يحب البطرين الاشرين وجائز ان يكون قوله لا تفرح اى لا تفتخر على الناس بما اتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم او لا تفرح
لا تسكن اليها ولا تركن الى ذلك ان الله لا يحب من ذكر وقوله عز وجل وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة كان كثير ما اتاه الله من المال
انسته الاخرة وشغلته عنها وعن العمل لها حتى حمله ذلك على الجحود والانكار فقال وابتغ الدار الاخرة بما اتاك الله ولا تنس
نصيبك من الدنيا اى لا تنس من مالك فى الدنيا ولكن قدم الاخرة قال الحسن فى قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا الى الاخرة قال امره
بان ياخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ما سوى ذلك الاخرة وكذلك قال فى قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اى قدم الفضل وانك

مايبلغك واحسن كما احسن الله اليك قيل يكفيك ما احل الله لك من الدنيا فان فيه غناء وكفاية واصله ما روى عن نبى الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لك من الدنيا ما اكلت وليست وافنيت وما قدمت جعل المقدم من الدنيا له واما ما خلف فهو لغيره وهكذا ان الدنيا لم
تخلق الدنيا لتبقى لاهلها او يبقى اهلها فيها ولكن ما خلقت لتفنى هى او يفنى اهلها وخلقت الاخرة للبقاء فنصيبه من الدنيا ما قدم و
فى طاعة الله وفى سبيله ليس ما خلف فى هذه الدنيا وقوله عز وجل واحسن كما احسن الله اليك يحتمل قوله احسن الى نفسك فى العمل لله
كما احسن الله اليك واحسن الى الخلق كما احسن الله اليك وقوله عز وجل ولا تبغ الفساد فى الارض هذا يدل انه كان ينفق فى الفساد
سبيل الله حيث قال ولا تبغ الفساد فى الارض ولو كان فى ترك الانفاق لم يكن فى ذلك بغى الفساد فى الارض ثم الواجب على من حضر
الملوك وشهد مجالسهم من اهل العلم ان يخوفوا الملوك ويباعدوهم بما اوعد قوم موسى قارون ويحرفوه ويامروهم بالصلاح
فى انفسهم وفى رغبتهم كما امر اولئك قارون ونهوهم كما نهاه اولئك فان اجابوهم والا منعوا عنهم وكفوا انفسهم عن الاختلاف
اليهم فانه لم يفعلوا فهم شركاء وهم فى جميع ما يفعلون والله اعلم وقوله عز وجل قال انما اوتيته على علم عندى اختلف فيه قال بعضهم
ان قارون كان اقرا الناس بالتورية واعلمهم بها وسمى قارون لذلك وذكروا انه سمى المنور لحسن صوته بالتورية قال بعضهم منورا
لذلك والله اعلم وقال بعضهم قوله انما اوتيته على علم عندى وهو الكيميا ذكر انه كان يعالج صنعة الذهب ويحسنها وقال انما اوتيته
على علم عندى اى على خبر عندى قال ذلك على اثر قول اولئك ولا تنس نصيبك من الدنيا الى قوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض كانهم
اوعدوه بذهاب ذلك عنه وهلاكه فقال والله اعلم انما اوتيته ذلك على علم عندى لم اوت جزافا بلا سبب وكانه والله اعلم
نسى الاخرة بما اوتى من المال والكنوز وترك الانفاق فى الخير وكان ينفق فى صد الناس عن سبيل الله ولذلك قال ولا تبغ الفساد
فى الارض الا انه كان عارفا بالله حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة وقالوا له ان الله لا يحب المفسدين ولهذا انهم
انه كان عارفا بالله وقوله عز وجل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد قوة واكثر جمعا ذكر هذا والله اعلم لما انه
كان يفتخر ويستكبر على الناس بما اوتى من الاموال والكنوز والاتباع ويحسب انه يدفع العذاب الموعود فى هذه الدنيا بذلك عن نفسه
او يظن انه لما اوتى ذلك لا يعذب كظن اولئك الكفرة حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر ان كان من كان
قارون من الاعجاب بالكثرة والجمع ما ذكرنا وكذلك فقال عند ذلك اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا لم يتهيا لهم دفع ما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك انت يا قارون والله اعلم وقوله عز وجل ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون اختلف فيه قال بعضهم لا يسالون عن ذنوبهم كقوله يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام وقال بعضهم
لا يسال هذه الامة عن صنيع مجرمى الامم الخالية وجائز انه لا يسالون عن ذنوبهم لانهم لا يرون عما يعملون من الاعمال ذنوبا ولكن انما
يسالون عن الدليل الذى به لا يرون تلك الاعمال ذنبا والله اعلم وقوله عز وجل فخرج على قومه فى زينته قال عامة اهل التاويل
انه خرج على بغال شهب ومعه كذا كذا من الجوارى على كذا كذا بغال شهب عليهن من الثياب كذا وقال بعضهم انه خرج على براذين كذا
بيض مع كذا كذا غلمان وجوار ونحو ما ذكروا لكنا لا ندرى على اى زينة خرج ولكنا نعلم انه خرج على الزينة التى يخرج امثاله من الملوك
ولا نفسر انه كذا على كذا وكذلك لا نفسر العلم الذى ذكر انه اوتى ما اوتى له من المال والكنز انه كان عنده كذا من العلم والله اعلم بذلك
وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل وقال الذين اوتوا العلم اى اوتوا نفع العلم لان قد يؤتى العلم ربما ولا يؤتى من الانتفاع
به ما اوتى هؤلاء حيث قالوا لاولئك ويلكم ثواب الله لمن امن وعمل صالحا لم يكن منا ولكن لا التمنى ان نؤتى مثل ما اوتى قارون
ثم نهاهم الذين اوتوا نفع العلم والانتفاع به عن ذلك التمنى فدل ذلك ان التمنى لا يسع فيما لا يسع الاشتغال به والطلب حيث قالوا
ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون اختلف فى قوله ولا يلقيها كيف ذكره بالتانيث وانما تقدم له ذكر ثواب
فالا قال وما يلقيه لكن اختلف فيه قال بعضهم وما يلقيها كناية عن تلك المقالة التى كانت منا ولكن الذين اوتوا العلم لا ولكن الذين
يريدون الحيوة الدنيا اى ما يلقى تلك المقالة التى قالوها الا اولئك الا الصابرون وقال بعضهم لا ولكن ذلك كناية عن الاعمال اى
وما يلقى تلك الاعمال ولا يوفق لها الا الصابرون وقال قائلون لا ولكن يلقيها كناية عن الدار الاخرة يقول وما يلقى تلك الدار الا
الصابرون قال ابو عوسجة والقتبى ولا يلقيها اى لا يوفق ويقال لا يصدق والصابرون يحتمل المؤمنين نفسه كقوله تعالى
ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اى امنوا ويحتمل الصابرون الذين صبروا انفسهم
وحبسوها على اداء ما افترض الله عليهم ولم يوتوا انفسهم شهواتهم وهواها والله اعلم ثم كان فى قوم موسى خصال ثلاث ثم لم يكن
تلك ولا مثلها فى غيره من الامم احدها ما ذكر من صلاتهم واذا العلم ويقينهم وطمانينتهم فيما وعدوا فى الاخرة من الثواب وصبرهم
على اداء ما افترض الله عليهم وحبسهم انفسهم عن مناهم وشهواتهم ولصلابتهم وقوتهم فى الدين ما وعظوا قارون حيث قالوا
له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة الى قوله ان الله لا يحب المفسدين وهو كان ملكا يومئذ ولما قالوا الا ليت الذين يريدون الحيوة
الدنيا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا والثانى ما ذكر سحرة فرعون حين اوعدهم بالقطع والصلب والقتل بايمانهم الذين
امنوا فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وقالوا فاقض ما انت قاض وامثاله ذلك مما لم يتالوا لحلول ما اوعدهم وخوفهم من ازال

العذاب والثالث ماذكر من الذى كان يكتم ايمانه حيث قال وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول
ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وانما اظهر ذلك حين قال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه كانه هم ان يقتله الا ترى
ان ذلك الرجل المؤمن الذى كان يكتم ايمانه قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ولم يبال هلاك نفسه باظهاره الايمان بعد ان
امن بنبى الله موسى ونفع له بما قال واستقبل فرعون وقومه مما استقبل فهذه خصال لم تذكر عن قوم فقط من سوى قوم موسى فلها
ولذلك وصفهم ونعتهم بفضل الهداية والعدالة وهو ما قال عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهكذا
الواجب على كل مؤمن اذا اوذى منه اخذ واخاف على دينه ان يذهب به وان يدخل فيه النقصان ان لا يبال لذلك وان اخاف
على نفسه تلفها وهلاكها وتعذيبها باشد ما يكون من العذاب الا يرى ان الله مدح اصحاب الاخدود بما احتملوا اشد العذاب
واسوء القتل ولم يتركوا الايمان ولم يعطوا اولئك الكفرة ما ارادوا منهم فهكذا الاختيار على كل مسلم ان يختار ما اختاروا وكذلك
وهكذا الواجب على كل من ياتى الامراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء ان يعظوهم ويامروهم بكل ما يوفق دينهم وعن كل
محظور وحرام ويدلوهم على كل خير وكل ما هو طاعة لله كما فعل قوم قارون بقارون والا لم يحضروا مجالسهم ولا اتوهم طايعين
فان فعلوا فانهم يكونون شركاء هم وذكر عن بعض السلف انه قال فى عيسى وقارون عبرة لمن اعتبر ان عيسى صلوات الله عليه
زاهد فى الدنيا زهدا حتى لم يتخذ لنفسه مسكنا يسكن ولا مقرا يقر فيه ولا اتخذ لنفسه ما يتعيش به ولا اشتغل بشئ منها فرفعه
الله الى السماء فجعل عيشه ومقره فيها فى كرامة الله وجواره وقارون كان يرغب فى هذه الدنيا رغبة وجهدا فى طلبها طاقته ووسعه
وركن اليها وركن اليها حتى خسفه الله فى الارض وادخله فيها مع كنوزه واتباعه فيكون فيها الى يوم القيمة ففى ذلك عبرة واية لكل
راغب وزاهد فيرغب الزاهد فى الزهد فيها وينزجر الراغب عن الرغبة فيها والله اعلم وقوله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض
بالبغى الذى بغى عليهم اغنى على موسى واصحابه وقوله عز وجل فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله كانه كان يفتخر بالمال
والحرس ويتقوى بذلك فى دفع عذاب الله ونقمته لذلك قال فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله اى لم يغن فى دفع عذاب الله
عنه اتباعه وحواشيه وهو كظنا اولئك نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وكان ظنهم ذلك وقولهم انما كان بوجهين
انهم ظنوا ان اموالهم واتباعهم تدفع عنهم عذابه ونقمته كما تدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم كقول ذلك الرجل ساوى الى الجبل
يعصمنى من الماء والثانى ظنوا انهم انما اعطوا هذه الاموال والاتباع فى هذه الدنيا لكرامتهم عند الله فلا يعذبون ابدا والله اعلم
وقوله عز وجل واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس كانوا تمنوا ان يعطوا مثل ما اعطى قارون يقولون ويكان الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر ويكانه لا يفلح الكافرون قال بعض اهل الادب وى صلة وانما هو كان وكانه وقال مقاتل ويكانه
اى لكنه ويكان وقال بعضهم قوله ويكان الله اى اعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه واعلموا انه لا يفلح الكافرون لكن الله
يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم الم تر ان الله يبسط الرزق والم تر انه لا يفلح كذا وقال الزجاج وى
مقطوعة من كانه وهو حرف يفتتح به التندم ثم ابتدأ بقوله كانه لا يفلح الكافرون ثم فى الاية نقض قول المعتزلة فى وجوب الاصلح
على الله لانهم ذكروا منة الله فى معنه اياهم ما تمنوا بالامس مما اوتى قارون فلو كان ما اعطى قارون اصلح له فى دينه لم يكن فى منعه
عن هؤلاء منة وان ما اعطى قارون لم يكن اصلح له بل المنع اصلح له وان ليس على الله حفظ الاصلح للعباد فى الدين وقوله عز وجل
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فظاهرها ان كل من لا يريد العلو فى هذه
الدنيا ولا فساد فيها يكون من اهل تلك الدار وكذلك ما ذكر من دار الاخرة وجهنم هى من دار الاخرة ايضا لكن الاية تخرج على وجهين
احدهما كانها نزلت فى رؤساء الكفرة وفراعنتهم هم الذين كانوا يريدون الصلوة فى هذه الدنيا بالتكبر والجبر على الرسل والفساد فيها
فصرف الناس عن دين الله واتباع الرسل فقال والله اعلم تلك الدار الاخرة اى الجنة ليست هؤلاء ولكن لمن تواضع للرسل ودعا الناس
الى دين الله واتباع الرسل والثانى يكون الاية فى الذين كانوا يعملون بالخيرات والطاعات منهم فى صلة الارحام والصدقة على
الفقراء والانفاق فى ذلك فاخبر انهم وان كانوا يعملون بتلك الاعمال فانما يعملون الدنيا والعلو فيها لا للاخرة تلك الدار الاخرة
ليست لهم انما هى للذين يعملون ويريدون بها الدار الاخرة وقوله عز وجل تلك الدار الاخرة كانه يقول تلك الدار التى دعوا اليها البعث
لمن ذكر وهى الدار التى قال الله والله يدعوا الى دار السلام فالدار الاخرة هى الدار التى دعوا اليها وهى الجنة الدار الاخرة على الاطلاق
كالجنة كالكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله ونحوه وقوله عز وجل والعاقبة للمتقين اى تلك الدار الاخرة للمتقين و
قوله عز وجل من جاء بالحسنة فله خير منها هذا يخرج على وجوه احدها قال اهل التاويل على التقديم والتاخير اى فله منها خير ومعناه
ان ما يكون له فى الاخرة من الخير انما يكون بتلك الحسنة التى جاء بها فى الدنيا وهى التوحيد والثانى قوله فله خير منها اى ما اعطوا
فى الاخرة من الخير والثواب خير مما يعطون فى الدنيا بصبرهم وحبسهم انفسهم عن شهواتها واما نيها والثالث فله خير منها اى
ثواب الله وما اكرموا به خير مما عملوا فى الدنيا والرابع ان توفيقه اياهم وارشاده خير مما عملوا وان يكون ذكر الله وهو خير ما ذكروا
كقوله ولذكر الله اكبر وقوله عز وجل ومن جاء بالسيئة قالوا جميعا السيئة هى الشرك فلا يجزى الا مثلها لكن مثلها هو التخليد فى النار

ابدأوهم

ابدأوهم لا يظلمون فيما يجزون بها بل ظلموا انفسهم وقوله عز وجل ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد اختلف فى قوله
فرض عليك القران قال بعضهم فرض اى نزل عليك وقال بعضهم فرض عليك العمل بالقران وقال بعضهم فرض تبليغ ما انزل
عليك القران والرسالة الى الناس واختلف ايضا فى قوله لرادك الى معاد قال بعضهم الى مكة وقال بعضهم المعاد هو البعث
والساعة وقال بعضهم المعاد الجنة ويقال الموت وكله البعث والمعاد هو البعث فى الظاهر وجائز ان سمى مكة معادا لما يعود
الناس اليها مرة كما سمى مثابة لما يثوب الناس اليها مرة بعد مرة لكن من يقول بان المعاد هو مكة يقول ان النبى صلوات الله عليه لما
امر بالهجرة الى المدينة فهاجر اليها اشتاق الى بلده ومولده ومولد ابائه فنزل جبريل عليه بهذه الاية بشارة له فى العود اليها ظاهرا
عليهم قاهرا فاتحا له مكة هذا تاويل من يقول بان المعاد هو مكة وجائز ان يكون على غير هذا وهو تخرج على وجهين احدهما كانه
حزن على الفراق منهم اشفاقا على هلاكهم لاخراجهم الرسول من بين اظهرهم لان الامم السالفة اذا خرج من بينهم الرسل نزل بهم
العذاب فخاف انهم لما اخرجوه من بين اظهرهم وابوا اجابته ان يهلكوا ويعذبوا كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين
وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فبشر بهذا ان ترد اليها وسيعودون اليه فيتبعونك ويؤمنون بك وهم لا يهلكون اهلاك
استئصال وتعذيب كسائر الامم والثانى يذكر على الامتنان عليه يقول ان الذى انزل عليك القران والقاه عليك بعد ما لم تكن ترجوا
لقاءه عليك وانزاله وذكر برحمته ومنه القاه اليك وانزله عليك حيث قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
فعلى ذلك يردك الى مكة من بعد ما لم تكن ترجو ردك وعودك اليها وان كان المعاد هو البعث فهو يخرج ايضا على وجهين احدهما
على البشارة كانه يقول ان الذى فرض عليك القران يردك ويبعثك ممن كذبك وممن صدقك فينتقم من يكذبك جزاء التكذيب
ويجزى من يصدقك جزاء التصديق والثانى يذكره ويخاطبه وانما يريد به قومه اى سيبعثون وسيعودون اليها فيكون
كالايات التى يخاطب بها رسوله والمراد بها قومه فهو يخرج على الوعيد لهم الا ترى انه قال ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى
ضلال مبين اى ربى اعلم من جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى ومن هو فى ضلال مبين فيجزيه جزاء ضلاله ويخرج ذكر هذا عند ادعاء
اولئك الكفرة انهم على الحق والهدى وان اباءهم كانوا على الحق والهدى وانتم على ضلال فيقول ربى اعلم من جاء بالهدى ومن
هو فى ضلال مبين نحن او انتم فهو على الاحتكام الى الله ان يحكم بينهم فيجزى كلا بما جاء به والله اعلم وقوله عز وجل وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فهو يخرج على وجهين احدهما وما كنت ترجوا وان كنت مطيعا اى خاضعا ان
يلقى اليك الكتاب وينزل عليك وتصير رسولا اى لم تكن تطمع ذلك ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولا نبيا والثانى
ما كنت ترجوا ان يكون فى قومك وقبيلتك رسالة فضلا ان ترجوا وتطمع فى نفسك لانهم ليسوا من بنى اسرائيل ولا من اهل
الكتاب والرسالة من قبل كانت لا تكون الا فى بنى اسرائيل ولكن الله جعل الرسالة فى العرب فى نفسك برحمته وفضله والله اعلم
وقوله عز وجل فلا تكونن ظهيرا للكافرين هذا يخرج على وجوه احدها على النهى اى لا تكن ظهيرا وان كان لا يكون للعصمة التى
عصمه الله لان العصمة لا تمنع النهى والامر بل منفعة العصمة انما تكون عند النهى والامر والثانى على الامر له والاباء ان يكون
ظهيرا لهم فى وقت من الاوقات فامنه الله عن ذلك فقال لا تخف فانك لا تكون ظهيرا لهم وهو ما ذكرنا فى قوله ولا تحزن عليهم
وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على دفع الحزن والحسرات بتركهم الايمان فعلى ذلك الاول والثالث ان الخطاب وان كان
له فى الظاهر فالمراد منه غيره على ما ذكرنا فى غير آى من القران انه خاطب به رسوله والمراد به غيره وكذلك هذا فى قوله ولا يصدنك
عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين فى هذا ما فى الاول من الوجوه التى ذكرنا وكذلك
هذا فى قوله ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو وقوله عز وجل كل شئ هالك الا وجهه قال بعضهم قوله كل شئ يرجى منفعته
وشفاعته من دون الله باطل الا ما ابتغى منه وجهه وعمل له وقال بعضهم كل شئ هالك وزائل الا هو فانه حى لا يموت دايم لا يزول
وقال بعضهم كل امر وجهة يتوجه اليها ويعمل به هالك الا الجهة والوجه الذى امرهم بالتوجيه اليه والعمل به وهو قريب الاول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الم قد ذكرنا فى غير موضع وقوله عز وجل احسب الناس قوله احسب الناس هو وان كان فى الظاهر استفهاما فهو على
الايجاب لانا قد ذكرنا ان كل استفهام واستخبار رسول كان من الله فهو يخرج على التقرير والايجاب لانه بخبير عليم لا
يحتمل الاستفهام والاستخبار وحقيقة الاستفهام والاستخبار انما تكون ممن يجهل الامور فيستخبر ويستفهم ليعرف ذلك والله
سبحانه يتعالى عن ان يخفى عليه شئ فهو على التقرير والايجاب منه ذلك ثم يخرج قوله احسب الناس على احد وجهين اى احسب
الناس والثانى اى لا يحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وقوله عز وجل ان يقولوا امنا ذكر الايمان ولم يذكر بمن بالله او بغيره
وليس احد من الخلق الا وهو يؤمن باحد ويكفر بغيره وليس فى الاية بيان الايمان به او بمن الا ان الله تعالى سمى الخالق على التعم من
الايمان المطلق المرسل الايمان بالله ورسله وسمى هو حق فهو من الكتاب المطلق كتاب الله والدار الاخرة الجنة وامثال ذلك مما هو

من الكتاب المطلق كتاب الله وفهموا مما ذكرنا من الايمان المطلق الايمان بالله وبرسله وفهموا ايضا من الدين المطلق
دين الله فيكون قوله ان يكونوا امنا بالله اوبرسله وقوله عز وجل وهم لا يفتنون اى لا يبتلون والفتنة هى الابتلاء الذى
فيه الشدة يمتحن الله عباده باختلاف الاحوال مرة بالضيق والشدة ومرة بالسعة والرخاء وانواع العبادات ليكون ذلك علما للخلق
فى صدق الايمان به والكذب فيه فيخرج صادق كل مخبر عن نفسه الايمان بالله تعالى وكذبه اذ قد يجوز ان يكون فيما يخبر ويقول
كاذبا فجعل الله تعالى العلم فى صدقهم وكذبهم بما لا يظهر بما عندهم صدقهم لو كان الابتداء والامتحان بجهة لعله لا يظهر ذلك
وهو ما اخبر عن المنافقين فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية هذا يدل ان الفتنة هى المحنة التى فيها الشدة والبلاء وما قال
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فانما يظهر صدق الرجل فى ايمانه بما يصيبه من الشدة فاما السعة والرخاء فهو ما يوافق
طبعه وهوى نفسه فلا يظهر صدقه بما يوافق طبعه وانما يظهر ذلك بما يخالف طبعه ويثقل عليه تحمل ذلك ثم قال بعضهم نزلت
الاية فى قوم اظهروا الايمان باللسان واضمروا الخلاف والكذب وقال بعضهم نزلت فى قوم امنوا بالله وبرسوله حقيقة ثم عذبوا
بانواع العذاب فتركوا الايمان وكفروا به وفيهم نزل فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكيف ما كان ففيه ان من اقر
بالايمان وقبل يمتحن بانواع المحن بموافقة الطبع ومخالفته ليظهر صدقه عند الناس فيما يدعونه على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا والله اعلم فيما تقدم ان يعلم ظاهرا كائنا ما قد علمه غير كائن انه يكون وليعلم
موجودا ما قد علمه غير موجود انه يوجد والله اعلم وقوله عز وجل ام حسب الذين يعملون السيئات هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما
قد حسب الذين ما ذكر والثانى لا يحسب على النهى وقوله عز وجل ان يسبقونا لا احد يظن ان يسبق الله فى عذابه ونقمته لكنهم انا راوا الكافر
والمسلم فى هذه الدنيا على السواء فى نعيمها وسعتها ورأوا ايضا عند الموت انه لم يبق لعلى الكافر عذاب كالمسلم ظنوا ان لا بعث وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا احلهم ذلك على انكار البعث كقوله وما خلقنا السماء والارض حين خلقتهما اذا لم يكن بعث باطلا وهم
قد علموا انه خلقهما ليس بباطل ولكن صيرخلقهما واذا لم يكن بعث باطلا فاذا انكروا البعث ظنوا ان العذاب والاجزاء والله اعلم
وقوله عز وجل من كان يرجوا لقاء الله اضاف اللقاء الى نفسه وكذلك ما ذكر من المصير اليه لقوله واليه المصير وقوله واليه يرجع الامر
كله وقوله وبرزوا لله جميعا ونحو هذا كله لان خلق الدنيا وخلق العالم فيها لا لها ولكن المقصود بخلقها وخلق العالم فيها الاخرة فانما
صار خلق هذه الاشياء فيها حكمة بالاخرة اذ لو لم يكن اخرة كان خلق ما ذكر فى هذه الدنيا عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون صيرخلقهم لا للرجوع اليه لعبا باطلا وقوله عز وجل فان اجل الله لات وهو السميع العليم بما يقولون ويظهرون والعليم
بما يضمرون ويسرون لان القصة قصة المنافقين او السميع المجيب العليم بحوائجهم وامورهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن جاهد
فانما يجاهد لنفسه وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اى
فعليها ففى هذا ان الله انما امتحن الخلائق لا لحاجة له فيما امتحنهم فى دفع مضرة او جر نفع لكن انما امتحنهم لحاجة انفسهم فى دفع المضار
وجر المنافع وكذلك انما انشا الدنيا وهذا العالم فيها لا لحاجة له فى انشاء ذلك ولكن لحوائج انفسهم وكذلك ما انشاء من الخلائق سوى البشر
انما انشا للبشر وله سخر جميع ذلك وجعل البشر بحيث يقدر على استعمال جميع ذلك لمنافع انفسهم وحاجتهم وهو ما ذكر فى غير اى من القرآن حيث
قال وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ونحو ذلك فعلى ذلك امتحن هذا العالم لحاجة
انفسهم فى دفع مضار وجر نفع لذلك قال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اى لحاجة نفسه ومنفعة نفسه لا لمنفعة او لحاجة لله تعالى
ان الله لغنى عن العالمين هذا تفسير ما ذكر ان ثم المجاهدة تكون مرة مع الشيطان والجن ومرة مع اعدائه من الانس ومرة مع هوى النفس ومرة
فى امر الدنيا كل ذلك مجاهدة فى الله كما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله اعلم وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم كان ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفر بها سيئاتهم وقوله عز وجل ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون هذا
يحتمل وجوها احدها ان جزاءهم الذى يجزون بتلك الاعمال احسن من اعمالهم التى عملوا لان قدر ذلك الجزاء عندهم اعظم واحسن من قدر من
اعمالهم اذ ليس لاعمالهم عندهم كثير قيمة وقدر اذ منهم من يحيى ليلة بدرهم او بما يسد به حاجته فى يوم او ليلة والثانى ان الاعمال التى يعملها المرء
يكون على وجوه سيئات تكفر بالتوبة او مباحات يعاقبون عليها وحسنات يجزون بها الثواب الجزيل ومباحات يعملون لحوائج انفسهم مما
لا يثابون عليه ولا يعاقبون فيقول والله اعلم لنجزينهم احسن الذى عملوا وهو الحسنات والخيرات عملوها او ان يكون قوله ولنجزينهم
احسن الذى كانوا يعملون ان يكفر سيئاتهم بنوع من الحسنات ويثابون على احسنها وهو ما قال لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى
كانوا يعملون والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا وفى ايضا احسانا قال الزجاج قوله حسنا اجمع واقرب
لانه يجمع المحسن الشىء فى نفسه والمحسنة عند ذلك الانسان يقال حسن كذا اذا كان فى نفسه حسنا والاحسان هو ما يحسن عند ذلك
المعمول له وكلام نحو هذا قال الشيخ رضى الله عنه لكن الاحسان هو اسم ما حسن ايضا فى نفسه يقال احسن فلان الحسن فقد حسن والله اعلم
وقوله عز وجل وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم ان كان هذا الخطاب لاهل الايمان فيكون تاويل الاية وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك
به علم اى بان له شريك اى تعلم بانه ليس له شريك فلا تشرك بى وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض اى يعلم بخلاف

مايقولون فعلى ذلك قوله يحتمل ما ليس لك به علم بان له شريكا اى لك العلم بخلاف ذلك انه ليس له شريك وان كان الخطاب لاهل
الكفر يقولون على الله ما ليس لهم به علم وقوله عز وجل فلا تطعهما امر بالبر للوالدين والاحسان اليهما والطاعة لهما ما لم يكن فى
طاعتهما معصية الرب ليعلم ان ليس يجب طاعتهما فى كل شىء وفى كل ما كان عندهما احسان ولكن فيما كان فى ذلك طاعة الخالق
وقوله عز وجل الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وعيد ليكونوا ابدا على حذر فى اعمالهم لا يعملون بما فيه معصية الرب وقوله عز وجل
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين كانه قال والذين امنوا وعملوا الصالحات ولهم سيئات لنكفرن عنهم تلك
السيئات باعمالهم الصالحات ثم لندخلنهم فى الصالحين الذين لا سيئة لهم وهم الانبياء اذ اكثر ما ذكر فى الكتاب الصالحين انما
اريد بهم الانبياء صلوات الله عليهم وهو ما ذكرنا والله اعلم على تكفير السيئات عنهم على ما ذكر فيما تقدم وهو ما قال والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون او ان يكون قوله لندخلنهم فى الصالحين لنجعلنهم
من الصالحين فان قيل ما معنى قوله لندخلنهم فى الصالحين وهم قد عملوا الصالحات قيل معناه ما ذكرنا بدءا انهم قد عملوا الصالحات
الا ان لهم سيئات يكفرها بالصالحات ثم يجعلهم فى الصالحين الذين لا سيئة لهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن الناس من يقول
امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال بعض اهل التاويل ناس مؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس
او مصيبة فى انفسهم واموالهم افتتنوا فجعلوا ذلك فى الدنيا كعذاب الله فى الاخرة ثم قال ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم
وذلك على المنافق ومنهم من يقول نزلت الاية فيمن حقق الايمان سرا وعلانية الا انه عذب لاجل ايمانه بالله وبرسوله فترك الايمان
وكفر فعلى تاويل هذا يجعل قوله ولئن جاء نصر من ربك الى اخر ما ذكر على القطع من الاول والابتداء منه ومن صنيع المنافقين
وخبرهم والله اعلم ويحتمل قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله اى جعل فتنة الناس وتعذيبهم اياه فى اعطاء ما سالوه وهو
الكفر كعذاب الله فى اعطاء ما سال من اهل الكفر وهو الايمان لان اهل الكفر اذا نزل بهم عذاب الله واشتد بهم خوف تزوده عليهم اعطوا
الله ما سالهم من الايمان به والتوحيد له وهو ما قال فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون و
يحتمل وجها اخر وهو ان جعل فتنة الناس فى ترك الايمان كعذاب الله فى ذلك اى جعل العذاب الذى من الناس كانه من الله جاء فترك
الايمان وقوله عز وجل اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين فان كانت الاية فيمن حقق الايمان بالله سرا وعلانية فيخرج هذا على
التعبير له فى ترك الايمان بما عذب به لانه كان يقدر ان يظهر الكفر لهم باللسان فيدفع العذاب عن نفسه ويكون فى الحقيقة فى
السر مؤمنا على ما ذكر الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وان كانت الاية فى المنافقين فيقول كيف اسررتم الكفر والخلاف له فى القلب
وانتم تعلمون ان الله عالم بما فى صدور العالمين فيخبر رسوله بما اضمروا واسروا من الخلاف والله اعلم وقوله عز وجل وليعلمن الله
الذين امنوا وليعلمن المنافقين قد ذكرناه وقيل هذا ان يعلم كائنا ما قد علم انه سيكون ويعلم موجودا ظاهرا ما قد علم انه يوجد و
يظهر وقوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم كانهم قالوا ذلك لهم بعد ما عجزوا عن الطعن فى
الحجج والايات ما يوجب شبهة فيها عند الناس وبعد ما انقطعوا عن الحجاج فيها والاحتجاج عليها فلما عجزوا عن ذلك كله هم
فعند ذلك اشتغلوا بما ذكر وقالوا للمؤمنين ما ذكر اتبعوا سبيلنا اى ديننا ونحمل خطاياكم يقولون والله اعلم اتبعوا سبيلنا فان
صوابا فان اصابكم خطاء او اخطاتم فى الاتباع له فانا نحمل خطاياكم وقال بعضهم قالوا لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فاتبعونا وان
كان عليكم شىء فهو علينا وهو قريب من الاول وان يقولوا لهم اتبعوا سبيلنا فان الله امرنا بها فان اخطاتم فى ذلك فانا نحمل خطاياكم
او نحو فهذا القول منهم متناقض لانهم ذكروا انهم كانوا يخطئون فى الاتباع لهم دينهم الا ان يريدوا بذلك ما ذكر والثانى انما كانوا
يعنون ونحمل خطاياهم لا باذن من له الطلب فى الخطايا ولكن باذن من عليه ذلك وذلك لا يصلح الضمان باذن من عليه
ثم اخبر انهم لا يحملون ذلك حيث قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء انهم لكاذبون ويحتمل قوله انهم لكاذبون فيما يذكرون من
حمل خطاياهم اى لا يقدرون على حملها او كاذبون فى الدعاء الى اتباع سبيلهم او كاذبون ان الله امرهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يحملون اوزارهم بضلال انفسهم واثقالا باضلال غيرهم ودعائهم اليه كقوله ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وذكر فى خبر ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى هدى فاتبع
عليه الا كان له مثل اجر من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شىء وقوله عز وجل وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون قال بعضهم
افتراؤهم اتخاذهم الاصنام الهة ان يكون الافتراء فى الفعل والقول جميعا وجائز ان يكون افتراؤهم ما ذكر وان حمل خطاياهم او
ما قالوا ان الله امرهم بذلك وتسميتهم الاصنام التى عبدوها الهة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما يذكر هذا النبأ لوجهين احدهما يصبر رسوله على اذى قومه لانه ذكر ان نوحا لبث فى قومه الف عام غير
خمسين عاما كان يدعوهم الى توحيد الله فلم يجبه الا نفر من اهله فلم يمنعه من الدعاء الى دين الله ما اوعده من المواعيد حيث قالوا
لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ونحو ذلك من المواعيد فذلك لم يمنعه عن الدعاء ولذلك قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل والثانى ينقض على المعتزلة مذهبهم لانهم يقولون ان الموعظة انما لا تنجع فى الموعوظين لتفريط المواعظ وترك استعمال

تتسبه في ذلك فيقال له ان نوحا قد دعا قومه الف سنة الا خمسين عاما فلم يجبه الا نفر فلا يحتمل ان يكون منه تقصير وتفريط ذلك
ثم لا ينجع دعا الشقاوة الموعوظ وقوله عز وجل فاخذهم الطوفان قال بعضهم هو المطر الشديد وجايز ان يكون الطوفان كل بلاء
فيه الهلاك والطوفان هو ما ارسل عليهم من الماء الذي اغرقهم والله اعلم وقوله عز وجل فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة اى
من دخل السفينة وجعلناها اية للعالمين قال بعضهم جعلها اية هو ان هلكت سفينة كانت وهي باقية اليوم على ماء وقال
بعضهم وجعلناها اية لمن بعدهم فتمنعهم عن تكذيب الرسل والعناد معهم قال الزجاج الاستثناء يخرج على تاكيد ما تقدم من
الكلام كذكر الكل على ثوما تقدم من الكلام او كلام مجموع وقلنا نحن ان كان ما تقدم من الذكر كافيا تاما فيخرج الثنيا على اثر
مخرج التاكيد لما تقدم نحو قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط وقوله الى قوم مجرمين كان تاما مفهوما ان لا يدخل فيها
لوط حيث ذكر الجرم اذ انه غير مجرمين فهو كاف مفهوم لا يحتاج الى ذكر ال لوط لكنه ذكر على التاكيد له وكذلك قوله محصنين
غير مسافحين ومحصنات غير مسافحات اذا قال المحصنين يفهم انهن غير مسافحات ولا متخذات اخدان لكنه ذكر على التاكيد
واذا كان ما تقدم من الكلام مجملا مرسلا فيخرج ذكر الثنيا لتخريج تحصيل المراد منه على اضمار حرف من فيه كقوله الف سنة الا
خمسين عاما كانه قال فلبث فيهم من الف سنة تسعماية وخمسين وكذلك قول الناس لفلان على عشرة دراهم الا كذا كانه قال لفلان
على عشرة دراهم الا كذا كانه قال لفلان على من عشرة دراهم كذا فهو على التحصيل يخرج ذكره وقال بعضهم الطوفان كل ماء طاف فاش
من سيل وغيره وكذلك الموت الجارف يسمى الطوفان وماء الطوفان وهو ما ذكر في سورة الاعراف وقال بعضهم هو الغرق والله
اعلم وقوله عز وجل وابرهيم اذ قال لقومه هو نسق على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا ابرهيم ايضا الى قومه او ان يكون
نسقا على قوله فانجيناه واصحاب السفينة وانجينا ابرهيم ايضا حين القى في النار او يقال اذكر ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله
واتقوه يحتمل في حق الاعتقاد اى وحدوا الله وقوله عز وجل واتقوه الشرك ويحتمل قوله اعبدوا الله في حق المعاملة اى اليه امر في
العبادة واتقوه اى اتقوا عبادة من تعبدون من الاوثان يكون قوله اتقوا في موضع النهي واعبدوا الله وحدوه ولا تعبدوا
غيره يكون فيه نهي عن مخالفة ما تقدم من الامر افعلوا كذا واتقوا ما يضاده ويخالفه والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم خير لكم اى
عبادة الله خير لكم وقوله عز وجل ان كنتم تعلمون يحتمل قوله ان اذ كنتم تعلمون ان ذلك خير لكم وجايز ذكر ان مكان اذ في اللغة
او يكون قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقوله عز وجل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اى تختلقون كذبا
في تسميتكم الاوثان الهة معبودين اى ليسوا بالهة ولا معبودين او يقال وتخلقون افكا اى كذبا في صرف عبادتكم اليها و
استحقاق العبادة اى لا يستحقون العبادة انما المستحق للعبادة الله دون من تعبدون وقال بعضهم او جعلتم كذبا من الالهة
لاحقا وهو قريب مما ذكرنا ثم بين سفههم في صرف العبادة الى الاصنام وعجزها عمن يعبدها حيث قال ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول والله اعلم ان في الشاهد لا يخدم احد احدا الا لما يامل من النفع له بالخدمة والسابقة من
احسانا كانه اليه فالاصنام التي تعبدونها لا يملكون ان يرزقكم ولا ينفعوكم ولا كان منها اليكم شيء نفعه صنع فكيف تعبدون
وقوله عز وجل فابتغوا عند الله الرزق اى اعبدوا الله الذي يرزقكم وينفعكم ويملك ذلك لكم واتركوا عبادة من لا يملك ذلك
ولعبدوه يحتمل وجهين اللذين ذكرناهما فيما تقدم التوحيد والعبادة وقوله عز وجل واشكروا له اى اشكروا الله بما انعم عليكم
واليه ترجعون وقوله عز وجل وان تكذبوك فقد كذب امم من قبلكم هذا يحتمل وجهين احدهما وان يكذبوك فيما تخبر من نبا
ابرهيم فقد كذب امم من قبلكم رسلهم فيما اخبر واعن ابرهيم بعد الانتساب كل فريق منهم اليه وادعاء نحلته ومذهبه والثاني
وان يكذبوك فيما تبلغ اليهم من الرسالة فقد كذب امم من قبلك رسلهم في تبليغ الرسالة وما على الرسول الا البلاغ المبين بين لهم
انها رسالة ربهم بالحجج والبراهين والايات والله اعلم وقوله عز وجل اولم يروا كيف يبدا الله الخلق ثم يعيده انهم قد رووا ان كيف انشاء
الله الخلق في الابتداء وان عجزوا عن الاسباب التي خلقهم ولا احتمل وسعهم ذلك فعلى ذلك يعيدهم على ما ابداهم وان عجز وسعهم
عن احتمال ذلك وادراكها انا لا اعجوبة في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في البداية بل الاعجوبة في ابتداء الانشا اكثر من الاعادة
لما الاعادة عندكم ايسر واهون من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر وان ذلك على الله يسير الابتداء والاعادة
جميعا لا يعجزه شيء اذ هو قادر بذاته وقوله عز وجل قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق كان الامر بالسير في الارض
والنظر ليس هو سيرا بالاقدام فيها ولكن امر بالسؤال الكفر فيها من الخلايق والنظر في بدء ما فيها من الخلق متقنا محكما بالتدبير
والعلم والحكمة بلا اسباب ليعلموا ان التقدير في ابتداء الانشاء والاعادة بالخارج عن الاحتمال وسعهم وقوام خطا وان الذي
قدر على انشاء الخلق وابتدائه بلا سبب ولا شيء وان لم يحتمل وسعهم وبنيتهم وقوام ذلك فعلى ذلك الاعادة والنشاة الاخرى
وان كانت خارجة عن احتمال وسعهم وقوام قادر عليها او ان يقال انظروا واعتبروا ان بدء الخلق والنشاة من الحكيم العالم الذاتي
بلا اعادة ورجوع ليس بحكمة في العقل والحكمة جميعا ان في الحكمة والعقل التفريق بين المولى والعدو وبين الشاكر والكافر وبين المطيع
والعاصي اذ قد سوى بينهم في الدنيا واشركهم فيها حتى جعل الكافر ما للشاكر والمولى للعدو والمطيع والعاصي فلا بد من الاعادة في دار

يفرق

يفرق بينهم ليخرج بدو انشائهم وخلقه الخلق على الحكمة والتدبير والعلم لا على السفه والعبث والله اعلم وقوله عز وجل ان الله
على كل شيء قدير في النشاة الاولى والاخرة جميعا لا يعجزه شيء اذ هو قادر بذاته وقوله عز وجل يعذب من يشاء ويرحم من يشاء
يحتمل هذا في الدنيا يعذب من يشاء في الدنيا اى يمتحنه ويبتليه بالشدة والضيق ويرحم من يشاء اى يمتحنه بالسعة والرخا فيكون
التعذيب كناية عن الشدة والضيق والرحمة كناية عن السعة والرخا وهو كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون
فعلى ذلك قوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون اى ترجعون ويحتمل التعذيب في الاخرة والرحمة فيها اى يعذب
من يشاء في الاخرة من كان في الدنيا اهلا له مستوجبا ويرحم من يشاء من كان في الدنيا اهلا لها مطيعا لله وقوله عز وجل وما
انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اى ما انتم بمعجزين الله في السماء وعلى قول المعتزلة يكونون معجزين الله في الارض على
ظاهر مذهبهم لانهم يقولون ان الله قد اراد ابقاء الاخيار واهل الصلاح ثم يجي كافر فيقتلهم قبل اجلهم الذي اراد الله ابقاءهم
الى وقت وكذلك يقولون اراد الله ان يرزقهم الحلال واراد ان يكون اولادهم من رشد ونكاح لكنهم يطلبون الرزق من حرام
ويزنون فيخلق اولادهم من زنا شاء او ابى لا يقدر التخلص عما يريدون فاى اعجاز يكون اشد من هذا فنعوذ بالله من الزيغ
في القول وقوله عز وجل وما انتم بمعجزين في الارض هم يعلمون اعني الكفرة انهم لا يعجزون الله ولا يقدرون على اعجازه لكنه يذكر
لانهم كانوا يعملون عمل من هو معجز فايت عن عذاب الله ونقمته وهو كقوله والذين يسعون في اياتنا معاجزين هم يعلمون انهم لا
يقدرون ان يسعوا في اياتنا معاجزين لكنهم يسعون في دفع اياته والانكار لها الا سعي خاضع فابل فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير اى ما لكم من دون الله مما طمعتم من النصر لكم والشفاعة اى ليس لكم ذلكم لانهم عبدوا تلك الاصنام لما طمعوا
شفاعتها عند الله لهم والزلفى حيث قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فيقول ما لكم ما طمعتم بعبادتكم تلك الاصنام من ولي ولا نصير وقوله عز وجل والذين كفروا بايات الله
ولقائه قوله كفروا بايات الله يحتمل ايات الله الايات التي جاءت بها الرسل في اثبات الرسالة لهم ويحتمل ايات الايات التي جعلها الله في الوحدانية
والوهيته ولقائه اى كفروا بالبعث وقد ذكرنا فيما تقدم وجه تسمية البعث لقاء وقال الحسن ايات الله دين الله وكذلك يقول
كل اية في القران الذين وقوله عز وجل اولئك يئسوا من رحمتي قال بعض اهل التاويل من رحمتي اى جنتي وتاول بل هذا لانهم تذكروا
بالبعث فاذا كفروا به زعموا ان لا ثواب ولا جزاء فجايز ان يكون قوله من رحمتي اى من رسلي وكتبي لان الله سمى رسله وكتبه رحمة
في غير اى من القران ايسوا منهم حيث كذبوهم وكفروا بهم ايسوا ان يرسل الرسل وينزل الكتب ويحتمل قوله اولئك يئسوا من رحمتي اى
اولئك عليهم الاياس من رحمتي لما كفروا باياته ورسله واولئك لهم عذاب اليم وقوله عز وجل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه قومه فما كان جواب قومه الا كذا ليس في جميع الاوقات وجميع المشاهد ولكن جايز ان يكون هذا ما كان جواب قومه
في مشهد الا كذا او ان يكون فما كان جواب قومه او ما كان اخر جوابهم قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه والا لم يحتمل ان لا يكون منهم
الا ما ذكر من الجواب قد كان جوابات واجوبة سواه لكن يحتمل ما ذكرنا ان ما كان جواب قومه في مشهد الا ان قالوا اقتلوه او
حرقوه او ما كان اخر جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وهو ما ذكرنا في قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب
الله لا يحتمل ان لم يكن منهم الا هذا ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فانجاه الله من النار بعين العقوبة فيها ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون ذكر الايات في ذلك فجايز يكون ما ذكر في هذه السورة من اولها الى اخرها الايات لمن ذكر وجايز ان يكون فيما ذكر خاصة
لكن ليس من شيء الا وفيه ايات من وجوه اية الوحدانية واية الالوهية واية علمه وحكمته وتدبيره وبعثه فهو ايات وقوله عز وجل
لقوم يؤمنون ذكر الايات للمؤمنين يحتمل وجهين احدهما ذكر الايات لهم لانهم هم المنتفعون بها دون من كفر والثاني الايات لهم على
المكذبين بها والكافرين اى حجة لهم عليهم كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه والله اعلم وقوله فما كان جواب قومه
الا ان قالوا كذا هو صلة قصة ابرهيم واليه يرجع وهو ما تقدم من دعائه اياهم حيث قال وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله
الاية وقوله عز وجل وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا يقول والله اعلم ما اتخذتم من دون الله معبودا وسميتموها الهة ثم ليست
بالهة ولا معبودا انما هي اوثان مودة بينكم في الحيوة الدنيا يقول والله اعلم اتخاذكم هذه الاصنام معبودا واجتماعكم عليها انما هي
مودة حيوة الدنيا الا مودة لها فانها تنقطع او تندم بل تصير في العاقبة عداوة وبغضا وهو ما ذكر ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و
يلعن بعضكم بعضا قال بعضهم يتبرا بعض من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وقال بعضهم يتبرا المتبوع من الاتباع كقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وقوله سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ونحوه ثم اخبر ان ماوى الكل النار وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله او يدفع عنهم العذاب ثم
اختلف في قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم قال بعضهم هذا قول ابرهيم لقومه كقوله اتعبدون ما تنحتون
وكقوله هل يسمعونكم او ينصرونكم او ينتصرون وقال بعضهم هذا قول رسول الله لقومه وجايز ان يكون هذا قول كل رسول لقومه الذين
عبدوا الاصنام والله اعلم وقوله عز وجل فامن له لوط قوله فامن له لوط يحتمل وجهين احدهما قوله فامن له لوط اى اظهر له

لوط الايمان من بين جنوبهم وقد كان لوط مؤمنا من قبل البشر انه احدث له الايمان في ذلك الوقت ولم يكن مؤمنا قبل ذلك ولكن ما ذكرنا انه اظهر له الايمان من بين غيرهم والثاني فامن له لوط فيما دعاه اليه وهو الهجرة اي صدقه فيما اخبر انه امر بالهجرة فاستصحبه فيها وقوله عز وجل اني مهاجر الى ربي قال اهل التاويل هذا قول ابرهيم كقوله اني ذاهب الى ربي وجايز ان يكون قوله اني مهاجر الى ربي قول لوط ثم لا يفهم من قوله اني مهاجر الى ربي وقوله اني ذاهب الى ربي انتقاله اليه او المكان او شي مما يوجب التشبيه مما يفهم من الخلق فكيف فهم من قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل وقوله وجاء ربك واستوى وامثاله ما يفهم من مجي الخلق واتيانهم واستوايهم اذ لا فرق بين مجي اخر اليه وبين مجيئه الاخر هنا في الشاهد سواء فكيف فهم في الغايب في احدهما ما لم يفهم من الاخر وهما سيان في الشاهد فدل انه لا يجوز ان يفهم منه في شي من ذلك ما يفهم من الخلق اذ اخبر انه ليس كمثله شي وقوله عز وجل ووهبنا له يعني لابرهيم اسحق ويعقوب ذكر انه وهب له اسحق ويعقوب ليعلم ان الولد هبة الله وكذلك ولد الولد لان يعقوب كان ولد ولده حيث قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكلاهم هبة اياه قال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقوله عز وجل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب لم تزل النبوة في ذرية ابرهيم من لدنه الى هذا الوقت كان جميع انبياء بني اسرايل من ولد اسحق ونبينا محمد صلوات الله عليه كان من ولد اسمعيل عليهما السلام وقوله عز وجل واتيناه اجره في الدنيا اختلف في الاجر الذي اخبر انه اتاه ابرهيم في الدنيا قال بعضهم هو ما وهب له من الولد في الكبر وقال بعضهم هو ما جعل له الالسن باجمعها على الثناء الحسن عليه حيث يثني جميع اهل الاديان على اختلاف اديانهم ومذاهبهم انهم على دينه وسنته وسيرته وتولي كل بر وجايز ان يكون قوله واتيناه اجره في الدنيا ما اخبر انه في جميع المؤمنين واعظامهم وهو ما قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وما ذكر من ثواب الدنيا فما من مؤمن الا وقد اتاه الله في الدنيا اجرا وثوابا فذلك الذي في ابرهيم اولا تفسير هذا لك الاجر الذي ذكر انه اتاه الله والله اعلم وقوله عز وجل وانه في الاخرة لمن الصالحين هذا يخرج على وجهين احدهما انه لو لم يكرمه الله بالنبوة والرسالة لكان هو ايضا في الاخرة من الصالحين والثاني ذكر الصلاح له لحقيقة صلاحه اي يكون هو ممن حقق الصلاح وكذلك ما ذكر في موسى وهرون حيث قال انهما من عبادنا المؤمنين اي من عبادنا الذين حققوا الايمان وغيرهم من المؤمنين لم يحققوا او ان يكون ما ذكرنا اي لو لم يكن الاكرام الذي اكرمه وهو النبوة لكان من المؤمنين ايضا والا فليس في ذكر الايمان والصلاح لهم كبير منقبة وفضيلة عند الناس اذ يسمى بهذين كل مؤمن ومصلح والله اعلم وعن ابن عباس في قوله واتيناه اجره في الدنيا قال علمه ما جزي به في الاخرة وقتادة قال اتاه الله عافية وعملا صالحا وثناء حسنا وقال فلست تلقى احدا من اهل الملل الا يرضاه يا برهيم والله اعلم بذلك وقال بعضهم ما ذكرنا انه اعطي الولد الطيب في كبر سنه وقوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه كانه يقول والله اعلم وقوله عز وجل اذكر لوطا اذ قال لقومه ثم ذكره اياه يخرج على وجهين احدهما ان اذكر نبا لوط وخبره ليكون اية على رسالتك ونبوتك ويعلموا انك لم تشاهدهم ولا شهدت زمنه فاخبرت على ما في كتبهم ليعرفوا انك انما عرفت ذلك بالله والثاني اذكره اي كيف صبر على اذى قومه وكيف عامل قومه مع سوء صنيعهم من ارتكاب الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم اياه فاصبر انت على اذى قومك وسوء معاملتهم اياك هذا والله اعلم يشبه ان يكون معنى ذكر لوط اياه وعلى هذا يخرج قوله ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي اذكر ابرهيم ونبأه اي كيف عامل قومه وما ذا قال لهم وكيف صبر على اذاهم فعامل انت قومك مثله واصبر على اذاهم كما صبر اولئك والله اعلم وقوله عز وجل انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين قال لهم ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم لم يتهيأ لهم ان يعارضوه لقوله ما سبقكم بها من احد من العالمين بل قد كان سبقنا بذلك احد فكان في ذلك وجهان احدهما ان يكون ذلك اية لرسالته وانه انما علم بالله انه لم يسبقهم بها احد ما ذكر والثاني انهم يعبدون الاصنام ويرتكبون الفواحش ويقولون انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وان الله امرهم بذلك ليعلم انهم كذبة في قولهم ان اباءهم على ذلك حيث اخبر انهم لم يسبقهم بها من احد ولو كان اباؤهم على ذلك لذكروه وعارضوه فاذ لم يفعلوا ولم يشتغلوا بشي من ذلك ليعلم انهم كذبة فيما يقولون والله اعلم وقوله عز وجل اينكم لتاتون الرجال وهو ما ذكر اتاتون الذكران من العالمين وقوله عز وجل وتقطعون السبيل قال بعضهم اي تعرضون الطريق لمن مر بكم لعملكم الخبيث لانه ذكر انهم انما كانوا يعملون ذلك بالغرباء وقال بعضهم وتقطعون السبيل اي يقطعون السبيل على الناس من قطع الطريق وتاتون في ناديكم المنكر اي وتعملون في مجلسكم المنكر اختلف فيه قال بعضهم اي تعملون في مجلسكم اللواطة ايضا وقال بعضهم حذف بالحصى ورمي بالبندق وامثاله لكنه يخبر عن سوء صنيعهم في كل حال وكل وقت يقول انكم تعملون بالفواحش والمناكير في كل حال في الطريق وفي المجالس وفي المنزل ما سبقكم بذلك كله من احد من العالمين والله اعلم ثم قال فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله وقال في موضع اخر الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقال في موضع اخر لتكونن من المخرجين هذه الايات في الظاهر بعضها مخالف لبعض لانه يقول في بعضها فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله وفي بعضها وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم فهو يخرج على وجوه احدها ان يكون قوله الا ان قالوا اخرجوا ال لوط انما ذلك فيما بينهم يقول بعضهم لبعض اخرجوهم وقوله ايتنا بعذاب الله انما قالوا ذلك للوط فاذا كان كذلك فليس في الظاهر فيه خلاف والثاني فما كان جواب قومه في مشهد وفي وقت الا كذا وقد كان منهم له اجوبة اخر سواها في غير ذلك المشهد وفي غير ذلك الوقت وان يكون قوله فما كان اخر جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين بنزول العذاب

علينا

علينا انما قال ذلك له استهزاء وتكذيبا ثم دعا لوط ربه فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجيب وقوله عز وجل ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى يحتمل البشرى بشارة بالولد في كبر سنه وسن زوجته ما لم يطمع من امثالهما الولد اذا بلغوا ذلك الوقت وهو ما ذكر فبشرناها باسحق ويحتمل غيره قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين وقال في اية اخرى انا ارسلنا الى قوم لوط ولم يذكروا فيه بم ارسلوا وبين في هذا ثم قال ابرهيم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته ففي الاية الدليل انه احدهما يخرج الخطاب على العموم والمراد منه الخصوص لان الملايكة قالوا عاما انا مهلكوا هذه القرية ولم يكن الامر باهلاك كل اهل القرية ثم استثنوا لوطا واهله بعد ما قال ابرهيم ان فيها لوطا حيث قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله والثاني فيه جواز تاخير البيان حيث لم يبينوا الا بعد سؤال ابرهيم اياهم وفيه وجه اخر في امتحان الملايكة بمختلف الاشياء لانهم هولاء امروا بالبشارة وامروا باهلاك قوم لوط ليعلم انهم يمتحنون بمختلف الاشياء والله اعلم قوله عز وجل وتاتون في ناديكم المنكر ذكر عن ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم فان ثبت هذا كان تفسيرا له لا يحتاج الى غيره والنادي قال ابو عوسجة المجلس والاندية جماعة وكذلك قال القتبي قال ابو معاذ الندي والنادي لغتان جميع النادي اندية وجميع الندي ندي وندي كقراءة بعض الناس في سورة مريم واحسن نديا اي مجالس وقراءة العامة نديا مجلسا والله اعلم وقوله عز وجل ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ظاهر هذا انه سيء بهم بالواقع من الفعل بهم لكن ساء ظنه انهم يفعلون بهم ما يفعل قوم الخبيث من العمل وضاق بهم ذرعا هذه كلمة تتكلم بها العرب عند انقطاع جميع الحيل فلوط انما قال ذلك لما لم ير لنفسه يدفع بها شرهم وما قصدوا بهم الا يرى انه قال في اية اخرى لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك هذا يدل على انهم قد قصدوهم ولوطا بالهلاك الا ترى انه قال في اية اخرى لن يصلوا اليك دل هذا انهم قد قصدوه بالهلاك حتى قالوا انا منجوك واهلك وانهم انما ارادوا بالاخراج لقولهم لتكونن من المخرجين اخراج قتل اذ لو كان اخراجا من القرية لا يقتل لكان لا يكون له النجاة منهم والامن والله اعلم وقوله عز وجل الا امراتك كانت من الغابرين وفي بعض الايات الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين والغبور فعلها ثم اخبر انه قدر ذلك دل ان افعال العباد مخلوقة لله مقدرة له والله اعلم وقوله عز وجل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء اي عذابا والرجز اسم كل عذاب فيه شدة الا ترى انه قال في اية اخرى هذا يوم عصيب اي شديد ثم ذكر انه ينزل من السماء فان ثبت ما ذكر ان جبريل ادخل احد جناحيه تحت الارض فرفع بها قريات لوط الى السماء حتى سمع اهل السماء صياحهم وصحيتهم ثم ارسلها فهو نزول العذاب من السماء وان يكون قوله حجارة من سجيل ان السجيل لو كان مكانا منه ينزل فهو في السماء على ما يقول بعض الناس انه مكان وقال بعضهم هو اسم ذلك الحجر والله اعلم وقوله عز وجل ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون اية بينة لمن عقل وعرف السبب الذي اهلك قريات لوط كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون لماذا اهلكوا اي تعقلون هذه الانباء والقصص ذكرها الله تعالى في القران الكريم ذكرها واعادها مرة بعد مرة لان الانبياء والقصص انما تذكر للحجاج على الكفرة فتكرر وتعاد ليحتج بها عليهم واما الاحكام فانما هي لاهل الاسلام خاصة فهم يطلبون ما عليهم من الاحكام فلا تقع الحاجة الى التكرار والاعادة ثم الكفرة كانوا على اصناف ثلاثة منها اهل العناد والمكابرة واهل شك وحيرة واهل استرشاد ومن كان منه الاسترشاد يؤمنون بها بالبديهة وما دل ما وقع في مسامعهم فلا يقع الحاجة الى التكرار والاعادة واما اهل العناد والمكابرة فانما تكرر عليهم لعلها تنجع فيهم فيؤمنون بها وهذه الايات كانت ايات وحجج التوحيد والبعث والرسالة وعلى ذلك جاءت الرسل بالدعاء الى التوحيد والى الاقرار بالبعث والايمان به والى الايمان بالرسل فشعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلاث في قوله يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين دعاهم الى التوحيد بقوله اعبدوا الله وفيه نهي عن عبادة من دونه ثم دعاهم الى الايمان بالبعث بقوله وارجوا اليوم الاخر اي خافوا عذاب ذلك اليوم ونهى عن جميع المناهي بقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين قد ذكرنا هذا وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا اي ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين قال بعضهم اسم رجل نسب اليه وقال بعضهم اسم موضع وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم ان الرسل صلوات الله عليهم قد خوفوا الكفرة بعذاب ينزل بهم في الاخرة بتكذيبهم اياهم وعنادهم فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه حتى اوعدوهم بعذاب ينزل بهم في الدنيا فلم ينجع ذلك ولم يمتنعوا عن ذلك حتى وعدوهم بنزول ما قد شاهدوه وعاينوا من اثار من قد اهلكهم بتكذيبهم الرسل وردهم اجابتهم وهو ما قال وعادا وثمودا اي اهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم اي قد تبين لكم من مساكنهم ما تعرفون انهم انما اهلكوا بالذي انتم عليه وهو التكذيب والرد باخبار تعتقدونها وبآثار تشاهدونها وهو كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون والله اعلم وقوله عز وجل وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي زين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لكم وصدهم عن السبيل كما صدكم وكانوا مستبصرين اختلف فيه قال بعضهم اي كانوا يحسبون انهم على هدى وحق وقال بعضهم كانوا مستبصرين اي كانوا عالمين بان العذاب ينزل بهم بما شاهدوا وعاينوا من اثار من تقدمهم وعلمهم بانهم اهلكوا بالذي هم عليه لكنهم عاندوا وقال بعضهم كانوا مستبصرين اي هالكين في الضلالة وقال بعضهم وكانوا مستبصرين اي كانوا بصراء

علما في انفسهم يرجون الحق من الباطل ليس كغيرهم من الامم الاخرى انهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والآية على ما يدعون اليه حيث قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة وقال قوم صالح فأت بآية ان كنت من الصادقين ونحوه وقال قتادة مستبصرين اي معجبين بضلالتهم وقوله
عز وجل وقارون وفرعون وهامان اي اهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم موسى فتهلكون انتم يا اهل مكة بتكذيبكم محمدا وقوله
عز وجل ولقد جاءهم موسى بالبينات اي كذبوا بعد ما جاءهم موسى بالبينات على نبوته ورسالته كما جاءكم محمد وقوله عز وجل فاستكبروا في
الارض جائز ان يكون استكبروا وابوا ان يخضعوا لموسى واستكبروا في الارض بالفساد تكبرا واستكبارا وما كانوا سابقين اي فائتين
عن عذاب الله وقوله عز وجل فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي الحجارة وهم قوم لوط وقوم هود اهلكوا بالريح العاصف
حيث قال وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم قال ابو معاذ الحاصب عند العرب الريح التي
فيها الحصباء وهو صغار من الحصى ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وقوم شعيب وهؤلاء ومنهم من خسفنا به الارض قارون واصحابه
ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون يذكر اهلاك هذه الامم والجبابرة لاهل مكة ولغيرهم من الكفرة وقد تواترت عليهم بذلك الاخبار وظهرت
لهم الاعلام والآثار ليرتدعوا عما هم عليه ولئلا يعاملوا رسولهم كما عامل اولئك رسلهم فيعذبون كما عذب اولئك وقوله عز وجل وما كان الله
ليظلمهم في تعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث كذبوا الرسل وكابروا آيات الله وحججه وبراهينه وعاندوها والله اعلم
ابو عوسجة قوله سيء بهم اي اغتم من ذلك يقال سيئت بفلان اساءه سوءا فانا اسيء وقوله عز وجل جاثمين اي لزموا بالارض وكانوا مستبصرين
اي قد علموا والمستبصر العالم فاخذتهم الصيحة اي صيح بهم فماتوا والعنكبوت هذه التي تغزل وهي دويبة كثيرة القوائم وعناكب جميع
وقوله عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يشبه ان يكون ضرب مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء ببيت العنكبوت هم الرؤساء منهم والمتبوعون يقول والله اعلم مثل اتخاذكم اولياء من دون الله وما تأملون منهم كمثل
بيت العنكبوت لا ينفع ولا يغني ما يؤمل من البيت من دفع الحر والبرد وغيره فعلى ذلك اتخاذكم واتباعكم هؤلاء اولياء من دون الله مثل
ما ذكر لا ينفع ولا يغني ولا يدفع عنكم ما ينزل بكم وهو ما قال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض الآية ظاهر ما ذكر من الاولياء ان يكون المتبوعين منهم وجائز ان يكون الاصنام التي اتخذوها آلهة ضرب مثل عبادتهم الاصنام
واتخاذهم اياها آلهة ببيت العنكبوت وذلك ان العنكبوت اتخذت البيت رجاء ان تنتفع به كما ينتفع بالبيوت في دفع الحر
والبرد والمس والحجاب فلما ان وقعت الحاجة اليه لم ينتفع كما كان يأمل منه في شيء ما كانت تأمل فعلى ذلك هؤلاء الذين اتخذوا الاصنام
آلهة ومعبودا رجاء ان ينفعهم ذلك يوما فلما ان وقعت لهم الحاجة لم يجدوا ما كانوا يأملون من عبادتهم اياها واتخاذهم آلهة بل في
بيت العنكبوت للعنكبوت شيء من المنفعة وليس لاولئك الكفرة بتلك الاصنام شيء مما كانوا يأملون فهي دون بيت العنكبوت في النفع
لكنه والله اعلم ضرب مثلها ببيت العنكبوت لما لا شيء اوهن واضعف عند الخلق من بيتها وهو ما شبه اعمال الكفرة برماد اشتدت به
الريح وبسراب بقيعة لما ليس شيء اضيع ولا ابعد في الوجود والقدرة عليه في الوهم مما ذكر فشبه اعمالهم به فعلى ذلك تشبيه اتخاذهم
الاصنام آلهة واولياء من دون الله ببيت العنكبوت والله اعلم وقوله عز وجل وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اي اضعف وابعد من
المنفعة بيت العنكبوت فعلى ذلك عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها معبودا اوهن وابعد مما يأملون لو كانوا يعلمون اي ان كانوا يعلمون
ضعفها وعجزها والله اعلم وقوله ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء والله اعلم ان الله لم يزل عالما بما يكون منهم من اتخاذهم الاصنام
معبودا وانه عن علم امتحنهم ذلك لا عن غفلة وسهو لكن امتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لحاجة ومنفعة له في امتحانه اياهم وهو ما قال
ان الله لغني عن العالمين وقال ههنا وهو العزيز الحكيم العزيز قيل انه المنيع وقيل انه الذي يذل كل شيء دونه ولكن العزيز عندنا هو الذي لا يغلب
سلطانه شيء ولا يقهر ملكه شيء ويعلو سلطانه وارادته على جميع الاشياء ويقهرها والحكيم قيل الذي له الحكم وقيل هو المصيب وقيل هو
الذي يضع كل شيء موضعه والحكيم عندنا هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير والله اعلم وقوله عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون فان قيل ذكر انه لا يعقلها الا العالمون والعقل يسبق العلم بالشيء اذ بالعقل يعلم ما يعلم فكيف ذكر انه لا يعقل الا العالمون ولم يقل
وما يعقلها الا العاقلون قيل والله اعلم لوجوه احدها ان الامثال انما تضرب لتقريب ما يبعد عن الاوهام وكشف ما استتر من الاشياء
على الافهام وتجليتها عما خفيت فلا يعقل الامثال انها لماذا ضربت الا العالم والثاني ان العقول تعرف اسباب الاشياء ودلائلها فاما ان
تعرف حقائق الاشياء وانفسها فلا من نحو السالك والطريق الى البلدان تعرف مسالكها وطرقها التي بها يوصل اليها فاما اعينها فلا وكذا
المراقي التي بها يعلو ويرتفع فاعين العلو فلا واما العلم فانه به يوصل الى معرفة حقائق الاشياء وانفسها وصورها لذلك كان ما ذكر
والثالث ان يكون قوله وما يعقلها اي وما ينتفع بما ذكر الا العالمون وهو كما قال صم بكم عمي نفى عنهم هذه الحواس وان كانت لهم
نفس تلك الحواس لما لم يستعملوها فيما جعلت وانشئت ولم ينتفعوا بها نفى عنهم تلك فعلى ذلك جائز ان يكون قوله وما يعقلها الا
العالمون اي ما ينتفع بما يعقل الا العالم فاما من لم ينتفع فلا يعقل والله اعلم وقوله عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق يحتمل
قوله بالحق اي لعاقبة وهو البعث لانه لم يخلقهما لانفسهما وكذلك لم يخلق الدنيا لها ولكن انما خلقها للآخرة اذ بالآخرة يصير خلقها
حكمة وحقا لانه لو لم يكن خلقها لعاقبة كان خلقها عبثا باطلا وهو ما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن

الذين كفروا الآية لا كافر يظن انه خلقهما باطلا ولكن لما تركوا الايمان بالبعث وانكروا البعث كانهم ظنوا انه خلقهما باطلا اذ لولا البعث
كان خلقهما باطلا وعبثا فانما صار خلقهما حقا وحكمة بالبعث فاذا انكروا ما به صار خلقهما حكمة وحقا فقد ظنوا الباطل بخلقهما
نسأل الله التوفيق والصواب ويحتمل قوله خلقهما بالحق اي للحق لانهما تدلان على وحدانية الله وربوبيته وتعاليه عن الاشباه و
الشركاء وجميع الآفات او ان يكون بالحق الذي لله عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والله اعلم ان في ذلك لآيات للمؤمنين خص لمن
آمن بها وآمن ذلك المنتفع بها فاما من لم يكن وجحد وكذب بها فهو آية عليه لا له والله اعلم اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة جائز ان
يكون قوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم به الصلوة اي بالكتاب الذي اوحي اليك ويحتمل اتل ما اوحي اليك من الكتاب عليهم واقم بهم
الصلوة فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد على ما ذكرنا في سائر الخطابات والله اعلم وقوله عز وجل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر هذا يخرج على وجهين احدهما على الامتنان والثاني على الالزام فاما وجه الامتنان هو ان جعل لكم الصلوة تنهاكم عن الفحشاء و
المنكر ما لو لم يجعلها لكم لا شيء ينهاكم عن الفحشاء والمنكر فمن عليهم بجعل الصلوة لهم لما ينفعهم عما ذكر واما وجه الالزام فانه يخرج على
وجهين احدهما ان الصلوة لو كان من هو حاتما النطق والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر على ما اضاف التعزير والتزيين الى الحيوة
الدنيا اي لو كان هذا الذي كان من الدنيا كان منه التعزير كان ذلك تعزيرا فعلى ذلك الصلوة لو كان منها حقيقة الامر والنهي لكانت
تنهى عن الفحشاء والمنكر والثاني اضيف النهي الى الصلوة لما بها يعرف ذلك فيضاف الاشياء الى الاسباب وان لم يكن حقيقة ما اضيف اليها
نحو ما يضاف الامر والنهي الى الكتاب والسنة ونحوه يقال امرنا الكتاب بكذا والسنة بكذا ونهانا عن كذا وان لم يكن منها امر حقيقة ولا نهي
لما بهما يعرف الامر والنهي وهما سببا ذلك فعلى ذلك جائز اضافة النهي الى الصلوة ان يكون على هذا السبيل وقوله عز وجل ولذكر الله اكبر اختلف
فيه قال بعضهم ذكر الله الاكبر في العبادات من نفس تلك العبادات وجه هذا والله اعلم ان العبادات انما تكون بجوارح يغلب ويقهر
ويستعمل فلا يعرف ذلك انها لله الا بالتأويل واما ذكر الله انما يكون باللسان والقلب وهما لا يغلبان ولا يستعملان ولا يقهران فهو يعرف
ان ذلك لله حقيقة فهو اكبر وقال بعضهم ولذكر الله اكبر من صلواتكم لا ذكر والتي ليست لله هذا ليس فيه كبير حكمة لان ذلك يعرفه كل احد
وقال بعضهم ذكر الله اكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلوة وقال بعضهم ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه لان ذكره اياكم رحمة ومغفرة
وذلك مما يعد له ولا يوازيه شيء واما العبد فانه يذكر ربه بأدنى شيء وقال بعضهم ذكر الله اكبر اي ما وفق الله العبد من ذكره اياه وطاعته
اكبر من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة وذكر في حرف ابن مسعود وابي وحفصة ان الصلوة تأمر بالمعروف تنهى عن الفحشاء والمنكر
وعن الحسن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا ولم يزدد بها عند الله
الا مقتا وعن سلمان الفارسي قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لهذا وجهان احدهما يقول ذكر الله
اكبر مما سواه من اعمال البر والآخر يقول ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه والضحاك يقول لا يزال العبد يذكر الله عندما احل له وحرم
عليه فيأخذ بما احل له ويجتنب ما حرم عليه وقتادة يقول لا شيء اكبر من ذكر الله واصله ما ذكرنا من الوجوه التي تقدم ذكرها وقوله
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال بعضهم تنهى وتمنع ما دام فيها الا يعمل بالفحشاء والمنكر والثاني ان الصلوة تأمر بالمعروف و
تنهى عن الفحشاء والمنكر اي لو كان لها النطق والامر والنهي لكانت تنهى عما ذكر والوجه فيه ما ذكرنا بديا والله اعلم وقوله عز وجل
والله يعلم ما تصنعون وعيد ليكونوا ابدا على حذر ويقظة وقوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا منهم الآية يخرج على وجوه ثلاثة احدها ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم الا
بالتي هي احسن ولا غيره وهم الذين لا يقبلون الحجة ولا يؤمنون اذا لزمتهم الحجة وهم اهل عناد ومكابرة والاول يقبلون الحجة و
يؤمنون بها والثاني ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فقوله الا الذين ظلموا منهم ليس على الثنيا من الاول ولكن على الابتداء
كانه قال الذين ظلموا منهم قولوا آمنا بالذي انزل الينا الى آخر ما ذكر اي قولوا لهم هذا ولا تجادلوهم فانكم وان جادلتم اياهم فلا يؤمنون
وهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني وقوله الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم ليس
على الثنيا من الاول ولكن ابتداء نهي اي لا تخشوهم واخشوني فعلى ذلك يحتمل الاول مثله والثالث وجائز ان يكون قوله وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا وانزل اليكم الى آخر ما ذكر هي المجادلة الحسنة التي امر بها لان ذلك مما يقبلها العقل والطبع وبها جاءت الكتب
والرسل فلا سبيل الى رد ذلك وقال بعضهم ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي جادلوا الذين يصدقون منهم ولا يكتمون
نعت محمد وما في كتبهم من الحق فاما الذين ظلموا انهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم وهو كقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
والاول كقوله تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية والمجادلة الحسنة هي التي جاء بها الكتاب ويوجبها العقل ثم فيه دلالة تجويز
المناظرة والمجادلة مع الكفرة في الدين وكذلك في قوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ليس كما يقول بعضهم انه لا يجوز المناظرة
معهم وذلك لجهلهم بحجج الاسلام وبراهينه ما ينهون عن المجادلة والمناظرة معهم وقال بعضهم من لا عهد معهم فجادلهم
بالسيوف ومن كان معه عهد وكتاب فجادلهم بالحجج وقال بعضهم هو منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية ومنهم
من يقول من ادى اليكم الجزية فلا تغلظوا لهم القول وقولوا لهم قولا حسنا ومن لم يؤد فاغلظوا لهم وجادلوهم بالسيف والله اعلم وقوله

عز وجل وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي كما اخبرناك في الكتاب فتقول لهم ادعاتهم وقوله عز وجل فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به
يخرج على وجهين احدهما الذين اتيناهم الكتاب فيتلونه حق تلاوته فهم يؤمنون به على ما ذكر في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون به فيكون هذه الاية تفسير الاولى وان من لم يتلوه حق تلاوته ولا يؤمنون به والثاني فالذين اتيناهم الكتاب
وانتفعوا به اي يؤمنون بالذين اوتوا منافع الكتاب ومن هؤلاء من يؤمن به يحتمل قوله ومن هؤلاء اي من اهل مكة من يؤمن به وقد امن
كثير منهم وجايز ان يكون اشارة الى قوم كانوا بحضرته فقال ومن هؤلاء من يؤمن به والله اعلم وما يجحد باياتنا الا الكافرون
وقال قتادة لا يكون الجحود الا بعد معرفة ان اليهود والنصارى عرفوه كما عرفوا ابناءهم لكنهم جحدوه وكل من انكر شيئا فقد
جحده عرفه او لم يعرفه وقوله عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك تاويله والله اعلم اي ما كنت تتلوا
لارتاب المبطلون فيقولون انما انباتهم من الانباء المتقدمة او كلام الحكمة انما تلقفت واخذت من تلك الكتب المتقدمة وكتب
الحكماء ولو كنت تخط بيمينك يقولون ان ذلك من تاليفك ووصفك لان القران حجة عليهم من وجهين احدهما ما ذكر فيه من
الانباء المتقدمة المترجمة بغير لسان المتقدم ما علموا باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرفها بحج ولا شهدها ولم
انباهم على ما كان فعلموا انه بالله عرفها والثاني هو انه معجزة نظما ووصفا ما يعلمون انه ليس من نظم البشر ولا وصفه يقول ما كنت
تتلوا من قبله كتابا فيه تلك الانباء والحكمة ولا تخطه بيمينك فيقولون من تاليفك او من نظمك فلو كنت كذلك اذا لارتاب المبطلون
بما ذكرنا على عناد منهم ومكابرة ولا يرتاب المحقون وان كان كما ذكر لما عرفوا صدقه باشياء وبايات كانت فيه وقال بعضهم في قوله
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب يقول قبل القران ولا تخطه بيمينك اي لا تكتبه بيدك ولو كنت تقرا كتابا من قبله او كنت تكتب بيدك
اذا لارتاب المبطلون يقول لاتهموك هذا قد ذكرناه ولكن نقول في قوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يقول بل هو
اليقين انك لا تقرا ولا تكتب عند الذين اوتوا العلم وهم مؤمنو اهل الكتاب من نحو عبد الله بن سلام واصحابه وقوله عز وجل بل هو
ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحتمل القران اذ فيه ايات وحدانية الله وحججه وايات البعث وحججه او ايات ويحتمل قوله
بل هو ايات بينات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منذ ولد ما نشا الى ان انزل الامر اية لما ذكر من النور في وجه ابيه ما دام في صلبه ثم
في وجه امه اذ وقع في رحمها ثم من ضياء الليلة التي ولد فيها ثم من ظل السحاب الذي اظله وقت ما خرج من وطنه وامثال ذلك
كثيرا لا يقدر احصاؤه والله اعلم فذلك كله يدل على رسالته ونبوته لا يرتاب فيه الا المبطل المعاند المكابر وقوله عز وجل في صدور
الذين اوتوا العلم جايز ان يكون قوله في صدور الذين اوتوا العلم اي اوتوا منافع العلم اي هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا منافع
العلم فاما من لم يؤت منافع العلم فلا وقوله وما يجحد باياتنا الا الظالمون يحتمل الظالم ظالم الايات لما لم يضعوها في موضعها او
يحتمل الظالمون الكافرون وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه وفي بعض القراءات اية من ربه على الوحدان فكانهم سالوا
مرة اية كقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية وانما سالوا ما شاء بعد السؤال ومرة سالوه ايات كقولهم لولا انزل عليه ملك فيكون
معه نذيرا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة ياكل منها وكقولهم او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الاية
ونحوها من الايات التي سالوها فمرة سالوها ايات ومرة سالوه اية فيقول من قال اختار قراءة اية على قراءة اية محال اذا ثبتت
قراءة فاخبر عز وجل على ما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انما الايات عند الله اي من عنده يجيء الايات فكانهم انما سالوه
ايات قاهرة يقهرهم ويضطرهم على القبول ولا اقبال اليه الايات يكون في ذلك وجه الاختيار لكن سؤال العناد والمكابرة لا سؤال
استرشاد واستهداء قوله ان الله قد عفا عن هذه الامة عن انزال ما به هلاكهم على اثر سؤال العناد والمكابرة وان كان في غيرها
من الامم السالفة تنزل عليهم الهلاك والعذاب على اثر سؤال العناد والمكابرة والله اعلم وقوله عز وجل وانما انا نذير مبين
هذا يحتمل وجهين احدهما [illegible] والثاني انما انا نذير مبين [illegible]
الا الانذار [illegible] فليس علي [illegible] من حسابهم من شيء [illegible]
ونحوه وقوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم [illegible]
حيث قال ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون [illegible] الاسترشاد والانصاف [illegible] العناد والتكابر [illegible]
ان في ذلك فيما انزل من الكتاب عليك لرحمة اي رشدا وذكرى اي عظة لقوم يؤمنون وقوله عز وجل قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا هذا يقال بوجهين احدهما [illegible]
[illegible] الحق
ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون وقوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب [illegible]
استعجالهم العذاب سؤالهم الايات [illegible] مخرج الاستهزاء بالرسل والتعنت والتلبيس على
الاتباع والضعفاء لانهم [illegible] هذه الامة [illegible] كما اهلك الامم المتقدمة
بالعناد والاستهزاء بالرسل [illegible] سالوا الرسول العذاب الذي وعدهم

والايات

بالايات القاهرة ووعدوا الايمان لو جاءهم بها واقسموا على ذلك بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وتلبيسا على اتباعهم
وضعفائهم يرونهم انهم على حق في الايمان فيما يدعوهم الرسول فانه لو اتى بالايات لامنوا به ويتبعونه وهم فيما يسالون من الايات
والعذاب عالمون انهم معاندون مكذبون متمردون ملبسون يموهون على الاتباع والسفلة لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولولا
اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة الاية فانه قال لنا لنحري انه حيث اخر عنهم العذاب وامهلهم علم منهم انهم يستعجلون
ذلك ولم يعلم ذلك فان قلت على غير علم منهم فقد اثبت الجهل له وان قلت على علم منه ذلك فكيف امهل ذلك وقد علم ما يكون منهم
قيل امهاله العذاب عنهم وضربه الاجل رحمة منه لهم وفضل كانه قال ولولا رحمة التي جعل لهم على نفسه لجاءهم العذاب كما جاء الامم
الخالية عند سؤالهم الرسل العذاب والايات بالعناد والاستهزاء وهو كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين حيث لم يستاصلهم
استئصال وتلك وقوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يحتمل قوله وان جهنم اي عذاب جهنم محيط
يومئذ بالكافرين او لنا محيطة بالكافرين وجايز ان يكون اي يستعجلونك بالعذاب وان اعمال اهل جهنم واسبابها التي توجب لهم
جهنم محيط بهم كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على الاعمال والاسباب التي توجب لهم النار والا لا احد يصبر على النار فعلى
ذلك جايز وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي اسباب جهنم واعمالهم التي توجب لهم جهنم والنار محيطة بهم والله اعلم وقوله عز وجل
يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ظاهر وقوله عز وجل يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون في الاية بشارة ونذارة واما البشارة فقوله ان ارضي واسعة وعد لهم السعة
في المكان المنتقل اليه والتحول كما كان لهم في مقامهم والنذارة والتحذير قوله ان ارضي واسعة فلا تقيموا في ارضكم ثم الامر
بالخروج والهجرة عن ارضهم الى اخرى يخرج على وجهين احدهما لما لا يقدرون على اظهار دين الله خوفا على انفسهم منهم وكان لكنهم
امروا بالخروج والهجرة عنها الى ارض يقدرون على اظهاره والقيام به والثاني ان كانوا يقدرون على اظهار دينهم لكنهم لا يقدرون
القيام على تغيير المناكير عليهم والامر بالمعروف فامروا بالخروج منها الى الارض ليس بها مناكير وان كانت بها يقدرون على تغييرها
والامر بالمعروف بها يحتمل هذا جايز ان يامر الناس بالتحول من ارض الى اخرى انا لم يقدروا على تغيير المنكر ودفعه وليس كالرسل لان
سائر الناس اذا كثر سماعهم المنكر يخف ذلك على قلوبهم وتميل اليه القلوب وتسكن وتطمئن فيؤمرون بالخروج عنها والتحول الى اخرى
لئلا يميل ولا يسكن اليه قلوبهم واما الرسل وان كثر سماعهم المنكر فان قلوبهم لا تميل ولا تلين ولا تسكن اليه ابدا بل يزداد لهم شدة
وصلابة في ذلك ونفارا عن قلوبهم لذلك اختلف امر الرسل وغيرهم او ان يكون لا يؤمرون بالخروج ولا يؤذن لهم لما هم انما بعثوا الى
اهل الكفر والمنكر يدعوهم الى دين الله فلا يحتمل ان يؤذن لهم بالخروج والهجرة الى اخرى وما ليهم بعثوا اليدعوهم الى دين الله فقوله ان ارضي
واسعة هو ما ذكرنا امروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ولا يمنعهم عن ذلك خوف ضيق العيش في غيره لما يفتح لهم عز اسمه وجعل فهم
اهل قراباتهم ومعرفتهم لما وعد لهم جل وعلا التوسيع عليهم لو خرجوا وهاجروا اشفاقا على دينهم وكذلك روي عن الحسن عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض اخرى وان كانت شبرا وجبت له الجنة ويبعث مع ابيه ابراهيم ونبيه محمد ونحو
من الكلام وعلى مثل ذلك جاء مثاله نادرا من السلف في تاويل الاية اذا دعيتم الى المعاصي فاهربوا في الارض فان ارض الله واسعة وقال
بعضهم اذا عمل بالمعاصي في الارض فاهربوا الى اخرى فان ارضي واسعة وهو ما ذكر وامروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ووعد لهم السعة
والحسنة في الدنيا وفي الاخرة اعظم منها وهو ما قال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة
اكبر اعظم لو كانوا يعلمون وقال هذه الاية ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي ان ارضي واسعة فان منعتم عن عبادتي في ارض فاخرجوا
منها الى اخرى فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فان ارضي واسعة فلا عذر لكم بالمقام في الارض تمنعون عن عبادتي واظهار ديني الا المستضعفين
الذين استثناهم في اية اخرى حيث قال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا عذرهم بما
فيهم من الضعف لترك الخروج والمقام بين اظهرهم وكتمان الايمان والعبادة له سرا وان لم يقدروا على اظهاره فاما من كانت له حيلة
الخروج ثم لم يخرج وقوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت ذكر هذا والله اعلم على اثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة خوف ضيق العيش
يقول والله اعلم ان كل نفس تذوق الموت فاذا استوفت رزقها لا محالة ولا تذوق ما استوفيتها رزقها فلا يمنعكم خوف ضيق العيش فانها
تذوق ذلك لا محالة خرجت او لم تخرج اذا استوفت رزقها وهو ما قال قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لو كان المكتوب عليه القتل برز لا محالة حتى يقتل فعلى ذلك المكتوب عليه الموت يموت لا محالة خرج او اقام والله اعلم ثم الينا
ترجعون وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا يقال بواها انزلها وهيا لنثوينهم من الثواء وهو
الاقامة وقال القتبي هو من رتب بالمكان اذا اقام به وبالباء لنبوئنهم اي لننزلنهم [illegible] لانهم يقيمون فيه
الثوا الاقامة وقال ابو معاذ بواها هياها والثوى المنزل والثاوي الضيف خالدين فيها نعم اجر العاملين اي ثوابهم وجزاؤهم وقوله
عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون يحتمل قوله الذين صبروا اي خرجوا وهاجروا وصبروا على الهجرة وعلى ربهم توكلوا في الخروج والرزق
والذين صبروا على الطاعات واداء الفرائض وان يكون الصبر كناية وعبارة عن الايمان اي الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون به يثقون ويتوكلون

كقوله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور ولكل مؤمن ومحمد بن اسحق يقول نزلت الاية بمكة فى ضعفاء مسلمى مكة يقول ان كنتم فى ضيق بمكة
ظلما والايمان بها فان ارضى المدينة واسعة فاياى فاعبدون بها علانية ثم خوف بالموت ليهاجروا فقال كل نفس ذائقة الموت ثم الينا
ترجعون فى الاخرة ثم نعتهم فقال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فى هجرتهم وذلك ان احدهم كان يقول بمكة كيف اهاجر الى المدينة و
ليس لى بها مال ولا معيشة فوعظهم بما ذكر وقوله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم من الناس من يجعل الاية صلة
قوله يا عبادى الذين امنوا ان ارضى واسعة انهم امروا بالهجرة من بلدهم والخروج من مقامهم ليسلم لهم دينهم فاشتد ذلك عليهم وضاق بذلك
ذرعهم لضيق العيش عليهم هنالك لما لا يتهيا لهم ولا يتاتى لهم حمل اموالهم والمكاسب التى بها يتعيشون فى بلدهم ويتسعون بها فاخبر
ان له خلائق يرزقهم حيث ما توجهوا وحيث ما كانوا لا يحملون مع شيئا من الرزق بل يرزقهم حيث ما كانوا فعلى ذلك هو يرزقكم
حيث ما كنتم حملتم مع انفسكم شيئا من الاموال والمكاسب او لم تحملوا فلا تضيقن صدوركم بترككم الاموال والمكاسب فى بلدكم
وجائز ان يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على ابتداء تذكير وتنبيه البشر لئلا يعلقوا قلوبهم باسباب الرزق لان البشر فضل
تعلق القلوب باسباب المعاش والرزق ما ليس ذلك لغيرهم فيخبر ان الرزق ليس يتعلق بالاسباب بل يرزق بسبب وبغير سبب
اذ قد يرزق ويبسط من ليس له من الاسباب شىء نحو ما ذكر من رزق الطير والدواب وغير ذلك من البشر الذى يرزقون
بلا اسباب ومكاسب وهو ما قال يرزقه من حيث لا يحتسب واكثر الارزاق يكون للناس بلا اسباب ومكاسب ولذلك
ذكر والله اعلم على اثر ذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يبسط لمن يشاء وان لم يكن له سبب ويقدر على
من يشاء وان كان معه سبب لئلا يعلقوا قلوبهم فى الرزق بالاسباب والمكاسب وعلى قول المعتزلة ان الله لا يبسط ولا
يبسط الرزق لمن يشاء لانهم لا يجعلون لله فى الاسباب والمكاسب صنعا وانما يجعلون منه خلق اصول الاشياء من الانبات و
الاخراج من الارض واما غير ذلك فهو كله للخلق على قولهم فذلك النبات والخارج منها الكل ليس لبعضهم بذلك ولمن بعض [illegible]
[illegible]
يقول بعضهم قل الحمد لله على اقرارهم بذلك كله انه خلق الله وان ذلك كله منه والله اعلم وقوله عز وجل بل اكثرهم لا يعقلون اى لا ينتفعون
بعقولهم نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بتلك الحواس فعلى ذلك هذا والثانى
لم يعقلوا لما تركوا النظر والتفكر فى الاسباب بها يعقل الاشياء والله اعلم وقوله عز وجل وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب قوله انما
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لو كان الامر على ظاهر ما نطق به الكتاب دون معانى تودع فيه وحكمة تجعل فيه على ما يحمله بعض الناس
لكان لاهل الالحاد فى ذلك مطعن لانه يقول ما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وهو خلقها لهوا ولعبا وهو خلقها دعوى التناقض فيه
حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال فى اية اخرى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين فلو جمع بين
هذا وبين الاول فهو فى الظاهر متناقض اذ يذكر فى بعضها انه لم يخلقها باطلا لعبا ويذكر فى بعضها ان الحيوة الدنيا لهو ولعب وهو
خلقها لكن تاويل قوله وما هذه الحيوة الدنيا على ما تعدون انتم وعلى ما عندكم الا لهو ولعب فاما ما عند اهل التوحيد وما فى
تقديرهم فهى حكمة وحق ثم هو ما ذكر من اللهو واللعب عندهم يخرج على وجهين احدهما انهم يرون ان خلق الانسان وجعل بناءه من نطفة
ثم حولها الى علقة ثم الى مضغة ثم الى الانسان الذى صور ركبه من احواله فلا يحتمل ان يخلقه ويحيى له من حال الى الاحوال التى ذكر
ثم يفنيه بلا عاقبة يجعل لهم ولا منفعة فيكون كما ذكر ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا صير نقضها الغزل من بعد
احكامها اياه بلا انتفاع به لهوا ولعبا فعلى ذلك خلق الحيوة الدنيا وخلق ما فيها من العالم بعد احكامه ونحوه لها الاحوال وتحويلها
بعد تحويل واحكاما بعد احكام للفناء خاصة على ما يقدرون لكان الكون بلا عاقبة يجعل لهم او منفعة لهو ولعب وسفه باطل على
ما ظنوا اولئك وقدروه فاما ما فى تقدير اهل التوحيد واهل الايمان من العاقبة لهم فهو حكمة وحق والثانى معنى اللهو واللعب الذى
ذكر على ما عندهم هو ان الجمع والتسوية بين العدو والولى وبين العاصى والمطيع وبين المخالف والموافق سفه باطل وقد سوى بينهم
فى هذه الدنيا واشركهم جميعا فى نعيمها وسعتها وشرتها وخيرها وشرها يتمتع الولى فيها كما يتمتع العدو ويبتلى فيها المطيع كما يبتلى العاصى
فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق بين الولى والعدو وبين المطيع والعاصى لكان خلقه اياهم فى الحيوة الدنيا سفها وباطلا اذ سوى بينهم

فهذه الدنيا ما شركهم جميعا فهذه او ان يكون الحيوة الدنيا على ما اتخذوها هم وجعلوا فيها لهوا ولعبا او ان يقال الحيوة الدنيا بحيوة
الاخرة لهو ولعب لانها اخذت فانية منقطعة وخلقت حيوة الاخرة باقية دائمة فهو كما قال قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير اى متاع الدنيا
قليل عند متاع الاخرة لان متاع الدنيا فان منقطع ومتاع الاخرة دائم باق وقوله عز وجل وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى هى دار ال
الحيوة لا موت فيها ولا انقطاع ولا فناء لو كانوا يعلمون ان الدار الاخرة هى الدار التى لا موت فيها والله اعلم وقوله عز وجل فاذا ركبوا
فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية على المعتزلة فى قولهم ان على الله الاصلح لهم فى الدين لانه اخبر انهم اخلصوا الدين لله اذا ركبوا
فى الفلك ولا شك ان ذلك لهم اصلح فى الدين ثم لم يبقهم على تلك الحال ليكونوا على ذلك الاخلاص بل اخرجهم منها فعادوا الى ما كانوا
فدل ذلك انه ليس عليه حفظ الاصلح لهم فى الدين وقوله عز وجل ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون قوله ليكفروا اى انجاهم
ليكفروا على ما علم منهم انهم يكفرون وقد علم انه يكون منهم الكفر فانجاهم الى البر ليكون منهم ما قد علم انه يكون ويختارون وكان
اخلاصهم الدعاء فى الفلك لم يكن اخلاص اختيار ولكن اخلاص دفع البلاء عن انفسهم اذ لو كان ذلك اخلاص اختيار لا دفع البلاء
لكانوا لا يتركون ذلك فى الاحوال كلها فهذه الاية وان كانت فى اهل الكفر ففى ذلك ايضا توبيخ لاهل الاسلام لانهم لا يتعودون بالشكر
لله واخلاص العبادة له فى حال السعة له والنعمة كما يكونون فى حال الضيق والشدة فينبههم ليكونوا فى الاحوال كلها مخلصين العمل لله
شاكرين له لئلا يكون عملهم على حرف وجهة كعمل اهل النفاق وكعمل وتلك الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل فانى يؤفكون قيل يكذبون وقيل
يبدلون وقيل يكون يؤفكون ويحقون والماذون الاحق الا فى الاحمق وقوله عز وجل فسوف يعلمون اى سوف يعلمون صدق قولى ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه كما عادوا الى ما كانوا فاصلين انا نجاهم من الاحوال التى بلوا بها اى سوف يعلمون ما اوعدهم الرسل وفى قوله وما هذه
الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وجه اخر وهو ان يقال ما هذه المحاسن والاعمال التى تعملون وتعدون محاسن وصلاحا فى هذه الدنيا الا لهو ولعب
لما لا تبقى ولا ينتفعون بها الا ما ابتغى بها وجه الله والدار الاخرة وهو ما قال وان الدار الاخرة لهى الحيوان هى الباقية الدائمة لو كانوا يعلمون
وقوله عز وجل اولم يروا انا جعلنا حرما امنا قد ذكرنا فى غير موضع ان الاستفهام من الله يخرج مخرج الالزام والايجاب ويخرج مخرج
الخبر لا على حقيقة الاستفهام لانه عالم بذاته يعلم ما فى باطنهم وظاهرهم وما يسرون وما يعلنون بما كان ويكون لا يستفهم عباده
شيئا ولكنه يخرج على ما ذكرنا على الخبر وعلى الالزام والايجاب فالخبر كانه يقول قد دانوا وان علموا ان الله جعل الحرام امنا لهم يامنون
فيه وكان الناس حولهم يتخطفون ويخافون والالزام والايجاب ان يقول لهم اعلموا ان الله جعل الحرم لكم امنا تامنون فيه والناس
من حولكم على خوف يسلبون ويسبون ويقتلون ثم يخرج تذكيره اياهم هذا على وجهين احدهما ان الله قد جعل لكم الحرم امنا تامنون
فيه لتعظيمكم حرم الله وبيته والناس حولكم على خوف وانتم تشاركون من حولكم فى الدين فكيف تخافون الاختطاف والاستلاب
اذا دنتم بدينه واتبعتم رسوله فاذا امنكم بكونكم فى حرم الله وتعظيمكم بيته ودفع عنكم الاستلاب والاختطاف فكيف تخافون ذلك
اذا دنتم بدينه واتبعتم امره بل الامن والسعة اذا دنتم بدينه واتبعتم امره اكثر واحق لكنهم انما تركوا اتباع دينه خوفا من الاختطاف
كقولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال لهم اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شىء او يذكرهم انه قد امنكم وصرف
عنكم مع عبادتكم الاصنام وصرفكم الشكر اليها عند كل مكروه وسوء بكونكم فى مجاورة بيته وحرمه فاذا صرفتم العبادة اليه وشكرتم
نعمه لحق ان يؤمنكم ويوسع عليكم نعمه ويدفع عنكم ما لم يدفع عمن حولكم وانتم شركاؤهم فى عبادة الاصنام واتخاذهم اياها الهة على هذا
يخرج والله اعلم وقوله عز وجل افبالباطل يؤمنون يحتمل قوله افبالباطل اى بما اوحى اليكم ابليس من الباطل يؤمنون وهو ما ادى اليهم
ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الاية وقوله عز وجل
وبنعمة الله يكفرون اى بما اوحى اليكم محمد من الله يكفرون او ان يكون قوله افبالباطل يؤمنون اى بالشرك يؤمنون وبنعمة الله يكفرون اى
بتوحيد الله يكفرون او ان يكون النعمة ههنا هو القران او ما ذكرنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قد
ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على وجهين على الخبر مرة وعلى الايجاب تارة فالالزام اعلموا ان ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى
على الله كذبا وعلى الخبر اى قد علمتم انه ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله وقد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء والكذب فيما
بينكم فلو كذب والافتراء اوحش واقبح من الافتراء على الله فكيف افتريتم عليه وهو اوحش واقبح وقوله عز وجل او كذب بالحق
يحتمل كذب بالحق برسل الله او بالقران الذى عجزوا عن اتيان مثله او بالتوحيد او كذب بالحق الذى ظهر حقه وصدقه لما جاءه وقوله عز وجل
اليس فى جهنم مثوى للكافرين كانه يقول اعلم ان جهنم مثوى للكافرين يذكره على الصبر على اذاهم والتسلى لما كانوا يضيقون صدره لمكان
تركهم الايمان والاياس منهم وقوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يشبه ان يكون هذا صلة قوله وما هذه الحيوة الدنيا
الا لهو ولعب اى ليس من اجهد نفسه فى طلب الدنيا والعمل لها الا لهو ولعب واما من اجهد نفسه لله وطلب مرضاته فهو حق وله دار
الحيوة التى لا موت فيها ولا انقطاع ويشبه ان يكون على الابتداء لا على الصلة بالاول يقول والذين جاهدوا انفسهم فى هواها و
شهواتها وامانيها حقيقة ابتغاء مرضات الله وطلب الهداية والدين وسبيله لنهدينهم سبلنا ذكر السبل ههنا لما سبق ذكر الجماعة يقول
جاهدوا فينا لنهدينهم كل سبيل فيكون سبيلا للكل واما قوله ولا تتبعوا السبل ان السبل على الاطلاق على غير تقدم ذكر من الهدى وتخ

من الاضافة الى الله هو سبيل الشيطان والله اعلم وقوله عز وجل وان الله لمع المحسنين يحتمل قوله ان الله لمع المحسنين في التوفيق
لهم في الاحسان والاعمال الصالحة او مع المحسنين في النصر لهم والمعونة لهم مع اعدائهم ومع المحسنين بحفظهم دينهم ثم لم يفهم
احد من الخلق قوله لمع المحسنين ومع المتقين ما يفهم من الخلق وذوي الاجسام والجثث كيف فهم بعض الناس من قوله ثم استوى على
العرش وجاء ربك ويأتيهم في كذا ما يفهم من استواء الخلق ومجيئهم واتيانهم ليعلم ان فهم ذلك ما يفهم من الخلق بعيد محال وبالله العصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض وفي بعض القراآت غلبت الروم بفتح الغين على المستقبل يذكر اهل التاويل انه
انما يذكر هذا لان المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم اهل الكتاب وقد غلبتهم المجوس وانتم تزعمون
انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل على نبيكم فسنغلبكم كما غلب فارس الروم فانزل الله تعالى هذه الاية الم غلبت الروم في
ادنى الارض الاية لكن تذكر فاخره ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فلا يحتمل فرح المؤمنين بغلبة الروم على فارس
ويسمي ذلك نصر الله وهم كفار وغلبتهم عليهم معصية لهم الا ان يكون فرحهم بما يظهر الايمان بكتاب الله وتصديقها والعمل بها وهم
كانوا اهل كتب ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث مصدقا بكتب الله وبرسله اجمع ففرحوا بذلك فان كان كذلك فجايز الفرح
بذلك وتسميته نصر الله واما على الوجه الذي يقولون هم فلا وعندنا ان في تلك الاية عظيمة في اثبات رسالة نبينا محمد صلوات الله
عليه ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعنا ولا النسبة الى الكذب والافتراء على ما قالوا وطعنوا في سائر الايات والانباء و
قولهم انما يعلمه بشر ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القران والانبياء المتقدمة حيث قالوا ان هذا الا اساطير الاولين وما هذا الا
افك مفترى فلما لم يجدوا فيما اخبر من غلبة الروم على فارس لانها خبر عن غلبة ستكون وستحدث لا عن غلبة قد كانت ومثل
هذا لا يدرك البشر ولا يستفاد منهم اذ لا يبلغه علم البشر ويدرك بالقياس بالسابق منه الاسس فاذا كان على ما اخبر دل انه
بالله علم ذلك ويوحى منه اليه عرف ذلك وهم جائزان يستدلوا بما كان من قبل من غلبة فارس على الروم ان يقولوا تغلب فارس على
على الروم بما شاهدوا مرة او بوجه لم يستدلون بذلك من نحو ان يقولوا انهم اهل كتاب وعبادة يكونون مشاغيل بالنظر فيها
والعمل بجميع ما فيها لا يتفرغون للقتال والحرب او ان يقولوا انهم نصارى واعني اهل الروم وليس في سنتهم ومذهبهم القتال والحرب
فيستدلون بمثل هذه الوجوه على ان لا غلبة تكون لهم ولا ظفر واما اهل الاسلام ليس لهم شيء من تلك الوجوه ولا بغيرها وجه و
الاستدلال بغلبة اولئك مما قالوا ان الا وحيا من الله اليه واعلاما منه اياه فكان في ذلك اعظم اية صدق رسالته واكبرها فيكون
فرح المؤمنين وذكر نصر الله باظهار تلك الاية في تصديق رسوله اذ نصر رسوله حيث اظهر صدقه في رسالته وقوله غلبت وغلبت
غلبت على الماضي لما كان من غلبة فارس على الروم وغلبت بالفتح على المستقبل اي تغلب الروم على فارس وهو كقوله فقالوا ربنا
باعد بيننا اسفارنا على الامر في المستقبل وباعد بين اسفارنا على الخبر فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل في ادنى الارض قيل اقرب الى
ارض فارس وقال بعضهم ادنى الارض اي ادنى ارض الشام وقيل الارض التي تلي فارس والله اعلم وفي قولهم وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وفي قولهم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وفي قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وجوه على المعتزلة احدها يقال لهم
وعد ان يغلب الروم على فارس وقد اراد ان يخرج ما وعد حقا صدقا ام لا فان قالوا لا فقد اعظموا القول والفحش حيث زعموا انه
اراد ان لا يفي بما وعد انه يكون فان قالوا نعم قيل دل انه اراد ما فعلوا وان كان الفعل منهم فعل معصية وخلاف اذ حارب كل فريق صاحبه
معصية اذ لم يؤمروا بذلك وانما امروا بالاسلام فدل ان الله مريد لما يعلم انه يكون منهم وان كان منهم معصية والثاني ما اخبر فرح
المؤمنين بغلبة هؤلاء على اولئك على اي جهة كان فرحهم لاثبات آية عظيمة على رسالة نبيهم ونبوته على ما ذكرنا اولانهم كانوا
اهل كتاب الله ودراستها انجوا الغلبة عليهم وفرحوا بذلك ولا يحتمل ان يفرحوا بذلك ولم يامرهم بذلك ولا اراد منهم ذلك دل انه
انما فرحوا لما اراد ذلك والثالث في قوله بنصر الله ينصر من يشاء [illegible] وقد ذكر فعله
بعضهم [illegible] تقريبا وقوله عز وجل بضع سنين قيل البضع سبع وقيل ما دون العشر [illegible]
وكذلك ذكر في الخبر ان ابا بكر رضي الله عنه خاطر المشركين [illegible]
الروم على فارس فقال رسول الله [illegible]
حتى ظهرت الروم على فارس وفي بعض الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
ما بين الثلاث الى التسع [illegible] ثم ذكر الحديث ثم المسئلة في المخاطرة التي كانت
بين ابي بكر وبين اولئك الكفرة [illegible] وذلك كان قبل
الهجرة [illegible]
فالعقود في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الحرب وان كان مثله في دار الاسلام غير جايز [illegible]

عقد الربا

عقد الربوا في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الاسلام وان كان مثله في دار الاسلام غير جايز والثاني جاز ذلك يومئذ وان
كانت فيه جهالة اسنان الابل والجهالة في العقود انما تبطل العقود لخوف وقوع التنازع بينهم في الاخرة والتنازع في امثالها
لا يتوهم وقومه اذ كانوا اهل شرف وكرم واهل جود لا يتنازعون في امثالها فاذا كان التنازع في مثلها مرتفعا من بينهم جاز ذلك
ان يكون التنازع بينهم في الدين فاما في الاموال فعل ما يقع لما ذكرنا ومنهم من يقول كان جايزا ذلك في الجاهلية فاما اليوم فقد
جاء النهي عن القمار فنسخه واما عرف النهي عن الميسر والميسر هو القمار فيكون النهي عن الشيء نهيا عما هو في معناه والله اعلم وقوله
عز وجل لله الامر من قبل ومن بعد قال بعضهم لله الامر من قبل غلبة فارس الروم ومن بعد غلبة فارس الروم وقال لله الامر من قبل
حين ظهرت الفارس على الروم ومن بعد ما ظهرت الروم على فارس وجايز ان يكون قوله لله الامر في خلقه اي التدبير فيه وله الامر
فيهم اي ليس لاحد في الخلق امر ولا تدبير وانما ذلك وكقوله الا له الخلق والامر له التدبير فيهم والامر في قراءة من قرا غلبت
الروم بالنصب يكون قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون حين تظاهر عليهم المسلمون في اخر الزمان حين يفتح قسطنطينية وفي حرف
ابن مسعود وحفصة في بضع سنين قريبا وقوله عز وجل ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فرح المؤمنين بنصر الله
حيث نصر رسوله باظهار الاية له في اثبات الرسالة والنبوة وصدقه وذلك النصر له وما يقول بعض اهل التاويل نصر الروم على
فارس بعيد لان ما كان الفعل فعل معصية لا يقال نصر الله وانما يقال ذلك فيما كان الفعل فعل طاعة والوجه فيه ما ذكرنا انه نصر
رسوله بما ذكرنا وهو العزيز الرحيم ذكر العزيز على اثر ما سبق لانه عزيز بذاته فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب وهنا ولا نقصانا
في ملكه ونقصانه ليس كهلاك بعض عبيد ملوك الارض واتباعه وحشمه لان ملوك الارض اعزاء بذلك فاذا هلك ذلك ذهب
عزهم فاما الله سبحانه وتعالى اذ هو عزيز بذاته لا بشيء فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب نقصا ولا ذلا فيه وقوله عز وجل وعد الله
لا يخلف الله وعده انما يكون خلف الوعد في الشاهد لاحدى خصال ثلث اما الندامة استقبلته فيما وعد فيمنعه تلك الندامة
عن انجاز ما وعد وحفظ الوفاء له واما الحاجة وقعت له فيما وعد فتمنعه تلك الحاجة من وفاء ما وعد وانجاز ما اطمع
واما العجز يكون به لا يقدر على انجاز ما وعد فيحمله عجزه وفاء ما وعد وانجازه فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن الوجوه التي ذكرنا
كان ما وعد يحتمل الخلف منه ولا فوق الاباطه وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل قوله لا يعلمون لما لم ينظروا ولم
يتفكروا في الاسباب التي هي اسباب العلم بعد ما اعطاهم اسباب العلم لكنهم اذ تركوا النظر في الاسباب والتفكر فيها لم يعلموا
ثم لم يعذروا بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها ويحتمل قوله لا يعلمون اي لا ينتفعون بما علموا فنفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بهن بالحواس
وان كانوا لهم هذه الحواس وقوله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون يحتمل قوله يعلمون ظاهر الاشياء
في المنافع ولا يعلمون باطن المنافع بهم وكيف نحو ما يعلمون ان الماء به حيوة الاشياء ويعلمون ان بالطعام قوام الابدان ولكن لا يعلمون
قدر منفعته وكيفيته وما في سره ذلك من المنافع وكذلك السمع والبصر واللسان لا يعلم حقيقة ذلك وكيفيته وان كان يعلم
انه بها يسمع ويبصر ويتكلم ويفهم وجايز ان يكون قوله يعلمون ظاهرا منافع الحيوة الدنيا وعن منافع الاخرة هم غافلون وانما
اشتات منافع الدنيا لا ينكرون لها ولكن ليعلموا بها منافع الاخرة وابن عباس والكلبي وهؤلاء يقولون يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا قالوا يعلمون معايشهم وتجاراتهم وحرفهم وجميع الاسباب والمكاسب والحيل التي بها تقوم امور دنياهم وهم عن الاخرة هم
غافلون اي لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق قد
ذكرنا في غير موضع ان كل استفهام من الله وسؤال يخرج على الايجاب والالزام ثم الايجاب يخرج على وجوه احدها ان قد تفكروا
واعتبروا ونظروا وعرفوا انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق لكنهم عاندوا وكابروا ولم ينقادوا للحق ولم يقروا
والثاني يخرج على الامر اي تفكروا وانظروا واعتبروا واعلموا انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق والثالث على
الخبر انهم لم يتفكروا ولم ينظروا ولم يعتبروا ولو تفكروا واعتبروا وعلموا انه ما خلق الله السموات والارض الا بالحق لكنهم لم يتفكروا
ولم ينظروا وبعد ما اعطوا اسباب العلم به فلم يعذروا بترك التفكر والنظر والاعتبار وعلى هذه الوجوه الثلاثة يخرج قوله اولم
يسيروا في الارض ونظروا وعلموا ما حل بالمكذبين بالتكذيب وما صار عاقبتهم او سيروا في الارض على الامر ليعرفوا ما اصابوا بالتكذيب
بالتكذيب او لم يسيروا في الارض على ما ذكرنا ليعلموا عاقبتهم سوءا وليكن ثم قوله الا بالحق قيل فيه بوجوه احدها انه ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي عليهم من الشكر له فيما انعم عليهم والتعظيم له والتبجيل والثاني الا بالحق الذي لله عليهم
من الشكر له فيما انعم عليهم اي ما يحتمل يفعله عاقبته سالولا تلك العاقبة لكان لا يجد في الحكمة التفريق بين الولي والعدو وقد
اشركهم جميعا في هذه الدنيا بين الولي والعدو ولو لم يجعل دارا اخرى يفرق فيما بينهما لكان لا يجد فيها اثركم فيها والثالث الا بالحق
اي البعث لانه لم يكن البعث لكان خلقه السموات والارض وما بينهما لعبا باطلا لا حقا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله
عز وجل وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون سمى البعث لقاء الرب والمصير اليه والرجوع اليه والبروز اليه والخروج
وان كانوا في الاوقات كلها بارزين له خارجين صابرين اليه واجعين لان خلقه اياهم انما صار حكمة لذلك البعث والمقصود

بخلقهم ذلك البعث لذلك سمي البعث بما ذكرنا وقوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هو
يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله اولم يتفكروا في انفسهم وقوله عز وجل كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
يذكر اهل مكة ويرجهم في تكذيبهم رسول الله وسوء معاملتهم اياه بما ذكر من القرون الماضية انهم مع شدتهم وقوتهم وبطشهم وكثرة
اتباعهم ومواشيهم واموالهم وطول اعمارهم وبنيانهم ولم ينفعهم الانتصاب والامتناع عن عذاب الله اذ احل بهم بتكذيبهم الرسل فانتم
يا اهل مكة دونهم في القوة والبطش والحواشي والاتباع فكيف ينفعكم الانتصار والامتناع من عذاب الله اذا كذبتم الرسول والله اعلم
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى جائز ان يكون على التقديم والتاخير ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوأى مقدما على قوله فما كان الله ليظلمهم بقول ما حل بهم من العذاب وعذبوا في هذه الدنيا بتكذيبهم لم يظلمهم الله
ولكن ظلموا انفسهم بالاساءة ويحتمل ان يكون قوله فما كان الله ليظلمهم في تعذيبهم في الدنيا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم يكون قوله
ثم كان عاقبة الذين اساؤا في الدنيا السوأى في الاخرة في النار فيكون في الدنيا ما عذبوا في الدنيا عذاب عناد ومكابرة وما يعذبون
في الاخرة تعذيب كفر وتكذيب وهو ما قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقال بعضهم اثاروا الارض اي كربوا
الارض وعمروها اكثر مما عمروها قومك يا محمد اي بقوا فيها اكثر مما بقي فيها الذين ارسلت اليهم وقال بعضهم عاشوا يعمرون الارض
اكثر ما عمرها اهل مكة وقال بعضهم عمروها عملوا بها اكثر ما عمل هؤلاء وبعضه قريب من بعض وقال ابو عوسجة واثاروا الارض
اي حرثوها وقال القتبي اثاروا اي قلبوها للزراعة ويقال للبقرة المثيرة وقال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقوله عز وجل اساؤا
السوأى اي جهنم وكذلك قال الكسائي السوأى هي النار كقوله وعقبى الكافرين النار اي كان عاقبتهم النار بما كذبوا بايات الله واستهزؤا
بها وقوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى يحتمل قوله اساؤا الى الرسل بالتكذيب وانواع الاذى ويحتمل اساؤا الى انفسهم حيث
اهلكوها واوقعوها في النار والسوأى اسم من اسماء النار كالعسرى والهاوية ونحوها واليسرى والحسنى اسم من اسماء الجنة وقوله
عز وجل ان كذبوا بايات الله يذكر اهل مكة ويخوفهم ان ما حل باولئك القرون الماضية من الاهلاك والاستيصال انما كان بتكذيب
الايات والاستهزاء بها في هذه الدنيا فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم الايات والحجج والاستهزاء ثم بها يصيبكم ما اصاب اولئك بالتكذيب
والايات يحتمل حجج التوحيد وحجج الرسل في اثبات الرسالة او اثبات البعث وقوله عز وجل وكانوا بها يستهزؤن يحتمل بالايات
التي ذكرنا وما اوعدهم الرسل من العذاب والاهلاك فاستهزؤا بذلك وقوله عز وجل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده هذا في الظاهر
دعوى لكنه قد بين فيما تقدم من الايات ما يلزمهم الاعادة والاحياء بعد الموت حيث قال اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الاية وفي قوله اولم يسيروا في الارض وغيرها من الايات ما الزمهم من الايات انه لو لم
يكن اعادة وبعث كان خلقهم عبثا باطلا خارجا عن الحكمة والقدرة في ابتداء الانشاء ان لم يكن اكثر لا تكون دون الاعادة ثم
لمن ملك وقدر على الابتداء كان على الاعادة اقدر اذ اعادة الشيء عندكم اهون وايسر من ابتداء انشاء على ما ذكر في قوله وهو
اهون عليه وقوله ثم اليه ترجعون ذكر الاعادة والاحياء بعد الموت الرجوع اليه لما ذكرنا ان المقصود في خلقهم في هذه الدنيا
الاعادة والاحياء لذلك سمى الاعادة الرجوع اليه المصير والبروز له وان كانوا في جميع الاحوال صائرين اليه راجعين بارزين
له خارجين وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال بعضهم الابلاس هو الاياس يبلسون اي يايسون في الاخرة
عما كانوا يطمعون بعبادتهم تلك الاصنام والاوثان في هذه الدنيا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحو يقول يايسون في الاخرة عما طمعوا بعبادتهم في الدنيا حين شهدوا عليهم وكفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم ويتبرؤن
منهم وقال بعضهم يايسون من كل خير وقال بعضهم الابلاس هو الفضيحة اي يفتضحون بما عملوا وقال بعضهم المبلس كل منقطع ربما
ساكت كالمتحير في امره وقال بعضهم المبلس هو كل ايس حزين وقوله عز وجل ولم يكن لهم من شركائهم هو ما ذكرنا ان الاصنام التي عبدوها
وسموها الهة لا تشفع لهم وكانوا بشركائهم كافرين يحتمل هذا وجهين اي الاصنام بهم كافرون او هم يكفرون الاصنام اذا لم يشفعوا لهم
وصاروا شهداء عليهم او كل يكفر بصاحبه كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون سمى الله تعالى ذلك اليوم يوم الجمع بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وسمى يوم الافتراق فهو يوم الجمع في اول ما يبعثون
ويحشرون ثم يفرق بينهم تفريقا لا اجتماع بينهم ابدا كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير فهو يجمع الجمع في حال ووقت يوم الافتراق
في حال ووقت اخر وبعض اهل التاويل يقولون قوله يومئذ يتفرقون العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعدما كانوا مجتمعين في
الدنيا وهو ما ذكر في اية اخرى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية فهذا تفرقهم على قولهم بعضهم والوجه فيه ما ذكرنا بدءا
والله اعلم وقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات امنوا بكل ما امروا ان يؤمنوا به وعملوا بكل ما امروا ان يعملوا فهم في روضة هم
يحبرون والروضة كانها اسم من اسماء الجنان وقوله يحبرون قال بعضهم يكرمون وقال بعضهم يحبرون يسرون والحبرة السرور
ومنه يقال كل حبرة يتبعها عبرة والزجاج يقول يحبرون يتنعمون والحبرة النعمة الحسنة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واما
الذين كفروا اي جحدوا توحيد الله وانكروه وكذبوا باياتنا يحتمل كذبوا باياتنا ايات التوحيد وايات الرسالة وايات البعث فاولئك

في العذاب

في العذاب محضرون اي يحضرون الاتباع والمتبوع جميعا في النار ويجمع بينهم كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله ولن
ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون قوله فسبحان الله فهمت الامة من قوله
سبحان الصلوة اي صلوا لله ولو كانت فيها اهل زماننا هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور ثم يحتمل تسميتهم التسبيح صلوة و
فهمهم منه ذلك لوجهين احدهما لما في الصلوة تسبيح فسموها بذلك لما فيها ذلك او لما ان التسبيح تنزيه والصلوة من اولها الى اخرها
تنزيه الرب لان فيها اظهار الحاجات اليه والعجز والضعف وفيها تعظيم الرب واجلاله ووصفه بالجلال والرفعة فهموا من التسبيح الصلوة
لما ذكرنا انها من تنزيه الرب من اولها الى اخرها ثم منهم من قال ان الصلوة الخمس ذكرت في هذه الاية بقوله فسبحان الله حين تمسون
صلوة المغرب والعشاء الاخرة وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وحين تظهرون هي صلوة الظهر ومنهم من يقول لا بل ذكر
فيها اربع صلوات حين تمسون المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر واما العشاء الاخرة ففي قوله ومن بعد صلوة
العشاء ثلث عورات لكم والله اعلم وقوله عز وجل وله الحمد في السموات والارض يحتمل قوله وله الحمد على التقديم يقول سبحان الله وله الحمد
فيكون الحمد كناية عن الصلوة كالتسبيح ولما فيها من التحميد او يقول له يحمد اهل السموات والارض والله اعلم وقوله حين تمسون وحين
تصبحون وحين تظهرون اي اذا دخلوا في المسا والعشا والصبح والظهر وقوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخبر عن قدرته
في انشاء الاشياء مبتديا لا من اصل لانه قال يخرج الحي من الميت ليس فيه الحيوة وكذلك الميت من الحي وليس في الحي موت ولكن يخرج هذا من هذا
على ابتداء الحيوة فيه وابتداء الموت فيه من غير ان كان فيه ما ذكر ثم اختلف فيه اهل التاويل قال بعضهم يخرج الناس والدواب والطير
وقال بعضهم يخرج الحي من الميت اي المسلم من الكافر والميت من الحي اي الكافر من المسلم ولكن يجيء على هذا ان يقول يخرج من المسلم ما يكون كافرا
ومن الكافر ما يصير مسلما الا ان ما يخرج لا يوصف بالاسلام ولا بالكفر ولا يثبت واحد منهما وقت الخروج حتى يبلغ فيكون منه فعل الكفر او فعل
الاسلام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وفي الايات التي تقدم ذكرها من نحو قوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الاية وقوله اولم يسيروا في الارض الاية وامثال ذلك مما يذكر ويخبر اولئك الكفرة عن قدرته وسلطانه والزمهم ذلك نقض
قولهم المعتزلة لانهم لا يجعلون لله القدرة على فعل بعض بعوضة فلا يكون لهم الاحتجاج على اولئك الكفرة في القدرة على الاعادة و
الانشاء بعد ما صاروا رمادا والكلام في هذا وقوله عز وجل وكذلك تخرجون اي كذلك تبعثون وتحيون كما اخرج الحي من الميت والميت
من الحي من غير ان كانت الحيوة في الميت والموت في الحي والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته يحتمل ايات وحدانيته وربوبيته وحججه
وايات بعثه واحيائه وايات رسالته الرسل ونحوه وقوله عز وجل ان خلقكم من تراب يخرج على وجوه احدها نسب خلقنا الى التراب
لانا انما خلقنا من اصل خلق ذلك الاصل من التراب وهو ادم وان لم تكن انفسنا مخلوقة من تراب حقيقة كما نسب خلقنا الى
النطفة وان لم يخلق انفسنا كما هي من النطفة لكنه اضاف ذلك ونسبنا الى النطفة لما هو اصل ما خلقنا منها والثاني نسبنا الى
التراب لما جعل غذيتنا وما به قوام انفسنا وابداننا في الخارج من التراب فانما هو لخبا دمابه قوام انفسنا وابداننا وان
ان تخلق من التراب من الاصل فيجز والله اعلم انكم لا تتصورون خلق الجسم ان لم تشاهدوا تلك الطينة التي منها تكون الاجسام
بعد مشاهدة طينتها ومعاينتكم اياها ورايتم القدرة له على خلقها قبل ان تشاهد وطينتها والثالث خلقنا نسب الى التراب
وهو ادم على ما ذكرنا الا ان قوله خلقكم اي قدركم من ذلك الاصل والتخليق هو التقدير في اللغة وذلك جائز في اللغة وانما قدرنا
على تقدير ذلك الاصل وذلك جائز نسبتنا واضافتنا الى التراب ان صح ما ذكر في بعض الاخبار ان ملكا ياتي بكف من تراب
فيذره في تلك النطفة في رحم المراة فيخلق منه حينئذ الولد فان صح هذا فيكون خلق جميع الناس واصلهم من تراب وقوله عز وجل
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ثم اذا انتم ذريته من بعد بشر تنبسطون كقوله وينشر رحمته اي ينبسط وينتشرون اي تتفرقون
في حوائجكم وفي طلب اغذيتكم وما به قوام انفسكم والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا هذا يحتمل وجهين
يحتمل قوله خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من اجناسكم واشكالكم لتسكنوا اليها يقول انما جعل ما تسكنون اليه وتالفون من
جنسكم وشكلكم ما تعرفون لم يجعل في غير جنسكم وشكلكم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من انفسكم اي من جنسكم
وشكلكم من تعرفون صدقه وثقته وامانته ما لو كان من غير جنسكم وشكلكم لا تعرفونه فعلى ذلك جائز قوله خلق لكم من انفسكم
ازواجا اي من جنسكم ما تسكنون اليها ولا تستانسون بهم ما كانوا من غير جنسهم لا يكون ذلك اذ يستانس كل ذي شكل بشكله
وجنسه والثاني ما ذكرنا انه اراد ادم وحوا اي خلق زوجته حوا من نفسه فجعلها له سكنا يسكن اليها ويستانس بها واطمان
وقوله عز وجل وجعل بينكم اي بينكم وبين الازواج مودة ورحمة يحتمل قوله مودة وجهين احدهما يودها لما جعل له موضعا لقضاء
شهوته وحاجته وكذلك هي تود له لذلك ورحمة اي يرحم بعضهم بعضا ويحنن اليه اذا نزل باحد منهما ما يمنع قضاء الشهوة والحاجة
والثاني يود بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة اذ كل ذي طبع يود شكله وجنسه اذا كان في حال السعة والرخاء والسرور ويرحمه
اذا نزل به البلاء والشدة هذا معروف عند الناس ان يتراحم بعضهم على بعض في حال نزول البلاء والشدة ويوادهم في حال السعة و
السرور وقال الحسن وجعل بينكم مودة اي الجماع ورحمة اي الولد فكيف ما كان فهو يخبر عن لطفه ومنته حيث جعل بين الزوجة و

المودة والرحمة على عدم القرابة والرحم وبعد ما بينهما فصار الما ذكرنا في المودة والرحمة كالقريبين وذي الرحمين واقرب القريب
وذلك على المعتزلة لانه اخبر انه جعل بينهم مودة ورحمة وذلك فعل الزوجين في الظاهر ثم اضاف ذلك الى نفسه واخبر انه
جعل دل ان له صنعا في ذلك فيبطل قولهم انه ليس لله صنع في فعل العباد ويبطل الالطف الذي ذكر انه جعل بينهم وقوله عز وجل ان في
ذلك لايات لما ذكرنا من ايات وحدانيته وربوبيته وايات البعث والنشور وايات الرسالة والنبوة لقوم يتفكرون لقوم ينتفعون
وهم المؤمنون او لقوم يتفكرون ويتدبرون ويعتبرون فيعرفون فاما من لا يتفكر ولا يتدبر فلا ينتفع به فهو ليس باياته له
والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته وحدانيته وربوبيته والوهيته وايات بعثه وقوله عز وجل خلق السموات والارض في خلق
السموات ورفعها في الهواء واقرارها فيه اية لانه غير موهوم مثله من فعل الخلق وفي قدرتهم وكذلك خلق الارض وبسطها واقرارها
على الماء او على الريح خارج من فعل الخلق ومن قدرتهم غير موهوم ذلك في اوهامهم وعقولهم من غير الواحد العالم القادر بانه فاذا
كان ما ذكر غير موهوم في اوهامهم من غير الله فهم انما انكروا البعث لما لم يروا ذلك ولا شاهدوا في اوهامهم فكيف انكروا البعث
وان كان غير موهوم ذلك في اوهامهم بعد ان كان ذلك موهوما من الله شاهدوا معاينا لمثل هذا والله اعلم بذكر هذا وقوله عز وجل
واختلاف السنتكم والوانكم كانه يقول وفي خلق اختلاف السنتكم اية ايضا لان الالسن بجنس خلقة الالسن غير مختلفة و
لكن انما تختلف بجنس النطق والتكلم بها حتى لا يتبع في التكلم بها والنطق والصوت تشابه بحال وخروجه عما يقدرون من الكلام
وان كانت بجنس خلقتها واحدة غير مختلفة فهذا على المعتزلة لقولهم ان افعال العباد غير مخلوقة لا صنع لله فيها فلو لم يكن له فيها تخليق
ويطلقون على خلاف ذلك صنع فلا اية تكون له في ذلك فدل انه انما صار اية له لما له صنع في ذلك وكذلك فيما يختلف الالوان بفعل يكون
من الخلق وتغير عند الغضب والسرور والفرح ثم اخبر ان ذلك ايات دلالة انه خالق لا نعالم حتى كان اية له والله اعلم واهل التاويل يقولون
اختلاف السنتكم عربي وعجمي ونبطي وتركي ونحوه والوانكم بعضكم احمر واسود ونحوه واشباه ما ذكرنا ان في ذلك الاية للعالمين جايز ان
يكون ايات لمن انتفع به من العالمين واية لمن تفكر وتدبر من العالمين لانه اذا تفكر وتدبر من العالمين لانه اذا تفكر وتدبر عرف وجه
الاية في ذلك وقوله عز وجل ومن اياته منامكم بالليل والنهار لان النوم ياخذهم من غير ان يعرفوا انه من اين ماتاه وما ياخذه ثم ياخذ منهم جميع
منافع الاحياء من السمع والنطق والفهم والرؤية وجميع ما ينتفع به قبل ذلك ثم يرد ذلك اليهم من غير ان عرفوا بذلك فيعودون الى ما
كانوا من المنافع والاكتساب ليعلم ان من قدر على مثل هذا يقدر على اخذ الروح بنفسه ورده اليه فهو اخو الموت قال الله تعالى يتوفيكم
بالليل سمى النوم الوفاة وهو مثله لما ذكرنا ان جميع منافع الاحياء يرتفع ويزول بالنوم ثم يرد اليه من غير ان يشعر بذلك فمن قدر على
هذا يقدر على الاحياء بعد الموت قوله عز وجل وابتغاؤكم من فضله جهة الاية فيما يبتغون من فضله هو خلقه تلك المكاسب والتجارات
والحرف التي يبتغون بها الرزق اخبر انه خلق ذلك منهم ففيه دلالة خلق افعال العباد فهو على المعتزلة لانكارهم خلق افعالهم او ان يكون
جهة الاية فيه ما عرفهم تلك المكاسب والتجارات والحرف وعلمهم وابوابها ولخروجهم اليها ليصلوا الى منافعهم والله اعلم وقوله عز وجل
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يحتمل قوله لقوم يسمعون اي ينتفعون بسمعهم او لقوم يجيبون والسمع يجوز ان يعبر به عن الاجابة
كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن دعاه او ان يكون قوله لقوم يسمعون اي يعقلون ويجوز العبارة عنه كقوله ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون اي يعقلون ويقال لقوم يسمعون المواعظ فيقبلونها فينتفعون بها وقوله عز وجل ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا
قيل فيه بوجهين احدهما يريكم البرق لخوف والطمع تخافون سلطانه وقدرته ان يصيبكم ذلك البرق فيذهب بابصاركم وطمعا ترجون
رحمته بصرفكم عنكم والثاني خوفا وطمعا اي يريكم البرق تخافون وتطمعون يخاف المسافر فيقطع مسيره ومنعه عنه وتطمعون اي يطمع المقيم
رحمته بما يكون من انزال المطر ومعاشه والثاني تخافون الصواعق وتطمعون المطر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وينزل من السماء ماء فيحيي
الارض بعد موتها هو ظاهر قد ذكرناه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يحتمل ما ذكرنا القوم يعقلون ينتفعون بعقولهم او لقوم يعقلون
لو تدبروا وتفكروا والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره هو ما ذكرنا انه قاما على شيء غير موهوم ذلك في اوهام
الخلق قيام شيء منا نعالم على مثله وهو الهواء والماء والريح فكيف حملهم خروج شيء منا وهامهم على انكاره وتكذيبه وهو البعث والاحياء
بعد الموت فمن قدر على احدهما قدر على الاخر وقوله عز وجل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اختلف فيه قال بعضهم هو على
التقديم اي ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض والدعوة هي النفخة الاخرة وقال بعضهم هو ما ذكر الدعوة تكون من الارض من صخرة
بيت المقدس من هنالك يسمعون الدعوة ثم اختلف في الدعوة والصيحة والنفخة والصور ونحو ما ذكر فمنهم من يقول على حقيقة الدعوة
والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر وقال بعضهم لا ولكن ذلك اخبار عن سرعة نفاذ الامر وعبارة عن خفة ذلك وهونه كقوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ليس ان كان منه كاف ونون لكنه ذكر باخف
حرف يفهم منه المعنى فعلى ذلك ذكر الصيحة والنفخة والدعوة والصور والله اعلم وفي قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
دلالة واخبار انه قادر على الانشاء والاحياء بلا سبب لانه اخبر انه دعاكم دعوة ثم تخرجون والدعوة ليست هي سبب الاحياء والانشاء
بل اخبر انه يخرجهم اخراجا بلا [illegible] ثم ما ذكرنا وقد ذكرنا في اختلاف الالسن لو لم يكن ما يسمع منهم وما ينطقون بخلق في الحقيقة فاذا اياته

عبث لان الحروف يشهد خلقه ولا جنسه ولا سمعه وبما احتج فيكون بمعنى من يقول ان الله ايات في الكلام احتج بها على عباده الذين لم
يطلعهم عليه ولا سبيل لهم الى التطلع عليها وذلك بعيد من العقول فثبت ان الله قد خلق كل نطق على ما عليه فرق المتفكر بما يرى من عجز المتفوه
به على التفوه به على التقطيع الذي يقدره في نفسه وعلى الحد الذي يجب ان يكون عليه دون ان يقع في ذلك تفاوت واختلاف فيعلم ان
ذلك كان الاية على ما كان عليه بل بالله جل وعلى ولا قوة الا بالله وما ذكر من اختلاف فانا قد نجد نتغير بالعباد نحو ما يظهر عند شدة
السرور بالشيء غير الذي يظهر عند شدة الغضب متولدا عن فعلهم ومن قول المعتزلة وعامتهم ان المتولد هو فعل الخلق فعلى ذلك القول
يكون اللون فعلا لهم بتخليق الله واما النوم فموضع الاعتبار فيه ما في اللون والا فلا لاعتبار انما هو ابتغاؤهم من فضله اي ذلك بما
بهم من الحاجة والاستلام من الفاقة الى ما ذكر من الاعذرة باد ابتغاؤها فعلا للخلق وقد احتج الله سبحانه وتعالى على العباد فاخبر انه من
اياته وحالا ان يكون حجته ما يخلقه غيره دون الذي يخلق بل بدل خلق كل على مشتبه من طريق الخلقة والتقدير فثبت ان
الابتغاء مخلوق يخلقه الله وان كان فعلا للخلق والله الموفق وقوله عز وجل وله من في السموات والارض حرف من انما يتكلم به و
يعبر عن اولي الملك والتدبير والتمييز وحرف ما عن ملك الاشياء نفسها فاذا كان من له الملك في الشيء والتدبير والامر له فالاملاك
احق ان تكون بحيث والله اعلم عن غناه وسلطانه وقد ترى من له ما ذكر في السموات والارض لا يمتحن ان يمتحنهم ويامرهم بانواع
العبادة والطاعة الخارجة لنفسه او لمصلحة نفسه اذ هو غني عن ذلك ولكن انما يمتحن ويامرهم بانواع العبادة وانواع المحن
لمنافع انفسهم وحاجتهم ومصالحهم فاذا كان له ما ذكر من الملك لا يحتمل ان يحتاج شيء ايضا وقوله عز وجل كل له قانتون قال بعضهم
القنوت القيام والقانت القايم فان كان هذا فهو كل له قانتون اي قايم تدبيره وامره في الوجود والعدم والابتداء والاعادة وفي
كل حال ان اوجد وجد وان اعدم صار معدوما وان اماته وان احياه حيي ونحوه فكل حال يقوم بتدبيره وامره وقال بعضهم كل له قانتون
اي مطيعون فان كان على هذا ونحوه في كل حال يقوم بتدبيره وامره وقال بعضهم كل له قانتون اي مطيعون فان كان على هذا فهو على طاعة
الخلقة له والشهادة لله بالوحدانية والربوبية والتدبير له والعلم في ذلك لان الله جل في خلقه كل احد وكل شيء في صورة ما يشهد له
بالوحدانية والربوبية ويدل على تدبيره علمه وحكمته فكل له قانت ومطيع بالخلقة والصنعة وقال بعضهم كل له قانتون اي خاضعون
فهو يرجع حال دون حال وهو حال الخوف والضرورة ويخضع له كل كافر ومشرك في تلك الحال وهو ما اخبر عنهم من الخضوع له اذا ركبوا
الفلك حيث قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ونحو ذلك من الاحوال التي
كانوا يخضعون له ويطيعون والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم لا يحتمل ان يخلقهم وينشيهم لحاجة نفسه
او المصلحة لان غني بذاته او يمتحنهم لمنفعة نفسه او يامره بذلك ولكن انما يبدي ويعيد لحاجة انفسهم ويخبران من قدر على ابداء
الشيء فلان اعادته وهو اهون عليه اختلف فيه قال هو اهون عليه من بداءه واعادته كقوله وذلك على الله يسير وقوله هو على
هين ويجوز العبارة بافعل عن فعل نحو ما يقال الله اكبر اي كبير واعظم بمعنى عظيم ونحو كثير فعلى ذلك قوله وهو اهون عليه اي
عليه هين اذ ليس شيء اصعب على الله من شيء او شيء اهون عليه من شيء من الاشياء كلها بمحل واحد داخل تحت قوله كن ابدا يقال اهون وايسر
لمن كان فعله بسبب فيهون عليه اذا كثرت الاسباب ويصعب عليه ذلك اذا قلت وضعفت فاما الله سبحانه هو الفاعل للاشياء
وصانعها والقادر عليها بسبب وبلا سبب فلا جائز ان يقال شيء اهون عليه من شيء وانما يجوز ذلك من كان فعله لا يكون الا بسبب و
قال بعضهم قوله وهو اهون عليه في عقولكم وتدبيركم وتقديركم اي اعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم اهون من ابتدائه ان الخلق لا يملكون
تصوير ما لم يسبق له المثال والتصور ابتداء وقد يملكون تصوير الاشياء وتمثيلها اذا سبق لهم مثال راوه وشاهدوه فيبتدؤن اعادة
الشيء في عقولكم وتدبيركم اهون من ابتدائه فاذا اعاينتم واقررتم انه قادر على ابتدائه فهو على اعادته املك واقدر ولا قدر ولا قوة
الا بالله وقال بعضهم قوله وهو اهون عليه يعني على ذلك الشيء اعادته على ذلك الشيء من ابتدائه لانه في ابتدائه ينقله ويحوله من حال
النطفة الى حال علقة ثم من حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال التصوير والتسمية الى ما ينتهي اليه حتى يصير خلقا وصورة فيخبر
ان اعادته ليس على هذا التقدير والتحويل من حال الى حال ولكن كما ذكر وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله وما امرنا الا
كلمح بالبصر وقوله الا صيحة واحدة ونفخة ودعوة وما ذكر فالاعادة لذلك الشيء اهون على ذلك الشيء من الابتداء وقوله عز وجل
وله المثل الاعلى في السموات والارض اي له الصفات العالية ثم هو يخرج على وجوه احدها اياه كل موصوف بالعلو والرفعة
من دونه فهو الموصوف به في الحقيقة على ما ذكرنا ان كل من حمد دونه فذلك الحمد له في الحقيقة راجع اليه ذلك كقوله الحمد لله الا
والثاني له الصفة العالية مما يخالف صفات الخلق وشبههم كقوله ليس كمثله شيء لا تشبه صفاته صفات المخلوقين ولا اشبهت
صفات الخلق صفاته وهو ما قاله بعض اهل التاويل الذي لا مثل له ولا شبه لا اله الا هو وحده لا شريك له والثالث وله الصفات
العالية ما لا يضاد بعضها عالم لا يجهل فيه قادر لا يعجز فيه عزيز لا ذل فيه وامثال ذلك مما لا يدخل في ذلك نقصان او عيب بوجه
من الوجوه ليس كالخلق انهم يوصفون بالعلم بجهة وبشيء وبالجهل بجهة اخرى وبالقدرة بجهة اخرى وبشيء اخر وبالعجز بجهة اخرى
وبشيء اخر وبالعز بجهة اخرى وبشيء اخر وبالذل بجهة وبشيء اخر فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات لا يضاد بعضها بعضا

ولا يدخل في ذلك انتقاص بجهة من الجهات وفي حال من الاحوال لانه بذاته موصوف بذلك لا بغيره ولا بسبب واما غيره فانما يوصفون
بذلك باسباب وباعتبار تكون لهم بذلك كان ما ذكر ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم الذي لا يلحقه الذل والضرر بمخالفة
خلقه اياه وعصيانهم له ليس كملوك الارض اذا خالفوا اتباعهم وحواشيهم ورعيتهم يذلون ويلحقهم الضرر باعراضهم عنهم لان عزهم
كان بهم فباعراضهم عنهم ومخالفتهم اياهم يذلون فاما الله سبحانه عزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق اياه او ان يكون
قوله العزيز المنتقم عمن يخالف امره ويعصيه او يشرك غيره في الوهيته وربوبيته والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير يخبر وانه
اعلم اني وان خلقتهم وان شاتهم على علم مني انهم يخالفونني واعنتهم بكل انواع المعونة على علم مني بذلك منهم فان فعله ليس بخارج عن
الحكمة كما يكون في الشاهد ان من اعان عدوه بانواع المعونة وهو يعلم ان معونته اياه تزيد له قوة في معاداته وعصيانه ومخالفته
هو موصوف بالسفه غير موصوف بالحكمة لانه يسعى في هلاك نفسه ويعينه على ذلك بمعونته اياه ومن سعى في اهلاك نفسه فهو
غير حكيم فاما الله سبحانه حيث خلقهم وانشاهم واغاثهم بكل انواع المعونة على علم منه بما يكون من الخلاف له والعصيان والمعادات
غير خارج فعله عن الحكمة لما ذكرنا انه لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم انه يكون منهم من الخلاف له والعصيان والعداوة ولا قوة
الا بالله وقوله عز وجل ضرب لكم مثلا من انفسكم قال بعضهم ضرب لكم مثل من مثل خلقكم والله اعلم يبين لكم مثلا من انفسكم ما لو تفكرتم
وتاملتم لظهر لكم سفهكم بعبادتكم الاصنام دون الله وتسميتكم الاصنام بالله ثم يخرج ضرب المثل بما ذكر على وجوه احدها هل لكم
مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء اي لم ترضوا انتم انفسكم بالذي ملكت ايمانكم فيما رزقتم حتى تكونوا انتم وهم
سواء في ذلك فكيف زعمتم ان الله قد سوى نفسه وما ملك من خلقه في ملكه والوهيته والثاني يقول هل ترضون ان يكون ما ملكت
ايمانكم شركاءكم فيما تملكون من الاموال فاذا لم ترضوا به فكيف زعمتم ان الله يرضى ان يشرك ماليكه في ملكه وسلطانه او يقول فان
رضوا لانفسكم اشراك ما ملكت ايمانكم في ملككم ولم ترضوا ماليكم بانفسكم في ذلك فكيف رضيتم ذلك لله وسويتم بنفسه و
ماليكه وعدلتم به من دونه والله اعلم وقوله عز وجل تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي تخافون ماليكم كما تخافون احرارا امثالكم و
قال بعضهم تخافون لايتهم كما يخاف الرجل لاية ابيه واخيه واقاربه وبعضهم يقولون يخافون عبيدكم ان يرثوكم بعد الموت كما
تخافون ان يرثكم الاحرار من اوليائكم وهو قول مقاتل لكن الميراث ليس من الاية في شيء والاول اشبه وفي قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم
هل لكم ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء دلالة انه لا يكون لهم حقيقة الملك في الاشياء كالاحرار لانه اخبر انهم
ليس هم بسواء في الشرك فيما رزق السادات او ملكوا على العلم انهم يشتركون جميعا في المنافع دل انهم يملكون منافع الاشياء ويشتركون
الاحرار فيها ولا يملكون حقيقة الاملاك وكذلك يدل قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية لما نفى عنه القدرة
على شيء والله اعلم يكون فيه دليل قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اي يغنيهم
من فضله بالمنافع لا بحقيقة ملك الاشياء والله اعلم وقوله كذلك نفصل الايات اي نبينها لقوم يعقلون اي لقوم ينتفعون بعقولهم
والثاني قوله نفصل الايات نفرق واحدة بعد واحدة على ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من قوله ومن اياته كذا ومن اياته كذا والتفصيل
يخرج على وجهين احدهما التبيين والثاني التفريق في الذكر فصلت اياته بينت وفصلت فرقت واحدة بعد واحدة فان قال لنا
قايل في هذه الايات التي ذكرت ما يدل على ايجاب البعث قيل في هذه التي ذكرت دفع الشبهة التي لها انكروا البعث لانهم راوا البعث مستحيلا
بالشبهة التي اعترضت لهم ففي هذه الايات دفع تلك الشبهة التي لها راوا البعث مستحيلا دام بدء خلقهم وقيام السماء والارض
بالذي ذكر ثم ايجاب البعث يكون بالاخبار المتعارفة وهي اخبار الرسل الذي ظهر صدقهم او بما ذكرنا ان خلق الخلق بلا عاقبة يجعل لهم
للفناء خارج عن الحكمة لوجوه احدها ما ذكرنا ان بناء البناء في الشاهد للنقض والافناء خاصة بلا منفعة تامل في العاقبة سفه خارج
عن الحكمة فعلى ذلك الخلق للفناء خاصة بلا عاقبة يكون خارج عن الحكمة والثاني انه لو لم يجعل البعث دار اخرى ليفرق بين العدو والولي
فيها قد سوى بينهما في هذه الدار وفي الحكمة ان يفرق ولا يسوى بينهما فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق لكان ذلك خارجا عن الحكمة والثالث
في الحكمة ان يجزى المحسن لاحسانه والمسيء لاساءته وقد يكونان في هذه الدنيا ويخرجان منها لا يصيب المحسن جزاء احسانه ولا المسيء جزاء
اساءته فلا بد من دار اخرى يجزى فيها كل بعمله وفيما ذكرنا ايجاب البعث والله اعلم وقوله عز وجل بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم يحتمل قوله
الذين ظلموا انفسهم حيث لم يستعملوها فيما امروا بالاستعمال فيه بل صرفوها الى غير ما امروا بالاستعمال فيه او ظلموا حجج الله واياته و
براهينه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وضعت وقوله عز وجل اهواءهم في عبادتهم الاصنام وصرفها عن الله الى من لا
يستحق العبادة والشكر وذلك لهواهم لانه ليس معهم حجة ولا برهان كقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة
وبرهانا وقوله عز وجل فمن يهدي من اضل الله اي احد سوى الله يهدي من اضله الله اي من يرى الضلال واختاره اضله الله لا يهدي سوى
وما لهم من ناصرين ينصرهم في دفع عذاب الله عن انفسهم وما لهم من ناصرين اي من مانعين يمنعهم عن عذاب الله وقوله عز وجل فاقم وجهك
للدين حنيفا قال بعضهم هذا الخطاب لرسول الله لانه ذكر الاية فيما تقدم حيث قال ومن اياته كذا وكذا ثم ذكر الذين اتبعوا اهواءهم بغير
علم ثم قال لرسول الله اقم وجهك انت للدين حنيفا قال الشيخ رحمه الله وعندنا ان الخطاب به وبمثله لكل احد كقوله قل يا ايها الكافرون

وقل هو الله احد كانه يخاطب كل من انتهى اليه هذا ان قل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون فعلى ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا هو
لكل احد ثم الاقامة يحتمل وجهين احدهما اقم اي دم جهدك وقصدك والثاني قم اتم واقم ما ذكرنا للدين حنيفا قال بعضهم الحنيف
هو من حنف القوم وميله معناه كن مائلا الى الدين في كل حال وكل وقت وقال بعضهم هو من الاخلاص والاسلام وقوله عز وجل فطرة الله
التي فطر الناس عليها ثم فسر ذلك فقال فطرة الله التي فطر الناس عليها هذا يحتمل وجوها فطرة الله اي معرفة الله التي جعل الناس عليها ان
يكون الله يجعل في كل صغير وطفل من المعرفة ما يعرف وحدانيته وربوبيته على ما جعل لهم من المعرفة ما فيه غذاؤهم وقوامهم من اخذ
ثدي امهاتهم في حال الصغر وطفوليته ولذلك يخرج قوله كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه على ما جعل في الجبال من معرفة
الشيح لدرها والتحبيد لكن ابواه يشبهان ذلك عليه ويصرفانه والثاني فطرهم وجبلهم ما لو تركوا ومعقولهم لكانوا على ما جبلوا وفطروا
اذ فطر كلا منهم وجعل في خلقه كل دلالة وحدانية الله وربوبيته وكذلك قوله كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة التي يدل وتشهد
على وحدانية الله وربوبيته وكذلك قوله كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة التي يدل وتشهد على وحدانية الله وربوبيته ما لو تركوا
وخلي بينهم وبين عقولهم لادركوا والثالث فطرهم على ما يحتملون الامتحان وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله قال عامة اهل التاويل لا تبديل
لدين الله سماه خلقا وعلى قول المعتزلة له تبديل لانهم يقولون بان فعل العبد ليس بمخلوق ويجعلونه في قوله لا تبديل لخلق الله اي لا تبديل
لما به يقع الرضا اليه كادم ونحو هذا فيقال ان الدين هو ما يدين المرء وهو فعله ماخوذ من دان يدين ثم اخبر انه خلق الله فدل انه مخلوق وجائز
ان يكون قوله لا تبديل لخلق الله اي لما فيه دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وكذا لا تفاوت فيما فيه
دلالة الوحدانية والشهادة والله اعلم وقوله عز وجل ذلك الدين القيم اخبر ان ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين ليس كدين اولئك الكفرة
اتباع الهوى او ان يكون الدين القيم اي المستقيم على ما وصفه انه الدين الحنيف وقوله عز وجل منيبين اليه هو صلة قوله فاقم وجهك
للدين حنيفا كانه يقول فاقم وجهك للدين حنيفا منيبين اليه فهذا يدل على ان الخطاب بقوله فاقم وجهك لكل حيث قال منيبين اليه
اقبلوا اليه وانيبوا لانابة تقع بالامر كانه يقول والله اعلم انيبوا الى الله بما امركم به واتقوه عما نهاكم عنه والتقوى من الانابة كهو من
الترك كقوله تعالى ان تبروا وتتقوا بما امركم به وتتقوه عما نهاكم عنه وقوله عز وجل واقيموا الصلوة هو يحتمل وجوها اقيموا اي الزموا وداوموا
فعلها الى اخر ما تنتهون اليه ليس على ان يقع الامر بها مرة واحدة والثاني اقيموا اي اتموها بركوعها وسجودها والقراءة وغير ذلك و
الثالث يقول اي وفوا اقامتها باسبابها التي جعلت لها وفي الصلوة احوال ثلث احدها الجواز والثاني التمام والكمال والثالث التزيين
والتحسين ثم الجواز يجئ بالاركان والتمام يجئ بالشروط والتزيين يجئ بالحواشي ويجب على كل مصل خصال صدق في النية وحق الاخلاص
وحق الخشوع وقوله عز وجل ولا تكونوا من المشركين يحتمل اي لا تكونوا من المشركين غير الله في الصلوة والعبادة اي لا تصلوا لغير الله
ولا تعبدوا ولا تكونوا من المشركين غير الله في الصلوة والعبادة لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا من دونه ولا تكونوا من المشركين
من دونه في تسمية الالوهية والالهية لانهم كانوا يسمون الاصنام التي يعبدونها الهة او ان يكون صلة قوله منيبين اليه اي كونوا
منيبين اليه موحدين مقبلين على طاعته مخلصين ولا تكونوا من المشركين له غيره وقوله عز وجل ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم
وكانوا شيعا قال بعضهم لا تكونوا من المشركين ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم ثم قوله ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم وفارقوا
فهو يحتمل وجهين احدهما فارقوا دينهم الذي جاءتهم الرسل او فارقوا دينهم الذي فطروا عليه وهو ما جعل فيهم من شهادة التوحيد
له والربوبية وقوله عز وجل وكانوا شيعا يحتمل احزابا واشياعا اي فرقا واحزابا بعدما كانوا على ما فطروا او على ما جاءتهم الرسل
او كانوا شيعا ما يشيع ويتبع بعضهم بعضا لان الشيعة هم الذين يجعلون الاصل واحدا والامر واحدا والله اعلم وقوله عز وجل فرقوا
دينهم اي قطعوا دينهم وجعلوا قطعا وفرقا واديانا من نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغيرها كل حزب بما لديهم فرحون
يقول والله اعلم كل اهل دين وملة بما عندهم من الدين رضوان به فرحون وجائز ان يكون قوله ولا تكونوا من المشركين في الدين فطر
ثم عليه وهو ما جعل في خلقه كل واحد شهادة الوحدانية له والدلالة يقول لا تكونوا من المشركين في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
فاذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه قال قايلون منيبين مخلصين كقوله دعوا الله مخلصين له الدين وقال قايلون
مطيعين وقال قايلون موحدين واصل الانابة الرجوع اي راجعين اليه عما كانوا فيه من الشرك فالانابة هي التوحيد وان كان
الانابة الاخلاص فهو رجوع عن الاشراك في العبادة وان كان عن العصيان فهو الطاعة واصله الرجوع عما كانوا فيه ففيه حجج
من الاحتجاج على اولئك وتنبيه وعظة للمؤمنين اما الاحتجاج عليهم فانه معلوم لانهم كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين
ولكن كانوا يركبون بانفسهم ثم اخبر عما اخلصوا له والدعاء له والتضرع دل انه بالله عرف ذلك فذلك دل على رسالته والثاني فيه
دلالة انهم قد عرفوا وحدانية الله والوهيته حيث فزعوا عن الشدائد والبلايا الى الله واخلصوا له الدين فثبت انهم قد عرفوا سفه
انفسهم في عبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله تعالى والثالث تصديقا لقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لانهم كانوا
يسالون الرد في الدنيا ليؤمنوا به كقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا فاخبر انهم يعودون الى ما كانوا كما عادوا اذا كشف
الضر واما العظة والتنبيه للمؤمنين فهو ان يكونوا في الاحوال كلها على حد واحد في حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين لانهم في حال

الشدة والبلاء بما كثر ذكر الله وانابته من حال السعة والرخاء فيبتليهم ليكونوا في كل حال ذاكرين له منيبين اليه راجعين و فيه دلالة شدة سفه اولئك الكفرة حيث انابوا اليه واخلصوا له الدين عند ما يصيبهم الشدة والبلاء يعرضون عنه ويتركون في الرخاء عند السعة وفي طباع الخلق في الشاهد خلاف ذلك ان من ضيق على احد امره وشدد فهو يعرض عنه ويبغضه ومن انعم عليه من ملوك الارض واحسن اليه اطاعه واحبه ثم لشدة سفههم عكس طباعهم وخالفوا طباع الناس جميعا والله اعلم وقوله عز وجل ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي السعة والرخاء اذا فريق منهم فهم يشركون فان قيل ما فائدة ذكر هذه الايات وامثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها قيل قد يحتج عليهم بما لا يعرفون ولا ينظرون فيه وان ينظرون في ذلك فريق منهم ويعرفونه والله اعلم وقوله عز وجل ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتاخير يقول اذا اذاقهم منه رحمة ليلا يكفروا وانما اذاقهم رحمة ليلا يكفروا ولكنهم كفروا والى هذا ذهب مقاتل وعندنا ما ذكرنا اذاقهم منه رحمة ليكون منهم ما قد علم انهم يختارون ويكون منهم وهو الكفر ولا جائز ان يذيقهم الرحمة ليلا يكفروا ويعلم منهم انهم يختارون الكفر ويكون منهم ذلك فدل انه ما ذكرنا ثم في الاية دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم ان على الله الاصلح لعباده في الدين وقولهم انا علم من احد منهم الايمان في وقت من الاوقات ليس له ان يخترمه ولكن عليه ان يبقيه الى ذلك الوقت لانه لو اخترمه قبل ذلك الوقت لكان هو المانع ايمانه فيقال لهم ان اولئك الكفرة لما اخلصوا دينهم لله في حال الشدة وخوف الهلاك لم يبقهم الله على ذلك الاخلاص والحال التي كانوا يخلصون له الامر له والدين بل وسع عليهم وحولهم من تلك الحال حتى عادوا الى ما كانوا دل ان ليس على الله حفظ الاصلح للخلق في الدين وقد امر نبيه بقتال اولئك الكفرة مطلقا ولعلهم يسلمون في وقت لو تركوا او بعض منهم دل ان ليس ذلك عليه وقوله عز وجل فتمتعوا هو في الظاهر امر ولكنه يخرج على الوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقد ذكر في اية اخرى وليتمتعوا فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قال بعضهم ام انزلنا بل انزلنا عليهم سلطانا حجة فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي يبين ويظهر ان الذي هم عليه شرك ليس بتوحيد لانهم كانوا يقولون انا على التوحيد وانما نعبد هذه الاصنام ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه فيقول بل انزلنا عليهم ما يبين لهم ويظهر ان ذلك شرك وليس بتوحيد ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اي ما انزلنا عليهم سلطانا فيامرهم بما كانوا به يشركون او ياذن لهم بذلك كقوله ام للانسان ما تمنى فعلى ذلك قوله ام انزلنا عليهم سلطانا او لم ينزل عليهم سلطانا يامرهم بما كانوا به يشركون او كانوا يدعون بذلك امر الله كقولهم والله امرنا بها ففيه وجهان على اولئك الكفرة احدهما ما ذكرنا انهم كانوا يدعون بذلك الامر من الله فيخبر انهم كذبة في قولهم بان الله امرهم بذلك بل لم يامرهم بذلك ولا انزل عليهم الكتاب او السلطان في اباحة ذلك والثاني يذكر سفههم في عبادتهم الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويسمونها الهة بلا سلطان ولا حجة كانوا يطلبون على ذلك ثم كانوا يطلبون من الرسول ايات تعنتهم وتضطرهم على رسالته وما يوعدهم بعدما اتاهم من الاية ما اعجزهم وابانهم انه رسول فالعبادة اعظم واكبر للمعبود من الرسالة ثم لم تطلبوا لانفسكم الحجة والاية القاهرة في اباحة ما تعبدون من دون الله فكيف تطلبون من الرسول الاية القاهرة في اثبات الرسالة وقال بعضهم ام انزلنا عليهم سلطانا اي كتابا فيه عذرهم فهو يشهد بما كانوا به يشركون وقوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اذا اريد ان يسوى بين هذه الاية والاية التي قبلها وهو قوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الى اخره ويجمع بينهما يكون قوله اذا هم يقنطون من الاصنام التي يعبدونها انه يقول في هذه الاية وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون وفي الاولى يقول واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين فوجه الجمع بينهما ما ذكرنا ان يكون القنوط من الاصنام والله اعلم كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه او ان يكون قوله اذا هم يقنطون عندما امتد بهم الضر والشدة حينئذ ييأسون من رحمة الله والاول في الابتداء ما اصابهم من الضر فزعوا اليه واتابوا له او ان يكون احدى الايتين في قوم والاخرى في قوم اخرين لانهم كانوا فرقا واحزابا في الكفر والشرك في الاحوال كلها في حال الضيق والسعة ومنهم من كان يشرك في حال الضيق ويؤمن في حال السعة كقوله ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور وكقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ومنهم من كان يخلص الدين في حال الضر والشدة ويعاند ويجحد في حال السعة والرخاء كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ونحوه لكانوا فرقا واحزابا على ما ذكرنا فجائز ان يكون احدى الايتين في فريق وقوم والاية الاخرى في قوم اخرين وما ذكرنا من اختلاف الاحوال يقنطون عندما امتد بهم الضر والشدة وينيبون اليه عند ما لم يمتد بهم ذلك ولم يطل او ما ذكرنا من القنوط من الاصنام والانابة الى الله كقوله ضل من تدعون الا اياه والا الايتان في الظاهر متناقضتان لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون على الكافرين كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ثم ر

الايات لهم على الكفار من اهل مكة من وجوه في اثبات الرسالة وفي البعث وفي اظهار سفههم في عبادة الاصنام واشراكهم اياها في عبادة الله لان اهل مكة كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة غير الله فالاحتجاج عليهم بهذه الاية على الوجوه التي ذكرنا فاما الاحتجاج في اثبات الرسالة فهو من وجوه ثلثة احدها انهم كانوا ينكرون الرسالة لانه بشر ولا يرون لبشر بعضهم على بعض فضلا كقوله ما هذا الا بشر مثلكم فبين لهم الفضل لبعضهم على بعض في الرزق موسعا على بعض مضيقا مقترا على بعض فاذ ثبت عندهم وظهر الفضل لبعض على بعض فيما ذكرنا يجوز الفضل على في الرسالة والثاني ذكر بقائلها قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يخبر ان الامر ليس اليهم انما ذلك الى الله يختار من يشاء لما يشاء من الرسالة والنبوة وغيرهما كما يختار التوسيع على من يشاء والتضييق والتقتير على من يشاء وان كانوا جميعا يحبون السعة ويجتهدون ويهربون منها من الضيق والتقتير لكن الامر في ذلك الى الله كله والثالث وسع على بعض وضيق على بعض في الجهة التي وسع على بعض غير الجهة التي ضيق على بعض فلا بد من رسول يخبرهم عن ذلك ويعلم ما على هذا وما جهة التفريق بينهم والتفضيل في الرزق والله اعلم واما الاحتجاج عليهم في البعث بها فمن وجوه ايضا احدها انه جمع في هذه الدنيا بين الولي والعدو والتسوية بينهما في التوسيع والتضييق اذ وسع على العدو والولي جميعا وضيق على الولي ووسع على العدو وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية وقد سوى بينهما في هذه الدنيا وجمع فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما فيلزمهم البعث والله الموفق والثاني انه وسع الرزق على من هو في تقديرهم وعقولهم لا يوجب التوسيع عليه وهو السفيه الجاهل الذي في تقدير كل ذي عقل ولبابه يكون محروما مضيقا وضيق على من هو في تقدير كل احد وعقله ان يكون موسعا عليه مرزوقا وهو العاقل العارف بجميع اسباب السعة والفساد في التقدير على خلاف هذا فلا بد من كان فيه م يظهر التفضيل بالعقول والمعارف والرغبة فيها والرغبة عن اضدادها ومن هو اهل التوسيع ومن اهل الحرمان اذ قد اشتركوا في هذه والثالث انه يعتبروا وينظروا بان من قدر على توسيع الرزق وبسطه وتضييق الرزق وحرمانه بالاسباب الخارجة عن تقديرهم وتدبيرهم وبغير اسباب لقادر على احياء الاشياء الخارجة عن تقدير قدرتهم وتدبيرهم والله اعلم واما وجه الاحتجاج عليهم بعبادتهم غير الله وفي ذلك تناقض وذلك انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت لا تشفع لهم في الدنيا ولا تقربهم الزلفى فيها في التوسيع والبسط ودفع الضيق وفي الاخرة لا يحتمل لانهم كانوا لا يؤمنون فهو تناقض وسفه وسرف في القول وهذه الاية وغيرها من الايات تنقض على المعتزلة لانهم لا يجعلون لله في مكاسب الخلق وحرفهم وتجاراتهم وجميع اسبابهم التي بها يرزقون ويتعيشون صنعا وانما يجعلون ذلك في الخارج من الارض وغيرها فالناس في ذلك وتضييق اذا لم يكن له في تلك الاسباب والمكاسب صنع فدل ان له في ذلك صنعا حتى يقع منه البسط والتوسيع والتضييق والتقتير والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا يكون للمؤمنين في ذلك ايات على الكفار والثاني لقوم ينتفعون بايمانهم والمؤمنون هم المنتفعون بها فاما من كفر بها فلم تنتفع وجائز ان يكون في ذلك العبرة من وجه اخر لقوم يؤمنون وهو ان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي يكتسبون بها ولكن يرون الرزق من الله انه يرزق باسباب وبغير اسباب ويذكر هذا لهم على ان من دفع الحاجة الماضية لم يقضها ان يرجوها من الله الامن ذلك الرجل وقوله عز وجل فات ذا القربى حقه يحتمل قوله حقه اي حاجته لا على حق كان له كقوله ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة او معلوم انه لم يكن لهم في بناته حق ولكن ارادوا بالحق الحاجة فعلى ذلك الاول وكذلك قوله والمسكين وابن السبيل اي سد المسكين حاجته ومسكنته وكذلك ابن السبيل ويحتمل قوله فات ذا القربى حقه الحق الذي كان لهم لكن لم يبين ذلك الحق في هذه الاية وبين في اية اخرى كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين وما ذكر من المواريث قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الاية ونحو ذلك من الحقوق وحق المسكين وابن السبيل ما ذكر من الصدقات والزكوة والله اعلم وقوله عز وجل ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل قوله ذلك خير اي الايتاء للاقربين والمساكين والفقراء خير من الابعدين والاغنياء وفيهم او ان يكون قوله ذلك خير اي ذلك الايتاء اذا اريد به وجه الله مما لا يراد به وقوله عز وجل وابن السبيل اختلف فيه قال بعضهم هو المنقطع عن ماله يعان حتى يصل الى ماله وقيل الضيف ينزل فيحسن اليه الكرام ينجع ويحتمل وجائز ان يكون قوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي ات من ليست له عندك نعمة فيكون ذلك مكافاة لنعمة والنية ولكن على ارادة وجه الله والله اعلم واولئك هم المفلحون قد ذكرنا ان الفلاح هو البقاء وقيل النجاة قال ابو عوسجة القيم المستقيم منيبين اليه اي راجعين يقنطون ييأسون وقوله عز وجل وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله قال عامة اهل التاويل هذا في العطايا التي يعطي بعضهم بعضا ويهدون ليصيبوا اكثر مما اعطوا واهدوا مجازاة ومكافاة لذلك كان يقول وما اتيتم من عطية وهدية ليربوا في اموال الناس لتزدادوا من اموال الناس ولتلتمسوا الفضل من امثالهم يقولون هذا ربوا حلال لا وزر فيه ولا اجر فهو مباح للناس عامة لا باس فيه واما قوله ولا تمنن تستكثر فهو للنبي خاصة يقول لا تعط لتعطى اكثر منه ابتغاء الثواب في الدنيا ولكن اعط ابتغاء ثواب الاخرة ويستدلون باباحة ذلك بقوله فلا يربوا عند الله يقول لا اثم ولا وزر ولا يضاعف ذلك عند الله

ولم يقل ما قال في الربوا المحرم المحظور حيث قال يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ذكر المحق هنالك وههنا ذكر فلا يربوا عند الله اي لا
يزداد ولا يتضاعف لكن لو قيل انها في الربوا المحظور كان جائزا محتملا ويكون قوله فلا يربوا عند الله كقوله فما ربحت تجارتهم انها اذا لم
تربح خسرت الا ترى انه قال اولئك هم الخاسرون دل انها اذا لم تربح خسرت فعلى ذلك قوله فلا يربوا عند الله اذا لم يربو عنده محقه م
يحقروا والله اعلم لولا صرف اهل التاويل الى الهدايا والعطايا التي يبتغى بها الثواب في الدنيا والمكافاة فيها اكثر مما اعطوا الا
جاز صرفه الى الربوا المعروف بين الناس في العقود وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الهدية يبتغى بها وجه
الرسول وقضاء الحاجة والصدقة يبتغى بها وجه الله والدار الاخرة ثم بين ما الذي يربوا عند الله وهو ما قال وما اتيتم من زكوة تريدون
وجه الله ثم اختلف فيه قال هو ما يزكون من زكوة المال يريدون به وجه الله فهو الذي يتقبل الله ويضاعف عليه ومنهم من قال كل صدقة
اعطاها فاراد وجه الله لم يرد بها الثواب في الدنيا فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله فاولئك هم المضعفون وكان يجيء ان يقال فاولئك
هم المضعفون بنصب العين لانه هو يضاعف لهم لكن الزجاج يقول هو كما يقال الموسر هو الذي له يسار والمقوي هو الذي له القوة ونحو فعلى
ذلك المضعف هو الذي له الضعف وعندنا هم المضعفون لانهم هم الذين جعلوا الاحاد عشرات والاضعاف المضاعفة بتصدقهم
ابتغاء وجه الله فهم المضعفون لانفسهم ذلك ثم يجوز ان يستدل بهذه الاية على اباحة هذه المعاملات التي تجري فيما بين الناس لانه
اجاز الهدية والعطية على قصد الفضل والزيادة وان كان على شرط الزيادة لا يجوز فعلى ذلك المعاملة يجوز على قصد الزيادة و
الفضل وان كان على شرط الزيادة لكن ابا حنيفة رحمه الله كره هذه المعاملات ولم يكره الهدية على قصد طلب الفضل لوجهين احدهما
ان ليس العرف في الناس في الهدايا اعطاء الفضل وان كان على قصدها وتلك طلب الفضل لا محالة بل يكافؤن مرة الاكثر ويكافؤن
بعضا ويحرمون بعضا فلا يكره واما المعاملة فلا يكون الا على قصد ذلك الفضل فلا يرضون منهم الا بحفظ المقصود فيها واهل
العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر واهل المعاملة لا يروى في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسدى اليه فليجازه والا فليشكره والثناء عليه او كلام نحو هذا والثاني ان اهل المعاملة يشرطون قبل المعاملة الزيادة وان
كانوا يشترطون في عقد المعاملة ولا كذلك اهل العطايا والهدايا بل يعرضون تعريضا لذلك افترق والله اعلم وقوله عزوجل الله
الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك ثم رزقكم وانتم تعلمون ذلك ان الرازق لكم غيره ثم يميتكم وانتم تعلمون ان لا يملك
احد غيره ذلك فعلى ذلك يملك احياكم ولا يملك احد ممن تعبدون من دونه من الاصنام ذلك فكيف تعبدون دونه وهو قوله هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء هذا يحتمل وجهين احدهما هؤلاء الذين تعبدون شركاءكم فيما ذكر من الخلقة والرزق فكيف
تعبدون وتتخذون الهة دونه الثاني هل من شركائكم الذين اشركتموها في عبادة الله والوهيته تملك ما ذكر يقول لا تملك
شيئا مما ذكر علم منكم انها لا تملك ذلك فيقول فكيف تشركونها في الوهيته ثم نزه نفسه وبرأه عن جميع العيوب التي وصفه الملحدة
فقال سبحانه وتعالى عما يشركون لان حرف سبحانه حرف تنزيه عن جميع العيوب والتعالي هو وصف وتبرئة عن ان يغلبه شيء او يقهره
هو من العلو وتعالى عن ان يغلبه شيء او يقهره وقوله عزوجل ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس هذا يحتمل وجهين احدهما
ان يكون قوله ظهر الفساد في البر والبحر وهو الشرك والكفر بما كسبت ايدي الناس من الامور التي كانوا يتعاطون من قطع الطريق و
السرف والظلم وانواع اعمال السوء التي يتعاطونها ذلك هو سبب شركهم وكفرهم بالله وبذلك كان شركهم وكفرهم ذلك كان يغطي
قلوبهم حتى لا تنجلي قلوبهم للايمان كقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية ونحو فان
كان هذا فهو على حقيقة تقديم الايدي والكسب والثاني ان يكون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس هو القحط وقلة الامطار
والانزال والضيق وقوله عزوجل بما كسبت ايدي الناس هو شركهم وكفرهم وتعاطيهم ما لا يحل اي ذلك القحط والضيق وقلة الانزال
والشدائد بشركهم وكفرهم واعمالهم التي اختاروها ويكون ذكر كسب الايدي على المجاز لا على الحقيقة ولكن لما باليد تكتسب وباليد
تقدم ذكر اليد كقوله ذلك بما قدمت يداك ولعلهم لم يقدموا شيئا لكنه ذكر انه ظهر هو الشرك والكفر بحقيقة كسب الايدي من اعمال السوء
التي ذكرنا ذلك كان يغطيهم عن الايمان وكشف الظلام عن قلوبهم وفي التاويل الاخر الفساد الذي ظهر هو القحط وقلة الامطار و
الانزال والضيق بما كسبت ايدي الناس هو الشرك والكفر وتعاطيهم ما لا يحل لا على حقيقة كسب الايدي ولكن ما ذكرنا ثم اختلف في قوله في البر
والبحر قال بعضهم البر هو المفازة التي لا ماء فيها والبحر القرى والامصار وقال بعضهم اما البر فاهل العمود والبحر هم اهل القرى والريف و
قال بعضهم البر قتل ابن ادم اخاه والبحر الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وجائز ان يكون لا على حقيقة ارادة البر والبحر ولكن على
ارادة الاحوال نفسها على ما ذكرنا من القحط والضيق وقلة الانزال بما كسبت ايدي الناس من الشرك والكفر ليذيقهم بعض الذي عملوا وهو
الشرك جزاء ما يشبه وعن الحسن قال افسدهم الله في بر الارض وبحرها باعمالهم الخبيثة لعلهم قال يرجع من كان بعدهم ويتعظون بهم و
قتادة تقول لعل ... يرجع لعل تائبا يتوب لعل مستعتبا يستعتب واصله لكي يلزمهم الرجوع والتوبة عما عملوا وينبههم عن ذلك كله
وقال بعضهم ظهر الفساد في البر والبحر اي اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس قال ابو عوسجة الربوا من الربوا مثل ما يبتغي
اصحاب الربوا اليوم اي يزيد ويكثر يقال ربا ماله اذا كثر والقتبي يقول اي يزيدكم من اموال الناس من زكوة وصدقة وقوله

عزوجل

عزوجل قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل قد ذكرنا في غير موضع انه ليس على حقيقة الامر بالسير في الارض
ولكن كانه يقول لو سرتم في الارض ونظرتم لرايتم اثار عاقبة من كان قبلكم من المشركين وكذا في الرسل وما حل بهم فيمنعكم عن
تكذيب الرسل والشرك بالله اذا كانت بما يكون هو على الامر بالفكر والنظر والاعتبار كانه يقول لو تفكروا واعتبروا ونظروا لو سرتم في الارض
والنظر والاعتبار عاقبة مكذبي الرسل فيلزمكم التكذيب ما نزل باولئك والله اعلم وقوله عزوجل فاقم وجهك
للدين القيم قد ذكرنا فيما تقدم في قوله فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله عزوجل من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله قال بعض اهل
التاويل لا يقدر احد على رده ذلك اليوم من الله ثم يخرج على وجهين احدهما لا مرد له من الله اي لا يرده من ذلك اليوم لابتداء
المحنة كقوله يا ليتنا نرد الاية وقوله فاجعلنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اخبر عنهم انهم يقولون ذلك ولا يردون والعاد والما نهاه عنه في
ذلك جائز ان يكون قوله لا مرد له من الله اي لا يرد الاول والثاني لا مرد له من الله اذ لا قائلهم من الله ولا عفو ولا
فدية انا تام ذلك اليوم كقوله لا ينفع نفسا ايمانها الاية وقوله عزوجل يومئذ يصدعون اي يتفرقون كقوله يوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون هو يوم الافتراق ويوم الجمع ويوم الفصل على الاختلاف الاحوال والاوقات والله اعلم وقوله عزوجل من
كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي من كفر فعليه جزاء كفره ومن عمل صالحا فله ثوابه
ولي منفعته على انه عزوجل انما امتحنهم بانواع ما امتحنهم لنا نفع انفسهم ولحاجتهم لا لحاجة او لمنفعة له وكذلك قوله ومن عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية وهو ما ذكرنا انما امرهم وامتحنهم لمنافع انفسهم
ولحاجتهم لا لحاجة او منفعة لنفسه لذلك كان والله اعلم وقوله عزوجل يمهدون اي لبعضهم يفرشون وقال ابو عوسجة و
القتبي فلانفسهم يمهدون يوطئون وهو من المهاد والمهاد في الاصل الفراش وقوله عزوجل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
هذا يدل ان الثواب والجزاء سبيل وجوبه الفضل في الحكمة لما سبق من الله اليهم نعم ما لم يقوموا القيام بشكر واحدة منها فضلا ان تقوم
بكل فاذا كان كذلك صار الثواب والجزاء وجوبه الفضل لا الاستحقاق ولا الاستيجاب واما العقوبات فوجوبها الاستحقاق اذ في
الحكمة وجوبها لذلك افترقا وجائز ان يكون قوله ليجزي الذين امنوا اي يجزيهم في الاخرة بالخيرات التي عملوها في الدنيا وذلك من فضله
بما نالوا ذلك وبفضله والله اعلم وقوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات ان في الرياح ايات في نفسها وفيها بشارات اما الايات
في ايات سلطانه وتدبيره من وجوه انه انشا هذه الرياح في الهواء وفي الارض وفي الجبال وفي السماء تصيب الخلائق وتمسهم ونؤذيهم
وتقربهم من غير ان يروها او يقع عليها البصر ومن ان يدركوها او يدركوا كيفيتها او ما يشبه لغيرها من الاجسام ما هي غير مدركة
ولا اخذ البصر عليها وترى منها طيبة لينة وخبيثة وشديدة كاسرة عاصفة يعذب بها قوم وينصر بها قوم على ما ذكر في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلك عاد بالدبور ومن بشاراتها ما تلقح الاشجار والنخيل وتشق الارض وتنبت النبات
منها ويجمع السحاب وتاتي بالمطر وتجري بهم السفن والفلك في البحار في الماء الراكد والفلك لولا الريح فذلك كله من البشارة والمنافع
المنافع جعل فيها يعلم كل بالاعلام والاثار انها نافعة او ضارة مهلكة ثم سماها مبشرات ليعلم ان البشارة قد تكون بدون النطق
والكلام من نحو الخطاب والاشارة او الرسالة اذ ليس للريح نطق ولا كلام ثم سماها مبشرة والله اعلم وقوله عزوجل وليذيقكم من
رحمته هذا يدل ان هذه البشارة والمنافع التي جعلها كان من رحمته وفضله لا استيجابا ولا استحقاقا وسمى ذلك كله رحمة لانه
برحمته يكون والله اعلم وقوله عزوجل ولتجري الفلك بامره قوله بامره يحتمل بتدبيره تجري السفن في البحار على ما ذكرنا وان يريد بامره
تكوينه كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وكقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله عزوجل
ولتبتغوا من فضله هذا يدل على ان ما يصل اليهم من المنافع انما يصل من فضله ورحمته لا يصل من فضله ورحمته لا يصل اليهم
بتلك الاسباب والمكاسب لما يدرا ذلك من تلك الاسباب ولكن يرون ذلك من فضل الله ورحمته وقوله عزوجل ولعلكم تشكرون
اي لكي يلزمهم الشكر لله في ذلك كله والله اعلم وقوله عزوجل ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا
من الذين اجرموا في هذه الاية تصبير رسول الله على اذى الكفرة حيث قال ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات وفيه
ايضا بشارة للمؤمنين ونذارة لاولئك الكفرة اما النذارة لهم فبقوله فانتقمنا من الذين اجرموا اخبروا او لئلا للكفرة للرسل و
عاملوهم بما تعاملون انتم يا اهل مكة رسول الله فانتقمنا منهم جزاء معاملتهم فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من اولئك واما
البشارة للمؤمنين في قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخبر ان عاقبة الامر تكون للمؤمنين وفيه ان الرسل الذين كانوا من
قبل كانوا من البشر فكيف تنكرون رسالة محمد اذ كان من البشر وفيه تذاكر قومه بالبينات كما اتى اولئك الرسل قومهم بالبينات
وقوله عزوجل وكان حقا علينا نصر المؤمنين هو يخرج على وجهين احدهما اي كان حقا علينا جعل العاقبة للمؤمنين لان يكون
عليهم حقا نصر المؤمنين في الدنيا ولكن جعل العاقبة للمؤمنين حقا كقوله والعاقبة للمتقين والثاني كان حقا علينا نصر المؤمنين
بالحجج التي اعطاهم اي كان حقا اعطاء الحجج لهم والنصر والمعونة بالحجج اي اعطاء الحجج لهم وروى لبعضهم نصر الايام انه لما جاء مع الرسل
والقتال وذلك والله اعلم وقوله عزوجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا كانه يخبر

من قدرته وسلطانه حيث انشاء الرياح بحيث يجمع السحاب ويفرق ويبسطه ويجعله قطعا يمطر في مكان ولا يمطر في مكان
بقول والله اعلم ان من قدر ان يسلط الرياح في جمع السحاب وتفريقه يملك تسليط الرياح على تعذيبكم او يقول ان المعبود المستحق
للعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكر والامطار لا الاصنام التي تعبدون وان تعلمون انها لا تملك شيئا مما ذكرنا ويذكرهم النعم التي عليهم
لتنادي بها شكرها او يطمعهم ايمان بعض منهم بعد ما كانوا ايسين عن ايمانهم كما اطمعهم المطر والسعة بعد ما قحطوا وكانوا ايسين
عنه الا ترى انه قال فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين قال ابو
عوسجة فتثير سحابا اي ترفعه وقال ابو عبيدة يجمعه كما يستثير الرجل العلم فيجمعه وقوله عز وجل ويجعله كسفا قال بعضهم
قطعا قطعا وقال بعضهم بعضه الى بعض ويجعل بعضه على بعض وقوله عز وجل فترى الودق يخرج اي المطر يخرج من خلال السحاب
اي من بين السحاب ويقال من خلله ومعناه فتنبه وقوله لمبلسين ايسين والابلاس الاياس ولذلك سمي ابليس ابليس لانه ايس عن رحمة الله
وقوله عز وجل فانظر الى اثار رحمة الله يحتمل ان يكون قوله الى اثار رحمة الله اي المطر اراد بالرحمة المطر سمى المطر رحمة لانه يكون الاثار
هو المطر بنفسه جعله من اثار رحمته واعلامه ثم الامر بالنظر والاعتبار باثار رحمته يحتمل وجوها احدها امرهم بالنظر الى ذلك
ليعلموا انه رحيم كي يرغبوا فيما رغبهم ويرجوا فيما اطمعهم ودعاهم اليه اذ قد ظهر لهم اثار رحمته فكل رحيم يرغب فيما رغب واطمع
او ان يكون الامر بالنظر الى اثار رحمته اذ ذلك راجع الى منافع ابدانهم وانفسهم وما به قوامهم ليستادي بذلك شكره وفي ذلك
يقع الحاجة الى من يعرفهم تلك النعم ويعرف شكرها فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة واثباته او ان يكون سمى المطر رحمة
لما يرجع ذلك الى منافع ابدانهم وما به قوام انفسهم ليعرفوا الرحمة التي راجعة الى منافع دينهم واخرتهم وهو رسول الله اذ سماه في غير
موضع رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ان يامرهم بالنظر الى ذلك المطر وانه كيف يحيي هذه الارضين الموات وينبت فيها
من الوان النبات وهذه الاشجار اليابسة كيف تخضر بعد يبوستها هذه الامطار ليعرفوا ان من ملك هذا وقدر على ذلك وهو
خارج عن وسعهم وتدبيرهم لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الممات وان كان خارجا عن تدبيرهم ووسعهم وهو على كل
شيء قدير لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا يعني به الزرع النبات الذي خرج من الارض بالمطر قال
بعضهم راوه يابسا اذا اصابته الريح الباردة لظلوا من بعده يكفرون اي لاقاموا على كفرهم اذا اصابهم ما ذكر وهو كقوله واذا
اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم يقنطون فعلى ذلك قوله فظلوا من بعده يكفرون اي يقنطون
من رحمته والله اعلم وقوله عز وجل فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين يحتمل ان يكون لا تسمع الموتى يريد
بالموتى انفسهم ولا تسمع الصم الدعاء الصم انفسهم ايضا وقوله ولا تسمع الكفار والضلال اذا ولوا مدبرين او ان يكون قوله
لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذلك الصم والعمي وقد سمى الله الكفار موتى وصما وعميا في غير موضع من القران ثم في قوله ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين حكمة وهو انه لا يقدر ان يسمع الصم الدعاء اذا ولى مدبرا ولكن يقدر ان يفهم الاصم الدعاء
اذا قيل وانما اذا ادبر فلا يقدر ان يسمعه وكذلك الحكمة في قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي لا يقدر ان تهدي العمي
عن ضلالتهم وهو الذي يعمى عن ضلالته ويظن انه على الهدى وغيره على الضلال فاما من كان مقرا بالضلال فانك تقدر ان
تهديه بخبر عن شرح سفههم وتعنتهم وعماهم في ضلالتهم والله اعلم وقوله عز وجل ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما تسمع
الا من يؤمن باياتنا هذا يدل على ان قوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
هي المواعظ لا نفس الهدى حيث قال ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون ثم يحتمل قوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا كقوله انما
تنذر من اتبع الذكر انما ينتفع بانذارك من اتبع الهدى وان الذي يقبل النذارة من اتبع الهدى فاما من لم يتبع الهدى فلا ينتفع
فعلى ذلك يحتمل قوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما ينتفع او لا تسمع المواعظ الا من يؤمن بذلك والله اعلم وقوله عز وجل الله
الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله خلقكم من ضعف
اي من النطفة وهو ما قال في اية اخرى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف ثم قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة اي انسانا يقوى على
امور وعلى اشيا ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي شيخا فانيا كقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ويحتمل ان قوله خلقكم من ضعف اي اطفالا لا على الخلقة التي انتم عليها اليوم ضعفاء لا تقدرون على اشياء وامور ولا تقوى شيء
منكم على شيء ثم جعل من بعد ذلك الضعف قويا تقدرون على اشياء وامور ثم يجعل من بعد تلك القوة والقدرة ضعفا شيوخا
لا يقدرون على شيء على ما يكون يحتمل هذين الوجهين ثم فيه وجهان من الدلالة احدهما على البعث والثاني على القدرة
على انشاء الخلق والاشياء لا من اصول اما الدلالة على البعث لانهم كانوا ينكرون البعث وانشاء الشيء لا من اصل الخروج
ذلك عن قواهم وتقديرهم فيخبر ان النطفة تصير علقة وليس فيها من العلقة ومن اثارها شيء وكذلك العلقة تصير مضغة
وليس فيها من اثار المضغة شيء وكذلك المضغة تصير انسانا فيه عظم وجلد وشعر ولحم وليس شيء من ذلك فيها فمن قدر
على ما ذكر لقادر على خلق الشيء لا من اصل وقادر على البعث اذ كل ما ذكر اقروا به وهو خارج عن قواهم وعن تقديرهم

فلزمهم

فلزمهم الاقرار بالبعث وانشاء الاشيا لا عن اصل وان يقدروا قدرتهم وقواهم بقدرة الله وقوته على ما شاهدوا والاشياء خارجة
عن قوتهم وعن تقديرهم بقوة وقدرة والثاني ان ما ذكر من تحويل النطفة الى العلقة والعلقة الى المضغة والمضغة الى
الصورة والانسان لم يحولهم ولم ينقلهم ليكون كما ذكر بلا عاقبة يكون لهم ولا بعث فلو لم يكن بعث لكان ما ذكر من تحويل حال
الى حال عبثا باطلا على ما ذكر وكذلك فيما احدث في الاطفال من القوة والقدرة بعد ما كانوا ضعفاء لا يقوون ولا يقدرون
على شيء انه انما احدث ذلك فيهم ليمتحنوا ويجعل لهم فيما يثابون ويعاقبون اذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة لكان فعل ذلك عبثا باطلا
وفيه القدرة على انشاء الشيء واحداثه لا من شيء اذ كان التركيب موجودا على التمام ولا قوة بهم ثم حدث القوة ولا اصل لها ولا
اثر من اثارها دل ان تقدير قوى الخلق وقدرتهم بقوى الله وقدرته محال والله الموفق وقوله عز وجل يخلق ما يشاء وهو العليم
القدير باحوالهم والقدير على انشاء الاشياء لا من اشياء وعلى البعث بعد الموت والله اعلم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة قال بعض اهل التاويل يقسم المجرمون انهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة وكذلك يقولون في
قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين وقالوا لبثنا يوما او بعض يوم الاية لكن لا يشبه ان يكون قوله يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة الدنيا في الجنة لا في القبور واستقصروا مقامهم في الدنيا تكذيبا لما ادعى عليهم من الزلل والمعاصي وانواع الكفر
يقولون انا لبثنا في الدنيا وقتا لا يكون منا في مثل ذلك الوقت وقدر ذلك المدة الزلل والمعاصي الا ترى انهم قد كذبوا في انكار
طول المقام فيها حيث قال كذلك كانوا يؤفكون اي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا ان لا بعث ولا حياة بعد الموت ولا حساب
ولولا هذا التكذيب لهم على اثر قولهم ما لبثوا غير ساعة والا كان الظاهر انهم قد استقصروا المقام في الدنيا لطول المقام في الاخرة
وشدة العذاب في ذلك وهو له لكنه والله اعلم ما ذكرنا انهم يقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة في الدنيا انكارا وجحودا لما ادعى
عليهم من الزلل والمعاصي يقولون انا لم نلبث في الدنيا الا ساعة كيف عملنا فيها هذه الزلل وانواع الشرك والكفر فاخبر انهم كذا
كانوا يؤفكون اي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا ويقسمون حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فذلك
القسم منهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذب وانكار المقام كما كذبوا وانكروا الشرك حيث قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله
عز وجل وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتاخير
كانه قال الذين اوتوا العلم في كتاب الله اي اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث فهذا يوم البعث وقال بعضهم
قال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في علم الله في الدنيا الى يوم البعث فهذا يوم البعث وبعضهم يقول وقال الذين اوتوا العلم و
الايمان لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من الاجال الى انقضاء اجالكم وفنائها وقوله عز وجل فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرون وتكذبون
ولكنكم كنتم لا تعلمون هذا يخرج على وجهين احدهما على حقيقة نفي العلم عنهم لكنهم لا يعذرون لجهلهم بذلك لما اعطوا اسباب
العلم لو تفكروا وتاملوا لعلموا والثاني على نفي الانتفاع بعلمهم على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها فعلى ذلك جائز نفي
العلم عنهم بذلك لما لم ينتفعوا بما علموا والله اعلم وقوله عز وجل فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ليس على ان يكون لهم عذر فلا
ينفعهم ولكن لا عذر لهم البتة او ان يكون معذرتهم ما ذكروا ما لبثوا غير ساعة فذلك معذرتهم فلا ينفعهم ذلك لانهم
كذبة في ذلك وقوله عز وجل ولا هم يستعتبون الاستعتاب هو الاسترجاع عما كانوا فيه فهم لا يطلب منهم الرجوع عما كانوا عليه
في ذلك الوقت والعتاب في الشاهد ان يعاتب كل شيء عما هو عليه ويرجع عما كان منه فيما مضى وذلك لا ينفع الكفرة في ذلك
اليوم وقوله لئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي راوا ذلك الزرع والنبات مصفرا اي يابسا لما اصابه من الريح والبرد لظلوا من بعده
قبل لاقاموا وقيل لصاروا وقيل لمالوا وكله يرجع الى معنى واحد وهو ما تقدم ذكره من القنوط اي يقنطون وياسون من رحمته و
يكفرون رب هذه النعم وفي حرف ابن مسعود انك لا تسمع الموتى لا تبعث الموتى وقوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من
كل مثل جائز ان يكون ما ذكر من ضرب المثل للكفار خاصة يقول قد بينا لهم ما يعظهم ويزجرهم عما هم فيه ويدعوهم الى الايمان والتوحيد
لكنهم اعتقدوا العناد والمكابرة وقوله عز وجل ولئن جئتهم باية اي جئتهم بالاية التي سالوك ايضا فلا يصدقوك ولا يقبلوا
الهدى ويقولون ما ذكر ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ويشبه ان يكون ما ذكر من ضرب المثل للفريقين جميعا المؤمن
والكافر ويكون التاويل والله اعلم ولقد ضربنا وبينا للناس لا فعالهم واحوالهم من القبيح والحسن مثلا وشبها ما يعرفون به
قبح وحسن كل حسن وما يتعلم الحق من الباطل والعدل من الجور دلالة وليك الكفرة لم يجتنبوا ولم يتاملوا ثم رجع الى وصف
اولئك الكفرة فقال ولئن جئتهم باية اي بزيادة في البيان والوضوح ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون والله اعلم
وقوله عز وجل كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون قد ذكرنا في غير موضع ان قوله لا يعلمون يخرج على وجهين احدهما
لم يعلموا لما لم يتاملوا ولم ينظروا في اسباب العلم لكي يعلموا ولا عذر لهم في جهلهم ذلك لما اعطوا اسباب العلم لكنهم لم يستعملوها
فمنهم جاء ذلك فلم يعذروا والثاني نفي عنهم العلم على وجود العلم لهم لكونه لما لم ينتفعوا بما علموا على ما ذكرنا من نفي الحواس عنهم
مع وجودها وكونها لهم تلك الحواس لما لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها فيما جعلت تلك وانشئت لها فعلى ذلك العلم والله اعلم وقوله

عز وجل فاصبر ان وعد الله حق قال بعضهم فاصبر على ما تكذيبهم اياك بالعذاب الذى وعدت لهم ان وعد الله حق فى العذاب بانه
نازل بهم ويحتمل ان يكون قوله فاصبر اى اصبر على اذاهم الذى يؤذونك ان وعد الله حق فى النصر لك والمعونة وقوله عز وجل
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون كانه يقول لا يحملنك اذاهم اياك حتى تدعو عليهم بالعذاب والهلاك وقال بعضهم لا يستخفنك
اى لا يستفزنك ويقول لا يستجهلنك واصله ما ذكرنا انه لا يحملنك وكذلك الكفرة على الخفة والعجلة والجهل حتى تدعو عليهم
بانزال العذاب والهلاك لهم وهو والله اعلم منا لا يستخفنا ف

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله فى غير موضع فيما تقدم وما ذكر فيه وقوله عز وجل تلك ايات قال بعضهم تلك اشارة
الى ما بشر به الرسل المتقدمة اقوامهم من بشارات يقول يقول تلك البشارة هى ايات الكتاب اى هذا القران وقال بعضهم تلك
ايات التى فى السماء هذا الكتاب ومنهم من قال تلك ايات التى انزلت متفرقة فجمعت فصارت قرانا والله اعلم وقوله عز وجل
الكتاب الحكيم سمى الكتاب حكيما كريما مجيدا ونحوه فيحتمل تسميته حكيما وجوها احدها لاحكامه واتقانه اى محكم متقن لا
يبدل ولا يغير وهو كما وصفه عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية والثانى سماه حكيما لان من تمسك
به وعمل بما فيه يصير حكيما مجيدا كريما والثالث سماه حكيما لانه منزل من عند حكيم كقوله تنزيل من حكيم حميد وقوله عز وجل
هدى ورحمة للمحسنين قوله هدى اى توفيقا وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو رحمة لهم فى دفع العذاب عنهم
واما ما يقول اهل التاويل هدى اى بيانا للمحسنين فهو بيان الكل ليس لبعض دون بعض فلا يحتمل الهدى البيان فى هذا
الموضع ولكن ما ذكرنا من المعونة والتوفيق والعصمة والمحسن ههنا جائز ان يكون المؤمن كقوله ان فى ذلك لايات
لكل صبار شكور الصبار هو المؤمن والشكور هو المؤمن سمى المؤمن صبارا مرة وشكورا مرة ومحسنا مرة لانه يعتقد
بالايمان كل ما ذكر من الصبر والشكر والاحسان وكل خير والله اعلم وقوله عز وجل الذين يقيمون الصلوة الاية قد
ذكرنا تاويله فيما تقدم فى غير موضع وقوله عز وجل اولئك على هدى من ربهم تاويل الهدى ما ذكرنا فى هذا الموضع من
التوفيق والعصمة والمعونة واولئك هم المفلحون قد ذكرناه ايضا وقوله عز وجل ومن الناس من يشترى لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله بغير علم اختلف فى قوله من يشترى لهو الحديث قال بعضهم ليس على حقيقة الاشتراء نفسه و
لكن على الايثار والاختيار لان الاشتراء هو المبادلة اخذ واعطاء ولكن اثروا واختاروا واثروا الضلالة مع قبحه
عندهم على الهدى مع حسنه فعلى ذلك اثر لهو الحديث واختاروه على الحق وحكمة الحديث واختاروا الفانى على الباقى
فسماه شراء لذلك وقال بعضهم هو على حقيقة الاشتراء لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول انه على اشتراء المغنية والمغنى كانوا
يشترون ليتلهوا بهم ويلعبوا ومنهم من قال كان يشترى ويكتب عن لهو الحديث وباطله من حديث الاعاجم فيحدث
بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم باحاديث عاد وثمود وانا احدثكم باحاديث فارس والروم وذلك اشتراؤه لهو
الحديث واضلاله الناس عن سبيل الله فاعرضوا عن القران والايمان بمحمد ويتخذها هزوا وكان اذا سمع
شيئا من القران اتخذها هزوا وهكذا عادة الكفرة واهل النفاق كانوا يستهزؤن بالقران وبرسول الله واصحابه
ثم اوعدهم الوعيد الشديد حيث قال اولئك لهم عذاب مهين وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يقولان
فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث هو شراء المغنية والغناء وقد روى مرفوعا روى عن ابى القاسم عن ابى
امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يبتعوا المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى التجارة فيهن
وثمنهن حرام وفى مثله انزلت هذه الاية ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية فان ثبت هذا فهو تفسير لهو
الحديث الذى ذكر فى الاية وقوله عز وجل واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اى اعرض متعظما متجبرا كان لم يسمعها
كان فى اذنيه وقرا على التقرير ويحتمل على نفى الحقيقة فان كان على التقرير فهو على ترك الاستماع وان كان على
حقيقة النفى فقد ذكرنا فى كثير من الاى ذلك قوله صم بكم عمى وذلك يحتمل وجهين والله اعلم ثم اوعد
العذاب الشديد حيث قال فبشره بعذاب اليم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله امنوا بجميع
ما امروا بالايمان به وعملوا الصالحات باعتدائهم العمل بالطاعات والصالحات لهم جنات النعيم كل الجنان التى وعد للمؤمنين نعيم
يتنعمون فيها خالدين فيها وعد الله حقا اى ما وعد للمؤمنين الجنات النعيم هو حق كائن لا محالة وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير
عمد ترونها قال بعضهم خلق السموات بعمد لا ترونها وقيل العمد لا ترونها وقال بعضهم خلقها بلا عمد لا عجوبة فيما خلقها بعمد لا ترونها
ليست بدون الاعجوبة فى خلقها بلا عمد لان رفع مثلها بعمد لا ترى اعظم فى اللطف والقدرة من رفعها بلا عمد لانا لعمد لو كانت مثل
مقدار الريشة او الشعرة ترى فى رفعها مع ثقلها وعظمها وغلظها على عمد لا ترى هو الطف من ذلك واعظم فى الاعجوبة فاذكرنا بايها

كان فيه دلالة انه لا يجوز تقدير قوى الخالق بقوى الله تعالى بقدرته ولا سلطان الخالق بسلطانه بل هو القادر على الاشياء كلها بما
شاء وكيف شاء لا يعجزه شئ وقوله عز وجل والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وقال فى اية اخرى وجعل فيها رواسى والرواسى هى الثوابت
اى اثبت الارض بالجبال كقوله والجبال ارسيها اى اثبتها وقوله ان تميد بكم اى لا تميد بكم ذكر الميل وهو الميل والاضطراب وليس من طبع
الارض الميل والاضطراب وانما طبعها التسرب والتسفل والانحدار فلا ندرى ان كيف حالها فى الابتداء وما فى سريتها ما يحملها على الاضطراب
والميد حتى اثبتها وارسيها بالجبال والله اعلم بذلك وقوله عز وجل وبث فيها من كل دابة قال بعضهم بث خلق وقيل بث فرق وفيه انه
جعل الارض مكانا ومعدنا لكل انواع الدواب الممتحن وغير الممتحن والمميز وغير المميز والشاء لم يجعل الا لنوع من الخلق اهل العبادة
وقوله عز وجل وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم اى انبتنا فيها من كل لون يتلذذ به الناظر اليه كريم ينال منه كل
ما اراده وتمناه اذ الكريم هو ما يطمع منه نيل كل ما عنده واريد منه وقال بعضهم الكريم الحسن اى انبتنا فيها كل لون حسن ما يستحسن
الناظر ويتلذذ به على ما ذكر فى اية اخرى من زوج بهيج ما يبهج ويسر به كل ناظر اليه والله اعلم وقوله عز وجل هذا خلق الله يقول ما ذكر من
خلق السموات والارض قوله وما بث من الدواب وما انبت من كل زوج كريم قوله فارونى ماذا خلق الذين من دونه يذكر سفههم يقول
انكم تعلمون ان ما ذكر من السموات والارض وجميع ما فيهما هو كله خلق الله وانه هو خالق ذلك كله وان الاصنام التى تعبدونها من دونه
لم تخلق شيئا من ذلك ولا تملك خلق شئ فكيف تعبدونها من دونه وسميتموها الهة وصرفتم العبادة والوهية عن الذى خالقكم وخالق
السموات والارض وما فيهما وانما استحق الالوهية والربوبية لخلقه ما ذكر والاصنام وفاذ لم يكن منها خلق فكيف سميتموها الهة و
عبدتموها ونحوه هذا والله اعلم تاويل قوله فارونى ماذا خلق الذين من دونه لم يخلق يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم وسرفهم
فى القول والفعل والله اعلم وقوله عز وجل بل الظالمون فى ضلال مبين يحتمل الظالمون وجوها احدها ظلموا انفسهم حيث وضعوها
فى غير موضعها الذى امرهم الله ان يضعوها وهو وضعهم اياها فى عبادة الاصنام او ظالمى حدود الله الذى حدهم لم يحفظوها على
تلك الحدود بل جاوزوها وسماهم ظلمة لما ظلموا نعم الله ولم يشكروها والله اعلم وقوله عز وجل فى ضلال مبين اى فى غير بينة
او هلاك بين وقوله عز وجل ولقد اتينا لقمان الحكمة قال بعضهم الحكمة هى الاصابة فى القول والفعل من غير نبوة وقال بعضهم
اعطى الفهم واللب وقيل الفهم والفقه فى الدين وقيل العلم كانه يقول اعطيناه العلم والفهم بالكتب المتقدمة والفقه هو معرفة
الشئ بنظيره الدال على غيره او معرفة ما غاب بالشاهد او معرفة الخفى الباطن بالظاهر ونحوه والفلاسفة يقولون الحكمة هى المعرفة
مع العمل والحكيم هو الذى له المعرفة والعلم والعمل جميعا فحينئذ يسمى حكيما وقوله عز وجل ان اشكر لله كانه قال ولقد اتينا لقمان
الحكمة والحكمة يحتمل الوجوه التى ذكرنا وقلنا له ان اشكر لله فيما اعطاك من الحكمة وغير ذلك من النعمة وهذا يدل ان الله فيما يكتسب
المرء من الحكمة والعلم صنعا اذ لو لم يكن له لقوله اتينا معنى اذ هو العبد وكسبه الا ترى انه امره ان يشكر له على ذلك ولو لم يكن له
صنع فى ذلك لكان لا يامر بالشكر له على ما لا صنع له فيه اذ يخرج ذلك مخرج طلب الحمد والشكر على ما لم يفعل وقد ذم من احب ان يحمد بما
لم يفعل ان يامرهم بالحمد والشكر على ما لم يفعل ولا صنع له فى ذلك دل ان له فيه صنعا وهو ينقض على المعتزلة فى قولهم انه ليس لله فى
فعل العبد صنع والله اعلم وقوله عز وجل ومن يشكر فانما يشكر لنفسه هذا يدل ان ما يامر عباده وينهاهم وفيما امتحنهم و
يامرهم وينهاهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لمنفعة نفسه او لحاجته حيث قال ومن شكر فانما يشكر لنفسه حيث يتم تلك النعمة
ويديمها له فهو بالشكر ينفع نفسه ومن كفر فانما كفره يلحقه دون الله الا ترى انه قال ومن كفر فان الله غنى حميد اى غنى عن شكرهم
حميد وان لم يحمده احد من خلقه لانه غنى بذاته حميد بصنايعه والاية وان لم يحمد هو ولم يشكر على ذلك لا ينفعه شكر احد
ولا حمده ولا يضره كفران احد ولا ترك الشكر والحمد وبالله الحول والقوة وقوله عز وجل واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم يحتمل قوله ان الشرك لظلم عظيم وجوها احدها ظلموا انفسهم حيث وضعوها فى غير موضعها او نعوها
فى المهالك بعد ما صورها احسن تصوير ومثلها احسن تمثيل واعظم الظلم من عمل وسعى فى هلاك نفسه الظلم عظيم ظلموا نعم الله حيث
صرفوا شكرها الى غير صنعها او ظلموا ظلما عظيما حيث لم يقبلوا شهادة وحدانية الله والوهيته فيما جعلها فى خلقتهم وبنيتهم اذ جعل
فى خلقة كل احد الشهادة على وحدانيته وربوبيته وذلك اعظم الظلم والخبث وقوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا
ولم يذكرها هنا بما ذا وصاه فجاز الوصية بما ذكر فى اية اخرى حيث قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولحسنا او الاحسان هو انه
يا حسن من فعله وقوله حسنا هو انه ما حسن ما كان يفعله وهما واحد فى الحاصل وقوله عز وجل حملته امه وهنا على وهن اى ضعفا
على ضعف كلما مضى عليها وقت ازداد فيها ضعف على ضعف ووجع على وجع امر بالاحسان اليهما جميعا ثم ذكر ما حملت الام من المشقة
والشدة ولم يذكر من الاب شيئا وقد كان للاب وقت احتمال الام المشقة اللذة والشهوة والفرح فجازاه بما له كان من الاب
باذاء تلك المشقة التى احتملت الام معنى ما يؤمر ان يشكر له ويحسن اليه وهو ما يحمل من الانفاق عليها وعليه فى حال الرضاع وهو ما
ذكر وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن او ما لم يجعله مطعونا فى الناس بجعله
يعرف له نسب ينسب اليه بل جعله معروف النسب غير مطعون فى الخلق ونحوه ثم ذكر الفصال ولم يذكر الرضاع والمشقة فى الارضاع

الا في الفصال لكنه ذكر تمام الرضاع وكماله اذا بالفصال ثم ذلك ويحل وقت ذكر التمام له والكمال ذكر الرضاع وليس في ذكر الرضاع
نفسه ذكر تمامه لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ان اشكر لي ولوالديك الى المصير امر بالشكر له ولوالديه وحاصل الشكر
راجع اليه دون من يشكر له اذ كل من صنع الاخر ما يستوجب به الشكر والثناء فبالله صنع ذلك اليه وبنعمه كان منه ذلك فكل
من حمد دون او شكر فراجع اليه في الحقيقة ذلك ثم يخرج قوله ان اشكر لي ولوالديك على وجهين احدهما اشكر لي فيما تشكر والديك
باحسانهما اليك فانهما ما احسنا اليك الا بفضلي ورحمتي كقوله فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي اذكروا الله فيما تذكرون اباءكم بنعمهم
فانهم انما فعلوا ذلك بفضل الله او ان يكون قوله اشكر لي فيما انعمت عليك ولوالديك فيما احسنا اليك وربياك والله اعلم وقوله
عز وجل الى المصير قد ذكر انه خص ذلك المصير اليه وان كانوا في جميع الاوقات صائرين اليه راجعين بان ذلك هو المقصود من
انشائهم في هذه الدنيا وما انشاهم وخلقهم في الدنيا الا لحكمة بذلك ما لولا ذلك لكان عبثا باطلا على ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما امر في الاية الاولى بالاحسان اليهما وبالبر لهما والطاعة ثم بين ان لا
في كل امر يطاعان ولا في جميع ما يامران وبين ان انما يطاعان ويجابان فيما يؤذن لهما ويباح لهما لا فيما لا يؤذن ولا يباح
بحال بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعادات فضلا ان يطاعان او يجابا الى ما دعوا اليه او يامران وكذلك ذكر في الخبر ان لا طاعة
للمخلوق في معصية الخالق وانما امر بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن في ذلك معصية الخالق حيث قال وصاحبهما في الدنيا معروفا
وقوله عز وجل واتبع سبيل من اناب الي قال بعضهم اتبع دين من اقبل الي ورجع الى طاعتي وهو النبي او ان يكون قوله واتبع سبيل من
اناب الي اي اتبع سبيل وديني كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فعلى ذلك الاول لجائز ان يكون تاويله اتبع سبيلي وديني ولا تتبع
غيره سبيل من اناب ورجع الي ولا تتبع سبيل من لم ينب ولم يرجع الي ثم اخبر برجوع الكل اليه من يرجع واناب اليه ومن لم يرجع ولم
ينب اليه على الوعيد حيث قال الي مرجعكم الاية وهو كقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الى قوله فسيحشرهم اليه جميعا اخبر عمن
استنكف ومن لم يستنكف يحشرهم اليه جميعا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله لا يحتمل ان يكون هذا الكلام والقول من لقمان كان لابنه ابتداء من غير سؤال كان في
ذلك فيعلم انه كان ذلك منه عن سؤال لكن لا نعلم ما كان السؤال وما كان فاما ان كان السؤال عن علمه فاخبره بما ذكر من حبة مستترة
التي ذكر مكنونة في اخفى الامكنة عن الخلق فيما لا يطلع احد منهم ولا يبلغ علم الخلائق يات بها الله اي يعلمها الله فان كان على هذا ذكر
فيلزمهم ان يكونوا ابدا مراقبين اعمالهم واحوالهم في جميع حالاتهم واوقاتهم وجميع امورهم لما لا يخفى عليه شيء او ان يكون السؤال عن
قدرة الله وسلطانه فاخبر ان الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ذكر ما يعجز الخلق عن
استخراج مثلها من مثل تلك الحجب والامكنة فيخافون قدرة الله ويهابون سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة امره ونهيه وان
يكون السؤال عن الرزق فيخبر بهذا ان الشيء وان كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحيلهم فاستخراج ذلك منه والوصول اليه لهم
بحال فالله سبحانه بلطفه يرزق الخلق باشياء خارجة عن وسعهم وحيلهم مما لا يقع لهم الطمع في ذلك ليكونوا ابدا في كل حال الحسنين
فالرزق لا يؤيسهم عجزهم ولا بعد حيلهم عن ذلك وان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي بها يكتسبون ولذلك قال ويرزقه
من حيث لا يحتسب او ان يكون السؤال عن جزاء ما يعمل المرء من قليل او كثير وما عظم ولطف فيخبر انه يجزي بقليل العمل وكثيره وكذلك
يقول بعض اهل التاويل ذلك يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل من خير او شر فتكن في صخرة في جبل او في السماء او في الارض يات
بها الله اي يجازي بها الله فيكون على هذا التاويل كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فاي شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله ودلالة
علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة الثقة به والتوكل عليه في الرزق والتفويض الامر في كل ما خرج عن وسع الخلق
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لطيف خبير قال عامة اهل التاويل ان الله لطيف في استخراج تلك الحبة خبير بمكانها وتاويل
هذا الكلام اي يستخرج تلك الحبة من الحجب التي ذكر والاستار التي بها استخراجا لا يشعر بها احد ولا علم كيفية الاستخراج منها ولا مائية
واللطيف هو البار ثم يخرج هو على وجهين احدهما بار فيما ارسل من الرسول وما انزل من الكتب ليدلهم الى ما يهتدون به والى ما به نجاتهم
خبير بحوائجهم والثاني تاويل اللطيف يحتمل وجهين احدهما البار على ما ذكرنا والثاني في استخراج امور لا يبلغها وسع الخلق ولا علمهم
وحيلهم والله اعلم وقوله عز وجل يا بني اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلوة وجهين احدهما الصلوة التي عرفتها العرب وهي
المسئلة والدعاء والثناء على الله والتمجيد له والتحميد كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية وهذه الصلوة المذكورة
في هذه الاية هي الدعاء والاستغفار والرحمة له والمغفرة فعلى ذلك يشبه ان يكون الامر باقامة الصلوة هو الابتهال بمسئلة
الرب حوائجه ومغفرته ورحمته ليكون ابدا في كل حال متضرعا الى الله مظهرا حاجته اليه ومثنيا عليه ومعظما عظمته وجلاله
وكبرياءه والثاني اراد بالصلوة المعروفة المعهودة على شرائطها التي جعلت وشرعت فان كان هذا ففيها ايضا ما في الاول من الدعاء
والثناء على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال لانها جعلت من اولها الى اخرها ذلك وان كان اراد بالصلوة الصلوة المعروفة
ففيه ان الصلوة التي شرعت لنا كانت للامم وعلى ذلك يخرج قوله ابراهيم حيث قال رب اجعلني مقيم الصلاة وقول عيسى حيث

قال

قال واوصاني بالصلوة والزكوة والله اعلم وقوله عز وجل وامر بالمعروف وانه عن المنكر المعروف اسم كل بر وخير وكل مستحسن في
العقل والطبع والمنكر اسم كل شر وسوء مستقبح في العقل والطبع ثم يخرج قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر على وجوه احدها المعروف
الذي جاءت الرسل عن الله وشرعوا للخلق ودعوا الخلق اليه والمنكر ايضا هو الذي انكره الرسل ونهوا الخلق عنه او ان يكون
المعروف هو الذي يعقله كل عقل صحيح ويستحسنه كل طبع سليم والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ولا يقبله ويستقبحه
كل طبع سليم تعرف بالبديهة قبحه وحسنه او يعرف انه معروف او منكر عند التامل والتفكر فكله يرجع الى احد الى ما ذكرنا بديا لكنه
يختلف فيما ذكرنا من السبب وقوله عز وجل واصبر على ما اصابك من الاذى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر اهل الشقوة منهم والفسق
فلا بد من ان يصيب الاذى من يتولى ذلك ويتقلده لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اللوازم لا يسع تركه وان اصابه الاذى في ذلك
وقوله عز وجل ان ذلك من عزم الامور قال بعضهم ان ذلك من عزم الامور والحزم من الاحكام شيء وانما نحن نقول ان ذلك من محكم
الامور ومتقنها لان الشيء اذا احكم وشدد يؤمن عن سقوطه وذهابه فعلى ذلك ما ذكر وقال العزم هو القطع والثبات على
شيء تقول لعزمت على كذا وعلى امر كذا اي قطعت دابره وتدبيره واضطرابه وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه للدنيا او الامر من امورها
ولكن ثبت على ما عزم وقطع فهو العزم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا قوله ولا تصاعر
ولا تصعر بالالف وبغير الالف لغتان كلاهما لغتان ثم اهل التاويل واكثرهم يقولون قوله لا تصعر خدك للناس اي لا تعرض بوجهك
عن الناس تعظما او تجبرا او تكبرا وكذلك في قوله ولا تمش في الارض مرحا بطرا فرحا بالمعصية في الخيلاء والعظمة مستكبرا معجبا بما
عاينتهم يفسرونه بالاعراض المتكبر والتجبر وكذلك قول الحسن انه قال هو الاعراض عن الناس من الكبر استخفافا لهم واستحقارا بهم
والزجاج يقول الصعر هو داء ياخذ البعير فيلوي عنقه فعلى تاويله يكون قوله اي لا تصعر اي لا تلو عنقك عن الناس وابو عوسجة
يقول قريبا من ذلك يقول لا تصعر اي لا تجبر وهو ان يلوي عنقك فلا تنظر اليهم كبرا ويقول الصعر هو اعوجاج في العنق يقال رجل
اصعر وبعير اصعر وبه صعر ويقال في الكلام فلان صعر خده اذا لوى راسه عن الناس فلم ينظر اليهم كبرا منه وقالوا كما قال الزجاج الصعر
داء ياخذ البعير فيلوي عنقه واصله الاعراض على ما ذكر اهل التاويل واهل الادب ثم هو يخرج على وجهين احدهما ما ذكر اهل التاويل
من حقيقة الاعراض تكبرا وتعظما لانفسهم استخفافا بالناس واستحقارا لهم لما لم يروا الناس اشباها لانفسهم وعلى ذلك يخرج
قوله ولا تمش في الارض على حقيقة المشي على التكبر والتجبر على ما ذكرنا والثاني ليس على حقيقة الاعراض بالوجه عنهم ولا على حقيقة
المشي بالاقدام ولكنه كناية عن الامتناع عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والترك لذلك لا على التكبر والتجبر عليهم والاستخفاف
بهم ولكن على الحذر والخوف منهم فان كان الامتناع والاعراض عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يتعد في ترك ذلك لما يحذرون
ويخافون منهم وكذلك يخرج قوله واقصد في مشيك واغضض من صوتك على الوجهين الذين ذكرناهما احدهما على الامر بقصد المشي
وخفض الصوت حقيقة المشي وحقيقة الصوت والثاني على الكناية عن كيفية المعاملة وما يشبهها فيما بين الناس فان كان على حقيقة المشي
والصوت فكانه يقول اي اقصد في المشي في الناس ولا تمش متكبرا مستخفا بهم مستحقرا لهم تؤذيهم واغضض من صوتك اي لا ترفع صوتك
فوق اصواتهم فتؤذيهم بالصوت ولكن لين لهم بالقول وقال بعضهم امش هونا لينا ناكس الراس ناظرا حيث تمشي غير ناظر الى ما لا يحل ولا
يسع ولا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم فيكون صوتك عندهم كصوت الحمير الذي ذكر فينكرونه كما ينكر صوت الحمير وان كان على
الكناية عن الاحوال والمعاملة فيما بين الناس في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اي مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تطلبوا لانفسكم
في ذلك العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله ولكن كونوا في ذلك عادلين قاصدين غير طالبين العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله
وقوله عز وجل ان انكر الاصوات لصوت الحمير يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا اي لا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم كما يؤذي
الحمار فيكون صوتك عليهم كصوت الحمار ويذكر هذا لان الحمار انما يصيح لحاجة نفسه وشهوته وسائر الاشياء انما صاحوا انما
يصيحون لحاجة اهلها فيذكر انكم انما امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا تفعلوا المنفعة انفسكم او لحاجتكم ولكن فتوسلوا في ذلك
او لما ذكرنا ان ارخص صوت الحمير لانه ليس من صوت الا فيه لذة ومعونة غير صوت الحمير فانه ليس فيه لذة ولا منفعة او ذكر لما قيل ان اوله
زفير واخره شهيق فشبه زفير اهل النار وشهيقهم وقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور قال المختال المتكبر البطر وقال بعضهم المختال
الخداع الغدار والفخور يحتمل الذي يفتخر بكثرة المال وما لا يرى لاحد اشكالا لنفسه وقوله عز وجل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
وما في الارض قوله الم تروا قد ذكرنا انه يخرج على وجهين احدهما على الخبر ان قد راوا وعلموا انه سخر لهم ما ذكر والثاني على الامر اي انظروا
وروا وانه سخر لكم ما في السموات وما في الارض لتنتفعوا بجميع ما تحتاجون اليه وتصلوا الى ارادتكم وحاجتكم والى قضاء وطركم كيف
شئتم وابتغيتم اذا اراد ان يذكر قدرته وسلطانه ان من ملك ما ذكر لنا ومكنا واقدرنا على تدبر استعمال ما سخر لنا والانتفاع به لقادر على
البعث والاحياء بعد الموت لا يعجزه شيء وان يذكر حكمته وعلمه ان مثل هذا التسخير لا يكون الا بحكمته ولو لم يكن هنالك بعث ونشور
لكان خلق الخلق وتسخير ما ذكر لعبا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقوله ما في السموات التسخير ما في السموات يحتمل المطر والسحاب
والشمس والقمر ونحوه مما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض حتى لا يقوم منافع الارض الا بمنافع السماء او الملائكة لانهم قد استخدموا

ببعض ما ينفع بمنافع البشر والله اعلم وقوله عزوجل واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر عن ابن عباس انه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة قال اما الظاهر يا ابن عباس فالاسلام وما سوى من خلقك وما اسبغ
عليكم من الرزق واما ما بطن وستر مساوى عملك فلم يفضحك بها فان ثبت الخبر فلا يقع الحاجة الى غيره فهو تاويل الاية والى هذا
ذهب عامة اهل التاويل وجايز ان يكون النعمة الظاهرة هو ما ظهر من الحسن والطهارة واما النعمة الباطنة ما ستر من الانجاس والاقذار
ما لو ظهر ذلك لم يدن منه احد لخبثه ونجاسته وبعضهم يقولون الظاهر باللسان والباطنة بالقلب وقال مجاهد ظاهرة الاسلام
والرزق وباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب وهو قريب مما ذكر في الخبر المرفوع والله اعلم وقوله عزوجل ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم المجادلة في الله يحتمل في توحيد الله في الرسالة انه ارسل ولم يرسل او في البعث انه يبعث او لا يبعث ونحوه او يجادل في كتابه و
قوله عزوجل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اسباب العلم ثلاثة العقل والسنة والكتاب ينكر ويبطل بالعقل فيعرف وبيان السنة
والكتاب يبين فلم يكن مع الذين يجادلون رسول الله في الله شيء من ذلك وخاصة اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب فكانه يقول
ومن الناس من يجادل في الله وهم يعلمون انه ليس معه معقول ولا بيان من السنة ولا كتاب والله اعلم وقوله عزوجل واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال في اية اخرى اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون وقال في اية اخرى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم
كانه يقول لرسول الله ان قل لهم يتبعون اباءكم وتقلدونهم وان ظهر لكم وتبين ان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وانهم من اصحاب
السعير ويتبعون انا هم مقتدون بهم وان ظهر لكم وتبين ان الذي ادعوكم انا اليه وجئتكم اهدى مما عليه اباءكم اذ تتبعون اباءكم
اذ تتبعون اباءكم كما لا يعقلون شيئا ولا يهتدون حتى ان قالوا نعم نتبعهم وان كانوا كما ذكرت كانه يظهر ويبين عنادهم ومكابرتهم
عند اتباعهم حيث ظهر الحق لهم فلم يتبعوا بل اتبعوا اهواءهم ويظهر كذبهم في قولهم والله امرنا بها او في قولهم ان اباءنا على ما هم عليه بل
في اباءهم من هو على خلاف ما هم عليه ونحوه وان قالوا لا نتبعهم اذا كانوا على ما ذكرت فعند ذلك يفتنون ويثبت عندهم بالحجج والبرهان
وفيه دلالة ان اهل الفترة يعذبونه ويؤخذون بتركهم الدين والشرايع لان هؤلاء الذين اخبر انهم من اصحاب السعير هم اهل الفترة
ما بين عيسى وبين محمد واهل التاويل يقولون او كان الشيطان يدعوهم اي بل كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومحمد بن اسحق
يقول لا تصعر خدك للناس اي لا تعرض بوجهك تكبرا عن فقراء الناس اذا كلموك ومرحا اي فخرا بالخيلاء والعظمة ان الله لا يحب
كل مختال فخور اي بطر مرح فخور في نعم الله لا يوخذ بالشكر واقصد في مشيك ويدا لا تختال في مشيك ولا تنظر حيث لا يحل واغضض
اي اخفض من صوتك اي من كلامك امر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق ثم ضرب للصوت الرفيع مثلا فقال ان انكر الاصوات
لصوت الحمير لشدة صوتهم وقوله الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وسخر لكم ما في
الارض اي الجبال والانهار والبحار فيها السفن والاشجار والنبت عاما بعام واسبغ عليكم نعمه ظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام
وباطنة اي ستر من الذنوب من بني ادم فلم يعلم بها احد ولم يعاتب فيها فهذا كله من النعم فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا كما هو اهله وقال
في قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم في زعمه ان لله البنات اي الملائكة ولا هدى اي لا بيان معه من الله بما يقول ولا كتاب له
فيه حجة واصله ما ذكرنا يجادل في الله من الوجوه التي ذكرنا بغير علم من جهة العقل ولا هدى اي ولا بيان من جهة السنة ولا
كتاب من الله فيه حجة له واسباب العلوم هذه فلم يكن له شيء مما ذكر وبالله العصمة قال ابو عوسجة المرح النشاط وهذا لا يكون
الا من الكبر لانه يتجبر واقصد في مشيك اي امش مشيا رفيقا واغضض من صوتك اي دقق لا تصوت صوتا شديدا وهذا ايضا من
التخشع واسبغ اي واسع والسابغ الواسع التام الطويل العريض وقال القتبي لا تصعر اي لا تعرض بوجهك انكر الاصوات اقبحها عرفي قبح
دفع في المخاطبة وقوله عزوجل ومن يسلم وجهه الى الله يحتمل قوله وجهه اي نفسه كانه قال ومن يسلم نفسه لله وجعلها سالمة
له لم يجعل لاحد فيها شركا وهو محسن في عمله الى نفسه اي لا يستعملها الا في طاعة الله وفيما امر به فاذا فعل ذلك فقد استمسك بالعروة
الوثقى اي فقد استمسك باوثق العروة واثبتها على ما ذكر في اية اخرى لا انفصام لها اي فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام
لها ولا انقطاع ولا زوال لانها ثبت بالحجج والبراهين لا بالهوى فكل شيء ثبت بالحجة والبرهان فهو ثابت ابدا لا زوال له ولا
انقطاع وكل شيء ثبت بالهوى فهو يزول وينقطع عن قريب لزوال الهوى وجايز ان يكون قوله وجهه لله اي يسلم وجه امره لله
فالوجه عبادة وكناية عن امره اي يسلم امره الى الله ويفوضه اليه او يكون كناية عن نفسه فتاويله ما ذكرنا بديا واهل التاويل
يقولون يسلم وجهه اي دينه لله اي يخلص دينه لله كقوله ولكل وجهة هو موليها اي لكل اهل دين ومذهب والله اعلم وقوله وهو
محسن يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا وهو محسن الى نفسه في عمل لا يستعملها الا فيما امر بالاستعمال فيه وهو طاعة الله لا يوقعها
في المهالك وهو محسن الى الناس بالمعروف والبر ومحسن اي عالم كما يقال احسن اي علم وبعض اهل التاويل يقول ومن يسلم وجهه
لله اي اخلص عمله لله وهو محسن اي مومن كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو قول ابن عباس ومقاتل يقول ومن يسلم وجهه لله
اي مخلص دينه لله وهو محسن في عمله فقد استمسك وقوله عزوجل فقد استمسك بالعروة الوثقى هو ما ذكرنا انه استمسك

باوثق

باوثق العروة واشدها لانه انما ثبت بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمني والله اعلم وقوله عزوجل والى الله عاقبة الامور
هذا يخرج على وجوه احدها والى الله تدبير عاقبة الامور وتقديرها لا الى الخلائق والثاني الى من له التدبير والتقدير يرجع
عاقبة الامور وان يخص رجوع عاقبة الامور والمصير والرجوع اليه والبروز له والخروج وان كانوا في جميع الاوقات
كذلك لما ذكرنا ان المقصود من خلق هذا العالم العالم الثاني والمقصود من خلق الدنيا الاخرة اذ به يصير حكمة وحقا فخص
ذلك له واضافه اليه لذلك او يذكر ذلك لما لا ينازع في ذلك اليوم وقد نوزع في هذه ولذلك قال لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار وقوله عزوجل ومن كفر فلا يحزنك كفره حزنا تتلف وتهلك فيه كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
يخرج قوله فلا يحزنك كفره على التخفيف عليه والتسلي ليس على النهي وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على
التخفيف عليه والتيسير ليس على ترك الاشفاق والحزن عليهم لان رسول الله كادت نفسه تهلك اشفاقا عليهم وحزنا
على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي والثاني قوله فلا يحزنك كفره لا يحزنك تكذيبه اياك فذكر كفره لانه
بتكذيبه ما يصير كافرا وهو سبب كفر كقوله لا يحزنك الذين يسارعون بالكفر الاية كان رسول الله يحزن بهم بتكذيبهم
اياه فيما يقول ويخبر عن الله فيقول لا يحزنك تكذيبهم اياك فانهم الينا يرجعون فيجزيهم ذلك فهم جزاء التكذيب والثالث
فلا يحزنك كفره اي فان ضرر ذلك الكفر عليهم لا عليك قوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية ونحوه من الايات يخبر رسوله
اي لا يحزنك على كفر من كفر فان ضرر ذلك يلحقه دونك والله اعلم والرابع وقوله عزوجل الينا مرجعهم فننبئهم
بما عملوا هنا وعيدا اي الينا مرجعهم فننبئهم عما اغفلوا عنه واتخذوه في الدنيا فيحفظونه ويذكرون ما عملوا وان يكون
قوله فننبئهم بما عملوا اي نجزيهم ذلك فيهم جزاء اعمالهم وذلك فانهم ان الله عليم بذات الصدور اي عالم بما كانوا منهم وما جزاؤهم
والله اعلم وقوله عزوجل نمتعهم قليلا اي في الدنيا لان متاع الدنيا قليل على ما وصفه قل متاع الدنيا قليل اي يمتعون بمرون
بذلك القليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ذكر هذا مقابل ما ذكر لاهل الجنة حيث قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا يخبر ان اهل
النار يضطرون ويدفعون الى النار ولا انهم يدخلونها اختيارا كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقوله عزوجل غليظ جايز
ان يكون كناية عن امتداده وطوله وجايز ان يكون كناية عن شدته والمه اوجراحته كقوله تلفح وجوههم النار الاية وجعل غليظا
عليهم العذاب لون بعد لون والله اعلم وقوله عزوجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اخبر رسوله انك
لو سالتهم من خلق السموات والارض يقولون ذلك ويجيبونك ان الله خلقهم ثم يخرج قوله قل الحمد لله على ثم اقرارهم له بالتوحيد
له والتفرد بالخلق على وجهين احدهما امر رسوله بالحمد له لما لا يحتاج الى اقامة الحجة على وحدانية الله وربوبيته سوى اقرارهم
اذ قد اقروا له بالوحدانية فيما ذكر فعلى ذلك يلزمهم ذلك في كل شيء وقد وجل فيقع الامر له بالحمد على ذلك وامر رسوله بالحمد
لما انجاه وخلصه وسلمه عما ابتلاهم وفتنوا من التكذيب وعبادة الاصنام بعد اقرارهم بالوحدانية له والا لوجه بحمده على اصطناعه
عليه ورحمته وعصمته له بين اولئك الكفرة على هذين الوجهين يخرج تاويل الامر الحمد على ما ذكر والله اعلم ويكون قوله بل اكثرهم
لا يعلمون مقطوعا مفصولا من قوله قل الحمد لله اذ لو لم يجعل مفصولا منه يخرج الامر بالحمد له في الظاهر على ما لا يعلم اولئك وذلك
لا يصلح ثم قوله بل اكثرهم لا يعلمون يخرج على وجوه احدها ما ذكرنا انه نفى عنهم العلم على حقيقة العلم لما لم ينتفعوا بما علموا على ما نفى
عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها من نحو البصر والسمع واللسان ونحوه نفى ذلك العلم والثاني لا يعلمون لما تركوا النظر والتفكر
في اسباب العلم او ان يكون قوله ههنا بل اكثرهم لا يعلمون ان عبادتهم الاصنام لا تقربهم الى الله زلفى ولا تشفع لهم لا كما كانوا
يعبدون الاصنام رجاء ان تقربهم الى الله ورجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وليقربونا الى الله
زلفى او ان يكونوا لم يعلموا بجزاء اعمالهم علموها في الدنيا في الاخرة والله اعلم وقوله عزوجل لله ما في السموات والارض ان الله هو
الغني الحميد كانه يخبرهم ويذكرهم ان ما يامرهم به وينهاهم عنه وما يمتحنهم من جميع انواع المحن لا لحاجة نفسه او لدفع المضرة عن
نفسه ولكن لحاجة انفس الممتحنين ولمنفعتهم ولدفع المضرة عنهم اذ من بلغ ملكه وغناه وسلطانه المبلغ الذي ذكر حتى كان
له جميع ما في السموات والارض لا يحتمل ان يامر الخلق وينهى ويمتحن لحاجة نفسه ولكن لحاجة الخلق في جر المنفعة ولدفع المضرة
او يذكرهم نعمه عليهم ليستادي به شكره حيث سخر لهم ما ذكر من السموات والارض وما فيها وحقيقة ملك ذلك كله له وقوله عزوجل
ان الله هو الغني الحميد الغني بذاته لا يحتاج الى شيء او غني عما استغنى عنه حميد قيل اهل ان يحمد ويشكر بذاته وقيل حميد في فعاله
وصنايعه ويكون الحميد بمعنى الحامد ويكون بمعنى المحمود والله اعلم وقوله عزوجل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله لا يحتمل ان يكون ذكر هذا الكلام ابتداء من غير امر او سؤال او خطاب سبق من القوم اي
ذكر هذا لكنا ما نعلم ما سبب ذلك وما قصته وما امره حتى انزل هذا لكن ابن عباس رضي الله عنه يقول ان اليهود اعداء الله سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وما هو فنزل قل الروح من امر ربي اي من علم ربي لا علم لي به وتلا قوله وما اوتيتم من العلم الا
قليلا اي يسير في علم الله فلما قرا عليهم هذه الاية قالوا كيف تزعم هذا وانت تزعم ان من اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع

هذا اصل قليل وخير كثير قال فقيل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام يقول بري الشجرة اقلاما والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فيكون كلها مدادا يكتب بها علم الله لانكسرت الاقلام ولنفد المداد ولم ينفد علم الله فما اعطاكم من العلم قليل فما عندكم من العلم كثير فما عندكم الى هذا ان حسب اكثرهم ولكن غير هذا كانه اشبه بسبب نزوله وذكر وهو يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا في قوله لله ما في قوله لله ما في السموات والارض انه يبلغ ملكه وسلطانه ما لو صار ما ذكر من الاشجار كلها اقلاما والبحار كلها مدادا لكتب بها انبآء خلقه وملكه وسلطانه لنفد ذلك كله ولم ينفد خلقه ولم يبلغوا غايته ذلك او ذكر هذا لهذا القرآن لقول كان من الكثرة في قلته في نفسه وصغر ما كتب هو فيه ان يعجز لو اكتب ما جمع في هذا المقدار على الكتب السالفة المتقدمة وهي اوقار وهو جزء فيخبر والله اعلم انه جمع في هذا من المعاني والعلم والحكمة ما لو فسر وبين ما اودع فيه وضمنه ما لو جعل ما في الارض من الشجر اقلاما والبحار مدادا فكتب ما اودع فيه وضمنه لنفد ذلك كله ولم ينفد ما جمع فيه وضمنه هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويله وسبب نزوله والله اعلم بذلك ان الله عزيز حكيم وقوله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال بعضهم ذكر هذا لان نفرا من قريش قالوا للنبي ان الله خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة عظاما ثم تزعم انا نبعث خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فقال الله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم ايها الناس جميعا على الله في القدرة الا كبعث نفس واحدة ان الله سميع لقولهم الذي قالوه انا لا نبعث بصير بامر الخلق والبعث وجايز ان يكون قال هذا لما قد قرا وابعث نفس واحدة لما انتهى اليهم الاخبار ما كان في الامم السالفة من الاحياء بعد الممات وترا نبئت على ذلك من ذلك قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله حيث قالوا ارنا الله جهرة الاية وكقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه مكانهم فاذن ابعث هؤلاء لما ماتوا عليهم لخبار بذلك وانكروا بعث سائرهم فقال ما خلقكم ولا بعثكم جميعا الا كبعث نفس واحدة اذ ثبت لواحد ففي الكل كذلك اذ ان يذكر هذا لان الاسباب انما تختلف في الامور على الخلق وتعسر لخصال ثلاث اما العجز او الجهل او الشغل فاذا كان الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء او يشغله شيء عن شيء فصار خلق الكل عليه وبعث الكل كخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة او ان يذكر لان الواحد والكل والقليل والكثير ما كان وما يكون تحت قوله كن فيكون فيصير يكن منه حجم بر من غير ان كان منه كاف او نون لكنه ذكر كن لانه اوجز حرف في كلام العرب واقصر كلام يترجم به من غيره كان منه كاف ونون والله اعلم وقوله عز وجل ان الله سميع بصير كانه قد كان منه ذلك من قول او كلام في ذلك حتى قال سميع ذلك بصير عالم لذلك او بصير باحوال الخلق وبامورهم وقوله عز وجل الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وفيه دلالة البعث لما قدرته لما ادخل الليل في النهار والنهار في الليل ثم حفظهما على حد واحد وعلى ميزان واحد على غير تفاوت يقع في ذلك ولا تغير لم يقدر على ذلك لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء وكذلك ما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما يقطعان في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة خمس مائة عام مما لا يتصور ذلك في اوهام الخلق ولا في تقديرهم فقطع ذلك المقدار ومن المسير في مثل تلك المدة ودل انشاء احدهما ولحدانه بعدما ذهب الاخر برمته وكليته حتى لا يبقى له اثر على انه قادر على الاحياء بعد الموت وبعد ما ذهب اثره فيرى ذلك ودلالة من وجوه احدها دلالة قدرته حيث ادخل احدهما في الاخر وحفظهما كذلك على حد واحد وتقدير واحد على غير تغيير وتفاوت يقع في ذلك دل ذلك على قدرته وعلمه وتدبيره ودل انشاء كل واحد منهما بعد ما ذهب الاخر على القدرة على البعث وقوله عز وجل كل يجري الى اجل مسمى الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتاخر وان الله بما تعملون خبير ظاهرا وباطنا هذا وعيد ليكونوا ابدا خايفين حذرين مستيقظين والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكر خلق الخلق وانشاء ما ذكر وتسخيره لمن ذلك وصنعه في الليل والنهار والشمس والقمر وجميع ما ذكر هو صنع الاله الحق تسمية الالوهية والعبادة وان ما تدعون من دونه من الاصنام مبطلون في غير مستحقين لتسميته الالوهية والعبادة او هو الحق لانه هو الذي يسوق اليكم هذه النعم والمنافع وان ما تدعون من دونه الباطل لا ينفعكم عبادتكم اياها وان الله هو العلي الكبير وقوله عز وجل الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله وقال في موضع اخر وجرين بهم بريح طيبة وقوله بريح طيبة هي النعمة التي ذكر فهذه الاية وقوله تجري في البحر بنعمة الله يحتمل وجهين احدهما ما جعل الفلك بحيث تجري على وجه الماء مع احمال ثقيلة ومن طبعها التسرب في الماء والانحدار فيه جعلها بحيث تستمسك على وجه الماء وتجري ليصلوا الى حوائجهم ومنافعهم في امكنة متباعدة ممتنعة ما لولا السفن لم يصلوا الى ذلك بحال والثاني ما ذكر من ريح طيبة التي بها تجري السفن في البحار ودمارها وكم ساكن فيجعل تلك الريح الطيبة على جريان الماء وسكونه وكذلك نعمته والله اعلم وقوله عز وجل ليريكم من اياته يحتمل ايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات نعمته اما ايات نعمه ما ذكر وايات قدرته وسلطانه ما ذكرنا انه من قدرته وسلطانه ان جعل الفلك والسفن في البحار بحيث تستمسك ويحبس ولا تسترب ولا تنحدر مع احمال ثقيلة ومن طبع ذلك كله التسرب والانحدار وما ذكر من اجرائها بالريح الطيبة ولو كان فعل عدد ولا فعل واحد لكان يمنع عن جريتها لانه تدبير واحد لا عدد وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ويجوز ان يكون الصبار هو المؤمن والشكور كذلك الصبر كناية عن الايمان والشكر كناية عن الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا

الصالحات

الصالحات ذكر الصبر مكان قوله امنوا لانه ذكر في اية اخرى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والشكر كناية عن الايمان كقوله ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله تشكروا اي تؤمنوا ويحتمل صبارا على بلاياه شكورا على نعمائه وجعل الايات لمن ذكر لانه هو المنتفع بها دون غيرهم او صبارا فيما اصابهم في البحر من الشدايد والاهوال وشكورا فيما دفع عنهم وانجاهم من تلك الاهوال والله اعلم وقوله عز وجل واذا غشيهم موج كالظلل قال بعضهم كالظلل اي كالظلل هو سواد من كثرة الماء وعظمه وقيل يصير الموج كالظلمة فوق السفينة وجايز ان يكون الظلل التي ذكر على التمثيل لا على التحقيق كناية عن حيرتهم في الدين كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها وهو على التمثال لا على التحقيق يخبر عن حيرتهم في الدين وتيههم فيه فعلى ذلك الاول ثم ذكر اهل التاويل ان الاية في اهل الكفر كانوا يخلصون الدعا لله والدين له عند ما اشتد بهم الخوف على الهلاك عند معاينتهم الاهوال والشدايد في البحار لان اهل الاسلام يخلصون له الدعا والدين في احوال كلها فهي فيهم وقوله عز وجل فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد قال بعضهم مقتصد اي حسن القول بلسانه كافر بقلبه وقال بعضهم فمنهم مقتصد اي من لا يبقى على الايمان والاخلاص الذي كان منه في تلك الاحوال لم يعد الى الكفر وقال بعضهم فمنهم مقتصد الوسط العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور قيل الختار الغدار وقال بعضهم الختار هو الذي بلغ في الغدر غايته ونهايته وقوله عز وجل وان الله هو العلي الكبير العلو يتوجه وجهين احدهما العلو القهر والغلبة كقوله ان فرعون علا في الارض اي غلب وقهر وقوله تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض فعلى ذلك يشبه ان يكون قوله العلي اي القاهر الغالب والثاني انه يكون العلي الارتفاع فان كان الارتفاع فهو يرتفع ويتعالى عن ان يحتمل ما يحتمل الخلق من التغير والزوال وغير ذلك ما يحتمل الخلق ارتفع وتعالى عن احتمال ما يحتمل الخلق والكبير اي تكبر من ان الخلق يلحقه شيء مما يلحق الخلق والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم يحتمل اتقوا ربكم في الجهة الذي له عليكم او قوله ذلك او اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته او اتقوا نقمة ربكم وعذابه لكنه يختلف الامر بالاتقاء في المؤمن والكافر يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله وفي المؤمن اتقوا مخالفة الله في جميع ما يامركم وينهاكم واتقوا عبادة غير الله والشرك في حادث الوقت واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا يذكر هذا على الاياس وتقطع طمع بعضهم عن بعض بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كان بعضهم بعضا في الدنيا يخبر ان ذلك كله منقطع في الاخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل نفسه حتى لا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الوالد لولده والولد لوالده مما لا يحتمل قلب واحد منهما ان يلحق المكروه بالاخر ولا يصبران لا يدفع ذلك عنه بكل ما بر وسعه وطاقته للشفقة والمحبة التي جعلت فيهم ثم اخبر انه لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيامة فذلك كله منقطع الا هذين فانه من تمسك بدينه فانه يشفع يوم القيامة فيما قصر وفرط فاما من لم يتقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له واحد من هذين من الاسباب والانساب منقطع كقوله وتقطعت بهم الاسباب وقال بعضهم قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده في الكفار دون المؤمنين فينفع الوالد ولده والولد والده في الاخرة يدفع الى ابنه بفضل عمله وكذلك الولد الى ابيه كقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا والله اعلم وقوله عز وجل ان وعد الله حق فيما ذكر من الاياس وقطع طمع بعضهم من بعض وما ذكر من قيام الساعة وكونها انها كائنة لا محالة او في الثواب والعقاب وقوله عز وجل فلا تغرنكم الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين على التحقيق والتمثيل اما التحقيق ان لا تشغلنكم الحيوة الدنيا ولذاتها ولا تلهينكم عن ذكر الله وعن الاخرة ولا تغترن بها فانها لعب ولهو على ما ذكر انها لعب ولهو على ما هي عندكم لانها عندكم انها انما انشئت وخلقت لها لا للاخرة فالدنيا على ما هي عندكم لعب ولهو واما على ما هي عندنا فهو حق ليس بباطل لانها انشئت للاخرة وبلغة اليها واما التمثيل اضاف التغرير اليها لان ما كان منها من التزيين والتحسين في الظاهر واظهار بهجتها وسرورها ولذاتها لو كان ممن له التمييز والعقل والفهم والحقيقة التزيين والتحسين كانه تغرير فعلى ذلك ما كان منها على الظاهر فهو تغرير على التمثيل وان يكون ما ذكر ان لا تغتروا بالحيوة الدنيا وما فيها من لذاتها والله اعلم وقوله عز وجل ولا يغرنكم بالله الغرور قيل الغرور الشيطان لا يغرنكم ويقول ان الله كريم رحيم جواد ولا يعذبكم او يقول ان الله غني قادر لا يامركم بامر ولا ينهاكم الا لما يامر وينهى في الشاهد من كان محتاجا فاما الغني فلا يامر ولا ينهى والله اعلم وقوله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ذكر في بعض الاخبار عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وهي هذه الخمسة التي ذكرت في هذه الاية وكذلك روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمسة لا يعلمهن الا الله قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخر الاية فان ثبت هذا فهو ما ذكر ويرجع ذلك الى معرفة حقيقة ما ذكر والا جاز ان يعلم الانسان بعض هذه الاشياء باعلام من نحو المطر انه متى يمطر وما في الارحام انه ولد وانه ذكر او انثى وان لم يعلم ماهيته ما في الارحام نحو ما يعلم المنجمة ذلك بالحساب وباعلام يخرج ذلك على الصدق والخبر وربما الا ترى ان ابراهيم صلوات الله قال اني سقيم لما نظر في النجوم

ى ساسئل ورد وى ان ابابكر الصديق رضي الله عنه قال في التي الان نا بطن خارجة جارية وكان كما ذكر فلا يحتمل ابا بكر يعلم ذلك
لما التي اليه رسول الله لا يعلم الا الساعة فانه لا يطلع عليها احدا الا ان يقال بان رسول الله لم يؤذن له في التكلم والقول بشي الا من جهة
الوحي من السماء فان الاشتغال بمثله فلان الاشتغال بمثله تضييع لكثير مما يحتق وترك لبعض ما يؤمن وينهى او لما يحتج ذلك بمخرج التطير
والتفال واكتساب الرزق على غير الجهة التي جعل وابيح فكان المنع لذلك والله اعلم ثم قوله ان الله عنده علم الساعة يحتمل قوله علم الساعة
الوقت الساعة كقوله يسألونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وقوله يسألونك عن الساعة
ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها اخبر انه لا يجليها لوقتها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انك انما انت منذر من يخشيها
فاما ما سوى ذلك فلبس اليك او ان يكون قوله ان الله عنده علم الساعة اي عنده علم بداية الساعة واهوالها ولم يذكر ما بينها وحدها
وقدرها فاخبر انه يعلم هو ذلك وقوله عز وجل وينزل الغيث سمى المطر غيثا فيشبه ان يكون سماه غيثا لما به يكون للناس غياث فيما
قوام انفسهم ودنياهم وسماه في موضع رحمة وفي موضع مباركا فتسميته رحمة لما به نجاة انفسهم وابدانهم وذلك صورة الرحمة وسماه
مباركا لما به يتماونون اذ كل شي اذا البركة هي اسم كل خير يتوارث دا وبلا اكتساب وقوله عز وجل ويعلم ما في الارحام من انتقال النطفة
الى العلقة وانتقال العلقة الى المضغة وتحوله من حال الى حال اخرى وقدر زيادة ما فيه في كل ساعة ونحو ذلك لا يعلم الا الله وانما
العلم بان فيه ولدا وانه ذكر او انثى فجايز ان يعلم ذلك غيره ايضا وقوله عز وجل ما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي
ارض تموت جائز ان يكون كتم ذلك والخفاء ليكونوا في كل حال على حذر وخوف وعلى يقظة اذ لو كان اطلعهم على ذلك لكانوا امنين
الى ذلك الوقت فيعملون بكل ما يريدون ويشاؤون فيكون في ذلك ارتفاع المحنة فلبس ذلك عليهم ليكونوا ابدا في كل وقت وكل حال على
حذر وخوف ويقظة والله اعلم وقوله عز وجل ان الله عليم خبير وذكر بعض اهل التاويل ان رجلا من اهل البادية يقال له الوارث
بن عمرو بن حارثة بن محارب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ارضنا اجدبت فمتى الغيث وتركت امراتي حبلى فما تلد وقد علمت
اين ولدت فباي ارض اموت وقد علمت اليوم فما اعمل غدا ومتى الساعة فانزل الله تبارك وتعالى في مسألة المحارب ان الله عنده علم
الساعة لا يعلمها غيره وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر
وما تدري نفس باي ارض تموت في سهل او جبل او بر او بحر ان الله عليم خبير بهذا الذي ذكر كله فقال النبي اين السائل عن الساعة فقال
المحارب ههنا فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية قال ابو عوسجة قوله كالظلل اي ما استظللت به والظلة السحاب قال القتبي
كالظلل جمع ظلة يريد ان بعضه فوق بعض فله سواد من كثرته والجبال اظلال لامواجه والختار الغدار والختر اقبح الغدر واشده
وقال ابو عوسجة الختار الكذاب الغدار يقال ختر يختر خترا فهو ختار وقوله عز وجل واتقوا يوما لا يجزي اي لا تغني تقول
جزى يجزي جزاء فهو جاز اي اغنى واجزى يجزي مثله واجزأني كذا وكذا اي كفاني وكذلك قال القتبي وقال الغرور بنصب الغين الشيطان والغرور بضم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله في صدر الكتاب وقوله عز وجل تنزيل الكتاب الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق
دين الله والسبيل المطلق والطريق المطلق سبيل الله وطريقه وقوله عز وجل لا ريب فيه انه منزل من الله لانه انزل على ايدي الامناء
البررة لم يغيروه ولا بدلوه ولا حرفوه او يقول لا ريب فيه انه ليس بمختلق ولا مخترع ولا مفترى من عند الرسول بل منزل من عند رب
العالمين او لا ريب فيه لا شك على ما يقول الناس لكل محكم من الامر المبين والله اعلم من رب العالمين العالم هو اسم جنس من الخلق وجمع
منه والعالمين جمع فيدخل في ذلك الاولون والاخرون والذين يكون الى اخر ما يكونون ففيه انه يوصف جل وعلا انه رب لكل ما كان ويكون
ومالك ما كان وما يكون كقوله مالك يوم الدين اخبر انه مالك وهو بعد ما لم يكن افضى ذلك اليوم وقوله عز وجل ام يقولون افتريه
قوله ام يقولون هو استفهام وشك في الظاهر لكنه من الله يخرج على تحقيق الالزام والايجاب وتحقيق نفي على ما لو كان ذلك من مستفهم
ومسترشد كيف يجاب له ويقال فيه فانما يقال المستفهم لا او بلى فعلى ذلك هو من الله على تحقيق اثبات وايجاب وتحقيق نفي اذ لا يحتمل
الاستفهام والسؤال كقوله ام للانسان ما تمنى فعلى ذلك كانه قال ليس للانسان ما تمنى فعلى ذلك كانه قال ههنا بل يقولون افتريه ثم رد ما قالوا
انه افتريه فقال بل هو الحق من ربك يحتمل قوله هو الحق من ربك ليس بمخترع ولا مختلق ولا مفترى من محمد بل منزل من عند الله على ما
ذكرنا في قوله لا ريب فيه من رب العالمين او هو الحق من ربك ليس بكلام البشر ولا في وسعهم اتيان مثله فهو الحق منه لا ياتيه الباطل
من بين يديه الاية وقوله عز وجل لتنذر قوما اي لتنذر بالكتاب الذي انزل قوما ما اتاهم من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين احدهما
على الجحد اي لتنذر قوما لم ياتهم نذير وهم اهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام والثاني لتنذر قوما الذي
لما اتاهم من نذير من قبلك وهم اباؤهم واجدادهم الذين كانوا من قبله الذين قد اتاهم نذير من قبله والله اعلم وقوله عز وجل
لعلهم يهتدون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما لكي تلزمهم به حجة الامتداد والثاني لتنذر قوما على رجاء ان
ان يهتدوا والله اعلم وقوله عز وجل الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم

وقوله

وقوله عز وجل ثم استوى على العرش وفي هذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم تاويلات كثيرة لكنا نذكر فيه حرفا لم نذكر فيما تقدم من
الذكر وكانه اصوب واقرب الى الحق وهو ان ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى في العقول والافهام سبيل الدرك له والمعرفة
على العقول ثم استوى على العرش لانه ذكر ذلك الحرف في موضع اخر وامره ان يسأل به خبيرا حيث قال ثم استوى على العرش الرحمن
فسئل به خبيرا ولو كان ذلك الحرف مما للعقول لبشر وافهامهم سبيل الوصول الى معرفته ومدركه لادركه عقول ووصل ذلك
وفهمه من غير ان يسأل به الخبير من كان الله امر بالسؤال عنه دل انه لا سبيل بالعقل والفهم لا يدركه ولا يعرف ولكن بالسمع
عن الله ولم يذكر من الوصول ثم فسر ذلك وقال فيه او سأله احد عنه والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
يحتمل التاويل ما لكم من دونه من ولي ينفعكم في الاخرة ولا شفيع يدفع عنكم عذابه وان يكون قوله ما لكم من دونه من ولي
[illegible]
يدل على الوعيد لهم انه ليس لكم ولي ولا شفيع لا هو ولا غيره وانما للمؤمنين ذلك كقوله ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم وقوله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض [illegible]
قال اهل التاويل يدبر الامر اي يبعث الملائكة بالوحي من السماء والارض وعندنا انه يخرج على وجهين احدهما يدبر الامر اي
يكون الامر [illegible] وهو ان يجعل الخلق بحيث يقبلون الامر والنهي والمحنة او يخرج الامر كله على الحكمة والتدبير والثاني يدبر
الامر يدبر من السماء الى الارض نحو ما يدل ما يكون من انواع الخلائق ونحوها وفي بعض ملائكة امر الامطار و
النبات وغير ذلك فيجوز ان يكون الاول يريد ما يكون امر ما بين السماء والارض ولذلك ذكر السماء والارض وجوده
يدبر ذلك ولا يدبر ما سوى ذلك لكن ذكرها لما ان ذلك ينتهي تدبير البشر وعلمهم واما ما سوى ذلك فلا وان كان
التدبير في نحو التحديد والله اعلم وقوله عز وجل ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة قال بعض اهل التاويل يعرج اليه يعني تصعد
الملائكة في يوم واحد من ايام الدنيا مقداره [illegible] ذلك اليوم الف سنة مما تعدون لان ما بين السماء والارض مسيرة خمس
مائة عام فينزل مسيرة خمسمائة عام ويصعد مسيرة خمسمائة عام وذلك مقدار مسيرة الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وذكر في موضع
اخر خمسين الف سنة فجايز ان يكون ذلك وصف يوم القيامة يخرج ذلك لا على التحديد والتقدير ولكن على التعظيم لذلك اليوم
والوصف له بما يعظم في قلوب الخلق وهو وصفه بالعظمة كقوله اليوم عظيم او ان يكون التحديد والتقدير ان كان حقيقة لا
لاختلاف احواله واوقاته على اختلاف الامور يكون الف سنة ذكر حال ووقت لامر وخمسين الف سنة بحال اخرى لامور
اخرى على ما سمى ذلك اليوم مرة بيوم الجمع ومرة بيوم التفريق ويوم الفصل ويوم الحساب ويوم البعث ونحوه ومعلوم ان ذلك
اليوم من اوله الى اخره ليس بيوم الجمع ولا بيوم الافتراق ولا بيوم الحساب ولا بيوم البعث ولكن بجميع ذلك كله لاختلاف الاحوال
والاوقات والامور مختلفة فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول كذلك والله اعلم ويكون قوله ثم يعرج اليه اي يصير اليه ذلك كقوله
واليه المصير واليه ترجعون واليه يرجع الامر كله ونحوه وقوله عز وجل ذلك اي هذا الذي صنع ما ذكر من هذه الاشياء عالم
الغيب والشهادة يحتمل هذا وجوها عالم ما غاب عن الخلق والشهادة وعالم ما يشهدون ويعلمون او عالم ما يكون والحديث و
الشهادة ما قد كان ومضى او عالم ما يغيب بعض من بعض والشهادة ما يشهدون ويظهرون او عالم ما يغيب عن الخلق كيفية المنافع
من الاشياء الظاهرة وما بها نحو ما غاب عنهم المعنى المضمر المودع في الطعام والشراب والاغذية جميعا الذي به حيوة انفسهم وقوام
ذلك السمع والبصر والفهم والعقل لا يدرك المعنى الذي يسمع ويبصر ويفهم ويدرك وما به يحيى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل
العزيز الرحيم العزيز في هذا الموضع المنتقم من اعدائه الرحيم على اوليائه او العزيز الذي لا يعجزه شي الرحيم الذي له رحمة يسع الخلائق في
رحمته والعزيز الذي يعز من عز والرحيم الذي برحمته يرحم من يرحم ومنهم من يقول في قوله في يوم كان مقداره الف سنة ما تعدون
وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره فوق السموات مقدار ذلك خمسون
الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة ذلك تنزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره
الف سنة لكن قوله من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره فوق السموات كذا فاسد لانه لا يجوز ان يكون لامره وملكه
وحد والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل الذي احسن كل شي خلقه بالجزم والتحريك جميعا كلاهما لغتان ثم يحتمل قوله
احسن كل شي اي علم كل شي خلقه اي كيف يخلق من غير ان يعلمه احدا واعانه عليه احد وفي الشاهد يقدر احد ولا يمكن له صنع
شي الا بعلم يعلمه ذلك وبعين يعينه على ذلك يخبر عن جهلهم وسفههم بتعذيبهم قدرة الله وقوتهم بقوى انفسهم وتقديرهم
في انكارهم البعث لخروجه عن تقدير الخلق وامتناعه عن وسعهم يقول لا تقدروا قدرة الله بقدرة انفسهم وقواكم كالم
يقدروا علمه بعلمكم انه هو يعلم بذاته بلا معلم وانتم لا تعلمون الا بمعلم فعلى ذلك هو قادر بذاته لا يعجزه شي وانتم لا تقدرون
الا بغير او بسبب ويحتمل هذا الوجه وجها اخر وهو ان قوله احسن كل شي خلقه اي علم كل شي من خلقه ما به مصالحهم وفسادهم
وما يوفي وما يبقي والثاني احسن كل شي خلقه اي احكم كل شي خلقه واتقنه ثم يخرج هذا على وجهين احدهما اتقن واحكم بناءهم

من المصالح وما في ذلك كل شيء من التسوية والتعزية وفي الجمع والتصوير والثاني احسن اي اتقن واحكم كل شيء خلقه فالشهادة على
وحدانيته الله الوحيته اي جعل في كل اثر وحدانيته يشهد على وحدانيته وربوبيته وقال بعضهم احسن كل شيء خلقه لم يخلق الانسان
في خلق البهايم وصورتها ولا البهايم في خلق الانسان وقتادة يقول كل شيء من خلقه حسن على نحو ما خلق وعلم كيف يخلقه وهو نحو
ما ذكرنا بديا ثم من قرا خلقه بالجزم يكون معناه والله اعلم اي احسن خلق كل شيء ومن قرا خلقه بالنصب اي احسن كل شيء منه خلقه
ثم المعتزلة في هذه الاية او في تعلق يقولون اخبر انه احسن كل شيء خلقه والكفر وشتم رب العالمين ونحوه كله قبيح وسفه دل
انه لم يخلقه وانه ليس بخالق لذلك يقال لهم اخبر انكم الزنا وقد يعادونكم ويقولون ان الخنزير والنجاسات وجميع السباع
الضارة والمؤذية وجميع الخبائث كلها قبيحة وان الله ليس بخالق لها فهم يزعمون قولهم وسوالهم في ذلك فان زعمتم في الاول في الكفر و
الشتم وجميع فعل الشر وانه ليس بخالق له لانه قبيح صار مؤد يلزمكم مذهب الزنا وقد يقولون ويذكرون في اثبات خالق الشر
لانه قبيح صار موز ويقال لهم ان الله جل وعلا سمى ابليس باطلا فهو اذا لم يخلقه لانه اخبر انه لم يخلق السموات والارض وما بينهما
باطلا ثم يقال لهم انا نقول انه خلق فعل الكفر من الكفر قبيحا وخلق فعل الشر والشتم من الشرير والشاتم قبيحا خلق فعل الشرع على
ما هو وعلى ما عرفه فلا عيب يلحق في جعل ما هو قبيح قبيحا كبعض الكفر ليعلمه قبيحا على ما هو وكذلك جميع الشرور فعلى ذلك ليس في
خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحا عيب على ما لم يكن في تكلف معرفة القبيح ليعرفه قبيحا على ما هو حقيقة عيب هذا اذا كان التأويل
على ما يذهبون هم اليه فاما اذا كان ما ذكرنا في قوله احسن اي علم او اتقن وليس يدخل ذلك الشيء ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
وبدا خلق الانسان من طين قال عامتهم يعني آدم وقوله عز وجل ثم جعل نسله اي نسل آدم ثم سواه ونفخ فيه من روحه وقال
بعضهم لا وكن ذلك نعت ولده وذريته لان الاعجوبة في خلق ولده في الارحام في ثلاث ظلمات من النطفة ان لم يكن اكثر من خلق آدم
من طين لا يكون اقل لان صنيع الاشياء الظاهرة البادية وتسويتها في الشاهد ايسر وادون من صنعها وتسويتها اذا كانت غائبة م
مستكنة وظاهر ان يكون قوله وبدا خلق الانسان من طين آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ذريته لان النسل هو الولد
والذرية وقوله من سلالة قال بعضهم السلالة هو الصفوة من ماء والخالص من كل شيء وقال بعضهم السلالة هي من السل سل السيف
اذا اخرجه ونزعه فعلى ذلك قوله من سلالة من ماء اي استخرج من الظهر وسل منه ونزع والمهين هو على قول الضعيف يقال منه
مهين يمهن مهانة فهو مهين وهو قول ابو عوسجة والقتبي وقوله ثم سواه اي جمعه وقومه وركب بعضه ببعض ونفخ فيه من
روحه وهو من الريح بالنفخ يتفرق في الجسد لذلك ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ثم سواه يحتمل ما ذكرنا من تركيب الجوارح والاعضا
او سواه وجعله بحيث يحتمل المحنة والامر والنهي ونفخ فيه من روحه اي جعل فيه الروح وذكر النفخ لما ذكرنا على تحقيق النفخ فيه
والله اعلم وقوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ذكر جل وعلا جميع ما يوصل الى العلوم الغائبة والحاضرة جميعا
ويدرك ويوجد السبيل اليها وهو السمع والبصر والقلب في الانسان لانه بالسمع يوصل الى ما غاب عنهم من العلم يسمعون ما عند
غيرهم وكذلك بالبصر يرى ويبصر ما عند غيره وبالقلب يفهم ويحفظ ويميز بين ما يرى ويبقى يتبين انه قد اعطاهم ما به يدركون
ويصلون الى ما غاب عنهم ويفهمون ويميزون وهو ما ذكر الحواس ثم قال قليلا ما تشكرون قال اهل التأويل قوله قليلا ما تشكرون
قط لانهم يقولون انما خاطب به اهل الكفر وان يقال انهم يشكرون قليلا لكنهم يفسدون ويفصلون ما يشكرون بكفرانهم من
بعد واما اهل الاسلام وان كان شكرهم لما ذكر من هذه الحواس قليلا فانهم قد اعتقدوا في اصل العقد الشكر له في جميع نعمه والكافر
اعتقد الكفران له والا يحتمل ان يكون قوله قليلا ما تشكرون المؤمنين ولم يقل ذلك لا الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل ائذا ضللنا
في الارض ائنا لفي خلق جديد هذا القول منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال انا نبعث ونخلق خلقا جديدا وعلى الايجاب
والتحقيق انا نبعث لا محالة فلا يحتمل بذلك لا يعتبر لو كان على ظاهر المخرج منهم لكنهم انما قالوا ذلك استهزاء وانكار
للبعث دليله ما قال على اثره بل هم بلقاء ربهم كافرون والاظهر ذلك القول منهم على احد الوجهين اللذين ذكرناهما استهزاء
او ايجابا وهو ما اخبر عن المنافقين حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله هذا القول منهم حق وصدق
لكنهم لما اضمروا خلاف ذلك لم ينفع ذلك لهم حيث قال والله يشهد انهم لكاذبون فعلى ذلك القول منهم في الظاهر ما ذكرنا لكنهم
انما قالوا ذلك استهزاء وانكار البعث وجحودا قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم هذا الحرف في الظاهر ليس هو بصلة الاول لانه
انما يقال هذا من سؤال سابق في توفي الخلق وقبض ارواحهم انه من يتولى عند ذلك يتوفيكم ملك الموت وجائز ان يكون على الصلة
بالاول لانهم انكروا البعث واحياءهم من التراب لما لا يرون لله القدرة على ذلك فيذكر انه مكن واقدر عبدا من عبيده على قبض
ارواح جميع الخلائق من المشرق الى المغرب من غير ان يغفله احد انه كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك فيخبر ان من قدر على هذا لا يعجز
على احياء الخلق بعد ما صار ترابا ورمادا بل قادر على ما يشاء كيف شاء متى شاء لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ثم قوله يتوفيكم
يحتمل من توفي العدد ويجعلهم وفاء لعدها كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وجائز ان يكون التوفي من الاستيفاء وفاء التمام
اي يستوفي الروح كله حتى لا يبقى في الجسد منه شيء ثم في الاية دلالة خلق افعال العباد لانه اخبر ان ملك الموت يتوفيكم ويميتهم

وقد ابين

[illegible] خلق الموت والحيوة [illegible] وقال القتبي ضللنا في الارض اي بطلنا وصرنا
ترابا [illegible] وقال ابو عوسجة ضللنا [illegible] في القبور [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ربنا ابصرنا و
سمعنا [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها [illegible]
[illegible]
[illegible] لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين [illegible]
[illegible]
ينبغي لهم العذاب [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا هذا النسيان الذي ذكر منهم ليس هو نسيان غفلة وسهو لانه لا كلفة يلزم في حال السهو والغفلة ثم هو يخرج على وجهين
احدهما تضييع وترك تصديق الرسل بما اوعدوهم به وتكذيبهم ورد الحجج والايات لذلك والثاني نسيتم اي جعلتم ذلك
كالمنسي لم تكترثوا اليه ولا اعتبرتم وكذلك يخرج قوله انا نسيناكم على وجهين احدهما اي نجعلكم المنسي عن رحمته وفضله
لا يكترث ولا يعبأ بكم كما جعلتم انتم اياه وحججه وما دعوكم اليه كالشيء المتروك الذي لا يكترث اليه والثاني انا نسيناكم
تركناكم وتضييعكم ويجوز تسمية الجزاء باسم اصله واوله وان لم يكن الثاني في الحقيقة سيئة ولا اعتداء فعلى ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وتعتقدون المذهب للخلود والابد
لان كل ذي مذهب ودين انما يعتقدون المذهب ويختارونه للابد فعلى ذلك يجعل تعذيبهم في النار للابد واما من يرتكب المآثم
والزلات من المؤمنين فانما يرتكب عند شدة الحاجة وغلبة الشهوة في وقت ارتكابه لا للابد لذلك افترقا وقوله عز وجل انما
يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا يخرج قوله انما يؤمن اي يحقق الايمان بالله وباياته الذين اذا ذكروا خروا سجدا لله
حقيقة ثم يحتمل خروا سجدا الحقيقة السجود عند تلاوة الايات التي فيها ذكر السجود والثاني يكون ذكر خروا والوجه و
السجود كناية عن الخضوع لها والانقياد والاستسلام والقبول لها فاحدهما على حقيقة السجود وعند تذكير الايات لهم والتلاوة
عليهم والثاني على الكناية عن القبول لها والاستسلام والايس من ذي مذهب من اهل الكفر من عبدة الاوثان وغيرهم الا وعنده
الايمان بالله وباياته ويزعم ان الذين هو عليه هو الايمان به والمؤتمر بامره الا ترى انه كيف اخبر عنهم حيث قال واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها كانوا يدعون في جميع ما يفعلون ان الله تعالى امرهم بذلك وانهم مؤمنون به مؤتمرون
بامره فاخبر انه انما يحقق الايمان بالله وبالايات الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا لا اولئك الذين يدعون ذلك ويسمون كذلك
وقوله عز وجل وسبحوا بحمد ربهم التسبيح هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع ما قالت الملحدة فيه ونسبوه اليه مما لا يليق به يقول
سبحوا بحمد ربهم اي ذكروه بمحاسنه ومحامده وبروه ونزهوه عن جميع ما وصفه اولئك ونسبوه اليه هذا والله اعلم هو التسبيح
بحمده وقوله عز وجل وهم لا يستكبرون لا احد يخطر بباله ان يستكبر على الله وعلى امره ولكن كانوا يستكبرون على رسله لما لا
يرونهم اهلا لذلك وان يكونوا يستكبرون على ما يدعونه اليه ولا يجيبونه لذلك وقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع

روى عن انس بن مالك رضى الله عنه انها نزلت فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن اختلف فيه الروايات ذكر فى بعضها انها
نزلت فى نفر من عمال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعملون بالنهار فاذا جن عليهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء ثم
فلما نزل هذا اجتنبوا عن ذلك وذكر عنه انهم كانوا يصلون بين المغرب والعشاء فنزلت الاية فيهم فان كان هذا نزول الاية لكان
يخرج مخرج المدح لهم والثناء الحسن وان كان الاول فهو على التوبيخ لذلك ثم اختلف اهل التاويل فى تاويلها قال بعضهم هو التنفل
والصلوة فيما بين المغرب والعشاء الاخرة ومنهم من يقول هو التجافى عن المضاجع لصلوة العشاء والفجر يصليهما ومنهم من يقول
يجافى جنوبهم بذكر الله كلا استيقظوا ذكروا الله اما صلوة واما قياما واما قعودا لا يزالون يذكرون الله ومنهم من يقول
تجافى جنوبهم عن المضاجع قيام الليل والصلوة فيه وهذا اشبه الثناء وبلوت لانه قام عن المضاجع والتجافى عن المضاجع انما يكون
فى الوقت الذى يضطجع فيه وفيه يقع الامتداح والثناء الحسن لانه وقت الغفلة والنوم فيه واما سائر الاوقات يشترك
والله اعلم وقوله عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا يحتمل قوله تدعون ربهم خوفا وطمعا اى يعبدون ربهم ويحتمل حقيقة الدعاء
ثم قوله خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا من عذاب الله وطمعا فى رحمته وان يكون قوله خوفا اى يخافون التقصير فى العبادة اى
يطمعون الحسنات والحسنات فى العفو والتجاوز وهكذا على المومن من بين الخوف والطمع يخاف التقصير فيه ويطمع الحسنات ذكر عن الحسن
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع امنين فاذا خافنى فى الدنيا امنته يوم
القيامة واذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة ثم قرا قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا الاية وقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون
يحتمل الزكوة المفروضة ويحتمل ينفقون صدقة التطوع ويجوز ان يكون قوله ومما رزقناهم من القوى والاسباب البدنية ينفقون
اى يعملون والله اعلم وقوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم اعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا على النفس انها لا تعلم الامثال ما احست وعاينت وشاهدت
فاما العقل فانه جائز ان يعلم ويخطر ما لم ير له مثالا والله اعلم وعلى قول المعتزلة يدعون ربهم امنا واياسا لا على الخوف والطمع
على ما ذكر لانهم لا يخلوا اما ان يكون اصحاب الصغائر او اصحاب الكبائر فان كانوا اصحاب الصغائر فهم امنوا على قولهم لانه لا يسع
له ان يعذب على الصغيرة على قولهم واصحاب الكبائر فهم ايسوا من رحمته او لا يسع ان يغفر على قولهم فقولهم يخالف لنظام الاية
قال ابو عوسجة تتجافى جنوبهم اى لا يضعونها بالارض يقال تجافى جنبى اذا لم يضطجع ولم ينم وجافيت جنبى اى لم الزمه
بالارض وقال القتبى تتجافى اى ترتفع عن الارض ونزلا من النزول والنزل ما يجعل للرجل ياكله ويستعمله وقوله عز وجل
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون ان اهل التاويل يقولون نزلت الاية فى شان على بن ابى طالب والوليد بن عقبة بن
ابى معيط كان بينه وبين على رضى الله عنه كلام وتنازع حتى قال له على انك فاسق وانا مومن فنزلت الاية فيهم لكن الاية
فى جميع المومنين والفاسقين يخبر ان ليس بينهم استواء ثم جائز ان يكون ذكر هذا ونزل القول كان منه وكذلك الكفرة الفسقة
للمومنين ان منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا فى الاخرة عند الله سواء فنزلت الاية لذلك انهما ليسا يستويان فيبين منزلة المومنين عند الله
وقدره وما ذكر من الثواب له والكرامة والمنزلة الفاسق ما ذكر من الخلود فى النار ابدا كقوله ام حسب الذين اجترحوا وكقوله
ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية ويذكر ذلك على الابتداء انكم تعرفون فى عقولكم ان ليس المومن المصدق فى الشاهد
فى المنزلة والقدر عندكم كالخارج عن امره وكالمكذب له فكيف تطمعون الاستواء عند الله وانتم الفسقة الخارجون عن
امر الله وانكم المعاندون له والله اعلم بذلك ثم الخوارج والمعتزلة يقولون لو كان الفاسق مومنا على ما تقولون لم يكن
لما ذكر معنى فدل ان الفاسق لا يكون مومنا حيث ذكر انهم لا يستويان وان المومن ماواه فى الجنة والخلود له فيها والفاسق
مقامه فى النار وخالدين فيها على ما ذكر فلو كان على ما تقولون لكانا يستويان او كلام نحو هذا فيقال لهم وانتم تنفقون ان هذا
الفاسق المذكور فى الاية ليس بمومن وانه لا يستوى المومن لانه ذكر الفسق مقابل الايمان ودليله اخر الاية حيث قال ذوقوا
عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ذكر التكذيب والتكذيب هو مقابل الايمان ولكن مقابل فيه من العصيان والمساوى ويكون
هذا الوعيد الذى ذكر فهذا الاية ان السوال المذكور مقابل الايمان كفر كقوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا المسئ فعلى ذلك الفسق المذكور مقابل الايمان كفر لا يقع فيه استواء بحال واما الفسق المذكور لا مقابل الايمان
فجائز ان يقع فيها استواء وهو ان يغفر له ذنبه ويكفر عنه سيئته ويدخل الجنة حيث قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقال فى اية اخرى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال فى اية اخرى و
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية فهو فى مشية الله ان شاء عذبه وان شاء تجاوز عنه واصحاب الحديث يقولون
ان جميع الطاعات ايمان بهذه الاية لانه قال افمن كان مومنا كمن كان فاسقا ثم فسر ذلك المومن فقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات الماوى وعد لهم الجنات بالايمان وعمل الصالحات فيقال ان الوعد المطلق هو لمن امن وعمل الصالحات فاما من امن
ولم يعمل من الصالحات شيئا فانا نقول بان له ذلك الوعد المطلق ولكن له الوعد الذى الذى ذكرنا وفى الاية دلالة ان تدعيل المومن

غير الصالحات وهو مومن لانه لم يكن منه غير عمل الصالح لم يكن لشرط العمل الصالح له معنى دل ان قد يكون من المومن غير العمل
الصالح وذلك على المعتزلة والخوارج وقوله عز وجل ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اختلف فى العذاب الادنى
قال بعضهم هو القتل يوم بدر ومنهم من يقول هو الجوع فى السنين التى كانت لهم فيها والضيق والشدة ومنهم من يقول هو المصائب
التى تصيبهم وامثال ذلك كثيرة لكن ذلك العذاب ليس هو من عذاب الكفر لان عذاب الكفر يكون فى الاخرة ابدا دائما لا زوال ولا انقطاع
فاما عذاب الدنيا لهم عذاب عنادهم وما يكون منهم من الجنايات فى حال الكفر هو يعذبون فى الدنيا ليذكرهم ذلك العذاب فى الاخرة
العذاب الدائم لينتهيهم عما به يعذبون فى الدنيا عن عذاب الاخرة وكذلك ما اعطى لهم من اللذات والنعيم فى الدنيا وان كان له
منقطعا ليذكرهم بذلك وثان اللذات الاخرة ونعمها الدائمة ولذلك رغب الله خلقها الى طلب الاخرة واخبر ان لهم فيها من اللذات
كما فى غيرها من القران حيث قال وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين الاية ونحوه كثير العذاب الاكبر هو عذاب الاخرة وهو عذاب الكفر
والتكذيب وقوله عز وجل لعلهم يرجعون لكى يلزمهم جهة الرجوع عما هم فيه من التكذيب لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين
والله اعلم وقوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها قوله ومن اظلم اى احد اظلم ممن ذكر بايات ربه ووقع له المعرفة
والعلم انها ايات ربهم ثم اعرض عنها بعد ما عرفها وعلم بها ليس احد اظلم من ذلك المكذب بايات ما ذكرنا انهم يذكرون ليقع لهم
بانها ايات ثم يحتمل ايات وحدانيته وايات رسالته وايات البعث وايات القران والله اعلم وقوله عز وجل انا من المجرمين منتقمون
يوم هم ههنا جرم كفر ينتقم منهم انتقام الكفر والتكذيب وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه اختلف
فيه قال بعضهم لا تكن فى مرية من لقائه اى من ان تلقاه يوم القيامة وقال بعضهم فلا تكن فى مرية من لقاء موسى التورية فان الله
القى الكتاب عليه اى التورية حقا فلقيها عيانا وقال بعضهم فلا تكن فى مرية من لقائه ليلة اسرى به فقد روى مثل هذا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اسرى وعرج الى السماء فقال له موسى كذا وكذا ذكرت فى امر الصلوة وغيره فلا ندرى اى ثبت ذلك
ام لا وان ثبت كيف كان ذلك انه اوحى له فقال ما ذكرنا ورأى ذلك فى المنام ورؤيا الانبياء حق وكيف كان لا امر الله والله
اعلم وقوله عز وجل وجعلناه هدى لبنى اسرائيل قال بعضهم جعلنا موسى هدى لبنى اسرائيل يجعل الهاء كناية عن موسى وقال بعضهم
جعلناه اى الكتاب الذى اتى موسى هدى لبنى اسرائيل ثم يحتمل قوله هدى لبنى اسرائيل وجهين احدهما البيان اى جعلناه بيانا لما يبين
ما لهم وما عليهم وما لله عليهم والثانى هدى لبنى اسرائيل اى دعاء لبنى اسرائيل يدعون الخلق به الى توحيد الله والوهيته الهدى
المضاف الى الخلق يخرج على هذين الوجهين على البيان والدعاء والهدى المضاف الى الله يخرج على وجوه اربعة على البيان وعلى الدعاء
الذى ذكرنا ايضا وعلى وجهين اخرين احدهما التوفيق والمعونة والثانى على خلق فعل الاهتداء منهم على هذه الوجوه الاربعة
يخرج اضافة الهدى الى الله والى الخلق على الوجهين اللذين ذكرناهما فان قيل كيف خص موسى انه جعله هدى لمن ذكر وذلك قد
يكون فى غيره وهو ما جعل فى خلقة كل احد شهادة وحدانيته والوهيته قيل ذلك انما يدرك بالنظر والتفكر واما بما ذكر يدرك
بالبديهة والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا اى قادة فى الخير يحتمل قوله يهدون بامرنا اى يدعون الناس
بامرهم وهو التوحيد ويهدون اى يبينون لهم بالذى امرنا ما لهم وما عليهم لما صبروا قال بعضهم اى بما صبروا على البلاء وتعذيب
فرعون اياهم وانا اباهم اى امنوا ودعوا غيرهم الى ذلك على الخوف كقوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون و
ملائهم الاية وقال بعضهم لما صبروا على الطاعات وقد قرئ لما صبروا بالتشديد ومعناه والله اعلم اى انما يهدون لما كان منهم
الصبر على ذلك اى بالصبر الذى كان منهم هدوا اولئك وقوله عز وجل وكانوا باياتنا يوقنون انها من الله وانها اياته وقال بعضهم
لما صبروا اى لم يركنوا الى الدنيا ولا اشتغلوا بها ولكن صبروا على ما امروا وكلفوا والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ان اهل الاديان جميعا والمذاهب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم اتفقوا ان الدين الالهى
واحد وان الدين الذى امر الله ان يدينوا به واحد لكن كل منهم ادعى ان الذى هو عليه دين الله وان الامر من الله ونفى ما يدين هو به و
عليه على باطل على غير دين الله الذى امر بالدينونة به ولذلك قالوا وانا ضلوا فاحشة الاية فاخبر انه يفصل بينهم وبين الذين الذى
امران يدينوا به فى الدنيا بيان الاحتجاج عليهم والاقناع بان لهم واظهر الدين الذى امرهم ان يدينوا به بالحجج والايات وعرفوا ذلك
لكنهم كابروا وعاندوا وكتموا ذلك ولبسوا على الناس والاتباع فيبين ما كتموا فى الدنيا ولبسوا فى الاخرة فيظهر عنادهم ومكابرتهم
احتجاجا عليهم وان كان الحق قد بان لهم وظهر فى الدنيا هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله عز وجل اولم يهد لهم
كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم يقول والله اعلم اولم يبين لاهل مكة ولم يكفهم من الهداية والبيان ما اهلكنا
من قبلهم من القرون الذين يمشون ويمرون فى مساكنهم فيرون ما حل بهم ومن اهلك ومن نجا منهم فيقع الاعتبار لهم بمن ذكر
من وجهين احدهما زعموا ان اباءهم على ما هم عليه وانهم يقلدونهم فى ذلك وانهم امروا بذلك فيخبر انكم اولاد من نجا منهم لا اولاد
من اهلكوا لانهم استوصلوا فلا يحتمل ان يكونوا اولاد من استوصلوا فدل انهم اولاد من نجا منهم وانما نجا منهم المصدق لا المكذب
فيخبر ان كيف لا اتبعتم اباءكم الذين نجوا منهم وهم المصدقون دون الذين اهلكوا بالتكذيب والفساد والثانى يعتبرون

يفعلون ان اهلاكهم واستيصالهم كان للتكذيب والعناد مع الرسل والخلاف فلم ينفعهم ما حل بهم بالتكذيب والخلاف للرسل من تكذيب رسول الله ومحاربتهم اياه وقوله عز وجل ان في ذلك لايات افلا يسمعون قال بعضهم افلا يجيبون وذلك حيث يمشون في مساكن اولئك ويمرون فيها قال بعضهم افلا يسمعون ما يحدث لهم عن اولئك وما حل بهم وما نزل ذلك بهم وقال بعضهم افلا يسمعون افلا يعقلون انما اهلكوا واستوصلوا فيمتنعون عن ذلك كقوله وقال بعضهم افلا يستمعون الوعيد الذي اوعدهم وقيل افلا يستمعون التوحيد والله اعلم وقوله عز وجل اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا الاية ماذكر من هذه الاية ذكرت في الاحتجاج عليهم لانكارهم البعث والاولى ذكرت لانكارهم نزول العذاب بالتكذيب والخلاف فلو فيخبرهم من قدر على سوق الماء الى الارض الميتة اليابسة واحيائها قادر على احيائكم بعد الموت اذ لا عجز ولا قدرة فاحياء الارض الميتة اليابسة ان لم يكن اكثر فلا يكون دون [illegible] وكيف انكرتم القدرة على احياء الموتى وقد عاينتم وعرفتم مثله في الارض الجرز ابو عوسجة هي التي لا تنبت فيها [illegible] وارض جراز وكذلك [illegible] الارض الجرز اليابسة التي [illegible] فيها وجمعها اجراز ويقال سنون اجراز اذا كانت سنى جدب قال بعضهم الارض الجرز هي التي تاكل نباتها [illegible] ويقال للمراة جرزا اذا كانت اكولا وكلام نحوه فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم الزرع الذي ذكر يخرج من الارض اليابسة بالماء انعامهم وانفسهم افلا يبصرون وقدرته في اخراج ماذكر [illegible] غذاء [illegible] وذكر عن [illegible] رضي الله عنه انه قال الارض الجرز التي لا تنبت فيها وقوله عز وجل ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يقولون [illegible] ان لنا يوما [illegible] فيه ونتنعم فيه يعنون يوم القيامة فقال الكفار متى هذا الفتح وهو القضاء ان كنتم صادقين [illegible] البعث والقيامة [illegible] يومئذ وانما [illegible] يا محمد يوم الفتح يوم القضاء لا ينفع الذين كفروا ايمانهم بالبعث [illegible] لو كان البعث الذي يقولون حقا [illegible] يومئذ ولا هم ينظرون يقول لا ينظرون بالعذاب حين [illegible] وقال بعضهم [illegible] اصحاب رسول الله [illegible] يوم بمكة فتح [illegible] ناس من اهل مكة [illegible] سمعوا ذلك منهم [illegible] ويقولون [illegible] متى هذا الفتح [illegible] ان كنتم صادقين [illegible] قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم فتح [illegible] ولو كان فتح مكة [illegible] والانظار [illegible] فتح مكة والاولى ان يكون ما ذكر [illegible] قبول الايمان والانظار وفي الدنيا [illegible] كان السؤال عن الساعة او عن [illegible] لا يثبت ما ذكر [illegible] فتح مكة قام النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] المشركون [illegible] من مكة واقام من اقام بها [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] خالد بن الوليد [illegible] وامر [illegible] الحرم فوجد الذين كانوا [illegible] من اصحاب محمد ويقولون متى [illegible] هذا فوق جبل قد تحصنوا فيه [illegible] خالد بن الوليد [illegible] في الجاهلية [illegible] فقال لهم خالد بن الوليد [illegible] قالوا قد اسلمنا قال ان كنتم قد اسلمتم [illegible] ولا تنزلوا [illegible] خالد بن الوليد [illegible] ثم نزلوا [illegible] خالد بن الوليد السلاح [illegible] فقال معاذ الله [illegible] فبلغ ذلك النبي [illegible] بن ابي طالب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم [illegible] انهم منتظرون [illegible] وقوله فاعرض عنهم [illegible] وانتظر [illegible] انهم منتظرون ذلك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين [illegible] عمر بن الخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] خاطب رسوله [illegible] خاطب [illegible] تبليغ الرسالة وما [illegible] الرسول [illegible] بلغ ما انزل اليك من ربك [illegible] الاية [illegible] اهل التاويل [illegible] قدموا المدينة [illegible] ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل [illegible] ابن سلول [illegible] النبي [illegible] الذين [illegible]

بجلوه فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومنات وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وفيهم نزل ودع اذاهم وتوكل على الله وفي بعض الروايات قالوا ذلك وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فان كان على هذا فالنهي عن نقض العهد والامان وان كان على الاول فالنهي عن اتباع ما طلبوا منه من رفض الهتهم والعبادة لها وبعضهم يقولون ان اهل مكة نحو شيبة بن ربيعة وهؤلاء قالوا له انا نعطيك يا محمد كذا وكذا من المال و نزوجك كذا وكذا امراة كثيرة المال فارفضنا والهتنا والا فخف لنا نفسك فلا وفلان عدوا فترقا فانزل الله تعالى الاية في ذلك بالنهي عن اتباع ما طلبوا منه ودعوه اليه وامره بالتوكل على الله في ترك الاتباع لهم واصله ما ذكرنا النهي وان كان له خاصة فيما ذكر نهي وان كان معصوما فالعصمة لا تمنع الامر والنهي بل العصمة انما تنفع اذا كان ثمة نهي وامر اذ لولا النهي والامر لكان لا معنى العصمة ولا منفعة لها والله اعلم وقوله عز وجل اتق الله في ترك تبليغ الرسالة اليهم ولا تطع الكافرين والمنافقين في اتباع ما دعوك اليه وطلبوا منك وفي قوله ان الله كان عليما حكيما عليما بما كان ويكون منهم اي على علم بما يكون منهم من التكذيب و الرد عليك بعثك لا على جهل حكيما في ذلك اي بعثه اياك اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرجه عن الحكمة ليس كملوك الارض اذا ارسل بعضهم الى بعض رسالات وهدايا على علم من المرسل ان المبعوث اليه يرد الرسالة والهدية يكون سفها لانهم يبعثون ويرسلون لحاجة انفسهم اعني انفس المرسلين فاذا ارسلوا على علم منهم بالرد والتكذيب كان ذلك سفها خارجا عن الحكمة فاما الله سبحانه انما يرسل الرسل ويبعثهم لمنفعة انفسهم وحاجتهم فعله بالرد والتكذيب لا يخرجه عن الحكمة وقوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك من ربك هذا يحتمل الخصوص له به على ما ذكرنا ويحتمل العموم على ما ذكرنا في اية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يدل على ذلك قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا خاطب به الكل والله اعلم وهو ما ذكرنا انه على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد وقوله عز وجل وتوكل على الله اي اعتمد على الله في تبليغ الرسالة ولا تخف اذاهم وكفى بالله وكيلا اي حافظا يحفظك ويمنعهم عنك كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقوله عز وجل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يقول بعض اهل التاويل انها نزلت في رجل يقال له ابو معمر وكان من احفظ الناس وادعاهم فقالوا ان له قلبين قلب يسمع وقلب يحفظ وبعضهم قال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ويقول بعضهم كذلك انها نزلت في ابي معمر وكان يسمى ذا القلبين لحفظه الحديث حتى اذا كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابي معمر تلقاه ابو سفيان حرب وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما فعل الناس قال انهزموا فقال له ما بال نعلك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما شعرت الا انهما جميعا في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده ونحو ذلك قيل ولكن لا ندري ما سبب نزول هذا وروي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الاية فقال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوما فخطر خطرة فوقع في قلبه فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزلت هذه الاية وهذا يشبه ان يكون سبب نزول الاية وان يكون نزولها في المنافقين وذلك انهم كانوا يصلون مع النبي والمؤمنين ويرون المنافقة لهم من انفسهم ويقولون نشهد انك لرسول الله ثم يرجعون الى اوليائهم فيقولون انا معكم انما نحن مستهزئون ونحو ذلك هذا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي دينين في جوفه الايمان والنفاق او قلبين في جوفه قلبا الهدى وقلبا الاخرى ونزلت في المشركين الذين يقرون بالوحدانية لله وانه هو الخالق كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويعبدون الاصنام مع هذا فيقول والله اعلم يجعل الرجل قلبين في جوفه قلبا للشرك وقلبا للايمان والتوحيد ولكن جعل قلبا واحدا لا هذين اي قلبا لقبول الشرك وقلبا لقبول الايمان وبعضهم يقولون على التمثيل اي كما لم يجعل الرجل الواحد قلبين وكذلك لا يكون الظاهر من امراته لا يكون امراته امه في الحرمة ولا يكون دعي الرجل ابنه يقول نزل في النبي وزيد بن حارثة كان النبي تبناه كما في يسمونه زيد بن محمد فجاء النهي عن ذلك فقال ما جعل ادعياءكم ابناءكم الى هذا مذهب عامة اهل التاويل وبعضهم يقول قال قيل قوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي لم يجعل الرجل نسبين ينسب اليهما واصله عندنا ان قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما ذكرنا ولم يجعل ازواجكم اللائي تستمتعون بهن بالتشبيه بالامهات كالامهات اي لم يجعل لكم ذلك ولم يبح ولم يشرع و جعل ادعياءكم ابناءكم اي لم يجعل بسبب ذلك ولم يشرع وان كان قد يكون في النسب الفاسد نحو الجارية بين الاثنين اذا ولدت فادعياه جميعا نحو النكاح الفاسد والملك الفاسد لم يجعل كذا اي لم يجعل ولم يشرع كقوله ما جعل الله من بحيرة اي لم يشرع ولم يجعل ذلك وان كان يكون لو فعلوا فعلى ذلك قوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اي لم يشرع ذلك السبب ولم يجعل ذلك في الاسلام ما كان في الجاهلية لانه لا يكون ذلك فيما لم يشرع في الفاسد من السبب على ما ذكرنا ان النسب ثبت في النكاح الفاسد وان لم يشرع والحسن يقول في قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال كان الرجل يقول ان نفسا تامرني بكذا ونفسا تامرني بكذا فنزل ذلك والحكمة فيما لم يجعل لواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين لان الادراك بالسمع والبصر انما يكون

بالشاهد فيخرج ذلك مخرج مغاونة بعضهم بعضا وما يدرك بالقلب انما يدرك بالاجتهاد وقد يختلف فلذلك فيما يجتهد
ان في شي فيما قضى احدهما صاحبه اذ يجوز ان يرى صاحبهما خلاف ما يراه الاخر واما السمعان والبصران لان كذلك لذلك اختلفا
وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه جايز ان يكون سبب ذلك ما ذكر من ادعاء مسيلمة الكذاب الرسالة لنفسه وتواطوا
متجابه على ذلك والله اعلم ما جعل الله ان يرسل رجلين رسولا الا خلقه مختلفي الدينين متضادي الشرايع يدعو كل الى دين
غير الاخر والى شريعة يضاد بعضها بعضا نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيلمة الكذاب وقوله وما جعل ازواجكم اللايي
تظاهرون منهن امهاتكم يحتمل هذا وجهين احدهما على النهي الذي ذكرنا اي تشبهوا ازواجكم بظهور امهات ولا تحرموهن على انفسكم
لحرمة الامهات ولذلك قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا والثاني فان لم يجعل الله ازواجكم حراما ابدا كالامهات وان
جعلتم انتم ولكن جعلتهن لكم بحيث تصلون اليهن بالاستمتاع على تصلون اليهن وتستمتعون بهن بعد هذا القول يذكرهم على
المنة والنعمة لتادي به شكره لما ابقى لهم الاستمتاع فيهن بعد هذا ولم يجعلهن لهم كالامهات على ما ذكر والله اعلم وقوله وما جعل
ادعياءكم ابناءكم اي جعل ادعياءكم ابناءكم في الحقوق الى الاباء وهو ما ذكر في بعض القصة انه اذا ادعى الرجل منهم ورثه ثم
مع اولاده فهو شي كانوا يفعلونه في الجاهلية دعي اليه ونسب يقول والله اعلم ما جعل ما كنتم تدعون الابناء في الجاهلية
تعون والنصرة ابناءكم في الاسلام فيما جعلوا والثاني ما جعل ادعياءكم في حق النسبة كما ذكر انهم كانوا يقولون لزيد بن حارثة
زيد بن محمد ذلك قولكم بافواهكم انما هو قول تقولونه بالسنتكم فيما بينكم والله يقول الحق انهم ليسوا بابناء لكم او ان قوله والله
يقول الحق تاويله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اعدل عند الله اي انسبوهم اليهم ان علمتموهم فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم
في الدين ومواليكم قال بعض اهل التاويل فانسبوهم الا ابيهم من اسماء مواليكم او اخوانكم او ابن عمكم مثل عبد الله وعبيد الله و
عبد الرحمن واشباه ذلك الاسماء واسماء مواليكم وان يقول قوله فاخوانكم في الدين اي سموهم اخوانا وذلك اعظم في القلوب و
اخذ من التسمية بالاباء والنسبة اليهم وذلك ان الحاجة الا معرفة الاباء والنسبة اليهم انما تكون عند الكتابة والشهادة وعند
الغيبة فاما عند الحضرة فلا وقوله عز وجل ومواليكم قال بعضهم نزل هذا في شان زيد بن حارثة وهو كان مولى رسول الله وكان
يسمونه زيد بن محمد فهو اعني ذلك فيقول فان لم تعلموا اباءهم فانسبوهم الى مواليهم وجايز ان يكون قوله ومواليكم من الولاية كقوله
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض وقال انما المومنون اخوة وقوله عز وجل ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به يقول والله اعلم ليس
عليكم بالنسبة الى غير الاباء اذا كنتم مخطئين غير عارفين للاباء انما الجناح والحرج عليكم اذا كنتم عامدين لذلك عارفين لهم اباء
كما نهى باح التبني والتواخي فيما بينهم ولم يبح النسبة الى غير الاباء والايجاب للحقوق فيما بينهم وكذلك روي في بعض الخبر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته واهله فكان الزبير اخا عبد الله بن مسعود
فمكثوا بذلك ما شاء الله ان يمكثوا حتى نزلت الاية وقال بعضهم ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به يقول اذا دعوت الرجل لغير ابيه
وانت ترى انه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول لا تدعوه لغير ابيه متعمدا فان الخطا ما قال فان الله يقول لا يواخذكم به و
لكن ما اردف به العمد وهو مثل الاول وذكر ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لي خطاياي فقال له عمر استغفر
العمد فاما الخطا فقد تجوز لك عنه وكان يقول ما اخاف عليكم الخطا ولكن اخاف عليكم العمد وما اخاف عليكم العايلة ولكن
اخاف عليكم التكاثر وما اخاف عليكم ان تزدروا اعمالكم ولكن اخاف عليكم ان تستكثروها وذكر ان ثلاثا لا يملك عليها ابن ادم
الخطا والنسيان والاستكراه وذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ذلك وقال بعضهم الخطاء ههنا هو ما جرى
على اللسان من غير قصد والعمد ما يجري على قصد وهو ما ذكرنا والله اعلم وكان الله غفورا رحيما لما فعلوا وقوله عز وجل النبي
اولى بالمومنين من انفسهم قال بعضهم النبي اولى بهم من بعضهم ببعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي لا تقتل بعضكم بعضا اذ
لا احد يقتل نفسه فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض ليس انه يسلم الرجل على نفسه ولكن ما ذكرنا فعلى ذلك قوله
النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي بعضهم من بعض ثم يحتمل هو اولى بهم من انفسهم من الطاعة له والاحترام له والتعظيم اي هو
اولى ان يعظم ويحترم ويطاع من غيره او ان يكون اولى بهم في الرحمة والشفقة لهم اي ارحم بهم واشفق من انفسهم وهو على
ما وصفه من الرحمة والرافة حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم وليس احد من الناس يعز عليه
ما يفعله من الماثم او ان يجوز اولى بهم اي احب اليهم من انفسهم واولادهم محبة لاختيار والايثار ليست محبة الميل ميل القلب
لان ميل القلب يكون بالطبع وذكر في الخبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ليس يومن حتى اكون انا احب اليه من نفسه وولده
واهله او كلام نحو هذا او ان يكون اولى بهم في الاخرة بالشفاعة لهم يشفع لهم فيخرج من النار به لا باعمالهم والله اعلم وذكر في
بعض الحرف النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم وهو حرف ابي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم
قوله وهو اب لهم في الرحمة والشفقة او فيما يلزم من الطاعة والتعظيم والاحترام ونحوه وقوله عز وجل وازواجه امهاتهم قال
اهل التاويل وازواجه امهاتهم في الحرمة اي لا يحل لهم ان يتزوجوهن ابدا كالامهات ولكن يجب ان يكون ذلك بعد وفاته فاما في

حيوة اذا

حيوة اذا طلقهن يجب ان يحللن لغيره لانه قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الاية ولو لم يحللن
لغيره لم يكن لما ذكر لهن من التمتيع والتسريح معنى بهذه الحرمة يجب ان يكون بعد الموت وهو ما قال ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه في الاخرة او ان يكون قوله وازواجه امهاتكم اي حرمة ازواجه من بعده ابدا
انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه في الاخرة ومنزلتهن كمنزلة امهاتهن يستوجبن ذلك لحرمة رسول الله ومنزلته قبلهم
واما الباطنية فانهم يقولون في قوله وازواجه دلالة ليس يريد به ازواج النبي لا انه يحل للناس نكاح اولاهن ولو كن
امهات لم يحل لانهم يصيرون اخوة واخوات فادخل ذلك دلالة ما ذكرنا هذا قولهم لكن الجواب لذلك ما ذكرنا جايز انه سماهن
امهات اي منزلتهن وحرمتهن كمنزلة الامهات لحرمة رسول الله ومنزلته وذلك جايز انه ذكر الشهداء احياء عنده وان كان في
الحقيقة موتى لفضل الكرامة لهم والمنزلة عند الله فعلى ذلك ذكر الامهات لازواجه ما ذكرنا والله اعلم عز وجل واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال بعضهم في كتاب الله في حكم الله كقوله كتاب الله عليكم او حكم الله عليكم وقال بعضهم في كتاب الله
فيما انزل من الكتاب وهو الله ذلك وذلك كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اذا اخر ما ذكر المكتوب عليهم الذي ذكر على اثره ثم اختلف
في تاويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب من المومنين والمهاجرين قال بعضهم ان المواريث في بدء الامر لم تكن تجري الا
فيما بين المومنين المهاجرين من القرابات والارحام فان كان مومنا لم يهاجر لم يرث ابنه ولا اباه ولا اخاه المهاجر ولا ساير قراباته اذا مات
احدهما الا ان يكونا مومنين مهاجرين فعند ذلك يتوارثون فعلى ذلك التاويل يكون تاويل قوله الا ان تفعلوا الى اوليايكم الذين لم
يهاجروا من المومنين ان توصوا لهم شيئا فيقول قايل هذا التاويل ان هذا نسخ بالاية التي ذكر في سورة الانفال وهو قوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض الاية ولم يذكر فيه الهجرة انما كانوا مسلمين واما الكافر فانه لا يرث المسلم وعلى ذلك روي في الخبر انه قال لا يرث
المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وقال لا يتوارث اهل ملتين وقال بعضهم تاويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من
المومنين والمهاجرين من الاقربين منهم اي اولوا الارحام من المومنين والمهاجرين الاقرب فالاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعد
في المواريث اي الاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا على هذا التاويل يكون قوله الا ان
تفعلوا اوليايكم الابعدين معروفا وصية او شي فذلك معروف فصارت المواريث للقرابات الادنى فالادنى من المومنين دون
الابعدين فيكون الاية التي في الانفال وهذه سواء على هذا التاويل يكون الاقرب فالاقرب والادنى فالادنى اولى بالمواريث من غيرهم
وبعضهم يقول ان الاية نزلت ناسخة لما كان منهم من التوارث بالمواخاة لان النبي كان يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه
الباقي منهما دون عصبته حتى نسخ ذلك بالاية التي ذكر فعلى ذلك يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا هو ان يصنعوا الى
الذين اخى بينهم النبي معروفا ثم اختلف في اولي الارحام المذكورين في الاية قال بعضهم هم الذين ذكرهم في قوله يوصيكم الله في
اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى اخر ما ذكر وقال بعضهم ليس هم وانما الذي ذكر في ذلك هم الذين ليس لهم حظ او شي
فاما غيرهم فانهم في قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فانما يرث الاقرب فالاقرب منهم وكذلك يقول ابو حنيفة
رحمه الله ان اولي الارحام انما يرث الاقرب فالاقرب منهم ليس كالعصبات لان الابنة لا شك انها اقرب من ابن العم ثم يكون
النصف للابنة والبقية عز وجل كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم في اللوح المحفوظ بان المومن بعضهم اولى
ببعض في المواريث من الذين كانوا يتوارثون وقال بعضهم قوله في الكتاب اي في التورية مكتوب بان لا يفضح بني اسرايل الى
بني لوي بن يعقوب معروفا ليعود الغني على الفقير والله اعلم عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا قال بعضهم خص هولاء لان اهل الشرع من الرسل هولاء كقوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية لكنه ذكر في اية اخرى ما يدل ان غير هولاء كان لهم ايضا شرع كقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده الاية وجايز ان يكون تخصيص هولاء باخذ الميثاق لانهم هم اولوا العزم من الرسل حيث قال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل او يكون لا على التخصيص لمن ذكر ولكن على ارادة الكل والله اعلم ثم اختلف في اخذ الميثاق قال بعضهم
اخذ ميثاقهم على ان يبشر بعضهم ببعض بشر نوح بابراهيم وابراهيم بموسى وموسى بعيسى وعيسى بمحمد عليهم الصلوة والسلام
وقال بعضهم اخذ ميثاقهم ليصدق بعضهم بعضا وان يدعوا الى عبادة الله وان ينصحوا لقومهم وجايز ان يكون ما ذكر من اخذ
الميثاق منهم لما ذكر على اثره ليسال الصادقين عن صدقهم اخذ منهم الميثاق في تبليغ الرسالة الى قومهم ليسالهم عن صدقهم
انهم قد بلغوا واخذنا منهم ميثاقا غليظا لان تبليغ الرسالة الى الفراعنة منهم واعداء الله صعب شديد مخاطرة فيه هلاك
النفس وفوات الروح وهو ما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية عز وجل ليسال الصادقين عن صدقهم
الصدق اكثره انما يقع في الانباء والاخبار كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وهو ما اخبرهم وانباهم من القران وغيره
وقال في اية اخرى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا في انبايه وعدلا في حكمه ثم صدقه في النبا وعدله في الحكم سمى القران مرة
صدقا ومرة عدلا ومرة حقا فالحق يجمع الامرين النباء والحكم جميعا والصدق يكون في النباء خاصة والحكم في العدل ثم يحتمل

سؤال الشهادة قيل وهو الرسل عن صدقهم وجهين احدهما يسالهم عن تبليغ ما امرهم بالتبليغ الى قومهم دعن ابنا مادلاهم الابناء
ان يبينوا اولئك هل بلغتم وهل ابنا ثم اولئك والثاني يسالهم عن اجابة اولئك لهم هل اجابوكم الى ما دعوتهم لان منهم من اجابهم وصدقهم
ومنهم من لم يجب ولم يصدق فيخرج السؤال عمن اجاب على التقرير ومن لم يجب على التنبيه والتوبيخ وهو يسال الفريقين جميعا الرسل
عن التبليغ والمرسل اليهم عن الاجابة كقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين والله اعلم واعد للكافرين منهم عذابا
اليما بتركهم الاجابة والتصديق والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها كان بما تعملون والله اعلم اشكروا ما انعم الله عليكم واحسنوا صحبة نعمه في النصر لكم والدفع عنكم ثم الامر في تذكر
ما انعم عليهم وجوه من الحكمة والدلالة احدها تذكيرا لنا في مقاساة اولئك السلف واصحابه في الدين وعظيم ما امتحنوا فاقام
الدين حتى بلغوا الدين الينا لكي لا نضيعه نحن بل يلزمنا ان نحفظه ونتمسك به ونتحمل فيه كما تحمل اولئك والثاني فيه اية لهم وذلك
انهم كانوا جميعا مرعوبا وهم فجاءتهم الريح والملائكة فاهلكتهم دون المؤمنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلك عاد بالدبور وذلك اية عظيمة والثالث يذكرهم ما اتاهم من الغوث عندما ياسهم من انفسهم واشرفهم على الهلاك وخروج
انفسهم من ايديهم لان العدو قد احاطوا بهم حيث قال اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم وبلغ امرهم وحالهم ما ذكر حيث قال واذ
زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الاية او ان يذكر لما كان منهم من العهد والميثاق ان لا يولوا الادبار ولا يهربوا كقوله
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الاية يذكرهم عظيم نعمه التي كانت عليهم في النصر لهم على عدوهم والدفع عنهم
وحالهم ما ذكر في الاية وذلك كان يوم الخندق تحزبوا على المؤمنين في ثلاثة الاف فقاتلوهم من كل وجه شهرا فبعث الله عليهم
بالليل ريحا باردة وبعث الملائكة فغلبتهم والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله بما تعملون بصيرا يذكر انه لا عن غفلة منه وسهو
تركهم هناك حتى احاط بهم العدو ولكن اراد ان يمتحنكم محنة عظيمة او يقول انه بصير عالم فيجزيكم جزاء عملكم وصبركم
على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم قال بعضهم من فوق الوادي ومن اسفل منه وقيل احاطوا بهم من
النواحي جميعا وجائز ان يكون ذلك كناية عن الخوف اي احاط بهم حتى خافوا على انفسهم الهلاك وعلى ذلك يخرج قوله واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا وصف المنافقين زاغت الابصار اي شخصت وبلغت
القلوب الحناجر لشدة خوفهم كقوله اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
وامثال هذا قد وصفهم في غيره اي من القران ما وصف هاهنا وهذا يشبه ان يكون وقال بعضهم هذا وصف حال المؤمنين شخصت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر لما اشتد بهم الخوف لما احاطوا بهم من فوق ومن اسفل ثم جائز ان يكون ذلك على التمثيل اي كادت ان
يكون هذا وجائز ان يكون على التحقيق ومعناه تزول عن اماكنها او بلغت ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وتظنون بالله الظنونا
قال بعضهم ظن ناس من المنافقين ظنونا مختلفة يقولون هلك محمد واصحابه ونحوه من الظنون الفاسدة السوء وكقوله ما
وعدنا الله ورسوله الا غرورا ونحوه وجائز ان يكون ذلك الظن من المؤمنين ظنوا بالله ظنونا لتقصير او تفريط وكان منهم نحو قوله
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وكقوله ان الذين تولوا
منكم الاية ثم قال هنالك ابتلي المؤمنون بالقتال والانواع وزلزلوا زلزالا شديدا قيل جهدوا او جهدا شديدا وقيل حركوا تحريكا شديدا
وقوله عز وجل واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون قوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
هما واحد وهم المنافقون وجائز ان يكون المنافقون هم الذين اضمروا الخلاف له واظهروا الوفاق على بابه الحق لهم وظهوره
والذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا مرتابين في ذلك لم يتبين لهم ذلك ولم يتجل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
قال عامة اهل التاويل الذي وعدهم فتح البلدان قالوا لما احاط بهم اعني بالمؤمنين الكفار قال ذلك المنافقون وقوله
عز وجل واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب قيل يثرب المدينة ويقال يا اهل يثرب يا اهل المدينة وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قال المدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا هي طابة هي طابة ثم قال بعضهم ان قوله واذ قالت طائفة
منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا انما قاله اهل النفاق لبعضهم لا مقام لكم فارجعوا ثم يحتمل قوله لا مقام لكم وجهين
احدهما ما قالوا ما وعدنا الله ورسوله من الفتح والنصر الا غرورا والثاني لا مقام لكم فارجعوا الى ما لم ينفع عندهم انهم يصلون
الى ما كانوا يطمعون ويأملون لانهم كانوا يخرجون رغبة في الاموال وطمعا فيها وهو ما وصفهم ومن الناس من يعبد الله على حرف
الاية وجائز ان يكون هذا القول من المؤمنين لاهل النفاق فان كان من المؤمنين لاهل النفاق فان كان من المؤمنين لا
فالوجه فيه انهم ارادوا ان يطردوهم لفشلهم وجبنهم لئلا يهزموا جنود المؤمنين بانهزامهم لانهم قوم همتهم الانهزام فاذا انهزموا
وانهزم غيرهم فالمعنى اذا كان ذلك من المؤمنين هو هذا المعنى اذا كان اهل النفاق بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل ويستاذن
فريق منهم النبي بالرجوع الى المدينة كقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم وقوله عز وجل
يقولون بيوتنا عورة قال بعض اهل التاويل بيوتنا عورة خالية من الناس ليس فيها احد فنخاف السرق عليها والاخذ والحكايع

ويحتمل

ويحتمل ان يكون اراد بالعورة دخول العدو عليها انا كانوا في الجند العورة اي يدخل علينا مكروه ما يحزننا ويهمنا
وكان منهم نحوا فاكذبهم الله في قولهم وقال وما هي بعورة بل الله يحفظها ما وعد حتى لا يدخل عليهم مكروه لما يخافون ولا يصيبهم
وقوله عز وجل ان يريدون اي ما يريدون الا فرارا من القتال وقوله عز وجل ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها
هذا يحتمل وجهين احدهما اي لو دخلوا عليهم من اطراف المدينة ونواحيها ثم دعوا الى الشرك لاجابوهم وما تلبثوا بها الا يسيرا
اي لم يمتنعوا عن اجابتهم بل لاجابوهم كما دعوا وقال بعضهم انهم لو كانوا في بيوتهم فدخلوا عليهم من نواحيها ثم سئلوا الاموال
وما تحويه ايديهم لاتوها اي لاعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يخبر عن نفاقهم وخلافهم له في السر انهم يعطون لاولئك
ما يريدون من الاموال والدين بوافقونهم ولا يوافقونكم النية والله اعلم وقوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا
يولون الادبار قال بعضهم كان اناس غابوا وقعة بدر وما اعطى الله اصحاب بدر من الفضيلة والكرامة فقالوا لئن شهدنا قتالا
لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم حتى كان في ناحية المدينة وقال بعضهم قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
وذلك انهم كانوا عاهدوا الرسول على عهدهم بمكة على العقبة بمنى واشترط عليهم لربه ولنفسه اما لربه ان يعبدوه وان لا
يشركوا به شيئا واشترط لنفسه ان ينصروه ويعزروه ويمنعوه مما يمنعون منه انفسهم ونساءهم واولادهم قالوا
فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك قوله ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل ليلة العقبة حين شرطوا للنبي المنعة ان لا يولوا الادبار منهزمين وكان عهد الله مسؤولا اي يسال من نقض العهد في
الاخرة ومن جائز ان يكون قوله وكان عهد الله مسؤولا مجزيا نقضا او وفاء يجزون على وفاء العهد ونقضه وقوله عز وجل قل
لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل قال اهل التاويل ان قضى عليكم الموت او القتل فلن ينفعكم الفرار وقال بعضهم ان
جعل القضاء اجالكم الموت او القتل لن ينفعكم الفرار بل يقتضي واصله ان كان المكتوب عليكم الموت او القتل لن ينفعكم الفرار
منه بل ياتي لا محالة كقوله لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الاية اي لا محالة المكتوب عليهم
القتل وان كانوا في بيوتهم فيقتلون واذا لا تمتعون الا قليلا قال بعضهم انما الدنيا قليل الى اجالكم وجائز ان يكون معناه
ولئن ينفعكم الفرار عنه الى فتمتعون الا قليلا كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون الاية قال
ابو عوسجة والقتبي ادعياءكم من تبنيتموه واتخذتموه ولدا ما جعلهم بمنزلة الصلب وكانوا يورثونه من ادعوا ذلكم قولكم
بافواهكم ان قولكم على التشبيه والمجاز ليس على التحقيق والله يقول الحق وقوله اقسط اعدل اذ زاغت عدلت ومالت وبلغت
القلوب الحناجر اي كادت تبلغ الحلوق من الخوف والحناجر جماعة الحنجرة وهي المذبح وقوله وزلزلوا اي شددوا عليهم
وهولوا والزلزال الشدايد واصلها من التحريك والالاء تظاهرون والالى بالياء واحد والله اعلم وقوله عز وجل قل من ذا الذي
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ذكر هذا على اثر قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت والقتل يقول
والله اعلم انكم وان فررتم من الموت والقتل فان الله ان اراد بكم سوءا وهلاكا لا يملك احد دفعه عنكم او ان اراد بكم رحمة و
نجاة وخيرا لا يملك احد منعه عنكم وقد تعلموا انكم لا تجدون من دون الله وليا ينفعكم ولا نصيرا ينصركم ويمنعكم عن حلول ذلك
عليكم والله اعلم وقوله عز وجل قد يعلم الله المعوقين هم المنافقون منكم والقائلين لاخوانهم قال بعضهم هم اليهود ارسلوا الى المنافقين
وقالوا من ذا الذي يحملكم على قتل انفسكم بايدي ابي سفيان ومن معه من اصحابه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة ما استبقوا منكم
احدا فانا نشفق عليكم فانما انتم اخواننا ونحن جيرانكم هلموا الينا وقال بعضهم هم المنافقون عوق بعضهم بعضا ومنع عن
الخروج مع رسول الله الى قتال العدو وفيه امران احدهما دلالة على اثبات الرسالة لانهم كانوا يسرون هذا ويخفون فيما بينهم
ثم اخبرهم بذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله تعالى والثاني ان يكونوا ابدا على حذر مما يضمرون من الخلاف له كقوله يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة الاية وقوله عز وجل ولا ياتون الباس الا قليلا اي ياتون القتال والحرب الا مراءاة وسمعة
هذا والله اعلم يشبه ان يريد بالقليل انهم لا يؤتون اتيان من يريد القتال والقيام معهم ولكن مراءاة وسمعة واظهارا للوفاق
لهم والله اعلم وقوله عز وجل اشحة عليكم قال عامة اهل التاويل اي بخلاء على الانفاق عليكم اي لا ينفقون عليكم ولا على سبيل
الخير والله اعلم وقال بعضهم الشح ايضا هو الحرص يقول اشحة اي حراصا على القسمة الغنيمة يخبر عن حرصهم في الدنيا وركونهم
اليها وميلهم فيها ثم اخبر عن جبنهم وفشلهم وشدة خوفهم وهو ما قال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت يخبر انهم لجبنهم وفشلهم يصيرون كالمغشي عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة
حداد يخبر عن شدة حرصهم في قسمة الغنيمة ورغبتهم فيها انهم اشح قوم واسواهم مقاسمة يقولون اعطونا انا قد شهدنا
معكم كقوله الم نكن معكم ونحو وقوله عز وجل اشحة على الخير قال بعضهم هذا قولهم اي انا اشح منكم على رسول الله وعلى دينه و
اشفق منكم على الخير اي نحن احرص عليه منكم وقال بعضهم اشحة على الخير اي حراصا على الغنيمة والنيل منها ثم اخبر عنهم وعن خلافهم
له حيث قال اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم التي عملوها في الظاهر وكان ذلك على الله يسيرا اي منعهم الذي صنعوا على الله

يئس اى لا يضره وقال بعضهم حبطا اعمالهم وتهديهم اياهم مع كثرة اتباعهم واعوانهم على الله يسيرا لا يشتد عليه ولا يصعب والله
اعلم وقوله عز وجل يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى يحسب هؤلاء المنافقون ان الاحزاب لم يذهبوا من الفزع والجبن والفشل الذى
فيهم يوم الخندق وان يأت الاحزاب اى يقبل الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعراب اى يا ليتهم كانوا بمنزلة البدو وانهم تركوا اوطانهم
وديارهم يسألون عن انبائكم كانت همتهم التخلف والفرار من القتال وطلب اخبار المؤمنين انهم ما فعلوا بهم نحو ما قال ويحلفون بالله
انهم لمنكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون هكذا كانت عادتهم ثم ابتلاهم الله
لما كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف لهم والعداوة بفضل فشل وجبن ما لم يكن ذلك فى غيرهم ففى ذلك تحذير
المؤمنين وزجر عن مثل هذا الصنيع ومثل هذا المعاملة لئلا يبتلوا بمثل ما ابتلى اولئك وفيه انه يعامل بعضهم بعضا على الظاهر الذى ظهر
دون حقيقة ما يكون وعلى ذلك يجرى الحكم على ما عامل رسول الله واصحابه اهل النفاق وحكم على ما اظهروا دون ما اضمروا فى الانكحة
والمهور وغير ذلك من الاحكام والله اعلم وقوله عز وجل ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا قال بعضهم ما قاتلوا الا قليلا اى الا
فيما يدفعون عن انفسهم لو قصدوا فاما الدفع عن المؤمنين ودينهم فلا وجائز ان يكون المراد بالقليل اى لا يقاتلون البتة حقيقة
القتال وهم ما ذكر عنهم حيث قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اى فسادا فى امركم والله اعلم وقوله عز وجل لقد كان لكم فى
رسول الله اسوة حسنة قال بعضهم ذلك حيث كان يباشر القتال بنفسه فباشروا معه فمن باشر معه القتال اساء باسوة حسنة
ومن لم يفعل فلم يواسه وابن عباس يقول اسوة حسنة اى سنة صالحة او نحوه مثل هذا انما يذكر عن ذلك نحو اما من المنافقين
او من المؤمنين فيقول لكم فى الناس برسول الله والاقتداء والقدوة به فهو يخرج على وجوه اى لقد كان لكم فى رسول الله قبل ان
يبعث رسولا وقبل ان يوحى اليه فيما عرفتموه من حسن خلقه وكرمه وشرفه وامانته اسوة حسنة فكيف تركتم اتباعه اذا بعث
والثانى لقد كان لكم اى صار لكم فى رسول الله اذا بعث رسولا اسوة حسنة فيما انزل اليه واوحى اليه وفيما شاهدتموه من حسن خلقه
وكرمه فلا واجب عليكم ان تتأسوا به والثالث لقد كان لكم بالمؤمنين اسوة اتبعتموهم لو اتبعتم فيما شرع لكم رسول الله وسن واسوة هى
الاسوة كقول الناس فلان اسوة غيره اى يكون المال بينهم على الاستواء هذا والله اعلم يشبه ان يكون تأويل الاية وقوله عز وجل
لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر قال بعضهم يكون فى رسول الله اسوة لمن خاف الله وامن اليوم الآخر وجزاء الاعمال فاما المنافق
والذى لا يؤمن بالبعث فلا يكون فيه اسوة له وجائز ان يكون قوله لمن كان يرجوا الله اى لقد كان لكم اسوة حسنة ولمن كان
يرجوا الله واليوم الآخر وان يكون لكم فى رسول الله اسوة حسنة ولمن كان يرجوا الله واليوم الآخر والله اعلم وقوله عز وجل وذكر الله
كثيرا ذكر الله يحتمل فى نعمه واحسانه بالشكر له وحسن الثناء او فى سلطانه وملكه او جلاله وعظمته وكبريائه والله اعلم وقوله
عز وجل ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله حيث اخبرهم انكم ستلقون كذا فى قوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء قالوا لما عاينوا ما وعدهم ولقيهم هذا ما وعدنا الله ورسوله
صدق الله ورسوله فيما اخبرنا من الوحى قبل ان يكون وقبل ان نلقاه وما زادهم الا ايمانا اى ما زادهم الا ايمانا لما رأوا وعاينوا
فيما وعدوا اخبروا الا ايمانا وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده وخبره وقال قائلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال
لهم ان يوم الخندق يكون من الاحزاب كذا والجنود كذا وانكم ستلقون يومئذ كذا فلما رأوا ذلك وعاينوا قالوا عند ذلك ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتصديقا لرسول الله لان ذلك آية وحجة لرسالته فهو يزيدهم تصديقا له و
تسليما اى تسليما لامر الله وتفويضا له وقيل وما زادهم بما اصابهم يوم الخندق الا ايمانا وتصديقا الى تصديقهم الاول ويقينا
الى يقينهم الاول وتسليما لامر الله لان ذلك الامر كان قضاء عليهم ان يصيبهم فسلموا الله امره فصبروا عليه واصله ما ذكرنا والله
اعلم وقوله عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قوله من المؤمنين يخرج على وجهين احدهما من المؤمنين الذين
هم عندكم مؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورجال لم يصدقوا وهم المنافقون لان ظاهر هذا الكلام يدل على ان من المؤمنين
الذين هم فى الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا فاما من كان فى الحقيقة مؤمنا فقد صدق عهده والثانى ذكر من المؤمنين خص
بعض المؤمنين بصدق ما عهد وهم الذين خرجوا لذلك لم يكن نوى ذلك العهد وتخلف بعض من المؤمنين لعذر فلم يتهيأ لهم
وفاء ذلك العهد لم وصدقه وكذلك يخرج قوله فمنهم من قضى نحبه اى وفى بعهده ومنهم من ينتظر بالوفاء ان يرتفع عنه العذر
فيفى ذلك والله اعلم ثم قوله ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وفاءه وقال بعضهم من قضى نحبه اى اجله عليه ومنهم من
ينتظر ذلك اى على شرف الهلاك وقوله عز وجل وما بدلوا تبديلا هذا يقوى التأويل الذى ذكرنا اخيرا فى قوله من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان الذين خلفهم العذر فلم يفوا عهده والذين لا عذر بهم فخرجوا فوفوا كلهم لم يبدلوا عهد الله
تبديلا لانه انما خلفهم العذر فلم يكن فى ذلك تبديل وقوله عز وجل ليجزى الله الصادقين بصدقهم على ما وفوا ويعذب المنافقين
ان شاء او يتوب عليهم هذا يدل ان من المنافقين من قد يتوب حيث قال ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ويعذب الذين
مات على نفاقه ان الله كان غفورا رحيما حيث رحمهم ولم يأخذهم وقت ارتكابهم الجرم ولكن امهلهم والله اعلم وقوله عز وجل

ورد الله الذين كفروا بغيظهم اى رد كفار مكة يوم الخندق لم ينالوا خيرا قال بعضهم اى غنيمة اى ردهم بغيظهم لم يصيبوا شيئا
من الغنيمة فان كان المراد من الخير الغنيمة فجائز ان يستدل على تملك اهل الحرب اموال المسلمين اذا احرزوها حيث قال لم ينالوا خيرا
اى مالا وجائز ان يكون قوله لم ينالوا خيرا اى سرورا بما كانوا يأملون ويطمعون هلاك المؤمنين على ايديهم لما احاطوا بهم وضيقوا
عليهم الامر حتى احتاجوا الى الخندق فكانوا فى ايديهم يقولوا انهم لم ينالوا ذلك السرور الذى كانوا يأملونه ويرجونه والله اعلم وقوله عز وجل
وكفى الله المؤمنين القتال حيث بعث عليهم الريح وسلط عليهم الملائكة حتى هزموهم حتى كفى القتال والحرب معهم وكان الله قويا عزيزا
اى كان الله لم يزل قويا عزيزا لانه قوى بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل وان لحق اولياءه الذل والضعف ليس كملوك الارض اذا ذهب
اصحابهما دخل فيهم ذل ووصف ذل لملكهم لانهم عزوا بجنودهم وحشمهم فاما الله سبحانه قوى بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل ولا وصف
بذهاب اوليائه وقال بعضهم فى قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه كان رجال فاتهم يوم بدر فقالوا لئن حضرنا قتالا لا
لنفعلن ولنفعلن فلما كان يوم الاحزاب قاتلوا فذلك قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا عليه فمنهم من قضى نحبه اى
مات على ما شاهد الله عليه ومنهم من ينتظر يوما آخر يكون فيه قتال فيقاتل على عهد الله عليه وما بدلوا تبديلا وقوى خالى ومنهم
من بدل فيرجع ذلك الى المنافقين الذين ذكر بدءا وقال القتبى قوله ان بيوتنا عورة اى خالية واصل العورة ما ذهب عنه الستر
والحفظ فكان الرجال ستر وحفظ للبيوت فاذا ذهبوا اعورت البيوت تقول العرب اعور المنزل اى ذهب ستره او سقط جداره
واعور الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للضرب بالسيف يقول الله تعالى وما هى بعورة لان الله حافظها ولكن يريدون الفرار وقوله
ولو دخلت عليهم من اقطارها اى من جوانبها ثم سئلوا الفتنة اى الكفر لاتوها اى لاعطوها من انفسهم وما تلبثوا بها الا يسيرا اى
بالمدينة ومن قرأها لاتوها بغير مد اراد لصاروا اليها وقال ابو عوسجة قولهم ان بيوتنا عورة من ناحية العدو والعورة المكان
الذى يخاف منه وقوله اقطارها اى من نواحيها الواحد قطر ثم سئلوا الفتنة اى عرضت عليهم وهو الكفر وقال القتبى سلقوكم
بالسنة واحد يقول اذوكم بالكلام يقال خطيب سلق وسلاق وفيه لغة اخرى صلقوكم بالصاد وهو الضرب وابو عوسجة يقول
قريبا منه سلقوكم اى كلموكم وضربوكم بالسنة حداد اى طوال والسلق الضرب والخاطب السلاق والمسلاق من هذا وهو طول اللسان
والجراة على الكلام وقوله لا مقام لكم بنصب الميم لا يكون الا من القيام ولا مقام لكم برفع الميم يكون من الاقامة وهو قول ابو عوسجة
وابو عبيدة يقول لا مقام لكم اى ليس لكم مقام تقومون فيه ولا مقام اى لا اقامة لكم وقال ابو عوسجة المقامة المجلس ومقامات
جمع المقام موضع القدمين والمقام الموضع الذى يقيم فيه الرجل وقال المعوقين قال المعوق المحتبس والمعوق الذى يعوق غيره
اى يحبس وقوله اشحة عليكم اى حراصا على ما فاتكم من الشر الواحد شحيح يشح شحا فهو شحيح اى حريص يحرصون حرصا فهو حريص
وقال غيره اشحة عليكم اى بخلا لا ينفقوا عليكم اى فى سبيل وقال بعضهم يحسبون الاحزاب لم يذهبوا من شدة الفرق فهم هؤلاء
المعوقون اليهود والمنافقون وان يأت الاحزاب والاحزاب هم الفرق اعداء رسول الله واصحابه يودوا لو انهم بادون فى الاعراب
يقول ما دخلوا فى الاعراب من الرهبة يسألون عن انبائكم يقول يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة جزعا ورهبة يقول الله عز
للمؤمنين ولو كانوا فيكم اى معكم عند القتال هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ما قاتلوا الا قليلا ربما بالحجارة من ضعفهم وخوفهم
وما ذكر نادفعا عن انفسهم واما غيره فلا وقوله عز وجل وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم ذكر فى القصة ان اليهود
يهود بنى قريظة ظاهروا ابا سفين واصحابه على رسول الله وعلى المؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فلما انهزم
المشركون تحصن بنو قريظة فى حصونهم ورجع النبى الى المدينة فجاء جبريل فقال له يا محمد والله وضع اهل السماء السلاح وقد وضع
انتم السلاح اخرج الى بنى قريظة فقال له النبى فكيف اصنع بهم وهم فى حصنهم قال لاخرج اليهم فوالله لادقنهم بالخيل كما يدق البيضة
على الصفا ولاخرجنهم من حصنهم فنادى رسول الله فى الناس وامر بالخروج الى بنى قريظة فخرجوا فحاصرهم كذا كذا ليلة حتى
صالحهم على حكم سعد بن معاذ فنزلوا على حكم فحكم سعد ان يقتل مقاتلهم ويسبى ذراريهم ونساءهم فقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يومئذ يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله فاخرجت المقاتلة فقتلوا وسبوا ذراريهم فقسم ارضهم بين
المهاجرين فقال قومه والانصار اثرت المهاجرين بالعقار دوننا فقال انكم ذو عقار وان القوم لا عقار لهم وكادوا نحو هذا الذى
قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب يعنى الذى ظاهروا ابا سفين والمشركين جميعا على رسول الله واصحابه من صياصيهم
اى من حصونهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم المقاتلة وتأسرون فريقا وهم النساء والذرارى واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها اى لم يملكوها اختلف فى قوله وارضا لم تطؤها قال بعضهم هى ارض مكة وقال بعضهم هى
ارض الشام وقراها وقال بعضهم هى ارض خيبر اى سيورثكم الله اياها ايضا فاما ارض مكة فقد فتحها وتركها فى ايدى اهلها وكذا
بلاد الشام وقراها وعن الحسن هى ارض الروم وفارس وما فتح الله واما خيبر فقد فتحها وقسم بين ما ذكر وجعلها فيئا فهو يشبه
من غيره فقيه ان من يخلف من مات عنه وصفا ملكه الاخر وانتقل اليه يسمى وارثا بموت او بغيره حيث قال واورثكم ارضهم
الاية ولكن ان ما قال واورثنا الارض الى كذا وقوله يرثون الفردوس وما سيبتون فيه ونحوه وكقوله ولله ميراث السموات والارض

اى يبقى ملك السموات والارض اى لا ينازع فيه وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض اى نبقى فيها والخادين يفنون ثم القايم في
ذكر هذا وامثاله لنا اذهم قد شاهدوها وعاينوها يخرج على وجوه احدها تعريف للاخر هذه الامة ان اوايلهم ما قاسوا وما تحملوا
من الشدايد والبلايا في امر هذا الدين حتى بلغ هذا المبلغ فيجتهد نحن كما اجتهدوا ذلك في حفظ هذا الدين و قام والثاني امرهم
بالتلهب مع العدو حتى امروا بالخندق والتحصن بالاشياء ثم جاءهم الغوث من الله بغير الذى امروا ليكونوا ابدا متاهبين مستعدين
لذلك ولا يرجون النصر والظفر من ذلك الوجه وذلك بفضل الله والنصر على ما اخبر منهم ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم
تغن عنكم شيئا الاية والثالث ان لا يوبسهم خروج انفسهم من ايديهم واخاطة العدو بهم وكونهم في ايديهم من روح الله و
رحمته وعوثه اياهم لان الخوف قد بلغ بهم المبلغ الذى ذكر حيث قال وبلغت القلوب الحناجر الى قوله وزلزلوا زلزالا شديدا وفيه
دلالة اثبات رسالة لرسول الله لانه وعدهم النصر فكان على ما وعد ليعرفوا صدقه في كل ما يخبر ويعد وكان الله على كل شى ادادمن نحو
اونصر او غيره قديرا وقال القتبى وابوعوسجة فمنهم من قضى نحبه اى قتل وقضى اجله واصل النحب نذر كان قوما نذروا ان لقوا العدوان
يقاتلوا حتى يقتلوا او يفتح الله فقتلوا وقوله من صياصيهم من حصونهم واصل الصياصى قرون البقر لانها تمتنع بها وتدفع عن انفسها
وقيل الحصون صياصى لانها تمنع والواحدة صيصية وصيصية الديك غرفه والصيصية حف صغير جوك به الحايك ويجمع هذا كله
صياصى والاحزاب الفرق واحدها حزب ويقال الحزبت القوم اى جمعتهم وحزبتهم اى فرقتهم وتحزب القوم اذا اجتمعوا وصاروا
حزبا حزبا ونقول هولاء حزبي اى اهلى وشيعتى ويقول حاذبني مجاذبة اى صاحبني مصاحبة وقوله بادون في الاعراب اى ان
يكونوا في في البادية مع الاعراب رجل بادو قد نزل البادية يودوا ان يكونوا في البادية مع الاعراب وقال بعضهم في قوله وارضا
لم تطوها هو ما يظهر عليه المسلمون الى يوم القيامة **وقوله** عز وجل يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها
قال بعض اهل التاويل انهن جلس فجعلن يخيرون الازواج في حجرة رسول الله فنزلت الاية توبيخا لهن وتعييرا على ذلك لكن
هذا بعيد محال لا يحتمل ان يكون ازواجه يختون الازواج وهن تحته في حجرة ذلك سوء الظن بهن وقال بعضهم انهن طلبن
النفقة منه فنزل ما ذكر وقيل انهن قد تحدثن بشى من الدنيا وركن اليها فنزل ما ذكر عتابا لهن وتعييرا ونحو ذلك قد قالوا
جايز ان يكون الله يمتحن رسوله وازواجه بالتخيير واختيار الفراق منه ابتدا امتحانا من غير ان يكون منهن شى مما ذكروا وكان
سبب وعلى ذلك روى في الخبر عن عايشة رضى الله عنها قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال
انى ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلى حتى تستامرى ابويك قالت وقد علم ان ابواى لم يكونا ليامرانى بفراقه قالت ثم قال ان الله
يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الى قوله اجرا عظيما فقلت افى هذا استامر ابوى ما انى اريد الله ورسوله
والدار الاخرة وفعل سائر ازواجه مثل ما فعلت وفي بعض الاخبار انها قالت بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة فدل قولها
لما امر رسول الله بتخيير ازواجه ان ذلك من الله ابتدا امتحان من غير ان كان منهن ما ذكروا من الركون الى الدنيا والتحدث بما
ذكر وفيه وجوه من الدلالة احدها اباحة طلب الدنيا وزينتها من وجه يحل ويجمل حيث قال فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا لانه لو لم يكن يحل ذلك لهن وكن منهيات عن ذلك رسول الله لا ينادهن حتى يختترن المنهى من الامر وقد كان يملك حبسهن
في ملكه حتى لا يختترن ما ذكروه من المنهى دل ذلك والله اعلم ان ذلك كان يحل ويجمل وفيه ان رسول الله لم يكن عنده ما ذكر من الدنيا
والزينة وما يستمتع بها اذ لو كان عنده ذلك لم يحتمل ان يخبرهن بالفراق منه لما ذكر عنده ذلك ولا هن يختترن الفراق منه دل
ذلك دلالة انه لم يكن عنده ما ذكر ويبطل قول من يقول انه كان عنده الدنيا ويفضل الغنا على الفقر بذلك وفيه دلالة ان ازواجه
كن يحللن لغيره في حيوته اذا فرقن منه لانهن اذا لم يحللن لغيره لم يكن كقوله فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا معنى لانهن
اذا لم يحللن لغيره وعندهن ما ذكر من الدنيا يحللهن ذلك على تحود فدل انهن كن يحللن لغيره في حيوته اذا فارقهن وانما لم يحللن
لغيره اذا مات فيكون له حكم الحيوة كانهن في حق ازواجه ويخرج قوله خالصة لك من دون المؤمنين في الاخرة لا تحل لغيره
فتكون زوجته في الجنة ثم اختلفت الصحابة فيمن خيرامرأته فاختارت قال بعضهم اذا خيرها فهو تطليقة رجعية واذا
اختارت فهي باينة وهو قول على وقال بعضهم اذا اختارت نفسها فهي ثلاث واذا اختارت زوجها فلا شى وقال بعضهم اذا
اختارت زوجها فهي تطليقة رجعية وان اختارت نفسها فهي تطليقة باينة وعندنا ان التخيير نفسه لا يكون طلاقا
فان اختارت زوجها لا شى وان اختارت نفسها فهي باين اما قوله اذا اختارت زوجها لا شى لما روى عن عايشة قالت خيرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا واما قوله اذا اختارت نفسها فيكون باينا لانه خيرها بين ان يختار نفسها
لنفسها وبين ان تختار نفسها لزوجها فان اختارت نفسها فهي باين لانا لو جعلناه رجعيا لم يكن اختيار ها نفسها لنفسها ولكن
لزوجها اذ لزوجها ان يراجعها شاءت وابت وكانت التخيير بين النفسين على ما ذكرنا واما قول من يقول بان نفس التخيير طلاق
فهو باطل لما ذكرنا من تخيير رسول الله ازواجه فلم يكن ذلك طلاقا واما من قال بالثلاث اذا اختارت نفسها فهو كذلك عندنا
اذا ذكر في التخيير الثلاث واما قول من قال بالرجعى فهو اذا صرح بالتطليق فهو كذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ان كنتن تردن

الحيوة الدنيا

الحيوة الدنيا وزينتها الارادة ههنا ارادة الاختيار والايثار لحيوة الدنيا وزينتها لا ميل القلب والرضا به وكذلك قوله وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة هو ارادة الاختيار والايثار وهو ما يراد ويختار فعلا لا ميل القلب والرضا به لان كل
من فيه الشهوة مجبول فيه هذه الحاجة يميل قلبه ويركن الى ما يتمتع بحيوة الدنيا ولذتها ويرضاه ويحب فدل انه اراد ارادة الفعل
والاختيار لا ارادة القلب ورضاه ثم فيه ما ذكرنا من حلهن لغير رسول الله اذا اخترن الفراق منه لما ذكر انه يمتعهن ومعلوم انهن
لا يكتسبن بانفسهن حتى يتمتعن بذلك ولم يكن عندهن ما يتمتعن فدل انه انما تمتعهن باموال ازواجهن فدل ذلك على حلهن لغيره
في حيوته اذا فارقهن والله اعلم **وقوله** عز وجل وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة معلوم انهن اذا احببن الحيوة الدنيا و
زينتها لا يحتمل ان لا يردن الله لكن انما نسب ذلك الى الله لاختيارهن المقام عند رسوله فيدل ذلك ان كل ما اضيف الى الله ورسوله
كان المراد به رسوله نحو ما قال فان لله خمسه وللرسول وقوله قل الانفال لله والرسول وامثال ذلك ثم الزهد في الدنيا يكون
بوجهين احدهما ترك المكاسب التى يوسع الدنيا ويكون بها السعة في الدنيا ويؤثرها الغير على نفسه واختيار حال الضيق من
غير تحريم ما احل وطيب له والثانى بذل ما عنده لغيره وايثاره له على نفسه وجعله اولى به منه لا في تحريم المحللات والطيبات
وقوله عز وجل فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يحتمل قوله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اى اذا اخترن المقام عند
رسول الله يصرن محسنات بذلك فاعد لهن ما ذكر فيكون ذلك الاختيار منهن الاحسان فاستوجبن ما ذكر ويحتمل وان كنتن
تردن الله ورسوله ودمتن على ذلك واكتسبن الاعمال الصالحات والاحسان حتى ختمتن على ذلك فاعد لكن لا بنفس اختيار
مقامكن معه والله اعلم **وقوله** عز وجل يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال بعضهم الفاحشة
المبينة هي النشوز البين وقال بعضهم لا بل الفاحشة المبينة هي الزنا الظاهر ويقال مبينة بشهادة اربعة عدول ومبينة بالكسر
اى بينة ظاهرة يضاعف لها العذاب ضعفين الجلد والرجم في الدنيا ولكن كيف يعرف ضعف الرجم في الدنيا من لا يعرف حد رجم دا
اذا كان ذلك في عذاب الدنيا وان كان ذلك في عذاب الاخرة فكيف ذكر فاحشة بينة وكذلك عند الله ظاهر بين وقال بعضهم
يضاعف لها العذاب ضعفين في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فمثلا حدود النساء واما في الاخرة فضعفى ما يعذب به سائر النساء
وجايز ان يكون هذا ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اذا اخترنا الدنيا فمن اتين بفاحشة ضوعف لهن من العذاب ما ذكروا
واذا اخترنا المقام عند رسول الله والدار الاخرة اتاهن الاجر مرتين او ان يكون اذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة
ثم اتين بفاحشة ضوعف لهن ما ذكر من العذاب لئلا يحسبن انهن اذا اخترن الله ورسوله والدار الاخرة ثم ارتكبن ما ذكر
عوقبن ضعف ما عوقب ضعف ما عوقب به غيره واذا اطعن الله ورسوله ضوعف لكن الاجر مرتين والله اعلم والاشبه
ان يكون من ضعف العذاب في الاخرة على ما يقول بعض اهل التاويل الا ترى انه ذكر لهن الاجر كفلين ومعلوم ان ذلك في الاخرة
فعلى ذلك العذاب واما قوله مبينة عند الخلق وان كان عند الله مبينة ظاهرة وذلك جايز في اللغة **وقوله** عز وجل وكان ذلك
على الله يسيرا هذا يحتمل وجهين احدهما اى عذابهن على الله يسيرا هينا لا يثقل ولا يشتد لمكان رسول الله بل على الله يسير هين
والثانى ان اتيانكن الفاحشة ومعصيتكن على الله يسير اى لا يلحقه ضرر ولا ينفعه ليس كعصية خواص الملك له في الدنيا
يلحقه الضرر والذل ان عصوه واعرضن عنه فاما الله سبحانه عزيز بذاته غنى لا يضره عصيان عبيده بل ضررها انفسهم **وقوله**
عز وجل ومن يقنت منكن لله ورسوله اى من يطع منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين في الاية دلالة فضيلة
ازواج رسول الله لمكان رسول الله وعظيم قدره حيث خاطبهن من بين غيرهن من النساء كما خاطب مريم بقوله يا مريم اقنتى
لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ثم يحتج النافى بقوله نوتها اجرها مرتين لتاويله في قوله الطلاق مرتان بقوله يقول
قوله الطلاق مرتان اى تطليقتان في دفعة واحدة مرة واحدة من غير احداث التطليق والفعل فيما بينهما يستدل على ذلك بقوله
نوتها اجرها مرتين اى اجرين من غير احداث فعل فيما بينهما ولكن بفعل واحد وقوله يوتكم كفلين من رحمته اى اجرين لكن عندنا
يجوز الايتا بمعنى الايجاب اى يوجب لها الاجر مرتين نحو قوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة اى وجب لهم ثواب
الدنيا وثواب الاخرة فعلى ذلك ونحوه كثير والله اعلم **وقوله** عز وجل يا نساء النبى لستن كاحد من النساء قال بعضهم اهل
الادب احد جمع في الكلام من واحد لانه يرجع الى واحد الى جماعة وقوله واحد انما يرجع الى الفرد خاصة وانما يخاطب به
الواحد **وقوله** عز وجل ان اتقيتن يحتمل قوله ان اتقيتن اختيار الدنيا وزينتها واتقيتن ايضا نقض اختيار رسول الله والدار
الاخرة وجايز ان يكون على الابتدا ان اتقيتن مخالفة الله ومخالفة رسوله وقوله لستن كاحد من النساء ان اتقيتن لانكن
معشر ازواج النبى ينظرن الى الوحى ويصحبن رسول الله بالليل والنهار وترين افعاله وصنيعه فانكن احق الناس بالتقوى
وترك الميل الى الدنيا والركون اليها ممن لا ينظر اليه ولا يصحبه الا في الاوقات مرة او يكون قوله لستن كاحد من النساء
في الفضيلة على غيرها من النساء لانكن ازواج رسول الله في الاخرة وترتفعن الى درجات رسول الله وتكن معه فان
كن لستن كغيركن من النساء في الفضيلة والدرجة ان اتقيتن ما ذكرنا من مخالفة رسول الله واختيار الحيوة الدنيا وزينتها

الميل اليها والركون فيها والله اعلم ثم تخضعن بالقول فلا تلين في القول فيطمع الذي في قلبه مرض قال بعضهم اي فجور وزنا وقلن قولا معروفا اي خشنا شديدا وقال بعضهم فيطمع الذي في قلبه مرض اي نفاق وهذا اولى لان اصحاب رسول الله لا يحتمل ان يكون احد منهم يطمع في ازواج رسول الله نكاحا بحال ورغبة فيهن بعد علمنا منهم انهم اذا علموا من رسول الله رغبة في ازواجهم طلقوهن ليتزوجهن رسول الله فلا يحتمل بعد ما عرف منهم هذا ان يطمع احد منهم ويرغب في ازواجه نكاحا فضلا ان يرغب فجورا ولكن ان كان ذلك فهو من اهل النفاق وجائز ان يرغبوا فيهن نكاحا لانهن اعظم الناس نسبا وحسبا واكرمهم جمالا وحسنا فجائز ان وقوع الرغبة فيهن من اهل النفاق لما ذكرنا واما من اهل الايمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا ويدل على ذلك قوله واسرحكن سراحا جميلا دل هذا انهن بحيث يرغب فيهن ويطمع وقال بعضهم فلا تخضعن بالقول بقول فلا ترمين بقول يقارب الفاحشة فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا يعني قولا حسنا يعرف لا يقارب الفاحشة لكن هذا بعيد لكن اصله فلا تخضعن بالقول اي لا تقلن قولا يعرف به الرغبة في الرجال والميل الى الدنيا والركون فيها وقلن قولا معروفا ما يكون فاما يكون فيه تغيير المنكر والامر بالمعروف والله اعلم وقوله عز وجل وقرن في بيوتكن فلا قرئ بكسر القاف وفتحها ومن قرا بالكسر فهو من الوقار ومن قرا بالفتح وقرن جعله من القرار والسكون فيها وقوله عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال بعضهم تبرج الجاهلية الاولى قبل ان يبعث رسول الله كان تخرج نساء وهن متبرجات بزينة مظهرات فامر الله ازواج رسوله بالستر والحجاب عليهن وادناء الجلباب عليهن وهو ما قال يدنين عليهن من جلابيبهن وقال بعضهم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال الجاهلية التي ولد فيها ابرهيم اعطوا امو الاكثيرا وكن يتبرجن في ذلك الزمان تبرجا شديدا واراد ازواجه بالعفة والترك لذلك فلسنا ندري ما اراد بالجاهلية ومن اراد بذلك الذين كانوا بقرب خروج رسول الله وبعثه او الذين كانوا من قبل في الامم السالفة والتبرج كانه هو الخروج بالزينة على اظهارها او اظهار الزينة قال القتبي فلا تخضعن بالقول اي لا تلن به وقولي وقلن قولا معروفا اي صحيحا وقوله وقرن في بيوتكن بالكسر من الوقار ويقال وقر في منزله يقر وقورا وقرن بفتح القاف من القرار وكانه من قر يقر وقرن في بيوتكن فحذف الراء الاولى وحول فتحها الى القاف كما يقال ظلن في موضع ظللن من ظللن قال الله تعالى فظلتم تفكهون وقرن وقرى في موضع قرة العين فاما في الاستقرار فانما هي قرن وقوله عز وجل واقمن الصلاة واتين الزكوة يحتمل ان يكون الامر لهن بايتاء الزكوة من حليهن لانهن لا يملكن شيئا سوى ذلك ما يجب في مثله الزكوة الا يرى انه وعدهن التمتيع والسراح الجميل ان اردن الحيوة الدنيا وزينتها فلو كان عندهن شيء من فضول الاموال لكن ينفقن ويتمتعن وان لم يكن عند رسول الله ما يمتعن ولا يطلبن ذلك من عنده فدل ذلك انهن لا يملكن شيئا من ذلك فيجوز ان يستدل بظاهر هذه الاية في ايجاب الزكوة في الحلي وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقوله واقمن الصلاة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله امرهن باقام الصلاة وايتاء الزكوة والطاعة لله ورسوله لئلا يغترون بما اخترن المقام مع رسول الله وايثارهن اياه على ان ذلك كاف لهن في الاخرة ولا شيء عليهن سوى ذلك من العبادات بل اخبار انكن وان اخترتن المقام معه واثرتن اياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكن ذلك عما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال بعضهم ان هذه الاية مقطوعة عن الاولى لان الاولى في ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في اهل بيته وهو قول الروافض ويستدلون بقطعها عن الاولى بوجوه احدها ما روي عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت صنع بذلك عليا وفاطمة والحسن والحسين وقالت لما نزلت هذه الاية اخذ النبي ثوبا فجعله على هولاء ثم تلا الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقالت ام سلمة ما انا من اهل البيت يا رسول الله من اهل البيت قال بلى ان شاء الله وعن الحسن بن علي انه خطب الناس بالكوفة وهو يقول يا اهل الكوفة اتقوا الله فينا وانا امراؤكم وانا ضيفانكم ونحن اهل البيت الذي قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويقولون ايضا ان الاية الاولى ذكرها بالتانيث حيث قال واقمن الصلاة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله وهذه ذكرها بالتذكير دل انها مقطوعة عن الاولى ويقولون ايضا انه وعد ان يذهب عنهم الرجس ويطهركم تطهيرا وعدا مطلقا غير مقيد وذلك الرجس الذي ذكر مما يحتمل ازواجه مكن ذلك فيهن غير مكن في اهل بيته ومن ذكر ويقولون ايضا ما روي عنه انه قال تركت فيكم بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض او كلام نحو هذا فسر العترة باهل البيت ونحو ذلك من الوجوه وما عندنا فهي غير مقطوعة من الاولى اما ان يكون على ان الاشتراك بينهن وبين من ذكر ومن اولاده اذ اسم اهل البيت مما يجمع ذلك كله في العرف او يكون الاية فيهن على الانفراد فاما ان تخرج ازواجه عن اهل بيته والبيت يجمعهم فلا يحتمل ذلك واما قولهم انه ذكر هذه الاية بالتذكير والاولى بالتانيث فعند الاختلاط كذلك يذكر باسم التذكير واما قولهم انه وعد لهم منه خرج مطلقا غير مقيد فكذلك كان لازواج رسول الله ايات منهن ما يجوز ان ينسبن الى الرجس والقذر الا [illegible] وتدبيرهن بالحليل [illegible] واما قولهم الذين تركهما فينا بهذه الكتاب والعترة وعترة سنته على ما قيل وعترته اهل بيتي كانه قال تركت الثقلين كتاب الله وسنتي يا اهل بيتي وذلك جائز

في العتر

في العترة واما ما روي عن ام سلمة فانه في الخبر بيان على ان ازواجه داخلين حيث قالت له ام سلمة البيت من اهل البيت قال بلى ان شاء الله وفي هذه الاية رد لاهل تعصب قول المعتزلة من وجوه احدها انهم يقولون ان الله قد اراد ان يطهر الخلق كلهم الكافر والمسلم واراد ان يذهب الرجس عنهم جميعا لكن الكافر [illegible] اراد ان يطهر بنفسه ولا يذهب عنه الرجس لم يطهر فلو كان على ما يقولون لم يكن لتخصيص هؤلاء عن التطهير ورفع الرجس عنهم فائدة ولا منة دل انما يطهر من علم منه اختيار الطهارة وترك الرجس واما من علم منه اختيار الرجس فلا يحتمل ان يذهب منه الرجس ويريد منه غير ما يعلم انه يختار وان التطهير لمن يكون انما يكون بالله لا بما يقوله المعتزلة حيث قال ويطهركم تطهيرا او على قولهم لا يملك هو تطهير من اراد تطهيره اذ لم يبق عنده ما يطهرهم فذلك كله ينقض عليهم اقوالهم ومذهبهم وقوله عز وجل واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله اذكرن اي اتلين ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي والثاني اذكرن على حقيقة الذكر اي اذكرن ما من الله عليكن وخلقكن من اهل بيت يتلى فيه من ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي فيها وخصكن بذلك ما لم يجعل في بيت احد ذلك يذكرهن عظيم ما انعم ومن عليهن ليتادى به شكره ليعرفن منه الله ونعمه عليهن وقوله من ايات الله يحتمل ايات القران ويحتمل حججه وبراهينه والحكمة قالت الفلاسفة الحكيم هو الذي يجمع العلم والعمل جميعا وقال بعضهم الحكيم المصيب والحكمة هي الاصابة وقيل هي وضع الشيء موضعه وهي نقيض السفه واصل الحكمة والحقيقة كانه هي الاصابة في كل شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في الحكم ولا الغلط وقال بعضهم الحكمة ههنا هي السنة وقوله عز وجل ان الله كان لطيفا خبيرا اللطيف هو البار يقال فلان لطيف اذا كان بارا والثاني اللطيف هو الذي يستخرج الاشياء والحقيقة الكامنة مما لا يتوهمها العقول استخراجها من مثلها وقوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى اخرها ذكر ان ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وامراة يقال لها انيسة بنت كعب اتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالتا يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في القران بالخير ولا يذكر النساء في شيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات ثم قوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاسلام والايمان هما في الحقيقة واحد اعني في الحقيقة المعنى وان وان كانا مختلفين بجهتين لان الاسلام هو ان يجعل كل شيء لله سالما خالصا لا يجعل لغيره فيه شركا ولا حقا والايمان هو التصديق لله بشهادة كل شيء له بالوحدانية والربوبية والالوهية فمن جعل الاشياء كلها لله خالصة سالمة له والذي صدق الله بشهادة كلية الاشياء له بالوحدانية والربوبية واحد لان المخلص هو الذي يرى كل شيء لله خالصا والموحد هو الذي يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء فهما في الحقيقة المعنى واحد والله اعلم وقوله عز وجل والقانتين والقانتات القنوت هو القيام في اللغة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الصلوات فقال طول القنوت وفي بعضه طول القيام فسر القنوت بالقيام فثبت ان القنوت هو القيام فيكون تاويله والله اعلم القائمين والقائمات بجميع اوامر الله ومناهيه وكذلك يخرج تاويل اهل التاويل القانتين المطيعين والمطيعات لله لان كل قائم ما يامر فهو مطيع له هذا كانه يقول يكون في الاعتقاد والله اعلم وقوله عز وجل والصادقين والصادقات الى اخره يكون في معاملة في تصديق ما اعتقدوا وقبلوا يصدقون ويوفون بالاعمال فيما اعتقدوا وقبلوا وقوله عز وجل والصابرين والصابرات الصبر هو كف النفس وحبسها عن التعاطي في جميع محرمات المحظورات وعلى ذلك يخرج قول اهل التاويل الصابرين على امر الله وطاعاته وعلى الرزايا والمصائب يكفون عن جميع ما لا يحل فيه ويرون ذلك من تقديره والخاشعين والخاشعات قال بعضهم الخاشع المصلي وقال بعضهم الخاشع المتواضع واصل الخشوع هو الخوف اللازم في القلب وهو قول الحسن يخافون في كل حال لا يخافون غيره ويرجون الله ولا يرجون غيره وهكذا اهل المؤمن يكون حقيقة خوفه ورجائه منه واما الكافر فانه لا يخاف ربه ولا يرجون منه لانه لا يعرفه ولا يخضع له وعلى ذلك المعتزلة انما خوفهم من اعمالهم السيئة ورجاؤهم منها اعني من اعمالهم الحسنة لا من الله حقيقة وكذلك على قولهم لا يكون لاحد رجاء في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجاؤه في اعماله لقولهم ان ليس لله في افعال العباد شيء من تدبير ولا تقدير وقوله عز وجل والمتصدقين والمتصدقات اي المنفقين في طاعة الله والصائمين والصائمات قد ذكرنا ان هذا راجع الى حقيقة الفعل في الصيام والصدقة والصدق في القول والمعاملة والخشوع منه وجائز ان يكون في القبول والاعتقاد وعلى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والحافظين فروجهم والحافظات فيما لا يحل كقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقوله عز وجل والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قال بعضهم اي المصلون لله الصلوات الخمس وقال بعضهم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات بالله على كل حال لكن غيره كانه اولى بذلك اي الذاكرين حق الله الذي عليهم كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله عز وجل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم قال الجعفر بن حرب المعتزلي دلت هذه الاية على ان الكفر مما لم يقضه الله لانه لو كان مما قضاه الله لكان لا يكون لهم الخيرة والتخيير فاذا قال انه اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة دل انه مما لم يقضه الله لكنا نقول ان القضاء ههنا ليس هو قضاء الخلق على فهم هو ولكن القضاء ههنا الامر والحكم كقوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي امر ربك واوجب ان لا تعبدوا الا ان يكون الحكم كقوله فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اى مما حكمت فاذا كان القضاء يحتمل الامر والحكم
على ما ذكرنا فيكون كانه قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا اى اذا امر الله ورسوله امرا اى اذا حكم الله و
رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وهكذا يكون فيما امر الله ورسوله بامر وحكم بحكم ان لا يكون لاحد التخيير في ذلك وفيما
يدل ايضا على ان القضاء ايضا ههنا ليس هو القضاء الذي فهمه المعتزلة حيث اضاف ذلك الى رسوله ايضا حيث قال اذا قضى الله
ورسوله امرا ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يملك القضاء الذي هو قضاء خلق دل ان المعتزلة اخطات وغلطت
في فهم ذلك وتصرفت عقولهم عن درك ذلك وان التاويل يحتمل ثم اجمع اهل التاويل على ان قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم انما نزل في زينب بنت جحش يذكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اعتق زيد بن حارثة و
تبناه وكان مولى له فخطب له زينب بنت جحش فقالت زينب اني لا ارضاه لنفسي وانا ايم نساء قريش وكانت ابنة عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت ميمونة بنت عبد المطلب فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد رضيته لك فزوجي نفسك منه
قالت ذلك فنزل قوله فيها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم لكن ان كان على ما ذكر
من الخطبة لها فلا يحتمل ان يجبرها على النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس للولي مع الثيب امر وقال النبي صلى الله عليه وسلم
البكر تستامر في نفسها والثيب تشاور ثم يحتج الاية في جبرها على النكاح ممن لا ترضاه الا ان يكون على الامر من الله تعالى ومن
رسوله فعند ذلك لا يكون لها التخيير في ذلك لان الله ان يامر من يشاء على النكاح لمن يشاء ولله الحكم بالنكاح لمن شاء على من شاء
وليس لهم التخيير في ذلك فاما في الخطبة نفسها دون الامر والحكم من الله لا جبر في ذلك الا ترى انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خطب ام سلمة فقالت ان اوليائي غيب فقال ليس احد من اوليائك لا يرضى بي وكلام نحو خطبها ولم يجبرها على ذلك فعلى ذلك
زينب الا ان يكون على الامر والحكم على ما ذكرنا او ان يكون سبب نزول الاية غير ما ذكر اهل التاويل في خطبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب بنت جحش ويكون الوعيد الذي ذكر فيه في غيره فيما فيه امر من الله او حكم نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه صلى الفجر فراى رجلين جالسين فقال لهم اما بالكما لم تصليا معنا فقالا انا قد صلينا في رحالنا فقال اذا صليتما ثم اتيتما المسجد فصليا
معهم فتكون لكما سبحة وانما قال فصليا معهم لا في صلوة الفجر ولكن في الصلوة التي يتطوع بعدها وقوله عز وجل ومن يعص الله ور
فقد ضل ضلالا مبينا وان كان هذا في المؤمنين فيكون الضلال هو الخطاء كانه قال فقد اخطا خطاء بينا ويجوز هذا في اللغة
ثم قول اخوة يوسف لابيهم في تفضيله يوسف عليهم حيث قالوا ان ابانا لفي ضلال مبين اى في خطاء بين حيث يفضل لا منفعة
له منه على من له منه منفعة فعلى ذلك وان كان في المنافقين فهم في ضلال بين فالضلال من المؤمن لا يفهم من الكافر والمنافق
الا ترى ان الظلم من المؤمن لا يفهم منه ما يفهم من المنافق والكافر الا ترى ان ادم وحوا لما ارتكبا وقربا تلك الشجرة قالا ربنا
ظلمنا انفسنا لم يريدا ظلم كفر وعلى ذلك قوله فتكونا من الظالمين فعلى ذلك المفهوم في ضلال المؤمن غير المفهوم من ضلال المنافق
والكافر والله اعلم وقوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه قال اهل التاويل انعم الله عليه بالاسلام وانعمت
عليه بالاعتاق حيث اعتقه لانه ذكر ان زيدا كان عربيا من اهل الكتاب اصابه النبي صلى الله عليه وسلم من سبي اهل الجاهلية فاعتقه
وتبناه فانعم الله عليه حيث اعطاه الاسلام ووفقه الهدى وانعم عليه الرسول حيث اعتقه ويحتمل انعام الله عليه ايضا في الا
حيث وفق رسوله للعتاد او في خلق فعل الاعتاق من رسوله والجاء به اليه وعلى قول معتزلة ليس لله على زيد ولا على جميع المسلمين
في الاسلام انعام ولا افضال لوجوه احدها انهم يقولون قد اعطى كلا سبب ما يلزم به الاسلام وهو القوة فهم بها يسلمون
لا يصنع من الله في ذلك فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الاسلام فاما في الاسلام نفسه فلا صنع له فيه فاذا كان كذلك فلا
منة عليهم ولا انعام والثاني يقولون ان ليس لله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين ولا شك ان الاسلام لهم اصلح فعليه
ان يفعل غير ومن ادى حقا عليه لا يكون فعله منعما ولا مفضلا انما هو مودى حق عليه والثالث يقولون ان ليس من الله
الى الانبياء والمؤمنين جميعا شي الا وقد كان ذلك منه الى ابليس واتباعه والى جميع الفراعنة فاذا كان قولهم ومذهبهم
ما ذكرنا لم يكن لله على احد من اهل الاسلام في اسلامهم انعام ولا افضال والله اخبر ان له عليهم في ذلك نعمة ومنة وكذلك
فهم منه ذلك في قوله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله عز وجل امسك عليك زوجك
واتق الله ذكر بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابصر امراة زيد فاعجبته وودها ففهم زيد ذلك منه
فقال لرسول الله اني اريد ان اطلق فلانة فان فيها كبرا تتعاظم علي وتوذيني بكذا فعند ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم
امسك عليك زوجك واتق الله في طلاقها ولا تطلقها لكن لا نقول نحن شيئا من ذلك لانا لا نعرف ثبوت ذلك عن رسول الله بخبر
انه كان ذلك ويجوز ان يكون زيد استاذن رسول الله في طلاقها على ما يطلق الرجل امراته لما يحل منها بلا سبب يكون فقال له
عند ذلك امسك عليك زوجك واتق الله ولا تطلق زوجك بلا سبب تستوجب به الطلاق لانه لا يسع للرجل ان يطلق
زوجته بلا سبب يحمله على الطلاق من تضييع حدود الله وترك القيام بها او معنى نحو ذلك ما سبب يكون في ذلك فلا يسع

او ان يكون قوله امسك عليك زوجك اي تزوجها واتق الله في ترك تزوجها فيكون مامورا بنكاحها كما كانت هي
مامورة بتزويجها نفسها منه فيقول اتق الله في ترك الامر لينبغي لك في تركه ما انت به وامرت به والله اعلم وقوله عز وجل
وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال عامة اهل التاويل وتخفي في نفسك حبها واعجابها ما الله مبديه اى ما الله مظهره في القران
اى حبها وتزوجها وقال قايلون وتخفي في نفسك يا محمد ليتك لو طلقها ما الله مبديه اي مظهره عليك حتى ينزل به قرانا
لكن هذا بعيد محال لا يحتمل ان يكون النبي يقول له امسك عليك زوجك واتق الله ثم يخفي ليته لو طلقها حتى يتزوجها
هو وجايز ان يكون قوله وتخفي في نفسك هذا القول نفسه هو الابراء حيث جعله اية يتلى بعد ما اخفى رسول الله شيئا
في نفسه ما لو لا ذكر الله اياه ذلك لم يعلم الخلق انه اخفى شيئا ولا ندري ما الذي اخفاه كذا وكذا الا بخبر يجيء عنه فيقول
اني اخفيت في نفسي كذا فعند ذلك يسع لنا ما على الوهم لا ان نقول به وقوله عز وجل وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قال
بعضهم وتخشى الناس اى تستحي قالة الناس ان تزوج امراة ابنه وترك نكاحها والله احق ان تستحي منه في ترك امره واياك
بالنكاح وقال بعضهم وتخشى الناس اى تتقي قالة الناس وتستحي منهم في امر زينب وما اعجبت هي اليك حسنها وحبها والله احق
ان تخشاه ذلك وجايز ان يكون قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه على الابتداء على غير الحال بالاول في كل امر كما قوله
كقوله فلا تخشوهم واخشوني والله اعلم وقوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال اهل التاويل قضى زيد منها
وطرا اى حاجة اى جماعا فان كان الجماع فخابر ذكر الجماع فيه ليعلم ان حليلة ابن التبني تحل للرجل وان الوطر هو عقد
النكاح والجماع جميعا وان كان كل واحد منهما سبب الحظر والمنع في نكاح حليلة ابن الصلب وجايز ان يكون قوله فلما قضى
زيد منها وطرا اى قضى همة نفسه وبلغ غاية ما همت نفسه منها فعند ذلك زوجناكها ذكر ان زينب بنت جحش كانت تفتخر
على نساء ازواج النبي فتقول زوجكن اباؤكن رسول الله والله زوجني بنبيه فوق سبع سموات ففيه دلالة رسالته لانه
اخفى في نفسه ما كان يخشى قالة الناس في ذلك واستحيى منهم وما العرف ان من اخفى شيئا استحيى من الناس ان ظهر عنده
ان يكتم ذلك من الناس ولا يظهره فاذ كان رسول الله اظهر ما كان يخشى قالة الناس فيه ولم يكتمه منهم دل انه رسول اذ لو كان
غير رسوله لكتمه واخفاه ولم يظهره لما ذكرنا من العرف في الناس من كتمان ما يستحيون منهم انا ظهر وكذلك روي عن عمر و
عايشة انهما قالا لو كان رسول الله كاتما شيئا من القران لكتم هذه الاية وقوله عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا في الاية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر ويامر به وفي كل فعل
يفعله في نفسه الا فيما ظهرت الخصوصية فاما فيما لم تظهر فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل لانه قال تزوج امراة دعيه قال
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ولو كان يخبرهم بذلك خبر الحل لهم ذلك فعلى ذلك انا نعلم هو ذلك
اخبر ان ذلك لكيلا يكون على المؤمنين حرج في فعله والله اعلم وفيه وجه اخر وقوله عز وجل اذا قضوا
منهن وطرا ذكر قضاء الوطر منهن لان من النساء من يحرمن على بعض هؤلاء بالعقد ولكن انما يحرمن بقضاء الوطر ومنهن من
يحرمن بالعقد نفسه دون قضاء الوطر فاخبر ان ازواج الادعياء وان قضوا منهن وطرا فانهن لا يحرمن عليهم والله اعلم
وكان امر الله مفعولا اى ما كان امر الله مفعولا وكذلك ما قيل الصلوة امر الله اى بامر الله تكون والا فالصلوة هي فعل العباد
فلا تكون امر الله ولكن بامر الله فعلى ذلك قوله وكان امر الله مفعولا اى ما يكون بامر الله مفعولا ثم يحتمل ذلك وجهين
احدهما التكوين بكونه فيكون مكونا كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والثاني على الايجاب والالزام
اى ما يكون بامر الله يكون واجبا لازما انا اسمعنا الايجاب والالزام والله اعلم وقوله عز وجل ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له هذا يحتمل وجهين احدهما فرض الله اى بين الله كقوله سورة انزلناها وفرضناها اى بيناها ويحتمل فيما فرض الله
له اى اوجب الله عليه ويقال فرض عليه اى حرم وفرض له اى احل له وكذلك قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم يحتمل
هذا وجهين اى بين لكم تحلة ايمانكم والثاني اوجب عليكم تحلة ايمانكم والله اعلم وقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا
من قبل قال بعضهم هكذا كان سنة الله فيمن كان قبله من الرسل مثل داود وسليمان وهولاء كثرة النساء ليس ذلك
ببديع في رسول الله محمد وفي كثرة نساء الرسل اية عظيمة لانهم اثروا الفقر والضيق على السعة والغنا وكفوا انفسهم
عن جميع لذاتها وحملوا على انفسهم الشدايد في العبادات والامور العظام الثقيلة وهذه الاشياء كلها اسباب
تقطع قضاء الشهوات في النساء والحاجة فيهن فلم تقطع تلك الاسباب عنهم دل انهم بالله قووا عليها وقال بعضهم
سنة الله في الذين خلوا من قبل اى كذلك كان سنة الله في الذين قبل محمد يعني داود النبي حين هوي المراة التي فتن
بها فجمع الله تبارك وتعالى بين داود وتلك المراة فكذلك يجمع بين محمد وبين امراة زيد اذ هويها كما فعل بداود
لكن هذا بعيد وقيل سنة الله في الذين خلوا من قبل انه لا يحرج على احد فيما لم يحرم وجايز ان يكون سنة في الذين
خلوا من قبل في حل نكاح ازواج الادعياء كما يحل لهم ذلك فعلى ذلك لرسول الله والله اعلم وقوله عز وجل وكان

امر الله قدرا مقدورا هو ما ذكرنا في قوله وكان امر الله مفعولا اي ما كان بامر الله وتقديره مقدورا قال ابو عوسجة
الدعي الذي يدعى بغير ما يكون والادعاء ان يكون الرجل نفي ولده ولم يقبله ثم ادعاه من بعد ذلك هذا هو المعروف
عندي قال وفي موضع اخر ولهم ما يدعون اي ما يتمنون ويشتهون ويقال ظللنا اليوم فيما ادعينا اي وجدنا كل ما اشتهينا
يقال من هذا ادعيت ادعي ادعاء وقال الوطر الحاجة والاوطار جميع والخيرة اي صيرت اليهم الخيرة وهو من قولك اي شيء
تختار وما كان لهم الخيرة من امرهم اي لم يجعل اليكم الاختيار ان شئتم فعلتم وان شئتم لم تفعلوا والقنوت في الاصل القيام على
ما ذكرنا وقوله عز وجل الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله يقول اهل التاويل هو محمد صلى
الله عليه وسلم والله اعلم ان كان هو المراد به انه فيما تزوج حليلة زيد وهو مبلغ رسالات ربه حيث قال لكيلا يكون على المومنين حرج
في ازواج ادعيائهم وتبليغ الرسالة يكون مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل يلزم الناس في اتباعه في فعله كما يلزم في خبره وامره
الا فيما ظهرت له الخصوصية في فعل ما وجائز ان يكون قوله الذين يبلغون رسالات الله هم الانبياء الذي قال سنة الله في الذين خلوا
من قبل نعتهم وقال الذين يبلغون رسالات الله وسنة الله في محمد كسنة اولئك الذين كانوا من قبل فيما ذكر ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله يقول والله اعلم يخشونه في ترك تبليغ رسالته ولا يخشون احدا سواه في التبليغ ويكون قوله الا الله بمعنى سواه على
المبالغة في الاول الا لو قال ولا يخشون احدا كما فيه اي لا يخشون احدا كان كما فيه اي يخشون احدا فيما يبلغون لكن يحتمل ما ذكرنا
ان لا يخشون احدا فيما يبلغون سواه وجائز ان يكون قوله ولا يخشون احدا الا بما يصيبهم من الاذى والبلاء بالتبليغ يقول
لا يرون ذلك من اولئك ولكن يعتدون من الله اياه والا كانوا يخافون من اولئك الا ترى انهم قالوا انما نخاف ان يفرط علينا او ان
يطغى وحيث قال موسى فاخاف ان يقتلون واخاف ان يكذبون ونحوه ان يكون في الابتداء خافوهم ثم امنهم الله فلم يخافوا حين
قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى والله اعلم وقوله عز وجل وكفى بالله حسيبا قيل شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل
ما كان محمد ابا احد من رجالكم معناه والله اعلم ما كان محمد ابا احد ابوة تحرم بها حلائل الابناء وان كان هو ابا لجميع المومنين
حيث قال النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اذا كانت ازواجه امهاتهم فهو اب لنا على ما ذكرنا لكن التاويل فيه
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ابوة تحرم بها حلائل الابناء ولكن ابوة التعظيم والتبجيل وابوة الشفقة والرحمة وهو ما قال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الاية وكذلك قوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم يحتمل وجهين
احدهما ان يعظم ويكرم ويشرف من كقوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه والثاني اولى بالمومنين اي اشفق عليهم وارحم بهم من انفسهم
وهو وصفه جل وعلا من رحمته ورافته حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم وقوله ما كان محمد ابا
احد من رجالكم يخرج على وجهين احدهما في حق الانتساب اليه اي ليس هو ابا احدكم ينتسب اليه ويدعى به لانه ذكر انهم يدعونه و
يسمونه زيد بن محمد انه يجوز التبني ولا يجوز النسبة اليه ولا التسمية به كقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله والثاني في حق
الحرمة كانه قال ليس هو ابا احدكم في حرمة حلائل الابناء عليه ابناء التبني ولا في حق النسبة وان كان هو ابا لكم في الشفقة والرحمة
والرافة على ما ذكرنا بديا ولكن رسول الله ما ذكرنا في التعظيم له والتبجيل في المعاملة والصاحبة اوفى الدعوة به والتسمية وقوله
عز وجل ولكن رسول الله اخبر ليس ابا احد من رجالكم على ما ذكرنا ولكن رسول الله ليعاملوا رسوله معاملة ابائهم ولا يفتحوا حين
صحبة منه ولكن يعاملوه معاملة الرسول في التعظيم له والتبجيل والاكرام لانه ابر وشفقته الاباء شفقة دنيا ودينا ولان الرجل
قد ينبسط مع والده في اشياء لا يسع مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي ختم به الرسالة
لا نبي بعده وقوله عز وجل وخاتم النبيين جائز ان يكون ذكره واخباره انه خاتم النبيين لما علم جل وعلا انه يسمي غيره بغيره نبيا على ما
قالت الباطنية قايم الزمان هو نبي فاخبر بهذا ان من ادعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة ولكن يكذب وكذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الا لا نبي بعدي اخبر انه ختم النبوة وقوله عز وجل وكان الله بكل شيء عليما لم يزل الله بما كان ويكون وبما به
صلاحهم عليما وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اما اهل التاويل يقولون اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت
ذكرا كثيرا باللسان وجائز ان يكون ما ذكر امره بالذكر له كثيرا اي اذكروا نعمه لتشكروا والله واذكروا اوامره لتاتمروا ونواهيه
لتنتهوا ومواعيده لتخافوا وعداته لترغبوا واذكروا عظمته وجلاله وكبرياءه لتهابوا ذكرا كثيرا اي دائما يذكرون ما ذكرنا ليكون
ما ذكرنا انما يكون ذلك بالذكر والله اعلم وقوله عز وجل وسبحوه بكرة واصيلا البكرة هي ختم الليل وابتداء النهار والاصيل هو
ختم النهار وابتداء الليل فكانه امر بالذكر له والخير في ابتداء كل ليل وختمه وابتداء كل نهار وانقضائه ليتجاوز عنهم ويعفو ما يكون
منهم من الزلات في خلال ذلك وعلى ذلك ما روي في الخبر ان من صلى العشاء الاخرة والفجر بالجماعة فكانما احيا ليلته وجائز ان
يكون ذلك ليس على ارادة البكرة والاصيل ولكن على ارادة كل وقت وكل حال ليس من وقت ولا حال الا ولله على عباده شكر وهو
يشكر لنعمائه والصبر على مصائبه وقال بعضهم الامر بالذكر له بالبكرة والاصيل هي الصلوات الخمس من الظهر الى امر الليل اصيل فيدخل
فيه صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفي البكرة صلوة الفجر وقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته اما صلوة الله هي الرحمة والثناء

والثناء

والصلوة الملايكة الاستغفار وطلب العصمة والنجاة كقوله ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما الاية
وقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الاية وقوله ويستغفرون لمن في الارض جائز ان يكون المومنين خاصة و
جائز ان يكون الكل الكافر والمومن فان كان هذا فيكون استغفارهم طلب الاسباب التي بها يستوجبون المغفرة وهو الهدى
كقوله هود وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا لا يحتمل ان يستغفر وهم كفار
ولكن يطلبون منه التوبة عن الكفر يستوجبوا المغفرة وكذلك استغفار ابراهيم لابيه لا يحتمل ان يستغفر له وهو كافر ولكن
كان يطلب له من الله ان يجعله بحيث يستوجب المغفرة والرحمة وهو الهدى والله اعلم وقوله عز وجل ليخرجكم من الظلمات الى
النور قال بعضهم الرحم حيث اخرجهم من اصلاب ابائهم قرنا فقرنا الى ان بلغوا ما بلغوا وجائز اخراجه اياهم من ظلمات
الكفر الى نور الهدى بدعاء الملايكة واستغفارهم لهم وكان بالمومنين رحيما لم يزل الله بالمومنين رحيما وقوله عز وجل تحيتهم
يوم يلقونه سلام جائز ان يكون تحية الملايكة عليهم سلام كقوله سلام عليكم بما صبرتم او تحية بعضهم على بعض سلام لا غير ليس
كتحيتهم في الدنيا اطال الله بقاءك وكيف حالك ونحو ما يقولون في الدنيا ويسال بعضهم بعضا عن احوالهم يقول ليس تحية
اهل الجنة ذلك ولكن سلام كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وان يكون قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام
اي صوابا وسدادا لا غير كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس انه يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون قولا صوابا سدادا
لا يقابلونهم بمثل ما خاطبوهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صواب من الكلام وسداد واعد لهم اجرا
كريما اي حسنا وقوله عز وجل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا يحتمل قوله شاهدا على تبليغ الرسالة يشهد لهم بالاجابة
لمن اجاب ويشهد عليهم اذا ردوه وخالفوه وقال بعضهم شاهدا على امتك بالتصديق لهم وقيل شاهدا عليهم بالبلاغ وقوله
عز وجل ومبشرا ونذيرا اي تبليغ اليهم ما يكون لهم البشارة ان اطاعوه وتبليغ اليهم ايضا ما يستوجبون به النذارة ان خالفوه والبشارة
هي اخبار عن الخيرات التي تكون في عواقب الامور الصالحة والنذارة اخبار عن اضرار تكون في عواقب الامور السيئة او نحوه من الكلام
وقوله عز وجل وداعيا الى الله يحتمل قوله داعيا الى الله الى توحيد الله والى طاعة الله او الى دار السلام كقوله والله يدعوا الى دار السلام
والى ما يدعو الله اليه وقوله عز وجل باذنه قيل بامره وقوله عز وجل وسراجا منيرا اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وجعلناك سراجا منيرا فالسراج المنير هو الرسول على هذا التاويل وقال بعضهم السراج المنير هو القران يقول
ارسلناك داعيا الى الله والى السراج المنير وهو هذا وقوله عز وجل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فيه دلالة ان البشارة لهم
انما يكون بفضل من الله لا انهم يستوجبون باعمالهم شيئا من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولا تطع الكافرين والمنافقين هذا قد ذكرنا
في اول السورة وقوله عز وجل ودع اذاهم هذا يحتمل اعرض عنهم ولا تكافهم بما يوذونك وان يقول دع اذاهم اي اصبر على اذاهم
وقوله عز وجل وتوكل على الله اعتمد بالله وكفى بالله وكيلا اي كفى بالله معتمدا او ان يقال كفى بالله وكيلا اي حافظا ومانعا
والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن [illegible] ابن عباس فقال
كان يقول [illegible] هذه الاية يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المومنات [illegible] فجعل الطلاق بعد النكاح وعندنا انه اذا حلف ان تزوجها فهي طالق يكون طلاقا بعد النكاح و
ليس في الاية منع وقوع الطلاق [illegible] بعد النكاح فطلقتموهن من قبل ان تمسوهن يحتمل المماسة الجماع اي من قبل
ان تجامعوهن ويحتمل من قبل ان تخلو بهن [illegible]
لم يجامعها ولم يخل بها [illegible] وجب نصف الصداق ويدل على ذلك [illegible]
وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فيه دلالة ان العدة من حق الزوج عليها حيث قال فما لكم عليهن من عدة تعتدونها [illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله عز وجل
فمتعوهن قال بعضهم هذه المتعة منسوخة بالاية التي ذكر في سورة البقرة حيث قال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن و
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم [illegible] وجبت المتعة
وعندنا [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل
وسرحوهن سراحا جميلا قال بعضهم السراح الجميل [illegible]
بعضهم السراح الجميل [illegible] وقوله عز وجل يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن [illegible] احللنا لك
[illegible] اتيت اجورهن [illegible] واتوا الزكوة [illegible]

هو على القبول تاويله فان تابوا وقبلوا ايتاء الزكوة فخلوا سبيلهم هو على القبول والضمان ليس على فعل الايتاء نفسه اذ لا يجب
الا بعد حولان الحول وكذلك قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية ليس على نفس الاعطا ولكن حتى يقبلوا
الجزية انا الاعطا انما يجب اذا حال الحول فعلى ذلك جائز ان يكون قوله اللاتى آتيت اجورهن وضمنت والثانى انا احللنا لك
ازواجك اللاتى هن لك انا آتيت اجورهن اى قبلت معناه انا احللنا لك بما هن انا آتيت اجورهن وفيه دلالة ان المهر قد
يسمى اجرا فيكون قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن اى مهورهن فيكون الاستمتاع بهن استمتاعا في النكاح فعلى
ذلك يجوز ان يكون قوله وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين فيكون
الخلوص له بلا اجر لا بلفظة الهبة لانه ذكر على اثر ذكر حل ازواجه بالاجر كانه قال انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن
واحللنا لك ايضا امراة مؤمنة ان وهبت نفسها بلا اجر خالصة لك من دون المؤمنين بغير اجر لان خلوص الشيء انما يكون اذا
خلص له بلا بدل ولا مؤنة فاما ان يكون الخلوص بلفظة دون لفظة فلا وبعد فانه قد ذكر في آية اخرى ما يدل على ما ذكرنا
وهو قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم دل هذا ان خلوص تلك المراة له بغير فان ذكر هذا له خرج مخرج الامتنان
عليه فلا منة له عليه في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج بقوله مكان قوله وهبت زوجت دل ان المنة له عليه فيما
صادفت له بلا مهر لا في لفظة الهبة او ان يكون قوله خالصة لك من دون المؤمنين في الاخرة اى لا يحل لاحد سواك ان تزوجها
وصادفت من ازواجك فاما ان يفهم من قوله خالصة لك من دون المؤمنين بلفظة الهبة فلا اذ لا فرق بين ان يقول وهبت وبين
ان يقول زوجت وبعد فان كثيرا من الصحابة واهل التاويل من نحو عبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما روي عنهم انهم قالوا
من قوله خالصة لك بلفظة دون لفظة حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في قوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
هن الموهوبات فابا الشافعي في فهم ذلك ما ذكر وبعد فانه ليس من عقد الا وهو يحتمل الانعقاد بلفظة الهبة من البياعات
والاجارات وغيرها فعلى ذلك النكاح والله اعلم **وقوله** عز وجل وما ملكت يمينك اى قد احللنا لك ما ملكت يمينك واحللنا لك
ايضا وغيرها فعلى ذلك النكاح بنات عمك وبنات خالك وبنات خالاتك ثم جائز ان يكون حل بنات من ذكر من الاعمام والاخوال
للناس بهذه الاية لانهن لم يذكرن في المحرمات في سورة النساء فيكون ذكر حلهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرا للناس كافة كما
كان ذكر حل نكاح حليلة زيد بن حارثة له حلا للناس في ازواج حلائل ابناء النبي حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم فعلى ذلك الاول او ان يكون معرفة حل نكاح بنات الاعمام والعمات وهن من ذكر بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم اذ ذكر المحرمات
في الاية على الابلاغ ما كان بنسب وما كان بسبب ثم قال واحل لكم ما وراء ذلكم فيكون ما وراء المذكورات محللات بظاهر الاية الا
ما كان في معنى المذكورات في الحرمة والله اعلم **وقوله** عز وجل اللاتى هاجرن معك لم يفهم احد من قوله هاجرن معك الهجرة
معه حتى لا يتقدمن ولا يتاخرن بل دخل في قوله معه من هاجر منهن من قبل وما بعد والله اعلم **وقوله** عز وجل ما فرضنا عليهم
في ازواجهم قال بعضهم ما فرضنا على الناس في ازواجهم وهي اربع نسوة لا تحل الزيادة على الاربع وما ملكت ايمانهم وهي الجواري
والخدم يجوز الزيادة على ذلك وان كثرت وقال بعضهم نكاح ما فرض الله ان لا يتزوج الرجل امراة الا بولي ومهر وشهود والا النبي
خاصة فانه يجوز له ان تهب المراة نفسها بغير مهر وبغير ولي والله اعلم **وقوله** عز وجل قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
فرضنا اى بينا ما يجوز وما لا يجوز ان بين ذلك كله في الازواج او فرضنا او جبنا عليهم في ازواجهم من الاحكام والحقوق
ونحوها والله اعلم **وقوله** عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء اختلف فيه عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها النبي او يتزوجها واذا ترك خطبتها كان لغيره ان يخطبها ثم اذا خطبها ع
رسول الله لم يكن لاحد ان يخطبها بعد ذلك الا ان يترك خطبتها او كلام نحوه فيصرف تاويل الاية الى ما ذكرنا وكذلك يقول
بقادة ان الاية في الخطبة وقال بعضهم هذا في قسمة الايام بينهن كان يسوي بينهن في قسمهن فوسع الله عليه في ذلك فاحل
فقال ترجي من تشاء منهن اى من نسائك اى تترك من تشاء منهن فلا تاتيها وتؤوي اليك من تشاء فتاتيها ومن ابتغيت ممن عزلت
يقول ممن اخترت من نساء ان تاتيها فعلت فقال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن على ترك القسم اذا علمن ان الله قد جعل لك
ذلك حلالا وانزل فيهن الاية ويرضين بما آتيتهن كلهن اذا علمن ان الرخصة جاءت من الله تعالى له كان اطيب لانفسهن واقل
لحزنهن من ترك ذلك وقال بعضهم ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتى كن تحت خشين ان يطلقهن فقلن يا رسول الله
اقسم لنا من نفسك ومالك ما شئت ولا تطلقنا فنزل ترجي من تشاء منهن ان تعزل من تشاء منهن اى تعزلهن بغير طلاق وتؤوي
اليك اى تردهن من تشاء منهن اليك فلا جناح عليك وقال بعضهم الاية في ترك نكاح ما اباح له من القرابات من تشاء منهن
وفي الاقدام على نكاح من تشاء منهن لان على اثر ذلك
ذكرت يقول ترجي من تشاء منهن يعني من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تزوجها وتؤوي اليك اى تضم اليك من تشاء منهن
فتزوجها فتعقل خيرة الله ورسوله في نكاح القرابة فذلك قوله ومن ابتغيت منهن فتزوجها ممن عزلت منهن فلا جناح عليك

اولا

اى لا حرج عليك في ذلك ذلك ادنى يقول اجدر واحرى واقرب ان تقر اعينهن اى النساء اللاتى عندك واختزنهن ولا يحزن
اذا علمن ان لا تتزوج عليهن ويرضين بما آتيتهن كلهن من النفقة وكان في نفقتهن قلة وجائز ان يكون قوله ذلك ادنى ان
تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك حين خيرهن رسول الله بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله
والدار الاخرة فاخترن رسول الله يقول والله اعلم اذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة فاخترن رسول الله ذلك
ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن عن قلة النفقة والجماع ويرضين بما آتيتهن كلهن من النفقة وغيره والله يعلم ما في قلوبكم
من الحب والرضا وكان الله عليما حليما **وقوله** عز وجل لا يحل لك النساء من بعد اختلف في قوله من بعد قال قايلون من بعد
اختيارهن رسول الله والدار الاخرة لان الله لما خيرهن بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الاخرة فاخترن
رسوله والدار الاخرة فشكر الله عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد اى من بعد اختيارهن المقام معك ولا ان تبدل بهن من
ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فان على هذا فيخرج الحظر والمنع مخرج الجزاء لهن والمكافاة لما اخترنه على الدنيا وما
فيها البلاء وبشرك خيرهن في قسمهن منه وروي عن عائشة رضي الله عنها انه قالت اشترطنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
والدار الاخرة ان لا يتزوج علينا ولا يتبدل بنا من ازواج ثم استثنى ما ملكت يمينه لانه لا حظ لهن في القسم وقال بعضهم قوله لا يحل لك
النساء من بعد اى من بعد المسلمات كتابيات لا يهوديات ولا نصرانيات اى لا تتزوج يهودية ولا نصرانية فتكون من امهات المؤمنين
الا ما ملكت يمينك اى لا باس ان تشتري اليهودية والنصرانية فان كان على هذا ففيه حظر الكتابيات لرسول الله ذكر خاصة واما
المؤمنون فانه اباح لهم نكاح الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فيكون حل الكتابيات للمؤمنين دون النبي
بانواع الزيادة والفضل الذي كان يحل لرسول الله قال بعضهم قوله لا يحل لك النساء من بعد اى من بعد المذكورات المحلات له في
الاية التي قبل هذه الاية من بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات يقول لا يحل لك من النساء سوى من ذكر ان تتزوجهن
عليهن ولا تبدلهن ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك والله اعلم وقوله لا يحل لك في الخلق ان تتزوج عليهن بعد اختيارهن
والدار الاخرة على الدنيا وما فيها من الزينة او ان يكون على التحريم نفسه في الحكم وليس لنا ان نفسر اى تحريم اراد تحريم الحظر والمنع
في الخلق او تحريم الحكم لان ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان عرف انه ما اراد بذلك والاستبدال بر فضل والتبدل
بهن يحتمل في التطليق يطلقهن فيتزوج غيرهن ويحتمل بالموت انا امتن ايضا لم يحل له ان ينكح غيرهن والله اعلم قال ابو عوسجة
ترجي من تشاء منهن اى تحبس من تشاء منهن ولا تقربها وقال القتبي ترجي اى تؤخر تقال ارجيت الامر وارجاته اى اخرته وكذلك
قالوا في قوله ارجه واخاه وقال بعضهم احبسه وقال بعضهم اخره وقوله تؤوي اليك اى تضم وكان الله على كل شيء رقيبا اى
حفيظا وقيل شاهدا **وقوله** عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يحتمل
النهي وجهين احدهما لا تدخلوا بيوت النبي بغير اذن كما دخل الرجل على امه وان كن هن كالامهات لكم بغير اذن فيكون النهي عن
الدخول في بيته نهيا عن الدخول بغير اذن كقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا ويحتمل لا تدخلوا بيوت النبي ضيفا الا
ان يؤذن لكم الى طعام الا ان تدعوا الى طعام لان رسول الله كان انا احيا والله شيا من الطعام دعا اصحابه فياكلونه وكان لا يمسك
ولا يدخر فضل الطعام لو فتات خرفاذا نزل به ضيف ولم يكن عنده ما يقدم اليه استحيى وشق عليه ذلك فنهوا عن الدخول عليه والنزول
به ضيفا لما ذكرنا وامروا بالانتظار الى ان يدعوا الى الطعام فعند ذلك يدخلون عليه ويضيفونه فان كان الاول ففيه الامر بالحجاب
والنهي عن الدخول بلا استئذان وان كان الثاني ففيه النهي عن النزول به ضيفا قبل ان يدعى لما ذكرنا ويكون الامر بالحجاب في قوله
وان ناسا الموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب وقال بعضهم ذكر هذا لان اناسا من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله في
فاذا حضر ذلك دخلوا عليه بغير اذن فيجلسوا في بيته ينتظرون نضج الطعام واذا اكلوا فنهوا عن ذلك بما ذكرنا انه اذا اكلوا او فرغوا
منه جلسوا في بيته ويتحدثون ويستانسون فنهوا عن ذلك وامروا بالانتشار والخروج من عنده وعند نسائه ولم يكن يحتجبن
قبل ذلك منهم فشق ذلك على النبي والله اعلم وجائز ان يكون الامر بالانتشار والخروج من عنده لما كان لرسول الله امور وعبادات
يحتاج الى القيام بها ما بينه وبين الله او بينه وبين غيرهم من الناس فكانوا يشغلونه عن ذلك فنهوا عن ذلك لذلك ولما ذكر
بعض اهل التاويل من الحاجة له من ازواجه والخلوة بهن وقت القيلولة والله اعلم **وقوله** عز وجل ان ذلك كان يؤذي النبي
الدخول عليه بغير اذن والانتظار لنضج الطعام او اذ واكل والجلوس بعد فراغهم من الطعام والحديث او ما كان **وقوله** عز وجل
فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ورسول الله ايضا كان لا يستحيي من الحق لكن يستحيي ان يقول لهم اخرجوا من منزلي ولا
تدخلوا علي ونحوه لما يخرج ذلك في الخلق ان يقول الرجل الاخر لا تدخلوا منزلنا واخرج من منزلي لما يرجع ذلك الى دناءة الاخلاق
والبخل فلما انزل الله تعالى الاية وامره بقولها لهم واخبرهم بذلك فلم يستحيي عند ذلك لما صار ذلك من حق الدين فرضا عليه
لازما ان يعلمهم الاداب ويخبرهم عما يلزمهم من حق الدين وكان قبل ذلك في حق الملك وحق النفس لما انزل الله الاية وامره بذلك
صار من حق الدين لذلك كان ما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل والله لا يستحيي من الحق اى يدع ولا يترك ان يعلمهم الحق والاد

وقد ذكرنا معناه في قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا الاية وقوله عز وجل واذا سالتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وجايز ان يكون المعنى الذي يكون اطهر لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون اطهر لقلوبهن و
ذلك المعنى الذي يكون اطهر لقلوبهم من الفجور والهم لقضاء الشهوة وما تدعو النفس اليه واطهر لقلوبهن من العداوة و
الضغينة لا الفجور وقضاء الشهوة وذلك انهم قد عرفوا انهن لا يحللن لغيره نكاحا لما اخترن الله والدار الاخرة على الدنيا وزينتها
وقد اوعدن بارتكاب الفاحشة العذاب ضعفين على ما ذكر وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك فاذا كان كذلك
فانما عرفن من الداخلين عليهن والناظرين اليهن نظر شهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة فيقول السؤال من وراء الحجاب
اطهر قلوبكم من الفجور والريبة واطهر قلوبهن من العداوة والضغينة والله اعلم بذلك وجايز ان يكون ذلك واحدا وهو الريبة
والفجور لما ركب فيهن من الشهوات وركب فيهن من فضل الدواعي الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال بعضهم اهل التاويل ان ازواج الرسول لما احتجبن بعد نزول اية الحجاب ونهوا عن
الدخول عليهن والنظر اليهن قال رجل انهى ان ندخل على بنات عمنا وبنات عماتنا وبنات خالنا وبنات خالاتنا اما والله لئن مات
لا تزوجن فلانة ذكر امراة من نسائه فنزل وما كان لكم اي لا يحل لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا لكن
هذا قبيح لا يحتمل ان احدا من الصحابة يقول ذلك او واحد من ضعفاء ايمانه وحسن اسلامه ان يقول ذلك او يخطر بباله ذلك الا ان
يكون منافقا ويحتمل وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فيما تقدم ذكره ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ابتداء نهي وجايز ان يكون وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله في نكاح ازواجه فيكون اذاه رسول الله في نكاح ازواجه من بعده ولو كان لا يحل ازواجه للناس ما ذكر
بعض اهل التاويل لان هن امهات لم يحتج الى النهي عن نكاحهن بعده اذ لا احد يقصد قصد نكاح الام فكن كان يحل لهم ذلك وكان
المعنى فذلك ما ذكرنا من التعظيم له والاحترام حتى نهاهم عن نكاح ازواجه من بعده وجعله فحرمة ازواجه على غيره بعد وفاته
كانه حي وكذلك جعل في حق ماله وملكه في منع الميراث لورثته كانه حي لم يورث ماله وانه رجل باق ابدا على ملكه وكذلك ازواجه
وكذلك جعل في حق الرسالة والنبوة كانه حي لم تنسخ شريعته بعد وفاته بشريعة اخرى كما نسخت شريعة الانبياء الذين كانوا قبله
اذا ماتوا بشريعة اخرى بل جعل كانه حي في ابقاء شريعته الى يوم القيمة فعلى ذلك جعل ازواجه كانه حي في حرمة ازواجه في الاخرة
وعلى ذلك يخرج تاويل قوله عند نا خالصة لك من دون المؤمنين اي هي لك خالصة لا تحل لاحد بعدك فتكون زوجته في الجنة و
الله اعلم وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يحتمل اذى رسول الله ونكاح ازواجه عند الله عظيما او عظيما في العقوبة عند الله و
وقوله عز وجل ان تبدوا شيئا او تخفوه اي تبدوا شيئا العباد او تخفوه عنهم فان الله كان بكل شيء عليما اي ما ابديتم وما اخفيتم
عليما لا يخفى عليه شيء يذكرهم ليكونوا ابدا على حذر وخوف والله اعلم وقوله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن اي لا حرج ولا
ماثم على النساء في دخول من ذكر عليهن بلا اذن ولا حجاب من ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
ولا نسائهن ذكر هولاء ولم يذكر الاعمام ولا الاخوال فقال بعضهم انما لم يذكر هولاء ولم يبح ذلك لانهم يحللن بالنكاح لاولاد
الاعمام والاخوال فاذا دخلوا عليهن فراوهن متجردات متزينات فيصفونهن لاولادهم وقد يصف الرجل لولده حسن المراة
وقبحها فيتنزل وصفهم اياهن لاولادهم منزلة رؤيتهم بانفسهم فيزيد لهم رغبة فيهن او رغبة عنهن والله اعلم وقال بعضهم
لا ولكن انما لم يذكر الاعمام والاخوال لما في ذكر المذكور من بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال لانهم جميعا من
جنس واحد ومن نوع واحد في معنى واحد وقد يكتفى بذكر طرف من الجنس اذا كان في معنى المذكور نحو ما ذكر من اجناس المحرمات
على الابلاغ وترك من كل جنس شيئا لم يذكره انما الذي لم يذكره هو معنى المذكور ففي ذكر من ذكر غنى عن الذي لم يذكر فعلى ذلك
في ذكر بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال انهم في معناهم والله اعلم وجايز ان يكون لم يبح الدخول للاعمام
والاخوال لانهم اذا دخلوا عليهن فراوهن متجردات فلعل بصرهم يقع على فروجهن فينظروا اليها بشهوة فيحرمن على اولادهم وهم ان
تزوجوهن لم يعلموا انهن محرمات عليهم فمنع دخول الاعمام والاخوال عليهن لذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولا نسائهن قال بعضهم
اي نساء المسلمات يقول خص نساء المسلمات واباح لهن الدخول عليهن بلا اذن وان رأينهن متزينات ولم يبح ذلك لليهوديات
والنصرانيات وانما لهن مخافة ان يصفن ذلك لاهل دينهن فيكون ذلك سبب افتتانهم بهن والرغبة فيهن والله اعلم وقال
بعضهم نساؤهن قراباتهن خص هولاء من بين غيرهن من الاجنبيات وذلك يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا من خوف وصف
الاجنبيات وذلك يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا من خوف وصف الاجنبيات لازواجهن والمتصلين بهن من حسنهن وزينتهن
اذا راينهن متجردات متزينات ولا يخاف ذلك من قراباتهن والثاني خص القرابات لما انهن ابتلاء وليس بالاجنبيات ذلك و
يخف الحكم ربما فيما فيه الابتلاء ويغلظ فيما هو اخف منه وقد تركنا لم يكن فيه ابتلاء وعلى ذلك جايز ان يقال ان الاعمام والاخوال
لم يكن في الاية والرخصة لان ليس بهم ابتلاء ويذكر ابتلاء والله اعلم وقوله عز وجل ولا ما ملكت ايمانهن يحتمل الاماء خاصة
كقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم لم يفهموا منه سوى الاماء فعلى ذلك جايز ان يكون

المفهوم من قوله ولا ما ملكت ايمانهن الاماء ويحتمل الاماء والعبيد جميعا فان كان على الاماء والعبيد جميعا فذلك والله اعلم انه
اباح الدخول للعبيد على مولياتهم بلا اذن لانهم انما يدخلون عليهن في حاجاتهن اليهم في اوقات معلومة وهن في تلك الاوقات
يكن متاهبات لدخولهم عليهن فيحتجبن عنهم وعلى ذلك يخرج ما روي في حكايات العايشة ام المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل
عليها افلا الذي فحنق منعته عن الدخول عليها وهو ما ذكرنا انه كان يدخل عليها لوقت حاجتها اليه وكانت متاهبة لدخوله عليها
والا لا يحتمل ان يكون يدخل ويراها متجردة او متزينة بعد ما امرت بالاحتجاب فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر الى مولياتهم ولا
يكونوا محرما لهن اوان احتمل الاية العبيد فهم بالاذن يدخلون لا بغير اذن فيكون الاذن مضمرا فيه ثم قال واتقين الله فيما
ذكر من اباحة دخول من لم يبح دخوله عليهن والنظر لهن ان كان على كل شيء شهيدا هذا تحذير وتوعيد لهن والله اعلم وقوله
عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ذكر في بعض الحديث انه لما نزلت هذه الاية
قيل له يا رسول الله هذا لك فما لنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الاية فدل ما
يصلون عليهم وصلوة الملائكة وهو ما ذكر من اخراجهم من الظلمات الى النور وهو دعاؤهم الى الهدى والرشد وذكر عن
كعب بن عجرة قال لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قمنا اليه فقلت يا رسول الله
السلام قد عرفناه فكيف الصلوة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد ففي الاية الامر للمؤمنين ان يصلوا
على النبي ثم لم يسئل هو عن كيفية الصلوة عليه وما بيته قال لهم ان يقولوا اللهم صل على محمد وهو سؤال ان يتولى الرب الصلوة
عليه وفي ظاهر الاية امر المامور ان يتولى الصلوة بانفسهم عليه لكن صلوة الله عليه لما امروا بالصلوة عليه وهي الغاية من
الثناء لم يروا وسعهم وطاقتهم القيام بغاية ما امروا به من الثناء عليه امرهم ان يجعلوا ذلك الى الله ويفوضوا اليه وان
سالوه ليتولى ذلك هو دونهم لما يرى وسعهم القيام بغاية الثناء عليه والا ليس في ظاهر الاية سؤال الرب ان يصلي هو
عليه ولكن فيها الامر ان صلوا انتم عليه والله اعلم وقوله كما صليت وباركت على ابرهيم واله تخصيص ابرهيم من بين غيرهم
من الرسل يحتمل ما ذكره اهل التاويل انه ليس من اهل دين ومذهب الا وهو يدعي ويزعم انه على دينه ومذهبه وانه متبع لذلك
خصه بالصلوة عليه من بين غيرهم من الانبياء وجايز ان يكون لا لهذا ولكن لحق كان فيه وفي سريرته لا نعرفه نحن فخصه
بذلك من بين غيرهم والله اعلم وقوله وبارك على محمد البركة كانها اسم كل خير يكون ابدا على النماء والزيادة في كل وقت وقد ذكرنا
فيما تقدم ما قيل في صلوة الله عليهم وصلوة الملائكة وصلوة المؤمنين وقوله عز وجل ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة اختلف فيه قال بعضهم نزلت الاية في اليهود حين قالوا يد الله مغلولة وهو فقير ونحن اغنياء
وفي النصارى حين قالوا المسيح ابن الله وانه ثالث ثلثة وفي مشركي العرب حين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام الهة ونحو
ذلك واذاهم رسول الله حين هجوه وكسروا رباعيته وقالوا انه مجنون وانه ساحر وامثال ذلك فانزل الله ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله يقول عذبهم الله في الدنيا والاخرة فاما تعذيبه اياهم في الدنيا قتلهم بالسيف يوم بدر يعني مشركي العرب
واهل الكتاب بالجزية الى يوم القيامة وفي الاخرة النار وقال بعضهم فيما من ذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله هم اصحاب
التصاوير والتماثيل فلهم ما ذكر وقوله عز وجل ان الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اي بغير
فيهم وقال بعضهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة هم الذين قذفوا عايشة بصفوان اذوا رسول الله
في زوجته عايشة حين قذفوا وهي بريئة مما قذفوا وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات صفوان وعايشة وقال بعضهم
نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعلى هذا عذابهم في الدنيا الجلد وفي الاخرة النار وجايز ان يكون هذا الوعيد
في قاذف كل مؤمن ومؤمنة بغير ما اكتسب والله اعلم وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله اضاف الاذى الى الله
على ارادة رسوله خاصة لان الله لا يجوز ان يتالم او يتاذى بشيء او يؤذيه شيء لان الاذى ضرر يلحق والله يتعالى عن
ان يلحقه ضرر ونفع بل هو القاهر الغالب القادر الغني بذاته ويكون المراد باضافة الاذى اليه رسوله خاصة على ما ذكرنا في
قوله يخادعون الله اي يخادعون رسوله او يخادعون اولياءه لان الله تعالى لا يخادع وكقوله ان تنصروا الله ينصركم
اي ان تنصروا دين الله ينصركم او ان تنصروا رسوله واولياءه ينصركم وامثال ذلك كثير في القران نسب ذلك الى نفسه
على ارادة اوليائه فعلى ذلك هذا والله اعلم وبالله العصمة والتوفيق الا ان يريد بالاذى اعني ما ذكر من اذى الله المعصية
فهو جايز وكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اذاني فقد اذى الله اي من عصاني فقد عصى الله وفي الاية
بيان وقوع المراد على الاختلاف والتفاوت من لفظ واحد لانه ذكر ههنا اذى رسول الله وعقب الوعيد الشديد من
اللعن والعذاب في الدنيا والاخرة وذكر في الاية التي قبلها حيث قال ان ذلكم كان يؤذي النبي وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
وما ذكر من الاذى ثم لا شك ان المفهوم من هذا الاذى المذكور في هذه الاية غير المفهوم من الاذى المذكور في قوله

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وان احدهما في المؤمنين والآخر الكفار وان كان ظاهر اللفظ في المخرج
واحدا وكذلك المفهوم من الظلم الذي ذكر في قوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا غير المفهوم من الظلم الذي قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا
والمفهوم من الضلال الذي قال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين غير المفهوم من الضلال فرعون وسائر الكفرة وكذلك الفسق ومثل
هذا كثير لا يجب افتضاهم من امثال هذا شيئا واحدا ومعنى واحدا وان كان اللفظ لفظا واحدا ولكن على اختلاف المواضع وفي الآية دلالة
عصمة رسول الله وان لا يكون منه ما يستحق الاذى بحال وقد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون الاذى ويستحقونه
حيث ذكر الاذى لرسول الله مطلقا مرسلا غير مقيد بشيء حيث قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله وذكر اذى المؤمنين
مقيدا بشرط الكسب حيث قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فدل شرط الكسب على انهم قد يكتسبون ما
يستحقون الاذى ويكون منهم ما يستوجبون ذلك واما الرسول فلا يكون منه ما يستحق ذلك او يوجب له ولا قوة الا بالله و
اللعن هو الطرد في اللغة طردهم عن رحمته وبعدهم عنها والبهتان قيل هو ان يقال ما ليس فيه وبهت قيل تحير وانقطع حجاجه وقال
بعضهم والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا انزل في قوم نزل في قوم فيتهم الزنا بالاماء وكانت الحرائر يومئذ يخرجن
بالليل على زي الاماء فيتبعوهن ويطلبون من الاماء فكان ذلك يؤذيهم ويتاذى بذلك حتى فشكوه ذلك الى رسول الله في ذلك
نزل والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ثم امرهن عند ذلك بادناء الجلباب وارخائه عليهن ليعرفن انهن حرائر و
نهين ان يتشبهن بالاماء لئلا يؤذين وهو قوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين وقال بعضهم نزل هذا بالمدينة في نساء المهاجرين وذلك ان المهاجرين قدموا الى المدينة وهي مطبقة وهم ومعهم نساء
نزلوا مع الانصار في ديارهم فضاق الدور عليهم فكانت النساء يخرجن بالليل الى البراز فيقضين حوائجهن هنالك فكان المريب يرصد
النساء بالليل فيأتيها فيعرض عليها وانما كان يطلبون الولائد والاماء فلم تعرف الامة من الحرة بالليل لان زيهن كان واحدا يومئذ فذكر
نساء المؤمنين ذلك الى ازواجهن ما يلقين بالليل من اهل الريبة والفجور فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها
النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الى آخره ما ذكر امر الحرائر بارخاء الجلباب واسداله عليهن ليكون
علما بين الحرائر والاماء وروي عن عمر رضي الله عنه ان جارية مرت به متقنعة فعلاها بالدرة وقال اكشفي قناعك ولا تشبهي
بالحرائر وامر الاماء بكشف ما ذكر والحرائر بستر ذلك وقد امر الحرائر في سورة النور بضرب الخمر على الجيوب بقوله وليضربن بخمرهن
على جيوبهن لئلا يظهر الزينة التي على الجيوب ونهين ان يظهرن ويبدين زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها وامرهن في هذه الآية على
ارخاء الجلباب واسداله عليهن ليعرفن انهن حرائر فلا يؤذين بما ذكرنا ثم اختلف في الجلباب قال بعضهم هو الرداء والجلابيب هي
الاردية وهو قول القتبي امرن ان يلبسن الاردية والملاء وقال ابو عوسجة الجلابيب المقانع الواحد جلباب يقال تجلببي اي تقنعي
وهو الذي يكون فوق الخمار وفي الآية دلالة رخصة خروج الحرائر للحوائج لانه لو لم يرخص لهن الخروج لم يامرهن بارخاء الجلباب على
انفسهن ولكن ينهاهن عن الخروج فدل انه يجوز لهن الخروج للحاجة والله اعلم وقوله عز وجل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض جائز ان يكون قوله لئن لم ينته المنافقون عما سبق ذكره من التعرض للنساء بالزنا والفجور بهن وانهم هم الذين كانوا يطلبون ذلك
بهن واما المسلمون فلا يحتمل ان يتعرضوا لشيء من ذلك الوقت فقال لئن لم ينته المنافقون عن ذكر عن ذلك بفعلهم ما ذكر و
قال بعضهم ان اهل النفاق كانوا يرجفون اخبار العدو ويذيعونها ويقولون قد اتاكم عدد وعدة من العدو وكقوله الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخبرون بهم ويضعفونهم لئلا يغزوا اولئك الكفرة يسرون النفاق والخلاف لهم و
يظهرون الوفاق ويسرون فيما بينهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول فنهوا عن ذلك حيث قال فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول فنهوا عن ذلك فقال هاهنا لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض منتهيهم ذلك لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم وقال بعضهم لنحملنك عليهم وقال بعضهم لنولعنك بهم
وكان الاغراء هو التخلية بينه وبينهم حتى يقاتلهم بالسيف ويقتلهم وكان قبل ذلك يقاتلهم باللسان لم يامره بالمقاتلة
بالسيف الى هذا الوقت واخبر انهم ملعونون اينما ثقفوا اي مطردون اينما وجدوا لان اللعن هو الطرد وانهم يقتلون تقتيلا
وانهم لا يجاورونك الا قليلا فيما لا نعلم بهم وقوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هو الزناة والمنافقون هم المنافقون
والمرجفون ليسوا بمنافقين ولكنهم قوم كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار ويقال الارجاف هو تشييع الخبر وجائز ان يكون
المنافق هو الذي كان مع الكفرة في السر حقيقة والذين في قلبه مرض هو الذي في قلبه ريب واضطراب لم يكن مع الكفرة لا سرا ولا
ظاهرا والذي بين الكافر والمنافق وقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا من قبل قال بعضهم سنة الله في الامم السالفة لاهلاك
من الكفار وجائز ان يكون قوله سنة الله في اهل النفاق من الامم السالفة ما ذكر في هؤلاء وقال مقاتل في الذين خلوا من قبل
اهل بدر حين اسروا وقتلوا والله اعلم وقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا من قبل ما يسألك الناس عن الساعة جائز ان
يكون السؤال عنها ما ذكر في آية اخرى حيث قال يسألونك عن الساعة ايان مرساها عن قيامها فقال قل انما علمها عند الله م

فيه

فيه دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه حين سئل عنها فوض امرها وعلمها الى الله على ما امر به ولو كان غير رسول الله لكان
يجيبهم علما ولم يتكل على ما يفعله طلاب الرياسة في الدنيا اذا سئلوا عن شيء قالوا شيئا وان لم يعلموا لان ذلك ابقى للرياسة لهم
فاذا لم يفعل صلى الله عليه كما يفعل اصحاب الرياسة بل قال علمها عند الله دل انه رسول الله مبلغ اليهم ما امر بالتبليغ اليهم وقوله
عز وجل وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا هذا يخرج على الوعيد والتحذير وهو يخرج على وجهين احدهما كانه يقول اعلم ان الساعة
تكون قريبا على الايجاب لان لعل من الله واجب فهو وكل ما هو آت فهو كالكائن والثاني على الترجي اي املوا على رجاء انه قريب والله اعلم وقوله
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا لعنهم اي طردهم عن رحمته لما علم انهم يختارون الكفر على الايمان ويختمون عليه واعد لهم سعيرا خالدين
فيها ابدا قوله خالدين فيها ابدا ينقض على الجهمية قولهم وعلى ابي الهذيل العلاف اما على الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار تفنيان ولهما
النهاية وقد قال لا انها الدوام يجعل لها النهاية والغاية تخرجها عن علم الله لان الشيء الغير المتناهي خارج عن علمه لكن هذا بعيد جهل منهم بربهم لان
علمه بالشيء الغير المتناهي انه غير متناهي وعلمه بالمتناهي انه متناهي ولا يجوز ان يخرج شيء عن علمه متناهيا كان او غير متناهي وعلمه بانه
متناهي ويجوز ان يخرج شيء عن علمه متناهيا كان او غير متناهي وبالله العصمة واما العلاف فلانه يقول ان اهل الجنة واهل
النار يصيرون بحال في وقت ما حتى اذا اراد الله ان يزيد لاحد منهم لذة او نعمة او ضنا بالم يملك عليه او كلام نحو هذا فنعوذ بالله من السرف
في القول على الله وقوله عز وجل لا يجدون وليا ولا نصيرا ما طمعوا في الدنيا ورجوا من كثرة الاسباب والحوائج وعبادة الاصنام وغيرها انما
ينفعهم ذلك ويتصورهم في الآخرة بل ضل عنهم ذلك ورجوا على ما اخبر وضل عنهم ما كانوا يفترون والله اعلم وقوله عز وجل يوم تقلب
وجوههم في النار وقال في آية اخرى الذين يحشرون على وجوههم واصله ما ذكر في قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا
على صراط مستقيم يفعل بهم في الآخرة على ما كانوا في الدنيا وقوله عز وجل يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا لا يزال الكفرة
تا بلين لهذا القول مترددين له في الآخرة لما رأوا من العذاب حين حل بهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا والرسول المطلق
رسول الله والسبيل المطلق هو دين الله هو المعروف في القرآن وقوله عز وجل وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا قال بعضهم السادة الملوك والكبراء العلماء وجائز ان السادة القادة الكبراء دونهم والرسولا والسبيلا اثبتوا الالف
فيه عند الوقف واما عند الوصل فلا وذلك ان من عادة العرب ان لا تقف على الحركة ولكن تزيد لها الفا اذا كانت فتحة واذا
كانت كسرة ياء وقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب ظنوا ان يكون لهم بعض التسلي والتفرج اذا رأوا اولئك الذين اضلوهم
في زيادة من العذاب على ما يكون الرجل بعض التسلي اذا رأى عدوه في بلاء وشدة فلما لم يكن لهم من ذلك تسلي بل كان لهم من ذلك
زيادة عذاب وشدة فقالوا عند ذلك يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين الآية وقوله عز وجل والعنهم لعنا كبيرا
جائز ان يكون هذا اي عذبهم عذابا كبيرا طويلا وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
يقول عامة اهل التأويل ان موسى كان لا يغتسل فيما يراه احد فقال بنو اسرائيل آدر ويروون على ذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان بني اسرائيل طعنوا نبي الله موسى فذلك ذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر بثوبه فجعل موسى بعد
واتى اثره ويقول حجري اي يا حجر ثوبي حتى مر به على ملاء بني اسرائيل فعلموا انه ليس به شيء فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وكان موسى
يتاذى بما كانوا يطعنون فعلى ذلك رسول الله كان يتاذى اذا قالوا زيد بن محمد فامرهم ان يدعوه لابيه بقوله ادعوهم لآبائهم هو
اقسط عند الله زيد بن حارثة لكن هذا التأويل بعيد لان موسى كان يدعوهم الى ستر العورة لا يحتمل ان يطعموا منه الاغتسال
معهم وان يكشف عورته لهم او ينظر الى عورة احد هذا وحش من القول ويسلط حجرا فيذهب بثيابه حتى يراه الناس مجردا وقد
اخلف وقال بعضهم آذوه لانه كان خرج بهرون الى بعض الجبال فمات هرون هنالك فرجع موسى اليهم وحده فقال بنو اسرائيل
لو بيان انت قتلته حسدا فقال موسى ويحكم اتقتل الرجل اخاه فآذوه فذلك قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
بنجات بالملائكة فوضعته بينهم فقال لم يقتلني احد انما جاء اجلي فمت فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وهذا يشبه ان يكون و
غيرهم كانوا يرتاب واشبه وهو ما كان قوم كل رسول نسبوا رسولهم الى الجنون مرة والى السحر ثانيا واعراضه كذاب مفتري ونحوه على علم منهم
انه رسول الله ولا شك انهم كانوا يتأذون بذلك او لذلك قال واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول
الله اليكم لا يحتمل ان يكون هذا في الاول لانهم لو كانوا علموا انه ليس به ما ذكروا لم يؤذوه فدل ان اذاهم اياه في ما ذكرنا في امثال ذلك
وكذلك ما نهي قوم رسول الله من الاذى له لما نسبوه مرة الى الجنون والى السحر ثانيا والى الافتراء والكذب على الله ثالثا الا فيما ذكر
اولئك وكان عند الله وجيها اي مكينا في القدر والمنزلة والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
جائز ان يكون قوله اتقوا الله اي اتقوا الشرك في حادث الوقت وقولوا سديدا اي اثبتوا على التوحيد في حادث الوقت لانه انما
خاطب به المؤمنين يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم اي بالتوحيد لانه بالتوحيد يصلح الاعمال ونذكره به يغفر ما كان من
الذنوب وبه يكون الفوز العظيم وبالله التوفيق ويحتمل قوله اتقوا الله في الخيانة فيما بينكم وبين الخلق اي لا تخونوا الخلق
وقولوا قولا سديدا اي صدقا وصوابا اي لا تكذبوا ولا تقولوا لغوا ونحوه ويحتمل اتقوا الله ولا تعصوه واعملوا بالمعروف

وانتهوا عن المنكر وقولوا قولا سديدا وطروا الناس وانتهوا عن المنكر يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم الى آخره اذكر والله
اعلم وقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قد تكلف اهل التاويل تفسير هذه الامانة المذكورة
في الاية قال بعضهم هي كلمة الشهادة والتوحيد ومنهم من قال هي جميع الفرايض التي افترض الله على عباده ومنهم من قال
هي الصلوة والصيام والحج وامثاله وجميع ما امر به ونهوا عنه لكن التكلف والاشتغال بالتكلم في ماية هذه الامانة
المذكورة المفروضة على من ذكر فضل لا يجب ان يتكلف تفسيرها انها كذا لانها مبهمة لا يعلم الا بالخبر الوارد عن الله تعالى انها
كذا وان يجعل ذلك من المكتوم لا يشتغل بالتفسير والله اعلم بذلك ثم اختلف فيما ذكر من عرض هذه الامانة على السموات
والارض والجبال وما ذكر من ابايتها عن احتمالها والاشفاق فقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض و
الجبال ومن ذكر اي خلقنا خلقة ما ذكر من السموات والارض والجبال خلقة لا تحتمل حمل ما ذكر من الامانة فابين ان يحملنها ابا
اي لم يخلق خلقتها بحيث تحتمل ذلك وحملها الانسان اي خلقنا خلقة الانسان خلقة تحتمل ذلك الى هذا يذهب بعضهم وقال
بعضهم قوله عرضنا حقيقة العرض لا انه على التخيير بين ان يقبل ويحمل وفي ذلك فيكون لها الثواب ولا بين فيكون لها
العقاب في الاخرة وبين ان لا تحمل ولا تقبل فتكون كسائر الموات وتفنى بفناء الدنيا لا ثواب لها في الاخرة ولا عقاب والا
يحتمل ان يعرض عليهن ما ذكر عرض لزوم وايجاب ثم بين ما بين ذلك ويشفقن منها وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع
في غير اي من القران حيث قال فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال لو انزلنا هذا القران على جبل
الاية وقال في اية اخرى يسبحن والطير وكذا ونحوه ولكن لو كان على حقيقة العرض فهو على التخيير الذي ذكرنا وحملها الانسان
فكان له الثواب ان قام بها وعليه العقاب ان لم يقم وقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اي
اعرض على اهل السموات واهل الارض واهل الجبال فلم يحملوها الا الانسان منهم فانه حملها انه كان ظلوما جهولا قال الحسن
ظلوما لنفسه جهولا لامر ربه وقال بعضهم انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
اي ابين ان يعصين الله واشفقن منه اي لم يعصوا قط وحملها الانسان لو عصى الانسان ربه فيجعل الحمل كناية عن العصيان و
الوزر يقول لانه ما ذكر في القران الحمل الا في الوزر والخطايا كقوله ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقوله ليحملوا
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ونحوه
كثير وقوله عز وجل انه كان ظلوما جهولا الى تاويل من هذه التاويلات التي ذكر ناصرف هذا اليه استقام والله وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال الامانة العبادة قال الله تعالى للسموات والارض والجبال تاخذن العبادة بما فيها قلن يا رب وما فيها
قال ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن فابين ان يحملنها واشفقن منها اي حقن وعرضت على الانسان فقبلها وهو قوله
لبني ادم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون اما خيانتهم الله ورسوله ومعصيتهما واما خيانة
الامانة فتركهم ما افترض الله عليهم من العبادة وقتادة يقول اما والله ما بهن معصية ولكن قيل لهن تحملينها وتؤدين حقها
قلن لا نطيق ذلك فقيل للانسان وهو ادم اتحملها وتؤدي حقها قال نعم انه كان ظلوما جهولا عن حقها وفي حرف ابي وابن مسعود
وحفصة فابين اي فلم يطقنها وقال ابو معاذ الاباء في كل كلام العرب على وجهين احدهما هذا وهو العجز والاخر قوله الا ابليس ابى
اي عصى وترك الامر والحسن يقول عرضت الامانة على السموات وما ذكر فقيل لهن تاخذن الامانة بما فيها قلن يا رب وما فيها قيل لهن
ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن قلن لا وحملها الانسان انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه وهو المثل الاول وقال بعضهم
كان ظلوما لنفسه في ركوبه المعصية جهولا بعاقبة ما تحمل والوجه فيه ما ذكرنا بدءا انه لا يفسر الامانة انها ما هي وكيف كان ذلك
العرض على من ذكر من السموات والارض والجبال واباؤهن واشفاقهن والله اعلم ما اراد بذلك وقوله عز وجل ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله من ذكر اي ليعذب من علم انه لا يقوم بوفائها ويضيعها التي الامانة
التي احتملها وانما ضيعها من ذكر من المنافقين والمشركين ويثيب من لم يضيعها وقام بوفائها وهم المؤمنون قال ابو عوسجة السداد
الاستقامة تقول سددك وارشدك وقال ابو عبيدة السديد القصد وكذلك قال القتبي والقصد كانه العدل والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله قال اهل التاويل حمد نفسه بما صنع الى خلقه ثم هو يخرج على وجهين احدهما على التعليم خلقه الحمد له
والثناء عليه لالايه والاحسان الى خلقه ما لولا تعليمه اياهم الحمد له والثناء عليه لم يعرفوا ذلك والثاني حمد نفسه لما لم يقم في وسع
الخلائق القيام بغاية الحمد له والثناء عليه على الايه واياديه فتولى ذلك بنفسه وقوله عز وجل وهو ما ذكر في قوله صلوا عليه
وسلموا تسليما فقالوا قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلوة عليك فقال ان تقولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الى اخره
فهذا تفويض الصلوة الى الله والدعاء له ان يصلي هو عليه دونهم فهو والله اعلم كانه لم يرو في وسعهم القيام بحقيقة الصلوة ع

عليه ولا

عليه ولا بغاية الثناء فامرهم ان يتوفوا الثناء اليه ليكون هو القاضي لذلك عنهم فعلى ذلك الحمد لله واصل الحمد لله هو الثناء
عليه بالجميل محامده واحسانه باسمائه الحسنى والشكر له على جميع نعمائه الاية وقوله عز وجل الذي له ما في السموات وما في الارض كانه
قال والله اعلم الحمد لله الذي له ملك السموات وهو المستحق لذلك لا الاصنام التي عبدتموها وسميتموها الهة وقوله عز وجل
وله الحمد في الاخرة قال بعضهم له الحمد في الاخرة حين يحمده اهل الجنة اذا دخلوا الجنة كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وقوله الحمد لله
الذي صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ونحوه يحمده اولياؤه في الاخرة ويحمده اولياؤه في الاولى كقوله الحمد لله
في الاولى والاخرة وجايز ان يكون قوله له الحمد في الاخرة اي له الحمد في انشاء الاخرة لان انشاء الدنيا وانشاؤها ثانيا حكمة
بانشاء الاخرة ولو لم يكن انشاء الاخرة لكان خلق ذلك كله عبثا باطلا فانشاء الاخرة حق صار انشاء الدنيا وما فيها من
الخلايق حكمة واخبر انه له الحمد على انشاء ما اشاره له انشاء الدنيا حكمة والله اعلم وقوله عز وجل وهو الحكيم الخبير قد تقدم
معنى الحكيم والخبير في غير موضع وهو الذي لا يلحقه الخفاء في التدبير وهو الواضع كل شيء موضعه والفلاسفة يقولون
الحكيم هو الذي يجمع العلم والعمل جميعا وهو ما ذكروا والحكيم ما احكم كل شيء على وجه حتى يشهد كل شيء على وحدانيته ودل الحكمة
وقوله عز وجل يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يخبرهم ان الارض مع كثافتها وغلظها لا يحجب
عنه ما يلج فيها وما يخرج عنه ولا يحجب عنه شيء وكذلك السماء مع صلابتها وشدتها لا يحجب عنه شيء عن الخلايق ولا يخفى لكثرة ما يلج
فيها وما يخرج منها واذ ذكر ما يلج فيها وكثرة ما يلج من السماء من الامطار وما يعرج اليه من الدعوات والملايكة لا يشغله عن العلم الاخر
لا يشغل الخلايق لانه عالم بذاته لا يغيب عنه والخلق عالمون باسباب فعلمهم بسبب يشغلهم عن الاسباب الاخرة فاما الله سبحانه
وتعالى منزه ان يشغله شيء او يحجب عنه شيء وهو الرحيم الغفور وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي
لتاتينكم قال بعضهم انهم اقسموا باللات والعزى ان لا بعث ولا حيوة بعد الموت فامر الله نبيه ان يقسم بالله الواحد بلى لتبعثن و
القيامة بقوله قل بلى وربي لتاتينكم وجايز ان يكون على غير هذا وهو ما قال في اية اخرى حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت بلى وعدا عليه حقا ام اقسموا بالله انه لا يبعث من يموت فامر رسوله في هذه الاية ان يقسم بالله الذي اقسموا انه يبعث
وهو قوله قل بلى وربي لتاتينكم وكان قسمه بالله اقسم عندهم اصدق من قسمهم لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا اتهموه في شيء بدل
على ذلك ما اخبر الله عنهم حيث قال قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
اخبر انهم لا يكذبونك في مقالتك ولكن حملهم جحود الايات والمكابرة ليكون قسمه مقابل القسم وتلك في انكارهم البعث ليعلم
كذب انفسهم في قسمهم بقسم رسول الله بما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل عالم الغيب بالخفض وقد قرئ عالم الغيب بالرفع وعلام
الغيوب فمن خفضه جعله صفة ونعتا لما تقدم من قوله قل بلى وربي عالم الغيب ومن رفعه يجعله على الابتداء ويجعل الكلام
تاما بقوله وربي لتاتينكم ثم استانف فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة ثم قوله لا يعزب عنه قد قرئ برفع الزاي و
بخفضها لا يعزب وكلاهما لغتان والقادم في كلام العرب الغائب وقال بعضهم لا يعزب اي لا يبعد وهما واحد وقوله لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وقال في الاولى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها جايز ان يكون هذه الاية في جواهر الاشيا واجناسها المختلفة لانه اخبر عن علمه بما يلج في الارض وما يخرج منها وما
يصعد فيها وما ينزل وذلك علم جواهر الاشيا وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة الى اخر ما ذكر في الافعال والاعمال يخبر انه لا يخفى
عليه شيء ولا يغيب عنه شيء من افعالهم واعمالهم ليكونوا ابدا على حذر الارتعاش على اثر ذلك الجزاء حيث قال ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات وان يكونا واحدا الا انه ذكر في الاية الاولى الداخل في الارض والخارج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها
ولم يذكر في ذلك الساكن فيهما والمقيم وما يكون فيهما فذكر ذلك في قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ليخبر
عن احاطة علمه بالاشيا كلها من الساكنة والمقيمة والمتحركة والمتقلبة فيهما والله اعلم وقوله عز وجل ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والمغفرة هي التغطية والستر ثم يكون الستر بوجهين احدهما يستر على اعين الزلات انفسهما ان لا تذكر
والثاني يستر بالجزاء الحسن اذا لم يجز الزلات هذا للمؤمنين يستر عليهم الزلات حتى يترك ذكرها ومرة يترك الجزاء عليها واما
الكافر فانه اذا جرى على سيئة فقد اظهر وفي لم يستر عليه او ان يكون قوله اولئك لهم مغفرة اي ستر وهو انه اذا ادخلهم الجنة
انساهم زلاتهم حتى لا يذكرونه ابدا لان ذكر زلاتهم لو تهم ينغص عليهم لذاتهم ونعيمهم وقوله عز وجل ورزق كريم قيل الكريم
الحسن وجايز ان يكون سماه كريما لان من ناله كرم وشرف كقوله اولئك في جنات مكرمون والله اعلم وقوله عز وجل والذين سعوا
في اياتنا معاجزين يحتمل حقيقة سعيهم في اياته بما ذكر كقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
ذكر مرورهم عليها والاعراض عنها فهو سعي وجايز على التمثيل اي يعملون عمل من اعجز الايات الجحود لها والرد والعناد والمعجز هو
المسابق وما انتم بمعجزين في الارض اي مسابقين فايتين اي لا تعجزونني ولا تفوتون عني اولئك لهم من رجز اليم الرجز العذاب
الاليم اي مولم وذلك جايز في اللغة وقال ابو عوسجة المعاجز المحارب هو بالكي يعجز وقوله عز وجل ويرى الذين اوتوا العلم الذي

انزل اليك من ربك هو الحق قال بعضهم الذين اوتوا العلم هم المؤمنون مؤمنوا اهل الكتاب الذين اوتوا العلم علم التورية والانجيل وغيرهم
يقول والله اعلم بعلم الذين اوتوا منافع تلك الكتاب ما انزل اليك من ربك هو الحق باجمعهم جميعا الذين اوتوا العلم بتلك الكتب لما
يجدون نعته وصفته فيها يعلمون انه هو الحق من ربك لكن بعضهم عاند ولم يؤمنوا به وبعضهم قد امنوا به وقال بعضهم قوله ويرى
الذين اوتوا العلم هم اصحاب محمد صلوات الله اى الذين اوتوا منافع ما انزل اليك هم يعلمون انه هو الحق من ربك فاما من لم يوت منافع
العلم فلا يعلم وفي حرف ابن مسعود ويعلم الذين اوتوا الحكمة من قبل الذي انزل اليك من ربك هو الحق يعني القران وقوله عز وجل و
يهدي الى صراط العزيز الحميد قوله يهدي يحتمل يدعو ويحتمل يهدي اى يبين لهم صراط العزيز الحميد وقوله عز وجل وقال الذين كفروا
هل ندلكم على رجل ينبئكم كان بعضهم يقولوا لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد قوله اذا مزقتم يحتمل
ان قالوا للنبي يقول اذا تفرقت جوارحكم واعضاؤكم تكونوا خلقا جديدا فان كان على هذا فهو والله اعلم كانهم من اهل الدهر وذلك
القول لانهم يقولون بقدم العالم ولا يقولون بفنائه لان اهل مكة كانوا فرقتين فرقة تذهب مذهب اهل الدهر وفرقة يقولون بحدث
العالم ويقرون بفنائه لكنهم ينكرون احياء بعد الفناء فان كان ذلك من هولاء فيكون قوله ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اى اذا ذهبت
اجسادكم وذهبت اللحوم والعظام وكنتم رمادا ودرانا انكم لفي خلق جديد اى تكونوا خلقا جديدا يخرج ذلك منهم على احد وجهين
اما على استبعاد في ذلك فارعهم وعقولهم اى لا يكون ذلك او على التعجب ان كيف يكون ذلك فقالوا عند ذلك افترى على الله
كذبا ام به جنة يقولون افترى محمد على الله كذبا ام به جنون اذ لم يسمع ذلك من احد من قبل ولا اباؤنا انه كان ما ذكر فرد الله ذلك
عليهم وقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة اى بالبعث والاحياء بعد الموت هم المفترون على الله هم في العذاب والضلال البعيد بقولهم
ام به جنون يقول بل هم في ضلال بعيد الضلال البعيد كانه هو الذي لا يرجع الى الهدى ابدا فيكون الاية في قوم علم الله انهم
يختمون على الضلال ولا يؤمنون ابدا فيكون في ذلك دلالة اثبات الرسالة وقوله عز وجل افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض قد ذكرنا قوله افلم يروا او لم تروا ونحوه انه يخرج على وجهين احدهما قد راوا على الخبر والثاني على الامر
ان انظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ثم يقول بعضهم لبعض حيثما قدم الانسان راى بين يديه من السماء
مثل الذي يرى خلفه وكذلك الارض وقتادة يقول لينظروا كيف احاطت بهم السماء والارض وهما واحد ان نشأ نخسف بهم
الارض كما خسفنا بمن كان قبلهم او نسقط عليهم كسفا من السماء اى عذابا من السماء كما انزل على من كان قبلهم بالتكذيب والعناد
يذكر هذا على اثر قولهم افترى على الله كذبا ام به جنة اى لو نظروا الى بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لعرفوا انه رسول الله
وانه صادق وان ما يقوله انه يبعث بعد الموت وان العذاب ينزل بقوله لا عن جنون ولكن عن علم وعقل ومعرفة لان من قدر على
انشاء من سعتها وغلظها وشدتها وكذلك الارض قدر على البعث وخسف بمن يشاء ان يخسف واسقاط السماء على من يشاء ان
يسقطها ويقول لو نظروا لعرفوا انه لم ينشئ ما ذكر من السماء والارض عبثا باطلا ولكن انشاها على الحكمة وانما يصير انشاؤها حكمة
بالبعث والاحياء بعد الموت ومصيرهم اليه واما للفناء خاصة فلا يكون حكمة والله اعلم ما اراد بذلك وقوله عز وجل ان
في ذلك لاية لكل عبد منيب المنيب قيل هو المطيع لله وقيل هو المقبل على الامر لله والمنيب كانه هو المؤمن لانه هو المصدق بالايات
فاذا كان المؤمن هو المصدق بالايات فيكون هو المنتفع بها فيكون الاية واما المكذب بها فلا ينتفع بها فلا يكون الاية له في
الحقيقة وقوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا اى علما كقوله ولقد اتينا داود وسليمان علما وقال بعضهم فضلا اى نبوة
وقال بعضهم الفضل هو الملك الذي اتاه الله ويجوز ان يكون ما ذكر من الفضل انه اتاه هو ما ذكر على اثره من تسخير الجبال والطير
والتسبيح معه والانة الحديد له بلا نار ولا شيء حتى اتخذ منه ما شاء ان يتخذ من الدرع والات الحروب وتداني الله داود من
الفضل ما لو تكلفنا عن احصائه ما قدرنا عليه وقوله عز وجل يا جبال اوبي معه قيل سبحي معه وقوله عز وجل والطير من
نصب الطير جعلها مسخرة له كانه قال سخرنا له الطير ومن رفعها جعله على النداء يا طير اوبي معه اى سبحي معه ثم اختلف
في تسبيح الجبال والطير قال بعضهم تسبيح خلقة لا تسبيح قول ونطق لما جعل في خلقتها كل شيء الشهادة له بالوحدانية والالوهية
لكن ذكر ههنا ان سبحي معه ولو كان التسبيح مع داود فائدة لان تسبيح الخلقة يكون كان معه داود او لم يكن ولكن يجوز
ان يجعل الله تعالى في سيرة الجبال من التسبيح ما يفهم منها داود ولم يفهم ذلك غيره على ما ذكرنا في قول النملة لساير النمل حيث
قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الاية جعل الله تعالى في سيرة النمل معنى القى ذلك في مسامع سليمان ففهم منها ذلك ولم
يلق ذلك في مسامع غيره من الجنود فعلى ذلك تسبيح الجبال والطير والله اعلم وقوله عز وجل والنا له الحديد جعل له اية لنبوته
لما الان له الحديد بلا نار ولا سبب يلينه حتى كان يعمل منه ما شاء ولم يجعل في وسع احد من الخلائق سواه استعمال الحديد الا بالات
واسباب اخر ليكون له في ذلك اية وقوله عز وجل ان اعمل سابغات كانه قال والنا له الحديد وقلنا له ان اعمل سابغات قال
بعضهم السابغات هي الدروع وقال بعضهم هي الواسعات وقيل هي الطوال فكانه امره ان يتخذ من الدروع ما ياخذ من الراس الى
القدم ما يصلح لحرب العدو وقوله عز وجل وقدر في السرد قال بعضهم كانت الدروع قبل ذلك صفائح مضروبة فسرد نبي الله

خلقا

خلقا بعضها في بعض والسرد المسامير في الحلق يقول قدر المسامير في الحلق لا تدق المسامير وتوسع الحلق فتسلسل ولا تضيق
الحلق وتغلظ المسامير فتنفصم وتكسر ولكن مستويا لتكون احكم قال ابو عوسجة والقتبي وقدر في السرد اى لا تجعل المسامير دقاقا
فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق ومنه قيل الصانع الدروع سراد وزراد كما يقال صراط وزراط والسرد الخرز ايضا وقال غيره السرد
الخرز في طبق الخالق وادخال الحلق بعضها في بعض وقوله عز وجل واعملوا صالحا يجوز ان يكون قوله اعملوا صالحا فيما ذكر من عمل
الدروع ويحتمل في غيره من الاعمال انه بما تعملون بصير هو على الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل ولسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر كانه يقول سخرنا لسليمان الريح كما ذكر في اية اخرى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب وقوله
غدوها شهر ورواحها شهر اى تجري به الريح في غدوها مسيرة شهر وفي رواحها مسيرة شهر وذلك اية له مثلها من الاية كان
لرسول الله حيث اسرى في ليلة واحدة مسيرة شهرين من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما كان لسليمان من الملك بالاعوان من
الجن والانس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حيث قال نصرت بالرعب مسيرة شهر بل اعظم ما كان لسليمان فلا
يكون دونه وما كان لابيه داود من الاية الحديد له بلا سبب وما ذكر كان لمحمد انشقاق القمر له وذلك اعظم في الاية مما
ذكر وما كان لموسى من انفجار العيون من الحجر كان لمحمد من اصابعه حتى ذكر انهم كانوا الفا واربعمائة نفس شربوا جميعا منه ودوا
ذلك انه لم يكن اعظم في الاية لا يكون دونه وما كان لعيسى من احياء الله الموتى واجرائه على يديه كان لمحمد مقابل ذلك كلام
الشاة المصلية المسمومة التي اخبرته انها مسمومة فلا تتناول منها لما اراد التناول منها اياتا كثيرة حتى لم نذكر لاحد من
الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اية الا ويمكن ان يذكر لمحمد جميعا مقابل ذلك مثلها او اعظم منها ثم يحتمل ذكر ملك سليمان
وابيه لئلا يحسد واحد اليه الصلاة والسلام على ما اعطاه الله له من الملك والشرف ليعرفوا انه ليس هو المخصوص بالملك والشرف
ولكن له في ذلك شركاء واخوان اعطاهم الله مثل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل واسلنا له عين القطر قيل النحاس وقيل الصفر قيل
اسيلت له يعمل به ما احب كالين لابيه الحديد فيعمل به ما احب من الدروع وغيرها بلا سبب والله اعلم وقوله عز وجل ومن
الجن من يعمل بين يديه باذن ربه قيل بامر ربه اى سخر الله الجن له وامرهم بطاعته في جميع ما يامرهم فيما احب شاؤوا او كرهوا يخرج
قوله باذن ربه على وجهين احدهما على التسخير له فيكون الاذن كناية عن التسخير والثاني باذن ربه اى بامر ربه اى امرهم ان
ان يطيعوه في جميع ما يامرهم وينهى وقوله عز وجل ومن يزغ منهم عن امرنا اى عصاه فيما امره به نذقه ما ذكر يحتمل اضافة امره الى
نفسه لما يامرهم ما يستعملهم فيما يستعملهم والله اعلم وقوله عز وجل يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب هي المساجد وقيل
بعضهم هي القصور والمحاريب هي اشرف المواضع ذكر كناية عن عينها والله اعلم وقوله عز وجل وتماثيل قال بعضهم هي التماثيل
كهيئة تماثيل الرجال يصورون في المساجد تماثيل الرجال العباد والزهاد والملائكة والنبيين والرجال المتواضعين لكي اذا راهم
الناس صوروا راعبد واعباداتهم وتشبهوا بهم او ان يكون تماثيل لا راس لها نحو الاواني والكيزان ونحوها وان يكون التماثيل يومئذ
غير منهي العمل بها فاما اليوم فقد نهوا عن العمل بها مخافة ان يدعوا ذلك الى عبادة غير الله ولذلك عبد ابليس قوما حتى عبدوا
الاصنام والا ليس من الاصنام ولا فيها ما يفتتن به المرء على عبادة والله اعلم وقوله عز وجل وجفان كالجواب قال بعضهم اى
قصاع كالجواب كهيئة حياض الابل حتى يجلس على القصعة الواحدة الف وزيادة يأكلون منها وقال بعضهم وجفان كالجواب
اى كالجوبة من الارض التي يحفر للماء يصف عظم ذلك ففيه انهم كانوا يجتمعون في الاكل لا ينفردون به وقوله عز وجل و
قدور راسيات اى كانوا يجدون له قدورا عظاما في الجبال التي لا تحرك من مكانها راسيات اى ثابتات كما ذكر والجبال
الرواسي اى الثوابت وقال بعضهم وقدور راسيات هي القدور العظام التي لا تنزع فراغا واكتفيت لعظمها اكفاء وهما واحد
والله اعلم وقوله عز وجل اعملوا ال داود شكرا قال بعضهم اى اعملوا لال داود شكرا لانه ذكر انه ليس من زمان في ليل ونهار
لا ويكون من ال داود مصليا بالنهار ومصليا بالليل وكلام نحوه فامروا بالشكر لهم وقال بعضهم كانه قال اعملوا يا ال
داود شكرا لما اعطيكم من الملك والفضل وقيل من عبادى الشكور اى قليل من عبادى المؤمنين والشكور كناية عن المؤمن على
ما ذكرنا في قوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي واسلنا له عين القطر اى
اذبنا له عين النحاس والشكور هو الفعول والفعول والفعال هما اللذان يكثران الفعل فكان الشكور هو الذي يعتقد الشكر
لربه ويشكر مع الاعتقاد فيكون منه الاعتقاد والمعاملة جميعا وقوله عز وجل فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة
الارض دل هذا ان موته كان بحضرة اهله وبمشهد منهم حيث ذكر ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته ثم يذكر بعض اهل
التاويل انه سال ربه ان يعمي على الجن موته حتى يعلم الانس انهم كانوا يعلمون الغيب فخفي الجن ما لبثوا في العذاب المهين وبعضهم
يقول سال ربه ان يعمي على الجن موته حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس فدابوا حولا لا يعلمون فلما فرغوا من بنائه خر سليمان ميتا من
عصاه وكان متكئا عليها وبعضهم يقول لما حضره الموت وكان على فراشه في البيت لم يكن على عصاه فقال لهم لا تخبروا الجن بموتي
حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس وكان بقي عليه سنة ففعلوا فلما فرغوا من بنائه ثم رجعت الباب والباب فخذ ذلك علمت الجن بموته

والله اعلم وقوله عز وجل فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين في حرف ابن مسعود فلما قضينا عليه
الموت وهم يدابون له حولا ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خر تبينت الانس على ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين لانهم كانوا يدعون علم الغيب فابتلوا بذلك ودل قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض انهم كانوا لا يدنون
منه لاحد وجهين اما الهيبة وسلطانه على الناس فان كان ذلك اطاع له كل شيء وخضع له من الجن والطير والوحش وغير ذلك
واما كان بكثرة عبادة لله والخضوع له يتوحد ويتفرد بنفسه لم يجترءوا ان يدنوا منه والا لو دنوا منه لو وافيه اثار الموتى الهم
الا ان يكون بعضهم انه قال لاهله لا تخبروا احدا موتي وامرهم ان يكتموا موته والله اعلم وقوله عز وجل تاكل منسأته قيل المنسأة
العصا سمي منسأة من النسأ لانه كان بها يوخر ما اراد تاخيره وبها يدفع ما اراد دفعه ثم في امساك العصا وجهين اما الضعف
في نفسه كان يتقوى بها في امور ربه او يمسكها لخضوعه ربه وطاعته له وفيه دلالة ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا لا يشتغلون
الملك وفضل الدنيا ولا الحاجة ولا الفقر عن القيام بامر الله وتبليغ الرسالة الى الناس وهما شاغلان لغيرهم وهم كانوا فريقين قد
وسع عليهم الدنيا نحو سليمان وابرهيم وغيرهما وفريق قد اشتدت بهم الحاجة والفقر وكلاهما مانعان شاغلان عن القيام بامر
الله وتبليغ الرسالة ليعلم انهم لما ياخذوا من الدنيا ما اخذوا للدنيا ولكن اخذوا للخلق ولله قاموا فيما قاموا له لذلك لم يشغلهم ذلك
عن القيام بما ذكرنا والله اعلم ودل قوله ما لبثوا في العذاب المهين انه كان يامرهم ويستعملهم في امور شاقة واعمال صعبة حيث
ذكر لبثهم في ذلك لبثا في العذاب المهين والله اعلم وقوله عز وجل لقد كان لسبا في مساكنهم اية يحتمل الاية التي ذكر لهم في مساكنهم الجنتين
اللتين ذكرهما احدهما عن اليمين والاخرى عن الشمال ويكون لهم فيهما منوع فيحملهم على الشكر لربهم عليهما والحمد له والثناء عليه في تلك
النعم او يذكرهم قدرة خالقهم وسلطانه وحكمته فيحملهم ذلك على الخوف في العواقب والعقاب على خلافهم ورجاء الثواب على طاعتهم
فلم يتذكروا وان يكون الاية التي ذكر لهم في تبديل الجنتين كان لهم فيها كل سعة وخصب وكل الوان الفواكه والجمام على ضيق من تغ
تلحقهم لانه قال في غير اي من القران قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فاخبر ههنا لهم ان لهم في تبديل جنتيهم
جنتين اية لو اعتبروا واتعظوا فلا يقع لهم الحاجة الى النظر في اثار من تقدم منهم بل العبرة في ذلك لهم اكثر لانهم عاينوا هذا على ما تناول
من انواع النعم ثم غير ذلك وبدل عليهم وما تقدم منهم انما يعرفون ذلك عن خبر يبلغهم لان اصلهم قد هلكوا وهذا على الشاهد
والمعاينة وقوله عز وجل عن يمين وشمال قيل عن يمين الوادي وشماله ويحتمل عن يمين الطريق وشماله فيكون عن يمينهم وشماله
وقوله عز وجل كلوا من رزق ربكم واشكروا له كانه قالت لهم الرسل كلوا من رزق ربكم واشكروا له او ذكر انه بعث فيهم كذا كذا رسولا
ثم وصف بلدة سبا انها طيبة حيث قال بلدة طيبة يحتمل ما ذكر من طيبها هو سعتها وكثرة ريعها ودنياها والوان ثمارها وفواكها
وقوله عز وجل ورب غفور اي ان ربكم ان شكرتم فيما رزقكم وانعم عليكم رب غفور لذنوبكم اي يقال رب غفور اي ستور و
يستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم ان اصدقتموه واطعتموه وشكرتم نعمه ذكر ان المراة منهم كانت تحمل المكتل على راسها والغزل
بيدها فتدخل البستان فيمتلي مكتلها من الوان الفواكه والثمار من غير ان تمس شيا بيدها لكثرة ريعها ونزلها والله اعلم ثم ذكر
سبب تبديل الجنتين اللتين كانتا لهم وبما كان التبديل وهو ما قال فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم قال بعضهم كان اهل
سبا اذا مطروا ياتيهم السيل من مسيرة شهر ايام كثيرة فعمدوا فسدوا العرم وهو الوادي ما بين الجنتين بالصخر والقير وجعلوا
عليه الابواب فلما عصوا ربهم فاعرضوا عنه وكفروا نعمه فسلط الله تعالى على ذلك السد الذي بنوا الفارة فنقبت الروم فغشى
الماء ارضهم فغرق اشجارهم وابل انعامهم ودفن محاريبهم وذهب بجناتهم ومنهم من يقول العرم هو المسنات واحدها عرمة ذهب
السيل الذي ارسل عليهم بالمسنات فيبست جناتهم وابدلهم الثمار والاعناب ما ذكر من الخمط والاثل والسدر حيث قال ذواتي
اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل الاكل قيل هو الثمر والخمط الاراك وقال بعضهم ثمر العضاه وهي شجر ذات شوك والاثل قيل هو شبيه
بالطرفاء الا انه اعظم منه والسدر هو معروف عندهم وقال ابو عوسجة قريبا من ذلك قال الاكل الحمل والخمط عندي السدر وحمله
قال الخمط الريح الطيبة وتقول هذا شجر له خمطة اي ريح طيبة والخمط ان تاخذ شيئا من ههنا وثمة فتخلطه والاثل شجر ايضا لا حمل
فيه والزجاج يقول الاثل هو الثمرة التي فيها المرارة تذهب تلك المرارة بطعمها او كلام نحو وقوله عز وجل ذلك جزيناهم بما كفروا اخبر
انه جزاهم بما كفروا نعمه ولم يشكروا ربهم عليها وقوله عز وجل وهل نجازي الا الكفور لله في نعمه وقوله عز وجل وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة قيل متواصلة بعضها ببعض من ارضهم الى الشام على كل ميل قرية وسوق وكل شيء جعلها وقدرنا
فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين من الجوع والعطش والسباع وكل ما يخاف منه ثم جايز ان يكون ما ذكر من القرى الظاهرة
كان لهم من الجنان التي ذكرنا بريا فيكون هذا موصولا بالاول فلما لم يشكروا ربهم في ذلك كله ابدلهم الكل بما ذكر جايز ان يكون لا
على الصلة بالاول ولكن على ما ذكر بعض اهل التاويل انه لما غير عليهم ذلك وابدل ضاق بهم الامر فشكوا الى رسلهم قالوا ادع ربكم
فليرد علينا ما ذهب عنا ونعطيكم ميثاقا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا فدعوا فرد الله عليهم وجعل لهم ما ذكر قرى ظاهرة فكذبوا
الرسل وعصوا ربهم فابوا فغير ذلك والله اعلم فيما ذكر ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن

سبا اجبل هو ام ارض فقال له لم يكن جبلا ولا ارضا ولكن كان رجلا من العرب ولد عشر قبايل فاما ست فتيامنوا واما اربع
فتشاموا وقال بعضهم كان سبا رجلا اسمه سبا هم الذين ذكرهم الله في سورة النمل وقال بعضهم هو اسم قرية وفي قوله وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين دلالة خلق الافعال لانه اخبر انه جعل بينهم
وبين القرى التي باركنا قرى ظاهرة والقرى ما اتخذها اهلها ثم اخبر انه جعل ذلك والجعل منه خلق دل انه خلق فعال العباد واخبر
ايضا انه قدر السير فيها والسير هو فعل العباد والتقدير هو الخلق ايضا دل انه خلق سيرهم وخلق اتخاذهم القرى وذلك على المعتزلة
لا يكادهم خلق افعال العباد وقوله قرى ظاهرة قال عامة اهل التاويل قرى متواصلة بعضها ببعض يسيرون من قرية الى
قرية وينزلون فيها من غير ان تقع لهم الحاجة او يلحقهم مؤنة وجايز ان يكون قوله قرى ظاهرة نعمها بينة وقوله وقدرنا
فيها السير يحتمل قوله وقدرنا فيها السير اي قدرنا فيها السير لتسيروا فيها او على الامر اي قدرنا فيها السير وقلنا لهم سيروا فيها انعم
عليكم وتقلبوا فيها ليالي واياما امنين من الجوع والعدو وكل افة وقال بعضهم في قوله وقدرنا فيها السير اي جعلنا ما بين القرية
والقرية مقدارا واحدا وقوله عز وجل فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا فيه لغات من خمسة اوجه احدها ربنا باعد وبعد كلاهما
على الدعاء والسوال والثالث فبعد قال ابو معاذ ولولا تغيير الكتابة لكان يجوز بوعد ومن قرا ربنا باعد على الخبر وكذلك
بعد ومن قرا بعد بين اسفارنا يخرج على الشكاية عما بعد من اسفارهم فاما على السوال والدعا فهو والله اعلم لانهم ساموا وملوا
الكثرة ما انعم الله عليهم ودفع عنهم المؤن وطال مقامهم فيها سالوا ربهم ان يحول ذلك عنهم سفها منهم وجهلا وكان كقوم
موسى حيث انزل عليهم المن والسلوى ودفع عليهم المؤنة ساموا وملوا في ذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك
يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وما ذكر وافعل ذلك هولاء ومن قرا بعد بين اسفارنا على الشكاية شكا الى ربه لما ذهب
عنهم السعة والخصب واصابهم الجهد والمؤنة واما قوله باعد على الخبر فكانه كانت فيهم ذلك كله فيهم من سال تحويله وفيهم من
شكا انما نال ذلك وتحول وفيهم من اخبر بزواله وعلى ذلك يخرج قول موسى لفرعون حيث قال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب
السموات والارض بصاير بالرفع ولقد علمت بالنصب كانه كان ذلك من موسى الامران جميعا قال في البدء لقد علمت فلما تحقق
عند فرعون وعرفها ثم من الله فعند ذلك قال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير لانه كان احدهما على
ذلك الاول وما يشبه ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فجعلناهم احاديث اي اهلكناهم اهلاكا وكذلك قوله ومزقناهم كل ممزق
اي اهلكناهم كل اهلاك حتى صاروا واعظة وعبرة من بعدهم وقال فجعلناهم احاديث الناس على حقيقة الحديث يتحدثون
بامرهم وشانهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق اي في كل وجه التفريق حتى وقع بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وبعضهم
بالشام وبعضهم بالبحرين وعمان ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يحتمل ان يكون الصبار
والشكور هو المومن كانه قال ان في ذلك لعبرة وعظات لكل مومن او ايات لكل صبار على طاعة الله وامره شكور لنعمه او ايات
لكل صبار على البلايا والمحارم شكور لنعم الله عليه ثم يخرج على وجهين احدهما في الاعتقاد له والثاني في المعاملة يعتقد
الصبر له على جميع اوامره ومناهيه والشكر له على جميع نعمايه والمعاملة ان يصبر على ذلك ويشكر له في نعمه وقوله عز وجل
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اختلف في ظنه قال بعضهم ظن بهم ظنا فوافق ظنه فيهم حين قال لئن اخرتني الى يوم القيامة
لاحتنكن ذريته الا قليلا من عصمة مني وما قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم الى
اخر ما ذكر فقد صدق ما ظن فيهم وقال بعضهم صدق عليهم ابليس ظنه وذلك ان ابليس خلق من نار السموم وخلق ادم من طين
ثم قال ابليس ان النار تستغلب الطين فمن ثم صدق ظنه فقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يقول الله فاتبعوه
ثم استثنى عبادي المخلصين فقال الا فريقا من المومنين يعني عباده المخلصين فانهم لم يتبعوه الذين قال ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وقال قايلون من ههنا صلة كانه قال فاتبعوه الا فريقا وهم المومنون وجايز ان يكون قوله فاتبعوه
الا فريقا من المومنين الذين هم في الحقيقة فاما من كان عندكم من المومنين فقد اتبعوه لانه لا كل مومن عندنا هو في الحقيقة
مومن او ان يكون قوله فاتبعوه فيما دعاهم اليه والله اعلم وقوله وما كان له عليهم من سلطان قال الحسن والله ما ضربهم بالسيف
ولا طعنهم بالرمح ولا اكرههم على شيء وما كان منه الا غرورا واماني دعاهم اليها فاجابوه وقال بعضهم قوله و
ما كان له عليهم من سلطان اي حجة ليس له حجة عليهم اي لم يكن من الحجة ولكن انما مكن لهم الوساوس والتزيينات ثم جعل له
للمومنين مقابل ذلك حججا يدفعون بها شبهه وتمويهاته وقوله عز وجل الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك هذا يخرج
على وجوه احدها ليعلم كاينا ما قد علمه انه يكون والثاني ليعلم شاهدا الخلق ما قد علمه غايبا عنهم والثالث يكني بالعلم عن
اي ليكون المعلوم وذلك جايز في اللغة كقوله حتى ياتيك اليقين اي الموقن به وذلك كثير في القران وقوله عز وجل وربك
على كل شيء حفيظ من الايمان والشرك وغيره من الاعمال حفيظ عالم به وقوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
انهم الهة الملايكة والاصنام ومن عبدوهم يردون نعما يملكون لكم شيا من دفع ضر او جر نفع فيقول لا يملكون مثقال ذرة

في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فكيف تسمونه الهة او ان يقول قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله انها
الهة فليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم من جوع وغيره وكقوله هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
فالجواب لذلك ان يقولوا لا يملكون مثقال ذرة ولا اصغر ولا اكبر فكيف يملكون ما ذكر يذكر والله اعلم سفههم في ظلمهم
في عبادتهم من يعلمون انه لا يضر ولا ينفع وتسميتهم اياها الهة وما لهم فيهما يعني في خلق السموات والارض وحفظهما من
تعبدون من دونه من شرك وما له منهم من ظهير اي من عون في ذلك فكيف سميتموها له شركاء في العبادة وقوله عز وجل
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يقول والله اعلم لا يملك احد الشفاعة لاحد الا لمن اذن الله بالشفاعة له فهو باذنه
بالشفاعة لاحد من الكفرة فذكر هذا والله اعلم لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
او يذكر ان من يرجون منهم الشفاعة بالمحل الذي ذكرهم من الخوف والفزع فكيف يرجون شفاعتهم كقوله حتى اذا فزع عن
قلوبهم او لا يملكون مثقال ذرة ولا اصغر منه ولا اكبر يملكون الشفاعة لكم او نحو من الكلام والله اعلم وقوله عز وجل
حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ليس لهذا الحرف في ذا الموضع صلة يوصل بها ولا تقدم يعطف عليه وجعل
الابتداء لا يستقيم فبعض اهل التاويل يقول كان بين عيسى ومحمد فترة زمان طويل لا يجري فيها الرسل فلما بعث الله محمدا و
كلم جبريل بالرسالة الى محمد سمع الملائكة ذلك فظنوا انها الساعة قامت فصعقوا لما سمعوا انما اتخذ جبريل جعل كلما مر
بكل منهم جلى عنهم وكشف فقال بعضهم لبعض ماذا قالوا الحق اي الوحي وقال بعضهم كان الوحي اذا نزل من السماء نزل كانه
سلسلة على صخرة قال فيفزع الملائكة بذلك فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا انجلى عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قيل جلي وكشف الغطا قال الكسائي حتى اذا فزع مشتقة من الفزع
يقول اخرج ما فيها من الفزع كما تقول هيبة عن طلبه ودقه وفزع كل واحد ومن قرا فرغ بالراء اخرج وترك فارغا من الخوف
والشغل وهي قراءة ابن مسعود وقال بعضهم في قوله قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول يخبرون بالامر الذي جاء به ولا يقولون
الا الحق لا يزيدون ولا ينقصون وقوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض اي لا يملكون انشاء ذرة في السموات والارض وما لهم في انشائها فيهما من شرك وما له منهم في انشاء ذلك من عون فكيف
تعبدونهم وتسمونهم الهة وجائز ان يكون قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ذلك الفزع منهم وذلك
القول منهم في القيامة نزع الغطاء منها وقد قرئ حتى اذا فزع بنصب الفاء اي حتى اذا فزع الله اي كشف الله عن قلوبهم الفزع وجلى
ذلك عنهم والله اعلم وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السموات والارض هذا في الظاهر وان كان استفهاما فهو على التقرير والايجاب
لانا قد ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على التقرير والايجاب ثم لو كان ذلك ممن يكون منه الاستفهام لكان حق
قوله من يرزقكم من السموات والارض ثم قال فاخبره فسيقولون الله فيقول لهم فاذا علمتم ان الله هو رازقكم فكيف صرفتم عبادتكم
عنه الى من تعلمون انه لا يملك شيئا من رزقكم كقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
انه لا يملك شيئا من رزقكم ذكر في حرف ابن مسعود وحفصة قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله قال اني واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين وقال بعضهم في قوله قل من يرزقكم من السموات من المطر ومن الارض من النبات فان اجابوك قالوا الله والا فقل الله
يفعل ذلك فكيف تعبدون غيره وانا اياكم لعلى هدى يقول ذلك رسول الله لاهل مكة انا لعلى هدى وانتم لعلى هدى وانا او
اياكم لفي ضلال مبين وقال بعضهم معناه وانا لعلى هدى واياكم لفي ضلال مبين ولكن ليس هذا في الظاهر هذا الكلام وجائز ان
يكون هذا على تعريض الشتم بالضلال والكذب لذلك كما يقول الرجل لاخر في حديث وخبر يجري بينهما ان احدنا لكاذب فذلك
اي انت كاذب في ذلك لكنه تعريض منه ذلك ليس بتصريح وقال قتادة هذا قول محمد واصحابه لاهل الشرك والله ما نحن وانتم
على امر واحد والله ان احد الفريقين لمهتدي والفريق الاخر في ضلال مبين وانتم تعلمون انا على هدى لما قام من الدلايل والحجج و
البراهين على ذلك وانتم لا وقال بعضهم قال ذلك لان كفار مكة قالوا للنبي واصحابه تعالوا ننتظر في معايشنا من افضل دنيا
نحن ام انتم فعلى ذلك يكون في الاخرة فرد الله ذلك عليهم في قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية قل وقوله عز وجل قل لا
تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قال بعضهم قال ذلك لانهم كانوا يعيرون رسول الله واصحابه ويجوم طعنهم
الاصنام التي عبدوها وذكرهم اياها بالسوء وما يدعون عليه من الاقتداء بانه رسول الله فيقول لهم لا تسألون اسم عما اجرمنا
نحن وما نسأل عما تعملون وهو كقوله في سورة هود وقل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون او ان يكون قوله قل لا
تسألون عما اجرمنا اي عما دنا من الدين او عما عملنا من الاعمال ولا نسأل عما تعملون وانتم اي عما تدينون من الدين كقوله لكم دينكم
ولي دين كقوله لي عملي ولكم عملكم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وانما يقال هذا بعد ظهور العناد والمكابرة فاما عند الابتداء فلا والله
اعلم وقوله عز وجل قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم هذا والله اعلم صلة ما تقدم من قوله قل من يرزقكم
من السموات قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وصلة قوله قل لا تسألون عما اجرمنا كانهم قالوا رسول الله واصحابه

انا لعلى

انا لعلى هدى وانتم على ضلال مبين فقال عند ذلك جوابا لهم قل يجمع بيننا ربنا اي يجمع بيننا ثم يفتح اي يقضي بيننا بالحق من منا
على الهدى ومن منا على الضلال نحن او انتم وهو الفتاح العليم وهو الحاكم العليم ما ظهر وما بطن حقيقته والمفاتحة هي المحاكمة يقال
هلم حتى نفاتحك الى فلان اي نحاكمك وذلك جائز في اللغة ويحتمل قوله ثم يفتح بيننا بالحق اي يكشف كل خفي منا وكل سر و
باطن فيجعله ظاهرا بينا ليظهر الذي من هو على الحق من الباطل والهدى من الضلال وهو الفتاح العليم اي الكاشف المظهر العليم يعلم
الظاهر والباطن جميعا والاعلان والاسرار جميعا والله اعلم وقوله عز وجل قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي اروني الذين
الحقتم بالله شركاء في تسميتكم الاصنام الهة او اروني الذين الحقتم به شركاء في العبادة وجائز ان يكون قال ذلك للذين عبدوا
الملائكة واشركوهم فيها كان فيه اضمارا يقول اروني الذين الحقتم به شركاءهم خلقوا شيئا ام هل رزقوا ام هل احيوا ام هل اماتوا
فاذا عرفتم انهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولا يقدرون على ذلك وعلمتم ان الله هو خالق ذلك كله وهو الرزاق فكيف اشركتم من لا
يملك ذلك في الوهية كلا بل هو العزيز الحكيم منهم من يقول كلا ردا على قولهم شركاء اي ليسوا شركاء بل هو المتفرد الواحد الحكيم
ومنهم من يقول هو رد على قوله هل خلقوا شيئا او هل رزقوا شيئا يقول كلا اي لم يخلقوا ولم يرزقوا بل هو الله المتفرد بذلك والله هو
الموفق قال ابو عوسجة فزع ذهب وقال القتبي فزع خفف وقوله عز وجل وما ارسلناك يا محمد الا كافة للناس بشيرا بالجنة لمن
اتبعه ونذيرا بالنار لمن خالفه وعصاه وقوله كافة للناس قال بعضهم اي ما ارسلناك الا جامعا للناس الى الهدى داعيا اليه ومنهم من
يقول وما ارسلناك الا كافة للناس اي ما ارسلناك الا الى الناس جميعا الى العرب والعجم والى الانس والجن ليس كسائر الانبياء انما
ارسلوا الى قوم دون قوم والى بلد دون بلد وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه انه قال اعطيت اربعا لم يعطهن نبي قبلي احدها ما
ذكرنا بعثت الى الناس جميعا عامة الى الاحمر والاسود والعرب والعجم والثاني جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارعب لنا عدونا
مسيرة شهرين واحلت لي الغنايم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال بعضهم لا يصدقون ويحتمل لا يعلمون اي لا ينتفعون بما
يعلمون والا يعلمون او لا يعلمون حقيقته لما لم ينظروا في الحجج والايات قد مكن لهم لو نظروا علموا والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا القول منهم انما يقولون على الاستهزاء والسخرية ليس على الاسترشاد وعلى انه لا يكون ذلك وانه
كذب كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها اخبر ان اولئك يستعجلون بها لتركهم الايمان
بها استهزاء منهم والذين امنوا خايفون منها لايمانهم بها انها كائنة لا محالة لكن الله بفضله لم يجبهم ما يجاب المسترشد
بلطفه وكرمه وجوده حيث قال قل لكم ميعاد يوم اي لكم ميعاد الذي وعدكم به انه كائن لا محالة وهو يوم لا تستاخرون عنه ساعة
ولا تستقدمون وهكذا الواجب على كل مسؤل اذا كان سائله بينا له سؤال الاستهزاء ان يجيبه جواب ما يجاب المسترشد لا ما يجاب
المستهزئ ولا يدع علمه وحكمته لسفه السفيه ولا ظلم الهادي ولكن يحفظ حكمته وعلمه وعقله ولا يشتغل بجواب مثله وبالله
العصمة وقوله عز وجل لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فان كان على طلب التاخير وطلب التعجيل ففيه [illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه كان هذا القول منهم والله اعلم على مخاصمة وقعت بينهم وبين المؤمنين في شان
القرآن فتحاكموا الى اهل الكتاب على اتفاق منهم على ما في كتبهم فلما خرج ذلك على موافقة قول المؤمنين ومخالفة قولهم قالوا عند
ذلك لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه [illegible]
بعض اهل التاويل عن ابن عباس وغيره ان رهطا بعثهم قريش الى المدينة الى رؤساء اليهود يسألونهم عن [illegible] فاخبروهم
[illegible] قالوا ما قالوا
[illegible] على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل يرجع بعضهم الى بعض القول [illegible]
استضعفوا [illegible] للذين استكبروا [illegible]
[illegible]

فيما يقولون ويدعون وانهم يفترون على الله والا كنا مؤمنين والثاني لولا منعكم ايانا عن النظر والتفكر في امورهم والتامل في الحجج والايات لكنا مؤمنين هذا قول الاتباع للرؤساء ثم اجاب لهم الرؤساء فقالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين يقولون والله اعلم ان صددناكم ومنعناكم عن اتباعهم ظاهرا وعلانية فمن منعناكم سرا من غير ان نطلع ونعلم نحن بذلك وما ذكرنا قوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقد عرفتما انا بشر مثلكم فاطعتمونا وتركتم طاعة الرسل لانهم بشر فاجاب لهم الاتباع فقالوا بل مكر الليل والنهار بل يمكر ايانا ونحوكم في الليل والنهار انهم كذبة سحرة وخداعكم ايانا وانهم بشر مثلكم وكنا اتباعهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا ويقولون بل مكركم في الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله اي من تخويفكم ايانا وحبسكم من الاخذ على البغتة والغفلة وكنا اتباعهم في السر اذا ظهر وبلغكم الخبر بهذه مناظرات اهل الكفر فيما بينهم يومئذ ويرد بعضهم على بعض ويلعن بعضهم بعضا يذكرها في الدنيا ليلزمهم الحجة وان يقولوا يومئذ انا كنا عن هذا غافلين فان قيل انهم كانوا لا يؤمنون بهذا القرآن ولا بالبعث فكيف يلزمهم ذلك وهم لا يستمعون له قيل انهم قد مكنوا من الاستماع والنظر فيه فيلزمهم الحجة وان لم يستمعوا له والله اعلم وقوله عز وجل واسروا الندامة لما راوا العذاب قال بعضهم اسرها الرؤساء الندامة مخافة تعيير الاتباع وصرفوا انفسهم عن دين الله واتباع الرسل لما راوا العذاب وقيل اسروا الندامة الاتباع والرؤساء جميعا وقوله واسروا الندامة قال من الاسرار والاخفاء اخفى بعضهم من بعض وقال بعضهم اخفى الكفرة الندامة عن المؤمنين وقال القتبي اسروا الندامة اظهروا وهو من الاضداد ويقال اسررت الشيء اخفيته واظهرته واما غيره من اهل التاويل فانهم قالوا هو من الاخفاء وقوله عز وجل وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا الاغلال جماعة الغل وهو ما يجعل في اليد ثم يشد الى العنق هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء عملهم في الدنيا وقوله عز وجل وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون قال بعضهم المترف المتكبر وقال اخرون المترف هو الذي يجمع صنوف المال مع العناد والتكبر وقال بعضهم المترفون هم الرؤساء منهم وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو اصلح له في الدين ولا شك ان هؤلاء المترفين انما قالوا ما قالوا وفعلوا ما فعلوا لسعتهم وبسطهم في المال فلو لم يكن ذلك لهم ما فعلوا ذلك دل ان المنع لهم عن ذلك اصلح لهم من البسط والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها المترف ما ذكر قال بعضهم المتكبر المتجبر وقال بعضهم المترف الذي يجمع مع التكبر والعناد والاموال وقال بعضهم مترفوها اغنياؤها وكله واحد وهم رؤساؤها وهذا ايضا يرد قول المعتزلة في الاصلح على ما ذكر وقوله عز وجل وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قولهم ذلك يخرج على وجهين احدهما قالوا ذلك انا انا اوتينا في الدنيا الاموال والاولاد فلا يعذبنا في الاخرة على ما تزعمون او ان يقولوا ذلك انك لو كنت بعثت رسولا على ما تزعم فنحن اولى بالرسالة منك لانا اكثر اموالا واولادا والله اعلم وقوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر هذا ايضا ينقض على المعتزلة ومن يقول بان الله لا يبسط على احد الرزق اذا لم يكن في البسط صلاح له وخير وكذلك لا يقتر على واحد ذلك اذا لم يكن في التقتير خير له وعندنا يبسط الرزق لمن شاء وان لم يكن خيرا له وكذلك يقتر على من يشاء وان كان شرا له على ما نطق ظاهر الاية ليس عليه حفظ الاصلح لهم ولا الخير والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم او لا يعلمون حقيقته لما تركوا النظر والتفكر في اسباب العلم ليعلموا فلا يعذرون لما مكن لهم العلم به وقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قالوا ذلك لما لم يروا في الحكمة ان يحسن احد الى عدوه والسعة هي من الفضل والاحسان ثم دل لانفسهم ذلك ظنوا انهم اولياء الله وان الرسل حيث ضيقت عليهم الدنيا انما ضيقت لانهم ليسوا باولياء الله لذلك قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وهذا القول منهم لانكارهم البعث فان كانوا مقرين به لكانوا لا يقولون ذلك ويعلمون ان السعة في الدنيا والضيق فيها بحق الامتحان انما ابعث ودار اخرى للجزاء في الحكمة ان يجزي الولي جزاء الولاية والمسيء من العدو جزاء الاساءة والعداوة واما الدار التي هي دار الامتحان والابتلاء فيجوز ذلك بحق الامتحان في الحكمة ولذلك خرج الجواب لهم حيث قال قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يبسط الرزق لا لفضل وقدر له ونعمة عنده ويقتر على ما يشاء لا لعداوة وجناية كانت منه اليه بحق الامتحان الا ترى انه قد وسع على بعض المؤمنين وضيق على بعض وكذلك فظهر ان التوسيع لاهل السعة ليس لفضل لهم وقدر ونعمة كانت لهم عنده وحق تكون ذلك منهم مكافات لذلك وكذلك التضييق لاهل التضييق لم يكن لجناية او اساءة كانت منهم اليه لما ذكروا لما ذكرنا الا ترى انهم اذا راوا انه وسع على بعض وقتر على بعض علموا انه يملك ان يوسع على من قتر عليه ويقتر على من وسع عليه فيكون في ذلك لهم ترغيب في التوحيد واختياره والتحذير عن الكفر وهم فيه اذ يملك التقتير على من وسع عليه والتوسيع على من قتر عليه فيبطل بهذا كله قولهم نحن اكثر اموالا واولادا الاية ويبين ان التقتير والتوسيع ليس لفضل ولا قدر ولا لجناية ولا لذنب ولكن للامتحان والله وقوله عز وجل وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يخبر ان اموالكم واولادكم لا تقربكم عندنا زلفى ولكن ما ذكر حيث قال الا من امن وعمل صالحا اي ذلك الذي تقرب عندنا زلفى من اتى به سواء كان له مال وولد او لم يكن فاذا كان

لهم جزاء الضعف بما عملوا من الناس من احتج بتفضيل الفقر على الغنى بهذه الاية يقول اخبر ان لهم جزاء الضعف اذا امنوا وعملوا الصالحات بالاموال التي اعطاهم واما الفقير فليس له ذلك اذ ليس عنده ما يضاعف له وكلام يشبه هذا واما عندنا ان قوله فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لهم جزاء الضعف بالصالحات والحسنات التي عملوها لان الله وعد ان يجزي لكل من عمل بحسنة عشر امثالها ووعد على السيئة ان لا يجزي الا مثلها فلكل من عمل بحسنة او صالحة عشر امثالها وذلك جزاء الضعف له وذلك للغني والفقير جميعا وذكرنا في غير موضع ان التكلم في فضل الغنى على الفقر والفقر على الغنى كلام لا معنى له لانهما سببان شيئان لا صنع لاحد في ذلك يمتحن في تلك الاحوال احدهما بالشكر والاخر بالصبر فمن وفى بما امتحن هو في ذلك فهو افضل فمن لم يف بذلك ولم يستوجب الفضل ان استوجب فانما بفعل تلك الحال فلا يكون من تفضيل الغنى على الفقر بهذا ان الله تعالى سمى الضيق بلاء وشرا وشدة في غير موضع من القرآن وسمى السعة خيرا ونعمة وحسنة في غير موضع ولا شك ان الخير والحسنة افضل واحد من الشر والسيئة فلو لم يكن هذا شرا وسيئة في الحقيقة لم يسمه بذلك وهذا خير لم يسمه ومن يقول بتفضيل الفقر على الغنى يذهب الى ان الغني انما اعطى ويقول انما استوجب ذلك الفضل لما يفقر نفسه ويحوج واصله ما ذكرنا وقوله عز وجل وهم في الغرفات امنون من جهة النعمة ويجزى والله اعلم وقوله عز وجل والذين يسعون في اياتنا معاجزين اي يسعون في اياتنا سعي من يكون معاجزا الا سعي من لا يكون وهو ما قال ام حسب الذين يعملون السيئات اي يعملون عمل من يحسب انه يبقى لا عمل من لا يبقى وهو كقوله يخادعون الله ولا احد يقصد قصد مخادعة الله لعلمه انه لا يخادع ولكن كانه قال يعملون عمل من يخادع لا عمل من يعلم انه لا يخادع فعلى ذلك والله اعلم وقوله في اياتنا معاجزين الماكر سعيهم في الايات في ايات الوحدانية وايات النعمة وامارات الرسالة ليسقطوا عن انفسهم مؤنة ذلك وقبولها والعمل بها اولئك في العذاب محضرون قال القتبي فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لم يرد فيما يرى اهل النظر والله اعلم انهم يجازون عن الواحد بواحد مثله ولا اثنين وكيف يكون هذا والله يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وخير منها ولكنه اراد لهم جزاء الضعف انما هو مثل يضم الى مثل الى ما بلغ وكان الضعف الزيادة اي لهم جزاء الزيادة ويجوز ان يجعل الضعف في معنى جميع اي جزاء الضعف ونحو قوله عذابا ضعفا اي جعلت مثله وخيط ضعفا ضم اليه خيط اخر فصار ضعفا قال زلفى هي الدنو يقال ازلفه اليه ومنه ازلفه اي دنيه وقال القتبي اي قربة ومنزلة عندنا وهما واحد والله اعلم وقوله عز وجل وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ذكر الاموال والاولاد ثم ذكر التي بالتانيث قال بعضهم هذا من مقاديم الكلام كانه قال وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم ولولا ذلك لتغلب فعل الادميين فعل الاموال قال ابو معاذ ويجوز ان يجمع الاموال والاولاد ثم تقول التي لانك تقول ذهبت الاموال وهلكت الاولاد كقوله قالت الاعراب امنا وقالت رسلهم ونحوه كثير من القران فعلى ذلك عند الجمع وقوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين قال ابن عباس رضي الله عنه فهو يخلفه في الدنيا والاخرة لان ما انفق العبد لو كان الله اخلفه له في الدنيا ما اخفى احدكم ماله ولا يجد مكانا يجعله فيه او كلام هذا معناه وقال اخر كل نفقة كانت في طاعة الله فان الله يخلفها في الدنيا او يدخرها ويثيبه في الاخرة ومجاهد يقول اذا اصاب احدكم مالا فليقتصد في النفقة ولا يتاول من قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان الرزق مقسوم وقال بعضهم هو يخلفه اذا كانت في غير اسراف ولا تقتير وهذه التاويلات كلها ضعيفة لان الاية كانت والله اعلم في منع وانكار الانفاق مخافة الفقر وخشية الاملاق لانها نزلت على اثر قوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يقول والله اعلم يعلمون ان الله هو الباسط لكم والموسع عليكم وعلى الخلق كله الرزق وهو المقتر ايضا على من يشاء التقتير عليه فاذ كنتم تعلمون انه هو الفاعل على ذلك فكيف تمتنعون عن الانفاق خشية الفقر فهو القادر على البسط والخلف بلا انفقتم وهو القادر على التقتير غير انفاق كان منكم او ان يذكرهم ليقطعوا اطماعهم عن الخلق من الناس والبذل لهم فيما ينفقون على ما ينفق الرجل من النفقة فيطمع من الناس البر له والمعروف مكافات لما انفق فيقول لا تقطعوا الطمع من الناس فيما ينفقون فان الله هو المخلف لذلك لا الناس ويحتمل ما قال ابن عباس انه يخلف في الاخرة اذ لا يعطي لكل ما انفق في الدنيا خلفا لما اخفى احدكم ماله ولا ابن يجعله هذا هكذا اذا كان الخلف من نوع ما انفق واعطى فاما اذا جاز ان يكون الخلف من نوع ما انفق ومن غير نوعه من نحو ما يدفع عن الامر والمتصلين له من انواع البلايا والشدائد ويعطيه من انواع النعم من السلامة له في نفسه ودينه والصحة وغير ذلك مما لا يحصى فذلك كله بدل وخلف عما انفق وذلك انه اذا علم في سابق علمه انه ينفق جعل ذلك في الاصل خلفا عما انفق وعلى ذلك يخرج ما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر اذ علم انه يصل رحمه فزاد في عمره في الاصل ما لو يعلم انه لا يصل رحمه لكان يجعل عمره دون ذلك فعلى ذلك الاول وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق المرء على نفسه واهله او وقى به عرضه فهو له صدقة وكل نفقة انفقها مؤمن فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في معصية او نفقة في بنيان اي لا يحتاج اليه وقوله عز وجل ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ليس يقول الملائكة فيما خاطبهم ربهم لما خوطبوا بقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون حيث قالوا

سبحانك انت ولينا من دونهم لانه قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون بجوابهم ان يقولوا بلى ولا فما ان يكون قولهم سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية جوابا لذلك فلا يحتمل الا ان يقال ان اولئك الكفرة ادعوا على الملائكة الامر لهم
بالعبادة اياهم دون الله فهنالك يحتمل ان يقول اهؤلاء عن امركم عبدوكم فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ونحن
براء منهم ما امرناهم بعبادتنا وانت اعلم بنا بل كانوا يعبدون الجن بل كانوا اطاعوا امر الجن والشياطين في ذلك اذ لو كنا امرناهم
بذلك لم نكن اولياءك ولا كنت انت ولينا من دونهم وهذا كما يقول لعيسى حيث قال ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
وقد كان علم جل وعلا انه لم يقل ذلك ولكن كان اولئك ادعوا عليه الامر والقول لهم في ذلك فذكر ذلك لعيسى تعييرا لهم وتوبيخا
وعلى شنعهم واظهارا لكذبهم في دعواهم فعلى ذلك الاول يحتمل ان يخرج على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة الجن ولكن لما بامرهم كانوا يعبدون ما يعبدون نسب العبادة اليهم كقوله يا بني
ادم ان لا تعبدوا الشيطان وهو كقول ابرهيم يا ابت لا تعبد الشيطان وهم كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكنهم لما عبدوا
من دونه بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم عبدوه وقوله عز وجل فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك يوم
القيامة ما املوا وطمعوا من عبادتهم لاولئك من التقريب لهم الى الله زلفى والشفاعة لهم عنده لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول لا يملك بعضكم لبعض ما املوا وطمعوا من عبادتهم لاولئك ونقول للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التي كنتم بها تكذبون اي كنتم تكذبون الرسل بما اوعدوكم بها في الدنيا وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قد ذكرنا الايات والبينات في غير موضع وقوله عز وجل بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة
الجن ولكن لما بامرهم كانوا يعبدون ما يعبدون نسب العبادة اليهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وهو كقول ابرهيم يا ابت
لا تعبد الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم عبدوه وقوله عز وجل فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك يوم القيامة ما هذا الا رجل يريد كل رسول ان يصد قومه عما كان يعبد من الاصنام والاوثان لكن
هذا القول من اولئك الرؤساء اغراء الاتباع على الرسل يقولون الا ترون ان واحدا قد خالف الاباء في دينهم ويريد ان يصدكم عن
دين ابائكم وما هذا الا افك مفترى ما يدعو احدا اليه ليس الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وقوله
عز وجل للحق لما جاءهم اي جاء الحق وهو القران والتوحيد من البيان والايضاح له انه الحق وانه من عند الله جاء وهو الايات والبراهين
الفاحجات له انه حق وانه من عند الله جاء لا انه مفترى وانه سحر ما زعموا ولم يزعموا ولم يزل طعن اولئك الكفرة في الايات والحجج بانها
سحر وانها افك مفترى يلبسون بذلك على اولئك الاتباع والسفلة ويموهون عليهم ويفترون لئلا يتبعوه ويستسلمون لهم والله
اعلم وقوله عز وجل وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهو والله اعلم صلة وما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هذا الا سحر مبين يقول والله اعلم جوابا لقولهم وما اتيناهم من كتب يدرسونها
فيخبرهم ان ما يقول محمد افك مفترى وما ارسلنا اليهم ايضا من قبله رسولا يخبرهم انه كذب مفترى وظهور الكذب في القول والخبر انما
يكون باحد هذين الامرين اما بمجيء نبا ونبي وهم لا يؤمنون بكتاب ولا نبي فكيف يدعون عليه الكذب والافتراء يخبر عن سفههم
وقلة عقولهم وعنادهم بعدما خصهم عز وجل وفضلهم على غيرهم من البشر حيث بعث الرسول منهم ومن انفسهم والكتاب على لسانهم و
بلغتهم بعد قسمهم انه لو بعث اليهم نذيرا ورسولا لاتبعوه حيث قالوا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فلما جاءهم نذير لم يؤمنوا به ولم يعرفوا منة الله عليهم وخصوصيتهم فيما خصهم والله اعلم وقوله عز وجل وكذب الذين من قبلهم ذكر رسله
ويصبره على تكذيبهم ذلك يقول تذكر اخوانك من قبل بل كذبوا اخوانك من قبل والله اعلم وقوله
عز وجل وما بلغوا معشار ما اتيناهم يقول والله اعلم لم يبلغ هؤلاء الذين كذبوك عشر ما اوتي اولئك من القوة والعقل والعلم والاتباع
والاعوان وغير ذلك ثم ما كانوا اولئك لم يقوموا في دفع العذاب الذي نزل بهم بالتكذيب عن انفسهم فكيف هؤلاء الذين هم دون ذلك
بما ذكر والاعوان لا يقومون [illegible] دفع العذاب عن انفسهم اذا نزل بهم بالتكذيب وقوله عز وجل فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يقول والله
اعلم [illegible] حقا قال الزجاج هو نكيري [illegible] الياء لانه راس الاية [illegible] الكسرة [illegible] وكلام
يشبه هذا قال ابو عوسجة نكيري عقوبتي وقال القتبي انكاري وقوله عز وجل قل انما اعظكم بواحدة قال بعضهم بواحدة اي كلمة
الاخلاص والتوحيد وقال بعضهم بطاعة الله وقال بعضهم بواحدة اي بخصلة واحدة كقول الرجل لصاحبه اكلمك كلمة واحدة
والاشبه [illegible] الواحد [illegible] ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
وتنظروا فيما بينكم هل راى احد منكم به جنونا قط وقال بعضهم [illegible] مثنى وفرادى [illegible]
وقال بعضهم يريد بالمثنى [illegible] ينظران الى الرجل فامر النبي [illegible] على ان النبي ليس بمجنون [illegible] ثم مكان
الذي [illegible] على ان ينسبوا الى الجنون وجوها احدها انهم [illegible] قد خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانوا يقتلون من
خالفهم على الغضب في ادنى شيء بلا اعوان ولا اتباع له فقالوا ان الخاطر بهذا لا من به جنون فنسبوه الى الجنون والثاني انهم

داو

داوه قد خالف دينهم ودين ابائهم جملة من بينهم فقالوا لا يحتمل ان يصيب دينا فعقله من بين الكل لا يصيب احد ذلك
فاتهموه في العقل والثالث انه كان في حال صغره وصباه لم يروه اشتغل بشيء من اللعب وحال الصبيان في شيء منه ودام بهم
اعتزلهم من حال الصبا الى الوقت الذي بلغ فقالوا ان به جنونا والا لم يعتزل الناس كل هذا الاعتزال ثم اخبر انكم لو تفكرتم ونظرتم
ثم عرفتم انه ليس بصاحبكم جنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد في الاخرة ان عصيتم اي رسول الله اليكم ونذير مبين
يدي عذاب شديد في الاخرة ان عصيتم عوقبتم في الاخرة وقال بعضهم في قوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم
من جنة يقول والله اعلم الا يتفكر الرجل منكم وحده او مع صاحبه فينظر ان في خلق السموات والارض وما بينهما الذي خلق
هذه الاشياء وخرج انه واحد لا شريك له وان محمدا الصادق في قوله بان الله واحد لا شريك وما به جنون ان هو الا نذير و
قوله عز وجل قل ما سالتكم من اجر فهو لكم هذا يحتمل وجهين احدهما ما قال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم سال قومه ان يودوا
قرابته وان لا يوذوه كقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وما قال في اية اخرى قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا يقول ما سالتكم من اجر يعني المودة في القربى فهو لكم اي الذي سالتكم هو لكم وهو المودة في القربى واتخاذ
السبيل الى ربه والثاني قوله ما سالتكم من اجر فهو لكم اي لم اسالكم على تبليغ الرسالة اليكم اجرا منكم فيمنعكم ثقل ذلك الاجر وغرمه
عليكم عن الاجابة كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون وقوله عز وجل ان اجري الا على الله اي ما اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد باني نذير وما بي جنون او هو على كل شيء شهيد بما لم اسالكم عليه اجرا او على كل شيء من صنيعكم شهيد عالم به والله اعلم و
قوله عز وجل قل ان ربي يقذف بالحق هذا يحتمل وجوها يحتمل يقذف بالحق اي يقضي بالحق او يقذف بالحق اي يتكلم بالوحي ويلقيه و
قوله عز وجل علام الغيوب كل شيء غاب عن الخلق وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
الاية اختلف فيه قال بعضهم ما يبدئ الاوثان والاصنام التي عبدوها وما يعيد اي لا تخلق شيئا ولا تحييه ولا تميته كقوله ولا
يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال بعضهم ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم في الاخرة فيبعثهم بعد الموت
بل الله يفعل ذلك او ان يكون قوله قل جاء الحق اي جاء الحق وما يبدئ الباطل وما ابدا الباطل اي يقذف الحق علام الغيوب قال
بعضهم هو ما ذكر في اية اخرى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه الى اخر الاية قال يزهق الباطل ويثبت الحق اي نقذف بالحق على
الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق وهو ايضا ما ذكرنا فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقوله عز وجل
قل ان ضللت بكسر اللام وفتحها كلاهما لغتان قال الكسائي تقول العرب ضل يضل ضلالة وضل يضل بالخفض والنصب جميعا
ثم قوله ان ضللت فانما اضل على نفسي يخرج على وجهين احدهما ان ضللت فما يكون من ضلالي على نفسي لا يكون على الله من ذلك
شيء كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها والثاني فان ضللت
فانما يكون ذلك على نفسي ولا يكون على انفسكم من ضلالي شيء كقوله قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ونحوه
وقوله عز وجل وان اهتديت فبما يوحي الي ربي هذا يخرج ايضا على وجهين احدهما وان اهتديت الى طاعة الله وشرائع الدين فبما
يوحي الي ربي في ذلك اي فبوحيه اهتديت الى ذلك والثاني وان اهتديت الى دينه وهدايته فبتوفيقه اياي وعصمته اهتديت
اضاف الهداية الى الله والضلال الى نفسه فهو لما ذكرنا ان كان من الله اليه لطف ذلك ليس ذلك في الضلال وعلى قول المعتزلة يجب
ان يكون المعنى فيهما واحدا لانهم يقولون انه لا يكون من الله والنبي فلا يكون منه اليه في الهداية الا كما كان منه اليه في الضلال والله
اعلم وقوله عز وجل انه سميع قريب قال بعضهم سميع اي مجيب الداعي كقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب الاية وقال بعضهم سميع
لما قلتم لمحمد حيث قالوا له لقد ضللت حين تركت دين ابائك قريب اي مجيب له وقيل سميع الدعاء قريب الاجابة والله اعلم وقوله
عز وجل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب اختلف فيه قال بعضهم ذلك انهم بعثوا جيشا قاصدين تخريب الكعبة
فلما بلغوا البيداء خسف باحدها والاخر ينظر ويتقلب منهم مخبر فيحول وجهه في قفاه فيخبرهم بالقوم فذلك قوله ولو ترى اذ
فزعوا عن الخسف والعذاب فلا فوت عن عذاب الله واخذوا من مكان قريب ومن تحت اقدامهم يخسف بهم الارض وعلى ذلك
يخرج قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تخريب الكعبة كما فعل باشياعهم من قبل وهم اصحاب الفيل وعلى ذلك روي عن ام سلمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم فلا يفلت منهم الا واحد يخبر عنهم
قال يا رسول الله وان كان فيهم المكره قال رسول الله يبعثون على نياتهم وقال بعضهم قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وهو
عند الموت يفزعون منه ولا فوت لهم عنه واخذوا من مكان قريب على المكان والحسن يقول فزعوا من القبور فلا فوت يقول
اخذوا عند ذلك وهو المكان القريب وقال بعضهم ذلك عند القيام يفزعون عند معاينتهم العذاب وافزعهم ذلك ولا
يفوتون الله وقالوا امنا به وهو كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وكقوله فرعون حين ادركه الغرق امنت انه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل ونحوه وقوله عز وجل وانى لهم التناوش من مكان بعيد يقول التناول من مكان بعيد وقال
بعضهم من مكان بعيد انهم سالوا الرجعة والرد ان يتناولوه من مكان بعيد قال من الاخرة الى الدنيا وقال بعضهم اي لا سبيل لهم

الى الايمان فى ذلك الوقت وقد كفروا به من قبل فى حال الدعة والرخاء فلم يومنوا وقال بعضهم من مكان بعيد اى من حيث لا
ينال ولا يكون فذلك كقول الله اولئك ينادون من مكان بعيد اى من حيث لا يكون ابدا ليس على الارادة حقيقة المكان وقال
يقول هو عند الموت وعند نزول العذاب بهم ليس من احد يمنع ذلك الوقت الا وهو يومن ويتمنى الايمان لكن لا ينفع كقوله يوم ياتى
بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان
بعيد قال بعضهم معناه والله اعلم وذلك انهم كانوا فى الدنيا يكذبون فى الاخرة ويكفرون بالغيب يقولون لا بعث ولا حساب ولا
نار ذلك قذفهم من بعيد وفى حرف ابن مسعود ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن وقال بعضهم يقذفون بالغيب اى يتكلمون بالايمان
من مكان متباعد عنهم فلا يقبل منهم فقد غاب عنهم الايمان عند نزول العذاب فلم يقدروا عليه وحيل بينهم وبين ما يشتهون من
قبول التوبة والايمان عند نزول العذاب بهم او عند معاينتهم اياه كما فعل باشياعهم من قبل يقول كما صنعنا باشباههم من الامم الخالية
من قبل هولاء انهم كانوا فى شك من العذاب والبعث والقيامة مريب وقال بعضهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من اهل ومال وزهرة
وقال بعضهم فى قوله ويقذفون بالغيب من بعيد هو قولهم هو ساحر هو شاعر كاهن والتناوش عند عامة اهل التاويل التناول
وقال بعضهم الرجعة والرد لانهم طلبوا الرجعة والرد الى الدنيا قال ابو عوسجة التناوش التناول من موضع بعيد لا يكون من قريب
والقتبى يقول انالهم التناوش اى تناول ما ارادوا بلوغه وادراك ما طلبوا من التوبة من الموضع الذى لا يقبل فيه التوبة قال ابو عبيد
والزجاج الناس فى كلام العرب الطلب يقول ناشت اليه اى طلبت منه لكن هذا ليس من باب التناوش وقوله عز وجل وحيل بينهم
وبين ما يشتهون هو ما ذكرنا من اختلاف فمنهم من قال بين الايمان والتوبة ومنهم من قال بين شهواتهم التى كانت لهم فى الدنيا
لكن كان على الايمان والتوبة فانما حيل بينهم وبين القبول للايمان والتوبة والا نفس الفعل قد اتوا به وان كان على الشهوات
فهو على حقيقة حيلولة الفعل وكذلك ان كان على ما ذكرنا لبيت على ما يقوله بعض اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل كما فعل
باشياعهم من قبل قال ابو عوسجة باشياعهم باشكالهم واشباههم فهو والله اعلم باشباههم وامثالهم فى التكذيب والجحود وقال
بعضهم هو من شيعة الرجل انهم كانوا فى شك مريب قال بعضهم انهم كانوا فى شك من العذاب بانه غير نازل بهم وقال انهم كانوا فى شك
من البعث والاحياء بعد الممات وشكهم وريبهم لما استبعدوا الاحياء بعد الهلاك وبعد ما صاروا رمادا فمن هذه الجهة
انكروا انه لم يرو خلق الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة وحكمة فادنا بوا فى ذلك ——— والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض ما ذكر فى القران الحمد لله الا وذكر على اثره التعظيم لله والاجلال له وذكر ما انعم
به على الخلق ليلزمهم الشكر له والثناء عليه نحو ما ذكر الحمد لله فاطر السموات والارض ونحو ما قال الحمد لله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض الاية ونحو قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض الاية وقوله الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب وقوله الحمد لله
الذى لم يتخذ ولدا الاية جميع ما ذكر فى القران من الحمد له ما ذكر على اثره ما يوجب التعظيم له والتبجيل والثناء عليه والشكر له
تعليما منه الخلق الثناء على ذلك والشكر له وبالله المعونة والقوة على ذلك فا وقوله عز وجل فاطر السموات والارض قال
بعضهم الفاطر هو المبتدئ او البارئ وهو قول من اهل الادب وكذلك ذكر عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ما ادرى ما فاطر
السموات والارض حتى جاء اعرابيان فاختصما فى بئر فقال احدهما انا فطرتها انا بدانها فعند ذلك عرفت وكلام نحو ويحتمل
ان يكون الفاطر هو الشاق اى شق السموات كلها من واحدة وكذلك الارضين كقوله اذا السماء انفطرت اى انشقت كما قال
ان الله فالق الحب والنوى اى الشاق لكن جميع ما اضيف الى الله من الشق والفطر والجعل وغيره من نحو قوله جاعل الملائكة رسلا
كله على اختلاف الالفاظ عبارة عن الخلق اى خالق ذلك كله واصل الخلق فى اللغة هو التقدير وخلقت اى قدرت وكذلك قال
الكسائى ان الفطر فى كلام العرب هو الشق معناه هو الشق انه شق من السماء ست سموات ومن الارض مثلهن ومنه
الحديث حتى تفطرت قدماه دما وقوله عز وجل جاعل الملائكة رسلا ففى ظاهر الاية انه جعل جميع الملائكة رسلا فان كان
على ذلك فكانه ولى كل واحد منهم امرا من امور الخلق والعباد وان كان على بعض فيكون تاويله جاعل من الملائكة رسلا او فى
الملائكة رسلا ثم اخبر عن الملائكة انهم اولو اجنحة مثنى وثلاث ورباع يطيرون بها ليس كالطيور التى تطير بجناحين لو زيلها
جناح او جناحان يمنعه عن الطيران كالاصبع الزائدة لبنى آدم تمنعهم عن بعض العمل ولا تزيدهم نفعا بل ينقص واما ما ذكر من
عدد الاجنحة للملائكة فذلك لا يمنعهم عن الطيران بل يزيدهم قوة ومقدرة على ذلك ثم قال يزيد فى الخلق ما يشاء قال بعضهم
يزيد فى الملائكة على اربعة اجنحة وما يشاء ان الله على كل شيء قدير من خلق الاجنحة فى الزيادة قدير وذكر ان لاسرافيل ستة
اجنحة ولجبريل ستمائة جناح ذكر عن ابن مسعود رضى الله عنه يقول ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وله ستمائة جناح
وقال بعضهم يزيد فى الخلق ما يشاء اى الصوت الحسن وقال بعضهم الشعر الحسن وغيره فما ذكر وان الزيادة فى الاجنحة اشبه واقرب

وهو على

وهو على كل شيء قدير من الزيادة والابتداء لا يصعب عليه وقوله عز وجل ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها عن ابن عباس
من عافية وقال قتادة اى من خير وقال مقاتل وغيره اى من رزق كقوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك اى
من رزق وكله واحد لان الخير يشتمل على العافية والرزق وكذلك كل واحد من ذلك وقال بعضهم الرحمة الغيث والمطر وهو
ما ذكرنا كله يرجع الى واحد من ذلك ثم قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
يخرج على وجهين احدهما على تسفيه احلام الكفرة فى عبادتهم الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله يقول والله اعلم
تعلمون انتم انه ليس لكم مما تعبدون من دون الله جر نفع او خير ولا كشف ضر عنكم او سوء فكيف تعبدونها كقوله قل
افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر الاية اى تعلمون انهن لا يملكن ذلك والله هو المالك لذلك كله فكيف صرفتم
العبادة اليها عنه او يقول انكم تعلمون ان ما تعبدون من الاصنام من دون الله لا يرزقونكم ولانها تبتغون الرزق ولا
كانت منها اليكم سابقة نعمة فانما يعبد لاحدى هذه الوجوه من يعبد لما السابقة نعمة او نيل خير او جر نفع او كشف
ضر او دفع سوء او طمع فى العاقبة فاذ لم يكن شيء من ذلك من الاصنام ومن الله ذلك كله فكيف صرفتم عبادتكم عنه اليها
كقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
هذا اذا كان قوله ما يفتح الله للناس من رحمة راجعا الى الكفرة واذا كان ذلك راجعا الى المومنين فهو يخرج على وجهين
احدهما فيه قطع الطمع من الخلق والاسباس عما فى ايديهم وان لا يرجعوا من دونه ولا يخافوا غيره بل فيه الامر بان يرفعوا
عينه بل فيه الامر بان يرد ذلك كله الى الله وانه هو المالك لذلك دون الخلق والثانى قطع طمع الرزق من المكاسب والاسباب
التى يكتسبونها والامر بها اعنى المكاسب اى يرونها نعمة وان يروا رزقهم من فضل الله وعلى قول المعتزلة اذا فتح الله
لاحدهم حتى يعيد عبد فانه يمسك ذلك وان امسك هو قدر ان يرسل لانهم يقولون ان الله اذا جعل لاحد اجلا وضمن له
الحيوة ووفاء الرزق الى مضى الاجل فيجئ عدو من اعدائه فيقتله قبل انقضاء اجله واستيفاء رزقه فذلك منع على قولهم عن
وفاء ما ضمن وما جعل له من الرزق والاجل نفى حرف ابن مسعود وما يفتح الله على الناس من رحمته وقوله عز وجل وهو العزيز
الحكيم قد ذكرنا فى غير موضع وقوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
كانه هو صلة ما تقدم ثم هو على التقرير والايجاب وان خرج مخرج الاستفهام فى الظاهر كانه يقول والله اعلم انكم تعلمون انه ليس
من خالق غير الله وتعلمون انه هو الرازق دون من تعبدون لا اله الا هو فانى توفكون اى لا اله الا هو فالذى حملكم على
افككم وكذبكم انها شركاؤه وانها الهة وانها شفعاؤكم عند الله وان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى كتابا ورسول
وانتم لا يومنون بكتاب ولا رسول فمن اين تفكون وتكذبون والله اعلم وقوله عز وجل وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك معلوم انهم كانوا لا يكذبون فى قوله هل من خالق غير الله ولا فى قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده لانهم كانوا يعلمون انه ليس من خالق غير الله ولا فاتح رحمة سواه اذا كان هو ممسكها ولا
ممسك لها اذا كان هو مرسلها ولكن انما يكون يكذبهم اياه فيما يخبر انه رسول الله اليهم كذبوه فى الرسالة او فيما يخبر انه
وحى اليه من الله كذا او فيما يخبر عن البعث بعد الموت انه كائن وامثال ذلك فاما فيما ذكرنا فلا وهو تعزية منه لرسوله وتصبير
على تكذيبهم اياه ليعلم انه ليس باول مكذب بل قد كان اخوانه من قبل فقد كذبوا من قبل فيما اخبر وا قومهم عن الله فصبروا
على ذلك فاصبر انت ايضا كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية والله اعلم وقوله عز وجل والى الله ترجع الامور والى الله
ترجع تدبير الامور كلها اى لا تدبير للخلق فى ذلك ويقال الى الله يرجع الحكم فى الامور هو الحاكم فيها كقوله وما اختلفتم
فيه من شيء فحكمه الى الله والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس ان وعد الله حق قال عامة اهل التاويل ان وعد الله حق
اى البعث انه كائن لا محالة ويحتمل ان يكون قوله وعد الله حق فيما وعد من الثواب على الطاعات ووعده حق فيما اوعد من
العقاب على السيئات انه يكون والله الموفق عز وجل فلا تغرنكم الحيوة الدنيا معنى قوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا والله
اعلم اى لا تشغلنكم الحيوة الدنيا عن ذكر الحيوة الاخرة ولا تنسينكم الحيوة الدنيا عن الحيوة الاخرة والا الدنيا لا تغر احدا فى
الحقيقة وكذلك هى ليست بلعب ولا لهو ولا هى غاذرة ولكن يغتر اهلها بها لما غفلوا عما جعلت هى وانشئت وهو ما
ذكرنا انها جعلت زادا للاخرة وبلغة اليها فمن لم يجعلها زادا للاخرة ولا بلغة الى الوصول الى الاخرة ولكن جعلها فى غير
ما جعلت هى وانشئت وهى الحيوة فيها والمقام بها صارت لعبا ولهوا وصارت غرورا اذ صيروها كالمنشئات لنفسها
لا للاخرة وهذا كما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر ان السورة كانت تزيد لاهل الايمان ايمانا ولاهل الكفر والشك
رجسا وعمى والسورة لا تزيد رجسا ولا عمى فى الحقيقة لانه وصف القران بانه نور وانه هدى ورحمة وبرهان ولكن صار
رجسا لما اعرض عنه وكذب بوروده واما من تلقاه بالقبول واقبل اليه ونظر اليه بالتعظيم والاجلال له والخضوع

فهو لهم هدى ورحمة فعلى ذلك الدنيا وما فيها من النعم واللذات اذا جعلها على غير ما جعلت هي وانشئت صار لعبا ولهوا
وغرورا بل لو جعلت هي على ما انشئت فيكان مادحت لكان حقا وصدقا لانه سمى فيها حسنات وخيرا وصلوات ونحوه فلا يجابي
ان يذم الحسنة والخير بل يلحق الذم على اهلها حيث اغتروا بها وصبوا واما في غير ما صيرت وجعلت لغفلتهم عما جعلت هي وصرفهم
اياها الى غير الذي صرفت وجعلهم بها وعلى ذلك لا يجوز ذم الغناء والسعة والصحة والسلامة لان ذلك كله نعم من الله انعمها
على الناس فيجب ان ينظروا الى ما عليهم لله من الشكر في ذلك فيودوه وكذلك العز والثناء الحسن ونحوه لا يجب ان يذم شيء من
ذلك بل يذم من لم يعرف ان العز فيما انما العز في طاعة الله والعبادة له لا في معاصيه فهولاء سموا معصية الله عزا اجلهم العز وكذلك
الثناء الحسن يجب ان يحمد ربه ويشكر له فيما ستر على الخلق فضايحه ومساويه حتى اثنوا عليه ما لو يدرك واظهر لهم بواطنه فضلا ان
يثنوا عليه ويحمدوه فيجب ان يشكر ربه ويثني بما ستر على معاصيه وفضايحه والله الموفق وقوله عز وجل ولا يغرنكم بالله الغرور
الغرور الغرور بفتح الغين هو الشيطان يقول لا يغرنكم بالله الشيطان ثم يحتمل قوله بالله الغرور وجوها احدها لا يغرنكم الله اي
بكرمه وجوده يقول انه كريم وجواد غفور يتجاوز عنكم ويعفوا عنكم معاصيكم ومساويكم والثاني لا يغرنكم بالله الغرور اي
بغناه يقول انه غني ما به حاجة الى عبادتكم اياه وفيما امركم به ونهاكم عنه والثالث ان يكون قوله لا يغرنكم بالله اي لا يغرنكم
عن طاعته لله وعبادته فتعصوه وذلك جائز في اللغة الباء مكان عن كقوله عينا يشرب بها عباد الله اي منها اذ لا يشرب
بالعين وانما يشرب عنها والله اعلم وقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا يذكر هنا والله اعلم لان ما يدعوا
الشيطان الخلق اليه في الظاهر يخرج مخرج الشفقة لهم والنصيحة كما يدعوا الاولياء لانه تدعوهم الى قضاء شهواتهم ولذاتهم
وما تهوى به انفسهم وان كان يعني ويقصد به هلاكهم الا يرى انه كيف اظهر لادم وحوا من الشفقة لهم والنصيحة حيث قال ما
نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الى قوله لمن الناصحين ونحوه وكان قصده بذلك ما ذكر يوسوس لهما الشيطان الاية هذا
كان يعني ويقصد في دعايه اياهما الى التناول من تلك الشجرة التي نهاهما ربهما فعلى ذلك فيما يدعو الناس الى قضاء شهواتهم وحاجاتهم
في الظاهر فهو يقصد بذلك هلاكهم لينا لهم المولى لا ما يظهر ويبديه لهم لذلك قال انه عدو لكم ليس بولي فاتخذوه عدوا اي كونوا
عن دعايه وامره على حذر كما يحذر المرء دعاء عدوه انما يدعوا حزبه قال بعضهم اهل طاعته وقال القتبي وعو سيجه حزبه انصاره
والحزب الانصار وقال بعضهم جنده وقال بعضهم حزبه ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وكله واحد ثم قوله انما يدعو حزبه هو يدعو
حزبه لكنه خص حزبه بالدعاء لانهم هم المجيبون له والمطيعون فاما غير حزبه فلا يجيبونه وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن بالغيب وكان ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع الذكر لكن خص بالانذار من اتبع الذكر لما ان متبع الذكر هو المنتفع به دون
من لم يتبع لذلك خص والله اعلم فعلى ذلك ما خص بدعائه حزبه لان حزبه هم المجيبون له والمطيعون وقوله عز وجل ليكونوا من
اصحاب السعير فيصرح بدعاية حزبه الى ما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير والا لو كان اظهر لهم الدعاء الى اصحاب السعير ما
اجابوه ولا اطاعوه ولكن دعاهم الى اشغال توجب لهم السعير او يكونون لهم من اصحاب السعير كقوله وقوله عز وجل
الذين كفروا لهم عذاب شديد هو ظاهر والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير قوله لهم مغفرة لما عملوا من غير الصالحات
بعد ايمانهم او مغفرة لذنوبهم في الايمان واجر كبير لايمانهم واعمالهم الصالحات وقوله عز وجل افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
ليس لهذا الحرف في ذا الموضع جواب فجاز ان يكون جوابه في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التقديم له كانه يقول والله
اعلم افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء او ان يكون قوله
افمن زين له سوء عمله فلزمه كمن قبح له فنهى عنه ليسا بسواء كقوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن
مثله في الظلمات فكان قوله اومن كان ميتا فاحييناه نزل في عمر بن الخطاب وقوله كمن مثله في الظلمات في ابي جهل فعلى ذلك الاول
او ان يكون ما ذكرنا على التقديم والتاخير وقوله عز وجل فان الله يضل من يشاء عن الهدى ويهدي من يشاء من الضلالة
الى الهدى يضل من علم منه انه يختار الهدى وقوله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات هذا يحتمل وجوها احدها قوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات على النهي اي لا تفعل ولا تذهب نفسك عليهم حسرات اشفاقا على ما ينزل بهم بتركهم الايمان لان رسول الله
كان ان يهلك نفسه اشفاقا عليهم فنهاه عن ذلك كقوله وقوله عز وجل والثاني على تخفيف الحزن عليه ودفعه عنه وتسلية اياه
لانه كان يشتد به الحزن لمكان كفرهم وتكذيبهم اياه وتركهم الايمان به ليس على النهي كقوله ولا تحزن عليهم وقد ذكرنا معناه
فيما تقدم مقدار ما حفظنا عنه والله اعلم وقوله ان الله عليم بما يصنعون هذا يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى عليم
بصنيعهم انشاهم لا عن جهل بما يكون منهم والثاني عليم بما يصنعون فلا تكافهم ولا تشتغلن بشيء بما يكون منهم وكل ذلك
الى الله واسلم اليه وقوله عز وجل والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك
النشور اي كذلك يحيا الموت وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وقوله عز وجل من كان يريد العزة فلله العزة جميعا قال بعضهم من كان
يريد القوة والمنعة بعبادة الاصنام دون عبادة الله فلله العزة جميعا اي بعبادة الله وطاعته ذلك في الدنيا والاخرة اي فمن

عنه

عنده اطلبوا ذلك كقوله من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة اي من عنده اطلبوا ذلك في الدنيا والاخرة وقال بعضهم من كان يريد
العزة اي العزة والتعزز فلله العزة جميعا اي فبالله يكون عز الدنيا والاخرة لا بالاصنام التي عبدتموها وقد كان منهم بعبادتهم الاصنام
طلب الامرين طلب العز كقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وطلب القوة والمنعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة
لعلهم ينصرون فاخبر ان ذلك انما يكون بالله وبطاعته فمن عنده اطلبوا لا من عند من تعبدون من دونه والله اعلم وقوله عز وجل
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اختلف فيه قال قايلون اليه يصعد الكلم الطيب هو الوعد الحسن والعمل الصالح
يرفعه هو انجاز ما وعد اي انما ينجز ما وعد من الوعد الحسن وفي ذلك انجاز الوعد الحسن الذي وعد قال بعضهم اليه يصعد الكلم
الطيب هو كلمة التوحيد وشهادة الاخلاص والعمل الصالح يرفعه اي اخلاص التوحيد فهو يرفع الكلم الطيب الذي يتكلم به فعلى هذا
التاويل يصعد الكلم الطيب اليه ما لم يخلص ذلك لله وقال قايلون اليه يصعد الكلم الطيب هي كلمة التوحيد على ما ذكرنا والعمل الصالح
يرفعه اي يرفع الله العمل الصالح لصاحبه يعني لصاحب الكلام الطيب فعلى هذا التاويل يصعد الكلم الطيب اليه دون العمل الصالح
وبعض اهل التاويل يرفع الكلام التوحيد الطيب العمل الصالح الى الله وبه يتقبل الاعمال الصالحة وظاهر الاية ان يكون العمل الصالح
هو الذي يرفع الكلم الطيب لكن الوجه فيه والله اعلم ما ذكرنا من الوجوه وبعضهم يقول ان العمل الصالح يرفع الكلام الطيب والتوحيد
فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات قال عامة اهل التاويل والذين يعملون السيئات وجائز ان يكون ما ذكر
من مكرهم السيئات هو مكرهم برسول الله وايذاءهم اياه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية و
يمكر الله بهم في الدنيا بالهلاك والقتل وفي الاخرة بالعذاب الشديد الذي حيث قال لهم عذاب شديد في الاخرة ومكر اولئك هو يبور
اي هو يهلك من البوار وهو الهلاك وهو قتلهم ببدر والله اعلم وقوله عز وجل والله خلقكم من تراب خلقكم اي قدركم مع كثرتكم
من اول امركم الى اخر ما تنتهون اليه من التراب الذي خلق ادم منه اذ الخلق في اللغة التقدير وقوله عز وجل ثم من نطفة اي قدره
ايضا مع كثرتكم وعظمكم من تلك النطفة يخبر عن علمه وتدبيره في تقديره ايانا مع كثرتنا في ذلك التراب وفي تلك النطفة و
انه لم يكن يخفى على ما نحن عليه في ذلك التراب والنطفة لا يعجزه شيء او ان يكون اضاف ايانا الى ذلك التراب والماء لانه كان
ذلك اصلنا ومبادي امورنا وكان المقصود بخلق ذلك التراب والماء والاصل هو الخلق وهو العاقبة وقد يذكرون في الشاهد
العواقب الى المبادي وتنسب اليها اذا كان المقصود من المبادي العواقب وله نظاير وجهه كثيرة وقد ذكرنا في غير موضع
وقوله ثم جعلكم ازواجا اي خلقكم من ذلك ذكرا وانثى ليسكن بعضه الى بعض وجعلكم انواعا اصنافا وفي حرف ابن مسعود
والله خلقكم من نفس واحدة ثم جعلكم ازواجا والله اعلم وقوله عز وجل وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه يقول والله اعلم ما تحمل
من انثى من اول ما تحمل الى اخر ما تنتهون اليه الا بعلمه السابق وكذلك لا تضع كل حامل من اول ما تضع الى اخر ما تنتهون اليه الا
بعلمه السابق انها تحمل كذا وقت كذا من كذا وانها تضع كذا في وقت كذا يخبر عن علمه السابق من اول منشاهم الى اخر ما يكونون
وينتهون اليه انه كان كله بذلك التقدير الذي كان منه والله اعلم وقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
كتاب قال بعضهم قوله ما يعمر من معمر اي ما يطول من عمر وان طال وما ينقص من عمره اي ما ينقص وقص من ذلك ولم يطول الا في
كتاب اي الا كان ذلك كله في كتاب مبينا مكتوبا طولا ومقصرا وقال بعضهم وما يعمر من معمر اي من كتب عمره وطال او قل عمره فهو
يعمر الى اجله الذي كتب له ثم قال ولا ينقص من عمره كل يوم وكل ساعة حتى ينتهي الى اخر اجله الا في كتاب في اللوح المحفوظ مكتوب
قبل ان يخلقه ان ذلك على الله يسير قال صاحب هذا ان كتابة الاجال ان كتبه الله في اللوح المحفوظ على الله هين وقال الاخر فيما من
هنا في قوله ولا ينقص من عمره فجري الليل والنهار والساعات الا في كتاب وذلك ان الله تعالى كتب لكل نسمة عمرا تنتهي اليه فاذا
جرى عليه الليل والنهار نقص ذلك عمرها حتى يبلغ ذلك اجلها فمن قضى له ان يعمر حتى يدرك الكبر او عمرا دون ذلك فهو بالغ ذلك
الاجل الذي قضى له وكان ذلك في كتاب ينتهون اليه ان ذلك على الله يسير يقول قايل هذا ان حفظ ذلك على غير كتاب يسير
هين وجائز ان يكون قوله ان ذلك على الله يسير اي ان علم ما ذكر وتقديره من اول منشاهم وتغيير احوالهم الى اخر ما يكونون و
ينتهون اليه يسير اي لا يخفى عليه وقوله عز وجل وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج فيه وجوه
من المعتبر احدها يذكر ان لا يستوي في الحكمة الخبيث من الرجال والطيب منهم كما لا يستوي المالح من الماء والاجاج العذب منه
والسايغ وقد استوى الطيب من الرجال والخبيث في منافع الدنيا وما كلا ذتها وفي الحكمة التفريق بينهما والتمييز ولان هنالك دارا
يفرق بينهما ويفرق اذ قد استويا في منافع وخطايها وفي الحكمة التفريق والتمييز لا الجمع والاستواء وذلك يدل على البعث والثاني
فيه ان انشا من الاشياء في هذه الدنيا والخلائق فيما لم ينشيها لحاجة نفسه ولكن لحوائج الخلق ومنافعهم وما يكون لهم الحجة في
ذلك اذ من انشاء شيئا لحاجة نفسه انشا الذ الاشياء واحلاها وانفعها له لا مرا مالحا اجاجا لا ينتفع به يخبر عن غناه عما انشا
من الاشياء ليعلم انه لم ينشيها لحوائج نفسه ولكن لما ذكرنا وهو على الحكمة في قوله انه لم يخلق شيئا لا ينتفع به وانه لا يفعل
بهم الا ما هو اصلح لهم في الدين اذ قد انشاء ما اجاجا مالحا لا ينتفع به ليكون لهم عبرة في ذلك والثالث فيه ترغيب في اعمال الجنة

الكافر ودفع الاياس عن توحيدهم وقطع الرجال عن عودهم اليه حيث اخبر عما ياكلون من الماء المالح والجلج والعذب
لسائغ جميعا واللحم الطرى ما حقق مثله انا التى فيه او فى مثله اللحم الطرى ان يفسد من ساعته ويذكرهم ايضا عن قدرته ان
من قدر على حفظ ما ذكر من اللحم الطرى فى الماء الذى لا يقدر على الدنو منه والقرب فضلا ان يكون فيه حفظ ما ذكر من الاف
فمن قدر على هذا لا يعجزه شئ ولا يخفى عليه شئ والرابع يذكرهم النعم التى انعمها عليهم حيث قال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها يذكر عظم نعمه وقدرته حيث جعل البحار مسخرة مذللة يقدرون على استخراج ما فيها من الحلى والجواهر والوصول
الى المنافع التى هى وراء البحار وقطعها بسفن انشاها لهم واجراها فى الماء الراكد الساكن برياح تعمل على اجريانه الماء بل لا يجري
فاجراء السفن بالرياح فى المياه الراكدة الساكنة اعظم واكثر من جريانها على جرية الماء الانهار فى الماء الجارى لا يجرى الا على الذى
الذى يجرى الماء وفى البحار تجرى بريح وتحرك من الاسفل الى الاعلى ومن الاعلى الى الاسفل حيث شاء فدل ان الاعجوبة فى هذا
اكثر واعظم ومن ملك هذا لا يعجزه شئ او ان يكون المثل الذى ذكر فى البحرين احدهما عذب ماؤه والاخر اجاج ماؤه يكون العمل
الصالح وهو التوحيد والعمل السئ وهو الكفر يقول كما لا يستوى فى الفضل الماء العذب والماء المالح فعلى ذلك لا يستوى العمل
الصالح والعمل السئ وقوله عز وجل وترى الفلك فيه مواخر قال بعضهم مواخر يجريان لحد بهما مقبلة والاخرى مدبرة بريح واحدة
ويستقبل احدهما الاخرى وقال بعضهم المواخر هى التى تشق الماء ويقطعه من مخر يمخر وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل لتبتغوا
من فضله هذا يدل ان ما يصاب بالاسباب والمكاسب انما هو بفضل الله اذ قد تكتسب ولا يكون منه شئ والله اعلم وقوله عز وجل
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يذكر هذا لاهل مكة لانكارهم الصانع وانكارهم
البعث وانكارهم الرسل لانهم كانوا فرقا ثلثة منهم من ينكر الصانع والتوحيد ومنهم من ينكر البعث ومنهم من ينكر الرسل ففى الاية
دلالة اثبات الصانع والتوحيد وفيها دلالة البعث والانشاء بعد الموت وفيها دلالة اثبات الرسالة اما دلالة اثبات الصانع
والوحدانية له اتساق الليل والنهار والشمس والقمر وما ذكر وجريانها وجريان الامور كلها على سنن واحد وميزان واحد
وقدر واحد منذ كان الى اخر ما يكون من غير زيادة او نقصان يدخل فيه او تقديم او تاخير يكون فيه يدل على ان الذى ك
ينها مدبر انشاء ودبر كل شئ على ما كان وحفظ كله على ميزان واحد اذ لو كان بنفسه لكان لا يجرى على حد واحد ولا ميزان
واحد بل بتفاوت والتفاضل وكذلك لو كان فعل عدد لكان يتقدم ويتاخر ويتغير ويمتنع ويذهب داسا على ما يكون فعل
العدد من الملوك انما اراد الاخر نقضه ومنعه وما اراد هذا نفيه وابطاله اراد الاخر اثباته وذلك معروف فيهم من مخالفة بعض
بعضا فدل اتساق ما ذكرنا وجريانه على تدبير واحد انه فعل واحد وتدبير واحد لا اعداد وبالله القوة ودل ذهاب الليل بظلمته بكليته
حتى لا يبقى له اثر وكذلك ذهاب ضوء النهار ونوره وكذلك الشمس والقمر واتيان الاخر بعد تلفه انه بعث اذ لو لم يكن بعث
كان تدبير ذلك كله وتقديره لعبا باطلا وان من قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه شئ فاذا ثبت ما ذكر
لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهى ولا يمتحنهم بانواع المحن فلابد من رسول يامر وينهى ويخبر عالما وعليهم وفيه ان
مدبر ذلك كله عليم حكيم ثم يخبر ان الذى فعل ذلك كله هو ربكم الذى له الملك يقول الذى فعل هذا كله لا الاصنام التى
عبدتم دونه وسميتموها الهة فكيف صرفتم العبادة اليها والالوهية وما تعبدون من دونه لا يملكون ما ذكر حيث قال والذين
تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يسفه احلامهم فى عبادة من عبدوا دونه على علم منهم انهم لا يملكون ما ذكر وصرفهم العبادة
عن الله على علم منهم ان ذلك كله من الله وهو المالك لذلك ثم يخبر عن عجز من عبدوه حيث قال ان تدعوهم على حقيقة الدعاء لا
يسمعوا دعاءكم حقيقة ولو سمعوا ما استجابوا لكم اى لو سمعوا دعاءكم ما يملكون اجابتكم فى دفع ضر مسو ولا فى جر نفع او ان
يكون قوله ان تدعوهم اى تعبدوهم لا يسمعوا دعاءكم اى لا يجيبوكم الى ما تقصدون بعبادتكم اياهم او ان يقول ما قبلوا ذلك
منكم ولا نفعكم فيه والله اعلم وقوله عز وجل ويوم القيامة يكفرون بشرككم يتبرؤن يوم القيامة ان يكونوا شركاءهم او
امروهم بذلك كقوله سيكفرون بعبادتهم الاية وقوله ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت
ولينا من دونهم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولا ينبئك مثل خبير اى لا ينبئك احد مثل الذى انباك الخبير فى الصدق والحق
او ان يكون قوله ولا ينبئك مثل خبير اى لا يكون نبا احد مثل نباء الخبير فاعمل به واقبل اليه ولا تقبل على نباء غيره والله اعلم
وفى قوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وجهان من اللطف احدهما يتلف حتى يذهب اثره وياتى فى الاخر او يزيد فى
هذا وينقص من الاخر ويدخل من ساعات هذا فى ساعات الاخر وفيه نقض قول الثنوية فى قولهم ان منشئ الخير غير منشئ الشر
ويقولون ان النور من منشئ الخير والظلمة من منشئ الشر فلو كان ما ذكروا لكان اذا ذهب النور وجاءت الظلمة هى الغالبة
والنور هى المغلوبة فى يدها وكذلك النور اذا جاء وذهبت الظلمة صارت هى مقهورة مغلوبة فى يد النور والنور هو الغالب
عليها فاذا صار مغلوبا مقهورا فى يدى صاحبه يجب ان لا يقدر على استنقاذ نفسه من يده ابدا على ما يكون من عادة الملوك
اذا غلب بعضهم بعضا وقهر بعضهم بعضا ان يتخلص ولا تخلص منه فاذ لم يكن وكل جاء كل واحد منهما فى وقته بعد ذهاب

انه

انه على التقدير الذى ذكرنا دل انه فعل واحد وتدبير واحد لا تدبير عدد وبالله الحول والقوة والقتبي يقول القطمير هو
اللفافة التى يكون فيها النواة وابو عوسجة يقول هو القشرة الرقيقة التى يكون بين لحم التمرة وبين نواتها واسوه وجمعه سواد
وقوله عز وجل يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد فيه وجوه من الدلالة احدها انه انما امركم ونهاكم وامتحنكم
بانواع المحن لحاجتكم وفقركم اليه لا للحاجة وفقره فى ذلك فان ائتمرتم واطعتموه فانما لانفسكم يرجع منفعة ذلك وان عصيتم
فعلى انفسكم يلحق ضرر ذلك كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها والثانى يقول تعلمون ان فقركم وحاجتكم الى الله لا
الى الاصنام التى تعبدونها واتخذتموها الهة فكيف صرفتم العبادة والشكر الى من تعلمون انكم لا تحتاجون اليه ولا تفتقرون و
الثالث يامرهم بقطع اطماعهم من الخلق لانه خاطب الكل واخبر انكم جميعا فقراء الى الله الطامع والمطموع فيه فاقطعوا طمعكم
ورجاءكم عن الخلق واطمعوا ذلك من الله فانه الغنى الحميد والخلق جميعا فقراء اليه يؤيسهم عن الطمع والرجاء من الخلق والله اعلم
وقوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يخبر عن غناه وقدرته لو شاء اذهبكم لتعلموا انه لم ينشئكم ولا امركم ولا
نهاكم لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم وقوله وما ذلك على الله بعزيز يحتمل هذا وجهين احدهما لا بعزيز ولا ثقيل
عليه ذهابكم وفناؤكم لانه لم ينشئكم لحاجة نفسه فذهابكم وفناؤكم عليه واحد والثانى لا يصعب عليه ولا تعزر ذهابكم
واحياؤكم ولا يعجزه شئ يخبر عن قدرته والله اعلم وقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل
منه شئ كان هذا صلة قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الاية يؤيسهم ليقطعوا اطماعهم يومئذ عن تناصر بعضهم بعضا و
بعضهم من بعض وشفاعة بعضهم بعضا على ما كانوا يفعلون فى الدنيا كان ينصر بعضهم بعضا فى الدنيا اذا اصابهم شئ ويفدى
بعضهم عن بعض ويشفع بعضهم بعضا كانوا يحتالون مثل هذه الحيل فى الدنيا ليدفعوا عن المتصلين بهم الضرر فاخبر انه ليس لهم ذلك
فى الاخرة كقوله ولا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة ولا هم ينصرون وقوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا ومثله كثير يؤيسهم عن ان يكون لهم فى الاخرة ذلك والله اعلم وقوله عز وجل انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب هذا
يخرج على وجهين احدهما انما ينتفع بالانذار الذين يخشون ربهم بالغيب فاما الذى لا يخشى ربه فانه لا ينتفع به والانذار منذر متبع
الذكر ومن لم يتبع ومن خشى ربه ومن لم يخش والثانى كانه يقول انك تنذر من اتبع الذكر وغير الذى خشى ربه فانما يتبع
انذارك ويقبله الذى خشى ربه واتبع ذكره والله اعلم وقوله عز وجل ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اى من عمل خيرا فانما يعمل لنفسه
او من جاء بالتوحيد والاعمال الصالحة فانما امره وعمله يثاب عليه والى الله المصير قد ذكرنا فى غير موضع ان فى تخصيص ذكر المصير
اليه والمرجع اليه فى ذلك اليوم وان كانوا صائرين اليه فى كل وقت وقوله عز وجل وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات و
لا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء والاموات ضرب هذا المثل يخرج على وجوه احدها شبه الاصنام التى كانوا
يعبدونها بالاعمى والظلمة والميتة والحرور والحقيقة لانها كذلك عميان موتى لا نور فيها يقول والله انكم تعلمون ان الذى تعبدون
من دون عميان لا بصر لهم ولا نور ولا حياة ولا شئ من ذلك وان الله هو البصير ومنه يكون كل خير ونفع فكيف اخترتم عبادة
من هذا سبيله على عبادة الله تعالى وبالله الهداية والعصمة والثانى شبه اولئك الكفرة بالعميان والظلمة والموت وما ذكر والمؤمن
بالبصير والنور والظل والحيوة ليس على ارادة حقيقة البصر والحيوة وما ذكر لان لهم بصرا يبصرون وهم احياء فيقولون نحن بصراء
والاحياء وانتم العميان والاموات وما ذكر لكن شبههم بالعميان والموتى لانه لا حجة لهم ولا برهان على عبادتهم الاصنام وهم
يعلمون انه لا حجة لهم ولا برهان على ذلك من كتاب ورسول ونحوه انما هو هوى يهوون ذلك والمؤمنين فى عبادتهم الله حجة و
برهان فمن كان له حجة فى عبادته فهو بصير حى نور ومن ليس له ذلك فهو اعمى ميت والثالث يذكر هذا دلالة على البعث لانهم
يعلمون ان الخلق ليس كلهم على حد واحد وحالة واحدة بل فيهم العميان والبصراء وفيهم الاحياء والاموات وفيهم ما ذكر وقد استوى
جميعا فى منافع هذه الدنيا وفى الحكمة التفريق بينهم لا الجمع فلابد من دار اخرى سوى هذه يفرق بينهم اذ فى الحكمة والعقل التفريق
لا الجمع والله اعلم وقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور دل قوله ان يسمع من يشاء على ان قوله وما انت بمسمع
من فى القبور انما اراد به الكافر قد اخبر ان رسوله لا يسمع لما لا يقدر على ذلك وليس عنده ذلك اذ لو كان بيانا او دعاء على
ما تقوله المعتزلة لكان يسمع ويبين ويقدر على ذلك فاذ لم يقدر رسول الله على ذلك دل ان عند الله لطف وشئ لم يعطهم فاذا
اعطاهم ذلك اهتدوا وامنوا وكذلك هذا فى قوله انك لا تهدى من احببت ولو كان بيانا على ما تقوله المعتزلة لهدى من
احب وقد احب فلم يهتد دل ان عند الله شئ لو اعطى ذلك لاهتدى ولم يكن ذلك عند رسوله وهو التوفيق والعصمة وهذا ينقض
على المعتزلة قولهم ان الله قد اعطى كل كافر ما به يهتدى لكنه لم يهتد لا يحتمل قوله ان الله يسمع من يشاء على القسر والقهر دل انه
لا يحتمل وقوله عز وجل ان انت الا نذير هذا يحتمل وجهين احدهما ليس عليك الا الانذار باللسان كقوله ان عليك الا البلاغ
وقوله ما على الرسول الا البلاغ وانت لا تؤاخذ بتركهم قبول الانذار كقوله ما عليك من حسابهم من شئ الاية وقوله فان تولوا
فانما عليك ما حمل الاية ويحتمل الانذار بالسيف يامره اياه بالقتال معهم حتى يؤمنوا وان كان على هذا فهو يحتمل النسخ يوم القتال

في وقت ولا يؤمر في وقت واما النذارة باللسان فهو لا يحتمل النسخ ابدا والله اعلم وقوله عز وجل انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا يحتمل قوله بالحق اي بالتوحيد اي ارسلناك لتدعو الناس الى توحيد الله او ارسلناك بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وما لبعض على بعض او ارسلناك بالحق اي للحق وهو البعث الذي هو كاين لا محالة وقوله عز وجل بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالجنة لمن امن بالله واجابك ونذيرا بالنار لمن عصاه وخالف امره وترك اجابتك هذا يدل على انه لم يرد في قوله ان انت الا نذير نذيرا خاصة لبشر من اصناف الخلق وجواهرهم على اختلاف جواهرهم واصنافهم الا وقد خلا لهم نذير يامر وينهى ويمنع ويبيح كقوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم الاية اخبر ان الخلق على اختلاف اصنافهم وجواهرهم امثال البشر فيحتملون ما يحمل البشر من الامر والنهي والنذارة والبشارة وقال بعضهم ذلك راجع الى الجن والانس خاصة ليس الى الكل لانهما هما المخصوصان بالخطاب والنطق والعقل وغير ذلك وفيهما ظهر بعث الرسل والنذر ولم يظهر ذلك في غيرهما فكانه قال وان من امة من هذين من القرون الا خلا فيهما نذير والله اعلم وقوله عز وجل وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعزي رسوله ويصبره على تكذيب قومه اياه يقول لست انت باول مكذب من الرسل بل قد كذب اخوانك الذين من قبل بعدما جاءوا بالبينات والزبر اي بالكتب المنيرة اليهم فمع ما جاءوهم بذلك كذبوهم فصبروا على تكذيبهم فاصبر انت ايضا على تكذيب قومك والله اعلم وقوله عز وجل ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي ثم اخذت الذين كذبوا رسلهم بالتكذيب فاخذ قومك على تكذيبهم اياك ايضا يذكر هذا الله ليصبره على ذلك ولئلا يحزن على تكذيبهم اياه او يذكر زجرا لقومه عن تكذيبهم اياه فينزل بهم من العذاب ما نزل باوليك بالتكذيب وقوله عز وجل فكيف كان نكير قال بعضهم فكيف كان انكاري وقال بعضهم عذابي ودل قوله بالكتاب المنير قوله الله نور السموات والارض اي منير السموات والارض بما سمى الكتاب منيرا اي من القران نورا هو نور بما ينير القلوب في الصدور وقوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها الى اخر ما ذكر فيه فوايد من الحكمة احدها انه جعل عز وجل طبع الماء مما يلايم ويوافق طباع هذه الثمرات على اختلاف جواهرها والوانها حتى يكون كل شيء منها قواما بهذا الماء وكذلك جعل طبع هذا الماء ملايما موافقا طباع جميع الخلايق من البشر والدواب والطير والوحش وجميع الحيوان على اختلاف جواهرهم والوانهم وغذايهم حتى صار هو غذاء وحياة لهم وقواما به ليعلم ان من ملك هذا وقدر توفيق هذا على اختلاف ما ذكرنا من الجواهر والاغذية ومن بينها لا يعجزه انشاء شيء لا من شيء ولا يخفى عليه شيء وفي ذلك دلالة البعث ان من بلغ قدرته وتدبيره وعلمه هذا المبلغ لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والثاني انه انشا ما ذكر من مختلف الاشياء والجواهر بهذا الماء وجعل سبب الحيوة ما ذكر من البشر والدواب وغيره من غير ان يكون في ذلك الماء الذي انشا ذلك منه وجعله سبب الحيوة شيء من اثر ذلك فيها او من جنسه ليعلم انه لم يكن انشا هذه الاشياء بهذا الماء ولا جعله سببا لها على الاستعانة به والتقوية بل افضالا منه للخلق اسباب مطالب الغذاء والفضل لهم اذ لو كان على الاستعانة وجعله سببا له في انشاء ذلك لكان يكون تلك الاشياء المنشاة مشاكلة للماء مشابهة له دل انه جعل ذلك سبب الخلق في الوصول الى ما ذكرنا من الاغذية لهم من غير ان يرد الارزاق من تلك الاسباب والمكاسب ولكن من فضل الله والثالث انشا هذه الفواكه والثمرات مختلفة الوانها وطعمها لما علم من البشر من الملال والسامة من نوع واحد ولون واحد ليتم نعمه عليهم لتأدي بذلك الشكر عليها والله اعلم وقوله عز وجل ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود قال بعضهم انشا الجبال ايضا مختلفة من بيض وحمر وغرابيب كما انشا الثمرات والدواب والحيوان كلها مختلفة وقال بعضهم ذلك وصف ووصفها بالسود الطرق التي انشاها في الجبال ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كاختلاف الجبال والثمار وكذلك وغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد يقال اسود غربيب وهو قال القتبي وابو عوسجة ورجل غربيب الشعر اي اسود الشعر وماخوذ من الغراب لانه اسود والجدد الخطوط والطرايق في الجبال وقال ابو عوسجة الجدة الخط والجدد جمع الخطوط يقال جددت اي خططت يقال ثوب جديد وثياب جدد ومن الجبال جدد اي طرايق مختلفة الوانها بعضها بيض وبعضها غرابيب وهي سود يذكر قدرته وتدبيره ان الجبال مع غلظها وشدتها وارتفاعها جعلها بحيث يتطرق فيها في صعودها وهبوطها فمن قدر على هذا لا يعجزه ولا يخفى عليه شيء او يذكر نعمه عليهم حيث سخر لهم ليقضوا فيها حوايجهم فيما بعد عنهم وصعب عليهم والله اعلم وقوله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء هذا يحتمل وجوها احدها ان الذي يحق على العالم بالله ان يكون هو يخشاه لما يعلم من سلطانه وهيبته وقدرته وجلاله والثاني ان العالم بالبعث والمؤمن به وهو يخشى مخالفة الله في اوامره ونواهيه لما يعلم من نقمته وعذابه من خالفه وعصى امره فاما من لم يعلم بالبعث ولم يؤمن به فلا يخافه كقوله والذين امنوا مشفقون منها وقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ونحوه او ان يكون قوله انما يخشى الله من عباده العلماء عباده من جملة المؤمنين يقول والله اعلم انما يخشى الله من عباده المؤمنون به والمصدقون عذابه ونقمته فاما من لم يؤمن به فلا يخافه كما ذكرنا في قوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وان في ذلك لايات لكل مؤمن ويكون الصبار والشكور كناية عن المؤمنين فعلى ذلك هذا يحتمل قال اهل التاويل على التقديم والتاخير اي اشد الناس

الخشية اعلمهم بالله والخشية قال الحسن هو الخوف هو الخوف الدايم اللازم في القلب غير مفارق له والله اعلم وقوله عز وجل ان الله عزيز غفور قال بعضهم العزيز المنتقم من اعدايه والغفور لذنوب المومنين وقال بعضهم عزيز في ملكه ومن دونه ذليل غفور اي ستور على الذنوب المومنين وقوله عز وجل الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة يحتمل ما ذكر من تلاوة الكتاب ههنا ما ذكر في اية اخرى حيث قال يتلونه حق تلاوته واقاموا ما فيها من الامر بالصلاة والامر بالزكوة او ان يكون قوله يتلون كتاب الله اي يتبعون كتاب الله فيما فيه من محارم وما عليهم يتبعون كله من الاقدام على الحلال والاجتناب عن الحرام والمستغنون بكتاب هم الذين اتبعوا ما فيه من اقامة الصلوة والانفاق ما ذكر فاما من تلاه ولم يتبع ما فيه فكانه لم يتل وهو كما نفى عنهم هذه الحواس من البصر والسمع واللسان وغيرها لتركهم الانتفاع بها وان كانت لهم تلك الحواس حقيقة لكن لما انتفع بها وان لم تكن له تلك حقيقة فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقوله عز وجل واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل قوله سرا وعلانية في كل حال وكل وقت لا يتركون الانفاق على كل حال كقوله الذين ينفقون في السراء والضراء اي ينفقون على كل حال ويحتمل وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي يتصدقون صدقة ظاهرا وباطنا اي ما ظهر للناس وعلموا به وما خفي عنهم واستتر لما قصدوا بها وجه الله لا لمراءاة الخلق فمن كان قصده بالخيرات وجه الله لا لمراءاة الخلق فعلمهم به وجهلهم سواء لا يمتنع عن ذلك ابدا والله اعلم وقوله عز وجل يرجون تجارة لن تبور سمى ما يبذل العبد لله تجارة وان كان ذلك له في الحقيقة لطفا منه واحسانا وكذلك ما ذكر من ابتغاء الاجر لهم على اعمالهم حيث قال ليوفيهم اجورهم وذلك ليس في الحقيقة اجر لما لا يستوجبون الاجر قبله بتلك الاعمال لما عليهم من الشكر فيما انعم عليهم من انواع النعم ومتى يتفرغون عن شكر ما انعم عليهم حتى يكون ذلك اجرا لهم لكنه عز وجل بفضله وانعامه وعد لهم الثواب والاجر على حسناتهم واعمالهم الصالحات افضالا منه وانعاما منه وسمى ذلك تجارة كان ليس ذلك له في الحقيقة ترغيبا منه الخلق على ذلك وتحريضا لهم في ذلك والله اعلم ويزيدهم من فضله على ذلك ايضا وقوله عز وجل انه غفور شكور يحتمل قوله غفور اي ستور لمساويهم شكور اي مظهر لمحاسنهم يدخل الايام الجنة ليعلم احد انه كان محسنا لا سيما او غفور يتجاوز عن مساويهم شكور يقبل اليسير من العمل القليل منه ويعطي على ذلك الجزيل من الثواب والله اعلم وقوله عز وجل لن تبور قال ابو عوسجة والقتبي لن تبور اي لن تفنى او لن تكسد يقال بارت التجارة تبور فهي بايرة اذا كسدت ليوفيهم اجورهم من الايفاء يقال اوفيته حقه اي اعطيته كله وقوله عز وجل والذي اوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القران هو الحق انه من عند الله مصدقا لما بين يديه اي موافقا للكتب التي قبله ثم يكون موافقا لها باحد سبيلين اما في الاخبار والانباء ان يوافق الانبياء والاخبار التي في القران انباء الكتب المتقدمة واخبارها ويصدق بعضها بعضا فكذلك كانت الكتب كلها داعية الى توحيد الله والعبادة له والطاعة او يوافق في الاحكام فان كانت الموافقة في الاحكام ففيها الناسخ والمنسوخ لكنه لم يجعل في حق الناسخ والمنسوخ مختلفة الا ترى انه في القران يا اتخاذ منسوخا ثم اخبر انه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان الناسخ والمنسوخ خلافا في الحقيقة لكان من عند غير الله على ما اخبر دل ان بينهما وفاق ليس باختلاف وقال بعضهم ان محمدا يصدق ما قبله من الكتب والرسل وهو ما ذكرنا ان جميع الكتب والرسل انما دعوا الخلق الى توحيد الله وعبادته وقوله عز وجل ان الله بعباده لخبير بصير اي على علم وبصيرة منه بتكذيب القوم رسلهم بعث الرسل اليهم لا عن جهل منه بذلك وذلك لا يخرجه عن الحكمة كما قال بعض الملحدة انه ليس بحكيم من بعث الرسول الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فهكذا لو كان بعث الرسل لحاجة المرسل والمنفعة يكون ارساله وبعثه الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فاما الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يرسل الرسل لحاجة والمنفعة بل لحاجة المبعوث اليه والمرسل لم يخرج علمه برده وتكذيبه عن الحكمة والتوفيق بالله او ان يكون قوله لخبير بصير يخرج على الوعيد اي عالم باحوالهم واعمالهم ليكونوا ابدا على حذر ومراقبة والله اعلم وقوله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اختلف فيه قال بعضهم فمنهم ظالم لنفسه هو من اصطفاه الهدى من شيع محمد وهم اصحاب الكباير في قول بعض وقال بعضهم اصحاب الصغاير وقال بعضهم هم اصحاب الكباير والصغاير جميعا ومنهم من يقول هو في الناس جميعا المتبع له وغير المتبع اختلف في قوله [illegible] بعضهم المنافق الذي اظهر الموافقة لرسوله واضمر الخلاف له وقال بعضهم هم اليهود والنصارى فقد امنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال بعضهم هم المشركون وقد اقسموا انه لو جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فهؤلاء كلهم في النار وما ذكر من الاصطفاء والاختيار على قول هؤلاء يكون لرسول الله بعث اليهم ليدعوهم الى توحيد الله والاشبه ان يكون قوله فمنهم ظالم لنفسه من امته ومن شيعه لما روي في الخبر عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال تلا رسول الله هذه الاية فقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه لن ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة ثم قال رسول الله وهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب

عنا الحزن الاية وكذلك روى عن انس وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثبت عنه فهو تاويل الاية وتفسير
الظالم من اهل التوحيد والملة والمقتصد قال بعضهم هو الذى يخلط عملا صالحا بعمل سيئ كقوله اخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال بعضهم هو الذى يقوم باداء الفرايض والاركان واما غيره فلا والسابق يخرج على وجهين
احدهما سابق بالخيرات كلها لا تقصير فيه ولا نقصان او سابق بالخيرات فيه تقصير ونقصان وقد ذكرنا هولاء الفرق
الثلاثة فى غير موضع والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية ثم قال اخرون اعترفوا بذنوبهم وقال اخرون
مرجون لامر الله فالذين اعترفوا بذنوبهم هم المقتصد والاخرون هم الظالم لنفسه وقال فى موضع اخر والسابقون السابقون
اولئك المقربون فى جنات النعيم وقال اصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود الى اخر ما ذكر وقال اصحاب الشمال
ما اصحاب الشمال ففى ظاهر هذا ان اصحاب الشمال المكذبون حيث ذكر فى اخر هذه السورة الفرق الثلاثة حيث قال فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين ففى ظاهر هذا ان الظالم لنفسه هو المكذب والكافر فى قوله واصحاب الشمال فى ظاهر ما ذكر فى سورة التوبة انه
من اهل التوحيد حيث قال واخرون مرجون لامر الله الاية والله اعلم بذلك وقوله عز وجل باذن الله يحتمل بعلم الله ويحتمل
بمشية الله وقيل بامره وقوله عز وجل ذلك هو الفضل الكبير يقول والله اعلم هذا الذى اورثناهم من الكتاب هو الفضل
الكبير كقوله وكان فضل الله عليك عظيما او يقول ادخالهم الجنة فضل منه كبير وروى عن عمر رضى الله عنه قال فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال الا ان سابقنا سابق وان مقتصدنا ناج وان ظالمنا مغفور له و
قال عثمان بن عفان رضى الله عنه الا ان سابقنا اهل الجهاد منا وان مقتصدنا اهل حضرنا وان ظالمنا اهل بدونا وابن
عباس رضى الله عنه يقول الظالم لنفسه كافر وعن الحسن قال الظالم لنفسه المنافق وهو هالك واما السابق والمقتصد
فقد نجيا وقوله عز وجل جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ذكر التحلى فيها
بالذهب واللؤلؤ ولبس الحرير وليس للرجال رغبة فى هذه الدنيا فى التحلى بذلك ولا لبس الحرير الا ان يكون [illegible] رغبته فيما
ذكر فخرج الوعد لهم بذلك والترغيب فى ذلك وهو ما ذكر من الخيام فيها والقباب والغرفات وذلك اشياء تستعمل فى حال
الضرورة فى الاستعداد وعند عدم غيره من المنازل والغرف عند ضيق المكان فاما فى حال الاختيار ووجود غيره فلا لكنه
خرج ذلك لهم لما لهم فى ذلك من فضل رغبة الا ترى انهم قالوا لولا القى عليه اساورة من ذهب ذكروا ذلك لما ان لذلك عندهم
فضل قدر ومنزلة ورغبة فى ذلك وبذكر هذا لهم فى الجنة اعنى الذهب والفضة والحرير وما ذكر ليس على ان هذا ما يشابه
بحال او يماثله فى الجوهر على التحقيق سوى موافقة الاسم لما روى فى الخبر ان فيها يعنى فى الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وباه بشر على ما ذكر وما ذكر ايضا ان ما فى الجنة لا يشبه ما فى الدنيا او لا يوافقه الا فى الاسم او
كلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن قال بعضهم انما يقول هذا الظالم لنفسه الذى
ذكر فى قوله فمنهم ظالم لنفسه انهم يحبسون على الصراط حبسا طويلا او يحاسبون حسابا شديدا فيطول حزنهم بذلك ثم
يوذن لهم بالدخول فى الجنة فعند ذلك يقول ذلك ويحمدون ربهم على اذهاب ذلك الحزن عنهم وقال بعضهم
لا ولكن هذا كل مسلم اذا دخل الجنة لما يخاف كل مسلم ويحزن تبعات وخطاياه ما لا يدرى الى ماذا يكون مصيره ومرجعه و
اين مقامه فى الاخرة فلما ادخل الجنة او من كان يخاف فى الدنيا ويحزن عليه وسلم من تلك الاخطار حمد ربه عند ذلك وقال
بعضهم ذلك الحمد انما يكون منهم ذهب عنهم غم العيش والخبز الذى كان لهم فى الدنيا اذ كل احد يهتم لعيش فى الدنيا فلما
دخل الجنة فلما ذاك عنه فعند ذلك يحمد ربه وقال بعضهم يحمدون ربهم لما يامنون الموت عند ذلك اذ ذكر فى الخبر انه
يوتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت والله اعلم وقوله عز وجل
ان ربنا لغفور شكور لما فيهم من غيراه كان منهم ما يستوجبون المغفرة شكور لحسناتهم حيث قبلها منهم واعطاهم
الثواب وقال اهل التاويل غفور لذنوبهم شكور يعطيهم الجزاء الجزيل بالعمل القليل وقوله عز وجل الذى احلنا دار
المقامة من فضله دار المقامة لما لا يبتغى التحول منها ولا الانتقال لا يبغون حولا وقوله عز وجل لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها لغوب ليس من صاحب نعمة فى هذه الدنيا وان اعظمت الا وهو يمل منها ويسام ويبتغى التحول منها والانتقال وكذلك
ليس من لذة وان جلت فى هذه الدنيا الا وهى تعقب تعبا وقنا ونصبا فاخبران نعيم ولذاتها مما لا يمتنع ولا يبتغى التحول منها ولا لذاتها
تعقب فترا ولا تعبا ولا الما وخبرانه يكون قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وذلك ان من حل بغيرابنه وبا
لمفصلين شى فى هذه الدنيا من افاتها يهتم لذلك ويتكلف دفع ذلك عنهم فاخبرانهم اذا حلوا فى دار المقامة لا يصيبهم شى
من ذلك والله اعلم وقال بعضهم فى قوله ان ربنا لغفور شكور شكر لهم ما كان منه اليهم لما كان منهم من ذنب وفى حديث
رفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ان ربنا لغفور شكور قال اشكر الله المومن بيسير من الحسنات وغفر لهم الذنوب

العظام والنصب الاذى ويقال الغناء واللغوب التعب وقوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا اى لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا من عذابها ولا يخفف عنهم من عذابها وفى قوله ولا يخفف عنهم من عذابها نقض
قول الجهم وابى الهذيل المعتزلى اما قول جهم لانه يقول بانقطاع العذاب عن اهل النار فاخبر انه لا يخفف عنهم العذاب فلو كان يحتمل
الانقطاع يحتمل التخفيف فاذا اخبر انه لا يخفف عنهم دل انه لا ينقطع وكذلك قول مالك لهم انكم ماكثون لما طلبوا منه التخفيف ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب واما على قول ابى الهذيل فانه يقول ان العذاب قد ينتهى عن اهل النار ويصير بحال لو اراد الله ان
يزيد فى عذابهم شيئا ما قدر عليه وكذلك يقول فى لذات اهل الجنة انها تصير بحال ويبلغ مبلغا لو اراد الله ان يزيد لهم شيئا منها
ما قدر عليه فظاهر الاية يكذبهم ويرد قولهم حيث قال ولا يخفف عنهم من عذابها وقوله عز وجل وكذلك نجزى كل كفور لنعمه
وشاهد وحدانيته وقوله عز وجل وهم يصطرخون فيها قال بعضهم يصيحون فيها قال بعضهم الاصطراخ الاستغاثة اى
يستغيثون واصطراخهم قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل يفزعون اولا الى كبرائهم الذين اتبعوهم فى الدنيا يطلبون
منهم دفع بعض ما هم فيه من العذاب والتخفيف عنهم حيث قالوا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شى
فاجابوا بوالهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال فى اية اخرى انا كل فيها الاية فلما ايسوا وانقطع رجاؤهم بالفزع
من عندهم فزعوا عند ذلك الى خزنة جهنم حيث قالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
فلما ايسوا منهم وانقطع رجاؤهم فزعوا الى مالك يطلبون منه ان يسال ربه ليقضى عليهم بالموت حيث قال ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك فلما ايسوا سالوا ربهم الاخراج منها ليعملوا غير الذى عملوا حيث قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا
نعمل فاحتج عليهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اى اولم نعمركم فيها من العمر مثل العمر الذى يتعظ به من يتعظ فهلا اتعظتم فيه ما
اتعظ من اتعظ فيه وقد عمرناكم مثل الذى عمرنا اولئك او كلام نحو هذا وجاءكم النذير قال بعضهم جاءكم الرسول وانذركم هذا
فقد كنتم نحوه وقال بعضهم وجاءكم النذير اى الشيب ومعناه والله اعلم اى قد رايتم وعاينتم تغير الاحوال فى انفسكم من حال
الى حال الصغر الى الكبر ومن الشباب الى الشيب ثم الى ارذل العمر فهلا اتعظتم بما اتعظ اولئك فذوقوا ما انذركم به الرسل
فما للظالمين من نصير وقوله عز وجل ان الله عالم غيب السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما على الوعيد والتخويف اى
هو عالم بالاشياء التى يمتحنها بحق ولا امرها بامر ولا نهاها بنهى فالذين امتحنهم بانواع المحن وامرهم باوامر ونهاهم بنواه فالذين
امتحنهم بانواع المحن وامرهم باوامر ونهى بنواه احق ان يكون عالما بهم والثانى انه على علم بما يكون من خلق السموات واهل الارض
خلقهم وبعث اليهم الرسل من التكذيب لهم والرد عليهم لا عن سهو وجهل بما يكون منهم ليعلم انه انما بعث اليهم الرسل لحاجة
نفس المبعوث اليهم والمنفعة لهم فى ذلك لا لحاجة الرسل والباعث والمنفعة له لذلك خرج البعث اليهم على علم بما يكون منهم من
التكذيب والرد للرسالة على الحكمة وفى الشاهد على السفه لان فى الشاهد انما يبعث الرسل الى من يبعث لحاجة نفسه ولمنفعة
له فى ذلك فخروج البعث اليه على علم منه بالتكذيب والرد عليه سفها وباطلا ومن الله حكمة وحقا والله اعلم وقوله عز وجل انه
عليم بذات الصدور وكان ذات الصدور وهم خصهم بعلم ما يكون منهم لانهم اهل تمييز وبصر وامتحان فيخرج الوعيد والتحذير و
اما غيرهم من الدواب ونحوها فلا محنة عليهم ولا تمييز لهم لذلك خص هولا بذلك وان كان عالما بالكل بذات الصدور وغيره
ذات الصدور والله اعلم وقوله عز وجل هو الذى جعلكم خلايف فى الارض فان كان المخاطبون به اصحاب رسول الله وامته
فيخبر انه جعلهم خلايف من تقدم منهم من القرون والامم الماضية بعد ما اهلكوا واستوصلوا وان كان المخاطبون به بنى ادم
كلهم فيخبر انكم خلف من تقدمكم من الجن والملايكة لانه ذكر ان الجن كانوا سكان الارض قبل بنى ادم فجعلوا خلايف الجن ثم
وجه الحكم فى جعل بعض خلايف بعض وانشاء قرون بعد فناء اخر وافناء اخر بعد انشاء اخر وجوه احدها ليعرفوا انه انما انشاهم
لعاقبة تقصد وتامل حيث انشاء قرنا ثم افناهم ثم انشا غيرهم ولو لم يكن فانشاهم الا فناكان انشاؤه اياهم للفنا خاصة اذ لم
يبنى فى الشاهد بناء للنقض والفناء لا لعاقبة تقصد به كان فى بنا شرعا باسقيها فعلى ذلك انشاء هولاء فى هذه الدنيا لو لم يكن لعاقبة
كان الانشاء للفناء وذلك عبث غير حكمة والثانى ان يعرفوا ان الدنيا ليست هى بدار قرار ومقام انما هى مجعولة زاد الاخرة و
بلغة اليها ومسلكا لها ومنزلا ينزل فيها ثم يرتحل كالمنازل المجعولة للنزول فيها فى الاستعداد والتزود منها ثم الارتحال لا المقام
فيها فعلى ذلك الدنيا جعل لما ذكرنا لئلا يطمئنوا اليها ولا يركنوا ويعملون عمل من يريد الارتحال عنها الا على المقيم فيها والثالث ان يعرفوا
ان الالام التى جعلت فيها واللذات ليست بدايمة ابدا بل على شرف الزوال والتحول لان فى الجوع الم وفى الموت الم فلو دامت اللذة و
لا الالم لانه احيا قرنا ثم افناهم ثم احيا قرنا اخر وافناهم فلا دامت اللذات ولا الالام ولكن انقضيا ليعلموا انهما لا يدومان ابدا و
لكن يزولان والرابع ان يعتبروا بمن تقدم منهم من القرون انه على ماذا يكون الثناء الحسن ويبقى الاثر والذكر الجميل وباى عمل ينقطع
ويبقى ذلك فمن كان من متبعى الرسل وعادة الخير والتوحيد والطاعة فيبقى لهم اثر الخير والثناء الحسن والذكر الجميل ومن كان
من اتباع اهل الكفر والشرك لم يبق لهم شى من ذلك ليعلموا بالذى يبقى لهم الثناء الحسن ويقبح الذكر لا الذى يقطع ذلك والله اعلم

فمن كفر فعليه كفره اى عليه ضرر كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا الا بزاء اى لا يزيد كفرهم بالله وبرسوله وعبادتهم
الاصنام الا مقتا وخسارا لانهم كانوا يعبدونها رجاء ان تشفع لهم يوم القيامة ورجاء ان تقرب عبادتهم الهة زلفى يقول والله
اعلم لا تزيد ذلك لهم الا مقتا من ربهم وخسارا وان يكون اعمالهم التى عملوا فى هذه الدنيا من صلة الارحام والقرب التى رجوا بها الربح
والنفع فى الاخرة لا يزيد ذلك لهم الا مقتا وخسارا والله اعلم وقوله عز وجل قل ارايتم شركاءكم الذين يدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ظاهر قوله اروني ماذا خلقوا يخرج على وجهين احدهما على الاعجاز لا يعجز بقدر ما تعبدون من دونه من خلق السموات
والارض ولا اشراككم فى خلق السموات والارض ولا انزل الكتاب من السماء ليامرهم بذلك بل الله هو الخالق لذلك كله وهو القادر
عليه فكيف صرفتم العبادة عنه والالوهية الى من هو عاجز عن ذلك كله والثانى على التنبيه والتعيير لهم والتسفيه لاحلامهم
يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الاصنام التى تعبدونها من دون الله وتسمونها الهة لم يخلقوا شيئا مما ذكر ولا لهم شرك فى ذلك
ولا لكم كتاب يبيح لكم ذلك ويأذن لكم وتعلمون ان الله هو الفاعل لذلك كله حيث قال ولئن سالتهم من خلق السموات و
الارض ليقولن الله ولا لكم كتاب فى ذلك لان الكتاب حجة وصولها اليه الرسول وانتم لا تؤمنون بالرسل فكيف عبدتموها و
تركتم عبادة من تعلمون انه الفاعل لذلك والقادر وقوله عز وجل ماذا خلقوا من الارض يحتمل جواهر الارض نفسها ويحتمل
الخارج منها مما به معاشهم وقوامهم وكذلك قوله ام لهم شرك فى السموات يحتمل فى جواهرها ويحتمل ما ينزل عنها مما به معاشهم و
ارزاقهم وقوله عز وجل فهم على بينات منه اى على حجة وبيان منه وقوله عز وجل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا يحتمل وعدهم الذين ذكر لبعضهم بعضا ما قالت القادة منهم والرؤساء للاتباع هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وما يسولهم على الاتباع من امر الكتاب والرسول هو ساحر كذاب وانه مفترى وامثال ذلك مما يكثر
عدوه فذلك كله منهم تغرير للاتباع وقوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده يحتمل ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله اروني ماذا خلقوا من الارض فان كان على هذا فيقول تعلمون ان الله
هو رافع السموات والارض والممسك لها والمانع عن ان تزولا عن مكانها لا يقدر احد الى اعادتهما ولا امساكهما سواه فكيف
تعبدون من لا يملك ذلك او ان يكون صلة قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الاية كادتا ان يتفطرن وتنشق
حين قالوا اتخذ الله ولدا وله شريك فانما قالوا اتخذ الله ولدا كادتا ان تزولا من مكانهما وتسقطا عليهم لعظيم ما قالوا فى الله سبحانه
وجائز ان يكون لا على الصلة بشئ مما ذكر ولكن على الابتداء فان كان على الابتداء فهو يخبر عن قدرته وسلطانه حيث رفع
السماء وامسكها فى الهواء مع غلظها وشدتها بلا عمد من تحت ولا شئ من فوق يمنعها عن الانحدار والزوال عن مكانها والاقرار
على ذلك والتقرير وفى الشاهد ان ليس فى وسع احد من الخلائق امساك الشئ فى الهواء ولا اقامته الا باحد هذين السببين اما من
تحت واما من فوق وكذلك الارض حيث وضعها وبسطها على الماء ومن طبعها التسرب والتسفل فى الماء لا القرار عليه حيث
لا يحفر مكان منها الا ويخرج منه الماء فدل تقرير الارض على الماء وامساك السماء فى الهواء بلا شئ يقرها ويمنعها عن التسفل
والانحدار انه الواحد القادر بذاته لا يعجزه شئ وقوله عز وجل انه كان حليما غفورا حليما حين لم يرسل السموات عليهم لعظيم
قولهم على الله والقول فيه بما لا يليق به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وحيث لم يعجل بعقوبتهم فى الدنيا غفورا
رحيما حيث ستر عليهم ذلك ولم يفضحهم فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم هو قسمهم بالله
ومعناه والله اعلم ان العرب كانت من عادتهم انهم كانوا يحلفون بالاباء والطواغيت لا يحلفون بالله الا فيما عظم امره وجل
قدره تاكيدا لذلك الامر لذلك كان قسمهم بالله جهد ايمانهم وقد ذكرنا معنى جهد الايمان فيما تقدم وقوله عز وجل لئن
جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فيه دلالة انهم قد وقعت لهم الحاجة ومستهم الضرورة الى رسول يبين لهم امر
الدين وما مصالحهم وما لهم وما عليهم حيث اقسموا وعهدوا انه لو جاءهم نذير لاتبعوه واقتدوا به ثم تركهم لذلك العهد لما
لم يروه اهلا لذلك لما كان هو دونهم فى امر الدنيا استكبارا منهم عليه ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم او ان تركوا اتباعه ونقضوا عهدهم لما راوا مذاهب الناس مختلفة فظنوا ان الاختلاف يرتفع من بينهم به فاذا لم
يرتفع تركوا اتباعه او لمعنى اخر لا نعلمه والله اعلم وقوله عز وجل ليكونن اهدى من احدى الامم قال بعضهم يعنون اليهود و
النصارى وجائز ان يكون ارادوا بذلك الامم جميعا لكنهم لم يروا الحق الا الواحد منها فقالوا ليكونن اهدى من احدى الامم
والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الارض لما ذكرنا وقوله عز وجل ومكر السيئ
يحتمل مكرهم ما مكروا برسول الله من انواع المكر حين هموا قتله واخراجه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ويحتمل
ايضا ما ذكر انه لما خرج ودعا الناس الى توحيد الله قعدوا على الطرق والمراصد اناسا يقولون لمن قصد رسول الله انه ساحر وانه
كذاب وانه مجنون يصدون الناس بذلك عنه فذلك كيدهم ومكرهم انه وقد كان منهم برسول الله من انواع المكر سوى ذلك
ما لا يخفى وقوله عز وجل ولا يحيق المكر السيئ الا باهله يحتمل قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فى حق الدنيا من انواع

العذاب

العذاب والقتل الذى نزل بهم ويحتمل ان يكون ذلك فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فهل ينظرون الا سنة
الاولين وقال بعضهم ما ينظرون الا سنة فى الاولين وسنته فى الاولين الاستيصال والاهلاك عند العناد والمكابرة و
قال بعضهم ما ينتظرون بايمانهم الا سنة الاولين وسنة الاولين الايمان عند معاينتهم العذاب وان كان لا يقبل ولا ينفعهم
ذلك كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقوله عز وجل فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا
هذا يحتمل وجوها احدها لن تجد لسنة الله وهى الاستيصال عند العناد والمكابرة تحويلا وان اختلف جهة الهلاك والا
كقوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وقوله تشابهت قلوبهم لا شك ان نفس القول منهم مختلف فى الكفر وسببه متفق
ثم اخبر ان قول هؤلاء قولا وتلك تشابهت قلوب بعض بعضا وان كان سبب ذلك وجهة الكفر مختلفا فعلى ذلك
لا تحول ولا تبدل وهى الاستيصال وان كان جهة ذلك وسببه مختلفا والثانى فلن تجد لسنة الله التى سن فيهم وحكم
مدفعا ولا مردا اى لن يجدوا الى دفع ما سن فيهم وحكم من العذاب والهلاك ولا ردا كقوله ولا يجدون عنها محيصا والثالث
فلن تجد لسنة الله وهى ايمانهم الذى يؤمنون عند معاينتهم العذاب وعند نزوله بهم تحويلا وتبديلا اى يؤمنون لا
محالة ولكن لا ينفعهم ذلك فى ذلك الوقت والرابع ان كل سنة سن فى كل قوم وكل امة وان اختلفت لن تجد لذلك تحويلا
ولا تبديلا والله اعلم وقوله عز وجل اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذا يخرج على وجهين
احدهما قد ساروا فى الارض ونظروا الى ما حل باولئك بالتكذيب فى العناد لكن لم يتعظوا بهم ولم ينفعهم ذلك والثانى
على الامر ان سيروا فى الارض وانظروا بالذى نزل باولئك وبم نزل واتعظوا بهم وامتنعوا عن مثل صنيعهم والثالث انهم
وان ساروا فى الارض ونظروا فى اثارهم لم ينفعهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وكانوا اشد منهم قوة اى انهم كانوا
اكثر عددا واشد قوة وبطشا منكم ثم لم يكن لهم دفع ما نزل بهم وحل فانتم يا اهل مكة مع قلة عددكم وضعفكم لا تقدرون
على دفع ذلك عن انفسكم وقوله عز وجل وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض الاعجاز فى الشاهد يكون
بوجهين احدهما الامتناع يقول لا يقدر احد ان يمتنع عنه ومن عذابه والثانى القهر والغلبة يقول لا يسبق منه بالقهر
والغلبة بل هو القاهر والغالب على خلقه انه كان عليما قديرا وقوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اى بما كسبوا
من المعاصى والمساوى ما ترك على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض وجه اكتفاء بما سبق من ذكر الارض وهو قوله
ان الله يمسك السموات والارض وعلم الناس وفهموا من ذكر الظهر ظهر الارض لكسب ما يكتسب ثم قوله ما ترك
على ظهرها من دابة قال بعضهم المراد بالدابة المخاطبون المميزون وهم بنو ادم خاصة لانهم اهل الاكتساب والاجتراح اذ قد ذكر الا
هلاك بما يكتسبون وهم اهل الاكتساب دون غيرهم من الدواب وقال بعضهم كل ما بر من البشر وغيره لان غيره من الدواب
انما نشئت للبشر ولحوائجهم لا لحاجة انفسها او المنفعة لها حيث قال هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله
وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فاذا كان غيره من الاشياء منشاة لهم فاذا اهلكوا لم اهلك ما كان
منشاه لحوائجهم ولمنافعهم ولكون اهلاك ما ذكرنا من الدواب خروجا عن الحكمة على ما يقول الثنوية انه ليس من فعل
الحكيم الامر بذبح اسلم الدواب والانتفاع بلحمها قبل هكذا اذا كانت تلك منشاة لا لانفسها ولمنافعها فاما اذا كانت
ما ذكرنا انها منشاة لنا ولمنافعنا فجاز الانتفاع بها مرة بعينها ومرة بلحمها ولا يكون فعل ذلك ولا الامر به غير حكمة
ثم الفرق بين اباحة الانتفاع بلحم اسلم الدواب وحظر لحم العادية منها والمضرة لانه جعل حفظ ما ليس بعاد ولا مضر
الينا وعلينا حمل مؤنتها والذب عنها ودفع المضرة فاما العادية منها والمضرة فهى ممتنعة بنفسها متحملة مؤنتها كذلك كان
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اى لم يؤاخذهم بما كسبوا على ظهرها لما جعل لهم من المدة احب ان ينقضى
ذلك وينتهى بما جعل لهم من المدة وما ضرب لهم من الوقت فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اى عن بصيرة وعلم بكسبهم
وصنيعهم وما يكون منهم ضرب لهم المدة والوقت الذى ينتهون اليه ويبلغون اجالهم لا عن جهل بل لم يزل عالما بما يكون منهم
لكن لما كان ضرب ذلك الذى علم انه يكون منهم راجعا اليهم انشاء لهم وجعل لهم المدة وقد ذكرنا هذا فى غير موضع والله اعلم
قال القتبى اساود جمع سواد وهو الذى يجعله المراة فى معصمها والنصب المشقة والتعب واللغوب الاعياء يقال لغب يلغب
لغوبا فانا لاغب والغيث غيوثى اى كلفنه حتى اعياه وهو قوله فى عويصة والاصطراخ صياح الصوت والمقت البغض

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يس والقران الحكيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يا انسان يعنى محمدا اقسم به يا محمد انك حق القران من
عند الله نزل وهو بلسان الحبشة وقال بعضهم هو بلسان طى وقتادة يقول قسم اقسم بالقران انك لمن المرسلين ويقول
كل هجاء فى القران فهو اسم من اسماء القران وقال بعضهم هو من فواتح السورة وقيل بعضهم فواتح يفتتح بها كلامه وكل

بعضهم اسم من اسماء الرب وعن معاذ بن جبل وكعب رضى الله عنهم قالا يس قسم اقسم الله به يا محمد انك لمن المرسلين على صراط
مستقيم وان الخطاب به على اثر قوله يس على انه هو المراد بقوله يس اذ لا يستقيم الخطاب بقوله انك لمن المرسلين الا على سبق
خطاب له وذكر اسم قال عكرمة هو حرف من الهجاء الذى افتتح به السور كسائر حروف الهجاء التى اقسم الله بها يتلوا تلك الحروف
من القران ولايات والكتاب اذ من عادة العرب الاقسام بكل ما عظم خطره وجل قدره فان قيل كيف اقسم بالقران وهم كانوا
ينكرون القران انه من عند الله قيل انهم ان كانوا ينكرون فقد عظم قدره وجل خطره عندهم بما عجزوا عن اتيان مثله
بعد قرع اسماعهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية ونحوه والثانى اقسم به وان كانوا ينكرون لما ان اقسم به
يحملهم عن السؤال منه اذ كانوا لا يقسمون الا بما عظم قدره وجل خطره يقولون ما هذا القران الذى اقسم به وما بال الاتوعا انه
قال تنزيل العزيز الرحيم فكانه على سؤال خرج على هذا انه تنزيل العزيز الرحيم او ان يكون قسم به وبغيره من الاشياء التى عظم
خطرها عندهم على اضمار القسم برب هذه الاشياء وباطهها هذا على قول من يقول بان القسم بالله حقيقة لا بتلك الاشيا
مستقيم وعلى قول من يجعل القسم بها لا على الاضمار وما ذكرنا وقوله الحكيم اى المحكم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
على ما وصف وقال بعضهم المحكم بالحلال والحرام والوعد والوعيد من غير ان يكون فيه اختلاف وقال بعضهم الحكيم لان من
يمسك به وعمل بما فيه بصيرا حكيما وقوله عز وجل انك لمن المرسلين ولم يقل انك لرسول وكلاهما سواء غير ان قوله انك لمن
المرسلين الذين امنوا بهم من قبل وصدقوا بهم زيادة ليس ذلك فى قوله انك لرسول والله اعلم وقوله عز وجل على صراط مستقيم
قال بعضهم المستقيم القائم وتاويله القائم بالحجج والبراهين ليس بالعوج كسائر الاديان والسبل وقال بعضهم المستقيم
المستوى اى مستوى على ان من سلكه افضاه الى الله وبلغه الى دار السلام وقال بعضهم المستقيم اى استقام بالحق والعدل
والصدق لا زيغ فيه ولا جور ولا عدول ولا اعوجاج ويحتمل ان يكون ذلك وصف النبوة والرسالة التى تقدم ذكرها ويحتمل
وصف الدين وذلك عامة قول اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل تنزيل العزيز الرحيم اى ذلك القران الذى اقسم به هو
تنزيل العزيز الرحيم اى من عنده نزل واحكم من نفسه عزيزا رحيما عظيما لطيفا ظاهرا باطنا اولا اخرا وفى الشاهد من وصف
بالعز لا يوصف بالرحمة ومن وصف بالعظم لا يوصف باللطافة ومن وصف بالظاهر لا يوصف بانه باطن ومن وصف بالاول
لا يوصف بالاخر ليعلم ان المعنى الذى وصف به الخلق غير الذى وصف به الرب تبارك وتعالى لان من وصف من الخلق
بواحد مما ذكرنا لم يستحق الوصف بالاخر وانما وصف به الرب تبارك وتعالى غير ما وصف به الخلق تعالى الله علوا كبيرا وقوله
عز وجل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اختلف فيه قال بعضهم لتنذر قوما مثل الذى انذر اباؤهم من الايات التى اتاها فلم
يقبلوها فهم غافلون امنون وقال بعضهم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اى لتنذر قوما امنين لم ينذر اباؤهم من قبل يقول
فانه لم يكن انذارة للامنين من قبل كانه يقول لتنذر قوما امنين لم ينذر اباؤهم الامنون من قبل ولذلك قال لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم وهو كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وقوله وما ارسلنا اليهم من قبلك من نذير
اعلم ترسل اليهم من قبلك من نذير واصلها انه يحتمل انه لا ينجع فى هؤلاء النذارة كما لم ينجع فى ابائهم بل هم غافلون ثم
الانذار يحتمل ان يكون بالنار فى الاخرة والتعذيب بها ويحتمل بالايات التى اتاها فى الدنيا والقتل فيها والله اعلم وقوله
عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون قيل هو قوله لابليس حيث قال لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين ومن الجنة والناس اجمعين اى حق ذلك القول ووجب ثم يحتمل ذلك فى الذين ذكره بعض اهل التاويل ان نزلوا
برسول الله قتله واذاه [illegible] ويحتمل ان يكون ذلك فى جميع من [illegible]
[illegible] فى الاخرة او فى قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون الا ترى
انه قال على اثر ذلك وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون [illegible]
[illegible] المعتزلة [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون
يحتمل ان يخرج على التمثيل ويحتمل على التحقيق فان كان على التمثيل فهو وصفهم [illegible]
والكف عن الانفاق على الفقراء والمساكين واهل الحاجة من اصحاب رسول الله [illegible]
عن البخل [illegible] الانفاق [illegible]
ذلك جائز ان يكون [illegible] على التحقيق [illegible]
ان ابا جهل [illegible] النبى صلى الله عليه وسلم
[illegible] فلما رجع الى اصحابه قال رجل انا اقتله [illegible]

النبى

النبى وسمع قراءته فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فذلك قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا ويحتمل ان يكون
ذلك لهم فى الاخرة ان كان على التحقيق وهو كقوله اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم وقوله لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل ونحو ذلك مما ذكر فيكون قوله جعلنا اى سنجعل ذلك لهم وكذلك جائز فى الكلام كقوله لعيسى حيث قال
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اى يقول له يوم القيامة فهو بعيد غير معقول فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من
قوله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا وجعلنا من بين ايديهم سدا الى اخر ما ذكر فى الاخرة اى سنجعل لهم فى الاخرة ذلك ويحتمل ان
يكون فعل ذلك بهم فى الدنيا من قصدهم برسول الله ما قصدوا حتى لم يجدوا السبيل اليه لا من بين يديه ولا من خلفه ولا من جهة
من الجهات وان يكون قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون على التمثيل اى جعلنا بينهم
وبين الحق سدا من امام ومن خلف فاغشينا ابصارهم فلا يبصرون الحق ابدا وذلك فى القران كثير والله اعلم وقوله انا جعلنا فى
اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان وان الغل يكون طرفه فى العنق وطرفه الاخر فى اليد فيكون اليد اليمنى مغلولة الى العنق وعلى ذلك
ذكر فى حرف ابن مسعود انه قرا انا جعلنا فى ايمانهم اغلالا وفى بعض الحروف فى ايديهم اغلالا وقوله فهم مقمحون قال بعضهم
رافعوا رؤوسهم الى السماء لانه كذلك يكون اذا غل عنق المرء الى الذقن لا يستطيع ان ينظر الى الارض ولذلك قيل للابل اذا شربت
الماء فقمحت اى رفعت رأسها وقال بعضهم الاقماح هو غض البصر وقال ابو عوسجة والقتبى المقمح الذى يرفع راسه ويغض
بصره ويقال قامح طرفه بعد رفع راسه جعلت ايديهم الى اعناقهم وقوله تنزيل العزيز الرحيم قد قرئ بالرفع والنصب والخفض جميعا
فمن قراها بالرفع فهو على الابتداء ومن قراها بالخفض فهو على النعت كقوله والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم ومن قرا بالنصب فعلى
القطع لان الكلام قد تم دونه وقوله عز وجل فاغشيناهم بالغين والعين جميعا فمن قرا بالغين فهو من الغشاوة ومن قرا بالعين
فهو من قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن وهو من الاعراض وفى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وجهان من الاستدلال
على المعتزلة لقوله فاغشيناهم اضافه الى نفسه وان كان منهم صنع ويجوز ان يسند ليخلق افعالهم منهم وقوله عز وجل انما تنذر
من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب معناه والله اعلم ينتفع بالانذار من اتبع واجابك فيما تدعوه اليه والا كان ينذر من اتبع الذكر ومن لم
يتبع من خشى الرحمن ومن لم يخش وانما ينتفع بانذارك من اتبع الذكر وخشى الرحمن فاما من لم يتبع الذكر ولم يخش الرحمن فلا ينتفع او ان
يكون فيه اخبار بانذاره من اتبع الذكر وليس فيه نفى عن انذار من لم يتبع الذكر ولا تخصيص منه بانذار احد الفريقين دون الاخر والله
اعلم والذكر يحتمل القران ويحتمل غيره من الذكر كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله عز وجل وخشى الرحمن بالغيب اى بالايات
والاخبار التى اتتهم انها من غير مشاهدة ونعتهم او بالغيب بالداوة منه ان لا سلطان وقدرة تحايره يخشوا عذابه ونقمته والله
اعلم وقوله عز وجل فبشره بمغفرة واجر كريم يحتمل البشارة بالمغفرة عما سلف من الذنوب والاجرام اذا رجعوا عنها وعن بغضه
كان منهم فى الفعل فى حال ذلك وان اعتقدوا فى الجملة انه لا يخالفوا ربهم فى فعل ولا فى قول اذ كل مؤمن يعتقد فى اصل ايمانه ترك مخالفة
الرب فى كل الاحوال وان تخالف فى بعض احواله تقصيرا ومخالفة الرب لغلبة شهوة او طمع فى عفوه ورحمته واجر كريم قيل حسن ويحتمل
تسمية كريما لما يكرم كل من نال ذلك والله اعلم وقوله عز وجل انا نحن نحيى الموتى كانه والله اعلم يذكر هذا البعث فى موضع الاحتجاج عليهم
ويكون على الاخبار انه هو يحييهم اذا ماتوا وقوله عز وجل ونكتب ما قدموا واثارهم قال عامة اهل التاويل نكتب ما قدموا من خير وشر
فى حياتهم وعملوه ونكتب ايضا اثارهم وهو ما سنوا من سنة خيرا وشرا فاقتدى بهم بعد موتهم على ما ذكر فى الخبر ان من سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اجورهم شئ ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم
القيامة من غير ان ينقص من اوزارهم شئ وهو كقوله ايضا ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال بعضهم واثارهم اى خطاهم التى
خطوها فى الخير والشر وقال قتادة لو كان الله مغفلا شيئا من شانك يا ابن ادم اغفل ما تعفى الرياح من هذه الاثار وروى على
هذا عن ابن عباس وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهما قالا ان الانصار كانت منازلهم بعيدة من المسجد فارادوا ان ينتقلوا قريبا
من المسجد فنزل انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا فان ثبت هذا
فهو دليل لمن يقول بالاثار الخطا وقوله عز وجل وكل شئ احصيناه فى امام مبين اى كل شئ من اعمالهم من خير او شر محفوظ فى امام
مبين اى فى الكتاب الذى يكتب اعمالهم فى الدنيا كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم اى بكتابهم الذى كتب اعمالهم فيه الاية ثم قال فمن اوتى
كتابه بيمينه الاية ويحتمل الامام المبين ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ والله اعلم وقوله عز وجل واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون يحتمل الامر لرسوله بضرب مثل اصحاب القرية لقومه وجهين احدهما ان الخبر قد كان بلغ هؤلاء الذى بعث اليهم الرسل وما
نزل بهم بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم الا انهم قد نسوا ذلك وغفلوا عنه فامرهم بالتذكير لهم والتنبيه ليحذروا عن
مثل صنيعهم وسوء معاملتهم رسولهم والثانى يحتمل انه لم يكن بلغهم خبر اولئك وما نزل بهم بسوء معاملتهم الرسل فامر ان يعلم قومه
ذلك ويبين لهم فيسالون عن ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كانوا فى كتبهم فيعرفون صدق رسول الله فيما يخبرهم فيكونون على
ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كان فى كتبهم فيعرفون صدق رسول الله فيما يخبر فيكونون على حذر عن مثل صنيعهم وسوء معاملتهم الرسل

وعلى ذلك يخرج هذه الانباء والقصص المذكورة في الكتاب على هذين الوجهين والله اعلم وقوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم
اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث اي قوينا بثالث اختلف فيه قال بعضهم ان عيسى بن مريم كان بعث اليهم اولا رسولا فاتاهم
فدعاهم الى التوحيد واقام على ذلك حججا وبراهين فكذبوه وقالوا ما نعرف ما تقول ثم بعث من بعده رسولين فقال لهما ذلك الرسول
انهم سيكذبونهما كما كذبوني قبلكما وسيقولون لكما اذا دعوتماهم الى التوحيد ماذا تحسنان فاذا قلتما نبرئ الاكمه والابرص
قالوا فينا من يحسن ذلك فاذا قلتما نشفي المريض قالوا فينا من يحسن ذلك ويجوزه ولكن قولا انما نحيي الموتى وانا اقول لهم لا احسن
انا فهو قوله فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا بثالث ففعلوا ذلك فقالوا عند ذلك قد تواسيتم علينا
بهذا الكلام او تواطأتم او كلام نحوه فاخذوا وعذبوا واهلكوا وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومنهم من يقول بعثا ولا رسول الاول
فكذبوهما فبعث ثالث بعد ذلك فعززنا بثالث اي عززنا الرسولين بثالث اي قويناهما وقرا بعضهم فعززنا بالتخفيف اي غلبنا الكل
ذكر انهم قتلوا جميعا واهلكوا اعني الرسول فكيف يكون الغالب مقتولا مهلكا ويجوز ان يكون المقتول معنوي دلالة قراءة من
يقرا بالتخفيف ضعيف والاول اقوى واقرب والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا لم يزل قول الكفرة للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء وكذلك قول اهل مكة لرسول الله انه ساحر وانه مجنون وانه
مفتري مختلق وقولهم وما انزل الرحمن من شيء وقوله عز وجل ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لما اي سوا من ابائهم وبعضهم انما
فوضوا الى الله وتضرعوا اليه او ان يقولوا بان الله اعلم بما اطلعكم بانا اليكم لمرسلون بالحجج والايات وقوله عز وجل وما علينا
الا البلاغ المبين اي ليس علينا من ترك اجابتكم لنا ورد الرسالة شيء انما ذلك عليكم وقوله عز وجل قالوا انا تطيرنا بكم
دل هذا القول منهم على انه قد نزل شيء من العذاب والشدة حتى تشاءموا بهم ذلك ولم يزل عادة الكفرة التطير بالرسل عند نزول
البلاء بهم كقوله فقالوا اطيرنا بك وبمن معك وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الاية وقوله عز وجل قالوا طائركم معكم
يقول والله اعلم شؤمكم معكم حيثما كنتم ما دمتم على ما انتم عليه من العناد والتكذيب ويذكر اهل التاويل ان القرية كانت انطاكية
وان الذي بعث هؤلاء الرسل اليهم عيسى صلوات الله عليهم ولكنا لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل
قالوا طائركم معكم اين ذكرتم بل انتم قوم مسرفون قال بعضهم شؤمكم معكم اين كنتم وحيثما كنتم ما دمتم على ما انتم عليه وقال
بعضهم طائركم معكم اذ ذكرتم فلم تقبلوا التذكير ونحوه ويحتمل وجها اخر ان الذي اصابكم كان مكتوبا في اعناقكم اين وعظتم
بالله فتطيرتم بنا بل انتم قوم مسرفون وقوله عز وجل وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين قال عامة اهل
التاويل ان هذا الرجل يسمى حبيب النجار وهو من بني اسرائيل كان في غار يعبد الله فلما سمع بالرسل نزل فجاء فقال ذلك ما قال لكن
لا ندري من كان وليس لنا الى معرفة اسمه حاجة ثم يحتمل قوله من اقصى المدينة رجل يسعى رغبة في الرسل وفي دينهم فدعاهم الى
اتباع الرسل او ان يكون كان مؤمنا مستخفيا فلما بلغه خبر اهلاك الرسل جاء يسعى اشفاقا عليهم لئلا يهلكوا اعني الرسل
فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي اتبعوا الهدى والهدى مما يجب ان يتبع ولا يسالكم على
اتباع الهدى اجرا فيمنعكم الاجر عن اتباع الهدى وان يقول اتبعوا المرسلين واعلموا انهم مهتدون حيث لا يسالكم الاجر ولا
الشرف في الدنيا ولا العز وكل من لا يسال هذا فهو مهتد وكل مهتد متبع وهذا يدل ان طلب الاجر في ذلك مما يجعل صاحبه معدودا
في تلك الاتباع وكذلك قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا يسالكم اجرا حتى يمنعكم ثقل الاجر عن اجابته واتباعه
وهذا ينقض ويبطل قول من يجيز اخذ الاجر على تعليم القران والعلم لانه اذا كان له ان لا يعلم الا بالاجر كان له ان لا يعلم بلا اجر ففي
ذلك ابطال الدين والشرايع وجعل الرخصة لهم في ترك ذلك وهو قبيح والله اعلم وقوله عز وجل وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه
ترجعون يخرج على وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم بعد سؤال كان منهم وكانه قال في الرجوع الى عبادة من يعبد من دون الله
وترك عبادة الله فقال انكم تعبدون هذه الاصنام رجاء ان يقربكم ذلك الى الله زلفى وما لي لا اعبد الذي ترجعون انتم الزلفى و
القربة منه والثاني على التذكير والتنبيه لهم انتم تعلمون ان الذي فطرنا وخلقنا هو المستحق للعبادة لا من لم يفطر ولم يخلق ثم تعلمون
ان الله هو فطرنا وخلقنا الاصنام التي تعبدونها وما لي لا اعبد الذي فطرنا واترك الذي لم يفطرنا والله اعلم وقوله عز وجل واتخذ
من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون يقول لا اتخذ من دون الله معبودا ان اراد الله بي
ضرا لم يملك ذلك المعبود دفع ذلك عني ولو نزل بي شدة او بلاء منه لم يقدر ان يستنقذني منه ولو طلبت منه جر نفع لم يقدر على
جلبه الي واترك عبادة من اعلم ان ذلك كله منه وهو المالك لذلك كله من جر نفع ودفع ضر وبلاء وفي الحكمة العبادة لمن يملك
ذلك كله لا لمن لا يملك وبالله التوفيق اني اذا لفي ضلال مبين اي لو فعلت ذلك فانا كنت في ضلال مبين فذكر انه لما قال لهم ذلك
هموا بقتله فعند ذلك قال اني امنت بربكم فاسمعون يحتمل قوله فاسمعون اي اجيبون في قوله اتبعوا المرسلين الاية قال بعضهم
فاسمعون اي اشهدوا لي ويحتمل قوله فاسمعون حقيقة السماع اي اسمعوا قولي واياي لا يبغي عنه ما يحزنني والله
اعلم وقوله عز وجل قيل ادخل الجنة قال بعضهم اي وجبت له الجنة ما ذكر للشهداء وراى الثواب فقال عند ذلك يا ليت قومي

يعلمون بما غفر لي ربي الاية ويحتمل دخوله الجنة ما ذكر للشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية او ان يكون قوله
قيل ادخل الجنة ان يقال له في الاخرة كقوله لعيسى ءانت قلت للناس وانما هو ان يقال له يومئذ فعلى ذلك يحتمل الاول وقوله
عز وجل يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين قيل انه نصحهم حيا وميتا ولم يترك نصحهم لمكان ما عاملوه وفعلوا
به من السوء وانواع التعذيب ولكن تمنى اي ليت قومي اي يكونوا يعلمون ما اعطي هو بالايمان بربه والتصديق برسله ليعطوا
مثل ما اعطي هو وهكذا الواجب على كل مؤمن ان لا يترك نصيحته لجماعة المؤمنين وان لحقه منهم اذى وسوء وقال قتادة ولا
يلقى المؤمن الا ناصحا ولا يلقى غاشا لما عاين ما عاين من كرامة الله قال ليت قومي يعلمون بما يمنى والله ان يعلم قومه ذلك اعلوان
اهل الايمان ليسوا باهل غش ولا خيانة لعباده وقال قيل لروحه ادخل الجنة فتمنى روحه ان الى ما صار هو ليؤمنوا بالرسل
ولا يكذبوهم وقوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء اي من بعد قتل ذلك الرجل من جند
من السماء من الملائكة اي لم تنزل على قومه في هلاكهم بعد صنيعهم بمكانه واهلاكهم اياه جند من السماء ولكن اهلكوا
بصيحة واحدة اي لم تفعل بهم كما يفعل ملوك الارض اذا قتل رسلهم واهلك اولياؤهم يبعثون بجنود في استيصال من فعل
ذلك بهم ولكن اهلكهم بصيحة واحدة ثم يحتمل قوله ان كانت الا صيحة واحدة اي قدر صيحة واحدة اي اهلكوا بقدر صيحة
واحدة في سرعتها ويحتمل الاهلاك بالصيحة اي اهلكوا بالصيحة والله اعلم وقوله عز وجل فاذا هم خامدون قيل موتى مثل
النار اذا خمدت وطفيت لا يسمع لها صوت وقوله عز وجل يا حسرة على العباد في تركهم الايمان بالله وتكذيبهم الرسل و
الاستهزاء بهم والحسرة قال بعض اهل الادب هي الغاية من الندامة اذا انتهت الندامة غايتها يقال الحسرة وقال بعضهم
الحسرة والحزن والتحزن والتندم وهو واحد ثم قال بعضهم في قوله يا حسرة على العباد اي يا حسرة الرسل على ذلك المؤمن المقتول على
الايمان بهم وقال بعضهم يا حسرة اولئك الكفرة على انفسهم اذا عاينوا العذاب على ما كان منهم من الاستهزاء على الرسل كقوله يا حسرتنا
على ما فرطنا فيها وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله والله اعلم وقوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم
لا يرجعون فان قيل كيف احتج عليهم بالرجوع اليهم وهم كانوا ينكرون البعث والرجوع بعد الموت فهو يخرج على وجوه احدها
الم يروا اي قد راوا اهل مكة هلاكهم في الدنيا وانهم اليهم لا يرجعون احياء فيخبرونهم انهم بما اهلكوا في هذه الدنيا وبماذا
عذبوا فهلا يعتبرون ويتعظون انهم انما اهلكوا بتكذيب الرسل فينزعوا عن ذلك وان كل يعني الامم كلها يقول والله وما
كل الا جميع الدنيا محضرون في الاخرة او يقول الم يروا كم اهلكنا قبلهم بالتكذيب الرسل من القرون انهم اليهم لا يرجعون
ابدا حتى يوم القيامة وهما واحدا وان يكون ذلك يخرج على ابطال قول اهل التناسخ حيث قالوا ان الارواح اذا خرجت من ابدان
قوم دخلت في اخرى فيقول والله اعلم وقد اعلمهم الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون اذ لم يردوها
[illegible] خرج من جسد هذا ودخل في اخر [illegible] وان يكون ذلك يخرج على نقض قول قوم وهو ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
[illegible] ان ناسا [illegible] يوم القيامة [illegible]
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون [illegible]
[illegible] فلا بد من دار اخرى [illegible] بين المصدق وبين المكذب وبين
المحمود والمذموم [illegible] وان كل لما جميع لدينا [illegible]
[illegible] ان المقصود من انشاء هذه تلك ومن هذا العالم الفاني ذلك العالم الباقي
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل واية لهم الارض الميتة احييناها [illegible]
[illegible] بانواع
النبات [illegible] على احياء الموتى بعد ما بليت اجسادهم [illegible]
وما راوا ان من قدر على هذا لا يعجزه شيء ولا يصعب عليه شيء فهذه اية ظاهرة على البعث [illegible]
[illegible] واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من النخيل والاعناب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

والعناب وفي قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا الى اخر ما ذكر من انواع الفواكه والثمار وغيرها آية و
الوحدانية له والالوهية ودلالة الجود والكرم له ليرغبوا فيه ويطمعوا منه ودلالة عدله وسلطانه ليهابوه ودلالة
البعث لما ذكرنا ودلالة ان هذه النعم منه يشكروه حيث قال في اخره افلا يشكرون والله اعلم وقوله عز وجل سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون من الناس من يقول ان الازواج هي التي لها مقابل من الاشكال
والاضداد ما للخلق فيه فعل وما لا صنع لهم فيه حيث قال مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ويستدل بذلك على
خلق افعال العباد وهو ما قال خلق الازواج كلها من الازواج ما يكون فعلا لهم وقد اخبر انه خلق كلها دل ان خالق افعالهم
والله اعلم وقوله عز وجل وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون في ذلك آيات من وجوه احدها آية القدرة على البعث
والاحياء بعد الموت والثانية آية الوحدانية له والالوهية والثالثة آية العلم الذاتي والتدبير الازلي اما دلالة البعث فهو
ما ذكر من جعل ما هو ليل نهارا ومن جعل ما هو نهار ليلا بعد ذهاب اثر هذا بكليته حتى لا يبقى منه شيء ومجيء الاخر وانتزاع
هذا من هذا وادخاله في الاخر دلالة انه قادر بذاته لا يعجزه شيء وله قدرة ذاتية لا مكتسبة مستفادة فمن قدر على هذا قادر
على الاحياء بعد الموت اذ الاحياء بعد الموت ليس بابعد مما ذكرنا من جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا والاعجوبة في هذا
ان لم تكن اكثر اعني في جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وادخال احدهما في الاخر ليس بدون الاحياء بعد الموت
فاذا كان كذلك دل انه قادر بذاته لا باقدار من غيره فلا يعجزه شيء ولا قوة الا بالله واما دلالة الوحدانية فهو انشاء الليل
من ذي انشاء الى اخر ما تنتهي اليه واجراؤه على مجرى واحد وسنن واحد من الليل والنهار وادخال هذا في هذا وهذا في هذا
دلالة انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا اتى احدهما بالليل غلب على الاخر فلا يقدر المغلوب على اتيان النهار بعد ذلك
وغلبه صاحبه وقهره وكذلك منشئ النهار اذا غلب على منشئ الليل لم يقدر على اتيانه بالاخر وغلبته عليه ويمنع كل واحد منهما صاحبه
عن ادخال شيء مما انشاه هو فيما انشاه الاخر فاذا لم يكن ما ذكر دل انه واحد وهو على الثنوية واما دلالة العلم الذاتي له والتدبير
الازلي هو اجراء الدهر من اول ما انشاه على تقدير حاجة اهله اعني حاجة اهل الدهر وعلى تقدير منافعهم واتساقه على امر واحد
على غير تغير وتفاوت تقع في ذلك وتفاضل الى ما ينتهي اليه وينتهي حاجتهم ومنافعهم دل انه كان لم يزل عالما بحوائجهم و
منافعهم حيث اجرى الدهر على تقدير حوائجهم وتدبير منافعهم وان له علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا علما مكتسبا ومستفادا
وان له القدرة والسلطان حيث لم يقدر احد ان يدفع ظلمة الليل عن نفسه اذا احتاج الى النهار ولا يملك دفع النهار اذا ذو
الحاجة في الليل ولا احد ان يأتي باحدهما مكان الاخر وفي وقت اخر بل اظلم الليل الخلائق كلهم وستر عليهم كل متى شاؤوا او ابوا و
اضاء لهم النهار على كل مستور عليهم وابدا لهم على كل مختف شاؤوا او ابوا دل انه بالقدرة الذاتية كان ذلك والسلطان الذاتي لا
مكتسب مستفاد داعلم كل ذاتي لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء في حال من الاحوال وهذا يبطل قول الفلاسفة ان العقل درك
بنفسه كالنار حارة بطبعها محرقة بذاتها فلو كان يدرك بنفسه لكان لا جائز ان يكون ولا درك هنالك او يشتبه عليه
شيء بوجه من الوجوه فاذا جعل بينه وبين الدرك دل انه درك بغيره فيدرك على قدر ما يجلي وانكشف والله اعلم وقوله
عز وجل نسلخ اي ننزع منه النهار وقوله عز وجل فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلمة يقال اظلم فلان اذا دخل في الظلمة
ثم سورة يس نزلت كلها بمكة لمحاجة اهل مكة في انكارهم التوحيد وانكارهم البعث والقدرة على الاحياء ما ضادوا وما نادوا
وانكارهم الرسالة وهم كانوا طبقات على هذه المذاهب المختلفة منهم من انكر التوحيد ومنهم من انكر البعث ومنهم من كان ينكر
الرسالة ونحوها فبين الله تعالى في هذه السورة وذكر فيها الحجج على منكر التوحيد وعلى منكر البعث وعلى منكر الرسالة وهو
ما ذكر من الآيات من ذلك قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها وفي دلالة القدرة على البعث على ما بينا فيما تقدم وفي قوله واخرجنا حبا
منها فمنه يأكلون دلالة الوحدانية له لانه اخرج ما ذكر من النبات والجنات والاعناب والنخيل الى اخر ما ذكر من الارض
بمنافع من السماء تتصل بالارض فدل اتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما على ان منشئهما ومدبرهما واحد
اذ لو كان فعل عدد لكان فيه تدافع وتمانع على ما ذكرنا فيما تقدم من فعل ذوي العدد ومن التغالب والتدافع والتمانع في
العرف والله اعلم وما ذكر ايضا من الليل والنهار على تضادهما واختلافهما في داي العين وسلخ احدهما من الاخر وادخالها في الاخر
دلالة الوحدانية ودلالة البعث ودلالة العلم الذاتي والتدبير الازلي اما دلالة الوحدانية فهو ما جمع في الليل والنهار على
تضادهما واختلافهما في منافع الخلق وحوائجهم كانهما متشاكلان فدل ذلك على انهما فعل واحد لا عدد لكان فيه تدافع و
تمانع على ما ذكرنا من منع كل واحد منهما الاخر ودفع عن نفاذ امره في ذلك واتساق تدبيره وفي دل الدوام على ذلك واتساق
الامر على سنن واحد ومجرى واحد انه فعل واحد وفيه دلالة البعث لما ذكرنا من ذهاب احدهما واقرار الاخر بعد ذهابه بالكل
واحد منهما بكليته ودل اجراؤهما مجرى واحدا من اول ما انشاهما الى اخر ما ينتهي العالم على تقدير منافعهم وحوائجهم انه عالم
بذاته مدبر بنفسه وان له علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا مكتسبا مستفادا وعلى ذلك ما ذكر من جريان الشمس والقمر وتسخيرهما

لمنافع

لمنافع هذا العالم وحوائجهم وقطعهما في يوم وليلة واحدة مسيرة خمسمائة عام فدل ذلك كله على انه لا شريك له قادر لا
يعجزه شيء وعالم مدبر لا يخفى عليه شيء وعلى ذلك ما ذكر في قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون دلالة الوحدانية
والقدرة والعلم والتدبير من حيث جعل اطراف الارض كلها على تباعد ما بينهما متصلة بمنافع الخلق والحوائجهم اسبابا
انشاها لهم وعلمهم ليصلوا الى تلك المنافع والحوائج فدل انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان في ذلك على ما ذكرنا وانه
عالم بذاته مدبر ولذلك قال تقدير العزيز العليم اي ذلك الذي ذكر كان تقدير الذي لا يعجزه شيء والعليم الذي لا يخفى عليه شيء
والله القوة والشمس تجري لمستقر لها في بعض الحروف والشمس تجري لا مستقر لها فعلى هذا القول اي تجري ابدا لا مستقر لها
ولا قرار ومن قرأ تجري لمستقر لها اي لنهاية لها وغاية ثم اختلف في تلك النهاية فمنهم من يقول نهايتها وغايتها هو ذهاب هذا
العالم وانقضاؤه وتبديل عالم اخر كقوله اذا الشمس كورت وقوله الشمس والقمر بحسبان فذلك نهايتها ومنهم من يقول
مستقرها هو نزوله في كل يوم في منزل لما ذكر ان لها منازل تنزل كل يوم في منزل ثم تطلع من مكان اخر ولذلك قال والقمر قدرناه
ومنهم من يقول نهايتها ما ذكر في الخبر انها اذا غربت ترتفع الى السماء السابعة فتخر ساجدة تحت العرش ثم يؤذن لها بالطلوع
ذكر في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما اذن لها بالطلوع والارتفاع باليتها جبريل بحلة من ضوء العرش على مقدار
ساعة النهار في طوله في الصيف وقصره في الشتاء وما بين ذلك في الخريف والربيع فتلبس تلك الحلة كما يلبس احدكم ثوبه وذكر
في القمر كذلك من الحبس والسجود دون الا انه ذكر فيه ان جبريل ياتيه من نور العرش وفي بعض الاخبار يكسى من نوره فيلبس تلك
او ذلك الضوء والنور كما يلبس احدكم ثوبه فذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا كما ذكر في الخبر وقال بعضهم مستقرها
جريانها في البحر الذي خلق الله دون السماء بحر مكفوف فخاض فيه تجري الشمس والقمر والجواري الكنس ويحتمل قوله تجري لمستقر لها
اي تجري في مكان وتسير فيها والله اعلم وقوله عز وجل ذلك تقدير العزيز العليم العزيز الذي لا يعجزه شيء ويعز من ان يغلب شيء
والعليم الذي يؤمن ان يخفى عليه شيء وقال بعضهم العزيز الذي اظهر اثار الذل في خلقه لا ترى احدا الا واثر الذل والحاجة فيه ظاهرة
واما دلالة الرسالة فان اهل مكة لم يكونوا يعرفون التوحيد وعرفهم وآتاهم بالحجج وباخباره دل انه بالله عرف ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل والقمر قدرناه منازل اي قدرناه منازل يزيد وينقص ويستوي وكذلك جعل للشمس منازل ايضا تزداد
وتنقص وتستوي لكن جعل منازل القمر في تغيير في نفسه يتغير ويزداد ويستوي وينقص واما الشمس فانه جعل
تغيرها في الزيادة والنقصان والاستواء في الازمنة والاوقات فاما في نفسها فليس فيها تغير ولا نقصان ولا زيادة
فهو والله اعلم لما ذكر انه جعل القمر سببا للوصول الى معرفة الاوقات والحساب والحج بقوله يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وعلى ذلك جعل طلوعه وغروبه مختلفا في الليل والنهار وفي كل وقت وكل ساعة واما الشمس فانها في نفسها
على حالة واحدة لا زيادة فيها ولا نقصان ولا تغير الا في الوقت الذي تنكسف وكذلك طلوعها وغروبها في وقت واحد لا
يختلف ولا يتغير الا في ادنينها وقربها فانه ياخذ هذا من هذا وهذا من هذا ويدخل في هذا هذا ومن هذا في هذا واما الايام
فانه لم يجعل فيها تغيرا فهو والله اعلم لما لا يشتد على الناس حفظها ولا جعل سببا لتعريف الاوقات والحساب وقوله عز وجل
حتى عاد كالعرجون القديم قيل انه عود الكباسة القديم الذي تعلق عليه حول فاستقوس ودق شبه القمر اخر ليلة و
بطلوعه اولا اول ليلة قال بعضهم شبه القمر بالعرجون القديم وهو العذق اليابس المنحني القديم الذي اتى عليه الحول
وقوله عز وجل لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار جائز ان يكون ذكر الشمس كناية عن النهار نفسه والقمر كناية
عن الليل الا ترى انه ذكر الليل والنهار على اثر ذلك حيث قال ولا الليل سابق النهار يخبر انه لا يدرك هذا هذا ولا سابقا هذا هذا وجائز
ان لا يكون ذكرها كناية عن الليل والنهار ولكن عن بيان حقيقتهما انه لا يدرك ضوء هذا هذا فيغلبه ولكن يكون هذا في وقت و
هذا في وقت لا يجتمعان في وقت واحد ويذكر انه لا يغلب هذا على هذا ما دام في سلطانه ولا هذا على هذا ما دام سلطانه قائما يجب
عن قدرته وعلمه وتدبيره واما قدرته هو ما ذكر من تقدير الشمس والقمر والليل وحفظهما حتى لا يغلب احدهما صاحبه فيذهب به
دل حفظه اياهما على ما قدر انه انما كان بقدرة ذاتية ودل اجراؤه اياهما على مجرى واحد وعلى سنن واحد منذ انشاهما وقدرهما
الى اخر ما ينتهي اليه هذا العالم انه كان بعلم ذاتي وتدبير ازلي لا استفاد مكتسب وهذا ينقض على الثنوية قولهم ان منشئ
الظلمة غير منشئ النور لانه لو كان اثنين على ما يقولون لكان اذا غلب هذا على هذا وجاء سلطانه منعه من ان ياتي الاخر فاذا لم يكن
دل انه فعل واحد لا عدد وقوله عز وجل وكل في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر وقال بعضهم كل في فلك اي في دورانه واستدارته
يجرون على ما ذكر لا يمنع هذا هذا وعلى هذا التأويل هو الدوران الذي يدور عليه الشمس والقمر وقال بعضهم ان تحت السماء في الهواء
بحر مكفوف فيه تطلع الشمس وفيه تغرب وكذلك القمر فان كان على هذا فيكون قوله في فلك يسبحون على حقيقة السباحة و
العوم ويروى في ذلك خبر على ما ذكرنا وقال القتبي وابو عوسجة نسلخ اي نخرج والعرجون عرجون النخلة مثل العنقود من العنب
والعراجين جماعة يسبحون من السباحة ثم قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اختلف في ذلك الفلك قال بعضهم هي السفينة

التي حمل فيها نوح وابناءه وقال بعضهم اراد به السفن كلها التي يحمل عليها ويركب والفلك يقال هي واحد وجماعة فان كان
المراد بالفلك السفينة المشادة وهي السفينة نوح كان قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون غيرها من السفن التي اتخذت للركوب
وان كان المراد به غيرها من السفن كان قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون انما هي الانعام التي يركبون عليها في المفاوز والبراري
كقوله وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ونحوه ثم ان كان المراد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون السفن كان فيه
نقض قول المعتزلة في قولهم افعال العباد ليست بمخلوقة حيث اخبر انه خلق السفن والسفن انما تسمى سفنا بعد ما اتخذت وتحت
فاما قبل ذلك فهي تسمى خشبا والله اعلم ثم قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم يحتمل قوله حملنا ذريتهم معنيين احدهما انا حملنا
من انتم من ذريتهم في الفلك المشحون وهم الذين حملهم مع نوح في السفينة والثاني انا حملنا ذرية قومك في اصلاب آبائهم و
ارحام امهاتهم في الفلك نسبهم اليهم لما انهم اصل لهؤلاء كقوله خلقكم من تراب وانما نسبنا الى آدم لانه اصلنا وهو المخلوق
من التراب فعلى ذلك هذا لكن الغاية في الثاني والاول غير غاية فالثاني ان كان المراد ان يقوله وآية لهم انا حملنا
من انتم من ذريتهم هذا فغايته ايكم من ذرية من نجا من آبائكم وهم الذين آمنوا برسلهم وصدقوه لا من كذب بهم فكيف لا تتبعونهم
لان العرب من عادتهم انهم لا يزالون محتجين انا وجدنا آباءنا على امة وعلى آثارهم مقتدون وان المراد المعنى الثاني فيقول
انه قد بانكم من صدق الرسل وآمن بهم ومنهم من كذبهم فكيف اتبعتم الذين كذبوهم دون الذين صدقوهم ثم جهة الآية
في الفلك ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع اما في تذكيرهم ما انعم عليهم حيث سخر لهم البحار والبراري حتى يصلون الى قضاء
حوائجهم ومنافعهم في الامكنة النائية بعيدة بالسفن التي انشأها لهم والانعام التي خلقها لهم ويخبر عن قدرته و
سلطانه ان من قدر على تسخير هذا وايصال هذا بهذا لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ويخبر عن وحدانيته وربوبيته اذ لو
كان ذلك فعل عدد لامتنع ولم يتصل ولم يصلوا الى قضاء حوائجهم ويخبر سفههم بعبادتهم الاصنام التي عبدوها حيث
قال وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم يخبر انا لو شئنا اغراقهم لا يملك الاصنام التي تعبدونها الاغاثة لهم والاستنقاذ من
ذلك بل هو المالك لذلك كقوله ضل من تدعون الا اياه وكقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر **وقوله** عز وجل الا رحمة
منا ومتاعا الى حين يحتمل قوله الا رحمة من ربك اي لو شاء لاهلكهم واستأصلهم بالعناد والتكذيب للرسول كما فعل
بأوائلهم لكن رحمته اخر عن هؤلاء ذلك وجعل لهم متاعا الى حين وذلك منه رحمة والذين كانوا من قبل عند رؤيتهم بأس الله
كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية ثم اخبر انه لم ينفعهم ذلك حيث قال فلم يك ينفعهم ايمانهم ولكن
رحم هؤلاء لمكان رسول الله فخيل بانهم عند رؤيتهم بأسه وفي قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الآية دلالة نقض
قول المعتزلة لقولهم في الاصلح لما لا يحتمل ما ان يكون اغراقهم اياهم اصلح لهم في الدين والله اعلم **وقوله** عز وجل واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اختلف في قوله ما بين ايديكم وما خلفكم قال قائلون ما بين ايديكم ما
كان من عقوبات الله وقال قائلون بمن كان قبلكم من عنادهم في آياته وتكذيبهم رسله يقول اتقوا ذلك واحذروا
نزوله عليكم فسمى بين ايديهم لانه مضى بين ايديهم وما خلفهم من امر الساعة وما بها سمى خلف لانه يعقبه رايهم غير ما في يقول
احذروا ذلك وقال قائلون ما بين ايديكم هو عقوبات الآخرة هي بين ايديهم ستأتي بهم وستنزل وما خلفكم ما مضى من العقوبات
التي نزلت بمن كان قبلكم فصار ذلك وراءه وخلفا يقول احذروا ذلك وجايز ان يكون على غير هذا يقول والله اعلم احذروا ذنوبكم
التي عملتم ومعاصيكم التي عصيتم في الدنيا واحذروا ايضا ما تستنون ايضا الى بعدكم كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت
ما عمل وما اخرت ما سن لغيره من بعد **وقوله** عز وجل لعلكم ترحمون اي انا فعلتم ذلك استوجبتم الرحمة بفضله والله **وقوله**
عز وجل وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين هذا والله اعلم في قوم خاص اعتادوا العناد والمكابرة في رد الآيات
والاعراض عنها لما كان سؤالهم الآيات سؤال تعنت لا سؤال استرشاد ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان قد انزل لهم من الآيات
ما الزمهم قبولها والتمسك بها ثم الاعراض والعناد يكون بوجهين احدهما يعرض عنها لما لم يقع له الترك التأمل والنظر فيها والثاني
يعرض عنها اعراض عناد بعد التحقق والتيقن والعلم بها انها آيات والله اعلم **وقوله** عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله يحتمل
قوله انفقوا اي صلة الارحام والقربات على حقيقة الانفاق ويحتمل اي اقبلوا الانفاق وهو الزكاة قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة اي لا يقبلوا الايتاء والله اعلم **وقوله** عز وجل انطعم من لو يشاء الله اطعمه بهذا قالت المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو
اصلح له في الدين يقولون لو كان الانفاق والرزق اصلح لهم في الدين لو زعم الله على ما ذكرنا فيقال للمعتزلة امر اياهم بالانفاق على
من ذكر لا يخلو من ان يكون النفقة لهم والرزق اصلح في الدين ثم لم يرزقهم ولم يوسع عليهم واما ان يكون المنع اصلح لهم وترك
الانفاق فان كان الاول فقد ترك فعل ما هو اصلح في الدين والثاني فقد امر هؤلاء بفعل ما هو ليس باصلح فكيف ما كان ففيه
بيان انه ليس على الله حفظ الاصلح للخلق في الدين انما عليه فعل ما يوجبه الحكمة وحفظ ما يكون حكمة وهؤلاء لم ينظروا الى توجيه
الحكمة وفي الحكمة الامتحان والابتلاء هذا بالسعة وهذا بالشدة والضيق ثم اوجب على من وسع عليه في الفضول ما الحق هذا

الفقير والمضيق عليه وبين ذلك الحق وبين قدره وحرم ليتأذى بذلك ليكون وضيق على هذا يطلب منه الصبر على ذلك انه منع هذا حقه
والاثم يسبق ممن وسع عليه ما يستوجبه تلك السعة والشدة ولا ممن ضيق عليه ما يستوجبه ذلك ولكن محنة بعضهم بما هذا بالشدة
والضيق وهذا بالسعة والكثرة هذا مأمور بالشكر اداء ما اوجب عليه في ماله وهذا بالصبر على حاجته ان منع حقه وعلى ذلك روي
في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولو شاء الله لجعلكم فقراء لا غني فيكم ولكنه ابتلى
بعضكم ببعض لينظر كيف عطف وكيف صبر الفقير **وقوله** عز وجل ان انتم الا في ضلال مبين قال بعضهم هذا قول الكفرة الذين
لم يكتفوا بذلك القول الذي قالوه ولكن نسبوهم الى الضلال والجهل وقال بعضهم هذا القول من الله جواب لهم لقولهم انطعم
من لو يشاء الله اطعمه والله اعلم **وقوله** عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ليس بصلة على ما تقدم من
الكلام لكن كانهم خوفوا بترك الانفاق بالعذاب فقالوا عند ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ثم قال ما ينظرون الا
صيحة واحدة اي ما ينظرون لا بانهم الا ذلك الوقت يقول والله اعلم اذا بلغوا ذلك الوقت وعاينوا ذلك فعند ذلك يؤمنون
لكن لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت لقوله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **وقوله** عز وجل
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون يخبر عن سرعة قيام الساعة وغفلة اهلها عنها كقوله فيأتيهم
بغتة اي فجأة وهم لا يشعرون وعلى ذلك روي بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال تقوم الساعة والرجلان يتبايعان الثوب
فلا يطويانه حتى تقوم الساعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فقال تقوم
الساعة والناس في اسواقهم يحلبون اللقاح ويذرعون الثياب ويتبايعون وهم في حاجاتهم وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان
الرجلين ليتبايعان اذ نادى مناد قد قامت الساعة ونحوه **وقوله** عز وجل فلا يستطيعون توصية اي وصية وكذلك ذكر في
حرف حفصة وابي اي لا يستطيعون وصية وقوله تأخذهم وهم يخصمون يحتمل ما ذكرنا ان الساعة تقوم وهم على ما كانوا عليه
من قبل في البياعات والخصومات والمنازعة وعلى ذلك جاءت ويحتمل وهم يخصمون اي يخصمون في الساعة والبعث انها لا تقوم
ولا تكون لانهم كانوا ودل قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ان استطاعة الفعل تكون مع الفعل لا تتقدم
الفعل لانها لو كانت تتقدم لكانوا يستطيعون التوصية والرجوع الى اهلهم اذا قامت بهم دل هذا على انها لا تتقدم الفعل لكنها
تقارنها وتجامعه والله اعلم **وقوله** عز وجل ونفخ في الصور وقد ذكرنا القول في الصور في غير موضع واختلاف ثم قال قائلون
الصور هو شبه القرن ينفخ فيه وعلى ذلك روي عن عبد الله بن عمر وقال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه
فان ثبت فقد كفينا مؤنة الاشتغال بغيره وقال قائلون هو على التمثيل لا على التحقيق لكنه ذكر النفخ لسرعة امرها وقيامها انه
ليس شيء اسرع نفاذا ولا اخف من النفخ فهو عبارة عن سرعتها ونفاذها كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قال اهل التأويل وينفخ في الصور ثلاثا بين كل نفخة مهلة كذا كذا سنة
يقولون في النفخة الاولى تهلك فيها كل شيء مما خلق الله كقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
ثم ينفخ ثانيا فيحيون بها ويخرجون من قبورهم وهو قوله ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وينفخ ثالثا
فيجتمعون عند ربهم وهو قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والله اعلم بذلك والنسل هو سرعة الخروج او
بسرعة وقال ابو عوسجة النسل هو المشي ينسلون اي يمشون لكنه مشي مع سرعة وهما واحد **وقوله** عز وجل قالوا يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا من الناس من ينكر عذاب القبر بهذه الآية يقول المرقد هو موضع الراحة والراقد هو الذي يكون في راحة ولو كان
لهم عذاب وكانوا في عذاب لم يكونوا في رقدة ولا راحة دل انه لا يكون ومنهم من يقول يكون في القبر عذاب الا انه يرفع عنهم ما بين
النفختين وقال يخفف عنهم واذا بعثوا ورأوا اهوال القيامة قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومنهم من يقول لهم في
القبر عذاب الا انهم لما عاينوا عذاب الآخرة واهوالها صار عذاب القبر وهم كالرقاد عند عذاب الآخرة ومنهم من يقول ينامون نومة
قبل البعث ثم يبعثون ومثل هذا وجائز ان يكون النفس في حال الموت فيجد تلك الم ذلك كما يجد النفس التي تخرج من النائم الم
عذاب يصيبه ويجد لذة ايضا اذا كانت لذة وتراه في النوم والرؤيا وذلك معروف فعلى ذلك هؤلاء الكفرة يعذبون بما ذكرنا
فاذا بعثوا قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والمرقد هو الموضع الذي ينام فيه او ان يكونوا في عذاب اعني في القبور
لكنهم اذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوا اهوالها ان ذلك العذاب الذي كان لهم في القبر وسهل عند عذاب الآخرة فصار ذلك
كالرقاد لهم عند عذاب الآخرة فقالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون قال بعضهم هذا قول الملائكة لهم عند قولنا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال بعضهم قول المؤمنين لهم عند قولهم
الذي قالوا وجائز ان يكون ذلك ايضا قول اولئك الكفرة يقرون بالبعث عند معاينتهم البعث يقولون هذا الذي وعدنا
المرسلون وصدقوا في ذلك ونحن كذبناهم فيه لكن لا ينفعهم تصديقهم اياهم بذلك في ذلك الوقت وهو كايمانهم عند معاينتهم
بأس الله وهو قوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فعلى ذلك هؤلاء لكن لا ينفعهم **وقوله** عز وجل ان كانت الا صيحة

واحدة يحتمل على حقيقة الصيحة يجعل الله تعالى الصيحة علما للاحياء والبعث لا ان يكون الصيحة سببا للاحياء والبعث ويحتمل
لا على حقيقة الصيحة ولكن على قدر الصيحة كانه يقول والله اعلم ما كانت الا قدر صيحة واحدة اى البعث لكنه ذكر الصيحة لان
الصيحة اسرع شئ وايسر على الخلق من غيره على ما ذكرنا فى النفخ فى الصور كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ذكر هذا لانه اخف
شئ على الخلق واهون عليهم فيعبر به عنه ويحكى بما ذكر ليعلموا خفة ذلك على الله وسهولته وهونه وانه ليس يثقل عليه شئ
وقوله عز وجل فاذا هم جميع لدينا محضرون ذكر ان قوله ان كانت الا صيحة واحدة فى البعث فاذا كان ذلك فى البعث فهو
ذلك احضارهم عند الله وان الاول فانما هو فى الهلاك والموت وقوله عز وجل فاليوم لا تظلم نفس شيئا الظلم فى اللغة
هو وضع الشئ فى غير موضعه كانه يقول والله اعلم اليوم لا توضع نفس فى غير موضعها ولكن توضع على وضعها فى الذى
ويكون الظلم عبارة عن النقصان كانه يقول والله اعلم فاليوم لا تنقص نفس عما استوجب كقوله ولم تظلم منه شيئا اى لم
تنقص منه او يقول فاليوم لا يحمل على نفس ذنب غيرها ولا يوضع وزر غيرها بل يجزى كل نفس جزاء عملها والله اعلم وقوله
عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون يخبر والله اعلم فى شغل اهل الجنة وان كانوا مشغولين فى النعيم فان ذلك
الشغل يحجبهم عن غيرهم من الاشياء وكذلك جميع الخلائق انهم اذا شغلوا فى شئ حجبوا عن غيره ومنعوا فاما الله سبحانه
يتعالى عن ان يشغله شئ او يحجبه شئ عن شئ ثم الاشتغال فى الدنيا مما يضر اهلها ويؤذى فاخبران شغل اهل الجنة مما لا
يضرهم ولا يؤذى ثم قال فى شغل فاكهون قيل ناعمون بما هو فيه قيل معجبين فى ذلك وقال القتبى فاكهون يتفكهون
ويقال للمزاح فكاهة وفاكهون ارادوى فكاهة وقال ابو عوسجة فاكهون من الفاكهة الممازحة ثم قال بعضهم شغلهم
فى افتضاض العذارى وقيل شغلهم فى كل نعيم وفى كل كرامة على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل هم وازواجهم فى ظلال
يخبر ان اهل الجنة وان كانوا لا يحجبون عن شئ ولا يمنعون شيئا فانهم اذا كانوا مع ازواجهم لا يقع عليهم بصر غيرهم فيقبض
ذلك وهو كما ذكر حور مقصورات فى الخيام يخبر انهم كانوا مع ازواجهم لا يطلع عليهم غيرهم والله اعلم وظلال جمع ظلة وقوله
عز وجل على الارائك متكئون الاتكاء على الارائك انما هو للراحة يخبر والله اعلم عن غاية راحتهم ونهاية كرامتهم و
الا ليس فى الاتكاء على الارائك فضل كرامة ومنزلة ولكن يذكر عن راحتهم ونعمتهم كقوله لا يبغون عنها حولا وقال القتبى الارائك
السرر فى الحجال واحدها اريكة وقال ابو عوسجة الارائك الوسائد وعن الحسن قال الارائك الحجلة وهى بلغة اهل اليمن يسمون الحجلة
اريكة وقوله عز وجل لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون الفاكهة هى التى توكل على الشهوة لا على الحاجة يخبر والله اعلم ان اهل الجنة
انما ياكلون على الشهوة لا على الحاجة وقوله عز وجل ولهم ما يدعون قيل ما يتمنون وقيل ما يسالون وجائز ان يكون ما يدعون
من الدعوى اى يعطون جميع ما يدعون لانفسهم ليس كالدنيا وقال ابو معاذ ولهم ما يدعون اى ما يشتهون ويتمنون فى الجنة
والله اعلم وقوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما يردون اليهم على الملائكة سلام الله يحتمل التبليغ
اليهم سلام الله نحو ما يبلغ بعضهم الى بعض سلام بعض فيقرأ فلان من السلام فعلى ذلك يقولون ان الله تعالى يقرأ عليكم السلام
والثانى ان يسلم عليهم الملائكة بامر ربهم يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم والثالث ان يكون القول من الله
وعدا بالسلام لهم فيها من كل آفة وبلاء يكون فى الدنيا كقوله ادخلوها بسلام آمنين ونحوه وفى حرف ابن مسعود سلاما قولا
بالنصب فهو والله اعلم كانهما يجعلان تمام الكلام فى قوله يدعون ثم يقطع سلاما قولا منه واما قراءة هؤلاء برفع السلام فمعناها
والله اعلم ولهم ما يدعون سلام ثم الكلام ثم قطع قولا منه وقوله عز وجل وامتازوا اليوم ايها المجرمون كان اهل الجنة واهل
النار يكونون مختلطين فتفرق هؤلاء لانهم يكونون فى الابتداء مجموعين ولذلك سمى يوم الجمع ويوم الحشر ثم يفرق بينهم
كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير وسمى يوم الفصل واصل قوله وامتازوا اليوم ليس على الامر فى الحقيقة ان افترقوا ولكن
على حقيقة التفريق على ما ذكر فى آية اخرى ليميز الله الخبيث من الطيب واصل الامتياز الافتراق والانفصال وبه يقول ابو عوسجة
والقتبى ان الامتياز هو التفرق والتنحى وقوله عز وجل الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج قوله الم اعهد
اليكم على التحذير لهم ثم العهد الذى ذكر انه عهد اليهم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج على وجوه ثلاثة احدها عهد
خلقة وبنية اذ قد جعل الله تعالى فى خلقة كل احد وبنية ما يشهد على وحدانيته وجعل العبادة له ويمنعها عمن دونه و
فنقضوا ذلك العهد وصرفوا العبادة الى غيره والالوهية والثانى ما اخذ عليهم من العهد على السن الرسل والانبياء من الامر و
النهى والثالث ما جعل فيهم من الحاجات والشهوات التى تحملهم قضاؤها من عند الله على صرف العبادة اليه والشكر له على نعمائه
وجعل الالوهية له ومنعهم صرفها الى غيره وجعلها لمن دونه فنقضوا ذلك كله وتركوه فان قيل ذكر عبادة الشيطان ولا
احد يقصد قصد عبادة الشيطان ولا يعبده بل كل يفزع عن عبادته ويهرب منه لكنه يخرج على وجهين احدهما يحتمل
ان يريد والشيطان المردة من الكفرة والائمة منهم الذين صرفوهم عن عبادة الله سموا الشيطان لبعدهم من رحمة الله شطن
اى بعد كقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا والثانى بسبب

تلك العبادة الى الشيطان واضافوا اليه وان كانوا لا يقصدون عبادته لما بامره يعبدون ما يعبدون من
الاصنام فنسب اليه بالامر ولما كان منه بداية الامر والله اعلم وقوله عز وجل انه لكم عدو مبين عداوته لنا ظاهرة بينة فى كل
شئ حتى فى المأكل والمشرب والملبس كقوله فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما الآية هو يريد ان يوقعنا فى المهالك فهو عدو لنا
وقوله عز وجل وان اعبدونى هذا صراط مستقيم اى اعبدونى فان عبادتى هو الصراط المستقيم وقوله عز وجل ولقد اضل
منكم جبلا كثيرا يحتمل قوله اضل اى اهلك هو ما اهلك من القرون المتقدمة نحو عاد وثمود وقرونا غير ذلك والاضلال
يكون الاهلاك فى اللغة ويحتمل على حقيقة الاضلال عن الهدى ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان قد رايتم وعلمتم انه قد
اضل الله خلقا كثيرا بابليس باضلاله واستاصلهم لذلك فكونوا انتم يا معشر اهل مكة على حذر منه لئلا ينزل بكم كما نزل بالذين
بضلالهم به والله اعلم وقوله عز وجل افلم تكونوا تعقلون انه فعل ذلك بهم يخرج على التعيير والتوبيخ لهم لترك هؤلاء النظر فى امر اولئك
والثانى وقوله عز وجل جبلا كثيرا قال بعضهم جميعا كثيرا وقال بعضهم خلقا كثيرا وقال بعضهم امما كثيرة وكله واحد و
من ذلك جبلهم على كذا اى طبعهم ويقرأ جبلا وجبلا برفع الجيم والتشديد وخففها والتشديد قال ابو عوسجة الجبلة والجبلة
الخلق وقوله عز وجل هذه جهنم التى كنتم توعدون يشبه ان يكون لما راوا جهنم قالوا ما هذا الذى نراه فعند ذلك قيل لهم هذه
جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا ويحتمل على التوبيخ والتعيير لهم اى هذه هى جهنم التى كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون اى ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها والله اعلم وقوله عز وجل اليوم نختم على افواههم اى نطبع على افواههم فلا
يتكلمون وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون كانهم والله اعلم لما انكروا كفرهم وشركهم وعملهم الذى عملوا فى الدنيا
كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثاله عند ذلك يأذن الله تعالى بجوارحهم وانطقهم بالنطق والشهادة عليهم بما عملوا كقوله
يوم تشهد عليهم السنتهم الآية وقوله شهد عليهم سمعهم الآية ثم انطق السنتهم حتى يعاتبوا الجوارح فى شهادتها عليهم لقوله لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ وفيه ان النطق والكلام الذى يكون من اللسان لا يكون لانه لسان او لنفس اللسان
ولكن للطف يجعل الله ذلك فى اللسان فينطق فحيثما جعل ذلك اللطف والمعنى فى اى جارحة ما جعل نطقت وتكلمت ولولا
النطق والكلام لنفس اللسان لكان يجب ان ينطق لسان كل ذى لسان لما له اللسان فادل انه باللطف جعل فيه ينطق ويتكلم
فحيث ما جعل ذلك المعنى واللطف نطق وتكلم وكذلك السمع والبصر وكل جارحة منه من اليد والرجل وغيره جعل لطفا ومعنى به يسمع
السمع وبه يبصر البصر وبه تاخذ وتقبض اليد وبه تمشى وتذهب الرجل فانما جعل ذلك اللطف وذلك المعنى كان منه ذلك ما كان من
السمع والبصر وغيره وكذلك الاطعمة والمياه ليس الغذاء فى اعينها ولكن فى لطف جعل الله فيها لطفا ومعنى يصير ذلك غذاء لهم
الا ترى ان عين الطعام يبقى فيرمى به وينتفع بما فيه من الغذاء والله اعلم وقوله عز وجل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا
الصراط فانى يبصرون قال بعض اهل التاويل لو نشاء لطمسنا اعين الضلالة فابصروا فلم يبصروا الطريق فانى يبصرون
وقد فقأنا اعينهم وقال بعضهم لو نشاء لحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فلو طمستها اى حولت الكفر لا يستبقوا الصراط
يقول لا يبصروا طريق الهدى ثم قال فانى يبصرون يقول فمن اين يبصرون الهدى ان لم اعم عليهم طريق الكفر ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم اى لاقعدناهم على ارجلهم لا يتقدمون ولا يتاخرون ويشبه ان يكون على خلاف هذا على التمثيل يقول والله اعلم
لو طمسنا اعينهم واعميناهم فاستبقوا الطريق فانى يبصرون اى لا يبصرون الطريق فعلى هذا انا طمسنا اعين القلوب ان طمسنا
فانى يبصرون الهدى اى لا يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم على التمثيل
اى لو خلينا لنا ظاهرين خلقتهم وصيرناها خنازير وقردة حتى ذهبنا بمنافع انفسهم ظاهرة فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فعلى
ذلك اذا مسخنا قلوبهم وحولناها عن مكانها ما انتفعوا بها لم ينتفعوا بظواهر جواهرهم هو على التمثيل لا على التحقيق وفى قوله ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم دلالة ان لله فى ذلك صنعا اذ لو لم يكن فيما يختارون من الافعال والاعمال صنع
لم يكن لتوعدهم على اذهاب ذلك وتحويله عن مكانه معنى فدل ان له صنعا فى ذلك وتعلو قال الحسن وقتادة فى قوله ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم فتركناهم عميا يترددون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى لاقعدناهم على ارجلهم على ما ذكرنا فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم ما استطاعوا ان يتقدموا ويتاخروا وابن عباس رضى الله عنه يقول ما تقدم ذكره اى لو
نشاء غيرنا اعين الضلالة فلم يبصروا الطريق فانى يبصرون اى كيف يبصرون او نحوه من الكلام ومقاتل يقول لو نشاء لطمس
اعينهم ظاهرة فاستبقوا الصراط فانى يبصرون اى لا يبصرون وهو قريب ما ذكرنا انفا وجائز ان يكون على التمثيل على ما
ذكرنا بديا ويحتمل على التحقيق ان من قدر على الطمس والمسخ وما ذكر من التنكيس لا يعجزه شئ من البعث وغيره او خلق الانسان
للطمس والمسخ خاصة لا لحاجة تقصد ليس بحكمة اذ ذكر ان لو نشاء لطمسهم ومسخهم لكن تركهم فلم يطمسهم ولم يمسخهم
ليبقوا فى النعمة بشكر وانعم وقوله عز وجل ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى من نعمره حتى يدركه الهرم والضعف يقول نرده فى
الخلق الاول لا يعقل فيه كمعقله وشهوته من حال الى ذل العمر افلا تعقلون اى من فعل هذا او قدر على هذا لا يعجزه شئ ويبادئ

شكوه قال القتبي الطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق فاستبقوا الصراط اي فجوزوا وقال ابو عوسجة طمسنا اعينهم اي عميناهم
والمسخ هو تغيير الصور والابدان وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نصيره ضعيفا بعد ان كان قويا وقوله عز وجل وما علمناه
الشعر وما ينبغي له نزل هذا والله اعلم عند قولهم انه شاعر وانه كذاب فاخبر انه لم يعلمه الشعر وما ينبغي له الشعر يكون بالهم ردا
عليهم انه شاعر وان هذا القرآن شعر جعل الله عجز رسوله عن القيام بانشاء الشعر بعينه آية من آيات رسالته كما جعل عجزه عن
تلاوة الكتاب من قبل وكتابته وخطه بيمينه آية من آيات رسالته ليعلم اولئك الذين قذفوه بالشعر والافتراء بنفسه والكذب
عليه وبالسحر انه انما اخبر عن وحي من الله لا ما يقولون هم وهم على يقين وعلم انه ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب لما لم يروه اختلف
الى احد منهم من تعلم ذلك ولو كان عنده من كتبهم شيء اخذ ذلك ولا اخذ على كذب قط لكنهم نسبوه الى ما نسبوه من الشعر والسحر
والكذب تعنتا منهم وعنادا ليلبسوا امره بذلك على اتباعهم وسفلتهم لئلا يذهب رياستهم ومنفعتهم وفي قوله وما علمناه
الشعر وما ينبغي له دلالة نقض قول المعتزلة حيث اخبر انه لم يعلمه الشعر وقد اعطى له جميع اسباب الشعر وقال في القرآن
علم القرآن وعلمه البيان انه كان من الله لطف سوى السبب فيما اخبر انه لم يعلمه لم يعطه ذلك اللطف فلم يتعلم وفيما اخبر انه علمه
اعطاه ذلك اللطف فتعلم ولو كان التعليم هو نفس السبب لكان قد اعطاه في الوجهين جميعا السبب فيما اخبر انه لم يعلمه وفيما
اخبر انه قد علمه دل ان التعليم له فيما كان منه تعليم له بلطف منه سوى السبب لا بنفس السبب وبنفس السبب قد كان
في الامرين جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وما ينبغي له ان يشتغل بشيء مما يتلهى به والشعر في الاصل انما جعل للتلهي به والتلذذ
ولذلك جعل بينه وبين طبعه انشاء الشعر ليكون ابدا مشتغلا بما هو حكمة وعلم وفيما هو امر الله لا بما فيه التلهي واللهو والله اعلم
وقوله عز وجل ان هو الا ذكر وقرآن مبين ان هو اي ما هذا القرآن الا ذكر لما نسبوه من امر الله ووعده ووعيده وما لهم وما
عليهم يذكرهم ما نسوه وتركوه ومبين يبين لهم ما لهم وما عليهم او يبين لهم ما يؤتى وما يتقى او يبين لهم انه من الله جاء ومن عنده
نزل لا انه عند المخلوقين او ذكر لاهل الكتاب يذكرهم فيما نسوه مما كان في كتبهم من نعته وصفته وما عليهم القيام به وما يبين
ومبين اشكل العرب انه رسول وان هذا القرآن من عنده جاء به وكل كتب الله ذكر ومبين ورحمة وهدى وشفاء على ما اخبر والله
اعلم وقوله عز وجل لينذر من كان حيا قال بعضهم من كان عاقلا ويقول لينذر بالقرآن من له عقل حي فهو من ويحق القول اي
السخطة على الكافرين في علم الله انهم لا يؤمنون وقال بعضهم لينذر من كان حيا مؤمنا لان الله تبارك وتعالى سمى المؤمن حيا
في غير آية والكافر ميتا ويحتمل قوله لينذر من كان حيا اي لينتفع بالنذارة وتنتفع من كان حيا اي مؤمنا على ما ذكرنا وان كانت
النذارة للفريقين جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب هو ينذر من اتبع الذكر لكن النذارة انما تنفع وتنتفع
لمن اتبع الذكر وخشي الرحمن خاصة وكقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو يذكرهم جميعا لكن المنفعة للمؤمنين فلذلك الاول
ويحتمل قوله من كان اي من يطلب بحيوته الفانية الحيوة الدائمة ويحق القول على الكافرين القول الذي قال لاملأن من الجنة والناس
اجمعين وقوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان قوله اولم يروا الم تر ونحوه انه في الظاهر حرف
استفهام لكن من الله على الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الخبر ان قد رأوا انا خلقنا لهم من الانعام وما ذكر
والثاني على الامر على الرؤية والنظر فيما ذكر اي فليروا فان كان على الخبر انهم قد رأوا ما خلق لهم من الانعام فهلا تفكروا واعتبروا
فيما خلق لهم من الانعام وغيرها انه لم يخلق لهم ذلك عبثا باطلا ولكن لحكمة وانه لم يكن بعث على ما يقولون هم كان خلق ذلك عبثا
باطلا وان يقول ان من قدر على ان يخلق ذلك من الانعام وتسخيرها لهم ما لو تركها خلق منها لم يقدروا الانتفاع الاصل لا يحتمل
ان يعجزه شيء او لا يقدر على البعث والاحياء بعد الموت او ان يقول ان من قدر على تصوير ما ذكر من الانعام ووضعها في الارحام
وتركيب ما ركب فيها من الاعضاء والجوارح في الظلم لا يحتمل ان يخفى عليه شيء ويعجزه او يفعل ذلك على التدبير الذي فعل بلا
حكمة او يذكر انه خلق لهم من الانعام وذللها لهم وجعل لهم فيها من المنافع ما ذكر ما يوجب شكرا يلزمهم بتاذي على ذلك شكر ما انعم عليهم
وعلى هذا لو كان على الامر بالرؤية فيما خلق والنظر والله اعلم وقوله عز وجل مما عملت ايدينا انعاما يحتمل ما عملت ايدي الخلق
من الزراعة والغرس وغير ذلك مما يعمله الخلق نسب ذلك الى نفسه ويحتمل مما عملت ايدينا اي قوتنا كقوله والسماء بنيناها
بايد وقوله خلقت بيدي اي بقوتي ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فهم لها مالكون قال بعضهم قادرون عن الانتفاع
بها والاستعمال لها يقول الرجل فيما له فيه حقيقة الملك انا غير مالك عليه اذا كان غير قادر على الانتفاع به ولا مالك
على استعماله وقيل مالكون اي ضابطون قادرون على امساكها يقال فلان غير ضابط على ابله ودابته وهما واحد والله
اعلم وقوله عز وجل وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب فلا يخبر عن انواع ما جعل لهم
من الانعام وانعم عليهم ليتادى بذلك شكره والله اعلم وقوله عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون
نصرهم يخبر عن سفههم وقلة بصرهم وفهمهم لاتخاذهم الاصنام آلهة وعبادتهم اياها ورجاء النصر لهم وتركهم عبادة الله
على وجود المعونة والنصر منه وجعله كل شيء لهم ثم يكون رجاؤهم بذلك ما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم

ليقربونا الى الله زلفى وذلك في الآخرة ويحتمل رجاء النصر لهم بعبادتهم الاصنام في الدنيا في دفع ما ينزل بهم من البلاء والشدائد
كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ثم اخبر ان الاصنام التي عبدوها وما رجوا انها لا يستطيعون نصرهم وما رجوا
من شفاعتهم والنصر لهم واخبر ان ما عبدوا دونه يتبرأ منهم وقال وهم لهم جند محضرون في الآخرة كقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا هذا على تاويل بعضهم من اهل التاويل تجعل الاصنام جندا عليهم واضدادا على ما ذكرنا ويحتمل قوله وهم لهم جند محضرون
اي المشركين جند للآلهة التي يعبدونها اي هم يغضبون لها ويقومون في دفع من يهم بها شيئا وادلوا كالاصنام التي كانوا يعبدونها
كقوله قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ثم اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الآخرة وقال بعضهم ذلك في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل
فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون كان من اولئك الكفرة لرسول الله اقوال مختلفة مرة كان منهم من ذكر واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك الآية ومرة قالوا انه ساحر وانه كذاب وانه شاعر ومرة قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ومرة قالوا لولا
انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ومرة طعنوا فيه وفيما اقام من الحجج ولا ندري اي قول كان منهم له فحزن عليه حتى قال له فلا يحزنك
قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا يحزنك على قولهم فانا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنحفظ عليهم ذلك ونكافيهم على ذلك او نعلم
ما يسرون وما يعلنون فينتصف عليهم وبعينك ان يكون حزنك عليهم اشفاقا عليهم لما كان يعلم نزول العذاب بهم والهلاك لعنادهم
ومكابرتهم والله اعلم وقوله عز وجل اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة هذا يخرج على وجهين الذين ذكرناهما احدهما على الخبر ان
قد راى الانسان انا خلقناه من نطفة فهلا تفكر واعتبر ان من قدر على خلق الانسان من نطفة ابتداء لقادر على اعادته بعد ما صار رفاتا
وماء وترابا وان كان على الامر بالرؤية والنظر اي فلير الانسان وليتفكر ان من قدر على خلق الانسان ابتداء من نطفة لقادر على اعادته
اي اعادة الشيء في الشاهد اهون وايسر من ابتدائه اذ قد يخفى في تصويره بعد ما وقع البصر على الشيء ويرى ولا سبيل على الخلق
ما لم يروا ولا تصويره ما لم يعاينوا احتج الله عليهم بالشيء الظاهر الذي يعلم كل انه كذلك من غير تفكر ولا تامل الا الاحتجاج عليهم بالاشياء
التي لم يذكر ابلغ واكثر في خلق الانسان من هذه النطفة على الصورة التي صورها والنسمة التي خلقها فيها ما لو اجتمع حكماء البشر كلهم
ان يعرفوا كيفية خلقه منها من تركيب العظم والشعر والعين والبصر والسمع والعقل وجميع الجوارح ما قدروا على درك ذلك ولو اجتمعوا
على ان يعرفوا كيفية غذائهم بالاطعمة والاشربة التي جعلها غذاء لهم والغذاء التي بها يتغذون على ما انه كيف قدره وقسم على السواء في الجوارح
كلها والمواد التي ينمون ويزيدون على الاستواء لا يزداد في بعضها من قوى ذلك الطعام والشراب دون بعض يزداد تمرة على بعض
ونحو ذلك من العجائب ما لا سبيل الا معرفة ذلك البتة بعد طول التفكر والتامل لكنه احتج بالشيء الظاهر ليدركوا بالبديهة ولا يدرك
الآخر الا بعد التامل والتدبر والله اعلم وقوله عز وجل فاذا هو خصيم مبين اي جدل بين وقوله عز وجل وضرب لنا مثلا ونسي
خلقه ما ذكر من ضرب المثل له قال من يحيي العظام وهي رميم قوله عز وجل ونسي خلقه يحتمل وجوها احدها اي غفل عن القدرة في
خلق نفسه عن النظر والتفكر ليعرف انه قادر على الاعادة والثاني اغفل عن الحكمة في ابتداء خلقه نفسه ثم يخرج هذا على وجوه
[illegible]

لكم يوم احياها واستبعدوا ذلك وعلى ذلك قال ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون احتج عليهم بعلمهم النشاة الاولى لانكارهم النشاة الاخرى فلو كان على خلاف ذلك لم يكن الاحتجاج عليهم بذلك معنى فدل انه يبعثهم ويعيدهم على الحياة الاولى والثاني ينقض عليهم قولهم ايضا حيث قالوا يوصل الى معرفة ذلك من الذي يعلمه الرسول ويخبرهم دون النظر والتفكر والتدبر فلو كان على ما يقولون لم يكن لقوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ولا لقوله الم يتفكروا في انفسهم وقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون معنى فدل انه قد يوصل الى معرفة ذلك بالتفكر والنظر كما يوصل بخبر الرسول الذي قد ظهر صدقه للخلق فتلزمه الحجة في هذا كما تلزمه في ذلك **وقوله** عز وجل الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اختلف فيه قال بعضهم هو نوع من الشجر يقال المرخ كانوا يورون منه النار وقيل هو الزيتون الذي يسرج منه وتاويله ان الشجر الاخضر انما يكون من الماء والماء يطفئ النار والنار تاكل الحطب والخشب فمن قدر على الجمع المتضادين وحفظ كل واحد منهما عن صاحبه ما السبيل منها التنافي والتدافع لقادر على البعث وانه لا يعجزه شيء وقال بعضهم قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون هو ما انشا لهم من الشجر يتنعمون بها ويتلذذون مادام اخضر فاذا ادرك وبلغ ينتفعون بثمارها وفواكهها ثم يصير حطبا يوقدون منها النار ويصطلون فمن قدر على ما ذكرنا لا يحتمل ان يعجزه شيء او من فعل ما ذكر لا يحتمل ان يفعله عبثا باطلا فلو كان على ما قاله اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان فعل ذلك عبثا باطلا والله اعلم **وقوله** اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى يذكر والله اعلم او ليس من قدر على انشاء السموات والارض مبتدا لا من شيء ولا اصل لا يحتمل ان يعجزه اعادة الخلق وبعثهم او يقول ان من قدر على خلق السموات والارض وما فيها قادر على ان يخلق مثلهم وخلق المثل اعادة لانه اما ان يكون بعد هلاك الذين انشاهم وبعدما اماتهم او يخلق مثلهم مع بقائهم سواهم وفي ذلك ابتداء خلق واعادة فيلزمهم الاقرار بالبعث والقدرة على الاعادة ثم اخبر عن قدرته فقال بلى وهو الخلاق العليم اي هو خلق كل شيء من جواهر الاشياء وانما هو الخلاق في الدين والاخرة العليم يحتمل وجوها يحتمل العليم ببعثهم او العليم بمصالحهم ومكا[illegible] وما لا يصلح او العليم باحوالهم وانفسهم ما ظهر منهم وما بطن وما اسروا وما اعلنوا **وقوله** عز وجل انما امره اذا اراد شيئا يحتمل انما حاله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قد ذكرنا معنى هذه الاية فيما تقدم ان كل ما كان ويكون ابد الابدين انما يكون بكن الذي كان من غير ان كان منه كاف ونون او شيء من ذلك انما هو اخبار عن سرعة نفاذ امره ومشيئته واخبار عن خفة ذلك عليه يقول والله اعلم كما لا يثقل عليكم قول كن فعلى ذلك لا يثقل على الله ابتداء خلق ولا اعادته ولا شيء من ذلك ثم نزه نفسه وبراه وذكر تعاليه عما ظن اولئك من العبث في خلق شيء وبطلانه فقال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون اي تعالى وتبرا عن ان يكون خلقه على ما ظن اولئك حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فكان ظنهم ان لا بعث ولا نشور ولو تم اخبارهم لم يكن لكان خلق ما ذكر عبثا باطلا فتعالى تعالى عن ان يلحقه في خلق شيء عبث او فساد وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا باطلا وان يقول يتعالى ان يثقل عليه اعادة الخلق وابتداؤهم او يتعالى عن ان يعجزه شيء والله اعلم قال القتبي وابو عوسجة رميم اي بالية يقال رم العظم اذا بلي فهو رميم ورمام كما يقال رفات ورفات وقال من الشجر الاخضر نارا قالا اراد الزنود التي تورى بها الاعراب من شجر المرخ والعفار والحمد لله على كل حال ثم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والصافات صفا فالزاجرات زجرا اختلف فيه قال بعضهم الصافات هي الطير اذا صفت اجنحتها بين السماء والارض وذكر عن ابن مسعود ان الصافات والزاجرات والتاليات كلهم الملائكة قال صفت اصطفت الملائكة صفا لعبادة الله عز وجل وتسبيحه وكذلك ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه غير بعض الزاجرات والتاليات اي ملائكة ولسنا نذكر عن ابن مسعود وابن عباس التفسير وقال بعضهم الزاجرات هم الملائكة الذين يزجرون السحاب والامطار والتاليات ذكرا هم الملائكة يتلون القران والوحي على الرسل والانبياء عليهم السلام وقال قتادة الصافات صفا اقسم الله عز وجل بالخلق ثم خلق قال الصافات الملائكة صفوف في السماء فالزاجرات زجرا ما ذكر الله في القران من زواجر عن المعاصي والمساوي فالتاليات ذكرا قال يتلى عليكم في القران من اخبار الرسل عليهم السلام والانبياء والامم التي كانت قبلكم وجائز ان يكون الصافات هم الملائكة الذين يصلون لله عز وجل صفوفا على ما ذكروا فالزاجرات زجرا هم الملائكة الموكلون بارزاق الخلق ويسوقونها اليهم يسوقونها سوقا فالتاليات ذكرا هم الملائكة الموكلون بالتسبيح والتحميد وجميع الاذكار ثم وجه القسم بالملائكة الذين ذكروا والله اعلم انه عز وجل قد عظم شان الملائكة وامرهم وذلك في قلوب الكفرة حتى قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وقولهم لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وقيل فيقعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وما وصفهم الله عز وجل انهم لا يعصون الله ما امرهم الاية ولا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله عز وجل يسبحون الليل والنهار الى عظم الله عز وجل امر

الملائكة

الملائكة عليهم وشانهم في قلوب اولئك الكفرة وصدقهم عندهم لذلك اقسم بهم على وحدانيته بقوله عز وجل ان الهكم لواحد على هذا وقع القسم ثم اخبر عن صنع ذلك الواحد الذي هو الهكم واله الخلق جميعا وذكر نعته فقال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق يخبر عن وحدانيته وتفرده حيث انشا السموات وانشا الارض وما ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ومنافع المشارق متصلة بمنافع المغارب على بعد ما بينهما ولو كان فعل عدد لمنع بعض انشاء المنافع بعض ببعض على ما يكون من فعل ذوي عدد وغلبة بعض على بعض فانه يمتنع ذلك بل اتصل بعض ببعض دل انه فعل واحد لا شريك له ثم تخصيص ذكر السموات والارض ما ذكر دون غيره من الخلائق لما عظم قدر السماء في قلوبهم لنزول ما ينزل منها من الامطار و[illegible] ومنافعها والارض بخروج ما يخرج منها من الاثمار والارزاق ولذلك يخرج ذكرها والله اعلم فيما ذكر حيث قال فيهما مادامت السموات والارض لعظم قدرهما في قلوبهم ودوامهما عندهم خرج ذكرهما وان كانتا تنقضيان ولا تدومان ابدا والله اعلم ثم قال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما قال بعض المعتزلة وهو جعفر بن حرب فان قال لنا قائل من قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما انه رب اعمالنا وافعالنا فنقول له ان اردت انه رب اعمالنا وافعالنا قبلي ثم قال فيقال لهم اتقولون انه خالق الكفر وخالق الشر ونحوه وفي افعال الخلق الكفر والشر ونحوه قيل له لا يقال ذلك على الاطلاق انه خالق الكفر وخالق شر وان كان يقال في الجملة تعالى الخالق ورب كل شيء وخالق كل شيء لان ذكر على الجملة يخرج على تعظيم ذلك الشيء نحو ما يقال رب محمد ورب البيت انما هو تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم ذلك البيت خاصة فعلى ذلك وصفنا اياه بالجملة انه خالق تعالى الجبار وخالق كل شيء يخرج على وصف البيت بالعظمة والجلال وعلى الاشارة التي تنبي عنها والتخصيص على تعظيم ذلك الشيء خاصة لذلك جاز ان يوصف انه خالق تعالى العباد جملة لما ذكرنا انه يخرج على المدح والتعظيم وعلى الاشارة على المؤمن له وتعظيم ذلك الشيء لذلك وانما فترقا والله الموفق ثم يقال لهم قولكم انه مالك النطا وليس بخالق هل يقال الاحسان انه مالك كذا الا لما يشتى ذلك او تمليك من يملكه فاذ ثبت انه رب مالك الاحوال والافعال ثبت انه خالقها اذ لا يقال مالك كذا الا لقدرة على ذلك او لما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل ورب المشارق قال بعض اهل التاويل ان للشمس ثلاثمائة وستين مشرقا تطلع كل يوم من كوة وكذلك يقولون في المغارب انها تغرب كل يوم من كوة لكن يشبه ان يكون اراد بالمشارق والمغارب كل شيء يشرق وكل شيء يغرب من الشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرهم **وعلى ذلك** يخرج قوله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين واما اهل التاويل فانهم يقولون مشرق الشتاء والصيف وكذلك مغربهما **وقوله** عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ليس ان هذه السماء التي نراها وتحتها هي سماء الدنيا وغيرها سماء الاخرة ولكن سماها سماء الدنيا لدنوها من اهل الارض وقربها منهم واهل الارض هم الجن والانس والمجري الخطاب في ذلك وفي غيره وعلى ذلك قول اهل التاويل انها انما سميت سماء الدنيا لدنوها من اهلها وقربها منهم والله اعلم وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب [illegible] **وقوله** عز وجل [illegible] وحفظا من كل شيطان مارد [illegible] وحفظه اياها ما ذكر في قوله عز وجل لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا [illegible] لا يسمعون [illegible] يسمعون وقال بعضهم كانوا لا يسمعون اخبار الملائكة وحديثهم [illegible] في سورة الجن [illegible] فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا [illegible] الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب [illegible]

بامتحنوا بها حتى امكن اولئك من الاستماع والاختطاف وما ذكر قيل جايز ان يشغلوهم باعمال ويمتحنون بامور داخر سوى
ذلك فيمكن ذلك لهم ما ذكر والله اعلم فان قيل كيف كانت صفة الشياطين من الاستماع منهم والخطف وقد يرات وغابت ما
اصاب من فعل ذلك من القذف والرمي والاحتراق قيل ان الشياطين عادتهم طلب الفضل في كل وقت فجايز ان يكونوا فعلوا ذلك
لما كانوا يطلبونه ويقع عندهم انهم في غفلة وسهو من امورهم وان كانوا يعلمون ما يصيب من فعل ذلك والله اعلم ثم جايز ان يستدل
بقوله عز وجل انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية يقول علماؤنا فيمن حلف ان لا يكلم فلانا فناداه من حيث لا يسمع لا يحنث
وان ناداه من حيث يسمع حنث وان لم يسمع لما ذكرنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ومعلوم انهم كانوا يقعدون من الارض
الى الملاء الاعلى لكن لا يسمعون ثم لم يذكر ذلك منهم الا في المكان الذي يسمع دل انه على ما ذكرنا من الدلالة والله اعلم وقوله
عز وجل لا يسمعون الى الملاء الاعلى الاشراف منهم واهل المنزلة والكرامة ويحتمل الجماعة لان الملاء هو اسم الشيئين بالجماعة و
منهم واسم لاهل الشرف والمنزلة والكرامة ثم يدرى كيف سماع الجن من الملائكة وما سبب ذلك ان يكون تلك الاخبار وما
ويباه الله عز وجل اخبار في الارض مكتوبا في كتاب ينظرون فيه فيعلمونها او يتحدث الملائكة فيما بينهم بذلك فيسمع هولاء منهم
ذلك وكيف جهة سماعهم ذلك منهم وما يشبه ذلك والله اعلم وفيه ان الجن يفهم كلام الملائكة وان اختلف جواهرهم والله اعلم
وقوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل هي السموات والارض والجبال وقيل الملائكة واكثرهم قالوا قوله عز وجل
اهم اشد خلقا ام من خلقنا اي السموات والارض كقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الاية يقول والله اعلم
سلهم ان خلقهم واعادتهم اشد واكبر واعظم من خلق السموات والارض وانما قدرتم انتم قدرتم على خلق السموات والارض
كيف انكرتم قدرته على اعادتكم بعد ما متم وكنتم ترابا وعظاما والله اعلم وقوله فاستفتهم وسلهم ونحو ذلك مما امر الله
عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ان نسألهم ونستفتيهم يخرج من الله عز وجل على وجوه احدها على التقرير عندهم والتنبيه
لهم او على التعيير لهم والتوبيخ او على التعليم حجة الحجاج والمناظرة فيما بينهم وبين خصومهم وهكذا كل سؤال او استفتاء كان من
خبير عليم لمن دونه يخرج على هذه الوجوه وكل سؤال واستفتاء كان من الجهال الخبير عليهم يخرج على الاسترشاد وطلب الصواب
وقوله عز وجل فاستفتهم وسلهم وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية وسل بني اسرائيل وقل هو الله احد وقل لكذا وكذا كله
يخرج على التقرير والتنبيه وعلى تعليم الكل حجة الحجاج والمناظرة لا على الامر لانه لو كان الامر بكان لا يقول ذلك المامور بالتبليغ
سل ولا قل ولا شيء من ذلك ولكن يبلغ اليه رسالته وامره ان يقول لكم ان افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا لان ذلك الامر للكل في
نفسهم ان قولوا لهم وان فعلوا بهم كذا والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم ام اشد خلقا الاية امرهم ان يستفتيهم ولم يذكر انهم ما افتوه
ولا اجابوه اولا او لا قال انهم لو اجابوك وافتوك بكذا فقل لهم كذا او اجبهم بكذا فجايز ان يكون الجواب ما ذكرنا انكم لو لم تشاهدوا
خلق ما ذكر من السموات والارض وغيرها سوى خلق انفسكم ثم شاهدتم خلقنا اعني ما ذكرنا من السموات والارض والجبال
وغيرها هل تنكرون قدرته على خلق ما شهدتم وعاينتم انه لم يخلقها الا هو فكيف انكرتم قدرته على اعادتكم وبعثكم وقوله
عز وجل انا خلقناهم من طين لازب قد ذكر والله اعلم ضعفهم وشرف ما خلق من سواهم انهم يعلمون ضعف انفسكم وعجزها و
شدة من سواكم وقوتها وصلابتها ثم انها مع شدتها وقوتها وصلابتها الخضوع لله والطوع منكم نحو ما ذكر من طاعتها له والخضوع
حيث قال عز وجل ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من
خشية الله ونحو ذلك مما يكثر والله اعلم او ان يذكر لقوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب بما خلقهم واصله الذي
خلقهم منه انكم انما عرفتم ابتداء خلقكم واصلكم الذي منه خلقتم انه تراب وطين باخبار الرسل وبقولهم وانتم يا اهل مكة
ممن لا يؤمنون بالرسل فكيف صدقتم الرسل بما اخبروا من اصلهم وبما خلقكم ولم تصدقوهم بما يخبرونكم من معادكم وبعثكم بعد
موتكم فاذا صدقتموهم في ذلك لزمكم التصديق لهم في كل ما يخبرونه ويقولون والله اعلم او يقول انه انشا من تلك النفس الواحدة
التي خلقها من تراب من الخلائق ما لو تركهم جميعا لم يفنهم ولم يمتهم لامتلات الدنيا انها فمن قدر على انشاء ما يملا الدنيا منه
من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء من البعث والاعادة وغير ذلك والله اعلم او ان يقول في قوله عز وجل انا خلقناهم
من طين لازب اي قد انشا من تلك النفس ومن ذلك الاصل قرنا وقرنا بعد قرن بعد افناء كل قرن انشا قوما اخرين ويحتمل
ان يكون المقصود من انشائهم الانشاء ثم الافناء والنقض خاصة لا عاقبة تقصد بالانشاء والافناء اذ في الشاهد من كان
مقصوده في البناء البناء والنقض خاصة كان غير حكيم فاذا عرفتم ان الله عز وجل انه حكيم فلا يحتمل ان يكون مراده من انشائكم
وافنائكم ذلك خاصة لا غير وذلك من زوال الحكمة ويوجب السفه تعالى الله عن ذلك وعن جميع ما يصفه الملحدون علوا كبيرا او ان
يقول انكم عرفتم انه انما انشاكم من تلك النفس التي انشاها من تراب وطين على اتفاق منكم فاذا متم ودفنتم صرتم ترابا وطينا فكيف
انكرتم اعادته اياكم من تراب وطين وقد اقررتم ان اصلكم ترابا وطين والله اعلم على الوجوه التي ذكرنا يجوز ان يخرج وقوله
عز وجل بل عجبت ويسخرون بالنصب يحتمل وجوها احدها عجبت منهم انكارهم ما انكروا بعد كثرة قيام الآيات والحجج عليهم ذ

ذلك

ذلك وهم يسخرون ويسخرون لما انك بل عجبهم لعظيم ما يحل بهم من العذاب والشدايد وما يستقبلهم من الامور المهولة وهم
يسخرون والله اعلم او يقول بل عجبت انك تدعوهم الى ما به نجاتهم وفلاحهم وهم يسخرون ونحو ذلك يحتمل والله اعلم بما كان
يعجبه وفي بعض الحروف بل عجبت بالرفع وكذلك ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرا بالرفع بل عجبت فان ثبت ذلك
وصح اضافة التعجب الى الله فهو في الشاهد وان كان الظهور عظيم ما كانوا اخفيا عليهم مستترا عند ذلك يقع لهم التعجب فهو في الله
عز وجل وان كان لا يحتمل ان يخفى عليه شيء فذلك لعظيم ما كان منهم من الانكار من قدرته على الانشاء والجحود وذلك فيكون ما ذكر
من حرف التعجب منه كناية عن الانكار والدفع لقولهم وذلك كما اضاف الامتحان الى نفسه وان كان في الشاهد لا يستعمل الا في
استظهار ما خفي عليهم واستتر منهم فهو من الله يخرج على الامر والنهي اعني الامتحان وان كان في الشاهد بين الخلق لا يكون الا لما
ذكرنا فعلى ذلك جايز اضافة التعجب الى الله على ارادة الانكار منه عليهم والدفع بقولهم والله اعلم ومن الناس من انكر هذه القراءة و
قال لا يجوز اضافة التعجب الى الله عز وجل لانه لم يزل عالما بما كان ويكون وهو في الشاهد انما يكون لظهور عظيم من الامر كان جهله
لكن هذا وان كان في الخلق ما ذكر فهو من الله على غير ذلك على ما ذكرنا من اضافة الامتحان اليه والابتلاء وان كان بين الخلق
لما ذكرنا وقد ظهرت اضافته اليه بقوله وان تعجب فعجب قولهم وهو يخرج على الانكار عليهم والرد على تعظيم انكارهم ما انكروا
وانكروا والله اعلم ومن الناس من قال في قوله عز وجل بل عجبت فيما اضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عجبت من هذا
القرآن حين اعطيت اياه ويسخرون منه اولئك الكفرة ويحتمل معنى وهو ان يقال ان قوله عز وجل بل عجبت اي جعلت ما انزلت
عليك من القرآن والوحي امرا عجيبا او ان يقال كان انكارهم رسالتك وتكذيبهم الايات امرا عجيبا وهم يسخرون ونحوه والله اعلم
وقوله عز وجل واذا ذكروا لا يذكرون ابن عباس يقول واذا وعظوا لا يتعظون والموعظة والتذكير واحد وقتادة يقول
واذا ذكروا لا يذكرون اي لا ينتفعون بالموعظة على ما ذكرنا في قوله صم بكم عمي اي لا ينتفعون بتلك الحواس وان كانت لهم
تلك كلها سليمة له فعلى ذلك قول قتادة وجايز ان يكون على حقيقة التذكير ما نسوا من الايات والحجج يقول انهم وان ذكروا
ما نسوا وتركوا واغفلوا عنه لا يذكرون والله اعلم وقوله عز وجل واذا راوا اية يستسخرون هذه الايات وامثالها ذكرها الله
اعلام القوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا
سحر مبين الى اخر ما ذكر يخبر عن عنادهم ومكابرتهم الايات ويذكر سفههم ثم في ذكر ما ذكر من عنادهم وسفههم وجعله ايات
من القرآن تتلى ابدا وجهان من الحكمة احدهما صيرورة ذلك اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم كانوا على ما اخبر منهم من التعنت
والسفه وعلى ذلك اخبروا وخصوا دل انه بالله عرف ذلك وبوحيه علم والله اعلم والثاني يخبر والله اعلم على ما راى سلفنا
من سفه اولئك وعنادهم وما قاسوا منهم وما لحق بهم من الاذى والضرب والشتم لئلا ينبغي صدورنا في سفه من سفه علينا
من اهل الفساد والفسق وان لا نترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لسفه السفيه ولا لاذى المؤذي ولا سوء مقال بل يجب علينا
ان نتاسى بسلفنا ونقتدي بهم واذا اصابنا منهم ما اصاب اولئك من الاذى والسفه وان عاندوا وكابروا وظهر منهم
كل فسق وسوء على ما فعل اولئك واحتملوا منهم ما كان يحتمل عن سفهها بامثاله والله اعلم وان لو لم يكن في ذكر من سفههم و
عنادهم ما ذكرنا من الحكمة كان لا معنى لذكر سفه اولئك وعنادهم وجايز ان يكون الشيء سفها باطلا في نفسه ويكون حكمة
ودليلا لغيره والله اعلم على ما قال بعض اهل التاويل ان الكذب نفسه يجوز ان يكون دليل الصدق وكلام السفه والباطل دليل
الصدق والحكمة والله اعلم وقوله واذا راوا اية يستسخرون اي واذا انزل عليهم اية على سؤال منهم يسخرون ويستهزءون ويخبر عن
سفههم انهم وان راوا الايات فانهم لا يسألون سؤال استرشاد ولكن سؤال عناد كقوله عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا وكقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله وقالوا ان هذا الا سحر مبين كان هذا تلقين لاولئك الكفرة الرؤساء من الشيطان اللعين حتى يموهون على اتباعهم
عند ما ظهر وكثير من الايات انه كانوا يقولون انه لا كل احد يعرف السحر فيهيئا اياته ونحوه يلبسون بذلك على اتباعهم لئلا يقع عندهم
انها الاية والله اعلم ولو كان سحرا حقيقة لكان من اياته الرسالة فكيف وقد كان انه كانوا يعلمون انه لم يختلف الى احد ممن
معرفته بالسحر فقط فدل انه بالله عرف ذلك لا على ما ذكرنا ان ما انبا واخبر عن انباء الامم الخالية والخادم يدل على رسالته لما علموا
انه لم يختلف الى احد ممن له المعرفة بتلك الانباء والاخبار ولا نظر في كتبهم ليعرف ذلك ثم اخبر على ما كان في كتبهم دل انه بالله
عرف ذلك وبوحي منه اليه علم فعلى ذلك لو كان فكيف وقد كانت اية عظيمة معجزة وقال الزجاج حرف التعجب انما يكون عند ظهور
التعجب من الامر وعظيم عظيمة فاما ما اضيف الى الله فهو على الانكار منه والرد وعلى من انكر عظيما من الامر ظاهرا وكلام نحوه والله
اعلم وقوله عز وجل ولهم عذاب واصب قيل دايم كقوله عز وجل وله الدين واصبا اي دايما وقيل عذاب واصب اي شديد وقوله
عز وجل من طين لازب قيل ملتزق وقيل ملتصق باليد اذا لمس وقوله دحورا قيل طردا وهو مطرود وقوله شهاب ثاقب قيل مضيء
قيل وقوله واذا راوا اية يستسخرون وقال بعضهم يسخرون وقال بعضهم يستسخرون ويطلبون من اتباعهم السخرية يعني القادة

على الآية والله أعلم وقوله عز وجل أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون قد ذكرنا
أنهم يقولون ذلك وما يتقدم على الإنكار والتعنت وعلم منهم أنهم لا يؤمنون أبدا وإن بين لهم حجة الإحياء والقدرة عليهم لذلك
اكتفى بقوله قل نعم وأنتم داخرون قد ذكرنا أنهم كانوا يقولون ذلك ولم يذكر شيئا من الحجاج سوى قوله نعم وقوله عز وجل وأنتم
داخرون أي صاغرون ذليلون كقوله عز وجل ترهقهم ذلة والله أعلم وقوله عز وجل فإنما هي زجرة واحدة يحتمل قوله زجرة
واحدة يخبر عن سرعة قيامها ويوردها ويحتمل على حقيقة الزجرة لكن يخبر عن خفة ذلك وهونه عليه كقوله كن فيكون من غير
إنكار منه كافا ونونا أو شيء من ذلك لكنه أخف كلام على الألسن يؤدي به المعنى ويفهم به المراد من ذلك فعلى ذلك جائز
أن يكون قوله زجرة واحدة إخبارا عن خفة ذلك عليه وهونه من غير أن جعل الزجرة سببا لحيا أو سبب من ذلك والله أعلم
وقوله عز وجل فإذا هم ينظرون إلى ماذا يؤمرون وعن ماذا ينهون لأن الذي أصابهم في الآخرة إنما كان لتركهم الأمر في الدنيا
فإذا عاينوا ما كانوا يوعدون في الدنيا بتركهم الأمر ينظرون إلى ماذا يؤمرون وينهون عنه والله أعلم ويحتمل ينظرون كالمتحيرين
لأنهم كانوا ينكرون البعث ويكذبونه فإذا عاينوا تحيروا ودهشوا وضجروا وهكذا الأمر المتعارف في الخلق أن من أنكر شيئا
وكذب به ثم أخبر به وأعلم حتى يتيقن به ويتحقق عنده ما أنكر تحير وزجر فعلى ذلك هؤلاء لما أنكروا في الدنيا وكذبوه ثم عاينوا
ذلك وتيقنوا به تحيروا وضجروا به ينظرون نظر المتحير الضجر والله أعلم وقوله عز وجل وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا
كلام يقال عند الوقوع في الهلاك وقوله هذا يوم الدين يوم الحساب أي يوم الحساب ويوم الجزاء وكذلك قوله إلى يوم الدين
ويحتمل هذا يوم الدين أي هذا اليوم الذي ينفع كل من معه الدين دينه والدين المطلق هو دين الله وكذلك السبيل المطلق هو سبيل
أي هذا يوم الدين الذي ينفع من كان معه دين الله وكذا السبيل المطلق هو سبيل الله وقوله عز وجل هذا يوم الفصل الذي كنتم
به تكذبون قوله هذا يوم الفصل أي يوم القضاء والحكم كقوله عز وجل إن ربك يفصل بينهم يوم القيامة أي يقضي بينهم فيما
كانوا فيه يختلفون والله أعلم ويحتمل قوله هذا يوم الفصل أي يفرق ويفرق بينهم أي بين الكفار وأهل الإيمان وبين الخبيث و
الطيب كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا الآية وقوله وامتازوا اليوم أيها المجرمون و
قوله فريق في الجنة وفريق في السعير والله أعلم وقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وأزواجهم فالزوج هو اسم للشكل واسم
لضده اسم لهما جميعا يحتمل قوله وأزواجهم أي أشكالهم وقرناءهم من الجن والإنس والشياطين يأمر الملائكة أن يجمع بين من كان
يجتمعون في هذه الدنيا ويستحبون الاجتماع معهم ليجمعوا في عذاب الآخرة على ما كانوا يستحبون الاجتماع في الملاهي والطرب في
هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك فعلى ذلك يجمع بين أولئك قرنائهم جهنم ويقرن بعضهم إلى بعض في العذاب كقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وكقوله والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ونحوه وقوله عز وجل فاهدوهم
إلى صراط الجحيم كقوله وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ونحوه والله أعلم وقال قتادة وغيره هذا يوم الدين أي يدان فيه بعض الناس من
بعض في المظالم والحقوق وقوله عز وجل وقفوهم إنهم مسئولون يحتمل الوقف للحساب ويحتمل مسئولون أي محاسبون وعن ابن عباس
قال إن دون الحساب يوم القيامة مركزا كذا موقفا في كل موقف يوقفون مقدار كذا عاما ثم تلا هذه الآية ويحتمل السؤال ما تعالوا وكيف
يسألون لماذا فعلوا ويحتمل الوقوف فيتوالى بعضهم بعضا والمخاصمة فيما بينهم والمواجهة كقوله وقالت أولاهم لأخراهم كذا وقالت
أخراهم لأولاهم كذا على ما أخبر أنه يجري فيما بينهم من الخصومة والمراجعة القول والآية وقوله عز وجل ما لكم لا تناصرون أي ما لكم لا
تنصرون أي ما لكم لا ينصركم الأصنام التي عبدتموها في الدنيا رجاء النصر والشفاعة كقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فيخبر عن إياسهم من نصر ما عبدوا وعلى رجاء النصر لهم والشفاعة كقوله بل هم اليوم مستسلمون أي خاضعون
ذليلون لما علموا أن لا يكون النصر والعون لهم فعند ذلك يستسلمون له وقال بعضهم يستسلمون في عذابه وقوله عز وجل
وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال بعضهم أقبل الإنس على الشياطين فقالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال بعضهم من قبل
الخير والطاعة فثبطونا وشغلونا عنه وقال بعضهم من قبل الدين والتوحيد من حيث تحبون وهو الأول وقال بعضهم من قبل
الحق ونحوه فرد عليهم أولئك بل لم تكونوا مؤمنين يقولون إن تركتم الإيمان بأنفسكم وباختياركم لا أنا منعناكم عنه
وقالوا ما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين أي ما كان لنا عليكم من حجة أو برهان ألزمناكم به بل أطعتمونا طوعا
واستجبتمونا بما دعوناكم فهذه المناظرة والمجادلة فيما بينهم كمناظرة إبليس في موضع آخر حيث قال عز وجل وقال الشيطان
لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني
ولوموا أنفسكم أي دعوتكم بلا حجة ولا برهان فاستجبتم لي فعلى ذلك يقول هؤلاء بل لم تكونوا مؤمنين باختياركم ترك الإيمان
بلا سلطان ولا حجة كان عليكم وكمناظرة القادة مع الأتباع حيث قالت أخراهم لأولاهم فما كان لكم علينا من فضل
ونحوه والله أعلم ويحتمل قوله قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من جهة القوة أي أنكم على الحق وأنكم مؤمنون ونحو ذلك ويحتمل
لا على حقيقة اليمين ولكن تأتوننا من كل جهة كقوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم الآية أي من كل الأحوال على جهة حقيقة

ماذكرنا

ما ذكرنا والله أعلم وقد ذكرنا أن قوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان إلا قوله سلطان أي لم يكن لا بأمركم أما ما أطعتم
لنا حجة أو برهان أم ناله عليكم فبما دعوناكم إليه اتبعتمونا على أن لا نمنعكم فلا تلومونا ولكن لوموا أنفسكم بل كنتم قوما طاغين
أي بطغيانكم اتبعتمونا لا بإكراهنا والله أعلم ثم قالوا فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون يشبه أن يكون هذا قول الأكابر منهم والمتبوعين
للأصاغر والأتباع منهم أن حق علينا قول ربنا قال بعضهم أي وجب علينا وعليكم عذاب ربنا ويشبه أن يكون القول الذي أخبر
أنه حق عليهم هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين والله أعلم وقوله عز وجل فأغويناكم إنا كنا غاوين يحتمل أن
يكون هذه المعاينة التي ذكرت كانت بين الأتباع والمتبوعين من الإنس كقوله عز وجل وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا وكذا
وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا كذا وكقوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم كذا ويشبه أن يكون بين الإنس والشيطان ثم
قوله فأغويناكم يحتمل أغويناكم حين أخبرناكم الغواية والضلال وأعرفتم أنا لسنا على الهدى ولو نعلم فيكم الحجة فتبعتمونا على علم
منكم إلا على الغواية فأغويناكم حينئذ والإغواء الإغلال والغواية الضلال فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون أخبر أنهم جميعا
الأتباع والمتبوعين يشتركون في العذاب ليس أن يشتركوا في نوع من العذاب ولكن يجمعون جميعا ثم لهم العذاب على قدر عصيانهم
وجرمهم وقوله عز وجل إنا كذلك نفعل بالمجرمين قال أبو بكر الأصم المجرم هو الآثم في المعصية القادح فيها والله أعلم وقوله عز وجل
إنهم إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله يستكبرون ثم يحتمل قوله يستكبرون على هذه الكلمة ولكن
يستكبرون على أتباع القائلين لهم لا إله إلا الله كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكقوله أأنزل عليه الذكر من
بيننا كانوا يأنفون ويستكبرون على أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك كانوا قالوا ويجوز أن يكون ما ذكر من استكبارهم
استكبارا على هذه الكلمة حقيقة فيخرج استكبارهم عليها إنكارا منهم الكلمة وجحودا لها بقولهم أجعل الآلهة إلها واحدا وقوله
ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يشبه أن يكون على الإنكار أنا لا نترك من قولهم على أثر ذلك وهو ما قال أئنا لتاركوا آلهتنا ل
شاعر مجنون ثم جمعوا فهذا استبعاد بين لأن الشاعر هو الذي يبالغ في الجهل غايته ثم جمعوا بينهما في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك
قولهم ساحر أو مجنون الساحر هو الذي يبلغ في علم الأشياء غايته والمجنون في الجهل دل أنهم إنما يقولون عن عناد وتعنت وقوله
عز وجل بل جاء بالحق وصدق المرسلين الحق قال بعضهم بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض وأصل الحق أن كل ما يحمد
على فعله هو الحق وكل ما يذم عليه فهو باطل وصدق المرسلين أخبر أنه صدق في أخبار من تقدم من المرسلين والله أعلم وقال أبو عوسجة
والقتبي الصافات هي الطير والتي صفت بين السماء والأرض والزاجرات زجرا من الزجر يقال زجرت الإبل زجرا إذا صحت له والزجر
الزجر الصياح والتاليات كما تقول تلوت القرآن أي قرأت وتلوت تبعت والتالي التابع والقذف الرمي يقذفون أي يرمون
ودحورا أي مباعدة وطردا أي باعدته وطردته وأحصيته أي دائب خطف الخطفة أي استلب الشيء والخطفة الاستلاب والشريع
فأتبعه أي لحقه شهاب ثاقب الشهاب الكوكب والثاقب المضيء الشديد الضوء الحر يقال ثقبت النار أي التهبت واشتد حرها وأثقبتها
أوقدتها سخرت واستسخرت كقوله وقروا استقر واحد ويسخر به ويسخر منه ومسخرة بالفتح يدل سخرت فلانا أي استعملته بغير أجر
مستسلمون أي منقادون أعطوا بأيديهم يقال استسلم الرجل إذا أعطى بيده واستسلم وتكلم أعنة والمضغ والزاجر أشكالهم يقول
الرب وزوجا أي أفرقت واحدا بآخر وهم قرناؤهم من الشياطين كنتم تأتوننا عن اليمين أي تخدعوننا وتمنعوننا من طاعة الله والله أعلم
والزوج المثل شكله ويقال الصنف فهو لهما جميعا وقوله إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون يحتمل ما ذكرنا من على الإضمار إذا قيل لهم
لا إله إلا الله يستكبرون ويحتمل وجها آخر أنهم إذا قيل لهم اتركوا عبادة الأصنام وأمر فواعبا وتكم إلى الإله الذي هو في الحقيقة إله وهو الله
بجر النفع والدفع الضر وهو الله جل وعلا ويدل لهذا قولهم أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون أي نترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون والله أعلم
ذكر أن نفرا من رؤساء قريش أتوا أبا طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك يحقق فدعاه فقال ما تريد منهم يا ابن أخي فقال له يا عم إنما أريد منهم
كلمة يملكون بها العرب ويؤدي لكم بها العجم وفي بعض القصة أنه قال لهم أسألكم كلمة يدين لكم بها العرب ويؤدي إليكم بها العجم الجزية و
فقالوا وما هي فقال لا إله إلا الله وأني رسول الله فقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا وذلك أنهم قالوا أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ويحتمل
ما ذكرنا فيما تقدم والله أعلم والآية فيمن يقر بالصانع ليس فيمن ينكر الصانع رأسا من نحو الدهرية وغيرها حيث نفوا الألوهية لمن دونه وأثبتها
لله عز وجل بقوله لا إله إلا الله ولو كان ذلك مع أهل الدهر لكان لا معنى لنفي الألوهية لغيره بل يحتاج إثباتها لخبب فدل أن الآية فيمن
يقر بالصانع لكنه يشرك غيره فيها وهم مشركو العرب وغيرهم والله أعلم ثم أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حيث قال عز وجل بل
جاء بالحق وهو كل ما أمر من التوحيد والإسلام والرسالة وكل فعل يحمد فاعله عليه ولا يذم وقوله عز وجل وصدق المرسلين الذين كانوا
قبله في جميع ما جاءوا به من الحق إنكم لذائقو العذاب الأليم بالكذب والله له كله وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ثم استثنى المؤمنين حيث
قال عز وجل إلا عباد الله المخلصين فإنهم لا يذوقون العذاب الأليم والأول أن يستثنى من قوله وما تجزون إلا ما كنتم تعملون أو لا يكون
لهذا حق الاستثناء من الأول ولكن الابتداء والمجاز في اللغة سائغ في اللسان والله أعلم ثم بين ما أعد للمخلصين فقال أولئك لهم
رزق معلوم فإن قيل كيف جمع بين قوله يرزقون فيها بغير حساب وبين قوله لهم رزق معلوم قال بعضهم إن أهل النار قبل يفنى الغاو

لمن يشتهون يزيدون به ويحتمل ان يكون الكثير الذي لا يحسب ولا يعد لكثرته فهو في نفسه معلوم محدود وان يريد بالمعلوم انه م
ضا وما وعدوا في الدنيا لهم في الاخرة معلوما معرفتنا عند الوصول اليه كان ذلك لهم موعودا فاذا وصلوا اليه صار معلوما محدودا
وقوله عز وجل فواكه وهم مكرمون اي معظمون مشرفون وقوله في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين يخبر
انهم لهم في الجنة ما يستحبون ويختارون في الدنيا من الجلوس على السرر على المواجهة والمقابلة والشرب على ذلك والكاس قيل كل اناء
او قدح فيه شراب فهو كاس وقوله عز وجل بكاس من معين العين قال بعضهم هو الجاري وكانه يخبر ان خمر اهل الجنة تجري في
الانهار كقوله عز وجل وانهار من خمر لذة للشاربين وقال بعضهم المعين هو الظاهر الذي يقع البصر عليه كقوله قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين اي ظاهر وقوله عز وجل بيضاء لذة للشاربين ذكر ان خمورهم في الاخرة بيضاء لان البياض
يظهر كل ما فيه من الاذى والاثر ويرى ما فيه من الالوان فانه ما يظهر ونظائره لا يحبها ذكر انها بيضاء لان البيضاء من
الالوان المستحسن الطباع كلها وهو المختار وعندنا قال الزجاج الخمر لذة للنفس الروحانية لا الجسدانية الا يرى ان الخمر يشربها الناس
ويظهرون كراهة ذلك في وجوههم من العبوسة وغيرها ثم مع هذا يعودون ويشربون دل انها لذة لا لهذه النفس الجسدانية ولكن للنفس
الروحانية وكلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وينزفون بنصب الزاء وكسرها ورفعها ونصب
الزاء وقوله عز وجل لا فيها غول اي لا اثم فيها ولا صداع ولا اذى ولا هم عنها ينزفون من قراها ينزفون برفع الياء ونصب الزاء
يقول لا ينزف الخمر عقولهم اي لا يذهب بها اي لا يسكرون كما يسكر بشرب الخمور الدنيا ومن قراها ينزفون اي يفنى شرابهم وتاويل هذا
الكلام ان اهل الدنيا انما اخذوا في الشراب لا يتركون شربهم الا لاحدى الخلتين اما الذهاب عقولهم وذلك عند شدة سكرهم
واما الفناء الشراب لاحدى هاتين الخلتين يتركون شربهم فيخبر ان اهل الجنة لا يذهب عقولهم الخمر ولا يفنون شرابهم ولا
كان فيها افة ولا ضرر والله اعلم قال ابو عوسجة ظاهر لا تحرك يقال الجاري لا فيها غول اي سكر ولا ضرر ولا يكون الاغتيال
الا من الخديعة والقتل في الاولاد هي ان يرضع المراة ولدها وهي حامل والغلول التلون ولذلك سميت الغول غولا لانها
يتلون وغيلان جميع ينزفون قال الشريف السكران وقال القتبي لا فيها غول اي لا يغتال عقولهم فيذهب بها يقال الخمر غول
للحلم والحرب غول للنفوس والغول العدد ولا هم عنها ينزفون اي لا يذهب حمرهم وينقطع ويذهب عقولهم والخمر التي جعل الله
لاهل الجنة في الاخرة هي التي ذكر شربها في الدنيا ولم يتناول منها ولا يلتذ بها والله اعلم وقيل فيها غول اي غائلة الصداع
اي لا يخرج منها الراس ولا هم عنها ينزفون اي يسكرون ينزف عقولهم فيذهب وفي قوله الا عباد الله المخلصين بنصب اللام دلالة
انه قد كان من الله جل وعلا لطف به استوجب الاخلاص والخصوصية وهو ينقض على المعتزلة قولهم والله اعلم وقوله عز وجل قاصرات
الطرف اي لا ينظرن الى غير ازواجهن جبل الله عز وجل البشر على الغيرة ولا يستحب الرجال ان ينظر ازواجهم الى غيرهم ولا النساء
ان ينظر ازواجهن الى غيرهن فاخبر عز وجل عن ازواجهن في الجنة انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن حبا لازواجهن وطلبا لرضاهم
والله اعلم وقوله عز وجل عين قال بعضهم واسعات العيون في الجمال لان السعة في العين اذا جاوز الحد يحسن ولا يكون فيه جمال
ولكن يكون فيه قبح والله اعلم وقال بعضهم عين اي حسان العيون والعين جماعة العيناء والله اعلم وقوله عز وجل كانهن بيض مكنون
اي مستور لا يصيبه مطر ولا ريح ولا غبار ولا شمس ولا شيء مما يصيب في الدنيا كقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان والله اعلم
وقال بعضهم عين اي حسان العيون والعين جماعة العيناء والله اعلم وقوله كانهن بيض مكنون مدحهن وكن من الحمرة والعيب والصفرة
لم يتغير وهو مثل الاول وقال بعضهم بيض مكنون هو كبيض النعام الذي مكنه الريش من الريح وغيره فهو بيض الى الصفرة نكانه
يترف فذلك المكنون وقال بعضهم شبههن بالبياض الذي يكون بين القشر وبين اللحا وهو بيض شيء يكون والله اعلم بذلك لكن
فيه وصفهن بالجمال والبهاء والحب لازواجهن وقال بعضهم البيض المكنون وهو المصون وهو وصفهن بالصون والصيانة
كقوله حور مقصورات في الخيام والله اعلم وقوله عز وجل فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك
لمن المصدقين الى اخر ما ذكر في بعض القصة ان رجلين شريكين كان لهما ثمانية الاف دينار وذكر انهما كانا اخوين ورثا ثمانية الف
دينار فاقتسما وذكر بعضهم الف درهم فتعمد احدهما الى ماله فاشترى به قصورا وبيتا وفرشا وجواري ونساء فاغتر
فامر الدنيا وعمد الاخر الى ماله فانفقه في طاعة الله وطلب مرضاته وطلب نعيم الدايم في الاخرة هذا مؤمن والاخر كافر طاغي ثم
اصاب الذي انفقه في طاعة الله وطلب مرضاته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي هل لعله ان ينال منه بمعروف فاتاه
فساله فابى ان يعطيه شيئا وقال له ما شانك وما فعلت بمالك فاخبره بما فعله به فقال له ائنك لمن المصدقين ائذا متنا و
كنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي محاسبون فحجبه فقضى لهما ان يوقفا فنزلت فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال
قائل منهم وهو المؤمن حين ادخله الله الجنة اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث بعد الموت ائذا متنا وكنا ترابا و
عظاما ائنا لمدينون اي لمحاسبون قال هل انتم مطلعون كانه قال لاصحابه هل انتم مطلعون في النار لينظر ما حاله ثم اخبر انه اطلع
فراه في سواء الجحيم ذكر اطلاعه ولم يذكر اطلاع اصحابه فجايز ان يكون اخبر عن اطلاع كل واحد منهم في نفسه انه اطلع فراه م

في سوا

في سواء الجحيم وسط الجحيم وان كانوا جميعا مطلعين اليه فيها كقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح ويا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم وان كان ذلك خطابا لانسان واحد فهو خطاب لكل انسان في نفسه فعلى ذلك جايز ان يكون قوله عز وجل فراه في
في سواء الجحيم اخبار عن اطلاع كل واحد منهم وان كانوا جميعا مطلعين والله اعلم [illegible] احدهما ما ذكرنا من اطلاع
اهل الجنة على اهل النار [illegible]
[illegible]
بعد المسافة والحجاب عن النظر والرؤية والله اعلم [illegible]
[illegible]
صنو ولا يصيبه عبادة ولا قبح وقوله تالله ان كدت لتردين اي هممت واردت ان تهلكني [illegible] فيما دعوتني
اليه وسالتني ثم اخبر انه لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين معه وهذا على المعتزلة [illegible] كل واحد ما لو منعه عنه كان
جايرا في منع ذلك وهذا الرجل اخبر بنعمته ورحمته اهتدى ما اهتدى وانه لو لم يكن منه اليه نعمة لكان من المحضرين فهو
اعرف بربه من المعتزلة وكذلك الشيطان وجميع الكفرة اعرف بنعمة ربهم من المعتزلة لانهم قالوا لاهل النار انتم مغضوب عليكم من عند
الله من بعد ما قالوا لو هدانا الله لهديناكم لقد جاءت رسل ربنا بالحق ومثله كثير في القران انهم جميعا اقروا ان الهداية لهم من الله نعمة ورحمة ولم يعط
الكفرة ذلك والمعتزلة يقولون بل هدى كل كافر ومشرك لكنهم لم يهتدوا واهل الجنة قالوا ايضا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا ومثله كثير في القران والله اعلم وقوله عز وجل افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى يحتمل ان يكون قوله افما
نحن بميتين على الايجاب والالزام ليس على الاستفهام وسؤال بعضهم بعضا الا نموت فيها ولا نعذب واذ لم نمت ولم نعذب فيها
فاذا كان ذلك فوزا عظيما ولذلك ذكر ابو معاذ عن الكسائي ان هذا استفهام من قبلين وفي القران كثير مثله وقال قد يكون الاستفهام
على التعجب ويكون على التعيين ويكون عن الجهالة ويكون قوله الا موتتنا الاولى لابتداء موتة الاولى قد مضت لا يذوقون
ثانيا وقوله عز وجل لمثل هذا فليعمل العاملون اي لمثل هذه العاقبة التي اعطينا بالحق وظفرنا بها يعمل العاملون لا لمثل ما فيه صاحبه
الذي في النار لان ذلك يجيء نزلا ام شجرة الزقوم ويحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا من النزل والمقام اي المقام الذي نزلنا فيه
خير ام شجرة الزقوم ويحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا ان يكون من الانزال اي ما لنا من الطعام والماكل والمشرب خير ام شجرة
الزقوم قال بعضهم اخبر بعض الكفار وبعض ما خوفوا بها هل يدرون ما الزقوم هو التمر والزبد فقالوا بهذا الذي يخوفنا به محمد و
قال بعضهم ان محمدا يخوفنا بالشجرة في النار والنار من طبعها ان يحرق الشجر وياكله فكيف يكون في النار الشجرة فكذبوا منهم ذلك
الها فبين الله عز وجل تلك الشجرة وعن حالها فقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين اخبر ان تلك الشجرة تخرج
من اصل الجحيم وان شيء منها والشجرة التي انشئت من النار لا تاكلها النار ولا يحرقها كما تاكل غيرها من الاشجار التي لم ينشا منها
ومثل هذا جايز ان يكون الشيء الذي يكون منشؤه ونشوؤه من كل شيء لا يهلكه كونه في ذلك كالسمك الذي يكون اصل نشوئه في الماء ولا
يهلك الماء وكذلك جميع دواب البحر وان كان غيرها من الدواب في البحر يهلك فيها ويتلف فعلى ذلك الشجرة منشاؤها منها لا تهلكها
النار ولا تحرقها وان كان غيرها من الاشجار تاكلها وتحرقها والله اعلم والجحيم قيل هو معظم النار وغلظها يقال اججت النار اي
اعظمتها يقال نار جحيمة اي عظيمة وقوله عز وجل طلعها كانه رؤوس الشياطين اختلف فيه قال بعضهم ان نوعا من الحيات يسمى
شياطين لها رؤوس سود قباح لها عرف كعرف الفرس فطلع تلك الشجرة وثمرتها وقبحها وسوادها برؤوس من تلك الحيات وقال
بعضهم هو نوع من النبات بالبادية يستقبحه الناس اشد الاستقباح شبه طلع تلك الشجرة وثمرتها بذلك النبات وقال بعضهم
ان جبالا بمكة سود قباح يستقبحها اهل مكة سموها شياطين شبه ثمار تلك الشجرة وطلعها برؤوس تلك الجبال والله اعلم وقال
بعضهم لا ولكن حقيقة رؤوس الشياطين لان الله عز وجل جعل الشياطين في قلوب اولياء الكفرة فضل البغض والقبح والنفار منها
وان لم يروها ولم يعاينوها فشبه طلع تلك الشجرة برؤوس الشياطين ليعقل الكفار وبعضهم اياها حقيقة وفي ذلك اية عظيمة
لرسالته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يروا الشياطين ببصرهم ولا عرفوهم معاينة وانما عرفوهم باخبار الرسل عليهم السلام
استنكروها واستقبحوها وهم قوم لا يؤمنون بالرسل عليهم السلام فاذ قبلوا اخبار رسل الله فيهم لزمهم ان يقبلوا قوله في الرسالة

في جهنم ما الخبر والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين يحتمل قوله فتنة يعني به الشجرة التي انبتت من اصل
الجحيم وهي شجرة الزقوم عذابا للظالمين يعني به الشجرة كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ذوقوا فتنتكم اي عذابكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون ويحتمل قوله جعلناها اي تلك الشجرة الزقوم فتنة للظالمين في الدنيا وجهة الفتنة بها انهم
هو انكارهم اياها عن الجهة التي ذكر وان النار تحرق وياكل الشجر فكيف يكون فيها شجر انكارا لهم وتكذيبا بها والثاني ما ذكر
بعضهم ان الزقوم هو الزبد والتمر فصار تلك فتنة لهم لما ذكرنا وسببا لعذابهم والله اعلم وقوله عز وجل فانهم لاكلون منها اي من
الشجرة الزقوم ذكر انها تخرج من اصل الجحيم وقوله عز وجل فمالئون منها البطون جايز ان يشتد والله عليهم الجوع حتى ياكلوا منها
فيملؤن بطونهم منها كقوله عز وجل فشاربون شرب الهيم وهي الابل التي يملؤ بطونها من السمائم لا يغني ذلك الشرب وهو الحميم
لا يرفع عنهم العطش الذي يكون بهم فعلى ذلك ما جعل طعامهم من تلك الشجرة كقوله عز وجل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الاية
انهم وان ملؤا بطونهم فان ذلك لا يدفع عنهم الجوع كقوله لا يسمن ولا يغني من جوع والله اعلم ثم ان لهم عليها وفي حرف
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم ان مصليهم لالى الجحيم وقوله عز وجل ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهم على تلك الشجرة
التي جعل طعامهم خلطا من حميم ان ثم ان لهم على تلك الشجرة ثم وقوله عز وجل ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي ثم ان مردهم اي ثم
مرجعهم انهم يردون الى الجحيم لانهم يرجعون بانفسهم ولكن يردون فيها كقوله ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
ولكن يدفعون فيها كقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا والجحيم هو معظم النار على ما ذكرنا يقال نار جاحمة عظيمة
وقوله عز وجل انهم الفوا اباءهم ضالين اي وجدوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون فيه ان ما ذكر من العذاب الاتباع منهم
للمتبوعين ولم يذكر عذاب المتبوعين في الاية حيث قال انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال بعضهم يسرعون وهو
شبه الهرولة والاهراع هو الاسراع وهو قول القتبي وابي عوسجة وقال بعضهم يهرعون اي يسعون وهما واحد وقوله عز وجل
ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين يقول والله اعلم ولقد ضل قبل قومك يا محمد من الامم اكثرهم من الامم الخالية من لدن ادم نعم جرا
الى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ادم ومن بينهما من النبيين وقوله عز وجل ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي لقد ارسلنا في الذين ضلوا من
قبلك منذرين ينذرهم ما من قوم الا بعث اليهم نذيرا كما ارسلنا الى قومك وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقول
والله اعلم انظر كيف صنعنا بمن نذر وما العاقبة فلم يؤمن ولم يقبل ولم ينفعه النذارة الا عباد الله المخلصين استثنى منهم وهم
الذين نفعتهم النذارة وقبلوها فنجوا مما ذكر من عذابهم والله اعلم ويحتمل سماهم المخلصين لما سلم الله ولخاصهم العبادة وقوله
عز وجل ولقد نادانا نوح الاية قال بعضهم حين دعا ربه فقال عليه السلام رب اني مغلوب فانتصر فكانه اذ نادى ربه بالهلاك
على قومه فاجابنا ضد دعاءه وهو ما قال عز وجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر الى اخر ما ذكر ثم ان الرسل عليهم السلام هم
مخصوصون بها من بين غيرهم الناس واحدها ان ليس لهم الدعاء على قومهم بالهلاك وسؤال العذاب عليهم لا بعد مجيء الاذن لهم من الله
عز وجل بالدعاء عليهم فنوح عليه السلام انما دعا ربه بانزال الهلاك عليهم بالاذن من ربه والثاني لم يكن لهم الخروج من بين
ظهرانيهم عند نزول العذاب بهم الا باذن من الله عز وجل على ذلك ولذلك جاء العتاب ليونس عليه السلام والتعيير لما خرج من بينهم
عند نزول العذاب بلا اذن كان من ربه حيث قال الله عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الاية [illegible]
لهم خاصة صلوات الله عليهم واما الغيرهم من اهل الدين فلهم وان يدعوا على الفجرة والفسقة منهم بالفقر والهلاك فلهم ان يخرجوا
من بين ظهرانيهم لانفسهم ونجوتهم وكان هذا بعد من مصالح الاعمال لهم وقوله عز وجل فلنعم المجيبون وهو الرب
تبارك وتعالى ذكر المجيبين على الجماعة ا ما نفعل كذا ونعدنا كذا وهو كلام الملوك فيما بينهم ثم كل فضل يضاف الى الله تعالى فيه عبرة
ونسبه اليه فيه شيئا يكون ذا صلاح وذلك بينه وبين فضل [illegible] الحاكمين ونحوه
عالم لكل الحياة ونحو ما يكون ذلك [illegible]
يقدر دون فناء ذلك والقيام بالنجاة [illegible] وقوله عز وجل ونجيناه واهله من الكرب
العظيم يحتمل نجاة من الكرب العظيم [illegible] الف سنة الا خمسين عاما
الاذى من التكذيب وغيره وانجاه الله من كرب ذلك حين اهلكهم ويحتمل الكرب العظيم هو الهول الشديد وهو الغرق اغرق
من على وجه الارض [illegible] وقوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين ذكر ان الناس كلهم بعد نوح عليه السلام
من ذريته [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل وتركنا
عليه في الاخرين [illegible] سلام على نوح في العالمين
اي ابقينا عليه الثناء الحسن في الاخرين حتى يثنون عليه جميعا ويصدقونه ويتولونه [illegible]
بعضهم سلام [illegible] كما قال عيسى عليه السلام والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا وما قال في يحيى عليه السلام حيث قال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ذكر

السلام

ذكر السلام عليهما في اوقات ثلاثة وفي يومه في الاوقات كلها والله اعلم وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين اي هكذا نجزي
كل محسن بجزاء الله بالثناء الحسن في العالمين وعند الناس في الاحسان اما الى الخالق واما الى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل
انه من عبادنا المؤمنين وليس في ذكره انه من المؤمنين كثير منفعة له وهو من اولي العزم من الرسل لكن يحتمل ذكره اياه انه من المؤمنين
وجوها احدها انه من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة وقبل ان يبعث رسولا اي لم يصر مؤمنا وقت الرسالة ولكن كان لم يزل مؤمنا قبل
الرسالة والثاني انه من عبادنا المؤمنين يكون فيحتمل ان يكون هذا البشر صلى الله عليه وسلم ونوح عليه والرسل عليهم السلام جميعا يؤمن
بعضهم ببعض والثالث انهم كلهم من عبادنا المؤمنين المحققين الموفين اي وفاء ما اعتقدوا بلسانهم وهكذا كانت الرسل كلهم موفين
ما اعتقدوا واعطوا بلسانهم وهكذا يعتقد كل مؤمن في اصل ايمانه واعتقاده اي لا يعصي ربه وان لا يخالفه في شيء من اوامره ونواهيه
لكنه لا يفي ما اعتقده ويبتلي بل يقع ربما في معاصيه وفي مخالفة اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل وان من شيعته لابراهيم اي
ابراهيم عليه السلام من شيعته نبينا محمد عليه السلام يقول على دينه ومناهجه وقال بعضهم من شيعة نوح اي ابراهيم من شيعته
نوح عليه السلام على ما تقدم ذكر نوح عليه السلام حيث قال ونادانا نوح الى اخر ذلك ان ابراهيم من شيعته على دينه ومناهجه وقيل
لذكرها قبله اذ جاء ربه بقلب سليم عن جميع ما يمنع من الاجابة فيما دعاه والصبر على ما امتحنه وابتلاه والله اعلم وعلى ذلك سماه الله عز وجل
في كتابه الكريم وابراهيم الذي وفى جميع ما امر به وامتحن به والله اعلم ويجوز ان يكون ذلك في الاخرة يقول جاء ربه بقلب سليم كقوله
عز وجل ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اخبر انه في الاخرة يكون من الصالحين وذلك سلامة قلبه والله اعلم و
قوله عز وجل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله قد اختلف سؤال ابراهيم صلوات الله عليه يقول مرة قال لهم
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ومرة قال ماذا تعبدون ثم ذكر في غير هذا الموضع اجابتهم اياه حيث قالوا نعبد اصناما وما
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ولم يذكر ها هنا شيئا قالوه له ثم معلوم انه لا يبعد انهم اجابوه بما اجابوه ثم ذكر على اختلاف الالفاظ
والحروف ليعلم ان تغيير الالفاظ وتبديل الحروف لا يغير المعنى وكذلك جميع القصص التي ذكرت في القران يذكرها مكررة مختلفة الالفاظ
والحروف والقصة واحدة ليدل ان الماخوذ والمقصود من الكلام معناه لا لفظه وحروفه والله اعلم ثم قوله عز وجل ائفكا الهة دون
الله تريدون يقول والله اعلم افكا اي كذبا سميتكم الاصنام التي تعبدونها من دون الله يقول كذبا ذلك ليست بالهة دون الله
عبادتها ويقول افكا اي كذبا الالهة التي اتخذتموها الهة دون الله تريدون ان تتخذوا الهة وهو الغريب الاول وقوله عز وجل
فما ظنكم برب العالمين يقول والله اعلم فما ظنكم برب العالمين اي يفعل بكم اذا اتخذتم دونه الهة وصرفتم العبادة والشكر عنه
الى من دونه وقد تعلمون انه هو المنعم عليكم هذه النعم وهو اسدى اليكم من الاحسان وهو اليكم او يقول فما ظنكم برب
العالمين انه يرحمكم ويفعل بكم خيرا في الاخرة بعد تسميتكم الاصنام الهة وعبادتكم اياها دون الله بعد علمكم انه هو خالقكم وهو مسخر لكم
جميع ما في الدنيا وهو انشاكم فاتظنون به ان يفعل بكم ان يرحمكم ويسوق اليكم خيرا اي لا يظنون به ذلك ولكن ظنوا خيرا
وقوله عز وجل فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي ساسقم وذلك جائز في اللغة كقوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون للحال فعلى
ذلك قول ابراهيم عليه السلام اني سقيم اي ساسقم او يقول اني سقيم وعسى ان لا يكون احد من الخلق الا وبه سقم ومرض وان
قل فعلى ذلك قول ابراهيم عليه السلام وقول من قال ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلثا احدها هذا اني سقيم وذلك وحش من القول
سمج لا يجوز ان ينسب الكذب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن انبيائه لا يقع قط في وجه من الوجوه ويذكر اهل التاويل ان قومه
ارادوا ان يخرجوا ابراهيم الى عيدهم فنظر ابراهيم نظرة في النجوم فقال اني سقيم ليخلفوه ويتركوه ليكسر اصنامهم التي يعبدونها
على ما فعل من الكسر والبحث ويذكرون انه انما نظر في النجوم لان قومه كانوا يعالجون بالنجوم ويستعملونها وعلم النجوم فانه كان
ذلك فهو والله اعلم اراد ان يرى من نفسه الموافقة لهم ليلزمهم الحجة عند ذلك وهو ما ذكر في قوله هذا ربي وهذا اكبر ونحوه قال
ذلك على اظهار الموافقة لهم من نفسه ليكون هو الزام الحجة عليهم ومرة حاجهم عليه اهون وايسر من هكذا الاخبار بالمعروف في الخلق
ومن اراد ان يصرف احدا عن مذهب ادين انه اذا اظهر من نفسه الموافقة له عليهم ضربا باليمين اي ضربهم ضربا باليمين وقوله
عز وجل فراغ الى الهتهم اي فراغ الى ما اتخذ قومه وسموها الهة ذكرها على ما عندهم وعلى ما اتخذوها الا لم يكونوا الهة وكذلك قول
موسى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الى الهك الذي هو عندك والا لم يكن هو اله وقوله عز وجل فراغ الى الهتهم
فقال الا تاكلون كان طعاما موضوعا بين يديها لذلك قال الا تاكلون وقوله عز وجل ما لكم لا تنطقون بحوائجكم او
شبه او يكون قوله ما لكم لا تنطقون انه من فعل بها ما فعل كقوله من فعل بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم
ان كانوا ينطقون عن من فعل بهم هذا سفه قومه في عبادتهم الاصنام وهي لا تاكل ولا تنطق ولا تملك دفع من قصد بها خيرا
فكيف تملكون شيئا عنيتم في الاخرة وهي لا تملك ما ذكر والله اعلم وهو كقوله هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او
يضرون وقوله عز وجل فراغ عليهم ضربا باليمين اي مال ورجع عليهم وقوله ضربا باليمين اختلف فيه قال بعضهم ضربا
بالقوة اليمين التي كانت منه حيث قال تالله لاكيدن اصنامكم والله اعلم قال بعضهم ضربا باليمين بالقوة وقد يعبر باليمين عن

القوة كما يعبر باليد عن القوة وقال بعضهم ضربا باليمين اي بيده اليمنى نفسه على ما يعمل المرء اكثر اعماله باليمين وقوله عز وجل فاقبلوا اليه يزفون ظاهر هذا انهم اقبلوا اليه وقت ما كسرها وفعل بها ما فعل لكن في اية اخرى ما يدل ان اقبالهم اليه كان بعد ما خرج من عندها وغاب مكانه بعد ذلك بزمان الا ترى انهم قالوا من فعل هذا بالهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم الاية ولو كانوا اقبلوا اليه مرتين وهو عندها حاضر لم يحتجوا الى ان يقولوا من فعل هذا بالهتنا بل يقولون ان ابراهيم فعل ذلك بها ولو كان يقول ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون معنى والله اعلم وقوله عز وجل يزفون قال بعضهم يمشون اليه وقال بعضهم يسرعون وهو قول ابو عوسجة واصل التزفيف كان المشي فيه سرعة على ما يسرع في المشي المراد اصابة شيء او فعل به امر والله اعلم وقوله عز وجل اتعبدون ما تنحتون بسفههم بعبادتهم ما ينحتون بايديهم ويتخذونها بانفسهم على علم منهم انها لا تملك نفعا ولا ضرا والذي نحتها اولى بالعبادة له اولى من ان يعبده كان يجوز العبادة لمن دونه من ذلك المنحوت فاذ هو يملك شيئا من النفع والضر والمنحوت لا فاذ لم يعبدوا الناحت لها والمتخذ وهو اقرب وانفع فكيف يعبدون ذلك المنحوت الذي لا يملك شيئا وتركتم عبادة الذي خلقكم وخلق اعمالكم ثم من اصحابنا من احتج على المعتزلة بهذه الاية في خلق افعال العباد ويقولون اخبر عليه السلام عن خلق انفسهم وعن خلق اعمالهم حيث قال والله خلقكم وما تعملون لكنهم يقولون ليس فيه دلالة خلق اعمالهم الا ترى انه قال عليه السلام اتعبدون ما تنحتون وهم لا يعبدون النحت انما يعبدون ذلك المنحوت فعلى ذلك لم يخلق افعالهم واعمالهم ولكن خلق ذلك المعمول نفسه والله اعلم لكن الاحتجاج عليهم من وجه اخر في ذلك كانه اقرب واولى وهو ان يصير ذلك المعمول خلقا لله تعالى بقوله خلقكم وما تعملون لانهم انما يعبدون ذلك المعمول مخلوق لله دل ان عملهم الذي عملوا به مخلوق لذلك قلنا ان فيه دلالة خلق اعمالهم والله اعلم وهو كقوله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين انما صار التواب والمتطهر محبوبا بالحبة التوبة والتطهر وصار المعتدي غير محبوب لبغضه الاعتداء فعلى ذلك المعمول صار مخلوقا بخلقه عمله والله اعلم وقوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم قال بعضهم لبعض ابنوا له بنيانا يجمع فيه الحطب فتعظم فيه النار فيصير جحيما ثم القوا ابراهيم في الجحيم والجحيم قد ذكرنا انه معظم النار وقوله عز وجل فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين اي الهالكين يقولون ما ناظرهم الله بعد ذلك حتى اهلكهم ويشبه ان يكون ما ذكرنا والله اعلم فارادوا اهلاك ابراهيم عليه السلام فصاروا من الهالكين والله اعلم وقوله عز وجل وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين قال بعضهم ذاهب الى ربي بقلبي وعملي وديني وذلك في الاخرة ويحتمل ذاهب الى ما امرني ربي او الى ما اذن لي ربي وقد امر بالهجرة الى الشام من مكة اي ذاهب الى ما فيه رضاء ربي وطاعة ربي ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل سيهدين قال بعضهم اي سيحييني ما دامت من هدي وقال بعضهم سيهدين الطريق وذلك جائز نحو قول موسى عليه السلام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لما توجه الى مدين فعلى ذلك جائز قول ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي ذاهب الى امر ربي اي متوجه الى امر ربي ان توجيه سيهدين ذلك الطريق والله اعلم وقال بعضهم سيهدين لدينه وذلك اول ما هاجر من الخلق ليعلم دينه وقد ذكر في حرف حفصة اي مهاجر الى ربي سيهدين والله اعلم وقوله عز وجل رب هب لي من الصالحين كانه قال رب هب لي غلاما حليما من الصالحين دليل ذلك ما ذكر له من البشارة له بالغلام على اثر ذلك ان سؤاله كان سؤال الغلام ثم فيه دليل جواز سؤال الولد الذكور لكنه سأله بشرط السؤال والطيب كما سأل الانبياء وسأله ابراهيم عليه الصلوة والسلام رب هب لي من الصالحين وقال زكريا عليه السلام هب لي من لدنك ذرية طيبة وما ذكر وحكى عنهم مدحهم وثنا عليهم حيث قال عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما يجب على من يسأل الله الولد ان يسأله على هذه الشرائط التي سأل الانبياء عليهم السلام فيكون سؤالهم الولد على ذلك سؤالا لله عز وجل وما يصلح لقيامه لامرهم وعبادتهم فاما ان يسأله اياه لنزع لنفسه وسروره في الدنيا فلا ثم يحتمل قوله ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاخر ما ذكر وجهين احدهما اي هب لنا من ازواجنا وذرية ما يقر به اعيننا او هب لنا من ازواجنا من الولد والذرية ما يقر به اعيننا على ما سأل زكريا عليه السلام حيث قال ذرية طيبة ثم فيه دلالة ان الولد هبة الله لهم وعطاؤهم ولذلك قال ذرية طيبة يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقد ذكرناه فيما تقدم والله اعلم يعني ما اضاف الولد هبة من الله وقوله عز وجل فبشرناه بغلام حليم حليما اذا بلغ مبلغ الامتحان بالافعال والامر والنهي اي بشرناه بغلام حليم فيما امتحن اذا بلغ مبلغا يمتحن فيه قال قتادة ان الله عز وجل لم يزك احدا ولا وصفه بالحلم سوى ابراهيم وابنه الذي بشر به والله اعلم وقوله عز وجل فلما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث يقدر ان يسعى معه الحجارة يهواه ويسعى ويمشي معه وهو الحرم وقال بعضهم فلما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث يعمل ويسعى عندنا قال له يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وتري بالنصب والرفع جميعا فيه دلالة ان رؤيا الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على حق مخرج كالامر والوحي الا يرى انه لما قال له اني ارى في المنام اني اذبحك وقد عرف حرمة ذبح بني ادم وقتلهم قال له ولده افعل ما تؤمر ولو لم يكن امر له بقي افعل ما تؤمر ولا قال له يا ابراهيم اني ارى في المنام اذبحك وقد عرف حرمة ذبح بني ادم وقتلهم الذي لا يسع الاقدام عليه والعمل والله اعلم ثم قوله لابيه افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين دلالة ان لا كل ما يؤمر بامر

منه

منه شاء الله ان يفعل ما امر حيث اخبر ستجدني من الصابرين ان شاء الله وقد ذكرنا ان ابراهيم عليه السلام كان مامورا بالذبح فاذا امر هو بالذبح امر هذا ان يصبر على الذبح ولا يجزع ثم اخبر انه يصبر ان شاء الله دل ان لا كل ما امر الله يا مر يشاء منه ان يفعل ذلك ولكن شاء ان يفعل ذلك من علم منه ان يختار ذلك الفعل ويفعله ومن علم منه انه لا يفعل ذلك لا يجوز ان يشاء ذلك منه الفعل وكذلك قول موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وهذا على المعتزلة لقولهم ان الله تعالى اذا امر احدا بامر شاء ان يفعل ما امر به لكنه تركه لما لم يشاء وهو والله اعلم وقد بينا فساد قولهم في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وقوله عز وجل فلما اسلما وتله للجبين يحتمل قوله اسلما اي استسلما لامر الله فيما امرهما هذا بالذبح وهذا بالبذل والطاعة في ذلك او اسلم هذا ابنه وهذا نفسه لله عز وجل واصله اسلما انفسهما لامر الله والطاعة في ذلك وقوله وتله للجبين اي صرعه وكبه على وجهه فيه انه لم يضجعه كما يضجع الامر ما يريد ان يذبحه من الشاة ونحوها ولكنه اضجعه على وجهه فهو والله اعلم لما اراد ان ينفذ امر الله ويقدر على اتمام ما امر به فلعله لو اضجعه على ما يضجع غيره من الذبح نظر كل واحد منهما الى وجه الاخر فيرحم هذا فيترك ذبحه وهذا ينظر في وجهه فيجزع ويترك طاعته او على ما قال اهل التاويل انه قال لابراهيم عليهما السلام كذا فعل ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا يجوز ان يحتج بهذه الاية على المعتزلة لقولهم ان الله عز وجل اذا امر احدا بامر يجوز ذلك الفعل منه واراد ان يفعل ما امر به ونحن نقول يجوز ان يريد غير الذي امر به يريد ان يكون ما علم انه يكون منه ويختاره حيث قال عز وجل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ولم يكن منه بحقيقة ذبح الولد وقد امر بذبحه فلو كان في الامر ارادة كون ما امر به كان لا يصدقه في الوفاء بالرؤيا ولم يكن ذلك منه حقيقة لكنهم يقولون ان الامر بالذبح لم يكن الا ما كان منه من ذبح الكبش من ذلك اراد فكان ما اراد ومما يبهتهم الاحتيال الدفع ما ذكرنا لكن نقول ان الامر بالذبح انما كان بذبح الولد حقيقة لا بذبح الكبش دليله وجوه احدها قول ابراهيم حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك وقول ولده عليهما السلام يا ابت افعل ما تؤمر ولو لم يحمل الامر منه له بالذبح امرا بالذبح على ذبح الولد حقيقة كنا نجهلهما في فهمهما امر الله وفي تسميتهما ما سميا فلا نجهلهما في ذلك فدل ان الامر كان على حقيقة ذبح الولد لا على ذبح الكبش على ما يقولون والله اعلم والثاني ان ابراهيم وولده عليهما السلام قد مدحا واثني عليهما بالصنيع الذي صنعا هذا باضجاعه اياه للذبح وهذا البذل له نفسه له والطاعة له في ذلك فلو كان الامر منه لهما الا في الاضجاع والبذل لذلك لم يكن لهما في ذلك الصنيع فضل مدح ولا فضل ثناء ومنقبة اذ كل احد يضجع الولد لذلك والاخر البذل له فاذ مدحا واثني عليهما في صنيعهما الذي صنعا وصار لهما منقبة عظيمة الى يوم القيامة حتى سمي هذا ذبيح الله وهذا خليله حيث قال الله عز وجل وفديناه بذبح عظيم فلو كان الامر بالذبح ذبح الكبش لا ذبح الولد لم يكن الكبش فداء عنه اذ لا يسمى الفداء الا بعد ابدال غيره عنه واقامة غيره مقامه دل على ما ذكرنا والله اعلم لكنا نقول اذا اضجعه وتله للجبين على ما ذكر صار ممنوعا عن ذلك الفعل غير تارك امر الله عز وجل على ما ذكر في القصة ان الشفرة قد انقلبت عن وجهها فلم يقطع فصار بامر ثم منع عما امر به وحيل بينه وبين ما امر به لم يصر تاركا للامر ولا كان موصوفا بالترك له لذلك كان ما ذكر والله اعلم ثم يجوز ان يستدل بهذه الاية لمسايل لاصحابنا احدها في المراة اذا اسلمت ما يمنع الزوج عن الاستمتاع بها والجماع صارت موفية مسلمة ما على نفسها الى زوجها فاستوجبت بذلك كمال الصداق ولزمتها العدة اذ لا يملك سوى ما فعلت وان لم يجامعها وجاد فيه عند اما ترى اذا سلمها الى صاحبها وصيرها بحال يقدر على اخذها وقبضها يصير مسلما اليه مؤديا خارجا منها يوما وان لم يقبض الاخر ولم يقع في يده وفي البايع اذا سلم البيع الى المشتري وخلى بينه وبين ذلك يصير مسلما اليه خارجا من ضمان ذلك وعهدته وان لم يقبضه المشتري ونحوه من المسايل مما يكثر احصاؤها وهذا ليس في وسعهما الا ذلك القدر من الفعل وقوله عز وجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وكان هذا القول بعد ذبح الكبش ففيه حجة لقول اصحابنا حيث قال ابو حنيفة رحمه الله ان من اوجب على نفسه ذبح ولده يخرج منه بذبح الكبش لما اخبر انه قد صدقت الرؤيا بذبح الكبش فعلى ذلك بذبح الكبش يصير هذا موجبا على نفسه ذبح كبش لا غير والله اعلم وان كان قوله قد صدقت الرؤيا قبل ذبح الكبش باضجاعه اياه واسلامه لذلك ففيه ما ذكرنا انه بذل وسلمها نفسه منزلة اياه غير ذلك اذ منع عن ذلك لا انه ترك ذلك وقوله عز وجل ان هذا لهو البلاء المبين ان الامر بذبح الولد لمحنة ابراهيم محنة عظيمة ويقول بعض اهل التاويل ان هذا لهو البلاء المبين اي النعمة العظيمة اي في الذي نال ابراهيم عليه السلام نعمة عظيمة وقوله عز وجل وفديناه بذبح عظيم وهو الكبش قال بعض اهل التاويل سماه عظيما لانه كان يرعى في الجنة اربعين خريفا ويقول بعضهم كان ذلك الكبش في نفسه عظيما والله اعلم وقوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين قال اهل التاويل اي تركنا عليه في الاخرين الثناء الحسن ويجوز ان يكون قوله وتركنا عليه في الاخرين ذلك السلام الذي ذكر اثره حيث قال عز وجل سلام على ابراهيم ترك ذلك فيما نسلم عليه وعلى جميع المرسلين كقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين كقوله وتركنا ان نثني ونسلم على جميع الانبياء والمرسلين وكقولنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويكون الانبياء عليهم السلام بعضهم الى بعض كما كان بعضهم من شيعة بعض وان يكون ذلك السلام من الله

لهم امنا من كل خوف وسلامة عن كل خبث وقوله عز وجل كذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي كل محسن ان يترك
له السلام والثناء الحسن في الاخرين والله اعلم وقوله عز وجل انه من عبادنا المؤمنين يحتمل هذا وجوه احدها انه كان من
عبادنا المؤمنين قبل ان يوحى اليه وقال ان يبعث رسولا ويحتمل انه من عبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان في قول و
فعل ووفاء ما عليهم وانه كان من عبادنا المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والانبياء جميعا بعضهم بصدق بعضا ويؤمن به والله
اعلم وقوله عز وجل وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين كان سال ربه الولد بقوله هب لي من الصالحين فاستجاب الله دعاءه
وبشره بما ذكر ثم اخبر انه نبي من الصالحين يحتمل قوله تعالى ونبيا من الصالحين اي نبيا من السلف كقوله عز وجل والحقني
بالصالحين اي نبيا اصيره ويجعل من الانبياء كقوله عز وجل هذا نذير من النذر الاولى ويحتمل ان يكون البشارة في الولادة
الولد الذي سال ربه ويحتمل ان يكون البشارة في الولادة الولد الذي سال ربه ويحتمل ان بشر له بنبوته او بشرهما بها
بالولادة بالنبوة جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وباركنا عليه وعلى اسحق البركة هي اسم لكل خير لا يزال على الزيادة والنماء
او يقولون البركة هو من اعطي كان لا ينبغيه عليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اي مؤمن
مصدق وظالم لنفسه اي كافر وهو ما قال عز وجل اني جاعلك للناس اماما قال ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين اخبر ان في ذريته من لا ينال عهده كما ذكر هاهنا ان في ذريته محسن وهو مؤمن وظالم لنفسه مبين اي كافر ظاهر مبين
او ان يكون قوله عز وجل محسن الى نفسه او محسن الى الناس وهو اسحق وما روي ان رجلا ساله فقال يا رسول الله اي الناس
اكرمهم حسبا قال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فهو ذاك والا فلا حاجة لنا الى
معرفة ذلك انه فلان او فلان اذ لو كان لنا الى بيان ذلك حاجة لتبين وان الا الاشكال واختلاف الناس عن ذلك والتكلم فيه
فضل وتكلم اذ لا يحتمل ان يكون بالناس حاجة الى معرفة ذلك ثم لا يتبين لهم ولا نعرف ذلك فنترك التنازع لذلك على ان لا
حاجة لهم الى ذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة والقتبي الذبح الكبش واسم ما يذبح والذبح بنصب الذال المصدر ذبحت هذا قول القتبي
وقال ابو عوسجة الذبح بالنصب هو الفعل وهما واحد وقال القتبي البلاء المبين الاختبار المبين العظيم وقوله عز وجل ولقد مننا على
موسى وهرون يحتمل ما ذكر من المنة عليهما الرسالة والنبوة التي اعطاهما والايات والحجج التي اعطاهما وخصهما بها الذي ابقى لهما الذكر
والثناء الحسن عليهم في الاخرين لقوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين سلام على موسى وهرون وانما اوجب عليهم ذكر المنن والنعم
التي خصهم بها وفضلهم من بين غيرهم وانما ان يوجب عليهم ذكر كل ما من عليهم وانعم عليهم فذلك ليس في وسع احد القيام بذكر جميع
ما من عليهم وانعم والشكر لها وانما يجب القيام بذكر ما خصوا بها ظاهرا وان كان في الجملة احد عليهم ان يرد ولجعل النعم والمنن من الله
جل وعز فضلا منه وانعاما لا استحقاقا عليه بقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون ما خصوا بها من الرسالة والنبوة والايات والحجج
التي وقعت لهم الخصوص فاما في كل ما من عليهم وانعم فلا على ما ذكرنا انه ليس في وسع احد القيام بشكر احسن نعمه في عمره وان طال
والله اعلم وقوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم قال عامة اهل التاويل قوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم اي من الغرق ولكن جائز ان يكون من الكرب العظيم الذي نجاهم منه ما ذكر من قتل الرجال واستحياء النساء حيث قال يقتلون
ابناءهم ويستحيون نساءهم الاية وما استعبدوهم واستخدموهم انجاهم الله من ذلك الذل وانواع البلايا والشدايد التي كانت عليهم
كقوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اخبر انهم كانوا مستضعفين فانجاهم الله من ذلك كله وهو الكرب العظيم
وقوله عز وجل ونصرناهم فكانوا هم الغالبين يحتمل قوله نصرناهم بالحجج والايات التي اعطاهم او نصرناهم حيث انجاهم واهلك
فرعون والقبط والله اعلم وقوله عز وجل واتيناهما الكتاب المستبين والتورية يحتمل قوله عز وجل الكتاب المستبين بوجهين
احدهما استبان لكل من العقل والنظر انه من عند الله نزل لان التورية نزلت ظاهرة في الالواح ليس كالقران لا يعرف انه من عند الله
لا بعد التامل والنظر لانه نزل في الاوقات الخالية التي يطلع عليه احد سرا عن ظهر القلب والثاني انه استبان لكل من نظر فيها
ما لهم وما عليهم وما ياتي وما يبقى وقوله عز وجل وهديناهما الصراط المستقيم يحتمل الصراط الذي من سلكه افضاه الى المقصود
ويبلغ الى الصراط المستقيم لما بالحجج والبراهين قام لا تهوى الانفس وقوله عز وجل وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون
هو ما ذكرنا فيما تقدم انه ابقى لهم الثناء الحسن في الاخرين وهو السلام الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين
اي انا كذلك نبقي ونترك لكل محسن الثناء الحسن في الاخرين كما تركنا لهؤلاء وهو المعروف في الناس ان كل محسن صالح وان مات
فانه يذكر بالخير بعده ويثنون عليه بالثناء الحسن والله اعلم وقوله عز وجل انهما من عبادنا المؤمنين يحتمل الوجوه التي ذكرنا فيما
تقدم من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة او من عبادنا المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان
قولا وفعلا والقيام بوفاء ما وجب بعقد الايمان وعهده والله اعلم وقوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين هذا ينقض
على الباطنية مذهبهم لانهم يقولون ان الرسل عليهم السلام ستة ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله
عليهم ما سواهم اعني وفي الاية اخبار ان الياس كان من المرسلين هذا كله ينقض قولهم ويرد مذهبهم وقوله عز وجل اذ قال لقومه

الا تتقون

الا تتقون تقوا الله في مخالفتكم امره ونهيه والله اعلم وقوله عز وجل اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قال بعضهم اهل
التاويل البعل هاهنا الرب بلسان قوم وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله عز وجل اتدعون بعلا قال فقال رجل من بعض
الانار فقال الاعرابي بعلها اي ربها فقال ابن عباس كفاني الاعرابي جوابها لكن لا يحتمل ان يكون المراد من قوله اتدعون بعلا اي ربا
الا ان يكون ذكر انه بلسان قوم فيقول اتدعون بعلا ربا تعلمون انه لا يضر ولا ينفع وتذرون عبادة من تعلمون انه يضر وينفع
او يختارون عبادة من يعلمون انه لا يملك الضر ولا النفع على عبادة من يعلمون انه يملك ذلك وقال بعضهم البعل السيد هاهنا وكذلك
يقول في قوله هذا بعلي شيخا اي سيدي وقال بعضهم البعل هو اسم الصنم هاهنا يقول اتعبدون صنما وتذرون احسن الخالقين واصل
البعل الزوج كانه يقول لهم اتدعون من له ازواج واشكال والله الموفق وقال ابن عباس رضي الله عنه اول هذه يماني واخرها مضري
وهو قوله وتذرون احسن الخالقين يسمون كل صانع خالقا والخلق هو التقدير في اللغة يضاف الخالق على المجاز وان كان حقيقة
التقدير لله عز وجل ذكر على ما عبدهم لا على حقيقة الخلق والله اعلم ثم يحتمل قوله عز وجل احسن الخالقين اي احكم واتقن على ما ذكر
وهو احكم الحاكمين اي جعل في كل شي انه شهادة وحدانية الله وربوبيته او احسن الخالقين لما كان خلقهم وخلق اباءهم الاولين
وانه ربهم ورب الخلايق فقالوا من احسن الخالقين فعند ذلك ما ذكر وقال الله ربكم ورب اباءكم الاولين ثم اخبر عنهم انهم كذبوه
مع ذكرهم وهو ما قال عز وجل فكذبوه فانهم لمحضرون ولم يذكر فيما ذاكرين فيه بيان انهم انما لمحضرون النار والعذاب لان اهل
الاديان هم لمحضرون انفسهم والعذاب يحضرون كرها لا بانفسهم كقوله عز وجل يدعون الى نار جهنم دعا وقوله عز وجل يوم يسحبون
في النار على وجوههم وقوله ويصلى سعيرا ونحوه ثم استثنى العباد المخلصين منهم انهم يحضرون النار وقوله عز وجل وتركنا عليه
في الاخرين سلام على الياسين هو ما ذكرنا انه ابقى لهم الثناء الحسن لما اهلك مكذبي الرسل وعنادهم ومن نجا منهم انما نجا بتصديقهم
والاجابة لهم واياكم وتكذيب نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فيهلككم كما يهلك اولئك وقال عز وجل وانكم لتمرون عليهم اي على من هلك من مكذبي
الرسل بالليل والنهار فيعلمون انهم انما اهلكوا بالتكذيب للرسل وقوله عز وجل افلا تعقلون وتعتبرون وتمتنعون عن تكذيبه والله
اعلم وقوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية قولهم حتى قالوا ان الرسل ليس الا ستة لا يعدون يونس وكل
عليهم السلام منهم فيما يقولون ظاهر الاية وهو قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين وهم يقولون ليس من المرسلين والله العصمة
وقوله عز وجل اذ ابق الى الفلك المشحون ذكر هاهنا الاباق وفي سورة الانبياء الذهاب وهو قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فمن الناس من يجعل هذا غير الاول انه الذي ذكر وذهاب لكن جائز ان يكون ذكر الاباق وذكر الذهاب وان كان وذكر
في ذا العين في ظاهر اللفظ مختلفا فهما في المعنى واحد ويكون قوله عز وجل اذ ابق من قومه مدينة ليسلم له او ابق لحوق على نفسه
من قومه او ابق على ما وعد قومه من نزول العذاب بهم انهم لم يؤمنوا وكان الرسل صلوات الله عليهم يخرجون من بين اظهر قومهم اذا
خافوا نزول العذاب بهم الا ان يونس خرج من بينهم قبل ان ياتيه الاذن من الله عز وجل الخروج من بينهم اذلك سماه فت جاء العتاب
له والتعيير لا لما يقول له عامة اهل التاويل من الحكايات التي يذكرون وينسبون اليه ما لا يجوز نسبة ذلك الى اجهل الناس فكيف الى
احسنهم فضلا انه لا يجوز نسبة ذلك الى نبي من انبيائه ورسوله من رسله وقوله عز وجل فساهم فكان من المدحضين ذكر في القصة انه
عليه السلام لما ابق الى سفينة فركبها اراد ان يعبر البحر فجعلت تتكفؤا وتقف كادت ان يغرق فقال القوم بعضهم لبعض ان فيكم لرجلا
مذنبا عظيم وكانوا يعرفون ذلك من عبادتها من قبل كانت اذا ركبها مذنب يعرف ويضرب في الماء فلم يعرفوا من هو ذلك فاستهموا
مرارا فساهم يونس في كل مرة فلما راى ذلك يونس عليه السلام قال لهم يا قوم الغرق في البحر حتى لا تغرقوا جميعا فابوا وقالوا لا نلقي
نبيا من انبياء الله في البحر فالقى هو نفسه فيه فالتقمه الحوت على ما اخبر الله عز وجل حيث قال فالتقمه الحوت وهو مليم ثم قوله فساهم
فكان من المدحضين قال فكان من المغلوبين في القرعة والاستهام اي خرجت القرعة عليه والمدحضين هو الذي لا حجة له فيما يريد
والله اعلم وقوله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم قال بعضهم هو مليم اي مذنب وقال بعضهم مليم من الملامة انه كان يلوم نفسه
فيما صنع من الخروج من بينهم بلا اذن من الله والله اعلم وقوله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
يحتمل قوله فلولا انه كان من المسبحين ولربه قبل ذلك من المصلين له والا للبث في بطنه الى ما ذكر ولذلك قيل من علي الله تعالى شانه
حال الرخاء نفعه الله في ذلك في حال البلاء ويرفعه اذا عثر والله اعلم قيل في الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع
وجد متكا والله اعلم ويحتمل كان من المسبحين ايضا من المسبحين في بطن الحوت وهو قوله عز وجل فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم والله اعلم وقوله عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم العراء قيل هو
الوجه الفسيح الذي لا شجر فيها ولا نبت ولا كذا وقال ابو عوسجة العراء الارض التي لا ظل والمدحض المغلوب ومليم اي اتى امرا يلام
عليه وقال القتبي العراء هي الارض التي لا يتوارى فيها بشجر وغيره كانه من عري الشي والله اعلم البعل الزوج وقوله عز وجل وهو سقيم
ذكر ان الحوت لما نبذه بالعراء لم يبق به شعر ولا جلد ولا ظفر ولا سقيم من السقم وهو المرض اي مريض لما مسه نظر الحوت والله اعلم
وقوله عز وجل وانبتنا عليه شجرة من يقطين قال بعضهم هي شجرة القرع انبت عليه ياكل منه ويستظل بها وقال بعضهم كل شجرة

تنبسط على وجه الارض ما يتسع اطرافها وامتداد اصله وحد فهو يقطين من نحو البطيخ والقرع وغيرها والاشبه ان يكون شجرة القرع لانها اسرع الاشجار نبتا وامتدادا وارتفاعا في السماء في مدة لطيفة ووقت قريب والوصول الى الانتفاع بها اكلا واستظلالا لما لا يكون مثل ذلك في مثل تلك المدة في الاشجار والله اعلم وعلى ذلك روي انه قيل يا رسول الله انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وهو مزيد في العقل فهذا يدل ان نبتها كانت شجرة القرع والله اعلم ثم فيه لطف من الله عز وجل حيث انبت عليه شجرة في وقت لطيف لا ينبت مثلها الا بعد مدة لطيفة ووقت مديد وابقى عليها الضعف وتقاطر بلا ما يربع ذلك ويزول في وقت يسير في العرق ليذكره ما انعم عليه ويقوم بشكره وهو كما ذكر في قصة صاحب موسى الحمار حيث قال عز وجل انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ابقاء طعامه وشرابه وحفظه وتقاطر بلا غير متغير ما طبعه التغير في وقت يسير وغير ما طبعه البقاء لطفا منه فعلى ذلك انبت على يونس شجرة في وقت لطيف ما لا ينبت مثلها الا في وقت طويل وابقاء ذلك الضعف الذي كان به والشيء مما سبيله الزوال والارتفاع في وقت يسير لطفا منه لتذكير ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وارسلناه الى مائة الف او يزيدون هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا ان حرف الاستفهام اذا اضيف الى الله فهو على التقدير والايجاب ليس على حقيقة الاستفهام فعلى ذلك حرف الشك الى مائة الف بل يزيدون او يقول ويزيدون لما يتعالى عن الشك والثاني قوله او يزيدون حتى يزيد واكثر له عز وجل يقاتلونهم او يسلمون اي حتى يسلموا او كانوا وقت ما بعثه اليهم كانوا مائة الف ثم ازداد وبعد ذلك والله اعلم والثالث يزيدون مائة الف او يزيدون عند الناس معناه ان من نظر اليهم لا يظن دون مائة الف ولكن يظن مائة الف وزيادة والله اعلم فامنوا ومتعناهم الى حين قيل امنوا به فلم يهلكوا ولكن اخرهم الى وقت موت حتفهم وقال عز وجل في اية اخرى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي اخبر هاهنا انه لم ينفع قوما ايمانهم عند معاينتهم العذاب الا قوم يونس وكذلك ذكر عز وجل في اية اخرى انه لم ينفع الايمان عند معاينة العذاب حيث قال عز وجل في اية اخرى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ثم لا يدري انه انما يقبل ايمان قوم يونس لانهم امنوا عند خروج يونس عليه السلام من بين اظهرهم قبل ان يقبل العذاب عليهم لما كانوا يعلمون ان الرسول متى ما خرج من بينهم جهدا او عدم بالعذاب بان العذاب نزل بهم لا محالة فامنوا به فان يعاينوا او ان يكون العذاب قد اقبل عليهم فعاينوه عند معاينتهم فعند ذلك امنوا فان كان الاول فهو بانهم امنوا به عند خروجه منهم فهو مستقيم قبل ايمانهم لانهم لم يؤمنوا عند معاينتهم العذاب ولكن انما امنوا قبل ذلك و ان كان الثاني فجائز ان يكون قبل ايمانهم ونفعهم ايمانهم وان عاينوا العذاب لما عرف عز وجل وعلم ان ايمانهم كان حقا وهم صادقون في ذلك محققون لم يكونوا دافعين العذاب عن انفسهم الا بايمان حقيقة والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الاستفتاء والسؤال يخرج على اربعة اوجه ان كان الاستفتاء والسؤال من عليم خبير لاهل الجهل يكون تقريرا وتنبيها اذا لم يكونوا اهل عناد واذا كانوا اهل عناد فهو تسفيه وتوبيخ لهم واذا كان الاستفتاء من جاهل مصدق لعالم رشد تعليم خبير يكون استرشادا وطلب الصواب واذا كان من معاند مكابر فهو يخرج على الاستهزاء به والسخرية كقولهم امطر علينا حجارة من السماء انما قال ذلك استهزاء بهم ثم ما ذكر من الاستفتاء لهؤلاء انما يكون تسفيها منه لهم في قولهم لله عز وجل والملائكة بنات الله سبحانه ونحوه من الفرية العظيمة التي لا فرية اعظم منها ولا كذب اكبر منه لان درك الاشياء ومعرفتها انما يكون في الشاهد باحد وجوه ثلثة احدها الشاهد والثاني الخبر والثالث الاستدلال بما شاهد واو عاينوا على ما غاب عنهم ثم معلوم عندهم ان عند هؤلاء انهم لم يشاهدوا الله حتى عرفوا له الولد ولا كانوا يؤمنون بالرسل حتى يكون عندهم الخبر بما قالوا ونسبوا اليه من الولد وغيره اذ الخبر انما يوصل اليه بالرسل وهم لا يؤمنون بهم ولا كانوا اشاهدوا ما يستدلون على ما قالوا فيه ونسبوا اليه حتى دلهم ذلك على ذلك فسفههم في قولهم الذي قالوا فيه وما نسبوا اليه انهم كذبة في ذلك الى اسباب العلم بالاشياء ما ذكرنا لم يكن لهم شيء من ذلك ولذلك قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال عز وجل اصطفى البنات على البنين يقول اختار لنفسي ما يتولاهم عنه وينسبون اليه ما يستنكرون انتم عنه يسفههم في قولهم ونسبتهم الى الله ما قالوا فيه ونسبوها اليه الاخر ما ذكر والله اعلم وفيه تصبير رسول الله على اذاهم وتركهم الايمان به والاتباع لانهم علمهم انهم خالقهم ورازقهم وقدم الاحسان اليهم قالوا فيه ما قالوا وقوله عز وجل ما لكم كيف تحكمون يحتمل قوله ما لكم كيف تحكمون اي ما لكم تحكمون بلا حجة ولا علم او قوله فلا تذكرون ان هذا الحكم جور وظلم عظيم كقوله عز وجل تلك اذا قسمة ضيزى وقوله عز وجل ام لكم سلطان مبين اي لكم حجة وبيان على ما تزعمون وتقولون في الله سبحانه وقوله فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي ائتوا بكتاب من عند الله فيه ما تذكرون من الولد وغيره وقوله عز وجل وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال عامة اهل التاويل ان الجنة هم الملائكة لقولوا ولك الكفرة ان الملائكة بنات الله وما قالوا في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجن الذي وصفوا له بانهم انهم لمحضرون النار وعذاب الله ويحاسبون على قول مجاهد وغيره والدين اولئك اعني الاتباع انهم ملائكة الله والله اعلم وقوله عز وجل سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين قوله سبحان الله نزه نفسه عما وصفوا الذي تقدم ذكرهم ونزه عن جميع ما قالوا فيه ثم

استثنى عز وجل الا عباد الله المخلصين فلسنا ندري ما موضع الثنيا ها هنا على ما ذكر من التنزيه لنفسه يحتمل الاستثناء وجهين احدهما سبحان الله عما يصفون اولئك الكفرة من الولد وغيره الا عباد الله المخلصين والثاني سبحان الله عما يصفون اي من خلقهم وامن فانه غير برى عما يصفه لما يجوز ان يسئل منهم نفي فيصفونه بما يليق به لان المؤمن والمخلص لا يصف ربه الا بما يليق به والله اعلم وقال بعضهم الا عباد الله المخلصين استثنى من قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ثم قال سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم لا يحضرون النار والعذاب على سبق استثناء هؤلاء الذين اخلصوا ممن يحضر فيما تقدم والله اعلم وهو على التقديم والتاخير وقوله عز وجل فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول والله اعلم انكم وما تعبدون لا يكون تفتنون وان يضلوا الا من هو في علم الله انه يختار الضلالة مما يصليه النار على حق المعونة لهم لا حقيقة الاضلال وهو ما ذكر عز وجل في اية اخرى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وما اخبر انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والله اعلم وقال بعضهم من قوله عز وجل الا من هو صال الجحيم الا كتب عليه في اللوح انه يصلى الجحيم وقال بعضهم الا من رضي الله عليه انه يصلى النار واصله ما ذكرنا والله اعلم وما يعبدون الجن الذي عبد الجن او الملائكة ويحتمل الاصنام التي عبدت اذ قد نسب اليهن الاضلال لقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس والله اعلم وقوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم يحتمل هذا ان عنى الملائكة وجهين احدهما قالوا ذلك براءة انفسهم عن ان يامروا بالعبادة لهم اي لم يتفرغ نحن بعبادة هؤلاء طرفة عين فكيف نامر هؤلاء بعبادتنا كما كانوا قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل الجن فطلب ولا شك فكيف يتفرغ لذلك او ان يتولوا ولا يتك والتبنا شغلتنا عن جميع ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ما انتم عليه بفاتنين احدا من عبادي ما ظنكم هذا الذي يعبدون الا من يرى لاكم يجعل اهل النار وذكر عن عمر بن عبد العزيز عن الحسن ايضا انها قال في قوله عز وجل ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول ما انتم بمضلين بالهتكم احدا الا من قدرا انه يصلى الجحيم وهو ترتيب ما ذكرنا والله اعلم الا له مقام معلوم يحتمل مكانه معلوم محدود لا يبرح منه ولا يتعادى ويحتمل مقام معلوم اي عبادة معلومة نحو ما ذكر حكيم بن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بما نحن فيه ولكن اعراض والله اعلم ثم قوله لكنا عباد الله المخلصين بنصب اللام على ظاهر ما قالوا يحتمل ان يكون من المخلصين بكسر اللام اي لو كان كذا فنحن نخلص له التوحيد والعبادة لكن المخلصين يخلصنا الله لو كان كذا والله اعلم ثم اخبر انهم كفروا بما اتاهم البيان وان اولئك المتقدمين انما اهلكوا لما ذكر محمد عليه الصلاة والسلام لكنهم عاندوه وكابروه وكفروا به وقوله عز وجل فكفروا به فسوف يعلمون علم عيان ومشاهدة اذ عرفوا علم خبر بالحجة والايات والله اعلم وقوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون اختلف فيه قال بعضهم ان الرسل عليهم السلام كانوا منصورين لم يقتل رسول قط فانما قتل الانبياء والرسل المرسلين الذين يبلغون رسالة الرسول الى قومهم ويخبرون عنهم فاما الرسل انفسهم فهم لم يقتلوا ولا قتل احد منهم عصمهم الله تعالى عن الناس وعاصموا بهم وقال بعضهم انهم منصورون لما نصر العاقبة لهم اذ لم يكن رسول الا وقد كانت العاقبة له وان غلب في ابتداء وقال بعضهم انهم لهم المنصورون بالحجج والايات والبراهين انهم يغلبون الخصم واياتهم ويرفعون بها الشبه والعموم بها فالله اعلم ويستدل صاحب التاويل الاول بقوله عز وجل وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي بعض القراءات قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا اخبر انهم وان قتلوا فانهم لم يهنوا ولم يضعفوا ثم قال عز وجل وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ثم اخبر انه اتاهم الله ذلك حيث قال فاتاهم كذا والله اعلم دل ان طلبوا وقتلوا فهم المنصورون ثم قولهم انهم لهم المنصورون ذكر انهم لهم بحرفين ومعناهما واحد على التاكيد كقوله عز وجل وانا لنحن الصافون وقوله اني انا الله وان كان الواحد كافيا قوله عز وجل وان جندنا لهم الغالبون اي رسلنا واتباعنا واولياؤنا هم الغالبون على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم حتى حين يحتمل اي لا تكافئهم باذاهم اياك الى حين او لا تبالهم فكيف ما كان فيه وجهان من الدليل احدهما دليل على رسالته حيث اخبر انهم يكذبونه على الكفر الى الحين الذي ذكر ويهلكون على ذلك حيث قال فتول عنهم حتى حين والثاني فيه دليل حفظه اياه وعصمته كما كانوا يهمون به من القتل والاهلاك حيث قال منعه من مقاتلتهم ونهاه عن التعرض لهم الى وقت على المعلوم ما كان منهم من الهم بقتله واهلاكه لو وجدوا السبيل اليه ثم دل ان الله عز وجل قد عصمه وحفظه عنهم حين قال لهم ما قال حيث قال عز وجل وابصرهم فسوف يبصرون كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله عز وجل وابصرهم فسوف يبصرون عيانا ومشاهدة وقال بعضهم وابصرهم العذاب اذا نزل بهم خبر فسوف يبصرون وقوعا ويحل نزوله وابصرهم اي عرفتم ان العذاب ينزل بهم فسوف يعرفونه اذا انزل بهم وقوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون دل هذا انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب بهم والله اعلم بما يستعجلون العذاب استهزاء بالرسول عليه السلام وتكذيبا له فيما يوعدهم ان العذاب ينزل بهم ثم قوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون هو حرف التعجيب ان كيف يستعجلون عذابي الم يعرفوا قدرتي و سلطاني في انزال العذاب والاهلاك اذا اردت تعذيب قوم واهلاكهم اي قدرت ذلك وملكت عليهم ثم اخبر انه اذا انزل العذاب

بساحتهم فساء صباحهم حيث قال عز وجل فاذا انزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ثم قوله عز وجل فاذا نزل بساحتهم يحتمل النزول
بالساحة اي نزل بهم ويحتمل النزول بالساحة النزول بهم والوقوع عليهم كقوله عز وجل ولا يزال الذين يصيبهم بما صنعوا قارعة
او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله في نزوله بهم والله اعلم يحتمل نزوله بساحتهم ما ذكرنا من نزوله بقربهم او نزوله
بهم ووقوعه عليهم ثم قوله عز وجل فساء صباح المنذرين ساء صباحهم لان ذلك العذاب نازل بهم صيرهم معذبين في النار ابد الابد
والله اعلم وقوله عز وجل وتول عنهم حتى حين هذا قد ذكرنا فيما تقدم وكذلك قوله عز وجل وابصر فسوف يبصرون ويقول
بعضهم اي انتظر فسوف ينظرون ولكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين في هذه الاحرف الثلاثة جميع ما بينه من الخالق على الخلق من التوحيد وجميع ما عليهم من
التفويض اليه في الامور كلها وجميع ما عليهم من الثناء الحسن والحمد له فيما انعم عليهم وما الزمهم من الثناء الحسن على جميع
المرسلين اما حرف التوحيد فهو قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون نزه نفسه وبرأ عن جميع ما قالت الملاحدة فيه مما لا يليق
به من الولد والشريك والصاحبة وغير ذلك فيرجى ان يثاب قائل هذا ثواب كل واصف لله عز وجل بالبراءة له والتنزيه عن
ذلك كله وفي قوله عز وجل رب العزة وصف بالعزة والقوة وتفويض الامر اليه فيرجى ان يثاب قائل هذا ثواب كل واصف
لله بالعزة والقوة واما الثناء الحسن على المرسلين فهو قوله عز وجل وسلام على المرسلين امر الله عز وجل عباده ان يثنوا على
المرسلين جملة وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فصلوا على اخواني المرسلين فانما انا رسول
من المرسلين اما الثناء الحسن على الله بكل ما انعم عليهم واحسن اليهم فهو قوله عز وجل والحمد لله رب العالمين فيرجى ان يثاب
قائل هذا وتاليه على العزيز به مما فيه ثواب جميع القائلين به والتالين والله اعلم وذكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
قال الحسان بحمد الدين بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم ورب العزة قال بعضهم هو رب النعمة والقوة ويحتمل رب العزة اي به يتعزز
كل من يتعزز ويرجع اليه كل عزيز وكذلك كل من حمد واثنى على شيء فحقيقة ذلك الحمد والثناء راجع اليه تعالى والله اعلم بحقيقته تم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل ص والقران ذي الذكر قال بعضهم ص لنا هو اسم تلك السورة التي ذكر وكذلك قوله ق والقران وكذلك
جميع حروف المقطعات ولله ان يسمي ما شاء بما شاء وبما شاء اسم شاء وقال بعضهم لنا هو اسم الرب تبارك وتعالى وقال
بعضهم لنا هو فواتح السورة وقد ذكرنا ان يفسر ما ذكر على اثره وقد ذكرنا في غير موضع ما قيل في الحروف المقطعة و
قال بعضهم صاد اي عارض بالقران قال ابو عبيدة صاد من المصاداة وقال الزجاج صاد بالقران اي قابل به وعارض با
القران وقال بعضهم صاد بالقران اي نادى بالقران وقيل اقبل بالقران ونحوه والله اعلم وقال بعضهم هو قسم بقوله والقران
وقوله عز وجل ذي الذكر يحتمل ذي الشرف سماه ذكرا لان كل شريف يذكر في كل ملاء من الخلق او سماه ذكرا لما يذكرهم كل ما لهم
وما عليهم وما يؤتى وما يذر والله اعلم قال بعضهم ذي البيان وقوله عز وجل بل الذين كفروا في عزة وشقاق ذكر ان ابا طالب
كان مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده وعند راسه مقعد رجل فقام ابو جهل فجلس فيه وعنده ملا من قريش
فشكوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي طالب فقالوا انه يقع في الهتنا قال يا ابن اخي ما تريد منهم قال يا عم اني اريد منهم كلمة تدين
لهم بها العرب ويؤدي اليهم بها العجم الجزية قال وما هي قال لا اله الا الله فقال ابو جهل اجعل الالهة الها واحدا بذلك اخبرهم النزول
الذي ذكر حيث قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق وقوله عز وجل في عزة قال بعضهم منعة معاندين ممتنعين وقال بعضهم
في عزة في حمية واعتزاز والحمية هي التي تحمل على الخلاف والمعصية والله اعلم ثم اختلف في موضع القسم ههنا قال بعضهم
القسم في قوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص قيل في قوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن بوجهين احدهما
ان هذا في كل كافر ومشرك ينادي عند موته وهلاكه ويسال ربه الرجوع والعود الى الدنيا كقوله رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت كلا وكقوله فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب الاية ونحوه لكن لا ينفع ذلك النداء والغوث وسؤال التاخير
على ما اخبر انه اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ومنهم من يقول هذا في الجملة في الامم التي من قبل واستوجبت
بالتكذيب والعناد كانوا ينادون عند نزول ذلك بهم ووقوعه عليهم ويسالون الغوث ويظهرون الايمان كقوله عز وجل
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت على ما اخبر الله عز وجل لان ايمانهم دفع العذاب وايمان
الاضطرار لا ايمان اختيار نخوف فهذا اهل مكة ان نزل بهم على ما نزل باولئك ويندمون على صنيعهم كما ندم اولئك والله اعلم ثم قوله
عز وجل ولات حين مناص هو في الاصل ولا فاذا وصل بحين صارت وهو ولات كما ثم بمعنى اي والله وهو قول الكسائي
وقال بعضهم هو لا وليس هنالك تاء وانما التاء في حين اي تحين وربما يزاد التاء في حين ولات ونحوه وقال بعضهم

ولات

ولات بالبناء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
طالب يشكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر الهتهم بسوء فلما كلموه في ذلك لم يلتفت الى امرهم فاطمعوا منه ولم يجبهم الى
ما دعوه اليه وسالوه فقال الملأ وهم اشرافهم للاتباع امشوا من عنده واصبروا على عبادة الهتكم ان هذا لشيء يراد ان قال الملأ الاتباع
ان امشوا الى الهتكم واصبروا على عبادتها او ان يكون قولهم لهم ان امشوا الى ابي طالب وقولوا له كذا واصبروا على كذا او يقولون
امشوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا لشيء يراد لسنا ندري ما ارادوا بقولهم ان هذا لشيء يراد
فجائز ان يكون اراد وابتلاك ان محمدا صلى الله عليه وسلم ان دعاكم الى ترك عبادة الاصنام لا نتركهم كذلك ولكن يدعوكم الى
عبادة غيره ويطلب منكم اتباعه او اشياء ارادوا لسنا نعرف ذلك مما يذكر والله اعلم وقوله عز وجل ما سمعنا
بهذا في الملة الاخرة قال بعضهم الملة الاخرة هي ملة عيسى عليه السلام قالوا ذلك لان النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام
منهم من اتخذه الها ومنهم من اتخذه ولدا لله عز وجل فيتركون عبادة الواحد الذي يدعوا اليه محمد صلى الله عليه وسلم في الملة الاخرة
وهي النصرانية اذ من صيره الها عندهم ومن قال انه ولد صيره بحيث يحتمل الشريك فيقولون قد ظهرت عبادة العدد في الملة
الاخرة فكيف يمنعنا محمد عليه السلام عن عبادة العدد ويدعونا الى عبادة الواحد فقال بعضهم في قوله في الملة الاخرة
هي الحال التي كانوا عليها يقولون ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة التي نحن عليها وكان اباؤنا عليها لا على عبادة الواحد يقولون
ان هذا الا اختلاق من عند محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اانزل عليه الذكر من بيننا يدل على انهم قد راوا ان من نزل عليه الذكر
من السماء انما ينزل لفضل وخصوصية تكون له اذا الفضل والخصوصية لانفسهم لما لهم الفضل في الدنيا فلم يروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لذلك انكروا انزال الذكر عليه دونهم ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله
انزل عليه الذكر من بيننا ثم اخبر عز وجل انهم شاكون في ذكره حيث قال بل هم في شك من ذكري وتاويله والله اعلم ان الشك
هو الذي لا يوجب القطع بل يوجب الوقف فبطل القطع على شيء فكيف قطعتم على الرد والانكار دون ان يقفوا فيه
والله اعلم وقوله عز وجل بل لما يذوقوا عذاب ثم يحتمل ان يكون هذا على الاخبار عن الاياس من ايمانهم انهم لا يؤمنون حتى يذوقوا
العذاب كقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وقال مقاتل اللام زايدة كانه
قال بل هم في شك من ذكري بل ما يذوقوا عذاب بتكذيبهم فدوم الذكر وتكذيبهم اياه على الشك منهم والشك يوجب
الوقف في الشيء لا القطع في الرد والتكذيب انهم قد نبه الدلالة على الحجج والبراهين قد يلزم من جهلها ولم يتحقق عنده اذا
كانت مثل التحقق لها والوقوف عليها بالتامل والنظر فيها وان كان ثم يتحقق بالبديهة وعنده في فهمها سعة فرجة لقول
علمائنا ان من اسلم في دار الاسلام ولم يعلم ان عليه شرائع واحكام كان ما حض ترابها غير معتذر في جهالته بها لانها مشتملة بقول
اليها بالسؤال والبحث عنها والفحص منها والله اعلم وقوله عز وجل ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب فقد ذكرنا فيما تقدم
ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الايجاب والالزام مما لو كان ذلك من مستفهم حقيقة يتضمن الجواب له فقوله عز
وجل ام عندهم خزائن رحمة ربك جواب كقولهم انزل عليه الذكر من بيننا فجوابهم اليس عندهم رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة
والنبوة لانفسهم اولى ورسا ومكانهم لولا نزل علينا الذكر من بيننا هذا القران على رجل من القريتين عظيم كانوا لا يرون وضع
الرسالة الا فيمن كانت له اموال وله سعة في الدنيا وفضل ومال فذكر ان عندهم خزائن ربك حتى يكون يجعلوا الرسالة
والنبوة ذو باسا وامم واختاروا لذلك قال الله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك اي لا يملكون قسمة رحمة ربك بل نحن قسمنا

بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الاية يخبرانهم على ما لا يملكون بوسع المعيشة على من شاء عليه حدوقع من وضع فعلى ذلك ليس اليهم
اختيار النبوة والرسالة لمن شاء واختيار ذلك الى الله عز وجل فقالوا اذ كنا احق بهذا في الدنيا فنحن اذا احق بالرسالة والنبوة و
على ما كنا احق في الدنيا بالسعة والفضل فيها بل لو عرفوا ان ما نالوا من السعة في الدنيا وفضل الاموال انما نالوا بذلك برحمة الله و
فضله لا بحق كان لهم على الله فلو عرفوا كانوا لا ينكرون وضع الرسالة فيمن اختيار الله عز وجل وضعها فيمن شاء وعلى ذلك قول
المعتزلة انهم لا يرون لله ان يفعل باحد شيئا الا ما هو اصلح له في الدين وانه لو فعل ما ليس باصلح له في الدين لكان جايرا ظالما
فيرون حفظ الاصلح له حقا كما راى اولئك الكثرة السعة والاموال حقا على الله فراوا انفسهم احق بالرسالة والنبوة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم ان المعتزلة يقولون في الم الصغار انه ليس لله ان يولمهم الا بعوض يجعل لهم بازاء ذلك الالم عوضا يرضون
بذلك اذ جعلوا لانفسهم له حقيقة حيث لم يجعل الله الايلام الا بالعوض ومن احدا لا حقا لغيره الا باخذ الابدل او عوض يرضاه
ذلك الغير فهذا يناقض في قولهم ان على الله حفظ الاصلح للخلق في دينهم حيث لم يجعلوا لله ذلك الا بعوض يجعل لهم والله اعلم وذلك دل
اتفاق القول انه وهاب على ان ما ينال من خير او سعة او فضل انما ينال برحمة وفضل لا بحق عليه لاحد من اذى حقا عليه لا يقال انه وهاب
ولا يسمى وهابا على ما اعطى من اعطى انما اعطاه تفضلا منه ورحمة لا حقا كان عليه وقوله عز وجل ام لهم ملك السموات والارض وما
بينهما هو مثل الاول اي لهم ملك السموات والارض ليملكوا ما شاوا من الامور ويختاروا وضع الرسالة فيمن شاوا ام ليس لهم ملك السموات
والارض فيملكوا ما يذكرون ويختارون قالوا بل يملك ذلك والينا ذلك فعند ذلك يقال فليرتقوا في الاسباب ثم اختلف في الاسباب
التي ذكر قال بعضهم السبب ما بين السماء والارض وكذلك ما بين كل سمائين سبب والاسباب جماعة وقال بعضهم الاسباب طرق السماء
وقال بعضهم هي الابواب التي في السماء يفتح للوحي ومعناه والله اعلم اي فليرتقوا في الاسباب ان كانوا صادقين بان محمدا صلى الله عليه
وسلم كذاب وانه ساحر وانه اختلقه من تلقاء نفسه اي يفتح له ابواب السماء فيستمعوا الى الوحي حتى يوحي عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم
لقولهم ان هذا الا اختلاق وان يكون والله اعلم ان يرتقوا الملك فينزل فيخبر ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يدعي لقولهم ان لا انزل
اليه فيكون معه نذيرا والله اعلم وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال بعضهم حرف ما هنالك صلة كانه قال عز وجل
جند هنالك مهزوم من الاحزاب وجايز ان يكون على تحقيق ما فيه اي جند يهزم هنالك من الاحزاب لا كل الاجناد وهو الجند
الذي خرجوا عليه بالمناصلة وهم الذين قالوا اللهم انصر اينا افضل دينا وانفع ملا واخير للخلق فغلبوهم وقهروا وقال عامة اهل
التاويل هو الجند الذي قتل ببدر والله اعلم ثم في الاية وجوه ثلثة من الدلالة احدها الامن له عن ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الاعدا
والافراد كقوله عز وجل فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وفيه الامن له عن ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الجمع والاجتماع عليه كقوله ام
عز وجل انهم يهزمون جميعا وفيه بشارة له انهم يهزمون في ضعفه وقلة اعوانه وانصاره مع كثرة اولئك وعدتهم ففي الوجوه
الثلثة التي ذكرنا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بما ذكر فكان على ما اخبر دل انه بالله تعالى عرف ذلك صلى الله عليه وسلم
والله اعلم وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب حين تحزبوا عليه قال بعضهم انه ساحر وقال بعضهم انه كذاب وانه معتر
وانه مجنون على ما تحزبوا عليه وتفرقت قلوبهم فيه وتلونت والله اعلم وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
الى قوله اولئك الاحزاب اي الفرق وقوله ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يذكر هولاء الاحزاب الذين كانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرهم
عن صنيعهم ومعاملتهم الرسل وجهين احدهما كيفية معاملة الرسل عليهم السلام اولئك الكفرة مع تكذيبهم اياهم وسوء معاملتهم
وصنيعهم مع الرسل وانواع البلايا التي كانت منهم اليهم انه كيف عاملوهم وصبروا على اذاهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم قومهم
ويصبر على اذاهم كما صبر اولئك على اذى قومهم وسوء صنيعهم كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني يذكر هذا لاهل مكة
ويحذرهم ما نزل بالامم المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم ويزجرهم عنهم ليحذروا تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وانه لا يعاملوه
كما عامل اولئك رسلهم عليهم السلام فينزل بهم كما نزل باولئك من العذاب والاهلاك والله اعلم فحق عقاب قال بعضهم اي وجب عليهم
عقاب لكن قوله عز وجل فحق عقاب اي نزل بهم العقاب ووقع عليهم والا كان العذاب واجبا على الكفار وقوله عز وجل وفرعون ذو
الاوتاد قال بعضهم ان فرعون كان اذا غضب على احد من قومه مد باوتاد فيعاقبه بها ويعذبه والله اعلم وقال بعضهم فرعون ذو
الاوتاد اي ذو البناء المحكم وقال بعضهم كانت لهم اوتاد وارسان اي حبال وملاعب يلعبون بها والله اعلم وقوله عز وجل وما
ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق عز وجل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوئسه عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند وقوع العذاب
بهم حتى لا ينفعهم الايمان كقوله عز وجل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ثم قوله
عز وجل الا صيحة واحدة يحتمل ان يكون سمى نفس العذاب صيحة وجايز ان يكون ذكر صيحة لما ان العذاب اذا نزل بهم ووقع عليهم يصيحون
فسمي ذلك صيحة لصياحهم وان يكون ذلك اذا نزل بهم كان فيه صياح وصوت الشيء الهايل قال ابو عبيدة العظيم الشديد اذا هو
وقع ومال الى الارض كان فيه صياح وصوت حتى يفزع الناس منه فعلى ذلك الصيحة التي ذكر يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
ما لها من فواق قال ابو عبيدة من فتحها اراد ما لها من راحة ولا اقامة كما ترد هيا الى اقامة المريض من علته ومن ضمها جعلها من فواق

الناقة وهو ما بين الحلبتين ويريد ما لها من فواق انتظار ومكث قال ابو عوسجة والقتبي ما لها من فواق اي من انقطاع اي هي
دايمة ابدا لا ينقطع به وقال الكسائي الفواق بالنصب والرفع لغتان وهو من فواق الناقة بين الحلبتين والرضعتين وقال عامة
اهل التاويل ما لها من فواق اي من مرد ومرجع وقرار وقال بعضهم هو مدة البصر يقول هي قريب من ذلك كقوله عز وجل وما امر
الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والله اعلم واصل الفواق كانه من العود والرجوع كقولهم اللبن الضرع بعد ما حلبت مرة والله اعلم
ذكر عن الحسن في قوله عز وجل ص والقرآن ذي الذكر يقول حادث القرآن بعملك وهو من قول العرب صادته المانة انا كانت
سعرت طعتها حتى دلت ولانت وقال ابو عوسجة ص هو اشد كلام وهو شبه قسم قال والصاد في غير هذا الموضع العطشان
ويوم صادون ثم اختلف في موضع القسم على ما ذكر قال الكسائي من القسم في القرآن ما هو ظاهر لا يخفى ومنه غامض خفي ظاهره
قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وجوابه قوله انه لقول رسول كريم ومن غامضه من قال بعض الناس موضع قسمه في
قوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والله اعلم لانه بعيد ما طال الكلام وما بين القصص فلا يكون ذلك قسمه ويكون قسمه
والله اعلم عندي ص والقرآن ذي الذكر ثم اعترض بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا اهلكنا القسم ههنا كم اهلكنا
ولكن لما اعترض بل الذين كفروا صار قوله كم اهلكنا جوابا له وهو غريب ظريف غامض وقوله عز وجل ذي الذكر قال
بعضهم ذي الشرف اي من امن به شرف وقيل ذي الشان وقيل ذي الذكر فيه ذكر ما ياتي وما يبقى وذكر من كان قبله من الامم
الخالية وقوله عز وجل في عزة وشقاق قيل في تكبر وتكذيب وقيل في حمية وخلاف وقيل في غفلة وصحو وقوله عز وجل فنادوا
ولات حين مناص قال بعضهم اي صرختهم في غير وقت الهرب ومناص مهرب ومناص ينوص نوصا وهو المنجاة والغوث وقال القتبي
ولات حين مناص اي لات حين هرب على ما قال ابو عوسجة وقال النوص التاخر في الكلام والبوص التقدم واصله ما ذكرنا انه
الوقت ليس هو وقت الهرب ولا وقت النجاة ولا وقت الغوث على ما تقدم ذكره وقوله عز وجل ان هذا لشيء عجاب قال بعضهم
عجاب بلغة قوم عجيب وقال الكسائي العجاب والعجاب والعجب والعجيب كلها لغات واحدة وقال ابو عوسجة عجاب هو
كثير العجب كما يقال كبار وكبار وقوله عز وجل وانطلق الملا منهم اي الاشراف منهم وقال الاتباع على ما ذكرنا ان امشوا
واصبروا على الهتكم قال بعضهم قوله ان امشوا الى ابي طالب واثبتوا على عبادة الهتكم ان هذا قال بعضهم يعني اسلام وذلك
كان حين اسلم عمر رضي الله عنه شيء اي لامر يراد فمشوا الى ابي طالب وقالوا له ما ذكرنا فيما تقدم والقصة طويل وقال بعضهم
ان امشوا اي امضوا وارجعوا الى عبادة الهتكم واصبروا عليها وقال بعضهم قوله ان امشوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصبروا على
على عبادة الهتكم ان هذا لشيء يراد باهل مكة والله اعلم وقوله ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة يعنون عبادة الله في الملة الاخرة
قال عامة اهل التاويل الملة الاخرة النصرانية واليهودية كلها وقال بعضهم يعنون الملة الاخرة الملة التي هم عليها وابائهم
يقولون ما سمعنا عبادة اله واحد وترك عبادة الالهة في الدين الذي نحن وابائنا عليه ان هذا وما هذا الا اختلاق من نفسه و
قالوا اانزل عليه الذكر من بيننا يعنون النبوة والكتاب والوحي وهو افقرنا واصغرنا ونحن اكثر شيئا واعظم شرفا يقول الله عز وجل
بل هم في شك من ذكري لا نزل عليه بل لما يذوقوا عذاب وهو قول مقاتل ثم قال ام عندهم خزاين رحمة ربك اي يحتمل نعمة ربك
اي بايديهم مفاتيح الرحمة والنبوة والرسالة فيضعونها حيث شاوا اي ليست تلك بايديهم ولكنها بيد الله العزيز في ملكه الوهاب
يهب النبوة والرسالة لمن شاء ويضعها فيمن يشاء ثم قال عز وجل ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس لهم ذلك ولكن عز وجل
فيوحي الرسالة الى من يشاء ويختار لها من يشاء ثم قال فليرتقوا في الاسباب اي الابواب التي في السماء ان كانوا صادقين بان
محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقاء نفسه اي فيستمعوا الى الوحي حين يوحي الله الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيردوا ذلك وقال
بعضهم السبب ما بين السماء والارض اصلب من الحديد ادق من الشعر يعرج به الملائكة وهو المعراج يجمع السبب اذا خرجت روحه
وقال بعضهم فليرتقوا اي فليصعدوا الى طرقها فليطلعوا على ذلك انزل عليه الذكر ام لم ينزل والله اعلم والارتقاء الصعود وان
يقولوا ويتقوا انهم السبب الذي ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم وانزل بمثل الذي اتى به محمد انه ليس برسول الله ويقول ايتوا انتم بالذي
اتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين والاسباب حتى تختصوا بالنبوة والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال وعد الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه سيهزم جند المشركين فقال عامة اهل التاويل
جاء تاويلها يوم بدر وقد ذكرنا تاويله فيما تقدم والله اعلم والاحزاب هم الذين تحزبوا عليه اي تفرقوا وقوله عز وجل وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اختلف فيه قال بعضهم عجل لنا قطنا اي كتابنا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم
انهم يوتون كتابهم بشمالهم فيه اعمالهم التي عملوها في الدنيا في الاخرة فعند ذلك قالوا له عجل لنا قطنا اي كتابنا الذي يوعدنا
انه يعطى بشمالنا قالوا ذلك استهزاء بهم وتكذيبا له وقال بعضهم عجل لنا قطنا اي نصيبنا وحظنا من العذاب الذي توعدنا به
ويجد دنا يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء بهم وتكذيبا له ولذلك قال له على اثر ذلك اصبر على ما يقولون يصبره ويعزيه على ما
يقولون ليصبر على ذلك والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل عجل لنا قطنا اي الشيء على سؤال العذاب والكتاب الذي هو علامة

اهل التاويل عليه ويكون سؤال السعة والنصيب في الدنيا ويكون ذلك في قوم لا يؤمنون بالآخرة سألوا ما وعدوا من النعيم
في الآخرة والسعة في الدنيا وذلك اشبه لانهم سألوا ربهم ان يعجل ذلك لهم فلو كان على ما يحمله اهل التاويل من سؤال العذاب لكان
على الاستهزاء بالرسول والتكذيب له سألوا الرسول ذلك ولم يسألوا ربهم ذلك فدل ذلك على انه اشبه واقرب والله اعلم ويكون
وقوله عز وجل اصبر على ما يقولون على ما تقدم من قولهم انه ساحر وانه كذاب وانه اختلق هذا القرآن من ذات نفسه ونحوه ويؤيد ذلك قول سعيد
جبير قال ذكرت لهم الجنة فاشتهوا ما فيها فقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي نصيبنا من الجنة وقوله عز وجل واذكر عبدنا داود يحتمل قوله
عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اذكر عبادنا داود ونحوه احدهما ان اذكر بنا داود وبنا من ذكر في هذه السورة من قوله واذكر
عبدنا ايوب وعبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ومن ذكرهم عليهم السلام وعلى محمد في هذه السورة اي اذكر بنا ام الذين لم يكن
لتعرف انت ولا قومك من قبل هذا لتعلمهم بصدق قولك ويؤمنوا بك كقوله عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والثاني قوله عز وجل واذكر عبدنا داود اي اذكر صبر هؤلاء على اذى قومهم
وتكذيبهم اياهم لتصبر على اذى قومك وتكذيبهم اياك كما صبروا وكذلك كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثالث
اذكر داود ومن ذكر من الانبياء اي اذكرهم الصديقين وما يكون لهم من الكرامات والثواب كما ذكرت لهم المكذبين وما نزل بهم
من العذاب لعلهم يرجعون ويصدقونك ليعلموا من نجا منهم بم نجا ومن هلك منهم بم هلك وليعلموا في ان وايلهم الصديقين
ثم والمؤمنين فكيف تجمعهم المكذبين منهم دون المصدقين والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل واذكر عبدنا اي اذكر جهد داود
وجهد من ذكر هؤلاء في العبادة والدين وامثال ذلك يحتمل والله اعلم وقوله عز وجل ذا الايد انه اواب قال عامة اهل التاويل
ذا الايد ان القوة على العبادة وجائز ان يكون قوله عز وجل ذا الايد في امر الله في امر الدين لانه الين له الحديد حتى كان يتخذ منه
الدروع وغيرها من الاسلحة وسخر له الطير والجبال كانت يسبحن معه بالعشي والاشراق وحتى كان يستعمل ما اتخذ الحديد
فيمن شاء من امر الدين من المحاربة مع الاعداء والدفع عن اهل الاسلام والدفع عنهم والله اعلم وقوله عز وجل انه اواب قال بعضهم اواب
مطيع لله مقبل على طاعته وقال بعضهم اواب اي مسبح لله ذكر انه كان كثير التسبيح وكذلك قال عز وجل يا جبال اوبي معه اي سبحي
معه هذا يحتمل وجائز ان يكون قوله عز وجل اواب اي رجاع الى الله يرجع في كل امر واليه نفزع في كل نائبة وشدائد وقال بعضهم
ذا الايد انه اواب اي ذا الاحسان والعمل الصالح واواب اي تواب وقتادة يقول ذا القوة في العبادة وفي الفقه في الاسلام
وذا البصر في الدين وقال ابو عوسجة قطنا اي كتابنا يقال قططت اي كتبت اقط قطا فانا قاط والكتاب مقطوط والقط
ايضا القطع يقال قططت الشيء والقط الدهر ويقال قطني اي حسبي وقطك اي ذا القتبي القسط الصحيفة المكتوبة وهي الصك
وقوله عز وجل انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق هو على التقديم والتاخير كانه قال عز وجل انا سخرنا الجبال يسبحن
انجاء ثم سخر الجبال والطير وما ذكر لداود ذكر بلطفه وتسبيحن معه وفيه لطف من الله عز وجل في هذه الاشياء والخصوصية
لداود في ذلك حيث صير الجبال وصيرها بحيث يفقهن وقت تسبيح داود معه على ما اخبر عز وجل وفيه ان الله عز وجل حيث صير
الجبال مع شدتها وصلابتها بحيث تعرف وقت تسبيح داود وتعرف تسبيحه وتسمعه وتلين له فجائز ان يجعل قلب الكافر بحيث يلين
ويخضع لله بلطفه اذ قلبه ليس اشد قسوة وصلابة من الجبال فاذا جعل اللطف فيها لانت وخضعت فعلى ذلك اذا جعل ذلك اللطف
في قلب الكافر لا يحتمل ان لا يلين ولا يخضع اذ هو ليس باصلب واشد من الجبال التي ذكرنا والله اعلم واما الخصوصية له فان الله
عز وجل جعل بكل من الرسل خصوصية في شيء لم يجعل مثل ذلك الخصوصية لاخر في ذلك الشيء بعينه بلطفه وخصوصية داود ما
ذكر من تسخير ما ذكر له الجبال والطير والتسبيح معه وما ذكر من الانة الحديد له وغير ذلك من الاشياء وخصوصية سليمان ما ذكر
من تسخير الرياح له وحملها اياه حيث شاء الى ما شاء مسيرة شهر بغدوه ومسيرة شهر بعشيه حيث قال عز وجل ولسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر وما ذكر من فهم نطق الطير له والنطق معه وفهمه تسبيحها ونحو ذلك كثير ومثل هذا ما قد جعل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ذكر انه اخذ احجارا فسبحن في يده حتى سمع ذلك من حضره وما ذكر ان اصابعه يسبحن ونحوه
كثير فلكل منهم خصوصية في شيء ليست تلك لغيره والله اعلم وقوله عز وجل والطير محشورة اي مجموعة مسخرة اي سخرت
له الطير ايضا وقوله عز وجل كل له اواب وقال بعضهم كل له مطيع وقال بعضهم كل له مسبح فان كان قوله عز وجل كل له اواب اي
مطيع فهو يحتمل مطيع لداود وان كان الاواب هو المسبح فلا يحتمل لداود ولكن لله تبارك وتعالى والله اعلم قوله عز وجل
يسبحن بالعشي والاشراق جائز ان يكون لا على ارادة حقيقة العشي والاشراق ولكن على ارادة التسبيح معه في كل وقت فيكون
العشي كناية عن الليل والاشراق كناية عن النهار يخبر انهن يسبحن في كل وقت من الليل والنهار والله اعلم ويحتمل ان يكون يسبحن في
العشيات والغدوات خاصة كقوله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي والله اعلم ثم جائز ان يكون ما ذكر من تسبيح هذه الاشياء صلوة يسبحن او يصلين لله كقوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له
من في السموات والارض والطير صافات ثم قال عز وجل كل قد علم صلوته وتسبيحه دل انه الصلوة والله اعلم ومن الناس من يقول

تسبيح

تسبيح هذه الاشياء التي ذكر هو تسبيح خلقه لا تسبيح نطق وكلام لكن لو كان على هذا الكلام لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود
عليه السلام اذ ذلك مع داود وغيره في كل وقت دل انه على تسبيح النطق وان كان على الصلوة فهو ان لا يجوز الصلوة
لاحد حتى يشرق الشمس ويرتفع حيث ذكر اشراق الشمس والله اعلم ثم من الناس من حمل قوله عز وجل والاشراق على صلوة
الضحى وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ذكر عنه انه ذكر انه سأل ام هانئ عن صلوة الضحى كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل
في بيتها فاخبرته انه فعل قال ابن عباس رضي الله عنهما وقلت اي صلوة الاشراق يعني صلوة الضحى والله اعلم وسميت صلوة
الضحى صلوة الاوابين وقوله عز وجل وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة قال عامة اهل التاويل في قوله وشددنا ملكه لانه
كان يحرسه كل ليلة ثلثة وثلاثون من بني اسرائيل لكن ليس فيما ذكر واكثر شدة الملك وتقويته انما هو وصف ضعف الا
ان يعفو بما ذكر واكثرة اعوانه وانصاره وفضل اتباعه وحواشيه فعند ذلك يحتمل ما ذكروا فاما في نفس ما ذكروا
من الحرس له والحفظ فليس فيه كثير شدة ولا فضل منقبة وجائز ان يكون غير هذا اشبه له واولى بما ذكر ملكه وهو
يخرج على وجهين احدهما شد ملكه بما ذكر من الانة الحديد حتى كان يتخذ منه ما شاء من الدروع وغيرها من اسباب الحرب
والتاهب لها وما يصلح القتال ما لم يعط مثله لاحد سواه فتنقطع بذلك طمع الملوك عنه له في ذلك والراغبين في ملكه
وما هو بذلك ذاهب فهو شد ملكه والله اعلم والثاني شد ملكه بما ذكر من تسخير الجبال له والطير والتسبيح معه وما ذكر
من طاعة هذه الاشياء له والخضوع لامره فمن بلغ امر ملكه هذا المبلغ الذي وصف من طاعة من ذكر التسخير له وعبادته
لله تعالى وطاعته له وتاثيره في نفسه حيث قال عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب لم يقصد احد من ملوك الارض
قصده ولا الطمع في زوال ملكه اليه بحال وهذا اشبه ان يجعل تاويل شد ملكه الذي ذكر والله اعلم بما قاله اهل التاويل
وقوله عز وجل وآتيناه الحكمة قال بعض اهل التاويل وآتيناه الحكمة اي النبوة وفصل الخطاب اي البينة على المدعي واليمين
على المدعى عليه لكن ليس فيما ذكروا من جعل البينة على المدعي وجعل اليمين على المنكر كثير منقبة وخصوصية اذ قد اعطينا
نحن مثله وقد ذكر على الخصوصية له ثم جائز ان يكون ما ذكر من الحكمة انه اياها له احكام امره فيما بينه وبين رب العبادة
له اي الله تعالى والطاعة له في كل وقت على ما وصفه حين قال ذا الايد انه اواب اي ذا القوة والجهد في العبادة لله و
الطاعة له فيهم وان كل منهم منزلة وتاليف قلوب بعضهم من بعض وجمعهم على دين واحد ومذهب واحد حتى لم يقع
تنازع ولا اختلاف في الدين والله اعلم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل وفصل الخطاب اي قطع الخصومات فيما بينهم على
التاليف والتلطف وايضا لكل الى الحق من غير ان يقع بينهم حشونة او ضغينة والله اعلم وقوله عز وجل وفصل الخطاب
قال بعضهم ما ذكرنا من القضاء بين الخصوم بالبينة على المدعي واليمين على المنكر وليس في ذلك كثير منقبة ولا خصوصية
وقال بعضهم هو اما بعد وهذا ايضا ليس بشيء والاصل فيه ما ذكرنا والله اعلم والخطاب وهو الخصومة قال ابو معاذ
الخطاب كالجدال والخصام يقول خاطبه ويخاطبه واحدا لا ومجادلة فكل فاعله لها جمعان فعال ومفاعلة وقال
ابو عوسجة الفصل القضاء والخطاب الخصومة يقول خاطبت الرجل اي خاصمته والاشراق وهو طلوع الشمس و
وقوعها في كل ناحية بنورها كقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها والله اعلم وقوله عز وجل وهل اتاك نبؤ الخصم
قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الايجاب وعلى التقرير والبينة ثم قوله عز وجل
اتاك نبؤ الخصم على وجهين احدهما اي قد اتاك نبؤ الخصم فتفكر فيه كيف ابتلاه الله عز وجل وفتنه ما ذكر والثاني قوله
عز وجل هل اتاك نبؤ الخصم واياك نبؤ الخصم واياك وارسل اليك نبأه وخبره ان كيف ابتلاه وفتنه وعلى هذا يجوز ان
يكون قوله عز وجل واذكر عبدنا داود اي اذكر ما قبر هو واذكر صبره اياه واذكر خصومة الخصمين اليه واذكر ما اعطي
هو من الحكمة والحكم وفصل الخطاب ثم قوله نبؤ الخصم هو حرف التوحيد والوحدان وقوله عز وجل اذ تسوروا المحراب حرف
الجماعة وكذلك قوله عز وجل اذ دخلوا على داود ذكر بالجماعة وكذلك قوله عز وجل ففزع منهم ذكر بحرف الجماعة وقوله عز وجل
قالوا لا تخف ثم ذكر حرف التثنية حيث قال عز وجل خصمان بغى بعضنا على بعض ذكر بعضه بحرف الوحدان والافراد وبعضه
بحرف التثنية وهي قصة واحدة وقال بعضهم اما قوله عز وجل الخصم فهو مصدر ومصدر الجمع ومصدر الجمع والفرد
التثنية واحد واما قوله تعالى تسوروا ودخلوا وقالوا ونحوه فقد يقال للاثنين ذلك لان الاثنين جماعة كقوله عز وجل
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما والقلوب جماعة وانما هو قلبان وذلك كثير في القرآن وذلك جائز في اللغة شائع فيها
وعندنا جائز ان يكون قوله عز وجل تسوروا ودخلوا عليه وقالوا لا تخف ونحوه ان كان مع الخصمين الملكين ملائكة شهود
شهود على دعواها وخصومتهما تسوروا معهما ودخلوا معهما عليه فلما فزع منهم قالوا لا تخف وان كان الذي يخاصم
بين يديه اثنان لما لا يحتمل ان يقول داود لاحد الخصمين ولقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ينسبه الى الظلم ويصفه بالبغي
بلا شهود يشهدون الا ان يكون من الاخر اقرار على ما يدعي عليه فاذا كان كذلك فيشبه ان يكون ما ذكرنا انه كان مع الملكين

بالملائكة اخرون شهود ويشهدون على ذلك خاصة الخصومة لاثنين منهم وفيما اضيف الفعل الى الجماعة كانوا جماعة في
التسور والدخول عليه والقول منهم لا تخف وفيما اضيف الى الاثنين كان اثنان في الخصومة والله اعلم ثم فيه من
الكلام والقول حيث قالا خصمان بغى بعضنا على بعض وان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقوله
اكفلنيها وعزني في الخطاب ونحوه من الكلام والقول الذي كان منهما كيف حققا ذلك وقطعاه انهما خصمان ولم يكونا
في الحقيقة خصمين وان لهذا كذا وكذا نعجة ولهذا واحدة ولم يكن في الحقيقة ذلك وان هذا بغى على هذا ونحو ذلك من
الخصومات التي جرت بينهما ولم يكن ذلك في الحقيقة كيف قالا ذلك وحققاه وهم ملائكة والملائكة لا يحتمل ان يكونوا
قط اذ يرسلهم الله ليكذبوا لكنه والله اعلم على التقرير والتمثيل اي لو كان الامر بينهما كذا كذا نعجة وللاخر واحدة تغلب منا
النعاج الكثيرة على صاحب النعجة الواحدة فاخذها اليس يكون ظالما او يكون باغيا اليس على التحقيق ولكن لما ذكرنا ليقرر
ان عنده الزلة وتمثيل الخطيئة ان كانت له على ما يقوله اهل التاويل يعتدونه وقد ذكر الله عز وجل اشياء كثيرة
على التمثيل والتقرير على تقرير اشياء غفلوا عنها وسهوا ليتقرر ذلك عندهم وسهوا فيها فعلى ذلك يشبه ان يكون خصومة
هؤلاء الملائكة عند داود عليه السلام وما كان منهم من القول والخصومة ليتقرر ما كان منه من الهفوة والزلة ليتوب من
ذلك ويرجع عنها والله اعلم ثم قول اهل التاويل ان طائرا وقع بين يديه فرتيا منه فنظر اليه وساد متعجبا به فهم ان ياخذ
وارتفع الى كوة المحراب فصعد لياخذه فوقع بصره على امراة فاعجبته فان هذا يحتمل ان يكون واما قولهم ادام النظر الى
هذا فانه لا يحتمل ان يكون ميل داود وغيره من الانبياء عليهم السلام انه يديم النظر الى ما لا يحل النظر اليه واما الاول من
لطلب ذلك الطائر والنظر اليه انه من اين والى ماذا فذلك يحتمل ان يكون ثم هو يكون معذورا في الصعود الى الكوة والا
النظر الى الطائر لما كان الطيور قد سخرت له وسخرت في التسبيح معه والطاعة له فجائز ان يكون له البحث والتفحص عن
حال ذلك الطائر على ما اخبر عن سليمان حيث قال عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد فاذا كان ما ذكرنا كان
هو في الصعود الى الكوة والارتفاع الى ذلك معذورا لكن وقع بصره عليها بلا قصد منه ولا علم بحالها وما تليه اليها
لحسنها وجمالها وذلك ما يكون بلا تكلف ولا صنع وذلك مما لا يملك دفعه نحو ما كان مثل قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى امراة زيد حتى وعدها نكاحها حيث قال عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وما ذكر من بعث زوجها
الى القتال ليقتل فهذا ايضا غير محتمل لكن يحتمل بعثه اياه ليجاهد اعداء الله وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه
من غير ان يتوهم منه انه قصد قتله واهلاكه والله اعلم فان قيل كيف عوتب كل هذا العتاب حتى بعث اليه الملائكة
اليه بالخصومة عنده والتمثيل لما ذكر وتقرير ذلك عنده ثم اخبر انه غفر له بعد طول المدة ان كان معذورا في ذلك فيه من لم يذ
قيل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يواخذون باد في شيء كان منهم ما لا يواخذ غيرهم بذلك بل يعد ذلك منهم من ارفع
الخصال واجلها نحو ما عوتب يونس عليه السلام في خروجه من بين قومه ليسلم دينه او نفسه لكن خرج بلا اذن كان له من الله فعوتب
لذلك فعلى ذلك داود عليه السلام وانما فعل بلا اذن من الله عز وجل والله اعلم ثم في بعث الملائكة اليه فيما ذكر وجوه من الحكمة والانواع
من القاعة احدها جواز الحجاب والحرس له حيث دخلوا عليه من غير الباب والثاني دفع الحجاب عن الخصوم والجلوس للقضاء في
وقت حاجة الخصوم لا على وقت حاجة نفسه حيث قالوا دخلوا من غير الباب للخصومة بلا اذن منه والثالث قدرة الملائكة على
القصور بصورة البشر مع كون نفس الكثيفة ووجود سمعهم وذلك يرد على الفلاسفة مذهبهم ان النفس الروحانية خلقت متشرة
متحركة في كل حال لكن الجسد الذي جعل فيه يمنعه عن ذلك فاذا نام ذلك الجسد او مات ذهبت تلك النفس حيث شاءت الحكمة
الا ترى ان الملائكة قد تسوروا عليه بصورة البشر دل على انه ليس على ما وصفهم ثم قوله عز وجل اذ تسوروا المحراب قال بعضهم
صعدوا واصل التسور هو الدخول من العلو والارتفاع وهو النزول من السور وهو الحائط المشرف المرتفع وقوله عز وجل ففزع
منهم لما خاف دخول الوهن في ملكه اذ دخلوا بلا اذن من غير الباب وخاف لما ظن انهم لصوص مكابرون ولما عرف انهم
ملائكة جاؤوا بامر عظيم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تشطط اي لا تجر وقوله اكفلنيها وقال اعطنيها قال بعضهم
يقال اكفلنيها اي اعطنيها وهو قول ابو عوسجة وقال بعضهم اعطنيها واجعلني كافلها وهو قول القتبي وقوله وعزني في الخطاب
قال بعضهم غلبني في الخصومة وقوله عز وجل وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ثم استثنى الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات اي الذين امنوا واعتقدوا في ايمانهم الاعمال الصالحات فانهم لا يبغون بعضهم على بعض ثم اخبر ان من امن واعتقد في
ايمانه العمل الصالح اي من اتقى من المؤمنين قليل وترك البغي قليل منهم وهذه الاية شديدة صعبة على ما ذكرنا وفيه ان المؤمن الذي
اعتقد في ايمانه العمل الصالح وترك البغي على غيره قليل في كل زمان ودهر والله اعلم وقوله عز وجل وظن داود انما فتناه اي علم
داود وايقن ان خصومة الملكين عنده فيما اختصما فيه محنة له هو الممتحن بها لا انهما كانا ممتحنين بذلك فاستغفر ربه ثم
اذ ايقن بذلك انه هو الممتحن بذلك لا غيره والله اعلم ثم فسر اهل التاويل الظن هاهنا الايقان اي ايقن وكان الايقان هو علم

يستفاد الاسباب على ما استفاد داود عليه السلام علما بخصومة الملكين عنده وكذلك لا يضاف الايقان الى الله انه
ايقن كذا لان علم يستفاد بالاسباب وهو عالم بذاته لا بسبب واما العلم بانه قد يستفاد بسبب وبغير لذلك اضيف اليه
حرف العلم ولم يصف حرف الايقان والله اعلم فان قيل بالحكمة في ذكر ذلات الرسل صلوات الله عليهم والاصفياء في الكتاب
وهو وصف نفسه انه غفور وانه ستور وقد امر بالستر على من ارتكب شيئا من ذلك بالغفران والعفو فكيف ذكر هو زلات
انبيائه واصفيائه حتى تقرا زلاتهم في المساجد والمكاتب باعلى صوت الى يوم التناد وما الحكمة في ذكر ذلك قال الشيخ ابو
منصور بن محمد الفقيه رضي الله عنه يخرج ذلك زلات الانبياء صلوات الله عليهم في القران وترك الستر عليهم على وجوه
احدها ذكرها ليكون ذلك اية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان قلوب الخلق وانفسهم لا يحتمل ذكر مساوي الاباء و
الاجداد وكذلك لا يحتمل قلوبهم وذكر مساوي انفسهم فاذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك دل انه علم من الله عز وجل
يذكر ذلك ليعلم ان الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه عن امر منه ذكر ذلك والله اعلم والثاني ذكر زلاتهم امتحانا منه
عباده ان كيف يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلات واظهر عنهم العثرات وكيف ينظرون بعين الوحمة والرافة
يمتحنهم بانواع المحن والثالث ذكر منهم ليعلموا اعني الخلق كيف عاملوا ربهم عند ارتكابهم الزلات والعثرات فيعاملون
ربهم عند ارتكابهم ذلك على ما عامله الرسل بالبكاء والتضرع والفزع اليه والتوبة على ذلك والله اعلم او ان يكون ذكرها
ليعلم ان ارتكاب الصغائر لا يزيل الولاية ولا يخرجه من الايمان وذلك على الخوارج بقولهم ان من ارتكب صغيرة ولا كبيرة
خرج من الايمان او ان يكون ذلك ليعلم ان الصغيرة ليست بمغفورة ولكن له ان يعذب عليها وليس على ما قالت المعتزلة
ان ليس لله ان يعذب احدا على الصغيرة والله اعلم وزلات الانبياء عليهم السلام في قلوب الناس فخافوا عليها وفلولا انهم
عرفوا ان الله ان يعذبهم عليها والا لم يخافوا منها كل ما ذكر منهم يذكر عن الحسن ان داود جزى الدهر اربعة اجزاء يوما
لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما للعباد بني اسرائيل ويذكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني
اسرائيل ذكروا فقالوا هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب به ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك قال فلما كان يوم
عبادته غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد فاكب على الزبور يقرءها فابتلوا بما ذكروا قال ولذلك سمي اوابا والله اعلم وابن
عباس وهؤلاء قالوا انه كان له تسع وتسعون امراة فكان يكون عند كل امراة يوما فكان راس المائة يفرغ للعبادة
ففي ذلك اليوم اصابه ما اصابه وقال بعضهم في قوله عز وجل وعزني في الخطاب اي غالبني في الكلام اذا دنا تكلم ان يكون
ابين مني واذا دعا ودعوت ان يكون اكثر مني او ما تلبسان يكون اعرض على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فغفرنا له ذلك
اي زلته التي كانت منه وعثرته وما يقول اهل التاويل ذنبه او ما اليه اي قد غفرت لك لكن لا ابدان يتعلق بك اوربا في
رؤس الخلائق ثم استوجبت منه او عرضيته كذا فذلك ما لا يعقل ولا يعلم ذلك ولا يصح ذلك ولا يستقيم على ما ذكرنا نحن
انه لم يكن منه اوربا ما يلحقه ما يذكرون انما امره بمجاهدة اعداء الله وكان له ان يامر الا انه عوتب لان الانبياء عليهم السلام
كانوا يعاتبون بادنى شيء كان منهم ويعيرون على ذلك لذلك كان ما ذكرنا وقد عرفنا انه كان منه شيء عوتب عليه ثم
علمنا ان من ذنب غفر له عز وجل فغفرنا له ذلك فاما ما سوى ذلك الذي ذكر اهل التاويل فلا يعرفه فان صح شيء منه فهو
يقال به والا فالترك اولى به والله اعلم وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى وحسن ماب يحتمل قوله عز وجل له عندنا لزلفى في الباقي
عمره اي له في باقي عمره ما يزلفه لدينا ويقربه عندنا والله اعلم او ان يكون له زلفى عنده في الاخرة اي له كرامة ومنزلة والله
اعلم وقوله عز وجل انا جعلناك خليفة في الارض يحتمل قوله جعلناك خليفة في الارض يحتمل قوله في جملة اهل الارض من الرسل
والانبياء والملوك في غيرهم على الشريف والوضيع والله اعلم ويحتمل قوله ويحتمل قوله عز وجل جعلناك خليفة في الارض في
الرسل خاصة وكل التاويل يجمعان الى واحد الا ان احدهما يرجع الى العامة منهم والله اعلم وقوله عز وجل فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى ثم لم ينهه عن هوى النفس ولكن نهاه عن اتباع هواها ان النفس قد تهوى في الحكم بغير حق حيث قال
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى لان النفس انشئت على الهوى والميل الى اللذات والشهوات وعلى ذلك طبعت و
بنيت فيكون في هواها الى ما تهوى مدفوعا فيه ما لك ولا قادر على دفعه لذلك لم ينه عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها
ويقدر على منعها بالعقل وردها الى اتباع الحق لذلك ما ذكره الله اعلم وقوله عز وجل فيضلك عن سبيل الله ذكر انه لو اتبع
هواها اضله عن سبيله ولا كل هوى اذا اتبعه المرء اضله عن سبيله لكنه اذا اتبعه في شيء بعد شيء يحمله على الاضلال
عن سبيله اذ من ضل من سبيله انما يضل لاتباعه هواه كقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه اخبر ان من اتخذ الها
دونه انما اتخذه بهواه لا بحجة والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب اي تركوا الاعمال التي يعمل ليوم الحساب بما نسوا يوم الحساب اي تركوا الاعمال التي يعمل ليوم الحساب او
بما نسوا اي بما تركوا الايمان به والاقرار والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا

الباطل هو الفعل الذي يذم عليه والحق هو الذي يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا لم يظن احد
من الكفرة ان الله خلق شيئا باطلا لكن يكون خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما من الاهل لخلوقا باطلا
على ما عندا ولئك الكفرة وفي حسبانهم لان عندهم ان لا بعث بعد ما ماتوا فكان خلق ذلك كله لو لم يكن بعث ولا
نشور خلقا باطلا لوجهين احدهما انه لو لم يكن بعث يجعل انشاؤه اياهم للفناء خاصة وانشاء الشيء وبناؤه
للفناء خاصة لا لعاقبة يقصد عبث باطل سفه كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى اخر الاية صير خلقه
اياهم اذا لم يكن رجوع عبثا لذلك كان ما ذكرنا والثاني انه لو لم يكن بعث لكان خلقهم غير حكمة لانه قد جمع جميعا
في بعثهم هذه الدنيا ولذاتها الولي والعدو في الحكمة التفريق والتمييز بينهما فلو لم يكن دار اخرى لتفرق بينهما لكان
لكان في خلقهم غير حكيم وعندهم جميعا انه حكيم ثم يقول قتادة في قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الى قوله
بما نسوا يوم الحساب يقول لم يذكر انه عز وجل من شان داود عليه السلام ما ذكر الا ان يكون داود قضى بحسبه من الدنيا على امر
الله والعمل به والعدل فيما فان الله عز وجل وكل الله تعالى وعظ نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين موعظة بليغة شافية وليعلم من
ولي حد الحكم شيئا انه ليس بين الله وبين العباد سبب يعطيهم خيرا ولا يدفع عنهم به شرا الا بطاعة الله والعمل بما يرضى وقوله عز
وجل انا جعلناك خليفة في الارض اي جعلناك الخلافة فيمن ذكرنا وقوله عز وجل ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار هو صلة قوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا كان ظنهم ان لا بعث ولا نشور فيقول والله
اعلم انه لو كان على ما ظن اولئك الكفرة ان لا بعث لكان في ذلك جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات في هذه الدنيا كالمفسدين
في الارض وجعل المتقين كالفجار اذ قد سوى بينهم في هذه الدنيا وجمعهم في لذات هذه الدنيا وشهواتها وفي حسناتها و
سيئاتها وفي الحكمة التفريق بينهما والتمييز وقد سوى بينهما في الدنيا على ما ذكرنا من جمعهم في المحنة بالخير والشر فلو كان
على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا جزاء لكان ذلك جمع وتسوية بين الولي والعدو وفي الشاهد من سوى بين من عاداه
وبين من والاه وجمع بينهم في البر والجزاء كان سفيها غير حكيم جل ذلك الله سبحانه لو لم يجعل دارا اخرى يفرق بينهما
فيها كان غير حكيم اذ قد سوى بينهما وجمع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم من الناس من يقول يجب ان يفرق بينهما
في الدارين جميعا في الدنيا والاخرة وقد فعل حيث سمى هؤلاء ضلالا وهؤلاء مؤمنين وخذل الكفار واذلهم ووفق المؤمنين
واعزهم وهو قول المعتزلة ومنهم من يقول لا يجب ذا في الاخرة لان الدنيا دار محنة وابتلاء يمتحن الفريقان جميعا بالخير
مرة والشر ثانيا وبالحسنة تارة وبالسيئة اخرى على ما اخبر حيث قال عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وما ذكر
ونبلوكم بالشر والخير فتنة الاية اخبر عز وجل انه يمتحنهم ويبتليهم بالخير والشر وبالسيئة والحسنة وذلك للفريقين
جميعا على ما ذكرنا من جمعه اياهم جميعا في الحالين فاما هي مجعولة الجزاء خاصة فهناك يقع التفريق والتمييز بينهما
لا فيما فيه المحنة والابتلاء والله اعلم واما قولهم انه قد فرق بينهما حيث سمى هؤلاء ضلالا وهؤلاء مؤمنين وخذل هؤلاء
ووفق اولئك فليس ذلك بتفريق بينهما لانه انما سماهم ضلالا لكفرهم بفعلهم الذي اختاروه ووضعوا اوامرا على غيره
فانما هو بسببه فعلهم لا جزاء جود والله اعلم في قوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار دلالة لزوم
الحجة والوعيد على الظن والجهل وان لم يتحقق لهم العلم بذلك ان مكنوا من العلم وجعل لهم السبيل الوصول الى معرفة ذلك
وانما لزمهم ذلك الوعيد والحجة بانهم ضيعوا معرفة ذلك والعلم بها لانهم لو تاملوا فيه ونظروا لوقع لهم علم ذلك لكنهم
تركوا علم ذلك وضيعوا فلم يعذروا في ذلك وعلى ذلك يقول في القدرة او من منع عن القدرة وحيل بينه وبينها كان
غير مكلف بها ولا مخاطبا معذورا ومن لم يمنع عنه ولكن ذلك لانه ترك العمل به كان مكلفا به غير معذور لانه
هو الذي ضيع ذلك وتركه بالاختيار والاول غير مضيع لها ولا تارك لذلك النار وذلك على المعتزلة والله الموفق
وقوله عز وجل كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته سماه مباركا لانه منه ينبع وعنه ينشأ بر وعمل بما فيه صار شريفا مذكورا
عند الناس عظيما على اعينهم وقلوبهم وذلك عمل المبارك ان ينال كل بر وخير يكون ابدا على الزيادة والنماء والله اعلم
وقوله عز وجل ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب اخبر انه انزله ليدبروا في اياته ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما
يتقى انما يعرف ذلك بالتامل والتدبر والتفكر وقوله عز وجل وليتذكر اولوا الالباب اي ليتذكر وليتعظ اولوا الالباب مما
فيه من المواعظ والاداب وغير ذلك وقوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اثنى الله عز وجل على داود
وابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام بالاوبة اليه والرجوع وهو ما قال عز وجل في داود عليه السلام واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب ثم فسرها الاواب وقال في سليمان عليه السلام اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الى اخر
ما ذكر دل ذكر قوله عز وجل اذ عرض عليه على اثر قوله انه اواب انه انما كان اوابا بالذي ذكر منه لان حرف اذ لا يذكر
الا عن شيء سبق وسبح عز وجل داود عليه السلام اوابا بما ذكر من تسبيحه بالعشي والاشراق والفزع اليه بما هو به والله

اعلم

اعلم وقوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد وقيل الصافنات هي الخيل وقال بعضهم الصافنات هي القائمة
على ثلاث قوائم رافعات احدى يديها على طرف الحافر وقال بعضهم الصافنات من القائمات لا غير وعلى ذلك ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سره ان يقوم له الرجال صفونا اي قياما فليتبوأ مقعده من النار
قيل السراع والله اعلم وقوله عز وجل فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب دل ما سبق من ذكر الصافنات
الجياد بالعشي على ان قوله عز وجل حتى توارت بالحجاب انما اراد به توارى الشمس بالحجاب ذلك ليس شيء يتوارى في ذلك
سوى الشمس ثم قوله عز وجل اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يحتمل وجهين احدهما يجوز ان يكنى بها عن الايثار والله اعلم والثاني
اني احببت حب الخير حتى شغلني عن ذكر ربي حتى توارت الشمس بالحجاب على التقديم والتاخير والله اعلم ثم قوله عز وجل
حب الخير يجوز ان يكون الخير عن الخيل نفسه على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم
القيامة سمى الخيل خيرا فعلى ذلك قوله فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي والله اعلم وقال بعضهم صفونا قياما
بسطها قوائمها وقوله عز وجل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال عامة اهل التاويل جعل يضرب سوق الخيل و
يضرب اعناقها والسوق هو جماعة الساق لما شغلته عن ذكر ربه وهي صلاة العشي حتى غفل عنها فجعل يقطع سوقها ويضرب
اعناقها كفارة عما شغل عن ذكر ربه ثم حيث ما ذكر وامن عقر السوق والاعناق انه عمل الخطيئة فيخرج على وجهين احدهما
انه كان ذلك في شريعته جائزا وان كان في شريعتنا لا يجوز نحو ما ذكر من تعذيب الهدهد
قال عز وجل لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه الاية
تعذيب الطير في شريعتنا فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر وامن عقر الخيل وضرب الاعناق له جائزا وان كان ذلك لا يجوز عندنا
والله اعلم وان يكون ذلك منه قبل النهي عن القتل ثم جاء النهي عنه بعد ذلك فخرج عليه ذلك وعلينا جميعا وجائز ان يخرج
تاويل الاية على غير حقيقة عقر السوق وضرب الاعناق لكن ما ذكر من الاعناق يكون كناية عن الذبح وقوله عز وجل فطفق مسحا
بالسوق كناية عن التسليم الى الناس وان يكون ما ذكر من المسح بالسوق والاعناق كناية عن مسح وجهها وراسها بعد ما ردوها
عليه والتسليم الى الناس من غير ان كان هناك عقر او ذبح او كفارة غفل عن ذكر ربه قال الحسن قال سليمان عليه السلام والله
لا يشغلني عن عبادة ربي احد ما عليك لكن كشف عراقيبها وضرب اعناقها ثم اختلف في ذلك الخيل التي عرضت عليه فشغلته عن
ذكر الله ففعل ما ذكر قال بعضهم انها خيل اخرجها الشياطين من مروج البحر لسليمان عليه السلام لما احتجبه بعد ذلك وقال
بعضهم لا ولكن كانت خيلا ورثها من ابيه داود عليه السلام وكان داود عليه السلام اصابها من العمالقة وقال وما بقي بيوم في
ايدي الناس من الخيل يقال بقية تلك الخيل والله اعلم قال بعضهم لا ولكن اهل دمشق من العرب واهل نصيبين جمعوا جموعا لسليمان
عليه السلام فاصاب منهم الف فرس عرابا فعرضن عليه الخيل حتى شغلته عن ذكر ربه ففعل ما ذكر من قطع العراقيب وضرب الاعناق
والله وعن الحسن في قوله عز وجل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال كشف عراقيبها وضرب اعناقها فابدله الله خيرا منها
واسرع الريح تجري بامره الاية قال ابو قوله عز وجل فطفق مسحا بالسوق والاعناق يقول العرب مسح غلاقه بالسيف مسحا اي
ضرب بها وقال القتبي قوله عز وجل فطفق مسحا اي فاصل يمسح يضرب سوقها واعناقها قال ابو عوسجة فطفق اي اخذ وجعل يمسح
اي يقطع يقال مسح عنقه اي قطعها وقال القتبي الصافنات الجياد يقال هي القائمة على ثلاث قوائم وقد قامت الاخرى على طرف الحافر
من يد كان او من رجل والصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
سره ان يقوم له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون له القيام وقال ابو عوسجة الجياد من الخيل السراع والواحد
جياد ورجل جواد اي سخي وقوم اجواد اي حسان اي كثيرة الخير اي المال على ما ذكر ربي وفي حرف حفصة اي الهاني حب الخير عن ذكر
ربي اي اشغلني وقوله عز وجل ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اختلف اهل التاويل في سبب فتنة
سليمان عليه السلام الذي ذكر انه عز وجل فتنه وانه القى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا مما يطول الكتاب بذكر كل ما ذكروا
ولا يدرى اكان ذلك سبب فتنته ام لا مع علمنا ان ذلك كله لم يكن سبب فتنته ان كان فانما كان واحدا منها ولا ندري ما هو
لذلك تركنا ذكر ما ذكروا لكنه انه كان سببا فتنا ثم يخرج قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان على وجهين احدهما انه امتحن بامر كان
منه في ذلك زلة وغفلة فعوقب بما ذكر وعوقب بنزع ملكه والثاني انه فتنه وامتحنه بنزع ملكه منه لا بزلة منه ولا غفلة
وصرفه الى غيره لا بسبب كان منه وزلة وجعله لغيره ثم ان كان بنزع الملك منه بالذنب سبب كان منه وزلة فعوقب لذلك
الانبياء صلوات الله عليهم كانوا مخصوصين بالعتاب والتعيير بادنى شيء يكون منهم ما بعد ذلك الذي كان منهم من فضل الاعمال
على ما ذكرنا فيما تقدم ثم كان منهم من التوبة والتضرع الى الله عز وجل بالذي كان منهم لما عرفوا لانفسهم من الخصوصية لهم من
الكرامات والفضائل التي خصوا بها قاموا على انفسهم لما اكرموا من انواع الكرامات والفضائل التي خصوا بها من التوبة له
وفضل التضرع والابتهال الى الله لما دلوا لما ارتكبوا كفرانا له فيما انعم عليهم والحق اليهم فضل تضرع وابتهال ما لا يلزم ذلك غيرهم

في مثل ما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا يحتمل ان يكون كرسيه ملكه فيكون ما ذكر كناية عن
نزع ملكه وجائز ان يكون ما ذكر من القاء الجسد على كرسيه حقيقة الكرسي التي عليه جسدا يشبه جسد سليمان في الجسمية لا في
العلم والمعرفة والبصر وما كان فيه من الكرامات كقوله عز وجل عجلا جسدا له خوار اي عجلا مجسدا في الجسدية لان جسد العجل
الذي اتخذوه هو جسد العجل المعروف على ذلك عز وجل على كرسيه جسدا يشبه جسد سليمان في القائم في الجسدية لا في ان جسد
لجسد سليمان فيما فيه من العلم والبصر وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ثم اناب يحتمل وجهين احدهما ثم اناب الى الله
تعالى ورجع اليه جميع اموره وان كان فيه زلة وعثرة واناب ورجع واقبل او تاب والله اعلم وقوله عز وجل قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا يحتمل سؤال المغفرة عند سؤال الملك امرا فيما بينه وبين ربه لان الملك مما يتلذذ به وفيه هوى النفس
وعلى ذلك خرج سؤال زكريا عليه السلام لما سأل ربه عز وجل الولد سأل امرا بينه وبين ربه في ذلك وهو ما قال رب هب لي من
لدنك ذرية طيبة ولذلك خرج سؤال الانبياء فيما سألوا مما فيه اللذة وهوى النفس من الولد وغيره قرنوا في ذلك السؤال
امرا بينهم وبين ربهم فعلى ذلك سؤال سليمان عليه السلام والملك قرنه بالمغفرة في ذلك ثم يحتمل سؤال المغفرة نفسها مما يكون
منه من التقصير في ذلك ويكون سؤال المغفرة سؤال الاسباب التي بها يكون المغفرة لا نفس المغفرة نحو قول نوح عليه السلام
لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول هود عليه السلام واستغفروا ربكم ثم توبوا لا يحتمل ان يامرا قومهم ان قولوا
نستغفر الله ولكن امروهم ان ياتوا بالاسباب التي بها يصيرون اهلا للمغفرة وبها يستوجبون النجاة فعلى ذلك سؤال المغفرة
ما ذكرنا والله اعلم ثم يحتمل سؤال الملك والله اعلم انه اراد ان يستسلم له الخلق في الاجابة الى ما يدعوا اليه من وحدانية الله
تعالى وجعل العبادة له لما راى ان اجابة الناس واقبالهم الى ما عنده لمن السعة والغنا اسرع ولقولها اقبل ورغبتهم فيه اكثر
واذا كان ما ذكرنا وهو متعارف فيما بينهم ان اجابتهم اعني اجابة الناس للملوك ولمن عنده السعة والغنى اسرع لهم واطوع فكان
في سؤاله الملك له نجاة الخلق كلهم لما يستسلمون له ويجيبون الى ما يدعوهم اليه فيحيون نجاة الاهلاك بعدم والله اعلم ثم
قوله عز وجل هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يحتمل وجوها احدها انه سأله ملكا لا ينزع عنه بعد اذ نزع مرة على ما يقول
اهل التاويل والثاني سأل ربه ملكا لا يكون لاحد ما بقي هو وحي فيكون له اية لنبوته على انه لنبوته على ما ذكرنا ولو كان مثله لاحد
منهم فلم يكن له في ذلك اية لنبوته والثالث سأله ملكا ليبقى له الذكر والثناء الحسن كقول الناس اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت وباركت على ابراهيم ونحوه فعلى ذلك جائز ان يكون سليمان عليه السلام اراد ان يكون مذكورا على السن الخلق
بالثناء الحسن بالملك الذي سأله والله اعلم وقوله عز وجل فسخرنا له الريح تجري بامره يبين ما اعطاه من الملك بما ذكر من تسخير
الريح له والجن والشياطين وغير ذلك ما لم يكن ذلك لاحد من ملوك الارض سواه وهذا يدل على ان تسخير هذه الاشياء التي
ذكر انه سخرها لسليمان عليه السلام كان بلطف من الله عز وجل لا يكون ذلك بالحيل اذ لا يملك احد من الخلائق تسخير ما ذكر
من الخلق لنفسه ولو كان يملك ذلك بالحيل لكان يحق لذلك مع العلم ان كل ملك لا يترك لنفسه من الحيل ما يريد من ملكه
ويبقيه الى ما بقي هو وحي فاذ لم يكن دل انه انما كان لسليمان ذلك بالله لطفا منه فيكون اية من ايات النبوة والله اعلم
ثم قوله عز وجل تجري بامره رخاء حيث اصاب وصف تلك الريح باللين والرخوة في هذا الموضع وقال في اية اخرى الريح عاصفة
تجري بامره وصفها بالشدة فجائز ان يكون هي في اصل الخلقة شديدة لكنها صارت لسليمان عليه السلام لينة سهلة و
قال قائلون هي وقت الحمل شديدة لكنها تصير لينة سهلة والله اعلم او ان يكون قوله عز وجل عاصفة على اعداء الله
رخاء لينة على اوليائه والله اعلم ثم فيما ذكر من جري الريح بامره حيث اراد وقصدا وان يكون قوله عز وجل لطفا لله
عز وجل لسليمان حين جعله بحيث يفهم الريح مراده ويفهم هو منها ما ارادت حتى كان يستعملها فيم شاء وكذلك ما فهم
من نطق الطير وكلامه وكلام النمل الذي ذكر ويفهم هو منه فذلك كله بلطف منه له ورحمة وقوله عز وجل كل بناء
وغواص اي سخرنا له الشياطين حتى يستعملهم فيم شاء بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر لاستخراج ما فيه من
الاموال ليتفرغ الناس بعبادة الله والخدمة لا يكون لهم شغل في البنيان ولا في مونة انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل واخرين
مقرنين في الاصفاد واخرين لم يطيعوه فيما امرهم من الاعمال نحو البناء والغوص وغير ذلك من الاعمال جعلهم في الاصفاد
وهي الاغلال تجعل في الاعناق ليدفع شرهم وسوءهم عن الخلق حيث لم يطيعوه فيما امرهم بالعمل للخلق ليتفرغوا العبادة
وفيه ما ذكرنا من اية عجيبة لسليمان عليه السلام واللطف له حيث مكن له من استعمال ما ذكر من الجن والشياطين والريح
وسخر له ذلك ليعلم انه انما قدر على ذلك بلطف منه لا بالحيل والاسباب وقوله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن او امسك
بغير حساب قال عامة اهل التاويل هذا في الشياطين التي ذكر انه سخرها له في العمل واخرين في جعله اياهم في الاصفاد خيره
بين ان يمن على من شاء منهم فيخلي سبيله وبين ان يمسك من شاء منهم فلا يخلي سبيله وقال بعضهم ذلك التخيير في الشياطين
وفي جميع ما اعطاه له من الملك وقول في الاصفاد ان شئت من تعطيه من شئت وان شئت امسكت فلا تعطه احدا شيئا

ولاتبنو

ولا تبعة عليك في ذلك لا في الاعطاء ولا في الامساك والله اعلم وجائز ان يكون لا على التخيير ولكن امتحن بالاعطاء لقوم
والمنع عن قوم فيقول هذا عطاؤنا فامنن اي اعط وابذل لمن امرت وامتحنت بالاعطاء من كان اهلا لذلك وامسك
عمن ليس هو باهل لذلك ومن لم تؤمر بدفعه اليه وهو كقوله عز وجل اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ان ليس على
التخيير ولكن على تعذيب من هو اهل للعذاب مستحق له واتخاذ الحسن فيمن كان اهلا على ما بين في ذلك واظهر في الاية حيث
قال عز وجل اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه الاية واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى فعلى ذلك يحتمل الاول
والله اعلم وقال الحسن قوله عز وجل عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب يقول هذا ملكنا الذي اعطيناك فاعط
منه ما شئت وامنع منه لا تبعة عليك فيه من الاخرة وهو قريب ما ذكرنا في احد التاويلين ويرجع احدهما الى
الشياطين خاصة في الحبس في العمل من شاء منهم والتسريح لمن شاء منهم والاخر الى كل ما اعطاه من الملك والله اعلم وقوله
عز وجل بغير حساب اي اعطاه له من الملك ما لا يحسب من الكثرة والعدد وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى اي القربة
وحسن ماب اي مرجع هذا يدل على ان ما اعطاه من الملك لم يحطه عن مرتبة ولا نقص من قدره عند الله لانه انما سأله الملك
والله اعلم ما ذكرنا من رغبة في نجاة الخلق لسرعة اجابتهم اياه الى ما يدعوهم اليه لا رغبة منه في الدنيا ولذاتها وطلب
العز فيها ولكن لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى اي الاسباب التي تزلفه الى الله وتقربه من التوفيق و
العصمة والمعونة على الطاعة وذلك يكون في الدنيا والاول يكون في الاخرة والله اعلم هذا من اعظم المنن واللطف حيث
امنه عن جميع انواع التبعات يغفرها بغير حساب ويبشره بالزلفى وحسن المرجع والله اعلم ثم اختلف في سبب فتنة
سليمان عليه السلام وفي ذنبه قال بعضهم وذلك ان الله تعالى امره ان لا يتزوج امراة الا من بني اسرائيل فتزوج امراة
من غير بني اسرائيل وجعل لها صنما تعبد في بيته كذا كذا يوما فابتلاه الله بسلب ملكه عقوبة له على قدر ما عبد من الصنم
في بيته وقال بعضهم كانت فتنة سليمان عليه السلام التي ذكر فيما بين من اهل الجرادة وكانت الجرادة امراته وكانت
من احب نسائه اليه وكان اذا اراد ان يحدث او يدخل الخلاء اعطاها خاتمه وان ناسا من اهلها جاءوا يختصمون قوما
الى سليمان قال وكان سليمان احب ان يكون الحق لاهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا وهو قول ابن
عباس وقد ذكرنا نحن انه يجوز ان يكون نزع الملك منه وما ذكر فتنة اياه بلا زلة ولا سبب كان منه ابتلاء ومحنة و
ابتلاء وذلك جائز ولله ان يفعل ما يشاء بمن شاء وكيف شاء من نزع الملك وغيره والله اعلم وقال القتبي وابو عوسجة
رخاء اي رخوة لينة وهو من اللين ويقال رجل رخو اي ضعيف في عمله وقوم رخاء قال والرخاء الساكن ويقال الاشر
اي سكن وقوله عز وجل فامنن او امسك بغير حساب ومثله قوله ولا تمنن تستكثر اي لا تعط لتاخذ من المكافات
اكثر مما اعطيت وقال الفراء سمي لعطائنا وقوله عز وجل حيث اصاب اي اراد قال الاصمعي العرب يقول اصاب الصواب
فاخطا الجواب اي اراد الصواب والاصفاد الاغلال التي تشد بها الايدي الى العنق وقول سليمان عليه السلام
ودعاءه ربه باستجابة الملك قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد بعدي انك انت الوهاب على ان الملك الذي
اعطاه لم يكن حقا عليه اذ لو كان حقا له لكان لا يستوجبه ولا يقول له انك انت الوهاب ولكن يقول له اعطني حقي
اذ كل طالب حق له قبل اخر لا يوصف فاعطاه اياه انه وهاب ولكن هو ذي حق عليه ويدل هذا ايضا على انه ليس
على الله حفظ الاصلح والدين اذ لو كان عليه حفظ الاصلح في الدين واعطى الاخر لكان لا يستوجب الملك اذ كان
الملك له اصلح في الدين ولكن يقول اعطني حقي فدل استجابته منه الملك على انه ليس عليه حفظ الاصلح في الدين ولا اعطى
الاخير وان له ان لا يعطيه وان اعطاه الملك له فضل منه ورحمة والله اعلم فان قيل فيه تفضيل الغنى والسعة على الفقر والضيق
لما ان الله عز وجل جعل الغنى والسعة اية من ايات النبوة والرسالة ولم ير الفقر والضيق جعلها اية من ايات النبوة فهلا دل جعل الغنى
اية من ايات النبوة على انه افضل من الفقر قيل الا ترى ان الغنى والملك انما جعله اية الرسالة بنبي واحد واكثر الانبياء عليهم السلام كانوا
فقراء واهل الحاجة والضيق في امر الدنيا فيهما كانوا ما ذكرنا من الضيق والفقر وقلة اعوانهم وانصارهم بعد قومهم وظهوره دعوا
الناس الى ما دعوهم وهو التوحيد والاسلام مع وجود رغبة الناس فيمن عنده السعة والغنى وتفاديهم وقلة رغبتهم فمن
عنده الفقر والضيق فدل اختيار اكثر الانبياء الحال التي ينفر طباع الناس عنها على الحال التي يرغبون فيها مع حرصهم ورغبتهم في
الدين على ان الحال التي اختاروهم افضل واخير من الحال الاخرى والله اعلم وكذلك قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم نهاه ان يمد عينيه الى ما متعوهم على العلم منه ان لو مد عينيه الى ذلك ويختاره انما يمد
ويختار لسعة قومه واصحابه في ابواب الشر والخير وانه لا يختار ولا ياخذ الا ما يحل ويطيب فدل النهي عما ذكر على العلم منه ما وصفنا
على ان ذلك افضل من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
ثم لا ندري ما الذي كان من الله من تمكين الشيطان عليه حتى اضاف ذلك الى الشيطان وليس لنا ان نقول انه مكن عليه كذا وكذا

كنا فى كذا وفعل به كذا لا ان يثبت عن الله ثم وجه الحكمة فى تمكين الشيطان على اوليائه يزين مكره فى امر الدين ليعلم جهة الفضل من جهة العدل وجهة الحكم من جهة الرحمة وان له يمتحن عباده باسا وكيف شاء من انواع الشدائد والبلايا على ايدى من شاء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك وان له ان يحيى الى من شاء من انواع الخير والنعم ابتداء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك فعلى ذلك بلاء ايوب عليه السلام والشدائد التى اصابته جائز ان يكون بلا سبب كان منه يستوجب ذلك ولكن ابتداء امتحان منه اياه بذلك ثم قوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب ثم وان اضاف اليه هو فى الحقيقة من الله لما اخبر انه على يديه كقوله عز وجل يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم اخبر ان حقيقة العذاب منه وان كان على ايديهم يجرى ذلك هو كقوله تعالى وان يمسسك الله بضر اى ما يمس الانسان من ضر يكون على يدى اخر يكون من الله وله فى ذلك صنع وفعل لا على ما يقوله المعتزلة ان لا صنع لله فى فعل العباد واخبر انه لو اراد باحد ضرا او مسه بذلك لا كاشف لذلك الضر ولا دافع وانه لو اراد لذلك الفعل غيره فهو على المعتزلة ايضا وقوله بنصب ونصب واحد وهو تعب وكذلك يقول القتبى النصب والنصب واحد مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال ابو عبيدة النصب الشر والنصب الاعياء ومنهم من يقول ان احدهما فيما يصيب ظاهر جسده والاخر فيما يصيب باطنه والله اعلم وقوله عز وجل اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب جائز ان يكون لما قال اى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين دعا عند ذلك ان كشف عنه البلايا التى مسته كانه قال اى مسنى الضر فاكشف ذلك عنى وانت ارحم الراحمين يدل على ذلك قوله عز وجل فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل هذا على ان قد كان منه دعاء وسؤال فى كشف الضر عنه فاستجاب الله دعاءه عند ذلك قال اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب جائز ان يكون لما ضرب برجله الارض وركضها نبع منها عينان احديهما للاغتسال فيها والاخرى يشرب منها ماء وهو بارد على ما يوافق الشرب ويختار ذلك والاخرى ماؤها ما يوافق للاغتسال وهو دونه فى البرودة على ما قاله اهل التاويل عامة كقوله عز وجل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وانما السكون فيما يسكن وهو الليل والابتغاء بالنهار وجائز ان يكون العين واحدا الا انه لما اغتسل منها كان ما يوافق الشرب قال بعض اهل التاويل كان البلاء بظاهر الجسد وبباطنه فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال وما كان بباطنه ذهب بالشرب والله اعلم ثم قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم واذكر عبدنا ايوب اى اذكر صبره كيف صبر من البلاء وعز وجل بانواع الشدائد والبلايا فاصبر انت اذا ابتليت بشىء من البلايا وعلى ذلك يخرج جميع ما ذكر فى هذه السورة وامره ان يذكرهم بالذى ابتلاهم من الشدائد ان كيف صبروا له على ذلك ومن امتحنهم بالسعة والملك يقول ان اذكرهم ان كيف شكروا ربهم واطاعوه والله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له اهله ومثلهم معهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم وهب له اهله اى احياء من هلك من اهله وماله وزاد له على ذلك ضعفهم فى الدنيا رحمة منه وفضلا والحسن يقول بهذا انه احياهم له باعيانهم وزاده مثلهم معهم وقال بعضهم قيل له يا ايوب ان اهلك فى الجنة فان شئت اتيناك بهم وان شئت تركناهم لك فى الجنة وعوضناك قال لا بل اتركهم فى الجنة فتركوا له فى الجنة وعوض مثلهم فى الدنيا ولله ان يحيى من شاء بعد ما اماته وله ان يوجر على ذلك ما شاء الا يرى انه قال على اثره رحمة منا وذكرى لاولى الالباب دل قوله رحمة منا على ان كشف الضر عن ايوب واعطاء ما اعطاه رحمة منه وفضل ونعمة كان له ان لا يكشف الضر عنه وان لا يرد عليه اهله ولا يخلف له وهو على المعتزلة لانه لا يخلو اما ان يكون ما اعطى ورد عليه اصلح له وقد اخبر انه برحمته كان ذلك له وفضل منه ولو كان عليه حفظ الاصلح له فى الدين كان فى تركه ومنعه جائرا عندهم ظالما او ان يكون منعه ذلك عنه اصلح له فاعطاه وترك الاصلح له فدل ان ليس على الله حفظ الاصلح لاحد فى الدين والله اعلم وقوله عز وجل وذكرى لاولى الالباب اى ذكرى وعظة لمن ينتفع باللب ليعلم ان ليس التضييق لمقت منه وسخطه لمن ضيق عليه ولا فى التوسيع رضاء منه ولكن محان يمتحن من شاء بالشدة والبلايا ومن شاء بالسعة والرخاء وقوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اختلف فى السبب الذى كان من ايوب عليه السلام الحلف بضرب امراته ولكن لسنا ندرى ما السبب الذى حمله على الحلف بضربها ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك السبب غير انا نعلم انه كان من المحلوف عليه معنى يستوجب بذلك الضرب حيث حلف هو بالضرب وامره الله عز وجل بالبر وامره الله عز وجل بالضرب ثم معلوم ان غضبه لنفسه ثم اختلف فى قوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به قال بعضهم قضبان واغصان ونحو ذلك لايوب خاصة وقال بعضهم هو له ولسائر الناس ان من حلف ان يضرب كذا خشبة او سوطا فجمع قضبانا او غصبانا فضرب بها بر فى يمينه وليس فى الاية انه ضرب به مرة او مرارا حتى يخرج بضربه المراة عن يمينه ثم الاصل عندنا ان منهم يضرب باخر كان بالضاديه هشا وانه يعرف انه يريد الضرب فيجرد بالضرب هشه وانه وهو التالم فجائز ان يكون المراد به تلك الجهة والاثر الضرب نفسه ليس فى يمينه وان الافضل فيها ترك الضرب والكفارة عن الحنث ثم اثنى الله على ايوب عليه السلام فقال عز وجل انا وجدناه صابرا بما ابتلاه الله فى نفسه واهله وماله نعم العبد انه اواب

اى راجع اليه عز وجل فى جميع احواله فى حال الشدة والبلاء وفى حال السعة والرخاء والله اعلم وقال ابو عوسجة اركض برجلك اى اضرب بها الارض وكذلك ركض دابتك اذا ضربتها برجلك حتى تسرع وكذلك قال القتبى قال والضغث مثل الكف من الحشيش وغيره ومن كل شئ واضغاث جميع وقال القتبى الضغث الحزمة من الخلاء او من العيدان وهو قريب من الاول وقيل الغسل الماء وهو الغسول ايضا وقوله عز وجل ولا تحنث من الحنث الاصل الاثم ويوجب بيمينه اذا صدق فيها وقوله عز وجل واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب يحتمل قوله عز وجل واذكر من ذكر من الرسل عليهم السلام واصل المتعوذ اذكر هؤلاء بما لقوا من اعدائهم على الجهد فيها ويقول اذكر الاسباب التى بها صاروا هؤلاء اصل صفوة الله ويحمل اختياره ليحملك ذلك على طلب تلك الاسباب ليصير من اهل صفوة الله ومحتمل ويقول اذكر هؤلاء الصالحين لتتسلى بذكرهم عن جفاء قومك وهو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل اولى الايدى والابصار قيل الايدى والقوة فى العبادة والبصر فى الدين ثم معلوم ان هؤلاء لم يكونوا اخص قوة فى انفسهم وابدانهم من غيرهم فثبت انه اراد القوة فى الدين وغير القوة فى النفس وقيل اولى القوة فى طاعة الله والبصر فى الحق وقيل فى الفقه وقيل اولى النعم فى كل ما لله وهو واحد من قولهم اولى الايدى والابصار لاولى انه تدبيرهم بذكر الايدى غير الحاجة ويذكر الابصار غير العين لانه معلوم انه لم يرد بذكر الايدى الجوارح ولا يذكر الابصار الاعين ولا تم منه ذلك ولكن تم باليد القوة ويذكر البصر العلم وما فهم فعلى ذلك لا يفهم من قوله عز وجل خلقت بيدى ونحو الجارحة على ما يفهم من الخلق ولكن القوة وغيرها ما كنى باليد عن القوة لما بها يقوى وكنى بالبصر عن ذلك الاشياء حقيقة ما بالبصر يدرك الاشياء وقوله عز وجل انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار تلك الخالصة التى اخلصهم بها بعضهم انا جعلناهم اذكارا للناس لدار الاخرة وقال بعضهم انا اخلصناهم بخالصة النبوة والرسالة وذكر الدار وان لا يذكروا الا غير دار الاخرة واصله ان الله عز وجل اخلصهم وصفاهم واختارهم للناس وخصهم وجعل عنهم الرغبة فى الاخرة والزهد فى الدنيا واختار ذكر الاخرة على ذكر الدنيا او ان يكون قوله عز وجل اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اى شرف الدار وذكرهم صاروا مذكورين مشرفين فى الدار وقوله عز وجل وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اى هم عندنا اهل صفوة صفاهم الله عز وجل واختارهم لنفسه ولرسالته وقال بعضهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار هم على علم الرسالة قوله عز وجل واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار يحتمل قوله عز وجل واذكر وجوها على ما ذكرنا اصبر هؤلاء على ما لقوا من قومهم فتستعين انت على الصبر ما يلقى من قومك او يقول اذكر حسن معاملة هؤلاء ربهم وحسن سيرتهم فيما بينهم وبين الخلق لتعامل انت ربك مثل معاملتهم ومثل سيرتهم او يقول اذكر هؤلاء بمن ذكر اى اثن عليهم بحسن الثناء واذكرهم بخير اثن عليهم وامر الناس ان يثنوا عليهم على ما تقدم ذكره ليكونوا ابدا احياء بحسن الثناء والذكر او ان يقول اذكر هؤلاء ان كيف عاملهم الله واختارهم لرسالته وما ذكر الله والله اعلم ثم قوله عز وجل واليسع قال بعضهم هو الياس وقال بعضهم هو غيره وكان ابن عم الياس والله اعلم وذا الكفل اختلف فيه ايضا قال بعضهم كان الياس فى اربعمائة نبى عليهم السلام فى زمن ملك فقتل الملك ثلثمائة منهم فكفل رجل الياس مائة نبى فكفلهم وخبأهم عنده يطعمهم ويسقيهم حتى خرجوا من عنده وكان الكفل بمنزلة من الملك فلذلك سمى ذا الكفل لانه خبأهم وكفلهم والله اعلم وقال بعضهم سمى ذا الكفل لانه كفل لله عز وجل فوفى لله به فسمى ذا الكفل وقال ابو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلى لله عز وجل كل يوم مائة صلوة فاحسن الله عليه الثناء فى كفالته وقال بعضهم ان نبيا من الانبياء قال لقومه ايكم يكفل بتبليغ ما بعثت به الى الناس بعدى لاضمن له الجنة والدرجة العلى فقال شاب انا تكفل لتبليغ على ذلك ووفاء ما تكفل فسمى ذا الكفل لذلك والله اعلم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انه لما ذكر ان اليسع كان فلان سوى ان يعرفهم انهم من الاخيار على ما ذكر الله عز وجل والله اعلم وبعد فان معرفة ذلك اخبار الاحاد يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة وليس ها هنا سوى الشهادة على الله والترك اولى قوله عز وجل هذا ذكر يحتمل قوله هذا ذكر اى شرف وذكر الذى تقدم ذكرهم من الاخيار لانهم يذكرون ابدا بخير وحسن الثناء عليهم بما كان منهم من حسن السيرة والعمل فذلك شرفهم حيث صاروا مذكورين على السن الناس وهم اموات او ان يكون ذكر هؤلاء ذكرى وعظة لمن بعدهم او ذكر ذلك عظة ليعرف حسن معاملة الرب بهم او هذا القرآن ذكر وعظة لمن امر به والله اعلم قوله عز وجل وان للمتقين لحسن مآب حمله الاثناء هو ان يتقى المهالك اى تقوا جميع ما يهلكهم وحسن مآب اى مرجع ثم بين وصف حسن المرجع الذى يرجعون اليه حيث قال عز وجل جنات عدن قوله عز وجل جنات عدن اى مقام يقال عدن فى مكان كذا اى اقام كانه جنات مقام فيها لا يبغون عنها حولا ولا عدا على ما اخبر الله عز وجل لا يبغون عنها حولا وقال بعضهم عدن الذى هو وسط الشئ كانه ذكر ان جنة عدن كان وسط الجنان والله اعلم وقوله عز وجل مفتحة لهم الابواب يحتمل قوله مفتحة لهم الابواب ابواب الجنة يقال له ادخل اى باب من ابوابها شئت على ما يقوله بعض الناس وجائز ان يكون ابواب

كل احد منهم في الجنة يكون مفتحة لان الاغلاق والابواب مما يكون في الدنيا انما لخوف السرق او نظر الناس الى اهله وحرمه
وخوف نظر اهله الى الناس فهذا المعنى يتخذ الابواب في الدنيا والغلق والاغلاق دونهم وليس المعنى في الجنة لما اخبر ان
ازواجهم يكن قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا يكون فيها خوف السرق ان لو كان ما ذكروا لا شبه ان
لا يكون فيها ابواب لما ذكرنا ان الابواب مما يتخذ لخوف السرق والنظر فحجبهم والله اعلم وقوله عز وجل متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب هذا والله اعلم كانه وصف حال اجتماعهم لانه ذلك يدعا بالفواكه والشراب في الدنيا و
انا في حال الانفراد قل ما يدعون في الشراب ثم فيه اخبار انهم يدعون في الجنة بالفواكه والشراب جميعا وفي الدنيا الغرض
فيه ان اهل الشراب قلما يجمعون بين الفواكه والشراب بوجهين اما لخوف الضرر بهم اذا جمع او لما لا يوجدان وليس
هذان المعنيان في الجنة والله اعلم وقوله عز وجل بفاكهة كثيرة كان ذكر الكثيرة كناية من انواع الفواكه والوان مختلفة
من كل نوع ليس بعبارة عن الكثرة من نوع واحد والله اعلم وقوله عز وجل وعندهم قاصرات الطرف اي طرفهن يقصرون على
ازواجهن لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا يرون غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل اتراب قالوا مستويات في الاسنان اراد ان
يكون جميعا الازواج والزوجات على سن واحد وان يخبر انهم جميعا يكونون على حال واحدة لا يتغيرون ولا يهرمون
كما يكون في الدنيا بعضهم اكثر سنا من بعض واضعف حالا من الاخر ولكن لا يهرمون ولا يكبرون ولا يضعفون والله اعلم
عز وجل هذا ما توعدون ليوم الحساب كانه يقول لهم الملائكة هذا ما توعدون اهل الجنة في القران ثم اتاكم من الله بشارة
يبقى ثم ذلك ابدا دائما قال عز وجل ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي انقطاع وذهاب نفد الشيء اذا فني وذهب والله
اعلم وقوله عز وجل هذا اي هذا الذي ذكرنا ثواب المتقين وجزاء ونعيمهم ثم بين جزاء الطاغين وقوله عز وجل وان للطاغين
لشر مآب اي لبئس المرجع ثم بين ذلك المرجع ما هو فقال عز وجل جهنم يصلونها فبئس المهاد اي بئس ما مهدوا لانفسهم و
قوله عز وجل هذا اي هذا الذي ذكرنا جزاء الطاغين والطغيان يرجع الى وجوه الا ان امثله هو الذي لا يجتنب المهالك ولا
يتقي والمتقي هو الذي يتقي المهالك ويجتنبها حقيقة التقى والطغيان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فليذوقوه حميم و
غساق كان الملائكة يقول لهم اذا دخلوا جهنم والقوا فيها فليذوقوه حميم وغساق والحميم هو الشراب الذي قد انتهى حره
غايته ونهايته والغساق اختلفوا فيه قال بعضهم هو ما يسيل من الصديد والقيح واللحم جعل ذلك شرابهم في النار وقال بعضهم
الغساق هو الزمهرير والزمهرير هو البرد الذي يبلغ غايته ونهايته يحرق بشدة برده كما يحرق الحميم الذي يبلغ نهايته بشدة حره
والله اعلم وقوله عز وجل وآخر من شكله ازواج اتفق اهل التاويل واكثرهم على ان قوله عز وجل وآخر من شكله ازواج هو
العذاب كانه يقول وآخر من شكل ما ذكر من العذاب لهم ثم اختلفوا في ذلك العذاب الذي قالوا من شكله قال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه هو الزمهرير وروي عن الحسن وآخر من شكله ازواج الوان من العذاب وقال بعضهم زوج من العذاب ويشبه
ان يكون قوله عز وجل وآخر من شكله ازواج اي قوم من شكل اولئك الذين ذكرهم يعذبون الى ذلك يجمعون في العذاب
كقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم وان يكون فوج آخر يدخلون من شكل الاولين وهو ما ذكر عز وجل هذا فوج
مقتحم معكم يقول المتبوع للاتباع لما دخلوا النار وراءهم لا مرحبا بهم اي لا سعة بهم وهو من الرحب وهو السعة فاجابهم الاتباع
لا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار وقال بعضهم قالت الخزنة لمن في النار هذا فوج مقتحم فيردوه على الخزنة لا مرحبا
بهم انهم صالوا النار فيرد عليهم القوم الذين اقتحموا النار بعدهم بل انتم لا مرحبا بكم واصل هذا ان هذا منهم لعن يلعن بعضهم
بعضا لقوله عز وجل ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ونحو ذلك من الآيات وقوله عز وجل قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا في النار وهذا كقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وهذا قول الاتباع للقادة
والرؤساء منهم ثم ردت القادة على الاتباع وهو قوله عز وجل وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فعلى ذلك
هذه المناظرة التي ذكرت هاهنا بين القادة والاتباع ثم قوله عز وجل انتم قدمتموه لنا وقوله من قدم لنا هذا اي انتم شرعتموه
لنا في الدنيا وسننتموها ولذلك قولهم من قدم لنا هذا اي من شرع لنا وسن الذي كنا عليه وامرنا منه فزده عذابا في النار
وهو كما ذكر في سورة سبا حيث قالوا اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والله اعلم قال القتبي الغساق ما يسيل من جلود اهل
النار ونحوهم من الصديد يقال غسقت عينه اي سالت ويقال هو البارد المنتن وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل وآخر
من شكله ازواج من مثله الشكل المثل والشكل بنصب الشين الغنج وشكلت المراة اذا تغنجت والتقحم الدخول واقتحمت
كله واحد وهو الدخول وقوله عز وجل لا مرحبا بهم اي لا سعة بهم والرحيب والرحب الواسع وقوله عز وجل وقالوا ما لنا لا
نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الى آخر ما ذكر هذا يقول في الآخرة في النار وهذا يلزمهم الحجة وان لا تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لان هذه السورة مكية نزلت محاجة اهل مكة في اثبات التوحيد واثبات الرسالة ومنهم من ينكر البعث ذكر
لانباء المتقدمة لاثبات الرسالة فيما تقدم وذكر حجج البعث في هذه الآيات وحجج التوحيد في آخره ذكر ذلك كله ثم ليلزمهم

الحجة

الحجة وان انكر وذلك لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين ثم في هذه الآية دلالة ان عقوبة الحجة قد تلزم وان لم يحقق
عنده الحق ولم يعرف حقيقته حيث اخبر انهم يقولون في النار وما ذكر عز وجل ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار لانه
معلوم انهم لم يعلموا حقيقة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ما تركوا اتباعه ولا سحره منهم وعلى ذلك يخرج مباهلة
ابي جهل يوم بدر حيث قال اللهم اينا اوصل رحما واكثر كذا على ما ذكر وانصر عليه ومعلوم انه لو كان يعلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حق لكان لا يجترئ على المباهلة دل انه لم يعلم حقيقته انه على حق فعوقبوا وان لم يعلموا لما مكن لهم من العلم والمعرفة لو
تاملوا واحسنوا النظر في ذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال اهل التاويل انهم ينظرون في
النار فلا يرون من كان يخالفهم في دينهم نحو اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يستهزئون بهم في الدنيا ويسخرون
منهم يقولون كنا نسخر منهم في الدنيا فاين هم وما لنا لا نريهم ام زاغت عنهم الابصار اي حادت وشغلت ابصارنا فلا نراهم لكن
لا يحتمل ان يكونوا يقولون على هذا الذي يقول اهل التاويل ولكن يقولون على التلهف والتندم على ما كان منهم في الدنيا من ترك
اتباعهم والسخرية منهم قد ظنوا عندهم ان اولئك كانوا على حق اعني رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وانهم على باطل ويحتمل
ان يقولوا ذلك على غير التلهف والتندم وقد عرفوا بما ذا عذبوا وجعلوا في النار عرفوا انهم يكونون خارج النار يعني اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كانوا على خلاف ما كان اولئك الكفرة والله اعلم او ان يقولوا ذلك على الاستغاثة بهم يقولون اين
اولئك الذين كانوا اتخذناهم سخريا في الدنيا لعلهم يشفعون لنا فيسئلون لنا ليطلبون النجاة اذا ابتغوهم في ذلك الوقت ونحو ذلك
كقوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذا الذي ذكرنا هو اشبه مما يقول اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار قال بعضهم القسم بقوله عز وجل ص والقران ونحو على هذا على ما ذكرنا وقال بعضهم هذا على التقديم والتاخير
يقول ان ذلك الذي ذكر من امر بعضهم على بعض حيث قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وقولهم ربنا من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا في النار وما ذكر في سورة الاعراف قالت اخراهم لاولاهم كذا واولاهم لاخراهم كذا اي ذلك التخاصم الذي ذكر الجزاء
كائن فيما بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا منذر وليس علي ما حملتم شيء انما ذلك عليكم انما علي الانذار لكم فقط وقوله
عز وجل وما من اله الا الله الواحد القهار يقول والله اعلم ما من اله عندكم وتسمونه الها الا هو الواحد القهار الذي تفرد وتوحد
بربوبيته والوهيته فهو الخالق كلهم بقدرته وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ويخبر من غناه
وسلطانه يقول والله اعلم يعلمون انه رب السموات والارض ومنشئهما ومنشئ ما بينهما فلا يحتمل ان ما يامركم به وينهاكم عنه انما
يامركم لحاجة لنفسه او لمنفعة له ولكن انما يامر وينهى لمنفعة لانفسكم ولحاجتكم او يقول يعلمون انه هو ربكم ورب ما ذكر من السموات
والارض وما بينهما فكيف تعبدون من يعلمون انه ليس بربكم ولا اله وانما الاله ما ذكر فيكون عبادتكم وطاعتكم وقوله عز وجل العزيز
الغفار اي لا يلحقه الذل بذل اوليائه وخذلانه لانه عزيز بذاته لا باحد ليس كملوك الارض يذلون اذا ذل اولياؤهم واتباعهم لانه
عزيز بذاته لا باوليائه واتباعهم فانه لو ذل من كان عزيزا بهم فاما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته لا يلحقه الذل بذل اوليائه ولا
هلاكهم وقوله عز وجل قل هو نبؤا عظيم انتم عنه معرضون له تاويلان احدهما ان هذا القران الذي انزل على رسوله صلى الله
عليه وسلم نبا عظيم انتم عن التفكر فيه والنظر معرضون لان فيه ذكر ما نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد وفيه ذكر من نجا
منهم ثم نجا في ذكر ما مضى وما بقي وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار ونحو ذكر ما لهم وما عليهم فهم عن التفكر فيه والنظر
معرضون ما لو تفكروا فيه وتاملوا لادركوا كله ووصلوا الى معرفة كل ما فيه مما ذكرنا والله اعلم والثاني قوله عز وجل قل هو نبؤا
عظيم انتم عنه معرضون اي البعث والحشر هو نبا عظيم انتم عن التهيؤ والعمل لذلك معرضون لا تذكرون فمن جعل تاويله في البعث
والحشر يجعل الاعراض عن التهيؤ له والعمل لذلك اليوم ومن جعل تاويله على القران يجعل الاعراض عن التفكر فيه والنظر والله اعلم
وقوله عز وجل ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الاية اختلف في الملإ الاعلى قال عامة اهل التاويل الملأ
الاعلى هم الملائكة الذين تكلموا في آدم عليه السلام حين قال لهم الرب عز وجل اني جاعل في الارض خليفة قالوا عند ذلك اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وقوله عز وجل اذ يختصمون ليس على حقيقة الخصومة ولكن على التكلم في ذلك كقوله
عز وجل يتنازعون فيها كاسا ليس على التنازع المعروف عند الناس والخصومة ولكن على اختلاف الاباريق فعلى ذلك ما ذكر من
اختصامهم والله اعلم ومعناه ما كان من علم من اختصام الملإ الاعلى وما كان منهم من التكلم لولا ان اوحي الي فعلمت وانما انا نذير
مبين وقال بعضهم ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون وما كان اختصامهم في الكفارات وفي الدرجات وفي المنجيات
والموبقات حتى علمني الله ذلك بالوحي وعلمني ذلك ويذكرون ان الكفارات هو اسباغ الوضوء في المكروهات وبذل
الطعام عند الضيق والشدائد ونحوها مما يطول ذكره والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل ما كان لي من علم بالملإ الاعلى
اذ يختصمون اي بالجمع الاعلى وهو جمع يوم القيمة سماه الجمع الاعلى لانه جمع الاولين والآخرين من الخلق جميعا اي ما كان لي
من علم بذلك الجمع حتى علمت بالوحي وقوله عز وجل اذ يختصمون في ذلك اليوم وفي ذلك اليوم يقع الخصومات كقوله عز وجل

ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وهو على حقيقة الخصومة وجائز ان يكون الملأ على الاشراف منا ولنا الكفرة و
القادة منهم الذين اهلكوا بالتكذيب ومن نجا منهم بالتصديق يقول ما كان لي من علم بهم وما نزل بهم اوحي الي لعلمت بالوحي
كانهم سالوه عن ذلك فاخبر اي كنت لو احدثكم في ذلك حتى علمت ذلك بالوحي الا انما انا نذير مبين امرني ربي واوحي الي ان
انذركم بذلك حتى اعلم بالوحي والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ظاهر هذا ان يكون لا على
القول منه لهم ولكن على الخبر انه كان ما ذكر والله اعلم ثم ذكر الذي خلق منه ادم على وجوه مختلفة مرة ذكر انه خلق من طين ومرة
من تراب ومرة من حما مسنون ومرة كالصلصال ومرة كالفخار ومرة لازب وغيره على اختلاف ما ذكر فجائز ان يكون كل من
من ذلك قد كان وصف عن حال كان ترابا ثم صار طينا ثم ما ذكر وصف والله اعلم وقوله عز وجل ونفخت فيه من
روحي واضافة الروح الى نفسه كاضافة خلق من خلائقه اليه اذ الروح خلق من خلائقه كسائر الخلائق وقوله عز وجل
فقعوا له ساجدين لو لا صرف اهل التاويل سجود الملائكة لادم الى حقيقة السجود له لا كنا نصرفه لامرهم الى الخضوع
له والاستسلام كما احوج الملائكة الى معرفة هذه الاسماء الى ادم وبه عرفوها حيث قال عز وجل يا ادم انبئهم باسمائهم
فلما انبأهم لكن صرف اهل التاويل سجود الملائكة الى حقيقة السجود له جائز لانهم ممتحنون بالامر والنهي وقد
بينا ذلك فيما تقدم ثم استثنى ابليس من الملائكة واخبر انه استكبر وابى ان يسجد له حيث قال عز وجل فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس وكان من الكافرين على قول من يقول ان ابليس كان من الملائكة فلما ابى السجود خذله و وكله
الى نفسه صار كافرا فيعلم ان كل احد وان عظم قدره وجلت منزلته يحتمل خلاف ما هو فيه وصنعه وانه متى امتحن
بامر فوق امره تكبرا واستخفافا وخذله ووكله الى امره ونفسه صار كالذي يحتمل ولا حيلة ليكونوا ابدا على حذر وفزع الى الله
عز وجل على ما اخبر من عظم قدر الملائكة عند الله وجليل منزلتهم عنده اذا خذلهم ووكلهم الى انفسهم صاروا كما صار ابليس
والله اعلم ثم قوله عز وجل وكان من الكافرين اي كان في علم الله انه يكفر او كان بمعنى صار من الكافرين الا في السجود واستكبر كقوله
عز وجل لادم عليه السلام فتكونا من الظالمين اي تصيرا من الظالمين والله اعلم وقوله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان تخصيص اضافة الشيء الواحد الى الله عز وجل يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد
وذلك العز كقوله ناقة الله ومساجد الله وان المساجد لله ورسول الله وولي الله واشباه ذلك فخص هذه الاشياء بالاضافة
اليه وان كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم لذلك فعلى ذلك يخرج اضافة خلق ادم الى نفسه يخرج تعظيم ادم
حيث قال خلقت بيدي وان كان جميع الخلائق هو خلقهم ويخرج اضافة كلية الاشياء الى الله وكلية الخلائق اليه مخرج
تعظيم الرب والمدح له نحو قوله عز وجل خالق كل شيء ورازقه وخالق منشئ العالم ومبدئها وهو على كل شيء قدير ومالك الملك ونحو
ذلك على ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم ثم قوله بيدي قد تكلف اهل الكلام واهل التاويل في تاويل اضافة اليد الى الله عز وجل
منهم من قال القوة ومنهم من قال كذا لكن التكلف في ذلك فضل مما قد بينا في اليد الى من لا يد له ولا جارحة ولا عضوا
نحو قوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم احد من ذكر اليد له ولا الخلف ما يفهم من الخلق ولا ذهابهم وكذلك
ما ذكر من مجيء البرهان مجيء الخلق ولا من زهوق الباطل ما يفهم من مجيء الخلق ولا ذهابهم وكذلك ما ذكر من مجيء البرهان
حيث قال عز وجل قد جاءتكم موعظة من ربكم وقد جاءكم برهان من ربكم وامثال ذلك مما يكثر عده واحصاؤه لم يفهم احد
من الخلائق من مجيء هذه الاشياء التي ذكرنا مجيء الخلق ولا فهم من ذكر اليد لما ذكرنا من الاشياء جارحة ولا عضوا كيف
يفهم من ذكر اليد لنا فهم من الخلق لو لا فساد اعتقاد هم لوهمهم والجهل بتعاليه عن معنى الغير والا لم يحظر بباله بذكر ذلك
الله واضافته اليه ما يحظر بباله من الخلق ومعنى الخلق وان يكون ذلك ذكر لنفسه واضافته اليه من اليد وما ذكر لما باليد
يكون في الشاهد لو احتمل كون ذلك من الخلق نحو ما قال ذلك بما قدمت ايديكم وما كسبت يداك ونحو ذلك ما يعلم في الحقيقة ان
ذلك لم يكن ذلك يكسب بحقيقته ولا عمله من نحو الكفر وغير ذلك من الاشياء لكنه ذكر اليد لما باليد يكتسب في الشاهد
وبها يعمل اكثر الاعمال والافعال واضاف ذلك اليها لما ذكرنا وان لم يكن منها عمل حقيقة فعلى ذلك اضافة اليد الى الله فيما اضاف
على ما كان ذلك من الخلق انما كان باليد وعلى ذلك يخرج ما ذكر من استوائه على العرش يجب ان ذكرنا فيه ما يليق به وننفي عنه
ما لا يليق واصل ذلك انا عرفنا الله عز وجل متعاليا عن جميع معاني الغير عن كل صفات يوصف بها الغير على ما ذكر في كتابه ليس
كمثله شيء فاذا كان كذلك لا حاجة يقع لنا الى تاويل اليد وما ذكر وانه ما اراد به والله اعلم وقوله عز وجل استكبرت ام كنت
من العالين معناه والله اعلم استكبرت للحال عند ما ابيت السجود له ام كنت في اعتقادك من العالين اي المستكبرين كقوله
قوله عز وجل ام كنتم صرت من العالين اي استكبرت وصرت من العالين على ما في قوله عز وجل وكان من الكافرين اي صار من
الكافرين ثم حرف الشك والاستفهام من الله عز وجل قد ذكرنا انه على الايجاب والقطع كانه قال بلى كنت في علم الله انك تكفر او
يقول وصرت من العالين اي عن طلب العلو كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقوله عز وجل قال انا خير منه خلقتني من

نار وخلقته من طين ظن ابليس عليه لعنة الله ان النار لما كان من طبعها الارتفاع والعلو ومن طبع الطين السفل والانحدار
الذي طبعه الارتفاع والعلو خير من الذي طبعه التسفل والانحدار لذلك قال والله اعلم انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين او لما راى ان اصلاح الاشياء كلها ونضجها بالنار فقال عند ذلك ذلك ولو نظر الملعون وحقق النظر لعلم ان الطين
خير من النار لانه من الارض والارض كالاصل والام لغيره لان الاشياء يكون صلاحها ونضجها بالنار ولا بد لها من الارض
كالابن من الام الوالدة وعلى غيرها ما ذكرنا والله الموفق ثم كفره باباته السجود له مالم يرا مر الله له بسجود من هو خير واعلى
لمن دونه ثم حكمه وجفا نكفرها وانه وضع الامر في غير موضع الامر والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها قال بعضهم اي اخرج
من الجنة وقال بعضهم من السماء الى الارض وقال بعضهم اي اخرج من الارض الى جزائر البحر والله اعلم بذلك وليس لنا ان نتكلف
القطع على القول فيه انه امره بالخروج من كذا وقد عرف المعنى انه تعالى امره بالخروج منها ثم ذكر مرة فاخرج منها ومرة قال فاهبط
منها ونحو ذلك من الالفاظ المختلفة وكذلك ما ذكر مرة قال ما منعك ان تسجد اذ امرتك وقال في موضع ما لك ان لا تكون
مع الساجدين ونحو ذلك على الفاظ المختلفة فذلك كله يدل على انه ليس على الناس حفظ الالفاظ والحروف وكذلك ما
ذكر في القصص على اختلاف الالفاظ مكررة معادة وقوله عز وجل فانك رجيم اي لعين كانه قال فانك لعين على السن الناس
ليس يذكره احد منا عدا ابنه واتباعه واوليائه الا وقد لعنه وقوله عز وجل وان عليك لعنتي الى يوم الدين كانت اللعنة عليه الى
يوم الدين حوجن لانه طرده عن رحمته ودينه لما علم انه لا يعود الى اختيار توحيده وطاعته ابدا والا كان عليه لعنته في
الدنيا والاخرة فاما في الدنيا ما ذكرنا من شتم لانه ذكر في القصص واما في الاخرة مطرود عن جنته والله اعلم ثم سال ربه ان ينظره
الى يوم يبعثون فاجاب حيث قال عز وجل فانك من المنظرين واما النظرة والله اعلم انه يختار الكفر والخلاف له ابدا ثم قوله عز
وجل الى يوم الوقت المعلوم هو يوم اختلف فيه الوقت المعلوم هو يوم البعث الى ذلك انظره على ما سبق منه السؤال على النظرة الى
يوم يبعثون وقال بعضهم الوقت المعلوم هو النفخة الاولى وقال بعضهم لم يبين له ذلك الوقت ولذلك ذكر منه الخوف وهو
ما قال عز وجل نكص على عقبيه وقال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ولو كان يبين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف
دون ذلك الوقت ولكنه ندل خوفه انه لم يبين له ذلك وهو معلوم عند الله والله اعلم وقوله قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين كانه يقول
والله اعلم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ان تغويهم الا من كان في علمه انه يختار الغواية ويرى اتباعه فيكون لك عليهم
سلطان الاغواء فاما من كان له في علم الله انه يختار الايمان والتوحيد فلا سبيل لك عليهم والله اعلم ثم قال بعض المخلصين
للتوحيد فان كان ذلك فيكون قوله عز وجل لاغوينهم يكون كفرا وقال بعضهم المخلصين من الهلاك فان كان ذلك
فيكون قوله لاغوينهم اي لاهلكنهم وقال بعضهم المخلصين من كل ذنب وكل معصية لكن الوجهين الاولين اشبه واقرب
والله اعلم وقوله عز وجل قال فالحق والحق اقول قد قرئ بنصبهما جميعا فالحق والحق اقول وقد قرئ ايضا برفع الاول ونصب الثاني
فالحق والحق فمن قرا بالرفع فيكون معناه والله اعلم انا الحق والحق اقول او منى يكون الحق على هذا ومن قرا على النصب فهو على
التاكيد تاكيدا على انه كانه يقول اقول الحق الحق وهو يقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم جائز ان يحتج
بهذه الاية على المعتزلة فيقال لهم اراد الله عز وجل ان ينجز ما وعد وان يصدق خبره الذي اخبر انه كان يكون ام يريد ان
ينجز ما وعد وان لا يخرج خبره على الصدق فان قالوا لم يرد اعظم القول لانهم زعموا انه اراد ان يخلف ما وعد وان
يكون في خبره فذلك عظيم القول حيث وصفوا ربهم بالسفه اذ من اراد ان يخلف وعده وان يكون في خبره فهو سفيه على
زعم من قال ذلك وان قالوا انه اراد ان ينجز ما وعد وان يصدق خبره فيقال لهم اراد ان يتبعوا ابليس واراد ان يؤمنوا ولا
يتبعوه فان قالوا اراد ان يؤمنوا ويتبعوا ابليس فيقال اراد ان يجور ويظلم على زعمكم لانه اراد ان يملأ جهنم ولم يرد ما
يستوجبون ذلك فدل على ان الله تعالى ما علم انه يكون منهم والله اعلم وقوله قل ما اسالكم عليه من اجر هذا يحتمل
وجوه احدها لا اسالكم على ما ادعوكم من الشرف والذكر في الدنيا والاخرة من اجر ولا احد في الشاهد ممن يبذل الاجر
من الشرف والذكر ولا يعطيه ذلك الا بالاجر فكيف يتركون اتباعي ولا يصلون ذلك مني ويقول لا اسالكم ما ادعوكم اليه من
اجر فيمنعكم ثقل ذلك الاجر وذلك الغرم عن اجابتي كقوله عز وجل ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لست سالهم
اجرا حتى يمنعهم ثقل ذلك الغرم عن الاجابة وقوله عز وجل وما انا من المتكلفين قال عامة اهل التاويل وما انا ممن يتكلف
ذلك من تلقاء نفسي ولا امركم بامر لم ياتي الوحي والمتكلف عند الناس في الظاهر الذي يفعل ويقول بلا اذن وقال
ابو عوسجة المتكلف هو الذي يتكلف ما لا يعنيه ويفعل ما لا يؤمر به فجائز ان يكون قوله عز وجل وما انا من المتكلفين
اي ما انا من المتحملين ما حملتم انا خلقتموني والله اعلم وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القران وهذا النبا الا ذكر
وشكر لمن اتبع به وقوله عز وجل ولتعلمن نباه بعد حين يحتمل نبا القران ويحتمل البعث والحساب اي يعلمون ان ذلك

حين هيد حين ثم ذكر عز وجل في جهنم انه بملؤها ولم يذكر في الجنة انه يملؤها فجايز ان يكون ما ذكر من الملاء هو ان تضييقها عليهم وفي التضييق زيادة في الالام وان يكون في سعة الجنة حكمة ولا يكون ذلك في جهنم لان السعة بطلب للنزهة والانشاد في البساتين وغير ذلك وليس ذلك في جهنم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم يقول والله اعلم ان الكتاب الذي يتلوا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوكم اليه هو تنزيل من عند الله كقوله نزل به الروح الامين على قلبك الاية وقوله عز وجل العزيز الحكيم على اثر قوله تنزيل الكتاب من الله يخرج والله اعلم انه يدعوكم محمد صلى الله عليه وسلم الى اتباع الكتاب والطاعة ليس لذل به يطلب بكم العز والضعف في التدبير فيطلب بكم الاستعانة فيه لانه عزيز بذاته حكيم لا يخشى الخطا او الضعف في التدبير ولكن انما امركم بالامر ونهاكم عما نهى ليكتسبوا الانفسكم ولينتفعوا به فاما الله سبحانه عزيز بذاته غني حكيم بنفسه وقال بعضهم العزيز هو الذي لا يعجزه شيء والحكيم هو الذي لا يخشى الخطاء في التدبير وقال بعضهم هو العزيز لان كل عزيز دونه انما يصير ذليلا عنه ويكون عزيز دونه عند عزه ذلا والحكيم هو المصيب في فعله وتدبيره وقيل هو الذي وضع كل شيء موضعه وقال بعض اهل التاويل العزيز هو المنيع وتاويل المنيع الممتنع عن جميع مكايد الخلق وعن جميع حيلهم بالضرر له وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم **وقوله** عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق يحتمل قوله عز وجل بالحق اي بالحق الذي لله عليكم وبالحق الذي لبعضكم على بعض وقال اهل التاويل بالحق اي للحق اي انزلناه للحق لم ننزله عبثا باطلا ولغير شيء ولكن انزلناه للحق لحقوق والاحكام ونحن والامور والله اعلم **وقوله** عز وجل فاعبد الله له مخلصا له الدين جايز ان يكون ما ذكر من انزاله الكتاب بالحق ذلك هو ما امره من العبادة له وامره بوفاء ذلك الحق له ثم يحتمل قوله فاعبد الله مخلصا له الدين وجهين احدهما اصل في الاعتقاد اي اعتقد جعل كل عبادة وطاعة لله خالصا لا يعتقد احد شركاء والثاني في المعاملة ان كل عبادة وطاعة اجعله لله خالصا لا يجعل لغيره فيه شركاء والله اعلم واما اهل التاويل قالوا فاعبد الله وحده له مخلصا له الدين وتاويلهم هذا ان اجعل الوحدانية والالوهية لله في كل شيء **وقوله** عز وجل الا لله الدين الخالص اي وقت شهادة الاحوانية والالوهية في كل شيء ويحتمل ايضا قوله عز وجل الا لله الدين الخالص اي دين الله هو الدين الخالص لانه دين قام بالحجج والبراهين واما غيره من الاديان فهو دين قوي النفس وامانيها لا بالحجج والايات والله اعلم **وقوله** عز وجل والذين اتخذوا من دونه اولياء عز وجل انما كانوا يعبدون من الاوثان وغيرها ليسوا بالهة في الحقيقة ولا لهم الالوهية حقيقة وان حقيقة الالوهية لله لكنهم سموها الهة لانهم كانوا يعبدونها وكل معبود عند العرب الهة لان الاله هو المعبود وقد سمية كل معبود لها لذلك سموها الهة وان عرفوا انه ليست لهذه الاشياء الوهية حقيقة وان ذلك لله عز وجل ثم ان الذي حملهم على عبادة ما عبدوا من دون الله وجهان احدهما انهم لم يروا انفسهم يصلح لعبادة الاله العظيم اذ يقدر على القيام بخدمته عبيد فاهروا الاشياء ان يقربهم عبادة هؤلاء الى الله زلفى وان هؤلاء شفعاؤهم عنده وذلك ما راوا في ملوك الدنيا ان كل احد يجد السبيل الخدمة ملوكها او يقدر على القيام بين يديه والخدمة له فيخدم من العلى بالملك ومن عظم قدره ومنزلته عند الملك ليقربهم ذلك المخدوم له الى الملك اذا بدت له الحاجة او الشفاعة وعلى ذلك ما ذكر في قصة فرعون انه كان اتخذ لقومه اصناما يعبدونها من دونه لما لم يركل احد منهم يصلح لخدمته وهو ما اغرى قومه على موسى حيث قالوا ويذرك والهتك ونحو هذا والثاني عبدوهم لما راوا اباءهم قد عبدوها وتركوا على ذلك حتى تابعوا فاستدلوا بتركهم على ذلك على ان الله قد كان رضي بعبادتهم الاصنام وامرهم لذلك لقولهم اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ولذلك قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم من دونه من شيء انما تركنا اباهم على ما عبدوا من الاصنام على ذلك ولم يمنعهم في الدنيا وكانوا لا يؤمنون بالاخرة حتى يرجعوا اليها على ان الله قد رضي عنهم بذلك ومنهم على امر منه فعلوا ذلك فرد الله ذلك عليهم فقال ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يحتمل قوله فيما هم فيه يختلفون في محمد صلى الله عليه وسلم انهم اختلفوا فيه فمنهم من قال انه ساحر ومنهم من قال انه شاعر وانه مجنون وانه مفتري ونحوه فيخبر انه يحكم بينهم ليبين لهم ما ذكروا واهوا ذلهم او يحكم بينهم ان الاصنام التي عبدوا لا يشفع لهم وان عبادتهم لا يقربهم الى الله زلفى وقد بين لهم في الدنيا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب قال ما قالوا لما اتاهم واخبرهم باخبار عجزوا ان الساحر ولا الشاعر لا يعرف مثلها نحو ما اخبرهم بغيب الله اياه والظفر له عليهم اخفى على الاعداء فكان ما اتاهم وكذلك ما انباهم بانباء واخبار عرفوا انه صادق في ذلك ما لا يستفاد مثلها بالسحر ولا بالكهانة الا بالوحي من الله عز وجل لكنهم عاندوا وكابروا وكذلك بين لهم ايضا ما عرفوا ان الاصنام التي عبدوها في الدنيا لا يملك لهم الشفاعة يوم القيمة حيث ابتلاهم باهوال وانواع بركوب البحار

والضيق عليهم حتى فزعوا الى الله فكشف ذلك عنهم ودفعه عنهم لم يفزعوا الى الاصنام التي عبدوها وهو قوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ونحو ذلك هو الله المعبود الحق ثم بانفسهم وقولهم لانهم كانوا ينكرون رسالة النبيين بقولهم ابعث الله بشرا رسولا فيرون الخشب والاحجار للالوهية والعبادة فذلك تناقض ظاهر قال بعضهم في قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي منزلة فيشفعون لنا الى الله تعالى وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون **وقوله** عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار قال ابو بكر لا يهدي احدا بالضلال والكفر ولكن انما يهدي ببذل الضلال والكفر او كانوا نحوها قال الحسن لا يهدي طريق الجنة في الاخرة اي لا يهدي من كان في الدنيا كاذبا كفارا في الاخرة طريق الجنة وجائز ان يكون قوله عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار من صلة قوله عز وجل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله كفارا لنعمه بعض قبهم العبادة الى غير المنعم وقال جعفر بن حرب ان الله لا يهدي الى الزيادات التي يهدي ويعطي من اختار الهدى لانه يقول ان من اختار الهدى واهتدى كان عند الله لطفا ورحمة يعطي ذلك من زيادات وفضل وزيادة على ما كان اختاره كقوله عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقويهم هذه التاويلات كلها للمعتزلة واما عندنا فان قوله ان الله لا يهدي من هو في علمه انه يختار الكفر وقت اختياره الكفر والضلال اي لا يوفقه الهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكن يخذله وكذلك يقول في قوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ونحوه لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم والله الموفق والثاني لا يهدي اي لا يخلق فعل من هو فعل كفر فعل هدى ولكن يخلق فعل كفر وكذلك فعل من هو فعل هذا فعل كفر يكون يخلق كل فعل على ما يفعله الفاعل ويختاره يخلق فعل الكافر كفرا وفعل المهتدي فعل هدى يخلق كل فعل على ما يختاره الفاعل ويفعله ان كان هدى يخلق هدى وان كان كفرا كفرا قال بعضهم اهل التاويل ان الله لا يهدي من كان في علمه ان يختم بالكفر ويخرج به من الدنيا والله اعلم ثم قوله عز وجل من هو كاذب كفار يحتمل وجهين احدهما من هو كاذب كفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني كفار لنعم الله وكاذب في القول كفار في الفعل والله اعلم **وقوله** عز وجل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ظاهر هذا ان ايجاد الولد لله من المحتمل والممكن ليس من الممتنع وكذلك ظاهر قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا ظاهر هذا الذي ذكر هو من المحتمل والممكن وكان الممتنع ايضا كقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا دلت هذه الايات على ان ايجاد الولد من الممتنع والعظيم في العقول والقلوب جميعا ثم قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما خلق ما يشاء اي لو جاز واحتمل ايجاد الولد على ما يقولون انتم وتزعمون لاصطفى واختار مما يشاء هو شاء البشر على ما يختارون انتم لو يشاؤون ان الملائكة بنات الله على ما تزعمون اذا العرف في الخلق ان من اتخذ لنفسه شيئا انما اتخذ من اعز الاشياء وارفعها واعظمها قدرا عندهم لا من اخس الاشياء وارذلها وهو كقوله عز وجل فراغ الى الهتهم اي الى الهتهم التي اتخذوا وتلك الهة في الحقيقة ولكن سماها بالذي عندهم وكذلك قول موسى عليه السلام وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الاله الذي اتخذته الها سماه على ما هو عنده فعلى ذلك قوله عز وجل لو اراد الله على ما في ظنونكم وتوهمكم انه اتخذ الولد لاختار مما ذكر لا مما تقولون انتم لو احتمل ذلك على ما في ظنكم وحسبانكم لكان ما ذكر والثاني منع الايجاد راجع الى البنين اذ كانت الكفرة ينسبون الملائكة الا انهم بنات لما عرفوا من كرمهم على الله عز وجل وقربتهم عنده ينسبونه الى انهم بنات والى عيسى ابنه انما يتخذ الاولاد ويتبنى ليستنصر بهم فبراه الله عز وجل نفسه عن احتمال الشكل وخوف الغلبة فقال سبحانه هو الله الواحد القهار في قوله عز وجل الواحد القهار دفع ما قالوا فيه واحاله ذلك لما اخبر انه واحد في الذات ولو كان له ما ذكر هؤلاء من الولد لم يكن واحدا في الذات اذ كل محتمل الولد منه هو من شكل الولد فاذا عرفهم انه واحد في الذات لم يحتمل الولد وما ذكر واما في قوله عز وجل القهار دلالة احالة ذلك لانه اخبر انه قهار والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد وجوه اما الوحشة اصابته فيستانس واما الحاجة مسه فيدفع بالولد ذلك واما الغلبة شهوة فيقضيها فيتولد من ذلك الولد واما الوراث ملكه بعد موته وهو دايم باق لا يزال ملكه ابدا واما الاستعانة به والنصرة على اعدايه لاحد هذه الوجوه ذكرنا يحتاج المرء الى اتخاذ الولد فاذ بين انه قاهر غني لا يحتمل ما ذكروا والله اعلم **وقوله** عز وجل خلق السموات والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اي بالحق الذي لله عليهم ولما لبعض على بعض من الحق او ان يكون قوله بالحق اي للحق وهو البعث ما لو لم يكن البعث لكان خلقهما عبثا باطلا على ما ذكر في اية اخرى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا **وقوله** عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وجايز ان يكون قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق اي بالحكمة وهو ان جعل في خلقه كل شيء اثر وحدانيته والوهيته ما يعرف كل انه فعله وان لم يشاهد خلقه وقوله على ما يكون ذلك في فعل احد منا الخلائق يكون معرفة فاعله والله اعلم وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل كما ذكر في اية اخرى يولج الليل في النهار

ويولج النهار في الليل بذكر دلالة وحدانيته حيث جعل منافع الليل متصلة بمنافع النهار ومنافع النهار متصلة بمنافع الليل على اختلافهما وتناقضهما وتضادهما ليعلم انهما فعل واحد وكذلك ما جعل من منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعدما بينهما ليعلم ان منشئهما واحد ولو كان عددا لامتنع ذلك اذ العدد المعروف من عادة الملوك الانفراد كل بملكه وسلطانه والاستبداد على ما استولى وقبض بالآخر ونفاذ امره في سلطانه فاذا لم يمتنع ذلك دل انه فعل واحد ولذلك ما ذكر من تسخير الشمس والقمر ولنا نعم وجريتهما في يوم واحد مسيرة الف عام او ما ذكر من غيره ان يعرف احد سيرهما انهما يسيران وقت سيرهما الابد نقطعهما ذلك دل ان لهما منشئ وانه واحد ودل اتساقهما وجريانهما على سير واحد منذ كانا الى آخر ما يكونان ويدوران على ان منشئهما واحد عالم مدبر عرف حاجة اليهما ابدا الابد ومنافعهم بذلك وقوله عز وجل كل يجري الى اجل مسمى اي كل مما ذكر يجري الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتأخر ولا ينقطع ما كان بالخلق حاجة والله اعلم او الى منازل معلومة لا يجاوزانها وقوله عز وجل الا هو العزيز الغفار وهو العزيز بذاته لا يتعزز بما ذكر واله من الاولاد ولا بطاعة من اطاعه الغفار لمن كان له اهلا للمغفرة ما لا يخرج مغفرته اياه من الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وقال بعضهم اي يدخل احدهما على الآخر كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الآية وقال بعضهم يكور الليل على النهار اي يغشي احدهما بالآخر كقوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وقال بعضهم يكور اي يلف هذا بهذا وهو من كور العمامة ومنه قوله اذا الشمس كورت اي جمعت ولفت واصل التكوير اللف والجمع وهو قول ابو عوسجة والقتبي وقوله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ظاهر هذا انه خلقنا من تلك النفس قبل خلق زوجه منها لان حرف ثم انما هو حرف اتباع وادراك وحرف ترتيب لا حرف جمع فاذا كان كذلك فظاهره يوجب ما ذكرنا لكن اهل التاويل اختلفوا في معنى ذلك وتفسيره ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في بعض الروايات انه تاول في ذلك وقال عز وجل خلقكم من نفس كانت واحدة ثم جعل منها زوجها ادكادم ونحو هذا وعندنا ان قوله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يخرج على ظاهره لكن الخلق هو التقدير في اللغة كانه قال عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها او كلام اي قدركم جميعا على كون تكم من اول ما انشاكم الى آخر ما ينشئكم من تلك النفس الواحدة منها قدرنا وقوله عز وجل ثم جعل منها زوجها ثم اخرجنا منها من تلك النفس وزوجها والا كان تقديرو انا بامنها كان قبل زوجها منها وهو الظاهر على ظاهر ما خرج الكلام والله ثم كان من خلق ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ظاهر الانزال هو ان ينزل من علو مرتفع الى سفل ومنحدر لكن اللغة لا يمتنع عن استعمال لفظ الانزال لا على حقيقة الانتقال من علو الى سفل يقال نزل فلان بارض او بمكان كذا او ببلد كذا وان لم يكن هناك منه نزول منه علو الى سفل وسفل فعلى ذلك هذا واصله كل حرف من حرف الانزال وغيره مما اضيف الى الله عز وجل مما يستقيم صرفه الى الخلقة ان المراد منه خلقه نحو قوله عز وجل قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وانزلنا الحديد فيه باس شديد وغير ذلك مما يكثر ذكره فهو خلقنا اياه فعلى ذلك قوله عز وجل وانزل لكم من الانعام اي خلق لكم من الانعام ما ذكر على ما ذكر وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي خلق لكم ما ذكر فعلى ذلك حرف الانزال والله اعلم ثم ظاهر قوله من الانعام ثمانية ازواج يحتمل ان يكون على احد وجوه ثلاثة اما ان لا يسمى الانعام ولا يكون الا الثمانية الازواج التي ذكر انه خلقها لنا فان كان على هذا فيكون حرف من ههنا صلة كانه قال قال عز وجل وانزل او ان يسمى كل ما خلق من الدواب انعاما الا انه لم يحل لنا منها الا الثمانية الازواج التي ذكر فان كان هذا فيكون حرف من حروف تبعيض وتحرير او ان يسمى كل الدواب انعاما الا انه لم يحل لنا كل شيء منها من جميع انواع الانتفاع بها من الازواج التي ذكر فانه قد احل لنا كل شيء من هذه الاصناف الثمانية من لحومها والبانها واصوافها وكل شيء منها واما ما سوى ذلك من الانعام فانه لم يحل لنا كل شيء منها من اللحوم وغيرها ولكن احل لنا الانتفاع بظهورها من نحو الحمير والبغال وغير ذلك مما يشتهى والله اعلم ثم الثمانية الازواج التي ذكر انه خلقها لنا في هذه الآية هي التي ذكرها في سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين الى آخر ما ذكر فيشبه ان يكون ما ذكر من ثمانية الازواج انه انزل لنا في سورة الزمر التي هي احل لنا كل شيء منها واما ما سوى ذلك فانه انما احل لنا الانتفاع بها لم يحل لنا اكلها لانه ذكر في سورة الانعام الاحل ثم ذكر على اثر هذه الثمانية الازواج الابل والبقر والضان والمعز حيث قال عز وجل كلوا مما رزقكم الله ثم قال عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين الى آخر ما ذكر وهذا يدل على ان قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه انما هو مما ذكر اي لا اجد محرما من هذه الاصناف الثمانية الا ما ذكر من الدم والميتة ولحم الخنزير ثم يخرج استثناء لحم الخنزير مخرج الاستثناء غير جنس المذكور على كون ذلك الغير فيه وذلك جائز في الكلام كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والاصطياد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد فعلى ذلك الاول كانه اضمر فيه استثناء لحم الخنزير منه والله اعلم وقوله عز وجل يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال اهل التاويل تحويله من حال الى حال من نطفة الى علقة ثم الى مضغة حتى يتم خلقا مستويا في ظلمات ثلاث قيل الرحم والبطن والمشيمة وقيل الظهر يخبر عن قدرته

وعلمه

وعلمه وتدبيره انه حيث قدر على الخلق للانسان وكل خلق في تلك الظلمات الثلث والتسوية بين كل شيء منه من اليدين والرجلين والعينين والاذنين والسمعين والبصرين وقسمة الاعضاء على الاستواء حتى لا يزداد احد اليدين على الاخرى وكذلك احد الرجلين واحدى العينين واحدى الشفتين وكذلك كل شيء منه في تلك النطفة من العينين واليدين والرجلين والبصر وكل الجوارح ما لو اجتمع الحكماء جميعا وحكماء البشر لم يعرفوا كون شيء من الجوارح والنفس وتقديرها من تلك النطفة وتصويرها منها ليعلم انه قادر على خلق الاشياء من شيء ومن لا شيء وبسبب وبغير سبب جعل من الاسباب لبعض الاشياء لم يجعلها اسبابا له منه بها على انشاء ذلك وان من قدر على تقدير ما ذكر وتصويره في الظلمات التي ذكر على السبيل التي ذكر فانه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء يحتج عليهم لانكارهم البعث وانكارهم بعث الرسل والحجج يخبران من فعل ما ذكر من تغييرهم من حال الى حال وتحويلهم من صورة الى صورة اخرى انه لا يفعل ذلك ليتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهيهم ولا يمتحنهم لا يحل ان لا يعينهم ليجزي المسيء منهم والعاصي جزاء الاساءة والعصيان والمحسن منهم والمطيع جزاء الاحسان والطاعة ان قد سوى بينهم في هذه الدار وفي الحكمة والعقل والتفريق بينهما فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك يحتمل ذلكم الله ربكم اي ذلكم الله الذي ذكر من تقديركم وتصويركم في ظلمات تلك النطفة هو ربكم الذي فعل ذلك وان يكون قوله عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك اي جميع ما ذكر من قوله عز وجل خلق السموات يكور الليل على النهار وما ذكر من تسخير الشمس والقمر وجريانهما على سنن واحد وعلى قدر واحد وما ذكر من خلقنا جميعا من تلك النفس الواحدة الى آخر ما ذكر يقول ذلكم الله الذي فعل كله هو ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون اي فانى تصرفون عبادتكم الى غيره او فانى تصرفون الوهيته وربوبيته الى غيره ويجعلون له شركاء واعدالا وقد تعلمون ان الذي فعل ذلك كله هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا مثل او يذكر انما ذكر من النعم التي اعطاكم واسدى اليكم هو ربكم الذي خلقكم فكيف تصرفون شكرها الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم روي عن ابن عباس انه قال ان تكفروا فان الله غني عنكم اي تكفرون دين الله الاسلام ولم يسلموا فانه لا يقبل منكم وان تشكروا اي تسلموا يرضه لكم اي يقبل منكم كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال غيره ان تكفروا دينه فان الله غني عن عبادتكم وان تشكروا اي توحدوه يرضه لكم مثل الاول ويحتمل ان يكون قوله ان تكفروا النعم التي عددها عليكم فيما تقدم ذكرها من قوله خلق السموات والارض يكور الليل على النهار وقوله وانزل لكم من الانعام الى آخر ما ذكر من النعم يقول ان تكفروا هذه النعم التي عددها عليكم فانه غني عنكم وان تشكروا ما عدد عليكم من النعم يقبل ذلك منكم والله اعلم واصله ان الله عز وجل بين سبيل الهدى ورغبهم اليه وبين سبيل الضلال وحذرهم عنه ثم بين ان من سلك سبيل الهدى فله كذا ومن سلك سبيل الضلال فله كذا افضاه الى كذا او ان يقول ان من سلك سبيل الهدى يرضى بنفسه عاقبة السبيل الذي سلك فيه كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ومن سلك سبيل الضلال والكفر يمقت ذلك السبيل في العاقبة كقوله عز وجل ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اخبر انهم يمقتون انفسهم اذا يودوا وعرفوا انهم حطوا الطريق وبالله العصمة وذكر في حرف عبد الله بن مسعود والله يكفر لعباده الكفر وقوله وان تشكروا يرضه عنكم وكذلك ذكر انه في حرف ابي وحفصة خاصة واصل قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم اخبار انه لم يامركم فيما امركم به ولا نهاكم عما نهاكم عنه لحاجة نفسه او لمنفعة له في ذلك ولكن انما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعتكم ولدفع الضرر عنكم وكذلك ما انشا من الانشاء لم ينشئها لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن انما انشاها لكم ولنافعكم وكذلك يقول لم ينشئ لانفسها حتى اذا اتلف شيئا منها عوضها لها على ما تقول المعتزلة انه ليس لله ان يتلفها الا ان يعطيها لها عوضا باذاء ذلك ولكن انشاءها للبشر ولم يعوض من تلف شيئا منها والله اعلم وقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ذكر هذا والله اعلم جوابا لقولهم حيث قال عز وجل وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الآية اخبر ان لا احد يحمل وزر اخرى ولكن يحمل وزر نفسه والثاني يخبر ان امر الآخرة على خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يحمل بعض اثام بعض ويؤاخذ بعض فاما في الآخرة فانه لا يحمل احد وزر آخر ولا اثامه والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم الآية خص البعث بالرجوع اليه مرة وبالمصير ثانيا والبروز له ونحو ذلك وان كانوا في جميع الاحوال راجعين اليه صائرين لان المقصود من انشائهم في هذه الدنيا ذلك البعث فخص لذلك رجوعا اليه والله اعلم وقوله عز وجل انه عليم بذات الصدور قال اهل التاويل انه عليم بما في الصدور وعندنا عليم بكل ما يصدر من الخير والشر وذكر بذات الصدور لان اصحاب الصدور هم يصدرون ويبطنون في صدورهم وقوله عز وجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل اخبر الله الخلق ما كان من عادة الكفرة في غير اي من القرآن انهم كانوا يخلصون الدين لله ويتضرعون اليه اذا مسهم بلاء او شدة اذا ركبوا وكان لهم خوف الهلاك في ذلك وفزع كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية وغير ذلك من الآيات وكذلك كل بلاء وشدة اصابهم فزع

الى الله عز وجل ويتضرعوا اليه ويوحدوه ثم اذا كشف الضر عاد والى ما كانوا من قبل وقوله نسي ما كان يدعوا اليه من قبل يحتمل قوله
نسي اي لا يملك الاصنام التي عبدوها دفع ذلك عنهم ولا كشفه او نسي انه لا ينفع شفاعتهم اياهم ونحوه كقوله عز وجل واذا
مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اي نسوا ما علموا من عجز الاصنام ونحوه وقوله عز وجل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله
كان الاشد في الرؤساء منهم جعلوا اندادا ليضل الناس عن سبيله بدل عن ذلك قل تمتع بكفرك قليلا في الدنيا انك من اصحاب
النار ذكر انه من اصحاب النار لما علم انه يختم على الكفر والله اعلم ثم الحكمة في ذلك هذا وامثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل
وجوه احدها يصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سوء معاملتهم اياه كما حكم عن سوء معاملتهم ولم يستأصلهم على اثر ذلك
وذلك اعظم في العقل او يخبر الاواخر عن سوء معاملتهم ربهم ليحذروا عن مثل معاملتهم ربهم او يخبر عن حلمه ان كيف منهم
فاعلم انت والله اعلم وقرئ ليضل وليضل فيه ثلاث لغات وقوله عز وجل امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة
ويرجو رحمة ربه قال بعضهم هذه الاية صلة ما تقدم من قوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة
منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله يقول الذي تضرع الى الله واخلص دينه له ونسي ذلك
وتكبر اذا خوله نعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله كالذي هو قانت اي مطيع لله اناء الليل والنهار يحذر عذابه ويرجوا
رحمته ليسا بسواء عندكم الذي اطاع الله في جميع اوقاته حاذر تقصيره في ذلك راجع رحمته لطاعته والذي عصى ربه
ولم يعطه فاذا عرفتم انهما ليسا بسواء ثم رايتم انهما قد استويا في نعم هذه الدار وسعتها وشدائدها وفي الحكمة التفريق
بينهما فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما فيها يثاب المحسن المطيع جزاء احسانه وطاعته ويعاقب الكافر الظالم جزاء كفره
وظلمه والله اعلم ومنهم من يجعل لهذه الاية مقابل لكنه يقول مقابلها ليس الاول ولكن لم يذكر لها مقابل ويقول على ما
عرفتم انه لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم فعلى ذلك لا يستوي الذي اطاع ربه اناء الليل واجهد نفسه في عبادة ربه
والذي عصى ربه وكفر نعمه وقد ظهر الاستواء بينهما في هذه الدنيا لا من التفريق بينهما دار اخرى ولو لم يكن دار اخرى فيها
تفريق وتمييز لكان خلق هذا العالم على ما كان باطلا سفها غير حكمة والله اعلم وقوله يحذر الاخرة اي يحذر عذاب الاخرة
وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قرا يحذر عذاب الاخرة وقوله ويرجوا رحمة ربه دلت الاية على ان المؤمن يجب
ان يكون بين الرجاء والحذر ويرجو رحمته لا عمله ويحذر عذابه لتقصيره في عمله ثم الرجا اذا جاوز حده يكون
امنا وقد قال الله عز وجل فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والخوف اذا جاوز حده يكون ياسا وقد قال الله عز
وجل لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويجب ان يكون المؤمن كما ذكر عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا
رغبا ورهبا لا يجاوز احدهما وجاوزه يكون وقوله عز وجل ويرجون رحمة ربه انه جنته على ما سمي الجنة رحمة في غير موضع
لما رحمته ينال هي والله اعلم وقوله عز وجل هل يستوي الذين يعلمون في معرفة نعم الله والقيام بشكرها والحذر عن عصيانه وعذابه وقوله
والذين لا يعلمون في كل ذلك جوابه يقال لا يستوي الذين لا يعلمون وعموما قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله عز
وجل انما يتذكر اولوا الالباب انما يتذكر بمواعظ الله اولوا العقول والبصر والمعرفة والله اعلم وقوله اناء الليل اي ساعات الليل
وقانت اي مطيع واصل القنوت هو الطاعة وقيل القنوت القيام وهو القيام في الطاعة والله اعلم وفي قوله يحذر الاخرة و
يرجوا رحمة ربه دلالة جواز الرجاء لانه لم يقطع على احدهما دون الاخر وكذلك في قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا و
في قوله رغبا ورهبا وفي القطع على احدهما كفر على ما ذكرنا من قوله فلا يامن مكر الله ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
اذ المجاوزة في الخوف اياس والمجاوزة في حد الرجاء امن وقد ذكرنا انه كفر وقوله قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم يحتمل قوله
اتقوا ربكم وجوها اتقوا سخط ربكم او اتقوا نقمة ربكم او اتقوا مخالفة ربكم ونحوه واصل التقى ما تهلكون اي اتقوا مهالككم والله
اعلم وقوله عز وجل للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قال عامة اهل التاويل للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة لهم في الاخرة و
جايز ان يكون لهم الحسنة في الدنيا والاخرة حسنة ولدار الاخرة خير الاية وكقوله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله من بعد
ما ظلموا لنبوئنهم في هذه الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر ثم يحتمل الحسنة وجوها احدها استغفار الملائكة لهم والانبياء عليهم السلام
لان الله عز وجل امتحن الملائكة على استغفار المؤمنين والمؤمنات كقوله ويستغفرون لمن في الارض وكذلك امتحن رسله بالاستغفار
للمؤمنين وكذلك المؤمنين يستغفر بعضهم لبعض ونحوه وقوله عز وجل وارض الله واسعة ذكر هذا والله اعلم لان من امن منهم بمكة
كانوا يظهرون من المنافقين لاعدائهم ويتقونه فيما بينهم وكان لهم اسباب التعيش في بلادهم ولم يكن لهم ملك في بلاد غيرهم فخافوا الضياع
انهم خرجوا من بلادهم فيها خرجوا منها الى غير بلادهم فيمتنعون عن ذلك فجاءت الاية على الترجي والاطماع لهم بمثل ذلك التعيش واسباب
في غير ذلك البلد وهو ما ذكر في اية اخرى وهو قوله ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها لم يعذروا في تركهم الهجرة واظهارهم الموافقة للاعداء لهم طاقة وسبع التحول من بلادهم الى
بلاد غيرهم الا من لم يكن به طاقة الخروج من بينهم وهم الذين استثناهم وهو قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والله اعلم وقوله

انما

انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب يحتمل قوله بغير حساب وجوها احدها بغير حساب اي بغير تبعة ولا تبن به كقوله
من يرزق من يشاء بغير حساب اي لا يحاسبون لما ليس وراء تلك الدار الاخرة دار اخرى يحاسبون فيها ما اعطوا في الاخرة ليس كدار
الدنيا يحاسب ما اوتوا فيها في الاخرة واما ما اعطوا في الاخرة فلا يحاسبون في غيرها ويحتمل بغير حساب اي مقدر بالحساب ولكن
اضعافا مضاعفة ويحتمل بغير حساب اي بلا نهاية ولا غاية والله اعلم ثم الصبر هو حبس النفس اما على ما امر به والانتهاء عما نهى الله
عنه او حبسها وكفها في احتمال ما حلت من الشدايد والمصايب والمحن العظام احتملوا ذلك ولم يجزعوا وهو ما ذكر في غير اي من القران
ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ونحوه وقوله عز وجل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت
لان اكون اول المسلمين يحتمل ان يكون قال هذا لما ان اهل مكة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم ودين ابايهم وكانوا يطمعون
عوده اليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين لان اكون اول المسلمين ذكر هاهنا انه امر ان يعبد الله
مخلصا له الدين وقال في اية اخرى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله الاية وقال في اية اخرى قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا
الاية اخبر انه لو اتبع اهواءهم فيما هم فيه يضل اذا وكان من المهتدين ذكر في هذه الايات النهي وترك اتباع اهوائهم ولم يذكر الامر فيها
الامر فيها الامر بعبادة الله تعالى مخلصا له الدين او ان يقول اني انا امرتكم بعبادة الله امرت ايضا في نفسي ان اعبده مخلصا انا
لكن بامر غيري شيئا ولا يا ... او هو غيرها امر بذلك وهو ما قال وامرت لان اكون من المسلمين اي يقول الست انا كالملوك يامرون
اتباعهم باشيا ويستعلون في امورهم لا يستعملون ذلك لانفسهم والله اعلم وقوله عز وجل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
الخوف هاهنا ليس هو حقيقة الخوف ولكن العلم كانه قال اني اعلم ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فايسهم الله بالمدينة عن عوده
الى دينهم وقطع طمعهم عنه وهو ما قال عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فاما ما داموا بمكة فانهم كانوا طامعين في ذلك حتى
فيه والله اعلم وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم ايه يخرج هذا الحرف مخرج التهدد والوعيد يقول اما انا فاعبد
اعبد الله الحق وله اخلص ديني فاعبدوا انتم ما شئتم فانه يجزيكم جزاء عبادتكم كقوله تعالى اعملوا ما شئتم الاية وذلك معروف في
كلام الناس يقول الرجل اعمل ما شئت وقل ما شئت فانك تجزى كما تعمل على الوعيد له فعلى ذلك قوله عز وجل فاعبدوا ما شئتم من دونه
والله اعلم ويحتمل وجها اخر لا على الوعيد ولكن يقول قد بينت لكم واوضحت السبيلين جميعا بالايات والحجج سبيل النجاة الذي اذا
سلكتموه نجوتم وهو سبيل الله وسبيل الهلاك الذي اذا سلكتموه هلكتم وهو سبيل الشيطان فان اردتم النجاة فاسلكوا سبيل كذا
وان اردتم سبيل الهلاك فاسلكوا سبيل كذا والله اعلم ثم قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة كانه كا امرهم
ان يقوا انفسهم واهليهم النار وقال عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا ليكون لهم انفسهم واهليهم يوم القيامة ويسلم لهم ذلك و
قد مكن لهم ذلك وهلكوا فتركوا ذلك ولم يقوها ولا اهليهم النار فعند ذلك خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو
الخسران المبين الا عند ذلك يتبين لهم انهم خسروا انفسهم واهليهم وانهم قد امروا بالسعي للاخرة والعمل لها وعدوا اذا سعوا
لها وعملوا النجاة في الاخرة الدايمة والاهل في الجنة واذا لم يسعوا لها ولم يعملوا خسروا انفسهم واهل الذين وعدوا فيها اذا سعوا و
هلكوا انفسهم الا ذلك هو الخسران الا هنالك يتبين لهم انهم خسروا خسرانا بينا والله اعلم وقوله عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار و
من تحتهم ظلل ان يكون ما كان تحتهم من النار ان يوصف بالظلل لا بالظلل كقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ذلك يخوف الله به عباده والله اعلم لكن يجاين
ان يكون الظلل الذي تحتهم هي ظلل لمن تحتهم وهي لاولئك الذين فوقهم مهاد والذين ليس تحتهم احد مهاد النار والله اعلم
لان النار دركات واطباق فيكون كل طبقة لمن تحتها ظلل ولمن فوقها مهاد على ما ذكرنا وقوله عز وجل ذلك يخوف الله به
عباده او ذلك الذي ذكر في القران من المواعيد يخوف الله عباده يا عباد فاتقون اتقوا سخط الله ونقمته او اتقوا مخالفة الله و
او اتقوا المهالك وقوله عز وجل والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها اختلف في الطاغوت قال بعضهم هو الشيطان اي
اجتنبوا ان يامروه واطاعوه وقال بعضهم الطاغوت هم الكهنة كانوا ياتون الكهنة فيخبرونهم باموره فيعملون بقولهم فيهم
يقول اي اجتنبوا من ان يطيعوا الكهنة في امرهم ونهيهم وقال بعضهم كل معبود دون الله فهو طاغوت وهو من الطغيان و
هو المجاوزة عن الحد لله وقوله عز وجل وانابوا الى الله اقبلوا ورجعوا الى ما امرهم الله به او رجعوا الى ما به طاعتهم وتركوا ما به
مخالفته وانتهوا عن مناهيه والانابة الى الله هي الرجوع اليه والى ما به طاعته والله اعلم وقوله عز وجل لهم البشرى وهو ما ذكر في
قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فعلى ما ذكر لهؤلاء من البشرى لهم في الدنيا
وفي الاخرة لانهم اولياء الله وقوله فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اختلف فيه قال بعضهم الذين يستمعون
كلام الناس من الخير والشر والحسن والقبيح فيتبعون الحسنة اي يروون ويحكون منه ما هو خير وحسن ويتركون ما هو شر وقبيح
وقال يستمعون القران وكلام الناس واحاديثهم فياخذون بالقران ويتبعونه ويتركون كلام الناس واحاديثهم فهو اتباع الاحسن
منه وهو القران وقال بعضهم يستمعون وفيه الناسخ والمنسوخ فيتبعون احسنه اي ناسخه ويعملون به ويتركون منسوخه

لا يعلمون به وقال بعضهم يستمعون القرآن وفيه الامر والنهي فيتبعون امره وينتهون عما نهى عنه والله اعلم وجائز
ان يكون قوله فيتبعون احسنه اي يتبعون الحسن منه الحسن بمعنى الحسن والله اعلم وقال فيتبعون احسن ما في
القرآن من الطاعة انه كقوله وامر قومك ياخذوا باحسنها الاية وتاويله ما ذكرنا انه اخذ وما فيه من الامر والنهي ان يرتكبوا
ما نهاهم عنه من المناهي والله اعلم وقوله اولئك هم اولو الالباب اولئك هم المنتفعون بلبهم وعقولهم حيث انتفعوا واولوا
ما انابوا الى الله وتقبلوا اليها بالتعظيم والاجلال واجتنبوا [illegible] وقوله عزوجل افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار ذكر
هنا في هذه السورة اشياء لا يعرف لها اجوبة في الظاهر الا بالتامل والاستدلال عليها من ذلك ما ذكرنا افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار كانه يقول والله اعلم افمن حق عليه العذاب مثل من لهم البشرى في الاخرة لا اثر ذكر فيما تقدم والذين
البشرى حيث قال عزوجل والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى الاية فهل يخرج جوابه افمن
وجب عليه العذاب كمن وجب له البشرى لا سواء او ان يقول افمن حق وجب عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام واو
ان يقول [illegible] كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرص على اسلام قوم احبهم [illegible] فقال هذا له على الاياس من
اسلامهم يقول افمن وجب عليه العذاب فانت تنقذ وتخلصه من النار من قد وجب عليه العذاب وهو ما قال عزوجل
انك لا تهدي من احببت وكقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين [illegible] على الاسلام لكن كان
يجب ويحرص على اسلامهم ويحزنه ان تركهم الاسلام كقوله ولا تحزن عليهم وقوله لعلك باخع نفسك وقوله فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات ويحتمل ان ذلك كان يحزنه وكادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم فيقول افمن وجب وحق عليه العذاب افانت تنقذ
[illegible]

وقيل

ونقل نبي الله وبحق وكله واحد ثم يحتمل قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فيسلم فهو على نور من ربه اي يجعل الله صدره النور
اي يجعل الله في صدره النور اذا اسلم حتى يبصر الحق ويحجه ويراهينه بصورة الحق انه حق والباطل انه باطل وانه يعرف بعض
كل شيء بذلك النور على ما هو حقيقة انه حق وباطل فياخذ الحق ويعمل به ويترك الباطل ويجتنبه والله اعلم او ان يكون قوله افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يكون نوره وهو اسلامه الذي هداه شرح صدره لنوره حتى اسلم وهو ما روي
في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكيف ينشرح فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخله
النور انشرح لذلك الصدر وانفسح له اخبر ان النور اذا دخل الصدر انشرح لذلك الصدر وانفسح له بذلك النور والله اعلم
وجائز ايضا ان يكون قوله عزوجل افمن شرح الله صدره للاسلام في الدنيا فهو على نور من ربه في الاخرة كقوله عزوجل والذين
امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم الاية والذين كفروا وطبع الله على قلوبهم فبظلم ويبقون لا يبقى في الظلمة ابدا والله
اعلم وسئلهم من قال من شرح صدره للاسلام الاسلام نفسه انا اسلم فهو على نور من ربه كتاب الله قال هذا المؤمن به ياخذ
وبه ينتهي وما سئل النبي صلى الله عليه وسلم هل لذلك اي لانشراح الصدر للاسلام علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الموت هذا في التحقيق ليس في المعاملة في العمل ولكن في الاعتقاد اي يتجافى عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود ويبقى [illegible] من الدنيا للاخرة ثم قوله افمن شرح الله صدره للاسلام يحتمل ان يكون على الاستفهام
على ما ذكر ويحتمل ان لا يكون على الاستفهام ولكن على الايجاب فان كان على هذا فهو على اسقاط الالف فمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه الاية كقوله في اية اخرى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه الاية على هذا والله اعلم وان كان على الاستفهام فلا بد ان يكون له مقابل ثم
يعرف ذلك بدليل انه جوابه ثم قال بعضهم جوابه في قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله كانه يقول ليس المنشرح صدره للاسلام
كالقاسي قلبه بالكفر وهو قول الكسائي وجائز ان يكون جوابه ومقابله ما تقدم ذكره وهو قوله افمن حق عليه كلمة الكفر الاية
كانه يقول افمن حق عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام اي ليس من وجب عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام فهو على نور
من ربه والله اعلم وقوله عزوجل الله نزل احسن الحديث يحتمل قوله عزوجل نزل احسن الحديث اي اصدقه خبرا واعدله حكما وهو ما ذكر
في اية اخرى ووصفه بالصدق والعدل حيث قال عزوجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي صدقا في خبره وعدلا في حكمه فعلى
ذلك يحتمل قوله احسن الحديث خبرا واعدله حكما والله اعلم وجائز ان يكون قوله احسن الحديث اي اتقنه واحكمه وهو متقن و
محكم وهو ما وصفه بالصدق والعدل في اية اخرى قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اخبر انه
لا ياتي القران باطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لاتقانه واحكامه والله اعلم وهو احسن الحديث لان من تامله وتفكر فيه و
تمسك به وقبله واضاء صدره وهداه سبل الخير والحق ودفع عنه الوساوس والشبهات وكل شيء واهتدى الى كل خير ودبر فهو
احسن الحديث ذا الاحديث بعد ما يقل هو ما ذكرنا وغير ذلك والله اعلم وقوله عزوجل كتابا متشابها قوله متشابها اي يشبه بعضه
بعضا لا تناقض ليس يكون بالناس وكتبهم مما يختلف ويتناقض [illegible] وخاصة فيما امتد من الاوقات وطال وبعد
مدته وهو ما ذكر افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولكونه متفقا متشابها غير مختلف
في طول نزوله وتفرق اوقاته وتباعد ايامه فالا انه الاية من عند الله نزل ومنه جاء اذ لو لم يكن من عنده لخرج مختلفا متناقضا
على ما يخرج حديث الناس وخبرهم مختلفا ومتناقضا والله اعلم وقوله عزوجل مثاني قال اهل التاويل سماه مثاني لما ثني فيه
الانباء والقصص مرة بعد مرة واصله انه سماه مثاني لانه ذكر فيه المواعظ والذكرى ذكرها في غير موضع لما لو لم يكرر ها
اغفلوا عنها وسهوا عنها لان الحكيم اذا وعظ احدا بعظة وزجره ونهى عنه ذكر عزوجل عليهم المواعظ والزواجر لئلا يكونوا
ابدا متيقظين متذكرين لذلك والله اعلم لكيلا يغفلوا عنها ولا يسهوا وقوله عزوجل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله قال اهل التاويل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عند تلاوة اية الرهبة والخوف
وتلين قلوبهم عند تلاوة اية الرحمة وجائز ان يكون ذلك في جميع القران بما فيه من الرحمة والرهبة جميعا يكون فيها المواعظ
تلين قلوبهم تقشعر جلودهم وتتجافى انفسهم لان اية الرحمة ليس باحق بتليين القلوب من اية الرهبة بل اية الرهبة احق
بذلك وقتادة يقول كان جلودهم تقشعر وعيونهم تبكي وقلوبهم مطمئنة اليه ولا يذهب عقولهم ولا يغشى عليهم كما رايتم اهل
البدع يفعلونه وانما ذلك من الشيطان وقوله عزوجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء فتبين سبيل الهدى والحق والحجة وما
وبين سبيل الضلالة والباطل فمن سلك سبيل الهدى فبتوفيقه سلك وبمعونته اهتدى ومن سلك طريق الكفر والباطل
فبخذلانه ضل وزاغ وقوله عزوجل ومن يضلل الله فما له من هاد اخبر ان من اضله الله فلا هادي له وعلى ما قال في المعيشة و
الرزق وحيث قال عزوجل ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال عزوجل في الضراء و
الخير حيث قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فلا راد لفضله ذكر في الضلال والهدى ما ذكر في

الرزق والضيق والعيش والجنس ذلك ان الله في فعلهم ومشيئتهم تدبير ليس على ما تقوله المعتزلة انه لا تدبير له في ذلك
وان من اهتدى انما يهتدي بنفسه ومن ضل وزاغ انما ذلك بنفسه لا تدبير لله في ذلك فالاية ينقض قولهم ومذهبهم و
قتادة يقول في قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وانما نعت الله اهل الايمان
فكانت تقشعر بذلك جلودهم وتبكي اعينهم وتطمئن قلوبهم ولا يذهب عقولهم منه واما ان تضرع احدهم فلم يكن وانما كان
هذا في اصحاب البدع وانما هو من الشيطان ولعمري ما كان في هذه الامة احد اعلم من نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده اصحابه
الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه ولقد سألنا من لقينا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحاب اصحابه فحدثوا ان هذا انما كان في اهل البدع وقوله عز وجل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
كانه لم يذكر مقابل هذا في هذا الموضع فجائز ان يكون مقابله ما تقدم وهو قوله افمن جعل له الغرف تجري من تحتها الانهار
كمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي هذا كهذا وان يكون مقابله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن انعم في النعيم الدائم ليس هذا
كذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن انعم في النعيم الدائم ليس هذا كذلك واحد يتقي بوجهه
سوء العذاب كمن يخرج ذكر ذلك على وجوه احدها كناية عن الشفعاء واهل النصر كانه يقول لا يكون لهم من يشفع او يملك
دفع العذاب عنهم او ان يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم بلا يد له يتقي بها سوء العذاب عن وجهه لان في الشاهد من اصابه
شيئا من العذاب يتقي ذلك العذاب عن وجهه بيده فيخبر انه لا يد له في الاخرة يتقي العذاب بها عن وجهه بل يصيب العذاب
وجهه فكانه يتقي به او ان يكون ذكر الوجه كناية عن نفسه وهو ما ذكرنا ان لا يكون له من يملك دفع العذاب عنه او ان
يكون ذكر الوجه كناية عن قلبه ان يصل وجع ذلك العذاب الى قلبه ولا يملك دفعه والله اعلم وقوله عز وجل وقيل للظالمين
ذوقوا ما كنتم تكسبون يحتمل قوله اي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون او يقول ذوقوا ما اخترتم من الكسب وهذا لما اخترتم
لانه قد بين لهم الكسبين جميعا وما يكون لكل كسب في العاقبة فاختاروا هم الكسب الذي كان عاقبته الذي اصابهم فكانهم
اختاروا ذلك الذي حل بهم باختيارهم ذلك الكسب والله اعلم وقوله عز وجل كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون ليخوفهم ويحذرهم ما نزل بالمتقدمين بتكذيبهم الرسل عليهم السلام والعناد بعد ما حذرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبعث وما حل بهم يوم القيمة بذلك فانكم تصدقونه فيما يحذركم يوم القيمة حذركم بالذي انتهى اليكم الخبر
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحذروا وقوله عز وجل من حيث لا يشعرون اي من حيث لا يأمنون العذاب اي ينزل بهم
وقوله عز وجل فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون العذاب الذي نزل بهم في الدنيا
ليس هو عذاب الكفر انما هو عذاب العناد والتعنت وافعال فعلوها في حال الكفر فهي في الاخرة ابد الابدين فيه خالدين مخلدين
فيه ولذلك قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقوله عز وجل ولقد ضربنا في هذا القرآن من كل مثل اي بينا للناس في هذا
القرآن من كل ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم اخبرهم ما لهم وما عليهم او ما لله عليهم او لبعضهم على بعض والله
اعلم وقوله عز وجل لعلهم يتذكرون هذا يحتمل وجهين احدهما لكي يلزمهم التذكر والاتعاظ والثاني لكي يلزمهم ما يتذكرون
ويحفظونه وقوله عز وجل قرآنا عربيا اي جعلناه قرآنا عربيا كقوله انا انزلناه قرآنا عربيا لكي يفقهوه ويعرفوه كقوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقوله غير ذي عوج يحتمل وجهين احدهما انه لا يخالف الكتب السالفة بل يوافق
لان الكتب الله جاءت كلها على الدعاء الى توحيد الله وربوبيته فكذلك القرآن فهو لا يخالف ساير الكتب بل يوافقها والثاني
لا عوج فيه لما لا يخالف بعضها بعضا ولا يناقض بل يخرج كله موافقا بعضه بعضه مستويا على تباعد نزوله في الاوقات و
بالله التوفيق واصله غير ذي عوج اي ليس بمايل ولا زايغ عن الحق وقوله لعلهم يتقون او يتقون المهالك او سخط الله ونقمته
وقوله عز وجل ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا اي لا يستويان يشبه
ان يكون ما ذكر من المثل الرجلين من البشر كله المسلمون والكافرون ثم يحتمل الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون اي يتشاكسون
في نسبه يدعي كل نسبه او يتشاكسون في الملك فيه يقول كل هو في او في الملك في قوم يدعي كل ان الملك له فيه او يدعي كل
ان الملك فيهم ولا يثبت لواحد منهم النسب فيه لينتسب هو الى واحد منهم فيبقى متحيرا تايها ولذلك لو يثبت لواحد منهم الملك
الذي يدعي ليطلب هذا منه النفقة وما يجب على ذي الملك من حقوق الملك فيبقى ضايعا متحيرا واذا كان الملك لرجل واحد
والنسب والملك سالم له يصل الى كل حق له ويكون محفوظا في نفسه معروفا فيكون مثل الذي فيه شركاء متشاكسون هو الذي
يعبد الشيطان او الاصنام او هوى النفس ويدعو كل شيطان الى غير الذي دعى الآخر وكذلك الهوى يدعو صاحبه مرة الى
كذا ومرة الى غير ذلك فهو كالذي فيه شركاء متشاكسون يدعي هذا وهذا والذي يعبد الله الحق الذي يثبت الوحدانية بالحجج
والآيات كالرجل السالم الواحد يكون ابدا على حاله ولحق مطيعا لله خالصا له وقوله عز وجل هل يستويان مثلا اي
هل يستوي الرجل الذي يدعي فيه شركاء متشاكسون والرجل الذي يكون لرجل واحد فيما ذكرنا اي لا يستويان وقال اهل

التأويل

التأويل هل يستويان من يعبد الهة شتى مختلفة والذي يعبد ربا واحدا وهو المؤمن وقد دل انهم قد استووا في هذه الدنيا
في الحكمة التفريق بينهما وفيه دلالة البعث وكذلك في قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
وقد استووا في هذه الدنيا دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما او في الحكمة والعقل التفريق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ذكر الحمد على اثر ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحمده على ما خصهم بالتوحيد من بين الكفار
بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم والثاني في امره ان يحمده على ما جعله سالما خالصا لم يجعل فيه شركاء متشاكسون قال ابو عوسجة
والقتبي الشركاء المتشاكسون اي يختلطون يتنازعون ويتشاحون ورجلا سالما اي خالصا ومن قرأ سلما لرجل اراد سلم
اليه فهو سلم ثم قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم يحتمل الانبياء منهم والخواص كقوله انما يخشى الله من عباده
العلماء وجايز ان يكون اراد جميع المؤمنين وكذلك ذكر في حرف ابي وابن مسعود تقشعر منه جلود الذين يؤمنون ربهم ثم
تطمئن جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال بعضهم في قوله عز وجل يتقي بوجهه سوء العذاب يقول والله اعلم ليس الضال الذي يتقي
النار بوجهه كالمهتدي الذي لا يصل النار الى وجهه يسا بسوا على ما ذكرنا وقوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون وقد ذكر هذا
على اثر ما تقدم من قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما هل يستويان مثلا وقد استووا في هذه الدنيا من
خلص نفسه ودينه لله والرسول صلى الله عليه وسلم ومن جعل فيه شركاء ولم يسلم نفسه له وهو الكافر ثم يموت انت ويموتون ثم لو
لم يكن دار اخرى يميز فيها ويفرق بين الذي جعل نفسه سلما لله خالصا له وبين من لم يفعل ذلك لكان في ذلك استواء بين من ذكر و
في الحكمة ان لا استواء بينهما وتدبيرون السالم نفسه لله ويموت الاخرة لان في ذلك بعث يثاب هذا ويعاقب الآخر والله اعلم او ان
يذكر هذا لما كانوا يتشاءمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به فيما يصيبهم من المصايب والشدايد حتى قال عز وجل افاين مت
فهم الخالدون اي لا يخلدون فعلى ذلك يقول عز وجل انك ميت وانهم ميتون ايضا اي لا يبقون هم بعد موتك ابدا ولكنهم يموتون
ولو كان ما يصيبهم بك انت على ما يزعمون هم فيتطيرون لا يصيبهم بعد موتك نحو هذا يحتمل والله اعلم او ان يقول انك ميت فيصل
الى ما وعد ذلك من الكرامات والثواب ويموتون هم فيصلون الى ما وعدوا من المواعيد والعقوبات والله اعلم ثم قوله عز وجل
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وروى عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنا لا نعلم ما تفسير هذه الاية وكنا نقول من يخاصم فلما
وقعت الفتنة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كفح بعضنا وجوه بعض بالسيوف عرفنا انها نزلت فينا وذكر عن الزبير
لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله انكر وعلينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا الشديد وروى
عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لما نزلت هذه الاية انهم قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه ظلما
وعدوا ما علموا انها لهم وفيهم والله اعلم ثم خصومتهم هذه يوم القيمة يحتمل وجهين احدهما في المظالم في الحقوق التي كانت لبعض
على بعض او في الدين امر الدين او ان يكون قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون لما بلغت
الحاجة غايتها في الدين والدنيا ولم يجمع وتناولها اخبر انهم يختصمون في ذلك يوم القيمة في الوقت الذي يعاينون العذاب ويظهر
لهم الحق فينقادون لها في ذلك الوقت فلا ينفعهم ذلك والله اعلم وفي حرف ابن مسعود انك مايت وانهم مايتون والعرب يقول
لمات يمات فهو مايت وقوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه يقول لا اظلم اعظم ولا افحش ما يكذب على
من يتقلب في احسانه ويتصرف في نعمايه وانتم تتقلبون في نعم الله وانواع احسانه فلا ظلم ولا افحش من الكذب عليه والكذب بالصدق
اذ جاءه ولا ظلم اعظم ولا افحش من يكذب بخبره ورده اذ لا خبر اصدق من خبره ولا حديث من حديثه وقوله عز وجل اليس في جهنم
مثوى للكافرين كانه يقول اليس جهنم كان للكافرين مثوى كقوله عز وجل حسبهم جهنم يصلونها اي حسبهم جهنم عقوبة لهم بكفرهم
وتكذيبهم والله اعلم وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اختلف اهل التأويل فيه قال بعضهم والذي جاء بالصدق جبريل
عليه السلام والمصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم والذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق ابو بكر صديق رضي الله
عنه وقال بعضهم والذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه جميعا فلنا اهل التأويل على اختلافهم اتفقوا ان الذي
جاء به جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام هو التوحيد وان كان التأويل ما ذكر اهل التأويل وعلى ذلك قوله ذلك جزاء
المحسنين اي الموحدين ففيه نقض قول الخوارج والمعتزلة لان صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وانه يخلد في النار لانه قال والذي جاء
بالصدق وصدق به وكل مرتكب الكبيرة مصدق بالذي جاء به جبريل عليه السلام ومحمد صلوات الله عليه ثم اخبر انهم هم المتقون
اي اتقوا الشرك وقال لا ولكنا يسا ام يكفر عنهم ما ارتكبوا من المساوي هو قوله ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا دل ان لهم مساوي
ثم ان شاء عاقب على تلك المساوي ذكر ثم اعطاهم ما وعد وان شاء عفا عنهم ويجازي واعطاهم ما ذكر فكيف ما كان فلهم ما ذكر
ذم على تصديق ما جاء محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل والذي جاء بالصدق وصدق به يحتمل وجهين
احدهما صدق بقلبه اي جاء بالقول وصدق بالقلب والثاني صدق به في المعاملة في الخبايا وكل ما يصلح ولا يوافق الذي جاء به
وعلى ذلك ذكر عن الحسن قال يا ابن ادم قلت لا اله الا الله صدقها فان كان الفعل هذا فهو اشد لكنه وان لم يعامل الذي يوافق الذكر

جاء به وهو التوحيد لم يجتنب ما ذكرنا فان له ما ذكرنا بعد العفو والله اعلم وقوله لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
دل هذا ان ذلك انما لو عد الجماعة ليس لواحد ولا لاثنين وهو لجميع المؤمنين وقوله عز وجل ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون ذكر نوعين من العمل السيء والحسن ثم اخبر انه يكفر عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم باحسن
فيحتمل الاحسن الحسنات نفسها يجزيها ويكفر السيئات واعظمها ويجزي على احسن الحسنات واعظمها فعلى هذا الاحسن والاسوأ
من نوعها احسن الحسنات واسوأ السيئات وعلى الاول من غير نوعها اي يكفر السيئات ويجزي بالحسنات والله اعلم وقوله
عز وجل اليس الله بكاف عبده وعباده ايضا الاية يحتج بها على اثبات الرسالة وكذلك قوله فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو و
كذلك قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ونحو ذلك وامثاله كثيرة لانه بعثه وحده لا عون
معه ولا ناصر له من البشر رسولا الى الاعداء وكان يقرع اسماعهم هذه الايات التي ذكرنا وغير ذلك من قوله ثم كيدون فلا تنظرون
ثم لم يقدروا على اهلاكه بل عصمه من كيدهم ومكرهم على ما قال والله يعصمك من الناس فبلغ اليهم ما امر بتبليغه من غير ان قدروا
على ما قصدوا به وذلك لطف من الله عظيم ودلالة على اثبات الرسالة ثم قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده وان خرج مخرج الاستفهام
في الظاهر فهو في الحقيقة على الايجاب والتقرير لانهم كانوا يعلمون ان الله عز وجل هو الكافي الخلقة من ذلك انهم اذا سئلوا من خلق
السموات والارض قالوا الله واذا سئلوا من يرزقكم قالوا الله ومن انزل من السماء ماء ومن اخرج من الارض النبات ونحو ذلك قالوا
الله فعلى ذلك قوله اليس الله بكاف عبده اي تعلمون ان الله هو الكافي جميع خلقه في الدفع والدرء عنهم والنصر لهم فاذ عرفتم ذلك
فكيف تخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي تخوفونه والله اعلم وقوله عز وجل ويخوفونك بالذين من دونه اختلف فيه قال
بعضهم يا اهل الارض جميعا يقولون له ان العرب يفعل بك كذا ويعملون بك كذا فكانوا يخوفونه بهم وقال بعضهم كانوا يخوفونه
بالاصنام التي كانوا يعبدونها ان يصيبه سوء واذى من ناحيتها كقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وكان هذا
اشبه بالاية لانه ذكر على اثر ذلك وعقيبه الاصنام حيث قال عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته هذا يدل ان ما ذكر من تخويفهم اياه انما كان الاصنام التي كانوا
يعبدونها وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اخبر انه اذا اراد هداية احدكم لم يملك احد
ضلاله وان اراد ضلال احد لم يقدر احد على هدايته ذكر في الدين ان لا احد يملك دفع من اراد من هدى او ضلال ولا منعه
على ذلك على ما ذكر في الرزق واسباب العيش وعلى ما ذكر في الانفس وحفظها حيث قال ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له وقال في الانفس ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قد
اجمعوا في ذلك في الرزق والعيش وضر الانفس وحفظها ان لا احد يملك دفع ما اراد هو فعلى ذلك في الدين لان الذكر
خرج في الكل على مخرج واحد وذلك على المعتزلة لقولهم ان الله تعالى قد اراد هداية كل احد وبصر كل ولي ولكن غير منعه
عن ذلك فهو وحش من القول وسمج وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل اليس الله بعزيز ذي انتقام هو على الايجاب و
التقرير اي يعلمون انه عزيز ذو انتقام اي عزيز لا يعجزه شيء ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قد علموا ان لا خالق دونه وانه لا يملك احد سواه كشف ما اراد هو من الضر باحد ولا امساك ما اراد من
الرحمة باحد ولذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا الى من عبدوهم من دونه من الاصنام ولا الى احد من الخلائق دل
ذلك على انهم قد عرفوا ان ذلك لا ينال من غيره ولذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا احتج عليهم بالحجج
ولو لم يكونوا علموا بذلك لم يكن يحتج عليهم بذلك ما ينكرونه والله اعلم وقوله عز وجل قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون في قوله
حسبي الله ما ذكرنا من اللطف والدلالة على اثبات الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل
فسوف تعلمون هذا يحتمل وجهين احدهما على الاياس منهم انهم لا يؤمنون ولا يجيبونه الى ما دعوا اليه بعد ما قام عليهم
الحجج والبراهين كانه يقول اثبتوا انتم على دينكم واعملوا له ونثبت نحن على ديننا ونعمل له فسوف تعلمون انا على الحق نحن
[illegible]

ما ادعى له ومن هذا اخرج في ذلك فلا يحصل له من ذلك فالله اعلم بذلك وقوله عز وجل من ياتيه عذاب يخزيه جائز ان يكون
ذلك العذاب الذي ياتيه هو عذاب في الدنيا من نحو القتل والتعذيب بالدنيا خلاف الاولين الماضين [illegible]
ويحل عليه عذاب مقيم في الاخرة وهو عذاب الكفر والى ذلك ذهب بعض اهل التاويل وجائز ان يكون ذلك كله في الاخرة
والله اعلم وقوله عز وجل انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق هذا كانه والله اعلم انا انزلنا عليك لتحكم بين الناس بالعدل على
ما ذكر في اية اخرى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس فعلى ذلك هذا ويكون قوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها امتحن الله عز وجل البشر دارا مميزا بين الخبيث والطيب وبين الحسن والقبيح وبين ما لهم وما عليهم وبين السبيلين
جميعا غاية البيان واوضح كل سبيل نهاية الايضاح من سلكه انه الى ماذا يفضي ويهتدي ثم امتحنهم في ذلك ومكنهم من السلوك
في كل واحد من السبيلين بعد البيان منه انه من سلك سبيله كذا افضاه الى كذا ومن سلك سبيل كذا افضاه الى كذا امتحانا
منه ثم اخبر انه انما امتحنهم لا لمنفعة ترجع اليه او مضرة يدفع عن نفسه ولكن انما امتحنهم لمنفعة ترجع اليهم اذا
اختاروا وتركوا سلوك سبيل الباطل وهو ما ذكر في غيره من القرآن احدها هذا حيث قال فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها والثاني بما قال عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اي فعليها وغير ذلك من الايات التي بين انه
انما امتحنهم لمنفعة انفسهم واكتساب الخير الدائم لهم ثم قوله وما انت عليهم بوكيل يحتمل ليس عليك الا
تبليغ ما ارسلت وامرت بتبليغه اليهم كقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله وما ارسلناك عليهم حفيظا والوكيل هو الحفيظ والله
اعلم وقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها الى اخر ما ذكر قال ابن عباس كل نفس لها سبب يجري فيه فالتي قضى عليها الموت
فيجري في الجسد كله لكن لم ينفعه هذا ذكر ابن عباس في تاويل الاية وعن سعيد بن جبير قال يجمع بين ارواح الاحياء وبين ارواح
الاموات فيتعارف ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها فهذا ايضا لم ينفعهم
شيء من تاويل الاية وقال الكلبي النائم متوفى حين يرد الله اليه فاما التي يتوفاها حين موتها فانه يقبض الروح والنفس جميعا
ويرسل التي يتوفاها في منامها حتى يبلغ اجلها المسمى وهو الموت ويقال انما يقبض الله من النائم النفس والروح في الجسد له
بخار ثم فاذا قبض الروح ذهبت النفس مع الروح وهذا ذكر الكلبي في باب التاويل لا يبين ان الذي ذكروا ولكن واصله ان الله
عز وجل جعل في الاجساد اشياء وحياتها ويحيي الاجساد في حال نومها على الهيئة التي كانت من قبل ليس بها اثر الموت لكنها لا يدرك
شيئا ولا يسمع ولا يدرك ولا يبصر ولا يعقل شيئا وبها اثار الحيوة بدلنا هذا على انها في حال النوم قد ذهب منها وخرج ما
يدرك الاشياء وبقي منها ما به يحيى وهو الروح فاذا خرج الروح منها وان كانت لا يدرك شيئا على الهيئة التي كانت من قبل
دل ذلك على ان الذي يدرك الاشياء غير الذي به يحيى والله اعلم الا يرى انها في حال النوم تلك الانفس الدراكة حيث كانت
تتالم وتتلذذ بقضاء الشهوات وهي في اقصى الدنيا هذا كله يدل على ما ذكرنا والله اعلم ثم على هذا جائز ان يكون ما ذكر من عذاب
القبر انه انما يكون على تلك الانفس الدراكة لا على الروح على ما ذكرنا من تالمها وتلذذها بعد خروجها من الاجساد ومفارقتها
منها والله اعلم ثم اضاف في هذه الاية التوفي الى الله وفي اية اخرى اضافه الى الرسل حيث قال عز وجل توفته رسلنا الاية و
اضافه مرة الى ملك الموت حيث قال عز وجل قل يتوفاكم ملك الموت الاية ثم يحتمل اضافة التوفي الى الرسل والى ملك الموت
وجهين احدهما وان كان حقيقة التوفي والموت بالله لما يخلق فعل قبضهم الروح منها ونسبه ذلك منهم وهو كما ذكر
من البشرى لهم وطمانينة القلوب عند بعثه اليهم الملائكة بالاعانة لهم والنصر حيث قال عز وجل وما جعله الله الا بشرى
لكم ولتطمئن قلوبكم به قال عز وجل وما النصر الا من عند الله اخبر انه جعل لهم بعث الملائكة بشارة النصر وان حقيقة
النصر ليس من عند الله فعلى ذلك ما ذكر من اضافة التوفي الى الرسل لما يخلق فعل قبضهم الروح وكان حقيقة ذلك لله
عز وجل والله اعلم والبشارة ان يكون من الله لطف في ذلك ومعنى لا يكون ذلك منهم لكنه لم يبين ما ذلك اللطف وذلك
المعنى الذي يكون منه والله اعلم بذلك ثم قوله يتوفى الانفس حين موتها اي حين خلق موتها بقبض الروح منها وقوله
عز وجل والتي لم تمت في منامها لم يقبض منها الروح يرسل اليه النفس الدراكة الى الاجل الذي جعل لها والله اعلم وقوله
يتوفى الانفس جائز ان يكون من القبض اي يقبض الانفس وجائز ان يكون من العد كقوله انما نعد لهم عدا وقوله ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون يحتمل قوله الايات الحجج والاعلام اي الحجج وقوله عز وجل لقوم يتفكرون ويعقلون ان من قدر
على استخراج تلك الانفس الدراكة من الاجساد والابقاء بها على الهيئة التي كانت الى الوقت لا يدرك شيئا ثم ردها اليها
واعادتها على ما كانت قادر بذاته لا يعجزه شيء ومن قدر على انشاء النفس الدراكة في الاجساد حتى يدرك بها لا يحتمل ان
يعجز عن اعادة الاجساد بعد ما بليت وفنيت وذلك اللطف من هذا واكبر لان الناس قد يتكلفون تصوير صور لا نفس
ظاهرها ولا احد يتكلف تصوير نفس دراكة من غيرها والله اعلم وقوله عز وجل ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو

فيما تقدم في غير موضع ان حرف الاستفهام والشك اذا اضيف الى الله عز وجل فهو على الايجاب والالزام ثم قال بعض اهل
التاويل في قوله عز وجل ام اتخذوا من دون الله شفعاء هم الملائكة الذين عبدوها حكينا بعينه لا بد قال الله عز وجل في ذلك
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون والملائكة اهل العقل والعلم وانهم يملكون ذلك اذا جعل لهم وملكوا لكن الاية في
الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله على رجاء ان يشفع لهم ويقرب عبادتهم اياها الى الله زلفى لقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو اشبه بالاصنام التي كانوا يعبدونها من الملائكة والله اعلم ثم قوله ام
اتخذوا من دون الله شفعاء يخرج على وجهين احدهما بل اتخذوا بعبادة من عبدوه من دون الله شفعاء لانفسهم ولا يكونون
شفعاء لهم ولا يملكون ذلك ولا يعقل والثاني بل اتخذوا لانفسهم من دون الله شفعاء ولا يملك احد جعل الشفاعة لاحد
من دون الله الا من جعل الله له الشفاعة ولا يجعل الله لاحد الشفاعة الا من كان عند الله عهدا ومن ارتضى له الشفاعة كقوله
عز وجل لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يدل على هذا قوله حيث قال اولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا هو ما ذكرنا هو المالك الشفاعة جميعا لا يملك احد سواه الا من جعل
الله له الشفاعة او تعني له فاما ان يملك احد سواه اتخاذ الشفاعة لنفسه او جعل الشفعاء لنفسه فلا والله اعلم وقوله
عز وجل ثم اليه ترجعون في البعث وترجعون الى ما اعد الله لهم والله اعلم وقوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا
يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قال بعض اهل التاويل اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الله عز
في القران اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي نفرت كقوله عز وجل في بني اسرائيل واذا ذكرت ربك في القران وحده
ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا من دونه من الالهة كقوله في سورة النجم حيث قال افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والقى الشيطان في فمه تلك الغرانيق العلى عندها ترتجى ففرح الكفار حين سمعوا ان لها
شفاعة الى هذا يذهب مقاتل وغيره لكن ليس كذا وغير هذا كانه اولى به واقرب وهو ان قوله عز وجل واذا ذكر الله وحده
اشمازت اي اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الله والوهيته اذ ذكر هذا اهل التوحيد وهذا الالوهية لمن عبدوا دونه
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون اي نفرت وانكرت كقولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله عز وجل واذا ذكر الذين
من دونه واذا ذكر اهل الكفر الذين عبدوا من دونه عبادتهم اياها وتعلقهم بها اذا هم يفرحون ويستبشرون والله اعلم وقوله
اشمازت قال بعضهم ابغضت ونفرت وقال القتبي وابو عوسجة اشمازت انكرت وذعرت ويقال في الكلام ما لي اراك
مشمئزا اي مذعورا ويقال اشماز المكان اي بعد وقال بعضهم اشمازت استكبرت وكفرت والله اعلم وقوله عز وجل قل اللهم
فاطر السموات والارض امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وهو كلام التوحيد وقوله فاطر السموات والارض يحتمل بديع
ويحتمل مبدع او خالق السموات والارض والله اعلم وقوله عالم الغيب والشهادة يحتمل قوله عالم الغيب والشهادة ما شهد الخلق
بعضهم على بعض هو عالم ذلك كله والغيب ما غاب عن الخلق كلهم والشهادة ما شهده الخلق او ان يكون قوله عالم الغيب و
الشهادة اي عالم ما يكون انه يكون والشهادة ما قد كان يعلم ذلك كله يعلم عما يكون انه يكون وما كان يعلمه كائنا والله اعلم و
قوله انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيمة كقوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة الاية او ان يكون قوله انت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون في هذه الدنيا فهو يخرج على وجوه احدها ما جعل الله في خلقهم ايات الصانع وشهادة
الواحدانية لله عز وجل والوهيته والثاني بما انزل الله من الكتب والرسل وبين لهم فيها ما لهم وما عليهم ثم ان كان في الاخرة فجائز
ان لا يكون يحكم بيننا فيما وسع علينا الحكم فالامر في الدنيا ويرتفع المحنة به في الاخرة من نحو الاحكام التي سبيل معرفتها الاجتهاد
لا يحكم بذلك بيننا بشيء من ذلك واما ما كان غير موسع علينا في الدنيا ترك ذلك وهو مما لا يرتفع المحنة به في الدارين جميعا
من نحو التوحيد والدين فذلك يحكم بيننا في الاخرة والله اعلم وقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
من سوء العذاب يوم القيمة كانه والله اعلم يذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ليصبره على اذاهم اياه وان يشفق عليهم بما ينزل بهم
في الاخرة لانه اخبر عن عظيم ما ينزل بهم انهم مع بخلهم وضنهم بهذه الدنيا لو كان ما في الارض من الاموال وضعف ذلك
ايضا لهم لافتدوا ذلك كله من سوء ما ينزل بهم من العذاب وكذلك ما ذكر من قوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون يخبر عن سوء معاملتهم ربهم على علم منه انهم يؤذون رسوله
صلى الله عليه وسلم وان ذلك يشتد عليه ويشق لينظر انهم كيف عاملوا ربهم من سوء المعاملة ليصبرهم عن سوء معاملتهم اياه
ولا يترك الرحمة والشفقة عليهم بما ينزل بهم في الاخرة من سوء العذاب والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون قال بعض اهل التاويل بدا لهم من الله شهادة الجوارح عليهم والنطق ما لم يكونوا يحتسبون ذلك ولكن غير هذا كانه
اقرب بدا لهم من الهوان والعذاب لهم في الاخرة ما لم يكونوا يحتسبونه ثم هو يخرج على وجهين احدهما انهم كانوا يقولون نحن
فضلنا الله في هذه الدنيا بفضول الاموال والكرامة فعلى ذلك يكون في الاخرة مفضلين عليهم كما كنا في الدنيا ولذلك قالوا

واتبعك

واتبعناك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي ونحو قيلهم وظهر في الاخرة بالحكم ما لم يكونوا يحتسبون ما ذكرنا
من الهوان لهم والعذاب والثاني كانوا يكرهون رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ويقولون لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
وقولوا انزل عليه الذكر من بيننا الاية ونحو ذلك من الكلام كقولهم ايضا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا يرون الرسالة توضع الا في
العظيم من امر الدنيا فاخبر انهم يبدو لهم ما لم يكونوا يحتسبونه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما كسبوا يحتمل قوله
بدا اي ظهر لهم جميع ما صنعوا في الدنيا في الاخرة حتى حفظوها وذكروا ذلك كله والثاني بدا لهم ما حسبوا حسنات سيئات
والله اعلم او ان يكون ذلك في الجزاء اي بدا لهم وظهر جزاء ما كسبوا يدل على ذلك قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والله اعلم
وقوله عز وجل فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا لا يحتمل ان يكون ذا اذ كل انسان يكون على ما وصف وذكر
ولكن انسان دون انسان ولا يجب ان يشار الى واحد بعينه وكذلك ما ذكر من مس الضر العرب لا يشار والحد دون من ذكر ما اعلم
الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم انه ما ذا الا ان ذلك يخرج مخرج الشهادة على الله عز وجل والامتناع عن الاشارة اليه والتسمية
له اسلم ثم كانت عادتهم وتلك الكفرة لعنهم الله عند نزول البلاء بهم والشدة الفزع الى الله عز وجل والخلاص الدعاء فيجعل الكشف
عنهم ذلك والرجوع العود الى ما كانوا من قبل على ما ذكرهم في غير اي من القران ثم قوله عز وجل ثم اذا خولناه نعمة منا اي اعطيناه نعمة
او ملكناه نعمة وقوله عز وجل قال انما اوتيته على علم جاء عني اعطيت ذلك وقال بعضهم انما اوتيته على شرف ومنزلة عند الله
عنده وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما اتيته على علم وقال بعضهم ما ذكرنا قال انما اوتيته على علم اي على علم وشرف
اعطيت ذلك قال الله عز وجل ردا عليهم بل هي فتنة والفتنة هي المحنة التي فيها شدة اي بل هي محنة فيها شدة وبلاء و
المحنة من الله بامر ونهي ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لكن اكثرهم لا يعلمون انها لم يعط لفضل وشرف له او حيلة منه ولكن لامر ونهي
والله اعلم وقوله قد قالها الذين من قبلهم غير ما قال هذا الرجل قال انما اوتيته على علم كان قارون حين قال انما اوتيته على
علم عندي ولم يزل العادة من الكفرة والرؤساء منهم واهل الثروة يقولون بمثل هذا الكلام والقول وهو الخبر عن قوم
حين قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وما قال اهل مكة نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين ونحو ذلك من امثال هذا لم يزالوا قايلين بهذا ثم اخبر ان ذلك لم يغنهم حيث قال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
هذا يحتمل وجهين احدهما ما قالوا انما اوتيناه لكرامة وفضل لنا عند الله والثاني ما قال انما اوتينا هذا بحيل من عندنا وكسبنا
اخبر ان ذلك لم يغنهم عن دفع عذاب الله عز وجل عنهم اذا نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين
ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا الوعد لاهل مكة وتخويفهم انه ينزل بهم ويصيبهم بكسبهم الذي يكتسبون كما نزل
باولئك الاوايل بكسبهم ويصيبهم وقوله عز وجل وما هم بمعجزين اي ما هم بمعجزين عما يريد بهم من الانتقام عنهم والتعذيب
والله اعلم وقوله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يذكر هذا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامة
وفضل عند الله ولا لحق قبله ويضيق على من يشاء لا لهوان له عنده ولا لجناية ولكن امتحانا لهم بمختلف الاحوال يمتحن هذا
بالسعة ليستادي به منه الشكر ويضيق على هذا ليطلب منه الصبر على ذلك او يمتحن بعضهم بالسعة وبعضهم بالشدة والضيق ليعلموا
ان ذلك كله في يد غيرهم لا في ايديهم اذ يختلف عليهم مختلف الاحوال ليكونوا ابدا فزعين الى الله في كل وقت وكل ساعة ولو كانت السعة
والضيق لكرامة عند الله وفضل على ما ظنوا اولئك لكان لا يحتمل ذلك مختلف المذهب الذي يناقض بعضه بعضا ويضاد بعضه
بعضا نحو المسلم والكافر وقد وسع على المسلم ووسع على الكافر وقد ضيق عليهما جميعا يدل ان التوسيع ليس لكرامة والمنزلة
عند الله والحق عليه ولا التضييق والتقتير لهوان اذ لو كان لذلك لكان لا يجمع بين متضادين المذهب ومختلفهما فادل
ان المعنى الامتحان لا لما ظنوا اولئك والله اعلم وقوله ان في ذلك فيما ذكر من التوسيع والبسط والتضييق والتقتير لايات اي
لعبرة وعظة لقوم يتفكرون ويؤمنون انه لم يوسع على من وسع الكرامة له عند الله ومنزلته وفضل ولا ضيق على من ضيق
لهوان له عنده ولا جناية والله اعلم وقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال بعض اهل التاويل
ان الاية نزلت في شان الوحشي قتل حمزة بن عبد المطلب في الجاهلية ثم اراد ان يسلم الوحشي فذكر ما كان منه من قتله
رضي الله عنه فظن انه لا يقبل منه لعظم جنايته فنزلت الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه واخبر انه لا يقبل اسلامه
بعد ذلك والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن ناسا قد اصابوا ذنوبا عظاما ما في الجاهلية من نحو القتل وكبائر فاشفقوا ان
لا يتاب عليهم فانزل الله هذه الاية يدعوهم الى التوبة والاسلام واطمعهم القبول منهم والتجاوز عما كان منهم وهو كانه
اشبه واولى لان الوحشي من كان حتى ينزل الله الاية بشانه خاصة ثم قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله يحتمل وجهين احدهما يقول والله اعلم يا عبادي الذين جنوا على انفسهم واودوها المهالك بما كان
ما ارتكبوا من الاشراك والكبائر لا تقنطوا من رحمة الله فان قنوطكم من رحمة الله واياسكم منه لا يغفر ولا يجاوز ذلك
اعظم وافظع اذ يرجع احدهما الى انفسهم والاخرى الى رحمة الله وفضله والثاني يقول لكم وان اسرفتم فيما ارتكبتم من الكبائر

والفواحش واعرضتم عن امر الله فلا تقنطوا من رحمة الله اذ تبتم عما كنتم فيه ورجعتم عما كانوا منكم في الوقت الذي كانت
انفسكم في ايديكم يقبل ذلك منهم ويتجاوز فاما في الوقت الذي خرجت انفسكم من ايديكم فلا يقبل ذلك منكم وهو وقت
نزول العذاب بهم واشرافه عليهم لان التوبة في ذلك الوقت توبة اضطرار وتوبة دفع العذاب عن انفسكم كقوله عزوجل
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده ثم اخبر انه لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت الذي خرجت انفسهم من ايديهم حيث
قال عزوجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا والله اعلم **وقوله** عزوجل ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء انه هو الغفور الرحيم
وذكر عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال ارجى اية في القران هذه الاية وذكر ان سورة الزمر كلها نزلت بمكة الا هذه الاية
فانها بالمدينة والله اعلم **وقوله** عزوجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له الاية كانها صلة ما تقدم من قوله يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله بعد اذا قبلتم الى قبول ما دعيتم اليه ورجعتم عما كان منكم ثم قال عزوجل وانيبوا الى ربكم واسلموا
له قال بعضهم انيبوا بقلوبكم الى طاعة ربكم واخلصوا له تلك الطاعة ولا تشركوا فيها غيره قيل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا الى
ما ادركم ربكم واسلموا له اي اخلصوا لله التوحيد وان يقول اجعلوا كل شئ منكم له واصل الانابة هو الرجوع الى الطاعة والنزوع
عما كان عليه الاداء يقول عزوجل منيبين اليه واتقوه الاية وقوله عزوجل من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون يقول
والله اعلم على الصلة الاولى ان انيبوا له واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب فلا يقبل منكم الانابة والتوبة اذا اقبل عليكم العذاب
ثم لا تنصرون هذا يحتمل وجهين احدهما ثم لا تنصرون بان تاتيكم الى الله عزوجل في ذلك الوقت الذي اقبل عليكم العذاب على ما ذكرنا
اي يخافونه من ذلك الوقت والثاني لا ينصرون بعبادة من عبدتموه من الاصنام والاوثان على رجاء ان يشفع لكم ويدفع عنكم
العذاب اي انيبوا الى عبادة الله الحق قبل نزول العذاب بكم فانكم ان كنتم على عبادة من يعبد دونه لا تنصرون والله اعلم
وقوله عزوجل واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يحتمل وجوها احدها كانه يقول اتبعوا ما امركم ربكم وانتهوا عما نهاكم ربكم عنه
والثاني اتبعوا ما في القران واحلوا حلاله وحرموا حرامه واجتنبوا يقول اعملوا بها وبادروا في العمل من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة والثالث ان الله عزوجل قد بين السبيل جميعا سبيل الخير والشر على الابلاغ فيقول اتبعوا سبيل الخير منه ولا تتبعوا
سبيل الشر فيكون تاويل هذا كانه يقول اتبعوا الحسن منه ولا تتبعوا غيره ونحو ذلك وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم **وقوله**
عزوجل من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون كانه موصول بالاول يقول لا تؤخروا الانابة اليه والتوبة فان العذاب
لعله سينزل بكم في وقت لا تشعرون انتم به ولا تقدرون ان ترجعوا اليه وتتوبوا والله اعلم **وقوله** عزوجل ان تقول نفس يا
حسرتى على ما فرطت في جنب الله وما بعده من الايات كانه موصول بقوله عزوجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له كانه يقول وانيبوا الى
ربكم واسلموا له من قبل ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله الاية ومن قبل ان يقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين ومن قبل ان
تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين كان كل ذلك صلة ما تقدم من قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يقول ما ذكر في وقت لا ينفعه ذلك القول ولا يعينه من عذاب الله ولا يدفعه ثم قوله
على ما فرطت في جنب الله قال بعضهم في ذات الله وقال بعضهم في ذات الله وقال بعضهم ما فرطت وضيعت من امر الله وامثال
ذلك ولسنا نحتاج الى تفسير قول ذلك الرجل الذي كان منه حتى قال ذلك وهو تضييع توحيد الله او تضييع حد الله او ما كان
فيه من تكذيب البعث يتاسف على ما كان منه من تضييع ما ذكرنا من توحيد الله وحدوده او كفران نعمه او تكذيبه ما ذكرنا
من البعث والله اعلم **وقوله** عزوجل وان كنت لمن الساخرين قال بعضهم وان كنت لمن الساخرين من القران وقال بعضهم
من اهل توحيد الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر من اهل طاعته وقال هذا قول صنف منهم وقوله
عزوجل او تقول حين ترى العذاب الى اخره قول صنف منهم جائز ما قال ان كل قول من ذلك قول صنف على ما قال قتادة جائز
ان يكون كل ذلك من كل كافر والله اعلم وقوله عزوجل لو ان الله هداني لكنت من المتقين ذلك الكافر الذي قال هذا القول اعرف بهداية
الله من المعتزلة وكذلك ما قال اولئك الكفرة لاتباعهم حيث قالوا لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية
واعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن حيث علم منا اختيار الضلال والغواية وترك الرغبة الى الهدى والاستخفاف به
اضلنا وخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم الله واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا فان قيل هذا قول اهل الكفر
فلا دلالة فيه لما يذكرون قيل وان كان ذلك قول الكفرة فذلك القول منهم عند معاينة العذاب فلو كان على خلاف
ما ذكر والكان الله يكذبهم في ذلك كما كذبهم في شيئا قالوا حيث قالوا لو رجعنا نعمل صالحا وقوله تعالى رب ارجعون لعلي
اعمل فقال الله عزوجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونحوه والله اعلم والاصل في الهداية ان عند الله لطف من اعطى ذلك
لاهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن حرم ذلك ولم يعصمه ضل وغوى ويكون استيجاب العذاب وما ذكر لمن ترك الرغبة في
ذلك والاستخفاف به والتضييع واشتغاله بضده لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل لكنت من المتقين الشرك
او المهالك والله اعلم **وقوله** عزوجل او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجوعا فاكون من المحسنين قيل من الموحدين

ويحتمل

ويحتمل من المحسنين وطاعته والله اعلم وقد كذبه الله عزوجل في قوله هذا حيث قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ثم كذبهم بلى
قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين يقول والله اعلم بلى قد جاءتك اياتي وبينت لك الحجة من الغواية وتمييز
الحق من الباطل والخير من الشر والكذب من الصدق وكنت من اختيار الهداية على الغواية ومكنك اختيار الحق على الباطل والصدق على
الكذب لكن تركتم ذلك وضيعتم واستخففتم به واشتغلتم بضد ذلك فانما جاءكم ذلك التضييع من قبلكم لا من قبل الله عزوجل قد اتى
بالحجج والايات والبيان في ذلك غاية ما يجب ان يؤتى ما لم يكن لاحد عذر في ذلك غاية ما يجب ان يؤتى ما لم يكن لاحد عذر في الجهل في ذلك
والترك والله اعلم واكثر القران على التذكير في قوله عزوجل بلى قد جاءتك اياتي الى اخره على ارادة ومخاطبة وقد قرئ بالتانيث على ارادة
النفس التي تقدم الخبر عنها ويروى في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا بالتانيث بلى قد جاءتك والله اعلم **وقوله** عزوجل
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة كذبهم على الله يحتمل وجوها احدها في التوحيد حيث قالوا ما نعبد الشركاء
ويحتمل ما قال عزوجل والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وكان الله عزوجل لم يامرهم بذلك فكذبوا على
الله عزوجل انه امرهم بذلك وما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وان يكون كذبهم على الله هو انكارهم
البعث وتوهم ان الله لا يقدر على البعث والاحياء بعد الموت ونحو ذلك والله اعلم والمعتزلة يتاولون في قوله عزوجل ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة هم المجبرة فيجب ان يكونوا هم اولى في كونهم في وعيد هذه الاية من المجبرة لانهم يقولون
ان الله لا يامر احدا بشئ الا بعد ان اعطاه جميع ما يفعل ويقتضي به حتى لا يبقى شئ من ذلك ثم قال ذلك ثم يسالون به المعونة والعصمة
فهو بالسؤال كانهم لما اعطاه وهو كتمان النعمة لان يسال ما قد اعطاه ربه وان يكون هازئا به لانه يسال وليس عنده ما يسال على
قولهم على ما ذكرنا من مذهبهم وكل من سال بخلاف ما ليس عنده ذلك ولا يملك ذلك فهو يهزئ به والله اعلم **وقوله** عزوجل اليس في جهنم مثوى
للمتكبرين على توحيد الله ومتكبرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتكبر هو الذي لا يرى لنفسه نظيرا ولا شكلا ولذلك يوصف الله
عزوجل بالكبرياء لانه لا نظير له ولا شكل ولا يجوز لغيره لان غيره ذو اشكال وامثال ولا قوة الا بالله وفي حرف ابن مسعود وحفصة
رضي الله عنهما على ما فرطت من ذكر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ايضا في قوله بلى قد جاءتهم اياتنا من قبل فكذبت واستكبرت
وكان من الكافرين والله اعلم والمثوى المقام وما كان تاويل من ذلك اي مقيما وقوله عزوجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة كانه يقول عزوجل لو رايت يا محمد يوم القيمة لرحمتهم واشفقت عليهم بما فيه وما نزل بهم والله اعلم **وقوله**
عزوجل وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وبمفازاتهم يخرج على وجهين احدهما قوله بمفازتهم اي بالاعمال والاسباب التي فازوا بها
على اشكالهم وقوله عزوجل لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقوله عزوجل لا يمسهم السوء بعد المفازة والنجاة والا قبل ذلك قد يمسهم
السوء ولا هم يحزنون وهو على الجهمية وعلى ابي الهذيل العلاف فاما المعتزلة فاما على جهمية القول لهم ان الجنة تفنى وتنقطع اهلها ولذا
فاذا كان ما ذكر واسم السوء والحزن وعلى ابي الهذيل ايضا كذلك لانه يقول ان اهل الجاهلية يصيرون الى حال السكون اذا اراد الله
[illegible]
وقوله عزوجل الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل هذه الاية تنقض على المعتزلة قولهم على وجوه احدها ان قولهم شيئية الاشياء
[illegible]

وقوله عز وجل له مقاليد السموات والارض انه يقول له مقاليد السموات والارض قيل هي المفاتيح وهي فارسية عربت ويحتمل ان
يكون قوله عز وجل له مفاتيح جميع البركات والخيرات على اهل السموات والارض يخبر ان ذلك كله بيده ليس بيد احد سواه منه يطلب
ذلك ومنه يستفاد والله اعلم ثم لم يفهم ما اضيف اليه من المقاليد ما يفهم من مقاليد الخلق لو اضيف اليهم فيكتفي فهم مما اضيف اليه من
مجيء واستواء وغير ذلك مما فهم مما اضيف الى الخلق والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون كان الله
عز وجل جعل هذه الدنيا وما فيها لاهلها وبين اخوالهم يتجرون بها ويتزودون بها الاخرة ويتزودون لها ولذلك قال عز وجل ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله عز وجل يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة فمن تزود وجعلها بلغة الى الاخرة سمي خاسرا
مغبونا والله اعلم وقوله عز وجل قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون دلت هذه الاية على ان سفه اولئك الكفرة قد بلغ
غايته وجاوز نحوه حتى دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة من دونه بعد ما عرفوا فضيلة الرسالة والرسول وخصوصيته
حتى انكروا الرسالة في البشر وبعث البشر رسولا فلولا ما وقع عندهم من الفضيلة للرسول والخصوصية له والا لم يحتمل ان ينكروا ومنها
في البشر وبعث البشر رسولا ثم مرّا ما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيان والحجج ما قد عندهم اية الرسول اليهم فعند ما تقرر
عندهم ذلك دعوه الى ان يعبد غير الله دونه فيكون هم فهذا منهم تناقض في القول وسفه حين صيروا المفضل والمخصوص
بالرسالة والعبادة من دونه كغير المفضل والمخصوص بها والله اعلم ليعلم انهم بسفههم وتعنتهم كانوا يدعون الى من دون الله
والله اعلم وقوله عز وجل ايها الجاهلون سماهم جهلة بما امروه ودعوه الى العبادة غير الله وكذلك قال موسى عليه السلام لقومه
حين سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة فقال انكم قوم تجهلون ثم يحتمل قوله عز وجل ايها الجاهلون وجوها احدها ايها الجاهلون
في التسوية بين المفضل والمخصوص وبين من لم يخص بذلك في عبادة غير الله او جاهلون من هداية الله وخصوصيته او جاهلون
عن جميع نعمه واحسانه حيث لم يذكروه فيها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن
عملك يحتمل هذا وجهين احدهما كانه يقول ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل لكل رسول لئن اشركت ليحبطن عملك ذكر
هذا ليعلم ان الشرك يحبط العمل وان اتى به من نبل قدره وعظمت منزلته عنده والثاني ولقد اوحي اليك والى من كان قبلك
لئن اشركت انت ليحبطن عملك وقوله عز وجل بل الله فاعبد وكن من الشاكرين يحتمل وجوها يحتمل كن من الشاكرين لنعم الله جميعا
او الشاكرين للخصوصية التي خصصت بها او الهداية انه هديت والله اعلم وفي حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما له مقاليد السموات
والارض اي له ملك السموات والارض قال الكسائي مقاليد فارسية معربة وواحد المقاليد اقليد وقال بعضهم في قوله عز وجل
اليس الله بكاف عبده قال بلى والله ليكفينه الله ويعزه وينصره كما وعده وامثاله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا ذكر اهل التاويل ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان ربك كذا وكذا وان السموات
على كذا منه والارض على كذا وكذا ذكروه له ووصفوه وصفوه كما يوصف الخلق فنفى قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره
قيل ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق عظمته ويذكر اهل الكلام ان اليهود مشبهة ولذلك قالوا بالولد حيث قالوا عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلو لم يكونوا عرفوه ما يعرف به الخلق لم يكونوا يقولون له بالولد كما يقولون للخلق من الولد
فدل ما وصفوا الله وذكروا انهم عرفوه بمعنى الخلق فتعالى الله عما نقول له الملاحدة علوا كبيرا ثم قوله عز وجل وما قدروا الله
حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته او ما عظموه حق عظمته اي لم يعظموا الله حق عظمته ما يحتمل وسع الخلق وكذلك لم
يعرفوه حق معرفته التي يحتمله وسع البشر بينهم فاما معرفة الله حق معرفته او عظمة الله حق عظمته مما لا يحتمله وسع الخلق
وهو لم يتكلفهم ان يعرفوه حق معرفته ويعظموه حق لانه لا يحتمله وسع الخلق ذلك وانما كلفهم ما احتمله وسعهم فالمشبهة
حيث وصفوه كما وصف الخلق ومن يعاينوه لم يعرفوه المعرفة التي يحتمل وسع الخلق وسعهم ثم ان الله سبحانه جعل سبب معرفته او
الاستدلال باثار الافعال لا بافعال المحسوسات فلا يفهم معرفته ولا يقدر بمعرفة الخلق وتقديرهم مما جعل الله سبحانه وتعالى
الخلق على قسمين قسما منهما ما يحاط به ويدرك حقيقته وهو محسوس منه والمدرك وقسما ما يعرف باثار الافعال والاستدلال
بها وهو غير محسوس من نحو العقل والبصر والسمع والروح وغير ذلك فاذا لم يدرك من خلقه ولم يحط به ما سبيل الاستدلال
باثار الافعال لا بالحس فالذي انشأ ذلك وابدعه احق ان لا يدرك ولا يحاط بمعرفته ما يحاط ويدرك المحسوس انما الوصل
الى معرفته الاستدلال باثار الافعال بالمحسوس والله اعلم وكذلك ما اضاف الى نفسه من الاخذ لا يفهم منه ما لو اضيف ذلك
الى الخلق من نحو الاستواء والمجيء والاتيان ونحو ذلك ولا يقدر منه ما يقدر من الخلق على ما لم يفهم من مجيء الحق اتيانه ما فهم من مجيء
الخلق ولا اتيانهم فعلى ذلك لا يفهم قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ما يفهم من قبضة الخلق وطيهم ويمينهم بل يفهم
من ذلك كله من قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون كل ما ذكر من القبضة والطي واليمين في ذلك
كن كاف او نون او شيء من ذلك لكنه ذلك كن لانه اخف كلام على الالسن واوجز حرف يفهم منه المعنى وتقريبا بما بين الخلق
والله اعلم وامثاله ان الله عز وجل خاطبهم بما يتعارفوا فيما بينهم حقيقة وان كان ما يتعارفوا فيما بينهم منفي عن الله تعالى نحو

ما ذكر

ما ذكر لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم وقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه لما باليد يتقدم ويؤخر في الشاهد وان لم يكن ما ذكر على اليد وذكر بين يدي ما ذكر وان لم يكن بين يديه لما في الشاهد كونه
يتقدم فعلى ذلك ما اضاف الى نفسه من احرف كانت تلك منفية عنه لما في الشاهد بذلك يكون والله اعلم واصل ذلك ان قد ثبت
بالتنزيل على ما ذكر من اضافة ذلك الاحرف الى الله وثبت به بدليل السمع انه ليس كمثله شيء في العقل تعاليه عن الاشباه والشركاء
لزم القول بتوقيف تلك الايات على ما يشابه يرتفع بينه وبين الخلق في الفعل وفي جهة من جهات الخلق اذ هو متعال عن جميع جهات
الخلق في حد الاحداث والخلق فيلزم الايمان بها على ما نطق به الكتاب بعد التشابه وتفويض المراد الى من جاء منه ذلك مما تؤخذ
الاضافة الى الله عز وجل من نحو قوله عز وجل جدوا لله ونحوه لا يحتمل فهم المضاف منه الى غيره فكذلك ما ذكرنا على امكان وجوه
فيما يبقى معنى التشابه من ذلك ما يفهم فيها نحو قوله عز وجل ان الله يبصر والله بصير كالاية والى الله المصير والمرجع ويرجعوا الى الله
وردوه الى الله والرسول في غير ذلك مما اضيف الى الله ولا معنى لتحقيقه في ذلك فيفهم في ذلك منه وعد ووعيد وغيره ذلك
من الوجوه ما يطول ذكره ويكفي مثله امر هذه الايات والثاني ان اضافة الامور في الشاهد الى الملوك وذكر قوله ليس يخرج مخرج
تحقيق كما هو ما جرى به الذكر ولكن على الكناية والعبارة عن غيره نحو ما قال بلدة كذا في يد فلان وفي قبضته وامر كذا في يد فلان انما
يراد بذلك قوته وقدرته فعلى ذلك ما ذكر من قبضته ويمينه انما هو الوصف له بالقوة والسلطان والقدرة على ذلك وقوله
عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون يحتمل تنزيه نفسه عما وصفه المشبهة وشبهوه بالخلق او عما اشرك عبدة الاصنام الله في العبادة
وتسميتهم اياها الهة وقوله عز وجل والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات هو على التقديم والتاخير كانه يقول عز وجل و
الارض والسموات جميعا في قبضته مطويات بيمينه والله اعلم وقوله عز وجل ونفخ في الصور اختلف في قوله عز وجل ونفخ في الصور
هو على حقيقة النفخ ام لا قال بعضهم ليس هنالك نفخ ولا شيء وانما ذكر النفخ عبارة عن خفة الامر على الله عز وجل من قيام
الساعة كقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو اهون عليه وقال بعضهم ليس نفخ انما هو عبارة عن ذكر
النفخ انه يحيي ويموت على قدر النفخة لانها اسرع شيء في الدنيا هي النفخة وقال بعضهم هو على حقيقة النفخة
من غير ان كانت النفخة سببا للاحياء والاماتة ولكن على جعل النفخة علما وامارة للاحياء والاماتة ثم امتحن بذلك الملك الذي
كان موكلا به على ما امتحن ملك الموت بقبض الارواح في اوقات جعل لها فعلى ذلك ما ذكر من النفخة والله اعلم ثم اختلف
في الصور ايضا قال بعضهم هو صور الخلق فيها ينفخ والى ذلك جميع اهل الكلام وقال ليس هو صور الخلق ولكن انما هو قرن
لانه قال الصور ولم يقل صور بالتثقيل وانما ذكره بالتخفيف وهو القرن ولو كان صور الخلق بالتثقيل صور حيث قال فاحسن
صوركم فلسنا ندري انهما يقال جميعا ام لا الصور والصور والله اعلم وقوله عز وجل فصعق من في السموات ومن في الارض قال
عامة اهل التفسير والتاويل الصعق هو الموت وقال بعضهم الصعق هو الغشيان كقوله عز وجل وخر موسى صعقا اي مغشيا
عليه الا يرى انه قال عز وجل فلما افاق وانما يفاق من الغشيان ولا يفاق من الموت والله اعلم بذلك وقوله عز وجل الا من شاء الله
اختلف فيه قال بعضهم انما استثنى الشهداء الذين استشهدوا في الدنيا والله اعلم وقال بعضهم الا من شاء الله هو جبرائيل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت والله اعلم وقوله عز وجل ثم نفخ فيه اخرى قال بعضهم يكون ثلاث نفخات نفخة يحملهم على الفزع دون
ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الاية الاخرى يموتون بها والثالثة يحيون بها وعلى هذا يروى حديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفخ ثلاث كما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم نفختان على ما ذكر في هذه الاية احديهما يموتون
والثانية يحيون بها والله اعلم وقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها يحتمل بنور الذي انشاه الله عز وجل لها وجعله فيها
ليس ان يكون له نور او شيء يضيء ويكون قوله عز وجل بنور ربها كقوله عز وجل سبحة ربك واخشاه ربك وال ذلك لا يفهم
منه سوى النعمة والمنشاة والالاء المجعولة فعلى ذلك قوله عز وجل بنور ربها لا يفهم منه نور الذات ولا شيء من ذلك ثم قوله
عز وجل واشرقت الارض اي اضاءت جاز ان يكون الله عز وجل ينشئ ارضا اخرى ارضا مضيئة مشرقة لما اخبر انه يبدل ارضا غير
هذه حيث قال عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الاية كانت هذه مظلمة وتلك مضيئة على ما ذكرنا والله اعلم و
ان يكون اشراقها ارتفاع سوادها وظهور الحق لهم وزوال الاشتباه والالتباس وكانت امورهم في الدنيا مشتبهة مبينة ويومئذ
يومئذ جميعا بالتوحيد له في الالوهية والربوبية وهو على ما ذكر من قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا وقوله عز وجل واليه ترجعون
واليه المصير وقوله الملك يومئذ لله ونحو ذلك ذكر البروز له والرجوع اليه والمصير وان كانوا في الاحوال كلها بارزون له و
راجعون اليه صائرون والملك له في الدارين جميعا خص البروز والرجوع اليه والملك له لما يومئذ يظهر الحق لهم من المبطل
ويومئذ اقروا جميعا بالتوحيد له والملك فعلى ذلك يحتمل اشراق الارض واضاءتها لما يرتفع السواد يومئذ بزوال الشبه ويظهر
الحقائق والله اعلم او ان يكون اشراقها باظهار كل ما عمل في الدنيا من خير او شر وعرفه يومئذ وان كان في الدنيا لم يظهر ولم
يعرف ما عمل من خير وشر كقوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه

امّا بعينها لآية والله اعلم او ان يكون ارض الاخرة مضيئة مشرقة لما لا يعصى عليها الرب تعالى عزّ وجل وارض الدنيا مظلمة بعصيان اهلها عليها الرب عزّ وجل وذلك كما روي في الخبر ان حجر الاسود من الجنة لكن كان اكثر بياضا فاسود لما مسته ايدي الخاطئين العاصين والله اعلم وقال عزّ وجل بنور ربها قال بعضهم بعدل ربها اي اضاء بعدل ربها وهو ما قال عزّ وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل والله اعلم وجائز ما ذكر بنور ان شاء يجعله فيها والله اعلم وقوله عزّ وجل ووضع الكتاب وقال عزّ وجل في اية اخرى ووضع الميزان فجائز ان يكون الكتاب الذي ذكر انه وضعه هو ذلك الميزان فيكونان واحدا وان يكون الكتاب غير الميزان وقال بعضهم الكتاب هو الحساب بما قد حفظ عليهم ولهم من خير او شر يحضرونه وقال بعضهم هو الكتاب الذي يوضع في ايديهم يومئذ فيه ما عملوا يقرؤونه وهو مثل الاول والله اعلم وقوله عزّ وجل وجيء بالنبيين والشهداء اختلف في الشهداء قال بعضهم الشهداء هم الرسل يؤتى بالنبيين والمرسلين يشهدون عليهم كقوله عزّ وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله عزّ وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا وقوله عزّ وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم الاية وقال بعضهم الشهداء هاهنا هم الملائكة والحفظة الذين يشهدون عليهم باعمالهم التي عملوها وقال بعضهم الشهداء هم الذين استشهدوا في هذه الدنيا والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من الشهداء هم الجوارح التي تشهد عليهم يومئذ كقوله عزّ وجل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية وقوله عزّ وجل وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وقوله عزّ وجل وهم لا يظلمون اي لا يحمل على ما لم يعمل ولكن يحمل عليه ما عمل والله اعلم وقوله عزّ وجل ووفيت كل نفس ما عملت اي وفيت كل نفس كافرة ما عملت من سوء فاما ما عملت من خير فلا توفى وكذلك توفى كل نفس مسلمة ما عملت من خير ولا ينقص منها شيء وما عملت من سوء فجائز ان يتجاوز الله عنها ويبدل له حسنات كقوله عزّ وجل فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والله اعلم وقوله عزّ وجل وهو اعلم بما يفعلون اي عالم بما يفعلون من خير او شر وقوله عزّ وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا قيل امة امة وجماعة جماعة كقوله عزّ وجل كلما دخلت امة لعنت اختها الاية وقوله عزّ وجل يحشرون الى النار ويجوز وقوله عزّ وجل حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها جائز ان يكون لها ابواب يدخلون فيها وجائز ان يكون الابواب المذكورة لا على حقيقة الابواب ولكن على الحجاب والسبل التي كانوا فيها اي في الدنيا وعلوا بها يدخلون النار بتلك الحجاب والسبل التي كانوا في الدنيا وعلوا بها كما يقال فتح على فلان باب كذا ليس يريد حقيقة الباب ولكن سبيلا بابه والله اعلم وقوله عزّ وجل وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم يحتمل قوله عزّ وجل ايات ربكم اي التوحيد ويحتمل ايات البعث التي انكروه قال بعض اهل التاويل ايات القرآن وقوله عزّ وجل وينذرونكم بالايات لقاء يومكم هذا وقوله عزّ وجل قالوا بلى قد فعلوا ذلك وقوله عزّ وجل ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال اهل التاويل ولكن حقت كلمة العذاب اي وجب العذاب وهو ما قال عزّ وجل وعداته بملء جهنم منهم وهو قوله عزّ وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي حق وعيد ذلك عليهم والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من كلمة العذاب هو كلمة الشرك والكفر اي حقت كلمة الكفر والشرك الذي علموا سموا كلمة الكفر كلمة العذاب لما عذبوا و عوقبوا والله اعلم وقوله عزّ وجل قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وتاويله ظاهر والمتكبرين يحتمل المتكبرين على اياته ويحتمل المتكبرين على رسله وانبيائه صلوات الله عليهم والله اعلم وقال القتبي وابو عوسجة زمرا اي اشتاتا وزمر اي جماعات والواحد زمرة ويقال تزمر القوم اذا اجتمعوا زمرتهم اي جمعتهم واصله ان يساق كل قرين على ما اختاروا وكانوا في الدنيا جماعة وامة امة وعلى ما يجتمعون في هذه الدنيا اهل الخير على اهل الخير واهل الشر على اهل الشر وسرور بالاجتماع في ذلك لكن اهل الخير يساقون الى الجنة على ما كانوا يجتمعون في هذه الدنيا مسرورين واهل الكفر يساقون الى النار على ما يجتمعون في هذه الدنيا على الشر حزينين مغتمين والله اعلم وقوله عزّ وجل وسيق الذين اتقوا ربهم يحتمل اتقوا الشرك واتقوا سخط ربهم ونقمته واتقوا المهالك وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم وسيق وان كان في الظاهر خبرا عما مضى لكن يخرج على وجهين احدهما على الاستقبال وذلك جائز في اللغة استعمال حرف الماضي على ارادة الاستقبال كانه قال يساقون والثاني كانه خبر امر قد كان معنى فقال عزّ وجل وسيق وذلك ذكره يجري في سيق والله اعلم وقوله عزّ وجل زمرا قد ذكرناه اي جماعة وامة امة على ما كانوا في هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك فعلى ذلك يساقون في الاخرة والله اعلم وقوله عزّ وجل حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها فتح الابواب لهم يحتمل حقيقة الابواب ويحتمل كناية عن الوجوه والسبل التي ياتونها في الدنيا لا على حقيقة الابواب والله اعلم وقوله عزّ وجل وقال لهم خزنتها سلام عليكم بدا الخزنة بالسلام عليهم فجائز ان يكون الله عزّ وجل امتحن الخزنة بالسلام على المؤمنين كما امتحن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبدا ثم السلام على من وهو قوله عزّ وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية ثم يحتمل سلام الخزنة عليهم السلام والبراءة عن جميع العيوب والافات التي في الدنيا والله اعلم وقوله عزّ وجل طبتم فادخلوها خالدين فقوله طبتم يحتمل اي صرتم طيبين لا تحسون ابدا وقد برئتم من الافات و العيوب كلها والله اعلم او يقول طاب العيش بما ان حيث ما ياتيكم بلا عناء وقوله عزّ وجل وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده لا

شأن

شأن ان الله عزّ وجل اذا وعد لصدق وعده لكن معنى قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده اي نحمد الله الذي جعلنا مستحقين وعده اذ وعد الاشيات انه يصدق ولا قوة الا بالله وقوله واورثنا الارض قيل ارض الجنة وقوله عزّ وجل نتبوأ من الجنة حيث نشاء يحتمل قوله حيث نشاء يرغب فيها وهم لا يرغبون النزول منازل غيرهم او ان يكون قوله نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي جميع اماكن الجنة مختار ليس كما تختص في الدنيا مكانا دون مكان لان جميع امكنتها ليست بمختارة فيقع فيها الاختيار فاما الجنة فجميع امكنتها مختارة فلا يقع هنالك اختيار مكان على مكان والله اعلم والا فالظاهر قوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء ما هو وما التدبير والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزّ وجل فنعم اجر العاملين ظاهر وقوله عزّ وجل وترى الملائكة حافين من حول العرش قيل محدقين حول العرش وقوله عزّ وجل يسبحون بحمد ربهم قال بعض اهل التاويل بامر ربهم لكن التسبيح بحمد ربهم هو ان يسبحوه بثناء ثم وحمد يحمدونه وينزهونه عن جميع معاني الخلق بحمد وثناء يحمدونه ويثنون عليه على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم وقوله عزّ وجل وقضي بينهم بالحق قيل بين الامم والرسل وقيل بين الخلائق كلهم وجائز ان يكون قوله وقيل الحمد لله رب العالمين قال الحسن فتح نعمه في الدنيا بالحمد له وهو قوله عزّ وجل والحمد لله الذي خلق السموات والارض الاية وقوله عزّ وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الاية وغير ذلك في الايات وختم نعمه في الاخرة بالحمد له حيث قال الحمد لله رب العالمين وهو قوله عزّ وجل واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عزّ وجل حم قال بعضهم هو هجاء اسماء الرب جل وعلا وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال بعضهم فواتح السور كلها وكذلك قال في سائر الحروف المقطعة وقال بعضهم اصله حم اي قضي كقول الشاعر اليست نراه الذين ختم كان اي الذي قضي كان الا انه ذكره بالهجاء لكن ذكره بالهجاء وقد قلنا نحن ان تفسير الحروف المقطعة ما ذكرنا وقد ذكرنا اقاويل الناس واختلافهم فيها في غير موضع ما اغنانا عن ذكرها في هذا الموضع والله اعلم وقوله عزّ وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قد ذكر قوله تنزيل الكتاب في سورة الزمر غير انه ذكر العزيز الحكيم وهاهنا ذكر العزيز العليم وهما واحد والله اعلم وقوله عزّ وجل غافر الذنب يخرج على وجهين احدهما غافر الذنب اي ساتره وغافر الذنب وهو في حق المؤمنين خاصة والثاني غافر الذنب ساتر الذنب وهو يحتمل الكافر والمؤمن جميعا فانه يستر كثيرا على المؤمن والكافر جميعا الذنب في الدنيا ولم يفضحهما فيها وغفر المؤمن خاصة في الاخرة والله الموفق وقوله عزّ وجل وقابل التوب يحتمل انه يقبل التوبة وان عظمت المعصية وجلت الذنوب وكثرت والله اعلم قال ابو عوسجة التوب جماعة التوبة وقوله عزّ وجل شديد العقاب اي لمن لم يتب وقوله عزّ وجل ذي الطول قال ابو عوسجة اي ذي القدرة وقال القتبي ذي التفضل يقال طل علي برحمتك اي تفضل وقيل ذي السعة والغناء وقيل ذي النعم كل قريب بعضه من بعض وقوله عزّ وجل لا اله الا هو اليه المصير وحده شبه واخبر ان مصير الخلق اليه في الاخرة فيجزيهم باعمالهم والله اعلم وقوله عزّ وجل ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا اي ما يجادل في ايات الله والطعن في ايات الله الا الذين كفروا بالله او كفروا بايات و كانت مجادلتهم ما ذكر حيث قال ليدحضوا به الحق اي يبطلوا به الحق اهل الكفر هم الذين كانوا يجادلون في دفع ايات الله والطعن فيها فاما اهل الايمان فهم كانوا يفرحون بنزولها ويزيدهم ذلك ايمانا كما قال تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه وكقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ونحو ذلك من الايات كانوا يستبشرون بها ويقبلونها و يستقبلونها بالتعظيم والتبجيل والله الموفق وقوله عزّ وجل فلا يغررك تقلبهم في البلاد معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يغره تقلبهم في البلاد لكنه ذكر الخطاب له واراد به غيره لما يحتمل ان يظن قوم ان اهل الكفر لما كانوا في التقلب في البلاد والسعة في عيشهم وان اهل الايمان في ضيق وشدة وخوف انهم على الحق وهؤلاء على الباطل فجائز ان يظن ظان ما ذكرنا فاخبر الله عزّ وجل ان الامن والسعة ليس بدليل على كون صاحبه على الحق ولا الضيق والشدة على كون صاحبه على الباطل ولكن محنة امتحنهم مرة بالشدة والامن ومرة بالضيق والخوف دليل ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف مذاهبهم وتضادها فيهم ويحتمل ان يكون المراد منه اهل مكة اي لا يغررك تقلبهم في البلاد وامنهم وسعتهم بعد ما نزل باهل الافاق والنواحي انهم على الحق وان ذلك انما يرفع عنهم لمكانهم وانما يرفع ذلك عنهم ويكونون على امن لمكان كونهم بقرب من البيت لحرمته وشرفه والله اعلم وقوله عزّ وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ذكر هذا التصبير لرسوله عليه الصلوة والسلام على تكذيب قومه اياه ومجادلتهم اياه بالباطل يقول لست انت باول من كذب قومه ولا باول من جادله قومه بالباطل لم يزل الامم المتقدمة يكذبون رسلهم ويجادلونهم بالباطل فصبروا على ذلك فاصبر انت على تكذيب قومك ومجادلتهم اياك بالباطل كما صبر اولئك كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وهي ما ذكر في قوله عزّ وجل وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق همت كل امة برسولهم ما ذكر لكن الله تعالى بفضله عصم رسوله عما

اولئك الكفرة بهم من القتل والجدال له بالباطل وفي ذلك اية من ايات الرسالة لهم حيث حفظهم عما هموا بهم وكادوا بلا اعوان وانصار كان للرسل مع كثرة اولئك الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم فكيف كان عقاب اي كيف وجدوا عقابي اليس وجدوه حقا على ما وعد الرسل عليهم السلام انه نازل بهم او يقول اليس وجدوه اليما شديدا والله تعالى اعلم وقوله عز وجل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار يحتمل قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما ذكر في قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الاية وقوله عز وجل وقد مضت سنة الاولين يحتمل ان يكون قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذلك الذي حق عليهم من كلمة ربك والله اعلم وقوله عز وجل الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم قد ذكرنا في غير موضع ان التسبيح بحمد ربهم هو الثناء عليه والحمد له بالتبرية والتنزيه عن جميع اوصاف الخلق ومعانيهم عن جميع ما قالت الملحدة فيه وقوله عز وجل ويستغفرون للذين امنوا هذه اجابة للمؤمنين والايات التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو قول نوح عليه السلام حيث قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم صلوات الله عليه ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات حيث قال له استغفر لذنبك وللمؤمنين لانه لا يحتمل ان يامر بالاستغفار ثم لا يجيبه اذا فعل ثم قال بعض المعتزلة ان قوله جل وعلا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات انما هو في الذنوب التي ليس له ان يعذبهم عليها وهي الصغائر وليس له ان يغفر الكبائر ويستدل على ذلك بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك انما امر ان يستغفر للذين تاب فاما من لم يتب ولم يامر بالاستغفار فيجب القول بما قلنا عما او ما لاتين لكن نقول نحن انه لو كان استغفاره لمن ذكر خاصا لاصحاب الصغائر على ما قالوا لا يصير كان امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول استغفر لهم ولا يخبر عليهم انهم مغفورة ذنوبهم فيحصل قولهم على ما ذكرنا وذلك كفر وحشو من القول والله اعلم ثم يجيء ان يكون المعتزلة والخوارج في الظاهر ابعد الخلائق في المعاصي واقربهم الى الطاعات ونحن اقرب الخلائق الى المعاصي وابعدهم عن الطاعات لانهم لا يرون النجاة الا باعمالهم ولا يرون برحمة الله ولا بشفاعة احد ولكن باعمالهم فيجب ان يكونوا ابدا متمسكين ملازمين على الطاعات في كل وقت وساعة لا يعصون الله طرفة عين ونحن لم نر النجاة بالاعمال ولكن انما نرى ذلك برحمة الله تعالى وبشفاعة من ارتضى بشفاعته فيجب ان يكون معتمدين على رحمته وفضله غير مشتغلين بشيء من الطاعات ثم في الحقيقة يجب ان يكونوا هم اقرب الخلائق الى المعاصي وابعدهم من الطاعات ونحن الزم الخلائق بالطاعات وابعدهم عن المعاصي لانا نرى عند الله لطائف وفضائل باقية لم يعطنا ما لو اعطانا لم ... منا الا الخير والطاعات وسلمنا عن المعاصي وانواع الشرور والعصمنا فيجب ان يكون متمسكين على الطاعات لنصل الى تلك اللطائف وهم لا يرون بقي عنده شيء من اللطائف بل يقولون قد اعطانا كل شيء حتى لم يبق عنده شيء من مصالح الدين فيجب ان يكونوا ما ذكرنا والله اعلم ثم قولنا ان الله تعالى ينجينا برحمته وبشفاعة من جعل له الشفاعة لا باعمالنا وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والمعتزلة يقولون لا بل ندخل باعمالنا وكذلك قول الخوارج واصل قولنا ان الله عز وجل له ان يعذب عباده على جميع المعاصي على الصغائر والكبائر جميعا وله ان يغفر جميع المعاصي سوى الشرك والكفر على ما ذكرنا من دلائل الايات وغيرها وقوله عز وجل ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما قوله وسعت كل شيء رحمة فرحمة الدنيا يدخل فيها الكافر والمؤمن جميعا فاما رحمة الاخرة فهي للمؤمن خاصة وهو ما ذكر في قصة موسى عليه السلام حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون الاية كقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كانه يقول قل هي للذين امنوا والذين لم يؤمنوا ثم هي خالصة للذين امنوا يوم القيمة فعلى ذلك قوله وسعت كل شيء رحمة هي رحمة الدنيا جميع المؤمن والكافر جميعا في ذلك فاما رحمة الاخرة ليست الا للذين امنوا والله اعلم وقوله وعلما اي علم من فيها من الخلق وقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يحتمل وجوها احدها فاغفر للذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك الى دينك هو الاسلام والثاني اي فاغفر للذين تابوا عن الكبائر والفواحش واتبعوا سبيلك اي طاعتك والثالث فاغفر للذين تابوا عن جميع المعاصي صغائر وكبائر واتبعوا طاعتك والله اعلم وقوله عز وجل وقهم عذاب الجحيم ظاهر ثم قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما لا يمكن العمل بها على قول المعتزلة لان رحمة الله عندهم لا يسع واحد فانه ليس له ان يعفو عنه فان عندهم ان من ارتكب كبيرة ليس له ان يرحمه ولكنه يعاقبه على زعمهم خالدا مخلدا واذا كان قولهم مذهبهم فليست رحمته بواسعة بزعمهم ثم يقولون ايضا ان الله تعالى قد هدى كل كافر واعطاه ما يهتدي به لكنهم لم يهتدوا وانه لم يبق عنده ما يهديه به فعلى هذا القول رحمته لا تسع لهدايته كافرا فاذا رحمة الله تعالى بزعمهم على خلاف ما ذكر الله تعالى ووصفها بالسعة والله الموفق واما عندنا فهو ما ذكرنا من جميع الكل في ذلك لما ذكرنا ان تلك الرحمة هي رحمة الدنيا

واما

واما ذكرنا من كون اللطائف عنده من اعطاها اهتدى والله الموفق وقوله عز وجل ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم هذا يخرج على وجوه احدها ان الوعد كان منه لجملة المؤمنين فسالوا ان يدخل قوما على الاشارة والتعيين في جملة ذلك الوعد لاحتمال الخصوص في الجملة والله اعلم والثاني سالوه ان يجيبهم على الاسباب والاعمال التي يستوجبون ذلك والله اعلم والثالث يجوز ان يكون الوعد لهم بشرط الذي سالوه والله تعالى عالم في الازل انه يوجد ذلك الشرط وهو سؤالهم فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جائز قال الله تعالى كان على ربك وعدا مسؤولا انما يعدهم بسؤال هؤلاء على ذلك كان يجوز تقديره انه لا يعدهم اذا سالوا وعلم انهم سالوا وعلى ذلك الحديث الوارد ان الصدقة تزيد في العمر وهو تقدير في الازل انه يوجد منه الصدقة فيكون عمره زائدا على ما لو علم انه لا يتصدق وانما لا يجوز التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون في حق العباد ان يوجد عند وجود الشرط ولا يوجد عند عدمه ولا علم لهم بعاقبة ذلك والله تعالى عالم بالعواقب فمتى علق بشرط كان ذلك منه في الازل حكما على ان يوجد مع ذلك الشرط لا محالة لما علم وجود ذلك الشرط مع علمه انه لو لم يكن ذلك الشرط كيف كان والله الموفق اما ظاهر الاية انه انما وعدهم لادخالها لا لعلة فيها فلا معنى للسؤال في ذلك لما يخرج السؤال في مثله مخرج السؤال في تصديق الوعد والامتناع عن الخلف ولكن الاية يخرج على الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم الاية سالوه ايضا ادخال هؤلاء في ذلك الوعد ايضا على ما ذكرنا وقوله عز وجل وقهم السيئات هذا يحتمل انهم سالوا ان يقيهم في الاخرة امورا يسوءهم من الاهوال والافزاع وغير ذلك من العذاب ويحتمل في الدنيا امر الشرك وغيره يدل على ذلك قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يومئذ وذلك الفوز العظيم وقوله عز وجل ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الاية ذكر ان اهل النار اذا دخلوا النار وعاينوا ما انكروا من البعث والعذاب يجعل كل انسان منهم يمقت نفسه ويلومها فينادون ان لمقت الله اياكم فيما وجب عليكم من اللعن والنقمة اكثر مما يمقتون به انفسكم واشد هذا وجه ووجه اخر يجوز ان يقال لهم ان الواجب عليكم ان تروا مقت الله اياكم وقت ارتكابكم العصيان وعند تعاطيكم ما تعاطيتم اكبر واشد من مقتكم انفسكم حين عاينتم العذاب ودخولكم النار وانكم ان رايتم مقت الله اياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم انه ينزل بكم لزجركم ومنعكم عن ارتكاب ذلك وتعاطيه وحملكم على ايثار ما دعيتم اليه من التوحيد لله تعالى والايمان به والله تعالى اعلم وعلى هذا ينادي بتوجع ما قيل في قوله ولذكر الله اكبر احدها ان ذكر الله تعالى اياكم بالرحمة والمغفرة اكبر واعظم من ذكركم اياه بصلواتكم وعباداتكم له والثاني ان ذكر نفس نهي الله تعالى اياكم عن المعاصي وقت ارتكابها اكبر في الزجر عنها والمنع من الصلوة نفسها ان كانت الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر لما ان الصلوة فيها افعال تشغل عن ذكر النهي والله اعلم ثم قوله تعالى مقتكم انفسكم يحتمل وجهين احدهما اي من مقت بعضكم بعضا كقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ويحتمل ذلك لقوله ان الصلوة تنهى اي يمقت كل انسان نفسه لما كان من العصيان والكفر وانما احتمل هذين الوجهين لان المنع لهم من طاعة الله تعالى واتباع امره ونهيه يكون بانفسهم ويكون من بعضهم بعضا فيكون محتملا لكلا الوجهين وهو كقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا تهلكوا بعضكم بعضا اذ الظاهر ان المرء مع قيام عقله لا يهلك نفسه ويلقيها في التهلكة وكذا لا يسلم على نفسه ويحتمل الظاهر ايضا ان يسلم على نفسه اذا دخل البيت ولم يكن معه غيره ولذلك نهي عن اهلاك نفسه عند شدة الغضب ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل قالوا ربنا امتنا اثنتين قال بعض اهل التاويل كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما حياتان وموتتان وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويقولون كقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية وقال بعضهم قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين احدى الموتتين هي التي تنقضي بها اجالهم ثم يحييهم في القبور ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحيوتان والى هذا يذهب ابن الراوندي ويحتج بهذا على عذاب القبر وهو اشبه واقرب لانهم يكونون في اصلاب ابائهم امواتا لا يقال امتنا وهم كانوا امواتا وقوله عز وجل فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل يحتمل اعترافهم بذنوبهم هو ما انكروا في الدنيا قدرة الله تعالى على البعث والاحياء بعد الموت والعذاب ثم لما عاينوا ذلك وشاهدوا اقروا به فانكارهم ذلك هو ذنبهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذنوبهم التي عرفوا بها ما ذكر في سورة تبارك حين قال لهم الخزنة لما القوا في النار الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فيكون اعترافهم بذنوبهم هذا والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم قوله ذلكم بانه اي ذلك المقت الذي ذكر والعذاب الذي نزل بكم انما كان بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اي كفرتم بتوحيده وان يشرك به اي بتوحيد الله تؤمنوا به اي تصدقوا هذه الاية كقوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون فهما بمعنى واحد والله اعلم وقوله عز وجل فالحكم لله العلي الكبير قال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمة قال لا

هم القراء قال عليه السلام لبسوا بالقرا ولكنهم القبا بون الجبا بون قالوا انهم يقولون لا حكم الا لله قال علي رضي الله عنه كلمة حق اريد بها باطل وذكر وعرى بها باطل وقوله عز وجل هو الذي يريكم اياته اختلف في قوله يريكم هو ما اراهم بتكذيب رسله وتصديقهم منا وابلغه حيث استاصل هؤلاء بتكذيبهم رسله وانجى مصدقيهم بتصديقهم اياه ليحذر هؤلاء عن تكذيب رسوله وقال بعضهم اراهم ايات وحدانيته وربوبيته وقدرته وسلطانه في السموات والارض ما لو تاملوا لعرفوا ذلك وهو كقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض ايات وحدانيته وربوبيته وذكر انهم يرون عليها اي يرونها لكنهم يعرضون عنها والله اعلم وقال بعضهم في قوله هو الذي يريكم اياته يا اهل مكة اذا سافرتم رايتم ايات المتقدمين ومنازلهم وهلاكهم وهو الاول بعينه وقوله تعالى وقوله عز وجل وينزل لكم من السماء رزقا يخبر عن ايات وحدانيته ايضا انه ينزل رزقهم من السماء وجعل الخلق ينقطع عن استنزال الرزق من السماء ليعلموا ان منشئ الارض والسماء واحد حيث اتصل منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما ويحتمل انه يذكر نعمه عليهم حيث يعلمو انه هو الذي انزل ارزاقهم من السماء دون من يعبدون من الاصنام فكيف يصرفون عبادتكم وشكركم الى غيره وقوله وما يتذكر الا من ينيب اي وما يتذكر بما ذكر من الايات ولا يتاملها الا من ينيب اليه بطاعته او يقول لا يتذكر ولا يتعظ باياته ومواعظه الا من ينيب اليه ثم بالقبول لامره وطاعته وقوله عز وجل فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كان هذا صلة ما تقدم من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية وصلة قوله ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم كقوله فادعوا الله يا اصحاب محمد وايها المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ذلك ووحدوه ولا تشركوا به شيئا على ما تشرك به اهل مكة والله اعلم وقوله عز وجل رفيع الدرجات يحتمل وجهين احدهما رفيع السموات درجة على درجة وطبقا على طبق على ما وصفها واحدة على اخرى والثاني قوله رفيع الدرجات اي درجات اهلها ومنازلهم التي جعلها لهم في الاخرة على تفضيل بعض على بعض في الدرجات كقوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اخبر انه فضل بعضا على بعض في الدرجات في الاخرة فجايز ان يكون ما ذكر من رفيع الدرجات هي رفيع السموات درجة فدرجة فهو اخبار عن قدرته وسلطانه انه من قدر على رفع السموات في الهواء واقرارها فيه بلا سبب من اسباب ساكها من التعليق بشي مع ثقلها وغلظها ولا شي يقرها في الهواء بحيث لا يخط ولا يسفل ولا يرتفع عن اماكنها بلا سبب من الاسفل والاعلى لا يحتمل ان يعجزه شي او يخفى عليه شي او يمنعه عما يريد والله اعلم وان كان المراد بالدرجات التي يجعل لاهلها في الاخرة انما يستوجبونها بالله تعالى باعمال يكون لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذو العرش يلقي الروح من امره اختلف فيه قال بعضهم هو جبريل عليه السلام يلقي اي ينزل بالوحي والنبوة على من يشاء من عباده كقوله نزل به الروح الامين على قلبك اخبر انه امين ليعلم انه ليس في تنزيله غلط ولا شي مما قاله بعض الروافض انه بعث الى فلان اداه الى غيره وقال بعضهم الروح هاهنا هو الوحي والرسالة يقول يلقي وهو الوحي على من يختار ويصطفي من عباده الله والله اعلم وقوله عز وجل لينذر يوم التلاق اختلف فيه قال بعضهم يوم تلقى اهل الارض اهل السماء وقال بعضهم يوم تلقى الاخرون الاولون وجايز ان يكون قوله يوم تلقى الانسان عمله وافعاله التي عملها والله اعلم وقالت الباطنية اي يوم تلقى الصور والمتولدة من الاجساد باعمال الخير والشر التي كانت لهم في الدنيا الصورة التي كانت لهم روحانية لان من مذهبهم ان من مات منهم يحدث ويتولد بالاعمال التي كانت لهم من الخير صور روحانية يلقى هذه الصورة الحادثة المتولدة من الاجساد بعد الموت ويكون البعث عندهم للارواح فيتصل هذه الارواح الروحانية بالنور والعرف ويستدلون بقوله يوم هم بارزون اي يبرز تلك الصور الروحانية من الاجساد اذ الخلق كلهم في جميع الاحوال والاوقات بارزون ظاهرون لله تعالى لم يكونوا في وقت المستورين عنه ولكن هذا فاسد لانه لو كان الامر على ما يقوله الباطنية لكانت لا نفس اذا نامت وخرجت منها الصور الروحانية فرات رويا كانت برها مختلطة غير متحققة وفي حالة اليقظة برها متحققة غير مختلطة دل ان الادراك للاجساد بواسطة الصور والروحانية يجب ان يكون البعث للكل والله اعلم ولكن الوجه في ذلك ما ذكرنا واصله انه سمى ذلك اليوم على ما سمى يوم الجمع ويوم التغابن ويوم الحشر وغير ذلك سمى ذلك اليوم على اسماء مختلفة كل اسم لذلك لمعنى غير المعنى الاخر والله اعلم وقوله عز وجل يوم هم بارزون قال بعضهم اي ظاهرون لا شي هنالك يسترهم اي يرتفع يومئذ جميع السواتر وهو كقوله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا شي يستر فيها يذكر هذا لان من الناس من يقول بستر الاشياء عن الله تعالى بالسواتر والظلم ويحتمل ان يكون قوله يوم هم بارزون سمى ذلك اليوم البروز لما يقفون جميعا ويقرون بالكلمة التي اختلفوا في الدنيا فيما بينهم دون جميعا متفقين مقرين على تلك الكلمة يومئذ وهي كلمة التوحيد والله اعلم ويحتمل ان يكون سماه يوم البروز والمصير والرجوع وما ذكر ان المقصود عن انشاء الدنيا وما فيها من الخلائق ذلك اليوم وتلك الدار وكذلك صنا دانشا الدنيا وانشاما فيها حكمة لما عرف ان الانشاء للافناء خاصة ليس بحكمة فخص ذلك اليوم بما ذكرنا وان كانوا في جميع الاحوال بارزين اليه ظاهرين له والله اعلم وقوله عز وجل لا يخفى على الله منهم شي ظاهر وهو رد لقول من يقول ان شيئا يستر على الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال عامة اهل التاويل اذا اهلك تعالى اهل الارض واهل السماء فلم يبق احد الا الله تعالى فعند ذلك يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه

احد

حد فيقول هو لنفسه ويجيب نفسه لله الواحد القهار ولكن هذا بعيد لا يحتمل ان يقول لمن الملك اليوم ولا احد سواه ويجيب نفسه لله الواحد القهار لما لا حكمة في ذلك ان يسال نفسه ثم يجيبها لكن الوجه فيه والله اعلم انه انما يقول لهم ذلك اذا بعثهم واحياهم لمن الملك اليوم فيقول الخلايق له باجمعهم لله الواحد القهار يقرون له جميعا يومئذ بالملك والربوبية وان كان بعض الخلايق في الدنيا قد نازعوه في الملك فيها وادعوا لانفسهم فيقرون يومئذ ان الملك في الدنيا والاخرة لله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اي من خير او من شر لا ظلم اليوم اي لا تجزى غير ما كسبت ويحتمل لا ظلم اي لا نقصان في الحسنات التي عملوها ولا زيادة على السيئات التي اكتسبوها وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب قد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم وقوله عز وجل وانذرهم يوم الازفة سمى ذلك اليوم الازفة القربة ودنوه منه وعلى ذلك سماه غدا وقريبا كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم الاية تعلى ذلك سماه ازفت لدنوه وقربه منهم يقال ازف فلان الى فلان اي قرب ودنا منه ومعناه اي انذرهم بما اليه مرجع عاقبتهم ومصير هؤلاء اهل الغفلة والتمني انما يعلمون ويسعون للعاقبة وما اليه يرجع امورهم وهو ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل اذ القلوب لدى الحناجر يخبر عن شدة حالهم وفزعهم في ذلك اليوم ليس انه يزول قلوبهم عن اماكنها و يرتفع الى الحناجر حقيقة ولكن وصف لشدة حالهم في ذلك اليوم وكثرة خوفهم وفزعهم وضيق صدورهم وهو كقوله تعالى وضاقت عليهم الارض بما رحبت اي ضاقت صدورهم وقلوبهم بما حل بهم من الشدايد والاهوال ليس ان ضاقت الارض في الحقيقة مضيقة لا يسعونه فيها ولكن وصف لضيق صدورهم لعظم ما نزل بهم فكني بضيق الارض عن ضيق صدورهم فعلى ذلك جايز ان يكون ما ذكر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم لشدة حالهم وعظيم ما حل بهم والله اعلم والحناجر هي مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الدواب واحدها حنجرة وقوله عز وجل كاظمين قال بعضهم الكاظم المغموم الذي يرد حزنه في جوفه غيظا ما كان منه في الدنيا وقيل الكاظم لا يتكلم قد كظم من الخوف وقيل الذي لا ينفتح فيه وهو قريب بعضه من بعض والله اعلم وقوله عز وجل ما للظالمين من حميم اي قريب وقيل الحميم هو الذي يهتم بامر صاحبه ويسعى في دفع ما نزل به من البلاء وقوله عز وجل ولا شفيع يطاع اي يجاب يذكر انه لا يكون لهم في الاخرة قريب يهتم لامرهم ولا شفيع يشفع لهم فيجاب كما يكون في الدنيا وكذلك قوله لا ينفع شفاعة الشافعين اي لا يكون لهم شفعاء ينفعهم شفاعتهم وهو ما قال عز وجل في اية اخرى لا خلة ولا شفاعة الاية وقوله عز وجل يعلم خائنة الاعين والخيانة والمرة وهو ما قال عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة منهم وقال بعضهم هي النظرة بعد النظرة اما الاولى فليس فيها شي واما الثانية فعليه ما فيها وقوله عز وجل وما تخفي الصدور اي ما لم يتكلم به ولم يعمل كل ذلك يعلمه الله تعالى وقال بعضهم خائنة الاعين هي النظرة فيما لا يحل والعزم بعينه وهو مثل الاول وقال بعضهم خائنة الاعين هي التي ينظر بها غفلة الناس اذا غفلوا عنه نظر الى ما يهواه ويحبه وما تخفي الصدور وهو ما ذكر عز وجل يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يذكر هذا ليكونوا ابدا مراقبين انفسهم حافظين لها عما لا يحل من السمع والبصر والفؤاد على ما ذكر في اية اخرى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ليكونوا ابدا على حذر من ذلك وخوف والله اعلم وقوله عز وجل والله يقضي بالحق قال اهل التاويل اي يحكم بالحق والقضاء المذكور في الكتاب يخرج على وجوه احدها يقضي اي يامر كقوله تعالى وقضى ربك اي لا تعبدوا الا اياه وكقوله اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا امرا يقول والله يقضي بالحق اي يامر بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي اي لا يملكون الامر بالحق فكيف تعبدون من دونه والثاني القضاء الوحي والخبر كقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اوحينا اليهم فكانه يقول والله يوحي بالحق ويخبر به والذين يدعون من دونه لا يملكون الوحي ولا الخبر فكيف اختصتم عبادتهم على عبادة من يوحي بالحق ويخبر والله اعلم والثالث القضاء هو الخلق والانشاء كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن فيكون قوله على هذا والله يقضي بالحق اي يخلق بالحق والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا وقد يعلمون استحقاق العبادة انما يكون بالخلق والانشاء وهو كقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله تعالى خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يقول لخلق من يدعونه من دونه كخلق الله حتى تشابه ذلك عليهم فعبدوهم اذ يعلموا ان من خلق ليس كمن لم يخلق وقد يعلموا انهم لم يخلقوا شيئا فكيف عبدوها والله اعلم ثم قول اهل التاويل ينبغي بالحق اي يحكم بالحق يخرج على وجهين احدهما اي يحكم بالحق في الدنيا بالايات والحجج ما عرف كل احد انها حجج وايات وبراهين والحكم بما ذكر حكم الحق والثاني اي يحكم بالحق في الاخرة وهو الشفاعة اي لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون على رجاء الشفاعة كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولكن انما يجعل لمن ارتضى كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والله اعلم وقوله تعالى انه هو السميع البصير روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال السميع للمؤمنين والبصير اعقابا وكيف وقيل السميع لا قوالهم البصير باعمالهم وجايز ان يكون قوله تعالى ان الله هو السميع البصير صلة ما تقدم من قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور يقول السميع بما يكون منهم ظاهرا من قول او فعل والبصير بما اخفوا في قلوبهم وكن صدورهم وهو يخبر بهذا ليكونوا ابدا مراقبين حافظين وما خفي والله اعلم وقوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هذا يخرج على وجهين احدهما قال الحسن انهم لو سافروا نظروا في اثار من كان قبلهم من مكذب الرسل لكان لهم في ذلك زجر ومنع عن مثل صنيعهم او كما قال بعضهم هو على الخبر اي قد سافروا في الارض فنظروا

في اثارهم تعذبهم لكنهم لم ينظروا ولم يعتبروا وانه لماذا اصابهم والله اعلم وقال قايلون هو على الايجاب والالزام اي سيروا في الارض
وانظروا في اثار اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كقوله من قبل قد سيروا في الارض فانظروا ولكن نقول ليس على حقيقة السير في الارض
بالاقدام ولا النظر بالعين والبصر ولكن امرهم بالتفكر والاعتبار في اثار من كان قبلهم والى ماذا صار عاقبة امر من صنع مكذبي
الرسل ومصدقيهم لينزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم ويرغبوا في مثل صنيع مصدقيهم والله اعلم وقوله عزوجل وكانوا هم اشد
قوة في ابدانهم وانفسهم واثارا اي خبرا وذكرا في الارض ويحتمل اثارا في الارض اي اشد عمالا في الارض وليس كما يقول بعض المعتزلة ان
انهم كانوا اشد منهم قوة في الخيرات فان كان ماذكر فذلك لكونه اصلح لهم وهذا بعيد سمج من القول والوجه فيه ماذكرنا انهم كانوا اشد
منهم قوة في ابدانهم وانفسهم وقوله عزوجل فاخذهم الله بذنوبهم يخبر ان اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا اشد من هؤلاء قوة و
اشد اثارا في الارض ثم لم يمنعهم شدة قوتهم في ابدانهم وانفسهم وما ذكر اثار الارض ولم يدفعوا عن انفسهم وما نزل بهم من عذاب الله
فانتم يا اهل مكة دونهم في البطش والقوة فكيف تمنعون عذاب الله اذا نزل بكم والله اعلم وقوله عزوجل وما كان لهم من الله من واق
ذكر والله اعلم ان اولئك قد عبدوا الاصنام رجاء ان يشفع لهم في الاخرة وتقربهم الى الله زلفى كما تعبدون انتم على رجاء الشفاعة لكم
والتقريب اليه ولو كانت عبادتهم اياها طريق الشفاعة وسبب التقريب لكان يقيهم من عذاب الله في الدنيا وهو كما ادعت اليهود انهم
ابناء الله واحباؤه فقال رد عليهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي في الدنيا لو كنتم على ما تزعمون اذ لا احد يهلك ويعذب ولده و
حبيبه في الدنيا فعلى ذلك الاول وقوله عزوجل ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقوله ذلك يقول ذلك العذاب و
الاهلاك الذي نزل بهم لما كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا وكذبوا الايات والادلة التي رسلهم انهم رسل الله اليهم فاصابهم
ما اصابهم كذلك فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم الرسول بعد ما اتاكم بالبينات والادلة على رسالته ينزل بكم ما نزل باولئك بالتكذيب والعناد
ورد الايات والادلة والله اعلم وقوله عزوجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل باياتنا اي بحججنا وذكرنا انه يحتمل ان الايات والسلطان
واحد ويحتمل انها غيران وقوله عزوجل الى فرعون وهامان وقارون ليعلم انه كان مبعوثا الى الكل لم يبعث الى بعض دون بعض وقوله
عزوجل فقالوا ساحر كذاب دل قولهم ساحر كذاب على ان موسى عليه السلام قد اتاهم من الايات والحجج ما عجزوا عن اتيان مثلها والمقابلة
لها فخافوا ان يتبعه الناس لذلك فموهوا بقولهم ساحر كذاب على الناس لئلا يتبعوه فيما يدعي لما عرفوا ان السحر ليس يعرفه كل
احد وان اكثر الناس يعجزون عن السحر وكانوا يعرفون ان السحر يكون كذبا فموهوا بذلك القول امر موسى عليه السلام على اتباعهم ونسبوه
الى الكذب من غير ان ظهر من موسى كذب قط وقد كان لم يزل من فرعون تمويه وتلبيس على قومه امر موسى مخافة ان يتبعوه لما اتاهم
من الحجج والادلة التي ظهرت عندهم انها حجج وادلة من ذلك وقوله عزوجل يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وقوله انه لكبيركم الذي
علمكم السحر قال هذا بعد ما ابصر السحرة وامنوا به ليموه بذلك امرهم على من لم يتبع موسى من الاتباع وقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
لتخرجوا منها اهلها ونحو ذلك من التمويهات التي كانت منه فعلى ذلك هذا القول منهم حيث قالوا ساحر كذاب لانهم اعتادوا وجاز
ان يكون توهم انه كذاب لانهم اعتادوا عبادة الاصنام دون الله تعالى فلما جاء موسى صلوات الله عليه بما يمنعهم عن عبادة ما اعتادوا
من العدد ودعاهم الى عبادة الواحد قالوا انه كذاب وكذلك قال اهل مكة لرسولنا وسيدنا صلى الله عليه وسلم انه ساحر كذاب
اجعل الالهة الها واحدا سموه كذابا لما دعاهم الى عبادة الواحد ومنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد والله اعلم وقوله عزوجل
فلما جاءهم بالحق من عندنا قال بعضهم اي جاءهم بالتوحيد وقال بعضهم اي جاءهم بالرسالة وكان غير هذا اقرب اي فلما جاءهم بما
ظهر عندهم من الحجج انها ايات وانها من عندنا جاء والله اعلم وقوله عزوجل قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ومعاندتهم

ومعاندتهم ومكابرتهم انا بلغوا في العناد غايتهم ونهاية نهاياتهم والله اعلم وقوله عزوجل اني اخاف ان يبدل دينكم قد كان
هنالك تبديل الدين فانه قد اظهر موسى عليه السلام دين الحق وامن من اتباعه لكن كان ما اراد والله اعلم بقوله ان يبدل دينكم اي يغير
دينكم من الاصل وقوله عزوجل او ان يظهر في الارض الفساد ذكر الفساد وسمى اظهاره التوحيد في الارض ودين الاسلام فسادا لعلمه ان كل
شيا وان كان مبطلا في دعواه فعنده انه على حق وان خصمه باطلا لا يقبل قول احد على احد الا ببرهان والله اعلم يحتمل ان فرعون اللعين اراد
بقوله وان يظهر في الارض الفساد قتل ابنائهم اي يقتل موسى ابنائكم مجازاة لما قتلتم انتم ابناءهم والله اعلم وقوله عزوجل وقال موسى اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يحتمل قوله من كل متكبر اي متكبر على التوحيد ويحتمل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يدعو
الرسول اليه الا يؤمن بيوم الحساب والله اعلم وقوله عزوجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون هذا يحتمل وجهين احدهما من آل فرعون في الظاهر
والا لم يكن في الحقيقة من آله انما هو من آل موسى واتباعه حيث امن به وترك الاتباع فرعون والله اعلم والثاني من آله اي من نسبه لانه ذكر انه
كان ابن عمه والله اعلم وقوله عزوجل يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه ولا يظهر الموافقة لهم على ما هم فيه اذ قدر على الكتمان دون اظهار الكفر
لهم وعلى ذلك المكره على اظهار الكفر اذا قدر على ان لا يظهر ما اريد منه من كلمة الكفر ولا يقتل بالامتناع لا يسع له اظهار ذلك ثم ان كان
لم يقدر فخشي ذبيح فعلى ذلك ماذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فيه اخبار انه كان يكتم ايمانه
اشفاقا على نفسه لما خاف اهلاك رسول الله موسى عليه السلام فقد ذلك اظهر ما كان يكتم وان كان في اظهار ذلك اهلاك نفسه
بعد ان يرجو نجاة نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهكذا يجب ان لا يسع كتمان ما كان يكتمه وان كان نفسه يهلك
اذا ظهر اذا كان في اظهار ذلك نجاة رسول من رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام يرجى به دفع الهلاك بها عن نفس
ذلك الرسول ولذلك ذكر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان اهل مكة لما هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاكه التقى
ابوبكر رضي الله عنه نفسه عليه وقال ما قال ذلك الرجل الذي كان يكتم ايمانه حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فعند ذلك
نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن نزل قبل ذلك والله اعلم وقوله عزوجل وقد جاءكم بالبينات ما بين انها ايات من
عند الله لا اختراعا من موسى عليه السلام ويبين انه صادق فيما يقول ويدعي وقوله عزوجل وان يك كاذبا فعليه كذبه وان
يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي وان كان كاذبا فيما يدعوكم اليه فعليه كذبه وان يك صادقا فيما يقول ويدعي يصبكم
بعض الذي يعدكم فهو يعلم انه صادق فيما يقول حقيقة ولكن لما كان عند القوم اختلال الامر ذكر على ما في زعمهم دفعا القتل عن موسى
عليه السلام ثم الاشكال انه قال يصبكم بعض الذي يعدكم ذكر انه يصيبهم بعض الذي يعد والرسل اذا وعدوا شيئا يصيبهم بكماله
لا يجوز ان يكون خلاف ما اخبروا ادون ماذكروا لكن يخرج على وجوه احدها انه كان وعد ايام ان يصيبهم العذاب في الدنيا
والاخرة فيقول يصبكم بعض الذي يعدكم وهو ما وعدهم انه يصيبهم في الدنيا واما ما وعدهم في الاخرة فهو يصيبهم في دار الاخرة
وهو في الاخرة فما اصابهم في الدنيا فهو بعض ما جرى الوعيد منه لهم لان الوعيد كان منه في الدنيا والاخرة والله اعلم والثاني يحتمل
انه كان عليه السلام وعدهم بانواع من العذاب وقد اصابهم بعض ذلك من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونحو ذلك
وفي بعض ما وعدهم هو هلاكهم فكانه يقول لهم انه قد اصابكم كثيرا من ذلك فيصيبكم بعض ما يعدكم الذي فيه هلاككم مبالغة
في الزجر لما قد اصابهم ما وعدهم من انواع العذاب ولم يكن وعده كذبا فبعض ما يعدكم وهو الهلاك كيف يكون كذبا والله اعلم والموفق
والثالث يراد بالبعض الكل لانه اراد بهذا البعض الهلاك وهو البعض الاقصى فيدخل العالي لان اذا وعدوا بانواع من العذاب منها الهلاك
يكون الهلاك هو البعض الاقصى اذ لا عذاب في الدنيا بعد الهلاك فيكون سائر انواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك فاذا اريد بهذا
البعض يدخل فيه ما قبله ويكون ذكره ذكر الكل اذ لا وجود له بدون سائرها لذلك قال يصبكم بعض الذي يعدكم اي يصبكم كل
الذي يعدكم والله اعلم وقوله عزوجل ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يهدي من هو في علمه انه
يموت مسرف وكذاب والثاني لا يهدي من هو مختار الاسراف والكذب وقت اختيارهم الاسراف والكذب وقوله عزوجل يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ان يقول ذلك بعد ما سالوه ان يتبع
دينهم وما هم فيه اي لو اتبعتكم واجبتكم ومعكم الملك والحشم والغلبة وليس معي ذلك فاذا جاء باس الله وعذابه فمن يمنعني
عنه بما معكم فمن ينصرنا بامر عذاب الله وليس معنا ذاك وان كان يعلم حقيقة انما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب لكن قال ذلك بناء
على اعتقادهم اظهار العذر عندهم كيلا يقبلوا على قتله اصابته حيرته ومثل هذا لا باس به والله اعلم والثاني يقول على الدوام
واظهار الموافقة لهم في الظاهر يقول انه قد جاءنا من الله البينات ما وضح الحق وبين السبيل فاذا رددناه ذلك وكذبناه جاءنا باس
حملة وعذابه فمن يمنعنا عنه وينصرنا بعذابه اذا خالفناه وتركنا اتباع دينه على هذين القولين يخرج القول منه والله اعلم
وقوله عزوجل قال فرعون ما اريكم الا ما ارى قال بعضهم اي ما امركم الا بما ادين به لنفسي وقال بعضهم ما اختار لكم الا ما اختار
لنفسي ذلك لكن لعالمين ان يختار لهم ما اختار لنفسه لان ما اختار لنفسه باطل فاسد وكذب بالعيان ايضا حيث قال ما اختار لكم
الا ما اختار لنفسي لانه اختار لهم ان يعبدوه ولم يختر لنفسه عبادة اولئك انه يعبدهم فهو كذب من القول وقوله عزوجل وما اهديكم

وما اهديكم سبيل الرشاد كذب ايضا في قوله ثم لا يهديهم الا سبيل الرشاد بل كان يهديهم سبيل الغي وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كان فيه اضمار القول اي اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
ويوما مثل قوم نوح وعاد فهو والله اعلم صلة قوله فيما تقدم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
وعظهم مرة واحتج عليهم بما جاءهم موسى بالبينات حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم و
تتركون اتباعه وتتبعون رجلا لم ياتكم بالبينات هذا منه احتجاج عليهم ان كيف تقتلون رجلا وتتركون اتباعه بعد ما جاءكم
بالبينات من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان بسفههم في صنيعهم الذي ارادوا ان يصنعوا به والله اعلم و وعظهم
ايضا وعظا لطيفا فيه دفق حيث قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يقول والله اعلم
لكم ان قتلتم ذلك الرجل بعد ما جاءكم بالبينات وتركتم اتباعه فجاءكم عذابه وباسه فمن ينصركم عن ذلك العذاب ويمنعكم عنه
اذ قتلتم نبيه بغير حق ثم وعظهم وعظا بما نزل بمكذبي من كان قبلهم من الرسل حيث قال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ثم دابهم
قوم نوح وعاد وثمود يقول اني اخاف عليكم ان ينزل بكم ويقع عليكم من عذاب الله ونكبة بتكذيبكم الرسول موسى عليه السلام وترككم اتباعه
بعد ما جاءكم بالبينات انه رسول وانه صادق فيما يقول ويدعي كما نزل ووقع من العذاب بالاحزاب الذين كانوا من قبلكم ممن كذب بكذبهم
الرسل واستقبالهم اياهم بما استقبلوا بعد ظهور صدقهم عندهم بما تستقبلون انتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم بالبينات
التي جاءكم والله اعلم ثم ما ذكر من الاحزاب يحتمل ان يكون تفسير ما ذكر انه من قوم نوح وعاد وثمود ويحتمل سواهم من الامم والله اعلم ثم
قوله مثل داب قوم نوح وعاد وثمود قال بعضهم اي مثل صنيع قوم نوح ومن ذكر وفعلهم وقال بعضهم اي مثل عذاب قوم نوح ومن
ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما الله يريد ظلما للعباد وفي هذه الاية للمعتزلة نوع تعلق يقولون ان الله تعالى لا يريد من العباد ما
تفعلونه من افعال الظلم والجور وقد اخبر الله تعالى انه لا يريد ظلما للعباد فكان الاية في التحقيق عليهم لانه قال في اية اخرى يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اخبر انه اراد ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ولو لم يرد منهم ما يستوجبون به العذاب كان في تعذيبهم
اياهم ظالما على زعمهم دل انه اراد منهم ما يستوجبون به العذاب وهو فعل الظلم والله اعلم ثم تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما
ان الارادة هي صفة كل من فاعل يفعل عن اختيار فكانه قال والله لا يظلم عباده كقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد والثاني فيه
اخبار انه لا يعاقب احدا بذنب غيره ولا يؤاخذ بجرم غيره ولا يزيد على قدر ما يستحقون به العذاب ولا ينقصهم من ثواب حسناتهم
كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وغير ذلك من الايات ما فيها اخبار انه لا يجزيهم باكثر ما يستوجبون ليس على قول اولئك
والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين الاية وعظهم ايضا بعذاب الاخرة وما يكون منهم
من الندامة بتركهم اتباع الرسول بعدما وعظهم بعذاب الدنيا وما نزل باوائلهم بصنيعهم وهو ما قال اني اخاف عليكم يوم
التناد يوم تولون مدبرين الاية ثم قوله يوم التناد فيه لغات ثلاث احدها يوم التنادي بالياء والثانية بالتخفيف على حذف
الياء والثالثة بالتشديد فمن قراها بالتشديد يقول هو من ند يند ندا اذا مضى على وجهه هاربا فارا من عذاب الله اذا عاينوا
العذاب ومن ند الابل وغيره والله اعلم ومن قرا بالياء فهو التفاعل من النداء فهو على نداء بعضهم بعضا يوم القيامة كقوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقوله عز وجل ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون وقوله يوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين ونحوه ومن قرا بغير الياء فقد حذف الياء كقوله فاقض ما انت قاض واصله التنادي والله اعلم ثم قوله تعالى يوم تولون
مدبرين قال بعضهم يوم تولون هاربين من النار مدبرين منها كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وقوله عز وجل ما لكم من الله من عاصم اي ما لكم
من عذاب الله اذا نزل بكم من مانع يمنعكم من عذابه وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد قد ذكرناه وقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات اي جاءكم يوسف من قبل موسى عليهما السلام بالبينات اي بالايات والادلة على الرسالة وصدقه جائز ان يكون هذا
قول ذلك الرجل لقومه يخبرهم عن سفه اوائلهم من تكذيبهم يوسف بارض مصر قبل موسى وما كان القول منهم بعد ما ذهب من بينهم وذكر
اياته وحججه التي اتاهم بها وما اخبرانهم واوائلهم لم يزالوا في شك وريب مما جاءتهم الرسل من الايات والادلة وهو ما قال عز وجل فما زلتم
في شك مما جاءكم به يقول لم تزل عادتكم وعادة اوائلكم هذا وقوله عز وجل حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا جائز ان
يكون وان خاطبهم بقوله جاءكم يوسف بالبينات وقوله فما زلتم في شك مما جاءكم وقوله قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا انما اراد
اباءهم واوائلهم لان يوسف عليه السلام لم يكن في زمن هؤلاء ولكن عيرهم على ما عاب الابناء بصنيع ابائهم في غير اي من القران
كقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وهؤلاء لم يقتلوا الانبياء ولا اتخذوا العجل وانما فعل ذلك اباؤهم واوائلهم
ثم جاء العتاب لهم بصنيع ابائهم واوائلهم فعلى ذلك هذا وجائز ان يكون وان خاطبهم بما ذكر من سوء الصنيع والتكذيب انما
يخبر عن صنيع ابائهم واياهم فيحذرهم عن مثل صنيع اولئك من التكذيب لهم والرد لهم والقول بعد ذهابه من بينهم والكذب على
انه لم يبعث رسولا يقول ما كان يكذبونه ويردونه اياه في حياته ثم يقولون اذا مات موسى لن يبعث الله من بعده رسولا كما قال اوائلهم اذا مات

يوسف

يوسف لم يكن من بعده رسول بقولهم حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا فيشبه ان يخرج الاية على هذا والله اعلم وقوله
عز وجل كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب فقد ذكرنا تاويله من وجهين فيما تقدم ثم قوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا يخرج على وجهين احدهما انهم انكروا رسالة غيره بقولهم لن يبعث الله من بعده رسولا والثاني انكروا رسالته في
حال حياته ولم يؤمنوا به فاذا هلك انكروا ان يكون هو مبعوثا اليهم رسولا فيحذر هؤلاء صنيع اولئك ان لا يكونوا كاولئك في انكار
وانكروا رسالة غيره من الرسل بعده او يقولوا لا تكونوا كاولئك يكذبونه ما دام حيا فاذا هلك يكذبون رسالته يحذرهم سفه
اوائلهم والله اعلم وقوله عز وجل الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم اي يجادلون في دفع ايات الله وردها بغير حجة
وسلطان اتاهم من الله او بغير حجة مكن لهم الاحتجاج بها والا كان اهل الايمان قد يجادلون فيها حتى اظهروا انها ايات فقاموا بها وا
قروا بها لكن الوجه فيه ما ذكرنا اي يجادلوا في دفع ايات الله وردها بغير حجة اتاهم كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق والله اعلم وقوله كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا هكذا الواجب على اهل الايمان ان يمقتوا من الاعمال ما مقتها الله تعالى ويمقتوا
من مقته الله تعالى من اصحابه وعلى ذلك ذكر ان خياركم من احب ما احبه الله ويبغض ما يبغضه الله او كلام نحوه وشراركم من احب ما يبغض الله
ويبغض ما احبه الله تعالى وقوله عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اي هكذا يطبع الله على كل قلب من جادل في دفع ايات الله
وردها بغير حجة اي يطبع على كل من عود التكبر والتجبر على الايات والرسل والله اعلم ثم قوله كذلك يطبع الله من هو كذلك وكذلك
يضلل ونحوه كله حروف الاعتدال يبين الله تعالى العلل التي لها لا يهديهم ويضلهم وكذلك في قوله لا يهدي من هو مسرف كذاب ومسرف
مرتاب ونحوه اي لا يهدي من كان طبعه وعادته الاسراف والكذب وكذا من التعود في دفع الايات والحجج بلا حجة وبرهان فاما من كان
طبعه وعادته غير هذا لكن يحمل جهل ذلك او لما لم يتحقق عنده لظنه وقلة التامل او لاشتغاله بامور الدنيا والمعنى من المعاني يجوز ان
يهديه الله تعالى ويرشده على هذا يخرج هذه الايات والله اعلم وعلى ذلك ما كان من فرعون اللعين من التمويه والتلبيسات على اتباعه
في امر موسى عليه السلام بعد معرفته ان ذلك ليس بقدح في الايات والحجج التي اتاهم موسى عليه السلام اراد ان يموه ويلبس على قومه لكن
من كان عادته وطبيعته ما ذكرنا من التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الايات بلا حجة والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى ويطبع
على قلبه والله اعلم وقوله عز وجل وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى
المشبهة تتعلق بظاهر هذه الاية يقولون لولا ان موسى عليه السلام كان ذكر واخبر فرعون ان الاله في السماء والا لما امر فرعون هامان
ان يبني له ما يصعد به الى السماء ويطلع الى اله موسى على ما قال تعالى خبرا عن اللعين لكنا نقول لا حجة لهم فانه جائز ان يكون هذا
بعض التمويهات التي كانت منه على قومه في امر موسى عليه السلام ومن بعض مكايده التي كانت منه من نحو قوله ساحر كذاب وقوله
انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ونحو ذلك من التمويهات التي كانت منه فعلى ذلك قوله ابن لي صرحا
فاطلع الى اله موسى تمويه منه على قومه بموسى يقول ان موسى انما يدعو الى اله في السماء فهو يقول الاله يكون في الارض يموه بذلك على الناس لم
موسى من غير ان كان من موسى ذكر وخبر ان الله تعالى في السماء على ما كان منه سائر التمويهات وان لم يكن من موسى ذكر تلك التمويهات له
والله اعلم ويحتمل ان فرعون قال ذلك لما راى ان البركات والخيرات تنزل من السماء فظن انه في السماء ثم اختلف في الاسباب قال بعضهم
اسباب السموات ابوابها ويحتمل اسباب السموات هي الطرق التي يصعد الى السماء وحقيقة الاسباب هي ما يوصل بها الى الاشياء ويقصد اليها
وقد علم اللعين انه لا يصل الى ذلك بما ذكر من بناء الصرح لكنه اراد بذلك ما ذكرنا من التمويهات والتلبيس على قومه والله اعلم وقوله
عز وجل واني لاظنه كاذبا بعد ما قطع القول فيه انه كاذب وانه كذاب ليعلم انه كان على حق وانه صادق لكنه يموه بذلك على قومه
وقوله عز وجل وكذلك زين لفرعون سوء عمله قال بعضهم اي زين الشيطان عليه سوء عمله بالاتباع وكثرة الاموال والحشم الذي اعطي
له سوء عمله بالاسباب التي اعطيت له فيكون الله تعالى هو زين له سوء عمله فاعطاء الاسباب ويحتمل زين له سوء عمله اي خلق في طبعه ان
يرى ذلك حسنا مزينا وان كان قبيحا في نفسه حقيقة على ما تقدم ذكره وقوله عز وجل وصد عن السبيل وقرئ وصد بالفتح فله معنيان
احدهما صد هو بنفسه صدودا والثاني صد هو الناس عن سبيله صدا ومن قرا صد بالضم اي لم يوفق ولم يرشد لما علم منه اختيار ضده
وقوله عز وجل وما كيد فرعون الا في تباب اي في خسار والتباب الخسار كقوله تعالى تبت يدا ابي لهب اي خسرت وقيل تبا له اي هلاكا له وقيل
تبت يد الرجل اي خابت ثم اخبر عما ذكر من وعظ ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون وهو قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
اي ابين لكم سبيل الرشاد وخوفهم بما نزل باوائلهم بتكذيب الرسل وترك اتباعهم وفرق بين سفههم في تعنتهم بسوء صنيعهم وفرط ظلمهم
ونصحهم ودعاهم الى اتباعه ليبين لهم سبيل الرشاد ويهديهم اليه وان خاف على نفسه الهلاك بعد ما اظهر الايمان ولم يبال هلاك
نفسه وقال الكسائي الرشاد والرشد والرشد ثلاث لغات ولا يقرا هاهنا غير الرشاد ثم قال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي متاع
ومنفعة يبلغ الى منتهى اجالكم يبلغ به العاصي والمطيع الى اجله يخبر انها على الانقضاء والذهاب ويخبر ان دار الاخرة هي دار القرار لا
يزول اهلها ولا يتحول عنها اهلها يخبر فيرغبهم خيرا ابدا لا يزول وان كان اهلها اهل شر يحذرهم الشر ابدا لا يبيد ثم اخبر عدل الله تعالى في حكمه
وفضله واوليائه حيث قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اي لا يجزى ولا يزيد على مثل جنايتهم لا فضل الله عز وجل في جميع الاحكام

يجزاه لا يزيد على عقوبة عملهم ولكن يجزيهم بمثله واما جزاء الحسنة فانه يزيدهم على قدر ما يستوجبون تفضلا منه واحسانا ثم فيه
دلالة نقض قول المعتزلة لان صاحب الكبيرة في النار ابدا لو كان على ما ذكروا كان في ذلك تسوية بين صاحب الكبيرة وبين صاحب الشرك
فاما ان يكون نقصانا لصاحب الشرك عن مثل عقوبته او زيادة لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه لا يجزى الا مثلها فذلك مخالف ظاهر الاية و
وقوله عز وجل ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة دل هذا على ان العمل الصالح لا ينفع ولا يجزى به الا ان
كان منه الايمان ثم وقوله عز وجل يرزقون فيها بغير حساب يحتمل بلا تبعة ويحتمل بغير تقدير وعدد قد ذكرناه فيما تقدم وقوله
عز وجل ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كانه قال يا قوم ما لي ولكم ادعوكم الى ما به نجاتكم وانصح لكم وتدعونني انتم
الى ما به هلاكي فمتى يكون بيننا موالاة واجتماع اي لا يكون انما يذكر هذا وامثاله في المواعظ اذا انتهت غايتها وبلغت نهايتها فلما
يجيع فيهم وهو كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية ثم فسر ما يدعونه اليه وما يدعوهم اليه من النجاة حيث
قال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار فسر ما دعاهم الى النجاة وبيان ما يدعونه م
الى الهلاك ثم قوله واشرك به ما ليس لي به علم قد يستعمل قوله ما ليس لي به علم في نفي العلم اي ليس ذلك وذلك في اثبات العلم بخلافه وحينئذ
يقول واشرك به ما ليس لي به علم اي لا كان من الشريك وغيره او يقول يدعونني لاكفر بالله ولا اشرك به ما ليس لكم به علم والله اعلم ثم بين انه
ما يعبدون من الاصنام وغيرها وهو ما قال عز وجل لا جرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة لا جرم اي حقا
يقول والله اعلم بحق ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة اي لم يدعوكم الى عبادة نفسها اي الاصنام التي عبدوها والاولى لا تشبه لانهم كانوا
يعبدون تلك الاصنام رجاء ان يشفع لهم فاخبر انها لا تشفع بقوله ليس له دعوة اي شفاعة والله اعلم وقوله عز وجل وان مردنا الى الله
يقول والله اعلم ان مرجعنا الى ما اعد الله لنا او لكم النار واعد الجنة وان المسرفين هم اصحاب النار والمقتصدين من اصحاب الجنة
والله اعلم وقوله عز وجل فستذكرون ما اقول لكم اي ستذكرون اذا عاينتم ما اعد لكم واعد لنا ان ما كنتم عليه ودعوتموني اليه دعاء
الى الهلاك وما دعوتكم اليه دعاء الى الجنة او يقول ستذكرون ما نصحت به عاقبة ايام الا ما به نجاتكم وقوله عز وجل وافوض امري
الى الله هذا يخرج على وجوه احدها كانهم خوفوه واوعدوه بانواع الوعيد والتخويف فقال عند ذلك وافوض امري الى الله واتوكل عليه
فيحفظني ويدفع عني شركم وما تقصدون بي والله اعلم والثاني وافوض امري الى الله اي عليه اتوكل واكل في جميع الامور من الخيرات
والشرور وهو الكافي لذلك والثالث اظهار الحاجة والمؤمن ابدا يكون مظهر الحاجة الى الله تعالى في كل وقت وكل ساعة والله اعلم والرابع
وافوض امري الى الله اي لا اشتغل بشيء في امري اصيره الى الله تعالى وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض الى الله تعالى لانهم يقولون ان عليه ان
يعطي جميع ما يحتاج اليه المكلف حتى لا يبقى عنده وانه لم يبق عنده شيء فليس للتفويض الامر اليه معنى والله الموفق وقوله عز وجل
فوقاه الله سيئات ما مكروا دل هذا على انهم قد قصدوا قصد المكر به حيث اخبر انه وقاه سيئات ما مكروا وانه قد كان هو ابتلاه يحتمل
فيه ثم يحتمل ما وقاه عن مكرهم بما وفق موسى عليه السلام لما اهلكهم وانجاه عن شرهم ويحتمل توجيه امره لا بغيره لانا لا نحتاج اليه
وانما حاجتنا الى ان نعلم ان كل من بذل نفسه لله تعالى يحفظه وقوله عز وجل وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا استدل بعض الناس على عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها وانما يعرض ارواحهم على النار وفنيت اجسادهم في
ذلك وكذلك يعرض ارواح اهل الجنة على الجنة فيتلذذ اجسادهم بتلذذ الارواح بعد ان لحدث فيها الحيوة التي بها يتحقق الالم واللذة
هذا في القبور ثم اذا دخلوا النار يكون لهم ما ذكر من العذاب حيث قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب والله اعلم و
يجوز ان يكون ما ذكر من العرض على النار قبل القيامة قبل ان يدخلوا النار كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون يكون عرضهم على النار هو وقت وقفهم للسؤال وحبسهم لذلك ثم
يدخلون النار فيكون لهم العذاب الذي ذكر وهو قول الحسن ثم قوله غدوا وعشيا يحتمل قدر غدو وقدر عشي فان كان التاويل في عذاب
القبر يحتمل ما قال بعضهم انه يقال لهم هذا لكم ما دامت الدنيا ويحتمل ان ذكر على ارادة الغدو والعشي حقيقة ذلك كل وقت لكي يتجدد عليهم
الالم والوجع بكل غدو وعشي وشبهه والله اعلم وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جعلت ارواح آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون
على النار كل يوم مرتين يقال يا آل فرعون هذه داركم قال عبد الله فذلك عرضها فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو تفسير
لما ذكر من الغدو والعشي ثم ان ثبت هذا عنه فهو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه باب لا يدرك بالتدبر والرأي وروي عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات احدكم عرض على مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن
الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة فان ثبت هذا وصح عنه فهو دليل لوجوب عذاب القبر
والله اعلم ويجوز ان يكون قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي يعذبون في الاوقات كلها ابدا بعد ادخالهم فيها وذكر الغدو و
العشي يخرج على سكون النار في اوقات ثم يلتهب كقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا والله اعلم فان قيل ما الحكمة فيما ذكر من ادخال
آل فرعون من اشد العذاب والخصوصية لهم في ذلك من بين غيرهم من الكفرة قيل لوجهين احدهما ان غير موسى من الرسل عليهم الصلوة و
السلام قد نسبوا الى السحر كما نسب اليه موسى لكن لم يتبين ولا يتحقق لقومهم براءة رسلهم فيما قذفهم الرؤساء والقادة منهم بالسحر والكذب

بما وجد

وجد منهم التمويه على السفلة والاتباع وقد تحقق لآل فرعون براءة موسى مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم صدق ما ادعى
من الرسالة وذلك مما ان جميع سحرة فرعون ان ما جاء به موسى حق وما يقوله صدق وآمنوا بموسى عليه السلام نهارا جهارا واختاروا القطع
والصلب ولم يمتنعوا عن متابعته وما رأوا من انقلاب العصا حية تسعى وتلقف ما صنعوا فيكون عنادهم اشد ومكابرتهم اكبر فلذلك استحقوا
اشد العذاب والله اعلم والثاني ان آيات موسى عليه السلام اكثرها كانت حسية وآيات غيره عقلية ومعرفة ما كان سبيله الحس ما لا يتمكن
فيه شبهة ولا تتمكن الشبهة فيما كان سبيله العقل فيكون عنادهم اشد وبعد ذا انهم قد اتبعوا فرعون لما ادعى لنفسه من الالوهية بلا حجة
وبرهان منقبول منه وتركوا اتباع موسى عليه السلام بما ادعى من الرسالة بعدما اقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين فلذلك كان لهم اشد
العذاب والله اعلم وقوله عز وجل واذ يتحاجون في النار فحاجتهم في النار ما ذكرها هنا وفي اية من القرآن وهو ما ذكر فيقول الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قد علم الضعفاء والاتباع لا يملكون دفع ما هم فيه لانهم لو كانوا يملكون ذلك لدفعوا عن
انفسهم فاذ لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم فلان لا يملكون دفع ذلك عنهم احق لكنهم قالوا ذلك لهم تعييرا وحسرة وندامة وهو كقوله تعالى
في اية اخرى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء الى قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ويحتمل انهم انما قالوا لهم ذلك لما قالوا
لهم في الدنيا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيقولون لهم لذلك في الاخرة فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء اي حاملون عنا بعض الذي
علينا من العذاب انا كنا لكم تبعا في الدنيا قالوا انا كل فيها فعذاب ان الله قد حكم بين العباد وقوله عز وجل قال الذين استكبروا انا كل
فيها ان الله قد حكم بين العباد هذا من اولئك الذين استكبروا جوابا للضعفاء على احد الوجهين ولا يكون جوابا للاخر وهو جواب لقولهم
الذي قالوا في الدنيا ونحمل خطاياكم فيقولون ان الله قد حكم بين العباد وان لا يزيد العذاب على مثل السيئة وقد حكم الله تعالى على كل منا
بالمثل ولا يزيد على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب كان فزع
الكفرة ابدا الى الخلق اذا نزل بهم البلاء في الدنيا الا ان يضطروا فعند ذلك يفزعون الى الله تعالى فاما ما لم يايسوا منهم فلا يفزعون اليه
فعلى ذلك يكون فزعهم في الاخرة الى الخلق وهو ما سألوا اهل الجنة من الماء اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا من ذلك عند ذلك فزعوا الى مالك وهو ما
اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون سألوه الموت فلما اخبرهم انهم ماكثون فعند ذلك فزعوا
الى الخزنة وقالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا منهم وما سألوهم من تخفيف العذاب
عنهم عند ذلك فزعوا الى الله تعالى وهو قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل لم يفزعوا الى الله تعالى الا بعد انقطع رجاؤهم منهم وايسوا بالله الغيث والنجاة وقد استدل بقوله تعالى اولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام حيث احتج عليهم الخزنة بمكينهم
الرسل دون غيرهم البينات التي اتتهم الرسل واستدلوا ايضا بقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وبقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا وغيرها من الايات
التي فيها انه لا يعذبهم الا بعد ما قامت عليهم الحجة من جهة الرسل ولزمهم الحكم بهم فعند ذلك يعذبون لكن تاويل الاية يخرج عندنا على
وجهين احدهما ان يكون ذلك في قوم خاص الذين لا يرون لزوم الحجة والحكم الا من جهة الرسالة فيحتج عليهم بما كانوا يرون به ليكون
اقرب الى الالزام والحجة وان كان يجوز ان يحتج عليهم بما هو حجة وهم لا يرونها حجة والله اعلم والثاني انما ذكر ذلك على المبالغة في
في الحجة وان كانت الحجة قد يلزمهم والحكم قد ثبت بدون ذلك وهو العقل لان ارسال الرسل واقامة المعجزات اقرب الى الوصول الى الحق
ومن اقام كلا الحجتين فقد ذكر اظهر الحجتين ليكون اقرب الى اظهار عنادهم وهذا كما في تعذيب الكفرة في الدنيا انهم لم يعذبوا بنفس الكفر
حتى كان منهم مع الكفر الاستهزاء بالرسل والعناد لهم وغير ذلك وانما كانوا يستوجبون العذاب بنفس الكفر لكن لم يعذبهم حتى
بلغوا النهاية والابلاغ في التكذيب والعناد وهو كقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون ذكر هذا على النهاية
والابلاغ في الخيانة منهم وان كانوا يستوجبون العذاب بجحودهم الزكوة دون جحود البعث دون جحود الزكوة فعلى ذلك الايات التي
ذكر هي على الابلاغ والنهاية وان كان الحجة يلزمهم والحكم يثبت بدون الرسل والله الموفق وبعد فان في قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ان الحجة والحكم قد لزمهم بدون الرسل لانه لو لم يلزم لكان في التعذيب ظلما لانه يعذب قبل ان يلزمهم الحكم فيصير تعذيب
الاية ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك فلو يكون لنا لما عذبتنا والظلم من الله
تعالى محال فيستحيل تعذيبا لانه على هذا الوجه دلالة التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم والله الموفق وبعد فانه في قوله اولم
تك تأتيكم رسلكم بالبينات دلالة ان الحجة انما يلزم بالبينات لا بانفس الرسل والبينات قد وجدت وسبب المعرفة وطريقها
هو العقل فافهم وقوله عز وجل قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ليس على الاياس بالدعاء ولكن معناه انكم وان دعوتم لا ينفعكم
دعاؤكم كقوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي هلاكا والله اعلم وقوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا
في الحيوة الدنيا يحتمل ما ذكر من النصر للرسل والمؤمنين وجوها احدها اي ينصرهم في الدنيا بالحجج والايات التي اعطاهم في الدين حتى

يدفع بها وسوسة الشيطان وتمويهات السحرة وتغلبها وتعلوا على كل هذا في الدنيا وفي الاخرة ايضا ينصرهم بما يشهدهم عليهم الملائكة
والجوارح بالتكذيب للرسل والمؤمنين وانهم دعوهم الى التوحيد والايمان لكنهم كذبوهم وكفروا بما دعوهم اليه فذلك نصرهم اياهم في الدنيا و
الاخرة والله اعلم والثاني ينصرهم بما يجعل لهم العواقب واخر الامر وان كان في الابتداء قد يكون عليهم وعلى ذلك لم يذكر عن احد من الرسل الا وقد كان
عاقبة الامر له وهو كقوله تعالى والعاقبة للمتقين هذا النصر هو النصر في الابدان والاول هو نصر في الدين ولكن ان كان هو نصرا في الابدان فهو
نصر يرجع الى الدين لما يقوم الدين بسلامة الابدان ويتحقق به على المسلمين والله الموفق والثالث ذكر نصرهم اعطاهم من النعمة في الدنيا والسعة
فيها وهو يذكر للرسل والمؤمنين نصر ونعمة وهو ترا ما هي للكفرة فيه ومحنة لا غير لا يذكر باسم النصر والنعمة اذ هي في حق المسلمين وسيلة
الى النعمة الابدية وفي حق الكفرة الى العذاب الابد فيكون نعمة في حقهم حقيقة ولذلك قال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون وقال بل هي فتنة وقوله نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قد اخبر ان ما اعطاهم من الاموال والسعة انما هي فتنة لهم والله
اعلم فان قيل ذكر انه ينصرهم وقد نرى مؤمنا قد ينقطع بحجته ويعجز من قامته دونه مغلوبا والكافر هو الغالب قيل عن هذا جوابين احدهما من جعل
العاقبة له والغلبة والنصر في اخر الامر والثاني جائز ان يكون وعد النصرهم والظفر بالحجة بالشرطية وهي القيام بوفاء ما لله عليهم من الحق
في ذلك فالنصر والظفر بالحجة في المناظرة ان يكون يرجعهم في معرفة الحجج والدلائل وان يكون عارفا بطرق النظر ومتى كان هذا الشرط موجودا
يكون النصر لا محالة وشرط في المحاربة ان يكون قاصدا باعزاز دين الله تعالى دون ابتغاء الدنيا وكلمتهم واخرة ونحوها ومتى كان المحاربة
بشرايطها يكون الظفر لا محالة للمسلمين وذلك كقوله تعالى وان [illegible] [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل ويوم الاشهاد وهو الملائكة
[illegible]

وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك قد ذكرنا التسبيح بحمد ربه ثم جائز ان يريد بالتسبيح فانه كان كذلك فيكون ذكر العشي والابكار ليس هو
ذكر التوقيت له ولكن الاوقات كلها الليل والنهار كقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ليس يريد نفس الغداة
والعشي خاصة دون غيرهما من الاوقات بل هما عبارة عن جميع الاوقات كانه يقول اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اناء الليل والنهار فعلى
ذلك الاول يحتمل هذا والله اعلم وان كان المراد من التسبيح هاهنا الصلوة فكانه يقول فصل بحمد ربك بالعشي والابكار وكناية عن الصلوة
النهار وان يكون الابكار كناية عن صلوة الغداة والعشي كناية عن صلوة العشاء على ما ذكره بعض الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين
يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم قال عامة اهل التاويل ان اليهود جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدجال انه منهم وانهم
في الطول كذا ونحوه وعلى ذلك اشغلوا الايات التي يتلوا هذه الاية ولكن لسنا ندري بماذا صرفوا مجادلتهم في ايات الله الى المجادلة في الدجال
ولا يسع ان نحمل ما ذكر من مجادلتهم في ايات الله على المجادلة في الدجال الا ان يثبت خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ان
المجادلة المذكورة في الاية في الدجال فحينئذ يصرف الى ذلك والله اعلم ثم قوله ان الذين يجادلون في ايات الله اي يجادلون في دفع ايات الله
بغير حجة اتيهم من الله وكانت المجادلة في دفع ايات الله من رؤساء الكفرة واكابرهم كانوا يموهون مجادلتهم في دفع ايات الله تعالى والطعن
فيها على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم الرياسة والماكلة التي كانت لهم وما ذكر وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الاية وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وغير ذلك من الايات ان رؤساء الكفرة منهم والرؤساء يطعنون في ايات الله تعالى ويدفعونها
ويريدون التمويه والتلبيس على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم العز والشرف الذي كان لهم ويبطلوا به الحق كقوله عز وجل ليدحضوا به الحق
وقوله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم هذا كان مرادهم من مجادلتهم في ايات الله والطعن فيها ثم اخبر عز وجل انهم يجادلون
ويفعلون كل ذلك لكبرهم على ايات والخضوع لرسله عليهم السلام حيث قال عز وجل ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه اي ما في صدورهم
الا كبر اي كبرهم هو الذي حملهم على المجادلة في ايات الله ثم الذي حملهم بسبب العز والشرف ظنوا ان العز والشرف انما يكون بالاتباع الذين
يصدرون عن ارادتهم ولو عرفوا انهم يكون العز والشرف لكانوا لا يفعلون ذلك انما العز والشرف في طاعة الله عز وجل واتباع امره ليس
في اتباع من اتبعهم ولا لا ينقاد من اتبعهم ولكن فيما ذكرنا والله اعلم ثم اخبر انهم ليسوا ببالغين الى ما قصدوا من اطفاء النور الذي عطي
المؤمنين ولا دحاض الحق وابطاله حيث قال عز وجل ما هم ببالغيه وقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وقوله عز وجل فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم قال عامة اهل التاويل امره ان يستعيذ بالله من فتنة الدجال لكن عندنا امره ان يتعوذ بالله من مكايدهم وكذلك
الاكابر والفراعنة الذين هموا ان يمكروا به ويكيدوه امره ان يتعوذ من مكرهم وكيدهم كما امره ان يتعوذ بالله من الشيطان حيث قال
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية وهذا اولى من الاول والله اعلم وقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
قال اهل التاويل اي لخلق السموات والارض اكبر من خلق الدجال لكن قد ذكرنا بعد صرف الاية الى الدجال ثم يحتمل قوله لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وجهين احدهما الاية نزلت في منكري خلق السموات والارض منكرين البعث يقول ان خلق السموات
والارض مبتدا بلا احتذاء بغيره اكبر واعظم من اعادة الناس فاذ عرفتم انه قدر على خلق السموات والارض مبتدا بلا احتذاء بغيره كان
قدرته على اعادة الخلق احق اذ اعادة الشيء في عقولكم اهون من البداية كقوله وهو اهون عليه تكيفا لكم ثم قدرته على البعث وقد
قررتم بقدرته على خلق ما ذكر والثاني ان يكون الاية نزلت في منكرين خلق الناس منكرين خلق السموات والارض يقول ان خلق السموات
والارض واشباهها في الهواء لا تعلق من الاعلى ولا عماد من الاسفل مع غلظها وكثافتها اكبر واعظم في الدلالة على حدثها وخلقها
من خلق الناس لان خلق الناس انما يكون بالتغير والتولد من حال الى الحال الاخرى فيجوز ان يتوهم كون ذلك بالطبائع ثم اجتماعه من بعد
ظهور ذلك منه واما السماء فهي على حالة ولسن فلا يتمكن توهم ذلك لما ذكرنا والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية في ناس كانت وسبب
لسنا نعرف ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير قال بعضهم لا يستوي من عمي عن توحيد الله وشكر نعمه من
ابصر وحدانية الله وقام بشكر نعمه كما لا يستوي عندكم من جهل حق اخيه وكفر نعمه والخيانة من عرف حقه وقبل الخيانة وقام بشكره فاذ
عرفتم ان لا استواء بين هذين عندكم فاعرفوا انه لا يستوي من عمي عن وحدانية الله وشكر نعمه من ابصر وحدانيته وقام بشكره وكذلك
ما ذكر من قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء يقول اذ عرفتم انه لا يستوي من اتى وصرف الحق واحسن اليه من كذبه واساء
اليه فعلى ذلك لا يستوي من امن بالله وصدقه وقام بالشكر من كذبه وكفر نعمه والخيانة وقال بعضهم اراد بقوله تعالى وما يستوي
الاعمى والبصير حقيقة الاعمى عمى البصر والبصير نفسه يقول تعرفوا انه لا يستوي الاعمى اعمى البصر نفسه في الدنيا فعلى ذلك لا يستوي
من عمي عن دينه من ابصر في الاخرة وقد عرفتم انهم قد استووا في هذه الدنيا اعني المسيء والمحسن والصالح والمفسد والمطيع والعاصي وفي
الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما فيها والله اعلم وقوله عز وجل قليلا ما يتذكرون اي قليلا ما تتذكرون ذات
الاستواء بين من ذكر من المحسن والمسيء والصالح والمفسد والمطيع والعاصي والله اعلم وقوله عز وجل ان الساعة لاتية لا ريب فيها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اخبر انها اتية لا محالة وقد ذكرنا ان ما خلق الدنيا وما فيها لحكمة الساعة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بها والله اعلم وقوله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الاية نزلت في اهل التوحيد يقول انه عرفوا استجب لكم ثم تخرج على

الاستغفار مرة لما كان منهم من التضييع في خوف الله تعالى وما امرهم به ونهاهم عنه والتفريط في ذلك استغفر اغفر لكم ويحتمل ادعوني استجب لكم اطلبوا مني التوبة عن ذلك اتوب عليكم والله اعلم وان كانت الاية في اهل الكفر فيكون قوله ادعوني استجب لكم اي وحدوني اغفر لكم ويحتمل اعبدوني اغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقد جاء في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وفي بعض الاخبار الدعاء مخ العبادة واصل هذا ان من نظر في كل احواله ما ارتكب فان كان سببا يستوجب به العقوبة كان استغفاره القيام بقضاء ما ترك وضيعه والعزم على ان لا يعود الى ذلك ابدا وان كان سببا غير معروف تركه يستغفر الله تعالى في ذلك ويطلب منه التجاوز والمغفرة والله اعلم واصل ذلك ما قال الله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله عز وجل فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ذكر الاجابة بالشريطة وهو انهم اذا امنوا به واوفوا بعهده يوف لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين استدل بعض الناس بهذه الاية على ان قوله ادعوني انما اراد به العبادة على ما ذكرنا فان قيل ان هذه السورة نزلت بمكة واهل مكة كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي ظاهر ذلك انهم لا يستكبرون عن عبادته لكنهم لم يروا انفسهم اهلا لعبادة نعبد واعتنو دونه كمن يعظم ويخدم خادما من خدم ملك من ملوك الدنيا لا يكون مستكبرا عن حرمة الملك لكن تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى امر عباده بطاعة رسوله والاجابة له الى ما يدعوهم فاذا لم يجيبوه الى ما دعاهم اليه ولم يطيعوه استكبارا منهم وتكبرا عليه صار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته والثاني انهم وان كانوا عبدوا الاصنام رجاء ان يقربهم الى الله زلفى ولم يقصدوا قصد الاستكبار عن عبادته فهم تركوا عبادته مع انهم امروا بها وبلغ اليهم فرض على السن الرسل فكانهم استكبروا عن عبادة الله تعالى اذ في الشاهد يخدم الملك والبعض خواص الملك ليقربه اليه لكن الامر الملك ان يخدمه ويقربه الى مجلسه فامتنع يقبل ذلك منه استكبارا ويبتغي ان خدمته لذلك ما كان يتقرب الى الملك حيث قربه فلم يقرب ففي الغائب كذلك لذلك كان استكبارا منهم والله اعلم وقوله عز وجل سيدخلون جهنم داخرين قال القتبي وابو عوسجة داخرين صاغرين ذليلين وقوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يذكرهم نعمه التي انعم عليهم ليتادى بذلك شكرهم حيث قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه راحة لانفسكم وابدانكم والنهار مبصرا تبصرون فيه معايشكم وما تحتاجون اليه ثم قوله والنهار مبصرا اي يبصر به وفيه وقوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس اخبر ان ذلك كله منه لهم فضل ومنة ورحمة لا باستحقاق يستحقون ذلك قبله ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون يقول ذلك صنع بكم هو ربكم لا الاصنام التي تعبدون من دونه خالق كل شيء وهو خلقكم ويخلق كل شيء وحده لا شريك له فانى تؤفكون اي انى تصرفون وتعدلون عن عبادته والقيام بشكره والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون عن عبادته والقيام بشكره قبلكم واصل الافك الصرف كقوله اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا والله اعلم وقوله عز وجل الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء عليهم بناء يذكرهم عظم نعمه عليهم حيث جعل لهم الارض بحيث يقرون عليها ويتعيشون والسماء بناء عليهم بحيث لا يسقط عليهم وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع البعض على بعد ما بينهما ليعلم ان ذلك كله صنع واحد وقوله عز وجل وصوركم فاحسن صوركم يحتمل وجهين احدهما قوله فاحسن اي احكم واتقن في الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته على ما ظهر في كل شيء من الدلالة على وحدانيته وربوبيته والثاني قوله فاحسن صوركم اي حسن تركيبها منتصبا قامتها غير منكبة سائر الصور التي خلقها منكبة على وجهها وقوله عز وجل ورزقكم من الطيبات قال بعض اهل التاويل اي رزقكم من الحلال لكن الاشبه اي رزقكم من اطيب ما اخرج من الارض لان الله تعالى اخرج من الارض نباتا مختلفة جعل اطيبه والينه رزقا للبشر وسائره رزقا للدواب والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم ذلك الذي صنع بكم هذا هو ربكم لا الاصنام التي تعبدونها فتبارك الله رب العالمين وقوله عز وجل هو الحي لا اله الا هو قال اهل التاويل الحي هو لا يموت ابدا لكن هذا مما يعرفه كل احد واصل الحي هو النهاية والغاية في الثناء عليه والمدح لكل شيء يبلغ في الانتفاع به غايته يسمى حيا نحو الارض والاشجار وكل شيء يبلغ في الانتفاع به والله اعلم وقوله عز وجل لا اله الا هو هو المعبود وفي لسان العرب يسمى العرب كل معبود الها كانه يقول لا اله ولا معبود يستحق العبادة الا هو وقوله عز وجل فادعوه مخلصين له الدين اي ادعوه بالاخلاص الدين له ثم يحتمل قوله فادعوه مخلصين وجهين احدهما اي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا فيها غيره من نحو ما كانوا يعبدون الاصنام دونه رجاء الشفاعة لهم وتقريبهم اليه اخلصوا العبادة والدين والاخلاص هو التصفية له والثاني ادعوه على حقيقة الدعاء والتسمية كانه يقول والله اعلم ادعوه وسموه الها الا هو ولا تسموا غيره الها لانهم كانوا يسمونه ويدعون الاصنام التي عبدوها الهة وقوله عز وجل الحمد لله رب العالمين اي الحمد لله رب العالمين على خلقه بما انعم عليهم وصنع اليهم والله اعلم وقوله عز وجل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي كان الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة ما عبدوهم من الاصنام فقال اني نهيت عن ذلك وهو كما ذكر في غيره اي من القران حيث قال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله عز وجل ولا تكونن من المشركين وغير ذلك من الايات وقوله عز وجل لما جاءني البينات من ربي يحتمل وجهين ان كان المراد

من البينات القران والايات التي نزلت معجزة له وعلى ما قاله اهل التاويل فهو على التاكيد والابلاغ فان كان النهي عن عبادة غير الله تعالى والشرك بالله لازما قبل مجيء الرسل وما انزل من البينات على ما تقدم والله اعلم والثاني يحتمل قوله لما جاءني من رب العقل ولم يعرف به ذلك ويكون قوله جاءني اي ظهر لي كقوله تعالى جاء الحق اي ظهر الحق والله اعلم وقوله عز وجل وامرت ان اسلم لرب العالمين اي امرت ان اجعل الخلق وكل شيء لله سالما خالصا لا شرك فيها غيره والله الموفق وقوله عز وجل هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة يذكرهم الوجوه التي بها يوصل الى معرفة شكر ما انعم عليهم حيث قال هو الذي خلقكم من تراب اي خلق اصلكم من تراب ثم من نطفة اي خلقكم من نطفة يذكرهم هذا ليعلم خلقه اياهم من تراب اعني خلق اصلهم ليس باستعانة منه بذلك التراب لانه لو كان على الاستعانة منه به لكان لا معنى الخلق انفسهم من الماء على الصورة التي خلق من تراب وغيره اذ ليس في الماء من اثار التراب شيء ولا في الماء والنطفة من اثار العلقية شيء ولا في العلقة من اثار العظمية شيء من اللحم والعظم والجلد والشعر وغير ذلك ليس في التراب معنى الماء ولا في الماء معنى التراب ولو كان على الاستعانة بذلك لكان المخلوق من احدها لا يكون مثل المخلوق من احدها لا يكون مثل المخلوق من الاخر في تركيبه وتصويره وهما مختلفان في انفسهما وكذلك ما ذكر من تقلبه من حال الى حال وتبديله من نوع الى نوع وليس في كل حال تقلب اليها من الحال التي كانت شيء ولا من شبهها ليعلم ان كل ذلك انما كان بقدرة ذاتية ذاتيه وعلم ذاتي وتدبير ذاتي لكن ذلك لا بالاستعانة بشيء مما ذكر ولا سبب له في ذلك ولكن كان المعنى جعل فيه كان ذلك كذلك بوجود ذلك المعنى والله اعلم وقوله عز وجل ثم لتبلغوا اشدكم اي لتبلغوا حتى يستدل كل شيء منه من البنية والعقل وغير ذلك وقوله عز وجل ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل اي منكم من يتوفى من قبل ان يبلغ شيخا وقوله عز وجل ولتبلغوا اجلا مسمى اي تبلغوا الاجل الذي جعل لكم وقوله لعلكم تعقلون اي تعقلون ما بين لكم وذكر لكم وقوله وهو الذي يحيي ويميت اي وهو الذي يخلق حيوة كل شيء ويخلق موت كل شيء وعلى قول المعتزلة يجب ان يسمى كل عبد محييا مميتا لتوهم ان القتيل ليس يموت باجله وان مميته القاتل لقولهم ان المتولدات من الفعل هو فعل ذلك الفاعل فعلى قولهم هذا يجوز تسمية كل احد محييا والله اعلم وقوله عز وجل فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون من غير ان كان منه كاف ونون فذلك تكوينه والله الموفق وقد ذكرنا فيما تقدم على الابلاغ وقوله عز وجل الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله قوله الم تر هو على حقيقة الرؤية والنظر ويحتمل الم تر الم تعلم معناه الم تعلم سنة الذين يجادلون في ايات الله وجهل الذين يجادلون في ايات الله والطعن فيها بلا حجة على ما تقدم ذكر في قوله يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل انى يصرفون اي بم اي حجة نصرفهم عن ايات الله او من اين يصرفون ويعرضون عن ايات الله بعد ما تقرر وعندهم انها ايات الله والله اعلم وقوله عز وجل الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا جائز ان يكون قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا تفسير لجدالهم التي ذكر في دفع ايات الله وجائز ان يكون قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا اي الذين كذبوا بالكتاب الذي اتاهم الرسل وكذبوا بما ارسلنا به رسلنا اي كذبوا ايضا بما امرهم الرسل بالوحي من كتاب او من وحي غير متلو فلم يكن قوله وبما ارسلنا تفسير الكتاب وعلى التاويل الاول قوله وبما ارسلنا به رسلنا اي الكتاب فيكون تفسيرا له والله اعلم وقوله عز وجل فسوف يعلمون وعيد لهم اي سوف يعلمون علم عيان بعد ما علموا علم خبر والله اعلم وقوله عز وجل اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ذكر ان في السلاسل ثلاث لغات الرفع والنصب والخفض فمن رفعها يقول معناه اذ جعل الاغلال والسلاسل في اعناقهم يسحبون بها في الحميم ومن قال بالخفض فتاويله اذ الاغلال في اعناقهم وفي السلاسل اي جعل الاغلال في السلاسل يسحبون بها في الحميم ومن قال في النصب كانه قرا اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبونها في الحميم اي يسحبون بالسلاسل في الحميم وقوله يسجرون اي يحرقون والحميم قد مر تاويله هو ما يشرب منه تناهى حره غايته وقوله عز وجل ثم في النار يسجرون اي يوقدون ذكر ما يسقون فيها وهو الحميم وذكر ما يحرقون به قال ابو عوسجة اي يجرون ومن قرا يسحب يسحب سحبا اي يجر وقوله يسجرون اي يوقدون بهم يقال سجرت اي اوقدت فيه ومن قرا سجر يسجر سجرا وقوله عز وجل ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله ظاهر هذه الاية ان هذا القول لهم بعد ما دخلوا النار لانه ذكر على اثر قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ظاهرها ان قوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دونه بعد دخولهم النار وظاهر قوله بعد هذا مستدلا به ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين على ان ذلك القول انما يقال لهم قبل ان يدخلوا النار وقوله عز وجل قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا هذا القول منهم يخرج على وجهين احدهما على انكارهم وجحودهم عبادة الاصنام التي عبدوها في الدنيا واشركوها اياه في الوهيته وهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الاية وبقوله يحلفون له كما يحلفون لكم انكروا ما كان منهم واقسموا على ذلك وهذا يدل على ان الاية لا يضطر اهلها الى قبول الايات والتصديق لها لانهم انكروا ان يكونوا مشركين بعد ما عاينوا العذاب وظهر لهم خطاؤهم وكونهم على الباطل ثم لم ينفعهم ما عاينوا من الكذب والثاني قوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ليس على الانكار والجحود ولكن لما راوا ان عبادتهم الاصنام لم تنفعهم يومئذ ولم يغنهم عما نزل بهم فقالوا عند ذلك بل لم نكن ندعو

شيئا من قبل اي الذي كنا نعبده في الدنيا كان باطلا لم يك شيئا حيث لم ينفعنا ذلك في هذا اليوم فان كان تاويل الاية هذا فهذا يدل
على ان قوله اين ما كنتم تشركون من دون الله بعد ما دخلوا النار وان كان تاويله الاول على الانكار والجحود فذلك يدل على ان ذلك
القول قبل ان يدخلوا النار حين يشهد عليهم الجوارح فذلك يفرد قوله ادخلوا ابواب جهنم والله اعلم وقوله عز وجل كذلك
يضل الله الكافرين اي هكذا يضل الله من علم منه اختيار الكفر والضلال يضله وهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اذ علم
منهم اختيار الانصراف صرفهم وكذلك قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي اذ علم منهم انهم يختارون الزيغ ازاغهم والله اعلم وقوله
ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي ذلك جزيتكم من النار بما كنتم تسرون في الدنيا بالباطل اذهم كانوا كذلك
في الدنيا يفرحون ويسرون على كونهم على الباطل وقيل يفرحون اي يبطرون لكن هو على الفرح والرضا بما اختاروا لانفسهم وقوله
عز وجل وبما كنتم تمرحون اي وبما كنتم تتكبرون كذلك كانوا يسرون ويرضون بكونهم على الباطل ويتكبرون بذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمرح التكبر وهو كقوله ولا تمش في الارض مرحا اي تكبرا وقوله عز وجل ادخلوا ابواب جهنم الاية وقد
ذكرنا فيما تقدم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قد ذكرنا هذا ايضا وقوله عز وجل فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا
يرجعون كانه قال يتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول ما وعدهم ويخطر ذلك بباله ويطمع ذلك فنهاه عن توقع نزول العذاب
الذي وعد للكفرة في الوقت الذي يطمع فيه وعن الخطر بباله النصر له واهلاكهم وذلك في الوقت الذي يتوقع كانه يقول ان شئنا اريناك
بعض الذي نعدهم وان شئنا توفيناك ولم نرك شيئا وهو كقوله وهو ليس لك من الامر او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقوله فاما
نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك حرف شك لا يحتمل ذلك من الله تعالى اذ هو يعلم انه يفعل اذا او لا يفعل ويكون ذا او لا يكون لكن
الوجه فيه ما ذكرنا انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمع نزول ما وعد ويحدث نفسه بذلك فيقول له ليس ذلك اليك انما ذلك
الينا على ما ذكرنا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هذه الاية من المكتوم لان ظاهرها شك وفي الاية دلالة الرسالة
لانها خرجت مخرج العتاب للنبي صلى الله عليه وسلم والتوبيخ له ثم اظهر ذلك على الناس والسبيل في مثله في عرف الناس الاخفاء والاستتار
عن الناس فدل انه انما اظهر عليهم للامر بالتبليغ وكذلك قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم الا من لا يظهر
مثل ذلك من غير امر وتكليف ممن وجب عليه طاعته والله الموفق وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يقول لست باول
رسول ارسلته اليهم فاستبعدوك وانكروك وكذبوك بل قد ارسل الى الامم السالفة رسل مثل ما ارسلناك الى هؤلاء وقوله عز وجل
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك في الاية دلالة ان لم نوجب معرفة اعيان الرسل واساميهم على التعيين كانا لا نؤاخذ بالايمان
بالله تعالى لجميع ما جاء عنه على التفصيل والتعيين باساميهم لك على الجملة وعلى هذا قلنا ان الايمان برسول واحد من الرسل ايمان بجميع
الرسل لان المرء يوجد منه الاتحاد بغيره على الجملة والتعيين وكذلك الايمان بالله تعالى ايمان بالرسل جميعا لان الايمان بالله ايمان بامره
ونهيه فيكون ايمانا بما جاء الامر والنهي على يديه والله الموفق وقوله عز وجل وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله كانهم سالوا
ان ياتي باية بعد اية على اثر اية اخرى فقال عند سؤالهم ذلك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي ليس لرسول ان ياتي بالاية على شهوته
او على شهوات السائل وهذه الاية تدل على نقض قول الباطنية فانهم يقولون ان انفس الرسل جواهر روحانية يأتون بها الايات حيث
شاؤوا وكيف شاؤوا فكان للرسل عندهم بسبب الجواهر الروحانية التي فيهم قدرة اتيان الايات كيف شاؤوا من غير اذن من الله تعالى
ومن سؤالهم اياه في وقت الاتيان ولو كان الامر على ما قالوا لم يكن لقوله وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله تعالى وانه يخالف الاية
فان فيها اخبار انه لا ياتي الرسل بالايات من الله تعالى والله الموفق وقوله عز وجل فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
اي اذا جاء الامر بعذابهم او اذا جاء الامر بموعود الله بغير بالامر عن الموعود الذي وعدوا وقد ذكرنا معنى الخسران فيما تقدم وقوله
عز وجل الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ذكرهم بهذه الاية وبالاية التي تقدم ذكرها وجهين احدهما يذكرهم نعمه التي
انعمها عليهم حيث قال لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم
ورزقكم من الطيبات ثم قال ههنا جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

منهم ويات

منهم ويات فضلا منه ومنه فذلك قوله ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله
عز وجل ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون يحتمل اثر اراكم ايات وحدانيته والوهيته واراكم ايات نعمه واحسانه اليكم ويحتمل يقول فاي
ايات الله اذا كم تنكرون انها ليست من الله تعالى وقوله عز وجل افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقد
ذكرنا معناه في غير موضع وقوله وكانوا اكثر منهم واشد قوة اي كانوا اكثر عددا منكم واشد قوة والبطش وقوله عز وجل واثارا في الارض
اي اثرا عالا منكم ثم كان ما فيهم الملوك والاستيصال وقوله عز وجل فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول لم يغن عنكم كثرة العدد والحشم
والاموال ولا قوة الابدان في دفع العذاب عن انفسهم فانتم باهل مكة احرى ان لا تقدروا على دفع العذاب عن انفسكم اذا نزل بكم مع ضعفكم
وقلة عددكم والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم يحتمل قوله فرحوا بما عندهم من العلم وجهين احدهما
اي فرحوا بما عندهم انه علم وليس هو في الحقيقة علم لكن عندهم ان ذلك علم وهو كقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الى
الهك هو عندك انه اله ولا انه يكون ذلك عند موسى عليه السلام الهه ولكن ذكر على ما عند ذلك الرجل للتعريف فعلى ذلك قوله فرحوا بما
عندهم من العلم اي بما عندهم انه علم وان لم يكن في الحقيقة علما والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون على حقيقة العلم وذلك من اهل الكتاب قد
كان من اهل الكتاب الايمان بما عندهم من الكتاب وهو على الحقيقة علم لا شك فيه لكنهم لما كذبوا غيره من الكتب والعلوم وكفروا بها لم ينفعهم
ايمانهم بما عندهم من العلم كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق فكان ايمانهم بما الذي
اليهم حق لكنهم لما كفروا بغيره ابطل ذلك الكفر ايمانهم بالذي انزل اليهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
اي يحيق بهم العذاب بما كانوا به يستهزؤن وقوله عز وجل فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يحتمل هذا وجهين
ان يكون هذا القول منهم مما ذكر من الايمان اذا راوا باس الله بعد دفنهم في قبورهم اعذاب الله فان كان التاويل هذا فهذا تدل على
عذاب القبر لمن شاء الله تعالى فتحه العذاب والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون ذلك منهم في حين ما ابتلاهم الله في الدنيا امنوا
باذكروا فان كان ذلك فالحق فلم ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقد تقدم ذكر
هذا في سورة يونس على الاستقصاء والله اعلم وقوله عز وجل سنة الله التي قد خلت في عباده ان لا يقبل الايمان عند رؤيتهم باس الله ومعاينة
عذابه والثاني كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده من التعذيب والانتقام من كذب الرسل في الدنيا استيصالهم يخوف اهل مكة
بما انزل اليك ليحذروا مثل صنيعهم وقوله عز وجل وخسر هنالك اي خسر عند ذلك الكافرون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم ظاهر هذا ان تفسير حم هو قوله تنزيل وحم خبر لابتداء محذوف مقدر تنزيل مبتدا من
الرحمن الرحيم وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم والاصل في حواميم وسائر الحروف المقطعة انها تبعث سامعها على التفكر
والتامل لانه لا يعرفها وقت قرعها السمع حتى يتامل ويتفكر فيها لانها كلام لم يسمعوه قبل ذلك على الاستماع والتفكر فيها والنظر فيفهم
ما هو المقصود من الخطاب في سماعهم ويعرفوا وجه الاعجاز فيتوصلوا بذلك الى الحق والله اعلم وقد ذكرنا في الحروف المقطعة وجوها
اخر فيما تقدم ثم ذكر ههنا رحمته ورافته لمن عصاهم فيما يرحمهم ويرافق بهم وهو قوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم وذكر في سورة الاولى عزه
وقدرته وسلطانه وعلمه ليحذروا مخالفته وعصيانه ظاهرا وباطنا حيث قال حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم وليطلبوا العز من
عنده والله اعلم وقوله عز وجل كتاب فصلت اياته قرانا عربيا قيل فصلت اياته اي بينت فيه من الحلال والحرام وما لهم وما عليهم
وما يؤتى وما يتقى وعندنا يحتمل قوله فصلت اياته وجهين احدهما فصلت اياته اي فرقت كل اية من الاخرى من الحواية التوحيد وفرقت
من اية الرسالة وفرقت اية البعث من غيرها فرق كل اية من الاخرى والله اعلم والثاني يحتمل التفريق في الانزال اي فرقت اياته في الانزال لم يجمع
بينها في الانزال ولكن فرق في اوقات متباعدة ويحتمل قوله فصلت بينت على غير ما قاله اهل التاويل وهو ان بينت اياته بالحجج والبراهين
حتى يعلم انها ايات من الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل قرانا عربيا لقوم يعلمون اي انزله بلسان يعلمونه ويفهمونه لا بلسان لا يعلمونه
ولا يفهمونه اي انزله بلسانهم ويحتمل لقوم يعلمون اي ينتفعون بعلمهم اي حصل انزاله لقوم ينتفعون فاما من ينتفع به فلم يحصل الا
الانزال له والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قرانا عربيا لقوم يعقلون وقوله عز وجل بشيرا ونذيرا البشارة والنذارة هي
الزجر عما يوجب لهم من الحسنات في الخيرات في العاقبة والنذارة هي الزجر عما يوجب لهم من السيئات والمكروهات في العاقبة والنذارة
هي الزجر فصار معنى الايات النبي صلى الله عليه وسلم ارسل داعيا الى الحسنات وناهيا عن السيئات والله اعلم وقوله عز وجل فاعرض اكثرهم
يحتمل اعراضهم عنه وجهين احدهما اي اعرضوا عن التفكر فيه والتامل والثاني اعرضوا عن اتباعه بعد ما تاملوا فيه وتفكروا وعرفوا
انه حق وانه من الله تعالى لكنهم تركوا اتباعه عنادا منهم ومكابرة وخوفا عن ذهاب الرياسة والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر لا شك ان قلوبهم على ما ذكروا انها في اكنة وفي اذانهم وقر لانه ذكر عز وجل انه جعل على قلوبهم اكنة
ووقرا في اذانهم وعلى انهم لا يفقهون ما يدعون اليه ولا يسمعون ذلك وان كانوا يفقهون غيره ويسمعونه لانهم كذلك قالوا ان قلوبنا في اكنة مما

يدعونا اليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن بيننا وبينك حجاب انه ثبت ما ذكر بعض اهل التاويل انه ثوبا رفعوا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كن انت يا محمد في ناحية ونحن في ناحية ونحو ذلك من الكلام فهو ذلك والا احتمل ان يكون قوله ومن بيننا وبينك حجاب هو ما حجبهم ظلمة الكفر وعظمتهم عن فهم ما دعوا اليه وعلم ما دعاهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل فاعمل اننا عاملون هذا يحتمل وجهين احدهما اعمل انت بدينك فانا عاملون بديننا كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين والثاني فاعمل انت في كيدنا فانا عاملون في كيدكم والمكر بكم والله اعلم ويحتمل ان يكون اعمل انت لالهك فانا عاملون لالهتنا والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما كانه يقول لهم انما انا بشر مثلكم افهم واعقل يوحى الي واسمع ذلك فانتم في قولكم ان قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر لا عذر لكم في ذلك لانه انما يحجبكم عن ذلك ويغطي قلوبكم عن فهم ذلك الكفر الذي انتم عليه الذي انتم فيه فاتركوا ذلك حتى تفهموا وتعقلوا ما تدعون اليه وتقرون به كما افهم انا واعقل اذ انا بشر وانتم بشر والله اعلم والثاني يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما بشر مثلكم امرت ان ابلغ اليكم ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه بالطاعة وقيل فاستقيموا الى ما دعا اليه من التوحيد وقوله عز وجل واستغفروه اي انتهوا عما انتم عليه من الكفر والضلال ليغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان يكون نزل على حال يجيب بقبول استغفاركم وطلب تجاوزكم والله اعلم وقوله عز وجل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون والاشكال انه لماذا خص المشرك الذي لم يؤت الزكوة وينكر الاخرة بالويل وقد يلحق الويل للمشرك ان ادى الزكوة او لم يؤت امن بالاخرة او كفر بها فيقول قال بعض اهل التاويل معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بايتاء الزكوة ولا يؤمنون بالاخرة وخصهم بذكر جحود الزكاة والاخرة لما كان سبب كفرهم ذلك وكان سبب كفرهم مختلفا منهم من كان سبب كفره بخله في المال وشحه حمله ذلك على انكاره الزكاة والامتناع عن الايتاء ومنهم من كان كفره انكاره جزاء الاعمال حمله ذلك على انكار الاخرة ومنهم من كان سبب كفره الخضوع لمن دونه او مثله في امر الدنيا حمله ذلك على انكار الرسالة والجحود بها وغير ذلك من الاسباب التي حملتهم على الكفر والضلالة وهي مختلفة ويحتمل قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون لا على زكاة الاموال ولكن على زكوة الانفس كانه يقول انه وويل للمشركين الذين لا يقولونه ولا يعملون فيما به زكوا انفسهم ويترفع زكوها ويصلح اعمالهم به ولا ما يجزون به في الاخرة اي ويل لمن لا يفعل ذلك والله اعلم وهذان الوجهان جواب عمن يتعلق بظاهر هذه الاية على ان الكفار يخاطبون بالشرايع حيث الحق الوعيد بهم بترك ايتاء الزكوة والزكوة من الشرايع والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال بعضهم غير ممنون اي غير مقطوع وذلك في الاخرة وقال بعضهم اي غير محسوب وقال بعضهم اي غير ممن عليهم وذلك في الاخرة ايضا ومعناه والله اعلم ان من كان يعمل في حال الشباب وقوته الصالحات والطاعات ثم كبر وعجز عن اتيانها انه لا يمنع ولا ينقص منه الاجر الذي كان يجري عليه ويكتب له في حال الشباب وقوته والله اعلم وقوله عز وجل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين تاويل هذه الاية كما ذكرنا في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم الاية وهو يخرج على وجوه احدها كيف تكفرونه ووحدانيته وتنكرونه وهو الذي احياكم لا الاصنام التي تعبدونها والثاني تنكرون قدرة الله في البعث وقد رايتم قدرته وابتداءه وانشاءكم وتقليبكم من حال والثالث كيف تكفرون برسوله وقد خلقكم الله وامتحنكم بانواع المحن وكلفكم وامركم باوامر ونواهي ما لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكنكم القيام باكثرها فكان خلقه اياكم عبثا فعلى هذه الوجوه يخرج قوله قل اءنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية اي انكم تنكرون وحدانية الله تعالى وقد خلق الارض في يومين وما ذكر والثاني انكم لتكفرون وتنكرون قدرته على البعث وقد خلق الارض في يومين على بعد اطرافها وسعتها فكيف تنكرون قدرته على البعث وقد رايتم قدرته على خلق ما ذكر والله اعلم والثالث انكم لتكفرون نعمته التي انعمها عليكم من خلق ما ذكر من الارض وغيرها وما انعم عليكم من بعث الرسول عليه السلام فكيف تصرفون شكرها الى غير الذي لم يفعل ذلك بكم وتنكرون رسالة الله ورسوله ولا بد من رسول يرسل اليكم وذلك من اعظم النعم واجلها فيخرج تاويل الاية على هذه الوجوه التي ذكرنا احدها في انكار وحدانية الله والوهيته والثاني في انكار قدرته على البعث والثالث في انكارهم رسالة الرسول وصرفهم شكر نعمه الى غيره بعبادتهم غير الله والله اعلم ثم الحكمة في خلق الارض وجعله الذي ذكر يومين وان كان قادرا على خلق كل شيء بلا تحديد ولا توقيت فقال بعضهم فيه تعريف الخلق والتعليم لهم الاناة في الامور وترك الاستعجال فيها والاصل في ذلك عندنا ان الله جل وعلا جعل امر الدنيا وامر هذا العالم على التحديد والتقليب من حال الى حال نحو ما ذكر من تقليبه وتغييره من حال النطفة الى حال علقة ومن حال العلقة الى حال المضغة الى حال تركيب الجوارح ثم الى حال الانسان ثم من تلك الحال الى ان يكبر بتقليبه من حال الى حال اخرى وكذلك امر الدنيا وما فيها من الفواكه والنبات وغير ذلك ينشئها ويحدثها في كل عام وان كان لو شاء انشاها في عام واحد او في ساعة ولحظة وابقاها الى اخر الابد لكن لم يفعل ذلك لما بنى امر هذا العالم على الفناء والفساد ثم ليستدل بتغير هذه الاحوال عليها على اصل الوضع ولذلك ركب فيهم المرض والسقم والسلامة والصحة وبنى امر الاخرة على البقاء والدوام فعلى ذلك من التحديد والتوقيت في خلق الارض والله اعلم ويحتمل ان يقال جعل ذلك على التحديد والتقدير لما بها دار محنة وابتلاء انما يقع على التوقيت والتقدير بذوات متباينة واسباب مختلفة فاما الاخرة فلا محنة فيها ولا بلية فهي على الدوام والبقاء

لذلك

لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وجعل فيها رواسي من فوقها اي جعل في الارض جبالا ارسى بها الارض واثبتها لانه ذكر ان الارض كانت على الماء وكانت تميد باهلها فكان ارساها بالجبال واقرها بها وفيه نوع وما لانه معلوم لان الجبال التي اثبت بها الارض واقرها كانت تزيد في ثقل الارض فالسبيل فيه الترسب في الماء والاغتراق فيه لا الاثبات بها والاقرار لكنه جعل الجبال سبب ثبات الارض واقرارها تعليما منه الخلق تعليق الاشياء بعضها ببعض وتعليقها بالاسباب من غير ان يكون لها معونة له على ذلك ولو شاء لاثبتها وارساها بلا سبب ولا شيء تعلقه به لكن علق الاشياء بالاشياء والاسباب لما ذكرنا من تعليم الخلق تعليم تعليق الاشياء بالاسباب والله اعلم وقوله عز وجل وبارك فيها يحتمل وبارك فيها اي في الجبال فقد جعل الله تعالى فيها البركات الكثيرة منها المياه التي خرجت منها والعيون ومنها الذهب والفضة وغيرهما ومنها الثمار والاشجار التي ينتفع بها وانواع النبات التي يصلح للادوية وغير ذلك من المنافع التي يكثر عددها واحصاؤها ويحتمل قوله وبارك فيها اي في الارض فقد جعل الله تعالى في الارض البركات الكثيرة من المياه التي تخرج منها وانواع النبات والثمار وغير ذلك مما بها قوام الخلق جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب والله اعلم والبركة هي اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة والنماء والله اعلم وقوله عز وجل وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين اي قدر في الارض اقوات اهلها وارزاقهم في اربعة ايام سواء للسائلين قال الزجاج سواء للسائلين فيه لغات بالنصب والرفع والخفض فمن خفضه سواء للسائلين صيره صفته ونعته للايام كانه قال في اربعة ايام سواء اي مستويات ليس بعضها اطول من بعض ومن قرا بالنصب سواء صيره مصدرا اي سواء واستواء ومن قرا بالرفع صيره على الابتداء يقول والله اعلم اي ذلك الاقوات التي قدرها سواء للمحتاجين اي كفاية لهم على قدر حاجتهم ثم اختلف في قوله سواء للسائلين عن ابن عباس رضي الله عنه قال من سال عن ذلك وجده كما قال الله تعالى ويقول ابن عباس رضي الله عنه وانا من السائلين فكان قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكرنا اي كفاية للسائلين المحتاجين على السواء وقال بعضهم عدلا للسائلين سواء يقول لمن شاء الرزق من السائلين وقال الحسن في اربعة ايام سواء لمن سال عن خلقه في اربعة للسائلين او كلام نحوه وقال بعضهم هو من مقاديم الكلام يقول قدر فيها اقواتها سواء في اربعة ايام للسائلين تلك الاقوات والارزاق سواء والله اعلم ثم في هذا مسالتان احدهما في تكوين الخلق واحداثه وما ذكر من تقدير الاقوات في الاوقات فعندنا ان الله تعالى لم يزل مكونا محدثا وان ما كان ويكون الى اخر الابد انما يكون بتكوين كان منه في الازل لا بتكوين يحدث منه في كل وقت يحدث التكوين والخلق والاصل في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا اضيف الاوقات الى فعله فتكوين التوقيت للخلق عن المفعول لا الفعله لما ذكرنا انه لا حاجة يقع له في المعونة بشيء ما ذكر للتوقيت وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم لزوم المفعول والخلق وليعلم انه محدث والله اعلم ومسالة اخرى في ذكر التحديد والتوقيت في خلق ما ذكر حكمة جعل في ذلك من عبادته يصعب عليه خلق ذلك في ساعة او طرفة عين انا المعنى في خلق ما ذكر في ايام واوقات ذلك ... وعنده الله تعالى عالم بذاته قادر بذاته له قدرة ذاتية وعلم ذاتي لا لاستعداد فالاوقات انما يحتاج اليها من كان يقدر بقدرة مستفادة وعلم مستفاد ... فاما الله سبحانه وتعالى ما يكون منه انما يكون بقدرة ذاتية وعلم ذاتي لا حاجة به الى الاستعانة بشيء من ذلك لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ... ثم ذكر خلق السموات ... ستة ايام ... وقوله عز وجل ثم استوى الى السماء يخرج على وجهين [illegible]

لم يذكر هاهنا انه خلق الارض في يومين ثم قال ثم استوى الى السماء ذكر الاستواء الى السماء وليس فيه انه خلقها بعد خلق الارض بل فيه انما استوى اليها بعد خلقها وليس فيه اثبات خلقها قبل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وهي دخان قال بعضهم دل قوله وهي دخان على انه كان هنالك نار حتى خلق السماء بدخانها لكن لا نعلم ذلك الا بالسمع ويحتمل ان يكون قوله وهي دخان اي شبه الدخان لا حقيقة الدخان ومنه خلق السماء والارض وقوله عز وجل فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قال بعضهم في قوله ائتيا اعطيا ما جعل فيكما من المنافع والاقوات وكرها ثم اختلف فيه انه على التكوين والتسخير ما ذكر من الطوع والكره او على حقيقة القول والامر في ذلك قال بعضهم ذلك على التكوين والتسخير خلقه اي انشاهما وخلقهما على اخراج ما فيهما من المنافع والاقوات والارزاق التي جعل فيهما وكذلك ما ذكر من الطوع والكره لا قولا منهما وامر لكنه طبعهما وانشاهما كذلك قال بعضهم ذلك على حقيقة القول والامر منه لهما نحو ما ذكر لكل شيء من الجبال وغيرها انه يسبح الله تعالى على الوجهين لكن شرط خلق الحيوة التي لا بد منها النطق والسماء فعلى ذلك هاهنا والله اعلم وقال بعضهم في قوله ائتيا طوعا او كرها اي ائتيا عبادتي ومعرفتي وذلك ان الله تعالى حين خلقهما عرض عليهما الطاعة والشهوات واللذات على الثواب والعقاب فابين ان يحملنها الاية فهذا الاباء والاعطاء هو اعطاء الخلقة والتكوين ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن في يومين هو موصول بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وكذلك قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين وقد ذكرنا الوجه في ذلك ثم الاعجوبة في خلق السموات ورفعها اعظم واكبر من خلق الارض وقد ذكرنا في خلق السموات من الوقت الذي ذكر في الارض وهو يومان ليعلم ان الوقت الذي ذكر في ذلك ليس لما يتعذر عليه ذلك ويصعب بدونه ذلك الوقت ولكن لحكمة في ذلك لم يطلع الخلق على ذلك وكانت الحكمة فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل واوحى في كل سماء امرها وهم الملئكة الذين جعلهم اهلها وقال قائلون اي امر كل اهل سماء امرها وامتحنهم محنة و قال هو ما امر به واراده وهما واحد والله اعلم وقوله عز وجل وزينا السماء الدنيا بمصابيح اي بالكواكب وقوله وزينا السماء الدنيا اي زينا السماء التي دنت منكم هي مقابل القصوى من الدنو ليس ان هذه السماء التي تراها وتشاهدها مزينة بالكواكب هي سماء الدنيا فانية وغيرها من السماء الاخرة لا يعني بل كلها يعني يبقى هذه وغيرها بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله عز وجل والسموات مطويات بيمينه فهو كلهن ذو تبديلات فانيات دل ان قوله وزينا السماء الدنيا اي التي دنت منكم وهي مقابل القصوى لا مقابل الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل وحفظا يحتمل وجهين احدهما اي حفظناها وجعلناها محفوظة بما ذكر من ان يسترق الشياطين والجن استماع الخبر من السماء وما يتحدث به الملائكة فيما بينهم فيلقون ذلك على اسماع اهل الارض على ما كانوا يفعلون من قبل اي حفظنا بالكواكب التي جعل فيها الرجم بها الكواكب وتعرف بهم ليكون سماع ذلك من جهة الوحي عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الغير من ذكر وهو كما ذكر في اية اخرى حيث قال انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى الاية ويحتمل وجها اخر وحفظا اي حفظناها على ما هي حق لا يسقط على الخلق كقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض ونحو والله اعلم وقوله عز وجل ذلك تقدير العزيز العليم يقول ذلك الذي ذكر كله وصنع هو تقدير العزيز العليم اي تقدير من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ويحتمل قوله ذلك تقدير العزيز العليم اي تقدير من له العز الذاتي والعلم الازلي لا انه قدر ذلك وصنع يستفيد بذلك العز والعلم اذ هو عزيز بذاته وعليم بذاته والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كانت معرفة عندهم ظاهرة انها نزلت بهم لتكذيبهم الرسل وتركهم اجابتهم الى ما دعوا اليه حيث خوف هؤلاء بذلك كانه يقول انذرتكم بتكذيبكم اياي و تركهم اجابتي الى ما دعوتكم اليه بالذي نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسول الذي ارسل اليهم وتركهم الاجابة الى ما دعوا اليه والله اعلم ثم وقوله عز وجل صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود لم يرد به عين عذاب اولئك ومثله في راي العين ولكن مثله في الهلاك والاستيصال الا ترى ان عذاب عاد وثمود كان مختلفا في راي العين عذاب عاد خالف عذاب ثمود هما في المعنى واحد فعلى ذلك ما اوعد هؤلاء بمثل عذاب عاد وثمود لم يرد مثله في راي العين ولكن في المعنى وهو كما ذكر في قوله تشابهت قلوبهم وقوله عز وجل يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل لم يرد به التشابه والمضاهاة على ان نفس القول منهم وعن الكلام كان واحدا بل كان سبب كفرهم مختلفا وقول هؤلاء خلاف قول اولئك وما كان من هذا الفريق خلاف ما كان من الفريق الاخر لكن لما كان التكذيب من هؤلاء لذلك كالتكذيب

من اولئك

من اولئك لزمهم من هؤلاء كما ان من ادركهم وكانوا احدا سواء في هذه الجهة وصف قلوبهم بالتشابه وقولهم بالمضاهات والله اعلم وهذا يدل على ان الاستواء من جهة وجهة لا يوجب التشابه والتماثل والله اعلم وقوله عز وجل اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله هذا يحتمل وجوها احدها اذ جاءتهم الرسل انبياء من كان قبلهم ومن كان بعدهم انهم جميعا قالوا لقومهم ان لا تعبدوا الا الله والثاني اذ جاءتهم الرسل بالوعيد والتخويف بعذاب نزل بهم من بين ايديهم اي من حيث يرونه ويعلمونه ومن خلفهم اي من حيث لا يرونه ولا يعلمونه وهو كقوله عز وجل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ونحوه وقيل بعث الله الرسل قبلهم وبعدهم بالذي ذكر وهو الدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والله اعلم وقوله عز وجل قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون هذا القول منهم يناقض قولهم ويكذبهم الرسل وانكارهم رسالة البشر و طمعهم رسالة الملائكة لانهم ما عرفوا الملائكة ولا عاينوا انما عرفوا الملائكة وعلموا بمكانهم برسل البشر فكيف انكروا رسالتهم مع ما لو كان الرسل اليهم الملائكة لم يعرفوا انهم ملائكة الا بتعريف لما لم يتقدم لهم معرفة بالملائكة فهذا يناقض انكارهم الرسل من البشر والثاني ما قالوا انا بما ارسلتم به كافرون تناقض وانكار رسالتهم حيث قالوا انا بما ارسلتم به كافرون لانهم لم يقولوا انا بما جئتم به الينا كافرون ولكن قالوا انا بما ارسلتم فذلك مما يناقض قولهم ويوجب تكذيبهم والله اعلم وانما قالوا ذلك اعني قولهم لو شاء الله لانزل ملائكة تعنتا منهم وعنادا والا فقد علموا انهم رسل الله فيما قضوا بما قالوا على التعنت منهم والعناد والله اعلم وقوله عز وجل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة جائز ان يكون استكبارهم في الارض بغير الحق على اهل الايمان ذكروا من فضل القوة لم يذكر من بين غيرهم كقوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين فهم ذكر ذلك فجائز ان يكون استكبارهم على اهل الارض بغير الحق اشرة بطشتهم وقوتهم على غيرهم والله اعلم ويشبه ان يكون استكبارهم واتباع الرسل فلم يروا انفسهم ان يجعلوها تحت تدبير الرسل وامرهم وان يخضعوا لهم ويتبعوا لما دعوهم اليه وقالوا من اشد منا قوة ثم قال الله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة هذا استفهام على طريق التقرير منا قدروا وعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد قوة والرسل عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا يعدونهم ويخوفونهم بقوى انفسهم ولا يعذب ان يكون منهم حتى قالوا من اشد منا قوة ولكن انما كانوا يوعدونهم ويخوفونهم بعذاب ينزل من عند الله وبقوته وسلطانه لم يوعدونهم و تدعي فوقه وسلطانا لم لذلك قال اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم وقوله عز وجل وكانوا باياتنا يجحدون دل هذا على انهم قد كذبوا هودا عليه السلام وانكروا اياته وذلك قولهم يا هود ما جئتنا ببينة وانهم قد اتاهم بايات رسالته وقوله عز وجل فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ذكرها اهلكهم به من العذاب وهو الريح الشديدة البارد كذا قال ابو عوسجة وقوله عز وجل في ايام نحسات وهو ما ذكر في سورة الحاقة حيث قال فاما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقال في موضع اخر في يوم نحس مستمر ثم اختلف في تفسيرها قال بعضهم نحسات مسومات نكدات وهذا قول القتبي وقال بعضهم نحسات من النحس ايضا النحس شوما والنحس اخبار في الاصل وقوله عز وجل لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي عذابا يذلهم ويفضحهم عند الخلق جميعا وقوله عز وجل ولعذاب الاخرة عليهم اذل وافضح واشد من عذاب الدنيا وقوله عز وجل وهم لا ينصرون يحتمل لا ينصرون بقوتهم التي كانت لهم واعتمدت عليهم بقوتهم من اشد منا قوة ويحتمل لا ينصرون بالاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم والشفاعة وقوله عز وجل واما ثمود فهديناهم يحتمل ما ذكر من الهداية لم حقيقة الهدى وهو التوفيق وحقيقة خلق الاهتداء فيهم فضلوا واهتدين وهو ما نالوا من الا وهي اية الناقة بالناقة وقوله عز وجل على ما نالوا امنوا به وصدقوه ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ويحتمل قوله فهديناهم اي بينا لهم غاية ما بين الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل انها اية وانها من الله تعالى حيث جاء بهم الاية التي سالوها على الاشارة والتعيين وهي الناقة والله اعلم وقوله عز وجل فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الهدى على الكفر واختاروا عما يعمون على ما بين لهم ثم اخبر عما نزل بهم من العذاب باختيارهم العمى على الهدى وهو قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اي عذاب بها نوا فيه وهو من الهوان والاذلال وكل عذاب فهو صاعقة وقوله عز وجل ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اي انجينا الذين اختاروا الهدى على العمى وكانوا يتقون اختار العمى على الهدى وقوله عز وجل ويوم يحشر اعداء الله الى النار اي يجمع والحشر الجمع يجمعون في النار وهو كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الاية وقوله عز وجل فهم يوزعون اختلف فيه تاويله قال بعضهم يوزعون اي يساقون كقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم يوزعون اي يدفعون كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون فيها دفعا والوزع الدفع وقال بعضهم يوزعون اي يحبسون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى اذا اجتمعوا جميعا فعند ذلك يجعلون في النار كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب الاية وقوله حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون كانهم يوقفون ويحبسون في مكان فيسالون النار فيسالون عما كانوا يعملون وهو كقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون فينكرون ما كان منهم كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا فعند ذلك ينطق الله جوارحهم فيشهد عليهم بما عملوا وما كان منهم وهو قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقال بعضهم جلودهم كناية عن الفروج وهو قول الحسن وقوله عز وجل وقالوا لجلودهم لم

شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ينطق اذ لا كل شيء ينطق ذكروا كل شيء واراد وا به الخاص لا العام والله اعلم وكان
غير هذا اوجب يقولون انطقنا الله انطق كل شيء بر يعصون الله تعالى وهو ما ينطق الله تعالى الاشياء التي بها عصوا ربهم وهي
الاصنام التي عبدوها وغير ما عبدوا دون الله كقوله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية وقوله وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون وما ذكر من اخبار الارض وتحديثها بما عملوا عليها بقوله يومئذ تحدث اخبارها وغير ذلك من الايات التي فيها بيان انه
ينطق الله تعالى الاشياء التي عبدوها وعصوا بها ربهم فعلى ذلك ينطق الله الجوارح التي بها عصوا ربهم فيشهد عليهم بجميع ما
كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اختلف فيه قال بعضهم
اي ما كنتم تعلمون وتستيقنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون الظن هاهنا
على هذا التاويل حقيقة الظن والجهل اي ولكن جهلتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلو كان تاويل الاية ما ذكر هولاء ففيه دلالة
ان العذاب قد يلزم ويجب وان جهل ذلك ولم يتحقق عنده العلم به اذا كان بحيث امكان الوصول الى علم ذلك ومعرفته بالنظر والتامل
والتفكر بغير ذلك من الاسباب لكنه ترك التامل فيه فلم يعلم ذلك فلم يعذر بجهله وهكذا الحكم ان من مكنه العلم واسباب المعرفة
فلم يتكلف معرفته لم يعذر في جهله ولهذا قال ابو حنيفة في الاطفال انه لا علم لهم لما لا يعلم انهم قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الاشياء
بالتامل والتفكر ام لا والله اعلم وقال بعضهم وما كنتم تستترون اي كنتم لا تقدرون ان تستتروا من سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
واحد لا يستطيع ان يستتر من نفسه اذا عمل شيئا فذلك ظنكم ان ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون في السر وقوله عز وجل وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم من وذلكم جهلكم على ما صنعتم بان الله تعالى لا يعلم ذلك وهو لا يخفى عليه خافية فظنكم ذلك
ارديكم اي اغويكم واضلكم عن الهدى والله اعلم وقال قتادة يا ابن ادم ان عليك لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سرك
وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية ومن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل
ولا قوة الا بالله ثم قال الظن ظنان ظن منجي وظن مردي فاما المنجي فقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم الاية وقال اني ظننت اني
ملاق حسابيه واما الظن المردي فقوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقوله ان يظن الا ظنا ونحوه والله اعلم قال وذكر ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويحدث ذلك عن ربه جل جلاله عبدي انا عند ظنك وانا معك اذا دعوتني وقال الحسن انما عمل
الناس على قدر ظنونهم بربهم فاما المؤمن فاحسن بربه الظن فاحسن العمل واما الكافر والمنافق فاذا اساء به الظن فاساء العمل
ثم تلا قوله عز وجل وما كنتم تستترون اي يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم وقال الجلود كم الاية وقال الجلود كناية
عن الفرج وفي حرف حفصة وما كنتم تخشون في حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنه ولكن زعمتم ان الله لا يعلم كذا وكذلك في حرف
ذلكم ظنكم الذي زعمتم والزعم في كلام العرب التكذيب وفيه يستعمل وقوله تعالى ارديكم قال بعضهم اهلككم والردى الهلاك وقيل اردى
المهالك ويحتمل ارديكم اي اغواكم واضلكم على ما ذكرنا وقوله عز وجل فان يصبروا فالنار مثوى لهم هذا يخرج على وجهين احدهما
اي فان يصبروا على ما هم عليه من الاعمال التي رجعوا بها في النار مثوى لهم في الاخرة والثاني اي فان يصبروا في الاخرة في النار فالنار
مثوى لهم اي لا ينفعهم الصبر على ذلك ولا يكون الصبر سبب الفرج من ذلك وهو كقوله سبحانه وتعالى خبرا عنهم سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص فيكون احدهما في الدنيا والثاني في الاخرة وقوله عز وجل وان يستعتبوا فما هم من المعتبين معناه
والله اعلم وان يستقيلوا ما كان منهم فما هم من المقالين اي اقالة ذلك منهم ولا يرضى عنهم وان استرضوا وقوله عز وجل وقيضنا
لهم قرناء كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية ثم اختلف في قوله وقيضنا قال بعضهم هيأنا لهم في الدنيا قرناء من الشياطين
وغيرهم وقال بعضهم اي مكنا الشياطين حتى تقذفوا في قلوبهم من الوساوس وغيرها وكلام نحوه وقال بعضهم اي خلينا بينهم
وبين الشياطين حتى يخلوا بهم ما ذكر وقوله عز وجل فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اختلف في قوله ما بين ايديهم وما خلفهم
قال بعضهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اي حسنوا لهم التكذيب بالاخرة والحساب والثواب والعقاب اي ليس ذلك وقوله عز وجل وما
خلفهم اي حسنوا لهم ان الدنيا وانها دائمة باقية وقيل ما بين ايديهم وما خلفهم اي وما بين ايديهم اي يعملون بعد والثاني ما بين
ايديهم ما عملوا بانفسهم وما خلفهم ما سنوا لغيرهم من بعدهم كقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت والله اعلم وقوله عز وجل
وحق عليهم القول يحتمل وجب عليهم القول بالعذاب والسخط وقوله عز وجل في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس اي مع امم وذلك كانت
وقوله قد خلت من قبلهم اي من قبل هولاء من الانس والجن من الامم الخالية انهم كانوا خاسرين وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لا
تسمعوا لهذا القران والغوا فيه اي لا تستمعوا انتم بانفسكم والغوا فيه لئلا يسمع منه قراءته ولا صوته دل هذا القول على انهم قد عرفوا
انه حجة وانه من عند الله جاء وان من سمع ذلك اذعن له واطاع اذا لم يكابر عقله ولهذا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لئلا يذعن
ولا يطاع لعلكم تغلبون وقال بعضهم قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه بالمكاء والتصدية وكانوا يفعلون ذلك ليخلطوا
عليه صلوته والقراءة لعلكم بالمكاء والتصدية لعلهم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وقوله عز وجل فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي نذيقن كفروا وداموا على الكفر حتى ماتوا على ذلك تاما من كفر في دنيا

ثم ترك

[illegible]
خالصا لله تعالى فاما ... وقوله عز وجل تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا اختلف فيه قال بعضهم ذلك عند
قبض الارواح في الدنيا يبشرهم بذلك وقال بعضهم تتنزل الملائكة يوم القيمة عند معاينتهم الاهوال والافزاع ليسكن بذلك قلوبهم
عند تلك الاهوال والشدايد والله اعلم ثم اختلف في قوله الا تخافوا ولا تحزنوا اي لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل و
الاولاد وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه من الموت وامر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل ودين وقال بعضهم لا تخافوا من العذاب
ولا تحزنوا على فوت ما وعدتم من النعيم فانها دائمة لا يفوت ولا ينقطع ابدا وقوله عز وجل وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على السنن
الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام فمن قال ان البشارة التي ذكر في الدنيا ان قبض الارواح فلما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر لان المؤمن يرى له الجنة ويبشر بها في ذلك الوقت فيصير الدنيا له سجنا لما عاين مما هي له وجعل له
من الثواب والكافر لما راى له مكانه في النار وبشر له صارت له الدنيا جنة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلوة والسلام من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة هذا يخرج على
احد ما يشبه ان يكون هذا القول من الذين بشروهم بما بشروا يقولون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وجائز ان يكون ذلك من
الله تعالى وان كان المذكور على اثر البشارة الملائكة دون الكفرة تعالى ومادعا الكافرين انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا
ثم ان كان ذلك من الله سبحانه وتعالى فيكون تاويله نحن اولياؤكم في عصمتكم في الدنيا وولايتكم في الاخرة في المعونة ونقول نحن
اولياؤكم في النصر والتوفيق في الدنيا والجزاء والثواب في الاخرة والله اعلم وان كان ذلك من الملائكة الذين بشروهم يقولون نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا بالصحبة فكذلك يكون في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ولكم فيها ما تشتهي انفسكم هذا يحتمل وجهين احدهما ما
تشتهي انفسكم اي لكم ما ترغب به انفسكم وتشتاق اليه ولكم فيها ما تلتذ به انفسكم وتنعم بها وقوله عز وجل ولكم فيها ما تدعون
قيل ما تتمنون وتسالون ويقول ما تدعون من الدعوى والله اعلم وقوله عز وجل نزلا من غفور رحيم قال بعضهم نزلا اي عطاء
من غفور رحيم وهو من الانزال وقال بعضهم نزلا اي نزالا في المنزل من غفور رحيم والله اعلم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا كان يقول ومن احسن وعظا او سيرة ممن الى الله اي الى توحيد الله ودينه او دعا الى المعروف والنهي عن المنكر اي دعا

غيره الى ذلك وعمل بنفسه وهذا الحرف يجمع جميع الخيرات والطاعات فان كان قوله ومن احسن قولا على ماذكرنا من المذاهب و
السير فكانه يقول ومن احكم واتقن مذهبا وسيرة ممن ذكر وان كان على حقيقة القول فيكون قوله ومن احسن قولا اى من اصدق
قولا ممن قال ماذكر والله اعلم وقوله عز وجل وقال انني من المسلمين اى اختار الانتساب الى الاسلام من بين غيره من الاديان و
المذاهب وقد ابى سائر الفرق الانتساب الى الاسلام سوى اهل الاسلام والثانى انتسب لما اختص الله سبحانه وتعالى تسميته
وهو الاسلام كقوله تعالى هو سماكم المسلمين وقوله امة مسلمة لك وقال فى حق ابرهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ويكون اسم المؤمن خاصا لاهل الحق فان اليهود والنصارى سموا انفسهم مؤمنين ولا يمتنعون عن اطلاق اسم المسلمين وهذا يفاد
بان الاسلام والايمان واحد وان كان الاسلام والايمان واحدا الاختصاص هذا الاسم بهولاء والله اعلم ويقال انه اختار النسبة
الى الاسلام وغيرهم من الناس ينتسبون الى ماهم من الغرف فى الدنيا والشرف فيها وغير ذلك من الاسباب التى كانت لهم فى الدنيا ثم اختلف فيه قال
بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم هم المؤذنون وعلى ذلك روت الاخبار انها نزلت فى المؤذنين وقال بعضهم ذلك
فى كل مؤمن دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وعمل بنفسه والله اعلم وعن الحسن انه تلا قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
قال هذا صفوة الله هذا خيرة الله وهذا احب اهل الارض الى الله تعالى اجاب فى دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله فيه من دعوته
وعمل صالحا فى اجابته وقال انني من المسلمين يرثه هذا خليفة الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
قيل ولا الاخير هاهنا زائدة كانه قال ولا تستوى الحسنة وقد يزاد حرف لا فى الكلام وقد ينقص على ذلك هذا ثم يجوز ان يكون
قوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة وقوله ادفع بالتى هى احسن كل واحد منهما موصولا بالاخر يقول لا تستوى الحسنة ويجوز ان
يكون كل واحد منهما مقطوعا من الاخر على الابتداء فلو كان احدهما موصولا بالاخر يقول لا تستوى الحسنة والسيئة فى جلب حب الخلق
واللين والعطف بل الحسنة تجلب حب القلوب والميل اليها لا السيئة ادفع بالتى هى احسن اى ادفع بالحسنة دون السيئة وهو
كقوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية فعلى ذلك يقول والله ان لا تستوى الحسنة و
السيئة فى الطاعة والميل وتجلب حب القلوب بل هما مختلفتان مفترقان فادفع سيئتهم بالحسنة والله اعلم ويجوز ان يكون جميعا على
الابتداء لا اتصال لاحدهما بالاخر فان كان على الابتداء فمعناه والله اعلم انكم تعلمون بعقولكم ان لا استواء بين الحسنة والسيئة ولا
بين المحسن والمسيء وكذا الاستواء بينهما فى الحكمة وقد رايتم انهما قد استويا فى هذه الدنيا فى جميع منافعها ولذاتها وجمع بينهما ف
هذه وفى الحكمة والعقول التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما فى الجزاء والثواب فيها والله اعلم وهو ماذكر فى اية اخرى
افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقوله عز وجل ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل
المتقين كالفجار اى لا نجعل هذا كهذا فى هذه الدنيا فدل ذلك على ان هنالك دارا اخرى فيها يقع ذلك التمييز والتفريق فعلى ذلك
هذا والله اعلم وقوله عز وجل ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم صرف عامة اهل التاويل ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابى جهل لعنه الله انه امر رسوله عليه الصلوة والسلام ان يدفع سيئة ابى جهل بالحسنة لكن هذا
لا يحتمل لانه ثم يذكر ان ابا جهل صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه ولى حميم قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم
بل بات عداوته اياه الى ان خرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر واعز الله نبيه عليه وقتل ذلك الاعرابى اليه تقتل فى ذلك اليوم
فدل انه لا وجه لصرف الاية الى ما ذكر يخرج قوله ادفع بالتى هى احسن على وجهين احدهما
اليهم اما احسنت اليهم فحادث الوقت والله اعلم فيكون قوله والثانى ادفع سيئتهم
بالعفو والصفح عنهم فاذا فعلت ذلك يصير الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم
اى يغلب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم اى لا يعطى ولا يوفق
المعاملة التى ذكر ولا يوفق لذلك الا من عزم على الصبر على ما امر الله تعالى والشكر على ذلك وقوله عز وجل ولا يلقاها الا ذو حظ
عظيم يقول لا يعطى هذه المعاملة التى ذكر من الدفع بالحسنة والصفح عن الجرم الا من له حظ ونصيب عظيم عند الله تعالى
والله اعلم وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله هذا يخرج على وجهين احدهما يكون
الذى ذكرنا فى الاسباب التى بها يقع نزغ الشيطان ووسوسته امرهم بان ياتوا بالاسباب التى بها يدفع و
بمباشرة اسباب يقع بها
بها فعلى ذلك الاستعاذة والثانى والله اعلم فينزغ نزغاته وهمزاته و
والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يجيء الاستعاذة منه لانهم يقولون هو
اصلحا من اللطف ويحتج والله الهادى وقوله عز وجل ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر والتهجد له الذى خلقهن
ان كنتم اياه تعبدون كانه يقول والله اعلم الشمس والقمر وحدانيته تعالى كالليل والنهار انهما ايات
من ايات الله فاذا لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتم الشمس والقمر من ايات الله تعالى

سخرنها

سخرها المنافع للخلق كالليل والنهار مسخرات للخلق والمنافع التى جعل فيهما للخلق ان لم يكن اكثر لم يكن دون منافع الشمس والقمر
وانتم لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتم هاتين يذكر هذا لان منهم من كان يعبد الشمس ومنهم من كان يعبد القمر ونحوه يذكر
سفههم بعبادتهم غير الله وقوله عز وجل واسجدوا لله الذى خلقهن اى اسجدوا لله الذى انشا هذه الاشياء وسخرها لكم ان كنتم
اياه تعبدون واى ان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء تقصدون القربة عند الله تعالى وان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء اياه تر
يدون لانهم كانوا يعبدون هذه الاشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى يقول ان كنتم اياه تقصدون بعبادة هذه الاشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى لقولهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى يقول ان كنتم اياه تقصدون هذه الاشياء فاسجدوا لله واعبدوا لما امركم بالسجود له والعبادة
والله الموفق وقوله عز وجل فان استكبروا قد ذكرنا فيما تقدم ان لا احد يقصد قصد الاستكبار على الله تعالى ثم يخرج
هذا على وجهين احدهما انهم قد امروا بطاعة الرسل عليهم الصلوة والسلام فاذا استكبروا عن اتباعهم لما دعوهم اليه
فيصير استكبارهم عليه كالاستكبار على الله تعالى والثانى لما تركوا عبادة الله تعالى وقد جعل فى انفسهم دلالة عبادة الله
تعالى فاذا تركوا العبادة لله تعالى فقد تركوا الايتمار بامره ولم يعتقدوا الايتمار لذلك الامر فيكون استكبارا عليه والله
اعلم وقوله عز وجل فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يقول والله اعلم فان استكبر هولاء عبادة
الله تعالى فاوحشك ذلك فاذكر عبادة من عنده من الملائكة بالليل والنهار حتى يستانس بذلك والله اعلم وهو كقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك فان ستوحش باستهزائهم بك فذكر لما استهزئ اولئك باخوانك ليخفف ذلك فيه لما تعلم انك ليس اول من استهزئ به فهذا مثله
والثانى فان استكبر هولاء على عبادة الله وقد عبدوا الملائكة والاصنام وغيرهم فالذين هم عند ربك من عندهم هولاء لم يستكبروا
وهم يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية كقوله تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يقول ان استنكف هولاء عن ان يكونوا عبيدا لله فالمسيح ومن ذكر لم يستنكفوا عن ذلك وقوله
تعالى وهم لا يسأمون يخبر انهم لا يسأمون عن عبادته كما يسأم البشر اعيانا عن عبادته والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت الاية وقال فيما تقدم ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر فيما ذكر من الايات ايات وحدانيته
وايات قدرته وعلمه وتدبيره وايات حكمته اما ايات وحدانيته فى الليل والنهار والشمس والقمر هو انه لو كان سلطان احدهما لليل والنهار
والشمس والقمر يمنع عن كون الاخر ولو كان ذلك فعل عدد لكان يمنع الاخر عن اتيان ما يذهب بسلطانه فاذا لم يكن دل انه فعل واحد وتدبير
ما ذكر من الليل والنهار والشمس والقمر على سنن واحد وسنن متسق الى اخر ما يكونان على ان مدبرها عليم مدبر ذاتى وحيا حكيم ذاتى ليس
بمستفاد ولا مكتسب ودل سيرهما وجريانهما يوم واحد وليلة واحدة مسيرة كذا كذا عاما على ان منشيهما قادر له قدرة ذاتية لا يعجزه
شئ اذ القدرة المستفادة والمكتسبة لا يبلغ ذلك وكذلك فى احياء الارض بعد موتها واخراج النبات منها دلالة ذلك كله من دلالة الوحدانية
ودلالة العلم الذاتى والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير لانه لما احياها بعد موتها واماتها بعد احيائها اياها دل انه فعل واحد لا عدد لانه
لو كان فعل عدد لكان اذا احياها هذا منع الاخر عن الاماتة وكذا اذا امات هذا منع الاخر عن الاحياء على يكون من فعل ذى عدد من ملوك
الارض فانهم يمنع ذلك دل انه فعل واحد ودل جريان ذلك كله فى كل عام على مجرى واحد وسنن واحد وعلى مقدار واحد من النبات و
غيره على انه انما كان بعلم ذاتى وحكمة ذاتية ودلت القدرة على احيائها بعد موتها واماتتها بعد حياتها ان له قدرة ذاتية لا يعجزه
شئ من البعث ونحوه ثم جعل جل وعلا فى الماء معنى يوافق ذلك المعنى جميع النبات الخارج من الارض على اختلاف اجناسها وجواهرها
حتى يكون حياة كل شئ من ذلك به ان ذلك كان كذلك بلطف منه لا يبلغ فهم البشر ولا علمهم ثم ذلك النبات مع لينه وضعفه و
رقته يشق تلك الارض مع شدتها وصلابتها ويخرج منها ما لا يتوهم خروج اشكال الاشياء بفعل احد سواه ذلك على قدرته ولطفه
والله اعلم ثم قوله ترى الارض خاشعة اى ميتة خشنة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اى تحركت بنباتها وتزينت وصارت حية وقوله
عز وجل وربت اى نمت وتزيد ما عليها من النبات قال القتبى اهتزت بالنبات وربت علت وانتفخت وقال ابو عوسجة اهتزت اى نبتت
وربت من الزيادة وقوله عز وجل ان الذى احياها لمحيى الموتى هو ماذكرنا ان الذى ملك وقدر على احيائها القادر على احياء الموتى بعد موتهم
انه على كل شئ قدير اى لا يعجزه شئ وقوله عز وجل ان الذين يلحدون فى اياتنا قرا بعضهم يلحدون بنصب الياء وقرا بعضهم بنصبها فمن قرا بالرفع
تاويله ان الذين يميلون عن قبول اياتنا قال ابو عوسجة الالحاد الميل واحد الجدير هذا ومن قرا بالنصب يقول يلحدون فى اياتنا ان الذين
يميلون فى دفع اياتنا وابطالها لا يخفون علينا وعيد منه لهم يقول لا يخفون هم وما يفعلون علينا فيجزيهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل
افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا يوم القيمة يشبه ان يكون هذا صلة لا يتبين بعدم ذكرها احسن هاهنا قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاية حتى فى المؤمنين وقال فى الكافرين فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الاية والاية الثانية قوله
عز وجل ولا تستوى الحسنة ولا السيئة يقول افمن يلقى فى النار باعماله السوء خير ام من ياتى امنا عن ذلك باعماله الحسنة اى يقول
ان من يلقى فى الاخرة فى النار ليس كالذى ياتى امنا عن ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل اعملوا ما شئتم يحتمل هذا وجهين احدهما على

لانه جل وعلا بين السبيلين جميعا على البالغ بيانا شافيا واضحا وبين عاقبة كل سبيل من سلكه الاما ذا يتقضى ثم قال اعملوا ما شئتم اى اسلكوا اى سبيل شئتم فان سلكتم طريق كذا فلكم كذا والله اعلم والثانى على الوعيد وكذا قوله انه بما تعملون بصير على الوعيد وقوله عز وجل ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم سمى القران ذكرا وهو يحتمل وجوها احدها سماه ذكرا لان من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا او سماه ذكرا لما يذكرهم ما نسوا من احكام الله تعالى ويذكرهم بالله عليهم من حق لما لبعضهم على بعض والله اعلم وانه لكتاب عزيز اى عزيز لا يذله جحود الجاحدين ولا تكذيب المكذبين او يقول عزيز عند الله تعالى اكرم به محمدا صلى الله عليه وسلم وعزيز يعز من اتبعه وعمل به كما ذكرنا انه يشرف من اتبعه وعمل بما فيه والله اعلم وقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال بعضهم اهل التاويل اى لا ينزل كتاب من بعده تكذيبا وينقضه ولا قبله كتاب يكذبه ويبطله بل خرج موافقا لما قبله من الكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى ابليس لا يستطيع ان يبطل منه حقا ويحق منه باطلا او ينقص منه حقا ويزيد منه باطلا بل هو على ما ذكرنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال بعضهم ما ذكرنا لا يكذبه الكتب التى كانت قبله وقوله عز وجل ولا من خلفه اى لا يجيء من بعده كتاب يكذبه ومعنى هذا انهم كانوا يريدون ذلك ويدفعونه وليست لهم حجة من الله تعالى فى ردهم اياه ولا فى دفعه بل يدفعونه بلا حجة ولا برهان تنزيل من حكيم حميد وعن الحسن قال فى قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى انه سبحانه تعالى حفظه من الشيطان فلا يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ثم قرا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ودل قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ان كل ما اضيف اليه اليدين والخلف لا يفهم منه بذكر اليدين الجارحتين او بذكر الخلف والبدن يقول من بين يديه ولا من خلفه فعلى ذلك ما اضيف الى الله تعالى من اليد بدون بين به ما يفهم البدان ان حقيقة الجارحتين والله الموفق وقوله عز وجل تنزيل من حكيم حميد اى هذا القران هو تنزيل من حكيم حميد الحكيم هو الذى لا يلحقه الخطا فى تدبيره او ذو حكمة والحميد هو الذى لا يلحقه الذم فى فعله والله الموفق وقوله عز وجل ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الاية لم يخرج له جواب فى هذا الموضع ثم قال بعضهم جوابه ما ذكر فى اية اخرى بعد هذا وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعضهم بل جوابه ما ذكر فى حم المومن حيث قال الله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعزى النبى ويصبره ليصبر على ما كانوا يقولون له انه كذاب وانه ساحر وانه مجنون وانه انما يعلمه بشر وانه مفترى وغير ذلك من انواع الاذى كانوا يوذونه وكان يشتد عليه ذلك ويثقل لانه كان يدعوهم الى ما به نجاتهم وهم كانوا يستقبلونه بما ذكر فقال الله تعالى عند ذلك ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والنسبة الى السحر والجنون وغير ذلك بصبر على ذلك وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية ويحتمل انه انما ذكر ذلك ليتسلى به عن بعض ما يحضر من الضجر والوحشة بالنبى فالواقيه بما علم انه ليس باول مكذب من الرسل ولا باول مؤذى فى ذات الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم يقول والله اعلم على اثر ذلك ان ربك لذو مغفرة لو تابوا ورجعوا عن ذلك وذو عقاب اليم لو ثبتوا وداموا على ذلك والله اعلم او يقول اعلم على الصلة لقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم اى انه لذو مغفرة يغفر لهم ما كان منهم من التكذيب للقران لو تابوا ورجعوا وصدقوا وذو عقاب اليم ان لم يتوبوا ويثبتوا على ذلك والله اعلم او يذكر هذا اى ليس ولكنه مكافاتهم ومجازاتهم بما كان منهم انما ذلك الينا ان شئت غفرت لهم اذا رجعوا عنه وان شئت عاقبتهم وهو كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم الاية وقوله عز وجل ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمى وعربى وقال فى اية اخرى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال فى موضع اخر ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يذكر فى هذه الايات كلها سفه اهل مكة وشدة تعنتهم يقول لو نزلنا عليك الكتاب جملة فى قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينوا قالوا هذا الا سحر مبين ويقول ايضا والله اعلم ولو نزلنا هذا القران على بعض الاعجمين بلسان فقراه عليهم اى على اهل مكة بلسان العرب بحيث يفهمونه ما كانوا به مؤمنين لان قراءة الاعجمى اياه بلسان العرب اكبر فى الاية واعظم فى الاعجوبة من قراءة العربى بلسان العربية اى قراءة كل احد شيئا بغير اللسان الذى هو لسانه اكبر فى الاية واعظم فى الاعجوبة من القراءة بلسانه هو لسانه يقول لو نزلنا على من لسانه العجم والقران عربى فقراه الاعجمى ذلك على اهل مكة بلسان العرب فهو اكبر اعجوبة واعظم فى الاية لكانوا لا يومنون به فعلى ذلك يقول والله اعلم ولو جعلناه قرانا اعجميا وعاينوا نزول ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وفهمه واداه وقراه عليهم بلسان العرب وقالوا لولا فصلت اياته اعجمى يعنون القران وعربى اى محمد عليه الصلوة والسلام يعنون القران اعجمى ومحمد عربى كيف يكون هذا اى لا يكون هذا ويكذبونه ولا يومنون به وذلك لما ذكرنا ان اراد بلسانه ليس ذلك لسانه [illegible] اكثر فى الاية واعظم فى الاعجوبة اذ لم يكن الاختلاف من نفسه باللسان الذى هو لسانه [illegible] بلسانه فانه لم يكن ذلك بلسانه بحجة على سفههم وشدة عنادهم فى تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به والله اعلم وقال بعضهم ان الناس قالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان احيانا يقرا على رجل اعجمى يقال له ابو فكيهة فقالوا انما يعلمه بشر فانزل الله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته بالعربية اى بينة حتى يفقهها ويعلمها ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقالوا اعجمى انزل عليه القران ومحمد عربى فانه عربيا ليفقهوه فلا يكون عذرهم

الاعتذار

الاعتذار والاحتجاج وقال بعضهم لولا فصلت اياته حتى يفهمها [illegible] وقال ابو معاذ يكون معنى هذا انه [illegible] ولو جعلناه قرانا اعجميا [illegible] وهو مثل الاول وقال بعضهم اعجمى وعربى استفهام [illegible] فى الدلالة اكبر وفى الاعجاز اعظم والوجه فيه ما ذكرنا [illegible] وقال القتبى لولا فصلت اياته اى انزلت عربية مفصلة بالاى كانه التفصيل للسان العربى [illegible] لسان العرب [illegible] والله اعلم [illegible] لا يخرجه عن ان يكون قرانا [illegible] وقوله عز وجل قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون فى اذانهم وقر وهو عليهم عمى [illegible] بالشفاء والرحمة والهدى [illegible] من الضلالة والحيرة والشك وكل شبهة [illegible] والانفس جميعا [illegible] يدفع الضلال [illegible] سبيله [illegible] من الشبهات [illegible] لانهم لم يقبلوه ولم يتبعوه [illegible] اولئك ينادون من مكان بعيد [illegible] وان كانوا فى الحقيقة احياء وسماهم صما وعميا وان كانت لهم هذه الجوارح وفى الحقيقة لما لم ينتفعوا بهذه الجوارح [illegible] قوله ينادون من مكان بعيد عبارة عن قلة افهامهم يقال للرجل الذى لا يفهم انك تنادى من مكان بعيد والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كانه يقول والله اعلم انا قد اتينا موسى الكتاب ما عرفوا انه انزل من عند الله تعالى حيث نزل جملة ومع انهم عرفوا ذلك اختلفوا فيه حتى كذب به بعضهم فعلى ذلك يقول والله اعلم لو انزلنا القران عليك اعجميا فاديته اليهم بلسانك العربى لكذبوك ولا يصدقونك وان كان ذلك فى الدلالة اكثر فلا تعجب اعظم على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذى نزل على موسى عليه السلام بذكر سفههم وتعنتهم وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب ظاهر هذه الاية على ان ما ذكر من المنة والرحمة فى تاخير العذاب انما هو لقوم موسى وهو قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لكن اهل التاويل قد اجمعوا على صرف هذه المنة والرحمة فى تاخير العذاب الى هذه الامة وكذا فهم نظيره فى التنزيل فى العفو عن الاهلاك فى الدنيا دون سائر الامم والله اعلم ثم نظام قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم استدلال لاهل الالحاد لان مثل هذا فى الشاهد انما يقال لاحد معنيين اما الجهل بالعواقب والعجز عن وفاء ما وعد لكن الله تعالى عن الوصف بالجهل بعواقب الامور والوصف بالعجز عن شيء بما اقام من الايات والبراهين على العلم والقدرة ثم وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك يحتمل الحجة كقوله تعالى ويحق الحق بكلماته وقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى اى لحجج ربى يكون الكلمة منه الذين كقوله تعالى وكلمة الله هى العليا ويحتمل وقيل الكلمة هى الساعة التى اخر عذاب هذه الامة فقال بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر والله اعلم ويحتمل ان يكون الكلمة ههنا ما سبق من المنة لهذه الامة ان لا يعذبها وقتا يستحقون فيه العذاب او سبق منه المنة والرحمة بتاخير الهلاك عن وقت اكتسابهم اسباب الهلاك على المعتزلة والخوارج لقولهم انه ليس لله ان يعفو او يوخر العذاب عمن وجب عليه او استحقه او كلام نحوه حيث من ورحم بتاخير العذاب عنهم الى وقت ولو لم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة فى ذلك المعنى فهو كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر عز وجل انه انما امتحنهم لا لمنافع يجتلب الى نفسه او المضار يدفع عن نفسه ولكنه انما امتحنهم وامرهم ونهاهم لمنافع يكتسبون لانفسهم ولمضار يدفعون بذلك عن انفسهم وليس كملوك الارض انهم يمتحنون الخلق ويامرون وينهون ويستعملونهم لمنافع انفسهم ولمضار يدفعونها بذلك عن انفسهم فاما الله سبحانه وتعالى فانه انما يمتحن الخلائق لمنافع يجرونها الى انفسهم ومضار يدفعون بها عن انفسهم كلهم حصول المنافع ذلك لا لامتحان والامر والنهى وعليهم حصول المنافع ذلك الامتحان والامر

والنهي وعليهم حصول ضد ذلك فلا نفسهم يعملون ما يعملون من الخير والطاعة وعليهم ما يعملون من الشر وعلى ذلك قال
وما ربك بظلام للعبيد الاية قد بين السبيلين جميعا بيانا شافيا واقام لكل شيء ذلك والبراهين حججا وبين ان من سلك
سبيلا ما افضاه اليه كذا في العاقبة اما نعيم دايم وسرور دايم واما عذاب دايم وشرور دايم فمن سلك السبيل الذي
عاقبته النار والحزن فمن قبل نفسه اتى ذلك وهو الذي اوقع نفسه في ذلك ومن سلك السبيل الذي عاقبته الجنة والنعيم
داعية فيه وباختياره وصل ذلك فهو تفسير قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد والله اعلم وقوله عز وجل اليه يرد علم
الساعة اجمع من امن بالله تعالى وصدق رسله عليهم السلام من اهل السماء واهل الارض انه ليس عندهم علم بوقت الساعة
وان ذلك خفي عليهم لا يعلمون وان علم ذلك عند الله تعالى وهو ما قال عز وجل يسألونك عن الساعة ايان مرسيها الاية وزعم
الباطنية والروافض ان علم ذلك عندهم على مذهبهم وفي زعمهم اما الروافض فانهم يعدون له الاجل ويقولون ان
الساعة على امام كذا وفي زمان كذا واما الباطنية يقولون ان اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك انما هو اسم قايم الزمان
وان فلان فعلى قولهم ينظر وقت قيامها فهو خلاف ما ذكر في الكتاب وما اجمع عليه اهل السماء والارض والله اعلم وقوله
عز وجل وما يخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه جايز ان يكون من اخراج الثمرة من الاكمام وما ذكر
من حمل الانثى ووضعها وهو موصول بقوله اليه يرد علم الساعة فان كان على ذلك فمعناه لا يعلم ذلك كله الا هو لا يعلم
وقت خروجها ولا احد ها وانما يخرج اولا وكذلك الولد لا يعلم كيفية علوقه ولا وقته ولا مقداره وانه يعلق اولا علم
ذلك الا الله تعالى كعلم الساعة والله اعلم وجايز ان يكون قوله وما يخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه على الابتداء ليس على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى ما ذكر فعلى ذلك يقول والله اعلم ومن ايات الوهيته ووحدانيته وايات
قدرته وعلمه وتدبيره ان يخرج الثمرات من اكمامها ومن اياته ان تحمل الانثى وتضعه وهو ان الله تعالى انشاء تلك
الثمرة في الاكمام كذا الولد في البطن في حجب وسواتر ورباه في تلك الحجب والسواتر وغذاه باغذية ودفع عنه جميع
الاذى من البرد والحر وجميع ما يوذيه لضعفه ولطافته لطفا منه ورحمه وصوره في تلك الحجب والسواتر باحسن
صورة ليعلم الوهيته ووحدانيته وان له علما ذاتيا وقدرة ذاتية ازلية لا مكتسبا مستفادا اذ العلم المستفاد والقدرة
المستفاد لا يبلغ ذلك والله اعلم ثم وقوله عز وجل من اكمامها اي المواضع التي كانت فيها مستترة مغلفة في كل شيء مكنه
وانما قيل كم القميص وقال ابو عوسجة الاكمام اغطيتها وهي التي يكون فيها حملها ان نقض الشق يقال يعتقب الاكمام عن الثمرة
اي تشققت وقوله عز وجل ويوم يناديهم اين شركاي يذكرهم ويخبر عما يسألون يوم القيامة وما يكون من جوابهم لذلك
السؤال لعلهم يمتنعون عن ذلك ويحذرون يقول ويوم يناديهم اين شركاي اي اين الذين تزعمون انهم شركاي في
الدنيا او اين الذين تعبدون في الدنيا وتزعمون انها الهة وانها شفعاوكم عندي والا لا يحتمل ان يقول لهم الرب جل وعلا
اين شركاي ولا شريك له ولا اله غيره ولكن ما ذكرنا وقوله عز وجل قالوا اذناك ما منا من شهيد قال بعضهم اذناك
اسمعناك وقيل اعلمناك والاشبه ان يكون معنى اذناك اخبرناك اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم لا يتحقق
انما الاخبار للعالم عن الشيء يتحقق بما علم به والله اعلم ثم اختلف في ذلك انه قول من قال بعضهم هو قول اوليك الكفرة
الذين نودوا بوشد يقولون اخبرناك انه لم يكن منا احد شهيد بذلك ويقولون بالشريك وبا له سواك يخرج على
الانكار والجحود والكذب انهم لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا وهو كما ذكر عنهم في اية اخرى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا الاية فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين انكروا ما كان منهم من الاشراك فعلى ذلك قوله اذناك ما منا من
شهيد اي لم نشرك فيك احدا ولم نتخذ من دونك الها والله اعلم وقال بعضهم قوله قالوا اذناك ما منا من شهيد هذا
من قول الاصنام والذين عبدوهم من دون الله في الدنيا يقولون ما منا من شهيد على عبادتهم اوليك بانا ولا امرناهم
بذلك وهو كقوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اخبروا انهم كانوا غافلين
عن عبادتهم اياهم واياهم وانهم ما امروهم بها فعلى ذلك قوله تعالى اذناك على هذا التاويل هو ما ذكر وان كنا عن عبادتكم
لغافلين والله تعالى اعلم ثم ان الكفرة في يوم القيمة مرة انكروا عبادتهم غير الله واحيانا اقروا بها وتبرؤا منها ومرة سالوا
المرجوع الى المحنة والرد الى الدنيا على اختلاف الاحوال والاوقات في ذلك اليوم اذ لا يكون هذه الاحوال المختلفة في
وقت واحد والله اعلم وقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل هو ما ذكر في اية اخرى حيث قيل لهم اين شركاؤكم
الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام في الدنيا رجاء ان تشفع
في الاخرة وتقربهم الى الله زلفى فلما ايسوا ما رجوا منها وطمعوا قالوا ضلوا عنا فعلى ذلك قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون
من قبل في الدنيا وقوله عز وجل ما لهم من محيص اي ايقنوا وعلموا ان لا محيص ولا نجاة وقال ابو عوسجة ما لهم من محيص

اى محيد

اي محيد وقوله عز وجل لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط وقال في اية اخرى واذا انعمنا على
الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ما كان الايتان في الظاهر تخرج احدها مخالفة للاخرى لانه ذكر
في احدهما الاياس والقنوط اذا مسه الشر وفي الاخرى كثرة الدعاء اذا مسه الشدة والبلاء ومن طباع الخلق والعرف فيهم انهم
اذا ايسوا وقنطوا لا يدعون ولا يسألون بل يتركون سؤالهم واذا طمعوا ورجوا عند ذلك سألوا ودعوا فاحدهما في الظاهر تبين
تدل ان بينهما مخالفة من حيث الظاهر لكن نقول ان الاية تخرج على وجه يحتمل ان كل واحد من الايتين في انسان بعينه يشار اليه سوى
الاخر كان عبادة احدهما على الاياس والقنوط من الخير ترك الدعاء والسؤال وكان عادة الاخر الدعاء والتضرع اليه والسؤال
فاذا كشف ذلك عنه فاخبر جل وعلا رسوله عليه الصلوة والسلام ما اضمر كل واحد منهما في نفسه احدهما الاياس والقنوط والسؤال
والطمع في الخير ليكون لهم عليهم دلالة الرسالة واية النبوة اذ انباء عن ضمير كل واحد منهما وما في نفسه ليعلم انه رسول وانما علم ذلك
بالله جل وعلا والله اعلم والثاني ان الكفرة كانوا فرقا وكانوا على مذاهب شتى مختلفة فرقة كانت تطمئن في حال الرخاء وتيئس و
تقنط في حال البلاء والشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به الاية وفرقة كانت تفزع الى الله
تعالى وتقبل اليه عند اصابة الشدة والبلاء وتعرض عنه عند كشف ذلك عنهم وتوسيع النعم عليهم نحو قوله تعالى فاذا ركبوا
في الفلك الاية ونحوه كثير في القران وفرقة كانت تكون في الحالين جميعا على الاعراض عنه وترك الاقبال اليه والطاعة له لا يفزعون
اليه ولا يقبلون لا في حال الرخاء والسعة ولا في حال البلاء والشدة كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم
وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من انفسهم واذا اصابتهم سيئة وشدة تطيروا بالرسل عليهم السلام كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك وان كانت الكفرة على هذه
المذاهب المختلفة وكانت اجناسا شتى فيكون كل اية منها في جنس غير الجنس الاخر وفي اهل مذهب غير اهل مذهب اخر فاما المسلمون
فيكونون في الحالين جميعا على التوحيد والاقبال الى الله تعالى في حال الرخاء والسعة وفي حال البلاء والشدة على ما استنامهم الله تعالى
والغفران لاسماء الحسنى الاية وامثال ذلك من الايات نعتهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم في الاحوال كلها والله اعلم والثاني
جايز ان يكون ما ذكر من الايتين على ما ذكر اخبار عما طبع عليه البشر وانشي فانما الشيء البشر طبع على الرغبة في الخير والسعة والنفار
عن الشدة والبلاء والكراهة له فهذا اخبار عما طبعوا عليه وانشئوا ليس على حقيقة الفعل وذلك منهم قولا او فعلا على ما طبع كل انسان
وانما حرصا في السعة والرخاء وانه ما ذكر لا يسأم من دعاء الخير كارها نافرا عن البلاء والشدة والله اعلم وقوله عز وجل ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وقال بعضهم هذا لي اي اعطانيه من خير علمه مني وجايز ان يكون ما ذكرنا انهم
كانوا يتطيرون بالرسل عليهم الصلوة والسلام عند البلاء والشدة والسعة يرون من انفسهم حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه الاية وقوله عز وجل وما اظن الساعة قايمة كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عملوا في الدنيا ثم يقولون ولئن كان ما يذكر محمد
من البعث والجزاء للاعمال والجنة ان ذلك لنا دونهم وهو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي رجعت الى ربي على ما يقول محمد ان لي
عنده للحسنى وهو على ما قالوا في الدنيا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لما راوا السعة لانفسهم في الدنيا دون المؤمنين فعلى ذلك في الاخرة قالوا
لنا دونهم والله الهادي ثم اخبر تعالى عما ينزل بهم باعمالهم في الاخرة وهو قوله تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ اي نخبرهم بجزاء ما عملوا لان ذلك كان منهم تمنيا وشبها بزيد بقيهم العذاب الغليظ والله اعلم وقوله عز وجل واذا انعمنا على
الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هو ما ذكرنا من دعايهم وسؤالهم الخير وطمعهم ذلك وقوله عز وجل
فذو دعاء عريض قال ابو عوسجة ونأى بجانبه اي تباعد عما امر به وذو دعاء عريض اي كثير الدعاء لا يمل ولا يسأم وكذا قال القتبي
وقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يقول ان كان هذا القران من عند الله ثم كفرتم به وجايز ان يكون على الابتداء ليس بجواب
لقوله ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ويكون كان ذلك لم يذكر جواب ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لما عرفوا ان من عاند
عادى ما كان من عند الله انه ما يفعل بهم وما يصنع وهو كقوله تعالى ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين لم يذكر له جواب لما
عرفوا ان من يريد ويعبد دون الله بعد معرفتهم ذلك وانه كذب وليس باله ان الله ماذا يفعل بهم فلم يذكر لهذا جواب لمعرفتهم بما
يفعل بهم فعلى ذلك قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به يجوز ان لم يذكر له جوابا لما عرفوا انه ما يفعل بهم وما يستوجبون منه
بما عاندوه بعد معرفتهم انه من عند الله جاء ثم كفروا به والله اعلم وان كان موصولا بجواب ما ذكر من قوله من اضل ممن هو في شقاق بعيد
فيكون كانه يقول والله اعلم ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فاذا كفرتم ضللتم فمن اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف وبعد فيكون
جوابه كما قال لا احد اضل ممن عرف انه من عند الله ثم خالفه وتباعد عنه على ما ذكرنا في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد
اظلم ممن افترى على الله كذبا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اختلف
فيه قال بعضهم سنريهم اياتنا اي نريهم منازل الذي نزل بالامم المتقدمة في بلاد عاد وثمود وقوم لوط كانوا يمرون عليها ويرون
اثر ما نزل بهم ذلك وهو لتكذيبهم الرسل وعنادهم ونريهم علاماتنا ايضا في انفسهم [illegible] حتى يتبين لهم انه

ويدل

الحق يقول ان القران هو الحق من الله لان فيه الاخبار عن العذاب الذى كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم سنريهم اياتنا فى
الافاق هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد والقرى النائية وفتحها عليه وفى انفسهم اى فتح مكة وظهوره عليهم
على ما وعد له ربه جل وعلا من النصرة والفتح البلاد والقرى فيكون هذا ان النا ويلاه ايه لرسالته ونبوته والله اعلم و
يحتمل قوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم ايات وحدانية والوهيته اما فى الافاق فما جعل منافع البلاد النائية
والقرى المتباعدة متصلة بمنافع انفسهم ومنافع البلاد والقرية ومنافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما انه لم
يكن تدبير واحد وفعل فرد لا عددا وان يكون ايات فى الافاق رفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها بلا سبب ولا
تعليق من اعلاها ولا عماد من اسفلها وفى انفسهم ما خولهم وتقلبهم فى الارحام من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال
العلقة الى حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال الانشاء والتصوير والتركيب الى اخر ما ينتهى اليه امره ليعلم انه صنع
واحد وتدبير فرد لا تدبير لاحد سواه فى ذلك فهذان النا ويلان فى اية الالوهية والواحدانية والا ولا ان فى اثبات
الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد كانه يقول اولم يكف دبك شاهدا انه من عند
على ما تقول انت ويقول اولم يكف ربك ناصرا ومعينا او يكون قوله اولم يكفهم اى لم يكفهم ما جاء من عند الله من البينات
والقران كقوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية فعلى ذلك يحتمل هذا ويحتمل ولم يكفهم اية على
رسالتك واية على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله والله اعلم وقوله عز وجل الا انهم فى مرية من لقاء
ربهم اى الا تشككهم وترتيبهم فى البعث هو الذى حملهم على تكذيب ما جاء من عند الله وانكاره والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل حم عسق قال بعضهم حم هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو اسم القران وقال بعضهم حم اى قضى ما كان وقد
ضعف هذا القول ابن عباس رضى الله عنه والصحيح من الاقاويل ان حم خبر المبتدأ محذوف وتنزيل الكتاب خبره من الله صفة
الكتاب والتقدير هذا حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الرحيم وقال بعضهم فى عسق عين عبادة عن عذاب والسين عن المسخ والقاف
كناية عن القذف يقول لصاحب هذا القول يخرج عين من الارض فيها عذاب والمسخ يحل من هذه الامة بالبادية ويقذف من الناس
بالحجارة والله اعلم وقال بعضهم هو قول ابن حسن على اسقاط حرف العين ثم يقول السين كل فرقة يكون والكاف فى كل جماعة يكون
وذكر انه كان يعلم على ابن ابى طالب كرم الله وجهه حساب العين وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود وابى رضى الله عنهما وحسن على الى
العين وقال بعضهم العين عبادة عن العذاب والسين عبادة عن سيكون والكاف عبادة عن الوقوع اى قضى ما سيكون ذلك وقد
وذكر عن جعفر بن محمد بن على رضى الله عنهم قال العين عبادة عن العذاب والسين عبادة عن سيكون ولم يفسر القاف وقال
عجبا وكلام والله اعلم وقال بعضهم العين عبادة عن علمه والسين السلام والقاف عبادة عن القدرة ويحتمل وجايز ان يكون
كل حرف من هذه الحروف المقطعة عبادة عن صفة من صفاته او اسم من اسمائه على عادة العرب بالاكتفاء عن حرف عبادة عن
جميع الكلمة فالحاء عبادة عن حلمه وحكمته وحكمه والميم عبادة عن ملكه ومجده والعين عبادة عن علمه والسين عبادة عن
سنائه وسودده والقاف عبادة عن قدرته يكون كل حرف من هذه الحروف عبادة عن اسم من اسمائه او صفة من صفاته وعبادة
عن حكم من احكامه وهذا الذى ذكرنا كله على الامكان والاحتمال لا يسع ان يحقق فيه التفسير انه كذا وانه اراد وكذا لانه من المتشابه
وانه من السر الذى لم يطلع الله تعالى عليه احدا الا رسله عليه الصلوة والسلام وقوله عز وجل كذلك يوحى اليك والى الذين
من قبلك اى كما اوحى اليك فقد اوحى الى الذين من قبلك مثله ثم اختلف فى قوله كذلك قال بعضهم اى كما اوحينا اليك بسورة حم
عسق اوحينا بها الى الذين من قبلك وقال بعضهم اى كما اوحينا اليك بهذه الحروف يعنى حم عسق بعينها فقد اوحينا بعين
هذه الحروف الى الذين من قبلك وهو حم عسق وقال بعضهم كما اوحينا اليك حم عسق اوحينا الى الذين من قبلك من الرسل يعنى انه
والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ليس نبى الا وقد اوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على ما ذكرنا وقوله عز وجل له
ما فى السموات وما فى الارض يخرج ذكر هذا فى هذا الموضع على وجوه احدها اى له ما فى السموات وما فى الارض شهود على الوهيته و
وحدانيته والثانى ان ما فى السموات والارض وما فيها له دلالات وحدانيته وربوبيته والثالث له ما فى السموات وما فى الارض
اى كلهم عبيده وملكه فلا يحتمل ان يتخذ من ملكه وعبيده ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة وما قالوا اذ لا احد يتخذ من
عبيده وملكه ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة فعلى ذلك يتعالى الله من ان يكون له فى ملكه ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل
وهو العلى العظيم العلو والعظمة فى الشاهد يكون من وجوه ثلاثة احدها العلو عبادة عن القهر والغلبة يقال فلان عالى اى غالب
وقاهر والعظمة عبادة عن القدر والمنزلة ونفاذ الامر والثانى يكون العلو عبادة عن الكبرياء والسودد وكذلك العظمة
والثالث العلو يكون عبادة عن الارتفاع فى المكان والعظمة عظمة فى البدن والنفس وهذا مما لا يكون فيه كثير منقبة وتمدح

ولا شئ من ذلك ولا يزيد ذلك فى صاحبه ولا مرتبة والله يتعالى عن الوصف بهذا فانما رجع الوصف له بالعلو والعظمة الى الوجهين
الاولين السلطان والقدرة والنفاذ الامر والمشية والكبرياء والغلبة فاما ما رجع الى الارتفاع فى الامكنة والعظمة فى البدن فهو
صفة المخلوق وهو الموصوفون بذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
يحتمل هذا وجهين احدهما تكاد يتفطرن لذنوب اهل الارض فسادهم وعظيم مقالتهم فى الله من الولد والشريك والصاحبة كادت
تنشق لذلك وتسقط كقوله فى اية اخرى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا بين فى هذه
الاية انها كادت يتفطرن وتنشق لما ادعوا ولدا للرحمن ولا فعلى ذلك يحتمل ههنا هذا المعنى والله اعلم والثانى كادت تنشق لكادت
اهلها عليها واشفاقا ورحمة على اهل الارض ويحتمل تكاد تنشق لعظمة الرب وجلاله وعظم سلطانه كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اخبر انه لو جعل فى الارض والجبال والسماء من العقل والتمييز ما جعل فى البشر لكانت هذه
الاشياء بالوصف الوصف ذكر من الخضوع لها وهو كما ذكر فى اية اخرى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يخبر عن شدة خضوع هذه الاشياء وخشوعها لربها وتذللها وعناد الكفرة واستكبارهم وقلة
خضوعهم وخشوعهم لربهم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن لكثرة اهلها وازدحامهم فيها
وعبادتهم لربهم على ما ذكر فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما من موضع قدم فيها الا وملك فيها ساجد او
راكع او قائم يسبح لله تعالى ويصلى له والله اعلم وقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم يدل على ان ما ذكر من تفطر السماء لعظم ما يقول
الكفرة فيه من الشريك والولد والصاحبة حيث قال على اثره والملائكة يسبحون بحمد ربهم اى الملائكة ينزهون ويبرؤن عما يقولون
فيه ويثنون عليه بالثناء الذى يليق به ويصفونه بما هو اهله والله اعلم وقوله عز وجل ويستغفرون لمن فى الارض اشتغلهم جل
وعلا بالتسبيح له والثناء له والاستغفار لاهل الارض على ما ذكر ثم قال بعضهم ان قوله ويستغفرون لمن فى الارض منسوخ
بقوله تعالى فاغفر للذين تابوا لان الاول عام لجميع اهل الارض والثانى خاص لكن هذا بعيد محال ان يستغفر الملائكة ويطلبون
النجاة ومن ربهم لمن يقول بالشريك والولد والصاحبة واذا كان كذلك كان استغفارهم راجع الى المؤمنين خاصة على ما ذكر فى
اية اخرى ويستغفرون للذين امنوا ويقولون فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فكان المراد من العام هو الخاص لان المراد منه
العموم ثم صار منسوخا بوروده الخاص متراخيا والله اعلم ثم ان كان استغفارهم لجملة اهل الارض على ما يقول فهو عبادة عن طلب
السبب الذى به يقع لهم المغفرة وهو التوبة عن الشرك والتوحيد فيكون هذا سؤال التوحيد والهداية لهم يقع المغفرة لهم بذلك التجاوز
والستر والذلك اهلا وعلى ذلك يخرج استغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه انه سؤال وطلب السبب الذى به يقع المغفرة له وان
يجعله اهلا لذلك وكذلك امر الرسل عليهم الصلاة والسلام قومهم بالاستغفار لهم وهو ما قال هود عليه السلام ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الايحتمل ان يقولوا اليهم طلبوا واسالوا ربكم السبب الذى به يقع المغفرة
لكم وهو التوبة عما فيه واختيار الهداية والرشد لانفسهم ليكونوا لذلك اهلا فعلى ذلك يخرج استغفار الملائكة ان كان لجملة اهل
الارض على ما يقول بعض اهل التاويل وعلى هذا الايجاب الى النسخ ولا يحتمله والله اعلم وقوله عز وجل والذين اتخذوا من دونه اولياء
يحتمل قوله اولياء الاصنام التى عبدوها دون الله كقوله تعالى لا يتخذ المؤمنين الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله تعالى لا
يتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله والله اعلم وقوله عز وجل الله حفيظ عليهم
يخبر انه لا عن غفلة وجهل منه يقولون ما يقولون ولكن حفيظ عليهم وعلى اعمالهم لكن يؤخر ذلك عنهم لحكمة والله اعلم وقوله
عز وجل وما انت عليهم بوكيل يحتمل وجهين احدهما وما انت عليهم بوكيل اى بوخذ ان بما لهم كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما
حملتم والثانى ما انت عليهم بوكيل اى بمسلط عليهم ولا حفيظ انما انت رسول فعليك البلاغ كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ وقوله
وما على الرسول الا البلاغ والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا اى جعلناه قرانا عربيا ليكون اقرب الى الفهم
واولى ان يكون حجة عليهم وابلغ فى الحجاج لانه ذكر فيه الانباء السالفة والاخبار المتقدمة باللسان العربى غير لسان تلك الانباء ومن
غير ان يختلف الى احد من اهل ذلك اللسان لترجم التعلم منهم بلسانهم والنقل بلسانه فدل انما عرف بالله تعالى وقوله عز وجل لتنذر
ام القرى ومن حولها اى لتنذر اهل ام القرى واهل من حولها من القرى ثم يحتمل تسميته كله ام القرى وجوها ثلاثة احدها سماها ام القرى
لما انها وجهت منها الارضون والقرى والثانى سماها ام القرى لانها اول بيت وضع للناس واول بناء بنى فى الارض فسماها لذلك ام القرى
والله اعلم والثالث سماها ام القرى لما على الناس ان يؤمنوها ويقصدوها بالزيارة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما بعث
رسولا فيها انذر اهلها يومئذ ويقصد بالدعوة اول ما يؤمر ويقصد ثم من بعد ذلك اليوم الى سائر القرى والبلدان ويقصدها والام القصد
ومنه اخذ التيمم ولذلك سماها ام القرى والله اعلم وقوله عز وجل وتنذر يوم الجمع ويحتمل ان يكون قوله وتنذر يوم الجمع اى تنذر بالقران
يوم الجمع لا ريب فيه وقوله عز وجل فريق فى الجنة وفريق فى السعير قد بين الله تعالى السبيلين جميعا على الابلاغ وبين عاقبة
كل سبيل الى ماذا يفضى من سلكها والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة يحتمل ان عندهم من اللطايف والقدرة

ما لو شآء لجعلهم جميعا امة واحدة ودين واحد وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة الاية فلو جعل ذلك لاهل التوحيد والايمان لكانوا جميعا على دين الاسلام على ما اخبر انه لو كان ذلك مع اهل الكفر لكانوا
جميعا اهل كفر ثم وقوله ولو شآء الله لجعلهم امة واحدة لا يحتمل مشية الجبر والقسر على ما يقوله المعتزلة لوجوه احدها انه لا
يكون الايمان في حال الجبر والقهر لانه لا صنع لهم في ذلك ولا اختيار لهم والثاني ان كل احد بشهادة الخلقة مؤمن موحد لله تعالى
ثم لم يصيروا بذلك مؤمنين فعلى ذلك بالجبر والقهر اذ في الحالين ليس فعل المؤمن انما هو فعل غيره فدل انه اراد ان يشاء منهم ما يكونوا
مختارين في الايمان لا مجبورين والثالث ان الايمان بالجبر والقهر مما لا يعرفه الناس ولا يطلقوا اسم الايمان عليه في العرف وقد
وصفهم بالايمان وجعل الدين واحدا عند الناس فيصرف الى ما يوجد منهم عن طوع واختيار لا بالجبر والقهر فيكون الاية منصرفا
الى المعهود عند الناس على ما هو الاصل في الكلام والله الموفق وعندنا اراد به مشية الاختيار واخبر ان عنده من اللطايف ما
لو اعطى الكل لامنوا جميعا اختيارا ولكنه لم يعطهم ذلك ولو شآء لما علم منه انهم لا يرغبون فيه ولا يختارون ذلك ولكن انما يختارون
ضد ذلك فيصيبه لذلك لم يشآء لهم لمن علم انه يختار ذلك فضلا وقوله عز وجل ولكن يدخل من يشاء في رحمته من اعطى ذلك انما
يعطيه رحمة منه وفضلا لا انهم يستوجبون ذلك منه ويستحقون عليه والله الموفق ثم ان الله تعالى سمى الايمان مرة رحمة لقوله
ولكن يدخل من يشآء في رحمته ومرة سماه منة بقوله ولكن يمن على من يشاء وبقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم الاية فلو كان
الايمان يقوم بل الذي يكون الكفر من القدرة ولم يكن من الله تعالى الى المؤمنين الا وقد كان مثله الى الكافر على ما يقوله المعتزلة
ان الايمان انما يكون بالذي يكون الكفر لم يكن تسمية منة ونعمة ومنه ورحمة ولتسمية الكفر ضده معنى والله الموفق وبعد فانه
لو كان على ما يقوله المعتزلة لكان ما ذكر من النعمة والمنة والرحمة انما يكون بالخلق ومنهم لا بالله تعالى ومنه دل ان عندهم
لطايف من اعطى تلك اللطايف منهم واهتدى ومن لم يعطه اياها لم يؤمن وقد اعطى المؤمن تلك ولم يعطى الكافر لذلك كان ما ذكرنا
والله الموفق ثم في تخصيص ام القرى ومن حولها بالنذارة وجوه اذ ذكر في اية اخرى انه نذير للعالمين جميعا بقوله ليكون للعالمين نذيرا
فانه كان مبعوثا الى جميع العالم لا الى بعض دون بعض كان بعض الانبياء عليهم السلام فلا بد ان يكون التخصيص لام القرى ومن حولها
معنى وحكمة احدها انه يحتمل ان يكون لاهل المكة طمع في شفاعته وان لم يتبعوه اما بحق القرابة والاتصال واما بحق الايادي
ولمن حولهم بحق الجوار فذكر تخصيصهم بالانذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع والتورع عن الشرك اذ ذلك لا يوجب
بطلق الانذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع والتورع عن الشرك اذ ذلك بطلق الانذار لما عندهم وفي زعمهم ان
المراد بذلك غيرهم لما لهم من زيادة سبب الوسيلة معه والله اعلم والثاني اي يبعد هولاء ومن ذكر شفاعا ولمن بعد منهم خبرا وخبر
هولاء بحق البداية ثم بالاقرب فالاقرب وعلى ذلك يخرج قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين على الوجوه التي ذكرنا والله اعلم
وقوله سبحانه وتعالى والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ما لهم من ولي يشفع ولا من نصير ينصر ويمنعهم من عذاب الله تعالى
وقوله عز وجل ام اتخذوا من دونه اولياء اي اربابا والله هو الولي اي هو الرب وهو يحيي الموتى وقد عرفوا ان الاحياء انما يكون
بالله تعالى لا بالاصنام التي عبدوها وان كانوا ينكرون البعث والاحياء بعد الموت فلو عرفوا انه لو كان انما يكون بالله
تعالى لا بالاصنام التي عبدوا دونه وهو على كل شيء قدير ظاهر قد تقدم ذكره وقوله عز وجل وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله
يحتمل قوله وما اختلفتم فيه وجوها احدها في القران والثاني في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث في الدين فان كان اختلافهم
في القران فقوله فحكمه الى الله فيما اقام من الحجج والبراهين انه من الله وانه من عنده جاء حيث عجزوا عن اتيان مثله او مقابلة شيء
يوازيه وان كان اختلافهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رسول وليس برسول فقد اقام من الدلائل والبراهين ما يدل على رسالته
ونبوته سمعيات وعقليات ما لا يتعرض لدفعها الا من كابر عقله او عاند فيه وكذلك لو كان اختلافهم في الدين فقد اقام ما يبين
كل ذي عقل ولب انه هو الحق وانه هو الصواب وان غيره من الاديان ليس بحق وقال بعض اهل التاويل في قوله وما اختلفتم فيه من شيء
فحكمه الى الله تعالى اي الى كتاب الله تعالى كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله لكن هذا لا يصح فان قوله
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول انما هو في المؤمنين اذا وقع بينهم الاختلاف في شيء من الاحكام يرد ذلك الى كتاب الله
والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله انما هو في محاجة الكفرة فهم في ذلك المعنى
اذ هم لا يعتقدون كونه حجة وانما يرجع الى الدليل [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم الله ربي [illegible]
توكلت في كل امري واليه انيب [illegible]
فانه وقوله عز وجل ذلكم الله ربي اي ذلكم الله الذي اختلفتم فيه هو ربي عليه توكلت [illegible] واليه انيب [illegible]
ثم نعت نفسه تعالى فقال فاطر السموات والارض وقال في موضع اخر الحمد لله فاطر السموات والارض وفي موضع اخر خالق السموات والارض
وقال في موضع اخر بديع السموات والارض قال بعضهم البديع هو المبدع الذي [illegible] الاشياء لا من شيء والخالق [illegible]
الشيء من شيء والفاطر هو الذي [illegible] هذه الاشياء وان اختلفت الفاظها [illegible]

[illegible] الخالق واصل الابداع [illegible] والخلق [illegible]
[illegible]
خالق على الحقيقة [illegible] والله الموفق والتوفيق وقوله عز وجل جعل لكم من انفسكم ازواجا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والاشياء فليس يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه وكل الجهات ولكن انما يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه او
[illegible]
تعالى ليس يشبه الخلق [illegible]
جميع معاني الخالق وصفاتهم وذلك قوله تعالى ليس كمثله شيء [illegible]
ينفي عنه شبه الاشياء والشيء اثبات وفي الاثبات توحيد ولو لم يكن شيئا لكان يقول ليس هو شيء دل انه ما ذكر وقوله سبحانه
وتعالى وهو السميع البصير ذكر في غير موضع والله الموفق وقوله عز وجل له مقاليد السموات والارض وقال في اية وعنده مفاتح
الغيب وقوله ولله خزاين السموات والارض وقوله بيده ملكوت كل شيء ونحو ذلك من الايات فيها ذكر المفاتح والمقاليد والخزاين
التي اضافها الى نفسه ثم لم يفهم الخلق من المفاتح المضافة والمقاليد والخزاين ما يفهم لو اضيف الى الخلق بل فهموا من المفاتح المضافة
الى الخلق والمقاليد المنسوبة اليهم معنى لا يفهموا ذلك المعنى من المفاتح والمقاليد المضافة الى الله تعالى فما ينبغي ان يفهموا من قوله
ملكوت كل شيء وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان وقوله لما خلقت بيدي استكبرت ونحو ذلك مما يفهموا من اليد المضافة الى الخلق
لكنه ذكر المفاتح والمقاليد واضافها الى نفسه لان كل محجوب ومستور عن الخلق فيما بينهم انما يوصلهم الى ذلك المحجوب والمستور
عنهم بالمفاتح والمقاليد التي ذكر فعلى ذلك ما اضاف الى نفسه من اليد وغيرها لما باليد يبسط في الشاهد وبها يمنع ويقبض ويكتسب
ويفعل واضاف الى نفسه ما به يكون في الشاهد من الفعل والبسط والمنع كناية عن هذه الافعال والله الموفق وقوله عز وجل يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر فيه دلالة نقض قول المعتزلة لان الرزق المذكور يحتمل وجوها احدها ما ذكر في قوله تعالى وفي السماء
رزقكم وما توعدون وهو المطر والثاني الاموال التي يكتسبون والثالث المنافع التي جعلها لهم ثم لا اشكال ان الاموال التي يكون
لهم والمنافع التي ينتفعون بها وجعلت لهم انما يكون باسباب واكتساب منهم ثم اضاف ذلك الى نفسه في البسط والتقتير حيث
قال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر دل ان لله تعالى في ذلك صنعا وتدبيرا وعونا خلق اكتسابهم واسبابهم التي بها يوصل اليهم
الرزق والله اعلم وقوله عز وجل انه بكل شيء عليم قد تقدم وقوله عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الدين يذكر ويراد به
الجزآء وهو قوله مالك يوم الدين اي يوم الجزاء ويذكر ويراد به الحكم كقوله تعالى خبرا عن يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ويذكر ويراد به المذهب المعتقد كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام فكان المعنى من قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا هو المذهب وما يعتقد وما ذكر الدين معرفا بالالف واللام
وانه للجنس فيكون كانه قال شرع لكم من الاديان جملة الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام

و هو التوحيد له تعالى والعبادة له والانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا انما بعثوا للدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له
وان اختلفت شرايعهم واحكامهم وذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والله اعلم ومن الناس من يقول شرع لكم من الدين
اي شرع لكم الدين ويجعل من صلة اذ لا يدخل فيه اي شرع لكم الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر والوجه فيه ما ذكرنا ان قيل ما معنى
تخصيص نوح ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكل بعثوا للدعاء الى هذا الدين وقد وصى الكل بهذا الدين فنقول
قال بعضهم انما خص نوحا ومن ذكر بهذا لان التحليل والتحريم لم يكن قبل دين نوح عليه السلام وانما جاء ذلك في دين نوح عليه
السلام لذلك خص نوحا بما ذكر ويحتمل ان يكون ذكر هؤلاء لا على تخصيصهم بذلك من بين غيرهم من الانبياء ولكن ذكر بعضا ههنا
وترك ذكر البعض ليس انه شرع له ما وصى به نوحا ومن ذكر من الانبياء ولم يشرع له ما وصى به غيرهم بل شرع له ما وصى به هؤلاء وغيرهم
من الدين كقوله تعالى فبهداهم اقتده ذكر بعض هؤلاء وغيرهم ثم امره ان يقتدي بهم عليه دل ان ذكر البعض في موضع ليس للتخصيص
لما ذكر البعض في موضع اخر والكل في موضع اخر والله اعلم ويحتمل تخصيص هؤلاء بالذكر لمعنى لم يطلعنا الله تعالى على ذلك المعنى كما خص
ابرهيم عليه الصلاة والسلام بالصلوة عليه على ما امرنا به النبي صلى الله عليه وسلم لقوله كما صليت على ابرهيم لمعنى لم يطلعنا على ذلك والله
اعلم وقوله عز وجل ولا تتفرقوا فيه اي في عبادة الله تعالى اي اعبدوه جميعا يحتمل وجهين احدهما ولا تتفرقوا فيه اي في عبادة الله
تعالى اي اعبدوه جميعا والثاني لا تتفرقوا فيه اي في الدين الذي ذكر وهو التوحيد وقوله عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
اي عظم عليهم دعاؤك الى التوحيد وعبادة الله وحده وقوله عز وجل الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب هذا ينقض على المعتزلة
لانه تعالى اخبر انه يجتبي اليه من يشاء ولو كان على ما يقوله المعتزلة انه قد اعطى الكافر جميع ما اعطى المؤمن فالمؤمن
حيث صار مجتبى مصطفى مختارا انما كان منه بفعله لا ان الله تعالى وقد اخبر انه هو يجتبي من يشاء وهو يهدي فبطل قولهم وقوله
عز وجل ويهدي اليه من ينيب اي هو يهدي من يطلب منه ما به يكون الهدى وهو التوفيق اي ما لم يطلب منه ذلك ولم يسال فانه
لا يهدي به ولا يوفقه قال بعضهم ويهدي اليه من ينيب تفسير قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء اي يجتبي الهداية من ينيب
اليه فلا يجتبيه للهداية لكن المراد من الهداية ههنا ليس هدى البيان قد كان عاما لمن اناب اليه ومن لم ينيب ولكن الهدى ههنا
هدى الرحمة او هدى النعمة والنعمة سمي التوحيد والايمان مرة رحمة كقوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته وسماه نعمة
كقوله صراط الذين انعمت عليهم وسماه منة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وسماه نورا كقوله افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه فلذلك قلنا ان الهدى المذكور ههنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه والله اعلم وقوله عز وجل
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم هذا يخرج على وجوه احدها اي انهم تفرقوا في رسول الله محمد عليه افضل الصلوة بعد ما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الا من بعد ما جاءهم العلم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي وصى به نوحا ومن ذكر
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل اي ما تفرقوا في الايمان بالرسل والكفر بهم الا من بعد ما جاءهم العلم انهم على الحق و
انهم رسل الله يبعثون اليهم فتفرقوا فامنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا بينهم ويحتمل اي وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم
العلم ان الفرقة ضلالة وهلاك اي عن علم بالفرقة انها ضلال وهلاك تفرقوا والله اعلم وقوله عز وجل بغيا بينهم يحتمل حسدا
بينهم يحتمل بينهم لما قيل انهم كانوا مؤمنين به قبل ان يبعث لما وجدوا نعته وصفته في كتبهم فظنوا منهم انه بعث منهم فلما بعث
من غيرهم حسدوه وكفروا به والله اعلم ويحتمل قوله بغيا بينهم اي حلفا ناو ظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق وقوله عز وجل
ولولا كلمة سبقت من ربك [illegible] لقضي بينهم [illegible] في تاخير العذاب عنهم الى وقت والا لكانت
الكلمة منه في تعجيل العذاب بهم والله اعلم وقوله عز وجل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم [illegible] الذين اعطوا الكتاب بعد
الرسل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ببعض

ببعض وقوله عز وجل وامرت لاعدل بينكم يحتمل وجوها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل لا حجة بيننا وبينكم [illegible]
[illegible] الله يجمع بيننا واليه المصير وقوله عز وجل
والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له [illegible]
[illegible] حجتهم داحضة عند ربهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والايات في الدنيا عن غيب ليس بالمعاينة والمشاهدة فنزول الاستجابة ثم يحتمل ان يكون نزول الاية لقول كان من اولئك على ما ذكر
اهل التاويل ويحتمل ان يكون على غير ذلك ومعناه والذين يحاجون في الله في دفع ايات الله وردها ويحتمل اي في دفع توحيد الله وانو
من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجيب له عن الخلق انه واحد وانه رب كل شيء ويحتمل قوله من بعد ما استجيب له بما في كتبهم
من الايمان بها وبما فيها من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته ثم اخبر ان حجتهم داحضة عند ربهم هذا يخرج على وجهين
يحتمل اي حجتهم داحضة يوم القيمة اي باطلة غير مقبولة ويحتمل اي حجتهم داحضة في الدنيا بما اقام الله تعالى من حجج التوحيد فابطل
حججهم وقوله عز وجل وعليهم غضب ولهم عذاب شديد بيان الجزاء لهم في الاخرة وقوله عز وجل الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
يحتمل قوله بالحق الذي لله عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والميزان اي بالعدل فيما بينهم اعني الخلق وجائز ان يكون قوله
بالحق اي بالصدق بما فيه من الانبياء والاخبار والميزان اي بالعدل في الاحكام جعل الميزان كناية عن العدل اي هو طريق العدل وسببه
وهو كقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقوله عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي صدقا فيما فيه من الانباء والخبر وعدلا في الحكم فيما بينهم
والله اعلم ثم قوله تعالى يحتمل ان يكون عطفا على الكتاب وهو انما والمراد منه العدل فيصير تقديره الاية والله اعلم الله الذي انزل
الكتاب بالحق وانزل العدل فيما بين الخلق وانزل العدل في الاحكام ويحتمل ان يكون عطفا على الحق فيصير تقديره انزل الكتاب بالحق
وبالعدل في الاحكام وفيما بينهم والله تعالى اعلم وقوله عز وجل وما يدريك لعل الساعة قريب لم يطلع الله جل وعلا احدا العلم
بوقت الساعة على ما ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها كان استعجالهم بها استهزاء منهم وتكذيبا
لهم انها كائنة فكانوا يستعجلونه استعجال تكذيب لها وقوله عز وجل والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق لان اهل الايمان
والتوحيد دلائل ومساوي لم يتبين لهم النجاة وعنها والعقوبة فيكونون ابدا خائفين مشفقين لذلك الزلات والمساوي وما يكون
فيها من الاهوال والافزاع فاما اهل الكفر فهم لا يؤمنون بها ولا يصدقونه انها كائنة فلا يخافونها وما فيها من الاهوال وقوله
عز وجل الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد قوله يمارون يحتمل يجادلون ويخاصمون فيها انها ليست بكائنة ويحتمل يمارون
من المرية وهو الريب والشك اي يشكون فيها ودل قوله لفي ضلال بعيد انهم لا يؤمنون ابدا وقوله عز وجل الله لطيف بعباده يرزق
من يشاء الاية ومن الناس من قال ان الاية وان خرجت مخرجا عاما فهي خاصة المؤمنين هو لطيف اي بار المؤمنين بهما بما امنهم من يقول
ان الاية للفريقين جميعا الكافر والمؤمن بارهما لطيف بهما بما يرزقهم جميعا الكافر والمؤمن فاما في الاخرة فهو رحيم بار بالمؤمنين
خاصة ويحتمل ان يكون رحيم بارا بالفريقين اما في حق المؤمنين لا شك انه بار رحيم بهم واما الكفرة بار في حقهم حيث اخر عنهم العذاب
في الدنيا ثم في حق الجنة يجوز ان يوصف بالرحمة في الفريقين جميعا على ما ذكرنا فان قيل انه وصف بالحلم والرحمة وقد اخبر انه
يعذبهم في الاخرة قيل انه وان عذبهم فان ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة لانه لو ترك تعذيبهم يكون سفيها لانهم قد استحقوا بالكفر
التعذيب ابدا وليس في التعذيب خروج عن الرحمة والحلم بل في ترك التعذيب سفه وخروج عن الحكمة لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق
وقوله عز وجل يرزق من يشاء قد ذكرنا في قوله تعالى يبسط لمن يشاء تاويله ومعناه والله اعلم وقوله عز وجل وهو القوي العزيز
هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يتقوى بشيء مما امرهم به او امتحنهم ولا يعز بذلك لانه قوي بذاته عزيز بنفسه والثاني القوي

الانتقام والانتصار من اعدائه لاوليائه العزيز الذي لا يعجزه شيء ولا يلحقه الذل في ترك الطاعة له والانقياد وقوله عز وجل من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها جعل الله تعالى الدنيا مزدرع لاهلها ما زرعوا فيها حصدوا
ذلك في الاخرة اي زرعوا حسنا حصدوا خيرا ونعيما في الاخرة وان زرعوا فيها شرا وسوءا حصدوا في الاخرة شرا وعذابا دائما
وكذلك صير متجرا يتجرون فيها فان اتجروا خيرا وحسنا ربحوا في الاخرة وان اتجروا شرا وسوءا خسروا في الاخرة وكذلك صيرها
مسلكا الى الاخرة والاخرة غاية لها فان سلكوا سبيل الخير وما امروا به افضى بهم ذلك الى الخير والنعيم الدايم والسرور وان سلكوا
سبيل الشر وما نهوا عنه افضى بهم الى العذاب الدايم والحزن الدايم وما ذكر في غيره من القران قوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية
وقوله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الاية وقوله اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية ونحو ذلك دل على هذا ان الدنيا والاخرة
والله اعلم ثم قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه يخرج على وجهين احدهما اي من كان يريد محاسنه في الدنيا وخيراته
ثواب الاخرة وخيراته نزد له في الدنيا والاخرة اما في الدنيا هو التوفيق على الطاعات والزيادة له والنما واما في الاخرة فالنعيم الدايم
والسرور الدايم والثاني اي من كان عمل الاخرة وسعى لها نزد له ما ذكر من المحاسن ويكون الارادة ههنا صفة لكل فاعل كقوله ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وهي لا يكون بدون الفعل فكان ذكرها ذكر الفعل ضرورة وكان المراد منها الارادة مع
الفعل فكذلك يخرج قوله ومن كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها على وجهين احدهما من كان يريد محاسن الدنيا وسعتها نؤته منها
وتوسيع عليه والثاني من كان يريد اي من عمل الدنيا وسعى لها نؤته منها وما عمل لها وما له في الاخرة من نصيب وقوله عز وجل ام لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله قال بعض اهل التأويل ام لهم اله دوني شرعوا لهم اي سنوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله يعنون
بالشركاء الاصنام التي عبدوها لكن علموا ان الاصنام لم يشرعوا لهم من الدين شيئا الا ان يقال بانه اضاف ذلك الى الاصنام لما هم شرعوا
لانفسهم عبادتها فاضيف اليها لذلك وهو كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس وانهن لم يضللن احدا لكنه اضاف اليهن الضلال
لما بهن ضلوا فاضاف اليهن الاضلال لما بهن ضلوا اما اضاف اليهن على التسبيب فعلى ذلك الاول يحتمل ذلك ويشبه ان يكون عنى اولئك
وهو القادة والرؤساء هم الذين سنوا للاتباع وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله اي ما لم يأمرهم وهم كذلك كانوا يفعلون
يشرعون للاتباع دينا من ذات انفسهم بلا حجة ولا برهان فيتبعونه والرسل عليهم الصلوة والسلام يدعونهم الى الدين بالحجج والبراهين
من الله تعالى فلم يتبعوهم فيقولون انهم بشر يتبعون بشرا بلا حجة ولا برهان بذكر سفههم فيما ذكر فكان المراد من الشركاء هم
الرؤساء والقادة والله اعلم [illegible]
ويجمع المال ومنه قول ابن عمر رضي الله عنه [illegible]
شرعوا لهم اي ابتدعوا وسنوا وكذلك في قوله شرع لكم اي ابتدع وسن وقوله عز وجل ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين
لهم عذاب اليم يحتمل وجهين احدهما الحكم كانه يقول لولا ان الله تعالى حكم في هذه الاية بتاخير العذاب الى يوم القيمة وهو ما ذكر انه
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والثاني افضل البيان ما قبله لولا ما وعد الله
انه يفصل بينهم ويبين في الاخرة بما ذكر هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ويخرج وقيل ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق ان
الجزاء يوم القيمة لقضي بينهم في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ذكر اشفاق الكفرة
والظلمة وخوفهم في الاخرة واشفاق المؤمنين وخوفهم في الدنيا ومن خاف عقوبته في الدنيا امنه الله تعالى عن خوف الاخرة ومن
استهزأ بعذاب الله في الدنيا اخوفه الله في الاخرة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلاة والسلام لا يجمع الله على احد خوفين خوف الدنيا
وخوف الاخرة من خاف في الدنيا امن في الاخرة ومن لم يخف في الدنيا خاف في الاخرة ثم اخبر ما للمؤمنين في الاخرة وهو قوله والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم فاكون لكل فريق بما كسبوا في الدنيا والاخرة قال القتبي
وابو عوسجة الروضة البستان وقال الكسائي الروضة العشب حول الغدير وقوله عز وجل ذلك هو الفضل الكبير اخبر
ان ما يعطي لهم من الاخرة والفضل منه لانهم يستوجبون ذلك وسماه كبيرا لانه دايم لا ينقطع ابدا وقوله عز وجل ذلك
الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله ذلك الذي يبشر الله اي الذي ذكر من الفضل الكبير ووعد
يعطيهم يبشر الله تعالى به من ذكر من عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات والله اعلم وقوله عز وجل قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى قال بعض اهل التأويل قالت الانصار انا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا وقالوا لنا الفضل
عليكم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول
قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا
تقولون الم يخرجك قومك فاويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا
على الركب بين يديه وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله والفضل ولرسوله فنزلت قوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة

في القربى لكن ذكر في الخبر لا يليق ذلك بالانصار ان يظنوا ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ما ذكر من تحريمهم
وقولهم لنا الفضل عليكم هذا لا يحتمل منهم ذلك الحديث غير صحيح والرواية التي لا يحتمل والله اعلم وفي بعض الاخبار
ان الانصار رضي الله عنهم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
بالحجج والبراهين حتى يعرف كل احد الحق من الباطل بالحجج التي اتاها اذا تامل فيها حق التامل وهو كقوله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون والله اعلم وقوله بكلماته اي بحججه وبراهينه وقوله عز وجل
انه عليم بذات الصدور قال اهل التأويل اي عليم بما في الصدور ولكن قوله بذات الصدور عبارة عن من له الصدور وعن الراي
والتدبير وهم البشر والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات قد ذكرنا انه لا احد يحقق
التوبة هو ان يهرب ويفزع مما استوجب به النار كهربه من النار لو كان فيها وفراره منها لو وجد مهربا ولا احد يهرب من الذنب
ويفزع منه كهربه وفراره من النار لو كان فيها لكن الله بفضله وكرمه يقبل ذلك منه وان لم يكن التوبة منه على الحد الذي ذكر
ثم قوله تعالى يقبل التوبة عن عباده اي يقبل حسناتهم وخيراتهم ويعفو عن السيئات اي يكفر عن سيئاتهم كقوله تعالى نتقبل
عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم وقوله عز وجل ويعلم ما تفعلون هذا وعيد يخبر رسوله عليه الصلاة

ى السلام انه يعلم ما يفعلون سرا وعلانية وانه عن علم بما يكون منهم امتحنهم وامرهم ونهاهم والله اعلم وقوله عز وجل ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اى يجيب الذين امنوا اذا دعوا ويسالونه ربهم وهو كقوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان اى يجيبهم على الذى ذكر فى الاية والله اعلم وقوله عز وجل ويزيدهم من فضله اى يزيدهم من فضله ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب امرئ مسلم وهى الجنة وذلك زيادة من فضله والله اعلم وقال فى حق الكفرة والكافرون لهم عذاب شديد وقوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض قال اهل التاويل ان الاية نزلت فى اهل الصفة تمنوا ان يكون لهم الدنيا فانه كانت فيهم فكانت تطيب عليهم الضيق والغنى وقال بعضهم لبغوا فى الارض ان يتقلبون من لباس الى لباس ومن مركب الى مركب ولكن ليس فى ذلك كثير بغى فلا يصح حرف التاويل اليه ثم عندنا يخرج الامتنان والافضال وله ان يبسط عليهم وان علم منهم البغى الاترى انه لو لم يوسع على فرعون لا يدعى الالوهية لكنه من على بعض المومنين فضيق عليهم حتى لا يبغوا فيلزمهم بذلك القيام بشكر ما من عليهم وانعم بالتضييق حتى لا يبغوا وكذلك يخرج ما روى منع الله عطا وقيا ذكرنا جواب عن تعلق بظاهر الاية على ان الاصلح واجب حيث قال ولو بسط الله الرزق لبغوا فى الارض بين ان الاصلح لهم ان لا يبسط لانا نقول قد بسط كثيرا من الفراعنة والكفرة فبغوا لكن ذكر هذا البيان المنة والانعام بالتغنية والتضييق فى حق البعض ثم لا يبغوا والله اعلم ثم البغى هو التعدى عن حد الله الذى حد لهم والمجاوزة عنه ولكن لا نفس ما الحد الذى سمى التعدى عنه بغيا لما لا يعلم ما هو والله اعلم ويحتمل ان يكون والله اعلم معنى قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض انه لو بسط عليهم ووسع لونهم الشكر و البسط وكثرة المال يشغلهم ويمنعهم عن القيام بشكره وما اوجب عليهم من الفرايض والاحكام ولكن ينزل بقدر ما يشاء ما لا يشغلهم ولا يمنعهم عن القيام بالذى يلزمهم والله اعلم وقوله عز وجل انه بعباده خبير بصير قد تقدم تاويله ثم حاصل تاويل الاية يرجع الى وجوه ثلاثة احدها الى اهل الكفر انه لو وسع عليهم وبسط لبغوا فى الارض اى فسادا واكلهم اهل كفر وضلال كقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية والثانى يتوجه الى خاص المومنين لما علم منهم انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا فى الارض فضيق عليهم وقتر امتنانا ورحمة وفضلا لئلا يبغوا وهو ما ذكرنا فى احد تاويله قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انه ان كان على حقيقة ما خلقهم فهو فى الذى منهم انه يعبدون لا محالة ليعبدون على ما ماذكرنا الذين يعلم انهم لا يعبدون لا يحتمل ان يخلقهم للعبادة ولكن يخلقهم لما علم انه يكون منهم والله اعلم فعلى ذلك قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض يرجع الى قوم خاص يعلم الله تعالى منهم انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا فى الارض فضيق عليهم فضلا منه ومنة فلزمهم القيام بشكر ذلك له والله اعلم او ان يرجع ذلك الى جملة الخلق من مومن وكافر انه لو وسع وبسط على الكل لفسدوا جميعا ملوكا ومن عادة الملوك وطباعهم البغى والغلبة على من نازعهم فى ملكهم ومملكتهم وفى ذلك التفانى والفساد فوسع على بعضهم وبسط وضيق على بعض لئلا يبغى بعض على بعض وفى ذلك تفانيهم وتفاسد والله اعلم بذلك وقوله عز وجل وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته يحتمل قوله من بعد ما قنطوا من الاصنام التى عبدوها ورجاء الغوث والشفاعة لهم والزلفى عند الله قنطوا ما رجوا منها كقوله واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه والله اعلم ثم سمى المطر رحمة وغيثا اى الغوث ليعلم انه له ان يمسك عنهم ويمسكهم على الحالة الاولى فى القحط والضيق اذ لو كان عليه ارساله لم يكن له امساكه لم يسمه رحمة ولا غوثا لان من عليه فعل شى لم يوصف بالفضل والرحمة فهو على المعتزلة فى الاصلح والله الموفق وقوله عز وجل وهو الولى الحميد يحتمل الولى اى هو الولى الحميد هو المستحق للحمد والولى هو الحافظ لهم وولى كل نعمة اعطاهم وقوله عز وجل ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة قوله تعالى ومن اياته يحتمل من اياته دلالة ربوبيته وتوحيده خلق السموات والارض وما ذكر او ايات حكمته وعلمه وتدبيره خلق ما ذكر او ايات قدرته وسلطانه ثم [illegible]

من كان

ممن كان منه الجناية وممن لم يكن من الصغار والدواب والابرار والاخيار ويكون ما اصاب ممن كان ذلك منه واستوجبه تخويفا لهم وموعظة او كفارة لما كان منهم من كسب اليد وما اصاب ذلك ممن لم يكن منهم ذلك من الصغار والاخيار فذلك فى الحكمة فهو يخرج على وجهين احدهما يصيب ذلك لهم ابتداء ليخشى من سبق منهم ليعلم انما يعطيهم من السلامة والصحة و الحسنات والخيرات كان فضلا منه وهم عبيده واماؤه وملكه ان شاء يعاقبهم او ان يفعل بهم ما ذكر وان لم يسبق منهم ما ذكر من كسب اليد والثانى له ان يعوض لهم عوضهم فى الاخرة وكيف كان فهو غير خارج عن الحكمة والايلام للتعويض جائز ممكن لكن ليس بواجب لا محالة التعويض خلافا للمعتزلة فانه عندهم واجب وبالله العصمة ويجوز ان يكون ما ذكر من المصيبة التى تصيبهم بكسب ايديهم ان يريد كلا فى نفسه يصيبه بما سبق منه من ملك ارتكبه واكتسبه فالسبيل فيه ان ان ينظر كل فى نفسه ما الذى سبق منه حتى اصابه ما اصاب فيراجع نفسه عن ذلك ويتوب الى الله تعالى ثم يخرج ذلك لهم اما تنبيها وزجرا عن المعاودة الى مثله واما تكفيرا وتمحيصا لما كان منهم ولزمهم الشكر على ذلك وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن ادم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى فى اعطائهم الخيرات والحسنات والنعمة نعمة تعتد منه لان من عليه حق ثم قضاها بعوض لا يوصف بالافضال والانعام ولا يسمى نفسه بذلك محسنا منعما فيكون ما قالوا خلاف ذلك والثانى انه كان يعوض على ما يقولون يجب ان يعوضهم عوضا يرضون بذلك العوض ويكون ذلك العوض مثل ما اخذ منهم وهم لا يشترطون ذلك وان له ان يفعل بهم ما ذكرنا واصله ما ذكرنا ان الخلق كلهم عبيده واماؤه وللكل ذى ملك ان يفعل فى ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه اذ كان له حقيقة الملك فعلى ذلك سبحانه وتعالى له حقيقة ملك الاشياء فله ان يفعل ما يشاء بلا عوض ولا بدل والله اعلم وقوله عز وجل ويعفو عن كثير ليس احد يصيبه شى من الشدة والبلاء الا ويكون فى ذلك عفو منه بل جاد له لو زاد على الالم الا ويتوهم زيادة الالم فى ذلك فيكون منع تلك الزيادة عليه عفوا عنه وفضلا ولذلك فيما فى عادات كل شى من حقوقهم ما يقل ويكثر ويحتمل ان يكون قوله ويعفو عن كثير اى لا يعجل ذلك منهم بكونه يواخذهم بها بل يواخذهم ببعض ويتجاوز عنهم فى بعض والله اعلم وقوله وما انتم بمعجزين فى الارض يقول لا تعجزون عن الهرب مما يريده يصيبكم بزلاتكم وبما يريده ان يفعل بكم ولا لكم ملجا وقوله عز وجل وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يمنعكم وينفعكم من عذاب الله والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته الجوار فى البحر كالاعلام يحتمل اياته ما ذكرنا من ايات وحدانيته وربوبيته وايات قدرته وسلطانه وايات علمه وتدبيره وحكمته وايات نعمه واحسانه وهو ما جعل الله عز وجل فى طبيعة الخشب فى السفن معنى لو اجتمع حكماء البشر ليعرفوا ذلك المعنى واللطف الذى جعل فى الخشب ما قدروا على ادراكه وذلك المعنى واللطف المجعول فيها وما جعل من طبعها السكون على وجه الماء والقرار عليه مع ثقلها وغلظها وان كان بدون ذلك الثقل والعظم يكثير من غير جوهر الخشب ما يتسرب فى الارض ويتحدر وكذلك ما يجعل فى السفن من الاحمال العظيمة الثقيلة ما يمنع كل من ذلك الحمل ان يتسرب ويتحدر فى الماء لو لم يكن السفن وما ذكر من خشب والله اعلم ثم قوله كالاعلام قال عامة اهل التاويل اى كالجبال فى البحار وقال القتبى وابو عوسجة الاعلام الجبال واحدها علم ونعنى هذا الكلام هو ما ذكر من مبدا الارض باهلها والترسب فى الماء ثم ارساها واثبتها بالجبال ويمنع الجبال التسرب والانحدار فى الماء فيجانه يزيد فى التسرب والانحدار فى الماء لانه يثبتها ويقرها على وجه الماء لكن بلطفه وحكمته اقربها الارض ولا يثبتها ومنعها عن التسرب والانحدار والميد باهلها فعلى ذلك السفن فى البحار تستقر على الماء ولا تتحدر كالجبال مع الارض فى القرار على الماء والله اعلم ويحتمل قوله كالاعلام معنى اخر وهو الاعلام انفسها وهو ان جعل السفن سببا وطريقا للوصول الى منافع بعدت منهم وصعبت عليهم فاذا حمل فيها الاحمال من بلد الى بلد اخر ومن مكان الى مكان يسر اهل المحمول اليهم بتلك الاحمال والسفن اذا راوها فى البحار ويجعل اليهم السفن يرجون بها منافع يتصل لهم وكذلك يسر اهل البلد المحمول اذا راوها وقد رجعت اليهم سالمة لما يحصل لهم من الارباح والاغراض بها فيكون اعلاما ودلالة لهم على الاصول التى للاغراض والمنافع والله اعلم وقوله عز وجل ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يذكر فضله ومنته بما اجرى هذه السفن فى البحار التى ذكر فاخبر انه لو شاء لاسكنها ومنعها على الجريان ثم صير الريح نوعين احدهما طيبة بها يجرى السفن والاخرى عاصفة شديدة تهلك بها السفن وهو ما ذكر فى اية اخرى وهو قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الاية ثم فى ذلك دلالة ثلاث يدل على ان الريح ليست تجرى السفن وتهب بطبعها وبنفسها ولكن بالله تعالى اذ جعلها اثنين ثم جعل نوعا منها طيبة يجرى السفن والاخرى عاصفة تهلك السفن وتهيج الامواج والثانى ما ذكر فى هذه الاية ان يشا يسكن الريح ولو شاء لا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهر الماء بذلك انه هو المجرى لها حيث كان هو المسكن والثالث ان فعل الطبيعى على سنن واحد كالحرارة فى النار والبرودة فى الثلج والثلث وذلك ولو كان جريان الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لا تسكن فى حال ولا يكون مرة طيبة سالمة ومرة شديدة عاصفة مهلكة دل ان ذلك كان بالله تعالى لا بالطبع والله الموفق وقوله عز وجل ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور

فهذا يحتمل وجهين احدهما سمى المؤمن صبورا شكورا والثانى من صبر على ما اصابه من الشدايد والمصايب التى ذكر صبورا ومن
شكر ما ذكر من النعم فى السفن وغيرها شكورا والله اعلم ثم وقوله عز وجل رواكد على ظهره قال ابو عوسجة والقتبى اى
وقوف وصرفه ركد وكيدا وركودا وقوله عز وجل او يوبقهن بما كسبوا او يعفو عن كثير جايز ان يكون هذا صلة
ما ذكر فى السفن الجوارى فى البحر حيث قال ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول ان شاء اسكن الريح
التى بها تجرى السفن فى البحار وتسفين رواكد فى الماء وان شاء ارسل ريحا عاصفة شديدة فيهلكوا يعنى السفن واذا
اهل السفن بما كان منهم يتجاوز له ان يفعل ما ذكر من اهلاك فى البحر والابقاء فيه لكن بفضله ينجى من ينجى واخرج
الى الماء والله اعلم وكذلك قال ابو عوسجة يوبقهن اى يهلك اهل السفن ويحتمل ان يكون ذلك صلة ما تقدم من قوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فيكون ما يصيبهم من المصيبة ما بلغت النفس وما يبلغ النفس يكون
كل ذلك لهم مما كسبت ايديهم على ما ذكر ثم اخبر انه يعفو عن كثير مما كسبت ايديهم مما يستوجبون الاهلاك فيتجاوز
عنهم والله اعلم وقوله عز وجل ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا ما لهم من محيص المجادلة فى اياته يخرج على وجهين احدهما
ان يجادلوه فى تقدير احكام الله تعالى وفهم ما ضمن فيها وذلك ممدوح محمود وهو كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتى هى احسن وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فهذه المجادلة والمراء المذكور فى حق محمود والمجادلة
الثانية هى المجادلة فى دفع احكام ايات الله تعالى عن فهم ما ضمن وهى مذمومة وما ذكر ههنا من قوله ويعلم الذين يجادلون
فى اياتنا هى المجادلة فى دفع احكام اياته ثم اخبر انه لا محيص لهم ولا ملجأ من عذاب الله يجادلونه فى دفع اياته والمنع عن فهم
ما فيها والله اعلم وقوله عز وجل فما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى هذا يخرج على وجهين احدهما
ان الله تعالى اعطى من اعطى هذه النعم واللذات فى هذه الدنيا ليكتسبوا بها نعمة دايمة ولذة باقية وكذلك ما اعطاهم من
السمع والبصر وغير ذلك من الحواس ليكتسبوا بها ما به دوم وبقى فمن استعمل ما اعطاه من الاموال واللذات مما ذكرنا
فى غير ما امر به وجعل سمى خاسرا اعمى وكذلك من استعمل ما اعطاه من الحواس فى غير ما جعلت وامر باستعمالها سمى اصم
ابكم اعمى وكذلك النفس التى يكتسب بها حيوة دايمة سمى ميتا والله اعلم اى انه يقال انهم ما اعطوا فى هذه الدنيا من اللذات و
المنفعة الا ترغيبا فيما ابقى عنده ووعدهم فى الاخرة وكذلك ما امتحنوا من الشدايد والمصايب الا تحذيرا وترهيبا عما نعدهم
ونخوفهم فى الاخرة ثم وقوله عز وجل فما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا اى يمتعون به فيفنى ويزول عن سريع وما
ابقى ولم يذكر هو الباقى الدايم ثم بين ان ما ابقى عنده لمن يعقله للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون امنوا بان له الدنيا و
الاخرة وان له الخلق والامر وانه برىء عن جميع معانى الخلق وعلى ربهم يتوكلون اى يكلون امورهم الى ربهم هو مفزعهم
ومعتمدهم لا يفزعون الى احد سواه ولا يعتمدون غيره فى جميع احوالهم ثم نعتهم ايضا بما ذكر من الاجتناب عن الكبائر
والفواحش فقال والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش جايز ان يكون ما ذكر من كبائر الاثم هى الفواحش والفواحش
هى كبائر الاثم كل واحد منهما فى معنى الاخر والله اعلم وقال بعضهم كبائر الاثم انواع ما به يصير المرء مشركا وهى
كبائر الشرك والفواحش هى التى يوجب الحدود فى الدنيا وقيل كبيرة ما يكبر ويعظم من الذنب والفاحشة ما يفحش
من العمل وقد ذكرنا وجوها فى ذلك فيما تقدم فى سورة النساء والله اعلم وقوله عز وجل واذا ما غضبوا هم يغفرون
اى اذا ما غضبوا مما يرجع الى الاموال والانفس وامر الدنيا يغفرون ويتجاوزون عن ذلك فاما ما يرجع ذلك
الغضب الى امر الدين فانه لا يسع المغفرة عن ذلك ولكن يجب الرجوع والتوبة الى الله والله اعلم وقوله عز وجل والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلاة اى اجابوا لربهم الى ما دعاهم ربهم وقد دعاهم الى دار السلام بقوله والله يدعوا الى دار
السلام لكن جعل لاجابتهم شرايط واعلاما فمن وفى بها استوجب الموعود وهو كقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم الاية و
قال الله انى معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة الى اخر ما ذكر فعلى ذلك علم اجابتهم لربهم وشرطها ما ذكر من قوله تعالى واقاموا
الصلوة الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وامرهم شورى بينهم ذكر بعضهم انه الانصار كانوا يتشاورون فيما بينهم و
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم غايب فنزل هذا مدحا لهم على فعلهم وذكر عن الحسن انه تلا هذه الاية قوله وامرهم شورى
بينهم قال والله ما تشاور قوم قط الا هداهم الله تعالى لافضل ما بحضرتهم واصله ان الله تعالى جل وعلا امر رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يشاور صحابته حيث قال وشاورهم فى الامر وعن الحسن ما تشاور قوم قط الا هداهم الله تعالى لافضل ما يحضر
لان فى التشاور اجتماع العقول والاذهان واذا اجتمعت كانت الى استدراك الحق والصواب اسرع وابلغ مما الزم كل عقل بنفسه
والله اعلم وقال القتبى وامرهم شورى بينهم اى يتشاورون فيه وقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون ظاهر وقوله عز وجل
والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون وصبر المنتصر من الباغى والعافى المظلمة من ظلمه جميعا فى الذين استجابوا لربهم الى ما دعاهم اليه لكن المنتصر
مستوف حقه جعل له والعافى تارك الحق لكن انه جعله الاستيفاء فدخل فيما ذكر من المستجيبين لله تعالى لكن تارك الحق افضل من مستوفى

الحق

الحق وعلى ذلك حث الله تعالى رسوله بالعفو عن الظلمة وترك الانتصار والمكافات واخبر انه من عزم الامور حيث قال ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ويحتمل ان يكون قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون راجع الى الاذى باللسان من نحو الشتيمة
والسب والاذى الذى لا يؤثر فى النفس امرهم على المغفرة والعفو ومدحهم على ذلك وقوله عز وجل والذين اذا اصابهم البغى هم
ينتصرون راجع الى ما يؤثر فى الانفس والابدان نحو الجراحات وغيرها حثهم على العفو فيما يرجع الى الاذى باللسان وان لا
يكافوهم على ذلك وفيما يرجع الى الانفس والابدان جعل لهم الاستيفاء والانتصار وان كان ترك الاستيفاء والعفو من الكل افضل
على ما قال وان تعفوا اقرب للتقوى والله اعلم وقوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى الثانية سيئة وان لم يكن فى الحقيقة
سيئة لانها جزاء السيئة فسماها باسم الاولى وسماها سيئة لانه لو لم يكن الاولى كانت السيئة الثانية ايضا سيئة على ما هى فى
نفسها من باب الاضداد والضد سيئة فى نفسه وان كان يصير حسنا لغيره والله اعلم ويشبه ان يكون سماها بما ذكر لاختلاف
الاحوال هى عند الذى يقتص منه ويجازى بها سيئة وتلك الحال عنده حال سيئة وهو كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
سمى حاله الضيق والشدة سيئة لانها عندهم سيئة وحال السعة والرخاء حسنة لانها عندهم حسنة وان لم يكن تلك الحال فى الحقيقة
سيئة لكنه سماها سيئة على ما عندهم فعلى ذلك جايز ان سمى الثانية سيئة لما هى عند المفعول به سيئة والله اعلم وقوله عز وجل فمن
عفى واصلح فاجره على الله هو ما ذكرنا انه وان جعل لهم حق الاستيفاء والانتصار فالعفو عن ذلك افضل ثم فيه دلالة ان لا يجمع بين
العفو واخذ البدل اذ لم يكن بين الاخذ والرضاء بدل لانه قال فمن عفى واصلح فاجره على الله اخبر انه اذا عفى عنه يكون اجره على الله
فليس له ان يأخذ من المعفو عنه شيئا والله اعلم فهو ينقض على من يقول بان له اخذ البدل من الجانى شاء او ابى وان يعفوا عنه
ويأخذ البدل والله اعلم وقوله عز وجل انه لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظالمين والظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه فمن اخذ
ما ليس له اخذه فهو ظالم وقوله عز وجل ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل اى اولئك ما عليهم من حجة او ما عليهم
من تبعة وقوله عز وجل انما السبيل على الذين يظلمون الناس انما الحجة والتبعة على الذين يظلمون الناس ابتداء وقوله عز وجل
ويبغون فى الارض بغير الحق اى يأخذون من الناس بالبغى جورا ان يأخذوا فالتبعة والحجة عليهم فاما من يأخذ حقا وجب له
واستوفاه فلا تبعة عليه ولا حجة وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويفسدون فى الارض
وقوله عز وجل ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اى من صبر على الاذى والظلمة وعفى عنها وتجاوز فان ذلك اى ذلك
من تحقيق الامور واحكامها والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده اى من اضله لما اثر ولاية الشيطان
لا ولى له سواه يغوره رشده او لا ولى ينفعه من بعده وهو كما قال انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر ان سلطان الشيطان على من
لا يتولاه وقوله عز وجل وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل قال اهل التاويل اى هل الى رجوع الى الدنيا من
سبيل يقولون يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ولا اشبه ان يكون سؤالهم الرجوع الى المحنة التى قبل موتهم اى سألوا ان يكلفهم و
يمتحنهم فى الاخرة ويطيعون الطاعة لله تعالى فى اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل وتريهم يعرضون عليها قال اهل
التاويل يعرضون على النار وقيل ان يدخلوها كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وكقوله تعالى وجىء يومئذ
بجهنم يومئذ يتذكر الانسان الاية وقوله عز وجل خاشعين من الذل لان الله تعالى اذلهم فى الاخرة بما اختاروا فى الدنيا من سوء
صنيعهم واعطوا انفسهم شهواتهم ومناهم وقوله عز وجل ينظرون من طرف خفى يحتمل ما ذكر من نظرهم من طرف خفى ما ذكر فى اية
اخرى مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء الشدة خوفهم وفزعهم فى ذلك اليوم لا يرفعون رءوسهم ولا ينظرون
الى موضع والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ينظرون اليه من طرف خفى اى لا ينظرون الى الناس ولا يقبلون بوجوههم اليهم الا نظر
التلصص والتغفل حياء منهم لستر معالم ومكان المعروف فى الناس لانه موضع الى اخر لا يتهيأ له رفع الطرف اليه ونظره اليه
مقبلا الا على التلصص منه والتغفل فعلى ذلك هذا والله اعلم وقال بعض اهل التاويل انهم يحشرون عميا فلا يرون باعينهم انما
يرون بقلوبهم وهو النظر الخفى وقال القتبى ينظرون من طرف خفى اى قد غضوا ابصارهم من الذل وقال ابو عوسجة اى ينظرون
نظرا مستقيما والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الاية يخرج ما
ذكر من خسران انفسهم واهليهم على وجوه احدها ما ذكر بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امروا بان يقوا انفسهم واهليهم
النار فهم حيث لم يقوا ما ذكر من الانفس والاهل خسروا والله اعلم والثانى قوله خسروا انفسهم واهليهم اى خسروا بسبب اهليهم
كقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لما ابتلاهم امورا بسبب الاموال والاولاد والازواج هى فتنة لهم وكقوله ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فقد يخسر الرجل ويتضرر ويؤاخذ بسبب هؤلاء والله اعلم والثالث يحتمل ان يكون خسرانهم انفسهم
واهليهم بما قالوا ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله عز وجل ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى خسر ما
كان رجاء وطمعا ان له عند ربه فى الاخرة للحسنى على هذه وجوه الثلاثة يخرج تاويل الاية والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه قال ليس من احد من كافر ومسلم الا وله اهل ومنزل فى الجنة فان اطاع الله تعالى الى منزله واهله وان عصاه خسر نفسه واهله

ومنزله في الجنة وورثه المؤمنون عنه لكن لا يحتمل ان يكون عز وجل مع علمه انه يموت كافرا ان يجعل له الامل والمنزل في الجنة
اللهم الا ان يفعل ذلك ليكون لهم حسرة على ذلك وغيظا والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله
يخرج على وجهين احدهما اي ما كان للاصنام التي عبدوها دون الله تعالى ولاية نصرهم وقدرة دفع العذاب عنهم لانهم
كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء ان يشفع لهم في الاخرة وان يزلفهم عنده فاخبر الله تعالى انه ليس لها ولاية النصر لهم على ما
رجوا وطمعوا من عبادتها الشفاعة لهم والدفع عنهم والله اعلم والثاني وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله اي
ما كان للرؤساء الذين اتخذوهم في الدنيا اربابا والاية النصر لهم لانهم لا يملكون دفع ذلك عن انفسهم فكيف يملكون دفع
ما نزل باتباعهم يخبر ان ليس لهم ولاية دفع العذاب عنهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من سبيل يحتمل
قوله فما له من سبيل اي من حجة اي من اضله الله ولا حجة له ان يقول انك اضللتني لانه انما يضله لما يختاره هو ويؤثره
على بينه وبين يختاره ويؤثره والاصل لا احد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعله لان الله تعالى قضى له ذلك واراده
وقدره وقضاه وانما يفعله لغرض له وهواه لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك وبالله العصمة والثاني انه ليس له حجة عليه
بذلك لانه يعلم انه لو خير بين ما يريده يختاره ويؤثره وبين ضد ذلك على ضده ويختار تحصيله ويؤثره على ترك ذلك
فكيف يكون له حجة بذلك والله الموفق ويحتمل قوله فما له من سبيل اي اضله تعالى فما له الى الهدى من سبيل اي ليس له
سبيل ولكن على السبيل اي لا يملك احد ارشاده ويحتمل اي من اضله الله فما له من سبيل اي ليس له سبيل لكن عليه السبيل
والله اعلم وقوله عز وجل استجيبوا اي اجيبوا الله وقد ذكرناه عز وجل من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله هذا يخرج من وجهين
احدهما اي اجيبوا له من قبل ان ياتي يوم لا يملك احد رد ذلك اليوم اذا اتاهم لانه هو اليوم الذي يجري فيه الخلاف وفيه اهوال
وافزاع يقول لا احد يملك رد ذلك اليوم والله اعلم والثاني اي اجيبوا من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لما ينزل فيه بهم من العذاب
والعقاب والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم من ملجا يومئذ هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما انهم انما كانوا يعبدون الاصنام
في الدنيا ليكونوا لهم شفعاء وملجاء يلجؤون اليها يقول ما لكم اولئك الاصنام ملجا يلجؤون اليها بل يكونون كما ذكر في اية
اخرى وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله تعالى بل ضلوا عنهم الاية والله اعلم والثاني ما لكم من ملجا يومئذ اي
ما لهم من حيل يحتالون بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما يكون في الدنيا من حيل يحتالون دفع ما ينزل بهم من البلايا و
الشدايد وبالله النجاة وقوله عز وجل وما لكم من نكير هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما اي لا يملكون ان ينكروا
على ما يفعل بهم ذلك بما كسبت ايديهم فلا يقدرون على انكار ذلك على الله تعالى والثاني ما لكم من نكير اي ما لكم من
تغيير اي ما يملكون دفع ذلك عن انفسهم ولا منعه وتغييره وقيل لا يملكون اي يمنعوا الله تعالى عما يريد ان يفعل بهم
وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فان اعرضوا اي ان تولوا عن اجابتك الى ما تدعوهم اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا
هذا يخرج على وجهين احدهما اي لا يملكون ان ينكروا على الله ما يفعل بهم لانه انما يفعل بهم ذلك بما كسبت ايديهم فلا
يقدرون على انكار ذلك على الله والثاني ما لكم من نكير اي ما لكم من تغيير اي ما يملكون دفع ذلك عن انفسهم ولا منعه وتغييره
وقيل لا يملكون ان يمنعوا الله تعالى عما يريد ان يفعل بهم وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فان اعرضوا اي ان تولوا عن اجابتك
الى ما تدعوهم اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل اي فما ارسلناك اي تحفظ عليهم قيامهم
واعمالهم ان عليك الا البلاغ اي ما عليك الا التبليغ انما حفظ اعمالهم على الملائكة الذين جعلوا حفاظا عليهم وهم الكرام الكاتبون
والثاني فما ارسلناك عليهم حفيظا يحتمل فما ارسلناك اي تمنعهم عما يفعلون حتما انما عليك البلاغ وبيان الحق
وانت غير مؤاخذ بما يفعلون وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحو ذلك وقوله عز وجل وانا اذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها ان كان هذا في المسلم فيكون قوله فرح بها اي رضي بها وسر بها وان كان في الكافر فيكون
قوله فرح بها اي بطر بها واشر وقوله عز وجل وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور وهذا ايضا ان
كان في المسلم فانه اذا اصابه شدة او بلاء ينسى ما كان اليه من الله تعالى من النعم فجعل يشكو ما اصابه فهو كفور النعم
التي كانت له من قبل ذلك وان كان في الكافر فهو ظاهر انه كفور لنعمه ولحقها تراجع والله اعلم وقوله عز وجل لله
ملك السموات والارض يخبر انه بما يامرهم وينهاهم وبما يمتحنهم بانواع المحن ليس يامر ولا ينهى ولا يمتحن لحاجة نفسه
في جر منفعة او استفادة خير او دفع مضرة او بلاء اذ له ملك السموات والارض ولكن انما يامرهم وينهاهم ويمتحنهم
لحاجة انفسهم لاصلاحها ونكالها او نجاتها من المهالك وهو كقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله
غني حميد يخبر بما ذكر انه غني لا ينفعه ايمان مؤمن ولا يزيد في ملكه ولا يضره كفر كافر ولا ينقص من ملكه ان يكون
قوله لله ملك السموات والارض كقوله قل اللهم مالك الملك الاية ويحتمل ان يقول له ملك السموات والارض اي هو يؤتي
الملك من له الملك في الدنيا وهو ينزع ممن يشاء على ما ذكر في اية اخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية

وفيه

وفيه نقض قول المعتزلة في خلق افعال العباد منهم وانهم ان يكون فعل الله تعالى بخلقه ووقوع المشركة في ذلك
بينهم وبين الله تعالى فيكون ذلك فعل الله تعالى وفعل العبد وهو تفسير الشركة في الشاهد فيقال لهم ان الله تعالى قال لله
ملك السموات والارض وقال فانه اخرى ولم يكن له شريك في الملك اخبر انه ليس له شريك في الملك وقد رأينا الملوك
في الدنيا لم يوجب ذلك الشركة في ملكهم لاختلاف المعنى والجهات اذ حقيقة الملك له ولغيرهم ليس بحقيقة الملك اذ ذلك
ملك لا انتفاع لاجل الاطلاق فعلى ذلك افعال العباد من الخيرات خلقا لله تعالى فيكون على قولهم على قدرتها لكثرة الاشياء كما
يشاء وهذا لانه قوله يخلق ما يشاء انما الاخبر على الوصف بالربوبية تعالى والالوهية لا على وجه الوعد والخبر وانه يخلق
ما يشاء فان كان على الوصف له بالربوبية فلا يكون ذلك نعت الربوبية الا لكون خالق الخير ومن عسر الافعال
ومن الاشياء التي يشاء ان يخلقها وان كان على الوعد والخبر فيخرج الخبر كذا على قولهم فحوذ ان الله تعالى من الشرك
في القول والله الموفق وقوله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وجعله من الذكور
والاناث مواهب الله تعالى وهدايا وهبها يتقبلونها من قبول الهدايا والهبات على الشكر له والمنة لم يذكر والاولاد نعم
بالذكور لان من الناس من انا ولي الاناث يعدونها مصيبة ويثقل ذلك عليه وعلى ذلك ما اخبر عن الكفرة انهم اذا بشر بالانثى
ظلت وجوههم مسودة يقول تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يخبر عن قبح ذلك عليهم فيخرج
على ذلك فيما ذكر ذلك لبيان عند اهل الاسلام والاولاد الاناث مصيبة وبلاء ما عند الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل
او يزوجهم ذكرانا واناثا والتزويج هو الجمع بين الشكلين والمثلين في الحقيقة وقد يسمى التزويج بين المتضادين
المتضادين مجازا والله اعلم فيكون معنى قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يزوجه ويجمع بين الاناث والذكور فيهب له
من النوعين جميعا في حالة واحدة وقال القتبي او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجعل بعضهم بنين وبنات تقول العرب زوجت
ابلي اذا قرنت بعضها ببعض وزوجت المجالس بالصغار اذا قرنت كبيرا بصغير وقوله عز وجل ويجعل من يشاء عقيما والعقيم
من النساء التي لا تلد وهي لا توصف بالبركة وقيل انها ليست مباركة لا ترغب فيها والله اعلم وقوله عز وجل انه عليم قدير
عليم بانشاء الاولاد والاناث في الرحم قدير على ذلك او عليم بمصالح الخلق قدير لا يعجزه شيء وقوله عز وجل وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء كان هذا انما ذكر واخبر عن نازلة او
سؤال كان عن كيفية الرسالة وحال الرسل عليهم الصلاة والسلام يرون ربهم ويشاهدونه ويشافهونه فاخبر انه
ليس من البشر من يكلمه الا بالطرق الثلاثة التي ذكرها والسؤال وقع عن الرؤية في الدنيا فيكون الجواب بناء على السؤال
والله اعلم ثم قوله الا وحيا ما يرى في المنام ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حقيقة وقوله عز وجل ومن وراء حجاب
نحو ما كلم موسى علينا الصلاة والسلام والقى في مسامعه صوتا مخلوقا على ما شاء وكيف ما شاء كان ثم ثالث وقوله عز وجل او
يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء اي يرسل ملكا يخبره عن الله تعالى وصرف الوصول الى معرفة ذلك في الدنيا الوجوه التي ذكر
اما الالهام والالقاء في الارحام واما الالقاء في المسامع واما رسول يرسل فيخبره عن امره وكلامه فاما ان يحتمل ويسمع بعد رؤيته
ويشافهه او يعاينه في الدنيا فلا والله الموفق ثم اختلف في قوله او من وراء حجاب قال بعضهم الحجب انفسها هي حقيقة الحجب
وقال بعضهم الحجاب هو عجزهم عن احتمال رؤيته لان الله تعالى انشاهم على بنية وخلقة لا يقوم انفسهم القيام لذلك على ما اخبر
عز وجل حيث قال لموسى علينا السلام ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني اي فان احتمل ذلك فاحتمل ما سالت والله
اعلم وفي الاية ان الله تعالى يكلم البشر بالرسل وان لم يشاء الرسل وكان ذلك تسمية بطريق المجاز اذ لم يكن في الحقيقة كلام
الرسول كلام المرسل وكذلك في قوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله لا يكون ما يسمع من الرسول
علينا السلام كلام الله حقيقة وكذا ما يقال سمعت من فلان قول فلان وحديث فلان كله على المجاز ليس على التحقيق والله
اعلم ويحتمل ان يكون سبب نزول قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية قول اولئك الكفرة حيث اخبر الله تعالى بقوله
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية الاية وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا سالوا ان يروا ربهم جهارا
فقد حجبوا عن رؤية الله تعالى في الدنيا والاخرة حيث قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وسالوا ان يكلمهم شفاها فاخبر
انه لا يكلم احدا شفاها ولكن يكلم بما ذكر من الاوجه الثلاثة حيث قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا ردا عليهم فاخبر الله تعالى ان طريق تكليم الخالق في الدنيا هذه الوجوه التي ذكر وقد كلم البشر من هذه السبل والطرق
التي ذكر حيث قال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اخبر انه انزل اليهم ما ذكر كما انزل على الرسول وحيث قال وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله الاية ونحو ذلك من الايات مما يكون كانه قد كلمهم بما ذكر كما كلم الرسل عليهم الصلاة
والسلام من الوجوه التي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اوحينا روحا من امرنا كانه يقول هكذا اوحينا الى الرسل الذين
من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكرنا كما اوحينا الى الذين من قبلك والله اعلم وقوله عز وجل روحا من امرنا قال بعضهم روحا

اى جبريل بامرنا لبعضهم اى وحينا اليك امرا من امرنا وقال بعضهم روحا من امرنا اى الكتاب الذى انزلنا عليك وانما وجه اليه
سماه روحا لانه يحيى به الدين ويكون به الدين ويحيى به الايمان وهو حيوة الذكر والشرف وهو كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا
فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم حيوة الذكر والشرف والله اعلم وقوله عز وجل ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان واما
الكتاب فانه لاشك انه كان لا يدريه ولا يعلمه حق ادراكه واعلمه واما الايمان حيث اضاف انه لا يدريه فهو يحتمل وجوها احدها
ما كنت تدرى ما الايمان فى حق النسان وما كنت تدرى ما الايمان فى حق الايمان او ما كنت تدرى ما الايمان فى حق قدره
ومحله ومنزلته عند الله تعالى فان كان فى حق النسان فهو ظاهر انه كان لا يدرى فى حق ابتداء الامر ان الايمان هو التصديق او
التوحيد او ما هو وهو معروف انه كان لا يدريه فى حق النسان حتى اداه واعلمه انه ما ذا وكذلك جميع اهل النسان لا علم
لهم بذلك حتى علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل وسال النبى صلى الله عليه وسلم ما الايمان وما الاسلام على صورة اعرابى حتى
قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا كان جبريل عليه السلام نزل ليعلمكم معالم دينكم والله اعلم وان كان فى حق فعل الايمان ومباشرته
لكنه فهو انا كان غير قادر على فعله واتيانه على حسبه وكان لا يدرى لكنه لا يدرى فانه لا يوصف بالجهل به الا ترى
ان الصغار لا يدرون ولا يقال انهم جهلة وانما يوصف بالجهل من الكبرة والنظر واسباب العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك
يوصف بالجهل فاما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فانه لا يوصف بالجهل الا ترى انه يقال للاغراض والاشياء انها لا يدرى
ولا يوصف بالجهل فعلى ذلك يجوز ان يوصف ويقال انه كان لا يدرى ولا يوصف ولا يقال انه كان جاهلا به والله اعلم الا ترى ان
الولد فى النطف لا يوصف بان له سمعا وبصرا ونحو لانه ليس بمحل للسماع والبصر فاذا خرج منه فعند ذلك يجعل له لما مكن من
السماع والبصر وهو ما ذكر بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار فعند ما مكن لهم
ذلك والله اعلم وان كان المراد انه لا يدرى فى حق المحل والمنزلة والقدر فهو هكذا كان لا يدرى ما محل الايمان وقدره عند الله
تعالى حتى لا ادرى واعلمه محله ومنزلته والله اعلم وقوله عز وجل ولكن جعلناه نورا فان كان المراد هو الايمان فهو نور
بالحجج والبرهان وهو كما ذكر افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان المراد هو الكتاب فهو نور لما يرفع
جميع حجب القلوب وسواترها من اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والله اعلم وقوله عز وجل نهدى به من نشاء من عبادنا من علم
انه يختاره شاء ان يهديه ثم وقوله عز وجل يهدى به يحتمل القران ويحتمل الايمان نفسه اى يجعله بالايمان مهتديا والله
اعلم وقوله عز وجل وانك لتهدى الى صراط مستقيم قوله لتهدى يحتمل لتدعوا ولتدين الى الصراط المستقيم ثم فسره بقوله تعالى
صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض لم يفهم من صراط الله ما يفهم من صراط الخلق او صراط فلان فكيف يفهم من
مجيئه واتيانه ما يفهم من مجئ الخلق او اتيانه فهذا يدل ان لا كل ما اضيف الى الله تعالى يفهم منه ما يفهم مما يكون من الخلق
والله اعلم وقوله عز وجل الا الى الله تصير الامور يحتمل الا الى الله ترجع تدبير الامور ويحتمل الا الى الله تصير الامور فى الاخرة وهو البعث والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم والكتاب المبين قال قتادة هو اسم السورة وقال غيرهم حم قضى ما كائن وقد ذكرنا وقوله والكتاب المبين
قال قتادة مبين بركته وهداه ورشده وقال بعضهم يبين بين الحلال والحرام ما يؤتى وما يتقى وقال بعضهم مبين بين
الحق والباطل وهو عندنا مبين بانه من الله تعالى ليس هو من تاليف البشر حيث لم يتولدهم ولكنه من الله تعالى حيث عجزوا
عن اتيان مثله والله الموفق وقوله عز وجل انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون كانه يقول جعلنا ذلك الكتاب عربيا
لعلكم تعقلون وقيل جعلناه اى انزلناه قرانا عربيا وقيل جعلناه قرانا اى سميناه قرانا ليس ان جعله قرانا ولكن معناه
جعلناه عربيا اى نظمناه بالعربية لتعقلوا وسميناه قرانا ثم قوله تعالى لعلكم تعقلون يخرج على وجوه احدها اى انزلناه
عربيا على رجاء ان يعقلوا والثانى انزلناه عربيا لتعقلوا وذلك يرجع الى قوم مخصوصين قد عقلوه وفهموه اذ لم
يعقلوه جميعا ولا يتصور ان ينزله لتعقلوه ولا تعقلوه فان ما اراد الله تعالى يكون لا محالة وما فعل يفعل قال الله
تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والثالث انزلناه عربيا لكى يلزمهم ان يعقلوه ويتبعوه ليزول عندهم
الاحتجاج على الله تعالى اذا كان على غير لساننا والله اعلم وعلى هذا يخرج تاويل لعل فى جميع القران انه لتحقيق اذا كان من الله
تعالى فان قيل فعلى التاويل الاخير كيف يخرج قوله لعلكم تعقلون لا يستقيم ان يقال لكى يلزمكم ان تعقلوا قيل معناه لكى يلزمكم
السبب الذى به تعقلون وهو مباشرة الايمان والطاعات والله اعلم وقوله عز وجل وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم قوله وانه
فى ام الكتاب يرجع الى وجهين احدهما اى القران فى اصل الكتاب ومنه انزل وهو اللوح المحفوظ وام الشئ اصله ويسمى ام القرى
لكونها كذا والثانى اى القران فى الكتب المتقدمة فان الامات سميت امهات لتقدمها على الولد وهو كقوله وانه لفى زبر الاولين
وقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى وقوله عز وجل لعلى حكيم قال ابن عباس رضى الله عنهما اى هو

على الكتب واحكمها واعدلها وقال بعضهم وصف كتابه بالعظمة والمنزلة والشرف عنده وقوله حكيم يحتمل وجهين احدهما حكيم
بمعنى محكم كقوله تعالى احكمت اياته اى بالحجج والبراهين والثانى سماه حكيما لما حصل فيه من الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل
افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين اختلف فى الذكر قال بعضهم القران وقال بعضهم الرسول وقال بعضهم العذاب
والعقوبة واختلف فى قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا قال بعضهم افنترك وننذرا وقد ذكر سدى ان كنتم مسرفين اى لانكم كذا و
لانكم كذا ولاجل انكم كذا وقال بعضهم افنترك الوحى لا يامركم بشئ ولا ينهاكم عن شئ ولا نرسل اليكم رسولا وقال بعضهم
افنضرب اى فنذهب عنكم بهذا القران سدى لا تسالون ولا تعاقبون عن تكذيبكم اياه وقال بعضهم افنضرب عنكم اى
نمسك عنكم فلا نذكركم صفحا اى اعراضا وهو قول القتبى يقول صفحت عن فلان اى اعرضت عنه واصل ذلك انك توليه
صفحتك يقال اضربت عن فلان اى امسكت وقال ابو عبيدة افنضرب اى نمسك ضربت واضربت اى سكت وقوله صفحا
اى ردا يقال سالنى فلان حاجة فصفحته صفحا اى رددته والله اعلم وبعضه قريب من بعض ثم الاصل عندنا ان الذكر يحتمل
ما قالوا فيه من المعانى الثلاث القران والرسول والعذاب لكن لا يحتمل قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان يخرج على الابتداء
على غير تقدم السؤال لانه لا ابتداء بمثله ثم السؤال يحتمل ان كان منهم قول يقولون يا محمد لو كان ما تقول انت انه من عند الله
وانك رسوله فكيف انزل الكتاب وارسل الرسول الينا على علم منه انا نكذبه ونرده ولا نقبله ومن علم من الملوك فى الشاهد
انه يكذب رسوله ولا يقبل لا يبعث الرسول فكيف بعثك رسولا الينا او ان انزله عليك وبعثك رسولا لا نكذبنا وكذبنا
ورددنا ذلك فلو يرفعه ويرفعك دون تركه فينا يقول الله تبارك وتعالى جوابا لهم وردا القولهم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان
كنتم قوما مسرفين يقول اما لا نترككم سدى وان علمنا منكم التكذيب والرد للرسول والوحى ولا يمنعنا ذلك عن انزاله اليكم
وتركه فيكم ولا يحملنا ذلك على دفعه من بينكم بل يامركم وينهاكم وان كنتم تكذبونه ولا تقبلونه وهذا ما ذكرنا فى غير موضع
ان حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الايجاب والتحقيق وقوله عز وجل افنضرب اى لا نترك انزاله وارساله وان علمنا
منكم التكذيب والرد وهو كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان يترك سدى اى لا يترك سدى
ولا يحسبون انا انما خلقناكم عبثا فعلى ذلك قوله عز وجل افنضرب عنكم الذكر فان كان الذكر هو القران او الرسول فالتاويل
انه وان علم منكم الرد والتكذيب فلا يمنعه ذلك عن انزاله عليكم وبعثه رسولا اليكم او انكم تم وان كذبتموه ورددتموه فلا
يحمله ذلك على رفعه من بينكم ورسولكم وكفركم وهو كما ذكر فى قوله وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به
يستهزءون اى انا وان علمنا منكم التكذيب للرسل والكتاب ولا يمنعنا ذلك عن انزاله عليهم وبعثهم اليهم فعلى ذلك انتم و
ان علمنا منكم تكذيب الرسول وكتابه لا يمنعنا ذلك عن ارساله وانزاله ليلزمكم الحجة او لعل فيكم من يصدقه ويؤمن به او غيركم
يؤمن به ويصدقه وان كذبتم انتم هذا ان كان تاويل الذكر رسولا وكتابا وان كان تاويل الذكر العذاب فيصير كانه يقول فنترك تعذيبكم
او نمسك عنه ولا نعذبكم وانتم مسرفون اى مشركون على ما ذكر على اثره العذاب حيث قال فاهلكنا اشد منهم بطشا اى قوة
معناه عذبناهم بالتكذيب مع شدة بطشهم وقوتهم وانتم دونهم لا تعذبون بل تعذبون والله اعلم وعن قتادة يقول لو ان
هذا القران رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا لكن الله تعالى بفضله ورحمته كرره عليهم ودعاهم اليه كذا كذا سنة وما شاء الله
تعالى وعن الحسن قال لو بعث الله تعالى نبيا الا انزل عليه كتابا فان قبله قومه والا رفع فذلك قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا
ان كنتم قوما مسرفين لا تقبلونه فيبلغه قلوب فقبله فقالوا قبلناه ربنا قبلناه ولم يفعلوا ذلك رفع ولم يترك على ظهر الارض
منه شئ ثم القراءة العامة ان كنتم منصوبة الالف يعنى اذ كنتم وقرا ايضا ان كنتم مكسورة على ان الشرط ومعناه لا نترك ولا
نمسك عن انزاله وان كنتم قوما مسرفين والله اعلم وقوله عز وجل وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون
فيه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الى الصبر على ما يعامله قومه حيث ذكر له ان ما ارسل من الرسل الذين كانوا قبله كانوا قومهم من
الاستهزاء بهم والاذى لهم مثله معاملة قومك اياك فصبروا على ذلك فاصبر انت على اذى قومك اياك وسوء معاملتهم والله اعلم
انه يرسل الرسول وان علم منهم انهم يكذبونه وكذا ينزل الكتاب وان علم منهم انهم يردونه ولا يقبلونه لانه ليس يرسل الرسل ولا ينزل
الكتب لمنفعة نفسه ولا لدفع الضرر عن نفسه ولكن انما يرسل وينزل لمنفعتهم ولدفع الضرر عن انفسهم فسواء عليه ان قبلوه او
ردوه وليس كملوك الارض اذا ارسلوا رسولا وكتابا الى ما يعلمون انهم يكذبون رسلهم ويردون كتابهم يكونون سفهاء لانهم انما
يرسلون لحاجة انفسهم ولدفع الضرر فحيث لم يحصل غرضهم بل لحقهم بذلك ضرر وزيادة ضرر واستخفاف لم يكن ذلك حكمة
بل يكون سفها فاما الله سبحانه وتعالى فانه يرسل او لم يرسل لجر النفع ودفع الضر بل لالزام الحجة وازالة العذر ونحو ذلك كان حكمة
والله الموفق وقوله عز وجل فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين فيه تحذير اولئك الكفرة ان ينزل بهم الرسل وسوء معاملتهم
اياه كما نزل باولئك الكفرة المتقدمين بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم والله اعلم ثم وقوله عز وجل فاهلكنا اشد منهم
بطشا يحتمل وجهين احدهما اى باهلكنا من كان اشد قوة ونصبا من هؤلاء ثم لم ينجهم لامتناع الشرع قوتهم وبطشهم عما نزل بهم

من العذاب فعلى ذلك لو نزل بهؤلاء لم يتهيأ لهم دفع ضعفهم والثاني انه يكون قولنا اشد منهم بطشا وصف ذلك العذاب
الذي نزل بهم اي تلك العذاب اشد منهم بطشا ولا يمتنع عليه لبطشهم وقوتهم انما اذا كان اشدة العذاب وبطشه دون بطشهم
ربما لا يعمل ولا يؤثر فيهم لذلك وصف العذاب بكونه اشد منهم بطشا وهو كقوله تعالى ان عذابي لشديد والله اعلم وقوله عز وجل
ومضى مثل الاولين هذا يخرج على وجهين احدهما مضى مثل الاولين اي صار عذاب الاولين عبرة وعظة ومثلا للآخرين كقوله
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين والثاني مضى مثل الاولين اي مضى عذاب الاولين وهو عذاب
الاستيصال فلا يعذب هذه الامة بمثل عذابهم لفضيلة نبينا محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وبركته وبرحمته
وهو ما قال الله عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بفضله ورحمته ابقى هذه الامة الى يوم القيمة والله اعلم وقوله
عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فقولهم وجوابهم ان الله خلق السموات
والارض دلالة انهم قد عرفوا انه رسول لكن كذبوه عنادا ومكابرة لانه اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يزعمون
انا عرفنا ان الله خلق السموات والارض بقولهم وينكرون رسالته خاصة بل منكرون الرسل اجمع ثم هم ما عرفوا ان الله
هو خالق السموات والارض الا بالرسل اذ لم يكونوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر في الدلايل ليعرفوا الله تعالى بالدلايل
العقلية والظاهر في العوام جملة المعرفة بالدلايل السمعية فكان الظاهر هذا ان معرفتهم ان الله خلق السموات والارض بقول
الرسل عليهم السلام لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عنادا منهم ومكابرة وما به عرفوا سائر الرسل من المعجزات موجود ومعاين لهم في
حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لا بد ان يعرفوه رسولا لكنهم كذبوه عنادا فدل ان قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته والله اعلم
ثم تمام الاحتجاج بهذا ان يقال لهم قد عرفتم ان الله هو خلق السموات والارض فهلا عرفتم انه لم يخلقها عبثا باطلا فكان اقرارهم
بخلقه اياها اقرار الخلقة على وجه الحكمة ولن يخرج خلقه على الحكمة الا بالاقرار بالرسل والبعث والثواب والعقاب ما عرف
غير مرة او ان يقال واذا عرفتم ان الله تعالى هو خالق السموات والارض وما ذكر الى اخره فكيف انكرتم قدرته على البعث والاعادة بعد
الموت والاعجوبة في خلق السموات والارض اعظم واكثر من الاعجوبة في بعثكم واعادتكم فكيف انكرتم ما هو اقل في القدرة والاعجوبة
والله الموفق وقوله عز وجل الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون جايز ان يكون ذكر هذا على سبيل
النعت والوصف لله تعالى عز صلة لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي وصفه انه
جعل الارض كذا وانزل كذا ويحتمل ان يكون ابتدا ولئن سالتهم عن الارض وما ذكر انه من جعلها مهدا ومن جعل لهم فيها سبلا فقالوا
الله جعل ذلك على ما قالوا في السموات والارض وفيه وجوه من الدلالة احدها يذكرهم نعمه عليهم حيث جعل هذه الارض بحيث
يمهدونها ويفترشونها وينتفعون بها بانواع المنافع وبحيث مكن لهم الوصول الى حوايجهم التي فرقها في الامكنة المتباعدة بما
جعل لهم فيها سبلا وطرقا ليسلكوا فيها ليصلوا الى الحوايج التي فرقت في البلدان المتباعدة ولولا جعله فيها السبل والطرق التي
جعل ما قدروا السلوك فيها ولا عرفوا انهم من اي جهة يصلون الى حوايجهم التي فرقت فيلزمهم بما ذكر القيام بشكره على تلك النعم
وفيه دلالة حكمته ليدلهم انما جعل لهم ما ذكر الحكمة لم يجعلها عبثا باطلا فيلزمهم حيث فرق حوايجهم في امكنة متباعدة ثم مكن لهم
الوصول اليها ليعلم ان الذي ملك انفسهم هو مالك اطراف الارض اذ لو كان هذا غير مالك ذلك لمنعهم عن الوصول الى حوايجهم وفيه
دلالة قدرته حيث جعل لهم في الارض ما ذكر من التسخير لهم حتى يمهدوها ويفترشونها ويسلكوا فيها السبل التي جعل لهم الى حيث
ارادوا وقصدوا وهذا ليعلم ان من قدر على ما ذكر لا يعجزه شي وقوله عز وجل والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا
كذلك تخرجون فيما ذكر من الانزال الماء من السماء وبشر في الارض واخراج نبات فيها بذلك الماء دلالة من الوجوه التي ذكرنا في قوله جعل لكم
الارض مهدا فانه انزل الماء من السماء ليكون في الارض من انواع النعمة التي ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما
بينهما ليعلموا عظم نعمه عليهم ليعلموا ان ما لهما واحد وما جعل في الماء من المعنى واللطف ما يوافق جميع النبات والثمار على اختلاف
النبات والثمار واختلاف اجناسها وجواهرها لنعلم ان من قدر على احياء الارض بذلك المعنى الذي جعل في الماء موافقته
جميع النبات والثمار على اختلاف جواهرها واجناسها لا يحتمل ان يعجزه شي من بعث وغيره اذ لا اعجوبة فيما ذكر من احياء الارض
بذلك الماء وموافقة المعنى المجعول في الماء جميع ما ذكر اعظم واكثر من البعث لانه اعاده وذلك ابتداء فمن ملك وقدر على ما ذكر
من الاشياء فهو على البعث اقدر واملك ولذلك قال الله تعالى وكذلك تخرجون اي تبعثون والله الموفق وقوله عز وجل
والذي خلق الازواج كلها جايز ان يدخل فيما ذكر من خلق الازواج كلها جميع ما يكون لها ازواج من نعت بالصفة واشكال انه
التزاوج قد يقع ويشتمل الاضداد والاشكال من الافعال والجواهر من الكفر والايمان والطاعة والمعصية فيكون في ذلك دلالة
خلق افعال العباد اذا اخبر انه خلق الازواج كلها وهي من هذه الافعال ازواج وان كانت متضادة متقابلة والله اعلم وقوله عز وجل
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون فيه ما ذكرنا من الوجوه انه فرق حوايج الخلق في امكنة بعيدة وبينهم وبين امكنة حوايجهم
مفاوز وفيافي وبحار فجعل لهم في البر دوابا وانعاما يركبونها ليصلوا الى حوايجهم وفي البحار سفنا ليركبوها ليصلوا الى حوايجهم التي

فالجاد

فالجاد بذكرهم ايضا ان ذلك [illegible] ويذكرهم تذكرة [illegible] ولا يعجز شي [illegible] وقوله عز وجل لتستووا على ظهوره وجعل
ظهوره بحيث يستوون عليها ويقرون وكان له ان يجعل ظهوره بحيث لا يستوون عليها [illegible] ثم تذكروا نعمة ربكم [illegible]
وقوله عز وجل ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه [illegible]
جعل لهم ان يستعملوا الدواب [illegible]
[illegible] الاسلام والتوحيد [illegible] الحمد لله الذي [illegible]
[illegible] من النعم العظيمة وقوله عز وجل وما كنا له مقرنين [illegible]
مطيقين [illegible] الدواب والانعام [illegible]
البشر لكن الله تعالى [illegible] الدواب والانعام [illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله عز وجل
وانا الى ربنا لمنقلبون [illegible]
[illegible]
ذلك ولا الوصول الا بما جعل لنا من الحوايج التي فرقت في الامكنة المتباعدة والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا له من عباده جزءا
[illegible]
الكفرة قد اختلفوا [illegible]
[illegible] جعلوا لله تعالى من عباده جزءا [illegible]
ومشركوا العرب جعلوا له فيما رزقهم جزءا والله تعالى وجزء الشركاء بحيث قال وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وهؤلاء جعلوا له جزءا مما رزقهم وهو الظاهر وفريق اخر جعلوا له جزءا من عباده وهو
الاناث ولم يجعلوا لله البنين كقوله تعالى ويجعلون لله البنات فحمل الجزء له على ما ذكرنا ما اظهر مما ذكر اهل التاويل وصرفوه اليه
والله اعلم وقوله عز وجل ان الانسان لكفور مبين اي كفور لنعمه مبين اي بين كفرانه وقوله عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات
واصفاكم بالبنين هو على الاضمار كانه يقول لم يقولون ام اتخذ مما يخلق بنات لنفسه واصفاكم بالبنين وهو ما ذكر في اية
اخرى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ثم قوله تعالى ام اتخذوا اي قالوا بل اتخذ مما يخلق بنات ويذكر في هذه
الاية سفه اهل مكة وشرح نعتهم لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل وما ذكروا من اتخاذ الولد وما ادعوا ان الملائكة بنات الله وما
اقروا حين سئلوا من خلق السموات والارض ان الله هو خالق ذلك كله مما لا سبيل الى معرفة ما قالوا وادعوا الا بالرسل وهم يكذبون
الرسل فكيف ادعوا ما ادعوا وهم يكذبون خبرهم لان من ادعى ولدا الغايب لا يعلمه الا بخبر صادق وكذلك معرفة الملائكة انما هو بخبر
بانهم ثم هم يكذبون الاخبار وبنيانا قبح دعواهم ويفضح على ما ذكرنا انه اخبر عنهم ما يظهر وده من الحزن عند ما يولد لهم من الاناث
وما يلحقهم من الكراهة في ذلك بقوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ثم قوله بما ضرب للرحمن مثلا
اي شبها بالحق وانه يخرج على وجهين احدهما بما جعلوا له ولدا والولد هو شبيه الوالد لذلك فاثبات الولد اثبات المثل والشبيه
والثاني في اثبات الولد له اثبات المشابهة بينه وبين جميع الخلق لان الخلق لا يخلو اما ان يكون مولودا او جزءا او يولد منه اخر
اما ان يكون له شريك فيما يملكه او يكون هو شريك غيره فيكون البعض شبيها بالبعض فمن اثبت لله شريكا او ولدا فقد جعله شبيها
بالخلق ولهذا بين الله تعالى من الولد والشريك بتريا واحدا بقوله تعالى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك نفى الولد والشريك
عن نفسه نفيا واحدا وبراءه واخرة والله الموفق ثم وقوله عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ويحتمل ان يكون تفسيرا
لقوله وجعلوا له من عباده جزءا وعلى ذلك قوله اهل التاويل انهم جعلوا هذه تفسير الاولى ويجوز ان يكون لا على التفسير الاولى ولكن
على الابتداء في قوم اخرين سواهم على ما ذكرنا نحن من التاويل والله اعلم وقوله عز وجل او من ينشو في الحلية وهو في الخصام غير مبين
اختلف فيه قال بعضهم هي الاصنام التي عبدوها وحلوها وزينوها بانواع الزينة والحلي والله اعلم ولو من حلي بالحلي وزين بالزينة
وهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تكلما ولا خصومة ولا شيئا من ذلك ولا يلتفت اليه ولا يكترث له لولا تلك الحلي والزينة التي بها في جمل
العبادة له لكن منه خلق ما ذكرنا من السموات والارض وما فيهما من المنافع اي ليس هذا بسواء لذلك يذكر سفههم في اختيارهم الاصنام
التي هذا وصفها في العبادة على عبادة الله تعالى منه كل شي بخبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اثامهم وتكذيبهم اياه وسوء معاملتهم معه
والله اعلم وقال بعضهم قوله او من ينشو في الحلية وهو في الخصام غير مبين هي الاناث والله اعلم ان الانثى ضعيفة قليلة الحيلة وهي
عند الخصومة والمجاوزة غير مبين لضعف عجزهن وضعفهن ونقصانهن بقول والله اعلم كيف نسبوا الى الله عز وجل ما هو اضعف واعجز
وانقص فيما ذكر وقد انفوهم منها واختاروا لانفسهم ما هو اكمل واقوى وهم الذكور وهو صلة قوله عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين الى اخر ما ذكر وكل حرف مما تقدم ذكره من قوله وجعلوا له من عباده جزءا ونحو ذلك ثم وقوله عز وجل او من ينشا في الحلية يحتمل

ان يرجع الى معنى الحق فيما ذكر من الآيات وكل حرف من هذه الحروف يرجع الى فريق غير الفريق الآخر لانهم كانوا في المذاهب مختلفين
متفرقين وجائز ان يرجع الكل الى معنى واحد والله اعلم وفي هذه الآية ما ذكرنا من الوجوه من تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى
القوم ومن بيان سفه اولئك ومن التحذير لما بأمرهم منهم والله اعلم وقال القتبي او من ينشأ في الحلية اي يربى في الحلي وهي البنات يريد
جعلتم لله تعالى من اذا كان لاحد نبت ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي حزين والخصام جمع خصيم غير مبين اي غير مبين
الحجة وقال ابو عوسجة او من ينشؤ في الحلية اي ينشأ كما يقال انشأ والصبي ينشؤ اي يشب ويرتفع والخصام المخاصمة وقال
ابو معاذ ينشأ في الحلية والله اعلم نبت ويقرأ وينشأ بالتشديد وينشأ بالتخفيف وهما لغتان وقرأ بعضهم ينشأ في الحلية
والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون فان قيل كيف
سفههم في جعلهم عباد الرحمن اناثا وقد جعل الله من عباده اناثا لماذا عابهم على ذلك قيل عن هذا وجهين احدهما انما سفههم
وعابهم لشهادتهم على الله سبحانه وتعالى انه جعل الملائكة اناثا وهم لم يشاهدوها ولا يؤمنوا بالرسل عليهم السلام حتى يقع لهم
العلم والخبر بذلك بقول الرسل والله اعلم والثاني ان الله تعالى وصف ملائكته بانهم لا يفترون من عبادته وانهم لا يستحسرون وانهم
مطيعون لله تعالى على الدوام بحيث لا يوجد منهم عصيان على ما نطق بذلك الكتاب فهم اذا قالوا انهم اناث وصفوهم بالضعف والعجز
فلا يتهيأ لهن القيام بما ذكر والله اعلم ثم وقوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقوله ويجعلون لله البنات
وقوله ويجعلون لله ما يكرهون ليس على حقيقة الجعل ولكن على الوصف له والقول اي قالوا ان الملائكة بنات الله ووصفوهم بما
ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الرحمن ما عبدناهم تعلق المعتزلة بظاهر هذه الآية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما
شاء الايمان قال الكفار ادعوا ان الله تعالى شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي
لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لتركناها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم فقال ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وعندنا الآية تخرج على وجوه احدها انهم في قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم صدقوا فان
معناه لو شاء منهم تركهم عبادة الاصنام ما عبدوها ولكن شاء ان يعبدوها فعبدوها فيكون هذا منهم اخبارا عن المخبر به على
ما هو فيكون صدقا ثم قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يحتمل انما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة انهم ادعوا واخبروا ان
الكفر بمشيئة الله تعالى وانه شاء منهم الكفر دون الايمان فان الله تعالى شاء منهم الايمان دون الكفر فقد اخبروا على خلاف المخبر به
فيكونون كاذبين ويحتمل انهم قالوا ذلك وفي قلوبهم بخلاف ما اخبروا وهو ان الكفر ليس مما شاء الله تعالى وانما شاء الايمان كما هو
المعتزلة ولكن يقولون ذلك ردا على المسلمين الذين يدعونهم الى الايمان والتورع عن الكفر انه اذا كان شاء منا الكفر دون الايمان كيف
نؤمن ونترك الكفر والاخبار عما هو به وان كان صدقا ولكن اذا كان في قلب المخبر واعتقاده خلاف ذلك فيكون ذلك الاخبار في نفسه
صدقا لكن من حيث انه اخبار بما في الضمير يكون كذبا وهذا كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم في قولهم نشهد انك لرسول الله صدقة لكن في اخبارهم عما في ضميرهم كذبة لما لا يوافق
ظاهر كلامهم حقيقة ما في قلوبهم فيرجع تكذيب الله تعالى اياهم لكذب قلوبهم وان كانوا في نفس قولهم انك لرسول الله صدقة واذا
احتمل الوجهين فلا يكون الآية حجة لهم مع الاحتمال وعلى الوجهين جميعا يكونون كاذبين لذلك قال انهم الا يخرصون والله اعلم والثاني
انهم وان كانوا صادقين في ذلك فهم بما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتسخير لا على الجد فيكون قصدهم تلبيس الصدق على الناس
وهو كقوله عز وجل ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا وهذا القول من هذا الانسان حق وصدق لكن انما قال ذلك
استهزاء منه وانكارا للبعث الا ترى ان الله تعالى وعظه على ذلك وذكره حيث قال اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك
شيئا فعلى ذلك قولهم وان كان في الظاهر صدقا فهم انما قالوا ذلك استهزاء وسخرية على سبيل الانكار وتلبيس الحق
فيكون اخبارهم من هذا الوجه ولهذا الغرض خرصا وكذبا والله اعلم والثالث غرضهم بذلك الاحتجاج على المسلمين في توعيدهم
بالعذاب بسبب العناد والكفر ان كيف عذب وانما باشرنا الكفر بمشيئته ولو شاء ان نترك العبادة للاصنام تركنا فاذا كان شاء منا
الكفر حتى كفرنا لماذا عاقبنا فابطل احتجاجهم بقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي هم جاهلون في الاحتجاج بهذا كاذبون
في انهم باشروا الكفر بسبب مشيئة الله تعالى اياهم الكفر ولكن لسوء اختيارهم واسباب حاملة لهم على ذلك واشباهه ان لا احد من العصاة
والفسقة والكفرة يفعل وعنده ان الله تعالى شاء ذلك منهم فاذا كان وقت فعله لا يفعل لان الله تعالى شاء ذلك منه لم يكن له حق
الاحتجاج والقول انما قالوا والله الموفق والرابع يحتمل انهم يقولون لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقولهم لو شاء ما اشركنا اي لو امرنا الله تعالى
بترك عبادتنا اولئك الاصنام ما عبدناهم لكن امرنا ان نعبدهم كانوا يدعون انما يعبدون الامر من الله تعالى واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اراد بالمشيئة الرضا يقولون لولا ان الله تعالى قد رضي بذلك عنا وعن آبائنا والا ما تركنا
هم على ذلك فاستدلوا بتركهم على ما اختاروا على ان الله تعالى قد رضي بذلك عنهم فرد الله سبحانه وتعالى بقوله ان هم الا يخرصون
ويقول قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية وقد ذكر على الاستقصاء في قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الآية والله اعلم

وقوله

وقوله عز وجل ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون اي لم يؤتهم كتابا ليكون لهم العلم بذلك بسفههم في قولهم لانهم
قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وذلك اسباب العلم وليس تلك الاسباب لهم لا يؤمنون بها ولا يصدقون وقوله عز وجل
قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون انهم قوم ينكرون ويكذبونهم بجهله انهم بشر ثم اتخذوا آباءهم وتبعوا
وهم بشر ايضا فهذا تناقض في القول يذكر سفههم وتناقضهم في القول وقوله عز وجل وكذلك ما ارسلنا من قبلك في
قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون يصبر رسوله على ما قال هؤلاء انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ان اثر وليس ببديع من هؤلاء بل قالوا اوائلهم لرسلهم على ما قال قومك يصبره صلى الله
عليه وسلم ويعزيه ويذكر سفههم في اتباعهم آباءهم واقتدائهم وهم بشر فيقول فاذا كنتم لا محالة تتبعون البشر فاتبعوا
من هو اهدى منا يأتيكم وهم الرسل وهو ما قال عز وجل قال او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم فقالوا عند ذلك انا
بما ارسلتم به كافرون عنادا وتعنتا منهم وقال بعضهم ان قل يا محمد او لو جئتكم اي ان جئتكم باهدى مما وجدتم عليه
آباءكم من الدين افتتبعوني فيما جئتكم فردوا عليه وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل فانتقمنا منهم فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين هذا وعيد ثم قال بعضهم فانتقمنا منهم يقول هو رجوع الى ذكر الامم الخالية فقال فانتقمنا
منهم بالعذاب الذي نزل ويحتمل ان يكون قوله تعالى فانتقمنا منهم بذلك جائز وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين يحتمل مكذبي الرسل ويحتمل مكذب العذاب والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما
تعبدون الا الذي فطرني والاشكال انه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون واستثنى عبادة الذي فطره فكيف يستثني
من جملة عبادة من يعبدون والاستثناء من جنس المستثنى منه فيقول قال بعضهم انه تبرأ من عبادة من عبدوا واستثنى عبادة
من فطره لان فيهم من عبد الذي فطره الله تعالى فلو تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون على الاطلاق لصار متبرئا عن عبادة الله لذلك
استثنى عبادة الله تعالى والله اعلم لكن الاشكال انه لم يظهر ان في قومه من يعبد الله تعالى وهو الذي فطره وخلقه فما معنى الاستثناء
فيحتمل انه لم يكن في قومه من يعبد الذي فطره فكان في آبائهم واوائلهم من يعبد الذي فطرهم فيرجع استثناؤه الى ذلك والله
اعلم ويحتمل انه انما استثنى الذي فطره على طريق الاحتياط لاحتمال ان يكون فيهم من يعبد الله تعالى ولا وقوف له على ذلك
فيصير متبرئا من ذلك ولو تبرأ من يعبدون جميعا والله اعلم ويحتمل ان يكون استثنى الذي فطرهم لانهم كانوا يعبدونه من
الاصنام والاوثان دون الله تعالى رجاء ان يشفع لهم ويقربهم الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله فرجع استثناؤه الى الحقيقة الذي قصدوا بالعبادة وهو الذي فطرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون
هذا استثناء منقطعا وهو الاستثناء بخلاف الجنس بمعنى لكن معناه انني براء مما تعبدون ولكن اعبد الذي فطرني وذلك جائز
في اللغة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولكن تجارة عن تراض لانه
لا يجوز ان يستثنى التجارة عن تراض من الباطل ولا السلام من اللغو [illegible] وذلك والله اعلم وقوله عز وجل انني
براء مما تعبدون [illegible] على ميزان واحد في الواحد والتثنية والجمع وقوله عز وجل فانه سيهدين يخرج
على وجهين احدهما سيثبتني على الهدى والثاني اي فانه سيهدين في [illegible] والهدى [illegible]
حقيقة الهدى [illegible] الوجهين يخرج يحتمل على التوفيق على الهدى والعصمة عن الضلال في المستقبل ولا يحتمل ان يريد
بقوله الهدى البيان [illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في
عقبه لعلهم يرجعون [illegible] الكلمة الباقية [illegible] التوحيد [illegible]
[illegible]
لا اله الا الله [illegible]
[illegible]
[illegible] هي كلمة التوحيد [illegible]
اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين [illegible]
استجاب الله دعاءه [illegible] وقوله
عز وجل بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين [illegible]
الناس [illegible]

من تمتيعهم اباهم وقوله عز وجل حتى جاءهم الحق اى القران ورسول مبين اى محمد صلى الله عليه وسلم بين انه من عند الله تعالى جاء وانه رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة والاشراف منهم التكلم بهذه الكلمة عند نزول الايات والمعجزات يريدون بذلك التمويه على اتباعهم والتلبيس فعلى ذلك قولهم هذا سحر وانا به كافرون وقوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ظن هؤلاء انه لما وسع عليهم الدنيا وانعم عليهم و يعطى لهم الاموال انما اعطوا ذلك ووسع عليهم الكرامة لهم عند الله وفضل وقدر لديه ومن ضيق عليه الدنيا ولم يعط ذلك انما ضيق عليه ومنع لهوانه عنده فقالوا اذا محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة ونزول القران عليه من الله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ظنوا ان من عظم قدره ومنزلته عند الخلق بما وسع عليه واعطى من الاموال هو عند الله كذلك قالوا لو كان ما يقول محمد حقا ان هذا القران من عند الله هلا انزل على رجل من القريتين عظيم فاخبر عز وجل انه لم يوسع الدنيا على من وسع لفضل منزلته وقدره عنده وعلى من ضيق انما ضيق لهوان له عنده لكن رب مضيق عليه مكرم عظيم عند الله ورب موسع عليه يكون مهانا عنده وقوله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهو يخرج على وجهين احدهما اى انهم لا يملكون قسمتها على تدبيرها انشؤا وعلى تقديرها خلقوا وهى ماذكر من المعائش واسباب الرزق من التوسيع والتفضيل فالذى لم يجعل اليهم في ذلك شئ من تدبيره وتقديره لحق واولى ان لا يملكون اقسمها ذلك بينهم واختاره وهو النبوة والرسالة و وضعها حيث شاؤ هذا احد التاويلين والله اعلم ثم قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم دلالة في خلق افعال الخلق لان التفضيل والتوسيع في الرزق والمعيشة انما يكون باكتساب يكون منهم واسباب يجعلونها ثم اخبر انه هو يقسم ذلك دل ذلك على انه هو منشئ اكسابهم وخالق افعالهم وان له في ذلك تدبيرا الا ترى من هو اعلم واقدر على اسباب الرزق كانت الدنيا عليه اضيق وهو دونه في تلك الاسباب والاكتساب كانت عليه اوسع دل ذلك على انه على تدبير خاصة لكانت تكون هى اوسع على من هو اجمع لاسبابها واكتسابها واقدر على ذلك ويكون على من ليست له تلك الاسباب ثم قال جعفر بن حرب للخروج عن هذا الالزام فقال انما وسع لان التوسيع له اصلح واخير وضيق على من ضيق لان التضييق له اصلح واخير في الدين فيقال لو كان التوسيع والتضييق لاجل الاصلح لهم في الدين والاخير لم يكن ماذكر من رفع بعض على بعض وتفضيل بعض على بعض في الرزق معنى وقد اخبر انه رفع بعضهم على بعض درجات ولو كان الكل في ذلك سواء لا يكون لبعض على بعض في ذلك فضل ولا درجة ولان لو كان على ما يقولون هم انه يعطى كل ما هو الاصلح في الدين والاخير لهم في ذلك فهؤلاء الفراعنة منهم والرؤساء لو لم يكن لهم تلك السعة وتلك الاموال لكان لا يمكنهم فعل ما فعلوا ومنع الناس عن اتباع رسول الله عليهم الصلوة والسلام وعلى ذلك فرعون انما ادعى لنفسه الالوهية بما اعطى له من الملك والسعة مالو لم يكن له ذلك لم يدع ذلك وكان ذلك اصلح في الدين فدل ان الله تعالى قد يترك ما هو الاصلح لهم في الدين وانه ليس عليه حفظ الاصلح لهم في الدين وقوله عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يكثر السائين والاستهزاء وذلك انه علم منهم ان بعضهم يستهزئ ببعض ويهزأ بعضهم بعضا اعطى وذلك لم يكون منهم ما علم منهم من الهزء والسخرية لان يكون يرفع بعضهم على بعض ليامر بما علم انه يكون منهم والله اعلم وقوله عز وجل ورحمة ربك خير مما يجمعون يحتمل قوله رحمة ربك النبوة اى ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة والنبوة خير مما يجمع ولك الكفرة ويحتمل ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم اليه ويختار لهم من التوحيد والدين خير مما يجمعون هم من الاموال ويحتمل ما وعد لاهل الايمان من الثواب والكرامة بايمانهم وهو الجنة خير مما يجمعون والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الاية لولا ان يصير الناس كلهم على واحد وهو دين الكفر والا لجعلنا للكفار ماذكر في الاية ودلالة التزهيد في الدنيا لانه ذكر انه اعطى الكفار ماذكر لولا رعاية قلوب ضعفة حتى لا يتحولوا الى دين الكفر فما منع الكافر ما منع انما منع بسبب المؤمن فيحب ان يزهد فيها وفى الابتذال لا تجوده وكرمه حيث يمنع من عادى اولياءه وعاداه نعيم الدنيا وفى الشاهد ان من عادى اخر يمنعه ذلك ما عنده من الفضل والمال ويجها ان لا هوان الدنيا على الله تعالى على ماذكر اهل التاويل انه لو كان لها عنده خطر او قدر لم يعط الكافر منها جناح بعوضة او جناح ذباب فدل ذلك على هوانها على الله تعالى وفيه دلالة نقض قول المعتزلة حيث قالوا ليس على الله ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين لانه اخبر تعالى انه لولا ما يختار اهل الايمان الكفر والدخول فيه والا لجعل لاهل الكفر ما ذكر من جعل النعم فلو كان الاصلح واجبا في الدنيا لكان يجب ان يعطى لاهل الايمان مثل ذلك الذى ذكر انه لو اعطى لاهل الكفر فيكونون جميعا اهل كفر وانا اعطى ذلك لاهل الايمان لا يكونون جميعا اهل الايمان وهو الاصلح في الدين ومع ذلك لم يعط دل انه ليس على الله تعالى حفظ الاصلح لهم في الدين ولا حفظ الاخير والله الموفق والاصل في قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية انه خيروا في هذه الدنيا ان يختاروا النعيم الدايمة واللذات الباقية والنعمة الزايلة المنقطعة فمن اختار واثر النعيم الدايمة واللذة الباقية على النعمة الزايلة واللذة صبر عليه النعيم الزايلة واللذة الفانية لما اثر واختار الباقية على الفانية ومن اثر الفانية الزايلة على الباقية الدايمة وسع عليه الفانية لما اختار واثر وهو ماذكر في قوله

تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الاية بين لكل ما اختار واثر من النعيم الفانية والدايمة وذكر الفضة والذهب وان كانت اشياء اخر قد يكون انفع واعظم قدرا منهما لان هذين هما اجل الاشياء عندهم وبهما يوصل الى كل رفيع وعظيم والله اعلم ثم ماذكر من جعل السقف والمعارج من الفضة وماذكر من الزخرف هو دون ما قاله فرعون في حق موسى عليه السلام لولا القى عليه اساور من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين اى لخساسة الدنيا وهوانها لم يعطها الاولياء والاخيار من عباده ولولا ما يكون من ترك اهل الايمان والاتكال في حق كل كافر مثل ما فعل في حق فرعون وانشاله والله اعلم وقوله عز وجل وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين اى كل ما ذكر ليس الا متاع الحيوة الدنيا اعطى من اثره على نعيم الاخرة والعاقبة للمتقين كما اختاروها على غيرهما والله المستعان قال القتبي المعارج الدرج يقال عرج اى صعد ومنه المعراج لانه سبب الى السماء او طرف عليها يظهرون اى يعلون ظهرت على البيت اذا علوت سطحه والزخرف الذهب وكذا قول ابو عوسجة المعارج المصاعد والمعراج الصعود والزخرف وكل شئ حسن والزخرفة والتحسين والتزيين و هذا اشبه الا ترى انه قال في اية اخرى حتى اذا اخذت الارض زخرفها اى زينتها وحسنها والسقف جميع السقف وهو سمك البيت وقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا قال بعضهم يعشا اى يعرض عن ذكر الرحمن وقال بعضهم يعشو اى يعمى بصره ويضعف عن ذكر الرحمن اى يعمى عنه ولا يقبله وقال بعضهم عشا يعشو من عمى البصر من الاعراض وقال ابو عبيدة ومن يعش عن ذكر الرحمن اى يظلم بصره وقال الفراء ومن يعش اى يعرض عنه ومن يعش بنصب الشين اى يعمى عنه وقال ابو عوسجة يعشو اى يجاوز وان شئت جعلته من العشى وهو ظلمة البصر وان شئت جعلته من التعاشى وهو التعامى والله اعلم وقوله عز وجل عن ذكر الرحمن القران ويحتمل التوحيد والايمان ويحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل نقيض له شيطانا فهو له قرين قال بعضهم نقيض نقدر وا لنقيض التقدير لذلك قيض الله له خيرا اى قدره وهو قول ابو عوسجة وقال بعضهم نقيض اى نهيئ له شيطانا ونضم اليه فهو له قرين والاصل في ذلك ان من اثر معصية واختارها على الطاعة كانت لذته وشهوته في ذلك فالشيطان حيث اختيار معصيته على طاعته صادت لذته في ذلك وعلى ذلك من اتبعه فيما دعاه واجابه الى ما دعاه اليه صادت لذته في ذلك قارنه ولازمه في ذلك في الدنيا والاخرة على ماذكر في اية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وقوله عز وجل وانهم ليصدونهم عن السبيل السبيل المطلق هو سبيل الله والدين المطلق هو دين الله والكتاب المطلق هو كتاب الله وقوله عز وجل ويحسبون انهم مهتدون كانوا يحسبون انهم مهتدين لان الشياطين كانوا يزينون لهم ويقولون ان الذى انتم عليه دين ابائكم واجدادكم ولو كانوا على باطل لا على حق ما تركوا على ذلك ولكن اهلكوا واستوصلوا فاذا لم يهلكوا وتركوا على ذلك ظهر انهم كانوا على الحق والهدى كانوا يموهون لهم ويزينون كذلك وظنوا انهم على الهدى كما يقول لهم الشيطان والله الهادى وقوله عز وجل حتى اذا جاءنا اى الكافر وقرينه في الاخرة قال الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين يحتمل ان يقول في الاخرة يا ليت كان بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين حتى لم اكن اراك ولم اتبعك ويحتمل ان يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين في الاخرة وقوله عز وجل بعد المشرقين قال بعضهم ما بين مشرق الصيف الى مشرق الشتاء ويحتمل قال بعضهم اى بعد المشرق والمغرب لكن ذكر باسم احدهما كما يقال العمرين والاسودين سماهما باسم احدهما الا ان الاسود منهما واحد وهى الحية دون الاسود والمراد من عمرين ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فعلى ذلك قوله بعد المشرقين وقوله فبئس القرين حيث الجاه و القاه في النار والاهلاك لما ذكرنا وقوله عز وجل ولن ينفعكم اليوم اى لا ينفعكم في الاخرة الاعتذار اذ ظلمتم انفسكم في الدنيا اى وضعتموها غير مواضعها والله اعلم وقوله عز وجل انكم في العذاب مشتركون ظاهر وقوله عز وجل افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين ثم معلوم انه لم يرد بالهدى هداية البيان ولا اسماع الاذان لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك ذلك كله وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اراد الهداية التى لا يملك الا هو والاسماع الذى لا يملك غيره وهو التوفيق والعصمة والرشد الذى اذا اعطى من اعطى اهتدى بذكر عجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو على المعتزلة لانه اخبر ان عنده لطايف واشياء لم يعطها كل احد انما اعطى بعضا دون بعض فمن اعطاه تلك الطايف والاشياء لم يعطها كل احد انما اعطى بعضا دون بعض فمن اعطاه تلك الطايف اهتدى وهو ماذكرنا من التوفيق والعصمة وعلى قولهم ليس عند الله شئ يملك به هدايتهم لانهم يقولون قد اعطى كل كافر ما لو اراد الكافر ان يهتدى يصير مهتديا بذلك ولم يبق عنده شئ يملك بذلك هدايتهم فعلى قولهم عجز تعالى عن ذلك كعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو انما ذكر ذلك اعلاما انه هو المالك لذلك دون عباده ومعلوم انه انما ذكر على الربوبية والالوهية له في ذلك والله الموفق ويجاز ان يكون قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى اياس ذكر لا ياس رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون والله اعلم وقوله عز وجل فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فيه دلالة منع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤال انزال العذاب الموعود لهم عليهم ثم المنع فيه من وجهين احدهما النهى عن سؤال بيان الوقت انه متى ينزل عليهم والثاني النهى عن استعجاله كقوله ولا تستعجل لهم كانه يقول ليس ذلك اليك انما ذلك الى ان شئت توفيتك في حيوتك وارينك ذلك او شئت امتك ولم ارك شيئا من ذلك وهو كما قال لنبيه

من الامر شيء الاية وقال قتادة في ذلك ان الله تعالى اذهب بنبيه صلى الله عليه وسلم وابقى النقمة بعده ولم يره في امته الا الذي يقر به
عنه وليس نبي ورسول الا وقد راى في امته العقوبة غير نبيكم عافاه الله تعالى عن ذلك ولا اراه الا ما يقربه عنه قال وذكر لنا
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اراه الذي تلقى امته من بعده فما زال الا منقبضا ما استشاط ضاحكا حتى لحق بالله تعالى وقال الحسن
قريبا من قول قتادة في قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون قال اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يريه في امته
ما يكره ورفعه الله تعالى وبقيت النقمة وقوله عز وجل فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم الوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وجوه ثلاث احدها القران وهو الظاهر من الوحي اليه والثاني وحي بيان يبين الناس ما لهم وما لله عليهم
وما لبعضهم على بعض على لسان الملك جبريل او غيره على ما اراد الله تعالى والثالث وحي الهام وافهام كقوله لتحكم بين الناس بما
اراك الله تعالى وما اراه الله تعالى هو ما الهمه وافهمه امر عز وجل بالتمسك على انواع ما اوحي اليه ما هو قران وما هو بيان وما
هو افهام واداه منه ان يزيغ او يزل او يعدل عن الصواب في ذلك كله ويبشره في ذلك كله انك لو تمسك بجميع ما اوحي كنت ابدا
على صراط مستقيم حيث قال فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقوله عز وجل وانه لذكر لك ولقومك و
جايز ان يكون المراد بالذكر جميع انواع ما اوحي اليه فان قوله وانه كناية عن قوله بالذي اوحي اليك اي جميع ما اوحي اليه شرف
له ولقومه لما اختص واختاره بذلك من بين غيرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر اي ما اوحي اليه
ذكر له ولقومه يذكرهم ما لله عليهم وما لبعضهم على البعض والله اعلم وقوله عز وجل وسوف تسألون يحتمل وسوف تسألون
بشكر ما اوحي اليك وان يضيع ما اوحي اليك ذكرا لك ولقومك وعن القيام بشكر ذلك ويحتمل وسوف تسألون القيام باداء
جميع القران وفيما اوحي اليه ويحتمل وسوف تسألون من كذبه على ما يقول بعض اهل التاويل او وسوف تسألون اشكر ثم ترك النعم
امر لا ويحتمل وسوف تسألون يوم القيامة عن القران هل عملتم بما فيه والله اعلم وقوله عز وجل وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون والاشكال ان ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايات صدقه اظهر من امره ان يسال
من اهل الكتاب باذا بان صدقه بمعجزات عجزت الكفرة عن اتيان مثلها وليس مع من امره بالسؤال عن ذلك ايات المعجزات فما معنى
السؤال له عن اهل الكتاب عن ذلك فنقول امره عز وجل اياه بالسؤال عنهم يخرج على وجهين احدهما يسالهم توبيخ وتعيير و
سؤال تقرير وتنبيه هل اتى رسول من الرسل عليهم الصلوة والسلام الذي ارسل من قبلك وكتاب بالامر بعبادة غير الله و
فيقرون جميعا انه لم يات رسول باباحة ذلك ولا امر احد منهم بذلك والثاني ان هذا امر لغيره ان يسالهم وان كان ظاهر الامر
والخطاب له ما ذكر من دلائل صدقه اظهر من دلالة صدق اولئك وهو كقوله بلغن عندك الكبر الى قوله فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما وكقوله تعالى فلا تكونن من الممترين والمشركين اذ معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشك ولا يمتري
في شيء من ذلك فرجع خطابه الى غيره ما ذكرنا ويحتمل ان يكون قوله تعالى وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اي لو سالتهم
عن ذلك لقالوا اجمعنا لم يرسل بامر بعبادة غير الله تعالى والله اعلم وحكاية على هذا وليس من نسخة الاصل سمعت مفسرا بخارا يقول
نزلت هذه الاية ليلة المعراج ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت المقدس راى الرسول والانبيا عليهم الصلوة والسلام مجتمعين
ثم تقدم وصلى بهم ركعتين فقام جبريل عليه السلام من الصف وقال يا محمد وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وقوله عز وجل
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه قد ذكرنا ايات موسى عليه السلام التي اتاها في غير موضع وفيه الامر بتبليغ
الرسالة وقوله عز وجل فقال اني رسول رب العالمين وفيه ان البغية لا يسع الرسل عليهم السلام في ترك تبليغ الرسالة
وان خافوا على انفسهم الملوك وقوله عز وجل فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون هكذا عادة الفراعنة والرؤسا
من الكفرة انهم اذا اتاهم الرسل بالايات ضحكوا منهم واستهزؤا بهم كقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
الاية وما نريهم من اية الا وهي اكبر من اختها قال بعضهم ان كل اية تاخرت عن الاية الاخرى فهي اعظم واكبر من التي تقدمت
نحو ما كان منهم من الاستغاثة حيث قالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم هو مما
اراهم من الايات قبل ذلك اعظم وقال بعضهم الا هي اكبر من اختها كانت اليد اعظم واكبر من العصا لان العصا قربتها بالسحرة
تمويهها وتحويلها من جنس العصى وجوهرها الى غيره من الجواهر ولم يريها ثم تحويل اليد عن جوهر اليد وقد كان ذلك لموسى عليه
السلام دل ان اية اليد اكبر من اية العصى والله اعلم وقال بعضهم هذا ليس على تحقيق جعل اية اكبر واعظم من اية العصا ولكن
وصف الكل بالعظم والكبر كقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ليس على اثبات القرب في احدهما دون الاخر
ولكن وصف قرب كل واحد منهما من الاخر على السؤال وكما يقال في العرف ان فلانا وفلانا كل واحد اعلم من الاخر وان اصحاب
فلان كل واحد افضل من الاخر وانه لا يراد بذلك الترجيح ولكن اثبات التمييز عن السؤال فعلى ذلك قوله تعالى وما نريهم من اية الا هي
اكبر من اختها وصفها جميعا بالكبر والله اعلم ثم ذكر قوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون وغير ذلك من اشاه الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبر على قومه لانواع ما كانوا يستقبلونه من الاستهزاء به وباتباعه والضحك بما اتاهم من الايات

والحجج على رسالته وعلى ذلك ما قال وكذلك نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك اخبر انما قص عليه انباء الرسل
المتقدمة لتسلية فؤاده والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك الاية والاشكال انهم
كيف يسمونه ساحرا ولو كانوا يطلبون منه ان يدعو ربه ويسال الحق ليكشف عنهم العذاب فنقول وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما سموه ساحرا لان الساحر عندهم هو العالم المعظم الذي بلغ في العلم غايته ونهايته لذلك قالوا يا ايه الساحر
ادع لنا ربك والا لا يحتمل ان يكونوا يسالونه ويطلبون منه ان يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ثم يسمونه ساحرا و
يعنون به سحر المكذب والباطل والله اعلم وقال مقاتل انهم قالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك قال لهم موسى عليه السلام
كيف ادعو ربي ليكشف عنكم ما نزل بكم وقد تسمونني ساحرا فرجعوا عن ذلك فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
على ما ذكر في سورة الاعراف والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم يا ايه الساحر ادع لنا ربك سموه ساحرا على ما كان عندهم
انه ساحر فيقولون انك ساحر لا ان تدعو ربك فيكشف عنا الرجز نعتقد ذلك نعلم انك لست بساحر وانك رسول
حق من ربك ويحتمل ان يكون عندهم ان اليد البيضاء والعصا وما اتى به موسى ما يبلغ السحر الى تغيير ذلك عن جوهره و
يستعاذ بالسحر مثله لكن سالوا منه ان يسالوا ربه ما ذكر ولما علموا ان اجابة الدعا فيما دعا لا يكون لساحر ولا يجاب
الا للرسول والذي على الحق فانما اجابك الى ما سالت منا ربك والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك على حقيقة ارادة
السحر على التناقض والتمويه على الاتباع كقوله مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فيالاية لا يسحرهم بها لان الاية هي التي لها
حقيقة ودوام والسحر هو الذي لا حقيقة له ولا دوام فانا كان اية لا تسحرهم ولا يكون معجزا واذا كان سحرا لا يكون
اية فكانت عامة اقوالهم خرجت على التناقض على ما ذكر في غيرها من القران فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم وقوله
عز وجل بما عهد عندك قد كان الله عز وجل عاهد موسى عليه السلام لئن امنوا كشف عنهم العذاب فلما دعا وكشف
عنهم العذاب لم يؤمنوا والله اعلم ويشبه ان يكون عهد اليه ما جعله نبيا واختصه لرسالته ويحتمل قوله تعالى بما عهد
عندك على الاضمار كانهم قالوا ادع لنا ربك بما عهد كل واحد منا عندك لئن كشفت عنا العذاب انا لمهتدون وهو
قوله تعالى في اية اخرى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الاية ثم قال فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون
ما عهدوا وعهدهم ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي افلا تبصرون يقول اللعين هذا مقابل ما ادعى موسى عليه السلام من الرسالة يموه بذلك على قومه واتباعه
اي لئن كان الله ارسل رسولا فانا احق واولى بالرسالة من موسى ولذلك قال ام انا خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف
الاموال ولا حشم ولا تبع ولا يكاد يبين حجته وكذلك قال فلولا القي عليه اساورة من ذهب كما القي علي اعطاني من المال و
الذهب ويقول ان من كان له رسول يكرمه بانواع الكرامات ويبذل له اموالا ثم لم يؤت شيئا من ذلك فليس هو رسول او يقول
انه لو كان رسولا كما يقول لالقي الله عليه من الاساورة ما القيت انا على اتباعي وحشمي ونحوه وكان فرعون لا يزال يموه
امر موسى عليه السلام على قومه من ذلك قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ومنه قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر ونحو
ذلك هذا منه تمويه على قومه والله اعلم وقوله عز وجل ولا يكاد يبين قال بعضهم اي لا يكاد يبين حجته لما في لسانه من عقدة
ورتة يقول على اللسان فقال بعضهم ان فرعون لا يعني ذلك لان الله تعالى قد ذهب تلك العقدة والرتة التي في لسانه حيث
دعا وسال ربه بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وقد اجاب الله دعاءه حيث قال قد اوتيت سؤلك ولكن اراد
والله اعلم لا يكاد يبين حجته اي ليست له حجة ياخذ القلوب وقال القتبي ام انا خير من هذا الذي هو مهين قال ام انا
خير منه وجائز ان يكون قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين موصولا بقول فرعون حيث قال اليس لي ملك مصر و
هذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون انا خير منه بان لي ملك مصر وليس لموسى عليه السلام ذلك على ما ذكرنا و
قوله عز وجل فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين هذا القول منه يخرج على وجهين احدهما
يقول ان كان موسى يدعي الملك في الدنيا ويطلبه فهلا القي عليه اساور من ذهب كما يلقى على الملوك من الاساور والتاج
وغير ذلك وان كان يدعي الرسالة لنفسه فهلا كان معه الملائكة مقترنين ولا يزال الكفرة يطلبون من الرسل الايات
وحدها يتمنون هم ويشتهون فاخبر ان الايات ليست باتي على ما يتمنون ويشتهون ولكن على ما اراد الله تعالى والثاني
بجميع الامرين جميعا فيقول انه يدعي الرسالة والرسول معظم عند الرسل فيقول ان كان ما يقول حقا فهلا القي عليه الاساور
تعظيما وهلا كان معه الملائكة مقترنين تعظيما له واجلالا والله اعلم وقال بعضهم في قوله فلولا القي عليه اسورة من ذهب
اي سورة لانه الرجل منهم اذا رفع فيهم سوروه او جاء معه الملائكة مصدقين له بالرسالة قال القتبي وابو عوسجة
اساور واسورة جميع السوار ورجل اسوار اي رامي وقوم اساورة وانما سمي لرامي اي سوار الامر انا جاء الذي جعل في
يده سوار من ذهب وقوله عز وجل فاستخف قومه فاطاعوه قال بعضهم اي فاستخف بقومه واستذلهم فاطاعوه

وقال بعضهم فاستخف قومه فاطاعوه اى استذلهم واستفزهم بالخروج عن اتباع موسى وطلبه فاطاعوه وذلك انه امرهم بالخروج
معهم فى طلب موسى لما خرج من عندهم نحو البحر فاطاعوه فى ذلك وخرجوا معه فى طلبه حتى اصابهم ما اصابهم وكان هذا اشبه
واقرب والله اعلم وقوله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم هذا يخرج على وجهين احدهما اى فلما عملوا الاعمال التى استوجبوا لها
الغضب انتقمنا منهم على ذلك لان ظاهر قوله تعالى آسفونا اى اغضبونا وحقيقة الغضب على الحدوث لله تعالى لا يجوز فكان
المراد ومنه ظهور اثر الغضب استيجاب العذاب والله اعلم والثانى فلما آسفونا اى اغضبوا اولياءنا انتقمنا منهم اى سلطنا عليهم
بدعاء اولئك الاولياء او ينتقم منهم بسبب اغضابهم اولياءه كقوله تعالى يحادون الله اى يحادون اولياء الله فعلى ذلك هذا
وقوله عز وجل فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين هو يخرج على وجهين احدهما جعلناهم فى العقوبة سلفا للمتأخرين ومثلا للمؤمنين
اى عظة لهم وهو كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين والثانى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين
فى العظة والازدجار لهم ليمتنعوا عن مثل ما فعلوا فيخافوا عن الوقوع فيما وقعوا والله اعلم وقال القتبى فجعلناهم سلفا بالرفع والنصب
وهو من التقدم اى جعلناهم قدما تقدموا مثل خشب وخشب وثمر وثمر وكذلك يقوله ابو عوسجة وقال السلف الخيرات والجميع سلوف
وقوله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى ابن مريم عليهما الصلوة و
السلام قال بعضهم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فقال اولئك الكفرة الذين كانوا يعبدون
الاصنام ان عيسى عبد دونه وعزير والملائكة يعبدون دونه فهؤلاء جميعا فى النار اذا ثم عبد داود وثم قاله كان هؤلاء فى النار
فقد رضينا ان نكون معهم وهم ما ذكروا على اثر الهتنا خير ام هو يعنون بقولهم هو عيسى عليه السلام فذلك منهم يخرج على وجهين
احدهما انه لو جاز ان يعذب عيسى عليه السلام ومن عبد من هؤلاء دون الله فى النار رضينا ان يعذب الهتنا فى النار اذ هم ليسوا
بخير من عيسى عليه السلام وهؤلاء الذين عبدوا دون الله من الملائكة وغيرهم والثانى يقولون ان كان عيسى يعذب فى النار
لما عبد دونه فالهتنا التى نعبدها دونه خير منهم فلا يعذب لانها خير فاحد التاويلين يرجع الى انهم يقولون لو جاز وصلح ان يعذب
كل معبود دونه جاز ان يعذب الاصنام التى نعبدها نحن والثانى يقولون ان كان يعذب عيسى وغيره الذين عبدوا دونه و
فالاصنام التى نعبد نحن لا نعذب لانها خير من ذلك والله اعلم فنقول انما يكون لهم هذا الاحتجاج بالاية ان لو كانت الاصنام انما
يحرق فى النار تعذيبا لها اعنى الاصنام فاما اذا كانت الاصنام انما يحرق فى النار تعذيبا لمن عبدها وعقوبة لمن اتخذها اربابا
دون الله فلا وانما يحرق الاصنام التى اتخذوها من الحجارة والحديد والصفر الزيادة(?) فى تعذيب العبدة كقوله تعالى وقودها الناس
والحجارة لانه لا جناية من الاصنام ولا ضرر لها بالاحراق فكيف يحرق عيسى ومن عبد دونه من الملائكة وفى احراقهم تعذيبهم
اذ هم يتضررون بها ولا جناية منهم فاذا كان ادخال الاصنام التى عبدوها واحراقها فى النار لتعذيب اولئك الذين عبدوها
فلا معنى لذلك الخصومة والمجادلة التى كانت منهم والله اعلم وبعد فان فى الاية بيانا على ان الذى ذكر من جعل المعبود حصبا للنار
راجع الى عباد الاصنام والاوثان خاصة دون غيرها لانه خاطب اهل مكة بقوله انكم وما تعبدون من دون الله الاية واهل مكة
كانوا لا يعبدون الا الاصنام والاصنام والاوثان لا عيسى ولا غيره من البشر والملائكة فذلك لهم ولكل عابد الاصنام دون
غيرهم من المعبودين استدلالا بهم والله اعلم على انه فى الاية بيانا ايضا انه لم يرجع الى ما ذكروا من عيسى وغيره فانه قال وما تعبدون
من دون الله وكلمة ما يستعمل فى غير العقلاء من الجماد وغيرها لا فى ذوات العقلاء وعلى ان الاية بيانا فى الوجه اخر ايضا على انه
غير مراد بها فانه استثنى وخص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون اخبر ان من سبقت لهم منه
الحسنى يكون مبعدا عنها ولا شك ان عيسى والملائكة عليهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى فلا يحتمل صرف تلك الاية اليهم
والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله الاية الحكم من منه الامر بالعبادة لهم والدعاء الى ذلك وهم الشياطين
لان من عبد دون الله احدا انما يعبده بامر الشياطين لان من عبد دون الله احدا انما يعبدهم بامر الشياطين ودعائهم اليه فاما من
كان يتبرأ من الامر لهم بذلك وعبادتهم له فلا يحتمل وذلك نحو قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله وقال ابراهيم
لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن من عبد شيئا دون الله انما يعبد بامر الشيطان
فانا عندنا هذا وما ذكرنا كلها يبطل مجادلة الكفار فيما خاصموا والله اعلم وقال بعضهم ضرب المثل لعيسى عليه السلام هو ان الله تعالى
لما ذكر عيسى عليه السلام فى القران قال مشركوا العرب من قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ما اردت بذكر عيسى قال وقالوا انما يريد ان
نحبه كما احبت النصارى عيسى وعبدته فقالوا الهتنا خير ام هو فلا يصنع محمد ذلك بالهتنا فانها لهم خير من عيسى ثم قالوا فقال
عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا اى الا لجدال لك بالباطل وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون ما ذكر من ضرب المثل بابن مريم عليهما السلام
من قومه اعنى عيسى لا من قوم محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان قومه قد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه الله وانه رب ومنهم من قال انه ابن
الاله ومنهم من قال انه وامه الهان ونحو ذلك من الاختلاف الذى كان بينهم فيه فيكون قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا قال قومه على ما
ذكروا فيه ثم قال اذا قومك منه يصدون اى يضجون من عيسى ويضجون على ما ذكروا والله اعلم وان يكن ويمسك عن بيان ذكر

المثل

المثل الذى ذكر فى الاية فلا حاجة الى ذلك وهو شئ ذكره اولئك الكفرة والله اعلم ثم قوله تعالى اذا قومك منه يصدون قرئ برفع الصاد
وكسرها قال القتبى وابو عوسجة يصدون بالكسر يضجون والتصدية منه وهو التصفيق ومن قرا بالرفع يقول يعدلون ويعرضون
وقوله عز وجل وقالوا الهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون هو يخرج على الوجهين الذين ذكرناهما والله اعلم وقوله
عز وجل ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اى عبرة واية لبنى اسرائيل لما كان هو مولودا من غير والد ولما كان يحيى
الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وما كان منه من تكليمه الناس وهو فى المهد وغير ذلك من الايات التى كانت خص هو بها والله اعلم وقوله
عز وجل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة يخرج على وجهين احدهما اى لو نشاء لجعلنا من جوهركم وجنسكم ملائكة كما انشاء الملائكة من النور وعلى ما
ذكر ليس ذلك منه استعانة بذلك النور ولا انشاء الملائكة منه لانه ابتدائه لا يعجزه شئ ينشئ ما يشاء ممن شاء كيف شاء والثانى اى لو نشاء
لجعلنا الملائكة بدلا منكم فيخلفكم ويبدل مكانكم ملائكة لا يعصون ولا يخالفون ولا يفترون عن العبادة ولا يستحسرون ويكون فيه
ذلك ان ليس فى عصيان من عصاه ولا مخالفة من خالفه له ضرر ولا بطاعة من اطاعه واتبع امره ونهيه نفع ولا انشاء هذا العالم و
الخلق لحاجة نفسه ولا امتحنهم بانواع المحن لمنفعة نفسه ولا لمضرة يدفع بذلك عن نفسه ولكن انشاهم وامتحنهم لحاجة فاذا
كان ما ذكرنا كان انشاء من يعلم انه يعصيه ولا يطيعه حكمة وفعل من يعلم فى الشاهد انه يضره ولا ينفعه سفه لانه انما يفعل ما يفعل
لحاجة بنفسه فيصير فعله مع علمه ما ذكر ان يكون سفها فافترق الامران وبالله التوفيق ثم قوله تعالى ملائكة فى الارض يخلفون يحتمل
وجهين احدهما اى يخلف الملائكة بعضهم بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد كالبشر يخلف بعضهم بعضا قرنا عن قرن بالتناسل
والتوالد فليس فى الملائكة توالد وتناسل والله اعلم والثانى يخلفون اى يكونون خلفا وبدلا عنكم بعد هلاككم على ما ذكر والله
اعلم وقوله عز وجل وانه لعلم للساعة وعلم للساعة كلاهما قرئ ثم اختلف فى ذلك فمنهم من يقول هو عيسى عليه السلام يكون
نزوله من السماء علما للساعة واشراطها فيكون على هذا هو صلة ما تقدم من قوله وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل كانه قال وجعلناه مثلا
واية وحجة لهم على ما ذكر وجعلناه ايضا علما للساعة والله اعلم وقال بعضهم قوله وانه لعلم للساعة اى محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل
عليه من القران علم لانه به ختم النبوة والرسالة وقال انا والساعة كهاتين واشار الى اصبعين من يديه فانما بعثه الله تعالى عند قرب الساعة
فهو علم للساعة بالسبيل شبيها(?) والعلامة لها والدليل عليها ومن قرا علم للساعة بالجزم يجعله يعلم به قرب الساعة والله اعلم وقوله
عز وجل فلا تمترن بها اى لا تشكن بالساعة فانها كائنة لا محالة وعلى ذلك يقرؤن(?) فى بعض اللغات(?) وبلامة(?) فى قوله تعالى فقد جاء
اشراطها اى اعلامها اى محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وقوله عز وجل واتبعون هذا صراط مستقيم فان كان قوله
وانه لعلم للساعة هو محمد صلى الله عليه وسلم فكانه قال قل يا محمد انا علم الساعة ونبيها فاتبعونى وان كان عيسى على نبينا
وعليه السلام يقول انه علم الساعة واشراطها فاتبعونى قبل ان يخرج ويتبين لى والله اعلم وقوله عز وجل ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو
مبين ويحتمل قوله تعالى ولا يصدنكم الشيطان عن الايمان بالساعة ذكرنا فانه عدو مبين ويحتمل لا يصدنكم عن محمد وعن الصراط المستقيم
الذى ذكر فانه عدو مبين بين عداوته اياكم والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء عيسى بالبينات الاية قال اهل التاويل بالبينات هى ما كان
ياتى به من نحو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانبائهم بما ياكلون وما يدخرون ونحو ذلك والاصل فى ايات الانبياء والرسل عليهم
الصلوة والسلام انها كانت من وجوه ثلثة تلزمهم التصديق بها احدها انهم ياتون فى كل صغير وعظيم ولا اية ذلك ما يعلم كل ذى
لب وعقل على ان ذلك حكمة وحق عليهم اتباعهم فى ذلك وهو من حجة الله تعالى ونفى به عنه الا ان يليق به والله اعلم والثانى كانت
فى انفسهم واخلاقهم التى كانوا عليها بينات يلزمهم تصديقهم وهو انهم لبثوا بين اظهرهم وكانوا فيهم طول عمرهم فلم يوجد عليهم
كذب قط ولا ظهر منهم ما يرجع الى رذالة الاخلاق ولا شئ من ذلك والله اعلم والثالث ما كانوا ياتون من الافعال والمعجزات التى
عن وسع البشر ويعجز الخلق عن مثلهم ما يلزم كل منصف قبولها فعلى هذه الوجوه الذى ذكر كانت ايات الرسل عليهم الصلوة والسلام
والله اعلم وقوله عز وجل قال قد جئتكم بالحكمة قال بعضهم الحكمة ههنا هو الانجيل وقد ذكرنا فى اية اخرى الكتاب والحكمة
حيث قال وان علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ثم جاز ان يكون الكل واحدا وجاز ان يكون الكتاب ما يكتب ويتلى
والحكمة ما اودع فى المتلو والمكتوب من المعنى والله اعلم ويحتمل ان يكون راجعة الى كل ما توجب العقول القول به وقوله وقد ذكر
فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال بعضهم اى بين لكم كل الذى تختلفون فيه لانه يجوز
ان يبين بعضا ويكون البيان لبعض وقد يذكر البعض ويراد به الكل نحو ما يقال فى كثير من المواضع الخطاب للرسول عليه الصلوة
والسلام والمراد به الامة ويحتمل ان يكون المراد من البعض هو البعض نفسه لا الكل ثم هو يخرج على وجوه ثلاثة احدها اى
ابين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم ياتيكم رسول بعدى ويبين لكم باقى ذلك وكلام نحوه لانه لم يقل ابين لكم بعض الذى تختلفون
فيه ولكن قال بعض الذى تختلفون فيه فيعرف الظاهر فى الاستيفاء والثانى يقول ابين لكم الاصول ما تقدرون على استخراج
الفروع من تلك الاصول والله اعلم والثالث يقول ابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يرجع الى امر الدين دون الذى يرجع الى
امر المعاش والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به ودعوكم اليه ونهاكم عنه ويحتمل ان يكون يقول اتقوا

بما الكم والوثوا ما بنجاتكم واطيعون في ذلك وقوله عز وجل ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ذكر هذا لهم ليعلموا انه وان عظم
قدره عند الله وجلت منزلته عنده فانه لم يخرج من العبودة انه عبد الله ليس باله ولا ابن له على ما زعم اولئك الكفرة بالله الخالق
وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم هذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون حرف من صلة زايدة ومعناه
فاختلف الاحزاب بينهم واختلافهم فيما بينهم في عيسى او ظاهر بين والثاني فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلف الاحزاب من
اختراع كان منهم فيما بينهم او كلام يخوم ولذلك كان الاختلاف الواقع بينهم انما كان باختراع من ذات انفسهم لا ان كان ذلك
سماعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك نهى هذه الامة عن الاختلاف والتفرق حيث قال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات وقد اختلفت هذه الامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قاتلهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه
على ذلك واتبعه سائر الصحابة على ذلك الحق فاقتل الرجال وسبا النساء والذراري وظهرت ايضا الخوارج في زمن علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه فقاتلهم علي رضي الله عنه على ذلك حتى اجتمعوا على الوفاق وغير ذلك من الاختلاف والتفرق الذي كان
ظهر ووقع فيما بينهم وكان في ذلك دلالة الرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ذكر عز وجل في كتابه انهم يختلفون بعد
وفاته وانهم ينقلبون على اعقابهم حيث قال افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية وقال في ارتدادهم يا ايها الذين امنوا من
يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هذا في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال في علي كرم الله وجهه انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينا لهذا بالتاويل كما يقاتل على التنزيل علينا
رضي الله عنه وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع في الدين من الانقلاب على الاعقاب والارتداد والامتناع
عن ايتاء الزكوة واتيانه ما ذكر من قوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وغلبة حزب واهل توحيده على
اوليك ففي ذلك كله دلالة اثبات الرسالة اذ خرج على ما اخبر صلى الله عليه وسلم وذكر في المستقبل والله اعلم ثم ان الله
عز وجل بفضله ورحمته رفع ذلك الاختلاف والتفرق والتنازع من بينهم وجمعهم على الفة وحب ولم يرفع من بين
اوليك فقال فاختلف الاحزاب من بينهم والاحزاب الفرق الذي تحزبوا اي تفرقوا وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل
فويل للذين ظلموا من عذاب اليم هي ظاهرة وقوله عز وجل هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون
باتيانها وقيامها والله اعلم وقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يحتمل قوله الا المتقين الموحدين
فيكون خلة اهل الكفر فيما بينهم في الدنيا عداوة في الاخرة لقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وما ذكر في
غيرها من القران لعن بعضهم على بعض وتبرا بعضهم عن بعض كقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية واما خلة
الموحدين المؤمنين فيما بينهم فهي خلة في الدارين جميعا هذا يحتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين استثنى خلة من يتقي النار بنفسه وورد فصاحبه ايضا بما امره بالطاعة لله تعالى والقيام بالخيرات ودعوه
عن معاصيه ومخالفة امره كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا امرهم ان يقوا انفسهم واهليهم نارا امرهم ان يقوا
انفسهم واهليهم وانما يقولون ذلك النار بالقيام بالاسباب التي امروا على القيام بها والامتناع والانتهاء عما نهوا عنها وزجروا
منها فكل خلة فيما بين المؤمنين على هذا الوجه فهي خلة ومودة في الدارين جميعا لا يصير عداوة لانها لله تعالى ولطلب رضاه تعالى واما
الخلة التي تكون فيما بينهم للدنيا فهي تصير عداوة ايضا على ما ذكرنا والله اعلم وقد روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الاخلاء اربعة مؤمنان وكافران فمات احد المؤمنين فيسال عن خليله فقال اللهم ان خليلا امرني بمعروف وكان ينهى عن
منكر منه اللهم اهده كما هداني وامته على ما امتني فانه كان يامرني بالمعروف والخيرات والطاعة وينهى عن المنكر والشر والمعصية
ثم ومات احد الكافرين فيسال عن خليله فقال اللهم ان خليلا امرني بمنكر ولا ينهى عن معروف منه اللهم اضله كما اضلني وامته
كما امتني قال ثم يبعثون يوم القيامة فقال ليثن بعضكم على بعض فاما المؤمنان فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء حسنا واما الكافر
ان فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء قبيحا على هذا السبيل وروي هذا الحديث عن علي رضي الله عنه وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال احب في الله وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله فانما ينال الولاية لله في ذلك لا ينال ما عند الله الا بذلك
وقال ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثر صلوته وصيامه وصدقته حتى يكون كذلك وقد صار عامة مواخاة الناس اليوم
على الدنيا ولكن لا يجزي عن اهله شيئا ثم قرا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقرا لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر فقول ابن عباس يرجع الى ان كل خلة ومواخاة فيما بين المؤمنين للدنيا فهي تصير عداوة في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل
يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون اي لا خوف عليكم خوف الغير كقوله تعالى لا يبغون عنها حولا ولا انتم تحزنون اي لا
خوف عليكم الاحوال اي لا حزن لهم في حال كونهم فيها ولا لهم فيها خوف غير ذلك ولا زوال عليهم لان خوف الزوال مما ينغص
صاحبه النعمة التي هي له فيخبر ان ذلك دايم باقي لا زوال له ولا فناء والله اعلم وقوله عز وجل الذين امنوا باياتنا وكانوا
مسلمين والاشكال انهم سماهم مؤمنين بالايات والايمان والاسلام يكون بالله تعالى فنقول لان الايمان هو التصديق في اللغة

بالايات

اثبات الايمان بوحدانيته والوهيته لان جهته سبيل معرفة الله تعالى وطريق العلم به انما هو بالايات والحجج التي قامت
على ذلك ليس من جهة العيان والمشاهدة فالايمان والتصديق بها تصديق بالله حقيقة والايمان به والله اعلم وقوله
عز وجل وكانوا مسلمين ظاهر هذا يوهم ان الايمان والاسلام غيران الا ان هذا من حيث ظاهر العبارة فاما في الحقيقة هما
يرجعان الى معنى واحد لان الاسلام هو جعل كل شيء لله سالما لا يشرك فيه غيره كقوله تعالى ورجلا سلما لرجل اي خالصا
سالما لا حق لاحد فيه سواه والايمان هو الوصف له بالربوبية في كل شيء ومعنى هما في الحاصل والتحقيق يرجع الى معنى واحد
لان ذلك وصفه بالالوهية والربوبية في كل شيء لله تعالى سالما واذا جعلت كل شيء لله تعالى سالما وصفته بالالوهية و
الربوبية في كل شيء فدل ان حاصل الايمان والاسلام واحد وان كانا من حيث ظاهر العبارة مختلفين والله الموفق وقوله
عز وجل ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يحتمل الازواج من وجهين احدهما الازواج المعروفة وهي الاهل الذين نهوا في
الدنيا عن الاسباب التي بها يستوجبون النار كقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ويحتمل الازواج التي ذكر القرناء والاشكال الذي
اعانوهم على الاعمال الصالحة التي بها نالوا الجنة كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم يعني قرناءهم وشركاءهم الذين
اعانوهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل تحبرون قال ابو عوسجة والقتبي اي تسرون والحبرة السرور وقال بعضهم تحبرون
اي تكرمون وتنعمون ونحو ما ذكر ان ليس عليهم خوف الزوال والفناء ولا حزن الحال والله اعلم وقوله عز وجل يطاف عليهم
بصحاف من ذهب واكواب يحتمل ذكر الصحاف من الذهب والاكواب وجوها احدها ذكر ذلك لهم في الاخرة ترغيبا لهم فيها وتحريضا
لما يرغبون بمثل ذلك في الدنيا ليرغبهم بذل ذلك الى السعي للاخرة والله اعلم وقوله والثاني يحتمل انما ذكر ذلك لان اهل الدنيا
كانوا يتفاخرون بهذه الاشياء في الدنيا فيخبر ان الاولياء ذلك في الاخرة وذلك دايم هذا فاني ولا عبرة لما فان ومنتهي
للوفيما دبر ويحتمل انه ذكر ذلك لانه حرم عليهم الانتفاع في الدنيا باستعمال الذهب والفضة والحرير فاخبر انهم الانتفاع
بذلك في الاخرة التي هي دار النعم فاما ما سوى ذلك من الفرش والاواني فانه لا باس به وهو مباح في الدارين جميعا واما
ذكر الاكواب يحتمل لترغيب على ما ذكرنا لانهم يتمنون ويرغبون فيها في الدنيا والثاني يخبران لا مونة عليهم في حمل الاواني
ورفعها عند الشرب والاكل ولا يتولون ذلك بانفسهم ولكن الخدام هم الذين يتولون سقيهم القصاع في جمع الصحفة وهي
القصعة التي ليست بضخمة والاكواب الاباريق التي لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب وقيل الكيزان لا عرى لها قاله ابو
عوسجة والقتبي وقوله عز وجل وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ذكر ان في الجنة ليس كنعيم الدنيا لان في الدنيا قد يشتهي
شاربها ولا تلذ تم العيون والله اعلم ويحتمل انه انما ذكر ذلك في الاخرة لما منعوا وحرموا في الدنيا ما اشتهت انفسهم
الانتفاع به والتلذذ فعوضا وبدلا عما كفوا انفسهم في الدنيا عن الانتفاع بذلك واعطاء لانفس وحرموا ومنعوا وحيل
بينهم وبين ذلك وتلذذ به الاعين لما غضوا ابصارهم في الدنيا عما لا يحل والله اعلم وقوله عز وجل وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون ان الله عز وجل بفضله عود عباده لما كان منه من الاحسان والانعام كان ذلك كله منهم اليه فضلا منه حيث
نسب الجنة التي يعطيهم الى اعمالهم التي عملوها وان كانوا لا يستوجبون الجنة وما فيها بالاعمال حقيقة ولذلك ما ذكر في الخبر عن نبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته اخبر
ان لا احد يدخل الجنة الا برحمته لكنه نسب الجنة التي يعطيهم ما ذكر من الثواب الى اعمالهم فضلا منه وانعاما وكذلك ما ذكر
من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ذكر انه اشترى انفسهم واموالهم بالجنة يعطيهم ع
بانفسهم واموالهم في الحقيقة له ولا احد يشتري ملكه وماله بماله نفسه من ملكه لكنه ذكر ذلك شراء افضالا منه كان لا ملك
له في ذلك ولا حق وكذلك ما ذكر من الاقراض له واقرضوا الله قرضا حسنا ولا احد يستقرض ما له وملكه من غيره لكنه عاملهم
معاملة من لا ملك له في اموالهم وانفسهم بما جعل لهم من الثواب والعوض فعلى ذلك نسبه الجنة والثواب الذي ذكر لهم الى اعمالهم
افضالا منه وانعاما منه وانعاما وان لم يستوجبوا ما ذكر بالاعمال والله اعلم وقوله عز وجل لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون
مثل هذا الوعد كانه اغاضا لاهل مكة فكان لا فواكه لهم فيها ولا ثمار فيخبر ان لكم في الجنة من الفواكه كثيرة ما لا يفنى ولا ينقطع
منها تاكلون ما شئتم فلا يؤذيكم ولا ينقص كم وان اكثرتم والله اعلم ويحتمل انما ذكر لما عرف من رغبة الناس الى الفواكه والثمار
في الدنيا رغبهم بها في الاخرة وحثهم على دفع ذلك لهم والله اعلم وقوله عز وجل ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون الاجرام
هو الكسب في اللغة والمجرم الكاسب يرجع ذلك الى كل كاسب عاجل وفق لان الناس عرفوا ان العذاب المذكور للمجرم الخاص
وهو الكافر المشرك فلا يجوز صرفه الى كل كاسب والله اعلم وقوله عز وجل لا يفتر عنهم يذكر هذا ليعلم ان النار وان انضجت
جلودهم واحرقتهم لا يفتر الالم عنهم بنضج الجلود بل التوجع والالم بعد نضج جلودهم واحتراقهم على ما كان قبل النضج
والله اعلم قال وهم فيه مبلسون قال بعضهم المبلس الايس وقال بعضهم المبلس هو الساكت عن الكلام لكن لا يرجو الفرج من نطقه
لان من يتكلم للفرج يرجوا من نطقه او كلامه نحوه وقوله عز وجل وما ظلمناهم في التعذيب الذي يعذبون ولكن كانوا هم ع

الظالمين ولكن هم الذين ظلموا انفسهم حيث عبدوا من لا يملك دفع العذاب عنهم وتركوا عبادة من يملك دفع ذلك
عنهم والله اعلم ويحتمل وما ظلمناهم فى ترك البيان عليهم اى لم نترك بيان ما عليهم وما لهم بل بينا لهم عاقبة السبيل
جميعا الى ما يفضى عاقبة هذا السبيل ولكن هم ظلموا انفسهم حيث اختاروا السبيل الذى افضاهم الى ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون كانهم يقولون يا مالك سل ربك ليقض علينا بالموت
يفزعون اولا الى المؤمنين ويدعونهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا
من ذلك يفزعون الى الله تعالى يسالون الرجوع الى المحنة ليعملوا غير الذى عملوا بقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى
كنا نعمل فلما ايسوا عن ذلك عند ذلك يفزعون الى مالك ليسال ربه ليقضى عليهم الموت فقال انكم ماكثون وهو ما قال
عز وجل لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم الاية والله اعلم وقوله عز وجل لقد جئناك بالحق هذا على اثر ما ذكر كقوله
تعالى انا لننصر رسلنا على اثر قولهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الاية يحتمل ان يكون القول ان جميعا من الله اعنى
قوله تعالى لقد جئناكم بالحق وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والله اعلم ويكون ان يكون الجواب جميعا من الملائكة ويجاز
اضافة الرسل الى الملائكة انهم رسل كقولنا الناس رسولنا فعل كذا والله اعلم ثم قوله لقد جئناكم بالحق الحق كل ما يحمد عليه
ويحمد هو عاقبة ذلك الفعل والباطل كل ما يذم عليه فاعله ويذم هو عاقبة والله اعلم ثم الحق المذكور يحتمل القران و
يحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه ويقولون الحق هو الذى عليه اباؤنا وانا على اثارهم
مقتدون ثم قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم فقال ههنا لقد جئناكم بالحق اى جئناكم بما هو اهدى واحق
مما عليه اباؤكم وقوله عز وجل ولكن اكثركم للحق كارهون فان قيل كيف قال لكن اكثركم للحق كارهون وانما خاطب
اهل النار وكانوا جميعا كارهين للحق يقول انه يخرج على وجهين احدهما ان اكثرهم قد عرفوا ان الحق لكنهم كرهوا اتباعه
والانقياد له عنادا منهم ومكابرة بعد ظهور الحق عندهم وتبينه لديهم مخافة ذهاب الرياسة عنهم وزوال ماكلهم
ولم يعرف الاقلهم ولم يعرفوا والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من كراهة اكثرهم للحق بحق الطباع كان فى طباع اكثرهم كراهة
ذلك الحق والله اعلم وقوله عز وجل ام ابرموا امرا فانا مبرمون ثم يحتمل ان يكون ما ذكر ابرام امرا ما ذكر فى اية وهو قوله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ابرامهم امرا هو مكرهم الذى مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر والله اعلم ويحتمل ان
يكون ابرامهم الذى ذكر غير ذلك وكيف ما كان ففيه وجهان من الدلالة احدهما ليعلموا ان الله تعالى عالم سميع بما
يبرمون فيما بينهم تاويل لانه فى ظنهم ان الله لا يعلم ولا يسمع ما يبرمون من الامر سرا ولذلك قال تعالى ام يحسبون انا
لا نسمع سرهم ونجواهم والثانى فيه دلالة اثبات الرسالة لانهم ابرموا ذلك الامر فيما بينهم سرا ثم اخبرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما ابرموا واحكموا من الامر ليعرفوا انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل فانا مبرمون يحتمل فانا جازون
جزاء ابرامهم ويحتمل فانا مبرمون اى الينا يرجع تدبير ابرامهم الامر ومكرهم جميعا وعلى ذلك قوله فلله المكر جميعا على احد
الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اى بل يحسبون على ما ذكرنا ان خرج
الاستفهام منه يخرج على الايجاب كانه قال بل يحسبون الا ترى انه قال بلى ورسلنا وقوله عز وجل ورسلنا لديهم يكتبون
هذا وعيد وتنبيه منه لهم يخبر ان رسله يكتبون ما يسرون ويخفون من المكر وغيره ليكونوا ابدا على حذر ويقظة والله
اعلم وقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يخرج هذا على وجهين احدهما اى ما كان للرحمن اى وليس للرحمن
ولد ثم يخرج قوله فانا اول العابدين على هذا التاويل على وجهين احدهما ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين له بالتعالى
والتنزيه عن الولد اى فانا اول من يعبد الرحمن بالايمان والتصديق انه ليس له ولد على هذا اعبد والله تعالى والثانى
ما كان للرحمن ولد فانا اول الانفين وهو من عبد يعبد اى انف يانف فيكون هذا تنزيه تصريح عن الولد والاول
تنزيه له بالكناية هذا اذا كان معنى قوله قل ان كان للرحمن ولدا ما كان للرحمن ولد ثم وقوله عز وجل وانا اول العابدين
يخرج على التاويل ايضا على وجهين احدهما اى لو كان للرحمن ولد على زعمكم وعلى ما عندكم فانا اول من ابى عن ان يكون له
ولد وادعوكم الى الرحمن الذى لا ولد له وهو كقوله تعالى اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى اين شركائى تزعمون انتم انهم
شركاء وقوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى انظر الى الهك الذى هو فى زعمك انه له والثانى يحتمل ان يقول
له قل لو كان يجوز ويحتمل ان يكون له ولد فانا اول من اعبد على ذلك ولدا ولمن اقول انا بذلك فادلكم اقبل بذلك وانا رسول
الله فظهر انه لا يحتمل ولا يجوز ان يكون له ولد وهو كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لو
كان يجوز ان يريد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى من عنده وبما يختار دونهم لكن لا يحتمل ولا يجوز ان يتخذ ولدا وقال بعضهم
فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يقول كانى لست ولدا من عند الله وكذلك ليس للرحمن ولد كقول الرجل
لو كان ما تقول حقا فانا حمار معناه ليس الذى تقوله بحق كانى لست بحمار والله اعلم ثم نزه نفسه عن الولد وانه لا يجوز

ان يكون له ولد حيث قال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى رب السموات ورب الارض ورب من فيهن ورب
العرش قال اهل التاويل اى رب السرير لكن لا يحتمل ان يكون تاويل العرش ههنا السرير فينسب الى السرير فيقال رب السرير ويجوز ان يقال ايضا
يقال رب السرير فيصير مشاركا فى النسبة بينه وبين الخلق لان يقال ان لذلك السرير عند الخلائق موقعا وقدرا عظيما يليق التعظيم
وانه من اعظم المخلوقات واجلها فكان نسبه هذا الى الله سبحانه وتعالى من باب التعظيم والاجلال له بمنزلة نسبه كل العالم اليه فيكون
جائز والله اعلم ويحتمل ان يكون تاويل العرش ههنا هو الملك يقول سبحان رب السموات والارض ورب الملك عما يصفون ثم ذكر بيان
حكمة ذكر السموات والارض على اثر ذكر الولد فى غير موضع وقوله عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا هذا فى الظاهر امر بتركهم على ما هم
عليه من الخوض واللعب وغيره مثل هذا مما لا يليق بالحكمة اذ هو حرام فى العقل لكن يخرج وان كان صيغته صيغة الامر كقوله اعملوا ما شئتم
هو فى الظاهر وان كان امرا فهو فى الحقيقة وعيد فعلى ذلك هذا يخرج على الوعيد ويحتمل ان يخرج على ترك المكافات على ما يصنعون
من الاستهزاء بهم والانواع على الاذى الى اليوم الذى يلاقونه ويعاينون العذاب حتى لا ينفعهم الندامة والرجوع فى ذلك اليوم ويحتمل
ذلك ان الله تعالى قد اوعدهم بمواعيد شديدة ووعظهم بمواعظ بليغة فلم ينجع تلك المواعيد فيهم ولا نفعهم شىء من ذلك والثانى
قد بين ما ينزل عليهم السيئة وما يوجب النفاق به ووضح لهم طريق الحق والهدى فلم يسلكوا مسالك طريق الحق فاوعدهم بما ذكر فى ذلك اليوم
ما لا ينفعهم ندامتهم فى ذلك الوقت والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله قال اهل اللغة هو المعبود كانه يقول
والله اعلم انكم تعلمون ان الله تعالى هو المعبود فى السماء وهو المعبود فى الارض والاصنام التى تعبدونها انتم لا تعبدها الا وانتم كيف تركتم
عبادة المعبود والذى هو معبود فى السماء والارض واخترتم عبادة من ليس بمعبود الا باعبادكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله
سبحانه وتعالى هو اله السماء والارض واله من بينهما وانه خالق ذلك كله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام
التى تعبدونها انتم لا تعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود والذى هو معبود فى السماء والارض واخترتم عبادة من ليس بمعبود
الا باعبادكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله تعالى هو اله السماء والارض واله ما فيها وانه خالق ذلك كله لقوله ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام التى تعبدونها انتم لا تعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود والذى هو معبود
فى السماء والارض واخترتم عبادة من ليس بمعبود الا باعبادكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله تعالى هو اله السماء والارض واله
ما فيها وانه خالق ذلك كله لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام التى تعبدونها لم تخلق ذلك
ولا يملكون شيئا من ذلك فكيف اتخذتموها الهة دونه والله اعلم وقوله عز وجل وهو الحكيم العليم ذكر الحكيم والعليم على اثر ذلك يخرج
على وجه احدها السؤال للثنوية ان الله عز وجل لا يجوز ان يبسط الرزق ويوسع الدنيا على من يعلم انه يعاديه ويشتمه ويعادى وليا
ويشتمهم لان فى الشاهد من يصنع الى من يعلم انه يعاديه معروفا فليس بحكيم فعلى ذلك يقولون ان ذلك ليس من الله تعالى لكنه
من الله غير سفيه لانه وصف نفسه بالحكمة وانه بريء الحكمة وكقول البراهمة فى انكار الرسالة فى انكارهم الرسالة انه ليس
ليس من الحكمة بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبهم ويكذب رسله ولا يقبل رسالته بل يقتله ويعاديه لذلك ينكرون رسالة الرسل فيخبر
تعالى عز وجل بقوله حكيم العليم ان اعطائه اياهم ما اعطيتهم وبعث الرسل اليهم على علم منه بما يكون منهم من التكذيب والعداوة لا يخرج
عن الحكمة ويخرج فاصل ذلك فى الشاهد عن الحكمة لان ملوك الارض انما يرسلون الرسل ويبعثون الهدايا للمنافع انفسهم ولحاجتهم
فاذا علموا من المبعوث اليهم الرسل والمصنوع اليهم المعروف ما ذكر يخرج من الحكمة فاما الله تعالى انما بعث الرسل لحاجة المبعوث اليهم
والمنافع لانفسهم فكذلك ما يعطيهم من الدنيا المنافع لانفسهم فلم يخرج ذلك من الحكمة لانه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه
موالاة من والاه بل كل ذلك راجع اليهم بل صنيع من المعروف الى من يعلم انه يعاديه يكون وصفا له الكرم والجود ولذلك ما ذكرنا و
يبطل قول الثنوية والبراهمة والله الموفق وقوله عز وجل وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما قوله تبارك قال
اهل التاويل اى تعالى وتعاظم عما قالت الملحدة فيه من الشريك والولد والصاحبة وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز فيكون تنزيه
عن جميع ما قالوا فيه وهو حرف سبحانه الذى يكون تنزيها عما قالوا فيه والله اعلم قال بعضهم اهل الادب تبارك هو من البركة لكن
بعض العلماء قالوا ان هذا التاويل لا يصح لان قوله تبارك هو من وقوع بنفسه فهو اسم ملازم ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بوقوع
البركة لكن عندنا تبارك وتعالى هو فعل اثنين لجاز نسبة البركة اليهما على حقيقة وقوعهما باحدهما وهو الخلق لا يسال على
ما هو الاصل فى مثل هذا وله نظائر كثيرة واصل تاويل تبارك ما قاله اهل التاويل تعالى وتعاظم عن جميع ما قالت الملحدة فيه مما لا
يليق به من الولد والشريك وغير ذلك لكن هو على التاويل لا على تحقيق الاسم فيظهر ما فسروا فى قوله وتعالى جد ربنا اى عظمته وجلاله
هو فى الحقيقة ليس من حوائج العظمة ولكن هو خروج الامر على ما يريد ويشاء وتسمية الناس فيما بينهم بالجد والسنة بخيرا ونعيم وجد
بالعظمة لنفاذ مشية العظيم وخروج الامر على ما يريد ويشاء فعلى ذلك تسميتهم تبارك بما قالوا تعالى وتعاظم على التاويل
لا على حقيقة الاسم اذ هو من البركة لكن كل من بورك فيه صار متعاليا فاطلقوا عليه تبارك بمعنى تعالى لا بمعنى حقيقة الاسم والله
اعلم ثم وقوله عز وجل وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما بيان منه وتعليم لخلق ما يجوز النسبة فقال له ملك

ملك السموات والارض وقل ولله ما في السموات والارض ويجوز ذلك بين لهم ان ينسبوا اليه هذا ولا ينسبوا اليه من الولد والشريك
والصاحبة ونحو ذلك لان نسبة الاشياء بكليتها تخرج مخرج الوصف له بالعظمة والجلال نحو ما ذكرنا من قوله تعالى له ملك
السموات والارض وقوله وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وقوله خالق كل شيء ونسبة خاصية الاشياء اليه تخرج مخرج التعظيم
والتبجيل لتلك الاشياء ثم ينظر بعد هذا فان كانت تلك الاشياء الخاصة مما يجوز تعظيمها نسبت اليه واضيفت نحو قوله بيت الله و
مساجد الله ورسول الله وغير ذلك من الاشياء التي يعظمها الله تعالى ورفع قدرها ومنزلتها عنده وان كانت الاشياء مما يستقذر
ويستقبح ويستذل فلا يجوز النسبة اليه والاضافة لما ذكرنا ان نسبتها اليه واضافتها تخرج مخرج التعظيم لها وهي ليست بمعظمة
ولكنها مستذلة مستقذرة فيكون وضع الشيء في غير موضعه وانه خلاف الحكمة والله الموفق وقوله عز وجل وعنده علم الساعة
يخرج على وجوه احدها اي عنده علم ساعة الصعقة كقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الاية ويحتمل
وعنده علم الساعة الزلزلة كقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم ويحتمل وعنده علم ساعة الفزع والهول كقوله ففزع من في السموات
الاية ويحتمل عنده علم ساعة القيمة كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحو ذلك والله اعلم اخبر انه لم يطلع الله عز وجل على حقيقة
ما ذكرنا احدا من خلقه وقوله عز وجل واليه ترجعون قد ذكرنا في غير موضع ان تخصيص ذلك بالرجوع اليه يخرج على وجوه انه
كانوا في جميع الاحوال راجعين الى الله تعالى صائرين اليه احدها لان المقصود من انشائهم ذلك اعني البعث كي لا يكون خلقهم عبثا
على ما ذكرنا غير مرة ويحتمل انه خص ذلك اليوم بالرجوع اليه والمصير والخروج لانه يومئذ يخلص خروجهم ورجوعهم اليه و
انقيادهم له وقد ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ان قوما كانوا يعبدون الملائكة
رجاء ان يكونوا لهم شفعاء لما عرفوا من خصوصيتهم وفضلهم عند الله تعالى وذلك معروف في الناس انهم يخدمون ويكرمون خواص
ملوكهم رجاء ان يشفع لهم اولئك الخواص عند الملك او نزل بهم بلاء ووقعت لهم حاجة يوما من الدهر فعلى ذلك هؤلاء الكفرة
كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله ثم اخبر عز وجل عن الملائكة انهم لا يملكون الشفاعة
بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهو قوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون اي الا لمن شهد بوحدانية الله تعالى والالوهية لا يشفعون
لاولئك انما يشفعون لمن ذكرنا وان كانت لهم خصوصية عند الله تعالى لان الله عز وجل نهى اولئك ان يعبدوا الملائكة ويعظموهم من
جهة العبادة لذلك لا يملكون الشفاعة لهم فيكون مثل هذا مثل ملك نهى قومه ان يخدموا ويعظموا احدا سواه من خواصه فاذا
فعلوا ذلك وخدموهم وتركوا نهيه لا يملك اولئك الخواص ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة عند الملك لاولئك الذين نهاهم الملك
ان يخدموهم ويعظموهم دونه فعلى ذلك الملائكة لم يجعل لهم شفاعة لاولئك الذين عبدوهم دونه الا لهم ذكروهم الذين عبدهم دونه
الا لمن ذكروهم الذين شهدوا بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى فقد اذن الله لهم بالشفاعة لاولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ولا
يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة اي لو كانت لهم الشفاعة لكانت لا تنفعهم كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي
لو كانت لهم شفعاء لكانت لا تنفعهم شفاعتهم ليس ان يكون لهم شفاعة او شفعاء وهو كقوله تعالى ولو ان لهم ما في الارض جميعا و
مثله معه الاية وكقوله عز وجل لا يقبل منها عدل الاية فعلى ذلك يحتمل قوله عز وجل ولا يملك الذين من دونه الشفاعة اي لا ينفعهم
والله اعلم وقوله عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون يخرج قوله وهم يعلمون على وجهين احدهما يرجع الى الملائكة فيكون كانه
يقول ولا يملك الا الذين يدعون من دونه الشفاعة وهم يعلمون انهم لا يملكون الشفاعة والثاني يرجع الى من شهد بالحق يكون
كانه يقول ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون انهم يشهدون بالحق والشهادة بالحق ما
ذكرنا يعني يشهدون على وحدانية الله تعالى والوهيته وانه هو المستحق بالعبادة دون من عبدوهم والله اعلم وقوله عز وجل
ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال في اول السورة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
ثم نعته فقال الذي جعل لكم الى اخر ما ذكر فدل ذلك واجمعا ان الذي خلق السموات والارض وخلقهم وما يحتاجون اليه هو الله
تعالى ثم علموا وعرفوا انهم بذلك اصنام الاصنام التي يعبدونها والله الهادي وقال اهل التاويل اي فاني يكذبون بعد علمهم و
معرفتهم ذلك في تسميتهم معبودهم الها واشراكهم غير الذي صنع ذلك لهم بالعبادة له دون الله تعالى وقوله عز وجل وقيله
يا رب ترى بنصب اللام وكسرها فمن قرأ بالنصب جعله معطوفا على قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله اي قوله
الذي اعتلوا اي بل نسمع ذلك كله ومن قرأ بالكسر عطف على قوله وعنده علم الساعة اي وعنده علم الساعة وعلم قيله وقوله عز وجل
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كانه على الاضمار اي قيل لهم ان هؤلاء قوم لا يصدقون وفيه دلالة اثبات رسالته لانه اخبر انهم
لا يؤمنون وقد كان علما اخبر لم يؤمنوا لانه بالله عرف ذلك وعلمه وقوله عز وجل فاصفح عنهم اي اعرض عنهم ودعهم وقل
سلام اي قل الصواب والحق فسوف يعلمون يوما فهو وعيد لهم ويحتمل ان يكون قوله وقل سلام اي سلام عليهم لكنه على الكراهية
ليس على اولئك الكفرة فسوف يعلمون بالثناء يكون لو صرفا الى المؤمنين وهو كقوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم فيكون كانه عز وجل قال فسوف يعلمون ايها المؤمنون ما ينزل باولئك والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم والكتاب المبين قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة قال اهل التاويل انما
انزلنا الكتاب اي القرآن في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاريق ويحتمل ان
يكون الهاء راجعة الى قوله حم اي قضى ما هو كائن على ما قال بعض اهل التاويل اي ما قضى في كل سنة من الموت والحيوة والرزق ونحو
ذلك ينزل في ليلة القدر ونسخها الى الملائكة الذين وكلوا على ذلك فهذا يحتمل ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى ما ضمن في قوله حم
على ما اراد به والله اعلم ويحتمل انه اراد بهذا انزال شيء وامر في ليلة القدر عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيخبر انه انزل
ذلك ولم يبينوا انه ذلك لما لا حاجة لنا الى معرفته وقال اهل التفسير في قوله تعالى انا انزلناه ان الله تعالى انزل شيئا على رسوله فيكون
ذلك الشيء على راسه وعلى رؤس الاغنياء الذين يكونون بموضع بحيث يروا ذلك دون غيرهم اذا استقبلهم امرا وبدا لهم شيء نظروا في ذلك
الشيء عرفوا ما احتاجوا وما يكون من الصلاح او كلام نحو هذا والله اعلم واما عندنا اهل التاويل هو ما ذكرنا وارجع ذلك الى الكتاب
المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ما ذكرنا من تضمين ما ضمن في قوله حم وكذلك قالوا ايضا في قوله انا انزلناه في ليلة
القدر وقوله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر سماها مباركة وقد سمي المطر والماء منزل من السماء كقوله تعالى وانزلنا من السماء
ماء مباركا وكذلك الارزاق المنزلة من السماء والمستخرجة من الارض مباركة بقوله بركات من السماء والارض والمبارك هو الذي
عنده يدرك كل الخيرات والبركة هو اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة والنماء فسمى تلك الليلة مباركة لما جعل فيها من الخيرات
والبركات والله اعلم وقوله عز وجل انا كنا منذرين يحتمل انا كنا منذرين للخلق اذا انشؤا وبلغوا المبلغ الذي يستوجبون الانذار
ويحتمل انا كنا منذرين الخلق بالرسل هذا هو الظاهر من هذا القول من الله تعالى والله اعلم قال انا كنا منذرين بالقرآن بما انزل على
وقوله عز وجل فيها يفرق كل امر حكيم يحتمل اي يفصل ويبين كل امر هو كائن في ليلة القدر ويحتمل اي يبين في ليلة القدر كل ما
يكون تلك السنة ثم وقوله عز وجل كل امر حكيم يحتمل اي كل امر فيه حكمة ويحتمل كل امر محكم متقن امرا من عندنا وقوله عز وجل
رحمة من ربك يحتمل قوله رحمة اي ما انزل من الكتاب هو رحمة من ربك ويحتمل ليلة القدر اي جعلها رحمة ويحتمل ما ذكر من امر حكيم
هو رحمة منه ويحتمل اي الرسول المبعوث اليهم رحمة منه لهم وهو كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله
عز وجل انه هو السميع يحتمل قوله السميع باقوالهم الظاهرة وما العليم بافعالهم واحوالهم التي اخفوها واضمروها ويحتمل السميع المجيب لمن
دعا العليم بما يرجع الى مصالحهم في دينهم ودنياهم والله اعلم وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما قال بعضهم رب
الشيء هو مصلحه معناه مصلح السموات والارض وما فيهما وحافظ ذلك كله وقال بعضهم رب السموات والارض اي مالكهما
ومالك ما فيهما ويحتمل رب السموات والارض اي خالقهما وخالق ما فيهما ومنشئ ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل ان كنتم
موقنين قال بعضهم هذا على الاتمام الاية ومراعاة المقاطع على وجهها هذا وامثاله يخرج على هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله
ان كنتم موقنين على اثر قوله رب السموات والارض اي هو رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم تعلمون انه رب ما ذكر فكيف
تعترفون العبادة اسم الالوهية لمن ليس برب ما ذكر ان الايقان هو العلم بالشيء حقيقة ثم نعت الرب فقال لا اله الا هو اي
فكانه يقول لا معبود يستحق العبادة سواه لا اله الا هو والمعبود عند العرب يقول لا يستحق الاشياء التي يعبدون العبادة
انما المستحق لها هو الذي لا اله غيره ويحتمل ان يقول لا يستحق اسم الالوهية الا هو لا الاشياء التي سميتموها الهة ثم نعته فقال
يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين اي هو يحيي ويميت وهو ربكم ورب ابائكم الاولين ان من عبادة العرب انهم كانوا يعبدون
ويحبون شيئا دون الله تعالى رجاء ان يشفع لهم ويقربهم ذلك العبادة الى الله تعالى فيقولون ان الذين يعبدون دونه لا ينفع
لهم العلم بعبادتكم اياها فاصرفوا العبادة الى الذي يعلم بعبادتكم على كل حال واخلصوا له ذلك ولا تشركوا فيه وقوله عز وجل بل هم
في شك يلعبون يحتمل قوله عز وجل بل هم في شك اي في امر القرآن ويحتمل بل هم في شك في امر الرسول صلى الله عليه وسلم ونحوه والله
اعلم وقوله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم ليس هو على حقيقة الدخان
ولكن على التمثيل والمجاز ثم اختلف في كيفية ذلك مع اتفاقهم انه مضى ذلك وقد كان قال بعضهم بدخان اي بجدب وقحط
جعل الدخان كناية عن الجدب لوجوه احدها ما يقال ان الجائع في القحط كان بينه وبين السماء والناس دخان من شدة الجوع
كالذي يشتد به العطش يرى السراب ماء وذلك لانه لما اشتد الجوع ضعفت ابصارهم وغطاها الجوع فيكون الجوع سببا لذلك
الدخان ما استعير له ولان في سنة الجدب يبس الارض وينقطع النبات ويرتفع الغبار ويصعد الريح ليبسها فيشبه
ذلك الغبار الذي يرتفع من يبس الارض بالدخان فسمي باسمه ولذلك قيل السنة غبرا وقيل جوع اغبر لان العرب ربما وصفت
الدخان موضع الشر اذا علا فيقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان وقالوا ان هذا القحط الذي جعل الدخان كناية عنه قد كان
فانه اشتد بهم القحط وقلت الامطار ويبست الارض وارتفع الغبار وصعد الريح كالدخان وضعفت ابصارهم لشدة الجوع حتى كا

يرون السماء كالدخان على ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كان احدهم ينظر الى السماء فيرى كهيئة الدخان من شدة
الجوع وقال بعضهم انما مثل الارض يومئذ كمثل بيت وقد ليس فيه خصاصة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قد مضى الدخان
وهو سنون كسني يوسف بجهد الناس والله اعلم ومنهم من يقول هو على حقيقة الدخان وانه لم يمض بعد وكذلك روي عن علي
رضي الله عنه انه قال الدخان لم يمض بعد ياخذ المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى وكذلك قول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
والحسن وغيرهم لكن صرف الدخان المذكور في الاية على التمثيل اشبه لان الامر اذا اشتد وبلغ نهايته يشبه بالنار كقوله كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وليس هناك نار ولكن وصف شدة الحرب فعلى ذلك جائز تشبيه على ما اشتد بهم من الجوع و
الجدب والقحط بالدخان الذي ذكر وكذلك يصف الناس الامر اذا اشتد يقولون هاج الدخان ونار والله اعلم وقوله عز وجل
يغشى الناس هذا عذاب اليم يحتمل قوله يغشى الناس اي غشي الناس ما ذكر وهو عذاب اليم على تاويل من قال انه ماض كاين ويحتمل ان يكون
قوله تعالى يغشى الناس هذا عذاب اليم اي يغشى فيقول الناس هذا عذاب اليم وهو على قول من يقول انه لم يمض بعد والله اعلم و
قوله عز وجل ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انا نؤمن بك فيما تدعونا اليه لو كشفت عنا العذاب في معنى الشرط والجزاء
وهو كقوله موسى عليه السلام حيث قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الاية و
يحتمل ان يكون قوله انا مؤمنون على الحال كانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون للحال ثم اخبر الله تعالى جل وعز انهم
لا يؤمنون وانهم كذبة فيما قالوا حيث قال تعالى انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين يقول انى ينفعهم او من اين ينفعهم توبتهم
في ذلك بعد ما خرجت انفسهم من ايديهم وقد جاءهم رسول قبل ذلك الوقت مبين انه رسول والله اعلم وقوله عز وجل ثم تولوا
عنه يحتمل اي اعرضوا عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران ويحتمل تولوا عما دعاهم اليه رسول الله وامرهم به ويحتمل تولوا
عن رسول الله نفسه وقوله عز وجل وقالوا معلم مجنون قولهم معلم لانهم يقولون انما يعلمه بشر وقوله مجنون نسبوه الى الجنون
لوجهين احدهما ما ذكر انه اذا نزل به الوحي تغيرت حاله ولونه لثقل ذلك عليه فيقولون به افة وجنون والثاني لما راوه
وقد خاطر بروحه ونفسه لانه خالف الفراعنة منهم والاكابر الذين كانت همتهم القتل والاخذ لمن خالفهم ودعاهم الى غير
الذي كانوا عليه اذا نسبوه الى الجنون والله اعلم وقوله عز وجل انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال بعضهم انكم
عائدون في معاصيكم وكفركم الذي كنتم فيه وقال بعضهم اي انكم عائدون الى عذاب يوم القيمة والله اعلم وقوله عز وجل
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال بعضهم ذلك يوم بدر وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقال عامة اهل التاويل
وقالوا ذلك اشد من الدخان وقال بعضهم هو عذاب يوم القيمة وهو قول ابن عباس والحسن والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون يقول والله ولقد فتنا قوم فرعون بموسى قبل قومك بك ويحتمل ان يقول ولقد فتنا فرعون بمثل الذي فتنا
قومك ثم افتتان قوم فرعون بمثل الذي فتن قومه وجوها احدها ان موسى عليه السلام قد اتاهم بالايات المعجزات ما لم يقدر
فرعون على مقابلة تلك الايات وعجزوا عن الاتيان بمثلها فعلموا انهم بذلك وعرفوا انها ايات الله تعالى وكذبوها وردوها
ونسبوا موسى الى السحر والكذب والافتراء على الله تعالى فعلى ذلك اهل مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملوه بالذي عامل
اولئك موسى من النسبة الى السحر والجنون والكذب والافتراء على الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم ان فرعون وقومه اذ دعوا
موسى وحضروه لانه ولد فيهم كما ادعى اهل مكة محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا انت اصغرنا وافقرنا وانك لناحية كما قال فرعون لموسى
الم نربك فينا وليدا الاية ويحتمل ان يكون اهل مكة سالوا اليهود من الانبياء التي يجدون في كتبهم ليحاجوا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطلبون بذلك ظهور الكذب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبرهم عن الانباء المتقدمة والله اعلم وقوله
عز وجل وجاءهم رسول كريم كان جميع رسل الله عليهم الصلوة والسلام كراما لان الله تعالى كان بعثهم الى قوم جهال سفهاء
كان لهم الركون الى الدنيا والميل اليها والرغبة فيها فبعثهم اليهم كراما الخلق ليدلوا اولئك الاقوام وينهوا لهم المعاملة لهم
والتحمل منهم لسوء ما كانوا يعاملونهم والله اعلم وذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم حيث قال وانك لعلى
خلق عظيم وقوله عز وجل ان ادوا الي عباد الله يقول ان ارسلوا معي بني اسرائيل وخلوا عنهم ولا تحبسوهم ولا تستعبدوهم
فانهم احرار ويحتمل ان يقول ارسلوا معي بني اسرائيل فانهم يرغبون في اجابتي الى ما ادعوهم اليه ويطيعون فاتبا عني فيما امرهم به
وقوله عز وجل اني لكم رسول امين اي اني لكم رسول امين على الوحي والرسالة ويحتمل ان يقول اني كنت امينا فيما بينكم لا يظهر
لكم مني خيانة ولا اطلعتم على كذب قط فلما اذ لم تكن [illegible] ونسبوني الى السحر والله اعلم وقوله عز وجل وان لا تعلوا على الله
قال بعضهم اي وان لا تتكبروا ولا تتعظموا على رسل الله لكن معناه وان لا تتكبروا وتتعظموا على الله ولا تتعظموا على
عبادة الله او على دينه اذ لا احد يقصد قصد التكبر على الله تعالى وان نسب اليه فهو على ارادة اوليائه او دينه كقوله ان تنصروا الله
ينصركم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل اني اتيكم بسلطان مبين اي اتيكم بحجة بينة انها من الله واني رسول الله وهو ما
اتيتهم من الايات المعجزات والحجج والبراهين والله اعلم وقوله عز وجل واني عذت بربي وربكم ان ترجمون لا يحتمل ان يكون

هذا الكلام

انما الكلام من موسى عليه السلام على ابتداء بلا سبب كان من فرعون ولا امر سبق فكان سببه ونازلته والله اعلم هو ما ذكر
في سورة اخرى حيث ذروني اقتل موسى وليدع ربه الاية فلما قال فرعون ذلك وهم ان يقتل موسى قال له موسى عند
ذلك اني عذت بربي وربكم ان ترجمون دلالة اية من ايات الله الرسالة لانه قال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع
ربه ليمنعني عن قتله فقال اني عذت بربي وربكم الاية دل هذا القول على انه علم قول فرعون وقصده بقتله و
تشنيعه بالدعاء الى الله تعالى ليمنعه عن ذلك وعلم ان الله تعالى يعصمه عن شره وكيده حتى قال ذلك والله اعلم وقوله
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون يقول فان لم تصدقوني فيما ادعوكم اليه وامركم به فاتركوني فاقصد فيما رمتم به ولا
يفتنوكم بتصديقي وايماني والله اعلم وقال بعضهم اي دعوني خفنا فاجابنا لا علي ولا لي وقال بعضهم وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون ولا تقتلون والله اعلم وقوله عز وجل فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون وهو كقوله حيث قال وقيله
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وكقول نوح عليه السلام اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا
فرارا ونحو ذلك يقولون [illegible] والله اعلم يا ربنا انا قد عاملناهم المعاملة التي امرتنا ان نعاملهم واخذنا
الحيل التي علمتنا ان نحتال معهم فلم ينجع ذلك فيهم ولم يتبعونا ولا اجابونا الى ذلك فهل من حيلة سوى ذلك
او معاملة غير ذلك نعاملهم بها لعلهم يتبعونا ويجيبونا هذا الدعاء وهذا القول منهم يكون بعد ما اجهدوا
انفسهم في دعائهم الى الحق زمانا طويلا ليس يحتمل في ابتداء الامر والله اعلم وقوله عز وجل فاسر بعبادي ليلا انكم
متبعون كان في اخراج موسى عليه السلام بني اسرائيل من بين اظهر اعدائهم ليلا من غير ان شعر وعلم احد من اعدائهم
بذلك وهم العدد الذي ذكر في القصة انهم زهاء ستمائة الف عظيمة عجيبة لموسى عليه السلام على رسالته اذ خروج
مثل من بين اظهرهم عسير صعب فكيف خروج العدد الذي ذكر في القصص والله اعلم ثم وقوله عز وجل انكم متبعون
هذا يخرج على وجهين احدهما اي قوم فرعون يتبعونهم ليردوهم الى الامر الذي كانوا يستعملونهم من قبل من نحو
الاستخدام والاستعباد والله اعلم والثاني ان يتبعونهم للعناد والحرب لانه ذكر في القصص انهم اخذوا اموالهم
من الحلي واللباس فخرجوا بها فجائز ان يكون اتباعهم اياهم ليقاتلوهم كما يقاتل الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل
واترك البحر رهوا يحتمل قوله واترك البحر كان موسى عليه السلام اراد ان يضرب البحر بعصا ليصل الماء بعضه ببعض لئلا
يعبر فرعون وقومه فقال له اتركه كما هو فانهم جند مغرقون ثم اختلف في قوله رهوا قال بعضهم هي فارسية
عربت اي اترك البحر راه وقال بعض اهل اللسان رهوا اي ساكنا وقال بعضهم رهوا منفرجا وهو قول ابي عوسجة
وقال اهل التاويل رهوا اي يابسا وهو كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقوله انهم جند مغرقون وعلم هم
[illegible] وقوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين [illegible]
[illegible] ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما [illegible]
[illegible] كم تركوا من جنات وعيون [illegible]
[illegible] واورثناها قوما اخرين [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض [illegible]
[illegible]

كان ما ذكر والله اعلم ويحتمل ان يذكر بكاء السماء اذا عظم الامر على التمثيل من نحو موت الملوك والقادة ومن عظم قدره عندهم فيخبر الله عز وجل ان موت فرعون واتباعه لم يعظم على اهل السماء والارض لما قدرهم عندهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين قال بعضهم نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي نزل بفرعون وقومه وهو الغرق في البحر اغرقوا وكذلك ونجى هؤلاء ويحتمل ان يكون المراد انه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذبونه من نحو القتل والاستخدام والاستعباد وانواع العذاب الذي كانوا يعذبونهم ما داموا بين اظهرهم وفي ايديهم فنجاهم من ذلك حيث اخرجهم من بين ايديهم والله اعلم وهو اشبه ما قال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون وقوله عز وجل انه كان عاليا من المسرفين قوله عاليا اي غالبا عليهم قاهرا لهم بانواع القهر الذي كان يقهرهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اخترناهم على علم على العالمين اي اخبرنا بني اسرائيل وقوله عز وجل على علم يخرج هذا على وجوه احدها اي اخترناهم على علم اي بسبب علم اتيناهم ذلك لم يؤت ذلك غيرهم ليظهر فضيلة العلم على العالمين وشرفه والله اعلم والثاني يحتمل اخترناهم على علم منا باسبابهم و اشياء لم يعلم ذلك الاسباب والمعاني في غيرهم بها استوجب الاختيار على العالمين والثالث اي اخترناهم على علم اي بسبب علم احوجنا غيرهم اليهم فصاروا مختارين مفضلين بسبب تعليمهم اياهم ما احتاجوا اليه فيكون لهم فضل الاستاد على التلميذ وهذا كما يقولون ان العرب افضل من الموالي لان الموالي احتاجوا الى العرب في معرفة لسانهم ومعرفة اشياء احتاجوا اليها فاستوجبوا الفضيلة لحاجتهم اليهم ولذلك فضل قريش على ساير العرب لما احتاجت ساير العرب الى قريش في معرفة اشياء لا يصلون الى ذلك الا انهم فضلوا على غيرهم لذلك يحتمل انه احوج الى بني اسرائيل غيرهم في معرفة اشياء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين يحتمل قوله بلاء من وجهين احدهما اي محنة بينة وهي انواع امتحنهم من البلايا والشدايد والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون قوله بلاء مبين اي نعم عظيمة وهو ما اتاهم من انواع النعم من المن والسلوى وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ومجاوزة من البحر واهلاك عدوهم وغيرهم من النعم التي اتاهم مما لا يحصى وهو ما ذكر في سورة البقرة وهو قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي نعمة عظيمة من ربكم عظيمة والله اعلم وقوله عز وجل ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين يقول الله تعالى وهو اعلم ان الذي يحمل هؤلاء على الانكار والكذب وترك الايمان بك انكارهم البعث والاحياء بعد الموت كقوله تعالى والذين يؤمنون بالاخرة ويؤمنون به يؤمن من امن بالاخرة فاما من لم يؤمن بالاخرة لا يؤمن به والله اعلم واصله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ليدعو الخلق الى الزهد في هذه الدنيا والرغبة في الاخرة والقطع عن جميع شهواتهم ومناهم في الدنيا وتاخير ذلك الى الاخرة فمن امن بالاخرة سهل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قطع نفسه عن قضاء ذلك كله ومن انكر الاخرة وجحدها اشتد ذلك عليه وصعب حمله ذلك على انكارها والجحود لها والله اعلم وقوله عز وجل فاتوا باباينا ان كنتم صادقين هذا منهم احتجاج عليه يقولون ان كنت صادقا فيما تقول انا نبعث واحيا فاحي من ذكر ولكن هذا احتجاج باطل لان الايات والحجج ليست تنزل وتاتي على ما تشتهي انفسهم وكذلك ولكن تنزل على ما يوجبه الحكمة وعلى ما فيه الحجة لا على ما يريد المقام عليهم الحجة كما في الشاهد ان الواجب على المدعي اقامة ما هو حجة في ذاتها لا اقامة ما يريدها المدعى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم قد اتاهم من البيان والحجة ما يوجب البعث والاحياء بعد الموت لو تاملوا ولم يكابروا عقولهم وكون سؤالهم منه انه اخرى مردودا عليهم والله اعلم وبعد فان الله تعالى عز وجل قد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيمة ولو اعطاهم ما سالوا من الايات ثم انكروها هلكوا واستوصلوا اذ من سنته ان كل اية اتت ونزلت على اثر سؤال كان منهم ثم انكروا كان في ذلك هلاك وعذاب لذلك لم يعطهم ما سالوا والله اعلم وقوله عز وجل اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم ليس في هذا جواب لقولهم فاتوا باباينا ان كنتم صادقين ولم يات بجواب ذلك وانما كان لانهم لم يستحقوا الجواب لهذا السؤال لانهم سالوا ذلك تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون في هذا جواب لقولهم وسؤالهم الاية المخترعة وفي الاية دلالة على البعث ايضا بيان الاول انه اخبر عن قوم تبع ومن ذكر من الامم الخالية كانوا ينكرون رسالة رسلهم ويكذبونهم و يوعدونهم الرسل بالعذاب والهلاك فيكذبونهم ايضا فيما يوعدون من البعث فجاءهم الهلاك فيقول اهم خير ام قوم تبع ومن ذكر اي اولئك هم اشد قوة ام هؤلاء وهم علموا ان اولئك اشد قوة وبطشا ثم لم يتهيا لهم الامتناع من عذاب الله اذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وانكارهم البعث فانتم دون اولئك فكيف يتهيا لكم الامتناع من العذاب الذي نزل بكم وهو كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم واذا لم يتهيا لهم الدفع ومن سنته الاستيصال بالتكذيب للايات المخترعة و قد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيمة وكونه رحمة للخلق لذلك لم يعطهم الاية التي سالوا والله اعلم واما الثاني وهو انه لما اخبر ان تعذيبا وكذلك الكفرة لتكذيب الرسل وانكار البعث حق حتى يستحق منكره العذاب والله اعلم وذكر ان تبعا كان رجلا صالحا وعايشة رضي الله عنها تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وذكر انه كان رسولا وقد ذكرنا قصته

والله اعلم

والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقال في اية اخرى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ان الكفرة كانوا لا يطلقون القول فلا يقولون ان الله تعالى خلقهما وخلق بينهما باطلا ولعبا لكن سائق ذلك كله على قياسهم وظنهم وعلى ما عندهم يصير عبثا لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون ان لا بعث ولا حساب ولا ثواب وعقاب فاذا كانوا اشعروا وظنهم ان لا بعث ولا نشور يكون خلقهم خلق السموات والارض وما ذكر على زعمهم لم يكن الا الافناء والاهلاك ومن لم يقصد في ابنائه الا النقض في الشاهد والافناء في العاقبة كان في بنائه وقصده سفيها غير حكيم فعلى ذلك الله سبحانه في خلقه اياهم وانشائه لهم وتحويله اياهم من حال الى حال اخرى من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ومن حال المضغة الى تصوير الانسان ثم الى حال الكبر لو لم يكن ما ذكرنا من المقصود سوى الافناء والاهلاك على ما زعموا كان سفها باطلا لا حكمة غير ذكرنا من قصد في البناء الا الافناء خاصة لا غير كان في فعله وقصده لاعبا عابثا سفيها ولذلك سفه الله تعالى تلك المراة التي لم يكن قصدها في غزلها الا النقض في العاقبة حيث قال ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا الاية فعلى ذلك خلق الخلق اذا لم يكن بعث ولا نشور على ما قالوا اولئك الكفرة وظنوا كان كذلك سفها غير حكمة ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلقه اياهم لا للرجوع عبثا والله الموفق وقوله عز وجل ما خلقناهما الا بالحق قال بعضهم الا لاقامة الحق وقال بعضهم الا لامر كاين مراد واصل الحق هو ان يحمد عليه فاعله في العاقبة والباطل هو ما يذم عليه فاعله وانما خلق جل وعلا ما ذكر ليحمد على فعله لا ليذم ولو لم يكن القصد في خلقهم الا الافناء والاهلاك كان لا يحمد عليه ولكن يذم على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون انهما لا يخلقان باطلا وعبثا وهو ما ظنهم والله اعلم وقوله عز وجل ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين سمى يوم القيمة مرة يوم الجمع ومرة يوم التغابن ومرة يوم الفصل فهو يوم الجمع لما يجمع فيه الخلائق جميعا وكذلك يوم الحشر ويوم الفصل يحتمل وجهين احدهما انه يفصل بين اوليائه واعدائه ينزل الاولياء في دار الكرامة والمثوبة وهي الجنة والاعداء في دار الهوان والعقاب وهي ما قال فريق في الجنة وفريق في السعير ويحتمل ان يكون قوله يوم الفصل اي يوم القضاء والحكم اي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكافر يومئذ فيما تنازعوا واختلفوا في الدنيا بقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ويحتمل ايضا ما ذكرنا من الفصل بين الاولياء والاعداء ما لو لم يكن ذلك في الاخرة بينهم كان جامعا مسويا بين الاولياء والاعداء وهم استووا واجتمعوا في الدنيا في نعم احوالهم ومن سوى بين وليه وعدوه كان سفيها غير حكيم دل ان هنالك دارا اخرى يفصل بينهما ويميز والله اعلم وقوله عز وجل يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون هذا في الكفار خاصة يخبر ان الاولياء لا ينفعهم في الاخرة ولا يغني بعضهم بعضا على ما كان في الدنيا اذا نزل ببعض منهم بلاء وشدة وهو ما ذكر في اية اخرى يوم يفر المرء من اخيه الاية ثم قوله عز وجل واخشوا يوما الاية وقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا هم ينصرون والله الموفق ثم قوله تعالى لا يغني مولى عن مولى شيئا يحتمل مولى الاعلى ومولى الاسفل على ما يغني بعضهم بعضا في الدنيا ويحتمل كل ولي وقريب بجوانبه لا قريب بماله ودفع ما نوى به ولا ولي ولايته نصرة ومعونة له ولا هم يوجد لهم نصير وعادة بقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الاية استثنى وعلى ذلك استثنى في هذه الاية ايضا حيث قال الا من رحم الله و رحم عليه وهو الايمان والتوحيد فانه يكون بعضهم لبعض شفعاء واولياء يشفع بعضهم لبعض ويشفع بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الرحيم العزيز في نقمته من اعدائه لاوليائه الرحيم للمؤمنين الذين استثنى في الاية حيث قال الا من رحم الله وقوله عز وجل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ظاهر الاية انها طعام كل اثيم بل هو طعام اثيم دون اثيم وهو الكافر لان الاثم المطلق هو الاثم من كل وجه وهو الكافر فاما المؤمن المسلم لا يكون اثيما مطلقا مع قيام ايمانه وكثرة طاعته فلا يكون صاحب الكبيرة داخلا تحت الاية ثم بعض اهل التاويل انه يبدل قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي بعض الكفار بالعسل والزبد وقالوا لاصحابه تعالوا وعدنا بذلك لما كان الزقوم هو الزبد والتمر والعسل بلغة قوم من العرب من الحبشة فذلك قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين الا اخبر انها شجرة انشئت من النار كقوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الاية ليست كسائر الاشجار ثم شبهها بالمهل بقوله تعالى كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم والمهل هو دردي الزيت ثم يحتمل تشبيهها بالمهل وجهين احدهما لانضمامه بالبدن لانه قيل انه الصق الاشياء بالبدن ويحتمل انه شبهها بذلك لكثرة تلونها وتغيرها من حال الى حال انه الاشكال انه ليس في اكل دردي الزيت فضل شدة وكثير مؤنة في معنى التشبيه به لكن نقول انه بين ان ذلك المهل والحديد من النار حيث قال كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ثم الاشكال ان شجرة الزقوم كيف يكون طعام الاثيم فيحتمل ذلك وجهين احدهما انه يخرج منها شيء ويسيل فيسقى ذلك الكافر ويحتمل انه ياكل كما هي فيذوب في بطنه فيغلي فيكون ما ذكر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى فضة قد اذيبت فقال هذا المهل اخبر ان يكون على مثل كل شيء تراب ويحرق فهو المهل والحميم هو الشيء الحار الذي قد انتهى حره غايته والله اعلم وقوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ظاهر هذا ان يكون ذلك بعد ما ادخلوا في النار لكن يحتمل ايضا ان يكون ذلك في اول ما يراد ان يدخل النار كقوله خذوه فاعتلوه اي قودوه الى سواء الجحيم يقال هي بلاده يعتل الى السلطان اي يجر ويقاد وقال بعضهم هو السوق الذي فيه شدة وتعنيف اي سوقوه سوقا شديدا عنيفا وبعضه قريب من بعض والجحيم هو معظم النار والله اعلم

وقوله عز وجل ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم اى من شراب الحميم جعل الله عز وجل لاهل النار من الالوان الشراب الحميم و الصديد ونحوهما مكان ما جعل لاهل الجنة من انواع الشراب حيث قال فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين الاية ثم ان العذاب جميعا لا يتولون شربها بانفسهم ولكنهم يسقون على ما ذكر في اهل الجنة في شراب من الرحيق حيث قال يسقون من رحيق وقوله تعالى ويسقون فيها كاسا ونحو ذلك كثير وقال في اهل النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم وقوله تعالى يسقى من عين انية وقال فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم قال اهل التاويل انما يقال هذا لابي جهل اللعين وله ذلك العذاب الذي ذكر في الاية وهو المراد بالاثيم كان في الدنيا يفتخر ويقول انا العزيز الكريم وليس ما بين جبليها اكرم مني وانا المتعزز المتكرم فيقال له في الاخرة ذق هذا الذي ذكرت انك العزيز الكريم في الدنيا يفتخرون به ويتيهون ويحتمل ان يكون هذا في كل كافر يتعزز في الدنيا ويتكرم وكل رئيس منهم والله اعلم وقال بعضهم في قوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم اى ذق فانك لست بعزيز ولا كريم ثم يقال ذلك له على التوبيخ اى لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار والله اعلم و قوله عز وجل ان المتقين في مقام امين فيه لغتان مقام بالرفع ومقام بالنصب الميم فمن قرأ بالنصب فهو موضع المقام وهو المنزل والمسكن معناه في مسكن امين اى امنوا فيها من الافات والاوصاب والاسقام ومن قرأ برفع الميم هو المصدر يعني الاقامة اى مقيمون فيها امنون عن الخروج عنها والزوال والله اعلم وقوله عز وجل في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قالوا السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من اللبس ما رق منه فاما ما غلظ منه فانه يبسط وان كان ذلك اللبس فيهما فالظاهر فيهما ولما رق منه وما غلظ فالمراد من ذكر اللبس يحتمل ما يلبس وهو الذي يرق منه ويدق ... ان يذكر الشيئان باسم احدهما اذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة وحقيقة والله اعلم ويحتمل انما ذكرهما جميعا لما يكون من رغبة الناس اليهما جميعا في الدنيا في نعيم الاخرة وعدم ان يكون ثم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل متقابلين يخبر ان مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا مقابل بعضهم بعضا حيث قال كذلك على ان ذلك يكونون في الجنة كما كانوا في الدنيا مقابلة بعضهم بعضا واجتماعهم في المجلس في الشراب ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل وزوجناهم بحور عين قال بعضهم بحور اى ببيض الاجسام وعين اى حسان الاعين وقال بعض اهل الادب الحور في العين وهو شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها وقال امرأة حوراء بينة الحور ورجل احور وقوم حور والعيناء الجنة يقال رجل اعين ورجال ... وامرأة عيناء ونسوة عين فالجماعة على هيئة واحدة في هذا الباب في المذكر و المؤنث والله اعلم وقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة امنين تاويله والله اعلم اى ثمار الجنة وفواكهها ليس لها نفاد ولا انقطاع ولا انقضاء ولا زوال يدعون ويخافون ان يحضرهم ما لا يشتهون في الدنيا بشيء اذ هل عندكم شيء من الفواكه ونحو ذلك لما ذكرنا ان ثمار الدنيا انقطاع وفناء وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله امنين يحتمل وجهين احدهما امنين من انقطاع فواكهها ونفادها ويحتمل امنين فيها في الجنة ليس لهم خوف الخروج عنها والزوال وامنون عن جميع الاذى التي يكون في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى والاشكال انه نفى الموت في الجنة واستثنى الموتة الاولى وليس في الجنة موت اصلا كيف يستثني الموتة الاولى وان ظاهر الاستثناء ان يكون من جنس المستثنى منه فيوهم ان يكون في الجنة موت قال بعضهم الا في الاية بمعنى غير وسوى وفيه اضمار كانه لا يذوقون فيها اى في الجنة الموت سوى الموتة الاولى ذاقوا في الدنيا لان الموتة التي ذاقوا وهي الموتة الاولى لا يتصور ذوقها ثانيا او كان يكون مثلها ولان الجنة ليس بمحل الموت فكان المراد ما قلنا اى لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموت التي ذاقوا في الدنيا وهو كقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف اى سوى ما قد سلف انه كان فاحشة في ذلك الوقت على احد التاويلين والله اعلم وعندنا يخرج تاويله على وجهين احدهما لا يذوقون فيها الموت الا ما ذاقوا من الموت الاولى لانه ذلك في الخبر انه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش املح او كذا فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت هنالك والله اعلم والثاني لا يذوقون فيها الموت ولا يرون الا الموتة الاولى التي يرونها في الدنيا تلك يعرفونها ويذكرونها فاما سويها فلا والذي سبب المعرفة فاستثنى المعرفة بها والله اعلم وقوله عز وجل ووقاهم عذاب الجحيم ليس هو تخصيص وقاية عذاب الجحيم فحسب بل المراد نفي عنهم العذاب كله لكن الجحيم معظم النار فذكروه كما يذكر الكل فضلا منه ليس باستحقاق منهم بالاعمال على ما تقدم ذكره في غير موضع وقوله عز وجل ذلك هو الفوز العظيم الفوز الظفر بالشيء ... النجاة مما يحذر ويخاف ... من ذلك يقال فاز فلان بما كان فهو فائز والله اعلم وقوله عز وجل العظيم جميع امور الاخرة وحالها شيء عظيم من العذاب والنعيم قال الله تعالى اليوم عظيم وعذاب عظيم وفوز عظيم وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك هذا يخرج على وجهين احدهما كانه يقول فانما انزلنا القران بلسانك ويسرناه للذكر لعلهم يتذكرون لانه انزل بلسانه وسيرة قومه لانه لو كان بغير لسانهم لم يكن ميسرا لهم للذكر وهو ما ذكر في اية اخرى ولقد يسرنا القران للذكر اخبر انه يسره للذكر لانه يسره باللسان ولكن معناه ما ذكرنا

انزلنا

انه انزله بلسانه ويسره للذكر والله اعلم والثاني فانما يسرناه على لسانك كي تذكره وحفظته بلا كتابة ولا نظر في كتاب لانه ذكر انه كان عليه الصلاة والسلام يحفظ سورة طويلة اذا تلا عليه جبريل صلوات الله عليه كما قال الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلا تنسى وقوله عز وجل لعلهم يتذكرون وهو يخرج على وجوه احدها لكي يلزمهم التذكر ويحتمل لكي يتذكروا ما قد نسوا من حق الذي عليهم او يتعظوا بمواعظ الله تعالى وقوله عز وجل فارتقب انهم مرتقبون على وجهين احدهما ارتقب ما وعد الله ان ينزل بهم من العذاب فانهم مرتقبون هلاكك وانقطاعك ... ولا تكافئهم ولا تدع عليهم بالهلاك فانهم مرتقبون بما القى الشيطان في امنيتهم بان ملكك يزول وامرك ينتهي بالموت والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فارتقب انهم مرتقبون والارتقاب الانتظار والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب قد ذكر في غير موضع وقوله عز وجل عزيز حكيم وقد ذكرنا ايضا تاويل العزيز الحكيم في غير موضع ايضا ثم انما ذكر قوله العزيز الحكيم على اثر ذلك الكتاب ليعلم انه ما انزل الكتاب وما امرهم وما نهاهم وامتحنهم بانواع المحن ليتعزز هو بذلك او يزيد له عزا وسلطانا او ذلة اذا ائتمروه واطاعوه واذا خالفوه ولم يطيعوه فيما امرهم وارتكبوا ما نهاهم يلحقه ذل او نقصان في ملكه وسلطانه بل انما فعل ذلك من الامر والنهي وانواع المحن لمنفعة انفس الممتحنين ليتعززوا اذا اتبعوا امره واطاعوه ويلحقهم ذل ونقصان اذا تركوا اتباعه بخلاف ملوك الارض فانه يزيد لهم اتباع من اتبعهم عزا وسلطانا وقوة في ملكهم وترك اتباعهم اياهم وارتكاب ما نهاهم عنه يوجب لهم ذلا ونقصانا في ملكهم لان الخلق وكل عزيز بغيره فاذا زال ذلك زال عزه وصار ذليلا فاما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته لا يلحقه النقصان بمخالفة من خالفه ولا يزداد عزا باتباع من اتبعه وقوله الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير يذكر هذا ليعلم ان ما انشاء من الخلق على علم منه انهم لا يكفرون به وبعضهم لم يؤمن به لكم ولا الوجه منها لما ذكرنا انه لم ينشئهم لحاجة له فيهم او لمنفعة ترجع اليه ولكن لحاجتهم ولمنفعة ترجع الى انفسهم ومثله في الشاهد يزيل الحكمة ويدخل في حد السفه لما ذكرنا انهم انما يفعلون لحوائجهم فكان يتبع العلم بانه لا منفعة له فيه بل مضرة لا يكون حكمة منهم لذلك افترق الشاهد والغائب والله اعلم وقوله عز وجل ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وايات لقوم يوقنون وايات لقوم يعقلون ونحو ذلك يخرج ذكر الايات لهؤلاء على وجوه احدها اي يكون ما ذكر من الايات لهؤلاء ايات على اعدائهم يحتجون عليهم فيكون هي ايات لهم على اعدائهم والثاني ان منفعة هذه الايات تحصل لهؤلاء وهم المنتفعون بها الفوز بها دون من تركها اتباعها والثالث هي ايات لمن اعتقد اتباع الايات والايقان بها وهم المؤمنون فاما من اعتقد رد الايات وترك الاتباع لها فليست هي ايات لهم والله اعلم وقد ذكرنا في غير موضع جهة الايات فيما ذكر من السموات والارض واختلاف الليل والنهار وانزال الماء من السماء واحياء الارض به واخراج ما اخرج منها ان في ذلك ايات حسية وايات وحدانيته وايات قدرته و سلطانه وايات علمه وتدبيره وايات حكمته وغير ذلك مما يطول الكتاب بذكرها والله الموفق وقوله عز وجل تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق قوله عز وجل تلك اشارة الى الايات التي تقدم ذكرها نتلوها عليك بالحق انها من الله تعالى لما عجزوا عن ادراك ذلك من الحكمة البشرية فيعلموا انها من الله تعالى وقوله عز وجل فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم لو كانوا ابا ادين يقبلون حديثا قط فلا حديث اظهر صدقا من حديث الله تعالى ولا ابين حجة فيه من كلام لانه ايات معجزات وعجز واعن اتيانه وان كانوا ابوا الدين لا يقبلوا حديثا فيلحقهم السفه في ذلك فيكون مؤمنهم والله اعلم وقوله عز وجل ويل لكل افاك اثيم الافاك هو المصروف عن اتباع ما يوجب الحكمة اتباعه وقال بعضهم الافاك الكذاب والاثيم هو الذي اعتاد الاثم وهو اكثر من الاثم ثم نعت ذلك الافاك فقال يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها يحتمل قوله ايات تتلى عليه القران ويحتمل ايات وحدانية الله عز وجل او ايات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن تعنته وعناده في اباته حيث قال ثم يصر مستكبرا بعد تلاوة الايات عليه بعد معرفته وعلمه انها ايات الله كما كان يصر قبل ذلك لانها ايات خارجات عن وسعهم اذ عجزوا عن اتيان مثلها فاذا كانت خارجة عن احتمال وسعهم فكذلك هي خارجات عن وسع محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو واحد من البشر مثلهم فيعرفوا انه انما قدر على اتيان مثلها بالله تعالى بما اوحي اليه واعلمه بذلك كان ذلك منهم عنادا منه واستكبارا ثم اوعد العذاب الاليم وهو قوله فبشره بعذاب اليم اي مؤلم موجع وقوله عز وجل واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين اي عذاب يهينهم باستهزائهم بالايات ثم قال من ورائهم جهنم اضاف جهنم الى ورائهم يحتمل ان يكون المراد من ذكر من ورائهم وراء الدنيا كانه قال من وراء هذه الدنيا لهم جهنم لكنه اضاف الى ورائهم لانهم فيها وهم اهلها والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله من ورائهم جهنم اي بين ... الذي هم عليها جهنم وقوله عز وجل ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يحتمل لا يغني عنهم ما كسبوا اي ما عملوا من القرب التي عملوها

ان ينفعهم ذلك في الاخرة او يغيرهم ذلك الى غيره لو يحبوا ذلك مما لا يغنيهم ولا ينفعهم في الاخرة قوله عز وجل ولهم عذاب
عظيم وعدهم في حال وكل امر كان منهم عذابا غير العذاب في حال اخرى ذكر في الحال التي عبدوا الاصنام من دونه واتخذوها انذادا العذاب
العظيم وذكرهم باستهزائهم بايات الله العذاب المهين عذابا يهينهم ويهانون في ذلك وذكرهم باصرارهم بما هم عليه واستكبارهم
على ايات الله وعلى رسوله عليه الصلوة والسلام العذاب الاليم حتى يكون مقابل كل كان منهم نوعا من العذاب غير النوع الاخر
وصفة غير الصفة الاخرى والله اعلم وقوله عز وجل هذا هدى اي بيان لهم وقوله عز وجل والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب
من رجز اليم اي عذاب من عذاب اليم ان الرجز هو العذاب كانه فسر ذلك العذاب ووصفه بالالم والله اعلم وقوله عز وجل الذي
سخر لكم البحر يذكرهم عظيم نعمه في تسخير البحر لهم مع اهوالها وكثرة امواجها وامتناعها عن منافع الخلق صيرها بلطفه وحكمته
لهم كسائر البقاع في الوصول الى ما فيها من الجواهر والدر بالغوص فيه والخوض والاصطياد وما فيه من انواع الصيد وغير ذلك
من الاشياء بجعل عليهم وتسبب جعل لهم حتى يصلوا الى ما فيها من انواع الجواهر والاموال النفيسة والله اعلم وسخرها لهم ايضا حتى يعبروا
البحر ويمروا عليه بسفن اعظام وجعل عليهم حتى ترددوا على عبوره والورود عليه ليصلوا الى قضاء حوائجهم التي يكون في
البلدان النائية وهو ما قال لتجري الفلك فيه بامره ثم قوله تعالى بامره يحتمل ان يكون عبارة عن تكوينه اي بما كونه وانشاه
كن لك كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والثاني يحتمل بامره اي بالامر الذي له على العباد وما يخلد به
ويحتمل بامره باذنه وقوله عز وجل ولعلكم تشكرون اي لكي يلزمكم الشكر بذلك وما ذكر ما فيه من الوجوه والله اعلم وقوله
عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اي سخر لهم ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها
وما في الارض من الاشجار والنبات والبهائم والدواب حتى يستعملوها كلها في منافعهم وحوائجهم كما استعملوا املاكهم
التي يحويها ايديهم بتسخير الله تعالى اياهم ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل جميعا اي جميع ذلك من الله تعالى اخبر انه سخر جميع
ما في هذين في السموات والارض لهم ثم اخبر ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وقد ذكرنا جهة الاية في ذلك في غير موضع والله
اعلم وقوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله امر الله تعالى عز وجل المؤمنين بالعفو والصفح عن اساءة اليهود و
ظلمهم حتى امرهم بالعفو والمغفرة عن ظلمهم واساءتهم اليهم من الكفرة ليعلم عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والاساءة عند الله
وما يكون لذلك من الثواب الجزيل والله اعلم فان قيل ان هذه الاية انما نزلت بمكة ومن اسلم من اهل مكة بمكة كانوا مستضعفين
مقهورين في ايدي الكفرة ثم لا شبها لهم الانتصار منهم والانتقام عن مساويهم وانما يؤمر المرء بالعفو عن مظلمة من ظلمه واساء
اليه عن مقدرة الانتقام والانتصار فاما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للامر له بذلك اذ هو عاجز عن ذلك فيقول
الامر بالعفو والصفح عنهم وان كان اهل الاسلام منهم مقهورين مغلوبين في ايدي اولئك الكفرة على ما ذكرتم لوجهين احدهما
ان امرهم بذلك ليتقربوا بذلك الى الله ويجعلون ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم وان لم يكن لهم مقدرة الانتقام
والانتصار منهم ليكون العفو منهم بحق القربة لا بحق التذلل والخشوع اذ يعفوا كل عن اختيار وطوع ويصبر على ذلك ابتغاء
لوجه الله تعالى وبترك الجزع في نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام وهو ما امر رسوله عليه الصلوة والسلام بالهجرة الى المدينة
بعد ما اخبره انهم يريدون ان يقتلوه او يخرجوه حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليكون الهجرة له الى الله تعالى بحق
القربة لا بحق التذلل باخراجهم اياه والله اعلم والثاني ان يرجع الامر بالعفو الى كل واحد منهم في خاصة نفسه وقد كان من
المسلمين فيهم من يقدر على الانتقام والانتصار من الافراد والاحاد منهم وان لم يكن لهم القدرة على الانتقام من جملتهم والله اعلم
ثم قوله عز وجل لا يرجون ايام الله هذا يخرج على وجوه احدها ايام الله اي نعم الله السابغة التي لا زوال لها ولا انقطاع التي وعد
في الاخرة لاهل الايمان وهو ما قال في اية اخرى في قصة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام حيث قال وذكرهم بايام الله اي
بنعم الله تعالى الامر ان موسى عليه الصلوة والسلام فسر ايام الله بالنعمة حيث قال جل ثناؤه واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجاكم من ال فرعون الاية والثاني لا يرجون ايام الله على حقيقة الايام لانهم كانوا يرون هذه النعم والسعة في الدنيا
بجهد انفسهم وكدهم لا بما اجرى الله تعالى النعم اليهم في الايام والله اعلم والثالث لا يرجون ايام الله اي لا يخافون نقمة الله
وعقوبته وقوله عز وجل ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي ليجزي كل قوم بما كسبوا من خير او شر يجزي من عفى عنهم جزاء العفو و
يجزي المحسنين جزاء الاحسان وللمسيء جزاء الاساءة والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر ان
من عمل من خير فانما يعمل لنفسه ومن عمل من سوء فانما يعمل على نفسه يخبر ان من عمل من خير او صالح فلنفسه سعى في الاخرة ومن
عمل من شر فعلى نفسه سعى في الاخرة لكن عمل في الدنيا من الاكل والشرب فلنفسه يعمل ومن جنى من جنايات فعلى نفسه في الدنيا
والاخرة حيث يهلك به نفسه ويرجع اليه وبال ذلك في الاولى والاخرة فعلى ذلك ما قلنا والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى
ربكم ترجعون اي ثم الى ما وعدكم ربكم من الثواب والعقاب ترجعون وقوله عز وجل ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب قال اهل التاويل
اي التورية ولا اشكال لانه في دين بني اسرائيل جملة كتبا كثيرة اما التورية والانجيل والزبور هي كتب معروفة قد يعرفها [illegible]

ان يكون

٤٩

ان يكون لهم كتب غيرها فما معنى ذكر الكتاب وما معنى حمله على التورية الا انا نقول يجوز ان يريد بذكر الكتاب بما ادخل
الالف واللام فيكون للاستغراق الجنس ويحتمل انه اراد به التورية كما قال اهل التاويل اذ يجوز ان يذكر اسم العام ويراد به الخاص
وهو الواحد منهم ويحتمل ان يكون التورية هو الكتاب الذي فيه عامة الاحكام فانه قيل ان الزبور ليس فيه الحكم انما فيه التسبيح و
التحميد وكذا الانجيل ليس فيه الاحكام قليل فيجوز ان يكون المراد به التورية هنا والله اعلم وقوله عز وجل والحكم قال بعضهم والحكم
اي فهم ما فيه وقال بعضهم الحكم فقه ما في الكتاب والحكم الظاهر داخل تحت قوله الكتاب بين بقوله والحكم انه اعطى له الحكم الذي
فيه والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد والله اعلم ويحتمل ان يراد بالكتاب هو ما يتلى فيما بينهم وبين ربهم والحكم هو ما
امرهم فيه ان يحكموا فيما بين العباد والله اعلم وقوله عز وجل والنبوة انما ذكر النبوة لان النبوة كانت ظاهرة في بني اسرائيل فانه ذكر
ان في بني اسرائيل كذا كذا رسولا ونبيا والله اعلم وقوله عز وجل ورزقناهم من الطيبات قد كان رزقهم الطيبات ما ذكر من المن والسلوى
وغير ذلك من الطيبات ما لا يحصى وقوله عز وجل وفضلناهم على العالمين قد ذكرنا تفضيلهم على العالمين في موضعه وقوله عز وجل
واتيناهم بينات من الامر قال بعضهم بينات من الامر اي ايات من الامر وقيل بينات من الامر اي ما بين لهم من الحلال والحرام والشبه
وبناء كان قبلهم والله اعلم ويحتمل بينات من الامر اي بيان ما يقع حاجة اليه من الامر وعندنا بينات من الامر يخرج على وجهين
احدهما واتيناهم بينات من الامر اي بينات التكوين ودلالات ما جعل الله لهم في نفس كل احد من دلالات وحدانيته والوهيته في
وما اقام من الايات في العالم على التكوين يدل على جعل الالوهية والربوبية له وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم
على ما ذكر امر التكوين اي ما اختلفوا في امر الالوهية والوحدانية من الله تعالى الى خيرهم الا من بعد ما جاءهم العلم اي الا من بعد ما بين
ان الالوهية والربوبية بالدلالة الواضحة والحجة النيرة وان له الخلق والامر الا انه ذكر العلم والمراد به اسباب العلم ودلائله والله اعلم
والثاني يحتمل قوله تعالى واتيناهم بينات من الامر من الحق من الامر والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما يؤتى وما يتقى وما لهم وما عليهم ثم
وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم واختلافهم فيما امتحنوا يتوجه الى وجوه احدها ما اختلفوا فيما امتحنوا من
الدين وفيما امتحنوا في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجابة الى ما يدعوهم اليه والطاعة له ويحتمل اختلافهم الذي ذكر الاختلاف
في القراءة وفيما امتحنوا من التحليل والتحريم ثم يخبر تعالى جل وعلا انهم اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق في ذلك البيان انه من الله
وان ما هم عليه باطل مضمحل ثم اخبر ان اختلافهم انما هو بغي بينهم وحسد حملهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم ثم اخبر انه يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم قوله تعالى عز وجل يقضي بينهم يوم القيمة يحتمل وجهين احدهما اي يجزيهم في الاخرة جزاء اختلافهم
في الدنيا او يقضي اي يفصل ويبين لهم يوم القيمة من الباطل والحق والمبطل والله اعلم وقوله عز وجل ثم جعلناك على شريعة من الامر
فاتبعها يحتمل ان يكون هذا صلة قوله تعالى واتيناهم بينات من الامر كانه يقول واتيناهم بينات من الامر وجعلنا ذلك شريعة لك
فاتبعها انت وان يتبعوها هم والشريعة هي الملة والمذهب وهو ما شرع فيه ويذهب اليه كذلك قال القتبي قال يقال شرع فلان
في كذا اذا اخذ فيه ومنه مشارع الماء الفرض التي يشرع فيها الناس والواردة وقال ابو عوسجة الشريعة السنة والله اعلم ثم اخبر ان الذي
هم عليها انما هو هوى النفس فقال عز وجل ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يحتمل قوله تعالى لا يعلمون لانهم لم ينتفعوا فيه ولم يتفكروا ما لو تاملوا
وتفكروا فيه يعلمون لانه قد ذكر في اول الاية انهم انما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم اي ما جاءهم من دلائل العلم ما لو تاملوا ونظروا فيها
لعلموا والثاني نفي عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا وما جعل لهم من العلم والله اعلم وقوله عز وجل انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لو
اتبعت اهواءهم لن يغنوا عنك من الله اي لم يغنوا او ذلك عن دفع ما ينزله بك من عقوبة اياه شيئا وهو ما قال في اية اخرى وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ثم اخبر ان الظالمين بعضهم
اولياء بعض يقول ان الظالمين بعضهم اولياء بعض يحتمل ولاية الدين والمذهب اي بعضهم من بعض في الدين ويحتمل في غيره اي يلي
بعضهم امر بعض في الاعانة والنصرة والله اعلم وقوله عز وجل والله ولي المتقين يحتمل اي يلي امور المتقين ويحتمل ولي المتقين اي ناصرهم
ومعينهم وقوله عز وجل هذا بصائر للناس سمى الله تعالى هذا القران مرة بصائر وهو ما يبصر به ومرة هدى وبيانا ورحمة ونورا ونحو ذلك وهو
هكذا هو هدى وبيان ونور وبصيرة لمن اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل وفقهه ويحتمل بصائر اي بيان يبين لهم ما من الله فيبين لهم
الحق من الباطل ويبين لهم ما لهم وما عليهم لمن ذكر لقوم يوقنون وقوله عز وجل ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون قال بعض اهل التاويل نزل في الكفرة قالوا ان كان ما يقوله محمد من الثواب والنعيم
في الجنة حقا فنحن اولى به منهم كما كان نعيم الدنيا ولذاتها اولى لنا انهم المعطين افضل مما يعطون والفضل عليهم كما فضلنا في الدنيا
فانزل الله سبحانه وتعالى في ذلك ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لكن هذا التاويل سخيف
لانه لا يصلح ان يكون جوابا للنازلة التي ذكرها اهل التاويل لان اولئك قالوا نحن اولى بما يكون في الاخرة من النعيم والفضل منهم كما
كان في الدنيا اولى وكما فضلنا في الدنيا نفضل في الاخرة فلم يكن في قوله تعالى ان نجعلهم سواء جوابا لما قالوا لانهم ما قالوا نحن اهل كذا
ونحن نفضل فيها كما فضلنا في الدنيا فاذا كانوا لحسبهم انهم مفضلون على المؤمنين في الاخرة دون التساوي كيف يخبر عنهم انهم حسبوا التساوي

لا خلف في خبر الله عز وجل والله اعلم لكن الاية عندنا انما كانت في منكري البعث وجاحديه يقول والله اعلم ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء الاية اي لو كان الامر على ما ظن اولئك بانه لا بعث ولا نشور كان في ذلك
جعل الذين اجترحوا السيئات اي الشرك كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم لانهم جميعا قد استووا في هذه الدنيا
في لذاتها ونعيمها وشدائدها والامها وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز وانزال كل واحد منهما منزلته وما يستحقه السيء
العقوبة وجزاء الاساءة والمحسن الاحسان والافضال وجزاء الحسنات فاذا جمع بينهما في هذه الدنيا على ما ذكرنا دل ان هناك
دارا اخرى فيها يفرق ويميز بينهما في حق الثواب والعقاب والله اعلم وهو كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا ولو كان كما ظن اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان خلق ما ذكر من في السموات والارض وما
بينهما باطلا على ظنهم فلذلك قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق السموات والارض اذ لم
يكن هنالك رجوع اليه عبثا باطلا والله اعلم فهذا اولى واحق ان يصرف اليه الاية وعلى ذلك ما ذكر في قوله عز وجل قل هل
يستوي الاعمى والبصير والسميع الاية وقوله عز وجل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا اي لا
يستويان ولو كان الامر على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا نشور ولا حجة كان في ذلك استواء بين من ذكر وقد سوى بينهم
في الدنيا في الحكمة والعقل التفريق بينهما اذ لا يجوز التسوية بين الولي والعدو وقد سوى بينهما في الدنيا فعلم ان المراد به نفي الاستواء
بينهما في دار اخرى والله الموفق ثم اختلف اهل الكلام فيما يعطي الولي والعدو في هذه الدنيا من الصحة والسلامة على قول اكثر
المعتزلة ان الله تعالى لا يعطي احدا في الدنيا من كافر ومؤمن شيئا الا وهو اصلح له في الدين ثم قولهم لا يظهر عفو الله تعالى لا يظهر
عفوه تعالى في الاخرة لانهم يقولون انما يستوجبون الثواب والجنة باعمالهم لا برحمة الله تعالى فاذا عفى عن السيء فلا يعلم انه كان
مستحقا كذلك فعفوا منه فضلا وعندنا ان ما اعطاهم انما يعطيهم افضالا منه ورحمة فيعرفون فضله واحسانه وعفوه
ولكن اصحابنا يقولون ان جميع ما اعطى الكافر في الدنيا فهو شر له كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وقوله عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك ما يصيرون
ما يعطي اياهم يكون ذلك شرا لهم وما اعطى يكون خيرا لهم ولكن عندنا ليس هذا على الاطلاق والارسال ولكن ما كانوا يوفقون به على الخيرات
في نفسها فهو خير له وما يعطي اياهم يكون ذلك شرا لهم وما كان عنده بانه شر له وليس على الله حفظ الاصلح على ما يقوله المعتزلة ولكن يفعل
بهم ما هو حكمة عدلا كان يفعل ما هو احسان وفضل والله الموفق قال القتبي اجترحوا السيئات اي اكتسبوها ومنه قيل الكلاب الصيد جوارح
وقوله عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون كان يقول والله اعلم خلق السموات والارض
بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت اي انما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت فلو لم يكن جزاء بما كسبوا في الدنيا في الاخرة على ما قال اولئك
الكفرة ان لا جزاء من الثواب والعقاب لانه كان دون البعث لم يكن خلقهما بالحق ما ذكرنا فيثبت انه صار خلقهما اذا كان هنالك جزاء و
هذا يدل على ان الاية الاولى هي في منكري البعث ليس فيما ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه هذا يخرج
على وجهين احدهما على التحقيق على ما قاله عامة اهل التاويل انهم عبدوا كل شيء استحسنوا كانوا اذا استحسنوا شيئا اخر احسن منه تركوا
عبادة الاول الثاني فذلك كانت عادتهم وذلك اتخاذ الالهة بهواهم ان الاله هو المعبود عندهم وهو التحقيق الذي ذكرنا والثاني على التمثيل
وهو ما قال قتادة انهم ما هووا شيئا الا ركبوه لا يمنعهم مخافة الله عما هووه ولا يردعهم خشيته عما اشتهوا فصيروا اهواءهم متبعا فهي
كالاله لهم لا يتبعون امر الله فلا يكون يرون له امر كلام يحتج والله اعلم وقوله عز وجل واضله الله على علم هذا يخرج على وجوه احدها اي
اضله الله على علم من ذلك الانسان بالطريق الهدى والحق لانه اضله على خفاء من ذلك الانسان بالطريق الحق وسبيله اي قد بين له
السبيل وطريق الحق لكنه باختياره الضلال اضله لما علم منه انه يختار الضلال والكفر يكون ما علم انه كان ويختار والله اعلم والثاني
اضله الله تعالى على علم اي انشاء منه فعل الضلال على علم منه بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة هذا يخرج على وجهين احدهما اي طبع على قلبه باهوائه وجعل فيه ظلمة فتلك الظلمة وذلك الغطاء اوجب غطاء السمع والبصر
وحال بينه وبين سماع الحجج والبراهين وصار ظلمة البصر وغطاوه مانعا لهم عن اكتساب التدبر والتفكر ويحتمل ان يكون ما هو وما نام
عن اكتساب الحيوة الباقية لما لم يتبعوا امر الله تعالى وما دعاهم اليه كانت لهم تلك الحيوة كقوله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما
يحييكم وكقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فما هووه واتبعوا منعهم عن اكتساب الحيوة الدائمة المدعو اليها والله اعلم وقوله عز
وجل فمن يهديه من بعد الله هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما حقيقة الهداية وهو التوفيق والعصمة فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر دون الله
هدايته وتوفيقه بعد اختياره الضلال والثاني الهدى البيان فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر ان ياتي ببيان اكثر وابين من بيان الله
تعالى الذي بين له اي لا احد يقدر ذلك فلا تذكرون اي فلا تتعظون او فلا تذكرون بيان الله او ما بين لهم والله اعلم ثم الاية في قوم
علم انهم لا يؤمنون ابدا فلا يشتغل بهم ولا يهتم لهم ولكن يشتغل بغيرهم ويقطع طمعه عن ايمانهم والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا اي قالوا ما الحيوة الا الحيوة الدنيا ويحتمل انهم يقولون ما هي اي لا حياة الا الحيوة التي دنت منا وقوله عز وجل

نموت ونحيا

نموت ونحيا يخرج على الوجهين احدهما اي نموت نحن ونحيا ابناؤنا واولادنا والثاني نموت اي كنا ميتين فحيينا نموت بمعنى كنا امواتا
ونحيى اي نعمرنا الحياة ثم لا حيوة بعد تلك الحيوة والله اعلم وقوله عز وجل وما يهلكنا الا الدهر هذا يخرج على وجهين احدهما اي لا يهلكنا
الا مرور الازمنة والاوقات اي بسبب مرور الاوقات ينتهي اجالنا ونبلغ الى الهلاك وكذلك قال القتبي وما يهلكنا الا الدهر اي الا مرور السنين
والايام والثاني ان يكون الدهر عندهم عبارة عن الابد فكانهم يقولون في قوله وما يهلكنا الا الدهر وما يهلك انفسنا الا ان انفسنا
لم يجعل للابد ولا للبقاء للابد بل جعلت للانقضاء والفناء والله اعلم وقوله عز وجل وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون اي ما هم الا
على ظن يظنون والثاني وما لهم بذلك اي وما لهم بما قالوا وما يهلكنا الا الدهر من علم انهم الا يظنون اي ما هم الا على ظن يظنون اي
يقولون ذلك لا عن علم والله اعلم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا تتلى عليهم اياتنا في البعث والحيوة بعد
الموت بينات اي ما يوضح ويبين لهم البعث والحيوة بعد الموت وقوله عز وجل ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين في
الاشكال الذي ذكر ما كان حجتهم والحجة هي التي اذا اتاها الانسان والتي بها عذر في ذلك وما قالوا لم يكن حجة اذ لم يعذروا فيقولوا بمعنى
قوله ما كان حجتهم اي ما كان احتجاجهم الا ان قالوا كذا او يقول لما كانوا يحتجون الا ان قالوا كذا انهم وقوله عز وجل ائتوا باباءنا ان
كنتم موقنين فيه دلالة ان لا يلزم المسئول ان ياتي بحجة يختارها السائل ويشتهيها لكن يلزمه ان ياتي بما هو حجة في نفسه ويلزمه
الاتباع بها فاما ان يلزم على ما يختاره السائل او يتمناه فلا وقد اتاهم الله تعالى من الايات والحجج ما الزمهم القول بالبعث والاقرار به
ثم اخبر ان الله تعالى هو يحييكم ثم يميتكم الا الدهر قالوا وهو قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة يحتمل قوله قل الله يحييكم
اي يحييكم في قبوركم ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم الى يوم القيمة او يقول الله يحييكم في ابتداء الامر ثم يميتكم في الدنيا عند انقضاء اجالكم ثم
يجمعكم الى يوم القيمة وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ولكن اكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون او يقول ولكن اكثر الناس
لا يعلمون لما تركوا النظر والتامل في اسباب العلم وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض هذا يخرج على وجوه احدها اي ولله ملك
كل ملك في السموات والارض او لله ملك السموات والارض اي خزائن السموات والارض وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
او يقول ولله حقيقة ملك السموات والارض فان كان التاويل هو الاول فان له ملك كل ملك في السموات والارض ففيه اختيار
واعلام بتبرئ اتباع اولئك الملوك والتعظيم لهم والاجلال والخدمة لهم بما في ايديهم من الملك والسلطان وفضل الاموال ليرغبه الامر
يعرف ذلك كله الى الله تعالى والقيام له بالشكر لا لاولئك لان الذي في ايديهم لله تعالى وهو الجاعل في ايديهم والواضع عندهم فالله
يلزم صرف الشكر والعبادة والله اعلم وان كان تاويل الملك الخزائن ففيه قطع الاطماع عما في ايدي الناس والامر بصرف ذلك الى الله
تعالى والرجاء منه دون من سواه والله اعلم وان كان الثالث وهو ان حقيقة الملك لله تعالى ففيه انه فيما امتحنهم في الدنيا بانواع المحن
لم يمتحنهم لمنفعة يرجع الى نفسه والمضرة يدفع عنها وكذلك ما يثيبهم في الاخرة ويعاقبهم ليس يفعل ذلك لمنفعة كانت له في الدنيا او دفع
مضرة عنه ولكن لحكمة اوجبت ذلك لهم وعليهم والله اعلم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة سمى القيمة ساعة لجواز ان يكون سماها
لسرعة قيامها ونفاذها كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وان يكون سماها بذلك لما يكون حسابهم وامرهم يوم القيمة
انما يكون في ساعة والله اعلم وقوله عز وجل يومئذ يخسر المبطلون يحتمل اي يومئذ يتبين خسران المبطلين في الدنيا وعلى ذلك يتبين
خسران كل مشركين في تجارة الدنيا او في عمل عند القسمة يتبين خسران عملهم وتجارتهم واصله ان الله تعالى جعل الدنيا وما انشا
فيها من الاموال والاملاك رؤس اموال لاهلها يتجرون ويكتسبون بها الربح في الاخرة واذ اما انشا الدنيا للاخرة لا ان انشاها
لنفسها ولذلك قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وقال ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ونحو ذلك والله
اعلم وقوله عز وجل وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها يحتمل ان يكون ما ذكر من الجثو على الركب في الاخرة تعريف لهم وانباءهم
يخاصمون يوم القيمة جاثين كما يختصمون في الدنيا عند الحكام والامراء جاثين على الركب والله اعلم ويحتمل ان يذكر جثوهم لما يغلبهم من
الاقدام او لا يحملهم لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكونون جاثين على الركب ويقومون بها والله اعلم وقوله عز وجل كل امة تدعى
الى كتابها يحتمل كتابها الذي كل في نفسه وهو كقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه واوتي
كتابه بشماله ونحو ويحتمل قوله كل امة تدعى الى كتابها الذي دعيت كل امة اليه في الدنيا من نحو القران ونحو قوله يا اهل الانجيل وال
التورية ونحو ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون كل امة تدعى الى كتابها اي الحساب الذي عملت في الدنيا تفسيره ذلك ما ذكر اليوم تجزون
عذاب الهون بما كنتم تعملون في الدنيا وقوله عز وجل هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يحتمل الكتاب الذي امنا في نفسه هو القران
الذي كان ينطق لهم بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض او بالحق اي بالصدق بانه من الله تعالى والله اعلم ويحتمل ان
يكون ذلك الكتاب هو الكتاب الذي يكون لكل بالانفراد الذي كتبته له الملائكة مما عملوا من خير او شر وهو كقوله تعالى اقرا كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا والله اعلم وقوله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اختلف في تاويله قال بعضهم ان الحفظة تكتب
اعمال بني ادم ثم يعارضون ذلك بما في اللوح المحفوظ المكتوب فيه ان فلانا يعمل كذا وكذا فلا يزيد شيء ولا ينقص وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يقول ويمان من هذا ان في السماء كتابا عليه ما لم يكن النسخ مع بني ادم فيستنسخون من ذلك الكتاب ما تعملون ثم قال وما

يكون النسخة الا من كتاب وشي والله اعلم وقال بعضهم ملكان موكلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما ما يعمله فاذا ارادا ان يصعد
الى السماء فيعارض كل واحد منهما كتابه الذي كتبه مع كتاب الاخر فلا يختلف حرفا مما كتب هذا ما كتب الاخر والله اعلم وقال بعضهم
عرض كتاب الناس الذي عملوا كل يوم او كل خميس فينسخ منه الخير والشر وما يثاب عليه ويعاقب ويلغى ما سوى ذلك مما لا
ثواب به ولا عقاب والله اعلم ويحتمل ان يراد من الانتساخ ابتداء الكتابة من اخذ من كتاب ونحوه فانه يجوز ان يستعمل الانتساخ
في ابتداء الكتابة على غير اخذ من كتاب ونحوه بحواه يقول الرجل انتسخته اي كتبته فيكون كانه قال انا كنا نستنسخ اي نكتب
ما كنتم تعملون ونثبته عليكم من شر او خير فيخرج لهم كتبهم التي فيها اعمالهم فكانت عليهم حجة وهي التي كتبت عليهم الحفظة
وقال ابو عوسجة الجاثية هي التي جثت واجتمعت ويقال تجاثينا اي بركنا على ركبنا للخصومة وقال القتبي جاثية على الركب اراد
انها غير مطمئنة وقوله يدعى الى كتابها الى حسابها وقوله هذا كتابنا ينطق بالحق يريد انهم يقرؤنه فيذكرهم فكانه
ينطق عليهم وقوله تعالى انا كنا نستنسخ اي نكتب على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين امنوا اي امنوا بجميع ما
ملكان عليه الايمان به والتصديق وقوله عز وجل وعملوا الصالحات اي عملوا بما فيه صلاحهم وما يوجبه الحكمة من العمل
فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته رحمة لانها نالوا برحمته ويدخل فيها او سماها رحمة لانها هي النهاية والغاية التي يطلب
بالرحمة ويراد بها والله اعلم وقوله عز وجل ذلك هو الفوز المبين الاية الفوز هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل وقيل الفوز هو النجاة
الذي لا خوف بعده والله اعلم وقوله عز وجل واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم كان فيه اضمار الانه قوله تعالى واما الذين
كفروا وانما هو اخبار على المعاينة وقوله تعالى افلم تكن اياتي تتلى عليكم خطاب ومشافهة فليس هو من جواب الاول ولابد من
نكانه قال والله اعلم واما الذين كفروا في الدنيا يقال لهم في الاخرة اذا طلبوا الرجوع والاقالة او التخفيف ونحو ذلك افلم تكن اياتي
تتلى عليكم في الدنيا ثم يحتمل اياتي اي ايات وحدانيته والوهيته او ايات قدرته وسلطانه على التعذيب وايات قدرته على البعث
او ايات رسالة رسله والله اعلم وقوله عز وجل فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين لا احد يقصد قصد الاستكبار على ايات الله لكنهم
لما كذبوها وردوا اياته ولم يعملوا بها فكانهم استكبروا عليها وهو كما قال الا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان
لكنهم لما عبدوا الاصنام بامر الشيطان فكانهم عبدوه ويحتمل ان يكون استكبروا على رسله فيكون استكبارهم على رسله كانهم
استكبروا عليه او استكبروا على اياته والله اعلم وقوله عز وجل وكنتم قوما مجرمين قيل المجرم هو الوثاب في المعصية والله اعلم
وقوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
كان عندهم فيها ريب لكنهم لو تاملوا ونظروا فيما اقام من اياته زال عنهم الريب الذي كان لهم فيها ويحتمل ان يقال هذا على الاتقان
انا كان القايل به موقنا وان كان الذي يقال له شاكا في ذلك والاول اقرب واشبه ثم الناس رجلان في الساعة موقن بها و
محقق وتكلم في العمل بها والاستعداد لها كالظان والثاني ظان بها شاك فيها لا حاجة لها ومكذب كالموقن ان لا يكون ثم الاتقان البحث
هو العلم بالاسباب الظاهرة وقد يدخل في تلك الاسباب ما في شبهة وشك لذلك ذكر فيه الظن والله اعلم واما العلم بالشي قد يكون
بالتجلي له بلا سبب ولذلك وصفه الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالاتقان ولا يقال انه موقن لما ذكرنا ان احد ما يكون باسباب و
الاخر لا والله اعلم فيتمكن في الاتقان اذ في شبهة وشك وقد يقع غالب الاسباب على حقيقة الاحوال نحو الحكم على الشريعة بما اوعد به
بغالب الاسباب ليس على الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما عملوا هذا يخرج على وجهين احدهما بدا لهم ان الاعمال في الدنيا
انها اسباب في الاخرة لانهم عملوها في الدنيا وعندهم انها حسنات فيظهر لهم في الاخرة انها سيئات والثاني بدا لهم سيئات ما عملوا اي
اظهر لهم في الاخرة وتذكروا سيئات ما عملوها في الدنيا في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي نزل
بهم ووجب ما كانوا يستعجلون من الرسل وهو العذاب الذي كانوا يوعدون لانهم كانوا يستعجلون ذلك استهزاء منهم بهم
باستهزائهم كانوا ولانه نزل بهم ما كانوا يوعدون والله اعلم وقوله عز وجل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا والاشكال
انهم كيف ينسون يومئذ لانهم لو كانوا ينسون لسلوا من العذاب لكن ما ذكر من النسيان يخرج على وجهين احدهما كنى بالنسيان
عن الترك يقول اليوم نترككم في النار وفي العذاب كما تركتم انتم العمل لذلك اليوم والنظر فيه والثاني على التمثيل اي اليوم نصيركم
في النار كالشي المنسي لا يكترث اليكم ولا يلتفت ولا يعبا بكم كما صيرتم انتم ذلك اليوم كالشي المنسي لم تكترثوا اليه ولم يعملوا به والله
اعلم وقوله عز وجل ومأواكم النار وما لكم من ناصرين جعل الله تعالى النار لهم مأوى بازاء كلما افتخروا في الدنيا على رسل الله عليهم
السلام واتباعهم من المنازل والمراكب والملابس وغير ذلك واخبر انه لا ناصر لهم يملك اخراجهم من تلك النار والمأوى الذي جعل لهم
ولا يقدر دفع ذلك عنهم والله اعلم ثم اخبر ان بعض ذلك الذي اصابهم ونزل بهم انما كان بما ذكر من اتخاذهم ايات الله هزوا في
الدنيا هزوا بها وهزوا بالرسل عليهم السلام ثم ايات الله يحتمل ما ذكرنا من ايات وحدانيته والوهيته وايات قدرته وسلطانه
على البعث وايات رسالة الرسول عليه الصلوة والسلام وقوله عز وجل وغرتكم الحيوة الدنيا قد ذكرنا فيما تقدم معنى نسبة
التغرير الى الحيوة الدنيا واضافته اليها وان لم يكن منها على التحقيق تغرير وخداع وهو انهم انما اغتروا بها نسب فعل التغرير اليها

كانها هي غرتهم وقد ينسب الفعل الى السبب الذي به كان ذلك وان لم يكن منه حقيقة ذلك نحو قوله تعالى والنهار مبصرا اي
يبصر به وذلك كثير في اللغة او يقال ان ما كان منها لو كان ذلك ممن يحتمل التغرير لكان ذلك كالتغرير والله اعلم وقوله عز وجل
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون اختلف في قوله ولا هم يستعتبون قال بعضهم انهم يعاتبون الان يدخل النار انكم فعلتم
كذا ولم فعلتم كذا فاذا دخلوا النار ينقطع العتاب ويجعل كالشي المنسي فيها والله اعلم وقال بعضهم ولا هم يستعتبون اي لا هم
يسترجعون الى ما يطلبون من العود والرجوع الى العمل الصالح لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل الاية ثم في قوله
ان نظن الا ظنا وقوله راى الجمهور نظنوا الاية وقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم دلالة ان لا ايجاب فيهم على ظاهر ما
خرج الخطاب لانه ذكر الظن في المؤمنين والمراد به الايمان لا ظاهر الظن وذكر في الكافرين الظن واريد به الحقيقة ولا يجوز
ان يفهم من الظن في الفريقين معنى واحد بل يفهم من هذا غير الذي فهم من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل فلله الحمد رب
السموات والارض رب العالمين ان جميع ما ذكر في القران من الحمد له تعالى ذكر لاحد شيئين احدهما بما يستحق من الثناء بتعاليه
عن جميع معاني الخلق واوصافهم والثاني بما يستحق من الثناء عليهم بالنعم والاحسان الذي منه اليهم وهو ما قال الحمد لله رب
العالمين والحمد لله الذي خلق السموات والارض ونحو ذلك والله اعلم واصل الحرف انه اذا اضيف كلية الاشياء الى الله تعالى ففيه
وصف له بالعظمة والجلال واذا اضيف جزئية الاشياء اليه وخاصية فانما فيه تعظيم تلك الخاصية المضافة اليه وفي قوله تعالى فلله
الحمد رب السموات والارض رب العالمين اضاف كلية الاشياء اليه والخاصية والجزئية ففيه الامران جميعا ثم قوله عز وجل
فلله الحمد رب السموات والارض اضاف جزئية الاشياء اليه وخاصيته وقوله عز وجل رب العالمين اضاف كلية الاشياء اليه
والله اعلم وقد تقدم ذكر الرب في غير موضع وقوله عز وجل وله الكبرياء في السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما
اي وله الوصف بالكبرياء والعظمة على اهل السموات واهل الارض ان يصفوه بالكبرياء والعظمة او من حقه على اهل السموات
واهل الارض ان يصفوه بالكبرياء والعظمة والجلال والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم اي هو العزيز الذي لا يلحقه
الذل بجاوز الخلق له ولا بعصيانهم او هو العزيز بما به يتعزز من اعزه ونصره ومن وصف بعز دونه فذلك راجع في الحقيقة اليه
الحكيم الذي وضع كل شي موضعه او الحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير والله الموفق الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق قوله عز وجل الا بالحق اي خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي صار انشاء ذلك وخلقه حكمة
لانه لو كان الامر على ما ظنوا اولياء الكفرة وزعموا بان لا بعث ولا جزاء من ثواب وعقاب كان انشاء ما ذكر من السموات والارض
وخلق ذلك كله عبثا باطلا على ما تقدم ذكره في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا عما انذروا معرضون يحتمل
عما انذروا معرضون وجهين احدهما اي بما الزمهم من النظر والتفكر فيما ذكر من خلق السموات والارض وما انشاء
من المنافع وجعل ذلك لهم ليعلموا انه لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن العاقبة ولا مر يراد اذ عرفوا بعقولهم انه لا يجوز خلق
الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يمتحنون فاعرضوا عما الزمهم من النظر والتفكر في ذلك فهم
معرضون اعراض ترك النظر والتفكر والله اعلم والثاني ما انذروا بما نزل بمن تقدم من مكذب الرسل عليهم الصلوة والسلام
والثاني بما انذروا واوعدهم من العذاب في الاخرة فهم معرضون عن ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل قل ارايتم ما تدعون
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين
يحتمل ان يكون ما ذكره له موصولا بعضه ببعض ويحتمل ان يكون بعضه مفصولا عن بعض فان كان على الوصل فكانه يقول
ارايتم ما تعبدون من دون الله من الاصنام وتدعونها الهة هل خلقوا لكم من المنافع وما به حيوتكم وقوامكم ومعاشكم مما
يخرج الارض واهل بين لون لكم من المنافع الذي جعل لكم في السماء من الامطار وغيرها وهل اتاكم كتاب من عند الله فيه
انه امركم بعبادة من تعبدونه او ثم من علم هو يخرج على وجهين احدهما او ثار كم من الحكماء الاولين المتقدمين كتابا وقوله
فيه الامر بذلك واستخرجتم من العلوم ذلك ثم لعلمتم به يقول والله اعلم ان الاسباب التي تحمل الناس على العبادة والخدمة
لهم هذه الوجوه اما منافع يتصل بهم منهم بها قوامهم ومعاشهم وحياتهم واما كتاب من الله تعالى فيه حجة لهم وامرهم في ذلك
او كتاب من الحكماء والرسل يأمرون لهم وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتاب وليست لهم علوم استخرجوه من العلوم يقول ليس
لكم مما ذكر من الاسباب والعلوم ما عبدتموها فكيف اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم ان ما به قوامهم وجهوكم منه والله
اعلم وان كان مفصولا من بعض فيكون كانه يقول لهم اروني ماذا خلقوا من الارض منافع وغيرها ام لهم شرك فيما ذكر فان قالوا
انه خلقوا ما ذكر وهم شرك فيما ذكر فقال لهم ائتوني بكتاب من قبل هذا من كتاب الحكماء او العلوم المستخرجة من العلوم ان كنتم

مباد فيق انهم خلقوا ما ذكر او لهم شرك فيما ذكر والله اعلم وقد علموا انهم لا يعدون ان يروا ما ذكر ما لهم من هذه
الاسباب بنح اذ هي اسباب العلم وقد عجزوا عن ذلك كله ثم وقوله عز وجل او اثارة من علم قال بعضهم او خاصة من علم
وقال بعضهم او بقية من علم اوليهم وهو قول القتبي اي بقية من علم يوثر عن الاولين ويقرا او اثرة واثارة واصله ما ذكر
من الوجهين احدهما كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام والثاني العلوم المستخرجة من سائر العلوم وقال بعضهم او
اثارة من علم هو الخط وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام يخط فمن صادف مثل خطه وقال ابو عوسجة او اثارة من علم اي قديم من علم قال ومنه اثارة الشيم القديم وقيل
اثارة من علم اي رواية عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر سفههم وبين نهاية تعنتهم وقوله عز وجل ومن
اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة لانه لا يملك اجابته ويحتمل ذلك والثاني لا يستجيب له الى يوم
القيمة ثم اذا اجاب يوم القيمة اجابه باللعن والتبري كقوله تعالى ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله
عز وجل اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم
وغير ذلك من الايات التي فيها ذكر تبري بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل عن دعائهم غافلون
لم يكن منهم لهم امر بذلك ولا دعاء ولا شي من ذلك كقوله تعالى انا كنا عن عبادتكم لغافلين وقوله عز وجل واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين هو ما ذكرنا انه يصير بعضهم لبعض اعداء يتبرؤن منهم ويلعنونهم ويكفرون
بعبادتهم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي بينات انها من الله تعالى او بينات واضحات ما بينهم ما
عليهم ما لهم وما لبعض على بعض وما لله عليهم وقوله عز وجل وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين يحتمل ان
يكون الحق الذي قالوا انه سحر هو تلك الايات البينات التي ذكر انها تتلى عليهم فقالوا انها سحر وقالوا انها سحر لما انها كانت معجزة خارجة
جاءت عن وسعهم حيث نسبوها الى السحر وقوله عز وجل ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هذا حرف المنابذة
يقول ان افتريته فلا تملكون انتم دفع عقوبته ذلك الافتراء عن نفسي وهو كقوله تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي
يقول على اثم ذلك وجرمه وانا بقال هذا انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا يطمع منهم القبول والحجج فيهم وتوبيخهم تهديد لهم
يقال ويتابذ والله اعلم وقوله عز وجل هو اعلم بما تفيضون فيه اي بما تخوضون فيه يقول هذا ويذكر دليلا يقولوا ولا تدعوا صنيعه
عن ذلك بل يذكرهم ان كان عالما بما يسرون ويعلنون وقيل تفيضون من قوله افاضوا اذا اخذوا ويحدثوا وهو قول القتبي وقوله
عز وجل كفى به شهيدا بيني وبينكم يخرج على وجهين احدهما اي يشهد وان في الاخرة اني قد بلغت رسالته والثاني او كفى به شهيدا بيني
وبينكم في الدنيا بما علم ما كان منهم من الشرك والتكذيب ومعنى من التبليغ فهو شاهد بما كان مني ومنكم في الدنيا من سر وعلانية والله
اعلم وقوله عز وجل وهو الغفور الرحيم ذكر هذا في الموضع هذا على اثر ما ذكر من غاية سفههم وتعنتهم والله اعلم كانه يقول انكم وان
بلغتم في السفه ما بلغتم فانكم ان رجعتم عن ذلك وتبتم يغفر لكم ما كان منكم والله اعلم ثم وقوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من
دون الله ان كان على حقيقة العبادة فهو صلة قوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك
في السموات الاية يقول والله اعلم ومن اضل ممن يعبد من لا يملك ما ذكر من خلق الارض ولا له شرك في السموات وما ذكر وترك عبادة من خلق
السموات والارض وشهد كل شي له بذلك واتى بالحجج والبراهين على ذلك اي لا احد اضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة
الى الذين لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم وان كان على الدعاء نفسه فهو صلة ما ذكر من قوله لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم
غافلون اي ومن اضل ممن يدعوا من دونه من لا يملك اجابته ولا يسمع دعاءه وترك دعاء من يملك اجابته ويسمع دعاءه ويقدر قضاء
ما يدعون ويسالونه اي لا احد اضل ممن اختار دعاء من لا يملك شيئا من ذلك على دعاء من يملك ذلك كله يسفههم في صنيعهم و
واختيارهم على ما اختاروا والله اعلم وقوله عز وجل قل ما كنت بدعا من الرسل كانه خرج هذا ذكر والله اعلم لانكار منكر الرسالة البشر
واستعظامهم واستعظام الرسالة فيهم فقال عند ذلك ما كنت بدعا من الرسل [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم [illegible]
[illegible]
[illegible] قال شعيب عليه السلام [illegible]

وما ذكر من

ما ذكر في سورة يوسف عليه السلام وما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية وقول يوسف عليه السلام توفني مسلما و
الحقني بالصالحين وقول يوسف عليه السلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا
على طاعتك لما ان كانت الرسل عليهم الصلوة والسلام على خوف من تغيير الاحوال التي كانوا عليها فعلى ذلك يخرج ان يكون قوله وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم اي تغير علي وعليكم الا الاحوال التي نحن عليها اليوم ام نترك على ذلك وحقيقة هذا الكلام على الاستقصاء وقد
مرت والله اعلم وذكر بعض اهل التاويل ان اهل مكة كانوا يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين بانواع
الاذية فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يلقون منهم فقال اني لرأيت اني اهاجر الى ارض فيها من النخل وغيرها فاخبرهم على ذلك كاني
رأيت في المنام اني اهاجر الى ارض اخرى ذات كذا فاستبشروا بذلك فكثوا بعد ذلك زمانا لا يرون شيئا مما ذكر فشكوا اليه ثانيا بما يلقون
منهم وقالوا ما نرى ما قلت لنا من الخروج عنهم فقال انما رأيت ذلك في المنام ولم يأت به وحي من السماء ان يكون ذلك ام لا يكون ويحق
هذا لا يحتمل ان يكون فانه لا نظن باصحابه رضي الله عنهم ان يقولوا له ما نرى الذي قلت لنا من الخروج عنهم وفي ذلك اتهامه بذلك وترك
تعظيمه ولا نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انما رأيت ذلك في المنام ولم يأت به وحي من السماء جوابا لقولهم ورؤيا الانبياء عليهم
الصلوة والسلام كالوحي من السماء ولان هذا لا يحتمل ان يصح ويثبت والله اعلم انما جاز بعض ما ذكر في القصة من الشكاية منهم من الاذى
والوعد لهم بالخروج من بينهم والله اعلم والوجه الذي ذكرناه اشبه واقرب الى العقل والله اعلم وقوله عز وجل ان اتبع الا ما يوحى الي
وما انا الا نذير مبين ظاهر وقوله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم
الاية قال بعضهم ان عبد الله بن سلام امن برسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد انه رسول الله ثم شهد بمثل ذلك ابن يامين وقال بعضهم
ابن يامين اولا انه رسول وامن به وصدقه ثم شهد بمثله ابن سلام والله اعلم والاشبه في هذا ان يكون قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
التورية او موسى عليه السلام على ذلك كقوله تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا شهد كتاب
الله ورسوله عليه السلام والله اعلم ولان عبد الله بن سلام انما اسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين وهذه السورة مكية لكنهم يقولون
هذه السورة مكية الا هذه الاية الثلاث والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يحتمل
ان يكون هذا القول من الاجلة والروساء منهم الذين كان منهم صلة الارحام وانواع الخيرات والاعمال الصالحة قالوا انا قد سبقناهم
في الخيرات سوى ذلك فلو كان ذلك الذي ترجون اليه خيرا ما سبقونا كما لم يسبقونا الى سائر الخيرات وقوله عز وجل واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم واذ لم يهتدوا به من بيننا فيقولون هذا القران افك قديم اي كذب قديم فكان قولهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه بحق الاحتجاج وقولهم فسيقولون هذا افك قديم تكذيب منهم ورد لذلك ثم وقوله عز وجل افك قديم يقولون والله
اعلم من قول من ادعى الرسالة يدعي على الله ما يدعي محمد صلى الله عليه وسلم من تلاوة الكتاب عليهم وبعثه اليهم ابن سلام الى الناس
يطلب الرسالة ثم عليهم وقوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اماما يقتدى به ورحمة لمن اتبعه في دفع العذاب عنهم
وقوله تعالى وهذا كتاب مصدق ذكر ههنا مصدق ولم يذكر انه مصدق لماذا لكن قد ذكر في غيره من القران مصدقا لما بين يديه
ثم وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه يحتمل اي موافقا لما لم يحرف ولم يغير من تلك الكتب لان تلك الكتب قد حرفوها وغيروها
ولم يغيروا ولم يحرف هذا الكتاب وقد حفظه الله تعالى عز وجل عن التبديل والتغيير فهو مصدق موافق لما لم يغير ولم يحرف
من تلك الكتب والله اعلم وقوله عز وجل لسانا عربيا اي انزله بلسان عربي ليعلم انه ما اخذه محمد صلى الله عليه وسلم من تلك الكتب لان
تلك الكتب كانت على غير لسان العرب ولسانه عربي ولكن جاءه من الله تعالى بلسانه وقوله عز وجل لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين
فمن قرأ لتنذر بالتاء فتاويله لتنذر يا محمد الذين ظلموا ومن قرأ بالياء لينذر اي لينذر به القران وقد ذكرنا فيما تقدم تفسير
النذارة والبشارة والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاستقامة تحتمل وجهين احدهما اي قالوا ربنا
الله ثم استقاموا على ذلك القول الذي قالوا وثبتوا على ذلك ولم يتغيروا ولم يتبدل حالهم تلك والله اعلم والثاني قالوا ربنا الله
ثم استقاموا اي وفوا بالعمل بما اعطوا بلسانهم وقلوبهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها وقد
ذكرناه في غير موضع عز وجل جزاء بما كانوا يعملون جعل ذلك لهم جزاء اعمالهم بفضله ورحمته لانهم يستوجبون ذلك بنفس
عملهم ولكن بالتفضل ورحمته وذكر جزاء الاعمال فضلا منه وقوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه احسانا وحسنا كانه
قال امرنا الانسان ان يحسن الى والديه والحسن هو اسم ما يقع بهم من البر وهو المفعول والاحسان هو اسم فعله الذي
يفعل بهم وقوله عز وجل حملته امه كرها ووضعته كرها وقال في اية اخرى حملته امه وهنا على وهن وقال في اية اخرى حملت
حملا خفيفا اي انها في اول الحمل حملا خفيفا فلما اثقلت وهو وصف الولد وقوله عز وجل وهنا على وهن وذلك في الام لانها لا
تزال تضعف وتهن من اول ما حملته الى ان وضعت وقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها في اول ما تحمل تجد كراهة في نفسها
الى وقت وضعها والثاني يشبه ان يكون على الجمع في الام دون الولد على اختلاف الاحوال وهو في ابتداء يخف عليها الى ان دنا وقت
وضعها وما ذكر من الوهن فهو ما ذكرنا انها لا تزال تزداد ضعفا بها وتثقل الى حملها الى وقت وضعها وما ذكر من الكراهة فهو

اذا تم حملها شق ذلك عليها وكذلك الوضع لا شك ان ذلك يشق عليها والتأويل الاول على التفريق في حال فيرجع الوهن الى الولد
في حال الولادة والثاني يرجع ذلك كله الى الوصف للام وعلى التأويلين حصل التوفيق بين الايات لرجوعها الى اختلاف الاحوال فأمكن
الجمع بين الكل في الاحوال والاختلاف انما يكون في حال واحد والله اعلم وقوله عز وجل وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اختلف فيه قال
بعضهم ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حملته امه كرها اي بمشقة ووضعته بمشقة ثم وضعته على تمام ستة
اشهر وقال بعضهم الاية نزلت في الحسن والحسين رضي الله عنهما وضعته على ما ذكر في الخبر ثم منهم من يقول الاية وان نزلت في نازلة
بعينها لكن ما ذكر من الحكم فذلك في كل انسان وعلى ان يكون الولد ثابت النسب من الاب بهذه المدة فانه روي عن عمر رضي الله عنه انه
اتي بامرأة وضعت في ستة اشهر فاراد ان يرجمها فقال ابن عباس رضي الله عنه يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد جعل لها في كتابه مخرجا
قال الله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ستة اشهر حملها وفصاله
سنتين فاخذ بقول ابن عباس رضي الله عنهم ودرأ عنها الرجم وكذلك روي عن عثمان رضي الله عنه انه اتي بامرأة وضعت لستة
اشهر فهم ان يرجمها فقال له ابن عباس رضي الله عنه اما انها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ثم تلا هذه الاية وكذلك ذكر عن
علي رضي الله عنه ان عثمان رضي الله عنه لما امر برجم المرأة التي وضعت لستة اشهر فصنع علي رضي الله عنه فاتى عثمان رضي الله
عنه فقال له ما صنعت فقال له عثمان رضي الله عنه وهل تلد المرأة الولد التام لستة اشهر قال نعم ثم تلا عليه هذه الاية فتلك
الصحابة رضي الله عنهم قدروا الاية في كل امرأة وضعت لتلك المدة في حق ذلك الحكم الذي ذكر والله اعلم ثم روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال اذا وضعت لستة اشهر ارضعته حولين كاملين لان الله تعالى عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا و
اذا وضعت لسبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا واذا وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا فعلى قياس
هذا اجابوا بانها وضعته لسنتين ان يكفي رضاع ستة اشهر زاد وينقص على ذلك القدر الا ترى انه روي ان المرأة التي حملت سنتين
ولدت وقد نبتت له اسنان فمثل هذا الولد لا يحتاج من الرضاع ما يحتاج الذي ولد لستة اشهر لذلك كان ما ذكرنا ثم انه احتمل
النقصان عن الحولين لما ذكرنا فاذا الزيادة على الحولين على ما قال ابو حنيفة رحمه الله لان ما ذكر من الحولين انما هو رضاع اقل الحمل
وهو ستة اشهر لان الذي ولد لستة اشهر كان الى الاغتذاء بالطعام ابعد من الذي ولد لتسعة اشهر لضعفه في نفسه والذي
ولد لتسعة اشهر فهو الى الاغتذاء بالطعام اقرب منه والذي ولد لسنتين هو اقرب الى الاغتذاء بالطعام من المولود لتسعة
اشهر لقوته وقلة حاجته الى الغذاء باللبن فاذا كان قوله تعالى حولين كاملين هو اقل رضاع يكون لانه ذكر المولود لاقل الحمل حيث
قال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ثم قال وفصاله في عامين فاذا كان اقل احتمال الزيادة الذي ذكر ابو حنيفة رحمه الله وهو
ستة اشهر على السنتين كما يصير رضاع اكثر الحمل ستة اشهر واعتبر في الباب الى قوة الولد واحتمال الغذاء بالطعام وعدم الاحتمال
والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الى آخر ما ذكر ان هذه الاية التي ذكرنا نزلت في نازلة حيث
اخبر انه اذا بلغ ذلك المبلغ قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي الاية ثم قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
ذكر اول ما يشتد عقله ويدخل في القوة الى الوقت الذي يكون على الزيادة فاذا جاوز ذلك الوقت يأخذ في الانتقاص وهو اربعون
سنة وقال اهل التأويل بلوغ الاشد هو ثماني عشرة سنة الى اربعين وهو ما ذكرنا انه اول وقت دخوله في الزيادة والقوة الى
الوقت الذي اذا بلغ ذلك يأخذ في النقصان والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
دل قوله علي وعلى والدي على انه على الرجل شكر ما انعم على والديه ولحسن اليهما كما يلزمه شكر ما انعم عليه لما يكون بين والديه و
الاولاد الصغار بالوالدين وما لهما من النعم يصل نفعها اليهم ايضا فيلزمهم شكر ما انعم عليهم بالايمان والنعم في وقته وقوله
عز وجل وان اعمل صالحا ترضاه هذا على كل مسلم ان يدعو بمثل هذا الدعاء ليسأل ربه التوفيق على عمل صالح يرضاه وقوله عز وجل
واصلح لي في ذريتي هذا يحتمل وجهين احدهما اي اصلح لي ذريتي على طرح حرف ومنه كقوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله عز
وجل فهب لي من لدنك وليا يرثني والله اعلم ثم قوله تعالى اوزعني الهمني وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه سأل ربه ان يوزعه
شكر ما انعم عليه ومن قولهم انه ليس على الله الشكر الا بعد اعطاء جميع ما به شكر حتى يبقى عنده مزيد فيكون مثل هذا الدعاء لغوا
وهزوا على قولهم لانهم يسألون ما يعلمون انه ليس عنده ذلك وانه لا يملك فكذلك قوله وهما يستغيثان الله ومن قولهم انه ليس عنده
ما يغيثه فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم وبالله العصمة وقوله عز وجل اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا
ونتجاوز عن سيئاتهم كان لهم حالان حسنات وسيئات فاخبر انه يتقبل منهم حسناتهم ويجزيهم جزاءها ويتجاوز عن سيئاتهم ويكرمهم
ولا يجزيهم جزاءها فضلا منه ورحمته والمراد من الحسن الحسن ويجوز ذلك في اللغة وقوله عز وجل وعد الصدق الذي كانوا يوعدون اي
ذلك الذي اخبر وذلك انه يتقبل لهم هو وعد الصدق يفي ذلك لهم وهو قادر على وفاء ما وعد ومن يكون منه الخلف في الوعد في
الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلاثة اما بعجز يمنعه عن وفاء ما وعد او جهل وبدو بداء له فيرجع عن ذلك او حاجة والله سبحانه
وتعالى يتعالى عن ذلك كله بالقدرة الذاتية والغنى الذاتي والعلم الازلي والله الموفق وقوله عز وجل والذي قال لوالديه اف لكما

اتعدانني

اتعدانني ان اخرج الى آخر ما ذكر خرج اهل التأويل هذه الاية في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وقالوا نزلت
والاية الاولى في ابي بكر الصديق ووالديه وهي قوله ووصينا الانسان بوالديه يقولون ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اطاع والديه
وامر بالاحسان اليهما والشكر لهما وسأل التوفيق في الشكر لربه على ما انعم عليه وانعم على والديه وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه
وخالفهما فيما يدعوانه اليه وقال لهما قولا رديا خبيثا قال اف لكما اتعدانني ان اخرج من القبر حيا وقد خلت القرون من قبلي من القرون
فلم ار منهم بعثوا ونحو ذلك من الكلام الا ان هذا لا يصح لان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق من اجلة الصحابة رضي الله عنهم فالظاهر
انه لم يكن منه مثل هذه المجادلة لان اهل التأويل قالوا انه كان قال لوالديه ان كان ما يقولون حقا اخرجا فلانا وفلانا
ذكر نفرا من اجداده فقال اولئك الذين حق عليهم القول الاية ولا يحتمل ان يكون هذا جواب ما تقدم من القول لانه في وجه
ما ذكر وهو استحقاق عذاب عليهم منع الحوالة والاخبار في الدنيا ولانهم لو كانوا يعادون لا يسقط ذلك الذي حق عليهم
انهم لا يؤمنون الا ان يتوقاه الله تعالى قال والوعيد والفساد والمأمور عنه لكن جائز ان يكون الانسان في تخليق من ولد
بني آدم عليه السلام مع والديه اطاع احدهما والديه واجابهما الى ما دعواه اليه وخالفهما في امرهما فاستغاث والداه و
خالفهما في امرهما وقال لهما ما ذكر في الاية وقال لهما اجابهما ما ذكر وهو كما ذكرنا في قوله تعالى حملت حملا خفيفا صرف اهل التأويل
بأجمعهم هذه الاية الى آدم وزوجته حواء عليهما السلام وقلنا نحن جائز ان يكون الاية هذه في كل والد وولد يقولان
ما ذكر ويدعوان الى ما ذكر فلما آتاهما ما ذكر من الصلاح كانا ما ذكر فعلى ذلك جائز ان يكون الانسانان اللذان ذكر انهما
يكونان في كل ولد مع والديه من اجاب والديه ومن عصاهما والله اعلم فلا يصرف الاية الى من ذكر والانباء من الله تعالى
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم انها في كذا وكذا في فلان وفلان على طريق التواتر فعند ذلك يقال ما قالوا فاما ان لم يثبت
النصوص والاشارة الى قوم بالتواتر فالكف عن ذلك اسلم والله اعلم ودل قوله تعالى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان عنده
لطفا لو اعطى ذلك لآمن لولا ان يستغيثان الله تعالى ويأمران بالايمان بقوله آمن والله اعلم وقوله عز وجل ولكل درجات
مما عملوا من خير او شر وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون اي ليوفيهم اجزاء اعمالهم من خير او شر وهم لا يظلمون اي
لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد لهم في سيئاتهم وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا وقال في اية اخرى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق وقال في اية اخرى وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا ونحوه ليذكر بهذه الاية وامثالها ليعرفوا ما كان وما استوجبوا من العقوبات انما استوجبوا بما كان منهم في الدنيا
من التكذيب والاستهزاء باياته لينزجروا عن ذلك ثم وقوله عز وجل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
يخرج على وجهين احدهما اذهبتم طيباتكم التي اعطيتم في منافعكم وانفقتموها ولم تؤدوا شكرها ولم تتقوا من معاصيه والله
[illegible]

ومن بعد دعوا الناس الى عبادة الله تعالى ونهوهم عن عبادة غيره وقوله عز وجل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يحتمل قوله
اخاف عليكم حقيقة الخوف لما لم ييأس من ايمانهم واتباعهم اياه لذلك لم يقطع فيهم القول بنزول العذاب بهم والله اعلم ويحتمل
ان يكون الخوف هو العلم حقيقة اي اعلم ان ينزل بكم عذاب يوم عظيم ان ختمتم على ما انتم عليه وقد يذكر الخوف في موضع
العلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا اي قالوا لهود عليه الصلاة والسلام اجئتنا لتصرفنا عن عبادة
الهتنا وقال بعضهم لتردنا عن عبادة الهتنا وقال بعضهم لتكذبنا في الهتنا والافك الكذب وكله واحد واصل الافك
الصرف كانهم قالوا اجئتنا لتصرفنا عن عبادة الهتنا والله اعلم وقوله عز وجل فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين كانوا
يقولون ذلك استهزاء بهم ولم يزل الكفرة يسالون ويستعجلون العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاء لهم وتكذيبا
بما يوعدون والله اعلم وقوله عز وجل قال انما العلم عند الله الاية اجابهم هود عليه الصلاة والسلام ان العلم بنزول
العذاب ووقته عند الله وابلغكم ما ارسلت به من الدعاء الى توحيد الله تعالى والنهي عن عبادة غيره او يقول ابلغكم
ما امرت من التبليغ نزول العذاب بكم ولست ابلغكم انه متى ينزل بكم لما لم اومر به وقوله عز وجل ولكني اراكم قوما تجهلون
دين الله او تجهلون ايات الله وقبولها او تجهلون نعم الله واحسانه او تجهلون امر الله تعالى وقوله عز وجل فلما راوه
عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا قال بعضهم العارض السحاب فقالوا هذا سحاب ممطرنا وكان حقيقة
العارض هو الريح التي فيها عذاب اليم ظنوا انها سحاب ولم يكن سحابا ولكن كانت ريحا لكن من ذلك الجانب كان ياتيهم
[illegible]
كالرميم هذه الاية تفسير قوله تدمر كل شيء اتت عليه وامرت بتدميره فاما ما لم يؤمر بالتدمير فلا على ما ذكر في تلك الاية
والله اعلم والثاني تدمر كل شيء اي عند من عاينها وتاملها حسبوا انها تدمر كل شيء لا تبقي شيئا على وجه الارض لشدتها
وقوتها لكنها لا تجاوز وتمر دونها الا ترى انها لا تدمر هودا واتباعه وهم فيهم وبقرب منهم وهو كقوله تعالى
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي ياتيه اسباب الموت وما به يموت لو كان فيه امر الموت فعلى ذلك قوله
تعالى تدمر كل شيء اي تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر في احوالها واهوالها انه لو كان لها امر بذلك لكنها لم تجاوز ذا مر
بيتها الا ترى انه قال في اية اخرى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم في ظاهر هذه الاية انها قد بقيت مساكنهم ولم يدمرها
وكذلك قال في اية اخرى تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر قال بعضهم انهم لما التجوا الى مساكنهم وهربوا اليها كانت
تدخل الريح مساكنهم وتخرجهم منها فيلقيهم في صحاريهم او فتيتهم موتى وقال بعضهم ينزل منها … فيطرحهم وتقطعهم
ثم يلقيهم اي فتيتهم على ما وصف وشبههم باعجاز نخل منقعر فالريح التي تعمل اخراج اهلها من مساكنهم والقائهم
في البناء لان تعمل في هدم المساكن والمنازل اولى ومع ذلك وكذلك اذا عملت في نزع المفاصل وقطعها ففي
نقض البنيان والمساكن اولى ومع ذلك لم تعمل في هدم مساكنهم فدل ما ذكرنا انها لم تجاوز فيما امر بها في الاهلاك والله
اعلم وقوله عز وجل فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم الاية ويحتمل لا يرى الا مساكنهم وجهين احدهما اي لم يترك الريح من اثار
رسوم المساكنهم التي ذكروا والثاني لا ترى الا مساكنهم الا اثار مساكنهم فعلى احد التاويلين ترك لهم المساكن لم
يهلكها وعلى التاويل الاخر تركت اثار مساكنهم فاما نفس مساكنهم فقد اهلكها وهذا التاويل اوضح على ما ذكر
من التاويلين في قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها فالاول على التاويل الاول في قوله تدمر كل شيء ارسلت وامرت
بتدميره ولم يؤمر بتدمير مساكنهم فبقيت والتاويل الثاني على التاويل الثاني في قوله تدمر كل شيء عند من عاينها
ونظر اليها لشدتها وقوتها فتدمر مساكنهم ايضا فلا ترى الا اثارها لكن سماها مساكن باسم ما قد كان وذا من اسم
مستعمل في عرف لسان اللغة والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نجزي القوم المجرمين كان المجرم هو الذي يديم اكتساب الجرم
والاثم وقال بعضهم هو الوثاب في الجرم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الاية قال بعضهم ان
ما هنا في موضع لم كانه يقول ولقد مكناهم فيما لم نمكن لكم من القوة والشدة والعقل والبصيرة وغير ذلك وذلك قوله
تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اي قد مكنا عادا
فيما ذكرنا ما لم نمكن لكم يا اهل مكة في ذلك ثم اذا اتاهم عذاب الله بتكذيبهم الرسل لم يملكوا دفع عذابه وانتم حيث لم تمكنوا
ذلك اجدر ان لا تملكوا دفع عذابه ان نزل بكم بتكذيبكم الرسول عليه السلام وقال بعضهم ان حرف ما صلة فانه

يكون

يكون تقديره الاية كانه يقول ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد ثم لم يملكوا دفع العذاب
عن انفسهم فانتم لا تملكون ايضا دفعه عن انفسكم وكان لهم ما لكم مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد وقوله عز وجل وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء على التاويل الاول حيث ذكرنا انهم مكنوا
ما لم تمكن هؤلاء يكون ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد بها اثباتها حقيقة لكن السمع يكون كناية عن العقل كقوله تعالى
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ذكر السمع ثم فسر بالعقل ويكون قوله ابصارا اريد به البصائر فالبصر يذكر ويراد
به البصيرة اذ قد وصفهم الله تعالى بذلك بقوله وعادا وثمود الى قوله وكانوا مستبصرين ويكون قوله تعالى وافئدة كناية عن
القوى فالفؤاد يكنى به عن القوة يخبر تعالى انهم مكنوا من العقل والبصيرة والقوة ما لم تمكنوا انتم يا اهل مكة ثم لم يقدروا على دفع
العذاب اذا نزل بهم فانتم كيف تملكون دفعه وليس لكم تلك الاسباب وعلى التاويل الثاني كان المراد هو حقيقة ما ذكر
من السمع والبصر والفؤاد فيكون معناه ما ذكرنا ان لكم هذه الاسباب مثل ما لهم ثم لم يقدروا على دفع ما حل بهم من
العذاب فانتم لم تنتفعوا بها واصابها والله اعلم ثم بين الله سبحانه وتعالى الذي به نزل ما نزل من العذاب حيث قال اذ كانوا يجحدون
بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وكان استهزاؤهم بما يوعد لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بالعذاب وقد كانوا
يستهزءون بالرسل عليهم السلام لما يدعونهم الى ما دعوا والله اعلم ثم عذاب عاد بالريح التي وصفها الله تعالى في سورة الحاقة
وذكر فيها حيث قال واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية اي شديدة عادية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما الاية
وقال في اية اخرى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى خلق الله
تعالى البشر على طبع وبنية وحال يحذرون ما ينزل باشكالهم وامثالهم من نوب ونكبوها ويتعظون بغيرهم فكانه يقول م
احذروا واصنعوا الذين اهلكوا ما حولكم وبقربكم لئلا ينزل بكم ما نزل باولئك الذين اهلكوا حولكم لئن تنتهوا عن ذلك وان لا تعاملوا
رسوله كما عامل اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل وعنادهم واستهزائهم بهم … ما نزل باولئك الذين
اهلكوا حولهم لم يرتدعوا عن ذلك وان لا تعاملوا رسوله عليه الصلاة والسلام كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك
والله اعلم وقوله عز وجل وصرفنا الايات لعلهم يرجعون قوله تعالى وصرفنا الايات يخرج على وجهين احدهما اي جعلنا للرسل
عليهم الصلاة والسلام ايات قاموا بها على قومهم ما تعلمهم بذلك على صدقهم وكذبوهم بها فعند ذلك اهلكناهم فعلى ذلك جعلنا لمحمد
صلى الله عليه وسلم من الايات ما يعلمكم يا اهل مكة ويعرفكم صدقه ودلكم على رسالته فلا تردوها حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم
والثاني وصرفنا الايات اي بينا في الافاق والاطراف النائية ما حل باولئك ونزل بهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من العناد و
الرد ما يلزم من بلغ ذلك الخبر واتصل به ما نزل باولئك الرجوع عن مثل صنيعهم ومثل معاملتهم فاحد التاويلين يرجع الى الانتشار
ما نزل باولئك في الافاق لئن يرجعوا عن ذلك تبصيرة الثاني انه تحملهم على الرجوع عن صنيع اولئك لئن يرجعوا عن ذلك والثاني اخبار ان جعل
لكل رسول ايات على صدقه ودلالة على رسالته اي لم نهلكهم الا بعد ما اوضحنا البيان لهم والله اعلم وقوله عز وجل فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة يخرج على وجهين احدهما يرجع الى الله تعالى والاخر يرجع الى الاصنام التي عبدوها واتخذوها
الهة فاما الذي يرجع الى الله تعالى يقول لولا نصرهم الله اي هلا نصرهم الله تعالى عند نزول العذاب بهم ولا يهلكهم لو كان عبادتهم
الاصنام ما يقربهم الى الله زلفى ويكونون شفعاء عنده يقول والله اعلم لو كان حقكم حقا ان ذلك ما يقربكم الى الله هلا نصركم
عند نزول ذلك بكم فاذا لم ينصر الله تعالى اولئك بل اهلكهم فاعلموا انه ليس الامر كما زعمتم وظننتم والله اعلم والثاني يقول والله
اعلم لو كان الاصنام التي عبدوها شفعاء عند الله تعالى على ما زعمتم هلا نصروا اولئك ودفع الهلاك عنهم بشفاعتهم واذ لم
يفعلوا ذلك ولم ينصروهم ولم يدفعوا عنهم فعلى ذلك لا يملكون دفع ذلك عنكم اذا نزل بكم ما نزل باولئك والله اعلم وتفسير لولا هلا
هلا وهلا يستعمل في الماضي فيكون معناه ولم يفعل اي لم ينصرهم والله اعلم وقوله عز وجل بل ضلوا عنهم اي ضل هؤلاء عنها او ضل الاصنام
عنهم فلم يكن لهم منهم ما طمعوا ورجوا بسبب عبادتهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل وذلك افكهم وما كانوا يفترون يحتمل ان يكون افكهم
الذي افكوا هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وغيره والله اعلم وقوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه
قالوا انصتوا فلما قضي اي فرغ من قراءته ولوا الى قومهم منذرين قال بعضهم ان النذر من الجن والرسل والنذر من الانس فان كان ما
ذكر فجائز على هذا ان يكون النفر الذين ذكر انهم انصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القران منه من النذر يدل على ذلك
قوله ولوا الى قومهم منذرين وفي ظاهر قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
ان قد يكون من الجن الرسل كما يكون من البشر الا ان يقال بانه ذكر الاثنين والمراد به احدهما وذلك جائز في اللغة كقوله تعالى يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل صرفنا اليك نفرا من الجن اي الهمناهم وقذفنا في
قلوبهم حتى صاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا اليه ليستمعوا القران منه ويحتمل ان امرهم في الكتب التي اعطوا معرفتها بالتوجه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القران لانه عز وجل اخبر عنهم انهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما

ابن يديه هذا يدل على انهم قد عرفوا الكتب قبل هذا الكتاب حيث قالوا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فجايز ان يكونوا
مروا بتلك الكتب استماع هذا الكتاب والعمل به ويحتمل ان يكونوا عرفوا بذلك لما كانوا يسترقون السمع الى السماء فيستمعون اخبار
السماء ثم ينزلون فيخبرون اهل الارض بذلك فيكون العلم لهم بذلك من الوجوه الثلاثة التي ذكرناه والله اعلم وقوله عز وجل يا قومنا
اجيبوا داعي الله وامنوا به فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد لان النفر الذين حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن سمعوا القران منه
وصدقوه كانوا قليل العدد لما رجعوا الى قومهم فانما يرجع كل الى قومه وقد يحتمل الاجتماع والتواصل على ذلك ودعا كل قومه الى الاجابة
لداعي الله تعالى وحذرهم مخالفته وانه يحتمل ما ذكرنا من الافراد والاحاد دل ان خبر الواحد حجة في حق العمل وهو ما قال عز وجل فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فكان العمل بخبر الاحاد والافراد ظاهرا يشهد في الانس والجن حيث ذكر ما ذكرنا والزمهم
الاجابة والحذر والله اعلم ثم وقوله عز وجل اجيبوا داعي الله يحتمل الاجابة له في الاعتقاد والايمان به ويحتمل في المعاملة في كل امر
وفي كل شيء فكذلك قوله ومن لا يجب داعي الله فيما دعاه فليس بمعجز في الارض اي ليس بسابق ولا هارب من عذابه يقول والله اعلم ان
ليس يقدر احد التخلص من عذابه بهربه منه والفرار عنه كما يقدر الفرار والهرب بعض من عذاب بعض في الدنيا بما لذلك ما قال
وليس من دونه اولياء اي ليس لهم من دونه اولياء ينفعونه ويدفعون العذاب عنهم كما يقوم بعض في دفع ما يلحقهم من البلايا و
الشدايد في الدنيا وليس قوله وليس لهم من دونه اولياء ان لا ولاية لهم اذ قال في موضع اخر بعضهم اولياء بعض ولكن لا ينتفع ولايتهم
يومئذ كما لا ينتفع في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك في ضلال مبين اي من لا يجب داعي الله فهم في ضلال مبين وقوله عز وجل
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الاية والاشكال ما معنى قوله اولم يروا وهم لم يشاهدوا خلقهما ولم يروا ولكن قال بعضهم
اولم يخبروا او قال بعضهم اولم يعلموا اي قد اخبروا وعلموا اذكر هذا لانهم كانوا مقرين جميعا ان الله هو الذي خلق السموات والارض
ثم وقوله عز وجل ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى يقول والله اعلم اي لا تعلموا ان الله سبحانه وتعالى هو خلق السموات والارض
ولم يضعفه خلق ما ذكر ولم يعجزه ذلك عن تربية ما يحتاج ذلك اليه من الامساك والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلائق واستقرارهم
فانه لم يعجزه ما ذكره لا يحتمل ان يكون عاجزا عن احياء الموتى او عن شيء البتة او يقول حيث لم يعي ولم يظهر فيه الضعف بخلق ما ذكر دل
ذلك على انه انما لم يضعفه لان قدرته ذاتية ومن كان قدرته ذاتية لا يعجزه شيء فاما من انما يفعل باسباب فيقدر على الفعل على قدر
الاسباب ويعجز [illegible] والله اعلم او يقول اذ قد عرفتم ان الله تعالى هو خلق السموات والارض لم لا يحتمل ان يخلقهما عبثا باطلا
اذ لو لم يكن بعث كان خلقهما باطلا عبثا واصله ما ذكرنا يريد ان من قدر على انشاء ما ذكر من السموات والارض فيهما بلا احتذاء بمثال
ولا استعانة بغيره كذا الامساك والقوام على التدبير الذي دبر الى اخر الدهر لا يحتمل ان يعجزه شيء وقوله عز وجل بلى انه على كل شيء قدير لانه
قادر بذاته لا بقدرة مستفادة قال ابو عوسجة والقتبي قوله ولم يعي بخلقهن يقال عييت بهذا اي لم احسنه ولم اقو عليه وقوله

[illegible]

لحدوده

حدوده وقالوا قادم عليه السلام ولو يجد له عزما والله اعلم وقوله عز وجل ولا تستعجل لهم اي لا تستعجل عليهم بالهلاك والنقمة وقوله
عز وجل كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك لا توعدون بالعذاب
الا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك لا توعدهم بالعذاب الا ساعة من النهار لما لا يحملهم على ترك قضاء
شهواتهم ومنعهم مما هم فيه من الاحوال والثاني كانهم اذا عاينوا عذاب الاخرة وشاهدوه استقصروا المقام في الدنيا كانهم لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وهو كقوله عز وجل كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة استقصروا المقام في الدنيا اذا عاينوا يوم القيمة واهوالها والله اعلم وقوله عز وجل بلاغ قال بعضهم لا بلاغ وقيل البلاغ هي
البلغة اي زاد يبلغ به السفر حيث يريد والله اعلم وقوله عز وجل فهل يهلك الا القوم الفاسقون كانه يقول لا يهلك هلاك الابد المؤبد
الا القوم الفاسقون والا الهلاك الذي ليس هو بالهلاك الدائم المؤبد مما يهلك الفاسق وغير الفاسق ان المؤمن ختم على الكل ويقول
لا يهلك هلاك العذاب الا الفاسق فاما الهلاك الذي هو هلاك النجاة والفوز عن شدائد الدنيا فيما يهلك به الصالح والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال عامة اهل التاويل هم اهل مكة والاشبه ان يكون الاية في كفار مدينة وهم
اهل الكتاب لان السورة مدنية على ما قال بعض اهل التاويل لكن جايز ان يكون كما قال اهل التاويل بانها نزلت في كفار مكة لانه
من السورة ذكرت على اثر خبرهم وعقيب بنائهم في سورة الاحقاف ثم ان كانت الاية في كفار المدينة واهل الكتاب فيكون قوله
تعالى الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه اضل اعمالهم اي ابطل ايمانهم الذي كان لهم بسائر الانبياء وبمحمد عليه الصلوة و
السلام لانهم كانوا مؤمنين به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم قد ابطل ايمانهم الذي كان منهم قبل ذلك بما كفروا به اذا
بعث وان كانت الاية في كفار مكة على ما قال الكثير فيكون قوم الذين بوحدانية الله تعالى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه عليه
الصلوة والسلام وكفروا بالبعث ونحو ذلك اضل اعمالهم وابطل حسناتهم التي كانت لهم في حال كفرهم من نحو الصدقات وصلة الارحام
وفك الرقاب ونحو ذلك من الاعمال التي كانوا يتقربون بها والله اعلم قد ابطل اعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويدينونها قربة عند الله
او يقول قد ابطل عبادتهم التي كانوا يعبدون من الاصنام وغيرها ليقربهم عبادتهم الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول قد ابطل ذلك ولم يكن على ما رجوا وطمعوا والله اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن سبيل الله
يحتمل اي صدوا بانفسهم اي اعرضوا عن سبيل الله على ما ذكر عنهم ويحتمل وصدوا عن سبيل الله اي صرفوا عن سبيل الله وقد كان منهم
الامران جميعا اضل اعمالهم اي ابطلها بما قال اضل الماء في اللبن اذا غلب عليه والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد صلى
الله عليه وسلم وامنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك لم يضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذي كان منهم بل يكفر سيئاتهم التي كانت منهم من الكفر
وغيره من السيئات او يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وامنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك
لم يضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذين كان منهم بل يكفر سيئاتهم التي كانت منهم من الكفر وغيره من السيئات او يقول والذين امنوا وعملوا
الصالحات وامنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم وهو الكفر والمساوي التي كانت لهم من الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف ان كانت الاية في مؤمني مشركي العرب واهل مكة فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم الشرك والمساوي التي كانت لهم في
حال الكفر وان كان في مؤمني اهل الكتاب فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم في حال ايمانهم والله اعلم وقوله عز وجل وهو الحق من ربهم
هذا يخرج على وجهين احدهما امنوا بما نزل لمحمد عليه الصلوة والسلام وهو الحق من ربهم نزل وكل شيء من الله فهو الحق والثاني وهو
الحق من ربهم اي وهو الصدق من ربهم وقوله عز وجل واصلح بالهم اي حالهم وشانهم فيما كان من قبل وفيما بعد ثم اخبر ان الذين ابطل
اعمالهم لا ذلك الكفر وما ذكر وثبت الذين امنوا ولم يبطل اعمالهم وما ذكر من اصلاح بالهم هو ما قال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
يحتمل الباطل الشيطان او هو النفس وكل باطل وهو الذي يذم عليه فاعله ومتبعه وقوله عز وجل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم
يقول الحق لا ما ذكر لاتباعهم الباطل والحق لما ذكر لاتباعهم الحق ويقول وقوله عز وجل كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي مثل
الذي بين ما لها ولا وما لهؤلاء يبين ما لكل متبع الباطل ومتبع الحق وضرب المثل هو ان يبين لهم ما خفي واشتبه عليهم بالذي ظهر
عندهم وتقرر ويجعل لهم البصير الذي خفي عليهم واشتبه ظاهرا متجليا وقوله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وذلك في
اية اخرى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان جايز ان يكون قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب في القتال والحرب
وكذلك قوله تعالى فاضربوا منهم كل بنان في الحرب والقتال ايضا يضربونه ويقتلونه على ما يظفرون ويقدرون بهم من المفاصل وكل
ابان من المفصل وافضل ما روي في الخبر اذا قتلتم فاحسنوا القتلة وحسن القتل هو ان يضرب وبيانه من المفصل والله اعلم فعلى ذلك
جايز ان يخرج تاويل قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وتاويل قوله فضرب الرقاب وجايز ان يكون لا على التقديم
والتاخير والاضمار ولكن كل اية على لفظ ما ذكر والله اعلم ثم ان كان على ما ذكرنا من التقديم والتاخير والاضمار فيكون كانه قال تعالى

فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب حتى إذا أثخنتموهم وأسرتموهم فاضربوا فوق الأعناق لأن الإمام بالخيار عندنا إذا أخذهم
وظفر بهم إن شاء قتلهم وإن شاء من عليهم وتركهم بالجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد ويكون قوله فشدوا الوثاق وعلى هذا
إلى المن ثبتت تعمق بالمواثيق وإن شاء فاداهم لكنهم اختلفوا في المفاداة وقال بعضهم يفدون بالأموال وأسراء المسلمين منهم
وقال بعضهم يفادون بالأسراء منهم ولكن لا يجوز أن يفادوا بالأموال وهو قولنا وقال بعضهم لا يفادون بأسراء المسلمين ولا
بالأموال وهو قول أبو حنيفة رحمه الله واختلفوا في قتل الأسراء منهم قال بعضهم لا يقتلون ولكن يمن عليهم أو يفادون وقال
بعضهم الإمام بالخيار إن شاء قتلهم وإن شاء من عليهم وإن شاء فاداهم بالأسارى من المسلمين أما القتل فلما ذكرنا من الاستدلال
بقوله فاضربوا فوق الأعناق وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استشار أبا بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم في أسارى
من فأشاروا إلى المن عليهم والترك وأشار عمر إلى القتل فيهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لو جاءت من السماء نار ما نجا
منكم إلا عمر وكلام نحو ذا أن الحكم فيهم القتل أصبت في هؤلاء الذين حكم فيهم عمر رضي الله عنه بالقتل لذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما نجا إلا عمر فدل هذا الخبر أن الإمام أن يقتل أسارى أهل الشرك وله أن يمن عليهم بالترك بالجزية في حق أهل الكتاب و
العجم فإنه لما جاز لنا في الابتداء أن يأخذ منهم الجزية إذا أبوا الإسلام وتركهم على ما هم عليه فعلى ذلك بعد الظفر بهم والقدرة
عليهم ثم قال بعضهم الآية وقوله وإما منا بعد وإما فداء يخالف ظاهر قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم
ونحو ذلك ولكن أمكن التوفيق بين الآيتين هذه في قوم والأخرى في قوم آخرين أو هذه في وقت والأخرى في وقت آخر والله أعلم
وقوله عز وجل حتى تضع الحرب أوزارها وقال بعضهم يخرج حتى عيسى بن مريم عليه السلام فعند ذلك مذهب الحروب و
القتال أي اقتلوهم وافعلوا بهم ما ذكر إلى وقت خروج عيسى عليه السلام وقال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي حتى
تضعوا أسلحتهم وتركوا القتال وقال بعضهم حتى يذهب الكفر والشرك ولا يكون الدين إلا دين الإسلام وهو كقوله تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي شرك وكفر والله أعلم قيل الإثخان هو الغلبة والقهر بالقتل والجراح وقال أبو عوسجة
أثخنتموهم أي أكثرتم فيهم القتل والجراحة ويقال في الكلام ضربته حتى أثخنته حتى لا يقدر أن يتحرك والوثاق ما أوثقت به
كل يدي الرجل أو رجليه حبلا أو غيره واستوثقت منه وقوله عز وجل أي أثقالها واحدها وزر وهو الثقل وقال القتبي حتى
تضع الحرب أوزارها أو تضع أهل الحرب السلاح وأصل الوزر ما حملته فسمي السلاح وزرا لأنه يحمل والله أعلم وقوله عز وجل
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم قوله ذلك الذي أمرتهم به من أول ما ذكر من قوله تعالى فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب إلى قوله
حتى تضع الحرب أوزارها والله أعلم وقوله عز وجل ولو يشاء الله لانتصر منهم أي لانتصر منهم بلا قتال ولا تضع الحرب فيما بينهم
ثم انتصاره منهم يكون مرة بأن يهلكهم إهلاكا ويقهرهم قهرا ومرة ينتصر منهم بأن يسلط عليهم أضعف خلقه وأخسهم
فيقهرهم بأضعف خلقه وقوله عز وجل ولكن ليبلو بعضكم ببعض أي يمتحن بعضكم بقتال البعض وبأنواع المحن إن شاء الله تعالى وقد
جعل البشر في ظاهر الآية بعضهم متشابها بالبعض غير مخالف بعضهم بعضا فإنما يظهر اختلاف بالامتحان بأنواع المحن على اختلاف
الأحوال فعند ذلك يظهر المصدق من الكذب والمحق من المبطل والموافق من المخالف والمحقق من المضطرب والموقن من الشاك على ما ذكر
تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونبلوكم بالشر والخير فتنة وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وغير ذلك
من الآيات التي ذكر الاختلاف والامتحان فيها باختلاف الأحوال التي عند ذلك يظهر ما ذكر من التصديق والتكذيب
والتحقيق وغيره ثم لو كان جل وعلا انتصر لأوليائه من أعدائهم بما ذكرنا بأن ينصرهم على أعدائهم بغير ابتلاء وامتحان لكان
منه لأوليائه لكان التوحيد له والتصديق لرسله بحق الاضطرار لا بحق الاختيار لأنهم إذا رأوا أنهم يستأصلون و
يهلكون إهلاكا بخلاف قهرا يأتم لكانوا لا يخالفونهم بل يوافقونهم مخافة الهلاك والاستئصال فيرتفع الابتلاء
والامتحان عنهم فلا يظهر المختار من غيره لذلك كان ما ذكرنا وقوله عز وجل والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل
أعمالهم سيهديهم هذا يخرج على وجهين أحدهما يقول والذين قاتلوا في سبيل الله فهزموا وغلبوا أو هربوا في وقت وأتى
قتال فلن يضل أعمالهم التي كانت منهم من الجهاد مع الأعداء وغير ذلك من الأعمال التي كانت لهم سيهديهم في الآخرة الجنة
وقوله عز وجل ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال بعضهم أي يدخلهم الجنة التي بينها لهم في الدنيا ووصفها وقال بعضهم
عرفها لهم في الآخرة حتى يعرف كل منزله وأهله من غير إعلام وإن لا يحتاجون كما يعرف كل أحد في الدنيا منزله وأهله و
خدمه والله أعلم وقال بعضهم عرفها لهم يقال فلان معرف أي طيب وطعام معروف أي طيب وهو قول القتبي وقوله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم أي إن تنصروا دين الله ينصركم وأولياء الله ينصركم على أعدائكم
ثم نصرنا دين الله وأوليائه يكون مرة بالأنفس والأموال يبذلها في سبيله لابتغاء وجهه والثاني يكون نصرا بالحجج و
البراهين بإقامتها عليهم بما قررنا من إقامة الحجج والآيات ثم يكون نصر الله إيانا من وجهين أحدهما ينصرنا على أعدائنا بما
يغلبهم ويقهرهم لكن إن كان هذا فيكون في حال دون حال وفي وقت دون وقت لا في كل الأحوال والثاني يكون نصره

إيانا بما

بإيجابه إنما قيمة وإن كانا علينا [illegible] في بعض الحروب والقتال ذكرنا [illegible]
أعلم وقوله عز وجل ويثبت أقدامكم يحتمل في الحروب والقتال أو يثبت أقدامهم في الآخرة كيلا تزل [illegible] والله أعلم
وقوله عز وجل والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم أي هلاكا لهم [illegible] والقتل وجائز أن يكون [illegible]
الهلاك وأصل التعس هو [illegible] والسقوط وهو الهلاك [illegible] والله أعلم وقوله عز وجل ذلك
بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أي ذلك الذي ذكر من التعس والهلاك وإضلال الأعمال
بأنهم تركوا اتباع ما أنزل الله على رسوله إذ كل من ترك اتباع شيء [illegible] فقد كرهه والله أعلم ويحتمل أن يكون
قوله ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله [illegible] في أهل الكتاب
لأنهم لم يروا الرسل [illegible] فأحبط أعمالهم [illegible]
والله أعلم وقوله عز وجل أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم [illegible]
[illegible]
والثاني أي دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها أي للكافرين من قومك أمثالها وهذا وعيد القوم والثالث أن
يقول لقومه ولكل كافر أمثال الأمثال ذلك والله أعلم وقوله عز وجل ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
لا مولى لهم تأويله أي ذلك الذي ذكرهم لأجل أن الله ناصر الذين أمره وآمنوا به وصدقوه في دفع العذاب عنهم و
باتباعهم أمره وأن الكافرين ذلك لا يشفع هو لنا صرهم لتركهم اتباع أمره ونقضهم إياه فلم يدفع العذاب
عنهم أو يقول ذلك أي دفع العذاب عن الذين آمنوا لأن الله يتولى أمورهم وعصمهم وأنه لم يتول أمور الكفرة
أي لم يعصمهم وخذلهم وتركهم على ما اختار العلة باختيارهم ما اختاروه من التكذيب وتولى المؤمنين وعصمهم
لعلمه بما يختارون من التصديق والاتباع له والله أعلم ثم ذكر عاقبة المؤمنين من الاتباع لأمره والتصديق لرسله
عليهم السلام وهو قوله تعالى إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وبين مآل
وعاقبة الذين اختاروا من الكفر والتكذيب لرسله في العاقبة حيث قال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما
تأكل الأنعام والنار مثوى لهم أي مأوى لهم بما اختاروا والله أعلم وذلك أن أهل الإيمان والتوحيد نظروا في جميع
أحوالهم وأمورهم إلى ما فيه أمر الله تعالى وما يعقب لهم نفعا في العاقبة لم ينظروا إلى ما فيه قضاء شهواتهم ومنالهم بل اختاروا
أمر الله على جميع ما ذكرنا وأولئك الكفرة لم ينظروا إلى ما فيه أمر الله ولا يوجب لهم في العاقبة من النفع بل اختاروا شهواتهم
ومنافعهم وما فيه هواهم على ما فيه أمر الله ونهيه فجعل المؤمنين في الآخرة قضاء شهواتهم التي تركوا أنفسها في الدنيا وكفوا
أنفسهم عن منالها مكان ذلك في الجنة والثياب التي وعدهم في الآخرة وجعل لأولئك الكفرة في الآخرة مكان ما قضوا في الدنيا
من شهواتهم وإعطاء أنفسهم منالها النار وما يغضبهم ما أعطوا أنفسهم في الدنيا ثم وقوله عز وجل والذين كفروا يتمتعون و
يأكلون كما تأكل الأنعام يحتمل تشبيه أولئك الكفرة بالأنعام في الأكل وجهين أحدهما يخبر أنهم يأكلون وهمتهم في الأكل ليست
إلا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة لا ينظرون إلى ما أمر الله بهم وإنما همهم عنده كالأنعام التي ذكر همتها ليست في الأكل
إلا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة والله أعلم والثاني يخبر عنهم أنهم لا ينظرون في شربهم العاقبة ولا إلى وقت
ثان بل نظرهم إلى الحالة التي هم فيها كالأنعام التي ذكر أنها تأكل ولا تنظر ولا تدخر شيئا الوقت ثان ولا يتركون شيئا ما دام مشتهى
فعلى ذلك أولئك الكفرة والله أعلم وقوله عز وجل وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم
كان سنة الله تعالى في الذين كانوا من قبل أنه إذا أخرج الرسل عليهم السلام من بين ظهرانيهم أهلكهم فيخبر أهل مكة أن استحق
العذاب إذا أخرجت من بين ظهرانيهم كما يستوجبوا ولكن الكفرة لكن أن بفضله ورحمته أخر ذلك عنهم لأنه بعثك إليهم رحمة
كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وأخر ذلك عنهم لما وعد أنه خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليبقى رسالته
ورسالته إلى يوم القيامة ولو أهلكهم واستأصلهم على ما فعل بأولئك لانقطعت رسالته وشريعته وقد وعد أنها تبقى
وأنه رحمة لهم وإنه لا يخلف الميعاد ثم أخبر أن أولئك الكفرة أكثر أحلاما وأشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم يتهيأ لهم دفع ما
نزل بهم بقوتهم في أنفسهم وبطشهم ولا كان لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه فأنتم يا أهل مكة أولى أن لا تقدروا

عن انفسكم العذاب الآن اتاكم والله اعلم وقوله عز وجل اخرجتك اضاف الاخراج الى قومه وهم لم يتولوا اخراجه باختيار
بل اضطر وحتى خرج هو بنفسه لكنه اضاف الاخراج اليهم لان سببه جرى من بينهم كان منهم فكان ذلك اخراجا و
هو كما ذكر من اخراج الشيطان آدم وحوا عليهما السلام من الجنة باخراجهما لما كانا فيه والشيطان لم يتول اخراجهما
حقيقة لكن لما كان منه من الوسواس حمله ذلك على الخروج فكان [illegible] واضافه الى الاشياء والافعال وما
يتسبب الى اسبابها وان لم يكن لتلك الاسباب حقيقة [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل فلا ناصر لهم هو خبر من الله تعالى
اى لا يكون لهم ناصر وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون ناصر فى الاخرة والثانى على اضمار لم يكن لهم ناصر وقت ما عذبوا
فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم لم يخرج لهذا الحرف
جواب لما عرفوا بالبديهة ان ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ويتبع هواه يعرف ذلك بالبديهة كمن
يقول ليس المحسن كالمسئ وليس من يحسن كمن يسئ ونحو ذلك مما يعرفون احوالا يحتاج الى بيان وجواب فعلى ذلك هذا
ثم فى ذلك وجهان احدهما ذكر سفههم باختيارهم اتباع هواهم [illegible] عليهم فى تركهم اتباع من كان على بينة
منه وبيان على علم بذلك ويقين والله اعلم والثانى فيه ذكر لاهل البعث يقول والله اعلم اذا لم يكن من كان على بينة
من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه [illegible] استويا فى هذه الدنيا انتفع هذا كما انتفع الآخر وفى العقول الاستواء بينهما فلا
استواء عاقبة هذه الدار [illegible] وقوله عز وجل مثل الجنة التى وعد
المتقون يخرج على وجوه احدها قوله تعالى وعد المتقون على حقيقة [illegible] يقول مثل الجنة التى وعد المتقون
من جناتكم هذه لو كانت جناتكم فى الدنيا على المثل الذى وصف فى الآخرة [illegible]
ليكون تلك الجنة له فما بالكم لا ترغبون فى تلك الجنة التى وعد المتقون فى الآخرة [illegible]
طلبها والله اعلم ويخرج على هذا التأويل قوله تعالى كمن هو خالد فى النار [illegible]
وصفها كمن هو خالد فى نار من نيرانكم والثانى يحتمل قوله تعالى الجنة التى وعد المتقون ما ذكر فيخرج على الصلة لما تقدم
من قوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ثم وصف ونعت الجنة التى اخبر انه يدخلهم
فيها فقال مثل الجنة وعد المتقون اى صفتها فيها انهار من كذا وكذا الآية وعلى هذا ما ذكر فى آخره من قوله كمن هو خالد فى النار
يحتمل ان يكون صلة قوله فالنار مثوى لهم ثم وصف تلك النار التى اخبر انها مثوى له ونادى تعالى وسقوا ماء حميما الآية
والثالث يذكر على من وعد له ما وعد المتقين من الجنة وما فيها من النعم ليس كمن وعد له النار الاترى انه جل وعلا ذكر فى
اخرى ما ذكر من وصف الجنة كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اى ليس هذا كهذا او لا استواء بينهما
اى لا مساواة وهو كقوله تعالى فيما تقدم من حيث قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم
اى ليس هذا كهذا فعلى هذا يحتمل ما ذكر من وصف الجنة ووصف النار اى ليس من وعد له الجنة التى وصفها ونعتها كمن وعد
النار التى وصفها ما ذكر والله اعلم ثم قال انهار من ماء غير آسن الآية يخبر ان ما يكون فى الجنة من المياه والخمور والالبان
وما ذكر ليس كالتى فى الدنيا لان المياه فى الدنيا يتغير باحد وجهين اما النجاسة والقذر يصيبها او لطول الزمان والمكث
يخبر انه ليس فى الجنة شئ يتغير باصلها وكذلك اللبن فى الدنيا يتغير ويفسد من قريب اذا ترك لما ذكر فيخبر ان البان
الجنة لا يفسد لزمان ولا يصيبها شئ فيفسدها ويخرجها عن طعم اللبن والله اعلم وقوله عز وجل وانهار من خمر لذة
للشاربين يخبر ان الخمر فى الجنة ما يتلذذ بها اهلها عند الشرب ليس كخمور الدنيا يكرهه اهلها عند شربها ويعبسون
وجوههم عند التناول منها والله اعلم وقوله عز وجل وانهار من عسل مصفى اى انها من عسل خلق واتى مصفى لا كدورة
فيه لا انه كان كدرا مصفى او كان خلق بعضه كدرا وبعضه مصفى ولكن خالق كله مصفى من الابتداء وهو كقوله تعالى
رفع السموات اى خلقها فى الابتداء مرفوعة لا انها كانت موضوعة برفعها والله اعلم وقوله عز وجل ولهم فيها من كل الثمرات
يحتمل اى من كل الثمرات التى عرفوها فى الدنيا ورأوها او يقول لهم فيها من كل الثمرات التى يريدون فيها والله اعلم وقوله
عز وجل ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اى ليس من وعد له ما ذكر من الجنة وهو
خالد فيها متنعم بما ذكر من اللذات والنعم ما ذكر من المياه والخمور والالبان كمن هو خالد فى النار وما ذكر والله
اعلم وقوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا جعل الله
عز وجل آيات رسالته رسوله صلى الله عليه وسلم وحججه على المنافقين صنيعهم وما اسروا فى انفسهم من الخلاف له
فاطلع الله رسوله على ما اسروا فى انفسهم واضمروه ليكون ذلك آية رسالته وحجة نبوته اذ علموا ان لا احد يطلع على ما فى
القلوب الا الله تعالى فاذا اخبر رسول الله لهم بما اسروا واضمروا علموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى كقوله تعالى قد نبأنا الله من
اخباركم [illegible] وقوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ونحو ذلك ثم الناس فى الاستماع الى رسول الله صلى الله عليه

يعان الى فرض ذلك فالمؤمنون كانوا يستمعون الآية للاسترشاد والاستزادة الهدى وهو كقوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا الآية فاما الذين فى قلوبهم مرض الآية وقوله تعالى واتاهم تقواهم يحتمل قوله اتاهم تقواهم اى اعطاهم ما اتقوا عما نهوا عنه
ويحتمل اتاهم تقواهم اى يوفقهم ما يتقون مخالفة امره من بعد فى المستانف وقال بعضهم اى اعطاهم الله ثواب اعمالهم فى الآخرة
يقول كما جاء من الله امر احد واتم فزادهم الله تعالى هدى واتاهم تقواهم اى اجرهم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وانطاهم تقواهم
اى اعطاهم وهى لغة معروفة انطى اى اعطى وكذلك قرأ انا انطيناك الكوثر وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة كان
هذه الآية نزلت فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون الا عند قيام الساعة كانه يقول ما ينظرون لايمانهم الا الساعة ان تاتيهم بغتة لكن
لا ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا كانه
والله اعلم يؤيس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فى ايمانهم قبل ذلك الوقت وقوله عز وجل فقد جاء اشراطها هذا يخرج على وجهين
احدهما يحتمل ما ذكر من مجئ اشراطها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء بعثت النبوة وروى عنه انه قال بعثت والساعة
كهاتين واشار الى اصبعين جمع بينهما وان كان الناس دليلهم على تحقيق اشراط الساعة حقيقة وتحققت والثانى يحتمل ان يكون
ما ذكر من مجئ اشراطها هى الاعلام والشرائط التى جعلت على القيامة من خروج عيسى وخروج دابة الارض وخروج الدجال ونحو
ذلك فقد مضى بعض تلك الاعلام فيكون قوله فقد جاء اشراطها اى كان قد جاء اشراطها اذ كل ما هو آت جاء فكان قد جاء كقوله
تعالى اتى امر الله وقوله عز وجل فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يحتمل وجهين احدهما انى ينتفعون بايمانهم فى ذلك الوقت وكيف لهم منفعة
الذكرى اذا جاءت والتوبة لا تقبل حينئذ والثانى من اين لهم الايمان والتوبة اذا جاءتهم الذكرى اى ما يذكرهم فى الدنيا قبل ذلك فلم
يؤمنوا ولم يتذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هذا يخرج على وجهين احدهما اعلم فى حادث الوقت انه لا اله
الا الله كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ونحو ذلك والثانى يقول فاعلم ان لا اله المستحق
العبادة والمعبود والحق هو الاله الذى لا اله غيره او الاله عند العرب هو المعبود ويقول ان المعبود الذى يستحق العبادة هو الله
تعالى لا الاصنام التى عبدوها دونه وتزعمون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى والثالث امره ان يشعر قلبه فى كل وقت وكل حال
بكلمة الاخلاص والتوحيد والقول له والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر لذنبك جائز ان يكون قوله واستغفر لذنبك انما هو لافتتاح
الكلام والابتداء على ما يؤمر المرء ان يبتدئ بالدعاء لنفسه عند امره بالدعاء لغيره وكان حقيقة الامر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات
دون نفسه ولكن امره بالدعاء لنفسه استحبابا والله اعلم وجائز ان يكون له ذنب فيأمره بالاستغفار له لكن نحن لا نعلم وليس علينا
ان نتكلف حفظ ذنوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكرها وكل ما هو منه الذنب يجوز ان يؤمر بالاستغفار كقوله ابراهيم
عليه السلام حيث قال والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين لكن ليس ذنب الانبياء وخطاياهم كذنب غيرهم فذنب غيرهم ارتكاب
القبائح من الصغائر والكبائر وذنبهم ترك الافضل دون مباشرة القبيح فى نفسه والله الموفق ثم ارجى آية للمؤمنين هذه الآية لانه
عز وجل امر رسوله عليه السلام ان يستغفر لهم فلا يحتمل انه لا يستغفر وقد امره مولاه بالاستغفار ثم لا يحتمل ايضا انه اذا استغفرهم على
ما امر به فلا يجيب له وكذلك دعاء سائر الانبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح عليه الصلاة والسلام رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب ونحو ذلك وكذلك دعاء سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام نحو دعاء نوح عليه السلام رب اغفر لى ولوالدى
ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
ونحو ذلك وكذا استغفار الملائكة لهم ايضا لقوله ويستغفرون لمن فى الارض وقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآية هذه
الآيات ارجى آيات المؤمنين ودعوات الانبياء عليهم السلام افضل وسائل يكون الى الله تعالى واعظم قرب عنده والله اعلم ثم وقوله
عز وجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الصغائر مغفورة لا يجوز لله تعالى
ان يعذب عباده عليها والكبائر مما لا يحل له ان يغفرها لهم الا بالاستغفار منهم والتوبة فهذه الآية تنقض قولهم ومذهبهم لانه رسوله
ان يستغفر لهم فلا يخلو اما ان يكون صغائر وهو مغفورة عندهم فكانه يقول لا تخش لانها مغفورة لا يسع له ان يعذب عليها ولو
عذب يكون جائرا او كبائر ولا يحل له المغفرة عنها فيكون قوله اللهم اغفر لهم كانه قال اللهم جر لان مغفرته اياهم عن الكبائر ويكون
جورا او وضع الشئ فى غير موضعه فكيف ما كان ففيها نقض قولهم ووجه قولنا ان له ان يعذبهم عليها وان كانت صغائر وله
ان يعفو عنها وان كانت كبائر والمغفرة عن الذنب يكون والله الموفق للصواب وقوله عز وجل والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال
بعضهم والله يعلم متقلبكم فى النهار ومثواكم من الليل وقيل يعلم ما يتقلبون بالنهار ويسكنون وهما واحد وقال بعضهم والله يعلم
متقلبكم فى الدنيا ومثواكم فى الآخرة اى مقامكم فيها وهو يخرج عندنا على وجه آخر هو ما يحتمل هذا اللفظ قوم وتوهمهم ان الله تعالى
يجهل عواقب الامور حيث انشأ هذا العالم يجحدونه وجه وانه لا يحتمل ان ينشئهم ويجعل لهم النعم وهو يعلم انهم يجحدون و
يتركون نعمه لان من فعل هذا فى الشاهد فهو عابث غير حكيم فعلى ذلك هذا على زعمهم فقال تعالى جوابا لهم والله اعلم يعلم متقلبكم
ومثواكم اى على علم بما يكون منهم انشأهم وخلقهم لا عن جهل على ما ظنوهم لكن ما ينبغى لهم ان ينسبوا الجهل الى الله تعالى الجهل لهم

بفعلهم يحق الحكمة في فعله لان الله جل وعلا لم ينشئ هذا العالم لحاجة له ومنافع نفسه بل انما انشاه لانفسهم ولحاجتهم
فاليهم يرجع منفعة الاجابة والطاعة وعليهم يكون مضرة الجحود والرد فاما في الشاهد من امر لحاجة امرا او نهاه عن امر واراد ان يرسل
اليه رسولا على علم منه بالرد والجحود فهو سفيه غير حكيم لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه ومنفعة له فاذا علم منه الرد
والانكار فهو غير حكيم فافترق الشاهد والغايب لافتراق وجه الحكمة والله الموفق والثاني قوله تعالى والله يعلم متقلبكم
ومثواكم اي يعلم جميع احوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم ليكونوا ابدا على حذر وتيقظ والله اعلم والثالث يعلم
متقلبكم ومثواكم اي يعلم متقلبكم في الدنيا ويعلم الى ماذا يكون مرجعكم في الاخرة اي انشا كلا على ما علم انه يكون منهم كقوله
تعالى ولقد ذرانا لجهنم وقال في اية اخرى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي انشا من علم انه يختار الكفر وعداوته
لجهنم وانشا من علم انه يختار التوحيد وولايته للجنة والله الموفق وقوله عز وجل ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة
فاذا نزلت سورة محكمة وذكر فيه القتال ان الذين امنوا كانوا يتمنون اتيان السورة ويقولون هلا نزلت سورة لوجوه احدها
ليكون نزول السورة حجة لهم واية على عداتهم في الرسالة والبعث والتوحيد والثاني كانوا يستعدون بانزال السورة انشاءه
يزداد لهم يقينا وتخفيفا في الدين كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة الى قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما المنافقون فزادتهم رجسا الى رجسهم على ما ذكر والثالث يتمنون نزول السورة ليتبين لهم المصدق من الكذب والمحقق
من المريب هذه الوجوه التي ذكرنا يكون لاهل الايمان لذلك يتمنونه والله اعلم **وقوله** عز وجل فاذا انزلت سورة محكمة اي محكمة
والمحدثة ثبت بتفسير المحكمة الا ان يعنوا بالمحدث الناسخ هو المحدث والمتاخر نزولا وهو محكم لانه يلزم العمل به والله اعلم
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لولا نزلت سورة محدثة والوجه ما ذكرنا والمحكمة عندنا على وجهين احدهما اي محكمة
بالحجج والبراهين والثاني لما انزلت على ايدي قوم دونوا ولت فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه بل حفظوه ليعلم انه من عند
حسا ومنه نزل **وقوله** عز وجل وذكر فيها القتال جعل الله عز وجل في القتال خصالا لا احد احكرها اهل الاسلام وكثرة الاموال
وان كان في ظاهر القتال اضداد الانفس والاموال لانه قبل ان يفرض القتال كان يدخل في الاسلام واحد فلما فرض القتال
دخل فيه فوج فوج على ما اخبر يدخلون في دين الله افواجا والثاني ليتبين المصدق منهم من المكذب لهم والمحقق من المريب
لانه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيرهم الى ذلك الوقت فلما فرض القتال عند ذلك ظهر وتبين لهم اهل النفاق و
الارتياب من اهل الايمان والتصديق والثالث فيه اية الرسالة والبعث واما اية الرسالة فلان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا قواعد وقليلا لا اهبة لهم ولا قوة امروا بالقتال مع عدد لا يحصونه ولهم عدة وقوة ليعلم انهم لانفسهم يقاتلون
ولكن بامر الله تعالى اذ لا يحتمل قيام امثالهم لامثال اولئك مع كثرتهم وقوتهم والله اعلم واما اية البعث فلانه امر بقتال اقاربهم
وارحامهم والمتعلق بهم وفي ذلك قطع ارحامهم وقطع صلة قرابتهم ليعلم انهم انما يفعلون هذا لامر لهم فيه
تومل ونفع قصدا اذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة يقصد وبلا شيء يعتقد والله اعلم **وقوله** عز وجل رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت كان اهل النفاق يكرهون نزول ما بينهم عما في ضميرهم من النفاق والارتياب كقوله
تعالى يحذر المنافقون ان ينزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم واذا انزلت السورة يزداد لهم ما ذكر حيث قال واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم **وقوله** عز وجل فاولى لهم طاعة وقول معروف قال اهل التاويل هذا وعيدهم
بقوله اولى لك فاولى الاية لكن ظاهره ليس بوعيد ولا عديد انما ظاهره اي احرى لكم ان دعاكم يطيعوه وان يقولوا معروفا فاذا
تركوا ذلك يكون وعيدا والله اعلم **وقوله** عز وجل فاذا عزم الامر اختلف في تاويله قال بعضهم هو صلة قوله فاذا انزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال وعزم الامر فعند ذلك كان بما ذكر من المنافقين حيث قال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون
في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت انما ذلك الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال ولزومه وتاكيده
عليهم وذلك في قوله تعالى فاذا عزم الامر اي وجب وفرض فعند ذلك يكون حالهم ما ذكرنا ما يذكر نفس القتال فلا والله
اعلم وقال بعضهم فاذا عزم الامر هو في الاخرة اي فاذا تحقق وظهر ما كان اوعدهم الرسول عليه السلام من نزول العذاب بهم
في الاخرة فلو صدقوا الله في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة حيث كان لا ينزل العذاب بهم في الاخرة اي لو صدقوا رسول الله فيما
يوعدهم من العذاب انه ينزل بهم في الاخرة وذكروا مخافته في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة والله اعلم **وقوله** عز وجل فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اختلف في تاويل هذه الاية وقال بعضهم قوله تعالى فهل عسيتم اي فلعلكم
ان توليتم اي وليتم امر هذه الامة ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم قال ابن عباس رضي الله عنهما قد كان هذا وهم بنو
ولوا امر هذه الامة فعلوا ما ذكر من الفساد في الارض وقطع الارحام وكان لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منهم
ما ذكر والله اعلم وقال بعضهم ان الاية في المنافقين كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون منه ما قال ثم اذا
تولوا عنه كانوا يسعون في الارض بالفساد وما ذكر كقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الى قوله واذا

تولوا

تولى سعى في الارض الى قوله والله لا يحب الفساد وقال بعضهم ما اراد الا نزلت الاية في الحرورية وهم الخوارج ويحتمل ان يكون
هذا ما ذكر في اية اخرى حيث قال فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وقد انقلبوا على ما اخبر وهم اهل الردة والله اعلم
وقال قتادة فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم اي طاعة الله ورسوله وقول المعروف عند حقايق الامور
خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم يقول ان توليتم عن كتابي وطاعتي ان تفسدوا في الارض يقول كيف رايتم القوم حين
تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن واكلوا المال الحرام ويحتمل ان يكون الاية في
الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به والله اعلم **وقوله** عز وجل اولئك الذين لعنهم الله
اللعن هو الطرد رحمة وهو كقوله لابليس وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي انك مطرود عن رحمتي وقوله تعالى لعنهم الله
اي طردهم عن رحمته والله اعلم **وقوله** عز وجل فاصمهم واعمى ابصارهم اي اصمهم حتى لا يسمعوا سماع الاعتبار والتفكر
ما لو تفكروا وتاملوا ونظروا نظر معتبر لادركوا والله اعلم **وقوله** عز وجل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الاية
فيه انهم لو تدبروا وتاملوا فيه لادركوا ما فيه وفيه ايضا انهم لو تدبروا والعذاب ليسخ تلك الاقفال التي ذكرها عليها وذهب
بها والله اعلم **وقوله** عز وجل ام على قلوب اقفالها اي على قلوب اقفالها ثم يحتمل اقفالها الظلمة التي فيها وهي ظلمة الكفر تلك
الظلمة يغطي نور البصر ونور السمع ويجاز ان يكون ما ذكر من الاقفال هي كناية عن الطبع والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الذين
ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم قوله سول لهم اي زين اضاف التزيين مرة الى الشيطان
ومرة الى نفسه فما يغنيهم من تزيين الشيطان غير الذي يغنيهم من تزيين الله تعالى كالاضلال المضاف الى الله تعالى والمضاف الى
الشيطان فالمفهوم من اضلال الله تعالى غير المفهوم من اضلال الشيطان فعلى ذلك التزيين **وقوله** عز وجل واملى لهم اي اخرهم
وامهلهم الى اجل ووقت كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الاية اي يوخرهم ليكون ما ذكر والله اعلم **وقوله**
تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الاية يحتمل ان يكون الاية في اليهود لما ذكرنا انهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث
كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الاية ارتدوا على ادبارهم من بعد ما امنوا به وانتظروه
ويجاز ان يكون في المنافقين ارتدوا على ادبارهم واظهروا الخلاف بعدما غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اظهروا الموافقة لهم
في حضرته والله اعلم **وقوله** عز وجل ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر قوله ذلك بانهم ان كان راجعا
الى قوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم فان كان المراد بذلك اليهود فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في المنافقين وان كان قوله ذلك
بانهم راجع الى قوله الشيطان سول لهم فاذا احتمل ذلك الوجهين فلا نفسره انه الى ماذا يرجع ثم قال بعضهم الذين كرهوا ما نزل الله هم
المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في تكذيب محمد والتظاهر عليه وقال بعضهم هو اليهود ظاهروا واشاعوا الكفرة على محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم ثم كراهة نزول ما انزل الله تعالى على رسوله عليه الصلوة والسلام كان من اليهود وجميع الكفرة كقوله تعالى
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله اعلم **وقوله** عز وجل والله يعلم اسرارهم هذا يدل
على انه لا يشتهر قوله ذلك بانهم قالوا ولا يشار على انه اراد كذا ويرجع الى كذا الخبر انه تعالى هو العالم بما اسروا ولم يبين ذلك و
اعلم **وقوله** عز وجل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
لا احد يقصد قصدا اتباع سخط الله ولا كراهة رضوانه لكنهم لما اتبعوا الفعل الذي كان الله يسخط ذلك الفعل فكانهم اتبعوا سخطه
وكذلك اذا تركوا اتباع ما كان الله يرضاه وكرهوا فكانهم كرهوا رضوانه وكقوله تعالى لا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد قصد
عبادة الشيطان لكنهم لما اتبعوا فيما يامرهم ويدعوهم اليه فكانهم عبدوه وهو تسمية الشيء باسم سببه واللغة غير ممتنعة الشيء
باسم سببه والله اعلم **وقوله** عز وجل فاحبط اعمالهم التي كانت قبل ارتدادهم في حال اتباعهم اياه والله اعلم **وقوله** عز وجل ام حسب
الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي حسب المنافقون ان لن يظهر الله عداوتهم وان لن يبدي الله ما في قلوبهم من العداوة
جعل الله بل ودلالة واظهار ما اسر اهل النفاق وابدا ما اخفوه فيما بينهم اية عظيمة ودلالة ظاهرة على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول كانه على التقديم والتاخير كانه قال ولو نشاء
لاريناكهم بسيماهم بالنظر اليهم بالبديهة ولتعرفنهم ايضا في لحن القول اي لو نشاء لجعلنا لهم اعلاما في الوجه والقول لتعرفنهم و
لكن لم نجعل لهم ولكن جعل معرفتهم باعمال يعملون يظهر نفاقهم بذلك والله اعلم كقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا و
قال في اية اخرى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم وقوله رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت الاية **وقوله** عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله انما يستاذنك الذين
لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم ونحو ذلك من الايات مما كان يظهر نفاقهم وخلافهم بالاعمال التي كانوا يعملون
تدل هذه الايات على انه كان لا يعرفهم باسماء والنطق والقول والاجسام وانما يعرفهم بافعال كانوا يفعلونها والله اعلم وقال
بعضهم ولتعرفنهم في لحن القول اي نحو الكلام فكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلموا فيخبرهم على هذا التاويل وقوله

ولتعرفنهم على الوعد اى تعرفهم فى حادث الوقت والله اعلم وقال ابو عوسجة يقال رجل لحن بحجته ويقال لحن يلحن اذا اخطأ لحنا فهو لاحن
كانه من العدول والميل عن الحق وقال القتيبى فى لحن القول اى فى فحوى كلامهم وقوله عز وجل والله يعلم اعمالكم يحتمل هذا وجهين احدهما
ان الله يعلم ما تسرون من الاعمال وتخفونها والثانى على الجملة اى يعلم جميع اعمالهم ما اسروا واعلنوا يخرج على الوعيد كقوله انه بما تعملون
بصير والله اعلم وقوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين هذا يخرج على وجوه احدها اى حتى يعلم اولياؤه المجاهدين
منكم والصابرين من غير المجاهدين وغير الصابرين فيكون المراد من ذلك قصر العلم الى نفسه علم اوليائه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم
وقوله عز وجل يخادعون الله وهو خادعهم ونحو فالمراد منه اولياؤه على احوال الناس ذوى ذلك والله اعلم والثانى يكون المراد بالعلم المعلوم
وذلك جائز فى اللسان والعرف كقول الناس للصلوة انها قضاء ما امر به كقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين اى الموت به وقوله ومن يكفر
بالايمان اى بالمؤمن به ونحو ذلك كثير والثالث اى يعلم كائنا ما قد علمه انه سيكون اذ لا يجوز ان يوصف هو يعلم ما سيكون بعلمه كائنا او
يعلم ما قد كان يعلمه انه يكون كائنا ولكن يوصف بما قد علمه كائنا انه علمه كائنا او يعلم ما علم سيكون انه يكون
لانه يوجب الجهل ويكون التغيير فى ذلك المعلوم لا فى علمه والله الموفق وقوله عز وجل ونبلوا اخباركم اى نبلوا اخباركم التى اخبرتم عن
انفسكم كقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وقوله عز وجل [illegible] ما ذكرنا نبلوا فى تلك الاخبار التى اخبروا
عن انفسكم والله اعلم ويحتمل ان يكون ابتلوا فى قولهم الذى قالوا لو اعطوا بلسانهم حيث قالوا امنا كقوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فتبتلوا فيما قالوا والخبر والابتلاء والفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء واحد والله اعلم وقال بعضهم
ونبلوا اخباركم اى يظهر نفاقهم للمسلمين اذ كان الله تعالى عالما قبل ان يبلوهم والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله قوله كفروا اى كفروا بنعم الله من الكفران او كفروا بتوحيد الله وقوله وصدوا عن سبيل الله يحتمل قوله صدوا اى اعرضوا هم
بانفسهم عن دين الله ويحتمل صدوا اى صرفوا الناس عن دين الله والله اعلم وقوله عز وجل وشاقوا الرسول اى عادوه وحاربوه
من بعد ما تبين لهم الهدى وقوله عز وجل لن يضروا الله شيئا يحتمل لن يضروا الله بكفرانهم نعمه او كفرهم بوحدانية الله تعالى ومعناه
والله اعلم انه ليس يامرهم بما يامر او ينهى عما نهى ليدفع مضرة عن نفسه او يجر منفعة الى نفسه ولكن يامر وينهى لحاجة انفسهم اليه و
لما نفعهم بتركهم اتباع امره والانتهاء عن نهيه ضرر والله اعلم ويجوز ان يكون المراد من قوله لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا
الله بما كفروا وصدوهم عن سبيله بل ضروا انفسهم كقوله تعالى ان ينصروا الله ينصركم اى ان تنصروا اولياء الله ينصركم وقوله عز
وجل وسيحبط اعمالهم يحتمل حبط الاعمال بالارتداد بعد الايمان واحداث الكفر بعد الاسلام ويحتمل اعمالهم التى كانت لهم بالايمان قبل
بعثه صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال بعضهم اطيعوا الله فى الجهاد ولا تبطلوا
احسانكم بالرياء والسمعة وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله واطيعوا الرسول ويحتمل ولا تبطلوا اعمالكم
بالارتداد والكفر بعد الايمان ويحتمل اى لا تبطلوا اعمالكم بالارتداد والكفر بعد الايمان ويحتمل اى لا تبطلوا اعمالكم بالمن على الله او
على الرسول فى الاسلام اى [illegible] ممتنون على الله او على رسوله كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على الاية وقال قتادة ولا
تبطلوا اعمالكم بالرياء وقال من استطاع منكم ان لا يبطل عملا صالحا بعمل سيء فليفعل ان الشر يكسح الخير وانما ملاك العمل خواتيمه فمن
استطاع ان يختم بخير فليفعل ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال ما كنا معشر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى شيئا
يبطل اعمالنا حتى نزلت هذه الاية فعلمنا ما الذى يبطل اعمالنا الكبائر الموجبات والفواحش فكنا على ذلك حتى انزل الله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الاية فلما نزلت هذه الاية كففنا عن هذا القول وجائز ان يكون قوله تعالى ولا تبطلوا
اعمالكم قال هذا ليكون ابدا على اليقظة والحذر لئلا يبطل اعمالهم من حيث لا يشعرون كقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وفى
حرف ابى رضى الله عنه ولا تبطلوا ايمانكم وقوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
تاويلها ظاهر وقوله عز وجل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم اى لا تضعفوا وتدعوا الى الصلح كذلك قال القتيبى وقال ابو عوسجة السلم
بكسر السين الصلح ولا اعرف بفتح السين ههنا معنى وقوله عز وجل وانتم الاعلون اى وانتم الغالبون فيه النهى عن الدعاء الى
الصلح اذا كانوا هم الاعلون اعنى اهل الاسلام ثم قوله تعالى وانتم الاعلون يحتمل وجوها يحتمل الاعلون بالحجج والبراهين فى كل وقت
ويحتمل وانتم الاعلون والغلبة فى العاقبة اى اخر الامر لكم ويحتمل وانتم الاعلون فى الدنيا والاخرة لانهم وان غلبوا فى الدنيا وقتلوا
كانت لهم الاخرة وان ظفروا بهم كانت لهم الدنيا والاموال وقال بعضهم وانتم الاعلون اى وانتم اولى بالله منهم وهو ما ذكرنا فى
الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل والله معكم يحتمل معكم فى النصر والغلبة ويحتمل معكم فى الوعد الذى وعد اى ينجز ما وعدكم فى الدنيا
ونفى بذلك وقوله عز وجل ولن يتركم اعمالكم اختلف فيه قال بعضهم اى لن يجعل الله للكافرين عليكم مظلمة ولا تبعة وهو يحتمل
فى الدنيا والاخرة كقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال بعضهم لن يتركم اعمالكم اى لن ينقصكم اعمالكم وكذا قال ابو عوسجة
يقال وترته اى نقصته وقال بعضهم لن يظلمكم اعمالكم يقال وترنى حقى اى بخسنيه كذلك وقال القتيبى ولكن كلاهما واحد فى المعنى
اى لا ينقص من اعمالهم شيئا ولا يظلمون فيها ولا يبخسون والله اعلم وقوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اى حيوة الدنيا على ما

عدم و

عدم وعلى ما [illegible]

[illegible]

يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قال بعضهم قد تولوا وهم اهل مكة واستبدل قوما غيرهم وهم اهل المدينة لكن هذا
بعيد لان السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به لاهل مكة بقوله وان تتولوا ومنهم من يقول الله عز وجل اخبر وعد اهل
المدينة انهم ان يتولوا استبدل خيرا منهم اطوع منهم لله تعالى فلم يتولوا لم يستبدل غيرهم وقال بعضهم هو على وجهين احدهما قوله و
ان تتولوا يستبدل قوما اى لو يتولوا ولم يستبدل قوما غيركم والوجه الاخر قد تولوا استبدل بهم النخع واحمس وناس من كندة
والذين تولوا حنظلة واسد وغطفان وبنو فلان وقوله عز وجل ثم لا يكونوا امثالكم اى لا يكونوا امثالكم فى الطاعة لله
تعالى بل اطوع له واخضع والله اعلم وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فضرب
بيده على فخذ سلمان الفارسى وقال والذى نفسى بيده لو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت غنما سودا دخلت فيها غنم بيض ما خلطت بها فتعقب بهن جميعا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اولت قال

العجم يشركونكم في دينكم وانسابكم قالوا العجم يا رسول الله قال نعم لو كان الايمان معلقا بالثريا لتناله رجال من العجم واسعدهم
به اهل فارس فان ثبت هذا الخبر فجائز ان يستدل به على جعل العجم اكفاء العرب لانه قال يشركونكم في انسابكم فاذا اشركوهم في انسابهم
صاروا اكفاءهم ويحتمل ان يكون قوله يشركونكم في انسابكم لانهم ينتسبون فيلد منهم او لا فيشركوا فيما ذكر والله اعلم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولم اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا قال بعضهم هو فتح مكة وقال بعضهم هو صلح الحديبية الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين اهل مكة حين صدوهم عن حرم مكة وحالوا بينه وبين زيارة البيت وكان له فيها آيتين في قصة الحديبية امران وآيتان
ظاهرتان عظيمتان احدهما انه اصابه ومن معه من اصحابه عطش فاتى باناء فنبع من ذلك الاناء من الماء مقدار ما شرب منه زهاء
الف وخمسمائة نفس حتى رووا جميعا فذلك آية عظيمة حسية على رسالته والثاني اخبر بغلبة الروم الفارس وذلك علم غيب و
كان كما ذكر واخبر فدل انه انما علم ذلك بالله تعالى وقصة الحديبية روي عن رجل يقال له مجمع بن حارثة قال شهدنا الحديبية مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يوجفون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما للناس قالوا اوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف مع الناس حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم اسم موضع فلما
اجتمع اليه بعض ما يريد من الناس قرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال قال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي والذي
نفسي بيده انه لفتح قال ثم قسمت الحديبية على ثمانية عشر سهما وكان الجيش الفا وخمسمائة وفي بعض الاخبار ان الصلح الذي
كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولم يقاتلا لم نرى لنا تلنا قال فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عمر رضي الله عنه فاقرأها اياه فقال يا رسول الله فتح هو قال نعم وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية
فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل انها فتح هو قال نعم وعن جابر انه قال ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية وكذلك
روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية انا فتحنا لك فتحا مبينا بالحديبية وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال لم يكن في الاسلام فتح اعظم من صلح الحديبية وضعت الحرب اوزارها وامن الناس كلهم ودخل في الاسلام
في السنتين اكثر مما كان دخل قبيل ذلك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الحديبية وفي الحديث طول تركنا ذكره
والله اعلم وقوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا يخرج على وجوه احدها اي انا قضينا لك قضاء بينا بالحجج والبراهين على رسالتك
ونبوتك ليعلم انك محق على ما تدعي صادق في قولك ليغفر لك الله بما اكرمك وعظم امرك بالرسالة والنبوة اي اعطاك ذلك
واكرمك به ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والثاني انا فتحنا لك فتحا مبينا ما لم يطمع احد من الخلائق انه يفتح عليك
امثال ذلك الفتوح ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والثالث انا فتحنا لك جميع ابواب الحكمة والعلوم وجميع
الخيرات والحسنات ليغفر لك بما اكرمك من ابواب الحكمة والخيرات يخرج على هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم ثم وقوله
عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر على وجهين احدهما يرجع الى ذنبه اخبر انه غفر له ثم لا يجوز لنا ان نبحث عن ذنبه
ونتكلف انه ما كان ذنبه وانه كان زلته لان البحث عن زلته ما يوجب التنقيص فيه فترك تكلف البحث على ذلك يخاف عليه الكفر
لكن ذنبه وذنب سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس نظير ذنبنا اذ ذنبهم بمنزلة فعل مباح منا لكنهم نهوا عن ذلك والله
اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اي يغفر ذنبه ابتداء غفرانه اي عصمه عن ذلك وذلك
جائز في اللغة والله اعلم والوجه الثاني يرجع الى ذنوب امته اي ليغفر لك الله ذنوب امتك وهو ما يشفع لامته فيغفر له او لشفاعته
وهو كما روي في الخبر يغفر للمؤذن مد صوته اي يقبل له الشفاعة فعلى ذلك جائز ان يكون قوله ليغفر لك الله اي يغفر له امته و
بشفاعته والله اعلم وقوله عز وجل ويتم نعمته عليك يحتمل اتمام نعمته عليه هو ما ذكر من الرسالة والنبوة وفتح ما ذكر من
ابواب الخيرات والحكمة في الدنيا والاخرة والشفاعة في الاخرة واظهار دينه على الاديان كلها واياس اولئك الكفرة عن
عوده الى دينهم كقوله اليوم اكملت لكم دينكم الاية والله اعلم وقوله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا ويحتمل اي ينصرك نصرا عزيزا
بالغلبة عليهم والقهر والظفر لاصحابك لا مواددتم وعلى ذلك يخرج قول اهل التأويل نصرا عزيزا لا يستذل ولا يستذل وظاهر
الاية ليس على ذلك لانه قال على اثره ليغفر لك لان الخيرات والحسنات يكون سببا للمغفرة فجائز ان يكون ما ذكر من الفتح له هو
والمغفرة هنا لا ما ذكروا الا ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشتغل بين الفتح لما قدم على اسباب الفتح وهو القتال مع الكفر
ونحو ذلك من الخير الذي يكون سببا للمغفرة الا ان الله اضاف الفتح الى نفسه والقتال منهم واقعا ظلم ويحتمل ان يكون ما ذكر
من الفتح له ليغفر له هو ان الله جعل رسوله بحيث لا يخط بيمينه خطا ولا يكتب كتابا ولا يعلم كتابا ثم وهو ما وصفه الله جل

وعلا بقوله

وعلا بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فيه على ما ذكر ثم فتح له هكذا و
اخرج بجميع ما كان الخلق اليه واخرج ايضا جميع اهل الكتب الى ما لغة اليه في معرفة ما ضمن كتابه المنزل عليه وجعله رسولا
اليهم ليكون كانه قال انا فتحنا لك النبوة والحكمة وانواع العلوم والخيرات والحسنات ليغفر لك اي انما فتح لك ما ذكرنا
ليغفر لك ويتم نعمته عليك من النبوة والحكمة واظهار دينه على الاديان كله ويهديك صراطا مستقيما وينصرك نصرا عزيزا
عطاء ما ذكرنا وذلك كله النصر العزيز والله اعلم وجائز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اي من ذنب امتك
وما تأخر من ذنبهم على ما قال بعض اهل التأويل ويتم نعمته عليهم من انواع الخيرات والاسلام لهم والاياس باولئك الكفرة
عنهم ويهديهم صراطا مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا اي فتحنا لك ما ذكر ليكون لامتك ما ذكرنا من المغفرة لهم واتمام النعم
والهداية لهم الصراط المستقيم والنصر لهم النصر العزيز اي نصرا يعزون به في حيوتهم وبعد مماتهم في الدنيا والاخرة والله اعلم
ومن الناس من يقول ان الله جل وعلا امتحن رسوله عليه الصلوة والسلام في الابتداء بالخوف حين قال وما ادري ما
يفعل بي ولا بكم وجد النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الى اخره ثم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك نزلت علي آية احب الي مما على الارض ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا
نبي الله قد بين لك ما ذا يفعل بك وما ذا يفعل بنا فنزل قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات الاية والله اعلم وقوله
عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين قال بعضهم السكينة هي كهيئة الريح لها جناحان ولها راس كراس الهر
هذا ليس بشيء فانه عز وجل قال السكينة في قلوب المؤمنين بحقيقة الدين وهو تفسير العلم وهذا يدل على ان الخالق العلم
الاسكن لالى وجز له ومشيئة من الله تعالى وهو يقول ان خالقه هو المستدل فيكون حجة عليهم قال بعض المعتزلة
انما نزل السكينة الى نفسه على سبيل المجاز لا على التحقيق كما يقال فلان انزل فلانا في منزله او مسكنه وان لم يكن منه حقيقة
نزول اياه في المنزل لكن اضيف اليه ذلك لانه وجد منه سبب به يصل ذلك الى نزوله في منزله ومسكنه فعلى ذلك
اضاف انزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا فلا يقال في مثله لامر كان منه او بسبب جعله ذلك وهو كقوله
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وانما يقال ذلك التحقيق انه ذلك يسكون ما ذكر على ما اخبر انه فتح ليغفر له ما ذكر
والله اعلم ثم وقوله عز وجل ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يخرج على وجوه احدها ما قال ابو حنيفة رحمه الله ليزدادوا ايمانا
بالتفسير على ايمانهم بالجملة والثاني ليزدادوا ايمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه مع ايمانهم بسائر الرسل والكتب التي كانوا
آمنوا بها وصدقوها وهذا في اهل الكتاب خاصة والثالث ليزدادوا ايمانا في حادث الوقت مع ايمانهم فيما مضى من الوقت
فاذا وصل هذا بالاول فيكون بحكم الزيادة وان ثبت جملته بحكم الابتداء اذ للايمان حق التجدد والحدوث في كل وقت
[illegible]

ولايته اوليائه على عداوتهم وانزل السكينة في قلوبهم ولم ينزل على اولئك هذا ليعلم ان من بلغ في الايمان الحد الذي ذكر
انما بلغ ذلك بالله تعالى وبفضله وبرحمته ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل الظانين بالله ظن السوء جايز ان يكون قوله
عز وجل الظانين بالله ظن السوء هم المنافقون الذين ذكرهم في اية اخرى حيث قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى اهله وكذلك المؤمنون
لا يرجعون الى اهليهم ابدا ثم اخبر ان ذلك الظن منهم ظن السوء فيحتمل ما ذكر هاهنا الظانين بالله ظن السوء هذا ما ذكرنا
والله اعلم وجايز ان يكون قوله الظانين بالله ظن السوء هم المشركون ثم ان كانوا من المنافقين فيكون ظنهم بالله ظن السوء
ان لا يرجع هو واصحابه الى اهليهم ابدا وان كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ظنهم بالله ظن السوء ان لا يكرم
محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعظمه بالنبوة لا يختاره ولا يوثره على غيره من الناس الذين يختارونهم كقولهم لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم فيكون ظنهم بالله ظن السوء على هذا ان لا يكرم الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يختار
بنبوته والله اعلم وان كانوا ذلك من مكذبي البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن السوء وهو ان لا يقدر على البعث والاحيا
بعد الموت ثم اخبر ان عليهم دايرة السوء الذي ظنوا ان لا يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نصار عليهم ما ظنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث تفرقوا من اوطانهم و[illegible] سادهم ونحو ذلك وان كانوا مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم انه لا يرسله
ظنهم كان ما ظنوا لانه بعث هو رسولا ولم يبعث من اختاروهم وان كانوا من منكر البعث فعليهم كان عذاب اليوم
وفيه هلاكهم والله اعلم وقوله عز وجل وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا اخبر عز وجل
انهم استوجبوا غضب الله ولعنه بالذي كان منهم من سوء ظنهم بالله ورسوله واعد لهم جهنم بذلك وساءت
مصيرا لهم وقوله عز وجل ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ذكر على اثر ما ذكر عزيزا حكيما ليعلم ان
عزه ليس بما ذكر من الجنود الذي له في السموات والارض ولكن عزيز بذاته [illegible] والله اعلم وقوله
عز وجل انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قوله شاهدا [illegible] على بعض [illegible]
يكون قوله شاهدا [illegible] ما عليهم وما يعضهم على بعض [illegible]
لشاهد المرسل عليهم السلام بالتبليغ [illegible]
يكون قوله شاهدا على حقيقة الشهادة على ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم انا ارسلناك شاهدا على [illegible] على الانبيا
عليهم الصلوة والسلام بالتبليغ [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا البشارة هي ذكر ثواب
الخيرات والحسنات والاخبار عن احوالها [illegible] والنذارة هي ذكر عواقب الشرور
والسيئات والاخبار عن احوالها [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل لتؤمنوا
بالله ورسوله خاطب بهذا [illegible] الخطاب
ارسلناك رسولا شاهدا لتومنوا انتم بالله ورسوله ويحتمل ان يكون على الاضمار اى انا ارسلناك مبشرا ونذيرا وقل لهم
انما ارسلت لتومنوا بالله ورسوله وهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن معناه يا ايها النبي قل لهم
اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن فعلى ذلك جايز ما ذكر والله اعلم وقرى بالياء وهي ظاهر ثم الايمان بالله تعالى هو ان
يشهد له بالوحدانية والالوهية وان له الخلق والامر في كل شيء وكل امر والايمان برسوله هو ان يشهد له بالصدق في
كل خبر وبالعدالة له فيما يحكم ويقضي ويصدقه في كل ما يقوله ويجيبه في كل ما يدعوا اليه ويطيعه في كل ما يامر ربه و
ينهى عنه والله اعلم وقوله عز وجل وتعزروه اختلف فيه قال بعضهم اى تنصروه وتعينوه وقال بعضهم اى تطيعوه و
قال بعضهم اى تعظموه فمن يقول ان قوله وتعزروه ليس على النصر والاعانة وكذا على التعظيم او على الطاعة استدل
بما قال في اية اخرى وعزروه ونصروه ذكر التعزير وعطف النصر عليه والمعطوف غير المعطوف عليه فدل انه غير
النصر ولكن جايز ان يذكر الشي والواحد بلفظين مختلفين ومعناهما واحد على التاكيد وكذلك من يقول بالتعظيم يقول
امرهم بتعظيمه فالحرفين اعني قوله وتعزروه وتوقروه فذلك جايز في الكلام ويحتمل ان يكون التعزير هو الطاعة له و
التوقير هو التعظيم والله اعلم ومن قال بالنصر والمعونة في التبليغ الرسالة الى الخلق والدفع عنه والذب والتعظيم
له في قلبه وجميع جوارحه والله اعلم وقوله عز وجل وتسبحوه بكرة واصيلا والتسبيح اجمع اهل التاويل ان قوله تعالى
وتسبحوه بكرة راجع الى الله تعالى وكذلك ذكر في بعض القرات وتسبحوا الله بكرة واصيلا والتسبيح هو التنزيه في الافعال
والاقوال فجاز نسبه ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان بريا من العيوب في الافعال والاقوال غيب وان كان
هو تنزيها عن الحدثية والفناء وافات تحل في نفسه فذلك لا يجوز اضافته ونسبه الى الله عز وجل فاما غيرهم
لا يجوز اضافة ذلك اليه واصله ما ذكر اهل التاويل من صرفه الى الله تعالى وقوله عز وجل بكرة واصيلا صرف اهل التاويل

البكرة الى

البكرة الى صلوة الفجر والاصيل الى صلوة المغرب والعشاء ولكن جايز ان يكون البكرة كناية عن النهار والاصيل كناية وعبارة عن
الليل فكانه يقول سبحوه بالليل والنهار وجملة في كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اجمع اهل التاويل
او عامتهم على ان المبايعة المذكورة في هذه الاية هي البيعة التي كانت بالحديبية بايعوه على ان لا يفروا [illegible] قال معقل بن
يسار لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا دافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مائة الى الف
واربع مائة لم تبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وجايز ان يكون المبايعة على ان لا يفروا وذكر في اية اخرى ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار والمبايعة هي المعاهدة الا ترى انه قال في اية اخرى ومن اوفى بما عاهد عليه الله ذكر في
اول الاية المبايعة وفي اخرها المعاهدة ليعلم ان المبايعة والمعاهدة سواء والله اعلم ثم اضاف مبايعتهم رسوله الى نفسه يحتمل
وجهين احدهما لما امر بمبايعته او ذكر وقت الى نفسه لعظيم قدره وجليل منزلته عنده والله اعلم وقوله عز وجل يد الله فوق
ايديهم قال بعضهم يد الله في جزاء المبايعة فوق ايديهم في المبايعة او كلام نحوه وجايز ان يكون قوله تعالى يد الله فوق ايديهم اى
يد الله في الجزاء اذا وفوا بالعهد فوق ايديهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
لهم عنده يد فيخبر ان جزاء الله الذي يجزيهم بوفاء ذلك المبايعة فوق ايديهم التي لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ويحتمل
ان يكون ما ذكر من يد الله ولنا قضينا اليه يريد يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه يقول يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم
بما بايعتم فوق ايديكم عنده لما يحتمل ان يقع عندهم ان يكون لهم يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بايعوه كقوله تعالى يمنون عليك
ان اسلموا الاية فيخبر ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ايديكم عنده بالمبايعة التي بايعتم والله اعلم ويحتمل اى يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمد والبسط بالمبايعة فوق ايديهم والله اعلم ويحتمل قوله يد الله فوق ايديهم اى توفيق الله تعالى اياكم ومعونته على
مبايعتكم رسوله فوق وخير [illegible] ببيعته وعهده والله اعلم وجايز ان يكون قوله يد الله فوق ايديهم اى يد الله في النصر لرسوله
فوق ايديهم كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم حقيقة النصر انما يكون بالله تعالى ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فمن
نكث فانما ينكث على نفسه هذا يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ذلك من نكث
فانما له جزاء نكثه وهو النار ومن اوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء والثاني ومن نكث فانما ينكث على نفسه اى من نكث فعليه ضرر
نكثه واليه يرجع ذلك الضرر لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين لان الله جل وعلا وعد النصر له
والظفر [illegible] فمن نكث فانما يرجع ضرر نكثه اليه اذ الله يفي لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وعد من النصر له والله اعلم وقوله عز وجل
سيقول لك المخلفون من الاعراب قوله تعالى المخلفون سماهم مخلفين ولم يخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه ولكن الله
تعالى جل وعلا خلفهم عن ذلك بان اشرب فيهم فعل التخلف لما علم منهم ما كان من اختيارهم التخلف كقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم اى منعهم فعلى ذلك ما ذكر من المخلفين ان الله سبحانه وتعالى خلفهم عن ذلك وهم اكتسبوا فعل التخلف في انفسهم دل ان فعل
افعال العباد هو الله تعالى والله الموفق وقوله عز وجل خبرا عنهم شغلتنا اموالنا واهلونا هذا القول منهم قول اعتذار وطلب العذر
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم فاستغفر لنا طلبوا منه الاستغفار مع اظهارهم العذر في التخلف بقولهم شغلتنا اموالنا
واهلونا يقولون وان حبستنا اموالنا واهلونا لم يكن لنا التخلف عنك فاستغفر لنا ولكن مع هذا لم يقبل عذرهم لانهم كانوا لا يحققون
في طلبهم الاستغفار منه لانهم اهل نفاق لا يومنون برسالته ولا بالبعث كي ينفعهم المغفرة في الاخرة الا ترى انه قال في اية اخرى و
اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم الاية دل هذا الفعل منهم على انهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منهم بقولهم
فاستغفر لنا حيث قال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم اى يقولون بالسنتهم قولهم فاستغفر لنا ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك
ولا جايز ان يصرف قولهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الى قولهم شغلتنا اموالنا واهلونا اى كاذبين في العذر ولكن طلبوا الاستغفار
حقيقة لا يقال هذا لانهم صادقين في ان اموالهم واهلوهم شغلتهم عن ذلك فلا يمكن صرف الاية الى ذلك والله الموفق وقوله عز وجل
قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا قد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله تعالى يكون على الايجاب فيتنزل [illegible]
كان ذلك السوال ممن يستفهم كيف يجاب له فيكون من الله تعالى على الايجاب اى لا احد يملك لكم نفعا ان كان الله اراد بكم ضرا
ولا احد يملك لكم ضرا ان كان بكم اراد الله نفعا يخبر انكم وان تخلفتم لحفظ اموالكم واهليكم فان الله تعالى لو اراد بكم ضرا لا تملكون
دفعه عن انفسكم وان لم تتخلفوا ولكن خرجتم معه فلا يملك احد الضر لكم فيراه لا عذر له في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخبر تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا جعل الله عز وجل انفس المنافقين وصنيعهم اية ودلالة على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حق المنافقين حين كان يطلع رسوله على جميع ما اسروا في انفسهم واضمروا في قلوبهم ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله جل وعلا
ويجعل الاية له في حق غيرهم من الكفرة من خبر صنيعهم وانفسهم حتى علموا بذلك انه بالله قدر على ذلك والله اعلم وقال
اهل التاويل اى اراد بكم ضرا اى الهزيمة واراد بكم نفعا الظهور على عدوكم وغنيمة ويحتمل ان يكون الخطاب بهذا لاهل الايمان والوعظ
لهم بذلك لان اهل النفاق كانوا لا يشهدون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون ما يقول من المواعظ وغيره وقوله عز وجل

فظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا فإن قيل ما الذي حملهم على الظن الذي ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لا يرجعون إلى أهليهم أبدا إنما كان ذلك في خروجهم إلى الحديبية على ما قال أهل التأويل إن ذلك كان في خروجهم إلى الحديبية وكان خروجهم للحج وقضاء المناسك لا للقتال والحرب معهم حتى يقع عندهم أنهم لا يرجعون بل يهلكون في ذلك وأهل مكة لم يكونوا يمنعون أحدا من أهل الأديان يدخل مكة للحج وقضاء المناسك قيل لأن أهل النفاق كانوا قد كتبوا إلى أهل مكة وأعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم خرجوا إليكم للحج وزيارة البيت فقاتلوا إلا أن تعهد بن خلون مكة بل تقاتلهم ولحاربهم ولا يتركهم يدخلون فإذا كان منهم ما ذكر ما خافوا أن يكونوا ظنوا ما ذكر فإن ظنهم فإنما على قيد ذلك فإن يجمع مع الجماعة أهل التأويل على أن ذلك كان في أمر الحديبية والله أعلم وقوله عز وجل وظننتم ظن السوء أي ظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ظن السوء أنهم لا يرجعون إلى أهليهم ويحتمل ظننتم بالله ظن السوء أنه لا ينصر رسوله ولا يعينه وقوله عز وجل وكنتم قوما بورا قال بعضهم بورا أي هلكى أي يصيرون قوما هلكى فيه دليل أنهم يموتون على نفاقهم وقال الحسن كنتم قوما بورا أي فاسدين لا خير فيهم وكذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما أن البور هو الفاسد وقال بعضهم البور في كلام العرب لا شيء وقال القتبي البور الهلكى وقوله عز وجل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا هو ظاهر وقوله عز وجل ولله ملك السموات والأرض قيل فيه بوجوه أحدها ولله خزائن السموات والأرض وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه يقرؤه ولله خزائن السموات والأرض والثاني ولله ملك السموات والأرض أي له حقيقة ملك كل ملك في السموات والأرض والثالث ولله ولاية أهل السموات والأرض وسلطانه أي الولاية والسلطان له على أهل السموات والأرض ثم يحتمل ذكر هذا وجهين أحدهما يخبر أنه إنما يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم بأنواع المحن بما يأمر وينهى ويمتحن لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة له إذ له ملك السموات والأرض ولا يحتمل من له ملك ما ذكر أن يقع له الحاجة إلى ما ذكر والمنفعة لأنه غني بذاته ولكن لأمرهم ونهاهم ويمتحنهم بما امتحن لحاجتهم ولمنفعتهم والله أعلم والثاني يذكر هذا ليقطعوا الرجاء عما في أيدي الخلق ويصرفوا الطمع والرجاء إلى الله تعالى ومنه يرون كل نفع وخير يصل إليهم ومنه يخافون في أمر كل فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون غيره وهو ما أخبر يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إلى آخر الآية وقوله عز وجل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يقول والله أعلم هو يغفر لمن يشاء وهو المالك لذلك وهو يعذب من يشاء أي ليس يملك أحد مغفرة ذنوب أحد سواه ولا تعذيبه إنما ذلك منه وله ملك ذلك وله الفعل دون خلقه ليصرفوا طمعهم ورجاءهم في كل أمر إلى الله تعالى ومنه يخافون في كل أمر فيه خوف والله أعلم وقوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما أي وكان الله لم يزل رحيما لا أنه حدث ذلك لم يكن له والله الموفق وقوله عز وجل سيقول المخلفون من الحديبية خلفهم الله عز وجل لما علم منهم من اختيار التخلف وقوله عز وجل إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم الآية ذكر أهل التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل مكة عام الحديبية ورجع اشتد ذلك على أصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول مكة لنسكهم وزيارته فبشروا بفتح خيبر والغنيمة ثم عند ذلك لما انتهى إلى المنافقين المخلفين عن الحديبية تلك البشارة له بفتح خيبر عليهم قالوا ذرونا نتبعكم فنصيب معكم الغنائم وإنما رضوا إلى اتباعهم معهم لما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق فيما يخبر من البشارة له والفتح والغنيمة بلا قتال ولا حرب يتبعونهم لذلك وقوله عز وجل يريدون أن يبدلوا كلام الله لأن البشارة بفتح خيبر وجعل غنيمته لمن شهد الحديبية فأما من تخلف عنها فليس له في ذلك من نصيب فأخبر الله تعالى أنهم يريدون أن يبدلوا ما وعد الله تعالى المؤمنين الذين شهدوا الحديبية فتح خيبر خاصة فإن يشركوهم فيها وقيل فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا فلما سألوا الخروج إلى خيبر والاتباع لهم وقد نهى عن الخروج معهم أبدا يريدون أن يبدلوا ذلك النهي الذي نهوا في سورة براءة فيحتمل الأمرين جميعا ذكر الشيخ رحمه الله وعامة أهل التأويل على أن قوله فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا نزل في غزوة تبوك وإنما بعد خيبر فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر تبديلا للنهي الذي نهوا عن الخروج معه لكن كأنه لم يثبت عنده نزول الآية في غزوة تبوك أو وقع الخطأ من الذين نقلوا منه وكتبوه والله أعلم وقوله عز وجل قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يحتمل قوله كذلكم قال الله من قبل هي البشارة التي ذكرنا لمن شهد الحديبية قال إن مغانم خيبر لمن شهد الحديبية وأما من لم يشهد فلا ويحتمل قوله من قبل ما ذكر في سورة براءة فقل لن تخرجوا معي أبدا والله أعلم وقوله عز وجل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا كانوا يقيسون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم لأنهم إذا أصابوا شيئا أعني المنافقين كانوا يحسدون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن لا يكون لهم في ذلك نصيب ولا حظ حسدا منهم لهم فلما منعهم المؤمنون عن الخروج إلى خيبر وقالوا إن الله نهاكم أن تخرجوا معنا وقد بشرنا بالغنيمة قالوا عند ذلك بل تحسدوننا في إصابة تلك الغنائم لم ينهكم الله تعالى عن الخروج معكم فاستقبلوا المؤمنين بأنفسهم بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا الفقه هو الاستدلال بما عرفوه وشهدوه على الذي لم يعلموه وغاب عنهم يخبر أن هؤلاء لا يعرفون الاستدلال وقال بعضهم الفقه هو معرفة الشيء بنظيره والدال على غيره والله أعلم وقوله عز وجل قل للمخلفين من الأعراب وهم الذين تخلفوا عن

الحديبية

الحديبية ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد على قول ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل وهؤلاء هم بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب ستقرئن أنهم الأعراب بعد النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم أبو بكر الصديق إلى قتالهم وقال الحسن هم أهل فارس والروم وقال قتادة وغيره دعوا إلى قتال هوازن وثقيف يوم حنين وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول دعوا يوم حنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد ومنهم من أبى لكن ما قال قتادة هوازن وثقيف يوم حنين كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تولى ذلك وقال في آية أخرى فقل لن تخرجوا معي أبدا الآية فلا يحتمل أن يدعوا إلى قتال هؤلاء وهو تولى قتالهم وقد قال الله تعالى خبرا عنه ولن تقاتلوا معي عدوا فإذا لم يحتمل هذا رجع التأويل إلى ما قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما أنهم إنما دعوا إلى قتال أهل اليمامة وهم بنو حنيفة دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لكن لو كان ما قال أهل التأويل وقوله تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا نزل في غزوة تبوك وهي بعد يوم حنين فيكون ما قاله قتادة محتملا والله أعلم أو أن يكون قوله ولن تقاتلوا معي عدوا في قوم خاص وهو ما قال استأذنك أولو الطول منهم أي أهل الغناء والثروة إنما قال ذلك لأن أولي الطول الذين استأذنوه القعود مع القاعدين والله أعلم ويحتمل قوله تعالى ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد في أهل فارس والروم على ما قال الحسن وذلك إنما فتح في زمن عمر رضي الله عنه وقوله عز وجل تقاتلونهم أو يسلمون ومن قرأها تقاتلونهم أو يسلموا إلا أنه يكون تأويله تقاتلونهم حتى يسلموا وقوله عز وجل فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا أي إن تطيعوا فيما دعيتم إلى الجهاد يؤتكم الله أجرا حسنا ذكر أنه يؤتيهم أجرا حسنا لأن توبتهم تكون فيما كان كفرهم وكان نفاقهم إنما ظهر بتخلفهم عن الجهاد فعلى ذلك يكون توبتهم في تحقيق الجهاد وقوله عز وجل وإن تتولوا فيما دعيتم إليه كما توليتم عن الحديبية وغيره يعذبكم عذابا أليما ثم عذر أهل العذر منهم بقوله تعالى ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج كما عذر أهل العذر من المؤمنين بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الآية وقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما لأنهم إذا تولوا عادوا إلى ما كانوا وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة يحتمل قوله لقد رضي الله عن المؤمنين لما عزموا من الوفاء على ما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدق لذلك والتحقيق لما عهدوا من الوفاء لذلك أخبر أنه قد رضي الله عنهم لذلك فنحن نستدل به على الصدق ذلك وتحقيقه وإن لم يخبرنا الله أنهم قد عزموا على ذلك فيجوز لنا أن نشهد أنهم قد عزموا على ذلك فيجوز لنا أن نشهد لهم أنهم قد عزموا على الوفاء لذلك والصدق له ونذكرون من الاستدلال ما يجوز الشهادة له بالحق والصدق إذا كان في الدلالة مثل ما ذكرنا والله أعلم وقوله عز وجل فعلم ما في قلوبهم هذا يحتمل وجوها أحدها ما ذكرنا علم ما في قلوبهم من العزم على الوفاء والصدق لما أعطوا بأيديهم من أنفسهم والثاني علم ما في قلوبهم من الخوف والخشية وذلك يتوجه وجهين أحدهما أنهم خشوا أن لا يتهيأ لهم القيام بأهل مكة لأنهم كانوا مستعدين للحرب والقتال وهم كانوا خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت خشوا أن لا يقوموا لهم بقتل ما ناهضوا والثاني خشوا أن لا يقدروا على وفاء ما بايعوا وأعطوا لأن في ذلك مناصبة جميع أهل الأديان والمذاهب والله أعلم والثالث علم ما في قلوبهم من الكراهة التي يذكرها أهل التأويل لكن تلك الكراهة الاختيار لأنهم طمعوا الوصول إلى البيت ورجوا دخولها فلما جرى الصلح بينهم على أن لا تدخلوا عامهم ذلك فانصرفوا فاشتد ذلك عليهم فكرهوا ذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقد يكره بطبع الإنسان شيئا والخيار ضده كقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وكقول يوسف رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه محبة الاختيار لا محبة الطبع لأن الطبع لا يميل ولا يرغب في السجن وقوله عز وجل فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا أي أنزل عليهم ما يسكن به قلوبهم لما علم تحقيق الوفاء لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ما أعطوا من أنفسهم وأثابهم مكان ما كانوا يرجون ويطمعون من دخول مكة وما كرهته أنفسهم من الرجوع فتحا قريبا وهو فتح مكة أو فتح خيبر والله أعلم ثم قوله عز وجل وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها اختلف فيه منهم من صرف الفتح القريب المذكور في الآية إلى فتح خيبر وإلى مغانم خيبر حين بشروا بالحديبية بفتح خيبر وجعل المغانم لهم مكان ما منعوا من دخول مكة وحيل بينهم وبين ما قصدوا وفي الطريق بعد منصرفهم من الحديبية على ما ذكر في القصة والله أعلم ومنهم من صرف الفتح إلى مكة لأنه ذكر في القصة أنهم بشروا في الطريق بعد انصرافهم من الحديبية بفتح مكة ويكون قوله وأثابهم على هذا التأويل بمعنى ويثيبهم وذلك جائز في اللغة فعل بمعنى يفعل كقوله عز وجل وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس كذا يعني يقول له وقوله تعالى مغانم كثيرة يأخذونها على هذا ينصرف إلى غيرها من المغانم لأنه لم يكن بمكة غنائم والله أعلم ومنهم من قال وأثابهم فتحا قريبا الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته وكذلك قوله ومغانم ويحتمل أن يكون الكرم حله أي فاتلوكم لولوا الأدبار والله أعلم وقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا من قبل ما بين في كل أمة من علامة لم يجعل في ذلك الهلاك في غيرها من الأمم نحو ما جعل هلاك قوم نوح الغرق وكذلك قوم فرعون وكذلك جعل هلاك عاد بريح صرصر وثمود بالطاغية جعل الله تعالى هلاك كل أمة بنوع لم يكن ذلك لغيره يقول لم يكن لذلك تبديل الحكم وكذلك ما جعل لكل

امة هلاك من هلاك لم يبدل ذلك ولم يجعل ذلك في غيرهم وجائز ان يكون قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل ان جعل عاقبة الامر للمومنين وقوله عز وجل ولن تجد لسنة الله تبديلا في اسلافك ولكن جعل عاقبة الامر لهم كما جعل عاقبة الامر في سائر الامم للمومنين وقوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم مع كثرة اولئك وقوتهم وتاهبهم القتال وضعف هولاء وقلة عددهم لان اولئك كانوا خرجوا القتال والحرب مستعدين لذلك متاهبين وهولاء كانوا اخرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت فكف ايدي اولئك مع عدتهم وقوتهم وكثرتهم هولاء مع وقلة عددهم حتى اظفرهم باولئك مما ذكر في القصة ان المسلمين كانوا اشتغلوا بالرامي بالنبل والحجارة حتى هزموهم وادخلوهم بطن مكة على ما ذكر ثم اظفرهم بهم كيف ايدي هولاء عنهم وبهم لهم الظفر بهم ليعلم هولاء ان التدبير في الامر الى الله تعالى دونهم ولله السلطان على الخلق جميعا لا سلطان لاحد في سلطانه ولا قوة الا بالله وانما ذكر من الامتنان هو ما ذكر من كف ايدي اولئك عن هولاء عند شدة خوفهم منهم وفزعهم بما ذكر ثم من قوة اولئك وكثرتهم وضعف هولاء وقلة عددهم حتى اظفرهم بذكر منته عليهم ليستادي شكره ويكف ايدي هولاء عنهم فان قيل ما كف ايدي اولئك عن هولاء المنة ظاهرة ولكن اية منة يكون في كف ايدي المومنين عن اولئك الكفرة قيل جائز ان يكون المنة في كف ايدي المومنين عن اولئك الكفرة ليستادي منهم شكره بذلك وهو الاسلام والله تعالى على جميع خلقه منة ليستادي منهم شكرا على الكافرين والمسلمين جميعا ويحتمل ان يكون المنة في كف ايدي المومنين عن اولئك عن المومنين ايضا هو ما ذكر على اثره ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم انه لو لم يكف ايدي المومنين عنهم حتى يتم لهم الظفر بهم فدخلوا مكة وهنالك مومنون لاصابهم ما ذكر من المعرة وغيره فكان في كف ايدي المومنين عن اولئك منة عظيمة عليهم لما بينا من قتل من فيهم من المومنين من غير علم والله اعلم وقوله عز وجل ببطن مكة ولم يكونوا في بطن مكة انما كانوا بالحديبية وبينها وبين مكة اميال لكن يخرج على وجهين احدهما اظفرهم بهم وقهرهم وهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة على ما ذكر انهم هزموهم حتى ادخلوهم في بيوتات مكة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله بما تعملون بصيرا لم يزل الله تعالى عالما باعمالهم بصيرا وفيه دلالة خلق افعالهم لانه ذكر انه كف ايدي هولاء عن اولئك وايدي اولئك عن هولاء ثم قال هو عالم بما تعملون بصيرا ان له في فعلهم صنعا والله اعلم وقوله عز وجل الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام اي صدوكم عما قصدوا وهو الطواف بالبيت والزيارة له وذلك في المسجد الحرام ذكر صدهم عن المسجد الحرام صدهم عما قصد والله اعلم وقوله عز وجل والهدي معكوفا ان يبلغ محله وقوله معكوفا اي محبوسا والعكوف هو الحبس ومنه سمي العاكف والمعتكف ثم وقوله عز وجل والهدي معكوفا ان يبلغ محله على ان دم هدي المتعة هو بمكة ومنى فاما الحرم نفسه فليس هو محله فكانه قال وصدوا الهدي عن ان يبلغ محله الذي جعل لهدي المتعة وهو منى او مكة لانه ذكر في الخبر انه ذكر في الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم معتمرا وذكر انه كان متمتعا وفيه ان دم المتعة ان منع عن محله سقط وخرج من حكم المتعة ويعود الى مكة وله ان يصرفه الى ما شاء الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر تلك البدن التي ساقها عن الاحصار في الحرم ولان هدي المتعة اذا منع عن المحل سقط ويخرج عن حكم المتعة وفيه ان دم الاحصار لا يجوز اراقته الا في الحرم لان الحديبية يجمع الحرم والحل جميعا عندنا فانما كان نحرها في الحرم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم ان تطؤوهم اي تقتلوهم وتهلكوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي لولا ما فيها اتفق في مكة من رجال مومنين ونساء مومنات لاتم لكم الظفر بهم والتسليط عليهم لكن منعكم عن دخولكم مكة لما ذكر ثم اختلف في قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم قال بعضهم لزمكم الدية بقتلهم وكذا روي عن محمد بن اسحق وقال بعضهم الكفارة وقال بعضهم الاثم والذنب او يصيبكم منهم الاثم بقتلكم اياهم هذا لا يحتمل لانهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الاثم والذنب لان الله تعالى وضع الاثم عنا فيما لا يعلمه ولم يمنع طريق العلم به قال الله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وعندنا يخرج على وجهين احدهما اي فيصيبكم من الكفرة واهل النفاق ما يسوؤكم بقتلكم اياهم من الملامة والتعيير وغير ذلك من القيل والقال انهم يقولون انهم قتلوا اصحابهم ومن كان على دينهم من اهل الاسلام فيجدون بذلك سبيلا الى ما ذكرنا فيسوؤكم ذلك والله اعلم والثاني يصيبكم الاسف والحزن والندامة الدائمة بقتلهم اهل الايمان واهل الاسلام اذا علمتم انكم قتلتم اخوانكم واهل دينكم والله اعلم ثم المخالف لنا تعلق بهذه الاية في مسئلتين احديهما فيمن اسلم ولم يهاجر الينا انه يجب الدية في قتله لقوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم وهي غرم الدية والثانية هل يباح الرمي الى حصون المشركين اذا كان فيها اسارى المسلمين واطفال المسلمين واحراق الحصون او الرمي الى الكفار الذين يترسوا باطفال المسلمين قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وزفر والثوري لا باس برمي حصون المشركين وان كان فيهم اسارى المسلمين واطفالهم ولا باس بان يحرقوا الحصون ويقصدوا به المشركين دون المسلمين وكذلك الاحراق سفينة الكفار اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال مالك لا يحرق سفينة الكفار اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال الاوزاعي اذا تترس الكفار باطفال المسلمين لم يرموا ولا يحرق الحصن ولكن لا باس بان يرمى الحصن بالمنجنيق ونحو ذلك وقال الشافعي لا باس بان يرمى الحصن وفيه اسارى واطفال المسلمين ولم يترسوا بهم فلو تترسوا واخرج هولاء من بلادهم

انهم كانوا

انهم كانوا يعبدون وما يهوون وما مالت اليه انفسهم من الاصنام والاوثان وغيرها وينصبون ويدينون عبيدها وما ينزعون عنهم فيذبون عنها فجائز ان يكون الذي حملهم على ذلك وهو نفرتهم اولئك الاصنام وعبادها والذب عنهم حمية الجاهلية والله اعلم وقوله عز وجل فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين جائز ان يكون ما ذكر السكينة التي اخبر انه انزلها على رسوله ومن ذكر هو شيء انزله من السماء لطمانينة عليهم حتى سكنت لذلك قلوبهم وجائز ان يكون لا على حقيقة انزال شيء من مكان الى مكان ولكن انشا في قلوبهم ما يسكن به قلوبهم كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي انشا لكم من الانعام ما ذكر وخلقها لم يكن انه انزلها عليهم من مكان ولكن على الانشاء والخلق فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم السكينة يحتمل اشياء بالدنيا يسكن قلوبهم وانفسهم والاسباب يختلف ويحتمل شيئا اخر سوى ذلك وهو اللطف الذي جعل لهم فسكن قلوبهم بذلك اللطف والله اعلم وقوله عز وجل والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها يحتمل هذا وجهين احدهما الزمهم كلمة بها يتقون النار ثم يحتمل كلمة التقوى كلمة الاخلاص وغيرها ما يقيهم النار والله اعلم ويحتمل قوله والزمهم اظهار كلمة التقوى حتى يصير ظاهرة في الخلق ابدا الى يوم القيمة والله اعلم وقال بعضهم كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك انه لما كتب كتاب الصلح فيما بين اهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال ذلك اكتب كذا لا ندري ما الرحمن الرحيم وذلك كلمة التقوى والله اعلم والوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل وكانوا احق بها واهلها اي بتلك الكلمة وكانوا اهلا لها وكان الله بكل شيء عليما وقال بعض اهل التاويل كلمة التقوى هي كلمة الاخلاص وكانوا احق بها واهلها من الامم السالفة واهلها والله اعلم او كان احق بها في الاظهار في الخلق والقيام بذلك او كانوا احق بها في التزامها في انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال اهل التاويل قوله صدق الله رسوله اي احقق الله رسوله الرؤيا التي اراها اياه بالحق اي بالوفاء بذلك ويحتمل او يصير النبي صلى الله عليه وسلم صادقا عندهم فيما اخبرهم انه راى وجعله صادقا في ذلك والاول اشبه وقوله عز وجل لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر ان ادخلوا المسجد الحرام وان كان في الظاهر خبرا كمن قيل ابراهيم عليه السلام حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك ثم قال الله تعالى جل وعلا افعل ما تومر دل على ان ما راى ابراهيم صلوات الله عليه من الذبح هو امر من الله فان كان التاويل هذا فيخرج الثنيا المذكور فيه على اثره كانه يقول ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين ان شاء الله ان تامنوا في دخولكم وانا لم تامنوا لم يشاء ان تدخلوه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لتدخلن المسجد الحرام على وعد فيخرج الثنيا المذكور على وجهين احدهما على التبرك واليمن كما يتبرك بذكر اسمه في فعل يفعل والله اعلم والثاني على الامر لكل في نفسه اذا اخبر غيره انه يدخل ان يقول ان شاء الله كما يومر بالثنيا من اخبر اخر شيئا انه يفعله كقوله تعالى عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يكون الثنيا لا في الوعد في الظاهر وان كان في الجملة كقوله لتدخلن فجائز ان يكون المراد منه بعض منهم لا الجملة لاحتمال ان يموت بعض منهم او لا يكون هو مرادا والجملة تذكر الثنيا لئلا يكون خلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انه حققها يحتمل ما ذكر من دخول المسجد الحرام على انه ثان كان ذلك فيكون قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام هو تفسير لذلك الرؤيا وجائز ان يكون الرؤيا في غير ذلك وقوله لتدخلن المسجد الحرام ابتداء وعد وامر من الله تعالى وكذلك ما ذكر في قوله حيث قال وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس يحتمل ما ذكر في هذه الاية لتدخلن المسجد الحرام الا على ما ذكر ويحتمل غيرها ايضا وقد اخبر انه حققها وصدقها والله اعلم ثم وقوله عز وجل محلقين رؤوسكم ومقصرين يخبر انهم يدخلون المسجد الحرام محلقين مقصرين ثم يخرج على وجهين احدهما فابتداء الاحرام يخرج التي بين ما بين من الحرم فابتداء احرامه من نحو الطيب واللباس والحلق والقص ونحو ذلك فيراهم يدخلون على التي بين في المسجد الحرام امنين من الكفار فان كان على ذلك فهو على الثياب والطيب وغير ذلك وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتمرا فسميت تلك عمرة القضاء حيث منع في عام الحديبية وكان معتمرا لا عمرة ان كان حاجا فيكون قوله لتدخلن المسجد الحرام بعد رجوعهم من منى الى الطواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون محلقين مقصرين والله اعلم وان قيل الحكمة في امره رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج للحج عام الحديبية على ما علم منه انه لا يصل الى مكة وانه يحال بينه وبين دخول مكة وقضاء المناسك اذ لا يحتمل الى ذلك الا بامر من الله تعالى ليس هو كغيره من الناس ممن يفعلون افعالا لا بامر ثم يمنعون او ينهون عن ذلك فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يفعل شيئا الا عن امر منه له بذلك قيل يحتمل انما امر بذلك مع علم بانهم يمنعون عن ذلك تعليما منه رسوله وامته حكم حكم الاحصار ان من احصر عن الحج ومنع عن دخول مكة لقضاء المناسك ما الذي يلزمه وثم يخرج منه والله تعالى ان يعلم خلقه احكاما وشرعية مرة بامر بها مرة بما ينفك او يخبرهم ومرة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهم بما شاء له الحكم والامر في الخلق والله اعلم وقوله عز وجل لا تخافون

اى تدخلون مكة آمنين لا تخافون عدوكم ولا منعهم اياكم وقوله عز وجل فعلم ما لم تعلموا اهل التخريج وجوه احدها انه
علم ما وعدكم من فتح خيبر وغنايمه ما لم تعلموا ويحتمل اى علم ما ارى رسوله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا وتحقيقها ما لم
تعلموا ويحتمل اى علم فى رجوعكم على الحديبية اشياء لم تعلموها انتم من اظهار ما اظهر من نفاق اهل النفاق فيهم واهل
الاضطراب من المحققين والمصدقين وغير ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا
يقول ان ذلك الدخول الى سنة ولم تعلموا انتم والله اعلم وقوله عز وجل فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال بعضهم جعل
من قبل ان يدخلوا مكة فتحا قريبا اى عاجلا فتح خيبر والله اعلم وقوله اهل التاويل انه اشتد على الناس رجوعهم من
الحديبية وصد المشركين عما قصدوا بعد ما اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم انه راى فى المنام انهم يدخلون على ما وقع
عندهم ان رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حق كالوحى لكن هذا لا يحتمل من المسلمين انما يحتمل من المنافقين على ما
ذكر انهم قالوا حين يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية اى الرؤيا او كلام نحوه فدل هذا يحتمل من المنافقين فاما
من المسلمين فلا يحتمل ان يقع فى قلوبهم شئ من ذلك لما ذكرنا فى الاية بيان ولا توقيت انهم متى يدخلون بل فيها الوعد
بالدخول ليس فيها انه متى الا ترى ان يوسف عليه السلام راى رؤيا وخرجت تلك بعد اربعين سنة او اقل او اكثر فعلى
ذلك لا يحتمل ان يخفى عليهم اذا لم يكن فى الوعد توقيت انه يجوز ان يتاخر او يتقدم والله اعلم ثم فيما ذكرنا من امر الحديبية وصد
المشركين اياهم عن دخول مكة والحيلولة بينهم وبين ما قصدوا انه لا يحتمل ان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد الحج
وزيارة البيت مع اصحابه بلا امر منه بذلك لما ذكرنا ثم ان ثبت له الامر بذلك على علم من الله تعالى انه لا يحصل الى يحصل
المامور به وما قصدوا من دخول مكة زايرين وما يكون من المشركين من المنع لهم والصد عن ذلك وما اراد يحصل ما امرهم
بذلك فهذا دليل على ان الله تعالى قد يامرهم ويريد غير الذى امرهم وانه يريد ما علم انه يكون منهم الذى امرهم وهو كامر ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بذبح ولده ثم كان حقيقة المراد بالامر بذبح الولد ذبح الشاة والكبش دل ان الامر بالشئ لا يدل على انه
اراد الذى امره به بل يريد ما علم انه يكون منهم من خلافه وضده والله اعلم عز وجل هو الذى ارسل رسوله بالهدى اى ارسله هو
بالهدى من كل ضلال وخيرة او ارسله بالبيان من كل عمى وشبهة وهو هذا القران الذى سماه مرة هدى ورحمة ونورا ونحو
ذلك وهو ما وصفه جل وعلا ان من تمسك به يكون ما ذكر هدى من كل ضلالة وخيرة ونورا من كل ظلمة وبيانا من كل
عمى وشبهة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ودين الحق جايز ان يكون الحق هو نعتا الدين وهو الاسلام وهو دين الحق
وساير الاديان باطلة ويحتمل ان يكون قوله قوله تعالى ودين الحق اى دين الاله الذى هو الاله الحق المستحق الالوهية
وغيره من الاديان دين الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ليظهره على الدين كله الاظهار هو الغلبة ثم يخرج
غلبته على الدين كله على وجهين احدهما اى غلب هذا الدين على الاديان كلها بالحجج والبراهين انه حق وانه من عند الله
جاء وقد كان بحمد الله كما ذكر حتى عرف اهل الاديان كلها بالحجج والبراهين انه حق الا من كابر عقله وعاند الحق
وغفل عن دلايله ولا قوة الا بالله والثانى يغلب على الاديان كلها اى يغلب على اهل الاديان كلهم حتى يصير اهل
الاسلام ظاهرين غالبين من بين غيرهم ويرادى جميع اهل الاديان ويحتمل ولكن ذلك فى وقت دون وقت
وهو الوقت الذى ذكر بعض اهل التاويل وهو فى وقت خروج عيسى عليه السلام يصير اهل الاديان كلهم اهل دين
واحد وهو الاسلام وجايز ان يكون قوله ليظهره على الدين كله اى يظهر ما يحتاج اهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من
الحاجة على الاديان كلها بما ضمن بالقران معا فى يقع الكفاية بها فى الحوادث كلها والله اعلم وقوله عز وجل وكفى
بالله شهيدا هذا يحتمل وجهين احدهما وكفى بالله شهيدا بان ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اى بما جاء به من
عند الله فان كان التاويل هذا فانما يكون هذه الشهادة فى الاخرة والثانى يحتمل قوله تعالى وكفى بالله شهيدا بما
انشا له من الايات والحجج شهادة منه على رسالته ونبوته وذلك فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل محمد رسول الله
من الناس من احتج على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية وبغيرها
من الايات يقول لم يذكر محمدا صلى الله عليه وسلم فى القران الا خاصه باسم الرسالة والنبوة كقوله يا ايها النبى ويا ايها
الرسول وقوله محمد رسول الله ونحو ذلك وساير الانبياء عليهم السلام انما خاطبهم باسمائهم التى جعلت لهم خاصة
دون ضم الرسالة والنبوة كقوله يا نوح اهبط بسلام منا ويا لوط ويا موسى ويا هرون ويا هود ويا صالح
جميع من ذكرهم سواه انما ذكرهم باسمائهم الموضوعة فى اصل الخلقة ولم يحلوا ولم يسموا باسماء الرسالة و
النبوة ولذلك لفضل جعل له من بين غيرهم وكذلك يحتج لتفضيل امته واصحابه على ساير الامم حيث خاطب
هذه الامة باحسن الاسماء فقال يا ايها الذين امنوا وقوله يا ايها المؤمنون وقال فى ساير الامم يا بنى ادم ونحو ذلك
وما يدل على فضيلتهم وقوله تعالى كنتم خير امة الاية اى كنتم خير امة فى الكتب المتقدمة بما ذكر والله اعلم وقوله

عز وجل

عز وجل والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية وصفهم ونعتهم [illegible] على الاجتماع او يحتمل
موصوفين بهذه الصفات التى ذكر [illegible] فى صفتهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اى
اشداء على الكفار [illegible] المؤمنين وصفهم بذلك جملة [illegible] ان يكون ذلك وصف بعضهم دون بعض ووصف
عامتهم فاما الكل فلا وذلك فى قول [illegible] ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال [illegible] منكم من يريد الدنيا [illegible]
اعرف احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا [illegible]
تعالى الرحمة [illegible] المؤمنين [illegible] روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم [illegible] لا يدخل الجنة حتى
يتراحموا [illegible]
عن النعمان بن بشير [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
فضلا من الله ورضوانا [illegible] سيماهم فى وجوههم من اثر السجود [illegible]
والتواضع للمؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل يبتغون فضلا من الله ورضوانا يحتمل قوله يبتغون فضلا من الله اى الجنة اى
يبتغون بكل ما وصفهم من الرحمة والشدة والركوع والسجود الجنة والفضل بذكر عبادة عن الجنة فى القران فى غير موضع
وجايز ان يكون ما ذكر من ابتغائهم الفضل من الله تعالى ما يتعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اى يبتغون ما
يتعيشون وقال بعضهم يبتغون فضلا اى يبتغون معيشة يتقوون بها على طاعة الله وقوله عز وجل ورضوانا اى رضوانه
وهو يحتمل الفضل ايضا على التكرار والتاكيد كقوله تعالى وابتغوا من فضل الله لكنه اخبر انهم يبتغون ذلك الفضل والرضوان
من الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل سيماهم فى وجوههم من اثر السجود اختلف فيه قال الحسن وغيره اى اثر الخشوع والصلاة
فى وجوههم وقال بعضهم ان الرجل اذا نام من الليل فاطال القيام والتهجد يتبين سهر الليل فى وجهه اى التبيح من الصفرة وتغير
اللون وذلك كله فى الدنيا وكذلك روى عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قوما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى
قال الحسن اجهدتهم العبادة وقال قتادة اثر الصلوة فى وجوههم وهو اثر التراب لكن ذلك بعيد وقال سيماهم فى وجوههم من
اثر السجود يوم القيمة وهو بياض وجوههم من اثر السجود والوضوء وكذلك روى فى الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انى اعرف امتى من بين غيرها من الامم قيل وكيف تعرف يا رسول الله امتك من بين الامم قال امتى غر محجلون يوم القيمة من اثر السجود
ولا يكون ذلك لاحد الامم غيرهم والله اعلم وجايز ان يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى فى وجوههم من انوار العبادة له والجهد
فيها من النور والحلاوة والحسن ما يعرفون انهم اهل عبادة الله تعالى وطاعته والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مثلهم فى التوراة
ومثلهم فى الانجيل يحتمل وجوها احدها اى نعتهم فى كتبهم لا تعطون انتم هؤلاء ولا تتبعونهم كذلك والله اعلم والثانى
يحتمل ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل اى ذلك نعتهم ووصفهم فى التوراة والانجيل اى على ذلك نعتوا ووصفوا فى التوراة
والانجيل اى على ذلك نعتوا ووصفوا فى التوراة والانجيل وقد عرفتم فهلا تتبعونهم انا نعتوا ووصفوا فى القران وقال بعضهم
قوله ذلك مثلهم فى التوراة مقطوع مقصود وهو ما تقدم من قوله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله من اثر السجود ثم
ابتداء فقال ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه الاية وهذا يحتمل وهو وجه حسن وعلى التاويل الاول ما ذكرنا من وصفهم
كان فى التوراة والانجيل جميعا ثم نعتهم ايضا بقوله تعالى كزرع اخرج شطأه والله اعلم ثم ذكر نعت اصحابه رضى الله عنهم فى هذه
الاية ولم يذكر نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وانما ذكر نعته فى اية اخرى وهو قوله تعالى النبى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية
والانجيل ذكر نعته وصفته فى الاية صلى الله عليه وسلم ونعت اصحابه رضى الله عنهم فى هذه السورة والله اعلم ثم وقوله عز وجل
مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الاية دلالة الرسالة لانه اخبر ان نعتهم فى الكتب المتقدمة كما ذكر فى القران ثم لم ينكر
احد من اهل الكتب المتقدمة ان ليس ذلك نعتهم ونعتهم فى تلك الكتب ثبت انه بالله عرف عرف ولا قوة الا بالله ثم وقوله
عز وجل كزرع اخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه الاية شبههم بالزرع الذى ذكر والله اعلم لانهم احيوا سنن
الدين وشرايعه التى كانت من قبل بعدما درست وانقطع اثرها لانه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام رسول يجدد

استغلظ ذلك واندرس ثم جاء محمد عليه افضل الصلوة واكمل التحياة بعد دروس ذلك واندراسه كالزرع الذي يخرج وحده
وهو النبت الواحد في الاول ما يخرج فاعانه اصحابه وازروه وكانوا اليه التي ينبت حول الساق بوازن للخلقة والنبت فانما
شطاه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج اول النبت وحده واما الوالية التي ينبت حول الشطاء فاجتمعت منهم
المؤمنون كانوا في قلة كما كان اول الزرع دقيقا ثم زاد نبت الزرع فغلظ فازره فاستغلظ كالمؤمنون بعضهم بعضا حتى
استغلظوا واستووا على امرهم كما استغلظ هذا الزرع فاستووا على سوقه ثم اختلفوا في الشطاء قال ابو عبيدة هو قصب الزرع
اي صاربه واشطا الزرع اي صار له ورق فازره اي قواه سوقه جمع ساق وقال ابو حنيفة شطا الزرع فراخه وصغاره يقال
قد اشطى اذا فرخ وقال الفراء اشطاء اي سنبله ينبت الحبة عشرا وسبعا وثمانيا فازره اي اعانه وقواه قوله فاستغلظ اي غلظ
فاستوى على سوقه جمع ساق ومنه يقال قام كذا على سوقه انما زاد به تناهى وبلغ الغاية يقول والله اعلم كما ان الزرع اذا قام على السوق
فقد استحكم فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اي خرج وحده فايده باصحابه فقوى واشتد كما قوي الطاقة من الزرع بما
ثبت منها حتى غلظ وعظمت واستحكمت والله اعلم وقوله عز وجل يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار قال بعضهم الزراع هو محمد
صلى الله عليه وسلم يعجبه نمآ ما راى من اصحابه والمؤمنين ويغيظ الكفار ذلك من الغيظ وهو كقوله تعالى ان لن ينصره الله في الدنيا
والاخرة الى قوله تعالى هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال بعضهم الزراع هو صاحب الزرع اذا كثر جرابنه والبابة وينبت ليغيظ بهم
الكفار اي يغيظ ذلك سابر الزراع بحسن زرعه حين استوى قائما على ساقه فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم
وقال بعضهم الزراع سمي الكفار الانهم يكفرون اي يسترون البذر في الارض والله اعلم وقوله عز وجل وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات من بين غيرهم من الناس مغفرة واجرا عظيما والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله لقولهم انهم بعدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا وارتدوا عن الاسلام جميعا او كلام نحو وفي الاية دلقولهم لانه وعدهم المغفرة وما ذكر من
الاجر العظيم فلا يحتمل ان يكونوا على ما ذكروا ولكنه ثم يكون لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم نزل ما ذكر من الوعد لهم بالمغفرة و
الاجر العظيم انهم ثبتوا على ما كانوا من قبل في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حيوته والله اعلم وقوله والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال بعضهم ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى اخر ما ذكر
من قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وذكر عن الحسن في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي تذبحوا قبل ذبح
النبي يوم النحر وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلوة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وقال قتادة ذكر لنا ان رجالا كانوا
يقولون لو انزل كذا وكذا او صنع كذا وكذا فنزلت هذه الاية وامرهم ان لا يسبقوا نبيه صلى الله عليه وسلم بقول ولا عمل حتى يبين الله
تعالى بيانه وامثال ذلك قد قالوا والله اعلم واصل ذلك عندنا من قوله يا ايها الذين امنوا الاية اي يا ايها الذين امنوا وعلموا
ان الله الخلق والامر لا تقدموا قولا ولا فعلا ولا تعلموا ولا حكما ولا نهيا سوى ما اراه الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم وغيره ما نهى
عنه بل اتبعوا امره ونهيه وما تقبوه على ما اتيتم به وامرتم بانه له الخلق والامر فاحفظوا امره ونهيه ولا يخالفوه ولا رسوله في
شيء من الامر والنهي فهذا يدخل فيه كل شيء امر من القول والفعل والقضاء والحكم في الذبح وغيره ذلك على ما ذكرنا بانهم
بان له الخلق والامر في الخلق اذ مثل هذا الخطاب لو كان واحد خاص لكان حكمه يلزم الكل وكذلك لو كان في امر واحد وفعل
وحد كان يدخل في ذلك جميع الامور فكيف والخطاب بذلك عام مطلق فهو للكل وفي كل الامور والله الموفق وعلى ذلك
ما روي عن مسروق انه دخل على عايشة رضي الله عنها فامرت الجارية ان تسقيه فقال اني صايم وهو اليوم الذي يشك فيه
فقالت له قد نهي عن هذا وتلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله في صيام ولا غيره اعتبرت
عايشة رضي الله عنها عموم الاية في النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم في قول وفعل وكذلك
روي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى قال في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تعجلوا بالامر والنهي دونه وقوله عز وجل
واتقوا الله ان الله سميع عليم اي اتقوا مخالفة امر الله ونهيه قولا وفعلا واتقوا مخالفة رسوله فيما يامركم بامر الله وينهيكم
وفي كل ما دعا كم اليه الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم واعمالكم ولا نرى الا بالله ثم لم يفهموا مما ذكر في قوله بين يدي الله دون
الجوارح ولا العدد في اليد كما فهموا من ذلك في الخلق فالم يفهموا ذلك من قوله خلقت بيدي اي خلقته على علم مني بما
يكون منه خلافا ومعصية لم اخلقه عن جهل بما يكون منه وهو ما ذكر في قوله تعالى والله بما تعملون بصير وخبير اي
عن علم باحوالهم وما يكون منهم انشا ثم لا عن جهل بذلك فعلى ذلك هذا كما فهموا من قوله لا تقدموا بين يدي الله امره
ونهيه دون الجوارح والعدد والله الموفق وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله لبعض قال بعضهم

ان الاية

ان الاية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما وقال بعضهم انها نزلت
في قوم كانوا اذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قالوا فيه قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا لا يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع
الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهر بالقول له وما ذكر من التقديم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر
والنهي ان يكون الخطاب لاولئك الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا امره ونهيه اذ لا يحتمل منهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوته
ويجهروا له بالقول او يتقدموا بين يديه في امر ولا نهي الا عن سهو وغفلة او اذن منه في المناظرة والمحاورة في العلم فيعتقد ذلك
برفع اصواتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجل قدرا بينهم واعظم قدرا من ان يتجاسروا التقديم بين يديه بامر او قول او رفع صوت
وجهر القول له فيكون الاية في اهل الشرك في اهل النفاق والله اعلم ثم ان كان الخطاب بذلك الذين امنوا فهو على وجهين احدهما
ان ذلك منه ابتداء محنة امتحنهم بذلك وامرهم به من غير ان كان منهم شيء من ذلك من التقدم بين يديه ورفع الصوت والجهر
له بالقول ولله تعالى ان يمتحن ويامر وينهى من شاء وبما شاء ابتداء امتحانا منه لهم وهو ما ذكرنا من نهي الرسل عليهم الصلوة والسلام
عن الشرك والمعاصي وان كانوا معصومين عن ذلك لان العصمة لا يمنع النهي لان العصمة انما يكون عصمة اذا كان هنالك امر ونهي
فعلى ذلك جايز ان يكون ما ذكر من النهي عن التقدم والرفع بالصوت والجهر بالقول وان لم يكن منهم شيء ما ذكر ابتداء محنة منه
والله اعلم ويحتمل اثر خاطب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم بذلك ليتعظ بذلك من يشهد مجلسه من المنافقين وغيرهم من
الكافرين اذا كان يشهد مجلسه اهل النفاق وسائر الكفرة ليلا يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معاملة بعضهم بعضا والله
اعلم وقوله عز وجل ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ذكر هذا ليكونوا ابدا مستيقظين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرين
متعظين له في كل وقت ليلا يكون منهم في وقت من الاوقات ما يخرج مجرى الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة فتحبط ذلك
اعمالهم ان هذا الصنيع برسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر صاحبه ولا يكون معذورا وان فعله على السهو والغفلة لان له قدرة الاحتراز
وامكن التحذر وامكن الحذر وان كانوا معذورين فيما بينهم على سهو العمد والقصد ولا مواخذة لم يرفع الله تعالى المواخذة
عنهم فيما بينهم ولم يرفع في حق النبي عليه افضل الصلوة واكمل التحيات معان الكل في حد جواز المواخذة والله اعلم وذكر الكرابيسي
فقال ومن حكم الاية عند قوم حبوط الاعمال بالكباير على ما روي عن الحسن قال ما يشعر هؤلاء الناس ان عملا يحبط اعمالا والله يقول
يا ايها الذين امنوا الاية وقيل المراد من الاية ما يدي بشوم تلك المعصية الى ان يهون عليه ارتكاب الكبيرة باستحقارها حتى يخف عليه الكفر
فيكون بتصير المعصية الاولى وان قلت سبب الحبوط ثواب اعماله فان اساس كل خطير حقير ونحن نقول ان المعصية لا يحبط الطاعة و
لكن هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك وقوله عز وجل ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى دلت هذه الاية ان الاثنين اللتين تقدم ذكرهما من قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل
ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي [illegible] فاما اهل النفاق [illegible]
[illegible] من وراء [illegible]
ذلك [illegible] من اهل النفاق والشرك فاما الذين امنوا به وصدقوه [illegible] رسول [illegible] سوى التعظيم له والتوقير
والتشريف [illegible] في الدنيا والاخرة [illegible] فكيف يحتمل منهم ذلك [illegible]
[illegible] والله الموفق وقوله عز وجل [illegible] امتحن الله قلوبهم
للتقوى هذا وصف المؤمنين [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر عظيم ظاهر وقوله عز وجل ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات [illegible] وقال بعضهم ان نفرا من الاعراب جاؤا
قالوا انطلقوا الى هذا الرجل [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] من وراء الحجرات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم [illegible]
للمنزلة [illegible]
ذلك وهم المؤمنون [illegible]
[illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبا فتبينوا [illegible] نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بني المصطلق [illegible] في الجاهلية فخرجوا يتلقونه

غاضهم لذلك فرجع فقال ان القوم قد منعوا الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بعد ذلك خالد بن الوليد لجباية
الصدقات فوجدهم يصلون ويقولون الطاعات واجتمعوا وجمعوا له الصدقات وجبوها وسلموها اليه فرجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بها فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا لكن ان كان ما ذكروا فلم يكن في ذلك البناء
التثبت لان الاية نزلت بعد بناء الرجل وفي الاية الامر بالتثبت في بناء الفاسق فيما يحدث من الامور من بعد فدل ان الاية نزلت
لبيان الحكم في بناء الفاسق ابتداء والله اعلم ولانه يحتمل ان يكون ذلك الرجل منافقا ولم يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر المنافق
ولم يشرع ذلك لان النفاق يكون في القلب فلا يظهر ذلك فان الفسق فانه يظهر فامرنا بالتثبت فيه فدل ان الاية لم ينزل في
ذلك الرجل اذ لا يحتمل غير المنافق ان يورد على مثل ما ذكر منه ولان ما قاله اهل التاويل فيه وهم ثم في الاية دلالة قبول
خبر الواحد اذا كان عدلا لانه لو لم يقبل خبره اذا كان عدلا لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى الشتم والشتم سفه فلا يجوز ان يوصف
الله تعالى فدل ذكر الفسق على ان هذا الحكم وهو رد الشهادة مختص باسم الفسق وان العدل لا نشاركه فيه حتى ذكر الفسق سفها
لما تعلق به بيان حكم شرعي يختص بالفاسق ولا يعرف ذلك دون ذكره فاما متى كان الحكم اما في الفاسق والعدل عند الانفراد فكان
ذكر الفاسق نبغي شتمه وانه لا يليق بالحكمة فدل ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل ان تصيبوا قوما بجهالة ان تصيبوا قوما بجهالة
في الظاهر بسبب تهمة الفسق واما في الحقيقة فانه يجوز ان تصيب ذلك بخبر الواحد لكن الاحكام وقبول الاخبار فيما بين
الخلق لم يوضع على الحقائق وانما وضعت على الظواهر وكذلك قبول الشهادة والحكم بها وجميع الشرائع التي جعلت في الناس
انما هي على الظواهر هو الاحوال والامور فاما على الاصابة بحقيقة ذلك فلا اذ قد يجوز ان الحكم الحاكم ويقضي بقتل انسان ويقطع
يده بشهود عنده عدل لما ظهرت عنده عدالتهم ولم يكن في الحقيقة كذلك وعلى ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه قال هل امنكم
عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل لم يامن عليهم بما ظهر له منهم زلة وجناية حين طلبوا منه ارساله ولم يوسف عليه السلام
في الرعي بل قال هنالك اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب انما اعتل عليهم واحتج باكل الذئب ولم يتهمهم فيه بما لم
يكن ظهر له منهم زلة وجناية فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم واخبر انه لا يامن عليهم بما ظهر له من زلتهم فدل ان التهمة سبب الرد
وانه يجب التثبت بنفع الجهالة من حيث الظاهر لا الحقيقة والله اعلم **وقوله** عز وجل فتصبحوا على ما فعلتم نادمين بما فعلوا على
خلاف ما كان في الظاهر ويندمون ما تركوا التثبت في الخبر **وقوله** عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم اي لاثمتم من الناس من احتج بهذه الاية على ان الاجماع ليس بحجة وقالوا لو كان الاجماع حجة لكان لا يأثمون لو اطاعهم في كثير
من الامر لان الحق والصواب ما لا يوجب الاثم لصاحبه فمن تبعه في ذلك الصواب والحق ان كان لا يوجب الثواب دل انه ليس
بحجة يجب اتباعه ولكن هذا فاسد لان الحجج والبراهين لم يكن انتهت يومئذ فاشتهاد لانه على نهايتها فالاجماع الذي هو
اجماع حجة عندنا ويجب اتباعه والانقياد له هو اجماع من استوعب الحجج والبراهين والى غايتها وعلى الجميع وكان الوقت
وقت نزول الوحي وانما يستقر الاحكام بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ينقطع الوحي فيستدل على الاستيعاب الحجج ونزول
جميع ما يحتاج الناس اليه من حيث الابداع في النصوص فمتى اجتمعوا على ذلك يكون حجة ولانه الاجماع يتحقق دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا وجد رايا استغنى عن راي الغير لما كان ينطق عن الوحي فاذا لم يكن وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى
انعقاد الاجماع حجة فبطل استدلالهم بالاية ثم **وقوله** عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله ارسل اليكم ليزيل عنكم اشكالكم وشبهاتكم
فلو عذركم في الكفر واعتراض الشبه لكم لما يعذر دون ان تسألوه ما اشكل عليكم واشتبه فيخبركم بذلك فيزيل الشبه عنكم
والثاني يحتمل واعلموا ان فيكم رسول الله تعالى اياه على ما يضمرونه في انفسكم وما تولدونه من الاخبار التي لا اصل لها ولا امر
ما لو اظهر ذلك لافتضحتم وهو صلة ما ذكر من قوله ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا والله اعلم ويحتمل ان فيكم رسول الله فسلوه
ما اشكل عليكم فيخبركم بالحق والامر على حقيقته كي لا تصيبوا قوما بجهالة والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله واعلموا ان فيكم
رسول الله اي فيكم رسول الله فاليه الراي والتدبير في الامور ومن رايه وتدبيره يجب ان يصدر لا عن راي انفسكم وتدبيركم
وعلى ذلك يخرج قوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله على الوجوه التي ذكرنا والله اعلم ثم **وقوله**
عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو يطيعكم فيما تدعوا اليه انفسكم من التمويهات والشبهات وهواها ويقول
لو يطيعكم في الصدر عن رايكم وتدبيركم في الامور لعنتم ثم قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان هذا في الظاهر كناية غير موصولة بقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لانه لا يليق ذلك لا على
الاضمار كانه يقول لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وان الله قد ارسله اليكم رسولا وحبب اليكم الايمان به وزينه في قلوبكم
حتى صار هو في قلوبكم احب من انفسكم ومن كل شيء فالواجب عليكم ان تفوضوا الامر الى رايه وتدبيره وتصدروا عن رايه و
تعتمدوا على رايه لا انفسكم وتدبيركم والله اعلم ويحتمل اي لا ترجعوا الى ان يطيعكم فيما تهوى به انفسكم فاشتبهت بغير ما حبب
الايمان به اليكم وزينه في قلوبكم وكره اليكم وما ذكر والله اعلم بحقيقة جهة دخل هذا بالاول ثم يحتمل وجهين ايضا احدهما لو

يطيعكم

يطيعكم في كثير من الامر لعنتم والله تعالى الزمكم طاعته في كل امر واطيعوه ولا تطلبوا منه طاعته اياكم في الامور ولكن اطيعوا
انتم في الامور كلها وقد حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والخروج عن امره والعصيان والثاني
يشبه ان يكون موصولا بقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ثم قال الله عز وجل اولئك هم الراشدون كانه يقول
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب اليهم وزينه في قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم
الراشدون اخبر وشهد لهم بالرشاد واخبر ان ذلك فضل منه اليهم ونعمة لا بشيء كان منهم استوجبوا بذلك فذلك فضلا من الله
ونعمة والله عليم حكيم ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وما ذكر يقولون
لم يحبب الايمان الى هؤلاء الا وقد حبب مثله الى جميع الكفار وكذلك لم يكره الكفر على هؤلاء الا وقد كره الى جميع الناس لكن
المراد بتخصيص هؤلاء بما ذكر من التحبيب اليهم الايمان وتكريه الكفر هو اختصاصهم بما وعد من الثواب والجزاء والجزيل على
الايمان والمواعيد الشديدة تحبيبه وتزيينه في قلوبهم بما وعدهم من الثواب وكره الكفر والعصيان اليهم بما اوعد على ذلك
من العذاب العظيم لكن هذا فاسد لانه ليس يؤمن يرى صاحب الايمان في قلبه لما ذكر من الثواب والجزاء ولا كافر اسلم
حين اسلم يخطر ثواب الايمان في قلبه حتى يكون اسلامه لذلك بل كان في قلبه حب الايمان قبل الاسلام فاذا اسلم وجد حب
في قلبه وكراهة الكفر ليعلم ان ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان عنده فانا اطاعه صار ما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال بعضهم كان بين رجلين مدارة اي منازعة في شيء فغضب قوم
كل رجل حتى كان بينهم حقق بالنعال والايدي فنزلت الاية وقال بعضهم كان بين الاوس والخزرج قتال بالعصي
فنزلت هذه الاية بالامر بالصلح بينهم وقال بعضهم قتالهم بالعصي والنواصي ونحوها وقال الحسن ان قوما من المسلمين
كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والايدي فانزل الله تعالى هذه الاية في ذلك وقال قتادة وكان بين رجلين
حق فتدارا فيه فقال احدهما لاخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الاخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا
حتى كان بينهما ضرب بالنعال والايدي وجائز ان يكون الاية فيما كان بين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وبين
الحرورية واهل نهروان ذكر ان عليا رضي الله عنه لما قتلهم فقال الناس هم مشركون فقال علي عليه السلام من الشرك
قد فروا فقالوا فمنافقون قال علي رضي الله عنه ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قالوا فما هم قال لهم قوم
بغوا علينا فقاتلوا فقاتلناهم ويحتمل انه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه ومعاوية يوم الجمل ويوم صفين ذكر عن جعفر بن
محمد عن ابيه ان عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول يوم الجمل هم كفروا فقال لا تقل ذلك ولكن هؤلاء قوم بغوا علينا وزعموا
انا بغينا عليهم فقاتلناهم على ذلك لكن في الاية الامر بالصلح اذا كان بينهما اعني المؤمنين اقتتال باي شيء كان بقوله
تعالى فاصلحوا بينهما وكذلك امر في اي بالصلح والاصلاح قال يقال واصلحوا ذات بينكم اي بين المؤمنين وهذه الاية
حجة على المعتزلة والخوارج فانه ابقى لهم الايمان بعد ما كان منهم الاقتتال والبغي والقتال والبغي من اهل الاسلام و
من الكبائر دل ان الكبيرة لا يخرج عن الايمان ولا يوجب الكفر والله الموفق **وقوله** عز وجل فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان طلبت احدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي اي تظلم وتجوز
حتى تفيء الى امر الله حتى ترجع الى امر الله والى الحق امر بمعونة الطائفة التي لم تبغ والانتصار لها من الباغية وهو ما ذكر
في اية اخرى ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله وعد عز وجل النصر ثم يحتمل ان يكون ذلك النصر الموعود
في الدنيا ويحتمل في الاخرة وفي الاية الامر بقتال اهل البغي من غير تقييد بالسيف وغيره بقوله فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي لكن متى امكن دفع البغي وكفهم ومنعهم بغير السلاح هو الحق وهو الواجب لكن اذا لم ينقلعوا عن البغي
بالقتال مع السيف فلا باس به فان عليا رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة رضي الله عنهم
واهل البدر وكان هو محقا في قتاله اياهم دل انه لا باس بقتالهم بالسيف وبعضهم قالوا ان قتال البغاة لا يجوز
بالسيف وقالوا ان سبب نزول الاية في القتال بالعصي والنعال ولكن لا حجة لهم فيها لانه القتال بين الفئتين وان كان
بالنعال والعصي ولكن لم يصيروا بغاة في تلك الحال وهو القتال الذي امر الله تعالى فيه ان نصلح بينهم وانما يسيرون بغاة
بان لم يجيبوا الى الصلح ولم يقبل احد من الطائفتين الصلح وحينئذ امر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد والله اعلم **وقوله**
عز وجل فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ذكر انها وان فاءت ورجعت الى امر الله تعالى به لا يتركوها كذلك بغير
صلح ولكن اصلحوا بينهما والفوا حتى تتالفوا لان اهل الاسلام ندبوا الى التالف بينهم والجمع وشرط فيه الصلح بالعدل فهو
والله اعلم يقول انكم وان رايتم سلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه عدل ولكن اصلحوا بينهم بالعدل ولا
تجاوزوا الحد الذي واكد ذلك قوله واقسطوا اي اعدلوا في الصلح ان الله يحب المقسطين اي العادلين **وقوله** عز وجل انما

المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم امر الله عزوجل بالاصلاح ذات البين بين المؤمنين فقوله فاصلحوا ذات بينكم بالاصلاح
بين الطايفتين من المؤمنين اذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله وان طايفتان من المؤمنين اذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله وان
طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وامر بالاصلاح بين الاحاد والافراد بقوله واصلحوا بين اخويكم لان الايمان
يوجب التالف والتالف ندبوا واليه دعوا وبه من الله تعالى علينا حيث قال ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
وقال في اية اخرى ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا امر بالتالف
والاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف وامر المؤمنين جملة ان يصلحوا ذات بينهم اذا وقع بينهم تنازع واختلاف
واقتتال على ما ذكر والله اعلم من الناس من استدل بقوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم على ان اسم الطايفة يقع على الواحد ثم
لصاعدا لانه تعالى ذكر في اول الاية وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال في اخره فاصلحوا بين اخويكم فدل
ان اسم الطايفة يقع على الواحد فصاعدا فقال فيستدل بهذا على ان في قوله عزوجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
ليتفقهوا في الدين يراد بها الواحد فيدل على لزوم خبر الواحد العدل لكن عندنا ما ذكر انه امر باصلاح ذات البين بين
جملتهم وامر بالصلاح بين فريقين وامر بذلك بين الاحاد والافراد وليس في قوله فاصلحوا بين اخويكم دلالة ان اراد
الاخوين او ذكر بين اخويكم واراد به الاثنين اللذين كان الاقتتال بينهما وفيما هاج القتال بينهم فاما ان يكون
اسم الطايفة يقع على الواحد فلا بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة والله اعلم وقوله عزوجل واتقوا الله
لعلكم ترحمون اي اتقوا مخالفة امر الله لكي يقع بكم الرحمة او لكي يلزمكم الرحمة وقوله عزوجل يا ايها الذين امنوا لا
يسخر قوم من قوم ظاهر الاية نهي للجماعة عن سخرية جماعة لان السخرية انما يقع ويكون في الاغلب بين قوم وقوم و
قل ما يقع بين الافراد والاحاد فعلى ذلك جرى النهي ولكن يكون ذلك النهي للجماعة والافراد والاحاد جميعا والله اعلم
ثم يحتمل السخرية المذكورة في الاية على وجهين احدهما في الافعال يقول لا يسخر قوم من قوم في الافعال عسى ان يكونوا
خيرا منهم في النية في تلك الافعال او خيرا منهم اي افعالهم اخلص عند الله من افعال اولئك واقرب الى القبول والثاني
سخرية في الخلقة وذلك راجع الى منشيها لا اليهم وهم قد رضوا بالخلقة التي انشئوا عليها وعسى ان يكونوا هم على تلك
الخلقة عندهم خيرا منهم ثم وقوله عزوجل عسى ان يكونوا خيرا منهم يحتمل وجهين احدهما عسى ان يصيروا من بعد منهم
خيرا في تلك الاحوال والافضال التي هم عليها اليوم والثاني عسى ان يكونوا هم عند الله خيرا منهم في الحال كقوله عزوجل
ان اكرمكم عند الله اتقيكم اخبر ان الاكرم منهم عند الله تعالى هو اتقاهم لا ما افتخروا بما هو اسباب الفخار عندهم
والله اعلم وقوله عزوجل ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ذكر سخرية نساء من نساء لان النساء ليس لهن اختلاط مع
الرجال حتى يجري السخرية بينهم وانما الاختلاط في الغالب بين الجنس يكون فعلى ذلك جرى النهي بالسخرية والله اعلم
ويحتمل ان خص هولاء بهولاء كما خص القصاص في قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد الاية ثم
جمع بين الاحرار والعبيد والذكور والاناث بالمعنى الذي جمعهم فيه وهو ما ذكر ولكم في القصاص حيوة اذ كان عن
المعنى الذي به وجب القصاص فيما بينهم فاشتركوا جميعا في ذلك الاحرار والعبيد والذكور والاناث فعلى ذلك
المعنى الذي به نهاهم عن السخرية وهو ما ذكر عسى ان يكونوا خيرا منهم فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء و
سخرية النساء من الرجال والله اعلم وقوله عزوجل ولا تلمزوا انفسكم واللمز هو الطعن ثم منهم من يقول هو الطعن
باللسان وهو يقول بالسدق والشفة ومنهم من يقول بالعين وحاصله هو الطعن فيه وقال القتبي اللمز هو العيب
اي لا تعيبوا وقال ابو عوسجة هو شبه العيب ثم وقوله عزوجل انفسكم يحتمل وجهين احدهما لا تلمزوا انفسكم اي
يذكروا اساوي نفسكم عند الناس وفيه الامر بالستر على نفسهم وان لا تهتكوا استرهم والله اعلم وقوله عزوجل
ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تدعوا بالالقاب والنبز اللقب يقال نبزت فلانا اي لقبته وفي الحديث قوم نبزهم الرافضة
اي لقبهم ولو قال لا تنابزوا لكان كافيا لكنه كانه قال ولا تظهروا القابهم فيسوءهم ما اظهرتم من اللقب والله اعلم
ثم قال بعض اهل التاويل انما نهوا عن ذلك لانهم يسمونهم بعد اسلامهم بالافعال التي كانوا يفعلونه في حال
جاهليتهم من الكفر والفسوق ويلقبونهم بذلك ويقولون يا كافر يا فاسق ونحو ذلك ودل على ذلك قوله تعالى
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وجايز ان يلقبوا بذلك وبغيره من الالقاب فنهوا عن يسمونهم بغير اسمائهم التي
كانت لهم وان يعرفوا باسمائهم التي لهم ونهوا عن التعريف بالالقاب وتغير الانساب والاسماء التي لهم اذا كان التعريف
بذلك يسوءهم ويغيظهم والله اعلم ثم قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون اي واضعون الشي في غير موضع
والله اعلم ثم وقوله عزوجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا اي بئس النسبة الى
الفسوق التي كانت والتسمية بها بعد الايمان الى الاسم والفعل الذي كان له ومنه قبل الايمان كانه قال لا يسمونهم

بئس بعد الايمان والله اعلم والثاني بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس ما اختاروا من اسم الفسوق بعد ما كان اختاروا اسم
الايمان وفعله [illegible] والله اعلم وقوله عزوجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم ههنا اشياء ثلاثة يجب ان يعرف [illegible] الظن والشك والعلم و
اليقين فاما الظن فكان هو الذي له ظاهر الاسباب التي [illegible] الزوال والانتقال والشك هو الذي [illegible]
[illegible] واليقين هو الذي [illegible] الاسباب
التي ليس لها حق الزوال ولا الانتقال والله اعلم ثم وقوله عزوجل اجتنبوا كثيرا من الظن [illegible]
[illegible] على ظاهر الاسباب التي [illegible] الزوال [illegible] الانتقال [illegible] والله اعلم
ثم في الاية دليل [illegible] ان بعض الظن اثم [illegible]
[illegible] العلم واليقين
[illegible]
[illegible] وعلى ذلك موضوع عامة الاحكام والشرايع بين الخلق [illegible]
[illegible] ما استثنى من الظن [illegible]
[illegible] وقوله عزوجل ولا تجسسوا [illegible]
[illegible]
[illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
ابن مسعود [illegible]
[illegible] وقوله عزوجل ولا يغتب بعضكم بعضا [illegible]
يرجع الى وجهين احدهما ان يذكر ما فيه من مساوي الافعال التي اشتركها عيرا فيبين الناس ما يكره اظهار ذلك عنه والثاني يذكره
فيه من قبح الاحوال ولا يصلحه التي لا يكاد يذكر ذلك منه او يظهر على ذلك وروي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهاه
يذكر الرجل اخاه بما فيه مما يكره فقيل اما كنا نذكره بالشيء الذي فيه لانما ليس فيه فقال ذلك البهتان وقوله عزوجل ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه بعد موته فكانه يقول فاذا لم يحب هذا وكرهه بل يستقذره
كل استقذار فما اغتيابه في حال حياته وهو في القبح يبلغ التناول منه بعد موته فان كان لا احد يتناول من لحم اخيه
بعد موته لا في حال اختياره ولا في حال اضطراره فلا تغتابوا ولا تذكروا منه ما فيه فانه في القبح ذلك وقوله عزوجل واتقوا الله
ان الله تواب رحيم اتقوا الله عما نهاكم عنه ان الله تواب لمن تاب اي قابل توبته رحيم اي يرحم عليه ويعفو عنه اذا تاب والله الموفق
وقوله عزوجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما انا خلقناكم جميعا من اصل واحد وهو
ادم وحوا عليهما السلام فيكونون جميعا اخوة واخوات وليس لبعض الاخوة والاخوات الافتخار والفضيلة على بعض بالاباء و
القبايل التي جعلت لهم ابا القبايل وما ذكر للتعارف والفضيلة والكرامة فيما ذكر ان اكرمكم عند الله اتقاكم فما لو كان في ذلك
فضيلة وافتخار فالكل في النسبة اليهم على السواء فلا معنى لانفراد البعض بالافتخار والثاني يحتمل انما خلقنا كل واحد منكم
من الملوك والاتباع والحر والعبد والذكر والانثى من ماء الذكر والانثى فليس لاحد على احد من تلك الجهة التي يفتخرون بها
الافتخار والفضيلة اذ كانوا جميعا من نطفة مذرة منتنة يستقذرها الطباع ذكر هذا ليتركوا التفاخر والتطاول والله
اعلم وقوله عزوجل وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ثم اختلفوا في تاويل قوله شعوبا وقبايل قال بعضهم الشعوب اكبر
من القبايل فالشعوب هم الاصول والقبايل هي الافخاذ منهم فالشعوب للعرب والامم والقرون للعجم وقال بعضهم الشعوب للعجم
وقبايل العرب قال ابو عوسجة الشعوب العروب هي القبايل والواحد شعب والشعب الاجتماع يقال شعبت الاناء اذا كسرته فجمعته
واصلحته وسمي لمن يصلح الاناء شعابا والشعب التفريق ايضا والشعوب ابنية ونحو ذلك ثم وقوله عزوجل لتعارفوا اي جعل
بكم من القبايل ليعرف بعضكم بعضا بالنسبة الى القبايل والافخاذ فيقال فلان التميمي والهاشمي اذ كل احد لا يعرف باسمه وحده
ثم قال عزوجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين الله تعالى بما به يكون الفضيلة والكرامة وهو التقوى لا فيما يذكرون ويفتخرون بذلك
وهو النسبة الى الاباء والقبايل بل ذلك لما ذكر بالتعارف وهذا لان التقوى فعله وهو اتيان الطاعات والاجتناب عن المعاصي
وذلك مما ياتيه تعظيما لامر الله تعالى ونهيه فيجازى بنال به الفضيلة والكرامة بفضل الله وكرمه بناء على فعله فاما ما لا فعل له
في التولد من اباء كرام فلا يستحق الفضل بذلك لو كان افتخارا بما يكون للاباء وربما شرفهم اشيا يحصل للاولاد ليوحد والله
تعالى ويتمسكوا بطاعته والله اعلم وقوله عزوجل ان الله عليم خبير على الوعيد وقوله عزوجل قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا هذه الاية وان خرجت على مخرج العموم ولكن اراد بها الخاص وهو بعض الاعراب في الاجراء على العموم يؤدي الى

الكتب فيخبر الله تعالى عن ذلك اذ كل الاعراب قالوا ذلك وكل الاعراب يجيباه بقال لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فهو يرجع الى خاص من الاعراب فكان يرجع الى اهل النفاق منهم فانهم اخبروا انهم امنوا فلما اطلع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم انهم لم يؤمنوا ولكنهم استسلموا وخضعوا للمؤمنين ظاهرا خوفا من سعرة السيف وطمعا فيما عند المسلمين من الخير فنهاهم ان يقولوا امنا انما لم يكن في قلوبهم ذلك وامرهم ان يقولوا اسلمنا ومعناه ما ذكرنا اي خضعنا واستسلمنا لئلا تقع منهم السيف ولا يصح الاستدلال بالاية على ان الاسلام والايمان غيران فانه غاير بينهما حيث نهاهم ان يقولوا امنا وامرهم ان يقولوا اسلمنا ولو كان واحدا لم يصح هذا الا ان نقول لم يرد بهذا الاسلام هو الاسلام الذي هو الايمان ولكن اراد به الاستسلام والانقياد الظاهر وهو كما يسمى اسلاما يسمى ايمانا ايضا من حيث الظاهر فاما حقيقة الايمان والاسلام يرجع الى واحد لان الايمان هو ان يصدق كل شيء في شهادته على الربوبية والوحدانية لله تعالى والاسلام هو ان يجعل كل شيء لله سالما لا شركة لاحد فيه فمن اعتقد ان كل شيء في العالم لله تعالى وهو الخالق له وكل مصنوع شاهد ودليل على صانعه صدقه في شهادته على صانعه والله الموفق وقوله عز وجل ولما يدخل الايمان في قلوبكم ليس هو مخصوص مركب يدخل في القلب ولكن معناه نفي فعل القلب وهو التصديق كما قال ولم تؤمن قلوبهم على ما ذكر في اية اخرى قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ثم ما ان الايمان ينقسمان على الكناية من جهتهم في ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان والقول فان اهل النفاق قد قالوا ذلك بلسانهم ثم اخبر انهم لم يؤمنوا ولم يقولوا بل امنوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وفي هذه الاية اية عظيمة على رسالته حيث قال له قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ذلك ولم يتهيا لهم انكار ذلك القول فعرفوا انه بالله عرف ذلك ولم يظهروا ما في ضميرهم خوفا من السيف فعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم والله الموفق وقوله عز وجل وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا يجوز ان يكون الاية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن امر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد وما ذكر من امرهم في غيره اي من القران يقول ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا يجوز ان يكون الاية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن امر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد وما ذكر من امرهم من غيره من القران يقول ان تطيعوا الله ورسوله فيما يدعوكم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الخروج الى الجهاد والقتال بعد تخلفكم عن الحديبية لا ينقصكم من اعمالكم التي كانت لكم شيئا والله اعلم ويحتمل ان تطيعوا الله ورسوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتكم من اعمالكم شيئا اي لم ينقصكم من اعمالكم التي عملتم من قبل ولم يبطلوا اعمالكم التي عملتم من بعد وان عصيتموه وتخلفتم عنه في حياته لانه قال فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انه كان نهاهم عن الخروج معه الغزو ابدا نقول ان تطيعوا بعد وفاته وتجاهدوا في سبيل الله لم يلتكم من اعمالكم شيئا بل يقبل ذلك منكم والله اعلم ويحتمل ان يكون في المنافقين فيكون فيها وعد المغفرة للمنافقين اذا تابوا واطاعوا الله ورسوله كما وعد المغفرة بجميع الكفرة اذا تابوا عن الكفر بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فعلى ذلك هذا وهو كقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم والله اعلم قال بعضهم هذا في جميع المؤمنين ان من اطاع الله ورسوله لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اي لا يضيع اعمالكم بل يثيبكم كقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور اي من عمل لله لا يضيع ومن عمل لغيره قد يضيع فلا يطمع على ثوابه بشيء ويحتمل ان يكون الاية في المؤمنين الذين اسلموا يقول انا اسلمتم فلم ينقصكم من ثواب اعمالكم ما سبق منكم من الكفر وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم وقوله عز وجل ان الله غفور رحيم ظاهر وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون كان هذا ذكر مقابل ما تقدم من قول المنافقين حيث قال قالت الاعراب امنا فقال لهم قل لم تؤمنوا انتم انما المؤمنون هؤلاء ثم نعتهم فقال الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اخبر ان هؤلاء هم الصادقون في ايمانهم وانتم يا اهل النفاق بحيث اضمرتم الخلاف له ولم تجاهدوا معه فلستم بصادقين في ايمانكم فجعل الجهاد دليل ظهور الصدق في الايمان لانه من شرايط الايمان الذي لا يجوز الايمان الذي دونه ويحتمل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله اي صدقوا الله ورسوله سرا وعلانية على الحقيقة لا الذين اظهروا ولم يكن قلوبهم مصدقة لذلك كالمنافقين الا ترى انه قال ثم لم يرتابوا وجاهدوا اي لم يشكوا في حادث بل جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اظهارا لتحقيق الايمان وصدقهم وليسوا كالمنافقين الذين ارتابوا وشكوا في ايمانهم وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم قال الله عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم كانه صلة قوله تعالى قالت الاعراب امنا حيث قالوا ذلك بالسنتهم وليس ذلك في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما في قلوبهم من الايمان والشك والخلاف كانهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم تؤمنوا فلحوا في ذلك وقالوا بل امنا فظنوا انه انما قال ذلك من ذات نفسه فقال عند ذلك قل اتعلمون الله بدينكم ضمن ان الذي انباني واخبرني بذلك هو الذي يعلم غيب ما في السماوات وما في الارض وهو بكل شيء مما في القلوب من الصدق وغيره عليم فكيف تعلمون الله بانكم مؤمنون وهو يعلم انكم لكاذبون وقوله عز وجل يمنون عليك ان اسلموا الذي حملهم وبعثهم على الامتنان

عليك الايمان الذي قابلهم لانهم قوم لا يؤمنون بالاخرة فيظنون انهم اذا اظهروا الموافقة له لم يلحقهم بسببه مؤنة الخروج الى القتال او متى ظفروا واتصل للمسلمين اعطوا نائلهم ونحو ذلك هذا الذي ذكرنا وبخوا بعثهم وحملهم على الامتنان عليه ولو كانوا يؤمنون بالاخرة ليعرفوا ان ايمانهم لانفسهم اذ يرجع اليهم منفعته ليس في الايمان لله تعالى نفع ولا في تركه ضرر تعالى عن الضرر والنفع فيكون لله تعالى عليهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم قوله عز وجل بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان نقض قول المعتزلة انه يجب على الله تعالى ان يهديهم كلهم بالاصلح فانه قال بل الله يمن عليكم ولو كان هدايتهم واجبة عليه لا يكون له عليهم منة لانه مؤدي ما عليه هو من الحق ومن ادى حقا عليه لاخر لا يكون له الامتنان على صاحب الحق وكذلك في قوله تعالى فضلا من الله ونعمة لو كان الهداية عليه لا يكون في فعله فضل ولا نعمة بل يكون له عليه الامتنان ومنهم الافضال الانعام لما عظموه ويجعلوه بشيء كان عليه فعل ذلك حقا واجبا لهم فدل على فساد مذهبهم وفيه دلالة ان الهداية ليست هي البيان بحسب لوجهين احدهما لان هداية البيان مما قد كان في حق الكافر والمسلم جميعا فلا معنى ان تخصيص المسلمين بهذه المنة ومثلها موجود في حق غيرهم والثاني ان البيان قد عم الكافر والمؤمن وقد اخبر الله تعالى بان المنة عليهم ان كانوا صادقين في ايمانهم فلو كانت الهداية هي البيان لا صير كان لا يشترط فيه شرط صدقهم لان منه البيان نعم الشاهد ثبت دل ان المراد من الهداية الارشاد حتى يتحقق له المنة على الخصوص في حق المسلمين والله الموفق ثم الهداية المذكورة هاهنا يحتمل وجهين احدهما خلق فعل الاهتداء منهم والثاني التوفيق والعصمة كما في قوله بل الله يمن عليكم ان خلق منكم الاهتداء او وفقكم للايمان وعصمكم عن ضده وكذلك يخرج قوله تعالى ولكن حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم على هذين الوجهين وفقكم له وعصمكم عن ضده او خلق حبه في قلوبكم وزينته والله اعلم وقوله عز وجل والله بصير بما تعملون هذا يخرج على الوعيد اي هو بصير بما اسررتم واعلنتم لتكونوا ابدا على يقظة وحذر ولا قوة الا بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ق والقران المجيد يحتمل ان يكون قوله ق اسم هذه السورة وله سبحانه وتعالى ان يسمي السور بما ذكر في كتابه كما سمى كتابه قرانا وزبورا وتورية والانجيل بهذه السورة والقران جملة ويحتمل ان يذكر ق كناية عن جميع الحروف المقطعة والقران هو اسم الحروف المجموعة المقطعة اقسم بالحروف المقطعة والمجموع جميعا ومن الناس من يقول ان ق اسم الجبل المحيط بالارض وهو من ياقوتة خضراء وبه خضرة السماء من ذلك اقسم الله تعالى به وبالقران والاول اشبه واقرب لان العرب لم تعرف جبل قاف ولم تعرف عظمته والقسم في الاصل انما هو لتاكيد الخبر فانما يتحقق بما يعرف من وراء القسم في حقه فاما اذا لم يعرف ولم يعظم ذلك فيخرج القسم مخرج العبث تعالى الله عن ذلك الا ان يقال ان يكون هذا القسم في حق اهل الكتاب فانه قد كان لهم كتاب يعرفون ذلك او كانت لهم رسل قد بلغهم ذلك وكذا الظاهر ان القسم في حق العرب فدل ان الاول اشبه ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر في الاخبار تفسيرها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر والاشتهار ولم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبيله الوقف فيها لانه معلوم انه لا احد على المراد بالحروف المقطعة الا من جهة السمع فلم يظهر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دل انهم تركوا ذلك وانما تركوا لوجوه اما لان هذه الحروف المقطعة كانت بيان احكام في نوازل عرفوها او تركوا سؤالها لما عرفوا تلك الاحكام والنوازل وان تركوا ذلك لما كان ذلك من الشرايع التي لم يطلع الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذي يجب بيانه به ولا يطلب له تفسيرا وكان ذلك مما اختص الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى الا من ارتضى من رسول فلم يسالوا عن بيان ذلك واما ان كان ذلك عندهم اسماء التسمية والتعريف للسور واسماء الاعلام لا يطلب فيها المعاني لذلك لم يسالوا معانيها ولم يرد التعليم من النبي عليه الصلاة والسلام كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تركوا سؤال التفسير الايات لما ان في وسعهم الوصول الى معرفة ما تضمنتها الايات وعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا مواقع النوازل ففهموا المراد فلم يحتاجوا الى السؤال واما ان تركوا لما انها تضمنت احكاما عرفوها وتركوا السؤال فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم ذكر القسم ولم يبين موضع القسم واختلف فيه قال بعضهم موضع القسم في اخر السورة ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الاية وقال بعضهم قوله ولقد خلقنا السموات والارض وقال بعضهم موضع القسم قوله تعالى فهم في امر مريج اقسم بقوله ق والقران المجيد الكريم في امر مريج ويحتمل ان يكون موضع القسم هو ما عجبوا كما قال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ذكر ههنا عجبهم من شيئين احدهما ما ذكر ان جاءهم منذر منهم اي من البشر فقال الكافرون هذا شيء عجيب وهو كقولهم رسولا وقولهم ما انت الا بشر مثلنا لانه يقولون يكون الرسالة في البشر والثاني من الاحياء بعد الموت لقولهم ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقد ذكر في غيره من القران عجبهم وانكارهم البعث بعد الموت فجائز ان يكون موضع القسم ما عجبوا وانكروا من ان يكون البشر رسولا والبعث بعد الموت اقسم بما ذكر من قوله عز وجل ق والقران المجيد انه يكون ذلك ردا لانكارهم وتعجبهم والله اعلم ثم انكارهم لكفرهم

وتعجبهم أنه كيف بعث من البشر وكيف لا أنه جاد بعث الرسول ممن عنده وهم الملائكة وإنما أي إنما يبعث الرسل ممن كان عند المرسل لا من كان هذا مبعوث إليهم في الشاهد لا معنى ولا ينبغي لهم أن ينكر وأبعث الرسول ممن هو عند المبعوث إليهم وأن يتعجبوا عن ذلك لأن بعث الرسول من جنس المرسل إليهم والمبعوث إليهم في معرفة صدقه وحقيقة دعواه أقرب من أن يكون من خلاف جنسهم لأنهم إنما يعرفونه رسالته بآيات ودلالات يقيمها على رسالته بحيث يخرج عن وسعهم إتيانها ولا يعرفونه من تلك الآيات وحقيتها إذا كانت تلك من غير جنسهم بما لعل أن ما أتاهم به وزعم أنها آيات ليست بآيات لما في وسعه إتيان مثلها وليس في وسعهم ذلك لما أن القوى يختلف عند اختلاف الجنس فدل أن بعث الرسول من جنس المرسل إليهم أحق وأقرب إلى معرفة صدق الآيات والمعجزات والله الموفق ولأن كل ذي نوع من نوعه وكل ذي شكل من شكله أميل وبه آنس من خلاف جنسه ونوعه فكان الغرض هو التأليف والاجتماع في هذا أقرب إلى الحصول والله أعلم ثم توهم هلا بعث إليها الرسل ممن هو عنده فاسد لأن الخلائق جميعا من حيث العبد لله تعالى واحد لا يوصف أحد من الخلائق أنه عنده إلا من حيث القرب به بالطاعة له والانقياد بأمره وترك الخلاف له فأما على ما يوصف المخلوق عند مخلوق فلا إذ ذلك وصف المتمكن في المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فإذا كان المراد من عنده من حيث القرب به بالطاعة والقيام بأمره مما يثبت أهلية الرسالة وصلاحيتها لذلك مما لا يوجب الفضل بين البشر والملائكة بل من جهة البشر أحق لما هم يعقلون عن غيب الدلائل أجمع دون العيان والله أعلم بتحنهم أنه لو أراد إحيا فكيف أماتنا ولا أحد في الشاهد يبني بناء فيهدمه ويبني مثله فليس ينبغي لأنه لو لم يكن أماته ثم أحيا لكان الجزاء بالأعمال يكون حكمة الأفعال وذلك يوجب أن يكون إيمانهم إيمان اضطرار لا إيمان اختيار وإيثار لأن من عاين أن من آمن بالله تعالى وعمل طاعة وعبادة يدخل الجنة ويكون أبد الآبد لا يعمل غير ذلك العمل فيرتفع المحنة ويكون الإيمان إيمان الاضطرار فأخر ذلك ليكون الإيمان بحق الاختيار حتى يكون له قيمة ثم قوله والقرآن المجيد وصف القرآن مرة بأنه كريم ومرة بأنه حكيم ومرة بأنه مجيد يحتمل إنما سماه بهذه الأسماء على معنى أن من تمسك به يصير مجيدا كريما حكيما أي منزله مجيد كريم حكيم ويحتمل أن يكون هذه صفات القرآن راجعة إلى عينه كما يقال كلام حكمة وكلام سفه وإنما يراد به عينه فعلى هذا يحتمل والله أعلم قال أبو عوسجة المجيد الماجد والمجيد التعظيم وأمجدت الدابة من العلف إذا أكثرت ذلك وأمجدت الدابة من العلف ذلك والمجد القوم إذا أكثروا من الطعام والشراب **وقوله** عز وجل بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب قد ذكرناه **وقوله** عز وجل أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد أي لا يكون كونا بالتبعيد عما لا يكون عندهم كذلك قال القتبي وقال أبو عوسجة رجع بعيد أي رد يقال رجع رجعا إذا رد ورجع رجوعا إذا انصرف **وقوله** عز وجل قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ظاهر هذا أن يكون هذا قول أولئك الكفرة قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لما أنكروا من البعث أي قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومنا وما كل من أنفسنا فأنى يحيي بعد ذلك وهو كقولهم من يحيي العظام وهي رميم ونحوه لكن أهل التأويل بأجمعهم صرفوا هذا القول إلى الله تعالى أنه قال ذلك جوابا لقولهم أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقال قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي عن علم منا بأكل منكم وينقص قلنا إنكم تبعثون وتحيون وعلى علم منا بذلك أخبركم الرسل بالإحياء والبعث بعد الموت والله أعلم **وقوله** عز وجل وعندنا كتاب حفيظ أي وعندنا كتاب يحفظ أحوالهم وأعمالهم وجميع ما يكون منهم وقال بعضهم أي مع علمي فيهم هو عندنا في كتاب حفيظ وقال قتادة ما أكلت الأرض منهم وكانوا ترابا ونحن عالمون وهم مع علمنا في كتاب حفيظ وهو مثل الأول **وقوله** عز وجل بل كذبوا بالحق لما جاءهم أي بالقرآن ويحتمل أي محمد صلى الله عليه وسلم وقد كذبوا بهما جميعا **وقوله** عز وجل مريج قال القتبي وأبو عوسجة فأمر مريج أي مختلط يقال مرج أمر الناس ومرج الدين وأصل المرج أن يقلق الشيء فلا يستقر يقال مرج الخاتم في يدي مرجا إذا قلق للهزال أي تحرك وقيل مضطرب مختلف وهكذا كان قولهم مختلفا مضطربا مختلطا في القرآن والرسول جميعا قالوا في الرسول صلى الله عليه وسلم أقوالا مضطربة مختلفة مرة نسبوا إلى السحر ومرة إلى الشعر ومرة الجنون ومرة إلى الافتراء على الله تعالى وأنه يتعلمه من فلان ونحو ذلك من أقوال مختلفة مستحيل فيها ينفع كل واحد من ذلك الآخر وكذلك قالوا في القرآن مرة إنه سحر ومرة إنه شعر وإنه من أساطير الأولين وإنه مفترى وإنه اختلاق وكل ذلك مما يدفع بعضهم بعضا وهذا هو الاضطراب والاختلاف والاختلاط والله أعلم **وقوله** عز وجل فأمر مريج أي في ضلال **وقوله** عز وجل أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآية يحتمل أن يكون هذه الآيات صلة ما ذكر من تعجبهم من بعث الرسل من البشر والبعث بعد الموت بقوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم كأنه يقول ألم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها مرتفعة ملتصقة بعضها ببعض متصلة بلا فرج ولا عماد مع صلابتها وكثافتها وغلظها ولم ينظروا إلى الأرض كيف بسطناها وألقينا فيها الجبال الرواسي أوتادا لئلا تميد بأهلها حتى عرفوا أن من قدر على رفع السماء بلا عمد مع ارتفاعها وغلظها وصلابتها حتى لا ينتهي أحد إلى طرف من أطرافها ولا علم نهايتها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما القادر على الإحياء بعد الموت وأنه لا يعجزه شيء وأن من فعل هذا لا يفعل عبثا باطلا ولكن يفعله عن حكمة

تدبير ولو كان على ما قالوا أن لا بعث ولا جزاء كان خلق كل عبثا باطلا ويكون فعل ذلك فعل سفه لا فعل حكمة فإذا كان فعل ذلك كله على التدبير الذي ذكر وعلى الإنشاء الذي جرى حكمة الإنشاء ذلك من غير تفاوت دل أنه لم ينشئ الخلق من المكلفين ويتركهم سدى لا يأمر ولا ينهى ولا يمتحن فيكون عبثا بل يمتحنهم بالأمر والنهي ليكون فعله في العقلاء على نهج الحكمة كما في غيرهم من الخلائق وإذا كان كذلك فلا بد من رسول يخبرهم ويعلمهم ما لا يقف عليه العقل من كيفية شكر المنعم ومقداره ونحو ذلك ويؤكد ذلك الأمر والنهي بالوعد والوعيد ثم كان له وضع الرسالة فيمن شاء وفي أي جنس شاء لأنه حكيم عليهم لا يكون منه الخطأ في التدبير والجهل بالأصلح والأوثق بالحكمة فدل ذلك على إثبات الرسالة والبعث بعد الموت والله أعلم ثم **وقوله** عز وجل أو لم ينظروا يخرج على وجهين أحدهما أي نصرها إلى ما ذكر والثاني قد نظروا بأبصارهم لكن لم ينظروا نظر معتبر بنظر القلب والله أعلم **وقوله** عز وجل وما لها من فروج قيل من صدوع وشقوق والواحد فرج وهو الموضع بين الموضعين والفرجة من الفرج ومنه يقال فرجت عند الماء أي كشفت وهو كقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور أخبر أنكم لم تروا في السماء شقوقا وفطورا في البناء وإن عظم وأنكم لا يخلوا من نقصان أو شقوق يرد عليه فإذا لم يروا ذلك فيها دلكم ذلك على أن خالقه قادر على الكمال ولا يعجزه شيء **وقوله** عز وجل والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي قد ذكر فيما تقدم **وقوله** عز وجل وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج اسم الزوج يقع على الشكل والضد وكل ذي شكل هو ذو ضد والبهيج ما يبهج به أهله ويسرون به من ألوان النبات وجواهرها وقال القتبي من كل زوج بهيج ما يبهج به أهله أي من كل جنس نبات بهيج يبتهج بها فهو بهيج أي حسن وإنما من السرور فعال البهيج بها فهو بهيج أي مسرور **وقوله** عز وجل تبصرة وذكرى لكل عبد منيب أي يبصر ذلك كل عبد منيب أي منفعة ذلك يكون لمن ذكر وهو العبد المنيب الخائف لله تعالى والمقبل عن طاعته فأما من اعتقد الخلاف له فلا **وقوله** عز وجل ونزلنا من السماء ماء مباركا سماه مباركا لأنه يستعمل في أمر الدين والدنيا ويطهر كل شيء ويزين ويرجو كل شيء ونماؤه والمبارك كل خير يكون على النماء والزيادة في كل وقت والله أعلم **وقوله** عز وجل فأنبتنا به جنات وحب الحصيد يقول أنبتنا بذلك الماء المبارك المنزل من السماء جنات أي بساتين والمكان الذي جمع فيه كل أنواع الشجر سمي بستانا وجنة **وقوله** عز وجل وحب الحصيد أي أنبت ذلك الماء كل حب حصيد فدخل تحت قوله وحب الحصيد أنواع الشجر والغرس والنبات ثم قوله تعالى وحب الحصيد الحب والحصيد وهو الحب نفسه لكن أضاف الحب إلى الحصيد ويجوز مثل هذا كما يقال صلاة الأولى والمسجد الجامع وقال أبو عبيد الحب ما يخرج منه والحصيد ما يحصد من القصب الذي يصير تبنا لأن الحب لا يحصد وإنما يحصد الساق منه لذلك أضاف الحب إلى الحصيد وهو شجرة وقوامه فلذلك أضافه إليه كما يقال ثمر الشجر ونحو ذلك **وقوله** عز وجل والنخل باسقات لها طلع نضيد قوله والنخل باسقات أي طوال يقال بسق الشيء بسوقا إذا طال وقال أبو عوسجة باسقات أي حوامل يخبر الله عز وجل عن بركة الماء أنه بلطفه جعل الماء بحيث يظهر بركته ونماؤه وأثره على رأس النخل وإن طال بسقي الأصل لما جعل في سريته من البركة والمعنى ما يظهر ذلك ولا يعلم حقيقة ذلك المعنى **وقوله** عز وجل لها طلع نضيد أي منضود والطلع أول ما يخرج من النخل فيحمل والنضيد هو التأليف والتركيب أي يؤلف بعضه إلى بعض ويركب ويسمى ذلك كفرى وإذا نضج استوجب الطلع ويعرف وصار رطبا وقال أبو عوسجة نضيد أي متراكم بعضه على بعض والليل المتراكم يقال له منضود والتنضيد هو جعل بعضه فوق بعض ونضد الشيء بنفسه فهو نضيد أي كثير **وقوله** عز وجل رزقا للعباد أخبر أن ذلك كله إنما أنبته وأخرجه رزقا للعباد **وقوله** عز وجل فأحيينا به بلدة أي بالماء بلدة ميتا أي أحيي بالماء كل بلدة ميت وكل بقعة ميتة وكل غرس فصار بحيث كل حي بالكل شيء ثم قال كذلك الخروج أي كما قدر على إحياء ما ذكر من الأرض بعد موتها وإحياء النبات والغرس بعد موته بذلك الماء فعلى ذلك قادر على إحيائكم بعد موتكم وبعد ما صرتم ترابا والأعجوبة في إحياء ما ذكر كله من الأرض والنبات والغرس إن لم يكن أكثر لم يكن دون ما في إحياء الناس من بعد موتهم فإذ قد عرفوا قدرته في إحياء ما ذكروا وأقروا بكونه لزمهم أن يقروا به في إحياء كل شيء والله الموفق **وقوله** عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ذكر هذه الأنباء لوجهين أحدهما يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على أذى قومه وتكذيبهم إياه كما صبر أولئك يقول إنك لست بأول رسول كذبه قومه بل كان قبلك رسل كذبتهم قومهم فصبروا على ذلك فاصبر أنت أيضا وهو كقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والثاني يحذر قومه أن ينزل بتكذيبهم إياه وسوء معاملتهم به كما نزل بمن ذكر من الأقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم وعلى هذين الوجهين جميع ما ذكر في القرآن من الأنباء والله أعلم ثم أصحاب الرس اختلف في الرس هو بئر دون اليمامة وكان عندها أقوام كذبوا رسلهم فأهلكهم الله تعالى وقيل الرس هو الوادي وقيل بعض الرس هو خندق جعلوا فيه النار وأحرقوا نبيهم عليه السلام وقال بعضهم سموا لذلك لأنهم دسوا نبيهم عليه السلام في البئر وقال بعضهم هم قوم الرسل الذين ذكرهم في سورة يس بقوله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون وعن الأصمعي أنه قال الرس كل موضع حفر فيه ولذلك سمي حفر المجرى الربيع عليه والله أعلم **وقوله** عز وجل وإخوان لوط أي قوم لوط

وقوله عز وجل وقوم تبع قيل انه كان رجلا مسلما صالحا مدحه الله تعالى وذم قومه سمي تبعا لكثرة اتباعه ولا حاجة بنا الى
تفسيره بانه من كان وما اسمه كما ذكر بعض اهل التاويل لما لم يذكر في القرآن ولم يثبت بالتواتر فلا نزيد على ذلك القدر احترازا عن الكذب
والله اعلم وقوله عز وجل كل كذب الرسل فحق وعيد يخوف اهل مكة ان اولئك الذين ذكرهم جميعا لما هلكوا بتكذيبهم الرسل
عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك فعلى ذلك يحق عليكم ذلك الوعيد بتكذيبهم الرسول والله اعلم وقوله عز وجل
افعيينا بالخلق الاول هو يخرج على وجهين احدهما افعيينا اي اعجزنا عن خلق اي حيث لم يعجز عن الخلق الاول فكيف تنسبونه
الى العجز عن الخلق الثاني والثاني افعيينا اي اجهلنا وخفي علينا تدبير الخلق الاول وانشاؤه اشد عندكم اهون فاذا لم
يعجز عن بدء انشائه ولم يجهل ولم يخف علينا الابتداء فاني يعجز عن الاعادة ثم قال بعضهم الخلق الاول هو آدم عليه السلام
وقال عامتهم هو ابتداء خلقهم والله اعلم وقوله عز وجل بل هم في لبس من خلق جديد اي هم في شك واختلاط من خلق جديد لما
تركوا النظر في سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وهو يخرج
على وجهين احدهما يقول على علم منا بما تحدث به نفسه ويوسوس من انواع الحديث والوسوسة لا عن جهل وخفاء عن ذلك
فان هو كفها وحبسها عما يدعو به اليه نفسه وهواه وينهى فيها الى ما يدعو عقله وذهنه يجازى لقوله تعالى ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وان تركها حتى تمادى في هواها هلك
قال الله تعالى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وقال في آية اخرى من اتخذ الهه هواه ونحوه كثير في القرآن و
الثاني يذكر ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي نحن مطلعون على ذلك ليس علم ذلك ليس الى الحفظة
ولا هم يتولون كتابته اي لم يجعل ذلك الى احد انما ذلك الى الله تعالى هو العالم بذلك وهو المطلع عليه دون الملائكة وانما الى
الملائكة ما يلفظ ويفعل بالجوارح لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال في آية اخرى وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين يعلمون ما تفعلون اخبر ان الحفظة انما يعلمون ما تفعلون ظاهرا اما ما يسرون في قلوبهم فالله هو مطلع على ذلك
العالم ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر والله اعلم وقوله عز وجل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يفهم من قرب الرب تعالى
الى العبيد ما يفهم من قرب العبد الى الله تعالى وانما يكون قرب العبد الى الله تعالى بالطاعة له والقيام بامره والانقياد والخضوع
له هذا هو المفهوم من قرب من قرب العبد الى الله تعالى لا قرب شيء آخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى الى العبد الاجابة له و
النصر والمعونة والتوفيق على الطاعات وعلى ذلك ما يقال فلان قريب الى فلان لا يعنون قرب نفسه من نفسه في المكان
ولكن يعنون نصره له ومعونته اياه واجابته ويحتمل ان يذكر القرب منه كناية عن العلم باحواله ظاهرا وباطنا والله اعلم
واصله ان يعتبر الاحوال فيما ذكر من القرب فان كان في السؤال فالمراد انه قريب منه بالاجابة له اي يجيبه كقوله تعالى واذا
سألك عبادي عني فاني قريب وان كان فيما يسرون ويضمرون فيفهم من القرب في تلك الحالة العلم به كقوله تعالى ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية فعلى ذلك قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا
تبصرون يفهم منه النصر والمعونة والعلم فيكون قوله ونحن اقرب اليه اي اعلم به واحق من غيره في النصر والمعونة و
اولى به في الاجابة والله اعلم وعلى ذلك يخرج على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل [illegible]
[illegible] عرق العنق والوريد العنق وقال بعضهم هو عرق بين العلباء والحلقوم وقال بعضهم هو عرق القلب معلق به
فاذا قطع ذلك العرق يموت الانسان والله اعلم وقوله عز وجل اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد [illegible]
[illegible]
[illegible]

بالركوع والسجود والتسبيح والتكبير والتهليل لم يمتحنهم بذلك لمنافع ترجع اليه في ذلك ولكن يمتحنهم يمتحن بما شاء
وفيما شاء ويكون ذلك كله عبادة وان اختلف انواعه فعلى ذلك امرهم اياهم بحفظ اعمالهم واقوالهم وكتابتهما والله اعلم والحكمة
بحفظ تلك الاعمال والاصوات وكتابتها اشد من محنة غيرهم من الملائكة بالركوع والسجود والقيام والتكبير والتهليل
ونحو ذلك من محنة بني آدم من اقامة العبادات والامتناع من المحرمات ونحوها اذ لو اجتمع الخلائق على معرفة كيفية
عمل واحد ما قدروا عليه فدل ان هذا التاويل يحتمل والثالث وهو ان الله تعالى اخبرهم بكتابة الملكين اعمالهم وبعثه دهم
عن اليمين والشمال منا ان راى كتابهم ولا سمع صوت كتابتهم وقد اقدرهم على العلم بما في ضمائرهم وكتابة ذلك كله واقدرهم
على ذنبنا ولم يقدرنا على ذنوبهم وهم اجسام مرئية ليعلموا بذلك قدرة الله تعالى على ما شاء من الفعل انه لا يقدروا قوة كل ما
خلق الله تعالى بقوة انفسهم ولا رؤية غيرهم برؤية انفسهم وان قوة الرؤية تختلف باختلاف الاوقات والاشخاص فان الملائكة
يروننا ولا نراهم في الدنيا وان كانوا اجساما مرئية حيث يرى بعضهم لبعض ثم اخبر وقال ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا اخبر انه يرى ذلك الكتاب في الآخرة وان كان لا يراه في الدنيا يرى الملائكة في الآخرة وهذا لان هذه البنية لا يحتمل
اشياء لضعف فيها والحجاب يكون في ذلك في الدنيا ثم يحتمل ان يكون في الآخرة اقوى في احتمال ذلك فيبصر في الآخرة وفي هذا
رد قول المعتزلة في انكارهم رؤية الله تعالى انه لو كان يرى في كل مكان على ما يرى الملائكة في الآخرة دون الدنيا ونحو ذلك فعلى
ذلك رؤية الله ثم القرآن اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اذ يتلقى المتلقيان عنه
عن اليمين وعن الشمال فعلى قراءته يخرج تاويل الآية على وجه واحد اي يأخذ الملكان عن ابن آدم ما فعلوا وقالوا على قراءة العامة
يخرج على وجهين احدهما ان يأخذ ملكان عنه ما ادى اليهما من قول او فعل والثاني ان يتلقى احد الملكين عن الآخر ما القى عليه
ذلك الملك على ما روي عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين على صاحب الشمال واذا عمل
العبد سيئة قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتبها وان لم يستغفر كتبها واحدة ويجوز
ان يكون احدهما كاتبا دون الآخر وان كانا يتلقيان ويأخذان منه ذلك لما ذكر في آية اخرى حيث قال وقال قرينه هذا ما لدي
عتيد ولم يذكر قال قريناه ويجوز ان يكون المتلقيان جميعا يكتبان على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كاتبان كاتب
عن يمينه وكاتب عن يساره يكتبان الحسنات والسيئات ثم يرفعان الى من فوقهما كل اثنين وخميس فيثبتون من ذلك من ثواب
او عقاب ويلغون ما سوى ذلك وروي ايضا وعن غيره من اهل التاويل انهما يكتبان ما كان من خير او شر وما سوى ذلك فلا ولكن
ظاهره يدل على انه يكتب كل شيء وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا انه يقال المراد هو قول هو سبب
الثواب والعقاب ثم كما قال في آية اخرى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يغادر صغيرة من المآثم ولا كبيرة منها الا اطلق
صغائر الاشياء وكبائرها فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم جعل المتلقيين اثنين يحتمل على ما جعل في الشهادة اثنين فيما بينهم في الاحكام
والحقوق ليشهدا عليه في الآخرة وقوله عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد في ظاهر الآية ان الملائكة انما يكتبون ظاهر الاقوال
والافعال لا في الضماير لكنه غير مشكل في العقول ان الله تعالى اقدرهم على العلم بما في ضمائرهم فيعرفون ذلك ويكتبون ولكن ظاهر الآية
يشير الى ما قلنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل عن اليمين وعن الشمال قعيد قال القتبي اراد قعيد من كل جانب منهما الا انه اكتفى بذكر
الواحد اذ كان دليلا على الآخر وقعيد بمعنى قاعد كما قال قدير وقادر ويكون بمنزلة اكيل وشريب اي مواكل ومشارب فقعيد اي
مقاعد به قال ابو عوسجة قعيد من المقاعدة كما يقال قعيد وجليسي والله اعلم وقوله عز وجل رقيب عتيد الرقيب الحفيظ و
العتيد الحاضر اي ليس يغيب عنه شيء والله اعلم وقوله عز وجل وجاءت سكرة الموت اي شدة يحتمل ان الابدان ينزل بالنفس
عند الموت وشدة ومشقة ثم الآية تخرج على وجهين انه يجري على ظاهرها في الماضي اعني لفظ جاءت اي جاءت سكرة الموت
على الذين كانوا من قبلكم فوجدتهم غير متاهبين ولا مستعدين له والله اعلم والثاني ان يكون قوله وجاءت بمعنى يجيء وكذلك
وجاءت كل نفس معها سائق وذلك جائز في اللغة وقوله عز وجل بالحق اي من اهل الشقاوة او من اهل السعادة كقول عند ذلك
يتبين له ويظهر انه من اهل السعادة او من اهل الشقاوة او من اهل الجنة او من اهل النار واصله عندنا ان الحق هو ما وعد كل نفس
من خير وما اوعد كل نفس من الشر ان كان مؤمنا وقد وعد له الجنة فيتحقق له ذلك وان كان كافرا وقد وعد له النار فيتحقق له
ذلك ويحتمل ما ذكر من الحق ههنا هو الموت نفسه اخبر انه لا بد من الموت وانه كائن لا محالة كقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد يقول لم يخلق الخالق للخلق في الدنيا ولكن للآخرة فلا بد من الموت والله اعلم وقوله عز وجل ذلك ما كنت منه تحيد يحتمل وجهين
اي اياك ما كنت تكره مجيئه وتنكر ولم تؤمن به وهو البعث ويوم القيمة الذي تنكرونه وتكرهونه والثاني يحتمل الموت نفسه اي
اياك ما كنت تكره وتنفر عنه اذهم كانوا يكرهون الموت ويفرون منه فانه ملاقيكم اي يأتيكم من حيث لا تفرون كقوله تعالى قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي يأتيكم من حيث لا مفر لكم عنه ثم اتخذ هو الميل والكراهة وقال ابو عوسجة الحيد الفرار
يقال حاد يحيد حيدا فهو حايد وقوله عز وجل ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد يحتمل ان يكون اراد النفخة الاولى وهي النفخة الثا

يفزع عندها اهل السموات والارض فيموتون ويحتمل يريد نفخة الثانية التي عندها البعث وادخال الارواح في الاجساد ويحتمل ان يريد عند ما يوضع كل واحد في القبر وهو ان يسال على ما جاءت الاخبار من سؤال منكر ونكير وذلك ايضا هو يوم الوعيد في حق ذلك الرجل وهذا الكلام خاصة **وقوله** عز وجل ذلك يوم الوعيد اى ذلك يوم وقوع الوعيد اذ يوم الوعيد الدنيا فاما الاخرة فهو وقوع الوعيد وتحققه والله اعلم **وقوله** عز وجل وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال بعضهم السائق الذى يقبض روحه والشهيد الذى يحفظ عمله وقال بعضهم السائق هو الملك الذى يكتب عليه سيئاته والشهيد هو الذى يكتب حسناته وقيل السائق هو النار والتي ياتي بسوق الكفرة الى المحشر والشهيد هو عمل في الدنيا وقيل السائق الكاتب والشهيد جوارحه بقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية واشباه ما ذكر في قوله وسيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقال عز وجل ويوم نحشر اعداء الله الى النار فالسائق هو ملك يسوق الى ما امر من الجنة والنار والشهيد هم الملائكة الذين يكتبون علينا الاعمال فيشهدون في الاخرة ان كان شرا فشر وان كان خيرا فخير والله اعلم حقيقة ما اراد وان كان ما قالوا فيحتمل والله اعلم **وقوله** عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يقول لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا تعاين وتشاهد وفي غفلة مما ومرت من المواعيد والشدايد التي عاينتها فكشفنا عنك غطاءك اى كشفنا عنك غاشيه التي يمنع وقوع العلم به والتحلى له فبصرك اليوم حديد اى ثاقب يبصر الحق كقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقيل حديد من الحدة اى نافذ لا يخفى عليه شيء فكانه اراد والله اعلم انك كنت في الدنيا ساهيا عن هذا اليوم وعن هذا الحال والان قد عاينت ما كنت عنه في غفلة وايقنت به وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين **وقوله** عز وجل قال قرينه هذا ما لدى عتيد اى يقول الملك الذى كان عليه رقيبا اى كل ما عمل فهو عندى حاضر من تكذيب وعمل الشر فيشبه ان يكون شهادة الحفظة عليه هذا القول ويحتمل ان يكون ذلك على السؤال الملائكة عما كتبوا وحفظوا فيقول ملك هذا ما لدى عتيد اى هذا الذى عمل هذا عندى حاضر محفوظ اذا الكتاب الذى كتبت فيه اعماله حاضر ثم جايز ان الذى يكتب اعمال الكل واحد على هذا حيث قال الا وقال قرينه ولم يقل قريناه وان كان قال اذ يتلقى المتلقيان على ما ذكرنا انهما ملكان لكن يجوز ان يتولى الكتابة واحد والاخر شاهد وجايز ان يكونا يكتبان جميعا فيقول كل واحد ما بينا لكن ذكرها هنا بحرف التوحيد فقال وقال قرينه لما يقول كل واحد منهما ذلك على حدة وهو كما ذكرنا وفي قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد اى كل واحد منهما قعيد والله اعلم **وقوله** عز وجل القيا في جهنم كل كفار عنيد يحتمل ان يكون الخطاب بقوله تعالى القيا الاثنين على ما هو ظاهر الصيغة الذى يسوقهم والذى يشهد عليهم حيث قال وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد كان الامر لهما ويحتمل ان يكون المراد بالخطاب الواحد الذى سبق ذكره قال قرينه هذا ما لدى عتيد لكن قال القيا لوجهين احدهما ما قيل ان العرب تدير بحرف التثنية على ارادة الواحد والجماعة والثانى ما قال بعضهم ان المراد من قوله القيا اى القى القى على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات على الوعيد في الذم ثم يقال في المدح بخ بخ ونحو ذلك على التاكيد والله اعلم **وقوله** عز وجل كل كفار عنيد يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى حيث صرف شكرها الى غيره او كل كفار للتوحيد وتسمية غيره الها والعنيد معنى عاند وقيل هو الذى لا ينصف من نفسه وقيل هو الذى يكابر ويعاند بعد ظهور الحق له والله اعلم **وقوله** عز وجل مناع للخير يحتمل وجهين احدهما مناع من الخير وهو منع غيره عن التوحيد وقبول الحق والثانى مناع للخير اى منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في امواله ونفسه وقال بعض اهل التاويل اراد به الوليد بن المغيرة المخزومى لكن هذا عادة كل كافر كقوله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فلا معنى للتخصيص والله اعلم **وقوله** عز وجل معتد مريب المعتدى من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود الله تعالى والمريب من الريبة وهو الشك والعناد فكان المريب هو الذى فيه الشك والفساد وجميعا من نعت ذلك الانسان فقال الذى جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد اى وصف وذكر مع الله الها اخر وهو كقوله تعالى ويجعلون لله البنات وقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى قالوا ووصفوا انهم اناث والا لا يملكون جعل ذلك حقيقة **وقوله** عز وجل والقياه في العذاب الشديد وصف نار جهنم بالشدة لما انه لا انقطاع لها وكل عذاب يرجى انقطاعه في بعض الازمان فيه بعض الراحة والله اعلم **وقوله** عز وجل قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد اى قال شيطانه الذى اضله ودعاه الى ما دعا فاضاف قرينه في الاخرة لقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ويحتمل قرينه اى رفيقه الذى كان معه يتبعه ويصدر عن رايه ثم هذا القول من قرينه انما كان لما ان كان منه الكافر بما كان منه من الكفر والشرك عن اختيار وقال هذا الذى اضلنى واطغانى وهو الذى حملنى عليه كقولهم هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا في النار يقول رفيقه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد وكانت الكفرة لخبثهم وقلة حيلتهم احيانا ينكرون الشرك كقوله والله ربنا ما كنا مشركين **وقوله** عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم قال الا انهم هم الكاذبون واحيانا يقولون هؤلاء اضلونا فاحيانا يلعن بعضهم بعضا **وقوله** عز وجل ربنا ما اطغيته اى ما قهرته على الضلال ولا لى قوة ذلك ولكن اتبعنى على ما كنت انا فيه واطاعنى من غير ان يكون منى

اكراه

اكراه وإجبار على ذلك وهو ما ذكر ولكن في ضلال بعيد اى كان في ضلال لا يرجى الرجوع ولا الانقطاع وقال اهل التاويل ان ذلك الكافر يكذب الحفظة بانهم كتبوا ما لم اعمل وهم كانوا يكذبون في ذلك اليوم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فقال قرينه وهو الذى يكتب اعماله ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد لكن هذا فاسد وهذا القول من الشيطان الامن الملائكة لان الطغاء والاغواء اذ هم لا يدعون على الملائكة الاطغاء والاغواء الا ترى انه قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد والخصام مع الشيطان كما اخبر عز وجل في غير اى من القران قال الله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين **وقوله** عز وجل وقال الشيطان لما قضى الامر الى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى الاية هذه الخصومة بينهم وبين قرنائهم وهم الشياطين ومن يكره الشيطان له قرينا فساء قرينا والله اعلم **وقوله** عز وجل لا تختصموا لدى خصومتهم ما ذكرنا قالت الاتباع ربنا هؤلاء اضلونا وما ذكر من لعن بعضهم على بعض وهم يتبرى بعض عن بعض فقال تعالى عز وجل لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد اى قد قدمت اليكم من الوعيد في الدنيا فانقطع خصومتكم هذه اى بينت في الدنيا وما يحق بمن ضل بنفسه ومن ضل بغيره كان هؤلاء الكفرة يطلبون وجه الاعتذار لهم فلذلك يقال لهم لا تختصموا وقد قدمت اليكم بالوعيد اى ارسلنا اليكم الرسل ومعهم الكتب وفيها الوعيد فلم تقبلوا ذلك كله فان قيل قال ههنا لا تختصموا لدى وقال في موضع اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر فما وجه التوفيق بينهما قيل من وجوه ثلاثة احدها ما قال بعضهم قوله لا تختصموا لدى في اهل الكفر خاصة وقوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون في اهل القبلة وهو في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا والثانى ما قال بعضهم بان احد الايتين في موضع والاخرى في موضع فيؤذن لهم بالكلام فيه حتى يكون جميعا بين الايتين وهو كقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال في اية اخرى ولنسالنهم وقال في اية اخرى فلنسالن الذين عن المرسلين ما اسالكم في سقر على ذلك والثالث جايز ان يكون قوله تعالى لا تختصموا لدى في الدنيا فيما بينهم وبين ربهم في دفع عذاب الله عن انفسهم وذلك لا يملكون ولا ينتفعون به واما قوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فيما بين انفسهم في المظالم والغرمات والله اعلم **وقوله** عز وجل ما يبدل القول لدى هذا يحتمل وجوها احدها ما يبدل ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب ما سبق منى من الوعد والوعيد في الدنيا بان اجعل جزاء الكافر الجنة وجزاء المؤمن النار اذ قد سبق في وعدى ووعيدى بان اجعل الجنة مثوى المؤمنين والنار مثوى الكافرين فلا يبدل ذلك الوعد والوعيد والثانى ما يبدل القول لدى يحتمل انه اراد به قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين والثالث اى لا يبدل اليوم ما يستوجب به الجنة والخلود فيها وهو الايمان عن غيب كما اخبر تعالى عز وجل من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب الاية فاما الايمان بعد العيان لا ينفع كما اخبر عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية **وقوله** عز وجل وما انا بظلام للعبيد اى في العقل والحكمة تعذيب من اتى بالكفر والشرك فيكون تركه نعتا به سفها **وقوله** عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القول من الله تعالى لجهنم هل امتلات وعلى تحقيق القول من جهنم والاجابة له هل من مزيد وذلك جايز ان ينطق الله تعالى جهنم حتى يجيب له بما ذكر هل من مزيد على ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم والنطق منها للكل حتى اجابة الجوارح لهم لما قالوا لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وعلى ذلك ما ذكرنا في قوله جل وعلا يا جبال اوبى معه والطير ونحو ذلك ومثل هذا غير منكر في العقول على تقدير احداث الحيوة فيها التي هى شرط النطق من علم والله اعلم والثانى على التمثيل لا على حقيقة القول لها هل امتلات وعلى تحقيق الاجابة منها هل من مزيد ولكن على التمثيل لوجهين احدهما اى ان جهنم لو كانت بحيث ينطق ويسمع ونعلم لو قلت لها هل امتلات فيقول هل من مزيد يخبر عن انقياد المخلوقات له والطاعة والاجابة وهو ما ذكر في قوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا لا يكون من الدنيا حقيقة التغرير فولا لا تعلم ولكن معناه انها لحال من التزين وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز وعقل لغرتهم والله اعلم والثانى وصف لها بالعظم والسعة واخبار عن انها يحتمل المزيد وان جمع من الكفرة ما لا يحصى على التمثيل وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ولذلك قوله جل وعلا وغرتهم الحيوة الدنيا وصف لها بالتزين والحسن الظاهر ما لو رآها الناظر فيها العاقل لاغترت من حسنها وزينتها فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم **وقوله** عز وجل هل من مزيد يخرج على وجهين احدهما هل بقى من احد يزاد فى فانى قد امتلات وليس في سعة يحتمل غيرها والثانى هل من مزيد اى في سعة عظيمة فهل من زيادة خلق هل امتلاء بها لان الله تعالى وعدان يملا جهنم كما قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فسال المزيد من ربها لتملى والله اعلم بذلك وقال بعض اهل التاويل بانها تسال الزيادة حتى يضع الجبار قدمه فيها فتضيق باهلها حتى لا يبقى فيها مدخل رجل واحد وروى ذلك عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك وانه فاسد وقول بالتشبيه وقد قامت دلايل العقلية على ابطال التشبيه فكل خبر ورد مخالفا الدلايل العقلية يجب رده ومخالف لنص التنزيل وهو قوله عز وجل ليس كمثله شيء ثم هذا الخبر على قول

المشبهة على ما توهموا مخالف للكتاب لان الله عز وجل قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وعندهم لا يمتلى بهم ما لم
يضع الرحمن قدمه فيها ثم ذكر البلخي ان مدار ما ذكروا من الحديث على حماد بن سلمة وكان حماد مغفلا في ذلك الوقت لم يجز ان
يوخذ منه مما روى فخبر انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يأتي الله تعالى بشر فيضع في النار حتى يمتلى
فيها يحتمل ما ذكرنا والله الموفق وقوله عز وجل وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وذكر في اية اخرى وسيق الذين اتقوا الى الجنة
ثم ذكرها هنا بقرب الجنة الى اهلها وذكر ثم سوق اهل الجنة اليها فبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر ولكن يحتمل وجهين
احدهما ان اهل الجنة اذا قربوا منها بالسوق اليها قربت اليهم لان احد الشيئين اذا قرب الى الاخر قرب الاخر منه ويبرز البعيد
يرد المسافة وذلك معروف ويحتمل ان يكون اخبارا عن وصف الجنة انها بحال يقرب الى اهلها وتزلف وذكر في الجنة التقريب
وفي النار البروز والظهور بقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين فهو والله اعلم ان اهل النار كانوا يجحدون النار ويكذبونها
فبرزت الجحيم ليروها ويطلعون عليها وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم فاما اهل الجنة فانهم كانوا يقرون بالجنة
ولكن لا يرون انفسهم من اهلها لما بدرت منهم من الخطايا والزلات ويرونها بعيدة من انفسهم فذكر الله تعالى التقريب
لهم ووعدهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل غير بعيد اي غير بعيد منهم بل بحيث يرونها وقت وقوفهم في القيمة والله اعلم
والثاني اي غير بعيد منهم في الدنيا اي يأتونها ويكونون من اهلها عن قريب لان كل ات فكان قد اتى والله اعلم ويحتمل اي
غير بعيد منهم في الجنة اذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب منهم يتناولونه فكيف شاؤا والله اعلم وقوله عز وجل
هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ الاواب الرجاع من الاوبة هي الرجوع فمعناه لكل رجاع الى الله تعالى في كل وقت ورجاع الى
امره وطاعته وقوله عز وجل حفيظ اي يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرا وعلانية والحافظ لحدوده في اوامره و
نواهيه وهو كقوله تعالى المتقين والمحسنين اذ التقوى هو الايتمار باوامره والامتناع عما نهى وحظر والاحسان هو العمل بجميع
ما يحسن في العقول وقوله عز وجل من خشي الرحمن بالغيب اي خاف وحذره بما اوعد ثم يخرج على وجهين احدهما اي من خشي الرحمن
بالغيب اي قيل ان يرى على ظاهر ما ذكر والثاني اي من خشي الرحمن في الدنيا التي هي حال غيب الدلايل بالمواعيد التي اوعدها وحذر
عنها قبل ان يعاينها اذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدق فيما اوعد وخاف وهو كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه اي عقوبته
ونقمته والله اعلم وقوله عز وجل وجاء بقلب منيب والمنيب هو المقبل على الله تعالى بجميع اوامره ونواهيه المطيع له في ذلك
كله وقوله عز وجل ادخلوها بسلام كانه على الاضمار اي يقال لهم ادخلوها بسلام الملائكة اي يسلم الملائكة عليهم وقت
دخولهم الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والثاني السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فيقال لهم باسم الله على ما
هو الاصل في كل خبر انه يبتدأ باسم الله تعالى امتثالا للحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله
فهو ابتر وقال بعضهم ادخلوها بسلام اي سالمين عن الخوف والحزن لا اذى يصيبكم فيها وهو قوله ادخلوها بسلام امنين
عن الخوف والحزن ويحتمل اي ادخلوها ولا كلفة عليكم ولا امر ولا محنة سوى الثناء على الله تعالى والحمد له وتسليم بعضكم
على بعض بل يسقط عنكم جميع المحن والاوامر التي عليكم في الدنيا وذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين و
كان لا شيء الذي في الدنيا على اهل الايمان من الثناء على الله تعالى وتسليم بعضهم على بعض فلذلك ابقى ذلك في الجنة واسقط
ما وراء ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخلود يحتمل اي ذلك يوم الخلود لاهل الجنة من السرور والراحة ولاهل
النار بالعقوبة والعذاب ويحتمل اي يوم لا انقطاع لذلك الذي وعدوا وهي الجنة والله اعلم وقوله عز وجل لهم
ما يشاؤن فيها اي لهم ما يختارون فيها لا يجبرون ولا يكرهون فيها على شيء اذ المشية هي صفة كل فاعل مختار وان
كانت المشية مشية التمني والتشهي فكانه قال لهم ما يتمنون ويتخيرون لقوله لكم فيها ما تشتهي انفسكم وقوله
عز وجل ولهم ما يشتهون والله اعلم وقوله عز وجل ولدينا مزيد قال بعض اهل التاويل بانه يأتيهم سحابة فيمطرهم كل ما يشاؤن
وذلك هو المزيد لهم في الجنة وقال بعضهم بانه تنبت لهم شجرة فيسقط لهم كل ما يشاؤن فذلك هو المزيد لكن يحتمل وجهين
احدهما النظر الى وجه الرب جل وعلا وهو كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قيل الزيادة هو رؤية الله تعالى
في الجنة ويشبه لدينا مزيد من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وشهواتهم كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان الاماني والشهوات انما يكون لما سبق لجنسه من الذي يقع عليه الرؤية والنظر
او الخبر واما ما لا معرفة له فلا تمنى ولا يشتهى والله اعلم وقوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا
في البلاد وهل من محيص هذا يخرج على وجهين احدهما يقول كم اهلكنا قبلهم من قرون لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم ولا
الانتصار عن ذلك فكيف يملك قومك دفع ما ينزل بهم لدوامهم على التكذيب والثاني يقول قد اهلكنا الذين كانوا قبلك من
الذين كذبوا رسلهم اهلكوا اهلاك عقوبة وتعذيب والذين صدقوا اهلكوا باجالهم لا اهلاك عقوبة وقد كانوا جميعا المصدقين
والمكذبين سواء في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فدل ان هناك دارا اخرى يفرق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل فنقبوا

فالبلاد

في البلاد قال ابو عوسجة فنقبوا في البلاد هل من محيص اي صاروا في البلاد وهل من مفر وقال القتبي فنقبوا في البلاد اي
طافوا وتباعدوا هل من محيص اي هل يجدون من الموت محيصا اي مفرا ويحتمل اي تقلبوا في البلاد في تجاراتهم فلا يجدون
ملجا يردون به هلاكهم بوعد بما ذكر اهل مكة انهم لو يجدوا محيصا فكيف تجدون انتم وقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب يحتمل وجوها احدها ان في ذلك لذكرى اي عظة لمن كان له قلب والثاني فيما ذكر من اهلاك الامم الخالية و
ذهاب اثارهم بتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر والثالث اي فيما ذكر وامن استواء المحسن والمفسد في هذه الدنيا والصالح و
الطالح لذكرى لمن كان له قلب ان هنالك دارا يميز فيها بينهما وقوله عز وجل لمن كان له قلب اي عقل وفهم او لمن كان له قلب
ينتفع به في التامل والنظر وانما كنى بالقلب عن العقل لان الناس اختلفوا بعضهم قالوا ان القلب محل العقل وقال بعضهم
محله الراس لكن نوره يصل الى القلب فيبصر القلب الاشياء الغائبة بواسطة العقل فكذلك كنى بالقلب عن العقل لمجاورة
بينهما وهو سائغ في اللغة وقوله عز وجل او القى السمع وهو شهيد اي يستمع وهو شاهد سمعه وقلبه واصله ان القلب
جعل للوعي والحفظ بعد الادراك والاصابة ثم اصل ما ينفع به العلم والفهم سببان التامل والنظر في المحسوس والثاني ان
يلقى اليه الخبر وهو يستمع له فكانه يقول والله اعلم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يطلب الرشد والصواب وينظر ويحفظ
او القى السمع بما القي اليه وهو شاهد السمع والقلب فيكون الذكرى لمن اختص بهذين او ينتفع به هذان الصنفان
بالتامل يرى بالعقل محاسن الاشياء ومساويها او يستمع حقيقة ذلك فيتذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ثم ذكرنا فيما تقدم تاويل خلق السموات والارض في ستة ايام
وما مسنا من لغوب اي من اعياء وتعب ونصب وفيه نقض قول اليهود لعنهم الله مرارا ونفي لتوهم المشبهة في قوله
ثم استوى على العرش وتبيين المراد من قوله عز وجل ثم استوى على العرش اما نقض قول اليهود لعنهم الله فانهم يقولون ان الله
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استراح في يوم السبت ولهم يتركون العمل يوم السبت لهذا فان الله عز وجل اخبر انه لم
يمسه بخلق ما ذكر اعياء ولا لغوب على ما زعمت اليهود لعنهم الله فيكون رد القولهم صريحا واما نفي ايهام المشبهة
فانهم توهموا ان قوله ثم استوى على العرش على اثر خلق السموات والارض وما بينهما في اية اخرى ان ذلك الراحة تشبيها
الله تعالى بالخلق انهم اذا فرغوا من اعمال عملوها ثم استووا على شيء انما يستوون للراحة فقالوا بالاستواء على العرش
حقيقة والله تعالى نفى التعب عن نفسه في خلق السموات والارض على ان استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما
في الشاهد بين الخلق وبين الله تعالى وجراء عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق وتباين بذكر الاستواء على العرش بعد ذكر
خلق السموات والارض على ان المراد منه التمام اي ثم ملك بعد خلق السموات والارض وما بينهما بخلق العرش وبذكر الاستواء
يراد به التمام والله اعلم قال ابو عوسجة اللغوب الاعياء يقال لغب يلغب لغوبا فهو لاغب واصله ما ذكرنا ان خلق الله تعالى
الاشياء لا لمنفعة له او حاجة يقع له ولا بالالات والاسباب التي بها يقع التعب والاعياء في الشاهد والاعياء انما يلحق
من فعله الحركة والانتقال والسكون فاما الله تعالى انما يخلق الاشياء بقوله كن ويلحقه شيء من ذلك وهو قادر بذاته فاعل
لا بالة وسبب فاني يقع له الاعياء والتعب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل فاصبر على ما يقولون اي ناس
على ما يقولون فيك انك ساحر وشاعر ومجنون ونحوه فامره بالصبر على ذلك وان لا يدعو عليهم بالهلاك ويحتمل فاصبر على ما يقولون
في الله من معاني الخلق فلا تحاربهم ولا تقاتلهم ولا تدعوا عليهم بالهلاك ولكن اصبر فان الله تعالى ينتقم منهم لك وانما امره و
بالصبر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله تعالى فيما عاين من المناكير وصنيع ذلك جميع الانبياء والرسل عليهم
الصلوة والسلام لذلك امره بالصبر فيما يقولون في الله وفيه وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قيل
بحمد ربك اي بالثناء على ربك اي اثن عليه بما هو اهله وما يليق به واهل التاويل يفسرون التسبيح في هذا الموضع وفي غيره من
المواضع بالصلوة فمعنى قوله تعالى فسبح بحمد ربك اي صل بامر ربك وانما صرفوا التسبيح الى الصلوة لان الصلوة من اولها الى
اخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والتنزيه والبراءة عن كل عيب قولا وفعلا ولانه لما قام الى الصلوة فقد فارق جميع الخلائق
بما هم فيه وكذلك اذا انحنى للركوع والسجود فارق جميع الخلق بما هم فيه من الامور واعتزلهم واشتغل بمناجات ربه جل وعلا
فجاز ان يكون تسميتهم التسبيح صلوة لهذا ويحتمل ان تسمى صلوة لما ان في الصلوة تسبيحا وقوله عز وجل قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب قال بعضهم قبل صلوة الفجر وقبل غروبها وقال بعضهم صلوة العصر والظهر لانهما جميعا قبل غروب الشمس وقوله
عز وجل وادبار السجود قال عامة اهل التاويل هما ركعتان بعد المغرب وذلك جائز محتمل ويحتمل ان يكون ادبار السجود ما ذكر
في اية اخرى حيث قال اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وتفيؤ الظلال انما يكون
بالنهار وهو تسبيح الظلال فمعناه وسبحه وقت ادبار سجود ذلك الظلال والذي اخبر انه يتفيؤ اذ بقيه هو تسبيحه
وهو ما ذكر في قوله تعالى فسبحه وادبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله تعالى وادبار السجود اي سبحه بعد ذهاب

الشمس وغيبوبتها والله اعلم وقوله عز وجل واستمع يوم ينادي المنادي كان هذا صلة قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون واستمع يوم ينادي ولا تكافيهم ولا تنتقم منهم ولكن اصبر وانتظر ذلك اليوم ثم وقوله عز وجل ينادي المناد يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر يوم ينادي المنادي اي يوم يدعو هو الداعي الى شيء نكر والثاني ما ذكر من نداء بعض لبعض كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الاية وقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة يقول عز وجل انتظر يوم ينادون ويدعون الى ما انكروا ويوم ينادي بعضهم بعضا وقوله عز وجل من مكان قريب اي من مكان يسمعون ما ينادون ويدعون ويعرفون ما يراد بالدعاء ومن يراد به اي ينتهي ذلك الدعاء والنداء الى كل في نفسه حتى يعرفه وذكر اهل التاويل ان المنادي هو جبريل عليه السلام ينادي عند بيت المقدس بنداء يسمعه كل احد وبيت المقدس ارفع مكان في الارض وهو يقرب من السماء بكذا كذا ذراعا فهو المكان القريب ولكن هذا لا معنى له فانه يسمع صوته جميع الخلايق وان لم يقم في ذلك المكان وليس المراد من القرب ما ذكروه ولكن على الاستماع في اي موضع كانوا ومن يسمع شيئا فذلك منه قريب والله اعلم وقوله عز وجل يوم يسمعون الصيحة بالحق الصيحة النفخة او النداء الذي ذكر ثم قوله تعالى بالحق يحتمل وجهين احدهما اي يسمعون الصيحة بما ادعى الرسل من المواعيد فيتحقق لهم ذلك في ذلك اليوم ويحتمل بالحق اي تحقق ذلك في اليوم لان الرسل عليهم الصلوة والسلام قد اخبروهم بذلك اليوم وهم انكروه او بالحق الذي لبعضهم على بعض اي يستوفي بعض من بعض ما لهم من الحق في ذلك اليوم وامروا باداء الحقوق في ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخروج قيل يوم الخروج من قبورهم او قيل يوم الخروج والبروز الى الله تعالى وقوله عز وجل انا نحن نحيي ونميت اي نحيي الموتى ونميت الاحياء اي نحن نملك ذلك لا يملك احد ذلك غيرنا وقوله عز وجل والينا المصير خص ذلك اليوم بالمصير اليه وان كانوا في الاوقات كلها صايرين اليه لما ذكرنا من الوجوه في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل تشقق الارض عنهم سراعا يحتمل ان يكون ما ذكر من السراع وهو صفة تشقق الارض كانه يقول يوم تشقق الارض سراعا لا يتثاقل عن [illegible] ولكن يتشقق اسرع ولمحة البصر ويحتمل ان يكون وصف سرعة خروجهم من الارض يقول يوم يسرعون الخروج من الارض وقوله عز وجل ذلك حشر علينا يسير وغير الحشر يسير على الله تعالى ايضا ليس شيء ايسر عليه من شيء لكن خص ذلك بالذكر لان اولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا كونه فخص ذلك اليوم باليسير لهذا اذ وجود الاشياء كلها بالتكوين الازلي وعبر عن ذلك بحرف كن لمعرفتنا لا لان التكوين الذي به وجود المكونات ما يوصف بالحرف وفي ذلك يستوي ابتداء الخلق واعادة والحشر وكل شيء ولا نوع الا بالله وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والله الموفق وقوله عز وجل نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار يقول والله اعلم بما يقولون فكافيهم او يقول عن علم بذلك يتركهم على ذلك ويمهلهم يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليتسلى به بعض ما يحزن عليه وقوله عز وجل وما انت عليهم بجبار قال بعضهم من الجبر والقهر اي ما انت بقاهر عليهم بجبار يجبرهم على التوحيد وقال بعضهم من التجبر والتكبر والجبار هو الذي يقتل بلا وجه ولا حق وقيل اي وما انت بمسلط عليهم وهو كقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا اي سلطانا وقوله عز وجل فذكر بالقران من يخاف وعيد اي بلغ ما انزل اليك فعليك التبليغ انا المجازي بهم والمكافي بما يفعلون ثم ليس يخص بالتذكير من يخاف الوعيد لكنه امر بتذكير الكل لان منفعة الذكر يكون لمن يخاف الوعيد الا من لا يخاف الوعيد فلذلك خصه م بالذكر لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا بالحكم فنفيا عن غيره فيبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والذاريات ذروا سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن هذه الاية فقال والذاريات هي الرياح فالحاملات وقرا هي السحاب فالجاريات يسرا هي السفن فالمقسمات امرا هي الملايكة وعلى هذا خرج تاويل عامة اهل التاويل الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه قال والذاريات ذروا هي الملايكة ثم يحتمل ان يصرف هذه الاحرف كلها من الذاريات وغيرها الى الرياح خاصة فالذاريات هي تذري الاشياء ذروا فالحاملات وقرا هو يحملن السحاب ويغيرها في الافاق وجايز ان يصرف كل حرف من ذلك الى نوع وجنس على ما حمله اهل التاويل وصرفه اليه قال القتبي ذرت الريح تذرو ذروا واذرا ومنه قوله تعالى فاصبح هشيما تذروه الرياح ومنه ذريت البر لان التذرية لا يكون الا بالريح وتذرية اي اشرفت من الذروة وذري الرجل بذا ذروا اي شمط وشاب ذرا انا كان في ذوائبها بياض فالجاريات يسرا اي سهلا اي تجري السفن في الماء جريا سهلا وقال ابو عوسجة اي هينا ثم المقسمات امرا هم الملايكة واختلفوا في التقسيم قال الاربعة املاك يقسمون الامور فجبريل عليه السلام ينزل في انزال العذاب والشدايد وميكاييل ينزل في انزال النعمة والرخاء والرحمة واسرافيل نفخ الصور وملك الموت في قبض الارواح فكل واحد منهم الاو موكل في امر على حدة وقال بعضهم الملايكة الذين ينزلون بالوحي يأخذ هذا من هذا اذ لله تعالى ان يرسل الى

كل يوم من يشاء من ملايكته والله اعلم ثم اختلف في ذكر هذه الاشياء من الرياح والسفن والملايكة لماذا قال عامة اهل التاويل انما ذكرها على القسم بها انما ذكرها على سبيل تعداد النعم والمنافع التي جعلها الله تعالى لهم واحتج هؤلاء وقالوا ان الله تعالى نهانا عن القسم بغيره فكيف يقسم بغيره فيكون هذه الاشياء على الاسناد [illegible] القسم اختلفوا فيه منهم من يقول القسم باعيان هذه الاشياء لعظم منافعها للاشياء عند الخلق ومنهم من يقول ان القسم بالله تعالى لا بعين هذه الاشياء على الاضمار كانه قال والذي ذرا الذاريات ذروا والذي خلق الحاملات وقرا والجاريات يسرا والمقسمات امرا وكقوله تعالى فورب السماء والارض فيكون القسم بخالق هذه الاشياء لا بانفسها وكل واحد من الوجهين لان القسم خرج لرفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعد ما قام عليهم من حجج البعث وبراهينه [illegible] والشبهة عنهم والقسم لتاكيد ما وقع عليه بما يكون عندهم [illegible] تاكيد الخبر المعزوق بالقسم فالقسم من الله تعالى بانه خالق هذه الاشياء المذكورة [illegible] الكفرة لما كانوا يقسمون بالله تعالى عند عظم الامور كما اخبر تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم [illegible] بهذه الاشياء [illegible] عندهم [illegible] هذه الاشياء والعرف [illegible] فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عنده فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عندهم فمنافع الرياح [illegible] ومنها استاصلهم ومنها تلقيح الاشجار والثمر وغيرها ومنها سايق السحاب الى الاماكن [illegible] ومنها يجري السفن في البحار وغيرها من المنافع ومنها سبب الحيوانات بالسفن ودخول الريح فيهم ونحوها في تذرية الطعام بحيث لولاها لم يخرج الثمار فالتذرية وفيها ايات فان الريح جسم لطيف يرى ولا يدرك ليعلم ان الوجه لا يوجب الاحاطة والادراك وغير ذلك من جهة الايات على ما نعلم وكذلك اقسم بالحاملات وقرا وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق من حمل الامطار والتظليل في الحر ونحو ذلك مع ما فيه من الايات او هو غيمكها في الهواء حيث لا يقع بسوق الرياح مع ما فيه من الحمل والوقوع بوصل المطر حينا امرا قد يوجد السحاب ولا مطر لانه لم يرسل بنفسه بل بالامر يرفع ويمسك ويرسل وهو في نفسه مسخر لا يدلم من سخره لو كان عمله بالطبع لم يختلف باختلاف الاحوال وفيه ايات البعث اذ خلق مثله لا يكون الا لعاقبة وكذلك اقسم بالجاريات يسرا وهي السفن لما فيها من منافع الخلق اذ لولاها لا يقع بعض المنافع عن الخلق اذ ما يحتاج اليه من المنافع لا يوجد في المكان واحد بل خلقها متفرقة في اماكن فطريق تحصيل هذه المنافع والحوايج شيئان الحمل على ظهور الدواب في البر وفي السفن في البحار معا وفيها من الاية العظيمة باجعلها بحيث لا يستقل في الماء مع ثقل الاحمال بل يجري بها الريح وحيث ما شاء وبامر الله تعالى والملايكة منافعهم عظيمة ظاهرة وعظم قدرهم وجلاله وخطرهم واضح واذا كان كذلك فكان القسم بهذه الاشياء لتاكيد الخبر المقسم عليه فيما يعقل وهو متعارف ولا معنى لقول اولئك انه نهى عباده عن القسم بغيره فكيف يقسم بنفسه اذ لا يجوز ان يقسم هو بشيء نهانا عن القسم به ان القسم بشيء يحتمل تلك الاشياء وتعظيمها وانها لا يستحق التعظيم بانفسها بل بالله تعالى نامرنا بالقسم وتعظيمها وانها لا يستحق التعظيم بانفسها بل بالله تعالى فامرنا بالقسم بالله تعالى اذ هو مستحق للتعظيم بانفسها في الحقيقة اذ هو خالق الاشياء كلها فاما القسم من الله تعالى فيبني ليس لتعظيم ذلك في نفسه بل بيان منه قدر منافعه التي للخلق فيه التي عظمت وجلت عندهم فيكون لذكرها خطر عندهم والله اعلم ثم ذكر افعال هذه الاشياء التي اقسم بها ولم يذكر انفسها والقسم انما يكون بالانفس بالافعال فاما ان عرف اولئك الكفرة انفس هذه الاشياء بذكر افعالها وقت ذكر هذه الافعال سمعهم او انه لم يعرفوا انها لم يكن عنها وما اريد بها والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون لصادق وان الدين لواقع هذا موضع القسم والصدق انما يستعمل في الخبر فكانه قال ان ما اخبركم الرسول بالبعث او وعدكم به صادق في خبره ووعده فالجملة مما قد يكون صدقا وكذبا فاكد هذا الوعد من الرسول بالقسم انه لصادق فيما وعد من البعث وغيره وكذلك قوله تعالى وان الدين لواقع موضع القسم اي الجزاء لواقع كاين وقيل ان المراد من الدين الحساب لكاين لا محالة والله اعلم وقوله عز وجل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف اقسم ايضا بالسماء ذات الحبك وموضع القسم انكم لفي قول مختلف ثم اختلف في تاويل قوله تعالى والسماء ذات الحبك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذات الحبك قال حسنها واستواؤها وقال بعضهم ذات حبك اي ذات بنيان متقنة محكم وكلا التاويلين يرجعان الى واحد فان حسن خلق السماء بالاتقان والاحكام يقال للحايك اذا احسن النسيج واحكمه حبك الثوب قال الحسن حبكت بالنجوم وحبكت بحسن الخلق وقال بعضهم ذات الشرع والاستواء يقال حبكت الحبل اذا شددت فتله كذلك قاله ابو عوسجة وقال القتبي ذات الحبك ذات الطرايق وكذلك قاله ابو عوسجة ثم هو على ما ذكرنا من الوجهين ان القسم بين السماء او برب السماء والله اعلم ثم قوله عز وجل انكم لفي قول مختلف يخرج على وجوه احدها انكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القران ما لو كان ذلك القول

لكم عن علم ومعرفة ثم يخرج مختلفا متناقضا لانهم قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مجنون وانه ساحر وانه شاعر وانه
مفترى وهذا مختلف متناقض لان الساحر هو الذي يبالغ في معرفة الاشياء غايتها وكذا الشاعر ولا يحتمل ان يبلغ المجنون
ذلك المبلغ محال فيكون نسبتهم اياه الى هذه الحالة في حال واحدة يخرج على التناقض وكذلك قولهم في القرآن انه احاديث الاولين
وانه مفترى والافتراء خلاف الاطير مع انهم عجزوا عن اتيان مثله فيكون هذا متناقضا من القول متزل الاختلاف فيهم في القول
بينما على انهم قالوا ذلك عن جهل لا عن علم اذ لو كان عن علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض وهذا الخطاب على هذا التأويل
يكون للكفرة والثاني انما قال ذلك في الدلالة على البعث انكم لفي قول مختلف اي في عقولكم الاختلاف والافتراق بين المصلح
والمفسد والمحسن والمسيء وقد عرفتم الاستواء بينهما في هذه الدنيا دل ان هنالك دارا اخرى فيها يعرف بينهما ويميز وهذا التأويل
لا يخص به الكافر بل يعم الكل والله اعلم والثالث انكم لفي قول مختلف اي قول متفرق ومذهب متناقض فانهم كانوا يعبدون
اشياء على هوام ما نا هو واشياء اخر تركوا ذلك وعبدوا غيره وكذلك يقولون قولا بالحجة ثم يرجعون الى قول آخر تركوا ذلك
وعبدوا غيره لا ثبات لهم على شيء وهو كقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم والرابع انكم لفي
قول مختلف اي في امر الآخرة لان منهم من يدعي ان الآخرة لهم لو كانت ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين فرد الله تعالى عليهم
بقوله يؤفك عنه من افك وهو كقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقال ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون والخامس يحتمل اي مواعيدهم
ومنازلهم مختلفة في الآخرة والله اعلم وذكر بعض اهل التأويل ان الناس يأتون مكة من البلدان المختلفة ليفحصوا عن اخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعوا كلامه فكان كفار مكة ليصدونهم عنه ويقول بعضهم انه مجنون وبعضهم انه كذاب
وبعضهم شاعر وكذلك قوله تعالى انكم لفي قول مختلف وقوله عزوجل يؤفك عنه من افك يحتمل وجوها احدها اي يصرف
عن الحق من صرف عن النظر والتفكر في العاقبة والثاني صرفوا عما رجوا في الآخرة لما صرفوا عن الحق في الدنيا لانهم كانوا
يعبدون الاصنام رجاء ان يقربهم عبادتها الى الله تعالى وانها شفعاؤهم عند الله تعالى يقول يصرف من رجاء في الآخرة
لما صرف عن الحق في الدنيا والله اعلم والثالث يصرف من طمع في الآخرة الشركة مع المسلمين اذا ادعى الخلوص بما صرف في الدنيا
عن الايمان الذي به ينال الآخرة والرابع يؤفك عنه اي عن الحق من افك اي صرف عن الحق من صرف كقوله تعالى ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم الآية وقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقوله تعالى قتل الخراصون قال ابو بكر الاصم الخراص
الذي يكذب على العمد ولكن عندنا الخراص الذي يكذب ويقطع على الظن ومنه يقال الذي يقدم الشيء ويزنه بالظن
خراص فعلى ذلك يحتمل قوله الخراصون ثم قوله قتل الخراصون يحتمل حقيقة القتل وذلك يرجع الى قوم خاص قتلوا والثاني
قتل اي لعن واللعن هو الطرد اي طردوا عن رحمة الله وانما سمي قتلا لان القتل سبب التبعيد عن منافع الحيوة فالقتل خرج من
ان يكون منتفعا به واللعن هو الطرد عن رحمة الله التي بها ينتفع ويتحقق المنافع في الآخرة والله اعلم وقال اهل التأويل
الخراصون الكاذبون وكذا قال اهل الادب وقوله عزوجل الذين هم في غمرة ساهون اختلف في تأويله قال بعضهم اي
في غفلة وقال بعضهم اي في اغطاء وغشاء كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة وقوله عزوجل
بل قلوبهم في غمرة من هذا الذي في اغطاء وعلف وقال بعضهم اي في اعمايه عن امر الآخرة ولكن الكل يرجع الى معنى واحد
وقوله ساهون اي ساهون عن الحق وعما دعوا اليه وقيل ساهون اي غافلون وقيل اي لاهون عن التوحيد والايمان وقيل
ساهون اي تاركون الايمان واصل السهو هو الترك وهو كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا والله اعلم وقوله عزوجل
يسألون ايان يوم الدين الآية كانوا يسألون عن يوم القيمة سؤال استهزاء وعناد لا سؤال استرشاد ولذلك قال الله
تعالى يوم هم على النار يفتنون ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان لا يأتيهم ذلك الوعيد الا ترى ان جبريل عليه الصلوة
والسلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام في حديث طويل وسأله عن الساعة فلم يأته الوعيد فلان
في سؤاله ذلك لانه سؤاله سؤال استرشاد وقوم موسى عليه السلام لما سألوا ذلك وعيد الرب تعالى بقولهم ارنا الله جهرة
فاهلكوا لانهم سألوا سؤال استهزاء وتعنت لا سؤال استرشاد واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا وقيل ايضا
فبشروا ووعدوا في الآخرة لما انهم سألوا سؤال الاسترشاد ولا سؤال استهزاء فعلى ذلك الكفرة سألوا عن القيمة
سؤال استهزاء متى يكون الساعة التي تعدنا بها واين وقت العذاب الذي تعدنا به لذلك قال الجواب يوم هم على النار يفتنون
والله اعلم وفي الآية دلالة على ان الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج فانه لا فرق بين سؤال الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الساعة وبين سؤال جبريل عليه السلام اياه عن الساعة ثم اجاب لجبريل عليه السلام ما المسئول بها باعلم فالمسئول بها
باعلم من السائل ثم الجواب للكفرة يوم هم على النار يفتنون ثم من شبهها النوازل علم المراد من السائل لتبين ان احد السؤالين
خرج على الاستهزاء والآخر على الاسترشاد فخالف الجواب على احدى الحالتين والآخر على الحال الاخرى دل ان الحكم لا يبنى

على ظاهر

على ظاهر الخبر ولكن يجب النظر ليعرف المراد اما السؤال من شهد الساعة لانه من حيث المخبر فيه والله اعلم ثم وقوله
عزوجل يوم هم على النار يفتنون يعذبون عن اليوم الذي يفتنون فيه وقيل فيه بوجهين احدهما يفتنون اي يبتلون و
يمتحنون بالمشركين والعذاب والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء وسمي العذاب فتنة لما فيه من الشدة وقال بعضهم
يفتنون اي يحرقون وقوله عزوجل ذوقوا فتنتكم اي ذوقوا العذاب فيه الشدة وقوله عزوجل هذا الذي كنتم به تستعجلون
اي تستعجلون في الدنيا وتزعمون انه لا يكون في الآخرة وقوله عزوجل ان المتقين في جنات وعيون والاشكال يكون ان تكون
للمتقين في جنات وعيون وهم يكونون في العيون بحيث يدورونها ويقع عليها ابصارهم ويستمتعون بها وهو كقوله تعالى
يلبسون من سندس واستبرق واتكاهم يلبسون السندس لا ناس ان الاستبرق يفرشونه في البسط وغير ذلك من الانتفاع به فعلى
ذلك ما ذكر كون المتقين في جنات وعيون يكونون في الجنة ويستمتعون بالعيون والله اعلم وقوله عزوجل ان المتقين
اي الذين اتقوا الشرك والكفر ويحتمل الذين اتقوا مخالفة الله على الاطلاق عادة وقوله واعتمدوا ويحتمل الذين اتقوا النار
وقوله عزوجل آخذين ما آتاهم ربهم يحتمل وجهين احدهما اي قابلين ما آتاهم ربهم في الدنيا من العبادة والقوة والمال
يجتهدون تعالى والقيام بشكره والعبادة له والاستقبال لطاعته لانه قال انهم كانوا قبل ذلك محسنين قيل ذلك
يجزى الاحسان فاستعملوها في حق تعالى والقيام بطاعته وعلى هذا التأويل يكون على التقديم والتأخير آخذين في جنات
وعيون انهم كانوا قبل ذلك محسنين آخذين ما آتاهم ربهم وجهدوا فيه انهم كانوا في الدنيا كذلك والثاني ما ذكره اهل
التأويل آخذين ما آتاهم ربهم في الآخرة اي راضين بما اعطاهم من النعيم في الجنة وهو كقوله تعالى رضي الله
عنه وعلى هذا يخرج تأويلهم وقوله عزوجل انهم كانوا قبل ذلك محسنين ثم بين احسانهم فقال عزوجل كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال اهل التأويل جميعا اي يصلون وانما حملوا عليها لان الاستغفار طلب المغفرة
وذلك مرة بالصلوة ومرة بالمسألة ومرة ينفع المال ويحتمل حقيقة الاستغفار ايضا وانما مدحهم بذلك لان امرهم وقت
الاستغفار وقت السحر لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لنافع اذا كان وقت السحر فاعلمني به فكان هو يصلي الى وقت
السحر ثم يدعو ويستغفر في ذلك الوقت وقوله عزوجل وفي اموالهم حق للسائل والمحروم قال بعضهم ان الآية في الزكوة لكن
هذا لا يحتمل لان السورة مكية ولم يكن يومئذ الصدقة المفروضة الا ان يقال ان السورة مكية الا هذه الآية او نثبت وجوب
ان يكون ذلك الحق ليس هو المفروض ولكن حق سوى المفروض وقيل ان الآية نزلت في قوم خاص جعل على انفسهم ان لا يردوا
سائلا ولا محروما ولا يمنعوا اموالهم من احد فمدحهم بذلك الا ترى انه ذكر الحق للسائل والمحروم وقد بين مصارف الزكوة
والاصناف الثمانية بقوله تعالى انما الصدقات للفقراء الى قوله تعالى فريضة من الله ثم اختلف في تأويل المحروم والسائل
قال عامة اهل التأويل المحروم هو الذي لا سهم له في الغنيمة والفيء بان لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها فحرم
عن ذلك وقال بعضهم المحروم الذي هلك زرعه وكرمه بلاء اصابه فحرم عن ذلك كما وصفهم في سورة الواقعة انا لمغرمون
بل نحن محرومون فلما حرموا زرعهم وصفوا بذلك وقيل المحروم الذي لا يعلم حرفة وهو كسبا وهو محارف ايضا وقيل المحروم
المتعفف الذي به فقر لكنه لا يسأل الناس والسائل الطواف عندنا الفقراء ثلاثة السائل الذي يطوف ويسأل الناس والمتعرض
الناس ويظهر حاجته للناس ويتعرض للسؤال ولا يسأل صريحا والمحروم وهو الذي يستر فقره وحاجته عن الناس ولا يسألهم
ولا يعرض لذلك ثم يجوز ان يكون سماه محروما اي حرم المكاسب واسباب العيش من التجارة والحرفة وغيرهما ويجوز ان يكون
له المكاسب والاسباب لكنه محروم عن اتيان المكاسب والارباح في التجارة يكسب ويعمل بتلك الاسباب لكنه محارف لا
يرزق منها شيء والله اعلم وقوله عزوجل وفي الارض آيات للموقنين هذا يخرج على وجهين احدهما اي في الارض آيات ينتفع
بها الموقنون وهم المؤمنون الذين عملوا الآيات بطريق الايمان ويحتمل في الارض آيات يعلم الموقنون حقيقة انها آيات
فاما غيرهم فلا والله اعلم ثم يحتمل آيات الارض آيات التوحيد وآيات البعث وآيات القدرة وغير ذلك على ما ذكر انه خلق
وجه الارض من الدواب والاشجار والنبات وانواع الثمار من غير ان عرف الخلق كيفية وجودها وما نباتها وانه لم يخلق
مثلها للغنا خاصة فيكون آيات لما ذكرنا وقيل اي في خلق الارض آيات وهو ان خلقها وكانت تميد باهلها ثم ارساها
بالجبال حتى استقرت والله اعلم وقوله عزوجل وفي انفسكم ايضا آيات افلا تبصرون اي آيات الوحدانية والربوبية
وآيات وانه وجوب الشكر والعبادة والامتحان اما آيات الربوبية وهو ان الله تعالى انشأ هذا البشر من نطفة ثم
قلب تلك النطفة علقة ثم العلقة مضغة ثم المضغة عظاما ولحما ثم ركب فيها الجوارح في ظلمات ثلاث وما دام
الصالح له في الاستواء والصحة سليمة عن الآفات غير متفاوت ثم ترك ذلك نعل واحد لا احد دون له القدرة الذاتية و
العلم الذاتي لا المستفاد وانه ما قلبهم من حال الى حال وما ركب فيهم الجوارح التي بها يقبضون وبها يأخذون وبها
يدفعون ويتناولون وبها يمشون وبها يسمعون وبها يبصرون لم يفعل بهم لتركهم سدى ويغفلهم فلا يمتحنهم ولا يأمر

الابتهام وانزحت سحر جميع خلايق من السماء والارض وما بينها ما سخرنا لمنفعتهم وليستاذ منهم شكر الله كلها و
فيه اية البعث لانه لا يحتمل ان يكون منه ما ذكرنا ثم لا ينتفعون بشيء وانشاء منهم ذرية ... بين الشيئين
اذ لو لم يكن لذلك خلقه ايام عبثا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقيل في انفسكم فى انفسكم اهل يتعمدون
سوى انفسكم على احسن الصور واحسن التقويم بعثا كان اسلفنا وجوهرها من ماء وكذلك امثل بين اهل الابهام
والبهايم مع تلطفه ايضا ثم تركيبهم على صور ومناحلة المناكح وتركيبكم على احسن الصور ثم جعل من العقل والسمع
والبصر ما يدرك بها حقايق لاشياء المحسوسة والمغايبة الحكمة سيما فى ذلك كله يكون اية الوحدانية
واية الولاية الشكر والعبادة له والله الموفق **وقوله** عز وجل وفى السماء رزقكم وما توعدون قال ابو بكر الاصم و
فى السماء رزقكم وما توعدون من الخير والشر وقال الحسن وغيره وفى السماء رزقكم اى المطر الذى ينزل منها فى
الارض فينبت فيها بذلك المطر من انواع الاغذية من الحبوب والثمار والفواكه وغيرها كل ذلك سببه من السماء
لذلك اضاف اليها والله اعلم ويجاز ان يكون ما ذكر من ارزقنا انها فى السماء المطر وجميع ما سخرنا فيها من الشمس
والقمر والملايكة حيث جعل صلاح ما فى الارض جميعا من الارزاق والاعذية بذلك الاشياء التى فى السماء من الاجرام
بالشمس والقمر وحفظ الارزاق والامطار بالملايكة فانهم جعلوا موكلين ممتحنين لذلك حيث قال تعالى فالمقسمات
امرا هى الملايكة والله اعلم **وقوله** عز وجل وما توعدون من مرغوب او مرهوب من السماء والله اعلم **وقوله** عز وجل فورب
السماء والارض انه لحق يحتمل قوله انه لحق اى الساعة والقيمة ويحتمل انه الحق اى جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل مثل ما انكم تنطقون يحتمل ان يقول والله اعلم كما انكم لا تشكون فيما تنطقون فعلى ذلك لا تشكون
فى امر الساعة وقيامها وكونها كما يقال هذا ظاهر بين كالنهار وقال الزجاج انه لحق اى لحق مثل حضوركم ونطقكم ومثل النهار
او كلامكم ويحتمل ان يقول ان من قدر على انطاق هذه الالسن وتكليمها حتى يفهم منها حاجتهم وهى قطعة لحم ليس فيها شىء من
اثار النطق والكلام اذ يكون مثله البهايم ثم لا يفهم منه ذلك ولا يكون منه النطق قدر على البعث والاعادة اذ هذا فى الاعجوبة
اكثر واعظم من ذلك والله الموفق **وقوله** عز وجل هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين قد ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع
ان حرف الاستفهام من الله تعالى على الايجاب والالزام **وقوله** عز وجل هل اتيك يخرج على وجهين احدهما اى قد اتاك م
حديث ضيف ابراهيم فحاجّ به اولئك وخاصمهم والثانى لم ياتك بعد ولكن سياتيك حديث ضيف ابراهيم فاذا اتاك به
فحاجّ على اولئك الكفرة به والله اعلم ثم **وقوله** عز وجل حديث ضيف ابراهيم دل ان اسم الضيف تقع على من يطعم شيئا و
على من لا يطعم ولا يتناول لانه سمى الملايكة ضيف ابراهيم وان لم يطعموا ولم يكن ضيافتهم الطعام وفيه ان الضيف
اسم يقع على العدد والجماعة **وقوله** عز وجل المكرمين سماهم مكرمين لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان يخدمهم
ويقوم بين ايديهم وذلك هو الاكرام الذى صاروا به مكرمين ويحتمل ان سماهم مكرمين لانهم كانوا اهل كرم
وشرف عند الله تعالى والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال فى
اية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام فقوم منكرون وقال فى اية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال انا منكم وجلون ذكر ههنا سلام الملايكة عليهم السلام ولم يذكر سلام ابراهيم صلوات الله عليه انما ذكر وجله
عنهم وذكر فى الاول سلام الملايكة عليهم الصلوة والسلام وابراهيم عليه السلام عليهم وذكر انهم قوم منكرون وقال
فى اية اخرى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قال بعضهم انما اوجس منهم الخيفة لما خشى ان يكونوا
سراقا لانه كان بابه ابراهيم عليه السلام وبين الذى سابوا منه بعرف بعيد ما يحتاج المتأتى الى الطعام فاذا امتنعوا
عنه خاف ان يكونوا اذا لا يمتنع عن التناول الا السراق لكن هذا ليس بشىء لانه قد كان منهم السلام والسلام اخذ علامة
الامان لكن يكون خوفه بعد ما عرف انهم ملايكة لما علم ان الملايكة عليهم السلام لا ينزلون الا لامر عظيم لاهلاك قوم
او لتعذيب امة كقوله تعالى وما ينزل الملايكة الا بالحق **وقوله** عز وجل ولو انزلنا ملكا لقضى الامر هذا يحتمل والله اعلم
ثم **وقوله** عز وجل قوم منكرون جايز ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى انهم قوم منكرون اى غير معروفين عندنا لم نعرفهم
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** عز وجل فراغ الى اهله قيل راغ اى مال لكن قوله فراغ اى مال الى اهله على خفاء من اضيافه
وسر منهم ولذلك سمى الطريق المختفى رايغا وهو من روغان الثعالب وقيل راغ اى رجع وقيل راغ اى رجع وذكر
محمد فى بعض كتبه فى زاوية مستطيلة وقيل رايغة والله اعلم **وقوله** عز وجل فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون
وقال فى موضع اخر فجاء بعجل حنيذ والحنيذ هو المشوى وقيل هو الذى يشوى فى الارض بغير تنور والله اعلم وقال بعضهم
الحنيذ الذى نضج بالحجارة وقيل الحنيذ هو الصغير الذى كان غذاؤه اللبن لا غير والله اعلم وما ذكر اهل التاويل فى قصة
ابراهيم عليه الصلوة والسلام انه لما قرب اليهم العجل قالوا لا ناكله الا بثمن قال فالثمن وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال التسمية

الله تعالى جل وعلا اذا كلمتم وتحمدوه اذا تركتم فاكل فنظر بعضهم الى بعض وقالوا هذا الحق لذلك سماه خليلا وغير ذلك من الكلام
نحن لا نذكر الا قدر ما ذكره فى الكتاب مخافة ان تدخل الزيادة والنقصان عما فى كتبهم وشبه اهل الالحاد فى ذلك مثالا
وهذه الانباء انما ذكرت حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثبات الرسالة فاذا قيل فى ذلك لا يخاف ان يكون فى ذلك
زيادة ونقصان عما فى كتبهم كان الامساك والكف عنه اولى **وقوله** عز وجل فاوجس منهم خيفة لما ذكرنا **وقوله**
عز وجل قالوا لا تخف لانا لذلك ارسلنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وبشروه بغلام عليم يحتمل قوله عليم وجهين احدهما
بشروه بغلام يصير عليما اذا كبر والثانى بشروه بغلام يولد عليما يؤتيه الله تعالى علما فى بطن امه فاذا ولد فى صغره والله ان
يؤتى العلم من يشاء فى حال الصغر والكبر الا ترى انه قال عز وجل فى عيسى عليه السلام واتيناه الحكم صبيا فعلى ذلك يحتمل
هذا والله اعلم ثم ذلك الغلام هو اسحق عليه السلام لانه فى اية اخرى فيمن كانت البشارة حيث قال فبشرناها باسحق
دل ان البشارة انما كانت باسحق ثم ذكر فى سورة هود عليه السلام البشارة لامراته حيث قال فبشرناها باسحق
وذكر فى هذه السورة البشارة لابرهيم عليه السلام بقوله وبشروه بغلام عليم لكن جايز انه لما بشرها بالولد منه واذا
بشر ابراهيم عليه السلام بالولد منها فاذا بشر احدهما بالولد من الاخر فيكون البشارة لهما جميعا والله اعلم قال ابو بكر
الاصم دل قوله تعالى فبشرناها باسحق الخ ان قال وهذا بعلى شيخا ان اسحق كان اكبر من اسمعيل لانها لما بشرت بالولد
اخبرت انها عجوز وانها عقيم وان بعلها شيخا ولو كان اسمعيل هو الاول وكان الاخر على قرب منه ليس بينهما زمان مديد
لم يكن مبلغ ابراهيم عليه السلام فى ذلك المقدار من الوقت ما يخبر عنه باس الولد منه دل ان اسحق هو المقدم وانه
كان اكبر من اسمعيل عليه السلام الا ان هذا خلاف ما عليه اهل التاويل ان اسماعيل عليه السلام كان اكبر من اسحق
عليه السلام **وقوله** عز وجل فاقبلت امراته فى صرة فصكت وجهها ذكر ههنا الاقبال وقال فى اية اخرى فى سورة
هود وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق فجايز ان لا يكون حقيقة الاقبال ولكن لما ذكر فعلها وهى الصرة وصكت
الوجه ذكر الاقبال من المكان اى اقبلت فضحكت وجهها فصرة كما قال عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل امر بالرؤية
والنظر الى فعل الذى ذكر وهو مد الظل واذا ذكر النفس دون الفعل فالمراد منه النظر الى نفسه لا غير والله اعلم فعلى ذلك
هذا ثم قوله تعالى فى صرة اى فى صخر **وقوله** عز وجل فصكت وجهها اى ضربت وجهها بيدها تعجبا منها بتلك البشارة
التى بشرت بالولادة **وقوله** عز وجل وقالت عجوز عقيم وكانت كما اخبرت عجوزا عقيما **وقوله** عز وجل كذلك قال
قال ربك انى على علم بالحال التى انت بشرت بذلك لا عن جهل **وقوله** عز وجل انه هو الحكيم العليم او حكيم واضع الولد
فى موضعه العليم بمصالح الامور وعواقبها والله اعلم **وقوله** عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون اى شانكم و
لاى امر ارسلتم بالبشارة خاصة او لامر اخر اولهما جميعا فاجابوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وقال فى اية اخرى
انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين كان الاستثناء ههنا لم يكن مذكورا فى خبر الملايكة وانما ذكر فى
الخبر الذى قال لابراهيم عليه السلام وحيث قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فدل ذكر الثنيا منهم بعد
سؤال ابراهيم عليه السلام واخبارهم ان فيها لوطا ان تاخير البيان عن الكلام جايز والله اعلم **وقوله** عز وجل لنرسل
عليهم حجارة من طين دل قوله تعالى حجارة من طين على ما ذكر فى اية اخرى حجارة من سجيل ان السجيل ليس هو اسم المكان على
ما ذكر بعض اهل التاويل ولكن السجيل اسم الطين على ما ذكر ههنا وهو طين مطبوخ كالاجر الا ان يقال هو طين حل من مكان
سمى سجيلا والله اعلم **وقوله** عز وجل مسومة اى معلمة عند ربك للمسرفين ثم الاعلام يحتمل وجهين احدهما معلمة مسومة
باسم من يقع عليه ويهلك بها عليها اسمه والثانى معلمة فى نفسها حتى يعلم كل اجهل انها للهلاك جاءت وانها ارسلت لذلك
مخالفة لسائر الاحجار والله اعلم **وقوله** عز وجل فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
نزلت فيها كناية عن قرية لوط وقوله غير بيت من المسلمين هو منزل لوط عليه السلام ودل تسمية الملايكة عليهم السلام
اياهم مؤمنين ومسلمين على ان الاسلام والايمان واحد وقد بينا جهة الاتحاد بينهما فى غير موضع **وقوله** عز وجل
وتركنا فيها اية اى تركنا فى قريات لوط عليه السلام التى اهلكها اية وعبرة لمن بعدهم وهو ما ذكر فى اية اخرى وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون اى انكم لتمرون على وكيات الذين اهلكوا او عذبوا بالليل والنهار وتعلمون انهم
ثم اهلكوا وثم عذبوا بالتكذيب والعناد والذين نجوا انما نجوا بالتصديق والاسلام وذلك انهم لم يعهم ثم قال الذين
يخافون العذاب الاليم اى يكون ذلك اية للذين يخافون العذاب الاليم وهم المؤمنون اى هم المنتفعون والله اعلم **وقوله** عز
وجل وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فيما ذكر من قصة موسى ولوط وقصة ابراهيم وقصة هود وهذه الاية
تفسير لقوله تعالى وفى الارض ايات للموقنين ثم الايات فى الارض من وجهين احدهما فيما خلق فى الارض من الخلايق والثانى
فيما فى الارض من انباء السلف واخبارهم من مكذبى الرسل ومصدقيهم اى فى هلاك من هلك من مكذبيهم ونجاة من صدقهم

ايات لمن ذكر في هذه الانباء والقصص التي ذكرت هاهنا تفسير وقوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وقوله عز وجل فتولى
بركنه هذا يخرج على وجهين احدهما اي فتولى هو وركنه وهم جنوده وقومه على اتباع موسى عليه السلام وما دعا هو اليه
والثاني اي فتولى هو بقوة ركنه وهم قومه اي تولى عن الحق واتباع موسى عليه السلام بقوة قومه ومعونتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقال ساحر او مجنون سماه ساحرا بما اتى من الايات المعجزة وقومه انما يعرف وصف السحر على هذا الوجه فسماه بذلك
وان تفق هو ان مثل ذلك الفعل لا يكون مخترعا مموها على قومه وسماه مجنونا لما خاطر بنفسه بمخالفته مع علمه ان همته القتل
لمن خالفه في دينه وملكه وقوله عز وجل فاخذناه وجنوده هذا يدل على ان تاويل قوله تعالى فتولى بركنه اي تولى هو وقومه
وجنوده وقوله عز وجل فنبذناهم في اليم وهو مليم الاية قال بعضهم مليم اي يلام عليه وقال بعضهم مليم اي هو مذنب
وقال القتبي هو مذنب ثم دل قوله تعالى فنبذناهم على ان الله تعالى في افعال العباد صنعا حيث اضاف ذلك الى نفسه وهم الذين
دخلوا في اليم وقوله عز وجل وفي عاد اذ ارسلنا اي في امر عاد بينة واية وعبرة للمؤمنين كقوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين
وقوله عز وجل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي اهلكوا بالريح وقد بلغ من عتوهم ان قالوا من اشد منا قوة فاذاقهم الله تعالى حتى
خضعوا لاضعف شيء وخافوا منه وهي الاصنام التي عبدوها حتى خوفوا وقالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك
غاية الذل والهوان ان خافوا من اضعف شيء واعجزه بعد ما بلغ من عتوهم وغرورهم ان قالوا من اشد منا قوة ثم وقوله عز وجل
الريح العقيم قال ابو عوسجة تفسيرها ما ذكر في الاية ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وقال غيره العقيم هو الذي
لا خير فيه ولا بركة اي عقمت من الخيرات ولذلك يقال للمراة التي لا تلد والرجل والذي لا يولد العقيم لما انه ليس منهما منفعة
الولد ولا بركة تعالى ذلك الريح العقيم اي لا منفعة فيها ولا بركة فاما المؤمنين فهي نافعة ايضا حيث اهلكت اعداءهم ولم يهلكهم
وفي ذلك تطهير الارض من نجاسة الكفر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور و
قيل الريح العقيم هي الدبور وهي التي لا تلقح الاشجار والسحاب والنبات وقوله عز وجل ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم
اي ما تذر من شيء اتت عليه وامرت هي باهلاكه واذن لها بذلك الا جعلته كالرميم الا ترى انها اتت على اشياء ولم تهلكها وقد
سلم عليها هود عليه السلام وقومه من المؤمنين والا انهم لما راوها من بعد قالوا هذا عارض ممطرنا فقال هود عليه السلام بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم ثم ذكر فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اخبر انها قد ابقيت مساكنهم وهو ما ذكر في اية اخرى تدمر كل شيء بامر
ربها اي تدمر كل شيء امرت واذن لها بالتدمير ليعلم انها كانت تعمل بالامر والله اعلم وقوله عز وجل وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين اي وخاف هو عليه السلام واهلاكهم ايضا اية وحجة للمؤمنين ثم ذكر عتوهم وتمردهم اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو الايام
التي ذكرت في اية اخرى فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فخبر ان كان قد بلغ عتوهم ان قد اجلوا ثلاثة ايام
لنزول العذاب بهم فلم ينفعهم ذلك عن عتوهم ولم ينجع فيهم وفي مثلك يا محمد حيث لم يذكر لعذابهم وقتا ولا اجلا فاحزان لا ينجع فيهم
ما توعدهم به ولا ينفعهم والله اعلم وقوله عز وجل فعتوا عن امر ربهم اي عاموا وابطا عن ربهم والعتو هو البلاغ في التلبيس والتمادي
غايته كقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي يابسا وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اي الى الصاعقة وقوله عز وجل
فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين هذا يخرج على وجهين احدهما اي ما استطاعوا في الانتصاب للعذاب والقيام له والثاني
اي ما استطاعوا من دفع العذاب عن انفسهم لا بانفسهم ولا بغيرهم وما كانوا منتصرين بالانصار والاعوان والله اعلم وقوله عز وجل و
قوم نوح من قبل اي فان نوح عليه السلام من قبل هؤلاء واهلاكهم اية وبينة وحجة المؤمنين على ما ذكرنا وقوله عز وجل انهم كانوا
قوما فاسقين ظاهر وقوله عز وجل والسماء بنيناها بايد اي خلقناها بقوة وانا لموسعون اي لقادرون ويحتمل ان يكون الموسع
الواجد كقوله تعالى وعلى الموسع قدره اي على الواجد الموسر قدره وقال بعضهم وانا لموسعون في الرزق بين جميع عليهم ارزاقهم
وقوله عز وجل والارض فرشناها فنعم الماهدون اي بسطناها ومددناها فنعم الماهدون لكم الارض حيث مهدها لكم بسطها
مفترشة يجدونها كين ما كانوا واينما كانوا من غير تكلف ويستعملونها كيف شاؤوا في اي منفعة شاؤوا والله اعلم وقوله
عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين قال بعضهم صنفين غير الحيوان فانه خلقهم ذكرا وانثى وقال بعضهم زوجين اي لونين كالابيض
والاسود والاحمر والاصفر والاول قول الزجاج والثاني قول القتبي واصله انه يخرج على وجهين احدهما زوجين اي شكلين يعلمون
بجنسه بعضا وضدين ينافي بعضه بعضا والله سبحانه وتعالى ليس بذي شكل ولا ذي ضد فدل ما انشاء من الاضداد و
الاشكال على وحدانيته والوهيته والثاني خلق الاشياء مختلفين متضادين ليدل على ايجاب المحن عليهم من خوف ورجاء ورغبة
وحاجة وحزن وسرور ليمتحنهم على اختلاف الاحوال وتضادها فيرغبهم في كل مرغوب ويحذرهم عن كل مرهوب والله اعلم وقوله
عز وجل لعلكم تذكرون اي تتذكرون ايات وحدانيته والوهيته او يتذكرون باختلاف الامتحان البعث والثواب والعقاب والله اعلم
وقوله عز وجل ففروا الى الله يحتمل وجوها قال بعضهم ففروا الى توحيد الله من الشرك به دليله قوله على اثره ولا تجعلوا مع الله الها اخر
وهو ابو بكر الاصم ويحتمل ففروا الى الله اي ففروا الى ما دعاكم الله تعالى اليه عما نهاكم عنه كقوله سبحانه والله يدعو الى دار السلام

اى ففروا

اي ففروا الى الاعمال الصالحات من الاعمال القبيحة ويحتمل ففروا الى ما وعدكم من الثواب عما اوعدكم من العقاب اي فروا الى ثواب الله عن
نقمته وعقابه ويحتمل ففروا اليه في جميع حوائجكم ولا تطلبوا شيئا من ذلك من غيره فانه هو القادر عليها حقيقة فيكون في الاية ترغيب
في الرجوع اليه في الحوائج وقطع عن غيره والله اعلم وقوله عز وجل اني لكم منه نذير مبين يحتمل وجوها يحتمل اي نذير لمن عبد دونه وسمى دونه
الها مبين ايات الوهيته ووحدانيته ويحتمل اني لكم منه نذير مبين لما يعلم لكم به النذارة والبشارة وقال ابو بكر الاصم اني لكم منه نذير مبين
بما نزل بمكذبي الرسل لتكذيبهم وقوله عز وجل ولا تجعلوا مع الله الها اخر اي لا تسموا مع الوهية الله تعالى الاحد دون الله الوهية ولا
تسموا دون الله الها او يقول لا تعبدوا دون الله الها اخر اي معبودا اخر فانه لا يستحق دون الله احد العبادة والله اعلم وقوله
عز وجل اني لكم نذير مبين قد ذكرنا وقوله عز وجل كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون لم يذكر في هذا الموضع
القول منهم انهم قالوا للرسول عليه الصلوة والسلام انك ساحر او مجنون ولكن ان لم يكن مذكورا في ظاهره لكن ما ذكر انهم كانوا
كانوا يقولون لرسلهم ذلك دلالة انهم قد قالوا انه ساحر وانه مجنون حيث قال كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اذاهم بنسبتهم اياه الى السحر والجنون كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وغير ذلك من الايات التي فيها الامر بالصبر على اذاهم والله اعلم ثم وقوله عز وجل ساحر او مجنون قال ابو بكر الاصم انما قالوا ساحر او
مجنون لان السحر والجنون عندهم واحد كقول فرعون لموسى عليه السلام لما اتاه من الايات اني لاظنك يا موسى مسحورا فلذلك قالوا
مرة ساحر او مجنون ولكن هذا فاسد فانه لا يحتمل ان يكون الجنون والسحر عندهم واحدا لان الساحر هو الذي يبلغ في العلم في كل شيء غايته
والمجنون هو الذي يبلغ في الجهل غاية فينسبونهم الى السحر لما اتاهم من الايات ما عجز الناس عن اتيان مثلها وقد عرفوا انها ايات فيعتني
رؤساؤهم والمتبوعين لكن قالوا انه ساحر على ارادة التلبيس على الاتباع والعامة لما عند الناس انه لا كل احد يقدر على اتيان السحر فيقولون
انهم سحرة الرسل لهذا وانما نسبوهم الى الجنون لما انهم خالفوا الفراعنة والاكابر الذين كانت همتهم القتل والهلاك لمن خالفهم في الدين
والامر والله اعلم وقوله عز وجل اتواصوا به بل هم قوم طاغون اي اوصى اولهم اخرهم في تسميتهم الرسل عليهم السلام سحرة
ومجانين وان لم يلتق بعضهم بعضا في نسبتهم الرسل عليهم السلام الى السحر والجنون اي لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم عليهم السلام
ذلك ويحتمل ان يكون ذلك على التمثيل لا على حقيقة القول منهم لما كان اجتماعهم لاجل هذا القول في كل وقت فصار ذلك الاجتماع
منهم كالتواصي من بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل بل هم قوم طاغون يخبر انهم لا عن جهل وشبهة قالوا انه ساحر او
لكن من طغيانهم وتعديهم حد الله عز وجل والمجاوزة له لان الطاغي هو المجاوز له عن الحد الذي جعل له والمتعدي عنه وقوله
تعالى فتول عنهم فما انت بملوم قال بعض اهل التاويل لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
انه ينزل بهم العذاب حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين لكن عندنا يخرج قوله فتول عنهم فما انت بملوم
على وجهين احدهما اي تول عنهم فاعرض ولا تكافهم باساءتهم اليك بقولهم انه ساحر وانه مجنون فان الله تعالى سيكفيهم
عنك ويجازيهم مجازاة اساءتهم والثاني يامره بالاعراض والتولي عنهم من قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون يؤيسه عن
ايمانهم ويقول لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون لك ولا يصدقونك ولكن اشتغل بمن ترجو منه الايمان والله اعلم ويجوز ان
يكون لا عن حقيقة الامر ولكن على التخيير اي لك ان تتولى عنهم وتعرض فانك قد بلغت واعذرت في التبليغ والدعاء
غايته والله اعلم وقوله عز وجل فما انت بملوم جائز ان يكون المراد من نفي الشيء اثبات مقابل ذلك الشيء وضده كقوله
تعالى فما ربحت تجارتهم الربح والمراد اثبات الخسران كانه قال فما ربحت تجارتهم بل خسرت فعلى ذلك جائز قوله فما انت
بملوم بل محمود والله اعلم وقال ابو بكر الاصم فما انت بملوم لانه قد بلغ الرسالة وما امر بتبليغه الى الخلق وقام بامره ونصح
خلقه وخفض جناحه فكيف تلام اي ما انت بالذي تلام على صنيعك وعلى فعلك وان كان بعض يلومك وهم الكفار
وفيه دلالة الحفظ والعصمة له عن الزيغ والزلات اذ لو كان بالذي يحتمل الزيغ والزلة لكان يحتمل الملامة فدل انه لا
يحتمل الزيغ والعدول عن الحق وقوله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين جائز ان يكون الامر بالتذكير للكل اخبر ان
الذكرى تنفع المؤمنين لا الكل وجائز ان ذكر المؤمنين فان منفعة الذكرى لهم ولمن انصف دون المكابرين المعاندين والله اعلم
وقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وان كان المراد من ذكر العبادة حقيقة العبادة فيخرج تاويله على
وجهين احدهما جوابا لمن لا يرى الجن والانس يؤمرون بالعبادة ويمتحنون بها فقال وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون اي ما خلقتهم على ما يعرفون المحاسن والمساوي والتمييز بين ما يؤتى وما يتقى بما ركب فيهم من اسباب التمييز
والمعرفة لا تركهم سدى مهملين بل لامتحنهم بالعبادة والقيام بشكر ما انعمت عليهم من انواع النعم اذ الحكمة توجب
ذلك ويدفع تركهم سدى هملا والله اعلم والثاني خرج جوابا لمن يرى العبادة دونه جائزا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولما خلقتهم لعبادة غيري ولا امرهم بعبادة من لا امرهم بعبادته و
غيري كما قاله بعض الكفرة بقولهم والله امرنا بها وذا نفينا لاعتقادهم والله اعلم ثم وقوله عز وجل الا ليعبدون على

العبادة نعلى العبادة وعلى هذا الوجه لم يكن الاية معمولا بها على العموم بل على الخصوص وهم المؤمنون من الجن والانس دون
الكفرة منهم فانه لا يجوز ان يخلق الكفرة الذى علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة اذ خلقه عن اختيار وارادة قال لخلقهم
لما اراد منهم العبادة لا بد ان يوجد منهم وقد علم منهم انه لا يوجد فيصير كانه اراد تجهيل نفسه وهذا محال قد دل ان المراد
منه الخصوص وقد خص منه البعض بلا خلاف فان الصغار والمجانين قد خصوا فانه لا يتحقق منهم العبادة فجاز ان
يخص منه الكفرة الذين علم منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم ويحتمل ان المراد منه الامر بالعبادة اى ما خلقتهم الا لامرهم و
بالعبادة اى لخلقتهم والتوحيد وهذا التاويل قريب الى العمل بالعموم فانه يدخل فيه العقلاء من الجن والانس دون الصغار
والمجانين ويجوز ان يؤمر بشى ولا يريد تحصيل المامور به وصيرورة المامور مطيعا له بل يريد ان يصير عاصيا فيدخل النار
بخلاف ما اذا خلقه للعبادة واراد منه لا يجوز ان لا يوجد وحقيقة هذا يعرف فى كتاب التوحيد ام خلق الايمان و
العبادة من علم منه انه يعبد ويختار العبادة له فاما من علم منه اختيار الضلال والغواية وصرف العبادة الى غيره فانه خلقه
على ما علم منه انه يختار ويفعل لقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية وقال قايلون لم يرد بقوله تعالى ليعبدون
حقيقة العبادة التى فعل العبد على وجه الاختيار ولكن معناه ما خلقت الجن والانس الا وقد جعلت فى كل احد منهم دلالة
تدل انه وتبنى ودلالة صرف العبادة الى والقيام بالشكر لى فيما انعمت عليهم من انواع النعم ما لو تاملوا فيها ونظروا لدلهم على ما
ذكرنا من العلم بالوحدانية لى والقيام بالعبادة والشكر والله اعلم وعلى هذا التاويل يكون الاية عامة لا خصوص فيها لان
خلقة كل احد منهم على اى وصف كان دلالة ما ذكرنا والله الموفق ويحتمل ايضا وما خلقت الجن والانس الا على خلقة
تصلح للمحنة بالامر والنهى والوعد والوعيد والتحقيق فعل ذلك بما ركب فيهم العقل وجعل بنا اسلمهم لبنية قابلة لانها
تصلح للخدمة من الركوع والسجود والقيام والقعود ونحوها على خلاف غير هؤلاء من المخلوقات فانها خلقت على خلقة
تصلح للمنافع الممتحنين لا على وجه يصلح للمحنة والله اعلم ثم فى العبادة خصوصية معنى ليس ذلك فى الطاعة والخدمة
وغير ذلك من الافعال كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله حيث لم يجر العبادة لغيره واجاز الطاعة والخدمة
والتعظيم وغير ذلك من الافعال كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله حيث لم يجر العبادة لغيره واجاز الكل
والخدمة والتعظيم وغير ذلك من الافعال كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله دل ان فى العبادة معنى ليس ذلك المعنى
فى غيره لذلك وقت الخصوصية له ولذلك خص نفسه بتسمية الاله لم يجر التسمية به لغيره انه لا اله عندهم معبود
كل معبود عندهم يسمونه الها وذلك كما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل ذلك لغيره وجاز تسمية غيره رحيما لان فى اسم الرحمن
زيادة معنى ليس فى الرحيم وكما خص نفسه بتسمية الخالق ولم يجز هذا الاسم لغيره لما ان فى الخالق معنى ليس ذلك المعنى فى الفاعل
وغيره لكن ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون قال عامة اهل التاويل ما اريد منهم
ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموا احدا من خلقى انما على رزقهم واطعامهم كقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
ويحتمل ما اريد منهم ان يرزقوا من لا يقوم باسباب الرزق وان يطعموهم اذ ذلك على وانما اريد منهم العبادة او الامر بالعبادة
على الوجه التى ذكرنا لانهم لو نشؤا لا وكان الذين يجعل لهم المكاسب واسباب الرزق من الدواب بل من اشتغلت لاجلهم و
رزقا ومنعه والله اعلم ويحتمل ان يكون على الاضمار وعلى ما قال بعضهم اى قيل يا محمد ما اريد منكم فيما ادعوكم اليه من اجر و
ما اريد ان يطعمونى فيثقل عليكم الايمان ويحتمل ما اريد منهم من الرزق وما اريد ان يطعمون اخبار انه لم يخلقهم من
الرزق والاطعام منهم لما فى من دلالات تبرئه عن الحوائج ومن الرزق الطعام وانما خلقهم للامر والنهى والامتحان
يرجع منافع ذلك اليهم والله اعلم وقوله عز وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين هذا يخرج على وجهين احدهما ان
الاسباب والمكاسب التى بها يرزقون ويصلون الى الانتفاع بها هى فعل الله تعالى وله فيها صنع صار به بذلك رازقا لولا
ذلك لم يصلوا الى ذلك وان كان الخلق هم الذين يكتسبون ويعلمون تلك الاسباب والمكاسب فاضيف اليه الرزق لما انشأ
فعل تلك الاسباب والمكاسب منهم والله اعلم فيكون فى هذا دليل على ان لله تعالى صنعا فى افعال العبد وهو الخلق والانشأ
حيث سمى نفسه رازقا وهم يرزقون بتلك المكاسب والاسباب واكثرها وعامتها بافعالهم دل ان له فيها صنعا حق سمح
انشأ ذلك اليه وتسميته رازقا ولا يجوز هذا الاسم لغيره والله اعلم والثانى يحتمل انشأ فى الرزق اليه لانه يرزقهم
بما جعل فى تلك الاسباب والمكاسب من اللطف لا بانفس الاسباب لانهم يزرعون ويطرحون البذر فيها فيهلك ذلك
فيها وكذلك يسقون الارض ويهلك ذلك الماء فيها ثم ان الله تعالى يجعل بلطفه ورحمته فى ذلك من اللطف ما يصير ذلك
رزقا لهم بعد ذهاب عنه والقوة التى جعل فيه وكذلك ما جعل فى ذلك من الصلاح والنضيج والطبخ وما يرجع الى الاكل
لذات والكل والمضغ والابتلاع ونحو ذلك ليس فى ذلك الا امتلاء البطن وفى ذلك فساد يحتمل فيه من القوة ما ينتشر
الى البدن والاطراف قوة فيقوا بتلك القوة والبقاء لا بنفس الرزق وهو ما وصف الله عز وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة

المتين بتلك القوة يجيزون بها يتقوون ثم وقوله عز وجل المتين قيل المتين هو وصف وهذه لتلك القوة يجوز و
صف تلك القوة بالمتانة فاما الله سبحانه وتعالى لا يوصف بها ولا يوصف انه متين وهو كقوله تعالى عز وجل ذو العرش
المجيد وصف العرش بالمجد والعرش غيره فعلى ذلك القوة التى جعل فيها ما ذكرنا غيره يجوز ان يوصف بما ذكر من المتانة
وهى القوة التى لا يملكها الخلق ولا بد ان يكون ذلك اللطف التى جعل فى ذلك والله اعلم وقال بعضهم ذو القوة المتين
اى ذو البطش الشديد فيما اهلك امم الخالية والله اعلم وقوله عز وجل فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا
يستعجلون كانهم استعجلوا نزول العذاب فنزلت هذه الاية على اثر سوال العذاب كقوله تعالى سأل سائل بعذاب
واقع وقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء فقال عند ذلك وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اى لهم
نصيبا من ذلك العذاب مثل نصيبا وايلهم من العذاب فيكون على التمثيل كما يقال حذو النعل بالنعل وحذو القذة
بالقذة ويقال صاع بصاع وكيل بكيل اى يكال عليه مثل ما كيل بغيره ونحو ذلك ومن الامثال التى تضرب فعلى ذلك
ما ذكرنا من الذنوب والله اعلم وكذلك ذكر عن الاصم قال ذكر الذنوب وهو الدلو العظيم الذى كانوا يستسقون به
المياه وكان من عادة العرب انهم يجتمعون فيرسلون دلاءهم فى البئر فكان كل احد منهم ياخذ حظه ونصيبه من الماء
فيقول لاهل مكة لا يستعجلون فان لكم نصيبا من ذلك العذاب كما كان لاولئك كالدلاء التى يكون فى البئر فيأخذ كل
واحد منهم نصيبه وكذلك قال القتبى وابو عوسجة الذنوب الحظ والنصيب وعن ابن عباس رضى الله عنهما سجلا من
العذاب ذنوبا الماسح بعضهم بعضا والله اعلم فيقول يتبع العذاب لهؤلاء كما يتبع اولئك كالدلاء يتبع بعضها بعضا
والله اعلم وقوله عز وجل فلا تستعجلون اى قد يلحقون وقته فلا تستعجلون العذاب وهو الوقت الذى تسالون
الرجوع كما اخبر عز وجل رب ارجعون وقوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يوم القيمة و
الى لم يبق ذلك اليوم ما هو فيحتمل ما قالوا ويحتمل غيره والويل قد ذكرنا تاويله فيما تقدم فان قيل كيف خوف الله
جل وعلا هذه الامة بما انزل على الامم الخالية من الاستيصال والاهلاك وقد عفى هذه الامة عن هذا وامنهم منه قيل انما
خوفهم بما ذكر لان المعنى الذى استوجب اولئك الاستيصال والاهلاك وبه يحتمل ان يحقق ذلك فى هؤلاء وقد يحتمل
ان يكون فالتخويف صحيح لهؤلاء بهم وانما يكون مثل هذا التخويف فى اول الامر ثم ان الله بفضله ورحمته عفى عنهم
بفضل النبى صلى الله عليه وسلم ورحمته كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويحتمل ان يكون العفو لهم عن ذلك
بالتأخير عنهم الى وقت وهو وقت قبض ارواحهم وخروجهم من الدنيا وفى ذلك الوقت يعاقبون بانواع العذاب وينزل بهم
ما نزل باولئك لا انهم عفوا عن ذلك اصلا ويحتمل ان يكون ينزل بهم ذلك فى الاخرة وذلك كله فضل منه ورحمة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور فى رق منشور الاية ثم اختلف بالقسم بالطور وما ذكر قال قايلون القسم
ثم هو بمنشى هذه الاشياء التى ذكر لا بهذه الاشياء انفسها لان الله تعالى نهى الخلق بان يقسموا بغيره فكيف يقسم بغيره
وقال قايلون يجوز ان يقسم جل وعلا بما شاء وبمن شاء بالذى عظم قدره عندهم وقد ذكرنا ان الاقسام انما يكون
بالاشياء التى عظمت اقدارها ومحلها عند الخلق يقسم بها لرفع الشبه التى تمنع وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بالذى اشتبه
عليهم والتلبس لغيرهم ان ذلك كائن لا محالة واتم بالذى اشتبه عليهم والتبس وانه حق بما لو تفكروا فى ذلك الاشياء وانعموا
النظر فيها على غير قسم لوقع لهم بذلك وتحقق والله اعلم ثم ان الله سبحانه وتعالى اقسم باشياء سوى ذلك وليس للخلق ذلك
لانهم قسم الخالق يخرج مخرج الفزع اليه والتشفع ولا يحتمل الفزع الى من سواه والاستغاثة به فاما القسم من الله تعالى
حقيقة فهو على التذكير والتنبيه للخلق وتاكيد ما وعدهم من الجزاء فيجوز له القسم بكل ما يكون لهم التذكير والتنبيه و
التاكيد وان كان لغيره وسواه فما ذلك خطر ومحل عند الناس وعند الله تعالى والله اعلم ولان القسم المذكور فى القران
لاثبات صدق اخبار الرسل اليهم وان رسله وانهم اذا فعلوا كذا ينزل عليهم من العذاب وكذا لان اولئك الكفرة لم
يكن يرا الله تعالى فى خبره حتى يكون قسمه لاثبات صدق خبره وانما يتحقق صدق خبرهم بما اتوا من المعجزات والبراهين
لكن يتاكد بالقسم فيحصل ذلك بذكر ما له خطر ومحل عندهم فاما قسم الخالق لاثبات اصل الصدق فيجب ان يقسموا بذكر ما
هو النهاية فى العظمة والقدر فى القلوب وهو اسماء الله تعالى وصفاته والله اعلم ويحتمل ان يكون القسم هذه الاشياء من الرسل
عليهم الصلوة والسلام فان كان كذلك هو على الاضمار كانهم قالوا بمنشئ الطور وكتاب مسطور وما ذكر الى اخره اذ
القسم من البشر يكون بالله سبحانه وتعالى وصفاته والله اعلم ثم وقوله عز وجل والطور يحتمل ان يكون القسم واقعا بالجبال
كلها لما ان الله عز وجل انشأ الارض خلقا يميد باهلها وارسى فيها هذه الجبال ووتدها حتى استقرت وسكنت حتى قيل

يحتاجون الى الانتفاع بهذه الارض والقرار عليها وصارت مهادا لهم وفراشا لهم على ماذكر يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاؤا وان ارادوا وحيثما ارادوا فذلك لانه مهّد ان يعرفوا ان عليهم شكر ما انعم عليهم فاذا تركوا ذلك التزمهم عقوبة الكفران وجزاؤه واوعدهم ذلك فيؤكد ماذكر من انفسهم وقوع ماذكر من العذاب بهم حيث قال ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبل خاص وهو الجبل الذى كلمه الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وانزل عليه التوراة وهو طور سينا وذلك الجبل ما اعظم قدره عند بنى اسرائيل حتى عرفوا قدره وفضله فاقسم بذلك الجبل ان عذاب ربك لواقع ويحتمل ان يكون المراد بالطور وهو جبال خاص وهى الجبال التى اوحى عليها الى رسله عليهم الصلاة والسلام على ما روى فى الخبر اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام والى عيسى عليه السلام فى جبل ساعور والى محمد عليه الصلاة والسلام فى جبل فاران فاقسم بها ان ما وعد من العذاب واقع بهم والله اعلم وفى الاية دلالة اثبات الرسالة فانه اخبر عليه الصلاة والسلام عن امكنة الوحى وفضل تلك الجبال ومعرفة ذلك انما هو من الكتب المتقدمة وهم قد علموا العلم بانه لم يكن اختلف الى احد ممن له معرفة بذلك الكتب حتى يتعلم منه فدل انه بالله عزوجل عرف امكنة الوحى وفضل تلك الجبال والله اعلم وقوله عزوجل وكتاب مسطور الاية يحتمل القسم بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ بها يوصل الى معرفة ايات الرسل عليهم السلام والى معرفة ما يؤتى ويتقى والى اخبار السماء ومعرفة الاحكام والحدود وغير ذلك مما احكام من وجوه الحكمة اقسم بها ان العذاب واقع بهم والله اعلم ويحتمل ان القسم يرجع الى عدد من الكتب التورية والانجيل والزبور والفرقان التى عرف اهل الايمان بها حقيتها ونزولها من السماء ويحتمل انه راجع الى خاص من الكتب وهو القران بما اعظم قدره عندهم لما يعجز البشر عن اتيان مثله على ما ذكرنا فى الطور والله اعلم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل انها الكتب التى يكتب فيها اعمال بنى ادم ولم يذكر وجه القسم بها وليس نعرف له وجها وقوله عزوجل فى رق منشور اى غير مطوى وقال ابو عبيدة الرق الورق وقال ابو عوسجة الرق الكتاب وقوله عزوجل والبيت المعمور ويحتمل البيوت كلها جملة وهى البيوت التى جعل الله تعالى للخلق يسكنون فيها ويبيتون فيها من الحر والبرد وما يؤذيهم فيها وهو ما قال الله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ما عرف كل منا نعمها وعظم نعم الله تعالى عليهم فى ذلك ليستاديا بذلك شكرا فاقسم بما ذكر انه لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة والله اعلم ويحتمل ان القسم بالبيت المعمور هو الكعبة وهو المعمور قد عظم الله تعالى شانه وامره فى قلوب الناس كافة فى قلوب الكفار والمؤمنين جميعا حتى كان قريش وسائر العرب يحجونه ويزورونه ويعظمونه فاقسم به على ما ذكر والله اعلم وقال ابو عبيدة البيت المعمور الكثير الاهل واهل التاويل يقولون البيت المعمور هو فى السماء يزوره اهل السماء ويطوفونه لكن القسم به بعيد لما لم يسبق لهم المعرفة والمشاهدة به فكيف اقسم بشئ لم يعرفوه ولا وقع لهم العلم بالمشاهدة الا ان يقال ان القسم به لاهل الكتاب وذلك فى كتبهم يعرفونه فاما من لم يسبق له الخبر بذلك مشاهدة فبعيد والله اعلم وقوله عزوجل والسقف المرفوع هو السماء التى رفعها بلا عمد يرونه من اسفل ولا تعليق من الاعلى على بعدها من الارض وسعتها وعرضها وشدتها وليعلموا ان من فعل هذا لا يفعله لغير شئ بل يمتحن ويامر وينهى وليستاديا شكر نعمه على القيام بامره ونهيه وكفر نعمه وانتهك محارمه استوجب ماذكر والله اعلم وليعلم ان من قدر على ما ذكرنا قادر على كل شئ لا يعجزه شئ يذكر سلطانه وقدرته وعظمته والله اعلم وقوله عزوجل والبحر المسجور قال اهل الادب هو البحر المملوء الحار لانه جل وعلا منذ انشاه جارا ممتلئا عميقا لم يتغير فى وقت من الاوقات ولا فى حال من الاحوال بل كان على حالة جاريا مالحا ممتلئا عميقا عريضا ليس كسائر الانهار التى ربما يتغير عن جهتها من قلة الماء وسكونه وغورها فى الارض وامتلائها من الطين وحاجتها الى الحفر وغير ذلك من التغير التى يكون بها فاما البحر على حاله واحدة فى الاحوال كلها فاقسم به ان عذاب ربك لواقع والله اعلم وقوله عزوجل يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا بين الوقت الذى ينزل بهم العذاب الموعود حين قال ان عذاب ربك لواقع ذلك وقت تعذيب هذه الامة يوم القيامة وهو ما قال عزوجل والساعة ادهى وامر والله اعلم وفيه وصف ذلك اليوم بالاهوال والشدة لانه تعالى ذكر ان السماء تمور مورا اى تستدير استدارة وتتحرك تحركا وذكر سير الجبال وما ذكر هذه الاشياء من اشد الخلائق واصلبها فهول ذلك اليوم وشدته عمل فيها ما ذكر من التحرك والسير والتحرك وغير ذلك وفيه ان هذا العالم كله انشاه بحيث يفنيه وينشى عالما اخر لانه ذكر فيه التغير من حال الى حال لانه ذكر مرة سيرها وتحركها حيث قال ويوم نسير الجبال وذكر السماء تحركها ومورها وذكر للارض انشقاقها حيث قال وتنشق الارض وقال فى اية اخرى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال سينسفها ربى نسفا وقال ههنا وتسير الجبال سيرا وكذلك قال فى السماء والارض لاختلاف الاحوال فقال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب فدل اثبات التغير فى هذه الاشياء على هلاكها كما دل انواع الامراض والتغير من حال الى حال فى اهلها على هلاكها والله اعلم وقوله عزوجل فويل يومئذ للمكذبين الاية اى المكذبين لرسله عليهم السلام

ويحتمل التوحيد او الحجة او البعث وقوله عزوجل الذين هم فى خوض يلعبون نعتهم ووصفهم حيث قال الذين هم فى خوض يلعبون والخوض هو الخوض فى الشئ الا ان الخوض المطلق ذكروا واستعملوا فى الباطل خاصة وقوله عزوجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون فى النار على وجوههم وقال ابو عبيدة يدفعون دفعا فى القفا خاصة وقوله عزوجل هذه النار التى كنتم بها تكذبون هو على الاضمار كانه يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا والله اعلم وقوله عزوجل افسحر هذا ام انتم لا تبصرون يقال لهم فى الاخرة لما القوا فى النار افسحر هذا مقابل ما قالوا هم للحجج والبراهين فى الدنيا انها سحر وقوله عزوجل ام انتم لا تبصرون هذا يخرج على وجهين احدهما يقال لهم لما ادخلوا النار لعلكم انتم فيه ليس بعذاب وانها ليست بنار وانتم لا تبصرون لذلك كما اخبر عنهم فى الدنيا انهم يقولون للحجج حيث قال ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الاية فقال مقابل ذلك افسحر هذا ام انتم لا تبصرون ومثله لعلكم لا تبصرون والثانى يقول افسحر هذا ام انتم لا تبصرون فى الدنيا ان هذا يتول بكم فى الاخرة والله اعلم وقوله عزوجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم هذا كما قال ابليس سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فعلى ذلك قوله عزوجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اى سواء عليكم اصبرتم او جزعتم فلا ينفعكم ذلك وقوله عزوجل انما تجزون ما كنتم تعملون اى ذلك استوجبتم باعمالكم لا ان اوجبت عليكم شيئا لم تستوجبوه وقوله عزوجل ان المتقين فى جنات ونعيم لانه يحتمل فى جنات وفى نعيم ويحتمل فى جنات فيها نعيم فيكون الواو بمعنى مع اى فى جنات مع نعيم وقوله عزوجل فاكهين بما اتاهم ربهم قال بعضهم اى ناعمين متنعمين وقال بعضهم وهو واحد المعجب به والناعم سواء لانه اذا كان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا وقال بعضهم فاكهين ناعمين وفكهين معجبين بذلك وهو قول القتبى ثم ذكر ههنا فاكهين بما اتاهم ربهم وذكر فى سورة والذاريات اخذين ما اتاهم ربهم اى اخذين بما اتاهم ربهم بالشكر منه والحمد والله وقوله عزوجل ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا يخرج على وجهين احدهما وقاهم اى عصمهم فى الدنيا عن الاعمال التى يوبقهم ويهلكهم لو اتوا بها لما عصمهم عن ذلك وقاهم عن عذاب الجحيم والله اعلم والثانى وقاهم اى عفا عنهم فى الاخرة وصفح عما عملوا من الاعمال الموبقات فى الدنيا ما لو لا عفوه اياهم لكانت يوبقهم ويستوجبون ذلك والله اعلم وقوله عزوجل كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون كانه على الاضمار اى يقال لهم لما ادخلوا الجنة ونزلوا منازلهم كلوا واشربوا وقوله عزوجل هنيئا اى ليس عليهم فى ذلك خوف التبعة ولا خوف حدوث مكروه فى انفسهم ولا اذى لان ذلك ينغص عليهم ذلك ليس كما يوكل فى الدنيا فيه خوف التبعة وخوف السقم وخوف حدوث المكروه والافات فى انفسهم والضرر فاخبر ان لا يكون مثله فى الجنة ذلك الذى ينغص عليهم نعمها والله اعلم وقوله عزوجل متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ذكر لهم فى الجنة جميع ما يرغب اليه انفسهم فى الدنيا ويتمنون بها ويكونون لها تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون وقوله عزوجل كواعب اترابا وكاسا دهاقا وقوله عزوجل فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة واشباه ذلك مما يكثر عدده مما يتحدث به انفسهم فى الدنيا ورغبتهم فيه ليرغبوا فى طلبها وليتركوا ما فى الدنيا من ذلك ليحصل لهم ذلك فى الاخرة وهذه الاحوال التى ذكروا مما تكون لهم فى الاخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة فى المجالس وغير ذلك من الاشيا التى ذكرها فى الكتاب ثم وقوله عزوجل وزوجناهم بحور عين كما قال تزوجت بفلانة وتعلقت بفلانة فعلى ذلك هذا وقوله عزوجل والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم قيل فيه بوجوه احدها ما قال ابو بكر الكيسانى اى يلحق الاولاد بايمانهم واعمالهم درجات الاباء والامهات ولن نقصت اعمال الاولاد عن اعمال الاباء والامهات لان الدرجات انما تكون بالاعمال فهم وان لم يبلغوا فى الاعمال مبلغ ابائهم يلحقون بهم والله اعلم وقال بعضهم ان الذرية التى تبعوا الايمان من ابائهم وامهاتهم واخذوه منهم ولم يحتجوا من حجة وبرهان حتى يكون اخذهم وقبولهم عن البحث عن الحجة والبرهان فهم وان كانوا مقلدين اباءهم فى الايمان متلقنين منهم فانهم يلحقون باباءهم وان كان نور الايمان عن الحجة افضل من الايمان بالتقليد والالتقان وقال بعضهم ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان فانهم يلحقون بايمان ابائهم وامهاتهم فى ايمانهم وان لم يكن منهم الايمان ولم ياتوا به والله اعلم وقوله عزوجل وما التناهم من عملهم من شئ على تاويل ابى بكر اى وما انقصنا من اعمال الذرية من شئ اى ما نقصنا من اعمال ابائهم فى الثواب وان قصرت اعمالهم عن اعمالهم بل يبلغون درجات ابائهم ويوجرون كما يوجر ابائهم وتاويله بعد هذه التاويلات التى ذكرنا وعلى تاويل غيره اى ما انقصنا من الاعمال ابائهم شيئا اى انهم وان بلغوا مبلغ الاباء فان الاباء لا ينتقصون من اعمالهم شيئا ذكر هذا حتى لا يظن انه ينتقص من ثواب ابائهم ويعطى ذلك لهم والله اعلم وقوله عزوجل كل امرئ بما كسب رهين قال بعضهم هذه صلة قوله عزوجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون كل نفس بما كسبت رهينة وهو قول من يقول بان الرهن لصاحبه له ان يجلسه وان يركبه وان ينتفع به ثم يرد الى المرتهن ولو كان له هذا لكان لا يكون رهنا اذا اخبر انه رهين اى محبوس فالرهن هو الذى يحبس فى كل وقت والله اعلم وقوله عزوجل وامددناهم بفاكهة

والبا. في الفاكهة زايد كما ذكرنا في قوله تعالى يمددكم باموال وبنين ثم يحتمل ان يكون قوله وامددناهم اخبارا عن دوامها وكثرتها اي لا ينقطع ولا يقل وليست فواكه الدنيا انها لا توجد في كل وقت **وقوله** عز وجل ولحم طير مما يشتهون اخبر انهم ياكلون جميع ما يشتهون ويجدون ما يتمنون ليس كالدنيا وبما يشتهي شيئا لا يجده ويجد ما لا يشتهيه وهو كقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم **وقوله** عز وجل يتنازعون فيها كاسا اي يتعاطون فيها كاسا وياخذ بعضهم من بعض كما يكون في الدنيا لا يكون لكل احد كاس على حدة وهو كما روي في الخبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل مع بعض ازواجه دربما يتناولهما ذع ايديهما و قال ابو بكر الكيساني الكاس هو الخمر وقال غيره هو الاناء المملوء من الخمر واما الذي لا شراب فيها فهو الاناء **وقوله** عز وجل لا لغو فيها ولا تاثيم قرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالرفع والتنوين قال ابو عبيدة انه خبر بانه ليس فيها لغو ولا تاثيم كما قال لا فيها ولا هم عنها ينزفون وقرئ بالنصب فيهما على التنزيه وهو وجه غير مرفوع وتاويل الاية اي لا يكون منهم من اللغو وما يأثم من الفعل كما يكون ينال في شرب الدنيا من اللغو وقول الاثم وقيل لا لغو فيها ولا تاثيم لانها احلت لهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون يرغبهم بما يرغب اليهم انفسهم في الدنيا من الخدم والفواكه والبسط ليطلبوها والله اعلم **وقوله** عز وجل واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابو بكر الكيساني يتساءلون عن المعاصي التي كانت عنهم في الدنيا واستدل بقوله على اثر هذه الاية انا كنا قبل في اهلنا مشفقين يحتمل قوله في اهلنا مشفقين وجهين احدهما انا كنا قبل واهلنا مشفقين كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا والثاني اي انا كنا قبل على انفسنا واهلنا مشفقين اي خائفين على ما كان منا من الجنايات والمعاصي **وقوله** عز وجل انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم اي والله اعلم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين على انفسنا الجنايات ورا... راجين برحمته بقوله تعالى انا كنا قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وصف الله تعالى في غير اي من القران بالاشفاق والخشية والطمع والرجاء كقوله تعالى يرغبون ربهم خوفا و قوله يدعوننا رغبا ورهبا ونحو ذلك ثم **وقوله** انه هو البر الرحيم انه هو البر بنصب الالف وخفضه فمن كسره حمله على الابتداء اي ربنا كذلك على كل حال ومن نصب اراد يدعوه تانيا ولانه هو البر الرحيم اي يدعوه لاجل انه كذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم دل قوله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ان الله ان يعذبهم بعذاب السموم لكن بمنه وفضله وتمام ولو كان عليه ذلك كما قالت المعتزلة لم يكن بذكر المنة معنى **وقوله** عز وجل فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اي بما انعم عليك من النبوة و القران لست بكاهن ولا مجنون ثم هذا يخرج على وجهين احدهما اي انك لم تقابل نعمة ربك بعيب وعصمت مما ذكر وامن الجنون والسحر وغير ذلك والله اعلم والثاني هذه الاعلى انهم قالوا له انه كاهن ومجنون وكذا كانت عادة اولئك انهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها الى السحر والاباطيل المتقدمة الى الكهانة وخلاف الرسل عليهم الصلاة والسلام لعادتهم ونسبتهم الى الجنون والكلام المستملح والسالف الى الشعر تلبيسا الامر على اتباعهم هذه كانت عادتهم مع العلم منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لما لم يختلف الى احد من الكهنة ولا السحرة ولا كان القران على نظم الشعر وعجزوا عن اتيان مثله وهم عن الشعر غير عاجزين ثم لما عجزوا عن مقابلة ما اتاهم من الحجج قالوا نتربص به ريب المنون عن قريب يرجعون الى ديننا والى ما نحن فيه وكانوا يقولون الضعفاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يموت ويصير الامر لنا فترجعون الينا فقال تعالى قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اي تربصوا ذلك فاني متربص ذلكم فكانوا جميعا اذ عامتهم افني الذين قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شاعر نتربص به ريب المنون اهلكوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل بهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال القتبي ريب المنون حوادث الدهر واوجاعه ومصايبه والمنون الدهر وقال ابو عوسجة ريب المنون اي المنية وريبها ما ياتي به **وقوله** عز وجل ام تامرهم احلامهم بهذا قد ذكرنا في غير موضع ان حرف ام في الموضع الذي ذكر ثم عقول يامرهم بذلك اي من يامرهم بهذا فليس بعاقل والثاني على تسفيه احلامهم اي عقل يامر بعبادة الاصنام وينهى عن عبادة الله تعالى اي لا عقل يامرهم **وقوله** عز وجل بل هم قوم طاغون اي طاغون في ذلك والطغيان هو المجاوزة عن الحد في العداوة **وقوله** عز وجل ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون اي لا يعلمون انك لست بمتقول ولكن ينسبونك الى التقول بتكذيبهم بايات الله تعالى وهو ما ذكر في اية اخرى فانهم لا يكذبونك بالتخفيف والتشديد ولكن الظالمين بايات الله يجحدون يقول انهم لا يقولون انك كاذب فيما تقول ولا ينسبونك الى الكذب ولكن انما يكذبون الايات ويعتقدون كذبها فعلى ذلك تقوله على علم منهم انك لم تتقول ولكن اعتقدوا تكذيب الايات والجحود لها فيقولون انك تتقول **وقوله** عز وجل فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين بان محمدا تقول على الله فلياتوا بمثل ما اتى به محمد ثم قوله عز وجل فلياتوا بحديث مثله وان خرج مخرج الامر في الظاهر فهو في الحقيقة ليس بامر لانه لا يحتمل ان يامرهم ان ياتوا بالكذب والا فترا ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على الاعجاز عن ان ياتوا بمثله والثاني على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الافترا والتقول والله اعلم **وقوله** عز وجل ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون قال عامة اهل التاويل اي ام

خلقوا من غير اب ولكن ليس فيما ذكروا كثير فايدة لو خلقوا من غير اب لا ان يريدوا بذلك حتى لم يعرفوا من خلقهم ومن خلقوا بل كانوا الهم اباهم عودهم واعلموهم بان لهم خالقا وانهم مخلوقون ولبسوا بخالقين وكادهم يحتج فكيف يتكلمون بما هو سفه وكيف يعرفون عليه وعندنا يخرج على وجهين احدهما ام خلقوا من غير شيء اي يعلمون انهم لم يخلقوا من غير شيء اذ خلقوا من تراب والغير معنى وسكن لكان خلقهم عبثا باطلا وهم يعلمون انهم لم يخلقوا عبثا باطلا والثاني يقال لا يخلوا اما ان يكونوا خلقوا من غير شيء او خلقوا من تراب وماء فكيف ما كان فدل ان قدرته ذاتية لا مستفادة فلا يخلوا ان يعجزه شيء **وقوله** عز وجل ام هم الخالقون اي ليسوا هم بخالقين **وقوله** عز وجل ام خلقوا السموات والارض اي يعلمون انهم لم يخلقوا **وقوله** عز وجل بل لا يوقنون يخرج على وجهين احدهما ان ما يقولون انما يقولون على الظن لا على اليقين والثاني بل لا يوقنون اي لا يصدقون وذلك في فرع علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون فان كان التاويل هذا ففيه دلالة اثبات الرسالة حيث اخبر عن الغيب وان كانت التاويل هو الاول ففيه ان جميع ما يقولون انما يقولون على الظن والجهل لا على اليقين والله اعلم **وقوله** عز وجل ام عندهم خزاين ربك الاية اي عندهم خزاين ربك على ما ذكرنا في قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض احتمل يخلقوا فعلى ذلك هذا ليس عندهم ربك ولا هم المسيطرون ثم الاية يحتمل وجوها ايضا يحتمل ام عندهم خزاين ربك اي الذي منعهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النعمة التي عندهم ليست ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون لذلك احق بالرسالة اي ليسوا باحق ويحتمل قوله تعالى ام عندهم خزاين ربك اي علم الغيب اطلعوا على ذلك فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تقول على الله تعالى اي ليس لهم علم الغيب ويحتمل ام عندهم خزاين ربك اي علم الغيب ليس ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو عند رسوله ما يختبره لو بجل وما ليس عندهم شيء من ذلك **وقوله** عز وجل ام هم المسيطرون اي ليس هم المسلطون على ادراك فهم ولا ارزاق غيرهم وقال بعضهم المسيطرون الارباب تعالى يقال سيطر فلان اي صار ربا وهو قول القتبي وقال الزجاج السيطر المسلط يقال سيطر اي تسلط وقال ابو بكر المسيطر الغالب القاهر لكن الغلبة والقهر بالحجة عليهم وهذا يخرج على المقابلة برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر ويحتمل على غير المقابلة والله اعلم **وقوله** عز وجل ام لهم سلم يستمعون فيه هذا يخرج على وجهين احدهما ام لهم سبب وفوق فيصعدون السماء فيستمعون من اخبارها فعلموا بذلك ان محمدا عليه السلام تقول على الله تعالى والثاني ام لهم سلم اي لهم حجة وبرهان يستمعون فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكروا فان قالوا نعم لنا ذلك يقال لهم عند ذلك فلياتِ مستمعهم بسلطان مبين او بحجة بينه اي ليس لهم ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ام له البنات ولكم البنون الاية هذا ليس من نوع ما سبق ذكره لان ما تقدم من الايات بينهم وبين رسول الله عليه السلام على المقابلة وهذا راجع الى الله تعالى في الظاهر على ما سبق منهم القول ان الملايكة بنات الله وهو ما قال واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يذكر سفههم في نسبتهم البنات الى الله عز وجل وهم يانفون من نسبتهن اليهم فيشتكي بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم اي انهم يقولون فيما قالوا فاصبر على ما يقولون فيك والله اعلم ويحتمل ان خرج على ما ذكرنا من المقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه ام لرسول الله البنات ولكم البنون فتتركون اتباعه لذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لست تسالهم اجرا على اتباعك فيمنعهم ذلك عن اتباعك بذكر ان ليس لهم اسباب المنع وعندهم اسباب المنع وانما امتنعوا عن الاتباع تعنتا وكابرة **وقوله** عز وجل ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي عندهم علم الغيب فيعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوله بل ليس عندهم **وقوله** عز وجل ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون اي اليهم يرجع ذلك الكيد والذين ارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يحتمل ذلك الكيد الذي اخبر عز وجل انه عليهم في الدنيا على ما قاله اهل التاويل انهم قتلوا يوم بدر ويحتمل ذلك في الاخرة **وقوله** عز وجل ام لهم اله غير الله ام لهم اله بالذي يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب الله تعالى اي ليس لهم ذلك ويحتمل ام لهم اله غير الله يامرهم بالذي يدعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقول على الله تعالى او يطلعهم على ذلك ويدفع عنهم ما ينزل من السماء من العذاب وهو ما قال ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ثم نزه نفسه عما اشركوا به من الاوثان في تسمية الالوهية واستحقاق العبادة فقال سبحان الله عما يشركون **وقوله** عز وجل وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم يخبر عن عناد اولئك الرؤساء ومكابرتهم وانما قالوا ما قالوا على التعنت لا على الاسترشاد وان هذه الايات من قوله ام تامرهم احلامهم بهذا الى قوله عز وجل ام لهم اله غير الله كلها محاجة مع اولئك الرؤساء المعاندين يبين ذلك قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم يقول انهم وان يروا ما يوعدون من عذاب ينزل بهم يقولوا لتعنتهم ومكابرتهم انه سحاب ليس بعذاب وهو كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا يخبر عن عنادهم وكقوله عز وجل او لم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء لا يؤمنون ويقولون ما ذكر انه سحاب مركوم

نفسنا ومكايدهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يعرض عنهم وان لا يشتغل بهم لما علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وهو ما قال
عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يؤيس رسوله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ويامره
بالصبر على اذاهم وترك المكافات لهم ويخبر انهم لا يؤمنون الا في اليوم الذي فيه يصعقون اي يموتون ثم قرئ قوله يصعقون
بفتح الياء وضمه لمن قال بالنصب احتج بقوله فصعق من في السموات ومن في الارض ولم يقل فصعق ثم يحتمل الصعقة التي
ذكرنا اي يموتون ويحتمل اي ينزل بهم الشدايد والاوجاع ولكن لا ينفعهم الا في ذلك الوقت لان ايمان دفع العذاب
عن انفسهم وقوله عز وجل يوم لا يغني عنهم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم عما ينزل بهم يومئذ جزاء على كيدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عما ينزل بهم يومئذ جزاء على كيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان لا يغنيهم من عذاب الله تعالى
الاصنام التي عبدوها رجاء ان يشفع لهم ويقربهم الى الله زلفى كما اخبر عز وجل والله الموفق وقوله عز وجل وان للذين
ظلموا عذابا دون ذلك قال اهل التاويل اي المشركين اهل مكة عذابا دون عذاب النار وهو القتل بالسيف يوم بدر ويحتمل
ان يكون قوله وان للذين ظلموا اي لكفرة عذاب في الدنيا دون الذي ذكر في يوم القيمة حيث قال حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
يصعقون ثم قال لهم عذاب دون الله ذلك وهم ما داموا كفارا فهم في عذاب يكونون في خوف وقتال وقوى فذلك كله عذاب
والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم او لا يعلمون حقيقة لما لم ينظروا في اسباب العلم
ولم يتفكروا فيها حتى ينفعهم ويزجرهم عن صنيعهم وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك ولهذا الحرف ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد كلف امرا شديدا شاقا عليه قال له فاصبر اذ الامر بالصبر لا يكون الا بامر شاق شديد ولذلك قال له فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل امره بالصبر على ما كلفه كما صبر اخوانه على ما لحقهم من الامور الشاقة وما قال واصبر وما صبرك الا
بالله اخبر انه لو صبر انما يصبر بتوفيق الله تعالى اياه او فيه انه اذا صبر يكون صبره لله تعالى حتى عليه احتمال ذلك والله اعلم
ثم وقوله عز وجل لحكم ربك يحتمل وجوها احدها ما امر من تبليغ الرسالة الى الفراعنة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم
فذلك امر شديد فامره بالصبر على ذلك والتبليغ الى اولئك والثاني امره بالصبر على اذاهم واستهزائهم به وترك المكا
فاة لهم ويحتمل ان يكون الامر بالصبر على الامور التي كانت عليه في خاص نفسه من احتمال عنت التكذيب وحزنه على تركهم التوحيد و
الايمان وانما ذلك كله حكم الله تعالى وقوله عز وجل فانك باعيننا اي بمنظر وعلم منا فان الامر بالصبر على القيام بتبليغ
الرسالة الى من ذكر مما فيخرج قوله فانك باعيننا مخرج وعد النصر والمعونة كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وان كان
الامر بالصبر على ترك المكافاة لهم او على القيام بالامور التي فيما بينه وبين ربه تعالى فيصير كانه قال على علم منا مما تكون منهم
من التكذيب والاستهزاء والاذى كلفناك لا عن جهل منا بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك اي نزهه عن
معاني الخلق وعما لا يليق واذكر الثناء عليه بما هو اهله وقوله عز وجل حين تقوم يحتمل حين تقوم من مجلسك او من منامك
او حين تقوم للتعيش والانتشار فان كان المراد حين تقوم من مجلسك فيكون التسبيح ما ذكر في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك ولم يذكر الاثم وان كان المراد حين تقوم من منامك
فجايز ان يكون المراد منه الصلاة وان حين تقوم الانتشار والتعيش فيصير كانه امر بالتسبيح بالنهار في وقت الانتشار وعلى
هذا قوله ومن الليل اي سبح بالليل في وقت الراحة فيصير كانه قال وسبح بحمد ربك في الاوقات كلها بالليل والنهار في
وقت الراحة وفي وقت الانتشار وروي الضحاك عن عمر رضي الله عنه انه قال فسبح بحمد ربك حين تقوم في الصلاة
المفروضة قبل ان تكبر سبحانك اللهم وبحمدك الى اخره وروي الضحاك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلاة
قبل ذلك قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم وبمعناه ابو سعيد وعايشه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا افتتح الصلاة قال ذلك عن مجاهد انه قال حين تقوم من كل مجلس والله اعلم وقوله عز وجل فسبحه وادبار
النجوم قال اهل التاويل هو ركعتا الفجر وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما مرفوعا انه اراد بادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب فان ثبت هو
التاويل فان كان على هذا فهذا يدل على تاخير صلاة الفجر لان ادبار النجوم انما يكون ذهابها وانقضاءها
وذلك لا يكون باول وقت طلوع الفجر وانما يكون وقت الاسفار فيكون حجة لنا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والنجم اذا هوى قيل المراد هو النجوم انفسها اقسم بها على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى
على ما قاله الكفرة ثم بعض الاصم وقيل اراد بنفسه والنجم نزول القران نجما فنجما على التفاريق اقسم بالقران انه لم يضل

ولم يغوا وقال مجاهد هذا قسم بالثريا اذا غاب والعرب تسمي الثريا نجما وهي ستة انجم ظاهرة نجما وقال ابو عبيد بالنجم اذا سقط
في الغور فكانه لم يخص الثريا دون غيرها فان كان التاويل هو الاول فهو لما جعل الله تعالى النجوم محالا في قلوب الخلق
واعلاما يستخرجون بها جميع ما ينزل بالخلق وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الانزال والسعة والضيق وما ينزل بهم
من المصايب والشدايد وما يكون من انقلاب الامور وما جعل فيها من المنافع من معرفة القبلة وطرق الامكنة النائية ومعرفة
الاوقات وغيرها ما يكثر عدها فاقسم بنفسها او بالذي انشا النجوم وما جعل فيها من المنافع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل
وما غوى وان كان النجم هو النجوم التي انزل القران فيها نجوما على التفاريق وقوله عز وجل اذا هوى اي سقطت كقوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم اي بمساقطها والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اي سقطت كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم والا
اي يكون قوله اذا هوى اي اذا صارت سيرا دايما في سيرها لانها ابدا يكون في السير وفي سيرها منافع الخلق من الاهتداء للطرق
وغيرها واما الليث فمساقط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ما ضل صاحبكم وما
غوى يخرج على وجهين احدهما اي ما ضل عما نزل به القران وعما امر به لانهم كانوا يدعون عليه الضلال اي خالف دينهم ودين
ابائهم فقال ما ضل هو عما امر به وما غوى والثاني ما ضل صاحبكم وما غوى اذ ليس بساحر ولا شاعر لانهم كانوا يقولون انه
شاعر وانه ساحر فقال ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال والشعراء يتبعهم الغاوون بل رشد واهتدى
وهو ما قال تعالى وما ينطق عن الهوى اي ما ينطق عما يهوى به نفسه بل انما ينطق عن الوحي بقوله ان هو الا وحي يوحى
علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى والاجابات ان يعرف قوله تعالى علمه شديد القوى الى الله تعالى انه تعالى قد اضاف تعليم
الى نفسه بقوله عز وجل الرحمن علم القران لكن اراد بقوله ذو مرة فاستوى اي المراد غيره اذ هو لا يوصف بانه ذو مرة فاستوى
وهو جبريل عليه الصلاة والسلام على ما قال اهل التاويل ثم اضاف التعليم مرة الى جبريل عليه السلام ومرة الى نفسه ثم
فالاضافة الى جبريل صلوات الله عليه لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف والاضافة الى الله تعالى يخرج على وجهين احدهما
اضاف الى نفسه لما انه هو الباعث لجبريل اليه والامر له بالتعليم والخالق لفعل التعليم من جبريل عليه الصلاة والسلام و
الثاني لما يكون الله سبحانه وتعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم ولهذا يختلفوا المتعلمون في حصول العلم
مع التساوي في التعليم لاختلاف فهمهم في اثار اللطف والله الموفق وقوله عز وجل ذو مرة فاستوى الاية قال اهل التاويل ذو
قوة اي ذو احكام واصله من قوى الحبل وهي طاقته والواحدة قوة واصل المرة وقوله عز وجل فاستوى يحتمل استوى
اي محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي اليه وقيل استوى اي جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته لما ذكر انه صلى الله عليه وسلم سال
به عز وجل ان يريه جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فاستوى جبريل على صورته فراه كذلك وقوله عز وجل وهو با
لافق اي جبريل بالافق الاعلى ثم يحتمل الافق الاعلى اي فوق السماء ويحتمل ان يكون الافق الاعلى مكان الملائكة ومسكنهم
فاخبر انه عليه الصلاة والسلام على صورته ومكانه وجايز ان يكون الافق ما ذكر في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اراد ان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فساله ان يريه فقال ان الارض لا يسعني ولكن انظر الى الافق
الاعلى فنظر فراه وفي بعض الاخبار انه قال لا تقدر ان تراني في صورتي ولكن انظر الى الافق الاعلى ثم جايز ان يكون ما ذكر من
النظر الى الافق الاعلى كان لا يحتمل النظر اليه من قرب ويحتمل ذلك من البعد وذلك معروف فيما بين الخلق ان الشيء انما
كان له شعاع او نور وبياض شديد ان البصر لا يحتمل النظر اليه من القرب فاول ما راه ثم يحتمل انما كان يبعد منه
وعلى هذا وقوله عز وجل ثم دنى فتدلى يحتمل ودنى منه جبريل عليه الصلاة والسلام شيئا بعد شيء وقرب منه كذلك
ليحتمله اذ جبل الانسان على يحتمل الاشياء اذا انتهى اليه على التفاريق ما لا يحتمله بدفعة واحدة في وقت واحد لما جبلت
الانفس كالحر يابي الخلق بعد شدة البرد شيئا فشيئا حتى يشتد ما لا يابى بدفعة واحدة اذا كان قريبا منه ويحتمل البعد ثم
يقرب ويبعد قليلا حتى يحتمل من القرب والله اعلم ثم من الناس من يقول ان قوله تعالى ثم دنى فتدلى على التقديم والتاخير
اي تدلى فدنا لانه يكون التدلي ولا ثم الدنو منه ومنهم من قال بل هو على ما قال وهما سواء اعني التدلي والدنو بمعنى
القرب والدنو والله اعلم وقوله عز وجل فكان قاب قوسين او ادنى اختلف فيه قال بعضهم القاب هو صدر القوس اي
فكان صدر القوس من الوتر مرتين وقال بعضهم اي قدر قوسين حقيقة وقال القتبي قاب قدر قوسين حرس د
قال ابو عبيدة القاب قدر الطول وقيل القوس الذراع ها هنا اي كان قدر ما بينهما ذراعين قال والاول اعجب الى
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاب قوسين احدكم اي موضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط فنقول
اي الوجوه كان ففيه دليل انه لم يكن جبريل عليه الصلاة والسلام يبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يحيط
لان الشيء اذا بعد عن البصر لم يعرف بالاجتهاد ولا يدرك حقيقة وكذلك اذا قرب منه حتى ماسه والتصق به فهم البصر
عن دركه واذا كان بين البعد والقرب احاط به وادركه فيخبر الله تعالى انه احاط به علما وادركه حقيقة لا ان كان معرفته

اياه بطريق الاجتهاد والله اعلم وقوله عز وجل او ادنى قال اهل التاويل بل هو حرف شك وذلك غير محتمل من الله تعالى
ويكون معناه على الايجاب اي بل ادنى وقال بعضهم او ادنى في اجتهادكم وحكمكم لو نظرتم اليهما لقلتم انهما بالقرب والدنو قدر
قوسين او ادنى وقوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى هذا يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير اي فاوحى
جبريل ما اوحى اليه الى محمد عبده ورسوله عليهما الصلاة والسلام والثاني فاوحى الله جل وعلا الى عبده جبريل ما اوحى
هو الى محمد عليهما الصلاة والسلام وقوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما راى قرئ كذب مخففة الذال ومشددة فمن قرأ بالتخفيف
اي ما كذب عبده فيما راى اي ما راى حق وقال ابو عبيد ما كذب في رؤيته اي رؤيته قد صدقت ومن قرأ بالتشديد اي
لم يجعل الفؤاد رؤيته العين كذبا وعندنا اي ما راى الفؤاد وما راى البصر ولعله ان الفؤاد مما يوعى به يقول قد وعى ما
راى لم يتركه ولم يضيعه وقيل ما كذب الفؤاد ما راى اي ما علم والرؤية كناية عن العلم لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل
ما ذكر ولقد راه نزلة اخرى ولا يتصور ان يعلم مرتين وكذا ذكر انه راى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل ان الحمل على العلم
لا يصح واصله عندنا ما كذب الفؤاد ما راى من الايات ليلة ما ذكر في اخره لقد راى من ايات ربه الكبرى ولقد وقال
راه نزلة اخرى وعن الحسن اي راى عظمة من عظمة الله وامرا من امره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال راى
جبريل عليه السلام على صورته مرتين اي ما كذب الفؤاد ما راى البصر جبريل عليه الصلاة والسلام ولقد راه ايضا مرة
اخرى عند سدرة المنتهى ومنهم من قال انه راى ربه على العيان بعينه فهو خلاف ما ثبت من رد الرؤية في الاخرة بالكتاب
والسنة المتواترة ولانه لو راى ربه تعالى على ما قالوا لكان لا يحتاج الى ان يرى اياته الكبرى لان رؤية الايات انما يحتاج
اليها عند ما يعرف الشيء بالاجتهاد فاما عند المشاهدة وارتفاع الموانع لا حاجة تقع اليها الا ان يقال الرؤية رؤية القلب
على ما ذكر في الخبر انه مثل ذلك فقيل هل رايت ربك فقال رايته مرتين بقلبي وفي بعض الاخبار قال اما بعيني فلا واما
بفؤادي فقد رايته مرتين ويفسرون رؤية القلب بالعلم ولكن الاشكال عليه ما ذكرنا فان ثبت الحديث فهو على ما كان دارا
لا يفسر ذلك وكذلك قول من يقول في قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انه دنا من ربه قول وحش فيه
اثبات المكان والتشبيه تعالى الله عن ذلك ولكن المراد ما ذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من جبريل عليه السلام
على ما ذكرنا في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وقوله تعالى عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى الى اخره ذكر
خصوصية رسولنا صلى الله عليه وسلم من بين غيره من الخلائق انه راى جبريل عليه السلام على صورته ورؤية الرب تعالى
بقلبه ان ثبت الحديث عنه وبلوغه عند سدرة المنتهى ولم يذكر لاحد من رسل الله تعالى انه بلغ هذا المبلغ سواه و
وقوله عز وجل افتمارونه على ما يرى عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما انهما قرآ مفتوحة التاء بغير الف
ومعناه افتجحدونه وعن الحسن بالالف مضمومة التاء وقال معناه افتجادلونه وعن شريح مثله قال ابو عبيد بالاولى
انه يقرأ بمعنى الجحود وذلك ان المشركين انما كان شانهم الجحود فيما ياتيهم من الخبر السماوي وهو اكبر من المماراة و
المجادلة وقيل افتمترونه اي مشككونه على ما يرى وقال ابو بكر الاصم لا يصح القراءة بغير الف ولا تاويله انما القراءة بالالف
وتاويله افتجادلونه ونحن نقول بان تاويل من ذكر من الجحود والقراءة صحيح وتاويل من قال افتجادلونه على ما يرى لا يحتمل
لانه يجادلونه لا يكون فيما يرى لكن يجادلونه على ما يخبر انه جرى اذ في الخبر يقع التكذيب وبه يجادلونه والله اعلم وقوله
عز وجل ولقد راه نزلة اخرى فهو على ما ذكرنا من اختلاف الناس انه ما ايش هو والله اعلم وقوله عز وجل عند سدرة المنتهى
قيل سمي ذلك الموضع سدرة المنتهى لانه ينتهي اليه علم الخلق فلا يجاوزه وقيل لما انتهى اليه كرامات الخلق لا يجاوز ذكروا ما تم عنها و
قيل السدرة الشجرة ويروون في ذلك خبرا مرفوعا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى عليه كذا كذا من جناح وقيل سميت سدرة المنتهى لما ينتهي اليها ارواح الشهداء ثم
جائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام اولا عند سدرة المنتهى من الارض ما يرفع الحجب عنه اما
بزيادة قوة وضعف في بصره ثم راه مرة اخرى هنالك ايضا بعد ما رفع صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى والله اعلم وقوله
عز وجل عندها جنة المأوى قرئت بنصب الجيم وخفضه وروي انه قيل لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان ناسا يقرؤون بالخفض
عندها جنه المأوى فقال سعد ما لهم اجنه الله وروي بالفتح عن الاعمش قال قالت من قرأ جنه المأوى فاجنه الله وعن
ابي العالية قال سئل عنها ابن عباس رضي الله عنه فقال كيف يقرؤها ابو العالية فقيل جنة المأوى بفتح الجيم فقال صدقت
هي مثل الاخرى جنة المأوى وعن الحسن انه قرأ جنة المأوى وقال لانها ماوى الجنان وتشهد بعضها حديث الاسراء انه ارى الجنة
وادخلها قال ودلت الاية ان الجنة التي ياوي اليها المؤمنون في السماء وقوله عز وجل اذ يغشى السدرة ما يغشى قال عامة
اهل التاويل يغشاها فراش من ذهب وكذا ذكر في خبر مرفوع يغشاها فراش من ذهب ولكن لا يفسر الذي يغشى السدرة
الا بنحو ما علم الله تعالى الا بخبر يثبت عن رسوله والله اعلم وقال بعضهم في قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى من امر الله تعالى و

يروون خبرا عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى السدرة رايت ورقها امثال اذان
الفيلة ورايت نبقها امثال القلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تحولت فذكر الياقوت ان ثبت هذا الخبر ففيه دليل ان
السدرة شجر ذكر ورقها ونبقها وفيه ان الذي يغشاها امر الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذ يغشى السدرة ما يغشى الملائكة
والله اعلم وقوله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى قال ابو بكر اي ما قصر عن الحد الذي امر وجعل له وما طغى وما جاوز ونحوه
او كلام نحوه ويحتمل ما زاغ اي ما مال وما عدل يمينا وشمالا وما طغى وما جاوز وقال ابو عوسجة ما زاغ البصر اي ما مال وما
طغى من الارتفاع طغى الماء اذا ارتفع يطغى طغيانا وقوله عز وجل لقد راى من ايات ربه الكبرى جائز ان يكون ايات ربه
التي ذكر انه راى جبريل عليه السلام في صورته وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه راه بصورته مرتين
وتاويل الاية ويحتمل غيره من الايات ولكن لا نفسرها والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى الاية يخرج تاويل هذه الاية على وجوه والاشبه هذا الموضع لظاهر قوله عز وجل ومناة الثالثة الاخرى جواب لقوله
الكم الذكر وله الانثى احدها يقول لهؤلاء الذين يعبدون من اللات والعزى ومناة الخبر وكونها الكم اي اصطفى لنفسه
البنات ولكم البنين وان الملائكة بنات الله ونحوه اخذتم ذلك منها او ممن اخذتم ذلك وانتم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب
وقد عرفوا انها لم يخبرهم بذلك فيذكر بذلك سفههم او يقول افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى التي سميتموها
الهة وعبدتموها دون الله ونسبتكم البنات اليه والبنين الى انفسكم ثم لم يذكر جوابها انه من امرهم بذلك ومن اختار لهم ذلك
او من لقنهم ذلك ثم قال ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان الاية كانه يقول والله اعلم
انكم انما سميتموها الهة واخترتم لانفسكم البنين ولله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم انما هي اسماء سميتموها انتم
واباؤكم بلا حجة ولا سلطان انما هو هوى النفس والظن ويحتمل ان يقول افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
اركو بهم في شكر ما انعم الله تعالى عليكم وقبول ما وهب لكم من البنات على ما اخبر انها من مواهب الله بقوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور ونبوتموها به وردتها حياتها ووسدها في التراب وصرف العبادة الى غير المنعم او قسمة البنين و
لانفسكم والبنات له ثم اخبر وقال تلك اذا قسمة ضيزى اي تلك قسمة جور وظلم اي صرف شكر النعم الى غير المنعم وتوجيه
العبادة الى من لا يستحقه ورد مواهبه على هذه الوجوه يشبه ان يخرج الاية والانباء على ظاهرها ما نزلها وما جواب هذا
الحرف والله اعلم ثم وقوله عز وجل اللات قرأ مجاهد وطلحة بتشديد التاء فقالوا هو رجل كان يقوم على الهتهم ويلت لها
السويق بالزيت فيطعمه الناس وروى ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يلت السويق للحاج ومن قرأ بتخفيف
التاء جعلوه اسم الصنم مثل العزى ومناة وهي الهة كانوا يعبدونها وذكر قتادة في تفسيره كان اللات بالطائف والعزى
ببطن نخلة ومناة بقديد وقوله عز وجل تلك اذا قسمة ضيزى قال القتبي هي في الاصل ضيزى وزنه فعلى بكسر الضاد والياء و
ليس في النعوت فعلى اي قسمة جائرة وقال ابو عوسجة ضيزى اي غير منصفة والضيز في الاصل الجور وقال ابو عبيدة
ناقصة وقال بعض الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى ومثلهن لا ينسى ثم قال بعضهم الغرانيق العلى الملائكة وقال بعضهم
الاصنام التي يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم هؤلاء شفعاؤنا لكن لا يحتمل ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم او يجري
على لسانه ذكر والله تعالى قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ولو جاز ان يجري
على لسانه لتوهم منه التقول وذلك بعيد وقال في اية اخرى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ولو جاز ذلك لجاز ان يجري الله الكذب على لسانه فلا يكون فيمن وجد من الحرج في قضائه
ما ذكر وهو الكفر دل انما ذكروه فاسد فان ثبت ما ذكروا انه جرى على لسانه تلك الكلمات التي الشيطان في فمه يريد بذلك الغرانيق
العلى شفاعتهن ترتجى عندهم وفي زعمهم وهو كقول موسى عليه السلام انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي الى الهك الذي
هو عندك اله والا لا يحتمل ان يكون موسى عليه السلام يسمي العجل الها وكقوله تعالى فراغ الى الهتهم اي الى الهة عندهم وقوله
عز وجل اين شركائي الذين كنتم تزعمون انهم شركائي فقد ذكرنا هذا على التمام سورة الحج وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية والله اعلم وقوله عز وجل ما انزل الله بها من سلطان على تسميتكم الاصنام الهة
وعبادتكم اياها ونسبتكم البنين الى انفسكم والبنات الى الله تعالى من حجة وبرهان انما هو من هوى النفس والظن وذلك قوله
تعالى ان يتبعون الا الظن في قولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وتسميتهم الاصنام الهة وظنوا ان اباءهم
كانوا على الحق واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين من حيث تركهم وما اختاروا ولم يهلكهم وقالوا لو كانوا على باطل ما
تركهم على ذلك واستدلوا بذلك ايضا على رضاء منه بذلك وامره اياهم كما اخبر عنهم بقوله اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها هذا ظنهم بالله تعالى وقوله عز وجل وما تهوى الانفس انه يتبعون هوى النفس فالنفس تبغي

المنافع الحاضرة والمضار الحاضرة فاما ما غاب عنها فلا يعرف وانما يعرف ذلك بالتفكر والنظر وهي لا تعرف لما يكون التفكر والنظر
ولا رغب في الشدايد ولا فيما يشتمل عليها والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا ونظروا
لاهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه **وقوله** عز وجل ام للانسان ما تمنى اي للانسان ما تمنى ثم يحتمل تمنيهم شيا عبدوه او ما اختاروا
من البنين لانفسهم والبنات لله تعالى او ما سموا واتخذوا الاصنام الهة او ما ظنوا على الله وادعوا انه رضيه في فعلهم وغير
ذلك مما كانوا يتمنون يقول ليس للانسان ما تمنى ان يكون له انما يكون ذلك له بجعل الله الذي له الدنيا والاخرة وذلك قوله
تعالى ولله الاخرة والاولى **وقوله** عز وجل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء و
يرضى يخرج على وجهين احدهما اي كم من ملك له شفاعة لا ينفع شفاعته وان يشفع الا لمن ذكر والثاني اي كم من ملك في السموات
لا شفاعة له ولا يشفع الا لمن يشاء الله ويرضى ان يشفع وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي ليست لهم
شفاعة ينفع لهم وقال ابو بكر الاصم انما يشفعون في الاخرة لمن شفعوا في الدنيا واستغفروا لهم كقوله تعالى ويستغفرون لمن
في الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا الاية وقولهم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه في ذلك **وقوله** عز وجل ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى وانما يسمى ذلك قيوم وقد اضاف ذلك الى الكل في الظاهر لان الذين يسمون الملائكة تسمية الانثى والله اعلم
ويجوز ان يذكر الكل ويراد به البعض في اللغة ومثله في القران كثير والله اعلم **وقوله** عز وجل وما لهم به من علم اي ما لهم بما
يسمون الملائكة تسمية الانثى من علم لان العلم بمعرفة الانثى من الذكر يحصل بيقين احدها المشاهدة بشاهد ويعاين فيعرف
الانثى من الذكر وهم لم يشاهدوا الملائكة فكيف يعرفون ذلك والثاني خبر الرسل المويد بالمعجزة وهولاء قوم لا يومنون
بالرسل ولا يعرف بالاستدلال وطرق العلم الثلاثة التي ذكرنا فاذا كان لا يحصل قولهم بادعاء ولكن على الظن وذلك قوله
تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا الا الظن ووجه ظنهم ما ذكرنا ثم اخبر ان ظنهم لا يغنيهم من الحق
شيا فهو يخرج على وجهين احدهما ان الظن الذي ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه والثاني ان ظنهم الذي
في الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب في الاخرة **وقوله** عز وجل فاعرض عن من تولى عن ذكرنا هذا يخرج على وجهين احدهما
على ترك مكافاتهم اي لا تكافئهم بصنيعهم واذاهم والثاني يخرج على الاياس له منهم بما انهم اي لا يشتغل بهم فانهم لا يومنون
ابدا فهو في قوم خاص علم الله عز وجل انهم لا يومنون **وقوله** عز وجل ولم يرد الا الحيوة الدنيا يحتمل انهم كما لا يومنون بالاخرة
لم يرد والحسنات التي فعلوا الا الحيوة الدنيا لانهم كانوا يتصدقون ويصلون الارحام ولكن لم يريدوا الا بذلك الا ما ذكر
في الحيوة الدنيا ويحتمل ان يكون الارادة ههنا كناية عن العمل **وقوله** عز وجل لم يرد الا الحيوة الدنيا اي لم يعمل في الاخرة راسا
يخبر عنهم انهم يعملون للدنيا لا للاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد الاخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله عز وجل
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن الاية ونحو ذلك **وقوله** عز وجل ذلك مبلغهم من العلم بانه لا يومنوا بالاخرة
ولا يعملوا لها وقال بعضهم ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك مبلغ رايهم من العلم ان الملائكة اناث الله وانها تشفع لهم **وقوله**
عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى مثل هذا الكلام انما يخرج على اثر خصومات كانت بين اولئك
الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كان اولئك الكفرة قالوا نحن على الهدى وانتم على الضلال فقال عند ذلك
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه
جزاء ضلاله في الاخرة وهو اعلم بمن اهتدى فيجزيه جزاء الهدى والله اعلم **وقوله** عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى هذا يخرج على وجهين احدهما يقول لله ما في السموات وما في الارض
وهو غني عن عبادتكم وانما يامركم وينهاكم ليجزيكم باعمالكم لا لنا نفع يرجع اليه والثاني لله ما في السموات وما في الارض
انما انشا اهل السموات والارض ليمتحنهم بالامر والنهي ثم يجزي الذين اساؤا باحوال الاساءة والذين احسنوا بجزاء الاحسان
ولو كان على ما قال اولئك الكفرة انه لا بعث ولا جزاء لكان خلقهم وخلق ما ذكر عبثا باطلا وفي الحكمة التفريق بين المسيء
والمحسن وفي تحقيقه التسوية بينهما فدل ذلك على دار اخرى يفرق بينهما فيها ثم يحتمل جزاء اساءة اولئك في الدنيا الهزيمة
والدبرة والهزيمة والاخرة النار وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر في الاخرة الجنة ثم نعت الذين احسنوا الحسنى وهو
التوحيد فقال الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش ثم يحتمل ان يكون الكباير ما يعرف فيها كل احدانها كبيرة والفواحشة
ما يعرف فيها كل احدانها فاحشة واللمم على هذا يجوز ان يكون من تلك الكباير والفواحش لانه استثناها فيجب ان يكون من
من جنسها لكنه استثناها وعفى عنها لما يعملون فيها عن غفلة وسهو وعن غلبة شهوة ونحوها وهو الاشبه بتاويل
الاية وقال اهل التاويل الكباير والفواحش هي التي ذكر فيها الحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة واللمم التي لم يذكر لها
حد في الدنيا ولا عقوبة في الاخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل

اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك ويكذبه الفرج فان تقدم فهو زنا والا فهو لمم وفي رواية ان تقدم
كان زنا وان تاخر كان لمما وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي
والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه وعن ابي هريرة اللمم النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة وعنه ان اللمم النكاح وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال اللمم ما كان في الجاهلية كقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وعن ابن عباس
رضي الله عنه هو ان يلم الرجل وقيل اللمم الخطرة من جهة حديث النفس شيا من غير عزم وقيل ان اللمم مقاربة الشيء
من غير دخول فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاهم ان تغفر جما واي عبد لك لا الما
وقيل اللمم الصغير من الذنوب لقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الاية وقال القتبي اللمم صغار الذنوب وهو
من الم بالشيء اذا لم يتعمق فيه ولم يلزمه وقال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الاخرة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
وذلك يحتمل والاول اقرب وقال ابو بكر الاصم اللمم التي يتوب عنها فانهم اذا تابوا عنها تجاوز عنها فهو يجعل اللمم من
تلك الكباير والفواحش لكنه يقول انما استثنى لما يتوب عنها لما يفعلون فيها على السهو والغفلة او الغلبة شهوة على
حسن الظن بربه فيغفر له او يتوب عليه فيعفوا عنها وعلى ما قال اهل التاويل اللمم ما دون الكباير والفواحش ويجوز ان
يكون الكباير والفواحش التي ذكر كباير الشرك وفواحشه كقوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة الا وقوله تعالى
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا فيكون اللمم على هذا ما دون الشرك
فهو في مشية الله تعالى ان شاء عفى عنها وان شاء عذب عليها كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء **وقوله** عز وجل ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض اي هو اعلم بكم وبافعالكم و
دعوتكم فيها على السهو والغفلة عفى عنكم اي عن اللمم وعلى قول ابو بكر ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو اعلم
بكم انكم تتوبون عنها وعندنا ما ذكر هو واسع المغفرة لمن شاء تاب عنها او لم يتب ثم ان كان المغفرة هي لشرك فهي
لهم المومنين والكافر في الدنيا وان كانت التجاوز فهي للمومنين خاصة والله الموفق **وقوله** عز وجل هو اعلم بكم عند
هو اعلم بكم وانكم تعملون وتفعلون فيها على السهو والغفلة او هو اعلم باحوالكم وافعالكم وما يكون منكم وهو اعلم بكم اذ
انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم ما لوا جتمع حكماء العرب ما ادركوا معنى الانسان في ذلك ولا ادركوا
معنى تصوير اليدين والعينين وغيرها من الجوارح ما فتت ما كنتم اجنة في بطون امهاتكم ثم نسبتنا الى الارض بقوله
تعالى من الارض يحتمل وجهين اما الخلق اصلنا من الارض كقوله تعالى خلقكم من تراب ونحوه او يجعل قوتنا منها كقوله
تعالى وقدر فيها اقواتها اذ لا قوام لنا الا بذلك الغذاء والقوت الذي يخرج من الارض والله اعلم **وقوله** عز وجل فلا تزكوا
انفسكم في ظاهر الاية نهي عن التزكية وامر في اية اخرى بالتزكية ورغب فيها حيث قال ويزكيكم ويعلمكم الكتاب و
الحكمة لكن فيها امر بالتزكية امر باصلاح انفسهم في انفسهم وتزكيتها فعلا وفيما نهى عن التزكية نهى عن ان يصفوا انفسهم
بالتزكية والصلاة والتقى والبراءة لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة وان يكون فيهم من الفساد ما لا يستحق التزكية و
الوصف بالبراءة والله اعلم فان قيل ان الله تعالى لما نهانا عن التزكية فكيف جاز لنا ان نقول لانفسنا انا مومنون و
مسلمون اذ ذلك مدح وتزكية قيل انا امرنا بقول الايمان والاسلام ابتداء حيث قال قولوا امنا بالله الاية وقوله واسلموا
ونحو ذلك ولم يؤمر بمثله ابتداء في الصلاح ونحوه بان يقول عن صلحاء اتقياء فجاز ان لا يمتنع في الايمان ويمتنع في غيره
من الطاعات والثاني ان ليس في نفسه الايمان تزكية لان كل اهل الاديان مومنون بشيء كافرون بشيء يقول له ومن يكفر
بالطاغوت ويومن بالله وقوله اولئك نومن ببعض ونكفر ببعض وقولهم يومنون بالجبت والطاغوت وفي نفس التقى و
الصلاح تزكية وقيل ولا تزكوا انفسكم اي لا تزكوا اهل دينكم ومذهبكم وذلك متعارف في الناس انهم يزكون اهل مذهبهم
وان كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون اهل خلافهم في مذهبهم وان لم يعرفوا من الشر وما به يجب المذمة و
ذلك محتمل ويحتمل ما ذكرنا انه نهى ان يقال في نفسه انه يزكي والله اعلم **وقوله** عز وجل هو اعلم بمن اتقى اي اتقى محارم الله ومناهيه
ويحتمل اي اتقى كفر بالله والشرك به **وقوله** عز وجل افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى هذا يخرج على وجهين احدهما ان
الذي تولى واعطى قليلا من كثير الكثرة وعظمائهم واعطى قليلا من المال لضعفة اهل الايمان ليرجعوا عن الايمان بمحمد والتصديق
له ويكذبوا عليه **وقوله** عز وجل واكدى اي قطع عنهم في وقت ايضا وكذا قال القتبي اكدى اي قطع وهو من برية الركية وهي
الصلابة فيها اذا بلغها الحافر بيس من حفرها فقطع الحفر وقيل لكل من طلب شيا فلم يبلغه او اعطى فلم يتمم اكدى وقال ابو عوسجة
اكدى بخل ورجل مكدي بخيل **وقوله** عز وجل اعنده علم الغيب فهو يرى فهو والله اعلم اعنده علم الغيب فيامر بتكذيب محمد
صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه واعطاء المال على التكذيب له اي ليس عنده علم الغيب لانهم قوم لا يومنون بالرسل والكتب

واسباب العلم هنا وقوله عز وجل ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى كان هنا منقطع من الاول كان اولئك الكفرة يقولون لاتباعهم انا نحمل عنكم الظلم والوزر فلا تبالوا بمحمد ولا يصدقوه كقوله تعالى حكاية عنهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فقال عند ذلك ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر اخرى اى قد بينا في صحفهما الا تزر وازرة وزر اخرى وقيل ابراهيم الذى وفى بما امر بتبليغه وقيل لانه كان يصلي اربع ركعات عند الضحى وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما وفى قالوا الله ورسوله اعلم وفى اربع ركعات فان ثبت هذا اكتفي عن تاويل اخر واصله انه سماه وفيا لما قام بوفاء ما امر به وقوله عز وجل الا تزر وازرة وزر اخرى فيه ان هذا في الكتب كلها في صحف ابراهيم وموسى وغيرهما من الكتب ان لا يحمل احد وزر اخرى انما يحمل وزر نفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يؤخذ الرجل بذنب غيره وعن عمرو بن اوس قال كان الرجل يؤخذ في الجاهلية بذنب غيره حتى نزلت الاية وقوله عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى يحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى اى ليس على الانسان الا ما سعى لا غيره جل وعلى يثبت ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله وكرمه كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ونحو الصغار والتى لا سعى لهم ثم يعطيهم الثواب بفضله واما جزاء الشر فانه لا يكون الا بالمثل كقوله تعالى ولا يجزى الا مثلها وجائز ان يكون له معنى عليه في الغير كقوله عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اى فعليها ويحتمل ان يكون الاية في اولئك الكافرين الذين نزل فيهم قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى يقول ليس لذلك الانسان الا ما سعى وقوله عز وجل وان سعيه سوف يرى وحرف سوف من الله سبحانه وتعالى على التحقيق والايجاب كحرف لعل وعسى فيكون قوله تعالى سوف يرى اى يرى جزاء عمله لا محالة ثم وقوله عز وجل ثم يجزاه الجزاء الاوفى جزاء الاخرة على الوفاء لا نقصان فيه خيرا كان او شرا ويحتمل ان يكون ذلك لكافرين يجزى جزاء الشرك وجميع ما يعمل من الشر فاما المومن فانه يكفر سيئاته ويجزى جزاء الخيرات كقوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله عز وجل وان الى ربك المنتهى منتهى الاخرة ومصير ورجوع ويحتمل اى الى جزاء ذلك ينتهي وقوله عز وجل وانه هو اضحك وابكى بين الله جل وعلا قدرته وسلطانه في انشاء انفسهم واخراجهم وانشائهم اما بيان قدرته في انفسهم حيث قال هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما بيان قدرته في اخراجهم ما ذكر في قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى وانه هو امات واحيا واما في انعامهم قوله وانه هو اضحك وابكى يذكر قدرته وسلطانه ما ذكر ليعلموا انه لا يعجزه شيء ثم وقوله عز وجل وانه اضحك وابكى يخرج على وجهين احدهما على الكناية والاستعارة جعل الضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن وكذا العرف في الناس انه اذا اشتد بهم السرور ضحكوا واذا اشتد بهم الحزن بكوا والثاني على حقيقة الضحك والبكاء فهو على وجهين احدهما اى انشاهم بحيث يضحكون ويبكون والثاني يخلق منهم فعل الضحك والبكاء وهو اشبه الى ما ويلي عندنا وقوله عز وجل وانه هو امات واحيى قوله امات يحتمل وجهين احدهما اى جعلهم بحيث يموتون والثاني امات باخراج روحهم واحيا بادخال الروح فيهم كقوله تعالى خلق الموت والحيوة وقوله عز وجل خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فيحتمل اماتتهم في الدنيا واحياهم في الاخرة ويحتمل انه يفعل بهم كل ما ذكرنا وقوله عز وجل وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اسم الزوج يحتمل الشكل ويحتمل المقابل اى يجعل احدهما شكلا للاخر وان كانا ضدين يقول جعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون او يتقابلون ويتضادون والله اعلم وقوله عز وجل من نطفة اذا تمنى اى يقذف قال الاصم دل قوله من نطفة اذا تمنى انها اذا لم يقذف بصبه مزيا راما يقذف الذي يخرج على شهوة فاما التي يخرج لا على شهوة فانه يكون مزيا ولا يوجب الاغتسال والله اعلم وقوله عز وجل وان عليه النشاة الاخرى اى في الحكمة عليه النشاة الاخرى لانه لو لم يكن النشاة الاخرى كانت النشاة الاولى باطلا عبثا غير حكمة او نقول ان عليه النشاة الاخرى ليعلم ان له قدرة عليها كما له القدرة على الاولى لان اولئك الكفرة كانوا مقرين بالاولى والقدرة عليها وينكرون الاخرى فيخبر ان له القدرة عليهما وبالله التوفيق وقوله عز وجل وانه هو اغنى واقنى الاية يحتمل قوله اغنى واقنى اى وسع عليهم واقنى اى صيرهم ما يقتنون من الخدم وغيرها فيكون الاغناء هو التوسيع بانواع الاموال والاقناء هو اعطاء القنية من الخادم وما يحتاج اليه للمهنة فيكون في جعل الخدم له فضل حاجة الاغناء وذلك دليل على صحة مذهبنا في استخدام تجرد فيع الزكوة الى من له الخدم وقيل اغنى اى اعطى ما يغنيه ويستغنى به واقنى اى قنعه وارضاه وقيل على العكس اغنى اى ارضى واقنى اى اخدم وعن ابن عباس رضي الله عنه اغنى واقنى اى اكثر وقال عطاء بن ادم هو اغنى واقنى اى اعطاك الخدم على ما ذكرنا وقال القتبي هو من القنية والنشب يقال اقنيته كذا وقال ابو عوسجة هو من القنوا اعطاء ما لا يفنى قنوا وقوله عز وجل وانه هو رب الشعرى قيل ان الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب لكانهم ظنوا ان ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال القدر له عند الله ومنزلة وان تدبيرهم يرجع اليه فعبدوه لذلك ويحتمل انهم عبدوه لما لم يروا لانفسهم اهلية لعبادة الرب تعالى فعبدوا من دونه رجاء التقرب اليه على ما يخدم المتصلين بملوك الارض ولكن

هذا فاسد لان من خدم المتصلين بملوك الارض انما يخدم لما لم يتبين لهم اليقين من خدمة متصليه ولا الاذن بعبادة انفسهم وحيثم فاما الله تعالى فقد امرهم بعبادة نفسه ونهاهم عن عبادة غيره فلم يسع لهم ترك الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره عبادة من دونه ذكر سفههم في عبادتهم الشعرى وامثالها اى انما نعبد رب الشعرى فانما فيه من الحسن والجمال هو الذي فعل فاليه اصرفوا العبادة وقوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى قوله عادا الاولى باظهار التنوين والهمزة وبغير الهمزة ولا اظهار التنوين حتى يصير كانها لام موصلة ثم هذا ليس بنوع ما ذكر من قبل انما ذكر هذا لهم لينزجروا عن صنيعهم اى انا اهلك عادا وهم اشد منكم قوة واكثر عددا واموالا فما لكم لا تنزجروا بمواعظ الرب تعالى اهلكهم فعلى ذلك نفعل بكم يا اهل مكة ان لم تتعظوا وانه اهلك عادا فلم يتهيأ لهم القيام بدفع عذاب الله تعالى عز وجل مع قوتهم فكيف انتم يا اهل مكة ثم اختلف في قوله تعالى عادا الاولى منهم من قال كانوا عادين احدهما قوم هود وهو اول فاهلكوا بريح وكانت اخرى في زمن فارس الا ومنهم من قال عادا الاولى الذين اهلكوا من قبل من الامم واهل مكة وهؤلاء عاد اخرى وقوله عز وجل وثمود فما ابقى اى اهلك ثمود ايضا وقوله فما ابقى قال بعضهم اى استاصلهم لم يبق منهم احدا اى ما ابقى لهم السلام يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما ابقى انبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من النسل وما لهم من الثنا الحسن شيئا كما ابقى للرسل واتباعهم عليهم السلام الى اخر الابد والله اعلم وقوله عز وجل وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى اى كانوا اخشى ظلما واكثر طغيانا لان نوحا عليه الصلاة والسلام دعاهم الى توحيد الله الف سنة الا خمسين عاما فازدادوا الا نفورا واستكبارا على ما اخبر فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقوله عز وجل والمؤتفكة اهوى قيل قريات لوط عليه السلام اى اهلكها ايضا وقوله اهوى قيل اى اهوى الى النار وقيل اى اهوى من السماء الى الارض على ما ذكر ان جبريل عليه الصلاة والسلام رفعها الى السماء وارسلها الى الارض وقوله عز وجل فغشاها ما غشى قيل غشاها الحجارة بعد ذلك فنسفها بالارض وقيل غشى الحجارة مسافرهم ومن غاب عنهم وقيل المؤتفكة المكذبة من الافك وهو الكذب وقيل المنقلبة انتكست اى انقلبت فغشاها اى غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى اولئك الذين ذكر من قبل من عاد ومن قوم نوح وهو قول القتبي وقال ابو عبيدة المؤتفكة المخسوفة وقوله عز وجل فباي الاء ربك تتمارى فظاهر هذا وظاهر قوله تعالى فباى الاء ربكما تكذبان مشكل لان ذكر الالاء ولو عرف تاويل الاية لكان لا يكون به ولكن يخرج على وجوه على التقديم والتاخير والاضمار كانه يقول فباي الاء ربكم شاهدتموه وعاينتموه تتمارون وكذلك فباى الاء ربكما الذي اتوكم به تكذبون او يقول نبأ الاية واخبارها تتمارى فكيف انكرتم اخبار نبيه محمد صلى الله عليه وسلم او كيف صرفتم شكر نعمه الى غير الله فههنا هي الحجج يقول فباي حجة من حجج ربك تكذب رسالة محمد عليه افضل الصلوة او تتمارى فيها اى لا حجة لك في تكذيبك اياه او انكارك رسالته وقوله عز وجل هذا نذير من النذر الاولى اى الذى يدعوكم ويبشركم محمد عليه السلام من النذر الاولى التى انباها الرسل الاولون واوعدوا قومهم فيكون صلة قوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى الى اخره وقيل هذا نذير من النذر الاولى اى الرسل الاولى وتمام هذا التاويل اى هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل وقيل هذا الذي ينذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النذر التي في اللوح المحفوظ اى مما ينذر به والله اعلم وقوله عز وجل ازفت الازفة اى قربت القيامة سمى الله سبحانه وتعالى القيامة باسماء مختلفة منها الازفة ومنها الساعة فسماها ازفة لقربها الى الخلق ودنوها عليهم وكذلك الساعة وقوله عز وجل ليس لها من دون الله كاشفة دلت الاية على ان الله تعالى لم يوقت علم قيام الساعة ووقوعها احدا وهو كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو والباطنية ادنى تعلق فيها بين الايتين لانهم قالوا ان الاخرة للحال كائنة ولكنها مختفية مستترة بظهر وكشف عند فناء هذه الاجساد وذهاب هذه الابدان ويستدلون بقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وبقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة ويقولون ان لفظ التجلي والكشف انما يستعمل فيما هو كائن ثابت يظهر عند ارتفاع التواتر وما يخفى الا في انشا ابتداء انشاء ولكن عندنا ان حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء الاحداث والانشاء وفي اظهار ما كان كامنا خفيا فاذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك وهو كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة هو عالم بما كان خفيا بحق الخلق وما هو شاهد ظاهر وعالم بما يكون وبما هو كائن بالحال والله الموفق وقوله عز وجل افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون كانوا يتعجبون من امر بعث احد من البشر رسولا كقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ومن البعث بعد ما يفنون ويبلغون كقوله تعالى فان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا الاية وقوله عز وجل وتضحكون الضحك ههنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقته ويكون الضحك كناية عن السرور واى سرورهم على ما انتم عليه وقوله عز وجل ولا تبكون ايضا ليس على حقيقة البكاء لكنه كناية عن الحزن اى ولا تحزنون على ما فرط منكم من الاعمال وسوء الصنيع والمعاملة وقوله عز وجل وانتم سامدون لاهون معرضون وعن الحسن وسعيد بن جبير سامدون غافلون وقيل سامدون حزنون على ما نسالهم محمد صلوات الله عليه وسلم وغايظون على ما انزل عليه وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وانتم سامدون قال

هو الغناء بلغة اليمن يقول اليماني اسمد لنا اى غن لنا فكانوا اذا سمعوا القران تغنوا وتلعبوا وقوله عز وجل فاسجدوا لله واعبدوا الاية اى اخضعوا لله واستسلموا له اذ الامر بالسجود عند التلاوة في غير سجود الصلاة امر بالخشوع له والاستسلام والامر بالسجود ههنا للتلاوة للاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين روى الاسود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه احد الا سجد الا شيخ من قريش فانه اخذ كفا من حصى فرفعه الى جبهته وروى ابو هريرة والمطلب بن ابي وداعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروى عن عمر وعثمان رضي الله عنهما انهما سجدا فيها وعن علي رضي الله عنه انه قال عزائم السجود اربع تنزيل السجدة وحم السجدة والنجم واقرا باسم ربك وما روى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فلم يسجد يحتمل ان يكون التلاوة وافقة بكره السجود والحديث حكاية فعل لا عموم له والله اعلم بحقيقته ما اراد والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر قال بعضهم اى قربت الساعة وقد قرب انشقاق القمر وقيل على التقديم والتاخير اى قربت الساعة وان يروا اية يعرضوا وان كان انشقاق القمر فعلى هذين التاويلين لم يكن انشقاق القمر بعد ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة وهو قول ابي بكر الاصم ويقول معنى قوله انشق القمر اى سينشق القمر الساعة و اذ لو كان قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على اهل الافاق ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به اذ هو امر عجيب والطباع جبلت على نشر العجائب وعامة اهل التاويل على ان القمر قد انشق فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر فذهبت فرقة منه دون الجبل فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وروى من غيره ايضا عن عبد الله بن عمر وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وانس بن مالك وحذيفة وجبير بن مطعم في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انه انشق القمر وابي بكر لو كان لم يخف وظهر فيقال له قد ظهر فانه روى عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعام وفشا الامر بينهم حتى قل من يخفى عليه سماع هذا الحديث على انه قد يطلق بظاهر الكتاب وانما يكلف حفظ ما لم يتعلق به الكتاب والعمل بحقيقة اللفظ واجب وقال بعضهم يجوز ان يستره الله تعالى عن اهل الافاق بغيم او يشغلهم عن رؤيته ببعض الامور لضرب تدبير ولطف منه لئلا يدعيه بعض المتنبئين في الافاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا على دعواه انه فعل ذلك فيحتمل انه اخفى على اهل الافاق لاذى حتى يظهر المعجزة عليهم من الحاضرين والكفرة يكتمونه والصحابة الذين راوا قد نقلوه والله اعلم وقوله عز وجل اقتربت الساعة كانه يقول اقتربت الساعة التي يجزون فيها اولساعة التي يبشرون فيها اولساعة التي يحاسبون فيها فان قيل ليس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقم الساعة بعد قيل يحتمل ان مراده صلى الله عليه وسلم انه ختم النبوة والرسالة ويبقى احكامه وشريعته الى وقت قيام الساعة وبقاء شريعته كبقاء نفسه كان شريعتي والساعة كهاتين ويحتمل انه لما كان به ختم النبوة والشريعة صار بعثه ومجيئه عليه السلام علامة للساعة واية لها وهو كقوله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها على تاويل من جعل بعث الرسول عليه السلام واية للساعة والله اعلم وقوله عز وجل وان يروا اية يعرضوا ذكر تعنتهم وعنادهم انهم وان يروا اية سالوها يعرضوا فلم يرهم تلك ومن سنته ان كل اية جاءت على اثر السؤال فلم يقبلوها اهلكوا فاذا كان من سنته هذا وقد وعد تاخير هذه الامة الى الساعة وعفى عنهم التعجيل لم يرهم تلك الايات المقترحة والله اعلم ويحتمل وان يروا انه حسية يعرضوا الان ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها واكثرها كانت عقلية وسمعية فيخبر عن سفههم وتعنتهم انهم وان يروا انه حسية يعرضوا عنها وهو كقوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الاية وقوله تعالى عز وجل ويقولوا سحر مستمر اختلف فيه منهم من قال سحر مستمر اى ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا ياتون بمثله من السحر ومنهم من قال مستمر اى قوي ماخوذ من المرة وهي القوة واصل المرة الفتل ومنهم من قال مستمر اى ذاهب يذهب ويبلى ولا يبقى وقوله عز وجل وكذبوا واتبعوا اهواءهم يحتمل كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما اتى به من الايات على الرسالة ويحتمل كذبوا بالتوحيد واتبعوا اهواءهم يخبر انهم انما ما كذبوا باتباع اهوائهم لا لحجة ولا برهان وقوله عز وجل وكل امر مستقر اى كل امر مستقر باهله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر ويحتمل كل امر كائن في نار او بزمان له وقال بعضهم كل امر وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقوله عز وجل ولقد

جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة يحتمل قوله ولقد جاءهم بالانباء ما فيه مزدجر وجاءهم ايضا حكمة بالغة وهو القران ويحتمل ان يكون معناه ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وفي تلك الانباء حكمة بالغة ثم الانباء التي فيها مزدجر حكمة بالغة وهي ما ذكر في هذه السورة من انباء عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وموسى فقد جاءهم انباء هؤلاء وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والاهلاك وباي شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام لم يرتدعوا عن مثل صنيعهم فلا يلحقهم مثل ما لحق اولئك وفي ذلك حكمة بالغة والبالغة هي النهاية في الامر يقال فلان بالغ في العلم اذا انتهى في ذلك نهايته وقال القتبي مزدجر منتهى وقال ابو عوسجة مزدجر اى ملجا وقوله عز وجل فما تغني النذر يقول والله اعلم قد جاءهم ما ذكر من الانباء التي فيها مزدجر وانذار فلم يزجرهم ذلك ولم ينفعهم فاني تغني النذر لهم ومن اين ينفعهم النذر اى لا يغنيهم ثم النذر يحتمل وجهين احدهما النذر عليهم الصلوة جمع نذير والثاني ما يقع به النذارة وهو الانباء التي انذر الرسل بها وحذروا بذلك يقول فما يغنيهم قول الرسل ولا خوف ما بلغهم من القصص التي فيها تعذيب الكفرة بتكذيب الرسل عليهم السلام وترك اتباعهم والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم يحتمل وجوها احدها قوله فتول عنهم اى اعرض عنهم ولا تكافيهم باسائتهم والثاني فتول عنهم اى لا تقاتلهم ولا تجاهدهم فان كان التاويل هو يحتمل النسخ على ما قاله اهل التاويل وان كان الاول فهو لا يحتمل النسخ والثالث يحتمل فتول عنهم اى لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون فذلك في قوم علم الله انهم لا يؤمنون فيئس رسوله صلى الله عليه وسلم من الطمع في ايمانهم وقوله عز وجل يوم يدع الداع الى شيء نكر اى الى شيء منكر فظيع هائل ويحتمل الى شيء انكروه في الدنيا وهو الساعة فيعرفوه في الاخرة وقوله عز وجل خشعا ابصارهم وقرأها خاشعا بالالف روي عن ابن عباس رضي الله عنه وتصديقها في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خاشعة ابصارهم وصفهم بالخضوع في الاخرة مكان استكبارهم في الدنيا وبالاقرار والتصديق بالساعة مكان انكارهم في الدنيا وبالاجابة الداعي مكان ردهم له في الدنيا حيث قال مهطعين الى الداع وقوله عز وجل يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر هذا يخرج على وجهين احدهما شبههم بالجراد بحيرتهم لا يدرون من اين يأتون والى اين يصيرون كالجراد الذي لا يدري من اين والى اين كقوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى والثاني شبههم بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يحشر الكل بدفعة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل مهطعين الى الداع قال عامة اهل التاويل مقطعين اى مسرعين وقال قتادة اى عامدين وقال مجاهد الاهطاع النسلان وهو بالفارسية بويه دويدن وقال بعضهم مهطعين ناظرين رافعي رؤوسهم وهو قول الكلبي وقال ابو عوسجة اى مسرعين مادين اعناقهم وقيل الاهطاع ادامة النظر الى الداعي وقوله عز وجل يقول الكافرون هذا يوم عسر وهو ما قال في اية اخرى يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح يقول والله اعلم كذبت قبل قومك قوم نوح يقول والله اعلم كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام واذوه فصبر على التكذيب وانواع الاذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الاذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى فاصبر انت على تكذيب القوم وانواع الاذى وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فان قيل ما الحكمة في تكرار هذه الانباء في القران ولم يكرر ما فيه اى الاحكام قيل ان هذه الانباء والقصص انما جاءت لمحاجة اهل مكة وامثالهم من الكفرة في اثبات الرسالة والتوحيد والبعث اذ هم المنكرون لهذه الاشياء وهم كانوا اهل عناد ومكابرة وفيهم ايضا مسترشدون ومن حق المحاجة مع من ذكرنا وامثالهم ان يعاد الحجة مرة بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت ويجمع في قلوبهم في وقت وان لم يجمع وقت ومن حق الموعظة للمسترشدين ايضا ان يكرر ليتعظوا ان يختلف ذلك باختلاف الاحوال وقد ذكرنا فوائد تكرارها واقتصار الاحكام فيما تقدم والله اعلم فان قيل ان نوحا عليه السلام دعا على قومه بالهلاك قيل انما دعى على قومه بالهلاك بعد ما ايس من ايمانهم حيث قيل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن اما رسول الله لم يؤيسه عن ايمان قومه جملة انما ايسه عن بعض بطريق التعيين وهو قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون لا عن الكل فلذلك لم يؤذن بالدعاء عليهم والله اعلم وقوله عز وجل فكذبوا عبدنا يحتمل كذبوا نبيا ادعى لنفسه الرسالة او كذبوه فيما دعاهم اليه بالتوحيد وتوجيه الشكر الى الواحد القهار وقوله عز وجل وقالوا مجنون اى قالوا انه مجنون وقوله عز وجل وازدجر اى نوح عليه السلام حيث قالوا القوم وشتموه وزجروه عنه بقولهم انه مجنون فهذا منهم زجر لاتباعهم عن اتباعه فصار لذلك نوح عليه السلام مزدجرا عن القوم وصار القوم مزدجرين عنه وقال بعضهم زجر وان نوحا عليه السلام اى مفهوم عن اظهار ما اتاه من الايات على رسالته والله اعلم وقوله عز وجل فدعا ربه اني مغلوب فانتصر اى مغلوب بالسفه والمكابرة وانواع الاذى اذ لا يحتمل ان يكون مغلوبا بالحجج فانتصر عنهم عليهم وقوله عز وجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر يحتمل قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء اى من فوق لان ما كان فوقك فهو سماء فيحتمل ان يكون ذلك من البحر المكفوف الذي ذكر انه بين السماء والارض وفجرنا الارض عيونا اى انبعنا الماء من

الارض كانه قال انزلنا الماء من فوق وانبعنا من اسفل ويحتمل ان يكون قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء هو حقيقة فتح السماء
وانزال الماء منها والله تعالى ان يرسل الماء ممن يشاء وكيف والله اعلم وقوله عز وجل بماء منهمر قيل منصب وقال ابو عبيد
منهمر اي كثير سريع الانصباب ومعالم الرسل انا اكثر في الكلام فاسرع وقال ابو عوسجة انهمرت السماء وهمرت اي امطرت
فاكثرت وقوله عز وجل فالتقى الماء على امر قد قدر يذكر ان الماءين جميعا ما ارسل عن الغرق وما اخرج من النبت على تقدير و
تدبير لا جزافا وهو كقوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى اي على تقدير وتدبير من الله تعالى لك في ذلك لا على غير تقدير منه و
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فالتقى الماءان على امر قد قدر وقال بعضهم على امر قد قدر اي قد قدر لهم ان يغرقوا بالماء
اذ كفروا وقال بعضهم قد قدر اي استوى الماء ضعفه من عيون الارض وضعفه من السماء والاصل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
وحملناه على ذات الواح ودسر وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها وحملناه وذريته على ذات الواح ودسر ذكرها هنا ذات الواح
وذكر في اية اخرى السفينة بقوله تعالى انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ونحوه فيكون ذات الواح تفسير السفينة ولو لم يتقدم
ذكر السفينة لم يفهم من ذات الواح السفينة اذ ذات الواح قد يرجع الى الاعماد وغيرها لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا والله اعلم
ثم اختلف في قوله تعالى ودسر قال عامة اهل التاويل الدسر المسامير التي تشد بها السفينة وقيل الدسر اضلاع السفينة وقيل صدرها
وقال الحسن هي السفينة لانها تدسر الماء بجؤجؤها قال ابو معاذ واحد الدسر دسار وجماع الجؤجؤ الجاجي هو الصدر ثم في قوله
تعالى وحملناه وتسمية هذا المصنوع سفينة دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانهم هم الذين ركبوا السفينة ثم اخبر
انه هو الذي حملهم وكذا الخشب المجتمعة لا تسمى سفينة انما تسمى بهذا الاسم الخاص بعد الايجاد والصنعة الموجودة من العباد دل
ان الله تعالى في فعل العباد صنعا والله الموفق وقوله عز وجل تجري باعيننا اي بتقديرنا وبحفظنا وقوله عز وجل جزاء لمن
كان كفر اي حمل نوح عليه السلام واتباعه في السفينة ونجاهم من الغرق جزاء ما كفر به قومه كذا قال عامة اهل التاويل انه خير ع
النوح عليه السلام حين كفر به قومه فلم يؤمن به قومه وقال مجاهد جزاء لمن كان كفر بالله تعالى اي الغرق جزاء وعقوبة لما كفروا بالله
تعالى وقال ابو معاذ وقرئ جزاء لمن كان كفر بنصب الكاف وتاويل هذه القراءة اي اهلاك من هلك من قومه جزاء لما كفروا بالله تعالى
او بنوح عليه السلام وقوله عز وجل ولقد تركناها اية يحتمل وجهين احدهما تركنا سفينة نوح عليه السلام لعينه مرة طويلة
حتى صارت اية لاواخرهم ولمن بعدهم وبه يقول قتادة وقال ابقى الله تعالى سفينة نوح عليه السلام [illegible] من ارض الجزيرة
حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا والثاني تركناها اية اثار وتلك السفينة و
انباءها اية لمن بعدهم لان انباءها في المتاخرين حتى عرفوا ان من نجا ومن هلك لمن هلك والله اعلم وقوله عز وجل فهل من مدكر
عن الاسود قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهل من مدكر او مذكر فقال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكر بالدال
قال ابو عبيد واصله في العربية مدتكر لانه من باب الافتعال على وزن مفتعل فثقل لاجتماع التاء والدال فجعلت الحرف الاول وهو
الدال في التاء فانقلب دالا فهو كقوله ادخر اصله اذتخر من الذخر لما قلنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل مدكر اي هل متذكر
متعظ يتعظ بما نزل باولئك فينزجر عن مثل صنيعهم وقال قتادة فهل من طالب خير فيعان وقوله عز وجل فكيف كان
عذابي ونذر يحتج على وجهين احدهما البشر ما وعد لهم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا حقا واريد بقوله ونذر اي رسلي
والثاني البشر وجد واسدي عذابي ونذري ما وعدت بالنذارة وهذا العذاب الذي انذرته به والنذر على هذا التاويل المنذر
به كقوله تعالى وكان وعد الله مفعولا اي موعودا والا وعد لا يكون مفعولا وهو صفة ازلية وقوله عز وجل ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر هذا يحتمل وجوها احدها يسرنا القرآن للذكر اي للحفظ اي هونا بحيث يحفظه كل احد من صغير
وكبير وكافر ومؤمن وكل احد يتكلف حفظه والثاني ولقد يسرنا القرآن للذكر اي للذكرى ما نستعين به من ما يلزمهم وذكر
ما ابتلاهم فيه من اخبار الاوائل من نجا بهم ومن كذبهم والثالث جائز ان يكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
اي يسرناه عليه حتى حفظه كله عن ظهر قلبه حتى انه اذا اراد ان يذكر شيئا منه يذكره في كل وقت وكل ساعة اذا اراد كقوله تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
الا ما شاء الله فانه منه عن ان ينساه وتيسيره والنسيان وقوله عز وجل فهل من مدكر فهو على ما ذكرنا في التاويل الاول والله اعلم ويسر القرآن
للحفظ ولكن لم يبين للحفظ ولكن انما انزل ليتدبر كما فيه ولا يتلا طه فهل من متعظ يتعظ به وعلى التاويل الاخر فهل
من مدكر هو يخرج الامر اي اذكروا واتعظوا بما فيه من الانباء والله اعلم وقوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
وذكر عذابي ونذر ذكر ذلك الاوائل مما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء معاملتهم الرسول عليه الصلاة والسلام وهو
صلة قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وقوله تعالى يحتج على الوجهين الذين ذكرناهما وقوله عز وجل انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا قيل باردة وقيل شديدة وقوله عز وجل في يوم نحس مستمر اي مستمرا عليهم العذاب كما قال الله عز وجل سبع
ليال وثمانية ايام حسوما وقيل مستمر اي ذاهب على الصغير والكبير فلم يبق منهم احد الا اهلكه وقوله عز وجل تنزع الناس

كانهم

كانهم اعجاز نخل منقعر من الناس من قال اشتد بهم الريح نادوا فيما بينهم البيوت فدخلوها فدخلت الريح عليهم فاخرجتهم
من بيوتهم واقتلعتهم في فنائهم فذلك النزع ومنهم من قال ينزع مفاصلهم فيلقيهم كاعجاز نخل منقعر لانهم
كانوا اطول الخلق فذكر ان كل رجل كان طوله ستين ذراعا والنخل لا يبلغ ذلك المقدار الا بعد قطع المفاصل فجاز ع
التشبيه باعجاز نخل منقعر بعد انتزاع مفاصلهم ولانتفاء عرفوا بالانقلاع قال ابو عوسجة منقعر اي منقطع ساقط
ومنهم من قال شبههم باعجاز النخل لعظم اجسامهم وقال بعضهم شبههم باعجاز النخل الطوال وذكر ذلك بعد نزع
المفاصل لما ذكرنا وقد ذكر في حرف حفصة رضي الله عنها ينزع على افئدتهم وقوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر فهو يحتج
على ما ذكرنا من الوجهين وكذا قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقوله عز وجل كذبت ثمود بالنذر يحتمل وجهين
الذي ذكرنا احدهما بالنذر اي بالرسل التي دعتهم الى الايمان بالله تعالى والثاني كذبت بما نعتت به النذارة التي
اخبرتهم الرسل انها نازلة واقعة بهم والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه يعني انكار ان يكون الرسل من البشر
والرؤساء منهم يلبسون على اتباعهم بهذه الحجة ابشرا منا واحدا نتبعه وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون
منه وقوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم ونحو ذلك وذلك تناقض في العقول لانهم كانوا يمنعون اتباعهم عن اتباع ع
بشر مثلهم ويدعونهم الى اتباع ابائهم ولا فتنة بهم وهم ايضا بشر وليس معهم ابائهم حجج وبراهين ومع الرسل حجج
وايات فيكون تناقضا في العقول ومعاندة فاسرع والله الموفق وقوله عز وجل انا اذا لفي ضلال وسعر قال بعضهم
السعر الجنون اي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون وهو ماخوذ من سعرانا واذا التهبت يقال ناقة مسعرة اي كانها
بجنون من النشاط وقيل الضلال والسعر واحد يحتمل اي انا اذا لفي ضلال في الدنيا وسعر في الاخرة والسعر من التسعير هو النار
والله اعلم وقوله عز وجل االقي الذكر عليه من بيننا يحتمل ان يكون هذا القول من اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
خبرا عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا والذكر هو القرآن على هذا التاويل ويحتمل ان يكون ذلك من ثمود لصالح عليه السلام
والقصة قصة صالح هو الاشبه بالتاويل ولم يزل الكفرة ينكرون تفضيل الرسل عليهم الصلاة والسلام على غيرهم من
البشر بالرسالة وانزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لانفسهم الفضل عليهم ولكن الرسل عليهم السلام انما يفضل بمال
او بفضل نسبا ورياسة وتنازع قول بالاسابقة كانت منهم ولا يتقدمه صنع وما ينبغي لهم ان يكون التفضيل للرسل بالرسالة
والنبوة بالاسابقة كانت منهم ولا يتقدمه صنع اذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء والله اعلم وقوله عز وجل بل هو كذاب اشر
عن مجاهد انه قرأه بفتح الشين وقرأ العامة الاشر بكسر الشين قال بعضهم الاشر بفتح الشين بنشط في لغة قاله ابو عوسجة
وقيل الاشر والاشر هو البطر كما يقال حذار وحذر وهو المرح المتكبر وقوله عز وجل سيعلمون غدا من الكذاب الاشر قرأ با
لياء والتاء جميعا فمن قرأ بالياء يقوله فتنة لهم ولم يقل لكم ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
للكفرة اي ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم من الكذاب انا او انتم وهذا وعيد منه لهم وقوله عز وجل انا مرسلوا الناقة
فتنة لهم يفتنهم بها ويمتحنهم لم يعطهم مجانا جزافا كقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وقوله عز وجل فارتقبهم واصطبر اي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعقر لها ويحتمل
ان يكون قوله عز وجل فارتقب هو خطاب لرسوله عليه الصلاة والسلام في حق اهل مكة كقوله فارتقب يوم تاتي السماء ع
بدخان مبين وقوله عز وجل واصطبر اي اصبر على اذاهم ولا تكافيهم او اصبر على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل ونبئهم ان الماء
قسمة بينهم كل شرب محتضر وقال في اية اخرى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وفيه من الفوائد والدلايل والدلائل
احدها ان تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف سائر النوق حتى احتاجت هي الى الماء مثل الذي احتاج اليه سائر النوق
واهلها حتى قسم الماء بينها وبين سائر النوق وفيه انه لا باس بقسمة الشرب حيث ذكر في الاية قسمة الماء وذكر في الاية
الاخرى شرب يوم وهو قسمة بالايام وقوله عز وجل كل شرب محتضر اي كل شرب يحتضر من له شرب ذلك لا يحضره غيره و
فيه ان تلك الناقة وان كانت اية ومعجزة له فكانت تعتلف وتشرب كسائر النوق التي ليست هي باية وان كانت تخالف سائر
النوق في عظمها وقدر علفها وشربها ثم جعل الماء بينها وبين اولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لا
شراكهم جميعا في الماء احتيج اليه البشر وحاجة كل منهم الى الماء فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين سائر البهائم لان
في ذلك كثرة فلا حاجة الى القسمة فاما في الماء ففي ذلك عزة لما يسعون من الابار فلذلك جعلوا الماء بالقسمة والله اعلم
وفيه ان المياه اذا ضاقت قسمتها بالايام القسم بالايام من حيث جعل لها شرب يوم معلوم ولهم شرب يوم معلوم وفيه ان
الماء وان عينا فهو كالمنفعة في جواز قسمتها بالايام ثم وقوله ونبئهم ان الماء قسمة بينهم جائز اي يكون خطابا
لصالح عليه السلام امره ان يخبر قومه ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة ويجوز ان يكون الخطاب به لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امره ان يخبر قومه ان الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة والله اعلم وقوله عز وجل فنادوا صاحبهم فتعاطى

فعقر اسناد العقر ههنا الى واحد وفي اية اخرى اضاف الى الجماعة وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقال في
موضع اخر فعقروها فاصبحوا نادمين فيكون ظاهر هذه الاية على التناقض من حيث ذكر الفرد والجماعة وفيه تناقض من
وجه اخر فانه ذكر في اية وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وقال في موضع فاصبحوا نادمين وذكر الندامة
وهي خلاف العتو لكنا نقول لا تناقض ولا اختلاف مثل اختلاف الاحوال والاوقات فقوله وعتوا عن امر ربهم قبل ان
ينزل بهم العذاب **وقوله** عز وجل فاصبحوا نادمين اذا نزل بهم العذاب والتناقض في وقت واحد في حال واحد وكذلك العقر
من واحد على الحقيقة ويكون انما اضاف الى الجماعة لانه عقرها وتشهدوا والواحد الذي طعنها ثم اجتمعوا فعقروا جميعا ونحو ذلك
فثبت انه لا تناقض وقال بعضهم فتعاطى فتناول فعقر اي ضرب عرقوبها اي ساقها وقيل العقر قد يكون حرقا وقد يكون قتلا
وقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يخبر عن سرعة نزول العذاب ووقوعه عليهم ويحتمل ان يكون ارسل عليهم الصيحة
واهلكهم وصاروا كما ذكر من هشيم المحتظر وهو كقوله فكانوا كهشيم المحتظر العظام البالية وقيل كل شيء انتثر من الحجارة
واصل الهشيم الانكسار اي صاروا كالشيء المتكسر المجتمع في موضع وقوله تعالى المحتظر بكسر الظاء وبعضهم روى الضب عن
الحسن وقال ابو عبيد بالكسر نقرا على تاويل الانسان المحتظر وقال ابو عوسجة الهشيم البالي من الشجر والمحتظر الذي يتخذ
حظيرة وقال القتبي الهشيم اليابس النبت الذي يهشم اي يكسر والمحتظر بكسر الظاء صاحب الحظيرة وبفتح الظاء اراد
الحيطان وهو الحظيرة وقوله عز وجل ولقد يسرنا القران للذكر اي يسرنا القران للذكر ما نسوا من نعم الله تعالى واغفلوا شيئا او
يسرنا القران لذكر ما اغفلوا من الحجج والايات ونسوها او يسرنا القران لذكر ما نسوا من الاتيان وما نزل بمكذبي الرسل عليهم
السلام بالتكذيب والعناد **وقوله** عز وجل فهل من مدكر قد تقدم ذكره **وقوله** عز وجل فكيف كان عذابي ونذر و
قال اهل التاويل الشيء الذي انذروا به وحذروه حقا وقال بعضهم ليس وجدوا عذابي ورسلي حقا وقد ذكرنا **وقوله**
عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر اي بالرسل عليهم الصلاة والسلام او بما يقع به النذارة **وقوله** عز وجل انا ارسلنا عليهم
حاصبا الا ال لوط على تاويل من يقول بان تلك القريات قلبت بمن فيها ظاهر النص على ما ظهر في اية اخرى فجعلنا عاليها
سافلها ان يرسل الحاصب على من غاب عنها في البلدان فاهلكهم بها يخرج على الاضمار وكانه قال قلبناها بمن فيها و
ارسلنا على من غاب منها حاصبا الا ال لوط حتى يستقيم الثنيا الذي استثنى ويكون قوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى
عليكم غير محلي الصيد كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد والله اعلم على تاويل من يقول
بانها قلبت ثم ارسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم فيكون هلاكهم بامرين واستثنى ال لوط عليهم السلام بالنجاة منها جميعا
والله اعلم **وقوله** عز وجل نجيناهم بسحر نعمة من عندنا اي شفعنا عنهم العذاب عند السحر فيكون دلالة انه يكون بمنع العذاب
عنهم منجيا لهم والا لم يكن نجاتهم عند السحر **وقوله** عز وجل كذلك نجزي من شكر هذا يخرج على وجهين احدهما يكون هلاك
اولئك على لوط واله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون عليه شكر فهو جزاء شكرهم وهو كقوله تعالى جزاء لمن كان كفر يحتمل ان يكون
هلاك اولئك واغراقهم جزاء لما كفر بنوح وذلك نعمة منه على نوح عليه السلام والثاني ان يكون نجاة نوح ومن كان
معه نعمة منه عليهما دلالة ان يهلك الكل من كفر ومن لم يكفر الا ترى انه يهلك الدواب والصغار وان لم يكن لهم ماثم فاذا
كان كذلك كان ابقاء من بقي منهم فضلا منه ونعمة عليهم والا الكل كان مستوجبا النجاة والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد
انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر يخرج على وجهين الذين ذكرناهما احدهما تماروا بالواقع من النذارة والثاني بالنذر اي
بالرسل والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه **وقوله** عز وجل فطمسنا
اعينهم ذكر ان جبريل عليه الصلاة والسلام مسح جناحه على اعينهم فعموا ثم قيل لهم فذوقوا عذابي ونذر **وقوله** عز وجل
ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اي نزل بهم صباحا بالبكرة عذاب مستقر العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام
عليهم واهلكهم وما طمس الاعين فقد انقضى **وقوله** عز وجل عذابي ونذر النذر ها هنا ما وقع به النذارة **وقوله**
عز وجل ولقد جاء ال فرعون النذر ويحتمل ما قال من النذر انه جاء ال فرعون موسى وهرون عليهم الصلاة والسلام سما
هما باسم الجمع وهو النذر ويحتمل ان يكون المراد من النذر الايات التي جاء بهم هي ما نزل من انواع العذاب فيكون المراد بالنذر
ما وقع به النذارة **وقوله** عز وجل كذبوا باياتنا كلها يحتمل انهم كذبوا جميع الايات التي جاء بها موسى عليه السلام
من ايات الالوهية والوحدانية وايات الرسالة ويجوز ان يكون هي جميع ما يدل على وحدانية الرب والوهيته من
الخلائق لان ذلك اللعين قد ادعى الالوهية لنفسه وجميع ما في العالم يدل على الوهية الله تعالى فهو حيث ادعاها لنفسه
وصرف قومه كذبوا بذلك جميع الايات التي يشهد على الوهية الله تعالى ووحدانيته **وقوله** عز وجل فاخذناهم اخذ عزيز
مقتدر اي اخذ عزيز ذليلا واخذ غالب مغلوبا واخذ قادر عاجزا واخذ قاهر مقهورا والله اعلم **وقوله** عز وجل ء
اكفاركم خير من اولئكم يقول الله تعالى والله اعلم اكفاركم يا اهل مكة في دفع العذاب عن انفسهم والانتصار منه اذا نزل

بهم العذاب منا اولئك الذين كانوا من قبلكم اي ليس كفاركم كما قدر منهم بل ولئن كنتم لم يقدروا القيام بدفع العذاب
عن انفسهم ولا الانتصار منه اذا نزل بهم فانتم يا اهل مكة اضعف واقل عددا احرى ان لا تقدروا على دفع العذاب عنكم اذا
نزل بكم او يقول ليس لكم براءة في الكتب انكم تقدرون على القيام في دفع العذاب عن انفسكم اذا نزل بكم او يقول ليس لكم
براءة في الكتب ان العذاب لن يصيبكم اذا نزل **وقوله** عز وجل ام يقولون نحن جميع منتصر اي بل يقولون نحن جميع منتصر
اي لا يضرون بجمعهم هذه الايات الثلاث على النفي والدفع اي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن انفسهم وليس لهم ما ينتصرون
به ولا كفارهم خير من كفار اولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار والله اعلم ثم قال على الابتداء سيهزم الجمع ويولون
الدبر فيه دليلان احدهما اخبر انهم جميعا يهزم ويولون الدبر وقد كان ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم دل انه علم
بالله تعالى والثاني اخبر ان الساعة موعدهم واستيصالهم لا الدنيا بقوله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
وكان كما اخبر وفيه ايضا دلالة اثبات الرسالة والله اعلم ثم **وقوله** عز وجل ادهى وامر اي اعظم واشد **وقوله** عز وجل
ان المجرمين في ضلال وسعر يجوز ان يكون قوله في ضلال في الدنيا والسعر في الاخرة وهو السعير ويحتمل في ضلال في هلاك
وسعر في خيبة وجنون وتيه كقوله تعالى انا اذا لفي ضلال وسعر **وقوله** عز وجل يوم يسحبون في النار على وجوههم
كانه يقول لهم يوم يسحبون في النار على وجوههم ان ذوقوا على ما هم عليه ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا
مس سقر اي ذوقوا عذاب سقر والسقر هو اسم النار وتفسيره كانه على الاضمار اي يقال ذوقوا عذاب النار والله اعلم **وقوله**
عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر يحتمل وجهين احدهما على التقديم والتاخير اي انا خلقنا كل شيء فان كان على هذا
فيكون قوله خالق كل شيء وفيه اثبات خلق كلية الاشياء والثاني على ظاهر ما جرى به الخطاب انا كل شيء خلقناه بقدر
اي انا كل شيء بقدر فان كان على هذا فليس فيه اثبات خلق كلية الاشياء ولكن فيه اثبات انما خلقه بقدر ولهذا
التاويل يذهب المعتزلة والتاويل عندنا هو الاول انا خلقنا كل شيء بقدر كقوله خالق كل شيء ويحتمل اي انا كل شيء خلقناه
بقدر وحد ينتهي اليه ذلك ويبلغ حدا ليس كالمخلوق لا يقدر احد قدر فعله ولا حد الذي ينتهي اليه ولا يخرج فعل احد من
المخلوق على ما يقدره فاخبر ان فعله يخرج على ما يقدره خلاف الفعل غيره فيدل على انه هو الخالق والله اعلم **وقوله** عز وجل
وما امرنا الا واحدة الامر فيما بين الخلق على وجهين احدهما امر شان وفعل والاخر ايجاب تكليف لغيره **وقوله** عز وجل وما
امرنا الا واحدة انما هو امر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه اي شانه وفعله يسير عليه لا يعجزه شيء ولا يشغله فعل ذلك امر
وخلقه عليه والواحد ليس هو اسم العدد وان كان الحساب به يبتدا انما هو اسم التوحيد والتفرد كما يقال فلان واحد زمانه
لا يريدون من جهة العدد ولكن انما يراد بانه المتوحد في شانه وفعله ولا نظير له فعلى ذلك تسميته اياه واحدا التفرد وتوحده
في الوهيته وربوبيته وتسميته امره واحدا ان فعله وشانه لا يشبه افعال غيره وانه لا نظير له في ذلك وانه يسير عليه
لا حاجة له الى الوقت والالة وغير ذلك لانه تعالى ثم قال كلمح البصر يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته من حيث لا يشغل
احد رد البصر ولا لمحة هذا وجه والثاني فيه اخبار انه لا يشغله شيء لان الناس يشغلهم بعض امورهم عن بعض واهل
التاويل يصرفون الاية الى الساعة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو يحتمل ان الاخرة ليس على
تقدير امر الدنيا على اتباع بعض بعضا وعلى تراخي شيء على شيء وعلى الانتقال والتغير من حال الى حال ولكن امر الاخرة
على ان يكون بمرة واحدة **وقوله** عز وجل ولقد اهلكنا اشياعكم على وجهين احدهما اخوانكم واهل دينكم بتكذيبهم الرسل
عليهم السلام واذكروا انتم يا اهل مكة لان لا تهلكوا بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم والثاني اي ولقد اهلكنا
اشياعكم وعرفتم ذلك فهل من مدكر يتذكر ويتعظ ويعتبر به ويجوز ان يكون معناه ولقد اهلكنا جنسكم والحكيم لا
يخلق الخلق فعناه والهلاك فاعلموا انه انشاهم لعاقبة وفيه اثبات البعث لانه لا بد كما افهام الكفرة وعقولهم والله
اعلم **وقوله** عز وجل وكل شيء فعلوه في الزبر يخرج هذا ايضا على وجهين احدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان
في الكتب متقدمة اي عن علم بصنيعهم وفعلهم انشاهم وبعث اليهم الرسل وهو رد كل من يقول انه لا يعلم ما يكون منهم
حتى يكون منهم ذلك لانه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل ان يبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام اليهم ويامرهم بما لم وهو
يعلم انهم يكونون رسله ويخالفون امره فرد عليهم وبين انه لم يزل عالما بما كان ويكون وقد بينا قبل هذا انه تعالى
بعث الرسل عليهم السلام اليهم وان علم منهم التكذيب والخلاف وذلك لان النافع والمضار راجعة اليهم دونه والله
اعلم ويجوز ان يكون معناه وكل شيء فعلوه في الزبر اي في الكتب التي يكتب عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة
كقوله اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا **وقوله** عز وجل وكل صغير وكبير مستطر هذا ايضا يخرج على هذين
الوجهين احدهما مستطر في الكتب التي قبلهم وفي الذين يملون على الحفظة كقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقوله عز وجل ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار وقال في موضع اخر ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون

ثم تختلف فيه وقيل قوله نهر قيل نهر من النهار اى هم في ضياء ونور وسرور وهو قول الاصم وقال الفراء النهر السعة
يقال انهرت الطعنة اى وسعتها وقال اهل التاويل ای انهار وقوله عز وجل في مقعد صدق اى موعود صدق كما تركنا يرضون
راحة وسرور ولهم كقوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا اخبر انهم يستريحون فيها ويسكنون ويقرون لا يريدون التحول
منها وهو مقابل ما ذكر للكفار يوم يسحبون في النار على وجوههم اى يجرون وقوله عز وجل سارهقه صعودا وقوله
تعالى ربنا اخرجنا منها يطلبون الخروج منها واخبر انهم يكونون ابدا في عناء ووشرق وبلاء حتى يعرفوه في مكان وعلى
هذا يخرج قوله ان لهم قدم صدق عند ربهم اى لهم موعود صدق وعند ربهم اى يقرا اقدامهم في ذلك فيكون هو كنا ثم
عن الثبات وقوله عز وجل عند مليك مقتدر ان الرجل انا كان في فضل وخير يضاف لكونه فيه الى الله تعالى نحو ما يقال
في سبيل الله ووفود الله وغير ذلك من الامكنة التي هي امكنة الفضل والخير يضاف الى الله نحو بيت الله ومساجد الله لانها
امكنة القرب وفضل فعلى ذلك قوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر اضاف بكونهم في امكنة الفضل والخير والمنزلة
عند الله تعالى الا انه يوصف بمكان ومقام بل هو ممسك الامكنة كلها ومنشى الازمنة باسرها والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الرحمن علم القران قد عرفت العرب وعلمت ان الرحمن على ميزان فعلان مشتق من الرحمة لكن احد من الخلائق
لا يبلغ في الرحمة مبلغا يستحق التسمية به رحمانا لذلك خص الله تعالى نفسه بتسمية رحمانا وان كان مستقا من الرحمة
كالرحيم وجاز تسمية غيره رحيما والله اعلم وقوله عز وجل علم القران ذكر ان الرحمن علم القران ولم يذكر لمن علمه فجاز
ان يكون المراد منه انه تبارك وتعالى علم القران رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ذلك على وجوه احدها انه امر جبريل
عليه السلام حتى علمه شديد القوى ذو مرة لكن خرجت الاضافة الى الله تعالى لما انه علمه بامره والثاني اضاف التعليم
الى نفسه لما انه هو الذي اثبته في قلبه حتى لا ينساه كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى وقوله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله كذلك لنثبت به فؤادك والثالث اضاف الى نفسه وان علمه جبريل عليه الصلاة و
السلام لانه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام وقوله عز وجل خلق الانسان علمه البيان قال بعضهم خلق
الانسان اى آدم عليه السلام وعلمه البيان اى الاسماء التي ذكر في اية اخرى وعلم آدم الاسماء كلها اذ لا سبيل الى معرفة
الاسماء والا بالتلقين ليس كالاشياء التي تعرف وتدرك بالاستدلال ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى خلق الانسان
اى خلق كل انسان وعلمه البيان اى علمه بيان ما يختصهم به من الامر والنهي ليعلم انه لم يخلق الانسان ليترك سدى ويحتمل
علم كل انسان ما غاب فيهم حتى عرفوا بما شاهدوا من اللون والطعم واللذة علم ما غاب عنهم من جنسه ولونه ولذته استدلالا
بما شاهدوا ويحتمل الاستدلال بالشاهد على معرفة الله تعالى وهو انهم لما شاهدوا الاشياء محتاجا محتاجا بالحوائج
والحوادث عرفوا ان له خالقا عالما قادرا انشأ وكذلك ويحتمل ما ذكر من تعليم البيان بيان القران وذلك راجع الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه علم القران وعلمه البيان هو بيان القران حتى يبين للناس كل ما يحتاجون اليه وما لهم وما عليهم ويجاز
ان يصرف بعضه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله الرحمن علم القران وبعضه الى آدم عليه السلام وهو قوله خلق الانسان
علمه البيان وتفسيره ما ذكرنا وقال بعضهم خلق الانسان آدم وعلمه البيان الدنيا والاخرة وجايز ان يكون خلق الانسان
كل انسان علم القران وعلمه البيان اى علمه شيئا من بيان القران من الاحكام والشرائع ونحو ذلك وقال القتبي علمه البيان
اى الكلام والله اعلم وقوله عز وجل الشمس والقمر بحسبان قال اهل التاويل بوجهين احدهما اى يحسب بهما عدد الاوقات
والازمنة ويعرف بهما حساب ذلك والثاني يحسب بهما حساب منازلهما التي يطلعان منها ويغيبان فيها ويجاوزان
يجريان فيها لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف وقال ابو عوسجة قوله بحسبان جمع الحساب وقال القتبي بحسبان بحساب
ومنازل لا يعدوانها وفيه زيادة معنى ان الله تعالى جعلهما بحيث يعرف بهما خفيات الاشياء لما جعل فيهما من النور
والضياء الذي بها يتجلى الاشياء المستورة فيقال النكرى الرسالة وتفضيل بعض البشر على بعض لما شاهد ثم خصت بفضل
ضياء ويتجلى لم يكن ذلك لغيرهما ثم الكرم فضل بعض البشر بفضل بيان وعلم ورسالة والله اعلم وقوله عز وجل والنجم والشجر
يسجدان النجم يحتمل وجهين احدهما الكواكب فان كان هو المراد فكانه يقول يسجد له ما به زينة السماء وما به زينة الارض
وهي الكواكب وهي الاشجار ويحتمل النجم كل نبت ينبت في الارض لا ساق له والشجر هو الذي له ساق كانه يقول يسجد له
كل ما ينبت من الارض ويخرج منها ارتفع ثم سجودهما يحتمل وجوها احدها سجود خلقته قد جعل الله تعالى في خلقه كل شيء دلالة
السجود له والشهادة له بالوحدانية والثاني سجود هذه الاشيا الموات طاعتها لله عن اضطرار وتسخير نحو قوله تعالى ايتنا
طوعا وكرها قالتا اتينا طائعين والثالث سجود حقيقة يجعل الله تعالى فيسير هذه الاشيا معنى يسجدون به بامر الله تعالى بغل

هو ولا يعلم غيره كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال بعض الناس سجودهما هو
ميل ظلالهما كقوله تعالى يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه الاية وامثالها مما فيه
ذكر سجود الموات وطاعتها لانها موات ليست باهل السجود وانما سجودها عن اضطرار وكل مخلوق في معناه في الدلالة
على السجود وانما يلزم السجود بتلاوة ايات ذكر فيها سجود من هو من اهل السجود والله اعلم وقوله عز وجل والسماء رفعها
هذا يخرج على وجهين احدهما اراد حقيقة الرفع اى رفعها بلا عمد من اسفل ولا تعليق من الاعلى اى انشاها كذلك
مرفوعة لا ان كانت موضوعة فرفعها وامسكها كذلك ليعلم ان قدرته خلاف قدرة الخلق وقوتهم والثاني رفعها اى
رفع قدرها ونزلها في قلوب الخلق حتى يرفعوا اليهم وابصارهم اليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الارزاق والبركات التي
ينزل من السماء والله اعلم وقوله عز وجل ووضع الميزان يحتمل حقيقة الميزان الذي يزن الناس به الاشياء وبه يتحقق الابقاء
والاستيفاء امتحنهم بذلك ليعرفوا بذلك قبح التقصير فيما امروا به والمجاوزة عما نهوا عنه وذلك يحتمل في الاحكام والمراج و
التوحيد ومعرفة الالوهية والعبادة الى غير الذي يستحق ليعلموا التقصير في ذلك والله اعلم ويحتمل المراد بالميزان الاحكام
التي وضعت بين الخلق والشرائع التي جعل عليهم ليتقوموا بوفائها وينتهوا عن التقصير فيها والتعدي عن حدودها وقيل الميزان
العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم وذكر ان الموازين ثلثة احدها العقول وهي التي يعرف بها محاسن الاشياء ومساويها وقبح
الاشياء وحسنها والثاني الميزان الذي جعل بين الخلق لايفاء الحقوق والاستيفاء والثالث الذي جعل في الاخرة ليوفى به
ثواب الاعمال وجزاؤها والله اعلم وقوله عز وجل الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قوله لا
تطغوا في الميزان ولا تخسروا اى لا تنقصوا في الميزان وقوله واقيموا الوزن امر باقامة الوزن والاتمام والوزن امر بالاتمام
ونهي عن النقصان والامر بالشيء نهي عن ضده وههنا جمع بينهما صريحا تاكيدا لباب الوزن والميزان ويحتمل الوجوه الثلاثة التي
ذكرنا وعن قتادة كان ابن عباس رضي الله عنه يقول يا معشر الموالي انكم قد وليتم امرين هلك الناس قبلكم هو المكيال والميزان
وقال مجاهد في قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط اى الميزان باللسان اى لسان الميزان وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ان اهل المدينة
لا يوفون الكيل قال وما يمنعهم وقد قال الله تعالى ويل للمطففين وقوله عز وجل والارض وضعها للانام وقال بعضهم الانام
وهو كل ذي روح فقال بعضهم الانام هو جميع الخلق ولكن عندنا الانام كانه البشر الا انه لا اخبر ان الارض انشاها للبشر
وضعها لهم وهو ما ذكر في مواضع خلق لكم ما في السموات والارض وسخر لكم ما في السموات والارض وقوله عز وجل فيها
فاكهة والنخل ذات الاكمام يذكرهم نعمه التي انشاها لهم في الارض من الفواكه وانواع الثمار والحبوب التي جعلها رزقا لهم وقوتا
وقوله عز وجل ذات الاكمام الغلف والاغطية وقوله عز وجل والحب ذو العصف والريحان قرئ الريحان بروع النعت
ذكرها فمن كسرها ذهب الى ان الريحان هو الورق الذي يرتزقون من الحبوب والثمار والعصف والورق فيكون المعنى و
الحب ذو الورق والرزق ومن رفعها فعلى الابتداء عطفا على الحب واختلفوا في تفسير العصف والريحان منهم من قال العصف
ورق الزرع من الحنطة والشعير وغيرهما وقيل هو التبن وقيل هو اول ما ينبت من الزرع وقيل العصف هو الزرع نفسه ولكن
اضاف العصف الى الحب لما منه نشأ الحب ومنه يخرج واما الريحان قال هو خضرة الزرع وقيل هو الذي يشم وقيل هو الرزق
يرتزقون الحبوب والثمار كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الريحان هو الحب وقال القتبي الريحان الرزق يقال اطلب
ريحان الله اى رزقه والله اعلم وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان هذا خطاب للجن والانس وفيه دلالة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان مبعوثا الى الانس والجن الا ترى انه قال في اية اخرى يا معشر الجن والانس وقيل الثنيان يخاطبهما جملة لكن يخاطب
كل انسي وجني في نفسه كقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ليس انه قال الفريقان جميعا كونوا هودا تهتدوا و
لكن قال اليهود كونوا هودا تهتدوا وقال النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك هذا ثم قوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان
وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها فسكتوا فقال لقد قراتها
على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كلما قرات عليهم فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من الائك ربنا نكذب فلك
الحمد ثم فيما ذكر من قوله والارض وضعها للانام فيها فاكهة الى اخره بذكر نعمه وقدرته وتدبيره وعلمه ووحدانيته اما نعمه
فانه بسط الارض لهم بما فيها من اجناس انواع الحبوب والفواكه التي بها قوامهم والعصف وانواع النبات التي بها قوام
دوابهم واما بيان قدرته وسلطانه انشاء هذه الفواكه والحبوب فالاسماء مما يعجز الخلق عن احداث شيء وفعله في الغلف و
الاغطية ليعلم ان صنعه وفعله خارج عن المعالجات والمماسات التي لا يتحقق مع الاغطية وان تدبيره وفعله غير مقيس
بافعال الخلائق وقدرتهم وكذلك الاولاد في البطون والفراخ في البيض وامثالها في الظلمات ليعلم انه لا يخفى عليه شيء ثم انشا
هذه الثمار والحبوب في الوقت الذي لا يحتمل البرد والحر فالاكمال من وراء الحجب وامسكها فيها في حال ضعفها فاذا اشتد
وقوي اخرجها من الغلف وفي ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه وفيه اثبات البعث من وجهين احدهما ان من قدر على

ان شاء لقادر على اعادة الخلق والثاني انه لما انشاهم ما ذكر ثم منهم من شكر هذه النعم ومنهم من كفر ثم استويا في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما وفيه لزوم الامتحان اذ لا يحتمل ان ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا ليتأدى شكر ما انعم عليهم ثم معرفة الشاكر منهم والكافر لا يعرف الا بخبر يخبرهم لان مقدار الشكر وكيفيته لا يعرف بمجرد العقل فيضطر هو الى رسول يخبرهم من الله تعالى ذلك فيكون فيه اثبات الرسالة ثم في اخراج هذه الحبوب والفواكه كلها في وقت واحد من المشرق والمغرب على سنن واحد في زمان واحد من غير تفاوت ووقت دليل ان علمه وتدبيره ازليان ذاتيان ولم يمنعه شيء عن شيء ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر من منافع الارض بمنافع السماء من غير من احد دليل على وحدانيته اذ لو كان ذلك لعدد لما جرى ذلك على سنن واحد على ما هو التنازع والتمانع في امر القايم بين اثنين عند الاختلاف والله الموفق وقوله عز وجل خلق الانسان من صلصال كالفخار ذكر في خلق الانسان احوالا مختلفا مرة قال خلقه من تراب والتراب هو الذي لم يصبه الماء ومرة قال خلقه من طين والطين هو الذي اصابه الماء واختلط ومرة قال من طين لازب واللازب هو الذي يلتصق باليد ويلزم وهو الحر ومرة قال من حمإ مسنون وهو الذي اسود وتغير لطول المكث ومرة قال من صلصال كالفخار والصلصال هو الذي له صوت اذا حرك وهو من صلصلة الحديد ويحتمل صلصالا اي منتن يقال صل اللحم اذا انتن والفخار هو الذي يكسر اذا يبس وقال ابو عوسجة الفخار الذي طبخ فجائز ان يكون هذه الاحوال التي ذكرت على اختلافها في ذلك الانسان كان في الابتداء ترابا ثم صار طينا ثم صار لازبا لانه كان من جيد الطين وجوه ثم صار مسنونا اسود لطول مكثه وصلصالا لكثرة تربيته ويجوز ان يكون له صوت وتشبيهه بالفخار يحتمل وجهين احدهما لتكسره ويبسه اولانه كان ذا جوف كالفخار او لطول المكث وكثرة التربية اذ طين الفخار له هذه الصفات والله اعلم وقوله عز وجل خلق الجان من مارج من نار الاية ذكر انه ابو الجن وانه لفظ الواحد ان الجن جماعة وكذا قال ابو عوسجة الجان الجن وقوله عز وجل مارج من نار قال بعضهم المارج هو لهب النار صافي لا دخان فيه يقال مرجت النار اذا التهبت ثم قال المارج على هذا هو النار التي فارقت الحطب والتهبت وارتفعت منه وكذلك قال ابو عوسجة المارج ههنا اللهب من قولك مرج الشيء اذا اضطرب ولم يستقر وعلى ما قال بعضهم وقوله مرج البحرين اي خلط وجمع بينهما يجب ان يكون خلق الجان من نار غير منقطعة من الحطب وخالية من الدخان وكذا قال ابو عبيد من مارج اي من خلط من النار وعلى تاويل من قال في قوله مرج البحرين اي ارسل احدهما في الاخر فهو يكون من نار منقطعة من الحطب وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع من الحكمة فيما ذكر من خلق ادم عليه السلام من التراب وخلق الجان من النار والغاية في ذلك والله اعلم يخبر عن قدرته ان من قدر على خلق الانسان من ذلك التراب واخراج ما في الدنيا من الناس من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء وكذلك ما ذكر من خلق الجان من النار واخراج ما اخرج منه من النسل حتى اخذ الدنيا باسرها لا يعجزه شيء ولا ما لو اجتمع حكماء البشر والجن ادركوا المعنى الذي به انشأ الانسان منه واخرج هذا الخلق منه وفي ذلك وجهان من الحكمة احدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث والثاني ان كل ما ذكر من النقل والتغيير من حال الى حال واخراج ما اخرج منه لا يحتمل ان يفعل ذلك عبثا باطلا ولو لم يكن بعث لكان انشاء هذا الخلق عبثا باطلا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان يقول والله اعلم اذ لم تنكروا شيئا من الاية انه ليس منه فما لكم تنكرون قدرته في البعث ونحوه وقوله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين ورب المشارق وقال في موضع اخر رب المشارق والمغارب وقد ذكرنا فيما تقدم ثم دل قوله رب المشرقين ورب المغربين ورب المغارب وذكر الحيطان اعني الشمس والقمر في الشروق والغروب على انهما طلعا بامر وغربا حيث غربا بامر اذ لو كان ذلك لا بامر لكن بانفسهما لكانا يطلعان ويغربان في جميع الاوقات والاطراف ولا يرجعان اذا بلغا مكانا ولا يزدادان ولا ينقصان في وقت من الاوقات ثم هذا كله منشأ للبشر مسخر لهم فيقول والله اعلم ما بال الجهول لكم اطوع لله تعالى منكم حيث لا يجاوز الحد الذي جعل لهم ولا يتعدون امر خالقهما وانتم تجاوزون امره ونهيه وتتعدون حدوده وفي الاية دليل على ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه الا ترى انه جعل انه رب المشرقين ورب المغربين ولم يدل على انه ليس برب ما بينهما او ليس برب ما سوى المشارق والمغارب والله اعلم وقوله عز وجل مرج البحرين قيل جمع بينهما وخلط وقيل احدهما العذب والاخر المالح وقيل يلتقيان اي يتلاقيان وقوله عز وجل بينهما برزخ لا يبغيان اي بين البحرين حجاب وحاجز لا يبغيان قيل ولا يختلطان ولا يمتزجان ولا يتغير طعم كل واحد منهما يخبر عن لطفه في منعهما عن الاتحاد وطبع الماء الامتزاج والاختلاط فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء وقيل لا يبغيان اي لا يتجاوزان حدا لله تعالى حد لهما ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر الروم والاخر بحر وبينهما برزخ اي مكان لا يبغيان اي لا يختلطان وهو قول الاصم ومنهم من قال احدهما بحر الروم والاخر بحر فارس بينهما برزخ وهو جزيرة العرب وقيل احدهما بحر السماء والاخر بحر الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وبينهما برزخ وهو الهواء والارض وسكان الارض وهذا ايضا لطف منه تعالى وقوله عز وجل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان منهم من قال يخرج من العذب والمالح جميعا كما هو ظاهر الاية ومنهم من قال يخرجان من المالح خاصة دون العذب

وان كانت الاضافة اليهما وذلك جائز في اللغة كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ولم يات من الجن رسل وذلك كثير في القرآن ثم قرئ يخرج بنصب الياء وبرفع الياء وبرفع وبنصب اللام فالاول على جعل الفعل لغيرهما كقوله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها ولم يقل يخرج منه حلية ثم اختلف في اللؤلؤ والمرجان منهم من قال اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ ومنهم من قال على العكس واكثرهم على الاول كذلك روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقال ابو عوسجة المرجان صغار اللؤلؤ والواحد مرجانة وقيل ان المرجان المختلف من الجواهر من قولهم مرجت اي خلطت وقيل انه ضرب خاص من الجوهر يخرج من البحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا جاء القطر من السماء انفتحت الاصداف فكان من ذلك اللؤلؤ وقيل انما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ من العذب دون المالح لان العذب والمالح يلتقيان فيكون العذب لقاحا للمالح كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى والله اعلم وقوله عز وجل وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام قرأ ابن حمزة انه قرأ المنشئات بكسر الشين وفتح بعض الناس المنشآت اي ظاهرات السير وعن الحسن انه قرأها بفتح الشين قال ابو عبيد وبها نقرأ لان تفسيرها انها التي قد رفع قلعها في البحر فهي الان مفعول بها فقيل المنشآت وهي المرتفعات والتي لم يرفع قلعها فليست بمنشآت وقيل المخلوقات والجواري هي السفن المنشآت وقوله عز وجل كالاعلام اي هي في البحار كالجبال في البراري قيل وهي الاعلام انفسها ثم في هذه الايات التي ذكر وجوه من الحكمة واثبات القدرة لله سبحانه وتعالى وهو ان من قدر على تسخير البحار وانشاء ما فيها وعلم اخراج ما فيها للادمي واتخاذ السفن واجرائها في البحار للوصول الى المنافع التي في البلدان النائية لقادر على البعث ونحوه والثاني انه لا سبيل الى معرفة ما في البحار من الاموال والاتخاذ السفن واجرائها في البحار ومعرفة ما وراء البحار من البلدان النائية وما فيها الا بخبر الرسل فيقول والله اعلم ما بالكم صدقتم الرسل والاوايل فيما يرجع الى منافعكم الدنيوية ولم تصدقوهم فيما يرجع الى الدين والاخرة من الوعد والوعيد ويقول ما بالكم لا تنكرون شيئا من هذه النعم التي جعلها لكم انها من الله تعالى فكيف تنكرون ما اخبركم به الرسل عليهم السلام وفي قوله وله الجوار المنشآت في دلالة نقض قول المعتزلة في انكارهم خلق افعال العباد فانه اضاف السفن الى قوله وله الجوار المنشآت وقد اتخذها بنو ادم باعمالهم فلو لم يكن له في اعمالهم صنع لما كانت السفن لهم لا له والله اعلم وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان اذ لم يكذب شيئا من الاء ربكما انه من الله تعالى ولم يكذبا ما ياكل من الاخبار في منافع الدنيا فكيف تكذبان اخبار الرسل عليهم السلام بعدما جاؤوا بالايات والحجج وقوله عز وجل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام يحتمل وجوها احدها اي ملك كل من الارض فان ويبقى ملك ربك ابدا دائما والثاني يحتمل سلطان كل من عليها وقوة كل من عليها وقدرته فان ويبقى سلطان ربك وقدرته وربوبيته ليعلم ان ملك وسلطانه لا يزالان الا بالحق حتى يكون فناؤهم وذهابهم يدخل نقصانا او وهنا في ملكه خلاف ملك ملوك الارض وسلطانهم وجائز ان يكون قال هذا على الاياس لكي وقطع الرجاء عن عبادة من عبد وادونه من الاصنام والملوك والرؤساء وما يخدمونهم كانه يقول كل من عبد دونه او خدم او عمل الا لوجه الله تعالى فانه ذاهب الا ما عمل لوجه الله فانه باق والله اعلم والباطنية يقولون كل من عليها فان اي النفس الجسدانية ويبقى النفس الروحانية ابدا لانهم يقولون اذا فنيت هذه الاجساد تبقى الله تعالى من اعمالهم الصالحة انفسا روحانية تبقى ابدا ويحتمل وجه ربك اي كل ما يطلب من العمل وغيره رضاء الله تعالى نكنى بالوجه عن الرضاء وقوله عز وجل يخرج على وجهين احدهما على الخلق اجلال لحق الله وامره وتعظيم ذلك والثاني اي يجعل الله تعالى من شاء من خلقه اي منه اجلال من جلى في الدنيا واكرام من اكرم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل يسأله من في السموات والارض يخبر الله عز وجل عن فزع اهل السماء واهل الارض اليه عند الاياس عن الخلق وانقطاع الرجاء عنهم وهو يذكر ان المفزع في الاحوال كلها والملاذ في كلها ومنه يسألون الرزق والنجاة وهو ما ذكر قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الاية وقوله عز وجل قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله تعالى اذا مسكم الضر هذا اصله ثم له كل من عليها فان ويبقى وجه ربك فيقول والله اعلم شانه وامره باق دائم ابدا وذهاب الخلق لا يدخل النقصان في شانه وامره ولا وهنا في سلطانه وملكه هو في شانه وامره عند فنائهم وجائز ان يكون ما قال بعض اهل التاويل ان اليهود قالت ان الله تعالى استراح يوم السبت لا يقضي بشيء ولا يحكم ولا يامر ولا يفعل فعلا فنزلت الاية عند ذلك كل يوم هو في شان من احداث وافناء واحياء واماتة واصله ان الله تعالى اذا وصف بشيء يوصف بالازل يقال العالم لم يزل قادر لم يزل رازق بدا انه لم يزل واذا ذكر بامر وتدبير نضاف الى الخلق يوصف على ما ذكر الوقت فيكون الوقت للخلق لا له نحو ان يقال ان الله تعالى لم يزل عالما بجد وشك شك ههنا او في هذا الوقت اي لم يزل عالما ان يجلس الان او يجئ الان او في هذا الوقت واذا وصفته بالماضي قلت لم يزل عالما بما كان وبالمستقبل لم يزل عالما بما يكون انه في وقت كذا وبالحال لم يزل عالما

يكون كأنا الحال ونحو ذلك نعيا لوم الخلق ان المخلوق كيف يكون في الاول فعلى ذلك قوله عز وجل كل يوم هو في شان ذكر
اليوم والوقت ليلا بيوم يكون الخلق قديما والله اعلم **وقوله** عز وجل سنفرغ لكم ايه الثقلان الاية قرا سنفرغ بالنون
والياء بفتح الراء في الحالين قال ابو عبيد بالياء يقرأها كقوله يسأله من في السموات والارض ذكر على المغايبة فلذلك هو الذي
بني عليه قال الزجاج قوله تعالى سنفرغ لكم ليس هو الفراغ عن الشغل لكن كما يقول الرجل لاخر سافرغ لك وكذا اي ساجعل
لك وكلام نحوه ومنهم من يقول هذا على الوعيد في كلام العرب يقول الرجل سافرغ لك واني لفارغ على الوعيد وقال ابو بكر الكسائي
ان الفراغ ليس يستعمل عن الفراغ عن الشغل خاصة لكن يستعمل به ولغيره من نحو انجاز ما وعد واوعد كانه قال سنجز لكم ما اوعدتكم
ايها الثقلان وعندنا ان الفراغ هو اسم لانقضاء الفعل وتمامه لا للفراغ عن الشغل يقال فلان فرغ من شغله اذا فرغ من بناء
داره اذا اتمه وانقضى ذلك الا ترى انه وان فرغ من شغل تلك الدار وذلك العمل فهو مشغول لغيره دل انه ليس باسم للفراغ من الشغل
اذ لو كان اسما للفراغ من الشغل لا يوصف به وهو مشغول لغيره دل انه اسم للتمام والانقضاء لكن نهم الخلق بعضهم من بعض
الفراغ من الشغل لما ان فعلهم للشيء به لا يحتمل الا بالشغل في ذلك فعنهم ذلك من فعلهم فاما الله سبحانه نحيث لا يشغله
فعل عن فعل ولا شيء لم يكن ان يفهم من فراغه من الشغل وبالله العصمة والتوفيق **وقوله** عز وجل يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان لذلك ويلان احدهما كانه يقول لو مكن لكم النفاد
من اقطار السموات والارض ونواحيها فتنفذون فتجدوا هنالك وترون ايات من كذب الرسل عليهم وما حل بهم بالتكذيب
ثم قال لا تنفذون الا بسلطان اي لا تنفذون لو مكن لكم من النفاد الا وتجدون حجج من اهلك من تقدم وانه بعد
اهلكهم وهو كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين امرهم بالسير في الارض والتدبر في اثار من
اهلك بماذا اهلك من اهلك منهم وبماذا انجا من نجا والله اعلم والثاني على الاعجاز اي لا تستطيعون ان لا تخرجوا او تنفذوا
من اقطار السموات والارض ولو مكن لهم من النفاد والخروج منها لوجدتم ثم سلطاني وحجتي وملكي هنالك قايما اي لا
تقدرون الخروج من سلطاني وملكي حيث ما كنتم بل حيث ما سرتم وكنتم في سلطاني وملكي فلا تخلصون من الموت والحلاك
وهو قوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء الاية قال الضحاك في حرف ابن مسعود رضي الله
عنه يا معشر الجن والانس فتخيا ان اجلكم فانفذوا من اقطار ما لا تنفذون الا بسلطان يعني انه لا يخبر كل احد من الموت
وانتم ميتون اي لا تانون فطرا من اقطار السموات والارض الا وجدوا هنالك سلطان الله وملائكته يقول لا تستطيعون
فرارا من الموت ولا محيصا وان تقدرتم من اقطار السموات والارض فلم تخرجوا من سلطاني وانا اخذكم بالموت حيث
كنتم وهو كقوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال بعضهم يبعث الله تعالى ملائكة عند الحشر فتحيطون
بالدنيا يكون في انظارها فلا تستطيع شيطان ولا انس ولا جان ان يخرج من الانظار ولو خرجوا كانوا في سلطان الله
وقيل الا بسلطان اي بالحجة وقال قتادة الا بملك وقال الا بعزة الله تعالى والله اعلم ثم اوعدهم فقال يرسل عليكما شواظ
من نار ونحاس فلا تنتصران قرا شواظ بضم الشين وكسرها وروي عن حسن بكسر وكذا عن مجاهد وقرئ نحاس بكسر
السين وضمه فمن رفع نحاس عطفه على قوله شواظ ومن كسره عطفه على قوله من نار ثم اختلف في تاويل الشواظ
والنحاس عن ابن عباس رضي الله عنه النحاس الدخان وقيل الشواظ هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو
النحاس وعن الكلبي الشواظ لهب النار والنحاس الصفر الذي يذاب فيعذبون به وقيل الشواظ هذا الذي فيه الدخان
والنحاس هو النحاس المعروف فمن قرا بالخفض يقول اللهب من نار ومن دخان ومن قرا بالرفع اراد به الصفر يقول يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس ذلك في النار وقيل النحاس في القرايتين يحتمل الدخان ويحتمل الصفر **وقوله** عز وجل فلا
تنتصران قيل لا تمتنعان من ذلك ويحتمل اي لا ناصر لكما كما يكون في الدنيا فان قيل انه قد ذكر في اول الاية الاولى النعم فقرن
باحدها فباي الاء ربكما تكذبان وقد تقطع ذكر الالاء مهنا وذكر المواعيد في هذه الايات فما فائدة قران قوله فباي
الاء ربكما تكذبان باخرها قيل ان في الوعد ترغيبا وفي الوعيد ترهيبا فرغب في الوعد ويخاف ويرهب من الوعيد فيرتدع
ويمتنع عما يوعد فيكون في ذلك نعمة عظيمة اذا بالوعد والوعيد يتم المحنة والمحنة يتم النعمة لذلك ذكر على اثر
الوعيد فباي الاء ربكما تكذبان **وقوله** عز وجل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان يذكر تغير هذا العالم
يومئذ لهول ذلك اليوم وكما ذكر من تبديل السماء والارض حيث قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب في غير ذلك من الايات وكذلك ما ذكر من تغير الجبال من قوله هباء منثورا وقوله
كثيبا مهيلا وقوله كالعهن المنفوش ونحو ذلك ثم قوله تعالى فكانت وردة كالدهان منهم من قال شبه السماء لكثرة
تلونها بفراش الوردة يكون في الربيع بلون ثم تصير الى لون اخر ثم الى اخر فعلى ذلك ما ذكر من تغير السماء وتلونها ومنهم
من قال شبهها بالدهان وهو الدهن لينها وصفاها وهو كما ذكر في اية اخرى يوم تكون السماء كالمهل والمهل هو دردي

الزيت لكن التشبيه بالمهل انما يكون لكثرة التلون لا للين فيكون في هذا التاويل نوع وهاء والله اعلم وقيل انما يحمر وتذوب
كالدهن وروي ان سماء الدنيا فاذا كان يوم القيمة صارت من الخضرة الى الاحمرار ومن حرجهم كالحريقا ناحي بالنار وثم
قال بعضهم الدهان جمع الدهن وقيل الدهان الاديم الاحمر والله اعلم **وقوله** عز وجل فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا
جان اختلف في تاويله قال بعضهم اي لا يسال انسي ولا جني عن ذنب غيره انما يسال عن ذنب نفسه نحو ان لا يسال
من اصل غيره عن ضلال ذلك الغير انما يسال الذي اضله عن اضلاله ويسال الضال عن اضلاله له كقوله تعالى ربنا ارنا الذين
اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا الاية ومنهم من قال لا يسال بعض عن بعض اي لا يسال الجني عن ذنب
انسي ولا انسي عن ذنب جني ومنهم من قال لا يسالون سؤال الاستخبار واستفهام اي لماذا فعلتم ولكن يسالون لم فعلتم
يطالبون عن الحجة لا عن نفس الفعل لان كل ذي مذهب ودين انما يفعل لحجة يكون له ومنهم من قال لا يسالون عن ذنوبهم
لما يكون في وجوههم من الاعلام من الاسوداد وزرق العيون ونحو ذلك ما ذكر في الكتاب انها يكون للكفار كقوله تعالى
ووجوه يومئذ عليها غبرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم الاية وما ذكر من اعلام المؤمنين من قوله وجوه
يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى ابيضت وجوههم وقال بعضهم لا يسال الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون
بسيماهم **وقوله** عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم ذكر الله تعالى في كتاب المجرمين اعلاما يعرفون في الاخرة بها على ما ذكر من
اسوداد الوجوه وقال يومئذ واجفة ابصارها خاشعة وقوله نطمس وجوها فنردها على ادبارها اي على اعقابها فهو
والله اعلم يكون في اول الاحوال خاشعة ثم غبرة ثم سود ثم يطمس من نظر ذلك فنعوذ بالله من هذه الاحوال التي ذكر **وقوله**
عز وجل فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل يكسر اصلاب ظهورهم فيجمع اقدامهم ونواصيهم فيرمي بهم في النار وقال بعضهم
يغل ايديهم الى اعناقهم ثم يجمع نواصيهم واقدامهم ثم يدعون الى النار **وقوله** عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
اي انا ونعوا على الوصف ذكر عند ذلك يقال له هذه جهنم التي كنتم به تكذبون بها في الدنيا **وقوله** عز وجل يطوفون بينها
وبين حميم آن اي يطوفون بين جهنم وبين حميم فيجوز ان يكون كنى بجهنم عما يأكلون وهي النار وبالحميم عما يشربون
كانه يقول والله اعلم يطوفون بين ما يأكلون وبين ما يشربون لا يشبعون عما يأكلون ولا يروون عما يشربون بل كلما
اكلوا ازدادتهم جوعا وكلما شربوا زادتهم عطشا والحميم هو الشراب الذي جعل لهم والآن هو الذي قد انتهى حره غايته
ونهايته **وقوله** فباي الاء ربكما تكذبان الاية ومن الناس من قال في قوله فباي الاء ربكما تكذبان على اثر الوعيد انما يقال لهم
في الاخرة اي باي الاء ربكما تكذبان في الدنيا كقوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم
رسل منكم الاية **وقوله** عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر الخوف عن المقام بين يدي ربه ولم يبين خوف ما ذا وكان
انه اذا خافه تذكرا ولا يجاز ان يكون ما ذكر من الخوف عن المقام بين يدي ربه ما بين في اية اخرى وهو قوله واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يحتمل وجهين احدهما نهى النفس عما يهواه والثاني منع النفس عن ان تهوى ما نهيت عنه والله
اعلم ويجاز ان يكون في هذه الاية بيان ما ذكر في تلك الاية من الخوف من المقام بين يدي ربه اي خاف مقام ربه دون ما هم من
المعصية او ما هو من نفسه ثم لسنا نعرف ما فايدة ذكر الجنتين له ليس له في ثلاث واربع قال اهل التاويل انما ذكر جنتين
لان الجنان اربعة جنة عدن وفردوس وجنة الماوى وجنة النعيم فجنة العدن وجنة الماوى وجنة النعيم للمقربين والشهداء
والصديقين فالجنان الاخريان لمن دونهم من المؤمنين الذين هم لاصحاب اليمين ويجاز ان يخرج على وجهين ان يكون بعض
على ملكه يبصره اذا نظر يمينا وشمالا لا يقع الا على جنة لا يقع على جنة غيره وكذلك اذا نظر من الاعلى ومن الاسفل يقع بصره
على ملكه لا يقع على ملك غيره فليس ذلك على تحقيق اخبار عن حدود الجنتين ولكن اخبار ان بصره حيث نظر لا يقع
الا على ملكه وجنته والله اعلم والثاني يكون له جنات احد الجنتين لترك المساوي والاخرى لا نيال المحاسن وذكر القتبي
عن الفراء في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال قد يسمي العرب الشيء الواحد باسم الاثنين اذا كان رؤس الاية ومقاطعها
لتحقيق الموافقة في المقاطع على ذلك جاز ان يكون ذكر جنتان والمراد منه جنة واحدة لكن القتبي انكر
عليه ذلك وذلك انما يقال ذلك اذا انقطع الكلام فاما اذا كان الكلام غير منقطع فانه لا يقال ذلك والله اعلم ثم سمى البعث
مقاما بين يدي ربه وسماه رجوعا اليه ومصيرا وورودا فهو على وجهين احدهما انه سماه بما ذكر وان البعث هو نهاية هذا العالم
والثاني سماه بذلك لان كل احد يظهر في ذلك اليوم ان الامر لله تعالى وان التدبير له في الدنيا والاخرة وان لا تدبير لاحد سواه
كقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم يجاز ان يكون ما ذكر من الجنتين للسابقين والشهداء على ما ذكره بعض
اهل التاويل وما ذكر من قوله ومن دونهما جنتان لاصحاب اليمين ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق فاما نعت ما جعل للسابقين
والصديقين والشهداء ما ذكر حيث قال ذواتا افنان قال عامة اهل التاويل ذواتا اغصان ولكن ليس في هذا كثير حكمة
لكن يحتمل ان قوله ذواتا افنان من العيون اي فيهما من كل لون وكل نوع قال مقاتل ذلك في الجنتين اللتين جعلهما لاصحاب

البيني من ما شاء والمدهم هو الذي يضرب خضرته لشدته الى السواد وهو دون الاول في الوصف اذ لم يصفها الا بصفة
واحدة ووصف تينك الجنتين بالفنون وقال في تينك فيهما عينان تجريان وقال في اصحاب اليمين فيهما عينان نضاختان
والنضاخ هو الذي لا يتبين جريانه ووصف تينك بالجريان والنضخ دون الجريان وقال القتبي نضاختان فوارتان بنوره
بالماء والنضح دون النضخ وهو الرش وقال في جنتي السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان او لونان اي شيء كان
وقال في اصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان ذكر اشياء معدودة وعم الاشياء في تينك حيث قال من كل فاكهة زوجان
لتفضيل اولئك على هؤلاء وجائز ان يذكر في كل واحد منهما حكمة على حدة قوله ذواتا افنان اذكرنا ان فيهما من كل فن وكل نوع
واحد الفتنين هي العين المعروفة الموعودة والاخرى التي لا يعرفون ولا يوعدون وقوله عز وجل فيهما من كل فاكهة زوجان
اي صنفان ولونان على غير تغيير الطعم والا نسا دبر خل في ذلك لان تغيير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه الا بعد دخول الفساد
فيها فيخبر ان تغيير لونه لا لفساد يدخل في ذلك والله اعلم وقال بعضهم انما ذكر الزوجين من الفواكه لما ان قلوب البشر قد جرت
باحد الزوجين وتمنتهم انفسهم والزوج الاخر هو لطف الله تعالى على عباده فضلا منه اليهم من غير ان يخطر على بالهم
ولا وقعت عليه ابصارهم ولا انتهت اليه امالهم كما الهم بها وامتنانا وقال بعضهم ليس المراد من هذه الايات تبيين
ما لاهل الجنة ولكن فيه بيان فضل السابقين على اصحاب اليمين اولئك يعطون من الفضل ضعفي ما اعطي هؤلاء والله اعلم و
قوله عز وجل متكئين على فرش بطائنها من استبرق قال الفراء يجوز ان يكون البطانة والظهارة جميعا من شيء واحد ومن جهة
واحدة لكن سمى الجهة التي تلي اجسادهم بطانة والاخرى ظهارة كالسماء ان الجهة التي تلي الملائكة هي بطانتهم وظهارتها وما
سا ظهارتهم وبطانتنا وكذلك كل شيء يلي انسانا فهو بطانة والجانب الذي لا يليه ظهارة يقال ظهر السماء للجانب الذي تراه والاخر
بطن السماء والله اعلم وقال القتبي لم يذكر الظهارة من استبرق ولم يذكر الظهارة والعرب قد تسمي ان ظهارة فرشهم انفس البطانة
والبطانة دون الظهارة فعلى ذلك في ذكر البطانة ووصفها بانها من استبرق دلالة ان ظهارتها ارفع وانفس من البطانة لكن ما
قاله الفراء صحيح وما ذكره القتبي هو من صنيع الناس في الدنيا من اتخاذ الظهارة البطانة مما لا يحتمل املاكهم التسوية بين ما بطن
وما ظهر والنفاسة والرفعة فان الله سبحانه وتعالى فلا نفاد لخزائنه يفعل ما يشاء كيف شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال قد احسنتم بالبطائن فكيف بالظهائر ثم الاستبرق اختلف فيه قيل هو ما غلظ منه بلسان قوم وقال بعضهم هو ما رق
ورق والله اعلم ولا ننشر بحث انه ما هو وكيف هو ولكن نعلم انه شيء وعدهم ربهم وهو شيء يرغب فيه انفسهم والله اعلم وقوله
عز وجل وجنا الجنتين دان فجائز ان يكون ذكر هذا في حق السابقين الذين سارعوا في الخيرات واستبقوا اليها ووعدهم عاجل بر ما
اطاعاتهم فيه بتخليه حزنهم في التقصير في العمل لله تعالى الواجب عليهم في اوامره ونواهيه فقال جنا الجنتين الذي وعدكم
دان وقال اهل التاويل الشجر دان منهم قريب حين يشاء وطلب الرجل كيف شاء لكن يذكر هذا والله اعلم ان الجنتين وان بعد تا فان
الثمار منهم دانية قال ابو عوسجة الجنا الحمل واجنت الشجرة يجنى اذا حملت وادرك حملها وقوله عز وجل فيهن قاصرات
الطرف اي قصرن طرفهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم ولا يشتهينهم وقال في اية اخرى حور مقصورات في الخيام ذكر هذا
لان اهل الدين يكونون اهل غيرة ولا يريدون ان ينظر ازواجهم الى غيرهم فيسرون اليهن فاخبر بالايتين انهن لا ينظرن الى
غير ازواجهن ولا غيرهم الجن حيث وصفهن بانهن قاصرات مقصورات في الخيام وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان قرئ لم يطمثهن بضم الميم وكسره وقال الفراء لم يطمثهن اي لم يقتضهن والطمث النكاح بالتدمية وقال اهل التاويل
لم يجامعهن انس قبلهم ولا جان وقال ابو عوسجة اي لم يمسسهن انس في التربية كما يربي الاولاد ولا الجان على ما تمس الجن
الاولاد فيفسدهم ولكنهم كما وصف انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين وقوله عز وجل كانهن
الياقوت والمرجان قال اهل التاويل شبههن بالياقوت لصفائهن وبالمرجان لبياضهن وهو كما قالوا والله اعلم وقوله
عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان لهم في الاخرة اي هل جزاء فعل الحسن في الدنيا الا
اعطاء الحسن في الاخرة وهي الجنة ولكن عندنا كانه اوجب اي هل جزاء احسان الله تعالى بما انعم عليهم في الدنيا الا الاحسان له بالشكر
والقبول الا اتيان فعل الحسن وهو الشكر له وحسن القبول لانه ليس يستوجب من قبل الله تعالى باحسانه في الدنيا جزاء في الاخرة
انما الجزاء لهم بحق الفضل والانعام لا بحق الاستحقاق ويحتمل ان يكون قوله تعالى هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان لهم في الاخرة
والله اعلم واستدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى بهذه الاية على ان للجن ثوابا كما للانس فانه جرى الخطاب من اول السورة
الى اخرها للجن والانس من قوله يا معشر الجن والانس وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فعلى ذلك يشترك في الوعد
والوعيد لكن ابو حنيفة رحمه الله يقول لا ثواب للجن في ذلك من نحو الفواكه والسفر الجواري فعلى ذلك ما ذكر من الثواب لهم
يجوز الثواب والجن يجوز العين والله اعلم وقد ذكرناه في غير هذا الموضع وقوله عز وجل ومن دونهما جنتان فان كانت الجنتان
اللتان سبق ذكرهما للسابقين والصديقين فهاتان الجنتان ذكرهما ها هنا لاصحاب اليمين على ذكره بعض اهل التاويل فجائز ان

يكون قوله

يكون قوله ومن دونهما اي في الفضل والقدر والمنزلة الفضل اولئك على اصحاب اليمين وان كان الجنان جميعا لكل واحد
منهم فجائز ان يكون قوله ومن دونهما جنتان في المكان والموضع لا في الفضل والقدر فكانه قال من اي جهة وقع بصرهم
يقع في جنانهم من فوق ومن تحت وعن يمين وشمال اي يكونون وسط الجنان لا يحتاجون الى التحول من مكان الى مكان كقوله
تعالى لا يبغون عنها حولا وعلى هذا يخرج قوله تعالى مدهامتان على ما ذكرنا هو شديد الخضرة الذي يضرب الى السواد ووصف
هاتين دون وصف تينك الجنتين بقوله تعالى ذواتا افنان على التاويل الاول وكذلك قوله تعالى عينان نضاختان على ما
ذكرنا انهما دون الجاريتين ولذلك روي عن الفراء قال العينان تجريان افضل من النضاختين وقيل نضاختان لانهما ينفخان
بالخير والبركة لاهل الجنة وقيل ينضحان بالماء وانواع الفواكه وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ينضحان بالمسك
والعنبر كما ينضح مطر الماء على بيوت اهل الدنيا وقوله عز وجل فيهما فاكهة ونخل ورمان من الناس من احتج لابي حنيفة رحمه الله
فيمن حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا لا يحنث في يمينه لانه بهذه الاية فان الرمان والرطب ليسا من الفواكه لانه عطفهما
على الفاكهة والشيء لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره هذا هو ظاهر الكلام الا ان نقول والدلالة على ان مراده بالذكر وان
كان من جنسه لضرب من التعظيم او غيره كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكائيل والله اعلم وقوله
عز وجل فيهن خيرات حسان قيل الحسان الخلق وحسان الوجوه يقال امرأة خيرة وخيرة ونسوة خيرات يقرأ بالتثقيل
والتخفيف جميعا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لكل مؤمن خيرة ولكل خيرة خيمة وقوله عز وجل حور مقصورات
في الخيام قيل اي محبوسات في الخيام لا يخرجن عن الخيام واصله ما ذكرنا انهن تكن في الخيام ولا يرين غير ازواجهن وقاصرات
الطرف اي لا يرفعن بصرهن الى غير ازواجهن ولا يبغين غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان هو قوله نمارق وعن عاصم الجحدري رفارف وعباقري قيل رفرف المجالس وقيل المجالس وقيل الرياض
الخضر وقيل الخيام وقيل هو فضول الفرش والبسط واما العبقري قيل هو الزرابي وهو بالفارسية النخ وقال ابو عبيدة العبقري
الطنافس الثخان وقيل لكل شيء من البسط عبقري وقال القتبي وابو عوسجة العبقري في غير القران ثياب يتخذ بعبقر وهو
بلد فينسب اليها وقوله عز وجل تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام قال ابو بكر الاصم تعظم اسم ربك من ان يسمى
غيره باسمه وقوله ذو الجلال اي يجل على الخلق ان يجلوه ويعظموه من ان يسموا غيره باسمه والاكرام هو ان يجعلوا له
ما لا ينبغي به من الولد والشريك وغيره ثم قيل فيما يرى تكرار قوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان فيه الاء ما في السموات و
الارض كونها في الدلالة على وحدانية الله تعالى والشهادة له بانه خالقه ومرسل رسله عليهم السلام وما جاءت به عنده وذلك
ان جميع ما فيهما من المال والطعام والشراب على ما ذكرنا وذلك كما يقول الرجل لاخر يلومه ويعاتبه الم تكن جائعا فاطعمتك الم تكن
هذا لم تكن ظمآنا فسقيتك فتكرر هذا ونحو ذلك وجائز ان يكون فائدة التكرار غير هذا وهو انه خرج مخرج العظة والتذكير
ومن شان الوعظة والذكرى التكرار والاعادة ليكون اجمع واحد للقلوب واقرب الى القبول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا وقعت الواقعة هذا ولا بد من الابتداء بالخطاب فانما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر تعالى ان يكون
المؤمنون ذكر [illegible] فقال لهم [illegible] الواقعة [illegible]
[illegible]
التوضيح من نحو قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها ونحو ذلك [illegible]
المتوقعة والعقوبة فيكون الواقعة كما تعرفها وجائز ان يكون الواقعة اسما من اسماء البعث كالقيامة والساعة وغيرها
والله اعلم وقوله عز وجل ليس لوقعتها كاذبة قال بعضهم اي ليس لوقعتها مثنوية ولا ترداد يقال حمل عليه فما كذب اي
فما رجع وقال بعضهم اي هي حق ليست بكذب وقال بعضهم اي ولا يكذب بها احد اذا وقعت ليست تكذيب وقال بعضهم اي
لا يكذب بها احد اذا وقعت ليست كالايات التي عاينوها في الدنيا مما عرفوا انها ايات كذبوها كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وغير ذلك يكذبها مع العلم بانها ايات
يقول تعالى اذا عاينوا القيامة يعرفونها ويصدقونها ولا يكذبون بها كقوله فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ويحتمل
ويحتمل ان يكون قوله ليس لوقعتها كاذبة اي ليست الانباء والاخبار التي جاءت على وقوعها وقيامها كاذبة بل هي صادقة
وقوله عز وجل خافضة رافعة قال بعضهم خافضة تسمع القريب ورافعة تسمع البعيد قال صاحب هذا التاويل انه يصير
الواقعة هي الصيحة وتلك صافية رافعة وقال بعضهم خافضة اي الحاق النار ورافعة الى الحاق الجنة ويحتمل خافضة
لمن تكبر وتعظم على الخلق وترفعه ورافعة لمن تواضع للخالق واتقاه وقيل رافعة لاهل الجنة وخافضة لاهل النار في النار لقوله

يوم يستحبون في النار ورائعة لأهل الجنة كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله لهم قدم صدق عند ربهم وقوله عز وجل إذا
رجت الأرض يخرج على السؤال كأنهم لما سمعوا وصف القيامة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك متى يكون الواقعة
فعند ذلك قال إذا رجت الأرض رجا وهو كقوله عز وجل وإذا زلزلت الأرض زلزالها فزلزلت حتى يلقي ما في بطنها وقوله
عز وجل وبست الجبال بسا قيل فتت حتى يصير كالدقيق ومنه يقال السويق المبسوس والبسيسة سويق يلت بالزيت
والخلط وقال الحسن بست الجبال أي سيرت تسييرا وقوله عز وجل فكانت هباء منبثا قيل الهباء الذي يكون في ضوء
النار إذا حميت لا يكون غيره منبثا أي متفرقا وقيل هباء منبثا أي ترابا منتشرا وقيل الهباء المبثوث هو ما يسطع
من سنابك الخيل وقيل الهباء الغبار الذي يراه في الشمس إذا دخلت من الكوة فيه إخبار عن شدة ذلك اليوم
وهوله أنه يفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها الله تعالى فكيف يفعل بكم يا بني آدم مع ضعفكم وكثرة معصيتكم والله
أعلم وقوله عز وجل أزواجا ثلاثة أي أصنافا ثلاثة والأصناف الثلاثة ثم ما فيه عقيبه حيث قال فأصحاب الميمنة ما أصحاب
الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون الآية وقيل الأصناف الثلاثة المكذبون والمحسنون
والسابقون وقوله عز وجل فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة يحتمل وجهين
أحدهما أصحاب الميمنة من اليمن وأصحاب المشأمة من الشؤم والثاني سموا أصحاب الميمنة لأنهم أصحاب الطيبات و
اليمين هي التي تستعمل في الطيبات والكفرة أصحاب الشمال لأنهم أصحاب الخبائث والشمال تستعمل في الخبائث وعلى ذلك
قوله فأما من أوتي كتابه بيمينه لأن في كتبهم طيبات وخيرات وفي كتب الكفرة خبائث فيؤتى بشمالهم وقيل سموا أصحاب
الميمنة والمشأمة لما ذكر الله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقوله فأما من أوتي كتابه وراء
ظهره فكأنه فكل من أوتي كتابه بيمينه فهو من أصحاب اليمين ومن أوتي كتابه بشماله فهو من أصحاب المشأمة وكذا قوله تعالى
والسابقون يحتمل وجهين أيضا أحدهما السابقون في الخيرات يسبقون الناس في كل خير والثاني السابقون في الإجابة
لله ورسوله إلى ما دعاهم إليه ثم جائز أن يكون الخطاب به الناس كافة الأولين والآخرين فيكون الناس كلهم أصنافا
ثلاثة السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال وجائز أن يكون الخطاب بهذه الآية هذه الأمة عامة ففيهم
السابقون وفيهم أصحاب اليمين وهم أصحاب النظر في الحجج والآيات والتأمل فيها وأصحاب الشمال وهم الكفرة ثم و
قوله عز وجل أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة على التعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكرمهم أو على التعظيم لا ولكن
يعظم ما لهم تعظيم وكذلك قوله وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة يخرج على هذين الوجهين على التعجب والتعظيم لا يحتمل
وكذلك قوله والسابقون السابقون يخرج على هذا أيضا يقال فلان ما أمر فلان ويقال فلان فلان على تعظيم أمره وشأنه
فعلى ذلك هذا ثم قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة يقول أصحابنا رحمهم الله في جعلهم الكفر كله ملة واحدة لأنه جعل الله تعالى
أهل الكفر على اختلاف مذاهبهم وأديانهم زوجا واحدا وأهل الإسلام زوجين حيث جعل الكل أزواجا ثلاثة والله أعلم
وقوله عز وجل أولئك المقربون يحتمل أن يكون وصف القرب لهم لسابقتهم في الخيرات في الدنيا ويحتمل أنهم مقربون في الآخرة
بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات وفي الإجابة والسبق فعلهم والتقريب بلطف من الله تعالى وفضل منه والله أعلم
وقوله عز وجل في جنات النعيم جميع الجنات نعيم لأن فيها نعيما ولكن يسمى واحدة منها نعيما والأخرى عدنا والفردوس
والمأوى ما له أن يسمي ما شاء بما شاء وكيف شاء وقوله عز وجل ثلة من الأولين وقليل من الآخرين اختلف في ذلك
قال بعضهم أي ثلة من الأولين ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب أشهه وقليل من الآخرين ممن بعد من هذه الأمة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وأدرك زمانه وقليل من المقربين من الآخرين وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وعلى ذلك قوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل على ما ذكر والله
أعلم ومنهم من قال ثلة من الأولين أي جماعة من المؤمنين الذين كانوا في الأمم الماضية وقليل من الآخرين أي من هذه الأمة
وهكذا يكون لو اجتمع أهل الإيمان من هذه الأمة مع الأمم الماضية يكون هؤلاء أقل منهم ويحتمل أيضا أن السابقين المقربين
من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمة لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا في الأمم السالفة وقال أهل التأويل
لما نزل قوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا وقالوا لن يدخل
الجنة منا إلا قليل فنزل قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لكن هذا لا يحتمل لأنه خبر ولا يرد في الأخبار نسخ وما
قالوه فهو نسخ والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين هم أصحاب اليمين من الأولين والآخرين
جميعا أي جماعة كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين ثم يحتمل أن يكون الأولون والآخرون من هذه الأمة ويحتمل
أن يكون الأولون من الأمم الماضية والآخرون من هذه الأمة وهم المؤمنون وقوله ثلة من الأولين وقليل من الآخرين في
المقربين خاصة والله أعلم وقوله عز وجل على سرر موضونة وقال في آية أخرى على سرر مصفوفة والسرر قد يكون في الدنيا

مصفوفة ولكن لا يكون موضونة أي منسوجة والوضن هو النسج يخبر أنه لا يكون بين السرر في الآخرة انفصال ولا فرج
كما يكون في الدنيا لكن موصولة بعضها ببعض وقوله عز وجل متكئين عليها أي على السرر التي ذكر أنها مصفوفة وموضونة
وقوله عز وجل متقابلين أي يقابل بعضا بعضا ولا يعرضون ولا ينظر بعضهم إلى بعض بالقفا كما يفعل أهل المجالس في الدنيا يعرض
بعضهم عن بعض ويجفو بعضهم بعضا يخبر أنهم يكونون في الآخرة خلاف ما في الدنيا بحيث لا يتأذى بعض من بعض بوجه
ما وقوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون فيه أنهم يطوفون في الجنة على ما يستحبون في الدنيا من الشرف وطواف
الولدان وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من أنواع ما يرغب أنفسهم في الدنيا ثم ذكر أنهم ولدان وإن
لم يكن في الجنة ولاد فهو يخرج على وجهين أحدهما أن يكون على هيئة الولدان وإن لم يولدوا أو سموا ولدانا لولادتهم
في الدنيا وإن لم يولدوا في الجنة لأن التوالد في الدنيا لحاجة البقاء وأهل الجنة باقون وقوله عز وجل مخلدون قال بعضهم
أي مقرطون والخلد القرط وجمعه الخلدة وقال بعضهم هو من الخلود كقوله تعالى خالدين أي باقون ويقال مستور من السوار
وقوله عز وجل بأكواب وأباريق هي الكيزان المدورة الرؤوس التي لا عرى لها والأباريق التي لها عرى وخراطيم ويحتمل أن يكون
الأكواب القداح التي يشربون بها لأن في الدنيا يكون لأهل الشراب الأباريق والأقداح يصبون من الأباريق في القدح و
يشربون منه لا يشربون من الأباريق فعلى ذلك وعدوا في الجنة وقوله عز وجل وكأس من معين الكأس هو القدح المملوء من
الشراب وأما المعين قال بعضهم هو الظاهر من الماء الذي يقع عليه البصر وعد لأهل الجنة ذلك والله أعلم وقوله عز وجل
لا يصدعون عنها ولا ينزفون قال بعضهم لا يصدع رؤوسهم وقيل ينفد أي لا يصدع رؤوسهم في الجنة كما يصدع خمر الدنيا أهلها و
قوله عز وجل ولا ينزفون قيل بكسر الزاي لا ينفد شرابهم وبالفتح لا يسكرون فيه أنه ليس في خمورهم الآفات التي تكون في خمور
الدنيا من ذهاب العقل والصداع والنفاد وقوله عز وجل وفاكهة مما يتخيرون جميع الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين
أحدهما أن جميع فواكهها مما يتخير والثاني المعروف في الفواكه أن يقدم من أجناس مختلفة والولدان لا من لون واحد ونوع
واحد فيتخيرون من أي نوع اشتهاه وشاءوا وقوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون أن أهل الجنة إنما يتناولون على الشهوة
لا على الحاجة وسد الجوع وهو كما ذكر وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وقوله عز وجل وحور عين كأمثال اللؤلؤ
المكنون يحتمل تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين أحدهما لما لا شيء أصفى من اللؤلؤ والياقوت فضرب مثلهن لذلك
لصفائه وبياضه والثاني أن اللؤلؤ حتى شبه الموعود في الجنة من الجواري به والثاني أن للؤلؤ ومنه عند العرب
وليس الخطر لغيره من الأشياء فيشبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس ذلك لغيره وهو كقوله تعالى
ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ضرب مثل من يشرك بالله بالذي خر من السماء والشرك بالله أعظم مما ذكر لكن ليس
شيء أعظم وأبعد من الخرور من فوق السماء السابع فعلى ذلك الأول والله أعلم وقوله عز وجل جزاء بما كانوا يعملون أن
الله تعالى ذكر الأعمال جزاء كأنهم عملوا له فضلا منه وكرما في حق عباده وإن كانوا في الحقيقة عاملين لأنفسهم
كقوله تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وكذلك ما ذكر من شراء أنفسهم وأموالهم منهم وما ذكر من الإقراض بقوله تعالى
وأقرضوا الله قرضا وإن كانت أنفسهم وأموالهم له وإن كان عامل عباده في أنفسهم وأموالهم كأنها ليست له فضلا و
فعلى ذلك ذكر لأعمالهم جزاء كأن منهم إلى الله تعالى صنيع وإحسان وإن كانوا عاملين لأنفسهم ومنافع أعمالهم ترجع إليهم
بفضله وكرمه والله أعلم وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما هذا يرجع إلى وصف خمور أهل الجنة أي ليس
فيها الآفات التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول اللغو والخنا فإن مثل ما يجري على ألسنتهم في الدنيا حين
شربوا الخمور وما يأثمون به وذكر لهم هذه الخمور في الجنة لأن قوما يرغبون فيها في الدنيا فوعدهم ليرغبوا فيها و
يطلبوها بالامتناع عن شبهها في الدنيا من الخمور المحرمة والله أعلم وقوله عز وجل إلا قيلا سلاما سلاما يخرج هذا
على وجهين أحدهما أي لا كلام فيه سلامة عن جميع الآفات التي ذكر والثاني إلا قيلا سلاما سلاما أي يحيي بعضهم بعضا
بالسلام كقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود
الآية أصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا ثم اختلف في ذكر شجر السدر لهم وما ذكر من الطلح وغير ذلك منهم من قال إنما
ذكر هذا لهم لتفضيل المقربين على أصحاب اليمين لأنه قال في المقربين السابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم
إلى آخر ما ذكر من عظيم الكرامات التي ذكر لهم ثم ذكر لأصحاب اليمين دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على أصحاب اليمين
ومنهم من قال إن قوما من العرب ينتفعون بذلك لأن لها ثمرا لكن ليست بمرغبة ولها شوك ولأذى بل مرغب فيه
وهو كما وعدهم من الخمور ثم نفى عن خمورها الآفات فعلى ذلك جائز أن يكون شجر السدر فيها بغير آفات والله أعلم وقوله
عز وجل وطلح منضود منهم من قال هو طلح منضود متراكم كما ذكر في آية أخرى وطلع نضيد ذكر في أحد الآيتين نضيد وفي
الأخرى منضود وذلك جائز في اللغة وقيل طلح بالحاء هو الموز وذكر أن عليا رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ وطلح

منضود فقال على رضى الله عنه ما شان الطلح انما هو طلع فقيل له ان فى المصحف وطلح افلا تغيره فقال ان المصحف لا يغير اليوم
وهذا يؤيد التاويل الاول وقال ابو معاذ الطلح فى كلام العرب شجر عظام كثير الاغصان واحدها طلحة وقوله عز وجل وظل
مخضود اى مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى شجر الحرم لا يخضد شوكها
ولا يعضد شجرها وقوله عز وجل وظل ممدود يصف انه ليس فيها شمس تؤذيهم ولا برد يؤذى بل ظل شئ لطيف لا اذى
فيه ولا شئ اثقل على الابدان بل هو شئ يوافق البدن ويخف عليه وقيل ممدود لانه لا شمس فيها فتنسخه بالشمس يعرف
الظل ههنا وظل الاخرة ممدود ابدا وقوله عز وجل وماء مسكوب قيل جار غير منقطع وهو قول القتبى وقال ابو عوسجة
مصبوب والاول كانه تاويل اى جار ابدا ليس كماء الدنيا الا ان يراد بالانصباب صبه من الاعلى الى الاسفل وذلك
مما رغب اليه فى الدنيا ثم قوله عز وجل وماء مسكوب جائز ان يكون ذكر هذا لاصحاب اليمين وما ذكر من قوله تعالى عينا
يشرب بها عباد الله وقوله ومزاجه من تسنيم فيكون للمقربين قوله عينا يشرب ولاصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم
وكذلك ما ذكر من جنات تجرى من تحتها الانهار للمقربين يكونون فى العليين ويكون الانهار تحتهم ما ينسكب
وينصب من الاعلى لاصحاب اليمين لانهم يكونون دونهم فى الدرجة والله اعلم وقوله عز وجل وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
كانقطاع فواكه الدنيا يخبر انها لا ينقطع فى الجنة فى وقت من الاوقات وانها كلما قطعت منها خرج اخرى مكانها
بهيئة الاكل من غير ان يحتاج فيه الى وقت النضج كما فى الدنيا ينقطع من وقت خروجها الى وقت نضجها وبعد النضج و
الادراك ينقطع الى وقت وجود حمل اخر وقوله عز وجل ولا ممنوعة اى لا افة بها يصير ممنوعة كفواكه الدنيا اذ هى ربما
يمتنع بافة يصيبها وقال القتبى وابو عوسجة لا مقطوعة اى لا يجىء كما يمنع فى الدنيا بعضهم من بعض وقوله عز وجل و
فرش مرفوعة اى مرفوعة القدر والمنزلة او مرفوعة بنفسها فى القيمة وهو ما ذكرنا فى قوله تعالى والسماء رفعها وقيل
وفرش مرفوعة النساء يقال امرأة ونساء فرش وقوله عز وجل انا انشاناهن انشاء قال الاصم وعليه ان هذا صلة و
قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون كانه قال على اثره وقال القتبى انه لما ذكر على اثر قوله وفرش مرفوعة انا
انشاناهن دل ان الفرش كناية عن الازواج اذ هن اللواتى يفرش واحدة الفرش فريش وقيل قد استفرشت الناقة
اذا اشتهت الفحل والاشبه ان يكون هذا صلة قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون اذ ذكر فى قوله وحور
عين على ذكر المجالس والزوجات لا معنى الذكرهن فى هذا الموضع ثم وقوله عز وجل انا انشاناهن انشاء اى
انشاناهن فى الابتداء على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا وهو كما ذكرنا فى قوله فى صفة الفواكه انها غير مقطوعة
ولا ممنوعة اى انها تخرج اول ما تخرج على هيئة الاكل لا كما فى الدنيا وقوله عز وجل فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قيل وخلقنا
كذلك ويكن ابدا كذلك كلما ذهبت عذرتهن عادت فيكن ابدا على تلك اللذة لانهن انشئن هذا والله اعلم وقال عامة اهل التاويل
فى قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا اى خلقنا نساء الدنيا من الشباب والابكار خلقا خلقا جديدا سوى
الخلق الذى كان فى الدنيا فجعلناهن ابكارا وكن فى الدنيا عجائز وثيبات وروى فى ذلك خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه بين
انه قال فى قوله انا انشاناهن انشاء الثيب والبكر وفى بعض الاخبار قال ان العجوز لا تدخل الجنة ثم قوله انا انشاناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا ومن قال هو صلة قوله وحور عين هو ليس نساء الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل عربا اترابا بجزم
الراء مخففة ومضمومة قال ابو عبيد نقرؤها بالضم لوجهين احدهما التفخيم الثانى انها افصح فى العربية لان واحدها عروب
وهو مثل صبور وصبر وشكور وشكر واما فى الوجه الاخر التخفيف وقيل فى تاويله عربا عاشقات لازواجهن وقال ابو عوسجة
العروب المراحة وقال القتبى هى المتحببة الى زوجها وقيل الغنجات لازواجهن وقيل ان اهل مكة يسمونها العربة واهل
مدينة غنجة واهل العراق الشكلة وقال سعيد بن جبير عربا صنعات وصنعات هى التى تعرض للزوج من الشهوة ويقال
للناقة اذا اشتهت الفحل ضبعة وقوله عز وجل اترابا اى مستويات الاسنان وقال القتبى العرب واللذة واحدة وهو ما
لمارسته جاء واصله انهن انشئن بلا ولاد فيتقدم ويتاخر كما يكون فى الدنيا يتفاضلن فى الاسنان فخرجن فى الاخرة اترابا
ثم قال وثلة من الاخرين قد ذكرنا تاويله انه يخرج على الوجهين وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال هما جميعا من امتى
وكذلك تاويل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وقوله عز وجل واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وذكر فى اصحاب
اليمين مثله من التعجيب وخبر عما يكرمهم به ويعطيهم من انواع النعم وذكر اصحاب الشمال وذكر على اثره ما اوعدهم من العذاب
والهوان بقوله سموم وحميم الاية ثم ذكر فى اول السورة اصحاب الميمنة والمشئمة ولم يذكر لهم الثواب ولا العذاب
وذلك والله اعلم لان فى ذكر الميمنة والمشئمة دلالة ما لهم لان الميمنة من اليمن والمشئمة من الشوم ففى ذكر ذلك بيان
ما لهم من الكرامات وما لاولئك من العقوبات وليس فى ذكر اليمين والشمال بيان العقاب فذكر على اثر ذلك ليعرف ما لكل
فريق من الجزاء والله اعلم وقوله عز وجل فى سموم وحميم قيل السموم هو نفح جهنم والحميم هو الذى انتهى حره غايته وقيل

السموم

السموم هو حر النار وقيل هو ريح باردة وقيل ريح حارة واصله انه لما اصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك
يشربون الحميم رجاء ان يسكن بهم عطشهم ويذهب ذلك عنهم فلا يزدادهم بذلك الا سوء عطش على ما كان والله اعلم
وقوله عز وجل وظل من يحموم قيل هو دخان اسود وقال بعضهم اليحموم وهو من الحميم وقال ابو بكر اى ظل من يحاد
يجعل اليحموم نجاة الظل الذى ذكر ههنا يحتمل ان يكون هو الظل الذى ذكر فى قوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب
وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل هو السرادق من النار وقوله عز وجل لا بارد ولا كريم لا بارد لانه من النار ولا كريم
لانه لهوانهم ليس للكرامة وقال الحسن وقتادة لا بارد النزل ولا كريم المنظر وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك مترفين
اى هذا الجزاء لهم كانوا يقولون فى الدنيا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وانما قال ذلك مترفون دون السفلة
والاتباع لقوله تعالى الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل وكانوا يصرون على الحنث العظيم
اختلف فيه وقال بعضهم كانوا يصرون على الحنث اى على الاثم العظيم وهو الشرك وقيل الحنث العظيم الكباير والاصرار هو
الادامة على جاده وقال بعضهم يصرون على انفسهم يقسمون ويحنثون فيه كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت اقسموا انهم لا يبعثون فحنثوا فى ذلك لانه تعالى اخبر انهم يبعثون حيث قال بلى وعدا عليه حقا ويحتمل ان يكون
قسمهم ما ذكر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقوله لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم وقد جاءهم النذير فلم يكونوا اهدى وجاءتهم اية ليؤمنن بها وقولهم لئن جاءهم النذير فلم يكونوا اهدى وجاءتهم
الايات فلم يؤمنوا بها فحنثوا فيها فان كان قسمهم بانهم لا يبعثون فحنثوا حين فراغهم من اليمين لانهم ايسوا عن ذلك وفيه
دلالة نقض مذهب اصحابنا ان من حلف ليمسن السماء انه يحنث عند فراغه من اليمين وقوله عز وجل وكانوا يقولون ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا قالوا هذا على الاستهزاء والاستبعاد للبعث الا ترى انه احاط بهم فقال
قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم وقوله ان الاولين والاخرين يخرج على وجهين احدهما اى
بجميع الاولين والاخرين فى التخليق اى جمع بين الاولين والاخرين فى التخليق حيث خلق الاخرى على اثر الاولين والا لم
يكونوا وقت ما قال لمجموعون ان الاخرون لم يكونوا مخلوقين بعد والثانى مجموعون فى الارض اى فى القبور والى ميقات يوم
معلوم وقوله عز وجل ثم انكم ايها الضالون المكذبون باياته الدالة على توحيده ورسله والبعث وقوله عز وجل
لاكلون من شجر من زقوم اخبر ان المكذبين يكذبون اكلين من الشجر الزقوم فيكون كما اخبر ثم شجرة الزقوم هى التى ذكرنا انها
تخرج فى اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين وقد ذكرنا تاويلها فى موضعه وقوله عز وجل فمالئون منها البطون
يخبر ان ليس لهم مما يأكلون ويشربون الا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما يأكلون من الزقوم وضيق الجوع ولا ما يشربون
من الحميم العطش منهم بل يزدادهم بذلك جوعا وعطشا على ما كان والله اعلم وقوله عز وجل فشاربون عليه من الحميم
فشاربون شرب الهيم قيل الهيم هو ابل ياخذه الداء فيشرب حتى يملأ البطن فلا يروى ابدا الهيماء الذى فيه فعلى ذلك
اهل النار يشربون ويأكلون حتى يمتلى بطونهم فلا يروون ولا يشبعون والله اعلم وقيل الهيم الابل الذى بهم فى الارض
ولا يرد الماء اياما ثم اذا ورد الماء فيشرب فيمتلى بطنه حتى يهلك لامتلاء البطن وهو قول الاصم وقوله عز وجل هذا نزلهم
يوم الدين اى الذى ذكر عذابهم ورزقهم يوم الدين وقوله عز وجل نحن خلقناكم فلولا تصدقون هذا يخرج على وجهين
احدهما يقول والله اعلم لما صدقتمونى ورسلى بانا خلقناكم فى الابتداء فهلا صدقتمونا ورسلنا بانا نعيدكم تارة اخرى
اذ لا يعجز فى الابتداء الاشياء ايكون منها فى الاعادة وهو ما قال وهو اهون عليه والثانى انكم صدقتموه ورسله انه انشاكم
فى بطون امهاتكم فى ظلمات الثلاث وتقلبكم من حال الى حال لا يحتمل ان يترككم سدى بلا عاقبة فيكون فيه اثبات البعث اذ لولا
ذلك لكان خلقهم وتحويلهم من حال الى حال عبثا كما قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون قد علموا انهم لم يخلقوا ما تمنون ولا خلقوا انفسهم فيقول والله اعلم فلما قررتم انكم لم تخلقوا ما
امنيتم ولا انفسكم ولا يملكون ذلك فقد عرفتم ان الله خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك فاذ عرفتم ذلك وانتم اهل
تمييز واكمل عقلاء من غيركم فاذ لم يملكوا خلق انفسكم فالذين هم دونكم احرى ان لا يملكوا خلق انفسكم وخلق ما ذكر ثبت ان
الله تعالى هو خالق ذلك كله فكيف عبدتم غيره وصرفتم الالوهية الى غيره وقوله عز وجل نحن قدرنا بينكم الموت يحتمل وجوها
احدها انه لما كان هو الذى خلقكم وما ذكر ثم قدر بينكم الموت وفيكم الولى له والعدو وقد سوى فى الدنيا بين الولى والعدو
وفى الحكمة التفريق بينهما دل ان هناك دارا اخرى يفرق بينهما والثانى نحن قدرنا بينكم الموت اى المعجل والموجل اى لم يجعل موت
جميعكم فى وقت وتعدد اجل معجلا ومؤجلا فى الاصل وقد ان يكون من اجل هذا اكثر من من اجل الاخرى وقوله نحن قدرنا
بينكم الموت اى سوينا بينكم فى الموت بين عزيزكم وذليلكم ورفيعكم ووضيعكم لا يسلم احد عنه ويحتمل وجها اخر هو اولى وهو
لما قدر بينكم الموت وكل واحد منكم يكره الموت ثم لم يملكوا دفع الموت عن انفسكم دل ان ههنا تاما قادرا يجب القول بوجوده

والانقياد لاوامره ونواهيه وقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اى وما نحن بمغلوبين فى تبديل امثالكم او
يقول وما نحن بعاجزين على ان نبدل امثالكم وقوله عز وجل وننشئكم فيما لا تعلمون قال ابو بكر الاصم فيما لا تعلمون قال ابو بكر
الاصم فيما لا تعلمون من تبديلكم الى صورة ذميمة قبيحة كصورة القردة والخنازير ونحوها وقيل ننشئكم فيما لا تعلمون فى اى خلق
شاء وهو قريب من الاول ويحتمل ان يكون معناه وننشئكم فيما لا تعلمون فى ظلمات ثلاث الذى لا يبلغه علم البشر ولا تدبير
الحكماء الى ان بلغوا فمن ملك ذلك لا يحتمل ان يعجز عن بعثنا وغيره والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمتم النشأة الاولى فهو على ما ذكر
انكم لما عرفتم انه هو الذى انشأكم النشأة الاولى لا على اصل سبق لا يحتمل ان يعجز عن النشأة الاخرى لانها مثل الاولى بل هو و
عندكم اسهل واهون وقوله عز وجل فلولا تذكرون يخرج على ما ذكرنا هلا تذكرون وحدانيته وربوبيته او هلا تذكرون انه
قادر على البعث ولا تذكرون انه هو المستوجب بشكر ما انعم عليكم او هلا تذكرون نعمه واحسانه ومن الناس من قال النشأة
الاولى ههنا نشأة آدم عليه السلام وخلقه اى علمتم انه نشأه لا من اصل ولا احتذاء غيره فمن قدر على ذلك فهو على النشأة
الاخرى لقادر وعلى تعذيبكم وحكمكم اقدر والله الموفق وقوله عز وجل أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون جائز
ان يكون هذه الاية صلة ما تقدم من قوله أفرأيتم ما تمنون كانه يقول أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تخلقونه الزرع ام نحن الخالقون له
فيكون فيه الذى ذكرنا فى ذلك والله والثانى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم جعلتم الحبة بحيث ينبت ام نحن الجاعلون بحيث
ينبت ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما اى يابسا وقال ابو عوسجة اى متكسرا ليذكر نعمه التى انعمها عليهم يقول هو الذى جعله
بحيث ينتفع ويبقى ولو شاء لجعله بحيث لا ينتفع به او يخبر عن قدرته انه قادر على الانبات وعلى الاهلاك فعلى ذلك قادر على
الانشاء والاعادة واهل التأويل يقولون أفرأيتم ما تحرثون اى نبتم فظلتم تفكهون قيل تعجبون وقيل تندمون وهى لغة
عكل وقال ابو بكر الاصم اى صرتم تستفكهون ويتلذذون كما يقول الرجل لاخر لو اخذت مالك او سلبته ضرب حينا او استغنيت
ولكن لا ندرى ايقال ما ذكرتم لا كان يقال ذلك يصير تعذيبه كانه يتلذذ لكثرة ما يذكره فى كل وقت لان الرجل اذا ذهب ماله
لا يزال يذكره كالمتلذذ به والمتنعم وعن ابن عباس رضى الله عنه فظلتم تفكهون اى تلاومون وفى حرف ابن مسعود رضى الله
عنه فظلتم تفكهون وقوله عز وجل فظلتم يستعمل فى زمان النهار دون الليل وقوله عز وجل انا لمغرمون بل نحن محرومون
اى فظلتم تقولون انا لمغرمون ثم اختلف فيه قيل انا لمعذبون يقول لان عذابها كان غراما وقيل انا المذنبون الملقون للشر
ونحو ذلك لكن من الغرم الظاهر لان من يجعه خسران فى ماله او هلاك يلحقه الغرامة لما يحتاج الى غيره والله كانه يقول ولو
لو جعله حطاما يابسا لا ينتفعون به فظلتم تقولون انا لمغرمون وقوله عز وجل بل نحن محرومون قيل المحروم هذا الذى يمنع
عنه المال او ما ينتفع به وقال بعضهم محدودون وقيل محارفون لكن المحروم ظاهر لا يحتاج الى التفسير والله اعلم وقوله
عز وجل أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون يذكر نعمه عليهم بما انزل لهم من الماء العذب فيشربونه
واخبر انه لو شاء لجعله اجاجا مالحا ما يهلك الانفس ولا تقوم له وكذلك قوله لو نشاء لجعلناه حطاما حتى يخرج من ان يكون
فيه فيه ولكن بفضله ورحمته ابقى لهم ذلك عذبا واشربة ولذلك قال فلولا تشكرون اى هلا تشكرون ما انعم عليكم
ثم فى هذه الايات دلالة نقض قول المعتزلة فى افعال العباد حيث قال أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون والامنا
هو فعل العبد انما هو وخلق المنى ثم اخبر انه هو خالق ذلك حيث قال أأنتم تخلقونه وكذلك الحراثة والزراعة فعل العباد واخبر
انه خالق ذلك وفى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما او اجاجا نقض قولهم فى الاصلح فانه يقال لهم ان قوله لو نشاء لجعله كذا انه لم
يفعل ذلك فقد ترك الاصلح لهم فى بقائه ذلك فيصير كانه قال لو شاء لجعله ما هو حق وعدل وجوز ولا يجوز ان يقال ان الله تعالى
لو شاء ان يجوز لجار فعلى اى الوجهين حمل كان فى ذلك نقض مذهبهم وفى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت نقض قولهم
من ان المقتول لم يمت باجله لانه تعالى اخبر انه قدر الموت بينهم وعندهم ان من قتل لم يمت بما قدر الله تعالى ولم يمت باجله
وقد اخبر انه هو قدر ذلك وانه لا يسبق فى ذلك بقوله وما نحن بمسبوقين ولو كان على ما تقوله المعتزلة ان المقتول يموت
قبل اجله فقد قالوا انه لم يقدر له الموت وان القاتل قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له من الاجل والبلوغ الى ذلك الاجل
الذى جعل له وكذب فى خبره انه يبلغ الى ذلك الاجل والله الموفق ثم وقوله عز وجل أأنتم انزلتموه من المزن اختلف فى تأويل
المزن قال عامة اهل التأويل والادب المزن هو السحاب وقال ابو بكر الاصم المزن هو الماء العذب فعلى ذلك قوله يكون
حرف من صلة كانه قال أأنتم انزلتموه المزن والظاهر ما ذهب اليه اولئك انه ينزل من السحاب والله اعلم وقوله عز وجل
أفرأيتم النار التى تورون قال بعضهم توقدون وقال بعضهم تقدحون يقال قدحت النار واوريتها اى اخرجتها يقال
ورت النار يرى وريا فهو وار اى اضاءت وقوله عز وجل أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون قيل هى الشجرة التى
يجعل حطبا ويوقد بها النار ويحرق وقيل هى الشجرة التى فيها النار وهى التى يتخذ منها الزنود والاول اقرب والله اعلم
وقوله عز وجل نحن جعلناها تذكرة قال بعض اهل التأويل اى جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهى النار الاخرة

يحتمل ان

يحتمل ان يكون الجزء جعلناها اى هذه النعم الحاضرة تذكرة للنعم الموعودة او جعلنا هذه الشدائد والبلايا فى الدنيا تذكرة
لما اوعد وانى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ومتاعا للمقوين قال بعض اهل التأويل اى متاعا للمسافرين خص المسافرين لانهم
اقوى وهو النفر وهو قول القتبى وقيل المقوين المستمتعين وقال ابو عوسجة المقوى الذى لا زاد له وقيل الذى ينزل فى الارض
القواء والقوا الخالية من الناس وقال ابو عبيدة ادى الذى لا زاد معه اولى بالنار ولا خروج لهامن الذى معه الزاد بل صاحب الزاد
اليها احوج ويقال رجل مقو اذا كان معه مطيته قوية قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم عن ابن مسعود
وابو هريرة انهما قرءا بموقع النجوم على الوحدان وعن الحسن انه قرأها بمواقع على الجمع وبه اخذ ابو عبيد وقال ان بعض اهل التأويل تأولها
على منازل القرآن وبعضهم على مغايب الكواكب ومساقطها وأى الوجهين كان فالجمع فيه اولى من الوحدان ثم اختلف فى قوله فلا
اقسم منهم من قال ان حرف لا فيها صلة كانه قال اقسم بمواقع النجوم وذلك جائز فى اللغة كقوله ما منعك ان لا تسجد ونحوه يكون
على الصلة والزيادة على التوكيد ومنهم من قال على اثبات حرف لا لكنه جعل ذكره لرد قول كان من اولئك الكفرة ولرفع منازعة
كانت منهم لكن لم يذكر ذلك لما كانت معروفة بينهم فرد ذلك فلا ثم ابتدأ القسم بقوله اقسم كانه قال اقسم قسما بمواقع النجوم
على الوجهين اللذين ذكرناهما قال بعضهم بمواقع النجوم اى بمواقع نزول القرآن نجوما دليله ما ذكر على اثره انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون
والثانى بمواقع النجوم النجوم المعروفة على ما قال بعضهم ثم ان كان المراد منه الكواكب فالقسم بها يكون على وجوه احدها لعظيم
موقع النجوم ومحلها فى القلوب وجليل القدر لها عند الناس حتى يجعلها بعض الخلق مدبرة العالم او لكثرة منافع الخلق بها
من معرفة الطرق بها والسبيل ومعرفة كثرة الانواء والبناء ومعرفة الاوقات والازمنة ونحوها مما يكثر ذكرها او بمواقع النجوم
اى بمساقطها وفى ذلك اخبار وانباء عن شدة طاعة النجوم وتسخيره اياها للخلق حيث يملك قطع مسيرة خمسمائة يوم ما ولد
واسرع ما لا يبلغهم قطع ذلك من سواها من ذوى الارواح والاجنحة التى هى اسرع لقطع المسافات والوصول الى مقاصدها
والله اعلم ثم قال اهل التأويل باجمعهم ان القسم بها من الله تعالى وجائز ان يكون القسم من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن اضاف
الى نفسه تعليما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسم برب هذه الاشياء وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الاشياء
ان التنازع بينهم وبين الله ليقسم وانما وضع القسم لتأكيد الخبر عند الانكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين الرسل
عليهم السلام وكذلك ما ذكر فلا اقسم برب المشارق والمغارب ليس من الله تعالى ولكن من الرسل اذ لا يحتمل ان يكون الرب عز وجل
هو المقسم ويقول لرب المشارق فظاهره ان يكون الرسول هو المقسم بها فعلى ذلك الاول والله اعلم ومن الناس من قال ان الاقسام
التى جرى ذكرها فى القرآن بالاشياء التى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت تلك الاشياء مؤكدة وموجبة القسم ولو كان لو وقع
بها القسم لان الاقسام فيه انما جرى اكثرها فى ايجاب البعث والتوحيد واثبات الرسالة ونحوها وما جرى ذكرها لو لم يكن
القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم لان فى هذه الاشياء دلالات على البعث والتوحيد والرسالة والله الموفق وقوله
عز وجل انه لقرآن كريم على قول من يجعل القسم بالقرآن فهو ظاهر بقوله انه لقرآن كريم اى الذى اقسم به وانه لمحمود كريم وعلى
التأويل الذى يجعل القسم بالنجوم المعروفة يجعل قوله انه لقرآن كريم ابتداء ذكر منه له ثم تسمية القرآن كريما يخرج على وجوه
احدها وصفه بالكرم لما هو محل القضاء حوائج الدنيوية والاخروية وفى العرف الكريم من نصب نفسه واعد ما لقضاء حوائج الخلق
والقيام لانجاحها او وصفه بالكرم لان من اتبعه كرم وشرف وكبر عند الله تعظيم لذلك وصفه بالكرم والله اعلم وقوله عز وجل فى كتاب
مكنون قال اهل التأويل فى اللوح المحفوظ سماه مكنونا لانه مستور عن خلقه عند الله وقال عز وجل لا يمسه الا المطهرون يقول
لا يمس ذلك الا المطهرون وقال بعضهم هم الملائكة الذين يجرى ذلك على ايديهم كقوله تعالى بايدى سفرة كرام بررة طهرو من
الذنوب والاثام وكان ذكر هذا ليأمنوا عن تحريف هذا الكتاب وتبديله وهو ما قال على اثره تنزيل من رب العالمين اى انه مكنون عن
ان يحرف ويبدل وانه لا يمسه الا المطهرون من الذنوب والتحريف اثم وذنب من رب العالمين وهو كما ذكر فى اية اخرى نزل به الروح الامين
على قلبك وقال علمه شديد القوى اخبر انه الذى اخبر نزل به من السماء امين لا يكون منه التحريف ولا التبديل وانه قوى لا يقدر
احد من جنى او انسى اخذه من يده ولا تحريفه ثم تمام الامن قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكل حفظه الى نفسه
لا الى احد من خلقه فصار محفوظا عن التبديل والتحريف والله اعلم وقوله عز وجل افبهذا الحديث انتم مدهنون قال بعضهم افبهذا
القرآن انتم كافرون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ان الله تعالى جعل هذا القرآن حيوة الدين وقواما والرزق حيوة الابدان وقوامها
فكذبوا الامرين جميعا ما به حيوة الدين والابدان جميعا ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه احدها ما ذكر بعض
اهل التأويل انهم كانوا يقولون رزقنا بنوء كذا كانوا ينسبون الرزق الى النوء فهذا يخرج على قول المنجمة ان النجوم هى مدبرة
العالم واراد انهم لا يجعلون لله فى ذلك تدبيرا فاما من ينسب الرزق الى الله تعالى ويقول رزقنا الله بنوء كذا فليس فى ذلك تكذيب
انما يخرج ذكر النوء ذكر سبب من الاسباب التى يرزق الله تعالى بها وكذلك من ذكر الرزق من الاسباب خاصة واما من يقول
رزقنا الله تعالى بسبب كذا كذا فذلك جائز القول به وقال بعضهم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى تجعلون شكر الرزق التكذيب

[illegible]

ربه قال ابو عبيد وجايز ان يكون تكذيبهم الرزق صرف تسمية الالوهية الى غير الذي رزقهم والعبادة لغير المستحق لها والله
اعلم وقال الحسن وتجعلون رزقكم انكم تكذبون بئسما اخذ القوم لانفسهم حتى لم يرزقوا من كتاب الله تعالى الا التكذيب يقول
صار حظكم من القران التكذيب ويحتمل هذه الاية مع اية الاولى افبهذا الحديث انتم مدهنون وقال ابو بكر الاصم فهذه الاية و
تجعلون رزقكم وهو هذا القران الذي خصكم به دون ابائكم ورزقتم به ما لم يرزق اباؤكم منه ثم جعلتم تكذبون ذلك
الرزق الذي خصصتم به ورزقتم او كلام من نحو وهو كقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وقال في قوله تعالى افبهذا
الحديث انتم مدهنون هو الذي يرى الموافقة ويخالف في دفع حجة ما يلزمه ويرد عليه او كلام يشبه معناه هذا والله اعلم
قال ابو معاذ مدهن ومداهن لغتان ثم اصل المداهنة من المخادعة يقال داهنته ثم الفرق بين المداهنة والمداراة كان المداهنة و
الطمع له فيه يخادعه حتى يحصل الى ما يطمع والمداراة الشفقة بما ربه اشفاقا عليه ليتحقق عنده الحق ليسلم له دينه والاخا في
الظاهر واحد وهما الملاينة وخفض الجناح لكن الفرق بينهما ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم
حينئذ تنظرون ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام ثم يشبه ان يكون صلة ما قالوا لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا يكون والله اعلم لو كانوا عندكم لم يموتوا ولم يقتلوا على ما زعمتم فهلا اذا كانوا عندكم فبلغت الارواح الحلقوم
ان ترجعوها وتردوها الى الاجساد التي كانت ان كنتم صادقين في قولكم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا الاية على هذا جايز
ان يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون يخرج على وجهين احدهما ينظرون واي ينتظرون خروج
الروح انما متى تخرج لا يملكون ردها الى حيث كانت ولكن ينتظرون خروجها متى تخرج والثاني وانتم حينئذ تنظرون
على حقيقة النظر اي ينظرون الى سلطانه وقدرته وقيل هو من الانتظار اي تنتظرون ان يحل بكم الموت وهو ما ذكرنا و
جايز ان يكون قوله وانتم حينئذ تنظرون لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يشفع لهم في ضيق الحال وانما يضيق عليهم
الامر عند حلول الموت اذ لا بعث عندهم فيقول فلولا اذا بلغت الارواح الحلقوم فيشفع لهم الاصنام التي يعبدونها وترد
الارواح الى المكان الذي كانت فاذا لم يملك ذلك فكيف عبدتموها والله اعلم وقوله عز وجل ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا
تبصرون قال بعض اهل التاويل ونحن اقرب اليه منكم اي ملايكتي ورسلي في ذلك الوقت اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
الملايكة لكن اضاف الى نفسه لما ان الملايكة بامره وتسليطه يعملون وقيل نحن اقرب منكم اي اولى به في ذلك الوقت لما يعلم
من خطاه وتبين له الحق في ذلك الوقت من الباطل ولكن لا تبصرون انتم اي لا تعلمون ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فلولا
ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين قال بعضهم غير مدينين اي لو كنتم غير مملوكين لله تعالى على ما زعمتم
ترجعون الارواح وتردونها الى الاجساد التي كانت فيها ان كنتم صادقين انكم غير مملوكين فان كنتم عندكم غير مملوكين
تكونون مالكين اذ ليس الا المملوك والمالك فاذا لم تكونوا مملوكين تكونون مالكين تملكون ردها اليها فاذ لم تملكوا
كنتم مملوكين والله اعلم وقال بعضهم غير مدينين اي غير محاسبين ولا مجزيين فردوا النشاة الاولى واجعلوها بانفسكم
حتى يكون النشاة الاولى حكمة اذ لم يملكوا رد هذه الارواح الى الانفس واجعلوا النشاة الاولى حكمة والله اعلم وقوله
عز وجل فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الاية اختلف في وقت ما ذكر لهم ذلك قال بعضهم ان ذلك
يقال لهم عند الموت بشارة لهم بما يكون في الجنة ومنهم من يقول انما يقال ذلك اذا دخلوا الجنة واولئك النار اعني المكذبين
وهو ما ذكروا ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وجايز ان يكون يقال ذلك لهم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجنة وصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم محلهم عنده في الجنة ومكانهم لديه على ما كانوا عنده في الدنيا هم
السابقون كانوا في الدنيا المقربون عنده ومكانهم لديه اقرب من مكان غيرهم من المؤمنين فعلى ذلك يخبر ان السابقين في الاخرة
يكونون في الاخرة عنده اقرب ويكون قوله فروح وريحان اي يستانسون فوقهم ويستانسون لا يفارقون ولا يفارقهم
على ما كانوا في الدنيا وساير المؤمنين يسلمون عليه في اوقات وهو ما ذكر فسلام لك من اصحاب اليمين على ما كانوا يفعلون
في الدنيا وهو اقرب من الوجهين الذين ذكرناهما ويحتمل ما ذكروا من البشارة عند الموت اعني المؤمنين والكافرين في حال
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان واما ان كان من اصحاب اليمين كذا وفي حق الكفرة واما ان كان من المكذبين الضالين
فنزل من حميم الاية ويحتمل ذكر بعضهم ان ذلك يقال لهم بعد ما دخل اهل الجنة واصحاب النار والله اعلم وقوله عز وجل
فروح وريحان وجنة نعيم اختلف في تلاوتها اما تلاوتها وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا هذا الحرف فروح وريحان يعني بضم الراء وعن الحسن انه قراها بالضم ايضا ولكن لا اجد عليها ما استوحش من
مفارقة الناس ولا يجمع الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة واما تاويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال الروح
الرحمة والريحان ريحانا عن ابي عبيدة قال بالرفع هو الحياة والبقاء وعن الضحاك بالفتح الروح الاستراحة والريحان الرزق
وقال بعضهم الروح كناية عن دوام النعمة والسعة يقال فلان في روح اذا كان في سعة ونعمة والريحان كناية عن الشرف والتنز

يقال فلان ريحان وذلك لشرفه ومنزلته عنده ومنهم من قال الروح الراحة والريحان الرزق في الجنة وقال بعضهم الروح
بالرفع من الرحمة بالنصب الراحة ونحن نقول جايز ان يكون جميعا بالنصب والرفع من الرحمة لقوله لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون اي من رحمته وقال في موضع اخر وايدهم بروح منه اي برحمته منه يخبر ان الله تعالى ان المقربين يكونون
في الجنة والرحمة الله ونعمه والله اعلم وقوله عز وجل واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين يحتمل ما وصفنا
ان اصحاب اليمين يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ويحيي بعضهم بعضا بالسلام ويحتمل فسلام لك اي السلامة لك
منهم من جميع الافات والاذى وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فسلام انك من اصحاب اليمين فهذا ان ثبت فهو يخرج على
البشارة له عند الموت والله اعلم وقيل يسلم عليهم الملايكة والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا لهو حق اليقين يقول هذا الذي ذكر
للمقربين ولاصحاب اليمين والمكذبين هو حق اليقين اي كاين لا محالة لا شك فيه مثل هذا يقال على التاكيد وتحقيق ما سبق
ذكره ووصفه وقوله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم يقول والله اعلم فسبح باسم ربك لا يسمى به غيره اي
نزهه عن جميع ما قالت الملحدة فيه من الولد والشريك وتسمية من دونه الها وغير ذلك والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يجوز ان يقرا سبح لله وسبح الله كما يقال في الكلام شكر الله وشكر لله
ونصح الله ونصح لله ويجوز ان يكون معناهما في الظاهر مختلفا ويتفق في الحقيقة والباطن لان التسبيح هو التخليص و
التنزيه والتبرية فمتى اضيف الفعل الى الله تعالى ووقع عليه فيقال سبح الله فمعناه انه نزهه وبراه عن جميع معاني الخلق
وخلصه عن شبه المخلوقين واذا قيل سبح لله فمعناه وقع الفعل على الاشياء المخلوقة اي خلص الاشياء كلها له وبراها
عن غيره واذا اضيف بان كل الاشياء له وهو المالك لها وهم عبيده ومماليكه خاضعون اذلاء فقد وصف بالغنى ونفي
الحاجة عنه وانه مبرى عن مماليكه ومخلوقاته فهما جميعا من هذا الوجه ينطويان معنى واحدا وان كانا مختلفان وفي الباطن
مؤتلفان وان الاسلام هو ان يجعل كل شيء من الخلق لله تعالى خالصا سالما والايمان هو التصديق بالربوبية له في كل
شيء فمتى صدق الله تعالى بالربوبية في الخلق والامر فقد جعل الخلق سالما له ومتى جعل سالما له فقد صدقه في الربوبية
فقد اتفقا من حيث المعنى وان اختلف من حيث الظاهر فعلى ذلك هذا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح هو تسبيح
الخلقة يشهد له خلقه كل شيء بالوحدانية والالوهية فهذا على خلقه الكافر والمؤمن جميعا وغيرهما من المخلوقات
ويحتمل ان يكون اراد المختارين الذين في السموات والارض ويرجع الى تسبيح خاص وهو تسبيح النطق واللسان عن
اختيار ويحتمل ان الى كل ذي روح يجعل الله في سريرة هذه الاشياء من التسبيح له ما نعلمه نحن ولا يعلم غيره الا باعلام الله تعالى
اياه ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم يخرج على وجوه احدها العزيز هو الذي افتقر الخلق ولحوجهم
اليه والحكيم هو المحكم للاشياء المتقن لها او العزيز القاهر الغالب الحكيم هو العالم بالاشياء على حقيقتها او العزيز هو المالك
هو كل ملك كقوله مالك الملك الحكيم الواضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل له ملك السموات والارض جايز ان يكون
له ملك السموات والارض تفسير لقوله العزيز الحكيم وقوله عز وجل يحيي ويميت اي يملك ان يحيي هذا ويميت غيره او
يحيي من شاء ويميت من شاء ويملك احياء من شاء واماتة من شاء وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير
وقوله عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن قالت الباطنية الاول معناه المبدع الاول والاخر هو المبدع الثاني و
الظاهر هو الناطق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والباطن هو صاحب التاويل يقولون ان المبدع الاول شبه المبدع
الثاني المعونة فيستعين بها المبدع والثاني على خلق هذا العالم وانشائهم لانهم يقولون ان المبدع الثاني هو الذي
دبر هذا العالم وانشاءهم باعانة المبدع الاول والناطق هو الذي دبر الشرايع والباطن وهو الصاحب التاويل هو
الذي بين الشرايع التي دبرها الناطق وهو الرسول عليه السلام ولا يصفون الله تعالى هو الاول والاخر والظاهر
والباطن ويقولون لا يجوز ان يوصف بهذه الاشياء لان الاولية الاخرية والظاهر ينفي الباطن كل حرف من هذه
الحروف يبطل الاخر في الشاهد ووجدنا ان ما قلتم من المبدع الاول والثاني والناطق والباطن ليس يبنى له شيء
على ما ذكرنا في موضعه واما عندنا فان قوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن هو الحرف التوحيد هو الاول بذاته هو
والاخر بذاته والظاهر بذاته تزال هذا البلاد نعل ولا يفهم من اوليته اولية غيره ولا يفهم من اخريته غيره فكذلك لا يفهم من
ظاهريته ظاهرية غيره ولا من باطنيته باطنية غيره لان في الشاهد من كان له اخرية لا يكون له اولية وكذلك من كان له ظاهرية
لا يكون له باطنية ومن كان له باطنية لا يكون له ظاهرية فكل حرف من هذه الحروف مما ينقض الحرف الاخر وينفيه في
الشاهد فانما ذكر هذه الاحرف لنفسه ليعلم انه لا يفهم من اوليته اولية الاشيا ولا يفهم من اخريته ما يفهم من اخرية الاشيا

وكذلك ما ذكر من ظاهريته وباطنيته وهذا كما ذكر انه عظيم ولطيف وكل واحد منهما الى الشاهد مما يناقض الآخر وبنفسه
ما عظيم منه لم يلطف وما لطف لم يعظم لتلاد بعضهم من عظمته ما يفهم من عظمته بجنوده ولا من لطافته من لطافة علمه والله
الموفق وقال بعضهم هو الاول الذي لا ابتداء له والآخر الذي لا انتهاء له والآخر الذي لا انتهاء له والظاهر هو الغالب القاهر
الذي لا يغلبه شيء والباطن الذي لا يدركه الاوهام وقال بعضهم هو الاول الذي له اولية الاشياء والآخر الذي له آخرية
الاشياء والظاهر بالحجج والآيات والباطن الذي لا يدركه الاوهام والله الموفق وقوله عز وجل هو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فان كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما في ستة ايام الستة ايام
التي تدور عليها ايام الدنيا وهي ايام الجمعة فانما خلق في هذه الايام كيان الاشياء واصولها لانه خلق كلية الاشياء
فيها او ما يكون ابدا الابدين فعلى هذا التأويل يكون قوله ثم استوى على العرش اي استوى امره بخلق الممتحنة وهم البشر اذ المقصود
بخلق هذه الاشياء كلها ثم البشر ولم انشاء هذه الاشياء وان كان المراد من قوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ايام الدنيا الذي كل يوم مقداره الف سنة على ما ذكره في آية اخرى فيكون هذا كون خلق السموات والارض وما
بينهما خلق اصول الاشياء وكيانها وما يتولد منها بل يقع ذلك على الكل فيكون على هذا التأويل قوله ثم استوى على العرش
البعث اي استوى خلق ما خلق وانشاء ما انشاء من العالم بالبعث ما لولا ذلك البعث ثم لم يكن انشاء هذا العالم الاول
حكمة فالمقصود من انشاء هذا العالم البعث الذي ذكرنا اولا نفسر انه ما اراد بقوله استوى على العرش لانه لا يعلم ما اراد
اذ قال في ذلك فسئل به خبيرا امران نسأل به خبيرا ولم يرد في ذلك انه سأل به الخبير عنه فلا يسع تفسيره والله اعلم و
قوله عز وجل يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها اي كثرة ذلك وازدحامه لا
تلبيس عليه ولا يستر عنه شيء والثاني يجيران السماء والارض مع ثقلهما وكثافتهما لا يستران ولا يحجبان عنه وان لا
يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء والله اعلم وقوله عز وجل وهو معكم اينما كنتم هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما هو معكم
اي عالم بكم وباعمالكم ومحيط بكم وحافظ عليكم والثاني وهو معكم يتوجه المعنى فيه الاختلاف الاحوال يقول ان كنتم
محبين له خاضعين مطيعين فهو معكم بالنصر لكم والمعونة على اعدائكم وان كنتم معرضين عنه معاندين فهو معكم في
السلطان عليكم والانتقام منكم والله اعلم وقوله عز وجل والله بما تعملون بصير وقال بعض اهل التأويل اي علمه و
سلطانه وقدرته معكم اينما كنتم واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه تعالى اذا ذكر جل وعلا بلا ذكر الخلق معه ولا ضم احد اليه
سواه يوصف بالازل فيقال لم يزل عالما قادرا خالقا بلا ذكر وقت ولا احد ولا شيء من المكان وغيره واذا ذكر معه شيء
من الخلق يذكر على ما عليه احوال الخلق من الوقت والمكان وغير ذلك فيكون ذكر الوقت والمكان والاحوال للخلق دون
الله تعالى فيقال لم يزل عالما بالخلق وقت كونهم لم يزل خالقا للعالم وقت كونه حتى لا توهم قدم المخلوق وعلى ذلك قوله تعالى حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب و
قوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الآية وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا وليعلم المنافقين ونحوه مما يكثر ذكره كل ذلك
على ما عليه احوال الخلق فعلى هذا قوله وهو معكم اينما كنتم ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل له ملك السموات والارض الملك
انما ينسب عن نفاذ المشيئة والامر والولاية فجايز ان يكون قوله له ملك السموات والارض اي له نفاذ المشيئة وله
الولاية في السموات والارض وعلى اهلهما وله السلطان عليهم والله اعلم وجايز ان يكون قوله له ملك السموات و
الارض اي له خزاين السموات والارض يعطي من يشاء ويحرم من يشاء والله اعلم وقوله عز وجل والى الله ترجع الامور
الى الله ترجع تدبير الامور من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم وجايز ان
يكون قوله والى الله ترجع الامور [illegible]
ذلك الى الخلق والله اعلم وجايز ان يكون قوله والى الله ترجع الامور الممتحنين في الآخرة من الحساب
والسؤال والثواب والعقاب ومثل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الايلاج الشيء
انما هو ادخاله فيه [illegible] ما ذكر ههنا من ايلاج هذا في هذا وهذا في هذا ان جعل ما كان في حال الاستواء
في احد الليل والنهار [illegible]
دلالة انه [illegible]
لا يجري على سنن واحد وتدبير واحد [illegible]
عليه ولا يوافقه في تدبيره [illegible] وقال اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض والله اعلم [illegible]
النهار [illegible] وقوله عز وجل وهو عليم بذات الصدور وقال اهل التأويل اي عليم

بما في الصدور

بما في الصدور وجايز ان يكون تأويله وهو عليم بذات الصدور وارباب الصدور وهم البشر الذين لهم الصدور والتذنيب
لان الصدور وانما يقال للذين لهم تذنيب وتمييز وهم البشر والله اعلم وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسوله الايمان بالله
هو ان يجعله رب كل شيء وان له الخلق والامر والايمان برسوله هو ان يصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول
ونقل وانه صادق وانه محق ويعلم انه بامر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه هذا هو الايمان بالله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يقول والله اعلم وانفقوا من المال الذي جعلكم
فيه خلفا من تقدمكم لان الناس يخلف بعضهم بعضا في هذه الاموال كانه يقول انفقوا من المال الذي جعلكم خلفا من
تقدمكم قبل ان يخلفكم من بعدكم كما ترك الانفاق من تقدمكم اذ هي انما انشئت للانفاق والانتفاع بها لا للترك كما هي والله
اعلم ثم اخبر تعالى بقوله فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ان من كان امر به وانفق فله اجر كبير وعدهم من الاجر على جهة
الانعام منه والافضال دون الاستحقاق اذ المال ماله وهم عبيده ولا يلزم للعبد اجر على سيده والله الموفق وقوله عز وجل
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم في الظاهر متناقض لانه يقول لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم ولو كانوا
لا يؤمنون بالله كيف تقرون بالله والرسول ويصدقون انه رسوله انما نصدق بالرسول نصدق بالمرسل وهم لا يؤمنون بالله
فكيف يصدقون الرسول لكنه يخرج على وجهين احدهما اي ما لكم لا تؤمنون بالله اي بقدرة الله على بعثكم واحيائكم بعد موتكم
بعدما ذكرتم وعاينتم ما تبين لكم من قدرته وسلطانه على البعث فما لكم لا تؤمنون بقدرته على هذا جاز ان يخرج لان
لان اهل مكة كانوا اصنافا منهم من يذهب مذهب الدهر ومنهم من يذهب مذهب الشرك ومنهم من يقر بالتوحيد ويكفر
بالبعث والله اعلم والثاني يقول اي عذر لكم في ترك الايمان بالله تعالى والرسول دعاكم وقد اتاكم من آيات والحجج ما يدفع
منكم العذر ويزيح عنكم الشبهة فاي عذر لكم في تركهم الايمان به فما لكم لا تؤمنون وقوله عز وجل وقد اخذ ميثاقكم وقد
ذكرنا فيما تقدم ان اخذ الميثاق من الله تعالى يخرج على وجوه احدها على السن الرسل عليهم السلام كقوله تعالى وقال الله
اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي الى آخر ما ذكر وغير ذلك من امثاله والثاني اخذ الميثاق بما جعل
في خلقة كل احد من شهادة الوحدانية له والثالث عهدا اليهم حيث ركب فيهم العقول والافهام وجعلهم بحيث يميزون
ما لهم وما عليهم فلا يحتمل اهمال مثلهم وتركهم سدى ويحتمل ما ذكر بعض اهل التأويل من اخراجهم من صلب آدم عليه
السلام والوجه الاول اقرب وجايز ان يكون قوله وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم من اهل الكتاب
الذين كانوا مؤمنين بالله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم ما لكم لا
تؤمنون بالله والرسول الذي كنتم مؤمنين به ويحتمل ان يكون الآية في اهل النفاق الذين كانوا يظهرون الايمان بمراءاة و
يحققون يقول ما لكم لا تحققون الايمان بالله والرسول يدعوكم لتحققوا الايمان بربكم وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله اي لا عذر لكم في الكفر بالله ورسوله وترك الايمان بهما فعلى ذلك الاول والله اعلم
وقوله عز وجل ان كنتم مؤمنين بالآيات والحجج او يذكر هذا لا على الشرط بل على التأكيد كقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر لا يحتمل ذلك اذا عدم الايمان لم يحل لهن ايضا كتمان ما في ارحامهن
وقوله عز وجل هو الذي ينزل على عبده آيات بينات الآيات في الحقيقة هي الاعلام لكن فسرت الآيات بالحجج لان الآيات
حجج عند الله تعالى حاجات لانها مقتضيات من الخلق وقوله عز وجل بينات اي واضحات انها من عند الله جاءت لا من عند الخلق
او بينات امره ونهيه وما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى وقوله عز وجل ليخرجكم من الظلمات الى النور ما اضيف الى الله تعالى
من الاخراج فهو على وجهين احدهما على حقيقة الاخراج وهو ان يوفقهم على الايمان ويعطيهم المعونة والعصمة فيخرجون مما
ذكر من الكفر الى الايمان والثاني يخرج على الامر به والدعاء الى الايمان ليس على حقيقة الاخراج وهو كقوله ليخرجكم من الظلمات
الى النور في هذه الآية ونظير حقيقة الاخراج قوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وعلى هذا يخرج اضافة الهداية
الى الله تعالى على التوفيق والانشاء فعل الهداية منهم والثاني على الدعاء والبيان والله اعلم وقوله عز وجل وان الله بكم لرؤوف رحيم
جايز ان يكون معناه وان الله بمن خرج من الظلمات الى النور لرؤوف رحيم وهو يرجع الى المؤمنين خاصة وجايز ايضا ان يوصف
بالرحمة والرأفة على الكل اي بكم رحيم بان ارسل اليكم الرسول وانزل عليكم الكتاب وان كان في انفسكم وعقولكم كفاية على
معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته بدون انزال الكتاب وارسال الرسول لكن بفضله ورحمته ارسل الرسل وانزل الكتب ليكون
ذلك ادعى لهم واوصل الى ادراك ما دعوا اليه واقرب في دفع الشبه والعذر والله اعلم وقوله عز وجل وما لكم ان لا تنفقوا في
سبيل الله ولله ميراث السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما ما قال اهل التأويل ان الخلق يفنون كلهم ويبقى الله تعالى
انا نحن نرث الارض ومن عليها فعلى هذا قوله وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله اي ما لكم لا تنفقون في سبيل الله قبل ان يزول ملككم
ويصير ميراثا لله تعالى وجايز ان يكون قوله ولله ميراث السموات والارض منا ذرو وراثة بعضهم من بعض اليه لانهم عبيده واماؤه

وما للعبد يكون لسيده فيصير كانه يقول مالكم الا تنفقوا لانفسكم وما يرجع الى منافعكم قبل ان يصير ذلك ميراثا لغيركم والله
اعلم وقوله عزوجل لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الاية قال بعضهم لا يستوي منكم من انفق
اي لا يستوي منكم من امن قبل الفتح لان قبل الفتح كان من امن خوف الهلاك وانواع العقوبات لان الغلبة في ذلك الوقت كانت
لاهل الكفر لذلك لم يستو من امن منهم من قبل الفتح ومن امن منهم بعد الفتح وعلى ذلك يخرج على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لو وزن ايمان ابو بكر بايمانهم لرجح لان ايمانه رضي الله عنه في وقت الخوف لا مستخفي الاسلام او لما يكون بايمانه نفر كثير
لانه كان رئيسهم وكذلك الانفاق في ذلك الوقت افضل واعظم لما في الانفاق في ذلك الوقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تابعه
ولما ان الانفاق من بعد الفتح يعتبر بطمع الوصول الى المنافع ولا بدال من الصدقات والمغانم وقبل الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو
كله خالص بلا بدل ولا طمع كان منه والله اعلم وقيل لا يستوي من هاجر ولم يهاجر ولا هجرة بعد فتح مكة فلذلك روي عنه
صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد اليوم ولكن جهاد ونية وقوله عزوجل وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله لكل الفريقين من انفق
قبل الفتح وبعده الجنة وثواب الحسنى قال بعض اهل التاويل هذه الاية نزلت في فتح الحديبية فقيل يا رسول الله افتح هو قال
نعم فتح عظيم وعن قتادة هو فتح مكة والله اعلم وقوله عزوجل والله بما تعملون خبير فيه ترغيب وترهيب فيما يرغب عنده وقوله
عزوجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم قد ذكرنا فيما تقدم انه جل وعلا عامل عباده بكرمه وجوده
معاملة من لا حق له ولا ملك في انفسهم واموالهم لا معاملة من حقيقة املاكهم واموالهم وانفسهم له من نحو ما ذكر من الا قرض له و
ما ذكر انفسهم منهم بان لهم الجنة وما ذكر لاعمالهم من الاجر وهم عبيده واعمالهم التي يعملون لانفسهم كانهم عاملون له ولما يشكر
لانفسهم ويدخرونها في وقت الحاجة هو اسماه قرضا وما يكتسبونه للحيوة الدائمة والنعم الباقية فهم المستقرضون بها ولا احد الشاهد
يستقرض من مال نفسه من اخر ثم يجعل له الاجر على ذلك هذا كل خارج عن عادة الخلق وطبعهم وصنيعهم بعضهم
مع بعض لكن عاملهم بما يليق بكرمه وجوده وعلمهم بما امسكوا لانفسهم اضعافا مضاعفة ثم جائز تسمية ما يمسكون لوقت
حاجتهم قرضا لما يمنوا على الفقرا واهل الحاجة بما اعطوهم منه لما عز وجل وعلا من طبعهم الامتنان عليهم ولما يدفع عنهم
او لما يدفع عنهم معونة حفظ ذلك الى وقت حاجتهم من السرقة والغصب وغير ذلك من انواع ما يخاف التلف منها والله اعلم و
قوله عزوجل وله اجر كريم قال اهل التاويل اي اجر حسن والله اعلم وجائز تسمية كريما لما ان من ناله يصير كريما او لما يؤمل ويرجى
ان يكون لهم ذلك والكريم في الشاهد هو الذي يرجى منه كل خير ويؤمل والله اعلم وقوله عزوجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وجائز ان يكون قوله يسعى نورهم اي كتبهم التي يعطون في الاخرة فانه يعطى كتاب المؤمنين
والسابقين من امامهم كتاب سائر المؤمنين من ايمانهم وكتاب اهل الشرك من وراء ظهورهم يؤيده حرف حفصة رضي الله
عنها نورهم يسعى بين ايديهم وفي ايمانهم كقوله واما من اوتي كتابه بيمينه الاية وجائز ان يكون نور ايمانهم دينهم الذي كانوا عليهم في الدنيا
وجائز ان يكون نورهم الذي ذكر كناية عن الطريق الذي يسلكون فيه السابقون يرون ما امامهم وسائر المؤمنين عن ايمانهم على ما
سلكوا في الدنيا واهل الشرك شمالهم واهل النفاق من ورائهم وجائز ان يكون قوله بايمانهم كناية عن اليمين والبركة فان بالايمان
ينال اليمن والبركات فسماها بذلك ويحتمل ما ذكر اهل التاويل انه يرفع لهم نور فيمشون بذلك وقوله عزوجل بشراكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها انما يقال ذلك قبل دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار وهذا يدل ان النور المذكور لهم
يكون قبل دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقوله عزوجل ذلك الفوز العظيم لانه لا هلاك بعده ولا تبعة ولا انقطاع
ذلك لذلك ثم قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ليس ان يراه هو خاصة لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك جميع المؤمنين فيبطل
به قول من جعل التنصيص على الشيء دالا على التخصيص ونفي غيره وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من
المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن والى صنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه والمؤمنين
منازل الاعمالهم وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نورهم يسعى بين ايديهم ما في طولهم اولادهم وقوله
عزوجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم من قرا للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم
ومنهم من قرا مقطوعة من انظرت قال ابو عبيدة فالانظار الانتظار لا اننا ويلها والله اعلم انتظرونا يقال منه نظرت فلانا
انظره واما القراءة الاخرى فانها من التاخير يقال منه انظر فلانا انظره اذا اخرته ولا احد فلتاخيرهم هنا موضع وقال ابو عوسجة و
انظرته ونظرته اي انتظرته يقال منه نظر ينظر ثم الاية دلت على ان اهل النفاق يكونون يبعد من المؤمنين وان لا ينتفعوا بنور
المؤمنين ولكن يرون ذلك النور من بعد حيث قالوا انظرونا نقتبس من نوركم ولو كان يقرب منهم او ينتفعون بنورهم لكانوا لا
يطلبون منهم الانتظار لهم والاقتباس من نورهم والله اعلم وقوله عزوجل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا من الناس من يقول
ان هو الاستهزاء الذي ذكر في اية اخرى انه يستهزئ بهم حيث قال الله يستهزئ بهم بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورهم ذلك
الاستهزاء وقلنا نحن في قوله الله يستهزئ بهم اي يجزيهم جزاء استهزائهم الذين استهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين

وجايز ان يكون قوله ارجعوا وراءكم [illegible] الى الامر بالرجوع من وراء [illegible] والتماس النور [illegible] وكل على التوبيخ والتعيير اي النور انما يطلب
من وراء هذا اليوم اي من قبل هذا اليوم ولا يطلب فيه والله اعلم وقوله عزوجل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و
ظاهره من قبله العذاب الاية جايز ان يكون السور الذي ذكر الذي ضرب بينهم ما ذكر في سورة الاعراف حيث قال وبينهما حجاب
وعلى الاعراف رجال [illegible] وهو الاعراف التي ذكرنا يكون حجاب بين اهل النار واهل الجنة يرتفع ذلك
السور بينهم ليلا ينتفعوا بنور المؤمنين لما باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب جايز ان يكون قوله باب ليس على حقيقة
الباب ولكن الباب كناية عن الطريق والسبيل يقول هو طريق وسبيل من باخذ ذلك السبيل اهتدى الى الرحمة ومن سلك ظاهره افضى
الى العذاب وجايز ان يكون من النار الى الجنة باب فيرون ما حل بهم من العذاب ويرون اهل النار اهل الجنة ما هم عليه من النعيم
ليزدادوا لهم حسرة وندامة [illegible] وهو ما قال فاطلع فراه في سواء الجحيم
والاطلاع فالظاهر انما يكون مكانا عليا [illegible] وقوله عزوجل ينادونهم الم نكن معكم اي ينادي اهل
النفاق المؤمنين الم نكن معكم [illegible]
[illegible]
[illegible] قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
انفسهم المرافقة دون الحقيقة وقوله عزوجل ولكنكم فتنتم انفسكم يخرج على وجوه احدها امتحنتم انفسكم في الرجوع الى [illegible]
المنافع اي امتحنتموها فجعلتموها حيث كانت المنافع والعافية كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اي شرق وقال القتبي فتنتم انفسكم اي اثمتموها وقوله عزوجل وتربصتم يخرج على وجهين
يحتمل تربصتم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيموت عن قريب وانه يرجع عن الاسلام الى دينه او ذلك الكرة وقوله عزوجل
وارتبتم اي شككتم وان قام لكم ما يدفع الارتياب والشك عنكم والشبه وقوله عزوجل وغرتكم الاماني يحتمل الاماني وجهين
احدهما ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي كانوا يتوقعونها فكيف ما كانوا يتبعون عرضهم في ذلك والثاني ما تمنت انفسهم
من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلاكه او عوده الى دينهم وقوله عزوجل حتى جاء امر الله اي الامر بالهلاك او يوم القيمة
وقوله عزوجل وغركم بالله الغرور اي غركم عن دين الله الشيطان وقوله عزوجل فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا
قرا باليا والتا والاكثر على اليا ومعناهما واحد اي لا يكون لهم فدية يؤخذ ليس ان يكون فدية ولا يؤخذ وان يقول على
التمثيل اي لو كان لهم فدية لكان لا تقبل منهم يخبر ان الامر في الاخرة على خلاف ما يكون في الدنيا في الدنيا يحتال لدفع البلاء
بالفدا مرة وبالشفعا ثانيا وقوله عزوجل مأواكم النار اي مأواكم اليها وقوله عزوجل هي مولاكم اي اولى بكم واحق وقوله
عزوجل وبئس المصير اي بئس ما يصيرون اليها ثم فايدة لا نقض قول المعتزلة في تخليد اصحاب الكبائر في النار لانه تعالى
جعل الناس على ثلاث فرق وانزلهم منازل ثلاثة المنافقين والكافرين كفر صريح والمؤمنين وجعل النار لاهل الكفر و
اهل النفاق ولم يجعلها لغيرهما وصاحب الكبيرة ليس هو بمنافق ولا كافر عندهم وكذلك ما قسم الله تعالى الناس اقساما
ثلاثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال هم المكذبون واصحاب الكبائر ليسوا مكذبين عندهم وهو ما جعل النار
الا للمكذبين الا ترى انه قال في اخره واما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم جعل الجنة للمقربين واصحاب اليمين والنار للمكذبين خاصة لم يجعلها لغيرهم
فمن خالف لظاهر هذه الايات التي ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق وما نزل قرى مخففا ومثقلا فمن شدد شدد لما سبق من ذكر الله تعالى ومن خفف جعل الفعل للحق ثم الاية يحتمل و
وجوها احدها ما قال اهل التاويل انها نزلت في المنافقين الذين اظهروا الايمان واضمروا الكفر المراد اي قد ان للذين
امنوا ظاهرا واظهروا الموافقة للمؤمنين ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل بالحق اي القران اذا تتلى عليهم اي يرق قلوبهم
ويؤمن به لانهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدواير ويطمعون هلاكه امن الله تعالى المؤمنين من ذلك الخوف
وايسوا ذلك عما تربصوا فيه من نزول الدواير فقال ان للذين امنوا ظاهرا ان تخشع قلوبهم لذكر الله والقران ويرق
لذلك ويؤمن به والله اعلم ثم وقوله عزوجل ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
على هذا التاويل اي لا تكونوا كاولئك الذين تمادوا في الضلال وقساوة القلوب لما طال عليهم الوقت وتركوا النظر في
الكتب ويحتمل ان يكون الاية في اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فيقول الم يان
للذين امنوا به من قبل ان يبعث ان تخشع قلوبهم لكتابهم وما نزل من الحق وهو القران ان يؤمنوا به كما كانوا امنوا به

لما وجدوا ان عنه فى كتابهم ثم وقوله عز وجل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية اى لا تكونوا كالذين كانوا من قبلكم
من اهل الكتاب فطال عليهم الامد ان طال عليهم ان ينظروا فى كتبهم فقست قلوبهم بطول ترك نظرهم فيها والله اعلم ويحتمل
ان يكون الاية فى المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله وبرسوله وهو يخرج على وجهين احدهما المريان اى قد انى للذين امنوا ان
تخشع قلوبهم عند ذكر الله بالنظر والتامل فى ذلك فيحملهم ذلك على خشوع قلوبهم كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا جعل وصف المؤمنين ان توجل قلوبهم عند ذكر الله ويزداد لهم الايمان
واليقين للنظر فيه والتفكر وفهم ما فيه والله اعلم والثانى المريان اى قد انى للذين امنوا ان يقطع شهواتهم واما نيهم فان
تخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب اى لا يغفلوا عن كتاب الله وذكره ولا يتركوا النظر فيه والتفكر فيغفلوا
عما فيه فتقسوا قلوبهم فلا تكونوا انتم كهم فتقسوا قلوبكم كما قست قلوبهم وقوله عز وجل وكثير منهم فاسقون اى كثير من
اوليك الذين اوتوا الكتاب فاسقون لتركهم النظر فى الكتاب ويحتمل وكثير منهم فاسقون اى المعاندون والقليل منهم المقلد
وهو كقوله واكثرهم كارهون اى معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كابروا رسل الله وعاندوهم الا قليلا منهم لا تبعوهم و
قلدوهم وقوله عز وجل اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها ذكر هذا البشر على انهم لم يكونوا علموا ان الله هو يحيى الارض بعد موتها
بل كانوا عالمين بذلك لكنه ذكر كما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فاعلم انه لا اله الا الله اى اشعر قلبك فى كل وقت
وساعة الربوبية لله تعالى والوحدانية له ذلك يحتمل قلبه اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها اى اشعروا قلوبكم فى كل وقت
جعل الالوهية والربوبية لله تعالى وصرف العبادة اليه والتنزيه له عما يليق به مما يوصف به الخلق اذ علمتم انه يحيى الارض
بعد موتها فاعلموا انه يحييكم بانواع المحن اذ لا يحتمل احيا ما ذكر بغير فايدة وتركه سدى او يقول قد علمتم ان الله تعالى
هو يحيى الارض بعد موتها ترغبون فيها احيا وتصيبون منه تجتهدون فى نيل ذلك واصابته فاجتهدوا فى اصابة البركات
الدايمة فى الحيوة الباقية او يقول لما علمتم انه قادر على احيا الارض بعد موتها فاعلموا انه قادر على البعث والله اعلم وقوله
عز وجل قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف لعل من الله تعالى يخرج على الايجاب لكن يخرج ههنا على
الترجى والاطماع العقل للايات والفهم لها اذا نظروا فيها وتاملوا اعلمها ايات من الله تعالى او ان يرجع ذلك الى الخاص من الناس او
خرج حرف لعل للايجاب دون الترجى وهم الذين علم الله تعالى انهم يعقلون انها ايات ويؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل
ان المصدقين والمصدقات قرئ بتشديد الصاد والدال وبتخفيف الصاد فمن شدده جعله من التصدق اى المتصدقون والمتصدقات
فادغم التا فى الصاد فصير المصدقين مثل المزمل والمدثر يؤيد ذلك ما ذكر فى حرف ابى بن كعب رضى الله عنه انه اقرا بالتا ان
المتصدقين والمتصدقات ومن خففه جعلها من التصديق والايمان وقوله عز وجل واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم
اجر كريم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون سمى المؤمنين صديقين و
الصديق لا يقال الا لمن يكثر منه التصديق وقد يكثر من كل مؤمن التصديق وان كان ما ياتى به انما هو شىء واحد يحتمل اذا صدق الله
صدق رسوله فيما اخبروا عن الله تعالى وفيما دعوهم الى ما دعوا وبلغوا عن الله الى الناس وصدق الخلايق جميعا فيما شهدوا على
وحدانية الله تعالى والوهيته من حيث شهادة الخلقة وشهادة الاخبار فحق المؤمنين فتصديقه يكثر وان كان الكلام فى نفسه
يقل وهو كما قلنا لابى حنيفة مع فى جواز الخطبة بتسبيحة او تهليلة انها كلمة وجيزة لو عبرت وبسطت صارت خطبة طويلة
والله اعلم فان قيل ان ابا بكر رضى الله عنه فضل باسم الصديق على غيره من الامة فاذا استحق غيره من المؤمنين هذا الاسم لم يختص هو
بتلك الفضيلة قيل ان ابا بكر رضى الله سمى صديقا وخص به من بين ساير الصحابة والمؤمنين لمعنى اختص به من غيرهم وغيرهم من
المؤمنين سموا صديقين من بين ساير اهل الارض جميعا الا فى مقابلة كما اختص بهذا الاسم من بين سايرهم الا فى مقابلة النبى
وساير الانبياء عليهم السلام وهذا هو معنى تفضيله والتفضيل عند المقابلة يكون ويحتمل ان يكون ذلك الاختصاص له الاعتقاد
والمعاملة جميعا وساير المؤمنين سموا صديقين للاعتقاد خاصة ومن فى الارض جميعا كان افضل ممن وفى امرا واحدا وقوله
عز وجل والشهداء عند ربهم من الناس من جعل قوله والشهداء عند ربهم على الابتداء مقطوعا من قوله اولئك هم الصديقون ومنهم
من وصله به فمن قطع عنه فانه يقول الشهداء هم الرسل لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
ثم اخبر لهم اجرهم ونورهم ومن قال انه موصول ذهب الى ان المؤمنين شهيدا على الناس كقوله لتكونوا شهداء على الناس الاية و
سماهم شهيدا على غيرهم من الامم والله اعلم ولاهل الاعتزال ادنى تعلق بظاهر هذه الاية وذلك انهم يقولون ان الله تعالى اذا ذكر
المؤمنين على الاطلاق ذكر على اثر ذلك ما وعدلهم من الكرامات والثواب الجزيل واذا ذكر مع جزيتهم ذكر الوعيد لهم ليستدلون
بذكر الوعيد على اثر ذلك على انه تدخرج من الايمان لكن ليس لهم بذلك دليل لانه ذكر مقابل ما ذكر للمؤمنين من الكرامات للكفار
الجحيم والله اعلم وقوله عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ففى ظاهر
ما ذكر من هذه الاية ونحوها من الايات لاهل الالحاد طعن عظيم فانهم يقولون ان كانت الحيوة الدنيا لعبا ولهوا ولا منشى سواه

تلهم

تلهم موضع الطعن على هذا الوجه ولهم دعوى التناقض ايضا فيه لما ذكر فى بعض الايات تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين وقال ما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال فى هذه الاية وغيرها انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو فنقول ان الاية يخرج على وجوه احدها على التقدير والتاخير مع الاضمار كانه قال اعلموا ان مثل الحيوة الدنيا
وزينتها وتفاخرها وتكاثرها لعبها ولهوها اى تزينون بها وتتفاخرون بالاولاد والاموال وتتلهون بها و
تلعبون كمثل الغيث اعجب الكفار نباته ثم يصير هاذ كى حتى لا ينتفع به على ذلك حيوة الدنيا والله اعلم والثانى انما الحيوة
الدنيا على ما هى عندكم وعلى ما اتخذتموها وعلى ما ظننتم انه لا بعث ولا حيوة بعدها كان انشاؤها عبثا ولهوا اذ كان على
ما ظننتم لم يكن انشاؤها الا لفناء والاهلاك خاصة وبناء البناء الحكيم للافناء خاصة عبث وسفه ليس بحكمة وهو ما ذكر
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وكانوا ظنهم ان لا بعث ولا حيوة بعدها فعلى
ما كان ظنهم كان انشاؤها لعبا ولهوا فاما الحيوة الدنيا على ما هى عند اهل التوحيد حكمة وحق وصواب فعلى ما كان عند اهل
الالحاد فهو سفه وباطل وقد رد الله تعالى عليهم وقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ويحتمل ان يكون
معنى قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اى لو قوبلت بحيوة الاخرة لكان لعبا ولهوا لان الدنيا بنيت على الفناء والانقطاع والزوال
عن قريب والاخرة على الدوام والبقاء وهو ما ذكر قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى لانها باقية والدنيا فانية او
يقول انما الحيوة الدنيا الدنيا خاصة لعب ولهو اى من جعل الحيوة للدنيا خاصة يكون لعبا ولهوا ومن جعل الحيوة الدنيا دارا للاخرة
وبلغة اليها فهى ليست بلعب وهو ما قال الله تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم اخبر ان الانفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر والنفقة التى يكون فى الدنيا للحيوة الاخرة مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل الاية والله اعلم وقوله عز وجل كمثل غيث اعجب الكفار نباته والاشكال انه كيف خص الكفار
بتعجيبهم ظاهر ذلك النبات وقد يعجب النبات لاهل الايمان فنقول لان الكفار يعجبهم ظاهر ذلك النبات وما يرون من النزهة
لا يرون الى ما يحصل فى ذلك النبات وجعل فيه من المنفعة فى العاقبة لكن ينظرون الى ظاهره واما المؤمنون انما يعجبهم ما فى
ذلك النبات من المنفعة فى العاقبة والى ذلك يكون نظرهم لا الى ظاهره وهو كما شبه انفاق الكفرة بالريح التى فيها صر تصيب
حرث قوم لما لا يقصدون بانفاقهم سوى نفس الانفاق وشبه نفقة اهل الايمان بالحبة التى تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة
ما يرجئه لما كان مقصدهم فى الانفاق عاقبة لا عين الانفاق ويحتمل ان يكون المراد من الكفار الزراع وبه فسر بعض اهل الادب و
هو كقوله يعجب الزراع على هذا التاويل رجع الى الكل والله اعلم وقوله عز وجل وفى الاخرة عذاب شديد اى لهؤلاء الذين اتخذوا
الدنيا لعبا ولهوا وصيروها تفاخرا وتكاثرا دون ان يتخذوها زادا وبلغة الى الاخرة وقوله عز وجل ومغفرة من الله ورضوان
فهو للمؤمنين الذين اتخذوا الحيوة الدنيا للاخرة وعقلوا الايات التى بينها لهم للنظر فيها والتفكر والتامل فتاملوا ووضعوها
مواضعها والله اعلم وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وهو يخرج على الوجوه التى ذكرنا فى قوله تعالى اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو قال امام الهدى رضى الله عنه فى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ان الحيوة الدنيا وحبها لنفسه على
ما انشئت وجعلت له حكمة وحق وسرور وليس بغرور واما اتخاذها وحبها لغيره واستعمالها لغير الذى انشئت وجعلت عنده فهى
ولهولاء من احب شيئا استكثر منه وحبسه لنفسه وحفظه عن تلفه وضياعه واستبقاه لوقت حاجته ويوم فقره فعلى ذلك
من جمع الدنيا لنفسه واحبها واستعملها فيما اذن له وامر وهوان يجعلها دار الاخرة وبلغة اليها فاذا علم ذلك استكثر منها و
عنده الله ليوم فاقته من احبها ولحبه لها فهو ليس بغرور ولا لعب بل مرود وبهجة ومن طلبها لغيره واستعملها فى غير ما انشئت
كان غرورا ولعبا على ما ذكر ويخرج قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور على ما يختاره ويشتهيه ويحبونها وذلك ان الله تعالى انشا لنا
هذه النعم حيث قال خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فيجب ان ينظر الى ذلك بالتعظيم
لها والاجلال لا بعين الاستخفاف والهوان الا ترى ان ملكا من ملوك الارض لو اكرم واحدا بكرامة واهدى بهدية ثم علم منه
الاستخفاف بهديته يسلب منه هديته ويستحقره فعلى ذلك يجب ان يتلقى نعمة الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقول الحسن لا
على الاستخفاف بها والاهانة ثم الناس بعد هذا ثلاثة رجل رغب فى نعمة الدنيا وجمعها وجعلها عند الله ذخرا وزادا
ليوم فقره وفاقته ورجل زهد فيها خوفا للتقصير فى عبادة الله تعالى فى حقيقة ان يشتغل بها ويمنعه ذلك عن اداء ما عليه
والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امر وله اسوة حسنة بنبيه صلى الله عليه وسلم واما من ترك الدنيا وما انشاها الله تعالى
فيها من النعم استخفافا بها وهوانا فهو الجاهل المستخف بنعم الله تعالى الغافل عما انشئت له الدنيا وما فيها فهذا والذى طلبها
للدنيا الدنيا مذمومان والذى طلبها لنفسه زاد الاخرة والذى زهد فيها محمودان والله اعلم وعلى ذلك يخرج ان حب الدنيا
راس كل خطيئة ان من احبها لغيره والخبر الذى جعلت له يكون راس كل خطيئة ومن احبها لنفسه ويتخذها زادا للاخرة فهى
راس كل حسنة وطاعة والله اعلم وقوله عز وجل وسابقوا الى مغفرة من ربكم لعقولا بخلوا السابقة فيما بينكم فى مغفرة ربكم ولا

جنة لا الى جمع الاموال والاولاد وكان اهل الكفر جعلوا المسابقة في الدنيا في جمع الاموال والتفاخر والتكاثر بها ع
فيقول لاهل الايمان اجعلوا انتم المسابقة في طلب مغفرة الله وجنته والله اعلم ويحتمل سابقوا اجالكم باعمالكم التى توجب
لكم المغفرة والله اعلم وقوله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض الآية ذكر سعة الجنة لان العرض انما يذكر لسعة
يكون للشيء وقد ذكر سعة فيها حيث قال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ايضا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ
الاعين ونحو ذلك ذكر ما فيها من السعة وسعتها والله اعلم ثم ذكر عرضها كعرض السماء والارض ليس يخرج على التحديد
والتقدير ان عرضها مثل عرض السموات والارض لكن لما لا شيء اوسع في اوهام الخلق ما ذكر وهو كقوله خالدين فيها ما
دامت السموات والارض ذكر دوامها لا شيء ابقى وادوم منها في الاوهام والا كانتا تفنيان ويحتمل ان يقول عرضها
كعرض السموات والارض اى يصير السماء والارض جميعا جنة لهم ثم وصف الجنة بالسعة ووصف النار بالضيق حيث
قال اذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وذلك انه ليس في النار على قدر المجعول عذابا لم يصل الى المعذب
بها نايرة فضيقت ولفضل الجنة على قدر الحاجة لذة وسرور وعيشة فوسعت لذلك والله اعلم ثم اخبر انها اعدت
الذين آمنوا بالله ورسوله والايمان بالله تعالى هو ان يصدق كل شيء يشهد على وحدانيته والوهيته والايمان برسله و
هو ان يصدقهم فيما اخبروا عن الله تعالى وكل صاحب كبيرة مصدق بالذى ذكرنا فهو مؤمن وذلك على المعتزلة وقوله
عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء دلنا الآية ان ما يؤتى من الثواب لعبيده فضل منه وان سماه خيرا واجرا لما
سبق منه اليهم من الاحسان والنعم ما يصير تلك الافعال وان كثرت شكرا لادنى نعمة وان طال العمر فانى يستوجب الجزاء
والثواب على تلك الاعمال ثوابا وجزاء والله الموفق وقوله عز وجل ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في
كتاب من قبل ان نبراها اى ذكرها في كتاب كان ذلك الكتاب قبل ان نبرا تلك المصايب اى تخلقها اذ لا يحتمل كونه انفس تلك
المصايب في الكتاب قبل خلقها فدل انه على كون ذكر المصايب فيه وهو كقوله والشجرة الملعونة في القرآن ولكن ذكرها فيه وعلى
ذلك ما روى في الخبر انه نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واى نهى ان يسافر بالذى كتب فيه القرآن والا لم يكن حينئذ القرآن
في ذلك المصحف فعلى ذلك ما ذكر في المصايب وذلك يخرج على المجاز دون الحقيقة والله اعلم ثم اختلف في قوله من قبل
ان نبراها منهم من قال من قبل ان يخلق تلك المصايب ومنهم من قال من قبل ان نبرا تلك الانفس والارض والاول اظهر و
قوله عز وجل ان ذلك على الله يسير يخرج على وجهين اى كثرت ما يصيب الخلق في انفسهم واموالهم يسير على الله غير شديد
عليه ليس كملوك الارض لان ما يصيب حشمهم وخدمهم من المصايب يشتد عليهم لما ان قوامهم بحشمهم وخدمهم و
لهم منافع فيخبر الله تعالى بهذا انه ليس له في بقاء الخلق منفعة ولا في ذهابهم وفنائهم ضرر فلذلك يكون عليه يسيرا والثانى
ان كتابته ما لم يكن بعد ولم يخلق وعلمه قبل كونه على الله يسير حين يخبر انه عالم في الازل بكون الاشياء فانه لا يصعب
عليه ولا يشتد العلم بها قبل كونها وقبل ظهورها كما يشتد على الخلق ويصعب عليهم والله اعلم وفي الآية دلالة خلق افعال
العباد لانه اسم المصايب يقع على ما للخلق فيه صنع كما يقع على ما لا صنع لهم فيها ثم اضاف الله تعالى خلقها الى نفسه مطلقا
بقوله من قبل ان نبراها دل ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى الا ترى ان الله تعالى سمى ما يصيب بايدى الخلق مصيبة حيث قال
هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله تعالى بعذاب من عنده او بايدينا وقال في آية اخرى
قاتلوهم يعذبهم الله بايدينا وقال في آية اخرى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية وقالت المعتزلة يقال اصابنا كذا فيما
لا صنع للخلق في ذلك فاما فيما صنع للخلق فيقال اصبنا لكن هذا فاسد فانه جائز ان يقال في كل ما اصابك اصبته وما
اصبته اصابك لانه اذا اصابك شيء فقد اصبته وذلك جائز في اللغة والله اعلم وقوله عز وجل
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم جعل الله تعالى في طباع الخلق الحزن والاسى على ما فاتهم من النعمة وينزل بهم البلاء
والشدة والسعة والفرح والسرور بما نالوه من النعمة هذا هو المنشي والمجعول فطبعا عليهم ثم يخرج تاويل الآية بالنهى
على الاسى والحزن بفوت النعمة وعن الفرح والسرور بعد ما انها على وجوه احدها يقول والله اعلم انى لا تستكثروا
ما اتى ولا تحزنوا على ما فاتكم فيحكم ذلك على الشكرى من الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم لا تستكثروا الفرح والسرور فتحمل
بحملكم ذلكم على الطغيان والعدوان وسئله ذكر في الخبر اعوذ بالله من الفقر المنسى والغنا المطغى والله اعلم والثانى
يقول لكيلا يشغلكم الاسى والحزن على ما فاتكم من النعمة حتى يفوتكم اضعاف ذلك وهو ما وعد لهم من الثواب اذا صبروا
كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وبشر الصابرين ثم قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون يقول لا يشغلكم الجزع وترك الصبر على ما وعد لكم من الصلوات والرحمة والاهتداء ولذلك قيل الجزع في
المصيبة اعظم المصيبتين ويقول ايضا ولا يشغلكم شدة الفرح والسرور بما آتاكم عن الشكر حتى يفوتكم الزيادة وعد الله
لان الله تعالى وعد الزيادة على النعمة اذا شكر بقوله لئن شكرتم لازيدنكم والله اعلم والثالث يقول لا تاسوا على ما فاتكم كي

انفرا

الى ما كان منكم من الجناية حتى فاتكم ذلك حيث قال ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يقول لا تاسوا على ما فاتكم
ولكن انظروا الى تفريطكم في جنب الله وارجعوا عن ذلك ولذلك يقول لا تفرحوا بما آتاكم ولكن انظروا الى احسان الله
الذى كان اليكم والله اعلم ويحتمل ان يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولكن انظروا الى ما امتحنكم وابتلاكم
اذ هو امتحن بعضنا بالشدائد والبلاء وامرهم بالصبر على ذلك وبعضنا بالسعة والرخاء وامرهم بالشكر على ذلك فاصبروا
ولا تحزنوا ان فاتكم النعم واصابتكم المصايب واشكروا الله ولا تفرحوا عند النعم فيصير بطرا واشرا او يقول لا تاسوا
على ما فاتكم فان الذى اخذ منكم لم يكن في الحقيقة لكم انما هو لغيركم ومن كان عنده مال لاخيه فاخذه لا يحزن على
ذلك ولا تفرحوا بما آتاكم فان الذى آتاكم يحتمل ان يكون لغيركم لا لكم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تفرحوا بما آتاكم
فرحا مردودا او مقصودا فمن مرح ورد الفعل الى الله تعالى او من قصر جعل الفعل لذلك الشيء لو افقه قوله على ما فاتكم ولم
يقل افاتكم وقوله عز وجل والله لا يحب كل مختال فخور ولكن يحب ضد ذلك وضد المختال المتكبر فيحب المتواضع
الخاضع والفخور هو الذى يفتخر بما انعم الله تعالى عليه وعلى الناس فيحب الشكور والذى يشكر على نعمه بالتواضع
على عباده وجائز ان يكون هذا كله وصف الكفار كانه يقول لا يحب كل كافر كقوله يحب كل صبار شكور اى يحب
المؤمن لان المؤمن يكون صبارا على المصايب شكورا للنعم والله اعلم وقوله عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل جائز ان هذا صلة قوله لا يحب كل مختال فخور تفسيرا له وجائز ان يكون على الابتداء وهو كقوله كذلك حقت
كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله كان قوله تعالى الذين يحملون العرش منفصلا
من الاول وكذلك هذا ثم قوله يبخلون ويامرون الناس بالبخل يحتمل ما ذكر من بخلهم في آية اخرى فقال واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه بخلوا بالانفاق على المؤمنين
او بخلوا بالانفاق على اتباعهم ليبقى المكرم والرياسة عليهم وجائز ان يكون ما ذكره بعض اهل التاويل ان ذلك
نزل في من اهل الكتاب ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان في كتبهم وامروا امثالهم واشكالهم بكتمان ذلك والله
اعلم وقوله عز وجل ومن يتول فان الله غنى حميد اى ومن يعرض عن ذلك فان الله هو الغنى الحميد الغنى عن العباد
لم يعد ما دعاكم اليه اذ لم يدعكم الى ما دعاكم لحاجة نفسه او هو الغنى بذاته الحميد بفعاله اى بافعاله منكم من الرد
لرسالته ولا يخرج فعله من ان يكون محمودا ولا يصير لفعله الى غاية بما صنع غير حميد والله اعلم ثم في قوله لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ما جرى ذلك على ايدى الناس لانه لا يرون منهم فيحملهم ذلك على العداوة والبغضاء ولكن يروا
ذلك مكتوبا عليهم من الله تعالى وكذلك ما ذكر فيما يوتيهم من النعم على ايدى الخلق فان يرون ذلك منهم فيشغلهم
عن القيام بشكر الرب جل وعلا ولكن يرون من فضل الله تعالى منه فيشكرونه والثانى يحتمل ان يكون النهى عن الحزن
امر بالفرح اى لا تاسوا على ما فاتكم ولكن افرحوا بالعمل الذى فاتهم لو لم يفتهم لكان يشغلهم بحقوق الله تعالى واداء
ما عليهم من الفرايض والله اعلم وفي قوله تعالى ولا تفرحوا امر بالحزن وقد يذكر الشيء ويراد به اثبات ضده كقوله
تعالى فما ربحت تجارتهم اى خسرت تجارتهم وينبغي ان يتلقى نعم الله على وجهين احدهما بحسن القبول لها والتعظيم
والشكر للنعم اذا اغناه بذلك عن النظر مما في ايدى الناس ودفع الحاجة وذلك عن اعظم والثانى يخاف ان لعله
فعل ذلك به استدراجا وامتحانا انا الاموال وبما يكون فتنة وبلاء او يشغله تحن اذا ما عليه ان كان ذلك سبب
استدراجه وبلائه فاخذ منه اولما يصل بذهاب الاداء الفرايض من العبادات وكان ذلك يمنعه ويحزن من وجهين
ايضا احدهما لما يفعل يوتر بحرجه الى ما في ايدى الناس وكان غنيا عنهم اولما لعل ذلك عقوبة لتفريط كان منه كقوله
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم والله اعلم ثم انه اضاف ما اتاهم من النعم الى نفسه حيث قال ولا تفرحوا بما آتاكم
ولم يضف ما فاتهم الى نفسه وهو كما قال في آية اخرى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
وهو ما ذكرنا انه جائز ان يكون ما يفوتهم من النعم باكتساب وبسبب كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلنا
بالبينات يحتمل وجهين احدهما اى ارسلنا بما يبين ويوضح انهم رسل الله وان تلك الآيات التى اتوا بها من عند الله لا
باختراع من عندهم لما هي خارجة عن وسع البشر والثانى ما يبين صدق الرسل في خبرهم وعدلهم في حكمهم او يبين ما لهم و
ما عليهم وقوله عز وجل وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال في آية اخرى الله الذى نزل
الكتاب بالحق والميزان ثم يحتمل والميزان الموازين المعروفة التى بها يستوفى الحقوق فيما بين الناس وبها يوفى وابها
يحفظ حقوق الاموال التى بينهم وحدودها فان كان المراد هذا فكانه قال وانزلنا معهم الكتاب الذى به يحفظ الدين
وحدوده والميزان الذى به يحفظ حدود الاموال لا يزاد على الحق ولا ينقص منه والله اعلم وجائز ان يكون المراد بالميزان
الحكمة اذ ذكره على اثر الكتاب كقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة كانه يقول والله اعلم وانزلنا معهم الكتاب والحكمة كانه يقول

والله اعلم. وانزلنا معهم الكتاب والحكمة فيكون الحكمة بها يحفظ حدود الافعال والاقوال ويكون الحكمة ما يقوم الناس
بها بالقسط وان يكون الحكمة ما اودع في الكتاب من المعاني وقال الحسن في قوله ويعلمه الكتاب والحكمة انهما واحد ثم وقوله
عز وجل ليقوم الناس بالقسط يخرج على وجهين احدهما انزل ما ذكر من الكتاب والميزان ليلزم الناس القيام بالعدل وقد الزمهم
ذلك بما انزل عليهم من الكتاب والميزان وبين الحدود والثاني انزل ما ذكر ليقوم الناس بالقسط على وجود القيام بالعدل
فان كان المراد منه الوجود فهو راجع الى خاص من الناس وان كان على الالزام فهو راجع الى الكل وهو كقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فان كان على وجود العبادة فهو يرجع الى خاص من الناس وان كان المراد بقوله الا ليعبدون اى لامرهم
او الزمهم فهو الكل فانه قد خلقهم ليامرهم ويلزمهم وقد امرهم والزمهم والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا الحديد فيه باس
شديد ومنافع للناس خص الله تعالى وذكر الحديد بما جعل فيه من الناس من بين غيره من الاشياء وان كان يشاركه غيره في احتمال
الاذى والشدة وهو ما يطعن به فينفذ ويضرب به ويستعمل في الحرب والقتال لاجل ما انه هو الكامل في الظفر والنفاذ وخرج وان
كان قد يتحقق من غيره ولذلك اعتاد الناس الى القتال والحرب فيكون الناس فيه اشد والثاني لما يتحصن به باتخاذ
الدروع بقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم لهذا خص الحديد به والله اعلم وقوله ومنافع للناس جعل الله تعالى
في الحديد منافع ليست تلك في غيره وهو ما يتخذ منه ما يجز به ويخاط من الخفاف وغير ما لا يحتمل هذا النوع لغيره وكذلك
حوايج الخلق لا يقوم في سائر انواع الحرف والاعمال من التجارة والزراعة والبناء وغيرها وفيه خصوصية في حق المحن وهو
ما يظهر عند فرض القتال الصدق ايمان المحقق ونفاق في المرتاب بقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية ونحو ذلك فظهر الصادق من الكاذب بالحروف وانما ذلك بالحرب فصار مخصوصا في حق المحنة
وغيرها من المنافع حتى لا يلتام امر من امور المعاش الا به فلذلك خص والله اعلم وقال اهل التاويل انزل من السماء المطرقة والعلاة
والكلبتين وعندنا ليس على حقيقة الانزال من السماء كذلك ومعناه قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اى خلقها و
قوله تعالى وانزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومعلوم انه لم ينزل اللباس على ما هو ولكن معناه خلقه لباسا كذلك هذا وقوله
عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يحتمل من ينصره اى دينه واراد بما اضاف النصر الى نفسه نصر رسوله محمد وسائر رسله عليهم
الصلاة والسلام ثم نصر الرسل مرة يكون بتبليغ ما امروا الى قومهم ينصرونهم ويحثونهم على ذلك ونصر دينه اظهاره في الخلق
والذب عن اهله والمعونة لهم هذا يحتمل وعلى هذا يخرج قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله اعلم وجائز ان يكون المراد من اضافة النصر
الى نفسه ودينه انهم المستغفرون بذلك ولم يحصل ذلك النفع وتلك المعونة لكن بفضله وكرمه سمى ذلك نصرا واضافه الى نفسه على
ما جعل الاعمال التي يعملونها لانفسهم ثوابا وذكرهم على ذلك اجرا كانهم عاملون له وهم المستغفرون بها المحتاجون اليها فعلى ذلك جائز ان
يكون ما عملوا لانفسهم سماه نصرا له وان كان ذلك النصر لهم وانه ناصرهم وناصر الكل حيث قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبر انه اذا
نصرهم لا غالب لهم سواه واذا خذلهم لا ناصر لهم دونه والله اعلم ثم وقوله عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يخرج على وجهين احدهما ليعلم من
قد علم انه ينصر ناصرا وليعلم من قد علم بالغيب انه يكون كائنا شاهدا والتغير على المعلوم لا على العلم والثاني يريد بالعلم المعلوم وهما جائزان
في اللغة ذكر العلم والفعل على ارادة المعلوم والمفعول نحو ما يقال الصلاة امر الله اى بامر الله لان الصلاة لا يكون امره وقوله عز وجل ان
الله قوي عزيز ذكر هذا ليعلم انه لم يامر بما امرهم من القتال والنصر لحاجة نفسه ولا استعملهم فيما استعمل من النصر والمعونة لنفسه ولا
ان يكتسب بذلك العز لنفسه حيث اخبر انه قوي بنفسه عزيز بذاته ولكن انما امرهم بما امروا واستعملهم فيما استعمل لنفسه لانفسهم ولمنفعتهم
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وانما ذكر نوحا وابراهيم والله اعلم لما اخبر انه
جعل في ذريتهما النبوة والكتاب والا قد ذكر الرسل بجملتهم في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات فدخل نوح وابراهيم عليهما السلام
والسلام في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ثم ذكر ان منهم من اهتدى اى من قومهم وكثير منهم فاسقون بقوله فمنهم مهتد وكثير منهم
فاسقون يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم انه قد كان في قومهم من اتبعهم فصار واهتدى ومنهم من ترك اتباعهم وخرجوا من امرهم
فصاروا فاسقين يصبره ويسكن قلبه وعلى ما كان في قوم من تقدم من الرسل من المجيبين لرسلهم والتاركين الاجابة كقومك اى لست
انت باول من كذب ورد قوله تعنتا وعنادا والله الهادي وقوله عز وجل ثم قفينا على آثارهم برسلنا اخبر انه جعل في ذريتهما النبوة
والكتاب منهم رسلا ذكر في الاية الاولى انه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ولم يذكر الرسالة وذكر في هذه الاية الرسالة فيهم وفي ذريتهم
اى ارسلنا رسولا على اثر رسول واتبعنا بعضهم بعضا من تفاعيلهم ثم ذكر انه قفى بعيسى ابن مريم لان عيسى عليه السلام من اولاد اسحق
عليهما السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم وهو من ولد اسمعيل عليه السلام وقال بعض اهل التاويل وقفينا اى اتبعنا ويقال
قفيت فلانا اى عقبته وحيته وقفوت تقفوا وقفيا واقتفيت اى لزمته وقوله عز وجل وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة ورحمة وصف الله تعالى الذين اتبعوا الرسل وآمنوا بهم بالرحمة والرهبة والرافة فيما بينهم وهو كما ذكر في اية اخرى اذ
كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقال في اية

اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ونحو ذلك وذلك لان السبب الذي جمعهم واحد
وهو التوحيد والاسلام فان قيل كيف وقع بينهم وان كان سبب الجمع قائما لما كانت تلك الالفة والرافة بلطف من الله تعالى وقد
زال ذلك اللطف وارتفع وحدث بينهم ما حدث ونقول ان الخوارج قد احدثوا من انفسهم اشياء حتى سموا المسلمين كفرة بما ارتكبوا
من الكبائر حتى حسبوا القتال والحرب معهم وكذلك المعتزلة سموا اصحاب الكبائر فسقة وخرجوا واثبتوا منزلة بين الكفر والايمان ومن
سمى اخر كافرا او فاسقا فان مثله لا بد ان تحدث بينهما عداوة وتباغض فما حدث بيننا وبينهم من العداوة بتسميتهم ايانا فسقة
وكفرة بارتكاب الكبائر وان كان السبب الذي جمعهم قائما فاعتقدنا والله الموفق وقوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الاية ذكر في القصة ان في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان على بني اسرائيل ملوك ظلمة والتوراة
والانجيل وبقي منهم اناس مؤمنين بعيسى عليه الصلاة والسلام ويعملون بما في الكتب فهم اولئك الملوك ان يتناولوهم لاباءهم
اتباعهم والعود الى مذهبهم فخرجوا من بينهم فترهبوا رجاء ان يتخلصوا منهم فذلك قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم اى ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية ولم نامرهم بها ولكن فرض عليهم وكتب في الجملة ابتغاء رضوان الله تعالى فابتدعوا تلك
رجاء ان يكون فيها رضوان الله تعالى والله اعلم قال فما رعوها حق رعايتها اخبر انهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ثم ذكر انهم لم
يرعوا حق رعايته ذمهم كتركهم الرعاية لما ابتدعوه ففيه دلالة ان افتتح قربة لم يفرض عليه من صلاة او صوم او نحو ذلك
ثم لم يف بوفائه واتمامه لحقه ذم كالحق هؤلاء وقوله عز وجل فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون اخبر ان الذين
آمنوا وثبتوا على الايمان ان يوتيهم اجرهم اى يوجب لهم اجرهم وكثير منهم فاسقون اى كافرين كذلك ذكر في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه وكثير منهم كافرون وذكر ان بعضا منهم بعد ما ترهبوا اشتد عليهم الرهب فعادوا ورجعوا ودخلوا في دين
اولئك الملوك والله اعلم قال القتبي ورهبانية اى العبادة يعني الخوف وابتدعوها الابتداع ان يفعل شيئا او يفعل تلك
يقال منه ابدعت وابتدعت وبدعت ايضا وقيل الرهبانية انهم بنوا من الرهبة لما افرط فيه وهو ما نهى الله عنه بقوله لا
تغلوا في دينكم ويقال دين الله بين المقصر والغالي وقوله فما كتبناها عليهم اى ما امرناهم بها والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يقول بعض اهل التاويل يا ايها الذين آمنوا بعيسى ابن مريم آمنوا بمحمد عليهما الصلاة والسلام
ولكن هذا ضعيف لان الايمان برسول من الرسل ايمان بجميع الرسل عليهم السلام وتاويل الاية يا ايها الذين آمنوا بالرسل جملة على
الاشارة والتفسير آمنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على الاشارة به لان الايمان بالرسل على غير الاشارة امر سهل وانما
يصعب الايمان به ويشتد بالاشارة الى واحد لانه لما آمن بالمشار اليه لزمه اتباع امره ونهيه ويلزمه موالاة من والاه
واتبعه ويلزمه معاداة من عاداه وخالفه في امره ونهيه وترك اتباعه وان كان له ابنا او ابا او جدا وكان يجب ان يكون احب
الناس اليه واقرب واثره فهو معاملة الرسول الذي آمن به على الاشارة اليه وانما يشتد ويصعب واما عند الاجمال و
الارسال فامر سهل انما فيه تصديق كل صادق وتكذيب كل كاذب وكل الناس قد اعتقدوا في الاصل التصديق الصادق
وتكذيب الكاذب وليس في الاجمال والارسال الا ذلك واما عند اليقين يوجب الامتحان وبه يظهر نفاق المنافقين وتحقيق
المؤمنين المحققين وذلك قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم ظهر نفاقهم
بما امروا بالجهاد والخروج معه على الاشارة اليه وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وقد وعدوا في الجملة انه لو اعطاهم كذا من فضله او تو ذلك ولو امروا
باخراجه ابوا اخراج ذلك عند الاشارة اليه فعلى ذلك جائز ان يكون قوله يا ايها الذين آمنوا بالرسل جملة آمنوا بهذا الرسول
المشار اليه لما يصعب الامر ولما يلزم في ذلك معاداة من خالفه وترك اتباعه وان كان من اقرب الخلائق اليه وكذلك عامل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاربهم وارحامهم لما آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصار عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
اليهم من انفسهم وابائهم واولادهم وعادوا جميع اقاربهم الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا اتباعه وفي ذلك امر
عظيم ولذلك فضل ايمان من آمن قبل خروجه من ايمان من تاخر منهم عن ذلك الوقت ولا تنوع الاية والله وقوله عز وجل يؤتكم
كفلين من رحمته فقيل يؤتكم اى يوجب لكم الكفلين من رحمته اى اجرين اجر الايمان بالرسل كلهم على الاجمال واجر الايمان بالرسل
على الاشارة والتفصيل ذكر ههنا كفلين من رحمته وفي اية اخرى يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويحتمل قوله كفلين مرتين
وقوله مرتين كفلين فيكون احدا تفسير الاخر ثم ذكر ههنا الاجر لهم من رحمته وذكر ههنا الاجر مطلقا ليعلم ان ما ذكر لاعمالهم
من الاجر انما هو فضل منه ورحمة لا استحقاقا على ما ذكرنا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من الاجر مرتين يكون مرة في الدنيا والاخرى
في الاخرة كقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير الاية وقوله في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة والله
اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من الاجر مرتين يكون وصلا في الاخرة ويكون قوله مرتين اى كفلين اى ضعفين كقوله بهما عنهم ولهم
اجر كريم ثم قوله كفلين قال الكسائي قال اهل التاويل اى اجرين وقال بعضهم حظين ونصيبين وجائز ان يكون سماه كفلا لانه كفله الاجر

ان ذا الكفل ذكر انما سمي به لانه كان يكفل العادة فعلى ذلك ما يحتمل تسميته هذا كفلا لانه والله اعلم وقوله عز وجل ويجعل لكم
نورا تمشون به هذا يخرج على وجهين احدهما النور كناية عما يبصر به ويتضح والمشي كناية عن الامور والنور كناية عن البصر والله
اعلم وهو كقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات اي لا سواء وهو كناية عما ذكر
ليس بتصريح والثاني على حقيقة ارادة المشي وحقيقة النور وذلك يكون في الاخرة كقوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا الاية وقال اهل التاويل النور هاهنا القران اي اعطاكم قرانا يفضيكم الى سبيل الخير والله اعلم وقوله عز وجل
ويغفر لكم الغفران من الستر يقول يستر عليكم مساويكم ومساويكم لان ذكر المساوي يبغضهم الخلق ويحملهم على المقابح وقوله
عز وجل والله غفور رحيم اي يرحمهم ويصلحهم في جنته لئلا يعلم اهل الكتاب اجمعين اهل التاويل والفقه ان حرف لا زيادة هاهنا
وههنا وصلة اي ليعلم اهل الكتاب وقد يزاد في الكلام حرف لا ويسقط بحق الصلة يعرف ذلك اهل الحكمة والفقه كقوله تعالى
يبين الله ان تضلوا ليس يبين لنا لا يضل ولكن يبين لنا لنعلم ونهتدي نعرف الحكماء والفقهاء ان كلمة لا اسقطت هاهنا فعلى
ذلك عرفوا ان حرف لا هاهنا في قوله لئلا يعلم زيادة معناه ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ثم لا يحتمل ان يكون
ذكر قوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله على غير تقدم قول كان منهم حتى خرج هذا جوابا لهم عن ذلك
ولكن يذكر شيئا يشبه ان يكون الذي ذكر هو جواب ذلك الذي كان منهم وهو انهم كانوا اهل واهل علم بالكتاب يرون لانفسهم
فضلا على غيرهم وخصوصية ليس لغيرهم عندهم فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم والى الناس كافة وانزل
عليه كتابا وهو امين عندهم وذكر في كتابه ما كان في كتبهم وامرهم باتباعه والانقياد له والطاعة واوجبهم جميعا اليه الى
ما في كتابه انكروا فضل الله عليه واختصاصه اليه فعند ذلك قال لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء ان يفضل من يشاء على من يشاء ليس ذلك اليهم ثم قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من
فضل الله دلالة نقض قول المعتزلة في ان الله تعالى قد اعطى كل شيء ما يقدر على الوصول الى جميع فضايله واختصاصه وقد اخبر تعالى
انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله والمعتزلة يقولون بل يقدرون فهذا خلاف ظاهر الاية والله اعلم وفي قوله وان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء ايضا دلالة نقض قول المعتزلة من جهة اخرى وهو انه ذكر المشية فيما هو حقه فضل وما هو حقه
عدل حيث قال وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولم يذكر المشية فيما هو حقه عدل وما هو ظلم وجور بل اطلق القول في
ذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعباد وقال لا يظلم مثقال ذرة وقال لا يظلم الناس شيئا وغير
ذلك من الايات نفى ان يلحق احد منه الظلم والجور وليعلم ان فعل الهدى منه يصل الى من هذا وشبهه والاضلال منه على
ولذلك قال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي من نال الهدى والرشد انما ناله بفضله ورحمته ومن ضل
فذلك عدل عنه ولذلك قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان والهادي والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله قال جماعة اهل التفسير انها نزلت في اوس بن
الصامت اخي عبادة بن الصامت وامرأته ثم انهم اختلفوا في اسم امرأته قال ابن عباس رضي الله عنه كان اسمها خولة وعن عائشة
رضي الله عنها انها كانت جميلة وقال بعضهم بانها كانت بنت خويلة على بعضهم خولة وروي في بعض الروايات بانه كان سبب
هذا القول من اوس لزوجته لما دعاها الليلة الى فراشه وكانت امرأة بحيث لا تحل له التمتع بها فابت عليه واراد ان يخرج
من البيت فقال لها ان خرجت من البيت فانت علي كظهر امي فخرجت فلما اصبحت قال لها زوجها ما اراك الا قد حرمت علي لئن
والله ما ذكرت لي طلاقا قال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واساله فاني استحي ان اساله عن هذا فاتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبرته فنزلت فيها هذه الاية وروي في بعض الاخبار ان اول من ظاهر امرأته اوس وكان لم يقل في بعض صحبه ذلك
القول وهذا يروى عن محمد بن كعب القرظي لكنه لا يحتمل ان يكون اراد باللمم الجنون لان المجنون لو طلق امرأته لا يقع الطلاق فضلا
ان يكون ظهاره ظهارا وقيل قوله كان به لمم اي فضل غضب وشدة فكانه لم يكن به حلم ثم اختلف الروايات في شانها وشان
زوجها منهم من روى وهو محمد بن كعب انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان اوسا ابا ولدي وابن عمي واحب الناس
الي وقد الكلمة والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا قال انت علي كظهر امي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد
حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه وقد كرره
المرة ذلك ويرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم قال اللهم اني اشكو اليك شدة وجدي به وما يشق علي من فراقه اللهم انزل
على نبيك فانزل الله تعالى قد سمع الله الى قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا وفي بعض الاخبار رواها الكلبي انها اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني يوم تزوجني وانا شابة ذات اهل كثير ومال كثير كلما

حتى اذا كبرت عنده سني وذهب اهلي وتفرق مالي وضعفت جعلني عليه كظهر امه ثم تركني الحيين شيء وقد ندم وندمت فهل
من شيء يجمعني واياه يا رسول الله فقال عليه السلام ما اراك الا طلقت قالت لا قال ما امرت في شانك من شيء فان نزل علي في شانك
شيء ابينه لك ثم رفعت يديها الى السماء تدعو وتتضرع اليه ان ينزل الله بيانه ثم امرها ثم خرجت من عنده واتت زوجها فنزل
جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الاية وروي في بعض الاخبار انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي اوس
بن الصامت تزوجني واني شابة ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وبركت سني وفنيت ظهري وبان اهلي جعلني عليه
كظهر امه ولي منه صبيان ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى نفسي جاعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعرني فاحلك
الظالمة لزوجك فقالت يا نبي الله فاذ شئت اشكو الى ربنا الذي كان فيك الضعف والعجز قال فجعلت تجادله فلما اتت
ثم لا يرفع بها راسا ولا يجد عنده مخرجا خرجت ثم نعت طرفها الى السماء تشكو الى الله صنيع زوجها بها وقالت اللهم فانت
مبنك في نفسك فلم يرفع لي راسا فنزل اليوم حاجتي وارحم ضعفي وقلة حيلتي فلم تصل الى منزلها حتى هبط جبريل صلوات الله
عليه بالوحي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله فدعا اوسا زوجها فقال ما الذي حملك على ما صنعت بخولة
وقد انزل الله فيه ما انزل وبعث اليها وجاءت بها فقال يا رسول الله عمل الشيطان فهل من امر يجمعني الله واياها قال نعم ثم تلا
عليهم اية الكفارة الى اخرها ثم بين هذه الروايات اختلاف ذكر في رواية القرظي انه قال عليه السلام ما اراك الا قد حرمت
وفي رواية قال لها ما امرت في شانك من شيء لكنه يمكن التوفيق بين الخبرين وهو ان قوله ما اراك الا وقد حرمت عليه على ما كان
اهل الجاهلية يرونه تحريما وقال ما اراك الا وقد حرمت عليه من ذا الوجه لكنه لم ينزل علي شيء في بيان هذا ابينه لك والثاني
انه ليس في قوله ما اراك بيان حرمة بل هو قول على الظن بما قد كان الناس يعرفون بينهم ذلك حرمة فيجوز ان يكون النبي عليه
ذلك او يقول لها ذاك الحادثة الحرمة بالوحي فتوقف في الجواب مع الاشارة لها بالامتناع من الزوج احتياطا لباب الحرمة والله
اعلم ثم ان بعض تفعها ذكر الاختلاف بين السلف في حكم الظهار قبل نزول الاية عن عكرمة انه قال كانت النساء تحرم بالظهار
حتى انزل الله تعالى هذه الاية وكان طلاقا قبل نزول الاية فجعله الله تعالى بهذه الاية ظهارا وعن ابي قلابة وغيره كان طلاقهم
في الجاهلية الايلاء والظهار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما كان طلاق اهل الجاهلية الظهار ثم جعل الحسن الاسلام
حرمة ترتفع بعد ذلك بالكفارة التي اوجب وعن الحسن انه قال كان الظهار اشد الطلاق واحرم الحرام اذا ظاهر من امرأته
لم ترجع اليه ابدا والاشبه انه لا يكون طلاقا في الاسلام لو كان يكون في الجاهلية لانه يكون موجبا حرمة لا يرتفع ابدا كما
قال الحسن فانه ذكر في حديث خولة ان زوجها لما قال لها ما اراك الا وقد حرمت علي قالت والله ما ذكرت لي طلاقا ولو كان
الظهار طلاقا لعرفته وكذلك لما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لي انت علي كظهر امي فقال عليه السلام ما اراك
الا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا ولم يرد عليها اعتقادها فان الظهار طلاق وكذلك ما
روي في رواية اخرى في حديث طويل جعلني عليه كظهر امه ثم تركني الى غير شيء فهل من شيء يجمعني واياه يا رسول الله فقال عليه
السلام الطلاق قالت لا قال ما امرت في شانك من شيء ولو كان الظهار طلاقا بعد الاسلام وقبل نزول هذه الاية فلما
قال لها الطلاق بعد ما قالت جعلني عليه كظهر امه ولما قال ما امرت في شانك من شيء وحكم شريعته انه طلاق قد ثبت ذلك
دل ان الاشبه هذا تعرف ما قلنا انه ذكر في حديثه خولة واوس انه اول في ظاهر في الاسلام فكيف يكون طلاقا قبل الشيء
النبي صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه والحرمة التي لا ترفع النكاح بالظهار انما يثبت بعد نزول الاية نزلت بعد
هذا القول في اوس بن الصامت فدل ان مراد تحريم الظهار فهذا يدل على ان هذا الحكم كان ثابتا في شريعته قبل نزول اية
الظهار بوحي غير متلو وان كان قبل ذلك في حكم الجاهلية فكذلك ذلك الزوج قال للمراة ايضا ما اراك الا قد حرمت عليه
دل على انه كان طلاقا قبل نزول الاية هذا حجة عليكم فانه لو كان المراد بقوله عليه السلام اراك الا وقد حرمت عليه اثبات
الحرمة فيها بالظهار لكونه طلاقا فكيف يحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك بعينه في شخص بعينه وقد
صح في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اوسا وامره بالكفارة وابقى النكاح بينهما لو كان ذلك طلاقا وانه حكمه
انما ينسخ بالاية حكمه الى حكم اخر فظهر ذلك في المستقبل لا في الماضي فدل ان هذا حجة عليه ولكن انما قال ما
اراك الا وقد حرمت عليه للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالطلاق في حقها
مع ان الظهار كان طلاقا بطريق القطع بل قال ما اراك الا وقد حرمت عليه على طريق الظن لانه جائز ان يكون الله تعالى اعلمه
انه سينسخ حكم هذا القول وينقله من الطلاق الى تحريم المتعة فلم يقطع القول فيه حتى نزلت الاية قيل لو كان ذلك حكما
ثابتا معروفا في شريعته لم يمتنع النبي عليه السلام عن العمل به والحكم بذلك ما لم ينزل عليه الناسخ وان علم انه سينسخ لانه يجب
عليه العمل بما انزل عليه لقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله بلغ ما انزل اليك واذا ورد الناسخ بعد ذلك يكون عمله في
المستقبل لا فيما مضى وانما يستقيم هذا على ما قلنا ان الظهار قبل نزول الاية لا حكم له في الاسلام وكان تحريما في الجاهلية

فحق وجد هذا السبب ودفعت هذه الحادثة امرها بالاجتناب عن الزوج احتياطا حتى نزلت الاية فيظهر ان حكمه ما هو
من حين وجوده ان يجوز ان يرد الله تعالى بهذا هذا الحكم وان كان لا علم المباشرة ان كان بحيث يمكنه الوصول الى العلم به
عند الحاجة الى العمل به والحكم كالنص الذي ورد مجملا في ايجاب حكم ثم ورد البيان متاخرا والنص العام الذي ورد بيانه
على خلاف ظاهره فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي سمع قولها
ومجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سؤالها اياه عما بينت بقول زوجها لها انت علي كظهر امي المجادلة هي
المخاصمة وهي المحاورة وكان مجادلتها في زوجها ان قالت والله ما ذكرت طلاقا حين قال لها بعد ما قال لها ان خرجت
من الدار فانت علي كظهر امي وخرجت ما اراك الا قد حرمت علي واما مجادلتها مع النبي عليه السلام ومحاورتها
هي قولها لا تفعل ذلك وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه فهذه محاورتها ومن الناس
من يقول المحاورة هي المراجعة في الكلام ومراجعتها ورددتها وهو ما ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر قوله
وما اراك الا قد حرمت عليه وهي تردد وتكرر قولها لا تفعل ذلك يا رسول الله فانه ما ذكر طلاقا ولكن هذا قريب
من الاول وقال بعض اهل اللغة تحاوركما اي كلامكما والتحاور الكلام بين اثنين وقوله عز وجل وتشتكي الى الله
والله يسمع تحاوركما قيل فيه بوجهين احدهما اي تشتكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى اضاف الى نفسه
لان المراد بها كان ان يبين الله تعالى على رسوله عليه السلام بالفرج عنها والثاني ان تشكو الى الله تعالى وتفزع
فذكر ان حيث لم تجد الفرج والمخرج فيما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فاشتكت
الى الله تعالى ودعت وتضرعت حتى انزل الله تعالى على رسوله الاية فيها وجاءت الرخصة لها بالاجتماع بعد
التكفير على ما ذكر في الخبر والله اعلم وقوله عز وجل والله يسمع تحاوركما اي سمع لها بالاجابة واغاث بالفرج
والمخرج عما اشتكت اليه وسمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بابانة ما ظهر له من الحكم في الحادثة التي اشتبهت
عليه واشكل وجه الحكم في ذلك ثم اختلفت الاخبار في امرها ايضا حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخبر
للاية التي نزلت فامرها ذكر في حديث القرظي لما نزلت نزلت الاية دعا زوجها اوسا فقال لها اعتق رقبة قال
ما عندي رقبة اعتقها قال فصم شهرين متتابعين قال ما استطيع يا رسول الله اني لا اصوم يوما ولا اخاف تشق
عليك فكيف صوم شهرين متتابعين قال فاطعم ستين مسكينا قال الا ما اعنتنا نعم قال فاطعم ستين مسكينا فامسكها وفي رواية
اخرى ذكرها الكلبي لما نزلت رخصتها ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها اوس بن الصامت فاتاه فقال ربحلت
ما حللت على ما صنعت وتلت قال الشيطان يا رسول الله فهل من رخصة يجمعني واياها قال نعم وقرا عليه هذه الايات
الاربع وقال له هل تستطيع ان تعتق رقبة قال لا والله يا رسول الله ان المال القليل وان العيال الكثير وان الرقاب لغالية
قال فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال لا والله يا رسول الله لولا اني اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت
الخمسة عشر صاعا فتصدق به على ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين اهله وذكر في خبر اخر ان رجلا كان ظاهر من امراته
وكان هو يصوم عنه فواقع امرته في وقت الصوم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فعله ثم امره بان يكفر بما وصفنا من الكفارات فقال لكل واحدة منها لا استطيع قال فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ياتي موضع كذا الى ذريق فياخذ منه وسقا من التمر فيطعم ستين مسكينا كل مسكين صاعا والباقي ينفقه
على عياله ذكر في الاطعام في خبر لا استطيع وفي خبر اخر قال الا ما هنا نعم في حديث اخر الا ان يعينني بصدقة فيشبه ان
يكون هذا القول منه اما هنا نعم بعدما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعانة او باعطاء الكل فيخرج الاخبار على
الوفاق والله اعلم وفي هذه الاخبار دليل على ان الكفارة انما لزم فيها طعام من الحنطة نصف صاع وفيه دليل ان نصف
صاع من الحنطة طعام مسكين وانه يجوز من صدقة الفطر والله اعلم وقوله عز وجل ان الله سميع بصير اي سميع
لما لتكما بصير في امركما وفي الحكم فيكما وقوله عز وجل الذين يظاهرون منكم من نسائهم قرا يظهرون بتشديد الظاء بغير
الف وهو في الاصل يتظهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرا يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء بالالف وهو في
الاصل يتظاهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرئ ايضا يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء بالالف من ظاهر
يظاهر مظاهرة والمعنى واحد فيما اختلف من قراءتهم يقال ظاهر الرجل من امراته ويظاهر منها وتظاهر وتظهر منها بمعنى واحد
وهو ان يقول لها انت علي كظهر امي وقال القتبي تظاهرون اي يحرمونهن تحريم ظهور الامهات وقال ابو عوسجة تظاهرون هو
بمعنى ان يقول الرجل لامراته انت كظهر امي واما يظاهرون من التظاهر وهو التعاون يقال تظاهر القوم اي تعاونوا ولكن
هو خلاف ما تضمنه الاية والله اعلم ثم الظهار كان عند ذلك القوم طلاقا وهو ما روينا في الاخبار ان امراة اوس لما همت
ان يخرج من الدار فقال لها ان خرجت من الدار فانت علي كظهر امي وكذلك هذه الدلالة في قوله والذين يظاهرون والظهار

اسمه

اسمه من الظهر وكذلك يتعارفه المسلمون فيما بينهم هذا اللفظ وهو قوله انت علي كظهر امي ما ظاهر الاية يوجب ان يكون
الظهار فيما يقول انت علي كامي وهو قوله ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ذكر الامهات ولم يذكر ظهور الامهات
فظاهر الاية يوجب هذا وبهذا احتج محمد بن الحسن لمذهبه فيمن قال لامراته انت علي كامي قال يكون ظهارا ان نوى فيه و
اما ابو حنيفة رحمه الله فانه قال لا يكون مظاهرا الا ان ينوي به المظاهرة فانه نوى بر كان وذهب في ذلك الى ما روي
في الاخبار ذلك الحرف وهو قوله انت علي كظهر امي وانما نزلت الاية فيمن قال ذلك القول فلا يحل لنا ان نعرفه الى غيره الا بدليل
ثم قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ما هن امهاتهم اي ما هن كامهاتهم لانه تعالى قال ما هن امهاتهم على سبيل الرد لما
خبر عنهم بقوله والذين يظاهرون من نسائهم اي قالوا لنسائهم انتن علينا كظهور امهاتنا وقوله عز وجل ما هن امهاتهم
في ظاهر يكون رد القول من قال لنسائهم انتن امهاتنا اللاتي قالوا انتن كامهاتنا او كظهور امهاتنا فيحتمل بذلك القول ان
مراد الله تعالى بقوله ما هن امهاتهم اي كامهاتهم ولكن الاشكال انه انما صار تقدير الاية ما هن كامهاتهن فما معنى قوله ان امهاتهم
الا اللائي ولدنهم لانهم كانوا يدعون التشبيه بالامهات والله تعالى ما ادعوا من التشبيه في معنى لبيان حقيقة امهات وهي
اللائي ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون في نسائهم انهم امهاتهم حقيقة حتى يرد عليهم دعواهم بقوله
ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم واشكال اخر انه قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وظاهر هذا القول منهم ليس بقول الزور
ولا المنكر اذ ليس في قولهم ظهرك كظهر امي وانت علي كظهر امي وكامي الا التشبيه وهي لعلها فان ظهرها كظهر امها في الجثة و
الخلقة والتشبيه لا يقتضي العموم فما معنى تسميتهم تشبيه المرأة بالام منكرا وزورا واشكال اخر انه قد سمى الله تعالى
غير الامهات اللائي ولدنهم امهات ثم انه قال في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهو منهن وازواجه امهاتهم وقال في نساء
اللاتي يرضعن اولادهم وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وان لم يكن بهن فنقول وبالله التوفيق انهم كانوا يريدون ان يوجبوا في
نسائهم حقوقا واحكاما ما كانت في امهاتهم لم يكن لهم ايجاب ذلك فانهم كانوا يشبهون النساء بالامهات ولم يريدوا بذلك
التشبيه من حيث الصورة او الخلقة ولكن يريدون بذلك التشبيه في الحرمة وحرمة النساء في الاصل غير حرمة الامهات
فان الام حرام الاستمتاع بها على التابيد لكن يباح للرجل ان يدخل على امه ويخلو بها ويسافر بها ويباح النظر والمس والاركاب
ولا تحل الخلوة بها والنقام معها والمرأة من حرمت بالطلاق الثلاث او بالبينونة لا يثبت شيء من هذه الحقوق و
والمشابهة بين الشيئين ان كان لا يقتضي التساوي بينهما من كل وجه ولكن يقتضي المساواة بينهما في وجه من الوجوه على
الكمال فان الذات في الشاهد اذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل عن العلمين
والتساوي من كل وجه فلم يبعد تشبيههن تعالى الله عن ذلك ندل ان هؤلاء تشبيههم النساء بامهاتهم ارادوا ان يجعلوا حرمة
نسائهم كحرمة امهاتهم ويوجبوا فيهن حقوقا واحكاما كحقوقهن واحكامهن حتى يباح لهم المعاملة مع نسائهم ما يباح مع
امهاتهم ويحرم ما يحرم معهن ويكون احترامهن كاحترامهن والله تعالى لم يجعل ذلك ونهاهم عن ذلك فقال ما هن امهاتهم
اي كامهاتهم في هذه الحرمة التي يريدون اثباتها وانه لم يجعل نساءهم حرمة امهاتهم ثم قال ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
اي ان هذه الحرمة التي يريدون اثباتها فيهن انما جعلنا لامهاتهم اللائي ولدنهم فاما لم ترعوه من انفسهم شيئا ثم اجعله
ولم اشرعه في صنيعهم بهذا وعلى هذا يخرج تاويل قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا انما كذبهم بما قالوا في
ايجاب ذلك الحقوق والاحكام على انفسهم في نسائهم من غير ان جعل الله تعالى ذلك اي وانهم ليقولون منكرا وزورا في ايجاب
الحقوق فيهم كما في الامهات وتشبيههم اياهن بالامهات في الاحكام والحقوق والحرمة وان كان كلامهم وقولهم من حيث ظاهر
التشبيه ليس بمنكر ولا بزور وهذا كقوله تعالى في وصف المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهؤلاء المنافقون فيما قالوا في الظاهر كانوا صادقين ولكن لما كان قصدهم
غير ذلك وكان في قلوبهم ايجاب شيء غير ما اظهروا واما اسماهم كذبة فكذلك هؤلاء المظاهرين لما ارادوا ايجاب حكم
لم يجعل لهم ذلك سماه قولهم منكرا وزورا والمنكر هو الذي لا يعرف في الشريعة والزور هو الكذب فنهاهم الله تعالى عن ذلك
واما قولهم ان الله تعالى قد سمى غير التي ولدتهم امهات من نساء النبي عليه الصلاة والسلام والمرضعات منهم من قال انه يجوز ان
يكون هذه الاية متقدمة على قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وعلى قوله وازواجه امهاتهم فلم يكن في ذلك الوقت امهات من رضاع
ثم كانت من بعد فيكون الاخبار بهذا مقيدا بذلك الوقت وهو كقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه ثم
يجد في ذلك الوقت ثم وجد من بعد ذلك غيره محرما فعلى ذلك هذا وقيل يحتمل ان يكون قال ذلك في قوم خاص وقبيلة
خاص لم يكن لهم امهات من رضاع فيكون الاخبار بان امهاتهم ليست الا اللائي ولدنهم صدقا ولكن هذا تكلف لان قوله
ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اخبار ان هذه الحقوق والاحكام التي يوجبونه ليس يثبت الا في الامهات التي تلدنهم او من كان
في معناهن ومن اشباههن شرعا لم يجعل الله تعالى كازواج النبي صلى الله عليه وسلم والامهات بسبب الرضاع والله تعالى لم يجعل

لنسائهم تلك الحقوق ولا الحرمين بالامهات فيكون تشبيههن بهن في هذه الحقوق منكرا من القول وزورا والله اعلم
وقوله عز وجل وان الله لعفو غفور وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل
ان يتماسا اختلف في حكم الظاهر ما هو وفي تاويل العود عنها ومن قولان في قوله قال ثم يعودون لما قالوا الوطي فاذا
حنث فعليه الكفارة وهذا تاويل بعيد مخالف للنص لان الله تعالى يقول من قبل ان يتماسا وانما ذهب الذي اليه حكم الايلاء
انه اذا وطي يجب الكفارة فاما في الظهار يجب الكفارة قبل الوطي وفي قوله انه اذا تكلم بالظهار يجب عليه الكفارة ولم
يشترط معه شيئا اخر وعن مالك انه اذا ظاهر منها ثم اجمع وعزم على امساكها وامتنا بنها وحنث عليه الكفارة حتى
اذا طلقها المودة بعد العزم على الامساك والاصابة او بعد الاصابة بقي وجوب الكفارة عليه وان لم يجمع على امساكها حتى
ماتت يسقط الكفارة وكذلك اذا طلقها لكنه اذا تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر فيكون العود هو امساكها ابدا
وعن الحسن ان العود هو العزم على الجماع حتى اذا عزم على جماعها يجب الكفارة وان اراد تركها بعد ذلك وقال عثمان التي فيمن
ظاهر من امرته ثم طلقها قبل ان يطاها قال ارى عليه الكفارة راجعها او لم يراجعها وان ماتت لم ترفع الصا والكفارة ولا
يرث حتى يكفر وقال الشافعي العود هو الامساك والكفارة يجب به وحكم الظهار هو تحريم المنفعة حتى اذا امكنه ان يطلقها بعد
الظهار ولم يطلق وامسكها ساعة ليطاها فقد وجبت عليه الكفارة عاشت او ماتت واذا ماتت طلقها او لم يطلقها
راجعها او لا واذا طلقها عقيب الظهار فلا فصل يبطل الظهار ولا يجب الكفارة بعزم امساك المرأة وقال بعض المتأخرين
في تاويل قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى القول الاول فيكررون ذلك القول وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا
حتى يقول انت علي كظهر امي مرتين واما عندنا فحكم الظهار هو تحريم موقت بالكفارة ولا يرفعها الا الكفارة وهكذا
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذا قال انت علي كظهر امي لم يحل له حتى يكفر وعندنا لا يجب الكفارة بنفس الظهار
وانما الظهار يوجب الحرمة لا غير وانما يجب بالعود حتى انها اذا ماتت لا يجب عليها الكفارة اذا ارتفع المعنى الذي يجب وهو
استباحة الوطي وكذلك اذا طلقها بائنا او ثلاثا لا يجب الكفارة هنا حتى اذا عادت اليه بالتزوج واقدم على استباحة الوطي
يجب الكفارة وهو عند بعض اصحابنا ان يجعل المرأة على الحالة الاولى ويحللها على نفسه على ما كان ويستبيح وطيها فاذا
اراد ان يحللها على نفسه ويستبيحها وتقديم عليه يجب عليه ان يكفر ولا يزول تلك الحرمة عندنا الا بالكفارة فالتكفير سبب
الحل كذا ذكر الغني في تاويل ثم يعودون لما قالوا اي يعودون بنقض ما قالوا ونقض ذلك واستدل بما ذكر عن الاصمعي ان
اعرابيا تكلم ببيت بيع بانه كان بني بناء ثم يعود اليه قال له الاصمعي ما اردت به فقال اي نقضه وافسده فهذا يدل على ان
المراد من قوله ثم يعودون الى استحلال ما حرموا وينقضون ذلك ويردون الحل الى الحالة الاولى ان ظاهر العود الى
القول بقوله ثم يقولون لما قالوا ولكن اراد به المقول به والثابت به وهو الحرمة كانه قال ثم يعودون لما حرموا بالقول
فيستبيحون ويجوز ان يذكر الفعل ويراد به المفعول كقوله عليه الصلاة والسلام العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه
وانما هو عائد في الموهوب وقال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموقن به والله اعلم فان قيل العود الذي يجب
به الكفارة هو العزم على استباحة الوطي والقصد على تحليلها على نفسه واعادة الحل الى الحالة الاولى ام الاقدام على الوطي
او مباشرة نفس الوطي فان كان المراد هو الاول يجب ان يقولوا بوجوب الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحليل
كما قال مالك رحمه الله والحسن رحمة الله وان كان المراد ايقاع الوطي يجب ان يقولوا انه لا يجب الكفارة الا بعد الوطي كما
قاله قوم وهو خلاف الاية وخلاف قولكم قيل يعني بذلك هو الاقدام على استباحة الوطي والاشتغال باقامته فيقدم التكفير
ثم يفعله اما لا يجب بمجرد العزم ولا بعد تحقق الفعل وهذا لانه اذا ظاهر حرمة المرأة عليه بسبب فعله يجب توفير حقها
في الجماع ان كانت بكرا في الحكم حتى يجبر عليه وهنا وان كانت ثيبا وقد وطيها مرة يجب عليه فيما بينه وبين الله تعالى ايصال
ذلك اليها وعند بعض اصحابنا يجبر في الحكم ايضا على ذلك يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوسل الى اقامة ذلك الواجب عليه
من الجماع اذ لا يحل ذلك بدون الكفارة وهذا كالوضوء في باب الصلاة ليس بعزم مقصود بنفسه لكن يجب لاقامة الصلاة
اذ لا يجوز الصلاة بدون الطهارة فاذا اقدم على الصلاة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من ادائها ولا يجب بنفس
الارادة ولا يجب بنفس الحدث حتى لا يجب الوضوء ما لم يدخل وقت الصلاة ويقوم اليها وكذلك المرأة اذا حاضت بعد الوقت
حتى سقط عنها الصلاة يسقط الوضوء فعلى ذلك هذا يجب عند الاقدام على اقامة هذا الواجب وهو الوطي والظهار شرط ولهذا
اذا ماتت المرأة يسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود بالاقامة وهو الوطي وكذلك اذا طلقها ثلاثا او بائنا لكن اذا عادت
اليه يلزمه الكفارة اذا اقدم على الوطي ولم يبطل الظهار لاحتمال حصول الغرض والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله
تعالى والذين يظاهرون من نسائهم الاية هذا خبر عن ظهار القوم الذين كانوا يظاهرون في جاهليتهم اي ظاهروا في ذلك
الوقت ثم يعودون لما قالوا او لو قالوا ذلك القول بعد اسلامهم فعليهم ما ذكرنا ان الظهار كان ظاهرا في الجاهلية عادلي

ذلك الفز

ذلك القول ورجع اليه وقت اسلامه فعليه ما ذكر وهو كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه فهذا يرجع الى فعل ذلك مرة
استحلالا لما ذكر حرم الله ثانيا وان عاد الى الفعل الاول لا من وجه الاستحلال فينتقم الله منه بالزامه عليه وان عاد والى الاستحلال
فينتقم الله منه بالعقاب وكذلك مثل هذا في اية الربوا حيث قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد
الى ما كان يفعله قبل الاسلام فكذلك هذا العود الى الظهار على هذا التقرير يخرج تاويل الاية عندنا وهو كقوله تعالى الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه اي كانوا يتناجون في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن العود الى ما كانوا عليه فعلى ذلك
يحتمل هذا والله اعلم لكن على هذا التاويل الاقدام على الوطي سبب الوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص انما فيه ان الظهار يوجب تحريما
موقتا بالكفارة وكذلك الاحاديث التي ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اوسا في الكفارة حين ظاهر من زوجها انما يعرف
من حيث الدلالة فانه لما كان التحريم موقتا بالكفارة ويكون رافعة له فانما يجب الرافع بالاقدام عليه لا بسبب سابق يوجب التحريم
لان رافع الحرمة لا يجب بما يوجب الحرمة كما ذكرنا في الوضوء انه لا يجب ما يحدث الذي هو رافع للطهارة ولكن لما وجب على المكلف
الصلاة بالطهارة يجب الوضوء بالاقدام على الصلاة التي لا يجوز بدونه فكذلك هذا والله اعلم وقول من جعل العود هو العزم
على امساك النكاح والبقاء عليه فاسد فان النبي عليه السلام اوجب الكفارة على اوس بن الصامت حين ظاهر من زوجها
ولم يسئل له الامساك والبقاء على النكاح ولا تفسير العود بالامساك لا يستقيم لانه لو تعرف في الاصل امساك المرأة عودا
عليها ولا امساك شي من الاشياء يتكلم بالعود اليه فيكون هذا خلاف اللغة ولما ذكرنا ان الشي هو الرجوع الى ما كان عليه
فيقتضي انقطاعه وزواله حتى يتحقق العود اذا العود هو وجود ثاني وهنا انما يتحقق فيما قلنا من الجواز لانه قد تبدل بالحرمة
فاما العقد قايم لم يزل فكيف يعود الى العقد فلا يكون البقاء على العقد وامساك المرأة بالنكاح عودا ولان الله تعالى
قال ثم يعودون وثم يقتضي التراخي ومن جعل العود هو الامساك والبقاء على النكاح فقد جعله عائدا عقيب القول بلا
تراخ وذلك خلاف ظاهر الاية وقول من جعل العود هو العزيمة على الوطي لا معنى له لان موجب الظهار هو تحريم الوطي لا تحريم
العزم على الوطي وان كان العزيمة على المحظور محظورة لكونه وسيلة الى المحظور فيكون العود هو الرجوع الى ما يقوى به مقصود
الا وسيلة الى حسبان الاول ولانه لا حظ للعزيمة في حق تعلق الاحكام في ساير الاصول الا ترى ان ساير العقود والتحريم لا
يتعلق بالعزيمة فلا اعتبار بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى عفى عن امتي ما حدثت به نفسها ما لم يتكلموا به ويعملوا وقول
من جعل العود تكرار القول الاول فاسد ايضا وان كان ظاهر اللفظ يحتمل وهو العود الى القول الاول لانه خلاف الاجماع وخلاف
اصول الشرع اما خلاف الاجماع فان السلف والخلف اجمعوا ان هذا ليس بمراد عن الاية فيكون قايله خارجا عن الاجماع واما
المخالفة للاصول فلان الحل والحرمة انما تعلق وجوبها بابتداء القول لا بتكراره في جميع الاصول من البياعات والنكاح والطلاق
والعتاق والاجارات فلما كان الاصل هنا في ساير الاسباب والظاهر موجب الحرمة بقوله دل ان الموجب هو القول الاول
دون الثاني فيكون تعليق الحرمة بتكرار السبب الموجب مخالفة لساير الاصول وبهذا يبطل قول الشافعي انه تعلق الحرمة
بتكرار الوضعات لا برضعه واحدة والله اعلم ولان النبي عليه السلام امر بالكفارة في حق اوس ولم يسأله عن تكرار القول
ولما لم يسأل دل ان الحكم غير متعلق بالتكرار وقال الشافعي انه اذا طلقها بعد الظهار بلا فصل فلا كفارة عليه وان
لبث ساعة ثم طلقها كفر راجعها ولم يراجعها او ماتت قول تعزيره لان طاوسا اوجب عليه الكفارة طلقها او امسكها
وساير التابعين قالوا ان ماتت او طلقها ولم يراجعها فلا كفارة عليه ولم يفصلوا بين ان يطلقها على اثر الطلاق بلا فصل
او بعد ذلك بساعة فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف فلا يعتبر به والله اعلم وقوله عز وجل فتحرير رقبة من قبل ان
يتماسا ظاهره يقتضي ان يكون الوطي محظورا عليه قبل الكفارة لانه جعل الحرمة موقتة بالكفارة واذا وطي يسقط الظهار
والكفارة لانه كلما تعلق بشرط او وقت بوقت فمتى فات الوقت او عدم الشرط لم يجب لذلك النص واحتج الى دلالة اخرى
في ايجاب مثله في الوقت الثاني الا انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا ظاهر من امرته ثم وطيها ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له استغفر الله ولا تعد حتى تكفر فصار التحرير الذي بعد الوطي عرفناه بالسنة والله اعلم ثم وقوله عز
وجل فتحرير رقبة يرجع الى وجهين مرة الى اسم الرقبة ومرة بما يستحق حكم الرقبة فان كان المراد من ذكر الرقبة اسم الرقبة
نفسها فيجب ان يجوز كل ما يقع عليه اسم الرقبة صغيرا كان او كبيرا كافرا او مسلما مقطوع اليدين كان او مقطوع الرجلين
او اعمى او كيف ما كان وبشر المريسي يذهب الى هذا ويجيز كيف ما كانت الرقبة وان كان المراد من ذكر الرقبة ما يستحق حكم
الرقبة فيجب ان لا يجوز اعتاق رقبة فيها ادنى نقصان لان الاصل في العبيد والاماء ان النقصان فيما دون النفس يكون
نقصانا في كل النفس فيجب ان لا يجوز اذ يصير معتقا بعض الرقبة لا كلها ثم الدليل على ان النقصان الحادث فيما دون النفس في
الرقاب يجعل كالنقصان الحادث في النفس ان العبد اذا قطعت يده او فقئت عينه يشتري بنقصان ما كان يشترى وقت الصحة
فصار النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد وان لم يكن ذلك من نفسه النصف فيجب على هذا ان لا يجوز

كان فيه اذى النقصان اذ الحكم فى ما دون النفس فى العبيد حكم الانفس وحكم الجناية عليهم محمول على حكم مال النفس لكون
هذان التاويلان فى الاية لا يصحان واما الجواب عن الفصل الثانى ان النقصان الحال فى بعض الرقبة كالحال فى كلها ان ذلك
النقصان يرتفع بالعتق وان كان وقت قيام الرق يحكم النقصان لما يصير رقبته بحكم الكمال بالعتق اذ صار هو منتفعا بالعتق
او بالعتق جبر النقصان الذى كان به فيسلم له الرقبة كاملة من حيث المعنى فيجوز كما اذا اعتق الرقبة السليمة والدليل عليه
انه لو جنى عليه بعد ما اعتق لم ينقص من دينه شئ وان كان ذلك النقصان فى نفسه وقت العبودة والرق وثبت بهذا انه فى الحق
بنفسه كامل النفس وانما كان ذلك النقص فيه لحق المولى فيه وقت العبودة اذ هو لو كان منقوصا وحق نفسه لا يرتفع عنه
ذلك النقصان ابدا فلما ارتفع النقصان فى حكم الرقبة دل ان اعتاقه جائز والاصل فيما اوجب الله تعالى من هذه الكفارة انما اوجب
لتكفر بها ما ارتكب من المأثم ولما ارتكب من الشهوات التى حظر علينا ارتكابها ليتالم بهذه الكفارة ليكون زجرا عن العود اليها
فبان ان ينظر فى هذه الكفارة فان كفر بشئ لا يتالم به نفسه ولا يتجع عندها فلا يجوز ذلك عن الكفارة وان كان بالذى يتجع
ويولمه يجوز ثم ما يصل اليه من الالم فاعتاقه وجهان احدهما انه اذا تامل ذهاب منافع ذلك المملوك عنه بما كان هو يصل الحق
يتالم بذلك ويتجع والثانى لما تامل منه النفع فى العاقبة وان لم يكن فى الحال ينتفع به فيتامل ايضا بذهاب تلك المنفعة المؤمله
فكل من كان يتالم من هذين الوجهين جاز عتقه عن الكفارة والافلا والله اعلم ثم لا يجوز اعتاق الاعمى والمقعد والمقطوع اليد
ونحو ذلك عن الكفارة ويخرج على الكلامين اما على الاول انه وان ارتفع النقص الحاصل فى نفسه بسبب العبودة عند وجود
الاعتاق فاياه لا يجوز لا النقصان ولكن لانه يصير معتقا ببدل والاعتاق ببدل لا يجوز عن الكفارة وان كانت الرقبة نفسه
الكمال ومعنى قولنا انه يصير معتقا ببدل لانه ما دام فى ملكه فى تلك الحال فان مونته يلحقه وبالاعتاق يسقط مونته عن نفسه
ويلحق تلك المونة المسلمين فلم يجز عن الكفارة لهذا واما على الثانى فانه يلزم على الوجهين جميعا اما على الاول فلانه لا يتجع ولا
يتالم نفسه باعتاق مثله لما ليس له منفعة الخدمة ليتالم بفوتها وعلى الثانى لما ليس له منفعة يومل فى المال فيتالم بذلك ايضا و
لا يلزم الصغير على هذا القدر لانه ليس له منفعة الخدمة وتعقيبه عليه ايضا ومع ذلك يجوز اعتاقه عن التكفير لانا نقول انه انما
ينفق على الصغير لما يامل منفعته فى العاقبة والناس انما يربون الصغار والعبيد وينفقون عليهم لينتفعوا بهما اذا بلغوا
فى العواقب فلم يصر عتقه من هذا الوجه ببدل والتامل فى عتقه مرجو بحسب ما كان فى الكبير واكثر واما الاعمى والمقطوع احدى
اليدين واحد الرجلين يجوز عن الكفارة فانه قد يمكن الاكتساب فيتامل مولاه باعتاقه لما فيه ذهاب منفعته فيتالم ان يكون
كفارة لما ارتكب من الشهوة ولما وصفنا من جبر ذلك النقصان وارتفاعه بالعتق والله اعلم وذكر عن الشافعى انه لا يجيز عتق
الرقبة الكافرة عن الكفارة واحتج بما ذكر الله تعالى فى كفارة القتل الرقبة المؤمنة فكذلك فى كفارة الظهار اذ هما كفارتان
ولكن نحن نقول ان هذا على اصلنا من جهة خطاب لان من جهة العموم يعم كل رقبة فى دار الدنيا والاصل فى ذلك عندنا ان الله تعالى
لم يذكر فى كفارة الظهار الرقبة المؤمنة فلا يجوز ان يوجب ما ذكر فى كفارة القتل ههنا والدليل عليه انه ذكر فى تلك الاية
الاشياء وهو قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله فذكر الدية ثم ذكر الدية فى اية القتل
لم يوجب على الظهار لما ترك ذكرها فى اية الظهار ومثله فى القران كثير وايضا ان احق ما يجوز فى الكفارة اعتاق الرقبة الكافرة
وذلك لان المسلم قد يتالم باعتاق الرقبة الكافرة ما لم يتالم باعتاق المسلمة لما يرى فى طبعه الاحسان الى الكافر ولا يرى مثله
الى المسلم وقد وصفنا ان الكفارة للتالم بالخروج ما امر باخراجه عن ملكه معا فى القران دليل على جواز اصطناع المعروف اليهم
وهو قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون
بصير ليس عليك هديهم ثم قال ايضا بعد ذلك وما تنفقوا من خير يوف اليكم وذكر فى القصة ان بعض اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا قد امتنعوا عن الانفاق على قراباتهم لما ابوا الاسلام فنزلت هذه الاية فهذا يبين ذلك ان الاصطناع
اليهم واعتاقهم تكون تكفيرا ثم وقوله عز وجل من قبل ان يتماسا قال رحمه الله عند ابو حنيفة رحمه الله اى عتقا لا مسيس فيه
لان عنده الاعتاق يحتمل التجزى فيحتمل انه يعتق نصفه ثم النصف الاخر فيشترط ان يعتق النصفين جميعا قبل المسيس حتى
لو مسها فيما بين ذلك يلزمه استيناف العتق وعلى هذا تاويل قوله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا اى
صوم شهرين لا مسيس فيه حتى لو واقعها فى وقت لم يتم صوم شهرين بعد يلزمه الاستيناف وكان نفعه لا مسيس فى حال
الكفارة فمن وجد المسيس فى وقت لم يتم الكفارة بعد يلزمه الاستيناف وتاويل قوله من قبل ان يتماسا عند ابى يوسف رحمه الله
اى يعتق قبل وقت المسيس ويصوم كذلك ويقول بان الاية خرجت لبيان وقت التكفير فيه حتى اذا جامع امرأته فى صوم
الظهار انه لا يستانف الصوم بل يصوم الباقى اذ قد فات عن وقته فصار قاضيا ما عليه وليس بعد الجماع وقت لذلك الصوم
ليكون ذلك على القضاء فيجوز متفرقا متتابعا كالصوم شهرين رمضان لما تعين له عين له وقت الاداء ثم فات الوقت لا يجب
متتابعا بل يجوز متفرقا كذا هنا ولا يتصور المسئلة فى الاعتاق لانه لا يتجزى عنه ولا خلاف انه اذا جامع ما اطعم لم يبن

مسكينا

مسكينا انه لا يلزمه استيناف الطعام ولا خلاف انه جامع قبل الكفارة لا يلزمه شئ سوى التوبة والاستغفار فى قول عامة
الفقهاء وعند بعضهم يلزمه كفارتان لابى يوسف رحمه الله عليه ما ذكرنا ولانه قد ادى بعضها فى الوقت وبعضها فى غير الوقت ولمن
اداء الكفارة بعد الوقت ولهذا المعنى فى الطعام كذلك ولابى حنيفة رحمه الله عليه ان الظهار ليس يوجب الكفارة ولكن يوجب حرمة
لا يرتفع الا بالكفارة مقصودا لكن اذا اراد الاستمتاع بها ينال له ليس لك ذلك الا بالكفارة فاذا كان كذلك فاذا ادى بعضها
ثم ماسها ثم ادى البقية لم يصر ادى بعد المماسة فاذا لم يصر قضاء فقضاء من ذلك جعل كالنص بما جاء فى هذه الحالة ان حرر ا
رقبة قبل ان يتماسوا فاتبا وصوموا شهرين متتابعين اذا اردتم العود اليها ولذلك قال عليه السلام للظاهر الذى جامع امرأته تب
استغفر الله ولا تعد حتى تكفر لكن يدخل على هذا ان الطعام انه اذا اطعم بعض الطعام ثم ماسها لم يلزمه الاستقبال والعبارة التى
ذكرناها توجب الاستيناف لكن يتخلص فى الطعام لان الطعام وقع فى الاصل متفرقا اذ لو اطعم بعضه للحال وبعضه بعد سنة فانه
جائز من ذى الحجة لكن يدخل عليه الاعتاق عند ابى حنيفة رحمه الله فانه اذا اعتق بعضه للحال وبعضه بعد سنة يجوز ايضا ومع
ذلك اذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الاستيناف وما ذهب اليه ابو يوسف رحمه الله من حمل الاية على بيان الوقت لا يصح
لانا لو حملنا تاويل الاية نفسها الا فانه يقع فى الاية مقررة وقت ذلك ثانية بدلالة العقل وذلك ان قد علمنا ايجاب
الحرمة بالظهار وعلمنا ان تلك الحرمة لا يرتفع بالكفارة فصار وقت الحل يذكر الحرمة معلوما ولذلك هذا فى جميع الحرمات
من الطلاق وغيره انه لا يرتفع الا بسبب رفعه فلو حمل تاويل الاية على بيان الوقت لم يفد شيئا ولو حمل على بيان اخلاء الكفارة
عن المسيس وعلى نفى المسيس فى حال الكفارة يفيد فائدة جديدة فيكون هذا التاويل احق واولى ثم فى الاية دلالة بان ليس ذلك
على بيان الوقت وهو قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم ذكر فى العتق والصوم ترك المماسة ولم يذكر ذلك فى الاطعام
ولو كان ذلك على جعل الوقت له لكان يذكر فيه المماسة اذ الكفارة انما كانت عن شئ واحد لا يختلف فيه اوقاتها بل يكون
وقتها واحدا ولا يقال انما لم يذكر الوقت فى الاطعام لانه ذكره فى العتق والصوم وذكره فى الاطعام لانه من انواع هذه الكفارة و
فذكر الوقت فى البعض يكون ذكرا فى الباقى فاذا ادى بعضه فى الوقت وبعضه فى غير الوقت كان اولى ان يودى الكل فى غير
الوقت لانا نقول ذكره فى عتق والصوم لا يصلح ان يكون بيانا فى الاطعام لان البيان على وجوه ثلاثة بيان نهاية وبيان
كفاية وتفصيل فاما بيان الكفاية وهو ان يكتفى ببيان الواحد او القليل عن الكل ليعرف ذلك بالاجتهاد والقياس على نظائره فيدل
ذلك على معنى مودع فيه وانه محل الاجتهاد والتعليل واما بيان النهاية فهو ان يبين الكل على مبالغة حتى لا يبقى الاجتهاد فيه موضع
واما بيان التفصيل هو الذى يبين فى اكثره ولا يبلغ به نهايته فهو فيما يبين لا يتعدى الحكم اذ لو كان فيه معنى يرد ما يجمع
الكل له يكن الذكر لزائد عليه ونزلت بعضه معنى وههنا بيانا تفصيلا دون كفاية اذ لو لم يكتف بذكره فى واحد ولا هو بيان
نهاية اذ لم يبين البيان فى الكل فهو بيان التفصيل الذى ذكرنا انه يقرر فى المذكور ولا يتعدى الى الماخوذ ولو كان ذكر ذلك البيان الذى
لا يكتفى بذكره فى الواحد عن الكل لا ذكره فى الكل فى البيانه فلما ذكر فى بيان التفصيل لما ذكر لبيان الوقت ولكن لنفى المسيس فى
حال الصوم والعتق المذكورين دون الطعام الذى لم يذكر فيه وتبين ان اخلاء الصوم والعتق عن المسيس حكم عرفناه بالنص
معقول المعنى فلا يتعدى عنه الى غيره مثاله ما ذكر فى قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الاية على ما عرف
فى موضعه والحاصل فى المسئلة طريقان احدهما يخرج القياس والاخر يخرج اتباع اثار القياس وما ذكرنا قوله من قبل ان يتماسا
لاخلاء الصوم عن المسيس ونفى المسيس عن حال الكفارة وكذلك انما ذكر فى الاعتاق والصوم دون الاطعام فدل ذلك على انه
بيان تفصيل يكون دليلا على قصر الحكم على المنصوص ومنع التعدية الى غيره لما هو عن الا المعقول بقصر من ذلك المعنى فجعلنا
نفى المسيس عن حال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارة بدونه ولم يجعل فى باب الاطعام شرطا وانما طريق الاحتياط
وعواه انما احتمل ان يكون ذلك لبيان الوقت ولنفى المسيس عن حال الصوم فاخذ فيه بالاحتياط وفى الاطعام اخذ بالقياس لانه
لم يذكر فيه المسيس وذكره فى الصوم والعتق لم يكن بيان كفاية حتى يكون ذكره فى الاطعام بل هو بيان تفصيل وان كان النص
على المنصوص دون التعدى والله اعلم وفى الاية دلالة الصحة مذهب ابو حنيفة رحمه الله فان العتق يحتمل التجزى وهو ان يعتق
بعض ويبقى الباقى بحاله ثم يعتقه بالاوقات بعد ذلك ثم قال فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اى تحرير رقبة لا مماسة فى التكفير ولكان
بعض العتق يوجب عتق الكل لكان لا يفيد قوله من قبل ان يتماسا اذ لا يقع العتق الا بحل المماسة فلما كان دل انه اراد والله اعلم انه
لا تمسوا من عندنا اعتق بعضه ولم يعتق الكل حتى يحل فيه الاخلاء ولهذا قال بانه يلزمه الاستيناف فى العتق كما فى الصوم
فعلى ان الاعتاق يتجزى والله اعلم وما جعل الكفارة فيه ما ذكرنا او لم يجعل الكفارة فيه التوبة والاستغفار فقط فالوجهين احدهما
ان جعل توبته به كان لا يظهر ذلك والامر بينه وبين ربه فلا يدرى انه تاب ام لم يتب ويلزمه التوبة والاستغفار بالقول وان لم يثبت
حقيقة بقلبه فيه فجعل التوبة فيه اطعام يعرف توبته ويرفع التهمة عنه وسكنت القلوب اليه والله اعلم والثانى انه
جعل الاستمتاع فى النكاح بما كان عظيمة فتشبيهها بالمحرم الذى يتابد حرمته امر فيقطع فلم يجعل له الخروج منه الا بشئ له فعل علي

فيتقدم شابا وثالث الحفص امره عليش بل جعل ما ثبات عليه ويشدد عليه ... عن مثله في المستقبل ولعينه كما في الزنا في موضع
من الاجماع ثم لم يجعل ملك اليمين الاستمتاع خاصة وان ابيح لهم ذلك ولا جعل لهن قبل التمادات حق الاستمتاع فلم يصر تشبيههن
عن ذكر كفران نعمة عظيمة ولا ابطال الحق لهن قبل سوالبهن لذلك افترقا والله اعلم وقيل ان الظهار كان طلاق قوم فابدل الى تحريم
المتعة ولم يكن للاماء حظ من الطلاق وهو الطلاق ولم يكن لهن من الوقت ضاد وا ينتقل اليه ولكن ان يثبت هذا كان طلاقا فانه
حرمة يرتفع بالنكاح على ما تقدم ذكره والامة لم يكن لهن حظ من هذا التحريم لعدم نشوء ملك النكاح مع ملك اليمين فاما الحق
حظ من الحرمة الموفية بالحرمية فان كان تلك الحرمة هي الاصل وهن اهل الطابع فيام الملك اليمين يكن اهلا لما ينتقل اليه من الحرمة
الموقتة ولان الطريق ما قلنا والله اعلم وفي الاية دلالة جواز تاخير البيان لان ذلك الرجل لما ظاهر من امرته اشتد بهم الحاجة
الى معرفة ما يجب فيه من الاحكام ثم تاخر نزول بيانه ما يجب بعد طلبهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان الحكم فدل ان البيان
قد يجوز ان يتاخر عن وقت قرع الخطاب السمع وهو اولى لان في الاول قد ظهرت الحاجة واشتدت لوقوع النازلة وفي نزول
العام الذي اريد به الخصوص لا وكذلك على هذا ما نزل من احكام الايلاء والقاذف زوجته بعد وقوع النازلة بل وكان دليل
على ما ذكرنا والله اعلم ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق في كفارة الظهار والقتل وكفارة الافطار في شهر رمضان وجعل
في كفارة اليمين صوم ثلثة ايام بدلا عن العتق وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله ذكر صاحب الواضح بان قوله ذلك اي ذلك امرتم ونهيتم لتؤمنوا بالله ولكن عندنا تاويل قوله ذلك لتؤمنوا بالله هو انه
قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية يقول اخبركم بما كان من ذلك منكم في السر واطلعكم على ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله اي لتصدقوا وتعلموا انه لا يخفى على الله من اعمالكم شيء ومنهم من قال ان ذلك راجع الى قوله والله يسمع تحاوركما اي الفرج و
المخرج عما امتحنتم به من الحرمة وما اشتد عليكم لتؤمنوا بالله ورسوله لما فرج عنكم بالخروج بما ذكر والله اعلم ومنهم من قال
ذلك قول المنكر الزور الذي قلتم واعلمكم انه منكر وزور لتؤمنوا بالله ورسوله فيخرج ذلك على الامر بالشكر له لما انعم عليهم و
جعل لهم من الفرج والمخرج عما امتحنوا بادائها وهكذا العبادات التي امروا بها امروا بالاداء ... انما يحق الشكر بما انعم
عليهم والتسليم لامره والخضوع او لحق الاستغفار والتكفير بما سبق من التفريط والتقصير والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله
تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله على غير هذا اي ذلك الذي انزل لتؤمنوا اي لتجددوا الايمان بالله تعالى ورسوله في كل وقت وكل ساعة
يلزم الناس من احداث الايمان ويبين لاحداث الرخص والعزايم التي تحدث والله اعلم قيل اي الذي فرضها الله عليكم من الاحكام
وقال الزجاج حدود الله اي موانع الله وتحجبه ولذلك سمي الحاجب حدادا لانه يمنع الله منه وعندنا قوله تلك حدود الله اي ذوا
جبال الله وموانعه على معنى انه يمنع هذا عن الدخول في هذا الاخر يمنع الباطل عن الدخول في الحق والاختلاط به وفي الاية دلالة
خلق افعال العباد لانه اضاف الحدود وهي الطاعات الى نفسه بقوله وتلك حدود الله وانها افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى
وانما خص الطاعات بالاضافة الى نفسه مع ان جميع الافعال بخلقه اياها تبجيلا وتعظيما لها كما قال تعالى وان المساجد لله اضافها
الى نفسه تبجيلا وتعظيما لها وعلى هذا يخرج تاويل من قال في قوله وان الساعة لاتية اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهرها لكم
انه اراد بهذه الاضافة تبجيلا وتعظيما لامر الساعة تكاد تبقيها تمام اظهار الساعة لذلك الخلق الذي هو بهذه المنزلة فكيف
اظهرها لكم اي لا افعل ذلك وقوله عز وجل وللكافرين عذاب اليم اي للكافرين بالله ويجحدونه عذاب اليم في الاخرة عذابا
لا انقضاء له ولا فوق الا بالله وقوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله قال بعض اهل الادب المحاد هو الذي يجعل نفسه
في حد غير الحد الذي امر الله ورسوله وكذلك قوله يشاقون الله اي يكونون في شق غير الشق الذي عليه رسول الله او كادم بخوم
ومنهم من قال حدد تم عن طريقه اي عن لنه عنده وبعضه قريب من بعض واصله ما ذكر يحادون الله ورسوله اي يعادون النبي
ويزجرونهم عن الطريق لياذا مواخص لصلى الله عليه وسلم ويتبعوه وقوله عز وجل كبتوا كما كبت الذين من قبلهم قيل غلبوا ام
ردوا بغير حاجتهم كما غلب ورد الذين كانوا من قبلهم وقيل اهلكوا كما اهلك الذين من قبلهم وقيل اخزوا كما اخزا الذين كانوا
من قبلهم وكله قريب بعضه من بعض ثم يخرج تاويله على وجهين احدهما اي كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كما كبت الذين من قبلهم او كبت هؤلاء الذين مانعوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
كما كبت الذين مانعوه عنه بمكة لان هذه السورة مدنية والله اعلم وقوله عز وجل وقد انزلنا ايات بينات يحتمل اي بيني
حدود الله من غيره حدوده او ما بين الحق من الباطل والرسول من غيره والمحاد من غير المحاد وقوله عز وجل وللكافرين
عذاب مهين اي الكافرين كله عذاب يهينهم كما اهانوا المؤمنين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا اي الاولين
والاخرين والمحادين والموافقين وقوله عز وجل فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه اي يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما
عملوا من خير او شر احصى الله ما عملوا وان طال ذلك او كثر ونسوهم تلك الاعمال خرج هذا على الوعيد وفيه دلالة رسالته
اذا اخبرهم ان الله تعالى يحصي ذلك عليهم وانهم نسوا فلم يتهيا لهم ان ينكروا علمهم انهم لم يسمعوا ذلك الا بالله علم ذلك وقوله

عز وجل

عز وجل والله على كل شيء شهيد اي على كل شيء من الاحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد وقوله عز وجل الم تر ان الله يعلم ما
في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فان كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون
فيه دلالة رسالته ان اطلعه على ما اسروا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم واظهار وتناجوا بينهم من الكيد
والخداع اطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه بالله علم ذلك والثاني بشارة له بالنصر والمعونة وهو
كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما يقول لكما وما يجيب واري ما تصنعان
بكما وادفع عنكما ما قصد بكما فعلى ذلك ما ذكر له الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم فيطلعك على ما هموا بك واسروا فيك فينصرك ويدفع عنك كيدهم ويجوز ان يكون الخطاب لبشر و
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ولكن لكل في نفسه فيصير كانه قال الم تر الى عجايب ما انشا من السموات والارض قبل
انشاء اهلها فيهما فاذا رايت عجايب ما انشا من السموات والارض واهلهما وعلمت ذلك فاعلم انه بما يكون من نجوى
فيما ذكر عالم فيخرج على التنبيه والزجر عن الاسرار والنجوى ثم وقوله عز وجل رابعهم وسادسهم ومعهم ونحو يجب
ان ينظر الى المتقدم من الكلام فينصرف قوله هو معهم الى ذلك هو قوله ان الله مع الذين اتقوا وان الله لمع المحسنين ونحوه
يكون معهم في التوفيق والمعونة لهم والنصر فعلى ذلك ما ذكر قوله هو معهم في النجوى وما اسروا فيما بينهم اي شاهد معهم
حافظ عليهم يدفع عنكم كيدهم ومكرهم ويبصركم والله اعلم وقوله عز وجل ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء
عليم اي ينبئهم بما تناجوا واسروا من الكيد يوم القيمة وقوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا
عنه هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ان الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه الاية وفيه
دلالة اثبات الرسالة لانه اخبر انهم عادوا الى ما نهوا عنه وهو النجوى ومعلوم انهم لا يعودون الى ما نهوا عنه بحضرة
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند غيبة منهم دل انه بالله علم ثم اختلف في سبب ذلك النجوى قال بعضهم انه كان بين
اليهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فاذا راوا رجلا من المسلمين وحده يتناجون بقتله بينهم يظن المسلم يتناجون
بقتله او بما يكره فيترك الطريق من الخوف فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا
الى النجوى فنزل ما ذكر ومنهم من قال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرجوا من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا انا بين من اليهود وانا بين من المنافقين يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون نحو واحد منهم
فاذا انا هم ينظرون نحوه قال ما اظن هؤلاء الا قد بلغهم خبر اقربائي الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرايا من
قبل اموت فيقع في قلبه من ذلك ما يحزنه فلا يزال كذلك حتى يقدم حميمه من تلك السرية لكن الاولى عندنا السكوت من
ذكر هذا وامثاله لانه خرج مخرج الاحتجاج وجعله اية عليهم فيجوز ان يكون على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب في الخبر
فالامساك عنه احق وقوله عز وجل واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ذكر انهم كانوا اذا اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون السام عليك يا محمد فيجيبهم النبي عليه السلام ويرد عليهم ويقول عليكم ففيه دلالة رسالته لانهم
حيوه سرا منه فاطلعه الله تعالى على ما اسروه وكذلك ما قال ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول في الرد لا
الرسالة لانه معلوم انهم قالوا ذلك سرا في انفسهم فاطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في انفسهم ففيه انه
بالله تعالى عرف ذلك ثم وقوله عز وجل خبرا عنهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي ان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم وعيد بالتعذيب لاجل التناجي الذي منهم فلما تاخر ذلك عنهم قالوا عند ذلك انه لو كان رسولا على ما يقول لعذبنا على
ما قال ووعد لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان وعدهم العذاب لم يبين متى يعذبون فعذابهم ما ذكر حيث قال
حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول انما قالوا ذلك عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما اجابه حين قال وعليكم يقولون اترد علينا بقوله وعليكم فان كان رسولا لاجيب دعاؤه
الذي دعا علينا لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع عليهم انما رد قولهم عليهم ردا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى قال اهل التاويل
صرف الاية الى المنافقين وعندنا يحتمل صرف النهي الى المؤمنين عن التناجي بمثل ما تناجوا ولكن اي لا تتناجوا انتم
يا اهل الايمان فيهم بالاثم والعدوان كما تتناجوا فيكم يقول لا تجاوزهم بالذي تعلمونه بكم ولكن تناجوا فيهم بالبر
والتقوى وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا نهى المؤمنين ان يجاوزوا
جزاء الاعتداء الذي كان منهم من صدهم عن المسجد الحرام بل امرهم على البر والتقوى قال وتعاونوا على البر والتقوى
فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم وجايز ان يكون في المؤمنين حقيقة على الابتداء وابتداء نهي منه لهم يقول اذا تناجيتم فلا
تتناجوا فيما بينكم ويحملكم على العدوان على المجاوزة عن الحد ومعصية الرسول فيما يامركم وينهاكم وتتناجوا بالبر

والتقوى البر يحتمل كل انواع الخير واما التقوى هو كل ما يتقون به انفسهم عن النار وقد تقدم ذكره وقوله عز وجل
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جايز ان يكون هذا الخطاب لهم اعني المؤمنين والكافرين الذين يقرون بالحشر لان اهل الكتاب
وبعض المشركين يقرون بالبعث وبعض المشركين ينكرون مع الدهرية وقوله عز وجل انما النجوى من الشيطان اي النجوى
الذي كانوا يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ليس كل النجوى على ظاهر ما يخرج الخطاب عاما ولكن يرجع
الى النجوى الذي ذكرنا وهو الذي نهوا عنه ثم وقوله عز وجل انما النجوى من الشيطان جايز ان يكون معناه ان ابتدا
النجوى في الشر من الشيطان وهو ما ذكر في بعض القصة ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام قال ابليس للملائكة ارايتم
ان فضل هو عليكم ما تصنعون فاجابوه بما اجابوا فقال هو ان فضلت عليه لاهلكنه وان فضل هو علي لاعادينه فتقدم ناجا
فامر آدم عليه السلام بالشر فكان اول النجوى في الشر من الشيطان وقوله عز وجل ليحزن الذين امنوا لولا ان الشيطان في
حال الحزن يكون املك على افسادهم واخراجهم الله تعالى وادخالهم في نهيه والا لم يكن لقوله انما النجوى من الشيطان ليحزن
الذين امنوا معنى فدل انه لعنه الله في حال الحزن والغضب املك واقدر من حال السرور والسعة لكنه بما يدعو الى اللذات
ويمنيه اشياء كان يقصد من ذلك ان يوقعه في الضيق والشره لما هو عليه اقدر في تلك الحال ولذلك قال لادم وحوا
عليهما السلام هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى فلما غرهم بالغرور بالذي ذكر ومناهم ما ذكر وكان يقصد من ذلك ابتدا
عورتهما وايقاعهما في الضيق والبلاء حيث قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما الاية مكن الله تعالى ابليس من البشر بالذي ذكر
ولم يكن له من افساد الطعام واللباس والاشربة ونحو ذلك وهو ادون من الاول وذلك اكثر لكن هذا في الفقر والدنيا وهي اكثر
فلم يمكن من افساد هذه الاشيا تفضلا منه ولطفا تاما عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وليس بضارهم شيئا الا باذن الله اي
ليس بضارهم فيما يتناجون من الكيد بهم والمكر والله اعلم ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي في دفع من تقصد بهم من
الكيد بهم والكيد الهالك وعليه يتوكلون في النصر لهم والمعونة على اعدائهم والتوفيق لهم في كل خير وكل هذا وصف المؤمنين
واما المعتزلة فهم بمعزل عن هذه الاية وكذلك المؤمنون على قولهم غير متوكلين على الله لانهم يقولون ان الله تعالى قد اعطى
كلا من النصر والمعونة ما ينتصر على اعدائه وينتصر منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء فعلى قولهم لا ينفع
المؤمن في التوكل على الله تعالى في شيء لانه ليس عنده ما ينفعهم ولا ما يعينهم فعلى ماذا يتوكلون عليه على قولهم اذا لم يملك ما
ذكرنا ومن قولهم ان على الله تعالى ان يعطي من المعونة والتوفيق حتى لا يبقى عنده مزيد حتى لو منع شيئا من ذلك لم يعطهم
يكون جائرا ثم اذا اعطاهم ما ذكروا ولا يهتدون ولا ينتصرون والله تعالى قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وقال ومن
يهدي الله فهو المهتدي فدل انه ما قالوا لمخالف للكتاب ثم اختلف في اشتقاق النجوى منهم من قال هو من النجوة وهو
المكان العالي المرتفع وذلك انهم كانوا يقعدون في مكان مرتفع فيتحدثون فيه لئلا يرى من قصد بهم فيتفرقوا وكان هذا هو
معناه ومنهم من التناجي الخالي بما ذكروا فيكون معنى قوله اذا تناجيتم اذا تخاليتم فلا تتخالوا بما ذكر وقال القتبي
التناجي من التشاور والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم
الاية يخرج على وجهين احدهما واذا قيل لكم تفسحوا اي واذا قيل لكم تأخروا في المجلس فتأخروا واذا قيل لكم انشزوا
اي ارتفعوا وتقدموا فيكون قوله تفسحوا اذا كان الحضور اولا هم الذين همتهم السماع والعمل به دون الحفظ والتفقه
فيه فقيل لهم تأخروا حتى يقرب من يصير امام الناس ويفقههم واذا كان الحضور هم الذين همتهم التفقه ولم لا يتم ثم
جاء بعد ذلك من كان همتهم السماع والعمل به قيل للذين تقدموا اولا ارتفعوا وتقدموا حتى يسمع من حضر بعدكم قول
النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم والثاني انه اذا كان في المجلس في سعة وفسحة ما يمكن تمكين غيره بالتحرك والتفسيح
دون القيام يقال لهم تفسحوا واذا لم يكن ذلك الا بالقيام قيل لهم قوموا وارتفعوا وقدموا وقوله عز وجل يفسح الله لكم
يحتمل وجوها احدها يفسح الله لكم في القبر او في الاخرة في الجنة او يفسح الله لكم في المجلس وهو فسحة القلب و
توسعة للعلم والحكمة والله اعلم وقال الحسن اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس اي في القتال والحرب واذا قيل انشزوا
فانشزوا اي اذا قيل انهضوا الى العدو فانهضوا وقال قتادة اي اذا دعيتم الى الخير وصلوة فاجيبوا وقال غيره الكل
خير من قتال عدو وامر بمعروف ونهي عن منكر او حق كاينا ما كان والله اعلم وقوله عز وجل يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات اخبر انه يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات لفضل
العلم على ساير العبادات من الجهات ومنع الاترى انه قال في اية الجهاد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة جعل
المجاهدين على القاعدين فضل درجة والذين اوتوا العلم على الذين لم يؤتوا درجات ليعلم فضيلة العلم على غيره وكذلك
قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال بعضهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبس قوما عنده هنيهة ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سرايا حتى اذا رجع السرايا الذين

الذين يتفقهوا في الدين ويقبلوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان التاويل هذا ففيه دلالة تفضيل العلم على الجهاد حتى
[illegible] كان ينفر من كل فرقة طايفة ليتفقهوا في الدين فاذا رجعوا الى قومهم انذروا [illegible]
وقال قتادة ان بالعلم لاهله فضيلة وان له على اهله حقا ولعمري الحق عليك ايها العالم افضل والله يعطي كل ذي فضل فضله
وعطاه في قوله تعالى اذا قيل لكم تفسحوا انهم كانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامرهم الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل قبل نزول الاية [illegible] من اهل بدر [illegible] على النبي صلى الله عليه
وسلم ومن حوله فردوا السلام [illegible] فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم قم يا فلان وانت يا فلان [illegible] في ذلك المنافقون فنزلت هذه الاية والله اعلم وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فيه ان يكون ما ذكر من مناجاتهم الرسول عليه
السلام على وجوه والثاني في مناجاتهم [illegible] في امر الدين وما تنزل به من النوازل والاخر يناجيه
اخطارا بامر غيره من الناس ومناجاة منه ليعلم ان له خصوصية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وهو
صنيع المنافقين والغرض الثالث يناجونه ليسمعوا الناس الكذب ويفهمونهم غير الذي سمعوا كقوله تعالى سماعون
للكذب سماعون لقوم اخرين وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر لجاز ان يخرج المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجوه
التي ذكرنا ثم ما ذكر من تصديق [illegible] على المناجاة يخرج على وجوه احدها [illegible] رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخصوصية ليظهر بتلك الصدقة ويصير اهلا لمناجاته بها وهي كالطهارة التي جعلها سببا الوصول الى مناجاة
الرب سبحانه وتعالى والثاني لما خصهم بمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلهم اهلا لها امرهم بتقديم الصدقة شكرا له
منه بذلك والثالث جايز ان يكون امرهم بتقديم الصدقة امتحانا منه اياهم ليظهر حقيقة امرهم وهو ما جعل الامر بالجهاد
سبب الظهور نفاقهم وادبارهم فلا نحكم الا الاول والله اعلم ويجوز ان يكون الامر بالصدقة لاهل المناجاة على الذين
كانت لهم حوايج عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعوه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجاة وامرهم بالصلة لاولئك
تطييبا للقلوب بها والله اعلم وقوله عز وجل ذلك خير لكم واطهر اي ان تقديم الصدقة اطهر لقلوبكم من ترك الصدقة ثم قوله
عز وجل فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم جايز ان يكون هذا الامر لاهل الغناء دون الفقر وقوله عز وجل حتى قال فان لم
يجدوا ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم وقوله عز وجل ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات قال عامة
اهل التاويل اي انجلتم بها يا اهل الميسرة ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وقوله عز وجل فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم
اي تجاوز عنكم اذ لم تفعلوا فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة اي اذا لم تتصدقوا تلك الصدقة فاتوا الزكوة اموالكم قال اهل التاويل
نسخ ما امروا به من الصدقة عند المناجاة بما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله والله
خبير بما تعملون هذا وعيد ثم في قوله اذا ناجيتم الرسول دلالة قبول خبر الواحد لانه يناجيه ولا يعلم به غيره دل انه يقبل اذا اخبر
منه وفيه ان لا كل مناجاة يكون من الشيطان لان النبي صلى الله عليه وسلم ناجى من ذكر من ذكرنا ان قوله انما النجوى من الشيطان
مصروف الى ما سبق ذكره وفيه ان لا يفهم من ذكر اليد الجارحة لا محالة لانه قال بين يدي نجواكم وليس للنجوى ولا بين وكذلك
قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولم يشكل على احد انه لم يرد باليد الجارحة ههنا فكيف فهم فيما اضيف الى الله تعالى في قوله بل
يداه مبسوطتان وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تقع في يد الرحمن الجارحة لولا فساد اعتقادهم في الله تعالى وتشبيههم
اياه بالخلق وقال قتادة اكثروا النجوى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعهم الله تعالى عنه فقال اذا ناجيتم فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة الاية وعن علي رضي الله عنه انه قال انا اول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة وقوله عز وجل الم تر الى الذين تولوا
قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم يذكر سفه المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتوليهم قوما غضب الله عليهم على ما علم منهم
ان الله تعالى قد غضب عليهم لكنهم تولوهم طمعا منهم في اموالهم وفيما كان عندهم من السعة وفضل الدنيا ثم اخبر انهم ليسوا منهم اي ليسوا
على دينكم ولا انتم منهم اي على دينهم اي وكذلك اليهود وكنهم يتولون طمعا فيما عندهم من فضل الدنيا ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
كانه قيل لهم لم تتولونهم قوما غضب الله عليهم فحلفوا انهم لم يتولوهم فاخبر انهم كاذبون في حلفهم وفيه دلالة اثبات الرسالة لمحمد صلى الله
عليه وسلم لانهم تولوا اليهود دون المؤمنين وحلفوا كذبا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوليهم وكذبهم في الحلف دل انه عليه
الصلوة والسلام عرف ذلك بالوحي ثم اخبر ما عندهم في الاخرة بتوليهم اولئك وحلفهم بالكذب فقال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم
ساء ما كانوا يعملون اي قد ساء الى انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا وقوله عز وجل اتخذوا ايمانهم جنة اي حلفهم الذي
حلفوا انهم لم يتولوا اولئك اليهود وجنة فصدوا عن سبيل الله يحتمل صدوا انفسهم عن سبيل الله او صدوا الناس عن سبيله بما
ذكر فلهم عذاب مهين اي يهانون في ذلك العذاب وقوله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا يخبران اموالهم التي
لاجلها تولوا اليهود وعاندوا المؤمنين لا يغنيهم تلك الاموال من عذاب الله شيئا اذا نزل بهم ثم اخبر عن شدة سفههم انهم يحلفون

في الاخرة كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله ثم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم فيه ان الاية لا يضطر احدا الى الايمان به والتوحيد لانه لا اية اعظم من قيام الساعة ثم لم ينفعهم ذلك عن العذاب والكفر به ولا اضطرهم الى الايمان به وكذلك قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين في الدنيا فاذا كان ما ذكرنا كان تاويل قوله ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله لم يؤمنون اذا شاء الله ولا يؤمنون وان نزلنا عليهم الايات التي ذكر ولا اية اعظم مما ذكر من انزال الملايكة واحياء الموتى وتكليمهم انهم على الباطل وان الحق هو الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه دل هذا كله ان الاية لا يضطر اهلها على الايمان والله اعلم وقوله عز وجل استحوذ عليهم الشيطان قال ابن عباس رضي الله عنهما استحوذ اي عليهم الشيطان وقال مقاتل اي احاط بهم وقال الزجاج والقتبي اي استولى عليهم وذلك كله يرجع الى معنى واحد وفيه ان الشيطان قد سلط عليهم حتى غلب عليهم باجابتهم بما دعاهم اليه من معادات الله ورسوله والمؤمنين ولكن سلطانه على ما ذكر وهو قوله انما سلطانه على الذين يتولونه فغلبهم اذا عملوا بما اراد واجابوه الى ما دعا وقوله عز وجل فانساهم ذكر الله يحتمل اي انساهم عظمة الله اي نعم الله واحسانه او شكر نعمه وقوله عز وجل اولئك حزب الشيطان الحزب هو جميع الفرقة يتحزبوا اي تفرقوا تحزيبا هو جنده كما قال اهل التاويل لانهم يصيرون فرقا ثم يجتمعوا فيكون جندا له وجند الرجل هم الذين يستعملهم فيما شا من القتال وغيره ويصدرون لرايه فعلى ذلك الكفرة هم جنده وقوله عز وجل الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانه مناهم في الدنيا امورا واملهم امانيا فيما اتبعوه فلم يصلوا الى شيء من ذلك وفي الاخرة يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وطمع وفيها صار ان يحشروا الدارين جميعا وقوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قيل في الاسفلين وقيل في المهزومين وقيل في الاخرين وقيل هو في الاخرة كقوله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة واما في الدنيا فربما يكونون هم الغالبين ومنهم من يقول ذلك في الدارين جميعا هم الاذلا والله اعلم وقوله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله لاغلبن ثم قال بعضهم لغلبن محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين وفعل ذلك وجائز ان يكون المراد منه جملة رسله كقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا ثم الغلبة قد يكون من وجهين احدهما بالحجج والبراهين وما من رسول الا وقد غلب على خصمائه بالحجة والثاني بالقتال والحرب وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام لما لم يذكر انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم واضافة الغلبة الى نفسه على ارادة الرسل واوليائه على ما ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل ان الله قوي عزيز قوي بذاته لان قوة من دونه به وكذلك كل من دونه فكونه او يكون فيه بشارة لاوليائه انه قوي عزيز بذاته ان ينصرهم على اعدائهم ويقهرهم وقوله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله الاية قال بعض اهل التاويل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لانه كان كتب الى اهل مكة ان رسول الله يقصد اليكم فخذوا حذركم وكان له بمكة اهل فاراد ان يكون له عندهم يد فشعر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على هذا فقال ما ذكرنا فنزلت الاية فان كان فيه ما ذكر ففيه براءة من وجهين احدهما انه لم يرجع عن الايمان والتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يعود الى مثله بذلك ابدا والثاني انه لم يقصد بصنيعه موادتهم ولكن قصد القاء المودة اليهم ليمنع عنهم ازدادهم وهو في الحقيقة يلقي المودة وقد يكون ذلك كقوله تعالى يلقون اليهم بالمودة والله اعلم وان كانت الاية في غير حاطب ففيه نعت المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله تعالى وثبتوا لان اهل الايمان كانوا اصنافا ثلاثة صنف منهم يحققون الايمان ويظهرون التبرؤ من اقربائهم وصنف منهم لا يقدرون على اظهار ذلك والمناسبة معهم ولكن يبغضون الاحزاب منهم والصنف الثالث يترددون يوادون الكفرة في السر ويظهرون الموافقة للمؤمنين فجائز ان يكون قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله اي الذين يحققون الايمان بالله تعالى واليوم الاخر يوادون من حاد الله وكل انما يوادهم من لم يحقق الايمان فيكون فيه اخبار عن ثبات الايمان في قلوبهم كقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت في قلوبهم الايمان فلا يرجعون منه وفيه ان الايمان موضعه القلب وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يوادوا من حاد الله وقوله عز وجل وايدهم بروح منه قيل ايدهم بنور الايمان الذي ثبت في قلوبهم وقيل عز وجل ثم اثبت المؤمنين على الايمان فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وقال كلمة طيبة كشجرة طيبة وقيل وايدهم بروح منه اي برحمة منه ثم وصف ما لهم وثوابهم في الاخرة فقال ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله اي جند الله على ما ذكرنا انهم يأتمرون بامره ويقاتلون اعداءه ويوالون اولياءه فهم جند الله وقوله عز وجل الا ان حزب الله هم المفلحون قيل هم الناجون وقيل الباقون في نعم الله تعالى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قد سبق تاويل التسبيح وبيان وجوهه وقوله وهو العزيز الحكيم العزيز هو الغالب القاهر وقيل هو العزيز حيث جعل في كل شيء من خلقه اثر الذل والحاجة وقوله عز وجل الحكيم له معنيان معنى الحكم فاما معنى الاحكام فهو انه احكم الاشيا على اختلافها وتضادها حيث يشهد له بالوحدانية وحكيم حيث وضع الاشيا مواضعها وخلق الاشياء مواضع ثم الاصول التي يتولد منها هذه الاشياء والافعال تولدت الكتابات والطبايع والعقول اما في الكتابات فنحو النطفة انها بحيث يصلح ان يكون منها البشر اذا اتصلت بها موادها ونحو الما انه جعله بحيث يحيى به كل شيء وبحيث يصلح به كل شيء والطبايع حيث خلق في البشر وهي ما يميلون بها الى المحاسن والمنافع ويحذرون من المساوي والمضار والعقل ليدركوا به العواقب ثم اثر عليهم الوجه الذي يتولد من هذه الاشيا فهو حكيم حيث خلق الاصول التي وصفنا وعلم عباده الاسباب التي بها يتولدون والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قيل نزلت في قريظة وقال غيره من المفسرين هم بنو النضير وهو الاقرب ثم المعنى في اضافة الاخراج اليه يخرج على وجهين احدهما انه اضطرهم الى الخروج فنسب الاخراج اليه كما قال الله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا الاية والثاني انه خلق الخروج من ديارهم منهم فاضيف اليه بحكم الخالق ثم الاصل في اضافة الفعل الى الله تعالى انه يجوز ان يضاف اليه على التحقيق وعلى التسبيب واما الخلق فلا يضاف الفعل اليهم على جهة التسبيب لا على التكوين والله اعلم وقوله عز وجل لاول الحشر اختلفوا فيه قال بعضهم اول الحشر الجلاء الى الشام والحشر الثاني حشر القيامة وقال بعضهم اول الحشر هو حشر اهل الكتاب وجلاؤهم من جزيرة العرب والحشر الثاني حين اجلاهم عمر رضي الله عنه الى الشام وقوله عز وجل ما ظننتم ان يخرجوا اي ما ظننتم ايها المؤمنون ان تقهروهم فضلا من ان يخرجوا من ديارهم ولكن ذلك من لطف الله ومنه عليكم وقوله عز وجل وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ولا يحتمل ان يتوهم احد هذا والمعنى في ذلك عندنا وجهان والله اعلم احدهما انهم ظنوا ان الله تعالى جعل لهم الحصون والقوة والحصون لا يبلغ بهم حكمه البالغ الذي يخرجون من ديارهم لانهم كانوا اهل كتاب وكانوا يزعمون انهم اولى بالله من غيرهم كقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ويكون قوله من الله اي بالله وبامره كقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله فعلى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فعلى ذلك الاول والثاني اي ظنوا ان حصونهم وقوتهم يمنعهم من اولياء الله ان يظهروا عليهم او من دين الله ان يظهر فيهم والله اعلم وقوله عز وجل واتاهم الله من حيث لم يحتسبوا يعني انه قذف في قلوبهم الرعب من حيث لم يحتسب المؤمن ولا الكافر لان المسلمين لم يظنوا ان يقهروهم ويغلبوهم مع قلة عددهم وكثرة عددا ولكن وكذا لم يحتسب الكفرة انهم مع قوتهم ومنع حصونهم يقهرون ويغلبون حتى من الله تعالى على المؤمنين بان قذف الرعب في قلوب الكفرة ذلك لطف عظيم من الله تعالى للمؤمنين والله اعلم ثم الاصل فيما خرج هذا المخرج من نحو قوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد ومن نحو قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو قوله عز وجل الا ان يأتيهم في ظلل من الغمام وما يشاكله ان يحمله على احدى معاني ثلاث احدها ان يقول المراد اتيان امره فعل الله تعالى ويجوز ان يضاف اليه سبيل اضافة حقيقة العمل كما يقال الصلوة امر الله ونحن نعلم انها ليست بعين امر الله لكنها اثر امر الله تعالى وكذلك يقال المطر رحمة الله تعالى يعني اثر رحمته فكذلك اذا نزل بهم اثار حكم الله تعالى وتدبيره وفعله وهو العذاب جاز ان يضاف اليه اضافة حقيقة الفعل والله اعلم والثاني ان يقال بان ما كان من هذه الافعال موصولا بصلة فانه يجوز ان يراد منه تلك وانما تكلم اضافة هذا الفعل اليه مجازا على ما اعتاد الناس من انهم اذا ارادوا هلاك بابوها بالنسبتهم شرح ذلك وبيانه انه قال فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم فكان المقصود من هذا تلك الصلة وهو قوله عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم وكذلك قوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك ما اشبهه من نحو قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا ومن قوله تعالى ثم استوى الى السماء اي استوى تدبيره حيث وصل منافع الارض بمنافع السما وكذلك ما اشبهه هذا والله اعلم والثالث يقول بان هذه اسما مشتركة المعنى وما كان سبيله هذا السبيل جاز ان يضاف الى الله تعالى على معنى الظهور ونحوه وقوله عز وجل يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين هذا يدل على ان الملك للمسلمين في اموال اهل الحرب ليس يقع بمجرد الغلبة ما لم يكن ثم ازالة لانه اخبر ان المؤمنين كانوا يخربون بيوتهم وينسب الملك الى الكفرة مع ان الغلبة للمسلمين فدل ذلك على ما وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل فاعتبروا يا اولي الابصار يحتمل وجهين احدهما ان ينصرف الى المسلمين اي اعتبروا يا اولي الابصار من المسلمين فانكم اذا اعتبرتم علمتم ان الله تعالى من عليكم حيث اخرج الكفار من ديارهم فانه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل ان يكون المعنى فيه فاعتبروا يا اولي الابصار من اهل الكفار فان ذلك بذنبكم وبغيركم ان نفاقكم على النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفعكم كما لم ينفع هؤلاء الذين خرجوا الى مكة وانفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا يعني لولا ان كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل وقوله عز وجل ولهم في الاخرة عذاب النار وقال هذا في قوم علم انهم يموتون على الكفر الى المسلمين اي اعتبروا يا اولي الابصار من المسلمين فانكم اذا اعتبرتم علمتم ان الله تعالى من عليكم حيث اخرج الكفار من ديارهم فانه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل ان يكون المعنى فيه فاعتبروا يا اولي الابصار من اهل الكفار فان ذلك بذنبكم وبغيركم ان نفاقكم على النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفعكم كما لم ينفع هؤلاء

الذين خرجوا الى مكة وانفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا يعني
لولا ان كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل وقوله عز وجل ولهم في الاخرة عذاب النار قال هذا في قوم
علم انهم يموتون على الكفر وما روي ان احدا منهم مات على الاسلام فيكون فيه دلالة ان رسول الله عليه السلام كان يخبر ذلك بالوحي
والتنزيل لا من تلقاء نفسه والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله يحتمل وجها ثلاثة احدها ان يقول ذلك
يعني ذلك العذاب في الاخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله ثم المشاقة والمعادات والمحادة والمضادة بمنزلة واحدة وذلك كله
بمعنى المعادات وقوله عز وجل ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب يحتمل ان يكون على التقديم والتاخير ووجهه ان يقول
ان الله شديد العقاب لمن يشاق الله ورسوله او يكون فيه اضمار كانه يقول ان عقوبته لمن يشاق الله ورسوله شديد وقوله
عز وجل ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وما ذكر ان اليهود نادوا المسلمين انكم تزعمون ان الله
لا يحب الفساد وانتم تفسدون بقطع النخيل لا يحتمل هذا قال الله تعالى قبل هذا قال يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فانما
كان انتقم بتخريب البيوت فاباحها لا تشجروا بقطع الاشجار ومعلوم انه لا يؤمل في البيوت منفعة بعد تخريبها وتدبير
في النخيل منافع بعد قطعها ويكون ان كان يصح ذلك الخبر فتاويله عندنا انه يجوز ان المسلمين خوفهم بالقتل فقالوا على اثر ذلك
انكم اذا قتلتمونا سادت هذه النخيل لكم انكم فكيف تفسدون اموالكم ثم في اذن الله بقطع النخيل وجهان احدهما
ان يكون فيه بيان ان مقاتلة المسلمين اياهم لم يكن لرغبة في اموالهم بل ليستسلموا لله ولرسوله ويخضعون لدينه والوجه الثاني
ان حرمة هذه الاموال انما هي بحرمة اربابها فاذا سقطت حرمة اربابها واباح قتلهم واتلافهم فما ظنك باموالهم والوجه الثالث
ان الله عز وجل كتب عليهم الجلاء ومعلوم ان انفسهم بالجلاء اذا خربت بيوتهم وقطعت اشجارهم اسخى منه اذا بقيت لينقطع
طمع من اجلى عن المقام فاذن الله تعالى في قطع النخل انما لما كتب عليهم من الجلاء والله اعلم والرابع ان هولاء كانوا ائمة اليهود و[illegible]
والتبديل للتوراة انما وقع منهم رغبة في الدنيا وسعتها فاذن الله تعالى في قطع النخيل عقوبة لهم وحرمانا من الوجه الذي وقع له التبديل
منهم والله اعلم وقوله عز وجل فباذن الله ان كان المراد منه العلم فوجهه ان الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان قتالا فيه لنهاهم عن
ذلك وان كان المراد منه الامر فهو ان الله تعالى امر بالقطع والترك جميعا وان كان المراد منه المشيئة فهو ان الله تعالى قد شاء الامرين
جميعا والله اعلم واللينة اللون من النخيل كما يقول دون رقيه وقوله عز وجل وليخزي الفاسقين اي ليكبتوا وغيظا الفاسقين
والله اعلم وقوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فالحق في الاية ان يكون مؤخرا وان
يكون قوله عز وجل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى متقدمة لوجهين احدهما انه ذكر فيه الواو والواو لا يبتدا بها الا في القسم
والثاني ان قوله وما افاء الله على رسوله منهم خرج كناية والكناية لا بد لها من معرفة يعطف عليها ثم ترجع اليها فلذلك قلنا
ان حقه التاخير وهو الثانية التقديم وعلى ذلك قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واذا كان كذلك فوجهه ان الذي
صرفه الى الاصناف التي ذكرنا انما هو الخمس واوجب ها هنا من كل الغنيمة فابان بقوله وما افاء الله على رسوله منهم انما يصرف
هذه الاربعة الاخماس الى النبي صلى الله عليه وسلم دونهم لهذه الغنيمة انهم لم يوجفوا عليه من خيل ولا ركاب فاستدل ان استحقاقهم
الاربعة الاخماس بسبب ايجاف الخيل والركاب والله اعلم وان كانت القراءة على ما تلي في الحال ليس على التقديم والتاخير فانه يحتمل ان
يكون قوله وما افاء الله على رسوله منهم صلة قوله يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم
عليه من خيل ولا ركاب واذا كان بناء على ذلك استقام ان يذكر بحرف الواو وبحرف الكناية قال رضي الله عنه ان المنافقين واهل
الضعف من المؤمنين الذين بالتقليب يبلون في هذا الموضع ان كيف خص هذه الغنيمة قرابته والمهاجرين الذين هاجروا اليه وكيف
اثرها نفسه والجواب عن هذا ان هولاء الاصناف قوم على عامة المسلمين يحملون مؤنتهم لولا هذه الغنيمة ومعلوم ان النفس السليمة
ببذل ما عليهم من مال الامامة اسمح منه لو صرف الى كل واحد منهم على الاشارة اليه من ملكه الخاص وعلى هذا العبادة يجري مسائل
اخرى ها هنا وروي عن عمر رضي الله عنه انه جعل العقل على اهل الديوان لان ذلك يخرج مخرج المعونة ومعلوم ان المعونة على جماعتهم
قبل ما رجع من هذا الحق الى ملك العامة اسهل عليهم لو صرف الى خاصتهم وكذلك قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ومعلوم ان منع تلك الزوجة ممن يذهب الى دار الحرب بشيء من مال زوجها كان
واجبا على العامة وكذلك المسلمون اذا اصابوا ضيعة وفيها مال لمسلم قد غلب عليها المشركون انه ما دام الملك العامة ولم يقسم يرد
عليه من غير بدل واذا اقتسموا واختص كل واحد بملكه لم ياخذه الا ببدل فكذلك الاول والله اعلم قال الفقيه رحمه الله والذي يجب
من جهة العرف والشريعة ان يكون يحمل مؤنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته اما من جهة العرف فهو ان من عمل لغيره كان مؤنته
على ذلك المعمول له وكذلك من جهة الشريعة ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بما يعود نفعه الى امور دينهم واخرتهم
واذا كان الامر على ما ذكرنا كان اولى ما يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فكيف وقد قسمه بين الفقراء واهل الحاجة
ولم يدخر لنفسه ووجه اخر في هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وقال نصرت

بالرعب

بالرعب مسيرة شهرين فلو اختص ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه لجاز له بما قال ولكن الله جعل الفيء له بين
من كان يحمل مؤنتهم على المسلمين لولا هذا الفيء لكي يكون المنة له على امته ولان لا يكون لاحد من امته عنده عليه الصلوة و
السلام يد ولا صنيعة والله اعلم ووجه اخر انه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كسب شيء من الدنيا فضولها حتى
يصطنع من فضولها بالمعروف فجعل الله له الفيء ليكتسب به الفضايل والمعروف والله اعلم وفي قوله نصرت بالرعب مسيرة
شهرين دلالة ان ما افاء الله على رسوله واعطاه فهو له خاصة يصنع به ما شاء ويفرق بمن شاء والقول عند اصحابنا ان في
الامام اذا اعطاه اهل الحرب انه يشترك فيه قومه لان هبة الاية انما هي لقومهم لكان هبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما نصر بالرعب فجاز ان يختص لنفسه والله اعلم ثم قوله وما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني رد الله على رسوله من
مال الكفرة او لما اعطى الله ورسوله من مال الكفرة وقوله عز وجل من اهل القرى يجوز ان يكون قرى قد اعطوه او
يكون هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح القرى وقوله عز وجل ولذي القربى يجوز ان يقال ان الظاهر من
هذه الاية ان يكون المراد منها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه و
للرسول ولذي القربى نفرق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يدخل في هذه الاية بالتاويل وذلك ان المفهوم من ذكر القرابة
انما هو قرابة المخاطبين في الاية ومعلوم ان الخطاب في القسمة انما هو للمغتنمين وفي قوله عز وجل ما افاء الله على رسوله
انما يفهم منه قرابة الرسول عليه السلام واما سهم ذوي القربى فان اصحابنا يسلكون في ذلك مذهبين منهم من يقول ان
هذا الحق في الاصل للمحتاجين من القرابة لوجهين احدهما قوله واليتامى والمساكين وابن السبيل وكان المراد منه منصرفا الى
المحتاجين فكذلك ذي القرابة ومنهم من قال ان الخمس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصل به الى قرابته فلما قبض عليه السلام
انقطع ذلك الحق لوجهين احدهما قوله عليه السلام انا معاشر الانبياء لا يورث ما تركنا صدقة والثاني انهم انما كانوا
يستوجبونه برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق عن اصحابها عند وفاتهم ثم
الفائدة في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الورثة وجهان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستعمل
نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان قائما لله تعالى لها فاذا كان كذلك جاز ان يكون حقيقة الملك فيه
لولاة وان كان والظاهر له والله اعلم فان قيل ليست الاملاك كلها لله تعالى قيل له نعم غير ان الاضافة قد يكون خصوصية
قال كقوله تعالى ناقة الله وبيت الله ووجه اخر انما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوس عليه الى يوم القيامة الا ترى
ان ازواجه محبوسات عليه لا يحللن لاحد بعده وبنوته عليه لم يتحول بعده الى غيره جاز ايضا ان يوقف عليه ملكه
عليه الصلاة والسلام ومعلوم ان ما كان موقوفا فسبيله التصدق والله اعلم وقوله عز وجل كيلا يكون دولة
بين الاغنياء منكم له معنيان احدهما انه لو لم يبين هذه المواضع لكان ذلك الخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يخلفه فيه الخلفاء من بعده فتداوله الاغنياء بينهم ومحتاج لو فرقه هذا بين الفقير والغني لكان الغني حيث
ينفع هذا في يده كان يكتسب به فضول الدنيا واما الفقير فاول ما يقع في يده يستمتع به في منافع نفسه فلذلك فوض في
الفقراء والله اعلم وقال بعضهم الدولة هي اسم الذي يدول بين الناس والدولة واحد وهي فعله وقوله عز وجل
وما اتاكم نهى منع وما منع منكم من هذا الفيء فانتهوا عنه وعلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما اتاكم الرسول
فخذوه يحتمل معنى الامر ومعنى الاعطاء اي ما اتاكم من الدنيا فخذوه وما نهاكم من الدنيا عنه يعني زجركم عنه فانتهوا
عنه قال رحمه الله ويرى عامة الفقهاء يحتجون بهذه الاية في موضع الامر مع لفظ الايتاء وليس يوجب ظاهره هذا
ان الايتاء هو الاعطاء والتمليك كقوله اتوا الزكوة ولكن وجه الاحتجاج به ان الله تعالى لما امرنا باخذ معروفه عليه السلام
وان كان في اخذ المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم خيار فلان يلزمنا الاخذ بامره والاتباع له اخرى واولى والله
اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا يؤكد ما ذكرنا من اتباع امره والله اعلم وقوله عز وجل للفقراء
المهاجرين الاية وما يشق عليه من قوله والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وقوله والذين جاؤا من بعدهم الاية
ظاهر هذا يقتضي ايجاب حق لهم لانه اذا قيل لفلان لم يكن بد من ان يقال كذا وكذا واذا كان كذلك لم يكن بد من حق
يذكر لهم ولا يحتمل ايضا ان يخفى الله تعالى علم ذلك الحق الذي اوجب لهذه الاصناف عن خلقه فالسبيل في ذلك من جهة
التاويل عندنا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن جواب لمن قال للفقراء المهاجرين ويحتمل
ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سئل رجل وعلم عن جواب لمن قال اخبر للفقراء المهاجرين ثم انه يجوز ان يكون ذلك
الحق ما وصف من الخراج على اهل الذمة اذا فتحت وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لعلي وابن مسعود
رضي الله عنهما حين سواد الكوفة اني استشيركم في امر فلا غنا في الله تعالى عن مشورتكم حين تلوت هذه الاية ثم تلا قوله
للفقراء المهاجرين ثم قال لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله

والذين جاؤا من بعدهم وروى ان بلالا قال له اقسم بيننا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين اهل العسكر
قال اللهم اكفني بلالا واصحابه ثم قال عمر رضي الله عنه لو قسمتها بينكم لتركت اخر عصابة في الاسلام لم يصب من هذا والخبر
بقوله والذين جاؤا من بعدهم انهم شركاء هؤلاء فجاز ان يكون عمر رضي الله عنه حين تلا هذه الايات تذكر خبر الحديبية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ان الحق الذي اوجبه الله تعالى لهؤلاء ذلك اذ يجوز ان يكون الله تعالى بلطفه الهمه
وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم لانه روي انهما اشارا عليه بذلك ولذلك قال اصحابنا ان الامام اذا افتتح قرية
من قرى اهل الحرب فهو فيها بالخيار ان شاء قسمها وان شاء وظف عليهم الخراج وان شاء قسمها بين اهل العسكر وانما كان
كذلك لان المقصود من المقاتلة احد معنيين اما توسيع امكنة الاسلام بتضييق او تضييق المكان بهم ليتسلموا له
لدين الله وينقادوا الامر ويبذلوا في حججه وليست مقابلتهم عقوبة كفرهم بل وصفنا من المعنى وهذا المعنى قد يستفاد
اذا وظف عليهم الخراج فلذلك كان للامام الخيار والله اعلم ولو فيهم بلال رضي الله عنه المعنى الذي لاجله قسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بينهم لم يقسوا فرسوا الكوفة عليه والمعنى من قسمته عليه الصلاة والسلام خيبر
بينهم عندنا والله اعلم هو ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية بشرهم الله تعالى بفتح قريب عوضا عما نالهم فيها من
اصابهم واما سواد الكوفة فلم يكن فيها شيء من هذا المعنى فلم يجز ان يكون امره مقيسا عليه والله اعلم ثم وقوله عز وجل
للفقراء المهاجرين يحتمل ان يكون المراد منه المجاهدين المنقطعين لاسباب عيشهم من الاموال والديار داخل هذا الحق
الذي سبق وصفه وقوله عز وجل الذين اخرجوا من ديارهم لم يخرجوهم من ديارهم في الحقيقة ولكنهم ضيقوا عليهم
حتى خرجوا فاضيف الاخراج اليهم اذ كانوا سببا لخروجهم وهذا كقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه وابليس عليه
لم يتول اخراجهما من الجنة ارضها على سبب يانه فلم يستقر بعده في ذلك المكان فاضيف الفعل اليه وقد وصفنا ان هذه
الافعال انما اضيفت الى العباد فانما المعنى ذلك اسباب يكون منهم لا حقيقة تلك الافعال وما اضيف الى الله تعالى
من ذلك فهو يحتمل الامرين جميعا الحقيقة والسبب في ذلك لاجل ان العبد لا يمكنه ان يقدر اخر على فعل عن وقت فعله
الا على السبب فاما رب العالمين فانه قادر على اقدار العبد على فعل وقت فعله ولذلك قلنا انه يجوز ان يراد حقيقة
الفعل فيما يضاف الى الله تعالى وهو الموفق وقوله عز وجل من ديارهم واموالهم يدل على انها كانت بمكة ديار واموال ثم مع
هذا لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شيء من ديارهم عليهم بعد فتح مكة ولا تضمين اولئك شيئا من اموالهم فيعلم
ان اهل الحرب اذا غلبوا على اموال المسلمين ملكوها والله اعلم وقوله عز وجل يبتغون فضلا من الله يعني انهم هاجروا
لدينهم وانقطعوا عن اسباب عيشهم من الاموال يبتغون الرزق من الله تعالى وقوله عز وجل وينصرون الله ورسوله
دل ان هذا الحق للمجاهدين منهم ثم وقوله عز وجل وينصرون الله يحتمل وجهين احدهما ينصرون رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر الله صلة والثاني ينصرون دين الله ويطيعون رسوله عليه السلام وقوله عز وجل اولئك هم الصادقون يعني
الذين اظهروا واصدقوا الايمان من قلوبهم لهجرتهم لدينهم وسعيهم الى ما يزلفهم الى الله تعالى ويقرب اليه وقوله
عز وجل والذين تبوءوا الدار يعني الذين اتخذوا دارا واسعة يسعهم والمهاجرين وهم الانصار وقوله عز وجل والايمان
اي امنهم قبل هجرة هؤلاء ولكن يامن هؤلاء المهاجرين من اخيهم ولا يخافوا شرهم وقوله عز وجل من قبلهم يعني من قبل
المهاجرين وقوله عز وجل يحبون من هاجر اليهم يعني ان الله تعالى القى محبته حتى انزلوا المهاجرين ديارهم وانفقوا عليهم
اموالهم وقوله عز وجل ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم خيبر بين
المهاجرين دون الانصار لم يقسم بينهم لم يجد الانصار في قلوبهم حاجة مما اعطى المهاجرين يعني ان الله تعالى القى
قلوبهم حتى لا تفكروا عن حاجة ولا البتة ويحتمل ان يكون المعنى من الحاجة هاهنا الغل والحسد يعني ان الله تعالى
طهر قلوبهم حتى لا يجدوا في صدورهم حاجة وقوله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي يؤثرون
على انفسهم في اناء كمثل انهم لا يجدون بما يبدلون ثم حاجة مما يملكون ويؤثرون المهاجرين على انفسهم ولو كان بهم حاجة
وقوله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان الله تعالى خلق في طبع البشر محبة المحاسن والمنافع والطلب لها
وبغض المساوي والمضار والهرب عنها ثم انه امتحنهم بالانفاق مما يحبون وحمل النفس على ما يكرهون في طلب النجاة وتوصلا
الى ثوابهم ثم يكون وقاية الانفس من الشح يكون بوجهين احدهما ان يمن الله على عبده ليبصره ما هو غايب عنه من الثواب في الاجل
كالشاهد فيخف عليه الانفاق مما يحب ويصير ذلك كالطبع له والثاني ان يوفقه الله تعالى ويعصمه ويلهمه تعظيم امره ونهيه حتى
يتهم نفسه ويحملها على الايثار بامر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه وان كان طبعها على خلاف ذلك ثم اضافة الوقاية الى
نفسه يدل على انه قد بقي في خزانته شيء لم يوته حين حتى يصف نفسه بانه يقي عنه شح نفسه ولولا ذلك لم يكن لوعده
بوقاية نفسه عن شحها معنى والله اعلم وقوله عز وجل فاولئك هم المفلحون يعني الباقون في النعيم الدايم والفلاح في الحقيقة هو

البقاء

البقاء في النعيم وقوله عز وجل جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الاية قد علم الله تعالى انه قد يكون في امة محمد صلى الله
عليه وسلم من يلعن سلفه حتى امرهم بالاستغفار لهم وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة لان الروافض
من قولهم ان القوم لما ولوا الخلافة ابا بكر الصديق رضي الله عنه كفروا ومن قول الخوارج ان عليا رضي الله عنه كفر بقتاله
معاوية واصحابه وقالت المعتزلة بان من عدل عن الحق في القتال خرج عن الايمان ولو كان ما ارتكبوا من الزلات يكفرهم
او يخرجهم عن الايمان لم يكن للاستغفار معنى لان الله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين فاذا اذن ههنا بالاستغفار لهم
يتبين بهذا ان ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الايمان ولا ابقى الاخوة فيما بينهم مع علمنا انه لم يكن بين الاخرين والاولين
اخوة الا في الدين فلولا انهم كانوا مؤمنين لم يكن لابقاء الاخوة معنى والله اعلم ولانه قال تعالى ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
امنوا ولو كان ذلك يخرجهم من الايمان لم يكن لهذا الدعاء معنى لان الواجب ان يكون في قلوب المؤمنين عداوة الكفار ومقتهم
فلما ندب جل ثناؤه في هذه الاية الى نفي الغل والحسد عن قلوبهم بتلك الدعوة ثبت انهم كانوا مؤمنين ثم في الامر بالاستغفار
لهم دلالة انه قد كانت منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لولا فضل الله ومغفرته وان كانوا فيما يتعاطونه مجتهدين ليعلم
انه ليس كل مجتهد بمصيب ثم وقوله عز وجل ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا يعني عداوة يحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين
الذين سبقوهم ويحتمل ان يكون هذا في كل المؤمنين وقوله عز وجل ربنا انك رءوف رحيم الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده
واحسان اليهم الا ترى الى قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فاخبر ان رحمته هبة
منه واحسان المحض والله اعلم ثم الاستغفار في حال الحيوة له معنيان احدهما طلب السبب الذي اذا جاء به استوجب المغفرة والثاني
حقيقة المغفرة وفي حال الوفاة الا ليس الا طلب عين المغفرة فلما ندب جل وعلا الى الاستغفار لهم بعد وفاتهم وحال الاستغفار بعد
الوفاة على ما وصفنا لا يتوجه الا على حقيقة المغفرة ثبت ان ذنوبهم لم يخرجهم لانه لو كان ذلك يخرجهم لكان جل ثناؤه ان لا يحل مغفرتها اذا
ارتكبوا الكبيرة لم يكن في الامر بالاستغفار لهم حكمة والله اعلم وقد لجعفر بن حرب انه ليس في قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا ما يدل ان الله
يجعل في قلوبهم لانه اذا قيل لا تفعل فلانا شيئا لم يفهم انه يفعله انا احب ولكن يجاب عن هذا انه ذكر الله تعالى نصا في اية اخرى ما
يدل على جعل العداوة الا ترى انه قال واغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فانه قال تاويله انه خلى بينهم وبينها لا انه جعلها
قلنا غير محتمل ان يخلق الله تعالى العداوة في قلوبهم من غير فعل يكون منهم بها وان كان كذلك ثبت انه يخلق هذه الاشياء وقت
فعل العبد لها والله اعلم وقوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب هذه الاية يدل ان الله تعالى
جعل حجة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المنافقين في انفسهم لانهم قالوا هذا القول سرا منهم الى اهل الكتاب لانه لا يحتمل ان يظهروا
مثل هذا القول بين ايدي المؤمنين ولا كان الكفار يخبرونه بهذا بحضرة المؤمنين فلما اخبر بما قال المنافقون ثبت انه ما علمه الا عن الوحي
والتنزيل وذلك علم نبوته عليهم والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجتم لنخرجن معكم يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكونوا قالوا
لهم هذا على ان ينكروا اتباعهم في القتال والثاني انهم قالوا ذلك لاهل الكتاب على حسبان منهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا علم بحال
هؤلاء لم يخرجهم من المدينة خوفا ان يقال اخرج اصحابه وانما لم يخرج اولئك لم يخرج اهل الكتاب ولم يقاتلوا وقوله عز وجل ولا نطيع
فيكم احدا ابدا يعني لا نطيع احدا فيكم ابدا وقوله عز وجل وان قوتلتم لننصرنكم يجوز ان يكون وعدوا نصرهم من قرى محصنة ثم اخبر انهم
وان نصروهم ثم انهزموا هربوا ويقرروا وقولوا ولم ينصروهم بعد ذلك ابدا وقوله عز وجل والله يشهد انهم لكاذبون والقايل ان يقول
كيف يشهد عليهم بالكذب والكذب انما يدخل في الاخبار وقولهم الذي قالوه انما هو وعد منهم فجوابه ان يقال انهم لما خلفوا الوعد ومثل
هذه الاية يحتج الخوارج في تكفير من اذنب ذنبا وذلك انهم يقولون ان من اتى بما نهى الله تعالى فقد اعتقد ان لا يعصيه فاذا عصاه تبين
بعصيانه كذب في اعتقاده فيكون لهذا المعنى ومن جوابنا عن هذا ان قول المنافقين لاهل الكتاب اخبار منهم عن موالاتهم اياهم فاخبر الله
تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا عن الموالاة والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون في هذه الاية حجة رسالته من الفريقين جميعا وذلك ان هذا خبر عن الغايب وذلك لا يوصل الى علمه الا
بالتعليم ولم يكن ان النبي صلى الله عليه وسلم اختلف الى احد يخبرهم ولا يتلقن شيئا من احد من البشر فاذا اخبر عما يحدث وعما هو غايب ثبت
انه قال الا عن الرسالة والوحي والله اعلم قال ويجوز ان يكون الله تعالى ذكر المؤمنين بهذه الايات على ما القى الرسول عليه السلام
ممن كان الواجب على ما عليه كانت عادتهم الاحسان اليه وذلك انه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن ناديهم في النسب
والقبيلة وان كان ظالما ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم من قريش فاظهر واسعه من العداوة ما
اظهروا واحتى هموا بقتله وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين ارسله حجة يظهر لليهود والنصارى وجميع اهل ما ذكر في كتابهم من نعته و
صفته تعالى يلوم بذلك ما قابلوا من سوء الصنيع واظهار العداوة وكان هذا كله والله اعلم حجة وعلامة يعلم بها ان رسالته عليه
السلام لم يظهر بعناد ترا احد بل بنصر الله وفضله وتاييده والله المستعان وقوله عز وجل لانتم اشد رهبة في قلوبهم من الله يحتمل ان يكون
رهبة هؤلاء في صدورهم على التحقيق ويجوز ان يكون على التمثيل فاما وجه التمثيل هو ما قال يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم

يفرحون فاخبر انهم يتقذرون اليهم بالحلف فيجوز ان يكون معاملتهم هذه في التمثيل معاملة من يرجبهم فسمى ذلك رهبة
في قلوبهم وهذا نحو قوله تعالى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده يعنى جمع ماله جمع من يحسب ان ماله اخلده فكذلك
الاول ويجوز ان يكون على التحقيق ولذلك وجهان من التاويل احدهما انهم كانوا يظهرون الموالاة لكل فريق وكان عندهم ان الله
تعالى ولى احد الفريقين لا محالة وان انما احد الفريقين يخوفهم ايضا فكانهم على هذا التاويل كانوا يحبون الخلق جميعا الا
ان يختص به المؤمنون وكانوا لا يرجون الله لانهم امنوا ناحيته من الوجه الذى وصفنا ويجوز ان يكون رهبتهم من المؤمنين
خاصة وذلك ان اهل النفاق انما كانوا احد الصنفين اما اذا كانوا دهريين فنافقوا اذا كانوا اهل كتاب فنافقوا فان كانوا
دهريين فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا غير مقرين بالصانع وان كانوا اهل كتاب فانهم قد امنوا ايضا لما كانوا يدعون من قولهم
نحن ابناء الله واحباؤه واذا سقطت الرهبة من كلا الجانبين من الله تعالى حصلت الرهبة من المؤمنين خاصة والله اعلم ويجوز
ان يكون تفسير قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله في قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون وذلك وجهين احدهما
انهم لا يفقهون ان البلايا التى في الدنيا ونعيمها نذكر البلايا الاخرة ونعيمها وكانوا يرون انها جعلت لا نفسها وان كان
واذا كان هذا وهمهم وحسبانهم لم يرهبوا من الله تعالى والثانى انهم قوم لا يفقهون من الوعد والوعيد بل كانت رهبتهم ممن
كانوا يعاينون منهم المانع ويجدون مضارهم فلا يرهبون من الله تعالى ولقائل ان يقول انه لا احد من اهل الاسلام الا ورهبته
من الناس اشد من رهبته من الله تعالى لانك ترى الرجل يمتنع من الزلة عند اطلاع الناس عليه ما لا يمتنع عن كثير من الزلات
فيما بينه وبين الله تعالى والجواب عنه هذا وجهان احدهما انه ليس بازاء الخوف من الانسان رجاء يرجو **وقوله** عز وجل
وبازاء رهبة من الله تعالى رجاء يرجون من رحمته وفضله واحسانه فيجوز ان يكون الرجاء من رحمة الله ورحمته وفضله
يغلب عليه الصلاح وانما داء الضعف من الله تعالى ليس من نفس المخلوقين والله اعلم **وقوله** عز وجل لا يقاتلونكم جميعا الا
في قرى محصنة قوله جميعا اى لا يقاتلكم اهل النفاق واهل الكتاب جميعا معا دانهم ليسوا يقاتلون ما وعدوا لاهل الكتاب
من النصر والقتال واحتمل ان يكون استثناء عن الوعد الذى وعدوا لاهل الكتاب فان كان عن القتال فهو يحتمل وجهين
احدهما انهم لا يقاتلون الا ان يكونوا في قرى او حصون ادمن وراء الجدر لا يقاتلهم اهل الاسلام والله اعلم وان كان على
الوجه الثانى فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما انهم لا يوفون بما وعدوا من النصر في القتال لاهل الكتاب ولكنهم يلحقون
الى قرى محصنة الا ترى الى ما اخبر تعالى عنهم في ناحية المسلمين وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
يسألون عن انبائكم فاخبر انهم قد اظهروا الموالاة للمسلمين كما اظهروا لاهل الكتاب الى ان جاء القتال التجئوا الى مكان
يمتنعون من اضرارهم فعلى ذلك التحقيق يجوز ان يكون في اهل الكتاب والوجه الثانى انهم لا يقاتلون ولكنهم يلحقون
في قرى محصنة يتربصون لمن يكون الظفر والعاقبة كما اخبر عنهم في اية اخرى وهو قوله تعالى الذين يتربصون بكم
فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم فاخبر تعالى انهم يتربصون العاقبة
فالتجئوا الى قرى محصنة يجوز ان يكون بهذا التاويل والله اعلم **وقوله** عز وجل باسهم بينهم شديد يحتمل
وجهين احدهما ان يقول باسهم يعنى قوتهم بينهم شديد ما لم يروا اعداء ظاهرة او يقول باسهم بينهم شديد ما دام
القتال بينهم لانه ليس فيهم من اكرم بالرعب مسيرة شهرين فاذا اكرم بالرعب هذا المقدار من المسير فلا يجرم ذلك في اهل قريته
وان كان كذلك ثبت ان التاويل ما وصفنا والله اعلم **وقوله** عز وجل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لان همة المنافقين
سلامة الانفس وراحة الابدان وهمة اهل الكتاب الذب عن المذهب والسعى في اقامته فاذا اختلفت هممهم ومقاصدهم
تشتت قلوبهم وذلك معنى قوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعنى في الهمم والقلوب **وقوله** عز وجل
ذلك بانهم قوم لا يعقلون يحتمل ثلاثة اوجه احدها انهم لا يعقلون حق الوعد والوعيد والثانى انهم لا ينتفعون بما
يعقلون والثالث انهم لا يعقلون لم يكن لهم بالعاقبة وقد وصفنا ان عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة فاذا اشتبهت
عليهم العاقبة لم يعقلوا لم يوالوا واحدا من الفريقين في الظاهر والباطن جميعا والله اعلم **وقوله** عز وجل كمثل الذين
من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم الاية يجوز ان يكون في هذا في هذا اضمار مثل حكاية يقول مثل هؤلاء الكفار كمثل الذين
كانوا من قبلهم وكذلك في قوله مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء يعنى مثل محمد صلى الله عليه وسلم مثل
هؤلاء الكفار على اضمار مثل اخر ثم التمثيل وكيفيته يحتمل وجها ثلاثة احدها ان يقول مثل هؤلاء الكفار الذين اساءوا رسوله و
كمثل الكفار الذين اساءوا الرسل من قبله كان قريبا ان ذاقوا وبال امرهم والوجه الثانى ان يقول مثل اهل المدينة من الكفار
حين هموا باخراج الرسول من المدينة كمثل اهل مكة حين اخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة وكان قريبا حتى ذاقوا وبال
امرهم من الاسر والقتل والدليل على ان كفار المدينة هموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك
من الارض ليخرجوك منها الاية ويحتمل ان يكون تخصيصا لقرية او قبيلة ووجه ذلك ان يقول مثل بنى قريظة كمثل الذين من

قبلهم وهم بنو النضير وكانوا قريبا ان ذاقوا وبال امرهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ولهم عذاب اليم هذا اخبار انهم يموتون
على الكفر وفيه دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عن الغيب **وقوله** عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر فلما كفر قال انى برئ منك فكذلك المنافقون يظهرون الموالاة والنصر فاذا جاء القتال استغفروا وتبرءوا عنهم
ثم قوله انى برئ منك يجوز ان يكون في الاخرة حيث يقول ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل و
يجوز ان يكون في الدنيا وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت
الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون الاية **وقوله** عز وجل فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين ظاهر **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
الاصل اذا ذكرت خال بين العبد وبين سيده لم يكن بد من اضمار يدخل في ذلك مثاله قوله ان الله مع الذين اتقوا يعنى انه
معهم في النصر والمعونة وقوله مع المحسنين في التوفيق والولاية وكذلك قوله عز وجل اتقوا الله لانه لا يحتمل ان يتقى الله حتى
يكون معهم في التقوى اضمار اللفظ يقتضى هذا كقوله كونوا مع الصادقين اى في الصدق وانه اثبت فيه الاضمار
كان الوجه في ذلك احد معانى اما ان يقول اتقوا حق الله تعالى ان تضيعوه او اتقوا حرمه ان تتعدوه وتبطلوه او اتقوا
سخطه واتقوا مخالفته او اتقوا الاسباب التى يستوجبون بها مقت الله تعالى ويحتمل ان يراد من التقوى في هذه الاية
اوامره ونواهيه على ما وصفنا ان التقوى اذا اطلق جاز ان يراد به الاوامر والنواهى واذا ذكر مقابلة امر كان المعنى منه
محارمه ونواهيه والله اعلم **وقوله** عز وجل ولتنظر نفس ما قدمت لغد قال الحسن عمل بالمرء في هذه الاية سلم من تبعات الاخرة
لانه اذا اشعر قلبه وقت فعله ان الذى يفعله تقدمه لغد امتنع عن ارتكاب ما يجب ان يستحيى عنه او يخرب عليه في ذلك
الوقت والى ما يصبر عليه والله اعلم ويحتمل ان يكون معنى الاية على النظر بما قدمته نفسه للغد وذلك انه اذا تذكر فنظر
فيما تقدم نفسه للغد وذلك انه دعاه الى احد امرين اما الى التوبة عن السيئة التى قدمها او الى الشكر على الحسنة التى
تعاطاها وكل ذلك منه زيادة في الخير فكان الواجب ان لا يغفل المرء عن ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا على المستانف
من الافعال انه ينظر فيما يريد ان تقدمه لغد فان كانت عاقبة الهلاك انتهى عنه وان كانت عاقبة النجاة مضى عليه
واتى به والله اعلم ويحتمل قوله اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ان يكون المراد منه الانتهاء عن ترك النظر لما تقدمه
نفس لغد والله اعلم **وقوله** عز وجل واتقوا الله ذكر قوله واتقوا الله مرة اخرى والاية واحدة يحتمل وجهين احدهما ان
يكون المراد من الاول ان اتقوا مخافة الله في اوامره ونواهيه وفي الثانى اتقوا سخطه وعقوبته والثانى انه اخرج
على التكرار على ما جرت العادة في الكلام في التكرار عند الوعيد على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون
وكقوله اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى والله اعلم **وقوله** عز وجل والله خبير بما تعملون فيه تحريض على المراقبة والتيقظ و
وقت فعله لان من علم وقت فعله ان الله تعالى مطلع على ما يرتكب من الذنوب ويقترف من الشرور امتنع عنها وازدجر وقالوا
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد من اربعة
اوجه احدها في قوله اتقوا الله والثانى في قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد والثالث في قوله واتقوا الله والرابع في قوله
ان الله خبير بما تعملون ثم ذكر هذه الوعيد خرج بعد ما خاطب المؤمنين كقوله تعالى يا ايها الذين فكان الوعيد في المؤمنين
اكثر من الوعيد في الكفرة لكن المؤمنين يرعدهم عن مناهى مخوفة الكافرين ليلا يعملوا عملا يستوجبوا بذلك ما اعد للكافرين
وهو كقوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين ثم ان الله عز وجل سمى الاخرة باسم الغد لسرعة مجيئه وسمى الدنيا باسم الامس
لسرعة فنائها وهو كقوله فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فيذكرهم ويعظهم بهذه الاية ليتفكر كل احد في نفسه ما به
خلق للعبث ام خلق لامر عظيم على ما ذكره الله تعالى **وقوله** عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم قال بعض
المفسرين نسوا الله اى نسوا العمل لله والنسيان هو الترك اى تركوا العمل الواجب لله تعالى فانساهم انفسهم اى احدثهم الله تعالى
بما نسوا ثم الوجه عندنا في الاية انه ليس احد من البشر يعمل عملا الا وهو يامل بذلك نفعا لنفسه اذ من لا يامل النفع فهو غائب
في الشاهد في ذلك العمل فهؤلاء الكفرة لما لم ياتمروا بامر الله تعالى ولم يطيعوه وتركوا العمل له صار تركهم العمل لله والعمل
له عملا لانفسهم فصار وانما تركوا العمل لانفسهم فكانه قال نسوا انفسهم فكانه قال نسوا انفسهم نظيره وانسيهم **وقوله**
عز وجل فانساهم انفسهم اى خلق فعل النسيان والترك فيهم اضاف اختيار النسيان اليهم ثم اضاف الانساء الى نفسه
واثبت فعله فيه وليس هذا على ان تقدم منهم فعل النسيان ثم هو انساهم بعد ذلك لكن على خلق ذلك فيهم وقت ما
اختاروا ذلك الفعل وهو كقوله هداه الله تعالى فاهتدى واهتدى فهداه الله فذلك كله في وقت واحد فكذلك هذا
في الخذلان والنسيان لما اختار هو فعل النسيان خلق الله تعالى ذلك النسيان فيه كما خلق الهداية والكفر عند اختياره ولا
يجوز ان يحمل ذلك على تقدم بعض على بعض **وقوله** عز وجل فانساهم انفسهم كقوله نسوا الله اذ قوله تعالى انفسهم في

قوله نسوا الله اذ قوله تعالى انفسهم في قوله نسوا الله اذ العدله هو العمل لا نفسهم هو العمل للذين ادير به وجه الله
فلذلك قلنا بان كل واحد منهما ما في الاخرة ويحتمل وجها اخر وهو انهم لما تركوا طاعة الله تعالى خذلهم الله تعالى بتركهم ازالة
تركهم انفسهم ولم يوفقهم للخيرات والطاعات وهذا من اشد العقوبات ويحتمل ان يكون معناه اي يجازيهم
في الاخرة في العذاب الدائم فيكون ذلك جزاء لهم بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من الايمان بالله تعالى وهذان الوجهان
يرجعان الى ما ذكر من الخذلان فيما فعلوا والله اعلم **وقوله** عز وجل اولئك هم الفاسقون فالفسق هو الخروج عن امر الله
تعالى **وقوله** عز وجل لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون اي الناجون والفوز هو الظفر
بالحاجة ثم قوله عز وجل لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة يحتمل وجهين احدهما ان لا يستوي في الدنيا او لا يستوي
في الاخرة فان كان على الاول فمعناه لا يستوي عمل اهل الجنة في الدنيا في العقول عمل اهل النار وعمل اهل النار بالذي
يستقبحه العقول واما افعال اهل الجنة الداعية اليها بالتي يستحسنها العقول لان عمل هؤلاء بالذي ظهر بالبراهين
والحجج وليس يعمل اولئك براهين وما اقيم بالبراهين والحجج فهو في العقول احسن من الذي لا برهان عليه وكذلك كل عمل
يستحق صاحبه عليه الثواب فهو في العقول مستحسن وما يستحق صاحبه عليه العقاب فهو في العقول مستقبح فلم يستو
واما الوجه الثاني لا يستوي جزاء اهل النار وجزاء اهل الجنة النعيم الدائم وفي النار الشرة والنقمة الدائمة فلم يستويا
بذكرهم الله تعالى هذا لينتبهوا عن غفلتهم ويعملوا لله تعالى حتى يستوجبوا بها الثواب في الاخرة **وقوله** عز وجل لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله الاية اختلف الناس من تاويل هذه الاية على التمثيل وهي
على التنبيه والتذكير وذهبوا في ذلك ان العرب اذا استعظموا امرا ارادوا ان يصفوه بالعظم والشدة كانوا
يضربون الامثال بما يعظم ذلك عندهم وصفه لم يكن يريدون به الحقيقة في ذلك وهو كقولهم عند شدة الامر اظلم
على ما بين السماء والارض وكقولهم ضاقت على الارض برحبها وكما وصف الله تعالى من امر لوط عليه السلام وضاق
بهم ذرعا فهذا القول من العرب انما كان على التمثيل فيما يريدون ان يصفوا الشيء بغايته لا على الحقيقة لانه معلوم
ان الدنيا عليه كما كانت لم يتغير وكذلك لم يظلم عليه ذلك لكنهم يتكلموا على التمثيل من شدة ما نزل بهم من الامر و
كذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله يقول لو كانت هذه الحجج التي
على جبل مع صلابته وشدته لخضع لله تعالى وانصدع من خشيته على وجه التمثيل لكن قلوب هؤلاء اقسى منه و
حيث لم يخضع ولم يخشع وهو كقوله كالحجارة او اشد قسوة او الحجارة قد يكون فيها منافع نحو خروج الماء وغيره
فاما قلوب هؤلاء الكفرة فليس فيها شيء من المنافع بل هي قاسية لا يخشع ولا يتصدع وعلى ذلك حملوا تاويل قوله
تعالى تكاد السموات يتفطرن منه على التمثيل ليس على حقيقة ذلك وقال قائلون لو انزلنا هذا القران على جبل ان
على حقيقة ذلك الفعل منه وهو الانصداع والخشوع وكذلك تاويل قوله تكاد السموات يتفطرن منه فمعناه
لو كان نزول هذا القران وما فيه من الاحكام والامانات التي اوجب على البشر على الجبل وكان هو بحيث يملك قبول
ذلك باختياره لقيام شرائطه لكان هو يفزع ويخضع ويتصدع من خشية الله تعالى وكان لا يقبل تحمله فان لا يمكنه
اداء ما لزمه بلزومه له وهو كقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية فيقول معناه لو انزلنا
هذه الامانات التي في هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا اداء الامانات التي في هذا القران مما قد يلزمه انه
لا يمكن اداؤها كلها لان الامانات مما يكثر عددها فضلا من ان يمكن اداؤها فعلى هذا التاويل يخرج على حقيقة التصدع
انه لو انزل عليه مع عظمه وصلابته لا تصدع فعلى هذا تاويل للخلق وتذكير لهم وقال بعضهم ان في هذه الاية تذكير
الرسول صلى الله عليه وسلم منته عليهم وعلى جميع الرسل لولا فضل الله ومنته على الرسل لكان لا يطيق احد من الرسل حمل
ما في الكتب ولا اداء ما افترض عليهم من اداء الرسالة ولكن من عليهم ذلك حتى قاموا بذلك كله وهو كقوله تعالى انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال في موضع اخر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فيسر عليهم وقلل العمل بما فيه فيقول
كذلك **وقوله** عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لثقل ما فيها لكنه من عليك
ويسر ذكره عليك ومنعك تبليغ ما فيه الى اهله وقال قائلون ان الله تعالى لما انزل التورية على موسى عليه
السلام وكانت في لوح من الزبرجد حمراء امر الملائكة ان يحملوها فلم يطيقوا حملها ثم امرهم ان يحملوا على كل حرف منها ملك
فلم يطيقوا ذلك فخفف الله تعالى على موسى عليه السلام حتى حمل ذلك فكذلك ذكر ذلك في عيسى وداود عليهما السلام ثم
خفف ذلك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
كذا لكنه خفف ذلك عليك كما خفف على الانبياء من قبلك واليه يذهب الكلبي لكن انه صح هذا الخبر فان ذلك الثقل لم يكن
في ذلك الكتابة التي في الالواح لكن ذلك فيما يلزمهم من العمل بذلك من اداء الامانات وغيرها لانه تعالى اخبر انه لو كان انزال

هذا القرآن

هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال في موضع اخر انا عرضنا الامانة الاية ثم كانت تلك
الالواح قد احتملها الارض وامكن لموسى عليه السلام حملها فكذلك هذا القران كله والتورية والانجيل والزبور مما قد
يحتمل حقيقة ويمكن كتابته في تلك الالواح فبان ان المراد من ذكره ليس هو الحروف ان كان على ما فيه من الامر والنهي و
اداء الامانة واتيان الله من تعالى لا على نفسه تلك الالواح وهذا الذي ذكرنا هو تاويل القوم في نزول هذه الاية فاما انا
لا علم لي بحقيقة تاويل هذه ولولا ان في الاية تذكرا وتنبيها لكنا نقول هي من المتشابه المكتوم الذي لا يفسر لكنه لما خرج
مخرج التذكير واسعا شكر ما سهل علينا فانا احتجنا الى تاويله **وقوله** عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
وهو ظاهر **وقوله** عز وجل هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم فمن الناس من يقول ان قوله هو من
اذ فع اسماء الله تعالى وذكر عن بعض اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدعوا بقوله يا هو يا من لا اله الا هو وتاويل
هذا الكلام ان كل شيء بهويته كان **وقوله** عز وجل عالم الغيب والشهادة قيل فيه بوجوه ثلاثة احدها انه عالم بما غاب عن
الخلق وبما شهدوه والثاني بما قد كان وبما يكون والثالث انه عليم بما قد كان وبكيفيته ان كيف يكون اذا كان **وقوله** عز وجل
هو الرحمن الرحيم فيهما اسمان مشتقان من الرحمة وهي هذه الرحمة وفي هذه الاية سان وجوه اربعة احدها فيه بيان التوحيد
وهو قوله هو الله لا اله الا هو انه الاله هو اسم المعبود ان كل معبود دونه باطل والثاني ان فيه تنبيها وتحذيرا بان يتذكر الا
في جميع احواله اطلاع الله تعالى عليه وعلمه فيه وذلك من قوله عالم الغيب والشهادة والثالث ترغيب في رحمته واختيار لمراد
كل نعمة لهم في الدنيا والاخرة من الله تعالى اذ في قوله عز وجل الرحمن الرحيم والرابع ما ذكرنا في قوله هو الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس الاية الملك والملك اي مالك كل شيء له ليس لاحد سواه حقيقة الملك القدوس قيل فيه بوجهين قال بعضهم القدوس
هو المبارك والبركة اسم كل خير اي منه جميع الخيرات لكن لا يجوز ان يقال لله تعالى يا مبارك وان كان المعنى منه يؤدي الى
ان يأتي منه كل خير لانه لا يعرف في اسمائه هذا بالنقل وعلينا ان نسكت عن تسمية بما لم يسم نفسه بذلك لذلك قلنا
بانه لا يجوز التسمي بالمبارك والله الموفق والثاني القدوس هو الطاهر يعني هو مقدس عما قالت الملحدة والكفرة فيه
من الولد والشريك **وقوله** عز وجل السلام اختلف في تاويله منهم من قال سمى نفسه سلاما لما هو سالم عن الافات وغيره
من المخلوقين لا يسلمون من حلول الافات بهم وقال الاخرون سمى نفسه سلاما لما سلم المؤمنون من ضايره والتاويل الاول اقرب
وقوله عز وجل المؤمن اختلف الناس في تاويله قال قائلون هو الامان اي يؤمن المؤمنين من العذاب ولا يمكن لاحد ان يؤمن
احدا من عذابه وقال قائلون اصله من الايمان وهو التصديق ثم ذلك يتوجه الى وجهين احدهما اي مصدق القول بما
وعد المؤمنين الجنة والثاني المؤمن هو المصدق لما قال المؤمنون المصدقون من تصديقهم فيصدقهم بما قالوا ومن الناس
من قال سمى نفسه بما اخبر ان هذا القران لما بين يديه مصدق **وقوله** عز وجل المهيمن اختلف فيه ايضا قال قائلون المهيمن
هو الامين او قال قائلون المهيمن هو المسلط وقال قائلون المهيمن هو الشاهد فمن قال بالاول فانه يذهب الى ان اصله ذلك
من المؤتمن وهو من الامانة والى هذا التاويل يذهب القتبي اي امينا في كل ما يقول وفي كل ما يفعل انه لا يجوز ومن قال فانه
هو المسلط اصله من هيمن يهيمن اي تسلط يتسلط سئل عن تاويل المسلط فقال هو كالقاهر اذ قهر العباد كلهم وهم ملك له
ومن فسره بالشاهد فانه يحتمل تاويلين احدهما اي شاهد على افعال العباد وعلى العباد من حيث لا يغيب عنه شيء والثاني اي بما
انزل على رسوله بالصدق وهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه اي شاهدا
عليه **وقوله** عز وجل العزيز اي ما من عزيز دونه الا هو ذليل **وقوله** عز وجل الجبار قيل فيه بوجهين احدهما سمى نفسه الجبار
لانه هو الجبر لكل كسير فقال قائلون سمى نفسه لجبروته وعظمته ولا يجوز لاحد ان يسمى بذلك الاسم الاهواء والله تعالى يتعالى
عن ان يكون له امثال واشكال **وقوله** عز وجل المتكبر من الكبرياء والعظمة هذا الاسم لا يليق بغيره لان الخلق بعضهم لبعض
اكفاء في الخلقة فلا فضل لاحد على اخر فلما استووا لم يجز لاحد على اخر التكبر فصار الحق في ذلك لله تعالى والتكبر على الاخر هو
الارتفاع والاتجه واحد وهو انه لا يرى لنفسه شكلا والله اعلم انما سمى نفسه متكبرا لانه لم يكن تكبره بغيره فلذلك قلنا
انه لا يستحق احد من الخلائق التكبر الا الله تعالى اذ لم يكن احد شكلا ولا ضدا ولا ندا واما غيره من الخلائق فكل واحد منهم
بالذي له له شكل **وقوله** عز وجل سبحان الله عما يشركون فيه تنزيه لله تعالى عما قالت فيه الملحدة فهذا اسم سمى به نفسه و
امر الملائكة والانبياء والمؤمنين ان يقولوا ذلك ومعنى قوله سبحان الله اي معاذ الله ان يكون ذلك على ما قالت الكفرة وسمى
نفسه جبارا لما انه يجبر الاشياء فجعلها على ما يشاء وهو كقوله يصوركم في الارحام كيف يشاء وعلى ما يريد الاشياء الا على ما
يريد فيكون قال رحمه الله ان الله تعالى يتعالى بمعاني اربعة احدها تعاليه عن الظلم والجور وجميع ما لا يليق والثاني تعاليه عن
الاشياء كلها بقهره لها وتصريفه اياها على ما يشاء اي ليس احد يقهره بل هو يقهر الخلائق والثالث تعاليه عن مسه الحاجة و
الافة وكل من هو دونه لا يخلوا عن ذلك والرابع تعاليه عما قال الظالمون فيه من الولد والاضداد والاشكال والانداد و

وتعاليه عن جميع الشبه الذي يصيبه الخلق والله المستعان وقوله عز وجل هو الله الخالق البارئ المصور
فالخالق والبارئ واحد ويقال برأ اي خلق والبرية هو الخلق ويقال سميت البرية لانه خلق من التراب فالبرى هو
التراب وقوله المصور والمصور هو الذي يعطي كل شيء صورة ثم فيصوره على ما هو فالتصوير هو بيان الحدود
وقول الناس صورة هذا الامر عند فلان اي بينته وقوله عز وجل له الاسماء الحسنى اي الامثال العلى وهو الصفات
اذ الصفة يرجع الى وجهين الى الصفة كما يرجع الى الحقيقة ذلك وان رجع الى التشبيه فانه لا يرجع الى الحقيقة ذلك
ثم وقوله عز وجل له الاسماء الحسنى الصفات العلى اي لا يسمى بذلك الا هو اذ لا يقال لغيره الرب ولا الرحمن ولا المالك
الا ان يضاف ذلك الى شيء فاما التعريف فلا يطلق ذلك الا له جل وعلا ويحتمل وجها اخر اي لا شبيه له في اسمائه ان يشركه احد في تلك الاسماء

بل هو خاصته والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة هذه الاية وما اشبهها
من نحو قوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم وفي كل ما ذكر يا ايها الذين امنوا دلالة واضحة ان الايمان وحده في نفسه
وانه ليس كما قالت الحشوية والمعتزلة واصحاب الحديث ان الطاعات كلها ايمان ووجه ذلك ان كان في نفسه قد فهم
من هذه الاية انه يحتمل هذا الخطاب وانه لازم له فثبت انه قد وجد في نفسه وهو التصديق بالقلب وغيره من الطاعات
شرايعه والله اعلم وفيما ذكر من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم وما اشبهها من الاي دلالة على ان الانسان هو ما يشاء
هذه وليس كما قال النظام ان الانسان انما هو جسم اخر لطيف في هذا الانسان والا كما قال الناس شيء ان الانسان انما
هو جوهر بسيط هذه الانسان ووجه ذلك انه ليس كل احد يعلم ان في نفسه جوهرا بسيطا او جسما اخر فيه لطيف
وقد فهم الكل من هذه الايات انه محتمل للخطاب بما ثبت بما وصفنا ان الانسان هو ما يشاهده والله اعلم وفيه دلالة
ان ما يفهم من هذه الايات من عموم او خصوص ليس يفهم بظاهر الخطاب ولكن بما يوجبه الحكمة فان اوجبت
عمومها اجروها على عمومها وان اوجبت تخصيصها اجروها على ذلك والدليل على ما وصفنا انه قال يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وهو مخرجه في الظاهر على العموم ولكنه لما قال تلقون اليهم بالمودة ومعلوم
ان الذي كان يلقي بالمودة خاصا لا كل المؤمنين فكان يجب ان يكون مجراها على الخصوص بما بين في سياق هذه الاية
ولكن الحكمة يوجب تعميم هذه الاية لانه لو قال لواحد لا تتخذ عدوي وعدوكم اولياء كان هذا الخطاب لازما للكل
ما يوجبه الحكمة انه اذا علم من احد عداوته ان لا تتخذه وليا وكذلك قوله وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول
واياكم خرج مخرج العموم في الظاهر ولكن الذين اخرجوا تماما ان اهل مكة خاصة دون سائر الكفرة فهذا يبين ان ما
اجرى مجرى العموم لم يجر بظاهر اللفظ ولكن ما يوجبه الحكمة والدليل وكذلك قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله الاية ليس ان السعي انما فرض يوم الجمعة لتخصيصه بالذكر ولكن لما ان النداء في يوم الجمعة الى
ذكرين وفي غيره من الايام الى ذكر واحد ولاجل ان النداء الضيق في يوم الجمعة هو النداء الاول وفي غيره من الايام
هو نداء الثاني فاذا جاز ان يكون فرض السعي في يوم الجمعة انما هو لهذين المعنيين ثبت ان التخصيص ليس لظاهر
اللفظ والله اعلم وفي هذه الاية دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله يسرون اليهم بالمودة ان ذلك
الرجل لم يطلع على سره احدا وقد اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بالكتاب فثبت انه علمه بالوحي
والله اعلم ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقال الحسن انها نزلت في اهل النفاق وقال غيره من عامة المفسرين
انها نزلت في حاطب بن بلتعة وهذا اشبه التاويل بالصواب واقرب الى الحق وذلك ان الله تعالى قال يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم فاخبر ان الكفرة عدوهم ولو كانت الاية في اهل النفاق لم يكن الكفرة عدوا لهم
بل كانوا اولياء فثبت ان المراد منه المؤمنون والله اعلم وفي هذه الاية دلالة ان ذلك الذنب الذي ارتكبه
ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لانه قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ولو كان ذلك الذنب يكفره ويخرجه
عن الايمان لم يكن ذلك الكافر عدو الله ويكون وليا له يقول وان الظالمين اولياء بعض والاجل انه قال يا ايها الذين
امنوا سماه مؤمنا والدليل على ان ذلك الذنب كان كبيرة انه اخبرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهزهم للقتال
وفيما اخبرهم بان يستعدوا القتال النبي صلى الله عليه وسلم وحربه ولا يشكل ان من امر بقتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان مرتكب كبيرة واذا كان كذلك وقد سماه الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وبما وصفناه من الدليل ثبت ان الكبيرة لا يكفره ولا يزيل اسم الايمان عنه والله الموفق ثم فيما نهانا ان
تتخذ عدونا وعدوه اولياء دلالة ان ليس في الحكمة اتخاذ الولاية مع الاعداء ثم من قول المعتزلة ان الله تعالى

اراد من جميع عباده ان يؤمنوا وانما اراد ان يؤمنوا فقد اراد ان يوالوهم مع علمه انهم عدو له ثم وصفوا الله تعالى
بما يخرجه من الحكمة ويدخله في السفه والجهل من العواقب وذلك كله منفي عن الله سبحانه وتعالى والمعتزلة فيما وصفوا فيه
سفه ويفتضح بان يكون من الكفرة والله المستعان وقوله عز وجل يلقون اليهم بالمودة اي بالكتب والكتاب وقوله عز وجل وقد
كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم وقوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
يحتمل ان يكون ذلك في من هاجر من مكة الى المدينة وهو اقرب الناس من خاطبه اذ هاجر من مكة الى المدينة وفيه نزلت الاية
ويحتمل ان يكون ذلك حين اذن له في الجهاد الى مكة والله اعلم بذلك كان وقوله عز وجل تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم يقول هو اعلم بما اخفيتم من كتبة الكتاب لاهل مكة وما اعلنتم بالمؤمنين من العذر وقوله عز وجل ومن يفعله منكم
اي من اتخاذ الولاية مع اضافة فقد ضل سواء السبيل اي لا اعتقاد ان من اعتقد ذلك وفي الفعل ان لم يعتقده والله اعلم وقوله
عز وجل تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم التزام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية وتحذير له ليجتنبوا بين
السر والعلانية ويخبرهم ان الله تعالى يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على سرائرهم كما اطلعه على اسرارهم في ذلك ثم في هذه
الاية شيء ... انه ... الى ... بغير ... وذلك ان اطلع الله على جميع ما ... من الذنوب سرا وعلانية فاذا علموا ان الرسول
صلى الله عليه وسلم يعلم بما اسروا من ... على ... يجب ... عليهم ذلك على الاستحياء من الله تعالى في السر والعلانية في
الاخلاق انه ... اليه والله اعلم وقوله عز وجل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ... بالسوء فوجه ذلك والله اعلم
والله اعلم انهم لو ... رغبوا في موالاتهم ومودتهم رغبة منهم في الكفار ان يحفظوا الاولاد والاهل بهم فكيف يحفظون في
حفظهم ذلك وهم لو قدروا عليهم ... لم ... بالمودة ... الكفرة ... يحفظوا ... ان ... على ... كيف ... يودون ... ان ...
بالمودة وهم لو ظفروا بكم قتلوكم وكانوا لكم اعداء وقوله عز وجل ودوا لو تكفرون يعني انهم يودون ان يكفروا ومعنا يودون
لو يكفروا والوند ودوا اهليكم قتلوكم فمن كانت حالهم معكم مثل هذا فكيف تطمعون ان يحفظوا اولادكم واموالكم وقوله عز وجل
لن ينفعكم ارحامكم واولادكم يوم القيمة يفصل بينكم له وجهان احدهما ان كيف توالون الكفرة لمكان اولادكم وارحامكم وهم
لا ينفعونكم يوم القيمة والثاني ان ارحامكم لا ينفعكم ولا يشفعون لكم يوم القيمة وقوله عز وجل يفصل بينكم اي بينكم وبين
ارحامكم لقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه والثاني ان يفصل بينكم وبين ارحامكم لاختلاف اعمالكم فيتولى لكل واحد
منكم بمن عمله وقوله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من
دون الله الاية الاصل في ابناء المتقدمين انها فيها لهذه الامة فما ذكرنا في المؤمنين منهم فهو تذكير للمؤمنين من هذه الامة وتعليم
لهم معاملة الكفرة ومنابذتهم على مثل ما فعل المؤمنين شهم بكفر بهم من سائر الامم وما ذكرنا في الكفرة من الامم الماضية فهو
تخويف لكفرة هذه الامة لئلا يصنعوا مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجبوا ولك وما كان منها في حق الرسل
عليهم السلام فهو في حق التسلي لرسولنا وسيدنا صلى الله عليه وسلم من بعض ما اسه واما مثل هذا الخطاب قد يلزم المخاطب من بما
يخاطب في نفسه ومن بما يلزم بالاقتداء بغيره اذا كان ذلك الغير لم يفعل الاعتمامهم ان الله تعالى امر المؤمنين من هذه الامة
الاقتداء بابرهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين واخبرهم من فعل ملتهم اياهم وترك موالاتهم فكان امر فالاقتدوا فالا تركوا
موالاة الكفرة والاسرار اليهم بالمودة ما داموا على كفرهم كما فعله ابراهيم عليه السلام والذين معه اذ قالوا لقومهم انا
براء منكم فنابذوهم ولم يوالوهم فافعلوا كفعلهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فكانه قالوا فاقتدوا بهم الا في هذه ال
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر ابرهيم عليه السلام لابيه المشرك لانكم لا تعلمون
المعنى الذي له استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه ثم اختلفوا في المعنى الذي له استغفر ابراهيم لابيه فقال ابو بكر انه كانت له
صلوات عليه وعدا ان يستغفر لابيه وداعا ان ايجاب الوعد لازم عليه فاستغفر لهذا المعنى فقال الحسن انه انما استغفر له
لوقت توبته لا في حال الشرك لانه لا يتوهم انه لم يعلم انه لا يحل له ان يستغفر للمشرك ومن علم انه لم يكن مسلما مؤمنا فثبت انما
يستغفر لوقت اسلامه وعندنا الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة من الله تعالى على وجهين احدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم و
الثاني ان يوفقه للسبب الذي اذا جاء به غفر له الا ترى الى قوله استغفروا ربكم انه كان غفارا اي السبب الذي اذا جئتم به غفر لكم
وانما كان كذلك جاز ان يكون استغفار ابرهيم لابيه على هذا الوجه اذ يكون طلب من الله تعالى التوفيق له بالسبب الذي اذا جاء به
غفر له وذلك مستقيم ولكن لما تبين انه لا يوفقه لذلك السبب والله اعلم وقوله عز وجل وما املك لك من الله من شيء اي لا املك
ان ادفع عنك عذاب الله من شيء او لا املك ان اهديك دون ان يهديك الله فكانه قال سوى ان ادعو الله بالتوفيق والهداية لا املك
من عذاب الله من شيء وقوله عز وجل ربنا عليك توكلنا واليك انبنا يجوز ان يكون هذا عند المنابذة واظهار العداوة مع الكفرة
يعني معتمدنا في النصر على اعدائنا عند قلة عددنا وكثرة عددهم واليك مرجعنا ومفزعنا واليك المصير اذا قبضتنا وقوله
عز وجل ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ذكر اهل التفسير ان تاويل هذه الاية يخرج على ثلاثة اوجه احدها اي لا تسلط علينا

امما شا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل ولا تنزل علينا العذاب دونهم فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل او لا يتوسع عليهم الدنيا وتضيق علينا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل ولو كان التاويل هو الثانى لكان يجى على هذا ان يكون الواجب هو ولا من هذه الامة ان يسال الله تعالى العافية ليلا يتوهم فساقهم انهم على الحق ولكن الجواب عن هذا ان الفساق من هذه الامة قد علموا ان الذى هم فيه من الفسق محظور واما الكفرة فان عندهم ان ما يدينون به من الكفر حق فاذا سلطوا على المومنين توهموا ان الذى حسبوه حقا حق واما الفسقة من هذه الامة فقد علموا ان الفسق منهى عنه محظور ولا يقع لهم هذا الحسبان والله اعلم ويحتمل ان يكون المعنى من قوله لا تجعلنا فتنة يعنى منها اى سببا يعذب به الكفرة كما قال ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وكان تاويله ان اتنا السبب الذى نستوجب به ما وعدتنا على رسلك فكذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل انك انت العزيز الحكيم العزيز يعنى المنتقم من اعدائه وقوله عز وجل لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم يعنى لقد كانت فى ابرهيم والذين معه قدوة حسنة يحسبون بها اذا اقتديتم بهم واطعتموهم وقوله عز وجل لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر يحتمل معنيين احدهما اى لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى والثانى ان يومن بالبعث وذلك ان الله تعالى وصف امر البعث فى كتابه بصفات مختلفة مرة اضاف الى نفسه بقوله من كان يرجوا لقاء ربه العنى منه البعث ومرة وصفه بصفة اخرى وان كان المراد الثواب ففيه اخبار ان الراجى فى الحقيقة هو الطالب لما يرجوه بالاسباب التى يرجوا الوصول بها الى ما رجى وادعى والخايف فى الحقيقة هو الهارب عما خوف والمنتهى عما نهى عنه وحظر فان من اعتمد على مجرد الرجاء والخوف دون التمسك بسببهما هو متمنى على الله تعالى والدليل على تاييد ما نقوله قوله عز وجل والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله افلا تراه كيف حقق معنى الرجاء والمجاهدة فى سبيل الله والعمل بطاعته والله اعلم وان كان على البعث فكذلك ايضا لانه اذا هرب عما نهى عنه وطلب لما امر به فقد تبين انه يوالى من يوفقه من الاثم الى ثواب الله ورحمته وانه يعادى من يفضى عاقبته من الاثم الى نقمة الله وعذابه ومعلوم انه لا يفعل ذلك الا من يومن بالبعث لانه من لم يومن بالبعث فانما يوالى من رجا منه منفعة الدنيا ويهرب عمن يضره فى هذه الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول يعنى من يتول عن طاعة الله فيما امره من الاقتداء بهم فان الله غنى حميد يعنى عن طاعة الخلق يعلم انه امرهم به لم يامرهم لحاجة له فى طاعتهما والمنفعة ترجع اليه بل هو غنى عن كل ذلك وانما امرهم لحاجتهم الى ذلك ولما علم ان منافع طاعتهم ترجع اليهم خاصة وقوله عز وجل حميد له معنيان معنى الحامد ومعنى المحمود فان كان المراد منه المحمود فمعناه ان الله تعالى يستحق الحمد من خلقه بما انعم عليهم وان كان المراد الحامد فمعناه ان الله تعالى يحمد الخلق ويشكرهم حتى يجزيهم بالكثير من الثواب عن القليل من الاعمال اذ يثنى عليهم باعمالهم فهو الحميد من هذين المعنيين وقوله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ان الله امر المومنين بمعاداة الكفرة ومنابذتهم وترك موالاتهم ما داموا كفارا ثم وعدهم ان يجعل بيننا وبينهم مودة اذا امنوا فكان فى هذا من اعظم الدليل على ان الخلق عند الله تعالى فى كل حال على ما هم عليه فى الخواتم وليس كما قال بعض الجهال انه يومن فى وقت من الاوقات فهو عند الله مومن وهذا خلاف ما وصف الله تعالى فى هذه الاية والله اعلم ثم المعتزلة قد خالفوا هذه الايات وعاندوا ما على قولهم وذلك ان الله تعالى قال لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء من قولهم ان من كان على خلاف مذهبهم فهو عدوهم ولا شك انهم يوالونهم ويصافونهم وقد نهى الله تعالى عن هذا فهذا احد الخلافين والثانى ان الله تعالى وعد ان يجعل بيننا وبينهم مودة ومن قولهم ان لا يقدر على شى من افعال الخلق فكان الله تعالى على قولهم وعد ما لا يقدر عليه وهذا لا يليق بالسفه خلق الله فكيف برب العالمين فثبت انهم عاندوا هذه الايات والله اعلم وخلاف ثالث ان الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالقدرة والله قدير ومن قولهم انه ليس يقدر على شى من افعال الخلق فاى خلاف اشهر من هذا واظهر والله الموفق وقوله عز وجل لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم لا يحتمل ان يكون النهى وغير النهى فى الاقساط لان الاقساط هو العدل وليس ينهى عن العدل الى ما كان وليا او عدوا الا ترى الى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا فقد اخبر انه لا يحل له ترك العدل لمكان العداوة واذا كان كذلك ثبت ان المراد واذا كان كذلك ثبت المراد من هذا النهى وغيره وهو قوله ان تبروهم فالذى لم ينه عنه خلاف ما نهى فى الظاهر لانه قال لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وقال فيما نهى انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومعلوم انه قد يجوز ان تبره من لا يجوز ان يتولاه الا ترى الى قوله وصاحبهما فى الدنيا معروفا ثم نهى عن تولى الكفار بقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ولكن لما جاز ان يجتمع فى شخص واحد البر وترك التولى فكذلك جايز ان يجتمع فى شخص واحد البر وترك التولى فكذلك جاز ان يومر بالبر ممن ينهى عن التولى معه والله اعلم ثم قوله تعالى لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين يحتمل ان يكون المراد منه لا ينهيكم بل يامركم ويحتمل ان يكون معناه يرخص لكم كقوله فما ربحت تجارتهم ومعناه بل خسرت وان كان قد يجوز ان يكون التجارة اذا لم تربح لا تخسر فكذلك قوله تعالى لا ينهيكم الله عن

الذين لم

الذين لم يقاتلوكم فى الدين بل يامركم ان تبروهم ويحتمل ان يكون المراد بل يرخص لكم ان تبروهم والله اعلم ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه [illegible] فقال بعضهم هم المستضعفون من اهل مكة الذين امنوا ولم يهاجروا واظهروا [illegible] من المشركين فامرهم الله المومنين بالمدينة ان تبروهم [illegible] الكتب اليهم [illegible] لان المشركين من اهل مكة اذا علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] القتال كان يجوز ان يخشى على اولئك المومنين المستضعفين فامر هولاء ان تبروهم [illegible] الكتاب اليهم ليتاهبوا فى انفسهم ويحتالوا [illegible] يخشى عليهم من المشركين والله اعلم وقال بعضهم [illegible] الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذمة فامر المومنين ان تبروا اولئك [illegible] بعهودهم الى مدتهم [illegible] عهودهم وقال بعضهم [illegible] فى النساء والولدان من المشركين امر المومنين ان تبروهم [illegible] لا يقاتلونهم [illegible] من المشركين من الرجال [illegible] فاولئك هم الظالمون اى [illegible] فاولئك هم الظالمون فى حق الاعتقاد ومن [illegible] فى الافعال فاولئك هم الظالمون فى حق الافعال [illegible] وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات [illegible] الله اعلم بايمانهن [illegible] من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان [illegible] بالكفر وقلبه مطمين بالايمان [illegible] ما سبق ذكره والله اعلم ثم ان المفسرين ذكروا [illegible] امتحانهن انهن يحلفن بالله ما خرجن [illegible] ازواجهن [illegible] ما خرجن الا رغبة فى الاسلام [illegible] فاسد [illegible] الله فى الذى ذكره بعض المفسرين فى وصف الامتحان غير مستقيم ويجوز ان يكون تاويل امتحانهن على وجهين احدهما ان يستوصفن عن الايمان ما هو فاذا اخبرن عن حقيقة الايمان علم انهن مومنات والثانى يعرض عليهن ما على المومنات فى ايمانهن كما قال تعالى لا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن فاذا قبلن ذلك كله كان ذلك امتحانهن والله اعلم وقوله عز وجل والله اعلم بايمانهن هذا يدل على ان الذى كلف به المومنون من امتحانهن انما هو لما يعلموا من ايمانهن فى الظاهر فيعملون به وعلم الشهادة ما يجب ان يشهد على الله به وذلك انما يوصل اليه وذلك بما يطلعهم الله عليه نصا اما بكتاب او بسنة متواترة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم العمل هو الذى يسوغ فيه الاجتهاد هو خبر الاحاد وجهة القياس ونحو ذلك وقوله عز وجل فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار ذكر فى القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عام الحديبية ومشركى اهل مكة على ان من اتاه من اهل مكة فهو عليهم رد ومن اتى مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم وكتب ذلك كتابا وهو بالحديبية فلما فرغ من الكتاب اتت سبيعة مسلمة فجاء زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد رد على امرأتى فانك قد شرطت لنا ذلك وهذه طينة لم يجف بعد فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار يقول لا تردوهن الى ازواجهن الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن يقول لا يحل نكاح مومنة لكافر ولا نكاح كافر لمومنة وقوله عز وجل واتوهم ما انفقوا يقول اعطوا زوجها الكافر ما انفق عليها على ما كان جرى من الصلح بينهم وبين المسلمين ان ما خرج من نساء اهل مكة الى المدينة مومنات لم ترجعوهن الى الكفار واعطوا ازواجهم ما انفقوا من المهور وما خرج من نساء المسلمين مرتدا ولم يرد الى المدينة واعطوا ازواجهم ما انفقوا ثم معلوم انه كان يوخذ باعطاء الصداق وايتاء ما انفق غير الذى اخذ الصداق ولكن كان يوخذ به من كان من جنسه على ما ذكرنا نظايره فيما تقدم ولذلك قال اصحابنا ان اهل الاسلام ياخذون من تجار اهل الحرب مجازاة لما ياخذ اهل الحرب من تجار المسلمين وانما يوخذ ذلك ممن كان من جنسه وان كان ذلك غير الذى اخذ منه وعلى ذلك يقول ان المحنة قد يجوز ان يستوى على البر والفاجر واما ينزل بالادنى من المحن يجوز ان لا يكون جزاء لما تعاطى من الذنوب والشبهات لان الله تعالى ان يمتحن عبده فى هذه الدنيا مبتدا واما فى الاخرة فلا يوخذ فيها احد بذنب اخر بل يجزى كل بعمله ان شرا فشر وان خيرا فخير والله اعلم وقوله عز وجل ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن يقول لا اثم عليكم يعنى المسلمين ان تتزوجوهن اذا اتيتموهن مهورهن وقوله عز وجل ولا تمسكوا بعصم الكوافر عن ابن عباس رضى الله عنه ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت قبل زوجها ثم اسلم بعد ذلك زوجها فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قبل ان ينزل ولا تمسكوا بعصم الكوافر فلما نزلت كان اذا اسلم الزوج وخرج الى دار الاسلام انقطعت العصمة بينه وبين امرأته وكذلك المرأة اذا خرجت وبقى الزوج ثم وقوله عز وجل ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال بعضهم اى بعقد الكوافر فمن كانت له امرأة بمكة كافرة فلا يعتدن بالمرأة الكافرة فانها ليست بامرأة له وقد انقطعت العصمة بينهما وقال بعضهم ولا تمسكوا بعصم الكوافر حظر علينا الامتناع والكف والامساك من نكاح المهاجرة لاهل زوجها الحربى وعصمته والعصمة

المنع والكوافر يجوز أن يتناول الرجال وظاهره في هذا الموضع للرجال لأنه في ذكر المهاجرات والله أعلم وقوله عز وجل واسألوا
ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا يقول إذا لحقت امرأة المسلم بكفار مكة فاسألوا مهرها من أهل مكة ويردوا إلى زوجها و
ليسألوا ما أنفقوا يقول إن جاءت امرأة من أهل مكة مهاجرة إليكم فردوا على زوجها المشرك ما أعطاها من المهر وذلك
من أجل العهد الذي كان بين أهل مكة وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ذلكم حكم الله يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله
يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله بين المسلمين والكفار من أهل العهد من أهل مكة فكان يرد بعضهم على بعض النفقة أي
المهر وقوله عز وجل والله عليم حكيم أي فيما حكم بين المسلمين وأهل العهد مما ذكرنا من الحكم وقوله عز وجل فإن فاتكم
شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم يقول إن لحقت امرأة مؤمنة بكفار مكة من أهل الحرب من ليس بينكم وبينهم
عهد ولها زوج عندكم مسلم فعاقبتم أي أغنمتم مالا من الغنيمة فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من المهر
مما أصبتم من الغنيمة قبل القسمة واتقوا الله فيما فرض عليكم من هذا الذي أنتم به مؤمنون أي مصدقون فلا تنقضوه
والله أعلم وهكذا روي عن مسروق رحمة الله عليه وعن الزهري أنه قال من حكم الله تعالى أن يسألوا المسلمون من الكفار
مهر المرأة المسلمة إذا صارت إليهم ويسأل الكفار من المسلمين مهر من صارت إلينا من نسائهم مسلمة فأقر المؤمنون
بحكم الله تعالى وأبى المشركون أن يقروا بذلك فأنزل الله تعالى قوله فإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين
ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا فأمر الله تعالى المسلمين إذا ذهبت امرأة مسلمة ولها زوج إلى الكفار أن يردوا إلى زوجها
ما أعطاها من المهر من صداق كان في أيديهم مما يردون إلى المشركين بمهاجرة امرأة منهم مسلمة إلينا وإن لم يكن في أيديهم ما
وجب رده على أهل الحرب فعوضوه من غنيمة أصبتموها وأصل هذا والله أعلم وإن فاتكم شيء مما أنفقتم على أزواجكم ثم
ظفرتم على عدوكم وغنمتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مما فات عنهم مما أنفقوا فكأنه يقول واسألوا أولئك الذين ذهبت
نساؤكم إليهم ما أنفقتم فإن سألتم ولم يعطوكم شيئا وفاتكم ذلك من ذلك الوجه ثم فاتيتموهم وغنمتم فأعطوا الذين
فات عن أزواجهم ما أنفقوا قال رحمه الله اعلم أن هذه الآية ينتظم أحكاما أحدها جواز الاجتهاد والعلم بالعلم الظاهر
فإنه قال فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات أي بالاجتهاد والامتحان فلا ترجعوهن إلى الكفار و
هو حكم مبني على العلم الظاهر ودل أن العمل به جائز والثاني أن أحد الزوجين إذا أسلم في دار واحد ما دار الإسلام أو دار الحرب
هل تقع الفرقة بنفس الإسلام أو بانضمام شيء آخر إليه قال بشر المريسي بأن الفرقة تقع للحال من غير انضمام شيء آخر إليه و
قال الشافعي إن كانت المرأة مدخولا بها لم تقع الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض وإذا كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة
للحال وقال أصحابنا إذا كانا في دار الحرب فأسلم أحدهما لم يقع الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض وإذا كانا في دار الإسلام
ذميين فأسلم أحدهما لم يقع الفرقة حتى يعرض السلطان الإسلام على الآخر فإن عرض عليه الإسلام وأبى فرق بينهما فأما
بشر احتج بظاهر قوله تعالى إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات إلى قوله فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
فقد أخبر أنه لا يحل واحد منهما لصاحبه ولم يذكر شيئا آخر وأما أصحابنا رحمهم الله فإنهم احتجوا وقالوا إن الفرقة لا يقع
بنفس الإسلام بقوله إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فلو كانت الفرقة واقعة بمجرد الإيمان لم يكن للامتحان
معنى فلما لم يذكر الحرمة إلا بالامتحان ثبت أن الفرقة لا تقع إلا بمجرد الإيمان ويجوز أن مثاله قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا
زانية أو مشركة وحرم ذلك على المؤمنين ثم قال والذين يرمون أزواجهم فلو كان الزنا يوجب الحرمة لم يكن هو رأيا للزوج
أنا قال الهازن بنت نكانه قال لم يكن بيني وبينك نكاح فلما أثبت رمي الزوجات بقوله والذين يرمونه ثبت أن الزنا لا يوجب
حرمتها عليه فكذلك الإيمان بمجرده لو كان يحرمها على الأزواج لم يكن للأمر بالامتحان معنى فلما أمر بالامتحان على إيمانها
بعد أن أظهرت في نفسها الإيمان ثبت أن الحرمة لا تقع بنفس الإيمان حتى ينضم إليه شيء آخر وتبين أن العمل بظاهر الآية
غير ممكن إذ لا يجري على إطلاقها والله أعلم ودليل ثان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أسلموا أسلم نساؤهم
من بعد ثم لم يرد عن أحد منهم أنه جدد النكاح ولو كانت الفرقة يقع بنفس الإسلام من أحد الزوجين لكان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتجديد النكاح ثبت أن الفرقة لا يقع بمجرد الإسلام والله أعلم والوجه الثالث ما روي
عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على اختلاف الأبيات باختلاف الدارين ونحوه روي عن ابن عباس
رضي الله عنه أنهما على النكاح حتى تحيض المرأة ثلاث حيض إذا كانا في دار الحرب وعن علي رضي الله عنه أنهما
على النكاح ما داما في الهجرة وعن عمر رضي الله عنه أنهما إذا كانا في دار الإسلام فأسلم أحدهما فهما على النكاح حتى يعرض
السلطان الإسلام على الآخر فهؤلاء قد ثبت عنهم أن الفرقة لا يقع بنفس الإسلام إلا أن ينضم إليه شيء آخر ولم
يثبت عن غيرهم خلاف ذلك فيكون إجماعا فلذلك أخذ أصحابنا رحمهم الله تعالى بقوله والله أعلم والثالث أن أحد
الزوجين إذا خرج إلى دار الإسلام مهاجرا وبقي الآخر في دار الحرب تقع الفرقة بينهما عندنا وعند الشافعي لا يقع

الفرقة

الفرقة بينهما عندنا وعند الشافعي لا يقع الفرقة بتباين الدارين قال لأن المسلم إذا دخل بأمان لم يبطل نكاح
امرأته وكذلك لو دخل حربي إلينا بأمان لم يقع الفرقة بينه وبين زوجته وكذلك لو أسلم الزوجان في دار الحرب
ثم خرج أحدهما إلى دار الإسلام لم يقع الفرقة فعلم أن لا يعتبر باختلاف الدارين في إيجاب الفرقة ولكن عندنا ليس
معنى اختلاف الدارين ما ذكر إنما معناه أن يكون أحدهما من أهل دار الإسلام إما بالإسلام أو بالذمة والآخر من
أهل دار الحرب فيكون حربيا كافرا فأما إذا كانا مسلمين فهما من أهل دار واحدة وإن كان أحدهما مقيما في دار
الحرب والآخر في دار الإسلام وفي هذه الآية دلالة على ما قلنا من وجوه أحدها أنه قال فإن علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن إلى الكفار ولو كانت الزوجية باقية بعد التباين لكان الزوج أولى بها وبأن يكون معه فلا
معنى للنهي عن الرجع إلى الزوج الكافر وكذا قال عز وجل لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن أثبت الحرمة بين المهاجرات
وأزواجهن ولا يتصور بقاء النكاح في غير محل الحل وكان معناه تحريم الاستمتاع ولكن النكاح لم يكن
المقصود به إلا الاستمتاع وما هذا من آثاره فكان في تحريم الاستمتاع تحريم النكاح وكذا قوله تعالى وآتوهم
ما أنفقوا دليل عليه أيضا فإنه أمر برد مهورهن إلى الزوج ولو كانت الزوجية باقية استحق الزوج استرداد المهر
لأنه لا يجوز أن يستحق البضع وبدله وكذلك قوله تعالى ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن
ولو كان نكاح الأول باقيا لما جاز للمسلم في دار الإسلام أن يتزوجها وكذا قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر
نهانا عن الإمساك والامتناع من تزويجها لأجل عصمة الزوج الكافر وحرمته دل أن الحرمة تقع بالتباين ودليل
آخر من جهة المعقول على ما ذكرنا وهو أنهم أجمعوا أنها إذا سبيت وقعت الفرقة حتى يحل للسابي وطء السبية
بعد الاستبراء فأما أن تقع الفرقة بإسلامها وقد اتفق الجمهور من الفقهاء رحمهم الله على أنه لا تقع الفرقة
بنفس الإسلام إذا كان بعد الدخول ما لم ينضم إليه شيء آخر ويحل وطء الملك للسابي ومعلوم أن الملك لا يمنع النكاح
ألا ترى أنه يجوز ابتداء العقد على المملوكة وطرأ الملك ببيعة الجارية لم تقع الفرقة وإن وجدت الملك فيها المشتري
وكذلك إذا مات رجل وخلف أمة منكوحة ثبت الملك فيها للوارث ولا يبطل النكاح وإذا لم يثبت الفرقة بهذين
الوجهين لم يبق إلا تباين الدارين فدل أن سبب الفرقة هو تباين الدارين في السبية والتباين موجود في المهاجرة
والله أعلم فإن احتجوا بما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال رد النبي صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على أبي
العاص بن الربيع بالنكاح الأول بعد ست سنين وقد كانت زينب هاجرت إلى المدينة وبقي زوجها مشركا بمكة ثم ردها
عليه بالنكاح الأول فدل أن اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة فنقول له لا يصح الاحتجاج به من وجوه أحدها أنه ردها
بعد ست سنين بالنكاح الأول [illegible] ثلاث حيض
[illegible] ست سنين فسقط الاحتجاج به والثاني أنه روي [illegible]
عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] فكان من مذهبه أن الفرقة وقعت
[illegible] والثالث
أن عمرو بن شعيب روى عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب رضي الله عنها على أبي العاص بنكاح جديد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والرابع أن المهاجرة لا عدة عليها عند
أبي حنيفة رحمة الله وعلى قولهما عليها العدة وهذه الآية دليل لأبي حنيفة [illegible] فإنه عز وجل قال فإن علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا جناح عليكم أن تنكحوهن [illegible]
وكذا قال ولا تمسكوا بعصم الكوافر [illegible]
[illegible]
[illegible] والله أعلم

جمعوا انها اذا سبت وقعت الفرقة وسقطت العزة والملك ليس بسبب لاسقاط العزة ولكنه بسبب لنقض العزة عند السبي والمهاجرة والسبي لا يوجب لاسقاط دل سقوط العزة لاختلاف الدارين والله اعلم والخامس فيه دليل على ان الكتاب يجوز ان ينسخ حكمه بترك الناس العمل فان في قوله واتوهم ما انفقوا وقوله واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا الحكم متروك من غير ان يكون في تركه كتابا وسنة ولكن الناس لما اجمعوا على تركه وهذا امثاله في حكم عرف ثبوته على الحق المعنى ثم بعدم المعنى فاما ما لا يعقل معناه يجب العمل بالكتاب ولا يترك الناس ولا يجوز لهم الاجماع على تركه ولا يتحقق الاجماع على ذلك وبعض اصحابنا قالوا انه صار منسوخا بقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وبقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرء مسلم الا بطيبة من نفسه والله اعلم والسادس في قوله تعالى واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا دلالة على انه سوى في الحكم بين اموالنا واموالهم ثم الاجماع جرى على انا اذا غلبنا على اموال اهل الحرب ملكناها لكن اذا اغلبوا على اموالنا يجب ان يملكوها ونبا وجب من الحرمة اذا جاءت النسوة الينا مؤمنات مهاجرات دلالة على ان الاحكام في الاسلام مختلفة وعلى هذا ما خلف كل واحد منهما من المال في الدار التي هاجر منها الى الاخرى ثم نبا المالم ومن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما فتح مكة ان يكون تخلص عن شيء من تلك الاموال التي كانت تخلفه حين هاجروا الى المدينة فلا بد ان ذلك التوارث ان لما ذكرنا انها يكون فيما ومعلوم ان التوارث بين اهل الاسلام واهل الكفر منقطع واذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه الاخر والله اعلم والسابع في قوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم دلالة على وجوب العدل بين الاعداء وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال هاهنا واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا سوى بين اموالنا واموالهم وهو العدل فكانه يقول ذلك الامر في العدل بينكم وبين اعدائكم حكم الله يحكم بينكم لكي اذا علموا ان العداوة لا يحملكم على ترك العدل حملهم على التالف والتعطف وعلموا انكم اذا تركتم شهواتكم وانفقتم العدل والتسوية فليس ذلك من عندكم ولكن من عند الله تعالى فرغبهم ذلك في الاسلام فكانه قال ذلك الذي امر من العدل وجعله سببا رغبا ضايكم في الاسلام ويحملهم على التالف حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم يعني بما امر من العدل والتسوية حكيم لا يلحقه الخطاء في التدبير فدل ان العدل واجب بينهم والله الموفق والثامن في الاية دلالة على ان النساء انما ادعوا وان لم يقتلن فانه قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فثبت انهم اذا لم تعلموهن مؤمنات رجعوهن الى الكفار لما كان جرى بينهم من الصلح ومعلوم انه اذا رجعن الى الكفار بعد ما اظهرن الايمان كن مرتدات ولو كانت المرتدة يقتل لكان اذا اظهرن ذلك عندهم تقتلهم ولم يرجعوها الى الكفار فلما ثبت بما وصفنا انهم كانوا يردون النساء اليهم مع علمهم انهن مرتدات ثبت ان المرتدة لا يقتل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات يبايعنك الاية البايعة والهجرة كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها اليوم واجبا يضاد لان الهجرة انما كانت من مكة الى المدينة احدهم اذا اسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة ان لو قام بين اظهرهم وكان ايضا يحتاج الى علم الشرائع والاحكام وانما انقطعت الهجرة اليوم من مكة الى المدينة فاما ولو كان من اهل الحرب اذا اسلم وخشي على نفسه فساد الدين بالكفرة ان لو قام بين اظهرهم فالواجب عليه ان يهاجر منها الى دار الاسلام ليامن فساد دينه ويحصل على علم الشرائع واما المبايعة فانه نفعها في النساء ترغيب الكفرة في الاسلام وفي الرجال حمل الكفرة الى الاسلام وذلك ان الذي امر به النساء من المبايعة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال والكفرة اذا علموا ان هذا دينا يامر فيه بامر فيه بمحاسن الامور رغبهم ذلك في الاسلام والذي امر به الرجال انما هو من جهة النصر والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يظهر الاسلام ويتبين ومعناه المعنيان على كل نفسه في زماننا هذا والله اعلم وقوله عز وجل يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا يتوجه الى الاعتقاد والمعاملة جميعا ولا يسرقن يتضمن النهي عن الخيانة في الاموال كافة والنقصان عن العبادة جملة لانه يقال اسرق السارقين من سرق من صلوته وقوله عز وجل ولا يزنين يحتمل ان يكون على حقيقة الزنا ويحتمل ان يكون على حقيقة الزنا وعلى دواعيه على ما روي عن قوله عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك او يكذبه وقوله عز وجل ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يحتمل ان يكون نهيا عن النميمة عن الحاق الولد بازواجهن وهن يعلمن انه من الزنا وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله يامرون بمعروف يحتمل ان يكون هذا كناية عن الامر لانه بين النواهي والمناكير ثم قال تعالى ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله تعالى يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله عز وجل فبايعهن واستغفر لهن الله ولم يقل ههنا فامتحنوهن كما قال في المهاجرات ومعنى ذلك عندنا وجهان احدهما انه قد بين ههنا وجه الامتحان بقوله ولا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين فاستغنى عن ذكر الامتحان والوجه الثاني ان المهاجرات انما كن ياتين من دار الحرب ولم يكن علمن الشرائع فاحتجن الى الامتحان واما هؤلاء كن في دار الاسلام وقد علمن شرائعه فلم يذكر الامتحان لذلك والله اعلم وقوله عز وجل فاستغفر لهن الله هذا يدل على ان الكبائر لا يخرجن عن الايمان لانه

يقال ان

يعلم ان الاستغفار لما يجيء منهن من تضييع هذه الحدود ولو خرجن بتضييعها من الايمان لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهن لان الاستغفار طلب المغفرة ويستحيل ان يطلب منه مغفرة من ليس له غفران فدل على ما وصفنا ان ارتكاب الكبائر لا يخرج صاحبه من الايمان والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فكان الله عز وجل امرنا ان نغضب على من غضب هو عليه وان نعادي من عاداه ونوالي من والاه وقوله عز وجل قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور والاية له تاويلان احدهما ان اليهود عرفوا نعت نبينا صلى الله عليه وسلم وهو موضوع في التوراة فكان في التوراة ان الله تعالى ايسهم من ثوابه في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا ويجوز ان يكون معناه يائس هؤلاء من رحمته كما يئس الكفار الذين هم في القبور من رحمته تعالى واثره

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض قال ههنا سبح وقال في موضع اخر يسبح ليعلم ان التسبيح غير منقطع وانه قد سبح حين كان ويسبح الى ان يكون وفيه تسفيه اولئك الكفرة المتمردة وذلك ان التسبيح والثناء في الشاهد انما يرجعان الى المسبح والمثني لانه لا يثني الا على من يستحق الثناء ولا يسبح الا من يستحقه فانما تسبيح المسبح وثناؤه خضوع له وتقرب اليه وذلك يزين شرفا ونبلا فكان الله عز وجل اخبر انه قد خضع لله تعالى واستسلم له واتى بما فيه شرف وزين وتقرب الى ربه الا الكفرة فانهم تركوا التسبيح لله تعالى مما فيه من نيلهم وشرفهم وزينهم والله الموفق ويجوز ان يكون ذكر تسفيههم ايضا من وجه اخر وهو انه لو كان الله تعالى بتسبيح شيء من الخلائق حاجة لكان في تسبيح من ذكر كفاية وغنا عن تسبيح الكفرة ولكنهم تركوا التسبيح والله تعالى غني عنهم وعن تسبيحهم فانه كرم الا لنفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز يدل على انه عزيز بذاته وان ترك التسبيح من الكفرة اياه لا يذله بل هو عزيز منيع وقوله عز وجل الحكيم يعني حكيم حيث جعل في الاشياء المتضادة علم ربوبيته واثر وحدانيته وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال بعضهم هذه الاية في اهل النفاق في القتال لانهم تمنوا القتال فلما امرهم الله تعالى انه قالوا لم كتبت علينا القتال فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تعدون ما لا تفون به منهم من قال انها في بعض المؤمنين في القتال ايضا وانها على التقديم والتاخير ووجه ذلك انهم احبوا ان يعلموا احب الاعمال الى الله تعالى فانزل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية وقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فلم يفوا بما وعدوا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ويجوز ان يكون هذه الاية في كل مؤمن لانه قد اعتقد كل من اقر بايمانه الوفا بما وعد من الطاعة لله تعالى والاستسلام والخضوع فاذا لم يف بما وعد يجب عليه في كل ذلك ان يدخل في هذه الاية وليس احد من المؤمنين وقد قام بما وعد كله والواجب عليه ان يتوب من ذلك توبة بليغة وقوله عز وجل كبر مقتا عند الله الاية يعني ترك استوجب مقت الله لزمه العتاب لا محالة ولكن يحتمل ان يكون هذا فيمن اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحل ما نهاه الله تعالى فيستوجب مقت الله تعالى ونقمته لا محالة فاما من ثبت على اعتقاده ودل في فعاله فالواجب ان يقسم الذنوب فيلزمه الخوف على مراتبها ودرجاتها والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ليس فيه ان الله تعالى لا يحب المبارز لان الجهاد والقتال على المبارزة اشد من ذلك انه اذا كان في الصف فانه يحمل على القتال غيره فكان امنه على نفسه في الصف اكثر واما المبارز فانه وحده ليس له معين فان ظفر على صاحبه والاهوال والخوف عليه في ذلك اشد فيجب ان يكون الحمية فيه اكثر ولكن يجوز ان يكون الله تعالى اعلمهم بهذه الاية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض ويكون كلمتهم واحدة لانهم اذا تفرقوا اختلفت اراؤهم فيخشى عليهم الهزيمة والادبار واذا كانت اراؤهم متفقة وكلمتهم واحدة وشوكتهم واحدة وذلك قوة في القتال وزيادة والله اعلم وقوله عز وجل كانهم بنيان مرصوص قال بعضهم ضرب هذا المثل للثبات يعني اذا اصطفوا يثبتوا كالبنيان المرصوص التي يكون ثابتة مستقرة لا ينتقض باذى شيء ومنهم من قال ضرب هذا المثل لان يكون كلمتهم واحدة ويعين بعضهم بعضا ويشبه ان يكون للامرين جميعا لانهم اذا ثبتوا اعان بعضهم بعضا وكانت كلمتهم واحدة واذا كانت كلمتهم واحدة كان ذلك ادعى الى الثبات واقرب اليه فلذلك قلنا انه يجوز ان يكون الامرين جميعا والله اعلم ثم المحبة يحتمل وجهين احدهما عن الخلق والثاني الثناء عليهم بما يفعلون وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يحتمل وجهين احدهما تنبيه لهم واعلام عن معاملة اعتادوها فيما بينهم من غير ان تعلموا فيها انا لموسى عليه السلام نحوا ان قال في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فيجوز ان يكونوا لا يعدون ذلك المعاملة اذى لموسى عليه السلام ولا يعلمونها فاخبرهم انها يؤذيه لينتهوا عن ذلك والثاني انه يجوز ان يكونوا علموا ان ذلك يؤذي ولكنهم عاندوه وكابروه فيخبرهم ان كيف تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقد علمتم ان حق رسل الملوك التعظيم والتبجيل فكيف رسول رب العالمين فاخبرهم انهم يؤذونه بشكايته منهم اليهم ثم اختلفوا في الاذى فقال بعضهم ان موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فادعوه بان

قالوا ان في بدنه آفة ومكروه. وقال بعضهم ان موسى عليه السلام ذهب مع هارون عليه السلام الى الجبل فقبض هارون
في ذلك الجبل فآذوه فانهم قالوا قتل اخاه. ومنهم من قال كانوا يؤذونه بالسنتهم حيث قالوا ارنا الله جهرة ويقولون اجعل لنا
الها كما لهم آلهة ويقولون لن نصبر على طعام واحد ولكن الوجه ان يشار الى شيء بعينه فان كان التاويل هو الوجه الاول انهم
آذوه من غير ان يعلموا ان ذلك يؤذيه لا يصرف اليه شيء من هذه الاوجه الثلاثة وان كان على الوجه الثاني تكذيب ان وان
كان على الوجه الثالث جاز ان يصرف اليه الوجوه منها والله اعلم ثم حق هذه في رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على وجهين احدهما
انه يجوز ان يكون بنو اسرائيل آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره الله امر موسى عليه السلام وايذائهم اياه ليكون فيه تصبير
الرسول صلى الله عليه وسلم وتسكين القلب او يجوز هذا تحذيرا لاصحابه عن ان يكونوا يرتكبوا ما يخاف ان يكون فيه ايذاء له عليه و
السلام والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم له معنيان احدهما اي يقول زاغ الله قلوبهم يعني خذلهم الله و
وكلهم الى انفسهم قالت المعتزلة محتجين علينا ان الله تعالى قال وما يضل به الا الفاسقين ذكر انه انما يضله بعد ما فسق
وانتم تقولون انه يضله وهو يهدي قلنا ان هذا اعوج علينا وذلك انا نقول ان الله تعالى يضله لوقت اختياره الضلال
ويزيغه لوقت اختياره الزيغ واذا كان كذلك لم يلزم ما قالت المعتزلة مع انهم يقولون ان الله تعالى يضله بعد ضلاله
بنفسه عقوبة له ويريد له هدى بعد اهتدائه بنفسه ولا يستقيم ذلك لانا نراه في السماء يكفر بعد ايمانه ويؤمن بعد
كفر وان اكفر بعد ما كان مؤمنا وذلك وقت يريد الله تعالى هدى ثوابا للايمان المتقدم فلما كفر تكاد هدايته الله تعالى سببا
لكفره وان امن بعد ما كان كافرا وقت عقوبة الله تعالى بالكفر على الكفر المتقدم كان سببا للايمان وهذا كلام مستفيض **و
قوله** عز وجل والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الذين علم الله منهم انهم يختارون الظلم والكفر فلا يزولون منه ولا
ينقلبون فلا يهدي اولئك واما من علم منهم انه يتوب ويسلم فانه يهديه والله اعلم **وقوله** عز وجل واذ قال عيسى ابن
مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية قوله مصدقا يحتمل وجوها احدها انه يقول جئتكم
بالبعث التي وصفت في التوراة ومصدقا بالتورية وبكتاب الله تعالى ليعلم ان الرسل كان يلزمهم بالكتب المتقدمة والرسل
جميعا كما يلزمون الايمان بهما او يقول مصدقا يعني امركم بعبادة الله عز وجل وتوحيده كما امر به في التورية ليعلم ان الرسل كان
دينهم واحدا وان كلهم يدعون الى التوحيد وعبادة الرحمن وانما الشرائع فقد يجوز اختلافها ولا يدل ذلك على اختلاف
في الدين لان الشرائع قد تختلف في رسول واحد ولا يختلف دينه فكذلك الرسل والله الموفق **وقوله** عز وجل ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني مبشرا برسول يصدق بالتورية على مثل ما صدق يحيى فكانه قيل له اسمه تعالى احمد **وقوله**
عز وجل فلما جاءهم بالبينات قال بعضهم الذي جاءهم عيسى عليه السلام وقد جاء جميعا وقوله بالبينات اي بالبينات
التي تبين ان الذي جاء به انما جاء من عند الله **وقوله** عز وجل هذا سحر مبين او ساحر مبين واختلفوا فيمن قيل له هذا
قال بعضهم هو عيسى عليه السلام وقال بعضهم هو محمد عليه السلام ومن قالوا لهما جميعا ويحتمل ان يكون هذا قول
الكفرة لضعفاء منهم وذلك انهم لم يجدوا اسبابا للتمويه سوى ان ينسبوا الى السحر وهذا بعد ما جاءهم بالآيات المعجزة
حيث ينسبون الى السحر وقالوا هذا سحر وانا لا نعلم السحر ولو كان الذي جاءهم به سحرا كانت حجة عليهم لانهم قد علموا ان
الرسل لم يختلفوا الى السحرة ولم يتعلموا منهم وكان لا يتهيأ لهم اختراعه من تلقاء انفسهم فلو كان سحرا كانت حجة عليهم
لانهم قد علموا ما ذكرنا ولكن الله تعالى برأه ونزهه من السحر والله الموفق **وقوله** عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
والله متم نوره يعني دين الله او كتاب الله او رسل الله وقوله بافواههم اي ليست عندهم حجة ولا شيء يدفعون به هذا
النور سوى ان يقولوا بالسنتهم هذا سحر **وقوله** عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اوحش ظلما وافحش
ظلما ممن بلغ افتراؤه المبلغ يفتري على الله تعالى الكذب لانهم قد علموا ان ما نالوا من نعمه وكرامته فانما نالوه بالله ثم كفروا به
وكذبوا على الله وعلى رسوله اذ يقول لا احد اظلم ممن يفتري على الكذب وذلك ان قوله ومن اظلم كلام استفهام والله
تعالى لا يستفهم احدا واذا كان كذلك كان حق كل ما خرج مخرج الاستفهام ان ينظر الى جوابه لو كان يستفهم ويفهم منه
معنى قول رب العالمين وانما المفهوم من جواب من يستفهم عن مثل هذا ان يقول لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب
والله يدعو الى الاسلام وهو ان يجعل الاشياء كلها سالمة له فهو اذ علم ان ما ناله من نعمة فانما ناله بالله تعالى وجعل الاشياء
كلها لله تعالى فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم فاذ علم هذا فلا احد اظلم منه حين افترى على الله الكذب والله الموفق
وقوله عز وجل والله متم نوره اوجه احدها بالحجج والبراهين والثاني بنصر اهل دينه وغلبته والثالث باظهاره في الاماكن كلها
فان كان على النصر والغلبة فقد كان حتى كان المشركون في خوف والمسلمون في امن الا ترى الى قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله والى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر
وان كان بالحجج فقد كان ايضا لانهم عجزوا واعترفوا ان ياتوا بما يشبه ان يكون مثلا له فضلا من ان ياتوا بمثله فقد اتم نوره بالحجج

والغلبة والبراهين والحجج وان كان المراد منه اظهاره فانه يرجى ان يظهر على ما روي انه اذا نزل عيسى صلوات الله عليه
لم يبق على وجه الارض دين الا الاسلام ثم قوله تعالى والله متم نوره ليس فيه انه كان به شيء من الكدر ونقصان ولكن على ما ذكرنا
من التمام قبل ذلك لانه لا يجب ان يفهم من قوله اليوم اكملت لكم دينكم انه كان ناقصا فاكمله بالشرائع ولكن على هذا الوجه
يعني اظهار الدين بالشرائع التي وصفناها في قوله والله متم نوره والله اعلم **وقوله** عز وجل ولو كره الكافرون وقال في
ذكر الاظهار ولو كره المشركون لان هؤلاء كفروا بالرسول والكتاب وذلك نعم الله تعالى فقال ولو كره الكافرون واولئك
اشركوا في التوحيد فقال ولو كره المشركون والله اعلم **وقوله** عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني بما لو اتبعوه
اهتدوا **وقوله** عز وجل ودين الحق له اوجه ثلاثة احدها ان يجعل الحق كناية عن الله تعالى فكانه قال ودين الله والثاني
ان يجعل الحق نعتا للدين فكانه قال والدين الذي هو الحق من بين سائر الاديان والثالث ان يقول والذي يحق على كل
احد قبوله والانقياد له والله اعلم **وقوله** عز وجل ليظهره على الدين كله وجهان احدهما ان يقول ليظهره يعني يظهر
رسوله عليه السلام على كل ما يحتاج في هذا الدين من النوازل فيكون فيه بيان ان ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في
هذه النوازل انما هو بالوحي وبما ظهره الله تعالى عليه ويحتمل اظهار هذا الدين في الاماكن قال والدين هو الخضوع والاستسلام
لله تعالى وحقيقته ان يجعل الاشياء كلها سالمة له **وقوله** عز وجل ولو كره الكافرون قال الشيخ رحمه الله وينقض
هذا ولو كره المعتزلة لانا انما نقول ان كان بالحجج او بالنصر والغلبة او باظهاره في الاماكن كلها فانما يكون ذلك
بافعال العباد ثم اضاف الله تعالى الى نفسه فثبت ان الله تعالى في افعال العباد صنعا وتدبيرا وان اقوالهم كلها مخلوقة
لله تعالى لا يخرج عن تدبيره ومشيئته والله المستعان **وقوله** عز وجل يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله الايمان بالله ان يؤمن بانه الواحد الاحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
ويؤمن بان له الخلق والامر وانه قادر لا يعجزه شيء وعليم لا يخفى عليه شيء وحكيم لا يخرج خلقه الاشياء المختلفة من
الشر والضر والظلمة والنور والمرض والصحة عن حكمة وانه ليس كما قالت الثنوية ان خالق الظلمة والشر والقبيح غير
خالق النور بل يعلم انه خالق كل شيء سواه من ظلمة ونور وشر وضر وسقم وصحة ولا على شبه ما قالت المجوس ان الله تعالى
غفل غفلة فتولد منه الشيطان بل هو لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق
حتى اجازوا ان يكون له ولد ولا على ما قالت القدرية انه لا يقدر شيئا من الشر ولا السقم ولا الوجع ولا على ما قالت المعتزلة
انه ليس له في افعال العباد صنع وتدبير بل يعلمه عليما بكل شيء قديرا على كل شيء متعاليا عن كل شيء من معاني الخلق متنزها
عن كل آفة وحاجة وعيب فهذا هو الايمان بالله تعالى عندنا والله تعالى اعلم والايمان بالرسول ان يؤمن بان ما جاء
به صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق **وقوله** عز وجل وتجاهدون في سبيل الله على وجهين احدهما ان يقاتلوا اعداء الله تعالى
والثاني ان يجاهدوا في طاعة الله وفيما دعا اليه من عبادته والجهاد ينصرف الى انواع اربعة جهاد في سبيل الله بمقاتلة و
اعدائه والاستقصاء في طاعته وجهاد فيما بينه وبين نفسه ان يجاهد في قهرها ومنعها عن لذاتها وشهواتها وعما
يعلم انه يهلكها ويرديها وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو ان يترك الطمع فيهم وان يشفق عليهم ويرحمهم وان لا يرجو
ولا يخاف غيرهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذها زادا للمعاد او مزرعة للمعاش ولا ياخذ منها ما يضره في عقباه وكل
هذه الانواع يستقيم ان يسميها جهادا في سبيل الله ثم ان هذه الآية ينتظم مسائل ثلاثا احدها ان كيف امر بالايمان
بعد قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا والثاني انه كيف يرجى له النجاة اذا آمن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالكل
والثالث كيف يخاف عليه العذاب اذا آمن بالله ورسوله وجاهد في سبيل الله واتى بالكبيرة مع قوله تنجيكم من عذاب اليم اما
الجواب عن المسئلة الاولى انه يحتمل ان يكون المراد من هذه الآية اهل النفاق فيكون المعنى قوله يا ايها الذين آمنوا في الظاهر هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله اي تصدقون بقلوبكم ويجوز ان يكون في اهل الكتاب ايضا فكانه قال عز وجل
يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الكتاب هذا اذا كان في الكفار فاما اذا كان في المؤمنين
يجوز ان يكون امرا بالايمان من بعد ما امنوا بمعنى الثبات عليه او الزيادة او بمعنى التجدد وان الايمان في حادث الاوقات
له اسماء ثلاثة الزيادة والثبات والتجدد وذلك ان الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ومرة باسم الثبات بقوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا ومرة بالايمان بقوله يا ايها
الذين آمنوا آمنوا بالله فان كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله تعالى وذلك ان الزيادة والثبات هما اسمان يتعلقان
على فعل دائم وفعل الايمان منقضي ولكن يجوز ان يكون الله تعالى بلطفه جعل المنقضي كالدائم فيخرج هذا الفعل مخرج
الزيادة والثبات والله اعلم وان كان على التجدد في الاوقات الحادثة فذلك مستقيم وذلك لان المرء منهي عن الكفر في
كل وقت يأتي عليه فهو اذا اتى بالايمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر فصار لايمانه حكم التجدد والله اعلم ويجوز ان يكون

المراد بقوله يؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله الاعتقاد واذا كان المراد منه ذلك دل على ان امر من الاعتقاد
بهذا الامور ولكنه لم يتبع بالفعل فهو في رجاء من النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم خير لكم يعني ذلك الذي امركم
به من الايمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله خير لكم من ان تتبعوا اهواءكم ان كنتم تعلمون عيانا بعلمهم ان ذلك
خير لكم وقوله تعالى يغفر لكم ذنوبكم يعني يغفر الله لكم بتلك التجارة وقوله عز وجل ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة يحتمل ان يكون رغبهم في هذه الاية بما امرهم بتركها وكذلك انهم امرهم بمفارقة مساكنهم وانفقوا اموالهم
بالجهاد بانفسهم ثم اخبرهم انهم اذا فعلوا ذلك ان لهم مكان كل ما فات منهم خيرا منها مكان ما فارقوا من المساكن
بوّأهم مساكن طيبة ومكان ما انفقوا من اموالهم تؤتيهم النعيم الدائم ومكان ما افنوا من جوارحهم وانفسهم تؤتيهم
جنة دائمة باقية والله اعلم وقوله عز وجل ذلك الفوز العظيم يعني ذلك الثواب الدائم هو الفوز العظيم وقوله عز وجل
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب فكانه يقول يعطيكم الله بتلك التجارة ذلك عليها ما ذكر من الثواب في الاجل و
اخرى في تلك تحبونها نصر من الله تعالى على اعدائكم في الدنيا وفتح البلاد وبشر المؤمنين بهما وقد فعل الله تعالى ذلك بهم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله هذا الكلام يورث شبهة في القلب انه كيف قال كونوا انصار الله والله
تعالى لا يخاف من ينتصر عليه غيره ولكن السبيل في كشف هذه الغمة من القلوب وهو ان المعنى في هذا وفي قوله اقرضوا
الله قرضا حسنا وقد وصفنا في ذلك ان الله تعالى جعل ما يصلون به ارحامهم ويتصدقون على فقرائهم كانهم اقرضوه
لله كرامة وفضلا ولطفا فكذلك يحتمل ان يكون جعل ما ينصرون به دينه او رسوله نصر الله تعالى وكذلك قوله ان
تنصروا الله ينصركم والمعنى في هذا ان ينصروا دين الله ينصركم اذا ان ينصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينصروا
الحق والله اعلم اي ذلك كان ويحتمل ان يكون المراد من ذلك اي اجعلوا ما تنصرون به دينكم لله تعالى والوجه كذلك
قوله واقرضوا الله تعالى اجعلوا ذلك لله والوجه الكريم ولا بد من ان يكون في هذه الاية اضمار او ما في الابتداء او في
الانتهاء حتى يستقيم عليه وقوله عز وجل قال يا عيسى بن مريم للحواريين فكانه يقول قل للذين امنوا كونوا انصار
الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله او يكون معناه اضماره في حق الاجابة اي اجيبوا الله ورسوله
وكونوا انصار الله كما اجاب قوم عيسى بقولهم نحن انصار الله والحواريين المتصوبين المتقون دينهم من الشبهة وهم قوم
كانوا خيرة عيسى عليه السلام وخاصته حيث دعاهم الى دينه فاجابوه وامنوا به وبرأوا دينهم عن كل شبهة وافة وعيب
وقوله عز وجل فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة هذا يحتمل ان يكون في حياة عيسى عليه السلام حين
اتبعه الحواريون ثم دعا بعد ذلك قومه الى دينه فامنت طائفة وكفرت فايدنا الذين امنوا بالبراهين والحجج على
الطائفة الذين كفروا فاصبحوا ظاهرين على اعدائهم بالحجج والبراهين ويجوز ان يكون بعد وفاة عيسى عليه السلام
حين اختلفوا فيه ما ثبته فمنهم من قال هو الله ومنهم من قال هو ابن الله فكفرت بذلك الطائفة اخرى فايدنا الذين امنوا على

عدوهم حين دفع قوم الى الكفر واظهرهم وظفروا بهم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض قال يسبح لله ولم يقل يسبح الله وقد جرت العادة في الناس التسبيح
بالالف كقولهم سبحان الله وسبحان ربي العظيم فكان حق هذا القول على ما جرت به العادة في اللسان ان يقول يسبح الله
ما في السموات وما في الارض ولكن يجوز ان يكون هذا من نوع ما يجري فيه اللفظان جميعا كما يقال شكره وشكر له ونصحه
ونصح له والتسبيح يحتمل اوجها ثلاثة احدها تسبيح الخلقة انا اذا نظرنا الى كل شيء على الاشارة اليه والتعيين
ذلك جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى وعلى تعاليه على الاشياء وبراءته عن جميع العيوب والافات وذلك من
كل شيء تسبيحه والثاني تسبيح المعرفة ووجه ذلك ان يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة المعرفة ليعرف الله تعالى
وينزهه وان كان لا يبلغه عقولنا الا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن عنده
بواسطة احداث نوع جوهر فيه انه المعرفة بدون الجوهر لا يتحقق والوجه الثالث هو ان يكون التسبيح تسبيح ضرورة
وتلقين ووجهه ان الله تعالى يجري التسبيح على ذلك الجوهر من غير ان يكون له حقيقة المعرفة كما اظهر من ابا ثم
واغلامه على عصى موسى وكما اجرى السفينة على وجه الماء وان لم يكن لها حقيقة المعرفة وذلك تسبيح كل شيء والله
اعلم وقوله عز وجل الملك يعني الملك الذي له ملك الملوك او الذي له الملك في الحقيقة وقوله عز وجل القدوس
له تاويلات احدهما الطاهر من كل عيب وافة وحاجة او الطاهر ما يحتمله غيره والثاني المبارك يعني به ينال كل بركة وخير
ويجوز ان يجمع في المبارك معنى التنزيه من العيوب ومعنى البركة لانك اذا وصفته بالبراءة من كل عيب واضفت
اليه كل بركة وخير كما روي في الخبر ان قوله سبحان الله نصف الميزان والحمد يملأ الميزان وكان معناها عندنا ان

بقوله

بقوله سبحان الله يختص بتنزيهه من العيوب والحمد لله يشتمل معنى التنزيه من العيوب ومعنى اضافة النعم كلها
اليه تعالى فكان فيه هذان المعنيان جميعا فجاز ان يملأ به الميزان ولما اختص سبحان الله بتنزيهه من العيوب ولم
يتعد الى غيره احد نصف الميزان والله اعلم وكذلك هذا الاختلاف في تاويل قوله في الارض المقدسة وقوله عز وجل
العزيز الحكيم يعني الغالب القاهر لا يعجزه شيء او يجوز ان يكون العزيز مقابل الذليل والذليل يشتمل كل فقر وحاجة و
ضعف والواجب ان يشتمل العزيز اذا كان ضده ومقابله كل شرف وكرامة وعلاء والله الموفق والحكيم
قالوا هو الذي يضع الاشياء مواضعها فان الله تعالى حكيم حيث وضع الاشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع
لها او الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير وهو المعنى الصحيح ايضا والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم احتج اهل الكتاب علينا ان الله تعالى انما بعث محمدا رسولا الى الاميين خاصة بهذه الاية [illegible]
منها تخصيص الاميين بارسال الرسول اليهم فينبغي ان ينتفي عن غيرهم ولكن نقول لا يجب ان يلزم من الاية نفي ما ذكرتم [illegible]
بل يفهم منها ظاهرها [illegible] النفي والتخصيص بالذكر لا يدل على النفي لان اتخاذ التخصيص بالذكر على نفي [illegible] ادى
الى ما لا يستقيم ولا يحل الا ترى الى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك حيث لم يلزم انه
لم يخط بشماله اذا كان خطه بشماله ولا من قوله وما كنت تتلو ما كان يتلو وكذلك المعنى من ذلك كله والله اعلم
ان الله بعث رسوله اميا في قوم اميين لا يتلون الكتب [illegible] رسالته وحجة لنبوته لانه اذا كان اميا لا
يكتب ولا يقرأ الكتب [illegible] منظوم يوافق كتب اهل الكتاب [illegible] علم ان ذلك بالوحي وانه لم يختلقه من
عند نفسه والله اعلم ثم الدليل على انه رسول اليهم جميعا قوله كافة للناس بشيرا ونذيرا وما روي عنه عليه السلام
انه قال بعثت الى الاحمر والاسود يعني الى الانس والجن [illegible] الى الطاعة [illegible] الى طاعة الله تعالى وعبادته
علم انه رسول الى غيرهم [illegible] الى معرفة الامر والنهي
والى طاعة [illegible] الطائفة التي بعث اليهم [illegible] رسول اليهم جميعا والله اعلم وقوله عز وجل بعث في الاميين رسولا
منهم معناه انه بعث صلى الله عليه وسلم في قوم اميين لا يعرفون عبادة الله ولا يعرفون الكتاب بل كانت عادتهم عبادة
الاصنام [illegible] الاميين [illegible] ولكن هذا فاسد لان الله تعالى سمى نبيه عليه السلام
بقوله النبي الامي الذي يجد [illegible] وقيل سماهم اميين لانهم لا يقرؤون الكتاب
ولا يكتبون [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم اميا لانه كان لا يكتب
ولا يقرأ عن كتاب ولم يعلم ذلك قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وعلى ذلك روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه هكذا واشار باصبعه وقال انا نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب وقال الزجاج الامي هو الذي
لا يحسن القراءة والكتابة ولم يتعلم ويكون على ما سقط من امه فنسب الى حال ولادته التي سقط من امه لان ذلك انما
يكون بالتعليم دون الحال التي يجري عليها المولود ثم وجه الحكمة في جعل النبوة في الامي ان يكون سبب معرفة نبوته
وعلامة رسالته يجب ان يعلم ما اخترع من ذات نفسه اذ لم يعرف الكتابة والقراءة ولا اختلف الى احد ليتعلم منه
ثم اجمع جميع الحكماء الحكمة وجميع اهل الكتاب المعرفة كتابه لحسن نظمه وتاليفه ليعلم انه انما ناله بالوحي في
الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل يتلو عليهم اياته الايات الاعلام فكانه يقول يتلو عليهم في كتابه اعلام اثبات
رسالته ويظهر نبوته او يجوز ان يكون الايات الحلال والحرام وما اشبهه او الايات الحجج التي يستظهر بها الحق
والله اعلم وقوله عز وجل ويعلمهم الكتاب والحكمة اختلفوا فيه قال الحسن هذا كلام مثنى الكتاب والحكمة واحد
وقال ابو بكر الكتاب ما يتلى من الايات والحكمة هي الفرائض وقال بعضهم الحكمة هي السنة لانه كان يتلو عليهم اياته
ويعلمهم سنة انما بلطف من الله تعالى والهامه اياه اذ بالوحي ومنهم من قال الحكمة قول صواب عمل به ومنهم من قال
الكتاب ما يتلى من ايات نصا والحكمة وما اودع فيها من المعاني اي ذلك كان وقوله عز وجل وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين اي انهم كانوا عن الكتاب والحكمة لفي ضلال بين ظاهر لانهم كانوا مشركي عبدة الاصنام وليس عندهم
كتاب ولا يعرفون الحكمة ويحتمل ان يكون معنى وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اي في الشرك وعبادة الاصنام
قبل دعاء الرسول عليه السلام الى توحيده وترك ما هم فيه من عبادة الاصنام قال الفقيه رحمه الله وفي قوله و
يعلمهم الكتاب والحكمة ان الله تعالى اذ جعلهم اتقياء ازكياء علماء بعدما كانوا ابيين جهلاء سفهاء ايه ودلالة
على حقيقة دينه عليه السلام على سائر الاديان حيث لم يكن اهلها كذلك ويكون فيه ترغيبا للاخرين ليصيروا
علماء حكماء وقوله يعلمهم يجوز ان يكون هذا تعليما من الله تعالى انه جعلهم علماء بعدما كانوا جهلاء وحكماء بعد
ما كانوا سفهاء وازكياء بعدما كانوا انجاسا واقذارا عند الاوثان وذلك من لطف الله تعالى ثم الاصل انما اضيف

من هذه الافعال الى الله تعالى فهو على حقيقة الوجود وما اضيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو على الاسباب
وذلك انه لا يجوز ان يعلم الله تعالى احدا فلا يصير عالما لان تعليم خلق العلم فى المحل الذى اراد وما اراد وخلق يكون
لا محالة فاما يجوز ان يعلمه البشر فلا يتعلم لان تعليمه بسبب لانه ليس له قدرة الخلق والايجاد فثبت انه على جهة و
السبب والله الموفق **وقوله** عز وجل واخرين منهم لما يلحقوا بهم فان كان معناه الخفض فهو منسوق على قوله هو الذى
بعث فى الاميين رسولا منهم وفى الاخرين لما يلحقوا بهم فيكون فيه اخبار ان رسالته تبقى الى اخر الدهر وان كان
معناه النصب فهو منسوق على قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فيكون فيه بشارة انه يكون فى الاخرين علما
انقياء حكماء كما كان فى هولاء وقال بعضهم يحتمل ان يكون هذا فى اهل النفاق فيكون معناه فهو الذى بعث فى الاميين
رسولا فيصيرون علماء حكماء مومنين فى الحقيقة فى الظاهر والباطن واخرين من هولاء الاميين فى الظاهر لما يلحقوا
فى الباطن والتاويل الاول اصح واقرب وهو العزيز حيث جعل فى كل احد من البشر اثر الذل بروالفقر اليه **وقوله**
عز وجل الحكيم فى امره حيث امرهم بالحكمة او الحكيم فى تدبيره حيث جعل فى كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته وتدبيره فيه
او هو الحكيم فى تقديره حيث خلق الاشيا المتضادة من نحو النور والظلمة والليل والنهار ولانه وضع كل شى موضعه
لم يخلط ظلمة بنور ولا نورا بظلمة ولا ليلا بنهار ولا نهارا بليل **وقوله** عز وجل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
يعنى ذلك الفضل النبوة والرسالة يوتيه من يشاء يعنى يخلق من البشر من يصلح للنبوة والرسالة اذ ذلك الفضل
من تعليم الكتاب والحكمة فضل الله يوتيه من يشاء وفيه دلالة على كذب قول المعتزلة لان من قولهم ان الله لا يوتى
احدا شيئا بفضله بل حق عليه ان يفعل ذلك فاذا كان هذا على الله فعله كان ذلك حقا يقضيه ومن قضى حقا
فليس يوصف بالفضل ووصف الله تعالى نفسه بالفضل فثبت هذا كذب قولهم والله الموفق **وقوله** عز وجل والله
ذو الفضل العظيم فى الدنيا حيث تفضل عليهم بالكتاب والحكمة بعد ما كانوا جهالا او يجوز ان يكون هذا
فى الاخرة يجزيهم عن اعمالهم الجنة منه عليهم والعظيم هو الدايم الباقى والله اعلم **وقوله** عز وجل مثل الذين حملوا
التورية ثم لم يحملوها له اوجه من التاويل احدها يحتمل ان يكون هذا كناية عن العمل يعنى حملوا العمل بما فى التورية
فلم يعملوا بها والثانى ان يقول لم يحملوها يعنى لم يحملوا الى من امروا بحملها اليهم على ما امروا لانهم حرفوا وبدلوا او
يجوز ان يكون تاويله والله اعلم انهم كذبوا بالتورية وتلقوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها فمثلهم كمثل
الحمار يحمل كتبا لا يعلم قدرها وخطرها كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا لانهم وان عرفوا التورية فحين لم يعظموها
حق تعظيمها وكذبوا بما فيها كانوا كانهم لا يعرفوا قدرها وخطرها فصار مثلهم كمثل الحمار يحمل كتبا لا يعلم ما قدرها
وخطرها وهذا التاويل اقرب لانه قال فى سياق هذه الاية بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله فثبت ان المعنى
من الاول التكذيب والله اعلم قال ثم معلوم ان هذا التكذيب والتحريف انما كان من علمايهم والروسا فاخبر
انهم كذبوا ولم يعرفوا قدرها حين كذبوا لينجو منفعتهم عن اتباعهم ويبين ان روسا هم ليسوا ممن يستحقون
الاتباع وفيه ايضا زجر للمسلمين ان يستخفوا كتاب الله والعمل بما فيه والله اعلم ثم **وقوله** عز وجل بئس مثل القوم
الذين كذبوا بايات يحتمل وجهين احدهما ان يقول بئس النعت والصفة صفة الذين بلغ كذبهم مبلغا كذبوا على
لان الكاذب فى المعتاد موصوف بالشر فاذا بلغ كذبه مبلغا يكذب على الله تعالى علم انه فى النهاية ثم الشر فكانه يقول
صفة الذين كذبوا على الله فى الغاية من الشر والقبح او يقول بئس مثل الذين كفروا بايات الله لان الله تعالى ضرب
امثال المشركين بكل ما يستخبث ويستقبح وضرب امثال المومنين بكل حسن وطيب فقال المثل يعنى السنة الذى
سنة الله تعالى بالمكذبين بايات سنة قبيحة ثم فى هذه الاية دلالة ان الله تعالى يخلق القبيح والحسن والخبيث
والطيب جميعا لان قوله بئس مثل القوم الذين وكذلك المثل الذين شبههم به مما خلقه وقد سماه بئسا فثبت ان
الله تعالى قد خلق الخبيث والطيب والقبيح والحسن وعند المعتزلة لم يخلق الا الحسن فيكون الاية حجة عليهم **وقوله**
عز وجل والله لا يهدى القوم الظالمين له تاويلان احدهما انه لا يهدى القوم الظالمين لوقت اختيارهم الظلم و
الفسق او لا يهديهم بظلمهم الايات ومكابرتهم وعنادهم اياها فهو لا يهدى هولاء واما من ظلم عن جهل او فسق
عن جهل ثم استرشد فانه يهديه ويرشده والله اعلم **وقوله** عز وجل قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء
الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال فى موضع اخر قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين انكان فهذا بيان ان من كان من اوليائه فله الدار
الاخرة عند الله خالصة ومن كانت له الدار الاخرة فهو من اوليائه ويجوز ان يكون بالامرين جميعا والله اعلم ثم
المباهلة فى التعارف انما هى الحاجة فى بلوغ العناد والتمرد غايته فكانه لما قرت عندهم جميع الحجج فلم يقبلوها

امره

امره بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى لانه يجوز ان قد كان فى كتابهم ان المباهلة من غاية الحاجة وان من باهله
نزل عليه العذاب واللعنة ان لم يكن محقا فلذلك امتنعوا من المباهلة واما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به
حكم المباهلة فباهلوا وذلك انه روى ان ابا جهل كان يقول اللهم انصر احبنا اليك والضعيف واوصلنا الرحم فنصر الله
تعالى نبيه عليه السلام فابو جهل باهله لانه لم يكن له كتاب ولم يباهله اليهود والنصارى لما كانت لهم كتب عرفوا فيها حكم
المباهلة والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم هذه الاية تدل على رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم
لانه لو كان يقوله من نفسه لكان يناف دون فيتمنون الموت للحال ليظهر كذبه فيه فلما اخبر انه لا يتمنونه ابدا فلم يتمنوا انه كان
من الوحى وانهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمنى خوفا الهلاك على انفسهم لعلمهم انهم لو تمنوا لماتوا والله اعلم **وقوله** عز وجل
بما قدمت ايديهم اى من تحريف التورية والانجيل لان قول النصارى نحن ابناء الله واحباؤه لم يكن فى الانجيل وقول اليهود
لن يدخل الجنة الا من كان هودا لم يكن فى التورية لكنهم غيروا وبدلوا فلا يتمنون الموت بما قدمت ايديهم من تحريف هذه
الايات وتبديلها وتغيير نعت محمد عليه السلام **وقوله** عز وجل والله عليم بالظالمين يعنى بظلمهم الايات وعنادهم لها
ومكابرتهم اياها **وقوله** عز وجل قل ان الموت الذى تفرون منه اى الموت الذى تفرون منه بما قدمت ايديكم من تحريف التورية
والانجيل ملاقيكم لا محالة وان فررتم منه فيكون فيه تذكير لهم ان ارجعوا عما يهربون منه يعنى الموت **وقوله** عز وجل ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة يعنى الى عالم ما اشهدتم الخلق من التورية والانجيل ما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وغير ذلك والى عالم ما غيبتم فى انفسكم واسررتم من تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اشهدتم عليه ضعفتكم وابنائكم
من نهيكم اياهم عن اتباعه **وقوله** عز وجل فينبئكم بما كنتم تعملون اما عيانا تقرونه فى كتابكم يوم القيمة او ينبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر والله المستعان **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله هو السعى يحتمل وجهين احدهما ان اقبلوا على العمل الذى امرتم به وامضوا فيه والثانى واسعوا فى المشى وانهضوا
لان السعى فى المشى هو السرعة فيه والسعى فى الاعمال هو الاقبال عليها والمبادرة اليها فان كان المراد من هذا السعى فى المشى
فخروج الاية مخرج الترغيب والتضييق الا ترى الى قوله وذروا البيع كيف امرك بترك البيع وعند تمكن البيع فى حال المشى والى قوله
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض كيف امر بالانتشار فى الارض بعد الفراغ من الفريضة دون ان يذكر هنالك شيئا فى
ادائها ولو كان المراد منه الترغيب لكان يامر بالعدو اليها فدل هذه المعانى ان مخرج الاية على الترهيب والتضييق وان كان السعى
فى ساير الصلوة المفروضة غير مندوب اليه على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتيتم الصلوة فاتوها وانتم تمشون
ولا تاتوها وانتم تسعون عليكم بالسكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا فاختص الجمعة بما ذكرنا من التضييق
ههنا والتوسيع فى ساير الصلوة ولكن الاشبه ان المراد من السعى هو الاقبال على ادائها والتاهب والمبادرة اليها والسعى يستعمل
فى هذا قال الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
وانما اراد والعمل وكذلك روى عن عمر وابن مسعود وابى وابن الزبير رضى الله عنهم قرؤا فامضوا الى ذكر الله حتى قال ابن مسعود
لو كانت القراءة فاسعوا السعيت والوسعت دون الحلم النعت اليه خوفا من تضييع حقها فذلك يدل على ان تاويل الاول
عندهم على الاقبال والمبادرة لا على المبادرة بالسرعة والمشى ولان هذا موافق لساير الصلوة فان العدو غير مستحب والحديث الوارد
فى السكينة والوقار مطلقا ليس فيه فصل بين الجمعة وغيرها وعليه اجماع الفقهاء انه يمشى الى الجمعة على هيبة والله اعلم **وقوله**
عز وجل وذروا البيع قال بعض الناس بانه اذا باع فى وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الاية وعندنا ان البيع جائز لكنه مكروه ثم
والذى يدل على جوازه ان النهى عن البيع فى هذه الاية ليس لمكان البيع ولكن لمكان الجمعة فالفساد اذا ورد فانما يرد فى الجمعة
لا فى البيع لانه اذا باع فى الصلوة فالبيع يفسد الصلوة لانه فى الصلوة بنفس البيع ولانه الاصل عندنا ان كل عقد نهى لاجل غيره ثم
فالنقصان اذا ورد من النهى فانما يرد فى ذلك الغير لا فى العقد وعلى هذا ما روى عليه السلام انه قال المحرم لا ينكح ولا ينكح
ان النهى عن النكاح انما هو لمكان الاحرام ليس لمكان النكاح ولذلك يقول بجواز نكاح المحرم وبفساد الحج انا اجامع بذلك
النكاح لان النهى اذا لم يكن لنفس العقد لم يستقم افساد العقد والنهى ليس من اجله والله اعلم ثم لما قال فاسعوا الى ذكر الله ولم يقل
الى الجمعة ولا الصلوة دل انه قبل الجمعة ذكر يجب الاستماع اليه والسعى اليه فدل هذا على فرضية الخطبة ولا ثبات ان المعنى من قوله الى
ذكر الله ان المراد الذكر الخطبة ثم امر بترك البيع عند السعى الى هذا الذكر الاستماع له ثبت ان الكلام فى وقت خطبته مكروه وفى وقت
خطبته مكروه وفى وقت خروج الامام للخطبة ايضا لان البيع فى ذلك الوقت مكروه والبيع كلام فيدل على كراهة كل كلام
فيدل على صحة مذهب ابى حنيفة رحمه الله فى ان يلزم السكوت اذا خرج الامام حتى يفرغ من الصلوة وعلى ذلك دفع الحديث عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اتى الجمعة ثم صلى ما شاء ان يصلى ثم اخرج سكت الى ان يصلوا كان ذلك كفارة له من الجمعة الى
الجمعة وزيادة ثلاثة ايام بغيره فلما الزمه السكوت من حين يخرج الامام الى ان يفرغ من الصلوة ثبت ان الكلام فى ذلك الوقت

يكره والله اعلم قال وفي هذه الاية دلالة على كذب من قال ان الصلوة في اخر الوقت وان من ادى فرضا في اول الوقت فانما يؤديه تطوعا لانه امر بالسعي وفرض عليه اذا نودي ومعلوم ان النداء يكون للامام وتاخير الصلوة في ذلك الوقت وقد فرض عليه السعي اليه فدل هذا على كذب مقالتهم والله اعلم وافحش من هذه الصفة فان اول الصلوة مفروضا على الكثرة في حال كثرتهم وعلى المسلمين تطوع مع انه يحتمل على قولهم انه ليس احد من الامة ادى فرضا الامة لم يذكر عن احد منهم انه فرضها فاذا الصلوة حتى خروج وقتها فهذا قول قبيح يجب ان يستتاب منه صاحبه وعن استاذه والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على ان الجمعة لا تجب على من بعد من الامصار بغير سعيين لانه امر بالسعي يعني النداء فرسخين وقد يخرج وقت الجمعة ولا بد له على ما ذكرنا من ان يكون في حد الامصار والله اعلم بذلك الوقت الذي نهي عن البيع فيه يوم الجمعة عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال الى ان يخرج الامام عن الجمعة وعن مجاهد والزهري انه نهي عن البيع بعد النداء علة بظاهر الامام لان النداء هو الذي للصلوة من يوم الجمعة والاولى لانه انما يجب الحضور الى يوم الجمعة عند دخول الوقت وهو زوال الشمس وان تاخر النداء وكان النداء قبل الزوال غير معتد به فكان وجوده وعدمه سواء وقوله عز وجل فاذا قضيت الصلوة فانتشروا وابتغوا من فضل الله قال وجه هذا في الظاهر يخرج الامر ولكنه في حكم الاباحة عندنا لان هذا الامر يخرج على اثر الحظر والاصل المجمع عليه عندنا ان كل امر يخرج على اثر الحظر فهو في حكم الاباحة وما يخرج مخرج الاباحة فالحكم فيه يتخير في الاحوال فان كانت الحالة التي يجب فيها كان فرضا وان كانت ... وقوله عز وجل وابتغوا من فضل الله ... والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ... وقوله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ... والله اعلم وقوله عز وجل ... انفضوا اليها ... والله اعلم

انتهوا الخروج فلم يثلبهم لفضيلة احلام نبيهم لما علم انهم لم يشتهوا والله اعلم وفي الخبر انه وصل الذين ثبتوا معه بعد ما رجع من الصلوة فوجدهم اثنا عشر رجلا فقال لو لحق آخركم باولكم لاستطلع الوادي نارا الى المدينة فهو منزلة دلالة على ان الجمعة تقام بدون الاربعين لانه عليه الصلوة والسلام جمع باثني عشر رجلا والله اعلم وقوله عز وجل وتركوك قائما دليل ان الخطبة انما يكون قائما وقوله عز وجل قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولكن المعنى بين ذلك والله اعلم ان الدنيا كلها متجر واهلها فيها تجار اما بتجارة الدنيا او بتجارة الاخرة لان الطاعة والعبادة في الاعتبار كلها تجارة لانه يكتسب بها منافع الاخرة وتجارة الدنيا يكتسب بها منافع الدنيا فقال التجارة التي عند الله في طاعته واكتساب منافع الاخرة خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع الدنيا والله اعلم ويجوز ان يكون معناه كانه قال اتقوا الله اذا ابتغيتم واكتسبتم بها المنافع في الوراق وغيرها والتجارة الدنيوية لا يكتسب بها الا منافع الدنيا الا ترى الى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ويكفر عنه سيئاته فاذا كان التقوى يستفاد به الرزق والبشر في الامور وكفارة الذنوب والتجارة لا يكتسب بها الا منافع الدنيا فزعمهم فيما فيه جملة المنافع وهو التقوى بمكسوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فيقول رغبتكم فيما يكتسبكم جملة المنافع وابتغيتم ومكثتم عند النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسبكم منفعة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل والله خير الرازقين ليس يقتضي ذكر ان هنالك رازقا الا انه يكون هو خيرهم ولكن المعنى من هذا نحو قوله واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لو كان هو خير الرازقين و احسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لا يحكم الا ما فيه حكمة فكذلك قوله والله خير الرازقين وجاز ان يضاف الرزق والخلق والحكم الى العبيد مجازا فقال تعالى والله خير الرازقين ممن يرزقكم لان غيره من الخلق انما يرزق غيره من رزقه ويبدل بحكمه ويفعل بتوفيقه وتسديده تعالى والله خير الرازقين الذين يرزقون من رزقه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله اختلفوا في ما قبل قوله تعالى نشهد قال بعضهم نشهد يعني نقسم ونحلف وقال بعضهم نشهد على ابتداء الشهادة في حاله على القسم فروا اتخذوا ايمانهم جنة يعني حلفهم ومن حمله على الشهادة ابتداء قال اتخذوا ايمانهم يعني تصديقهم بعضهم ليس لها فائدة واحدة فغرت بلفظين ولكنهما لما كانا جميعا فغرت بالمعنيين جميعا والله اعلم وقوله عز وجل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والاشكال انه كيف قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم انما قالوا نشهد انك لرسول الله ومعلوم ان هذا القول منهم صدق ولكن المعنى من هذا والله اعلم انهم طعنوا فيما اظهروا من الحلف والكذب عند غيبة رسول الله فخشوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون نشهد انك لرسول الله وان ما بلغك منا من القول لكذب وما قلناه فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا انهم ما قالوه الا ترى الى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ويحتمل ان يكون معناه انا نشهد ان في انك لرسول الله كما نظهره بالسنتنا فاخبر تعالى ان المنافقين لكاذبون فيما يشهدون به بالايمان في قلوبهم ويحتمل ان يكون المعنى من قوله نشهد اي نعلم برسالتك في قلوبنا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما اخبروا انهم يعلمون رسالته في قلوبهم وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الايات والحجج ولكن تعاموا عن ذلك العلم استخفافا عنهم وتعنتا وصار ذلك العلم كالجهل الحقيقي ثم اخبر عن انفسهم وضمايرهم انهم يعلمون واخبر الله تعالى انهم كاذبون انهم يعلمون برسالته والله اعلم ثم الواجب ان يعلم ما الذي اخرجهم الى ان قالوا نشهد انك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك فمعناه عندنا والله اعلم انهم خشوا خداعا ومخادعة الله ورسوله امتحنهم الله تعالى بهذه المقالة ويحتمل ان يكونوا اجروا على عادتهم وكان من عادتهم انهم اذا لقوا المسلمين قالوا امنا بمثل ما امنتم واذا لقوا المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فاذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا نشهد انك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه والله اعلم ويجوز ان يكون انه قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم ونكثهم فحلفوا قالوا نشهد انك لرسوله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه الا ترى الى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمرون في قلوبهم من النفاق ان كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما يكلمه بسببهم فلذلك الاول والله اعلم ثم قال ههنا نشهد ولم يقل نشهد بالله لان المعنى من هذا الحلف والحلف من المؤمن في المعتاد فانما يكون بالله تعالى فلذلك اجتزى بقوله نشهد عن قوله بالله فيكون هذا دليلا لقوله اصحابنا ان قوله نشهد يكون يمينا حيث ذكر ههنا بطريق القسم والمعنى ما اشرنا اليه والله اعلم وقوله عز وجل فصدوا عن سبيل الله له تاويلان احدهما اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله والايمان برسوله والثاني انهم صدوا الضعفة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وقوله عز وجل انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا من الاعراض عن الايات والحجج وجحدوا والكفر عن الايمان ويحتمل بئس ما كانوا يصنعون من صد الضعفة والاتباع عن

من الايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** عز وجل ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا الآية ما ودون احد مما ذلك بانهم آمنوا
بلسانهم ثم كفروا بقلوبهم والثاني على حقيقة الايمان والكفر وذلك انهم لما راوا قلة المسلمين وضعفهم في انفسهم
وفقر يدهم وهم مع ذلك في القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراوا انهم لا يغلبون
ابدا ثم ان المسلمين لما غلبوا يوم احد واصابهم ما اصابهم اضطربوا في ايمانهم وشكوا وكفروا وذلك بمعنى قوله ومن الناس من
يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه فذلك تاويل قوله ذلك بانهم آمنوا ثم
كفروا وقوله ذلك اشارة الى الحال السبب الذي تولد منه نفاقهم وخلقهم نشهد انك لرسول الله بانهم ثم آمنوا ثم
كفروا وجائز انه لم يكن منهم حقيقة ايمان ولا كفر ولكنهم كانوا قوما همتهم الدنيا وسعتها وكانوا يكونون مع
من يكون معه الدنيا الا ترى انهم مع المؤمنين اظهروا من انفسهم انهم مؤمنون وان داروا مع الكفار اظهروا انهم لان يكون
منهم حقيقة ايمان او كفر والله المستعان **وقوله** عز وجل وطبع على قلوبهم الطبع يجوز ان يكون كناية عن ستر و
ظلمة على قلوبهم فلا يرون به الحق ووجهه فلا يجوز ان يجعل الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج و
الآيات اذ يجوز ان يجعل الكفر كانه في قلبه يضيق فلا يرى من يجد ذلك منافعه ومعناه الا من ذلك الوجه فيكفروا
انما كان فذلك معنى الطبع معناه استغلالهم بالكفر وكسبهم اياه على قلوبهم وسترها عن ان يبصروا الحق ووجهه والله
اعلم قال الفقيه رضي الله عنه في قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ان المنافقين لم يحيلوا
باجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جاءه بعضهم وكذلك في قوله نشهد ان المعنى من قوله نشهد في بعض الناس
بعضهم والقسم ليس من فعل الاتباع والسفلة وانما ذلك من فعل الاجلة والرؤساء فدل انه تعالى عن الفعل بعض المنافقين
ثم ذكر الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل فعلم انه ليس كل ما خرج في الظاهر مخرج العموم يتناول كل من دخل تحت ذلك الاسم
ولكنه ينظر في معنى اللفظ وحقيقته فان كان الدليل يوجب تعميمه اجري على عمومه وان كان يوجب تخصيصه اجري على
خصوصه والله اعلم **وقوله** عز وجل فهم لا يفقهون يحتمل ان يكون المعنى اي لا يفقهون لانه طبع على قلوبهم والا لم
يعرضوا عن الحق والآيات وذلك انهم كانوا يظنون انهم على الحق فاخبر انهم لا يفقهون انه طبع على قلوبهم حتى ظنوا
انهم على الحق وجعلوا جميع همتهم في المنافع والمضار الدنيوية ولا لو تفقهوا ان الله تعالى دار اخرى يجازون فيها
باعمالهم لعلموا انه لا بد من دين يدينون به ولم ينظروا الى منافعهم ومضارهم والله المستعان ويحتمل لا يفقهون عن
الله تعالى وانه تعبدهم وامرهم بطاعة رسوله واتباعه ويحتمل اي لا يفقهون انهم يتعبدون وان الله دار اخرى يسالهم
عما فعلوا ويجازيهم عن جميع ذلك ثم قال هاهنا لا يفقهون ولم يقل لا يعلمون لان الفقه انما هو الذي يعرف به الشيء فاخبر
انهم لا يعرفون الآخرة بالدنيا فقال ابن شريح الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وعندنا ان الفقه هو معرفة الشيء
بمعناه الدال على غيره كان ذلك نظيرا له او لم يكن لان من عرف الخلق بمعناه دله ذلك على معرفة الصانع ومن عرف الدنيا دله
ذلك على معرفة الآخرة وليسا بنظيرين ثم بين الفقه والعلم فضل من وجه وان كان جميعا في الحقيقة يرجعان الى معنى واحد
لان العلم انما الجلي الشيء له وظهوره بنفسه والفقه يعرف بغيره واستدلاله ولذلك جاز ان يقال الله تعالى عالم بجلي
الاشياء له ولم يجز ان يقال ان الله فقيه لانه لا يعرف الاشياء بالاستدلال والله الموفق والحكمة وضع الاشياء مواضعها
والايقان انما هو يتولد عن ظهور الاسباب وانه جاز ان يقال ان الله تعالى حكيم ولم يجز ان يقال انه موقن والله المستعان
وقوله عز وجل واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم فهذا بيان ان الله تعالى قد كان آتاهم حسن
الصورة وحسن البيان وانه قد آتاهم العلم لان حسن البيان لا يكون الا عن علم فكان الله تعالى ذكر نعمه التي
اياهم فانهم لم يشكروا نعمه واساؤا صحبتها فكانه يقول كيف يرجوا منهم حسن الصحبة لك وانهم لم يحسنوا صحبة نعم
رب العالمين فيكون بعض التسلي لما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء صنيعهم به واعراضهم عن اتباعه وطاعته
وقوله عز وجل وان يقولوا تسمع لقولهم يحتمل وان يقولوا لك حب قولهم حقا تسمع قولهم لتقبله ويحتمل وتسمع
لقولهم لما يعجبك قولهم او تسمع لقولهم على ما كانت عادته عليه السلام في كل من كلمه انه لا يعرض عليه ولا يقطع عليه كلامه
حتى يفرغ منه ثم قبله ان كان مما يجب قبوله وغير ما صاحبه ورده ان كان مستحقا التغيير عليه والله اعلم **وقوله**
عز وجل كانهم خشب مسندة يقول انهم فيما يكون من جانبهم ومناجيهم من حسن الصورة والبيان بحيث تعجبك ولا
يلقي اليهم من الحق والدين والحكمة كانهم خشب مسندة لا يجمع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة ويحتمل تشبيههم
بالخشب من حيث ان الخشب المسندة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا اجواف لها فيوضع فيها شيء فكذلك المنافقون
كانهم لا اجواف لها موضع فيهم الحكمة الدينية والحق والله اعلم **وقوله** عز وجل وجائز ان يكون معناه كانهم خشب
مسندة من حيث ان الخشب المسندة ليس لها اسماع ولا ابصار ولا قلوب فكذلك المنافقون كانهم صم بكم عمي في حاجة

الحق وقبوله والله المستعان **وقوله** عز وجل يحسبون كل صيحة عليهم يحتمل وجهين احدهما يحسبون صيحة سمعوها كلمة تهتك عليهم سترهم وتفضحهم الا ترى الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
فاخبر انهم كانوا يحسبون فضيحتهم وهتك استارهم والاطلاع على ما في قلوبهم فكذلك يحسبون ان من كلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانما تكلم بما يهتك عليهم استارهم ويفضحهم والله المستعان والثاني يحتمل ان يكون ذلك في الحرب انهم
كلما سمعوا صيحة في الحرب خافوا ان يكون فيه هلاكهم وذلك انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حدة واذا لقوا
هذا الفريق صاروا واحدا بالفريق الآخر واذا لقوا الآخر صاروا واحدا بالاولى فاخبر الله تعالى انهم يحسبون من كل صيحة سمعوها
ان يكون ذلك سببا لهلاكهم ويحتمل ان يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدائم لئلا يصل اليهم الامن وجه لم يؤذنوا به وذلك
لما وصفنا انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق رجاء امنهم وكان جميع مقاصدهم في ذلك تحصيل منافع الدنيا دون الذي
من الاديان وذلك غير فيه نظائر وذلك واختاروه من غير ان يؤذن لهم عاقبهم بالخوف الدائم اما عن الافتضاح والاطلاع
على ما في قلوبهم او عن الهلاك والله اعلم **وقوله** عز وجل هم العدو فاحذرهم له اوجه من التاويل احدها ان يقول لهم العدو
يعني انهم اذ في عدوكم فاحذروهم في جميع احوالهم في المطعم والمشرب وغير لان الحذر عن قرب من الاعداء ودنا ان يجب ممن
بعد وناى واحذرهم ان تطلعهم على سر فيما تريد وتضمره من الجهاد والحرب فيحتالون به على هلاكك او يطلعون الكفرة على
سرك واحذرهم ان يقبل منهم قولا يقولون عن اصحابك لانهم يريدون ان يحملك عليهم فاحذرهم ان تقبل قولهم على اصحابك
وقوله عز وجل قاتلهم الله يعني لعنهم **وقوله** عز وجل انى يؤفكون له تاويلان احدهما ان يقول اي سبب يمنعهم عن الايمان
احدهما ان يقول اي سبب يمنعهم عن الايمان بك وطاعتك واتباعك وقد اتيتهم بالآيات والحجج في ابطال ما عندهم
وذلك لا يكون الا عن الوحي او يقول انى يؤفكون يعني ان يكذبون تقليدا اباء ولئك الكفرة من غير ان اظهر لهم في ذلك برهان وحجة
ولا تقلدون البرهان والحجة فيتبعونك والله اعلم **وقوله** عز وجل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم
ظاهر هذه الآية ان هذا القول منه انما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل وروي في الخبر ان
هذه الآية نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله
بن سلول في ناحية المسجد وقال هذا رسول الله توقروه وعظموه حتى نزلت هذه السورة فقال بمثل مقالته فقال له عمر رضي
الله عنه اجلس يا كافر فان الله تعالى قد فضحك قال فخرج من المسجد قبل ان يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسالوه عن
خروجه من المسجد قبل اداء الجمعة فاخبرهم عن القصة فقالوا ارجع الى رسول الله وسله ان يستغفر لك فلوى راسه وقال
ما لي الى استغفاره حاجة وروي انه لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اراد دخول المدينة فقال له ولده
لا تدخلها ما لم تقر انك الاذل وان رسول الله هو الاعز فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يخلي عن ابيه ثم قال له
انك ولي ان يسمى عبد الله بن ابيك فسمي من بعد ذلك عبد الله وكان يسمى حبابا فهذان الخبران يدلان على ان هذه الآية انما
نزلت في واحد منهم وظاهرها يدل على ذلك كان في جملة المنافقين ولكن الوجه في ذلك عندنا والله اعلم انه يجوز ان يكون
اعتقاد جملتهم على ذلك فذكر الله تعالى اعتقادهم عليه وذلك انهم كانوا قوما لا يؤمنون بالآخرة واستغنوا انهما هو طلب
العزة وذلك انما يتحقق في الآخرة فاذا كان على هذا اصل اعتقادهم جملة ذكرهم الله تعالى على ذلك وكذلك قوله ليخرجن الاعز
منها الاذل كان عندهم ان الله تعالى انما آتاهم العز والغنى والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا ينكرون عليه
من ذلك الوجه ثم ان الله تعالى بما ذكر في هذه الآية انه قد كان آتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بحقوق
هذه النعم وتعظيمها وشكرها وانهم بلغوا في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفر في سوء الصحبة بالنعم وذلك انه لما قال واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم دل انه كان آتاهم حسن الصورة وحسن البيان ولما قال هم الذين يقولون لا
تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا دل انه قد كان آتاهم الغنى ولما قال ليخرجن الاعز منها الاذل دل انه قد كان آتاهم
العز والشرف ومعلوم ان هذه الاسباب التي وصفنا هي اسباب العز والشرف في الظاهر ثم اخبر انهم تركوا شكر ما انعم عليهم في تعظيم
الحق وانا شكره وانهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء الصنيع لانه دل بقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على
غاية البخل حيث امتنع عن الانفاق بنفسه وامر غيره ان لا ينفق ايضا وذلك في غاية البخل ولما قال كانهم خشب مسندة دل
انهم كانوا في الغفلة عن ذكر الله وقبول الموعظة غايته ولما قال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم دل انهم
كانوا في الاستخفاف به حيث تركوا الانصاف واخذوا سبيل الاعتساف والاستكبار عليه غايته ولما قال يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم دل انهم كانوا في سوء السريرة غايته فاذا جوزاه بجمع كل ذلك منهم لو تحمل احدهما انهم
راوا ذلك حقا لهم على الله تعالى آتاهم او راوا ان الله تعالى آتاهم ذلك لفضلهم على غيرهم فكانوا ينكرون ويستعظمون على غيرهم وعلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي ولم يتاملوا ولم يتفكروا ويتبينوا لهم ان الله تعالى آتاهم جميع ذلك النعم محنة عليهم يتعبدهم

بادا شكرها وتسليم حقها وذلك معنى لا يفقهون اى لا يتاملون النظر فى هذه النعم وذلك انه لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يلومهم ان يتاملوا فيها او يتوا من النعم وينظروا فاذا تفكروا فى ذلك ولم يجدوا عند الله صنعا استوجبوا به عنده مكانا
لذلك ولا لهم فضل يفضلهم الله بها على غيرهم فكان يتبين لهم ان الله تعالى انما اعطاهم هذه النعم محنة ليتعبدهم باداء الشكر ولذلك وقع
الفصل فيما بين العلم والفقه ان ما كان حقه التامل والنظر خص اللفظ فيه ان يقال يفقهون ولا يفقهون وما كان حق العلم به السماع
والخبر اطلق فيه لفظ العلم ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر لا يعلمون لانهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة لو لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل ورايتهم يصدون وهم مستكبرون له وجهان احدهما رايتهم يصدون عن طاعتك
واتباعك والثانى يصدون من منفعتهم عن اتباعك وقوله عز وجل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لانهم لم يعدوا ذلك
ذنبا لانه لو كان عندهم انهم على الحق والثانى ما قلنا انهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة والمغفرة انما يطلب من الله ويتحقق ذلك
فى الاخرة وقوله عز وجل لن يغفر الله لهم على ذلك ايضا انه لا يغفر استغفرت او لم تستغفر قال رحمه الله ورسول الله عليه السلام كان
لا يستغفر للمنافقين بعد ما ظهر عنده نفاقهم ولكنه يجوز ان يكون هذا قبل ظهور نفاقهم له والله اعلم ثم قوله تعالى لن يغفر الله
لهم يحتمل وجهين احدهما يقول لن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق ولم يتوبوا عنه والثانى ان يقول لن يغفر لهم فى قوم علم الله منهم
انهم لا يؤمنون ابدا فقال ذلك او كتب لن يغفر الله لهم وكذلك هذا فى قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله
عز وجل ان الله لا يهدى القوم الفاسقين فيه ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية بيان لان من يملك شيئا لم يستقم ان يوصف بالفعل
انه لا يفعل لانه يفعل اذا لم يعتد ومن يملك لا يفعل وانما يوصف بهذا من يملك ذلك ولكن لا يفعل فلو لم يملك ولم يقدر خلق فعل الاهتداء
فيه اولم يوصف بانه لا يهدى الفاسقين فدل انه يملك هداية وراء هداية البيان وهو خلق الاهتداء فيمن علم منه ذلك والله الموفق
وقال ابو بكر فى قوله والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم لفسقهم وقالت المعتزلة اى لا يسميهم مهتدين اذا فسقوا وظلموا
وايهما كان فهو محال لان من هدى ضالا لضلالته فهو سفيه فكانه يقول لا يسفه ومن سمى الضال مهتديا فهو كاذب فكانه قال
لا يكذب وهما جميعا غير مستقيم لانا نعلم انه لا يسفه ولا يكذب شيئا ان فى ملكه هداية يهدى من يشاء من عباده سوى هداية
البيان واذا ثبت ما وصفنا ان فى ملكه هداية البيان ثبت انه فيها مشيئة لان من ملك شيئا لم يجز ان يقطع عنه مشيئته فلذلك
قلنا ان الله تعالى يضل من يشاء من عباده لمن علم انه يوثر الكفر ويختاره على الهدى ويهدى من يشاء لمن علم انه يوثر الهدى على الضلال
فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده والله المستعان وقوله عز وجل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
قد وصفنا ان هذا من عادة بخلهم وقوله عز وجل حتى ينفضوا دلالة انهم ارادوا اطفاء هذا النور واخفاءه فابى الله تعالى الا اظهاره
وقوله عز وجل ولله خزائن السموات والارض يبسطها على المنافقين ليمتحنهم بالانفاق على المؤمنين او لله خزائن السموات والارض
يضيقها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر فى حال الضيق او يجوز ان يكون هذا بشارة للمؤمنين بان الله تعالى يوسع عليهم الدنيا بعدما
ضاقت وقد جعل حيث فتح لهم الفتوح واتاهم النصر والغلبة على اعدائهم والله اعلم وقوله عز وجل يقولون لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل الاعز قد يحتمل معانى احدها الاغلب والاقهر على مثال قوله وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى الخصومة والثانى
الاقوى والاشد على مثال قوله عز وجل اعزة على الكافرين يعنى اقوياء واشداء والثالث الاعلى والاجل وكذلك قوله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين فان كان على الاعلى والاجل فذلك ان المؤمنين اعلى واجل لانهم اتبعوا الحكمة بالحجج والكفار اتبعوا اهواءهم وان كان على الاقهر
والاغلب فذلك للمؤمنين بالغلبة والنصر على اعدائهم وان كان على القوة والشدة فقد كان للمؤمنين لانه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين
لم يكن اهل النفاق يظهرون الوفاق للمؤمنين ولكنهم لما راوا القوة والشدة للمؤمنين رهبوا وتكفوا واخفوا ما اضمروا من الموافقة للمؤمنين
جميعا ولذلك قال ذلك المنافق ليخرجن الاعز منها الاذل لانه لما راى على العزة والشدة للكافرين يوم احد توهم انهم يغلبونهم فاظهر
النفاق وقال عند ذلك ليخرجن الاعز منها الاذل والله اعلم وقوله عز وجل الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
اختلف فيه فمنهم من قال هذه الاية فى المنافقين ومنهم من قال فى المؤمنين فان كانت فى المنافقين فكانه يقول يا ايها الذين
امنوا ثم نسوا لكم الايمان لا تلهكم اموالكم عن ذكر الله وان كان فى المؤمنين فكانه قال يا ايها الذين حققوا الايمان لا تلهكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ثم اختلفوا فى معنى الذكر فمنهم من قال معناه القران على مثال قوله انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعنى قرانا ورسولا ومنهم
من قال معنى الذكر التوحيد فان كان تاويله القران فهو يتوجه الى المنافقين والمؤمنين جميعا فان كان فى المنافقين فكانه قال
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر والتامل فى القران لان الله تعالى يبين ما يبطنون من سرائرهم وما يظهرون عندهم ان الرسول لا يختلقه
من تلقاء نفسه وانما ينزله بالوحى فكانه يقول اذا تاملتم النظر فى القران حملكم ذلك على التحقيق فى الايمان فلا يحملكم حب المال
والولد على ترك التامل فى القران لانكم اذا نظرتم فيه وتاملتم حصلتم منه على تحقيق الايمان والله اعلم وان كان فى المؤمنين فمعناه
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر فى القران فانكم اذا نظرتم فيه صرفتم من اجله رجيل نددكم وان كان المراد من الذكر التوحيد
فهو راجع الى الناس كافة فاما المؤمنون فكانه حذرهم عن حب المال والولدان يحملهم غاية حبهما على ان ينسوا وحدانية الله

والايمان

والايمان بالرسل والبعث فكانه يقول لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم كما الهى الكفرة فيحذرهم عن ان يقعوا فى الهلاك من جهته
كما قال اتقوا النار التى اعدت للكافرين يعنى اتقوا الذى يفضى بكم الى النار التى للكافرين يعنى اتقوا الذى يفضى بكم الى النار المعدة
للكافرين فكذلك الاول وان كان فى المنافقين فكانه قال لا يحملكم حب المال والولدان يتركوا حقيقة الايمان والتوحيد له و
والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون فعلى ما ذكر من التاويلين فى تكذيب
البعث والتوحيد ظاهر وان كان فى المؤمنين فمعنى الخسار الخوف من ان يقع به الوعيد وقوله عز وجل وانفقوا مما
رزقناكم يجوز ان يكون صلة قوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله فيمنعكم ذلك عن الانفاق فانكم اذا امتنعتم
عن الانفاق اورثكم فيبثون وحدانية الله تعالى وطاعته رسوله عليه السلام وقوله عز وجل لولا اخرتنى الى اجل قريب
قال بعضهم تمنى الرجعة لما دنى من الهلاك والعذاب بحيث ذكر الحقوق وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال
لو كان ثمة خير لم يتمن الكفرة ويكون المعنى فى ذلك عندنا والله اعلم انه يتمنى الرجوع ليتصدق ليبتلى الانفاق خاصة ويكون
ليتصدق ويكون من الصالحين اى الموحدين وذلك مستقيم ان يقال انا ترك التوحيد فى قرب الموت انه يتمنى الرجوع لما
يرى من الهلاك والعقوبة ويجوز ان يكون المعنى فى حق ان كانت الاية فى المؤمنين الموحدين انهم يتمنون الرجوع حالا ويهم
لما ارتكبوا من الزلات وتركوا لما يستوجب به الحسنات وقصروا فيما افترض الله تعالى عليهم من العبادات وحق على كل مؤمن ان
يتحقق من ربه اذا لقيه بما ترك من حقوق التى الزمها عليه والاسباب الواجبة وقوله عز وجل ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء
اجلها الاية ليس يحتمل تاخير الله تعالى اجله اذا جاء لانه لو لم يكن دل انه بدا له فى اجله ومن بدا له فامر فذلك دليل الجهل بالعواقب
والموصوف بها العالمين بذلك والله خبير بما تعملون اى لا يخفى عليه شىء من اعمالكم شركم وعلانيتكم والله اعلم بحقيقة ما اراد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الاية والتسبيح يحتمل وجهين احدهما التنزيه وتقديس ذكره وقوله عز وجل
له الملك وله الحمد يحتمل وجهين الملك الولاية والسلطان والثانى يقول له الملك يعنى ملك كل الملوك كما قال فى اية اخرى قل اللهم
مالك الملك الاية فاخبر ان الملك الملوك كلها له وان من استفاد الملك انما يستفيد بالله تعالى وباستنانه عليه والله اعلم وقوله
عز وجل وله الحمد يحتمل وجهين ايضا نعت من الثناء ويحتمل احدهما ان يقول له الحمد يعنى له الثناء الحسن بصفاته العلى واسمائه الحسنى و
الوجه الثانى ان يقول له الحمد يعنى حمد كل من يحمد بحقيقته ذلك الحمد بما احسن الى عباده وانعم عليهم وذلك معنى قوله الحمد لله
اى الحمد والثناء الحسن لله تعالى على احسانه الينا وانعامه علينا والثالث ان يجعل معنى الحمد معنى الشكر لان الحمد قد يستعمل
فى موضع الشكر وقوله عز وجل وهو على كل شىء قدير يحتمل ان يكون معناه وهو على كل شىء اراده قدير وهو حجة على المعتزلة
لان الله تعالى لا يزال يمدح نفسه بانه بصير عليهم وانه على كل شىء قدير وقوله المعتزلة بانه بصيرهم عليهم ورايت عن الاقدار
بانه قدير على فعل له العباد او على اصلاح احد من العباد وهذا خلاف ما مدح الله تعالى نفسه به والله الموفق وقوله عز وجل
هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يحتمل ان يكون تاويله فمنكم من يدين بدين الكفر ومنكم من يدين بدين الايمان ودل
هذا على ان المعصية والطاعة يجتمعان فى دين واحد وان المعصية لا يخرجه لان المعصية لم يرتكبها تدينا بها ولكن
لغلبة شهوة او غضب عليه واما الكفر والايمان فانه يأتى بهما المرء اختيارا او تدينا بالكفر والايمان لما عنده انه حق وفى
هذه الاية دلالة ان ليس بين الكفر والايمان منزلة ثالثة وليس كما قالت المعتزلة ان صاحب الكبيرة بين منزلتين بين
الكفر والايمان والله تعالى قسم الناس صنفين فمنهم من خلقه كافرا ومنهم من خلقه مؤمنا ولم يجعل فيما بينهما منزلة
ثالثة فلو يجب ان يجعل والله الموفق وفيه ايضا وجه لطيف سوى ما ذكرنا وهو ان كل احد فى الدنيا مؤمن وكافر فى
الحقيقة لان من كان مؤمنا بالله فهو كافر بالطاغوت ومن كان كافرا بالله فهو مؤمن بالطاغوت فاذا كان كذلك
وجب ان يبحث عن معنى قوله ومنكم كافر ومنكم مؤمن ومعناه عندنا ان الحقيقة وان كانت لذلك فالايمان
اذا ذكر مطلقا لم يفهم منه الا الايمان بالله تعالى والكفر اذا اطلق ايضا لم يفهم منه الا الكفر بالله تعالى واذا كان كذلك
جاز ان يكون لفظ الكتاب خارجا على ما عليه المعهود من التعارف المعتاد والله اعلم وقوله عز وجل والله بما تعملون
بصير فى الازل بما يفعله العباد وانه ليس كما قال بعض الناس انه لا يعلم فعل العبد الا وقت فعله واحتجوا فى ذلك انا
لو قلنا ان الله تعالى بصير فى الازل بما يفعله لكان نزلا بما لا يستقيم فى العقول الا ترى ان فى الشاهد من بنى بناء
يعلم انه بصيره او يشترى عبدا يعلم انه يعتاده فكذلك لا يستقيم ان لا يقال ان الله تعالى خلق عبدا كان يعلم من قبل انه اذا خلقه
عاداه والجواب عن هذا الذى وصفه غير مستقيم فى الشاهد لان منافع ما يفعله العباد ومضارهم يرجع الى انفسهم
وليس من العقل ان يفعل المرء فعلا ويعلم انه يضره واما رب العالمين فانه لا يرجع شىء من المنافع والمضار اليه فجاز ان يخلق

خلقنا بعلم انه يختار مراده لبطهن عند الخلق انه لا يرجع شى من المنافع والمضار بعد ان يكون فى الحكمة ذلك والله اعلم ثم
فى قوله والله بما تعملون بصير وعليهم وكيل وحفيظ الزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وبيان الترغيب والترهيب
لانه اذا علم المرء ان عليه فى كل ما يفعله رقيب يتيقظ ولم يفعل الا ما يرضى به ربه والله المستعان وقوله عز وجل خلق السموات
والارض بالحق قد وصفنا ان الحق اذا جرى ذكره نصرف فى كل شى الى ما هو اولى به فاذا ذكر فى الاخبار اريد الصدق واذا ذكر
فى الاحكام اريد به العدل واذا ذكر فى الاقوال اريد به الاصابة فلما قال بالحق ههنا فكانه اراد به الحكمة كانه يقول خلق
السموات والارض بالحكمة وقال بعضهم بالحق يعنى للحق وهو البعث فكانهم عنوا به ان الله تعالى لم يخلقها عبثا بل لخلق البعث
وقوله عز وجل وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يحتمل هذا وجهين احدهما احسن اى اتقن واحكم ومعنى ذلك ان الله
تعالى خص صور بنى آدم فى الاستدلال بوحدانيته وربوبيته فان جعل فى انفسكم حقيقة المعرفة والاستدلال بانفسهم
على وحدانيته تعالى واما غيرهم من الصور فانما يقع الاستدلال لغيرها بها ليس لتلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلال
بوحدانية الله تعالى ولذلك كان خلق صور بنى آدم اتقن واحكم والله اعلم والثانى ان يصرف الحسن الى حسن المنظر ومعنى ذلك
ان الله تعالى خلق بنى آدم على صوره لا يرد وان يكون صورتهم مثل صورة غيرهم من الخلائق فتبين ان صورتهم فى المنظر
احسن صورة فذلك معنى قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم والله اعلم وقوله عز وجل واليه المصير يعنى البعث واضاف
ذلك الى نفسه لانه هو الغاية والمقصود فى خلقتهم ولما لم يفهم احد من قوله واليه المصير معنى الانتقال والتحول من مكان
الى مكان من حيث انه يصار الى الله تعالى لان هذا فعل يكون بالاثنين فان من صار الى شى صار ذلك اليه مثل الالتقاء والاتيان
ونحو ذلك فلما لم يفهم منه الانتقال لم ينبغى ان يفهم من قوله وجاء ربك والملك صفا صفا معنى الانتقال والله اعلم وقوله
عز وجل يعلم ما فى السموات وما فى الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون فى اخباره عن علمه بذلك كله ايجاب المراقبة والتيقظ والتحفظ
على ما امر الله تعالى ونهاه وفى هذا اخبار ان الله تعالى مطلع على ما يضمرون ويخفى عليكم جميع ما يظهرون فاحذروا ان يتركوا
ما فيه سخطه فى الحالين جميعا والله المستعان وقوله عز وجل بذات الصدور ذات الاغل المتمنى اى بما فى الصدور ويحتمل ان
يكون المراد منه بالانفس التى لها الصدور وكل من كان ذا نكرة ونديين فانه يسمى ذات الصدور ومعناه ان التدبير انما يصدر
عن ذلك الموضع ويرجع اليه وكل بنوا آدم خصوا بهذا المعنى تكن لهم ذكر هذا فيهم والله اعلم وقوله عز وجل الم ياتكم نبا
الذين كفروا من قبل فتاويله عندنا والله اعلم اى قد اتاكم نبا الذين كفروا من قبل وما ذا نزل بهم حين كفروا وعاندوا ومعنى
ذلك ان الله تعالى قد حذرهم بما يكون فى الاخرة من الوان العذاب فلم يتعظوا لما لم يكونوا يؤمنون بالبعث فلما لم ينجع ذلك
حذرهم بعقوبات تنزل بهم لو لم ينتهوا عما هم فيه من الطغيان وقوله عز وجل فذاقوا وبال امرهم اى سوء امرهم ويحتمل
ان يكون عاقبة امرهم وقوله عز وجل ولهم عذاب اليم فيه اخبار ان ما نزل بهم من العذاب فى الدنيا لم يكفر عنهم ذنب الكفر
وان عذاب الدنيا انما كان جزاء شرهم فى الكفر وانه لعذابهم فى الاخرة عذاب الكفر والشرك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك
بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكانه يريد بقوله ذلك اى تلك العقوبات التى نزلت بالامم
الماضية انما كان سببها ان رسلهم كانت تاتيهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا وكان قولهم ابشر يهدوننا تلقين
ابليس حيث لقنهم مخالفة الرسول وتكذيبه وقال لو احتجتم الى طاعته تعبكم من هو اعظم منه درجة واكثر منزلة
فاذ لم تطيعوا فكيف تطيعون بشرا مثلكم وهذا كله عناد وخطاء وذلك انهم قد كانوا يعبدون الاصنام تقليدا منهم
البشر الا ترى الى قولهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ومعلوم ان جعل الاصنام معبودا يعبدونه بقول
البشر تقليد له اكثر واعظم من تصديق البشر ثم رسول من عند الله عند قيام الدليل المعجز فاذا استجازوا تقليد البشر
فى ذلك كيف لا استجازوا تصديق الرسول فيما يدعوهم الى توحيد الله وطاعته فيما يرجع اليهم من المنافع والمضار ولكنهم
كانوا قوما سفهاء فاتبعوا سفههم وعنادهم والله اعلم وكذلك قولهم ان هذا الا سحر مبين وكيف يكون سحرا وقد اتاهم بايات
اعجزت السحرة ان ياتوا بمثلها ولكنهم عاندوا ولم يجدوا حيلة سوى ان قالوا ان هذا الا سحر مبين وقوله عز وجل فكفروا
وتولوا واستغنى الله اى كفروا بالرسل وتولوا اعرضوا عن طاعته وطاعة رسوله وقوله واستغنى الله لم يسمع من احد
من المتكلمين يقول استغنى الله على الابتداء الا ما ذكر فى ظاهر هذه الاية والقول فى الاستغناء فيما يريد به الاخبار عن نحو
قولك الله مستغنى فاما ان يبتدى فيقول استغنى الله فيما فيه شك وريبة انه لا يجوز البداية به وقد غلط بعض المفسرين
حيث قالوا استغنى الله بطاعة من الطاعة عن معصية من عصاه لان الله تعالى لم يمتحن عباده بالطاعة والمعصية لمنافع
نالها او مضرة يخشاها ويخافها بل هو مستغنى بذاته عن ذلك فى الازل والله اعلم ويجوز ان يكون فى هذا اضمار يعنى استغنى
الرسول عن طاعتهم بالله تعالى او يصرفها الاستغناء الى الاخبار عن ذاته انه مستغنى بذاته فى الازل لا يمسه حاجة وانه لا
يضره كفر من كفر ولا ينفعه ايمان من آمن بل انما يحصل ذلك كله للممتحن بهما والله اعلم وقوله عز وجل والله غنى حميد قد وصفنا

معنى الغنى واما الحميد يحتمل وجهين احدهما يعنى اى المستحق الحمد بذاته اذ يستحق كل احد الحمد على ما يحسن اليه ويحتمل
معنى الحميد على معنى الحامد ووجه ذلك ان الله تعالى يحمد محاسن الخلق واثار افعالهم وان حقيقة تلك الافعال من جهة
التوفيق والتسديد بانما كانت به وذلك غاية وقوله عز وجل زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن قوله
قل بلى وربى يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكون هذا تعليما لرسول الله عليه السلام انه يعلمه القسم تاكيدا لما كان يخبر
عن البعث وكذلك جميع ما ذكر من القسم فى القرآن يجوز ان يكون على هذا المعنى لان القسم انما هو لنفى تهمة تمكنت وانه
تعالى لا يتهم فى خبره والرسول هو الذى كانوا يتهمونه فيما يخبر لما لم يثبت عندهم رسالته لعدم تاملهم فى دلايله فعلمه
القسم تاكيدا لما يخبر ونفيا للتهمة عما يقوله والله اعلم ويجوز ان يكون هذا قسما مقابلا لما اقسم به الكفرة فى امر البعث
الا ترى الى قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا وقوله عز وجل وذلك على الله يسير
يحتمل وجهين احدهما ان امر البعث على الله يسير هين لانهم انكروا البعث بعد ما صاروا ترابا واخبر ان بعثهم واعادتهم
بعد ان صاروا ترابا فاخبر جل وعلا ان ذلك على الله يسير والوجه الثانى من التاويل ان يذكر ما عملوا من خير وشر واحصاها
عليهم كل سر وعلانية وكل صغير وكبير ليعاينوا ذلك فى كتبهم ويعلمون تحقيقها على الله يسير وقوله عز وجل فامنوا
بالله ورسوله يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم وذلك ان الله تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وان ذلك ما انزل
بهم لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم الرسل فامنوا انتم بالله ورسوله لان لا ينزل بكم ما نزل بهم من الباس والعقوبة والله اعلم
وقوله عز وجل والنور الذى انزلنا النور هو القرآن ويجوز ان يكون سماه نورا لانه يبصر به حقيقة المذاهب فى الطاعة والمعصية
والاحسان والاساءة والايمان والكفر كما يبصر بنور الشمس حقيقة الاشياء من جيدها ورديها كذلك يبصر بهذا منافع
الطاعة ومضار المعصية فسمى نورا من هذا الوجه والله اعلم وقوله عز وجل والله بما تعملون خبير بما تسرون وما تعلنون
فراقبوه واحفظوه فى الحالين جميعا وفى هذا بيان ان الله تعالى عالم بما يفعله العباد فى الازل وبما يكون منهم وانه ليس كما
وصفه بعض الجهال والله المستعان وقوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فى الحقيقة يوم جمع وتفريق
وهو ايضا فى الحقيقة يوم تغابن وتراجع وان ذكر احدهما دليل ذلك ما ذكر فى غيره من الايات الا ترى الى قوله تعالى فريق فى الجنة
وفريق فى السعير والى ما ذكر فى عقيب قوله ذلك يوم التغابن من قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته و
يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار وهذا هو معنى التراجع ولكنه جل ثناؤه يجوز ان يكون اكتفى بذكر احدهما عن الآخر
ثم الغبن يذكر فى التجارات والاصل فى ذلك عندنا ان كل سالم طبعه لا يخلو من عمل عمله لا يخلو من احدى ثلاثة اوجه
اما ان يكون فى مباح او امر او نهى ومعلوم ان من اشتغل بالمباح فهو مستعين به فى اقامة الامر اذ لا بد من البقاء لاقامة الامر
بالحقيقة يرجع الى ان الاعمال فى الحقيقة ينصرف الى نوعين الى امر ونهى ومعلوم ان من كان فى امر فهو تارك لما نهى عنه ومن
كان فى نهى فهو تارك لما امر به والتجارة فى الحقيقة هو ان ياخذ شيئا بترك شى آخر واذا تحقق معنى التجارة فى اعمال بنى آدم
اطلق لها لفظ التجارة وقال والدنيا انما تلادته اسماء المتجر والمزرع والمسلك وقد وصفنا معنى التجارة واما معنى المزرع ولان
ان كل من يعمل فى الدنيا فانما يعمل لعاقبة ولا بد ان يكون عاقبته خيرا او شرا فكل من كانت عاقبته الخير فهو زارع للخير ومن كانت
عاقبته الشر فهو زارع للشر والله اعلم واما معنى المسلك والطريق فلاجل ان الخلق لم يخلقوا فى هذه الدنيا ليقروا فيها وانما
خلقوا لاحد امرين اما للثواب او للعقاب فكل من يعمل عملا يفضى به الى الثواب والجنة فكانه يسلك طريق الجنة وكل من عمل يفضى
الى النار فكانه يسلك طريق النار فلذلك سمى مسلكا وطريقا والله اعلم ثم وقوله عز وجل التغابن عندنا يجوز ان يكون معناه
ان اهل الكفر يغبنون فى اعمالهم واموالهم فى الاخرة لانهم كانوا ابتغوا ويرون بهم فى الدنيا فحسبوا انهم يكونون كذلك فى الاخرة
فاذا لم يجدوا او صاروا بعضهم يلعن بعضا غبنوا ما كانوا يأملون منهم وقال بعضهم ان لكل كافر فى الجنة قصرا وبيتا واهلا ثم
صار والى النار وورث المؤمن اهله وقصره الذى كان له فى الجنة فهذا هو التغابن ولكن هذا غير صحيح عندنا لانه لا يحتمل ان يجعل الله
تعالى للكافر فى الجنة بيتا مع علمه انه لا يؤمن لان هذا فعل من لا يعلم العواقب وهو عابث فى فعله جل الله تعالى عن مثل هذا الوصف
الا ان يحمل على الوعد ان ثبت الخبر اى ان اسلم الكافر كان له ذلك المنزل فى الجنة وان ارتد المسلم عن الاسلام كان له ذلك المنزل
فى النار وهو عالم ان عاقبة امره ماذا الكفر او الاسلام وان ماواه النار او الجنة وحكمه على ما علم وان كان الله تعالى عالما بما كان
وما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون فاخبر على ذلك والا لم يصح لما ذكرنا من المعنى والله الموفق ويحتمل انه انما سماه يوم
التغابن لان الدنيا جعلت اسواقا والاحوال التى يكون لهم وسائر الاموال فى الاعمال التى يعملون فيها ويكتسبون تجارة قال الله تعالى
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم قال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله الاية وقال فى اية اخرى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وقال اشتروا الضلالة بالهدى وقال اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فاذا كانت
الدنيا متجرة والاخرة التى يقسم فيها الارباح فى ذلك يقع الربح والخسران ويظهر الغبن والفضل والنقصان والزيادة والله اعلم

او اسماه يوم التغابن لما يظهر لهم في ذلك انهم خسروا او ربحوا ولا يظهر لهم ذلك في الدنيا ثم بين العمل الذي يربح عليه والعمل الذي
يخسر به والتجارة التي يوصل بها الارباح والتي يلحق بها الخسران وهو ما قال ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته و
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار الاية وقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا الاية ثم وقوله عز وجل ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يعني
ويؤمن بالله على ما جاءت به الرسل جملة وان له الخلق والامر ويؤمن بالرسل والبعث فذلك هو الايمان بالله تعالى وقوله ويعمل صالحا
يعني ومن يؤمن بالله ويعمل في ايمانه صالحا الى ان يموت وقوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني كفروا بوحدانية الله تعالى
وبقدرته وكذبوا باياته اي الحجج او كذبوا بالبعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير وقوله عز وجل ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله قال بعضهم باذن الله يعني بامر الله وهو قول الحسن وقال بعضهم باذن الله يعني بعلم الله وقال بعضهم باذن الله يعني بمشيئة الله
ولكل من ذلك وجه فاما من قال بامر الله فمعناه وجهه ان هذه المصائب كلها عقوبات الا ترى الى قوله وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ومعلوم ان جزاء ما كسبت يد عقوبة له والتعذيب والعقوبة انما يكون بامر الله فلذلك قال معنى قوله باذن الله
اي بامر الله ولكن عندنا هذا يرجع الى ما يصيبهم من ايدي الخلق كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله نتربص بكم ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده او بايدينا ونحو ذلك وهذه المصائب لا يحتمل الامر من الله تعالى ومن قال بعلم الله فتوجيه ذلك ان هذه المصائب فيها هلاك
العبيد وفي الشاهد انه لا يحب احد ان يعلم بما فيه هلاك عبيده وخدمه فاخبر عز وجل ان هذه المصائب وان كان فيه هلاك عبيده
فانما يكون ذلك بعلمه وان هلاكهم لا يضره ولا ينقص ملكه لان الله سبحانه وتعالى انشأ ما انشأ من الخلائق لحاجة لهم ولمنفعة ترجع
اليهم ومضرة تخصهم فحلول ما يحل بهم من المصائب لا يضره ولا ينفعه لذلك كان على ما ذكر ومن قال بمشيئة الله وارادته فتوجيه ذلك
ان الله تعالى وعد واوعد ولا يحتمل ان يريد من عبيده ما يكون به عصيانا وعادلا وان يمنع وضع موضعه فاذا كان ذلك ثبت انه يريد من
كل احد ما يعلم انه يريد من كل احد ما يعلم انه يكون منه لانه انما خلق النار واوعد عليها فلو اراد من كل منهم الطاعة لكان اذا الحق بالنار
اخرق من ادم الطاعة فدخل في حد الجور ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان اذا الجئ وعد وضع وادخله الجنة كان يمنع نزاعه
غير موضعه ويخرج به عن حد الحكمة واذا كان كذلك ثبت انه اراد من كل ما علم انه يختاره ويكون منه ليخرج فعله عن الحكمة والله
الموفق ونحن نقول قد ذكر الله تعالى الاذن في مواضع مختلفة ولكل من ذلك وجه غير وجه صاحبه فالواجب ان يصرف في كل موضع
الى ما يليق به والله اعلم وقوله عز وجل ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابو بكر اي من امن بما شاهد من التدبير يهد به الله تعالى ليعلم
ان من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه بهذه المصيبة ويجوز ان يكون تاويله على وجه اخر وهو ان يقول من يؤمن بالله ان له الخلق
والامر يهد قلبه ليسكن ويعلم ان الله اولى به فيسترجع عند ذلك وذلك تاويل من قرا يهدا قلبه اي يسكن من الهدو وهو السكون
والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذه الاية وان خرجت على لفظ الاحداث فليس على الاحداث ولكن معناه انه ايمانه بالله تعالى انما كان
لهداية منه لانه لا يجوز ان يكون الايمان متقدما والهداية متاخرة ولكن هداه امن بما هداه وهذا على ما قال الله تعالى الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فهذا في الظاهر على لفظ الاحداث ولكنه في الحقيقة عليه ليس ولكن على معنى انهم لما امنوا اخرجهم
بالايمان عن الظلمات الى النور فعلى الايمان فكذلك الاول والله اعلم ويجوز ان يكون تاويله ان الله يهد قلبه او يثبت على قلبه
عن الزلات عند الموت على ما قال تعالى ويثبت الله على المؤمنين والمؤمنات وقيل فيه لغات اربع يهد قلبه بنصب الباء والياء جميعا
ويهد قلبه برفع الباء والياء ويهد قلبه بفتح الياء وضم الباء ويهتدي ويهدي قلبه من السكون وقوله عز وجل والله بكل شيء
عليم الاصل في الاسماء المشتركة اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى فحق التخصيص في الاضافة اليه ان يضاف بحق الكليات ليكون
فرقا بينه وبين العباد فيقال والله بكل شيء عليم ويقال في الخلق فلان عليم ويقال في الخلق فلان عليم بكذا على الخصوص ويعلم
ان العباد ان ما يعلمون ما يعلمون بعلمه وكذلك هذا في قوله والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله عز وجل
ليس بقدير على كثير من الاشياء فانهم اشركوا في اسم القدرة غيره لانه لا احد من الخلق الا وله جزء من القدرة فلو قلنا ان الله تعالى
يقدر على بعض ولا يقدر على بعض لسوينا بينه وبين خلقه وشبهناه بهم وجل الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الوصف والله
المستعان وقوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني اطيعوا الله فيما نهاكم واطيعوا الرسول فيما اخبر عنه او اطيعوا
الله فيما امركم واطيعوا الرسول فيما دعاكم اليه وهذا كله واحد لا التهديد فانه لا يجوز ان يضاف الى رسول وما سواه الالفاظ
من الامر والدعاء والاخبار فهو جائز ان يضاف اليه سبحانه وتعالى والى الرسول عليه السلام وقوله عز وجل فان توليتم يعني
عن اجابة الرسول الى ما دعاكم اليه وعن طاعته وقوله عز وجل فانما على رسولنا البلاغ المبين فيه بيان ان توليتم عن اجابته
وكفرهم به لا يوجب تقصيرا في التبليغ وقوله عز وجل الله لا اله الا هو يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم من الايات من قوله له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وعليم ويعلم ما يسرون وما يعلنون ثم قال الله الذي له الاوصاف التي تقدمت هو الذي لا اله
الا هو اي لا معبود الا هو وان معبودهم ليس يجوز ان يكون معبودا لتعريه عن هذه الاوصاف التي تقدمت ذكرها والله اعلم
وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه بيان ان يعتمد المؤمنين على الله تعالى وان تلتفتوا عنهم وانهما هم وانهم لسنا

كالنادين

كان اتخذتم والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما [illegible] ولا [illegible] لهم واخبروا المؤمنين بخلاف تلك
الشفقة وان تفقيهم [illegible] على الله تعالى ليس على [illegible] الاقتصاد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ويحتمل ان يكون على تحقيق العداوة فهو يحتمل وجهين احدهما عداوة ظاهرة وهي عداوة
الكفر والشرك وذلك انه كان في ذلك الزمان يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر والشرك [illegible]
الزمان يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر فعلمهم الله تعالى صحبة الاولاد والازواج انهم اذا دعوكم الى الكفر والشرك
فاحذروهم [illegible] وان تعفوا [illegible] ما دعوكم اليه وتغفروا فان الله غفور رحيم ثم ذكر ان الله عز وجل [illegible] صحبة
الاولاد والازواج [illegible] العفو والصفح [illegible]
[illegible] في الدنيا معروفا [illegible]
هنا بالعفو والصفح [illegible] السلطان والقهر والغلبة [illegible] بالعفو والصفح عنهم [illegible]
ان يصاحبهما في الدنيا معروفا وان لا يطيعهما [illegible] والله اعلم ويحتمل ان يكون هذه العداوة عداوة مستورة وهو
عداوة النفاق [illegible] ازواجكم واولادكم [illegible] وانهم لا يشعرون وان تعفوا عن جنايتهم [illegible]
[illegible] فان الله غفور رحيم [illegible]
[illegible] والله اعلم [illegible]
والمنع عن الانفاق على غير رشد صبح ابهم من الاحسان والبر في حق الناس ويكرهون ذلك وهذا في الظاهر فعل العدو فيجوز
ان يكون الله تعالى علم صحبة هؤلاء ان من ازواجكم واولادكم من يظهر فعل العداوة فاحذروهم ان يمنعوا عن وجوه الاحسان
والشرع بفعلهم وان تعفوا عن صنيعهم لكم وتغفروا فان الله غفور رحيم وقوله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة المفتون
هو المولع بالشيء العاشق له فكانه قال انما اموالكم واولادكم معشوقكم فلا يحمل حبهم على ان يتركوا ابتغاء الاجر العظيم
عند الله تعالى ويحتمل ان يكون معناه ان الله تعالى لم يخلق الازواج والاولاد لكم عبثا بل انما خلقهم ليبليكم ويمتحنكم انكيف
تفاوتون ان الله تعالى فيما امركم به ونهاكم عن حبهم ثم اخبر ان الله تعالى عنده اجر عظيم ليتحملوا المؤنة العظيمة في اوامره
ونواهيه عند حبهم الاولاد والاموال وهذا معنى ما قال بعضهم ان الازواج والاولاد وكانوا يتعلقون بهم ويقولون ننشدك
بالله ان تذرنا وتضيعنا اذا اراد الرجل ان يهاجر الى المدينة والاشبه ان لا يكون هذا لان هذه الاية نزلت بالمدينة وانما
هذه انما كانت بمكة الا ان يكون تركوا الهجرة بها والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم قال بعضهم نسخت هذه الاية
قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ثم خفف الامر علينا بالاتقاء على قدر الاستطاعة وثمه بخلاف ولكن هذا لا يستقيم لان قوله اتقوا الله
حق تقاته لا يراد به الاتقاء فيما لا يستطيعون لا فوق الطاقة والاستطاعة لكنه ان كان توجيه ان اتقوا الله حق تقاته وان
هلكت فيه طاقتكم لانه امرهم بالتقوى يهلك به طاقتهم على ما قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من
دياركم ولو كتب عليهم ان يقتلوا انفسهم لخافوا ولكنه يهلك طاقتهم فيه فكذلك الاول ثم قال فاتقوا الله ما استطعتم تخفيفا
عليهم وتبشيرا والله اعلم ولكن الكلام فيه انه كيف قال فاتقوا الله ما استطعتم ولم يكن ينبغي لولا هذه الاية الا ما استطعنا ولكن
معناه والله اعلم على جهة البشارة لكم انا قصدتم قصد التقوى انالكم الله الاستطاعة في تقواه وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقوله عز وجل فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهذه الاية على المعتزلة لانهم
يقولون ان الاستطاعة يتقدم الفعل وهي تزول عن الفاعل وتعدم عند الفعل ولو كان كذلك كان يجعل قوله فاتقوا ما
استطعتم استطاعة زالت عنهم وكذلك قوله خذوا ما اتيناكم بقوة وكذلك قوله هود واما اتيناكم بقوة زالت عنهم هذا مستحيل والذي
والذي يريد قولنا قوله جل ثناؤه فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا والحاجة الى هذه الاستطاعة تقع عند اداء البدل عن
الاصل فاما قبل ذلك فانه كان مستطيعا او غير مستطيع فهو سواء قوله تعالى واطيعوا اي اسمعوا الى امركم الله تعالى به ورسوله
او يكون قوله اسمعوا بمعنى اجيبوا الى ما امركم الله به والى ما دعاكم الله ورسوله كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب وقوله عز وجل
وانفقوا خيرا لانفسكم اي وانفقوا ما رزقتم خيرا لكم من ان تتركوا الاجابة لما امركم والانفاق فما رزقتكم وقوله عز وجل ومن
يوق شح نفسه قال سفيان بن عيينة اي ومن يوق ظلم نفسه والشح الظلم اضاف الوقاية الى نفسه ليعلم ان من اتقاه فانما اتقاه
بما وقاه الله تعالى بلطفه وكرمه الا ترى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا كيف علمهم ذلك التقوى بقوله وقاهم ابا النار وليعلم
ان جميع افعال العباد فانما يقوم ويصح بتدبير الله تعالى وتوفيقه وتشديده وتقديره والله اعلم ثم قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون فيه اوجه من الدلالة احدها ان قوله ومن يوق شح نفسه لم يبين فاعله فتبين بان ان في سلطان الله وملكه ما يبقى به
شح عنه وانه اذا وقاه شح نفسه افلح وكذلك في قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبر انه من ينصره الله فلا يغلب وتدبير

فى الشاهد من لا يوق شح نفسه البتة ومن قد يوق شح نفسه ولا يفلح وقد نرى من يجاهد اعداءه ويغلب مع ما دعوه وشجاعته
هو الغالب وانه لا يغلب فلا بد ذلك من احد وجهين اما ان لم يكن لله تعالى القدرة فى ملكه وسلطانه كما ادعى فهو كاذب فيما ادعى
وانما اتاه من القوم ما يبقى به شح نفسه فلم يفلح فصار كاذبا فى خبره وانما ان كانت المعتزلة فيما زعموا ان الله تعالى قد اعطى عبده جميع
ما يبقى به شح نفسه حتى لو بقى فى خزانته شئ يؤتيه ليبقى به شح نفسه كذبته واذا لم يكن بد من نسبة الكذب الى الله تعالى او الى المعتزلة
كانت المعتزلة اولى ان ينسبوا الى الكذب من رب العالمين فيما اخبر وان الله تعالى فيما اخبر صادق وانه فى ملكه وسلطانه ما لم يبق
عبده ليبقى به شح نفسه والله المستعان وفيه دلالة على ابطال قول من قال ان على الكفرة اداء هذه العبادات والحقوق واجبة وذلك
ان الله تعالى اوعد فى هذه الاية ان من وقى شح نفسه وادى ما وجب عليه من هذه الحقوق فقد افلح وقد نرى الكافر فى الشاهد يوقى
شح نفسه ويؤدى حقوق امواله ويسخو بماله على الناس ولا يفلح ولو كان عليه هذه الحقوق واجبة لكان يحصل له الفلاح ثبت
انه ليس عليه اداؤها وانما عليه قبولها والله اعلم وفيه ان صاحب الكبيرة قد يرجى له الفلاح وان لم يتب على الكبيرة حتى مات لانا
قد نرى صاحب الكبيرة قد يوق شح نفسه فقد ثبت انه يرجى له الفلاح والله اعلم وقوله عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم
ويغفر لكم تولد من هذه الايات ظنون فاسدة احدها ظن اليهود حيث قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وذلك انهم لما سمعوا
ان الله تعالى يقول ان تقرضوا الله قرضا حسنا والاستقراض فى الشاهد يدل على الحاجة الى ما يستقرض وكذلك قوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم والشرى يدل على حاجة فى الشرى وجعل استعمل عبيده فى الاعمال ثم قال لكم اجر عظيم ودل
ان من يستعمل اجراء انما يستعمله فى عمل يرجع منفعته عليه ويحتاج الى عمله فظنوا بذلك ان الله فقير وانه محتاج وظنت المعتزلة ان
انفس العبيد واملاكهم ملك لهم حقيقة ليس لله من ذلك ملك ولا تدبير قالوا وذلك ان الله تعالى استقرض من عبيده والمرء فى الشاهد
لا يستقرض ملك نفسه فلما استقرض واشترى دل ان هذه الاشياء كانت ملكا لهم حقيقة والذى يدل على ان قول المعتزلة على
ما وصفنا ان من قولهم انه ليس لله تعالى ان يمرض احدا ولا يؤلم دابة الا بعوض ومن لم يكن فعل شئ الا بعوض وبدل بعوض انه
لا يملك فثبت على انه عندهم انه لا يملك حقيقة وان حقيقة الملك فيه العبيد ويشبه ان يكون ظن اليهود والمعتزلة جميعا انما
تولد من قولهم انه ليس لله تعالى ان يفعل بعبيده الا ما هو اصلح لهم فى دينهم فذهبت اليهود الى ان هذا لما كان حقا على الله تعالى ان يفعله
لا محالة حتى اذا لم يفعله يكون جائرا ومن كان ما يجوز الجور نفيه بعقله نفيه بيان ان حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى اخذ به
لا محالة لمن له ذلك قلنا ان ظنونهم تولد عن القول بالاصلح والله المستعان واما الحكماء واهل العقل ومن انتفع بعقله حال هذه
الايات من الله تعالى على نهاية الكرم وغاية الغناء لان الله تعالى اعطى عبيده ثم استقرض منه ذلك الذى اعطاه ليصير ذلك له
دائما وهو النعيم فى الاخرة ومعلوم ان من اراد واما اعطاه من اعطاه فهو فى غاية الكرم وكذا اشترى منه جوهرا فانية ليعطى له جوهرا
وهذا من غاية الجود ومن استعمل عبيده فى عمل يوصف بانه جواد سخى ويشرب به ويكرم ثم وعد لهم على ما فيه شرفه اجرا دائما دل على
غناه فثبت انه بهذه الايات ان يعلمنا غاية كرمه وغاية جوده ونهاية غناه وان جوده وكرمه مما لا يدرك فقولنا والله المستعان
والذى يدل على غاية كرمه وغاية جوده ان جعل ما يتصدق به على فقرائنا وما نصل به ارحامنا قرضا على نفسه وعدا لاجر عليه
يفعله العبد لنفسه وعلى عمل على العبد فعله لا محالة ولا شك ان ذلك من غاية الجود والكرم والله المستعان وقوله عز وجل ان تقرضوا
الله قرضا حسنا قال بعضهم القرض هو القطع كانه قال اقطعوا شيئا من اموالكم لله تعالى قطعا حسنا وقال بعضهم ان تقرضوا اى اجعلوا لما
يتصدقون به مما فضل من حاجتكم عن فقرائكم قرضا على الله تعالى يرد لكم احوج ما عند حاجتكم اليه وقوله عز وجل يضاعفه لكم يعنى
يضاعفه ما يعطيكم فى الاخرة من الثواب الذى يكونون به بماشر قسم به وتوزيع فى الدنيا بالتصديق وقوله عز وجل والله شكور حليم
شكر لكم على ما اعطيتموه شيئا هو اعطاكم وقوله حليم وصف نفسه بالحلم وعلى قول المعتزلة لا يتحقق هذا الوصف لانهم يقولون
انه اذا وجبت العقوبة فليس لله تعالى ان يؤخرها تفضلا منه وانه فيما اخرها كان ذلك حقا عليه حيث راى الاصلح فى تاخيرها و
معلوم ان من ارى حقا عليه لم يوصف بالحلم ولكن يقال انه يبقى الجور والحليم من يحلم عن عقوبة لزمت فيؤخرها ويتركها ويعفو
ما حيا عنها فيوصف بالحلم عند ذلك واما يكون عليه تاخيرها فلا يوصف بالحلم فى هذا الموضع وقوله عز وجل عالم الغيب
والشهادة يعنى عالم ما غاب من افعال الخلق عن الملائكة وعالم بما شهد وما من افعالهم وعالم بما غاب عن العباد وبما شهد العباد وقوله
عز وجل العزيز الذى لا يعجزه شئ والحكيم الذى لا يلحقه الخطاء فى تدبيره ثم المعتاد فى القرآن انه يذكر العزيز الحكيم بعد ذكر خلق الكفرة
ليعلم ان فسادهم لا يوجب وهنا فى حكمته وتدبيره ولا يبطل عزه وسلطانه لانه من صنع الاخرة شيئا ليعلم انه يستدل ذلك على جهله
بالتدبير واذا استعمل عبده بما يهلكه دل على ذلك خاصة بعد خلق الكفرة انه عزيز ليعلم ان كفرهم لا يوجب نقصانا فى عزه ولا يدخل ذلك

ليعلم ان فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والتدبير والله اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فانه يخرج على الامتداد والله اعلم كانه يقول يا ايها النبى

قل لامتك

قل لامتك اذا اردتم ان تطلقوا النساء فطلقوهن لعدتهن والدليل على انه كذلك انه يخرج الخطاب بلفظ الجماعة حيث قال
اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن خاطب به النبى والمراد امته وذلك كثير فى القرآن ثم قوله فطلقوهن لعدتهن امر بالطلاق فى
العدة ولم يبين ان الطلاق للعدة كيف يكون وذكر فى بعض القراءات فطلقوهن فى قبل عدتهن [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل واحصوا العدة [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة [illegible]
[illegible]
جيث ذكر فى هذه الاية انواعا من النهى [illegible] وقوله عز وجل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه اى عن نفسه
ويجوز ان يكون المعنى منه اى انجاوز هذا الحد الذى جعل الله تعالى فقد وضع نفسه مكانا لم يصنعه فيه ربه والظلم فى الحقيقة وضع
الشئ فى غير موضعه والتاويل الاخر من تجاوز موانع الله ونواهيه فقد ظلم نفسه دل بهذا على ان منافع هذه النواهى ومنافعها
لا ترجع الى الله بل ترجع الى نفس الممتحنين وقوله عز وجل لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اى لا يطلق فانه اذا طلق لا يدرى لعل الله
يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله او رغبة فيها فيكون فيه دلالة النهى عن نفس الطلاق وتدبيرا كراهة نفس الطلاق
فى الحكمة فانه ليس من نوع ما يتقرب به فيكون فيه زيادة فى القربة ولا يستمتع به فيكون فيه زيادة فى الاستمتاع بل المقصود منه
التاديب والتخلص وفى الواحدة كفاية عما زاد عليها فكان فى هذه الاية دلالة النهى عن نفس الطلاق وعن الزيادة على الواحدة فى
الحكم قال فان قيل قوله عز وجل لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا هو الترغيبة فيها والندامة على ما سبق فانه دلالة على ان
قول المعتزلة لان الرغبة والندامة جميعا من فعل العباد والله تعالى قد اضاف ذلك الى نفسه بقوله لا يدرى لعل الله يحدث

بين ذلك الشارع واذا كان كذلك ثبت ان الله تعالى في احوال افعال العباد صنعا وندبهما والله اعلم وقال اصحاب الشافعي ان قوله
فطلقوهن يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد فله ان يطلقها في الوقت اي عدد كان ولا يستقيم ذلك لان التاويل
انما يستقيم على احد وجهين اما على ما جرى به التعامل في العادات بين العباد واما على ما جرى به التعامل في حق الحكمة وليس يفهم
من قوله فطلقوهن العدد الثلاث على واحد من الوجهين اللذين وصفناهما الا ترى ان من قال لاخر طلق امراتي لم يجز ان يطلقها
ثلاثا الا ان يكون نوى ثلاثا فثبت انه لا يفهم به في عادة اللفظ الثلث واما وجه الحكمة فلما ذكرنا ان الطلاق ليس مما يرغب
او يرغب في الاستكثار وزيادة في القربة ولا مما يستمتع فيستكثر منه زيادة في الاستمتاع وانما المراد منه التاديب والتخلص
وما كان مخرجه هذا المخرج كان في حد الرخصة وما خرج مخرج الرخص لم يتعد به عما وقعت به الرخصة واذا ثبت ما وصفنا
ثبت ان لا يجوز الفهم من قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن الثلاث والتعليم في العدد اليق به من الوقت لانه لا ضرر يلحقه في تغييره
عن الوقت المجعول له فيه الطلاق ولا شك انه يلحقه الضرر في تعديه في العدد والزيادة منه والله اعلم ومما يدل على ان المراد
من قوله فطلقوهن ليس على الثلاث قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ولا شك انه اذا وقع عليها ثلاثا لم يملك
امساكها ومعلوم ان قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف الطلاق المتقدمة من قوله فطلقوهن ولو كان المراد
عدد الثلاث لم يكن لقوله فامسكوهن بمعروف معنى والله اعلم وقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف
او فارقوهن بمعروف فيه فوايد شتى وادلة متفرقة من الفقه والاحكام احدها ان الله تعالى قال فامسكوهن بمعروف فانها
في المتعارف من نوع الفعل اظهر من نوع القول لانه انما يحتاج اليها استمتاعا وانفاقا ونحو ذلك فذلك نوعه نوع الفعل
فثبت ان حقيقة الامساك بالمعروف في الافعال فلذلك قلنا ان ارتجاعها بالفعل يكون مراجعا فان قيل اليس قال الله
تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم والاشهاد على الفعل غير صحيح فجوابه ان يقال ان الله تعالى قال واشهدوا ومعلوم ان
هذا لو كان بحضرة الشهود لم يكن للاشهاد معنى بل لو اسمعوا ذلك صاروا شهودا بما اشهدوا وان لم يشهدوا واذا كان كذلك
ثبت ان المعنى من هذا الاشهاد على الامساك المتقدم وذلك في الافعال مستقيم والله اعلم ووجه اخر وهو ان كل عقد اشتمل
بغير شهود ويجري فيه الامر بالاشهاد نحو قوله واشهدوا اذا تبايعتم وكل ما جعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد جرى
الذكر فيه لا الا بشهود نحو قوله لا نكاح الا بشهود فلما جرى الذكر في هذه الاية بالامر بالاشهاد بقوله تعالى واشهدوا ذوي
عدل منكم ثبت انه يستقيم من غير شهود والله اعلم ثم في قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف دليل على ان المراد من
الاقراء هي الحيض فانه ذكر نوع هذا في كتاب الله في مواضع قال الله تعالى في موضع فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن
في انفسهن بالمعروف وقال في اية اخرى فاذا بلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وقال في هذا الموضع فاذا
بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ومعلوم ان معاني بهذه الالفاظ مختلفة وان اتفقت مخارجها واختلافها ان يكون
المراد ببلوغ الاجل في احد الموضعين على التمام وانقضاء الاجل والثاني على الاشراف عليه واحق ما يكون من معنى الاشراف عليه
واحق ما يكون في حق الاشراف على البلوغ هو ما يرجع الى الازواج لانه قد كان لهم حق الامساك قبل انقضاء الاجل ولهم احق بهن
ما لم يتم بلوغ الاجل لا بعده واذا ثبت ان المعنى من قوله فاذا بلغن اجلهن في هذا الموضع هو الاشراف على البلوغ والقرب من
انقضاء الاجل دون التمام ثبت ان الاقراء هي الحيض لانه لو كان المراد منه الاطهار لم يعرف اشراف الاجل على البلوغ لانه لا نهاية
لاكثر الطهر واما الحيض فانه له غاية معلومة لان ايامها لا يخلو اما ان يكون عشرا او دون العشر فان كان عشرا فيعرف بالعد
وان كان دون العشر فان دمها انقطع راجعها قبل ان يغتسل وذلك وقت اشراف اجلها على البلوغ والاطهار ليس يتحقق فيها
المعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم قال ههنا فامسكوهن بمعروف فدل الامر بالامساك في الظاهر انها ما دامت في العدة في
ملكه وقال في موضع اخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك فدل على انه قد وقع شيء من الزوال حتى امر بردها فيكون حجة
للشافعي لان الطلاق الرجعي يحرم الوطي ولكن المعنى عندنا في هذا والله اعلم انا قد عرفنا بقوله او فارقوهن بعد وجود الطلاق
المتقدم انه لم يرد به الفرقة للحال ولكن معناه اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيفارقوهن فثبت انه قد وقع شيء من شبهة الزوال
بالطلاق وهو ان صار الفراق مستحقا له لا ما خلا انقضاء العدة فيكون له عرض الوجود للحال فقال فامسكوهن على ابتغائهن
على اصل الملك وقال وبعولتهن احق بردهن في ذلك لرفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق وهذا على مثل ما قال تعالى للذين يؤلون
من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم وكان الفيء هو الرجوع ومعلوم
انه لم يقع بالايلاء شيء من الفرقة ولكن لما كان الايلاء موجبا للبينونة في العقبى وجب في الحال شبهة بالفرقة وهو استحقاق
الزوال فذكر الفيء لرفع تلك الشبهة فكان تركها منه لا يبقي لها عزم منه على الطلاق فكذلك والمعروف ان ما صنع اليك
صنيعه فعرفتها واستحسنتها فهو معروف وما انكرته واستنكرته فليس بمعروف وهو الذي عرفنا الله تعالى من المراجعة والمفارقة
ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن اليه القلوب وتسكن عنده الانفس وقوله عز وجل واشهدوا ذوي عدل منكم دل قوله تعالى

ذوي

ذوي عدل منكم ان قد يكون شاهدا فاسقا وان الفسق لا يخرجه من الايمان وكذلك قوله ممن ترضون من الشهداء ثبت ان قد
يكون ممن لا يرتضى وان خروجه ممن يرضى لا يخرجه من الايمان وقوله عز وجل واقيموا الشهادة لله حيث اضافها الى نفسه
هو انه لابد في الشهادة من نفع يقع لاحد الخصمين وضرر الى الاخر فكانه قال لا تنظروا الى رضاء من ينفعه الشهادة ولا الى سخط من
يضره ولكن اجعلوها لله تعالى وقوله عز وجل ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر الموعظة وان كانت لمن
يؤمن ولمن لا يؤمن فالمعنى في هذا ذلكم يتعظ او يوعظ من كان يؤمن بالله واليوم الاخر كما كان المعنى من قوله تعالى انما انت منذر
من اتبع الذكر انما ينتفع بالانذار من يتبع الذكر [illegible]
تكون كذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل يوعظ به اي بالامر بما تقدم من الايات من الطلاق للعدة والنهي عن اخراجهن من
البيوت والانفاق ونحوها انما يوعظ به اي يأخذ بالامر وينتهي عنه في هذه الايات من كان يؤمن بالله واليوم الاخر والله اعلم
وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قد بينا ان التقوى اذا ذكرت مطلقة انتظم الاوامر والنواهي و
اذا كانت مقرونة بالبر [illegible] انتظم الاوامر والنواهي جاز ان
يكون المعنى من قوله ومن يتق الله [illegible]
يكون المعنى من قوله ومن يتق الله [illegible] السبيل الاتي الى قوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال ويجوز ان [illegible] بلزوم التقوى خير الدنيا والاخرة لان الله تعالى ذكر التقوى وما يليه في
بالفاظ مختلفة فقال في موضع [illegible]
محسنون [illegible]
تعالى [illegible]
[illegible] ومن يتق الله
في مكاسبه يجعل له مخرجا من الشبهة والحرمات [illegible]
المتقدمة تحفظها من صحبة النساء على ما امر به يجعل له مخرجا مما اهم من ناحيتهن ويرزقه من حيث لا يحتسب ويجوز ان يكون
هذا فيما بين له من الحدود واذا حفظها ان يرزقه ما وصفها من المراة والمال ويجوز ان يكون هذا في جميع الامور من المكاسب و
التجارات يظنون انهم انما يرزقون الفضل والربح لما لا يخلون فيهما من الشبه والحرمات وانها اذا نفيت من تجاراتهم تلك الشبه
والحرمات رزقهم من حيث لم يحتسبوا ويجوز ان يكونوا هذا خطابا بالكفرة وذلك انهم كانوا يخافون انهم اذا امنوا بالرسول صلى الله
عليه وسلم حرموا من الرزق وابتلوا بالضيق الا ترى الى قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا الاية فكان
الله تعالى امنهم عما يخافون بسبب الاسلام واخبرهم انهم اذا وحدوا الله تعالى وامنوا برسوله رزقهم من حيث لم يحتسبوا
ووسع عليهم الرزق والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه يجوز ان يكون معناه اي من يعتمد في كل نائبة
وتفويض اليه كل نازلة والوكيل هو الموكول اليه الامور وقيل الوكيل هو الحافظ كما قال ومن يعتمد على الله فيما نابه كفى به
وكيلا ويتوكل اليه امره وكفى به حافظا وناصرا ومعينا وقوله عز وجل ان الله بالغ امره اي فيما اخبر من حكمه ووعده ان ينزل
بهم ويجوز ان يكون بالغ امره اي مبلغ ما امر رسوله بتبليغه الخ عصيانه يكون امر هنه في تسخيرهم ليصيروا كان الرسول
بلغهم وقوله عز وجل قد جعل الله لكل شيء قدرا قال الحسن لكل شيء من اعمال العباد قدرا وثوابا في الاخرة والوجه عندنا
قد جعل الله لكل شيء من كان ويكون الى يوم القيمة من حسن وقبيح في الحكمة قدرا الا ترى الى افعال العباد انها كيف يخرج
عن تدبيرهم من زمان ومكان ونحو ذلك ليعلم ان الله تعالى هو الذي قدر ذلك المكان والزمان والفعل حتى خرج فعل
هذا العبد عن تدبيره الذي قدره والله اعلم وفي قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب وجه اخر وهو انه لو جعل جميع الرزق
من حيث لا يحتسب جاز لان الرزق في الحقيقة هو الذي يتقوى به الانسان ويتغذى به وليس ذلك في عين الاكل والشرب
ولكن فيما يتفرق من نوع الطعام والشراب في الاعضاء وذلك باللطف من الله تعالى فثبت ان القوة الاكل والشرب انما يصل الى
الاعضاء من حيث لا يحتسبه الانسان والله اعلم ثم ليس في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا تخصيص ان من لا يتقيه لا يرزقه
من حيث لا يحتسب لانا قد نرى في الشاهد من يرزقه من حيث لا يحتسبه تقيا او لم يتقه فثبت ان فائدة التخصيص ليس نفي
غير المقصود ولكن فائدة تخصيص المتقي بالذكر هو انه يرزقه من حيث يطيب له ولا يلام عليه وليس ذلك في غير المتقي والله
المستعان ثم ليس في قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ما يدل على ترك الاسباب ولكن لما راى الناس يفزع بعضهم الى بعض
ويستغيث بعضهم ببعض امرهم ان يجعلوا القصد والفزع الى الله تعالى وان يعتبروا هذه الاسباب كلها محنة عليهم لا
ان يروا رزقهم مقصورا ومتعلقا بها الا ترى الى قوله تعالى وابتغوا من فضل الله كيف امر بادراك فضله من تلك التجارات
فثبت ان هذه المكاسب كلها اسباب للخلق بها يتوصلون الى فضل الله تعالى وان المقصد والمفزع فيها الى الله تعالى والله

اعلم ثم اختلفوا في العدة فمنهم من قال هي استبراء الرحم ومنهم من قال هي عبادة تتبع النكاح الذي استوفي فيه المقصود بالنكاح وهذا القول عندنا اصوب لانه لو كان احدهما الاستبراء واجب في حق البيّنة والادب قبل الطلاق في من اراد ان يطلق امرأته فالواجب عليه ان يستبرئها بحيضة ثم يطلقها واما العدة فانها لا تجب الا بعد الطلاق فثبت انها على ما ذكرنا من العبادة التي تتبع النكاح الذي استوفي فيه المقصود لان الاستبراء واجب والله اعلم ومعنى اخر ان العدة لو كانت استبراء لكانت تكتفي بالحيضة الواحدة فلما قرنت بالعدد وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء ثبت انها على الوجه الاول والله اعلم وقوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم هذا يدل على ان المراد من الاقراء الحيض وذلك لان الاصل عندنا في الاصول ان الشيء متى ذكر باسم مشترك ثم جرى البيان له عند ذكر البدل باسم خاص دل على ان المراد من الاسم المشترك هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل الا ترى الى قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وكان الاسم الغسل مشتركا بيننا وبين الماء وكان غيره فلما قال عند ذكر البدل فلم تجدوا ماء بين ان المراد من ذلك الاسم المشترك هو عند هذا الاسم المذكور عند البدل فكذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر اختلفوا في قوله ان ارتبتم في حيضهن او في عدتهن وعندنا الارتياب في عدتهن لانه لو كان المراد منه الارتياب في حيضهن لكان من حق الكلام ان يقول ان ارتبن او يقول واللائي ارتبن ليكون منسوقا على قوله واللائي يئسن فلما قال ارتبتم ان المراد ارتبتم في عدة الايسات والصغار فهو ثلاثة اشهر والله اعلم ولان المرتابة اذا رأت الحيض ارتفع ريبها وصار عدتها بالحيض وخرجت من العدة بالشهور واما الايسة والصغيرة فانه لا يتوهم عليها ارتفاع الاياس والصغر فانه لا يتوهم عليها فيكون عدتها بالاشهر فلذلك قلنا ان هذا الارتياب في عدة الايسات والصغار ثم من قول اصحابنا ان الرجل اذا طلق امرأته الايسة والصغيرة او الحامل للسنة طلقها متى شاء وليس له وقت معتبر في طلاقها النسبة وانما كان كذلك لانا قد وصفنا في قوله وطلقوهن لعدتهن ان المراد منه لقبل عدتهن ومعلوم ان عدة التي ترى الحيض احد شيئين اما العدة ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالا لم يعتبر ما يقابلها وهو الحيض من العدة واذا كان كذلك لم يكن بد من ان يكون ههنا شيء يقابل عدتها فيثبت فيه معنى قبل عدتها فيجعل ذلك الطهر واما الايسة والصغيرة والحامل فجميع ايامها من عدتها وهي ثلاثة اشهر وليس في ايامها شيء يقابل عدتها فلذلك قلنا ان له ان يطلقها في اي وقت شاء وكذا له ان يطلق الحامل التي من ذوات الاقراء وذلك لانه انما نهي عندنا عن الطلاق وعلى اثر الجماع في التي تحيض لتوهم ان يكون الجماع احبلها فاذا طلقها ثم اراد نفي الحبل في الحرم لم يتهيأ له ذلك واما الايسة والصغيرة والحامل فليس فيهن هذا التوهم والله اعلم ثم هذه العدة وان ذكره في هذه السورة على اثر الطلاق الواحدة فكانها في المطلقات الثلاث لان هذه العدة مكان العدة التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة من قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء لانه ذكر ههنا واحصوا العدة على الاجمال وذكرها ثم على التفسير فاذا التحق التفسير بالمجمل يصير في المعنى والحكم كانه واحد ومعلوم ان تلك في الواحد والثلاث الا ترى الى قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان هي التطليقة الثالثة واذا كان الامر على ما وصفنا ثبت ان للمرء ان يطلق امرأته الحامل للسنة ثلاثا والله اعلم قال رحمه الله ثم في قوله ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن اوجه من الفقه احدها انه لما قال في بيوتهن دل انه اراد به السكون في بيوتهن التي كن فيها في حال قيام النكاح فيكون دليلا في قول اصحابنا انه ليس للزوج ان يسكنها معه في بيته الذي هو فيه بل يتركها في ذلك المسكن وينتقل هو بنفسه ان كان يريد الانتقال يصحح هذا قوله اسكنوهن من حيث سكنتم فلما دخل حرف من هذه الاية دل ان الواجب على الزوج ان يسكنها في بيت من بيوته ولا يدخل عليها في ذلك البيت الا ان يتعصى العدة والله اعلم ثم المعنى عندنا في قوله لا تخرجوهن من بيوتهن ليحصن ماءكم ولا يخرجن خوفا من وطئ غير الازواج واشتباه النسب ان لو حبلت واذا كان النهي عن اخراجها وخروجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بد من ايجاب النفقة عليه لانها انما تكتسب نفقتها بالخروج فاذا نهيت عن الخروج لتحصين مائه لم يحتمل ان يكون النفقة على غيره والله اعلم ثم قوله واولات الاحمال اجلهن روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من شاء باهلته ان قوله واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله في سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وجعل عدة الحامل بوضع الحمل ولا يعتبر ابعد الاجلين لكن ان كان ابن مسعود رضي الله عنه يباهل فعلي رضي الله عنه لا يباهل ويقول بان قوله والذين يتوفون منكم لا يجوز ان يدخل في قوله واولات الاحمال اجلهن انما ذكر في عدة الطلاق وعدة الطلاق لا يتضمن عدة الوفاة اذا كانت بالحيض لم يدخل في عدة الاترى ان من طلق امرأته وهي حامل ممن تحيض ثم مات عنها زوجها قبل انقضاء عدتها لم يدخل عدة الوفاة في الحيض الثلاث بل الحيض التي يدخل في عدة الوفاة ونؤمر بان يعتد ما بعد الاجلين فكذلك امر الحامل واذا اشتبه الحال امرنا فيه بالاحتياط ان يعتد بابعد الاجلين ولان عدة الوفاة لم يلزم لوطئ متقدم الا ترى انها قد يلزم من لم يكن زوجها دخل بها الوطء واما عدة الحبل والحيض فانما لزمت لوطئ متقدم واذا لم تكن عدة الوفاة من جنس العدة بالحبل لم يدخل في عدة الحبل فلا يوجب فيه الاحتياط وذلك في الاعتداد بابعد الاجلين ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحوامل يحتمل ان يكون

بعض

بلغني انها في الحقيقة لا يدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصين ماء الزوج واذا مضت ثلاثة اشهر فقد خرجت عن التحصين فكان الوجه ان يسقط النفقة بعد الشهر لكن الله حث من الانفاق في جميع المدة لانها لا محالة انما بقيت في عدة المدة [illegible] لذلك حث الله ثم الانفاق على الحامل [illegible] عندنا والله اعلم واما ابن مسعود رضي الله عنه فانه لا يجوز ان يكون قوله واولات الاحمال اجلهن عنى به [illegible] خطاب ليس بمعطوف على قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم لانه لا يجوز ان يكون الارتياب فيمن يحتمل الحيض وذلك لان الاشهر في الايسات انما اقيمت مقام الاقراء في ذوات الحيض وانما كانت الحامل ممن يحتمل الحيض لم يجز ان يقع له شك [illegible] عدتها وانما كان ذلك خطابا مبتدأ وان كان خطابا مبتدأ فيتناول العدد كلها ومما يدل على ذلك ما روي في خبر سبيعة بنت الحارث الاسلمية انها وضعت بعد وفاة زوجها بخمسة عشر ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج [illegible] الحامل [illegible] بوضع الحمل في جميع الاحوال [illegible] الحسن [illegible] ان يضعن حملهن ولم يقل [illegible] ان يضعن حملهن [illegible] وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا [illegible] ومن يتق الله [illegible] يجعل له من امره يسرا [illegible] كما قال في قوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى يعني ييسر عليه فعل التقوى والطاعة لكن ان الاول ويحتمل ان يكون في جميع الامور في المكاسب والتجارات ومعنى هذا ان من اتقى الله من الحرام يسر الله عليه الحلال ومن اتقى الله في الشبهة يسر عليه في المباح ومن يتق الله في تجارته رزقه ما يرجو من الربح ونمائه وكذلك جميع الامور على هذا السبيل والله اعلم وقوله عز وجل ذلك امر الله انزله اليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون معنى قوله ذلك امر الله اي ذلك التقوى امر الله انزله اليكم ويحتمل ان يكون اراد بقوله ذلك ما تقدم من الايات في المراجعة والاشهاد والطلاق والعدة وغير ذلك انها وان خرجت في الظاهر مخرج الخبر فانها كلها امر الله تعالى انزله اليكم فاتبعوها وجدوا بما امر فيها والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا هذا يدل على ما وصفنا ان التقوى اذا ذكر منفردا انتظم الامر والنهي جميعا الا ترى الى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال ههنا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته وتجعل التقوى مكفرا للسيئات فلولا ان في التقوى اعظم الحسنات لم يكن لقوله يكفر عنه سيئاته معنى والله اعلم وقوله عز وجل اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم في القراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم ويجوز ان يكون قراءة عمر رضي الله عنه هذه ايضا الا ترى انه قال لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت فالكتاب هذا والسنة يجوز ان يكون سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ويجوز ان يكون عند عمر رضي الله عنه في هذا تلاوة ورفع عينها وبقي حكمها ولذلك لا يدع كتاب ربنا الا ترى الى ما قاله عمر رضي الله عنه في امر الزنا سيأتي على الناس زمان يقولون لا نجد الرجم في كتاب الله وانا كنا نتلوا من قبل في سورة الاحزاب الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم فقد رفعت التلاوة وبقي حكمها فكذلك في امر النفقة يجوز ان يكون التلاوة رفع وحكمها باقيا والله اعلم ثم قوله لا ندع كتاب ربنا دلالة ان الكتاب قد ينسخ السنة لان عمر رضي الله عنه انما احتج في امتناعه عن ترك كتاب ربه بقول امرأة لم ندر اصدقت ام كذبت ولولا ان الكتاب قد ينسخ بالسنة لان عمر رضي الله عنه والا لم يكن احتجاجه بقوله لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة يعني بل كان يقول لا ندع كتاب ربنا بالسنة فلما قال لا ندع كتاب ربنا بالسنة قال لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت فدل ان السنة قد ينسخ بالكتاب والله اعلم وروى ابو بكر الاصم ان فاطمة بنت قيس لما انكر عليها عمر رضي الله عنه حديثها تركت روايتها الى زمن مروان فلما استخلف مروان جعلت تروي حديثها فاخبر بذلك مروان فبعث اليها فروت هذا الحديث فقال لها مروان على ما كان يقول لها عمر رضي الله عنه فقالت له اين كتاب ربنا قال الله تعالى قوله اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم وانفقوا عليهن فقالت كيف يحتمل ان يكون هذا في المطلقة ثلاثا والله يقول في هذه امسكوهن بمعروف ومعنى الامساك في المطلقة ثلاثا معدوم فافحم مروان ولو فهم مروان ما فهم غيره لم يفحم وذلك ان هذه العدة المذكورة في هذه الايات كان المذكور في هذه العدة مكان تلك فالمذكور في النفقة في هذه المذكورة في تلك وليس في تلك الاية فرق بين الثلاث والواحدة فلذلك قلنا في كتاب الله تعالى دلالة على ايجاب النفقة في المبتوتة والمطلقة ثلاثا والله اعلم فيكون حجة على الشافعي ومما يدل عليه وهو انه لما استدل بذكر الانفاق في قوله وانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن على وجوب الاسكان والنهي عن الاخراج مع ذكر الانفاق دون الاسكان فلان يستدل بذكر الاسكان على الانفاق لاتصال احدهما بالاخر فصار قوله واسكنوهن دليلا على وجوب الانفاق وانما قلنا ان الانفاق متصل بالاسكان لانه نهى عن اخراجها عن بيته وامر باسكانها فلا يحتمل ان لا يؤمر بالانفاق لان في ذلك تضييق عليها وتقصيرا الا ترى انها انما تكتسب النفقة بالخروج فاذا

فاذا نهى الزوج عن اخراجها ونهيت هي عن الخروج لم تصل الى نفقتها الا بالزوج ضرورة والله اعلم والاجل انا قطعنا ان النفقة
في الحامل للحمل والعدة نوجبنا انها لو كانت واجبة للحمل لم يجب اذا كان حملها بحيث لو وضعته لم يلزم نفقته عليه وقد وجدنا هذا
الحكم نحو حر تزوج امة رجل باذن سيدها فولدت ولدا ان نفقة الولد على السيد وكان يجب عليه ما دام في بطن امه فلما استقام
وجوب النفقة على الزوج ما دامت حاملا وان كان بحيث لو وضعته لم يلزمه نفقته ثبت ان النفقة في الحامل لمكان العدة لا
للحمل والعدة في الحامل واخرى تكون كان حكمها واحد والله اعلم ثم الاصل عندنا ما وصفنا ان النفقة انما وجبت لاستمتاعه النفقة
فاذا كانت محبوسة لاستمتاعه الثاني وجبت النفقة عليه واذا كانت محبوسة لا بهذا الحق لم يكن عليه النفقة والله اعلم ولان
في قوله اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اضمار النفقة كانه يقول اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم
لانه لو لا هذا الاضمار لم يكن لقوله من وجدكم على الظاهر معنى لانه لما قال اسكنوهن علم انه جعل الاسكان عليهم ومن كان عليه
الاسكان فانما يكون من وجده فلم يكن في قوله من وجدكم الا اعلام ما قد علمنا وان كان لذلك ثبت ان في قوله من وجدكم اضمار
يستقيم عليه قوله من وجدكم وليس بين القراء تين اختلاف ولكن احدهما خرجت على الاجمال والثانية على التفسير بما في
قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ولم ذلك على الاختلاف بل حملنا احديهما على الاجمال والتفسير لكن الاول والله اعلم
مما ان لم يثبت اللفظ في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فانه ان يكون في خبر الاحاد ومعلوم ان خبر ابن مسعود
رضي الله عنه وان كان من خبر الاحاد فيما يسنده الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقبولا ولما وجب قبول خبر ابي هريرة رضي الله
عنه مما قيل فيه من الضعف فلان يقبل خبر ابن مسعود رضي الله عنه مع فضله وورعه وكثرة صحبته مع النبي صلى الله
عليه وسلم وتبحره في الفقه اولى ومن هجر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه خيف عليه الزلة الاترى الى ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه سال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اخر القراءة قالوا قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال كلا انما
كان يعرض القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام مرة وعرض عليه في العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرتين وقد شهدهما جميعا ابن مسعود رضي الله عنه فقراءته اخر القراءات وهو الذي شهد قراءة القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر
مرة لم ينبغ ان يعرض عن قراءته ويهجر والله اعلم وفي قوله اسكنوهن من حيث سكنتم دلالة انه انما يسكنها في جزء من اجزاء مسكنه
لا في الموضع الذي يسكنه هو لان من حرف من التجزية والتبعيض **وقوله** عز وجل ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن يحتمل التاويل وجهين
احدهما اي لا تضاروهن في الانفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن او لا تضاروهن في المسكن فتدخلوا عليهن من غير
استيذان فيضيق عليهن المسكن فيخرجن والله اعلم **وقوله** عز وجل وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن دل
الامر بالانفاق على النهي عن الاخراج كما دل النهي عن الاخراج على وجوب الانفاق ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحوامل يحتمل ان يكون
لمعنى انها في الحقيقة لم يدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما تهيت لتحصين ماء الزوج واذا وضعت لتسعة اشهر فقد
خرجت عن التحصين فكان الواجب ان تسقط النفقة بعد التسعة وقد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ويحتمل ان يكون الفائدة في
تخصيص الحوامل بالانفاق عندنا والله اعلم لو لا هذه الاية لكانت الحوامل يخرجن عن قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ومن قوله لا
يخرجن لان الازواج لم ان يحتجوا عليهن ان حرمة النكاح في ذوات الاحمال ليس بحق الازواج ولكن لحق ما في بطنها من الولد الا ترى انه
يحرم عليها النكاح وان كان الولد من غيره وقد قلنا ان النفقة انما وجبت في غير الحوامل لانهن يحبسن عن نكاح الاجانب بحق
الازواج فان كان الحبس في الحوامل لحق الازواج جاز ان يكون حجة في اسقاط النفقة عنهم واذا كان كذلك خص اهم في الانفاق
على الحوامل ما لم يضعن حملهن لان ذلك الحمل منا واستمتاعهم المتقدم ففائدة تخصيص ذكر الحوامل هنا والله اعلم **وقوله**
عز وجل فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن هذا يتضمن وجهين من دلالة الفقه احدهما انه قال فاتوهن اجورهن ثبت ان الارضاع كان
باجارة وانه استاجرها لترضع ولدها منها بعد الفراق فجازت الاجارة وحل لها اخذ الاجر وانه اذا استاجرها وهي في صلب النكاح
على الرضاع ولدها منه لم يجز ولم يكن لها اخذ الاجر لان الله تعالى ذكر بدل الرضاع في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاذا سمي ما ذكره الله تعالى رزقا اجرا لم يكن اجرا وكان بحق الرزق والكسوة فلذلك لم يجز الاجارة
في صلب النكاح والله اعلم ثم قوله فاتوهن اجورهن دليل على ان اللبن وان خلق لمكان الولد فهو ملك لها ولو لا ذلك لم يكن لها ان
تاخذ الاجر على لبن ليس لها فيه ملك وفيه دليل على ان حق الارضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد الاصاغر والحضانة والكفالة
على الزوجات ولو لا ذلك لكان لها بعض الاجر دون الكل فلما اتيناه كل الاجر ثبت ان حق الارضاع على الازواج وعلى الزوجات
الكفالة والامساك والله اعلم ولاجل انا لو جعلنا اللبن ملكا للولد مخلوقا له وجعلنا النفقة على الام من مال نفسها لكانت
نفقتها تفنى ولا تتهيا لها كسب النفقة لاشتغالها بالارضاع فتجوع وتهلك ويذهب لبنها فيبطل الارضاع واذا كان ايجاب
الارضاع عليها يسقط من حيث يراد جعل النفقة فاسقطنا عنها وجعلنا ملك اللبن لتاخذ الاجر عليه والله اعلم وفي هذه
الاية دلالة على ان الاجر انما يجب بعد استيفاء المنافع لانه قال فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن انما توجب الايتاء بعد الار

في قوله اجورهن دلالة على ان الارضاع انما هو باجارة قد سبقت لذلك قال اصحابنا ان الاجرة انما تجب باستيفاء العمل
وقوله عز وجل وائتمروا بينكم بمعروف له وجهان احدهما ان يقول وائتمروا يعني تشاوروا في رضاعه انما تعاسرتم هي وانتم
وائتمروا اي اعملوا بامر من جعل الله تعالى اليه الامر بالمعروف **وقوله** عز وجل وان تعاسرتم فسترضع له اخرى يعني اذا تنازعا
في الرضاع وابت الام ان ترضعه فاطلبوا اخرى ترضعه عندها **وقوله** عز وجل لينفق ذو سعة من سعته اي من وسع عليه
في الرزق فلينفق نفقة واسعة ومن قدر عليه يعني ضيق عليه وقد رها هنا بمعنى ضيق عليه نحو ما قال فظن ان لن نقدر
عليه وكذلك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يعني يضيق عليه اي من ضيق عليه فلينفق نفقة ضيقة فذلك
قوله فلينفق مما اتاه الله والله اعلم **وقوله** عز وجل لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فهو يدل على ان العبادة اكتسبوا من الاموال
فهي كلها مما اتاهم الله تعالى وان الله تعالى في افعال العباد وفيما يكتسبونه من الاموال صنعا وتدبيرا لانه لو لا ذلك لكان يجوز
ان يكلفنا الله تعالى ما لم يؤتنا لانا كان في قدرتنا ان يكتسب ما لم يؤته الله تعالى **وقوله** عز وجل سيجعل الله بعد عسر يسرا في
هذا دليل على انه اذا عجز عن نفقة امراته لم يفرق بينها وبينه لانه اذا فرق بينها لم تصل الى زوج ينفق عليها بالحال بل يحتاج فيه
الى انقضاء العدة وقد يتوهم في خلال ذلك ان يوسر الزوج لان انجاز وعد الله تعالى في الميعاد بعد اليسر اقرب من قدرتها على
زوج ينفق عليها وليس هذا كالامة لانه اذا باع الامة دخلت في ملك اخر ينفق عليها والله اعلم ثم يجوز ان يكون قوله سيجعل الله
بعد عسر يسرا وعدا لجميع الامة ان من ابتلي بالعسر يتبعه اليسر ويجوز ان يكون خطابا للاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
كانوا في عسر وضيق عيش فوعدهم الله بعد ذلك العسر الذي كانوا فيه يسرا وقد انجز الوعد حيث فتح لهم الفتوح وغنمهم على اهل اديانهم
فغنموا اموالهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله وصف الله تعالى القرية بالعتو ومعلوم انه
لا يعتو ولكن المراد منه اي عتى اهلها عن امر ربهم وقد يجوز ان يكنى بالمكان عن الاهل كما قال في اية اخرى واسال القرية التي
كنا فيها يعني واسال اهل القرية وفي هذا دلالة ان ما خرج مخرج الكناية في الحقيقة لم يكن كذبا وان كان في ظاهره يرى انه كذب الا
ترى قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ومعلوم انه لم يكن هناك نعجة ولكن كناية عن النساء فخرج على الصدق في الحقيقة
كانه قال ان هذا اخي لو كان له تسع وتسعون امراة فكذلك الاول والله اعلم والعتو النهاية في الاستكبار الا ترى الى قوله
تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا **وقوله** عز وجل فحاسبناها حسابا شديدا له وجهين من التاويل احدهما يقول
حاسبناها اي جعلنا في الكفر والعتو والاستكبار مبلغا شديدا وامن اهل الحساب الشديد والعذاب المنكر ويحتمل ما ذكر الله تعالى
من نزول النقمة بالامم الماضية لعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا لهذه الامة ليتذكروا ويتعظوا ويكون معناه فحاسبناها اي
نحاسب حسابا شديدا في الاخرة كما كان معنى قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس يعني واذ يقول الله و
لكن التاويل الاول والله اعلم ووجه نزول هذه الاية ان يكون له معنيان احدهما تخويف امة محمد صلى الله عليه وسلم والكفرة من اهل مكة
بما نزل بالامم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والايمان بهم واستكبروا في انفسهم وعتوا لكي ينتهي اهل قريته عليه السلام
عما هم فيه من الكفر والعتو ويحذروا الوقوع فيه في حادث الاوقات ويحتمل ان يكون تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهوينا عليه فيما يلقى من امر قومه وعصيانهم وعتوهم وليعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من امهم حتى بلغ كفرهم واستكبارهم المبلغ
الذي وقع الياس من ايمانهم حتى انزل الله تعالى بهم ما انزل من النقم والعقوبة ويجوز ان يكون هذه محنة امتحن لها رسوله ليبلغ
شفقته على امته في ترك الدعاء عليهم بالاهلاك والله اعلم **وقوله** عز وجل فذاقت وبال امرها اي شدة امرها او نقمة امرها و
عقوبة كفرها **وقوله** عز وجل وكان عاقبة امرها خسرا اي عاقبة عتوها خسارا في الاخرة **وقوله** عز وجل اعد الله لهم عذابا شديدا
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوا الله يا من يدعون انهم فاتقوه عن ان يكفروا به او يعصوا رسوله وفيه دلالة ان خطابه
انما يتناول العقلاء منهم وان من لا عقل له فلا خطاب عليه **وقوله** عز وجل قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا له وجهان احدهما ان
يجعل الذكر والرسول كلاهما واحدا فيقول قد انزل الله اليكم ذكرا وهو الرسول وانما سماه ذكرا لوجهين احدهما انه من اتبعه
شرف وصار مذكورا او سماه ذكرا لانه يذكركم الصالح والفساد وما يرجع الى دينهم ودنياهم ويجوز ان يكون فيه اضمار وهو
ان يقول انزل الله اليكم رسولا **وقوله** عز وجل يتلو عليكم ايات الله مبينات بالخفض فمعناه انها تبين الحلال والحرام والنهي والنسخ
الايات الاحكام والحجج ومن قرا مبينات بالخفض فمعناه انها تبين الحلال والحرام والامر والنهي ومن قرا بالنصب فكانه يريد ان الله
تعالى اوضح اياته وبينها حتى ان من تفكر فيها وتدبر علم انها من عند الله **وقوله** عز وجل ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات
الى النور واذا كان هذا معنى هذا الكلام ان يقول ليخرج الذين كفروا من الظلمات الى النور ولكن يحتمل ان يكون معناه كخرج الذين يؤمنون على
ما يجاز ان من الماضي المستقبل وقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم اي واذ يقول الله يا عيسى بن مريم فجاز ان يراد من المستقبل
الماضي وهو سائغ في اللغة ويحتمل ان يقول ليخرج الذين من ظلمات يحدث لهم بعد ايمانهم الى النور والله اعلم وقيل قوله الذين امنوا
يعني الذين وحدوا الله تعالى وعظموه وبجلوه من معان التشبيه ووصفوه بالتعالي عن العيوب والافات وعملوا بعد ايمانهم صالحا

اذا كانوا فوق درجة بايمانهم وذلك عملهم الصالح في الايمان وذلك معنى قوله او كسبت في ايمانها خيرا ومعنى ذلك الكسب
ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء والخوف في نفس الايمان والله اعلم ويجوز ان يكون معنى قوله وعملوا الصالحات في اداء
الفرايض التي افترض الله عليهم وقوله عز وجل قد احسن الله له رزقا اي طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة وذلك معنى قوله
عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي هذه الاية دلالة ان من نال الايمان فانما ناله بفضله
ورحمته لانه لولا هو كذلك لم يكن ليمن الله تعالى عليه بذلك وقوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اختلف
في قوله ومن الارض مثلهن منهم من قال مثلهن اي طباقا فاشبه السموات بعضها طبقا فوق بعض ومنهم من قال مثلهن يعني سبع جزاير
على مثل ما قال سبعة ابحر فكذلك خلق سبع جزاير ومنهم من قال خلق هذه الارض التي نشاهدها على حد السماء ومقدارها والتي
من وراء هذه السماء والله اعلم وليس بنا الى معرفة ماتيتها وكيفيتها وعددها حاجة لانه ليس في معرفتها حكم يتعلق به والله اعلم
وقوله عز وجل يتنزل الامر بينهن له تاويلان احدهما يتنزل الوحي بينهن وما ينزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن ومعناه
ان الله تعالى ذكر امة عليه السلام انهم لم يخصوا بمحنة الرسل والكتب والوحي بل كل من في السموات والارض ممتحن بذلك والثاني
يتنزل الامر بينهن يعني التكوين ووجه ذلك انه لا يخلو مكان في السموات والارض في كل وقت من مكون يكونه الله تعالى ويحدثه
يحدثه وذلك قوله انما امره لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيجوز ان يكون المراد في قوله يتنزل الامر امر التكوين ومعناه
ما وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اي لكي لتعلموا انا تفكرتم في خلق السموات والارض وما جرى من
التدبير فيهما ان من بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء عادة ادين لهذا التدبير انه تخرج عن علم
لا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير يحتمل وجهين احدهما ان الله تعالى على خلق فعل كل فاعل من خلقه
قدير ووجه ذلك ان الله تعالى قد كان اعلمهم بخلق السموات والارضين بقوله الله الذي خلق سبع سموات فلما قال لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير لم يكن بد من ان يكون هذا في غير خلق السموات والارضين فثبت ان فيه دلالة قدرته على خلق فعل كل مخلوق
فلانه لما بلغ قدرته وتدبيره في السموات والارضين مع عظم امرهما وشانهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما فلان يبلغ قدرته وتدبيره
فيما يقع فيه تدبير البشر وهو انعامهم احق والله المستعان ووجه اخر ان يقول لتعلموا ان الله على كل شيء بما وعد واوعد
قديرا وعلى كل شيء من منافع العباد ومضارهم قدير وعلى قول المعتزلة ان الله تعالى لا يقدر على فعل بعوضة فما فوقها ولا يقدر على اصلاح
احد من خلقه وان نفد جميع خزاينه وان من صلح فانما يصلح بنفسه ومن فسد فانما يفسد بنفسه وهذا خلاف ما وصف الله تعالى
به نفسه من انه على كل شيء قدير وقوله عز وجل وان الله قد احاط بكل شيء علما يعني ان علمه لا يشذ عن شيء ولا يخفى عليه شيء من الفعل والامر وغيره والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك هذا في الظاهر يقتضي بان يحرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما احل الله له ومن قال بانه حرم ما احل الله فقد قال امرا منكرا ولو اعتقد ذلك كان كفرا ومنه من حرم ما احل الله تعالى كان كافرا
ومن اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كافر وقال ابو بكر الاصم دلت هذه الاية على انه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله تعالى
لان الله تعالى عاتب رسوله عن ذلك لكن الامر عندنا ليس على ما ظنه ابو بكر ولا على ما ينسبق اليه وهم بعض الجهال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرم شيئا احله الله تعالى ومن توهم هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر
ودليله عندنا والله اعلم على وجهين احدهما تحريم ما احل الله تعالى هو ان يعتقد تحريم الحلال وتحليل الحرام فيما حرم الله تعالى مطلقا فمن
اعتقد تحريمه حكم عليه بالكفر ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما احل الله اذ لم يوجها عينها عليه تحريما بل امتنع بهاتين
والحرمة التي تثبت بسبب اليمين لم يكن من فعل الادمي وان ثبت بمباشرة السبب منه كالتحريم بالطلاق وبنحو من الاسباب فانه
يثبت من الله تعالى عقيب مباشرة الاسباب من العباد كسائر الاحكام كيف وانه باليمين لا يثبت حرمة نفس الفعل وانما التحريم
من وجه تعظيم الله تعالى الواجب بسبب اليمين وهذا لا يعد تحريم الحلال وتحليل الحرام او اريد بالتحريم منع النفس عن ذلك مع
كونه حلالا لا ان يكون قصده قصد تحريم عينه وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لغرض له في ذلك وهو كقوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع من قبل ولم يحرم عينه ولا التحريم الشرعي اذ الصبي ليس من اهله وانما اريد به امتناعه من الارتضاع من
ثدي امه فعلى ذلك ههنا والله اعلم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب الى حسن العشرة مع ازواجه الى الشفقة عليهن
والرحمة بهن فبلغ في حسن العشرة والصحبة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما احل له واباح له التلذذ به ينبغي به حسن عشرتهن وتبتغي
به مرضاتهن فقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي لا يبلغن بك الشفقة عليهن وحسن العشرة معهن مبلغا تمتنع عن الانتفاع
بما احل الله لك فيخرج هذا تخفيف المؤنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن العشرة معهن لا مخرج النهي والعتاب عن الزلة وهو
كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبلغ من شفقته على اولئك الذين تخلفوا عن الايمان

ان بلغ ما كادت نفسه يهلك فيها كادت في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات تخفيف الامر عليه وكذلك قال ولا تبسطها
كل البسط ليس في الحقيقة نهي عن السخاء على النهاية لكن تخفيفا الامر عليه انه ليس عليك الاسراف في السخاء والنهاية في ذلك بحيث
لا يبقى لنفسك وعيالك شيئا وتؤثر غيرك فعلى ذلك قوله لم تحرم ما احل الله لك خارج مخرج تخفيف المؤنة عليه في حسن العشرة
لا مخرج النهي والله اعلم ثم اختلف في سبب التحريم فمنهم من ذكر ان حفصة رضي الله عنها زارت اهلها وبني عليه السلام في بيت
حفصة فجاءت ام ابراهيم مارية القبطية حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقعها فجاءت حفصة وهما بمكان
فرجعت الى بيت اهلها فمكثت عامة الليل الفصه وقالت حفصة في اخر هذا الخبر ما رايت الي وما عرفت لحقا فقالت لها
عليه السلام اكتمي علي حرام فنزلت هذه الاية ومنهم من يذكر كان يوم رضي الله عنها فاطلعت حفصة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجاريته مارية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم عليه فاخبرت حفصة بما رات عايشة رضي الله عنها
فغضبت عايشة فلم تزل بنبي الله حتى حرمها فنزلت هذه الاية وقال الحكم نزلت الاية في امراة يقال لها ام شريك وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم طلبا مرضات ازواجه فنزلت الاية والله اعلم ومنهم من قال ان الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم كان
عسلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب عند بعض النساء فقالت امراة من نسايه لصاحبتها اذا جاء لنا النبي صلى الله عليه وسلم
فنقول له ما ريح المغافير منك فقالت للنبي فحرمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وليس لنا الى تعرف السبب الذي وقع
التحريم ولا الى تعيين الشيء الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ولكنا نعلم ان الامر الذي كان فهو جرى بينه وبين زوجته
وقوله عز وجل والله غفور رحيم اي غفور لما تقدم من ذنبك وما تاخر لو كان او يكون رحيم حيث لم يعاقبك بما اجترات من
الاقدام على اليمين لا يلائم مسبق من الله تعالى فيه او غفور رحيم عليك وعلى ذنب جلك ان تاما ولم يعود الى مستهاها او غفور رحيم
بما خفف عليك من مؤنة العشرة ولم يجعل عليك ما حملت على نفسك وقوله عز وجل قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فمنهم من يجعل هذا
على النداء للخطاب وينصرف المراد الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فلم يكن يحتاج الى التكفير لازالة المائم ولكن نحن نقول لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان هذا لمحله
فهو وامته في احكام الشرايع مواخذون ويكون على هذا مغفرة زلاته ما تقدم وما تاخر بمباشرة اسبابها من التوبة والكفارة ونحو
ذلك فيكون قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم منصرفا الى النبي عليه السلام وامته ثم يجوز ان يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم قصد الى تحريم اعني منع نفسه عن الانتفاع بها مع اعتقاد الحل لا الى اليمين فجعل الله تعالى ذلك منه يمينا فيكون فيه
دلالة على ان التحريم يمين ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان من قال لامرته انت علي حرام ولا نية له فهو يمين وجاز ان يكون
افصح بالحلف فكني عنه باليمين ثم قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم على القراءة العامة وفي بعض القراءة قد فرض الله كفارة
ايمانكم ووجه الفرض فيه ان الامم من قبل ان يؤذن لهم بالحنث في اليمين ولا ان يحلوا ايمانهم بالكفارة الا ترى الى قوله تعالى وخذ بيدك
ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلم ياذن له بالحنث واباح له الضرب ثم اباح لهذه الامة حل اليمين بالحنث والكفارة فنسب الحل الى
الكفارة ورد الى الكفارة لها بنفسها من جهة الحنث ثم قوله قد فرض الله لكم اي وسع عليكم واحل لكم تحلة اليمين ففي هذا ان كل ما
ذكر فيه كتب لكم اي فرض لكم فهو في موضع الاباحة والتوسيع وما ذكر فيه عليكم فهو على الايجاب والالزام قال الله تعالى كتب عليكم
الصيام وقال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت وذلك كله في موضع الوجوب وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
معناه اباح لكم الدخول فيها وقوله تعالى والله مولاكم اي اولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها واولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة وفي
اولى بكم في نفعكم والدفع عنكم وقوله تعالى والله مولاكم اي اولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها واولى بكم في نفعكم والدفع عنكم
وقوله عز وجل وهو العليم الحكيم اي العليم بمصالحكم او بما تقصدون او بما تسرون وما تعلنون او بما كان ويكون والحكيم هو الذي يحفظ
الخطاء في التدبير او حكيم بما حكم عليكم من تحلة الايمان والله اعلم ثم في قوله العليم الزام المراقبة والمحافظة ودعا الى التبصر و
التيقظ في كل ما يتعاطاه المرء من الافعال ويأتي به من الاقوال وفي قوله الحكيم دعا الى التسليم بحكم الله تعالى اذ الحكيم لا يحكم على
احد الا ما فيه حكمة وفايدة فلزمه تسليم النفس بحكمه على وجه الحكمة فيه او جهله ثم الاصل بعد هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابيح التسع وامر بان يحسن صحبتهن ويبتغي مرضاتهن والمرء يعسر عليه صحبة الاربع بحسن العشرة ويتعذر عليه القيام بمرضاتهن
جميعا فكيف اذا ابتلي بصحبة التسع فكانت المحنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر النساء اشد منه على غيره وامر مع هذا
بحسن معاملة الخلق مع اختلاف هممهم واطوارهم باحسن المعاملة ولكن الله تعالى لما امتحنه بما ذكرنا اتاه من الاخلاق والشمايل التي
خف بها عليه هذه المحنة وسهل عليه المعاملة مع الجملة واتاه من القوة ما ملك بها حفظ حقوقهن وارضاء جملتهن حتى بلغ في حسن
العشرة وابتغاء المرضات ما عوتب عليه وبلغ من جهده في الاسلام الى ان قيل عبس وتولى وبلغ في الشفقة والرحمة على الامة الى ان قيل
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال وانك لعلى خلق عظيم وكان من عظيم خلقه بما جاوز خلقه فوق نفسه فكادت
نفسه يهلك فيه ثم في قيامه عليه السلام بوفاء حقوق التسع وارضائهن دلالة نبوته ورسالته لان الناس عامتنا يتردد على الجماع بما

يصيبوا من الاطعمة والاعذبة ثم هم مع اصابتهم فضول الاطعمة والاشياء اللذيذة يتنفسون عن ابناء جنسهن وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم آثر الزهد في الدنيا وقلت رغبته في طعامها وشرابها وكان مع ذلك يفي بحقوقهن فعلم بهذا انه انما وصل ما ذكرنا بما
قواه الله تعالى عليه واقدره لا بالحيل والاسباب ثم ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالقيام بوفاء حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان ينظرن اليه بعين التبجيل والتعظيم كانت المحنة اشد من المحنة على غيرهن من النساء مع ازواجهن لان المراة قدما تسلم عن رفع
اصواتها على صوت زوجها اذا لم يكن له امراة سواها فكيف اذا كانت معها اخرى ثم هن لو رفعن اصواتهن على صوت رسول الله اوجب
ذلك احباط عملهن على ما قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فلا يجوز ان يمتحن
بهذه الكلفة الشديدة والمحنة العظيمة الا بما شرح الله تعالى صدورهن وبفتح قلوبهن لاحتمال ذلك ثم المحنة علينا بعد هذا اشد
من المحنتين اللتين ذكرناهما الا انا استخلصنا بمعرفة ما تضمنته هذه الاية والاعتقاد لذلك وهي قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ثم
علينا من المحنة ان نصرف الامر الى وجه لا يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض [illegible] من المواخذة فجائز ان يصرف الى ما ذكرنا
من تخفيف الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الاية في موضع تخفيف الامر عليه ليس في موضع النهي وان خرجت
مخرج النهي في الظاهر وجائز ان يكون العتاب لمكان ما روي ان كانت قصة التحريم من اجلها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذن
باستئذان مارية ولم يذهب المحنة ويحبها لتصل الى قضاء شهوتها من قبل الازواج فانما يتوصل الى تسكين شهوتها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم حرمها على نفسه لم يسع عنها لحقاد الامة لاحظ لها في القسم فلحقه العتاب من هذه الجهة ولكن لما كان مطمع وهو
بالتحريم قطع طمعها فقيل لها لم تحرم ما احل الله لك اي لم يمنع نفسك عن قضاء شهوة اباح الله لها قضاء تلك الشهوة فيكون في العتاب
دعا له الى ان يعمل باخير الوجهين واخيرهما ان يوصلها الى ما طمعت منه لا ان يقطع طمعها عنه وان لم يكن لها فيما طمعت حق
والله اعلم والمحنة الثانية علينا ان لا ننسب الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكره انفسنا نسبته الى الامهات لان
لازواجه علينا حق الامهات فان امكننا ان نخرج من امرهن وجها لنسلم عن تنقيصهن فعلنا والا امسكنا عن ذكرهن حسبة
التنقص وترك التبجيل والتعظيم الا ترى الى قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وهكذا الواجب على كل
مؤمن ان لا يظن بازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن الا خيرا وان لا ينظر اليهن الا بعين التعظيم وقال انما سبحانك هذا بهتان
عظيم واذا كان هذا حقهن علينا فلا يجب ان يذكر زلتهن كانت كتب وكتب لما نتوهم ان يكون زلتهن دون الذي خطر على بالنا فيكون
قد اعظمنا القول فيهن فيصيبنا من ذلك عذاب عظيم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم عذاب عظيم ولقائل ان
يقول في قوله هذا بهتان عظيم من اي وجه صار بهتانا عظيما وذنبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن معصومات بل كان يتوهم
منهن الصنيع الذي رمين به فجوابه ان ازواجه كن بالمحل الذي اذا ابتلين رسوله سرا وجهرا اطلع الله تعالى ذلك لنبيه عليه السلام
الا ترى ان احداهن لما افشت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخرى اطلع الله تعالى نبيه على ذلك واذا كان لا يستر عليهن هذا
القدر من الزلة فكيف يستر عليهن فعل الزنا لو وجد منهن فلو وجد من التي رميت فعل الزنا لكان ينبغي الاطلاع من الله تعالى
لرسوله عليه السلام قبل ان يجري به التحادث على السن الخلق فاذا لم يسبق وجب ذلك الفتى [illegible] وما خضها عما رميت به وما ذا الرامي
خابر فاذا الا بالبهتان والزور وفي هذه الاية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا باذن سبق من الله تعالى
اذ لو كان الاذن سابقا لما عوتب عليه ثم قد ذكرنا لم يعاتب لزلة ارتكبها حتى يكون فيه منع عن العمل بالاجتهاد وانما عوتب
لمكان ما حمل على نفسه من فضل المؤنة في العشرة الا ان الاماء لا حظ لهن في القسم وليس لهن من الاوقات ما يكون مثله للحراير
حتى كان يقسم لها فيؤدي فيه حقها وقد اذن له في امساكها وان لا يزوجها فلا يجوز ان لا يدع من يزوجها من هؤلاء يسكن شهوتها
ثم انما يصل الى قضاء وطرها وتسكين شهوتها في نوبة ذلك اليوم لزوجة من زوجاته فجائز ان يكون الله تعالى اكرمه ان يسكن شهوتها
وسكينها من حيث لا يعلمها ازواجه بذلك ثم اطلع بعض نسائه على فعله ليعلمن ان المحنة عليهن بعد العلم وقبل العلم واحدة وان
عليهن ان يعظمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يحملن الغيرة على الاستقبال له بالمكروه والنظر اليه بالتنقص اذ لم يكن عليهن
فيما ياتي تلك الامة في ايامهن تنقيص من حقهن اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطي من القوة في الجماع ما يطوف على جملة
نسائه في ليلة واحدة واما ذكران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كف نفسه عن شرب العسل فذلك يحتمل ايضا ولكن ما ذكر في تحريم
مارية امكن لانه لا يحتمل ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة ما يدخل على نسائه المكروه لاجله وجائز ان
يمتحنهن في استمتاعه بامته مكروه فيحملهن ذلك على ما ذكر فقد صغت قلوبكما وقوله عز وجل واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
حديثا فلما نبات به دل قوله فلما نبات به انه طلب منها اسرار ذلك الحديث الذي اسر اليها وليس بنا حاجة الى تعريف الحديث
الذي اسر اليها وفيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما علم بافشائها سره الى صاحبتها بالله تعالى وهو قوله واظهره الله عليه
وقوله عز وجل عرف بعضه واعرض عن بعض فقد قرئ عرف بالتخفيف والتشديد فمن قرا بالتشديد فهو على ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يخبرها بذلك الشيء الذي اسرت اليها وانما كانت المقصود منه تنبيها بما اظهرت من السر وافشت الى صاحبتها

لينزجر

لينزجر الى العادة الى مثله والبعض من ذلك يعلمها ما يفعل الكل فلم يكن الى لفظها والكل حاجة وذكر في بعض الاخبار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك وسكت عليه وفي هذه الاية دلالة دفعهن عن اسرار ما يحتشمن عن ابداء
مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهن ان فعلن ذلك اظهره الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فيعلم ما تسرون ومن
قرئ عرف بالتخفيف فهو يحمله على الجزاء فيقول عرف بعضا اي يجزي عن بعض ما استوجبه بافشاء السر واعرض عن بعض الجزاء
بقول الرجل لاخر عرفت حتى تعرفت له حقه او عرفت حتى فما عرف حقك اي قوم بجزاء ذلك وذكر في الاخبار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلق حفصة تطليقة ثم نزل جبريل عليه السلام فقال له راجعها فانها صوامة قوامة وانها لزوجتك في الجنة
فجائز ان يكون طلاقه اياها جزاء لبعض صنيعها ثم من الناس من يختار احدى القراءتين على الاخرى فيقرا احديهما ويرغب عن
الاخرى وذلك مما لا يحل لان الامرين جميعا قد وجدا وهو الجزاء والتعريف فجمع الله تعالى الامرين جميعا في اية واحدة وفصل
بين الامرين بالاعراب فليس لاحد ان يؤثر احدى القراءتين على الاخرى وهذا كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام لقد
علمت وعلمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقد علم موسى عليه السلام وعلم فرعون فقد كان الامران جميعا فجمع الله
تعالى بين الامرين في اية واحدة فلا يحل لاحد ان يقرا باحدى الوجهين ويمتنع عن الوجه الاخر وكذلك هذا في قوله تعالى ربنا باعد
بين اسفارنا وربنا باعد بين اسفارنا فمن قرا باعد بين اسفارنا حمله على الدعا ومن قرا باعد حمله على الاخبار وقد كان الام
ان جميعا الدعا والاخبار فليس لاحد ان يؤثر احدهما على الاخر فعلى ذلك الحكم في قوله عرف بعضه وعرف بعضه والله اعلم و
قد وصفنا تاويل قوله العليم الخبير ثم فيهما ما يدعوا الانسان الى المراقبة والتيقظ وقوله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت
قلوبكما في هذه الاية دلالة ان الحديث الذي افشاه كان زوجين لقوله تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما كان اسر النبي صلى الله
عليه وسلم عند احديهما وشرعها ان يفشي الى الاخرى فافشت لكنها لا تعلم ان ذلك الحديث كان ما ذكرنا كان منهما ما يجوز ان
تعاتبان وتدعيان الى التوبة لقوله ان تتوبا الى الله وان خفي ذلك علينا ثم لم تر قالوا ان الله جعل عقوبتهن وتاديبهن اشد من
العقوبة على غيرهن بقوله من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فيجوز ان يندبن الى التوبة بادنى
ذلة حقها التجافي من غيرهن ثم وقوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فجائز ان يكون قوله ان زيادة في الكلام وحشو
الحرف فيكون معناه توبا الى الله فقد صغت قلوبكما ويوقف عليه ثم يبدا بقوله وان تظاهرا عليه وجائز ان يكون حرف
الاثبات فلا يكون حرف ان زيادة ويكون معناه ان تتوبا الى الله والا فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فيكون
الجزاء فيه مضمرا وجائز ان يكون جزاء صنيعهن ان يطلقهن فكانه قال ان تتوبا الى الله فاطلقكن فيكون في هذا تحبيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهن حتى اشتد عليهن الطلاق وخرج الطلاق مخرج العقوبة لهن على صنيعهن والله اعلم وقوله
عز وجل فقد صغت قلوبكما اي مالت عن الحق الذي لرسول الله عليكما وحق الرسول صلى الله عليه وسلم حق عظيم يرد فيه العتاب
بادنى تقصير وقوله عز وجل وان تظاهرا عليه هذا في الظاهر مغايبة فينبغي ان يذكر على المخاطبة فيقال وان تظاهرتما عليه
كما قال تعالى ان تتوبا الى الله قيل فجائز ان يكون معنى قوله ان تتوبا الى الله تابا ورجعنا على ارادة المغايبة وان كان اللفظ
المخاطبة ولكن الصحيح ان قوله وان تظاهرا على المخاطبة معناه وان تظاهرا والله اعلم وقوله عز وجل فان الله هو مولاه [illegible]
ان يتضعضع له لقبول جبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير حتى لا توهم ان غير الله تعالى مولاه ثم ذكر هذا البلاغ في
التهويل والا فالواحد من هؤلاء المذكورين يكفي لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ذكر عقوبتهن اذا وجد منهن
الخلاف بقوله يضاعف لها العذاب ضعفين والاصل ان المبالغة في التاديب مما يبعث المؤدب على حفظ الحدود وكذلك التجافي
في حد العقوبة معونة له في تاديب النفس حتى يملك حفظ نفسه عما يدعوا اليه نفسه وقوله عز وجل وصالح المؤمنين
قيل صالح المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق حفصة دخل عليها عمر رضي الله
عنه فقال لها لو علم الله تعالى في آل عمر خيرا ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامره بمراجعتها وذكر انها صوامة قوامة فجائز ان يكون حفصة رضي الله عنها تصوم النهار وتقوم الليل فخبر قومها
فاعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلعه جبريل عليه السلام على ذلك وروي عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل هم الانبياء والرسل عليهم السلام وذكر الحسن انه
قال صالح المؤمنين من لم يسرق ولا يزني نفعا ثم خص من المؤمنين الصالحين منهم ولم يعم جملة المؤمنين فهذا والله اعلم لانه
لو ذكر المؤمنين على الاجمال لدخلت فيه الزوجتان اللتان تظاهرتا لان اصغاء القلب لا يخرجهما عن ان يكونا من جملة المؤمنين
ولانه ذكر هذا في موضع المعونة في امر الدين وصالح المؤمنين هم الذين يقومون بالمعونات في امر الدين وقوله عز وجل عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وعلى قول المعتزلة لا يملك ان يبدل خيرا منهن لانه لا يقدر على ان يجعل احدا خيرا
على قولهم ولا يملك ان يبدله ازواجا لانه لا يقدر على زعمهم على ان يجعل احدا من النسوان زوجة لاحد وانما المشية والاختيار

الى المتزوج والتفعل منهما وعلى قولنا انه يجعل الخير لمن يشاء فيما شاء وله ان يجعل من النسوان زوجة لمن يشاء من الرجال فهذه الاية يشهد بالصدق لمقالتنا ويرد على المعتزلة قولهم لانه جعل الابدال الى نفسه بقوله يبدله وعلى قولهم لايملك ان يبدله بعد ثم في هذه الاية اباحة الابدال واباحة الطلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله لايحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج حظر الابدال فجايز ان يكون قوله لا يحل لك النساء من بعد مقدما وقوله عسى ربه ان طلقكن متاخرا فيصير منسوخا بهذه الاية الذى يدل على صحة هذا ما روى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت ما خرج رسول الله عليه السلام من الدنيا حتى احلت له النساء فثبت ان الحظر كان مقدما ثم وردت الاباحة من بعد فيحمل الايات على الناسخ والمنسوخ التنافي بينهما وجايز ان يكون حظر عليه الابدال اذا قصد بالطلاق قصد الابدال لما اعجبه من الحسن كما قال ولو اعجبك حسنهن الا فاذا كان قصده من الطلاق الابدال كان ذلك محظورا عليه واذا لم يقصد بالطلاق قصد الابدال ولكن بقصد به قصد المجازات للخلاف الذى ظهر ابيح له ذلك ثم الله تعالى يبدل له خيرا من المطلقة وهو ليس يقصد بالطلاق في قوله عسى ربه ان طلقكن قصد الابدال واذا كان كذلك سلمت الايات عن التناقض وذكر عن ابى بن كعب رضى الله عنه انه سئل فقيل اكان يحل لرسول الله ابدال المراة بامراة فقال بلى فسئل عن قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فقال هذا يصرف الى ما هن من وراء المسميات وهو كقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الى قوله وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبى فذكر بنات العم وبنات الخال والاجنبيات وحظر عليه من سواهن من المحارم فيكون فيه ابانة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان حظر عليه تزويج محارمه من ذوى الرحم كما حظر على غيره اذ هو موضع الاشكال انه المحلل له الزيادة على الاربع يحل له ذوات الارحام من المحارم فازال الاشكال به وقوله عز وجل منكن فجايز ان يكون خيرا منهن للرسول عليه السلام لان يكن خيرا في انفسهن لانه قال مسلمات مومنات قانتات الا ترى الى ما ذكر ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم راجع حفصة فانها صوامة قوامة والذى يدل على هذا ايضا قوله تعالى في اخر هذه الاية ثيبات وابكارا وقد وجدتها نان التنقياه في ازواجه فثبت ان معناه ما ذكرنا وجايز ان يكن خيرا منهن ايضا في انفسهن من حيث الجمال والنسب ونحو ذلك ويصرن خيرا منهن لما يكن للخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتظاهرن عليه ويكن هولاء دونهن اذا التزمن الخلاف ودمن على التظاهر فاما اذا امسكن عن الخلاف وتبن عما سبق من الخلاف فهن وغيرهن بمحل واحد وقوله عز وجل مسلمات مومنات قد بينا ان كل مسلم مومن في التحصيل لان معنى الاسلام والايمان واحد اذ الاسلام هو ان يجعل الاشياء كلها لله تعالى خالصة سالمة لا يشرك فيها غيره و الايمان التصديق وهو ان يصدق الله تعالى رب كل شى واذا صدقنا انه رب كل شى فقد جعلت الاشيا كلها له سالمة اى يصدق كلا بما يشهد لله تعالى بالربوبية بجوهره فثبت ان كل يقتضى ما يقتضيه الاخر من المعنى فاذا ذكر احدهما بالانفراد ففى ذكره ذكر الاخر واذا جمعا في الذكر صرف هذا الى وجه وهذا الى وجه وهكذا ما ذكرنا والتقوى انه يقتضى معنى الاحسان اذا ذكر مفردا لان التقوى هو ان يتقى من المهالك والاتقاء عن المهالك يقع باكتساب المحاسن واذا ذكرا معا صرف التقوى الى اتقاء الكفر والاحسان الى فعل الخيرات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لم يومن جاره بوايقه وقال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده فصرف هذا الى وجه وهذا الى وجه وهما في التحصيل واحد لانهم اذا امنوا بوايقه فقد سلموا من لسانه ويده وقوله عز وجل قانتات قيل مطيعات وقيل القايمات بالليالى للصلوة وهذا اشبه لانه ذكر السايحات بعد هذا والصالحات الصايمات وذكر الصيام بالنهار فيكون تاويل القانتات راجعا الى قيام الليل ليكون فيه احياء الليل والنهار بالعبادة ولذلك قال جبريل صلوات الله عليه في وصف حفصة رضى الله عنها انها صوامة قوامة اى صوامة بالنهار وقوامة بالليل وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الاعمال فقال طول القنوت وهو القيام بالليل وقوله عز وجل تائبات هن اللاتى لا يصررن على الذنب بل نزعن الى الله تعالى بالتوبة والتضرع اذا ابتلين بالخطيئة وقوله عز وجل عابدات ذكر ابو بكر ان العابد لا يسمى عابدا بما حق يتطوع فان كان على هذا ففيه انهن يقمن باداء الفرايض ويتطوعن مع ذلك وعن ابن عباس رضى الله انه قال كل عبادة في القران فهو توحيد والعابدات الموحدات فالموحد هو الذى يصدق ان خالق الخلق كله واحد لا شريك له فجايز ان يكون العابد موحدا لانه يجعل لله تعالى خالصا لا يشرك في عبادته احدا فيكون فيها معنى التوحيد لكن من حيث الفعل فيكون احد التوحيدين بالقبول والثانى بالمعاملة والفعل وقيل العابد هو الذى يودى الفرايض وقوله عز وجل سائحات هو الذى يسيح في الارض بغير زاد فسمى الصايم صايحات لما كف نفسه عن التناول من الزاد فقوله سايحات اى صايمات وقوله عز وجل ثيبات وابكارا لم يرد بهذا انه يبدل نسوة ابكارا و ثيبات ولكن معناه انه يبدله من كن بهذا الوصف ثم جمع بين الثيبات والابكار لان الثيبات مما يقل رغبة الخلق ويبغى عنه الطبع فجمع بينهما في موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لانه لا تفترق كل الرغبة الى الابكار بل تزوجوا الثيبا

كما يتزوجون الابكار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا يحتمل ان يكون معناه قوا انفسكم فيما يدعوا اليه انفسكم لان الانفس يامرهم بالسوء ويدعوهم اليه كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وجايز ان يكون قوله تعالى قوا انفسكم اى قوها عن الطريق الذى اذا سلكتموه افضى بكم الى النار وقوا اهليكم ايضا عن ذلك الطريق وذلك يكون بالعمل لان العمل على ضربين عمل يفضى بصاحبه وعمل يفضى به الى النار فيكون التقوى في هذا الوجه راجعا الى الاعمال وفي وجه الاول الى الانفس ويحتمل قوا انفسكم باكتساب الاسباب التى هى اسباب النجاة عن العطب و الهلاك واهليكم بان يعلموهم الاسباب التى هى اسباب الخلاص عن النار وقال مجاهد تاويله قوا انفسكم وبلغوا اهليكم النار ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال هنا التضرع اليه والفزع لديه فيكون هو بفضله يقى عن النار لما علم انا لا نصل اليه بتقوى انفسنا وجعلنا وقوله عز وجل وقودها الناس والحجارة فهذا على المبالغة في وصف شدتها واخبر ان شدتها ينتهى الى هذا في ان صير الناس وقودا وكذلك الحجارة والناس والحجارة لا يتقدان في النار لان النار اذا علت في الانسان حرقته ولم يتقد فلا يصير وقودا وكذلك اذا اصاب الحجارة رضتها ولا تشتعل فيكون فيه تبيين شدتها ابلاغا في الزجر وجايز ان يكون اريد بالحجارة التى اتخذوها اصناما يعبدونها ليشفعوا ويدفع عنهم العذاب كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون وقال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اى يصير عذابا عليهم وهم رجوا ان يكون سببا لخلاصهم فصارت عليهم ضدا وقوله عز وجل عليها ملايكة غلاظ شداد فجايز ان يكون هذا وصفهم انهم خلقوا غلاظا شدادا وجايز ان يكون اشداء على الكفار واعداء الله تعالى رحماء على اوليائه الا ترى الى قوله تعالى ويفعلون ما يومرون فتبين ان اشتدادهم بمكان الامر وهو كقوله تعالى والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة على الكفرة وبالرحمة على المومنين فجايز ان يكون الملايكة تكون لك في الاخرة وفي هذا دلالة ان الملايكة امتحنوا بالامر والنهى في الاخرة لان ملايكة الرحمة امتحنوا باتيان التحف و الكرامات الى اهل الجنة وملايكة العذاب امتحنوا بتعذيب اهل النار وبالغلظة عليهم والشدة واذا امر كل من الفريقين بما ذكر فقد نهى عن تركه قال ابو بكر الاصم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وفي قوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الاية الزام الوعيد باهل الصلوة لانهم الزمهم الاتقاء من النار والزمهم التوبة ليكفر عنهم سيئاتهم ولو لم يكن الوعيد لازما عليهم لم يكونوا يحتاجون الى الاتقاء وهذا منه ومن جملة اهل الاعتزال تحريف الكلام عن مواضعه لان الله تعالى ذكر هذا الوعيد في اهل الايمان يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ولم يذكر الله تعالى اهل الصلوة ولا الحق بهم الوعيد فهم يقطعون الوعيد عمن الحق الله تعالى بهم الوعيد وهم المومنون ويلزمونه على من لم يجر ذكره في القران ولا الحق به الوعيد وهذا تحريف الكتاب وقلب القصة ولانه صار من اهل الصلوة بايمانه اذ لولا ايمانه لما كان هو من اهل الصلوة فاذا الحقوا الوعيد باهل الصلوة فقد الحقوه باهل الايمان فلم يبق بيننا وبينهم الا سوء الخلق والا فلا معنى لقلبه عن اهل الايمان والحاقه باهل الصلوة هو اهل الايمان ثم الوعيد على قولهم انما يلزم اهل الايمان في وقت خروجهم من الايمان ونحن نقول في الوعيد المذكور في اهل الايمان انه يجوز ان يلحقهم في حال ايمانهم ويعذبهم الله تعالى باجرامهم ويحتمل ان يقع لهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان وهم يقطعون الوعيد من احد الوجهين ويجعلونه ونحن نلزمهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان ولا ينفى الوعيد عمن لم يخرج بعد من ايمانه فصرنا نحن اشد استعمالا لما يقتضيه ظاهر الايات منهم فصار العمو وحجة عليهم لا علينا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ليس في هذا قبول العذر ولو كان لهم عذر ولكن اعتذارهم هو الندم عما كانوا فيه والانابة الى الله تعالى والتوبة اليه وليس ذلك وقت قبول التوبة لان ذلك الوقت هو وقت خروج ملك انفسهم عن انفسهم فلا يقبل في ذلك الوقت ايمان ولا عمل وقوله عز وجل انما تجزون ما كنتم تعملون يعنى ان عملكم السوء هو الذى الزمكم العذاب في الحكمة فتجزون بعملكم واسئتم تجزون بعملكم ولستم تجزونه لمنفعة ترجع الينا او بما حملتم من اوزار الغير ولكن باعمالكم الخبيثة التى في الحكمة التعذيب عليها وفي هذا دلالة نفى العذاب عن اطفال المشركين لانه لم يوجد منهم عمل يجزون بعملهم ولا يجوز ان يعذبوا بعد ذنب اباءهم لانه اخبر ان كلا يجزى بعمله لا بعمل غيره والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ففى هذه الايات الزام التوبة على بقاء اسم الايمان لانه الزمهم التوبة بعد ان سماهم مومنين واخبر انه يكفر عنهم سيئاتهم بالتوبة ومن مذهب الاعتزال ان الصغاير مغفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكبائر فلا يحتاجون الى التوبة عنها واذا كان كذلك فالاية في الكباير وعندهم والكباير يخرج اهلها على قولهم من الايمان والله اعلم قد ابقى لهم اسم الايمان فمن ازال عنهم الاسم فقد خالف نص القران وان زعموا ان الاية في الصغاير ففيه دلالة على ان الله تعالى ان يعذب على الصغاير وانها غير مغفورة حتى وقعت الحاجة الى التوبة وطلب المغفرة وقال ايضا في اية اخرى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون فاما ان يكون امروا بالتوبة عن الصغاير فيكون فيه دلالة بقائهم على الايمان وكذلك

واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وان كان استغفاره على الصغاير ففيه دلالة انها غير مقصودة كما جرى في
طلب المغفرة ولو كان الامر على ما ظنه المعتزلة لكان سؤاله المغفرة يخرج مخرج الاستهزاء برب العالمين لانه يطلب منه ما لا يملك رد
ذلك في الشاهد هزء واستخفاف بالمسؤول وان كان في الكباير ففيه دلالة بقايهم وثباتهم على الايمان لانه قال وللمؤمنين والمؤمنات
ثم وقوله عز وجل توبة نصوحا قرئ بنصب النون وضمها نصوحا والضم يخرج مخرج المصدر والمفتوح بالفتح يخرج مخرج
نعت التوبة والفعول من الاخبار هو اسم المبالغة في الامر فكانه يقول توبوا توبة تناهت في نصحها ومبالغة ان يكون نادما
في توبته وعلامة الصدق ان يكون نادما بقلبه عما فعل عازما على ان لا يرجع اليه وان يقلع بريه عما كان فيه من الخطأ
وان يستغفر الله بلسانه فيستعمل كل جسده في الندم والانقلاع كما استعمل سايره في التلذذ بالماثم فذلك هو المبالغة في النصح
وقوله عز وجل يكفر عنكم سيئاتكم بالتوبة ففي هذا اية ان من السيئات سيئات لا يكفر الا بالتوبة ومنها لا يكفر باجتناب الكباير
بقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم لا ان يكفر كلها بالاجتناب عن الكباير كما زعمت المعتزلة وقوله
عز وجل ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقد مر بيانه هذا وقوله عز وجل يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والمعتزلة
بهذه الاية تعلق وهو انه قالوا بان الله تعالى اخبر انه لا يخزي النبي والمؤمنين والاخزاء يقع بالعذاب فقد وعد ان لا يعذب
الذين امنوا ولو كان اصحاب الكباير مؤمنين لم يخف عليهم العذاب اذ قد وعد ان لا يخزي المؤمنين ومن قولكم انه يخاف عليهم
العذاب فثبت انهم ليسوا بمؤمنين ولكن نقول ان بهذا السؤال يلزمهم من الوجه الذي اراد والزام خصومهم لان في الاية
وعد بان لا يخزي الذين امنوا وهم يعرفون ان اهل الكباير ممن قد امنوا ولكنهم بعد ارتكابهم الكباير ليسوا بمؤمنين والاية لم
ينطق بنفي الاخزاء عن المؤمنين وانما قال والذين امنوا وهم يقطعون القول باخزاء من قد امن فصار هم المحجوجين بهذه الاية ثم
حق هذه الاية عندنا ان نقف على قوله النبي اي لا يخزيه الله تعالى فان يرد شفاعته او يعذبه وقوله عز وجل والذين امنوا
معه ابتداء كلام وخبره ويسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهو كقوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به او لا يخزي
الذين امنوا بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان الاخزاء هو الفضيحة اي لا يفضحهم يوم القيمة بين يدي الكفار ويجوز
ان يعذبهم على وجه لا يقف عليهم الغيرة والخزي هو الفضيحة وهتك الستر ولا يفعل ذلك بالمؤمنين بفضله والله اعلم وقوله عز وجل
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي بين ايديهم اذا مشوا وبايمانهم عند الحساب لانهم لا يؤتون الكتاب بايمانهم وفيه م
نور وخيرا ويسعى النور بين ايديهم في موضع وضع الاقدام وبايمانهم لان ذلك طريقهم وسائر طرق الكفرة وقوله عز وجل
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يجاز ان يقولوا هذا عند انطفاء نور المنافقين فيخافون انقطاع ذلك النور عنهم ايضا فيقولون
هذا عند ضعف فيشبه الوتر الايمان والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين قيل جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين باقامة الحدود عليهم وذلك ان المنافقين هم الذين كانوا يرتكبون الماثم التي اوجب لها الحدود
ففيهم نزلت الحدود واما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عصموا عن الماثم التي لها الحدود وقالت الباطنية في
قوله جاهد الكفار والمنافقين اي هذا الكفار والمنافقين بالقتال فكان مامورا بالقتال مع الفريقين جميعا ولكنه اشتغل
بقتال اهل الكفر ولم يتفرغ لقتال اهل النفاق فتولى قتالهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وما ذكران رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه حين راى عليا رضي الله عنه يخصف نعله يقاتل على التاويل كما قاتل على التنزيل وقاتله عن التاويل
قتال اهل النفاق فان كان الامر على ما ذكر وامر القتال فابو بكر رضي الله عنه هو الذي تولى قتال اهل النفاق لا علي رضي الله عنه
لانه ذكر ان العرب ارتدت ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم ابو بكر رضي الله عنه وارتدادهم يدل على انهم لم يكونوا
محققين في ايمانهم اذ لو كانوا كذلك لم يرجعوا بل كانوا منافقين واما الذين قاتلهم علي رضي الله عنه فلم يكونوا منافقين بل كانوا
يدعون عليا رضي الله الى ان يحكم بكتاب الله تعالى والمنافق هو الذي يظهر من نفسه انه يعمل بحكم الله تعالى ثم يسر بخلاف حكمه لا ان
يدعوا الى العمل بحكم الله تعالى ثم يسر بخلاف حكمه لا ان يدعوا الى العمل بحكم الله تعالى وهذه السمة ظهرت في الذين قاتلهم ابو بكر رضي الله
عنه دون الذين قاتلهم علي رضي الله عنه ثم يجاهد ه صلى الله عليه وسلم في تقرير الحجة في قلوب الكفرة والمنافقين والزامها عليهم
وذلك يكون مرة بالسيف ومرة بالزامها باللسان ووجه الزام الحجة بالسيف ما ذكرنا ان غلبته على الاعداء مع كثرة شوكتهم
وقلة انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم نصر الله اياه وكونه على الحق فيحملهم ذلك على الايمان بالله تعالى واذا كان كذلك
فقوله جاهد الكفار والمنافقين في الزام الحجة فان كانوا في موضع امن فجاهدهم في الزام الحجة عليهم من جهة القبول وان كانوا
في موضع المحاربة والقتال فجاهدهم في قتالهم وقد كان من المنافقين من قد لحق بالكفرة وذهب منهم الى قوم فالحكم في المنافقين
فيشبه من لحق بهم قاتلهم مع الكفرة ومن لم يلحق بهم الزمهم الحجة والله اعلم وقوله عز وجل واغلظ عليهم اي اشدد عليهم و
التشديد عليهم ان يسفه احلامهم ويهتك استارهم وهو ان يبين لهم ما هم عليه من النفاق وقوله عز وجل ومأويهم جهنم وبئس
المصير قد تقدم ذكره هذا ثم في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار دلالة فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على من تقدم من الانبياء والرسل

عليهم السلام لانه ذكر موسى عليه السلام في التورية يا موسى وفي الانجيل يا عيسى وفي مخاطبات آدم يا ادم فسمى كل نبي باسمه
سوى نبينا صلى الله عليه وسلم فانه ذكر وخاطبه بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول وبالنبوة والرسالة استحق الفضيلة فذكره
باسم فضله وخاطبه به وذكر غيره من الانبياء عليهم باسم شخصه وقوله عز وجل ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فجايز ان هذا المثل لكان الكفرة الذين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال من جهة م
القرابة فكانوا يطمعون منه الشفاعة في الاخرة ان كان الامر على ما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لانهم عرفوه بالشفقة والرحمة على
الخلق جملة فكيف يدع شفقته ورحمته على قرابته وهو يراهم يتردون في الهلاك فبين لهم شان امرأة نوح وامرأة لوط وانما
كان بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من الاتصال لانه لا ينفعوا باتصالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويجايزان يكون هذا في بدء
الاسلام في الوقت الذي يتعزز الاباء بالاسلام دون الابناء والابناء دون الاباء فيكون المثل لكان اولئك الذين التزموا و
داموا عليه ولم يتبعوا اباهم وابناءهم فيقول لا ينفع من دام على الكفر اسلام من اسلم منهم وان كان بينهما قرب من جهة الابوة والبنوة
لان يرحم الانسان وشفقته على زوجته اكثر من شفقته على ما ذكرنا وكذلك الاشتمال فاذا لا ينفعهما اسلام زوجتهما فكذلك
لا ينفع اوليك الذين داموا على الكفر اسلام من اسلم من ابائهم وابنائهم ويجايزان يكون هذا المثل لكان اهل النفاق فيما اظهروا واموا نفق
المؤمنين واسروا الخلاف له فيخبرانه لا ينفعهم اظهارهم موافقتهم في الدين اذا كانوا على خلافه في التحقيق كما لم ينفع زوجتي
نوح ولوط عليهما السلام ما اظهر الموافقة منهما لزوجيهما اذا كانتا على خلافهما في السر والله اعلم قال ابو بكر الاصم فهذه الاية دلالة
ان صلاح الصالح لا ينفع الطالح كما لم ينفع صلاح نوح ولوط عليهما السلام الزوجتين اذا كانتا في انفسهما فاسدتين وادا
بهذا الشفاعة لاهل الكباير وليس كما ذكر لان هذا المثل للكافرين لا للعصاة اذ لم يقل ضرب الله مثلا الذين عصوا فليس له متعلق
في هذه الاية ثم قد يجد صلاح الصلاح في الشاهد ينفع الصالح وان لم ينفع الكافر لان المرأة قد يكون له زوجة صالحة م
يمتنع عن كثير من الشرور لكان زوجها من اهل الصلاح والستر وكذلك الولد ينفعه صلاح والديه في الدنيا اذ تحتشمهما
ينتهي عن كثير من المناهي لصلاحهما فقد نفعه صلاح والديه ونفعها صلاح زوجها فجايز ان ينفع الصالح ايضا في الاخرة م
صلاح الصالحين واما الكافر فهو لم ينتفع من الخلاف بمكان ابويه ولا لمكان احد من الخلق فلم ينفعه اسلام ابويه ولا صلاحهما
في الدنيا فكذلك لا ينفعه في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
اي فخانتاهما في الدين ومنهم من يذكر ان خيانة امرأة نوح هو انه اخبرت قومه بجنون زوجها وكانت خيانة امرأة لوط هو انه
اخبرت قوم لوط بشان اضيافه ولكن ان كان هذا صحيحا فهو يرجع الى الاول لان الذي حمل كل واحدة منهما على الاخبار الخبر
موافقتهما اولئك القوم وخلافهما لزوجيهما في الدين فلا يجب ان يشهد بهذا الا بالتواتر خبار وذكر بعضهم انهما ربما كانت خيانتهما
زناهما وهذا غير ثابت لان الانبياء عليهم السلام عصموا عما يرجع العار والشين والزوج يتعير بزنا زوجته وفي نتشيه
وفيه التهمة في اولادهم فدل ان صلاح التاويل غير صحيح وحاجتنا الى وجوب الخيانة منهما دون التفسير ولا يجب ان يشهد
بهذا الا بتواتر جاء من يدي الحجة وقوله عز وجل ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون وجه ضرب المثل بها هو انه يعلم المقهور
تحت ايدي الكفرة ان لا عذر له في التخلف عن الايمان بالله تعالى اذ كانت امرأة فرعون مقهورة تحت يديه وكانت بين ظهري
في الظلمة ولم يمنعها ذلك عن الايمان بالله تعالى وعن التصديق برسوله موسى عليه السلام والثاني انها لم يشاهد زوجها
من القوم بين ظهرانيهم سوى الكفر بالله تعالى ثم الله تعالى بلطفه الهمها الايمان به فامنت وكانت امرأة نوح تحت نوح ولم
تشاهد منه سوى الطاعة والعبادة لربه عز وجل وصلاته لم ينفعها ايمانه وعبادته ليعلم انه لا ينفع احد اسلام احد ولا يضر
احد اكفر غيره انما يصير مؤمنا بفعل نفسه كافرا بفعل نفسه وقوله عز وجل اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا بقيام الوجه الذي
عرفت بناء زوجها وغيره من الخلايق وانما ارادت بقوله ابن لي اي اخلق لي بيتا في الجنة ولذلك لم يفهم احد بقوله فنفخنا
فيه من روحنا ما فهم الخالق من النفخ في الاشياء وانما فهموا به الخلق والانشاء فما بال المشبهة فهموا من قوله تعالى ثم استوى
الى السماء ومن قوله استوى على العرش ما فهموا من الاستواء المضاف الى الخلق لولا ضعف اعتقادهم وجهلهم تصانيفهم
في التحقيق ثم الاصل ان ينظر الى الاسماء التي هي اسماء الافعال المشتركة فيما بين الخلق اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى فيحمل
على الاسماء التي هي اسماء الافعال المخصوصة لله تعالى فاذا اريد بالاسم المخصوص من ذلك فذلك المعنى هو المراد بالاسم و
المشتركة فالاسم المخصوص لفعل الله تعالى هو الخلق اذ لا احد يسمى احدا من الخلايق خالقا فيفهم بقولها ابن لي عندك بيتا اي
اخلق لي ويفهم من قوله فنفخنا فيه من روحنا الخلق والانشاء والذي تبين ان الاسماء المخصوصة ويفهم بها ما يفهم بالاخرى
قوله تعالى يسيركم في البر والبحر ومعناه هو الذي يخلق سيركم في البر والبحر وقال هو الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحيوة
قال يضل من يشاء اي يخلق الضلال ويهدي من يشاء اي يخلق هدايته ومن حمل الامر على ما ذكرنا سلم من الشبه كلها ودساوس
الشيطان وسلم من التشبيه والله الموفق وفي هذا دلالة ايمانها بالبعث والحساب ثم من الجايز ان يكون وصلت الى علم البعث

والحساب بالثقلين او ينظرها و نتكرها في الحجج والبراهين وذكر اهل التفسير انها قالت ذلك عند ما صدبها
فرعون واختلفوا في صفة العذاب من اوجه وحق مثله الامساك عنه ولا نشتغل بتفسيرها لما يتوهم من وقوع زيادة
فيها او نقصان على العدد الذي بين في الكتب المتقدمة ومن الانباء جعلت حججا لرسالة نبينا عليه السلام على اهل الكتاب
لما وجد وما موافقة لانباء الذي ذكرت في كتبهم واذا وقع فيها زيادة او نقصان وجد وافيه موضع الطعن في رسالته
فلهذا المعنى ما يجب ترك الخوض فيها والاعراض من ذكرها وذكر عن الحسن وغيره انه مات مؤمن ولا كافر الا يبني في الجنة
فان مات على الاسلام سكن البيت وان قبض كافرا ورث غيره وهذا لا يحتمل لان الله تعالى اذا علم انه يموت على الكفر فهو يبنى
ذلك كيلا يسكنه ومن بنى لنفسه في الشاهد وهو يعلم انه لا يسكنه صار عابثا في فعله وجل الله تعالى عن ان بالعبث وقوله
عزوجل ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين اي نجني من شر فرعون وجوره ومن عمله اي من كفره فيكون قولها
نجني من فرعون راجعا الى نفسه والاخر راجعا الى عمله ونجني من قوم راجعا الى قومه فسالت النجاة منهم جملة لما كانوا
يمنعونه بها عن عبادة الله تعالى فكانت تخاف ناحيتهم ولا بامن وتخاف منهم فسالت النجاة منهم لتصل الى العبادة ربها
وقوله عزوجل ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فاخبر عنها باحصانها فرجها وذلك بالاسباب وهي ما اتخذت
بين نفسها وبين الناس حجابا لئلا يقع بصر الناس عليها ولا يقع بصرها عليهم فيصل به الى تحصين فرجها قال الله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وهم اذا غضوا الابصار وصلوا الى حفظ الفروج ففي الحجاب غضوا لبصر
وصول الى حفظ الفروج واحصانه وقال في اية اخرى يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك وتطهيره اياها فان
طهرها من الفواحش والزنا فاضاف الاحصان اليها في الاية الاولى واضاف التطهير ها هنا الى نفسه فوجه اضافة الاحصان
اليها ماذكرنا انها تكلفت الاسباب التي هي اسباب الموانع للزنا الدواعي الى الاحصان واضاف الى نفسه التطهير لانه وقوع ذلك
حصوله كان برغبته ودلاله ان كل فعل من افعال العباد لا يخلوا من ان يكون لله تعالى فيه صنع وتدبير وقوله عزوجل فنفخنا
فيه من روحنا اي خلقنا فيه وما به يحيى الصور والابدان وقوله فيه اي في عيسى وقال في اية اخرى فنفخنا فيها اي في شق جيبها
عليها السلام ولنفس من نفس تشبيهه بالنفخ ان الروح اذا خلق فيه انتشر في الجسد كالريح اذا نفخت في شي انتشر فيها الشبه
بالنفخ لسرعة دخوله فيها نفخ فيه كالروح والله اعلم وقوله عزوجل وصدقت بكلمات ربها يجاز ان يكون الكلمات ويبشر بها زكريا
بيتكم اياه يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح وقوله يامريم ان الله اصطفاك وقوله وهزي اليك بجذع النخلة فهذه وقت بحملها
من عند الله لا شيئ في اليها السلطان او صدقت بكلمات ربها اي بحجج ربها وبراهينه ويحتمل ان الحق بكلمات ربي اي بحجج وادلة ثم
يكون الحجج حجج البعث والحجج الرسالة والوحدانية اي بوت له وصدقت كلمات ربها اي الكلمات التي بسبب قد بيان التوراة
فصدقت انها عند من عند ربها والله اعلم وقوله عزوجل وكتابه وقوله وكتبه وقد يقتلبها الكتاب يقدر منها الكتب لانه
من كتاب من كتب الله تعالى فقد امن بسائر كتبه لانها يراعي بعضها بعضا ومن كذب بكتاب فقد كذب بكل كتاب له على الاشارة
اليه فثبت ان في الايمان بكتاب ايمان بسائر الكتب فكل واحد من القرائتين يتضمن معنى القراءة الاخرى فان قوله بكلماته
بالانجيل وقوله بكتبه اي بالانجيل وسائر الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله تعالى وقوله عزوجل وكانت من القانتين قيل من المصلين
لانه قال في اية اخرى يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين واذا وصف وصف الصلوة فالقنوت هذا الامر فصارت من القانتين وقيل

اي من المطيعين لربها والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عزوجل تبارك الذي بيده الملك قيل تعالى وتعاظم وتبارك تفاعل من البركة والبركة كناية عن نفي كل عيب قال الله عزوجل
وانزلنا من السماء ماء مباركا اي ما لا كدورة فيه ولا تدد بل هو ماء مطهر من كل افة وغير نفى قولنا تبارك اي تعالى من ان يكون له شبيه
وعديل وتعاظم عما قالت فيه الملحدة ومن ان يلحقه المعايب والافات وقوله عزوجل بيده الملك اي الذي له ملك الملك لانه قال
في موضع اخر قل اللهم مالك الملك اي الذي له الملك فذكر اليد ها هنا مكان المالك هناك فامتدح جل وعلا بملك الملك وكونه مالكا له
والمعتزلة يقولون بان ملك الكفرة ليس له لانه لا يؤتي الملك تعالى ويتلون في قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه
الله الملك ان الذي اتاه الله الملك هو ابراهيم عليه السلام والهاء ينصرف اليه لا الى الذي حاجه واذا لم يجعلوا ملك ملك
الكفر في يده لم يصر ممتدحا بما ذكرنا لانه يكون في يده بعض الملك لا كله وقال في اية اخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء وعلى قولهم يصير الملك في يد من لا يشاء لانه لا يشاء والملك لكافر ومع ذلك يوجد فيهم الملك ثم ما ينبغي لهم ان يتطعوا
القول بان الله تعالى لا يؤتي الملك الكافر بل عليهم ان كان اتاه الملك اصلح لهم ابا وان كان شرا لهم لم يؤتهم اذ من مذهبهم
ان الملك اصلح لهم لا يفعل العبد الا ما هو اصلح له في الدين والدنيا في حقه فهذا جملة اعتقادهم ثم هؤلاء يعرفون الوجه الذي له
صار اصلح في كل شي على الاشارة اليه لانهم يتولون في ابقاء ابليس اللعين الى اليوم المعلوم صلاح وانه كان لا نعرف الوجه

الذي له صار اصلح وابقاء الانبياء والرسل عليهم السلام كان اصلح وان لم نعرف من اي وجه صار اصلح فليعقولوا هنا بان ابقاء الملك
ان كان اصلح لهم لم يكن له ان لا يؤتيهم وان كان شرا فعليه ان لا يؤتيهم لا ان يجعلوا الامر على النفي ثم الملك اسم عام وهو عبارة عن نفاذ
التدبير والسلطان والولاية والملك هو ان يكون لمالك خاصة في الشي لاينا ولمن ذلك الشي الا باذنه وقد يكون ملكا ليس بمالك لكل
واحد من الوجهين يقتضي معنى غير ما يقتضيه الاخر وجائزان يكون تاويل قوله بيده الملك اي ملك كل ملك من اهل الارض بيده لانه ان شاء
ابقى له الملك وان شاء نزعه فمانرى ملك في دار الدنيا الا ملكه في الحقيقة والله اعلم وقوله عزوجل وهو على كل شي قدير فامتدح نفسه
تعالى بانه على ما يشاء قدير وذلك من اضاف ربوبيته ايضا ومن قول المعتزلة انه على اكثر الاشياء غير قدير لانهم يجعلون المعدوم شيئا
فشيئية الاشياء لا نشاء الله تعالى ويجعلون ظهورها بالله تعالى فقط واذا كان كذلك فهو لم يصر قادرا على شيئية الاشياء وكذلك
يقولون الخلق والقدرة عن افعال العباد ومن قولهم ايضا ان افعال العبد بيد الله وانما قدر عبدا من عبيده على الهداية خرجت القدرة
من يده فيصير هذا القدرة مستفادة لا ذاتية واذا كان كذلك فقد نفوا عنه القدرة عن اكثر الاشياء فلا يصير هو قادرا
على كل شي وانما هو قادر على البعض تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عزوجل الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم
احسن عملا قال ابو بكر الاصم الذي خلق الموت والحيوة اي خلقكم اموات نطفة وعلقة ومضغة ثم احياكم ليبلوكم وقال غيره
الذي خلق الموت ليجزيكم بعد والحيوة ليبتليكم بها واستدل بقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فصرف
المحنة الى الحالة التي انشاهم على وجه الارض وهي حالة الحيوة ثم اخبر بعد ذلك انه يجعلهم صعيدا جرزا بعد الابتلاء بقوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وعندنا انه خلقهما جميعا للابتلاء لان الله تعالى خلق الموت على غاية ما تكرهه الانفس و
تنفر عنه وخلق الحيوة على غاية ما يتلذذ به الانفس وترغب فيها المحبة في الترغيب والترهيب فثبت ان خلق الموت محنة
فيكون قوله تعالى خلق الموت والحيوة كانه يقول خلق الموت مرهبا وخلق الحيوة مرغبة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليبلوكم ايكم
اذهب من الشر وارغب في الخير ثم الموت مالا منه لا ولا مخلص المخلوق وكذلك الحيوة وان كانت من ارغب الاشياء الى الانفس
فليست هي بحيث يتهيا لهم ان يزيد فيها بالطلب ولا ما وجد بالكذب والسعي فصارت هي مرغبة في الحيوة الدايم وهي نعيم الاخرة
وصار الموت مرهبا عن الموت الدايم والموت الدايم هو العذاب الذي لا ينقطع كما قال تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
اي لا ينقضي عنه الالام والاوجاع بل يبقى فيها ابدا واذا ثبت ان الموت صار مرهبا عن العذاب الدايم والحيوة صارت مرغبة في
مثلها فيبقى ويطلبه وجب القول بالبعث بعثا اذ الراغب انما يسأل ما يرغب فيه بالبعث والاخر انما يصير الى العذاب الدايم بالبعث
وفيه ايجاب القول بالرسالة لانه اذا ثبت الرغبة في الموعود من الثواب والرهبة عن العذاب وجاجيعا غائبان فاحتيج الى
من يظهرها ويخبر عنهما فلم يكن بد من رسول يخبرهم ويحضر عليه لهم ثم الاصل في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا انه انما يحسن عمله
بحسن رغبته ويسوء عمله بسوء رغبته ورهبته فخلق الحيوة والموت ليبلوكم فيهما المرء ويعتبر بهما فمن حسنت رغبته ورهبته حسن
عمله ومن لم يتفكر فيهما ولم يعتبر بهما ساء عمله فالموت والحيوة انشأ مرغبين ومرهبين وكذلك الدنيا وما فيها انشئت دالة على
ما في الاخرة فالسمع يدل على السمع والبصر على البصر والالم يدل على الالم الاخرة ونعيمها دليل على نعيم الاخرة والله اعلم ثم قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا فيه دليل على اضمار قوله وانكم اسوء عملا على مقابلة الاول الا انه اكتفى بذكر احد المتقابلين على الاخر والله اعلم فان
قال قائل كيف اضاف الابتلاء الى نفسه بقوله ليبلوكم والابتلاء في الشاهد لاستظهار ما خفي ولاستخبار ما غاب والله
تعالى لا يغيب عنه شي ولا يخفى عليه امر فكيف اضيف اليه الابتلاء فجوابه ان يقول ان الابتلاء في الحقيقة كناية عن ما يظهر الشي
وقد استعمل الابتلاء في كل ما فيه ظهور الامر وان كان الذي ظهر من الامر عنده ظاهرا وهذا كما اضيف الاستدراج والمكر
الى الله تعالى لوجود معنى المكر والاستدراج فيه وان المقصود من ذلك المكر والاستدراج وفي الشاهد المكر ان يحسن الى عدوه
ليقع عنده انك تركت عداوته فيعتبر احسانك اليه ثم يأخذه من وجه امنه ومن حيث لا يشعر به هذا هو معنى المكر في الشاهد وقد
وجد الاحسان من الله تعالى الى اعدائه ووجد منهم الاغترار بالنعم ووقع عندهم انهم من جملة اوليائه ثم اتاهم العذاب من حيث لا
يشعرون فوجد معنى المكر وان لم يقصد باحسانه اليهم المكر بهم والثاني منه في الشاهد انما يأمر لمنفعة يصل اليه
واذا نهاه عن شي فانما ينهى لمضرة تصل اليه والله تعالى امر الخلق ولم ينههم لمنفعة يجتلب بها الى نفسه او المضرة يدفعها عن نفسه و
انما امرهم ونهاهم لمنافع ترجع اليهم ومضار تحجبهم ثم اضيف اليه والنهي وان كان لا منفعة له ولا مضرة عليه فلذلك
ابتلى خلقه ليظهر المبتلى عداوته وولايته واضاف الابتلاء الى نفسه وان كان هو مستغنيا عن الابتلاء والله اعلم وقوله
عزوجل وهو العزيز الغفور فقيه ابتداء ثم لم يبتليا او امر يرجع اليه او لدليل يرفع عنه ولكن لعين يعجزه الممتحن اذا احسن العمل وذكر
يغفر له ويستر عليه وهو عزيز بذاته وجائز ان يكون قوله وهو العزيز اي القوي على الانتقام ممن ساء عمله واختيار عداوته الغفور
الستر وعلى من حسن عمله يستر عليه ذنبه ويجزيه بحسن عمله والله اعلم وقوله عزوجل الذي خلق سبع سموات طباقا في ذكر
السموات السبع ايجاب القول بتصديق ما اتى به الرسل من الخبر ومن ثبت وجود هذا القول على السن الرسل فلزمنا القول في السموات

انها سبع وان لم يشاهد ثم يحتمل قوله الذي خلق سبع سموات طباقا ليبلو اهلها انهم احسن عملا لانه بين انه لم يخلق م
السموات والارضين باطلا ثم السموات بانفسها وانما يمتحن اهلها لكنه اقتضى ذكر السموات ذكر اهلها واقتضى ذكر الارض
ذكر اهلها فاخبر بذكر الارض عن ذكر اهلها وبذكر السموات عن ذكر اهلها والله اعلم وقوله عز وجل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
اي انظر في خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت وفطور فانك ان رايت فيه فطورا ظننت في مدبره عدوا وان رايت فيه تفاوتا
ظننت في مشيته سفهها فانك اذا رايت فيه فطورا وشقوقا رايت فيه تمانعا وتدافعا فحصول التمانع والتدافع حصول العدو
لان الدافع والتناقض انما يقع عند ثبات العدو لانه ما يبني هذا يهدمه الاخر وينقضه بيني الاخر فعند ذلك يقع التدافع و
اذا لم تر فيه فطورا وشقوقا بل رايته متسقا مجتمعا دل على وحدانيته وقدرته وسلطانه ولذلك التفاوت يدل على السفه ونفي
الحكمة وانتفاع التفاوت يدل على حكمته وعجيب تدبيره فيكون في انتفاع الفطور والتفاوت اثبات القول بالوحدانية و
ايجاب القول بالبعث من حيث يثبت حكمته وفي نفي القول بالبعث زوال الحكمة وفيه ايجاب المحنة والابتلاء لان العدو
اذا كان الممتحن ان لا يعلم حتى يتبين له الغالب من المغلوب فلا يمتنع عليه او يشتغل كل باقامة سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ
الامر بالمحنة الا ترى الى قوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق قيل يذهب كل واحد منهم بالجزء الذي خلقه
فيظهر عند ذلك فطور وشقوق لان ما خلق هذا يمتاز من الذي خلقه الاخر فانتفاع الفطور يدل على وحدانية الصانع
جل جلاله وقيل في قوله في خلق الرحمن من تفاوت اي من حيث الدلالة على وحدانية الرب تعالى ومن حيث الحكمة والمحنة
فالخلائق كلها في المعاني التي ذكرناها غير متفاوتة في انفسها لان بين السموات والارضين تفاوت وكذلك بين الحيوة
والموت تفاوت ولكن منافع السماء متصلة بمنافع الارض ومنافع اهل الارض متصلة بالارض وقوامهم ومعاشهم
بما يخرج منها وكل ذلك يدل على وحدانيته وعلى حكمته ولطايف تدبيره وقوله عز وجل فارجع البصر هل ترى من فطور
ثم ارجع البصر كرتين ينقلب فجايز ان يكون هذا على رجوع البصر الوجه وجايز ان يكون على رجوع البصر القلب او
يكون احدهما على بصر الوجه والثاني على بصر القلب والاشبه ان يكون على بصر القلب لانه قد سبق منه النظر الى السموات
والارضين ببصر الوجه وسبق منه العلم من حيث النظر انه لا تفاوت فيها ولا فطور فدعاه الى ان ينظر ببصر القلب ليدله
ذلك على المعاني التي ذكرناها وهو كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال افلم يسيروا في
الارض ولم يرد به السير بالاقدام اذ قد سبق منهم السير فيها ولكن معناه او لم يتفكروا في عواقب من تقدمهم من مكذبي الرسل انهم
باي سبب اهلكوا ولاي معنى عوقبوا واستوصلوا ثم قوله فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب الاية
منهم من قال ان الكرتين هاهنا كناية عن مرة بعد مرة ليس على تثبيت العدد فكانه ان يكون ابدا معتبرا ناظرا في خلق الرحمن
والى هذا يذهب الحسن والاصم وجايز ان يكون قوله كرتين مرتين ولكن على اختلاف الوقتين فيكون احد النظرين بالليل والاخر
بالنهار لانه يرى بالليل ايات وبالنهار ايات سواها بثوث كل شي يدل على وحدانيته وعجيب حكمته ونفاذ قدرته وسلطانه
وان يكون النظرة الاولى ببصر الوجه والنظرة الثانية ببصر القلب لانه اذا نظر النظرة الاولى ببصر وجهه فراى ما فيه
من العجايب اشعر قلبه ما راى فينظر فيه مرة اخرى ببصر القلب لتاكد ذلك ويتقرر ويجوز ان يكون النظران جميعا ببصر
الوجه لانه لا يستوعب النظر بالجملة في المرة الاولى فينظر مرة اخرى ليدرك ما غاب عنه في المرة الاولى وقوله عز وجل
خاسئا اي صاغرا مستذلا معترفا بالقصور عن درك كنه سلطانه والاحاطة بعظمته وجلاله وهو حسير اي منقطع عن
ذلك بلوغ حكمته وبعد نفاذ امره ثم الاشبه ان يكون المراد بهذا الخطاب المكذبين بالبعث لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كان الخطاب متوجها اليه في الظاهر لانه انما اراد بالنظر في خلق الله تعالى ليتقرر عنده عظمته انه تعالى وسلطانه وعجيب
حكمته ونفاذ تدبيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان تقرر عنده علم ذلك كله فلم يكن يحتاج الى النظر فيما ذكر ليتقرر
فصرفنا الخطاب الى المكذبين فامروا بالنظر فيما ذكر ليتقرر عندهم سلطانه ونفاذ تدبيره وانه ليس بالذي يعجزه امر وان
قدرته ليست بمقدرة بقوى البشر وهم كانوا ينكرون البعث والاحياء على تقدير الامور بقوى انفسهم فاذا نظروا في هذه
الاشياء وعرفوا فيها لطايف وحكما لا يدركها عقولهم وقوة لا يبلغها خيلهم ادى ذلك الى دفع الاشكال عنهم وازاحة
الريب الذي اعترام في امر البعث فيحملهم على الايمان وقوله عز وجل ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح سماها سماء الدنيا
لدنوها الى الخاطبين الممتحنين لا ان يكون السماء الثانية سماء الاخرة والذي يدل على صحة ما ذكرنا ان مقابل الدنيا ليست
هي الاخرة بل مقابلها الاولى ومقابل الدنيا القصوى فثبت انه ليس فيها بثبات ان السماء الثانية هي سماء الاخرة والمصابيح
هي النجوم فذكر عباده عظيم ما اودع من النعم في النجوم عليهم فجعل فيها ثلاثة اوجه من النعم احداها انه جعلها زينة
للناظرين كما قال تعالى وزيناها للناظرين ثم هذه الزينة انما يظهر عند ما يخفى على الناظرين زينة الارض وذلك في ظلم الليالي
فابدل الله لهم زينة في السماء مكان الزينة التي انشاها في الارض وفضل هذه الزينة بحيث على سايرها لان سايرها لا يظهر

الا بالدنو اليها والقرب منها ثم جعل هذه الزينة بحيث يظهر فيرى من البعد فثبت ان لها فضلا ومزيدا على زينة الارض
والنعمة الثانية ما ذكر في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فجعلها هدى من ظلمات احوال
يقع فيسلم بها المرء عن الوقوع في المهالك والنعمة الثالثة ما ذكر من قوله وجعلناها رجوما للشياطين ومن جعلها رجوما
للشياطين دفع الاشتباه عن الخلق واخراجهم من ظلمات الاغفال الى النور وذلك ان الشياطين كانوا يصعدون الى
السماء فيستمعون الى الاخبار التي يتحادث بها اهل السماء فيما بينهم مما يراد باهل الارض فيسترقون السمع منهم فياتون
بها اهل الارض ويلقونها الى اهل الارض بعد ما يخلطونها باكاذيب من عند انفسهم فيشبهون على الخلايق ويضلونهم بذلك
عن سبيل الله تعالى فملاء السماء بالحرس والشهب ليدفع الشياطين عن استراق السمع ليكون تبليغ الاخبار الى اهل الارض و
بمن يؤمن عليه الكذب وهو الرسول عليه السلام فيسلم تلك الاخبار عن التخاليط والشبه فيسلم الناس عن الوقوع في الغلط
ثم يكون في جعل النجوم زينة السماء ان اهل السماء ابتلوا بانهم احسن عملا كما ابتلي به اهل الارض الا ترى الى ما ذكر في اهل
الارض في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فاخبر ان الزينة للامتحان وقوله عز وجل و
اعتدنا لهم عذاب السعير ففيه انهم وان عذبوا بالنيران التي جعلت في النجوم الرجوم لا يدفع عنهم ما استوجبوا من العذاب
الدايم بل قد اعد لهم عذاب السعير كما اعد لغيرهم من الشيطان واهل الكفر وقوله عز وجل وبئس المصير هو الطريق اي فبئس الطريق
من سلكه افضيا به الى عذاب السعير وقوله عز وجل اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا والشهيق الصوت المنكر ثم من الناس من
يقول سمعوا لها اي لجهنم ومنهم من جعل الشهيق من اهلها وقد يجوز ان يذكر المكان والمراد منه الاهل كما قال وكاين من
قرية عتت عن امر ربها وكان الارض يحتمل عندنا ولا يحتاج الى معرفة ذلك لان الصوت المنكر ظاهر من لا يعقل الصوت
كهو من الذي يعقل فليس الذي يعقل الصوت اولى ان يجعل الفعل له من الذي لا يعقل وقوله عز وجل وهي تفور تكاد تميز
من الغيظ اي تفاطر ثم النار بنفسها لا تغلي وانما تغلي بالذي يجعل فيها ففيه ان طعامهم وشرابهم في النار فيغلي النار
بطعامهم وشرابهم وقوله عز وجل تكاد تميز من الغيظ فجايز ان يكون هذا كناية عن الحزن وجايز ان يكون هذا وصف
النار لله تعالى ان يجعل في جهنم وفيما شاء من الاموات ما يعرف به وجلاله فيغضب له على عدائه غضبا يكاد ان ينقطع
في نفسه ويسلم من اوليائه في ذكر غضبها تذكيرا من حق الله تعالى على اوليائه ان يغضبوا له على اعدائه غضب جهنم عليهم بل
جهنم ابعد عن ان يحقق بذلك منا ثم هي بلغت من الغضب على اعداء الله تعالى مبلغا كادت تنقطع بنفسها فالاولياء احق ان
يوجد منهم هذا الوصف وقد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجد فيهم من الشدة على الاعداء وذلك
قوله تعالى محمد الرسول والذين معه اشداء على الكفار وقال اذلة على المؤمنين وهكذا الحق على كل مؤمن ان يكون على هذا الوصف وفي
حكمة اخرى وهو انه ذكر شدة النار على اهلها لان لا يتعللوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقوله عز وجل كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم ياتكم نذير ينذركم لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير وهذا هو اخبار عن نهاية امرهم واخر شانهم وذلك
انهم فزعوا في الاخرة الى اليمين بالكذب فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان ينفعهم ذلك في الاخرة كما كانت تنفعهم
في الدنيا فلما فيها ايقنوا ان ايمانهم لا يدفع عنهم العذاب فزعوا الى الاعتراف والصدق رجاء ان يتخلصوا من العذاب فقالوا
بلى قد جاءنا نذير ينذرنا عن لقاء هذا اليوم فكذبنا بالذي كان ينذرنا النذر قلنا ما نزل الله من شيء فما تنذرونا به وقوله
عز وجل ان انتم الا في ضلال مبين فجايز ان يكون القايل لهذا هم الخزنة او هذا خطاب في الدنيا ان انتم الا في ضلال كبير وقوله
عز وجل وقالوا لو كنا نسمع او نعقل نفى قوله بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بانهم قد سمعوا وعقلوا فقوله لو كنا نسمع او نعقل
ليس هو على نفي السمع والعقل اذ قد اقروا انهم سمعوا وعقلوا وانما هو على نفي الانتفاع بما سمعوا وعقلوا لان الانتفاع بالمسموع
هو الاجابة لما سمع والانتفاع ان يقوم بوفاء ما عقل وهم لم يجيبوا لما سمعوا ولم يقوموا بوفاء ما عقلوا وقال بعضهم لو كنا نسمع
الان او كنا نعقل كما نعقل الان ما كنا في اصحاب السعير وهذا غير مستقيم لان تلك الدار ليست بدار اسماع وانهام وانما المعنى
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فسحقا لاصحاب السعير اي بعدا على معنى الدعاء عليهم وقيل السحق واد في جهنم وقوله عز وجل
ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل ان الذين يخشون عذاب ربهم والعذاب عنهم غايب فاهل الاسلام يخشون عذاب الله
وهو غايب عنهم والكفرة لا يخشونه الا ان يعاينوا وجايز ان يقول قوله عز وجل يخشون ربهم بالغيب اي يخشون الله تعالى
ان يعذبهم وان يخشوه فيما اوعدهم ثم الاصل ان يامن من يؤمن بالبعث سوى المعتزلة الا وهو يخشى الله تعالى لكنهم يتفاوتون
في الخشية فيقتضي الرجاء والخوف ليس كالامن والاياس الذي لا يقتضي كل واحد منهما الا وجها واحدا واذا كانت الخشية يقتضي
ما ذكرنا فكل مؤمن يخاف عذاب الله تعالى لما اراى من كثرة نعم الله تعالى وغفلته عن حقوق تلك النعم لان من حقها ان يشكر الله
تعالى عليها وقد عرف كل مؤمن تقصيره في اداء الشكر وتربطه في قضاء الحقوق فيرجوا رحمته لما عرف من سعة رحمته و
عرفه سعفنا عفوا عفوا ولكن فيهم تفاوت في الخشية والرهبة فما كان اذكر لغفلته فهو لعقوبته اكثر خشية ومن كان اقل

ذكر الغفلة فهو اقل خشية فيتفاوتون على تفاوتهم في الذكر وهو كالموت الذي يرهبه الناس جميعا ويتيقنون بحلوله ثم هم يتفاوتون في ذلك فمن كان له اكثر ذكرا كان ابلغ في التيقظ واكثر رهبة ومن كان اغفل عن ذكره فهو اقل رهبة ولما يلاه بصوله كيف جعلتم كل مومن خايفا وراجيا والراجي هو الذي يطلب والخايف هو الذي يهرب فكل من رجى شيا يعلم انه لا اصول اليه الا باعمال واسباب فهو يقوم بتلك الاعمال بغاية ما احتاله وسعه ليصل الى ما امله واذا لم يقم بها لم يكن راجيا في الحقيقة بل كان متمنيا وكذلك من خاف حقيقة الخوف وعلم ان الخوف نازل به ان لم يهرب مما يخافه فاشد الهرب ثم كثير من المومنين تراهم مقصرين في الاعمال التي يتوصل بها الى بلوغ الامال ولا يهربون مما يخافونه اشد الهرب وغاية الخوف فكيف وصفتم كل مومن بالخوف والرجا وكثير منهم لا يتحقق فيهم هذا الوصف واستدل على صحة ما ذكر بقوله ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فالراجي لرحمة الله من دأب في طاعته وقال تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فقيل يا رسول الله ام الذين يزنون ويسرقون فقال بل هم الذين يصومون ويصلون وقلوبهم وجلة وقال تعالى الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فجوابنا ان المومن ليس يرى كل خلاصه من العذاب وامنه من العقاب بعمله حتى اذا وجد التقصير في العمل اظهر ذلك المعنى فساد الرجا والخوف وانما يتوقع خلاصه بعفو الله تعالى ويرجوا رحمته بكرمه وجوده لذلك لم يوجب التقصير في العمل ابطال الرجاء والخوف وهذا اذا كان غير معتزل المذهب ولم يكن من الخوارج فاما اذا كان الراجي والخايف احد هذين فيتمحض في العمل يدل على فساد الرجا والخوف لان كل واحد منهما ليس يرى لنفسه سبيلا الا عمله به ينجوا وبه يهلك فاذا لم يبالغ في الطلب من جهة العمل ولم يبالغ في الهرب من الخوف بالعمل ظهر انه ليس براج ولكنه متمن وتبين انه غير خايف في الحقيقة ثم المعتزلة لا يخافون الله تعالى ولا يرجون رحمته في الحقيقة لانهم يزعمون ان العبد اذا ارتكب الكبيرة فليس لله تعالى ان لا يعذبه عليها وان يغفرها له واذا اجتنب الكبيرة استوجب المغفرة وان ركب الصغاير فليس لله تعالى ان يعذبه عليها والقايل بهذا غير راج رحمة الله تعالى ولا خايف من عذابه وانما يقع الخوف والرجا من عند نفسه لان الزلة التي استوجب بها العذاب فهو الذي اكتسبها ولو لم يفعلها لم يعذب وان النجاة فسبب نجاته وخلاصه بعمله لا برحمة الله تعالى وفضله ولا بذلك وصف الله تعالى في كتابه ولان الله تعالى اثنى على الذين يدعونه خوفا وطمعا ورغبا ورهبا وعلى قول اهل الاعتزال لا يدعوا ربه على الرغبة والرهبة والخوف والطمع لان الداعي ان كان صاحب كبيرة فهو فيما يدعوا الله تعالى ليغفر له انما يدعو ليجور عليه اذ لا يسعه ان يغفر له ولا يعذب عليه فدعاؤه بالمغفرة معناه يقتضي ان يجور عليه وذلك عظيم وان كان صاحب صغيرة فهو فيما يطلب المغفرة منه تعالى يساله ان لا يجور عليه لانه ليس له ان يعذب على مذهبه ولو عذب صار به جايرا فاذا خاف عذابه حتى اذا فزع الى الدعا خاف جوره ومن لم يامن من ربه الجور بل خاف ذلك منه فهو لم يعرف ربه حقيقة معرفته وكذلك من دعا الله تعالى ان لا يجور عليه فقد دعا الى ان يسفه والسفيه لا يصلح ان يكون له فثبت ان الداعي على الرغبة والرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو ممن يستحق الثناء عليه وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر كريم اي من يرجوا الله تعالى ويخافه فله مغفرة لذنوبه واجر كبير وهو الجنة وقوله عز وجل واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور فهذه الاية كانها في الزام الوعيد يقول انه عالم بالانفس التي فيها الصدور بما يضمرون فيها ويوعون عما اودعوا فيها ويظهرون والصدور هو ساحة القلب سمي صدرا لان الارا يصدر عنها فهو عالم بالانفس التي لها الصدور وبما يصدر عن ارائهم وعالم بما يضمرون فيها من الاسرار وقوله عز وجل الا يعلم من خلق تاويله عند اهل الاسلام الا يعلم من خلق ما اسروا وجهروا ومن راجع الى الله تعالى دون الخلق كانه يقول الا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير وفيه اثبات خلق الافعال والاقوال وخلق الشر فيكون حجة لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد وقال جعفر بن حرب وابو بكر الاصم ان حرف من لا يرجع الى الله تعالى وانما يرجع الى الخلق فكانه يقول الا يعلم الله من خلق على اضمار اسم الله تعالى فاختار لانهم الحيلة لنفي عن الافعال لان حرف من يرجع الى الانفس دون الافعال وذلك فاسد لان الاية في موضع الوعيد ولو كان قوله خلق راجعا الى الانفس لزال موضع الوعيد اذ ليس في خلق الانفس وعلم الله بها اثبات العلم بافعال وجدت منهم ولا في خلق الانفس ايجاب الوعيد بالافعال ولانه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يجهر به العبد ولما يخفيه لم يكن ليحتج به على علمه اذ قد يجوز حدوث الجهل من غير الذي يفعل فلا يجوز ان يحتج عليهم بفعل غيره ولانه ليس في اثبات العلم بما اسروا وجهروا كما لم يكن عند المعتزلة في ايجاب الخلق لنفس الانسان ايجاب الخالق لافعالهم ومعلوم بان الاية في تحقيق العلم بما اسروا وجهروا لان قوله الا يعلم من خلق مذكور على اثر قوله واسروا قولكم او اجهروا به وهو قوله انه عليم بذات الصدور اي عليم بما يسرون وما يجهرون فثبت ان الخلق راجع الى ما اسروا وجهروا ثم ان الناس على اختلاف فيهم اتفقوا ان كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق لله تعالى وانما اختلفوا في لواقع العبد فمنهم من اثبت فيه الخلق وهو قول اهل الهدى ومنهم من ابى القول بخلقه ثم المرء لا تهيا له استعمال اليد الا في العمل الذي جعل في طبع اليد احتمال ذلك العمل ولا يتهيا له ان يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها احتمال ذلك لانه لو اراد ان يرى بيديه او يسمع بهما لم يملك ذلك فثبت انه ملك استعمالها في القبض والاخذ والتسليم بما جعل في طبعها احتمال ذلك واذا كان كذلك فقد ثبت الخالق فيما يفعل بيديه وفيما

يرى بعينيه ويسمع باذنيه والله الموفق وقوله عز وجل وهو اللطيف الخبير في تدبيره اذ دبر لسان الانسان على ما اذا استعمله يخرج منه الكلام ولولا ما احدث بتعريف المعنى الذي به يصلح النطق لم يقف عليه ودبر قلبه على ان يصور ما وقع فيه من الخيال فيوديه بلسانه ودبره على وجه يصلح ان يودعا الاسرار والودايع من وجه لو اراد الخلايق ان يتعرفوا الوجه الذي يصلح القلب ان يكون معدنا وحافظا ومعدنا للاسرار لم يقفوا عليه وقيل اللطيف هو الذي لا يعزب عنه علم ما جل ودق واللطيف بعباده في الاحسان اليهم والانعام عليهم الخبير بما فيه مصالحهم وقوله عز وجل هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها الاية واذا ذلل لكم الارض لتمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فلا يجوز ان يكون خلقها عبثا باطلا فلا بد من الرجوع اليه ليسالكم عما له خلقوا وفيم خلقوا ولم ذللها ذلك ان المرء في الشاهد اذا اعطى انسانا مالا استعمله في جهة من الجهات فلا بد من ان يرجع اليه فيساله عما استعمله في الذي اذن له فيه املا واذا ثبت انه لم يخلقها عبثا باطلا وانما خلقت للمحنة فلا بد من ان ينشروا اليه ليخبروه عما ابلاهم به وامتحنهم ثم احتمل ان يكون هذا صلة قوله هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم وقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا فا خلق ذلك كلها ليمتحن اهلها بها فعلى ذلك خلق الارض ذلولا ليبلوكم بها ويحتمل ان يكون هذا صلة قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فامرهم هنالك بالنظر مرة بعد مرة هل ترى فيه تفاوتا وفطورا ليبين عندهم اذا لم يروا فيه تفاوتا ولا فطورا وحدانية الرب وتدبيره وسلطانه وحكمته فامرهم ايضا بالسير في الارض والمشي في مناكبها ومطارفها هل يرون فيها فطورا وتفاوتا فاذا لم يروا فيها شيا من ذلك تقرر عندهم بجميع ما ذكرنا من الحكمة هنالك فهو في قوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا موجود ولانه ذكرهم لطيف تدبيره في خلق الارض ومآله على الخلق عظيم النعمة في حقه وهو انه قد دلهم فيها وارزاقهم الى حيث يمشون فيها ويجدوا الرزق هنالك ولا يحتمل ان يذللهم الارض فيحفرون فيها حيث شاءوا ويستخرجون منها اقواتها اينما تعرفوا عبثا باطلا بل لا بيان بنشا ذكم سكر ما انعم عليكم وقوله عز وجل اامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور هذه الاية في موضع الحجاج على منكري البعث فكانه يقول والله اعلم اذا انكرتم البعث وقد عرفتم الفرق بين العدو والولي وبين المطيع والعاصي فكيف امنتم عذابه في الدنيا ان ينزل بكم من فوقكم او من تحت ارجلكم او قد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واتخاذكم عبادة غيره فكيف امنتم نزول عذابه عليكم في حالكم هذه وانتم لا تقرون بالاخرة ليتاخر عنكم العذاب ثم قوله وانتم اي قد امنتم والنار اذا انكم كيف امنتم عذاب الله تعالى وانتم تنكرون البعث ليكون المحنة في الدنيا للجزاء في الاخرة وهم يرون المحنة في الدنيا لانهم كانوا يزعمون ان من وسع عليه النعيم في الدنيا فانما وسع جزاء لعمله ومن ضيق عليه العيش فانما ضيق عقوبة له بما اساء من عمله كما قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فكانوا يعدون التضييق والتوسيع في الدنيا جزاء لصنيعهم وكانوا يعرفون بالمحنة في الدنيا والمحنة تكون من الرجا والخوف وقد رجوتم انزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم ان يخرج لكم من الارض ما تعيشون به وترزقون منه فكيف لا تحذرون نزول العذاب عليكم من السماء او اتيانه من الارض كما رجوتم النفع منها جميعا والثالث انكم اذا انكرتم الرسول وجحدتموه وقد انتهى اليكم حال من سبقكم من مكذبي الرسل كيف عذبوا واستوصلوا فمنهم من اهلك بامطار الحجارة عليه من السماء ومنهم من اهلك بالخسف بالارض فكيف امنتم انتم ان ينزل عليكم ما نزل بهم وقد وجدتم انتم وتعاطيتم ما تعاطاه الذين اهلكوا من التكذيب ثم قوله من في السماء اراد به علو نفسه اخبر انه اله السماء لا على تثبيت انه في الارض سواء وعلى النفي ان يكون اله الارض بل هو في السماء اله وفي الارض وهذا كقوله تعالى ما يكون من نجوى الا هو رابعهم ليس فيه ان النجوى اذا كان بين اثنين فهو لا يكون ثالثهم وجايز ان يكون قوله امنتم من في السماء اي امنتم من في السماء ملكه وسلطانه ولم يرد الاخبار انتهى ملكه الى السماء فكيف يامنون ممن بلغ ملكه السماء في معاذكم اياه وانتم لا تجترئون على معاذات ملك من ملوك الارض الذي لا يبلغ ملكه الارض تهيبا منه وخوفا من سلطانه فكيف يامنون عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا وقوله عز وجل فاذا هي تمور وقيل تهوي في الارض ابدا الى اسفل السافلين وقيل تمور باهلها في قعرها على ما كانت من قبل تمور على ظهرها قبل ان يوتد بالجبال والحاصب الحجارة وقوله عز وجل فستعلمون كيف نذير اي ستعلمون حال نذري الذين انذروكم بالعذاب انهم كانوا محقين فيه ولم يكونوا كاذبين كما زعمتم او ستعلمون ما اوعدكم به اذا وقع العذاب وقوله عز وجل ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير يذكرهم حال من تقدمهم من المكذبين وما حل بهم ليرتدعوا عن التكذيب فلا يحل بهم ما حل باولئك ثم قوله فكيف كان نكير اي كيف كان انكاري عليهم اليس وجدوه شديدا او حقا وقوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن قيل صافات باجنحتها لا يحركنها لتمر ويقبضن ما يمسكهن الا الله تعالى في الحالين جميعا اعني القبض والبسط وقال في اية اخرى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون اي لايات للمومنين على الكفرة وهكذا شان الايات انها جعلت ايات للمومنين والاولياء على الكفرة والاعداء لان الكفرة انهم نصل اليهم الايات على السن الرسل والانبياء والاولياء فجعلت الايات ايات للمومنين ليحتجوا بها على اهل الكفر ثم الهوا ليس بمكان يمسك ما عليه من الاشياء مثل السماء والارض فيما انشانا على

حد يسكان الاشياء . ويقر عليها الخلايق وانما كان كذلك فان الله تعالى بلطفه امسك الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهواء ومن قدر على امساك الطير مع ثقله وتقديره في مكان لا يقر فيه الاشياء لقادر على ما يشاء ثم في هذه الاية ان الله تعالى فاعل الطير صنعا وتدبيرا على ما بينا لان الفعل الذي يوجد من الطاير الطيران اذا طار والوقوف اذا قبض ثم اضاف فعل الامساك وكل ذلك الى نفسه وذكر عن جعفر بن حرب في قوله ما يمسكهن الا الله ان الامساك كناية عن التعليم وعبارة عنه لانه قد يعبر بالامساك عن التعليم يقول الرجل لاخر فيما يعلم الرمي بر امسكت على يدي وان كان هو الذي علمه الرمي الا ترى ان من علم اخر الخياطة حتى اهتدى الخياطة اذا خاط ثوبا لم يستجز استاذه ان يقول ان الذي خطته وان كان هو الذي علمه الخياطة وكذلك من بنا بناء ولم يستجز استاذه ان يضيف فعل البناء الى نفسه فيقول انا الذي بنيته ويريد به انا الذي علمته وانه لم يستجز هذا بطل ان يضاف فعل الامساك الى الله تعالى ولا فعل له في ذلك سوى التعليم فلو كانت الاضافة اليه من حيث التعليم لجاز ان ينسب اليه فعل الخياطة وفعل البناء والحياكة فيقال خايط وبان وحايك لانه هو الذي علم فاذا بطل ان ينسب اليه فعل الامساك من حيث التعليم والله الموفق واحتج جعفر بن حرب ايضا في نفي الفعل على الله تعالى فقال ان الله تعالى لم يقل ما خلق طيرانهن الا الله ولا خلق القبض الا الله وانما قال ما يمسكهن الا الله فثبت انه لا صنع له في الامساك وبان ان الذي اضيف اليه من الامساك هو على الوجه الذي ذكرنا فالجواب عن هذا ان الامة فهمت من قوله ما يمسكهن الا الله ما يفهم من قوله ما خلق طيرانهن وقبضهن الا الله اذ هو يقتضي ما يقتضيه ذكر الخلق واذا كان كذلك فلا فرق بين ان يضيف الخلق نفسه و بين ان يضيف فعل الامساك ثم لو ذكر الخلق مكان الامساك امكن جعفر ان يتاول في الخلق ما تاول في الامساك فيقول معنى قوله خلق طيرانهن اي علم طيرانهن وقواهن على الاسباب التي يطير فلا يتهيا لله تعالى على قوله ان يثبت لخلقه وتفرد عنده بخلق شيء من الاشياء . ثم الاصل ان الايات المذكورة في القران انما ذكرت لاثبات وجه خمسة احدها في تثبيت القدرة على البعث وهي لا يثبت القدرة ولا توجب القول بالبعث على قول المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث وهي لا تثبت القدرة ولا توجب القول على قول المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وقال وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فاحتج بالابتداء على الاعادة عندهم لانهم ينفون خلق الافعال عن الله تعالى مع اقرارهم ان الله تعالى هو الذي ابتداء الخلايق وهو الذي انشاكم ولم يكن في اثبات القدرة على خلق الاعيان اثبات قدرة منه على خلق الافعال وان كان خلق الافعال دون خلق الانفس فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة على الاعادة وان كان امر الاعادة ايسر من الابتداء مع ان اثار الخلق في افعال العباد واثبات التدبير فيها اوجد منه في امر البعث وذلك انك تجد من الافعال افعالا هي موذية لاهلها متعبة مولمة ومعلوم بان قصد اربابها ان يتلذذوا بها ويتمتعوا بها فثبت ان لغيرهم تدبيرا وصنعا حتى صارت كذلك ولانه يوجد في افعالهم احوال لا يبلغها اوهامهم ولا يقدرها عقولهم لان الفعل ياخذ من الجود المكان والوقت ما لا يقدره الاوهام ولا يبلغها العقول فثبت ان لغيرهم فيه صنعا وتدبيرا ولان فعله يخرج على قبيح وحسن لا يبلغ علم فاعله انه يبلغ في الحسن والقبح ذلك المبلغ وينتهي في الحسن مبلغا لو اراد ان يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية لم يخرج كذلك فكل ما ذكرنا يتبين ان جميع افعالهم على ما هي عليها ليست لهم ثم مع ذلك انكروا ان يكون الافعال من جهة الخلق لله تعالى ولم يظهر شيء من امارات البعث ولا وجد فيه التدبير فصار دة الكفرة في انكارهم امر البعث اعتقد من المعتزلة في انكارهم خلق الافعال ولم يوجب القول بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة على انشاء البعث والاعادة بعد الافناء فثبت انه ليس في الايات التي جعلها الله تعالى دلالة اثبات البعث والوجه الثاني تثبيت الوحدانية وجعل دليل وحدانيته توحده بخلق الاشياء وتفرده بانشائها الا ترى الى قوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وقال وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق وعلى قول المعتزلة هو غير متوحد بخلق الاشياء بل اكثر خلق الاشياء كان بالعباد لا بالله تعالى واذا لم يوجد منه التوحيد والتفرد بخلق الاشياء ارتفع وجه الاستدلال من هذا الوجه على توحد الصانع ووحدانية الرب واذا كان كذلك لم يثبت وحدانية الله تعالى على قولهم من الوجه الذي جعله دليل الاثبات والوجه الثالث وهو ان الايات ذكرت في اثبات حكمة الله تعالى وجعل دليل حكمته خلق السموات والارضين بما شاهدنا وغيرهما من الاشياء ونحن انما عرفنا خلق السموات والارضين بما شاهدناهما مجتمعين والاجتماع حادث فيهما وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث والحادث لا بد له من محدث ولولا ذلك لم نعرفه ولا يثبت لنا خلقهما وعلى قول المعتزلة الجمع والتفريق لا يدل على الخالق لان كل من له القوة يقدر على جمع الاشياء وتفريقها والاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرق لقولهم بالمتولدات فمن استمكنت قوته امكنه جمع الاشياء القوية ومن ضعفت قوته جمع على قدر ما ينتهي اليه قوته واذا كان كذلك لم يبق عند الخلايق على قولهم ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والارضين اذ خلقهما لا يعرف الا من الوجه الذي ذكرنا وذلك مما يجوز لا بالله تعالى ويجوز ان يكون الله تعالى قدر ملكا من الملايكة وقواه على خلق السموات والارض واذا كان كذلك لم يظهر بما ذكرنا ان الله تعالى هو

الخالق لهما فبطل ان يكون في خلق السموات والارضين وفي خلق ساير الاشياء دلالة حكمته وقدرته ووحدانيته وقد جعل الله تعالى خلقهما دلالة لهذه الاوجه التي ذكرناها والثالث انه جعل اتقان الاشياء واحكامها علما الحكمة وقد يقع الاتقان و الاحكام والاشياء لانه لا يجعل الله لشيء تمام الاتقان واحكم علما يتميز من بين ما اتقنه غيره واحكمه فصار الاتقان والاحكام غير دال على حكمة بل صار دليلا على عجزه وضعفه حيث لم يتهيا له تمييز ما صار به متقنا وما بغيره صار كذلك ولان الحكمة هي وضع الشيء في موضعه وتبيين ماله مما ليس له ومن قولهم ان الله تعالى اعطى الكافر قوة الايمان ولم يبق في خزاينه ما جعل سببا يتوصل به الى الايمان الا وقد اعطاه مع علمه انه لا يومن به وهذا من اعظم الجهل وابين السفه في الشاهد لان المرء اذا قام يستقي ارضا وعمارتها بالكراب والبناء والقى البذر فيها مع علمه انها لا تنبت شيئا عند ذلك منه سفها وجهلا والسفيه لا يصلح ان يكون الها حكيما وقال تعالى هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وعلى قول المعتزلة فقد خلق غيره الحياة والموت جميعا لان القتيل ميت بالاتفاق ثم لا يجعل اهل الاعتزال لله تعالى في موته صنعا ويزعمون انه مات قبل اجله فاذا قدر غيره و على الاماتة ويقدر ايضا على الاحياء بالاسباب لانه يسقي الارض والزرع ويكون في سقيه احياؤهما فلم يتفرد هو بخلق الموت ولا بالحياة على قولهم بل يشركه غيره في خلق الاشياء فيبطل امتداحه على قولهم نفسه بانه خالق الاشياء . والوجه الرابع انه احتج بعلمه بافعال الخلق بخلقه تلك الافعال وذلك قوله الا يعلم من خلق وهم قد نفوا الخلق عن الافعال واذا انتفى لم يقع له بها علم فصارت الايات التي فيها انباء العلم لا يثبت علما على قولهم ويكون فيه كذبا في الخبر تعالى الله عن ذلك والوجه الخامس انه سمى نفسه محسنا منعما واثبات احسانه وانعامه بايات احتج بها على خلقه وما من نعمة انعم بها العباد الا وقد كانوا لها مستوجبين على الله تعالى فيصير الله تعالى باعطائهم ذلك قاضيا ما عليه من الحق بالنعمة ومن قضى حقا كان لم يصر به منعما متفضلا وانما صار قاضي حق فصارت الايات التي فيها اثبات النعم غير مبنية على قولهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل انه بكل شيء بصير اي بكل شيء لطف وجل واستتر وظهر وما اختلط بغيره او تميز فهو بصير يبلغه الى الحد الذي ضرب له ويأتيه بالوزن الذي قدر له او بصير بافعال الخلق ما كان وما يكون لانه ذكر على اثر ذكر الافعال وهو قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق ثم في قوله انه بكل شيء بصير ترهيب وترغيب والزام المراقبة والتيقظ والتبصر وكذلك في قوله انه بكل شيء حفيظ وبكل شيء عليم لان من علم ان عليه حافظا ورقيبا يعلم بكل شيء يتعاطاه فهو لا يتعاطى الا المحمود من الفعال والمرضي منها وقوله عز وجل امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فهذا صلة قوله ءامنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ثم قال امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن اذا خسف بكم الارض وارسل عليكم حاصبا من السماء . وجايز ان يكون على التقديم والتاخير فيكون معناه امن هذا الذي هو جند لكم من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله ان حل بكم او يكون قوله امن هذا الذي هو جند لكم يدفع عنكم العذاب من دون الله ان حل بكم وجايز ان يكون اريد بالجند الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فكانوا يعبدونها لينصروهم ويتعززوا بها قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ثم هم قد علموا انها لا تقوم بنصرهم ولا يدفع الذل عنهم بتعززهم بها لانهم كانوا يفزعون الى الله تعالى عند ما يحل بهم الشدايد والذل كما قال الله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ويتركون الفزع الى الهتهم لعلمهم انها لا تعزهم ولا ينصرهم فذكرهم في حالة الامن ما فزعوا وتوقعوا في حال الخوف لينقلعوا عن عبادة الاصنام ويقبلوا على عبادة رب الانام ليدفع عنهم الشدايد والاهوال والالام اذا حلت بهم من خاص وعام ويقوم بعزهم اذا لحقهم الذل وقوله عز وجل ان الكافرون الا في غرور اي عتوا وفي عبادتهم الهتهم ليتقووا بنصرهم وعزهم معا على انها لا يدفع عنهم شرا ولا يحصل لهم عزا وقوله عز وجل ان امسك رزقه هم كانوا يرجون رزقهم من السماء والارض فيقول من ذا الذي يرزقكم ان لم يرسل عليكم من السماء مطرا ولا ذلل لكم الارض للنبات وقد علموا ايضا ان الارزاق لم تعن الله تعالى لانهم يفزعون اليه بالسوال للرزق عند ما يبلون بالقحط والجدوبة فذكرهم في حال السعة ما له عليهم من عظيم النعمة في توسيع الرزق عليهم ليشكروه ولا يكفروه ثم وقوله عز وجل بل لجوا في عتو ونفور فالمعنى هو التمادي والسفه فكانه يقول لجوا وعتوا في قبول الحق وتمادوا في طغيانهم ولم يتذكروا ولم يراقبوا الله تعالى ولم يشكروه بل نفروا عن قبول ذلك كله فقوله امن هذا الذي هو جند لكم وقوله امن هذا الذي يرزقكم يخرج على وجوه ثلاثة احدها على التخويف والتهويل والثاني على التنبيه والتذكير وتسفيه احلامهم والثالث على البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته على اهل الكفر فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الاحلام ما ذكرنا انهم قوم كانوا يعبدون الاصنام لينصرهم ويعزهم في الدنيا وليبتغوا به الرزق من عندها اذ هم كانوا لا يومنون بالبعث ليطلبوا بعبادتها عز الاخرة والنصر فيها وانما كانوا يطمعون ذلك منها في الدنيا ثم هم في الدنيا واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ولم يكونوا يفزعون الى اصنامهم اتخذوها جندا ينصرهم عند النوايب وقد احاط علمهم انها لا ينصرهم ولا يغني عنهم من عذاب الله شيئا فيكون فيه تسفيه احلامهم و

وتنبيه من عذاب الله ليمنعهم ذلك عن عبادة غير الله تعالى ويدعوهم الى عبادة من يملك دفع الشدايد عنهم اذا حلت بهم واما وجه التخويف فهو انه يجوز ان يكون قيل لهم هذا عندما ابتلوا بالشدايد وضيق العيش فيقول لهم استغفروا من الهتكم واسألوا الرزق من عندها هل يملكون لكم رزقا او يرفعون عنكم ذلا وهل يبرون على بعضكم وجايز ان يكون فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته وقد وجد النصر لانه غلب عليهم يوم فتح مكة ولم يتهيأ لاهلها ان ينتصروا بل غلبوا وقهروا وفاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقهر حتى استكانوا ولانوا وتضرعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى دعا لهم وابتلوا ايضا بالقحط والسنين بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة حتى دفع الله عنهم القحط وقوله عز وجل افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم في هذه الاية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويل وتعريف حالهم على خلاف ما هم عليها في الحال ثم ذكر الصراط في الذى يمشى مكبا فهو على الاضمار كانه يقول افمن يمشى مكبا على غير الصراط اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم فيكون هذا تذكير وتنبيه وتسفيه لاحلامهم لان الذين اثروا الايمان وسلكوا طريقه فانما سلكوا بالحجج والبراهين والذين اثروا الكفر اثروه من غير حجة بل بخبرتهم وتسفيههم هاهنا اللذات دعوتهم الى التزام الكفر والتدبر به ومن اثر الحيوة والعمى على الهدى والرشاد فهو سفيه وجايز ان يكون قوله افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى اى اهدى طريقا ام الذى يمشى سويا على صراط مستقيم و حق هذا الكلام ان يقال بل الذى يمشى على صراط مستقيم هو الاهدى من الذى يختار الطريق المعوج الزايغ عن الرشاد فيكون في الوجه الاول معنى التخويف والتنبيه جميعا وفي الوجه الثاني تذكير وتنبيه قولنا بان فيه تعريف خلاف الحال التى هم عليها ان كل واحد من الفريقين اعنى به اهل الاسلام واهل الكفر يزعم انهم على الهدى والفريق الاخر على الضلال و اذا اتفقت الدعاوى على تضليل احد الفريقين ثم لا بد ان يكون جزاء الضال غير جزاء المهتدى وجزاء الولى غير جزاء العدو ثم الدنيا تم على الفريقين على جهة واحدة فلا بد من تثبيت دار اخرى والقول بها للجزاء فيكون فيما ذكر والايجاب القول بالبعث والاقرار به فهذا الذى ذكرنا هو تعريفهم خلاف الحالة التى هم عليها ولان الذى يمشى مكبا على غير تثبيت دار اخرى والقول بها للجزاء فيكون فيما ذكر والايجاب القول بالبعث والاقرار به فهذا الذى ذكرنا هو تعريفهم خلاف الحالة التى هم عليها ولان الذى يمشى مكبا على غير الطريق هو الاعمى الذى لا يبصر والمقعد الذى لا يقوى على المشى والذى يمشى سويا على صراط مستقيم هو الذى ليثبت بزمانه ولا بعمى يمنعه عن الصراط فيكون قوله يمشى مكبا على وجهه هو الاعمى والذى يمشى على على صراط مستقيم هو السميع البصير فيكون معناه ما قال في سورة هود مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا وقوله عز وجل قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون هذه الاية صلة قوله هو الذى خلق الموت والحيوة وصلة قوله الذى خلق سبع سموات طباقا وقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ثم ذكر الانشاء وجعل السمع والابصار والافئدة تذكير قوته وسلطانه وعلمه وحكمته والاية وتعاليه عن الاشباه والامثال وتوجيه تذكير القوة والسلطان والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا ويذكر في سورة المرسلات وفي سورة والسماء والطارق وسنذكر طرفا من ذلك هاهنا بعون الله تعالى وتوفيقه فنقول بان الله تعالى انشانا في اظلم مكان واضيق موضع بحيث لا ينتهى اليه تدبير البشر وعلومهم وحكمتهم وقواهم لان علم الخلق لا نفاذ له في الظلمات وكذلك حكمتهم فدل ان الله تعالى انشاه في تلك الظلمات كيف شاء واجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشئ ليعلم به ان علمه بالخفيات من الامور كعلمه بما ظهر منها ويعرف الخلايق انه لا يخفى عليه شئ فيحملهم ذلك الى المراقبة في كل ما يسرون و يوجب ما ذكرنا في تقديره قوته وعلمه وسلطانه فوق البشر وعلومهم وسلطانهم فيكون فيه انقطاع عن الشبه التى اعترضت منكر البعث في امر البعث ويحملهم على الايمان به اذا امعنوا النظر فيه وليعلموا ان من ثبتت حكمته ما ذكرنا لا يجوز ان يخلقهم سدى لا يخاطبهم ولا ينهاهم بل يتركهم هملا واما وجه تعاليه عن الاشباه والاشكال هو انه انشأ الخلق في اظلم مكان واضيقه كان فيه ابانة انه لا يوصف ما يكون في ذلك المكان الذى ظهر فيه اثار فعله لانه في وقت ما خلق عمرا في بطن امه قد خلق زيدا في ذلك البطن في بطن امه وخلق خلايق في بطون الانعام والسباع وبطون بنات آدم وانشاء النبات في الارضين في ذلك الوقت ولو كان يوصف بالكون في مكان الفعل لكان اذا اخذ في خلق هذا لا يخلق في ذلك الوقت في اقطار الارض امثاله من الخلق فدل ان الفعل ليس يحصل منه بشهوده المكان الذى ظهر فيه فعله وانما يكون بما ذكر من قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون واما سائر الفعلة فهم لا يتمكنون من الفعل الا بشهودهم مكان الفعل فهذا الذى ذكرناه ينفى عنه شبه الخلق ويوجب تعاليه عن الاشكال وفيه تذكير نعمه ومنته على خلقه الا تراه قال على اثره قليلا ما تشكرون ولو لم يكن منعما متفضلا لم يكن يستاذى منهم الشكر ووجه النعمة وهو انه قدرهم في تلك الظلمات وصانهم عن الافات وعن كل انواع الاذى وغذاه في ذلك الموضع بما شاء من الاغذية وستره عن ابصار الناظرين وغيبه عن اعينهم لانه في تلك الحال بالمحل الذى يستعان ويستقذر منه ولا يمكن ان يرفع عنه المعنى الذى وقعت به الاستعانة والاستقذار بالتطهير وانشاء لكم السمع و

البصر والفؤاد ليصل بها الى انواع العلوم والمصالح فلو فهموا ان يقوموا بشكر ذلك وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لانهم يزعمون ان الله تعالى لو جعلهم على غير الوجه الذى ظاهر لكان جايزا لان من مذهبهم انه لا يفعل الا ما هو اصلح لهم واذا كان خلقهم هو الاصلح ومن شرطه فعل الاصلح فاذا هو قضاء حق وليس لقاضى الحق على المقضى موضع منة ولا منة بمكانه ولا نعمة يلزمها شكرها له ثم وقوله عز وجل جعل لكم السمع والابصار والافئدة اى جعل لكم لتسمعوا ما غاب عنكم وتتعرفون بالسمع وانشأ لكم الابصار لتبصروا به ما حضر من الاشياء وتعرفوا بها ما ينفعكم وما يضركم وما خبث منها وما طاب وانشأ لكم الافئدة تذكروا بها حقايق الاشياء ومبادى الامور ومالها وما حل منها وما حرم ثم خص هذه الاشياء الثلاثة بالذكر لما بها يتوصل الى العلوم ومعرفة الاشياء قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون اذ انشأ لكم هذه الاشياء لتهتدوا بها وتصلوا بها الى انواع العلوم فثبت ان هذه الاشياء هى التى يتوصل بها الى العلم والحكمة والى ما به المصلحة والمنفعة ولذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا لانه يتبع بها الوصول الى علم الاشياء لكن لا يجحد بالسؤال عنها وقوله عز وجل هو الذى ذراكم في الارض واليه تحشرون جمع في هذه الاية بين خبرين احدهما قد تنوزع فيه وهو قوله واليه تحشرون فان بعض الكفرة ينكرون الحشر والبعث والثانى مما لم يقع فيه التنازع وهو قوله هو الذى ذراكم في الارض ثم ان الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الاعادة بقوله قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وقال وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وان جعل الابتداء دليل الاعادة لزمهم ان يستدلوا به فهو وان ذكر على وجه الاحتجاج ففيه موضع الاحتجاج عليهم وقوله عز وجل في الارض فيه اخبار انه خلقهم في الارض ليشاهد بعضهم خلق بعض في الابتداء فيعلموا انهم لم يكونوا على الحالة التى هم عليها في الحال بل كانوا نطفا وعلقا ومضغا الا ان انتهوا الى الحالة التى عليها فاذا تقرر عندهم امر الابتداء اوجب لهم ذلك علما بالقدرة على الاعادة اذ يكون قوله في الارض اى انشأكم وجعل لكم مساكن في الارض وبسطها لكم لتنتفعوا بها وجعلها لكم كفاتا فيكون فيه تذكير النعمة والقدرة والسلطان وقوله عز وجل ذراكم اى كثركم من اصل واحد كما قال تعالى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومعلوم بان الخلق على كثرتهم لم يكونوا في نفس واحدة ومن قدر على خلق الانفس من نفس واحدة لقادر على اعادة ما قد سبق كونه وقوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فخرج هذا خارج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام ان يجيبهم بالجواب الذى يليق من الحكماء ولم يأذن له ان يجازيهم بالاستخفاف بهم اياه استخفافا مثله فقال قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين بين لهم انه لا ينذرهم الا بالذى امر به ولا يبلغ اليهم الا ما قد انزل اليه وامر بتبليغه وفي هذه الاية دلالة نبوته واثبات رسالته لانه لو لم يكن رسولا كما زعموا وكان مختلقا من تلقاء نفسه لكان يمكنه ان يحيل ذلك الى وقت لا يظهر غلطه فيه ولا كذبه لديهم وهو ان يحيله الى وقت لا يعيش الى مثل ذلك الوقت فاذا لم يفعل بل قال انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين دل ذلك على رسالته وانه اذا كان رسولا لم يكن له ان يزيد في الرسالة ولا ان يختلف من عنده فيها زيادة كما ذكر في قوله تعالى عبس وتولى ان فيه ما يفيد رسالته عندهم من الوجه الذى يذكر في تلك السورة ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل وانما انا نذير مبين اى لا ازيد في الانذار على القدر الذى امرت به وقوله عز وجل فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا جايز ان يكون قوله تعالى رأوه زلفة اى رأوا الذى وعدوا وقوله عز وجل زلفة اى قريبة ثم انث الزلفة لما اريد بها الاحوال التى يكون في ذلك اليوم من الاهوال والشدايد ويكون قوله رأوه كناية عن ذلك اليوم فذكر لان اليوم مذكر وجعل الزلفة بلفظ التانيث لانه كناية عن الاهوال التى يكون في ذلك اليوم وجايز ان يكون قوله زلفة اى راوا تلك الاحوال والشدايد قريبة من الاوقات التى وعد وفيها فعلموا انها كانت قريبة منهم وان كانوا يستبعدونها في هذا اليوم وهو كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وقال ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ولذلك اذا راوا شدايد ذلك اليوم واهواله علموا ان القوة الذى كان يعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبا منهم وقوله عز وجل سيئت وجوه الذين كفروا اى تبينت من سنا مساءة وجوههم او قبحت وجوههم بتغير الوانها وقوله عز وجل وقيل هذا الذى كنتم به تدعون قال ابو بكر الاصم معناه يمنعون ويدفعون كقوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى دفعا وليس الامر كما ذكر لانه لو كان من الدفع والمنع لكان حقه ان ليشدد العين لا الدال كما شددت في قوله يدع اليتيم فاذا شدد الدال دون العين ثبت انه اشتقاق ليس من الدع ولكن من الادعاء اذ الدال هى المشددة تفا وبله والله اعلم هذا الذى كنتم به تدعون اى هذا الوقت الذى كنتم به تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعون عليه انه كاذب في الاخبار وجايز ان يكون قوله تدعون وقد يستعمل الادعاء مكان الدعوة كما يقال ذكر واذكر وخبر واخبر وقوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ففي هذه الاية دلالة ان في حكمة الله مشية المغفرة والعقاب لمن ارتكب غير الكفر من الزلات وايجاب العقاب على من اعتقد الكفر والتزمه وان ليس في الحكمة عفو مثله من العقوبة لانه قال ارايتم ان اهلكني الله

ومن معي او رحمنا فما ثبت فيه خيار الاهلاك وخشية الرحمة والمغفرة ومعلوم انه يهلك ومن معه او يرحم عند ما يبتلى به
بالزلات وكذلك قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجعل لنفسه مشية المغفرة لمن يوتى الكفر
وحكم بايجاب العقاب على من اشرك به والذى يدل على ان الحكمة توجب ما ذكرنا ان الكفر لنفسه قبيح لا يحتمل الاطلاق ولا رفع
الحرمة لما فيه من السفه لان من رضى بشتيم نفسه فهو سفيه فعلى ذلك عقوبته لا يحتمل في الحكمة رفعها والعفو عنها ولما
كان الكفر لا يحتمل الاباحة ورفع العقوبة والافضال المغفرة يخرج مخرج الاباحة كذلك لم يجز القول فيه بالمغفرة والعفو
وسائر المآثم جائز رفع الحرمة عنها ولان الكافر اختار عداوة الله تعالى وكفران نعمة والذى اعتقد الاسلام اختار ولايته و
الحكمة يوجب التفرقة بين العدو والموالى وفي العفو عنه واكرامه بالاحسان تسوية بين الولى والعدو وفي ذلك تضييع الحكمة
ولان الكافر في نفسه انه يظن على الحق والصواب وعلى ظنه على الباطل والضلال وانه غير مستوجب العذاب بذلك على ذلك
حكاية عن اهل الكفر وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فالله تعالى اذا انعم عليه بالاحسان لم يقع ذلك عنده
موقع التجاوز والغفران بل يقع عنده انه انما احسن اليه لاستحقاقه الاحسان وعلى حسبه لما يسبق منه ما يستوجب به
العقاب واذا كان كذلك ادى ذلك الى تضييع الاحسان وتضييع العفو وابطال النعمة فثبت ان الحكمة لا توجب العفو عن
الكافر اذ يحصل العفو في غير موضعه واما اهل الاسلام الذى سبقت منهم الاجرام فقد علموا ان الذى سبق منهم زلات
ومآثم وان العذاب قد لزمهم وانهم مستوجبون العقاب فاذا عفى عنهم علموا انهم انما نالوا العفو بفضل الله تعالى
فيقع الاحسان موقعه ولان من احسن الى عدوه في الشاهد ولم يقصد باحسانه اليه قصد استذلاله والمكر به فهو انما
يحسن اليه لما يخاف ناحيته ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له فلو لا يواخذ الله الكافر بما تعاطاه من الكفر بل احسن اليه من غير
تبعة عليه خرج عفوه واحسانه اليه مخرج الخوف واظهار التذلل تعالى الله عن هذين الوجهين فثبت ان الحكمة توجب القول
بالتخليد وتمنع القول بالعفو والله اعلم وفي قوله قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا دلالة ان لله تعالى ان يعذب على
الصغاير لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سبقه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ممن عصموا عن ارتكاب الكبائر فلو
يجوزان يرتكب الكبائر فيهلكوا لاجلها ولم يثبت انهم لو اهلكوا لاهلكوا بالصغائر فلو لم يكن لله تعالى ان يعذب باهل الصغاير
لصغائرهم باهلاكه اياه بمن معه جائرا ظالما وجل الله تعالى عن الوصف بالجور وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ولو لم يكن لله تعالى ان يعذب على الصغائر احدا لم يكن له على رسوله عليه السلام موضع الامتنان بما غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر ثم الحق ان يقال ان جميع الخوارج والمعتزلة لا يجوزان يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم الكبائر ذكرنا الخوارج من
منتحلي الاسلام ولانهم يقولون لا يجوزان يغفر الله تعالى لاهل الكبائر ولان يتطول عليهم بالعفو بل حتموا عليهم ان يخلدوا في
النار ابد الابدين واذا كان هذا هو الحكم فيهم والله تعالى ان غفر لهم ومن عليهم بالعفو لم يقع عندهم انه انما عفى عنهم لان الذى
ارتكبوا من المآثم لم يكن كبائر بل كانت صغائر اذ لا يجوز المغفرة عن الكبائر فيحصل العفو في غير موضعه والاحسان في غير موقعه
واما غيرهم من منتحلي الاسلام فهم يرجون عفوه وسعة رحمته في كل ايامهم فاذا تفضل عليهم بالمغفرة وقع العفو عندهم موقعه
فلا يكون فيه تضييع الاحسان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم وقوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او
قل ان اهلكني الله ومن معي بما سبق من الاجرام والزلات او رحمنا بما سبق منا من الايمان به والانقياد لامره والخضوع لطاعته
فمن يجير الكافرين اي اي شيء يجير الكافرين من عذابه ولم يسبق منهم الى ربهم حسنة يرجون لاجلها ولا طاعة يستوجبون
الغفران بها او فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى ان حل بهم نكالا ثم قيل له قل لهم هذا لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء
ان ينصروهم من العذاب الاليم فيقول لا يجيرهم تلك الاصنام من العذاب الاليم والله اعلم وقوله عز وجل قل هو الرحمن امنا به فجائز
ان يكون معناه ان الذى خلق الموت والحيوة وخلق سبع سموات طباقا وجعل الارض ذلولا ويعلم السر والجهر هو الرحمن فيكون
فيه اما ان خلق السموات والارض خالق الموت والحيوة وخالق افعال العباد وافعال الطير هو الرحمن جل جلاله وقوله
عز وجل امنا به اي امنا انه خالق ما ذكرنا وانه متعالى عن الاشباه والامثال والبرى من كل عيوب وجائز ان يكون هو اسم من
اسماء الله تعالى على ما ذكر في سورة الاخلاص فيكون هو والرحمن اسمين من اسمائه وقوله عز وجل وعليه توكلنا فجائز ان
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفه المشركون بانواع من المخاوف فقيل له قل عليه توكلنا اي اعتمدنا هو الذى يرفع عنا
شركم وينصرنا عليكم وقوله عز وجل فستعلمون من هو في ضلال مبين فجائز ان يكونوا نسبوا ايضا الى الضلال وادعوا انهم على
الهدى ولم ينظروا في ايات الله تعالى ليتيقنوا بها من الضلال فقال فستعلمون من هو في ضلال مبين اذا جاءكم بأس الله تعالى و
ذلك عند الموت وفي الاخرة وقوله عز وجل قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فهو صلة قوله امن هذا الذى يرزقكم ان امسك
رزقه فيقول ايضا من الذى يأتيكم بماء معين اذا اصبح ماؤكم غورا والمعين هو الماء الذى يقع عليه العين وهو البحر والله اعلم

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ن اختلف في تأويل نون فمنهم من يقول هو الحوت كقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى
النون هو الحوت الا ترى الى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم ومنهم من يقول النون هو الدواة فتأويله هذا على وجه الموافقة
لانه ذكر القلم وما يسطرون فلم يبق هاهنا سوى الدواة فحمله على الدواة على الموافقة لا ان يكون فيه معنى يدل على ارادة
الدواة منه والله اعلم ومنهم من يقول هي فارسية معربة انون كن اي اصنع ما شئت يقال هذا عند الاياس ان المراد اليس عن
اخيه قال له اصنع ما شئت وا ومنهم من يقول هو من الحروف المقطعة ويشبه ان يكون هو المراد لانه ذكر القلم وما يسطر على اثره و
انما يكتب بالقلم ويسطر والحروف المعجمة فاخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بانشائه هذه الحروف وخلق القلم وما يسطر عليه حيث
يوصل بها الى تعرف الحكمة وكل ما يكون به المصلحة من الدين والدنيا بل جعل قوام الدين والدنيا ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف
المعجمة اسما من اسماء الله تعالى او افتتاح اسم من اسمائه وكذلك يروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ثم قال ذلك فاذا كان النون
اسما من اسماء الله تعالى والقسم به قسم بالله تعالى وان كان على غيره من الوجوه التي ذكرناها والقسم جار بما به قوام سائر الخلق
ومنها حججهم وقد ذكرنا ان القسم لتأكيد ما يقصد من الامر والله اعلم وقوله عز وجل ما انت بنعمة ربك بمجنون فموضع القسم
هذا القسم بما ذكر ما انت بنعمة ربك بمجنون يحتمل وجها احدها اي بنعمة ربك حفيظك عن الجنون فتنفى عنه الجنون بقوله و
ما انت بما انعم الله عليك بمجنون وهذا كما يقال ما انت بحمد الله بمجنون يراد به نفي الجنون والثاني انك لست ممن جحد عنه النعمة
واعترها حتى شغلته عن العمل بما له وعليه والمجنون في اللغة هو الذي عزبه النعم والمترعن التزود لمعاد وما انت بمناع عن
عن نعم ربك بل تذكرها وتشكر الله تعالى عليها والمجنون من غفل عن النعمة واعرض عن شكرها ثم الكفرة كانوا ينسبونها الى الجنون
لما كان يغشى لنزل الوحي فكانوا ينسبونه لهذا واما لما راوا انه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف اهل الارض وفيها الجبابرة
والفراعنة وانتصب لعاداتهم ومن قال بخلاف من لا طاقة له معه وانتصب لعاداته فذلك منه في الشاهد جنون فاجاب الله
تعالى الفريقين جميعا اما الاول فقوله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
اي كيف ينسبونه الى الجنون وعند الافاقة من تلك الغشية يأتيهم بحكمة وموعظة يعجز عنها الجن والانس عن اتيان مثله
وليس ذلك من علم المجانين والا ما يمكن تحصيله في حال الجنون لان المجنون اذا افاق من غشيته تكلم بكلام لا يعبأ بمثله
ولا يكترث واجاب لمن كان نسبه الى الجنون لما خاطر بروحه ونفسه بقوله ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاخبر
ان الذي حمله على المخاطرة بروحه وجسده هو انه مامور بالتبليغ والنذارة فهو يقوم بما امر وان ادى ذلك الى تلاف النفس ثم
يجد الله تعالى لم يتهيأ للفراعنة ان يقتلوه ولا تمكنوا من المكر به بل اظفره الله تعالى عليهم حتى قتلهم وردكيدهم في نحورهم
ففساد الوجه الذي استدلوا به على جنونه اية رسالته ودلالة نبوته والله الهادي وقوله عز وجل وان لك لاجرا غير ممنون وهو
الحسنى اي لا يمن عليك المنة التي تؤذيك ولكن يمن عليك منه رحمة وكرامة والمن المؤذي كما ذكر عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى فليس لاحد عليك منة تؤذيك وقال بعضهم غير ممنون اي غير مقطوع اي ان اجرك غير مقدر بالاعمال
حتى يجرى بعدد الاعمال فاذا انقطعت الاعمال انقطع الاجر وانقرض بل يتتابع عليك ويدر ويقال في الكلام منت الحبل
اي قطعته وقال بعضهم غير ممنون اي غير محسوب اي لا تحسب عليك النعم فيعنى نفيا الحساب وقوله عز وجل وانك
لعلى خلق عظيم خلقه العظيم القرآن ومعناه ما ادبه القرآن وذلك كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وكقوله
ادفع بالتي هي احسن وكقوله واخفض جناحك للمؤمنين فاخذ بالعفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ودفع السيئة
بالتي هي احسن وخفض الجناح للمؤمنين من اعظم الخلق وتخلق بهذا كله بادب القرآن والله اعلم وقال بعضهم الخلق العظيم
هو الاسلام والاسلام هو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى وقد استسلم لذلك وسلم الناس من لسانه ويده وعن كل انواع
الاذى وذلك من اعظم الخلق والاصل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلف معاملة اعداء الله تعالى ومعاملة اعدائه ومعاملة
اولياء الله وانصاره وكلف ان يرفض الدنيا ويتزهد فيها وكلف معاملة الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والانس
وكلف معاملة نسائه ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لم يتهيأ له الا بخلق عظيم فرزقه الله تعالى خلقا عظيما حتى احتمل المعاملة وقام
معهم بحسن العشرة وحتى عوتب على عظيم خلقه بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وبقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي
مرضات ازواجك وقال فلعلك باخع نفسك على آثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فالذي حمله على هذه المشقة
وكلفة العظيمة حسن خلقه وفضل شفقته ورحمته خلقه ان خلقه جاوز قوى نفسه حتى ضعفت نفسه عما احتماله وكان
تحملك فيه وغيره من الخلائق يقصر اخلاقهم عن قوى انفسهم وانفسهم يحتمل اضعاف ما هم عليه من الخلق ويضيق اخلاقهم
عن ذلك فهذا الذي ذكرنا هو النهاية في العظم وبالله التوفيق وقوله عز وجل فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون قال جعفر
بن حرب المفتون في هذا الموضع هو المفتون بضلالته المعجب بخطائه المشعوف بجهله وقال الحسن المفتون هو الذي شغله الشيطان

وقيل المفتون من به الفتنة كما يقال فلان لا معقول له اى ليس له عقل وقيل المفتون المعذب كقوله عز وجل يوم هم على النار
يفتنون اى يعذبون فكانه يقول ستعلمون ايكم المعذب وايكم الضال اى حمل على ما ذكر الحسن وايكم المفترى كان معناه
على ما ذكر وان المفتون وجايز ان يكون نسبوه الى الاعتزاز فيما كان يدعى من الرسالة ويزعمون انه مفتر بها ويغر بها غيره كما
قال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحق هذا عندنا ان لا يتكلف تفسيره لانه قال فستبصر ويبصرون *
بايكم المفتون فذكر هذا جوابا عما وقعت فيه الخصومة فكانوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر انهم هم المفتون فخرج هذا جوابا عن تلك الخصومة انهم وانت ستبصرون وقد وقعت الخصومات
من اوجه شتى كما يدعون انه مجنون ومرة بانه ضال ومرة انه مفتر وغيرهما من الوجوه فاذ ثبت ان الاية نزلت في حق الجواب
لم يعلم بان الخصومة فيم كانت لم نعلم الى ماذا يصرف الجواب والله اعلم ويشبه ان يكون خصومة الواقعة في الضلال
والهدى فكانوا يزعمون انهم على الهدى وانهم بالله احق واليه اقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعى انهم على الضلال وانه على دين الحق والهدى يدل على ذلك ذكر الضلال والهدى بعد ذكر المفتون وهو قوله ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ثم هذه الايات كانها نزلت جوابا من الله تعالى عما كان يحق لمثله الجواب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى لما امتحن رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو والاعراض عن المكافات بالجواب تولى الله تعالى
الجواب عنه بقوله تعالى ان ربك هو اعلم اى قد تعلمون ان ربكم اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وسنبين لكم ذلك
وقوله عز وجل فلا تطع المكذبين وقال في موضع اخر ولا تطع منهم اثما او كفورا ليس في قوله فلا تطع المكذبين امر من الله
تعالى بان يطيع المصدقين من صدقه وامن به لا يجوز ان يتقدم بين يديه بامر او نهي ولا ان يدعوه الى الطاعة بل ينتظر
الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه فيأتمر بامره وينتهي بنهيه فيما يدعوه اليه واما من كذبه فقد يدعوه الى طاعته فخص
ذكر المكذب عند ما نهاه عن طاعته لان الدعاء الى الطاعة يوجد لا من الصدق دون ان يتضمن قوله فلا تطع المكذبين
امرا بطاعة الصدق وهو كقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق فليس فيه انه اذا لم يخش الاملاق ويسعه قتله ولكنه
خص تلك الحالة لان تلك الحالة هي التي كانت يحملهم على القتل ولم يكونوا يقدمون على القتل عند الامن من الاملاق وفي
دلالة ابطال قول من قال بان تخصيص الشيء بالذكر يدل على ان الحكم فيما عداه بخلافه والله اعلم وقوله عز وجل المكذبين هم
المكذبون بايات الله تعالى او بوحدانيته او برسله او بالبعث ثم يجوز ان يكون هذا الامر نهيهم في اول الاحوال فكان يطمع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجابة لهم فيما يدعون اليه اذ كانوا يرجون منه الموافقة لهم بما يبذلون له من المال فيكون
النهي راجعا الى ذلك الوقت فاما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لامر الله تعالى فلا يحتمل ان يطيعهم او يخاف
منه ذلك فينهى عنه وجايز ان يكون دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من قوله ودوا لو تدهن فيدهنون والمداهنة
والملاطفة والملاينة في القول ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الهتهم بسوء ويسفههم بعبادتهم اياها ويسفه احلامهم
وجهلهم ولم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه الى الكذب مرة والى الجنون ثانيا والى السحر
ثالثا وكانوا يتخذونه هزوا وازراوه يطعنون فيه من هذه الاوجه بازاء ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفههم ويذكر
الهتهم بسوء مع علمهم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن الحق الى قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
فاخبر تعالى انهم ليسوا يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب بل قد كانوا عرفوه بالامانة والصدق ولم يكونوا وقفوا منه على كذب قط
فانما الذي حملهم على التكذيب والحاذهم اياه هزوا ذكر الهتهم بسوء وكذلك قال واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي
يذكر الهتكم فكانت معاملتهم هذه بمجازاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ودوا لو تدهن فيدهنون يخرج على
ان شاء الله تعالى هو انك لو تركت ذكر الهتهم بسوء ولم تسفه احلامهم لاستعفوا ايضا عما هم عليه من نسبتهم اياك الى
الجنون والتسحير والكذب وغير ذلك ولكنك كان يذكرهم وهو في ذلك محق وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور فيكون
قوله لا تطع المكذبين فيما يدعونك الى المداهنة ثم هو لو داهنوا لكانوا في مداهنتهم محقين واذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق
الذي كان عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن في مداهنتهم محقا فلذلك نهى عن المداهنة وقال بعض
المفسرين ودوا لو تدهن فيدهنون اى لو ترخص مما انت عليه من الدين وهذا لا يستقيم لانه اذا ترخص ما هو عليه من الدين كفر ثم
تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين فيبقى بينهم الاختلاف الذي لاجله ما دعوا الى المداهنة وودوها وقوله عز وجل ولا
تطع كل حلاف مهين قيل بان هذه الايات نزلت واحد يشار اليه وهو الوليد بن المغيرة المخزومي وفيما يشار الى واحد لا يسلك
فيه كل فيقال ولا تطع كل حلاف مهين البشر الا الواحد ولكن معناه ولا تطع هذا وكل من يوجد فيه ثم ذكر المرء بسوء
خلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم يخرج مخرج الهجاء والشتم في الشاهد لان ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش
والمساوي تقبيحا له وشتم وجل الله ورسوله ان تقصد والى الشتم انسان فالاية ليست في تثبيت فواحشه وانما هي في موضع

التوبيخ

التوبيخ والزجر عن اتباع مثله وذلك انه كان من رؤساء الكفرة وممن بسطت عليه الدنيا فكان القوم يتبعونه وينقادون
له فيما يدعوهم اليه من الصد عن سبيل الله فذكر الله تعالى فيه هذه الاشياء واظهرها للخلق ليزهدهم عن اتباعه اذ كل من كانت فيه هذه
الاحوال لم تسمح نفس عاقل لاتباعه ولا احتمل طبعه طاعة مثله فلا يمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى فكان في ذكره بالعيوب
التي ذكرها وجر الناس عن طاعته فذكرها لاثبات هذا الوجه لا ان يكون قد يذكرها على تحصيل الشتم والهجاء وكذلك ذكر
ابا لهب بالتب والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجر الناس عن اتباعه وفي هذه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه
الذي ذكره في سورة تبت ان شاء الله تعالى ثم قيل المهين من المهانة من الوهن وهو الضعف ثم قوله هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم جايز ان يكون استوجب المهانة لكونه هماز مشاء بالنميم ويمنعه الخير واعتدائه فيكون هذا كله تفسير المهين فان
كان هكذا فقوله المهين من المهانة ههنا انه لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى عليه طاعته ومن هذا وصفه
وان يميل قلبه اليه ولكن النبي لكان فيه وان كان هو مشارا اليه بالذكر وجايز ان يكون قوله كل حلاف مهين تمام الكلام
ويكون قوله هماز مشاء بنميم على الابتداء فكانه يقول لا تطع كل حلاف مهين وكل هماز مشاء بنميم وكل معتد اثيم وكل عتل زنيم
وتفسير الهمز يذكر في تفسير سورة الهمزة ان شاء الله تعالى والمشاء بالنميم هو الذي يسعى في الفرقة من الاخوان ويغري فيما
بينهم بالقطيعة والمناع للخير قال بعضهم انه كان يمنع اهل الافاق من كان الحضرة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقول انه ضال العقل فقيل مناع لهذا ومنهم من ذكر انه كان يمنع ولده من الاختلاف الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجايز ان يكون منعه للخير هو امتناعه عن اداء حقوق الله تعالى الواجبة في ماله وقوله عز وجل معتد حدود الله تعالى
او ظالم لنفسه وقوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم العتل الفظ الغليظ والشديد الظلوم وقيل هو الفاحش اللئيم الضريبة وقال
مجاهد العتل الشديد الاشر الى الخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل
من المسلمين يا رسول الله وما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الجواظ فالذي جمع ومنع تدعوه
لظى نزاعة للشوى واما الجعظري فالفظ الغليظ قال تعالى فبما رحمة لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما
العتل الزنيم هو الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس واما الزنيم هو الداعي
الملصق بالقوم الملحق في النسب واستدلوا على ذلك بقول الشاعر زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم ويقول اخر زنيم
تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع ومنهم من قال انه كانت به زنمة في الاصل اذنه يعرف بها ومنهم من يقول الزنيم
هو العلم في الشر ولقايل ان يقول لما كان تاويل ما ذكر في الخبر ومعنى الزنيم الدعي او ما ذكر من العلامة فكيف عيره بهذه
الاشياء ولم يكن له في ذلك صنع والمرء انما يعير بما له فيه صنع لا بما لا صنع له فيه فيجاب عن هذا من وجهين احدهما ما ذكرنا
ان ذكره بما فيه من العيوب لكان المذكور نفسه ولكن ازجر عن اتباعه لان من اشتمل على العيوب التي ذكرها وكان مع ذلك
اعلا ذميما فانفس الخلق تابى عن اتباعه فاين يعير بما الشيء عليها ما ذكرنا من الحكمة لا تعييره والثاني ان ذكر اصله كناية
عن سوء فعله ليعلم ان خبث الاصل يدعو الانسان الى تعاطي الافعال الذميمة وصحة الاصل وحسبه وتقادمه يدعو صاحبه
الى محاسن الاخلاق والى الافعال المرضية وقوله عز وجل ان كان ذا مال وبنين فيخبران من يتبعه لكثرة امواله وبنيه وذلك
ان كثرة المال للانسان من احد ما يستدعى قلوب الخلق الى تعظيمه فذكر ما فيه من العيوب والمساوي لئلا يشتمل قلوب الضعفة
الى نفسه بماله فيقول كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى ثم اخبر عن معاملة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وان كان عاما بظاهره ولكن لم يرده بالعموم لان هذا الا اساطير الاولين
ليس في كل الايات وانما هو في الايات التي هو في حق الاخبار عن الامم السالفة واما اذا تليت عليه الايات التي فيها دلالة اثبات
الرسالة ودلالة التوحيد ودلالة البعث فقوله فيها ما قال في سورة المدثر ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر وهذا دليل
على انه لا يجب اعتقاد ظاهر العموم ما لم يعلم بيقين والله اعلم وقوله عز وجل سنسمه على الخرطوم قيل شيئا لا يفارقه فجايز ان
يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره من راه فيجتنب صحبته فهو شيئا من هذا الوجه فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنته
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم اذاه له وجايز ان يكون هذا في الاخرة فيجعل الله تعالى علما فانفه علما يتبين به ويمتاز
من غيره يوم القيمة زيادة له في العقوبة كما جعل لآكلي الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وجايز
ان يكون تسمه خرطومه خصوصا من بين الكفرة فيحشره ولا انف له لانه ذكر ان سائر الكفرة يحشرون يوم القيمة بكما وعميا وصما
ولم يذكر انه لهم شيئا فجايز ان يكون يحشر ولا انف وذلك هو النهاية في القبح والله اعلم وقوله عز وجل انا بلوناهم كما بلونا
اصحاب الجنة فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اهل مكة ابتلوا بالاحسان الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابتلي
اصحاب الجنة بالاحسان الى المساكين فحل بهم من البلاء ما ذكر لامتناعهم عن الايتاء فذكر اهل مكة انهم ان امتنعوا عن الاحسان
الى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم حل بهم ما حل باولئك وقد وجد منهم الامتناع فابتلوا بسنين كسني يوسف حتى اضطروا الى اكل

الحيف والاقتدار ثم ان اصحاب الجنة لما مسهم العذاب وابتلوا به انابوا الى الله واتقلعوا عن مساويهم فتاب الله عليهم ورفع الله البلآء عنهم واهل مكة تمادوا في غيهم ولم يتوبوا فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر في الدنيا وسيرد هم الى العذاب في الاخرة فجاز ان يكون الله تعالى لما اعزهم وشرفهم وصرف وجوه الخلق اليهم امتحنهم بتجبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فيما اسدا صحبته عاقبهم بما ذكرنا ووسع على اصحاب الجنة فامتحنهم بما وسع عليهم بان يوسعوا على غيرهم فلما استغنوا عن ذلك بزوال النعمة عنهم وعوقب هولاء بزوال العز عنهم واذاقهم الله تعالى لباس الجوع والخوف والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين فقوله مصبحين اي لاول وقت ينسب الى الصباح وذلك يكون في اخر الليل كما يقال ممسين لاول وقت ينسب الى المساوي واذا كان كذلك فالانصرام يقع بالليل الا ترى الى قوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهم لا يملكون منع دخول المساكين عن الدخول **وقوله** عز وجل ولا يستثنون قيل اي لا يقولون ان شاء الله وقيل لا يقولون سبحان الله فان كان على هذا ففيه ان التسبيح كان مستعملا في موضع الاشيآء وقد يجوز ان يؤدي معنى الاستثناء لان في تنزيه الرب تعالى وفي الاستثناء معنى التنزيه لان فيه اقرارا ان الله تعالى هو المدبر للاشيآء والمعنى لما ثم اصحاب الجنة بتشميهم نصدوا وقصدوا بحقهم العصيان فيه وكان عهدهم الذي عاهدوا عليه معصية وعوتبوا بتركهم الاستثناء ففيه دلالة ان الله تعالى يوصف بالمشية في فعل العاصي ممن يعلم انه يختار ها لانه لو لا يوصف به لم يكن لمعاتبته اياهم بتركهم الاستثناء معنى اذ لا يجوز استعمال الاستثناء فيما لا يجوز ان يوصف به الرب جل وعز الا ترى لا يستقيم ان يقال الا ان شاء الله جاز وان لم يشاء لم يأكل فلو لم يوصف ايضا بالاضلال من يعلم منه انه يوثر الضلال لم يجز ان يلاموا على ترك الاستثناء فيه والذي فيه يدل على صحة ما ذكرنا قوله من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم فتبين انه يشاء اضلال من ذكرنا وفيه ان خلق الشئ غير ذلك الشئ لانه يستقيم ان يوصف الله تعالى بالاضلال ولا يجوز ان يوصف بالضلال وان كان الاضلال خلقا له ويوصف انه المحيي والمميت ولا يستقيم ان يقال انشاء حي وان شاء مات وان كان هو الذي خلقهما ثم ليس في قوله اذ اقسموا ايمانه انه قسمهم كان بماذا فان كان بغير الله تعالى ففيه ان ذلك القسم فذلك بغير الله تعالى وان كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة لابي يوسف على ابي حنيفة رحمهما الله ان اليمين اذا كانت موقتة فان هلاك الشئ المحلوق بها قبل مضي وقتها لا يسقط اليمين بل تبقى بحالها ويلزم على صاحبها حكم الحنث اذا مضى وقتها لان الثمر الذي حلفوا على صرمه قد هلك قبل الوقت الذي وجب فيه الصرم فلو كانت اليمين يسقط عنهم بهلاك الثمر لم يكونوا يحتاجون الى الاستثناء لان الحاجة الى الاستثناء لاسقاط المؤنة التي يلزم بالحنث في اليمين فلو كان هلاك الثمر يسقط لليمين ومؤنة الحنث لاستغنوا عن الاستثناء فلما الحقهم اللائمة بتركهم الاستثناء دل ان المؤنة تبقى عليهم اذا عزبت عن الاستثناء وان كانت موقتة ولكن ابو حنيفة رحمه الله يسقط عنه اليمين بهلاك الشئ المحلوق عليه اذا كانت يمينه بالله تعالى ولا يسقطها اذا كانت بشئ من القرب والطاعات اعني الندب وليس في الاية ابانة ان يمينهم كانت بالله تعالى فجاز ان يكون يمينهم بشئ من القرب فبقيت عليهم ولانه عاتبهم على ترك الاستثناء فسقط العزيمة لان من عزم على المعصية وقال فيه ان شاء الله لم يصر انما بمقالته ولا مصرا عازما على المعصية وابو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية في اليمين موقتة اذا عقدت من المعصية والذي يدل على ان العتاب في ترك الاستثناء الوجه الذي ذكرنا انه لم يذكر في شئ من الاخبار ولا انه ذكر في الكفارات احد منهما امر بالتكفير ولو كان الحنث لازما لهم لكانوا يلامون على ترك التكفير ايضا كما الحقهم الملايم بترك الاستثناء والله اعلم **وقوله** عز وجل فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون طائف من ربك قيل عذاب ربك وسمي طائفا لانه اتاهم بالليل فهو طائف **وقوله** عز وجل فاصبحت كالصريم قيل اي الجنة كانها صرمت وهم اصبحوا اليصرموها **وقوله** عز وجل فانطلقوا وهم يتخافتون قيل يتسارون فيما بينهم فيجوز ان يكون مسارتهم كانت في الامر بالاسراع في المشي لان لا يشعر بهم المساكين او يتعجلوا في الخروج والمشي قبل الوقت الذي يجتمع فيه المساكين **وقوله** عز وجل وغدوا على حرد قادرين فمنهم من ذكر ان اسم جنتهم كان حردا وقيل غدوا على امر قد اسسوا فيما بينهم وقال الزجاج الحرد له اوجه ثلاثة احدها القصد واستدل عليه بقوله اقبل سيل كان من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي يقصد قصدها والثاني هو المنع يقال احردت الشبة اذا انحصت دريها والثالث الغضب فغدوا على حرد قادرين اي على غضب على الفقرآء وقوله قادرين عليها في انفسهم ولقائل ان يقول بان في هذه الاية دلالة تقدم القدرة على الفعل لانه اثبت لهم القدرة قبل الفعل ولكن هذه القدرة ليست هي قدرة الافعال وانما هي قدرة الاسباب والاحوال **وقوله** عز وجل فلما راوها قالوا انا لضالون اي قد ضللنا الطريق فكان عندهم انهم قد ضلوا الى غيرها ظهر لهم انهم لم يضلوا الطريق بل حرموا بركة الثمار فيها ثم التي جنوها فتذكروا صنيعهم وندموا على ذلك فاقبلوا بالاستكانة والتضرع الى الله تعالى فتاب عليهم فلعل الذي قال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة يخرج على هذا وهو انا بلونا اصحاب الجنة فتذكروا فرفع عنهم العذاب ولم يتذكر اهل مكة فحل بهم العذاب يوم بدر فالاشتكاء الذي بهم وما ينفرعون **وقوله** عز وجل قال اوسطهم اي اعدلهم **وقوله** عز وجل الم اقل لكم لولا تسبحون جاز ان يكون معناه لولا يستاوون الفجر فيخرجون ويجابو

ان يكو

ان يكون معناه لولا يستثنون وقد ذكرنا ان في الاستثناء معنى التسبيح لان اقرارا بان الامور كلها ينفذ بمشية الله عز وجل وانه هو المغير والمبدل دون احد سواه **وقوله** عز وجل قالوا سبحان ربنا فهذا منهم توحيد وبرية وفي قولهم انا كنا ظالمين اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب وانابة الى الله وتمام التوبة منهم في قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا قيل يا ويلنا انا كنا طاغين وذكر المفسرون في قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي اقبل بعضهم على بعض باللوم تقول انت امرتنا ان نفعل كذا وقال هذا المرا بل هو علك انت وهذا لا معنى له لان هذا يوجب برئة كل احد منهم عن ارتكاب الذنوب وقد سبق منهم الاقرار بالذنب بقوله قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وبقولهم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فكيف يبرؤن انفسهم عن الذنوب وقد اعترفوا بها فهذا تاويل لا معنى له بل معناه والله اعلم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون على ان كل منهم بنفسه في ذلك القوم اقبل كل واحد منهم باللائمة على نفسه حتى يكون هذا موافقا لقوله انا كنا ظالمين وفي هذا تمام التوبة ففيه انهم اظهروا الندامة على ما سبق منهم من اوجه ثلاثة مرة بما وصفوا انفسهم بالظلم ومرة بالاحوال انفسهم ومرة بما وصفوا انفسهم بالطغيان **وقوله** عز وجل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها اي يبدل لنا خيرا منها اذا تبنا الى ربنا لانه لا يجوز ان يتوقعوا خيرا منها وهم مصرون على ذنوبهم اذ قد عرفوا انهم انما حرموا بركة الثمار بما ارتكبوا من الذنوب فثبت ان معناه ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هذا في الاخرة يقولون عسى ربنا ان يبدل لنا خيرا منها في الاخرة اذا تبنا وانبنا اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل انا الى ربنا راغبون الى ما عند ربنا من العطايا والمنن راغبون والى ما وعد ربنا المنايبين من الذنوب لراغبون **وقوله** عز وجل كذلك العذاب كانه يخاطب اهل مكة ان في الدنيا اذن باخذ اهله امن كانوا واعمل ما كانوا كما اخذ اصحاب الجنة عند الامر اذ كان عندهم انهم يقدرون على صرم تلك الثمار ولا يفوتهم **وقوله** عز وجل ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون نفى هذا ايجاب العذاب على من لم يعلم بالعذاب ولم يومن به لانهم لم يومنوا بعذاب الاخرة ولا علموا به ثم اوجب لهم العذاب وان لم يعلموا ولم يعذروا بالجهل لانهم قد وقفوا على السبب الذي لو تفكروا وعلموا بالعذاب ولا يتقوا به وفي هذا حجة ان لا عذر لمن تخلف عن التوحيد والايمان بالله تعالى وان جهل الا ان يكون جهله جهل خلقه لان الذي به الجهل هو التقصير في الطلب ولا لو لم يقصر في الطلب لوجد من يدله على معرفة الصانع ووحدانية الرب تعالى **وقوله** عز وجل ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وفيه ترغيب في لزوم التقوى وهو الاسلام **وقوله** عز وجل افنجعل المسلمين كالمجرمين انجعل من جعل كل شئ سوى الله تعالى لله سالما لا يشرك فيه احدا كالذي اجرم فجعل في كل شئ سالم له شركا في العبادة والتسمية اوبين الله تعالى انه ولي المؤمنين وعدو المجرمين فيقول اتبين عما اصاني ان استوى بينهم وبين الاحيا والجمع بينهم لا يفعل ذلك لان فيه تضييع الحكمة لان الحكمة توجب التفرقة بين العدو والولي وفي الجمع بينهما تضييعها **وقوله** عز وجل ما لكم كيف تحكمون فان اجعل عدوي بمنزلة وليا وولي بمنزلة عدوا واي شئ حملكم على حكمكم هذا ولم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك فكيف تطمعون ذلك او كيف تحكمون بالجور على ربكم لان من الجور ان يجمع بين الولي والعدو في دار الكرامة ثم قوله افنجعل المسلمين كالمجرمين يستقيم ان يجعل هذا جوابا للفريقين لم يكن البعث انه يرى اهل الاسلام في الاخرة فيما يكونون من النعيم فمن انكر البعث فالاحتجاج عليه بهذه الاية هو ان العقل يوجب التفرقة بين الولي وبين العدو والشكور فانه اذا انكر البعث فقد زعم على الله تعالى انه يجعل في المسلمين كالمجرمين والكفور كالشكور والعدو كالولي ومن فعل هذا فهو سفيه لا يصلح ان يكون حكيما نفي انكار البعث تحقيق السفه واثبات الجور لان من الجور ان يجمع بين الولي وبين العدو في الجزآء ومن ادعى الوجه الاخر وهو التسوية بين الفريقين لما نشاديا في منافع الدنيا ومضارها وفي الذاتها وشدايدها وبلياتها فعلى ذلك يكون امرهم في الاخرة فجوابهم في ذلك ان الدنيا هي دار يظهر فيها العدو من الولي والشكور من الكفور والاخرة دار جزآء العداوة والولاية فجاز ان يقع فيما فيه ظهور الولاية والعداوة اتفاق ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما فيه الجزاء لان الجزاء العداوة سبقت ولاية سبقت والحكمة توجب التفرقة بين فلا يجوز ان يجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة وليس قبل المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في المحنة فجاز ان يقع بينهما الاتفاق في ذلك ولانه لو كان تفرق بينهما في الدنيا لكانت المحنة يخرج عن حدها والدنيا هي دار المحنة وانما قلنا ان فيه اخراج المحنة عن حدها لان المحنة يكون على الرجآ والخوف والرغبة والرهبة فلو فرق بين العدو والولي في الدنيا فوسع على الاوليآء وضيق على الاعدآء لوقع اختيار وجه الولاية على الضرورة لان من حكم انه يضيق عليه اذا اختار وجه العداوة ويعجل عليه العذاب ترك ذلك الوجه ومال الى الولاية فيرتفع وجه المحنة فلذلك جاز ان يجمع بين الولي والعدو في دار المحنة فيبقى وجه الحكمة بحاله ولم يجز ان يجمع بينهما في الاخرة لانها دار جزاء والعقل يوجب تفرقة جزائهما والله الموفق **وقوله** عز وجل ما لكم كيف تحكمون فاحكم الحكام بالسفه حيث تزعمون انه يجمع بين الولي والعدو في الجزآء وذلك من اعلام السفه او كيف تحكمون في احكام الحاكمين واعدل العادلين بالجور اذ تزعمون انه يجمع بين الفريقين في دار الكرامة ومن الجور ان يجمع بينهما وهم كانوا يقرون ان الله تعالى احكم الحاكمين **وقوله** عز وجل ام لكم كتاب فيه تدرسون في جهنم او لا بيانا يوجبه

الحكمة وهو ابكم يعلمون ان الحكم يوجب التفرقة بينهما فان كنتم تدعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فانتم تعلمون ان الحكمة توجب التفرقة بينهما وان كنتم تدعون ذلك من كتاب فاى كتاب من عند الله جاءكم فيوجب التسوية بينكم وبين الاولياء واى دليل اخبركم انكم تشاوون الاولياء فى نعيم الاخرة ثم وجه الحاجة بالكتاب هو ان مشركى العرب لم يكونوا يومنون بالكتاب ولا بالرسل ولو كانوا يومنون بها الكانوا يقدرون ان يقولوا ان لنا كتابا ورسلا فوجدنا فيه ما نذكر وندعى ورسول قد اخبرنا بذلك ولكنهم اذا كانوا لا يومنون بها صار هذا الوجه الذى ذكره الله تعالى حجة لازمة عليهم والله اعلم وقوله عز وجل ان لكم فيه لما تخيرون اى وفى ذلك الكتاب تجدون ان لكم فيه لما تخيرون وقوله عز وجل ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم فيه لما تحكمون وهذا ايضا صلة الاول اى هل شهد الله تعالى اقسم لكم انه هكذا كما تحكمون وهذا كقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فاخذهم بالمقايسة اولا وهو كقوله تعالى قل الذكرين حرم ام الانثيين الاية ثم تثبيت ذلك بالكتاب والمعقول اخذ عليهم بقوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا وقد عرفوا انهم لم يشهدوا وما ادعوه لا ثبات له الا من الوجوه التى ذكرها وانا لم يثبتوا بشئ من ذلك يتبين عندهم فساد دعواهم فهذا ايضا مثله وهو انه سالهم عن ايراد الحجة اما من جهة الحكمة او من جهة الكتاب او من جهة الشهادة فاذا لم يثبت لهم واحد من هذه الاوجه فباى وجه يشهدون على الله تعالى انه يفعل ذلك وقوله عز وجل بالغة اى وكيدة او بلغت اليكم عن الله تعالى وقوله عز وجل سلهم ايهم بذلك زعيم يقول فانهم يعتقدون مع هذا كله فان يدعوا على دعواهم من غير حجة تشهد لهم فسلهم اى اطلبهم بالزعيم اى من يتكفل لهم ان الامر كما يزعمون وقوله عز وجل ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اى شركاء يشفعون لهم يوم القيمة وقال بعضهم ام لهم شهداء ممن عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون وقوله عز وجل يوم يكشف عن ساق اى يكشف عن موضع الوعيد بالشدة والاهوال والساق الشدة وسمى الساق ساقا لهذا لان الناس شدتهم فى سوقهم اذ بها يحملون الاحمال فكنى بالساق عن الشدة وقيل ايضا انهم كانوا اذا ابتلوا بشدة وبلاء كشفوا عن سوقهم فكنى بذكره عن الشدة لان يراد بذكر الساق تحقيق الساق والله اعلم وقوله عز وجل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يحتمل ان يكون هذا على دفاء الحال ويحتمل ان يكون على دفاء الامر واما دفاء الحال فهو ان من عادات الخلق انه اذا اشتد بهم الامر وضاق فزعوا الى السجود فجايز ان يكون ما حل بهم من الاهوال والشدايد يدعوهم الى السجود فيهمون بذلك فلا يستطيعون فيكون قوله ويدعون الى السجود اى يدعوهم الحالة الى السجود فهذا دفاء الحال وجايز ان يومروا بالسجود يمتحنوا به ثم ان كان التاويل على الامر فيحتمل ان يكون ذلك يوم القيمة وجايز ان يكون وقت الموت وان كان على دفاء الحال فذلك يكون عند الموت ثم الامر بالسجود يحتمل وجهين احدهما ان يكون على حقيقة الفعل ويحتمل ان يكون على الاستسلام والخضوع اذ السجود فى الحقيقة هو الخضوع والاستسلام وكل سجود ذكر فى القران واريد عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود وكل ما اريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذى يجب بتلاوته السجود ثم ان ذكر فى اهل الكفر فانما يراد منهم الاستسلام بالاعتقاد ليس بعين واهل الاسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد فيلزمهم ان يستسلموا من جهة الفعل فجايز ان يكون هذا لما عاين الشدايد والافزاع استسلم لله تعالى وخضع له فلم يقبل ذلك منه لان تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة والثانى ان السجود هو بذل النفس لما طلب منه طايعا واذا اشرف المرء على الموت طلب منه فى ذلك الوقت بذل روحه لما يعلم ان مصيره اذا قبض الى العذاب وكره اشد الكراهة كما قال عليه الصلاة والسلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ذلك عند الموت فهو لما يرى من المكروه يحل به بعد الموت يكره قبض روحه فيكون قوله فلا يستطيعون ان كان المراد من قوله ويدعون الى السجود عند الموت على ذلك والمومن اذا راى ما اعد له من الكرامات ودان يقبض روحه سريعا لتصل الى الكرامات وان كان هذا بعد البعث واريد من السجود حقيقته ففيه تذكير لهم انهم لم يكونوا يمتحنون فى الدنيا بالسجود لمنفعة تصل الى الله تعالى والحاجة له الى ذلك وانما امتحنوا بالسجود لمكان انفسهم اذ لو كان الامتحان لمنفعة ينال الله تعالى لما كان يمنعون عنه فى القيامة والله اعلم وقال كثير من اهل الكلام لا يجوزان يمتحنهم الله تعالى بعد البعث بالسجود اذ تلك الدار ليس بدار محنة وانما الامر بالسجود يخرج مخرج التوبيخ وكذلك زعم جعفر بن حرب ان هذا على التوبيخ يقال للرجل اذا كان مكثرا فذهب ماله ولم يؤد الزكوة حج فى حال بشرح وذلك لانه ليس يراد به ان يفعل الفعل ولكن يريد به تذكره وتوبيخه فهذا الذى قالوه محتمل ويحتمل ان يمتحنوا بالسجود للوجوه التى وهو ان يظهر عند الممتحنين ان منافع سجودهم راجعة اليهم لا الى الله تعالى وقوله عز وجل فلا يستطيعون للاشغال التى حلت بهم والافزاع التى ابتلى بها وقوله عز وجل وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فنبه ان الفرايض انما يجب عند سلامة سلامه الاسباب والله اعلم وقوله عز وجل فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث فجايز ان يكون الحديث هو القران وجايز ان يكون اريد به البعث وهو الغالب ان يكون هو المراد وقوله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال القتبى الاستدراج هو الادنى من المهلكة درجة فدرجة حتى يهلك وقيل سنستدرجهم اى ننعم عليهم

ونشيهم شكرها بالاملاء ونزل بهم العذاب والهلاك دام ما كانوا وقوله عز وجل واملى لهم ان كيدى متين والاصل ان الكيد والمكر والاستدراج يقتضى معنى واحدا وهو ان يا خذ من وجه امنه ويراقب وجوه هلاكه وهو يستعمل فى الخلق على وجه يذم اهله فهو يضاف الى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسما له اذ لا يجوز له ان يسمى ماكرا كايدا مستدرجا وانما يضاف اليه فى حق الجزاء باسم حاله الجزاء السيئة سيئة وان لم يكن الجزاء سيئة وكما يسمى جزاء الاعتداء بكذلك سمى جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى لان يكون ذلك منه كيد فى الحقيقه او يقول بان الذم انما يلحق الماكر والكايد اذا استعمله فى وليه وصفيه فاما اذا ابكر بعدوه وكاده فذلك مما لا باس به ولا يذم عليه فاعله وما اضيف من الكيد الى الله تعالى فذلك حال باعدائه ليس باوليائه فلم يكن فيه الحاق معنى مكروه بالله تعالى ثم الاصل ان ينظر فى الفعل لما نا اضيف الى الله تعالى بحقيقته ام بمجاز فان كانت الاضافة بحق المجاز فلا يجعل ذلك اسما له لانه لا يجوز ان يقال هو كاتب نافخ روح ولا كايد ولا ماكر اذ لا يتحقق ذلك منه وما كانت اضافته لاجل التحقيق فانه يستقيم ان يسمى به لانه يستقيم ان يسميه منعما متفضلا لما لعاد خانا اذ الانعام والافضال والخلق موجود منه وقوله عز وجل متين اى قوى ثابت نقوله تعالى ان كيدى متين اى كيدى لاوليائى على اعدائى ثابت ليس ككيد الاعداء لان كيد الاعداء بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفا والاصل ان الكيد الذى اضيف الى الله تعالى حق والحق قوى ثابت لا مدفع له وكيد الشيطان باطل وليس للباطل قرار بل هو كما قال الله تعالى اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقوله عز وجل ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون الاصل ان الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق الى ما يستثقله عقل او طبع بل كانوا يدعونهم الى ما يخف ويسهل على الطبع والعقل الاجابة له لانهم يدعونهم الى التوحيد وهم كانوا يعبدون غير واحد من الاصنام وعبادة الواحد ايسر من عبادة وكانوا يدعونهم الى الصدق والى مكارم الاخلاق والاجابة بمثله امر يسير فتقولا حملت عليهم اجرا فتثقل عليهم ذلك حتى تركوا الاجابة لذلك مع تيسيره عليهم فخرج ذكر هذا مخرج تسفيه احلامهم وقوله عز وجل ام عندهم الغيب فهم يكتبون فهذا يحتمل وجهين احدهما ان عندهم علم الغيب بالذى ادعوا انا نجعل المسلمين كالمجرمين وذلك مكتوب عندهم او عند سلفهم على الغيب نوجده فى كتبهم ونعلم به خلفهم فيخاصمونك به ثم هم قوم لم يكونوا يومنون بالكتب ولا بالرسل فكيف يخاصمونك ويكذبونك فيما تخبرهم وانما يوصل الى التكذيب بما يثبت من العلم بخلافه وبتابد باحد الوجهين الذين ذكرناهما او يكون هذا فى موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا انا نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء فالذى حملهم على هذا الدعوى اما عندهم علم الغيب فهم يكتبون او ان يكون القوم قد الزموا انفسهم الديونة بدين الله واقروا له بالالوهية وذلك يلزمهم العلم بما فيه تبجيل الله تعالى وما به يشكر الخلايق وذلك لا يعرف الا بالرسل عليهم السلام مع حاجتهم اليه ان ما عندهم علم الغيب فيستفتون به عن الرسول عليه السلام وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك ان حكم الله تعالى فى الرسل ثلاث احدهما ان لا يدعوا على قومهم بالهلاك وان اشتد اذاهم من ناحيتهم حتى يوذن لهم والثانى يغضبوا الى الله تعالى والثانى انه لا يجزنوا المكاد او لنك القوم اشفاقا عليهم منه ورحمة بما يحل عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل فهذا هو حكم ربه ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اى لا تجازهم لسفيههم واستعجل عليهم بالاصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب وقوله عز وجل ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم قيل نادى على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك لكنه يظهر دعاؤه على قومه عندنا وانما ظهرت منه المضادة والمغاضبة على قومه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا ولم يكن له ان يناد قهم فيقول اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المغادرة عن قومك ولا تكن كصاحب الحوت الذى فارق قومه قبل مجئ الاذن له من الله تعالى والثانى ان يونس عليه السلام لم يصبر على اذى من قومه بل فارقهم حتى ابتلى ببطن الحوت ثم فزع بالدعاء الى الله تعالى ليخلصه من بطنه فيقول عليك الصبر مع قومك ولا تكن كصاحب الحوت حيث لم يصبر مع قومه فابتلى بما ذكر حتى احتاج الى ان ينادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فنبتلى انت ايضا بمثل ما ابتلى هو به ثم لا يجوز الا يمنة ويعاتب على ما دعا فى بطن الحوت لان ذلك عذاب ابتلى به ولا ينبغى للمرء ان يصبر على العذاب بل عليه ان يبتهل الى الله تعالى ليكشف عنه وانما لحقه اللايمة بمفارقته قومه ولتركه الصبر معهم وقوله عز وجل لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ثم نعمة ربك هو ما وفقه للتوبة والا بانه ما قبل منه توبته وكان له لا يقبلها اذ هو انما اتى به بالتوبة بعد ان صار الى تلك الشدة وابتلى بالشدايد وجاء باس الله ومن حكمه انه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة الا ترى الى قوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فاذا قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى عليه وقوله عز وجل لنبذ بالعراء هو المكان الخالى فلو لم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث ببطنه الى يوم يبعثون ثم يبذ ذلك بالعراء وهو مذموم لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته فنبذ بالعراء وهو سقيم محروم فقوله لنبذ بالعراء

وهو مذموم لوعاقبه بالنبذ ولكن انما نبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر مذموما **وقوله** عز وجل لولا ان تداركه نعمة من ربه
فنعمته عليه كانت من ثلاثة اوجه احدها في تذكير الزلة وذلك كان بالتقام الحوت اياه وكان عنده ان مفارقته قومه لم
يكن زلة لانه انما فارقهم لان قومه كانوا له اعداء في الدين ففارقهم ليتجو منهم ويسلم له دينه ولا يسلم المكروه فالله تعالى
والثاني ان في مفارقته اياهم تخويفا منه لهم وتهويلا لان القوم كان لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم الا عندما يريد ان ينزل
بهم العذاب وذلك مما يدعوهم الى الانقلاع عما هم فيه ويدعوهم الى الفزع الى الله تعالى ومن خوفه امر فيكون فيه دعاؤهم
الى الهدى كان محمودا مصيبا ولان مفارقته اياهم هي التي دعتهم الى الاسلام فاسلموا القوله فاستوا فمتعناهم الى حين ومن كانت
مفارقته لهذه الاوجه التي ذكرنا في لم يعد مفارقته زلة بل عدت من افضل شمائله ولكن لمحنة الالهية مع هذا كله لما ذكرنا
ان الرسل لا يسعهم ان يفارقوا قومهم وان اشتد عليهم الاذى من جهتهم الا بعد وجود الاذن من الله تعالى وكانت مفارقته
تلك بغير اذن والله اعلم ثم كانت في ظنه ان ليست تلك المفارقة زلة الا ترى الى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه قيل في التاويل
اي لن نضيق عليه وقيل اي لن نعاقبه فلولا ان عنده ان تلك المفارقة ليست بزلة والا كان لا يظن فتبين عنده بالتقام اياه
وبما افضى اليه من الشدايد ان تلك زلة منه وتذكير الزلة من احد النعم والنعمة والثانية والثالثة مما ذكرناهما من توفيق الله تعالى
اياه بالتوبة واكرامه عليه بقبولها ومن حكمته ان لا يقبل التوبة ممن جاء به باس الله واحاط به العذاب وهو انما فزع الى التوبة بعد
ما عاين العذاب وجاءه باس الله تعالى وجايز ان يكون حكم هذا في الكفرة ليس في المؤمنين لانه قال في اية اخرى يوم ياتي بعض
ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ففيه اشارة الا من سبق منه الايمان قبل ان ياتيه
ايات ربه او سبق منه كسب الخير من بعد الايمان فان ايمانه في ذلك الوقت ينفعه وقال في اهل الكفر فلما راوا باسنا قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم هذا حكمه في اهل الشرك وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار وقال في المؤمنين انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
يتوبون من قريب فثبت ان ما ذكرنا من الحكم هو حكم في اهل الكفر ليس في اهل الايمان والعقل يدل على هذا وذلك ان المؤمن قد علم
ان الذي سبق منه زلة وارتكاب معصية فهو ليس يحتاج الى ايات تنبهه على ان الذي فعله زلة فجايز ان تقبل منه التوبة
في ذلك الوقت كما تقبل منه قبل تلك الحالة واما الكافر فعنده ان ما سبق منه لم يكن زلة ومعصية فيحتاج الى ايات تنبهه عن غفلته
ويذكر ان الذي فعله معصية فاذا نزل به الباس والشدة فذلك يمنعه عن النظر والتدبر فلا يكون ايمانه عن تحقق ويقين فلا
ينفعه والثاني انه يفزع الى التوبة والايمان ليدفع عن نفسه الباس لا لندم عليه لو كشف عنه العذاب كما قال ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه فلهذا لا ينفعه ايمانه فان قيل ان قوم يونس عليه السلام قد نفعهم ايمانهم وهم آمنوا بعد ما عاينوا العذاب
فجوابه من وجهين احدهما انه يجوز ان يكون عذابهم لم يكن مشاهدا مرئيا وجايز ان يكون الله اعلم صدقهم في ايمانهم لو كشف
عنهم العذاب لما كانوا محققين وغيرهم كان يفزع الى الايمان ليكشف عنه العذاب ثم يعود الى الكفر فلم يقبل منه وجايز
ان يكون من حكم الله تعالى ان لا يقبل من احد التوبة اذا حل به العذاب ولكن يقبلها من المؤمنين افضالا وانعاما ولا احد يتفضل
على الكافرين الذين آثروا الدنيا على الدين وعلى قول المعتزلة ليست لله تعالى عليه نعمة ولا على احد من اهل الاسلام لان من قولهم
ان الله تعالى انما علم من كافر انه يسلم يوما من الدهر وان كان بعد الف سنة فليس له ان يميته قبل ان يسلم وعليه ان يوفقه للتوبة
وعليه ان يقبل منه التوبة فاذا كان هذا كله حقا عليه العبد لم يكن له موضع نعمة عليه في قبول التوبة لان من قضى حقا عليه
واوصله الى مستحقه لم يعد ذلك منه انعاما فلا يكون لقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه معنى وقد قال الله تعالى يمنون عليك
ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ولو كانت الهداية واجبة عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان
وقوله عز وجل فاجتباه ربه اي اختاره واصطفاه للرسالة الا ترى الى قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله تعالى
فجعله من الصالحين فهذا وصف كل نبي مرسل في الآخرة **وقوله** عز وجل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم فمنهم من
يقول هذا على التحقيق وصرف ذلك الى قوم باعيانهم قد عرفوا بتجبيب الاعين وحلول الآفات بمن يعينونه من اهل الشرف وقيل
ان الله تعالى بفضله عصم رسوله عليه السلام فلم يتهيا لهم ان يعينوه فكان فيه تقرير رسالته واية نبوته عندنا ولمكان الكفرة
فان قال قائل بل انهم كانوا يعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجانين ويقولون انه لمجنون والمجنون لا يعان اهل الشرف
والمحجور ذوو الاحلام والنهى فما انكرت انه سلم من الافة حتى يقصد اليه بالعين فجوابه انهم وان كانوا يعدونه من جملة المجانين
فانهم سمعوا منه ذكرا عجيبا وهو القرآن ولن اعلى مثل ذلك الذكر والشرف فهو مما يقصد اليه بالحسد اليه بالحسد فكانوا يعينونه
لذلك المعنى ثم لم يصنع كيدهم ولا نفذ فيه شانهم فاوجب ذلك تثبيتهم انه رسول الله تعالى ومنهم من حمله على التمثيل ليس على
التحقيق فانه يقول وان يكاد الذين كفروا والشرك بغضهم وعداوتهم اياك ليزلقونك بابصارهم كما يقال نظر الى فلان نظرا
كاد ان يقتلني فحمله على التمثيل ثم تاويله ليزلقونك اي يستنطقونك ويغيظونك **وقوله** عز وجل لما سمعوا الذكر وهو القرآن

وقوله عز وجل ويقولون انه لمجنون قد وصفنا انهم لاي معنى كانوا ينسبونه الى الجنون وذكرنا ما يرد عليهم مما التبس ونفي
عنهم الريب والاشكال **وقوله** عز وجل وما هو الا ذكر للعالمين فجايز ان يكون الذكر هو القرآن وجايز ان يكون اريد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ قد تقدم ذكرهما جميعا اذ كل واحد منهما ذكر يذكر ما للخالق وما على الخلق وما ينتهي اليه عواقبهم ويذكر ما يؤتى وما يتقى والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحاقة ما الحاقة قد ذكرنا ان يوم القيمة سمي باسماء النوازل التي يكون من البلايا والشدايد ليقع بها التخويف
والتهويل وليس في تبيين وقته ولا في ذكر عينه ترهيب ولا ترغيب فذكر ذلك اليوم بالاسباب هي اسباب والردع
فقوله الحاقة اي حقت لكل عامل عمله وحق لكل ذي حق حقه فان كان من اهل الجنة دخلها وقال بعضهم الحاقة هي
النازلة التي لا ترتفع ابدا وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء وانواع ما وعدوا به يوم القيمة وقيل هي الواجبة مثل قوله و
حاق بهم اي وجب ونزل بهم والاصل ان القيمة سميت بالاحوال التي يبتلى الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة و
التناد والصاخة ونحو ذلك مما جاء في القرآن احسب اسما وهما من احوال ما يبتلى الخلق والله اعلم **وقوله** عز وجل ما الحاقة
فهو على تعظيم امر ذلك اليوم ايضا وما ادريك ما الحاقة اي لم تكن تدري فادرياك الله تعالى لانه لم يكن اخبر القيمة
علمك ولا علم قومك لكن الله تعالى اطلعك عليه لان قومه كانوا منكرا البعث ولم يكن عندهم من خبره شيء وذلك ان الله
عز وجل لما ذكرهم من دلايل البعث التي حججته ودركها العقول والحكمة من احالة التسوية بين الفاجر والبر والمطيع والعاصي
وانه لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا والدلايل الاخر التي لا ايان عليها الا حصاء فلما لم يقنعهم ذلك ولم
يتفكروا في خلق السموات والارض ولا اعتبروا بالايات احتج عليهم بما الفى من سلفهم من مكذبي البعث ومنكري الرسل
حيث استاصلهم فلم يبق لهم سلف ولا خلف عنهم خلف ليكون ذلك ابلغ في الانذار وذلك قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة
ذكرهم بما حل بثمود وعاد وما اصابهم بتكذيبهم الرسل يقول ليصيبكم محمد عليه الصلاة والسلام فيما يخبركم من الانبياء عن الله
تعالى كما يصيبهم ما اصاب ثمودا وعادا بتكذيبهم رسلهم لينتهوا عن تكذيبه او يخبرهم ان ثمودا وعادا كذبوا رسلهم حتى
صاروا الى الهلاك ندموا على ما سبق من تكذيبهم فستندمون ايضا ان دمتم على تكذيب نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فيما
يا تيكم من الانباء بعد موتكم ثم ذكرهم بناء عاد وثمود وان كانوا مكذبي بتلك الانباء لان لا يبقى لهم يوم القيمة حجة و
فتقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولانهم لم يجيبوا عن علم ذلك لكانت هذه الايات والانباء يحققهم ذلك فقد وقعت
هذه الايات موقع الحجاج لولا اغفالهم واعراضهم عنها فانقطع عذرهم ولزمتهم الحجة وان تركوا الايمان بها ثم قوله
عز وجل الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة وقوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يحتمل ان يكون
هذا مخاطبة كل مكذب بالبعث لا مخاطبة الرسول كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم انه خطاب لمن
يغتر بالدنيا لا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وجايز ان يخاطب به رسوله عليه السلام فان صرف الخطاب الرسول عليه الصلاة
والسلام اقتضى معنى غير ما يقتضيه لو اريد بالخطاب المكذبون والاصل ان قول القايل بل فلان وما فلان يوجب اجتذاب
الاسماع ويستدعي السامع الى البحث في الشاهد لانه انما يذكر فلان بهذا لاعجوبة فيه او بعظم امره فيستحث عن ذلك
ليتوقف على تلك الاعجوبة التي فيه فاذا كان الخطاب للمكذبين دعاهم ذلك الى تعرف ما فيه من الاعجوبة والتعظيم و
قوله وما ادريك ما الحاقة مبالغة في التعجيب واذا نظروا فيه وفهموه دعاهم الى الايمان به فصارت الاية في موضع
الاعتزاز واجتذاب الاسماع وان كان الخطاب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاويله ان المكذبين يؤذونه ويكيدون به
فيتاذى بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما ينزل بهم من العذاب ويحق عليهم فيكون فيه بعض التسلي عما اصابه الاذى من
تاجيلهم او ذكر ان العذاب يحق عليهم فلا تحزن بصنيعهم بل يحمله ذلك على الشفقة عليهم والرحمة لهم وقيل ان كان
الخطاب ففيه تخويف لاهل مكة وتهويل انهم ان كذبوا رسولهم فيما يخبرهم من امر البعث نزل بهم من العذاب ما نزل
بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل وقد عرف اهل مكة ما نزل باوليك وان كان الخطاب في رسول الله ففيه ذكر نبا عاد
وثمود وما يدعوه الى الصبر على اذاهم ويكون له بعض التسلي لانه يخوانك لست باول رسول كذب بل قد كذبت الرسل من قبلك
وابتلي بالتكذيب ثم بين ما نزل بعاد وثمود بالتكذيب بالقارعة وهو قوله واما ثمود فاهلكوا بالطاغية فالطاغية و
العاتية والرابية يمكن ان يجعل هذا كله صفة للعذاب الذي نزل بهم وجايز ان يكون صفة الاحوال التي سبقت منهم وكانوا
عليها فان كان هذا صفة العذاب فالطغيان عبارة عن الشدة والطاغي هو العاتي الشديد لا يراقب ولا يبقي فوصف
العذاب الذي ارسله عليهم انه لم يبق منهم احدا بل استاصلهم واهلكهم بجملتهم وقيل ذلك العذاب هو الصاعقة وقيل
الصيحة وسمي طاغية ولم يقل طاغي لهذا وقيل استحق هذا الاسم العذاب من فعال من عذب به ليس انها طاغية لكن اخفى اسمه

عن فعل القوم كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وانما ذكره جزاء سيئاتهم
واعتدائهم وقيل بالطاغية اى بطغيانهم وذنوبهم الذى سلف منهم كقوله تعالى كذبت ثمود بطغواها ويحتمل ان يكون هذا
صفة لاحوالهم التى كانوا عليها من الشرك والعتو والطغيان فهو التكذيب بالحاقة والقارعة ففيه تخويف لاهل مكة لان
سبيلهم كسبيلهم ان لم ينتهوا عن التكذيب كما اهلك اولئك وقوله عز وجل واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية قال [illegible] الريح الصرصر
الصيته وهى التى لها صوت وقال بعضهم هى الريح الباردة الشديدة البرد كقوله ريح فيها صر اصابت [illegible] والصر البارد والصرصر
المكرر منه [illegible] وقوله عز وجل عاتية تاويلها على ما ذكرنا فى الطاغية وذكر الكلبى وغيره انها
سميت عاتية لانها عتت على الخزان فلم يطيقوها وهذا لا يستقيم لانه لا يجوز ان يوكل الخزان بحفظها ثم لا يمكنون من
الحفظ حتى تعتو عليهم الا ان يقال انهم لم يكونوا يحفظونها فى ذلك الوقت فاما ان كانوا يحفظونها ثم لا يجعل لهم الى حفظها
سبيل فهذا مستحيل والله الموفق وقوله عز وجل سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقوله سخرها قيل ارسلها
قيل ارسلها عليهم وقيل التسخير التذليل اى ذللها [illegible] لا تمتنع عن المرور عليهم فى الوجه الذى جعلها لاجله
[illegible]
[illegible]
والله اعلم ثم وقوله عز وجل سبع ليال وثمانية ايام حسوما فيه بيان ان الايام لم يكن على عدد الليالى ولو كانا على
عدد واحد لكان فى ذكر احدهما ذكر العدد [illegible] الايام للثانى لا
يرى انه قال فى قصة زكريا [illegible] ثلاث ليال سويا والله اعلم
وقوله عز وجل حسوما قيل متتابعة دائمة وقيل قطعا من الحسم [illegible] وقيل
مشؤمات حيث انقطعت بركتها عنهم وقوله عز وجل فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية [illegible]
[illegible] كانهم اعجاز نخل خاوية [illegible] اعجاز نخل اذ
[illegible] فقال اعجاز
نخل خاوية ووصف فى سورة اقتربت بصفة التذكير فقال كانهم اعجاز نخل منقعر لان النخل يذكر ويؤنث كذا قاله الزجاج
وقيل النخل يذكر على كل حال [illegible] والنخل واحد
فيذكر وليس كذلك لان الحاوية صفة النخل الا ترى ان عند الوصل يزكى بالخفض لا بالرفع ولا النخل اسم جميع يقال النخلة
ونخل كما يقال شجرة وشجر وتمرة وتمر ونحو ذلك وقوله عز وجل خاوية قال بعضهم اى بالية وقيل خاوية اى ساقطة كقوله
تعالى وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على قوايمها وقيل اى خالية فوصفها بالخلا لانها اقلعت من اصلها حتى خلا
ذلك المكان عنها واعجاز النخل اصوله وقوله عز وجل فهل ترى لهم من باقية فيه انه لم يبق لهم نسل يذكرون به بل
اهلكوا باجمعهم وانقطع عنهم الذكر الا بالسؤ والا كان يرى لهم باقية ففيه انهم استوصلوا وعم العذاب الكبير و
الصغير تخويف اهل مكة بما يخبرهم عما فعل باولئك وفيه اخبار انهم عذبوا بعذاب لا رحمة فيه وهكذا سنة الله تعالى
فى مكذبى الرسل من قبل وجعل تعذيب هذه الامة ان يجاهدوا ويعاملون والنساء لا يقاتلن بل يسبين رجاء ان يسلم بعض هذا
تخرج قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم ويشبه ان يكون هذا جواب قولهم ان محمدا صنبور اى ليس له ولد يبقى نسله
او ذكره واخبر تعالى ان كثرة الاولاد لا يغنى من الله شيئا اذ قد كانت لهم اهالى واولاد فاهلكوا عن اخرهم وانقطع التناسل
منهم ليعلم انه يبقى ذكر من اطاع الله ورسوله كان له اولاد او لم يكن والله اعلم وقوله عز وجل وجاء فرعون ومن قبله قرئ
بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بنصب القاف وجزم الباء فتاويل القراءة الاولى اى جاء فرعون ومن معه من جنوده واتباعه
او من قبله من كان من اهل القرى التى يقرب المعروف وقد روى فى الشاذ فى بعض الحروف وجاء فرعون ومن دونه وجايز ان يكون
من اتباع فرعون وجايز ان يكونوا وتاويل القراءة الثانية اى جاء فرعون ومن كان متقدما عليه من الامم الماضية وقوله
عز وجل والمؤتفكات قيل قريات لوط ائتفكت على اهلها اى انقلبت عليهم بما عصت رسلها وقيل المؤتفك الذى ائتفك
من الصدق الى الكذب ومن الحق الى الباطل ومن العدل الى الجور فمن قرأ ومن قبله بخفض القاف كان قوله جاء فرعون ومن قبله
والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم وانما كله على العصيان لموسى عم والمراد من المؤتفكات كل من الحق الى الباطل
دون اهل قريات لوط لانهم كانوا قبل زمان موسى عم ومن قرأ ومن قبله بنصب القاف كان قوله فعصوا رسول ربهم وانما
على رسول كل قرن كانه قال عصى كل امة رسولها وعلى هذا يجوز ان يكون المراد من المؤتفكات قوم لوط ثم وقوله عز وجل
بالخاطئة اى بالخطايا والشرك وذكر ابو معاذ عن مجاهد فى تفسير الخاطئة الشرك والكفر وانكر ذلك واحتج بان الله
تعالى لم يذكر من قوم لوط كفرا وشركا فكيف يجاز انما ذكر ركوبهم الفاحشة وبها هلكوا اذا لم يتوبوا ولم يتوبوا قال ولو كانوا

مشركين لو يفعل لهم لوط ان هؤلاء بناتى هن اطهر لكم اراد بذلك الانكاح والكافر لا يصح منه نكاح المسلمة وليس كما زعم
لان كانوا اهل شرك وكفر بالله تعالى الا ترى الى قوله فيما حكى عن قوم لوط من قوله لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فاخرج
الرسل من ما كنتما من صنيع اهل الكفر وقال فى موضع اخرجوا آل لوط من قريتكم فطابت انفسهم باخراج لوط عليه السلام
من قوام ومن فعل هذا لم يشك فى كفره وقال فى قصة لوط ايضا فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين فثبت انهم كانوا كفارا ثم لقايل ان يقول فى قوله وجاء فرعون ومن قبله فعصوا رسول ربهم اخبر
انه جاء فرعون الى موسى وعصاه كيف ذكر مجئ فرعون الى موسى ولم يوجد منه المجئ الى الرسول هو الذى جاء فرعون
فرعون لا ان فرعون اتاه فاستقبله بالعصيان قيل ان كل من اتى اخر وجاءه فقد اتاه الاخر ومن قرب لاخر اليه لان
المجئ فعل مشترك لانه اسم الالتقاء وفيها جميعا ليس باحدهما فلذلك استقام من اضافة المجئ الى فرعون وعلى هذا تاويل
قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين اى قربت واهلها هم الذين يقربون اليها فى الحقيقة ولكنهم اذا قربوا اليها فقد
قربت هى اليهم فاضيف اليها التقرب لهذا فعلى هذا العبارة يمكن ان يتأول قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله
عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام اى اتاه الخلق الا ان يكون هو الذى ياتيهم لانه قال ويوم
يرجعون اليه وقال الى الله المصير والى الله ترجع الامور فاخبر ان الخلق هم الذين يأتونه ويرجعون اليه ولكن نسب المجئ
والاتيان الى الله تعالى لانهم اذا اتوه فكانه قد اتاهم من الوجه الذى ذكرنا دون ان يكون فيه اثبات الانتقال فى الله تعالى
والثانى ان هو المجئ وان اطلق واستعمل فى المجئ الى مكان من مكان فقد يستعمل ايضا فى موضع الذى ليس فيه حركة ولا
انتقال قال الله تعالى قل جاء الحق ومعناه ظهر الحق ليس ان الحق كان فى موضع فانتقل عنه الى غيره فامكن ان يكون قوله
وجاء فرعون اى كذب بما انزل على موسى عم وجايز ان يكون قوله وجاء فرعون اى جاء بالخاطئة فيكون المجئ منصرفا
الى الخطايا وهذا التاويل اشبه بنظام الاية لانه قال وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة اى جاءوا بالخطايا
وقوله عز وجل فاخذهم اخذة رابية اى عالية حيث علت اخذاتهم وجايز ان يكون المراد منه ان عقوبتهم ربت على الاخذات
زادت على الاخذ لانها اخذت ابدانهم واهلكتها ثم ردت ارواحهم الى جهنم فيعرضون عليها غدوا وعشيا فلذلك هو
الزيادة على الاخذ والله اعلم وقوله عز وجل لما طغى الماء قال بعضهم اى طغى على الخزان وسلون القطر بالكيل والوزن والعدد
المعلوم ثم ذكر فى موضع اخر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اى منصب فيكون تاويله ان الله تعالى لم يمكنهم حفظ القطر
فى ذلك الوقت فطغى من المعنى والا لو لزموا حفظه فى ذلك الوقت لكان المعنى لا يطغى عليهم على ما ذكرنا انه لا يجوز ان
يؤمروا بحفظه ولا يمكنون حفظه وجايز ان يكون طغى اى طغى على الذين اهلكوا من مكذبى نوح عم وقد وصفنا تاويل
الطاغى وقوله عز وجل حملناكم فى الجارية قد ذكرنا انه حملنا ولم نكن نحن يومئذ فيحتمل الخطاب للذين كانوا فى زمن
صلى الله عليه وسلم وانما كان نجاة اولئك المحمولين نجاة ذريتهم وبهلاك اولئك فناء ذريتهم فكانه قد حملهم فجعل اولئك
لما حصل لهم النجاة بحملهم واضاف اليهم لانه قد ركونهم من ابائهم فكانهم حملوا تقديرا وهو كقوله يا بنى ادم قد
انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ومعناه انزلنا عليكم ماء قد يكون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر الذى
قد يكون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر الذى قد يكون اللباس منه فكانه انزل اللباس وقال عز وجل انا خلقناكم
من تراب ونحن لم نخلق من التراب ولكن لما قد خلقنا من التراب الذى اصلنا منه فكانا خلقنا منه فعلى ذلك وان لم نكن
محمولين فى السفينة فقد حمل اصلنا ليكون نحن من ذلك الاصل فكانا قد حملنا فيها اذ كنا فى ارادة الله تعالى من الكائنين
والله اعلم اذكر ذلك منة منه على الابناء بصنيعه بالاباء ليعلم ان على الابناء شكر ما احسن الى ابائهم واجدادهم والله
اعلم وقوله عز وجل لنجعلها لكم تذكرة فوجه التذكرة فيه ان اهل مكة ابوا اجابة الرسول وقالوا انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون فذكرهم انهم اولاد من حملوا مع نوح فى السفينة وهم انما استوجبوا النجاة ونزولهم فى
الدارين جميعا باتباعهم الرسل فالكم لا تتبعونهم فى تصديق الرسل دون ان يتبعوا المكذبين للرسل ويذكرهم كذبهم فى
قولهم انا وجدنا اباءنا على امة بل قد وجدتم اباءكم على خلاف ما انتم عليه وقد تعلمون ان اباءكم هم الذين اتبعوا نوحا عم
فنجوا وهم المؤمنون دون الكفرة ووجه اخر انه ذكرهم احوال المكذبين والى ما ذا الى امرهم من الغرق والهلاك فيكون فيه
تخويف من كذب من اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت تلك الجارية وهى السفينة موعظة وتذكرة يذكرهم
عواقب المصدقين بالرسل والمكذبين بهم او ذكرهم عظيم نعمه على ابائهم الذين حملوا فى السفينة ليستأدى منهم شكر ذلك
وقال بعضهم كم من سفينة قد هلكت منذ ذلك الوقت وهى قائمة فى موضع كذا عبرة وتذكرة ثم التذكرة يخرج على وجهين
احدهما ان يراد بها الاية والعبرة اى جعلناها لكم ذلك لتعتبروا ويكون اية لكم على وحدانية الله تعالى وقد ذكر كقوله
فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين والثانى اى جعلنا تلك الابناء تذكرة لكم اى جعلنا ما قرانا تبردونها

ويذكرونها الى آخر الابد فيشكرون الله تعالى على ما صنع اليكم والله اعلم وقوله عز وجل وتعيها اذن واعية يقال وعى الشي اذا حفظه واوعاه اذا حفظه بإناء او غيره اي يحفظها اذن حافظة فاضاف الوعي والحفظ الى الاذن والاذن لا تحفظ بل يسمع ثم تعيه القلب ولكن نسب الوعي الى الاذن لانه يوصل الى الوعي من جهة الاذن اذ السمع يوعى والسمع من عمل الاذن ثم ينفع المسموع بما فيه يوعى وهو القلب فنسب الوعي الى السمع لما يتطرق به الى الوعي كما ذكرنا من اضافة الانبات الى ما منه تدر الباس وهو المطر واضيف خلقنا الى التراب لان اصل ما منه قدر خلقنا هو التراب وجايز ان يكون الله تعالى يجعل للقلوب اذانا بها يعي وابصارا بها يبصر فتضيف الوعي الى اذان القلوب ليس الى اذان الراس والله اعلم وقيل اذن واعية اي عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتابه وهي اذن المؤمن فاما اذن الكافر فانها تسمع وتقذف ولا يبالي لم يحصل لهم الانتفاع به الا ترى انه وصف اذانهم بالصمم لما لم ينتفعوا بالمسموع وكذلك قال فنبذوه وراء ظهورهم جعل تركهم الانتفاع به نبذا فعلى ذلك جعل الانتفاع وعيا وكذلك المتعارف في الخلق انهم اذا ارادوا الانتفاع به نبذا فعلى ذلك جعل الانتفاع به وعيا وكذلك المتعارف في الخلق انهم اذا ارادوا الانتفاع بعلم او بشي اجتهدوا في وعيها وحفظها وقوله عز وجل فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فكانهم سالوا متى يكون الواقعة والحاقة والقارعة فاخبر عن ذلك بقوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة فجوابهم في قوله فيومئذ وقعت الواقعة ثم قد بينا ان الاسولة كلها خرجت عن الاحوال التي يكون في ذلك الوقت لما لا فايدة لهم في تبيين وقته ولا حاجة الى معرفته وانما الفايدة في تبيين احواله لما يقع بها الترغيب والترهيب والله اعلم وقوله عز وجل نفخة واحدة فجايز ان يكون على حقيقة النفخ واحتمل ان يكون على نفخة واحدة فيكون فايدة ذكره تهويله امر البعث على الله تعالى لان قدر النفخة ما يسهل على المرء في الشاهد ولا يتعذر وجايز ان يكون ذكر النفخ لما ان الروح يدخل في اجسادهم وتسير فيها وذلك عمل النفخ لان الريح اذا نفخت في وعاء سرت فيه وانتشرت فكنى عن دخول الروح في الجسد بالنفخ اذ ذلك عمله وكنى بالنفخ عن خروج الروح من الاجساد ولهذا وعلى هذا دل قوله فنفخنا فيه من روحنا ليس على حقيقة النفخ ولكن عمل الروح فيها عمل النفخ فقيل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل في الصور قيل الصور هو القرن ينفخ فيه النفخة الاولى فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ومنهم من يقول اي نفخ الروح في الصور الخلق لكن جميع الصور الصور بنصب الواو فلا يحتمل ان يكون المراد منه جميع الصورة لكن يجوز ان يكون ان الله تعالى جعل نفخ الصور سببا لافنائهم واحيائهم لانه لا يعجزه شي من الافناء والاحياء ما لم ينفخ في الصور لكن جعله سببا لنوع الحكمة والمصلحة او لمحنة ذلك الملك والابتلاء على ما عرف من المحن في الملائكة من انزال الامطار وتسيير السحاب وجعلهم الموكلين على اعمال بني ادم وغير ذلك وقوله عز وجل وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة كسرة واحدة وقيل هدمتا هدمة واحدة وقال بعضهم زلزلتا زلزلة واحدة فكانه يقول والله اعلم تزلزل الارض فتقذف ما في بطنها من الفضول ويخرج ما فيها من الجواهر التي ليست منها بتلك الدكة اصول الجبال منها ثم يجعله الله تعالى كثيبا مهيلا مثل الرمل ثم يعلو عليه الريح فيجعله هباء منثورا ويرى من لينه كالعهن المنفوش ثم يسير مثل السحاب فيقع في شعاب الارض والاودية والاماكن المختلفة فيصير الارض كما قال تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهكذا الريح اذا عملت على شي ويقع عليه تفرقه في النواحي ويستوي به الشقوق وينبسط على وجه الارض وقوله عز وجل وحملت الارض ليس انها يحمل من مكان ولكن ينخل منه فهذه ويضرب هذه على هذه بالدكة فيصير كانها حملت لذلك وان كان كذلك فقد وقعت الواقعة يومئذ وهذا على اختلاف الاوقات ليكون معنى الايات التي جاءت في الجبال على السؤال والله اعلم وقيل في ايات اخر بيان تقديم فناء الجبال قبل الارض بقوله ينسفها ربي نسفا فيذرها اي يذر الارض قاعا صفصفا وغيرها من الايات مما يدل على تقديم فناء الجبال قبلها فاما ان المعنى تبديل الارض تغييرها عن الحالة التي هي عليها اليوم من انهدام البناء والاستواء الاودية وازالة الجبال عن اماكنها في الاخبار وسمي لذلك تبديلا كما يقال لمن تغير عن الحالة الحسنة الى غيرها تبدلت يراد اي تغيرت عن حالتك على ذلك معنى الاية اي تكسرت الجبال وتغير حالة الارض في دفعة واحدة او يكون في الاية اخبار عن شدة الفزع في ذلك اليوم ان يذكر واحدة يعني الجبال وان كان افناء الجبال قبل افناء الارض ليس انهما يفنيان جميعا بدفعة واحدة لكن بالدكة الواحدة يهلك الجبال والارض فيكون المراد بيان شدة اليوم وهوله لا بيان ترتيب فناء الارض على البعض والله اعلم وقوله عز وجل وانشقت السماء فهي يومئذ واهية قال بعضهم تفرقت وهكذا الشي اذا انشق يفرق وتناثر وبه يظهر والشق ويحتمل ان يكون الشق كناية عن اللين اي يلين بعد صعوبتها ولهذا وقوله عز وجل فهي يومئذ واهية اي ضعيفة بعد ما كانت تنسب الى الصلابة ويدل على ذلك قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وانما يطوى الشي في الشاهد بعد ما كان يلين في نفسه وجايز ان ينشق السماء لينزل اهلها فلا يبقى فيها الا الملائكة الذي على ارجائها ثم ينضم فيتبين للعلي والله اعلم وجايز ان يكون ذكر انشقاقها وانفطارها وانفطاحها تهويل الخلق من الوجه الذي

ذكرنا

ذكرنا فيما قبل وجايز ان يكون للسموات ابوابا فينفتح ابوابها فيكون انشقاقها وانفطارها فتح ابوابها وجايز ان يكون الشق ليس فتح الابواب بها وجايز ان يكون الشق ليس فتح الابواب وجايز ان يكون الشق ليس فتح الابواب لا نر ذكر هذا في موضع التهويل وليس في فتح ابواب كثير تهويل وقوله عز وجل فهي يومئذ واهية اي ضعيفة مسترخية وقيل الوهي الخرق وهو يحتمل لانها اذا انشقت انخرقت وقوله عز وجل والملك على ارجائها الارجاء النواحي والاطراف وهي اطراف السموات ونواحيها واحد الارجاء رجا مقصور والملك اريد بها الملائكة اخبر انهم على اطراف السموات ونواحيها فيحتمل انهم وكلوا وامتحنوا بحفظها بعد الشق لئلا يسقط على اهل الارض وجايز ان يجعل اطرافها وجوانبها لبعض الملائكة فينفتح ابواب السماء فينزل الملائكة بان سكنهم عندها الى الارض كما قال تعالى وينزل الملائكة تنزيلا ويبقى الملائكة الذين كان مسكنهم في ارجائها ينتظرون امر ربهم ثم الملك ليس يحتاج الى مكان يقر فيه وان جعلت السماء مسكنا لهم لان الملائكة ينزلون من السماء الى الارض ويعرجون على الهواء من غير ان يكون في الهواء مقر والثالث تبين انها لا تتفرق كل التفرق ولكن وسطها يتشقق لما ذكرنا والباقي بحاله ويحتمل والملك على ارجائها على من به في السماء والله اعلم وقوله عز وجل ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية فيحتمل ان يكون الملائكة بالنفخة الاولى يصعقون الا الثمانية التي يحملون العرش كما قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فيكون هؤلاء الثمانية وهو قوله والملك على ارجائها وقوله عز وجل ثمانية جايز ان يكون اراد به ثمانية املاك وجايز ان يكون ثمانية اصناف من الملائكة كما ذكر في تفسير وجايز ان يكون هؤلاء الثمانية يهلكون ثم يحيون قبل ان يحيا ساير الخلق فيحملون عرش ربنا على اكتافهم واذا بعث الله تعالى الخلايق راوا العرش على اكتافهم والعرش هو سرير الملك وجايز ان يكون ذلك من نور كما ذكر في الخبر ان الشمس اذا ارادت ان تطلع فان جبريل عليه السلام ياتي العرش فياخذ كفا من ضيائه ثم يلبس الشمس كما يلبس احدكم قميصه واذا اراد القمر يطلع اخذ جبريل عليه السلام كفا من نور العرش فيلبس القمر كما يلبس احدكم قميصه فجايز ان يكون العرش من الضياء والنور ثم اجل الاشياء واعظمها في اعين الخلق الضياء والنور واليهما ينتهي الرغب فيكون في ذكر العرش ذكر عظيم ملك الرب جل جلاله ثم ان الملك في الشاهد يتخذ لنفسه عرشا يتفاوت ذلك على مقدار ملكهم وسلطانهم لا ليجعل ذلك مسكنا لنفسه فاذا لم يتوهم من الخلق انهم يتخذون ذلك لمقاعدهم ومجالسهم فلان لا يتوهم ذلك من الله اولى وقوله عز وجل يومئذ تعرضون لا يخفى منكم خافية اي يعرضون على اعمالكم فلا يخفى عليكم خافية اي يظهر لكم في ذلك اليوم ويصير باديا في ذلك اليوم كما قال تعالى يوم تبلى السراير اي يظهر لهم سرايرهم حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شي منها وجايز ان يكون قوله لا يخفى منكم خافية اي على الله ولكن كل من ادعى اخفاء شي من امره على الله تعالى وظن ان الله تعالى لا يطلع عليه فيستعلم في ذلك اليوم انه لا يخفى عليه خافية وهو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وليس فيه ان الملك كان لغيره ولكن بعض الناس يدعون كانوا الاشراك في الملك في الدنيا فيتركون في ذلك اليوم دعواهم ويتيقنون انه هو المتفرد بالملك وعلى ذلك قوله تعالى وبرزوا لله جميعا ولم يكونوا يحتجبون عنه قبل ذلك بل كانوا له في كل وقت بارزين ولكن من انكر دعاء الاختفاء في الدنيا في ذلك اليوم ويقر بالبروز لله المستعان ثم روي في الخبر ان العرضات ثلاث عرضتان فيهما خصومات ومعاذير اي يختصمون ويتنازعون فاذا ظهر ذلك جعلوا يعتذرون ويدهم العفو والصفح عن خصومهم والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف ومعنى قوله تعرضون اي تعرض الخلق بعضهم على بعض حتى لا يخفى على احد خصمه او تعرض اعمالهم حتى يذكر كل احد صنيعه خصم خصومته فكانهم قد نسوا ذلك من كثرة الفزع والشدة الاهوال لكن الله تعالى يطلعهم على ذلك حتى يذكروا ذلك والله اعلم وقوله عز وجل واما من اوتي كتابه بيمينه ظاهر ما جرى به الخطاب في القران يوجب ان يرحم المؤمنون جميعا فلا يعذبون في الاخرة يعذب الكافرون ولا يرحمون لانه قسم الخلق يوم القيمة صنفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين وصنفا اهل الشمال ثم وصف كل واحد من الصنفين باعلام ثلاث فذكر مرة انه يخفف ميزانهم بقوله ومن خفت موازينه وذكر مرة ان وجوههم يسود وذكر مرة انهم يعطون كتابهم بشمالهم فهذه الاعلام ذكرها في احد الصنفين وذكر في الصنف الثاني ووصفهم باعلام ثلاثة ببياض الوجوه وبتقدم الميزان وباعطاء الكتاب بايمانهم ثم فيما فيه سواد الوجوه ذكر فيه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وذلك حين ذكر خفة الميزان ذكر في اخره ما يبين ان الذين خفت موازينه هم الكفرة لانه قال الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون وذكر في اعطاء الكتاب بشماله وذكر اعطاء الكتاب بشماله وذكر فيه ما يبين انه من اهل الكفر لانه قال انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فثبت ان الوعيد المطلق ذكر في اهل الكفر وكذلك قال فاتقوا النار التي اعدت للكافرين ولم يقل اعدت للخلق وقال وجنة عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين فثبت ان اهل النار هم الكافرون والمؤمنون قد يتعرض منهم زلات وما ثم في حق الدنيا والكفار يوخذ منهم المحاسن فيها وكذا اهل الكفر يجزون جزاء حسناتهم في دنياهم لانهم لا يؤمنون بالاخرة واذا لم يؤمنوا

لم يتبع سعيهم هذا وامكن ان يكون المؤمن يجعل له العقاب بالسيئات في الدنيا فيخلص له الحسنات في الاخرة فيجزي بها و جايز ان يكفر سيئاته بالحسنات التي يوجد منه لان المحاسن جعل سببا لتكفير المساوي قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات واذا كثرت سيئاته في الدنيا لم يعذب بها في الاخرة وجايز ان يكون الله تعالى يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يعفوا عنهم بحسناتهم التي سبقت منهم من الايمان وغير ذلك فكل مؤمن في الحقيقة اخره الجنة ويثقل ميزانه ويبيض وجهه ويعطى كتابه بيمينه ثم يجوز ان يكون الذي يعاقب بذنوبه من اهل الايمان يعاقب بذنوبه من اهل الايمان يعاقب به قبل ان يعطى كتابه بيمينه وقبل ان يبيض وجهه ويثقل ميزانه وقيل تبيض وجهه لم يكن مسود الوجه ولكن على ما عليه في الدنيا ثم متى عفي عنه في الخبر ان الناس يعرضون يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير واما العرضة الثالثة فتطاير الصحف في الايدي فيجوز ان يكون تعذيبه قبل العرضة الثالثة ثم يعطى كتابه في العرضة الثالثة بيمينه فيظهر له اعلام السعادة اذ ذاك فاذا ثبت ان الوعيد المطلق ثم جاء في اهل الكفر لم يلحق اهل الكباير من اهل الايمان بهم في الحكم بل وجب الوقف في حالهم كما قال اصحابنا والله الموفق وقوله عز وجل هاؤم اقرؤا كتابيه قال بعضهم هاؤم اي تعالوا وقال بعضهم هو بمعنى هاكم اي خذوا فابدلت الهمزة مكان الكاف ونظام الاية ان المعطى له الكتاب يقول هذا يدعوا الخلق ويناولهم الكتاب استبشارا وحبورا بما نشر بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه ولكن اهل التاويل صرفوا التاويل الى المعطى فقالوا بان المعطى هو الذي يقول هذا فكان الذي يقول كتب الكتاب في الدنيا من الملك هو الذي يعطي الكتاب الى المكتوب عليه ويقول هاؤم اقرؤا كتابيه اي خذوا واقرؤا ما كتب لكم وعليكم والله اعلم وقوله عز وجل اني ظننت اني ملاق حسابيه فان حمله على حقيقته الظن فهو يخرج على ثلاثة اوجه احدها اني ظننت في الدنيا ان لا في الحساب الشديد فيما سبق من سيئاتي واذا خذ بها واجازي عليها وظننت الساعة ان لا انجو من ذنوبي لفزع هذا اليوم فوجدت سيئاتي قد غفرت وخطاياي كفرت عني فيكون قوله منه هذا شكرا لله تعالى واظهارا للمنة والثاني اني تركت في دار الدنيا اذا عرضت لي الحوادث من الزلات والهفوات ظننت ان لا فاء لله تعالى بها فامسكت عنها وان جرت مني اتيتها فيكون اخبارا عن بيان سبب نيل ذلك والثالث اني تفكرت في امري فظننت ان مثلي لا يترك سدى هملا فادى ظني الى اليقين فامنت وصدقت الرسل فانما نجوت بالظني وتفكري ومنهم من صرف الظن الى اليقين والعلم فقال المعنى قوله ظننت اي ايقنت وعلمت والاصل ان كل يقين حدث في الامور المستترة والعلوم الخفية فانما يتولد ذلك عن ظن يسبق فيحمله ذلك الظن على النظر فيه والبحث عن حاله حتى يفضي به الى الوقوف على ما استتر منه ويصير الخفي له جليا فيكون سبب بلوغه الى اليقين والاحاطة الذي سبق منه فجايز ان يسمي ذلك يقينا مرة على الحقيقة وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله وتعيها اذن واعية ان الاذن لا يعي شيئا بل تسمع ولكنه انما يوصل الى الوعي بالاذن فصارت الاذن سببا للايصال الى الوعي فاضاف الوعي اليها فعلى ذلك الظنون فهم في الابتداء انما بلغهم الى اليقين والعلم سموا يقينهم وعلمهم ظنا مرة ويقينا ثانيا الا ترى ان الله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال في موضع اخر وبالاخرة هم يوقنون فجعلهم مرتين ظانين ومرة موقنين فيما كان طريقه البحث واعمال الفكر وبعدما لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالايقان فامر من الامور لان الاشياء له بادية ظاهرة لا غموض فيها ولا خفاء فلا يخفى عليه شيء منها فيحتاج الى البحث عنها والنظر فيها والله الموفق ونقول بان الامور التي سبيل دركها الاجتهاد لا يخلو شيء منها من عوارض ووساوس وخواطر يفضي بصاحبها الى الجنون فاستجاز واطلاق الظن فيها لما لا يخلوا عنه واستجازوا اطلاق اليقين لما اغلب عليها دلالات النفس والاحاطة الا ترى الا من يهدد بالوعيد الشديد وبالقتل على ان يكفر بالله تعالى ابيح له ان يجري كلمة الكفر على لسانه وجعل كالموقن بالحلال العذاب من المكره ولو امتنع عن الاجابة الى ما دعاه وان لم يتيقن بانه يفعل به لا محالة ما او عد به لانه يجوز ان لا يكون من ذلك ويجوز ان لا ينتهي الى ذلك ثم وسع له فعل ذلك باكبر الراي وغلبة الظن وجعل ذلك محل الاحاطة واليقين فعلى ذلك ههنا لما غلب دلالات اليقين والصدق وجاز اطلاق لفظة اليقين عليه فاما الاشياء التي يدرك بالحواس والمشاهدات فلا سبيل الى تسمية مثله ظنا لما يحتمل اعتراض الشبه فيها والله الموفق وقوله عز وجل فهو في عيشة راضية فجوع راضية يقال عاش وحيي بمعنى واحد وقوله عز وجل راضية بمعنى مرضية معناه انه نفسه في حيوة يرضى بها كقوله من ماء دافق اي مدفوق ومثله في الكلام كثير ويجوز ان يكون المراد نفس الجنة قد رضيت باهلها واظهرت رضاها بهم كما وصف الجحيم بالسخط والتغيظ على اهلها فجايز مثله في الجنة رضا واستبشارا وعلى معنى ان الجنة يظهر لهم من انواع الكرامات والخيرات ما لو كان ذلك من ذي العقل يكون ذلك دليل الرضا كما يضاف الغرور الى الدنيا وهي انما تظهر من نفسها لو كان ذلك ممن يملك التغرير يكون ذلك غرورا من نفسها وقوله عز وجل في جنة عالية قال بعضهم مرتفعة على ما تستحب من الدنيا من الجنان في ربوة من الارض مرتفعة وقال بعضهم الجنة اسم لروضة ذات اشجار فكانه يصف اشجارها بالارتفاع والطول والمنظر وذلك انتهى الى

اذنابها

اذنابها ولهذا ما قال قطوفها دانية من غير ذكر الاشجار لان ذكر الجنة اقتضى ذكر الاشجار والثالث يكون معنى العالية اي عظيم القدر والخطر مرتفعة وقد يوصف الشيء الرفيع بالعلو والله اعلم وقوله عز وجل قطوفها دانية اي في القطوف متدانية من اهلها التي يريد قطعها وبعيدة لمن لا يريد قطعها وقيل دانية ينالها القاعد كما ينالها القايم وقيل ثمارها دانية اي لا تتباين بهم بعد ولا شوك وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية تاويله ان يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية انما جعلتم ايامكم الخالية سلفا لايام الاخرة وسلف الرجل لاخيه هو ان يعطيه قرضا لياخذ مثله والحاجة اليه او يسلم الرجل راس ماله في الاشياء التي تامل منها الربح فكانه بما في نفسه يجعلها سلفا وراس مال لياخذ ربح ما بلغ في الاخرة فذلك هو الاسلاف فاو يجعل عمله للاخرة راس ماله وما رزق من الاموال ينفقها في سبيل ويجعل ذلك راس ماله وذكر عن وكيع انه قال بلغنا ان الذين اسلفوا الصوم اي انهم صاموا في الدنيا وتركوا الطعام والشراب فاطعمهم الله في الاخرة فقالوا كلوا واشربوا هنيئا وقوله عز وجل واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه والانباء بالشمال احد اعلام الشقا فتمنى ان لا يوتى بما فيه علم شقاء وقوله عز وجل ولم ادر ما حسابيه يقول هنا في الوقت الذي قرا ورأى فيها خلاف ما كان يظن في الدنيا ويحسب لانه كان يحسب انه في الدنيا احسن صنعا من الذين امنوا واقرب منزلة الى الله تعالى كما قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فظهر له بقراءة الكتاب انه لم يكن على ما حسب بل قد انساه صنيعه فوجد عنه ذلك انه لا يعرف ما حسابه بل لا يظهر مساويه ويحتمل ان يتمنى انه ترك ميتا ولم يحي حتى كان لا يرى الحساب ولا يعرفه وقوله عز وجل يا ليتها كانت القاضية اي يا ليت الميتة الاولى كانت دايمة علي وقال بعضهم يا ليت النفخة الاخرة كانت يعني بالموت والهلاك لم يكن بحييه باعثة والله اعلم وقال قتادة تمنوا الموت ولم يكن شيء في الدنيا اكره اليهم منه ثم الموت عليهم مقضي وليس يتقاضى نحقه ان يقول يا ليتها كانت مقضية و لكن هذه اللفظة يذكرها الناس في كل مكروه من الامور الا ترى ان الناس يدعون الله تعالى بان يصرف عنهم قضاء السوء وليس بقضاء الله بل هو مقضية فخرج القول على ما تعارفوه وهذا كما يقال الصلوة امر الله وليست هي بامره ولكن تاويله انها بامره ما يقام فسمي اسما لها وقضاء الله وهو في الحقيقة مقضية والله اعلم وقوله عز وجل ما اغنى عني ماليه في الاصل ان الكفرة كانوا يفتخرون بكثرة اموالهم فيقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فيخبر عنهم ان الله تعالى بما اتاهم من الاموال يدفعون عن انفسهم العذاب باموالهم ان حل بهم فيتبين لهم في ذلك الوقت انها لا يغني عنهم شيئا فيقول كل واحد منهم ما اغنى عني ماليه وقوله عز وجل هلك عني سلطانيه ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كل سلطان في القران فهو حجة والاصل ان الكافر كان يحتج في الدنيا لنفسه بحجج باطلة فمرة يقول ما انت الا بشر مثلنا ويقول مرة ما هذا الا اساطير الاولين ومرة يقول هذا سحر ومرة يقول هو مجنون وغير ذلك فيقول هلك عني سلطانيه اي هلك تلك الحجج التي كنا نتشبث بها واضمحلت وظلنا انها حجج ومنهم من يقول السلطان هو القول والشرف اي ذهب ذلك كله وقيل هلك عني تكبري وسلطاني على الانبياء في الدنيا وترك الاكرام اليهم وجايز ان يكون اراد به ان السلطان الذي كان لي علي نفسي في الدنيا قد انقطع لانه كان يملك استعمالها في مرضات الله تعالى فيقول قد انقطع ذلك السلطان ولا في لا املك استعمالها فيما استوجب به مرضاة الرب لانه يسلم فلا يقبل منه اسلامه ثم يجوز ان يكون الهاءات في هذه الخطابات على معنى الاشارات الى الانفس وعلى تاكيد الامر والمبالغة كالمتعارف وكانهم ينادون انفسهم بذلك وقد يدخل الهاء في النداء كقولك يا رباه ويا سيداه وجايز ان يكون الوقت وايام الكلام واهل النحو يسمون هاء الاستراحة وقوله عز وجل خذوه فغلوه و قال في موضع اخر خذوه فاعتلوه وهو السوق على العنف وقال في موضع اخر ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم والله اعلم يغلونه ويبدا بالامر بالاغلال لان الناس في الدنيا يجتهدون كل الجهد في منع العذاب بايديهم فاخبر انه ايديهم تغل في الاخرة فلا يتهيا لهم دفع ما يحل من العذاب فيكون ذلك اشد عليهم ويكون حالهم كما قال الله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة فيغل يداه كي لا يتقي النار بوجهه ثم يدخل في السلاسل فيجرون ويسحبون ويساقون على وجوههم على اختلاف احوال القيمة وقوله عز وجل ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه يقال حمل اي مشوى فجايز ان يوثم بان يشوى في الجحيم وقوله عز وجل ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ذكر لا انهم يغلونه ثم يصلونه الجحيم ثم يسلسلونه اذ ذلك وحق مثله ان يسلسل ثم يصل الجحيم ولكنه يشبه ان يكون اول ما يحشرون ثم يساقون الى نار جهنم بقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وازو و دعا هو ان يدعوا انها فيسلسلون اذ ذاك ويسحبون في النار حينئذ فلا يتهيا لهم وقوله عز وجل انه كان لا يؤمن بالله العظيم ففيه بيان السبب الذي لاجله استوجبوا هذا العقاب وهو انهم كانوا لا يؤمنون بالله العظيم ثم قوله لا يؤمن بالله جايز ان يكون لا يؤمن بوحدانيته او لا يؤمن بارسال الرسل او كان لا يؤمن بالبعث والا فهم يؤمنون بالله ولكن لم يؤمن بالرسل والبعث فهو غير مؤمن في الحقيقة لان الاله الحق هو الذي ارسل الرسل وتوعد على البعث والكافر

لا يثبت له قدرة البعث لا براه ارسل الرسل فصار لا يومن بالله العظيم في الحقيقة **وقوله** عز وجل ولا يحض على طعام
المسكين اخبار انه كان لا يومن بالبعث لان الناس ليسوا يطلبون من المساكين الجزاء لما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه
ورجاء الثواب في الاخرة والكافر غير مومن بالجزاء فيحمله ذلك على الاطعام وليس هو بكسب يرغب فيه من مكاسب الدنيا
فكانه يقول ان الذي اقضى به الى النار تركه الايمان بالله تعالى وبالبعث ويجوز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين
اثبات السخرية من الذي ترك الحض على اهله بالاطعام كقوله انطعم من لو يشاء الله اطعمه يقول كيف اطعمه ومن بيده خزائن
السموات والارض لا يطعمه فلو كان اهلا للاطعام لكان الاولى من يطعمه هو الله تعالى **وقوله** عز وجل فليس له اليوم
هاهنا حميم اى قريب يرجو منه وهو كقوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فليس له قريب يرجو او ينتفع
ذلك الحميم وقد كان في الدنيا حميم ينتفع به ويرجو منه **وقوله** عز وجل ولا طعام الا من غسلين وقال في موضع اخر
ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في موضع اخر ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم والزقوم غير الضريع
فهذا والله اعلم ان في جهنم دركات فاهل دركة منها لا يجدون غير الغسلين واهل دركة منها طعامهم الزقوم وليس
لهم غيره والا لو لم يحمل الامر على هذا اوجب ما ذكرناه اختلافا فيخرج ان يكون من عند الله بقوله ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم يجوز ان يكون قد جعل لكل اهل دركة ما يوجبه الحكمة ان يكون طعامهم فعلى ما كانوا
يتنحرون في هذه الدنيا بالاطعمة على من دونهم ويهينون من لم يكن عنده ذلك الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك النوع
طعاما بالجحيم بها يوتنه وقال الحسن ان القران كله كسورة واحدة والسورة كاية واحدة فكانه جمع بين هذه الاشياء
كلها فاية واحدة فقال ليس لهم طعام الا من غسلين وليس لهم طعام الا من ضريع ومن زقوم وانما حمل على ذكر ارتفع بهم
التناقض والله اعلم **وقوله** عز وجل الا من غسلين فجايز ان يكون هذه اسما لشي من الاشياء التي يعذب بها لم يطلع الله
تعالى الخلق على علم ذلك ومعرفته وقد ذكرنا ما في الاخرة ليس للخلق معرفتها عهد الا ترى ان الزقوم ليس باسم لشي
يستقبح ويستعظم في الدنيا ثم جعله الله تعالى اسما للشي المستبشع الكريه في الاخرة وقال عينا فيها تسمى سلسبيلا والسلسبيل
غير معروف فيما بين اهل اللسان وقال بعضهم الغسلين ما يسيل من جلود اهل النار اذا عذبوا وذلك هو الصديد والقيح
وجايز ان يكون اذا اشتد حرهم استغاثوا الى الله تعالى وطلبوا منه ان يرفع عنهم الحر فيصب عليهم ما يزيد في عذابهم
فيسمى ما يزول عنهم غسلينا والله اعلم **وقوله** عز وجل لا ياكله الا الخاطئون وهم الذين قال انه كان لا يومن بالله العظيم ولا
يحض على طعام المسكين ثم **وقوله** عز وجل في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا لا يجوز ان السلسلة يفضل عن ابدانهم
فياخذ فضل مكان من جهنم لانه تعالى وعدان يملا جهنم من الجنة والناس اجمعين ولو كانت تلك السلسلة اخذ
فضل مكان لكان لا يقع الامتلاء بالجنة والناس اجمعين فقط فيودي الى خلف الوعد والله عز وجل لا يخلف الميعاد
ولكن ان كانت تلك السلسلة اطول من ابدانهم فهي تذكير على اهلها ليقع لهم بها فضل تضييق وعرفنا ان تفضل عن
ابدانهم فلا يحتمل وذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه اهون او قال ايسر عليكم
وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يوم القيمة يومئذ تعرضون لا يخفى منكم خافية وعن الحسن انه
قال ان المومن قوام نفسه يحاسب نفسه لله تعالى وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق
الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ان المومن يفجاه الشي فيقول والله انى لاشتهيك وانك لمن حاجتي
ولكن والله ما لي من صلة اليك هيهنا ان يحاسبني وسيك ويزيط منه الشي فرجع الى نفسه فيقول اما دريت هذا مالي ولهذا
ما اعذوره والله لا اعود لهذا ان شاء الله ان المومنين قوم اوثقهم القران وحال بينهم وبين هلكتهم ان المومن اسير في الدنيا
يسعى في فكاك نفسه لا يامن شيا حتى يلقى الله انه ماخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها فمحاسبة النفس ان
ينظر في كل فعل يريد ان يقدم عليه العاقبة فان كان رشدا امضاه وان كان غيا انتهى عنه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال في خبر اخر ان المومن و
قاف وان ذكر ثم ذكر في الخبر الاول من النظر في العواقب فاو نظر في العاقبة فانقاد فقد دنا واذا راى خلاف
الرشد انتهى عنه ولم يقدم بذلك وفقه وهذا الذي ذكرنا محاسبة المرء نفسه فيما يامر من الامور ومحاسبة
نفسه في الافعال التي قد ارتكبها ان ينظر فيما كان منها معصية تاب عنه واستغفر الله تعالى له بفضله بعد
عليه بالمغفرة وان كان ذلك فعلا مرضيا حمد الله تعالى وساله التوفيق بمثله فهذا هو محاسبة العبد لنفسه فيما ارتكب
من الافعال **وقوله** عز وجل فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قد وصفنا ان تاويل قوله فلا اقسم اى اقسم بما
تبصرون من خلق السموات والارض وانفسكم وما لا تبصرون في انفسكم من الاسماع والابصار والقلوب والعقول وما
تبصرون من الخلايق من حضركم وما لا تبصرون من الخلايق ممن غاب عنكم فيكون القسم بما تبصرون وما لا تبصرون قسما بالخلايق

اجمع لان

اجمع لان جملة الخلايق على هذين الوجهين فصنف منهم يرى وصنف لا يرى وقد ذكرنا ان القسم من الله عز وجل لتاكيد
ما يقصد اليه مما يعرف بالتدبر والتامل **وقوله** عز وجل انه لقول رسول اى الذي تسمعونه منه تسمعون من رسول كريم
ثم ذكر هيهنا انه قول رسول كريم وقال في موضع اخر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فذكر
هاهنا كلام وذكر في الاية الاولى انه قول رسول كريم فاما ما اضيف الى الرسول فهو من حيث ما بلغنا اليه من جهة
الرسول لا بامر غيره وصلنا اليه واضيف الى الله تعالى لان مجيئه من عنده واضيف الى الرسول لان ظهوره في حقنا
كان به وهذا كما اضيف ما دفاه القلب الى الاذن بقوله وتعيها اذن واعية لانه انما يوصل الى الوعي بالاذن فعلى ذلك
اضيف القول الى الرسول من حيث كان سماع الخلق من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم الاصل ان الكلام والقول
لا يسمعان وانما المسموع منهما الصوت الذي يعرف الكلام والقول ويدل عليه لان يكون كلاما في الحقيقة صوت
فينسب بعينا هذا القران الى كلام الله تعالى لما يدل على كلامه لان يكون المسموع في الحقيقة هو كلامه من النبي صلى الله
عليه وسلم اياكم بر لقول تلقاه من عند الله الرسول الكريم فيذكرهم هذا ليؤمنهم من تخليط يقع فيه من الشياطين وغيرهم
من الاعداء ثم جايز ان يكون الرسول الكريم هو جبريل عليه السلام كما قال تعالى في سورة اذا الشمس كورت انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ويحتمل ان يكون الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم والاشبه ان يكون
هو المراد لانهم كانوا ينكرون رسالته ولم يكونوا يقولون في جبريل عليه السلام شيئا **وقوله** عز وجل وما هو بقول
شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون اى ان هذا القران لقول رسول كريم ليس بقول شاعر ولا بقول
كاهن ثم قوله قليلا ما تذكرون وقليلا ما تومنون يحتمل ان يكون تاويله فبقليل ما تومنون وبقليل ما تذكرون مما جاء به
الرسول والقليل الذي امنوا به وتذكروا فيه هو الذي كان راجعا الى منافعهم فاما الذي كان عليهم فهم لم يومنوا به
ولا تذكروا فيه واذا كان تاويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لا بنزع حرف الخافض وفي الحقيقة انتصابه ليكون هو
المفعول المطلق وجايز ان يكون اضافة القليل الى قول الكاهن والشاعر تاويله ان الامور لو كان على ما تزعمون بانه قول
كاهن وقول ساحر فما بالكم لا تصدقون بالقليل منه وقد تعلمون ان الساحر وان كان الغالب عليه الكذب فيما ياتي
فقد يصدق في القليل منه وكذلك الكاهن فما لكم لا تصدقون بالقليل منه وانتم تعلمون انه صادق فان كان على
هذا فهو في موضع الايجاب الحق عليهم ان يصدقوه وان كان على التاويل الاول ففيه اخبار انهم لا يومنون الا
بالقليل منه والله اعلم **وقوله** عز وجل تنزيل من رب العالمين فالتنزيل في الحقيقة لا يحتمل ان يسمع لانه اخبار عن
فعله وانما الذي يسمع منه هو المنزل على رسول الله عليه السلام ثم اضاف الى نفسه التنزيل ليعلم هذه الاخبار وهو
قوله انه لقول رسول كريم وقوله عز وجل تنزيل خرجت على المجاز ليس على التحقيق لان التنزيل هو انزاله فسمى تنزيلا لانه
هو الذي كلفه الانزال الا ان يكون هو الذي تولى الانزال وان كان هو خالقه **وقوله** عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل
فهذا عطف على ما تقدم من قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر وعليه وقع القسم وهو موضعه فكانه يقول
ان الذي تلقاه من عنده رسول كريم وما هو بقول تلقاه من كاهن وساحر ولا يقول تقوله علينا ولو تقول لاخذنا منه
باليمين ويحتمل وجها اخر وهو ان الذي يسمعون منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا متقول لانهم كانوا مرة
ينسبونه الى الكهانة ومرة الى السحر ومرة انه تقول على الله ولو تقول لاخذنا منه باليمين يبين ان عذاب الله ما حضر عبادا
اسرع وقوعا اذا هم خالفوا وذلوا منه باعلانه الا ترى الى قوله عز وجل لاخذنا منه باليمين فبين انه لو وجد منه شيء مما
قالوا لاخذ على المكان الا ترى الى ادم عليه السلام وما حل به عندما ابتلي بالزلة والخلاف وكذلك يونس عليه السلام
وما عوتب على اثر الزلة وهذا لان عذاب الاولياء يخرج مخرج التنبيه والتذكرة والاستدلال الى ما كانوا عليه من
الطاعة والانقياد قبل ارتكابهم الزلة ولا كذلك عذاب الاعداء فاخر عذابهم الى اليوم الذي يدوم عليهم فيه العذاب
وفيه وجه اخر وهو ان الذي سمعتم منه لو كان سحرا او شعرا ادعاه انه افتعله لكان لا يمهله الله تعالى بل يواخذه على
على المكان من غير ان يعجزوا كما قال فما منكم من احد عنه حاجزين فامهاله دل على ان الامر ليس كما قالوا بل هو تنزيل من رب
العالمين **وقوله** عز وجل لاخذنا منه باليمين فاخذ الله تعالى عذابه وعقوبته كقوله تعالى فاخذناهم بالباساء و
الضراء وقوله عز وجل فاخذناهم بغتة وقوله باليمين اى بالقوة لا يعجزه عنه شيء ولا نفوتنا عذابه كقوله عز وجل
وما هم بمعجزين وهو كقوله عز وجل وما هم بمعجزين وكقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين اى لا يعجزنا ما عندهم من الشرف
والعز من ان نواخذه ويدل عليه النعمة وجايز ان يكون اليمين صلة القول لا على التحقيق فذكر اليمين لان التاديب
في الشاهد والاخذ يقع بها وهو كقوله عز وجل ذلك بما قدمت يداك واضاف التقديم الى اليد لا على تحقيق اليد
اذ يجوز ان لا يكون ليديه بما قدم صنع لكن لما كان التقديم في الشاهد يقع بالايدي فذكر اليدان على ذلك لا على

تحقيق الفعل بها فكذلك يجوز ان يكون اليمين ذكرت لما بها يقع الاخذ والتاديب في الشاهد وان لم يكن هناك يمين والله اعلم القوة وسميت يمينا لان قدرة الرجل يكون فيها وسمى ملك الرقاب ملك يمين يكتسب بالقهر والغلبة وانما يصل الى القهر والغلبة حتى بالقوة فسمى ملك لهذا الا انه يراد بذكر اليمين تحقق اذا العبد لا يملك شيئا حتى يضاف اليها فكذلك فيما اضيف من اليمين الى الله تعالى فالمراد منه القوة **وقوله** عز وجل ثم لقطعنا منه الوتين قيل الوتين عرق في القلب وقيل حبل في القلب وقيل هو العرق الذي اذا انقطع مات صاحبه وهو عرق متصل بالظهر فكانه قال لعذبه عذابا لا ابقاء له مع ذلك العذاب وهو هذا من اعظم ايات الرسالة فانهم متى ذلوا اخذوا على المكان ويكون فيه امان الخلق عن احداث التغيير والتبديل من الرسل لانهم لو غيروا ولعذبوا ثم قوله عز وجل لمنه باليمين فجائز ان يكون قوله منه زيادة في الكلام وحقه الاسقاط ويكون معناه لاخذناه باليمين وجائز ان يكون معناه لاخذنا من نفوته وسحره وكهانته باليمين فان كان على هذا فحقه الاثبات وليس بصلة زائدة **وقوله** عز وجل فما منكم من احد عنه حاجزين فنفى هذا باس منه لا ولكن الكفرة لانهم كانوا يطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعهم وموا فقتهم على ملتهم فاخبر انه لو اجابوه فتقطع منه وتينه واخذه اخذا لا يملكون منع ذلك عنه ولا دفعه ولم يكن احد ينصره عند ذلك او يحجزه عنها وهو كقوله عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا **وقوله** عز وجل وانه لتذكرة للمتقين فالمتقون هم الموحدون فسماهم مرة متقين ومرة صابرين شاكرين كقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وهو تذكرة لانه يذكرهم الوعد والوعيد وما يتقى وما يبتغى وما يؤتى وغير ذلك وهو تذكرة يعني القران **وقوله** عز وجل وانا لنعلم ان منكم مكذبين اى بايات ورسلي ثم يمهلكم فهو صلة قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل فبين انه مع كذبهم باياته ورسله يمهلهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة ولو وجد التقول من الرسول لكان يستاصله ويقطع وتينه فهو على ما ذكرنا ان عذابه على خواص عباده اشرع وقوعا اذا خالفوا امره باعادتهم وجائز ان يكون قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين هم المنافقون لانهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنتهم ويخالفونه ويكذبونه بقلوبهم فيكون هذا التاويل راجعا الى اهل النفاق والتاويل الاول الى اهل الكفر الذين اظهروا التكذيب **وقوله** عز وجل وانه لحسرة على الكافرين اى العذاب حسرة عليهم يوم القيمة لانه شافع مشفع لمن اتبعه وعمل بما فيه وماحل مصدق لمن نبذه وراء ظهره ولم يعمل بما فيه حسرة عليهم لانه يخاصمهم فيخصمهم ويشهد عليهم فيصدق في شهادته اذ يذكرون يوم القيمة ملتهم بالقران فيندمون عليه ويزيدهم حسرة لانهم كانوا اذا تلي عليهم القران في الدنيا ازدادوا عند تلاوته ضلالا وكفرا وازدادوا به رجسا الى رجسهم كما قال واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله رجسا الى رجسهم فهو ليس بسبب لازدياد الرجس ولكنهم كانوا يحدثون زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة فاضيفت الزيادة الى القران هو الذي يحملهم على زيادة التكذيب فهذه المعاملة يزيدهم حسرة يوم القيمة فاضيف الى القران اذ كان القران هو الذي عندهم وقعوا فيه كما اضيف الرجس اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل وانه لحق اليقين والاصل ان الحق اسم لما يحمد عليه فعله او ينظر فما يستعمل هذه اللفظة فيصرفها الى احد الوجوه فاذا استعملت في الاخبار اريد بها الصدق نحو ان يقال هذا خبر حق اى صدق واذا استعمل في الحكم اريد العدل واذا استعملت في الاقوال والافعال اريد بها الاصابة فقوله انه لحق اى صدق ويقين انه من رب العالمين فهو صلة قوله عز وجل تنزيل من رب العالمين **وقوله** عز وجل فسبح باسم ربك العظيم قيل صل وقيل اذكره باسمه الذي اذا سميت كان تسبيحا اى تنزيها

عن كل ما قالت فيه الملاحدة وما نسبت اليه مما لا يليق به والله الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قرئ بتسكين الالف ومعناه سال واد بعذاب واقع اى جرى واد بعذاب واجب والقران العامة بالهمز من السؤال وتاويل على سؤال القوم العذاب بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم وعجل لنا قطنا وقيل هو النضر بن حارث سال ذلك فقتل يوم بدر وبعد ما ارتكبنا قال بعد اهل التاويل ولكن عندنا ان هذا وان كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هذا لينزل به العذاب في التحقيق وانما هو منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والذي حملهم على الاستبعاد والانكار هو انه كان عند اهل مكة انه لو كان فيهم نبي لكانوا هم احق بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم هم الذين بسطت لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينبسط له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذ فيظنون بهذا انهم اقرب منزلة عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يستقيم في العقل ان يصل الولي الى عدوه ويحسن اليه وليه ويخونه فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاية تكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد والانكار للعذاب لانهم كانوا مغترين به ثم استعجلوه وذكر ان ابا جهل قال يوم بدر

اللهم انصر اهدانا قسما واوصلنا رحما واقرانا للضيف فكان يدعو بهذا الدعاء انه اشرف حالا واعلى منزلة عند الله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولو لم يكن عندهم انهم اقرب منزلة واحق ان يكونوا اولياء والا لم يكونوا يجترون ان يسالوا بهذا فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي اورثت لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا انهم احق بالرسالة وظنوا هذا يتولد من ابليس وذلك ان ابليس قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فظن ان امر الفاضل للمفضول بالسجود في الخضوع له خارج عن حد الحكمة فصار الى ما صار اليه من الخزي واللعن فكذلك هؤلاء لما رأوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا انهم اقرب الى الله تعالى ان التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب ثم سفههم هو الذي حملهم على التكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الخضوع والا لو اعطوا النصفة من انفسهم لكان يجب ان يكونوا هم اطوع خلق الله تعالى لان الواجب على من كثرت عليه النعم من غيره ان يكون هو اشكر للنعم واطوع له فيما يدعوه اليه من الذي قلت نعمه عليه فاذا كان معروف ان نعم الله عليهم اكثر واحسانه اليهم اوفر وجب ما ذكرنا ان يكونوا هم الزم اطاعته واحد لما يامرهم وكذلك ابليس اللعين اذا رأى لنفسه فضلا وانما استوجب ذلك بما انعم الله عز وجل عليه لكان الحق عليه ان يسارع الى طاعته وينقاد لما امره لا ان يظهر الخلاف من نفسه وترك الانقياد بامره **وقوله** عز وجل بعذاب واقع اى هو واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى او واقع بمعنى سيقع لا يقال فلان اى سيقبل **وقوله** عز وجل للكافرين ليس له دافع فان كان قوله للكافرين صلة قوله بعذاب واقع فحقه ان يقول على الكافرين ولكن اللام من حروف الاضافة والخفض وحروف الاضافة مما يستبدل بعضها ببعض فجعل اللام عن على وان كان قوله للكافرين صلة قوله ليس له دافع فمعناه انه ليس على الكافرين دافع العذاب الله عز وجل بل واقع بهم لا محالة فابدلت اللام مكان عن لانهما جميعا من حروف الخفض وقد يدفع العذاب عن المسلمين من وجوه اما برحمة الله تعالى او شفاعة الرسول والاخيار واما الحسنات سبقت منهم فوجب تكفير سيئاتهم فاما الكفار فلا تنالهم رحمته ولا شفاعة احد من الخلائق وليست لهم حسنات بكفر سيئاتهم فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب وجائز ان يكون معناه ان الذين ظنوا انهم ينصرهم عند النوائب تحلول الشدائد لا يقومون بنصرهم ولا يشفع لهم لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الملائكة على رجاء ان يشفعوا لهم ويقربوا الى الله تعالى **وقوله** عز وجل من الله ذى المعارج اى ذلك العذاب لهم من الله ذى المعارج اى من له المعارج كقوله عز وجل ذو العرش المجيد اى الذي له العرش واختلفوا في المعارج قال بعضهم هو المصاعد وهي السموات وسماهن بمصاعد لان بعضها اصعد من بعض وادفع ولو قال ذى السماء لكان مستقيما واقتضى ما يقتضي قوله ذى المعارج لان بعضها اذا كان اصعد والذي تحتها اهبط واسفل ولكن ذكر المصاعد لان هذا ابلغ الوصف ثم في ذكر هذا اعظم نعمه واحسانه الى خلقه حيث خلق السموات مسكنا لاهلها وبسط الارض مسكنا لاهلها تحت اذا عرفوا ان له ان يفضل بعضا على بعض وله ان يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختص بها وذكر ايضا حكمته وعلمه وقدرته وسلطانه حيث وضع اشياء على سماء وخلقهن طباقا من غير عمد تحتها يمسكها او علائق من فوقها يربطها فتبين انه يمسكها بحكمته وقدرته فيكون في ذكر كل وجه مما ذكرنا ازالة الشبهة التي اعترضت لهم في امر البعث والرسالة وايضاح بان من قدر على ما ذكرنا قادر على الاعادة بعد الافناء وقيل المعارج المعالي اى الذي له العلو والرفعة كما تقول في قوله الحمد لله اى لا احد يستحق الحمد في الحقيقة وما حمد احد الا وذلك في الحقيقة لله تعالى لانه به استفادة فعلى ذلك قوله العلو والرفعة اى ليس احد يستفيد العلو والكرامة الا وحقيقة ذلك لله تعالى لانه استفاده به والثاني اى هو الموصوف بالعز والجلال عما يقع عليه اوهام الخلق **وقوله** عز وجل تعرج الملائكة والروح اليه يحتمل ان يكون معنى قوله يعرج ليس عن هبوط يصعد ويخرج لكن انشاء كذلك نعرج وجيء كقوله وانزل لكم من الانعام اى انشاء كذلك وقوله عز وجل والسماء رفعها ليس انه كان في موضع منحط فرفعها لكنه كذلك خلقها مرتفعة فعلى ذلك قوله عز وجل تعرج الملائكة اى انشاء كذلك استعملهم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ووجه اخر وهو الاشبه بالاية وهو ما قالوا ان الملائكة تعرج اليه اى الى موضع الذي عنه ارسلهم الى انواع الامور في يوم لو قدر ذلك المعروج بعروج البشر وسيرهم لكان مقدار خمسين الف سنة **وقوله** عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال في موضع اخر الف سنة مما تعدون فيحتمل ان يكون هذا الوقت وقت خروج الملائكة وصعودهم وهو ان البعض ينزل منهم ثم يعرج في يوم واحد مقدار ذلك المسير الف عام والبعض منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرة خمسين الف سنة فيكون في هذا اية ان ليس اهل سماء احق ان يدبر عليهم تدبير اهل الارض من اهل سماء بل ينزل اهل سماء الى الارض مرة لما يراد من التدبير وينزل اهل سماء اخرى بتدبير اخر ثم اي سماء ينزل فهو يصعد الى تلك السماء بيوم واحد ان ارسل من السماء السابعة او السادسة او الاولى فهو يصعد اليها في ذلك اليوم ويكون في هذا تبيين فوق بعض الملائكة على بعض ان فيهم من يسير مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد وفيهم من يسير مسيرة الف سنة ومن قدر على ان يخلق في خلق من خلائقه من قوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل ان يعجزه شيء فيكون في ذكر هذا تحقيق كون ما به هولوا من القيمة والبعث وجائز ان يكون قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة راجعا الى يوم القيمة فذكر في موضع ان مقداره الف سنة وذكر ههنا ان مقداره خمسين الف سنة فالاصل ان ذلك اليوم ليس بذي حد ولا له غاية ينتهي اليه

فما يخبر من الحد فيه فهو مخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع به التهويل والتفزيع فبأي شيء يعظم ذكره في القلوب بذكره فرغ ذكره و
بالخلود وهو قوله عز وجل ذلك يوم الخلود ومرة قال لابثين فيها احقابا ومرة قال خمسين الف سنة ومرة قال الف سنة اذ من
الاشياء مما يعظم في القلوب وكذلك الالف هو عظيم في القلوب فاذا كانت هذه الاشياء يعظم ذكرها في القلوب فذكر الشيء الذي له حد
من الجملة او ذكر الاشياء يقتضي معنى واحدا ومنهم من يصرف الالف الى تقدير عروج الخلائق الى السماء في ذلك اليوم ويصرف قوله
قوله خمسين الف سنة الى تقدير المقام للحساب قبل ان يدخل النار وجائز ان يكون تأويله على ما ذكره بعض اهل التفسير وهو
ان الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ الى الخلق فتكلفوا ان يفرغ وامتحنا بهم لم يفرغوا منه الى مقدار خمسين الف سنة
لكن الله عز وجل بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في ادنى وقت حتى يصير اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار على ما جاء في
الاخبار وذلك قوله والله سريع الحساب فان قيل في قوله عز وجل الف سنة مما تعدون ان كيف قدر ذلك بصعودنا ونحن لو تكلفنا
لنا من الصعود ولم ينشأ على ما في طبيعتنا انشاء الصعود حتى يتصور انه الف سنة او اقل او اكثر وجوابه ان يقال ان تأويله والله
اعلم انه لو بسط لما بين السماء وصار بحيث يمكن السير عليه لم يقطع ذلك المسير اذا احتجنا الى قطعه الا بالف سنة مما
تعدون وجائز ان يكون تأويله انه لو جعل الى السماء بابا وفتح وظللنا نعرج اليها لم نتوصل اليها الا في الف عام **وقوله** عز وجل
فاصبر صبرا جميلا قيل الصبر الجميل وهو صبر لا جزع فيه والصبر الذي لا جزع فيه هو ان يصبر صبرا لا يرى عليه اثر الصبر بان لا يظهر
في وجهه كراهة وعبوسه وهو ان ينظر الى من آذاه بعين الرضاء والشفقة ليس بعين السخط والكراهة والصبر الجميل الا
يكافيهم ولا يدع شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا لهم رحيما حتى
بلغت شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا لهم رحيما حتى بلغت
شفقته ورحمته وحزنه على كفرهم وقومه مبلغا كادت نفسه يهلك فيها كما قال الله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وقال لعلك باخع نفسك على آثارهم فالرسل عليهم السلام كانوا اذا اوذوا لم يكونوا يحزنون لمكان انفسهم بما
اوذوا بل كانوا يحزنون بمكان من ذنوبهم خوفا من ان يحل بهم الهلاك والبوار بايديهم رسل الله تعالى واشفاقهم على قومهم
هو الذي كان يحزنهم ليس سوء صنيعهم ومعاملتهم معهم **وقوله** عز وجل انهم يرونه بعيدا ان يكون فيكون على
النفي والانكار وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول الرجل في مناظرة لصاحبه ابعدت في القول اذا اجاب بشيء
لا ثبات له ولا صحة فيريد بقوله ابعدت النفي اي ليس كما تقول وقال الله عز وجل اولئك ينادون من مكان بعيد ومعناه
على نفي النداء اي لا ينادون او ان يكون قوله بعيدا اي مستبعدا كونه فيبعدا وقائم حتى انكروه ونراه قريبا كونه كان
معنى قوله بعيدا اي بعيدا كونه او نراه قريبا اي كائنا وقد قرب وقت وقوع ذلك بهم وكل ما هو كائن فهو قريب **وقوله**
عز وجل يوم تكون السماء كالمهل فكانهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذي وعد وان يقع بهم العذاب
متى وقت فنزلت هذه الاية يوم تكون السماء كالمهل وقيل المهل عكر الزيت ودرديه **وقوله** عز وجل فجائز ان يكون هذا على
التحقيق وهو انها يتغير في ذلك اليوم من لون الى لون فيحمر مرة ويصفر اخرى لشدة هول ذلك اليوم فيكون كدردي الزيت
لينا ولونا متغيرا من حال الى حال وجائز ان يكون لا يحل بها التغيير ولكن شدة ما ينزل بالمؤمن من الهول والفزع يضعف بصره
حتى يرى السماء على خلاف اللون الذي هي عليه وهو كما يرى المرء اذا حل به الضعف والمرض في الشاهد وجه طعم الاشياء
على خلاف ما هي عليها فيكون في ذكر هذا تأويل وتفريع ان هول ذلك اليوم شديد لا تقوم لهولها السموات والارضون مع صلابتها
وغلظها في انفسها فكيف يقوم لهولها الادمي الموصوف بالضعف واللين وجائز على ما ذكرنا انه صير تشبيهها بالمهل لينها
ودوانها وانها تلين وترخو من هول ذلك اليوم حتى يصير السماء كالمهل والجبال كالعهن فيكون فهذا ايضا تهويل لمن خوطب
عما هم فيه ويقبلوا على عبادة الله تعالى ويتسارعون الى طاعته وتأويل العهن ووجه تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا
في قوله عز وجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش **وقوله** عز وجل ولا يسأل حميم حميما قرأ برفع الياء ونصبها فمن رفع الياء
فتأويله اي لا يطالب حميم من حميم لا يؤخذ بمكانه كما يفعل مثله في الدنيا لان ذلك اليوم وهو يوم العدل وليس من العدل ان
يؤخذ الغير بذنب الغير ومن قرأه بالنصب فتأويله ان لا يسأل حميم حميما من شدة ذلك اليوم وهوله النصرة والشفاعة
ولا يسأل عن حاله بما حل به من الشغل في نفسه **وقوله** عز وجل يبصرونهم يحتمل ان يعرف بعضهم عن بعض ان هذا ابوك و
ابنك وحميمك اذ لا يعرفه الا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع ثم اذا عرفوا لا يسألونهم بل يفر بعضهم عن بعض كما
قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية او يكون معناه او يبصروا ما سبق منهم من الذنوب والاجرام فيعرفونها ويفسر لهم خاتمة و
وقوله عز وجل يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ففي
هذه الاية يستقبلهم في ذلك هول وفزع لم يكن لهم بمثله عهد في الدنيا ولا كان خطر ببالهم ذلك لان المرء لا يبلغ به الهول في الدنيا
مبلغا يود ان يفتدي به بنيه وصاحبته واخيه واقاربه وجميع من في الارض فيكون فيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم

بجعل الناس على الانابة الى الله تعالى والانتهاء عما هو عليه ثم بدأ بذكر البنين والاقربين بلا بعيد وحق هذا ان يبدأ بالابعدين
ثم يحتمل بذكر الابعدين لان المرء قد يسخو نفسه بفداء الابعدين ويظن ببذل الاقربين فداء فاذا سخت انفسهم في ذلك اليوم
بفداء البنين والاقربين فلان يسخو بفداء الابعدين احق واذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع ان يبدأ بذكر الاباعد ثم يختم
بذكر الاقارب فكيف ابتدأ بذكر الاقربين فجوابه من وجهين احدهما انه انما يتوصل الى فداء اهل الارض وان كان له عليهم
ملك وكانوا باجمعهم له واذا كان جميعا له ملكا كانت شفقته على ملكه واولاده واحدة او اكثر فكما يظن ببذل الاولاد
وان يكون عنه فدا فكذلك يظن بالاباعد اذا كانوا جميعا ملكا له فلذلك استقام ان يبتدأ بذكر الاقربين قبل الابعدين
اذ كل ذلك يستوي في التهويل والتفزيع والله اعلم وجائز ان يكون ذكر الاقربين وذكر اهل الارض ليس على جهة الاولى ولكن
ذكر الآحاد اولا ثم ذكر الجماعة ثم ذكر جماعة الجماعة ليعلموا انه لا ينفعهم الفداء في ذلك اليوم وان الدين وذو الفداء
ليتخلصوا من عذاب الله تعالى لما يشتد عليهم ما نزل وان كان ذلك ملء الارض والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم ينجيه
كلا رد وتنبيه انه لا ينجيه ذلك اليوم **وقوله** عز وجل انها لظى نزاعة للشوى الاية فاللظى اسم من اسماء النار والشوى
قيل هي مكارم خلقه وقيل هي القوائم والاطراف هي الجلود والاصل ان نار جهنم يعمل على اصحابها بقبح كل قبيح وكل مستشنع
مستشنع فان شئت صرفت ذلك الى الارجل وان شئت الى الجلود وان شئت الى مكارم خلقته الاخلاق لان التقبيح
في كل ذلك موجود وهو كقوله عز وجل لهم فيها ازواج مطهرة فقيل في تأويل المطهرة وجوه احدها ان هن مطهرات من
العيوب والآفات وجملته انه ما من شيء يستحسن ويستقبح من خلقها ونفسها ومعاملة الا وهن مطهرات من ذلك وما من
شيء يستشنع الا وذلك في اهل النار موجود **وقوله** عز وجل تدعو من ادبر وتولى فجائز ان يكون الدعاء منها على التحقيق
وهو ان يجعل الله تعالى باللطف لسانا ما تدعو به او يخلق فيها الكلام من غير لسان فيقول الي الي وجائز ان يكون هذا
على التمثيل وهو انها لا يدع احدا يفر عنها ويتخلص من عذابها فكانها دعته الى نفسها ثم **وقوله** عز وجل من ادبر وتولى يحتمل
ان يكون قوله من ادبر من كان ادبر في الدنيا من طاعة الله تعالى وتولى عن الاجابة لرسله كقوله تعالى تولى عن ذكرنا اي اعرض
او ادبر عن توحيده وتولى عن النظر في حججه وفيما جاء من عنده ويحتمل قوله ادبر اي ادبر عن طاعة الله عز وجل وتولى اي
تولى الشيطان من الولاية فجائز ان يكون ادبر فجهنم فتدبر نجاة ان يفر عنها ويتولى كذلك فلا يدعه النار وكذا بل
يشاء من الاغراض كقوله عز وجل انما سلطانه على الذين يتولونه ولكن هذا قريب من الاول لان من تولى عن ذكر الله فقد تولى
الشيطان **وقوله** عز وجل وجمع فاوعى يخبر بقوله وجمع على ما جبل عليه من شدة الحرص على الدنيا فيكون الجمع كناية عن الحرص
فبلغ به هذا الحرص مبلغا انساه ذكر الاخرة **وقوله** عز وجل فاوعى فيه بيان صفته فيما عليه من النهاية في البخل فيكون
الايعاء كناية عن البخل حتى لم يؤد حق الله تعالى في ماله ولم يقم بشكر الله تعالى من النعم وبلغ به البخل مبلغا منعه ذلك
عن قبول حق الله تعالى في ماله **وقوله** عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اختلف في تأويل الهلوع من وجوه كل يرجع الى معنى
واحد فقال بعضهم الطامع في اللذات الطالب لها والكاره للاثقال الهارب منها وقيل خلق هلوعا اي على حب ما يتلذذ به
والقيام ويطلبه ويبغض ما يتألم به والهرب عنه ومنهم من يقول الهلوع الضجور وهذا موافق للتأويل الاول لان الذي يحمله
على الضجرة هو ما يصيبه من الالم فيضجر عن حق الله تعالى ومنهم من يقول تفسيره ما ذكر ذلك على اثره من قوله اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا وهذا ايضا مثل الاول لان الذي حمله على المنع شدة حبه اياه والذي حمله على الجزع ما مسه من
الفقر والشر فرغبت نفسه لذلك لانها انشئت نافرة عن الضرر ومبغضة له وقال الله عز وجل وخلق الانسان عجولا وقال في
موضع آخر وكان الانسان قتورا اي لا يسخو على اخراج ما في يديه ففي هذه الايات انباء ان الانسان خلق على هذه الاحوال
قتورا عجولا هلوعا فلما انشأ على حب ما ينفعه وبغض ما يكرهه ويتألم به علم انها خلق على هذه المحنة فمن ذكر فيما وعد الله
تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما امره به جملة ذلك على المسارع في الخيرات وترك ما يحبه في الدنيا لينال الموعود في الاخرة اذ
هو في الاصل انشئ محبا لما يتلذذ ومن تذكر ما اوعد من العذاب بما يعطي نفسه من الشهوات من معاصي الله تعالى وبما يمنع من
حقوق الله تعالى الواجبة في ماله سهل عليه ترك الشهوات وخف عليه بذل ما طلب منه لئلا يحل به ما ينغص بعيشه من
الالام والمكاره والاصل ان الانسان وان كان مطبوعا على هذه الاخلاق الذميمة من البخل والاقتار والعجلة وان جبل عليها فقد امكن
رياضة نفسها ويمكنه ان يستخرجها من تلك الطباع الذميمة الى اضدادها من الاخلاق الحميدة والشمائل المرضية فلزمه القيام
بذلك الا ترى انه ان يقع رياضة الدواب والسباع فيخرجها بالرياضة عن طباعها التي انشئت عليها من النفار
عن الخلق والامتناع عن الانقياد حتى تصير منقادة للخلق ذليلة لهم فيتهيأ لهم الاستمتاع والتوصل الى منافعها فكذلك الانسان
اذا قام برياضة نفسه امكنه ان يستخرجها عن خلقتها فتصير بطبعه له فيخف عليها بذل ما يطلب منها ويسهل عليها تحمل ما كان
يشتد عليها ثم الاصل ان المرء وان جبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتألم ويتوجع فقد جبل ايضا على ترك ما هو فيه من اللذة

هو اعظم منها وعلى التصبر لاحتمال الاذى والمكروه ليتخلص عما هو اعظم من ذلك المكروه والالم واذا كان كذلك فهو اذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الاخرة وقرب السنين بابعدها فراى ان الاخرة اعظم وابقى خف عليه تركها قربهما واقلهما لاكثرهما واذا قابل مكروه الاخرة وعذابها بعذاب الاخرة فراى عذاب الاخرة اشد وابقى خف عليه تحمل المكاره في الدنيا فهذا السبب الذي ذكرنا مما يتصل به الى رياضة النفس والذي يدل على ان المرء قد يخف عليه تحمل الشدايد وترك اللذات الحاضرة لما يامل من اللذات لاجله انك ترى المرء قد يهون عليه الغرب في الارض وقطع الاسفار وتحمل المون وركوب الاهوال والقطايع والانقطاع عن اللذات كالذي يخرج للتجارة من بلد الى بلد نائية لما يرجوا من النفع والربح في ذلك فيتحمل ما يمسه من المكاره والمون لما يطمع من نيل اللذات التي هي اعظم من اللذات التي تركها فعلى ذلك اذا تفكر في نعيم الاخرة وتفكر في عذابها يسهل عليه ترك اللذات الحاضرة وخف عليه تحمل المكاره في الدنيا دونه اخرانه لما جبل على حب اللذات وبغض المكاره امران يجعل ما يحبه من العاجل اجلا فيكون شغله ابدا فيما يوصله الى نعيم الاجل واراه يجعل همه عن الالام فيجتهد فيما فيه التخلص والنجاة عن تلك الالام والله اعلم وقوله عز وجل الا المصلين الذين هم على صلوتهم دايمون معناه والله اعلم لان المصلين يقومون برياضة انفسهم حتى يصرفوها عن خلقتها التي انشئت عليها ثم بين ان الذين يقومون برياضة انفسهم هم الذين يقومون على صلوتهم دون الذين يقومون الى الصلوة كسالى ولا يدومون عليها ولا يمتنعون من مواثم الاعراض كراهة ثم قوله عز وجل على صلوتهم دايمون دوامهم عليها في لزوم مراعاتها وهو ان يقيموها في اوقاتها ويحافظوها عليها دون ان يكون دوامهم ان يكونوا فيها ابدا الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل واراد بقوله ادومها الدوام فيها في الوقت الذي اوجب فعلى ذلك على انفسهم لا ان يكونوا ابدا فيها لانهم اذا بقوا فيها ابدا كان ذلك منهم فلا يكون لقوله وان قل معنى فثبت ان معنى الدوام ما وصفنا والله اعلم وجايز ان يكون المراد من المداومة هو ان يدوم على الاحوال التي يليق بالصلوة عند كونه فيها من الاقبال على المناجات وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الاشغال والوساوس وقال بعضهم على صلوتهم دايمون هو التطوع وعلى صلوتهم يحافظون الفريضة قال وتصديقه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا صلوا داموا عليها وكان يقال خير الاعمال ادومه وان قل واصله ان الله تعالى قال واقاموا والاقامة على الشي هو الدوام عليه لانه اذا فعل الشي مرة ثم تركه لم يوصف بالاقامة عليه فقوله دايمون ومقيمون يقتضي معنى واحدا فيكون فيه ايجاب ان الصلوة يلزم فعلها مرة بعد مرة ليست كالفرايض التي اذا اديت مرة سقطت من نحو الجهاد والحج وقوله عز وجل والذين في اموالهم حق معلوم قيل هو الزكوة ذكر ذلك عن قتادة وغيره وقال ابو بكر هذا غير محتمل لان هذه الايات مكية انما فرضت الزكوة عليهم بعد هجرتهم الى المدينة ولكن ليس فيما ذكر دفع هذا التاويل لانه يجوز ان يكون الزكوة لم يفرض عليهم لما لم يكونوا اصحاب الاموال لان الزكوة لم يكن مفروضة في الجملة وبقي الوجوب ذا استعداد والاموال الا ترى ان الفقير قد يعلم اداء الزكوة من المال وان لم يكن له مال يتعين بادايها اذا صار من اهلها فقوله حق معلوم اي اعلمه الله تعالى في اموالهم فلزمهم اخراجه ثم بين انه نحو وجهه ما الزمهم من اخراجه فجعله في اموالهم بالدفع الى السايل والمحروم وجايز ان يكون ذلك الحق المعلوم هو حق القرابة وغيره ومن ذكر ان هذا الحق غير الزكوة و قالوا انهم كانوا اعلموا ان في اموالهم حقا فجعله لطايفة منها السايل وطايفة للمحروم ولذلك سماه حقا معلوما ويحتمل ان يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في اموالهم نسختها اية الزكوة ولم يذكر لنا ذلك لعدم حاجتنا الى معرفته ثم السايل معروف وهو الذي يسال واما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن المحروم فقال المحروم هو الذي لا يثمر نخله ويثمر نخل الناس ولا يزكو زرعه ويزكو زرع الناس ولا تلد شاته وتلد شاة الناس فعنوا بالمحروم هذا انه حرم بركة ماله وفي هذا الخبر دليل على ان المرء لا يصير غنيا بملك النخيل والارض وجايز ان يكون المحروم هو الذي حيل بينه وبين وجوه المكاسب فمن كان حاله هكذا كان علينا ان نساعده ونقوم بكفايته وقال الحسن المحروم هو الذي يتعفف عن السوال وان هلك والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصدقون بيوم الدين فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب فكل عرف الجزاء وايقن به لم يجزع بما يصيبه ولا منع الحق الذي طلب منه ولم يوصف بانه هلوع وانما الهلوع هو الذي يكذب بيوم الدين كما قال ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم فاخبر ان الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي لا يومن بالاخرة وقوله عز وجل والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خايفون وجلون وهم الذين قال عز وجل في اية اخرى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له ام الذين يسرقون ويزنون ويعملون بالمعاصي فقال لا بل هم الذين يقومون ويصلون ويوتون الزكوة او كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم ووجلهم هو انهم يخافون لا يتقبل منهم حسناتهم او يخافون ان يكونوا قصروا عن الوفا بشكر النعم او غفلوا عن شكر كثير منها وقوله عز وجل ان عذاب ربهم غير مامون فهذا هو الحق ان لا يامن احد من عذابه وان دأب في عبادته وجهد في طاعته لما لا يدري على ماذا يختم امره او يخاف ان لا يتقبل منه ويرد عليه او يخاف ان يكون قد قصر عن شكر كثير من النعم وغفل عنها والاصل ثم ما من احد ينظر في امره وحاله الا وهو يرى على نفسه من الله تعالى

انما اجهد نفسه ليقوم بشكر واحد منها قصر عن ذلك ولم يتهيا له القيام بوفائها فمن كان هذا وصفه فانى يقع له الامن من عذابه ويوخذ منه الوفاء بالاسباب التي يومن بها الا ان يكون من الخاسرين وقوله عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون ذكر حفظ الفرج ولم يذكر ثم بحفظ وحفظه يكون بخصال احدها ان يسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد والثاني بما جعله الله عز وجل سببا للتعفف من النكاح وملك اليمين فيمنعه ذلك عن الزنا وحفظ الفرج والثالث بتجييع بطنه بالصيام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يقدر على الباءة فليصم فان الصوم له وجاء والرابع بما ترك النظر الى النساء ولا يخلوا بهن و يدع مجالسة الفجار واهل الريبة وقوله عز وجل الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ولو لم يقل غير ملومين لكنا نعلم بقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم انهم لا يلامون لانهم قد اباح لهم الاستمتاع بمن ملكت ايمانهم ومن كان تحتهم بملك النكاح ولا يجوز ان يلحق اللائمة باستعمال المباح المطلق ولكن فيه فوايد احدها ان من الناس من يحرم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين فيخبر انهم عند من اعتقد الايمان بالرسل غير ملومين وانما يلزمهم من انكر الرسالة وهم الثنوية والبر[illegible] وجايز ان يكون معناه انهم وان منع النساء عن الجماع بما هو خير لهم من الصيام وانواع القرب لم يلحقهم اللائمة كما لا يلام من يمنع اخر عن طاعة الله تعالى واذا استعفوا بملك النكاح وملك اليمين لم يبتلوا بالزنا فيلحقهم اللائمة بذلك وقوله عز وجل فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون العادي هو الظالم في الحقيقة يقال عدا فلان على فلان اذا ظلمه فهم عادون حيث ظلموا انفسهم فوضعوها في موضع لم يوذن لهم بالوضع فيها وقال الحسن هم العادون حيث عدوا من الحلال الى الحرام وفي الاية دلالة تحريم المتعة لانه اخبر ان من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو اذا من العادين وقوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فالامانات لها وجهان احدهما ما ائتمن الله عز وجل عباده على ما له من الحقوق عليهم والثاني ما ائتمن بعضهم بعضا على الحقوق والعهود التي يجري بين الخلق من الذمم والنذور وغير ذلك فيدخل فيه كل امانة بين العبد وبين ربه وبينهم وبين الخلق وكل اخذ عليهم من نحو قوله اوفوا بالعقود وقيل في التاويل العهود ثم بين ذلك فقال لئن اقمتم الصلوة الاية والعهد الذي اخذ علينا المعاهدين فكل ذلك داخل تحت الاية وقد يدخل معنى الامانة وقد يجوز ان يقع بينهما فرق والله اعلم وقوله عز وجل والذين هم بشهاداتهم قايمون اي يقيمونها لله تعالى كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله او قايمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة فيقومون لها اجوادا كموا سرهم ذلك او نفعهم وقوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون محافظة الصلوة اتيانها في اوقاتها بشرايطها والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى ولما تكفير السيئات فيرغبون في اقامتها لتكفير عنهم سيئاتهم وقوله عز وجل اولئك في جنات مكرمون في الاية بيان ان من تكرم بالجنان هولاء وذكر عن ابي بكر الاصم انه قال فهذه دلالة ان من وفي هذه الاشيا التي ذكرها في هذه السورة من الادامة على الصلوة وايتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين الى اخر ما ذكر فهو الذي يكرم بالجنة او الخاطي الذي يرجع عن خطيئته ويسوف عنها فاما غير هذين وهولاء يستوجب الاكرام بالجنة فاذكر من الاكرام بالجنة الصنفين الذين ذكرهما فهو كما ذكر ما الصنف الثالث فهم الذين بلوا بالخطيات من اهل الايمان ولم يتوبوا عنها فقد يرجى لهم هذه الكرامة بعفو الله سبحانه وتعالى وكرمه وجوده ومن كان هذا وصفه لم يويس من احسانه بل كان العفو منه مامولا والاحسان منه مرجوا وقوله عز وجل فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين اختلف في تاويل الاهطاع فمنهم من يقول هو الاسراع في المشي ومنهم من يقول هو ادامة النظر فمن حمله على الاسراع فمعناه ان ائمة الكفر كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القران منه ثم يسرعون الى اتباعهم ويجلسون خلقا خلقا ويحرفون ما يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسون على ضعفائهم واتباعهم ليصدوهم عن الايمان بالله عز وجل ورسوله عليه السلام فان كان الامر على هذا فتاويله مال هولاء يسرعون اليك ليسمعوا كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكونون حلقا يقول بعضهم ما هذا الا سحر مبين وما هذا الا اساطير الاولين ان هو الا رجل افترى على الله ونحو ذلك وما النفعة لهم في طعنهم عليك استحبابهم المقت والهلاك بذلك من الله تعالى وما يرجون باعراضهم عن تصديقك بعدما رأوا الايات ومن حمله على النظر فمعناه انهم كانوا يجلسون بعيد وينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وانه من اساطير الاولين فيمكرون من يقتضي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يباديه من الكفرة فان كان على هذا فتاويله كانه يقول لهم ما لهم يجلسون من البعيد ناظرين اليك ولا يدنون منك فيسمعوا ما انزل اليك فينتفعوا به لكنهم متفرقون عن اليمين وعن الشمال يصدون الناس عن مجلسك وقد علموا انهم الى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة اذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالاشياء المتقدمة ليعلموا انك جئت بالعلم و الحكمة دون التنجيم والكهانة فان كان على هذا الوجه فالعقاب لمكان التحريف والتبديل والله اعلم وقوله عز وجل ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قوله ايطمع حرف استفهام وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام ممن لا يعلم ايجاب ثم اختلف في وجه الايجاب فمنهم من يقول معنى قوله ايطمع اي لا يطمع كل امرئ بعبادتهم الاصنام والاوثان ان يدخلوا جنة نعيم اذ هم ينكرون البعث والجنة

والنار ثم مع هذا ينصرون الاصنام ويعبدون ويخضعون بها وان كان لا طمع لهم في نفعها الى شيء في العاقبة ولا يرجون منها
العواقب فيكون في هذا ترغيب المؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادة ربهم الله تعالى كانه يقول انهم لا يطمعون
نيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة ثم يتولون بنصر الاصنام فانتم احق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم او فيطمعون نيل
الجنة والدخول فيها بنصر كراماه والله اعلم ويشبه ان حمله على ايجاب الطمع وهو انهم كانوا يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها
اذا رجعوا الى ربهم ظنا منهم انهم اذا سادوا المسلمين في نعيم الدنيا وسعتها فكذلك يسادون في نعيم الاخرة كما قال الله عز وجل
خبرا عنهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات الاية هكذا ظن الكفرة انهم ان رجعوا الى ربهم فيجدون عنده خير منقلب فقال تعالى كلا انا خلقناهم مما يعلمون
فنقول كلا على هذا التاويل رد لاعتقادهم وقطع الاطماعهم فقال كلا اي لا يدخلونها قط ثم استانف الكلام فقال عز وجل
انا خلقناهم مما يعلمون وعلى التاويل الاول كلا بمعنى حقا انهم لا يطمعون ثم استانف بقوله انا خلقناهم مما يعلمون اي تلك
النطفة فنذكر بهذا عظيم نعمه واحسانه اليهم بما اخرجهم منها ونقلهم من حال الى حال حتى صاروا بشرا سويا يعقلون انه
لا يتركهم سدى بل يمتحنهم ويستادي منهم شكر ما انعم عليهم فيوجب ذلك تصديق الرسل وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان
ضعف ابدانهم ليعلموا ان من قدر على انشائهم لقادر على ان يحييهم بعد ما افناهم والله اعلم وقوله عز وجل فلا اقسم برب
المشارق والمغارب الاية ذكر المشارق والمغارب ذكر السموات والارض وفي ذكرها ذكر اهل السموات والارضين فيكون فلا
اقسم برب الخلائق اجمع ويكون حرف لا زائدة في الكلام تاكيد القسم على ما يذكر فيكون معناه فلا اقسم ثم حق هذا القسم ان
يقول لكان قوله برب المشارق والمغارب فلا اقسم فاذا كان القسم من الله تعالى هذا هو ظاهر الكلام في متعارف اللسان ولكن
يحتمل هذا وجوها احدها ان يكون هذا القسم من النبي صلى الله عليه وسلم كانه علمه ان يقسم به ويقول له قل يا محمد فلا اقسم برب
المشارق والمغارب وان كان هذا قسما من الله تعالى فهو مستقيم ايضا من وجهين احدهما على الاضمار وكانه قال فلا اقسم ب
ويا رب المشارق والمغارب والثاني وان كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الحاضر لان
الخلق كله لله مشهود وليس هو مشاهد للخلق فيخرج الكلام بينهم على ما يخاطب الغائب ومرة على الوجه الذي يخاطب به
الشاهد ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان والله اعلم وفي الاية دلالة على ان ملك السموات والارضين وتدبيرهما واحد اذ
لو لم يكن كذلك لكان لملك السماء ان يمنع الشمس والقمر والكواكب من ايصال النفع الى اهل الارض ويكون لملك الارض ان يمنع لملك
السماء عن الاغراب في الارض ثم الذي يشرق ويغرب منذ خلق يجري على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل
ولو كان لله تعالى فيه شريك لكان لا بد من وقوع التغيير فيها فثبت ان تدبير السموات والارضين وتدبير سلطانهما راجع الى
الواحد وقوله عز وجل انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم هذا موضع القسم فجائز ان يكون اريد به اي نبدل الخير منهم فيجعل
مكان ما كانوا من الشر خيرا كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وقد فعل ذلك لانهم اسلموا ويحتمل ان
يكون اراد بان يبدل قوما خيرا منهم ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القدرة والثاني ان يكون معنى القدرة ارادة
الفعل اما الاول فعلى وجهين احدهما على معنى تخويف اهل مكة انهم لم ينتهوا عن ذلك انزل الله تعالى مكانهم من هو خير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون الا بعد المبدل عنه وقد فعل الله تعالى ذلك بهم اهلك المعاندين منهم وابدل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اولادهم والمهاجرين منهم والانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه والثاني ان كنا قادرين على ان نجعل له
الرسل اليهم خيرا اذ قد علموا من قدرة الله عز وجل وانه هو الذي خلقهم وانشاهم لكن انما ارسل اليهم وامرهم لحاجات
انفسهم لا لمنفعة ترجع اليه ليس على ما عليه ملوك الدنيا لكنا انما نمتحنهم بالامر ليسعوا في نجاة انفسهم ونهاهم ليكفوا ويتناهوا
عن النار فيكون فيه تسكين قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند وجده عليهم حيث لم يؤمنوا واما الوجه الثاني ان يكون معنى
القدرة ارادة الفعل خاصة اذ قد يكنى بالقدرة اذ هو سبب الفعل كالامر المعتاد بين الخلق يامر رجل آخر بفعل فيقول لا
استطيع ولا اقدر اي لا افعل وعلى هذا تاويل قوله عز وجل انا لقادرون اي لفاعلون من هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا
عن هؤلاء فان كان على هذا فيكون فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجعل له اصحابا يرضاهم ويكون فيه اخبار الله عز وجل
له بالنصر والغلبة على المكذبين منهم ويكون فيه انباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا ينفذ فيه مكرهم وان لم يجتهدوا ويكون
فيه اعلام انه ينتقم منهم له ويعذبهم وقد فعل ذلك كله بحمد الله عز وجل وله الشكر حيث بدل عن اهل مكة اهل المدينة وكانوا
خيرا منهم لان اهل مكة كانوا عليه واهل المدينة كانوا له فكانوا خيرا وقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين والمسبوق المغلوب
فكانه قال لا يسبقنا احد ولا يعجزنا احد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريد وقوله عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا قال ابو بكر الخائض
المتحير واللاعب الخاطي فقوله فذرهم اي دعهم بما هم من خطاياهم وتحيرهم في دينهم فكل من اشتغل بما لا يحتج له فهو خائض
لاعب واصله ان كل امر لا عاقبة له يحمد فيه لاعب لاهي كقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو اي من يعمل في الحياة الدنيا للدنيا لا للآخرة

فهو لاعب

فهو لاعب لاهي وكان هذه الاية صلة قوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الاية امره بان لا يشتغل باولئك ويقبل
على من يرجوا منهم الايمان او امره بان لا يشتغل بمكافاتهم بسوء صنيعهم وان الله سيبصره عليهم ويكافيهم عنهم وقوله
عز وجل حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذلك قوله ذلك اليوم وهو يوم بدر وسبيله قوله اليوم الثاني وهو يوم الاخرة
وقوله عز وجل يوم يخرجون من الاجداث سراعا يخبر انهم يخرجون من الاجداث وهي القبور سراعا الى الداعي والذي يحملهم
على الاسراع هو انفسهم استجابت الداعي في الدنيا فينزل بهم الهلاك بتركهم الاجابة فتسارعوا في ذلك اليوم الى اجابة الداعي
رجاء ان يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الاجابة وذلك لا ينفعهم وان وجدت منهم التوبة والرجوع عن تلك
الاجابة لان ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة وانما هو يوم يجزى فيه كل نفس بما كسبت وهذا كقوله فلما راوا
باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فاخبر انهم يفزعون الى الايمان بالله تعالى لما يعتقدوا انهم انما حل بهم ما
حل باعراضهم عن الايمان ففزعوا عند معاينتهم العذاب الى الايمان رجاء ان يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم
يغنهم عن عذاب الله شيء اذ ذلك الوقت وقت قبول التوبة فيكون هذا تحريضا بالاسراع الى اجابة الداعي والايمان بما يدعوا اليه
قبل ان يؤمنوا ايمانا لا ينفعهم والله اعلم وقوله عز وجل كانهم الى نصب يوفضون قرئ بنصب النون وجزم الصاد وهو
اسم العلامة كالغرض واشباهه وقرئ بضم النون وهو اسم الصنم فان كان على العلامة فمعناه انهم يسارعون في ذلك الوقت
الى اجابة الداعي مسارعة من يسرع في هذه الدنيا الى الغرض والعلامة المنصوبة كما قال اهل التاويل ذكر عن الكلبي الى نصب
يوفضون الى العلم يسعون وقال قتادة الى علم يستبقون وعن مجاهد الى علم يطلقون فان كان على الثاني فمعناه انهم يسرعون الى
اجابة الداعي في ذلك كسرعتهم الى عبادة النصب عند خوفهم من فوت عبادتها وعند اجتماع عبادها عندها ويبتدرون
نصبهم حتى يستلموها ومنهم من ذكر ان النصب برفع النون والصاد هي الاغراض التي يستبقون اليها ومن تاول هذا فهو يجعل النصب
ههنا جمع النصب وقوله عز وجل يوفضون اي يسرعون وقال الحسن اي يرملون وهما واحد لان الاسراع في الرمل موجود
وقوله عز وجل خاشعة ابصارهم فيحتمل ان يكون هذا على نظر الوجوه وصفه خشوعها ما قال في اية اخرى لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء فيخشع خشوعا لا يملك طرفه طرفه عن الداعي ففيه ان الذلة قد احاطت بهم حتى اثرت في الاعين والوجوه
وفي كل عضو وجائز ان يكون هذا على نظر القلوب وهو ان قلوبهم تشتغل باجابة الداعي عن ان يبصر لنفسها حيلة يتخلص
من اهوال ذلك اليوم وشدائدها وقوله عز وجل ترهقهم ذلة اي تعلوهم والذلة الحالة في النفس يبدو ظهوره من الابدان
وقوله عز وجل ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون وحقا يقول هذا اليوم الذي كانوا يوعدون لانه اضافه الى اليوم الذي كانوا يوعدون
في الدنيا ولكن معناه كانوا يوعدون لذلك اليوم في الدنيا وذلك في الوقت الذي كان يوعدون غير موجود فيعبر به عما غير الغائب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم في ذكر نبأ نوح عليه السلام ورسالته
ورسالته وانه نبوته انما ذكرنا ان هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه ولم يختلف النبي صلى الله عليه وسلم الى من عنده علم به فتعلمه منه فعلم
انه بالله تعالى علمه لا باحد من خلقه فيكون فيه الزام الحجة عليهم وفيه اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقي نوح عليه السلام
من قومه فيصبر بذلك على اذى قومه اذ السورة مكية ثم امره بالانذار ولم يذكر معه البشارة فكذلك قال نوح عليه السلام اني لكم
نذير مبين ولم يقل بشير وقد كان هو بشيرا ونذيرا فجائز ان يكون اقتصر على ذكر النذارة لان في ذكرها البشارة وذلك انهم
انما استوجبوا العذاب ان داموا على ما هم فيه من الضلالة وعبادة غير الله تعالى بهم اذا انتهوا عن ذلك استوجبوا العفو و
استيجاب العفو وقوع البشارة فاذا كان في ذكر احد الوجهين يقتضي ذكر الاخر اكتفى بذكر احدهما عن ذكر الاخر وجائز ان
يكون خص النذارة بالذكر لان الحال كانت حال الانذار لانهم كانوا معرضين عن طاعة الله تعالى ومقبلين على عبادة غيره
فكانوا مستوجبين للنذارة ولم يكونوا من اهل البشارة وانما يصيرون من اهلها اذا انتهوا عما هم عليه فيكون قوله انذر قومك
ان داموا على ما هم عليه وفي هذا دلالة على ان المرء اذا اخذ في طريق فالسبيل فيه ان من يعتقد عليه مذهبه ثم اذا ظهر فساده
عنده امر له باتباع سبيل الهدى وبين له الحجج والدلائل فيجمع فيه ذلك لانه ليس ان يحتج عليه بالحجج التي هي حجج مذهب الحق قبل ان يبين
فساد ما هو فيه فان ذلك لا ينجع فيه ولا يدعوه الى قبول الحق والتزامه ما يبين له قبح ما هو فيه وفساد ما اعتقده فاذا بان له ذلك
يحتاج الى ان يبين له عن سبيل الهدى فيه ليعرفه بالتعليم ثم الاضلال في الدنيا هي سبيل الاخرة والضلال سبيل يفضي عن سلكه الى العذاب
الدائم والهدى سبيل يفضي الى الثواب الدائم فالنذارة هي تبيين ما ينتهي اليه عاقبة من يلزم الضلال والبشارة هي تبيين ما اليه عاقبة
من يلزم الهدى وان شئت قلت ان النذارة هي ان يبين عسر ما يحل به في العاقبة والبشارة هي ان يبينه بما يصير اليه في العاقبة من اليسر
في قوله عز وجل ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم دلالة ان حجة الله ان يلزم الخلق قبل ان ياتيهم النذير فلا يعذرون بترك ذلك

العذاب بهم قبل ان يانيهم النذير فلا يجوزون بنزول العذاب بهم قبل ان ينذروا فلما حوقوا بنزول العذاب بهم قبل ان ياتيهم
النذير دل ان الحجة لازمة عليهم وان الله تعالى ان يعذبهم لتركهم التوحيد وان لم يرسل اليهم الرسل فيكون تاويل قوله عز وجل وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا على عذاب الاستيصال فى الدنيا ليس على عذاب الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم انى لكم نذير
مبين اى مبين بما يقع به الانذار والتخويف فيكون الاية منصرفة الى النذارة ويحتمل ان يكون هذا الوصف راجعا الى نفسه
خاصة كانه قال نذير لكم مبين اى انى لما قمت فى دعائى اياكم الى عبادة الله تعالى وانذاركم من عند نفسى ولكن بما اختصنى الله تعالى
وولانى ذلك ثم الاصل فى الانذار نهيا وفى النهى امر لكن الانذار يقتضى نهيا وكيدا والنهى يقتضى الامر بالخلاف امرا وكيدا واما
البشارة فهى تقتضى الامر الوكيد لانه يستوجب البشارة بكل خير يفعله وان كان المرء ترك ذلك الخير اخر يانى به فلا يلزمه بنفس
البشارة الامر الوكيد ويفهم بتصريح النذارة تاكد الوجهين اللذين ذكرناهما واذا كان كذلك فمطلق البشارة لا يدل على
تحقيق النذارة فهى يدل على البشارة لان النذارة على ما هو فى الفعل يلزم النهى واذا انتهى عنه فقد حصل الغرض وفى حصول
الغرض انتفاع ما خوف وذكر به وقوله عز وجل ان اعبدوا الله واتقوه فكانه قال اندرهم على عبادة غيره ودرهم بعبادة من
يستحق العبادة وهو الله تعالى الامر بالانذار يقتضى النهى عما عليه ويدعو الخلاف ويبين لهم الخلاف الذى دعوا اليه لقوله
عز وجل اعبدوا الله والعبودية وقيل اعبدوا الله اى وحدوه وقال لكل عبادة جرى بها الامر فى القران على الارسال فهى منصرفة الى التوحيد
فكان الذى حملهم على هذا التاويل هو ان الايات التى فيها امر بالعبادة نزلت فى اهل الكفر لانه خاطب بقوله عز وجل يا ايها
الناس اعبدوا ربكم ولم يخاطب بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اعبدوا ربكم واذا ثبت انها فى اهل الكفر والكافر اول ما يؤمر بالتوحيد
لم يقبل منه شىء من العبادات فجعلوا تاويل العبادة لهذا لان يكون العبادة عن التوحيد خاصة بل العبادة يراد بها التوحيد مع
اذا ذكرت عقيب الكفر واذا ذكرت فى اهل الايمان فالعبادة منهم ان يقوموا بمعاملة ما اعتقدوه بالقول وان يجزوا ما وعدوا
من انفسهم وهذا كما ذكرنا فى اقامة الصلاة وايتاء الزكوة انهما اذا ذكرتا فى اهل الكفر انصرف المراد من ذلك الى الاعتقاد لا الى
الفعل لانهم ليسوا من اهل الفعل واذا ذكرتا فى اهل الاسلام اريد بالاقامة الايتاء ايجاد الفعل لكن لك الحكم فى العبادة بقوله
اعبدوا الله اى وحدوه واتقوه اى اتقوا الاشراك فى عبادته واطيعون فيما امركم به من توحيد الله تعالى وان لا تشركوا به شيئا ويجوز
ان يكون قوله واتقوه اى اتقوا المهالك كلها والنفس النار كما قال الله عز وجل واتقوا النار كما قال الله عز وجل واتقوا النار التى اعدت
للكافرين وقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا واتقوا اذا ذكر على الانفراد مرسلا اقتضى الانتهاء عما فيه الهلاك واقتضى الامر بالعبادة
والطاعة والجمع بين العبادة والطاعة واجمع بين العبادة والتقوى كانت العبادة انصرفت الى اتيان الافعال وانصرف التقوى
الى اتقاء المهالك وهو كما قلنا فى البر والتقوى ان كل واحد منهما اذا ذكر منفردا اقتضى ما يقتضيه الاخر واذا جمعا فى الذكر صرف
احدهما الى جهة اخرى وكذلك الاسلام والايمان اذا افرد بذكر احدهما يكون بمعنى الاخر واذا جمعا فى الذكر صرف كل واحد منهما الى
حده الى جهة وقال الحسن فى قوله عز وجل واتقوه اى اتقوا الله فى حقه ان تضيعوه فهو يجمع ما يؤدى وما يتقى ثم الاصل ان
الطاعة قد يكون لمن سوى الله والعبادة لا يكون الا لله تعالى فلذلك قال عند الامر بالعبادة اعبدوا الله فاضافها الى الله
تعالى واضاف الطاعة الى نفسه بقوله واطيعون فيه دلالة انه ليس فى الطاعة لاحد اشراك بالله تعالى فى الطاعة بل الله
تعالى جعل الاشراك فى الطاعة بقوله فقد اطاع الله ودم من يعدل بالله تعالى فى العبادة بقوله وهم بربهم يعدلون فالعبادة
كانها يقتضى الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف والله تعالى هو الذى يرجى منه ويخاف من نقمته فاما الطاعة وقوله عز وجل
فهو يقتضى نفاذ الامر لا غير وعلى ذلك لما صرفت الكفرة الرجاء والخوف الى الاصنام بقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله سموا عباد الاصنام فكل من يفعل الفعل على الخوف والرجا فكذلك منه عبادة له
وقوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ان صرفت قوله اتقوه الى اتقاء الشرك يرجع قوله يغفر لكم ذنوبكم الى ما سلف من الذنوب
فى حالة الشرك كقوله عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان صرفته الى سائر وجوه المهالك رجع الى السالف والى
الانف جميعا وهو كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكون قوله من صلة على ما ذكره اهل التفسير ومعناه يغفر لكم
ذنوبكم ويجوز ان يكون قوله من على التخصيص ليس على حق الصلة لانه قد يكون من الذنوب ذنوب يؤاخذ بها بعد الاسلام وهى
التى يكون بينه وبين الخلق من القصاص وغيره فالماتم بالقتل وان زال عنه بالتوبة فان القصاص لا يرتفع عنه وقوله
عز وجل ويؤخركم الى اجل مسمى فيجوز ان يكون اولئك القوم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم
لنوح عليه السلام فيخرج قوله ويؤخركم الى اجل مسمى مخرج الامان لهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا اذ
يكون معناه انكم ان اسلمتم يتسع الى انقضاء اجالكم المسمى سالمين امنين لا يتهيا لعدوكم ان يكيدوكم وقوله عز وجل ان اجل الله اذا
جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون وقال فى موضع اخر فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويجوز ان يكون قوله لا
يستاخرون اى يتاخرون عن اجالهم ولا يؤخرون بما يطلبون من التاخير فيكون فى هذا ايا سهم انهم لا يؤخرون اذا طلبوا التاخير

قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين فاخبر جل جلاله ان الموت اذا اتاه طلب التاخير ليبدل ما طلب منه البدل قبل ذلك من التعبد [illegible]
بر فتقطع عنهم طمعهم بقوله ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وبقوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ان
اجل الله اذا جاء لا يؤخر وعن هذه الاية [illegible] على المعتزلة قولهم لانهم يقولون بان رجلا لو قتل [illegible] وقتل [illegible]
قبل انقضاء اجله والله تعالى يقول ولا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والاصل ان الله تعالى اذا علم انه يقتل [illegible]
يجعل انقضاء اجله بالقتل ليس بغيره [illegible] لا يجوز ان يجعل انقضاء اجله بموته حتف انفه [illegible]
ذلك لا [illegible] ادى ذلك الى الجهل وقوله عز وجل لو كنتم تعلمون اى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة
عند انقضاء اجالكم لكنتم تبدلون الحال [illegible] العذاب [illegible]
اجالهم العذاب [illegible] وقوله عز وجل قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا [illegible]
من نوح عليه السلام [illegible] انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن [illegible]
[illegible] الاسلام [illegible] فى ذلك وانما جاء [illegible]
والتعدى [illegible] والرحمة والتعرض لاستنزال اللين والرحمة [illegible]
تعالى بلطفه بان يلين قلوبهم فيهتدوا الى الحق ويرغبوا الى الاجابة ليتخلصوا من العذاب ويستوجبوا المغفرة [illegible]
[illegible] على احد هذين الوجهين [illegible] والرحمة وانه كان [illegible]
على [illegible] العذر [illegible] الدعاء [illegible] بلطفه فيهتدوا والحق اذ لا يجوز ان [illegible] انهم لا
يؤمنون وهو يطمع منهم ان يؤمنوا ثم قوله انى دعوت قومى ليلا ونهارا اى دعوت فى كل وقت ساعة من الليل والنهار امكننى
فيه الدعاء وقوله عز وجل فلم يزدهم دعائى الا فرارا واصل هذا ان عداوتهم كانت قد استبدت النوح عم وكان قد استثقلوا
وابغضوا كلامه فحدث لهم ببغضهم كلامه واستثقالهم اياه معنى حملهم على الفرار فنسب ذلك الى الدعاء لان حدوث ذلك
المعنى كان عند وجود الدعاء على معنى المجاوزة والقرب لا ان يكون الدعاء فى الحقيقة سببا لزيادة الفرار وهو كقوله
تعالى واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والقران لم يجعل سببا لزيادة الرجس ولكنهم لما اخذوا
بغضا وعنادا لما عليهم القران فحدث لهم معنى حملهم على ذلك الوجه فاضيفت تلك الزيادة الى القران اذ عند ذلك
حدث ذلك السبب الزايد فى الرجس فنسب اليه على معنى المجاوزة وقال الله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى
وهم لم يكونوا منسيين بل كانوا مذكرين يذكرونهم مرة بعد مرة لكن بغضهم اياهم واتخاذهم سخريا اوقع لهم السيئات
فنسب اليهم الانساء فعلى ذلك لما ابغضوا واستثقلوا كلامه ودعاءه احدث لهم ذلك البغض زيادة نفار وجحود
ثم سبب النفار الى الدعاء الوجه الذى ذكرنا الا ان يكون الدعاء فى الحقيقة منفرا وقوله عز وجل وانى كلما دعوتهم
لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم وقال فى موضع اخر الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود الى قوله فردوا ايديهم فى افواههم فيجوز ان يكون هذه الاية فيما يدعون رؤساءهم واشرافهم والاجلة منهم فاذا
دعاهم ردوا ايديهم فى افواه الانبياء عليهم السلام وضربوهم على ما ذكر فى الاخبار واما الاتباع منهم والمقلدون لهم
كانوا يجعلون اصابعهم فى اذانهم ويغطوا وجوههم ورؤوسهم كى لا يسمعوا كلامه فيقع شىء منها فى قلوبهم
لما حذرهم رؤساؤهم عن ذلك ويكون هذا فى طايفة منهم وهذا فى طايفة اذ كان ليس من قوم واقبل على اخرين فاختلفت
معاملتهم معه على ما كان من امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم هذا يحتمل وجهين احدهما على التحقيق ما ذكر لبوسهم
من الاجابة والثانى فجايز ان يكون على التمثيل فضرب مثلهم فى تركهم الاجابة مثل من جعل اصبعه فى اذنيه واستغشى
ثيابه لئلا يسمع ولا يجيب وكقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم ولم يوجد منهم نبذ ولكنهم اعرضوا عنه اعراض
من ينبذ وراء ظهره وكذلك فى قوله عز وجل فردوا ايديهم فى افواههم على التمثيل وهو انهم تركوا الاجابة الى ما دعوا
اليه ترك الاجابة من الذى يرد يده فى فيه لئلا يتكلم والله اعلم وقوله عز وجل واصروا اى داموا على ما هم عليه وثبتوا
على كفرهم وقال قتادة واصروا اى صاحوا فى وجوه الانبياء عليهم السلام ردا عليهم او مغالبة فى الدعاء كقوله والغوا فيه
لعلكم تغلبون وقوله عز وجل واستكبروا استكبارا اى استكبروا عن طاعة الله تعالى وامتنعوا عن الاجابة لرسوله عليه السلام وقوله عز وجل انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ففى هذا اخبار انه دعاهم
الى عبادة الله تعالى فى كل وقت تهيا له من ليل او نهار ولم يقصر فيها فى كل وقت رجاء الاجابة منهم ويحتمل
انى دعوتهم جهارا اى اذا بعدوا منى واذا دنوا وكثروا والله عالم جهارا ليعمهم الدعوة وقوله عز وجل واسررت لهم
اسرارا اذا قربوا منه وقلوا فلما اذخلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم اعلن فى الدعاء ثم جاز ان يكون

الجهر والاسرار مشعر فالى الدعوة ويكون الاعلان اغلاظا بالحجج واظهار البينات والى هذا يذهب ابو بكر الاصم و
قوله عز وجل فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فالاستغفار وصلته المغفرة بما ذكر من قوله عز وجل اعبدوا الله واتقوه واطيعون
فيكون هذا منه امرا لهم باتيان الايمان الذي هو سبب المغفرة لا امر بسؤال المغفرة نفسه من الله تعالى اذ استغفار كل قوم يرجع
الى احوالهم فان كانوا كفرة فهو ايمان بالله تعالى وان كانوا اصحاب ذنوب فالتوبة الى الله عز وجل وان كانوا مخلصين فاستغفار
من ذنوبهم مما يفعلونه ونحو ذلك وقوله عز وجل يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات و
يجعل لكم انهارا فيحتمل انما قال هذا لانهم كانوا في شدة عيش وضيق حال فوعدهم انهم ان انتهوا عن الكفر واجابوا الى ما يدعوهم
اليه غفر الله لهم ذنوبهم وارسل السماء عليهم مدرارا فيتوسعوا به على ما قال به بعض اهل التاويل ان الله تعالى قد حبس
عنهم المطر وعقمت ارحام نسائهم وهلكت مواشيهم وجناتهم لتمام اربعين سنة ثم اهلكوا بعد ذلك وكانوا كلهم كفارا
ليس فيهم صغير فلذلك كان نوح عليه السلام يعدهم ومن الناس من يترك الايمان خشية هذا فاخبر عز وجل ان الذي هم فيه
من رغد العيش لا ينقطع عنهم بالاسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدرارا متتابعا ويمددهم باموال وبنين معا و
يجعل لهم من الجنات والانهار وكذا ذوو الالباب والعقلاء ينظر الى حسن العاقبة وما اليه مودة دون الحال من الذي هم
فيه ولذلك اختلفت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه منهم من يسره بكثرة امواله وبنيه ومنهم من رغبه في الاخرة بذلك
ليخرجوا هو خير مما يجمعون وقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم الاية ونظير الاول كقوله عز وجل ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض والاصل ان الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين منذرين واعظين
زاجرين محتجين ممتحنين فالبشارة عليهم من انباء الاولين دخل فيهم جميع الاوجه الثلاثة اذ النذارة والبشارة مرة
تقع بالابتداء ومرة تذكر ما نزل بالمتقدمين المصدقين منهم والمكذبين انه كيف كان عواقب هولاء وهولاء وكذلك
الدعاء والحجة يكون مرة بابتداء الدعاء والزجر وبذكر الامم السالفة وان الرسل كيف كانوا ايسعونهم ثانيا والله اعلم و
قوله عز وجل ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال ابو بكر الاصم تاويله كيف لا يرجون لله ثوابا فيعبدوه فيثيبكم بها وقد علمتم
ان الخير كله في يده وان الذي يعبدونه من دون الله لا يملكون لكم نفعا ولا يدفعون عنكم ضرا فجعل قوله وقارا مكان
عبادة والله اعلم وقال غيره ما لكم لا ترجوا لانفسكم عند الله منزلة وشرفا وقدرا وقال بعضهم اي ما لكم لا تخافون عظمة
الله وقدرته عليكم فتنتهون عما نهاكم وتاتون ما امركم به وحمل الرجاء على الخوف لما قد ذكرنا ان الرجا المطلق يقتضي الخوف
والرجا جميعا وكذلك الخوف المطلق يقتضي رجاء والله اعلم والاشبه بالتاويل عندنا ان الرجاء لله تعالى على مال الغضب
لله والحب لله والبغض لله اي ما لكم لا تسعون سعي من يرجو ما عند الله على الوقار والهيبة بعد ان شاهدتم من نعم الله تعالى
واحسانه اليكم من خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر من منته في الايات التي يتلوها وذلك ان الرجاء اذا
سوى الخوف على غير رجاء او لو رجا احدا استحقره فالمفهوم نوح عليه السلام سعى من يرجو من التوقير والهيبة على ما عليه
فالشاهد ان الناس في الملوك والكبراء على الرجا فكيف يكون منهم من توقيرهم اياهم وهيبتهم عنهم وقد اجلهم وقوله عز وجل
وقد خلقكم اطوارا فمن جعل قوله لا يرجون لله وقارا على حقيقة الرجا فتاويله كيف لا يرجون قدر كرمه لذا
عز وجل الى ان الحين الى ما ذكر من خلقه اياهم اطوارا وذكر لهم حسن صنيعه بهم فيما قلبهم من حال الى حال
منوال ذلك الساهم الحالم النعم فيما كيف لا ترجون احسانه في حادث الاوقات اذا اجلوا على طاعته واشتغلوا بعبادته
وان كان قوله عز وجل لا ترجون لله وقارا على الخوف فيما ذكر من قوله عز وجل وقد خلقكم اطوارا تذكير العظمة والسلطان
والقدرة وهوانه بمريكر في تلك الطبقات الثلاث والاحوال من حال الى حال كيف شاء فكيف يخفى
عليه امثالكم فلا يعاقبكم في خلال ما يجري ولا يظهر لكم فيكون في ذكر هذا تنبيه ان الله تعالى لا يخفى شي من افعال الخلق فيدعوا
ذلك الى المراقبة ويلزم التيقظ والتبصر في كل حال لما لا يتعدى حدوده ولا يضيع حقوقه
حملت التاويل على الرجا كان فيه تذكير عظيم نعمه عليهم من الادلة الى الوقت الذي انتهوا اليه فيحمل هو ذلك على طلب المزيد
تدور عموم الله تعالى وصد عاقبته وان حمله على الخوف كان فيه تذكير القدرة والسلطان فيحملهم على المراقبة والانتباه
في حادث الاوقات ومن حمل قوله عز وجل وقارا على العبادة فهو يخرج على غير الوجهين الذين ذكرنا في الخوف والرجا اذا
صرف اليهما التاويل كانه يقول ان الذي خلقكم اطوارا قد فطركم بحكمته ومن هو حكيم لا يسمعه ويتركهم سدى لا يامركم ولا
ينهاكم ولا يستادى منكم شكر النعم منه فيكون في ذكر هذا ترغيب في العبادة واخلاص الطاعة ويكون في ذكر هذا الينا
تثبيت الربوبية والتاويل بالوحدانية لانه انشاهم نطفة ثم علقة ثم مضغة الى ان خلقهم بشرا سويا ثابتا ولو لم يكن
المدبر والمنشي واحدا لكان يعجز عن تقليبه من حال الى حال لانه اذا اراد ان ينشي من النطفة علقة ومن العلقة مضغة كان
الاخر ان يمنعه من تدبيره فلما جرى تدبيرها على ما انشا علقة ولا مضغة دل وانتفاع المانع دليل على ان يدبره سواه ولا انقاد له غيره انا

ثبت انفراده بما ذكرنا كتبان انه هو المستحق للعبادة من الخلايق وقال بعضهم معنى قوله وقد خلقكم اطوارا اي مختلف الاخلاق
والصور والالوان والالفاظ والاصوات والنغم حتى لا يرى احدا نشبيه اخر جميع خلقته وهذا من عظيم ما يستدل به على قدرته
وحكمته والله الموفق وقوله عز وجل الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا فقد ذكرنا ان قوله الم تروا يقتضي امرا عرفوه فاغفلوا
عنه فقد يقتضي تذكيرا بحجة لم يسبق من الخلايق العلم بها يقول قد دل انه خلق سبع سموات طباقا بغير علايق فوقها ولا اعمد
تحتها ومن قدر على خلق مثله لقادر على خلق كل ما يريد فيكون فيه ايجاب القول بالبعث واعادتهم ليس باعوز من خلق السموات
في تقدير عقولكم ومن قدر على خلقهن لقادر على البعث والله الموفق وقوله عز وجل وجعل القمر فيهن نورا ثم من تذكر انه جعله
نورا في السماء الدنيا واضافه الى جملة السموات وقد يجوز اضافة الشيء الى العدد وان لم يوجد ذلك الا في البعض
يقال في سبع قبايل مسجد واحد والمسجد اذا كان واحدا فهو لا يكون في سبع قبايل وانما يكون في قبيلة واحدة ويقال
فلان يواري في دور قوم وهو لا يكون متواريا في دور جملتهم وانما يكون متواريا في واحد منهن ثم اضيف التواري الى الجملة
فكذلك اضاف نور القمر الى السموات السبع وان كان القمر في سماء واحدة ومنهم من ذكر ان نور القمر قد اختلط بجميع
السموات وزعم ان وجهه الى السموات وظهره الى اهل الارض وهذا ما يحيل علينا النواظر من السحاب وضوء فاما نور وجهه
فانه لا يستتر شيء من السموات لكن هذا انما يعرف بالخبر فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر تدل ذلك هو والا فالامساك عن مثله
احق وقوله عز وجل وجعل الشمس سراجا فذكر السراج هاهنا مكان الضوء في موضع اخر وهو قوله عز وجل وجعل الشمس ضياء
فذكر في القمر النور وفي الشمس الضياء لان القمر يكون في وقت الحاجة الى النور وذلك في ظلمة الليل ثم انزل الله تعالى انشا الليل
ليسكن فيه لكن قد يبقى والخلايق بالليل حوايج يحتاجون الى قضائها فمن الله تعالى عليهم بنور القمر يتوصلوا بنوره الى قضا
حوايجهم وجعل الشمس ضياء لتختطف ضوءها نور الليل ويغلب عليه ولا يختطف نور النهار نور الشمس والله اعلم وقوله
عز وجل والله انبتكم من الارض نباتا فجايز ان يكون اضاف الانبات الى الارض ويرد ذلك الى الاصل الذي خلق من التراب وهو
منه لا ان يكون خلق الجملة من التراب وهو كقوله عز وجل وفي السماء رزقكم والذي لنا في السماء هو المطر الذي يرزق به وكني
الذي يرزق به باصله المطر فنسب الى المطر لانه هو الاصل الذي يتوصل به الى الارزاق فكذلك الخلايق لما كانوا من نسل آدم عليه
السلام وكان هو اصلهم اضيف النسل الى الذي حدث منه الاصل ويحتمل ان يكون يرجع هذا الى كل في نفسه وذلك لان نشوء
الابدان وقوامها بما ينبت منها فكانما انبتنا منها فاستقام ان يضاف الانبات اليها كما يستقيم ان يضاف خروج الثمار الى
الارضين وان كان حدوثها من الاشجار اذ قوام الاشجار وبقاؤها بها فنسب ما يخرج منها الى الارض على التقريب الذي ذكرنا ففي
قوله والله انبتكم من الارض نباتا على التاويل الاول الاثبات على البعث والزام الحجة على من يجحد كونه لانه يذكرهم قدرته انه انشاهم
من الارض ولم يكونوا شيئا فمن قدر على انشائهم من الارض بعد ان كانوا ترابا لقادر على ان يعيدهم الى الحالة كانوا عليها من كونهم
بشرا سويا وان صاروا عظاما ورفاتا لانهم كانوا يزعمون انه كيف يعادوا خلقا جديدا بعد ان صاروا ترابا فاحتج عليهم
بامر الابتداء من الوجه الذي ذكرنا وان كان على التاويل الثاني ففيه تذكير نعمه انه قد اخرج لهم من الارض ما يعيشون به ويتربون
به ادهم اولبنا ذلك منهم الشكر وفيه تذكير قوته وسلطانه ليخافوا عقابه فيتقوا سخطه ويطلبوا مرضاته وقوله عز وجل
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا فجمع بين الاعادة والاخراج بحرف الجمع وجعل قوله عز وجل ويخرجكم في موضع ثم لان هذا
الاخراج يكون بعد الاعادة الى الارض فيكون في هذا دليل ان احد الحرفين وهو الواو قد يستعمل مكان ثم وقوله عز وجل والله
جعل لكم الارض بساطا اي جعلها كالشيء المبسوط الذي ينتفع ببسطه ولو لم يجعلها كذلك لم يتصلوا الى حوايجهم ولا
الانتفاع بها ففي ذكر هذا تذكر ما لله تعالى عليهم من عظيم المنة وقوله عز وجل لتسلكوا منها سبلا فجاجا قيل الفجاج هي الطرق
الواسعة وقيل السبل في السهل والفجاج الطرق في الجبال وهذا ايضا من عظيم نعم الله تعالى على عباده لان الله تعالى قد رد ارزاق
الخلايق في البلاد فلو لم يجعل لهم في الارض سبلا لم يجدوا طريقا يسلكونه فيتوصلون به الى ما به قوام ابدانهم فقد ذرت الطرق المتخذة
للاسالك فيها فيصل الى حوايجنا والى معايشنا كالدواب التي سخرت لنا فنتوصل بها الى حوايجنا وهذا يبين ان الله سلك تدبير
الارض وتدبيرها يرجع الى الواحد القهار لانه اخرج الخلق في الانتساب الى البلاد لاقامة اودهم وجعل لهم سببا يتوصلون الى
ذلك فثبت ان مالك الاقطار الارض وتدبيرها يرجع الى الواحد القهار لانه اخرج الخلق في الانتساب الى البلاد لاقامة اودهم
وجعل لهم سببا يتوصلون الى ذلك فثبت ان مالك الاقطار واحد وقوله عز وجل قال نوح رب انهم عصوني اي عصوني فيما
امرتهم به وفيما دعوتهم اليه وقوله عز وجل واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يشبه ان يكون المتبوعون هم الذين كثرت
اموالهم وحواشيهم استتبعوا دونهم وفيتبعوهم ولم يتبعوا نوحا عليه السلام وقد كان نوح يدعوهم الى الاتباع فاخبر انهم لم يتبعوه
وانما اتبعوا من كثرت امواله واولاده وحواشيه فيكون هذه الاية في الاتباع انهم اتبعوا اجلتهم ورؤساءهم وتقدم من الايات
فاجلتهم من دعاء نوح عليه السلام اياهم الى التوحيد وغيره ويحتمل ان يكون هذه الاية في الاجلة والضعفة جميعا فيكون قوله

تعالى واتبعوا اى اتبعوا من تقدمهم من اهل الثروة والغنا والذين وسعت عليهم الدنيا وبسطت لهم فظنوا منهم انهم احق بالله
تعالى واقرب اليه فى المنزلة والذى حملهم على هذا هو انهم لا يرون احدا فى الشاهد يترك صلة وليه ويصل عدوه فيرون
انه انما بسطت على رؤسائهم ووسع الله تعالى عليهم وضيق على هولاء لان اولئك اقرب منزلة واعلى حالا وانهم الاولياء وهم
لا يومنون بالاخرة وثوابها فكانوا يزعمون انه يوم الجزاء على الاولياء والمحسنين فى الدنيا وعوا ان من وسع عليه الدنيا فهو احق
ان يكون وليا لله تعالى حيث وصل اليه الجزاء فيها فهذا الظن هو الذى حملهم على الاتباع عز وجل لا اخسارا اى بورا وهلاكا
لذلك المتبوع فكانت تلك النعم التى ظنوا انهم اكرموا بها بصنيعهم سببا لخسارهم ثم وقوله عز وجل واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا كقوله فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا ثم قد بينا تاويل شكاية الى الله تعالى
من قومه هذه الاية وتلك الايات فى سورة نوح وقيل الشكاية الى الله تعالى واحد وقوله عز وجل ومكروا مكرا كبارا قال بعضهم
انهم كانوا يمكرون ما يمكرون بالسنتهم حيث كانوا يدعونهم الى الكفر والصد عن سبيل فكنى بالمكر عما قالوه بالسنتهم فكان
ذلك مكرا كبارا اى قولا عظيما وجائزا ان يكون على حقيقة المكر وهو ان رؤساءهم مكروا باتباعهم حيث قالوا ان هولاء
لو كانوا احق بالله تعالى منا لكانوا هم الذين يوسع عليهم ويضيق علينا فاذ وسع علينا وضيق عليهم ثبت انا نحن الاولياء و
الاصفياء دون غيرنا وهذا منهم مكر عظيم لانه ياخذ قلوبا ولذلك فيصدهم عن سبيل الله تعالى وجائز ان يكون مكرهم
ما ذكر انهم كانوا ياتون باولادهم الصغار الى نوح عليه السلام ويقولون لهم اياك واتباع هذا فانه ضال يضل فكان هذا مكرهم
باصاغرهم وقوله عز وجل وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية هذه المقالة منهم كانت بعد ان قادت
لهم الاتباع واتبعتهم الى ما دعوهم اليه من الاصنام فقالوا بعد ذلك لا تذرن الهتكم اى لا تذرن عبادتها وقوله عز وجل
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق هى اسماء الاصنام التى كانوا يعبدونها ثم يحتمل ان يكون الذى بعثهم
على عبادة الاصنام ما ذكره اهل التفسير ان قوم نوح اتخذوا هذه الاصنام اول ما اتخذوها على صورة رجال عباد
كانت هذه الاسماء اسماءهم فسموا الاصنام باسماء العباد لتعتبروا بها ويجتهدوا فى العبادة اذا نظروا اليها فلما مضى
ذلك القرن الذى اتخذوها عبرة وخلفهم قرن بعدهم قال لهم الشيطان ان الذين من قبلكم كانوا يعبدون هذه الاصنام
فعبدوها ومنهم من ذكر ان جسد آدم عليه السلام كان عند نوح عليه السلام يترك كل مومن فى زمانه ان يدخل فينظر الى
جسد آدم عليه السلام ومن لم يكن مومنا لم يدعه الى ينظر اليه فجاء ابليس الى الكفار فقال ايفخر نوح ومن امن به عليكم
بجسد آدم وانتم كلكم ولده فتصنع لكل قوم صنما على صورة آدم فكانوا يعبدون تلك الصورة ويحتمل ان يكون الذى
بعثهم على ذلك هو انهم لم يروا انفسهم يصلح لعبادة رب العالمين كما يرى هولاء الذين يخدمون الاجلة فى الشاهد لا يطمع
كل واحد منهم فى خدمة الملوك ولا يرى نفسه اهلا لخدمتهم بل يشتغل بخدمة من دونه اولا على رجاء ان يقربه الى الملك
فلذلك هولاء حسبوا انهم لا يصلحون لخدمة رب العالمين فكانوا اذا ارادوا شيئا حسنا كانوا يظنون ان حسنة لمنزلة له
عند الله تعالى لا غير فكانوا يقبلون على عبادته رجاء ان يقربهم الى الله تعالى فجعلوا الاصنام على احسن ما قدروا عليه
ثم اشتغلوا بخدمتها وعبادتها رجاء ان يقربهم الى الله تعالى كما قال عز وجل حكاية عنهم والذين اتخذوا من دونه اولياء
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله فجائز ان يكون هذا الحسبان هو الذى حملهم
على عبادتها وتعظيم شانها والله اعلم اى ذلك كان وقوله عز وجل وقد اضلوا كثيرا فجائز ان يكون اريد به الكبراء انهم
اضلوا كثيرا اى دعوا الى الضلال وزينوه فى قلوبهم ما ضلوا باستهزائهم بذلك وجائز ان يكون اريد بهم الاصنام ولكن
حقه ان كان على الاصنام ان يقول وقد اضللن كثيرا كما قال ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولكن
الاضلال من فعل المستحقين والاصنام ليست لها افعال فلما نسب اليها نسبة من يوجد منه الفعل اخرج الخطاب على الوزن
الذى يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل وهو كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها فاضاف الى القرية فعل اهلها
والفعل اذا اضيف الى الاهل اضيف بلفظ التذكير ثم انث هاهنا الاضافة فعل الاهل الى القرية ولو كانت القرية بحيث
يكون منها الفعل لكان الخطاب يرفع عنها بلفظ التانيث لا بلفظ التذكير فحيث اضيف اليها فعل اهلها انث كما يوجب
لو كان الفعل متحققا منها ثم الاصنام لا يتحقق منها الاضلال ولكن بمعنى الاصنام فى ههنا هو انها ان شيت على هيئة لو كانت
تلك الهيئة ممن يضل لاضل وهو كما قلنا فى تاويله قوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا وقوله عز وجل ولا تزد الظالمين الا ضلالا
فهذا يشبه ان يكون بعد ما بين له انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاذا علم انهم لا يومنون لم يرض حالهم بالهدى ولكن دعا
الله تعالى ليزيد فى ضلالهم ويكون الاضلال عبارة عن الهلاك والضلال الهلاك قال الله تعالى وقالوا اذا ضللنا فى الارض
اى هلكنا وقوله عز وجل مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا الحرف ما هاهنا صلة فى الكلام ومعناه بخطيئاتهم ومن خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا فى الاخرة اذا عرفت ابدانهم واجسادهم وردت ذواتهم الى النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا

اى لا يجدوا

اى لا يجدوا لانفسهم بعبادتهم من عبدوا من دون الله ليقربهم الى الله فيكونوا لهم شفعاء وعز فلم يجدوا الامر على
ما قدروه عند انفسهم وقوله عز وجل وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قيل ديارا ويلا لا تذر على
الارض من الكافرين دارا واذا لم يبق منهم ساكن دار فقد فنوا جميعا فهلكوا فكانه يقول لا تذر منهم احدا وقوله
عز وجل انك ان تذرهم يضلوا عبادك هذا كلام وشنيع فى الظاهر من نوح عليه السلام لانه خارج مخرج الاتكال
على الله تعالى لو تركهم وهذا يشبه بقول من قال اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وهذا ايضا خارج مخرج التكبر
لله تعالى انه لو ابقاهم ادى ذلك الى اضلال العباد وفيه تقدم بين يدى الله تعالى وذلك عظيم ولانه ليس فى شرط الاولياء
الهلاك من علة الاضلال الا ترى ان ابليس اللعين واتباعه جل سعيه فى الضلال ثم ادم ثم لم يستاصلوا ولم يهلكوا
بل ابقوا الى الوقت المعلوم ولكنه يجوز ان يكون دعاء عليهم بعد ان اذن له بالدعاء عليهم بالهلاك والبوار فيكون
الدعاء بالهلاك على تقدم الادب والاصل ان الرسل عليهم السلام بعثوا الدعاء الخلق الى الاسلام وكانوا فى دعائهم
داعين للاسلام منهم خائفين عليهم ان يدوموا على الكفر فيما قيل لنوح عليه السلام انه لن يومن من قومك الا من قد
امن وقع له الاياس عن اسلام من تخلف عن الايمان فارتفع معنى الدعاء الى الاسلام فجائز ان يرد له الاذن بعد ذلك
بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعوا ذلك ثم يكون قوله انك ان تذرهم يضلوا عبادك خارجا مخرج الاشفاق والرحمة على من
معه من المومنين وخاف ان الذين داموا على الكفر لو بقوا احيف على الكفر ان يضلوا المومنين ويغيروهم الى ملتهم فيكون
شفقته على المسلمين داعية له الى الدعاء على الهلاك على الكفر لئلا يتوصلوا الى الاضلال وقوله عز وجل ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اى وقت بلوغهم المحنة والابتلاء فحينئذ يوجد منهم الفجور لانه يلدوا الفجار الكفار او لا صنيع لهم فى ذلك
الوقت وهو كقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه لوقت بلوغه المحنة والابتلاء لان يبتلى
وقت ما نشاء وفى هذه الاية دلالة ان الكفر قد يقع عليه اسم الفجور ولانه لو خرج قوله كفارا مخرج التفسير لقوله فاجرا
استقام ان يحمل ما قيل قوله تعالى وان الفجار لفى جحيم على الكفرة وقوله عز وجل رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مومنا
هكذا الواجب على المرء فى الدعاء والاستغفار ان يبدأ بنفسه ثم بوالديه ثم بالمومنين ثم قوله فى بيتى قال بعضهم اى
فى سفينتى وقال بعضهم فى بيتى اى فى دينى فيكون البيت كناية عن الدين وقال بعضهم انما هو بيته الذى يسكن فيه لما
اطلعه الله تعالى ان من دخل بيته مومنا لا يعود الى الكفر قال الشيخ رحمه الله ثم ان ادعى الامور للمومنين فى الاخرة دعاء
الانبياء والملائكة عليهم السلام فى الدنيا لانهم انما يدعون بعد الاذن لهم بالدعاء ولا يحتمل ان ياذن الله تعالى لهم بالدعاء
ثم لا يجيب دعوتهم وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان نوحا عليه السلام دعا بدعوتين احديهما للمومنين بالمغفرة
والتوبة والثانية على الكفار بالبوار والفساد وقد اجيبت دعوته فيما دعا على الكفرة فلا يجوز ان يجاب فى شر الدعوتين
ثم لا يجيب فى خير الدعوتين وقوله عز وجل ولا تزد الظالمين الا تبارا اى كسرا وهلاكا وخسارا فانه مشتق من التبر وكل
مكسور يقال له تبر فكانه يقول اكسر شوكة الظالمين وشوكتهم فان كان النا ويل هذا فهو يقع على جميع الظلمة من كان
فى وقته ومن بعده وقيل التبار الهلاك فان كان هذا معناه فهو على ظالمى زمانه اذ لا يجوز للانبياء عليهم السلام ان
يدعوا على قوم الا ان يوذن لهم بالدعاء عليهم واتاه الاذن فى حق قومه خاصا فى حق غيرهم يثبت فلا يجوز القول
فيه الا بما ثبت الخبر به عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن اختلف فى السبب الذى كان به مجى الجن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمنهم من ذكر ان ابليس صعد الى السماء فوجدها قد ملئت حرسا شديدا وشهبا فتيقن ان قد حدث فى الارض حادث
ففرق جنوده ليعلم علم ذلك ومنهم من يقول بان الاصنام حرت لوجهها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ابليس
انه حدث فى الارض خبر حادث حتى حرت له الاصنام ففرق جنوده ليصل الى علم ذلك ثم من الناس من يزعم ان قصة
هذه السورة وقصة قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران واحدة وقال بعضهم بان هولاء النفر الذين
ذكروا فى هذه السورة الاحقاف كانوا من اليهود والجن ليلة انه قال فى هذه السورة فيما حكى عن الجن وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن
يبعث الله احدا واليهود يقرون بالبعث ولا ينكرونه فثبت انهم كانوا من جنس المشركين وقال فى سورة الاحقاف قالوا يا
قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فثبت انه قد كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول الله
موسى صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين واليهود هم الذين يومنون بكتاب موسى لا غيره ثم فيما حكى الله تعالى عن الجن من نص
هذا الكتاب واشتماعهم ما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوائد احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن

والانس حتى صرف الجن الى الاستماع اليه وفيه انهم لما اخذوا القران لسانه قالوا فيما بين القوم بانذارهم واعانوا في التبليغ
على ما اخبر عز وجل فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين وفيه ان اولئك النفر تسارعوا الى الاجابة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسارعا بين اظهرهم لانهم عرفوا رسول الله فيما بينهم بالصيانة والعدالة ولم يقفوا منه على كذب قط وحق من يعرف بالصدق
ان لم يصدق ان لا يسارع الى تكذيبه فيما ياتي من الانباء بل يتوقف في حاله الى ان يتبين منه ما يظهر كذبه وقومه استقبلوه
بالتكذيب ولم يعاملوا معاملة من كان معروفا بالصدق والصيانة والجن الذين صدقوه لم يكونوا عارفين باحواله فيما قبل
انه صدوق ام ممن يرتاب في خبره ثم تسارعوا الى تصديقه بما لاحت لهم الحجة وثبت انه نبي الرسالة وعاملوا معه معاملة
من عرف بالصدق فدل انهم كانوا في غاية من السفه وفيه ايضا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم لان قوله تعالى فقالوا انا
سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد الى اخر القصة فيما بينهم اخبار عن علم الغيب فثبت انه بالله تعالى علم ثم يجوز ان يكون الذي
حملهم على الايمان بما عرفوا انه اتى بالمعجز الذي يعجز الخلق عن اتيان مثله وعاينوا احكامه وغاية حسن تاليفه ونظمه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم حتى اوحى اليه انه قد اتاه نفر من الجن واستمعوا الى ما اوحي اليه فيكون فيه
دلالة على قول فساد الباطنية حيث يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بالجسد الروحاني لانه لو كان كما يزعمون
لرأى الجن عند ما حضروا اليه ان الجسد الروحاني مما يبصر الجن ولم يكن يوحى اليه فيعرف ان قد حضره نفر من الجن وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه الصلاة والسلام ان يريه على صورته فقال له جبريل انك لا تطيقه
لان الارض لا يسعني ولكن انظر الى افق السماء ولو كان ياخذ الوحي بالجسد الروحاني لكان قد راى جبريل عم على صورته
فيبطل فايدة هذا السوال فثبت ان الامر ليس كما زعموا بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وانه كما وصفه الله تعالى
بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية وقال القتيبي النفر ما بين الثلاثة الى التسع وقوله عز وجل انا سمعنا قرانا
عجبا قال بعضهم العجب الغريب وانما استغربوا ذلك منه لانهم سمعوا من امي لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتب ومنهم
من قال بان حسن تاليفه ونظمه ووصفه هو الذي حملهم على التعجب ومنهم من قال انما تعجبوا من اياته وحججه لانه جاء
في تثبيت التوحيد واثبات الرسالة واثبات البعث ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا اهل شرك ولم يكونوا اهل يعرفون
بالبعث والرسالة فكانت الايات عجيبة حيث قررت عندهم هذه الاوجه والله اعلم ثم في هذه وفي قوله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن اخبار انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يشعر بمجيئهم وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه لما تلا على صحابه سورة الرحمن قال لاصحابه ان الجن كانوا احسن اجابة منكم اني تلوت عليهم هذه السورة
فكانوا يقولون ما شيء من الائك ربنا نكذب فلك الحمد ففي هذا الخبر دلالة انه قد راهم وشعر بمجيئهم فيكون فيه اثبات الوجهين
جميعا انه قد شعر مرة ولم يشعر اخرى ثم يجوز ان يكون راهم بما قوى عز وجل بصره حتى احتمل رؤية الجن وضعف ابصارنا ويمنع عن
رؤيتهم الا ترى ان اهل الجنة دون الملائكة عند ما ياتيهم بالتحف من ربهم فيقوي الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا الملائكة
بجوهرهم وان ضعف ابصارهم عن الرؤية في الدنيا فلذلك يجوز ان يكون الله قوى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى راى الجن
على صورتهم وجايز ان يكون الله تعالى صور الجن على صورة الانس حتى راهم وشعر بمجيئهم والله اعلم ثم ما ذكرنا من السبب في
امر مجيء الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول السورة من قول اهل التاويل لا يقطع القول بذلك وان كان في حد الامكان
والجواز لانهم تكلفوا استخراج ذلك بالتدبر والاجتهاد وما كان سبيل معرفته الاجتهاد لم يجز ان يقطع القول فيه بالشهادة وقد
يجوز ان يكون الذي حملهم على المجيء غير ذينك الوجهين وهو ان يكون النفر من منذري الجن لانه ذكر ان منهم نذيرا وان الرسل من
الانس دون الجن فتفرقوا على رجاء ان يظفروا برسول فيتلقفوا منه ما يقوموا به بالنذارة فيما بين قومهم اذ كانوا يصعدون
الى السماء فيسمعون الاخبار وتنذر قومهم بها ثم انقطع علم ذلك عنهم حيث لم يجدوا مسلكا الى الصعود لانها قد ملئت
حرسا وعلموا ان الله عز وجل لا يبقيهم حيارى ويقطع عنهم وجه المعرفة فتفرقوا في الارض رجاء ان يظفروا بمن يزيل عنهم الشبه
ويوضح لهم الحجج والبراهين فوصلوا الى مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم او يجوز ان يكون عندهم ان لا احد في الارض
من جني او انسي يكذب على الله كذبا فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على انفسهم ان يبتلوا بها وان يشتبه عليهم الصراط السوي
فتفرقوا في الارض على رجاء ان يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المثلى حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكونوا
لما صعدوا الى السماء فراوها ملئت من الحرس والشهب ايقنوا ان ذلك لحادث حدث وخافوا حلول نقمة باهل الارض فتفرقوا
في البلاد ولعلهم يصلون الى علم ذلك ثم الذي يحقق كون هذا الخبر وهو ان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في حق الكفرة
انقطاع الكهنة بعد ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا لكانوا لا ينقطعون لان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فياتون
الكهنة بما يسمعون من الاخبار ويلقونها اليهم فيضلوا بها الخلق فلو لم يمنعوا عن السماء لكانوا لا ينقطعون ومن ادعى كهانة
اليوم فلا يجد عنده خبرا صادقا سوى ما تلقفوه من السن الرسل عليهم السلام وكان امر الشهاب امرا ظاهرا عرفته الكفرة فيما

بينهم

بينهم فكانت هذه حجة سماوية لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة عند الكفرة ورسالته اذ لم يوجد احد منهم يكون له الشهاب
قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدقه في مقالته والله المستعان وقوله عز وجل يهدي
الى الرشد فامنا به [illegible] على ما ذكرنا في قوله عز وجل يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقوله
عز وجل ولن نشرك بربنا احدا قال ابو بكر الاصم انهم كانوا مشركين [illegible] واستمعوا القران [illegible]
لن نشرك بربنا احدا [illegible]
[illegible] من الشرك [illegible]
[illegible] سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقوله عز وجل وانه تعالى جد ربنا اختلف في تاويل الجد
[illegible] ان هذه الكلمة يتكلم بها فيمن يظفر بكل ما يريد [illegible] ان ربنا
هو الظافر بكل ما يريد [illegible] ولا ينفع ذا الجد منك الجد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الكسب والفعل والخلق فمن الوجه الذي يضاف الى الله تعالى لا يجوز ان يضاف من ذلك الوجه الى الخلق عندنا فلا يقع في الخلق تشابه
لانه لا يتحقق من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق من الله تعالى الا ترى انه يضاف الملك الى الله تعالى والى الخلق ثم لا يقع في ذلك اشتراك
لانه من الوجه الذي يضاف الى الله تعالى لا يتحقق ذلك الوجه في الخلق لان الاضافة الى الخلق على جهة المجاز والاضافة الى الله تعالى على
جهة التحقيق فكذلك اضافة الافعال الى الله تعالى والى الخلق لا يوجب الشرك لاختلاف الجهتين والله الموفق وقوله عز وجل ما
اتخذ صاحبة ولا ولدا لان اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة فلا يجوز ان يغلبه ما هو خلقه فيبعثه ذلك على اتخاذ
الصاحبة وهذا يرد على من زعم ان الملائكة بنات الله والبنات تحدث من الصاحبة وهو سبحانه لم يتخذ صاحبة فانى يكون له بنات
وقوله عز وجل ولا ولدا لان الاصل ان الاولاد يرغب فيهم المرء لاحد خصال اما لما يناله من الوحشة فيطلب الولد ليستانس بهم او يرغب
فيهم لما حل بهم من الضعف فيريد ان يستنصر بهم او لما يخاف زوال الملك فيطلب الولد لما يخاف من زواله وجل الله سبحانه وتعالى عن ان
يلحقه وحشة او يصيبه ضعف او يخاف زوال الملك فاذا كانت الفرق التي بها يرغب في اكتساب الاولاد مستحيلة في حقه لزم تنزيهه
عن اتخاذ الاولاد ولهذا ما ذكر عند ما نسبه الملحدة الاولاد عناه بقوله سبحانه هو الغني اي غني عن كل الوجوه التي يتوجه الى اتخاذ
الاولاد وبالله التوفيق وقوله عز وجل وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا فمنهم من ذكر ان سفيههم ابليس وليس هذا يرجع
الى الواحد على الاشارة بل هو راجع الى الكل من يوجد منه فعل السفه الا ترى انه اذا قيل كان يقول مسيئنا كذا وكان يقول فاسقنا كذا
لم يعن به فاسق ولا مسيء واحد على الاشارة بل يراد به كل معروف بالاساءة والفسق فعلى ذلك قوله وانه كان يقول سفيهنا ليس يعني به
على الواحد بل هو راجع الى الكل من يوجد منه ذلك ثم في هذه الاية دلالة ان النفر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا من اهل الكفر لانهم لو كانوا
اهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه الى غيرهم ويخرجون انفسهم منه وقد وجد منهم فعل السفه ولو كانوا مشركين ايضا لكانوا
يقولون مثل هذه الكلمة وانما كنا نقول على الله شططا فيكون ذلك منهم توبة ورجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر وشكرا لما
انعم الله عليهم من عظيم النعمة بان هداهم للايمان لان يضيفون ذلك الى سفههم فثبت انهم كانوا مؤمنين والشطط لا يجوز وقال بعضهم
الكذب وقال بعضهم الظلم والشطط هاهنا الجور والجور ما اتوا به من القول الفاحش وهو الشرك بالله تعالى وهذا تبين ان الجور قبيح
في كل الالسن وفيما بين اهل الاديان الا ترى كيف سفهوا من قال على الله تعالى الجور وقوله عز وجل وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله

كذبا ذكر ابو بكر الاصم انهم كانوا اعتقدوا ان الله تعالى صاحبة وولدا بما سمعوا الجن والانس يقولون ذلك وكان عندهم انهم
في ذلك صادقون فذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بان الله تعالى ولدا وصاحبة فلما ظهر عندهم كذب من ادعى اتخاذ الولد والصاحبة
بترو اعز يقول ذلك فثبت بهذا انهم كانوا اهل شرك الى ذلك فلما استمعوا الى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولاختلاف الحجج تدفع
عنهم الشبهة امنوا به وتبرؤوا من مثالبهم المتقدمة ويحتمل غير ما ذكره ابو بكر من التاويل وهو ان القوم كانوا انشئوا على الهدى والا
فكانوا يظنون ان الجن والانس على الهدى وانهم لا يكذبون على الله تعالى حتى ظهر عندهم كذب الانس والجن بقولهم ان الله ولدا وصاحبة
وجائز ان يكون معناه انا كنا نظن ان لا يستجيز نفس احد من المتصفين بالكذب على الله تعالى بالادام الله تعالى فيقع الكذب وقد عندنا
بالحجج والادلة تنزيهه عن اتخاذ الاولاد والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما اظهروه بالسنتهم ثم الذي يدل على ان التاويل ما ذكره
ابو بكر ليس بحكم انه قد كان في الجن والانس صد فتصفا الله تعالى بالتنزيه وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة الى قوله حكاية
عنهم وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والى قوله وانا منا دون ذلك ولا يحتمل ان يقع عندهم ان الفريقين جميعا على الصواب وقد
كان في ظنونهم ان القوم جميعا على الهدى على ما هم عليه فلا تبين عندهم الكذب منا ولكن قالوا هذا القول والله اعلم وقوله عز وجل
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ذكر ان الانس وهم قوم من العرب كانوا اذا نزلت بواد استجاروا
بسيد الوادي وقالت نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم اختلف بعد هذا فمنهم من ذكر انهم كانوا يجيرونهم ومنهم من ذكر
انهم كانوا لا يجيرونهم وكان ذلك يزيد في الرهق الانس من الجن قالوا الرهق الخوف والفرق كذلك روي عن ابي روق ومنهم من يقول
هو الذلة والضعف فكانوا يزدادون الضعف والذلة والخوف والفرق بامتناعهم عن الاجارة ومنهم من يقول بانهم كانوا يجيرون
من استجارهم ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الاماكن التي لم يستجيروا فيها بهم وفي غير الاوقات التي وقعت فيها
الاجارة وعلى الاختلاف فهم اتفقوا ان الجن هي التي كانت تزيد الانس رهقا وقيل بان هذا الفعل من الانس وهو الاستجارة بهم شرك
لان الله تعالى هو المجير فكان الحق عليهم ان يستجيروا بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وان لا يروا لانفسهم ناصرا غير الله جل جلاله
فادعوا في الاستجارة الى الجن فقدروا وغير الله تعالى لقوم عنهم بالذنوب والنفر فكان ذلك منهم اشراكا ولان الجن اضعف من
الانس الا ترى انها تختفي من الانس ويتصورون بغير صورتها فرقا لانه لا يشعر بها الا من يبلغ في ضعفها الا انها لا تقدر على اتلاف
احد من البشر ولا تقدر على سلب اموالهم ولا افساد طعامهم وشرابهم واستيفاء القوى اذا ه الذلة فخرج تاويل من قال بان
الرهق هو الذلة والضعف على هذا ومنهم من يقول بان الانس هي التي كانت تزيد الجن رهقا وقالوا التجبر والتكبر وقيل هو السفه
والجهل وقيل هو الماثم وقال القتبي هو العيب والظلم يقال فلان مرهق في دينه اذا كان مفسدا ووجه زيادة الرهق هو ان الوفود
من الجن كانوا يرون لانفسهم الفضل على اتباعهم من الجن وعلى الانس جميعا بما رأوا من افتقار الانس اليهم حتى احتاجوا الى الاستغاثة
بهم فكان يدخلهم الكبر من ذلك ويزدادون به تجبرا وتعظيما فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل وكذلك اكابر الكفرة من
الانس كانوا يمتنعون عن الاجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لانفسهم من الفضل على من سواهم الا ترى الى قوله تعالى وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها الاية فمن زعم ان الرهق هو الاثم او السفه او الجور والظلم والعيب يرجع كله الى هذا المعنى الذي
ذكرنا لان سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر لانه كان لا يستعبد بهم الا الجاهل السفيه وليس في اعانتهم و
منفعة مما يتكبرون لاجلها وهم يتكبرون اذ زادوا اثما وبعدا من رحمة الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا فجائز ان يكونوا نفوا القدرة عن الله تعالى بالبعث لما لم يشاهدوا البعث ورأوه امرا خارجا عن
طوقهم وقواهم فظنوا ان القدرة لا تنتهي الى هذا الا ان يكونوا نفوا خروج البعث عن حد الحكمة لانهم لو ارادوا به
نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم لن يبعث الله تعالى قال ان صلة الكلام الذي يتكلم به للتاكيد وهو قوله احدا فدل انهم
نفوا القدرة وجائز ان يكونوا ظنوا ان لا يبعث لانه امر خارج من الحكمة اذ ليس من الحكمة ان يهلك ثم يعاد بل ان اريد
الابقاء لمن يفنى حتى لا يخرج الى الاعادة ثم هذا الكلام حكاية عن الجن بان الله تعالى ان الجن ظننتم ان لا بعث كما ظننتم
انتم وقوله عز وجل ظننتم في الظاهر اساءه الانس جملة مسلمهم وكافرهم ومعلوم بان المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك بل قد
ايقنوا بالبعث ولكن معناه ان الكفرة من الجن ظننا ان لا بعث كما ظننت الكفرة منكم ايها الانس ثم في هذه الاية ابانة
انهم كانوا يقولون لا بعث بالظن ليس بالعلم والذي حملهم على الظن اعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث وكل ما ينفي
بالطبع ان يلزم الظنون فيه دفاه وترغيب الى النظر في حجج البعث وترك الاعتماد على الظنون ثم ذكر النحويون ان
ما كان ابتداؤه بالكسر في هذه السورة اعني حرف ان فهو حكاية عن الجن نحو قوله فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا وما كان
فيه من الحكاية عن الجن فحقه ان يقرا بالنصب فاختاروا النصب في قوله عز وجل وانهم ظنوا كما ظننتم لما ليس هو الحكاية
عن قول الجن والله اعلم وقوله عز وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون لمسهم السماء
ليجدوا ابوابها فيدخلوا فيها للاستماع اذا الخبر دها لمست في جملة اتاق السماء ولا ابوابها مختبطة بجملة السماء فكانوا

يلمسونها

يلمسونها ليطلعوا ابوابها فيدخلون فيها وجائز ان يكون اريد من لمس ابوابها ليفتحوها فيدخلوا فيها فيستمعون
الى الاخبار وقوله عز وجل فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون بعض الابواب ملئت من الحرس وبعضها
من الشهب فان اتوا الى الابواب التي ملئت من الحرس دفعتهم الحرس وطردتهم وان اتوا الى الابواب التي فيها الشهب تبعتهم
الشهب كما قال عز وجل ويقذفون من كل جانب دحورا وجائز ان يكون الابواب كلها مملوءة من الحرس والشهب جميعا
لان الحرس لم يمتحنوا بالحراسة خاصة بل امتحنوا به وبغيره من الاعمال فجائز ان يكون اشتغالهم بتلك الاعمال يمنعهم
عن الحرس فاذا ارادوا استراق السمع في وقت شغلهم تبعتهم الشهاب الثاقب وقد فهم عز وجل وجائز ان يجعل الجن
الى المكان الذي لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم لان المرء قد يتكلم بكلام فينتهي صوته الى حيث لا يراه البصر فيكون
الشهب تحت الحرس فيقذفون عنها بالشهب والله اعلم وقوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان
يجد له شهابا رصدا قيل الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة الاصل في ذلك ان الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى استمتع من الكهنة اذ لا يجوز ان ياتوا بخبر السماء وقت
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يختلط امر الكهنة بامره صلى الله عليه وسلم فحبسوا عن الصعود الى السماء واتيان الخبر
عنها حتى انقطع امر الكهنة فجاءهم الرسول بعد ذلك ليعلموا ان ذلك ليس بكهانة وانما هو وحي نابتة من السماء اذ لو كانت
كهانة كان غير مشكله كما في السالف الزمان فهذه الاية كانت حكاية عن قول الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين قالوا هذا كله
لقومهم وقوله عز وجل وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فهو يحتمل وجهين احدهما لا ندري بما قطعت
بالحرس والشهب اخبار السماء عن اهل الارض وحبس الذي يصعدون السماء عن اخبار السماء ويقذفون من كل جانب
دحورا باهل الارض الشر وهو انزال العذاب عليهم ام اراد بهم ان يرسل رسولا يرشدهم وجائز ان يكونوا ايقنوا ان اخبار
السماء انما انقطعت عن اهل الارض بما يرسل اليهم من الرسول فيكون الرسول هو الذي يخبر بما الهم اليه من حاجة ولكنهم
لم يدروا انهم اريد بهم الرشد بارسال الرسول او الشر لانهم كانوا علموا ان من امن بالرسول المبعوث ونظر اليه بعين الاسترشاد
والارشاد فقد رشد ومن نظر اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء استؤصلوا فلم يدروا ايكذبون الرسول فيحل بهم الهلاك
والعاقبة او يصدقونه فيرشدوا به وهذا تبين ان العواقب في الاشياء هي المقصودة وان الحكيم ما يفعل من الامر يفعله للعواقب
في الاشياء هي المقصودة وان الحكيم ما يفعل من الامر يفعله للعواقب في هذا ابانة ان الجن من المسلمين لم يكونوا معتزلة اذ
من قول المعتزلة ان الله تعالى لا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين والدنيا في حقهم والجن فلا يقتنوا ان الله تعالى قد يريد
الشر بمن يعلم انه يؤثر فعل الشر على فعل الخير ويريد الخير عن يعلم انه يؤثر على فعل الشر وقوله عز وجل وانا منا الصالحون ومنا
دون ذلك قال بعضهم الصالحون هم المؤمنون ودون ذلك هم الكافرون ويشبه ان يكون الصالحون ودون ذلك ليس
على الايمان والكفر لان هذا قد ذكرنا فيما تقدم من الايات بقوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ولو كان التاويل
على ما ذكر لكان يقع موقع التكرار ولكن تاويله عندنا وانا منا الصالحون اي منا من عرف بالصلاح والستر ومنا دون
ذلك وهم الفسقة فيكون فيه ابانة ان كل اهل دين فيهم الصالح المرضي وفيهم الفاسق المفسد في دينه قال الله تعالى وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم ولو لم يكن منا غير صالح لم يكن لاشتراط الصالحين معنى وقوله عز وجل واشهدوا ذوي عدل
منكم فلو لم يكن منا اهل فسق لم يقل هذا وقوله عز وجل كنا طرائق قددا اي اهواء متفرقة ولم يذكروا في الاهواء المتفرقة
في الاصلح والادون ذكروا ذلك عند ذكر الفاسق والصالح لان اهل الاهواء كل في نفسه انه هو المحق وغيره على الباطل
واما الفاسق فهو يعرف انه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له ويرتكب ما نهي عنه وكذلك كل من شاهد فسقه يعرف انه على الباطل
واذا كان كذلك ظهر الدون فيه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في اعتقاد المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح ثم الطرائق
هي المذاهب والاهواء والقدد القطع يقال قداي قطع فمعناه انا كنا على مذاهب متفرقة واهواء مستنة ففي الاية ان في
الجن اهواء متفرقة كما ذكر في الانس والاصل فيه ان طريق معرفة المذهب والدين الفكر والاجتهاد ليتوصل به الى الحق والجهد
قد يصيب الطريق مرة ويزيغ عنه اخرى فلهذا ما اشتبه البعض من الخلائق الطريق المستقيم ومنهم من زاغ عنه وتبعه
ان سبيل الجن في التوحيد وسبيل الانس واحد هو الفكر وله اجتهاد وان فيهم ايات متشابهة كما في الانس عن المتشابه
يتولد الزيغ لذلك تفرقوا على اهواء متفرقة مختلفة واما اسباب الفسق مجتمعة فيعرف بالمعاينة فيظهر الادون والاصلح
في الدين وقوله عز وجل وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ذكر ابو بكر الاصم انه على كفرهم ظنوا ان لا يعجز
الله تعالى ولكن اكثر اهل التاويل ذكروا ان الظن ههنا في موضع العلم ويريد ما روي في قراءة حفصة رضي الله عنها فانها
كانت تقرأ انا علمنا ان لن نعجز الله في الارض قوله ولن نسبقه هربا فقوله لن نعجز الله في الارض اي لن يفوته ولن
يتهيأ لنا ان نعجز الله باهل الارض عن ايصال نعمته وعذابه الينا ويخرج قوله فوره على ذلك اي لو قدرنا من عذابه لن نعجزه

لا يعد بنا والفرار وقد يكون بدون الطلب قال الله تعالى عز وجل ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولم يرد به الفرار من
الطلب واما الهرب فانه لا يكون الا عن طلب فكانهم قالوا لا نتهيأ لنا الفرار عن عذاب الله تعالى لكثرة الاعوان والانصار
ولا يمكننا الهرب عن طلبنا وان يكون قوله عز وجل لن نعجز الله فى الارض وان دخلنا تحت تخوم الارضين ولن نعجزه هربا على
وجه الارض فيكون فيه اقرار بانا لا نقدر بالحيل والاسباب ان نحترز من عذاب الله تعالى كما نتهيأ الاحتراز عن ملوك الارض
بالحيل والاسباب ثم مثل هذا الكلام يصدر عن اهل الاسلام ولان مثل هذا الكلام انما يتكلم به من يخاف حلول النقمة الله
تعالى عليه والذى تفق بالبعث ويذكر مقامه بين يدى ربه واما اهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى يحملهم خوف العاقبة
على النظر فى مثل هذا فثبت ان هذه المقالة صدرت عن اهل الاسلام وليس عن اهل الكفر كما ذكره ابو بكر الاصم ان هذه المقالة
صدرت والله اعلم وقوله عز وجل وانا لما سمعنا الهدى امنا به فالهدى هو الدعاء الى الحق فيحتمل ان يكون لما دعينا الى الحق
وهو القران امنا به الا ترى الى قوله تعالى عز وجل يهدى الى الحق اى يدعوا اليه وقال الله فى اول السورة يهدى الى الرشد و
يجوز ان يكون الهدى هو الاهتداء اى لما سمعنا ما به اهتدينا وظن ابو بكر الاصم انهم كانوا كفرة الى ان سمعوا الهدى فامنوا به
لانه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الايمان منهم سابقا فلا يكون لقوله فامنا به وقد امنوا من قبل معنى وليس ثبت كفرهم
بما ذكره لانه قد يجوز ان يكونوا على الايمان فلما سمعوا الهدى على ما سبق من الايمان بالجملة الا ترى الى قوله عز وجل فزادتهم ايمانا
وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى زاد وايمانا بالتفسير على ما سبق منهم من الايمان بالجملة لانهم لم يكونوا من قبل مؤمنين
فاحدثوه الحال وكذلك قال اهدنا الصراط المستقيم وقد هدينا الصراط المستقيم ولكنهم يريدون بهذا الدعاء ان اهدنا
بالاشارة اليه والتعيين الصراط المستقيم على ما هديتنا فى الجملة فكذلك اخبارهم الايمان بما سمعوا من الهدى لا ينفى عنهم
الايمان فيما سبق من الاوقات بل يجوز ان يكونوا مؤمنين من قبل ثم يحدثون الايمان بكل امر يجيئهم من عند الله عز وجل ولا يدل
ايمانهم به على انهم لم يكونوا من قبل مسلمين والله اعلم وقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال رحمه الله
لا احد من اهل الايمان من جنى والانسى يخاف البخس والرهق من الله تعالى الا المعتزلة فانهم يخافون ذلك لانهم [illegible]
مرتكب الكبائر بل يطلقون القول فيهم انهم يخلدون فى النار وفى التخليد خوف البخس والرهق بل فيه ما يربى على البخس هو
النقصان وفى التخليد ذهاب منفعة الايمان ومنفعة الخيرات التى سبقت منهم وقال تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطانا والمعتزلة يزعم انه لو اخذهم بالخطا والنسيان كان جائزا وقال ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهم يزعمون انه
لو ازاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك منه انعاما وافضالا فنحن ندعوا الله تعالى ونتضرع اليه ان لا يعاملنا بعدله
بل يعاملنا بالافضال والانعام وعلى قول المعتزلة لو ارتكب كبيرة ردت عليه حسناته وصار [illegible] وخلد فى النار
ابدا الابد والله يقول ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها واول الحسنات التى يستوجب عليها الفضل
هو الايمان بالله تعالى فلا يجوز فى النار ويذهب عنه منفعة الايمان تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قوله بخسا ولا
رهقا يحتمل وجهين احدهما البخس النقصان اى لا ينقص من حسناته والرهق الظلم كقوله تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما
وان يحمل عليه من سيئات ارتكبها غيره والثانى لا يخاف بخسا اى لا يقبل حسناته اذا تاب ولا رهقا اى تظلم فلا يحسب
له حسناته شيئا وقوله عز وجل وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فالقاسط الجاير والمقسط العادل ثم فى العدل
لغات يقال عدل عنه اذا مال وجار وعدل به اذا جعل شريكا وعديلا وعدل فيه اذا حكم بالعدل وقوله عز وجل
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا التحرى والتوخى هو القصد فكانه يقول قصدوا الرشد بالاسلام وقوله عز وجل واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قال ابو بكر الاصم دلت الاية على ان الجن لحما ودما كالانس لانه قال فى الانس وقودها
الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا ولكن هذا لا يدل لان اللحم من شانه ان يحترق بنفسه ولا
ولا يصلح ان يكونوا وقودا ولكن الله تعالى باللطف صير لحمان الانس وقودا للنيران فبان خطبا بما كان لحما فليس فى الاية دلالة
ما ذكر فيها ان الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتحن بها الانس وانهم اذا عصوا ربهم استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه
الانس ذكر عن ابى حنيفة رحمه الله انه قال ليس للجن ثواب وعليهم العقاب اذا عصوا ومعنى قوله ليس لهم ثواب عندنا ليس يريد به
ان الله تعالى لا يرضى عنهم اذا عبدوه ولا يعظم منزلتهم عنده ولكنه يريد به ان وصل الانس من المآكل والمشارب والازواج
والحور فى الجنة على الخلود ليس لهم لان الوعد من الله تعالى بها جرى للانس ولم يجر الوعد للجن ولا ذكر ذلك فى شئ
من القران والذى وعد الانس طريقة الافضال والانعام لا ان يكون ذلك حقا للانس قبله فاذا لم يجر لهم وعد بذلك لم
يجب القول لهم بالموعود واما العقاب فان الحكمة توجب التعذيب لمن كفر به فلا يجوز ان يكون الحكمة توجب تعذيب الكفرة
ثم لا يعذب الجن اذا كفروا ولذلك وجب القول بالثواب والله الموفق وقوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا اختلف فيه فمنهم من قال الطريقة الهدى ومنهم من طريقة الكفر فمن قال انها هو طريقة الهدى

قالوا ان الطريقة المعروفة المعهودة هى طريق الله تعالى فعند الاطلاق ينصرف اليه كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف
الى دين الحق وكذلك السبيل المطلق قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو الاسلام ثم يخرج هذا على وجوه احدها
ينصرف الى الكفرة انهم لو استقاموا على الطريقة اى لو اجابوا الى ما يدعون اليه من الهدى لاسقيناهم ماء غدقا اى
وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم ويكون ذكر الماء ههنا كناية عن السعة لان سعة الدنيا كلها يتصل بالماء والماء اصلها
قال الله عز وجل وفى السماء رزقكم وما توعدون فاخبر ان رزق الخلق من السماء والذى ينزل من السماء هو المطر و
جعل ذلك رزقا اذ هو اصل رزق الخلق فكذلك ذكر الماء ههنا كناية عن السعة من الوجه الذى ذكرنا كان
على هذا فيكون الخطاب راجعا الى الوقت الذى كانوا يبتلوا فيه بالقحط والسنين فوعدهم انهم لو اجابوا الى
ما دعوا اليه يرفع عنهم القحط والسنين ويوسع عليهم فى الرزق وهو كقول نوح وهود وغيرهما ووعدهم قومهم
بارسال الا وتكثير الامطار والاموال والاولاد ونحوه ويجوز ان يكون هذا فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانهم كانوا فى اول الاسلام فى ضيق الحال وشدة من العيش فكانوا يتفرقون فى الشعاب والاودية لشدة ما حل بهم
من الجوع ليصيبوا من عشبها وعند اشتداد الحال يخاف النفس من امثالها والتبديل فوعد والسعة فى العيش ان لو استقاموا
على الطريقة التى كانوا عليها اى داموا عليها ولم يبدلوا الدين الحق والهدى بالباطل كما وعدهم النصر والظفر على الاعداء
مع قلة اعدادهم ان داموا على الاسلام ويحتمل ما قال بعضهم ان تاويل قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اى لو
اسلم اهل الارض كلهم جميعا لوسعنا عليهم الدنيا وكثرنا اموالهم واولادهم حتى يفتتنوا فيها ويمتحنوا بمحن شريرة فيحتمل
البعض منهم فيبقوا مؤمنين ولا يحتمل البعض فيبقوا ويعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقع التخلف فى وعد
ان يملا جهنم من الجنة والناس اجمعين ولا يجوز ان يقع فى وعيده خلف وهم لو استقاموا على الطريقة ولم يبقوا ادى
ذلك الى خلف الوعيد لانه لا يملا اذا داموا على الطريقة ولم يبغوا ويكون الحكمة فى بقيتهم ان يعرف الخلق ان الله خلقهم
لمنافع يحصل له ولكن خلقهم لانفسهم ان احسنوا لانفسهم وان اساءوا فعليهم ولو بقاهم على الطريقة المستقيمة و
ظهرت الدلالات فى الجملة لكان يسبق الى الاوهام انه انما خلقهم لمنافع نفسه فحذر من الله تعالى بيان علمه بما لا يكون ان لو
كان كيف يكون انا الله تعالى علم الايمان من البعض لحكمة التى ذكرنا وغيرها مما يقف على بعضها الخلق دون البعض فحكم
كذلك ثم اخبر انه لو حكم بان يستقيم الكل على طريقة الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق الابد فى حق بل حكمته ان يستقيم عليها
البعض الى مدة ثم يترك ويبدل الخلق الباطل ويدوم البعض عليها تحقيقا لما ذكر من الحكمة وهو كقوله تعالى لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لو لم يفرض عليهم الجهاد والخروج الى القتال لبرز الذين كتب عليهم القتل منتهى
اجالهم القتل الى جوانح انفسهم فيقتلوا بيانا منه لحكمته الذى يحكم انه لو حكم كيف كان يكون هذا واما من قال معناه و
طريقة الكفر فهو ان يكون المراد من الاستقامة ههنا الاقامة ولفظ الاقامة يعتبر بها عن الاقامة على الكفر والاسلام جميعا
ويكون الطريقة ههنا اشارة الى الطريقة التى كانوا عرفوها قبل الاسلام وهى الكفر وان كانت الطريقة اذا اطلق ذكرها
اريد بها طريقة الهدى لان طريقة الكفر هى التى كانت معروفة فيما بينهم وكذلك ذكر اهل التاويل ان الطريقة ههنا طريقة
الكفر فقوله لاسقيناهم ماء غدقا اى وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم ليعلموا اجود ربهم حيث يبسط عليهم الرزق مع اختيارهم
عداوته كما بسط الرزق على اوليائه وليعلموا حلمه حيث لم يؤاخذهم بذنوبهم ولم يعجل ولم يعجل بانزال النقمة والله اعلم وقوله
عز وجل لنفتنهم فيه والفتنة المحنة التى فيها الشدة فان كان هذا فى اهل الكفر ففى بسط الرزق عليهم محنة شديدة
لان ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما به وامن الفضل على من دونهم فى المال والسعة الا
ترى الى قوله وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وان كان التاويل منصرفا الى الاسلام ففى التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتحنا به فيه قال الله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فانه حال يفترض الانسان الا وله فيها شدة وقوله عز وجل ومن يعرض عن ذكر ربه فجائز ان
يكون ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته او يعرض عن توحيده او يعرض عن القران اذ هو ذكر والاعراض ههنا عبارة عن
الايثار والاختيار اى من يختار ذكر غير الله تعالى على ما ذكره او طاعة غيره على طاعته وقوله عز وجل يسلكه عذابا صعدا
على التحقيق كما ذكره اهل التفسير انهم يكلفون الصعود على جبل من نار ولا يقدرون الا بعد شدة عظيمة ثم اذا بلغوا اعلاها
يهوون فيها كذلك وانه وجائز ان يكون على التمثيل وذلك لان الصعود اشد من الهبوط فيكون الصعود عبارة عن الشدة
ههنا انه يستقبله ما يشق عليه وقيل المشقة التى عليه هو ما يحل به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب وقال القتبى الصعد
المشقة يقال يتصعد على هذا الامر اى يشق على وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال ما تصعدنى خطبة النكاح اى ما يشق على والله
اعلم وقوله عز وجل وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اى ما يسجد فيه وما يسجد به هو فان ما يسجد فيه هو البقاع وما يسجد

وما يسجد به هو الجوارح فكانه يقول بان البقاع التي يسجد فيها والاعضاء التي يسجد بها لله تعالى لانه هو الذي خلقها و
المساجد التي بنيت فانما بنيت لعبادة الله تعالى وليدعا فيها فلا يشركوا غيره في العبادة والدعاء وقال بعضهم اراد بالمساجد
مسجد الحرام روي ذلك عن الضحاك وغيره فكانه انما صرف الناس قبل الى المسجد الحرام لان هذه السورة مكية ولم يكن في غيره
من البقاع مساجد وقال بعضهم المساجد ههنا البيع والكنايس لان البيع والكنايس بنيت ليعبد الله تعالى فيها ثم ان يعبدوا
فيها فنهاهم ان يعبدوا فيها غير الله فيخرج هذا مخرج الاحتجاج انكم قد علمتم ان المساجد بنيت ليعبد الله فيها فلا يعبد وانما
غيره اولا لكان الله منشئها وخالقها دون غيره فكيف يشركون معه غيره في العبادة والدعا وليس هو بمنشئها وقوله عز وجل
فلا تدعوا مع الله احدا لجايز ان يكون على الدعاء نفسه فيكون معناه ان لا يدعوا مع الله احدا لان الاله اسم المعبود وكان القوم
انما عبدوا اشيا سموه الها فيقول لا تدعوا معه احدا الها انه هو الاله وهو المستحق للعبادة من كل احد وجايز ان يكون اريد به
بالدعاء العبادة قال عليه السلام مخ العبادة وقال تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين فجعل دعاهم اياه عبادة منهم له فيكون قوله فلا تدعوا مع الله احدا اي لا تشركوا غيره معه في العبادة والله اعلم وقوله
عز وجل وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا فمنهم من يقول انهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة
فيه وموالاتهم له فقوله كادوا يكونون عليه لبدا اي كادوا يلتصق بعضهم الى بعض ليتصلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم كادوا
يلتصقوا به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على حفظ ما سمعوا او تعجبوا مما سمعوا فكانوا يحرصون على حفظه
ووعيه ليتزودوا قومهم اذا رجعوا اليهم ويعجبوا مما سمعوا لانهم سمعوه من كان لم يكن مكانه قراءة الكتب وسمعوا من الامي
الذي لم يقرا كتابا قط ولا عرف المكتوب فتعجبوا منه اشد التعجب واللبد الضافي الشيء بالشيء الضافا لا ينفصل بعضه من
بعض وسمي اللبد لبدا من هذا لان الصوف يلتصق بعضه من بعض حتى لا يسرح ومنهم من زعم انهم فعلوا هذا الشيء معاداتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا منصرفا الى الكفرة فقوله لما قام عبد الله يدعوه معناه اي لما قام محمد صلى الله عليه
وسلم يوحد الله تعالى ويدعو الخلق الى عبادته وطاعته فهم المشركون من الانس والجن ويلبد واصل هذا الامر ان يقعون
قال الله تعالى الا ان يفرحوا ويتمنونه وان كان هذا من اهل الاسلام من الجن والدعاء راجع الى العبادة فكانه يقول لما قام عبد الله
تعالى وهي الصلوة كادوا يكونون عليه لبدا للشوق حرصهم في تحفظ ما سمعوا وشوق حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا
وقوله عز وجل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فنفيه اخبار عن دينه ان دينه التوحيد لا الاشراك بالله تعالى واخبار عما يدعو
الخلق اليه وذلك توحيد الله تعالى والقيام بطاعته وجايز ان يكون هذا على اثر سؤال منهم ودعوتهم الى عبادة الاصنام على
ما ذكر في الاخبار انهم قالوا لو نعبد الهك يوما وتعبد الهتنا يوما وهو كقوله عز وجل يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار لاكفر بالله الاية وجايز ان يكون كلاما مبتدا يؤيسهم ويقنطهم ويقطع طمعهم على عودة الى ما هم عليه وقوله عز وجل
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي ضرا في الدين ورشدا في الدين والاصل في اسماء المشتركة اي ينظر الى مقابلها فيظهر مرادها
بما يقابلها قال الله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والقاسط الجاير وقد يكون غير الكافر فجاير ثم صرف الجور الى
الكفر فظهر مراده بمقابلة وهو قوله وانا منا المسلمون والضر قد يكون في الدين وفي المال والنفس ولكنه لما ذكر قوله رشدا
والرشد يتكلم به في الدين علم ان قوله ضرا راجع اليه ايضا فكانه يقول لا املك اضلالا ولا رشدكم انما ذلك الى الله تعالى يضل
من يشاء ويهدي من يشاء الاية والمعتزلة يزعم ان الله تعالى لا يملك رشد احد ولا غيه بل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر ملكا
لانه يملك ان يدعو الخلق الى الهدى بنفسه فاما الله تعالى لا يملك ذلك الا رسوله وقال عز وجل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي
من يشاء وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء [illegible]
[illegible] وقوله
عز وجل قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل الا بلاغا من الله ورسالاته استثناء من قوله قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا [illegible]
استثناء من قوله قل اني لن يجيرني من الله احد [illegible]
تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بقراءة عبد الله بن مسعود

رضى الله

رضي الله عنه انه كان يقرأ قل اني لا املك لكم غيا ولا رشدا الا بلاغا من الله وليس فيما ذكرنا قطع الاستثناء على قوله قل اني لا
املك لكم ضرا ولا رشدا للوجه الذي ذكرنا ولان اكثر اهل التاويل اجمعوا على صرف الاستثناء الى قوله قل اني لن يجيرني من الله احد
فلا يجوز ان يحمل تاويلهم على الخطاء بما ذكره ابو بكر وما ذهبوا اليه وجه الصحة والسداد وجايز ان يكون البلاغ والرسالة واحدا
فيكون الذي يبلغ بلاغا من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار وهو كقوله ويعلمه الكتاب والحكمة قيل انهما واحد وجايز ان يكون
الرسالة نفس ما انزل وهو الكتاب والبلاغ ما اودع فيه الحكمة والمعاني وكذلك قيل في قوله ويعلمه الكتاب والحكمة ان الكتاب
هو المنزل نفسه والحكمة ما تضمن فيه من المعاني وجايز ان يكون البلاغ من الله تعالى منصرفا الى الحكمة ورسالته الى غيره او يكون
رسالاته حكمه والبلاغ خبره وهو كقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا في الخبار وعدلا في الاحكام او بلاغا من الله حق الله عليهم ورسالاته
بما به منافعهم والله اعلم وقوله عز وجل ولن اجد من دونه ملتحدا ما الملتجا ومالا اي موضعا يميل اليه ولا الملتجا الا ما له من سمي
الملحد ملحدا لانه مايل عن سننه وقوله عز وجل ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال في موضع اخر ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وكل من ارتكب المأثم فقد تحقق
فيه العصيان والايذاء للرسول ولكن المراد ههنا من يعتقد عصيان الرسول واذاه لان الله تعالى اضاف الاذى والعصيان الى نفسه
ولا احد يقصد قصد اذى الله تعالى والله عز وجل لا يؤذى ولكن اضاف اذى الرسول وعصيانه الى نفسه وقد كانوا يعتقدون
عصيانه واذاه فجعل عصيانهم واذاهم لرسوله اذى منهم لله تعالى وعصيانا له فثبت ان هذا في الاعتقاد وقال عز وجل ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان رسوله عصيانا له ولانه
ذكر العصيان على اثر تبليغ الرسالة فثبت ان العصيان ههنا في ترك القبول بما انزل على الرسول وفي اعتقاد العصيان له وروي عن
ابي حنيفة رحمه الله انه قال الناس امن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن لان جهله بالله تعالى هو الذي حمله على تكذيب الرسول
لان الرسول ليس يدعوه الا الى ما يقربه الى الله تعالى والى ما ينجيه من عذابه فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعوه ذلك الى حب
الرسول والى طاعته فثبت ان المكذب للرسول جاهل بربه والمطيع له مطيع لله عز وجل وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا قال في موضع اخر فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويحتمل ان يكون هذا في الدنيا والاخرة و
جميعا ويكون ذلك راجعا الى يوم بدر كما ذكر اهل التاويل اذ قد ظهر في ذلك اليوم انهم شر مكانا واضعف جندا ويشبه ان
يكون هذا في الاخرة لانهم يعلمون انهم اقل عددا في الاخرة لان كل واحد منهم تبرا عن صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا فيصير عند الم
نقيل عددهم واما في يوم بدر فقد كانوا اكثر عددا من المسلمين فلم يتبين لهم انهم اقل في العدد ويجوز ان يكون يوم بدر يكون المسلمون
اكثر عددا لان الله تعالى امد المسلمين بملايكته فصار عددهم اكثر في التحقيق وان كانت الكثرة في راي العين اكثر منهم عددا فانه
يشبه ان يكون هذه الاية نزلت على اثر تخويف الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وقوتهم في انفسهم وقلة عدد المسلمين
فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصر وكثرة عدده وقوع الحاجة اليها وبالله التوفيق وقوله عز وجل قل ان ادري اقريب ما توعدون
ام يجعل له ربي امدا فهذا ذكره عند الوعيد وهو قوله فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا فكانهم سالوه متى وقعت هذا
الوعيد فامره ان يقول قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فقد ذكرنا فيما تقدم من الايات انه ليس في بيان وقت الوعيد
فضل يقع في الوعيد بل اذا لم يبين وقت الوعيد كان فيه فضل تخويف وتحذير لا يوجد فيما يبين لانه اذا بين فانه كان فيه امن سوف
الناس واخر التوبة الى ما دون الوقت به الى مجيء ذلك اليوم واذا لم يبين لهم وقته صار الى الاياس فيرتفع الخوف والرجاء وفيه ارتفاع
المحنة لان المحنة في الاصل بالعمل على الرجاء والخوف ولانه اذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف ويحكم ذلك على التسارع في الخيرات
والانقلاع عن المساوي فامره ان يقول هذا والا والذي بان يقول هذا عالم بالوقت الذي يقع فيه الوعيد وقوله عز وجل عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاصل فيما غيبه الله تعالى عن الخلق انه منازل ثلاث احدها ما اعجز الخلق عن احتمال الوقوف
عليه بالخلقة نحو الكيفيات التي هي اصول الاشياء لو اراد احد ان يعرف المعنى الذي به صلح ان يكون كما لم يقف عليه ونحو الماء جعل
جوهره كل شيء ولو اراد احد ان يعرف المعنى الذي به صلح ان يجعل جوهر لم يقف عليه وكذلك هذا في كل ما جعل حيا او موجودا والثاني
ما يمكن الخلق معرفته وبلوغ اليه بالتامل والنظر بدون معرفة السمع والاثر نحو معرفة الصانع ومعرفة وحدانيته والثالث هو الذي
لم يعجزهم عن ادراكه ولا مكنهم من الوقوف عليه دون خبر يرد فقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فهذا والذي
تمكنوا فيه لكنهم لا يبلغونه الا بمعونة الخبر وذلك نحو الاشياء التي ترجع الى مصالح الخلق والذي يوصل الى مصالح الاغذية مما
ظهر بين الخلق ولكنها لا يعرف الا بالسماع ممن له علم من الخالق وانتشاره فيهم وهو بحيث لا يحتمل ادراكه بالنظر فيبين ان ذلك
بالرسول ومتى وجد ذلك من شخص مشار اليه دل على الاختصاص له بالرسالة ثم ذكر بعضهم ان هذه الاية دلالة تكذيب المنجمه وليس
كذلك لان فيهم من يصدق خبره ويعرف المطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يتولد الخلق والتي يقع عندها التغيير
والتبدل وذلك مما لا يوقف على عمله بالتامل والتدبر وكذلك المتطببة منهم من يعرف طبايع النبات انها يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا

يتفع بر المصالح للخلق ومعلوم ان هذا من نوع ما لا يدرك بالتامل والنظر فعلم انهم وقفوا على علمه من جهة رسول اطلع اثره وبقى
علمه في الخلق والله اعلم **وقوله** عز وجل الا من ارتضى من رسول اى اختاره واصطفاه واصل ان الرسالة يلزم الخلق الشهادة له و
بالصدق في كل خبر وبالعدل في كل حكم بقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وبالامانة في كل امر فيما يبلغ مبلغا
يوجب الامر فهو لا يحصه للرسالة وفي الاختصاص نعمة عظيمة على الخلق اذ به وصل الخلق الى تعرف ما يبلغهم اليه الحاجة في امر
معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم **وقوله** عز وجل فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قيل رصدا من بين يدى الرسول ومن
خلفه من الملائكة ليمنع الانس عن الرسالة فيمنعهم الرسل عن التبليغ حتى يبلغوا ذكر هذا عن الحسن البصري رحمه الله وكذلك
قال في قوله ان ربك احاط بالناس ان احاطته هي ان يعصمه من الناس من ان يصل اليه منع الناس اياه عن تبليغ الرسالة و
يحتمل ان يكون الملائكة جعلوا اسدادا عن الجن عن استراق ما يوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن بلغته حتى يكون
الرسول هو الذى يبلغ الى الخلق ويشتهر ذلك فيما بين الخلق ان الرسول هو الذى قام تبليغه الى الخلق لانهم اذا لم يجعلوا رصدا
امكن الجن ان يسترقوه ويبلغوه ويا توا بلام لم يتيسر عندهم علم ذلك من جهة الرسول فيعرفوا ذلك من عند الجن قبل ان يبلغهم
الرسول فاذا بلغ الرسول من بعد التبس الامر على الذين ظهر فيهم العلم من جهة الجن فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من
جهة الرسول فيبين تقع النسبة اويكون الرصد تمنع الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغوا قومهم من
الجن حتى ينتهي الخبر اليهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا ان الملائكة كانوا
يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءه الملك قالوا هذا وحى من الله تعالى واذا جاءه الشيطان اخبروه به ولكن هذا بعيد
لانه لم يحتمل ان يخفى عليه وحى الشيطان من وحى جبريل عليه الصلاة والسلام وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا اى بين
يديه من تبليغ الرسالة الى الرسول وهو الملك الذى ينزل بالوحى جعل بين يديه ومن خلفه ملائكة يرصدونه كى لا يستلب
الشيطان عنه ويحدث فيه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله انما يبلغ اليه رسالة ربه وهذا بعيد ايضا لان
المبلغ بالغوة ما يبلغ ادى الخبر عن نفسه وهو امين لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى يجعل عليه الرصد فيؤمن من تبديله
الا ترى الى قوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه الله تعالى بالقوة والامانة جميعا لكنها جايز
ان يكون المبلغ ممتحنا بالتبليغ والذين معه من الرصد امتحنوا بامر اخر لا ان جعلوا رصدا من الجن وجايز ان يكونوا ارسلوا
لكان تعظيم الوحى وتشريف الرسالة والله اعلم **وقوله** عز وجل ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم قال قايلون ليعلم محمد
ان قد بلغ ساير الرسل رسالات ربه على الوجه الذى امروا كما بلغ هو والثاني ان يعلم كل نفسه ان قد بلغ رسالات ربه او ليعلم
الاعداء ان قد بلغ محمد عليه السلام رسالات ربه على الوجه الذى امر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جنى ولا عدو **وقوله**
عز وجل واحاط بما لديهم اى ما عند الرسل او بما عند الملائكة او بما عند الخلق **وقوله** عز وجل واحصى كل شيء عددا اى احاط
العلم بالذى هو معدود لا بالعدد وهو كقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل زوج موزون اى ما يوزن عند الخلق او اطال العلم
بما الذى الكفرة لا بالرصد وان في نصب الرصد لا ان يقع بهم الحفظ وهو كقوله عز وجل يمددكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فبين ان النصر من عنده وان
الملائكة انما ارسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين وتركن اليها طباعهم واحصى كل شيء عددا اى كل شيء عنده معدود محصى
لا يعقل جل جلاله عن معرفة عدده ولا يغيب احوال يعزب عنها بينها علم ذلك خلاف ما عليه امر الخلق والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المزمل المزمل والمدثر يتفقان معنى واحدا على ما ذكره في سورة المدثر **وقوله** عز وجل قم الليل الا قليلا
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فجايز ان يكون هذا الامر كله منصرفا الى وقت واحد فانه كان يكون قوله عز وجل الا قليلا
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه منصرفا الى قوله قم الليل والى قوله الا قليلا فان صرفت النقصان الى قوله الا قليلا
زدت في الامر بالقيام وان صرفت النقصان الى قوله الا قليلا زدت في الامر بالقيام وان صرفت النقصان الى قوله قم الليل
فقد زدت في قوله نصفه او انقص منه قليلا [illegible] النقصان الى [illegible] واحد منها والنقصان الى الاخر فيتفق معناهما وهذا
نظير قوله [illegible] فلا [illegible] من جعل [illegible] عنه ومنهم من يقع هذا الاسم
على الحى الذى [illegible] الميت [illegible] فهي [illegible] معنى واحد [illegible] منزلة الحى [illegible] ومنزلة المورث من الحى [illegible] لا يختلف
وجايز ان يكون هذا على اختلاف الاوقات على ما ذكره اهل التفسير فيكون قوله قم الليل الا قليلا امر باحياء اكثر الليل ثم
يكون قوله او انقص منه قليلا [illegible] الامر [illegible] له ان ينتقص عن الاكثر **وقوله** عز وجل او زد عليه اى على
النصف [illegible] له الا ينتقص [illegible] التناقص [illegible] الامر الى ما كان مامورا به في الابتداء ثم تقليل ليس باسم الامر

الاثبات

الاثبات ويكون من الاستاذ المضاف [illegible] قليل فيستغنى ذكره بتثبيت ما هو اكثر منه وحق هذا قليلا انا قليل بما هو اكثر
منه فلذلك قالوا بان قوله قم الليل الا قليلا يقتضى القيام اكثر الليل وهذا قال اصحابنا [illegible] لو قال له على الف الا
القليل انه يلزمه اكثر من نصف الالف لانه استثنى القليل فلا بد من ان يكون المستثنى منه اكثر من الاستثناء [illegible] يكون المستثنى
قليلا كما استثنى والله اعلم **وقوله** عز وجل ورتل القران ترتيلا [illegible] الترتيل هو التبيين في اللغة اى بينه تبيينا وقيل اقراه حرفا
على التقطيع لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع القراءة ولكن جايز ان يكون قراءة على التقطيع ولا التبيين
كان في تقطيعه [illegible] وامر بالتبيين لان القران لم ينزل ليحفظ فقط لكن لمعان ثلاث احدها ان يقرأ ويحفظ والبقاء الى يوم
القيامة لئلا يذهب ولا ينسى والثاني ان يتذكر ما فيه ويفهم [illegible] من الاحكام وما عليهم من الحقوق وما [illegible]
[illegible] والثالث ان ينزل [illegible] بما فيه [illegible]
[illegible] فالقراءة [illegible] وهذا الذى ذكرناه يوجب اختيار [illegible]
الوقوف في القراءة [illegible]
[illegible] الاستماع [illegible]
[illegible]
على حسن نظمه وعجيب تاليفه وذلك يكون اقرب في افهام السامع والقارى لما فيه من لطايف المعانى ثم الترتيل ينصرف
الى القراءة فقرأ على جهة التمهيد وانما هو كلام الله تعالى لا يوصف بالترتيل والله الموفق **وقوله** عز وجل انا سنلقى عليك قولا
ثقيلا ولم يقل ثقيلا على من فجايز ان يكون الثقل راجعا الى الكفرة والمنافقين ويكون الثقيل الامر بالجهاد لانه اشد على
الفريقين جميعا واليس الكنا دغ المسلمين ان يعود والى ملتهم قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا وكلف المنافقون عن
القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجايز ان يكون قولا ثقيلا اى على الكفرة والمنافقين وكذا على اهل الكتاب ثقيل ايضا
لانهم لم يتمنوا ان ينزل عليه الكتاب واما على المسلمين فليس بثقيل بل هو كما قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وجايز ان ينصرف
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امر بتبليغ الرسالة الى الفراعنة والخلق كافة وفي القيام بالتبليغ الى الفراعنة مخاطرة
بالروح والجسد امر ثقيل صعب جدا ويكون ذلك منصرفا الى قيام الليل فيكون معناه قولا ثقيلا اى الوفاء بما يوجبه ذلك
القول وجايز ان يكون هذا منصرفا الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره فيكون قوله من الوجه الذى كلفوا القيام
بفرايضه وحفظ حدوده وتحليل حلاله واجتناب حرامه وزعمت الباطنية ان القول الثقيل هو ان كلف الناطق وهو
الرسول عليه السلام تفويض الامر الى الاساس وهو الباب وكذلك الاساس والباب هو على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه
عندهم وهم يسمون الرسل عليهم الصلوة والسلام نطقا ويقولون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ التنزيل
الى الخلق فلما بلغ التنزيل اليهم واستغنوا عنه احتاجوا الى من يعلمهم التاويل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسند امر التاويل
الى على بن ابى طالب رضى الله عنه ليكون هو الذى يتولى تعليم الخلق تاويله فكذلك هو القول الثقيل اذ امر ان يسند الى غيره و
فاشتد عليه اذ صار غيره وكل الامر يتحرى هو ساكنا لا ينطلق فيما الحاد فى الامر باسناد الامر الى من ذكر ثم تخفيف الامر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بزعمكم لان من مذهبكم انه اذا فوض الامر الى على رضى الله عنه قبض هو عليه السلام وصورة القبض عندكم
ان يميز الصورة الروحانية من الصورة الجسدانية التى كانت محتبسة فى الصورة الجسدانية ثم يتلف الصورة الجسدانية
ويبعث الصورة الروحانية النورانية الى دار الكرامة والجود والاخلاص من الحبس لم يشتد ذلك عليه ولم يثقل بل كان من خير
بل رغبة الى التفويض ويدعو اليه من ذهب الباطنية انهم لا يقلون احد منهم الا بعد ان يحلفوه بالايمان الغليظة بان لا يخبر
باحد اشفاقا على انفسهم ولو كان الامر على ما قدروا ان التلفيه على الصورة الجسدانية التى هى بسبب لحبس الصورة و
الروحانية وانا تلفت دوت الروحانية الى دار فيها كل انواع السرور فما الذى يحوجهم الى الاستحلاف ولا بالهم يشفقون
على انفسهم وليس فى اتلافها نفسهم الا الخلاص من الحبس والوصول الى الكرامات ومن هذا وصفه حق عليه الموت ليعلم انهم
فيما يلون الخلق على خلاف ما يوجبه اعتقادهم ولو كان ما اعتقدوه حقا لما استجاز وا مخالفته ولكن الذى دعاهم الى ما ذكرنا
تسويل الشيطان وتزيينه فى قلوبهم وما مثلهم الا مثل اليهود الذين ادعوا ان الدار الدار الاخرة لهم خالصة من دون الناس
فقيل لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين لانكم لا تصلون الى الاخرة الا بالموت فان كنتم محقين فى دعواكم فتمنوا الموت لتصلوا
اليها فكان فى امتناعهم عن التمني ما ظهر كذبهم وتبطل مقالتهم وتبين تمويههم فكذلك فى اشفاق هولاء على انفسهم من
الهلاك اظهار وانباء انهم قصدوا بمقصد التمويه على الضعفة ليصلوا الى المآكلة وهو سعوا بهم فى دنياهم من غير حجة
لهم فى ذلك وبهذا ذكرنا يحتج على الثنوية فان من مذهبهم تحريم القتل والذبح واحق من يرى القتل والذبح مباحا لان من
مذهبهم العالم انما هو باختلاط النور والظلمة فما من جزء من اجزاء النور الا هو مشوب بجزء واحد من اجزاء الظلمة وكانا

متنا ينبغى فغلبت الظلمة على النور فامتزجت به فصارت الظلمة حابسة للنور ومعلوم ان فى القتل تخليص اجزاء
النور الذى من جنس الظلمات لان فى القتل ازالة السمع والبصر والعقل ومعلوم بان النور والبصر فى هذه الاشياء اذ بها
رؤية الانوار فاذا امتازت هذه الاشيا من الجسد وبقى الجسد الظلمانى لا يبصر شيئا فقد يحصل جوهر النور الى حرصه
ومقصوده بالقتل وصار الى مقره فاذا كان القتل يوصله الى غرضه ويخلصه عن وثاق الظلمة وحبسه فقد احسن
اليه بالقتل والذبح فلا يجى ان تحرم القتل على مذهبهم بل يجب ان يمدح المرء على ذلك الفعل ويستصوب ذلك منه و
قال القتيبى القول الثقيل كلام الله تعالى وثقله هو تجيله وتعظيم حرمته ليس كلام السفيها الذى لا يكترث به ولا يؤبه
به وقال الزجاج الثقيل لو وزن اى الذى له وزن وقدر فى القلوب الذى يجب ان يعظم ويوقر ليس بالقول الذى يستصغر
وجايز ان يكون القول الثقيل اى الحق على ما روى فى بعض الاخبار ان الحق ثقيل مر والباطل خفيف وفى روى عن ابى بكر
الصديق رضى الله عنه انه قال حق الميزان لا يوضع فيه الا الخير ان يثقل وحق الميزان لا يوزن فيه الا الباطل ان يخف
فيكون ثقله العمل بما فيه وجايز ان يكون قول الثقيل هو تكليف القيام عامة الليل وقوله عز وجل ان ناشئة الليل
هى اشد وطاء واقوم قيلا قرئ وطاء وطاء فمن قرئ وطا بالمد فتاويله من الوطاء وهى الموافقة اى موافق للسمع والبصر
والفوا لان القلب يكون افرغ بالليالى عن الاشغال التى يحول المرء عن الوصول الحقيقة دلى معانى الاشياء وكذلك السمع
والبصر يكون احفظ للقران واشد استعدادا كالمعاينة ومن قرء وطاء فهو من الوطئ بالاقدام فتا ويله انه اشد على البدن
واصعب لان المرء قد اعتاد التقلب والانتشار فى الارض بالنهار ولم يعتد ذلك بالليل بل اعتاد الراحة فيه فاذا كلف
القيام والانتصاب على رجليه فى الوقت الذى لم يعتد فيه بالقيام كان ذلك اشد عليه واصعب على بدنه ولان المرء بالنهار
ليس ينتصب قايما فى مكان واحد فيمكث فيه كذلك بل ينتقل من موضع الى موضع ولو كلف الانتصاب فى مكان اشتد عليه
ولحقه الكلال والعنا من ذلك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتصب قايما يصلى الى نصف الليل واكثر فكان فى ذلك محنة
شديدة وكلفة شاقة والله اعلم ثم الامثل المرء يتيسر بالنهار او طلب ما يعيش ويصل الى ما يمتنع فى امر دنياه وينام الليل طلبا
للراحة وايثارا للتخفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممنوعا عن اكتساب الاشياء التى يتوصل بها الى سعة الدنيا الا
القدر الذى يقيم به مهجته وكذلك منع عن الراحة بالليالى وامر باحياء الليل الا الذى لا بد منه والله اعلم وجايز ان يكون فى
الامر بقيام الليل بنوع من الراحة والتخفيف وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزم بتبليغ الرسالة الى الناس كافة
فحل تبليغها اليهم بالنهار ورفعت عنه الكلفة بالليل وامر بان يتفرغ لعبادة ربه وكان الامر بالتفرغ للعبادة ايسر
من الامر بتبليغ الرسالة لان فى الامر بالتبليغ امرا فيه المخاطرة بالروح والجسد وليس فى الامر بالانتصاب قايما اكثر الليل
ذلك وانما فيه ايصال الوجع الى بعض اعضائه فيكون فيه بعض التخفيف فان قيل على التاويل الاول كيف خص رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى باب النكاح حيث ابيح له فضل العدد ولم يبح لامته وفى ذلك زيادة تمتع بشهوات الدنيا وجوابه ان يقال
بالمعنى الذى به خطر على غيره الزيادة على الاربع وقصر الامر على الاربع هو خوف الجور الا ترى الى قوله عز وجل
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة واذا كان التحريم لموجبه الذى ذكرنا
ارتفع الحظر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل عصمه عن الجور ومكنه من العدل بينهن ثم ليس فى اباحة
زيادة العدد سوى فضل محنة وكلفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا امر ان يقوم فيما بينهن بالعدل وان ينبغى مرضاتهن
بحسن العشرة معهن وانما يصل المرء الى الارضاء بالاموال ولم يتبع هو من الدنيا مقدارا ما يصل الى رضاهن بالاموال
لم يتهيا له ان يصيبهن الا بسعة الاخلاق وان يلين لهن ليقرا عينهن ولا يحزن فثبت انه ليس فى اباحة العدد فضل تمتع
بل فيه زيادة محنة وابتلاء وفيه ايضا ما يحقق رضا لله ويثبت شهوته لان المرء انما يصل الى توفير الحقوق الواجبة لهم
عليه الواجبة عليه بالنكاح اذا نال من فضول الدنيا وطعم لذاتها واعطى النفس شهواتها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ممنوعا واعطى النفس شهوتها مع ذلك قام باينا حقوق الازواج فثبت انه باللطف من الله تعالى وصل الى ايفاء
حقهن ليس باسباب البشرية وفى هذه الاية دلالة ان يشتمل على الذكر والعمل جميعا لانه قال اشد على البدن وشدته يكون
بالعمل وقال واقوم قيلا وذلك يرجع الى الذكر ثم يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف بتبليغ الرسالة بالليالى
لان اعداءه من الفراعنة وغيرهم كانت همتهم ان يقتلوه ولم يكن يتهيا لهم ايضا كالاذى به كان اتباعه بالليالى اوقات
غفلة الاتباع فلو كلف التبليغ وامتحن بالقيام لعبادة ربه وقوله عز وجل ان ناشئة الليل اى ساعة الليل وقيل هو من
نشا ينشا اى نما فسميت ناشئة لان الاوقات يحدث وتتعاقب وجايز ان يكون المراد من ناشئة الليل اى ما يوجد من
الاخر الى الليل من القيام للصلوة والاشتغال بعبادة الرب جل جلاله وقوله عز وجل واقوم قيلا اى اصوب
كلاما والاقوم هو المبالغة فى الوصف ما اريد به القيام فان اريد به الكلام فمعناه يصرفه الى الصدق الاقوم من الاجاد

اصدقها وان اريد به القيام فمعناه ما يقتضيه ذلك الكلام فمعنى قوله اقوم اى ابلغ فى وفاء ما يوجبه القول وان اريد به القراءة
نفسها فهو بالليالى اقوم قراءة وقوله عز وجل ان لك فى النهار سبحا طويلا قال ابو بكر والزجاج التسبيح السعة كانه قال ان لك
فى النهار سعة طويلا فى تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ بالليالى للعبادة لربك وقيل ان لك فى النهار سبحا طويلا اى فراغا و
سعة وتقلبها فالتسبيح يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به المشى والتقلب وهذا الذى قالوه محتمل ولكن لا يجى ان يصرف تاويل
الاية الى الفراغ والتقلب الى حوايج نفسه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبنا ولمن الدنيا الا قدر ما يقيم به مهجته فلا
يحتاج الى فضل ولا الى كثير فراغ ليتوسع فى امر دنياه ولكن حقه ان يصرف بتاويله الى تبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى توحيد الله تعالى
والى ما يحق عليهم فيكون فى قوله ان لك فى النهار سبحا طويلا ترخيص لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان ينصب بالليالى للقيام بين
يدى ربه واجتزاء منه بتبليغ الرسالة بالنهار وقوله عز وجل واذكر اسم ربك اى اذكر ربك وتبتل اليه تبتيلا
والتبتل تبعى اليه لا الى اسمه ثم ذكر الرب جل جلاله هو ان ينظر الاحوال لنفسه ما الذى يلزمه من العبادة فى تلك الحال فيكون
ذكره ربه باقامة تلك العبادة لا بان يذكر الله تعالى بلسانه فقط وهو كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا واستغفارهم
اى يا تمروا بامره وينتهوا عما نهوا لا ان يقولوا بالسنتهم ليستغفر الله وان قالوا يستغفر الله لم يقبل ذلك منهم اذا كانوا
كفرة فثبت ان استغفارهم الى يجيبوا الى ما دعاهم اليه نوح فلذلك ذكر الله تعالى يقع بوفاء ما يلزمهم حالة القيام به و
ذلك يكون بالافعال مرة وبالاقوال ثانيا ويشهد من صرف الامر الى الاسم على ما يوجد به ظاهر اللفظ فامر بذكر اسم الرب لما
يحصل له من الفوايد بذكره الا ان من اسمائه اسماء يرغبه فى اكتساب الخيرات والاقبال على عبادة ومنها ما يدعوا الذكر الى
الخوف والرهبة ومنها ما يوقف على عجايب حكمته ولطيف تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته فى قلبه ومنها ما يحدث له
زيادة علم وبصيرة وهى الاسماء المشتقة من الافعال واذا تامل فيها عرف الوجه الذى منه اشتق تلك الاسماء فذكر اسمائه
يحدث له ما ذكرنا من الفوايد والعلوم وقوله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا فالتبتيل هو الانقطاع الى الله تعالى وان يقطع نفسه
من شهواتها ويقصر فيها عن لذاتها كما انه قال وتبتل اليه وتبتل نفسك تبتيلا من الشهوات واللذات ولذلك سميت مريم رضى الله
عنها البتول لانها قطعت نفسها عن منافع الدنيا واقبلت الى الاخرة وانقطعت اليه وقوله عز وجل رب المشرق والمغرب قال
ابو بكر الاصم تاويله مالك المشرق والمغرب وحقيقة ان يقال مالك المشرق والمغرب لانه هو المالك على الحقيق وقال بعضهم هو الذى
هو المصلح ثم خص المشرق والمغرب بالذكر وان كان هو مالكهما ومالك الخلايق اجمع لان ذكر المشرق يقتضى ذكر السموات والارضين
وفى ذكر السموات والارضين ذكرا على العليين واسفل السافلين لانه اذا نظر الى المشرق ورأى ما يطلع فى المشرق من عين الشمس ثم
يجرى فى اقطار السماء وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ثم تغرب فى عين حمئة فتصير الى اسفل السافلين ويجرى كذلك حتى تصل الى
مطلعها ثم تطلع هنالك فدل ذلك على ان مدبر السموات والارضين ومنشئهما واحد وان سلطانه فى السماء وعلم انه بلغت قدرته
هذا المبلغ فان تسيير عين الشمس فى يوم واحد مسيرة الف عام ما يشتد على الخلق تقطع هذه المسافة فى مدد كثيرة لا يعجزه
يعجزه شىء ودل على ان ملكه دائم لا ينقطع لان عين الشمس يجرى فى كل يوم على سمت لا يتبدل ولا يتغير باختلاف الازمنة
والاوقات وجعل منافع اهل الارض متصلة بمنافع ولو لم يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء ولو لم
يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء عن اهل الارض فكان فى ذكر المشرق والمغرب دلالة وحدانية
واظهار قوته وسلطانه والوقوف على عجايب حكمته ولطايف تدبيره ثم تخصيص ذكر المشرق والمغرب دون السماء والارض
هو والله اعلم لان هذا اوصل الى معرفة التوحيد واشرع الى الاذهان من ذكر السموات والارض وان كان فى التدبر فى امر السماء
والارض تحقيق ذلك وفى قوله عز وجل رب المشرق والمغرب اى الذى امرت بذكره هو رب المشرق والمغرب وفيه تعريف الوجه
الذى يصل الى معرفة ربوبيته وقوله عز وجل لا اله الا هو اى لا معبود يستحق العبادة الا هو لان الذى يحمل
الانسان عبادة المعبود الخوف والرجا واذا عرف بذكر المشرق والمغرب اى تدبير الخلايق كلها راجعة اليه وانه
هو القاهر عليهم والقادر عليهم وبيده الخزاين والمنافع اجمع علموا انه هو الاله الحق والرب القاهر وان من سواه مربوب
مقهور لا يملك نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة والالهية وقوله عز وجل فاتخذه وكيلا فجايز ان يكون اراد ان
امورك كلها الى الله تعالى حتى يكون هو الذى يدبر ويحكم ولا تملك لنفسك فيها تدبيرا والوكيل فى الشاهد هو الذى يوكل
فى امر اخر على جهة التبرع لينصره فيه وتقيمه فيكون قوله فاتخذه وكيلا اى اطلب من جهته النصر والمعونة والرزق فالناس
انما يفزع الى الوكيل ليريح عنه علل ويقضى عنه حوايجه ويقوم عنه فى النوايب فكانه يقول افزع الى الله تعالى فى نوايبك فيكون
هو الذى يريح عنك العلل ويقضى عنك الحوايج ويكون معتمدك فى النوايب والله اعلم وقوله عز وجل واصبر على ما يقولون قال
اهل التفسير تاويله اصبر على تكذيبهم اياك الا ترى الى قوله فى سياق الاية وذرنى والمكذبين اولى النعمة فثبت انه دعى الى
الصبر على التكذيب وجايز ان يكون منصرفا الى هذا والى غيره لانهم كانوا لا يقتصرون على تكذيبه بل كانوا ينسبونه الى الكذب

مرة والى السحر ثانيا والى الجنون ثالثا والى انه يتيم رابعا فكانوا يؤذونه بانواع الاذى فجائز ان يكون قوله واصبر على ما يقولون
منصرفا الى كل ذلك ثم الامر بالصبر يقع بخصال ثلاث احدها ان لا تحملهم على تكذيبهم اياك تكذيبك اياهم ولا تجزع عليهم في
الجزع بعض التسلي والتشفي ولا يدعو عليهم بالهلاك والثاني ان اصبر لذلك ولقائل ان يقول كيف كان يشتد عليهم تكذيبهم اياه
حتى كاد يحزن لذلك والذين نسبوه الى الكذب كانوا من اعدائه وليس يستثقل التكذيب من العدو ولا يستنكر منه لانه بابعاد
ما يعتقده ينسب اليه بجميع ما يمكنه وسعه وانما يستثقل الكذب من اهل الصفوة والمودة فكيف استثقله وكيف بلغ به التكذيب
مبلغا يحزن به حتى يدعى الى الصبر بقوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الاية وبقوله واصبر على ما يقولون والجواب عن هذا
ان الكذب والجهل مما يستثقلهما العقل والطبع جميعا وكذلك التكذيب والتجهيل امر يثقل على الطبع والعقل جميعا حتى
ان الكذب اذا نسب الى الكذب اشتد عليه ذلك وان لم يتحامل وكذلك الجهول اذا عرف بالجهل ثقل ذلك عليه فاذا كان التكذيب
مستقبحا في عقول الخلق وطباعهم وان كانت طباعهم مستوية بالآفات وفي عقولهم فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع
صفاء عقله وسلامة طبعه عن الآفات احق ان يثقل عليه فيحزن لذلك ثم ما من انسان ينسب الى الكذب فيما يحدث عن نفسه او
عمن سواه الا ويلحق من علمت دينهم او الخلق الا وهو يحزن لذلك ويثقل فكيف اذا اخبر عن الله تعالى وكذلك فيه اليس هذا احق ان
يثقل على القلب ويحزن له ويجوز ان يكون حمله على الحزن شدة اشفاقه على المكذبين لان تكذيبهم الى العطب والهلاك فاشفق
عليهم باشتغالهم بما به هلاكهم وحزن لذلك او يكون حزنه غضب الله تعالى اذ الرسل كانوا يغضبون لله تعالى ويشتد ذلك على
اعدائه والجواب عن قوله ان المكذبين كانوا من اعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم وذلك امر غير مستبدع من الاعداء فنقول
ان رسول الله كان يعاملهم معاملة الولي مع وليه الصفي ولم يكن يعاملهم بما يعامل به الاعداء لانه كان يدعوهم الى ما فيه نجاتهم
وشرفهم في امر دنياهم واخرتهم ومن عامل مع اخر معاملة الاقرباء الاصفياء معه كان الحق عليهم ان يجازوه بالاحسان فاذا تركوا
ذلك وقابلوه بالتكذيب اشتد وحزن لذلك ثم في قوله واصبر على ما يقولون وفي قوله ولا تستعجل لهم ابطال قول من قال ان الله
تعالى لا يفعل بعبد الا ما هو اصلح له لانا نعلم ان النبي من الانبياء بالدعاء على استئصال الهلاك واستجيب بما دعا كان فيه
ما يحمل القوم على الايمان ويردعهم عن التكذيب لانهم يخافون حلول النقمة عليهم فيتركون التكذيب ويقبلون على الاجابة
فيكون فيه نجاتهم عن دنياهم في امر دنياهم واخرتهم فاذ لم يؤذن … دل انه ليس من شرط الله تعالى ان يفعل بعباده ما هو اصلح لهم
فان قيل كيف لم يؤذن بالدعاء عليهم ليحملهم ذلك على الاسلام ويمنعهم عن التكذيب قيل لان فيما ذكرتم رفع المحنة والابتلاء
لان المحنة انما ذلك يقع من جهة الضرورة لانه اذا علموا انهم يستأصلون بالتكذيب امتنعوا عنه واجابوا الى الاسلام كرها
فيصير الحمل اضطراريا لا تمييزيا واختياريا وجميع الرسل عليهم السلام اختياري لا اضطراري لما ذكرنا انها لو جعلت اضطرارية لارتفعت
المحنة فجعلت حججهم من وجه يقع بها الشبه ليوصل الى معرفتها بالتفكر ليكون به تقع المحنة فان قال قائل ان ابا حنيفة رحمه الله
ذكر في كتاب العالم والمتعلم ان ايمان الملائكة وايمان الرسل وايماننا واحد ثم قال فاذا استوينا نحن والرسل في الايمان فكيف
صار الثواب لهم اكمل وخوفهم من الله اشد فاجاب عن هذا السؤال باجوبة وقال في جملة ما اجاب انهم لو ارتكبوا الزلات
يحل بهم العقاب عقيب الزلل فصار خوفهم بالله تعالى الزم في هذه الجهة ولسائل ان يسأل على هذا فنقول فاذا ايمانهم
بالله تعالى وتركهم المعاصي ضروري لا اختياري فيجاب عنه بان يقال بان الانبياء عليهم السلام لم يتبين لهم العصمة بل
كانوا على خوف من وقوعهم في المهالك الا ترى الى قول ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولو كانت العصمة
ظاهرة لكان يستغني عن السؤال وقال في قصة شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
وسع ربنا كل شيء علما فثبت انه لم يتبين لهم العصمة ونحن انما نشهد لهم بالعصمة بالوجود لان الحكمة توجب العصمة و
الرسل عليهم السلام امروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالنظر فامر من تقدمهم من الرسل ليظهر لهم العصمة بالتدبر و
التفكر فثبت انهم كانوا على الخوف والرجاء في تلك الاشياء وفي وقوعها في المهالك وان ايمانهم بالله تعالى لم يكن ضروريا
بل وصلوا الى معرفته بالتمييز لذلك عظمت درجاتهم والثاني ان الانبياء عليهم السلام قد كان تزيد في قلوبهم هيبة الله
تعالى وعظمته فكانت المعرفة هي التي دعتهم الى الايمان به لا خوف حلول العقوبة بهم لو ارتكبوا الزلات واما الكفرة فلم
يعرفوا عظمة الله تعالى ولا قدرته وسلطانه حتى يحملهم ذلك على الايمان به فلو حلت العقوبة بهم بالتكذيب لكان الخوف هو الذي
يحملهم على الايمان لا غير فيصير ايمانهم ضروريا فلهذا لم يعاقبوا بالتكذيب لان لا يرتفع المحنة ويخلف بينهم وبين غيرهم هذا
كما يقول بان انباء ما تقدم من الرسل حجة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في اثبات نبوته وان كانت تلك الانباء قد عرفها اهل الكتاب
واخبروا بها لان اهل الكتاب عرفوا تلك الانباء بالتعلم والتلقين ولم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من عنده علم
تلك الانباء فعلم انه بالله علم لا بتعليم احد فصار الانباء حجة لذلك ولم يصر حجة والله اعلم وقوله عز وجل واهجرهم هجرا
جميلا فجائز ان يكون تأويله اهجرهم وقت سبهم ونسبتهم اياك الى ما لا يليق بك ولا يعبأ بهم ولا يكترث اليهم والى ما يقولون

عليك

عليك لان ذلك بعض ما يرجى المتقون والشاب عما هو فيه وهو كقوله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
ويحتمل ان يكون تأويله اذا تقطع عنهم انقطاعا جميلا والانقطاع الجميل ان لا يترك شفقته عليهم ولا يدعو عليهم
بالهلاك ولا يمتنع عن دعائهم الى ما فيه رشدهم وصلاحهم ولذلك قال في وقت اذاهم اياه اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون ويحتمل ان يكون هجره اياهم هجرا جميلا هو ان لا يكافيهم بالسيئة بل يدفع السيئة بالحسنة كقوله تعالى ادفع
بالتي هي احسن السيئة ان ذلك ادعى للخلق الى الاجابة من يفعل ذلك بهم عند المعاملة والله اعلم ثم من الناس من يقول
بان هذه الاية نسختها اية السيف ومنهم من قال بانها لم تنسخ وصرفوا تأويل الاية الى جهة لا يحل عليها النسخ وذلك
ان في قوله واهجرهم هجرا جميلا ترك المكافات لاجل ما اذوه ولم يفترض عليه القتال ليكافيهم باذاهم وينتقم منه
بذلك بل رجع قتاله الى نصرة الدين ولتكون كلمة الله تعالى هي العليا لذلك لم يكن في اية السيف ما يوجب نسخ هذا لا
نسخ عمل بقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره الثاني انه ليس في قتالهم انتقام منهم بل فيه ما يدعوهم الى الايمان
بالله تعالى ورسوله واذا امنوا بذلك نجوا من العقاب وفازوا بعظيم الثواب فيصير القتال رحمة لهم لا عقوبة ووجه
جعله رحمة هو انهم اذا راوا غلبة المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعف الذي حل بابدانهم لاشتغالهم بعبادة
ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة ابدانهم ايقنوا انهم لم ينالوا الغلبة بالحيل والاسباب بل الله تعالى هو الذي قواهم
عليهم ونصرهم فيتفكرون عند ذلك في كون اهل الاسلام على الحق فيحرزوا به جزيل الثواب وكريم الماب فصار القتال
رحمة لهم لا ان يكون عليهم عقوبة عليهم لسوء صنيعهم واذا كان كذلك بقي العمل بقوله عز وجل واهجرهم هجرا جميلا ثابتا
باقيا وبهذا الجواب من سأل فقال ان الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي القتال ترك
الرحمة فكيف فرض عليه فيقال ان ليس في القتال ترك الرحمة بل هو من ابلغ الرحمة وتمامها ان يحملهم على الايمان وترك
التكذيب فيعلو منزلتهم وشرف قدرهم في الدنيا والاخرة والله اعلم وجواب اخر ان يقال بان الحجة في القتال ليس في
القتل لانهم اذا خافوا القتال تركوا التكذيب واقبلوا على الداعي الا ترى انه ذكر ان العرب قبل ان يفرض عليهم القتال
كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد في هذا الدين فلما شرع القتال جعلوا يدخلون فيه فوجا فوجا وقبيلة قبيلة ثم
اباحة القتل يكون بالضرورة لانهم اذا علموا انهم لا يقتلون لم يقع لهم الخوف بالقتال واذا لم يخافوا تركوا الاجابة وشرع
القتل فيه لتحقيق الخوف فلم يكن ترك الرحمة وهو كقوله ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب وفي اقامة القصاص تلف
النفس وليس فيه احياء ولكن وجه الاحياء فيه هو ان القاتل اذا فكر قتل نفسه بقتل صاحبه ردعه ذلك عن القتل
فيكون فيه احياء النفس جميعا فصار ايجاب القصاص سببا للاحياء في الحقيقة وان كان في الظاهر سببا للاتلاف فكذلك
هؤلاء انما يقتلوا بالقتل بامتناعهم عن الاجابة تركوا الامتناع واقبلوا على الاجابة فيكون موضع القتل الرحمة وفي التحقيق
وان كان في الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة والله اعلم وقوله عز وجل وذرني والمكذبين اولي النعمة وفيه ان اهل النعم
والرفاهة هم الذين اشتغلوا بالتكذيب وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله كما قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وقال وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها … فخص اولي النعمة بالذكر لهذا ثم في قوله وذرني والمكذبين
ابهام بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق منه المنع ولم يوجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيلولة ومنع ولكن مثل هذا الخطاب
موجود في كتاب الله تعالى في غير اي من كتابه وهو ان يخرج مخرجا يوهم ان هناك مقدمة وان لم يكن فيها مقدمة في
التحقيق قال الله تعالى والسماء رفعها ولم يكن فيه تحقيق الوضع وان كان الرفع يستعمل في الشيء الموضوع وكان
تأويل الرفع هاهنا بانها خلقت مرفوعة وقال والارض وضعها وكان معناه انها خلقت موضوعة وقال يوسف
عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يسبق منه دخول في دين اولئك فيكون تاركا له بعد ما دخل فيه
وقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يتقدم
قوله عز وجل يخرجهم من الظلمات الى النور كونهم في الظلمة ولا اقتضى قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات كونهم في النور فيخرجهم
منه وان كان في الظاهر يقتضي حيلولة ومنعا فليس في الحقيقة اثبات منع ويذكر غير هذا في سورة المدثر ثم قوله وذرني و
المكذبين معناه لا يجازهم بصنيعهم لا يستعجل عليهم بالدعاء بل امهلهم قليلا فسيكفيكهم الله وقيل في الفرق بين النعمة و
النعمة ان النعمة ما يعطي العبد ارادة استلذ رأيه فيها وهلاكه كقوله عز وجل ونعمة كانوا فيها فاكهين والنعمة هو منه الله تعالى
على عباده تفضلا عليهم كقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والله اعلم وقوله عز وجل ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة و
عذابا اليما قال ابن عباس رضي الله عنه الانكال هو السلاسل والقيود وقال ابو بكر الاصم الانكال ما ينكل به ويعتبر به غيره قال الله
تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة تأويله ما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ايضا فان كان
على ما ذكر ابو بكر الاصم فقد يكون في الدنيا ويكون منصرفا الى يوم يرد والله اعلم وكان الاول اشبه والجحيم هو معظم النار

ثم في هذه الآية دلالة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية رسالته لان قوله انكالا وجحيما راجع الى قوله وذرني والمكذبين اولي
النعمة فان لم الدنيا انكالا وجحيما وانما يتكلمون ويعذبون بالجحيم اذا ماتوا على الكفر ففيه آية انهم يموتون وهم كفار وعلى ذلك
ماتوا وختم امرهم ولم يسلم منهم احد فخرج ما اخبر عن غيب كما اخبر وذلك لا يعلم الا بالله تعالى فثبت انه لم يخترعه من تلقاء نفسه
بل علم بالله تعالى وعلم الغيب من اعظم آيات رسالته وقوله عز وجل وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فالذي يغص ولا ينحدر على اثره
ليس بطعام في الحقيقة وكذا لهم شراب من حميم فالحميم ليس بشراب في الحقيقة ولكن سمى الاول طعاما لانه يصنع صنيع الطعام
والصديد والحميم يسيلان سيل الشراب فذكر في الاول طعاما وفي الثاني شرابا للمثال لان الطعام اسم لما يطعم فهو مطعوم و
ان كان كريها والحميم مشروب وان كان في نفسه ثم الاصل ان الكفرة بكفرهم تركوا شكر نعم الله تعالى ذكره وقابلوها
بالكفران فابدل الله تعالى في الآخرة مكان كل نعمة نقمة الا ترى الى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
فابدلهم مكان البصر عمى ومكان السمع صمما لتركهم شكر ما انعم من البصر والسمع واللسان وابدلهم مكان اللباس قطرانا ومكان
المراكب النار على اقدامهم ووجوههم فكذلك ابدلهم مكان الطعام زقوما وحميما لتركهم شكر نعم الله تعالى وقوله عز وجل
يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقد ذكر الرجفة في غير موضع وقوله كثيبا مهيلا فقد ذكرنا الرجفة
في غير موضع وقوله كثيبا مهيلا فقد ذكرنا الرجفة في غير موضع وقوله كثيبا مهيلا اي رملا سايلا تنفيه احاد عن شدة هول
ذلك اليوم لان الجبال من اصلب الاشيا واشدها في انفسها ثم يبلغ هول ذلك اليوم مبلغا يحتمله الجبال مع شدتها وصلابتها
فان الانسان الضعيف المهين انى يقوم لشدته وهوله فذكرهم حال ذلك اليوم ليرتدعوا وينتهوا عما هم عليه في التكذيب و
العناد وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا قوله شاهدا عليكم قال ابو بكر الاصم
اي مبينا عليكم ما لله تعالى عليكم من الحق وجايز ان يكون شاهدا عليكم ان لكم وعليكم جميعا فيكون على الكفرة شاهدا بقوله
وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ويكون للمؤمنين شاهدا وقد يذكر على ويراد به اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب لانهم كانوا
يذبحون لها لا عليها وخص ذكر موسى عليه السلام وفرعون من بين الجملة فما يرى ذكر التخصيص هو والله اعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان نشوه بين ظهراني الذين كذبوه ولم يكن وقفوا منه على كذب قط بل كانوا عرفوه بالصيانة والعدالة وكان
يحل بهم تراخلا الشهادة فكيف ينسبونه الى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه وكذلك موسى عليه السلام كان نشا بين ظهراني
الذين ارسل اليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة وعرفوا انه يصلح للشهادة ومنهم من يقول بانهم ازدروا برسول الله صلى
الله عليه وسلم واستصغروه لعشيا انما شهد وامن حاله عند الصغر ما كان نشوه فيهم وكذلك ازدروا بموسى عليه السلام حين
بعث اليهم واستخفوا به استخفافهم به في حالة الصغر حتى قالوا الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين فنزل بهم
ما نزل باوليك من الاستيصال بتكذيبهم اياه وازدرائهم به ليعتبروا به فينتهوا عن ازدرائه لئلا يحل بهم ما حل باوليك
ولان لا ينفروا بقوام وكثرة عددهم واموالهم فان مكذبي موسى عليه السلام كانوا اكثر اموالا واولادا واعدادا واشد
بطشا ثم لم يغنهم ذلك من الله تعالى شيا وجايز ان يكون خص ذكر موسى عليه السلام وفرعون ونباهما لان خبرهما كان منتشرا فيما
بين اهل مكة لانهم كانوا اتبع اليهود الذين عندهم نبا موسى عليه السلام وفرعون فكانوا يخبرونهم بما حل بفرعون وقومه
بتكذيبهم الرسول فذكرهم نبا موسى عليه السلام لينتهوا عما هم عليه من التكذيب ولان الله تعالى ان يحتج عليهم
بانه فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا ومنه المطر الشديد يسمى الوابل وقال ابو بكر اسم لكل مستثقل
وقوله عز وجل فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا فهو يحتمل اوجها احدها اي كيف يتقون النار في الآخرة
اذا سلكتم في الدنيا سبيلها وهو الكفر وانتم تعلمون ان من سلك طريقا لشيء ولا منفذ لذلك الطريق الا الى ذلك الشيء
لا نريد عليه لا محالة او كيف تتقون النار في الآخرة وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم او كيف تتقون العذاب
في الآخرة وانتم تدفعون اليها وتضطرون بقوله عز وجل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وبقوله ويوم يسحبون في النار
على وجوههم وبقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وقد مكنتم في الدنيا من الايمان بالله تعالى ومكنتم الاتقاء
على الكفر ثم لم تتقلبوا عنه فانى ينفعكم التخلص من عذابه وانتم تدفعون اليه او كيف ينتفعون بما لكم في الآخرة
ولم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه والاصل ان دار الآخرة ليست بدار الاستخدام الاسباب وانما هي دار وقوع المسببات
فهم اذا لم يستخدموا الاسباب التي جعلت لرفع العذاب في الدنيا لم يكونوا من استخدامها في الآخرة فينتفعوا بها ولم يكونوا
اهلا لوقوع المسببات لما لم يستخدموا الاسباب في الدنيا وانما قلنا انها ليست بدار محنة وابتلاء لان المحنة لا تستقيم
الخفيات والثواب والعقاب قد شوهد وعوين فاذا قيل اذا فعلت كذا دخلت النار وهو يعاين النار ويراها فهو
يمتنع عن الاقدام على ذلك الفعل واذا قيل له اذا امنت بالله تعالى اكرمت بالجنة وهو يشاهد الجنة ويراها فهو يومن
لا محالة فلا وجه للابتداء في الآخرة بل هي دار وقوع مسبب اعني الثواب والعقاب والذي يدل على هذا قوله يوما

يجعل الولدان شيبا فاخبر انهم يشيبون لا بسبب المشيب والمشيب في الدنيا لا يوجد الا بعد وجود سببه وهو
الكبر ليعلم ان دار الآخرة ليست بدار استخدام الاسباب فيما سيحدثون من الايمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك
اليوم ولا يقيهم عذاب الله تعالى وقوله عز وجل يجعل الولدان شيبا فجايز ان يكون هذا على التحقيق فيشيب الولدان
لهول ذلك اليوم ويصير الشيب سكارى لشدة هوله كما قال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وجايز ان يكون
على التمثيل لا على حقيقة الشيب فمثله به لعظم ذلك اليوم وشدة هوله وقد يجوز ان يمثل الشيء بما يبعد عن الاوهام
تحقيقه على تعظيم ذلك الشيء كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
ذكر هذا على التمثيل لعظم ما قيل فيه لا على تحقيق الانفطار والانشقاق وجايز ان يكون معناه انه لولا ان الله تعالى بعثهم
للابقاء وانه لا يفنيهم ولا يتفانوا لكان هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يشيب به الولدان وقوله عز وجل السماء منفطر
به اي بما يجعل الولدان شيبا وهو هول ذلك اليوم وشدة فزعه او منفطر بالغمام وقيل منفطر بالله اي بقضائه وحكمه
والله اعلم ثم قال منفطر به ولم يقل منفطرة والسماء مؤنث فذكر الزجاج ان معنى قوله منفطر به اي ذات انفطار فتركها
بما يعبر عن الذكور كما يقال امراة مرضع اي ذات ارضاع وقوله عز وجل كان وعده مفعولا اي الذي وقع به الوعد هو المفعول
وكذا قوله انه كان وعده ماتيا والوعد لا يؤتى بل الموعود هو الذي يؤتى ولكن ينسب الموعود الى الوعد لانه من آثاره
وهذا كما يقال للمطر رحمة الله اي برحمة الله ما مطر والا فان يكون المطر رحمته ويقال للصلاة امر الله اي بامر الله ما يقال
الا ان يكون امره الذي يوصف به فكذلك الموعود نسب الى الوعد فالوعد ما استوجبوا الا ان يكون الوعد هو المفعول
وهو الماتي وقوله عز وجل ان هذه تذكرة فجايز ان يكون قوله هذه منصرفا الى الاهوال التي ذكرها تذكرة ويحتمل ان ينصرف
الى الرسالة اي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة ويحتمل اي هذه السورة ان الآيات كلها تذكرة وقوله عز وجل فمن شا
اتخذ الى ربه سبيلا الى ما دعاه اليه ربه وذلك يكون بالاجابة فيما دعاه اليه او من شاء اتخذ الى ما وعد له ربه في الآخرة
سبيلا فان يقبل على طاعته ويشغل نفسه بعبادته وقوله عز وجل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه قال ابو عبيد الصواب ان يقرا ونصفه وثلثه بالخفض على معنى اضافة ادنى اليهما فكانه يقول ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل وادنى من نصفه وادنى من ثلثه وادنى يكون على الزيادة والنقصان جميعا لان فضل ما بين
الثلث الى النصف هو السدس فاذا زاد على الثلث اقل من نصف السدس فهو الى الثلث ادنى وكذلك اذا تنقص من
الثلث شيا قليلا فهو الى الثلث قريب فيكون اليه ادنى وكذلك الفضل فيما بين النصف الى الثلثين هو السدس
فاذا زاد على النصف اكثر من نصف السدس فهو الى الثلثين ادنى واذا نقص من نصف السدس فهو الى النصف ادنى و
قرب ومنهم اختنا والنقصان [illegible] فالوجهان جميعا محتملان لان قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه
ليس فيه ايجاب حكم جديد وانما فيه اخبار عن القيام الذي وجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجايز ان يكون وجد منه
ذلك كله وهو ان يكون قد [illegible] من الثلثين وقد [illegible] من النصف وادنى من الثلث [illegible] ما ذكره اهل التاويل الاول ويكون قد قام
ادنى من ثلثي الليل وقام نصفه وثلثه واذا ادنى من نصفه وادنى من ثلثه فكذلك في الثلثين الاول فلما وجد منه الادنى من
جهة الزيادة والنقصان ولم يوجد موافقة الثلثين والنصف والثلث بالامرين جميعا الوجود الموافقة وهي
ان يكون قام نصف الليل وقام ثلثه وقام ادنى من النصف وادنى من الثلث واذا كان هذا كلاما محتملا لم يجز ان يوقع
احد الوجهين ويجتنب بالوجه الآخر وهذا كقوله تعالى وارجلكم قرئ بنصب اللام وخفضه جميعا لما
وجد الامران جميعا وهو ان يكون يمسح على الخفين ويغسل [illegible] عليها بالآيات جميعا فكذلك قال في سورة سبا
ربنا باعد بين اسفارنا قرئ ربنا بعد على الخبر وربنا باعد على الدعا [illegible]
وقوله ربنا باعد على الاخبار [illegible] بالاعراب فكذلك هاهنا لما استقام وجود الوجهين من رسول الله صلى الله
عليه وسلم استقام ان يقرا بالنصب والخفض جميعا ويفرق بينهما بالاعراب والله اعلم ثم يحتمل ان يكون المفروض من
القيام قدر ثلث الليل ويكون الزيادة بحكم النافلة ويجوز ان يكون كله مفروضا ان طال وزاد والنقصان الذي
[illegible] ثلث الليل الآخر [illegible] من الركوع والسجود [illegible] جزء منه وكذلك من
القيام بالجزء منه [illegible] الركوع [illegible] ادرك في اول الركوع
[illegible] مع الامام [illegible]
[illegible] الامام [illegible] جزء منه [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل وطايفة من الذين معك وهذه الآية وقوله عز وجل فتاب عليكم يدل على ان فرض القيام
كان على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه من المومنين وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخصوص بالخطاب بقوله

يا ايها المزمل لانه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله فتاب عليكم معنى الامر انه اذا لم يفرض علينا قيام الليل في
يومنا هذا لم يجز ترك القيام الان يتوب الله علينا ثم ان الله ذكر في التوبة وفيما فيه التسبيح خطابا يجمع الجميع بقوله
تاب الله عليكم ويقول فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة بما فيه الامر خطابا يقتضي الايجاد وهو قوله قم الليل الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا ففي هذا انه قد يجوز ان يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على ادخال غيره فيه يتناوله ولا يجوز ان الخاطب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به اشراك النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الخطاب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتبوع
فيجوز الحاق غيره به وغيره لا يكون متبوعا حتى يلحق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل والله يقدر الليل والنهار و
ان الليل والنهار ليسا يمضيان على الجزاف ولكن بتقدير سبق من الله عز وجل وانه ذلك ظاهر لانهما يجريان مذ خلقا على تقدير
واحد لم يتقدما ولم يتاخرا ولم ينتقصا ولم يزدادا فيكون فيه ايات ان مدبرهما واحد وان الذي قدرهما حكيم لا يبيد ملكه
ولا ينفد سلطانه وقوله عز وجل علم ان لن تحصوه قال بعضهم علم ان لن تطيقوه قال ابو بكر الاصم هذا لا يستقيم لانه جائز
ان يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه الا ترى الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس فيما ذكره ابو بكر ما يدفع هذا التاويل
لانه يقال للامر اذا اشتد وتعسر لا يطاق هذا الامر وان لم يكن ذلك خارجا عن الوسع الا ترى الى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به ربنا وتاويله لا تحملنا امرا يشتد علينا عمله ليس انهم خافوا ان يحملهم امرا لا يحتمله وسعهم فيكون قوله علم ان لن تحصوه
ان كان تاويله ان لن تطيقوه على ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله ما لا طاقة لنا به اي لا تحملنا امرا تهلك فيه طاقتنا لا
ان تحملوا امرا لا يطيقونه الا ترى الانسان يحتمل القتل ولكن قتله يهلك طاقته وجائز ان يكون قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به
اي اعصمنا من الشهوات واللذات لان لا نوثرها فيكون مستغنين بارتكابها فوق العقل الذي تعبدنا به فلا تصل الى فعله وهذه
هي القوة التي لا امر لها الفعل بل يطابقه واما الفعل الذي هو خارج عن احتمال الوسع والطاقة فذلك هو الذي لا يقع بمثله التكليف
وجائز ان يكون تاويل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا احد ما امركم به لو اخذ عليكم فامر بتقدير الثلث والنصف لم
يمكنكم ذلك الا بعد جهد ففرض عليكم قيام الثلث من الليل وجعل لكم الامكان فان تزيدوا عليه فيحيط علمكم بقيام الثلث ولو
كان على حد واحد لم يمكنكم حفظه الا بعد شدة وجهد وفي ذلك كلفة عسيرة ويؤيد هذا تاويل من قال علم ان لن تحصوه اي لن
تطيقوه ويكون الطاقة عبارة عن واشتداد الامر ثم في هذه الاية دلالة على اباحة تعليق الحكم بالاستحسان لانه قد فرض
عليهم قيام ثلث الليل ولا يمكنهم تدارك الثلث بتقدير الاباحة وانما يمكنهم بالتقدير الذي يغلب على القلب فثبت انه قد يجوز
ان يكون الحكم معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون والاستحسان ليس الا تعليق الحكم بما يغلب على القلوب والذي
يدل على ان الحكم لازم بما ذكرنا ان الله تعالى الزم الحد على القاذف وعلى الزاني ولم يبين مبلغ ونوع الضرب فيه ولا ما يضرب
تقدر ذلك بما يقع في القلوب ان مثل هذا الضرب فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب ان مثل هذا الضرب يبلغ
لمثل هذه الجناية وكذلك قيم الاشياء والاروش والنفقات وتسوية المكاييل والموازين يعتبر في ذلك كله بغلبة الظنون من
غير ان كان يثبت من ذلك اصل بعدد النوازل به ويمنع منه فثبت انه يجوز ان يحكم بالذي يغلب على القلوب وان المجتهد
يرجع الى وجهين مرة ينظر في نظيره فيمثل بهذا ويسمى ذلك قياسا ومرة يحكم فيها بما يغلب على الظنون فيسمى ذلك استحسانا
وفي هذه الاية دلالة ان سوال من يسال ابا حنيفة رحمه الله ان الوتر لو كان له مشابه في الفرض لكان لا يختلف في عدده
سوال غير مستقيم لانه قد فرض على القوم ان يقوموا ثلث الليل وقد اخبر عز وجل انه لا يحصوه حد ما امرهم به واذا لم يحصوا
فلا بد ان يقع هناك زيادة او نقصان فكذلك الوتر وان كان حد عدده غير معروف وهو لا يخرجه عن حكم الفرايض والله
اعلم ثم في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم هو ان الله وقت ما فرض عليهم علما انهم لا يحصونه ولكن بين هذا ليعلموا
ان الله تعالى ان يكلفهم اقامة العبادة الى وقت لا ينتهيا لهم احاطة مبلغ ذلك الوقت الا بعد جهد ليعرفوا منة الله تعالى
عليهم اذا اسقط عنهم ذلك التكليف وهو كقوله عز وجل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ولكن ذكر هذا ليعلموا
انهم يكلفون القيام للعشرة وان كان بهم ضعف لكن اذا خفف عنهم عرفوا فضل الله عليهم من عظم المنة وقوله عز وجل علم
فتاب عليكم فيحتمل ان يكون طائفة منهم امتنعوا عن القيام فيكون التوبة راجعة اليهم الا ترى الى قوله تعالى ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك فهذا يبين ان جميعا لم يقوموا معه وانما قامت
معه طائفة فيكون التوبة راجعة الى الطائفة التي امتنعت عن القيام وجائز ان يكون التوبة راجعة اليهم والى الذين قاموا معه
فيكون الذي قاموا معه قصروا القيام عن الذي شرط عليهم فاشتد [illegible]
فتاب الله عليهم جميعا والله اعلم وقوله عز وجل فاقرؤوا ما تيسر من القران فمنهم من ذكر ان قيام الليل صار منسوخا بهذه
الاية ومنهم من يقول بان المنسوخ [illegible] وهو الصلوة المفروضة وليس بينهما [illegible]
جميعا ووجه النسخ هو ان القيام فلو كان قيامها جائز لكان بما تيسر عليهم لانه قد لا تأمن

الى ثلث الليل لزمهم بتبليغ القراة الى حد يتعسر عليهم ويشتد فاذا اذن بالا قنتبنا وعلى القدر الذي تيسر عليهم انه قد
سقط عنهم ان يقوموا ثلث ثم هو انا قام صلوة المغرب والعشاء فقد قرا من القران ما تيسر عليه فصار قاضيا لما
فرضناه وقوله فاقرؤوا ما تيسر من القران فمن هذا الوجه استدلوا بهذه الاية على نسخ حكم القيام بالليل ثم هذه القراة
يتبعها في الصلوة فيكون النسخ واقعا بها ثم من الناس من يزعم ان فرض القيام سقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن امته و
بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وان كان الفرض عليه قائما لم يكن التهجد به نافلة ومنهم من زعم انه لم يسقط عنه فرض
القيام بل دام عليه الى ان قبض عليه السلام واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كتب علي قيام الليل ولم يكتب عليكم
ومعناه بقي علي مكتوبا ورفع عنكم اذ لو لا ذلك ان القيام في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا وقد قال بعض الناس
ان الصلوة الليل لم يكن فرضا على امته بهذا الحديث وما ذكرنا حجة عليهم ثم الجواب عن التعلق فتهجد به نافلة لك معناه
غنيمة لك لا ان يكون القيام منه تطوعا ووجه صرفه الى الغنيمة هو ان العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مخرج
الشكر لله تعالى فيصير بها مكتسبا الفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير للسيات لانه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فلم يكن يحتاج الى اتيان الحسنات لتكفير السيات فثبت ان الفعل منه يقع موقع اكتساب الفضيلة فيدوم له ذلك
الفضيلة ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من اعظم الغنائم والذي يدل على ان فعله يخرج مخرج الشكر ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله اليس يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال عليه السلام
فلا اكون عبدا شكورا واما غيره فان الحسنات منهم مكفرة للسياتهم ومطهرة لهم ثم قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيات فهم يحتاجون لم يصيروا مكتسبين الفضيلة فحسنا تعالى الاوقات فيصيروا بها مغتنمين بل يدفعوا لا ثمهم ويطهروا
انفسهم من المآثم فلم يصر القربة منهم نافلة والله اعلم فهذا ما سمي تهجدا نافلة لانه يكون قيامه نفلا وقوله عز وجل علم ان سيكون
منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فمنهم من زعم ان هذه السورة كلها
مكية ومنهم من زعم ان اولها مكي واخرها مدنية ويحتج هؤلاء بقوله تعالى واخرون يضربون في الارض ويقول يجاهدون
في سبيل وذلك ان الجهاد فرض على المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ولم يوجد منهم الضرب في الارض في حال كونهم بمكة وفي هذا
اخبار عن جهاد طائفة وعن ضرب بعض في الارض فثبت ان نزول هذه الاية كانت بالمدينة واحتجوا ايضا بقوله فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة قالوا ان الزكوة انما فرضت عليهم بعد ما هاجروا الى المدينة وفي هذا امر بايتاء الزكوة فثبت ان نزولها
كانت بالمدينة واما اول السورة فهي في موضع المحاجة على اهل الشرك ولم يكن بالمدينة مشرك بل كانوا اهل كتاب ومن ذكر انها
كلها مكية فهو يجعل قوله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله على الوعد والبشارة
ليس على الايجاب والوجوب الا ترى الى قوله عز وجل علم ان سيكون منكم مرضى فاخبر انه سيكون منكم مرضى في ذلك الوقت فلم
يكن فيما ذكر دلالة كونها مدنية ثم الاية ان كانت على الوعد ففيه انهم كانوا في ضيق من العيش وكانوا من القوم في خوف فيكون
فيه بشارة انه يرفع عنهم الضيق بما يضربون في الارض فيوسع عليهم العيش وانه يفتح لهم الفتوح ويكثر انصارهم حتى يقهر
العدو ويقع لهم من ناحيتهم الامن وقد ال الامر الى ما بشرهم به ففيه اية رسالته عليه الصلوة والسلام اذ اخبرهم عن علم الغيب
وكان الامر على ما اخبرهم ثم وقوله عز وجل علم ان سيكون منكم مرضى في موضع الاستدلال انه انما خفف عليهم الامر بما ذكر من الاعتذار
من المرض والضرب في الارض والمجاهدة في سبيل الله والتخفيف اذا وجب العذر فما لم يلاق العذر حالة الفعل لم يخفف عنهم قبل
وقوع الاعتذار وان هي لا في الفعل بل بمتقدمة لان المجاهدة تكون بالنهار لا بالليل وكذلك الضرب في الارض وقته النهار لا الليل
والقيام كان بالليل ليس بالنهار ثم قد وضع عنهم قيام الليل وان لم يكن العذر ملاقيا للقيام فعلى ذلك جائز ان يرفع
عنهم القيام بالليل وان لم يات بعد وقت المجاهدة ولا كان الضرب موجودا ليس في ذلك كله الا عدم ملاقاة العذر حالة
القيام ثم وجه رفع قيام الليل عنهم بالمجاهدة والضرب في الارض وان كانا يحصلان بالنهار لا بالليل هو ان المجاهدة
بالنهار يضعفهم ويوهن قواهم فيتعذر عليهم قيام الليل وكذلك الضرب في الارض فمن الله تعالى عليهم بان رفع عنهم
قيام الليل وان لم يوجد منهم الاشتغال بالجهاد في الليالي والله اعلم ثم الضرب في الارض يكون للتجارة ولغيرها من الوجوه
الطلب وغيره من الاسباب فلا يحصل امر الضرب على التجارة خاصة وقوله عز وجل فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة قال ابو بكر
في قوله واتوا الزكوة دلالة ان هذه الاية مدنية لان الزكوة انما فرضت عليهم بالمدينة فان كان الامر على ما ذكر ان فرضيتها
نزلت بالمدينة فذلك عندنا مصروف الى زكوة المواشي خاصة لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم بمكة سوايم
لانهم كانوا يخافون العدو فلم يقتنيها لهم اسامة المواشي واما ما وجب من الزكوة الى غيرها من الاموال فيشبه ان يكون واجبة عليهم
في حال كونهم بمكة وبعد ما فارقتهم لقفها ولا يكون في الامر بايتاء الزكوة دلالة نزولها بالمدينة والله اعلم وقوله عز وجل
واقرضوا الله قرضا حسنا فالقرض في لغة العرب يقال قرض الفار الجراب اي قطعه فسمي القرض لهذا لانه يقطع ذلك القدر من

ماله فيد ضاكي عبره وكذلك هو ما يتصدق به فيطلع ذلك القدر فيجعله الله تعالى خالصا فيتمى اوامنا لهذا ويجوز ان يكون
اضاف الى نفسه ليلا يمن على الفقير فيما يتصدق عليه اذ الامر جعل فيما بينه وبين ربه فيصير الفقير معاونا في ذلك القرض
ولان المرء في المشاهد انما يقرض في الشاهد ما يفضل من حاجته فيدفع الى من يثق به ليستمده منه عند حاجته فكذلك الصدقة
اوجبت فالمال الذي يفضل عن حاجات فيقرضها الله تعالى فيجدها مهياة عند ما يمسه الحاجة ثم المال الذي يدفع الى الفقير
على جهة التصدق هو مال الله عز وجل ثم جعل الله تعالى ذلك منه اقراضا جل جلاله وامتنانا الى نفسه فيكون الفايدة في الامتنان
الى نفسه هو تفضيل على من عليه في ذلك الفعل على جهة التكرم منه وهو كما سمى الثواب الذي يتفضل على عباده اجرا يقابله
فعل عمله لا للعبد نفسه ومن عمل لنفسه لم يستوجب الاجر على غيره وسمى الذي يقتل شهيدا بايمانه نفسه لله تعالى على تفضيل
وترغيب العباد في مثله لقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم **وقوله** عز وجل وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله معناه تجدوه حاصلا لكم والاكل شيء تقدمون من خير او شر تجدوه حاضرا في ذلك اليوم ولكن الشر يكون عليهم قال
الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال عز وجل لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها **وقوله** عز وجل هو خيرا واعظم اجرا وفي حق الكلام ان يقول هو خير لان هو من تفيع ما بعده ولكن هو
كالفصل ههنا وحقه الحذف واذا حذفنا نصب الكلام لان معناه ان الذي تجدونه عند الله خيرا لكم مما خلفتم فيكون حينئذ
ثم قوله عز وجل هو خيرا واعظم اجرا ويحتمل ان وجهان احدهما انه خير لكم واعظم اجرا مما خلفتم لورثتكم فيكون فيه ان الذي يخلفه لو
لورثته له فيه خير ولكن ما تقدم لآخرته خير له والذي يدل على ان له فيما يخلفه لورثته خيرا قوله عليه السلام انك ان تدع
ورثتك اغنياء خيرا من ان تدعهم فقراء يتكففون الناس والثاني ان المرء في الشاهد قد يسخو بنفسه ببذل الاجل لما
يامل منه من المال الثواب العاجل فيكون في قوله هو خيرا واعظم اجرا ترغيب العباد في تقديم الاموال لوجه الله تعالى لانه
اذا رغبت انفسهم في بذل الاموال الاجلة طمعا للمنافع التي يحصل لهم فكان بذل المال لوجه الله تعالى اعظم في الاجر هو ادعى
فيه الرغبة ولان النفس قد يحمل المكروه في الشاهد لمنافع يأملها في ثاني الحال فاذا طمعت لما يبذل او يبذل لوجه الله تعالى
الثواب الجزيل والاجر العظيم خف عليها تحمل المكروه ينال به بالبذل ويجوز ان يكون قوله عز وجل واعظم اذ قد يستعمل حرف
افعل في موضع فعل كما يقال الله اكبر يعني والله اعلم **وقوله** عز وجل واستغفروا الله فالاستغفار هو طلب المغفرة وذلك يكون
باللسان مرة بالافعال ثانيا فطلب المغفرة من جهة الفعل ان يتوب عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب ويجيب الى ما
دعي اليه فالسبب مغفرتهم وقال الله عز وجل استغفروا ربكم انه كان غفارا وليس استغفارهم ان يقولوا باللسان
اللهم اغفر لنا ولكن معناه ان انتهوا عما انتم عليه من الكفر واجيبوا ربكم فيما دعاكم اليه فهذا هو الاستغفار من جهة
الافعال واما الاستغفار باللسان وهو طلب المغفرة يكون على وجهين احدهما ان يسال ربك التجاوز عن سيئاتك
والثاني ان يسال الحق برفعه السبب الذي اذا جاء به استوجب وعلى هذا التاويل يخرج استغفار ابراهيم عليه السلام
لابيه وهو انه طلب من ربه ان يوفقه لما فيه نجاته وهو الاسلام لا ان يسال ربه ان يغفر له مع دوامه على الكفر الا تراه انه
امتنع عن الاستغفار له حيث تقررت عنده عداوته لله تعالى وعلم انه لم يوفق السبب الذي يستوجب به المغفرة قال الله تعالى فلما
تبين له انه عدو لله تبرأ منه فثبت انه لم يطلب منا المغفرة مع دوامه على الكفر ولكن الوجه الذي ذكرنا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يا ايها المدثر قيل الذي حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التدثر انه كان في بعض طرق مكة اذ سمع صوتا من السماء
والارض فنظر عن يمينه وعن يساره وامامه وخلفه فلم ير شيئا فرفع راسه فراى شيئا ففرق منه فاتى بيته وقال دثروني دثروني
فان صح ما قالوا فالام يسعهم ان يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي حمله على التدثر ما ذكروا من الفرق ولان التدثر
ليس مما يسكن به الروع الذي يحل بصاحبه من الفزع وذكروا ان اول ما نزل من الوحي قوله يا ايها المدثر فان صح ما ذكروا
فاول ما اوحي اليه هو الفزع الذي سمعه اذ كان ذلك متقدما على قوله يا ايها المدثر قم فانذر وقيل ان كفار مكة قد رموه
بالسحر واجمعوا رايهم على ان ينسبوه اليه وشاع هذا القول فيهم له اخبر بذلك فدخل بيته وتدثر بثيابه فامره الله عز وجل ان
يقوم فينذرهم بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وعلى هذا التاويل يكون نازلا قبل نزول هذه السورة حتى سموه ساحرا الى ما نزل
من الايات والله اعلم وذكروا ان موسى صلوات الله عليه قال اتاني ربي من طور سيناء وسيأتي من طور ساعير او سيطلع من جبل
فاران فان صح هذا الخبر فمعنى قوله اتاني ربي اي وحي ربي وقوله وسيأتي من طور ساعير هو الوحي الى عيسى عليه السلام وقوله
وسيطلع من جبل فاران وهو القرآن الذي انزل على نبينا محمد عليه السلام وفي هذا الخبر دلالة ان الاخبار التي فيها ذكر نزول
الرب في كل ليلة الى سماء الدنيا وهو على نزول الامر الى ما ذكرنا ان قوله هل من داع فيجاب هل من مستغفر فيغفر له فجايز ان يكون

رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول ما اوحي اليه كان بجبل فاران وهو جبل من جبال مكة وكان ذلك الجبل منسوبا الى ذلك
المكان ثم في قوله عز وجل يا ايها المدثر تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وذلك ان تعريف المرء بما عليه
من الثياب ونسبته اليه لا يخرجه مخرج التعظيم والتبجيل وانما التبجيل فيما يدعى باسمه او بكنيته فلو كان الامر الى
زعم الكفرة ان هذا القرآن ليس من عند الله وان رسول عليه السلام هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرف نفسه
بثيابه بل يعرفها بما فيه وتبجيلها وتعظيمها فاذ لم يفعل ثبت انه كان رسولا حقا بلغ الرسالة على ما اوحي اليه وادى
كما امر على ذكرنا في الايات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها تثبيت رسالته نحو قوله عبس وتولى
وغير ذلك من الايات وجايز ان يكون نسبته الى ثيابه ليعلم الخلق انه لا باس للمرء ان يعرف اخاه بثيابه وجايز ان يكون نسبته
الى الثياب الذي يدثر به يخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب لموافقته حال نزول الوحي وهذا كما ذكرنا ان اضافة الاشياء الى
الله تعالى نحو الجزئيات يخرج مخرج تعظيم ذلك الاشياء كقوله ناقة الله ومساجد الله ورب العرش وتعظيم امر الناقة وتشريف المسجد
واضافة الاشياء اليه نحو الكليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى كقوله رب العالمين رب السموات والارض وما بينهما ثم اذن
للمرء ان يسبح في ركوعه فيقول سبحان ربي العظيم فيخص نفسه بقوله ربي والحق في مثله ان يقول سبحان ربنا لئلا يخرج
ذلك مخرج تعظيم النفس كقوله رب العالمين ورب السموات والارض وما بينهما اذ الاضافة من الجانبين على السؤال فيما ذكرنا
لكن ذلك اذا وافق الحالة التي فيها تعظيم الرب ووصفه بالعلو وهي الركوع والسجود اذن له بان يأتي بهذا الذكر وان خرج
ذلك مخرج تعظيم النفس لكن ذلك الثوب الذي تدثر به النبي عليه السلام اذا وافق حال نزول الوحي عظم شانه من ذلك الوجه
فنسب الى ذلك الثوب ثم المرء انما يتدثر عند ما يريد ان ينام او عند طلب الراحة وليست تلك الحالة ليستحب المرء مصاحبة
الكبراء والعظماء في مثل تلك الحال فضلا من ان يخص الملك في مثل تلك الحال فيكون في هذا دلالة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يطلع على الاوقات التي كان يأتي فيها الوحي واذا لم يعلم كان الامر عليه اصعب واشد منه اذا بين له لانه اذا لم يبين
لزمه ان يصون نفسه في الحالات كلها عن اشياء يستحي مع مثلها الحلول بالملائكة ولهذا لم يبين لاحد منتهى عمره ليكون
ابدا مستعدا للموت فرقا ان يحل به ساعة ويكون ابدا على خوف ووجل من ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل قم فانذر خص النذارة
دون البشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا فذكر النذارة ذكر البشارة ان امسك عنها لان النذارة ليست ترجع الى نفس الخلق
وانما النذارة هي تبيين عواقب ما ينتهي اليه حال من التزام الفعل المذموم فاذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب
البشارة في تركه فثبت ان في النذارة بشارة وفي البشارة نذارة ايضا فاقتصر بذكر احدهما عن ذكر الاخرى وليس في قوله
قم الزام قيام ولكن معناه قم في انذار الخلق وبشارتهم ما ينتهي اليه وصفت **وقوله** عز وجل وربك فكبر اي عظم وتعظيمه ان تجيبه
فيما دعاك اليه وتطيعه فيما امر وان تحمل ما الزمه عليه فذلك تعظيمه لا ان يقول بلسانه يا عظيم فقط وجايز ان يكون تاويله
اي عظمه عن المعاني التي قالت فيه الملحدة من ان الله تعالى ولدا وان له شريكا ونزه عنهما او عظم حقه وان تشكر نعمه وهذا كما
يقول ان محبة الله تعالى طاعته وايثار اوامره لا ان يكون هي شيء يعترض في القلب فيضيق منه المرء ويغشى عليه لكن لذلك
تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا لا ان يكون بالقول خاصة **وقوله** عز وجل وثيابك فطهر وجايز ان يكون اريد به
بالثياب نفسه ويجعل الثياب كناية عنها كما ذكر ان العرب كان النفوس اذا كان الرجل ينكث العهد وليس بوفي وفاء انه
لدنس الثياب واذا كان له وفاء قالوا انه لطاهر الثياب فان كان الخطاب متوجها الى النفس فتاويله والله اعلم ان طهر
خلقك وافعالك واقوالك عما يذم عليه وجايز ان يكون اريد بها الثياب فيكون قوله وثيابك فطهر متوجها الى التطهير
من النجاسات والى التطهير من الادناس فاما التطهير من الانجاس فقد امتحنا جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم واما
التطهير من الادناس فجايز ان يكون امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه كان ماموا بتبليغ الرسالة الى الخلق فندب الى تطهير
ثيابه من الدنس لان لا يستقذر بل ينظر اليه بعين التبجيل والعظمة وليس هذا على تطهير الثياب خاصة بل امر ان يطهر جميع
ما ينفع له به التمتع من المأكل والمشرب والملبس وغيرها والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اي لا يلبس الثياب على
فخر ولا غدر وقيل وكان الرجل اذا كان غادرا في الجاهلية يقال انه دنس الثياب وقال الحسن خلقك فحسنه وقال بعضهم اي
قصر ثيابك ولا تطولها فيقع اطرافها على الارض فيصيبه النجاسة والله اعلم **وقوله** عز وجل والرجز فاهجر فالرجز المأثم
اسمه لما يعذب عليه فيكون منصرفا الى ما يتاذى به النفس ويتألم به النفس كالشبه فانها اسم لما يتاذى به ولم يتألم عليه
النفس قال الله تعالى لهم عذاب من رجز اليم فالمأثم اسم لما يتاذى به النفس فهو اسم للاوزار والعذاب مما لم يتألم به جميعا وصرف
اهل التاويل الرجز الى المأثم ههنا وذكر قتادة انه كان بمكة صنمان اساف ونائلة كان من اتى عليهما من المشركين مسح وجوههما
فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجتنبهما بقوله والرجز فاهجر وقيل ايضا ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو
وجوههما لكان ان نؤمن لك ونتبعك فانزل الله تعالى والرجز فاهجر اي فاهجر عبادة الاوثان وقيل الرجز العذاب فخلته برجع

[illegible] وقوله عز وجل ولا تمنن تستكثر [illegible]

[illegible]

ويؤمن به ويريد الكافر ان يكفر به ويعاديه فاذا قدر اراد ان يكون ولم يكن الذل لانه يريد ان يواليه مع اخبار الكافر في معاداته
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل انه فكر وقدر قال الفقيه رحمه الله ان فراعنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعتقدوا معاندة الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وان يطفئوا نوره فارادوا ان يجمعوا على امر ينسبونه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن انفسهم سمة الجهل وتهمة الكذب في ذلك على ما ذكر وان الوليد جمع اصحابه
فقال ان هذا ايام الموسم وان الناس سايلوكم عن هذا الرجل فماذا تقولون فقال بعضهم نقول هو شاعر فقال انهم قد سمعوا الشعر
وما قوله بقول شعر وقال بعضهم نقول هو كاهن فقال ان الكهانة معروفة عند العرب واذا سمعوا قوله عرفوا انه ليس بكاهن
فيكذبونكم وقال بعضهم نقول هو كذاب فقال انا قد اختبرناه فما اخذنا عليه كذبة قط فقال بعضهم نقول هو مجنون فقال
اذا نظروا اليه علموا انه ليس بمجنون ناعيا عليهم ففكر في نفسه وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ما هذا الذي اتى به الا
سحر يأثره عن غيره اي يرويه فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا وقالوا الساحر يفرق بين اثنين وقد وجد منه التفريق بين
الاباء والاولاد وبين ذوي الارحام وحاولوا ان يصلوا الى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله تعالى واطفاء نوره مكرا منهم
وهو كقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم ووجه رجوع المكر الى
انفسهم ذكروا فيه وجها احدها رجوع المكر الى انفسهم ان الله تعالى اظهر سوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله
اية تتلى الى يوم القيمة فيكون فيه ظهور كذبهم والحاق العار بهم الى يوم التناد ونزول اللعن والثاني ان الكبراء اذا اجتمعوا في مكان
للتدبير اتصل بهم اوساطهم واختلط بهم صغارهم فيمتنع كتمان العلم الذي عليه التدبير واتفقت عليه الكلمة واذا وقفوا
على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الافاق فيقف الناس على كذبهم وافتعالهم فيتحقق عند ذلك جهلهم لما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويصير كذبهم شايعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي ارادوا ان ينفوا سمة الجهل عن انفسهم ويتحقق عند الناس
كذبهم فلا يركنوا الى قولهم ولا يلتفتون الى اخبارهم عن حاله اذ قد تبين جهلهم بحاله فيكون ذلك سببا لترغيب الناس
الى الاسلام ورد عايهم اليه الا ان يكون سببا للصد عن سبيل الله فصار المكر راجعا اليهم ثم قوله انه فكر اي فكر في الامر الذي
اراد احكامه او فكر في الكلمات التي القوها فيما بينهم ايها اليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فينسب اليه وقوله عز وجل
وقدر يخرج على هذا ايضا وقوله فقتل كيف قدر قيل لعن واللعن هو الابعاد عن رحمة الله تعالى وقد ظهر الابعاد لان مادة
قد انقطعت في الدنيا واحد ما كان اجتمع عنده في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ثم صار الى النار خالدا فيها وقوله
عز وجل كيف قدر اي كيف لم يستحي ممن تعذب الذي قدر من تسميته رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا وقد علم انه فانشا ذلك
الاسم كاذبا او كيف اجترى على الله تعالى وتجاسر وهو يعلم انه رسول حق فما تدبر انه واجترى على ذلك ولم يخف نقمة الله تعالى
وقوله عز وجل ثم قتل كيف قدر فلعنه مرتين وقد ظهر اثر اللعن فيه في الدنيا والاخرة جميعا لان الله تعالى فضحه بما اظهر
كذبه للخلايق فبقي ذلك العار والمعرة لا يبرح وابعده من رحمته حيث اخذ ماله في الانتقاص وانقطعت مادة ماله فهذا اثر اللعنة
في الدنيا وان يصليه سقر وان سيرهقه صعودا وذلك خزيه ولعنه في الاخرة فظهرت احدى اللعنتين في الدنيا وتحقق الثانية
في الاخرة وقوله عز وجل ثم عبس وبسر فجايز ان يكون حمله على العبوس والبسور هو النظر اليه المختلف من الكلمات فعبس
وجهه عليهم لما في اختلاف فهم ظهور كذبهم او يكون الذي دخل عليه من شدة الغيظ فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم احمه واخرج
حتى اثر ذلك في وجهه فعبس كذلك وجهه وقوله عز وجل ثم ادبر واستكبر يحتمل ان يكون ادبر عن اوليك القوم الذين
اجتمعوا للتدبير واستكبر عليهم او ادبر عن طاعة الله واستكبر على رسوله حيث اعرض عنه ولم يجبه الى ما دعا اليه وقوله
عز وجل فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي هذا الذي اتى به محمد مما يؤثر من افعال السحرة وهذا الذي يخبرنا انه اتى به من عند الله هو
يؤثر عمن تقدم ولكن قال هذا مع علمه انه ليس بسحر قال الفقيه رحمه الله لو كان الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحرا كما
قرفوه به فهو لا يخرج من ان يكون حجة له في صدق مقالته واثبات رسالته لانه لا وجه لمعرفة السحر من طريق الرأي والتفكر
وانما سبيل الوصول اليه الاكتساب والتلقف من الغير وقد علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتقفه احدا ولا وجد منه
الاختلاف الى من عنده علم ذلك فوقع لهم الاتقان انه بالله تعالى علم لا باحد من الخلايق فيصير الذي قرفوه به من اعظم الحجة وكيف
وتعالى طهره عن السحر ونزهه عن ذلك وامره بمعاداة السحرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال
حد الساحر ضربه بالسيف ثم الاصل ان السحر يفرق بين الاثنين ويعمل سحره في التفريق على وجه لا يوقف له سبب التفريق وكان
سبب تفريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر الاية يا نبهم بالحجج فيعلم من امعن النظر فيها صدقه فيما يدعي من الرسالة فيؤمن به
ومن ترك النظر فيها ولم يعط من نفسه النصفة ترك الايمان به فبطل ان يكون تفريقه كتفريق السحر ولان كلا منهم لو تفكر فيما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وامعن النظر فيه حمله ذلك على الايمان به والتصديق لرسالته فيصير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
سبب الاجتماع والالفة لا ان يكون سبب التفريق بين الاحبة ثم الاصل ان الساحر بغيته وقصده من سحره نيل الجاه عند العظماء

والرؤساء

والرؤساء واستفادة السعة في الدنيا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يطلب بما اتى به الجاه عند الرؤساء بل عاداهم و
اظهر الخلاف ودعا الخلق الى الزهادة في الدنيا الا الى الاستكثار منها فكيف يجوز ان ينسب الى السحر وقد اتى بما ينافي فعل
السحرة وقوله عز وجل ان هذا الا قول البشر فقد علم انه ليس بقول البشر لما عجز البشر عن اتيان مثله وقال انه كان لاياتنا
عنيدا فثبت انه علم العلم منه بانها ايات عاند وقوله عز وجل ساصليه سقر فالسقر لون من العذاب وقيل السقر هي الدركة
الخامسة وقيل السقر من ابواب ومعناه ساادخله جهنم من باب السقر والله اعلم وقوله عز وجل لا تبقي ولا تذر يحتمل اي
لا تبقي جوعه يتلذذ بها ولا بدن يهلك ويستريح بل تبقيها ابدا في الهلاك كما قال الله تعالى فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ويحتمل
لا تبقي له جلدا ولا لحما ولا عظما بل ينضج جلده ويأكل لحمه ويكسر عظمه ولا يذره على تلك الحال لكن العظم ماكول اللحم نضيج
الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فيحل فيها كذلك ابدا ولا يبقى روحا ولا يذره فيهرب منها فيتخلص من عذابها وقوله عز
وجل لواحة للبشر قيل فيه بوجوه قيل لواحة البشر اي محرقة للجلد فالبشر مجاز انه خص الجلد بالتلويح لان الجلد من الانسان
هو الظاهر فيكون الظاهر الاحراق مؤثرا فيه فخصه بالذكر لهذا كما سمي الانسان انسانا لظهوره لكل من هو من اهل الرؤية وسمي
الجن جنا لاستتاره عن ليس بجنسه وهو كقوله عز وجل كلما نضجت جلودهم وقيل لواحة اي ظاهرة للبشر كقوله تعالى وبرزت
الجحيم للغاوين وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اي اظهرت لهم وتلوح فينظرون اليها ويتيقنون بالعذاب ويحتمل ان يكون قوله
لواحة لان النار تاكل جلودهم ولحومهم فينظر عظامهم وتلوح عن ذلك ثم يبدل جلودا ولحوما ابدا على هذا مدا دامهم وقوله عز وجل
عليها تسعة عشر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انهم خزنة جهنم مع كل واحد من الاعوان ما لا يحصى وذكر ان ستة منهم يقودون
الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والنيران والاخر هو الخازن الاكبر وهو مالك يامرهم بما
امرهم به ويحتمل ان يكون في السقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وذلك ان جهنم ذات حد في نفسها لان الله تعالى وعد
ان يملاها من الجنة والناس ولو لم يرجع الى حد لكان لا يتحقق امتلاؤها بالعدد الذي ذكروا ويحتمل اي يعذب فيها بتسعة
عشر لونا من العذاب فذكر كل واحد منهم ان يعذب بنوع من ذلك والاصل ان الله تعالى حكيم يعلم ان في كل فعل من افعاله حكمة
عجيبة ولكن لا لكل حكمة يوصل اليها بالعقل وينتهي الى معرفتها بالتدبر الا ترى ان الله تعالى جعل في الماء معنى يحيى به كل شيء
ولو اراد احد ان يتكلف استخراج المعنى الذي به صلح ان يكون طبعه موافقا لاحياء كل شيء لا يمكنه ذلك وجعل في الطعام
ما يغذي وينمي ولو اراد احد ان يتعرف المعنى الذي يقع به الاغتذاء والانماء لم يتدارك وكذلك جعل في العدد الذي
سماه حكمة ولكنا لا نصل الى تعرفها بعقولنا وتدبيرنا وزعمت الباطنية ان في ذكر الاعداد التي عليها تركيب العالم تعرف
الاعداد المجعولة في الروحانية فيما الم من جعل الاعداد التي عليها تركيب العالم دليلا به يتعرف بها الاعداد المجعولة في
الروحانيات من ان يجعل الاعداد التي في الروحانيات على الاشياء التي المجعولة في الجسدانية ثم يسالون عن الاعداد المجعولة
في الروحانيات لاي معنى جعلت وما حكمة فيها فليست جوابهم بعد هذا الا التعجز والاعتراف بالجهل فليقروا بالجهل من الابتداء من
غير ان يتكلفوا استخراج ما يوجب من حقيقته كان فيه ظهور عجزهم والله اعلم والاصل عندنا ما ذكرنا ان اهل التوحيد اعتقدوا
ان الله تعالى حكيم وانه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لان الذي يحمل الانسان على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد احد معاني
ثلاثة اما الجهل واما العجز واما الحاجة والله تعالى عالم لا يجهل وقوي لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغني لا يمسه حاجة فانتفت
عنه الاسباب التي بها يقع الخروج عن حد الحكمة فثبت انه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لكنهم اذا لم يعرفوا الحكمة
بعقولهم ولم يتداركوها بتدبيرهم ظنوا انه لا حكمة فيه وانكروا ان يضاف ذلك الى الله تعالى فاهل الدهر انكروا البعث وانكروا
الصانع لما رأوا الاشياء في الشاهد هي في الظاهر خارجة مخرج العبث وفعل الحكمة لا يخرج مخرج العبث فنقول بهذا ان يكون
للاشياء صانع ومن بنى بناء ثم نقضه ثم اعاده الى الحالة التي كان عليه قبل النقض لم يكن حكيما بل كان جاهلا سفيها ع
تعالى سوا امر البعث على ذلك وظنوا انه خارج مخرج العبث اذ ليس فيه الا الاعادة الى الحالة التي كان عليها قبل الموت وما
ذكرنا من الاعتبار هو الذي حمل الثنوية على القول بالهين اثنين لانهم راوا في الشاهد خيرا وشرا وصلاحا وفسادا وظلمة و
نورا ولا يجوز ان يكون جوهر الظلمة والنور واحدا ولا يجوز ايضا ان يكون فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض
فقد يخرج بهذا ان خالق الشر والخير مختلف فبهذا انكرت المعتزلة خلق افعال العباد لان الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا
ومرة صلاحا ومرة فسادا ولا يجوز ان يكون الشر مضافا الى الله تعالى ولا ان يكون الفساد منسوبا اليه فانكروا ان يكون
الله تعالى في افعال العباد صنعا واهل التوحيد سلموا الامر الى الله تعالى وفوضوا العلم اليه في كل ما جاء عنه جل وعز وان لم يتداركوا
ما فيه من الحكمة بعقولهم لوجودهم اشياء هي خارجة ان يتداركوها بعقولهم ويقفوا عليها بعلومهم كما ذكرنا من امر الماء انه قد
جعل فيه معنى ذلك المعنى يحيى الاشياء ولو ارادوا ان يعرفوا ذلك المعنى بعقول واراء لم يمكنهم ذلك ولذلك من في الطعام
وفي الاشياء المشروبة موجود ثم لم يجب بهذا انكار المياه وساير الاطعمة والاشربة ولذلك لا يجب انكار العدد الذي سماه

نفع من الملايكة ولا انكار البعث ولا انكار كل شي لا بعضوا على حكمته بعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار
الا ملايكة فلقايل ان يقول في هذا انه لم يجعل اصحاب النار الا ملايكة لم يوجد فيها الانس ولا الجن فكيف قال لاملان جهنم من
الجنة والناس وهو لم يجعل اصحاب النار الا ملايكة يعذبون اهلها بها الا ان يكون الملايكة تمسهم النار ويتاذون بها
وفي هذا دلالة على ان من قرا مكان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة اصحاب النار فصلوته لا يفسد صلوته لانه ليس في نسبة اصحاب
الجنة ايجاب عذاب عليهم كما لم يكن في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة ايجاب عذاب على الملايكة واستحقاقهم والله
اعلم وانما حصنهم لذلك والله اعلم لانهم خلقوا ليسخطوا ويغضبون لله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون لم
يبقى الى احد ولم يرحموا بما راوا عليه من العذاب في معصية الله وخلافه ليس على طباع الجن والانس ان قلوبهم ربما يميل ويرحم من لا
يستحق الرحمة وذكر اهل التاويل في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة رد على اوليك الكفرة الذين قالوا انا نكفي هوم
الغزو حين سمعوا عليها تسعة عشر فنتغلب عليهم ونخرج من النار فاخبر انهم ليسوا برجال امثالكم انما ملايكة ووصف الملايكة
وقد روي في الاخبار من هول خلقهم وعظمهم وشدة باسهم وبطشهم وان لهب النيران يخرج من افواههم وان بينهم لا
يحتمل الحرق والامر ليس على ما عليه بنية البشر والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الفتنة قد يتكلم بها
على وجهين فيذكر الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها الشدة ويذكر ويراد بها العذاب فمعناه انه جعل العدد الذي ذكرهم الكفر
وهو كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وان كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه احدها اي ما جعلنا ذكر عددهم
الا افتتان الذين كفروا اي لمن علم الله تعالى منهم انه يكفر بايات الله تعالى جعل ذلك سببا لفتنة اذ كان في علم الله تعالى انه
ممن يبتغي الفتنة فاما من علم انه ينظر في ايات الله مسترشدا فانه يرده ذلك الا ايمانا وتصديقا اذ علموا ان الله تعالى يمتحنهم
بانواع المحن فامنوا به وسلموا ذلك الله تعالى فيكون في جعل عدتهم تسعة عشر شدة على الكفرة اذ كان سبب كفرهم فلذلك سمي
المحنة على هذا الوجه فتنة وقوله عز وجل فتنة للذين كفروا بمعنى على الذين كفروا ثم جايز ان يكون ذلك على حدوث الكفر
وهو في قوم قد امنوا به فلما سمعوا هذا زعموا ان لا حكمة في هذا العدد وبان لم ان يجعلوا اصحاب النار في العشرين او دون
الثمانية عشر فكفروا به وهو كقول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وذلك على حدوث
اضلال لم يكن من السامري موجودا لا ان الاضلال لم يتقدم بغيرها وجايز ان يكون فتنتهم هو انهم ازدادوا بذكر هذا
الحد وكفرهم لانهم نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا اليه بعين التبجيل والتعظيم فازدادوا
بذلك كفرا والله اعلم وقوله عز وجل ليستيقن الذين اوتوا الكتاب الذين امنوا وجه استيقانهم انهم يجدون هذا
العدد الذي في كتابهم فيحملهم ذلك على الاستيقان انه من عند الله تعالى ويحتمل ان يريد به اهل الكتاب الذين لم يومنوا
اذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم فيستيقنوا انه انما يخبر عن الله عز وجل ويرتفع عنهم الارتياب ليكون ادعى لهم الى الايمان
ان اراد منهم الايمان واقرب الى الزام الحجة عليهم ان لم يرد منهم الايمان والله اعلم وقوله عز وجل ويزداد
الذين امنوا ايمانا وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة وكذلك روي عن ابي حنيفة رحمه الله في قوله
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في الايمان ان معنى الزيادة فيه انهم زادوا بالتفسير
تصديقا على تصديقهم بالجملة لانهم اذا وجدوا الله تعالى وامنوا به فقد اقروا بان له الخلق والامر كله وفي الاقرار
بان له الخلق ايمان بالرسل وتصديق منه اياهم بجميع ما انزل عليهم من الكتب عن الله تعالى فصار ايمانهم معتقدا التصديق
بكل رسول على الاشارة اليه فاذا امن بالرسول والكتاب المنزل اليه فقد زاد تصديقا على ما وجد منه من التصديق
بالجملة وجايز ان يكون الزيادة منصرفة الى الثبات والاستقامة لان الايمان له حكم التجدد في كل وقت اذ المومن في كل وقت
مامور باجتناب الكفر فعدا في بعضه وهو الايمان له حكم التجدد في كل وقت واذا كان كذلك استقام صرف الزيادة الى
الثبات والقرار عليه فان شيت سميت الدوام على الايمان زيادة وان شيت سميته ايمانا وان شيت سميته ثباتا وفي
الكتاب ما يطلق جواز هذا كله قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله فندبهم الى الايمان بعد ما امنوا وما
ذلك الا الثبات على ما هم عليه وقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وهو الايمان وقال في اية اخرى
ليثبت الذين امنوا فجعل دوامهم على الايمان واستقامتهم عليه ايمانا اسم الزيادة واسم الثبات واسم الايمان وان كانت
الزيادة منصرفة الى الاعمال فهو عندنا على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا الى الزيادة في عينه لان الشي اذا استحق
الزيادة بغيره فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي
هذا يعدل الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ومعلوم انه لم يرد به التفاضل من جهة العدد اذ هو يأتي
باعيان الافعال التي يلزمه اتيانها في غيره فذلك كانت الزيادة منصرفة الى الكمال والفضل لا الى الزيادة من جهة العدد
وكذلك قال صلوة في جماعة تفضل على صلوة المرء وحده بخمس وعشرين درجة ولم يرد به الزيادة من جهة العدد انما

اديرم

انما اريد به الزيادة من جهة الفضل والكمال وكذلك الزيادة التي يقع للايمان من الاعمال الصالحة انما هي من جهة الفضيلة
والشرف اذ الاعمال ليست من جنس الايمان اذ الايمان هو التصديق وذلك غير موجود في الافعال ثبتت زيادة من الوجه
الذي ذكرنا دون غيره وقوله تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا في هذا الفصل كلام بيننا وبين المعتزلة فهم يزعمون ان ذلك العدة وهي عدة الملايكة جعلت
محنة لاهل الاسلام واهل الكتاب واهل الكفر وللذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها ويسلموا لها لا ليكفروا بها من كفر و
يقول ماذا اراد الله بهذا مثلا ولكن لما وجد منهم ذلك القول نسب الجعل اليه لا ان خلقوا لذلك الوجه وهو كقوله
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا نسب اليهم الالتقاط وان كان الالتقاط لغير ذلك الوجه وكذلك قال ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومعلوم ان الاملاء لم يكن لازدياد الاثم ولكنهم لما ازدادوا نسب الاملاء اليه وان
لم يكن الاملاء لذلك الوجه وكذلك يقال في الكلام السائر لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يبني البناء للخراب ولكن صيره لما
كان الى الخراب نسب البناء اليه وان لم يكن البناء لذلك الوجه ويقال بسرقة السارق ليقطع يده ومعلوم انه ليس يسرق
ليقطع ولكن بسرقته اذا لزمه القطع ولاجلها ما قطع نسب الفعل اليه وان كانت السرقة لغير ذلك الوجه فكذلك العدة
التي ذكرت في الاية جعلت فيه بجهة واحدة وهي التي ذكرناها لكنه لما وجد من الكفرة ما ذكرنا نسب الخلق الى ذلك
الوجه لا ان كان الجعل لذلك ولكنا نقول لو كان الامر على ما زعموا ادى ذلك الى اسقاط الربوبية اذ في الحكمة من علم
عملا يريد ضده الذي يكون انه اوجب ذلك جهلا بالعواقب او جعل عابثا في فعله ومن هذا وصفه لم يصلح ان يكون الها
بل يكون جاهلا سفيها الا ترى ان من بنى الشي فيعلم انه لا يكون كان ذلك منه عبثا واذا كان غير الذي يريده كان
جاهلا به فاذا ثبت هذا فنقول لو اراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطأ او العبث
فثبت ان الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم فاذا علم من عبد انه يوثر الضلال على الهدى فقد شاء له
الضلال واذا علم انه يوثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه له وهداه اليه والجواب عن قوله عز وجل فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فمعناه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا لا ان كان الالتقاط منه لذلك الوجه
بل لو علموا انه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي اليه العاقبة فالتقطوه رجاء ان ينفعوا
ولا يجوز ان يخفى على الله تعالى عواقب الاشياء فيكون فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه لقولهم لدوا للموت وابنوا
للخراب فهذا يتكلم به في موضع التذكير والدعاء لان لا يحرص المرء في بناء الابنية بل يزهد عنه ولا يجوز ان يخفى
على الله تعالى امر فيخرج الامر مخرج التذكير فثبت انه على التحقيق والله اعلم ثم قوله عز وجل وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا والمثل يذكر بمعنى البيان كقول القايل امثل ذلك صورة كذا يريد
ربما بين لك وقوله عز وجل كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فهذا كله تفسير قوله تعالى وما جعلنا عدتهم
الا فتنة الاية ان يضل به من كان في علمه انه يختار الضلال واختياره الضلال هو ان ينظر في ايات الله تعالى بعين
الاستهزاء والاستخفاف ومن كان نظره في ايات ما ذكرنا اضله الله تعالى وزاده غواية ومن نظر في ايات الله بعين الاستر
والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم لها وفقه الله تعالى ومن عليه بالهداية وهو كقوله تعالى قل هو للذين امنوا هدى
وشفاء والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وغير ذلك والله الموفق وقال المعتزلة قوله كذلك يضل الله من يشاء
اي يسميه ضالا او يحكم عليه بالضلال لا انه اضل لان يكون الله تعالى يضله ويشاء ضلالته فيقال لهم اذا كان الله يريد
ان يومن به وذلك الذي ارادته في كل عندكم فتسميته اياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد ان يهتدي جور منه وفيه تحقيق كذبه
جل الله تعالى عن ان يلحقه وصف الجور في فعله او ينسب الى الكذب وقال ابو بكر الاصم تأويله ان الله ينصب طريقا من سلكه
افضى به الى الهداية ومن زاغ عنه صار الى الضلال ولا يتهيأ لاحد من الخلايق ان ينصب مثله فنقول لو كان التأويل
على ما زعم لكان حقه ان يقال كذلك يضل الله ما يشاء ويهدي ما يشاء فلما قال من يشاء ومن يعني به عن الاشخاص
العقلاء لا عن الطريق التي لا يعقل ثبت ان الذي قاله ليس بشي يعتمد عليه ثم الاضلال في قوله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء من صفات الربوبية وفيه امتداح الرب تعالى بالفعل لم يريد فلو لم يكن مريدا منهم ما قد كان ولم يرد كون
ما علم انه يكون سقط الامتداح وخرج عن ان يكون من صفات الربوبية فثبت ان الله تعالى شاء لكل فريق ما علم ان يكون
منهم وقوله عز وجل وما يعلم جنود ربك الا هو فالجند هو اسم للجماعة التي ينتقم بها وينتصر بها وجايز ان يكون قوله تعالى
وما يعلم جنود ربك منصرفا الى الملايكة التي هم اصحاب النار وليس ما جعله من خزنة النار عددا قليلا لقلة جنوده
وما يعلم جنود ربك الا هو اي مقدار قواهم واخبارهم الا الله فمعناه لا يعلم جنود ربك اي لا يعلم قوة هولاء الجنود
وبطشهم وهيبتهم الا هو ثم يجوز ان يكون سلطها على تكذيب اهل النار على جهة الامتحان للملايكة كما امتحن بعضهم

بانفال الصحف والكرامات الى اهل الجنة وكما امتحن بعضهم في الدنيا بقبض الارواح وبعضهم بانزال الامطار وغير ذلك وجايز ان يكون تسليطهم على اهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم لانهم يتلذذون بما يعذبون اهل النار وينتقمون من اعداء الله لان المرء اذا وصل الى الانتقام من عدوه تلذذ به وتنعم ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود ربك الا هو لما يعلم كثرة جنود ربك الا هو ويحتمل وما يعلم السبب الذي يجعل بالجنود ويصلحون للانتقام الا هو اذ هو القادر على ان يجعل اضعف شيء من خلقه جندا ينتقم به من اعدائه كما في قصة البعوض في زمن نمرود وغير ذلك من ارسال الطير الى اصحاب الفيل والحجارة على قوم لوط ونحو ذلك ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود ربك اي لا يعلم ما الذي يتخذ الله تعالى جندا للانتقام من الاعداء الا هو الا ترى ان الله عز وجل انتقم من بعض الاعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح عليه السلام واهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها جنودا عليهم واهلك بعضهم منهم بالخسف فيكون في هذا ايجاب المراقبة من حلول النقمة والسخط وقوله عز وجل وما هي الا ذكرى للبشر وجايز ان يكون منصرفا الى السقر انها ذكرى للبشر اي موعظة وتذكيرا لهم ما اليه مرجع امورهم وجايز ان يكون منصرفا الى عدة الملائكة وقوله عز وجل كلا قيل حقا وقيل هو على الردع والتنبيه وقوله عز وجل والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر فهذا في موضع القسم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد ما قصد اليه بالذكر وادبار الليل مجيء النهار فجايز ان يكون ذكر اخر الليل يقتضي ذكر اوله وذكر اول النهار يقتضي ذكر النهار كله فيكون القسم بها قسما بالليل كله والنهار كله ثم الليل اذا قيل على ظلمته في سركاتها بساعة لطيفة وكذلك النهار اذا قيل على دفع الظلمة عن الخلق في جملة بساعة لطيفة ما لو اجتهد المرء في جميع عمره وان طال على عد تلك الاشياء ليحيط علما بجملتها ما لم يتمكن منه وانما كان الليل من السلطان ما ذكرنا ولا قبال النهار من الامر ما ذكرنا وكان الذي ذكرنا امرا مشاهدا عاينا ولولا معرفته بانهما من الحكمة انه لاي معنى ما صلح ان يكون الليل ساترا عن درك اعين الاشيا واستقام ان يكون النهار مزيلا للستر لم يقدر عليه فيكون فيه ابانة انه لا يجب انكار كل ما لا يوصل الى درك الحكمة فيه بالعقول والاراء فيكون فيه ايجاب التصديق بالانباء التي ياتي بها الرسل وان كان فيها ما لا يوقف عن الحكمة المجعولة فيها بالاراء وفيه ان منشئ الليل والنهار واحد وان الخلائق بجملتهم تحت سلطانه وتدبيره يحكم فيهم ما يشاء ويفعل ما يريد وجايز ان يكون القسم منصرفا الى الوقتين اللذين وقع عليهما الذكر وهما ادبار الليل واسفار الصبح فيكون فيهما ما في الاول وقوله عز وجل اسفر اي اضاء والنشر وقوله اذا ادبر اي ذهب وحكي عن الكسائي انه قال ان دبر لغة قرشية يقولون دبر كالامس الدابر اي الذاهب فيقولون دبر في الايام والشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك لا يقولون دبر الرجل ودبر الامر ولكن يقال ادبر وفي حرف ابن مسعود اذا ادبر وفي الحروف اذا دبر والمعروف اذا ادبر كما قلنا وقوله عز وجل انها لاحدى الكبر قيل يعني السقر ثم منازل اهل النار الوان وفي جهنم دركات والسقر احدى دركاتها اذ هي لون من الوان العذاب فصارت هي من احدى الكبر وقوله عز وجل نذيرا للبشر فمنهم من صرف النذارة الى السقر ومنهم من صرفها الى الرسول عليه السلام وهو كقوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا فمنهم من قرأه بالياء وصرفها الى القرآن ثم الاضلال ما خرج مخرج الافعال مضافا الى الاشياء اللاتي ليست لهن افعال فهو يقتضي امرين احدهما ذكر الاحوال التي يقع لديها وما لو لم يكن ذلك الاشياء لم يحدث تلك الاحوال من غير ان يكون علة لها فنسبت اليها اذا صارت شيئا لحدوث تلك الاحوال وهو كقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا لا ان احدا دعاهم اغتروا بزينتها فنسب اليها الغرور لما كانت سببا للتغرير والثاني انها انتسبت على هيئة لو كانت من اهل التغرير كان ثم فنسب اليها الغرور لذلك وقال في قصة ابراهيم صلوات الله عليه وعلى نبينا رب انهن اضللن كثيرا من الناس والاصنام ليست ممن ينسب اليها الاضلال لانه لا فعل لها ولكن عبادها لما ضلوا بها نسب الاضلال اليها وهي ايضا على صورة لو كانت لها افعال لكان يقع منها الاضلال فنسب اليها الاضلال للوجهين اللذين ذكرناهما فكذلك النذارة اضيف الى النذر وهاهنا يقع النذارة فانتسب اليها كذلك او خلقتهن على هيئة لو كانت من اهل النذارة لكانت تنذر والله اعلم وقوله عز وجل لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قيل هو على التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وذلك انما يكون على اثر المبالغة في العظات وتذكير عواقب الامور وقد بلغ ذلك في هذه السورة وبين عواقب امور العباد ثم قوله عز وجل ان يتقدم او يتاخر الى معصيته تعالى والاصل ان المرء مجبول على حب النافع لنفسه والخيرات وعلى بغض الشرور والمضار ومن احب شيئا طلبه ومن ابغض شيئا اجتنبه وهرب منه واذا طلب تقدم اليه واذا هرب من شيء تاخر عنه فكني عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتاخر فقيل تاويل قوله عز وجل يتقدم اي الى طاعة الله بجر عاليه النافع في الاخرة ويجلب اليه المحاسن او يتاخر عن طاعته اذ في الاعراض عن طاعته اي تباع النفس في المهالك وانواع الشرور وجايز ان يكون قوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر معناه يتقدم ويتاخر بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتاخر منه فيكون فعلا له وكسبا لوجوده في حين قدرته وخلقا لله تعالى فيكون مثل قولنا لا حجة علينا في اضافة التقدم والتاخر الينا والله الموفق وقوله عز وجل الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون اصحاب اليمين هم الذين ومنهم

تعالى في

تعالى في موضع اخر في كتابه وهو قوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فاستثنى اصحاب اليمين من جملة المرتهنين لانه ذكر المرهونين بلفظ يعبر بها عن الجمع وهو قوله كل نفس فاستقام استثناء الجماعة من تلك الجملة اي اصحاب اليمين قد سبقت منهم الاعمال التي يستوجبون بها الاطلاق عن الحبس لان المجرمين صاروا مرهونين باجرامهم واصحاب اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات والاعمال الصالحة يجعلها الله تعالى تكفرة للمساوي والاجرام كقوله تعالى لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن ما كانوا يعملون وقوله عز وجل في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر فظاهر هذا يؤدي الى ان السؤال كان من اهل الجنة بعضهم بعضا واذا اصدر السؤال عن بعضهم بعضا فحقه ان يقال ما سلككم في سقر لان اهل السقر لم يسالوا بل سئل عنهم غيرهم الا ترى انه قال عن المجرمين ولم يقل يتساءلون المجرمون فثبت ان النظام يقتضي ان يكون المخاطبون غير المجرمين لذلك قلنا ان حق مثله ان يقال ما سلككم في سقر لكن يحتمل ان يكون قوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والاسقاط واذا حذف ارتفع الريب والاشكال كانه قال في جنات يتساءلون المجرمين فيكون فيه تبيين ان اهل السقر هم الذين خوطبوا بالسؤال وجايز ان يكون اهل الجنة يسال بعضهم بعضا عن مكان المجرمين اين مكانهم واين هم فيطلعون عليهم فيسالونهم ما سلككم في سقر فيقولون اذ ذاك لم نك من المصلين الى اخر الاية الا ترى الى قوله عز وجل فاطلع فراه في سواء الجحيم فثبت انهم يطلبون انهم يطلعون على اماكنهم فاذا راوهم سالوهم عن ذلك فقالوا ما سلككم في سقر فاجابوا بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين الاصل ان الافعال التي يتعلق جوازها بالايمان اذا اضيفت الى من ليس من اهل الايمان اريد بها القبول واذا اضيفت الى اهل الايمان اريد بها اعيان تلك الافعال والذي يدل على هذا هو ان الكافر ليس يسلك به الى سقر اذا كان مكذبا بيوم الدين وان اقام الصلوة واطعم المسكين لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الايمان فثبت انه لم يرد بذكر هذه الافعال اتيان اعينها وانما اريد بها القبول والاقرار بها والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فثبت انهم جحدوا ان يكون عليهم اطعام فدل انه اريد بذكر الاقامة قبولها لا وجود عينها وعليهم ان يقبلوا اقامة الصلوة ويقروا بايتاء الزكوة وقد يجوز ان يذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ويراد به القبول قال الله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ولم يكن ايجاب الاقامة وايجاد الايتاء من شرائط التخلية بل كان معناه على قبول فاذا اقروا بالصلوة وقبلوا اقامتها واقروا بالزكوة لزم تخلية سبيلهم وان لم يوجد منهم الفعل بعد فلذلك صلح على ان ذلك على القبول ولم يحمل على وجود حقيقة الفعل لما ذكرنا هذا انا ثبت ان تاويل قوله لم نك من المصلين منصرفا الى الصلوة المعروفة فكيف وقد يجوز ان يكون اريد بالمصلين الموحدين هاهنا لان اهل الصلوة هم المسلمون يقال اجمع اهل الصلوة على هذا ويعني به المسلمون ثم ان الله عز وجل جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلوة وترك الاطعام وهذا والله اعلم يحتمل وجهين احدهما ان الذي يقر بالصلوة والاطعام وايتاء الزكوة هو الذي يقر بيوم الدين لان المرء انما يرغب في فعل هذه الاشياء لما يطمع من المنافع في العواقب ويتقي بتركها مخافة التبعة في العواقب فاذا لم يقر بيوم الدين لم يرج المنافع ولا خاف العناد فيحمله ذلك على ترك الاطعام وتضييع الصلوة وعلى ترك ايتاء الزكوة وعلى جحدها كلها وعدم قبولها وهو كقوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين لعدم رجاء العواقب فاذا لم لفعله عاقبة لم يهم بالاقتصاد لليتيم ولا قام باحسان المسكين بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على اليتيم وترك الاحسان الى المسكين فكذلك جمع في الذكر تكذيب يوم الدين هذه الوظايف التي وظفت عليهم بالاسلام لانهم اذا امنوا بيوم الدين لزمهم تحمل هذه الاحمال من اقامة الافعال والصلوة وايتاء الزكوة واطعام المساكين وصيام شهرين رمضان وغير ذلك من العبادات فاشتد عليهم فتركوا الايمان بها لان لا يلزمهم تحمل هذه الافعال التي تحملها اهل الايمان وقوله عز وجل وكنا نخوض مع الخائضين فالخائض هو الذي يخوض في الباطل وقوله عز وجل حتى اتانا اليقين اي حتى ايقنا انا كنا على باطل فيما كنا نخوض فيه وقوله عز وجل فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه ان لا شفيع لهم والاصل ان الشفاعة اذا اضيفت الى اهل الكفر فقيل ليس لهم شفعاء او لا ينفعهم شفاعة الشافعين اقتضى نفي الشفاعة اي لا شفيع لهم واذا اضيفت الى اهل الايمان اقتضى نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء ولم يقتض نفي الشفاعة كما ذكرنا ان الافعال التي يكون قوامها بالايمان اذا اضيفت الى الكفار فهي تقتضي نفي القبول واذا اضيفت الى اهل الايمان فهي تقتضي نفي الفعل وقولنا بانه اذا قيل لا شفيع له واريد به اهل الاسلام فهو يقتضي نفي الانتفاع ولا يقتضي نفي الشفاعة فذلك ينصرف عندنا الى اهل الاعتزال والخوارج لانه يرى اصحاب الكباير من اهل الاسلام مستوجبين الشفاعة وهم يقولون لا يجوز في حكم الله تعالى ان يعفو عن اصحاب الكباير بل يجازيهم في النار لان الله تعالى اوعد النار لمن ارتكب الكباير واخبر انهم يخلدون فيها فلا يجوز

ان يقع في وعده خلف ويتحقق في خبره كذب ولو استوجبوا الشفاعة ونالوا بها المغفرة من ربهم لكرمه لصار خبره وعده
خلفا وفيما اخبر كذبا ويحتمل هؤلاء انا ارتكبوا الكبائر لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة ابدا بل الحكم عليهم بالخلود في النار ع
ليس تقع ما يثبت الكذب وينتفي ما يوجب خلف الوعد لانهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب ان
يكون نفيهم الشفاعة بزعمهم على ذلك لان الله تعالى يقول كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
فلا يجوز ان يحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب ثم احتجوا في نفي الشفاعة في الآخرة بقوله فما لنا
من شافعين وبقوله انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وبقوله واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وزعموا ان شفيع كل امرئ منهم عمله يومئذ فمن حسن
عمله نجا ومن ساء عمله حق عليه العذاب ولم يكن له شافع ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الآيات الظاهرة لوجب
تحقيقها بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وبقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن ورضي له قولا ادنى ما فيه ان يتبين ان الله تعالى قد يأذن بالشفاعة يومئذ للبعض فيثبت ان ما ذكرتم من نفي الشفاعة
لم يقتض نفيا على الاطلاق بل النفي انصرف الى بعض الخلائق ووجب القول بثبوتها لبعضهم ثم جاءت الاخبار متواترة
على ايجاب القول بالشفاعة لاهل الكبائر فثبت ان ما ذكر من قوله عز وجل فما لنا من شافعين وقوله ولا خلة ولا شفاعة
منصرف الى الكفرة وبه نقول ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكنه يقول انما الذين يستوجبون استغفار الملائكة في
الدنيا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك فاما اصحاب الكبائر فانهم لا ينالهم شفاعة بل يخلدون في النار فيقال لهم اي منفعة تحصل للذين
تابوا واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد فان قالوا منفعتهم
بها انه يعظم قدرهم عند الله تعالى ويستوجبون فضل الدرجات كما يرى المرء في الشاهد يذكر اخاه عند الملوك بحسن
السيرة ويذكره بما فيه من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي بذلك اعلاء منزلته واعظام قدره عندهم ليعظموه و
يبجلوه فكذلك الشفعاء في الآخرة يثنون عند الله تعالى على اوليائه ليأمر بالمزيد في درجاتهم وتعظيم منزلتهم عند الله
تعالى والجواب ان هذه الزيادة في الدرجات ليست الا الى الوصول الى فضول الشهوات وفضول الشهوات والزيادة و
في اللذات لا يذكر في المنافع اذ الحاجة لم تنته الى ما هو في حق العقول من الشهوات فيكون في شأنها دفع الحاجة والوصول الى
المنفعة ومعلوم بانهم انما طمعوا في الشفاعة لما يحصل لهم بها من المنفعة وانما يحصل لهم بها المنفعة اذا وقعت اليها الحاجة
واهل الكبائر الذين تمسهم الحاجة اليها فاما الذين تابوا فقد استغنوا عن الشفاعة لذلك وجب القول بتحقيق الشفاعة
في اهل الكبائر واما استدلالهم بما ذكروا من امر الشهود فليس بحكم من القول لان المرء انما يذكر اخاه بالجميل ويظهر ما اشتمل
عليه من خلال الخير لجهل الملوك بحاله فيما هو عليه من جميل الخصال ومحمود الفعال الا ترى ان الملك اذا كان عالما بحاله
لم يقدم الانسان على نشر الجميل منه فيثبت بحرفه الى الثناء عليه عند الملوك بحاله ولا يجوز ان يكون الله تعالى يخفى
عليه حال احد وما هو عليه من ظواهر اموره وبواطنها حتى يحتاج الى معرفته بمعرف فبطل ان يكون الشفاعة للوجه الذي
ذكروها وثبت انها للوجه الذي ذكرناها ثم العفو والصفح عن اهل العقوبة من حوالها يقع بحرمة سبقت منهم
ثم الشفاعة فيما بين الخلق امر معهود انها يكون عند زلات يستوجب بها العقوبة والمقت فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الاخيار
واهل الرضا فلا ينكر ان يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب العقاب بشفاعة الاخيار واهل الرضا والابرار والله الموفق وقوله
عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين فجائز ان يكون تأويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وعليهم وعما اليه مآبهم ومنقلبهم وذلك
يكون في الرسول وفي القرآن لان كل واحد منهما يذكر المرء ما له وعليه والله اعلم وجائز ان يكون تأويله فما لهم عما به يذكرون في
تذكرهم ويصيروا به مذكورين في الملأ الاعلى موصوفين وذلك يكون في طاعته والاقبال على عبادته وهو كقوله تعالى لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم معناه انكم تصيرون به مذكورين ويعظم قدركم ان اتبعتموه ولم تضيعوا حرمته وقوله عز وجل
كانهم حمر مستنفرة بنصب الفاء وخفضه فمن قرأ بخفض الفاء صرف الفعل اليها كانها تنفر لحمرنا فرنا ونفروا واستنفر واحد
كما يقال استقر وقر واستقرا ومن قرأ بنصب الفاء فتأويله ان فعل بها ما يحملها على النفار وذلك يكون بالرمي وبا
لقابض من الاسد كما ذكره اهل التفسير في تأويل القسورة هي الاسد والرماة الصائدون ويقال هي النفرة وكان هؤلاء شبهها
بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار ووجه التشبيه هو ان هؤلاء اعرضوا عما في الاقبال عليه نجاتهم وتخلصهم من العطب
والهلاك وفي هذه الآية تبيين شدة سفههم وغاية جهلهم لان الحمير ينفر عن القابض والرامي والاسد ليسلم من الهلاك والعطب
وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم الى ما فيه هلاكهم فهم اشر من الحمير واضل وقوله عز وجل بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة قال بعض اهل التأويل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل في بني اسرائيل كان اذا اذنب ذنبا فيصبح

فوجد

فوجد صحيفته معلقة على باب داره او مكتوبا عند رأسه انك اذنبت كذا وزاد بعضهم انك اذنبته كذا وتوبتك كذا و
سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل بهم كذلك فاخبر الله تعالى كذلك عنهم ثم آيسهم عن ذلك فقال كلا اي لا تنالون ما تأملون
وقال قتادة قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فأت كل واحد منا بصحيفة خاصة الى فلان يأمرنا فيها باتباعك وقيل
سألوا ان يؤتوا براءة بغير عمل ولكن لا يجب قطع الامر على واحد من هذه التأويلات بل يقال بها على جهة الامكان والاحتمال
لان هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا ولكن القوم الذين صدرت منهم هذه الارادة ليخبروهم ما ارادوا به حتى يثبت ما
ذكروا من القصة والاخبار ولا تواترت الاخبار من عند ذي الحجة النبي صلى الله عليه وسلم انهم سألوه ذلك لذلك لم يستقم
قطع الامر على ما ذكروا وجائز ان يكون هذه الارادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والاكابر لان اراد كل
في ذات نفسه ان يؤتى صحفا منشرة والارادة ههنا عبارة عن الطلب ثم طلبهم ما ذكر يتوجه الى اوجه ثلاثة
احدها ان يكون كل واحد من عظمائهم ود ان يكون هو المخصوص بانزال الكتاب عليه كما قال في آية اخرى واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله فيكون في هذه اظهار استكبارهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جهة التعنت والعناد ليصير ذلك آية لهم في تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل حكاية عنهم قالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
ففي هذه الآية ابانة انهم كانوا يطلبون انزال الكتاب عليهم ليتقرر لديهم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكان ذلك على
جهة التعنت والعناد والانكار وفي حالة اذا تم ذلك الى العلم برسالته من غير ان يحتاجوا الى تثبيت رسالته بكتاب
ينزل عليهم والله اعلم وجائز ان يكونوا رأوا انهم احق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى بانزال الكتاب عليهم
لما رأوا انهم افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى الى قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وقال في آية اخرى أأنزل عليه الذكر من بيننا فاراد والله اعلم ان يؤتوا صحفا منشرة لهذا المعنى اذ هم اولى ان يخصوا بهذه الفضيلة
وانما ذكرنا هذه التأويلات في هذه الآية لان هذه المعاني التي ذكرناها قد ظهرت منهم بتلاوة القرآن
والتأويلات التي ذكرها اهل التفسير لا يتهيأ تثبيتها من جهة الكتاب ولا من جهة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتضادت هذه التأويلات فامكن والاملك بالآية من غيرها والله اعلم وقوله عز وجل كلا بل لا يخافون الآخرة ان الذي حملهم على
الطلب بان يؤتى كل منهم صحفا منشرة اعراضهم عن الايمان بالآخرة ولو آمنوا بها لكان ايمانهم بها يحملهم على ترك
العناد والتعنت على ترك التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الى الاذعان للحق عبس وتولى وسنذكر معنى قوله
وما يذكرون الا ان يشاء الله في سورة اذا الشمس كورت وقوله عز وجل هو اهل التقوى واهل المغفرة فاهل التأويل
صرفوا قوله هو اهل التقوى الى الله تعالى وجائز ان ينصرف الى البشر فان كان المراد من قوله عز وجل هو اهل التقوى البشر فيكون
معنى قوله هو اهل التقوى اي الذي يقوم بالذكر الا ترى الى قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ف
فجعل الذين الزمهم كلمة التقوى من اهل التقوى وان كان المراد من قوله هو اهل التقوى هو الله سبحانه وتعالى فتأويله
انه اهل ان يتقى الزلة والعثرة في حقوقه تعالى والوجه فيه ان المرء في الشاهد انما يتقي الزلة والعثرة الى الآخر لاحد خصال
ثلاث احدها ما يرى من انقضاء حاجته اليه فيتقي العثرة اليه تبجيلا وتعظيما او يتقي زلته ذلك لما يرى من قدرته
وسلطانه على الانتقام منه او يتقي زلته لكثرة نعمه واياديه استحياء منه واذا كانت هذه الاشياء هي الداعية الى الاتقاء
ثم الخلائق باجمعهم مفتقرون ومحتاجون الى الله تعالى وله القدرة والسلطان عليهم وهو المنعم المفضل على كل احد فهو
اهل ان يعظم ويقروا بخافة نقمته ويستحيى منه ومن انقضاء ما اهلا لان يغفر وجائز ان يكون معنى قوله عز وجل هو اهل
التقوى اي هو اهل بان يسأل عنه ما يتقى من النار بقوله تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله قوا انفسكم و
اهليكم نارا ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فبين ان الاتقاء
ان يفزع الى الله تعالى ويتضرع اليه ويتقي بفضله ورحمته قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فامرنا جل جلاله
بالمنابذة مع الشيطان والمحاربة واخبرنا ان محاربته ان يفزع الى الله بالاستعاذة بقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله وقال في آية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الآية فهو اهل ان يطلب منه ما يتقى به و
اهل ان يستعاذ به لدفع كيد العدو واهل المغفرة اي اهل ان يطلب منه المغفرة جعلنا الله تعالى من اهل التقوى والذين من
عليهم بالمغفرة وقال بعضهم هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو اهل ان يتقى عنه واهل ان يغفر لمن اتقاه والله
المستعان والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة اختلف في تاويله فمنهم من ذكر انه اقسم الله تعالى بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة ذكر ذلك عن الحسن ويكون معناه لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة لكن ذكر عنه انه يقول في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد والوالد وما ولد ان القسم يقع على البلد والوالد وهو ادم عليه السلام وما ولد جمله اولاده فاذا كان القسم جاريا بالوالد والمولود جميعا كانت النفس اللوامة داخلة في جملة المولود فقد اقسم بالنفس اللوامة عنده فلا معنى بالرد هاهنا ثم موقع لا في قوله لا اقسم وتاويله يذكر في قوله لا اقسم بهذا البلد في سورة يذكر فيها الكبد ومنهم من ذكر ان القسم وقع بهما جميعا ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ثم صرف بعض اهل التاويل معنى القسم الى قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وجعله موضع القسم فان كان على هذا فلا اشكال عليه ان يقول تابل كيف اكد امر البعث وجمع العظام بالقسم بيوم القيمة وقد جرى من القوم الذين احتج عليهم بهذه الاية الانكار بيوم القيمة فكانه اكد القسم بشيء جرى به الانكار والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى الحكمة التي توجب القول بالبعث اذ قد بينا في غير موضع انه بالبعث ما خرج خلق هذا العالم مخرج الحكمة ولولا البعث لكان خلقه عبثا باطلا كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كانه قال لا اقسم بحكمة الداعية الى كون القيمة كذا ان يكون كذا وجايز ان يكون القسم في الحقيقة بالدلايل والبراهين التي من تفكر وامعن النظر فيها حمله ذلك على القول بالبعث واذا كان محتملا صح القسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة لان التفكر في النفس اللوامة والاعتبار بها يدعو الى القول بالبعث ثم العادة جرت على القسم بالاشياء عظم خطرها وجعل قدرها في القلوب وجلاله خطرها يكون باحد وجهين اما بكثرة منافعها فيكون خطرها شاهرا معروفا او يعظم خطرها بالدلايل والاخبار والارضون قد عرف الخلق جلالة اقدارها بالعيان بما كثرت منافع الخلق بها وعظم يوم القيمة بما حل خطره في القلوب وثبت القول بكونه بالدلالات والبراهين ثم قد وصفنا ان الله تعالى اقسم باشياء لتاكيد ما يعرف بيانه ويجب القول به لولا القسم لو امعن النظر فيه ما اعلمت فيه الروية لذلك استقام القسم بها والله اعلم واختلف في النفس اللوامة هي النفس الكافرة تلوم ربها في الدنيا ابدا في تضييق العيش عليها وتشكو ربها من الفقر والافناد عليها مع كثرة نعمة الله عليها واحسانه اليها ومنهم من صرف التاويل الى كل نفس مؤمنة كانت او كافرة فهي تلوم غيرها لتعاطيها الاشياء قد تعاطى نفسه مثلها وامتحنت بها والحق على كل احد ان لا يلوم على اخاه بما تعاطى فعلا تلا في هو ذلك او فعل بعينه او مثلها ان شيت كذلك لوامة كما قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ومنهم من ذكر ان هذا يكون في الاخرة والكافر اذا ايقن بالعذاب وما حل به من نقمة الله تعالى يندم على ما فرط في جنب الله واذ ركبته حسرة فعند ذلك يلوم نفسه والمؤمن اذا عاين الثواب يلوم نفسه لما امسك عن المعصية وتاب واطال المقام في الخراب وابصر العاملين بالطاعة حسن الماب والعاصين نفسه بما اشد منه وغاب عند كمال القوة وعنفوان السيات وقال كيف لم ازدد في العمل لازداد في الثواب ومنهم من خص الكافر في الاخرة باللوم على نفسه وهذا اظهر لان المسلم اذا اكرم بالثواب شكره كذلك يشغله عن اللوم على نفسه فلا يتفرغ له ولان الله تعالى يضاعف له من الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة على ما استوجبه بعمله فضلا وانعاما فكيف يلوم نفسه بتقصيرها في العمل وهو يعلم ان ما وصل اليه من الكرامات لم ينل حلتها بعمله بل بفضل الله تعالى ويكرمه والله اعلم وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فقوله ايحسب الانسان وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر فليس هو باستفهام ولكنه تحقيق حسبان من الانسان فجايز ان يكون جمله على الحسبان هوان القدرة لا ينتهي الى هذا فان يجمع العظام وبزلت تفتتها وتلاشيها فيدفع حسبانه هذا بقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة فذكره في النشاة الاولى ليعلم ان القدرة تنتهي الى جمع العظام بعد ان صارت رميما وان الذي قدر على انشائها قادر على جمعها بعد تفريقها وجايز ان يكون حسبان العظام لا يجمع بعد تفريقها لانها لو جمعت بعد التفريق وجايز ان يكون حسبانه العظام لا يجمع بعد تفريقها لانها لو جمعت بعد التفريق لم يكن يعرف بعد ان وجدت مجموعة الا ترى ان المرء في الشاهد لا يقصد الى نقض ما بني ليعيده مرة اخرى الى الجهة المتقدمة ومن فعل ذلك كان عابثا في هدمه ولم يكن حكيما فان كان هذا المعنى هو الذي حمله على الحسبان فجوابه ان يقال بان الجمع الاول وقع لمكان المحنة والابتلاء والجمع بعد التفريق لمكان الجزاء فاذا كان الجمع الثاني لغير الوجه الذي وقع الجمع في الابتداء كان صحيحا مستقيما وانما يخرج عن حد الحكمة اذا لم يكن الاعادة الا للوجه الذي وقع الابتداء والارجاء الذي نقض بناءه ان اعاده لا للوجه الذي كان بنى اول مرة لم ينكر عليه وفيما ذكر رد قول الباطنية لانهم زعموا ان هذه الانفس تتلاشى بتلف فلا يبعث وان البعث يقع على الانفس الروحانية ولو كان كما زعموا لم يكن لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه معنى لان العظام لا يجمع على قولهم بعد ما صارت رميما فيكون الامر ابدا على وقع حسبانهم

هذا الانسان فلا معنى لهذا عليه بقوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه لان الذي حمله على الانكار ونجمع العظام بعد تفرقها هو انه لم ير هذا يوما في الشاهد ولو كان الامر على ما زعمت الباطنية لكان الانكار موقوعا اذ وجد النفس الروحانية بعينها في الشاهد بعد موتها قال الله عز وجل قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاخبر ان الانفس التي انشئت اول مرة هي التي يحيى لا غير وقوله عز وجل بلى قادرين على ان نسوي بنانه فمنهم من جعل هذه الاية من الابتداء ليس فيه جواب لما يقتضيه قوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ومنهم من ذكر ان بلى جواب لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فكانه يقول بلى على القول بالبعث فمن قول بلى على الوصل بالتقديم من الدلالات ومنهم من جعل جوابه في قوله قادرين على ان نسوي بنانه يعني تسوية البنان هو الجمل من عظم واحد مجموعا على مثل خف البعير وحافر الدواب والاستدلال انهم اقروا بان الله تعالى قادر على تسوية البنان لما راوا التسوية موجودة والجمع بعد التفريق ايسر من تسوية البنان الا ترى ان المرء في الشاهد قد يقدر على التاليف والجمع ولا يقدر على تسوية البنان فاذا كانت التسوية اعسر وجودا من الجمع بعد التفريق ثم الله تعالى قادر على تسوية البنان فكيف لا يقدر على جمع العظام بعد تفريقها ومنهم من يقول بان الله تعالى فرق بين بنان الانسان وسوى بين بنان الدواب ليصل الى الاخذ والاعطاء والى التقديم والتاخير والقبض والبسط وانواع المنافع التي تحصل بالبنان مسخر الدواب والانعام بين الدواب وبينهم على ان البشر هو المقصود دونه بالمحنة وان لا يتركهم سدى لا يامرهم وعلى ان البشر هو المقصود دونه بالمحنة وان لا يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يستاديهم شكر ما انعم عليهم وقد اثر البعض وعني البعض لا بد من دار اخرى يجازا فالتوسل في هذا يحمله على القول بالبعث والجزاء ولان الاستواء يقع في الابتداء والجمع بعد التفريق يكون عند الاعادة والعقول يشهد على ان امر الاعادة ايسر من امر الابتداء فاذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فانى يعسر عليه اعادة الجمع مع قدرته على الجمع في الابتداء ولانهم لما لم يطلعوا استواء البنان فليعلموا ان في ترك الاستواء حكمة ولو كان الامر على ما قدروا ان لا بعث لكانت ذلك يخرج على حد الحكمة فيكون فيما ذكر تثبيت البعث والقول بالقدرة على جميع العظام بعد تفرقها وتفتتها والله اعلم وقوله عز وجل بل يريد الانسان ليفجر امامه قال اهل التفسير يؤخر التوبة ويقدم المعصية ويقول سوف اتوب فياتيه الموت على شر حاله وعندنا يخرج على وجهين احدهما جايز ان يكون ذكر الارادة لا على تحقيقها ولكن من فعل شيئا فعله على الارادة والاختيار فكنى بالارادة عن الفعل لانها يعقبون بالفعل فيكون في ذكرها ذكر الفعل وهو كقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ولكن خلقهما اخرج على الحكمة بالبعث والجزاء ففي ترك القول بالبعث وصف بان خلقهما للعب والباطل ويودي الى هذا فيصير كانهم قالوا ذلك وظنوا كذلك فعلى هذا يحمل الامر على الظن لا ان وجد منهم الظن في الحقيقة فكذلك اذا فعلوا فعل الفجور وكان فعلهم على الارادة والاختيار فكانهم ارادوا ان يفجروا امامهم لا ان كانت الامامة منهم مقصودة لذلك مقصودا وجايز ان يكون ذلك على تحقيق الارادة وذلك ان للشر والفجور سبيلا من سلكها افضت الى ان يستحق اسم الفجور وللخير والهدى سبيلا وسلكها افضى به الامر الى ان يستحق اسم البر والتقوى وانما صار الى الفجور والى انواع الشرور وبسلوكه ذلك السبيل وصار مريدا من هذه الجهة ثم قوله امامه يحتمل وجهين احدهما فيما بقي من عمره بترك الاستهداء والاسترشاد ومضى على العادة التي عود نفسه على ذلك عن الشرور والضلال ويحتمل ان يكون الامام هو يوم القيمة ثم قال في موضع ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وبعد ذكر ذلك اليوم بالامام والوراء جميعا فيكون قوله وراءه الاوقات التي خلت ومضت على اعتبار الاضافة الى الاوقات الماضية يكون يوم القيمة وراءها وعلى اعتبار الاضافة الى ذلك المناجي يكون امامها هذا الفاجر فلذلك استقام الوصف بالامام والوراء جميعا ثم ذكر الفجور ولم يذكر الكفر وان كان الانسان الذي ان يفجر امامه كافرا لان في ذكر الفجور وتعبيره وتشنيع اذ هو اسم التعبير خاصة وليس في نفس الكفر تعبيرا وكل احد مؤمنا كان او كافرا مؤمن بشيء فالكافر من حيث لم يصر قبيحا بل معناه ما قبح فكان الفجور ابلغ في التعبير من الكفر فسمى به والله اعلم وقال ابو بكر معنى قوله يريد ان يفجر امامه اي يريد ان يكذب بيوم القيمة ويعلم بانه سيحق هو تعذيبه على اثره وقوله عز وجل يسأل ايان يوم القيمة اي يريد ان يعلمه سواله متى هو فاخبر انها تقوم اذا برق البصر وخسف القمر والله اعلم وقوله عز وجل يسأل ايان يوم القيمة سواله هذا سوال تعنت واستهزاء لما ذكرنا انه ليس في تعرف وقت كونه مرجوا ولا مرغبا وانما يقع الزجر والرغبة بتذكير الاحوال التي يكون في ذلك اليوم فلذ ذكر الاحوال التي يكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم على ذلك الوقت متى يكون اذ ليس في معرفته وقته كثير حكمة فيجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب الحكماء لا يجيبهم بجواب مثلهم وقوله عز وجل فاذا برق البصر قيل دهش وتحير ثم اختلف بعد هذا فمنهم من صرف هذا الى حالة الموت ومنهم من ذكر ان هذه الاحوال يكون يوم القيمة والحالي الحالين صرف

النا وقيل فهو المستقيم لان المنكر بالبعث اذا جاءه باس الله تعالى وراى ما حل به من الاهوال ايقن بالبعث وعلم به ثم ان
كان المراد به حالة الموت فقوله عز وجل فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يخرج على التمثيل المبنى على التحقيق
لان بصره اذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصر وجهه ولا يبصر قلبه لا يرى ضوء القمر فيصير القمر كالمخسوف ويصير الشمس
والقمر كالمجموعين ولا يرى ضوء الشمس ولا نور القمر فيصير النهار عليه ليلا والليل نهارا لشغله بما حل به من البلايا والاحوال
وهو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والاخرة جنة المؤمن وسجن الكافر وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاءه فصرفوا تاويل هذين الخبرين الى حالة الموت وذلك
ان الكافر يعاين في ذلك الوقت ما اعد من الاهوال والشدايد فكره مفارقة روحه من جسده لانه لا ينفع في تلك الاحوال
والشدايد ويصير الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة لا يحب مفارقتها والمؤمن اذا عاين ما وعد له من البشارات وانواع الكرامة
والخروج من الدنيا ليصل الى ما اعد له فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذى
ذكرنا وان كان ذلك على يوم القيمة فهو على تحقيق الخسف وجمع الشمس والقمر وقوله عز وجل يقول الانسان يومئذ اين
المفر يحتمل ان يكون قوله اين الفرار ليس لى موضع فرار عما حل بى او يقول الحاسر اين المفر والى من التجى لا يخلص من العذاب
والله اعلم ثم قوله عز وجل فاذا برق البصر قال بعضهم انما يشخص البصر نحو الداعي يوم القيمة وهو كقوله عز وجل يوم تشخص
فيه الابصار فيشخص ببصره الى الداعي لانه قد علم ان الذى حل به من باس الله تعالى هو لا مناص عن الاجابة للداعي في هذه
الدنيا فيتسارع يوم القيمة في اشخاص بصره الى الداعي ابتداء منه اجابة الداعي وقوله عز وجل وخسف القمر اى ذهب ضوءه
ونوره فنبيه ان العالم في ذلك اليوم يفنى ويبدل كقوله تعالى يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقال ينسفها ربى نسفا
فيذرها قاعا صفصفا وقوله عز وجل وجمع الشمس والقمر فنبيه ان سلطانهما يذهب فلا يعملان عملهما بعد ذلك ثم
من الناس من زعم انهما يجعلان يوم القيمة كالبعيرين العقيرين فيلقيان في النار ويعذب بان بها وذكر عن ابن عباس رضى الله
عنه انه انكر هذا وقال انهما خلقان لله تعالى طايعان له عز وجل الا ترى الى قوله تعالى وسخر الشمس والقمر دائبين دايبان في طاعة
ومن كان هذا وصفه فلا يجوز ان يعذب عند نا الا ان الفا وهاان ثبت فيهما يلقيان في النار ويعذب بهما وغيرهما من
الذين عبدوهما من دون الله تعالى وذلك كقوله عز وجل وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية ومعلوم بان الاصنام
التى عبدت من دون الله لا يعذب بالنار ولكنها يجعل حصبا ونارا يعذب بها من عبدها وقال الله تعالى وما جعلنا اصحاب
النار ولكنها يجعل حصبا ونارا يعذب بها من عبدها وقال الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ولا يجوز
ان يكون الملائكة يمسهم اذى النار بل هم الذين يعذبون فعلى ذلك الشمس والقمر ثبت انهما يلقيان في النار فيهما يلقيان
ليعذب بهما من عبدها الا ان يعذبا بانفسهما والله اعلم وقوله عز وجل يقول الانسان يومئذ اين المفر يحتمل ان يكون قوله
اين المفر على طلب الحيلة ان كيف احتال الى ان افر والى من التجى لا يخلص من باس الله وعذابه ويحتمل ان يكون قوله اين المفر
اى ليس في موضع فرار عما حل بى لا يقاعه ان ليس له مفر وجايز ان يكون هذا كله عند الموت على ما ذكر وقوله عز وجل كلا لا
وزر ذكر اهل التاويل ان الوزر هو الجبل بلغة حمير وذكر عن الحسن قال كانت العرب يخيف بعضها بعضا ويغير بعضها على بعض
فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يشعران حتى يرتا بواسي الجبل فيقول احدهما لصاحبه الوزر الوزر يعنى الجبل فكانه يقول
ليس لهما اذ ذاك يفرح ولا تسلى من الاحزان كما يتسلى من بادى الى الجبل في الدنيا عن بعض ما يحل به من الانواع وقيل الوزر الملجا وقوله
عز وجل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر فتاويله انه يبيس من دار ما عمل الى اخر ما انتهى اليه عمله كقوله لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها وقال بعض اهل التاويل بما قدم من انواع الطاعة وما اخر من حق الله تعالى من اللوازم التى كانت عليه ثم
وقال بعضهم بما اعلن واسر وقال بعضهم بما قدم في حيوته من اعمال وما اخر اى ما سن من سنة فاستن بعد موته وقد ذكر
انه بالمطلق من الله تعالى ما يعلم بالذى قدم من الاعمال واخرها فيتذكر بذلك حتى يصير ما كتبت في الكتاب حجة عليه ولا
فالمرء في هذه الدنيا اذا اكتب كتابا ثم اتت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتب فيه ولا وقت على وقوله عز وجل بل الانسان على
نفسه بصيرة ولو القى معاذيره هذا يخرج على وجهين احدهما جايز ان يكون اراد بهذا في الدنيا ان الانسان بصير على نفسه
وان جادل عنها انه لم يفعل ذلك واستر ذلك عن الناس وان القى معاذيره اى ارخى الستور بما كسبت نفسه والمعذار هو
الستر والوجه الثانى ان يكون في الاخرة وهو يحتمل وجهين احدهما ان الانسان وان كان يعتذر يوم القيمة بقوله تعالى والله
ربنا ما كنا مشركين وقال بعضهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فيعتذرون على الخلفاء عذرا انهم مبطلون
في جرائمهم والثانى ان يكون معنى البصيرة الشاهد اى ان الانسان على نفسه شهدت عليه جوارحه وذلك نحو قوله تعالى
اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله عز وجل شهد عليهم سمعهم وابصارهم
الاية فان قيل ان الانسان مذكر كيف وصف بالنعت المؤنثة بقوله بل الانسان على نفسه بصيرة ولم يقل بصير فجوابه

معاذيره

من وجه احدهما ما قيل ان الانسان تسمية جنس فيه الجماعة لان يكون تسمية للشخص الواحد فقط الا ترى الى قوله
والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا استثنى الذين امنوا من قوله ان الانسان لفى خسر ولا يستثنى الجماعة من الواحد وكذلك
قوله عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا فاستثنى الذين امنوا من الانسان
فثبت ان الانسان تسمية جنس والجنس جماعة ويكون الجماعة مجموع فيه كانه قال ان جماعة الناس على انفسهم بصيرة فيكون قوله
بصيرة راجعا الى الجماعة والله اعلم وجواب ثانى قوله بصيرة وصف للانسان بالغاية من البصر بكل ما عمل حتى لا يعزب عنه شيء
والهاء قد يدخل في خطاب المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك فلان علامة ونسابة وراوية للشعر وبالغة في النحو والثالث
ان الانسان يشتبه ما يراه بجوارحه كلها من الايدى والارجل والسمع والبصر والراس وغير ذلك ونفس اذا رات بالشيء فيصير
جوارحه كلها بصيرة اى شاهدة عليه بما قدم واخر وجايز ان يكون هذا على الاضمار فيكون قوله بل الانسان على نفسه بصيرة اى
نفس الانسان بصيرة بما عملت ثم من الناس من يثبت للجوارح العلم بما كسبت نفسه حتى تصيرها شاهدة عليه يوم القيمة بقوله يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو لم يكن لها العلم بما فعلت نفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم وليس الامر عندنا
على ما زعموا لانها لو علمت بذلك لكان صاحبها يصل الى العلم من جهتها الا ترى ان القلب لما ثبت له المعرفة وقع لصاحبه العلم من جهته
وكذلك السمع لما جعل فيه السمع وقع لصاحبه علم المسموع به ولما كان بعينه يبصر الاشياء كان علم البصر واقعا من جهتها فلما لم
يقع له العلم بيده ولا بشيء من جوارحه سوى القلب علم انه لا حظ لها في المعرفة ولكن جعلت هى شاهدة وحجة يوم القيمة تشهد على
صاحبها لما يحدث الله فيها علما ضروريا بذلك لان كان لها علم بالذى شهدت قبل ذلك كما جعلت نطوقة في ذلك الوقت لا ان كان
النطق فيها موجودا من قبل والله اعلم وقوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا كلام مبتدا منفصل عن الاول وذكر اهل التاويل
ان جبريل عليه السلام كان اذا اتى نبى الله عليه الصلوة والسلام بالوحى فكان لا يفرغ من اخر الاية حتى يقول نبى الله عليه السلام
في اولها مخافة النسيان على ما عليه عرف الخلق انهم اذا ارادوا وعى الكلام وحفظه كرروها بالسنتهم كى يضبطوها ولا ينسوها
فكان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك خشية النسيان فنهى عن ذلك بقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وهو كقوله ولا تعجل
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا عندنا مما لا يجوز ان يشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يحرك لسانه قبل
مجيء هذه الاية ويذكره مخافة النسيان الا باخبار متواترة لان هذا في حق الشهادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
يفعل كذلك الا باخبار الاخبار فاما ان يثبت بخبر واحد فلا ولا يقال بانه لو لم يتقدم من التحريك لكان لا معنى للنهى فانه ثم
ليس فيه ما يثبت مقالتهم ويصحح تاويلهم ويسوغ لهم الشهادة لانهم يستقيم في الابتداء ان ينهى فيقال لا تحرك به لسانك
ولا تفعل كذا وان لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل ولا يقدم منه تحريك لسانه فثبتا وليس في ضمن هذه الاية بيان ما ادعوا
هو اذا ثبت ان قوله لا تحرك به لسانك وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه على النبى فكيف وهو يحتمل معنى اخر
غير النهى وهو ان يكون هذا على البشارة له بالكفاية انه قد كفيت مؤنة ما استذكار التحفظ وهذا من عظيم ابواب الرسالة ان السورة
يلقى عليه فيحفظها كما هى مما يشتد على الناس حفظ وقراءة الا ان يتكلفوا ويجتهدوا وفي ذلك فيعلم بهذا ان الله عز وجل هو الذى
اقدره على ذلك وجعله اية من اياته والله اعلم ثم الاصل ان من القى الى اخر كلاما ما فتنا بما ينظر في ذلك الكلام فان كان القصد منه
حفظ عين الكلام فان المخاطب به لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام بل يشتغل بالتلقاء ويحفظ ساعة ما يلقى اليه كما ينشد
بين يدى اخر شعر واراد الاخوان يحفظ ذلك الشعر ويلقنه فهو لا ينتظر فراغ المنشد من شعره بل هو ياخذ بالتلقى في اول ما ينشد
منه اذا الغرض من الاشعار حفظ اعينها دون معانيها الا ترى ان الالفاظ اذا حذفت منها خرجت عن ان يكون شعرا واما اذا
لم يكن المقصد من الكلام ضبط عينه وانما اريد به تفهم ما اودع فيه من المعنى فالعادة في مثله الاصغاء الى اخر الكلام ليفهم
معناه وما يراد به الا ترى ان من كتب الى اخر كتابا وان المكتوب اليه يقرا الكتاب من اوله الى اخره ليعرف مراد الكتاب لا ان يشتغل
بضبط ما اودع فيه من الالفاظ اذ ليس يقصد بالكتابة الى حفظ الالفاظ فاذا كان المراد يتوجه من الكلام الى ما ذكرنا ثم
القرآن قصد به الوجهان جميعا ضبط حروفه ونظمه ويعرف ما اودع فيه من المعانى اذ صار حجة بنظمه ولفظه بالمعانى
المودعة فيه فقيل لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل التلقاء الكلام الذى يلقى اليه فانك وان اخرجت الى حفظ نظمه و
حروفه فقد كفيت حفظه بدون تحريك اللسان وجايز ان يكون نهى عن تحريك اللسان والمبادرة الى حفظه قبل ان يقضى
اليه بالوحى لما فيه من ترك التعظيم لمن ياتيه بالوحى فامره بان يصغى اليه سمعه ويستمع الى اخره تعظيما للذى اتاها بالوحى وتوقيرا له
ثم هذه الاية تنقض على الباطنية قولهم لان من قولهم ان القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤلفا منظوما بل انزل على قلبه
كالخيال المصور فتلقيه والفه بلسانه فاتى بتاليف عجز الاخرون عن اتيانه بالقرآن مثله ونحن نقول بل انزل هذا القرآن مؤلفا منظوما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن التاليف من فعله والذى يدل على صحة بنائه التاجولة تعالى لا تحرك به لسانك لان التاليف لو
كان من فعله عليه السلام لكان لا يوجد منه تحريك اللسان وقت ما نزل عليه لانه اذا كان كالخيال فهو يحتاج الى ان يصورهم

قلبه ثم يصل الى التاليف بعد التصور ويناقى له العبارة باللسان وكما يقع التحريك من مولف منظوم ثبت انه انزل هذا مولفا منظوما والثاني انه قال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فهذه الاية تنفي طعن اولئك الكفرة الذين زعموا ان هذا بقراءة بل انما علمه فلان وكان لسان ذلك البشر اعجميا وهذا القران عربي فكيف يستقيم ان يعلمه ذلك البشر ولسانه غير هذا اللسان ولو كان هذا القران وقت ما انزل كالجبال لكان ذلك الطعن قايلا انه كان يولف ويجمعه باللسان العربي وان علم بالاعجمية لما قدر ان يولفه وينظمه بعد ان كان جاء باللسان العربي وقوله عز وجل ان علينا جمعه وقرانه لانه قد سبق منا الوعد في الكتب المتقدمة بانزال هذا القران وارسال هذا الرسول فعلينا الايجاد ذلك الوعد ووفاؤه او علينا في حق الحكمة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بتبليغ الرسالة ولا يتهيا له ذلك الا بعد ان يجمع له نبوة الى الخلق ولا بان الله تعالى حكيم في فعله موصوف بالحكمة وان لم يعرف نحن وجه الحكمة في فعله وجايز ان يكون قوله ان علينا جمعه في حق الرحمة والانعام على الخلق لانه يكون ذلك حقا محتوما عليه تعالى هو كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الى قوله الا رحمة من ربك فاخبر انه ابقى القران ولم يذهب به رحمة منه على عباده وفضلا وقوله عز وجل وقرانه اي قراءته وتسميته قرانا كما قيل في تاويل قوله وقرانا فرقناه اي جعلناه قرانا وقوله عز وجل فاذا قراناه فاتبع قرانه اي جمعناه في قلبك وجمعنا حدوده وما اودع فيه من المعاني ادرجناه بعدما فرقناه في التنزيل وقوله عز وجل فاتبع قرانه اتباعه يكون باوجه في ان يبلغه الى الخلق ويعلم امته ويتبع حلاله ويجتنب حرامه وغير ذلك وقوله عز وجل ثم ان علينا بيانه جايز ان يكون قوله علينا بيانه اي بيان ما انزلناه اليك مجملا فيكون بيانه في تعريف ما هو بحق الايجاب وما هو في حق الجواز وما هو في حق التحسين والتزيين لان الفرايض لها شعب واركان وحواشي وتنزل فيها فرايض ولوازم واداب واركان على هذا ففيه منع تعليق الحكم بظاهر المخرج لانه لو كان متعلقا به لكان البيان مستغنيا بنفس المتن فلا يحتاج الى ان يبين وفيه دلالة تاخير البيان عن وقت وقوع الخطاب السمع ويحتمل ان يكون قوله عز وجل علينا بيانه اي بيان ما هو بحق الكنايات والتلويح منها وما هو بحق الاصول والفروع وما هو بحق المقصود فتبين لرسوله عليه السلام معنى الاصول والكنايات ليتعرف به فروعها ونتايجها وتبين لمن يقوم من يجاهد في الله حق جهاده ويهديه لذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا او يكون قوله ثم ان علينا بيانه فان يحفظك ويعصمك من الناس ليمكن من تبليغ ما انزل اليك الى الخلق وتبين لهم والله اعلم ووجه اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى كل من كان شاهدا من الخلايق الى يوم التناد ثم لم يمكن من تبليغ الرسالة الى كل احد مما ذكرنا بنفسه فكانه مفوض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبليغ الى الخلايق كافة بما جل جلاله انما تيسر الرواة والحفاظ والعلماء الذين بلغوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادى اليهم ويكون قوله ثم ان علينا بيانه اي بيان المحق من المبطل والولي من العدو وذلك يكون يوم القيمة فيعرف الاولياء بما يحبون من الكرامات ويتبين الاعداء والمبطلون بما يحل بهم من الحساب وانواع العذاب وقوله عز وجل كلا بل تحبون العاجلة فقوله كلا ردع ومنع عما سبق منهم وفي قوله بل تحبون العاجلة ابانة ان الذي حملهم على ما هم فيه من الحساب ان العظام لا تجمع وان البعث ليس بشي حبهم العاجلة واجوها حبا انساهم عن الايمان بالاخرة او عن النظر في الحجج والبراهين التي لو امعنوا النظر فيها لادتهم الى القول بالبعث وحقيقته والذين لا يرجون الاخرة كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية وقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فوجوه يومئذ باسرة ففيه بيان ما ينتهي اليه عواقب من التزم طاعة الله تعالى وامن بالبعث والحساب والبيان ما ينتهي اليه عواقب من تولى عن طاعته فقوله وجوه يومئذ ناضرة ناضرة جايز ان يكون اريد بها نفس الوجوه وجايز ان يكون اريد بها الانفس ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس ويكون الوجوه وجايز ان يكون اريد بها الانفس ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس اعينها قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والوجوه لا يظن ذلك ولا يعلم به فثبت ان ذكر الوجوه على الكناية لان ان اريد اعينها فهذا التاويل اوفق بما يقتضيه ظاهر اللفظ وانما صلح ان يكون الوجوه كناية عن الانفس وذلك ان النفس اذا تلذذت بامر تالت شهوتها ظهر سرور ذلك في وجهه واذا تالمت بامر واعتراها محنة ظهر اثر الحزن في وجهه فيكون في قوله وجوه يومئذ ناضرة وصف لما يلم عليهم من غاية السرور بالكرامات التي اكرموا بها حتى نضرت وجوههم بذلك واذ اثبتنا انهم قد نالوا الكرامات ووصلوا الى انواع اللذات لم يبق لقوله الى ربها ناظرة موضع الا ان يصرف الى حقيقة النظر فيكون في هذا اثبات القول بالرؤية والثاني ان الملوك الذين من عادتهم الاحتجاب عن الخلق اذا ارادوا التقرب الى اناس لا يحتجبوا عنه ويكون بذلك الاحتجاج ثم الى ذلك الذي اكرم بالتقريب من شانه يكرمه به فجايز ان يكون الله تعالى يكرم اولياءه بالنظر اليه ويتفضل عليهم بذلك وجايز ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى انتظار الثواب كما قال بعض اهل التاويل فينتظر ما باتيهم من التحف والكرامات حتى وصفوا بنضارة الوجوه فجايز ان يكون بعد تلك الكرامات وتحف اخر لم ياتهم بعد الا ترى الى قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والبسور من احوال التغير وغاية التغيرات سواد الوجوه وكلوح فاذا لم يحل بهولاء بعد غاية ما اوعدوا من العذاب فجايز ان يكون الذين وصلهم الكرامات بعد لم ينتهوا الى انتهائها ولم ينالوا بعد ارفعها وانما اكرموا ببعضها وهم منتظرون لما باتيهم من بعد وجايز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اي يجعل نظرها دايما الى الكرامات

الى الله تعالى ولا يرى ذلك الفضل مستوجبا من جهتها كما قد يرى المرء في الشاهد بعض ما حول من المال بحيله وسعيه والله اعلم وجايز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اي ان ليس كل الكرامات في نفسه خاصة والمنا ينتهي اليه نظره بل يكون قد ذلك لو ما تاخر فينصرف قوله الى ربها ناظرة الى ذلك ويحتمل ان الامر ربها ناظرة واذا كان قوله الى ربها ناظرة يحتمل وان يصرف الى حقيقة النظر ويصرف الى الكرامات من الوجوه التي بيناها لم يكن لاحد ان يجعل الامر على الكرامات فينفي عنه حقيقة الرؤية الا بدلايل ظاهرة يحيل القول بالرؤية فيدفع هذا التاويل بتلك الدلايل فاما اذا لم يمكنا قيام الدلايل على احالة الرؤية فلا يسقط قطع هذا التاويل وصرف التاويل الى انتظار الكرامات فيكون الاية حجة في جواز الرؤية ان لم يكن حجة في الوجوب والخلاف فيما واحد واقع من طرف التاويل الى حقيقة الرؤية ان قوله وجوه يومئذ باسرة هو مقابل قوله وجوه يومئذ ناضرة وقوله يظن ان يفعل بها فاقرة على نفي الرؤية ولكن على العقاب نفسه فكذلك قوله الى ربها ناظرة ليس هو على حقيقة الرؤية وجودها ولكن واقع على الثواب على نفسه وجواب هذا الفضل من وجهين احدهما ان اهل العقاب بعد لم ينزل بهم جميع ما اوعدوا في هذه الدنيا من العقاب لما ذكرنا ان نهاية العذاب في سواد الوجوه وجعلها ابيض في سوادها فلذلك لا استقام ان يكون قوله يظن ان يفعل بها فاقرة على نفس العذاب واهل الجنة قد وصلوا الى رفيع الدرجات وعظم الكرامات بما وصفوا بنضارة الوجوه فاستقام ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى حقيقة النظر لا الى غير من الكرامات ولان الرؤية من اعلى الكرامات وارفعها واهل العقاب لم ينالوا ادنى الكرامات فكيف ينوعون ارفعها اما اهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجايز ان يكرموا بالرؤية ايضا والاصل ان القول بالرؤية عندنا واجب والنظر اليه كما قال عز وجل ولما جاء في غير خبر النقل الى الله تعالى وقد قال عليه السلام انكم سترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته واهل التوحيد لم يختلفوا في صحة الاخبار التي جاءت في اثبات الرؤية ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف الاخبار الى العلم وذلك غير مستقيم لوجهين احدهما ان البشارة بالرؤية خص بها اهل الجنة ولو كان المراد من الرؤية العلم لاد تقع الاختصاص لان العلم لما يقع به الاشتراك بين الفريقين ولان كلا يجمع على العلم بالله تعالى في الاخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس ولا الريب والعلم الذي لا يعتريه الوسواس والريب هو علم العيان والمشاهدة على علم الاستدلال لان الايات لا يضطر اهلها الى الحقيقي الا ترى الى قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شي فاذا ثبت ما ذكرنا فقد صار واستبينين الرؤية من الوجه الذي اراد وابينها فثبت الرؤية على نفي جميع معاني الشبه عن الله تعالى ولا نصف الرؤية بالكيفية او الكيفية الذي يكون الذي صورة وهو يرى بلا كيف والله الموفق وقوله عز وجل يظن ان يفعل بها فاقرة فجايز ان يكون الظن في موضع العلم هاهنا وجايز ان يكون على حقيقة الظن وذلك ان الظن يتولد من ظواهر الاشيا فالاسباب اذا كثرت وازدحمت وقع بها العلم واذا قلت وخفيت لم يقع بها علم فجايز ان يكون اسباب الشر احاطت به من كل جانب حتى وقع الياس من النجاة وايقن انه يفعل به الشر وجايز ان يكون الامر بعد لم يبلغ فيئس من النجاة ولا يتيقن ان يفعل بها فاقرة بل يكون بها على ظن والله اعلم والفاقرة قيل الشر والمنكر والداهية وقيل التغير هي كسر الظهر والفقر والعنقا وعظم في الظهر يكسر في الاخرة ويسحب في النار على وجهه قال رحمه الله كان هذه السورة من اولها الى اخرها ايات منها وهو قوله بل يحبون العاجلة ويذرون الاخرة وجوه يومئذ ناظرة نزلت في بيتين معاملة احد من الكفرة على الاشارة اليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشترك وحكم من يتذكر في معاملته فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يعامله ويستقبله بالذي يحق على الحكماء معاملة السفهاء ولم يامره ان يعامله مثله من السفهاء وبين معاملته في هذه السورة ليعلم امته ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد والبلاء في اظهار دين الله تعالى فيفعلوا قدره منزلته ويعظموا دين الله تعالى بما نالوا سمحا سهلا وامره ان يعامل معه معاملة من يرجع الشفقة والشوكة بنزوله اولا لك فاولى والله اعلم وقوله عز وجل كلا اذا بلغت التراقي فقوله كلا يحتمل وجهين احدهما ان يكون اريد به حقا ويحتمل ان يكون على الردع والزجر اي تفعل مثل هذا فانك ستندم في الوقت الذي قال اذا بلغت التراقي كانهم يقول سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت نومه فبين لهم ذلك بقوله تعالى اذا بلغت التراقي والتراقي هي عروق العنق كانه يقول حين نزول النفس اي الروح عن مكانها وينتهي الى التراقي وقوله عز وجل وقيل من راق فجايز ان يكون الملايكة هم الذين يقولون هذا فيقول بعضهم من يرقى بروحه املايكة الرحمة ام ملايكة العذاب من رقي به اي صعد من بقبض روحه ويحتمل ان يكون يقول اهل من الذين يرقيه رقية فيستشفي فيكون فيه اخبار عما حل به من الضعف والشدة انه يستبشع عن ان يقول ادعوا الى داوينا العلي الشفي فيكون اهله من الذين يقولون هذا فيما بينهم وقوله عز وجل وظن انه الفراق فجايز ان يكون الظن على الاتفاق هاهنا لما وقع له الياس من الحيوة وكذلك روي في قراءة ابن عباس رضي الله عنه وايقن انه الفراق وجايز ان يكون على حقيقة الظن لما لم يقع له الايات من جوته بعد فهو يا ملها بعد وقوله عز وجل والتفت الساق بالساق واختلفوا في تاويله

قيل لفت ساقاه أحدهما على الأخرى فلا ينتشران كالالتفاف الأشجار حتى لا يجد نفاذا فيها ولا حراكا وقيل إن ساقيه في القيامة ليضعف عن حمل من شدة الفزع وقيل أريد بالساق الشدة يقال قامت الحرب على ساق أي على شدة أي وصلت شدة الموت بشدة الآخرة واجتمعت شدة الدنيا مع شدة الآخرة عليه لأنه يتصل به سكرات الموت ونزلت به شدائد الآخرة وذلك آخر يومه من الدنيا وأول يومه من الآخرة وقيل ما من ميت يموت إلا التفت ساقاه من شدة ما يقاسي من الموت وقال بعضهم والتفت الساق بالساق معناه أن الملائكة يجهزون روحه وبنو آدم يجهزون بدنه فذلك التفاف الساق بالساق وقوله عز وجل إلى ربك يومئذ المساق أي إلى ما وعد ربك يومئذ يساق إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقوله عز وجل فلا صدق نبأه فلا صدق بما جاء من عند الله تعالى من الأخبار ولا صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ولا صلى يحتمل أن يكون أريد به نفس الصلوة وذلك أن الصلوة حببت إلى الأنفس كلها حتى لا ترى أهل دين إلا وقد حببت الصلوة إليهم فيكون في قوله ولا صدق ولا صلى إبانة سفهه وجهله أو يكون قوله ولا صلى أي ولا أتى بالمعنى الذي له الصلوة وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى وقوله عز وجل ولكن كذب وتولى بالأخبار التي جاء به وتولى أي أعرض عن طاعة الله تعالى وقوله عز وجل ثم ذهب إلى أهله يتمطى أي يتبختر ويتكبر وذلك أن الاختيال والتكبر إنما يليق بمن أتى بفعل عظيم يعجز عن إتيان مثله نظراؤه بأن هزم جندا عظيما أو فتح كورة حصينة وهذا الذي تمطى لم يفعل سوى أن يكذب بآيات الله تعالى وأعرض عن طاعته وما هذا إلا فعل السفهاء الحمقى فأنى يليق بمثله التمطي وقوله عز وجل أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له قل أولى لك فأولى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أولى لك فأولى وبين الله تعالى ذلك في كتابه وقال أهل التأويل هذا وعيد كما قال ويل لك فويل ثم ويل لك فويل وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه وقال له هذا فلم يتهيأ لذلك المسكين أن يدفع رسول الله عن نفسه وكان يفتخر بكثرة أنصاره وأنه أعز من يمشي من الجبلين فالله تعالى بلطفه أذله وأهانه حتى لم يتهيأ له الحراك عما نزل به ولا نفعه براءه وكثرة أتباعه وجائز أن يكون قوله أولى لك فأولى فالأحرى لك أن تنظر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذي كان عليه آباؤك ليظهر لك الصواب من الخطأ والحق من الباطل فتتبع الصواب من ذلك فتحظى به شرف الدنيا والآخرة إذا كان يفتخر بشرفه وعزه فإن أردت أن يدوم لك الشرف فالأولى لك أن تنظر إلى ما ذكرنا فتتبع الصواب من ذلك والثاني أن العرب كانت عادتها أن تقوم بنصر قبيلتها والذب عنها كانت ظالمة في ذلك أو لم تكن ظالمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قبيلة أبي جهل فلو كان على غير حق عنده كان الأولى له أن ينصره ويعينه على ما عليه عادة العرب وإن كان محقا فهو أولى بأن يتبع ما هو أولى به من النصر والحماية وقوله عز وجل أيحسب الإنسان أن يترك سدى فجائز أن يكون هذا الإنسان دهري المذهب فيكون قوله أيحسب الإنسان على حقيقة الحسبان لأنه يحسب أن لا بعث ولا حساب وقد كان فيهم من هو دهري المذهب وإن كان الخطاب في قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى ليس على تحقيق الحسبان ولكن معناه أنه فعل فعل من يوقن عن أنه كان فعله موافقا لفعل من يحسب أنه يترك سدى كما ذكرنا في قوله تعالى بل يريد الإنسان ليفجر أمامه وهو لا يريد أن يكون فاجرا في الحقيقة ولكن من يعقب فعله الفجور وهو كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وليس على حقيقة الظن ولكن إذا لم يقل بالبعث ولم يؤمن به فقد وصف أن خلقهما إذا على باطل وذلك الفعل الذي ذكرنا يكون في ترك الإيمان بالبعث وفي جحد الرسالة لأن المحاسن لا بد من أن يكون لها عواقب كذلك المساوي ثم نرى من الدار على المسيء والمحسن من واحد فلا بد من أن يكون بعد هذه دار أخرى فيها تتبين مرتبة المحسن ومعاد المسيء فمن لم يؤمن بالبعث فهو لا يجعل للمحاسن والمساوي عواقب وسوى بين مرتبة المسيء ومرتبة المحسن وذلك عبث والثاني أن من عرف أنه لم يخلق عبثا ولا يترك سدى فلا بد له من أن يرغب ويرهب ويؤمر وينهى ولا يعرف ذلك إلا بالرسول بالضرورة أخرجنا إلى رسول يبين لهم ما يأتون وما يتقون وما يرغبون فيه وما يحذرون فمن أنكر الرسالة فقد أهمل نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الأمر والنهي وذلك حال من خلق سدى وقوله عز وجل ألم يك نطفة من مني يمنى والوجه فيه أن كل أحد يعلم بشره كان من نطفة وتلك النطفة لو رويت موضوعة على طبق ثم اجتمع حكماء الأرض بقدرهم وانتهاء أسرارهم ما قدروا أن يحدثوا في تلك الظلمات لم يصلوا إليه أبدا ولو استفرغوا مجهودهم وأنفدوا حيلهم وقواهم ولو أرادوا أن يعرفوا المعنى الذي لذلك المعنى صلحت النطفة من أن ينشئ منها العلقة والمضغة إلى أن أنشئ بشرا سويا عليه فعلموا أن من بلغت قدرته هذا هو أحكم الحاكمين ولو كان الأمر على ما زعموا أن لا بعث لم يكن هو أحكم الحاكمين بل كان واحدا من اللاعبين وتبين بما ذكرنا أن الذي بلغت قدرته لا يوصف بالعجز ومن زعم أن قدرته لا تنتهي إلى البعث فقد وصف الرب بالعجز تعالى الله عما يشركون وقوله عز وجل أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فقوله أليس في موضع التحقيق والتقرير وإن كان خارجا مخرج الاستفهام على ما ذكرنا إنما يخرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقه أن ينصرف إلى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب أن لو كان من مستفهم فمن قال لآخر في أليس الله تعالى بقادر على إحياء الموتى فحقه أن يقول بلى هو قادر على ذلك وذلك ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين تلا هذه

الآية سبحانك فبلى نقول لما ليس ذلك بقادر أي هو قادر على أن يحيي الموتى والله الموفق وإليه الشكران وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهل ومن ولعل من الله تعالى واجب وتحقيقه أن يقال إنه لو كان مثل هذا الكلام من بينهم ما الذي كان يقتضي من الجواب فإذا قال الإنسان لآخر من أظلم ممن افترى على الله كذبا فمجراه أن يقول لا أحد أظلم وإذا قال لآخر هل أتاك حديث فلان فحق المجيب أن يقول لا إن كان لم يأته حديث فلان أو قد أتاني وإن كان لم يأته فحقه أي نبأنا كيف كان حديثه ليعرفه فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتاه خبر الإنسان بمعنى قوله هل أتى على الإنسان أي قد أتى على الإنسان وإن لم يكن أتاه فحقه أن يسأل الحق تبين له وقيل الإنسان آدم عليه السلام ثم لقائل أن يقول لما كيف قال قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهو إن لم يكن شيئا في ذلك الوقت لم يكن إنسانا وإذا لم يكن إنسانا لم يأت عليه حين من الدهر وهو إنسان وإن كان في ذلك الوقت مخلوقا فقد صار مذكورا وإذا صار مذكورا فقد أتى عليه حين من الدهر وهو مذكور فما معنى قوله فيه من أوجه أحدها أن يكون قوله عز وجل هل أتى على الإنسان أي ما منه الإنسان وهو الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام وهو التراب فقال لم يكن شيئا مذكورا على الاستعمال لذلك الأصل لأن التراب لا يذكر في الأشياء المذكورة وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم والوجه الثاني قيل قد أتى على الخلق حين من الدهر لم يكن الإنسان فيه شيئا مذكورا في تلك الخلائق والوجه الثالث قد أتى عليه حين من الدهر ولم يكن مذكورا في الممتحنين وهذا في كل إنسان لأنه ما لم يبلغ لم يجر عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين قال الله تعالى خلق الخلائق ليعبدوه بقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فقوله إذا صار من أهل المحنة قبل أن يبلغ قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في جملة من خلقوا للعبادة والله أعلم وقوله عز وجل إنا خلقنا الإنسان من نطفة والإنسان لم يكن إنسانا في النطفة ولا في العلقة ولا في المضغة ولكن المقصود من إنشاء النطفة والعلقة هذا الإنسان والعواقب في الأفعال هي الأوائل في القصد والمراد فاستقام إضافته إلى ما ذكرنا كما رجع إليه القصد من إنشائها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أردت تدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته فالزم النظر في العواقب فثبت أن المقصود من فعل أهل التمييز العاقبة وإذا كانت العاقبة مقصودة إليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجودة في الابتداء لذلك استقام إضافة الإنسان إلى النطفة والعلقة والمضغة ثم قوله عز وجل إنا خلقنا الإنسان من نطفة منصرف إلى أولاد آدم فيكون المعنى من الإنسان أولاده ثم ذكرهم ابتداء أحوالهم وما ينتهي إليهم عاقبتهم وهو الموت ليتعظوا به ويتذكروا ووجه الانتفاع هو أنهم إذا علموا ابتداء أحوالهم وعلموا ما ينتهي إليه عاقبتهم علموا في الحال التي هم فيها أن أنفسهم في أبدانهم ليست لهم بل عارية في أبدانهم إذ لم يكن منهم في الابتداء أو أمانة والحق على الذي أن يقوم بحفظ الأمانة ورعايتها وأن لا يجوز صاحبها فيها فإن هو خانها ولم يتول حفظها استحق المسبة والمذمة وإن حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد والثناء من صاحبها والحق على المستعير أي يتمتع بالعارية وينتفع بها إلى الوقت الذي أذن له وأن لا يضيعها فإن ضيعها استحق الغرامة والضمان بتضييعه إياها وكذلك إذا علموا أنها في أبدانهم عارية وأمانة علموا أن عليهم رعايتها واستعمالها في الوجه الذي أذن لهم فيها لا يلحقهم تبعة في العاقبة ولا يلزمهم المسبة في المذمة في ذلك في الدنيا والآخرة والله أعلم والثاني أن النظر في ابتداء الخلقة وإلى ما يصير عند نفعنا الأمر يضطر إلى إيجاب القول بالبعث وإلى التصديق بكل ما يأتي به الرسل من الأخبار وذلك أن التأمل في ابتداء الخلقة يظهر عجيب قدرة الله تعالى ولطيف حكمته ويعلم أن الذي بلغت حكمته هذا المبلغ لا يجوز أن يقع فعله من إنشاء الخلق للإفناء خاصة لخروجه عن حد الحكمة فيحملهم ذلك على القول بالبعث ولأن النظر في ابتداء الخلقة والنظر إلى ما يرجع إليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر لأن إنشاءه كان من نطفة يستقذرها الخلائق ومن علقة ومضغة يستخبثها كل أحد وبعد الممات يصير جيفة قذرة ومن كان هذا شأنه لم يحسن التكبر في مثله فكان في تذكيره أوائل الأحوال وأواخرها موعظة لهم ليتعظوا وينتصحوا وتعريف لهم أن التكبر لا يحسن من شأنهم فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر والله أعلم وقوله عز وجل أمشاج نبتليه والأمشاج الأخلاط ثم الأخلاط يقع بوجهين أحدهما في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة والثاني يقع في الأحوال وهو أن النطفة إذا تحولت علقة لم يتحول بدفعة واحدة بل هي تغلظ شيئا فشيئا حتى إذا تم غلظها صارت علقة وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيئا فشيئا حتى إذا تم التغير فيها صارت مضغة فهذا هو الاختلاط في الأحوال ومنهم من قال الاختلاط الطبائع الأربع التي عليها جبل الإنسان ومنهم من صرف الخلط إلى الألوان فذكر أن ماء الرجل أبيض يخالطه حمرة وماء المرأة أصفر يخالطه صفرة وقوله عز وجل نبتليه أي نختبره

والشر والامر والنهي ثم الابتلاء هو الاستظهار لما خفي من امور والله اعلم لا يخفى عليه امر فيحتاج الى الاستظهار ولكن يبتليه ليظهر للناس ما كان خفيا عليه بفعله وتركه وانما الخلق فبهم يمتحنون ويبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم فيكون الابتلاء منصرفا اليهم لا الى المبتلي والممتحن والثاني ان الابتلاء لما كان الاستظهار ما خفي من الامور وذلك يكون بالامر والنهي فسمي الامر من الله تعالى والنهي لعباده ابتلاء لمكان الامر والنهي على تحقيق معنى الابتلاء منه وقال الحسن لما صلح ان يضاف الاستعباد الى الله تعالى وان كان هو خبيرا عالما فجايز ان يضاف اليه الابتلاء ايضا وان كان هو بالذي ابتلاه عالما بصيرا ولان الذي يظهر من العبد الابتلاء من الفعل كان الله تعالى يعرفه شاهدا بفعله وقبل ذلك كان يعرفه غايبا لان معرفته ما يكون ان يعرف مثل كونه غايبا وبعد كونه شاهدا والله اعلم وقوله عزوجل فجعلناه سميعا بصيرا اي جعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدي اليه سمعه وجعلنا له بصيرا يبصر به اي ذي بصر الوجه ليضع كل شي موضعه وذلك هو بصر القلب وسمع القلب لانه قد خص البشر بالابتلاء لمكان بصر الباطن والسمع الباطن لا انه كان البهايم لها بصر الظاهر وكنى السمع ويحتمل ان جعلناه سميعا بصيرا يتبصر ماله وما عليه ينفعه وما يضره ثم اشتاق فيه السمع والبصر ولا يعرف كيفية السمع والبصر الذي جعل فيه وكلامه لطافته لم تعلم شيئا الكيفيات و الماهيات واتها يتعالى عن الوصف له بالكيفية والماهية ثم قال تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعنى قوله عزوجل انا هديناه السبيل وبيناه لانه احدها هديناه السبيل لاصلاح بدنه ومعاشه وهديناه السبيل الذي يهديه الاستيفاء النسل والثاني يدل التناول وهديناه السبيل الذي يرجع الاصلاح دينهم واخرتهم باكتساب الحسنات والمحاسن ثم قوله اما شاكرا واما كفورا اثر قد بين لهم السبيل وهو الهم ثم منهم من يختار الشكر ومنهم من يختار الكفر له ثم بين ما اعد للكفور منهم وما اعد للشكور وهو ما قال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ثم قولنا انا هديناه السبيل ان كان المراد منه الطريق فكانه قال انا بينا كلا الطريقين فان سلك طريق كذا واختاره يكون شاكرا وان سلك طريق كذا واختاره يكون كفورا من بين كل طريق الذي سلكه جزاء وقال ثم قوله عزوجل انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ففيه ان ايديهم تغل وتشد الى الاعناق بالسلاسل والاغلال الذي يعني اوجههم ثم قرئ سلاسل لانها منصرفة وقرئ سلاسلا ومن قرء بنا على الاسماء كلها منصرفة الا جمع واحد وقال الزجاج السلاسل لا ينصرف لانه لا مثل له في الكلام صرفها ههنا لانه رؤس الايات وقيل لانه جعل راس الاية وقوله عزوجل ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا فمنهم من ذكر ان الكافور شي اعده الله تعالى الى الاخرة كما منه لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر ان الكافور شي جرى ذكره في الكتب المتقدمة وذكر ذلك في القران ومنهم من قال انه عين من عيون الجنة ومنهم من صرفه الى الكافور المعروف لكن قيل انه كناية عن طيب الشراب وقيل كناية عن برودة الشراب ثم ذكر ان ذلك الشراب في طبعه كالكافور ولان الشراب عند الناس لا ان يكون في نفسه باردا وذكر ان الكاس لا يسمى كاسا حتى يكون فيها خمر وقوله عزوجل عينا يشرب بها عباد الله ومعناه انها ان يقع من شرب بها العين عينا لوقع العين وقوله عزوجل يفجرونها تفجيرا فيه اخبار ان العيون جارية يجرونها حيث شاءوا ثم المراد من ذكر العباد هاهنا هم الذين اطاعوا الله وقال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقوله عزوجل يوفون بالنذر والنذر هو العهد فيجوز ان يكون اداء بالوفاء بكل ما اوجب الله من الفرايض والحقوق فيكون فيه وقوله عزوجل يوفون بالنذر وجايز ان يكون اداء الذي اوجبوا على انفسهم من القرب فيكون فيه اخبار انهم قاموا باداء الفرايض ووفوا بما اوجبه الله تعالى مع ذلك ما اوجبوا على انفسهم وما كتبها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فجعلهم الذم لما لم يقوموا برعاية حقه ليس ايجابهم على انفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم وقوله عزوجل ويخافون يوما كان شره مستطيرا قيل استطار شر ذلك اليوم فملأ السموات والارضين كل شي حتى انشقت السموات وتناثرت النجوم ونسفت الجبال ومعناه ان هول ذلك اليوم قد عم وفشى في اهل السموات والارض حتى خافوا على انفسهم وقيل سمي مستطيرا اي طويلا ويقال استطار الرجل اذا اشتد غضبه واستطار الامر اي اشتد فسمي مستطيرا اي شديدا وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فالحب يتوجه الى معاني يتوجه الى الايثار مرة والى ميل النفس وكون القلب اخرى ومرة يعبر به عن الشهوة فالمراد من الحب هاهنا الشهوة فيكون قوله عزوجل على حبه اي على شهوتهم وحاجتهم اليه وقيل يطعمون في حال عزة الطعام وقيل ان يطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم عليها الحسن ان يطعموا عند الاياس من حيوة على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة ان يتصدق وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقوله عزوجل انما نطعمكم لوجه الله قيل انهم لم يتكلموا بهذا اللفظ في انما نطعمكم لوجه الله

لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الاية ولكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم بذلك ليرغب في ذلك الراغبون الا ترى انهم كانوا يطعمون الاسارى ولا يطمع من الاسارى المجازات والشكر ليعلم انهم لم يقصدوا به الا وجه الله تعالى والتقرب اليه والمجازات هي المكافات لما اسدي اليه والشكر هو الثناء والنشر عنه وقوله عزوجل انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم فيكون معناه ان هذا اليوم وهو يوم القيمة من بين ساير الايام كالانسان العبوس من بين غيره ومنهم من صرفه الى الخلايق فيكون معنا قوله تعالى يوما عبوسا اي يوما يعبس فيه وجوه الخلايق لا ان يكون اليوم بنفسه عبوسا وهو كقوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر فيه وتقول العرب نهاره صايم وليله قايم فيصرف هذا اليوم على معنى يمر الناس فيه فيرجع هنا الى وصف ما يكون عليه ذلك اليوم على ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر اليوم بالاحوال التي يكون عليها خلال ذلك اليوم فمرة قال وترى الناس سكارى ومرة قال يوم يكون الناس كالفراش المبثوث اي غير ذلك من الايات وقوله عزوجل قمطريرا قيل شديدا وقيل القمطرير الذي يقبض الوجوه بالعبوس والعبوسة ويزوي ما بين العينين وقيل القمطرير المشرق على اهل النار وقيل القمطرير هي كلمة من كتب الاولين وقوله عزوجل فوقاهم الله شر ذلك اليوم فجايز ان يكون الوقاية منصرفة الى الموعود في ذلك من العقوبة والنكال لا ان يكونوا في هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا اهوالها وجايز ان يكون وقاهم عما كانوا يخافون من التبعة لدى الحساب كقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه فكانهم يخافون على انفسهم المناقشة في الحساب فاذا وسيئاتهم مغفورة وحسناتهم متقبلة سروا بذلك وقوله وجايز ان يكونوا ومنوا من احوال القيمة وافزاعها حين سروا من القبور وتلقتهم الملائكة بالبشارة كما قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقوله عزوجل ولقيهم نضرة وسرورا فالسرور عبارة عن انتفاء عنهم والنضرة اثر كل نعيم وقيل نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وقوله عزوجل وجزاهم بما صبروا اي على الطاعات وصبروا عن معاصي الله جنة وحريرا وجزاهم حريرا فذكر الحرير لان الجنة انما يذكر في موضع التنعم والتنعم بالماكل والمشارب دون التنعم باللباس فوصف اللباس من اللباس الحرير مما هو جزاء الجنة وقوله عزوجل متكئين على الارايك يذكر تفسيرها بعد هذا ان شاء الله وقوله عزوجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا شمس فيه ولا زمهرير بل يكون ظلها دايما ممدودا فجايز ان يكون المراد منه ان ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضيئة لان الشمس في الدنيا ينتفع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس وذكر انهم لا يرون فيها الزمهرير ليعلم ان لذاذة شراب الجنة وبرودته بالخلقة لا ان يكون برودتها بتغير يقع في الاحوال على ما يكون عليه شراب اهل الدنيا او يكون ذكر هذا ليعلموا انهم لا يوذون بحر ولا برد وقوله عزوجل ودانية عليهم ظلالها فجايز ان يكون يراد به انها دانية من هو الذين سبق نعتهم وهم الابرار كقوله عزوجل ان رحمة الله قريب من المحسنين او ذكر ان ظلالها دانية لانها لو لم يكن دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع وقيل هي ظلال غصون الاشجار وقريب منهم لان الجنة نور وضياء لا فينتفع بالاشجار ظلالا على ما جاء في الخبر انه لو القي سوار من الجنة في النار لاضاءت الدنيا ويغلب ضوءها الشمس ويجوز ذلك فينتفع الاشجار فيها ظلالا كما يشتهون في الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر وقوله عزوجل وذللت قطوفها تذليلا فجايز ان يكون اريد بالتذليل التليين اي لينت فلا يجد ذابوبهم عنها شوك وقيل ان اشجارها ليست بطوال لا ينال بما رها الا بعد عنا وكذا بل في يبه من ذابها يقال حايط ذليل اذا لم يكن عاليا في السماء وقيل ذلك اي سوينا الاشجار لا ينشاوت بعضها بعضا يقول لاهل المدينة اذا استوت عذوق النخلة قد ذللت النخلة وقيل ذللت اي سخرت والتذليل التسخير فيتناولونها كيف شاءوا وان شاءوا تناولوها وهم قيام وان شاءوا تناولوها وهم جلوس وينام على الفرش وجايز ان يكون تسخيرها على ما ذكر عن بعض اهل التفسير ان شجر الجنة عروقها في فوق فروعها من اسفل والثمار بين ذلك وقوله عزوجل ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب فتاويل الاكواب يذكر في سورة هل اتيك حديث الغاشية ثم اخبر ان تلك الاكواب قوارير من فضة قيل هي من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من الشراب من خارجها لصفاءها ثم الانية من الفضة فاعين اهلها ارفع واشرف من الاناء المتخذ من التراب كذلك الصفاء الذي يكون بالفضة ابلغ وارفع في اعين اهلها من الصفاء الذي يقع بالقوارير قوارير من فضة على الاصل المعهود انه لا ينصرف وقرئ قوله قواريرا على الوقف عليه توافقا لاخر ساير الايات وقرئ قواريرا بالتنوين عند الوصل ايضا لانه راس الاية وقوله عزوجل قدروها تقديرا اي جعلت على قدر ريهم وقيل يسقون على القدر الذي قدروه في انفسهم وحدثت به انفسهم فلا يقدرون في قلوبهم مقدارا الا اتوا بها على ذلك وقوله عزوجل ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا فمنهم من زعم ان العرب كانوا اذا اعجبهم شراب نعتوه وقالوا كان زنجبيل فخرجت البشارة من الوجه الذي يرغب في مثله الانفس ومنهم من ذكر ان الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين ومنهم من ذكر في السلسبيل اي سل سبيلا الى ذلك العين وقال قتادة اي سلسلة السبيل مستعذب ماؤها وقيل سلسبيلا مستعذب ماؤها وقيل سلسبيلا

مستعذب ماؤها وقيل سلسبيلا شديد الجرية وقوله عز وجل ويطوف عليهم ولدان مخلدون ذكر الولدان لان يكون
فيها ولاد ولكنهم انشئوا ولدانا فيخلدون وكذلك يكبرون ولا يهرمون ويجائز ان يكون الولدان ولدان الكفرة الذين
ماتوا في الدنيا صغارا فلا يكون لهم في الجنة اباء ليرتفعوا الى درجة الاباء فيجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة وقوله عز وجل
واذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا خصهم من يقول ان الله تعالى شبه حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور اذا احسن ما يكون اللؤلؤ
اذا كان منثورا فجائز ان يكون هؤلاء الولدان فضلوا في الحسن على سائر الخدام التي يكون في الجنة كما فضل الدر في الدنيا على
سائر الجواهر ومنهم من يقول انهم ما لم يطوفوا فمن راهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا طافوا وتحركوا فحينئذ يعلمون انهم
ولدان وقوله عز وجل واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا قيل هو اللذات لا نهاية لها ولا وصف وقيل الملك استيذان الملايكة
عليهم وملوك الدنيا وان علت رتبتهم لم يملكوا الاحتجاب من دخول الملايكة عليهم بغير استيذان والملك هو الذي الامور
ويجائز ان يكون ذكر النعيم والملك الكبير على معناه لا يستطيع عنهم بل اذا رايتهم ابدا رايتهم في نعيم وملك كبير وقوله عز وجل
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق فجائز ان يكون اراد بالعالي ما علا من المكان الذي هم فيه فيخبر ان في اعلا اماكنهم ثياب
خضر من سندس كما هو في المكان الذي اسفل موضع جلوسهم لانهم يكونون على الارائك والاحجال فيكون ما تحت الاحجال و
الارائك من الاماكن زرابي مبثوثة ونمارق مصفوفة ويكون عاليها كذلك فان كان على هذا فلا فرق بين ان يكون فرش ذلك
المكان من حرير وديباج غليظ ان اريد بالاستبرق الديباج الغليظ وبين ان يكون من ديباج رقيق اذ كل ذلك مما يرغب في
مثله والله اعلم وقيل عاليهم اي على ثيابهم سندس واستبرق وقال بعضهم عالي انفسهم ثياب سندس ومنهم من صرف
السندس الى القياس والاستبرق الى ما بسط لان الديباج الغليظ مما لا يرغب الانفس الى لبس مثله فجمع بين ما يلبس وبين ما يفرش
وبين الفعل في احدهما ولم يذكر في الاخرة ومنهم من قال عاليهم هو الولدان ان يطوفون بما عاليهم والله اعلم وقوله عز وجل
اساور من فضة نبشرهم بالاساور من الفضة لان الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهب استحسانه القدرة وعزته ليس
لنفسه لانه اصفر والاعين لا يستحسن هذا اللون فجرت البشارة بالفضة لا بالذهب وقال بعضهم يحلى الرجال باسورة بالفضة
لا بالذهب وقال بعضهم يحلي الرجال باسورة من فضة على ما ابيح لهم التحلي بها في الدنيا وتحلى النساء باساور الذهب على
ابيح لهن التحلي بها في الدنيا وقوله عز وجل وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل هو الخمر يطهر من الافات ومن كل مكروه ويطهر بطونهم
من الغل فيعمل ذلك الشراب في تطهير الظاهر والباطن وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن بنجس الشراب وروي عن النبي عم انه
قال ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع فقال يهودي ان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة احدهم عرق يفيض من جلده فيضمر لذلك بطنه والاصل انك قد ترى الطعام الذي
يطعمه الانسان في الدنيا يبقى قوته في البدن حتى يظهر ذلك في كل جارحة وكذلك شهوته تبقى فيها ثم يخرج الثفل منها فالثفل
فجائز ان يرفع الله تعالى عن ذلك الطعام الفضل الذي يزايل البدن فيكون طعامهم ذلك اللطيف الذي تبقى في النفس وقوله
عز وجل ان هذا كان لكم جزاء فجائز ان يكون هذه البشارة خرجت لاهلها في الدنيا ويجائز ان يكون لهم في الاخرة ان هذا الذي
اكرمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا وقوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا قيل فرقنا عليك القران
تفريقا والحكمة في التفريق ما ذكر في اية اخرى في القران وهو قوله قالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به
فاخبر ان في التفريق تثبيت فيكون الناس له ادعى واعرف بمواقع النوازل منه من ان ينزل جملة واحدة ثم اضاف التنزيل
الى نفسه ههنا واضاف الى جبرئيل عليه السلام في قوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله عز وجل انه لقول
رسول كريم وقال في اية اخرى حتى يسمع كلام الله فاضافه الى نفسه وقال في لوح محفوظ فهذا كله على مجاز الكلام
ليس على الحقيقة فحق كل ذلك ان يضاف الى ما اليه اوجه والى ما يستخبر الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام فاذا
قيل هذا في اللوح فهم واريد منه انه مكتوب فيه وقوله عز وجل حتى يسمع كلام الله معناه انه حتى يسمع كلاما يدل له على
كلام الله تعالى لا ان يكون ذلك كلامه واضافه الى جبرئيل عم لانه من قبله يلقيه لا ان يكون ذلك كلام جبرئيل عم ثم قد
ذكر الحكمة في انزال القران مفرقا قبل هذا الفصل الكافي منه ثم جائز ان يكون التفريق لمكان اتباع رسول الله عم ليس لانه
لان الله تعالى يسر على نبيه حفظه حتى كان يحفظ جميع ما نزل اليه جبرئيل عم بما يقرا عليه مرة واحدة وقيل له لا تحرك به
لسانك لتعجل به الاية فضمن له الحفظ وامن النسيان فاما غيره فانه يشتد عليهم ان لو كلفوا حفظه بدفعة واحدة فانزل
مفرقا ليكونوا اقدر على حفظه ولهذا ما كثر حفاظ القران في هذه الامة وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الامة لان القران
انزل مفرقا على اثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل ووقفوا على معرفة ما اودع في الايات لمعرفتهم مواقع النوازل والنسخ
ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ والمنسوخ فانزل تعالى مفرقا ليكونوا يعلم الناسخ والمنسوخ والله اعلم و
انزل مفرقا كانوا اليه اشوق وارغب منه اذا نزل جملة واحدة الا ترى الى قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا انزلت سورة

فاذا انزلت سورة محكمة الاية فاخبر انهم يرغبون الى ان ينزل عليهم سورة وان كانوا قرؤا نزلت اليهم سورة من قبل
وفيه ايضا تخويف للمنافقين ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فكان في انزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوايد و
المنافع للمؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك فنبه انه ابتلاه بما يكرهه نفسه ويشتد عليها حتى دعاه
الى الصبر لان المرء لا يدعى الى الصبر على النعم واللذات وانما تدعى اليه اذا ابتلى بالمكاره والبليات وقد صبر عم على المكاره
لانه امر بمنابذة الجن والانس فانتصب لهم حتى اذوه كل الاذى وهموا بقتله وقوله عز وجل ولا تطع منهم اثما او كفورا
كانه قال ولا تطع من دعاك الى ما دعاك الى ما تاثم فيه او يكون كفورا او لا تجب الاثم او الكفور الى ما يدعون اليه و
وقوله عز وجل واذكر اسم ربك يحتمل باسم ربك اي صل باسم ربك كقوله واذكر اسم ربه فصلى او يقول اذكر اسم ربك
اي كن ذاكر الله في كل وقت وقوله عز وجل بكرة واصيلا البكرة يحتمل صلوة الصبح والاصيل يحتمل صلوة الظهر والعصر
وقوله عز وجل ومن الليل فاسجد له ليلا طويلا يحتمل صلوة الليل النوافل ان كان قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
في صلوة الفرايض وان لم يكن في ذلك فيكون كانه قال واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار ويقول فليكن اسم
ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعات الا هو مذكور فيها والله اعلم وقوله عز وجل ان هؤلاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا حب العاجلة مما طبع الخلايق لان كل طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء
فلا يلحقهم الذم بما طبعوا عليه وانشئوا ولكن انما يلحق الذم من احب الدنيا واختارها واثرها على غيرها الذي جعلت
الدنيا واستنت فالدنيا انما استنت وجعلت ليكتسب بها نعيم الاخرة والحيوة الدائمة اللذيذة فمن احب لهذا فهو لا
يلحقه بذلك ذم ولا تعيير ومن اختارها واثرها لها واكتسبها لها فهو المذموم واولئك كانوا مختلفين في ذلك لم يكونوا على
فن واحد منهم من حمل حبه الدنيا على انكار وحدانية الله تعالى والوهيته ومنهم من حمل حبه اياها على تكذيب الرسل و
النشادهم ومكابرة الحق ومنهم من حمل حبه اياها على انكار البعث والجزاء لما علموا ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين
الرسل انكروا بعضا وصدقوا بعضا وبوا من حبهم اياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك ولذلك ما ذكر من الانفاق في الدنيا
حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت الاية فمن انفق في هذه الدنيا لما يكون نفقة ما
ذكر لانه انفق لغير ما جعلت له النفقة فكان ما ذكر فعلى ذلك من احب الدنيا واختارها للدنيا لا للاكتساب ما ذكرنا
من النعم اللذيذة الدائمة والحيوة الباقية التي لا انقطاع لها كان ما ذكر ثم اذا ذكر الدنيا ذكرت الاخرة وراءها واذا ذكر
الاخرة ظهر ان ذكر الانسان قبل امامه لان الانسان يقبل اليها فيكون ذلك امامه وقدامه واما عند ذكر الدنيا قيل و
راءها لانها يخلفها وكل من خلف اخر يكون بعده ووراءه لانه يكون عند موت لا اخر لذلك كان ما ذكر وقوله عز وجل نحن
خلقناهم وشددنا اسرهم يخرج الاحتجاج عليهم لما كانوا [illegible]
[illegible] ونحن [illegible]
[illegible] البعث [illegible]
اقدر [illegible] وقوله عز وجل واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا [illegible] وقوله عز وجل ان هذه تذكرة
[illegible] هذه السورة [illegible]
[illegible] فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا [illegible]
[illegible]
[illegible] اتخذ الى ربه سبيلا [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله [illegible]
[illegible]
[illegible] ان الله كان عليما حكيما [illegible]
على علم منه بصنيعهم انشاءهم وخلقهم حكيما [illegible]
[illegible] انفسهم [illegible]
منهم من التكذيب والرد [illegible]
ان يكن [illegible]

للرسل فعله بما يكون منه سفه ليس بحكمة لذلك افترقا وقوله عز وجل يدخل من يشاء في رحمته هذا على المعتزلة
ايضا لانه ذكر انه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في رحمته لانه شاء ايمان كل منهم والله تعالى
اخبر انه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على انه لم يشأ ان يدخل في رحمته من علم منه انه يختار الضلال ولكن انما شاء
ان يدخل في رحمته من علم منه انه يختار الهدى فاما من علم منه اختيار غيره فلا يحتمل ان يشاء ذلك له والله اعلم وقوله
عز وجل والظالمين اعد لهم عذابا اليما اي وشاء ايضا من علم منه الضلال ان يعذبه عذابا اليما وفي حرف ابن مسعود وابي
وحفصة رضي الله عنهم يختص برحمته من يشاء وهذا الحرف تفسير تاويل الاية وان يكون رحمته ههنا هو الهدى و
سبيل الله ويحتمل ان يكون رحمته هو جنة سميت رحمة لانه برحمته ما يدخلها اهل الايمان والله اعلم بحقيقته

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اختلفوا
في تاويلها فمنهم من حمل تاويل هذا كله على الملائكة ومنهم من صرفها الى الرياح ومنهم من صرف البعض الى الرياح والبعض
الى الملائكة وجائز ان يجعل هذا كله في الرياح ويستقيم ان يصرف كله الى الملائكة ويستقيم ان يجعل البعض في الملائكة
والبعض في الرياح فان كان في الرياح استقام القسم بها لان من الرياح رياحا هن مبشرات برحمته سابقات للنعم
العباد كقوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ومن الرياح رياح هي منجيات قال الله
تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فجعل الله تعالى التيسير للسفن
في البحار كما جعل الماء سببا لذلك وجعل منها مهلكات مذكرات لعقوبته وسلطانه كما قال عز وجل ويرسل عليكما شواظ من
الريح فيغرقكم الاية فهي يعمهم وتهلكهم من غير ان يدركوه بابصارهم فان كانت الابصار هي اول ما وقع بها ذلك
الاشياء ولو اراد احد ان يعرف الوجه الذي له صارت المنجيات منجيات ويعرف الوجه له صارت الرياح مهلكات او
مبشرات لم يقف عليه فصارت الرياح مذكورات للنعم وفي تذكير النعم ايجاب القول بالبعث وبكل ما اخبرهم بالرسل لانهم
كانوا ينكرون البعث وداووا فيها من لطايف الحكمة وعجايب التدبير ما لا يبلغها تدبيرهم وحكمتهم علموا ان الامر غير معقود
بعقولهم ولا بحكمتهم فيكون في ذكر ما ذكرنا ازاحة ما اعترض لهم من الشك والشبهة في امر البعث فاقسم بها لاجل ما
ما ذكرنا ان القسم جعل تاكيدا لما يقصد اليه باليمين فرجعنا الى قوله والمرسلات عرفا قيل هي الرياح المبشرات سميت عرفا
لانه ما ياتي من النعم معروفة وقيل العرف المتتابع وسمي عرف الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على بعض فجائز ان يكون يحمل
على الرياح لكن على الرياح المبشرات وهي الرياح السهلة الخفيفة لان النشر مذكور في الرياح الرحمة بقوله وهو الذي يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته في بعض القراءة وقوله عز وجل فالعاصفات عصفا هي الرياح الشديدة التي تكسر الاشياء
او بعضها وهي التي ترسل للاهلاك كقوله تعالى ويرسل عليكم قاصفا من الريح وجائز ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي
اسم الرياح التي لم يظهر انها رياح الهلاك او التبشير لان الرياح التي ترسل للرحمة يظهر اثر رحمتها من ساعتها من ارسال
السحاب وغير ذلك قبل ان يتتابع وكذلك الرياح التي هي رياح الاهلاك يظهر علم الاهلاك من ساعتها وهو ان يكون تما
شديدة قبل ان يتتابع وقوله عز وجل فالفارقات فرقا يحتمل الرياح ايضا وانما سميت فارقات لانها تفرق السحاب فيصيب
البعض في افق والبعض في افق اخرى وقوله عز وجل فالملقيات ذكرا فجائز ان يصرف الى الرياح والقا ذكرها ما ذكرنا انه
يظهر بها النعم فيذكر ويبين بها النجاة ويقع ببعضها الهلاك فذلك القاء ذكرها والله اعلم وان صرف الكل الى الملائكة
فيحتمل ايضا فقوله عز وجل والمرسلات عرفا اي الملائكة الذين ارسلوا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله تعالى
والعاصفات عصفا اي الملائكة الذين يعصفون ارواح الكفار اي ياخذونها على شدة وغضب وقوله تعالى والناشرات
نشرا فجائز ان يكون اريد بها السفرة من الملائكة سموا ناشرات لانهم ينشرون الصحف ويقرؤنها وجائز ان يراد بها الملائكة
الذين ياخذون ارواح المؤمنين على لين ورفق وقوله عز وجل فالفارقات فرقا فجائز ان يكون يراد بها الملائكة وسميت
فارقات لانهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله عز وجل فالملقيات ذكرا هم الملائكة الذين يلقون الذكر على الرسل صلى الله
عليهم وان صرف البعض الى الملائكة والبعض الى الرياح فيستقيم ايضا فيكون المرسلات الذين ارسلوا بالمعروف والخير
والعاصفات الريح الشديدة والناشرات الرياح الخفيفة السهلة والفارقات فرقا والملقيات ذكرا هم الملائكة ويحتمل
وجها اخر ان يراد بقوله والمرسلات هم الرسل من البشر الذين بعثوا الى الخلق فان من رسول بعث الا وهو مرسل بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وكذلك جائز ان يراد بقوله تعالى فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا هم الرسل لانهم يفرقون بين الحق والباطل
ويلقون الذكر في مسامع الخلق وجائز ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي الكتب المنزلة من السماء لانها ارسلت بالمعروف وكل نوع

الخبير

الخبير وكذا قوله والناشرات نشرا اي ناشرات للخلق والهدى وكذا قوله والناشرات نشرا اي ناشرات للخلق والهدى وكذا
قوله عز وجل فالفارقات فرقا لانها يفرق بين الحق والباطل ايضا وكذلك فالملقيات ذكرا فانها سبب لذلك والله اعلم
وقوله عز وجل عذرا او نذرا اي عذرا من الله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب وبين الحجج حتى لم يبق لاحد على الله حجة بعد ذلك
وهذا هو الاعذار وقوله عز وجل او نذرا اي نذرهم ولم يجعل في اغفالهم بل بين لهم ما يتقى ويجتنب وما يندب اليه ويؤتى
فهذا هو الانذار على تاويل الرياح ما ذكرنا انها مذكرات نعم الله تعالى ونقمته فيكون في ذلك ايجاب ذكر المنعم والمنتقم فيكون
في ذلك اعذار والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون لواقع فههنا موضع القسم بما ذكر من المرسلات الى اخر ما تم
ان كان الموعود يوم البعث فمعناه ان الذي توعدون به من البعث لكائن وان كان على الجزاء والعقاب فتاويله ان
ما توعدون به من العذاب لنازل بكم فيكون الاية في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وقوله عز وجل فاذا النجوم طمست
فكانه والله اعلم لما نزل قوله تعالى انما توعدون لواقع سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت وقوعه حتى يكون فنزل
فاذا النجوم طمست فاشار الى الاحوال التي يومئذ لا الى نفس الوقت نفسه طمست اي ذهب ضوءها ونورها ثم تناثرت
وقوله عز وجل واذا السماء فرجت اي انشقت واذا الجبال نسفت اي قلعت من اصلها فسويت بالارض وقال الزجاج
نسفت الشيء اذا اخذته على سرعة وقوله عز وجل واذا الرسل اقتت وقرئ وقتت وكذلك اصله لان الهمزة ابدلت مكان
الواو طلبا للتخفيف وهو من التوقيت اي جمعت لوقت وقيل احضرت الرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين بعث
اليهم كما قال الله تعالى يوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقيل اقتت اي وعلم
بان حقيقة ما اليه دعوا من وقوع ما اوعد واقومهم الذين تركوا اجابتهم من العذاب ووصولهم الوصول الى ما لمن
امن بالله تعالى واجاب الرسل فيما دعوهم اليه من الثواب وقوله عز وجل لاي يوم اجلت فاجلت واقتت واحد لان
في التاجيل توقيتا وفي التوقيت تاجيلا ثم بين وقت حلول الاجل اهل العذاب بقوله عز وجل ليوم الفصل اي ليوم الحكم
والقضاء قال الله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وقال ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
فجائز ان يكون الكلمة التي سبقت منه هو تاخير الجزاء الى يوم البعث فجعل ذلك يوم الجزاء وذلك يكون بالمعاينة
جعل هذه الدار دار محنة وابتلاء وذلك يكون بالحجج والبينات فكانه قال لولا سبق من كلمة الله تعالى من تاخير
العذاب والا كان العذاب واقعا بهم في هذه الدنيا بالتكذيب ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى اخر الجزاء والعذا(ب)
الى يوم يجمع فيه الاولين والاخرين وقدر في هذه الدنيا خلق هذا البشر على التتابع الى ذلك اليوم اذ ذلك اليوم هو
الذي يوجد فيه الجمع والله اعلم وسمي يوم الفصل لهذا انه يوم القضاء والحكم ولانه اليوم الذي يظهر فيه مثوى اهل
الشقاء واهل السعادة ويفصل بين الاولياء والاعداء ويفصل بين الاولياء والاعداء ويفصل بين الخصماء والله اعلم
وقوله عز وجل وما ادراك ما يوم الفصل اي لم تكن تدري قدر ذلك ان الله تعالى ذكر هذا على التعظيم والتهويل لذلك اليوم
او على الامتنان على رسوله صلى الله عليه وسلم باطلاعه عليه والله اعلم وقوله عز وجل ويل يومئذ للمكذبين وفي هذا
دليل على ان الوعيد المذكور على الاطلاق منصرف الى اهل التكذيب ثم لم يذكر ما للمصدقين وحقه ان ينال طوبى
للمصدقين وحقه ان يقال طوبى للمصدقين لان حرف الويل يتكلم به عند الوقوع في المهلكة وحرف طوبى يتكلم به
في موضع السرور والغبطة فانما ذكر في اهل التكذيب حرف الهلاك اذ كان من كان بخلافهم مستوجبا للسرور لكنه
ان لم يذكر ههنا فقد ذكرها في موضع اخر بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقال عز وجل
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون تقديم وتاخير وقوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجائز ان يكون من ماء
مهين فجائز ان يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الاشكال والريب الذي اعترض لهم في امر البعث لان الاعجوبة في الاعادة ليست
باكثر من الاعجوبة في الانشاء والابتداء فذكر ابتداء خلقهم لينتفي عنهم الريب في الاعادة وجائز ان يكون ذكر خلقهم
من الماء المهين وهو الماء المستقذر ليدعو عن تكبرهم وتجبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنادهم ويجيبوا
الى ما دعاهم اليه واخبر انه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي اليها تدبير البشر ليعلموا انه قادر على ما يشاء ويعرفوا انه لا يخفى
عليه شيء فيحملهم ذلك على المراقبة وعلى التيقظ والتبصر وقوله عز وجل فجعلناه في قرار مكين فالقرار المكين هو الرحم
جعله الله تعالى قرارا مكينا يمكن فيه الماء المهين فيخلق منه علقة ومضغة ويقر فيه الى الوقت الذي قدر الله تعالى الخروج
منه وقوله عز وجل فقدرنا فنعم القادرون اي قدرنا خلقنا كل شيء منه بقدر فقدرنا اي سويناه على ما يوجب الحكمة على الوجه
التي في قوله عز وجل والذي قدر فهدى وقوله عز وجل فنعم القادرون اي نعم من قادر فيخرج مخرج ذكر الالاء والنعم
اي ان الذي فعل بكم هذا هو الله تعالى فاعرفوا(؟) احسانه بفعل بكم هذا الفضل وقوله عز وجل الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
فجائز ان يكون هذا صلة قوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين والم نجعل الارض كفاتا احياء وامو(اتا)

فيكون في ذكر هذا كله تذكير الآلاء والنعم وتذكير القدرة والسلطان والحكمة فوجه التذكير النعم ان الله تعالى فاذا لما
نشاه نطفة قذرة وجعل لها مكانا يغيب عن ابصار الخلق ولم يعوض تدبيره الى البشر وكذلك في الوقت الذي انشاه
علقة ومضغة لم يعوض تدبيره الى احد من خلايقه لانه في ذلك الوقت بحيث يستخف ويستقذر ولا يدفع عنه
المعنى الذي وقعت به الاستخفاف والاستقذار بالتطهير فجعل له قرارا مكينا يستتر عن ابصار الخلايق ثم انشاه
نسمة وسوى خلقه من بطن امه والقى في قلب ابويه الرحمة والعطف ليقوموا بتربيته واشكالا ان يتكلف سلامته
بتو بين نفسه ومصالحه ثم جعل له بعد ما تم انشاؤه ما يكفيه ويحفظ نفسه ويستعين بها عن ابصار الناظرين بحيث
مونة الى حالة يستخف ويستقذر ولا يقبل التطهير فكان في ذكره ذلك الاحوال والى ما ينتهي اليه تذكير النعم ليعملوا على
اداء شكره او جعل الرحم قرارا له في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة لما لا يعرف الخلايق بما يعتري حتى يتولى
ونفع عنهم مونة التربية في ذلك الوقت ثم اذا صار بحيث يعرف وبعقبه عن ذلك الخلق المعنى الذي يحول وينقطع
اخرجه من بطن الام وعوض تدبيره الى ابويه فهذا وجه تذكير النعم وفي ذكره القدرة والسلطان والحكمة هو ان الله عز و
تعالى جعل النطفة التي انشا منها النسمة بحيث يصلح ان ينشا منها علقة ومضغة ولو ارادوا الخلايق بيرعوا العلقة
الذي له صلحت النطفة بان ينشا منها العلقة والمضغة والعظام واللحم لم يكن منها نشئة سوية لم يعرفوا ابدا
واذا تفكروا في هذا علموا ان حكمته ليست على ما ينتهي اليه علم البشر ولا يقع على الحد الذي ينتهي اليه وقوع البشر
الذي كان يحملهم على انكار البعث بعد الامانة تقديرهم الامور على قوى انفسهم وتشبيهها بعقولهم فاذا تدبروا في
ابتدا احوالهم ورا وا من لطايف التدبير وعجايب الحكمة علموا ان الانشاء ثانيا كالانشاء ابتداء ذلك التصديق
بكل ما ياتي به الرسل ويخبرهم من امر البعث وغيره ويجاوز ان يكون ذكرهم ابتدا احوالهم ونشوءهم لما فيه
لتكبر على دين الله تعالى وينقاد والله بالاجابة ولا يستكبر واعلى احد من خلايقه لانهم يعلمون ابتداء خلقهم
يستقذ رها الخلايق ثم علقة مضغة ويصيرون في منتهى الارجحية قذرة ومن كان هذا وصفه فانى يليق التكبر
على احدهم قوله عز وجل الم نجعل الارض كفاتا تكفتهم اي بضمهم ويجمعهم في حياتهم وبعد مماتهم لان الانضمام الى
حال حيوتهم ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت وجعل لهم بعد مماتهم مقابر يدفنون فيها وجعل
في حيوتهم وجعل بطنها ماوى لهم بعد وفاتهم وجعل بساطا لهم ليسلكوا فيها سبلا فجاجا وقد ذكر فيها ما به تذكرهم
وجوه النعم في خلقه الارض ليستادي منهم الشكر والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا فيها رواسي شامخات
هي الجبال الثابتات في الارض اثبتها في الارض ليقربها ولا تميد باهلها ولو لم يثبتها لم يتصل اهلها بالانتفاع بها
يذكرهم بذكر الجبال الرواسي عظيم نعمه عليهم ليستادي منهم الشكر والشامخات هي الطوال وقوله عز وجل واسقيناكم
ماء فراتا ولولا انزاله عليهم لم تكونوا تصلون اليه بقواكم ويحكم ثم انزله من السماء الى الارض ولم يخرج من حد
العذوبة ولا حل به لتغيير بماسة الارض واختلطت به وهذا منصرف الى الشرب خاصة لان الفرات العذب من المنافع
الا الشراب خاصة وقوله عز وجل الم نهلك الاولين وهم قوم نوح وقوم عاد وثمود ثم نتبعهم الآخرين قوم شعيب
وقوم لوط وغيرهم كذلك بالمجرمين قبل يجري هذه الامة ثم اخلفت وقت فعله منهم من يقول بان هذا الاهلاك
في الآخرة كقوله عز وجل بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ومنهم من يقول بان ذلك في الدنيا وذكر
فعله بمجرمي امة محمد صلى الله عليه وسلم ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر القاه الله
تعالى في قلوبهم الرعب حتى تركوا الاسباب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمحاربة مع شوكتهم وقلة اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا فعله بالمجرمين وفي القاء الرعب اظهر آيات رسالته وابين حجة عليها اذا كان فيه بيان
ستهم ان الذي اقعدهم عن القتال وقذف في قلوبهم الرعب هو الله ولا غير والله اعلم وقوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم
به تكذبون معناه والله اعلم الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله لانهم كانوا يكذبون بالبعث والعذاب لكن لم يكذبوا
بعد البعث فهو منصرف الى ما ذكرنا من العذاب وقوله عز وجل انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب ذكر ان ذلك الدخان
يخرج من جهنم فيظنون انه ظل فيستظلون اليه رجاء ان ينتفعوا به وقوله عز وجل ذي ثلاث شعب يحتمل وجهين
احدهما ان يكون اصله واحدا ثم يتشعب منه شعب ثلث ويحتمل ان يكون الاصل ثلاث شعب ثم يرتفع كل شعبة
من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا وقوله عز وجل لا ظليل ولا يغني من اللهب لا ينتفعون به كما ينتفع بالظل في
الدنيا لان ظل الدنيا يهرب اليه الحر ولكن فيه لان ظل البيت فما يسكن فيه ظل الشجر والحيطان ليسوا اليه ليس
وذلك الظل لا يغني عنهم في الآخرة فلا يدفع الحرارة ولا غيرها وقوله عز وجل ولا يغني من اللهب فجايز ان يكون المراد الى
ذلك الظل من اللهب فيخبر ان ذلك الظل لا يدفع عنهم اذى اللهب وجايز ان يكون اللهب في ذلك الظل يكون كما ان

الظل ساترة عما فيها من اللهب فيخبر ان سترها لا يمنع اللهب عن ان يمسهم اذا انضموا الى الظل وقوله عز وجل انها ترمي بشرر
كالقصر بفتوحة الصاد فالقراءة المعروفة قيل يراد كالقصر المعروف المبني باللبن والخشب وقيل يراد بها قصور اهل البادية
وهي الخيام ومن قراه بالنصب اختلفوا في تاويله عن ابن عباس رضي الله عنه كالقصر قصر النخل الواحد قصرة وذلك ان
النخلة يقطع قدر ثلثة اذرع واقصر واطول يستوقدون بها في الشتاء وقال بعضهم هو اصل النخل المقطوع المنقعر
من الارض وقيل هو اعناق النخيل وقيل القصر اسم الخشبة التي يقطع عليها اللحوم ويكسر العظام يكون للقصابين ومع
الحسن انه قراه مخففة كالقصر غير انه فتحها اي الحول من الخشب الواحد قصرة كقولك تمرة وتمر والله اعلم وفيه اخبار
عن عظم شررها وقدرها خلافا لما عليها الشرر في الدنيا لا ياخذ مكانا بل يتبين ثم ينطفي ثم جايز ان يكون بعض شررها
في العظم كالخيام وبعضها كالقصور وبعضها كالاصول الاشجار وقوله عز وجل كانه جمالة صفر قرا جمالة صفر
جماعة الجمل وقرئ جمالات جمع جمالة الصفر قيل السود وانما سميت السود صفرا لان السود يعلوها الصفرة فلا
يسمى بها بذلك قول القايل تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب شبه الشرر بالقصر والقصر بالجمالة
وهي الابل الاسود وقرئ جمالات برفع الجيم وهي حبال السفن بعضها اذا ضمت يكون كاوساط الرجال فشبه الشرر بالحبال
المذودة الصفر عند الامتداد وعند الانضمام كاوساط الرجال فيكون كالقصر وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون
فجايز ان يكون معناه انهم لا ينطقون نطقا ينتفعون به كما لم يكونوا ينطقون في الدنيا كلاما يقربهم الى الله تعالى
فعاملهم في الآخرة حسب معاملتهم الله تعالى وهو كقوله تعالى نسوا الله فانسيهم انفسهم وقوله تعالى قال رب لم
حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا الآية ومنهم من يقول لا ينطقون في بعض المواضع وينطقون في بعضها ويحتمل لا ينطقون
بحجة بل يكذبون كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل ولا يؤذن لهم فيعتذرون ليس انه لا يقبل العذر منهم
اذا اتوا به ولكن معناه انه لا عذر لهم ليقبل منهم وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه انه لا شفيع
لهم لا انهم اذا اتوا بشفعاء لم يشفع لهم واذا لم يكن عذر فهم لا يعتذرون بعذر وقوله عز وجل هذا يوم الفصل جمعناكم
والاولين ففيه اخبار انه لا يخص بالبعث فريقا دون فريق بل يجمع الخلايق كلهم ثم يفصل بينهم فينزل كلا منزلتهم
التي استوجبها فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل يوم الحكم فجايز ان يكون سمي به لانه يختصم فيه اهل المذاهب فيحكم فيه
بين المحق وبين الذي كان على الباطل والله اعلم وقوله عز وجل فان كان لكم كيد فكيدون فجايز ان يكون يقال لهم هذا
في الآخرة اذ كيدوا حتى تنجوا انفسهم مما نزل بكم اي ان كانت لكم به حيلا تحتالون بها ما فعلوا وهو حرف التقريع والتوبيخ
على نفي نفاذ المكر والحيلة ليس ما عليه امر الدنيا انهم يحتالون ويمكرون بانواع الخداع والتمويهات ويحتمل ان قيل لكم هذا
في الدنيا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقارضهم بهذا فيقول لهم فان كان لكم كيد فكيدون فتلي او اخراجي من بين اظهركم
كما قال هود عليه السلام لقومه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فيعجزهم عن ذلك فيظهر لهم اية رسالته وحجة نبوته اذ خرج
الاعراء من غير اعوان كان له ولا جنود يحتاج بل كان وحيدا فريدا بين ظهراني قوم مشركين ليست همتهم الا اطفاء هذا
النور وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله قال الله تعالى اتقوا النار التي
اعدت للكافرين وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار فهذا هو التقوى ثم ان اهل التوحيد قد راوا العذاب فاجتهدوا في اتقائه فقيل لهم انطلقوا
الى الظلال وعيون واهل النار كانوا مكذبين بالعذاب فقيل لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب ثم [illegible]
الذي يقع به الاتقاء فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وامرنا بالاجتناب لمحادثته ثم علمنا وجه المحادثة بقوله
بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال الله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فالرتبة الفزع اليه ويبين انا لا نقوى على محاربته الا بانتهائنا
اليه والفزع ثم يحتمل ان يكون الاتقاء ههنا منصرفا الى التصديق خاصة لانه ذكر الاتقاء ههنا مقابل التكذيب في الاولى
وجايز ان يكون منصرفا الى المصدقين بالاقوال والموفين بالاعمال فالمتقي هو الذي اتقى اشياء صحبته ثم الله تعالى فوقاه
الله تعالى شر يوم القيمة مجازاة له والمحسن هو الذي احسن صحبته نعمه فاحسن الله منقلبه واجله بدار كرامته في ظلال و
عيون وفواكه والمتقي هو الذي وقى نفسه عن المهالك فوقاه الله تعالى يوم القيمة والمحسن هو الذي احسن الى نفسه
وهو الذي استعملها في طاعة الله اليه بما انعم عليه من الظلال والعيون ثم اخبر انهم في ظلال لان الظلال مما يرغب اليه
الانفس في الدنيا لانها يدفع عنهم اذى الحر والبرد والمطر وهي لا تخلو ايضا واذى المطر والرياح وغير ذلك وظلال
الاشجار والحيطان يدفع اذى الحر وظلال البنيان يدفع اذى الحر والبرد والمطر وهي لا تخلو ايضا بين الهوام والاشياء
عن ان يدرك حقايقها وعظمت النعم في الظلال ووقعت اليها الرغبة في الدنيا فقال ان المتقين في ظلال وعيون وقال

تعالى في ظل ممدود وماء مسكوب ثم الانفس اذا اوت اوت الى الظلال لا اشتهت ما يتمتع به الابصار واعظم ما يتلذذ به الابصار ان يكون نظرها الى المياه الجارية فاخبر انهم في ظلال وعيون وقوله عز وجل وفواكه مما يشتهون اي فواكه ايضا فاخبر ان لهم فيها ما يتلذذ به الابصار ويتمتع به وفيها ما يشتهي انفسهم وفيها ما يدفع عن بعضهم الاذى وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا لا تبعة لكم من جهة السؤال ولا يتنغص اي لا يوذيهم ما ياكلون ويشربون فالمعنى الذي لا تبعة على صاحبه ولا يتنغص فيه وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين فسمى المتقي محسنا لانه بداء بذكر المتقين ثم ذكر ما اعد لهم ثم اخبر انهم فيكون باحسانهم وفيه دلالة على ان الانتقاء متى ذكر على الانفراد ينتظم اتيان المحاسن والانتهاء عن المهالك ثم رجع الى المكذبين فقال كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون فهذا في الظاهر بالاكل والشرب وهو في الحقيقة وعيد وهو ان تمتعكم بالاكل وغيره الذي يمنعكم عن النظر في الاية قليل عن سريع تفارقون وتصيرون الى عذاب الله تعالى وقوله انكم مجرمون قد ذكرنا ان المجرم هو المرتاب في المعاصي وقوله عز وجل واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قال لهم الرسول عليه السلام اركعوا اي اخضعوا واستسلموا لله تعالى امتنعوا عن ذلك استكبارا منهم على الرسل واعراضا عن النظر في حجج الله تعالى وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون اي فباي حديث تصدقون بعد حديث الله تعالى الذي لا حديث اصدق منه واقوى في الدلالة وجائز ان يكون هذا على سفهه عقولهم واحلامهم وهو انهم يتبعون عن التصديق لحديث الله تعالى اذ لا حديث اصدق منه ثم يصدقون الاحاديث الكاذبة والاباطيل المزخرفة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل عم يتساءلون عن النبأ العظيم اختلف في التساؤل فمنهم من ذكر ان التساؤل كان عن امر النبوة صلى الله عليه وسلم سالوا من حاله امر نبي وليس بنبي ومن ذكر ان التساؤل كان عن القرآن انه من الله تعالى او ليس ان كان فيما [illegible]

الخلق وجوه الحيل في الامور فانه تعذر عليهم الوصول اليها وقوله عز وجل وخلقناكم ازواجا قيل الوانا فيكون في هذا ابطال الحكم بقول القائف لانهم يستدلون بالتشابه في الالوان ويحكمون فيها فلو كان الامر على ما قدروا لارتفع الاختلاف في الالوان فيكون الخلق كلهم على لون واحد وقيل ازواجا فرقا شتى لتفرق عنصره ومنتهى اصله وقيل ازواجا اي جعل لكل احد شكلا من جنسه فجعل الذكر انثى زوجا من جنسه وقوله عز وجل وجعلنا نومكم سباتا قيل السبات التمدد وقيل السبات النوم الذي لا حركة فيه ولهذا قيل للذي شبيه بالميت مسبوت وقيل السبات الراحة ولذلك سمي السبت لانه يوم راحة وترك العمل في بني اسرائيل ثم انشا النوم دليل سلطانه ودخول الخلق باجمعهم تحت تدبيره اذ لا يتهيا لاحد الاحتراز من النوم حتى لا يعتريه بل يقهر الجبابرة فيذلهم ولا يمكنهم الخلاص عنه بالحيل والاسباب ثم النوم كان من اثقل الاحمال واشدها ثم اذا زايل الانسان وعاد المرء الى حال اليقظة وجد في نفسه خفة وراحة ومن شان هذا الانسان انه اذا حمل الحمل الثقيل مسه من ذلك فتور وكلال لا يزول عنه ساعة ما يضع الحمل عن نفسه بل يبقى ذلك الكلال فيه الى مدة فمن تدبر في امر النوم دل على عظم شانه وعجايب تدبيره وقوله عز وجل وجعلنا الليل لباسا فهذا اللباس لباس الاعين لا مانع لا ترى انه لا يستغني بلباس الليل عما اخذ عليه من اللباس للصلوة ولا يعمل لباس الليل عمل اللباس المعروف في دفع اذى البرد والحر قال بعضهم اللباس السكن كما قال في اية اخرى جعل لكم الليل سكنا فكان الذي حملهم على هذا التاويل ان تمام السكن والراحة يقع بالنوم ففزعوه اليه وقوله عز وجل وجعلنا النهار معاشا اي يتعيش فيه لان يكون نفسه معاشا كما سماه مبصرا لما يبصر به لا انه في نفسه مبصر وقوله عز وجل وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي السموات فذكرهم هذا لينبههم على قدرته وسلطانه فيعرفوا انه فعال لما يريد قادر على ما يشاء وقوله عز وجل وجعلنا سراجا وهاجا فكان السراج هو الشمس ههنا جعلها تتوهج وتتلالا لانها بين السماء والارض وقوله عز وجل وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فمنهم من ذكر ان المعصرات هي السحاب التي انشئ فيها القطر فقال الجارية التي قد دنت حيضها معصرة فشبه السحاب معصرا لانه يعصر المطر وقيل هي ذوات الاعاصير يعني الرياح كقوله فاصابها اعصار اي ريح وعن الحسن اهل السموات وقال الزجاج المعصرات هو الذي تدافع وقت ارسال القطر منه كما يقال الجارية اذا اتى وقت تجوازه ثم في انزال الماء من المعصرات تذكير النعم والقدرة والحكمة وكل وجهين هذه الاوجه الثلاث يوجب القول بالبعث فاما وجه تذكير النعم وهو ان القطر ينزل من السماء متتابعا ثم انه تعالى بلطفه يمنع اتصال بعضه ببعض واتصافه ويرسل كل قطرة الى الارض بحيالها وينزل بعضها على اثر بعض لينتفع بها ولو اتصل بعضها ببعض والتصق لم يقر لها شيء وكانت تصير سببا للتعذيب والاهلاك فبفضله ورحمته انزلها متتابعة لينتفع بها الخلق وينتفعوا بها وفيه تذكير القوة والحكمة لانه انشا السحاب الثقال وساقها الى الموضع الذي قد اراد ان يرسل القطر هنالك ومعلوم ان تلك الارسال ليس من فعل السحاب لان السحاب يمتنع عن ارسال ليس من فعل السحاب لانه السحاب القطر حتى ينتهي الموضع الذي امر بارسال القطر فيه ولو كان ذلك السحاب نفسه لكان اين ما مر يعمل في الارسال ولو كان نائبة لكانت الريح متى دخلت الثقب ارسل السحاب ما انشئ فيه من القطر فاذا لم يوجد ذلك بان ان الله تعالى بحكمته وقدرته ولطفه هو الذي انشا فيه ذلك ودبر ارساله لان يكون ذلك عمل السحاب ولو اراد احد من حكماء الارض ان يعرف المعنى الذي له يصلح ذلك السحاب ان يستمسك فيه القطر ولا يستمسك في مكان اخر لم يقف عليه فذكرهم ليعلموا ان حكمته ليست على الوجه الذي ينتهي اليه حكمة البشر ولا قدرته مقدرة بقوى البشر بل هو قادر على ما يشاء فعال لما يريد وفيه ان تدبير السماء والارض والهواء يرجع الى الواحد القهار ولا يتهيا لاحد ان يمنع القطر المرسل من السماء عن الوصول الى الموضع الذي امر ان ينتهي اليه والثجاج القطر المتتابع بعضه على اثر بعض والثج الصب والازالة وقوله عز وجل لنخرج به حبا ونباتا فجائز ان يكون ذكر الحب لانه المقصود من زراعة ما يكون له الحب فذكره لما اليه ينتهي القصد ويكون ذكر النبات منصرفا الى ما لا حب له لان القصد من زراعته النبات لا غير وجائز ان يكون منصرفا الى شيء واحد لان الذي فيه النبات ايضا وقوله عز وجل وجنات الفافا قد ذكرنا ان الجنة هي اسم المكان الملتف بالاشجار وهي التي اجتمعت فيه الاشجار وقوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم فيه الميقات الميعاد اي وعد فيها جميع الاولين والاخرين صالحهم وطالحهم صغيرهم وكبيرهم وسمي يوم الفصل لما يفصل فيه بين الاولياء وبين الاعداء ويتميز فيها سوى الفريقين جميعا واليوم ليس بيوم فصل في الظاهر لان الدنيا تمر على الفريقين على حالة واحدة وان كان قد فصل بينهما بالتوفيق والخذلان وقيل يوم الفصل يوم الحكم وقوله عز وجل يوم ينفخ في الصور وقد ذكرناه وقوله عز وجل فتاتون افواجا قيل امة فامة يا امام كل رسول بحيالها وقيل يفرق كل احد شيعته على ما يذكره في قوله تعالى واذا النفوس زوجت وقوله عز وجل وفتحت السماء فكانت ابوابا فمنهم من ذكر انها تنفتح

لا تزال من شاء الله تعالى من الملايكة وتنشق وتنفطر السماء هو القيمة ومنهم من قال ان التشقق والفتح والانفطار
كل واحد فذكر الفتح لشدة هول ذلك اليوم وجايز ان يكون الكل يقتضي معنى واحدا لانه فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذكر
فيه نزول الملايكة بقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وقوله عزوجل وسيرت الجبال فكانت
سرابا فجايز ان يكون شبهها بالسراب لما انها اذا سيرت لم يوجد في المكان الذي راها فيه الناظر كالسراب الذي
يرى من بعد اذا ورده الناظر فاتاه لم يجده شيئا الا ان يكون الجبال في الحقيقة سرابا لان السراب هو الذي يرى من البعد
انه شيء ولا شيء في الحقيقة واما الجبال وان سيرت فهي في نفسها شيء وقوله عزوجل ان جهنم كانت مرصادا منهم
من ذكر انها كانت في علم الله تعالى انها ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب فيعذب به ولا يمكنه الفرار عنها وقيل ترصد
على من حقت عليه كلمة العذاب فيعذب به ولا يمكنه الفرار عنها وقيل ترصد بشهيقها وزفيرها من استوجب العذاب
فيعذب به ويعرف بها بطواغيتها له وسخطها على من سخط الله عليه وقيل معناه المرصاد وان يكون ممر كل كافر ومومن
عليها لكن الكافر يقع فيها والمومن يجاوزها وقوله عزوجل للطاغين مابا اى مرجعا والطاغي هو الذي من تعدى
حد الله تعالى وضيع حقوقه وكفر بانعمه وقوله عزوجل لابثين فيها احقابا ذكر الاحقاب ولم يبين منتهى العدد
ولو كان اللبث فيها يرجع الى حد في حق الكفرة لكان ياتي عليه البيان كما اتى البيان على منتهى يوم القيمة بقوله في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون وقال تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فلما
لم يتبين ثبت انه لا يرجع الى حد والى هذا يحتمل ومنهم من ذكر ان معناه انهم يلبثون ثلاثة احقاب والحقب ثمانون
سنة يعذبون بلون من العذاب ثم يعذبون بلون اخر من العذاب بعد ذلك لا ان ينقطع عنهم العذاب بعد مضي الاحقاب
والاحقاب هي النهاية في الاوقات فذكر النهاية في الاوقات وما يكبر فيها كما قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض
لانهما اللذان عرفا بالدوام فاقتضى ذلك معنى الدوام كذلك ذكر ما هو النهاية من الاوقات ليعرفوا انهم ابدا فيها مقيمون
وقوله عزوجل لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فذكر بعضهم ان البرد هو النوم ومنهم من ذكر ان معناه الروح و
الراحة وقال بعضهم لا يذوقون فيها بردا ينفع عنهم الحر ولا شرابا يقطع عطشهم الا حميما وغساقا فالحميم هو الما
الذي قد انتهى في الحر نهايته والغساق الزمهرير وقال بعضهم هو ما ينفصل عن ابدانهم من الصديد والزهومة وهو
الودك فمعناه والله اعلم ان الذي يطعم به اهل النار لا يعذبهم ولا يجدون به مستمتعا بل يصير ذلك سببا لهلاكهم
لا ان ينفع لهم بذلك البرد راحة وشفاءهم كما وصفهم الله تعالى فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فيبقون ابدا
في الهلاك لا يقضى عليهم فيستريحوا ولا ينقطع عنهم العذاب فيلتذون بالحيوة وقيل الغساق لون من العذاب لم يطلع
الله عباده وقوله عزوجل جزاء وفاقا اى وافق جزاؤهم اعمالهم لا ينقصون ولا يزدادون على قدر ما استوجبوا بل
يجزون مثل اعمالهم وجايز ان يكون معناه ان جزاءهم وافق اعمالهم في الخبث وقوله عزوجل انهم كانوا لا يرجون حسابا
فمنهم من ذكر انهم لا يخافون ومنهم من حمله على حقيقة الرجاء اى لم يكونوا يرجون الثواب والوجه انهم كانوا قوما
لا يومنون بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخاف العقاب ويرجوا الثواب فان حمله على الخوف فهم لم يخافوه
لما لم يومنوا به وكذلك ان حمله على حقيقة الرجاء فهم لم يكونوا يرجون ما كذبوا به وقوله عزوجل وكذبوا باياتنا
كذابا فالكذاب والتكذيب في لغة العرب واحد والايات جايز ان يراد بالايات ايات البعث ويراد بها ايات
الوحدانية وايات الرسالة ونحوها وقوله عزوجل وكل شيء احصيناه كتابا فجايز ان يكون الاحصاء والكتاب
واحد وجايز ان يكون اريد بالاحصاء ما اثبت في الكتاب كقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله
عزوجل فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فالزيادة في العذاب هو دوامه وبقاؤه لا ان يراد ما على القدر الذي
كان اعد لهم من العذاب لانه اخبر انهم لا يجزون الا مثلها فاذا كان الذي عذبوا قبله جزاء لم يجز ان يزاد عليه
فثبت ان الزيادة انصرفت على الدوام والبقاء وبهذا قال اصحابنا في تاويل قوله فزادتهم ايمانا وفي كل ما ذكرت
من الزيادة انه على الثبات والدوام عليه لا انه يزيد وينقص وقوله عزوجل ان للمتقين مفازا حدايق اى مفازا
من انواع العذاب التي ذكرت في الطاغين وقوله عزوجل حدايق واعنابا فالحدايق هي الاماكن التي احاطت الاشجار
باطرافها وقوله عزوجل واعنابا فالظاهر وقد ذكرنا انهم وعدوا في الاخرة كل ما يقع لهم الرغبة في الدنيا ثم الاصل
ان هذه السورة نزلت على اثر السوال بقوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم فجايز ان يكون الذي حملهم على السوال
ما اعترضهم من الشبه او خطر ببالهم فسالوا ليبين لهم ويزول عنهم الشبه فذكرهم عظم نعمه وعجايب تدبيره وقوته و
سلطانه وصار من امعن النظر فيها ولا يعطي النصفة من نفسه وضيعها فيصير الى ما ذكر من قوله ان جهنم كانت
مرصادا للطاغين مابا وسنعلم ذلك بقوله كلا سيعلمون ان حمل هذا على الوعيد وقوله عزوجل وكواعب اترابا فيل الكا

هي التي تكتسب سدبا ها وذلك حين يبلغ ان يحيض وهي ناهد ويحوا شيها ما يكون الى القبال والاتراب المستويات
في السن فهي هذا بنات اثنين يكن ابدا على سن واحد لا ينقص عن تلك الحال ولا يشبن وقوله عزوجل وكاسا دهاقا قيل
ملانا وقيل صافيا وقيل متتابعا فوصفه بالملا ثم بين ان ذلك الشراب لا ينقص بما يشربون منه خلاف ما عليه
شراب اهل الدنيا ومن حمله على الصفا فمعناه انه صاف عن الافات والمكروه الذي يكون في شراب اهل الدنيا من التصديع
وذهاب العقل وغير ذلك ومن حمله على التتابع فمعناه ان ذلك الشراب لا ينقطع [illegible]
لا يحدث فيهم ما يحدثهم من الشرب من السكر وغيره فيستمتعون [illegible]
ابن عبد المطلب انه قال [illegible] في الجاهلية [illegible] وقوله عزوجل لا يسمعون فيها
لغوا ولا كذابا اى لا يسمعون فيها ما يحق ان يلقى [illegible] والذي يحق [illegible] ما ذكرنا من الحلف والباطل
والكذب فلا يسمعون شيئا من ذلك [illegible] وقوله عزوجل كذابا اى قرئ بالتخفيف
فهو من الكذب اى لا يكذب [illegible] بالتشديد فهو من التكذيب اى لا يكذب بعضهم بعضا كما يوجد في شراب اهل
الدنيا وقوله عزوجل جزاء من ربك عطاء حسابا [illegible] وقيل في الوضعين ههنا وفي كذابا
بالتشديد [illegible] وقوله عزوجل جزاء
من ربك عطاء حسابا [illegible]
[illegible] وقال بعضهم اعطاهم عطاء كثيرا حتى قالوا حسبنا وقال الحسن جزاء [illegible] على قدر الذي
[illegible] وقال ابن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرا جزاء من ربك عطاء حسابا وقال بعضهم جزاء باعمالهم التي كتب الحفظة واحصوها
عليهم واعطى عطاء حسابا اى كثيرا لما احصوا من اعمالهم التي لم يطلع عليها ملايكة فاعطاهم عطاء بينا ظاهرا يعرفه
الناس وجايز ان يكون الجزاء عطاء من ربه لانه لا يستوجب الجنة لما ذكرنا انه لا احد من هذا البشر الا وقد سبقت له من
الله تعالى نعم لو انفذ جميع عمره في واحدة منها لم يصل الى كنه ما عليه من الشكر ومن قام بالشكر ونحن عليه زيد له ايضا
في النعم لمكان الشكر فاذا وصل الجزاء عمله في الدنيا لم يستوجب به المزيد فثبت ان الجزاء في الاخرة بحق الافضال
من الله تعالى والانعام لا بحق الاستحقاق الا ترى الى قوله تعالى ومن يطع الله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين الاية فسمى الكرامة انعاما وقال في اية اخرى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للمتقين الذين
امنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء فجعل ما اتاهم من النعيم فضلا ومنه فثبت ان الذي جزاهم به عطاء من
ربه حسابا اى كثيرا وقوله عزوجل رب السموات والارض وما بينهما فالرب المالك فذكر انه مالك السموات والارض
وما بينهما ليعلموا انه لم يمتحن احدا من عباده لحاجة يقع له او لمنفعة يصل اليه بل هو الغني له ما في السموات وما
في الارض وان منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة الى انفسهم اذا دانوا بها واذا لم يقوموا بها دانها كان الضرر
راجعا اليهم وقوله عزوجل الرحمن بين انه رحمن ليرغبوا في رحمته ويسارعوا الى مغفرته وقوله عزوجل لا يملكون
منه خطابا بان الله تعالى وتعظيما لحقه فلا يملكون من هيبته بالشفاعة او بالخصومة اياه شيء كان وقوله عزوجل يوم
يقوم الروح والملايكة صفا اختلف في الروح فمنهم من قال هو جبريل عليه السلام ومنهم من صرف الى ارواح المسلمين
ومنهم من ذكر انهم الحفظة على الملايكة يرون الملايكة ولا تراهم الملايكة وجايز ان يكون الروح الكتب المنزلة من السما
كما قال تنزل الملايكة والروح من امره فيكون الكتب مخاصمة مع من ضيع حقها ونبذها وراء ظهره وشافعا لمن ادى
حقها او عمل بما فيها ومنهم من ذكر ان هذا من المكتوم الذي لا تفسير قال الله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وقوله عزوجل لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فجايز ان يكون هذا منصرفا الى الشافع اى الشافع لا يقول
فيما يشفع غير الصواب وما حمله من الرهبة والخوف من هيبة الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق بل الله تعالى يثبته على الحق
ويجري على لسانه الصواب ويقال بعضهم معناه لا يشفع الا من قال في الدنيا صوابا وهو الحق وقيل معناه انه لا يناله من
الشفاعة حظ الا من قال في الدنيا الصواب والصواب ان يكون مثبتا قيما وان بر من التوحيد وذكر علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه امر بعجوز فهي تدعوا فتقول اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لها قولي اللهم
اجعلني من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فان شفاعته لاهل الكباير من امته قال رضي الله عنه وبهذا الفصل
يعارضنا المعتزلة فتقول اذا قلتم اللهم اجعلنا من شفاعة محمد نصيبا فقد قلتم اللهم اجعلنا ممن يرتكب الكباير لان
شفاعته في زعمكم لاهل الكباير فالجواب عن هذا ان الدعا بلا بارتكاب الكباير دون الشرك انما ينال الشفاعة
بما سبق منه الخيرات من التوحيد وتعظيمه ربه عزوجل والمحاسنه التي سبقت منه هي التي يجعله محلا للشفاعة ولولا ما

لما فاذا قال اللهم اجعل لي من شفاعته نصيبا فهو يقول اللهم وفقني على فعل الخيرات واجعلني ممن يعظمك
ويتقرب اليك بالطاعة حتى انال بها الشفاعة لانه يقصد بغايته جعله من اهل الكبائر والذي يدل على صحة ما ذكرنا
قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فاخبر الله تعالى ان تسبيحه ما انقذه من بطن الحوت ولو
لم يكن مسبحا لم يستوجب الخلاص وكذلك صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة ويرجى له الخلاص بما سبق منه من الحسنات
دون ان يستوجبها لارتكاب الكبيرة ثم من قول المعتزلة انهم يردون الصغاير مغفورة لا زيادة اذا اجتنبوا الكبائر فقال له
بان من دعى الله تعالى وسال المغفرة فكانه يدعو فيقول اللهم ابتلني بالصغاير حتى تغفرها لي فان قلتم بان دعاءه بالمغفرة
لا يقتضي ما عارضناكم به فقولوا كذلك فيمن يقول اللهم اجعلني من شفاعة محمد نصيبا انه لا يقتضي ان يجعله من اهل
الكبائر وقوله عز وجل ذلك اليوم الحق فمن شاء قيل معناه ان لا يقال في ذلك اليوم غير الحق ويجاز ان يكون منسوبا
الى اليوم نفسه فيكون معناه انه كونه حقا يكون لا محالة وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا تاويله
ان الله بين للخلق سبيل الضلال والهدى ولم يصدهم عن سبيل الضلال والهدى وبين ان من سلك سبيل
الضلال فمآبه الى النار ومن سلك سبيل الرشد والهدى فمآبه الى الجنة وذلك مآبه الى الله تعالى والحاصل السبيل اليه تعالى
وقوله عز وجل انا انذرناكم عذابا قريبا اي العذاب الذي اوعدتم به قريب وان استبعدتموه في اوهامكم قال الله
تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقوله عز وجل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه مجاز ان يكون منصرفا الى الخلايق
اجمع مؤمنهم وكافرهم ثم تخصيص الايدي بالذكر هو ان التقديم والتاخير في الشاهد يقع بالايدي
فاضيف اليها وان احتمل ان لا يكون للايدي صنع فيما ارتكبت من الاثام او فيما فعل من الخيرات وهو كالمطر
يسمى رحمة الله وان لم يكن ذلك من اوصافه لانه رحمة الله ما نزل من السماء ويسمى الكلام لسانا وان لم يكن هو
لسانا لانه باللسان ما يتكلم فكذلك التقديم اضيف الى الايدي لما بها يقع التقديم في الشاهد وان لم يكن للايدي
صنع وقوله عز وجل ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ذكر هذا التمني في الكافر دون المؤمن لان المؤمن يرى حسناته
متصلة وسيئاته مغفورة فيامن من عقاب الله تعالى والكافر يرى نفسه مواخذة بالسيئات ولا يرى لها حسنات
مستقبلة فيتمنى ان يكون ترابا بالتخلص من عذاب الله تعالى وقال بعضهم ان الوحوش يحشر والطيور وكلها
ثم يقول الله تعالى كوني ترابا فيتمنى الكافر في ذلك الوقت ان يكون ترابا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا اختلف في تاويله فمنهم من حمل ذلك كله الملائكة
فقال والنازعات غرقا هم الملائكة والذين ينزعون انفاس الكفرة ويغرقون اغراقا اي يشددونه في النزع كما
يغرق النازع في القوس ويشتد عليه شدة الامر على الغريق وينزع ارواح الكفرة فيغرق في النار وقوله عز وجل
والناشطات نشطا قيل اي ينشط انفاس الكفرة نشطا عنيفا اي ينزع ملائكة العذاب انفاس الكفرة من اجوافهم
نزعا شديدا وقيل هنا حق المؤمنين ان الملائكة ينشط ارواح المؤمنين اي يحلها حلا رفيقا سهلا ينشط من العقال
فيخبر بهذا اخبة ذلك على المؤمنين ويخبر بالاول تشديد على الكافر وقوله عز وجل والسابحات سبحا قيل ان الملائكة يسلون
ارواح المسلمين سلا رفيقا وقيل الملائكة يسبحون بين السماء والارض وقوله عز وجل فالسابقات سبقا اي سبق
الملائكة الى ارواح المؤمنين وقيل فالسابقات سبقا الملائكة الذين يسبقون بالوحي الى الانبياء عليهم السلام وقيل
هم المكروبون الذين لا يفترون عن تسبيح رب العالمين وقوله عز وجل فالمدبرات امرا هم الملائكة الموكلون بامور
الخلايق وارزاقهم ومنهم من صرف تاويل الايات الى النجوم انهن النجوم اللاتي يطلعن من مطالعهن بحوايج الخلايق
ولامور جعلت لها ويغربن من مغاربهن ثم ينشطن الى مطالعهن فيطلعن منها اي لا يطلعن كرها بل ناشطات لامر الله
تعالى ما سخرن له والسابحات سبحا النجوم ايضا ويسبحن ودليلهن في الافق لامور حتى ذلك على الخلق لقوله كل في فلك
يسبحون وقوله عز وجل فالسابقات سبقا اي سبق بعضها بعضا او يسبقن الشياطين بالرجم والطرد لا يدعهن
يعرجون الى السماء وبه قال الحسن والله اعلم ومنهم من صرف تاويل الايات الى مختلف الاشياء فقال والنازعات غرقا
هي القسي ينزع بها الانسان فيغرق في نزعها والناشطات نشطا هي الاوهاق ينشط بها الدابة يكون منه فجهة و
السابحات سبحا هي السفن والسابقات سبقا هي الخيل فالمدبرات امرا هي الملائكة وبه قال عطا ومنهم من صرفها
الى انفس المؤمنين وارواحهم فقال والنازعات هي الانفس التي تنزع في الصدور والناشطات نشطا حين تنشط
من القدمين وقيل ان انفس المؤمنين ينشط الى الخروج عن الابدان اذا عاينوا ما اعد لهم في الجنة والسابحات سبحا هي ارواح

المؤمنين

المؤمنين سميت سابحات لسهولة الامر عليها كما يسهل الخروج من الماء ممن يعلم السباحة وقوله عز وجل فالسابقات
سبقا هي ارواح المؤمنين ايضا سميت سابقات لما يكاد يسبق فيخرج قبل وقتها لما يعاين من كرامات الله تعالى من الخير
يؤيد هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل ذلك عند موت المؤمن
اذا حضره الموت صار في ذلك الوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة والخلاص منه لانه يرى ما اعد له من الثواب فيتمنى خروج
نفسه يود لو خرجت حتى يصل الى ما اعد لها من الكرامة والكافر اذا راى عند ما حضر جعل يبلغ نفسه كراهة
ان يخرج فيصير الدنيا في ذلك الوقت كالجنة له فيما لا يحب مفارقتها من شدة ما يرى من عذاب الله تعالى وعلى هذا
قيل في تاويل قوله عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ان ذلك عند الموت
ان المؤمن اذا حضره الموت وارى ثوابه من الجنة ود ان يخرج نفسه فيحب لقاء الله تعالى ويحب الله لقاءه والكافر
يكره في ذلك الوقت ان يخرج نفسه فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل فالمدبرات
امرا قالوا جميعا المراد منها الملائكة الموكلون بامور الخلق وارزاقهم ونحو ذلك والله اعلم ثم اختلف في
الذي قصد اليه باليمين والقسم فمنهم من ذكر ان الذي وقع عليه القسم قوله عز وجل ائنا لمردودون في الحافرة
على معنى انكم مبعوثون وان القسم حق فكانه اقسم بهذه الاشياء انهم لمبعوثون واضمر الجواب ههنا لما دل عليه
المعنى فاكتفى به ومنهم من ذكر ان المقصد من اليمين قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فقلوبهم بما ذكر ان
النفختين كانتا ان فالنفخة الاولى يموت بها الخلق والنفخة الثانية لاحياء الاموات والراجفة هي النفخة
فيجاز ان يكون على حقيقة النفخة فيكون علامة الموت والحيوات لان يكون علة الاماتة ثم اختلفوا بعد هذا
فمنهم من حمله على التحقيق فزعم ان النفخة الاولى يهلك بها الخلق والنفخة الثانية يحيى بها الخلق ومنهم من
ذكر ان النفخات ثلاث فالنفخة الاولى للتفزيع والتهويل قال الله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية والنفخة الثانية يهلك بها الخلايق بقوله يوم ينفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض الاية والنفخة الثالثة يحيى بها الخلق بقوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
ومنهم من ذكر ان هذا ليس على التحقيق النفخ بل على التمثيل فمثل به انما خفة البعث والاحياء على الله تعالى وسهولته
بخفة النفخ على النافخ او مثل به سرعته كما قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال الراجفة
هي الزلزلة والتحرك يتبعها الرادفة وهي الزلزلة الاخرى ثم ان كان القسم على اثبات البعث ففيها ذكر اشارة الى
احوال البعث واهوالها وان كان موجهة على قوله ثم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فكانهم
سالوا كيف يكون القلوب في ذلك اليوم فقال يكون واجفة والواجفة الخائفة الوجلة وقوله عز وجل ابصارها
خاشعة اي ذليلة ووجه تخصيص الابصار والقلوب والله اعلم هو انه لا يتهيأ لاحد استعمال قلبه ويصرح بلا حجات
القلوب فذكر وبوادرات لا يمكنه ان يدفع عنها الفكر وكذلك هذا في البصر فيخبر ان ما نزل بهم من الخوف والهيبة
يمنع القلوب والابصار عن عملها فلا ينظر الا الى الداعي ولا يحدث القلوب بشيء بل يكون الا تنزع هواء لا يتراشح
ما حل به من الخوف ان المرء اذا خبر بامر فهو يقلق اتراه من الخيل ويرفع بصره على شيء فيشرح رجاء ان يسند ذلك ما فيه
خلاصه وسلامته من ذلك الامر ثم ينقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فيكون القلوب هواء لا يتهيأ في موضع
يقف على تدبير لشدة ما حل بهم ويكون الابصار خاشعة ذليلة الى ما يدعو الداعي وقوله عز وجل يقولون
ائنا لمردودون في الحافرة اي يقولون ائنا لمردودون الى ما كنا عليه في الدنيا في ابتداء الامر خلقا جديدا يقال اتى فلان
الحافرة فرجع على حافرته يقول على مختصه الاول ويقال النقد عند الحافرة اي عند البيع والكلام فتقولوا هذا
على جهة الانكار بالبعث والاستهزاء به قال ابو بكر هذا ما اخذ من حافر الدابة وهو ان الفارس يمكنه ان يفر بها
بحافرها الى الموضع الذي ينزل الشيء منه من ورائه وقوله عز وجل ائذا كنا عظاما نخرة وناخرة فالناخرة البالية
التي لم تفت بعد والنخرة هي التي صارت رفاتا ودرست حتى ينخفها الريح وقوله عز وجل قالوا تلك اذا كرة خاسرة
قال الحسن وابو بكر هذا منهم تكذيب البعث اي لا يكون ابدا وقال غيرهما معناه انه لو كانت كرة كما يزعمها المسلمون فهي
كرة خاسرة على المسلمين لانهم ظنوا انهم اذا كانوا في الدنيا انعم حالا وارغد عيشا وكان المسلمون في ضيق من العيش
وشدة من الحال ان يكونوا كذلك في الاخرة الى قوله تعالى ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
فكانوا يظنون انهم بما انعم الله تعالى عليهم انما انعم لانهم اقرب منزلة واعظم درجة من المؤمنين اذ لا يجوز ان يضيق
على اوليائه ويوسع على اعدائه فاذا وسع عليهم ظنوا انهم هم المفضلون في الدنيا والاخرة وان منزلة الفيهم الاخرى
ومنهم من قطع هذا الكلام عن مقالة الكفرة وزعم ان هذا الوصف راجع الى الكفرة وقيل خاسرة بما خسروا انفسهم الرجوع

واحاليهم وخاسرة اي تخسرة وقوله عزوجل فانما هي زجرة واحدة ففيه اخبار عن سرعة كون ذلك الوقت وسهولته
على الله تعالى وقوله عزوجل فاذا هم بالساهرة قيل الساهرة هي وجه الارض وجايز ان يكون اريد بهذا ان العيون
تسهر في ذلك اليوم ولا يعتبرها اليوم بل يكون مهطعة الى الداعي ذليلة وقوله عزوجل هل اتيك حديث موسى
فنهم من يقول قد اتاك فخوفهم وقال الحسن لم يكن اتاه فاتاه بهذا فيحتمله مع علمه انه لم يكن علمه من قبل وقد ذكرنا
ما في ذكر الانبياء من الفوايد من تثبيت الرسالة والتخويف لمن اساء صحبة الرسل عليهم السلام لان لا ينزل بهم
ما نزل بفرعون واتباعه حين اساوا صحبة الرسول موسى عليه السلام وقوله عزوجل اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى قيل طوى اسم ذلك الوادي وقيل سمي طوى لانه بورك مرتين مرة باتاه ابرهيم عليه السلام ومرة باتيان موسى
عليه السلام وذكر عن الفراء ان طوى بكسر الطاء الذي بورك مرتين ثم اضاف ذلك الحديث مرة الى موسى ومرة
الى نفسه اذ ناداه فظاهره ان الله تعالى هو الذي كلمه فاضيف الى الله تعالى لان اصله من الله تعالى كما ذكرنا في قوله
تعالى حتى يسمع كلام الله في قوله انه لقول رسول كريم وقوله عزوجل اذهب الى فرعون انه طغى اي عتا وطغا في نعمة
فاستعملها في كفران نعمة فلم يشكر الله تعالى بها وقوله عزوجل فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك في اجابة من اراد اجتنب
تزكيتك وهل لك رغبة الى ما تزكو به نفسك ويتوجه في هذه الاية دلالة ان من اراد ان يدعو احدا الى ما فيه رشده
وصلاحه فالواجب عليه ان يدعوه اولا بالرفق واللين كما امر به موسى وهرون عليهما السلام بقوله فقولا له
قولا لينا ويقول له هل لك الى ان تزكى ثم اذا ترك الاجابة ختم كلامه بالتعنيف كما فعل موسى عليه السلام بقوله
اني لاظنك يا فرعون مثبورا بعد قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله عزوجل واهديك
الى ربك فتخشى اي اهديك الى ربك فتهتدي ثم تخشاه اذا اهتديت اي عرفت عظمته وجلاله فتخشى عقوبته فيكون
العلم منه الخشية الا ترى الى قوله انما يخشى الله من عباده العلماء اذا هديتك الى طاعة ربك وانذرتك عقابه ازاء
عصيته فلا تعصيه وقوله عزوجل فاراه الاية الكبرى فمنهم من ذكر ان الاية الكبرى هي اليد سميت كبرى لان
سحرهم عمل في الحبال والعصي ولم يعمل في اليد فكانت هذه الاية خارجة من نوع سحرهم فسميت كبرى لهذا المعنى ومنهم
ذكر من ان الاية الكبرى هي العصا لان غلبة موسى عم على السحرة كانت بالعصا حيث تلقفت ما اتوا به من السحر ولكن
كل اية كانت كبرى كما قال في اية اخرى وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها فكانت احداها اكبر من الاخرى عند
ذوي الاحلام والنهى لمن تامل فيها وتدبر والله الموفق وقوله عزوجل فكذب وعصى اي كذب بايات الله وعصى
نبيه موسى فلم يطعه وقوله عزوجل ثم ادبر يسعى قال الحسن كان حقيقا طياشا والا فالملوك اذا دعوا الى الامر
يتدبرون فيه ويتفكرون واما يجيب الداعي الى دعام او ليرده عليه فانما الادبار والسعي فليس الا من الخفة والطيش
وقال غيره ادبر عن طاعة الله تعالى وتولى عنه وسعى في جميع السحرة او سعى في جمع من قال لموسى عليه السلام فاجعل
بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وقوله عزوجل فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى وذلك اللعين قد علم انه ليس رب
السموات والارض ولكن هذا الخذلان لقومه اشباها من العوام منهم ان يعبدوه فاليه تبهم ذلك اليه لكن انا صادوا
من خاصيته اذن لهم بان يعبدوه وامر الخواص منهم بعبادته فسمى نفسه اعلى لاد باب لهذا وقوله عزوجل
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فنهم من يقول اخذه بعقوبة الكلمتين جميعا الكلمة الاولى قوله ما علمت لكم من
اله غيري والكلمة الثانية قوله انا ربكم الاعلى ومنهم من يقول اخذه بعقوبة ما تقدم من الاجرام وما تاخر الى
ان غرق ومنهم من يقول اخذه بالعقوبة في الدنيا والاخرة فغرقه في الدنيا وعذاب روحه بعد ما تم بقوله النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ويدخله النار مع اتباعه بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
فاتصلت عقوبة الدنيا بعقوبة الاخرة وقوله عزوجل ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وفي ذلك كله ضيق لكن الذي
يعتبر بها من يخشى العواقب ويخاف عقوبة الله تعالى وقوله عزوجل أأنتم اشد خلقا ام السماء فيجوز ان يكون
صلة قوله يوم ترجف الراجفة وفي قوله أأنتم اشد خلقا تقرير لايمانهم وقوله عزوجل أأنتم اشد خلقا ام السماء
يحتمل وجهين احدهما ان اعادة خلقهم بعد ما بادوا ايسر من خلق السموات وبدا منه انشاء
خلق السماء فاذا لم يتعذر عليه خلق السماء وان كان خلقه اشد في عقولهم فكيف يتعذر عليه خلقكم فانه يكون يبعثهم
واعادتهم الا انكم تقرون بمن خلق السماء مع شدة خلقها انشقت على
نفسها فانت تقول بما عرضوا عليها من الامانة وخافت نقمة الله تعالى فابى هذا الانسان مع ضعفه يمتنع عن الاجابة
الى ما دعي اليه ولا يشفق على نفسه ولا يخاف نقمة الله تعالى وما خلقت الجنة الا لاجل الانس فيذكرهم بهذا التخويف
فهم بعد ما عاموا فيهم من الطغيان ويجيبوا الى ما دعاهم اليه الرسول وجايز ان يكون صلة قوله وإذا السماء انفطرت

وإذا السماء انشقت فيجعلها السماء مع شدتها وطول بقائها لا تقوم بذلك اليوم فكيف يقوم طول ذلك اليوم
مع ضعفه ثم يرجع هذا ايضا الى التخويف وقوله عزوجل بناها رفع سمكها فسواها اي خلقها ورفع سمكها
فسواها بالارض وسواها على ما يوجبه الحكمة ويدل على الوحدانية قال امام الهدى ابو منصور رضي الله عنه لم يرد به
من قوله بناها ما يفهم من البناء المضاف الى الخلق ولا فهم من قوله رفع سمكها ما يفهم من رفع الخلق ولا فهم من قوله
والارض بعد ذلك دحاها ما يفهم من البسط المعروف المنسوب الى الخلق فابطل الناس فيهم من البحث الذي اضيف
الى الله تعالى انما فهموا ما فهموا من البحث الذي يضاف الى الخلق فلو لا انه حلت بهم حلتهم عليه ان يفهموا منه الفعل المكروه و
الا لم يفهموا ما فهموا في مثل ذلك وقوله عزوجل واغطش ليلها اي اظلم واخرج ضحاها اي اخرج ضحاها في الظلام الليل والاخراج
الضحى ما ينفي عن شكوى البنت الشبه التي يعترض لهم وذلك انه يطلبش في ساعة لطيفة ويمشي ظلمة كانت قبل ثم يبتليها
فاذا ذلك وعلم وبينهما ما بينها لم يكن ثم يعيد ما يعيد لا يقع احدهما بوارا واحدا بين الاولى والثانية لم يعد عليه
بل وقع عشرة الى الاولى الثانية والثانية هي الاولى وهكذا بعد ما تلفت الظلمة الاولى وذهبت كلها حتى لم تبق
منها اثر فلا يكون لواحد منها تعلق بالاخرى ثم خلقا جديدا ابعيدا ثم تدل على ان انتاد الخالق الاول بنفسه اولى لم اساك
ذلك الى السماء كلا لا يكون وهو ولا ينظر من ذلك وقوله عزوجل والارض بعد ذلك دحاها فانزل ذلك لم يدخلوا فيها بسطها فيهم من
يقول خلقها مجتمعة ثم بسطها بعد خلق السموات والارض الا ترى انه قوله دحاها ولم يقل خلقها ومنهم
من ذكر انه خلق سماء الدنيا اولا ثم خلق الارضين بعد ذلك ثم خلق السموات الست من بعد ومنهم من ذكر انها كانت
قبل ان يبسط تحت البيت المقدس ثم بسطها بعد ذلك قال ابو بكر هذا لا يحتمل لانه لا يجوز ان يكون بجملتها وسعتها
تحت بيت المقدس والله اعلم ولكن معناه عندنا ان كان على ما قالوا منصرف الى الجوهر اي الجوهر الذي خلق منه الارض
كان هنالك لا ان كانت بجملتها تحته كما خلق هذا الانسان من النطفة وان لم يكن بجليته في النطفة وخلق من التراب
وان لم يكن بجلية على ما هو عليه في التراب ويكون معناه انه خلق من ذلك الجوهر فعلى ذلك الحكم فيما ذكره ومنهم من زعم
ان خلقهما لكان معا وذكر عن الحسن ان الارضين خلقت قبل السماء بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السماء فسويهن وقال في موضع اخر ثم استوى الى السماء وهي دخان وقال اسم السماء ما ارتفع من الشيء كما
يقال للسقف سماء لارتفاعه عن الانسان وقوله عزوجل اخرج منها ماءها ومرعاها قد ذكرنا انشاءه كنا للنجوم وما
اخرج منها الانعام لتذكير النعم ايضا ليشكروه ويحمدوه علينا فالدواب خلقت لنا فما رجع الى منافعها فهي راجعة الينا
اذ بها ما يصل الى الانتفاع بالدواب وقوله عزوجل والجبال ارساها اثبتها لئلا تميد باهلها وقوله عزوجل متاعا
لكم ولانعامكم ففيه ان ما جعله متاعا لنا قد جعل شيئا من ذلك الدواب والذي جعله للانعام لم يجعل لنا فيه
شركا وذلك لان الذي انشاه لمتاع البشر منه ما يستخبث ويستقذر ومنه ما يستطاب ويدخر فجعل ما طاب
منه للبشر وما خبث منه لمنافع الدواب والذي انشاه لمنافع الدواب ما يستخبثه الطباع ويستقذره
فتفضل اعذبه من فضل منافعهم فيما ذكرنا دلالة اباحة التناول من الطيبات ان الله تعالى من على عباده ان جعل
اغذيتهم بما طاب من الاشياء وفضلهم على الانعام ففي كره ذلك تعذر كره انتفاع بما انشئ للانتفاع والله
اعلم وقوله عزوجل فاذا جاءت الطامة الكبرى قال الطامة هي الفضيحة سميت طامة لانها تطم الاشياء وتعمها
وسميت كبرى لانها ان ظلت بالعذاب فهي يدوم ولا ينقطع وان احاطت بالثواب والكرامة فهو يدوم ولا
ينقطع فسميت كبرى لدوامها وقوله عزوجل يوم يتذكر الانسان ما سعى ما عمل وتذكر يكون بوجهين احدهما بقراءة
كتابه كقوله تعالى اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا والتذكر الثاني يكون بالجزاء فالتذكر الاول يكون باللطف
من الله تعالى والانسان قد يكتسب اشياء ثم ينساه اذا طالت المدة ولا يتذكر بالقراءة ففيما لم يتولى كتابه احتاج ان لا
يتذكر لكن الله تعالى بلطفه يذكره لكن الله تعالى بلطفه يذكره بالقراءة فيعرف صدق ما كتبته الملائكة ويعرف
انه اذ هو قد عوقب جزاء ما كسبت يداه ويكون الجزاء ابلغ في التذكر فيتذكر في ذلك الوقت وقوله عزوجل
وبرزت الجحيم لمن يرى وفي قراءة لمن ترى فتضعيف الروية الى الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقوله عزوجل لمن يرى جايز ان يكون الروية كناية عن الحضور والدخول فيكون قوله لمن يرى اي
لمن يدخلها ويحضرها وهو كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ومعناه ان رحمة الله للمحسنين وقال تعالى ولا تقربا
هذه الشجرة واريد بالقرب التناول واريد بالقرب التناول فكني عنه بالقرب فجايز ان يكون الروية ههنا كناية
عن الدخول والحضور فيكون فيه اخبار عن احاطة العذاب بجميع ابدانهم وجايز ان يكون اهل الروية ثم اهل
الجنة فيرونها مشاهدة فيتلذذون بذلك لما نجوا وفازوا بالنعيم كما نالوا بذكرها عند ما كانت غائبة لا

يرونها قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا الاية وقوله عز وجل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا اي عصى وتمرد وطغى بانعم الله تعالى فاستعملها في معاصيه او جحد وكفر بالله وقوله عز وجل وآثر الحيوة الدنيا فجائز ان يكون ايثاره ان ينبغي بحياسته الحيوة الدنيا حتى استاه ذلك عن الاخرة واذا ابتغى بها الحيوة الدنيا لم يبق له في الاخرة نصيب لانه قد وفى له عمله الا ترى الى قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله عز وجل فان الجحيم هي المأوى اي يأوي اليها وقوله عز وجل واما من خاف مقام ربه فجائز ان يكون اريد المقام حساب ربه او مقامه عند ربه فاضيف الى الله تعالى لان البعث مضاف اليه فكل احوالها اضيف اليه ايضا و جائز ان يكون الخوف راجعا الى الحالة هو فيها فيخاف ان يكون مقامه في موضع نهى الله تعالى عن المقام فيه وقوله عز وجل ونهى النفس عن الهوى فليس هذا نهي قول وانما نهيه اياها ان يكفها عن شهواتها ولذاتها وكفها ان يشعرها عذاب الاخرة ويخوفها الامها وعقابها فاذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات الحاضرة وسهل عليها العمل للاخرة والنفس في نهي النفس عن هواها على ضربين فمنهم من ينقصها فلا يعطيها شهواتها فهو ابدا في جهد وعناء ومنهم من يذكرها العواقب ويريها ما اعد لاهل الطاعة ويخوفها ما يحل بالظلمة فيصير ذلك لها كالغذاء فيختار لذات الاخرة على اللذات الدنيا اذ ذلك ادوم والذي سهل عليه العمل للاخرة والهوى هو ميل النفس الى شهواتها ولذاتها فعنيه ان الانفس جبلت على حب الشهوات والميل اليها ولا ينتهي عن ذلك الا بما ذكرنا وقوله عز وجل يسألونك عن الساعة وهي القيمة سميت ساعة لانها تجيء امرها على من اليه تدبيرها او سميت ساعة لسرعة كونها اذا اتى وقتها او سميت لقربها الى الحالة التي كانوا عليها كقوله تعالى اتى امر الله ثم كان هذا السؤال من المؤمنين فهو سؤال الاستهزاء كانه لما قيل لهم اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قالوا متى يكون الساعة فنزلت هذه الاية وجائز ان يكون السؤال من الكفرة انه ليس في تبيين وقتها كثير منفعة حتى يقع الحاجة للمسلمين الى تبيينه بالسؤال فيشال لو دسؤال استهزاء واستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما لوانه استعجالها بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فكانوا يسألونه عن شيء يعلمون انه لم يتمكن في السؤال قصدا منهم والتلبيس على الضعفة ولا يباع لانهم كانوا يعلمون ان ذلك ليس هو وقت مجيء الساعة فانما طلبوا لاستعجال علموا انه لا يتهيأ له ان يريهم في ذلك الوقت اذ ذلك الوقت يخرج مخرج خلاف الوعد فيحتجون على الضعفة انه لو كان صادقا في مقالته ان الساعة تكون لكانوا حين طلبوا مجيئها باتتهم بها وقوله عز وجل فيم انت من ذكراها اي ليس انت من علمها في شيء هذا ان ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليها وقوله عز وجل الى ربك منتهاها اي ينتهي اليها علمها فيكون هذا نهيا للسائلين عن عود الى السؤال وقوله عز وجل انما انت منذر من يخشيها فهو صلى الله عليه وسلم كان منذر العالمين جملة بقوله ليكون للعالمين نذيرا لكنه ينتفع بانذاره من يخشى الانذار وقوله عز وجل كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها قال اهل التأويل هذه الاية انهما انارا والساعة استقصروا من الايام وقلت الدنيا في قلوبهم حتى عاينوا الاخرة وجائز ان يكون تأويله لو ارادوا الساعة للحالة التي هم فيها لم يلبثوا فيها الا عشية او ضحيها فلا يقع ذلك موقع التهويل والتخويف والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى ذكر الحسن ان تعبس الوجه والتولي كانا بنفس المجيء على ظاهر الاية فان ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده من عظماء المشركين يعظهم ويدعوهم الى الاسلام فلما جاءه ابن مكتوم يسأله اعرض عنه لمكان اولئك القوم وعبس وجهه رجاء اسلامهم وذكر غيره من اهل التفسير انه عبس وتولى لما سأله ابن مكتوم عما فيه رشده وحده فعبس وجهه بقطعه الحديث عليه ثم هذا التعبيس من عليه الصلاة والسلام كان في امر لو التام ثم وذلك ذلك يخبر ان اهل الارض ليرجح على خيراتهم ومحاسنهم لانه ذكر انه كان مقبلا على رؤساء الكفرة يعظهم ويحرضهم على الاسلام رجاء ان يسلموا فيكون في اسلامهم رجاء اسلام كثير من الترك لانهم كانوا من علية القوم وعظمائهم فكان في اسلامهم رجاء اسلام من يتبعهم من قومهم فيستوجب باسلامهم من جزيل الثواب وعظم المنزلة ما لا يبلغه اخر بجميع محاسنه فكان في سؤاله اياه مع ما قصد اليه من احراز الثواب وكرم الخصال واذا كان هكذا فتعبس الوجه مثل هذا الحال امر سهل لا يستبعد ولا يستنكر والنا فان تعبس

الوجه على الاعمى والاعراض عنه لا يظهر للاعمى لانه لا يراه فلا يعد جفاء وكان في اقباله على اولئك القوم وحسن صحبته اياهم رجاء الاسلام منهم اذا قبله وحسن صحبته يظهر لهم وفي الاعراض عنهم ذهاب ذلك الرجاء وابداء الجفاء اياهم ومن الامر الوجه الذي فيه اتقاء الجفاء والدعاء من الرد الى الهدى وصلاح الدين فهو محمود عند ذوي الاحلام والنهى ولان اقباله على القوم اذا كان لمكان دعائهم الى الاسلام وقد امرنا بدعاء الكفرة الى الاسلام وان كان في دعائهم اتلاف انفسنا واموالنا فلان يسع الدعاء من وجه ليس فيه الا تعبيس الوجه على واحد من المسلمين اولى ولكن النبي صلى الله عليه وسلم وجد منه هذا النوع من الايثار اجتهادا واذا بادر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تدخل في العتاب من الله تعالى بتعاطيهم امورا لم يسبق من الله تعالى لهم الاذن في ذلك وان كان الذي تعاطوه من الامور امورا محمودة في تدبير الخلق نحو ما عوقب يونس عم وعوقب بمغادرته قومه بغير اذن وان كان ذلك المغادرة لو وجد من واحد من اهل الارض استوجب بها الحمد وحسن الثناء لان تلك المغادرة لا يخلو من احدى الامور الثلاث ان احدها ان قومه كانوا اهل كفر وكانوا له اعداء فالذين فارقهم ليجوا منهم ويسلم دينه ومثل هذا لو وجد من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام عند ذلك من افضل شمائله والثاني ان من مغادرته من بين اظهرهم تخويف لهم وتهويل لان القوم من قبيل كان لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم الا وقت ما يريد ان ينزل بهم العذاب فكان في مغادرته اياهم تخويفهم وتهويلهم فيدعوهم ذلك الى الانقلاع عما هم عليه من الضلال والفزع الى الله تعالى ومن خوف اخر بامر يكون فيه دعاؤه الى الهدى وردعه عن الضلال فقد ابلغ في النصيحة واستقام على الطريقة والثالث انه يفارقهم ليستنصر بغيره فينصر ويظهر عليهم ويتقوى بهم ليكون على دعائهم الى الاسلام امكن واقدر ومن كانت مغادرته من قومه على هذه النية فليس المغادر هو ثم عوتب مع هذا كله وذكر الله تعالى في الكتاب قضية للوجه الذي ذكرنا فكذلك الوجه في معاتبة نبينا محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات ومنهم من ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الى تعبيس الوجه على ابن مكتوم ولا تولى عنه عمدا لذلك لكن لما قطع عليه حديثه وكان فيه قطع رجاء الاسلام من اولئك القوم شق ذلك عليه واعتراه من ذلك هم شديد اثر ذلك في وجهه لا ان كان منه ذلك على القصد ووجد اخوانه يقال ان الله تعالى جعل في قلبه صلى الله عليه وسلم من الشفقة والرحمة على العالمين حتى بلغ من شفقته ان كادت نفسه تذهب على من اعرض عن دين الله تعالى والايمان به حسرات عليه حتى قيل له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وما دليله ان لا تحزن بكل نهم كل هذا الحزن فيكون فيه تخفيفا لامر عليه لا ان يكون فيه نهي عن الحزن وعن الحسرة ولذلك قال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك ومعناه والله اعلم ان لا تحمل نفسك كل هذا التحميل حتى يمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك للانتفاع به طلبا لمرضاتهن لا ان نهاه عن ابتغاء مرضاتهن بل قد ندب الى ابتغاء مرضاتهن بقوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن الاية فجائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد عليه اعراض اولئك القوم عن الايمان وكبر ذلك عليه حتى تغير لونه ووجهه فنزل قوله تعالى عبس وتولى تبيين شدة ما اعتراه من الهم حتى اثر ذلك في وجهه لا ان يكون فيه مذمة ومنقصة له ثم في هذه الاية دلالة على احد بها جواز العمل بالاجتهاد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا النوع من العمل اجتهاد الانصار اذ لو كان الاذن بالتولي والتعبيس سابقا لم يكن يعاتب بفعل ما قدم به فان قيل كيف لا يبدل المعاتبة على النبي على اقامة مثله فيحرم عليه الاجتهاد وقيل له لو كان نهيا لم يكن يعود الى العمل بالاجتهاد بعد ذلك وقد وجد منه عليه السلام العود لقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فثبت انه ليس فيه نهي وفيه ان الكافر وان كان مبجلا معظما في قومه فليس على المؤمنين ان يعظموه ويجلوه بل يستذل ويستخف به وان المسلم ينبغي ان يعظم ويكرم وان كان حقيرا في اعين الخلق وفيه اية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته وانه لم يختلق هذا الكتاب من عند نفسه لان من يتعاطى فعلا حقه الستر فهو يستر على نفسه ولا يهتك عليها الستر لئلا يلزم عليه فلو لم يكن مأمورا بتبليغ الرسالة لكان يجتهد في الستر على نفسه ولا يبديه الخلائق ولكنه كان رسولا لم يجد من تبليغه الى الخلق بدا فبلغه كما امر وقوله عز وجل وما يدريك لعله يزكى ولعل من الله تعالى واجب وقوله يزكى اي يتزكى بعلم ويتبعه وفي هذه الاية قضاء ابطال قول من زعم ان جميع ما في القران وما يدريك فهو مما لم يدره ويروى ذلك عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه وغيره لانه قد ادراه ههنا بقوله لعله يزكى ولعل من الله واجب واذا جعلته واجبا فقد زكاه واذا زكاه فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل او يذكر فتنفعه الذكرى يحتمل وجهين احدهما ان يكون يتذكر بتذكرك اياه

فينتفع بتذكرك والثانى ان يتذكر فيما ذكرته من العواقب وما نحن عليه فى حالة فينتفع به فيكون المنفعة فى الاول بالتذكر بنفس تذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى تاويل الثانى بتذكره فيما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم وقوله
عزوجل اما من استغنى اى بالاختيار وهو عما جئت به من الدين اذا استغنى بالذى زين له الشيطان عما جئت به او يكون
على الغناء المعروف لان الدنيا اقبل عليهم بوجهه كانوا اهل ثروة وغناء فاقبل عليهم رجاء ان يسلموا فيتبعهم
فى الاسلام اذ كانوا من رؤسائهم واجلتهم وقوله عزوجل فانت له تصدى اى مقبل عليه بوجهه وقوله عزوجل
وما عليك الا يزكى اى ليس عليك غير التذكير اذا اعرض عنك وعاداك لم يمكن من الحاق ضرر بك بل الله يعصمك
ويدفع عنك شره وقوله عزوجل واما من جاءك يسعى وهو يخشى اى يعمل لله تعالى ويخشاه فجايز ان يكون الخشية
علة لسعى فيكون معناه ان خشيته هى التى حملته الى السعى وقد يجوز ان يخرج الكلام مخرج العطف على جمل احدها
علة للاخرى ودليلا له قال الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكان الاحيا الاول
دليلا للاحياء الثانى فى موضع العطف والترتيب على الكلام الاول او ان يكون ابتداء فقوله جاءك يسعى وهو
يخشى الله تعالى ويخاف التبعة وحلول النقمة وقوله كلا قال الحسن معناه ان الدين فعلته من التولى عن المؤمنين والاقبال
على الكفرة ليس من حكمى وذكر ابوبكر الاصم لما نزل قوله عبس وتولى الى قوله فانت عنه تلهى تغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخاف زوال الرسالة وان يمحى اسمه عنها فلما نزل قوله كلا علم انه لم يودعه وبه حيث نهاه عن العود الى
مثله وقال المفسرون كلا اى لا تعد الى مثل هذا وقوله عزوجل انها تذكرة فجايز ان يكون هذا منصرفا الى السور كلها
وجايز ان يكون منصرفا الى هذه السورة لان فيها اثبات هذه التوحيد واثبات الرسالة من الذى ذكرنا ما دلالة
البعث واياتان خلق البشر ليس على البشرية فهى تذكرة لمن يزكى بها وجايز ان يكون منصرفا الى الايات التى قبل
هذا فى السورة وهو ان فيما تقدم فى هذه السورة من الايات تثبيت رسالته بما تقدم ذكرناله وجايز ان يقال
ان هذه تذكرة اى هذه المعاتبة تذكرة للنبى صلى الله عليه وسلم ولجميع المؤمنين ليعرفوا من يستوجب التعظيم و
التبجيل ومن يستوجب اهانته والاستخفاف وقوله عزوجل فمن شاء ذكره جايز ان يكون معناه من شاء الله ان
يذكره اذ ما شاء ذكره اى تمكن من التذكير وانه ليس احد بممنوع ولا مجبور على الفعل فمن ترك التذكر فهو الذى صنع
ذلك حيث اثر واختار صنعه واشتغل بغيره واعرض وجايز ان يكون على تحقيق الفعل اى من تذكر بعد ذكر له فكنى
بالمشية عن الفعل لما ذكرنا انها يقترن بالفعل ولا يزايله فيكون فى ذكرها الفعل او يكون على ارادة الفعل قبل
وجوده وقوله عزوجل فى صحف مكرمة قيل هو الصحف المتقدمة كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى وقوله فى صحف اى فى ايدى الملائكة وقوله مكرمة اى مكرمة بما يكرم بها اهل الكرامة وهم السفرة البررة
او مكرمة على الله تعالى وقوله عزوجل مرفوعة اى مرفوعة القدر مطهرة من التناقض والاختلاف او مطهرة من ان
ينالها ايدى العصاة او مطهرة من الانجاس والادناس وقوله عزوجل بايدى سفرة فالسفرة الكتبة وقوله عزوجل
كرام بررة اى كرام على الله تعالى بررة فى اعمالهم كما وصفهم الله تعالى بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقوله عزوجل قتل الانسان قالوا تاويله لعن الانسان وذكر الحسن والمعتزلة ان هذا من الله تعالى على الشتم و
التسمية له بذلك واستجازوا الشتم منه والاصل ان ليس فى الشتم الا ظهور سفه الشاتم وعبثه اذ لا ضرر يلحق
بالمشتوم من جهة الشتم وانما ضرر ذلك الشتم على الشاتم خاصة وانما المشتوم فانما يصير مشتوما بفعله لا بشتم
الشاتم وجل الله تعالى من ان ينسب اليه فعل السفه فلذلك قلنا انه لا يتحقق معنى الشتم فى الكلمة التى عرفت شتما
فيما بين الخلق اذا جاءت من الله تعالى كما يتحقق من الكلمة التى عرفت اغتيابا فيما بين الخلق اذا جاءت من الله تعالى معنى
الاغتياب بل يحمل ذلك على الزجر والتنبيه فيكون فى ذكرها تخويف من خوطب بها وتذكير للخلق سفهه وجهله
الا ترى ان المرء فى الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك الستر على المخاطب ثم لا يعد يعد ذلك منه اغتيابا اذا قصد به عظم
وزجره عما هو ورده الى ما فيه صلاح اخرته واولاه فكذلك الله تعالى اذا جاء منه ما يعد شتما من غيره واغتيابا
لم يحقق وصف الشتم والغيبة اذ ذلك منه على التذكير والتنبيه للخلق وعلى التخويف والتهويل لمن نسب اليه ذلك
وقوله عزوجل ما اكفره اى ما اقبح كفره وما اوحشه واشنعه لانه علم ان جميع ما انعم به من النعم فمن الله تعالى ثم هو لم
يشكر نعمه ولا اطاعة فيما دعاه اليه بل وجه شكر نعمه الى من لا ينفعه ولا يضره وعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا
يغنى عنه شيئا ما هذا الا غاية الفحش ونهاية القبح اوما اوحش كفره واقبحه بما سوى بين الشكور والكفور وبين
المفسد والمصلح وبين الولى والعدو والعقل يوجب التفرقة بينهما فهو بانكاره البعث كابر عقله وما نرى فما
اشد كفره من هذا وصنعه ثم قوله تعالى ما اكفره اى اى شئ اكفره فيكون فى ذكره تعجب لمن امن من الخلايق وتذكير لهم

عن سوء من هذا فعله وسوء معاملته مع ربه وقوله عزوجل من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فكانه قال ان الذى
كفر قد علم انه خلق من نطفة وتلك النطفة موات لا سمع فيها ولا عقل ولا شئ من الجوارح ثم الله تعالى بلطفه
وعجيب حكمته وبين فيها بصرا يرى بشحمة واحدة وفاذن وهلة مسيرة خمسمائة عام وقدر فيها عقلا يرى به
ملكوت السموات والارض وقدر فيها السمع والبصر وغيرها من الجوارح افترعاه من بلغت قدرته هذا
يعجز عن احياء من مات وعن بعثه بما قل من لحظة او يكون قوله من نطفة خلقه تعريف منه انه خلقه من نطفة
فيكون فى ذكره ما ذكرنا من الفوايد وقوله عزوجل فقدره اى سواه على وجه يكون فيه دلالة ربوبيته وشهادة
وحدانيته او قدره على ما فيه صلاحه ومنفعته او قدره على نشاء من القصر والطول والدمامة والملاحة وغير
ذلك وقوله عزوجل ثم السبيل يسره يحتمل ان يكون المراد من السبيل الدين فكانه يقول يسر له سبيل دينه ذلك ثم
السبيل الى الله تعالى على ما ذكرنا ان الدين اذا اطلق اريد به دين الله تعالى وكذلك الكتاب المطلق يراد به كتاب الله
تعالى فعلى ذلك السبيل اذا ذكر مطلقا كان منصرفا الى سبيل الله تعالى او يسر له السبيل الهدى وسبيل الضلال و
السبيل الذى لو سلكه نفعه والسبيل الذى يضره او يسر له السبيل الذى علم الله انه يختاره كقوله تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى اى يسر عليه
سبيل الخروج من بطن امه على ضيق ذلك الموضع وكبر جثته ليعلموا ان من بلغت قوته هذا فهو قادر على ما اراد لا
يعجزه شئ ولا يخفى عليه امر وقوله عزوجل ثم اماته فاقبره ففى ذكر هذا ذكر النعم وهو ان الله تعالى جعل لما يخبث
ويتغير كان يكون فيه نيسر عن الخلق لئلا يعافوه ويستقذروه ولم يجعل ذلك لغيرهم وجعل الانفسهم انام تغير
بالموت وصارت بحيث ينتن ويستقذر كما يستر فيها المعيب عن الخلق فاو يتاذوا بها تذكرهم هذا ليشكروا
وقوله عزوجل ثم اذا شاء انشره معناه والله اعلم كذلك اذا شاء انشره لان هذا كله احياء فى موضع الاحتجاج فكانه
قال ان الذى خلقه من نطفة وقدره ثم اماته فاقبره فهو كذلك ينشره اذا شاء وكذلك هذا فى قوله كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه الا يرى ان الذى احياكم ثم اماتكم فكذلك هو الذى يحييكم وقوله
عزوجل كلا لما يقض ما امره فيفهم من ذكر ان هذا الخطاب فى كل احد لانه لا ترى انسانا قضى جميع ما عليه من الامر على
حد ما امر حتى لا يفضل عنه ولا ينقص فيه بل من الله تعالى على كل احد فى كل طرفة عين نعمة لا يتهيأ لاحد ان يقوم بكنه
شكرها حتى لا يقع منه فى ذلك جفاء ولا تقصير ومنهم من يقول هذا فى الكفار خاصة لا يقضون ما امروا به من
التوحيد فان كان على هذا فهو منصرف الى ابتداء الامر وان كان على الوجه الذى فهو منصرف الى كفة الامر ويستقيم
توجيهه على الكافر على ما ذكر وان ايمان المؤمن له حكم التجدد فى كل وقت اذ هو فى كل وقت مامور باجتناب
الكفر فهو يجتنبه فذلك يكون واذا كان كذلك ثباته فى كل وقت مؤمن لما امر به هو مجتنب عما نهى عنه فهو
بايمانه راجع عن الولاية فى كل حال معتقد للوفاء بما امر به لذلك كان صرفه الى الكافر اوجه وقوله عزوجل فلينظر
الانسان الى طعامه كيف قدر له حيث استعمل فيه السموات والارضين والهواء والشمس والقمر والليل والنهار
فاستعمل السماء فى المطر فيها واستعمل الهواء فى جعلها مسلكا للمطر واستعمل الارض فجعلها قرارا للمطر واخرج
منها ما فيه قوامهم ومنافعهم فيكون فى ذكر هذا فوايد احدها فى موضع التعريف للخلق بان منشئ السموات والارض
ومنشئ الخلق والشمس والقمر واحد لاتصال منافع بعض ببعض اذ لو لم يكن كذلك لكان لمنشئ السماء ان يمنع منافع
السماء عن خلق منشئ الارض وفيه تذكير قوته وعجيب حكمته ليعلموا انه قادر على كل ما يريد فعله لا يضعف عن
ذلك ولا يعجزه شئ لانه جمع بين منافع ما ذكرنا مع تناقضها واختلافها فى نفسها فجعلها من حيث المنافع متسقة
منفعة وجعل كل واحدة منهن كالمتصلة بالاخرى المقترنة بها مع بعد ما بينهما فمن قدر على الانشاء بين وقدر
على الوصل بين الاشياء المتباعدة بعضها عن بعض لقادر على احياء الاموات والبعث وذكرهم هذا التبيين لهم حكمته
وعلمه ليعلموا انه لا يخلق عبثا ولا يتركهم سدى لا ينادى منهم الشكر ولا يبعثهم بل يثيبهم ويميتهم فقط
فيخرج خلقه على ما فيه خروج عن الحكمة ولانه خلق البشر على وجه يمسهم الحاجات ويمسه الشهوات وقدر
الطعام على وجه اذا تناول منه دفع حاجته وسكن شهوته ولو اراد احد ان يتدارك المعنى الذى يعمل فى دفع
الحاجات وتسكين الشهوة ما هو لم يصل الى معرفته فيؤدى تفكره الى دفع الشبه والاعتراضات التى يعترى فى امر البعث
وغيره اذا كان يقدرون الامور على قوامهم وبشرهم على ما ينتهى اليه تدبيرهم فاذا وجدوا ما فى الطعام معانى على
هى خارجة من تدبيرهم وقوامهم علموا ان ليس الامر على ما قدروا فيرتفع عنهم الريب والاشكال وكذلك لو ارادوا
ان يستخرجوا من الماء المعنى الذى به صلح ان يكون به حياة الاشياء كلها مع اختلاف الاشياء ونماء ونهاء والختلاف

لعمومها وانواتها لم يمسكهم ذلك فعلوا ان الذي بلغت حكمته هذا بلغ قادر على ما يشاء فقال الماء بدي ويكون
في النظر فيما ذكر حاجته وافتقاره الى غيره وتبين ان الله تعالى لم يشى الخلق لحاجة بنفسه وانما خلق لحاجة غيره
البشر اليه وقوله عز وجل انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ليقر الماء في شقوقها فيصل الحلق
الى الانتفاع بها او شققناها للنبات فانبتنا فيها حبا وعنبا فذكر الحب والعنب واخبر انه انبتهما في الارض
وهما في الحقيقة غير نابتين في الارض ولكن اخرجهما من اصل هو ثابت في الارض فاسند فعلهما اليها ليزوم الحرج
لا ابتداء اليها وهو كقوله تعالى وفي السماء رزقكم ورزقنا من السماء المطر لكن الذي هو رزقنا من الطعام وغيره
انما ينبت في الارض وخرج منها بالمطر من السماء فاضيف اليه فعلى ذلك اضيف الحب والعنب الى ما ذكرنا للمعنى
الذي وصفنا وقوله عز وجل وقضبا والقضب هي الرطبة سميت قضبا لانها تقضب وتقطع مرة بعد مرة
وزيتونا ففي ذكر الزيتون ما ذكرنا من الفائدة وهو ان الزيتون الين الاشياء ينبت اصله في الجبال التي هي اصلب
الارض فمن قدر على اخراج الالين الاشياء من اصلب الاشياء لقادر على الانشاء والبعث ومن قدر على ان يخرج الين
الاشياء من اصلب الاشياء لقادر على ان يلين القلوب القاسية حتى تلين بذكر الله تعالى وقوله عز وجل وحدائق غلبا
فالحدائق هي البساتين التي احدقت بالاشجار واحاطت بها والغلب الغلاظ يقال رجل اغلب اذا كان غليظ
الرقبة وقوم غلب الرقاب اي غلاظ وقالوا ايضا الغلب الاشجار الكثيفة الطويلة وقوله عز وجل وفاكهة وابا
والاب الكلاء فيخبر انه انشا هذه الاشياء ليكون متاعا للخلق والانعام لا منافع نفسه وقوله عز وجل فاذا
جاءت الصاخة قال الحسن هي اسم القيمة يصيخ لها كل شي دبر يقول ابو بكر ان يصيخ لمجيئها كل شي اي يجتمع لها و
يطاطي راسه للداعي كما قال الله تعالى مهطعين الى الداعي وقال القتبي الصاخة هي الداهية فذكر القيمة باحوال
التي تكون فيها او بالافعال التي يوجد فيها على ما ذكرنا وقال الزجاج الصاخة المصمة يصم لها الاسماع عن كل
شي الا الى ما يدعى اليها وقوله عز وجل يوم يفر المرء من اخيه فجائز ان يكون هذا على تحقيق الفرار وجائز ان لا يكون
على التحقيق ولكن وصف بالفرار لما يوجد منه المعنى الذي يوجد من الفار قال الله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا
انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون والوجه فيه ان الاقرباء من شانهم اذا اجتمعوا استبشروا بعضهم ببعض وانسوا
بالاجتماع واذاعوا بواسا الواعن احوالهم واهتموا لذلك ثم هم في ذلك اليوم يدعون السؤال عند الغيبة والاستبشار
عند الحضرة حتى كانه لا انساب بينهم لا ان يكون بينهم في الحقيقة نسب ولكن ما يحل بكل واحد من الاهتمام يشغله
عن السؤال بحاله والاستبشار برؤيته حتى يصير كالفرار لوقوع المعنى الذي يوجد من الفار لا على تحقيق الفرار لا يتم
قال لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فما يحل من الشان يمنعه عن الفرار عن نفسه وعن اقربائه او ان يكون على
الفرار وذلك ان الاقرباء لا يوجد منهم القيام بوفاء جملة ما عليهم من الحقوق حتى لا يوجد منهم التقصير فيخافون
في ذلك اليوم ان يؤاخذوا بذلك فيحملهم على الفرار ويفر كل منهم على تحمل ثقل الاقرباء كما قال وان تدع مثقلة الى
حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى وقد كانوا يتعاونون في الدنيا في حمل الاثقال فيخبر انهم لا يتعاونون في
ذلك اليوم بل يفرون ثم جائز ان يكون هذا في الكفرة واما اهل الاسلام فانه يجوز ان يبقى بينهم حقوق القرابة كما
ابقيت المودة فيما بين الاخلاء بقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وان كان في المسلمين والكفرة
جميعا فجائز الفرار في بعض الاحوال وذلك في الوقت الذي لم يتفرغ عن شغل نفسه فاما اذا امن وانجا من البشارة
فهو يقوم بشفاعته ويسال عن احواله ولا يفر منه وقوله عز وجل لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال واما
افضى الحال انشاء ان ما يشغله عن غيره وقوله عز وجل وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة اذ ناضرة ناعمة مشرفة
فيكون فيه اخبار عما فيه من النعيم حتى يظهر ذلك في وجوههم وقوله عز وجل ضاحكة مستبشرة اي مسرورة
بنعيم الله تعالى والذين انعم عليهم مستبشرة برضاء الله عنها وقوله عز وجل ووجوه يومئذ عليها غبرة قالوا هذا
اول تغيير يظهر في وجوههم كما علاها الغبار ثم يسود ويطمس ويرد على ادبارها كما قال من قبل ان نطمس
وجوها فنردها على ادبارها وقوله عز وجل ترهقها قترة قال ابو بكر ترهقها قترة اي يغشاها الذلة اي
يعلوها ثم يتلون بعد بعد ذلك فيكون كانما علاها الغبار ثم يسود على ما ذكرنا وقوله عز وجل اولئك
هم الكفرة الفجرة اي الكفرة بانعم الله تعالى الفجرة المائلة عن الحقوق والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا الشمس كورت هذا ليس بابتداء خطاب ولكنه جواب عن سؤال تقدم فيشبه ان يكون

السؤال

السؤال عن وقت لقاء الانفس الاعمال فقيل لقوله اذا الشمس كورت اشارة الى احوال ذلك الوقت وانا دها على
ما يذكر المعنى الذي له وقع لتبيين الاحوال دون تبيين الاحوال دون تبيين الوقت في سورة اذا السماء انفطرت
واختلف في قوله تعالى كورت قال بعضهم هي فارسية معربة وهي بالعربية عورة وقال بعضهم كورت اي ذهب
ضوؤها يقال كور الليل على النهار اي اذهب نوره وضياؤه فالتكوير يعطي لون الشي عن الابصار فقيل كورت
الشمس اي حبس ضوؤها على الابصار بالطمس فيكون فيه انباء انه يطمس ظاهرها ثم يرد التغيير في نفسها فيتلاشى
ويتلاشى ومنه يقال كور العمامة اذا لفها على الراس فيغطيه وقوله عز وجل واذا النجوم انكدرت تناثرت
وتساقطت وهو كقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل ذهب ضوؤها فكانه يريد ذهب ضوؤها اولا ثم تتناثر
بعد ذلك وقوله عز وجل واذا الجبال سيرت اي قلعت عن اماكنها وسيرت كما قال في اية اخرى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهي اذا قلعت تكثرت حتى لا يستبين للناظر سيرها لكثرتها فتحسبها جامدة
وهي تسير فهذا اول تغيير يظهر فيها ثم يصير كثيبا مهيلا ثم كالعهن المنفوش ثم هباء منثورا الى ان يتلاشى
ويتلف وقوله عز وجل واذا العشار عطلت فالعشار هي النوق الحوامل التي اتى على حملها عشرة اشهر وهي
من انفس الاموال عند اهلها فيخبر ان اذ بابها يضطلون عنها في ذلك اليوم ولا يلتفتون اليها لاشتغالهم بانفسهم
في ذلك وهو كما قال يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الى قوله وترى الناس سكارى الاية وقوله
عز وجل واذا الوحوش حشرت قيل جمعت وهو يحتمل وجهين احدهما ان يجمع كلها فيتلف ويهلك والثاني
ان يحشر فان يحييها بعد موتها فيصنع الله تعالى فيها ما شاء فيكون في هذا اخبار عن عظيم ذلك اليوم حتى يؤثر
الهول في الوحوش والشمس والقمر والسموات وقوله عز وجل واذا البحار سجرت قيل فجرت فتستند كوناتها
انخفى فيها بعد انشاء الله تعالى وقوله عز وجل واذا النفوس زوجت قيل قرنت ثم اختلف في معنى القران فقال
بعضهم تزوج زوجها اليها وقال بعضهم يقرن كل باهل شيعته فيقرن الكفرة بالشياطين واهل الشراب باهل
الشراب واهل الزنا باهل الزنا وقال الله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
الى قوله ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ففي هذا اخبار ان المعذب منهم اذا راى عدوه يعذب
عذابه ويكون في العذاب الذي هو فيه لم يتسل بذلك شيئا ولم ينل به راحة وان كان المرء في الدنيا اذا راى عدوه
يعذب عذابه يتسلى بذلك وقوله عز وجل واذا الموؤدة سئلت وقرا بعضهم اذا الموؤدة سالت وهذا
هو الظاهر ان يكون هي السائلة اي تسال الام باي ذنب قتلت وتقول باي ذنب قتلتموني وكانت العرب
يدفنون بناتهم ويقال وادته اي دفنته ثم القراءة المعروفة سئلت وهي يحتمل اوجها ثلاثة احدها ذكر ابو
عبيد وقال ان قتلتها تسال باي ذنب قتلت ويحتمل ان تسال الموؤدة عند حضرة الذين وادوها باي
ذنب قتلت يراد بالسؤال تخويف وتهويل للذين وادوها لا سؤال الاستخبار والاستفهام وهو كقوله تعالى
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وليس يسال عن هذا
سؤال استخبار واستفهام ولكن سؤال تخويف وتهويل لمن ادعى ان عيسى عم امرهم ان يتخذوه وامه الهين من
دون الله وجائز ان تسال الموؤدة انها ادعى ولا تدعى وما الذي تدعى عليهم فيبدا بها بالسؤال كما يرى المدعي
في الشاهد هو الذي يبدا بالسؤال فيقال له ما تدعي على هذا فتقول باي ذنب قتلت كانها وسئلت عن الذي
عن الذي ادعت وقالت باي ذنب قتلت والله اعلم وقوله عز وجل واذا الصحف نشرت للحساب وهي التي
فيها اعمال بني ادم وقت ما يدفع اليها بايمانهم وشمائلهم وقوله عز وجل واذا السماء كشطت اي قلعت كما
يقلع السقف وقوله عز وجل واذا النجوم سجرت قيل قشرت وذلك ان تتناثر النجوم وتطمس الشمس فيطوى كطي السجل
للكتب وقيل كشفت يكشفه السماء كما يكشف الغطاء عن الشي ويقال كشطت اي قلعت كما يقلع السقف وقوله
عز وجل واذا البحار سجرت يحتمل وجهين احدهما ان يحدث تسعيرها فيكون فيه علم الحدثية وكذلك في قوله تعالى
واذا البحار سجرت يحتمل ان يبدا تسجيرها ولم تسجر من قبل وجائز ان يراد التسجير والتسعير على ما كان من قبل لقوله
تعالى وقودها الناس والحجارة وقد كان وقودها بغير هذين ثم يراد في وقودها الناس والحجارة وقوله عز وجل
واذا الجنة ازلفت قيل قربت فاضيف اليها التقريب لان اهلها اذا قربوا اليها فقد قربت هي اليهم وقوله عز وجل
علمت نفس ما احضرت اي ما احضرت من خير او شر كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية او يعلم ما احضر
او ما ويكرا الذين كتبوا عليها وقوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الاشياء التي وقع بها القسم بمقتضى احكاما
ثلاثة احدها ما من شي خلقه الله تعالى الا وفيه دليل وحدانيته واثر ربوبيته اذا انعم النظر فيه ويثبت علمه وحكمته

ويدل على قدرته وسلطانه وفى تثبيت القدرة والسلطان ايجاب القول بالرسل ونهى عن عبادة غير الله فلو انعموا النظر فيها وتفكروا فى امرها اداهم ذلك الى القول بالبعث ودعاهم الى وحدانية الرب والاقرار بالرسل فلا يدعون ان معه الهة اخرى ولا كانوا ينكرون البعث ولا يكذبون الرسول فاقسم بهذه الاشياء على التاكيد بحجة ليعلموا انه رسول من عنده وان القران من عنده وان الامر من عنده والرسول من عنده او يكون القسم تلقينا من الله لرسوله بان يقسم لهم بهذه الاشياء ليزيل عنهم الشبهة والشكوك التى اعترضت لكفرة امته صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الى النظر فى حجة واية ثم القسم بالطف من الاشياء وادق وبما كثف وغلظ وبما كبر وصغر وبما ظهر وخفى يتفق كلها فى ازالة الشبهة واثبات التوحيد والرسالة والبعث بل الاعجوبة فيما لطف من الاشياء اعظم منها بما كثف وغلظ فاقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وما يمضى وبما نشأ من خلقه ان الخلائق كلها فى الشهادة على وحدانيته واثبات ربوبيته واثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة ولدن ما لطف من الاشيا وخفى منها يتصل بما ظهر منها فيتضمن ذكر ما خفى منها ما استتر ذكر ما ظهر منها وفى ذكر ما ظهر منها ذكر مثلها فيكون القسم فى الحقيقة بالله تعالى ثم اختلف فى الخنس والكنس قال ابو بكر ان الخنس هى النجوم التى يطلعن فى مطالعها وتغيبن فى مغاربها والكنس هو النجوم التى يطلعن فى مطالعها ثم يكنسن ويختفين الى ان يعدن الى مطالعهن فيطلعن وقيل الخنس الجوار الكنس هى خمس كواكب لهن مجارى فى السماء يظهرن بالليل ويسترن بالنهار دون سائر الكواكب ثوابت ثم قيل الخنوس والكنوس واحد وهو الاختفاء والغروب فى مغاربها والدخول فيها وقيل الكنوس الاختفاء والخنوس التاخر وكذا قال الفراء هى النجوم الخمسة تخنس فى مجاريها وترجع وفى حديث كعب فيخنس بهم النار كما تخنس النجوم الخنس اى تجيئهم وتتاخر والله اعلم وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال الوحوش اللاتى تخنس من الانس وتكنس فى مكانهن وايا ما كان فهى كلها دالة على الوجوه التى ذكرنا وقوله عز وجل والليل اذا عسعس قيل اذا اقبل وقيل اذا اقبل واذا ادبر وفى قوله والصبح اذا تنفس اذا انجلى واذا ارتفع وفى اقبال الليل واقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان وذلك ان ظلمة الليل اذا غشيت سترت عن وجوه الاشياء وكشف عنها الستر ولو اراد احد ان يغطى الاشياء كلها بالحيل و الاشياء لم يتمكن منها ولو اراد نزع الغطاء عنهم لم يملك فذكر هذا ليعلموا ان بلغت قدرته هذا لا يعجزه امر ولا يشتد عليه البعث بل هو قادر على احيائهم وبعثهم وقوله عز وجل انه لقول رسول كريم فموضع القسم على هذا وعلى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ثم تاويل قوله انه لقول رسول كريم اى هذا القران اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن رسول كريم على وهو جبرئيل عليه الصلاة والسلام ثم ذهب ههنا الى الرسول ما سمع منه ولم يكن من قبله و قال فاية اخرى حتى يسمع كلام الله فسماه كلام الله تعالى على الموافقة او لان ابتداءه يرجع اليه لا ان يكون المسموع كلامه كما يقال هذا كلام ابى حنيفة رحمه الله وهذا قول فلان الشاعر وليس الذى سمعته قول من نسب اليه لان ابتداءه يرجع اليه فكذلك سمى كلام لانه يدل على كلامه ولما يرجع اليه ابتداؤه لا ان يكون مفتش كلامه وقوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش مكين وفى وصفه بالقوة فائدتان احديهما ما ذكرنا ان فيه بيان ان الامر خبر تعنيب يقع فيه من الاعداء من الجن والانس والشياطين والانس يحجبن عنهم بقوته فلا يتمكن منه حتى يغيروه ويبدلوه ووصفه بالامانة فى نفسه ليؤمن الخلق ناحية او وصفه بالامانة فى نفسه و ليؤمن الخلق ناحية او وصفه بالقوة على التخويف والتحذير الذى عادوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيخبرهم ان معه من يدفع عنهم شرهم وكيدهم ان هموا ذلك به وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل عليه السلام ان الله تعالى وصفك بالقوة فما اثر ذلك فقال لما امرنى الله تعالى باهلاك قوم لوط فقلعت قرياتهم ورفعتها بجناحى الى حد السماء وليس بنا الى تعرف قوته حاجة وانما بنا الحاجة الى ان يعرف ما المعنى وما الحكمة فى ذكر قوته وقوله عز وجل عند ذى العرش مكين فان كان المراد من العرش الملك المكين اى ذو قدرة ومنزلة وقيل العرش السرير فان كان كذلك فتاويله انه مكين عند من له سرير الملك وقوله عز وجل مطاع ثم امين قيل ان جبرئيل عليه السلام رسول الى الملائكة كما هو رسول الى الناس فان كان كذلك ففيه اخبار ان الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبرئيل عليه السلام فيما يامرهم وينهاهم فما بالهم يتركون طاعته والايتمار بامره وقوله عز وجل ثم امين اى هم يامنونه ولا يتهمونه فى شئ مما يجئ به اليهم فكيف يتهمه هؤلاء فيما ياتى الى الرسول من الوحى وقوله عز وجل وما صاحبكم بمجنون فمنهم من يقول بان الكفرة ينسبونه الى الجنون حين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل على صورته تغشى عليه وكان يتغير فى كل مرة ياتى به جبرئيل عليه السلام الوحى لونه ووجهه فينسبونه الى الجنون لهذا ومنهم من يقول انما نسبوه الى الجنون لانه اظهر المخالفة لاهل الارض وكان فى اهل الارض الجبابرة والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيب لمن اظهر الخلاف لهم فكان ذلك منه مخاطرة بنفسه ووجه انتصب لمعاداته

من لاطاقة

من لا طاقة له بهم ومن قام بخلاف من لا طاقة له وانتصب لمعاداته فذلك منه حمق وجنون فى الشاهد فنسبوه الى الجنون لهذا ومنهم من ذكر انهم لم ينسبوه الى الجنون لما ذكرنا ولكن شدة سفههم هو الذى حملهم على هذا فنسبوه الى الجنون مرة والى انه ساحر اخرى ومرة قالوا علمه بشر ومرة قالوا ان هذا الا اختلاق فكانوا ينسبونه الى كل ما ذكرنا لا عن بحث منهم فى حاله ولكن على السفه والعناد الا ترى انهم ينسبونه الى الجنون مرة والى السحر ثانيا وهما امران متناقضان لان الساحر هو الذى يبلغ فى العلم غايته والجنون هو النهاية فى الجهل ولو كانوا يقولون عن بحث وتدبر لكانوا لا ياتون بالمختلف من القول فيظهر جهلهم لمن يريدون صده عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيتعاضدون عليها حتى يقع التلبيس منهم موقعه فيصلون الى المراد من صد الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك فيما زعموا انه علمه بشر وانه افك افتراه اتوا بالمختلف من القول لان اختلاقه وافتراءه تثبيت انه عالم بنفسه مستغن عنه بتعليم غيره وحاجته الى ان يتعلم عجزه و جهله عن الاختلاق بنفسه فهذا كله يدل على انهم لم ينسبوه الى الجنون لاعلام ظهرت لهم ولكنهم قد فوهوا بكل ما حضرهم سفها منهم وعنادا ثم ان كانوا نسبوه الى الجنون لما غشى عليه عند ما راى جبرئيل عليه السلام على صورته فقد اتاهم بما لو تفكروا فيه لعلموا انه ليس بصاحبهم جنة كما قال الله تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة وذلك انه اتاهم بحكمة اعجز حكماء الانس والجن اتيان مثله واتاهم بكتاب تحير اهل الكتاب عن اتيان مثله فلو تفكروا فيه لعلموا انه ليس من فعل مجانين ولا من علومهم ولكنه من عند الله اكرمه به وان كانوا انما نسبوه الى الجنون لما خاطر بروحه فهم يجدا الله تعالى منهيا لهم ان يمكروا به ولا ان يقتلوه بل اظهره الله عليهم واظهره على الدين كله فصار ذلك الوجه الذى به نسبوه الى الجنون اية رسالته وعلم نبوته وقوله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين قال الحسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم راى ربه بقلبه اى عظمته وسلطانه من وجه لا يقع به وخص بالافق لانه ينزل من الافق البركات ومنه الملائكة وانواع الخير كلها والمراد من ذلك الاماكن كلها وغيره من اهل التفسير صرف الرؤية الى جبرئيل عليه السلام وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبرئيل عليه السلام ان يريه على صورته فقال له جبرئيل عليه السلام ان الارض لا يسعنى ولكن اذا صليت الفجر فانظر الى افق السماء فهنالك تراني فتمثل فراه على صورته ثم دنا فصعد ثم دنا منه فكان قاب قوسين او ادنى فى ذكر الافق لان الشئ من البعيد لا يتهيا ان يرى منفذا الا من لذلك خصت الافق لان الشئ اذ كذلك يقع رؤيته ما بعد والله اعلم وقوله عز وجل وما هو على الغيب بضنين وقرئ بظنين قال ابو عبيد والظنين اولى لانه هو المتهم والضنين البخيل ولم ينسب احد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البخل بهذه الاية وقد كانوا يتهمونه على الغيب وهو القران فكانوا يقولون علمه بشر وليس من عند الله ويقولون ايضا ان هذا الا افك افتراه فبرأه الله تعالى مما قالوا بقوله وما هو على الغيب بضنين ومن قرأ بالضاد فهو يحتمل اوجها ما ذكره ابو بكر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بضنين بشئ علمه الله تعالى عن احد من اصحابه كما يفعله غيره من العلماء لان العلماء لا يريدون ان يعلموا من اختلف اليهم كل ما عندهم من العلوم حتى يستغنى عنهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يود ان يعلمهم جميع ما علم من العلوم اصحابه فكان يقوم على تعليم كل منهم بقدر طاقته ولم يكن يمتنع عن التعليم بخلا منه و يجاوز ان يكون هذا والله تعالى هو اعلم انه يكون فى امة محمد من زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خص بعض اصحابه بتعليم اشياء لم يطلع عليها غيرهم وتخصيص بعض دون بعض بتعليم ما عنده يحل فى الشاهد فكان فى قوله وما هو على الغيب بضنين تكذيب اولئك الذين يدعون هذا وهذا كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فكان قد علم الله انه يكون فى امته من يتقدم الشهر بالصيام فقال هذا ليتبين خطأ من يتقدم من الشهر بالصيام على الخطا والجهل انه ليس على اصابة الحق فعلى ذلك فيما ذكرنا ثم صرفوا تاويل الغيب الى القران وهو عندنا فى القران وفى غيره من الاشياء التى اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عليه وجائز ان يكون الضنين منصرفا الى الشفاعة التى اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فهو لا يخص بعضا منه دون بعض بالشفاعة بل يعمهم جميعا فيكون فى هذا تحريضا على الاتباع له والانقياد لطاعته ووجها اخر وهو انه ليس بضنين فى اداء شكر ما انعم الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر بل اجتهد فى اداء شكره حتى ذكر انه تورمت قدماه من طول القيام فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل وما هو بقول شيطان رجيم يحتمل وجهين احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ليس من شياطين الانس ولا بمجنون ما ذكرتم بل هو رسول كريم والذى اتاكم به من القران لم يتلق من الشياطين ولا هو من تلقيهم كما تلقته الكهنة والسحرة

من اقوالهم بل ذكر من الله تعالى للعالمين انزل اليه الروح الامين القوى الذى لا يصل اليه الشيطان فيغيره ويبدله
وقوله عز وجل فاين تذهبون اى فاين تذهبون من طاعته واتباعه والانقياد له وقد اتاكم ما يلزمكم طاعته و
اتباعه وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اى عظة يذكركم بما يحق عليهم فى حالهم ويتبين لهم ما يؤتى وما ينتقى
وما تصير اليه عواقبهم اذ ان يكون قوله ذكر للعالمين اى شرف قدرهم به ائمة يقتدى بهم ويختلف اليهم ليتعلم
منهم والله اعلم ثم قوله عز وجل فاين تذهبون يحتمل وجها غير ما ذكرنا احدها ان هذا القران الذى جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم تلقاه من رسول كريم على الله فاذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه فاذا جئتم الا الى قول شيطان رجيم وقيل
فاين تذهبون والى من تذهبون والى من تفزعون انا اتاكم باس الله عز وجل ونقمة اذا لم تؤمنوا بالله تعالى وانكر تم
البعث ولم تصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبركم به فاذا حل بكم ما انذركم به فالى من تلجؤون وهو كقوله
تعالى قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم او اذا لم تؤمنوا بالله تعالى فلم تتبعوا
ما اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقرر عندكم صدقه انما اتاكم من الايات المعجزة فباى حديث تصدقونه بعد
ذلك وتد عون اليه وهو كقوله تعالى فباى حديث بعده يؤمنون وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين لمن
شاء منكم ان يستقيم معناه والله اعلم ان هذا القران ذكر لمن شاء ان يستقيم من العالمين فهو فى نفسه ذكر
ايات وهدى ولكن ينتفع بهذا الذكر من شاء الاستقامة ويهتدى به من طلب الهداية من طلب الهداية قال تعالى
هدى للمتقين وهو فى نفسه هدى ولكن يهتدى بهداه المتقون وليس بمتق فهو عمى عليه ورجس وقال انما
تنذر من اتبع الذكر وهو كان تنذر من اتبع ومن لم يتبع ولكن معناه انه ينتفع بالذى ينذر به من اتبع الذكر
قال ان فى ذلك لايات لاولى الابصار وهى فى نفسها ايات ولكن ينتفع باياته اولوا الابصار وقوله عز وجل لمن شاء
منكم ان يستقيم فهو يحتمل وجهين احدهما ان يحمل على تحقيق المشية ويكون تاويله من اراد الاستقامة على
امر الله تعالى او على الحق فهذا الذكر وهو القران يقيمه على الحق واعلى الامر ويهديه الى ذلك وان هذا على تحقيق
الفعل فيكون معناه من استقام منكم على الحق والامر فهو ذكر له والاصل ان المشية وصف كل مختار واذا كان
هكذا صارت المشية مفترنة فاذا فعل فقد شيا فكان فى اثبات الفعل اثبات المشية لذلك استقام حمله
على ما ذكرنا وهو ان يجعل احدهما كناية عن الاخر وقوله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين
فان كان قوله لمن شاء منكم على تحقيق المشية فمعناه انكم لا تشاؤن الاستقامة على ما ذكرنا الا ان يشاء الله
وان كان على تحقيق الفعل فتاويله انكم ما استقمتم على الطريقة الا بمشية الله تعالى وقال بعضهم تاويل وما
تشاؤن اى لم تكونوا تشاؤن انزال هذا الكتاب فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بغير مشيتكم وهذا
غير محتمل عندنا لانه قد سبق من القوم الارادة والسؤال بارسال الرسول اليهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن من احدى الامم فتثبت منهم بارسال الرسول وانزال الكتاب عليهم ولكن تاويله ما
ذكرنا ثم فى هذه الاية دلالة ان كل من شاء الله تعالى منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة ولا يجوز ان يشاء
من احد استقامة ولا يستقيم كما قالت المعتزلة لان الله من على من شاء المشية استقامته فلو لم يوجد الا
من كل شاء منه الاستقامة لم يكن لامتنانه معنى لان الاستقامة يكون به لا بالله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا السماء انفطرت قد ذكرنا ان هذا جواب عن سؤال تقدم لم يبين السؤال عند ذكرنا
الجواب لانه اذا اجاب عن سؤال حق فجائز ان يكون سؤالهم ما ذكر فى تمام الجواب وهو قوله علمت نفس ما قدمت
واخرت فنزل قوله اذا السماء انفطرت الاية الى اخرها ثم ذكر الانفطار ههنا وهو الشق وذكر الفتح فى موضع
اخر وهو قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا وقال فى موضع اخر واذا السماء فرجت واذا السماء انشقت
فمنهم من ذكر ان شقها وانفطارها ان يفتح ابوابها ومنهم من حمله على الانشقاق الذى يعرف من شق الاشياء
وهذا اقرب لان الاية فى موضع التخويف والتهويل وليس له فتح ابوابها تخويف وانما التخويف فى انشقاقها
بنفسها ثم السؤال عن ملاذات الاعمال وعن علم الانفس بها فسؤالهم عن الساعة وفى ذكر انفطار السماء و
انتثار الكواكب وتفجير البحار وتسيير الجبال وجعل الارض قاعا صفصفا وصف احوال الساعة واثارها وليس
فيه اشارة الى وقت كونها لانه ليس فى التوقف على حقيقة وقتها تخويف وتهويل فى ذكر اثارها تخويف وهو
انه اعظم هول ذلك اليوم واشتد حتى لا تقوم له الاشياء القوية العلية فى انفسها وهى الجبال والسموات

والارض به

والارض بل يؤثر فيها هذا التاثير حتى تصير الجبال كالعهن المنفوش وتصير كثيبا مهيلا وينشق السماء
وتصير الجبال قاعا صفصفا فكيف لها الانسان الضعيف المهين واذا كانت السموات والارضون والجبال مع
طواعيتها الربها لا تقوم لها ولا فزاعها بل يتقطع فكيف يقوم لها الادمى الضعيف مع خبث عمله وكثرة مساويه
ربه فيذكرهم هذه الاحوال ليخافوا ويهابوه فيستعدوا له قبلها والله اعلم ذكرت الاحوال التى عليها حال ذلك
اليوم ولم يبين متى وقته ولهذا لم يبين منتهى عمر الانسان ليكون ابدا على خوف ووجل من حلول الموت به
فياخذ هيبته ويشمر له ولو بين له كان يقع له الامن بذلك فيترك التزود الى دنو ذلك الوقت ثم يتاهب له
اذا دنا انقضاء عمره ثم ان الله تعالى ذكر احوال القيمة فى موضع وجعل ذلك مترادفا متتابعا فى القران فيكون
فى ذلك معنيان احدهما ان للقلوب تغيرا وتقلبا فى وقت قرب قلب لا يلين الحادثة اول مرة حتى يعاد عليه
ذكره مرة بعد مرة وحالا بعد حال ثم تلين فيكون فى تتابع ذكر البعث والقيمة مرة بعد مرة ابلاغ فى النذارة وقطع
عذر المعذور فى يوم القيمة والثانى ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام وقد وقع الاسلام فى قلوبهم موقعا
فيكون فى تكرار المواعظ تلقيح لعقولهم وتليين لقلوبهم على ما اكرمهم الله تعالى من الايمان ونصرة رسول رب العالمين
كقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقوله عز وجل واذا الكواكب انتثرت فاما ان يكون انتثارها
لانها مجعولة لمنافع الخلق فاذا استغنى عنها اهلها فلا معنى لبقائها او لما جعلت زينة للسماء فاذا انفطرت
السماء لم يحتج الى زينة بعدها وقوله عز وجل واذا البحار فجرت قال قائلون اى يفجرها فى بحر واحد ثم
يغور ماء ذلك البحر الذى يجتمع فيه المياه اما بما ينشفها الارض او يجعل فى بطن الحوت التى ذكر ان الارضين
قرارها على ظهره او فى بطن الثور ثم يسوى الله تعالى الارض كلها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت فيس البحار
بماء اما بالجبال او بغيره وقال بعضهم بل يغور ماء كل بحر فى مكانه لا ان يجتمع المياه كلها فى مكان واحد وبحر
واحد وقال بعضهم بل يمتزج بعضها ببعض فيصير ماء عذب بها اهلها وكذلك قوله عز وجل واذا الجبال سيرت
وقال والبحر المسجور والله اعلم اى ذلك يكون وقوله عز وجل واذا القبور بعثرت اى بعث من فيها وتعزف
المقبور من فيها وقوله عز وجل علمت نفس ما قدمت واخرت اى تعلم النفس ما عملت الى اخر ما انتهى عملها فلا يخفى
عليها شى منها ومنهم من يقول ما قدمت من خير واخرت من شر فستعرفه فى ذلك اليوم ومنهم من يقول علمت نفس
ما قدمت من العمل اى بما عملت بنفسها وما اخرت اى ما سنت من السنة فعمل بها بعدها وهو الذى ذكروه داخل
فى تفسير الجملة ذكرنا التى انها تعلم من اول ما عملت الى اخر ما انتهى اليها وقوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم يحتمل عن ربك فيكون تاويله اى شى غرك بربك الكريم حتى اغتررت به واغتراره عن ربه الاعراض عن طاعته
وعبادته وقد يستعمل الباء فى موضع عن قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ومعناها يشرب عنها لان
يشربوا فيها كوبها او يجعل العين انية لهم ثم وجه الجواب للمغتر بالله تعالى فى قوله عز وجل بربك الكريم وهو ان كرمه
دعا الانسان الى ركوب المعاصى لانه لم ياخذه بالعقوبة وقت جريمته فجاوز عنه او تاخير العقوبة حمله
على الاغترار واذ ظن انه يعفى عنه ابدا كذلك فاقدم عليها ولو حلت به العقوبة وقت ارتكابه المعصية لكان
لا يتعاطى المعاصى ولا يرتكبها فعذره ان يقول الذى حملنى على الاغفال والاغترار كرمك وحلمك كما قال عمر بن
الخطاب رضى الله عنه حين تلا هذه الاية الحمق يا رب فيكون قوله ما غرك بربك الكريم اى اى شى غرك حتى
ادعيت على الله تعالى انه امرك باتباع ابائك او تشهد عليه اذا ارتكبت الفحشاء ان الله امرك به على ما قال فاذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الم يبعث اليك الرسول الم انزل اليك الكتاب فتبين لك ما امرت به
عما نهيت عنه وقيل نزلت الاية فى شان كلدة حيث ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فاسلم حمزة م
حميته لقومه فهو كلدة او يضربه ثانيا فنزلت الاية يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث لم يهلك عند
تناول رسول الله لكن لو كانت الاية فيه فكل الناس فى معنى الخطاب على السؤال والله اعلم وقوله عز وجل الذى
خلقك فسويك فعدلك ففى ذكر هذا التعريف المنة يستادى منه الشكر وفيه ذكر قوته وسلطانه حيث قدر
على تسويته فى تلك الظلمات الثلث الذى لا ينتهى اليها تدبير البشر ولا يجرى عليها سلطانهم ليهابوه ويحذرون
مخالفته وفيه ذكر حكمته وعلمه ليعلموا انهم لم يخلقوا عبثا ولا سدى لان الذى بلغت حكمته ما ذكر من انشائه
فى تلك الظلمات الثلث من وجه لا يعرفها الخلق لا يجوز ان يخرج خلقه عبثا باطلا بل خلقهم ليامرهم وينهاهم
ويرسل اليهم الرسل وينزل عليهم الكتب فيلزمهم الاتباع لها ويعاقبهم اذا اعرضوا عنها وتركوا اتباعها وسنذكر
وجه التسوية فى قوله الذى خلق فسوى انه سواه على ما يوجبه الحكمة او سواه بما به مصالحه او سواه من حيث

الدلالة على معرفة الصانع اوسواه فيما خلق له من اليدين والرجلين والسمع والبصر وقوله عز وجل فعدلك
اى سواك ووجه التسوية ان جعل يدين مستويتين لم يجعل احديهما اطول من الاخرى وكذلك سوى بين رجلين
وقرئ بالتخفيف والتشديد قال ابو عبيدة معنى قوله فعدلك بالتخفيف اى امالك وليس فى ذكر كثير حكمته
واختار التشديد فيه وليس كما ذكر بل فى ذكر هذا من الاعجوبة ما فى ذكر الاخر فيقول عدلك اى صرفك من حال
الى حال ووجه صرفه والله اعلم انه كان فى الاصل ماء مهينا فى صلب الاب فصرف ذلك الماء الى رحم الام ثم انشاه
نطفة ثم صرفها الى العلقة والى المضغة الى انشائه خلقا سويا اوصرفه على ما عليه من الحال من الصحة الى السقم الى
البرء فيكون فى ذكر هذا التعريف المنة والقدرة والحكمة كما فى الاول ففيه اعظم الفوايد وقوله عز وجل فى اى
صورة ما شاء ركبك يحتمل ان يكون هذا عبارة عما تقدم من الاوقات وهو انه قد شاء تركيبك على الصورة التى
انت عليها لا على صورة البهائم وغيرها فيكون فى ذكره تذكير المنن والنعم ليستاد وا منه الشكر ووجه التركيب
انه انشاه على صورة يرضاها ولا يتمنى ان يكون بغير هذه الصورة من الجواهر وانشاه على صورة يعرف
المحاسن والمساوى ويعرف الحكمة والسفه ويميز بينهما ويميز بين المضار والمنافع وانشاه على صورة سخر له
السموات والارضين والانعام كما قال الله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض الاية وقال عز وجل ولقد
كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر الاية ولم يسخره لغيره فيثبت ان فيه تذكير النعم ليشكروه ويقوموا بالحمد
ويجوز ان يكون هذا على الاستئناف فان ركبه على ما هو عليه اى على ان صورة شاء من الصور التى يستقذرها
ويستحسنها قردا او خنزيرا لمكان ما يتعاطى من المعاصى فيكون فى ذكره تذكير القدرة والعفو ليراقبوا الله تعالى و
يهابوه فيتركوا معاصيه ويتسارعوا الى طاعته وقوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين فان حملت قوله
كلا على التنبيه والردع فيمكن ان يعطف على ما قبله وعلى ما بعده وكذلك ان حملته على القسم يعنى حقا فانه
يستقيم عطفه على الامرين جميعا وقوله عز وجل بالدين يحتمل ان يكون اريد به دين الاسلام والاصل ان الدين
اذا اطلق اريد به الدين الحق وهو الاسلام وكذلك الكتاب المطلق كتاب الله تعالى ويجوز ان يكون اريد به
البعث والجزاء وسمى يوم الدين لما ذكرنا ان الناس يدانون باعمالهم والحكمة فيه والله اعلم انهم قد اقروا بان الله
احكم الحاكمين وتكذيبهم بيوم الدين ان يكون يوجب اسفه السفهاء لان يكون احكم الحاكمين لان الدنيا خلقت
للفناء والهلاك فهم اذا كذبوا بالبعث فقد زعموا انه انشاها للهلاك والفناء ومن بنى ولم يقصد ببنائه
سوى ان ينقضه ويهدمه فهو سفيه عابث فى الفعل فلم يحصلوا من تكذيبهم الا على نفى الحكمة من الصانع و
تثبيت السفه لله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا وهم لم يكونوا يدعون انهما خلقتا باطلا ولكانوا يظنون ذلك ولكن الانكار الذى
وجد منهم بالبعث والجزاء يقتضى خلقهما باطلا فعلى ذلك اكادهم بالبعث يزيل عنه القول بانه احكم الحاكمين
ويثبت ما ذكرنا من السفه سبحانه وتعالى عما يصفون وقوله عز وجل وان عليكم لحافظين وهم لم يكونوا
يقبلون الاخبار ولا كانوا يؤمنون بها ثم اخبرهم ان عليهم حفاظا لان الذى حملهم على الجهل تركهم و
الانصاف من انفسهم والا لو انصفوا من انفسهم لكان اعظاؤهم النصفة يوصلهم الى تدارك الحق ومعرفة
ما عليهم من الواجب ثم قد ذكرنا ان المرء اذا كان عليه حافظا اداه ذلك الى المراقبة فيرتدع عن معاطى
ما يوجد عليه فنبهنا ان علينا حفاظا ليحتشم عنهم ولا يأتى من الاحوال ما يسوءهم ووصف انهم كرام ليحسن
صحبة الاكرام ومن صحبة الكرام ان يحترمهم ويتقى مخالفتهم ولا يتعاطى ما يسوءهم وذلك قوله كراما كاتبين
وفى ذكر الكرام فائدة اخرى وذلك ان قوله كراما كاتبين اى كرام على الله تعالى هو المتقى قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فيكون فيه اعلام انهم لا يزيدون ولا ينقصون فى الكتابة وانما يكتبون قدر عملهم كما ذكر من الغاية فى
وصف جبرئيل عليه السلام بالقوة والامانة وقوله عز وجل يعلمون ما تفعلون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم
ليعلموا ما تفعله قبل ان تفعل باعلام الله تعالى فيكون فى تعريفه اياهم الزام الحجة ويكون الذى يكتبون امتحانا
امتحنوا به اذ قد فوض الى بعضهم امر كتابة الاعمال والى بعضهم رسالة الامطار ونحو ذلك او يعلمون ما تفعلون و
فعلكم جهة الفعل من خير او شر فيكون الفعل الخير ثابتا بها يعرفون ان الفاعل به قصد به جهة الخير ويكون
لفعل الشر اثار بها يعرفون ذلك ايضا ثم عذر المسلمين فى ترك المراقبة اقل من عذر المكذبين بالدين لان
المسلمين علموا ان عليهم حفاظا يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم ثم مع ذلك يعلمون ولا يفجرون
صحبة الكرام ويتركون التحفظ والتيقظ والكفرة يذكرون ان يكون عليهم حفاظ ومن كان هذا حاله والاغتر

عن مثله

عن مثله غير مستبعد وقوله عز وجل ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قد ذكر ان البر اعطى ما طلب منه
والذى طلب منه ما ذكر فى قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله الى قوله
واولئك هم المتقون وفى هذه الاية دلالة على ما ذكرنا ان البر انما ذكر دون التقوى اقتضى المعنى الذى يراد بالتقوى
لانه اخبر ان البر هو الايمان بالله تعالى واليوم ثم ذكر ان الذى جمع بين هذه الاشياء فهو المتقى ثم احتجت المعتزلة و
بقولهم بالتخليد فى النار لمن ارتكب الكبيرة بقوله وان الفجار لفى جحيم الى قوله وما هم عنها بغائبين لان من ارتكب
الكبيرة فاجر وقد وصف الله تعالى ان الفجار لفى جحيم ولا يغيب عنها وزعموا انه لم يات بالشرائط الذى ذكر
فى قوله ولكن البر من آمن بالله وباليوم الاخر فهو غير داخل فى قوله ان الابرار لفى نعيم والاصل عندنا ما ذكر ان كل
وعيد مذكور نال الوعد فهو فى اهل التكذيب لما ذكر من التكذيب عند التفسير بقوله كلا ان كتاب الفجار
لفى سجين الى قوله ويل يومئذ للمكذبين وقال تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الى قوله فكنتم بها تكذبون
واذا كان كذلك لم يجب قطع القول بالتخليد لمن ارتكب الكبيرة بل وجب القول بالوقف فيهم ثم ان الله تعالى
جعل لاهل النار يوم البعث اعلاما ثلاثة بها يعرفون ويتبين انهم من اهل النار ولم يجعل شيئا من تلك الاعلام فى اهل
الشهادة احدها اسوداد الوجوه بقوله وتسود وجوه والثانى بما يدفع اليهم كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم
ويدفع الى اهل الجنة كتبهم بايمانهم والثالث فانه يخف موازينهم ويثقل موازين اهل الحق فهذه اعلام اهل
الشقاء وفيما ذكر اسوداد الوجوه قرن به التكذيب بقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وفيما ذكر دفع الكتاب بالشمال ومن وراء الظهور قال فيه فاسلكوه
انه كان لا يؤمن بالله العظيم وقال واما من اوتى كتابه وراء ظهره الى قوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى الاية وقال
تعالى عند ما ذكر خفة الميزان الم تكن آياتى تتلى عليكم وكنتم بها تكذبون ولم يذكر شيء من هذه الاعلام غير
المكذبين فثبت ان الوعيد فى المكذبين لا فى غيرهم لذلك لم يسع لنا ان نشرك اهل الكباير مع اهل التكذيب
فى استيجاب العقاب وقطع القول بالتخليد وجب الوقف فى حالهم والارجاء فامرهم والثانى ذكر فى مواضع
الايمان بالله تعالى ادنى مراتب اهل الايمان ووعد عليه الجنة فقال والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وقال فى موضع اخر وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين احد منهم
الاية فذكر فى هذه الايات التى تلوناها ادنى منازل اهل الايمان وذكر فى موضع اخر على مراتب اهل الايمان ووعد عليها
الجنة بقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق الاية وقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر الاية
فجائز ان يكون ذكر الجميع على المبالغة لا على جعله شرطا فيجب القول باستيجاب الوعد بادنى مراتبه على ما ذكر فى الاية
الاخرى وجائز ان يكون الجميع فيما ذكر فيه ورسله الايمان بالله ورسله معنى ويكون ذكر طرف منه على الايجاز
الابرعا ثم ذكر الكفر فى بعض المواضع واوعد عليه النار وذكر فى بعض المواضع الكفر مع اسباب اخر واوعد عليه
النار بعد ذلك بقوله ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق الاية وقال فى موضع اخر قالوا لم نك
من المصلين ولم نك نطعم المسكين الاية ثم لم يستوجب جميع ما ذكر من السيئات مع الكفر شرطا بل وجب القول بالتخليد لمن
اقتصر على الكفر خاصة فثبت انه ليس فى ذكر المبالغة دلالة جعل المبالغة شرطا بل جائز ان يستوجب الوعيد بدونه
لكن لك لم يقطع القول فى اصحاب الكباير بالتخليد فى النار ولا بانهم مستوجبون للوعيد بل قيل فيهم بالارجاء وقوله
عز وجل يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين قال بعضهم تاويله منصرف الى اهل النار واهل الجنة فاهل الجنة
لا يغيبون ولا اهل النار عن النار وقال بعضهم اريد بها اهل النار خاصة انهم لا يغيبون عنها وانكر بعض الناس
الخلود لاهل النار فى النار واهل الجنة وقالوا لم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا لعذاب الاخرة انتهاء لكان يرتفع عن
الله تعالى الوصف بانه اول واخر لانهما يبقيان ابدا فلا يكون هو اخر ومن قال هو الاول والاخر فلا بد من ان يكون لهما انتهاء
حتى يستقيم الوصف بانه اخر ولانهما لو لم يوصفا بالانتهاء لكان علم الله تعالى غير محيط بنهايتهما فيكون النهاية و
مجاوزة لعلمه والله سبحانه وتعالى محيط بالاشياء وعالم مباديها ومتناهيها فلا بد من القول بفنائهما حتى يكون علم
محيطا بهما ولانهم انما استوجبوا الجزاء باعمالهم واهل النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم فاذا كانت بسيئاتهم
نهاية والخيرات ولكل نهاية فكذلك يجب ان يكون الجزاء نهاية ايضا والاصل عندنا ان كل من اعتقد من ها فهو معتقد
التدين به ابدا ما بقى لا لينتركه ثم العقاب جعل جزاء للاتقاء عن المهالك بقوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين قد
قال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين واذا ثبت ان كل واحد منهما جزاء المذهب وكان الاعتقاد للابد
فكذلك الجزاء يتبع للابد والدوام للزوال والانقطاع والثانى ان العلم بزوال النعيم مما ينغص النعيم على ذويها ويورد

عليهم لذاتها ويكدر عليهم ما صفا منها فاذا كان كذلك لم يتم لهم النعيم واهل النار اذا تذكروا الخلاص من العذاب تلذذ وبها وهان عليهم العذاب فوجب القول بالخلود ليتم النعيم على اهله والعذاب على اهله والجواب عن قوله انه يرتفع عنه الوصف بانه اول واخر بذاته لا لغيره وضيق فيسير ولا اخرا بغيره ثم ما من شئ الا وله اول واخر ثم لا يوجب كان اسقاط الاولية والاخرية وقوله بان الله عز وجل لا يوصف بالاحاطة بالاشياء لو وجب القول بالخلود فنقول بان العلم بما لا نهاية له هو ان يعلمه غير متناهى والعلم بالتناهى بما لا نهاية له يوجب الجهل لا العلم والجواب عن الفصل الثالث ما ذكرنا انه يعتقد المذهب للابد فكذلك الجزاء يتابد ولا ينقطع **وقوله** عز وجل وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين قال بعضهم انك لم تكن تدرى قدر ذلك الله تعالى وقال بعضهم هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل عنه **وقوله** عز وجل يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وذلك اليوم يوم تجرى فيه الشفاعات فيشفع الانبيا لكثير من الخلق فيشفع بهم واذا كان كذلك فقد ملكت نفس لنفس شيئا وكن تاويله يخرج على وجه ثلاثة احدها ان الكفرة كانوا يتوادون فيما بينهم ليتناصر بعضهم بعضا فى النوايب فقال لا تملك نفس لنفس شيئا قال الله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماويكم النار وما لكم من ناصرين ولا تملك نفس لنفس شيئا الا بعد ان يوذن لها كما قال عز وجل لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقد يجرى التشفيع فى الدنيا الا بالاستيذان فاحدا ويكون معناه ان كل نفس مستبين لها فى ذلك اليوم انها لم تكن تملك الاشياء الا بالتمليك **وقوله** عز وجل والامر يومئذ لله اى لا ينازع فيه وهو فى كل وقت لله تعالى لكن الظلمة ينازعون فهذه الدنيا والامر يومئذ لله اى يتبين لكل احد فى ذلك اليوم بان الامر لله عز وجل فى ذلك اليوم وقبل ذلك اليوم والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل ويل للمطففين فوجه تعييرهم بالتطفيف والحاق الوعيد لكانه وان كانوا مستوجبين للوعيد وان اوفوا المكيال ولم يطففوا فيه اذا كانوا جاحدين بالله تعالى ومكذبين بالبعث هو ان الكفرة لم يكونوا اعتقدوا الكفر بالله تعالى البلد ذ يفيع لهم بنفس الكفر ولا التمسوا على التحسين لهم اياه وانما اعرضوا عن الايمان لحبهم الرياسة ولما كلة كانت لهم خافوا زوالها عنهم بالاسلام او زهدوا عند ما يلزمهم بالايمان مونتين واختاروا الكفر لئلا يلزمهم بالايمان تحملها فكانهم فكان الذى يحملهم على الصد عن الايمان وترك النظر فى ايات الله تعالى وحججه ما ذكرنا فعيرهم بالافعال الدنية التى كانوا يتعاطونها فيما بينهم من التطفيف والمكر وتركهم اتيان الزكوة بقوله عز وجل لا يوتون الزكوة وهم بالاخرة كافرون لينقلعوا عنها فيحملهم ذلك على النظر فى القران والتدبر فيه وهو كما ذكرنا فى القتال ان فيه ما يحملهم على الايمان لانهم كانوا يتذهدون عنه لحبهم الدنيا فاذا قوتلوا ضاقت عليهم الدنيا فبعثهم ذلك على الايمان بالله تعالى وعلى النظر فى اياته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الاية على اهل مكة تركوا التطفيف فلم يطففوا بعد ذلك قال اهل اللغة التطفيف النقصان يقال اناء طفان اذا كان غير مملو وقال الزجاج يقال شئ طفيف اى يسير فسمى مطففا لما يسرق منه شيئا فشيئا فى كل مكيال وفى هذه دلالة ان حرمة الربوا عامة على اهل الاديان وفيه دلالة ان حرمة الربوا ليست لمكان العاقدين وانما هى حق للعاقدين لله تعالى وذلك ان الذى يكال له كان باخذ ما يكال له على علم منه بتطفيف البايع ثم كان يرضى به ويتجاوز عن ذلك ومع ذلك لحقهم التعيير بالتطفيف فدل ان حرمته ليست لمكان العاقدين ولكنها من حق الله تعالى **وقوله** عز وجل واذا اكتالوا على الناس يستوفون فمنهم من ذكر ان هذا على التقديم والتاخير ومعناه ويل للمطففين على الناس اذا اكتالوا او وزنوا واذا اكتالوا استوفون ومنهم من قال بان على ههنا بمعنى من فكانه يقول ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون **وقوله** عز وجل واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فمنهم من قوله هم بعد ذكر الكيل والوزن على التاكيد والمبالغة فان كان هذا على هذا فحقه الوقف على قوله كالوا وعلى قوله او وزنوهم ومنهم من قال معناه واذا كالوهم او وزنوهم لان الالف بينهما اليت بمثبتة فى المصاحف وهو مستعمل كلمة وكلت له لقوله وعدته ووعدت له فان كان هذا معناه لم يستقم الوقف على قوله كالوا ووزنوا لان قولهم تفسير لقوله كالوا او وزنوا ولا يجوز قطع التفسير عما له التفسير **وقوله** عز وجل الا يظن اولئك انهم مبعوثون الاية قال اكثر اهل التفسير الا يعلم والا يتيقن وقال ابو بكر الاصم الا يظن معنى الايستيقنوا وكذلك فى البعث وهو محتمل لما ذكرنا لان الشك يوجب الرهبة وارتفاعه يوجب الامن الا ترى ان المرء اذا اراد ان يسلك فى المكان فاخبره انسان ان فى الطريق الذى يريد لان تسلك مراقا وقطاع الطريق فانه يرهب لذلك فيستعد له ما يدفع عن نفسه ضرر قطاع

الطريق وسرق السارق وان لم يتيقن ان المخبر الصادق فى مقالته ولا تيقن السارق يتمكنون من الامر فكيف لا يتثبت هؤلاء يكون البعث بما يخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم ويقيم عليه الحجج وهذا اقل منازل الاخبار ان يورث شكا ثم الاطلاق حرف الشك عند استواء طرفى الداعيين والظن يستعمل عند اختلاف طرفى الداعيين وعوائق بغلبة احدى الدلالتين على الاخرى لذلك يستقيم الحكيم والقول باكثر الظن ولا يستقيم باكثر الشك ثم الظن يبعد من البحث عن الامر والنظر فيه فاذا ترتب فيه فهو لا يزال يرتقى فى الظن درجة فدرجه حتى ينتهى نهايته ببلوغ اليقين ودرك الصواب فلذلك حمل التفسير تاويل الظن ههنا على اليقين والعلم اذ ذلك نهاية الظن وحمل ابو بكر على الشك لما لا يرتفع الشبهة كلها فيما كان طريق معرفته الاجتهاد ومثال الظن مثال الخوف الذى ذكرنا انه قد يستعمل فى موضع العلم لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما كالذى يهدد بالقتل او يقطع عضو لتزيد الجراحة يباح له الشرب ويجعل كالمتيقن انه يفعل به لا محالة لو امتنع عن الشرب لبلوغ الخوف نهايته وان لم يكن فى الحقيقة متيقنا لما يجوز ان يحصل به ما يمنعه عن القتل فيعلى ذلك الحكم فى الظن **وقوله** عز وجل اولئك انهم مبعوثون للحساب الذى يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلصون من العذاب ايش على ما يحصل عليه الحساب فى الدنيا يجد فى نفسه الخلاص ووجه المخرج عنه **وقوله** عز وجل ليوم عظيم سماه عظيما لما ذكرنا من دوام عذابه ودوام عقابه **وقوله** عز وجل يوم يقوم الناس لرب العالمين اى لحكمه ولحسابه او لوعده ووعيده او يقومون له مستسلمين خاشعين بجملتهم وان كان البعض منهم وجد منه الامتناع عن الاستسلام فى الدنيا فان الظلمة ينازعونه وينوبونه لانفسهم اشياء فيكون له فاما يوم القيمة فانهم جميعا يقرون له وينقادون لحكمه وقضائه لذلك حضر بقيام الناس له **وقوله** عز وجل كلا قال الحسن وابو بكر حقا اى يبعثهم حق فيبعثون وقال الزجاج كلا حرف ردع وتنبيه اى ليس الامر على ظنوا انهم لا يبعثون ويجازون باعمالهم فيكون فى هذا ايجاب القول بالبعث من طريق الاستدلال **وقوله** عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين اختلف فى السجين فمنهم من جعله اسم موضع واشار اليه فقال هو صخرة تحت الارض السابعة يوضع كتاب الكافر تحته الى يوم القيمة ولكن ليس فى معرفة ذلك الموضع حاجة لان الذى امتحنوا بجملته فى ذلك الموضع قد عرفوه وهم الملائكة ومنهم من زعم انه حرف مذكور فى كتب الاولين فذكر ذلك فى القران فجايز ان يكون المقصود تحقيق ببوت الاشارة اليه وجايز ان يكون السجين الموضع الذى اعد الكافر فى الاخرة للعذاب لكن اوماى اليه علمه الذى اثبت فى كتابه ثم يلحق به الروح ثم يتبعها جسده فى الاخرة على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر والاخرة سجن الكافر وجنة المومن فيرد كتابه الى ذلك السجن ويرد كتاب الابرار الى الجنة التى اعدت له ثم يتبعه روحه ثم جسده فذلك قوله ان كتاب الابرار لفى عليين ومنهم من قال على التمثيل ليس على تحقيق المكان فى العليين وذلك السجن هو مكان اهل الخبث فى الدنيا فمثلت اعمالهم بذلك بخبثها وقبحها ومثلت اعمال الابرار بما ذكر من العليين وذلك مكان اهل الشرف واولى القدر فيكنى ذلك كناية من طيب اعمالهم وقال الكسائى السجين مشتق من السجن كقولك رجل فسيق وشريب وسكيت ثم ذكر كتاب الفجار والفجور يكون بالكفر وغيره فهذا اسم يقع به الاشتراك بين اهل الكفر واهل الاسلام لكنه الحق عند التفسير بما يجوز صرف الوعيد الى الكفار بقوله ويل يومئذ للمكذبين وكذلك تجد هذا الشرط ملحقا فى التفسير فى جميع ما جرى به الوعيد بالاسم الذى يقع به الاشتراك من نحو الفسق وترك الصلاة بقوله تعالى قالوا لم نك من المصلين وفى ما جرى من الوعيد فى الذى لا يوتى الزكوة فكان فى ذكر التفسير على تفسيره بالتكذيب قطع الشهادة وايجاب العذاب على المكذبين وفى ذكر الاسم الذى يقع به الاشتراك ايجاب الخوف على المسلمين الذين شركوا فى ذلك الاسم فترك قطع الشهادة عليهم بالوعيد بما لم يذكروا عند التفسير **وقوله** عز وجل وما ادريك ما سجين فهو تعظيم ذلك اليوم ووصفه بنهاية الشدة او على الامتنان على نبيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يعلم ذلك حين اطلعه الله عليه وهكذا تاويل قوله وما ادريك ما عليون **وقوله** عز وجل كتاب مرقوم اى الكتاب الذى فى السجين مرقوم والمرقوم قالوا مكتوب ومثبت والرقم عندنا الاعلام يقال رقم الثوب اذا اعلمه فجايز ان يكون علمه هو ان يختم فيكون فيه اخبار انه لا يراد على قدر ما عمل ولا ينقص منها وهو كما ذكر من القايل فيما وصف جبريل عليه الصلاة والسلام بالقوة والامانة بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين فوصف بالامانة ليومن الخلق عن خيانته فى الكتاب وتغييره ووصفه بالقوة ليعلم ان غيره لا يتهيا له ان ينتزع منه ما ادخل على يده فيغيره فكذلك وصف بالختم والاعلام ليومن من الزيادة فيه والنقصان **وقوله** عز وجل ويل يومئذ للمكذبين اى المكذبين بجميع ما يحق عليهم تصديقه وذلك يكون بالايمان

بالله تعالى وباياته ورسله وبالبعث وقوله عز وجل الذين يكذبون بيوم الدين فالدين اسم مشترك اسم للجزاء و
اسم للاستسلام والخضوع فيسمى يوم الدين لما يدانون باعمالهم او لما يستسلمون لله تعالى في ذلك اليوم ويخضعون
له وفي تكذيبهم بيوم الدين تكذيب لقدرة الله تعالى وتكذيب رسله لان الرسل كانوا يدعونهم الى الايمان بيوم الدين
فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم في ذلك اليوم فيكون تاويله منصرفا الى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يستحق التصديق
به وقوله عز وجل وما يكذب به الا كل معتد اثيم فالمعتدي هو الذي يتعدى حدود الله تعالى والاثيم الذي يتاثم
بربه فيكون مجاوزا عن الحدود والتاثم بربه هو الذي يحمله على التكذيب وان الوقام بحفظ حدوده لم ياثم بربه
لكان لا يكذب بيوم الدين او يكون فيه اخبار ان المكذب به معتد اثيم وقوله عز وجل اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اي اباطيل الاولين وقال ابو عبيدة الاساطير هي التي لا اصل لها ومعناه عندنا ما سطره الاولون
اي كتبه فالسطر الكتابة فيجوز انها ليست من عند الله تعالى بل ما كتبها الاولون الذين لا انتظام لها ولم يكن يتلو
هذا في كل ما يتلو عليهم من نبإ الاولين وكانوا ينسبونه الى السحر اذا اتاهم بالايات المعجزات وقوله عز وجل كلا
بل ران على قلوبهم قيل الرين السواد والغطاء وقيل الرين الصدأ فالله تعالى سمى الايمان الذي هو في النهاية
من الخيرات نورا وسمى الكفر الذي هو في النهاية من الشرور ظلمة فاذا كان الايمان نورا للقلب والكفر ظلمة
فاذا اشتغل بالاسباب الداعية الى الكفر شيئا بعد شيء من الاثام فكل سبب من ذلك يعمل من اظلام القلب حتى
يتم الظلمة على ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال هو العبد
يذنب الذنب فينكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب منها صقل قلبه وان لم يتب وعاد فاذنب نكتت في قلبه
نكتة سوداء وان عاد نكتت في قلبه حتى يسود القلب اجمع فذلك الرين ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
شيئا فشيئا باسباب يتقدم الايمان حتى يحمله ذلك على الايمان فذلك تمام الانشراح وعلى هذا يخرج تاويل
ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الايمان يبدو لمظة بيضاء في القلب كلما ازداد عظما ازداد ذلك
البياض فاذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة في القلب بيضاء الى قوله حتى يستكمل الايمان
عندنا بالاسباب الداعية الى الايمان فلا يزال ينشرح منه شيء فشيء حتى يؤمن لا ان يكون الايمان ذا اجزاء
ولكن للايمان مقدمات فينشرح شيء فشيء بكل مقدمة منه حتى يفضي به الى الايمان ثم ان الله تعالى سمى الرين
عن الايمان باسامي مرة قال طبع الله على قلوبهم ومرة قال جعلنا على قلوبهم اكنة الاية ام على قلوب اقفالها
فكان الذين وصفوا بالقفل على قلوبهم هم الذين انتهوا في الكفر غايته حتى لا يطمع منهم الايمان وهم المتمردون
المعتقدون للتكذيب وهم الرؤساء منهم والائمة ومنهم من هو مطبوع على قلبه وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن
تمرد وعناد ولكن لما يلحقهم الاسباب الداعية الى الايمان وذكر الزجاج ان اول منازل الرين الغين وهو الستر الرقيق كا
لسحاب الرقيق في السماء نقول فغشاء القلب كغشاء السحاب الرقيق بلون السماء ثم اذا ازداد مضى ذنبا ثم يرتقي الى
الطبع الى ان يصير كالقفل على القلب وفي هذا دليل على ان لله تعالى تدبيرا وصنعا في افعال العباد لان انشاء الكفر
ظلمة في القلب حتى يمنعه تلك الظلمة عن درك الخيرات ونور الايمان اذ كل من اعتقد الكفر ليس يعتقد ليمنعه
عن درك الانوار واذا لم يوجد منه هذا ثبت ان ثم صانعا وكذلك بتدبير الله تعالى وصنعه اذ لا يجوز ان يحدث الظلمة
في القلب بحدث لها واذا امتنع الصنع من الكلام ثبت ان ثم تدبيرا لله تعالى انشاء كذلك وانه انشاء ظلمها في
الوقت وقوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اختلف في قوله يومئذ فذكر ابو بكر الاصم ان هذا في
الدنيا يقول انهم حجبوا عن عبادة ربهم بما عبدوا غير الله تعالى فصارت عبادتهم غير الله حجابا لهم عن عبادة ربهم و
ذكر اهل التفسير ان هذا في الاخرة ثم منهم من يقول انهم حجبوا عن لقاء ربهم وان حجبوا بهذا القول بالرؤية المؤمنين
ومنهم من يقول هم محجوبون اي عن ذكر الله التي اعدها لاوليائه وعن رحمته فعوقبوا بالحجب عن ذلك جزاء بتسليمهم
لانهم في الدنيا ضيعوا نعم الله تعالى فلم يقبلوها بالشكر ولم يؤمنوا برسوله الذي بعثه رحمة للعالمين فابلسوا من
رحمته وكرامته في الاخرة عقوبة لهم ومجازاة وهو كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء المنسي الذي
لا يعبأ به لما وجدت من المعاملة لا بانه ترك الالتفات اليها عاملوا بمثله في الاخرة وقال في اية اخرى
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل ثم انهم لصالوا الجحيم فمن صرف الحجب الى الدنيا فهو
يقول ثم انهم يصلون الجحيم بعد ما عبدوا غير الله تعالى وحجبوا عن عبادته ومن صرف ذلك الى امر الاخرة
فهو يقول انهم يصلون الجحيم بعد ما يظهر فيهم من اثر الحجاب من سواد الوجوه واعطاء الكتاب بشمالهم ومن
وراء ظهورهم وقوله عز وجل ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تاويله انهم يعرفون صلوها بتكذيبهم بها في جملة

عن الله

عن الله تعالى بتكذيبهم بذلك اليوم والا لو امنوا واقروا ان النار حق والبعث حق لم يكونوا يصلونها فيعرفون
حتى يقروا بذلك بقولهم فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير وقوله عز وجل كلا ان كتاب الابرار لفي
عليين فذكر الابرار ههنا مقابل الفجار في الاول ثم بين الفجار انهم المكذبون بيوم الدين بذلك اول منازل
الكفرة فاذا اريد بالفجار الكافر اريد بالابرار الذين امنوا فلذلك قيل بان الابرار هم المؤمنون والبر هو الذي
يكثر منه تعاطي فعل البر فيسمى بارا اذا اكثر منه البر والفاجر هو الذي يكثر منه فعل الفجور فجائز ان يكون
الوعيد في الذين بلغوا في الفجور غايته ويكون حكم من دونهم متروكا ذكره فيوصل الى معرفته بالاستدلال
ويكون الوعد في الذين اكثروا افعال البر ويكون حكم من دونهم معروفا بغيره من الادلة وقوله عز وجل
يشهده المقربون فذكر شهود المقربين في ذكر كتاب الابرار ولم يذكر شهودهم عند ذكر كتاب الفجار فجائز
ان يكون شهودهم على التعظيم له والثناء له وغير ذلك وقيل المقربون هم مقربوا اهل كل سماء وقوله
عز وجل ان الابرار لفي نعيم فالبر هو الذي يبذل ما سئل عنه ويجيب الى ما دعي اليه فاذا اجاب الله تعالى
فيما دعاه اليه من التوحيد ووفى باوامره وانتهى عن مناهيه فهو من الابرار ثم ما ذكرنا يكون بوجهين
احدهما بالاعتقاد وتحقيقه بالفعل والمعاملة فههنا قد وفى بما طلب منه قولا وفعلا فيكون هذا ممن
يقطع فيه القول باستيجاب الوعد المذكور للابرار والثاني ان يفي ويؤدي ما طلب منه اعتقادا ولم
يف ما اعتقده بفعله فالحكم في مثله الوقف ولا يقطع فيه القول باستيجاب الموعود بل لله تعالى ان يجازيه
بما ضيع من حفظ حدوده بقدر ما وجد من التضييع ثم يلحق باهل كرامته وله ان يعفو عنه بفضله و
وسعة رحمته والفجور هو الميل والميل يكون بوجهين احدهما بترك الاعتقاد والفعل جميعا وميل في المعاملة
وهو ان يخالف فعله عقده فالذي وجد منه الميل عن الوجهين جميعا يحل به ما اوعد لا محالة واما الذي خالف
فعله عقده فانه يتوقف فيه ولا يشهد انه من جملة من يلحقهم الوعيد لا محالة ثم قد ذكرنا ان البر اذا ذكر
على الانفراد اريد به ما يراد بالتقوى والبر جميعا وكذلك التقوى اذا افرد اقتضى معنى البر فاذا قرنا جميعا
اريد بالتقوى جهة وبالبر جهة وذلك ان التقوى هو ان يتقي المهالك وذلك يكون بالاجابة الى ما دعي اليه قولا
وفعلا والانتهاء عما نهي عنه قولا وفعلا وهذا معنى البر ايضا فاذا ذكرا معا اريد بالتقوى الاجتناب عن
المحارم واريد بالبر اتيان المحاسن وكذلك الايمان اذا ذكر على الانفراد اريد به ما يقتضي الاسلام من المعنى والايمان
جميعا وكذلك الاسلام يقتضي معنى الايمان اذا ذكر على الانفراد لان الاسلام هو ان يرى الاشياء كلها سالمة لله
تعالى لا يجعل لاحد فيها شركا والايمان هو ان يصدق الله تعالى بانه رب كل شيء وخالقه ورب كل شيء فقد
جعل الاشياء كلها سالمة له فهذا معنى قوله انه يراد بالايمان اذا ذكر بالانفراد ما يراد بالاسلام وما يقتضيه
ظاهره كقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاية وكذلك الحكم في الخوف والرجاء اذا ذكر
كل واحد منهما على الانفراد اقتضى كل واحد منهما معنى الاخر واذا ذكرا معا اريد بكل واحد منهما ما يقتضيه ظاهره
ولم ينصرف الى ما يراد بالاخر وقوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم فجائز ان يكون في الاخرة يصفهم انهم ابدا في نعيم وجائز
ان يكون في نعيم الدنيا والاخرة فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الابدان وذلك انهم يطيعون
العقل فيما يدعوهم اليه فيتنعمون بعقولهم لكون الذي يدعوهم اليه عقولهم ما فيه
انفسهم الاجابة له ويشهد لهذا ان ذلك فهو في نعيم العقول لان في نعيم العقول الابرار ونعيم الاخرة نعيم البدن
والعقل جميعا فيتنعم انفسهم وعقولهم ولا يخلون ما تاتي انفسهم احتمالها لله تعالى والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة وقال تعالى فلنحيينه حياة طيبة الاية فتعمهم في الدنيا
وفي الاخرة لفي نعيم وقوله عز وجل على الارائك ينظرون فقد ذكرنا ان كل ما يتشوق الانفس وتشتهي في
الدنيا فعلى مثله جرت البشارة لاهل الجنة في الدنيا وذكر ان اهل اليمن كان اشرف قدرا حالهم وعلت
رتبة في الدنيا اتخذ لنفسه اريكة ثبتت اليه فيقال هذا فلذلك جرت البشارة لاهلها بالارائك
الا يرغب الى مثلها في الدنيا لان الارائك تشبيها بالارائك التي تتخذ في الدنيا لان ارائك الجنة مطهرة من
الافات التي هي اثار الفنا لكنها ذكرت بهذا الاسم لما وجه به الوصول الى معرفتها بما عاينوا المشاهد
الخالق والاريكة هي السرير في الحجال وقوله عز وجل ينظرون يحتمل ان يكون احدهما ان يقع النظر الى الحجال وذلك
تلذذ في الاخوان واجتماعهم على الشراب والنظر الثاني يكون الى ما ملكهم فيكون ذلك الى علي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليرى جميع ما له ينظر

الدنيا وعرضها فذلك النغل بجاوزعما في المجال فيقع خادجا منها وقوله عزوجل تعرف في وجوههم نضرة النعيم
فجايزان يكون النضرة متفرقة الى نفس الخلقة وهو انهم انشوا على خلقة لا يتغير ولا يفنى بل بجهة نضرة او يكون
نضارتهم بما انعموا من النعيم ثم خصت الوجوه لان النظر بعض الى بعض لكون الى الوجوه لا الى غيرها من الاعضا
فخصت الوجوه بالذكر لهذا لا ان يكون النضرة لها خاصة بل النضرة يشتمل ساير البدن والثاني ان السرور وان كان
في القلب اثر في الوجوه وكذلك الحزن يتاثر في الوجه اذا استقر في القلب فيكون في ذكره نضرة اخبار عن غاية
ما هم عليه من السرور وقوله عزوجل يسقون من رحيق قال بعضهم الرحيق هو الخمر الذي لا غش فيه ان يكون
يطهر من الافات وقال بعضهم هو شئ اعد لاوليائه لم يطلعهم على ما يتهيا في الدنيا على ما قال فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهو شراب تقربهم اعينهم ما اخفي لهم الى الوقت الذي يشربونه وقوله عزوجل
مختوم ختامه مسك فجايز ان يكون راجعا الى حال الاناء الذي فيه الرحيق وهو انه مختوم لم يتناوله
الايدي وكذلك نرى المرء في الدنيا يختم نفيس شرابه الذي في الاناء بالغدام في الدنيا فيخبران ذلك الشراب
في الاناء على الوجه الذي كانوا يؤثرونه في الدنيا واخبران ختامه بانفس شئ عرفوه في الدنيا وهو المسك
ليس كالختام في الدنيا لانهم يختمون او انيهم بالشئ الردئ بما لا قدرة عندهم وجايز ان يكون منصرفا الى
الشاربين انهم لا يشربون ابدا بل يكون له ختم ولكن لا ينقطع لذة الشراب عنهم بل ابدا يجدون من ذلك
ريح المسك وقوله عزوجل فليتنافس المتنافسون فجايز ان يكون اراد به الشراب الذي وصفه في قوله رحيق
مختوم الاية والتنافس حرف يستعمل في الخيرات كانه يقول فليرغبوا في الشراب الذي هذا وصفه الذي لا غول
فيه ولا هم ينزفون لا في الشراب بالعقول ويضعف الابدان بتلف الابدان وقليتنافسوا في النعيم الذي
وصف ههنا لا في النعيم الذي ينقطع ولا يدوم فكانه يقول فليرغبوا فيما تعقب لهم النعيم الدايم والشراب
الذي لا ينقطع لذته وقيل ختامه مسك ما بقي في الكاس من البقية يكون ذلك مسكا التنافس مما يكون في التسابق
في الخيرات وترك الاتباع للشهوات والانتهاء عن المعاصي وهو كقوله لمثل هذا فليعمل العاملون اي فليكون عملهم
بما يتم لهم ما ذكر من النعيم لا في الذي ينقطع ويكون عقابه النار وقوله عزوجل ومزاجه من تسنيم قيل التسنيم شئ
اعده الله تعالى لاوليائه لم يطلعهم عليه في الدنيا وهو من قرة الاعين التي لا يعلمها الا نفس فوصف مرة بالمزاج بالزنجبيل
ومرة بالكافور بقوله كان مزاجها كافورا ومرة اخبر انه ممزوج بالتسنيم والتسنيم ما ارتفع من الشئ فيجوز ان
يكون سمي تسنيما لا يجري اليهم من الاعلى واخبر انه ممزوج لما الى مثله ترغب الانفس في الدنيا وتشتاق اليه الا ترى ان
الشراب في الدنيا اذا كان ممزوجا فهو في القلوب اوقع منه ويكون الانفس اليها ارغب منه اذا كان غير ممزوج فوعد
بمثله في الاخرة وذكر بعض اهل التفسير ان المقربين يشربون من ذلك الشراب صرفا ويمزج لغيرهم وقال الحسن المزاج
للمقربين وغيرهم وجعل الممزوج منه اشرف على ما ذكرنا وقوله عزوجل عينا يشرب بها المقربون والمقربون هم الذين
يسارعون في الخيرات في الدنيا فتركوا هوى الانفس واتقوا المهالك والزلات فهم المقربون واصناف التقريب الى الغير
لانهم يفنون ما رفعوا لاكتساب الخيرات وعصموا عن ارتكاب المهالك والزلات لا بانفسهم ثنا لو انفضل التقريب
بما جهدوا انفسهم في الدنيا للامور التي ذكرنا وقوله عزوجل ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون توجيه
ذكر صنيع الكفرة بالمؤمنين في القران وجعله اية تسلي وان كان المؤمنين بذلك عار فانه يخرج على ثلاثة اوجه احدها
في تبيين موقع الحجج في قلوب المؤمنين وعلمها بهم وذلك ان المؤمنين لما امتحنت انفسهم باحتمال الاذى والمكروه
من الكافرين انتصبوا المعادات اباءهم واجدادهم واهاليهم ورفضوا شهواتهم وتركوا اموالهم واختاروا اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم ودينه ومعلوم انهم لم يحملوا انفسهم كل هذه المؤن طمعا ورغبة في الدنيا لما لم يكن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يرغب في مثله من نعيم الدنيا فثبت ان الحجج هي التي حملتهم ودعتهم الى متابعته لا غير فيكون
فيما ذكرنا تثبيت رسالته وان لم يكن في الاية اشارة الى الحجج التي اضطرتهم الى تصديقه والانقياد له فيكون في ذكره
تقرير لمن تاخر عنهم من المؤمنين لرسالته عليه السلام والثاني ولكن المؤمنين صبروا على ما نالهم من المكاره و
يستقبلهم من انواع الاذى في قيامهم بامر الله تعالى ليكون في ذكره تذكير لمن تاخر من المؤمنين ان عليهم الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وانه لا عذر لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا وان نالهم من ذلك الاذى والمكروه بل الواجب
عليهم الصبر على مصيبتهم والقيام بما يحق عليهم اذ ذكر ما لقي الاوايل من السلف من المعاداة والشدايد من الكفرة باظهار
دين الاسلام ثم تلتنا هذه الرتبة واكرمنا بالهدى بلا مشقة وعناء نشكر الله تعالى بذلك ونحمده على نعمه العظيمة
ثناينه لدينا وجزيل منته علينا وقوله عزوجل من الذين امنوا يضحكون فضحكهم يكون لاحد الوجهين اما على التعجب

منهم ان كيف اختاروا متابعة محمد صلى الله عليه وسلم وحملوا انفسهم في الشدايد ورضوا بزوال النعيم عنهم من غير
منفعة لهم في ذلك وهو يزعمون كانوا لا يؤمنون بالبعث فكانوا يكذبون بما وعد المؤمنين من النعيم في الاخرة فكان
يحملهم ذلك على التعجب فيضحكون متعجبين منهم او كانوا يضحكون على استهزائهم بالمؤمنين يقولون ان
هؤلاء امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما يخبرهم من نعيم الاخرة ولا يعرفون انه كذلك فكانوا يجهلون
المؤمنين على ما جهلوا بانفسهم وظنوا ان لا بعث ولا جنة ولا نار وقال ابو بكر المجرم هو الوثاب في المعاصي
وذكر ابو بكر ان في ذكر صنيع الكفار بالمؤمنين ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يضحكون عن
المؤمنين ويتغامزون بهم وينسبونهم الى الضلال سرا من المسلمين فاطلع الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام
على ما اسروا من الافعال ليجعل لهم حجة عليهم لنبوته ورسالته عليه السلام وقوله عزوجل واذا انقلبوا الى
اهلهم انقلبوا فاكهين قال بعضهم لاهين او متعجبين بحال المؤمنين ومسرورين كما قال تعالى انه كان في اهله
مسرورا وقوله عزوجل واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون فيجوز ان يكونوا نسبوهم الى الضلال لتركهم دين
ابائهم وراوا ما اختاروا من تحمل الشدايد ورضوا من العيش ضلالا منهم وقوله عزوجل وما ارسلوا عليهم
حافظين اي لم يرسلوا ليحفظ اعمال المسلمين فيكون في ذكر هذا تسفيه احلامهم وهوانهم تركوا النظر في
احوال انفسهم وجعلوا يعدون على المسلمين عيوبهم ارسلوا عليهم حفاظا وما ارسلوا ويكون هذا الاخبار
عن الكفار انهم يقولون ما ارسل على احد يحفظ عليه اعماله فيكون هذا على الانكار منهم بكرام الكاتبين وقوله
عزوجل فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ويكون ضحكهم على المجازات للكفرة بما كانوا يضحكون منهم في الدنيا
وقوله عزوجل على الارائك ينظرون فمنهم من وقف على قوله على الارائك ومنهم من راى موضع الوقف على قوله
ينظرون فاذا وقف على قوله على الارائك كان معناه انهم ينظرون هل جوزي الكفار بما او عدهم الرسل في الدنيا او
لا بعد واذا وقف على قوله تعالى هل ثوب الكفار اي قد جوزي الكفار بما كانوا يفعلون فهم ينظرون هل يباقون
ثم العقول ان كيف احتملت انفسهم النظر الى الكفار بما هم فيه من التعذيب والمرء اذا راى احدا في شدة العذاب لم يحتمل
طبعه ذلك وينغص عليه العيش فجايز ان يكون الله تعالى انشاهم على خلقة لا يتقبل الكدر ولا يجدها بل ينالها الذات
كلها والمسار وارتفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة بينهم وبين اهل النار راسها وكذلك يرى المرء في الشاهد
اذا عاد انسانا واشتدت العداوة فيما بينهما ثم راه يعذب بالوان العذاب لم يثقل عليه ذلك بل احب ان يراد منه
ثم جايز ان يرفع اليهم النار اذا اشتاقوا النظر اليهم فيروهم ويجعل فيهم من القوة ما ينتهي الى ذلك المكان
ثم ذكر بعضهم ان هذه السورة مكية ومنهم من ذكر انها نزلت بين المكة والمدينة ومنهم من ذكر انها مدنية والحمد لله كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عزوجل اذا السماء انشقت هو جواب سؤال تقدم لما ذكرنا ان حرفا فاجواب وليس بحرف ابتداء
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ميقات الاعمال متى وقتها فقال تعالى اذا السماء انشقت واذنت لربها
وحقت فكذلك وقت ميقات الاعمال وقيل ذكر في الخبر ان اخوين احدهما مسلم والاخر كافر فقال المسلم انا بانعث
الموت مبعوثون فقال له بلى والذي خلقك والجبلة الاولين فنزلت هذه السورة تبيين لهم وقت بعثهما ثم عند انشقاق
السماء ومد الارض ونحوه ثم ذكر الجواب في ابتداء السورة ليكون الماء ذكر لما لانه يكون ادعى لها واذا ذكر في وسط
السورة لم يحفظ الا بالتلاوة ولهذا المعنى والله اعلم جعلت الم والر وكهيعص وطه دون السورة لان الكفرة كانت
من عادتهم الاعراض عن القران وترك الاستماع ليفهموا فابتدات السورة بما ذكرت من الرموز والاشارة ليحملهم ذلك
على الكفر فيه والنظر اذا لم يكن سبق منه العلم بمعرفة ما يراد من قوله الم والر ثم انشقاق السماء ومد الارض والقائها لما
جعل فيها ليعرفوا شدة ذلك اليوم فيخافوه ويستعدوا له وقوله عزوجل واذنت لربها وحقت قيل سمعت لربها و
اطاعت واجابت الى ما دعيت اليه ثم المراد من الاذن مختلف فجعل ان يعرف كل شئ الى ما هو الاولى به الا ترى ان ذلك
انا قلنا اذن الرجل لعبده في التجارة فلست تريد لعتراك اذن ما تريد بان اذنت لغيرك ان تبتاع لم نطعامك بل
تريد للعبد بالاذن الاطلاق بان يتجر حتى لو لم يفعل تلومه على ذلك وتريد بالاخر اباحة التناول قال الله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله وقال في موضع اخر وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله فكان المراد من الاذن في تخلقا
فثبت ان حقه ان يصله الى ما دعاه اليه اوجه وهو الى الطاعة والاجابة ههنا اوجه لذلك حملوه عليه وقوله عزوجل
وحقت اي حق لها ان تسمع وتطيع وجايز ان يكون الاجابة منصرفة الى اهلها ثم نسب اليها ذلك وان كان المراد منه

لا مهل كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ولا يوجد من القرية عتو وانما يوجد من اهلها فان كان كذلك
فتنبيه انه لا يتخلف احد من الاجابة الى ما دعاه اليه الرب تعالى خلافا على ما كانوا عليه من الدنيا فان كثيرا من اهل الدنيا
اعرضوا عن طاعته واشتغلوا بمعصيته ثم الاجابة والطاعة والطلوع والكره ومثل هذه الاوصاف اذا اضيفت الى
من هو من اهل الاختيار فهو على الطلوع المعروف والاجابة المعروفة واذا اضيف الى من ليس هو من اهل الاختيار فهو
على بقيين الهيئة على ما عليه الخلقة نحو الارض يوصف بالحيوة اذا انبتت ويوصف بالموت اذا يلبس عليها وصار
منهشمة فواديها انهما صارت بهيئة لو وجدت تلك الهيئة في ذوى الروحانيين الصنار داخل على الحيوة والاخر علما
لوفاته وقال تعالى ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وهما لا يوصفان بطوع ولا كره خلقتا على هيئة لو وجدت تلك الهيئة فيمن وصف بالطوع
والاكراه كان ذلك منه طوعا وقال ابرهيم عليه الصلاة والسلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس في الحقيقة
لا تضل ولكنها ان نشئت على هيئة لو كانت تملك الاضلال بعد ذلك منها اضلالا وقوله عز وجل واذا الارض
مدت قيل بسطت وسويت بكسر الشعاب والاودية بالجبال او بما سافيها فانما صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا وقوله عز وجل والقت ما فيها وتخلت اى القت ما دفن فيها من الموتى والكنوز فتخلت عنها فثبت
التخلي اليها وان كان من فيها هو الذى يخلو عنها وكانت هى الحابسة لانه اذا خلا عنها خلت هى عنه وقوله عز وجل
يا ايها الانسان انك كادح الكادح هو الساعى وهو الذى اعتاد ذلك وهذا في كل الانسان تراه ابدا ساعيا
اما في عمل الخير وعمل الشر وفيما ينفعه او فيما يضره حتى لو رام بترك السعي لم يقدر لان ترك السعي نوع من السعي وروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حين تلا هذه الاية انا ذلك الانسان فهذا البيان انه هو المخصوص بالخطاب
لانه بين الناس فقال فاما من اوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه بشماله ولا يجوز ان يكون هو المراد بهذا كله
فكل احد على الاشارة مراد بقوله تعالى يا ايها الانسان فذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم انا ذلك الانسان وقوله
عز وجل الى ربك كدحا فجايز ان يكون معناه ان اجعل كدحك الى ربك فان تسعى في طاعته وطلب مرضاته
فانك ملاقيه لا محالة اى تلاقى جزاء عملك ان خيرا فخير وان شرا فشر وجايز ان يكون الملاقاة كناية عن
البعث ذا البعث قد يكنى عنه بلقاء الرب قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه وسمى ذلك اليوم يوم المصير
الى الله تعالى ويوم البروز بقوله تعالى وبرزوا لله جميعا ووجه التسمية بهذه الاسامى ما ذكرنا ان المقصود من
خلق العالم العاقبة فسمى بروزا الى البروز انشئ وسمى مصيرا الى الله تعالى لمصيرهم الى ما له خلقوا وان كان الخلق
كلهم بارزين له قبل ذلك ولم يكونوا عنه غائبين فيصيروا اليه خصوصا الى ذلك اليوم وقوله عز وجل فاما من اوتى
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فسماه حسابا يسيرا لوجوه احدها ان المؤمن اعتقد تصديق الرب في كل
ما دعاه اليه واذا كان على التصديق يسهل عليه تذكير ما قد عمله فيتذكر الجملة ووجه اخر انه اذا نظر في كتابه راى حسناته
مقبولة وسيئاته مغفورة فسمى ذلك اليوم يسيرا لما اثبت فيه من الحسنات عند من السيئات كما سميت الجزاء
يسرى وسمى ما يجرى عليها يسيرا ايضا فكذلك الدعاء في كتابه بيمينه يجرى عليه الخير فيسمى حسابا يسيرا وجايز ان
يكون المسلم يحاسب فان يذكرنا انعم عليه في الدنيا ولا يحاسب حساب توبيخ وتهويل بان يقال له لم فعلت كذا
والكافر يسال سؤال توبيخ فيقال له فعلت كذا على الاختيار بما فعل وفي ذلك تشنيع عليه وروى عن عايشة رضى الله
عنها انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نوقش في الحساب فهو معذب وفي بعضها من حوسب عذب
قالت يا رسول الله اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا قال يا عايشة ذلك
العرض ولكن من نوقش الحساب هلك قال الفقيه رحمه الله في ظاهر قوله عليه الصلاة والسلام من نوقش الحساب
عذب دفع لما قالته عايشة رضى الله عنها لان الفهم من قوله عليه السلام من نوقش الحساب غير الفهم من قوله
تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فليس في قوله ظاهر جواب لها وكان الظاهر من الكلام الاول على ما فهمته القائل
رضى الله عنها ولكن وجه الجواب فيه ان قوله عليه السلام من حوسب عذب وقوله عز وجل فسوف يحاسب ليس
على كل الحساب وانما هو على الحساب الذى لا يناقش فيه فاما الذى هو عرض فليس مما يعذب عليه فيكون فيه ايانه
انه لا يفهم بالخطاب العام عموم المراد كما فهمته عايشة رضى الله عنها بل يجوز ان يكون الخطاب عاما والمراد منه
خاصا وقوله عز وجل وينقلب الى اهله مسرورا وقال في شان الذى اوتى كتابه وراء ظهره ويصلى سعيرا انه كان
في اهله مسرورا فهذا لان المسلم انما عمل على قصد تحصيل النفع لنفسه في العاقبة ويكون معنية له على
امور الاخرة فحصل له ذلك النفع باجازه السرور الدائم بذلك والكافر انما عمل للمنافع الحاضرة وسيرتهم سرورا

انشاه

انشاه السرور وامر العاقبة فحق عليه العذاب لترك السعي للاخرة لا للسرور باهله وهو كقوله تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية والكل منا يريد العاجلة ولا بد له منها لكن الذى يصلى جهنم هو
الذى ابتغى العاجلة ابتغاء انشاء ذلك على الاخرة فكذلك المسرور باهله انما حلت به النقمة لما منعه السرور عن
النظر للعاقبة لا لنفس السرور اذ كل منا هل لا يخلوا عن السرور باهله والله اعلم وقوله عز وجل واما من اوتى
كتابه وراء ظهره فالاتيان من وراء الظهر يحتمل وجهين احدهما ان استقذره منه بحيث منظره فاوتى من وراء
ظهره مجازاة له بما سبق من صنعه وصنعه انه نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهره وترك اوامره ونواهيه كذلك
وراء ظهره فجوزى ايضا بدفع كتابه وراء ظهره ودفع الى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه من المحاسن والبركات
واليمين انشئت يستعمل في البركات وانواع الخير وسميت ايضا باسم مشتق من اليمين والبركة والشمال جعلت
لتستعمل في الاقذار والانجاس فدفع كتابه من حيث عمله اليه بشماله ايضا او من وراء ظهره لان اهل
الايمان تلقوا امر الله تعالى ونواهيه واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل ومن وراء تعظيم الاخرة في الشاهد
تبجيله اخذه بيمينه فجوزوا في الاخرة بالتعظيم لهم بان اوتى كتبهم بايمانهم واما الكافر فانه استخف بامر الله
تعالى وطاعته فجوزى في الاخرة بان اوتى كتابه بشماله التى يستعمل في الاقذار اهانة وتحقيرا وقوله عز وجل
فسوف يدعوا ثبورا الثبور والويل حرفان يتكلم بهما عند الوقوع في المهالك فيكون في ذكر الثبور ذكر وقوعه
في المهلكة التى يحق له دعاء الثبور والويل على نفسه دعا به او لم يدع على سبيل الكناية عن الوقوع في المهالك
وهو كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فالضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن فمعناه
انه يستقبله ما يحزن له طويلا وان كان هناك بكاء او لم يكن وقوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى فيه دلالة انه
انما حل به ما ذكر من العذاب لانه كان للبعث ظانا ولم يكن به متيقنا وكذلك الله سبحانه وتعالى حيث قسم الى
الوعيد للعز يقين ذكر في اخره ما يبين ان الذى اوجب بالغداة هو الكذب وذكر الوعيد ههنا وبين ان الذى
يحل به هذا الوعيد هو الذى كان ظانا بالمعاد ولم يكن متحققا وقال الله عز وجل فاما الذين فسقوا فماويهم
النار الى قوله وذوقوا عذاب النار التى كنتم به تكذبون فتبين ان الوعيد في المكذب باق وقال تعالى تلفح
وجوههم الى قوله فكنتم بها تكذبون ليعلم ان الوعيد اللازم في المكذب خاصة فيكون فيه دفع المعتزلة اذ
اهل الكبائر يخلدون في النار وقوله عز وجل ان ربه كان به بصيرا اى كان بصيرا بما سبق من اعماله الخبيثة
فيحاسب على علم منه بما كسبت يداه ويعذبه على علم منه باكتسابه ما استوجب من العذاب خلافا لامر ملوك
الدنيا انهم يحاسبون في تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب ويعذبون على تعريف الغير لهم ما استوجب به
التعذيب لا على علم منهم بذلك او يكون معناه انه كان به بصيرا في الازل انه ماذا ينقلب امره الى النار او الى الجنة
فخلقه على علم انه يعادى اولياءه ويعمل بمعاصيه وللقائل ان يقول بان المرء في الشاهد لا يشرع بالامر الذى
يعلم انه في العاقبة يضره ولا ينفعه ولو شرع فيه واتمه كان مذموما عند الناس ولم يكن محمودا في حكمته فان انشا
عدوه وهو عالم انه يسعى في معاداته فجوابه والله اعلم ان الذى يشرع في الامر الذى علم ان اتمامه يضره لذلك
ولا ينفعه انما لحقته المذمة بما سعى في اضرار نفسه فاما الذى اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر به فانما اكتسب
الضرر على نفسه خاصة بان اوقعها في المهالك ولم يضر غيره لذلك لم يلحقه المذمة في خلقه وانشائه وفي
هذا دلالة ان الله حيث خلق الخلق لم يخلقهم لمنفعة له ولا لمضرة يلحقه من جهتهم بل لمنافعهم ومضارهم
راجعة الى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل فلا اقسم بالشفق فمنهم من حمل قوله فلا على دفع ما نازعه
رفعت فيما بين القوم على ما نذكر في سورة لا اقسم ان شاء الله وانما القسم قوله عز وجل اقسم ومنهم من حمل
لا بحق الصلة فان كان على الوجه الاول لم يحرف حرف لا من الكلام بل حقه ان يقرا فلا اقسم وان كان بحق
الصلة استقام من حذفه كما قرا بعض القراء فلا اقسم بالشفق ثم الشفق هو اثر النهار فجايز ان يكون
القسم واقعا على النهار كله وان كان ذكر طرفا منه والثانى ان الشفق يجتمع فيه اثر النهار وهو النور الذى فيه من
الشمس وهى الحمرة التى يكون فيه فيكون القسم واقعا على النهار بما فيه كما كان واقعا على الليل بما فيه بقوله والليل وما
وسق فيكون فيه حجة لقول ابى حنيفة رضى الله عنه ان وقت العشاء لا يدخل حتى تغيب الشفق لان وقتها يدخل
بغيبوبة الشفق والشفق وجدناه مشتملا على البياض والحمرة فالم يتم الغيبوبة لم يجى وقتها الا ترى ان الصلوة التى
يلى المغرب لا يدخل وقتها حتى يتم غروب الشمس فعلى ذلك الصلوة التى يلى المغرب الشفق لا يدخل وقتها حتى يتم الغيبوبة
وقوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى فيه دلالة انه انما حل به ما ذكر من العذاب لانه كان للبعث ظانا ولم يكن به متيقنا

وكذلك الله سبحانه وتعالى حيث قسم الوعد الفريقين ذكر في اخره ما سبق ان الذي اوعد بالعذاب هو الكذب
وذكر الوعيد ههنا وبين ان الذي يحل به هذا الوعيد هو الذي كان ظانا بالميعاد ولم يكن متحققا وقال الله
عز وجل فاما الذين فسقوا فماويهم النار الى قوله وذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون فتبين ان الوعيد
في المكذبين وقال تعالى تلفح وجوههم الى قوله تكذبون ليعلم ان الوعيد الدائم في المكذبين خاصة ثم
فيكون فيه دفع المعتزلة ان اهل الكباير يخلدون في النار وقوله عز وجل ان ربه كان به بصيرا اى كان بصيرا بما
سبق من اعماله الخبيثة فيحاسبه على علم منه بما اكتسبت يداه ويعذبه على علم منه باكتساب ما استوجب من العذاب
حلوا فالامر ملوك الدنيا انهم يحاسبون على تنكيل الغير لهم ما عليه من الحساب وقوله عز وجل والليل وما وسق
قال بعضهم وسق اى وما وسق وجمع معه الظلمة والنجوم والدواب وغير ذلك والوسق الحمل يقال وسق بعير اى
حمل بعير وقال بعضهم وسق اى جمع وساق كل شيء الى ما راه من الطير والسباع فذكر النهار والليل لما فيهما
من المنافع وقوله عز وجل والقمر اذا اتسق فالاتساق الاجتماع ومعناه استوى ويحمل اذ ذلك اجتماعه وذلك
في ليالي البيض وقال ابو بكر الاصم معناه انه جمع وسوى بعد ان كان كالعرجون القديم فنذكرهم نورته ليعلم انه
قادر على بعثه وقوله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق قرئ بنصب الباء ورفعها وكلا القراءتين في المعنى
لاحد ان كان في الظاهر احدهما للجمع والاخرى للافراد واحرى القراءتين بحرف الجمع ليذكر بالوقوع فان
قوله لتركبن منصرف الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما اليس في قوله عز وجل يا ايها
الناس انك كادح اشارة الى شخص بعينه ولكن المراد منه الجملة فثبت ان الخطاب منصرف الى الجملة ثم
قوله لتركبن طبقا عن طبق قيل حالا بعد حال ثم يحتمل ان يصرف الى دار الاخرة فكانه قال لتركبن حال الاخرة
بعد حال الدنيا فيكون فيه تصحيح القول على ايجاب البعث ويحتمل ان يكون ذلك في الدنيا فينتقل الى حال
المضغة بعد كونه نطفة الى حال العلقة والى حال الطفولة الى ان يبلغ اشده فلا يزال يركب حالة بعد
حالة فيكون في نقله من حال الى حال ايانه انه لم يرد من انشائه ان يتغير عليه الاحوال فقط بل اريد به العاقبة
التي منها انشاء الخلق حكمة لا عبثا فيكون قوله لتركبن منصرفا الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار
على شخص واحد لما ذكرنا ومنهم من قال انما اراد بهذا الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عن ابن مسعود
رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه لكن قال ابن مسعود رضي الله عنه لتركبن يا محمد وقال ابن عباس
رضي الله عنه لكن قال ابن مسعود رضي الله عنه لتركبن يا محمد وقال ابن عباس رضي الله عنه لتركبن السماء
حالا بعد حال فان كان التاويل على ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه ففيه بشارة له باسلام قومه
واجابتهم له فيقول انهم سيطيعونك ويصيرون لك انصارا بعد صدهم الناس عن الايمان وحقوقهم اياك ومن
قال لتركبن سماء بعد سماء فيقول ذلك ليلة اسري به والتاويل الاول الاقرب لان موضع القسم في قوله لتركبن والاسراء
لم يكن يعرفه قومه حتى يكون في ذكره دفع الاشتباه عنا وكذلك العوم فاما ظهور الاسلام ودخول الناس على اعدائه
ثم ايتنا هو الناس فيتحقق في الاخرة ما اخبره النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيب فيكون تاكيد الرسالة فلذلك قلنا
ان الحمل على المعنى الاول احق والله اعلم وقوله عز وجل فما لهم لا يؤمنون الاصل ان كل من اعتقد مذهبا فانما يعتقده
بحجة تعترضت عنده او شبهة اعترضت له ظنها حجة فاما ان يعتقده جزافا فليس يفعله تعالى الله تعالى فهؤلاء
فما لهم لا يؤمنون اي اي حجة لهم يمنعهم عن الايمان بالله تعالى ورسوله ويدعوهم الى الشرك والتكذيب به ثم قد ذكرنا
ان ما خرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقه ان ينظر ما يقتضي ذلك الكلام من الجواب ان لو كان من مستفهم فيحمل
الامر عليه وحق جواب هذا الكلام ان يقول لا شيء يمنعه عن ذلك فقوله فما لهم لا يؤمنون اي حجة لهم فيما اختاروا من
الشرك وانما يتدينون به تشهيا وتمنيا فيكون هذا على النفي فان لا حجة لهم اذ كان يخاطب رسوله عليه الصلاة و
السلام فيقول سلهم لماذا لا يؤمنون واذا سالهم لم يجدوا لانفسهم حجة في الاعراض عن الايمان فيرجع الامر الى
ابتغاء الحجة ايضا ثم المعتزلة احتجت علينا بهذه الاية في تثبيتهم القدرة قبل الفعل وزعمت انه لو لم يكن اعطي قوة
الايمان لم يكن يعاتب على تركه لانه لا عذر للعبد اعظم من ان يقول اذا قيل له لم لم تؤمن فيقول لاني لم اقدر عليه ولان
قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون حرف تعجيب ولو كان القوة ممنوعة قبل الفعل لكان له ان يقول انما لم اؤمن لاني منعت
عنه فيرتفع عنه التعجيب فدل انه اعطي القوة فلم يبق له في التخلف عن الايمان عذر والجواب عن الفصل الاول انه
الكافر اذا الحقته كلفة الايمان لانه هو الذي ضيع القوة باختياره فعل الكفر وانما يرتفع الكلفة اذا منعت عنه الطاقة
فاما اذا كان هو الذي ضيعه فالكلفة عليه قائمة والاصل ان القدرة في الصحيح السليم يحدث ساعة على قدر حدوث

على العبادة

على العبادة وميله اليها ثم العبد متى اشتغل بفعل صار مضيعا للقوة من الافعال لانه كان ممنوعا عن الفعل الذي
هو ضده مثل ذلك ان الكافر لما اشتغل بالكفر صار باختياره الكفر مضيعا القوة للايمان لانه صار ممنوعا عنها
لذلك الحقته كلفة الايمان واما ما ذكر من امر التعجيب فقد وصفنا وجه التعجيب في ذلك وهو انهم لم
يلزموا الكفر بحجة دعتهم اليه العقول به والمرء اذا قال من شيئا فلابد له من حجة وبرهان فيتعجب الخلق باختيارهم
الكفر لا عن حجة ثم لو كان الامر على ما ظنت المعتزلة ان الله تعالى قد اعطاهم جميع اسباب الهداية فلم يبق
في خزائنه شيئا منعه عنهم لكان التعجيب راجعا اليه لا الى الذين لا يؤمنوا فيقول الى الاصل اليها بينهم و
لم يبق عنده شيء به هداهم الا وقد اعطيته لان يتعجب الخلق عن صنيعهم فليس الذي اختاروه في القول
سوى وصفه رب العالمين بالعجز والعاجز لا يصلح ان يكون ربا والله الموفق وقوله عز وجل واذا قرئ عليهم
القران لا يسجدون فمنهم من صرفه الى السجود الصلاتي والمراد منه عندنا سجود التلاوة وهو سجود الانابة
والخضوع على الشكر لما اكرم المرء من الايمان وهو حاله لان سجود الصلاتي يكون عند فعل الصلاة لا عند ذكر
التلاوة ثم في الاية دلالة وجوب السجدة على السامع لان الله عز وجل عيرهم بتركهم السجود عند ما يتلى عليهم والتعيير
والتفريع يجري في ترك اللازم لا في المنهي ولان المعنى الذي له وجب السجود على التالي قائم في السامع ان
التالي انما لزمه السجدة لما ذكرنا من ايات الله تعالى قامت عليه الحجة فلزمه ان يخضع له وقوله عز وجل بل الذين
كفروا يكذبون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يكذبون رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لما حملهم ذلك على التكذيب بالقران و
لانهما ذكر ان ... لم يعيدوا فوقهما ... لا يكون الا من الاخبار ولا يكون في الاخبار معنى يحملهم على التكذيب
بل القران يحملهم على التصديق والايمان لو تاملوا النظر فيه وبدلوا من انفسهم الانصاف او يكون معناه ان الذين
كفروا هم المكذبون فيكون الكفر منهم تكذيبا والتكذيب منهم كفرا وقوله والله اعلم بما يوعون يحتمل وجهين
احدهما ما يعتمدون من المكايد والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فالله اعلم بكيدهم بهم يا ايها الهم ان يغفل واكيدهم
فيه الا ما كتبه الله عليه فيكون فيه بشارة بالنصر والتاييد والثاني والله اعلم بما يوعون في قلوبهم من الشك
ويظهرون من التكذيب بالسنتهم وبما يخرجون من التكذيب بالسنتهم وقلوبهم معا لان البعض منهم قد
ايقن برسالته لما كان يصدق بقلبه ويكذب بلسانه عند الفلاد منه والبعض منهم لم يكن عرف صدقه بقلبه
لما ترك الانصاف من نفسه باعراضه عن النظر في حجج الله تعالى فلما كان يكذبه بقلبه ولسانه جميعا وقوله عز وجل
فبشرهم بعذاب اليم فالبشارة اذا اضيفت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا واما البشارة المطلقة انما يستعمل
في موضع ادخال الفرح والسرور في القلب وقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فجاز ان يكون منصرفا الى الذين
امنوا ويجوز ان يكون منصرفا الى من امن من الذين كانوا يوعون ما ذكرنا وقوله لهم اجر غير ممنون ذكره فيما تقدم والله والنبوة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والسماء ذات البروج فقوله ذات البروج على القسم وكذلك ما ذكر عقيبه ثم اختلف في موضع القسم
في هذه السورة فمنهم من ذكر ان القسم لما كان قوله قتل اصحاب الاخدود ومنهم من يقول القسم موضعه على قوله
ان بطش ربك لشديد وهو اشبه لانه في موضع الاحتجاج على الكفرة واحسن القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود
وكان ذلك منصرفا الى المؤمنين والمسلمون قد يتعنوا بصدق ما ياتي به الرسول من الانباء والقسم يذكر على تاكيد
ما يقصد اليه ليزال عنه الريب واذ كان المسلمون غير مرتابين في بنايته استغنوا عن تاكيده بالقسم فلذلك
قلنا ان صرفه الى قوله تعالى ان بطش ربك لشديد فيكون فيه تحذير لمن كذب رسوله صلى الله عليه وسلم ان بطشه
لمن كذب رسوله لشديد قد علموا ذلك بما وصل اليهم من نبا عاد وثمود وفرعون وقومه وخافوا ان يكون موضع
القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود وذلك ان اهل مكة كانوا من اهل تعذيب لمن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان
في ذكر ما نزل بالمتقدمين من الفراعنة من العذاب وصبروا ولكن المعذبين على دينهم وظنهم به وحسن ثناء
الله عليهم تصبيرهم وتهوين على ما يلقون من العذاب لينالوا من حسن ثناء الله تعالى لهم ما ناله من تقدمهم من
السلف وذلك سحرة فرعون واحسن الثناء عليهم بصبرهم على تعذيب فرعون فقالوا اقض ما انت قاض انما
تقضي هذه الحيوة الدنيا ليكون عونا لهم على الصبر بما يلقون من الكفرة من التعذيب ثم اكد الامر بالقسم لانه لا كل
مسلم يبتلى بتعذيبهم فيبلغ بعينه مبلغا لا يعتريه الشك ولا يختلجه شبهة في ذلك فاكد الامر بالقسم لرفع الريب
والاشكال وقال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي بعض القراءات قتل معه ربيون كثير وخافوا هنوا

ما امنا بهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا فذكر المؤمنين ما لقي السلف من الكفرة وابتلوا بقتل الرسل
وثباتهم على الدين ليستعينوا به على ما يصيبهم في سبيل الله ولا ينقلبوا على اعقابهم اذا اخبر بقتل النبي وفي ذكر هذه
الانباء دلالة ان قول الرسول عليه السلام لعمار رضي الله عنه ان عادوا فعد حين اكره على اجراء كلمة الكفر على لسانه
فاجرى وقلبه مطمئن بالايمان ليس على الامر به والايجاب عليه والتحصيل بطريق العزم بل معناه ان عادوا فالعود
على سبيل الرخصة لانه لو كان على الامر لم يكن في ذكر نبأ اصحاب الاخدود وسحرة فرعون فائدة سوى ان يترك العمل
بها ومعلوم بان تلك الانباء انما ذكرت ليعمل بها لا ليترك بها العمل لذلك حمل قوله فعد على الرخصة لا على الامر
ويكون المراد من قوله عليه السلام ايضا من لم يقبل رخصنا كما يقبل عزائمنا فليس منا اي لم ير العمل به موسعا بل اسكن
والمجبول له لان يكون امر بترك العزيمة والتجاوز بالرخصة والله اعلم ثم يرجع الى قوله تعالى والسماء ذات البروج
فقال بعضهم هي البروج المعروفة وهي اطراف السماء واذا بنا بناء اتخذ على طرفه برجا ليستمد بناؤه به وبعضهم من
قال البروج القصور ومنهم من قال البروج النجوم العظام وجعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وزينة
السماء هي الكواكب بقوله بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد ومنهم من قال هي مجاري الشمس والقمر
والكواكب فمنازلها هي البروج ليعرف حدثها ودخولها تحت تدبير الغير اذ ذكرها بالمنافع المجعول فيها ليعلم الخلق
انها سخرت للمنافع فيعرفوا بها حدثها انها لتسخر لمنافع الغير داخل تحت قدرة من سخره والمقدور محدث وهم لم
يشهدوا بدوها ليعرفوا بها حدثها ولا كل احد يعرف حدثية الشيء لكونه محدودا في نفسه اذا لم يشاهد ابتداءه فذكر
حيث ذكرها بما فيها من المنافع المجعولة للخلق اذ ذلك اظهر وجوه الدلالة على الحدثية ليعلموا بها حدثها الا ترى
ان ابراهيم صلوات الله عليه احتج على قومه بنفي الالهية عن الكواكب بافولها اذ ذلك اظهر وجوه الحدثية ثم
لم يحتج عليهم بانتقالها من موضع الى موضع ولا بكونها محدودة في نفسها بل احتج عليهم بما ذكرنا ليتحقق
عندهم حدثها ودخولها تحت سلطان الغير وقوله عز وجل واليوم الموعود قيل هو يوم القيامة يسمى موعودا
لما وعد من جميع الاولين والاخرين وذلك اليوم ثم اقسم بذلك اليوم وان كانوا منكرين له لما قرره عليهم بالحجج
والبراهين المقبول به وقيل اليوم الموعود هو كل يوم ما في فيأتي بما وعد فيه من الرزق وغيره والله اعلم وقوله
عز وجل وشاهد ومشهود واختلف في تاويله فمنهم من قال الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو الخلق واستدل
على ذلك بقوله كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل الشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم والمشهود
امته قال الله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ومنهم من يقول
الشاهد هو الكاتبان اللذان يكتبان على بني آدم اعمالهم والمشهود هو الانسان الذي يكتب عليه ومنهم من
يقول الشاهد والمشهود هو الانسان نفسه اي جعل عليه من نفسه شهودا بقوله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ومنهم من يقول الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة سمي يوم الجمعة
شاهدا لانه هو الذي يشهدهم ويأتيهم وسمي يوم عرفة مشهودا لان عرفة اسم مكان والناس يأتونها ويشهد
بها ولا يأتيهم فعظم شان عرفة لما يعظمها اهل الاديان كلها وعظم يوم الجمعة لانه يوم اعياد المسلمين ولكل
اهل دين يوم يعظمونه واكرم الله تعالى المؤمنين بهذا اليوم ليعظموه فكان اليوم الذي يعظمه غيرهم من اهل الاديان
فاقسم بها وقوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود واختلف في تاويله فمنهم من صرفه الى المعذبين ومنهم من صرفه الى
المعذبين حمل قوله قتل على اللعن اي لعنوا كقوله تعالى قتل الخراصون اي لعنوا ومن صرفه الى الذين عذبوا حمله على القتل
المعروف ثم اختلف في قصة اولئك الذين عذبوا فان كان القسم في الكفرة فما ينبغي ان يفسر على وجه من ذلك ما لم
يتواتر فيه الخبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم لانهم وجدوا موافقة للانبياء المذكورة في كتبهم وقد علموا انه لم
يصل الى معرفتها الا بالله تعالى اذ لم يره يختلف الى من عنده علم الانباء ليصل الى معرفتها بهم فاذا فسرت على وجه امكن
ان يقع فيها زيادة او نقصان على ما ذكروا في الكتاب فيجدوا به موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع ان يزاد على
القدر الذي جرى ذكره في الكتاب الا من الوجه الذي ذكرنا وان كان القسم في المؤمنين وسع القول بجمل الانباء
التي ذكرها اصحاب التفسير لانه يرتفع المعنى الذي ذكرنا في الكفرة والله اعلم ثم ذكر هذه الانباء فيقرر رسالته ونبوته
عليه الصلاة والسلام لما ذكرنا انه لم يختلف الى من عنده علم هذه الانباء ليعلم به فاذا انبأهم على وجهها يتقنوا انه
بالله وفيه الى الله تعالى اذ لم يره يختلف الى من عنده علم الانباء ليصل الى معرفتها بهم فاذا فسرت على وجه امكن ان يقع
فيها زيادة او نقصان على ما ذكروا في الكتاب فيجدوا به موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع ان يزاد على القدر الذي
جرى ذكره في الكتاب الا من الوجه الذي ذكرنا وان كان القسم في المؤمنين وسع القول بجمل الانباء التي ذكرنا

اصحاب

اصحاب التفسير لارتفاع المعنى الذي ذكرنا في الكفرة والله اعلم ثم ذكر هذه الانباء تقرير رسالته ونبوته عليه الصلاة
والسلام لما ذكرنا انه لم يختلف الى من عنده علم هذه الانباء ليعلم به فاذا انبأهم على وجهها يتقنوا انه بالله وفيه
تبصير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخفيف الامر عليه لانه يخبره ان قومك ليسوا باذل من اولئك وعاندوك بل
لم ينل سلفهم تلك عادتهم باهل الاسلام وفائدة اخرى ما ذكرنا ان في ذكره بعض ما يستعينون به من ابتلي باذى
الكفرة وفيه ان اولئك الكفرة بلغ من ضنتهم بدينهم ما يقاتلون عليه من اظهر مخالفتهم في الدين ليعلموا ان القتال
لكان الدين ليس بامر شاق وخارج من الطباع جعلت على القتال مع من عاداهم في الدين فيكون فيه ترغيب المسلمين
على القتال مع الكفرة اذا امتحنوا والله اعلم وقوله عز وجل النار ذات الوقود فمنهم من جعل الوقود من الذي فيها من
المؤمنين ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي عذبوا بها وقوله عز وجل اذ هم عليها قعود اي عظماؤهم وكبراؤهم
جلوس عند الاخدود وتفسيره ان اتباعهم هم الذين كانوا يتولون لقاء المؤمنين في النار وكبراؤهم جلوس هنالك
وقوله عز وجل وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يحتمل وجهين احدهما ان يكون الشهود هم العظماء والفراعنة و
او يكون منصرفا الى الاتباع كانوا يلقون المؤمنين في النار ويشهدون انهم على الضلال وانهم ورؤساؤهم على
الهدى والحق وهو كما قال في موضع آخر ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وقوله عز وجل
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي فذكر الحميد ليعلم انه لا يلحقهم ذل بما يحل من الذل باوليائه و
اهل طاعته ولا في حمده نقص ويقهرهم اولياءه خلافا لما عليه ملوك الدنيا وذلك ان الملوك الدنيا اذا حل باوليائه
واحد منهم ذل كان الذل حالا فيه ايضا واذا قهر بعض اتباعه فترك نصرهم وهو قادر على نصرهم واستعادتهم
لم يحمدوا ذلك منه ولحقته المذمة وذلك لان الملك انما استفاد العز باتباعه وانصاره فاذا استبدل اتباعه
ذل ما به نال العز فلحقه الذل ونال الحمد ايضا بالاحسان الى مملكته فاذا ترك نصرهم وهو ممكن من ذلك فقد ترك
احسانه اليهم فصار به غير ممدوح ومحمود والله تعالى استحق العز والحمد بذاته لا باحد من خلائقه فلم يكن قهر لا
اوليائه مما يوجب النقص في وصف الحمد ولا مما يوجب قصورا في العز والثاني ان الدنيا وما فيها انشئت للاهلاك
ولعل الاهلاك انما ذكر ايش عليهم من هلاكهم حتف انفسهم وكان في ذلك النوع من الهلاك نيل درجة الشهداء
وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم الاية ولا ينال تلك الدرجة
بموتهم حتف انفسهم فهذا ابلغ نصرا منه ايام ثم الجزاء والعقاب والدار الاخرى فيها يظهر عز الاولياء وقهر الاولياء
فلم يكن في ترك النصر في الدنيا ما يوجب وهنا ولا ذلا واما ملوك الدنيا اذا تركوا نصرهم وقت ملكهم لاوليائهم لم يتوقع
منهم النصر بعد ذلك اذ ليست في ايديهم الا المنافع الحاضرة لذلك لحقتهم المذمة بترك النصر والله اعلم ثم ليس في اهلاك
اولئك القوم الذين امنوا واقتدارهم عليهم ابهام انهم كانوا على الحق والصواب وان المؤمنين كانوا على الخطاء لان
الاهلاك انما يصير اية اذا كان على خلاف المعتاد واهلاكهم لم يكن كذلك لان عددهم كان كثيرا وكان في المؤمنين
قلة واهلاك الكثير للقليل غير مستبعد بل هو امر معتاد وغلبة الفئة القليلة الفئة الكثيرة هي التي يخرج من حد
الاعتياد فيكون فيها اية ان الفئة القليلة على الحق والاخرى على الباطل وذلك نحو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ومن معه من المسلمين مع قلة اعدادهم وضعفهم في انفسهم وكثرة اتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم في
انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وما نقموا منهم الا لم يكن من المؤمنين بكا انهم جرم من ينتقم منهم بالاحراق سوى
ان امنوا بالله تعالى وقيل ما عابوا عليهم وما انكروا منهم سوى ان امنوا بالله تعالى وفي هذا تبيين سفههم وعتوهم
لانهم علموا ان ما لهم من النعم كلها من الله تعالى فكان الله الذي يحق عليهم ان يؤمنوا بالله تعالى ويشكروه بما خولهم من النعم
ويصرفوا غيرا الى الايمان به الا ان يقتلوا ويعذبوا من امن به ثم قوله عز وجل العزيز الحميد فالعزيز هو الذي لا وجود له
او هو عزيز لا يلحقه ذل فيكون العز مقابلا وقال اهل التفسير العزيز المنيع والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء وهو المستحق
للحمد من كل احد بذاته وقوله عز وجل الذي له ملك السموات والارض الاية تذكر هذا ليعلم انه لا يدخل في ملكه نقص
بقتل اوليائه وانصار دينه لان الخلق كلهم عبيد الله تعالى واما في السيد اذا قتل بعض مماليكه بعضا لم يلحق
السيد بذلك ذل ولا نقص وانما يلحقه الذل اذا قتلهم غير مماليكه فاذا كان الخلق باجمعهم عبيد الله تعالى لم يكن في قتل
بعضهم بعضا نقص يدخل في ملكه وقوله عز وجل والله على كل شيء شهيد اي يحفظ عليهم اعمالهم فيجازيهم بها لا يعزب
عنه شيء وقوله عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات الفتنة وهي ماخوذة من فتن الذهب اذا اذيب لانه يذيبه م
يبين ما خبث منه مما صفا ويبين الذهب ويبين ما ليس بذهب فاستعملت في موضع الفتنة لان المحنة هو الابتلاء يتبين
بها الصادق من الكاذب والمحق من المبطل وذلك يكون بالامر والنهي فسمي الامر والنهي من الله تعالى امتحانا وان كان الله

لا يخفى عليه شيء ثم قتلهم انهم اتخذوا الاخاديد واوقدوا فيها النيران ليلقوا فيها من ثبت على الايمان ودام عليه ويتركوا الفناء من رجع عن دينه فقيل قتلوا لهذا وقوله عز وجل ثم لم يتوبوا ففيه انهم لو تابوا لكان يعفو عنهم ولا يعاقبون مع عظم جرمهم بربهم في ذات الله تعالى فيكون فيه اظهار كرمه وعطفه على خلقه وقوله عز وجل فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق الى الدنيا فقال بان تلك النار التي عذبوا بها المؤمنين سلط عليهم حتى احترقتهم وجايز ان يكون ذلك في جهنم ايضا فيكون فيه اخبار بان نار جهنم يدوم عليهم بالاحراق ولا يفتر عنهم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فمنهم صرف هذا الخطاب الى الذين عذبوا المؤمنين ومنهم من صرفه الى المعذبين وهو انهم لو امنوا مع عظم جرمهم وامتنانهم باولياء الله تعالى لكان يعفو عنهم ويسعهم رحمته وقوله عز وجل جنات تجري من تحتها الانهار فقوله من تحتها الانهار يحتمل وجهين احدهما من تحت اهلها والثاني من تحت اشجارها والجنة اسم لمكان التي فيها الاشجار الملتفة فيخبر ان الماء يجري من تحت ما به صارت جنة وهي الاشجار وليس يراد بقوله تحت الجنة اي تحت تربها لان تحتها يكون قناة او بئرا وليس بها كثير نزهة وقوله عز وجل ذلك الفوز الكبير والفايز هو الذي يظفر بما امل ونجا عما يخاف ويحذر ووصفه انه كثير لانه ليس لها انتهاء ولا زوال ولا انقطاع وقوله عز وجل ان بطش ربك لشديد اي اخذه للانتقام شديد فيشتد على الذي يعذب كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله عز وجل انه هو يبدئ ويعيد قال بعضهم يبدئ العذاب ثم يعيده وقال بعضهم يبدئ الخلق ثم يعيده بعد ما اماته وقوله عز وجل وهو الغفور الودود والغفور هو الساتر على المذنب ذنبه اذا تاب حتى لا يذكره ولولا ذلك لم يكن يعفو الله تعالى لا يخرج عن التعيير وقوله الودود والذي يتودد الى خلقه فيما ينعم عليهم ويحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم على انه جبلت القلوب على حب من احسن اليها ومن اساء اليها فجعل الاحسان سبب التودد و الثاني ان كل من واد اخر فالحق عليه ان يوده في الله تعالى لانه به قال ما بر يتودد قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فكانه يقول المستوجب المودة من الخلق وقوله عز وجل ذو العرش المجيد فمنهم من جعل المجيد نعتا للعرش ومنهم من جعله نعتا للعرش فهو مستقيم لانه وصفه في مكان اخر بالكريم بقوله لا اله الا هو رب العرش الكريم ويقرب معناه معنى الكريم لان الكريم هو الذي عظم قدره وشرفه والمجيد كذلك هو الشريف المعظم وعظم قدر العرش في قلوب الخلق وعلا حتى زعم بعض الناس انه مكان الرب تعالى والكريم في الشاهد هو الذي يطمع عنده وجود ما يرجى ويؤمل ويؤمن منه ما ينفي ويحذر وسمى الله تعالى النبات كريما بقوله فانبتنا فيها من كل زوج كريم لما فيه من عظم المنافع والكريم هو النافع للخلق وقوله عز وجل فعال لما يريد اي ما يريد تكوينه فيكون فيه ايجاب القول العباد وانه شاء لكل بعد ما علم انه يكون منه لانه امتدح جل وعلا بالفعل لما يريد ولو لم يثبت له صنع في افعال العباد لكان لا يختص هذا بل يكون كل واحد مستوجبا لهذا المدح فثبت انه لا يكون حقايق الاشياء الا بالله تعالى صنع فيه والثاني ان احدا شي في سلطان اخر وفي مملكته من حيث لا يشاؤه ولا يريده اية الضعف والقهر ومن ذلك وصفه لم يجيزوا ان يكون ربا لذلك لزم وصف الله تعالى بذلك وجايز ان يكون قوله تعالى فعال لما يريد اي البعث وهو انه انشاء هذا الخلق للعاقبة وهكذا فعل كل مختار انه يقصد بفعله العاقبة الا ان يكون جاهلا بها وقوله عز وجل هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود الاية فقد وصفناها في ذكر الانباء من الفوايد وقد ذكرنا ان فيها اثبات رسالته على ما تقدم ذكره غير مرة وقوله عز وجل بل الذين كفروا في تكذيب اي كفروا انعم الله تعالى فهم في تكذيب بانعم الله تعالى ولما جحدوا انعم الله تعالى لم يوفقهم للايمان بل جعلوا على التكذيب وقوله عز وجل والله من ورائهم محيط اي من وراء تكذيبهم محيط بما ينزل بهم من العقاب ليس بوعدهم عن غفلة وخيال كما يفعله ملوك الدنيا فهم يوعدون بالعذاب ولا يدرون انهم يتمكنون من ذلك ام لا والله تعالى ينزل عليهم على ما اوعدا ويكون قوله من ورائهم محيط اي عالم بما يسرون ويخفون عن الخلق لا يعزب عنه شيء وقوله عز وجل بل هو قران مجيد فسماه مجيدا وكريما وحكيما وهذه اوصاف من وصف بها في الشاهد فانما استحق الوصف بفعل وجد منه ولا يوجد من القران فعل يستحق به الوصف فالوصف به يحتمل وجها احدها ان يصير من يتبعه ويعمل بما فيه مجيدا حكيما كريما كقوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر به ويكون قوله مجيد كريم اي على الله تعالى وسماه كريما حكيما مجيدا لعظم قدره حكيما مجيدا لما يوجد منه لما يوجد من الكرماء والامجاد وقوله عز وجل في لوح محفوظ فمنهم من حقق اللوح والقلم وتر وصفه اهل التفسير ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح اي يظهر للملائكة من الامر لا على تحقيق اللوح وسميت الباطنية القلم المبدع الاول واللوح المبدع الثاني وجعلوا المبدع الاول علة كون المبدع الثاني وزعموا ان المبدع الاول بذاته انشاء الثاني فهو المنشئ له وسموا المبدع الاول بارديا والمبدع والثاني فالقا دخانا وسميت الفلاسفة المبدع الاول عقلا والثاني نفسا ثم حدث التوالد من الاثنين فانما جعلهم الاول

اصلا وعلة

اصلا وعلة ليسوا ما ذكروا فذلك يحتمل ان يجعل الاول علة للثاني كما استقام ان يجعل النطفة اصلا لخلق البشر ولكنه لا يجوز ان يسمى بواحد من الاسمين اللذين ذكرتهما الباطنية والفلاسفة لانه لا يجوز انشاء الاسماء بهذه الاشياء اختراعا بل تسميتها جاءت بها التسمية من عند الحجة وانما جاءت التسمية من عند الحجة باللوح والقلم فلا نسميها بغيرهما وقوله عز وجل محفوظ اي عن اعدائه فلا يتمكنون من تغييره وتبديله واخبر انه انزله على يدي رسول قوي فلا يقدر احد ان يغلبه فيخترق ما فيه ووصفه بالامانة في نفسه بقوله ذي قوة الى قوله عز وجل امين ليؤمن من تغييره بنفسه والله الهادي للعباد والموفق للرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والسماء والطارق ان الله جل وعلا عظم قدر السماء في اعين الخلق لما جعلها معدن رزقهم ومسكن اولي القدر من خلقه وهو الملائكة وفيها خلق الجنة وخلقها بغير عمد ترى فاقسم بها لما عظم من شانها وجعل مصابيح الاعين بزينتها وهي الشمس والقمر واقسم بالنجوم الثاقب وهو المتلالي من النجوم المضيء والذي يثقب الشيطان او يحرقه ولما فيها ايضا من عظم البركات وبركاتها انها جعلت بحيث يهتدى بها في البر والبحر ويوصل بها الى الطايف التدبير الى ان ظن بعض الناس ان الانجم السبعة هي المدبرات وبها ما منع الشيطان عن الصعود الى السماء لتبقى بها التلبيس عن الوحي لانهم لو لم يحفظوا عنها لكانوا اذا وقفوا على اخبارها اسرعوا نحملها الى الكهنة فيؤدي ذلك الى التلبيس ومن عظم قدرها انها يقطع في الليلة الواحدة مسيرة الف شهر فاقسم بها ايضا ويجوز ان يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله عليه الصلاة والسلام بان يقسم بها دون ان يكون ذلك قسما منه تعالى لم يكونوا يرتابون في الوحية وربوبية وصدق اخباره فزال عنهم الريب بالقسم وانما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فعلم العلم بما ذكر ليؤكدا امره فيحملهم ذلك على النظر في امره ويجوز ان يكون القسم بغير هذه الاشياء لكونها معظمة عند الكفرة وليس للمسلمين ان يقسموا فيما بينهم ان يكون القسم بهذه الاشياء هو القسم بخالقها فكانه امر بالقسم بخالق هذه الاشياء على الاضمار والله اعلم واختلف في تاويل الطارق فقال بعضهم ما يجيء به الليل يقال طرقته بالليل اذا اتيته وقال الزجاج الطارق هو الساكن يقال اطرق في الكلام مليا اذا وقف وسكن وقال بعضهم هو النجم يطرق بالليل ويخفى بالنهار وهو النجم الثاقب ذكره تفسير الطايف وقوله عز وجل ان كل نفس لما عليها حافظ اختلف في قوله ان قال بعضهم اريد به ههنا ما وقوله لما اصله صلة في الكلام فمعناه ما من نفس عليها حافظ وانما الحافظ على بعض دون بعض والثاني ان يكون الحافظ على بعض ما في النفس دون بعض وذلك البعض هو الذي يظهره فاما الذي تخفيه فانه لا يشهده كاتباه ومنهم من حمل قوله تعالى لما على الاستثناء فقال معناه ما من نفس الا عليها حافظ قال الزجاج حرف لما استعمل في موضع الاستثناء يقال في اللغة اقسمت عليك لما فعلت كذا فان كان معناه ما ذكر ففيه الزام التيقظ والتبصر والنفس من طبعها اذا سلط عليه ويحفظ احتشمت عليه الملكان ايضا مراقبها وحافظه ويكون متيقظة ولا يرتكب من الامور الا ما يعلم انه لا يلحقه التبعة من الحافظ فسلط عليه الملكان ايضا فيكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يقبل الا على ما فيه نفع العاجلة والاجل وسمى الله تعالى الملكين كراما كاتبين ومن صحب المكرم من الخلايق احتشم منه وتوقى من اتيان ما يستحيا من مثله ومن اراد ان يكتب لاحد كتابا لم يثبت في كتابه شيئا يوجد عليه ويلام به بل يحكم الامر ويفعله غاية ما يحتمله و الوسع فكان في ذكر الحافظ على الانفس الزام التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل قال بعضهم يحفظ عليها رزقها حتى يستوفي به فان كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها وقال بعضهم يحفظ عليها عملها خيرها وشرها وقوله عز وجل فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترايب فالاصل ان امعان النظر فيما خلق به الانسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة الى القول بهما وذلك ان النطفة التي خلق منها الانسان لو رؤيت موضوعة على طبق ثم رام احد ان يعرف وان ينتزع منها المعنى الذي يصلح ان ينشأ منها العلقة والمضغة وخلق منها الانسان لم يدرك ولو اجتمع الانس والجن على ان يتركوا عليها خارجة من جوارح الانسان لم يتهيأ لهم تركيبها او يعرفوا المعنى الذي يصلح ان ينشأ منه السمع والبصر لم يقفوا عليه فتبين ان الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه ولا يعجزه شيء وتبين لهم حكمته اذا لم ذلك الى القول بالبعث لانه لولا البعث والاحكام يخرج انشاء الخلق عبثا باطلا فيخرج عن ان يكون حكيما ولزمهم ان يصدقوا الرسل بجميع ما اخبرتهم به وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء

ولا يجوز ان يكون الانسان بكلية من النطفة مستحصنا فظهر انه لا يسع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك من
الاصناف ولا يجوز ان يكون ذلك عمل النسفة وانها اموات لا يحتمل ان يصير كذلك الا بتدبير مدبر عليهم فيكون
فيما ذكرنا ايجاب القول بحدوث العالم ولانها لو صارت مضغة وعلقة وخلقا سويا بطبعها لكانت لا يحال
نطفة الا وهي تنقل الى ما ذكرنا الا ترى ان النار لما كانت من طبعها الاحراق والثلج اذا كان من طبعه التبريد
لم يجز ان ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي انشئ عليه ثم قد وجدنا نطفا يخلو من هذه المعاني التي ذكرنا
فثبت انها تنقلت الى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبر لا بطبيعتها ثم الاعجوبة فيما فيه خلق الانسان ليست ما قبل من
الاعجوبة مما منه خلق وذكر ان الانسان خلق في الظلمات على ما اراد الله تعالى وصوره كيف شاء ولو اراد
احد ان يطلع على ذلك ويبصر مثله في حالة العيان لم يملك وجعل ذلك المكان فيما ينمو فيه الولد ويغذو فيه
خصوصا من بين سائر الاماكن ولو اراد حكماء الانس والجن ان يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنماء
والغذاء واعملوا فيه فنون العلم لم يعرفوا فيكفي فيما ذكرنا علم ان تدبيره ذاتيه لا يلحقها فناء ولا عجز وعلم
ان علمه ذاتي ليس بمكتسب فيتوهم خفاء الامور عليه **وقوله** عز وجل من ماء دافق يعني النطفة التي يدفعها
الرجل في الرحم والدافق مدفوق اي يدفق به كقولك ليل نائم اي ينام فيه وهم ناصب اي ينصب به وقال الزجاج ماء
دافق اي ذي اندفاق **وقوله** عز وجل يخرج من بين الصلب والترائب اختلف في تاويله فمنهم من يقول
بين صلب الرجال ترائب المرأة وهي الاضلاع الثمانية اربع عن يمينها واربع عن يسارها وقال بعضهم الترائب
هي الاطراف قال بعضهم الترائب ما دون التراقي وفوق الصدر ثم من الناس من صرف تاويلها الى الرجل خاصة
فقال قوله من بين الصلب والترائب اريد به صلب الرجل وترائبه وزعم ان الماء الذي يكون منه الولد ليس
مغترف من الصلب خاصة بل يجتمع من اطراف كله ومن حمله على المعاني الاخر صرف الامر اليهما جميعا وهو ان
الماء الذي يخلق منه الولد يكون منهما جميعا وذلك ذكر ابو بكر الاصم ان الصلب كناية عن الرجل والترائب
كناية عن المرأة فيكون هذا اسمالها ماخوذا من اصل ما يكون منهما الا ترى الى قوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم الاية فاضاف الابناء الى الاصلاب وفي اخراج الماء من بين الصلب والترائب لطف من الله تعالى
لانه لو اجتهد الخالقون باستخراجه من بين ما ذكر بحيلهم وقوام ووضعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم انشئ
بلطفه ووضع هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب لا ان يكون بملك اخراجها بالاسباب
والحيل كما وضع فيهم شهوة الاكل والشرب في كل جارحة من جوارح الاكل باللطف لان ذلك العمل بالاكل والشرب خاصة
وكذلك يرى الانسان اذا سقى اصل شجرة ظهرت منفعة السقي في اغصانها واوراقها وثمارها ولو اراد ان
يعرف انه لاي معنى صلح ان يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا واراد ان يستخرج المعنى المجعول في الطعام من القوة التي
ذكرنا لم يتدارك ذلك فيكون فيما ذكرنا ابلغ حجة على الثنوية لانهم ينكرون خلق الاشياء لا من اشياء وزعموا
انا لم نشاهد كون الشيء لا من شيء والشاهد دليل الغائب ذلك في الذي غاب عنا فمن قدر على تصوير
الولد في تلك الظلمات وفي الاماكن الضيقة وقدر ان يجعل في الماء والطعام المعاني التي يعجز الخلق عن استدراكها
القادر على انشاء الخلق لا من شيء اذ الاعجوبة فيما ذكرنا ليست بدون الاعجوبة عن انشاء لا من شيء **وقوله**
عز وجل انه على رجعه لقادر قال بعضهم انه على رده الى صلب ابيه لقادر وقال بعضهم انه على بعثه لقادر
هذا اشبه التاويلين لان الاية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يذكر عن احد التنازع في نفي الرد الى الصلب
وانكاره حتى يدفع المنازعة بهذا وكانوا اهل انكار بالبعث فاحتج عليهم بابتداء الخلقة وكذلك اكثر ما جرى به
الاحتجاج في اثبات البعث في القرآن انما احتج عليهم بالابتداء ان كان التاويل على رده الى صلب ابيه لان يوصف
الله تعالى بالقدرة على رده وهو على حاله نسمة عظيمة الى صلب ابيه مع ضيق ذلك المكان ولان هذا محال والله
تعالى لا يوصف بالقدرة على محال وليس فيما لا يوصف القدرة على المحال نفي القدرة عنه في الازل وهذا ايجاب
من سال فقال اقدر الله تعالى على ادخال الدنيا في بيضة فيقال له ان اردت ادخالها في البيضة فان يقلل
الدنيا ويضيقها حتى يجعلها اضيق من البيضة حتى يسع فيه الدنيا فهو على ذلك قادر وان اردت انه
قادر على ادخالها فيها على ابقاء البيضة بحالها وبقاء الدنيا بحالها فهذا محال لما فيه من انقلاب البعض كلا
والكل بعضا فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة الى الصلب بالوجه الذي ذكر لا ان يردها على ما هي عليها الى
الصلب لما في ذلك من الحالة وكذلك اذا سئلنا عن حركات اهل الجنة والسكون هل لها غاية فنقول لا فان
قالوا هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها فنقول انه يعلمها غير منقطعة لا ان يعلمها منقطعة ولم يكن في قولنا

انه لم يعلم

انه لم يعلمه منقطعا اثبات الجهل ولا نفي العلم عنه بل الجهل انما يتحقق اذا وصف بالعلم بالانقطاع فيما لا ينقطع وكذلك
ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال اثبات عجزه والله اعلم **وقوله** عز وجل يوم تبلى السرائر اي يظهر ما كان اخفى منها
فجائز ان يكون الاظهار منصرفا الى التي لم يطلع عليها الملائكة فيكتبها عليه فيذكره الله تعالى تلك السرائر كيف شاء
فيقررها عليه او ينطق جوارحه بها كقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية او يكون اظهارها بالعقوبة ما عليه
فيظهر ذلك للخلق وان كان تدابيرها عنهم في الدنيا ثم سمى ذلك ابتلاء لان الابتلاء هو الاختبار وانما يكون الابتلاء
بالسؤال وبالامر والنهي فسمى ما يسال عنه في الاخرة ابتلاء وقوله عز وجل فما له من قوة ولا ناصر يحتمل وجهين احدهما
ان ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه ولا له قوة نفي العذاب عن نفسه او لو كنتم او ما له من قوة يمتنع
بها ولا ناصر يمنعه عن نزول العذاب به ووجه ان الكفار كانوا يفتخرون بقوام وكثرة انصارهم في الدنيا
لا ينفعهم في الاخرة فكانوا يظنون انهم لو اريدوا بالتعذيب دفعوا بانصارهم وبما لهم من القوى فيخبر الله
ان قوام وكثرة انصارهم لا ينفعهم في الاخرة ولا يدفع عنهم باس الله تعالى وكانوا يعبدون الاصنام ليقربهم
الى الله تعالى وينصرهم من العذاب كما قال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون فتبين انها لا يغني
عنهم من الله تعالى شيئا **وقوله** عز وجل والسماء ذات الرجع قال ابو عبيدة الرجع هو الماء اي السماء ذات
المطر وقال غيره ذات الرجع اي يعود في كل عام الى ما كانت عليه في العام الذي قبله بالمطر والرجع
هو العود ويحتمل ذات الرجع اي تعود الى درا بركتها على الخلق استوفوا منها **وقوله** عز وجل والارض ذات الصدع
بالنبات وذات الصدع اي ذات اودية وانها يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي اراضيهم ودوابهم
فعظم امر السماء والارض فاقسم بهما **وقوله** عز وجل انه لقول فصل يعني القرآن وليس بالهزل وفي اخراج النبات
من الارض حكمة عجيبة ولطف تدبير وذلك ان النبات شيء لين يابس في مس ثم ان الله بلطفه صدع له الارض
اليابسة الصلبة واخرج غير منكسر ولا متكسر ليعلموا ان مدبره حكيم فيلزمهم به التوحيد وجعل منافع بمنافع
السماء متصلة اذ الارض انما يتصدع النبات اذا اصابها المطر من السماء فيكون في ذلك انباء ايضا ان مدبرهما
واحد ولولا ذلك والا لم يتصل منفعة احدهما بالاخرى **وقوله** عز وجل انه لقول فصل اي بين بين فيه
الحرام والحلال وما يتقى عنه وما يؤتى وبين فيه الصواب من الخطأ وبين فيه الوعد والوعيد ويكون معنى
الفصل التفريق وهو ان فرق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل فوضع كل شيء موضعه
ولم يخلط احدهما بالاخر **وقوله** عز وجل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا يحتمل وجهين احدهما اجزيهم جزاء باسم
ما له الجزاء وان لم يكن الجزاء كيدا كما سمي جزاء السيئة سيئة مثلها وان لم يكن الجزاء سيئة كما سمي جزاء الاعتداء
وان لم يكن الجزاء اعتداء بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فقال نسوا الله فنسيهم
اي جزاهم جزاء النسيان فجعلهم كالشيء المنسي الذي لا يعبأ به ولان يكون منه في الحقيقة نسيان وكذلك
سمي جزاء الكيد كيدا لانه يكون الجزاء كيدا ووجه اخر ان الكيد في الحقيقة والمكر هو ان ياخذ من وجه امنه
[illegible] وهذا المعنى في الكيد الذي اضيف الى الله تعالى غير موجود لانه
غير موجود لانه تعالى قد بين لهم الطريق الذي اذا سلكه [illegible] الطريق الذي اذا سلكه حل به البوار
والهلاك فاذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عناد منه وعن ترك الاحتراز من نفسه فوجد مكيدا [illegible]
[illegible] من كيدهم برسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ما ذكر في اية اخرى وهو
قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله **وقوله** عز وجل فمهل
الكافرين امهلهم رويدا [illegible] ان الله تعالى [illegible]
عن [illegible] وقد فعل ذلك بان سلط رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible] ففي هذا بشارة منه لرسوله
صلى الله عليه وسلم بالنصر عليهم [illegible] وفي ذلك اية لرسالته لانه قال لهم هذا عند قلة اعوانه وضعفه
ثم ان الله تعالى [illegible] واظهره عليهم كما قال ليعلم ان ذلك كان بالوحي والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سبح اسم ربك قيل فيه من وجوه احدها سبح ربك وقيل سبح اسمه وقيل سبح ربك
باسمائه فمن قال سبح ربك فمعناه نزه عن جميع المعاني التي يحتملها غيره من الاذات والحاجات والاضداد
والانداد فيكون التسبيح به توحيدا وروي عن مقاتل [illegible] فوجه ما ذكرنا

وقال المفسرون تاويله ان صل لربك وهذا يحتمل لان الصلاة بنفسها تسبيح بالافتتاح ينقطع وجوه المعاملة بينه وبين الخلق ويمنع نفسه عن حوايجها فيجعلها لله تعالى وهذا هو التوحيد والايمان لانه بالايمان يجعل الاشياء كلها لله تعالى سالمة فصارت الصلاة تسبيحا لعينها لا التسبيح المجعول فيها ومن حمل التسبيح على الاسم فقال نزه اسمه فذلك يرجع الى الاسماء الذاتية هو انه لا يشرك فيسميه بها والاسماء الذاتية قولنا الله الذي لا اله غيره الرحمن وما اشبهه من الاسماء الصفاتية ان ينزهها عن المعاني التي استوجب الخلق الوصف به عالم حكيم رحيم مجيد فمن وصف بالعلم من الخلائق فانما استوجب الوصف به باغيار دخلن واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالاغيار والله تعالى استحق الوصف لا بالاغيار فينصرف التنزيه الى الاغيار اذ صفاته ليست باغيار للذات وهي لا يفارق الذات فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها والله الموفق وقال بعضهم معناه سبح بالحمد والثناء وهو يرجع الى ما ذكرنا من التاويل الاول وهو ان يصله بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه عن معاني الخلق ومن قال سبح ربك باسمائه فهذا ظاهر وهو ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له واسماؤه معروفة لا يحتاج الى ذكرها وقوله عز وجل الاعلى فظاهره يقتضي ان يكون هناك ادون واسفل وكذلك قولنا الله اكبر فظاهره يقتضي الاصغر ولكن معنى قولنا الاعلى اي هو اعلى من ان تمسه حاجة او يلحقه وكذلك هذا في الاكبر ويكون الاكبر والاعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا وهو كقولك هو احسن واجمل اردت به النهاية في الحسن والجمال او يكون الاعلى بمعنى العلي والاكبر بمعنى الكبير وذلك جايز في اللغة وقوله عز وجل الذي خلق فسوى يحتمل وجهين احدهما ان يكون سواه على ما قدره خلافا لافعال الخلق لان الفعل من الخلق يخرج مرة سويا على قدر ومرة بخلافه او يكون سوى الخلق كله في دلالة وحدانيته وشهادته وربوبيته فما من خلق خلقه الا اذا تفكر فيه العاقل دلت خلقته على معرفة الصانع ووحدانية الرب او سواه على ما فيه مصلحة ومنفعة او سواه على ما له خلق الا ترى ان الانسان اذا امر بالركوع والسجود فهذا معنى قولنا انه سواه على ما له خلق والله اعلم وقوله عز وجل والذي قدر فهدى يحتمل وجهين احدهما هداه الى ما احوجه اليه فهدى العبد معيشته من اين ياخذها وهدى كل دابة الى رزقها وعيشها فعرفت كل دابة رزقها او يكون قوله فهدى اي هدى به او يكون الهداية منصرفة الى امر الدين وذلك يرجع الى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة فيكون معناه هدى فمن هدى وطعنت المعتزلة علينا بهذه الاية فقالت ان الله تعالى يقول قدر فهدى وانتم تقولون قدر واضل ولكن هذا التحقيق راجع اليهم لانهم يحملون تاويل الهداية على البيان واذا كان كذلك وقد بين الله تعالى سبيل الهدى وسبيل الضلال لجميعا فاذا قد اضله حيث بين لهم سبيل الضلال على قولهم ثم ليس في قوله قدر فهدى نفي الاضلال لان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ذلك عما عداه فلم يجب قطع الحكم على ما ذكروه وقد ذكر في موضع اخر الحكم بين بالهدى فقال الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الاية فثبت ان الهدى راجع الى الخصوص فيقول قدر اي لخلقه معايشهم وهداهم وجه اخذ المعيشة وقوله عز وجل والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى ففي هذه الاية تعريف الاعلى كانه يقول الرب الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى ثم ذكر هذه الاشياء التي يعرف انقضاءها وبدوها وانشاءها واهلاكها من المرعى وغيره لان وجه الدلالة بمعرفة الصانع بالاشياء التي يعرف بدوها وانقضاءها وحدوثها وفناءها اقرب منه بالاشياء التي لم يشهد الخلق بدوها ولا انقضاءها وهي السموات والارضون اذ المرء يصل الى وحدانية الرب ومعرفة الصانع بالاشياء التي يحدث ويتغير بادنى نظر وتامل ولا يصل الى ذلك فيما يدوم الا بلطايف الفكر وفضل بصر وزيادة تامل وجايز ان يكون خص المرعى بالذكر لما بالمرعى قوام هذا الخلق لانه لا بد للبشر من الدواب والانعام للتعيش والدواب حياتها بالمرعى فكان قوام الخلق في التحصيل باخراج المراعي فذكرهم هذا ليستاديهم الشكر واذا كانت الدواب لم ينشا لانفسها وانما انشئت للخلق ليتمتعوا بها ثم الله تعالى بفضله انشا للدواب مراعي وقدر لها اقواتها ولم يضيعها فكيف يضيع هذا الخلق وهم الذين قصد اليهم من خلق هذا العالم فلا يرزقهم ويخرجهم من تدبيره وقوله عز وجل غثاء احوى قيل الغثاء اليابس الذي يحمله السيول والاحوى اي اسود من قدمه وقيل الاحوى هو الاخضر الذي يضرب الى السواد وهو على التقديم والتاخير اي جعله غثاء بعد ما كان احوى وقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى اي سنحفظك عليك ما اوحينا اليك من القران فلا تنسى وفي حفظه عليه السلام ما يوحى اليه دلالة رسالته لانه لم يكن يعرف الكتابة ولا كان يتلو الكتب ثم كان يحفظ جميع ما يلقى اليه بمرة واحدة مما كان ماموراً ان لا يحرك لسانه بشيء مما يوحى اليه الى ان يقضى اليه الوحي ومن كانت حالته هذه

عليه

عليه حفظ ما يلقى اليه بمرات وان كانت ذلك لسانه فكيف يضبطه بمرة واحدة فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من ايات نبوته وقوله عز وجل الا ما شاء الله قال بعضهم تاويله الا ما شاء الله من ذلك فانه ينسيك ما اراد ان ينسيك ولكن ما ارى هذا التاويل صحيحا وذلك ان الذي اوحي اليه اية نبوته فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأه ثم انسيه فلمن طعن في رسالته ان يتشبث بتلك الاية ولا يتهيأ له ان يقرأها اذا كان قد انسي فيجد موضع الطعن عليه وقد روي في بعض الاخبار انه انسي ولكنها من اخبار الاحاد ولا يجوز الحكم بها لان خبر الاحاد يوجب علم العمل لا يوجب علم الشهادة وهي في موضع الشهادة ههنا ولكن تاويله عندنا والله اعلم يخرج على اوجه ثلثة احدها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا امنين على انفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يخاف زوال ما انعم به وان ظهرت عصمتهم اليوم عندنا الا ترى الى قصة ابرهيم عليه الصلاة والسلام عند محاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء الله وقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فخاف زوال ما اكرم به واخشي ان يبتلى به اهل المعاصي حتى فزع الى الدعا وقال في قصة شعيب عم وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وقال في قصة يوسف عليه السلام ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله ربنا فثبت انه لم يتبين لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل النعم فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن عما يتعقب الاستثناء بقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله الا ترى الى قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك فثبت انهم كانوا على خوف ووجل عن ارتكاب ما يسلب به الوحي وينسى ويكون الاستثناء راجعا الى انساء حكمه وهو ان ينسخ حكمه حتى يترك وينسى ويصير كالمنسي كقوله نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء المنسي بما انسيهم من رحمته لا ان يكون تارك حقيقة نسيانه فكذلك اذا ترك حكمه وتلاوته صار كالمنسي وان لم يكن فيه حقيقة نسيان فيكون نسيانه منصرفا الى حكم التلاوة لا الى عينها او يكون عليه السلام يذهب خاطره عن وجهه كما ترنسيه وان كان يعود ذلك اليه عند احضاره ذهنه كما ترى المرء في الشاهد يذهب عن وهمه جميع ما في الفاتحة الكتاب من الحروف فانا اعمل رويته في اشياء اخر حتى يصير كالناسي لها وان كان يعود الى تذكرها اذا رام ان يقرأها فعلى هذه التاويلات يستقيم ان يوجه اليه الاستثناء والله اعلم انه يعلم الجهر وما يخفى اي ما يجهر بعض لبعض من الخلايق وما يسر بعض عن بعض او يعلم ما يطلع عليه الملائكة من اعمالهم ويعلم ما يعزب عنهم فعلمه فيما اسر العبد كعلمه فيما اظهر وجهر به فذكرهم هذا ليكونوا مستيقظين فلا يخافون ولا يجهرون الا الذي يحق عليهم اذ الله تعالى حفيظ عليهم وقوله عز وجل ونيسرك لليسرى قالوا ونيسرك للخير ويعلمه اهل الجنة فسميت اعمال الخير يسرى لانها يعقب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فذكر ان نفعت الذكرى فظاهر هذا يقتضي ان لا يذكر الا من نفعته الذكرى ولكن تخصيص الحكم في حال بوصف لا يوجب قطع الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف بل يلزمه ان يذكر من نفعه ومن لا ينفعه قال الله تعالى فذكر انما انت الاية امر بالتذكر على الاطلاق ثم قوله تعالى ان نفعت الذكرى يحتمل وجهين احدهما ان ذكر فقد نفعت الذكرى وهو كقوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ومعناه قد كان وعد ربنا مفعولا وقد نفعت الذكرى لانه بتذكيره اسلم من اسلم منهم وبه فازوا وبه نالوا الدرجات العلى وقال تعالى فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين او يكون قوله عز وجل فذكر ما نفعت الذكرى فيما في على قوم لا ينفعهم الذكرى لديها وتلك حالة المعاينة لباس الله وعذابه وقوله عز وجل سيذكر من يخشى اي سيتعظ بها من يخشى الله تعالى او المعاد قال الله تعالى والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقران وذلك ان الذي يحملهم على الايمان بالاخرة ايمانهم بهذا الكتاب لان في القران تذكيرا للاخرة وامرا بالاستعداد لها فذلك الخشية يحمله على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها والخشية هي الخوف اللازم في القلب وقوله عز وجل ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى واضاف التجنب الى نفسه بقوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى فيكون في هذا دلالة الاذن باضافة الخيرات الى الله تعالى وفي الاول دلالة منع اضافة الشرور اليه وهذا لان اضافة الخيرات الى الله تعالى يخرج مخرج الشكر له وهو حقيق بان يشكر نعمه وليس في اضافة الشرور الى غيره شكر له فلم ينبغ ان يضاف اليه والله اعلم وقوله عز وجل لا يموت فيها ولا يحيى ان لا ينقضي عنه افعال الموت وهي الاوهام والاوجاع بل يبقى في اسبابها ابدا قال الله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي لا يقضى عليه حتى يتخلص من اوجاعها ولا يحيى فقوله لا يحيى اي لا يرتفع عنه الم الموت ويكون قوله لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى

جوع بتلذذ بها وقوله عز وجل قد افلح من تزكى اى من اتى بما تزكو به نفسه او اتى بما يطهر نفسه به ويتزكو
في سورة والشمس وضحيها مع ما قبل الفلاح ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل وذكر اسم ربه فصلى يحتمل ان
يكون اريد به انواع العبادات لا الصلوة المعروفة وحدها لان الصلاة اسم للدعاء والثناء ولانواع من
الكرامات فانه يقول يذكر الرب ما يصل الى العبادات ومن اعرض عن ذكره حرم من العبادات او يكون منصرفا
الى الصلاة المعروفة فيكون قوله وذكر اسم ربه فصلى اى يصلى بتقديمه اسم الرب فيكون منصرفا الى الافتتاح
فيكون حجة لابى حنيفة ان المصلى له ان يفتتح صلوته باى اسماء الله تعالى احب ثم ذكر اسم الرب يقتضى المعا
التى ذكرنا فى قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقوله عز وجل بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى
اى يؤثرون حيوتها على حيوة الاخرة ويكون الخطاب منصرفا الى المنافقين والكفرة لا الى اصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم ثم كانوا فى ايثار مختلفين فمنهم من اثرها فى ان نظر فى الدنيا واعرض عن النظر فى الاخرة
وجحدها ومنهم من كان اغلب سعيه لامر الدنيا ومنهم من كان يؤثر اخوالها على الاخرة وقوله عز وجل
والاخرة خير وابقى اى ايثار الحيوة الاخرة خير وابقى من ايثار الحيوة الدنيا وقوله عز وجل ان هذا لفى
الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى قال بعضهم الايات الاربع فى صحف موسى وابرهيم ولهن قد افلح
من تزكى الى قوله خير وابقى وقال بعضهم السور كلها انزلت على ابرهيم وموسى عليهما السلام فان كانت
السورة كلها فى الصحف الاولى فجميع ما فى السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم الى تعرفها ويكون قوله سنقرئك
فلا تنسى مذكورا بحق الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه الثناء ما ذكر فى قوله يجدونه مكتوبا
عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر الاية وهو يستحق الثناء بهذا لما
فى حفظه عليه السلام جميع ما يوحى اليه بمرة واحدة اكرام له وتفضيل فصلح ان يثنى عليه بهذا وفى قوله
تعالى ان هذا لفى الصحف صحف ابرهيم وموسى دلالة ان اختلاف الالسن لا يغير الاشياء عن حقايقها لان
الله تعالى اخبر انه يكون هذا فى الصحف الاولى فليس فى الصحف الاولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لابى حنيفة فى تجويز القرائة بالفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل هل اتيك حديث الغاشية قيل معناه قد اتاك حديث الغاشية فاما ان يكون الاتيان سابقا
او اتاه حديث الغاشية بنفس هذه السورة ثم فى هذه الايات ترغيب فيما يحمد عاقبته وتحذير عما فى العاقبة وتبيين
ان العاقبة المحمودة متصلة باكتسابه وكدحه وكذلك العاقبة المذمومة ينالها ونصبه ثم اختلف فى تاويل الغا
الغاشية
النار يغشاهم كما قال تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال فى اية اخرى وتغشى وجوههم النار ومنهم
من يقول الغاشية هى الساعة سميت غاشية لانها تغشى الصغير والكبير والمحمود والمذموم والشقى والسعيد تعمهم
جميعا وهذا التاويل اقرب لانه ذكر الغاشية ولانه ذكر الجزاء بعد ذلك بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة
ناصبة وقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة ثم قوله وجوه يومئذ خاشعة اى ذليلة وانما خص الوجه بالذكر
لان الحزن والسرور واذا استحكما فى القلب اثرا فى الوجه فيكون فى ذكر الوجه وصف للغاية التى هم عليها من الذل
وقوله عز وجل عاملة ناصبة قال بعضهم الى عباد الكفر وهو انهم يعملوا ابدا فى النصب والعمل فى الدنيا والاخرة
وجائز ان يكون نصبها وعملها فى النار وهو انها لم تعمل فى الدنيا بل تكبرت عن طاعة الله تعالى فاعملها وانصبها فى الاخرة
بمعالجة الاغلال والسلاسل النار الحامية او عملت فى الدنيا بالمعاصى ونصبت فى الاخرة فيكون فيه تبيين الجزاء و
قوله عز وجل تصلى نارا حامية اى حارة قد احماها الله تعالى من يوم خلقت الى الوقت الذى يشقى منها وقوله عز وجل تسقى
من عين انية قيل الانى الذى قد انتهى فى الحرارة حتى لا احر منه وقوله عز وجل ليس لهم طعام الا من ضريع اختلف فى
الضريع فمنهم من يقول سمى ضريعا لانهم يتضرعون عنده ويجرجرون اذا طعموا ومنهم من جعل الضريع لونا من الوان العذاب
لم يبينه الله تعالى للخلق ومنهم من قال الضريع اسم لنبت قد عرفته العرب فيما بينهم ما كلهما الابل والدواب ما دام و
طبا فاذا هاج ويبس تركت الدواب اكله وعاقبة الحية وكثرت ما عليه من الشوك ويسمونه فى الربيع واذا هاج وخف
سموه ضريعا فذلك النبت فى الدنيا يعمل فى اسمان الدابة وتغنيها من الجوع فنفى الله تعالى وجه الاسمان والاغناء عمل
امره على الجسد بقوله لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو كقوله فى سدر مخضود وطلح منضود فالسدر اسم شجرة ذات شوك
فى الدنيا والنبت فى الاخرة بلا شوك ووصف خمر الجنة فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون والخمر فى الدنيا يعمل فى التصدع
وهى تنزف فنفى هذه الافات وجعلها شرابا سايغا لذة للشاربين فكذلك الضريع نفى عنه ما يقع به الاسمان والاغناء

وحصل امره على الخبث والله اعلم وقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية اى ناعمة بما عاينت من عاقبة و
عليها الصالح فى الدنيا ورضيت بما اوتيت جزاء عن سعيها فى الدنيا جعل الله تعالى فى وجوه الخلق يوم القيمة اثار سعيهم
فى الدنيا فمن اطاع جعل علم طاعته فى وجهه يوم القيمة ومن عصاه جعل اثره فى وجهه يعرف به وقوله عز وجل فى جنة
عالية يحتمل وجهين احدهما ان يكون قد علا قدرها واعظم شانها فتكون عالية بمعنا الجنة فوصفها بالعلو
من هذا الوجه والثانى يحتمل العلو من حيث الدرجات والمكان والله اعلم وقوله عز وجل لا تسمع فيها لاغية
ما الحق انه يلغى من الشتم ومن كل ما يؤثم صاحبه بل هم كما وصفهم الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على
سرر متقابلين ثم الذى يحتمل المرء على شتم المرء اما ضغن اضمره فى صدره او خصومة حدثت بينهما او ثم يدخل فى
عقله بشكر وما اشبهه والله تعالى نفى عن الشراب والافات بقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون ونزع الغل عن صدورهم
فارتفعت دواعى السفه كلها فلا يسمع فيها ما يحق ان يلغى به وقوله عز وجل فيها عين جارية اى عيونها جارية
باخذها العين وتجرى على وجهها ليست كمياه الدنيا فان بعضها يجرى على وجه الارض وبعضها تحتها تجريا
القنات وماء البير وقوله عز وجل فيها سرر مرفوعة قال بعضهم مرفوعة بعضها فوق بعض يرتفع ما شاء الله فاذا
جاء ولى الله تعالى فيجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت حيث شاء الله تعالى وقال بعضهم معنى المرفوعة
ههنا انها انشئت مرفوعة الفرش وعند اهلها فوعدوا فى الاخرة على ما هى عليه ورغبتهم فى الدنيا وايثارهم لها والمرء
يرغب فى الوجهين الذين ذكرناهما فى الدنيا فعلى مثله جرى الوعد فى الاخرة وكذلك يرغب فى الاكواب والنمارق
المصفوفة والزرابى المبثوثة فوعد لهم مثلها فى الاخرة وقال فى موضع وفرش مرفوعة ودفعها يكون من الوجهين الذين
ذكرناهما فى السرر فوعد وايها ايضا فى الاخرة لترغيبها فى الدنيا وقوله عز وجل واكواب موضوعة والاكواب
هى الكيزان التى لا عرى لها فاما ان يكون وصفا لتلك الاكواب فى انفسها حيث لا عرى لها كالجبال فى الدنيا او
يكون فيه لهم خدما وولدانا يتولون نقلها الى ابن احبوا وليست لها عرى يمدون ايديهم اليها فيرفعونها وقوله
عز وجل ونمارق مصفوفة قيل هى الوسايد وضعت على البسط وكذلك يبسط الوسايط فى الدنيا فرغبوا كذلك فى الاخرة
وقوله عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى قوله والى الارض كيف سطحت فخص الابل بالذكر من بين
جملة الدواب وخص السماء والجبال والارض بالذكر وتخصيصها بالذكر يكون لاحد وجهين احدهما ان الابل
كانت من اخص دوابهم فمكنت عليها كانوا يسافرون وعليها كانوا ينقلون ما احتاجوا اليها وهى ايضا اعن مكتنبا
منشاوه بين الجبال فكانت لا يغار فهم الجبال من فوقهم والارض من تحتهم فخصت هذه الاشياء بالذكر ليعتبروا
ويتدبروا ويحتمل وجها اخر وهو ان المنافع المجعولة فى الدواب كانها مجتمع فى الابل لان منافع الدواب انه
يستمتع بظهرها وينتفع بها وبصرفها وبلحمها وبنسلها فكل ذلك فى الابل فصارت فى الابل كالانعام المنافع المجعولة
فى الدواب والبركات المعقودة فيها وكذلك اعظم المنافع والبركات المعقودة فيها متصلة بالسماء فنفعها
جعلت ارزاقهم وفيها الشمس التى بها مصالح الاغذية وبها مزينة بزينة الكواكب فهى ايضا كالاصل فى المنافع
وكذلك الارض كالام فى المنافع اذ فيها مأوى الخلق وقدر فيها اقوات الخلق وارزاقهم ومنها يخرج ما يتخذون
من اللباس ثم بالجبال قوام الارض ولولاها ما كانت الارض فيه باهلها فخصت هذه الاشياء بالذكر لما ذكرنا ثم قوله
افلا ينظرون يحتمل وجهين احدهما على الامر اى فلينظروا والثانى ان يكون على سؤال تقدم منهم لامر اشتبه عليهم
فنزلت هذه الاية افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى اخر الاية اى لو نظروا فى هذه الاشياء لكان نظرهم فيها وتفكرهم
بها نزع عنهم الاشكال ويرتفع لهم ما اشتبه عليهم وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما ذكر الله تعالى
ما ذكر من نعيم الجنة عجبت قريش وقال يا محمد ائتنا باية ان ما تقوله حق فانزل الله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت ثم النظر فى رفع السموات والتفكر فى خلقها بغير عمد ترونها والنظر والاعتبار فى خلق الابل ونصب
الجبال وسطح الارض وهو البسط مما يوجب القول بالبعث ويدعو الى وحدانية الرب تعالى والى القول باثبات
الرسالة وذلك ان الذى كان يحمل على انكار البعث هو انهم كانوا يعدون الاشياء بقوى انفسهم فكانوا
يظنون ان القوة لا يبلغ هذا اذا احيا الموتى خارج عن وسعهم فلو نظروا وتفكروا فى خلق السموات والارض
لعلموا ان قوة الله غير مقترنة بقوى الخلق وذلك ان السموات خلقت ورفعت فى الهواء بغير عمد واقرت كذلك
لا ينحدر عن موضعها ولا يتصعد ولو اراد احد ان يقر فى الهواء ريشه حتى لا يسقط ولا يتصعد لم يقدر عليه
فيكون فى ذلك تنبيه ان قدرته ذاتية ليس بمستفادة وكذلك الجبال من وقايع شموخها وارتفاعها و
صلابتها زينت بالماء والاشجار الملتفة من وجه لو تفكر واقيه الخلايق فاستفرغوا مجهودهم ليعلموا من اى

موضع يجمع الماء وكيف ينبع وكيف ينبت الاشجار من بين الاحجار لم يصلوا الى معرفته فيعلموا ان علمه ليس بالآلات
يحاطيه فيكون في ذلك انباء انه لا يخفى عليه امر ولا يعجزه شيء بل العالم كله تحت تدبيره يفعل بهم ما يشاء ويحكم
ما يريد وان الذي قدر على خلق هذا القادر على احيائهم وبعثهم للجزاء وفي خلق هذه الاشياء ما يدعوهم الى
الوحدانية لان الله تعالى جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء فالقطر ينزل من السماء الى الارض الغبراء
المتهشمة فينبت لهم من الوان النبات رزقا لهم ولانعامهم فلو كان مدبر السماء غير مدبر الارض لكان منع منافع
السماء عن خلق مدبر الارض فلو تفكروا فيها لكان يزول عنهم الاشكال فلا يدعون مع الله الها اخر ولا يقولون
اجعل الالهة الها واحدا وقولنا ان فيه اثبات الرسالة وذلك انهم انما انعموا من النعم التي ذكرنا ما لا بد ان يبتدئ
منهم الشكر ولا يعرف شكر كل شيء على الاشارة اليه ثم يكون فلا بد من رسول يطلعهم على ذلك فان قيل كيف
امروا بالنظر في كيفية خلق هذه الاشياء وهم لو نظروا الى الابد ليعرفوا كيف خلقت هذه الاشياء لم
يهتدوا الى ذلك الوجه فجوابه انهم لو تداركوا ذلك الوجه وفهموه لكان النظر فيها لا يرتفع عنهم الاشكال اذ
يتعذر بافعال الخالق التي يهتدوا اليها فارتفاع التدارك وخروجه عن اوهامهم هو الذي يوضح لهم الشكل
ويزيل عنهم الشبه اذ يعرفوا انه حاصل بقدرة من لا يقدر قوته بقدرتهم وانه خلافهم من جميع الوجوه
والله الموفق وقوله عز وجل فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر ففي هذه الاية والله اعلم امر من الله
تعالى لرسوله عليه السلام ان لا يجازيهم بصنيعهم انا استقبلوه بما يكره من اذى يوجد منهم واستخفاف
يجيء منهم فنقول ذكر الله تعالى وذكرهم عظم نعمه وذكرهم كيف هلك مكذبوا الرسل وكيف نجا من صدقهم
وعظم امرهم ولا تجازهم بصنيعهم وكل ذلك الى الله تعالى وقوله عز وجل لست عليهم بمصيطر قال بعضهم
بمسلط وقال بعضهم بجبار فان اريد به الوجه الاول فهو مما يحتمل ويجوز ان يسلط عليهم فانه يؤذن
بقتالهم واسرهم وقهرهم ببذل الجزية ولهذا قيل ان هذا كان قبل نزول سورة براءة وان كان تاويله
لست بجبار عليهم على ما روي عن مجاهد فهذا الوجه مما يرد عليه النسخ فلا يجوز ان يصير جبارا عليهم
ولا يكون قوله الا من تولى وكفر استثناء ويكون معناه لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر اي
من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانية الله تعالى وبكتبه ورسله فيعذبه الله العذاب الاكبر وعلى
التاويل الذي قيل ان المسيطر هو المسلط بالسيف والاسر والقهر بالجزية التي هي صغار عليهم يكون
قوله تعالى تولى وكفر على الاستثناء اي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانية الله فسلط عليهم
بالسيف والاسر واخذ الجزية وقيل الا من تولى وكفر اي اعرض ولزم الاعراض فيكون مسيطرا عليهم
او تولى وقت التذكير فستنصر عليه وبالله النجاة وفي هذه الاية بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالظفر
على الذين تولوا عن طاعة الله تعالى وكفروا به وفيه اية رسالته لانه قال في وقت قلة انصاره وكان الامر
كما قال اذ نصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهرين وفتحت له الفتوح ليعلم انه بالله تعالى علم وقوله عز وجل
ان الينا ايابهم اي مرجعهم وقوله ان علينا حسابهم اي من الحكمة ان نحاسبهم واذا كانت الحكمة توجب
حسابهم ونعيبهم كان عليه ان يحاسبهم في تركه لما في تركه ترك الحكمة وفي ترك سفه تعالى الله عن
ذلك وبالله النجاة ومنه التوفيق والصلاة والسلام على رسوله محمد واله الطاهرين وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والفجر وليال عشر كانت العرب من عادتهم انهم اذا استحسنوا شيئا عظموه واذا عظموه
قسموا به ثم ان الله تعالى جعل في الحج واوقاته اللطائف من الحكمة وعجائب من التدبير من لطيف حكمته وعجايب
تدبيره انه جعل المكان الذي يحج فيه مامنا للخلائق من وجه لا يعرف الخلائق العتيق الذي به دفع الامن والالف
بين الخلق حتى يجتمعوا جميعا فالاجتماع هنالك مع تباغضهم ومعاداتهم فيما بينهم من وجه لا يدرك معناه
وجعل اهلها يتقلبون في البلاد امنين بين اهل الافاق فجعل لما يقع لاهل مكة اليه حاجة من السرو وغيرها
وجعلهم بحيث يرغبون في الاتيان اليها مع عظم ما يلزمهم من المؤن الى الاسباب الى مكة للحج فثبت ان فيها
معاني ولطائف هي خارجة عن اوهامهم وتدبيرهم فكان في ذكرها ما يوجب القول بالقدرة على البعث ويزيل
عنهم الشبهة في امرهم فاقسم لما عظم من شأنها لكان انها اوقات الحج فغايته ان كان الحج يؤدى فيها وعادة
العرب انهم يقسمون بابائهم واجدادهم واصنامهم لما هي معظمة عندهم مجرى القسم بها جاريا على عادتهم

ويدخل

ويدخل في اوقاتها الشفع والوتر والفجر فقالوا الشفع يوم النحر لانه اليوم العاشر من الشهر والوتر يوم
عرفة لانه اليوم التاسع وجائز ان يكون اريد بالشفع والوتر والليل اذا يسر العبادات جملة ادناها من عبادة الا وفيها
شفع ووتر وقوله عز وجل والليل اذا يسر اي يسرى بها وفي ذلك كناية عن الجهاد والاغارة بالليل كما ذكر في
قوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فيكون هذا كله اشارة الى جملة العبادات ووجه
القسم بالعبادات ان الله تعالى عظم امر العبادات في قلوب الخلائق حتى تراهم جميعا يستحسنونها ويعظمونها وانما
انما يقع الاختلاف فيما بينها ولا ان يقع التنازع بينهم في انفسها فاقسم بها وجائز ان يكون اريد بالوتر هو الله
تعالى واريد بالشفع الخلائق انه خلقهم ازواجا والله تعالى هو الواحد بذاته فيكون القسم بذاته وبجميع الخلائق
ويحتمل انه اريد بالشفع والوتر وقوله عز وجل هل في ذلك قسم لذي حجر يحتمل ان يكون تاويله ان وجه القسم
بهذه الاشياء يعرفه ذوو الحجر وهم ذوو الالباب والحجر لان يعرفه الجهلة قالوا وموضع على قوله ان ربك
لبالمرصاد وجائز ان يكون وقع التنازع فيما بينهم وكانوا يزعمون ان اوقات الحج هي الليالي العشر والشفع و
الوتر ليس يقسم بها فقال هل في ذلك قسم لذي حجر اي للعاقل اذا تدبر فعلها عرف ان هذه الاوقات
بالذي تدلهم على القول بالبعث قيل انما اقسم بهذه الايام لخطرها عندهم لما فيها من صلاح معاشهم
ويكون لهم فيها سعة العيش اما الفقراء بالهدايا والبدن واما غيرهم بانواع المكاسب والتجارات فانهم
كانوا يستعدون الاشياء ويهيئون من السنة الى السنة التجارة في هذه الايام لكونها معظمة عندهم وقيل
ان موضع القسم غير مذكور في هذه السورة لانه كان على انه حادث عندهم معروف فاستغني عن ذكرها
بشهرتها عندهم فاقسم انها الحق والله اعلم وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد وفي ذكر بناء عاد وثمود وفرعون فوائد ثلاثة احدها في موضع التخويف لاهل
الذين كفروا برسوله صلى الله عليه وسلم وهو ان اولئك القوم كانوا اكثر اموالا واولادا واعدادا واكثر
في القوة من هؤلاء الذين كذبوا محمدا عليه افضل الصلوة فلم يغنهم ذلك كله من الله تعالى شيئا بل الله تعالى انتقم
منهم لرسله عليهم الصلوة والسلام بما كذبوهم فاياك هؤلاء الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخافون
مصير وحلول النقمة بتكذيبهم رسوله وليسوا باكثر من اولئك في العدد والمال والقوة وفائدة اخرى
ان اولئك كانوا يزعمون انهم بالله تعالى اولى من محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه لما بسط لهم من النعيم وضيق على
الرسول واتباعه فتبين ان الذين تقدمهم من مكذبي الرسل كانوا ارفع منهم في القوى والاموال والاولاد و
الاعداد وكانت رسلهم في ضيق من العيش ثم كانوا هم اولى بالله تعالى من المكذبين المفتخرين بكثرة الاعداد والقوى
فبين لهم هذا العلم ان ليس الامر على ما ظنوا وحسبوا والثالث انهم كانوا يمتنعون عن الايمان بالله تعالى وبرسله
وكانوا يقولون انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فيكون في ذكر هذا نهي عن التقليد لان اولئك
لانه كان في ابائهم من اهلك بتكذيبهم الرسل وهم الفراعنة واتباعهم وفيهم من نجا وهم الرسل واتباعهم
المصدقون فبالهم قلدوا المهلكين منهم دون الذي نجا وانه الاية لم ينبغ ليعرف نسب عاد وثمود وفرعون
حتى نشتغل بتعرفه وانما سيقت للاوجه الذي ذكرنا فالاشتغال بتعرف انسابهم واحوالهم نوع من التكلف
وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك فيقول الم تر يحتمل وجهين احدهما اي قد رايت اي علمت كما يقال في الشاهد الم
تر الى ما فعل فلان اي قد رايت وعلمت فيخبره بصنيعه على جهة التشكي منه ويحتمل انه يكون هذا ابتداء اعلام
منه فيقول له اعلم ان ربك فعل بعاد كذا واختلفوا في قوله ارم فقال بعضهم ابو عاد وقال بعضهم ابو القبيلة
تنسب اليه عاد كما يقال هو من بكر بن وائل وان لم يكن ابنه وقال بعضهم ارم مساكن عاد وقيل هو اسم الذي نحت
تلك الاماكن وقوله عز وجل ذات العماد قال بعضهم ذات الاجساد الطوال اي عاد ذات الاجساد الطوال كما ذكر
في القصة وقال بعضهم ذات البناء المشيد المرفوع في السماء كالعمد الطوال فيرجع الى الارم على تاويل من
جعله عبارة عن المساكن وقال بعضهم ذات العماد هي الخيام لها اطناب وعمد كانوا اصحاب خيام وقباب
وكانت مساكنهم مرفوعة بالعماد وقوله عز وجل لم يخلق مثلها في البلاد وقال بعضهم هذا وصف
القوم بالشدة والقوة وعظم القوة والخلقة وفضل البصر في الامور كقوله تعالى وزادكم في الخلق
بسطة وقال حكاية عنهم وقالوا من اشد منا قوة وقال تعالى وكانوا مستبصرين فوصفهم بفضل البصر
وجائز ان يكون اريد بها المساكن الذين بنوها انه ليس مثلها في البلاد وقوله عز وجل وثمود الذين جابوا
الصخر بالواد وقال بعضهم اتخذوا من الصخور حوائج اي قصاعا كما قال تعالى وجفان كالجواب وقال

بعضهم في الصعود بيوتا كقوله وينحتون من الجبال بيوتا آمنين فيكون في هذا الغنا دون قوامهم وشدتهم
وقوله عزوجل وفرعون ذي الاوتاد وقال بعضهم سماه ذا الاوتاد والوتد الجبل وقال بعضهم سمي ذا الاوتاد
لانه كانت له اوتاد ويضربها التعذيب من غضب عليه وقال بعضهم انه كان ينصب على الطريق اناسا على
كل طريق اناسا راصدا وحافظا وقيل اي ذو قصور وبنيان مشيدة مرفوعة يشبه الجبال الذي هي اوتاد
الارض وقوله عزوجل الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد وطغيانهم في البلاد وتمردهم وعتوهم
فيها وقوله عزوجل فصب عليهم ربك سوط عذاب قال بعضهم عذبهم بسوطهم الذين كانوا يعذبون
الخلق ويضربونهم وقال ابو بكر الاصم ان السوط لون من العذاب فعذب عادا بلون منه وعذب ثمود بلون منه
وفرعون واتباعه بلون منه وقوله عزوجل ان ربك لبالمرصاد وقال ابو بكر الاصم يرصد عذابه باعدائه ينتظر
اجالهم ثم يوقع بهم العذاب اذا اتى الاجل وعندنا انه يرصد عليهم ما عملوا فلا يشتد عليه ولا يعزب عنه
شيء من عملهم بل يحفظ عليهم ما استتر منها وما ظهر وقيل اي لا يجاوزه ظلم ظالم ولا يفوته هارب ثم لم يعرف
وهم احد في قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد الى اثبات مكان فاما بعض الناس انصرف وهمهم في قوله الرحمن على
العرش استوى على جعل العرش مكانا له وقوله عزوجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا والاشكال انه يقول قايل قول تلك
الانسان ربي اكرمن وربي اهانن خرج موافقا لما قاله الرب تعالى لانه قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فخرج قوله ربي اكرمن على الموافقة لما قال وكذا قول هذا الانسان حيث ابتلي بنقصه ربي
اهانن خرج موافقا لما قال فاما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فاذا كان الاول اكراما كان الله
يضاده اهانة لان الله تعالى سمى المال خيرا والفقر شرا وسمى المطيع محسنا والعاصي مسيئا فكذا
اذا استقام القوم بالاكرام عند ما ينعم عليه ويكرم استقام القول بالاهانة اذا ضيق عليه الرزق
ولم يكرم واذا كان هكذا فكيف رد عليه مقالته بقوله كلا وهو في ذلك صادق ولكن نحن نقول
ان الرد بقوله كلا لم يقع على نفس ولا انصرف اليه وانما انصرف الى ما اراده بقوله لان القايل بهذا
كافر بالله تعالى وباليوم الاخر فكان يقول لا بعث ولا جزاء وانما يجازون باعمالهم في هذه الدنيا فمن
احسن احسن اليه ومن اساء اسيء به فيكون قوله كلا اي ليس الامر كما صوره في نفسه بل الدنيا دار عمل
وابتلاء بالكفر والايمان دار الاخرة وهذا كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم لم يكونوا كاذبين في شهادتهم ومقالتهم كاذبين بل كانوا صـ
صادقين انه رسول الله والله تعالى يعلم انه رسوله ولكنهم ارادوا تكذيبه في قلوبهم فكانوا يظهرون خلاف
ما اضمروا في انفسهم فالرد انصرف الى التكذيب لا الى نفس القول كذا هذا ولان اهل الكفر كانوا اصنافا فمنهم من
كان يرى اذا بسط عليه النعيم في الدنيا واكرم فانما بسط عليه لاستوجبه بفعله واذا ضيق عليه وابتلي بالشدة
فانما ضيق عليه باساءته وبما كسب يداه ومنهم من كان يظن انه من الله تعالى بمنزلة وانه استوجب للانعام وانه
اذا ابتلي بضيق العيش واصابته شدة اصابه ذلك من عند محمد عليه السلام فيتشاءمون به الا ترى الى قوله وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وعلى هذا كان ظن فرعون قال الله
تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فقوله ربه فاكرمه ونعمه
اي اكرمه في نفسه بان اصح جسمه او جعله راس قومه ونعمه او بسط الدنيا عليه فيقول ربي اكرمن فكان ينطق
بذلك وقوله عزوجل واما اذا ما ابتلاه اي اذا اختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربي اهانن فكان ينطق بذلك
الجزع والله تعالى اختبره بالنعم ليستاذي بما انعم وابتلاه بضيق العيش ليصبر لا ليجزع فلا شكر هذا النعم بل
بطر ولا صبر هذا على الشدايد بل جزع فجازاه بكون بقوله كلا منصرفا الى هذا رد الاعتقادهم وصنيعهم وهو انه
لم يكرم ولم ينعم لينظر به ولا ضيق عليه رزقه للجزع بل انما انعم ليشكر وقدر عليه رزقه ليصبر والله اعلم وقوله عز
وجل بل لا تكرمون اليتيم فجايز انهم كانوا لا يكرمونه ويهينونه مع ذلك لان اكرام اليتيم ليس بواجب واما اهانته
حرام وجايز ان لا يثبت الاهانة منهم مع نفي الاكرام لان الايجاب اذا ذكر في مضادة الايجاب فنفي ذلك اثبات
المقابلة واذا ذكر الايجاب في مضادة النفي امكن ان يثبت فيه المقابلة وامكن ان لا يثبت الا ترى انه اذا قيل
فلان خاين كان اثبات المقابلة وهو نفي العدل لان قوله خاين اثبات الجور فكان في ذكره نفي العدالة وفيه
اثبات المقابلة واذا قلت ليس بعدل لم يكن فيه تحقيق الاثبات المقابلة ايضا قال الله تعالى في وجحت بجادتهم

فكان

فكان في نفي الورع اثبات المقابلة فانها حسرت ثم اكرام اليتيم هاهنا يحتمل اوجها ثلثة احدها ان يكرمه و
فان يحفظ عليه ماله حتى لا يضيعه ويكرمه في نفسه وهو ان يتعاهد احواله عن ان يدخل فيها خلل والوجه الثاني
ان يكرمه فيعلمه اداب الشريعة ويرشده اليها والوجه الثالث ان يكرمه فيبذل له من له قدر حاجة اليه و
يصطنع اليه المعروف فيكون التعبير هاهنا واهانة اليتيم ان يترك الاكرام الذي هو من باب حفظ ماله و
فيكون تضييعا والله اعلم وقوله عزوجل ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا يحثون غيرهم على اطعام
المسكين وجايز ان يحضوا وبلوا بانفسهم الاطعام ويحتمل ان لا يبلوا بانفسهم ويحضون غيرهم ففي هذه الاية
ترغيب للمسلمين باكرام اليتيم وتعاهد ماله ويبين ان عليهم ان يطعموا بانفسهم وان يحثوا الاغنياء باطعام
المسكين والله اعلم وقوله عزوجل وتاكلون التراث اكلا لما فاللم الجمع يقال لم المال اذا جمع فكانوا يجمعون
مالم يرثوه بانفسهم وذلك نصيب الايتام الى ما يرثوا من انصبائهم فياكلون جميعا وقال بعضهم ياكلون التراث
اكلا لما اي شديدا وقوله عزوجل وتحبون المال حبا جما قال ابو بكر اي تحبون حبا وفيا وفيما فوائس فيه قصود
فيكون فيه اخبار عن غاية حبهم الدنيا وشدة حرصهم عليها وجايز ان يكون على التقديم والتاخير وهو انهم
يحبون المال الجم حبا اي المال الكثير وقوله عزوجل كلا ردع وتنبيه فمنهم من رده الى الوضع الى قوله ربي
اكرمن وربي اهانن فكانه يقول كلا ليست هذه الدار دار جزاء فيكون الاهانة والاكرام بحق الجزاء وانما
هي دار محنة وابتلاء ومنهم من حمله على قوله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا دكا بمعنى حقا يخبر عن مذمة في
ترك الاكرام لليتيم وترك اطعام المسكين والحض عليه اذا دكت الارض اي دقت وكسرت وذلك يوم الحساب
والبعث وقوله عزوجل وجاء ربك والملك صفا صفا ويحتمل اوجها احدها ان يكون معناه وجاء ربك
بالملك اذ يجوز ان يستعمل الواو مكان الباء الا ترى الى قوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا
فيها فاذهب انت وربك ومعناه بربك واذا حمل على هذا ارتفعت الشبهة وانتفع الامر لانه لو كان قال
قال وجاء ربك بالملك لكان لا ينصرف وهم احد الى الانتقال من مكان الى مكان وقال تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام ومعناه والله اعلم بظلل من الغمام لانه قال في موضع اخر ويوم تشقق
السماء بالغمام فثبت ان معناه ما ذكرنا واذا ثبت هذا ارتفع الريب والاشكال ومنهم من ذكر ان معنى قوله
وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله اي امر الله دليله ما ذكر في سورة النحل قوله هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتي امر ربك فذكر مكان قوله وجاء ربك امر ربك ويحتمل ان يكون قوله وجاء ربك اي جاء
وعده ووعيده فنسب المجيء الى الله تعالى وان لم يكن ذلك وصفا له لانه لا يجوز ان ينسب الافعال الى الله
تعالى لنسبة حقيقة الفعل وان لم يوصف به كما قال الله تعالى فنفخت فيه من روحنا فاضيف النفخ اليه وانه لم
يوصف بانه نافخ وقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فاضيفت الكتابة اليه وان لم يوصف بانه كاتب
لما ان ما ظهر من اثار فعله ويقال المطر رحمة الله اي اثار رحمته لا ان يكون المطر صفة له ويقال الصلاة امر الله
والزكوة امر الله اي بامر الله يصلي وبامره يزكي لا ان يكونا وصفين له ووجه اخر ان يكون معنى قوله تعالى وجاء
ربك اي جاء الوقت الذي يصير انشاء هذا العالم حكمة اذ لولا البعث للجزاء لكان انشاء هذا العالم ثم الاهلاك
خارجا مخرج العبث لما وصفنا من قبل لقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فثبت انه و
خلقه انما صار حكمة بالبعث وقال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد كان الملك قبل ذلك
اليوم ولكن ملكه لكل من يتبين في ذلك الوقت وقال وبرزوا لله جميعا وقد كان كل شيء له بارزا ولكن معناه
انه الى الوقت الذي له برز الخلايق ثم الاصل في كل ما اضيف الى الله تعالى ان ينظر الى ما يليق ان يوصل بالعباد
اليه فيتصل به ويجعله مضافا فيه قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولم يعنهما اثبات في
الحضور وكان معناه ان علمه محيط بهم وهو مطلع عليهم وقال فاتاهم من حيث لم يحتسبوا لم يعنهم به الاتيان
بل كان معناه انه جاءهم باسه وجاء الاولياء نصره قال قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم ولم يفهم بهذا الاتيان ما فهم من الاتيان الذي يضاف الى الخلق وقال الله تعالى
ان تنصروا الله ينصركم وكان معناه ان تنصروا دين الله لان الله تعالى لا يلحقه ضعف يحتاج الى من تقويه و
قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وكان معناه انه يحذركم عذابه لانه اريد به تحقيق النفس ومثل هذا في
القران كثير من ان يحصى فثبت ان محل الاضافات ما ذكرنا فلذلك حمل على الوعد والوعيد وعلى الوقت الذي
صار خلق العالم حكمة او على ما يصلح فيه من الاضداد ومما يدل على انه لا يفهم بالمجيء معنى واحد بل يقتضي انه

المجئ اذا اضيف الى الاعراض فهم به غير الذى يفهم به اذا اضيف الى الاجسام فانه اذا اضيف الى الاعراض
اريد به الظهور قال الله تعالى اذا جاء نصر الله ومعناه اذا ظهر نصره ولم يرد به الانتقال ولو كان مضافا الى
الجسم فهم منه الانتقال من موضع الى موضع وقال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ومعناه ظهر الحق
واضمحل الباطل لا ان يكون الحق فى مكان فينتقل عنه الى غيره فثبت ان المجئ اذا اضيف الى شئ وجب ان يوصل
به ما يليق به لا ان يفهم به كله معنى واحدا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن الله تعالى من
تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى ساعيا اتيته هرولة
لم يفهم من هذا التقريب ما يفهم به اذا اضيف الى الخلق وكان معناه من تقرب الى بالطاعة والعبادة تقربت
اليه بالتوفيق والنصرة والاحسان والانعام وقال موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اقريب انت
فاناجيك او بعيد فاناديك ولم يرد به المكان وانما اراد بقوله اراض انت منى فاناجيك او ساخط على
فاناديك فان اعلن بالبكاء والتضرع ثم الاصل فى المجئ المضاف الى الله تعالى ان يتوقف فيه لا يقطع الحكم
على شئ لما ذكرنا ان المجئ ليس يراد به وجها واحدا لانه اذا اضيف الى الاعراض اريد به غير الذى يراد به اذا اضيف
الى الاجسام والاشخاص والله اعلم والله لا يوصف بالجسمية حتى يفهم من مجيئه ما يفهم من مجئ الاجسام
ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يراد من مجئ الاعراض فحقه الوقف فى تفسيره وما اعتقاد ما ثبت بالتنزيل
من غير تشبيه والله اعلم وقوله عز وجل وجئ يومئذ بجهنم قيل فيه من وجه احدها انها اظهرت وبرزت
لاهلها على ما قال فى اية اخرى وبرزت الجحيم للغاوين لا انها كانت فى مكان فنقلت عنه وقد يراد بالمجئ
الظهور قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ومعناه ظهر لكم لا ان كان فى مكان آخر فجئ به اليهم و
قال بعضهم جئ باهلها اليها اى الى جهنم فيكون حقيقة المجئ من الاهل ثم نسب اليها لانهم اذا اتوها فقد اتتهم
هى وهو كقوله انه كان وعده ماتيا فنسب الاتيان الى الذى يأتى الوعد فيكون الوعد هو الذى يأتى اهله وقال
بعضهم وجئ يومئذ بجهنم يومئذ اى يجئ زفرتها وشهيقها وتغيظها على اهلها لا ان يجئ عن مكانها ومنهم
من حمله على حقيقة المجئ مذكيا انه يؤتى بها ولها سبعون الف زمام على كل زمام سبعون الف ملك والله اعلم بذلك
وقوله عز وجل يتذكر الانسان يحتمل ان يتذكر اشفاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونصحهم لهم فيعلم انه
كان فيما توهم بهم من الظنون الفاسدة مبطلا فيكون يذكره ذلك تصديقا من المرسل عليهم الصلاة والسلام
وانى له الذكرى اى لا ينفعه تصديقه ايام ادلم يصدقهم فى الدنيا او يتذكر فانه يتلهف على فرط فى جنب الله من
التقصير فى حقوقه والتضييع الذى سبق منه حيث لم يشكر نعمه ولم يوجه اليه للعبادة فيكون تلهفه ذلك ايمانا
لكن لا ينفعه تلهف فى ذلك الوقت لان تلك الدار ليست بدار امتحان بل دار جزاء والذى يحمله على التصديق
مشاهدة الجزاء والحساب وعند المشاهدة يرتفع المحنة ويكون ايمانه ذلك ضروريا لا حقيقة فلذلك لا
ينفعه وانما ينفعه والطاعة وقت ملكه نفسه فاما اذا خرج ملك نفسه من يده لم ينفع له بالايمان حينئذ
وقال بعضهم يتذكر الانسان اى يتعظ وانى له الذكرى اى انى له الانتفاع بالموعظة ثم فى هذا التذكر بيان لطف
من الله تعالى يعطيه حتى يتذكر ولانا الانسان يذهب عليه ما قد كتبه فى وقت اذا اتى عليه حين حتى لو اراد ان
يتذكر وقت كتابته لم يقدر عليه ثم الله تعالى يذكره فى الاخرة جميع ما سبق منه فى الدنيا فيتذكر ذلك فيقول
يا ليتنى قدمت لحيوتى اى يا ليتنى قدمت لنفسى حيوة تسلم لى وحيوة تبقى لذتها فهذا هو تلهفه ويذكره فى
ذلك اليوم فيتلهف على ما فاته من الخيرات ويندم على ارتكابه المعاصى وكفرانه نعم الله تعالى ومعنى قولنا حيوة
تسلم فى التلذذ بها هو ان الكافر وان تلذذ كانت له حيوة فى الظاهر فان الحيوة للتعذيب فتلك له فى
الحقيقة ليست بحيوة بل هى هلاك لانه يرى ان الانسان اذا اخذ فى النزع فهو فى ذلك الوقت حى بعد
لكن حيوته للاهلاك فليست هى فى الحقيقة حيوة لكنها فعلى ذلك حيوة الخالد فى النار وقوله عز وجل
فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد قرئت هذه الاية على نصب الذال والثاء وعلى الخفض
منها فى قراءتها على الخفض فهو يحتمل وجهين احدهما ان العذاب فى الدنيا وان اشتد من الملوك على الاشقيا
فهو لا يبلغ عذابا لله تعالى لاعدائه فى الاخرة وان خف ولا يعذب عذابه احد لا ينبغى لاحد فى الدنيا ان
يعذب احدا بعذاب الله تعالى وهو النار كما روى عن النبى عليه السلام انه قال لا يعذب احد بعذاب الله فان كان
على النصب فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما ان يكون التاويل منصرفا الى صنف من الكفرة وهم الذين بلغوا فى الكفر
على مراتبه فلا يعذب من دونهم بعذابهم والثانى لا يعذب احد مكان احد كما يفعله ملوك الدنيا فى القهم يعذبون

الوالد

الوالد مكان الولد لمن يعذبون منصلى الذين استوجبوا العذاب وقوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة فالمطمئنة
هى الساكنة التى لا يرتاب ولا يضطرب بوعد الله ووعيده وامره ونهيه وحيده ثم يجوز ان يكون هذا فى
امر الدنيا فيكون قوله عز وجل ارجعى الى ربك اى ارجعى الى ما امرك ربك اى ارجعى الى امر ربك راضية بوعد الله
ووعيده فيكون راضية بالذى وعدها فى الاخرة جزاء الكد منها وسعيها فى الدنيا مرضية عند الله تعالى فادخلى
فى عبادى اى عباد الصالحين وادخلى جنتى اى ادخلى فيما يستوجب به الجنة وجائز ان يكون هذا فى الاخرة وهو
يقال للنفس التى اطمأنت فى الدنيا بوعد الله تعالى ووعيده وعملت بطاعته ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى
فى عبادى وادخلى جنتى وقيل يا ايتها النفس المطمئنة بالدنيا ارجعى الى طلب الاخرة وما اعد الله لاوليائه فيها
وقيل المطمئنة على عباده ارجعى الى طاعة الله فانك اذا فعلت ذلك رضيت بعطاء الله وثوابه اياك فى الاخرة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد اختلف فى قوله لا قال بعضهم لاها هنا فى موضع الدفع والرد لمنازعة كانت
بين قوم فدفع الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله لا وكانت تلك المنازعة معروفة فيما بينهم فترك ذكرها الذلك كما ذكر
الجواب فى بعض السور لما كان السؤال عندهم معروفا فترك ذكره وهو كقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وغير
ذلك ومنهم من يقول بان حرف لا مرة يستعمل فى حق الصلة والتاكيد ومرة فى موضع النفى فيظهر مراده بما يعقبه من
الكلام فان كان الذى يعقبه اثباتا فهو بحق التاكيد وان كان الذى يعقبه من الكلام نفيا فهو فى موضع النفى ثم
الذى يعقبه من الكلام اثبات وليس ينبغى فدل انه فى موضع التاكيد فكانه قال لا اقسم بهذا البلد ثم كان حقه ان
يقرأ لاقسمن بهذا البلد باثبات النون كما يقال لا فعلن فى اليمين لكن نون التاكيد قد يذكر فى موضع وقد لا يذكر
قال تعالى ان ربك يحكم بينهم والله اعلم وقوله عز وجل بهذا البلد قالوا اريد بهذا البلد مكة فاقسم بها بما عظم شانها
بما سبق ذكرنا له وللخاصة هى معظمة فى اعين اهلها ثم كان من عادة الكفرة القسم بكل ما يعظمونه فاقسم الله تعالى
من الوجه الذى جرت به العادة فيما بينهم ليزكى ما قصدا اليه بالقسم نفى بل عنهم الشبهة التى اعترضت وقوله عز وجل
وانت حل بهذا البلد قال بعضهم وانت نازل من الحلول وقال بعضهم وانت حلال بهذا البلد والحل والحلال لغتان
فان كان على هذا فالحل غير منصرف الى نفسه وانما انصرف الى ما احل له لانه لا يجوز ان يكون بنفسه حلالا ولا حراما
فالحل والحرمة اذا اضيفا الى من له الحلال والحرمة فانما يراد بالحل والحرمة الشئ الذى احل له والشئ الذى حرم
عليه الا ان يكون الوصف راجعا الى المضاف اليه فاذا قيل هذا محرم اريد به ان الاشياء محرمة عليه واذا قيل هذا حلال
ليس بمحرم اريد به ان الاشياء له حلال واذا اضفنا الى من لا يخاطب بالحل والحرمة اريد بهما عين ذلك الشئ كقوله
هذا لحم حلال وصيد حلال وهذا لحم حرام فيريد ان ذلك اللحم حلال وكذلك الصيد حرام او حلال ثم اختلفوا فى
الذى احل له فمنهم من صرفه الى القتال فقال بانه احل له القتال فيها وذلك يوم فتح مكة ومنهم من قال بانه
احل له الدخول فيها اذا جاء من الافاق بغير احرام ولا يحل ذلك لغيره وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان مكة حرام حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والشمس والقمر
ووضع هذين الجبلين لم يحل لاحد قبلى ولا يحل لاحد بعدى ولم يحل لى الا ساعة من نهار وهى ساعتى هذه هذه حرام بحرام
تعالى الى يوم القيمة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يرفع لقطتها الا من سدها فقال العباس رضى الله
عنه الا الاذخر يا رسول الله فانه لا غنى لاهل مكة عنه للقبور والبنيان فقال عليه السلام الا الاذخر فبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها قد احلت له ساعة من نهار والحل يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما وذكر ابو بكر الاصم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يؤذيه اهل مكة فيتاذى بهم فيخرج من بين اظهرهم فيحل له الصيد فى ذلك الوقت ولكن لا يصح صرف التاويل الى
هذا اذ لا يعرف مثل هذا الا بالخبر والنقل ثم فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضى الله عنه الا الاذخر
دلالة ان التحريم لم يكن منصرفا اليه ولا يحتمل ان يكون الوحى يوسا له ثم استثناه بما ذكر العباس رضى الله عنه من حاجة
اهل مكة اليه لما لم يكن بين ما ذكر من التحريم والتحليل كثير من يجرى فى مثلها النسخ ولكن ترك بيان الحل الى ان سأل
العباس رضى الله عنه ثم بين وهو دليل قول اصحابنا رحمهم الله تعالى ان تاخير البيان جائز ثم وقوله عز وجل وانت
حل بهذا البلد يحتمل وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى نفسه فاقسم به لما عظم من امره وشانه كانه قال عز وجل
لا اقسم بهذا الولد وبالذى هو حل بهذا البلد ويكون منصرفا الى مكة ويكون قوله وانت حل بهذا البلد خرج مخرج
التعريف لمكة لكونها فيها اى الذى انت نازل به وحال به او حلال فيه وقوله عز وجل ووالد وما ولد قال بعضهم

الولد هو ادم عليه السلام وما ولد اولاده وذريته ولكن ادم واولاده عليهم السلام ليسوا بمخصوصين بالدخول تحت اسم الولد والوالد ذلك فيهم وفي جملة الزوجات بين فيكون القسم بالخلائق اجمع فيكون ما على هذا التاويل بمعنى الذي ومنهم من جعل ما جحدا فقال وما ولد اي الذي لا يلد وهو العاقر اقسم بالبشر جملة من يلد منهم ومن لا يلد واقسم بهم ايضا لما جعلهم مفضلين على كثير من الخلائق وقوله عز وجل لقد خلقنا الانسان في كبد فقال بعضهم الكبد الانتصاب اي خلق الانسان منتصبا وخلق كل دابة منكبا وقال بعضهم الكبد الشدة والعناء وقال بعضهم خلقه منتصبا في بطن امه ثم يقلب وقت الانفصال والقايل ان يقول اي حكمة في ذكر هذا او في تاكيده بالقسم وكل يعلم انه خلق كذلك فجوابه ان في ذكر هذا ابانة انهم لم يخلقوا عبثا باطلا بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويامرهم بالعبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان التاويل منصرفا الى الشدة والعناء فتاويله انه خلقهم ليكابدوا للمعائش والمعاد جميعا وخلقهم للشدة ليعتبروا ويتذكروا وان كان منصرفا الى الانتصاب ففيه تعريف لعظم نعم الله تعالى عليهم من غير ان كانوا مستوجبين لذلك ليتاذى منهم الشكر بذلك وان كان التاويل على ما ذكر انه خلقه منتصبا في بطن امه ثم ينقلب وقت الانفصال ففيه ان الله تعالى قادر على ما يشاء وانه لا يعجزه شيء لانه يتهيا لا ان القلب احد فيجعل اعلاه اسفله الا ان يجد مثله في المكان سعة ثم ان الله تعالى قلبه فجعله اعلاه اسفله في ذلك المكان الضيق فتبين لهم انه لا يعجزه شيء فيحملهم ذلك على الايمان بالبعث والنشور والله اعلم ومعنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد عندنا لقد خلقنا الانسان ما له يكابد فان كانت مكابدته في طاعة الله تعالى كان من تواجها فقد خلق للجنة وان كانت مكابدته في امر الشيطان فهو للنار خلق وعلى هذا يجري قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اراد من يعلم انه يوثر طاعة الشيطان وعصيان الرحمن لجهنم واراد من يعلم انه يعبد الله ويوحده العبادة بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والاصل ان الحكيم ابدا يقصد العاقبة الا الذي ليست له معرفة بالعاقبة فاما من عرف العاقبة فابتداء فعله يقع لتلك العاقبة فان كان عاقبة النار فابتداء الخلق من الله تعالى يقع لذلك الوجه وان كانت عاقبة الجنة فهو لذلك الوجه ما خلق فعلى ذلك يخرج تاويل قوله عليه السلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقي في بطن امه وهؤلاء يوصف بالسعادة والشقاوة في ذلك الوقت ولكن معناه انه اذا اثر الشقاوة في حال الامتحان خلق ذلك واذا اثر السعادة فلذلك ايضا وقال نوح عم ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وهم في وقت ما ولدوا غير موصوفين بواحد من الوصفين بل يصير وكذلك فتبين انهم خلقوا لذلك ثم نفع القسم على ما له يكابد ليس على المكابدة نفسها لان المكابدة من الانسان ظاهرة لا يحتاج الى تاكيدها بالقسم وقولنا ان المقصود من ابتداء الفعل قول النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كانت غيا فانته وزعمت المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق احدا الا ليعبده ولو كان الامر على ما زعموا وظنوا لادى ذلك الى الجهل بالعواقب ووجب ان يكون الفعل حادثا بخروج الخطا لان كل من صنع امرا يريد غيره الذي يكون جاهلا بالعواقب او غايبا بالفعل لان من انشاء لشيء يعلم انه لا يكون عند ذلك منه عبثا ولو كان غير الذي يريد وهو ان يبني ليسكن فيه ثم ينقض قبل ان يسكن كان الذي حمله على البناء جهله بالعواقب وجل الله تعالى من ان يلحقه خطاء في التدبير وجهل في العواقب فثبت بما ذكرنا ان الله تعالى انشاء لكل فريق ما علم الذي يكون منهم وخلقهم لذلك الوجه دون ان يكون خلق الجملة للعبادة والله اعلم وقوله عز وجل ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد فالاية يحتمل وجهين احدهما ان يكون حسبان الله تعالى لا يقدر على بعثه فيكون قوله احد هو الله تعالى يقول اهلكت مالا لبدا او يحسب ان لم يره احد انفقت منه متقربا او يخرج عن الاحصاء وقوله عز وجل لم يره احد اي لم يعلم احد مبلغ ما انفق من ذلك او يكون قوله ايحسب ان لم يره احد اي لم يعلم اتباعه الذي انفق عليهم مقدار ما انفق عليهم فيكون في قوله تعالى اهلكت مالا لبدا اظهار منه السخاوة وجوده على الاتحاد منه بذلك والامتنان منه على اتباعه فان كان على هذا فهو في امر الدنيا وقد علم الله القدر الذي انفق عليهم وعلم الخلق سخاوته لا بقوله فليس اشتغاله في اظهار الجود والامتنان الا نوع من السفه وكان الذي يجب عليه الاشتغال بالشكر لله تعالى وتوجيه الحمد اليه لما علم ان الذي انعم به من المال الكثير من الله وان تلك المنقبة وهي السخاوة نالها بالله تعالى وهذا كقوله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباءكم لم ينالوا ما يذكرون من الشرف والمناقب الحميدة الا بالله تعالى فاذكروه كذكركم اباءكم وهذا النوع من الافتخار راجع الى الخصايص من الفرق لا الى الجملة اذ كل احد يقول مثل ذلك انه اهلك مالا لبدا او فعل كذا وقوله عز وجل الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فان كان قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد على نفي القدرة على البعث ففي ذكر العينين نفي تلك الشبهة وهو ان الله تعالى انشاء له بصرا يرى

بتحقة واحرج

بحقيقة واخرج ما بين السماء والارض من بلغت قدرته هذا لا يعجزه شيء او لحقيق عليه امر [illegible] لم يجعل الحيلة يدرك بها المحسوسات بالنظر وجعل لها لسانا وشفتين ليدفع بها [illegible] عن عينيه ويغمضها [illegible] عن النظر الى ما لا يعنيه وقوله عز وجل ولسانا اي خلقنا له لسانا يخبر به ما غاب واستتر وقوله عز وجل وشفتين ففي خلق الشفتين [illegible] من الحكمة احدهما [illegible] طبقا يستريان [illegible] ولولاهما لكان [illegible] الكلام [illegible] منه وجعلهما طبقا للسان [illegible] ويستعمله فيما يعنيه ذكر عظم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليستادي منهم الشكر وليعلموا ان الذي بلغت قدرته هذا ليس مما الذي يعجزه شيء وقوله عز وجل وهديناه النجدين اي [illegible] ما عليه وماله وما يجد عليه وما يفتح ويحيل والنجد الطريق فبين له الخالق الطريق الطريق جميعا طريق الخير والشر ومكنهم من الفعلين جميعا وقال بعضهم النجدان الثديان اي هديناه الثديين في حالة الانشاء ولكن [illegible] والهداية [illegible] الى هذا خصوصا بل هدانا [illegible] له غير من الامور ولا يقيد له بالقفل فيحمل على الاطلاق والعموم وقوله عز وجل فلا اقتحم العقبة قيل فيه من وجهين احدهما فهلا اقتحم العقبة والثاني انه لم يقتحم فان كان على الاول فمعناه الذي قال انفقت مالا لبدا كيف لا كان انفاقه في فك الرقبة وفي الانفاق على اليتيم والمسكين الذي بلغ بالجهد الحال الى الضيق بالتراب ويكون من جملة من امن بالله تعالى وتواصوا بالصبر والرحمة فيكون من اصحاب الميمنة ويكتسب بذلك الجنة الطيبة في الاخرة دون ان يكون الانفاق في الملاهي وشهوات النفس فلم يحصل لنفسه حمدا ولا اجرا في العقبى فصار من اصحاب المشأمة فيكون ما بعد قوله اهلكت مالا لبدا صلة له وتفسيرا وان كان التاويل على النفي ففيه تكذيب فيما يزعم انه انفق مالا لبدا فيقول لو كان على ما يظن ليظهر على ذلك فعله الرقاب والمواسات على اليتيم وعلى المسكين الذي هو ذو متربة فيكون هذا كله صلة قوله عز وجل اهلكت مالا لبدا ايضا ثم قيل في العقبة في وجهين احدهما على تحقيق العقبة وهو ان يكون في النار عقبة لا يجاوزها ولا يقطع الا بما ذكر من فك الرقبة والاطعام في يوم ذي مسغبة كقوله تعالى ساره قه صعودا وقوله عز وجل وما ادريك ما العقبة على تحقيق العقبة معناه وما يدريك بما يقطع تلك العقبة ثم بين انه انما يقطع بما ذكر من فك الرقبة ونحوه وجايز ان يكون على التمثيل لا على التحقيق ووجهه انه يشتد عليه تحمل المؤنة التي ذكر من فك الرقبة واطعام المساكين ومواسات اليتيم فيكون العقبة كناية عن تحمل المؤن لا على العقبة نفسها وهو كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء اي يصير الايمان عليه في الشدة والثقل كانه كلف الصعود الى السماء ويشتد على الاول يحمل المؤن ليصير من اهل الميمنة وان كان على الوجه في المهالك لم يحتمل هذه المؤن اليصير من اهل الميمنة فكانه يقول قد اهلك نفسه بترك الانفاق في الوجوه التي ذكر والاعراض عن الايمان بالله تعالى فرك فكان الرقبة وروى ابو بكر الاصم في تفسيره خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا ساله فقال يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فامره بعتق النسمة وفك الرقبة فقال السايل اليسا هما واحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عتق النسمة ان تعتقها وفك الرقبة ان تعين على فكاكها ففكاك الرقبة ان يجعلها من وجوه المهالك وذلك بالتخليص عن ذل الرق وان يرى انسانا هم بقتل اخر بغير حق فيدفع عن المظلوم شر الظالم فتراه يعرف فتخلصه عن ذلك فيكون في ذلك كله فكاك الرقبة عن المهالك ليكتسب بها الجنة الطيبة في الاخرة ثم اختلف القراء في هذا الحرف فمنهم من قرا فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة على النصب ومنهم من قرا فك رقبة او اطعام على الرفع فاذا قراته بالنصب فمعناه هلا فك رقبة او اطعم فيكون راجعا الى تفسير الانعام واذا قراته بالرفع انصرف الى قوله وما ادريك ما العقبة فكانه قال لا تقطع العقبة يكون بالفك وبما ذكرنا وذكر عن سفين بن عيينة رض انه قال كل ما في القران وما ادريك فقد اعلمه وروى ذكر ما فيه وما يدريك فهو لم يعلم والله اعلم والمسغبة الجاعة وقوله عز وجل ذا مقربة اي ذا قرابة منه وقوله عز وجل ذا متربة اي الصق بطنه بالتراب وقيل ليس له شيء يحجبه عن التراب ثم في قوله يتيما ذا مقربة دلالة وجوب حق اليتيم على القريب اذا كان محتاجا فيكون فيه حجة لقول اصحابنا ان اليتيم اذا كان محتاجا فرضت نفقته على قرابته وفي قوله او مسكينا ذا متربة دلالة ان المسكين الذي وصفه وهو ان لا يكون بينه وبين التراب حايل لكفايته تلزم الخلق بجملة وقوله عز وجل ثم كان من الذين امنوا فتاويله انه لا ينفعه فك الرقبة ولا الاطعام حتى يكون مؤمنا مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة فاذا كان كذلك فحينئذ يكون قاطعا للعقبة وجايز ان يكون الصبر الذي به الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اي امنوا والتواصي بالصبر وبالمرحمة هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ التواصي ماخوذ من الوصية وهذا يوجب ان يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اعتقاد الايمان وقوله عز وجل اولئك اصحاب الميمنة اي اصحاب

يوم اهل اليمين وقوله عز وجل والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة اي اصحاب الشوم على انفسهم حيث عملوا بالمعا
واستوجبوا به نارا موصدة وهي الموصدة المطبقة المبهمة وصفه الاطبا قد ما ذكر في اية اخرى وذلك قوله عز وجل
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال الله تعالى سرادقها الاية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والشمس وضحيها قالوا تاويله والشمس وضوءها وقيل وحرها وقيل ونهارها وهذا في موضع القسم
وذلك لان الله تعالى جعل في الشمس معاني يدل على لطايف حكمته وعجايب تدبيره وجعل فيها النهاية من البركات وفي
انها دية من الايات فمن عجيب تدبيره انه جعل نورها بحيث يهلك نور الظلال حتى اذا في مكان اذا اهبت نور الظل
ونور السراج ونور القمر وستر نورها الكواكب عن ان يرى وجعلها بحيث يظهر بها هباء الهواء فتبين ان الهوا اذا
هبا الا ترى انك اذا نظرت في المشكوة حين سقط الشمس فيها تبين لك بها هباء الهواء ولولا ذا احد من الحادين ان
يتدارك المعنى الذي به اشنا رهذا الشمس كالم يقف عليه ثم من بركتها ان بحرارتها مصالح الاغذية وبها مصالح
النبات وبها يكبس الحب وبها ينضج الفواكه ومن عجيب تدبيره انه جعلها بالنار عن كل شي له بها صلاح اذ لو دنت
منها لكانت تحرق الاشياء كلها ومن اياتها انها جعلت بحيث تسير وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ما يتعذر على الذي
خلق والمشي قطع تلك المسافة بمدة كثير وهي ايضا تظهر جود الرب جل جلاله لان منافعها تعم الخلق كلهم برهم
وفاجرهم والولي منهم والعدو فاقسم الله تعالى بها ليزيل عن الكفرة الشبهة التي تعترض لهم من امر الدين اما في التوحيد او في
الرسالة او في البعث والله اعلم وقوله عز وجل والقمر اذا تلاها فجايز ان يتلوها في كل ما ذكرنا في الشمس من المنافع
والمعاني فيكون ثانيها في العمل فانه ينفع به صلاح الاغذية ايضا وهو يدبر ايضا الا انه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ مبلغها
والله اعلم وقال بعضهم اذا تلاها اي يتلوها في اول ما يهل فانه اذا وجبت الشمس في اخر اليوم من الشهر بلا غروبها ء
طلوع الهلال قال بعضهم انه يتلوها انما صار بدرا وفي هذا دلالة ان منشاها واحد لان منافعها يعم الخلق جميعا ولو
يكن مدبرها واحدا لكان لا يعم بل يمنع واحدا منهما منشئه عن ايصال النفع الى قوم عدوه وقوله عز وجل والنهار اذا
جليها يحتمل وجها يحتمل ان يكون النهار جلى الدنيا ويحتمل ان يكون جلى الارض ويحتمل ان يكون جلى الشمس ويحتمل ان
يجلي الابصار بنورها عن ظلمة الليل التي يغشاها وقوله عز وجل والليل اذا يغشيها ينصرف الى الاوجه التي ذكرنا
ايضا ان يغشى الدنيا او الارض او الشمس او يغشى الابصار بظلمتها عن الحاوية والله اعلم ثم الليل والنهار زيادة
سلطان ليست للشمس ولا للقمر لان من سلطان الليل والنهار انهما يفنيان الاجال ويقطعان الاعمال ولا يتهيا
لاحد الامتناع والتحرز من سلطانهما ويتهيا للخلق دفع اذى الشمس والقمر عن انفسهم بالحيل والاسباب فكان في ذكر
الليل والنهار زيادة معنى ليس ذلك في ذكر الشمس والقمر وقوله عز وجل والسماء وما بناها قال الزجاج ما بمعنى الذي
وقد يستعمل في مثله كقول العرب سبحن ما سبحت له السموات والارض وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى من كانه يقول والسماء
ومن بناها وقال بعضهم ما هاهنا يحتمل الفعل الماضي بمعنى المصدر تقول اعجبني ما صنعت اي اعجبني صنعتك فيكون
معناه والسماء وبناءها فان كان التاويل على الوجهين الاولين يرجع القسم الى الله تعالى والسماء والى ما تقدم من الشمس
والقمر والنهار والليل وان كان على التاويل الاخير رجع القسم الى ما خلق وهو السماء فان بناء السماء عينها وقال ابو بكر
الاصم ان هذه الالفات في قوله والسماء وما بناها والارض وما طحيها وما سويها يخرج على التعجب على شرط التقديم وان كان
موخوذ في اللفظ كانه يقول ما احسن السماء ثم ابان بنا بانه رفع سمكها فسواها ووضعها بغير عمد ترونها والله
اعلم وقوله عز وجل والارض وما طحيها وبسطها وقوله عز وجل ونفس وما سويها قالوا سويها اي خلقها
باليدين والرجلين والعينين ونحوها فاذا كان على هذا فالتسوية ترجع الى الاعضاء لا الى الجملة لانه ليس كل نفس من اجزا
جملة فيكون معناه انه سوى كثير النفوس بما ذكر من اليدين والرجلين وذلك جائز في الكلام وقد كقوله تعالى وجعل
الليل سكنا وجعلنا النهار معاشا ومعناه انه جعلها سكنا ومنزلا لاكثر الخلايق لا للجملة والله اعلم وقيل سوى جوارحها
واطرافها ما لو لم يكن لها خارجة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان وهذا اعم من الاول ويحتمل سواها على ما يخرج عليه
بعقلها وما يلت التقلب والتعيش ليس ما عليه ساير الحيوان ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون قوله سواها اي جعلها
بحيث احتملت التكلف والمحنة كقوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى ويميز بين القبيح والحسن ويعرف عواقب الامور
من الخير والشر وقوله عز وجل فالهمها فجورها وتقويها وهذا يحتمل وجهين احدهما اي بين لها فجورها وتقويها و
علمها قبل ان زعم ان المعارف ضرورية خلقه يحتج بهذه الاية فيقول تعالى اخبر انه علمها فجورها وتقويها فانه وضع في

نفسه

نفسه ما يعرف به قبح كل قبيح وحسن كل حسن والاصل فيه عندنا انه يعرف حسن الاشياء وقبحها جملة ببداية و
العقول ولكن العقول لا تعرف حسن كل شي على الاشارة اليه ولا قبح كل قبيح على الاشارة اليه وانما يعرف ذلك اما بخبر
يرد على السن الرسل عليهم السلم وباستعمال الفكر الا ترى انك تجد النفس من طبعها انها تالف الملاذ والمنافع وتتنحى عن
المكاره والالام ولكنها لا تعرف معرفة كل مستضع على الاشارة ولا مضرة اعين الاشياء وانما يعرف ذلك بالذوق وكذلك
وكذلك العين يدرك الالوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه بل العقل هو الذي يفصل بينهما فعلى ذلك قد جعل في طبع العقل
قبح القبايح جملة وحسن المحسن ولكن لا يفصل بينهما على الاشارة الى كل في نفسه الا بما ذكرنا فيكون قوله فالهمها فجورها
وتقواها اي جعل في نفسها ما يبين القبيح من الحسن والخبيث من الطيب ويبين قبح الفجور وحسن التقوى ويلزمه المحنة
والكلفة بذلك ثم يصل الى معرفة ذلك اما بالرسل واما باستعمال الفكر ويحتمل وجها اخر وهو ان يلهمها تقواها اذا
وفى بما لله تعالى عليه من الاستقامة على الطريقة والمجاهدة الا ترى الى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا .
فوعد الهداية بالجهاد وقال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ثم كانت الاجابة م
مضمنة بشريطة وهو ان يستجيب له الداع فيما دعاه اليه الا ترى الى قوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي وقال تعالى
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الاية فثبت ان الذي يلهم التقوى
هو الذي يقوم بوفاء ما عليه فاذا قام به الهمه التقوى وبين له سبيل الفجور وقال ابو بكر الاصم في قوله فالهمها
فجورها وتقواها اي الزمها فجورها وتقويها فيكون تقواها لها وفجورها عليها لا يوخذ احد بفجور احد وفي
هذا دليل على ان التقوى اذا ذكر مفردا انصرف الى الخيرات اجمع واذا قرن به البر والاعطا انصرف الى الاتقاء عن المحا
كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى واذا قيل بر واتقى اريد به انه بر بكل ما يحمد عليه واتقى عن كل ما يذم فاعله وقوله عز وجل
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فموقع ما تقدم من القسم بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا فقوله قد افلح
من زكاها في الاخرة على ما ذكر في قوله ان سعيكم لشتى فيكون في هذا ايجاب القول بالبعث من الوجه الذي نذكره و
ان شاء الله تعالى ثم اختلفوا في تاويل الفلاح قال بعضهم افلح اي سعد ومنهم من يقول اي بقي في الخيرات والفلاح
البقاء ومنهم من يقول افلح اي فاز والمفلح في الجملة هو الذي يظفر بما امل وينجو عما يحذر فيدخل في ذلك السعادة و
البقاء والفوز وقوله عز وجل من زكاها فجايز ان يكون منصرفا الى الله تعالى وجايز ان ينصرف الى العبد قال الله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبين الله تعالى
انه هو الذي يتفضل بتزكية من زكى وجايز ان يكون منصرفا الى العبد فقوله زكاها اي صالحها وكذلك قوله وقد خاب من
دساها يحتمل هذين الوجهين فيكون الله تعالى هو الذي انشا فعل الضلال فيكون الفعل من حيث الانشا عن الله تعالى
ومن حيث الفعل من العبد ثم قوله من دساها اي اخفاها واخفاها ان صيرها بحيث لا يذكره الحافل الا بالذم وزكى
الاخر اظهرها حتى ينظر اليها الناس بعين التبجيل والتعظيم وهكذا شان المتقي ان يكون مجلا معظما فيما بين الخلق و
الفاجر يعيش مذموما مهانا فيما بين الخلق او يرجع الاظهار والاخفاء الى الاخرة فيجل قدر المتقي المزكي ويجل ذكر الفاجر
وقوله عز وجل من دساها من دسست فاستثقل السينين وابدل مكانها الياء ثم الاضافة في قوله دساها الى الله تعالى على
خلق ذلك الفعل منه وفي قوله من زكاها على التوفيق وقوله عز وجل كذبت ثمود بطغويها ولم يبين لمن كذبوا وقد بينه
في اية اخرى فقال كذبت ثمود المرسلين وقوله عز وجل بطغواها يحتمل وجهين اي لاجل معصيتها وطغيانها اذ الحامل
لهم على التكذيب طغيانهم وتركهم التفكر في امرهم والا لو تفكروا فيما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا موضع
التكذيب والثاني باهل طغواها اي كذبت ثمود بسبب اهل الطغيان فيكون في هذه الاية انباء انهم لم يكذبوا رسولهم
بشبهة اعترضت لهم او بحجة كانت لهم يكذبونه عن عناد منهم وتيقن منهم برسالته وذلك انه بين لهم صالح عليه السلام
جاوزت الحجج لانهم اوتوا الناقة على سوال سبق منهم وعلى تعدي منهم في السوال اذ كان لهم ان يطالبوه بالحجة على دعوى
الرسالة ولم يكن لهم ان ينصوا السوال على شي يخيرونه اليه فهم باشارة هم الى سوال الناقة كانوا معتدين فيه ثم من
حكمة الله ان الحجة اذا كانت على اثر السوال ثم ظهر التكذيب من السائلين هو الاستيصال في الدنيا وقد وجد منه ولذلك
القوم السوال والتكذيب فعوقبوا بالاستيصال قال الله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
واتينا ثمود الناقة مبصرة فبين الله تعالى المعنى الذي لم يرسل الايات التي سالت الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو انهم لو اوتوا عندوا واستوصلوا فقد اراد الله تعالى ابقاء امته الى ان تقوم الساعة وارسله رحمة للعالمين
وهي القتال ووجه الرحمة انهم كانوا يشتغلون عن الدنيا وشهواتها فكان يمنعهم ذلك عن النظر في حجة وايات
رسالته وكان في الجهاد وما يضيق عليهم المعاش ويضطرهم الى النظر في الحجج فيحملهم ذلك على تصديقه والايمان به

ثبتان في القتال رحمة عليهم وقوله عز وجل اذ انبعث اشقاها اي قام اشقاها وصار اشقاها بما احدث من الكفر بعقر الناقة وروي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه الا اخبرك باشقى الناس رجلين قال بلى يا رسول الله فقال احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضرب على هذه واشار الى هامته حتى يبتل منها هذه واشار الى لحيته فصار عاقر الناقة اشقى الناس بما ذكرنا وجايز ان يكون قاتل علي صار اشقى الناس لانه استحل قتاله وقوله عز وجل فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فهو يحتمل وجهين احدهما اي احذروا ناقة الله وهو كقوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم والثاني اي قال لهم ذروا ناقة الله تاكل في ارض الله وذروا بين الناقة وسقياها او شربها ثم اضيفت الناقة الى الله تعالى لوجهين احدهما ان الله تعالى لم ياذن لاحد بالتملك عليها حتى ينسب اليه الملك بل بقيت غير مملوكة لاحد فاضيف الى الله تعالى كما اضيف اليه المساجد لما لا ملك لاحد عليها واضيفت الى الله تعالى على معنى التفضيل والاصل ان الاضافة لا تنسب الى الله تعالى بحق الحرمات على تفضيل تلك الاجزاء من بين غيرها فاضافة الاشياء الى الله تعالى بحق الكليات تخرج مخرج تعظيم الله تعالى واذا قيل رب المساجد اريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع واذا قيل رب العرش اريد به تعظيم العرش وكذلك اذا قيل رب الناقة اريد به تعظيم امرها واذا قيل رب العالمين ورب كل شيء اريد به تعظيم الرب جل جلاله وقوله عز وجل فكذبوه فعقروها فدمدم يحتمل ان يكون قوله كذبوا صالحا عليه السلام في رسالته او كذبوه في ما اخبرهم من حلول العذاب بهم اذا عقروا الناقة فعقروها جامع ذلك وقوله عز وجل فدمدم عليهم ربهم قال بعضهم اي اطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير ومنه يقال بعير مدموم اذا كان سمينا اي اطبق شحمه على سمنه وقال بعضهم دمدم عليهم اي [illegible] عليهم بذنبهم ما تقدم وامن تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة وقوله عز وجل فسواها يحتمل وجهين احدهما انه سواهم بالارض كقوله عز وجل يوم يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض او سوى بين الصغير والكبير في الاهلاك فالصغار منهم يومئذ ماتوا باجالهم والكبار منهم استؤصلوا بذنوبهم وقوله عز وجل ولا يخاف عقباها فجايز ان يكون الاضافة منصرفة الى الله تعالى وهو ان يكون الله لما اهلكهم لم يخف تبعة الاهلاك ووجه الخوف هو انه فيما اهلكهم عما اوجبت الحكمة من اهلاكهم ولم يلحقه تقصير في الحكمة ولا وجد العايب في ذلك سبيلا وهكذا قال الحسن ذلك انه لم يخف لما انزل عليهم العذاب فيكون منصرفا الى العاقر فيكون معناه انه عقرها ولم يخف العاقبة التي حذرهم بها صالح عليه السلام من قوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقال بعضهم ولا يخاف عقباها اي لم يعلم ما يحل به من عقر تلك الناقة ولو علم لم يفعل ويجوز استعمال الخوف في موضع العلم لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما ثم الحكمة في ذكر قصة ثمود وجهان احدهما ان في ذكرها اثبات رسالة محمد صلوات الله عليه وسلم وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه الاختلاف الى من عنده علم الانباء والاخبار وكان لا يعرف الكتابة ليقع له المعرفة بها فثبت انه بالوحي علم والثاني ان في ذكرها تخويف المكذبين بالرسل تحذيرا لهم ليمتنعوا عن تكذيبه فلا يحل بهم كما حل بمكذبي صالح عليه السلام من باسه وعذابه والله الهادي وعليه اعتمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى جعل الله تعالى الليل والنهار ايتين عظيمتين ظاهرتين مكررتين على الخلايق ما يعرف كل كافر ومؤمن وجميع اهل التنازع الذين تنازعوا اهل الايمان والتوحيد من الجبابرة والفراعنة و القسم بقوله والضحى والليل اذا سجى واحدا وقد ذكرنا ان القسم انما يذكر في تاكيد ما يقع به القسم ما لولا القسم كان يوجب دون القسم وذلك لعظم ما فيهما حتى قهرا جميع الفراعنة والجبابرة وغلبا عليهم في اتيانهما وذهابهما حتى ان من اراد منهم دفع هذا ومجي هذا ما قدروا عليه وفيهما دلالة وحدانية الله تعالى والوهيته وقدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وحكمته اما دلالة وحدانيته والوهيته اتساقهما وجريانهما على حد واحد وسنن واحد من كانا وانشا من الظلمة والنور والزيادة والنقصان فلو جريا بها على ما ذكرنا ان منشئهما واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا جاء هذا وغلب الاخر وامت غلبته عليه وكذلك الاخر يكون مغلوبا ابدا والاخر غالبا فاذا لم يكن ذلك دل انه فعل واحد ويدل الفاعلان ليس ذلك على النور والظلمة على ما تقول الثنوية ودل ايضا ما نفع احدهما بما نفع الاخر على ان ذلك عمل واحد لا عدد ودل اتساق ما ذكرنا ودوامها على حد واحد على الاستواء ان منشئهما مدبر عليم عن تدبير وعلم خرج ذلك لا على الجزاف بلا تدبير ودل مجي كل واحد منهما بطرفين على ان منشئهما قادر لا يعجزه شي من بعث ولا غيره ودل ما ذكرنا الا ان اصل ذلك حكيم على حكمة خرج فعله لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بامر وكذلك جعل فيما ذكر من الذكر والانثى من الدلالات والايات من الازواج والتوالد والتناسل وغير ذلك وقوله عز وجل وما خلق الذكر والانثى

قال بعضهم

قال بعضهم اي حرف ماضي في قرية التعل الماضي بمعنى المصدر كما قال وخلق الذكر والانثى فيكون قسما بجميع الخلايق انه لا يخلو شيء من ان يكون ذكرا وانثى وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه والذكر والانثى وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا كذلك وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى الذي كانه قال والذي خلق الذكر والانثى فيكون على هذا القسم بالله تعالى وعلى الثاني والاول بالذكر والانثى وقوله عز وجل ان سعيكم لشتى قال اهل [illegible] هذا موضع القسم قال بعضهم كلا يعلم من كافر ومؤمن ان سعيكم لمختلف في الحكم والغاية من ذكر القسم على ما يفعل كل ذلك [illegible] والله اعلم [illegible] ذلك انهم كانوا يقولون ان كانت دار اخرى [illegible] عليه الصلاة والسلام ونحن احق بها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ان سعيكم لشتى [illegible]

[illegible] وقع الاستواء بينهم في الدنيا الابدية واخرى فيها يقع التفاوت والتفاضل بينهم وفيها تميز من ما ذكرنا ثم بين ان الذي يقع الجزاء يختلف ما ذكر بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهو يخرج على وجوه يحتمل فاما من اعطى واتقى اي اعطى ما امر به واتقى عصيانه وكفران نعمه او اتقى المنع او من اعطى التوحيد لله تعالى من نفسه واتقى الشرك والكفران نعمه وصدق بموعود الله تعالى فسنيسره لليسرى الاعمال والشرايع او شرح صدره للتوحيد والاسلام ونبه عليه واما من بخل ولم يات بالتوحيد واستغنى عن الله تعالى بما عنده وكذب بموعود الله تعالى فسنيسره للعسرى لما يعده من الاعمال والله اعلم والثاني في حق القبول والعزم على وفاء ذلك بقوله فاما من اعطى اي قبل الاعطاء وعزم على وفاء ذلك واتقى اي عزم اتقاء معاصي الله تعالى ومحارمه وصدق بالحسنى اي بموعوده فسنيسره لليسرى اي سنيسره لوفاء ما عزم واما من بخل اي على البخل والمنع بذلك واستغنى بالذي له عنده وكذب بموعود الله تعالى فسنيسره لوفاء ما عزم من الخلاف لله تعالى والمعصية له وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال كل ميسر لما خلق له او قال كل ميسر لما عمل والثالث يخرج على حقيقة اعطاء ما وجب من الحق في المال وحقيقة المنع بقول فاما من اعطى ما اوجب من حق الله تعالى في ماله واتقى نقمة الله ونقمه وعذابه وصدق بالحسنى اي بموعود الله تعالى فسنيسره لليسرى في الخيرات والطاعات واما من بخل اي منع حق الله تعالى في ماله وكذب بالذي وعد على ذلك فسنيسره لليسرى في الانفاق الى ما وعد وقوله عز وجل وما يغني عنه ماله اذا تردى قيل اذا هلك وقيل اذا تردى في النار وفي ظاهر قوله تعالى وما يغني عنه ماله دلالة على ان الاية في حقيقة الاعطاء من المال والمنع وقوله عز وجل وصدق بالحسنى قال بعضهم بالجنة وقيل شهادة ان لا اله الا الله وقيل بالخلف على ما انفق وجايز ان يكون اسم الجنة وكذلك الحسنى والعسرى والسؤال النار ويحتمل ان يكون اليسرى اسما لكل ما طاب وحسن من العمل والعسرى ما خبث وقبح من العمل ومنهم من قال ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه اشترى بلالا من امية بن خلف وابي بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه لله تعالى فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية وابي وذكر الى اخر السورة فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ابو بكر رضي الله عنه فاما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى امية بن خلف وابي بن خلف يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا وقوله عز وجل ان علينا للهدى هذا يخرج على وجوه احدها جايز ان يكون علينا اي لنا وذلك جايز في اللغة جار كقوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب وكقوله تعالى وعلينا الحساب وعلينا حسابهم اي لنا محاسبتهم وقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل اي لله قصد السبيل كقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كما قال يوم يقوم الناس لرب الناس ونحو ذلك كثير ان يكون علينا بمعنى لنا فيصير كانه قال ان لنا الهدى كقوله الا لله الدين الخالص وكقوله وله الدين واصبا يكون فيه اخبار ان الهدى والدين الخالص له دون ما سواه من الاديان فلا هي سبيل الشيطان ليثبت لله تعالى على هذا جايز ان يخرج تاويل الاية والوجهان الاخران يخرجان على حقيقة على لكن احدهما يخرج ذكر الهدى على ارادة البيان في تبيين الطريق والاخر على ارادة حقيقة الهدى هو ضد الكفر ومقابله فاما على ارادة البيان فكانه قال ان علينا غاية البيان في حق الحكمة والعدل فيما يمتحنون

حتى ان كان التقصير والتفريط فانما يكون من قبل انفسهم لا من قبل الله تعالى اذ بين لهم كل شي غاية البيان ونهايته ليزول الشبهة منهم والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول ان علينا هداية من استهدى واجتهد في طلبها كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ووجه اخر ان علينا انجاز ما وعدنا على الهدى من اهتدى واختياره يخرج على تاويل الاية على ارادة البيان من الوجوه التي ذكرنا واما على ارادة حقيقة الهدى الذي هو مقابل الكفر فكانه قال ان علينا التوفيق والمعونة والعصمة في حق الاختيار والافضال لا على ان ذلك عليه لهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان علينا بيانه ما للاخرة والاولى كيلا يزول عن قصد الطريق فيهلك نفسه في كل مضيق وقوله عز وجل وان لنا للاخرة والاولى فهو يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم انكم تعلمون ان لنا للاخرة والاولى وليس لما تعبدون من الاصنام والاوثان الاخرة والاولى فكيف صرفتم عبادتكم عمن له الاخرة والاولى الى من ليس له الاخرة والاولى على علم منكم بذلك يستفهمهم في اختيارهم عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى والثاني يقول والله اعلم ان لنا للاخرة والاولى فما بالكم تبخلون بالانفاق على انفسكم وما يرجع منفعته اليكم بما ليس لكم في الحقيقة وانما هو لله تعالى وهذا التاويل صلة قوله تعالى واما من بخل واستغنى الاية والاول يكون صلة قوله ان علينا الهدى وقوله عز وجل فانذرتكم نارا تلظى اي نارا تتوقد وتتلهب وتتشعب على ما ذكر من صفتها ثم ذلك الانذار يكون للفريقين لاهل التوحيد ولاهل الشرك جميعا والله اعلم وقوله عز وجل لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى قالت المعتزلة هذا ليس على حقيقة التكذيب ولكن على التقصير والتفريط في امر الله تعالى والوقوع في مناهيه فيصرفون الاية الى اصحاب الكبائر ويجعلون اصحاب الكبيرة يصيرون مكذبين ومتولين لانهم في ابتداء اعتقادهم التوحيد والايمان اعتقدوا وفاء كل ما وقع به الامر ووفاء كل ما يليق به والا عن جميع ما لا يليق به فاذا ترك ذلك صار مكذبا لما اعتقدوا في الاصل وفاء ذلك لكن عندنا لا يصير بترك الوفاء مكذبا لكن يصير مخالفا لما وعد واعتقد واستدلت المرجئة الذين لا يرون العذاب الا لاهل الشرك والكفر بهذه الاية يقولون انه لا يصليها الا الذي كذب وتولى والمسلم وان ارتكب الكبيرة او الصغيرة فهو ليس بمكذب ولا متول لكن تاويل الاية عندنا في الكفرة ليست في اهل الايمان ثم يحتمل قوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى في باب ودرك دون درك وباب فان لكل فريق دركا كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في اية اخرى الا من غسلين فيكون الضريع الذي ذكر في باب ودرك منها والغسلين في باب اخر وجائز على هذا ان لا يصلى ذلك الدرك الا الاشقى فاما يجوز ان يكون لصاحب الكبيرة درك خاص واما ما ذكر وان اصحاب الكبائر قد اوعدوا وحذروا بمواعيد شديدة قلنا انكم المواعيد وانهم يعذبون ولكن نقول لا يكونون في الدركات التي فيها الكفار وان ادخلوا في النار وجائز ايضا ان يكون بعذاب سوى العذاب الذي ذكر بالنار والتلظي وعندنا هم في مشية الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء تجاوز عنهم وخلاء عنها سبيلهم واما النار التي ذكر بصفة التلظي فهي للكفار والله الموفق وقوله عز وجل وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اخبر انه يجنبها النار عن الاتقى ويتقيه عنها ثم فيه دلالة انه انما يجنبها ويقيها بالاعمال التي يعملها فدل ان الله تعالى في انعامه صنعا حيث اضاف الوقاية اليه والتجنب عنها وهو كقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي ما لاحد عند الله تعالى من نعمة تجزى بها ولا بد يستحق الثواب بها لكنه اذا اراد نعمة من نعم الله تعالى اعطاها اياه لغير ابتغاء وجهه وطلب رضاه يجزيه بفضله كانه كانت له عنده نعمة تجزى بها والثاني يحتمل ان هذا صلة قوله يؤتي ماله يتزكى اي يتصدق ويتزكى لابتغاء وجه الله تعالى على من ليس عنده نعمة وقد يجازيه بها وينفق عليه جزاء بصنيع قد سبق منه في حقه كانه يقول لا يعطي الزكوة احدا عن مجازاة سبق منه اليه من نعمة انما اعطاه لا لمجازاة ولكن لله تعالى خالصا وفيه دليل ان لا يعطي الرجل زكوة ماله من عنده له نعمة او منة لانه يخرج ذلك مخرج الاعطاء ببدل وقوله عز وجل ولسوف يرضى اي يرضى بالذي يجزى له ويبان اليه من الثواب وحرف السوف والعسى من الله تعالى واجب كانه يقول فيعطيه حتى يرضى وقال بعضهم نزلت هذه الاية وهو قوله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال بعضهم هذه الاية نزلت في ابي الدحداح رضي الله عنه طلب النبي صلى الله عليه وسلم منه نخلة الى اخر القصة وقال بعض اهل الادب تردى في النار اي سقط ويقال تردى تفعل من الردى وهو الهلاك اذا تجلى اذا بدى والبشرى من التبشير والعسرى من التعسير والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والضحى والليل اذا سجى قال بعضهم الضحى هو ضوء النهار كقوله وضحاها اي ضوئها وقال بعضهم هو ساعة من النهار وهي من اول النهار ويقال لصلاة الضحى وهي عند ضحوة النهار ومنهم من يقال هو كناية عن الحر كقوله لا تجوع

فيها ولا تعرى انك قوله ولا تضحى اي لا يصيبك الحر والله اعلم ومنهم من يقول هو كناية عن النهار كله اقسم به وبالليل الذي ذكر فان كان المراد من الضحى ضوء النهار ومن الليل اذا سجى ظلمته فيخرج القسم به على ان ظلمة الليل يستر الخلايق كلهم في طرفة عين وكذلك ضوء النهار يكشف الستر ويجلي بطرفة عين جميع الخلايق من غير ان يعلم احد بحمل ذلك الستر وخفة ذلك الضوء فاقسم بذلك لعظيم ما فيهما من الاية وان كان المراد منه نفس الليل والنهار فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة وقوله عز وجل اذا سجى اختلف فيه قال بعضهم اذا استوى وقال بعضهم اذا سكن واكد وقال بعضهم اذا سجى اذا غشي واظلم وغطى كل شيء وستر وهو من التسجي والستر يقال تسجى قبا المراة اذا استتر وتغطى وقوله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى على هذا وقع القسم ثم اختلف في السبب الذي نزل هذا قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سئل عن شيء وانا طلبوا منه بيانه فقال افعل ذلك غدا او اخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس عنه الوحي ايام لذلك فقال المشركون ربه ودعه وقلاه اي تركه وابغضه ومنهم من قال انه ابطا عليه الوحي فجزع جزعا شديدا فقالت له خديجة رضي الله عنها اني لارى قد قلاك ربك وودعك مما ترى من جزعه فنزل قوله ما ودعك ربك وما قلى ولسنا ندري كيف كان الامر فان كان نزل ذلك لقول قريش فالقسم يحتمل كذلك ردا لقولهم والقول الثاني انه نزل لقول خديجة رضي الله عنها فهو غير محتمل لانه خديجة تعلم ان الله تعالى لم يودعه ولا قلاه وكذا كل مؤمن معتقد ان الله تعالى لا يودع احدا من رسله ولانها تصدق الرسول عليه السلام انه لم يودعه ولا قلاه اذا اخبرها بغير قسم فلا معنى للقسم دل هذا الوجه غير محتمل ثم صرف تاويل الاية الى غير ما قالوا اشبه عندنا واقرب مما قالوا وهو انه عليه السلام بعث الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم قتل من خالفهم واهلاك من استقبلهم بالخلاف ولم يكن معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس فيقولوا لعله الكفرة ان ربه قد خذله وتركه وقلاه حيث بعثه الى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وغاية اهلاك من خالفهم بلا انصار ولا اعوان من الملائكة ولا مال ولا سعة يستميل به القلوب والانفس لان من سلم انسانا الى اعدائه الذين يعلم انهم اعداؤه ويخلي بينه وبين الاعداء بلا انصار واعوان ولا اموال وسعة من الدنيا فيقال انه قد خذله وتركه وقلاه اذ لا يفعل ذلك في الاصل الا لذلك فعند ذلك قالوا انه ودعه وقلاه وهو ما قالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك مما قالوا فلولا صرف اهل التاويل تاويل الاية الى ما ذكروا والا صرفنا الى ما ذكرنا اشبه وفي قولهم قد ودعه ربه دلالة انهم قد عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم واقروا بذلك حتى قالوا انزل قوله ما ودعك ربك والثاني انه لو كان يخترع على ما كانوا يقولون ولكنه لكان لا يحتبس عن الاختراع ويكون يخترع ابدا حتى لا يقولوا انه ودعه فدل ظهور احتباس الوحي [illegible] الفراعنة والجبابرة [illegible] الكفرة انه خذله وتركه وقلاه [illegible] على تبليغ ما امر بتبليغه [illegible] حتى [illegible] وفي ذلك اية عظيمة على اثبات الرسالة وهو انه ذكر انه بعث الى من همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فقهرهم جميعا وغلب على الكل حتى ظهر الاسلام فيمن قرب منه ومن بعد وقوله عز وجل وللاخرة خير لك من الاولى [illegible] في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة فالاخرة خير لك من الاولى [illegible] وقوله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى [illegible] الشرف وقال بعضهم ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الاعداء ويحتمل يعطيك في امتك ما ترضى [illegible] من الشفاعة [illegible] وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه [illegible] للمؤمنين [illegible] وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى [illegible] ووجدك ضالا فهدى [illegible] ووجدك عائلا فاغنى الاية [illegible] وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك [illegible] بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصرة والعون [illegible] ووجدك عائلا فاغنى [illegible] الكفرة [illegible] فانت اليتيم والفقير [illegible]

في العلم والمعرفة المبلغ الذي يقدر على الاختراع وانشاء الشئ من نفسه على وجه يعجز مبلغ الاختراع عن مثله جميع
الخلق لا يجد ما ينفق في ذلك ويحمل المؤمن حتى يبلغ مبلغ الاختراع وكذلك ما ذكر حيث قال ما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك لانهم قالوا انما يعلمه بشر فالبشر انما يتعلمون بالكتابة الخط فاذا لم يكن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك دلالة بان الله عرفه وحيه وقوله الم يجدك يتيما فآوى اي وجدك يتيما فآواك ثم يحتمل قوله فآواك
وجوها احدها وجدك يتيما فآواك الى عمك حتى رباك ودفع عنك كل اذى وآفة وساق اليك كل خير وبر الى ان
بلغت المبلغ الذي بلغت والثاني يقول قد وجدك يتيما فآواك الى عمه من اعمامك حتى تولى تربيتك وبرك وعطف
عليك وتولى عنك دفع المكروه والاذى يذكر منته وعظيم نعمه عليه انه كان فاذكرهم صبرهم وادفع المكروه ومن
اعوانه اشفق الناس عليه واعطف والله اعلم والثالث قد وجدك فآواك الى نفسه وعطف عليك حتى اختصك
واصطفاك للرسالة والنبوة حتى صرت مذكورا في الدنيا والاخرة وحتى احوج جميع الناس اليك ليس ذلك من امر اليتيم
ان يبلغ شأنه وامره الى ما بلغ من امرك وشانك حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا فيما ذكرنا من اختصاصه
اياك بالرسالة واحوج جميع الناس اليك يذكر عظم منه ونعمه عليه وقوله عز وجل ووجدك ضالا فهدى هذا يخرج
على وجوه احدها يقول والله اعلم لولا ان الله تعالى هداك لدينه ودعاك له والا وجدك ضالا اذ كان نشوءه بين
قوم ضلال لم يكن احد يهديهم ويدعوهم الى الله تعالى ولكن هداك وارشدك فلم يجدك ضالا وهو كقوله تعالى وكنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اي لولا انه انقذكم منها والا صرتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم منها وكقوله
لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لان البشر انشئ وطبع على الركون والميل الى النعم العاجلة وابنا
الانس والالذ ولكنه بفضله ولطفه ثبتك وعصمك ولم يكلك على طبعك وان نشئت في مثل الخلقة فعلى ذلك
يقول في قوله فوجدك ضالا فهدى اي لولا انه هداك والا وجدك ضالا لو لم يهدك ففيه انه هداه ولم يجده ضالا والثاني
يقول ووجدك ضالا لا ضلال كسب واختيار ولكن ضلال الخلقة التي انشئ عليها الخلق والضلال بمعنى الجهل
لان الخلق في ابتداء احوالهم يكونون جهالا لا جهل كسب يكونون عليه او يكونون لم يجدوه ولكن جهل خلقة وضلال
خلقة لما ليس منه آلة درك العلم فاما بعد النظر فالعلم يكون له بالاكتساب فتحها علمه و
كذلك العلم فيتعلم ووجدك ضالا اي وجدك جاهلا على ما يكون في
اصل الخلقة وحالة الصغر وهذا كما قال الله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا وقوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب والثالث يقول وجدك
ضالا اي غافلا عن الانباء المتقدمة واخبارهم كقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص
بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين او يقول ووجدك في امر القرآن وما فيه جاهلا فاعلمك
عن علم فاعلمك وقال بعضهم ووجدك ضالا اي وجدك بين قوم ضلال فهداك اي اخرجك من بينهم مالو لم يخرجك
من بين اظهرهم لعدوك اي ما هم عليه ويحملوك على ذلك ولم يرضوا منك الا ذلك والله اعلم وقال بعضهم ووجدك
ضالا من طريق مكة فهداك الطريق وقال بعضهم ووجدك ضالا اي حقيقة الضلال فهداك التوحيد لكن هذا حسن
من العقل انه لا يليق به ان ينسب الى ذلك وقال بعضهم ووجدك ضالا عن النبوة اي جاهلا فهداك للنبوة وهو قوله
ما كنت تدري وقوله عز وجل ووجدك عائلا فاغنى قيل فقيرا فاغناك بالمال من الاخرة واسوق اليك من نبيها
اي بما انزلت في الاخرة وما وعدك من النعيم والكرامات الدنيا لم يكن لهذا عن النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك دليل الغنى غنى القلب
عليه وسلم انه ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس
وقال بعضهم فاغناك بما اعطاك وقوله عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر
فحرف ابن مسعود رضي الله عنه فاما اليتيم فلا تكهر قال لا تزجر
لا تمنع حقه وادفع اليه حقه وماله هذا يقول كنت يتيما فلا تقهر اليتيم فيكون
على الصلة لقوله الم يجدك يتيما فآوى فلا تقهر اليتيم بعد ذلك وأما السائل فلا تنهر اي كنت محتاجا فتعرف
تعرف الفقر والحاجة وكن على النبي
لكن على الاثر بالايد والاعطاء
فسرت وعلى هذا الحديث وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتاكم السائل فلا تقطعوا عليه مسألته

حتى

حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه برفق ولين اما بعد ليسير او برد جميل فانه قد يأتيكم من ليس بانس ولا جن يرى كيف صنيعكم
فيما خولكم الله تعالى وقال قوم تزويج اليتيم قهره لما فيه من الاستذلال والاضرار فلم يجوزوا من غير الاب والجد واجازوا
بيع ماله من وصيه ان كان وصي الاب والجد وفي تركتها فدل ان تزويج اليتيم ليس من قهره في شئ وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه زوج بنت حمزة سلمة بن ابي سلمة وهو صغير يتيم وزوج ابن عمر بنت زيد وهي صغيرة
وزوج عروة ابنته من مصعب وهي صغيرة واما بنعمة ربك فحدث دل ان قهر اليتيم في ظلمه والاعتداء عليه وليس في التزويج
ذلك وقوله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث يحتمل وجهين احدهما يقول حدثهم بنعم الله تعالى التي انعم عليهم ليعرفوا
ويقوموا بما فيه شكرها او يقول حدثهم بما انعم الله عليك وهو هذا القرآن ان القرآن من اعظم ما انعم الله عليه فامره
يحدث ما عليه من النعم ليعرفوا عظيم ما انعم الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من امته ومن قومه او امره ان
يقرأ ويحدث بما فيه وقد روي عن ابي رجاء العطاردي قال خرج عمران بن حصين وعليه مطرف خز لم نره عليه قبل
ولا بعد فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا انعم على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته عليه وعن عطية
عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويبغض
البؤس والتبؤس وعن ابي الاحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطاه الله
تعالى خيرا فليرى عليه وابدأ بمن تعول وارضخ من الفضل ولا تلام على كفاف ولا تعجز عن نفسك وعن يحيى بن عبيد الله عن
ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اسبغ الله تعالى على عبد نعمة فليرى عليه يعني به الصدقة والمعروف
وقول ابن مسعود رضي الله عنه وابدأ بمن تعول دليل عليه قال اهل الادب عال افتقر واعال اي اكثر عياله ويقال
استحيته اسكنته وقال الانتهاء والكلام لحسن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الم نشرح لك صدرك المخاطب في هذه السورة من الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم خاطبه اياه
حيث قال الم نشرح لك صدرك اي ما ذكر والمخاطبة في سورة الضحى اذ كانت من غير الله تعالى اياه كان جبريل عليه
السلام خاطبه في ذكر من الله تعالى اياه وذكر نعمه لانه قال ما ودعك ربك وما قلى ولم يقل ما ودعناك ويجوز
ان يكون الخطاب في سورة والضحى من الله على المغايبة يقال ان امير المؤمنين يقول كذا اراد نفسه ثم اختلف في قوله
الم نشرح لك صدرك قال بعضهم شرح صدره للاسلام كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
اخبر ان من شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه والشرح قيل هو التليين والتوسيع والفتح اي الم توسع لك
صدرك وتفتح وتلين للاسلام وقد روي في الخبر انه لما نزل هذا قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة فقال التجافي
التجافي من دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله لكن يعرف ذلك من رسول الله بطريق
الحقيقة ويظهر ذلك منه باليقين فاما من غيره فانما يعرف التجافي من دار الغرور والانابة الى دار الخلود بالتغافل
وغالب الظن لان رسول الله كانت له الاخرة وامورها كالمشاهدة والمعاينة وكذلك جميع الانبياء والرسل فاما
لغيرهم فلا يبلغ ذلك وهو كما ذكر ان رؤيا الانبياء كالعيان اي يعرف بطريق اليقين بخلاف رؤيا غيرهم وقال بعضهم
شرح صدره لانه كلف بتبليغ الرسالة الى الجن والانس والى الفراعنة والجبابرة الذين همهم اهلاك من يخالفهم و
الامتناع عن عبادة الله ضاق صدره لذلك وثقل على قلبه فوسع الله صدره وشرحه حتى هان ذلك عليه وخف وهو
قول ابي بكر الاصم الا انه يقول فعل ذلك به وحقق بالآيات والحجج ونحن نقول باللطف منه حتى قام بوفاء ما كلف ولم
اما هو لا يقول باللطف والاختصاص البعض دون البعض لقوله بالاصلح ويحتمل ان يكون ما ذكر من شرح صدره و
توسيعه هو ما ذكر في قوله وانك لعلى خلق عظيم وخلقه كان يجاوز وسعه وطاقته حتى كادت نفسه تهلك
كما كان كثيرا وكيدك وما نعلم انه ينزل بهم اشفاقا عليهم ورحمة كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك وغير ذلك من امثال هذا وذلك والله اعلم ما وصف من خلق
انه عظيم فوسع صدره وشرحه حتى يخف ذلك عليه حيث قال له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال ولا تحزن
عليهم الآية وقال الحسن في قوله الم نشرح لك صدرك بلى قد شرح له صدره وملئه علما وحكمة ثم قوله الم نشرح لك
صدرك الى ما ذكرنا ان كان المخاطب به رسول الله وهو المعني والمراد به فتاويل السورة يخرج على ما ذكرنا من تبيين
الامر عليه وتخفيف ما حمله عليه وامر به وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك على ابتداء وضع الوزر والاثم على ما
نذكر وان كان المخاطب به غيره وهو امته وان كان الخطاب اضيف اليه فالامر فيه سهل وان كان الخطاب على الاثر

فيحتاج الى التاويل ايضا وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قال عامة اهل التاويل على تحقيق
الوزر له والاثم كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
يقولون اثبت له الذنب والوزر فوضع ذلك عنه ولكن هذا وحش من القول لكنا نقول ان قوله ووضعنا عنك
وزرك هو الحمل والثقل كانه يقول قد خففنا عليك ما حمل عليك من امر النبوة والرسالة والاحمال التى حملت عليك
كانه يقول قد خفف ذلك عليك ما لو لم يكن تخفيفنا اياها عليك لانقض ظهرك اى اثقل والله اعلم والثانى جائز
ان يكون قوله ووضعنا عنك وزرك ابتداء ومنع الوزر اى عصمك وحفظك ما لو لم يكن عصمته اياه لكان
لك اوزارا واثاما كقوله ووجدك ضالا فهدى اى لو لم يهدك لوجدك ضالا لانه كان بين قوم ضلال
ولكن هداه فلم يجده ضالا لا على ذلك ما ذكر من وضع وزره ابتداء وهو قوله ليخرجك من الظلمات الى النور اى
عصمهم عن ان يدخلوا فيها لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم ولكن ابتداء اخرج فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره
وقوله انقض ظهرك اى اثقل ظهرك وقوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك جائز ان يكون رفع ذكره لما الزم الخلق
الايمان به حتى لا يقبل من احد الايمان بالله والتوحيد له والطاعة والعبادة الا بالايمان به والطاعة له قال الله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال فلا وربك حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت
وجائز ان يكون ما ذكر من رفع ذكره هو انه لا يذكر حيث ذكر الله قرن ذكره بذكره فى الاذان والاقامة وفى الصلاة وفى التشهد
وفى غيره من الخطب والله اعلم والاول عندنا ارفع واعظم من الثانى وجائز ان يكون رفع ذكره ما اضاف اسمه الى اسمه
بما قال رسول الله او نبى الله ولم يسمه باسمه على غير اضافة الى الرسالة والنبوة فقال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا ايها الرسول بلغ وقال يا ايها النبى لم تحرم ونحو ذلك وهو المخصوص بهذا دون غيره من اخوانه لانه فلما
اضاف اسمهم الى اسمه وقلما قرن اسمائهم باسمه بل ذكرهم باسمائهم كقوله واذكر اسماعيل واليسع وقوله ويونس
ولوطا ونحو ذلك او رفع ذكره بما عظمه وشرفه عند الخلق كله حتى ان من استخف به خسر الدنيا والاخرة وقوله
عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا روى فى الخبر انه قال لن يغلب عسر يسرين قال بعضهم انما كان عسر
واحدا وان ذكره مرتين لان العسر الثانى ذكره بحرف التعريف فهو والاول واحد واليسر ذكره بحرف النكرة فهو غير
الاول وقال ابو معاذ كلما كررت المعرفة كان واحدا والنكرة على العدد يقال فى الكلام ان مع الامير غلاما ان مع الامير
غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قيل ان مع الامير الغلام وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد
واذا مع امير غلاما ان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان فعلى ذلك ما ذكر ههنا ثم قوله يسرين هو يسر الاسلام
والهدى ويجوز ان يطلق اسم اليسر على الاسلام والدين قال الله تعالى فسنيسره لليسرى ويسرا اخر ما وعدهم من السعة
فى الدنيا ويحتمل ان يكون يسرين احدهما رجاء اليسر والاخر وجدوه منهما يسران الرجا والوجود ويحتمل ان يكون يسر فى
الدنيا ويسر فى الاخرة او ان يكون توسيع عليهم الدنيا ويسران ما يفتح لهم الفتوح فى الدنيا ويسوق اليهم المغانم
والسبايا والله اعلم ثم قالوا فى قوله فان مع العسر يسرا اى بعد العسر يسرا واصله ان حرف مع اذا اضيف الى الاوقات
والاحوال يقع على اختلاف الاوقات فى المكان الواحد واذا اضيف الى المكان يقع على اختلاف المكان فى وقت
واحد وههنا اضيف الى الوقت فهو على اختلاف الاوقات واحدا بعد واحد فاذا قيل فلان مع فلان فى مكان
فالوقت واحد والمكان مختلف متفرق وقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب قال بعضهم اذا فرغت عن
دنياك فانصب لاخرتك وهو من النصب اى التعب وقال الحسن امره اذا فرغ من غزوه ان يجتهد فى العبادة لله
لكن هذا بعيد لانه نزل ذلك بمكة ولم يكن امر بالغزو والجهاد بمكة الا ان يكون امر بالجهاد فى اوقات تاتى فى
المستقبل فيكون الحكم لازما عليه فى تلك الاوقات لا فى حال ورود الامر وقال بعضهم فاذا فرغت من الصلاة فانصب
فى الدعاء وقال قتادة اذا فرغ من الصلاة ان يبالغ فى دعائه وسؤاله اياه وعن ابن مسعود رضى الله عنه فاذا فرغت
من الفرائض فانصب فى قيام الليل ويحتمل عندنا اذا فرغت من تبليغ الرسالة اليهم فانصب لعبادة ربك والامور التى
بينك وبين ربك على ما ذكر فى احد التاويلين فى قوله ان لك فى النهار سبحا طويلا من امر الرسالة والتبليغ واذكر اسم
ربك فيما بينك وبين ربك ويجب ان لا يتكلف تفسير ما ذكر فى هذه السورة من اولها الى اخرها لانه امر بينه وبين ربه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ما اراد به فيما خاطبه من الجميع وانه فيم كان وقد كان خصوصا له وليس شى مما
يجب علينا العمل به حتى يلزمنا التكلف لاستخراج ذلك سوى الشهادة على الله فكان الامساك عنه اولى وترك
التكلف فيه والاشتغال به والله الموفق والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والتين والزيتون قال هذه السورة كلها نزلت فى محاجة اهل مكة سوى سورة والضحى والم نشرح لك
فانهما جاءتا فى تذكير من الله لرسوله احداهما خاطبه جبريل فى تذكير ما من عليه والاخرى خاطبه ربه بذلك واما غيرهما من
السور فانما جاءت فى محاجة اهل مكة ثم قوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين قسم اقسم تاكيد للحجج
التى اقامها ما لولا القسم لكان ما ذكر يوجب ذلك لكن فى القسم تاكيد ما ذكر من الحجة ثم اختلف اهل التاويل فى قوله
والتين والزيتون قال بعضهم هو التين الذى ياكله الناس والزيتون الذى يستخرجون منه الزيت كذا روى عن ابن
عباس رضى الله عنه انه سئل عن التين والزيتون فقال تينكم وزيتونكم هذا وقال بعضهم هما جبلان بالشام وقال
بعضهم هما مسجدان فى الشام احدهما مسجد دمشق والاخر مسجد بيت المقدس وقيل التين مسجد اصحاب الكهف
والزيتون مسجد ايليا وعن قتادة انه قال التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه مسجد بيت
المقدس وقال القتبى التين والزيتون جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا بالتين
والزيتون لانهما ينبتان بهما وقوله عز وجل وطور سينين قال بعضهم هو جبل بسينين والسينين اسم موضع والطور
الجبل وكذا قال ابو عوسجة وقال بعضهم جبل حسن والسينين هو الحسن بالحبشة وقال بعضهم كل جبل فيه شجر له ثمر
فهو سينين وقال بعضهم هو الجبل الذى اوحى عليه الى موسى عليه السلام وطور سينا وقيل هو الجبل المبارك ثم يخرج
جهة القسم بالجبل وبما ذكر على وجوه احدها ثم عظم شان الجبال فى قلوب الخلق حيث وصل اليهم اخبار السماء
من جهة تلك الجبال وجميع ما يرجع الى منافع انفسهم ودينهم على ما ذكرنا انه اوحى الى موسى عليه السلام على جبل طور
سيناء واوحى على عيسى عليه السلام على جبل ساعير واوحى الى محمد عليه السلام على جبل فاران على ما ذكر فى الخبر
ان موسى عليه السلام قال اتانى ربى من جبل طور سيناء وسياتى وحى عيسى عليه السلام من جبل ساعير ويأتى
الوحى الى محمد عليه السلام من فاران والثانى اقسم بالجبال لما ارساها فى الارض اوتادا لئلا تميد باهلها ولا تميل
على ما ذكر فى غير آى من القران عظم شان الجبال من هذه الجهة فى قلوب الخلق والثالث لما اخرج منها مع شدتها وصلابتها
وغلظها وارتفاعها المياه الجارية وغير الجارية الصافية الباردة وهى من التين الاشياء واخرج منها الاشجار
المثمرة الكثيرة وغير المثمرة من غير انبات احد ولا غرسها وغير ذلك من المنافع التى جعل فى الجبال من لا يمكن التمكن استخراج
ذلك منها بحيلهم وتكلفهم فاقسم بها لعظم ما جعل فى الجبال من المنافع والبركات وكذلك ان كان القسم بالتين الذى
يوكل والزيتون الذى يخرج منه الزيت لما جعل لهم فى ذلك من المنافع العظام كقوله وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للاكلين ففى هذه الوجوه التى ذكرنا يحتمل القسم بالجبال والتين والزيتون او ذكر التين والزيتون و
المراد بهما الجبل لما فى الجبل يكونان عندهم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وهذا البلد الامين وهو مكة سماه
امينا لما يامن من دخله او يؤمن من دخله ويحفظه لان الامين عند الناس هو الذى يحفظ ما ائتمن عليه وفيه وهو
المؤمن به ثم جائز ان يكون القسم بالبلد لاهل مكة ولاهل الشرك لما عظم شانه وامره عندهم وفى قلوبهم واقسم بالجبال
لعظم قدرها ومنزلتها ومحلها فى قلوب اهل الكتاب لما كانوا يؤمنون ببعض الوحى واهل مكة لا يؤمنون بالرسول ولا
بالوحى ولكن يعظمون ذلك البلد وجائز ان يكون القسم بما ذكر كله لهم جميعا والله اعلم وقوله عز وجل لقد خلقنا الانسان
فى احسن تقويم قال اهل التاويل على هذا وقع القسم وغيره اولى واقرب لانهم قد شاهدوا وعرفوا انه خلق الانسان على
احسن تقويم اذ لم يمن احد ان يكون على غير هذا التقويم وعلى غير هذه الصورة التى انشاها عليه والاشبه ان يكون
القسم واقعا على قوله ثم رددناه اسفل سافلين لما فيه دفع الانكار والتكذيب وهو نار جهنم فاكد ذلك بالقسم كانه
قال بل انا خلقنا الانسان فى احسن تقويم نردهم الى اسفل السافلين لكفرهم وعنادهم سوى المؤمنين ثم قوله لقد خلقنا
الانسان فى احسن تقويم يخرج على وجوه احدها احسن صورة يشاهدون ويعاينون لان الملائكة جعلهم احسن
صورة واحسن تقويما ولكن يرجع الى سائر الخلائق دونهم وذلك لان خلق البشر على صورة لا يتمنى احد منهم ان يكون
على غير صورة البشر ولان خلقهم على احسن صورة والثانى على احسن تقويم اى على احكم تقويم واتقن لانه جبلهم وانشاهم
على هيئته يتهيا لهم استعمال الاشياء كلها فى منافعهم الانتفاع بها بحيل واسباب علمهم وجعل فيهم ومكن لهم ذلك ويحتمل
احسن تقويم اى احكم واتقن على الدلالة على وحدانية الله والوهيته او جعلهم اهل تمييز ومعرفة ويجب يكون منهم الجزاء
من انواع الطاعات التى يثابون عليها وينالون بها الثواب الجزيل والكرامة العظيمة ما لا يكون لغيرهم وقوله عز وجل ثم
رددناه اسفل سافلين هو يحتمل وجوها احدها رددناه الى اسفل السافلين وهو جهنم يرد الكافر الى جهنم وهو اسفل
السافلين والمؤمن رددناه الى الجنة وهو اعلى عليين وهو ما استثنى بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر

فيمنون في الجنة والثاني رددناه الى اسفل ما اختار من الاعمال والافعال وهو ما اختار من فعل الشرك والكفران ورددنا المؤمن الى اعلى ما اختار من الاعمال العالية الرفيعة والله اعلم والثالث ما قال اهل التاويل ثم رددناه الى ارذل العمر واسفله ثم استثنى الا الذين امنوا اي اجرا اي نجزي عليهم ثواب اعمالهم التي علموها في حال صحتهم وشبابهم فاما اولئك فانهم اذا ردوا الى ما ذكر لم يجزهم ذلك وهذا التاويل انما يصح الا لو استثنى المحسنين من المومنين منهم فاما اذا استثنى اهل الايمان من اهل الكفر فانه لا يحتمل والاول اشبه وقوله عزوجل فما يكذبك بعد بالدين ان كان الخطاب به لكل انسان كذب بالدين يقول ما الذي دعاك اي يكذبك بالدين وقد عرفت الا ان الله احكم الحاكمين لا يفعل الا ما هو حكمة ولو لم يكن يوم الدين كان فعله عبثا باطلا لانه انشاكم ابا كم الان بالعقل اي الحال التي بالعقل فلو لم يكن بعث لكان يخرج فعله عبثا باطلا او تقول لما سوى بين ما اختار الولاية في هذه الدنيا وفي الحكم التفريق بينهما فلا بد من مكان يفرق بينهما هنالك وان كان الخطاب في قوله فما يكذبك بالدين لرسول الله يقول اي وجه له في ذلك او تقول ما الذي دعاه اي تكذيبه بالدين ثم اختلف في قوله باحكم الحاكمين قال بعضهم احكم القاضين اي اعدلهم وقال بعضهم احكم الحكما والاقضا بلا بعث فعل السفها لا فعل الحكما وهو احكم الحاكمين اعدل القاضين في التفريق بين الاولياء والاعداء وقد اجتمعوا في الدنيا فلا بد من ان يفرق بينهما

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عزوجل اقرا باسم ربك الذي خلق خلق ذكر اهل التاويل ان هذه اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم واول وحي اوحي اليه وقيل غير هذه هو الاول ثم الاشكال انه امر بان يقرا باسم ربك الذي خلق وحق هذا ونحوه اذا قيل له اقرا وافعل ان لا يقول مثل ما قيل له اقرا وافعل لانه امر بالظاهر انما يكون عليه الايتمار بذلك وكذلك قوله قل يا ايها الكافرون وقيل هو الله وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وكذلك على هذا قوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك وامثال ذلك يجب ان لا يقول له مثل ما قيل له قل واقرا ولكن يقول يا ايها الكافرون ويقول هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق اعوذ برب الناس هذا هو وجه الكلام ومعناه وجوابه انه يحتمل وجوها احدها انه اريد بهذا ان يكون قرانا يقرا وهكذا في حق القراءة يتلى ويثبت في المصاحف الى اخر الدهر يعلم كيف قيل لرسول الله وكيف اوحي اليه وانه لم يترك ما قيل له حرفا واحدا ليكون حجة لرسالته ولنبوته والله اعلم ويحتمل ان يكون كذلك على خلاف المفهوم من كلام الناس لئلا يكون المفهوم من وحي السماء والمنزل منها الخطاب بعض بعضا ولكن خلاف والثاني يحتمل ان يكون الخطاب منه لكل احد ومن كل احد لاخر خطاب جبريل رسول الله به وامره ان يقرا ثم يامر رسول الله غيره بذلك وذلك الغير يقول لاخر كذلك فيكون الخطاب منه لكل احد ومن كل احد لاخر والله اعلم وقوله عزوجل باسم ربك الذي خلق يحتمل ان يريد به اي افتتح القراءة باسم ربك على ما جعل افتتاح كل شيء باسم الرب لينال البركة ذلك فيه والثاني ان يكون ما ذكر على اثر اسم ربه هو تفسير اسم ربه حيث قال الذي خلق خلق الانسان من علق فيكون هذا تفسير المذكور من اسم ربه او يكون قوله باسم ربك كما يقال سال الله باسمك الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت وذلك الاسم مكتوم بين اسمائه ثم قوله باسم ربك يخرج اضافته اليه مخرج التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصيته له على ما ذكرنا ان اضافة خاصية الاشياء الى الله تعالى تخرج مخرج تعظيم ذلك الخاص من ذلك قوله ان طهرا بيتي وناقة الله وما نسب الله ونحو ذلك من اضافة خاصية الاشياء اليه واضافة كلية الاشياء الى الله يخرج مخرج تعظيم الرب والمحمدة له نحو قوله له ملك السموات والارض ورب السموات والارض ورب كل شيء ثم لا يجد واضافة الخاص الذي لا خصوصية ظهرت له الى الله تعالى لا يجوز لا يقال يا رب زيد ويا رب عمرو ونحو ذلك انما يجوز ذلك فيمن ظهرت له خصوصية وفضل من الانبياء والرسل والملائكة عليهم السلام والتباع الاتكثير الذي ظهرت لها خصوصية وفضل لم يكن ذلك بفضلها والله اعلم وقوله عزوجل خلق الانسان من علق العلق الدم الجامد ثم قوله خلق الانسان من علق اراد به كل انسان علم الانسان ما لم يعلم كان لا يعلم باسم الزيادة دخله لام التعريف اريد به العموم وهو يكون على ان تخلق الانسان لو تخير وقوله دلالة على انطال قول من يرى ان النطفة بعلمها ان الانسان خلق منها فانه اخبر ان خلق الانسان من علق نسب خلق الانسان اليه ولا شك ان العلق بخصيص ان خلق الانسان منه قبل ذلك جاز ان يكون النطفة التي منها خلق الانسان نجسة وكذلك غير مستحيل ان يصاد خلقه … الى الاحوال التي قلب منها حيث قال هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم ما ذكر واما ان هما الانسان حال واحد وهي العلقة التي ذكر وان لم يكن الانسان في الحقيقة مخلوقا من العلقة والنطفة والتراب الذي ذكر لان هذه الاشياء اسماء يعرف باعتبارات … فيها وتلك … تتقدم باعتراض … ان الاخرى عليها وانما يخلق الانسان من النطفة … ولذا … خلق الانسان منه ونسبه اي ما ذكر لما ان الانسان هو المقصود من خلق ذلك وهي النهاية التي ينتهي اليها ذكرها بالذي ينتهي به من الغاية والله اعلم وقوله عزوجل اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ذكر الكرم لعظم ما اختياره … واصطفاءه لرسالته وتعليم

القرآن ابتداء واحسانا منه اليه وتفضلا عليه لا لحق له عليه اذ ذكر في موضع المنة والفضل والكرم اذ الاكرم هذا الوصف ثبتا الكريم كالاعلم وصف باحاطة العلم وكماله وقوله عزوجل علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم جعل الله تعالى العلم سببا به يحفظ وبه يثبت وبه يوصل اي حفظ ما يخاف فوته ونسيانه من امر دينهم ودنياهم ما لو لم يكن القلم لم يستقم امر دينهم ولا دنياهم ثم قوله علم بالقلم اي علم الخط والكتابة بالقلم وكذا ذكر في حرف ابن مسعود وابي وحفصة رضي الله عنهم علم الخط بالقلم ثم اضاف التعليم بالقلم اي نفسه وكذلك قوله علم الانسان ما لم يعلم فهو يخرج على وجهين احدهما ان يكون اضاف ذلك اي نفسه لما يخلق منهم فعل تعلمهم ويحتمل اضافته اليه الاسباب التي جعلها لهم في التعليم والله اعلم ثم ذلك التعليم بالقلم لا اشر لا لرسول الله لانه علم اياه بلا كتابة والا خط حيث وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ثم في تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا قلم والا كتابة اية عظيمة لرسالته حيث جعله بحال يحفظ بقلبه بلا اثبات ولا كتابة ولا خط خط ثم قوله علم الانسان ما لم يعلم يحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وكقوله تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وقوله وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ويحتمل قوله علم الانسان ما لم يعلم كل انسان كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وقوله عزوجل كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى يطغى بالغنى اي يتكبر ويتجبر اذا راى نفسه غنيا وعلى هذا ما روي في الخبر ان السعود من عني يطغى وفقير ينسى لان الغنى يحمل على التكبر والافتخار والطغيان والطغيان هو المجاوزة عن الحد والسعرى فيه والتغير المنسي هو المجهد الذي ينسي غيره من النعم اغنى ينسي غير المال من صحة البدن والعقل والعلم ونحو ذلك وقوله عزوجل ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ليس هذا وصف ذلك الكافر بعينه على ما ذكره اهل التاويل اي جهل لعنه الله ولكن كل كافر يطغى ان راى نفسه غنيا وقوله عزوجل ان الى ربك الرجعى الرجع كذا قال ابو عبيد وقال غيره الرجوع ثم يحتمل قوله الى ربك الرجعى اي المرجع للكل اي ما اختلفوا من الكافر والنار والمؤمن الجنة على ما ذكر في الاية وجائز ان يكون اخبارا عن رجوع الكل اليه ثم قوله ان الانسان ليطغى اريد به انسان دون انسان انه لم يطغ كل انسان ولا خلف يقع فخبر الله فكان المراد منه البعض ليعلم ان الفهم بظاهر الخطاب العموم ليس بواجب ولكن على حسب قيام الدليل على المراد منه وفيه ان المراد منه قد يكون مقرونا به وقد يكون منفصلا عنه غير مقرون به وقوله عزوجل ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ذكر اهل التاويل ان الذي ينهى ابو جهل لعنه الله عبدا اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان يصلي في الحجر فكان ينهاه ابو جهل فنزل ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى جائز ان يجمع هذا كله في الوعيد الذي ذكره على اثر ذلك وهو قوله الم يعلم بان الله يرى كانه قال ارايت الذي ينهى من كان على الهدى وامر بالتقوى وهو رسول الله كان ينهاه ذلك الكافر اذا صلى وينهاه عن الهدى وعن الامر بالتقوى ارايت ان كذب رسول الله وتولى عن طاعة الله الم يعلم بان الله يرى ما يدخل جميع ما ذكر في هذا الوعيد فيكون ذلك جوابا لما تقدم من قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى اخر ما ذكر وجائز ان يكون جواب قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى مسكوتا عنه ترك الفهم ثم قوله الم يعلم بان الله يرى اي الم يعلم بان الله فينتقم منه لرسول الله او الم يعلم بان الله يرى فيه غضبا فهو وعيد ثم قوله الم يعلم بان الله يرى يحتمل وجهين احدهما قد علم بان الله يرى جميع ما يقوله ويفعله وبهم به لكنه فعل ذلك على التكابر والعناد والثاني لم يعلم بان الله يرى على نفي العلم له بذلك اذ لو علم بان الله يرى ويعلم ما يفعله من النهي عن الصلاة والكرم لكان لا يفعل ذلك به وقوله عزوجل كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة اي حقا لئن لم ينته عن صنيعه الذي يصنع برسول الله لنسفعن بالناصية ناصية اي لناخذن بالناصية كانه عبارة عن الاخذ الشديد والجر الشديد على الناصية ثم يحتمل ان يكون ذلك الوعيد له في الدنيا انه لو لم ينته عما ذكر فان كان في الدنيا فيكون السفع كناية عن العذاب اي لنعذبن وقيل قد اخذ بناصية يوم بدر فالقي بين يدي رسول الله قتيلا وان كان في الاخرة فهو على حقيقة اخذ الناصية كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقال اهل العربية لنسفعن بالناصية اي نقبض وسفعت ناصيته اي قبضت ويقال سفعه بالعصى اي ضربه بها ويقال اسفع بيده اي اخذ بيده وقوله عزوجل كاذبة خاطئة يحتمل ما ذكر من قوله كاذبة خاطئة كناية عن النفس ويحتمل ان يكون كناية عن الناصية التي تقدم ذكرها وقوله عزوجل فليدع نادية اي اهل مجلسه في الاعانة له بما بهم برسول الله صلى الله عليه وسلم سندع الزبانية نحن في الدفع عنه لنرى هل يقدر ان يفعل ما هم به ويحتمل ذلك في الدنيا وقد ذكر انه قتل يوم بدر وجائز ان يكون ذلك الدفع من الزبانية في الاخرة وسموا زبانية لدفعهم اي يدفعون اهل النار في النار وقيل الزبانية الشرط والواحد زبنية والنادي المجلس يريد به قومه وقوله عزوجل كلا لا تطعه اي لا تطع ذلك الكافر وكان ما ذكر لم يطعه حتى مات وقوله عزوجل واسجد واقترب يحتمل قوله واسجد واقترب ان يكون

هنا خطابا للنبي اي صل واقترب اي الله ويحتمل ان يكون قوله واسجد خطابا بالنبي اي صل وقوله واقترب خطابا لابي جهل اي اقترب اي محمد حتى ترى على سبيل الوعيد لما كان يتهدد المكي بالنبوة في حال الصلوة على الناقل العلماء الاية و حجة لنا على اهل التشبيه فانه لم يفهم من قوله واقترب القرب من حيث المكان وقرب المنزلة والقدر وكذلك ما ذكر في بعض الاخبار ومن يقرب اي شبرا تقربت اليه ذراعا ونحو ذلك لا يفهم منه قرب الذات ولكن قرب المنزلة والقدر بالاجابة وكذلك جميع ما ذكر في القران من القرب قرب المنزلة والقدر ثم في هذه سورة السجدة لما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروى عن ابن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سجد في اذا السماء انشقت واقرا باسم ربك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن هو خير منهما وروى عن علي رض انه قال ليقرا من عزائم السجود وابو عيسى غير عليها انه سجد فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر وقال اهل التاويل ان قوله انا انزلناه يعني القران ويحتمل ان يكون انا انزلناه يعني السلام الذي ذكر في اخر السورة حيث قال من كل امر سلام فمن قال انزل القران في ليلة القدر فهم مختلفون قال بعضهم انزل القران جملة الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ في تلك الليلة وهي شهر رمضان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران اي انزل من اللوح المحفوظ ثم انزل من السماء الدنيا على رسول الله بالتفاريق على قدر الحاجة من الامر والنهي والحلال والحرام والمواعظ وكل ما يحتاج اليه وقال بعضهم انما انزل من اللوح المحفوظ في تلك الليلة المقدار الذي يحتاج اليه الى العام القابل جملة ثم ينزل على رسول الله نجوما بالتفاريق والله اعلم ثم لا ندري تلك الفضيلة التي جعلت لهذه الليلة لفضل عبادة جعلت فيها امتحن الخلق بادائها طلبا للترغيب والادب وفضلت لمكان ما امتحن الملائكة وكلفهم بالنزول فيها والسعادة لله في الارض وانزال القران ونحو ذلك او الحكمة ومعنى فضلت لم يطلع على ذلك المعنى احدا وقد جعلت لبعض الامكنة الفضيلة لعبادات جعلت فيها نحو ما ذكر صلاة واحدة في المسجد الحرام تعدل مائة الف صلوة في غيره وصلوة واحدة في مسجدي هذا تعدل الف صلوة في غيره سوى المسجد الحرام وقال الله تعالى وان المساجد لله خصت هذه البقاع بالفضيلة على غيرها لعبادات جعلت فيها فعلى ذلك جائز ان يخص بعض الاوقات دون بعض بالفضيلة لمكان عبادات جعلت فيها لكن تبين تلك الاماكن ولم يبين تلك الاوقات المفضلة وجعلها مطلوبة من بين غيرها من الاوقات فهو والله اعلم ان لو بين والمشير اليها لكان لا مؤنة يلزم في ذلك لانه يحفظ ذلك الوقت وتلك الليلة خاصة وان المكان يلزم المؤنة من اتيان ذلك المكان وعلى ذلك يخرج ما لم يبين وقت خروج روح الانسان من بدنه لو بين واعلم نهاية عمره لتعاطى الفسق وارتكب المعاصي الى الحاضر اجر اجله ثم يتوب فلم يبين ليكون ابدا على خوف وجنا ورجاء فعلى ذلك لم يبين تلك الليلة ليطلب من بين الليالي جميعا ليجتهدوا في غيرها والله اعلم ثم ان كان السؤال عن القران هو المنزل في تلك الليلة يكون دليله قوله حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة وان كان السؤال عن ليلة القدر فيكون البيان عنها ثم قوله وما ادريك ما ليلة القدر هذا يحتمل وجهين احدهما يقول ما كنت تدري حتى اداك كقوله ما كنت تدري حتى ادريك كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ويحتمل قوله وما ادريك على التعظيم لها والتعجب والله اعلم وقيل نزول هذه الاية يكون على معنى التسلي اعطاه فضل هذه الليلة والعمل فيها ثم بين فضلها حيث قال ليلة القدر خير من الف شهر اختلف فيه قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى بني امية على منبره فنساء ذلك فنزل انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر اي من الف شهر يملكها بعدك بنو امية يا محمد وقال بعضهم ليلة القدر خير من الف شهر اي العمل فيها خير من الف شهر سواها وقيل ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لاصحابه الا رجلا من بني اسرائيل جاهد الف شهر في سبيل الله فعظم ذلك عليهم فنزل قوله ليلة القدر خير من الف شهر اي العمل فيها خير من جهاد ذلك الرجل من الف شهر ويحتمل ان يكون ذكر الف شهر على سبيل التمثيل لا على التوقيت اي خير من الف شهر واكثر اذ التقدير قد يكون لبيان العدد نفسه وقد يكون لبيان شرف ذلك الشيء و عظمته فلا يكون الغرض هو القصر على العدد وهو كقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ونحو ذلك ثم اختلف في تسمية ليلة القدر قال بعضهم هي ليلة الحكم والقضاء فيها يحكم ويقضي ما يريد ان يكون في ذلك العام المقبل كقوله فيها يفرق كل امر حكيم اي سميت ليلة القدر لانها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله لما يوصف الشيء او سميت ليلة القدر لانها ليلة القدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء العظيم بالقدر والمنزلة وسميت ليلة مباركة لانه ينزل فيها البركات و الرحمة من الله تعالى على خلقه وسميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادات وقوله عز وجل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال بعضهم الروح ههنا جبريل كقوله نزل به الروح الامين وقال بعضهم خلق موكلون بالملائكة

كان الملائكة موكلون بني ادم وجائز ان يكون الروح ههنا هو الرحمة اي ينزل الملائكة بالرحمة فيها على ما سميت ه مباركة لما ينزل فيها من البركات ثم اختلفوا في قوله فيها قال بعضهم اي في تلك الليلة تنزل الملائكة والروح وقيل فيها اي في الملائكة وقوله عز وجل باذن ربهم اي ينزلون باذن ربهم وقوله عز وجل من كل امر قال بعضهم اي بكل امر يقدر في تلك السنة على الارض وكذا قال القتبي من كل امر سلام اي بكل امر سلام وقيل من كل امر يريد الله تعالى الى الملائكة لا علم لهم فيها يقدر الله تعالى الا ان يطلعهم عليه فكانهم يطلعون على ما يقدر في تلك السنة من الامور فينزلون بها بامر الله تعالى وقوله عز وجل سلام هي قيل تنزل الملائكة تخفق باجنحتها بالسلام من الله والرحمة والمغفرة وقيل اي هي ليلة سالمة لا يحدث فيها شر ولا يرسل فيها شيطان الى مطلع الفجر وقال بعضهم هو سلام الملائكة تسلم الملائكة على كل مؤمن ومؤمنة وقال بعضهم من كل امر سلام اي من كل افة وبلاء سلام وكذلك ذكر في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الله قال بعضهم يحفظونه من عذاب الله وقال بعضهم يحفظونه بامر الله تعالى فكذلك يحتمل قوله من كل امر سلام هذين الوجهين وقوله عز وجل هي حتى مطلع الفجر يحتمل اي تلك البركات التي ذكرنا الى مطلع الفجر ويحتمل ذلك السلام الذي ذكر الى مطلع الفجر ويحتمل الملائكة يكونون في الارض الى مطلع الفجر وروى عن ابن عباس رض انه قرا من كل امرئ سلام وقال يعني الملائكة قال بعضهم اختلف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر حتى يكون واختلف الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فيها روى عبد الله بن انيس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر واطلبوا في كل وتر وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة تسعة عشر من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلثة وعشرين وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا ليلة القدر في السبع الاواخر وروى انها في سبع وعشرين وعبد الله بن عمر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع قال هي في كل رمضان وعن زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب اخبرني عن ليلة القدر يا ابا المنذر فان صاحبه عبد الله بن مسعود سئل عنها فقال من يقم الحول يصبها فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن والله لقد علم انها في رمضان كره ان يتكلموا والله انها في رمضان ليلة سبع وعشرين ثم ليس لنا ولا لاحد ان يشير الى تلك الليلة فيقول هي ليلة كذا ليلة سبع وعشرين الى سبع وعشرين الا ان يثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر بالاشارة اليها فعند ذلك نشير والا كانت مطلوبة في الليالي وعلى هذا الوجه يخرج الاخبار المروية على التواتر دون التناقض ويكون كلها صحيحة فيكون في سنة بعض الليالي وفي سنة اخرى في غيرها وفي سبع والعشر الاواخر من رمضان وفي سنة العشر الاوسط من رمضان وفي سنة في العشر الاول وفي سنة في غير رمضان والله اعلم بذلك تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة ذكر في حق اهل الكتاب لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من وهو للتبعيض ولم يقل اهل الكتاب وذكر في حق اهل الكتاب والمشركين لان اهل الكتاب كانوا فرقا منهم من كان امن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان بعث فلما بعث امنوا به ثم لزم الايمان به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث وارسل لزم الكفر به ومن يؤمن فلما كانوا اصنافا وفرقا لذلك قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من واما المشركين فكانوا صنفا واحدا لم يتبين بانهم اذا اتاهم البينة ينفكون الا ويحتمل ان يكون قوله عز وجل لم يكن في قوله حتى تاتيهم البينة اي لم يكن بعضهم اهل الكتاب وبعضهم المشركين منفكين عن الكفر الا بعطف المشركين على اهل الكتاب كانه قال من اهل الكتاب ومن المشركين ولذلك خفض المشركين ولم يقل والمشركون كانوا اهل كفر وشرك الحاجز عرهم وان اتيهم البينة هو ما خلقة كل احد ما يدل على الوحدانية ويحتمل ان يعني من الفريقين على الشرك حتى تاتيهم البينة وهي معاينة العذاب عند الموت كقوله تعالى فلما راوا باسنا وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لم يكن المشركين واهل الكتاب منفكين وفي حرف ابي الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ثم اختلف في قوله عز وجل منفكين قال بعضهم لم يكن الذين من اهل الكتاب والمشركين منتهين زائلين عن الكفر والشرك حتى تاتيهم الملائكة وقال بعضهم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين خارجين من الدنيا حتى تاتيهم البينة ثم اختلفوا في البينة التي ذكرها تاتيهم قال بعضهم البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال على اثر رسول من الله يتلو صحفا وقال بعضهم ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجج فمن جعل قوله منفكين منتهين زائلين يجعل البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى بينة لانه به يعرف كل خير وكل احسان وبه تبين الحق والباطل وكل شيء من امور الحق والباطل وكذلك القران جاء به ومن قال منفكين خارجين من الدنيا

يحتمل البينة التي ذكرنا انها يا تيهم العذاب معاينة جهارا كقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى فارقين من الدنيا حتى يعلموا العذاب فعند ذلك يؤمنون وقوله عز وجل رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة و على التاويل الاول في البينة يكون ما ذكر من قوله رسول من الله تفسيرا للبينة وعلى الثاني يخرج على الابتداء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا صحفا مطهرة ثم جايز ان يكون سمى القران وحده صحفا على المبالغة اذ قد يسمى الواحد باسم الجميع على المبالغة وجايز ان يكون قوله صحفا القران وساير الصحف لان ساير الصحف فيه وكذلك فيها كتب قيمة جايز ان يكون سمى كتابه المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبا على الابلاغ والتاكيد على ما ذكرنا وجايز ان يكون يتلوا صحفا وكتبا عليهم وهي التورية والانجيل والزبور وكان هذا القران في تلك الكتب وتلك الكتب في هذا وهو كقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله عز وجل ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى اذا خبر في تلك الكتب وان الكتب الاولى فيه فيصير بتلاوة هذا عليهم كانه تلا تلك الكتب عليهم وعلى هذا قوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه وقوله عز وجل مصدقا لما معهم ففي هذا ما في تلك الكتب وقال بعضهم صحفا مطهرة التي كانت في ايدي سفرة البررة وقوله عز وجل مطهرة يحتمل وجهين مطهرة من ان يكون للباطل فيه حجة او مدخل ومطهرة من الافتعال والافتراء او مطهرة من ان يحتمل ما ذكره اولئك الكفرة وقال قتادة سمى كتابه باحسن الاسماء والحسنى عليه باحسن الثناء سماه نورا وهدى ورحمة وبركة واية وشفاء ونحوه وقوله عز وجل فيها كتب قيمة اختلف فيه قال بعضهم فيها كتب صادقة وقال بعضهم عادلة قال غيرهم مستقيمة على ما يوجبه الحكمة وجايز ان يكون قوله تعالى فيها كتب قيمة اى احكام كثيرة مستقيمة على ما يوجبه الشرع والحكمة وقوله عز وجل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقول اهل التاويل انما تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينة وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر هذا التاويل خطا لانهم كانوا متفرقين قبل ذلك فلا معنى كذلك وعندنا ليس كما توهم هو وهو يخرج على وجهين احدهما وما تفرقوا من محمد عليه الصلاة والسلام الا من بعد ما جاءهم العلم به عند ذلك تفرقوا فيه فاما قبل ذلك كانوا مجتمعين به فيه كلهم وما تفرقوا فيه في الدين والمذهب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى عن بيان وعلم تفرقوا في الدين وفيما تفرقوا فيه وهو ما جعل في خلقة كل احد دلالة التوحيد والربوبية له ما لو تفكروا لعرفوا بان الله تعالى واحد والبينة يحتمل من هذا الوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم و القران ونفس الخلقة على ما ذكرنا وقوله عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اى ما امروا اوايلهم واواخرهم في تلك الكتب الا ليعبدوا الله تعالى ولا يعبدوا من دونه وما امروا الا ليجعلوا الالوهية لله والوحدانية له ودل قوله وما امروا الا ليعبدوا الله على ان تاويل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على اضمار الامر اى الا لامرهم بالعبادة على كل حال لانه لو خلقهم للعبادة ما قدروا غيره او ان يكون قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على الخصوص خلق من علم انه ليعبده للعبادة وقوله عز وجل مخلصين له الدين اخلاص الدين له يخرج على وجهين احدهما ان يخلص له الدين ويصفي فيه غيره ويكون من خلوص وصفاء والثاني الدين الخالص هو الدايم كقوله وله الدين واصبا وكذلك يحتمل قوله الا لله الدين الخالص وقوله عز وجل حنفاء قال اهل التاويل المسلمون وقال بعضهم حنفا متبعين والحنف الميل كانه قال مايلين الى الاسلام وقيل حنفاء حجاجا وقيل الحنيف المستقيم وقوله عز وجل ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكوة يحتمل القبول اى قبلوا اقامة الصلاة وايتاء الزكوة اى تابوا وقبلوا ذلك الجنس على حقيقة الاقامة ويحتمل ان يكون حقيقة الاقامة والايتاء وايهما كان ففيه ان اوايلهم كانوا مامورين بالصلاة والزكاة ثم المعنى الذي في الصلاة والزكوة لا يحتمل النسخ في وقت من الاوقات لان الصلاة معناها هو الاستسلام والخضوع والزكوة هي تزكية النفس وطهارتها وذلك لا يحتمل النسخ وقال وذلك دين القيمة والدين مذكر و القيمة مونث في ميزانه يكون الذي ذكر هو الملة القيمة ويحتمل دين الامة القيمة وهو قول الزجاج او يقول ذلك الدين قوم الحجج والبراهين اضيف الى الحجج وجايز ان يكون ذكر القيمة على التسوية بين ما سبق وما تقدم من اواخر الاي من قوله عز وجل حتى تاتيهم البينة ومطهرة وكتب قيمة تسوية بين ما تقدم وما تاخر من قوله خير البرية وشر البرية ومنحرف اى ذلك الدين القيمة بعينها وفي قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وجهان احدهما تحذير لهذه الامة لان لا يتفرقوا كما تفرق اولئك في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به والثاني يكون لهم ابدا فزعين الى الله تعالى في كل وقت خايفين منه وان لا يكلوا الى البيان الذي جاءهم فيتفرقوا كما تفرق اولئك وقوله عز وجل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم ظاهر هذا ان يكون تاويل قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين اى بعض المشركين في النار لا كل المشركين ولكن من كفر

من المشركين

من المشركين كان كمن كفر من اهل الكتاب في نار جهنم لكن الكفر هو الشرك والشرك هو الكفر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدل ان الكفر والشرك واحد وكل كافر مشرك فكانه قال عز وجل ان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ثم جاء كل هذا التشديد لهؤلاء لان اهل الكتاب ادعوا انهم من نسل الانبياء ثم تركوا اتباعهم والمشركون قد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ثم نقضوا ذلك العهد واهل الكتاب قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فتركوا اتباع الصالحين من اباءهم والعرب ايضا كانوا من قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تجب عليهم اللزوم واوجب فشدد على هؤلاء لهذا المعنى ثم ان كان البرية ماخوذا مقصودا من البرا وهو التراب فيرجع تاويل الاية الى البشر كانه قال اولئك هم شر ما انشئوا من الارض وان كان ماخوذا مقصودا من البرا وهو الخلق فيصير كانه قال اولئك هم شر ما خلقوا فيدخل في ذلك الملايكة والجن والبشر وفي الاول لا يدخل الا البشر خاصة وكذلك ما ذكر من اهل الايمان حيث قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية فان كان البرية ماخوذا من البرا فهو يرجع الى الاصناف جميعا وان كان من البرى وهو التراب فهو يرجع الى البشر خاصة فيصير كانه قال شر اهل البشر من جنسهم وخير اهل الخير من جنسهم لانهم صاروا قادة في الهدى والخير وقوله عز وجل جزاؤهم عند ربهم جنات عدن فان كان العدن هو المقام فجميع الجنان عدن وجميع الجنان نعيم ثم قد قسم الخلق صنفين جعله شر البرية وجعله خير البرية ثم يكون من كل صنف شر من شر وخير سوى بين من نشا على الكفر و دام عليه في التابيد والتخليد وبين من احدث الكفر في اخر عمره وكذلك من دام على الايمان ومن احدث سوى بينهما ولم يجعل لما مضى من الكفر جزاء ولا عقابا دون ذلك والله اعلم هو ان من اعتقد ايمانا انما يعتقد للابد وكذلك من يعتقد الكفر اى يعتقد الابد فاذا احدث الايمان بعد الكفر اعتقد قبح ما عمل في حال كفره وشره وحسن ما احدث من الايمان والتوبة وكذلك من احدث الكفر بعد الايمان اعتقد فساد ما عمل في حال ايمانه لذلك سوى بين من احدث وبين من دام عليه وليس كمن يذنب في وقت لانه يعتقد حسن ذلك ولا قبحه في الاية والله الموفق وقوله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه احدهما يقول رضي الله عنهم بعملهم الذي عملوا لانفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا لهم رضي الله بسعيهم لهم ورضوا عنه بما اكرمهم ودفعهم الاعمال التي عملوا لانفسهم في الدنيا وهو كقوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم اى ان تبذلوا ما احسن اليكم و احسنوا صحبة احسانه اليهم يرضى ذلك لهم وقال وهذا يدل ان ما يعملون من خير او شر انما يعملون لانفسهم والمنفعة ترجع اليهم او مضرة يندفع عنهم والثاني رضي الله عنهم بما اكرمهم من الثواب لاعمالهم التي عملوا لانفسهم ورضوا عنه بكرامته التي اكرمهم وقوله عز وجل رضي الله عنهم هذا منه افضال وانعام حيث ذكر رضاه عنهم وان ذكر العقد والتجاوز كان حقا ولكن هذا كما ذكر من اللطف معاملة عباده حيث سمى بالاجر والرزق ما هو حاجتهم اليه قرضا حيث قال واقرضوا الله قرضا حسنا وسمى ما بذلهم لانفسهم واموالهم شراء وما يعملون لانفسهم جزاء وشكرا وانما لهم وانفسهم في الحقيقة له وكذلك سمى بالذي ذكرنا لطفا منه وفضلا وفعل ذلك ما ذكرنا من رضاه عنهم به وكذلك قوله ورضوا عنه ذكر رضاهم عنه بفضله و لطفه والاحسان حتى يكونهم الرضا عن الله تعالى ثم يخرج على وجهين سوى ما ذكرنا احدهما ورضوا عنه بما [illegible] في الدنيا من [illegible] العظيم [illegible] والاحسان الله تعالى وفضله في الاخرة والثاني ورضوا عنه بالنعم التي اكرمهم بالجنة لا يبغون عنها حولا ولا يريدون غيرها [illegible] ابو عوسجة متكئين [illegible] ابو عبيدة والقتبي وابو عبيد وغيرهم [illegible] وقوله عز وجل ذلك لمن خشي ربه [illegible] المعاصي وعمل بالطاعات [illegible] كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء [illegible] والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها ذكرنا [illegible] ابو بكر فيه وان لم يذكر السؤال [illegible] الجواب [illegible] السؤال [illegible] اذا زلزلت الارض زلزالها [illegible] وقوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها [illegible] فاذا حركت الارض [illegible] منها من الجبال [illegible] جايزان يكون قوله [illegible]

ويكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله عز وجل فجعلناه هباء منثورا فاذا نسفت وتلاشت بقيت الارض مستوية على ما ذكر ويحتمل
ان يكون بزلزلت وتحركت حتى تغير بذلك كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الاية ويحتمل ان يكون تبديلها وتحريكها ومدها
هو تغيير صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الاولين قال الزجاج لا يحتج هذه القراءة لان الزلزال من المضاعف انما يكون بالخفض مصادرها
اسماء الاشياء وقد يكون نصبا كقوله تعالى من صلصال ونحوه والزلزال مصدر فيكون في الاصل المطرد فيه هو الكسر والنصب يكون
نادرا والله اعلم وقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي احمالها قول ذلك اليوم فقال فاية اخرى والقت ما فيها وتخلت ثم يحتمل
اخرجت والقت ما فيها من الموتى من اول ما دفن فيها من كل شيء من الحيوان وغيرها الى اخر ما يحتمل فيها من الكنوز وغيرها ما يحتمل الحساب
وما لا يحتمل من البشر وجميع الممتحنين وغيرهم ويحتمل اخرجت اثقالها الممتحنين خاصة ممن يحاسبون ويثابون ويجزون وقوله
عز وجل وقال الانسان ما لها قال الكافر ما لها تحركت فقال بعضهم احوت في الدنيا والحق في الاخرة حيث يسال الارض ما لها تزلزل
وتحرك يظن انها بنفسها تفعل ذلك لا لفزعه ما نرى من احوال ذلك اليوم وتغيير احوالها على ما لم ينظر في الدنيا في الايات والحجج حتى
يقبلها ويخضع لها وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه يقول يومئذ تحدث اخبارها وقال الانسان ما لها تشهد وتخبر
بما عمل على ظهرها ثم اخبارها يخرج على وجوه احدها ما قاله اهل التاويل انها تخبر وتحدث بما عمل على ظهرها من خير وشر وطاعة
ومعصية لكن لا يحتمل اخبارها الخير لانها انما تشهد عليهم لانكار اهل الكفر ما كان منهم من فعل الكفر والعصيان واما اهل الجنة
فانهم يكونون معترفين بالخيرات والله تعالى يصدقهم على ذلك والله اعلم وكذلك ما ذكر من شهادة الجوارح انما تشهد عليهم
على ما ينكرونه من الشرك والكفر وغير ذلك من المعاصي فعلى ذلك التاويل يكون اخبارها على حقيقة النطق والكلام وقال
بعضهم اخبارها ما ذكر من تزلزلها وتحركها والاحوال التي يكون فيها هو تحديثها واخبارها التي يكون منها وقال بعضهم يومئذ
تبين وتنفع لخبارها التي اخبروا في الدنيا تكذبوها يومئذ تبين لهم ذلك وينفع لهم مشاهدة عيانا من الحساب والثواب و
العقاب وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد
على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها وقوله عز وجل بان ربك اوحى لها من قال بان اخبارها من شهادتها بما عملوا على ظهرها يكون
تاويله قوله تعالى اوحى لها من شهادتها بما عملوا على ظهرها وقوله عز وجل اوحى لها اي اذن لها بيانها بالشهادة فتشهد ومن قال
اخبارها هو تزلزلها وتحركها والاحوال التي تكون منها يقول على اسقاط لها يقول بان ربك اوحى فعل ذلك بها والوحي قد
يكون الوحي والهام والامر ويستعمل فيما يليق وقوله عز وجل يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يحتمل صدور الناس
من وجهين احدهما يصدرون من قبورهم الى الحساب ليروا كتابة اعمالهم اي ليروا ما كتب من اعمالهم التي عملوا في الدنيا ويحتمل
على ما اعد لهم في الاخرة من الثواب والعقاب فعلى هذا التاويل ليروا جزاء اعمالهم التي عملوا في الدنيا كقوله تعالى فريق في الجنة
وفريق في السعير وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا هذا تفسير قوله اشتاتا وقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال بعضهم يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا واما في الاخرة فلا يرى لانه لا يؤمن بها
ولا يعمل لها كقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل في الاخرة وعلى
ذلك يروى في الخبر ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فقال ابو بكر
الصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل من عمل من شر نراه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرون في الدنيا مما يكرهون منهن
من ذلك ويؤخر الخير لاهل في الاخرة وجائز ان يكون قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وشرا يره على الاحصاء والحفظ
كقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يذهب عنه شيء قليل ولا كثير حتى الذرة ويحتمل وجها اخر وهو ان
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة خيرا يره في الاخرة ومن يعمل من الكفار مثقال
ذرة شرا يره في الاخرة لان الله تعالى قد اخبر في غير اي من القران انه يتقبل حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم كقوله
تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ونحو ذلك من الايات
وقوله عز وجل مثقال ذرة ليس ارادة حقيقة الذات ولكن على التمثيل ثم قيل من اخبار الارض وما ذكر من شهادة الجوارح
انه كيف احتمل ذلك وهي اموات والموات لا علم لها وجائز ان يكون الله تعالى يجعل لها علما وينطقها بذلك علما على جعلها
ثم في قوله تعالى ليروا اعمالهم دلالة ان قوله تعالى حتى يسمع كلام الله وقوله لا تسافروا بالقران ارض العدو وقول الناس
بقراءة كلام رب العالمين وفي المصاحف قران انه لا يراد به حقيقة كونه كلام الله تعالى في المصاحف ولا حقيقة كون القران
فيها والسفر به ولا حقيقة سماع كلامه ويكون على ما اراد من سماع ما به يفهم كلامه ويسمع ما يعبر به عن كلامه وكذلك
يكون في المصاحف ما يفهم به كلامه او ما يعبر به عن كلامه على ما ذكرنا من رؤية الاعمال واعين الاعمال لا يرى ولكن يرى
ما يدل عليها وهو المكتوب من اعمالهم في الكتب التي فيها اعمالهم فعلى ذلك هذا والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا

محمد واله وصحبه وسلم

بسم الله والعاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والعاديات ضبحا الى اخره قال علي كرم الله وجهه وعبد الله رضي الله عنهما هي الابل وقال ابن عباس رضي الله
عنه وغيره من اهل التاويل هي الخيل غير ان عليا رضي الله عنه قال ذلك يوم بدر وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو
ذلك في الحج ومن قال هي الخيل قال ذلك في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابطا عليه خبرها فاغتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل صلوات الله عليه يخبره على ما ذكر ووصف منه بذلك المؤمنون فان كان في امر السرية والخيل
على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه جهة بجهة القسم بذلك يحتمل وجهين احدهما انه من علم الغيب اذ لا يعلم كيف العدو وما وصف
من امر الخيل لا يكون الا بالوحي من السماء او ممن شهد ذلك فاذا لم يحضر احد ممن شهدها ثم اخبر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ظهر عندهم على ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا بذلك انه رسول الله وانه انما عرف بالوحي من الله تعالى
وذلك من اعظم ايات الرسالة او ان يكون في ذكر من شدة الخيل وقوتها وحرق بحوافرها حيث عدت في ليل مظلم لا قمر فيه ولا
نور ضوء ويخرج النار من شدة عدوها من الحجارة التي تضرب بحوافرها ما لا يقدر الانسان العدو في مكان مستو فضلا
ان يقدر على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من اثارة النقع من شدة عدوها وتوسطها في العدو اذ يذكر موافقة مراده
وحسن لعرضهم في الاغارة على عدوهم في اغفل ما يكون العدو وهو وقت الصبح ثم القسم يقول والعاديات وما ذكر
من الموريات والصبح هو صفة العاديات ولغوتها وفيه بشارة ثلاث احدها انه لم يحدث لهم حادثة والثاني الاغارة
على العدو والثالث انهم قد توسطوا العدو ومن قال هي الابل وذلك في امر الحج يذكر سرعة سيرها وشدة عدوها في الليل
المظلمة التي فيها الاودية والهبوط والصعود ثم قوله فالموريات قدحا على هذا التاويل اي يضرب الحجر بالحجر فيخرج منه
النار من شدة سيرها وعدوها وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا وقوله عز وجل فالمغيرات صبحا على هذا التاويل
يقول بعضهم نزولهم في تلك الغارات والاودية في وقت الصبح والاشبه ان يكون خروجهم من تلك الغارات والاودية
في ذلك الوقت لان ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقت المنام او يكون قد استقبلهم العدو هنالك ومن
اراد بهم الشر فيكون المغيرات على الاغارة عليهم انه كان ثم عدو فوسطن به جمعا على هذا التاويل الجمع في الحج وهو الجمع المعروف
ومن قال ذلك في الخيل يكون توسطهن في جمع العدو ثم الذي وقع بالقسم قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي الانسان
لنعم ربه لكنود ولا يشكرها وهو ان الانسان يذكر مصائبه وما يصيبه من الشدة في عمره ابدا وينسى جميع ما انعم الله عليه ان
لا يبارقه طرفة عين ولذلك قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل الكنود والعنود والبخيل الشحيح في
الانفاق ويحياه يكون وصف كل انسان ما ذكر لكن المؤمن يتكلف شكر نعم الله تعالى ويجتهد في ذلك ويصبر على المصائب وهو
كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا وخلق عجولا وهو كل انسان ثم استثنى المصلين منهم وهم المؤمنون اي كذلك خلق وطبع كل انسان
لكن المؤمن يتكلف اخراج نفسه من ذلك الطبع الذي عليه وطبع على غيرها من الطبائع كالبهائم والسباع التي طبعها النفور من
الناس والاستيحاش عنهم ثم يصير بالرياضة ما يستقر عندهم ويجيبهم قد دعوتهم وقوله عز وجل وانه على ذلك لشهيد قال بعضهم
الا ذلك الانسان على ما فعله في الدنيا الشهيد في الاخرة على ما جمعه اي يشهد ذلك ويعلمه كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة
وقال بعضهم وانه اي ذلك الانسان لبخله وامتناعه عن الانفاق لشهيد اي يقول لحفظ ماله واخفائه بنفسه لا يثق بغيره وقال
بعضهم وانه يعني الله تعالى على ذلك لشهيد اي عالم يحصيه ويحفظه كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله عز وجل
وانه لحب الخير لشديد اي ذلك الانسان لشديد الحب للمال فذكر بخله وشحه في الحال ثم ترك الانفاق والبذل وعلى ذلك
طبع كل انسان على ما ذكرنا لكن المؤمن يتكلف اخراج نفسه لما طبع بالرياضة ويجتهد بالانفاق والحب مهنا حبا ايثارا اي
يؤثر لنفسه وقوله عز وجل افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور يقول والله اعلم فهلا يعلم قدرة ربه وسلطانه وحكمته في انشائه
انه يستخرج ما في القبور ويحييهم او يكون افلا يعلم اي فيعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وقوله عز وجل ان
ربهم بهم يومئذ لخبير اعلان ان ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم في الدنيا وحصل ما في الصدور يقول فهلا يعلم ايضا انه يميز ما
في الصدور ويبين ويظهر ما فيها لا يترك كذلك غير مميز ولا مبين بل يظهر ويبين كقوله يوم تبلى السرائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير
اي من علمه له بذلك يا احدهم ويخبرهم بما يخبرهم وفي قوله تعالى وحصل ما في الصدور دلالة ان لا حصول الاعمال وحلولها وما
ما يثاب عليها ويعاقب بالقلوب قال اهل اللغة وابو عوسجة ضبحا الضبح صوت في الصدر وضبح يضبح ضبحا فهو ضابح فاثرن
نقعا اي هيجن الغبار بحوافرهن والنقع الغبار والنقوع جماعة فوسطن من التوسط اي صرن في الوسط وكنود وكنود وحصل اي
اظهرت وقال بعضهم والقتبي والعاديات الخيل والضبح صوت حلوقها اذا عدت وقيل الضبح والضبع واحد في السير يقال ضبحت
الناقة وضبعت فالموريات اي التي توري النار بحوافرها والارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال بعثرت اي قلبت فجعل
اسفلها اعلاها وحصل ما في الصدور اي اختبر ما فيها من الخير والشر والبخل والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عزوجل القارعة قال القارعة عندهم هى الداهية الشديدة من الامور وهى فى هذا الموضع وصف لشدة هول يوم القيمة وهو من الله تعالى تذكير لعباده وتخويف لهم عما يكون فى ذلك اليوم من الاحوال والانكال وسمى الله تعالى فى كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه من اختلاف الاحوال نحو قوله الحاقة والواقعة وما اشبه ذلك فكذلك قوله عزوجل القارعة تذكيرا لهم بما وصف من حال ذلك اليوم وشدته ليتفكروا فى العواقب ويتدبروا وانما يقلبهم من الاولى من العذاب يمتنعوا بذلك عما نهاكم الله تعالى عنه ثم ان الله خلق فى بنى ادم نفسا يدرك بها الشهوات فى الدنيا وعقلا يتذكر به عواقب الامور واخرها ويزيد ذلك يتعظ ويتبصر ثم العقل مرة يدعوها الى نفسه حتى يميل الى ما يدعو فى حرا ما الطمع فى العاقبة والنفس مرة يدعو اليه فيصير هواه ويميله فيما يتلذذ من الشهوات فى دنياه وعلى ذلك ما قيل قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى برحمه ويعصمه عن اختيار السوء واتباع هواه حتى جعل هواه فيما يوجبه العواقب من الجزاء والثواب فكذلك ذكر الله تعالى عباده بما يستقبلهم من الاحوال فى ذلك اليوم ليعملوا عقولهم فى افكاره والتذكر عند فيزدجروا عما زجرهم عنه او يتذكروا ما وعد لهم من الجزاء فى ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا فى الخيرات وقوله عزوجل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث اختلف فى تاويله من وجوه ولكنه فى الحاصل يرجع الى معنى واحد فمنهم من قال اى كالحيز والمنتشر يعنى اراد به الطيران ومنهم من قال كالحيرا والذى يموج بعضهم فى بعض ومنهم من قال كالفراش المبثوث الذى يتهافت فى النار ويتحرق وكل ذلك يؤدى معنى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واصل ذلك من قوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فكان الله تعالى قال انهم يصيرون فى الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطائر الذى لا يدرى اين يطير واين يقع واين ينزل وقوله عزوجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال بعضهم كالصوف المصبوغ وقال بعضهم كالمندوف من الصوف فان كان على التاويل الاول فمعناه والله اعلم ان الجبال فى ذلك اليوم يتلون الوانا من شدة ذلك اليوم يكون العهن الاترى الا يقول وترى الجبال تحسبها جامدة وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فكذلك هذا على ذلك المعنى وان كان على التاويل الثانى فمعناه ان الجبال مع شدتها وصلابتها تصير فى الرخاوة والضعف من ذلك اليوم كالصوف المندوف فاذا ذلك اضعف احواله وقال قتادة شبههم بغنم لا راعى بها فذكر العهن كناية عن الغنم وقوله عزوجل فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية اختلفوا فى تاويل الميزان من وجوه ولكن اقربها عندنا وجهان احدهما ان يكون من قوله ثقلت موازينه من جملة المؤمنين وقوله عزوجل واما من خفت موازينه جملة الكفار ويكون الوجه فى ذلك ان المؤمن لما عظم حق الله تعالى وامر وحده كان له ميزان وقيمة وخطر عند الله تعالى فى ذلك اليوم والكافر لما ترك ذلك خف وزنه وقيمته وخطره وبطل والله اعلم هذا الكلام على نفى الجاه والمنزلة يقال فلان عند فلان وزن وقيمة وليس عنده ذلك الوزن فكذلك هذا والوجه الثانى من وزن السرائر ان لم يطلع الله تعالى الملائكة الذين يكتبون اعمال بنى آدم وذلك ومعلوم ان ذلك انما يحصل من المؤمنين دون الكفرة وقد وصفنا مسألة الميزان وبيناها فلذلك اختصرنا الكلام فى ذلك الموضع والله اعلم وقوله عزوجل فهو فى عيشة راضية منهم من قال مرضية يرضى اهل الجنة بذلك العيشة فهى مرضية ومنهم من قال ذات رضا كقوله ماء دافق اى ذات اندفاق ومنهم من قال انه اضاف الرضا الى العيش لانه به يرضى وقوله عزوجل فامه هاوية منهم من قال سمى النار اما للكافر لانه اليها ياوى ومنهم من قال المراد من الام ام راسه اى يلقى فى جهنم على ام راسه منكوسا وقوله عزوجل هاوية اى يهوى بحيث لا يكون له ثبات والاقرار وقوله عزوجل نار حامية اى يحميه وينضجه ومنهم من قال نار حامية اى شديدة الحر والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر اى شغلكم التفاخر بالتكاثر ثم لم يبين عما اشتغلتم فيجوز ان يكون الهاكم اى شغلكم عن توحيد الله تعالى او عن التفكر فى حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن ذكر البعث ثم قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر يحتمل تاويلين احدهما ان يكون الغرض بالخطاب بهذه الاية اباءهم وسلفهم الذين تفاخروا بالاخبار عن قبح صنيعهم واشتغالهم بالسعة فيكون هذا صلة ايات اخر من نحو قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ونحو ذلك فكان الله تعالى يخبرهم باباءهم وينهاهم عن الاقتداء باباءهم لانه تعالى انعم عليهم [illegible] حتى تكاثروا وذلك يتبع من وجهين احدهما ان من النعمة عليه نعمة فجحدها ولم يؤد شكرها استوجب

المقت والعقوبة يقول كيف تعتقدون باباءكم وانهم كفروا بنعمة الله وجحدوا بها بل الواجب عليكم ان تتبعوا النبى الذى جاء هدى فى وجدتم عليه اباءكم والثانى ان يكون ذلك فيه علامة ودلالة [illegible] ما فعلوا بما يستوجب به المقت والعقوبة [illegible] الغرور [illegible] عن شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى جحدوا الايات رسوله عليه الصلاة والسلام اوان يكون فيه اخبار عن سفههم من وجه اخر وهو ان الافتخار كيف وقع بالاموات والتفاخر بالاموات غير مستحسنة او يكون فيه وجه ثالث انهم [illegible] الافتخار بالاموال والاولاد وذلك من الله تعالى [illegible] هذه الاسباب [illegible] الاحوال نعيم الله تعالى بذلك ليكون فيه تذكر وموعظة للمؤمنين [illegible] ليجتنب المؤمن [illegible] من هذه الافعال وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قرا الهيكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالى مالى وما لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت [illegible] والله اعلم وقوله عزوجل حتى زرتم المقابر [illegible] صرتم الى المقابر بعد الموت [illegible] وقوله عزوجل كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال بعضهم كلا بمعنى النفى [illegible] يقينا ان الذى الهاكم وشغلكم من توحيد الله تعالى والتفكر فى حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم او الايمان بالبعث كان باطلا وانه كان من الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله ورسوله وتنظروا فى حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤمنوا بالبعث وفايدة التكرار بما جرى من العادة فى تكرار الكلام عند الوعيد وعند الاياس او الرجاء نحو قولهم الويل الويل وقولهم بخ بخ ونحو ذلك فكذلك هذا ومنهم من حمل كل لفظة من ذلك على تاويل على حدة ان قوله عزوجل كلا سوف تعلمون عند الموت عند ما يرون العذاب ان الامر ليس كما حسبتم وتعلمون فى يوم البعث انه حق يقين وقوله عزوجل كلا لو تعلمون علم اليقين يعنى بهذا والله اعلم ابطال ما كانوا عليه من الظنون والحسبان فى هذه الدنيا الاترى الى قوله تعالى ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا فاذا نزل بهم العذاب تحقق عندهم وعلموا علما يقينا فقال بعضهم كلا سوف تعلمون حين نزل بكم الموت ثم كلا سوف تعلمون فى القبر وكذلك روى عن على رضى الله عنه انه قال كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة وفيه وجه ثان وهو انهم كانوا عند انفسهم علماء وانهم على حق ولكن الله تعالى بين لهم ان علمهم كان حسبانا الاترى الى قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فيظهر لهم عند ذلك ان اليقين ما نزل بهم وان الذى علموا لم يكن علم يقين بل كان شكا وحسبانا وقوله عزوجل لترون الجحيم يحتمل وجهين احدهما ترونها عند الموت والثانى ترونها بالتفكر والنظر فى ايات الله وحججه فى الدنيا وقوله عزوجل ثم لترونها عين اليقين له معنيان احدهما عيانا ومشاهدة والثانى ان يكون رؤيتهم بعين اليقين ليس على ما كانوا عندهم انهم لو فتح لهم باب من السماء وعرجوا اليها لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقول الله تعالى لم تنقشع عنهم السحر عن ابصارهم فيرونها عين اليقين وقوله عزوجل ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ظاهر هذا يقتضى ان يكون سؤالهم بعد ما دخلوا النار لانه قال ثم لتسألن بعد ما وصف انهم يدخلون النار فبان انه فى ذلك الوقت فان كان على ذلك فهو فى موضع التقرير عندهم انهم استوجبوا المقت والعقوبة لانه كان عندهم ان من النعم عليه بنعمة فلم يشكرها استوجب المقت والعقوبة فان الله تعالى يسألهم فى ذلك الوقت عن شكر ما انعم عليهم ليعرفه عندهم استيجاب العقوبة ويجوز هذا عند الحساب لانه قال يومئذ ولم يقل قبل ذلك او بعده بل قال على الاطلاق فيعمل به واذا احتمل ذلك الوجه الى المؤمنين والكافرين وكان الوجه فى سؤال المؤمنين تذكيرهم ان اعمالهم لم تبلغ ما يستوفى بها شكر النعمة التى انعمها عليهم وليعلموا ان الله تعالى تفضل عليهم وتجاوز عنهم لا ان بلغت اليه حسناتهم فاستوجبوا رحمته بها بل بكرمه وفضله وان كان فى الكافرين فهو تقرير بما استوجبوا من نقمته حيث تركوا شكر نعمه ثم قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وان كان السؤال من الكفرة فانهم يسألون عما تركوا من الايمان بالله تعالى وبما اتى اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وبغير ذلك من النعيم وان كان فى المؤمنين فهو فى ساير النعم من الماكول والمشروب والملبوس ونحوها والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر خرج قوله والعصر مخرج القسم والقسم موضوع والشاهد لتاكيد ما ظهر من الحق الخفي ولنفي شبهة اعترضت او دعوى ادعيت فكذلك في الغائب ثم الاصل بعد هذا انه ليس في جميع القران بما وقع عليه القسم الا اذا تامله المرء والمستقصي فيه المعنى الذي اوجبه القسم لولا القسم ثم اختلفوا في تاويله قوله والعصر فمنهم من قال هو الدهر والزمان ومنهم من قال هو اخر النهار فذلك وقت يشتمل على طرفي النهار وهو اخر النهار واول الليل فكانه اراد به الليل والنهار وقال ابو معاذ يقول العرب لا اكلمك العصر اي يريدون الليل والنهار وقيل هو الليل والنهار مرور الدهور والازمنة لا تنتهي باتيان على الدهور والازمنة وما فيها فما كان في ذكر الليل والنهار ذكر كل شيء والقسم بكل شيء وقسم بنفسه لان كل شيء في ذلك نظرت فيه ذلك على صانعه ومنشئه وقوله عز وجل ان الانسان لفي خسر ان الدنيا وما فيها كانها خلقت وانشئت متجرا للخلق والناس فيها تجار كما ذكره في غير اي من القران قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان الانسان لفي خسر في تجارته ومبايعته الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ولقائل ان يقول كيف اهل الربح من اهل الخسران ولم يستثن اهل الخسر من اهل الربح فيقول ان الانسان لفي ربح الا الذين كفروا والاستثناء هذه القرية من تلك اولى في العقول من تلك والجواب عن هذا ان هذه الاية انما نزلت بقرب من مبعث رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم باجمعهم كانوا اهل كفر وضلال فلذلك وقع الاستثناء على ما ذكر اذ استثناء القليل من الكثير هو المستحسن عند اهل اللغة وان كان القسم الثاني فجائز والقران في اعلى طبقات الكلام في الفصاحة ثم قوله عز وجل ان الانسان اسم جنس فكانه اراد جميع الناس الا ترى انه قال الا الذين امنوا فاستثنى الجماعة من الفرد فكانه يقول على هذا ان الناس في احوالهم واختيار في خسر الا من كانت تجارته في تلك الحالة ما ذكر وقوله عز وجل وعملوا الصالحات يحتمل ان يكون ما به الصالحات التي كانت معروفة في الكفر والاسلام من حسن الاخلاق وغيره الا ترى انه قال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فقول المعروف هو المعروف الذي هو معروف في الطبع والعقول والمنكر المنكر الذي ينكره العقل وينزع عنه الطبع وان كان المراد منه الكفر فكانه قال ان الكافرين في هلاك وخيار الامر امن بالله تعالى ورسله وعمل صالحا ثم في هذه السورة ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات وكذلك ذكر الصالحات في سورة التين وترك ذكر الصالحات في سورة البلد فكان الله تعالى ذكر الصالحات في تلك السورة لما قد كان ذكرها قبل ذلك الى ان قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة وغير ذلك وقوله عز وجل وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر الحق في الاصل كل ما يحمد عليه فاعله والصبر هو الكف عن كل ما يذم عليه فاعله فكان التوصي بالحق تواصي بكل ما يحمد عليه والتواصي بالصبر تواصي عن كل ما يذم عليه ظاهر قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا الاية ما يوجب ان من لم يجمع بين هذه الاشياء التي ذكرها انه في خسر فيكون ظاهره حجة للخوارج والمعتزلة الا ان الانفصال عنه هذا والله اعلم ان الله وعد الجنة لمن جمع هذه الاشياء التي ذكر في هذه الاية وذكر الايمان مفردا في اية اخرى ووعد عليه الجنة فلا يخلو وعد الجنة عن الايمان المفرد في تلك الاية من احد وجهين اما ان يكون ذكر الايمان مفردا واراد به الاكتفاء عن ذكر الجملة ليكون في ذكر طرف من ذكر الجملة او يكون في ايجاب الجنة له على مفرد الايمان فالحال فيه موقوفة ولان الله تعالى اوجب الجنة ولم ينفها انه عمن ينقص عن ذلك فالحال فيه موقوفة على دليله واذا كان كذلك لم يقطع القول على ايجاب الجنة لمن اتى بالايمان مفردا وعلى ايجاب النار فيكون السبيل فيه على الرجاء لانه لو لم يذكر كان يقع به الياس واصل كل عبادة انما بنيت على الرجاء والخوف فكذلك كان الامر على ما وصفنا او نقول بان الله تعالى اوجب النار على من اتى بجميع السيئات ولم يكن فيه دليل على من اتى بالكفر وحده لا يستوجب به نارا فكذلك الله سبحانه وتعالى وان اوجب الجنة لمن جمع بين هذه الاعمال فلا يدل على ان من اتى بالايمان وحده لا يستوجب الجنة وعلى انه يجوز ان يكون استثناء كل من اتى بشيء من هذه الاعمال بالانفراد فيكون فيه استثناء كل طائفة من ذلك على حدة كانه قال الا الذين عملوا الصالحات والا الذين تواصوا بالحق واذا كان كذلك لا يكون حجة لهم وان اريد به الجمع يكون حجة لنا التعارض والاحتمال فوجب التوقف ويحتمل ان يراد به الاعتقاد اي ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا من اعتقد هذه الاعمال الصالحة كقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم الاية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل ويل لكل همزة لمزة اختلفوا في معنى الهمزة واللمزة فقال بعضهم معناهما واحد وهو الذم والطعن وقال بعضهم الهمزة هو الذي يؤذي جليسه بلسانه واللمزة الذي يؤذي بعينيه وغير ذلك وقال بعضهم الهمزة الذي يطعنه عند حضرته واللمزة الذي يطعن عند غيبته وهذا ما ينبئ به من يعتاد ذلك الفعل واهل اللغة وصفوا هذا المثال وهو فعل لمن يعتاد ذلك الفعل ويحترفه قال اهل التاويل ان الاية في الكفار لكن بعضهم قالوا نزلت في الاخنس بن شريق وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة ولقائل ان يقول ان الاية نزلت في الكفار وكذلك كثير من الاي من قوله تعالى ويل للمطففين ونحوها ومعلوم انه وجد

منه

منهم هذا الفعل او عدهم استوجبوا ما ذكر من العقوبات واشد من ان الذي فيه من الكفر اقبح من هذين الفعلين فكيف وقع تعييرهم بذلك والجواب عن هذا وامثاله من نحو قوله تعالى ويل للمطففين وقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نكذب بيوم الدين فهو وان اقاموا الصلاة واعطوا الزكوة لم يزل عنهم عقوبة النار والجواب عنه ان الايمان لم يحسن لاسمه ولا قبح الكفر لنفس اسم الكفر لانه ليس احد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا الا وهو يكفر بشيء ويؤمن بشيء لان المسلم مؤمن بالله تعالى كافر بالطاغوت والكافر يكفر بالرحمن ويؤمن بالطاغوت وبعبيده فثبت ان الايمان ليس يحسن لنفس اسم الايمان ولا قبح الكفر لعين اسم الكفر ولكن الايمان بالله تعالى انما حسن يحسن من حيث وجبت الحكمة الايمان به وقبح الكفر لان الحكمة اوجبت ترك الكفر بالله تعالى فالايمان حسن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من معنى الكفر وهذان الفعلان قبيحان في انفسهما لا بغيرهما فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين اكثر وابلغ منه في تعييرهم بالكفر لذلك عيرهم تعالى بهذين الفعلين ووجه اخر ان هذا يخرج مخرج الموعظة لامة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهم به وينهى عنه لما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولا بجملة ما كانوا يتعاطونه على ترك امرهم بالمعروف والنهي عن المنكر لما يخشى ان يسخر بالرسول والثالث ان يكون هذا على وجه المكافات والانتقام لما كانوا يفعلون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الزجر والردع عن ذلك اذ العقلاء يمتنعون عن الافعال القبيحة فعلى هذه الوجوه يحتمل معنى تعييرهم وقوله عز وجل الذي جمع مالا وعدده قرئ على التخفيف جميع من الجمع اي جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده وذكره اي حفظ عدده وذكره على الدوام لئلا ينقص ووصفه بالبخل والشح ومن قرأ بالتشديد فمعناه انه جمعه وادخره بمر الزمان لم يجمع ذلك في ايام قصيرة والاصل بعد بالتخفيف لكن شدد لما فيه من زيادة الجمع وقوله عز وجل يحسب ان ماله اخلده فيتوجه بوجهين احدهما ان يكون على الحقيقة انه قدر عند نفسه انه يبقى ابقا والاموال له لما يرى بقاه من حيث الظاهر بها فتقرر عنده ان ما اتاه الله تعالى من الاموال هو رزق فتمنى الى ان يستوفي جميع رزقه فيجمعه فيدخره لكي يزيد في عمره والوجه الثاني ان يكون على الظن والحسبان كانه يقول جمع مالا وعدده جمع من يظن ان ماله يزيد في عمره فان كان على التاويل الاول فقوله كلا رد عليه اي ليس كما قدره عند نفسه وان كان على التاويل الثاني فعلى ايجاب عقوبة مبتداة وقيل عدده اي اكثر عدده وقال الحسن عدده اي صنفه فجعل ماله اصنافا وجعل انواعا من الابل والغنم والبقر والدور والعقار والمنقول وغيرها و قيل عدده اي استعده واعده وهياه وقوله عز وجل لينبذن في الحطمة قيل باب من ابواب النار وقيل هي صفة النار والحطم هو الكسر فكانه قال النار التي يعذب بها الكفرة يكسر عظامهم ويحطمهم وقوله عز وجل نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة [illegible] النار [illegible] على جلودهم وعروقهم ولحومهم وعظامهم حتى تاكلها وتكسر العظام فتطلع على افئدتهم فحينئذ يتبدلون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب [illegible] النار منهم كل شيء سوى الفؤاد لان الفؤاد اذا احترق لم يتالم بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب والمراد من الاحراق [illegible] وقوله عز وجل انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة قرئ عمد برفع العين والميم وقرئ بالنصب فيهما وذكر عن الفراء [illegible] والعمد [illegible] وقال بعضهم العمد جمع [illegible] الكلبي انها عليهم موصدة في عمد [illegible] عليهم [illegible] ممددة في عمد من نار [illegible] والله اعلم [illegible] الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل اختلفوا في السبب الذي به وقع القصد من اصحاب الفيل الى هدم البيت وتخريبه فمنهم من قال انه اتخذ [illegible] بيتا في بلاده وسموه كعبة [illegible] [illegible] ذلك البيت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السورة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اصحاب الفيل [illegible] وسلم [illegible] حرمة البيت [illegible] [illegible]

ينصرفوا لانه ذكر انهم كانوا اذا وجهوا الفيل نحو البيت امتنع و وقف واذا وجهوا نحو ارضهم هرول وتسارع فلما راوا ذلك ولم ينصرفوا اهلكهم الله تعالى فلا يؤمن على اهل مكة ايضا انهم لما راوا الايات المعجزة من الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا ان يهلكهم الله سبحانه وتعالى و ينتقم منهم بعقوبة فعل ما ذكرنا يخرج معنى نزول السورة وقيل انه على البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاشارة انه لم يكن للبيت ناصر في ذلك الوقت ولا معين بل كان وحده فنصره الله تعالى حتى لم يبق اعدائه من هو به فعلى ذلك ينصرك و يعينك و يهلك عدوك وان كنت انت وحدك اذا كان وقت نزول هذه السورة لم يكن له كثير اعوان وقد فعل ذلك يوم بدر ثم قوله الم تر حرف استعمل في تذاكر اعجوبة قد كانت عرفوها ثم غفلوا عنها او فيما لم يكن فيعجبهم بما فعل باعدائه ثم ليحملهم على الزجر والانتهاء عن حرم الله تعالى فكانه قال رايت ربك كيف فعل باصحاب الفيل ويجوز ان يكون الخطاب منه للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد غيره ويجوز ان يكون هذا خطابا بالكل واحد منهم ثم تسميتهم اصحاب الفيل ونسبة الفيل اليهم يحتمل وجهين احدهما اي الذين صحبوا الفيل والثاني اصحاب الفيل اي اربابه الفيل لما يقال رب الدار ومالك الدار **وقوله** عز وجل الم يجعل كيدهم في تضليل اي ابطل ما قصدوه عند انفسهم من تخريب البيت وتهديمه والكيد ما ذكرنا بدءا **وقوله** عز وجل وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة جماعة جماعة وهكذا السنة في الخروج الجاد بامر الله تعالى ان يخرجوا جماعة جماعة وقيل هي طير لم ير قبلها ولا بعدها مثلها لها رؤوس كالسباع وقيل شبيهة برجال الهند **وقوله** عز وجل ترميهم بحجارة من سجيل اختلفوا في السجيل قال بعضهم هو اسم موضع خلقت حجارته لتعذيب الفراعنة واهلاكهم وقال بعضهم فارسية معربة وهي سنك وكل وهو الاجر في التقدير وقال بعضهم هذه عبارة عن شدة الحجارة وقوتها **وقوله** عز وجل فجعلهم كعصف ماكول قالوا العصف هو ورق الزرع او ورق كل نابت **وقوله** عز وجل ماكول يحتمل وجهين الى ما قد اكل والى ما لم يوكل اوما لم يوكل اذا كان معدا للاكل سمي ماكولا فان كان غير الماكول فكانه قال جعلهم في الضعف والرخاوة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب حتى لا يخاف منهم بعد ذلك ابدا وان كان على الماكول فهو انه تعالى جعلهم كالماكول التي اكلتها الدود فيكون ثقب والله اعلم بالصواب تم هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف هذا يخرج على وجوه احدها ما قال الفراء ان اللام الاولى لان السورة صلة الم تر قال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش كانه يقول اهلكنا اصحاب الفيل وفعلت بهم ما فعلت لتاليف قريش بذلك المكان كالقرابة الرحلتين اللتين وجعلنا لهم في الشتاء والصيف والثاني يحتمل ان يقول الزموا الخلق عبادة رب هذا البيت حتى العقود ذلك البيت وحملوا ما يحتاج اليه قريش واهل ذلك المكان من الطعام وما يتعيشون به لتالف قريش بعبادة رب ذلك البيت ما ولولا ذلك لم يتهيا لهم المقام بذلك المكان لانه لا ذرع فيه ولا نبات ولا ما يتعيش به وهو كما قال ابرهيم عليه السلام بواد غير ذي زرع وانما تعيشهم في ذلك المكان بما يحمل اليهم من الافاق والامكنة والنائية كقوله اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا الاية وقال بعضهم امرت قريش ان يالفوا عبادة رب هذا البيت كايلافهم رحلة الشتاء والصيف يقول كالفهم هاتين الرحلتين فالفوا عبادة رب هذا البيت وقال بعضهم ان اهل مكة كانوا يتجرون تجارا امنين في البلدان لا يخافون شيئا لحرمهم لان الناس يحترمون لهم لمكان الحرم حتى لا يتعرض لهم بشيء ولا يؤذيهم احد حتى ان كان الرجل منهم ليصاب في حي من الاحياء يقال هذا حرمي تخلى عنه وعن ماله تعظيما لذلك المكان وهو ما قال وامنهم من خوف وقيل ان العرب كانت تغير بعضهم على بعض ويسبي بعضهم بعضا واهل مكة كانوا امنين في حرم الله تعالى كقوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم فذكر عظيم نعمه عليهم ومننه ليعلموا ذلك انه منه واصله ان الله تعالى لما كان من حكمته واراد ترجيح الرسالة في قريش وابقائها الى الوقت الذي اراد ان يبقي جعل لهم من الامر في ذلك المكان والارزاق التي يجبى اليهم وما يتعيشون في ذلك ليبقوا الى الوقت الذي اراد بقاءهم اليه فيكون ما اراد على ما اراد فلما انشاء هذا العالم للبقاء الى الوقت الذي اراد ان يبقوا فيها جعل لهم من الارزاق ما يبقون الى الوقت الذي اراد فعل ذلك الاول قال القتبي لايلاف مصدر الفت فلانا اكنا ايلافا كما تقول المؤمنة المرام وقال الكسائي الفت المكان والفته لغتان وعن ابن عباس رضي الله عنه لايلاف قريش اي كصنيع قريش ايلافهم اي صنيعهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع السنين الذي اصابهم وامنهم من خوف العدو والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوات والسلام على سيدنا ونبينا محمد واله وصحبه وسلم وبارك عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين اختلف في نزوله قال ابن عباس رضي الله عنه هي مدنية وقال مقاتل ومجاهد وجماعة هي مكية وجايز ان يكون اولها نزل بمكة لان الذي ذكر انها نزلت في شانه كان مكيا وهو العاص بن وايل السهمي مما انهم من الذين يكذبون بيوم الدين واخرها نزلت بمدينة لان في اخرها وصف المنافقين وهو ما ذكر من المراءات في الصلاة ومنع ما ذكر ثم ان كان نزولها في الكفرة فالحجة فيه المعنى غير الجهة والسبب لو كانت نزلت في المنافقين ثم قوله عز وجل ارايت حرف يستعمل في موضع السؤال والاستفهام ويجوز ان يكون استعماله على وجه التقرير عند السائل لما يراد به اعلامه على سبيل ما ذكر في الخبر ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته ما قبل منك وكان ذلك في موضع التقرير فكذلك قوله ارايت معناه والله اعلم ان الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين وقال اهل التاويل جميعا يكذب بالدين اي بالحساب والبعث وجائز ان يكون يكذب بالدين يظهر اي يكذب بالدين الذي ظهر لك ولا يحقق ان كان في المنافقين لان اهل النفاق كانوا يكذبون ما يظهرون من الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان كان في اهل الكفر فهو على الرؤساء منهم فتكذيبهم بالدين هو ما كانوا يظهرون لاتباعهم من الجهد والشدة يموهون بذلك على اتباعهم ليقع عندهم ان الذي هم عليه حق وان الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل فيكذبون بالدين الذي يرون من انفسهم ويظهرون بالمذهبات التي يذهبون بها عليهم فكيف ما كان ان كانت نزلت في المنافقين او في اهل الكفر او في الذي كذب بالحساب والبعث او بالذي ذكرنا انه يظهر خلاف ما يضمر ففيه عظة وتنبيه للمؤمنين وزجرهم عن مثل صنيعهم لانه نعت الذي كذب بالدين ان كان المراد به الحساب والدين نفسه حيث قال فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين كانه قال الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم اي يظلم اليتيم وحقه يمنع ولا يحض على طعام المسكين يقول الله اعلم المؤمنين لا تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه ولا تنسوا صحبة اليتيم كما فعل من كذب بالدين وطعام المسكين يصف بخلهم والتماسهم اليتيم والمساكين وسوء معاملتهم التي عاملوها لتعظ المؤمنين وتزجرهم عن ذلك وجائز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين لما عندهم بان من اعطى المال ووسع عليه الدنيا انما اعطي ذلك لكرامته له عند الله تعالى ومن ضيق عليه وضيع ذلك عنه لهوان له عنده وحقارة كقوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن وقوله عز وجل انطعم من لو يشاء الله اطعمه الاية يظنون ان الله تعالى منع من منع ذلك لهوان له عنده ومن وسع عليه وسع لكرامة له عنده فيقول كيف اكرم من اهانه الله تعالى فيحتمل ان يكون ما ذكرنا لا يحض على طعام المسكين ويحتمل ان يكون الذي حمله على ظلم اليتيم وتركه اطعام تكذيبه بالبعث لانه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع من يقصد ظلمه ويمنع حقه وكان لا يخاف عقوبة البعث اذ لا يؤمن به ثم يحتمل قوله ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين الاية ان يكون في الاعتقاد والرؤية ويحتمل ان يكون من حق الفعل نفسه فان كان في الاعتقاد والرؤية فاهل الاسلام لا يعتقدون ذلك وان كان في حق الفعل فانهم ربما يفعلون ذلك وحمله عندنا على الاعتقاد اوجب واقرب لما وصفنا ان اليتيم لا ناصر وليس له كافر خوف العاقبة لانه لا يؤمن بذلك وانما يمتنع المرء في الغالب من سوء الصحبة لهذين اما رغبة في جزاء الاخرة او خوف المكافاة في الدنيا والمساكين ليس لهم في الدنيا ما يكافيهم ويجازيهم وليس لليتيم ناصر ليخاف منه ولم يكن للكافر رغبة في ثواب الدنيا والاخرة ولا خوف عن العقاب لعدم تصديقه بذلك ثم قوله ولا يحض على طعام المسكين هذا النهاية في وصفه بالبخل لان الحث على الصدقة ان يرجيه ويطمعه في ثوابه فاذا لم يرج هو بنفسه فكيف يرجي غيره مع ان الحكمة عند هؤلاء الكفرة من جر الى نفسه نفعا فهو الحكيم ومن ضر نفسه فهو جائر غير حكيم وهو اذا منع الصدقة نفع نفسه واذا وفى اليتيم حقه ضرها فلذلك لا يرغب فيها فهذا المعنى الذي وصفناه دعانا الى ان وجهنا الى الاعتقاد **وقوله** عز وجل فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ان كان هذا في اهل النفاق كذلك كانوا لا يفعلون شيئا من الطاعات الا وكانوا عنها لاهين ساهين واذا فعلوا شيئا منها فعلوا مراياة كقوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فذكر كسلهم وبخلهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله فويل للمصلين الى اخر ما ذكر في المنافقين على ما ذكر من نعتهم وجائز ان يكون في اهل الكفر واهل الكفر كانوا يصلون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اخبر ان صلاتهم في الحقيقة ليست بصلاة فجائز ان يكون على صورة الحقيقة وقد ذكر انهم كانوا يصلون مستقبلين نحو اصنامهم يرون الناس كثرة اجتهادهم في طاعة الاصنام حتى اداروا من نال عنهم ظنا انه حق فيكون في ذلك صد عن اجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه فذلك قوله الا مكاء وتصدية ويحتمل ان يكون كناية عن الخضوع والتذلل فيكون معناه ويل الذين لا يخضعون ولا يخشعون **وقوله** عز وجل الذين هم عن صلاتهم ساهون يحتمل وجهين احدهما اي سهوا عن صلاتهم

لانفسهم وصلوتهم التي هي لانفسهم هي ان يكون الصلاة لله تعالى يجعلونها له ولا يصلون لغير الله من الاصنام وغيرها لان من صلى لله تعالى يرجع منفعته في الحقيقة اليه لما تعلق بها من الجزاء والجميل منهم بالسهو عن تلك الصلوة وتركها يلحقون الضرر بانفسهم وجعلوها للاصنام التي لا تضر ولا تنفع والثاني سهوهم الصلاة حين اضاعوها وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود في قوله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيحتمل سهوهم الصلاة فلم يمنعهم عما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا هم الذين يوخرون عن وقتها وقال مجاهد الساهي الذي لا يبالي صلى ام لا الا ترى انه قال الذين هم يراؤون وقال الحسن هم المنافقون الذين يوخرون عن وقتها ويراؤن اذا صلوا وقال سعد الترك عن الوقت وقال ابو العالية الساهي هو الذي لا يدري على شفع انصرف ام على وتر وروي عن سليمان انه قال الحمد لله حيث لم يقل في صلوتهم ساهون ولكنه قال عن صلوتهم ساهون **وقوله** عز وجل ويمنعون الماعون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الزكوة رواه ابن الزبير وعكرمة عن مجاهد عنه وروي عن علي رضي الله عنه هو الزكوة وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية اخرى هو العارية وعن ابن عمر رضي الله عنه قال هو الذي لا يعطي حقه وهو الزكوة وروي عن علي رضي الله عنه في رواية الماعون منع القدر والدلو والفاس وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وكذا عن ابن عباس في رواية اخرى وقال ابو عبيدة كل ما فيه منفعة فهو الماعون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما جاء اهلها بعد فانه كان ذلك على العرب فالمعنى منها ذم البخل ورشده منع القرض وجاز ان يكون الماعون كل معروف وكل ما يعان به يدخل في ذلك الزكوة وغيرها ففيه ذكر بخلهم وشحهم ومنع الحق من المستحق قال ابو عوسجة يدع اليتيم اي يضرب ويدفع في قفاه يقال دع يدع دعا فهو داع ومدعو وقال القتبي يدع اليتيم اي يدفعه وكذلك في قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون وقال ابو عوسجة لا يحض ولا يحث ساهون غافلون وفي حرف ابن مسعود لاهون وارينك بالكاف وكذلك في حرف ابي رضي الله عنه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر هذا خرج مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والانعام عليه والانقضاء ليستأدي بذلك شكره والخضوع له ثم اختلفوا في الكوثر هو الخير الكثير ما اعطي من النبوة والرسالة وما لا ينجو احد من سخط الله تعالى الا به وهو الايمان به والتصديق له وما صيره مخبرا فاما مذكورا في الملايكة وما قرن ذكره بذكره ورفع قدره ومنزلته في جميع الخلايق وغير ذلك مما لا يحصى وهو ما قال ورفعنا لك ذكرك وقال بعضهم نهر في الجنة وعلى ذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكوثر فقال نهر في الجنة وقال ذلك من غير سؤال فان ثبتت الاخبار فهو ذاك وكفينا عن ذكره وان لم يثبت الاخبار فالوجه الاول اقرب عندنا لانه ليس في اعطاء النهر تخصيص في التشريف والعطية لان الله تعالى وعد لامته ما هو اكثر من هذا ما روي في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لاهل الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونحن نعلم ان هذا في الانعام اكثر من النهر الذي وصف وقال بعضهم الكوثر شيء اعطاه الله تعالى رسوله لا يعرف واصله انه شيء خاطب به رسوله وهو قد عرفه فلا يجب ان يتكلف بمعرفته وتفسيره لانه ان اخطأ لحقه الضرر وان اصاب لم ينتفع كثير نفع وقيل الكوثر هو حرف اخذ من الكتب المتقدمة **وقوله** عز وجل فصل لربك وانحر ثم اختلف فيه قال بعضهم حقيقة الصلوة هي الخضوع والخشوع والدعاء امره بجميع ما يعبد في نفسه وامره ان يأتي لما تعبد من القرابين والذبايح الضحايا التي فيها نفار الطباع حتى ان من الكفرة من يحرم الذبايح والنحر الا لام التي فيها الطباع ينفر عن ذلك فتعبد بالذي فيه منافضة طبعه ونفاره عنه وجاز ان يكون لا على وراء الامر بالصلاة والنحر ولكن معناه اذا فعلت ذلك فافعل لله لا دا ولكن الكفرة كانوا يصلون للاصنام ويذبحون لها كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب فامره ان يجعل ذلك لله تعالى وقال الحسن صل لربك صلوة العيد وانحر البدن بعدها وقال مجاهد وعطاء صل الصبح بجمع وانحر بمنى وقال بعضهم صل لربك حقيقة الصلوة وهي الصلوة المعروفة والمفروضة وهو مخ العبادة على ما ذكر في الخبر وكذلك ما ذكر ان المصلي مناجي للرب تعالى والله اعلم لانه ما من عبادة الا وفيها شيء من اللذة وقضاء الشهوة للنفس واما بينهما من السير والركوب والاكل والشرب والكلام والانتقال من موضع الى موضع وغير ذلك من الطاعات مما فيه شيء من اللذة للنفس وقضاء شهوتها وان قل من الحج والزكوة والجهاد وغير ذلك الا الصلوة نفسها فان فيها قطع النفس عن جميع شهواتها وامانيها وعن جميع ما يتلذذ به من انواع اللذات وعلى ذلك ما سمي موسى عليه السلام كليم الله ونجيه لانه فارق قومه وجميع ما للنفس فيه لذة وراحة واي حياة ليس فيه احد وكلمه ربه في ذلك فسمي نجي الله وعلى ذلك سمي المصلي مناجيا ربه وخص بذلك الاسم لما ذكرنا **وقوله** عز وجل وانحر هو ما ذكرنا من نحر البدن الذي يعبده الكل لما فيه من نفار النفس بالتالم الذي يحصل لغيره بفعل غيره فالتالم به بفعل نفسه اكثر من التالم بفعل غيره وهو مجاهدة النفس

وبعينه ما امتحنه عليه الصلاة والسلام بحمل المشقة لوجهه تعالى امره بالتبليغ الى الكفرة مع الخطر على نفسه وامره بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل وامره باتيان خلاف الطبع وهو ذبح البدن اذ الطبايع تنفر عن اراقة الدماء مع انه من اشفق الناس وارحمهم على خلقه فبلغ من حسن اجابته له وطاعته له الاشفاق ما انه يدنه نحر بيديه منها بيده روي عليا رضي الله عنه نحر اربعين على ما ذكر في الخبر وروى ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فصل لربك وانحر وضع اليمين على الشمال في الصلاة وكذا روي عن علي رضي الله عنه وعن عاصم الجحدري قال هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة ومن قول الثنوية انهم لا يرون ذبح شيء من الاشياء لما فيه من الالم والاذى وتوهم هذا ليس بصحيح لانا نعلم ان اتلاف الروح بالذبح اهون على المذبوح من موته حتف انفه فاذا جاز في الحكمة ان يميته وحده بغير الذبح فلان يجوز في الذبح احق واصله ما ذكرنا ان هذه السورة نزلت في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المقصود به من بين الناس وهو يعلم بالذي خاطب به من الصلاة والنحر والكوثر وغير ذلك فلا نتكلف نحن تفسيره مخافة الكذب على الله تعالى سوى ان نذكر ما قال اهل التاويل وكذلك **وقوله** عز وجل ان شانئك هو الابتر يذكر اهل التاويل ان فلانا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتر فنزل ان الذي سماك ابتر لا يعرف حقيقته لانه لم يكن احد من اولاد الفراعنة واعداء الرسل عليهم السلام افتخر بابيه او احد من اوليائهم والمتمين بهم وافتخروا بالاولاد واولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حتى يتعيشوا بذلك فيما بينهم يقول ان شانئك هو الابتر اي معاديك ومبغضك هو الابتر دونك اذ يقول اعداؤك هم الذين يبقى ذكرهم واولياءك مذكورون ابدا على ما قلنا واصله ما ذكرنا انه خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرف ذلك ونحن لا نعلم في اي شيء كانت القصة وفيم نزلت الا ان الله ورسوله اعلم قال ابو عوسجة الشانئ المبغض يقال شنئته ابغضته والابتر هو الذي لا ولد له ذكر ولا عقب له وفي قوله عز وجل ان شانئك هو الابتر بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة عليهم والقهر لهم والنصر عليهم واظهار دين الله تعالى في البلاد والافاق اذ اخبر ان الذي عاداه وباغضه هو المنقطع والابتر لا هو والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى اخرها ذكر انها نزلت في منابذة المتمردين المعاندين الذين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا ولا يرجعون عما هم عليه من عبادة الاوثان الى التوحيد والاسلام لانه لا يكاد يكون على وصف انه لا يعبد الله تعالى في وقت من الاوقات اذ قد يجوز ان يكون في وقت ثم يسلم في وقت اخر فدل ما ذكرنا انها نزلت في المتمردين المعاندين الذين علم الله انهم يثبتون على الكفر ولا يؤمنون ابدا وكان كما اخبر ففيه دلالة اثبات الرسالة اذ اخبر انهم لا يؤمنون فلم يؤمنوا وماتوا على الكفر **وقوله** عز وجل لا اعبد ما تعبدون انتم الان ولا انتم عابدون اليوم ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم فيما بعد اليوم وقال بعضهم الاول فيما مضى من الوقت والثاني في اخبار عن الحال والاخر فيما بقي من الوقت ولكن لا يجيء ان يكون هكذا بل يجيء ان يكون قوله لا اعبد ما تعبدون في حادث الوقت لان حرف ما انما يستعمل في حادث الاوقات يقول الرجل لا افعل كذا يريد به حادث و قوله ولا انتم عابدون ما اعبد كذلك ايضا في حادث الاوقات واخبار عن الحال **وقوله** عز وجل ولا انا عابد ما عبدتم انما هو اخبار عن الماضي من الاوقات كانه يقول لم اكن انا عابدا قط في وقت من الاوقات وهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عبد غير الله قط وفي هذه السورة وجهان من الدلالة احدهما ما ذكرنا من اثبات الرسالة والثاني اخبار عن الاياس لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يرجع الى دينهم ابدا وقطع رجائهم وطمعهم في ذلك وفيه ايضا ان من اشرك غيره في عبادة الله سبحانه وتعالى او عبد غيره دونه على رجاء القربة الى الله تعالى فهو ليس بعابد الله تعالى ولا موحد له لان اولئك انما عبدوا الاصنام رجاء ان يشفع لهم ورجاء ان يقربهم الى الله تعالى زلفى اخبر انها لا تقربهم زلفى وانهم ليسوا بموحدين ولا عابدين الله تعالى **وقوله** عز وجل لكم دينكم ولي دين يحتمل وجهين احدهما لكم جزاء دينكم الذي دنتم ولي جزاء ديني الذي دنت والثاني على المنابذة والاياس لكم ما اخترتم من الدين ولي ما اخترت لا يعود واحد منا الى دين الاخر وكان قبل ذلك يطمع كل فريق عود الفريق الاخر الى دينهم الذي هم عليه وقوله تعالى قل يا ايها الكافرون ليس على الامر على ما ذكرنا في سورة الاخلاص والمعوذتين اذ لو كان على الامر فهو يلزم ان يقول كل واحد منا لكل كافر ذلك فاذا لم يلزم دل انه ليس على الامر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين وعنه انه قال من قرأ هذه السورة

فقد اكثر واطنب وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اذا اويت الى فراشك فاقرا قل يا ايها الكافرون فانه براءة من الشرك واهل التاويل يقولون ان سبب نزولها هو ومنا بدنه ابا م ان رهطا من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فلنعبد ما تعبد واعبد انت ما نعبد نحن فيكون امرنا امرا واحدا فنزلت هذه السورة قال ابو عوسجة الدين العادة تقول هذا ديني اي عادتي ثم المعنى الذي وقع عليه التكرار لهذه الاحرف عندنا ان التكرار حرف جرى الاستعمال به في موضع المبالغة والتاكيد لما قصد به من الكلام من اي كلام كان رجاء كان او وعيدا او غيرها لتعلم بخ بخ والوحى وهيهات هيهات وغير ذلك فكذلك في هذا الموضع لما وقع الاياس عن ايمانهم بالله تعالى باعلام النبي الوحي انهم لا يؤمنون كرر هذا الكلام تاكيد الاياس وابلاغا فيه والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح قال عامة اهل التاويل ان قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح هو مكة والنصر الذي نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل مكة قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لان فتح مكة بعد الهجرة بثمان سنين ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين ولا يقال للذي مضى اذا جاء نصر الله والفتح ولكن اراد سائر الفتوح التي فتحها له او كلام نحو هذا ولكن يحتمل ان يكون قوله اذا جاء نصر الله بمعنى اذ جاء وجائز ذلك في اللغة وفي القران كثيرا اذ اسكان اذ فان كان على هذا فيستقيم حمله على فتح مكة على ما قاله اولئك او يكون قوله تعالى اذا جاء نصر الله اي قد جاء نصر الله وان يكون اراد بما ذكر من النصر والفتح الفتوح التي كانت له من بعد حين دخل الناس في دين الله افواجا على ما ذكرنا وقوله عز وجل نصر الله اي عون الله وخذلانه لاعدائه او يكون قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح هي فتوح الامور التي فتحها الله عز وجل عليه من تبليغ الرسالة التي هو مامور بتبليغها اليهم والقيام بالامور التي امر ان يقوم بها فتح تلك الامور عليه واتمها فان كان على هذا فيصير فتح تلك الامور له نعيا له بالدلالة على ما قاله اهل التاويل انه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وجهة الاستدلال الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ذكر اهل التاويل انه كان قبل ذلك يدخل واحد واحد فلما فتح مكة جعلوا يدخلون دينه افواجا قبيلة قبيلة ويحتمل ما ذكرنا من سائر الفتوح او فتوح الامور التي ذكرنا على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر او شهرين اي شهرا ورائي ثم في قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا الاية نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه وقد ذكر في الاخبار انه نعى اليه نفسه بهذه السورة احدها ما ذكرنا من جهة الاستدلال لا لعرفانه قد دنا اجله حيث اتم ما امر به وفرغ منه من التبليغ والدعاء والثاني عرف ذلك الاعلام من الله تعالى اطلعه عليه بعلامات جعلها له فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يدرك افهامنا ذلك والثالث لما كفي مؤنة القيام بالتبليغ بنفسه عرف بذلك حضور اجله وهو نوع من الدلالة ووجه الدلالة ان القوم لما دخلوا في دين الله فوجا فوجا دل ذلك على ظهور الاسلام وكثرة اهله فكانت الغلبة والنصر دليلا لانه من النزول عام عليهم من الذين اذا زال الرسول وقوله عز وجل فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اي صل بامر ربك باصله ما ذكرنا فيما تقدم ان التسبيح هو التنزيه والتنزيه عن جميع معاني الخلق والوصف بما يليق به قال نزهه وبرئه بالثناء وصفه بالصفات العلى وسمه بالاسماء الحسنى التي علمك ربك ويحتمل ان يكون معنى قوله فسبح بحمد ربك اي قل سبحان الله وبحمده على ما جاء في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في الدعاء سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه وهذا لان سبحان الله حرف جامع يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه والوصف له بالعلو والعظمة والجلال والتنزيه عن جميع العيوب والآفات وعن جميع ما في الخلق جعل لهم هذا الحرف الجامع لما عرف عجزهم عن القيام بالوفاء بجميع ما يستحق من الثناء عليه وكذلك حرف الحمد لله هو حرف جامع بجميع شكر جميع ما انعم عليهم جعل لهم ذلك لما عرف عجزهم وقلة شكر ما انعم عليهم واحدا بعد واحد وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد امرهم ان يجعلوا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولما لم يحتمل في وسعهم القيام بما يستحقه امرهم ان يقولوا اللهم صل على محمد ليكون المولى ذلك بنفسه والله اعلم وقوله عز وجل واستغفره قال ابو بكر الاصم دل قوله عز وجل واستغفره على ان كان منه تقصير وتفريط في امره حتى امر بالاستغفار عن ذلك لكن هذا كلام وحشي لا يوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير في شيء ولا بالتفريط في امره ولكن قد جعل الله تعالى على كل احد من نعمه وفضله واحسانه في طرفة عين لحظة بصرها ليس في وسعه وطاقته القيام بشكر واحد منها وان لطف وان طال عمره فامره بالاستغفار لما يتوهم منه التقصير في ادا شكر نعمه عن القيام بذلك وان يكون لامته لا لنفسه فان قال قائل ما معنى امره بالاستغفار وقد ذكر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فالجواب عنه من وجهين احدهما انه يجوز ان يكون امره بالاستغفار لامته نحو قوله تعالى واستغفر لذنبك

وللمؤمنين

وللمؤمنين والمؤمنات او ان يكون الله وعد له المغفرة اذا لزم الاستغفار ودام عليه وقوله عز وجل انه كان توابا اي كان توابا اي كان لم يزل توابا ليس انه صار توابا بامر اكتسبه واحدث على ما تقول المعتزلة انه صار توابا ثم قوله توابا على التكثير اي يقبل توبته بعد توبته اي اذا تاب مرة ثم ارتكب الجرم وعصاه ثم تاب ثانيا وثالثا وان كثر فانه يقبل توبته و الثاني توابا اي رجاعا برجعهم ورددهم عن المعاصي الى ان يتوبوا اي هو الذي يوفقهم على التوبة ثم قال توابا ولم يقل غفارا وحق مثله من الكلام ان يقال انه كان غفارا كما قال في اية اخرى استغفروا ربكم انه كان غفارا ولكن المعنى فيه عندنا ان المراد من الاستغفار ليس قوله استغفر الله ولكن ان يتوب اليه ويطلب منه المغفرة بالتوبة انه كان توابا ويجوز ان يكون فيه اضمار كانه قال واستغفره وتب اليه انه كان توابا ويجوز بذكر الاستغفار في السؤال عن ذكره في الجواب واكتفى بذكر التوبة في الجواب عن ذكرها في السؤال ويجوز مثل هذا في الكلام ثم الدين اسم يقع على ما يدين الانسان حقا كان او باطلا وعلى ذلك اضاف النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يدين به الى نفسه وما دان به الكفرة اليهم حيث قال لكم دينكم ولي دين واما اضافته الى الله تعالى حيث قال يدخلون في دين الله افواجا لانه الدين الذي امرهم به ودعاهم اليه لذلك خرجت الاضافة والنسبة اليه الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وخابت كذلك قال ابو عوسجة يقال تب يتب تبا وتبابا ثم ما ذكر من قوله يدا ابي لهب يحتمل حقيقة اليد ويحتمل ان يكون ذكر اليد على الصلة فان كانت على ارادة حقيقة اليد فهو يخرج على وجوه احدها ما ذكر انه كثير الاحسان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفاق عليه والصنائع اليه وكان يقول ان كان الامر لمحمد يومئذ فيكون لي عنده يد وان كان لقريش فلي عندهم يد فاخبر والله اعلم انه خسر فيما طمع ورجا من اليد التي له عنده والاحسان الذي احسن اليه اذ لم يصدقه ولم يؤمن به واخبر ايضا ما ادعى من اليد له عند قريش والثاني يحتمل ان يكون من ابي لهب تخويف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطش والاخذ باليد فامن الله تعالى رسوله عما خوف به حيث قال تبت يدا ابي لهب اي خسرت يداه ولا يقدر على البطش والثالث يحتمل ان يكون اليد كناية عن القوة في نفسه وماله في دفع العذاب عن نفسه وكذلك كانوا يدعون دفع العذاب عن انفسهم لقولهم نحن اكثر اموالا و اولادا وما نحن بمعذبين وذكر بعض اهل التاويل انه لما نزل قوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين وجمع عشائره الاقرب فالاقرب منهم وقال اني لا املك لكم من الله نفعا في الدنيا والاخرة الا ان تقولوا شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك يا محمد الهذا دعوتنا فنزل عند ذلك تبت يدا ابي لهب وتب مجازاة له فهذا وان لم يكن في فعله في القصة استعمال اليدين فيجوز انه كان يصرف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده او حين دعي الى الايمان بالله تعالى مد يده على التعجب عن ذلك وقال الهذا دعوتنا فرد الله تعالى ذلك وعيره به وقد يجوز ان يظهر في الجواب معنى السؤال وان لم يذكر ذلك في السؤال الا ترى انه قوله تعالى يسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فعلم بذلك ان السؤال انما كان عن قربانهن في المحيض فكذلك الاول وان كان ذلك ذكر اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين احدهما ذكر اليد كناية عن العمل والفعل الا انه ذكر اليد لما باليد يقوم ويفعل كقوله تعالى بما قدمت ايديكم وما كسبت ايديكم وذلك على الكناية عما كان منه من الصنيع او خسرت اعماله وبطلت والثاني يذكر اليد على ارادة قدام وامام كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي امامه وخلفه فيكون معناه ما قدم من الاعمال والله اعلم ثم تخصيص ابي لهب بالذكر من بين سائر الكفرة يحتمل وجوها احدها خصه بالاسم لانه كان من الفراعنة والاكابر وهو المقصود به والفراعنة قد يذكرون باسمائهم لانهم المقصود دون من كان من دونهم يشاركونهم في ذلك كذكر فرعون وعاد وثمود وغيرهم والثاني كان شديد الهيبة والخوف فذكره باسمه وخصه به ليعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يهابه ولا يخافه والله اعلم والثالث انه كثير الايادي والصنائع في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة لكان يظن بما سبق منه من الايادي انه غير داخل تحت الخطاب فخصه بالذكر ليعلم انه لا يغنيه من الله شيء ثم ذكره بالكنية يخرج على وجوه احدها يحتمل ان يكون بالكنية عرف عند الناس وبها كان معروفا دون اسمه فذكره بالذي كان معروفا به والثاني ما ذكر ان اسمه كان عبد العزى فلم يرد ان ينسبه الى غيره وهو العزى فذكره بالكنية لهذا والثالث انه يهم باشياء خوفهم بمواعيد فلو ذكره باسمه فلعله يصرف ذلك الخطاب والوعيد الذي كان له الى غيره لما شرك غيره في الاسم اذ كانوا يسمون اولادهم وينسبونهم الى اصنامهم ولم يكن احد شركه في كنيته فلا يمكنه التحويل الى غيره وقيل ذكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له اي يصير النار له كالابن وهو كالاب لها وذلك لان هذه الكنى انما يذكر

في المتعارف على وجه التفاؤل كما يقال ابو منصور وعلى رجاء ان يولد له ابن يسمى منصور ثم ان الله تعالى سمى النار في
بعض الايات ما للكافر كقوله فامه هاوية وفي بعضها مولى حيث قال مولكم وبئس المصير فجاز ايضا ان يكون النار
اذا قرب منه وانضم اي جره ان يصير في التمثيل كالولد ويصيرهوا بالها فقال ابي لهب على هذا الوجه من التاويل و
وجه اخر وهوان ذكر الكنية وان كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف
والاهانة وهو على ما ذكر في البشارة انها وان كانت يذكر عند ما يسر ويبتهج في الاغلب فعند ذكر العقوبة زيادة
كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى ذلك الكنية والله اعلم وقوله عز وجل ما اغنى عنه ماله وما كسب هذا
يخرج على وجهين احدهما اي لم يغن ماله وقوته وما كسب من عذاب الله شيا على ما يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين والثاني اي شيء اغنى ماله وما كسب ثم قوله عز وجل وما كسب يحتمل الولد اي ما اغنى عنه ماله وما كسب
من الولد على ما ذكر في الخبر روى ابو الاسود عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من
كسبه وولده من كسبه وسئل عن ابن عباس رضي الله عنهما ايأخذ الرجل من ماله ولده فقال يهب لمن يشاء اناثا الاية
فهو لما وهبه الله له فهو واموالهم لنا والله اعلم ما اغنى عنه ما جمع من المال وما كسب من العمل والانفاق الذي انفق على
الطمع الذي فعل اي لم يغنه شيا او ما كسب عن صد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدخول في دينه والاتباع
له وسوء المقال الذي قال فيه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه تبت يدا ابي لهب وقد تب ما اغنى عنه ماله وما كسب
وقوله عز وجل سيصلى نارا ذات لهب اي ذات التهاب وفيه دلالة اثبات رسالته حيث اخبر انه سيصلى نارا ولا يصلى
النار الابعد ما يختم بالكفر ثم كان كما اخبر دل انه علم ذلك بالله تعالى وفي هذه السورة دلالة ان يدل على
نبوته احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قرا هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدين وكانت
المنعة والقوة للكفرة وكانوا جميعا اولياء ابي لهب وانصارا له عن اخراجهم ولا يحتمل ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ
هذه السورة عليه وفيه سب له وتعييرا الى يوم القيامة مع قلة اوليائه وكثرة اعدائه اذ فيه خوف هلاك الابرب
العالمين ومعنى اخر انه عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بحسن العشرة وجمال الصحبة مع الاجانب فما ظنك بالعشيرة
والاقارب معا انه كان فنزها عن الفحش في جميع اوقاته فجاز له هذا الا بامر من الله تعالى فدل ذلك على نبوته ورسالته
وقوله عز وجل وامراته حمالة الحطب قال بعضهم اي كانت حمالة النميمة والحديث بين الناس فاوعدها الله تعالى الذلة
في الاخرة ما ذكر في جيدها حبل من مسد وهي السلسلة ومنه يقال فلان يحطب نارا اخرى وقال بعضهم كانت حمالة الحطب
حقيقة كانت تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتطرح في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاوعدها الله بما ذكر
من حبل من مسد في الاخرة ومنهم من قال انها كانت كذلك في الدنيا كانت تحمل الحطب المنزلها وكان في جيدها حبل
من ليف فعيرها بذلك لانها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والحاجة وذكر انها كانت تمسك
في عنقها حبالا من ليف مراعي زوجها وذلك مما لا يتحلى بها النساء وليس هو من اسباب الزينة فاخبر الله و
تعالى عن سفهها وجهلها ليكون ذلك سببا وتعييرا مجازاة لما كانت تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذلك قالت لابي بكر الصديق رضي الله عنه اما رضي مجداه يهجو عمر هجاني او قالت حتى هجاني رب محمد والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قل هو الله احد ذكر ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله تعالى وقيل عن
صفته وقيل عن الله تعالى ما هو فنزلت هذه السورة معلمة بجميع من يسال عند جوابه ولذلك اثبت قل ليكون
مخاطبة كل مسئول عن ذلك ان قل لا على تخصيص الرسول بهذا الامر اذ ليس في حق الايتمار بالامر اعادة
حرف الامر في الايتمار فتبين بذلك انه ليس على تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعليم بل هو احق من يسبق
له الثناء عن تعاليم الاجابة لهذا عند حضرة بهذا السؤال كما سبقت منه الدعوة الى الله تعالى بالحقيقة ما يقتضي
ما جرى به السؤال وكما اثبت كذلك ليقرا ابدا وحق المخصوص بالامر ان يأتمر ولا يجعل ذلك متلوا كذلك في
الوقت الاى يحتمل المامور الامر به والوقت الذي لا يحتمل ثبت ان ذلك على ما شاء ودل قوله قل انه على من يسبق
عنه السؤال فيكون في ذلك اجابة لما سبق عند السؤال وكذلك جميع ما في القران قل ما فيه احد امرين اما اجابة
عن امر سبق عند السؤال فيتنزل بحق تعريف كل مسئول عن مثله او يكون الله تعالى اذ علم انه عليه السلام ادمن
يتبعه سيالا عما تنقيض ذلك الجواب فانزل ما به يبقى في اهل التوحيد منا منه وفضلا ثم لم يجب بتحقيق الحرف
الذي وقع عنه السؤال الا لمن شهد وسمع وقد يتوجه ذلك الحرف الذي وقع عنه الى ما ذكروا من الاسباب

وغيرها

وغيرها وفيما نزل تفصيل جواب ذلك كله وبليق به وان كنا لا نشهد على حقيقة ما كان انه دون ذا ويجيب
بذلك لو سالنا عما ذكرنا وعن كل حرف يصح في العقل والحكمة الجواب بمثل ما اختصر هذه السورة وقوله عز وجل
هو اختلف في تاويله من الناس من قال هو اضمار فالذي عنه كان او يكون السؤال المقتضى ما جرى به انشا
من الجواب الذي يسالون عنه الله احد الله الصمد الى اخر السورة ومنهم من قال هو اسم الله اكبر يروى ذلك
عن بعض ولد علي بن ابي طالب رضي الله عنهم انه كان يقول في دعائه يا هو يا من لا هو الا هو يا من به كانت
هوية كل هو وذلك يخرج على وجهين احدهما انه هو لذاته وهوية كل من سواه لما هو يكون محتملا للثلاثة شي
والوجود الا هو شيئا لم يزل ولا يزال هو ليس كمثله شيء على ما اقتضى بيان وحدانية في هذه السورة وعلى
ذلك قيل هو الاحد بذاته المنشي احدية كل الاحاد المتعالي عن كل معنى في احدية من سواه والثاني ان يكون
اضافه الى اسمه الذي لا يحتمل اللسان وهو الذي لم يطلع عليه الخلائق وهو الذي يراد في الدعاء باسمك
الذي من سالك به اعطيته ومن دعاك به اجبته فيكون السؤال مما يكنى عنه من الوجه الذي ذكرت لانه
يسعه اللسان اذ يحتمل الطوق النطق به والتاويل الاول هو امرجيا الى الافهام احق ان يكون على ذكر من
يقتضي عند السؤال انه التفسير على ما جرى وقوله عز وجل الله اختلف في المعنى الذي جرى هذا في حق اهل
هذا اللسان انه مما اشتق من امر عرفوه او لا عن امر عرفوه اذ في كل لسان لما اراد به عند الذكر لسان العرب اسم
يدعى به ويسمى وان اختلف وزن كل من ذلك على اختلاف الالسن بعلمه ان الاحرف والتقطيع في التكلم
اي هو ليفهم المقصود لا على توهم حقيقة الاسم بتلك الحروف والتقطيع وذلك كما يعبر عن تكوينه
الخلائق بكن لا على تحقيق كاف ونون في السكون فعلى ذلك جميع ما يسمى الله تعالى لا على تحقيق الحرف الذي
يجري بها التسمية ثم لا يحتمل طوقه الابها لكن على ما يقرب الى الافهام المراد في النطق به وقال قوم الله
هو المعبود في لسان العرب لا على الاستحقاق لكن على وضع ذلك كذلك دليله تسميتهم كل من عبدوه وكل
شيء وعبدوه الها وان كان جميع ما سوى الله الحق ممن عبد لا يحتمل شيا من تلك المعاني التي زعمه من ادعى
الاشتقاق عنها من الاحتجاب او الالتجا واليه ونحو ذلك فثبت انه اسم موضوع المعبود وعلى ذلك قوله
مع ارايت من اتخذ الهه هواه اي معبوده ما يهوى لان الهوى شيا من ذلك فيكون المعبود الحق
هو الله تعالى لما له في كل شيء واثر عبودته ذلك الشيء او دلالة الربوبية له عليه سبحانه هو المعبود بذاته هو
المعنى المستحق بذاته العبادة من جميع خلقه والاستسلام له والخضوع بما ذكرت من الموضوع في كل اثر ذلك ولا قوة
الا بالله وهذا تحقيق ما ذهبنا اليه انه خالق بذاته رحمن رحيم بذاته موصوف به في الازل وان كان الذي وصل
اليه اثره حدث وفيه ظهور دلالة تدبيره حدث بعد اذ لم يكن على ما كانت العبادة والاستحقاق كان ممن حدث
وفيمن كان بعد الا لم يكن وهو اله لم يزل ولا يزال وعلى ذلك قوله عز وجل مالك يوم الدين ورب كل شيء وان كان من
الاشيا ما يكون لا انها كانت كاينة وكذلك يوم الدين فعلى ذلك امر خالق ونحو ذلك ومن هذا الوجه انكر قوم ان
يكون الالاه اسم معبود في الحقيقة او اسم مشتق عن لسان اذ هو لم يزل الها ومن به العبادة او عنه الاستحقاق حادث
والاصل عندنا ما ذكرنا انه بجميع ما وصف به وصف بذاته اذ لا يحتمل التغير والاستحالة ولا يليق مدح لعند ممدوح
وانما يمدح به لذاته لانه استحق من كل ذلك لوقت كون ذلك وعلى ذلك القول بالعالم والقادر انه كذلك وان كان
الذي علمه ممن سواه وكل مقدور عليه حادث بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله وقال الضحاك الله اسمه الاكبر لانه
يبتدا به في كل موضع ثم اختلف في معنى الاشتقاق فمنهم من يقول اصله اله من اله الرجل الى اخر اذا التجا اليه
واستجار فالهه بمعنى اجاره وامنه فسمى الها على وزن الفعال كما تسمى اماما لما يؤتم به وفخمه باد خال الالف و
اللام ثم لين وحذف الهمزة كما هو لغة قريش ثم ادغم احد اللامين في الاخر فشدد فصار الله وعلى ذلك تاويل الصمد
ان الصمد اليه والحوايج ويستغاث به ويلتجا اليه وقيل ان اشتقاقه من وله يله ولها اذا فزع اليه فسمي به لانه الفزع
اليه وهو قريب من الاول ولكن حق ذلك في الاسم ان يكون الاه فابدل الواو الفا كما يقال في وكاف اكاف وكذلك
اهل الحجاز يجعلون الواو الفا قال الشاعر فاقبلت الهابكلي على عجل وقيل سمي به لانه اله كل شيء اي ذلله وعبده باله
له اي عبده قال فايلهم والاهلك واهل مغرنا ساد الملوك بعزم وتمجدا وقال اخرون سمي به لاستتاره ومنه يقال
لهت فلا يرى وقال الشاعر لاه ربي عن الخلائق طرا خالق الخلق لا يرى ويرانا وقيل سمي به لتحير القلوب عن التفكر
في عظمته كقولها لاهي الشيء حتى الهت ومنه مفازة مليهة يعني العقل يحار عند النظر الى عظمته ومنه اله باله منه
الله وقال الشاعر وبهمانية ماله العين وسطها مخففة الاعلام ببيضها سملق ما قال رضي الله عنه والاصل عند

الاعضاء عن هذا المال لحاجة الى تعرف الاشتقاق والوضع لتعرف محل الامر وموقع الحكم ومن جميع ما اشتغلوا به الاسم يحتمل
تسمية الغير بكل ذلك وتحقيق الاصنام الى ذلك وتسميتها اصناما فهو ما به عرف الحقيقة لا يحتمل غيره سبحانه وتعالى ولا يجوز
التسمية به بثبت الفناء فهو متنزه عن جميع الوجوه التي ادى بها الاستخراج اذ هو طريق يوصل بهم الى العلم بالمقصود والوقوف على
المراد وقد عرف دون الذي ذكر والله اعلم والاصل عندنا ان الله سبحانه وتعالى بلطفه يمنع الخلق عن تسمية احد بها
الا من جهة الخيال يتعرض فيه على منع جعل الاسم الذي جرت التسمية به حقيقة له فيه ما ظننا منهم ان بذلك التوسل
والتقرب لا ان يروا الشيء من ذلك حقيقة ذلك بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقالوا والله امرنا بها ليعلم انهم عرفوا الله بما دعوا لا نفسهم في ذلك معاني يردهم الى الله سبحانه وتعالى فذكروا
مجازا من اهل لسانهم والله اعلم اما لسان الرسل في ذكر الله فيما هو يرمز تقربهم الى الله تعالى لعقله فردوه الى الله والرسول
وقال ان تنصروا الله ينصركم فقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وصف وصف مبايعة العبد ونصره اياه بنصره دينه
نصر الله ومبايعته بما يقرب ذلك اليه فعل ذلك تشبيهه من عبدوها الا انهم دوا الهة في الحقيقة او عن السن الكلام
ان ليس لله اسم ذاتي وانما هو يسمى بذكر كل ذي شرف ومنزلة عنده فعل ذلك اذ محل من يعبد وان عندهم ما ذكرنا من
القول عنهم فسموا به لان خصوا كما ذكروا حقيقة ذلك الاسم الى من عرفوه انه الواحد ما امرهم في ذلك وذلك من لطف
الله تعالى فيما سخرهم عليه كتسمية الخالق والرحمن انهم لا يسمون احدا بهما وان كثرت نعاله وعظمت رحمته في الخلق
ليعلم انها اسماء تعالى منع الخلق عن التسمي بها باللطف من حيث لا يعرف سببه ثم قوله عز وجل قل هو الله احد اي الامر
هو الله احد كما تقول انه زيد قائم اي الامر زيد قائم جواب من سالك ما الامر والشأن فاذا كنت ههنا فتقول الامر
زيد قائم اي ثبت لاجله الى هذا يذهب الزجاج كانه يذهب الى انه لما قال قل هو الله احد فقيل له ما الامر والشأن فقال
الامر الله احد ليعرفوا انه كذلك **وقوله** عز وجل احد يتوجه الى واحد ثم احد اسم ينفي المثلية الاضافة كما يقال هو واحد الزمان
وواحد الخالق على نفي التشبيه له عما اضيف اليه ويكون واحد من حيث العدد بما عن مثله ينفذ الحساب ولا ابتداء من احد
فيصير احد من ذلك الوجه وان كان الله تعالى باي حرفين ذكر ففيه ذلك وهو الواحد الذي يستحيل ان يكون وحدانيته من
وجه يحتمل ثانيا او من وجه تعديل هو الواحد الاله الخالق المتعال عن معنى الاعداد والانداد وهو على ما ذكر الحكيم في الاسما
انه اربع واحد وهو كل لا يحتمل التضعيف لاحالة كونه دوا الكل وواحد هو الاقل وهو الذي لا يحتمل التنصيف والتجزي
لانه اول الاشيا واذا يتضعف يكون ذلك التضعيف منه وواحد هو واسط وهو الذي يحتمل التنصيف والتضعيف جميعا
والرابع هو الذي قام به الاحاد هو لا هو اخفى من هو الذي تحير عنه اللسان وانقطع دونه البيان وانحسرت عنه الاوهام
وحارت فيه الافهام فذلك الله رب العالمين والاصل في ذلك انه لا اله لا سبيل الى العبادة عنه بغير هذا اللسان ولا وجه
للتقريب الى الافهام بهذا اللسان الا بما جرى به الاعتياد وظهرت به المعارف فلما ذكرنا من الضرورة جعل التوحيد في الحقيقة
بالادلة والبراهين في ضمن التسمية بعبارة اللسان وحقيقتها اخبرت من ضرورات الاحوال في ارادة التقريب الى الافهام
العبارات اللسان المدرس على الاعتياد فاظهار المعارف فعل ذلك القول بواحد وباحد لا على احد يتغير من جهة التركيب من
او من جهة القلة او من جهة الكثرة معناه كل من هو في معنى واحد الاحاد المجتمعة الا الواحد الذي يقال جزء لا يتجزى وهو من غير
في الجملة متجزي عن توهم ذلك الجزء غير متجزي في الوهم او هو الاقل منه وهو جزء في الحقيقة والله يتعالى عن الوصف بالكل والبعض
والقليل والكثير والواحد ما له حق الابعاض والكل او رتبة القليل والكثير جل ثناؤه هل احد الذي خلق جميع ما وصف وجعل
لكل من ذلك مقابلا بما ذكر ليصير كل من ذلك زوجا فيكون الوحدانية الحق له ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل الله الصمد
فذكر انه احد وذكر انه الصمد في تحقيق ما وصف الاحدية وهو والله اعلم ان اخرج جميع من سواه حتى تحقق قصد جميع
من سواه بالحاجات اليه بالكون في الخلقة وفي الصلاح بعد الكون وفي الذي به الدوام بعد الوجود والوجود بعد العدم
ما احتمل الوجود دونه ولا البقاء الا به اذا حاطت الحاجات بكل ليكون له الغناء عن الكل في الوجود والبقاء ليتحقق انه
الموجود بذاته والمتعالي عن معنى وجود غيره سبحانه وهو على ما ذكرنا من عجز الالسن عن البيان عنه بالعبادة الا على
التقريب الى الافهام بالمجعول الى ما دهو يته في جميع الانام ثم قيل في الصمد بوجوه يرجع جميع الى ما بينا احدها ا
السيد الذي تناهى سؤدده ومعنى ذلك في المفهوم من السؤدد فهو مرجع الحوائج اليه ورجا كل الخارج له [illegible]
فان لا جوف له وذلك في وصف الواحدانية والتعالي عن معنى الحاجة [illegible] من اجتماع اجزاء يمكن فيها الفرج والتعب
التي [illegible] فيما توهم بالذي هو في ظاهر العبادة مخرج الكتاب وهو الذي ذكره [illegible]
لم يلد بل له كل ذي كون ذو جوف عنه يتولد الاولاد ويكون في ذلك حاله قول من نسب اليه الولد فيقولون كيف
يكون له ولد وقد يقولون انه ليس بذي جوف كما قال بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة

فنزهوه عن الصاحبة وهم لم يشهدوا الولادة الا عن ذي جوف فيكون في هذا نفي قول اهل الفريق فيه بالولا(دة)
نزهوه عن الجوف كما في الاول [illegible] عن الصاحبة وقيل بالذي لا جوف له من الحاجات [illegible]
المقصود اليه بالحوائج وظن [illegible] انه في عنده الجوف [illegible] وذلك نفي اجتماع اجزاء [illegible]
كذي الجوف هو اجتماع اجزاء تتفق فاذا لم يتحقق التركيب عن احد الوجهين يحقق التنزيه عن الوجه الاخر في الوجهين
نفي الوحدانية وتحقيق اجزاء الاجسام ما تدين عن اشياء امور لا يتحقق لها المقابلة كما ينفي عن الاعراض [illegible]
السمع والبصر والعلم لا على اثبات مقابلتها بما علموا ان الاعراض لا يحتمل الاعراض [illegible] فعل ذلك العلم [illegible] الوحدانية
الله تعالى والتنزيه عن احتمال الازواج تحقيق القول الذي ذكرت وقد قيل في الصمد انه الدائم وذلك ايضا
يرجع الى ما ذكرت انه لا يحتمل التغير والاستحالة واشباه ذلك الحاجة وهو المقصود اليه بالحوائج وقد قال قائل
في التاويل الاول لقد بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد ويقال الصمد الذي لا جوف له اي مصمت
اليه وهذا يرجع معنى الصمد انه يصمد اليه في الحوائج وقيل في ذلك [illegible] الصمد تاويله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد قال الشيخ ابو منصور رضي الله عنه الاصل انه تعالى اعظم القول بالولد ما اعظم بجعل الشركاء وذلك ان
معنى الولادة يكون بجوهر من له ولد فيكون بذلك شريكا وذلك ينفي التوحيد فعلى ذلك القول بالولد و
لذلك اعظم القول به [illegible] والادلة القول [illegible] عن الولادة كما يثبت الاشتراك من الوجه الذي
بيناه وقد شهد العالم بجليته بحق الخلقة على الله تعالى شانه عن الشركاء والاشباه جميعا فيبطل القول بالذي
ذكرنا [illegible] جميع الخلائق على الاشارة الى [illegible] يحتمل الازواج ومنه يكون التوالد والله تعالى عن
ذلك وبعد فان كلام العالم على الاشارة الى الاحاد متولد عن غيره ويتولد منه غيره وهذا امر راجع الى ما عليه
حق هذا العالم وعليه موضوع عقولهم وقد ثبت تعاليه عن جميع معاني غيره اذ لكل غيره [illegible]
بعد الله [illegible] غيره [illegible] والله تعالى [illegible] من ذلك
فيه [illegible] له الالوهية وتحقق له الحاجة الى غيره ويوجب جري [illegible] سلطان غيره [illegible] وذلك يوجب
غيره [illegible] فحق تسليم [illegible] الموضوع [illegible] الشهادة عليها [illegible] والتعلقت بالخلقة
وبما فيه من الحكمة ولا قوة الا بالله وعلى ذلك ختم السورة انه لم يكن له احد كفوا [illegible] يوجب المماثلة و
في المماثلة اشتراك وقد ثبت فساد العالم بتوهم الاشتراك في تدبيره وقولهم التعالي عن المعاني التي لا دليل
بها يقوم التدبير ويجري سلطان التقدير وبما بيناه يكون تخرج السورة في تحقيق نفي من قدر عرفوه باخص
خصائله [illegible] ذلك
حتى يتيقن من يجحد ذلك انه بعد تلقين متدارك ظاهر لا يحتمل مثله الخطا في حق تواترت الامور بما يبطل
المعارف كلها باسرها انشوا وبها تعاملوا وذلك كاول علوم الخلق وكالشيء المطبوع الذي لا يستطاع
بجحوده الا بما بعد الطباع المخلوقة على جهته وانواع الحيل وان بالتأمل فيها في كل جزء من اجزاء العالم من الادلة عليه في
الشهادة له فبين بالاية ان الذين عرفوه باحد الوجوه التي ذكرنا نعته كذا ليعطيع به توهم المثل له او العدل فان ليعرفوا
ان القول بغيره خارج عن الوجوه التي ذكرنا وانه يرجع الى ضرب التلقين ليس له حق الطباع ولا حق التلقين الذي له
صفة الكافية والكلية في التلقين ولا في حق شهادة الكل بالخلقة يدرك بالتامل والتفكر فيمتنع عن ذلك
ويرجع الى الحقيقة ما جرى النعت وان غيره فالتوا فيه يرجع الى تلقين من ذكر وتلبيس بلا حجة لذلك لا يمنا هي شيئا مما
ذكرت معا في كل ذلك جميع ما في غيره ذلك من شهادة الخلقة والحاجة فيها الى غيره من الايجاد والابقاء وهو الاحد
بلا دليل لغيره في ذلك احالة الالوهية من كل الوجوه الثلاثة وهو الصمد بمعنى المقصود اليه في الحوائج المالك ع
لقضائها وهو الذي لم يلد وهو المتعالي عن احتمال ولا فيه ومنه لما ذكرت من فساد الالوهية والتابث بما ذكر
من الوجوه **وقوله** عز وجل ولم يكن له كفوا احد اي في كل احد سواه الوجوه التي منها يعرف سلطانه غيره عليه
وانه دليل الذي دل له كل شيء وعلى السواء ولا قوة الا بالله ومنه الاستهداء ولما ذكرت سميت هذه السورة
سورة الاخلاص التوحيد لله ونفي الاشباه والشركاء في الالهية والربوبية وان كل شيء سواه مربوب و
مملوك له ولا قوة الا بالله والله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق قال الفقيه رحمه الله الامر بالتعوذ به يحتمل وجوها ثلاثة احدها على

التعليم لا لنا ذلة كانت في ذلك الوقت لكن لما علم الله تعالى من عظيم شر من ذكر بما يتعلق بالاغلب ان شر ما ذكر يتصل بالذي ذكره علم
الله تعالى فامرهم بالتعوذ به كما اخبر في امر الشيطان انه عدو لهم وانه يراهم من حيث لا يرونه ليكونوا ابدا مستعدين متيقظين وفزعين الى الله
تعالى معتصمين وهذا احق في التعليم من الذي ذكر في سورة الناس لانه اضر من ذلك العدو لان ضرره انما يتصل به لاتيانه بما
دعاه الشيطان فيما يوسوس في صدورهم الوسواس وذلك فعله تمكننا الامتناع عنه وهذا الضرر يقع بفعل غيره من وجه لا
يعلم ما تاه اعني شر النفاثات ونحو ذلك فهو احق في تعليم العباد فيه والامر بالفزع الى من بلطفه جعل ذلك الفعل ممن ذكرنا معمولا
موثرا والثاني ما قيل نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يكيدك فتعوذ باعوذ برب الفلق
وبرب الناس من شره اياه وبنات الفراش والثالث قيل ان واحدا من اليهود سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا قال ابو بكر الا
ذكروا في هذه حديثا مما لا يجوز فترك قال الفقيه رحمة الله عليه ولكن عندنا فيما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجهان في
اثبات رسالته ونبوته احدهما بما علمه بالوحي انه سحر وذلك فعل فعلوه بسر امنه ولا وقوف لاحد على الغيب الا بالوحي والثاني بما
ابطل عمل السحر بتلاوة القران فيصير لتلاوته فابطال عمل السحر بالعصا موسى عليه السلام وان هذا فكونه ايته اعظم مما فعل
موسى عليه السلام لان ذلك بنوع يندفع بما له العقل والعمل من جنس الجوهر والطبيع من جنس مراى العين فانه ثعبانا تلقف ما
صنعوا فاما ابطال السحر وعمله بتلاوة القران لا يكون الا باللطف من الله تعالى والله اعلم ثم الاصل في هذا عندنا انه قد ثبت
الامر بالتعوذ بقوله قل اعوذ برب الفلق وقد بينا حق الاشتراك فيمن يتضمن هذا الامر ان كان على ما ذلة في واحد او على ابتدا
التعليم فهو امر فيه رجاء الفرج والمخرج من الامور الضارة بما يعتصم فيها بالله تعالى بما عنده من اللطائف فجاز تمكينه من
امور ضارة باللطف من حيث لا يعلم البشر ما تاه ولعل الذي يفعل به لا يعلم حقيقته ذلك العمل الذي جعل الله لذلك العمل الا بما
يسبق من وقوع ذلك وقد يجوز الامر والنهي باشيا وغيرها من الافعال لمكان ما يتولد عنها من المنافع والمضار باللطف من حيث
لا تعلم في حقيقته ذلك للخلق وانما ذلك لطف من الله تعالى نحو ما نهى عن كل اشيا وامر بها الاعتداء والتنقل من غير ان نعلم حقيقته
وصول ذلك الى ما تقروا ويتقل وانحكمه في ذلك ومعنى له وكذلك الموضوع من المناكح بطلب الولد وسقي الاشجار والزرع بما
يحرسه الله فيها وان كان وجه العلم بالمامور به والمنهي عنه وحقيقته لغير الذي له ذلك وعلى ذلك الامر بالاستماع والنظر لما يلقي
اليه ويراه وان لم يكن حقيقته الا ذاك فعله وعلى ذلك التقدير جاز ان يكون الله تعالى يجعل النفث بالعزايم وانواع السحر او
بانواع الرقى اعمالا في المقصود بها من النفع والضر لا يعلم حقيقة الوقوع والمعنى الموضوع فيه له من فيه ذلك الفعل وهو به
مامور وعنه منهي بما له من حقيقة الفعل وان لم يكن النافع به في حقيقته فعله ثم قوله عز وجل الفلق اختلفوا فيه قال بعضهم الصبح
وقيل كل شي ينفلق من جميع ما خلق نحو الارحام لينفرق ما فيها والحب والنوى والهوام وكل شي فمن ذهب الى تخصيص الصبح
فهو لان اخر الليل واول النهار وقد جرى تدبير الله تعالى في انشاء هذين الوقتين على جميع العالم بحيث لا يملك احد الامتناع عن
حكمها فيما جعلها وهما النهاية في العلم يعلم الله تعالى الغيب اذ يجري من تدبيره في اخر الاوقات في الليل والنهار على حد واحد كل
عام بما فيهما من الرحمة للخلق وانواع المحنة ومن عليهما بما يانه الخالق وبين هيبان فكان ما ذكر جميع الخلق على ما ذكر في ما قيل
قوله تعالى برب الناس فيكون فيه لو قصد بالذكر ما في الكل ذلك ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل من شر ما خلق له وجهان احدهما
من شر خلقه لما اضاف الى فعله كما يقال من شر فعل فلان اي من شر يفعله ويحتمل من شر يكون من خلقه لكن الاضافة اليه بما هو خالق كل
شي من فعل خلقه ومن خلق ماله الفعل ولا فعل والاول كانه اقرب لما ذكر في بقية السورة الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم واضيف
اليه لما بينا ولان كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب الى الله تعالى خلقا وهو فعل المكتسب وكسبه فمتى كان المراد من قوله تعالى من
شر ما خلق هذا النوع فكان ذكر ما بعده يكون تكريرا واذا حمل الاول على محض التخليق فيما لا صنيع للخلق فيه من الشرور وكان ذكر ما لهم
صنيع فيه وان كان بخلق الله تعالى عز وجل لا يكون تكريرا فيكون هذا التاويل احق مما قد بينا انه يقع بفعل غيره بلطفه واعجاب
لا يحتمل التعوذ من شر من لا يقدر على فعل يتصل به الشر وفي ذلك اثبات التمكين لما يقع به الشر فيجوز التعوذ من الذي منه اذيه
يكون من غيره على ما بينا من جواز الامر والنهي عن افعال لمكان ما يقع بها وان لم يكن الواقع في الحقيقة من فعلهم فعلى ذلك التعوذ من
شر خلقه وهو التمكين والمستعاذ وفي هذا تعلق بعض من يقول بالقدرة يسبق الفعل انه لو لم يكن له على الشر كيف كان يتعوذ
من شر من لا يقوى عليه والجواب من وجهين احدهما ان التعوذ يكون بما يفعل بما يملك هو ما يقع لديه الفعل وهو الالات السليمة
والقدر يحدث تباعا على حدث الافعال ويحدث لما يختار وهو نضارت القدرة في كونها لما يختار وكون ما يختار من الفعل
بالاختيار بحدوث القدرة حالة الفعل فيتعوذ منه لعلمه ان الذي به كان فيه والثاني ان قد جرت العادة بالعلم بما يقع
فالمتعارف كالعلم بما هو واقع في الرغبة والرهبة الا ترى انه يتعوذ من ظلم الجبابرة والظلمة على ما بينهم من بعد الامكنة وحد
المدد لامكان الوصول بما اعتقد منهم بلوغ امثال ذلك وان كانت القدرة على الظلم في حقه لحال معدومة لا يبقى في مثل
هذه المدة فعلى ذلك الامر الاول وقوله عز وجل ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه قيل الغاسق هو الليل المظلم والغسق الظلمة

وقيل سمي الليل غاسقا لان الغاسق البارد وقال الله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا والليل
ابرد من النهار فلذلك سمي غاسقا والاصل في هذا الذي ذكر لا يكون منه ضر يتعوذ لكنه يجمع الهوام كذلك في ظلم الليل او
في نور القمر من الذي ياتي منه المضار ويتعوذ من الشرور ولا يمكن منها الاحتفاظ ومنها في الليالي لا يمكن الا بنور
القمر فامر بالتعوذ فلا يكون فيما لا يكون منها وهو كون لله تعالى والنهار فيتصرفا بما يقع به الابصار لانه يقع منه ذلك و
هذا والله اعلم الليس في تخصيص الليل بذلك لانه ليس له فعل الضرر لكن قد يضر من به الامكان من الشر لما المعلوم انه من
الشرور ما لا يمكن منها الا في ظلم الليل ومنها في الليل لا يمكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ منه عما يتحقق فيه فعل ذلك يجوز
التعوذ من شر النهار وعلى ما ذكرنا ما يقع به من الكون من الشر ويوجد فيه والله اعلم وقوله عز وجل اذا وقب اختلفوا
في معنى وقب قيل اذا جاء وقيل ذهب وقيل نقصانه القمر اذا اصفر وقيل بالاستعاذة من ذلك اذ على من اعلام الساعة
لهذا قالوا اذا وقيل انا الحق لا يخسف الا في الليل وقوله عز وجل ومن شر النفاثات في العقد فهذا تعوذ من شرهم بحسب
سببه لكن في الحقيقة فعلهم وقد لا ذل سبب بان صنع لهم فكان في الجملة امر بالتعوذ من كل اشيا سحبت
لخلا الشر منه فعلا كان ذلك له او لم يكن الا ترى الى قوله تعالى عز وجل لا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
وقد يكون الشيطان فعل في الحقيقة والا يكون ولا يكون الحيوة الدنيا فعل توقع النهي عن الاغترار بها فعل ذلك النهي
من شر الارض وان لم يكن لاحد من فعل بما يقع فيه ويحتمل ان يكون من هذا الوجه في الملائكة في الدفع والحفظ
لقوله تعالى عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قيل فيه ان امر الله يقع حفظه فجاز
ان يكون في هذه الامور والحفظه وانواع المضاد من حيث لا نعلم الا بعد جهد يقع الحفظ بالله تعالى من استعمال
الملائكة وعلى ذلك يجوز ان امر سابره المطاعم والمشارب والمنافع التي للبشر عن اسا او الجن بحفظ من ذكر ليكون
فيها صحة الملائكة على ما كان من كان وشوش الشيطان ايضا ظاهرا لملائكة ومعونتهم ويحتمل ان يكون الله تعالى
لم يمكنهم اضداد ما ذكرنا وان يمكنهم لوسوسوا باللطف يمنع من حيث لا يعلم وقيل ايضا من امراة عذابا
وانواع البلايا وقال والله تعالى اعلم بالوقوع وقوله عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد يخرج على وجهين احدهما انه
كان الحاسد دون المحسود ولا يقوى على الشر يتصل بالشر المتوهم منه يكون من زوال عينه وعلى الحسد ان ارادة زوال نعم
المحسود وذهاب دولته وان جاز ان يكون الله عز وجل بلطفه يجعل لبعض الاشياء على ما يبادي بالتنقل ان يحسن
من النعم الى الزوال ويدوم وذهاب الدولة عنه فامر بالتعوذ ولهذا قد بينا الله المتولدات من الافعال ما جعل الله تعالى
فيها من المضاد والمنافع ما لا يبلغها علوم الخلق بل لو اراد الخلق ان يعرفوا ما في الشجر من الحكمة التي تورث بنبتح البغض
ما بين السماء والارض من غير كثير مهلة لم يقدروا عليه وروي عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا رقية الا من عين او حمة وعن ابن عباس رضي الله عنه العين حق فانه كان شي يسبق القدر يسبقه العين ونحن نخبر اخر لا
شر في الهام والعين حق ويدل عليه في قصة اخوة يوسف عليه السلام قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وقد فسر قوم وجه عمل العين وكيفيته لكنا نذكر عمل الشمس في العين نفسها فيما يبصر الشمس وينظر اليها فانها
تضره وتغلبه عن النظر على بعدها من العين بما جعل الله تعالى وذلك من اللطف والحكمة وكذلك عمل العين في العيون
والثاني ان يكون بما احسد اي يبعث حسده على الحيل وانواع ما به العين من السعي في الامور التي بها الفساد على ضعفه
في نفسه قال الله تعالى في صفة المنافقين يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فقد بين من فشلهم وضعفهم
امرهم بالحذر عنهم وقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم امر بالتعوذ من شره فكذلك الحاسد والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل قل اعوذ برب الناس فظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشي مشار اليه وهو التعوذ وحق
الاخبار في مثله ان يقول قل اعوذ لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما ان يكون ذلك انزل بحي ذلك امر لكل من
بلغه وتعليما بالذي عليه بالاعتصام بالله تعالى والالتجاء اليه من شر الذي ذكره ويكون الاعاذة بوجهين احدهما
في تذكيره ما عرف من الحجج في دفع ما يخطر بباله من المكروه والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا يذكر عندهم
مما الدين يقع الامن من الزيغ مما حقه الافعال والذي ذلك حق فلله تعالى ان يكرم به العبد مبتدئا وله ان يقدم فيه
محنة السؤال والاعتصام به على الاكرام ايضا ويلزم على من عصم به عن الزلة او هدي الى حسنة الشكر لله تعالى فيما ابتلى
او اكرمه به عند السؤال والوجه الثاني من وجهي الخطاب انه يكون الخطاب لغيره وان كان راجعا الى مشار اليه
فهو في مشترك في معناه غيره فاتي واثبت ما به يصير مخاطبا من بلغ ذلك وهو قوله تعالى قل حتى يدوم هنا الى اخر الدهر

وعلى جميع ما فيه من حرف الكلفة والمحنة اعني صيغة الامر والله الموفق ثم في قوله تعالى قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة هو وجهان من الحكمة فيهما نقض قول اهل الاعتزال لان احدهما ان المحنة قد ثبتت بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له فاما ان كان الله تعالى اعطاه جميع ما يقع به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيدا ولا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده شي منه فان كان قد اعطاه فهو يطلب ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى كان ثم لي اعطاه طالب ما ليس عند الله تعالى فيكون الامر بالتعوذ محنة وامرا بالكتمان ذلك وذلك حين استوفاه ويكون الكادة سخرية ثم الله تعالى فعل شرا وعن الامر بالفحشاء والمنكر وبيانه ذلك عمل الشيطان ثم في المحنة بهذا محنة بالاستهزاء بالله تعالى لانه يطلب منه ما يعلم انه لا يملكه ولا يجد عنده نفسه وذلك من علم النهي وعند ذي العقول فمن ظن ان الله تعالى يمتحن عباده ويامرهم بشيء مما ذكرنا فهو جاهل بالله تعالى وحكمته وان لم يكن الله تعالى اعطاه وعنده بعد ذلك ثم كان من مذهبهم انه ليس لله تعالى ان يمتحنهم بفعل الا بعد اعطا جميع ما عنده ما لم تومنه ووجوده ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة وتوجيه التكليف قبل اعطا جميع ما عنده مما به الوصول الى ما امر به وذلك ترك مذهبهم مما كان عندهم انه لو كان عند الله امر ومعنى لا يتبع فعل الخنا لاجله لانه لا يعطيه ذلك لم يكن له ان يمتحنه وهو بالامتحان جائر فاما ان سالوه بفعل ما امر به وان لم يكن اعطاه ذلك وهم ما وصفوا الله تعالى بمثل ذلك الا وقبل بلوغ وقت الامر بذلك ويكون اعطاه ذلك وقت الامر فكانه ظنوا ان يامرها ولا يعطي حتى يسال وذلك حرف الجور ثم الاصل الذي اطماه به قلوب الذين يعرفون الله تعالى انه متى هدى الهداية التي سئل وعصم العصمة التي يطلب ووقيت لما يرجون من الفعل واعانه عند ما يخافه فانه كان ذلك لا محالة ويحقق بلا شبهة وما من لدنه من الزيغ والضلال وعلى ذلك جبلوا ما لا يجد غير معتزلي الا وقد اطماه قلبه به حتى يعلم ان هذا منه دفع المجهول عليه بالتقليد ولا قوة الا بالله تعالى

وقوله عز وجل برب الناس ملك الناس اله الناس ولم يقل اعوذ برب الخلق وهذا اعم من الاول واضافه كلية الاشياء واضافه الى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله تعالى فما كان اعم فهو اقرب في التعظيم فهنا والله اعلم يخرج على وجه احدهما اراد التعريف وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يفزع اليه ممن يملك ذلك ليعوذ منه لكنه ذكر برب الفلق في موضع وبالله في موضع وبك في موضع كقوله تعالى وقل اعوذ بك من همزات الشياطين وقال فاستعذ بالله ليعلم به من سعة الامر ويحقق الفزع والرجوع الى الله تعالى عند نزول ما ينزل بالمرء مما يخاف على نفسه ويشتغل قلبه ان له ذكر ما يحضره من اسماء الله تعالى اي اسم كان ان ما من اسم الا وفيه دلالة على نعمه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك اليه والخلو الحمد له باصناف النعم فيكون ذلك من بعض ما به التشفع الى الله تعالى من ذكر قدرته واحسانه وادفع ذلك في ذكر الناس بالاضافة اليه والثاني ان الذين عرف فيهم الارباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم الانس دون غيرهم اهل الكرامة بمعرفة الله تعالى والعصمة عن عبادة غيره والاعتراف بالملك والربوبية له ان يفزعوا اليه عما ذكرنا كيف لذلك واضعين بانه الرب لهم والملك عليهم والمستحق للعبادة لا غيره او لما كان الوجوه التي ذكرنا اصل القوم من اتخاذهم اربابا دون الله تعالى او نزولهم على راي ملوكهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض وعبادتهم غير الله وفزعهم اليه نا امر تعالى اهل الكرامة بما ذكرت الفزع الى الذي يذكر بهذه الاوصاف على الحقيقة على نحو فزع الضالين الى اربابهم وملوكهم والذين عبدوه دونهم انه اليه مفزع الكفرة ايضا عند الاياس عمن اتخذوهم دون الله لنصرتهم ودعونهم والله اعلم والثالث ان المقصود من خلق هذا العالم هم الذين نزلت فيهم هذه السورة وفيهم كالمجعول المسخر لهم قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال هو الذي سخر لكم الاية وقال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا الاية فاذا قيل برب الناس ملك الناس فكانه قيل برب كل شي لان ما سواهم جعل لهم وذكر الخلق والتوجيه اليه في الاستعاذة والاستعاذة هو اعتراف بانه لا يملك غيره ذلك فاستوى الامران والله اعلم وقيل في رب الناس مصلح الناس وذلك يرجع الى ان بصلاحهم في الدين نوفي النفس وقيل ملك الناس على الاخبار بان الملك له فيهم جميعا وفي الخلق مما لم يذكر فيه جهة الملك فبين ان ذلك كله في التحقيق لله تعالى وملكه ولغيره يكون من جهة على ما اعطاهم بقدر ما احتاجوا اليه وقيل سيدهم لكن لفظة السيد لا يذكر لما الى غير الناس ويوصف بالرب والملك والاله على الاضافة لا مطلقا يقال رب الدار ومالك الجارية وملك المصر ونحو ذلك فكانه اقرب وقوله عز وجل من شر الوسواس الخناس نسمي الذي يوسوس بانه وسواس وخناس وقيل في تاويله من وجهين احدهما انه يوسوس لذي الغفلة ويخنس عند ذكر الله تعالى اي يخرج ويذهب وقيل يخنس لا يرى ولا يظهر كقوله تعالى انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولهذا قيل في الجوار الكنس انهن يطلعن من مطالعهن وتخنس بالنهار اي يختفين وقيل وجايز ان يكون قوله عز وجل الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس لا يصير الموسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل ايضا على التقديم والتاخير معناه قل اعوذ برب الناس من الجنة والناس من الذي يوسوس في صدور الناس اما الوسوسة فهي امر معروف وذلك ما يلقى من الكلمات التي يشتغل القلب وتحيرها في الامر بما لا يعرف الذي يلجئ اليه المخرج من ذلك وعلى ذلك عامة اهل الاهواء واصناف الكفرة كقوله تعالى

وكذلك

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقوله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واما شياطين الجن فهو امر ظاهر عند جميع اهل الاديان ممن امن بالرسل عليهم الصلاة والسلام لكن الدهرية ومنكري البعث يقولون ليس في الجن شياطين وانما هو امر يحقق به مدعو الرسالة ليلزموا الخلق به الامتناع اليهم فنعرفهم الجهل وما عندهم في دعواهم من العلوم والمعارف وهذا السفه منهم قالوا ولو انهم تاملوا في ذلك لعرفوا انهم على خطر بحث عما الزمهم ضرورة العقل الطلب ودعتهم الى البحث عنه ما مسهم من الحاجة وهو الخواطر التي تقع في القلوب والخيالات التي تعترض في الصدور ومنها انا اذا صورت وجدت قبيحا ومنهم ما اذا صورت وجدت حسنا وانه لا يجوز وقوع امر او كون شي بعد ان لم يكن من قبل نفسه الا خالة فان بصير لا شي بنفسه يشاء قبيحا او حسنا بلا مدبر وقد علم جميع الانسان بالذي ذكرت من الابتداء به مما يعلم انه لم يكن من نفسه شي يحدث له ذلك فثبت ان قد كانت الضرورة يلزم البحث عن ذلك ثم لا يعلم من حيث طلب الابدان الموجبة لها ولا في العقول ذكرها يجب بها امر متعام عن العلم بها الصوع بالجهل وحب الراحة احد جا العقول بالصنائع ودخول العالم تحت تدبير حكيم عليم قدير والا اخر القول بالرسالة يا تيهم من عند علام الغيوب واذ كانت ذلك بحيث لا يبلغه علم البشر فيعرف حقيقته ذلك فيعلم عند النظر والبحث ان بين عظيمين احدهما الرسل بما معهم من المعجزات فيقولون بهم وبالتوحيد بما دلوا من الايات الصدق اذ قد علموا ان في الاخبار صدقا والا ذلك لكانوا لا يدعون شيئا اذ هو خير لهم والثاني يلزمهم بما يعاينون من خروج الامر من غير الحكماء انها تقع متفاوتة مضطربة والعالم بما خرج متسقا على الحكمة المصلحة فعلموا انه كان بتدبير حكيم بعد ما به المصالح فيلزمهم به امران ايضا التوحيد والرسالة ولا قوة الا بالله تعالى والاصل عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا من الوسوسة ان الشيطان والملك خلقان لله تعالى عرفناهما بالرسل عليهم الصلاة والسلام وبانا من ضرورة الحاجة الى العلم بين بالغاية بصير عند التصوير قبيحا او حسنا فبان ان جميعا بما امكنهما الله تعالى من الامر جميعا امر الملائكة الخير والحكمة فيسهل علينا سبيله ليتيسر لله تعالى وفضله وامر الشيطان الضلال والشر فيتيسر علينا حتى خلاف الخير الاول كالطبع والشر الثاني كذلك فاذا كان كل واحد ممكنا من الامر قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق الحسنى الى قوله عز وجل والعسرى وقال الله عز وجل ومن يرد الله ان يهديه الى قوله تعالى كانما يصعد في السماء ثم الاصل في الانس انهم امتحنوا ما يحقق بينهم وبين الله تعالى ويحقق بينهم وكلفوا تثبيت الملائكة اياهم عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وامروا برد ما يوسوس اليهم الشيطان بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وغير ذلك وعلى ذلك خلقت الملائكة ممتحنين بالكتابة على البشر بقوله كراما كاتبين فيكون الحكمة في تكليف التمكين وما وصف من محنة الله تعالى اياهم طاعتهم في انفسهم وفيما مكنوا من غيرهم على ما ذكرت من امر الانس وحكمة ذلك للانس الزام التيقظ والنظر فيما يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذي له من الذي عليه وكذلك في تكليف الملائكة كتابة قوله وفعله ليكون متيقظا ومتنبها في كل افعاله واحواله كتيقظه فيما كان الاولياء والاعداء من الكاتبين الظاهرين علينا ثم يحذر كل الحذر عما يؤذي وليه ويقبل على كل امر فيه ينفع بما امل ويحذر عدوه اشد الحذر ولئلا يؤذيه من حيث لا يعلم فيه كل تهمة ثم معلوم انه لا يعمل الكتبة الا بعد احكامه واصلاحه غاية ما يحتمل الوسع فعلى ذلك فيما اخفا ادم في العقول في درك ما منهم وما عليهم كالذين ظهر لهم من ظاهر والابصار هم والله الموفق وكذلك صلحت المحنة والامر في محبة الاولياء والاعداء بحق الولاية والعداوة فيما لا يرونه حكم وفيما يرونه ان من الوجه الذي فيه الولاية والعداوة مرتبة لابصار القلوب والعقول فيكون الحذر والمعاملة جميعا وعلى هذا التقدير لم يكن الله اعداءه ولا يرونه من معاداتهم بافعال من ايذائهم واموالهم بالسلب والتخسيس والافساد وقد مكن اعداءهم من الانس ذلك لتمكنهم الدفع من ذلك والحذر عنه بما دفع الوقوف ليمضي على جل بعض المرغوب عن ذلك وما هذا الادراك الحواس بافعالها واسبابها بالحسن وكذلك امر الملائكة كون من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيد مع شهادة العقل وكل شي يجهله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر والله اعلم قال رضي الله عنه ثم اختلف في وجه تمكن الشيطان من الانس فيما يوسوس اليه قد روي في بعض الاخبار انه يجري فيه مجرى الدم فانكر ذلك قوم وليس ذلك مما ينكر بعد العلم باحتمال مجرى الدم فيه وجرى قوة الطعام والشراب وما به حيوة الابدان والحواس مما لطف مجراه في جميع العروق والاعصاب وكل شي بلطافته ذلك الشيطان وعلى ما روي في امر الملك مما يكتب فلا يعلم موضع قعوده ولا يستمع صرير قلمه ولا ما يكتب علينا من ذلك فعلى ذلك الامر الذي ذكرت ثم قد ثبت القول بامر الله تعالى نبيه ان يتعوذ به عن همزه ونزغه وحضوره بقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الذي يتخبطه الشيطان من المس الاية فثبت ان امره على ما يشاء ثم القول في انه متى يتفق لوقت ما له من الوحي والمس والنزغ امر لا يحتاج اليه بحق لان الله تعالى اخبر ان لا نراه بقوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولكن الذي رجعت المحنة الى افعاله التي يقع بها اثارة في

الصدور وقد مكنا بحمد الله تعالى ومنه ليدرك منه وانما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من اعماله ووساوسه و
ليدفع بما مكننا الله تعالى من الاسباب وعرفنا من الحجج نقض الباطل والفساد بالحق كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا ويرجعون الى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذي جعله الله تعالى الدافع كقول يوسف عليه
الصلاة والسلام والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن لانه اثر على العلم فيه بطوايف الاشياء من المجعول لدفع كيدهن وكذلك
قول الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة الاية لكن من الناس من يقول هو نفس النفس
فيما تهوى فيعين لها ذلك والعقل فيما يدعو عن ذلك فيمتنع عن ذلك ومنهم من يقول لا لكن في ذلك اثار من الظلمة والنور
والطلب والخبيث فيعرف بالاثار وفيها موقع وسواسه حتى يصل الى العقل ويكون عمل الهوى والعقل جميعا في الجسد و
خارج منه ويجانسه اثار الاعمال ومنهم من يقول ليس لنا بشيء من ذلك علم لكن يجب ما يرجو العمل من الشر بادفع التمويه و
والتلبيس كالاعمى فيما يمسي ويطلب العناد من المنافع ويحذر الكن ذلك كله طريق عمل الشيطان وطريق امكانه وحيله
وذلك امر نؤمن بمعرفته وانما علينا المجاهدة في منع ذلك بالتيقظ او بدفعه بما يتذكر هكذا ذكرت في الايات او بالفزع الى الله
سبحانه وتعالى في دفعه او حفظ باعتصم من اللطائف التي لو بها يقع الامن عن الزيغ والظفر بالرشد ربما قول كثير منهم انه و
يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس وذلك ممكن لما قد يكون من كل جنس ضلال وغواة واخيار وابرار فاما
حق تاويل السورة على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والانس ثم القول في المعوذتين انهما من القران او ليستا من القران
قال الفقيه رحمه الله لنا من امرهما انهما انهما بما انتهتا الى اهل هذا العصر معرفة القران في الجميع بين اللوحين يتوارث الامة
ولسنا نحن ممن يعرف بالمحنة والسيرة انهم نعلم انهما معجزتان او لا وانما حق ذلك الاخذ عنا على ذلك الشهادة بعد الثبات ثم
من القران وانه يجحر حقا شانا لنا فيه الابتداع ونقد نفتح فيما به جرى التعارف في جميع الشرايع التي بها يشهد انهما من الله تعالى
وانهما حق فعلى ذلك هذا لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لم يكتبهما في مصحفه وذلك عندنا يخرج على وجهين احدهما
انه لم يكن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما شيئا انهما من القران ام لا ولم يكن ايضا رأى على نفسه السؤال عن ذلك
حقا واجبا لان القران وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يلزم علم الشهادة والعمل به واحد اذ المقصود من كل ذلك
القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسمية ولم يكن الصحابة يخوضون انفسهم بالسؤال في الوجوه التي بها يعرفون المعجزة من
غير ذلك انه قران او غيره وانما ذلك عمل من تابعين الشاكين في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعرفوا انه مبعوث مرسل
فاما من يعتقد صدقه واطمأن به قلبه وزال عنه الحرج فيما اتاهم فقد كفوا ذلك وكذلك يجوز ترك البحث عن ذلك لما
ذكرت لان عنده انهما ليستا من القران وفي خبر عقبة الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه نزل اليوم ايات لم ير
مثلهن قط قيل ما هن يا رسول الله فقال المعوذتان فدل انهما من القران واما ايضا ما ذكرت في ترك الكتابة انه ما روي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا قولوا فنحن نقول لم نشهد في تلك السور بانهما منه ولا
بما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره بها فعل ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ويؤيد ذلك ايضا امر الاستعاذة
القران انهما معرفة على القراءة وحقهما ان السورتين لو كانتا منه سمعين ان يكون في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقراءة
فهذا ايضا بعض الذي يمنع بحقيقته ذلك عنه وقد بينا جواز وجه الاشكال معا كان لا الاترى الحاجة العباد وعلى ذلك
جرى العمل بهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره فهو لا ينفي الجهل الذي ذكرت وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
لو علمت ان احدا اعلم بالقران مني وحملتني مطيتي لاتيته وقد روي عمن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبريل عليه الصلاة والسلام كل عام مرة الا في العام الذي قبض عرض عليه مرتين وقد
شهدهما جميعا عبد الله فعله لم يعرض ما شاء الله وانا كان كذلك لم يكن هو ممن يسال عنه في هذا الباب غيره يثبت عنده
السماع بانهما اثبتنا في المصحف فبقي قول بحيث لا يعرف حقيقته بوجه اخر ان يكون ذا هامنه لكن لم يكتب لوجهين احدهما
لما لم يكن موضع الكتاب والتدبير على ما ذكر ما ان يكون فاول المصاحف يكره ان يكتب بتدبيره ويتخير له موضعا للكتابة
ثم لم يكتب كذلك والثاني انه يكتب ليحفظ ولا ينسى وقد امن عليهما النسيان لانهما يجب تلاوتهما في اوائل
النهار ومبادي الليل وعند النوازل ينبغي التعوذ بهما عن كل شر وكيد على نحو الاستعاذة و
انواع الدعوات المرجو نفعها من حفظها ما يكتب وعلى ذلك ترك كتابتهما
قد تم الكتاب والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
رسولنا محمد واله وصحبه اجمعين كتبه